موسوعة

الذخائر العظام

في ما أُثِرَ عن الإمام الهُمام الشهيد عبدالله عزام

المجلد الثالث

نشر وإعداد :
مركز الشهيد عزام الإعلامي
ص ب (١٣٩٥) بيشاور - باكستان
تلفون وفاكس: (٨٤٠٤٨٠٦)

طبع بمشاركة اللجنة النسائية العربية

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فهذه القفزة العظيمة والحلم الكبير الذي كان يراود أحلامنا، لطالما انتظرناه منذ زمن بعيد، فساق الله عز وجل ا فرصة ذهبية لتحقيقه على أرض الواقع كي تكتمل عندنا المرحلة الثالثة من برنامجنا بتوفيق من الله عز وجل ورعايته.

هذا العمل الضخم لم يكن ليخرج لولا رعاية الله عز وجل لنا، ومواكبة القدرة الإلهية منذ اللحظة الأولى لهذا الك العظيم الذي ينتظر إخواننا الباحثين والمؤرخين في العالم الإسلامي للعمل عليه وتقديمه للجيل [illegible] زمن المجاهد القا جديد.

وقبل أن أنتقل إلى فوائد هذه المرحلة لابد أن أشير إلى عدة نقاط مهمة:

النقطة الأولى: أن كل ما خطه الشيخ بيد، أو قاله بلسانه في هذه الموسوعة إنما هو نتاج عشر سنوات بالأحداث الجسام امتدت ما بين سنة ١٩٧٩-١٩٨٩م سوى انحلال الزواج في الفقه والقانون (١).

النقطة الثانية: أن كثيراً من خطب ومحاضرات الامام الشهيد التي ألقيت في الفترة المذكورة أعلاه في أمر والخليج لم نستطع الحصول عليها بسبب الظروف التي ألمت بمسيرة عملنا والظروف السياسية التي قلبت العالم عل بعد استشهاد الشيخ رحمه الله.

النقطة الثالثة: معظم هذه المادة تركز على التجربة الجهادية والمسائل الفقهيه والعقدية والجوانب الفكرية ا المعاصرة والأحداث الجسيمة والتيارات المنحرفة والمؤامرات التي دارت على الإسلام خلال القرن العشرين.

النقطة الرابعة: لا بد أيضاً أن ننبه إلى أن الشيخ عبدالله رحمه الله كان له نشاط دعوي وتربوي على مستوى د الأردن وفلسطين في الستينات والسبعينات تخلله إلقاء خطب ومحاضرات وكتابات قيمة في الصحف والمجلات لم أيضاً العثور عليها.

فوائد هذه الموسوعة:

١- جمعت جميع ما قاله وما خطه الإمام الشهيد عبدالله عزام في أربع مجلدات بعد أن كانت هذه المادة مشتت في كتب صغيرة وكبيرة يصعب على أي باحث احضارها، فيما لو أراد الحصول عليها مجتمعة فضلاً على أن كثير الكتب أو الأجزاء قد نفدت وصعب علينا إعادة طبعها من جديد.

٢- أن هذه المرحلة وفرت علينا من الناحية المادية الشيء الكثير.

فعلى سبيل المثال استطعنا أن نجمع مجلدات التربية الست في مجلد واحد مما وفر علينا الثلثين من قيمة وكذلك وفر نفس القيمة من حيث الوزن فيما لو أردنا إرسالها في البريد، وهذا ينطبق على بقية المجلدات الأخرى وأ انسان يستطيع الحصول على المجموعة الكاملة بنصف القيمة السابقة.

(١) كذلك رسالة الدكتوراه لم نضمها داخل هذه الموسوعة والتي حصل عليها في عام ١٩٧٣م، بالاضافة إلى الكتاب الذي شارك في تأليفه (الدعوة الإسلامية فريضة ش [illegible] الذي كان له نصيب الأسد في تأليفه، وكذلك بعض الكتابات القليلة والأشرطة التي لم نعثر عليها بعد.

كلمة قصيرة

صدرت السلسلة الأولى (سلسلة التربية) من كتب الامام الشهيد عبدالله عزام على شكل كتيبات صغيرة متناثرة يصعب على الاخوه حملها واحتواءها وجمعها وبناءً على رغبة تلاميذ الامام الشهيد عزام ومحبيه وأنصار فكره قام المركز بجمع هذه المتناثرات في ست مجلدات حتى تكون جنباً إلى جنب مع الكتب الفكرية المعاصرة داخل المكتبات العامة والخاصة ولتضيف زخماً جديداً في الفكر الاسلامي المعاصر.

وبعد فترة رأينا من الأنسب أن تضاف جميعاً في مجلد واحد يحمل رقم (٣) كي يسهل على الباحثين مهمة البحث في هذه الكتب وهكذا بقية الكتب سنجمعها في مجلدات بحيث تكون موسوعة تجمع جميع ما قاله وما خطه الامام الشهيد وسيكون مجموع هذه المجلدات أربعة يتبعها مجلد خامس فهرسه باذن الله تعالى.

مركز الشهيد عزام الإعلامي

٣- أصبحت هذه المادة وبثوبها الجديد سهلة النقل مع أي شخص مسافر إلى الخارج لصغر حجمها وقلة وزنها وهذه نقطة مهمة جداً كان يعاني منها كل من أراد أن ينقلها معه إلى بلده أو إلى الجهة التي ينوي السفر إليها.

٤- النقطة المهمة والأخيرة: أن هذه المرحلة هي توطئة للمرحلة القادمة وهي المرحلة التي سيتركز عليها العمل القادم[1].

منهجنا في العمل:

فكرنا كثيراً في كيفية العمل على هذه الموسوعة فاستقر الأمر على الترتيب الآتي:

١- جمع كل ما خطه الامام الشهيد بيده في مجلد واحد، وقد أطلقنا على هذا المجلد من الموسوعة (المجلد الأول).

٢- جمع كل ما خطه الامام الشهيد بيده في مجلة الجهاد ونشرة لهيب المعركة في مجلد واحد كمجلد (في خضم المعركة وكلمات من خط النار الأول وعشاق الحور ومن القلب إلى القلب) وأطلقنا عليه: المجلد الثاني.

٣- جمع مجلدات في التربية الجهادية والبناء الست في مجلد واحد وأطلقنا عليه: المجلد الثالث.

٤- جمع بقية المجلدات الأخرى كمجلد (في التآمر العالمي ومجلد في الجهاد فقه واجتهاد، ومجلد في الهجرة والاعداد) من الأشرطة، وقد وضعت جميعها في مجلد واحد وأطلقنا عليه المجلد الرابع.

٥- ونحن نسعى بإذن الله لاصدار مجلد خامس يحتوي على فهرسة جميع هذه المجلدات ونسأل الله التوفيق والسداد

وأخيراً: ندعو الله عز وجل أن يبارك لكل من وقف خلف هذا العمل وساهم به سواء من الناحية المادية أو المعنوية وأن يخلفه خيراً، وبانتهاء هذه المرحلة نكون قد طوينا نهاية المرحلة الثالثة تمهيداً للمرحلة الرابعة إن شاء الله تعالى.

وحسبنا أننا اجتهدنا صادقين فإن أصبنا فمن الله وإن اخطأنا فمنا ومن الشيطان ونأمل من الله القبول والثبات.

والله ولي التوفيق

مدير المركز

أبو عادل عزام

---

(١) راجع المرحلة الرابعة في نهاية المجلد الرابع من هذه الموسوعة (التعريف بالمركز).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــــة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . أما بعد:

لقد عمد الإستعمار على مسخ صورة الجهاد في أذهان المسلمين ، فقامت حملة شرسة ومركزة من المستشرقين على الجهاد في الإسلام بعد أن أزيلت أخر منـارة كان يتجمع حولها المسلمون في الأرض .

لقد كانت عبارات المستشرقين تنفذ إلى قلوب بعض السذج من المسلمين فكان من ترهاتهم .. أن الإسلام قام بالسيف ، فذهب المسلمون بدافع طيب يدافعون وينافحون عن أنفسهم على استحياء ، وبروح انهزامية ، في الوقت الذي جمع فيه الإستعمار كل ما أوتي من قوة لحرب هذا الدين وطمس معالمه، وتبنى بعض الحركات كالقاديانية والبهائية من أجل نسخ الجهاد من دين الله .

فمن حكمة الله تعالى أنه دائماً وعلى رأس كل قرن يقيض لدينه من يجدده ويحيي ما أمات الناس منه، وفريضة الجهاد أصبحت في وجدان الأمة الإسلامية في القرن الأخير نسياً منسياً .

فجاء الشهيد عبد الله عزام على قدر من الله لإحياء فريضة ماتت في إحساس الأمة ووجدانها «فريضة الجهاد» وقد رفعه الله إلى ذروة سنام الإسلام فوقف الشهيد يحاول أن يرتفع بهذ الأمة إلى القمم الشماء ، بعد أن هزمت أو كادت أن تهزم روحياً أمام ضغط المستشرقين ومكرهم .

رفع صوته عالياً ليعلن للعالم الإسلامي ، بل للعالم أجمع دون مواربة ولا تردد .. نعم إن ديننا قد قام بالسيف وإن راية التوحيد لا يمكن أن تعود خفاقة عالية في ربوع العالمين إلا بالسيف ، إن السيف هو الطريق الوحيد لإزالة العقبات ، وبناء دولة الإسلام .

لقد حمل الشيخ الشهيد راية الجهاد على نجود فلسطين قبل أن يجاهد في أفغانستان ، ثم عزم الشهيد أن لا يحط رحاله ولا يضع البندقية من يده حتى يرى دولة الإسلام قائمة ، ويرى ديار الإسلام المغتصبة تعود إلى أهلها ، فكان الشيخ الشهيد بحق صاحب مدرسة جهادية عملية ، وبذلك أعاد للأمة ثقتها بنفسها ، وغرس في أعماقها الأمل ، بأنه يمكن أن تعود لهذه الأمة مكانتها من جديد ، إن هي نهجت الجهاد سبيلاً وسارت في درب سيد المرسلين وصحابته الغر الميامين .

كذلك كان الشهيد بحق فارس المجاهدين ، وقد عمل لإعادة الأمة التائهة إلى خطها الأصيل الذي طال انحرافها عنه ونحن نجد بشائر ذلك في انتفاض المارد الجبار وتحطيم أغلاله التي طالما صفد بها طويلاً من قوى البغي والعدوان .

لقد طوّف شهيدنا الغالي في آيات الجهاد وأحاديثه ، وترسم خطى المصطفى صلى لله عليه وسلم في جهاده ، وسار على نهج الصحابة والتابعين في دربه ، وقد شعر بأن شجرة هذا الدين بدأت تذوي وتذبل فصمّم على أن يرويها من دمه ، فالناظر إلى خطب الشهيد عبد الله عزام ومحاضراته ودروسه يلمس صدق الكلمة من صاحبها ، وأكبر دليل على ذلك أنه ترجم صدق الكلمات وبرهن عليها بدمائه الزكية .

فكلماته ومحاضراته وخطبه كتبها بدمه بعد أن كتبها بعرقه ودموعه وماء قلبه .

فهذه الصفحات التي نخرجها للقراء الكرام ، إنما هي عبارة عن خطب ودروس ومحاضرات تمثل فكر الشهيد الجهادي ، والتي لم يدخر وسعاً ولم يأل جهداً في تذكير الأمة بماضيها التليد ودورها المرتقب في قيادة البشرية، وحمل لواء الجهاد ونشر التوحيد في المعمورة .

وحرصاً من مركز الشهيد عزام الإعلامي على هذا التراث الزاخر المفيد ، وتعميماً للفائدة رأى نشر هذه الأشرطة المسموعة على شكل سلسلة مطبوعة ، فقام بتشكيل لجنة علمية لهذا العمل الجليل .

منهج اللجنة في العمل :

يتم اختيار الأشرطة التي تتحدث في موضوع واحد ، ثم تفرغ وتدقق وتطبع ، ثم يصحح المطبوع ، وتتم مقابلته على الشريط ، ثم يدفع للجنة لضبطه وتنقيطه وتخريج نصوصه من الآيات والأحاديث ، ثم يتم إخراجه في شكله النهائي بعد تزيينه بالعناوين الجانبية .

كما اقتضى الأمر أخي القارىء ؛ أن ننوه إلى أن ما تطالعه من كلام مكتوب إنما هو في الأصل أسلوب إلقائي ، يختلف تماماً عن الكتابة والتأليف فإن وجد تكرار في العبارات ، فهذا من طبيعة أسلوب الخطب والمحاضرات.

وأخيراً فهذه التجربة الجهادية العملية، تقدمها للعالم الإسلامي كي ينتفع بها فهي لم تكن محصورة في قوالب نظرية فلسفية و خطب رنانة بعيدة عن روح العمل ، إنما هي مدرسة جهادية تمثلها صاحبها واقعاً عملياً قبل أن ينقلها كلاماً للأجيال.

نسأل الله تعالى أن ينفع بها أمة الإسلام ، وأن تكون خطوة مباركة على طريق بناء دولة الإسلام .

لجنة التحقيق

التربية النبوية للجيل المسلم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره.. ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، أدى الرسالة، وبلغ الأمانة ونصح الأمة فصلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله، يا من ربيت الجيل الأول، ولا زالت الأجيال تتربى على هديك الكريم، ورضي الله عن صحابتك أجمعين وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين،... وبعد:-

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا.

محاضرتنا اليوم: التربية النبوية للجيل الأول.

ونعني بالجيل الأول جيل الصحابة، والصحابي من لقي رسول الله ﷺ مسلماً ومات على الإسلام. والصحابة رضوان الله عليهم... أثنى ربهم ونبيهم عليهم، أثنى رب العزة عز وجل عليهم، وكذلك ﷺ أثنى عليهم كثيرا، ففي محكم التنزيل..

(محمدٌ رسول الله والذين معه أشداءُ على الكفار رحماء بينهم) (الفتح: ٢٩)

(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) (التوبة: ١١٧)

شهد القرآن -والقرآن قطعاً قطعي الثبوت- أن ثلاثين ألفاً؛ الذين حضروا غزوة تبوك، هم من الذين تاب الله عليهم.

(لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) (الفتح: ١٨)

فالذين بايعوا بيعة الرضوان هم ألف وأربعمائة شخص؛ هؤلاء بنص القرآن مرضي عنهم.

وفي الصحيح [خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم](١).

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري: [كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء، فسبّه خالد، فقال رسول الله ﷺ: لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه](٢).

ومعلوم أن خالداً صحابي، ولكن لأن عبد الرحمن بن عوف متقدم عليه في الصحبة غضب رسول الله ﷺ وقال: إن شرف صحبة عبد الرحمن لو أنفقت مثلها يا خالد... لو أنفقت مثل أحد ذهباً يا خالد وأنت صحابي ما أدركته، مع أن خالداً أنفق من قبل الفتح وقاتل..

(لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) (الحديد:١٠)

وفي صحيح مسلم عن جابر أن النبي ﷺ قال: [لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة](٣).

قال ابن مسعود: إن الله قد نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء لنبيه.

قال ابن حجر: أجمعت الأمة أن شرف الصحبة لا يعدله شيء.

وقال أبو جعفر الطحاوي في عقيدته: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

هذه الصفوة الكريمة من البشر التي اختارها رب العزة لتأييد دينه ونصرة شريعته

(هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) (الأنفال:٦٢)

هذا الجيل الفريد والطراز الفذ في التاريخ البشري كله، كيف خرجوا وانبثقوا لأول مرة من بين دفتي كتاب؟ كيف ترجموا الآيات إلى بشر، فتحولت الكلمات إلى أناسي من لحم ودم؟ لا تفرق واقعهم عن آي القرآن:

---

(١) - رواه البخاري (انظر صحيح الجامع الصغير (٣٢٩٤).

(٢) - رواه أحمد والبخاري ومسلم (انظر صحيح الجامع الصغير (٧٣١٠). (٣) - رواه مسلم في صحيحه.

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران: ١١٠)

كيف تربت حتى شبت ونضجت على أصلها الثابت الضارب في أعماق الأرض:

(أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) (ابراهيم: ٢٤ـ ٢٥)

ما هي القواعد التي أسست تربيتها عليها؟ ما الأسس التي بنى عليها مُربيها ﷺ هذا البناء الضخم العجيب ذا النسق الفريد؟ هذا ما نتعرف عليه من خلال هذه المحاضرة:

(الأسس التي قامت عليها تربية الجيل الفريد)

لقد أقام ﷺ تربية هذا الجيل الفذ من البشر على قواعد أهمها في نظـري:-

١- قصر التربية على المنهج الرباني وحده.

٢- تجريد الدعوة من المنافع الدنيوية والثمار العاجلة.

٣- الابتداء بالبناء العقدي للفئة المؤمنة، ثم البناء التشريعي.

٤- تمثل التربية منذ اللحظة الأولى في تجمع حركي.

٥- وضوح الراية وتميز الهدف دون اختلاط ولا لبس.

٦- بناء القاعدة الصلبة التي حملت البناء كله.

٧- الاستفادة من جميع الطاقات.

٨- وزن الأشخاص بالميزان الرباني: بالتقوى.

٩- التربية من خلال الأحداث والحركة الواقعية.

١٠- الجهاد.

١١- غرس الثقة بنصر الله في أعماق النفوس.

١٢- الأسوة الحسنة والقيادة العملية بالتطبيق \

١٣- الرفق والإشفاق دون العنت والإشقاق .

١٤- بعد نظر قيادته ﷺ خاصة عبرالتنقل من مرحلة إلى مرحلة.

١٥- تلقي الصحابة رضوان الله عليهم الأوامر للتنفيذ والامتثال.

وقبل أن أشرع في تفصيل هذه الأسس: أودّ أن أشير إلى فائدة معرفة هذا المنهاج النبوي في التربية:

لمعرفة هذا المنهاج فوائد جمة خاصة لأولئك الذين يريدون أن يقيموا دين الله في الأرض، وينشئوا المجتمع المسلم في الحياة الواقعية بعد أن غاب عن الشهود والوجود؛ وأهم هذه الفوائد:

* **أولاً:** معرفة منهج التفكير الإسلامي في البناء، لأن منهج التفكير والحركة في إقامة الإسلام لايقل قيمة ولا ضرورة عن المنهج الحيوي ولا ينفصل عنه، فكما أن هذا الدين ذاته من عند الله فالطريق التي قام بها أول مرة كذلك من عند الله.

* **ثانياً:** إقتفاء هذا الطريق الرباني لنصرة دين الله وتحكيم شريعته في الحياة، ومن أجل الثبات على هذا الطريق.

(وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين) (هود: ١٢٠)

(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (الانعام:٩٠)

فهذا الطريق هو الذي سلكه رسول الله ﷺ أول مرة حتى انتصر هذا الدين، ولن يقوم هذا الدين مرة أخرى في هذه الأرض إلا بهذا الطريق.

يقول الأستاذ سيد قطب -رحمه الله-: يجب أن يعرف أصحاب هذا الدين جيدا أنه كما أن هذا الدين في ذاته رباني فإن منهجه في العمل رباني كذلك، متواز مع طبيعته، وأنه لا يمكن فصل حقيقة هذا الدين عن منهجه في العمل، فإذا نحن عرفنا منهجه

في العمل لنعرف أنَّ هذا المنهج أصيل وليس منهج مرحلة، ولا بيئة، ولا ظروف خاصة بمشاكل الجماعة المسلمة الأولى، إنما هو المنهج الذي لا يقوم بناء الدين في أي وقت إلا به.

إن التزام المنهج ضروري كالتزام النظام في كل حركة إسلامية.

* **الفائدة الثالثة:** معرفة عظمة القائد المربي الذي طبق هذا المنهاج، وعظمة الجنود الذين ترجموه.

الرسول ﷺ خرّج في هذا الوقت القصير من الزمن جيلاً فيهم القادة الأفذاذ، فالقادة العسكريون الذين رباهم رسول الله ﷺ أكثر في عددهم من جميع القادة على مر التاريخ الإسلامي، وخرج جيلاً من الولاة والسياسيين والإداريين والمربين والمعلمين والقضاة والحكام، ولو انفرد شخص من البشر في ناحية من هذه النواحي لسجل في عداد الخالدين، فكيف بمن جمع هذا كله؟ إنها عظمة النبوة حقا كما قال العباس رضي الله عنه.

والآن لنعُد إلى الأسس التي أقام عليها ﷺ هذا الصرح العظيم:

الأساس الأول: تصبر التربية النبوية على المنهج الرباني.

(لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (آل عمران:١٦٤)

فالكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة، وقَصْرُ رسول الله ﷺ التربية على القرآن والسنة كان مقصوداً، فقد غضب عندما رأى صحيفة من التوراة في يد عمر فقال: **[إنه والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حلّ له إلا أن يتبعني]**.

ورواية الإمام أحمد: [والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم، إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين][1].

ولذا فقد حرص الإسلام على إقرار هذا المنهج الرباني في الأرض؛ ليقوم الناس بالقسط ولإحقاق الحق بين الناس وغرس هذه القيم الإلهية في واقع الحياة الإنسانية.

(لقد أرسلنا رُسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) (الحديد:٢٥)

فالغرض من النبوات هو إحقاق الحق بين الناس ونشر القسط بينهم، ولذا فنقد الأشخاص في دين الله وبيان هفواتهم أصغر بكثير من أن يثلم المنهاج أو أن ينحرف الطريق.

وعليه فلم يدع رب العزة حادثة عبوس الرسول ﷺ في وجه عبد الله بن أم مكتوم الأعمى وهو منشغل بدعوة العلية من سادة قريش. أقول: لم يدعها رب العزة تمر هكذا فعاتب حبيبه ﷺ [2] عتاباً شديداً فأنزل سورة تحمل اسم (عبس)، وبلغ العتاب ذروته في كلمة (كلا) وهي كلمة زجر وردع.

ولقد أنزل رب العزة عشر آيات بينات في سورة النساء لتبرئة يهودي من سرقة درع اتهم به وإثبات التهمة عند أحد أبناء المدينة الذين يعلنون الإسلام وهو (طعمة بن أبيرق) وذلك لأن بقاء المنهاج واضحاً سليماً خير من بقاء ألوف يسيرون على منهج منحرف معوج.

ولذا فالقيادة في هذا الدين ربانية متمثلة في شخص الرسول ﷺ، والمنهاج رباني متمثل بالكتاب والسنة، والوسيلة ربانية، فلم يقبل رسول الله ﷺ بعد صلح الحديبية (أبا جندل بن سهيل بن عمرو) ولا (أبا بصير)[3] بعد أن قدما إليه من مكة فارين من الاضطهاد والتعذيب، فأرجعهما إلى قريش لأنه لا يريد أن يخفر ذمته، ولا أن ينقض عهده الذي أبرمه مع قريش واشترط لنفسه أن يرجع كل من قدم إليه منها.

وعلى أبناء الدعوة الإسلامية أنْ ينتبهوا كثيراً إلى قضية (ربانية أو شرعية الوسائل)، فكثيراً ما تسلك طرق معوجة، وأساليب ملتوية من أجل الغاية التي يرمون إليها باسم مصلحة الدعوة، فقد يكذب الداعية من أجل مصلحة دعوته، وقد يظلم الناس إذا اختلف مع أبناء دعوته، وقد يُزوِّر من أجل تبرئة أبناء حركته... وهذا كله خطر وخطأ، لأنه انحراف بالمنهج عن القسط والعدل، وتضييع للحق ذاتها.

---

(١)- جزء من حديث رواه أحمد في المسند كما في تفسير ابن كثير.

(٢)- رواه أبو يعلى والترمذي (انظر تفسير ابن كثير ٤/٧٣٨).

(٣)- القصة صحيحة مشهورة أصلها في صحيح البخاري.

إن مصلحة الدعوة الإسلامية أن يعبد الله بالدين الذي أنزله، أن يعبد الله بشريعته، وأن يقرّ العدل في الأرض..

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط، شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إن يكن غنياً أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) (النساء: ١٣٥)

فإذا سُئلتَ عن أحد أبناء دعوتك؛ وقد أكل الربا فإذا تأكدت من هذا فلا تشغل نفسك بانتحال الأعذار وتأويل النصوص لتمييع قضية تحريم الربا القطعية من أجل تبرئة هذا الداعية وهكذا.

الأساس الثاني: تجريد الدعوة من المنافع الدنيوية والثمار القريبة، فقد جاء الرسل جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم يعلنون هذا الشعار.

(وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) (الشعراء: ١٢٧)

هذه الآية التي نادى بها الأنبياء جميعاً عليهم السلام ونطق بها في سورة الشعراء نوح وهود وصالح وشعيب عليهم الصلاة والسلام، إن النفس البشرية تشعر كثيراً باستعلائها على من تعطيه، واليد العليا خير من اليد السفلى..

الله يغضب إن تركت سؤاله * *وبُنيّ آدم حين يُسأل يغضب*

والأنبياء والدعاة؛ يجب أن يترفعوا عن دنيا الناس حتى يتقبل الناس دعوتهم، ولذلك لم يكن رسول الله ﷺ يمنّي أحدا من أتباعه غرضاً دنيوياً، أو ثمرة قريبة لقاء دخوله الإسلام وإيمانه به. وكان عندما يمر على آل ياسر لا يزيد إلا أن يقول: **(صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة)**(١). لم يكن يمنيهم بإمارة ودنيا وحكم ورياسة، ولذا فعندما عرض دعوته على بني عامر بن صعصعة قام إليه رجل منهم اسمه (بحيرة بن فرّاس) قال له: أرأيت إن نحن بايعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الأمر من بعدك؟ فقال ﷺ: **[الأمر لله يضعه حيث يشاء]** فأبوا عليه في الوقت الذي كان بحاجة إلى نصرة رجل واحد منهم.

ولم يكن رب العزة يُعلِم رسوله ﷺ أن هذا الدين سينتصر على يديه.

(فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون) (الزخرف: ٤١-٤٢)

ولكن رسول الله ﷺ كان يعتقد أن هذا الدين سينتصر وإن طال المدى. وقال ﷺ يوم بيعة العقبة الثانية للأنصار: **[أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم، قالوا فما لنا يا رسول الله إن وفينا بذلك؟ قال: الجنة، قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل]**(٢).

وعلى الذين يعملون لإقامة حكم الله في الارض أن يدركوا هذه القضية؛ بأن الدعوات لا يصلح لها إلا المتجردون، وإلا فإن الدعوة تتحول إلى سلّم يتسلق عليه المنتفعون، ويتاجر به المتاجرون، وعليهم أن يدركوا أن مد أيديهم إلى أهل السلطان وذوي الثراء يسقطهم في أعين هؤلاء، ويسقط دعوتهم من قلوب السلاطين والأغنياء، ويزرع بغضهم وبغض دعوتهم في قلوب الفقراء، ومن هنا كان يحرص المصلحون على البعد عن دنيا الحكام وذوي الجاه، فقالوا: شر العلماء أقربهم من الأمراء، وشر الأمراء أبعدهم عن العلماء، وكما قال ابن المبارك:

يا جاعل الدين له بازيا *يصطاد أموال السلاطين*

فلما أن ابتلى الله عز وجل الصحابة رضوان الله عليهم فصبروا، وعلم الله منهم فراغ نفوسهم من حظ نفوسهم، وعلم أنهم لا يريدون جزاء في هذه الأرض كائنا ما كان حتى انتصار هذا الدين على أيديهم، علم أنهم أصبحوا أمناء على شريعته فمكن لهم في الارض ووضع بين أيديهم تلك الأمانة الكبرى(٣).

الأساس الثالث: البناء العقدي للأمة قبل البناء التشريعي.

لقد انفق القرآن المكي ثلاثة عشر عاماً يشرح (لا إله إلا الله)، يشرح العقيدة حتى تزرع في القلوب، وذلك لأن هذا الدين كله قائم على (لا إله إلا الله)، كل تشريعاته وتفصيلاته وأحكامه قائمة على قاعدة الألوهية الواحدة.

---

(١)- حديث صحيح رواه الطبراني والحاكم والبيهقي وابن عساكر وقال الهيثمي (رجال الطبراني رجال الصحيح غير ابراهيم بن عبد العزيز وثقة) (انظر حياة الصحابة ٢٤٤/١).

(٢)- انظر مختصر السيرة للإمام محمد بن عبد الوهاب ص(٨٨).

(٣)- اقتباس من كلام الندوي بتصرف.

فهذا الدين كالشجرة جذورها ضاربة في أعماق الأرض وفروعها باسقة في السماء، فإذا كان المجموع الخضري كبيرا فيجب أن تكون الجذور عميقة لتحتمل هذه الضخامة لهذه الشجرة، فيجب أن تكون جذور هذا الدين -أي (لا إله إلا الله)- الإيمان عميقة في القلوب حتى تحتمل شجرة الدين كله، ولذلك إن الذين يظنون اليوم وهم يدعون الناس إلى دين الله أن عرض النظام الاقتصادي أو النظام الاجتماعي أو النظام السياسي أو النظام الأخلاقي على الناس يحببهم بدين الله ويدخلهم فيه، هؤلاء لا يفهمون طبيعة هذا الدين ولا يدركون ذاتية المنهج الذي يعمل به.

يا أيها الإخوة: يجب أن نبدأ بالناس كل الناس لا من تحبيبهم بالفروع؛ إنما من غرس العقيدة في أعماقهم، وبعد أن تغرس العقيدة في أعماقهم يمكن أن يطبقوا لنا كل شيء، أما إذا تتبعناهم بحكم الصلاة، وحكم الوضوء، وبحقوق المرأة، وبالواجبات على الحاكم، وبالعدل، فإن المجال سيطول بك، وكل يوم يقدمون لك شبهة لترد عليها، وليست هذه الطريقة التي بدأ فيها هذا الدين، إن الذين يحاولون أن يجلبوا الناس الى دين الله عن طريق تعريفهم بالنظام الاقتصادي أو النظام الاجتماعي قبل تعريفهم بـ (لا إله إلا الله) هؤلاء كالذين يزرعون البذور في الهواء وينتظرون منها أن تكون أشجاراً في الهواء.

الأساس الرابع: وضوح الراية وتميزها دون اختلاط، ولذلك عندما عرضوا عليه أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا إلهه سنة، قال لهم:

(قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) (الكافرون:١-٢)

وقال له ربه:

(فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) (غافر: ٢٩)

يجب أن نعلن هدفنا منذ أول يوم... لا يجوز أن نختبئ تحت رايات قومية من أجل أن نبلّغ ديننا، ولا أن نختبئ داخل حزب البعث لننفع ديننا، ولا أن ندخل التنظيم الاشتراكي لكي نبلغ دعوتنا، ولا أن ندخل مؤسسات أرضية ظنا منا أننا بإمكاننا عن هذا الطريق أن نخدم الدين ونقيمه.

إن اختلاط الهدف منذ أول يوم سيضيع علينا الطريق، وسيضيع الناس ولا يعرف الناس ماذا يتبعون، ولذلك فرسول الله ﷺ أعلنها منذ أول يوم ... (**اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**) وبقي يحث على انفراد الناس في شعورهم، -عزلتهم الشعورية والنفسية- منذ أول لحظة حتى لقي ربه؛ بقي يحث على عدم التشبه بالكفار، وقال: [**من تشبه بقوم فهو منهم**].

وعندما قالوا له اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط -الشجرة التي يعلق عليها الجاهليون السلاح- غضب ﷺ وقال: [**إنها السنن؛ لتتبعن سنن من قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**](١).

ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن التشبه باليهود والنصارى والكفار في العبادة وفي الملابس والمراكب، وإن شئت فاقرأ كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم) للإمام ابن تيمية.

فالأمة الإسلامية حدد لها الله عز وجل مقوّماتها وجعلها فريدة، جعل جنسيتها عقيدتها... ووطنها دار إسلامها... وحاكمها ربها..ودستورها قرآنها.... هذا التصور الرفيع للدار وللجنسية وللقرابة هو الذي ينبغي أن يسيطر على قلوب الدعاة الى الله، والذي ينبغي أن يكون من الوضوح بحيث لا تختلط به أوضار الجاهلية، ولا تتسرب إليه صور الشرك الخفية، الشرك بالأرض... والشرك بالجنس... والشرك بالقوم... والشرك بالنسب... والشرك بالمنافع الصغيرة القريبة. وأعلنها ﷺ عن القومية.. [**دعوها فإنها منتنة**] بهذا اللفظ الذي يفوح منه رائحة الاشمئزاز والتقزز، وقال لهؤلاء الذين يعبثون بهذا النتن: [**لينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعل**].

الجعل: الصرصور الصغير الذي بدون جلد -يعني أصغر من صرصور- أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده -يعني يحرك- يدهده الخرء بأنفه يعني البعثيين والقوميين وغيرهم فيشبههم بالصراصير يعبثون في مزبلة القومية.

الأساس الخامس : بناء القاعدة الصلبة.

هذه القاعدة الصلبة التي حرص رسول الله ﷺ عليها طويلا، وخرّجت هذه النماذج أمثال أبي بكر وعمر وعثمان ومصعب وحمزة، هذه القاعدة الصلبة التي أقامها في المدينة المنورة عندما ارتدت الجزيرة العربية أرجعت المدينة، كل الجزيرة إلى الإسلام، القاعدة كانت ثابتة صلبة.

---

(١)- حديث صحيح رواه أحمد وصححه الألباني في كتابه (حجاب المرأة المسلمة).

هذه القاعدة التي خرّجت أمثال أبي بكر الذي وقف يوم الردة يقول: {والله لو منعوني عناقاً -سخل صغير- وفي رواية عقالاً-يعني رباط ناقة- كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم فيه أو أهلك دونه}، وكان الواحد من هذه القاعدة أمثال أبي بكر عندما راودوه أن يتريث قال: (والله لو دخلت السباع المدينة، وجرّت أرجل نساء النبي ﷺ من حجراتهن ما ترددت ولا وقفت).

هذه القاعدة كيف بنيت؟ القاعدة الصلبة كيف بنيت؟ النماذج الرفيعة كيف بنيت؟ لأن القواعد هذه...لأن هذا البناء الضخم كله يقوم على أربعة أعمدة فقط، ومن هنا كان رسول الله ﷺ يهتم ببناء هذه الأعمدة.

بناها أولاً بطول الاحتضان: ويجب أن نفهم طول الاحتضان، طول احتضان القائد للجنود الذين حوله، فمن دار الأرقم التي كان يقضي فيها معظم وقته ليربي هذه الصفوة المباركة، ثم الهجرة وقد أمر كل مؤمن أن يهاجر معه ليبقى حوله يتلقى ويتربى، وعندما جاءه أعرابي اشترط عليه ويبايعه أن يبقى -طبعاً كان يبايع الناس بعد الهجرة على أن يبقوا في المدينة- فبايعه أعرابي على البقاء في المدينة، وبعد أيام إستوخم حرّها فجاء الأعرابي إلى رسول الله ﷺ وقال له: رُدّ عليّ بيعتي، فرفض رسول الله ﷺ فغادر الأعرابي المدينة، فقال ﷺ: {إنما المدينة كالكير تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد}(١).

إذا أولاً طول الاحتضان، طول مدة التربية.

ثانياً البناء الروحي: البناء الروحي قد تم بوسائل كثيرة أهمها في البداية قيام الليل:

(يا أيها المزمل، قم الليل إلا قليلا، نصفه أو انقص منه قليلا، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا، إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلا) (المزمل: ١ -٥)

كل هذا حتى تحتمل نفسه ذلك القول الثقيل، فكان قيام الليل في بداية الدعوة فرضا على النبي ﷺ وعلى صحبه، وكذلك يقول الله عز وجل:

(والذين يمسّكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين) (الأعراف: ١٧٠)

هاتان الركيزتان الأساسيتان للمصلح، (يمسّكون بالكتاب ويقيمون الصلاة، إنا لا نضيع أجر المصلحين).

(واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) (البقرة:٤٥)

(واستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء) (البقرة:١٥٢-١٥٤)

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) (الأنفال: ٤٥)

في أرض المعركة اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون. وكان ﷺ يذكر الله على كل أحيانه(٢). وكان إذا خرج من الخلاء يقول (غفرانك)(٣). أي: غفرانك عن الفترة التي انقطعت فيها عن ذكرك، وكذلك بإشاعة المحبة بين أصحابه، وبالإيثار.

(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (الحشر: ٩)

وكذلك إشاعة الثقة بينهم، فكان إذا جاءه واحد يتكلم على أحد أصحابه يقول له: {لا تذكروا لي أصحابي فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر}(٤).

فلينتبه الدعاة إلى هذه القضية: الذين يمزقون لحوم بعضهم بعضاً باسم مصلحة الدعوة، وباسم التعرف على الجنود والاستهانة بالحرمات،{لا تذكروا لي أصحابي فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر}.

وكان ﷺ كذلك يذكر حسنات أصحابه عند هفواتهم.. فعندما كبا حاطب بن أبي بلتعة في إرساله رسالة إلى قريش وقال عمر لرسول الله ﷺ: {يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: يا عمر وما يدريك؟ إنه شهد بدراً ولعل الله اطلع على أهل بدر فقال افعلوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم}(٥).

---

(١)- الحديث رواه البخاري في صحيحه. (٢)- هذا نص حديث روته السيدة عائشة وأخرجه مسلم في صحيحه

الأساس السادس: الاستفادة من الطاقات كلها دون الإشقاق عليهم مع الإشفاق عليهم..

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)
(التوبة:١٢٨)

أي لأصابكم العنت والمشقة..

(واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم). (الحجرات:٧)

وقال له ربه:

(خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين) (الأعراف: ١٩٩)

(خذ العفو) خذ منهم ما يمكن أن يبذلوه من طاقاتهم، ولا تكلفهم عنتا فتحرجهم، ولا تثقل عليهم فتبعدهم، وكان رسول الله ﷺ وهو يختار الناس مع الإشفاق عندما أراد ليلة الخندق أن يرسل واحدا قال: **[من يذهب وينظر إلينا القوم ثم يعود وأتكفل له بالجنة.] فلم يتحرك أحد وفيهم أبو بكر وعمر ثم أعاد الثانية ثم أعاد الثالثة فعندما وجد أنه لا مناص له من تسمية واحد قال:[قم يا حذيفة]، قال حذيفة: ولقد قمت وأنا ألبس مُرطاً لزوجتي -ليس عنده ثوب-، وأرتجف من البرد فسرت وكأنما أسير في حمام**[1].

فاختار سعداً للقيادة، واختار مصعباً للدعوة، واختار بلالاً للأذان، واختار أبياً للقرآن، واختار أبا بكر وعمر للاستشارة، وحساناً للشعر، وكان يضع كل واحد في مكانه الذي يليق به، ويقول لحسان: (نافح أو اهجهم وروح القدس معك)... ما كان يختار حساناً لقيادة المعركة، وما كان يختار سعداً للشعر، فكان يضع كل واحد في مكانه الحقيقي.

الأساس السابع: الذي أقام عليه ﷺ هذا الصرح العظيم.. وزن الأشخاص بميزان التقوى، فابن مسعود ساقه عند الله أثقل من جبل أحد، وقال له ربه عندما عرضت عليه قريش أن يفرد لها مجلساً لإنها تستحي أن تجلس مع هؤلاء الأعبد -بلال وعمار وصهيب وسلمان- قال له ربه:

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) (الكهف:٢٨)

مرّ بلال وصهيب على أبي سفيان -وعلية قريش- فقال بلال: والله ما نالت سيوف الله من أعداء الله شيئاً، فغضب أبو سفيان وجاء لأبي بكر وشكى له، فذهب أبو بكر وقال لبلال وعمار هل تقولون لسيد مكة هكذا، وذهب وشكاهم إلى رسول الله ﷺ فقال ﷺ: **[يا أبا بكر هل أغضبتهم؟ إن كنت قد أغضبتهم فقد أغضبت الله]**[2].

يا الله!! بلال الذي كان يباع بثمن أقل من ثمن هذه الطاولة قبل سنوات يرتفع إلى مقام إذا غضب... غضب رب العزة؟! وبقي هذا الميزان الذي استعمله رسول الله ﷺ يُقوِّم به أصحابه، فعمر يعطي (أسامة بن زيد) أكثر من ابنه (عبد الله بن عمر) فاعترض عبدالله: لماذا يا أبتِ تعطي أسامة أكثر مني؟ فقال: كان أبوه أحب إلى رسول الله من أبيك، وكان هو أحب إلى رسول الله منك ولذلك لا أساويك معه في العطاء، أبوه أحب إلى رسول الله من أبيك وهو أحب إلى رسول الله منك.

ولذلك عندما وقف على باب عمر سهيل بن عمرو وأبو سفيان، هم وبلال، أذن لبلال ولم يأذن لهم: لأبي سفيان ولسهيل، فتورم أنف أبي سفيان غضباً، قال: لم أرَ كاليوم قط!! نترك على باب عمر ويؤذن لهؤلاء الأعبد! فقال سهيل: لا تغضب.. دعوا ودعينا فسبقو وتأخرنا.

وعندما كان في مجلسه عبدالرحمن، بن الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو على جانبيه دخل جماعة من المهاجرين فابعد سهيل وعبد الرحمن ثم دخل جماعة من الأنصار فابعد الاثنين، وهكذا لا زالا يبعدان حتى أصبحا في آخر المجلس، فتكلم أبو سفيان وعبد الرحمن بن الحارث، فقالا: يا أمير المؤمنين لقد رأينا ما صنعت بنا، فهل لنا من أمر نتدارك به ما سبقنا، قال: لم أر لكم أي مجال سوى أن تذهبوا إلى ههنا -وأشار إلى الشام-، فتحركا إلى معركة اليرموك، وكان قد نيّف عن السبعين.

---

(١)- رواه مسلم بنحوه. (٢)- الحديث رواه مسلم في صحيحه.

الأساس الثامن: التربية من خلال الأحداث والحركة: ففي أحد: غلطة واحدة؛ وهي عصيان الرسول ﷺ في أمر دفعوا له ثمنا غاليا .. سبعين من خيرة الرؤوس على الأرض من البشرية التي مرت على هذه الأرض، والرسول ﷺ عندما أراد أن يحول الهزيمة في أحد إلى نصر خرج بأصحابه بجراحاتهم إلى حمراء الأسد ولم يأذن لأحد لم يشهد أحداً أن يحضر معه، وعسكر في حمراء الأسد ثلاثة أيام ينتظر قريشا ويتحداها.

الأساس التاسع: الجهاد الذي حمى هذا الدين ونشره، وهو من الأسس الكبرى التي تقوم عليها كل حركة، وكل حركة اسلامية لا تعتني بالجهاد فيجب أن تترك حركتها وتعلن أنها بدعٌ من القول، والجهاد مبني في الإسلام على أسس: لقد بناهم الإسلام على أن يزهدوا في الدنيا، وقال لهم ﷺ: **{ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس}**(١).

وبني كذلك على التوكل، والفاتحة التي يقرأونها سبع عشرة مرة في الفرائض في اليوم والليلة فيها: **(إياك نعبد وإياك نستعين)** وكما يقول ابن القيم: الدين قسمان، عبادة واستعانة أو إنابة وتوكل، وعندما رأى رسول الله ﷺ- وهو يخوض المعارك ضد قريش- (سكة محراث) أمام باب أحد الانصار قال: **{ما دخلت هذه بيتا إلا ودخله الذل}**(٢) لا ليعطل الحياة؛ بل لأنه رأى في (سكة المحراث) اشتغالاً بالمهم قبل الأهم؛ لأن دين الله سيتعرض للزوال لو اشتغلنا بالزرع والتجارة.

{إن الناس إذا ضنوا بالدرهم والدينار ورضوا بالزرع وأمسكوا بأذناب البقر وتبايعوا بالعينة وتركوا الجهاد سلط الله عليهم ذلا لا يرفعه حتى يرجعوا إلى دينه}(٣).

ومن هنا وبعد فتح بلاد الشام ورأى المسلمون أرض الحولة الخصبة زرعوها من (سمراء الشام) -حنطة- وعلم عمر، فأرسل رجلا وأحرق زرعهم وبرسالة طولها سطر واحد (إنكم إن تركتم الجهاد واشتغلتم بالزرع ضربت عليكم الجزية وعاملتكم معاملة أهل الكتاب، إن أقواتكم من أقوات أعدائكم).

{بعثت بالسيف بين يدي الساعة -الرسولﷺ- وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم}(٤).

والوقت قد انتهى، ولذلك... أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

آفات تقضي على المجتمعات

يا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: بسم الله الرحمن الرحيم:

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخَرَ قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون، يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم)

(الحجرات: ١١)

في سورة الحجرات، حيث تمثل أحد الأركان الأساسية في البناء الإجتماعي الإسلامي، إذ أن النظام الإجتماعي في الأسلام وترتيب الأسرة، وآداب الزيارة واللباس، وغير ذلك إنما يؤخذ من ثلاث سور: يؤخذ من سورة الحجرات، ومن سورة النور ومن سورة الأحزاب.

وهذه السورة (الحجرات) على قصرها وعلى قلة آياتها إلا أنها ثقيلة جداً في ميزان الرحمن.. وثقيلة جداً في بناء الإنسان... بناء هذا الكيان الذي تمثل مجموع لبناته المجتمع المسلم، ولن يكون مجتمع أبداً سواء كان جاهلياً أو إسلامياً ما لم يتمشَّ المجتمع

---

(١)- صحيح الجامع الصغير (٢٩٢). (٢)- رواه البخاري في صحيحه.

(٣)- حديث صحيح رواه أبو داود وأورده الالباني في السلسلة الصحيحة بنحوه رقم (١٢٢).

على خطوات هذا النظم الكريم، ويتبع هذه الآيات العظيمة الثقيلة في ميزان الله في الدنيا والآخرة.

إن المجتمع مكون من أشخاص، ولن يكون هنالك مجتمع أبداً ما لم تكن بينه روابط قوية، ووشائج وثيقة، وصلات عميقة، تحفظ هذا البنيان من الانهيار، وتحميه من التحطم والاندثار.

آيتان فقط: آيتان فقط في هذه السورة أشارت إلى معانٍ عميقة في الحياة الإنسانية.. كيف يكون الإنسان ضمن المجموعة المسلمة؟، كيف يعيش الفرد ضمن إطار المجتمع المسلم الذي بناؤه المحبة.. صلاته المودة وإلا إن لم تتبع الحركة الأسلامية هذا النظام، وإن لم تلتزمه منهجاً -وخاصة هاتين الآيتين- فلن يكون بيت مسلم، ولن تكون حركة إسلامية، ولن تصل في يوم من الأيام إلى مرامها، ولن تجد مرادها في واقع الأرض أبداً.

آيتان فقط: إن الصلات بين المسلم والمسلم قائمة -كما قلنا- على المحبة، فإذا أراد البيت المسلم بعداده الذي لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، وإذا أرادت الحركة الإسلامية التي لا تتجاوز بعدادها المئات أو الآلاف، وإذا أراد المجتمع المسلم الذي يكوّن نواة حية للعالم كله... إذا أراد هؤلاء أن يقوموا على قواعد وثيقة، وأن يضربوا في الأرض جذوراً عميقة، لابد أن يلتزموا هاتين الآيتين.

آيتان فقط: فإذا لم تنتبه الأسرة المسلمة إلى هاتين الآيتين، تنقلب الأسرة إلى شركة اقتصادية، وأحياناً بلا رواتب فيها، كل يؤدي دوره متثاقلاً، الملل يقتله، والسآمة تزهق روحه، ويتمنى الوقت الذي يتخلص من هذا العش الذي يجب أن يكون هادئاً.

وإذا -كذلك- لم تنتبه الحركة الإسلامية إلى هاتين الآيتين... فكذلك تتحول إلى شركة اقتصادية، لا رأس مال لها، ولا رواتب في داخلها، كل يأتي إلى دوره المكلف به متثائباً متثاقلاً، يشعر أن مسؤوله فوق صدره كحجرالطاحون، وأن دعوته التي يعمل فيها كأنها فكي رحى تسحق كيانه، وتبيد حياته، وتهدد وجوده.

لا يمكن أبداً لحركة إسلامية ولا لبيت مسلم يعيش في هذا الحال أن يستمر دواماً... لا بد أن يتفلت أفراده، وأن يتشتت أعضاؤه، وأن يتمزق لقاؤه، وأن يذري هباءً أدراج الرياح.

والآيتان الكريمتان:

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساءٌ من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب) (الحجرات: ١١)

(يا أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) (الحجرات:١٢)

ثلاث نواهٍ تضمنتها الآية الأول:

الأولى: عدم السخرية.

والثانية: عدم اللمز.

والثالثة: عدم التنابز بالألقاب.

الأولى: عدم السخرية.

والنهي في القواعد الأصولية يقتضي التحريم، ما لم تصرفه عن التحريم قرينة إلى الكراهية، ولم يقل أحد بأن السخرية بالمسلم مكروهة، بل كادت الأمة تجمع أن السخرية محرمة بالإجماع، وأنها من الكبائر، وأنها لا يكفرها الإستغفار البسيط، لا بد لها من توبة بشروطها... ويكفينا حديث مسلم الذي خرج من فم النبوة الشريف: **[لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره** (لا يتواني عن نصرته ولا يحقره) **التقوى ها هنا** -ويشير إلى صدره ﷺ ثلاث مرات- **بحسب امريءٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم** -يكفيه شراً، ويكفيه إثماً... أي ليس بعد هذا الإثم إثم- **بحسب امريءٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه]** [1].

والعرض ليس فقط العورة المغلظة، بل العرض هو محل الذم أو المدح من الإنسان.. فإذا اغتبت إنساناً فقد نلت من عرضه وإذا نمست على إنسان فقد جرحت عرضه، وإذا سخرت منه فقد انتقصت من عرضه **[كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه]**.

---

(١)- صحيح مسلم (١٦/١٢٠).

ولم يغفل رسول الله ﷺ عن هذه القضية المهمة في بناء المجتمع المسلم، فلقد كانت ركناً ركيناً في خطبته التي ودع بها أصحابه والدنيا، يوم أن وقف يوم الحج الأكبر يسألهم: أي هذا؟ أي شهر هذا؟ أي بلد هذا؟ أليس اليوم الحرام! والشهر الحرام! والبلد الحرام؟! فقالوا: بلى يا رسول الله، قال: **{فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا}**، ولم يكتف بذلك بل قال أخيراً **{ألا هل بلغت، قالوا نعم، قال: اللهم فاشهد}** (١).

إن المحبة لن تقوم بين شخصين ما لم -وعلى الأقل- تحفظ ضروراته الخمس التي جاء كل دين ليحفظها... جاء كل دين ليحافظ على ضرورات الإنسان الخمس: الدين، والنفس، والعرض، والعقل، والمال. فإذا أردت أن تبقى الصلة قائمة بينك وبين أخيك، -إن لم تفده ولم تنصره ولم تقدم له ولم تحفظه- فلا أقل من أن تكف عنه أذاك، وأن تبعد عنه شرك. فإن انتقصت من عرضه، أو نلت من شرفه، أو أكلت ماله، أو سفكت دمه، فكيف لك بقلب هذا أن يميل إليك؟!.

هذه الضرورات الخمس، أقل الصلة الحفاظ عليها، وعدم المساس بحرمتها، قاعدة أصيلة في عدم تهديم المجتمع المسلم... قاعدة أساسية في بقاء البيت المسلم، والحركة المسلمة، والمجتمع المسلم، والأمة الإسلامية كلها.

ولماذا السخرية؟ لن تنتج السخرية من الصغار بالكبار... إن السخرية ناتجة عن شعور بالغرور والكبر إزاء الآخرين الذين تنظر إليهم بعين الانتقاص والازدراء، إن الصغار لا يسخرون من الملوك، بل السخرية تأتي من الكبار إلى الصغار.. ومن أنت؟ هل ترفعت على الناس وتكبرت عليهم بمالك أو بجاهك أو بعزك؟ من أين أخذت هذا؟ أليس الذي وهبك يستطيع أن يسلبك؟!! ألم تعلم أنه يعز من يشاء ويذل من يشاء، يخفض القسط ويرفعه، يرفع أناسا ويضع آخرين؟ ألم تعلم أنك وإن كنت ملكاً فإذا سخرت من الناس فإنك تعصي الله بهذا، وكما قال الحسن: (إنهم وإن طقطقت بهم البغال وهملجت بهم البراذين فإن ذل المعصية لا يفارق رقابهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه).

(ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) (الحج: ١٨)

على من تترفع؟ على هذا المسكين والضعيف؟!! ألم تعلم أن رسول الله ﷺ قال: **{رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره}**. ومنهم البراء بن مالك (٢) حيث كانوا إذا اشتد الوطيس، واحمر الحدق، ودارت الدائرة على المسلمين، يأتون إلى البراء يقولون: يا براء أنت الذي قال فيك ﷺ: **{رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره}** فينظر إلى السماء يشير بإصبعه يقسم على الله ليهزمن القوم.. أقسمت عليك لتمنحنا أكتافهم إلا منحتنا أكتافهم... فلا يرد يديه إلى الأرض إلا وتبدأ هزيمة الأعداء. هؤلاء المدفوعون بالأبواب هم الذين يحمون المجتمعات من الدمار، من الزلزلة الإلهية، من العذاب الرباني.. .

{خير الناس الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يعرفوا أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة عمياء مظلمة}(٣).

ثم من أنت في ميزان الله عز وجل؟ أما بلغك حديث البخاري يوم أن مر رجل أمام النبي ﷺ فقال ﷺ لرجل عنده **{ماذا تقول في هذا؟ فشهد الصحابي: هذا حريٌ به إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفّع، فسكت رسول الله ﷺ، ثم مر رجل فقال ﷺ: ما رأيك في هذا؟، قال: حري به إن خطب ألا ينكح وإن شفع ألا يشفع وإن قال ألا يسمع له، فقال ﷺ: هذا خير من ملء الأرض من ذاك}**.

والاثنان من الصحابة.. الاثنان من الصحابة (هذا خير من ملء الأرض من ذاك).. لأن ظاهرهما الإسلام.. الرجلان ظاهرهما الاسلام ... ولا يوجد شيء أفضل من ألف شيء من جنسه سوى الإنسان....

فكم رجل يعد بألف رجل وكم ألف تمرّ بلا عداد

ولن تجد فرساً أفضل من ألف فرس، ولا بعيراً أفضل من ألف بعير، ولا حماراً أفضل من ألف حمار.. ولكن الإنسان قد يعدل ملء الأرض من مثله من جنسه ... (هذا خير من ملء الأرض من ذاك)..

ثم يا أخي.. لماذا تتكبر؟ ولماذا الغرور؟ ألم تعلم بأن المعصية بسبب الغرور يخشى أن لا تغفر، والمعصية بسبب الشهوات والذنوب قد تغفر.. ألم تعلم أن إبليس قد عصى الله بغرور فلم يغفر الله له، وآدم عليه السلام عصى الله بشهوة فغفر الله له.. إياكم والغرور، وفي الصحيح **{لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر}** (٤).

---

(١)- أصل الحديث في الصحيحين وانظر صحيح الجامع الصغير (٢٠٦٨).

(٢)- ورد في صحيح الجامع الصغير بنحوه (٤٥٧٣). (٣)- هذا القول ورد به أثر ابن ماجة والبيهقي في الزهد والحاكم وقال صحيح ولا علة له (انظر الترغيب والترهيب ٣/٤٤٤)..

(٤)- [illegible]

لماذا تترفع على الآخرين؟! ولماذا تعيبهم؟ ألا تنظر إلى نفسك؟! عدد عيوبك يا أخي قبل أن تعدد عيوب الآخرين، وانظر إلى نقائصك قبل أن تنتقص الأخرى...

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى	*وحظك موفورٌ وعرضك صيـــنُ*
لسـانك لا تذكر بـه عورة امرئ	*فكـلك عـوراتٌ وللنـاس ألســنُ*
وعـينك إن أبدت إليك معايبـاً	*يوماً فقـل يـا عيـن للنـاس أعيـنُ*
فصاحب بمعروف وسامح من اعتـدى	*وفـارق ولكـن بالتـي هـي أحسـنُ*

ألم تعلم أن النار خصت بالمتكبرين، والجنة خصت بالمستضعفين... في صحيح البخاري: **(تحاجت الجنة والنار -تجادلت الجنة والنار- قالت النار أوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم. فقال الله تعالى للجنة: إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء.. وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء، ولكل ملؤها)**[1].

(لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم).. وغالباً يكونون خيرا منهم، المسخور منهم خير من الذين سخروا بهم.

الثانية: عدم اللمز

(ولا تلمزوا أنفسكم)، واللمز والهمز تعرض إليهما رب العزة كثيراً في كتابه. واللمز هو المعيبة باللسان، والهمز بغير اللسان... بالإشارة أو اليد أو غير ذلك. أو اللمز في الوجه، والهمز في الغيبة .. اللمز الطعن في الوجه في حضور المطعون به والهمز في غيبته وفي عدم حضرته.. والله عز وجل يقول **(ويل لكل همزة لمزة)**، والله عز وجل يقول:

(ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم) (القلم: ١٠-١٣)

(ولا تلمزوا أنفسكم).. تعبير رباني لا يقدر عليه البشر، لأنك عندما تلمز أخاك وتعيبه إنما تعيب نفسك، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان، و **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**[2].

الأمة المسلمة جسد واحد لا تشتغل إلا كلا: فأحدٌ عينها، وآخر أذنها، وثالث قلبها، ورابع يدها، وخامس رجلها. وأي عضو أو شلو من الأشلاء يفقد إنما تنتقص الأمة المسلمة في إنتاجها وعطائها وبذلها وتضحيتها.. فعندما تلمز أحداً من المسلمين إنما تلمز نفسك. إن ذوي الألباب الضيقة لا ينظرون إلى الإسلام إلا من خلال مجتمعهم الصغير.. إلا من خلال مجموعتهم القليلة، وهذا لعمر الله ضرر بالإسلام وضرر بالإنسان.. ضرر بالإنسان الذي يظن أن أصبع رجله بعيد عن أصبع يده، لأنك أنت ومجموعتك أو أنتَ وتنظيمك، وأنت وحزبك إنما تمثل من الإسلام والمسلمين... ماذا؟! إنما تمثل جزءاً قليلاً من رأس أنملة، فإذا أخذت سكيناً حاداً، أو سيفاً ماضياً وقطعت إصبع رجلك لان إصبع الرجل بعيد عن إصبع اليد، إنما تقطع جزءا من أجزائك، وتنفي شلوا من أشلائك، وتبعد كياناً وجارحة من جوارحك ...هذه تفيدك في السراء والضراء... في أيام الشدة والرخاء لا تستغني عنها، فإذا قطعت إصبع الرجل تبدأ الجراثيم والآلام تغزو جسمك من هذا الجزء الذي كان ثغراً محمياً بأخيك، فتبدأ الجراثيم تدخل دمك حتى تصل إلى مجموعتك فتنهكها وتهلكها وتشلها وتنهيها.

المسلم والأمة المسلمة كيان واحد... جسدٌ واحد، وكيف لك أن تطلق عينك بالسخرية والنظر باحتقار وازدراء للناس، وتطلق لسانك بالنميمة واللمز والهمز وغير ذلك؟ إنما أنت يا مسكين تقطع أعضاءك وتعمل في أمعائك، كجبار يمسك سكيناً بيده، قد بلغ الغيظ أبلغ مداه، فيعمل في بقر بطنه، وعلى لوك أمعاءه، ويلوكها بمرارة وحقد ليشبع حقده، وماذا..؟

(من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ، وكذلك أنزلناه آيات بينات وأن الله يهدي من يريد) (الحج:١٥- ١٦)

---

(١)- رواه البخاري بنحوه (انظر صحيح الجامع الصغير ٢٩١٩)

(٢)- رواه البخاري في صحيحه (انظر صحيح الجامع الصغير ٥٨٤٩).

في مسند أحمد: {**لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم ولا تطلبوا عوراتهم فإن من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته**}[1].

ونتيجة تتبع عورات المسلمين باللمز والهمز ثلاث نتائج ظاهرة:

النتيجة الأولى: أنها علامة النفاق...{**يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم..**} فالطعن بالناس إنما هي علامة النفاق وليست علامة الإيمان {**ليس المؤمن بالطعّان ولا باللّعان ولا بالبذيء ولا بالفاحش ولا بالمتفحش**}[2].

ولذلك عندما دخل اليهود على رسول الله ﷺ وردوا عليه السلام قالوا: السام -يعني الموت- عليك يا أبا القاسم، فسمعت عائشة رضي الله عنها لفظ اليهود فقالت وعليكم السام والذام واللعنة، فقال: {**يا عائشة -صلى الله عليك يا رسول الله- إن الله يكره الفحش والتفحش ألم تسمعي ما قلت، لقد قلت لهم وعليكم، قالوا السام عليك قلت وعليكم**}[3].

فلم يقبل من عائشة رضي الله عنها أن ترد عليهم زيادة بل أن تخرج لفظاً واحداً بذيئاً من فمها الطاهر، قال: إن الله يكره الفحش والتفحش عندما قالت -ماذا-؟ وعليكم السام والذام واللعنة.

ثم العيب قسمان: إما أن يكون صحيحاً في أخيك إذ لمزته في وجهه، وإما ألا يكون فيه... فإن لم يكن فيه فويل لك ثم ويل لك. اسمع ماذا يقول ﷺ في الحديث الذي رواه الطبراني وهو صحيح: {**من ذكر امرءاً بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه**}[4]. حتى يحقق ما قال فيه ولن يتحقق أبداً، كيف وهو كذب؟! {**من ذكر امرءاً بشيء ليس فيه ليعيبه به حبسه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه**}.

ولذلك يا أخي الحبيب إياك ولسانك...

إحـذر لسـانك أيـها الإنـسـان	*لا يلـدغنـك إنـه ثعبـانُ*
كـم فـي المقـابـر مـن قتيـل لسانه	*قـد كـان هـابَ لقـاءه الشجـعانُ*

وكلْم اللسان أنكى من كلم السنان لأن كلم السنان يبرأ لأنه في الجلد، وأما كلم اللسان فلا يبرأ لأنه يكسر القلوب، ومن الصعب أن تعود القلوب سليمة بعد كسرها.

اسمع رواية البخاري عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: {**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله عز وجل ما يظن أن تبلغ ما بلغت، يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله عز وجل ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عز وجل بها عليه سخطه إلى يوم القيامة**}[5].

يُلقي الرجل الكلمة لا يُلقي لها بالاً وهو يحتسي القهوة والشاي ويريد أن يملأ فراغه ويضحك خلّانه أو يسر الذين يسامرونه وجلساءه، فيتكلم الكلمة سخرية من أخيه المسلم أو لمزاً أو همزاً، هذه الكلمة يكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم القيامة، قال علقمة:كم من كلام منعنيه حديث بلال بن الحارث (أن أقوله)... (كم من كلام منعنيه أن أقوله حديث بلال بن الحارث).. كلمة.. والحديث في البخاري ورواه أحمد، يعني حديث صحيح لا مراء فيه ولا شك.

الثالثة: عدم التنابز بالألقاب

{**ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب**}... وقد نزلت هذه الآية في بني سلمة.. قدم ﷺ المدينة المنورة، فوجد للصحابة الأنصار مجموعة من الأسماء، فكان إذا دعا صحابياً باسمه يقولون: له يا رسول الله إن هذا اللقب يكرهه هذا الأخ، فنزلت الآية لتمنعهم من الألقاب الكريهة... وماذا يضرك لو تكلمت بكلمة طيبة؟ قد حرمك الله الخير كله...

لا خيـل عنـدك تهديهـا ولا مـال	*فليسعد النطق إن لم يسعد الحال*

---

(1)- لفظ الحديث {يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته} صحيح الجامع الصغير (٧٩٨٤).

(2)- حديث صحيح، رواه بنحوه في صحيح الجامع الصغير (٥٣٨١).

(3)- أصل القصة في البخاري وانظر صحيح الجامع الصغير (١٨٧٧).

(4)- رواه الطبراني بإسناد جيد كما في الترغيب والترهيب (٣/٥١٥).

(5)- الحديث روي نحوه في الصحيحين وهذه رواية الترمذي وهي صحيحة (انظر صحيح الجامع الصغير ١٦١٩).

قلبك -نعوذ بالله منه- مليء بالحسد والحقد والبغضاء والضغينة على المسلمين، لسانك لا يتكلم بخير، وجهك لا يتفرد عن ابتسامة.. محروم من الخير كله، وهذا حرمان ليس بعده حرمان، ماذا عليك لو بسطت وجهك وفردت أساريرك في وجه أخيك؟ وتبسمك في وجه أخيك لك صدقة... ماذا عليك لو دعوت أخاك بأحب الأسماء إليه لتدخل السرور على هذا القلب الذي قد يكون منكسراً فتجبره هذه الكلمة، وقد يكون متألماً فتشفيه هذه اللفظة، ماذا عليك؟ (أشحة عليكم) حتى بخيل بالكلام! حتى بخيل بالسلام! حتى بخيل بطيب الكلام!

{ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم، وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام}.

ولا يزيد في العمر إلا البر، إلا العمل الطيب، فاملأ قلبك محبة، إنما بهذا تمد على نفسك ينبوعاً صافياً من الحسنات لا يتكدر، فالحسنات تتصبب عليك وأنت في بيتك، لا تتحرك ولا تعمل، بحبك للمؤمن **{وما أحب عبد أخاه -في الصحيح- إلا كان أحبهما إلى الله أكثرهما حباً لأخيه}** **{عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به}.**

{اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك -الحديث صحيح في الترمذي- **تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مسلماً، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً}**[1].

ثلاث نواه كلها محرمة.. السخرية، واللمز، والتنابز بالألقاب، ونتيجة أية واحدة من الثلاث جزاؤها شيئان عند الله.. تأخذ من الله اسمين وتفقد اسماً عظيماً.. كان اسمك عند الله مؤمناً، فأعطاك الله بدله اسم الفسق والفسوق، وإذا لم تتب بسرعة فيعطيك لقبا آخر: الفسق والظلم..(**بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون**).

هل اشتريت باسم المؤمن عند الله اسم الفاسق؟! بعت اسم المؤمن واشتريت اسم الفاسق والظالم معاً... بماذا؟! بهمزات لسان.. وومضات شفاه.. أو تلمظ شفاه على أخيك.. أو حركات قلب نحوه، وتعس... تعس من تخلى عن اسم مؤمن وأخذ من رب العزة -الذي لا معقب لكلماته ولا راد لقوله ولا معقب على حكمه- اسمين اثنين: اسم الفسق، واسم الظلم، بئس... أي لعنة هذه البيعة التي بعت بها إيماناً واشتريت بها فسقاً وظلماً؟!.

وأما الآية الثانية فلم يعد عندنا وقت لها، ولعل الله عز وجل يمد في أعمارنا ويبارك بها -إن شاء الله- فنلتقي بكم في خطبة أخرى لنلتقي ونعيش في ظلال هذه الآية الكريمة من سورة الحجرات.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم....

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

{رحم الله امرأً عرف حده فوقف عنده} {بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم} (ويل لكل همزة لمزة) وويل: كلمة عذاب وتهديد، وقال بعض المفسرين: واد في جهنم.

يا أيها الأخ الكريم: نحن إخوة، وكل مسلم في أرجاء الأرض إنما هو أخوك تجمعك به هذه الوشيجة، وشيجة الإسلام. ولاتظننّ أن الصيام والصلاة والزكاة أعظم عند الله من صون حرمات المسلم ونصرته وعدم خذلانه، ولا تظنن أن الزنا والربا أعظم حرمة من عرض المسلم/ في الصحيح: **{الربا بضع وسبعون شعبة أدناها كأن يزني الرجل بأمه تحت ستار الكعبة -حديث صحيح- وإن أربا الربا استطالة المسلم في عرض أخيه المسلم}**[2].

أعظم من هذا!!.. أعظم من نكاح أمه تحت ظلال الكعبة.. والله لقد كنت أظن أن الحديث ضعيف حتى رأيته في سلسلة الأحاديث الصحيحة أو في صحيح الجامع الصغير للألباني، وإن أربا الربا استطالة المسلم في عرض أخيه.

قطعة صغيرة لا تتعدى بضعة سنتيمترات، تقبل أن تجرك إلى النار وأنت راض، قطعة صغيرة.. قطعة لحم.. مضغة قد جعله الله بين سجنين عظيمين... في داخل أربعة سجون، سجون عظمية، فكين عظميين وشفتين، حتى تنتبه إلى الخلقة الربانية فلا تطلقها على عنانها.. وجعل لك ربك أذنين اثنتين.. أذنين اثنتين ولساناً واحداً حتى تسمع أكثر مما تقول..(**بحسب امرئ من الكذب أن يحدث بكل ما سمع**).. من حدث بكل ما سمع فهو كاذب.

---

(1)- الحديث صحيح مع زيادة (ولا تكثر من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب) صحيح الجامع (١٠٠).

(2)- نص الحديث (الربا ثلاث وسبعون باباً أدناها مثل اتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه) صحيح الجامع (٣٥٣٧).

يا **أخي الحبيب**: ما الذي شتتنا؟ ما الذي مزق كياننا؟ ما الذي فرق جماعتنا؟ ما الذي دمَّر مجتمعاتنا؟ ما الذي أضرنا وهز وجودنا إلا هذا اللسان؟.. إلا هذه المضغة التي لا ترعى فيها بمسلم إلاً ولا ذمة؟.

فيا أخي إن حدثتك نفسك أن تعيب أخاك فانظر إلى عيوبك، وكما قال عيسى بن مريم عليه السلام عندما جيء بامرأة زانية فأخذ القوم كلهم يتولولون ويتحوقلون ويسترجعون ويستنكرون، فقال لهم سيدنا عيسى عليه السلام **{من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها}**.

والحمد لله أن رائحة الذنوب لا نشمها، فقد جاء في بعض الآثار قرأتها في فتاوى ابن تيمية (مجموع الفتاوى) على **{أن العبد** إذا أذنب ذنبا تباعد عنه الملك ميلا من رائحة الذنب}.. الحمد لله أننا لا نشم ذنوبنا وإلا فرائحتنا تزكم الأنوف، ومقدار ذنوبنا يطبق الأرض نتنا، وهل كلامُنا أقل من كلمة عائشة رضي الله عنها في حديث رواه أبو داود عن رسول الله ﷺ عندما قالت للرسول ﷺ عن صفية؟ والحديث مرسل كما أظن -قالت له-: حسبك من صفية كذا وكذا تعني أنها قصيرة، فقال ﷺ: **{لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته }**[1] أي لو اختلطت بماء البحر لأنتن البحر كله، والبحر لا ينتن لان أملاحه كثيرة، ولكن هذه الكلمة -إنها قصيرة وهي تُرى قصيرة- أنتنت ماء البحر لو مزجت به.

يا أخي إياك ولسانك، لا تنظر إلى عيوب أخيك، أنظر إلى عيوبك قبله، أو كما قال ﷺ -في الصحيح- **{يرى أحدكم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه}**، القذى الصغير في عين أخيه يراه ويكبره، ولا يرى الجذع الذي هو في داخل عينه، يعني أن ذنوبك و معايبك ونقائصك أكبر وأعظم من أن تنظر إلى زلة من زلات أخيك، والمسلم لا يتتبع الزلات لأن المروءة تقتضي أن يعفى عن الزلات، وكما قال ﷺ -في سنن أبي داود-: **{أقيلوا -يعني اسمحوا واغفروا- أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر ويده بيد الرحمن}**[2].

ومن هنا قرر المالكية أن الدعاوى على المعروفين بالصلاح لا تقبل من المستهترين والفساق، وإذا جاء فاسق يرفع دعوى -إلى محكمة إسلامية- على رجل معروف بصلاحه وتقواه يسجن هذا المستهتر والفاسق حتى لا يتطاول الأشرار على الأبرار، وحتى لا تستطيل ألسنة الفساق في أعراض الخيار الذين عُرفوا بصلاحهم وتقواهم.

احفظوا ألسنتكم وافتحوا صفحة جديدة مع ربكم، وحتى نلتقي بالغيبة وبآثارها، وبالتجسس ومصائبه على المجتمع المسلم، وبالظن السيء وآثاره التي نكبت الأسر والمجتمعات والحركات... حتى نصل إليها، عاهد ربك أن تفتح صفحة جديدة وأن تمسك هذا اللسان بلجام.

وكما كان بعض الصحابة أحياناً يضع حصاة صغيرة في فمه حتى لا يتكلم، وأحياناً يمسك بلسانه ويقول: {هذا الذي أوردني المهالك}، وإنك هالك -ولا محالة- إذا أتبعت نفسك هواها وأطلقت للسانك عنانه، وكما قال معاذ رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: **{أو نؤاخذ على كلامنا يا رسول الله؟ قال ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم}**[3] وإذا كثرت الفتن فابك على خطيئتك وأمسك عليك لسانك .

الصدق مع الله

يا من رضيتم بالله ربا وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولا، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (التوبة:١١٩)

الصدق الذي تتكلم عنه هذه الآية من سورة التوبة إنما هو مطابقة الأمر للواقع وللحقيقة، أو استواء السرائر مع الظواهر، أو استواء البواطن الخافية مع الأمور المعلنة. فلو فتحت صدر الإنسان الصادق وأعطاك الله الاطلاع على قلبه لما وجدت هنالك اختلافاً بين الصحيفة المعلنة وبين السريرة المخبأة، وهذا حال الصادقين، بل إن بعضهم سريرته أفضل من ظاهره، وكان السلف رضوان الله عليهم يقولون: (اللهم اجعل باطننا خيراً من ظاهرنا، واجعل ظاهرنا خيراً).

---

(١)- صحيح الجامع (٥١٤٠). (٢)- الحديث صحيح بدون زيادة (فوالذي نفسي .....) انظر صحيح الجامع (١١٨٥).

(٣)- جزء من حديث معاذ الطويل رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

مطابقة الظاهر مع الباطن:

ومن نعم الله عز وجل أن هذه القلوب تتعامل مع علام الغيوب... مع الله عز وجل. والسرائر لا تبقى مخفاة طويلاً، وهي تفترق مع الظاهر أحياناً، ولكنها لا تطيق إلا أن تتطابق بعد فترة؛ فإن كانت سريرته خيراً لا بد أن يظهرها الله عزوجل، وإن كان باطنه شرٌيراً لابد أن يظهره الله، وما أسرّ أحدٌ سريرة إلا أظهرها الله عز وجل على فلتات لسانه وعلى قسمات وجهه... يستحيل أن يبقى الإنسان مخادعا لنفسه طويلا، لأنها فطرة فطر الله الناس عليها... فطرة الله أن تنطبق الظواهر مع البواطن. فإذا افترق خط الظاهر مع خط الباطن لفترة: بنفاق أو كذب أو رياء أو غير ذلك لا يستقيم هذا الحال طويلاً، لأن الفطرة قد فطرها الله عز وجل على أن لا تتقبل الباطل طويلاً، ولا تطيق المداهنة أمداً بعيداً.

كل فطرة وكل قلب يحب أن يعود إلى فطرته التي فطره الله عليها.

(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) (البقرة: ١٣٨)

(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (الروم: ٣٠)

ومن هنا فالفطرة الحقيقية التي صبغها الله وخلقها بيده سبحانه؛ لا تطيق الزور والبهتان، ولا تطيق الكذب لطويل من الزمان ولهزة من الهزات بتذكير من بعض الدعاة، أو بسماع آية من الآيات تجد هذه الفطرة تنتفض وتهتز وينتفض عنها ركام الواقع وركام الزور والبهتان والباطل، ثم تنطق بالحقيقة.

وكم من الناس يظلمك أو يكذب عليك أو يخطط لك، وأمام صدقك وصبرك الطويل تجد فطرته تنتفض فيعبر عن ندمه وخطئه إما بدموع هاتنة[١] بين يديك، أو بتوبة صادقة على يديك، ويفتح لك هذا القلب الذي ما أطاق الباطل والبهتان طويلا.

فأما الزبد فيذهب جفاء:

ولا ينفع في العمل إلا الصدق، ولا يقبل الله عملاً إلا إذا كان صادقاً.

(ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (الملك: ١)

كما قال الفضيل بن عياض: (أصوبه وأخلصه)، أخلصه من الرياء، وأصوبه يعني أصدقه؛ ماكان موافقا لسنة رسول الله ﷺ ولما جاء به الوحي الأمين من عند رب العالمين.

وبدون الصدق لن يستقيم لنا أمر، ولن تصلب لنا قناة ولن نستمر على ثبات، ومآلنا إلى تمزق وشتات...

كم من الناس كانوا يخطبون، أوتوا جوامع الكلم، ويعجبك لحن القول، ويلوون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وكان الناس يتجمعون حولهم، وكنت أطمئن قلبي أن هذا الأمر لن يستقيم طويلاً، لأن الزبد لن يمكث في الأرض.

(فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) (الرعد: ١٧)

لن يعيش في الأرض ولن يستمر إلا الحق وما نبت منه، والخبيث ليس له جذور في أرض الواقع، وليس له استدامة في الحياة.

(ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمةٍ خبيثةٍ كشجرةٍ خبيثةٍ أجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار) (ابراهيم:٢٤)

إن الخبث لا يستطيع أن يتماشى مع الفطرة الإنسانية، ولا يستطيع أن يضرب جذوره في القلوب البشرية، ليس له جذور أعماق الفطرة الإنسانية، إنه طارئ ويبقى مؤقتاً، وسرعان ما يزول كما تزول البثور عن الجلد إذا ظهرت، إنها عبارة عن دمل

(١)- هاتنة: متتابعة.

وقروح، سرعان ما يتغلب عليها الجسد وتزول من فوق البشرة.

وأما الحق فإنه ثابت عميق مستمر وإلى أن نلقى الله عز وجل، والسبب: أن الله هو الحق، ولا ينصر إلا الحق، ولا يديم إلا الحق، ودينه الحق.

(ذلك بأن الله هو الحق وأنما يدعون من دونه هو الباطل) (الحج: ٦٢)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: (**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال**).

كان الناس يتجمعون حول بعضهم، -كما قلت لكم- كنت مطمئنا أن الزبد لن يبقى، كنت مطمئناً أن الخبث لن يعيش، وكنت أطمئن من حولي: هذه عبارة عن فقاعات، ورغوة الماء سرعان ما تنفض، والله عز وجل يقول:

(قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) (المائدة: ١٠٠)

والخبيث يركمه رب العزة بعضه فوق بعض، يركمه جميعاً، فيجعله في جهنم وأصحابه هم الخاسرون[1].

وتمضي الأيام -ومن خلال تجارب الحياة... تمضي الأيام- لتثبت ما كانت تحدثني به نفسي: أن الزبد لايعيش، وأن الغثاء لا يستمر، وأن سفساف الأمور مآلها إلى الزوال، وسرعان ما تزول بهبة ريح من اليمين إلى الشمال.

ولذا فقد كان السلف رضوان الله عليهم حريصين على الحق وإن كان مراً، حريصين على الصدق وإن كان ثقيلاً، حريصين على مطابقة الظواهر مع البواطن وإن كان من أحمز الأمور وأشقها... أحدهم جد أنه يحرص أن يكون له أعمال بينه وبين الله عز وجل لا يطّلع عليها أحد من الناس، فإذا اكتشف الناس عباداته تجده سرعان ما يفارق مكانه ليختفي بين العوام.

كان الإمام أحمد -رحمه الله- إذا مر في الشارع يسير بين الحمّالين حتى لا يشار إليه بالبنان... حتى يظنه الناس حمالاً -شيّالاً وعتّالاً- فلا يشيرون إليه بالبنان.

كان أحدهم إذا دخل المعركة يتلثم، أو جاء بغنيمة كبرى يتلثم ثم يضعها حتى لا يعرف الناس اسمه.

وكلكم تعرفون صاحب النقب يوم أن حاصر مسلمة بن عبد الملك حصناً من الحصون فترة طويلة، وذات ليلة انسلّ أحد المجاهدين وتسلق سور الحصن، ونزل على الحراس، وقتل الحارس وفتح نقباً في السور، ودخل الجيش الإسلامي، واحتل الحصن، ونادى طويلا.. نادى مسلمة طويلاً: أيكم صاحب النقب؟ فلم يتقدم إليه أحد، وذات ليلة وإذا بفارس ملثم يدخل خيمة مسلمة ويقول: أتحب أن تعرف من صاحب النقب؟ قال: نعم، قال: بشرط: أن لا تذكر اسمه لأحد وبشرط أن لا تثيبه ولا تجازيه، قال: نعم. قال: أنا صاحب النقب، ولم يذكر اسمه ثم فر هارباً، فكان بعدها مسلمة كلما توجه إلى القبلة بالدعاء يقول: (اللهم احشرني مع صاحب النقب).

أعمدة البناء:

هذه النفوس الصادقة والنماذج الرفيعة هي التي كانت تحفظ المجتمع الإسلامي من الانهيار... يوم أن كانت الشهوات تتسلط على الأمراء وعلى الحكام؛ كان الذي يحفظ المجتمع من الانهيار، ويحفظ الأرض من الاهتزاز، ويحفظ الناس من التمزق والشتات؛ هذه النماذج الرفيعة التي بقيت طيلة المجتمع الإسلامي منبثّة وبنسب قد تقل أو تكثر... هذه تمثل أعمدة البقاء لهذا البنيان الذي يسمى «المجتمع المسلم». وهذه الأعمدة الإسمنتية المسلحة قد يكون عدادها أربعة ولكنها تمسك -وعلى قرونها تمسك- بنياناً ضخماً قد يصل إلى مائة طابق أو يزيد أو يقل.

وكلما خلا المجتمع من الصادقين.. وكلما اختفت هذه النماذج الرفيعة التي يقول عنها ﷺ: (**الأخفياء الأتقياء الأبرياء**)[2] كلما اختفت تدريجياً من المجتمع كلما بدأ المجتمع يتآكل وينهار ويتشتت ويتمزق. ولذا؛ فليست مشكلة الإسلام اليوم سوى قلة الصادقين بين العاملين لله، سوى قلة الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين يتصدرون لقيادة الأمم، ويتصدرون لتوجيه السفينة، فإذا أمسكت السفينة

---

(١)- اقتباس من قوله تعالى (ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون) (الأنفال: ٣٧).

(٢)- رواه أبو حاتم والبيهقي والحاكم وقال: صحيح ولا علة له. انظر الترغيب والترهيب (٣/٤٤١).

يدٌ صادقة قادتها إلى شاطئ السلام بشراع الأمان وبيد القوي الأمين.. المجاهد الصادق الذي لا يُعرف اسمه... (الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا)، غابت ملامح وجوههم وراء غبار المعركة، وغطى صليل السلاح وقذائف الطائرات والدبابات على مسامعهم فلا تسمع الغثاء، وليس عندهم وقت لاستماع غيبة أو تجسس أو نميمة أو ريبة، فالأمر أعظم من ذلك.. الأمر جلل، الأمر أكبر من أن يلتفت إلى نقيق ضفادع أو إلى نعيقهم غربان، إن الأمر أعظم من ذلك.

وكما قال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص في الحديث الحسن الذي رواه أحد أصحاب السنن: **(مر علينا رسول الله ﷺ ونحن نُصلح خُصّاً لنا قد وهى** -خصا من القصب ومن الخشب- **خصا لنا قد وهى** -قد ضعف-، **فقال ﷺ: ما أظن الأمر إلا أعجل من هذا)**[1].

أنتم مشغولون بتصليح خُصكم؟ إن الأمر -أمر الآخرة- أعجل من هذا، ومن هنا كانت الآخرة تشغل حياتهم، كانت رقابة الله تكف أنظارهم عن كل شيء، هم ينظرون إلى الدنيا من قمم عالية، وما أصغر الدنيا للذين يحلقون في أجواء السماء... ألم تركب الطائرة؟! إن أرض المطار كبيرة في نظرك وأنت على الأرض، فإذا غادرت أرض المطار تختفي العمارات الشاهقة تدريجياً، ثم تختفي كل الأرض نهائياً، إنك الآن تحلق في الفضاء، وتشق عنان السماء، وتتجاوز الجوزاء، ولذا لم يبق لك في الأرض تعلق ولا ارتباط. هكذا كان السلف.. هكذا كان الصادقون.. هكذا كان الصالحون.

الجزاء من جنس العمل:

والله عز وجل من حكمته ونعمته ورحمته، أنه يعامل الناس بما يطوون في مكنون ضمائرهم، وأنّه يعاملهم بما تدخره صدورهم من سرائرهم وبما تتوجهُ إليه نياتهم... وسبحان ربي! إن العقوبة من جنس العمل، هكذا علّمتنا السنة، وعلّمنا قبلها الكتاب.

(فاذكروني أذكركم) (البقرة: ١٥٢)

(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (الحشر: ١٩)

(نسوا الله فنسيهم).

(ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين). (آل عمران: ٥٤)

(فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون) (النمل: ٥١)

قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما قال: (لقد وجدنا في التوراة أن من حفر لأخيه حفرة أوقعه الله فيها)، قال هي في القرآن:

(ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) (فاطر: ٤٣)

الظلم أول نتيجة على صاحبه.

(وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (النحل: ١١٨)

المكر نتيجته على صاحبه.

(فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين) (النمل: ٥١)

الكيد كذلك يكيد الله لهم[2].

فإياك أن تظن أن مكنون ضميرك خافٍ -إن أخفيته على الناس لفترة-... خاف عن علام الغيوب الذي خلق هذه القلوب وبيده مفاتيحها سبحانه وتعالى، إياك يا أخي أن تسر سريرة لا يرضاها الله عز وجل، وإياك أن تنوي نية لا يقبلها الله عز وجل، إياك إياك... **[إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه]**[3].

---

(١)- حديث صحيح (راجع صحيح الجامع ٢٧٨٩). (٢)- أي أن الكيد كالمكر أيضاً فمن كاد فإنه سيكاد له. وهكذا... (٣)- رواه البخاري في صحـ

قلت: كم هزّني جواب أحد الإخوة عندما قلت له: ألا تتزوج من هذه البلاد؟ قال: لا أتزوج حتى لا أخلط هجرتي.. حتى لا تختلط هجرتي بشئ من الدنيا.

محور المجتمعات:

إن أعظم الناس الذين يغيّرون المجتمعات؛ ثلاثة من البشر: العالم، والكريم، والمجاهد. هؤلاء -الثلاثة أصناف- هم محور المجتمعات، حولها تدور، وهم قاعدتها، إذ يحملون بصلابة كواهلهم كل المجتمع، فلذلك هؤلاء الثلاثة إن صدقوا.. العالم، والكريم، والمجاهد، يصبح المجتمع طاهراً نقياً متماسكاً، وإن ساءت نياتهم وفسدت طوياتهم، تحول المجتمع كله إلى ركام من القمامة، لأن القلوب كالفاكهة.. كالزهرة.. إن كانت هذه الفاكهة نقية ناضجة فهي لا تعبق إلا عطراً، ولا تعطي إلا لذة وحلاوة، وإذا فسدت -كالفاكهة التي تفسد- لا ينبعث منها إلا الروائح الكريهة التي تزكم الأنوف وتتقزز لها الأبدان.

فإذا فسدت القلوب بدأت الروائح الكريهة التي تؤذي المجتمع كله من الفساد، والنميمة، والغيبة، والريبة، والظن السيء وغير ذلك، وهذه تحول المجتمع كله إلى مجتمع متنافر متدابر، كلٌ آخذ بأنفه حتى لا يشم الرائحة من جاره أو ممن كان بقربه.

هؤلاء الثلاثة يحذرهم رسول الله ﷺ -في الصحيحين كما جاء في الرواية- {أول ما تسعّر النار يوم القيامة بثلاث -ثلاثة أصناف من البشر- عالم ومنفق ومجاهد}، هؤلاء أول وقود النار، العالم والمنفق والمجاهد.. يا لله!! مجاهد قدم دمه وبعد ذلك يكون أول وقود النار، منفق لم يبق في جيبه درهم ليحيي به المجتمعات، ويسد به الحاجات ويغيث به، ويفرج الكربات، به تسعّر النار ويكون من حطبها ووقودها!! نعم هكذا في الصحيحين[1] **{أول ما تسعر النار يوم القيامة بثلاث.. عالم، ومجاهد، ومنفق كريم، أما العالم فيأتي الله به ويسأله ماذا فعلت في الدنيا ؟ فيقول: تعلمت العلم في سبيلك، ونشرته ابتغاء مرضاتك...-أو كما قال ﷺ-.. فيقال: كذبت تعلمت ليقال عنك عالم، وقد قيل، فأخذت أجرك في الدنيا، ثم يأمر به فيلقى في النار، ثم يؤتى بالمنفق فيقال له: ماذا فعلت في الدنيا ؟...اكتسبت المال من حلال، وأنفقته في سبيلك...، كذبت...، أنفقت المال ليقال عنك جواد، وقد قيل، فأخذت أجرك في الدنيا، ثم يأمر به فيلقى في النار... والثالث.. ماذا فعلت...؟ قاتلت في سبيلك حتى قتلت... كذبت، قاتلت ليقال عنك جريء، وقد قيل فأخذت أجرك في الدنيا، ثم يأمر به فيلقى في النا}.**

فعندما سمع معاوية رضي الله عنه هذا الحديث من أبي هريرة بكى حتى اخضلت لحيته ثم أغمي عليه، وبعد أن أفاق قال معاوية رضي الله عنه صدق رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل:

(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِّ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) (هود: ١٥ـ ١٦)

وقبل أن أقرأ هذه القصة عن سيدنا معاوية قلما كنت أمر على هذه الآية إلا وتهزني من أعماقي ولعلها أخوف آية كنت أمر عليها عندما كنت أقرأ القرآن:

(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) (هود: ١٥ـ ١٦)

والبشر قد تغيب عنهم قدرة الله فترة، وقد لا يقدرون الله حق قدره، أو لا يرجون وقار الله، ولا يجلّونه حق جلاله، فيتعاملون مع البشر كأن القوة النهائية والنتيجة الختامية بأيديهم، وهم لا يعلمون. بشر تغيب عنهم قوة العزيز الجبار، فيتسلطون ويظلمون ويبطشون، ويحاولون أن يخفوا آثار الصادقين، ولكن الحق الذي لا يقبل إلا الحق، والطيب الذي لا يقبل إلا طيباً، سبحانه إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.. ولو كره المشركون.. ولو كره الظالمون والمجرمون.

أمثلة حية من التاريخ:

أنا أضرب لكم مثالين من التاريخ الإسلامي القديم والحديث.

المثال الأول: شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

لقد أفتى أن طلاق الثلاث في جلسة واحدة يقع طلقة واحدة وخالف به فقهاء المذاهب الأربعة، وأفتى بذلك تلميذه ابن القيم، فوضعوهم على جمل طافوا بهم في دمشق وأغروا بهم السفهاء والولدان وراءهم يطقطقون، ويصفقون، ويهزأون، وألقي ابن تيمية في السجن... ألقي في السجن... يحدث في الفتاوى يقول: لقد كنت أتفقد بعض الأسر قبل أن ألقى في السجن، وعندما ألقيت في السجن تطعتُ هذه المعونات للأسر الفقيرة، فكنتُ متألماً على هذا، وكانت الأخبار تأتيني إلى السجن من الأسر: أنك تأتينا بنفسك وشكلك وتدفع لنا نفس المبلغ الذي كنت تدفعه، يقول ابن تيمية: إن إخواننا من الجن يقومون بمقامنا، إذا تنكرت الأرض كلها فعالم الجن والملائكة مع المؤمن، عالم الجن المؤمن.

يقول ابن تيمية كلمته المشهورة: (ماذا يصنع فيَّ أعدائي.. إن جنتي وبستاني في صدري لا تفارقني، -إن جنتي وبستاني ومحل استظلالي من هاجرة المجتمع وحره في صدري لا تفارقني-.. إن سجني خلوة، وإن قتلي شهادة، وإن نفيي سياحة، ولو أعطيت الناس الذين سجنوني مقدار ملء هذه القلعة ذهباً ما وفيّتهم الحق الذي أعطاني الله إياه).. ومات ابن تيمية، وأخذت بعض رسائله بعد أن قطع عنه القلم والورق عن السجن فكان يمسك ببعض حجارة السجن والملقاة على أرضه ويكتب على الجدران، فنقلت هذه وأحرقت كتبه وظن الطغاة أنهم قد أطفأوا نور هذا العالم وغيّبوا معالمه.

ويدور الزمان، بعد ستة قرون ونصف تماماً، يظهر الله في الجزيرة العربية البترول -والذين ظهر عندهم البترول علماؤهم تربوا على كتب ابن تيمية- وبهذه الأموال الضخمة طبعت كل كلمة كتبها ابن تيمية، ووزعت على كل أرجاء الأرض، فلا تكاد مكتبة إسلامية في الأرض تخلو من كتاب أو أكثر من كتب ابن تيمية، وأيُّ عالم في الأرض الآن أشهر في أذهان المسلمين من شيخ الإسلام ابن تيمية؟!، بعد ستة قرون.. إنه الصدق العجيب الذي يفجره الله ذكراً حسناً في الأرض وترحيباً من الملأ الأعلى في السماء.

وهذا سيد قطب مثال آخر:

رجل كان يعيش بين ظهرانينا، عرضت عليه الدنيا كلها، عرضت عليه الوزارة وهو وراء القضبان، وعرضت عليه الدنيا: أمانة الاتحاد الإشتراكي، مديرية المطبوعات والنشر، وزارة التربية والتعليم.

وخلال فترات متراوحة من سجنه الذي قضى معظمه في داخل شفخانة السجن -داخل مصحة السجن-، إذ أنه كان يحمل طيات بدنه الناحل قائمة من الأمراض، وكان إذا زار السجن أحد الزعماء الذين يحبون الإسلام وطلب مقابلة سيد... يحتاج إلى حمام ساخن -يجلس في الماء الساخن لمدة ساعتين حتى يستطيع مقابلة الناس.

أعدم سيد قطب، وقبل هذا الإعدام كان يردد كلمته: (إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفا واحدا تقر به حكم طاغية)، ومضى سيد قطب إلى ربه... وكم من المضحكات المبكيات...

وكـم ذا بمصـر مـن المضحكـات وإن كـان فـي شـأنـه كـالبكـا

لتتم المسرحية يأتون بأحد المشايخ يقابله قبل أن يصعد المشنقة يقول له: إن من مراسم الإعدام أن تقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله)، فقل يا (سيد) (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله)، فنظر إليه وقال له: (حتى أنت تتم المسرحية، حتى أنت يا هذا... أنتم تأكلون الخبز بلا إله إلا الله ونحن نعدم من أجل لا إله إلا الله)، وأعدم سيد قطب في أ... سجن الاستئناف، وحتى الآن لا يعرف أهله أين قبره.

ولقد كان أحد ذويه يشكو إليّ بمرارة: ليتنا نعرف القبر حتى نزوره، قلت له إن رب البشر يعرف أين قبره ما حاجتكم بقبر...

لقد لقي (سيد) ربه، و(الظلال) -طيلة حياته- لم يطبع سوى طبعة واحدة، وفي السنة التي أعدم فيها طبع (الظلال) طبعات!!... سبع طبعات... بل كانت المطابع النصرانية في بيروت إذا أشرفت على الإفلاس، تنصح بعضها حتى تنقذ نفسها من الإفلاس.. تقول لبعضها: اطبعوا الظلال فإن حياتكم تعود إلى الإستمرار.

سر الإخلاص:

إن الإخلاص والصدق له سرٌ عجيب في هذه الدنيا وفي الآخرة... إيّاكم أن تتعاملوا مع الله إلا بالصدق والإخلاص، إياكم أن تتعاملوا بالمكر والدهاء، إياكم أن تعجبكم أنفسكم فتقولوا: (**إنما أوتيته على علم عندي**).

إياكم أن يوسوس لكم الشيطان لينفخ في عروقكم الغرور وحب الظهور، أو إيذاء المسلمين، فأنت تتعامل مع رب العالمين الذي يقابلك -العبد الضعيف- إنما يدافع عنه الله: (**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**). فهل تستطيع مبارزة رب العالمين في مكشوف، ومعركة حامية الوطيس؟ إن الذي تقابله لن تستطيع ضرّه.

(وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً، إن الله بما يعملون محيط) (آل عمران: ١٢٠)

(لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون) (آل عمران: ١١١)

أيها الإخوة: إن كنتَ داعية فاصدق الله، وإن كنت كاتباً فاصدق الله، وإن كنت حارساً فاصدق الله، وإن كنت مجاهداً فاصدق الله، وإن كنت موظفاً فاصدق الله.

(وإن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤتِ من لدنه أجراً عظيما) (النساء: ٤٠)

..أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.....

الخطبة الثانية

البداية الصادقة :

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه...

يمرّ بخاطري -وأنا أتكلم عن الصدق- كلماتٌ سمعتها من سياف، يقول: كانت الصفوة الأولى من الدعاة في داخل أفغانستان في طهرها تقرب من الملائكة. جاء أول شهيد في أفغانستان -وهو حبيب الرحمن المهندس- ذات مرة وهو في الجامعة يشكو لي قسوة قلبه، قال لي: يا سياف يا أخي إني أشعر بقسوة القلب، قلت له: وهل تجد له ملامح، قال: صدق يا أخي أني قبل أن آتي إلى الجامعة كنتُ أسمعُ تسبيح الشجر والحجر والآن غاب عني ذلك كله في هذا الجو -في جو الجامعة المحموم-. ثم يتابع سياف: هذا الشاب كان أول شهيد في أفغانستان... المهندس حبيب الرحمن الأمين العام للحركة الاسلامية الأفغانية... يتابع سياف فيقول:.. ثم ألقينا في السجن في زمن داود، وكانت الشوارع بجانب وزارة الداخلية تغلق عندما يبدأ تعذيبنا حتى لا يسمع الناس صراخنا، ونحن نصرخ في أعماق السجن، قال: كنت أقول في نفسي: هل هنالك مجموعة من البشر في الأرض تعلم أن هنالك فئة من المسلمين يتعذبون لله وفي الله ومن أجل الإسلام في أعماق سجون أفغانستان؟!ما كان سياف، ولا غير سياف يظن أن قضية الصادقين المخلصين تنتقل من قضية محلية صغيرة إقليمية في أعماق السجون إلى قضية عالمية تهز العالم كله، وتحسب لها الدول الكبرى ألف حساب... إنه الصدق.. الصدق... كلمة الحق... الكلمة الطيبة:

(كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) (ابراهيم: ٢٤ـ ٢٥)

ويذهلك أن تسمع بداية هذا الجهاد، كذلك يقول سياف: -عندما جاء داود-... التقيت بأربعة عشر شخصاً من شباب الحركة الإسلامية في جامعة كابل فقالوا لي: لقد قررنا القتال ولكن هل عندك مسدس واحد تقدمه لنا؟... قرروا القتال قبل أن يكون لديهم مسدس واحد... قال: فبحثت طويلاً وفشلت وعجزت أن أحصل على المسدس، وهرب الشباب إلى بيشاور، ومع ذلك قرروا أن يواصلوا المعركة، ويتحرك (الدكتور محمد عمر) بقنبلة واحدة يشتريها من (دره) وبمسدسين يتحرك من حدود باكستان إلى بدخشان على حدود الإتحاد السوفييتي ليقوم بالهجوم على مركز من مراكز داود التي بدأت تتلون باللون الأحمر... مسدسان وقنبلة!! يقطعون أكثر من ألف كيلومتر من أجل أن يلقوها على مركز من مراكز داود، ولم تذهب هذه المحاولات الصادقة.. ولكنها في نظرنا الآن وفي نظر العسكريين كعبث أطفال... لم تذهب هذه المحاولات الصادقة عبثاً، ولم تذر أدراج الرياح، بل فجر الله بهذه النوايا الصادقة.. بهذه المحاولات البسيطة، فجر الله هذا الجهاد الضخم الذي حرك العالم الإسلامي خاصة، وحرك العالم كله.

وقبل أيام شهدتُ إسلام طبيبة فرنسية أسلمت بسبب الجهاد الأفغاني، وقبلها أسلم صديقها بسبب الجهاد الأفغاني.

يا أيها الإخوة: إن الله يصنع بالنيات الطيبات، والمحاولات الصادقات، بالقلوب الصادقة... بالنوايا المطمئنة الراضية المخلصة... يصنع الله بها العجب في نظر البشر.. في واقع الأرض.. وفي الآخرة.. فاصدقوا الله يصدقكم وكما قال ﷺ عن الأعرابي الذي جاء وحضر أول معركة مع رسول الله ﷺ فأعطاه الغنيمة، قال: ما اتبعتك لهذا، اتبعتك لأنْ أضرب هاهنا فأدخل الجنة، ودخل معركة ثانية، فافتقده ﷺ فوجد السهم قد أصابه حيث أشار، فقال ﷺ: **(صدق الله فصدقه)**[1] فاصدقوا الله يصدقكم، وانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.

---

(١)- القصة ثابتة كما في صحيح الجامع برقم (٢٧٥٦)

التقوى والورع

يا من رضيتم بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً ورسولا، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا، إن الله بما يعملون محيط) (آل عمران: ١٢٠)

ويقول الله عز وجل على لسان يوسف عليه السلام:

(إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) (يوسف: ٩٠)

ويقول الله عز وجل:

(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين) (آل عمران: ١٢٥)

فالصبر جُمع مع التقوى في أماكن كثيرة من القرآن الكريم، والتقوى والصبر عمودان لازمان لحماية الإنسان من شرور أعدائه، فلا بد من التقوى أن يتدرع بها ومن الصبر أن يتدثر به، من أجل أن يتم المطلوب، ويصل إلى الهدف.

وقد ذكرنا وتكلمنا في خطبة سابقة عن الصبر، وفي هذا اليوم نتكلم عن التقوى التي من أنضج ثمراتها الجانية الدانية: الورع

حب الرياسة والشرف:

لقد وضح الإسلام على لسان رسوله ﷺ أن: **[الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات -أو متشابهات- لمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه]**[(١)].

فمجال الورع هو مجال الشبهات، والتقوى والورع بالنسبة للرجل إنما يعرفان عند الشبهات؛ فكلما كان التوقي مستمر والحذر دائما، والمراقبة متواصلة.. كلما كان الورع أرفع وأعلى.

والورع أول ما يظهر في قضيتين: قضية الرياسة، وقضية المال، وفي الحديث الصحيح: **[ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه]**[(٢)] أي شبه رسول الله ﷺ هذين بالذئبين الجائعين.. الحرص على الشرف ذئب، والحرص على المال ذئب آخر، وهما ينطلقان في ليلة شاتية باردة، والغنم متنافرة، يفترسان دين الإنسان وورعه.

وآخر ما يخرج من قلب الانسان حب الرياسة والشرف، وهو مهلكة، وكم من النفوس تردّت، وكم من الناس سقطوا في ه سحيقة بسبب حرصهم على الشرف أو المرتبة والرئاسة. ولذا فحب المال أخف من حب الرياسة، والورع من الذهب والفضة أخف الورع على حب الرياسة؛ لأن الذهب والفضة إنما يدفعان ويبذلان للرئاسة، وآخر ما يخرج من قلب الإنسان من حظوظ وشهوات شهوة الظهور والرئاسة، وكم ضاع من الأموال على هذا الطريق، وكم هلك من المسلمين، وكم تمزقت من الدول، وكم ضاعت الممالك؛ كل ذلك بسبب حرص واحد أو اثنين أو ثلاثة على حب الرئاسة... آخر ما يخرج من قلب المؤمن هو حبه الظهور.

حب الظهور وشهوة الكلام :

وحب الظهور كم قصم من الظهور فكان المسلمون الأوائل الذين يُضرب بهم المثل في الورع يتوقّون هذا المنزلق الخطير، و المنحدر الصعب، وهو حب الظهور الذي يخالط القلوب دائماً إلا من رحم الله وعصم، وإلا من وقى الله ومنع، وحمى قلبه من أن ي في هذا الحظ الذي قلما تتخلص النفس منه إلا عند لقاء ربها.

والورع إنما يتمثل في توقي السيئات، وفي محاولة وقاية الحسنات ووقاية الإيمان كذلك... وقاية النفس مما يشينها ويه

---

(١)- حديث صحيح رواه البخاري باطول من هذا.

(٢)- صحيح الجامع الصغير رقم (٥٦٢٠) بلفظ [ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه]

أمام رب العالمين وأمام ملائكة المكرمين، وكلما زادت المراقبة كلما خفّت المعاصي، وقلّت الذنوب وتناقصت السيئات، واتقوا الله؛ فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء أو عندما يفضي الرجل إلى أهله ... فاتقوا الله وأكرموهم... وأكرموهم بحسن الخلق... وإن الله يغار وغيرة الله أن يرى عبده على المعاصي... دع نفسك مما يشينها... وأعلى مراتب هذا المقام هو البعد عن التوسع في المباحات، وترك ما لا يعنيه من الأمور، وجماع الأمر في هذا كما قال ﷺ: **(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)**[1]. وكم من الناس يشتغلون فيما لا يعنيهم، فيفرقون جماعات، ويمزقون أسراً، ويشتتون أحبة، كل ذلك لأن عنده شهوة الكلام.. لأن عنده شهوة... يريد أن يتكلم، ولا يستطيع أن يتخلص من هذه الشهوة، فهو يتّبع الشبهات، ويتكلم فيما لا يعلم حقه، ويثرثر فيما يظن، و **(كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)**... **(كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)**[2].

وأما الظنون:

(إن الظن لا يغني من الحق شيئا) (يونس: ٣٦)

و (إن بعض الظن إثم)، فكيف إذا كان الكلام في الحرمات مبنياً على الظنون والشبهات. إن شهوة الكلام فيما لا يعنيك أمرٌ خطيرٌ يأكل حسناتك كما تأكل النار الحطب، **(وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالاً فيهوي بها في النار، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا..)**[3].

هو يضع رجْلاً على رجْل، ويحتسي القهوة والشاي ولكنه يريد أن يملأ فراغه، فلا يملأ فراغه بذكر أو تلاوة أو عبادة، إنما يملأ فراغه بأكل لحوم إخوانه، بتمزيق الحرمات، بانتهاك الحدود، وهو لا يملك من الحسنات إلا قليلا، فدع نفسك عما يشينها.....

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى	*وحظك موفورٌ وعرضك صيّنُ*
لسانك لا تذكر به عورة امرئٍ	*فكلك عوراتٌ وللناس ألسنُ*
وعينك إن أبدت إليك معايباً	*فقل يا عين للناس أعينُ*
فصاحب بمعروف وسامح من اعتدى	*وفارق ولكن بالتي هي أحسنُ*

يأتي إليك فتسأله عن فلان؛ تريد أن تتثبت منه.. تريد شهادة ممن يعرفه، فيقول لك: هو رجل طيب، وصالح، ولكنه يفعل، كذا، وكذا، وكذا، (لكن) هدّم بها بنيانه، وهدم بها أركانه، ومزق بها حرماته، ولم يبق له في نظرك أي شيء... هو بدأها: رجل طيب صالح... ولكن، ولكن... ولكن... ثم يتكلم لك من السيئات ما لا يعلمه إلا الله عز وجل، منها ما هو عالم به يقينا، وأكثرها شبهات وشهوات نفس، لأنه لا يرضى عنه، لا يعجبه هذا المرء؛ في طعامه أو شرابه أو طريقة كلامه، ثم يمزقه تمزيقاً، ليشبع شهوة الحقد والغضب في نفسه، يطفئها بنار.. نار على نار.. نار الحقد، ونار الغيبة التي أكلت بها حسناته، ولذا قال ﷺ: **(أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع، قال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة، وزكاة، وحج، وصيام... -إلى آخره-... ويأتي وقد شتم هذا، وأكل مال هذا، وطعن هذا... فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طُرح في النار)**[4].

أنت فقير يا أخي.. أنت لا تملك من زادك إلا القليل، وليس في صندوقك من الحسنات إلا الزاهد اليسير، فلماذا تقدم على حسناتك وتحرقها بكلمات هي كما قال ﷺ: مما لا يعنيك .. **(من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه)**[5].

قيل إن أحد الصالحين سأل عن صاحب هذا القصر؛ لمن هذا القصر؟ ثم تذكر هذا الحديث: **(من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)** فصام سنة كاملة تكفيراً لهذا، لأنه سأل عن صاحب القصر، فكيف الذي لسانه يلغ ليل نهار في الحرمات، ويتتبع الشبهات، ولا يدع مسلماً عاميّاً أو عالماً أو أميّاً إلا وقد مزق لحمه بين أسنانه، وولغ في عرضه بلسانه، كيف يلقى الله عز وجل؟؟

إعلم يا أخي -كما قال ابن عساكر وجاء بها على لحوم العلماء-: (أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار من أكلها معلومة، ومن أطلق لسانه على الناس بالثلب أصابه الله بداء موت القلب)، **(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)**[6] دع الشبهات.. دع المناطق المباحات حتى ترتفع إلى مقام الورع ومقام التقوى، من أجل أن يحميك الله من أعدائك، ثم تذكر القاعدة التي قالها رب العزة في كتابه:

---

(١)- صحيح الجامع الصغير رقم (٥٩١١).
(٢)- حديث صحيح رواه مسلم في المقدمة لصحيحه.
(٣)- جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه.
(٤)- رواه مسلم.
(٥)- صحيح الجامع الصغير (٥٩١١).
(٦)- صحيح الجامع الصغير (٣٣٧٧).

(إن الله يدافع عن الذين آمنوا) (الحج: ٣٨)

(من عادى لي ولياً أو من عادى لي ولياً فقد بارزته بالحرب)[1] فهل تطيق حرب رب العالمين؟ هل تطيق مبارزة قاهر السموات والأرض؟.. فما بالك يا أخي؟! ألا تتذكر آخرتك؟! ألا تذكر يوم أن تعرض على ربك؟! ألا تذكر الموازين وضغطة القبر؟! ألا تتذكر العقارب والثعابين؟! ألا تذكر الصراط المنصوب على جهنم؟! وكم من الناس قد سقطوا عن الصراط، ويسقطون من أجل حقوق الناس التي لا تضرك ولا تنفعك، وإنما تتبعتها، وانتهكتها، وبخستهم حقوقهم من أجل شهوة انتقاص الآخرين في نفسك، وحب انتقاص الآخرين نقص عندك، والنفس الناقصة لا تحب إلا أن تنتفش، وإلا أن تنتقص، وإلا أن تبخس الموازين، وإلا أن تهضم حقوق الناس، وأن تبطر الحق، وأن تغمط الحق.

فالمرحلة الأولى من مراحل الورع: هي البعد عن السيئات، والتنبه إلى المناطق المزروعة بالألغام؛ مناطق المباحات والشبهات، ومن اتقاها فقد استبرأ لدينه وعرضه. أرأيتم كيف يحافظ الانسان على ثوبه أن لا يتلطخ بالبول والبراز والنجس عندما يكون في أرض نجسة؟، فاستبرئ لدينك، واستبرئ لعرضك، واستبرئ لقلبك، ونق قلبك؛ ولا ينقيه إلا الورع؛ لا ينقيه من شبهاته وشهواته إلا الورع.. ولا يمكن أن يصبح الإنسان إماماً في الدين، وأن يتقبل كلامه من المتقين إلا إذا اتقى الشبهات والشهوات.

الصبر واليقين علاج الشهوات والشبهات:

فاتقاء الشبهات علاجه اليقين، واتقاء الشهوات علاجه الصبر، وبالصبر واليقين يبلغ الأنسان إمامة المتقين..

(وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (السجدة: ٢٤)

فعليك باليقين الذي يطرد الشبهات، لا تتكلم بكلمة لا تقطع بصحتها، ولا تتكلم بكلمة قطعت بصحتها إلا إذا كانت خيراً، وإذ تردد الأمر بين الخير والشر فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك.. ودع الشبهات حتى ترتقي إلى مقام الأئمة التقاة.

ثم الورع بالنسبة للحسنات؛ لتكثيرها ووقايتها من الاحتراق، ثم الورع للإيمان، لأن الأعمال الصالحة كلما ازدادت كلما ازدا الإيمان، وهذا الذي اتفق عليه جمهور أهل السنة والجماعة: أن الإيمان ما وقر في القلب وتكلم به اللسان، وعملت به الأركان، تزيد الطاعة، وتنقصه المعصية، ولذا كلما دخل الإنسان في ساحة الشبهات والشهوات، كلما ازدادت السيئات، والسيئات تطفئ نور القلب كما قال الإمام مالك للشافعي رحمهما الله جميعاً -عندما رآه لأول مرة- قال : (يا غلام إني أرى أن الله قد ألقى على قلبك نوراً ف تطفئه بظلمة المعصية)، ويقول الله عز وجل:

(كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (المطففين:١٤)

والران هو عبارة عن الغلاف الأسود الذي يحيط بالقلب بسبب النكات السوداء، إذ في الحديث الصحيح: **{كلما فعل الإنسا سيئة نكتت نكتة سوداء على قلبه.}**[2].

وهكذا... وهكذا... حتى يتغلف القلب بغلاف أسود، وذاك هو الران، ويصبح القلب كما جاء في بعض الروايات (كالكوز مُجخِّ أي لا يستقر فيه خير، (الكوز مُجخِّيا) أي كالإبريق المكفي؛ هل يستقر به ماء؟ كذلك القلب إذا غلف بالران، وإذا ازدادت السيئات يستقر به أي نور -أي نور- ولا حسنة، ولاخير، ولا بر، ولا حكمة، ولا علم، إنما هو فارغ للشيطان يذرعه ذهاباً وإياباً.

ورع النووي:

وقد جاء في روايات عن السلف ما لا يصدقه العقل الآن بالنسبة لورعهم وتقواهم من هذه الأماكن، حتى نقلوا أن (النو مكث في الشام وعاش فيها ومات، ولم يذق ثمارها، وعندما روجع (النووي) في هذا قال: (إن هنالك بساتين موقوفة قد ضاء وأخشى أن آكل مال الوقف)، ولذا لورعه كم فتح الله عليه! لقد نقل الكثير عن (النووي)... أنه طفئ المصباح ذات مرة لخلاص ز عنه، وإذا بأصابعه تنير له ليكتب عليها. لقد ألف مؤلفات لا يصدق العقل أن هذه مؤلفات بشر، كتبٌ بعضها مقرر في قسم الدكتو

---

(١)- جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه.

(٢)- الحديث رواه بالمعنى ونصه {إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه، وهو الران الذ الله تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)} صحيح الجامع الصغير (١٦٧٠).

والماجستير، والدراسات العليا؛ في السنة لا يكاد الإنسان يقرأ منها العشرات من الصفحات. حسبوا (للنووي) أنه كان يؤلف في كل يوم من أيام حياته (ملزمة) -قسّموا ما ألفه على أيام حياته منذ ولادته حتى وفاته- إذ أنه لم يعمّر سوى اثنين وأربعين عاماً ، قسّموا كتبه -صفحاتها على عمره أيامه-، فخرج لكل يوم (ملزمة) من التأليف.

والورع يورث قوة القلب، ويورث العزة، وعندما طلب (الظاهر بيبرس) -طلب- فتوى: أن يجمع المال لشراء السلاح أفتاه علماء الشام إلا (النووي)، فعاتب (الظاهر بيبرس) (النووي) على هذا، قال: (أنا أريد أن أصد أعداء الله وأحمي حوزة الإسلام وبيضته، وأنت لا تعطيني فتوى أن أجمع المال من أجل شراء السلاح؟! قال له: (لقد جئتنا عبداً مملوكاً لا تملك من الدنيا شيئاً، وأنا أرى لك اليوم الغلمان والجواري والقصور والضِّياع، فهذه ليست أموالك، فإن بعت هذا جميعاً ثم احتجت بعد ذلك لشراء السلاح أنا أفتيك، أن تجمع من أموال المسلمين)، قال: اخرج من الشام. فخرج من الشام إلى (نوى)، وجاء علماء الشام (للظاهر بيبرس) وقالوا: لا غنى لنا عن (محيي الدين النووي)، قال: أرجعوه. وذهبوا إلى (نوى) في (حوران) وقالوا له: إرجع فقد سمح لك (الظاهر) أن ترجع إلى الشام، قال: (والله لن أدخلها و(الظاهر) فيها)... عزة !.. رفعة !.. قمم! ما الذي جعل هذه القلوب تقف هذه المواقف؟! ما الذي جعل هذه النفوس تعلو هذه الذرى؟! ما الذي جعل هذه الأفئدة ترتقي هذه القمم؟... إنه الورع الذي يصنع به -بإذن الله- يصنع به العزة، ويصنع به القوة.

والقلب الورع.. قلب جسور.. شجاع.. قوي.. عزيز.. وأما القلوب -قلوب أصحاب الشهوات والشبهات- فهي قلوب ضعيفة... مريضة.. ترتجف لشرطي يمر في الشارع، تظنه يراقبها أو يكتب عنها ورقة يقدمها... أما أصحاب القلوب العظيمة.. أصحاب الصدور المنشرحة.. أصحاب النفوس التي تربت على الحلال.. على الورع.. فهذه قلوب عظيمة قوية.. وأنى للأسود أن يكون لها قلوب بشجاعتها... وبرّ الله بقسم (النووي)، ولم يمض سوى شهر حتى مات (الظاهر)، وعاد (النووي) إلى الشام.

من بيتكم خرج الورع:

جاءت أخت (بشر الحافي) إلى الإمام (أحمد)، قالت له: يا إمام أوَ يجوز لي أن أغزل على نور الظالمين !!؟.. كان الزعماء والكبراء في ذلك الوقت يضيئون أسرجة كبيرة ومصابيح عظيمة في بيوتهم تضيء المنطقة حولهم... فجاءت لتسأل أو يجوز لي أن أنسج، وأن أغزل على مثل هذا النور؟ قال: من أين هذه؟ قالوا: هذه أخت (بشر الحافي)، قال: من بيتكم خرج الورع.

هؤلاء النماذج القليلة هي التي حفظت الإسلام.

الطمع علاجه الورع:

ولقد أعجب (الحسن البصري) عندما سأل غلاماً قال له: يا غلام ما ملاكُ الدين؟ قال: الورع، قال: وما هلاك الدين؟، قال: الطمع. كم أهلك الطمع من أديان الناس؟ وكم أضاع من آمال تمنتها الأمة وبذلت من أجلها؟ وكم ضاع من الدعاة بسبب الدنيا والطمع فيها؟ وما حفظ الإسلام على مرّ التاريخ سوى ورع الصالحين، وزهد المتقين. وأنت تعرف الإنسان عندما تعامله فتشعر بورعه عند معاملته بالدرهم والدينار، وعندما تلوح بارقة من بوارق الزعامة والرئاسة، -ونرجو الله عز وجل أن يطهر قلوبنا منها، ونرجو الله عز وجل أن لا يبقى لنفوسنا حظاً في نفوسها- عندما تلوح بارقة يُضَحّي بكل القيم.. بارقة طمع في زعامة أو رئاسة؛ يُضحّي بكل القيم والمقدسات، يرى الناس يُقتَّلون أو يُذبَّحون، ويرى الناس فقراء ويتسولون.. ومع ذلك شغله الشاغل، وعمله العامل ليل نهار.. كيف يحافظ على منصبه هذا الحقير التافه الزهيد الذي لا يساوي من الدنيا شيئاً، فكيف من الآخرة!! {ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم إصبعه في اليم فلينظر بم يرجع}[1].

وماذا يحمل الإصبع من ماء البحر، و {ما الدنيا في الآخرة إلا كموضع سوط أحدكم في الجنة}[2] وماذا يساوي موضع السوط في الجنة، وأقل الناس في الجنة -في رواية مسلم- له ضعف مساحة الأرض، وفي رواية أحمد له عشرة أضعاف مساحة الأرض... فاتقوا الله وانتبهوا لقلوبكم، ودعوا مايريبكم إلى ما لا يريبكم، وانتبهوا إلى ما يدخل في أفواهكم وما يخرج منها، وأهم ما يحميكم: الفم والفرج فيدخلكم الجنة، وفي الصحيح: {من يكفل لي ما بين لحييه وما بين رجليه أكفل له الجنة}.

إحفظ فمك من المحرمات الداخلة، ومن الشبهات النازلة، ومن الكلام الخارج، واحفظ فرجك من الزنا يدخلك ربك الجنة، ونرجو الله أن لا يحرمنا الجنة.... أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم...

---

(1)- رواه مسلم بنحوه في الصحيح. (2)- رواه البخاري في صحيحه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

لقد عاش فوق هذه الأرض صالحون، وفي الأرض الآن صالحون، ولكن أين أصحاب الورع؟ أين أصحاب *الورع*؟ أين الذين تخلصوا من الطمع؟ أين الذين تخلصوا من إيثار الدنيا؟ أين الذين يقفون عند حدود الشبهات والشهوات؟

قال الصحابة -رضوان الله عليهم-: (تركنا تسعة أعشار الحلال خوفاً من الحرام)، اجعل بينك وبين الحلال فسحة، اجعل بينك وبين الحرام فسحة، فسحة من الحلال، حتى تستبرئ لدينك وعرضك، حتى تبرئ قلبك.

وكلما كثر أصحاب الورع في المجتمعات كلما حيت وظهرت، وكلما قلّ أصحاب الورع في المجتمعات كلما اندثرت وبادت،... فانتبه يا أخي... وقد أكرمك الله عز وجل بالوصول إلى هذا المقام، ونرجو الله عز وجل أن لا يحرمك من أجر الرباط، وأن لا يحرمك من أجر الجهاد، فانتبه إلى نفسك.. وانتبه إلى قلبك.. وإياك وذنب الشرف وذنب المال.. ذنب حب الشرف -أي المكانة-، وذنب حب المال: فإنه أهلك لدينك من إهلاك ذئبين جائعين أرسلا في غنم في ليلة شاتية **(ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه)**[1].

نعم.. هنالك أناس ورعون، ولكنهم قليلون. كنتُ أراهم ينفقون الآلاف المؤلفة، بل الملايين، ولكنهم عند درهم واحد ليس لهم أو يشتبهون به يقفون كثيراً.. يقفون أن يدخلوا بطونهم منه شيئاً، كنت أراهم ينفقون على الجهاد مئات الألوف بل ملايين من الروبيات ولكنهم على أنفسهم، وعلى أهلهم لا يكادون يدفعون إلا بالقطارة، والمال مالهم، وهو جهدهم، ولكنهم يحبون أن يعاملوا أنفسهم بالشدة....

أعرف أخاً كان مندوبا في إحدى المؤسسات، أو كان مندوباً هنا في الهلال الأحمر السعودي كانت زوجته تطلب منه الأغراض فيقول: نحن لا نحتاج لهذا، ولا نريد أن نتوسع بالمباحات -وهو يدفع كل يوم ألف ريال بدل انتدابه للجهاد الأفغاني- فكان إذا اشتد طلب زوجته لأغراضه تقول له: احسبنا كما تحسب الأفغانيين، وعاملنا كما تعامل الأفغانيين، وهب أننا من الأفغانيين، فتصدق علينا كما تتصدق على هؤلاء.....الورع في معاملة النفس، ولذا ترك البلد وله في كل قلب مكانة، وما وطئ مكاناً إلا -والحمد لله- ترك فيه خيراً، ولقد كان هذا التغيير بالنسبة للمهاجرين والمجاهدين كان فيه له -بفضل الله- بعض الآثار فيه.

أيها الإخوة: انتبهوا إلى أنفسكم... انتبهوا إلى قلوبكم.. انتبهوا إلى الشهوات والشبهات حتى ترتقوا إلى مقام الأئمة الثقات وهو سهلٌ.. وجماعه وعماده **(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)**، **(ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)**... استمع كثيراً.. وتحدث قليلاً تنجُ... لا تتوسع في المباحات، واكتفِ ما استطعت بالضرورات، واجعل المال الفائض بين يديك في سبيل الله... وانظر كم يغدق الله عليك من الخيرات.

التضحية والفداء

يا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم، مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله، ألا إن نصر الله قريب) (البقرة: ٢١٤)

ثمن الدعوات باهظ بقول الحق العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم ﷺ، ثمن حمل المبادئ ونقلها من عالم الأفكار والنظريات إلى عالم التطبيق والواقعيات يحتاج إلى كثير من التضحيات، حتى يكون واقعاً حياً في عالم الأرض.

ثمن الدعوات:

لن تنتصر دعوة أبداً إلا بالتضحيات... أرضية كانت أم سماوية.. بشرية كانت أم ربانية، الدماء... الأشلاء... الأجساد

(١)- صحيح الجامع الصغير رقم (٥٦٢٠) بنحوه.

الأرواح... الشهداء.. هي وقود المعركة... وقود معركة المبادئ.. وقود معركة الأفكار. فهذه الآية تنبه إلى قضية هامة في هذا الميدان: أنه لا جنة لمن لم يرد أن يضحي و يقدم... (**أم حسبتم**)؟! هل تظنون أنكم تدخلون الجنة قبل أن يمسّكم ما مسَّ الذين من قبلكم، ثم يشير رب العزة إلى قضية هامة: أنكم لستم أعز من أحب خلقه إليه، لستم أحسن من صفوة عباده..

(الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس) (الحج: ٧٥)

وما دبَّ على الثرى أحد أفضل من سيدنا محمد ﷺ، ومع ذلك كما قال الله عز وجل (**مسّتهم البأساء**) الحرب (**والضراء**) الشدة والفقر وغير ذلك (**وزلزلوا**) ... وانظر إلى النفس البشرية وإلى قلوبها عندما تزلزل.. تزلزل.. ترتجف ارتجافاً شديداً كأنها أصابتها هزة أرضية، لا تتمالك نفسها من السقوط .. (**وزلزلوا**) والزلزال جعل أصبر الخلق على الأرض (**الرسول** ﷺ) **يقول ويجأر إلى الله** عز وجل (**متى نصر الله**)؟

الصابر.. المخبت.. الخاشع.. أمين الله على الأرض.. الذي يتلقى أمين السماء صباح مساء، ويثبّته القرآن آناء الليل وأطراف النهار، يزلزل -حتى يستبعد النصر- فيجأر إلى الله بدعواته، ويخلو إلى الله عز وجل بمناجاته يقول: (**متى نصر الله**)؟

(حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا) (يوسف: ١١٠)

يصل الأمر إلى حافة اليأس برسل الله عز وجل، استيأسوا ولم يصلوا إلى اليأس لأنه...

(لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) (يوسف: ٨٧)

(**وظنوا أنهم قد كذبوا**) أغلقت الأرض دونهم، وأقفرت الدنيا في وجوههم، ولم تعد الأرض تجود بواحد يدخل في دعواتهم.. استيأسوا..

(حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا، فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب، وما كان حديثا يفترى) (يوسف: ١١٠ـ ١١١)

تضحيته ﷺ :

ليس القرآن للتسلية، ولا للتمتع في أوقات الفراغ، وإنما هو منهاج للدعاة على طريق هذا الدين وإلى يوم القيامة في اقتفاء أثر سيد المرسلين محمد ﷺ سيد الخلق أجمعين (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)، ومع ذلك: هو كما يقول -في الحديث الصحيح-: {**لقد أوذيت في الله، وما يؤذى أحد، وأخفت في الله وما يخاف أحد، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة، وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يواري إبط بلال من الطعام**}[1].

وعندما جاءت قريش تساوم أبا طالب أن يكف ابن أخيه عن إذايتهم، وأرسل عقيلاً وراءه يذكره أن قومه راجعوه حتى يكف عن أذيتهم، يقول ﷺ: {**والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بُعثت به من أن يشعل أحدهم من هذه الشمس شعلة من النار**}.

وفي رواية أخرى وإن كان فيها شيء من الضعف: {**والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أدع هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه**}[2].

ليس تبليغ الدعوات بأمر سهل ورحلة ممتعة..

(لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك) (التوبة: ٤٢)

إنما هي طريق طويل شاق، كله أشواك، وكله تضحيات، وقد تَخرُج من هذه الدنيا ولا تنال ثمرة واحدة نتيجة عملك.

عبد الرحمن بن عوف يبكي:

وضع أمام عبد الرحمن بن عوف طعام طيب فبكى وقام، قال: (لقد خرج أصحابنا من الدنيا ولم يروا هذا، لقد كان مصعب بن عمير خير منا وما رأى مثل هذا).

---

(١)- هذا الحديث حسن صحيح رواه الترمذي وأحمد وغيره، انظر صحيح الجامع الصغير (٥٠٢٥). (٢)- الرواية الأولى حسنها الألباني وهي شاهد للرواية الثانية.

ويقول أنس: (لقد قُبض رسول الله ﷺ وما أكل شاة مصلية أبداً)[1] شاة مشوية (وما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتالين أبدا)، وتقول عائشة: (والله ما شبعنا التمر إلا بعد فتح خيبر)[2].

تظنون المبادئ لعبة أو لهواً أو متاعاً، يبلغها إنسان بخطبة منمقة مرصعة بالألفاظ الجميلة، أو يكتب كتاباً يطبع في المطابع ويودع في المكتبات... لم يكن هذا أبدا طريق أصحاب الدعوات!! إن الدعوات تحسب دائماً في حسابها أن الجيل الأول الذين يبلغون؛ هؤلاء يكبّرون عليهم أربعا في عداد الشهداء.

كلمات صيد :

إن الجيل الأول كله إنما يذهب وقوداً للتبليغ، وزاداً لإيصال الكلمات التي لا تحيا إلا بالقلوب وبالدماء... (إن كلماتنا ستبقى ميتة عرائس من الشموع لا حراك فيها جامدة، حتى إذا متنا من أجلها انتفضت حية وعاشت بين الأحياء).

كل كلمة عاشت كانت قد اقتاتت قلب إنسان حي فعاشت بين الأحياء، والأحياء لا يتبنون الأموات، لا يقبلون إلا الأحياء، والميت يدفن تحت الأرض وإن كان أعز فرد من بين أظهرهم.

طريق الدعوات:

يا **أيها الإخوة:** طريق الدعوات محفوف بالمكاره.. مليء بالمخاطر.. سجون... وقتل... وتشريد... ونفي. فمن أراد أن يحمل مبدأ أو يبلّغ دعوة، فليضع في حسابه هذه، ومن أرادها نزهة ممتعة، وكلمة طيبة، ومهرجاناً حافلاً، وخطبة ناصعة في كلماتها، فليراجع سجل الرسل والدعاة من أتباعهم، منذ أن جاء هذا الدين.. بل منذ أن بعث الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- وإلى يومنا هذا.

كم ضحى الشيوعيون -أنفسهم- من أجل أن يقوموا بثورتهم الحمراء؟ كم سُجن ونفي (لينين).(تروتسكي)؟ كم نحن الآن نعجب من الديمقراطية الغربية؟ كيف أن القانون الغربي يخضع له كل الناس أجمعون!! وتستطيع أن تحاكم رئيس الجمهورية أمام المحكمة، وتحقه وتأخذ منه، والقانون والقاضي لا يخضع لأحد. وحسبك مثالاً (نكسون) رئيس أكبر دولة في الأرض، عندما أراد الحزب الآخر أن يرفع عليه دعوى؛ -أنه كان يتجسس عليهم أثناء الانتخابات قبل سنوات-، استقال (نكسون) واختفى وراء مسرح التاريخ خوفاً من أن يقع تحت طائلة القانون.

أتظنون أن هذا جاء عبثاً؟ أتظنون أن هذا جاء مصادفة؟ لم يصلوا إليه إلا على دماء وجماجم المفكرين، لقد قتل ثلاثمائة ألف على يد محاكم التفتيش، أحرق منهم ثلاثون ألفاً أحياء، وهم يريدون أن يخرجوا الإنسان الغربي من قبضة الكنيسة الجبارة، ويحرره من قيدها القوي المتين.

لقد قتل (برونو)، وسجن (كوبرنيكس)، وعذب (جاليلو) من أجل أنهم كانوا يصرحون بمبادئهم، وعندما وقف (برونو) أمام المحكمة الكنسية حكمت عليه بالقتل لأنه يقول بكروية الأرض، فبعد أن حكمت عليه المحكمة قال: (ALSOW ITS ROUND).. ومع ذلك فهي كروية.. وقتل.

لقد قاوم المفكرون ثلاثة قرون متتالية -مفكرو الغرب- (منتسكيو) وغيرهم (جون لوك) العقد الإجتماعي (جان جاك روسو) (جون ليل)، هؤلاء لقد قدموا الكثير ليخرجوا أممهم من عبودية رجال الدين المخرفين، الذين كانوا يسوقون الناس إلى نارهم، وإلا جحيمهم بسوط الكنيسة القوي.

ومن هنا، وبسبب ما لاقوه من عنت وعناء في معركتهم مع الكنيسة وهم يحاولون أن يحرروا الإنسان الغربي بسبب هذا أنكر إله الكنيسة، ليسقطوا الكنيسة وإمبراطور الكنيسة الذي يسمى (البابا)!!.

أكبر ثورتين:

لم يكن ما تنعم به الشعوب الغربية الآن من الديمقراطية.. لم يكن مصادفة، ولا نتاج يوم، إنما كان نتاج دماء أناس ضحوا وفي سبيل ماذا؟! في سبيل أفكارهم.. لا يطمعون في جنة، ولا يخافون من نار، بل لشدة ما عانوه كانت شعاراتهم يوم أن انتصر

(١)- أخرجه البخاري في صحيحه. (٢)- رواه مسلم.

في أكبر ثورتين في الغرب- وقد اتفق الغرب على أن أكبر ثورتين كانتا الثورة الفرنسية سنة ألف وسبعمائة وتسع وثمانين، والثورة البلشفية التي كانت سنة ألف وتسعمائة وسبعة عشر-، كان شعار الثورة الفرنسية (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس) يعني: أنهوا الأديان والملوك في الأرض، لأنهم خدروا الإنسان، وحطموا إنسانيته، فابقروا بطن آخر قسيس واشنقوا بها آخر ملك، وكان شعار الثورة البلشفية الهاربة من جحيم الكنيسة، ومن سلطة القياصرة (لا إله والحياة مادة)، لم يكونوا ينكرون وجود الله، لم يكن (داروين) ولا (ماركس) -كما اطلعت- ينكرون وجود الله، ولكنهم أنكروه من أجل أن يسقطوا الكنيسة التي تضرب بسوطه، هروباً من الكنيسة، هربوا من رب الكنيسة، فنشأ الإلحاد في الغرب، وانتشر في العالم.

أريد أن أقول لكم: لا يمكن لمبدأ أن ينتصر بدون تضحيات، وبدون دماء. إن الشيوعيين في العالم العربي كان يحكم عليهم القاضي في أيامنا في سنة (١٩٥٤م) عندنا في الأردن، يقول له: حكمت عليك المحكمة خمسة وعشرين عاماً، فيقول: تحيا روسيا، ويحيا لينين، في داخل المحكمة، وهل تظنون أنكم تبقون بدولتكم الضعيفة عشر سنوات أو خمسة عشر عاماً؟ هؤلاء أصحاب مبادئ لا يرجون الله، ولا يرجون من الله، ولا يعرفون الله، دنياهم وأخراهم هي دنياهم، هذه الأيام التي يعيشونها، ومع ذلك يضحون من أجل مبادئهم.

نماذج على طريق الدعوة:

لقد قدمت الدعوة الإسلامية نماذج فذة، وضحت على الطريق الكثير الكثير عبر التاريخ، وكانت دماؤهم شعلة للأجيال من بعدهم. فإذا كان (حسن البنا) قد قتل في أكبر شوارع القاهرة في ميدان (رمسيس)، وقضي عليه في داخل غرفة العمليات، ولم يصلِّ عليه سوى أربع نساء، إلا أن دمه أحيا أجيالاً في الأرض؛ وإذا كان (عبد القادرعودة) و (محمد فرغلي) و (يوسف طلعت) و (هنداوي دوير) و (إبراهيم الطيب) و (محمود عبد اللطيف) و (سيد قطب) -وغيرهم- و (عبد الفتاح إسماعيل) و (محمد يوسف هواش) و (صالح سريّة) و (كارم الأناضولي).. وغيرهم؛ هؤلاء دماؤهم إنما هي النار التي تؤجج صدور الجيل الذي يسعى لإقامة دين الله من جديد.

وعلى طريقهم من قبل كان (القسام) و (سلامة) وكان (العز بن عبد السلام) وغيرهم. هؤلاء أناروا لنا شعلة لنحملها على طريق المبادئ والدعوات، كانت دماؤهم منارات للأجيال التي تريد أن تهتدي، لقد حدثتني (حميدة قطب) قالت لي: في الثامن والعشرين من آب سنة ألف وتسعمائة وست وستين: ناداني مدير السجن الحربي (حمزة البسيوني)، وأطلعني على قرار الإعدام (لسيد) و (هواش) و (عبد الفتاح إسماعيل)، ثم قال لي: معنا فرصة أخيرة لإنقاذ الأستاذ؛ هي أن يعتذر فيخرج بعفو صحي يخفف عنه الإعدام، ويخرج بعد ستة أشهر بعفو صحي، وقتله خسارة للعالم أجمع، هيّا اذهبي براوديه لعله يعتذر. قالت: فذهبت إليه -هي تحدثني فماً لأذن- قلت له: إنهم يقولون إذا اعتذرت سيخففون حكم الإعدام، فقال: (عن أي شئ أعتذر يا حميدة، عن العمل مع رب العالمين؟! والله لو عملت مع جهة أخرى غير الله لاعتذرت، لكنني لن أعتذر عن العمل مع الله. واطمئني يا حميدة إن كان العمر قد انتهى سينفذ حكم الإعدام، وإن لم يكن العمر قد انتهى لن ينفذ حكم الإعدام، ولن يغني الاعتذار شيئاً في تقديم الأجل أو تأخيره).

أي نفوس هذه التي صنعها الإيمان؟! أية قوة هذه وأي ثبات؟!! وحبل المشنقة يلوح أمام ناظريه، يطمئن الأحياء على قدر الله وبقدره!!

يقول (البشير الإبراهيمي): كنت ذات مرة عند الملك فاروق، فسمعتهم يتهامسون حول قتل البنا، فذهبت إليه وقلت له:

(إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين) (القصص:٢٠)

فقال: أهذا أنت -يعني أهذا تفكيرك- أهذا أنت -ثلاثاً-.

(إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) (الطلاق:٣)

أي يوميّ من الموت أفر يوم لا قدر، أم يوم قدر

يوم لا قدر لا أرهبه ومن المقدور لا ينجو الحذر

نماذج أفغانية:

ونحن الآن مع شعب قد قدّم نماذج من البطولة، ما لم تحوه صفحات تاريخ القرون الخمسة الأخيرة.إن التضحيات التي قدمها الشعب الأفغاني مجتمعة لا يوازيها حيان قتال الشعوب الإسلامية كلها في القرون الأخيرة

ما رأيت صبراً يصبر على صبرهم، ما رأيت شعباً أعز من نفوسهم، ما رأيت شعباً مسلماً أبياً مؤمناً مثل هؤلاء، لا يطأطئون رؤوسهم إلا لرب الأرض والسماء، لا يملكون قوت يومهم، ويخطب ابنتهم عربيٌ غني فيأنفون أن يزوجوا بناتهم خوفاً من أن يعيّروا أنهم زوجوا بناتهم في أيام الفقر للأغنياء . بيوتهم هدمت، نساؤهم رُملت، امرأة يحدثونني عنها -عجوز من قندهار- يحدثونني عنها في الاسبوع الماضي؛ أنها جاءت إلى المجاهدين وقالت: إن ابني يتآمر عليكم مع الدولة، وقد ذهب إلى قندهار ليدل على معاقلكم وأماكنكم، فالحقوا به وامسكوه، فامسكوا به وجاءوا به ثم أرسلوا إلى أمه العجوز التي جبل قلبها حناناً على فلذات أكبادها، فقالوا: هذا ابنك ماذا نصنع به؟ قالت: قيدوا رجليه ويديه، إيتوني بسكين حاد، فأتوها... أتوها سكيناً!! ثم قالت له: أتذكر يوم أن شتمت رسول الله ﷺ أمامي، فها أنا أنتقم لرسول الله منك أيها الكافر، ثم ذبحته بيدها، لم أسمع... لم أسمع في التاريخ أن امرأة ذبحت ابنها من أجل مبدئها، لقد سمعنا عن الصحابة رضوان الله عليهم أنهم قتلوا آباءهم، لكننا لم نسمع أن امرأة قتلت ابنها بيدها، بل ذبحته بالسكين، لم أسمع بهذا إلا في أفغانستان.

وفي (وردك) في (ميدان) وقبل شهر يهجم الروس -أو في أيام عيد الأضحى- يهجم الروس هجوماً عنيفاً -والروس في هذه الأيام يشددون ضرباتهم- ويريدون أن ينتقموا من الأحياء، يبيدوا خضراءهم، ولا يبقوا شيخاً فانياً ولا امرأة. وقبل أيام جاءت ثلاثون امرأة من قرية من القرى الأفغانية لم يُبقِ الروس غير هذه النساء الثلاثين، لقد أبادوا جميع أهل القرية.

وفي قرية -في لوجر- ذبحوا ثلاثة وأربعين من الشيوخ والعلماء والنساء والأطفال، ثم سكبوا عليهم البترول، وأحرقوهم في أيام عيد الأضحى أو قبلها بقليل، فاختبأ شاب -غلام- في الثانية عشرة تحت السرير، ودخل الروس، وبدأوا يفتشون البيت، فعثروا على مصحف فرماه الروسي بشدة إهانة للمصحف الشريف، وإذا بالطفل ينتفض من تحت السرير، ويخرج أمام الروسي ويحتضن المصحف بين يديه، قال له: هذا كتاب ربنا، وهذا عزنا، وشعارنا، قال: ألقه، قال: لو قطعتني إرباً إرباً والله ما أفلته من يدي، وأمام هذا الاحترام لهذا الدين يحترم الروسي هذا الغلام، ويذبح كل من في البيت ويترك هذا الغلام حياً.

نحن لا نشتغل إلا بالسلبيات، ولا نعدد إلا السيئات، أما المكارم والعظائم... أما هذه الأمور التي فاقت المعجزات فهي في طي النسيان -في حديثنا اليومي-، لا نتحدث إلا عن خلافات بيشاور، ولا نتحدث إلا عن خلاف فلان وفلان، وفلان أخذ كذا، وفلان كذب في كذا، ادخلوا الساحة وانظروا ماذا يصنع المجاهدون؟ ثم بعد ذلك احكموا هل تستطيعون أن تعيشوا عيشهم شهرا واحداً؟ هل تستطيعون أن تحتملوا احتمالهم بضعة أو عشرة أيام؟ إنكم لا تستطيعون، كم من أسرة لم يبق فيها إلا طفل صغير، قتلت الأم، وقتل الأب، وذبحت الفتاة، وغاب كثير منهم تحت الردم والتراب من قصف الطائرات... هذه الأمور التي لا تُنقل للعالم الإسلامي، وإنما يُنقل خلاف اثنين أو ثلاثة يعيشون في بيشاور، وتترك هذه الصفحات المشرقات التي تصنع التاريخ من جديد، وتحول خط التاريخ البشري بالدماء وبالأرواح وبالأشلاء.

نقطة الالتقاء :

أنا أنصحكم...أنصحكم إن أردتم أن تساهموا بسهم بسيط في هذا الجهاد؛ الذي هو فرضٌ علينا أن نكون في داخله، فرض عين على كل مسلم في الأرض الآن أن يقف بجانب الأفغانيين، وفرض عين على كل مسلم في الأرض الآن أن يحمل السلاح ويقف أمام الجبابرة في الأرض، إن لم تحمله هنا فاحمله هناك، وإن لم تقاتل هنا فقاتل هناك، ولا عذر لأحد، كما قال أبو طلحة رضي الله عنه (ما سمع الله عذرا لأحد).

أنصحكم إن أردتم أن تخدموا الجهاد:

أولاً: أن لا تنقلوا تمزقاتكم وخلافاتكم في العالم العربي إلى الساحة الأفغانية، كفاهم ما هم فيه من مصائب ومشاكل وخلافات، والأرض غير الأرض، والبيئة غير البيئة، وأظن أنكم بقلوبكم جميعاً تحبون أن تخدموا الجهاد الأفغاني، فلنرفع الشعار، ولنلتق عليه جميعا، شعارنا: (خدمة الجهاد). أما خلافياتنا البسيطة، خلاف في الفرعيات الفقهية، أو في طريقة العمل من هنا أو من هناك، هذه الأمور يجب أن تتناسوها في هذه الساحة التي تعملون فيها، نحرك اصبعنا أو لا نحرك، نرفع أيدينا أو لا نرفع، نجهر بالتأمين أو لا نجهر، فلان من القادة الإسلاميين طيب أو غير طيب، فلان من العالم العربي إمام أو فرد، دعوا هذا جانبا... دعوا هذا جانباً، وكفى الساحة ما فيها من آلام ومشكلات. ولنلتق جميعاً لنتعاون على ما اتفقنا عليه، وكلنا يتفق أنه جاء لخدمة الجهاد، لنتعاون على خدمة الجهاد، ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه. لا توسوسوا، ولا توصوصوا، ولا تومئوا، ولا تشيروا ولا تتهامسوا ولا تتناجوا:

{إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا} (المجادلة:١٠)

كل من وصل إلى هذه الساحة -إن لم يكن الكل فأكثر من تسعة أعشارهم- جاءوا بدافع طيب، وجاءوا يريدون الجهاد، وبعضهم ما جاء لأنه انقطعت به السبل، كانت الدنيا مفتوحة أمامه، وهو في بلده أوفي بلاد المهجر مكرم معزز محترم، يعيش في وظيفته أو دراسته، ترك هذا كله وجاء يخدم الجهاد... هذا أضعه على رأسي وعيني وأتغاضى عن الهفوات.

وما جمع رسول الله ﷺ هذه الجموع التي ضحت من أجل هذا الدين إلا بميزان الحسنات والسيئات: **{وما يدريك يا عمر إنه شهد بدرا، ولعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اصنعوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم}**(١).

عمر بعد اكتشاف قضية التجسس لحساب الكفار على أحد الصحابة (حاطب بن أبي بلتعة) يهيج من مكانه صائحا: دعني أضرب عنقه فلقد نافق، قال: وما يدريك إنه شهد بدرا، لقد انتقى ﷺ خير عمل لهذا الصحابي حتى يطفئ أوار الغضب في قلب عمر، في قلوب الصحابة: **{لا تذكروا لي أصحابي -رواية أبي داوود- لا تذكروا لي أصحابي فإني أحب أن أخرج إليهم وأنا سليم الصدر}**(٢).

لقد تفرق الصحابة وكلٌ معه من السنة ما يختلف به عن الآخر، وكل يحمل رواية من روايات القرآن، وحرفاً من أحرفه، ومع ذلك كان الجميع يشتركون في اليرموك، وفي فتح هذه البلاد التي نحن على ساحتها، كلهم: أصحاب حذيفة، وأهل الشام والأوزاعي، وأهل الكوفة والبصرة، كلهم بقراءاتهم المختلفة، وبأئمتهم المختلفين، وبما معهم من السنة. جيش واحد، وقيادة واحدة، والتقوا على أن يقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا، لترفع شعار (أننا جئنا لنخدم الجهاد)، كل منا بعد جلوسه في بيشاور أسبوعاً أو أسبوعين يصبح منظرًا سياسياً، وعالماً اجتماعياً يحكم على هذا، ويخرج فتوى بهذا، وينبذ هذا، ويحذر من هذا، ولم يطلق حتى الآن سهماً في سبيل الله، أو طلقة واحدة في سبيل الله عز وجل، ولا يدري أن هذا الذي يراه أمامه قد مضى عليه بضعة عشر عاماً على طريق الآلام والدموع والدماء.

لنلتقِ على شعار (نريد خدمة الجهاد)، ولنلتقِ على شعار آخر (ترك الخلافيات)، والتعاون على المبدأ الأساسي، وترك الفرعيات والفقهيات؛ فكلنا -بل إن لم يكن كلنا فمعظمنا- جاء لخدمة هذا الدين، وخرج مهاجراً إلى الله عز وجل **{ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله}**.

حتى ولو لم تمت في المعركة ما دمت خرجت للهجرة في سبيل الله ومت في بيشاور فأنت وقع أجرك على رب العالمين، فلتكن ميتتك وأنت تجاهد، لا وأنت تأكل لحوم البشر، إن لحوم الناس مسمومة كما يقول ابن عساكر: (إن لحوم العلماء والناس مسمومة، وعادة الله في هتك أستار من أكلها معلومة، ومن أطلق لسانه على المسلمين بالثلب أصابه الله قبل الموت بموت القلب)، لا تلق الله ولسانك يقطر دماً مما امتصصت من دماء الناس، لا تلق الله ولحوم إخوانك بين ثناياك، كما قال ﷺ في رواية، جاء في الأثر **{والله إني لأرى لحمه بين ثناياكما}** عندما قالوا **إن هذا العبد نؤوم**، قال: **(لقد ائتدمتما لحم صاحبكما، وإني والله أرى لحمه بين ثناياكما)**.

إذن الشعار الأول: ترك الخلافيات، لا نريد أن ننقل تمزقاتنا من العالم العربي ونزيد تمزقات الساحة الأفغانية.

ثانياً: نلتقي على خدمة الجهاد، وكلٌ يشتغل في الميدان الذي هو فيه، وكلٌ ميسرٌ لما خلق له، وكما أنكم لا تحاسبون حكام بلادكم فليس حكام بلادنا أفضل من قادة الجهاد، كما أننا لا نحاسب أولئك لا نريد أن نفرض عليهم نظرياتنا وسياساتنا وغير ذلك.

النقطة الثالثة: نريد أن نعدد الحسنات، ونترك الولوغ في السيئات، نريد أن ننقل الإيجابيات التي تشرح الصدور وتبعث الأمل في القلوب، وما أكثرها، وما أكثر الإيجابيات، وما أقل السلبيات، فلا تشتغلوا بتعداد عيوب المسلمين: **{يا معشر من آمن بلسانه ولم يفضِ الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فمن تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته}**(٣).

إياكم أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً فيتبع عوراتكم، ويهتك استاركم، ويفضحكم ولو في جوف بيوتكم.

ثلاث نقاط نلتقي عليها، ونتعاون عليها:

الأولى: لنتناس تمزقاتنا وخلافياتنا في عالمنا العربي، ولندعها فوق تلك الساحة، وكفى الساحة ما فيها من مصائب وآلام.

النقطة الثانية: جئنا للتعاون على الجهاد، فلنتعاون على ما اتفقنا عليه -وهو الجهاد- وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

النقطة الثالثة: نشر الإيجابيات والحسنات، والسكوت عن العيوب والسيئات؛ لا تصدوا عن سبيل الله {وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم}، **{وإن الكلمة لتخرج من فم الرجل لا يلقي لها بالاً فيهوي بها في النار}**(٤).

---

(١)- قصة من حديث صحيح رواه البخاري. (٢)- رواه أبو داود والحديث بضعف (راجع سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني).
(٣)- صحيح الجامع الصغير (٧٩٨٤) بلفظ (يدخل الإيمان قلبه). (٤)- جزء من حديث رواه البخاري لكن بلفظ (إن العبد ليتكلم بالكلمة...).

كم من شاب جاء متحمساً للجهاد ثم صده كلامكم عن سبيل الله؟! كم من الشباب وصلوا إلى هذه الأرض ثم رجعوا يائسين لكثرة ما زرعتم في قلوبهم من السيئات التي حفظتموها وجمعتموها ولا تنسون منها شيئا؟! أنتم بفعلكم هذا، وظنكم أنكم تصلحون.. تصدون عن سبيل الله وتضلون، وأنتم لا تعلمون. أشتغلوا بما ينفعكم {وإذا أراد الله بقوم خيراً ألهمهم العمل} {وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل}[1].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين استغفروا الله.

الخطبة الثانية :

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه:

(قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً) (الكهف: ١٠٣ـ ١٠٤)

نرجو الله عزوجل أن لا نكون من هؤلاء الذين ضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

لكم كل حلوة؟

كثير من الشباب المتحمس يثير قضية الخلافات، وأنه لا بد من الاتحاد، وهو قادم من العالم العربي، ونسي ما يجري في ساحته؛ حتى في الساحة الإسلامية، حتى في ساحة الدعوات الإسلامية، حتى في ساحة العمل الإسلامي، يريد من مئات القبائل في أفغانستان ! ومن نصف مليون يحملون السلاح أن يتوحدوا تحت قائد واحد! وكل الأيدي العالمية تعبث، وكلها تريد أن تمزق، وتريد أن تسقط الراية ! وتوقف هذا السيل الذي لو وصل إليهم لأغرق من أغرق، وطهر من طهر، ينسون ساحاتهم العربية الإسلامية؛ في بقعة من الأرض قد لا يكون فيها مائة داعية تجد أكثر من عشرين طريقة للعمل الإسلامي، لا تجد مائة شخص... تجد عشرة أو عشرين... كل أناس يتبعون إمامهم... كل خمسة يتجمعون حول شيخ ويصبح شيخ طريقة، وقائد دعوة، وإمام هداية، هؤلاء من جماعة فلان، وهذا من جماعة فلان، وجماعة فلان عيوبهم كذا، وفي المسجد الواحد كم تثور الخلافات بين أتباع فلان وأتباع فلان وجماعة فلان وحزب فلان، ينسون هذا ويريدون بكلمة واحدة! أن يوحدوا شعباً مختلف الطباع، مختلف العادات، قبائل شتى، وتقاليد مختلفة، يريدهم أن يتجمعوا، وأين؟ في أرض المهجر حيث مُزقت الأنساب، وضاع الائتلاف، والناس يبحثون عن لقمة طعام يسدون بها رمقهم، كما قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عندما سئل:

(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (فأولئك هم الظالمون) (فأولئك هم الفاسقون)

(المائدة: ٤٤ـ ٤٥ ـ ٤٧)

قال: هي فينا، قالوا: هي في أهل الكتاب، إن الآيات تتكلم عن أهل الكتاب، قال: لكم كل حلوة، ولهم كل مرة؟!، لكم كل حلوة أنتم إن لم تحكموا بالكتاب فلن تكفروا، أما اليهود والنصارى فهم كفار لانهم لا يحكمون بالكتاب! ونحن لنا كل حلوة وللأفغان كل مرة !، ويرى... كما في الحديث الصحيح: {يرى أحدكم القذى الصغير في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه}[2].

جذع شجرة في عينه -هو لا يتكلم عنه- عيوب تسد الشرق والغرب، وتُنجّس البحر، كلها تلفها بين جنبيك، أنت ساكت عنها، وتتبع صغائر الناس وسقطاتهم ولممهم...

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى	*وحظك موفورٌ وعرضك صيّن*
لسانك لا تذكر به عورة امرئٍ	*فكلك عورات وللناس ألسنُ*
وعيناك إن أبدت إليك معايباً	*فقل يا عين للناس أعينُ*
فصاحب بمعروف وسامح من اعتدى	*وفارق ولكن بالتي هي أحسنُ*

---

(١)- صحيح الجامع الصغير (٥٦٣٣).

(٢)- رواه في صحيح الجامع الصغير بلفظ (يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه) رقم (٨٠١٣).

وعندها قد يتعذر أن يعود العظم مستقيما أو تقوم الرجل أو اليد بوظيفتها التي كانت أيام أن كانت سليمة.

ومن نعم الله عز وجل على الشاب أن يصبر عن المعصية والفاحشة، فهؤلاء يظلهم رب العزة في ظله يوم لا ظل إلا ظله {**وشاب نشأ في طاعة الله، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين**}(١).

الصبر على الطاعة أعظم:

والصبر على الطاعة.. كما يقول ابن تيمية: (أعظم عند الله من الصبر عن المعصية)، لأن الصبر على الطاعة إنما يحتاج نفساً دائمة المراقبة، ذات عزيمة نافذة، وذات قوة وإرادة، لا تعرف التردد ولا التلعثم، حتى تبقى العبادة مستقيمة مستمرة إلى أن يلقى الله عز وجل.

أما الصبر عن المعصية.. فإنه أقل منزلة عند الله، خاصة إذا لم تتوفر الدواعي ولم تتيسر السبل ولم تتهيأ الجادة.

والصبر بالإرادة كما قلت كصبرك على الرباط والدنيا تدعوك، وصبرك على طعام الأفغاني، وزهرة هذه الأرض تفتح فمها مبتسمة، والدنيا تمد ذراعيها لتحتضن، ومع ذلك أن تدوس على هذا وتعيش بين الثلوج، وفي قمم الجبال، وعلى الخبز الجاف، تلبس ما تهيأ، وتأكل ما تيسر وقد تفتقد الخبز أو الكساء أو الطعام أو الحذاء، ومع ذلك لا يربطك إلا شيء واحد هو الصبر لرب العالمين، والصبر برب العالمين، وهذه منزلة عظيمة، فاصبروا على طاعاتكم.

وأما الصبر على البلاء.. فهو عظيم المنزلة، لكنه دون منزلة الذي يصبر باختياره، فالصبر على المرض أو على السجن أو غير ذلك أقل منزلة من الصبر على الجهاد، خاصة وأنت خارج باختيارك.. نافر إلى الله عز وجل بإرادتك وطاعتك، تارك أهلك، ووظيفتك، ومالك، ودنياك لله عز وجل، فهذه منزلة عظيمة لا يدانيها كثير من منازل السائرين بين (إياك نعبد وإياك نستعين).. والصبر بالله وفي الله ولله عز وجل.

الصبر: بالله ولله ومع الله.

أما الصبر بالله: أن يكون موقراً في قلبك، مستقراً في أعماقك، أن الصبر الذي تحتمله إنما هو من رب العالمين أولا وأخراً، ليس لك به حول ولا قوة إنما هو من الله عزوجل:

(ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا) (الإسراء:٧٤)

في غياهب السجون:

وحدثني بعض الإخوة ممن ألقوا في غياهب السجون -في أرض الكنانة- قالوا: كانت تمر علينا ساعات من الآلام والتعذيب بعد أن نلقى في الزنزانة، ويغلق علينا، نقول: لو طلبوا منا أي شيء لقلناه، لقد نفد صبرنا، حتى إذا جاء وقت التحقيق، وإذا بهم بعزيمة جديدة، وقوة جديدة، وصبر جديد، فلا يتلفظون ببنت شفه، ورحم الله عز وجل -رحم الله- (محمد يوسف هواش)، كان يردد كلمة بالعامية كلما اشتدت به الظروف، وأخذت بخناقه الكروب، ينظر إلى السماء ويقول: (كله في حبك يهون) كله يهون من أجلك، وكذلك الحاجة (زينب الغزالي) رحمها الله حية وميتة يوم أن صُب عليها العذاب من كل الأنواع، ولم تبق السلطة والطواغيت نوعاً من جام غضبهم إلا ألقوه فوق رأس هذه المرأة التي ما عرفت عذاباً، ولا شدة، ولا تعذيبا حتى ضربوها ستة آلاف وثمانمائة سوط، ومع ذلك كانت في المحكمة في قمة عزتها، وقمة اعتزازها بهذا الدين، يوم أن سألوها -يسألها المدعي العام-: أنت قلت عن رئيس الدولة -عن رئيس الجمهورية- أنه أبو الجهل؟ فقالت: نعم، ولكنني متأسفة لأنه ليس جهلاً واحداً، إنما هو أبو الأجهال، قالوا: أنت سمّيت -المدعي العام يسألها- وفي المحكمة المسجلة التي تنقل لرئيس الجمهورية قالوا: أنت سمّيت عبد الناصر ذبابة؟ قالت: نعم، ثم اعتذرت عن التسمية لأنه هنالك حديث صحيح أن في أحد جناحيها داءً وفي الآخر دواءً وهذا لا دواء فيه، قالوا: ماذا سمّيته كذلك، وما هي آخر التسميات؟ قالت: لقد سمّيته (خيالة المآتة) أي حارس البستان؛ رجل من القش.. عصا موضوع عليها قطع من القماش تخيف الناس كما تخيف العصا العصافير، فصاح المدعي العام بأعلى صوته مذعوراً قال: أربعون مليوناً يُدارون بعصا؟ قالت: نعم، بعصا والعصا تدار من الخارج، ثم حكم عليها بالأشغال الشاقة المؤبدة، فقالت: الله أكبر، من أجل رفع راية الإسلام، وإقامة المجتمع المسلم.

---

(١)- جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه.

أقول: الصبر بالله..

(واصبر وما صبرك إلا بالله) (النحل: ١٢٧)

وكلما -يا أخي- اشتدت عليك الظروف، وكلما أخذت بخناقك الكروب، فانظر إلى علاّم الغيوب، واطلب أن يصب في هذا القلب الضعيف صبراً يليق بعبادته، صبراً يوافي نعمه ويكافئ مزيده..

(اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور) (سبأ: ١٣)

هذا الصبر بالله.

وأما الصبر له عز وجل، فأن تنظر بقلبك، ونيتك وعينيك دائماً إلى السماء، أنني أعمل هذه الأعمال، وأصبر عليها؛ أصبر على أوامر الأمير، وإن كان أقل مني شأناً، وإن كنت أرفع منه ذكراً، اصبر لله لأني أريد الثواب من الله، وكلما ألقي إليك أمر أو وجّهتَ إلى عمل ولو كان على خلاف إرادتك، ولو كان يعاكس هواك فلا بد من الصبر.

لا بد من أمير وجماعة:

ولقد كانت وصية رسول الله ﷺ للأنصار أن يصبروا على الأثرة، أي استئثار الناس بالدنيا دونهم حتى يلقوا الحوض، وعلى الأمراء الذين يعرفون منهم وينكرون حتى يلقوا الحوض.. **{وستجدون أثرة من بعدي فاصبروا حتى تلقوني على الحوض}**[1] والصبر على الأوامر وإن كانت أوامر أمير سفر، والمجموعة لا تتعدى الثلاثة أو الأربعة أوالخمسة، هذه عبادة من رب العالمين، وهذه طاعة لا يدرك كنهها، ولا يعرف معناها إلا المتوسمون، فلا بد من إدراك منزلتك، ومعرفة حقيقتك... لمن تتبع أنت؟ ومع من تسير؟ ولماذا وجُدت هنا؟ لابد أن تعلم أنك تابع لمجموعة، ولا جهاد بلا جماعة، ولا يمكن أن يتم الجهاد إلا عن طريق مجموعة، ولا يقبل الإسلام مجموعة إلا إذا كان لها أمير، ولا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا أمير، ولا أمير بلا طاعة. وقد يزين لك الشيطان، ويسول لك إبليس أن هذا الطريق أفضل من أجل الجهاد، وأعظم من أجل الثواب، وقد تكون مخطئا -يا أخي- فأن تتضافر الجهود، وتنصب كلها في بوتقة واحدة، هذا خير من ناحية الدنيا، وكذلك من ناحية الآخرة.

الجهاد مع الطاعة خير من جهاد مع معصية، فاختر لك أميراً، واختر لك رئيس مجموعة، ولا يجوز أن تبقى ذرة مفلتة من كل القيود، ولا فرداً ضائعاً دون وثائق تشدك إلى إنسان تتلقى منه الأوامر، وتستنصح منه الإرشادات، وتوجه حسب ما يراه وقد ترى غير ما يرى، وما الأجر والصبر إلا أن تطيع على كره من نفسك.. {بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة -الحديث في الصحيحين عن عبادة بن الصامت- على السمع والطاعة في المنشط وفي المكره -فيما أحببنا وفيما كرهنا- وعلى أثرة علينا -أن نرى أو نظن أن الغير قد استأثر دوننا بالمنافع العاجلة، وبالأمور الدنيوية- وعلى أثرة علينا}[2].

وأما الصبر مع الله عز وجل، فأن تدور مع الشرع حيث دار، وتسير معه حيث سار، دون تسخّط ولا تجزّع ولا تشكٍّ، وما الصبر إلا حبس اللسان عن التشكي، وحبس الجوارح عن التشويش، وحبس القلب عن الجزع، هذا هو الصبر: حبس القلب عن الجزع فيما تتلقاه من أمور، أو ينصب عليك من بلاء، وحبس اللسان عن التشكي...

وإذا اعترتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أكـــــرم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنمـا تشكوالرحيم إلى الذي لا يرحـم

وحبس الجوارح عن التشويش فلا لطم خدود، ولا شق جيوب، ولا الدعوى بدعوى الجاهلية، ولذلك لا بد أن تكون -يا أخي صابراً بالله، أي تظن وتعتقد أنه لا يصبرك إلا الله، وصابراً لله: أن يكون القلب اتجاهه في كل أوامره وتنفيذ المكروهات لله عز وجل والعيون لا ترنو إلا إلى السماء، وهي تتوقع وترجو الثواب من خالق الارض والسماء.

وكذلك الصبر مع الله أن تسير مع الله بإرادته الشرعية، أن تحبس النفس عن المعاصي وأن تسير على الطاعات باتباع الأوامر واجتناب النواهي، والتسليم للقضاء والقدر.

---

(١)- جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه.

(٢)- في البخاري ومسلم بنحوه طويلاً.

أمثلة حية من التاريخ:

ولقد ضرب السلف والخلف أمثلة حية رفيعة من الصبر، ولكنني إذ كنت أطالع السيرة والتاريخ، كان يُعجم عليّ تفسير انبعاث الجيوش من الجزيرة العربية أيام أبي بكر دون راتب، ودون أي منصب من مناصب الدنيا، كان يُعجم عليّ تفسير هذا، كيف يتركون أبناءهم، وعائلاتهم، وأسرهم؟ وليس للجند ديوان !، وليس للشهداء دفتر بحيث تُكفل العائلة! أو يُتكفل الأيتام! ولم تجر الدواوين، ولم تفتح الأسماء، إلا أيام عمر -رضي الله عنهم أجمعين- أيام أن صارت الفتوح، وجاءت الغنائم، وافتتحت العراق والشام، عندما أمر عمر بتدوين ديوان الجند. ولكن معظم الأمور قد حلّت في نظري عندما رأيت الأفغان، لقد وضح في ذهني كل قضايا التاريخ الإسلامي، كيف يصبر الإنسان سنة وسنتين، وعائلته تتضور جوعاً، وأقصى ما يتمناه من قائده أن يسد رمقه أثناء وجوده في جبهته، ليس له درهم يدخله جيبه أو يعطيه أهله، وكم من الناس لم يرَوا عائلاتهم منذ سنوات، تركوا أزواجهم وهن في مقتبل العمر، وفي حال الورود، تركوا أبناءهم وهم فراخ زغب لا يجدون من يعيلهم ولا من يقيتهم، تركوا الأم الرؤوم التي ما اعتادت أن تخرج لاحتطاب أو أن ترد جبلاً، أو أن تعمل عملا شاقا، تركوهم لله، وفي الله عز وجل.(وكما قال أبو بكر -رضي الله عنه- لرسول الله ﷺ: ماذا تركت لأهلك؟ -عندما سأله الرسول ﷺ- أجابه أبو بكر: (تركت لهم الله ورسوله)(١).

ومهما تحدثنا عن صبر هؤلاء فلن نستطيع أنّ نوفيهم حقهم، مهما تحدثنا عن القمة التي ارتفع إليها هؤلاء، قد لا نستطيع أن ندركهم بأشواقنا فضلاً عن أن نلحقهم بأفعالنا.

قمم لا يكاد الناس يصدقونها خيالاً، ولذلك إن تطاول الأقزام على العمالقة عمل تستنفره النفوس الأبية، وتشمئز منه قلوب الطيبين، ولا يمكن أن يتقبله أهل الفضل، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه، أنا -وإن كنت لست من أهل الفضل- إلا أنني أدرك عظمة هؤلاء، ورفعة هؤلاء، لأنني خبرت وجربت الشعوب، وعشت مع مجاهدين، وقارنت بين الصابرين هنا والصابرين هناك، والسائرين هنا والسائرين هناك، والمتجمعين على الجهاد هنا والمتجمعين هناك، فوجدت أنه من العبث أن أبدأ بمقارنة.. ولا مقارنة; لا مقارنة بين الشعوب العربية التي لم تقف ثلاث ساعات أمام إسرائيل، وبين شعب فقد كل شيء إلا إيمانه بربه، وتوكله عليه، يصبر ثماني سنوات، لقد مضى حتى الآن ثماني سنوات إلا شهرا على الثورة الشيوعية -على انقلاب تراقي- مضى ثماني سنوات، والقذائف لم تدع بيتاً إلا هدمته، ولا أسرة إلا مزقتها، ولا عائلة إلا أصابتها، وما ودعت ولا تركت بيتا إلا أحالته ميتماً ومأتماً، ومع ذلك; النفوس بأنوفها تناطح السحاب، والقلوب بعلوِّها تتعدى الضباب، ولا تكاد تصل أرجلهم التراب، لأنهم يمشون فوق الأرض وإن كانوا بأرواحهم وقلوبهم ليسوا فوق الأرض، هم يعيشون فوق هذه الأرض، ونفوسهم معلقة كما قال علي رضي الله عنه: بالمحل الأعلى.

وبعد ذلك يأتي أناس ما عرفوا اللين لوعة، ولا عرفوا للمرارة طعماً يتقلبون بين أعطاف النعيم، توضع لهم صحفة وترفع لهم صحفة، وينظرون إلى الشعب الأفغاني المسلم الأبي الصابر نظرة ازدراء واحتقار، ومن علو.. ولماذا؟ لأن ثوبه أجمل من ثوب الأفغاني، أو حذاءه أكثر جدة من حذاء الأفغاني، أو طعامه ألذّ، أو فراشه ألين، أو سريره أرفع، وما بهذه تتفاضل النفوس، إنما تتفاضل النفوس بالصبر وبالأعمال، إنما يتكافأ الناس بأنسابهم، والنسب هو العمل، والأنساب هي الأفعال، وإنما الأحساب لا وزن لها في هذه الدنيا عند الصادقين، ولا في الآخرة عند رب العالمين.

يقولون ما الشعب الأفغاني.. هذا؟ ما هي قيمة هذا الشعب؟.. يا أخي أنت تهتم به والله لا يستحقون الإهتمام(٢)!!

وأطرق، وأضرب الذكر صفحا عن هؤلاء(٣).. لأنهم لا يستحقون إلا الرثاء، وهم -والله- إن رأيتهم عليك أن تذرف عليهم دموعاً لأنهم ضاعوا في هذه الدنيا..

(ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) (الحجر: ٣)

والبلية الكبرى أنهم قد ينظرون إلى أنفسهم أنهم على الطريق، وأن غيرهم قد ضاع وأضاع، وضل المنارة، وأضاع الجادة..

(قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤)

---

(١)- هذا الأثر عزاه ابن الأثير إلى الترمذي (انظر أسد الغابة ٣/٢١٨).

يقول لي أحد الإخوة: لقد ضُربت دار فذبح صاحبها ذبيحة، ودعانا شكراً لله، فقلنا: يضرُب بيتك، وتُقتل ابنتك، ومع ذلك تذبح لنا!! قال: أذبح شكراً لله لأنه أخذ واحدة من أبنائي وترك لي البقية، أنّى لنا بصبر هؤلاء؟!! ونحن إذا انقطع الغاز أو الكهرباء ليلة عن البيت انقلب البيت على رأسك، وويل لك إن لم تكن لك القوامة، وقد يكون مبيتك في الشارع إن لم تجد مركزاً إسلامياً أو مأوىً تبيت فيه.

تقارن بين هؤلاء وبين الذين يعيشون تحت بقايا السقوف المعلقة منذ سنوات، يعيشون بين الركام من الأحجار والتراب، ومع ذلك في داخل هذا الركام يفكرون كيف يقاومون أعتى قوى الأرض وأشرسها، أي صبر أعظم من هذا؟! أي نعمة ينعم الله بها على القلب البشري أكثر من نعمة الصبر هذه؟! وكما قال عمر رضي الله عنه: وجدنا خير عيشنا بالصبر، وقال: (لو كان الصبر والشكر جوادين ما باليت أن أركب أحدهما، أن أركب البلاء فأصبر أو أركب العافية فأشكر).

كرامـــة:

يقول مطرف: زرت ابن الحصين وقد اشتد به كرامة البلاء، واستطلق بطنه، وثقبوا له السرير لأنه لا يستطيع أن ينزل عنه، فذرفت عيناي، قال: ما يبكيك؟ قال: حالك، قال: لا تبك لأني أحب ما يحب، ويشير إلى السماء، يا مطرف أوتكتم عني؟ والله إن الملائكة لتزورني في مرضي هذا، وتردّ عليّ السلام، وآنس بها... الملائكة تزورني، وتردّ عليّ السلام، وآنس بها.

فيا أيها الإخوة: الصبر... الصبر، ومنزلة الصبر عظيمة، ولقد قال الله لكم قبل الرباط أن تصبروا وتصابروا..

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران: ٢٠٠)

ولا تستطيعون مواصلة الجهاد بدون صبر، لأن الجهاد أثقل العبادات، وأثقلها عليك أن تعيش مع مجموعة قد لا يرضيك تصرفها، أو يسرك سلوكها، ومع ذلك تصبر، ولن تنال الأجر الأوفى، والجزاء الأمثل، إلا بالصبر على الأصحاب.

وفي الصحيح:

[الغزو غزوان، فمن غزا ابتغاء مرضاة الله، وياسر الشريك -أي كان يسراً في أخلاقه سهلا مع أصحابه، باشًا في وجوههم يتغاضى عن هفواتهم، ويطبق جفنيه عن أخطائهم، ويقيل عثراتهم- وياسر الشريك، وأطاع الأمير، وأنفق الكريمة، واجتنب الفساد فذاك نومه، ونبهه أجر كله](١).

القلم يجري عليك بهذه الشروط الخمسة، أن تخرج ابتغاء مرضاة الله، وأن تطيع الأمير، وأن تياسر الشريك، وأن تنفق مالك -أن تنفق الكريمة-، وأن تجتنب الفساد، فلا نميمة، ولا غيبة، ولا حسد، ولا تفريق، ولا تمزيق، ولا استعلاء، ولا رياء، ولا نظر لنفسك ولا النظر إلى الآخرين من الفوقية، إن تنظر إليهم كإخوانك، إن لم تنظر إليهم أنهم خير منك، وهذا الأفضل أن تنظر إلى الناس أنهم خير منك، وأن لا ترى العيب... لا ترى العيب في عين أخيك، ولا ترى العيب في عينك: **[لم يرى أحدكم القذى الصغير في عين أخيه -كما جاء في الصحيح- ولا يرى الجذع في عينه]**(٢).

انظر إلى عيوبك.. انظر إلى نفسك.. وعندها ستصبر على الناس، وتدرك أن أولى الناس بالإصلاح هي نفسك التي بين جنبيك.

(أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير) (آل عمران: ١٦٥)

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم...

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

مع سعد الرشود:

يمر في خاطري وأنا أتحدث عن الصبر شبح أخي الحبيب الشهيد (سعود البحري).. (سعد الرشود) الذي جاء ستة عشر شهراً متواصلة، وطاف أفغانستان كلها يركب متن جواده، يطير على متنه، كلما سمع فزعة أو هيعة طار إليها يبتغي الموت مظانّه

(١)- الحديث بنحوه في صحيح الجامع الصغير (٤١١٧).

(٢)- الحديث بنحوه في صحيح الجامع الصغير (١٠١٣).

قلت له: ياسعود نحضر لك أسرتك، قال: لا، دعهم يجاهدون بصبرهم على فراقنا، قال لي: لقد نسيت صور بناتي الثلاث، وذات ليلة رأيت إحدى بناتي تداعبني في المنام، وشدّ الحنين إليها قلبي، فانتبهت من نومي مذعورا، وعلمت أنها رؤيا شيطانية تريد ابنتي أن ترجعني بحنيني إليها فتفلت ثلاثا عن شمالي ثم نمت مرة أخرى.. الصابرون.. قلت له: يا سعود أو تذهب إلى (جوزجان)؟ قال: كما ترى، إن كنت ترى أنا أذهب إليها، حيثما وجهتني أتوجه، وذهب سعود، وغاب ستة أشهر بين ثلوج الشمال، وعلى ضفاف نهر (آمو جيحون).

عجبت لهؤلاء!! بأدبهم، وتربيتهم، وصبرهم، وطاعتهم، ما عاشوا في جماعة إسلامية، وما تلقوا التربية الطويلة على أيدي المربين، ولكنه الإخلاص يفيض الله بسببه على القلوب من أنواع النعم، وعلى الجوارح من أنواع السلوك، ما تستحي النفس البشرية أن تتحدث عن هؤلاء كأنداد.

صدقوا أيها الإخوة: كنت وأنا أتحدث إلى هذا الشاب أشعر بضآلتي، وقزامتي، وصغري، أمام هذا العملاق الكبير، وقد مضى بخفية إلى ربه، جاء غريباً، وعاش غريباً، ومضى غريباً، وطوبى للغرباء (الأخفياء، الأتقياء ، الأبرياء، الذين إذا حضروا لم يعرفوا، وإذا غابوا لم يفتقدوا)، ولم يفتقدهم الكثير، ولم يعرفهم الكثير، وحتى الآن أنا أعلم أن بينكم أناساً لا يعرفون صورة سعود، ولا يتذكرونها، ولكن ما يضير (سعود)، وما يضيرك يا (عبد الوهاب)، وما يضير (أبا حمزة) و(أبا عثمان) .. إن كان أبناء مكتب الخدمات لا يعرفونك؟.. وكما قال عمر: إن كان عمر لا يعرفهم فرب عمر يعرفهم، مضوا إلى الله، ولم يدعهم رب العزة بدون أن يرينا كرامات حتى بعد موتهم، وقد حدثني أبو داود –وهو بينكم– أنه رأى بعينيه ليلة الإثنين النور يتصعد من قبورهم إلى السماء، وعلى شكل قوس يعود إلى قبورهم ثم يعود هكذا، نور في الدنيا، ونور في البرزخ، ونور إن شاء الله على الصراط، ولن يعدموا –بإذن الله– ونرجو الله أن لا يعدموا من رؤية نور وجه ربهم في الفردوس الأعلى، حيث يقول لهم: سلام عليكم أهل الجنة **(سلام قولا من رب رحيم)** .

يا أيها الإخوة : الصبر.. الصبر على هذا الطريق، مياسرة الشريك، صحبة الأصحاب، الصبر على المشقة، الصبر على الإخوة، الصبر على الأمير، الصبر على الطعام، الصبر على الجهاد، الصبر على حمّارة القيظ، الصبر على البرد، الصبر على الغربة عن الأهل والخلان والأحباء والجيران... هذا هو الطريق، فاصبروا عليه حتى تلقوا رسولكم ﷺ على الحوض..

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران:٢٠٠)

واعلموا أن الله صلى وسلم على نبيه قديما، فقال تعالي ولم يزل قائلاً عليما، وآمراً حكيما، تنبيها لكم وتعليما، وتشريفا لقدر نبيه وتعظيما:

(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) (الأحزاب: ٥٦)

لبيك: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبرهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، اللهم مكّن للمؤمنين في الأرض، اللهم مكّن للمؤمنين، اللهم مكّن للمؤمنين في الأرض، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى، اللهم أعنا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، اللهم أحينا سعداء، وأمتنا شهداء، واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين، اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان وألف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، واهدهم سبل السلام، اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان، وفلسطين، وفي لبنان، وفي الفلبين، وفي سوريا، وفي اليمن، وفي كل مكان، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم..

عباد الله..!!

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) (النحل: ٩٠)

اذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم...

الجهـــاد مـاض

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له..

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (آل عمران: ١٠٢)

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) (الأحزاب: ٧٠ – ٧١)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) (النساء: ١)

وأشهد أن لا إله إلاالله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم... وبعد:

فيا من رضيتم بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً ورسولا، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم..

(والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر).

سورة قصيرة ولكن معانيها تكفي الناس جميعاً كما قال الشافعي –رحمه الله–: لو لم ينزل سوى سورة العصر للناس لكفتهم.

يقسم رب العزة بالعصر سواء كان ذلك يعني الزمان أو الوقت ما بين العصر والمغرب لشرفه –يقسم– أنه لا ينجو من الضياع والخسران سوى من حاز ونال أربع صفات: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

والإنسان هو جنس الإنسان لأن (أل) هذه تسمى في الأصول (أل الإستغراقية أو الشمول) فهي تستغرق وتعم وتشمل كل إنسان.

يقسم رب العزة –والمقسم سبحانه لا يخلف ولا يخطئ ولا يجهل، قوله الحق لا مبدل لحكمه ولا معقب عليه ولا راد لكلماته –أن من لم يحز هذه الصفات الأربع فهو في ضياع مبين، وفي خسران مشين.

(فالإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر) وأركان الإيمان الستة أنتم تعرفونها: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وأول هذه الأركان هو الإيمان بالله ولنا عودة إليه، الإيمان بالله والعمل الصالح، فإيمان بلا عمل لا يفيد، وعمل بلا إيمان هبا منثور..

(وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثورا) (الفرقان: ٢٣)

والتواصي بالحق.

والآيات تشير إلى ضرورة الجماعة المسلمة، لأن الأوامر والأخبار كلها هذه جاءت بواو الجماعة، لأنه لا يمكن التواصي إلا مجموعة.

التواصي بالحق والتواصي بالصبر لا بد له من جماعة تستقيم على الخير، وتسلك النهج، وتصابر على الطريق، وتواصل الجها مهما كانت المشاكل والعقبات. والآيات بإشارة النص تشير أن التواصي بالحق لا بد أن يتبعه أذى، ولا بد أن يعتوره مشاكل، ولا أن يصاحبه آلام وأحزان، ولذا لا بد من التواصي بالصبر مع التواصي بالحق، ولا يمكن لإنسان يأتي بحق يريد نشره أو إقراره ا الأرض إلا ويقف في وجهه الناس ..

{ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذاهم فريقان يختصمون} (النمل:٤٥)

فلا بد من أن تقوم الخصومة، ولا بد من أن تنشأ المعارضة لأن الباطل لا يمكن أن يستقيم له قناة، ولابد له أن يواجه الحق بما لديه من قوة، ولذا فلا بد من التواصي بالصبر.

والإيمان بالله هو توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية هو توحيد المعرفة والإثبات: أن تعتقد أن الله خالق رازق محي مميت، وهذا يسمونه توحيد المعرفة أو التوحيد العلمي، وأما التوحيد الذي يثقل على النفوس تطبيقه في واقع الحياة فهو توحيد الألوهية، إذ به بُعث الرسل، ومن أجله سفكت دماء الشهداء، ومن أجله أزهقت أرواح الأبرياء، ومن أجله قدمت التضحيات على الطريق الطويل المرير.

إقرار توحيد الألوهية في الأرض أي التوحيد العملي: أن تنقل النظرية إلى التطبيق، وأن تنقل العلم إلى العمل والمعمل، أن تعبد الله وحده لا شريك له. توحيد العبودية كذلك هو: أن تصلي لله وحده، وأن تصوم لله وحده، وأن تنذر لله وحده، وأن تتحاكم إلى الله وحده، وأن تحلف بالله وحده، وأن تعمل كل شيء ونيتك متجهة إلى الله الواحد القهار. وهذا مسلك صعب المرتقى، قلما يحتمله الناس، وقلما يدرك قيمته إلا الأفذاذ من البشر... توحيد الألوهية.

وتوحيد الأسماء والصفات: أن تثبت لله عز وجل الأسماء والصفات الحسنى والصفات العليا التي وردت في الكتاب والسنة الصحيحة، -هذه الأسماء- نثبتها كما جاءت دون تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل، الله عزوجل سمى نفسه (جبارا) فلا نسميه (جابرا) ولذا لا يجوز الاشتقاق في أسماء الله عز وجل عند جمهور السلف والخلف، كما أنه لا يجوز اشتقاق أسماء جديدة لله عز وجل، فلا يجوز أن تطلق على الله عز وجل إسم المستوي تشتقها من:

{الرحمن على العرش استوى} (طه: ٥)

قال ابن حزم: أجمعت الأمة على أنه لا يجوز لأحد أن يسمي ابنه عبد المستوي ولا أن يقول يا مستوي إرحمني.

ومن هذه القضية يجب أن نعرف لله صفاته وأسمائه، ويجب أن نقدره ولا نشتق له أسماء جديدة، ولا نلحد في أسمائه. فإذا قال سبحانه:

{يد الله فوق أيديهم} (الفتح: ١٠)

نثبت لله صفة اسمها اليد ولا نسأل، ولا نكيف، ولا نمثل، ولا نقول: له يد كأيدينا، ولا كيف اليد؟ لأن العقل البشري محدود بوظيفة الإنسان في هذه الأرض، لا يستطيع أن يتعدى مداره إلا إذا دخل الجمل في سم الخياط. لا نحيط بالله علما، نقف عند النصوص كما جاءت، ونمررها كما أمروها، دون تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل. وكذا نقول: إن السلف رضوان الله عليهم يعلمون معاني هذه الصفات.. يعلمون معنى الاستواء ويعلمون معنى النزول، ولكن كانوا إذا سئلوا بكيف؟ يجيبون كما أجاب مالك لمن سأله: كيف الرحمن على العرش استوى؟ قال: (الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة) وأمر بإخراج الذي سأل من حلقة المسجد.

فنحن نؤمن بهذه الصفات لأنها جاءت من عند رب العالمين، ولا نسأل ولا نفكر ولا نظن لإن:

{ليس كمثله شيء وهو السميع البصير} (الشورى: ١١)

ولا نقول: إن يده قدرته، ولا نقول: إن يده كأيدينا، فلا نعطل يده... لا نعطل صفة اليد لله عز وجل بأن نقول: يده قدرته، وعينه عنايته ورحمته. هذا غير وارد عن السلف أبداً. فنثبت هذه الصفات: صفة السمع والبصر والعين واليد كلها صفات لله عز وجل.

ونحن لا نستطيع أن نجلّ الله سبحانه أكثر من إجلاله نفسه، ولا نجله أكثر من إجلال رسول الله ﷺ له. فإذا كان رسول الله ﷺ قال لنا[1]: {ينزل ربنا في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا..}.

نحن نقف عند هذا النص، ونعتقد أن لله صفة اسمها النزول.. كيف النزول؟.. النزول كيف؟ الكيف مجهول... النزول معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، ولا نقول: نزول الله عز وجل تجلي رحمته في السماء الدنيا، فهذا اسمه تأويل وهو تعطيل من باب بعيد أو قريب ...

---

(١)- قطعة من حديث رواه البخاري (أنظر صحيح الجامع الصغير للألباني رقم ٨١٦٥.

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا — *إن المشبه عابد الأوثـــان*

كلا ولا نخليه من أوصافـه — *إن المعطل عابد البهتـــان*

والمعطل يعبد عدماً، والمشبه يعبد صنماً، فلا نعبد الأصنام ولا نعبد العدم، نقر له ما أقره سبحانه، ولا نستطيع أن نعبر أحسن من كلام الله عز وجل، ولا نستطيع أن نسمي الله عز وجل أسماء خيراً من الأسماء التي جاءت في الكتاب والسنة. فإذا أردنا أن نهرب من التشبيه والتمثيل ونقول: يد الله عنايته أو قدرته فكأننا نظن أننا نستطيع أن ننزه الله عز وجل أكثر من تنزيهه ﷺ له، وأكثر من تنزهه سبحانه وتعالى لنفسه، وهذا لعمر الحق إفك مبين وضلال بعيد. ولذا هذه القاعدة في الاسماء والصفات يجب أن تكون مستقرة في الأعماق.. يجب أن تكون ثابتة لأنها جزءٌ من الإيمان لا يتجزأ، وهي أول مفتاح لهذا الدين، وهي أول باب لليقين برب العالمين.

الإيمان بالله عز وجل... توحيد الربوبية، وهذا يستوي فيه معظم الناس. تجد اللص والسارق الجاهلي وغيرهم يعرفون أن الله خالق ورازق، لكن إذا جاء التطبيق في واقع الحياة تجد أن الذي قال: إنه رازق، هو يقدم بنفسه الخمر في رمضان أو في غير رمضان لمسئوليه من أجل أن يرتفع درجة واحدة، هذا... أين عقيدة التوحيد في أعماقه؟ أين عقيدة -الله رازق- في كيانه أو في أعماق فؤاده؟ إن الذي يردد طيلة حياته: أن الله رازق؛ ولم يقف موقفا عمليا واحدا يثبت فيه توحيد الألوهية في هذه القضية -أن الله رازق- كيف نعتقد أنه يعتقد فعلا أن الله رازق؟... أن الله خالق؟... كالناس الذين يسألون عن هذا القصر؟ فيقولون لفلان... لا يحرك فيهم ساكناً، ولا يغير فيهم سلوكا، ولا يربي أخلاقاً، ولا ينظف مشاعر، ولا يرفع اهتمامات. كذلك يسألون لمن هذا الكون؟ يقال لهم: لله رب العالمين.. لمن هذا القصر؟ لفلان، وهذا الكون خلقه رب العالمين، أما أن يغير في اهتماماتنا وشعورنا وسلوكنا وحياتنا ونحاول أن ننقل عقيدة توحيد الربوبية إلى توحيد الالوهية، من الواقع النظري إلى الواقع العملي، من العلم الى المعمل فهذه دونها خرط القتاد، وعلى هذا الطريق سفكت الدماء.. وتناثرت الاشلاء.. وأزهقت أرواح الأبرياء.

يا **أيها الإخوة:** إن وظيفة المسلم في الحياة إقرار الألوهية في الأرض.. إقرار الالوهية في النفس.. توحيد الألوهية في أعماقه أولا وفي سلوكه ثانياً وفي أسرته ثالثاً وفي مجتمعه رابعاً. ولا تنتهي هذه الغاية حتى تفارق الروح الجسد. ولذا فمهمة الإنسان المسلم يجب أن تكون دائماً واضحة أمام ناظريه، بادية أمام عينيه: إني خلقت هنا لتوحيد الألوهية... للتوحيد.

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (الذاريات: ٥٦)

إلا للعبادة، والعبادة هي توحيد الألوهية. وتوحيد الألوهية يجمع توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية بخلاف العكس، فهل تعلم يا أخي لماذا تعيش؟ ومن أجل ماذا خلقت؟ وما هي مهمتك في الحياة؟ وأين تنتهي رحلتك؟ وأين يستقر بك المقام؟ وأين تلقي عصا الترحال؟

حركة التاريخ منوطة بالجهاد:

يجب أن تعلم يا أخي أن مهمتك في الحياة إقرار دين الله في الأرض. وإقرار دين الله في الأرض عملية ملازمة للجهاد لا تنفك عنها أبداً، ولا بد من التواصي بالحق والتواصي بالصبر. والذين يظنون أن الحياة أو الجهاد إنما هي معركة قوم أو يوم، أو صراع من أجل الحفاظ على أرض، أو طرد لعدو محتل في بقعة من البقاع... هؤلاء لا يدركون طبيعة هذا الدين، ولا يعرفون سنة سيد المرسلين ﷺ. إن الجهاد عملية واجبة في عنق كل مسلم منذ أن يجري عليه القلم حتى يرفع القلم، منذ أن يدرك أو ينضج حتى يلقى الله عز وجل أو يرفع عنه القلم بجنون أو إغماء أو غير ذلك، دون ذلك عملية الجهاد مستمرة، ولا مفر له... إما أن تكون فاسقاً عاصياً بترك فريضة الجهاد التي قد تتقدم على الصلاة في مثل هذه الأيام... فريضة الجهاد مقدمة على الصلاة والصيام كما يقول ابن تيمية[1]: (ليس بعد الإيمان بالله شيء أوجب من دفع الصائل على الحرمة والدين)، أي أن الجهاد مقدم على الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك. فإذا تعارض الجهاد مع فريضة الحج أخر الحج وقدم الجهاد، وإذ تعارض الصيام مع الجهاد أخر الصيام وقدم الجهاد، وإذا تعارضت الصلاة مع الجهاد أخرت الصلاة أو قصرت أو اختصرت أو تغير شكلها وحالها لتتفق مع الجهاد، لان إيقاف الجهاد لحظة: إيقاف لدين الله عز وجل من أن يتحرك في الحياة، وما الحياة؟ وما التاريخ؟ وما تاريخ المسلمين إلا حركة الرجال لهذا الدين من خلال الحسام ومن خلال فهم القرآن؟!... حسام بيد وقرآن بيد أخرى. وإذا توقف الجهاد عن السير فوق الأرض فيعني ه

(١)- كان الشهيد يكررها في مناسبات عديدة وهي بنحوها في مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤ / ١٨٤.

ترقف حركة التاريخ الإسلامي، ولذا نكل الفقهاء يسمون الجهاد سيراً فيقولون: السير والمغازي.. سير الجهاد سيرة الرجال.. الجهاد قصص الأبطال.. سيرة الدين هي قصص الرجال في حركة الرجال بهذا الدين، هي مسيرة هذا الدين، ومجموع القصص هو مجموع السِّيَر، سيرة فلان وفلان وفلان مجموعها سير، وسيرهم هي الجهاد والمغازي. ولذا قد يدخل إليك الشيطان يوسوس ويسول لك: ما بالك يا أخي تضيع وقتك بين هؤلاء القوم الأفغان؟! قوم لا يفهمون العقيدة.. قوم صلاتهم بدون سكينة ولا خشوع..قوم يتناحر زعماؤهم على السياسة والحكم.. قوم فيهم الكاذب والسارق.. قوم يريدون أن يمتصوا منك بعض أموالك.. قد يدخل إليك الشيطان من خلال هذه المداخل، أو يدخل إليك من خلال المصالح والإيجابيات، يقول لك: ما بالك قد تركت بلدك، إن مسجدك الذي تركته قلَّ عمّاره.. وإن حيك الذي غادرته قد قل أبراره.. وإن مدرستك التي تركتها قد ضاع أبناؤها الذين ربيتهم... وأن يتفرق الناس عن مسجدك[1] وأن تلم شتات هؤلاء القوم وتجمع شعثهم[2].. وتربطهم بك لأنك رمز الإيمان عندهم وقائد المسيرة أمامهم وهم يقتفون أثرك ويتبعون سيرك... وتزداد الوساوس والشكوك والحيرة كلما ازدادت آلام الطريق في الجهاد، ولكن لا مفر، إن تركت أرض الجهاد فاحمل الشهادة من الله وعدُ[3].

(فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) (التوبة: ٢٤)

تحمل شهادة الفسق وإن قمت الليل وصمت النهار، وإن قمت الليل في بلدك وصمت النهار فأنت فاسق... كل من لا يجاهد الآن فوق الأرض فهو فاسق وإن كان من حمائم المسجد، وإن كان من العباد والزهّاد.. وبالله عليكم أية عبادة وأي زهد وأي غيرة إيمان عند هؤلاء الذين يرون الحرمات تنتهك ..والمقدسات تداس.. والمسلمون يذبحون.. ودماؤهم هدر.. حماهم مستباح.. دينهم مهان .. أية غيرة، وأي دين، وأي زهد، وأي قيام هذا عند هؤلاء. إن هؤلاء الذين يفرون من أرض المعركة من أجل أن يتفرغوا للعبادة لأنه قد تضيق صدورهم على الطريق[4]، يزداد ضيق الصدر عندما يفقد الانسان معالم الطريق وعندما يغيب الهدف الكبير من أمام ناظريه والذي خلق من أجله..

(وما خلقت الجن الإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) (الذاريات: ٥٦ – ٥٧)

نعم... قد تكون التضحيات باهظة، وقد تكون التكاليف غالية، وقد تكون الطريق شاقة، وقد تكون الأشواك ملء الساحة كلها، ولكن لا مناص ولا مفر: إما أن تقعد بالفسق أو تجاهد بالإيمان وتنال بذلك الجنان.

أقول لأخ من الإخوة يريد أن يغادر إلى الداخل: أرجو الله أن يرزقك الشهادة أو إدع الله أن يرزقني وإياك الشهادة، قال:– أحب أن أستشهد فوق أرض غير هذه الأرض، قلت له: لك أن تتمنى أن تستشهد فوق أرض العرب، أما أنا فأحب أن أستشهد فوق أرض الأفغان لأنه لا فرق بين الشهادة فوق أرض الأفغان وفوق أرض الأعراب والعربان.

إن الشهادة فوق أرض الأفغان شهادة فوق أرض إسلامية –هذه لا محالة ولا مماحكة فيها– وقتال تحت راية إسلامية لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا قومية ولا علمانية. والقوم الذين تقاتل معهم ما خرجوا على الإيمان وما ندّوا عن الإسلام، عندهم هفوات، ولديهم زلات، وترى منهم عثرات، ولكن إن لم تقلها أنت فمن لها؟!

أفنيت يا مسكين عمرك بالتأوه والحـــــزن
وقعدت مكتوف اليدين تقول حاربـني الزمن
إن لم تقم بالعبء أنت فمـن يقـوم بـــه إذن

إن لم يقم به الشباب المسلم.. إن لم يحمل الراية أنتم فمن يحملها.. إن لم تتصدوا أنتم للأعداء أفتريدون من هؤلاء الجهلة الجهلاء وأصحاب الضلالة العمياء أبناء الشوارع الدهماء[5] –هؤلاء تريد منهم– أن يتصدوا للأفكار الغازية وللجيوش الجرارة وللمبادئ الهدامة.. وأنت لأنك مثقف طبيب أو مهندس أو مدرس أو أستاذ جامعة فلك الفراش والحرير وهؤلاء[6] لا قيمة لدمائهم ولا مانع أن تسفك هذه الدماء أو تزهق أرواحهم لأنك تظن أنك في الميزان أثقل من هؤلاء.. إن كنت تريد أن تكون ثقيلاً في الميزان فتقدم لعمل ما يثقل ميزانك عند رب العالمين.

---

(١)– يقصد الشيخ أن الشيطان يوسوس له أن تفرق الناس مفسدة كبيرة...
(٢) – أي يرجعك اليهم كما يوسوس الشيطان.
(٣)– يعني إلى بلدك ان اردت أن تحمل شهادة الفسق.
(٤)– يقصد الشيخ أن هؤلاء إنما يفرون من أرض المعركة لأن صدورهم تضيق على الطريق.
(٥)– يقصد الشيخ اللمقة من شباب العرب في بلادهم.
(٦)– أي المجاهدين الأفغان.

تجربتي الجهادية:

لقد تمرست شعائر الإسلام وخبرتها فما وجدت عبادة أشد ولا أشق من الجهاد، وخبرت الجهاد نفسه فما وجدت في الجهاد أصعب من طول الإنتظار والرباط، ولذا لم يكن عبثاً ولا مصادفة ذلك الثواب العظيم والأجر الجزيل الذي رتبه رب العالمين على انتظار المعركة قبل المعركة... في الحديث الصحيح[1]: **[لأن أرابط يوما في سبيل الله أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود]** روي موقوفا ومرفوعا إلى رسول الله ﷺ، والروايتان صحيحتان.

عن أبي هريرة رضي الله عنه[2]: **[رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل]**.

خير من ألف يوم... إحسب كل يوم أنت تنقطع فيه في بيشاور يقابل ألف يوم في بلادك... فيا أيها المسكين أين تضيع هذا الثواب وترجع لتعيش بين الناس الذين يغرقون في الطين والتراب، همّهم الشهوات، كلامهم مملّ، يتقاتلون على سفساف الأمور وتوافهها، لا تجد لهم غاية عليا ولا أمنية كبيرة، جلُّ همّهم ماذا يأكلون ويشربون ويلبسون؟ كيف تكون كية البنطال؟ وكيف تكون الياقة؟ وكيف تكون الربطة؟ وكيف يكون الشعر مسرحاً؟ وكيف أرضي الناس؟ وكيف أخرج الكلام المنمق حتى يرضى الذين يصفقون ويطبلون ويزمرون؟.. تريد أن تعيش حياة السوائم؟! تريد أن تنقلب إلى حياة الأنعام؟!

(ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) (الحجر: ٣)

(فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون، يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يُوفِضُون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) (المعارج: ٤٢ - ٤٤)

ليس من عندي ولامن عند العلماء، إنما هي نصوص في القرآن وفي السنة: أن من لقي الله عز وجل في مثل هذه الايام يلقاه فاسقا أو منافقا[3]..

(لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) (التوبة: ٤٤ - ٤٥)

و **[من مات ولم يغزُ ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق]**[4].

أيام أن تكون الحدود آمنة.. أيام أن تكون الثغور مشحونة بالمسلمين.. أيام أن تكون الأوطان سالمة.. أيام أن تكون الأعراض مصونة، عندما من مات ولم يغزُ ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق، كيف والأقصى فوقه النجمة السداسية...

الإســرائيل تعلــو رايــة ... *في ربى الأقصى وظل الحرم*

رب وامعتصمـــــاه انطلقت ... *ملء أفواه الصبايا اليتـــم*

لا مست أسماعهم لكنــــها ... *لم تلامس نخوة المعتصـــم*

إن كان الدين ذهب فأين نخوة الرجال؟ إن كانت النخوة قد ذهبت فأين المروءة؟ لا مروءة ولا نخوة ولا دين؟!! إذن سائمة م السوائم ترعى فوق الأرض تبحث عن البرسيم[5] وكل همها كيف تملأ بطنها وكيف تتجشأ مما ابتلعته من طعامها.

ثوابت مهمة في طريق الجهاد:

يا أيها الإخوة: نعم... الجهاد شاق، والطريق طويل، والانتظار صعب، ولكن عليك أولاً أن تتغلب على الشيطان بأن تضع نصـ عينيك أمورا أربعة أو خمسة...

الأمر الأول: أن رسالة الجهاد ملازمة للحياة، والجهاد لا ينتهي حتى يخرج آخر نفس من البدن، وإن كنت في شك مما أقو فقل لي بربك: أين مات أصحاب رسول الله ﷺ؟ أين دفنوا؟ إين هم؟ إن المدينة التي هي مستقر الوحي ومهبطه وناصرة النبوة لم تـ

---

(١) ورد في "صحيح الجامع الصغير" بلفظ: (موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود) ٦٦٣٦. (٢) أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وحسنه (أنـ تحفة الأحوذي شرح الترمذي ٥/ ٣٠٩.

(٣) - يقصد الشيخ أن من ترك الجهاد في مثل هذه الايام ينطبق عليه الحكم. (٤) - رواه مسلم وانظر صحيح الجامع الصغير رقم٦٥٤٨. (٥) عشب يزرع طعاماً للأنعام.

والقضية الثالثة أننا إن انتصرنا لم نخسر وإن هزمنا لم نخسر.. فكل ما نأخذه في هذه الدنيا يرفع من الكفة الأخرى، وكل ما يرفع من هذه الكفة -كفة- الأولى إنما يوضع في كفة الآخرة.

حاجتنا إلــــى الجهاد

يا أيها الإخوة الأحبة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نرجو الله عز وجل أن يعيننا في إعطاء هذه المحاضرة، لأني قد ألمت بي وعكة منذ يومين، ولولا الدعوة التي سبقت ما حضرت، ولكن استعنا بالله عز وجل وجئنا إليكم.

الجهاد في اللغة: بذل الجهد، بذل أقصى الطاقة، وهو اصطلاحا: بذل النفس والمال في نصرة دين الله، ومناهضة أعداء الله عز وجل، وفي الصحيح (جاهدوا المشركين بأموالكم، وألسنتكم، وأنفسكم).

والجهاد في سبيل الله مرّ تشريعه على أربع مراحل:

كان محرماً في مكة:

(ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة) (النساء: ٧٧)

ثم مأذوناً فيه عند الهجرة:

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) (الحج: ٣٩)

مأذوناً فيه أي جائز.

ثم أصبح فرضاً إذا بادأهم العدو بالقتال:

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (البقرة: ١٩٠)

ثم أصبح مأموراً به في قتال المشركين كافة -في الأرض كافة-:

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (الأنفال: ٣٩)

حتى إذا نزلت آية السيف في سورة براءة، وآية السيف هي هذه الآية:

(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) (التوبة: ٣٦)

أو

(فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) (التوبه:٥)

وبعد نزول سورة براءة، أصبح الناس في الأرض ثلاثة أقسام: إما مسلم مقاتل، وإما معاهد آمن يدفع الجزية، وإما مشرك خائف محارب.

وليس في الأرض أمام سورة براءة إلا هؤلاء الأنواع الثلاثة، إما مسلم، أو ذمي يدفع الجزية عن يد وهو صاغر، أو مشرك يجب أن يحارِب و يحارَب.

(فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (التوبة: ٥)

ولم يعد مقبولا من أي أحد في الأرض إلا أن ينضوي تحت هذه الأقسام الثلاثة، إما أن يستظل تحت ظل الدولة الإسلامية، وهو على دينه، ولكن يدفع الجزية، وإما أن يدخل في المعركة، وإما أن يدخل في الإسلام.

وبقي الحكم إلى يوم القيامة هكذا لا يتغير، هذا الحكم ثابت.. محكم، لأن تشريع القتال لم ينسخ ولا ينسخ.

(فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال) (محمد: ٢٠)

فالإحكام: أي أنه لا يقبل النسخ، والفقهاء أو الأصوليون عرّفوا المحكم: هو الذي لا يقبل التأويل ولا التخصيص ولا النسخ ولا يتغير.

ومن هنا القاعدة الشرعية -هذه عقيدة أهل السنة والجماعة- جزء من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، لا يوقفه عدل عادل، ولا جور جائر.

وفي الحديث الصحيح[1]: **{جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله أذال الناس الخيل، وقالوا لا قتال، وقد وضعت الحرب أوزارها، فقال: قد كذبوا، الآن جاء القتال، ولا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك}.**

جزء من عقيدة أهل السنة والجماعة -هذا تقرأونه في كتاب العقيدة، ليس فقهاً- جزء من العقيدة: أن القتال مستمر إلى يوم القيامة، هذه عقيدتنا وعقيدة أهل السنة والجماعة، وفي الحديث -وإن كان الحديث فيه مقال بسبب أن مكحولاً لم يسمع من الصحابي-: {عليكم بالجهاد -رواه أبو داود- مع كل بَر وفاجر}.

ولكن الحديث الصحيح[2]: **{الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم} أي أن الأجر-الخير- معقود هنا في** نواصي الخيل بسبب الجهاد الذي يؤتي الله ثماره أجراً ومغنماً. قال ابن تيمية رحمه الله: (وهذا دليل أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة لا يتوقف) معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم.

الجهاد ترس الدين:

والجهاد هو حصن الأمة الحصين ودرعها المتين؛ الذي يحمي هذا الدين في هذا الزمان وإلى يوم الدين، وفي كل زمان.

ولا يمكن أن تقوم قائمة لمبدأ، ولا أن ينتصر حق، ولا أن تستقيم قيم على ساقها إلا إذا كان الجهاد موجوداً... يستحيل أن ينتصر مبدأ إلا بالقتال.

ولذلك كانت مهمة الأنبياء صعبة، مهمتهم صعبة، لأن المبادئ لا بد لها من قتال من أجل أن يظهرها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (التوبة: ٣٣)

هاتان الآيتان جاءتا في موضعين في القرآن الكريم في ذكر القتال: انتشار هذا الدين في الأرض، وانتصاره على المبادئ كلها، وعلى الأديان كلها.

جاء في سورة التوبة:

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (التوبة: ٢٩)

وبعدها:

(وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله) (التوبة: ٣٠-٣٢)

وفي سورة الصف:

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٧٣٩٥.

(٢) رواية أبي داود «مع كل بر وفاجر».

(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) (الصف: ٤)

وبعدها قصة سيدنا موسى وسيدنا عيسى ثم:

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) (الصف: ٨)

ثم بعدها:

(هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون) (الصف: ١٠-١١)

فالجهاد هو الذي يضمن انتشار هذا الدين، وبدون هذا الجهاد، وبدون السيف، لا يمكن أن يكون لهذا الدين مكانة في الأرض.

ولذلك لا يُكفّ بأس الكفار إلا بالقتال، وإذا لم يكن قتال يعني أن الشرك سيسود الأرض، **(وقاتلوهم)** لماذا؟ **(حتى لا تكون فتنة)** حتى لا يكون الشرك -الفتنة: شرك- **(ويكون الدين كله لله)** يعني القتال مستمر إلى يوم القيامة حتى تصبح الأرض كلها مسلمة **(ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر** -سواء كان في مدن أو في ريف، في بدو أو في حاضرة، بيت طين أو حجارة، أو بيت شعر أو خيمة، ولذلك يسمي أهل البدو أهل الجمال أهل الوبر، وأهل الحاضر أهل المدر- **ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر إلا ويُدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز به دين الله، وذلا يذل به الكفر)**[1] والحديث صحيح رواه أحمد والدارمي وغيره.

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين) لماذا؟

(عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) (النساء: ٨٣)

لا يكف بأس الكافرين إلا بالقتال... إلا بالقتال وبالتحريض على القتال.

ذكريات أوروبية:

ومن هنا أدرك أعداء الله عزوجل خطورة الجهاد، أدركوا أن وجود هذا الدين مرتبط ارتباطاً مصيرياً بالجهاد، وفي أذهانهم صور كثيرة، يوم أن كانت أوروبا بمعظمها أو أغلبيتها تدفع الجزية عن يد وهي صاغرة للمسلمين الأتراك. يعلمون أنه لولا إخفاق (عبد الرحمن الغافقي) في معركة بلاط الشهداء في (بواتيه) سنة (٧٢٨هـ) في لقائه مع (شارل مارتل) لاخترق الإسلام أوروبا كلها منذ ذلك الحين.

ثم جاء الأتراك ليواصلوا نشر دين الله بالجهاد، ووقفت جيوش الأتراك على أبواب (لينينغراد) (بطرس بيرج) وما رجعت إلا أن جاءت زوجة (بطرس الأكبر) ترجو وتتلمس القائد التركي (بلطجي باشا) أن يرجع بمعاهدة عقدتها معه. وحتى سنة (١٤٥٢م) كانت موسكو تدفع الجزية للأتراك مدة المائتي سنة. وموسكو والاتحاد السوفيتي الحاضر هذا يتكون من مدينة واحدة هي موسكو وكانت تابعة للقازان التركي الذي تدفع له الجزية حتى سنة (١٤٥٢م)، وكل هذا الذي يسمى الاتحاد السوفيتي الآن؛ كلها توسعات من أيام (إيبان الرابع) مروراً (بكترينا الثانية) حتى وصل الأمر إلى ما وصلوا إليه.

يعلمون في أذهانهم خطورة الجهاد، يوم أن وصلت جيوش الأتراك إلى (النمسا)، ووقفوا في الشارع طابوراً، ولا زال في عاصمة (النمسا) حتى الآن -(فينا)- شارع يسمى شارع الطابور حيث اصطف الجيش التركي في أواسط (فينا).

أوروبا عندما تستعيد هذه الذكريات ترتعد من شبح الجهاد، ومن هنا قضت ثلاثة قرون متتالية من أجل أن تنسخ الجهاد من واقع المسلمين، وتمسخه في أذهان الجيل الذين تربيهم في مدارسنا، وجامعاتنا.

محاولة نسخ الجهاد:

لقد أنشئوا ديانات جديدة من أجل أن يمسح الجهاد، هنا في باكستان أخرجوا نبياً كاذباً (ميرزا غلام أحمد)، وبدأ يقول: إن

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة / ٣.

فالإحكام: أي أنه لا يقبل النسخ، والفقهاء أو الأصوليون عرّفوا المحكم: هو الذي لا يقبل التأويل ولا التخصيص ولا النسخ ولا يتغير.

ومن هنا القاعدة الشرعية -هذه عقيدة أهل السنة والجماعة- جزء من عقيدة أهل السنة والجماعة: أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، لا يوقفه عدل عادل، ولا جور جائر.

وفي الحديث الصحيح[1]: {**جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله أذال الناس الخيل، وقالوا لا قتال، وقد وضعت الحرب أوزارها، فقال: قد كذبوا، الآن جاء القتال، ولا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**}.

جزء من عقيدة أهل السنة والجماعة -هذا تقرأونه في كتاب العقيدة، ليس فقهاً- جزء من العقيدة: أن القتال مستمر إلى يوم القيامة، هذه عقيدتنا وعقيدة أهل السنة والجماعة، وفي الحديث -وإن كان الحديث فيه مقال بسبب أن مكحولاً لم يسمع من الصحابي-: {عليكم بالجهاد -رواه أبو داود- مع كل بَر وفاجر}.

ولكن الحديث الصحيح[2]: {**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم**} **أي أن الأجر-الخير-** معقود هنا في نواصي الخيل بسبب الجهاد الذي يؤتي الله ثماره أجراً ومغنماً. قال ابن تيمية رحمه الله: (وهذا دليل أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة لا يتوقف) معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغنم.

الجهاد ترس الدين:

والجهاد هو حصن الأمة الحصين ودرعها المتين؛ الذي يحمي هذا الدين في هذا الزمان وإلى يوم الدين، وفي كل زمان.

ولا يمكن أن تقوم قائمة لمبدأ، ولا أن ينتصر حق، ولا أن تستقيم قيم على ساقها إلا إذا كان الجهاد موجوداً... يستحيل أن ينتصر مبدأ إلا بالقتال.

ولذلك كانت مهمة الأنبياء صعبة، مهمتهم صعبة، لأن المبادئ لا بد لها من قتال من أجل أن يظهرها، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (التوبة: ٣٣)

هاتان الآيتان جاءتا في موضعين في القرآن الكريم في ذكر القتال: انتشار هذا الدين في الأرض، وانتصاره على المبادئ كلها، وعلى الأديان كلها.

جاء في سورة التوبة:

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (التوبة: ٢٩)

وبعدها:

(وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله) (التوبة: ٣٠-٣٢)

وفي سورة الصف:

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٧٣٩٥.

(٢) رواية أبي داود «مع كل بر وفاجر».

(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) (الصف: ٤)

وبعدها قصة سيدنا موسى وسيدنا عيسى ثم:

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) (الصف: ٨)

ثم بعدها:

(هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون) (الصف: ١٠-١١)

فالجهاد هو الذي يضمن انتشار هذا الدين، وبدون هذا الجهاد، وبدون السيف، لا يمكن أن يكون لهذا الدين مكانة في الأرض.

ولذلك لا يُكفّ بأس الكفار إلا بالقتال، وإذا لم يكن قتال يعني أن الشرك سيسود الأرض، **(وقاتلوهم)** لماذا؟ **(حتى لا تكون فتنة)** حتى لا يكون الشرك –الفتنة: شرك- **(ويكون الدين كله لله)** يعني القتال مستمر إلى يوم القيامة حتى تصبح الأرض كلها مسلمة **{ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر** –سواء كان في مدن أو في ريف، في بدو أو في حاضرة، بيت طين أو حجارة، أو بيت شعر أو خيمة، ولذلك يسمي أهل البدو أهل الجمال أهل الوبر، وأهل الحاضر **أهل المدر– ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر إلا ويُدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز به دين الله، وذلا يذل به الكفر}**[1] والحديث صحيح رواه أحمد والدارمي وغيره.

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين) لماذا؟

(عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) (النساء: ٨٣)

لا يكف بأس الكافرين إلا بالقتال... إلا بالقتال وبالتحريض على القتال.

ذكريات أوروبية:

ومن هنا أدرك أعداء الله عزوجل خطورة الجهاد، أدركوا أن وجود هذا الدين مرتبط ارتباطاً مصيرياً بالجهاد، وفي أذهانهم صور كثيرة، يوم أن كانت أوروبا بمعظمها أو أغلبيتها تدفع الجزية عن يد وهي صاغرة للمسلمين الأتراك. يعلمون أنه لولا إخفاق (عبد الرحمن الغافقي) في معركة بلاط الشهداء في (بواتيه) سنة (٧٢٨هـ) في لقائه مع (شارل مارتل) لاخترق الإسلام أوروبا كلها منذ ذلك الحين.

ثم جاء الأتراك ليواصلوا نشر دين الله بالجهاد، ووقفت جيوش الأتراك على أبواب (لينينغراد) (بطرس بيرج) وما رجعت إلا أن جاءت زوجة (بطرس الأكبر) ترجو وتلتمس القائد التركي (بلطجي باشا) أن يرجع بمعاهدة عقدتها معه. وحتى سنة (١٤٥٢م) كانت موسكو تدفع الجزية للأتراك مدة المائتي سنة. وموسكو والاتحاد السوفيتي الحاضر هذا يتكون من مدينة واحدة هي موسكو وكانت تابعة للقازان التركي الذي تدفع له الجزية حتى سنة (١٤٥٢م)، وكل هذا الذي يسمى الاتحاد السوفيتي الآن؛ كلها توسعات من أيام (إيبان الرابع) مروراً (بكترينا الثانية) حتى وصل الأمر إلى ما وصلوا إليه.

يعلمون في أذهانهم خطورة الجهاد، يوم أن وصلت جيوش الأتراك إلى (النمسا)، ووقفوا في الشارع طابوراً، ولا زال في عاصمة (النمسا) حتى الآن –(فينا)– شارع يسمى شارع الطابور حيث اصطف الجيش التركي في أواسط (فينا).

أوروبا عندما تستعيد هذه الذكريات ترتعد من شبح الجهاد، ومن هنا قضت ثلاثة قرون متتالية من أجل أن تنسخ الجهاد من واقع المسلمين، وتمسخه في أذهان الجيل الذين تربيهم في مدارسنا، وجامعاتنا.

محاولة نسخ الجهاد:

لقد أنشأوا ديانات جديدة من أجل أن يمسح الجهاد، هنا في باكستان أخرجوا نبياً كاذباً (ميرزا غلام أحمد)، وبدأ يقول: إن

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة / ٣.

الجهاد قد انتهى من الإسلام، ويقول: لقد ألفت ما يملأ خمسين خزانة في الدفاع عن الإمبراطورية العظمى -بريطانيا-، هذا (ميرزا غلام أحمد) يقول: لقد نزلت الملائكة تؤيد الإمبراطورية العظمى في دخولها للعراق.. الملائكة!!

وأما الجهاد في حياة المسلمين في دينهم فقد انتهى وانتسخ.

البهائية.. البهائي (عباس) جاء به الإنكليز في إيران وادعى الألوهية، كان يتخذ غطاء لوجهه حتى لا يحرق نور الألوهية البشر الذين يلتقون به. ونقلوه إلى فلسطين في عكا في أيام بدأ اليهود يأتون إلى فلسطين، ليأخذوها مع خطتهم الطويلة المدى، ولينشر بين المسلمين أن الديانات السماوية كلها ديانة واحدة -ديانة موسى، وعيسى، ومحمد- فإذا جاء اليهود فلا فرق بين اليهود وبين المسلمين، وبين النصارى والمسلمين، فلماذا تحاربون اليهود؟ أو ادعى نسخ الجهاد من الإسلام.

الحملة التي شنها المستشرقون على الإسلام، على الجهاد بالذات -(جولد زيهر) (نولدكه) (جب) (كانتل سميث)- كانت تريد أن تشوه هذه العقيدة في نفوس المسلمين.

تقول: دين محمد قام بالسيف، دين إرهابي، دين محمد -واحد منهم يقول -أظن اسمه (كيمون)-: أطلق لأصحابه العنان ينهبون القوافل، ويقطعون الطرق، ويأخذون النساء يفجرون بهن.

هذا (كيمون) -يعني لشدة مغالاته- يقول: أنا أقترح أن تهدم الكعبة، وأن ينبش قبر محمد، وتؤخذ جثته بعيداً.

والمسلمون في حالة ضعف، فبدأوا يستحيون من ذكر الجهاد، فإذا قال الغرب هذا الدين هجومي، قال علماؤنا: لا، هذا الدين دفاعي، أي دفاع هذا؟

هذا الدين إرهابي.. لا:

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (النحل: ١٢٥)

هذا الدين يعادي أهل الكتاب؟ .. لا:

(لتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) (المائدة: ٨٢)

فبدأت تنمسخ حتى صورة الجهاد في أذهان المسلمين، وأصبحوا يدّرسوننا في المدارس أن الإسلام دين دفاعي، وليت شعري دفاع عن أي شيء؟ دفاع عن قطعة صغيرة اسمها الجزيرة العربية؟ وهل كان أبو بكر وعمر عندما أرسلوا الجيوش لثلّ عرش قيصر وكسرى، كانوا يخافون على المدينة المنورة من كسرى؟ أم ...

(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (الأنبياء: ١٠٧)

(وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيرا) (سبأ: ٢٨)

نعم؛ لا إكراه في الدين، صحيح.. لكن متى لا إكراه في الدين؟ بعد أن نستعمل السيف في إزالة العقبات السياسية والاقتصادية، والحواجز الضخمة التي تحول بين الجماهير وبين دين الله عز وجل، لا بد ابتداء من استعمال القتال، لابد من الإثخان في الأرض، لابد من الذبح، كما قال رسول الله ﷺ:[1] [جئتكم بالذبح] نعم ذبح، في الإسلام ذبح شرعي باسم الله الله اكبر، ذبح

(ما كان للنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض) (الأنفال: ٦٧)

الإثخان: كثرة القتل، عاتبه ربه يوم أن منّ على الأسرى يوم بدر بعد أن استشار أصحابه جميعاً، أشاروا عليه أن أطلقهم وافدهم، فادهم، فأطاعهم، وأما عمر فكان رأيه قتلهم جميعاً، قال: اعطني قريبي فلاناً -أو أخاه- واعط علياً عقيلاً فليقتله، واعط أبا بكر ابنه عبد الرحمن فليقتله، ثم نقتلهم جميعاً فلا يعودون يحاربوننا أبداً، فأطاع الصحابة، فنزل القرآن يؤيد رأي عمر، ويردّ على الرسول ﷺ وعلى الصحابة رأيهم:

(ما كان للنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) (الأنفال: ٦٧)

---

(١) رواه ابن هشام في السيرة بإسناد صحيح.

لا بد من القتل والقتال، ولابد من استعمال السيف؛ نعم دين محمد قام بالسيف، دين محمد ﷺ قام بالسيف ، لكن السيف لماذا يستعمل؟ لإزالة الطواغيت في الأرض، وبعد أن تُزال فيها الطواغيت، عندها يعرض الإسلام على الشعوب.

(فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر) (الكهف: ٢٩)

عندها:

(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) (البقرة: ٢٥٦)

فمن شاء أن يدخل في دين الله فليدخل، ومن شاء أن يدفع الجزية فليدفع.

أما في البداية لن يسمح لك الطواغيت في الأرض أن تبلغ الشعوب دين الله كما أنزل، لن يسمحوا لك... فلا بد من الإثخان.. من القتل والقتال.

هذا الدين إرهابي؟! نعم إرهابي!! المسلمون إرهابيون؟! نعم إرهابيون!! نحن إرهابيون: الإرهاب فرض من الله عز وجل: فرض:

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) (الأنفال: ٦٠)

وما لم يكن هنالك قتال، وما لم يكن هنالك إرهاب للكفار، فلن يحترمونا[1] **[وليُنزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت أو حب الدنيا وكراهية القتال]** في رواية أحمد الصحيحة: كراهية القتال.

بدون قتال لن يرهبنا أعداؤنا، لن ينتصر لنا دين، لن يقوم لنا وجود في هذه الحياة.

يقولون: المسلمون هؤلاء مجرمون، يغتالون، وغير ذلك، والاغتيال فرض في القرآن الكريم كذلك **(واقعدوا لهم كل مرصد)** قال القرطبي: هذا يعني أن الإغتيال فرض، قتلهم غيلة:

(واقعدوا لهم كل مرصد) (التوبة: ٥)

يعني: تخفوا، اقعدوا لهم كمينا.

(فاقتلوهم حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) (التوبة:٥)

إذن نحن لا نستحيي أن نقول ديننا قام بالسيف.. صحيح، والذي لا يؤمن بهذا إنما لا يعرف طبيعة هذا الدين، في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وغيره **[بعثت بين يدي الساعة بالسيف]**[2] البعثة الرحمة، لكن معها سيف **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)**... لكن معها سيف **[بعثت بين يدي الساعة بالسيف]** لماذا؟ **[حتى يعبد الله وحده لا شريك له]** .

لن يكون توحيد في الأرض بدون سيف **[بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له]** .

فالذين يريدون نشر التوحيد عليهم أن يحملوا السيف، الذين يريدون أن يطهروا عقائد الناس عليهم أن يحملوا البندقية وينزلوا مع الأفغان، بهذا ينتشر التوحيد، بهذا تزال البدع، بهذا تزال الحجب وغير ذلك، بهذا يعرف الناس ربهم، بهذا تعرف صفات الله عز وجل، ليس أن نحفظ كلمات ونرددها، الله عز وجل مستو على عرشه، بائن عن خلقه، فوق السماء السابعة، وأن لله عز وجل يدا ولا نقول: يده قدرته، وأن نقول: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، هذا صحيح، هذه عقيدتنا وعقيدة أهل السنة والجماعة، وهي عقيدة أبي حنيفة التي نص عليها في الفقه الأكبر قال: (ولله يد ولا نقول يده قدرته لأنه تأويل والتأويل مثيل التعطيل)، نؤمن بهذا، لكن كيف ننشره على الخلق؟ بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، توحيد الألوهية **[وجعل رزقي تحت ظل رمحي]** الرزق من الرمح، وعبّر بالرمح رسول الله ﷺ لأن الرمح أطول من السيف، فالرزق أوسع، **[وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري]**.

يعني: الذي يترك الجهاد والسيف والرمح -هذا- جعل عليه الذلة والصغار **[ومن تشبه بقوم فهو منهم.. حب الحياة وكراهية الموت]**[3]

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٩٥٨ . (٢) صحيح الجامع الصغير ٢٨٣١ . (٣) وجه التشبيه قول الله عز وجل : (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ...).

ولذلك نحن لا نتلعثم، ولا نستحيي أن نبين هذه العقيدة، عقيدة أهل السنة والجماعة: أن القتال ماض إلى يوم القيامة لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، وخاصة إذا كان الجهاد فرض عين، عندما لا يطاع فيه أحد من الناس.

يقول ابن رشد: (وطاعة الإمام -يعني أمير المؤمنين، يعني الخليفة- وطاعة الإمام واجبة، وإن كان غير عدل، وإن كان فاسقا إلا إذا أمر بمعصية)، ومن المعصية: النهي عن الجهاد المتعين، ومن المعصية: منع الجهاد المتعين.

ونص الفقها على أن: الإمام يَحرُم الغزو بدون إذنه إلا في حالات ثلاث.

الرملي قال: (يكره الغزو بدون إذن الإمام)، هذا رأي الشافعية: كراهية الغزو بدون إذن الإمام.

أما الحنفية والحنبلية قالوا: يحرم الغزو بدون إذن الإمام إلا في ثلاث حالات:

الحالة الأولى: إذا عطل الإمام الغزو، كما في حالة البلاد العربية -الجهاد محرّم- هذا لا يطاع أي واحد فيه، إفرض أنه أمير المؤمنين، وإن كانوا ليسوا أمراء مؤمنين، هؤلاء طواغيت.

إذا عطل الإمام الغزو أو فوّت الاستئذان المصلحة المقصودة، أو وقع في نفسك أنه لا يؤذن لك.

في هذه الحالات الثلاث لا يكره الغزو بدون إذن الإمام، ولذلك: الجهاد لا يوقفه أحد خاصة إذا تعين، وإن كان أميراً للمؤمنين.

ومن هنا: أعداء الله عز وجل عرفوا كيف يشوّهون عقيدة الجهاد في أذهان الناس، إرهابي، والسيف، والوحشية، والهمجية، وهذه الكلمات، أين السلام؟ أين الرحمة؟ أين الشفقة؟ ولذلك هذه كانت تطلقها بريطانيا التي تدعو إلى الرحمة بالإنسان.

تدخل إلى جزيرة بريطانيا -الجزيرة التي يسمونها (يونايتد كنجدم) هي و (إيرلندا)- كنت تشعر بأن الإنجليزي من الملائكة، الإنجليزي واقف في الصف، فإذا وطيء على قدم الكافر الذي أمامه -جاره أو غير ذلك- ينحني له، ويعتذر وغير ذلك، وبكلام لطيف، فإذا جاء الأمر إلى المسلمين، إذا وصل هذا الإنجليزي الذي يشعر أو تشعر بانه نوع من غير البشر في دخل جزيرته، والمحافظة على النظام، والمحافظة على الأموال، كان قبل أن تنتشر العصابات في داخل بريطانيا، كان بائع الجرائد يضعها في مكان ثم يعود إلى بيته، يضع بجانبها صندوقاً، ويعود في المساء يعد الفلوس يجد الفلوس كلها لا زيادة ولا نقصان عن ثمن الجرائد، لكن هذا الذي يقع في نفسك أنه نوع بسبب اللطف، وبسبب الدماثة، أنه نوع آخر من غير البشر، إذا وصل إلى فلسطين أو الهند أصبح وحشا كاسراً.

كان الإنجليز في داخل فلسطين يتعلمون الرماية بالفلسطينيين ، بدل أن يضعوا حجراً؛ يأتون بشاب من الشباب الفلسطينيين ويربطونه بعمود، ويتعلمون من يصيبه في عينه، من يصيبه في رأسه، من يصيبه في صدره، كانوا يدخلون بيوتنا -كما حدثني أبي- فيضعون الكاز -الكيروسين- على الطحين، على السكر، وغير ذلك، ثم يضعون الكاز عليها جميعاً ويحرقونها، ويدخلون على الرجل: نريد منك خمسمائة دينار، ومن أين الخمسمائة دينار؟! زوجته تأتي بذهبها كله، وتضعه بين أيديهم وهم ينقعون الدم تحته [1]، ولكن أمواله لا تكفي طلب الإنكليز، خمسمائة دينار، والدينار هو دينار الذهب.

كانوا يتركون الفلاحين حتى يحصدوا ويدرسوا ويصفوها في صبرة القمح، ويأتون ويحرقونها، هذا الملاك في داخل الجزيرة البريطانية تحول إلى وحش كاسر.

في داخل الجزيرة البريطانية هنالك جمعيات اسمها جمعيات الرفق بالحيوان، فإذا وجدوا رجلاً يُحمّل دابته أكثر من حملها، أو يُجّوع كلبه، تتجد هنالك الشكايات في الإذاعة، وهنالك المحاكمات، وقد يرفعون عليه دعوى وغير ذلك.

هنا في الهند: كان الإنكليزي -الملاك في داخل الجزيرة البريطانية- إذا أراد أن يعلو صهوة جواده لابد الهندي أن يركع بجانب ركاب فرسه، ويطأ على ظهره ثم يعلو جواده.

يوم أن انسحبت ألمانيا من طبرق أو من مالطا -وعادة الجيش المنسحب أن يزرع الألغام حتى يضر الجيش القادم حتى تتفجر به الألغام- وعادة الجيوش أن يأخذوا قطيعاً من الحمير أو الغنم أو الكلاب أو غير ذلك؛ يسوقونها أمامهم حتى تنفجر بها الألغام، وعندما انسحبت الألمان من طبرق أو من مالطا تقدم الجيش الإنجليزي، وبدل أن يشتري الحمير جاء بفيلق هندي وقدمه أمامه، وانفجرت الألغام بالفيلق الهندي، ثم كتبت جريدة (التايمز) في اليوم الثاني (دخلنا طبرق، خسائرنا لا شيء، هلك الفيلق الهندي بكامله) -مثل فقد جواز سفر- هؤلاء هم الذين يشنون الحملة على الإسلام لأنه يجاهد من أجل نشر المبادئ، ورفع القيم، وانتصارها.. هلك الفيلق الهندي بكامله.

---

(١) من شدة الضرب

يقول (لورنس) -الذي يسمى ملك العرب غير المتوج ملك الدول السبعة في أيامها، وهو القائد الحقيقي للثورة العربية التي قامت ضد الأتراك - يقول في كتابه (أعمدة الحكمة السبعة): إنني جد فخور أن الدم الانجليزي لم يُرَق، ونحن نطهر البلاد من الأتراك، وفي المعارك الثلاثين التي خضتها لم يرق الدم الإنجليزي، ويقول أخيراً: لأن دم جندي واحد إنجليزي عندي خير من الشعوب جميعاً التي حكمناها .. دم جندي إنجليزي واحد خير من الشعوب التي حكمناها جميعاً.

ولذلك نحن لا نتلعثم، ولا نتلجلج، ولا نستحيي من عرض مبادئنا، إن الجهاد جزء من عقيدتنا، والقتال مستمر إلى يوم الدين؛ يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، وإن السيف أو السلاح جزء من ديننا، وأن الإرهاب فرض من الفروض الربانية والاغتيال فرض من الفروض الربانية مذكور في القرآن الكريم، منصوص عليه نصا قطعي الثبوت.. قطعي الدلالة.

والقتال الآن فرض عين -خاصة في أفغانستان، في فلسطين- في أي مكان دنسه الكفار، سواء كان الكفار قوميين من نفس المنطقة، أو من خارج المنطقة، هؤلاء يجب أن يطهر منهم البلد، ويبقى القتال فرض عين حتى تطهر بلاد الإسلام كلها، حتى لا يبقى جندي كافر في أي أرض من الأراضي التي كانت في يوم من الأيام داراً للإسلام، فمنذ أن سقطت الأندلس، أصبح الجهاد فرض عين على كل الأمة المسلمة.

والجهاد يزداد إثم تركه مع معاصرة المشكلة التي تحصل، فالآن: فلسطين وقعت في يد اليهود، إثم وقوعها؛ وإثم ترك الجهاد فيها واقع على جليلنا وجيل آبائنا الذين عاصروا مشكلة (١٩٤٨م) والمشاكل المتتالية حتى وصلنا إلى مسرحية (١٩٦٧م)، فنحن أكثر الناس إثما بالنسبة لقضية فلسطين، ثم تأتي الأجيال التي بعدنا، والإثم في رقابها ما دامت فلسطين بيد اليهود، حتى تطهر الأرض كلها من الكفار، وترجع إلى المسلمين.

أقول: الإثم يتناسب طرديا مع معاصرة المشكلة.

الآن: قضية أفغانستان أكثر الناس إثماً فيها هم الجيل الحاضر، الفقهاء قديماً كانوا ينصون في مثل قضية أفغانستان، يقولون: إذا دخل الكفار أرض المسلمين سهلها أو جلبها عامرها أو مقفرها، ولو شبراً من الصحراء، أصبح الجهاد فرض عين على أهل تلك البلدة، وعلى من يليهم على ما دون مسافة القصر، يعني دون مسافة القصر -يعني دون واحد وثمانين كيلو متر- كانوا ينصون: على أنه يجب أن ينفر راكباً أو ماشياً، خفيفاً أو ثقيلاً، متزوجاً أو غير متزوج، مأذوناً له أو غير مأذون، ذكراً أو أنثى، يجب أن ينفر حتى يطهر هذا الشبر من الكفار، فإن لم يكف أهل البلدة، أو قصروا، أو تكاسلوا، أو قعدوا، يتوسع فرض العين على من يليه، ثم على من يليه، وثم .. وثم إلى أن يعم فرض العين الأرض كلها.

لكن الآن ليس هنالك فرق بين أهل أفغانستان وبين أهل الأردن وأندونيسيا، أو بين أهل تركيا ومصر، لأن وسائل السفر لم تدع أي عذر لإنسان، كذلك أصبحت أرض الإسلام أرضاً واحدة بسبب أنه طويت المسافات، وتقارب الزمان، من قبل كانوا يعذرون البعيد لأن المعركة تستمر يوماً أو يومين أو ثلاثة، لا تستمر أكثر من ذلك، فلا يستطيع البعيد أن يصل، لكن اليوم لاعذر لأحد، الفرض تعين، والحدود فتحت، وأي واحد يستطيع أن يصل إلى هذه البلاد.

قد يقول: دوائر الأمن دوائر الأمن ليست عذرا عند الله عز وجل، الأجهزة الأمنية في بلادي .. بلادك...

(يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون) (العنكبوت: ٥٦)

ليست بلادك هي البلاد التي ولدتك فيها أمك، بلادك حيث تستطيع أن تعبد الله عز وجل، ليس لأحد عذر، قد يقلُّ إثم العربي قليلا بسبب *النشأة التربوية*، بسبب الترف الذي عاشوا فيه، مختلف عن الأفغان بسبب اللغة، بسبب وعورة الجبال، بسبب الطقس المختلف، هذه مخففات من الإثم، لكن الفرض لا يتغير في حقه، فرض عين، ولا إذن لأحد على أحد... لا إذن لأحد على أحد.

أما بالمال: ففتاوى العلماء رهيبة في هذه القضية، يقولون: إذا احتاج الجهاد لأموال الناس؛ يحرم الادخار زيادة عن الحاجة، وينصون: وليست الحاجة الشبع، بل ما يقيم الأود فقط -ممنوع الشبع- ليست الحاجة الشبع والتنعم، بل ما يكفي لاستمرار الحياة، لقيام الأود.

ويقولون: ومن كان عنده فضل مال ورأى جائعاً -ومن أراد أن يرجع إلى هذه الفتوى فهي موجودة في (الشرح الكبير)[1] ومن رأى جائعا وتركه؛ وعنده فضل طعام، ولم يطعمه حتى مات فإن كان متأولا أنه لا يموت - يعني: ما ظن أنه يموت -يدفع الدية ولكن

(١) الشرح الكبير للدسوقي / ج ٢ / ص - ١١٠ .

من ماله ومال عاقلته، يعني: أقاربه، وإن كان متعمداً- يعني: يعلم أنه يموت وتركه - اختلفت الرواية في المذهب، فمنهم من قال: يدفع الدية من ماله الخاص، ليس على عاقلته، والرأي الآخر في المذهب: أنه يقتصّ منه لأنه كان قاتلا .

سمعتم؟... حقيقة فتوى رهيبة جداً... رهيبة جداً، قالوا كذلك: ومن كان عنده كذلك فضل ركوبه وترك إنساناً يطارده سبع أو غير ذلك حتى أكل، الحكم كذلك، وأفتوا كذلك من كان عنده خبرة في طب -نوع تطبيب- وتركه حتى مات، كذلك الحكم، إما أن يدفع الدية من ماله، أو يقتص منه لأنه قاتل تركه حتى يموت.

وأفتوا بأنه إذا طارد الأسد رجلا وأراد دخول بيت -هذا الرجل-، وسد صاحب البيت الباب دونه فأكله الأسد، يُلقى صاحب البيت للأسد حتى يأكله.

المسلمون نفس واحدة، مال المسلمين واحد، يجب أن يُسخّر لحماية أعراض المسلمين، ودمائهم، وأنفسهم.

امرأة -في البحر الرائق المذهب الحنفي- امرأة سُبيت في المشرق: وجب على أهل المغرب تخليصها. امرأة واحدة، فكيف إذا سُبيت نساء؟ كيف إذا سُبيت آلاف النساء من أفغانستان؟ وأخذن إلى موسكو ليكفرن، ويُعلّمن الإلحاد، ويرجعن إلى بيوتهن داعيات للشيوعية؟!.

قال الإمام مالك: وجب على المسلمين فداء أسراهم، وإن استغرق أموالهم جميعها.

ولذلك تأتي للواحد تقول له تبرع للجهاد الأفغاني: يمد يده -معه ملايين الدراهم، الريالات، الدنانير- يمد يده يحس مرة، اثنتين، ثلاث، يا ترى هذا ريال أو عشرة ريالات هذه؟ يخرج من جيبه كأنما تلدغه أفعى، ويضع خمسة ريالات، ويقول: يا الله دفع بلاء عن الأولاد، دفع البلاء عن الأولاد بخمس ريالات؟!

أذكر مرة كنا نجمع للأفغان -عندنا في الأردن- فواحد أخرج عشر دنانير ووضعها، الأخ الذي يجمع قال: فرحت أنه وضع عشرة دنانير، وبدأ يأخذ الباقي، أخذ (٩٩٥) قرشاً، وأبقى خمسة قروش!! هذا في الشرع الإسلامي عقوبته كبيرة، الذي يبخل بماله حتى يموت الجياع أو العراة، يعني نحن مسؤولون عن كل طفل يموت في بيشاور، أو على الطريق، نحن مسؤولون عن كل عائلة يموت فيها أناس بسبب عدم وجود الخيام أو البطانيات، أو بسبب الجوع.

نحن مسؤولون.. من نحن؟ الذين معنا الفلوس -العرب- ولذلك ربنا عاقبهم، البترول -ما شاء الله- من ثلاثة وثلاثين دولاراً وستة وثلاثين دولاراً، وصل أحد عشر أو ثمانية..!! ويجوز أنه وصل أربعة!!.

نحن كعرب يجب أن ندفع دية كل أفغاني يقتل في داخل أفغانستان، لأننا لم نشتر له السلاح الذي يدافع به.

نحن مسؤولون عن كل امرأة تسبى، أو ينتهك عرضها في داخل أفغانستان. نحن مسؤولون عن كل واحد يصاب بقذيفة هاون؛ لأنا لم نشتر له الحفارات التي تحفر له الخنادق في الجبال.

نحن مسؤولون عن كل إنسان ينضم للحكومة الشيوعية بسبب حاجته للمال. نحن مسؤولون عن كل كتيبة تستسلم للروس، لأن ذخيرتها نفدت.

نحن مسؤولون عن كل إنسان يقتل على الطريق إذا كان بالإمكان شراء سيارة تنقله بسرعة، وقتل بسبب طول المسافة، أو غير ذلك، لأننا نملك الأموال التي تستطيع أن تصد الكثير بإذن الله عنك.

المسلمون كالجسد الواحد، نفس واحدة، أمة واحدة، ونفس واحدة، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ولو كان هنالك دولة إسلامية لما احتاجت إلى إذن هؤلاء الأغنياء ، لما احتاجت، قال الشاطبي: للإمام أن يوظّف في أموال الأغنياء ما يسد حاجة الجند وغيره بدون إذنهم.

يأخذ من أموالهم كما يشاء، بحيث تسدّ حاجة المسلمين خاصة بالنسبة للجهاد.

سئل ابن تيمية: «عندنا جياع وجهاد ومال لا يكفي إلا لأحد الطرفين، فإن تركنا الجياع ماتوا، هل نمد الجياع أو نمد الجهاد بالسلاح؟ قال: نمد الجهاد وليمت الجياع»، لأن الفقهاء أفتوا جميعاً أنه في حالة تترس الكفار بمجموعة من الأسرى المسلمين، نقتل أسرى المسلمين للوصول للكفار، ففي حالة التترس قتلناهم بفعلنا، وفي حالة الجوع قتلهم ربنا؛ فقضية التترس أشد، ومع ذلك أباحها الفقهاء بالإجماع.

ومن هنا لا يظننّ أحد أنه يمنّ على الجهاد الأفغاني، الجهاد فرض عين، مفروض عليك من فوق سبع سماوات (انفروا خفافاً وثقالاً).

يجب أن يستقر في أذهان المسلمين: أنه لا فرق بين تارك الجهاد وبين تارك الصلاة، والصوم والزكاة.

يقول ابن تيمية كذلك: (والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه).

حقيقة التوحيد:

أولاً: لاإله إلا الله محمد رسول الله، ثم الجهاد، ولذلك بعض الناس يقولون: بعض المجاهدين يشربون الحشيش (جرسي)، وبعضهم يدخن، وبعضهم نسواري، وبعضهم حاملون حجبا، والأخ الذي جاء وبطنه منفوخ، وجَيبه منفوخ، وهو ينفخ نفسه بنفخة فنوسه أو نفخة بطنه، ينظر إلى الشعب الأفغاني من علو يقول: يا أخي: ما الشعب الأفغاني -هذا- حاملون حجباً، لو حمل مائة حجاب مائة حرز، فأصبعه أشرف منك، وإن كنت تحفظ كل كتب التوحيد والعقيدة، أصبعه هذا الذي يطلق النار على الرشاش يحبه الله ورسوله، لأنه يحمي دين الله ورسوله .

أمس كنا في بيت أخ فقال: انظروا هذه التمائم جمعناها من الإخوة الأفغانيين برضاهم، فقال أحد الإخوة الراجعين من خوست قال: خبىء أحرازك وتمائمك، كلهم موحدون توحيداً خيراً من توحيدنا، قال له: والله لقد رأيت يدا مقطوعة بهذا الشكل، أصبع الشاهد يتشهد - مقطوعة - قال: تحب أن آتيك بها من خوست؟ دفنتها بيدي، الأصبع يقول: أشهد أن لا إله إلا الله.

أي توحيد هذا الذي تقولون به؟ قال: حُرق جلال الدين في المعركة -حرق- فقلنا له: نأخذك الى بيشاور، قال: شرعا لا يجوز لي أن أذهب إلى بيشاور للعلاج، لأن ترك الجند في هذه الحالة مضرة بالإسلام والمسلمين. قال: دخلنا غرفة من غرف (جاور) -غرف جلال الدين- فضربتنا الطائرة، فانهال الجبل علينا وسد، وضاعت الغرفة في داخل الجبل، وبقينا ثلاثة أرباع الساعة في داخل الجبل لا هواء ولا طعام ولا ماء، وجاءت الطائرات فأنقذتنا، كانت آخر قذيفة نزلت علينا هي التي فتحت لنا الباب.

(الله ولي الذين آمنوا) (البقرة:٢٥٧)

يأتي ويقول: يا أخي عقيدتهم غير سليمة -العقيدة المهم العقيدة- قلت: والله لما تقول لي العقيدة أضحك، أي عقيدة التي أنت تعنيها؟ يحفظ الثلاث كلمات، الله فوق السماء، مستو على عرشه، والاستواء معلوم، وله يد، فقط هذي ثلاث كلمات!! وأين عقيدة الأجل؟ وأين عقيدة الرزق؟ وأحدكم طيلة حياته وهو منحن أمام الطاغوت، يرى المنكرات ليل نهار، لا تسمع كلمة له: خوفاً على الزيادة السنوية في راتبه... هذه العقيدة؟! .

هؤلاء أصحاب العقيدة[1] وهذه نعلمه إياها -بسيطة- إن شاء الله لن تبقى التمائم، وإن حمل التمائم ألوانا، وإن شرب الجرسي أو الحشيش، وإن شرب الدخان والنسوار؛ فهو أفضل عند الله من العبد القائم القانت في غير أرض المعركة، أفضل بكثير لأن هذا يحمي دين الله عز وجل، لأن الجَلِدَ الفاجر أفضل من المؤمن الضعيف في المعركة؛ إذا لم يكن المؤمن الضعيف في أرض المعركة فالجلد -يعني الرجل القوي الفاجر- أفضل من العابد البعيد.

يجب أن يفهم: لا فرق بين الذي يفطر في رمضان جهاراً نهاراً في شوارع الكويت أو عمان أو دمشق أو غير ذلك، وبين الذي يترك الجهاد وهو قادر.

ولم يُعف الله عز وجل إلا ثلاثة: الأعمى، والأعرج، والمريض، وأضف إليهم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة -أي لا يثبتون على الدابة، ولا يستطيعون أن يركبوا الطائرة- ولا يهتدون سبيلا؛ لا يعرفون كيف يصلون إلى الجهاد، ليس هناك عذر إلا هذا، حتى الأعمى يجب أن يأتي ويحرّض المجاهدين.

(ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله) (التوبة: ٩١)

فعلى الأعمى والضعيف أن ينصح لله ورسوله، وأن يأمر بالمعروف، وأن يحرض على القتال.

خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه وهو عليل: قالوا: إنك رجل عليل. قال: استنهض الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكنني الحرب كثرت السواد، وحفظت المتاع.

ويجب أن يكون معلوماً: أن الجهاد الأفغاني الآن بحاجة إلى رجال أكثر من حاجته إلى المال. ويجب أن نعترف أن المجاهدين بعضهم قد دخل الملل في نفسه، والهجرة زادت، والقواعد بدأت تفرغ، ولا بد من دم جديد يدخل المعركة لتثبيت المجاهدين، ولتأييدهم، ولتعليمهم، ولتوجيههم، وليتفاعلوا معهم في القضية، وعندها يساعدون أكثر سواء كانوا في المادة أو في النفس.

---

(١) يقصد الأفغان.

يجب أن يكون معلوماً أنهم بحاجة لكل عنصر غريب بشرط واحد أن لا ينظر إليهم منتفخاً بنفخة كرشه، أو بنفخة قرشه، أو نفخة جيبه.

يقول لي أحدهم: يا أخي الشرك، قلت له: يا أخي استح، أي شرك هذا الذي تتكلم فيه؛ والله بالأمس واحد يناقشني -أمس أو بل أمس- يقول: الشرك، التوحيد والعقيدة، قلت: عندما تقول العقيدة أنا أضحك، أي عقيدة هذه التي تدعو إليها؟ أي شرك هذا الذي ينتشر بين الأفغان؟ قال: الذبح لغير الله، قلت: هل رأيت أحدا في حياتك يذبح لغير الله، قال: نعم، قلت: مرة واحدة؛ غير ذلك ماذا ترى؟، قال: التوسل... التوسل بالأموات؟ قلت لجلال الدين حقاني: يا شيخ جلال الدين لماذا لا تؤكدون على هذه المسائل، قصة القبور، والتوسل بالأموات؟ قال: والله عمري سبعة وأربعون عاماً، في حياتي ما رأيت أفغانياً يستغيث بصاحب قبر في حياتي كلها.

ماذا بقي؟!!

والتوسل بجاه النبي ﷺ: اللهم اغفر بجاه النبي ﷺ؛ هذا شرك؟! أقصى حالاته أنه يكره، وأباحه الإمام أحمد.

حمل التمائم؟ لا يمكن لمسلم عاقل، وعالم فقيه أن يقول لك: حمل التميمة أو الحرز هذا شرك -لا يمكن- خاصة إذا كان به قرآن أو حديث مأثور، رقية مأثورة، هذا لا غبار عليه؛ إلا عند بعض العلماء كرهوه لكن جمهور العلماء أجازه.

هل بقي شيء تطنطنوا فيه؟! وإن كنا نكره ذلك كله، وندعو إلى إزالته، لكن لن يزول هذا إلا بالعيش معهم، إلا بأن يحبونا ونحبهم، إلا بأن ننظر إليهم كإخواننا، لا ننظر إليهم من بروجنا العاجية.

نخطب خطبة في مسجد، ونجمع مجموعة من المال، ونأتي ونتصدق عليهم وكأننا السادة وهم العبيد.

الشعب الأفغاني عقيدته طيبة -الحمد لله- وقصة التمائم؛ الأخ الطبيب الذي رجع من مزار شريف قال: في اليوم كان يعرض علينا خمسون شخصاً، لا يكون فيهم خمسة -يعني عشرة في المائة- وهؤلاء الخمسة نفتح الرقى أمامهم فإن كانت قرآناً وسنة نرجعها إليهم، وإن كانت غير ذلك نطلعهم عليها ونحرقها.

يا أيها الإخوة: أنتم تحيون شعيرة ضاعت منذ قرن تقريباً، ونسي الناس الجهاد، وجزى الله الأفغان عنا كل خير لأنهم فتحوا لنا باب هذه الشعيرة، ولأنهم أحيوا هذه العبادة.

والحقيقة أن كثيراً من معاني الجهاد أنا ما فهمتها إلا هنا، صدّقوا؛ كثير من أحكام الجهاد كنا نقرأها لكن لم نفهمها إلا هنا، ولم نكن نحسُّ بثقلها وأهميتها إلا هنا؛ لأن هنا التفسير الواقعي لهذا الجهاد.

فالجهاد يجب أن يبقى مستمراً، ويجب على العرب وغير العرب -فرض عين- أن يأتوا هنا حتى يتم خروج الروس من أفغانستان، وإسقاط النظام الشيوعي، وقيام دولة إسلامية.

سيقولون لنا: وفلسطين؟ نقول لهم: فلسطين الجهاد فيها فرض عين، فإن استطعت أن تقاتل في فلسطين فقاتل ولا تأت، لكن إن لم تستطع أن تقاتل في فلسطين يجب عليك أن تأتي إلى هنا.

سيقولون: والفلبين؟ إن استطعت، المهم أن تحيي عقيدة الجهاد، وأن تؤدي شعائر القتال، عبادة القتال يجب أن تؤديها.

فريضة ماضية:

والقتال فريضته لا تنتهي، ولو انتصر الأفغانيون، ولو أقاموا حكماً إسلامياً -لا تنتهي- لأن الجهاد فريضة كالصلاة، كما أن الصلاة لا تسقط إلا عند الموت، كذلك الجهاد لا يسقط إلا عند الموت.

ولذلك لا عذر لك عند الله إذا غضبت مني أنا أو غضبت من مسئولك أو أميرك ؛ تقول أنا زهقت، ومللت، وسئمت هذا الجهاد من أجلكم، كالذي يغضب على إمام المسجد... يترك الصلاة بالمرّة.. لا... غضبك من إمام المسجد لا يسقط عنك فرض الصلاة، إن غضبت من إمام هذا المسجد فابحث لك عن إمام آخر، فصلِّ في بيتك، لكن الفرض لا يسقط.. الفرض لا يسقط.

ففرض القتال مستمر حتى تموت، يبقى فرض عين حتى تتطهر الأندلس من النصرانية، وحتى نصل مرة أخرى إلى (لينينجراد)، وإلى (فينا) وإلى (نهر الرون) في فرنسا، الأراضي التي حُكمت بالإسلام يجب أن تحرر، قبلها لا يسقط فرض العين عن كل مسلم في الأرض، والأمة المسلمة كلها آثمة ما دام شبر من أراضي الإسلام أو الذي كان في يوم من الأيام دار إسلام في يد الكفار.

فلا تظنن أنك إذا قضيت شهرين أو ثلاثة في بيشاور.

(وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) (الأحزاب: ٢٥)

والحمد لله أدّينا فريضة القتال والعبادة، وعبادة الجهاد، و رجعنا!! لا.. الجهاد مستمر حتى تموت؛ فريضة لا يجوز لك أن تقول: أنا صليت أربعين سنة ويكفي أريد أن أرتاح عشر سنوات آخر عمري!! لا.. يجب أن تستمر فريضة الصلاة حتى تموت.

كذلك القتال؛ لا يجوز أن تقول: أنا جاهدت عشر سنين في أفغانستان أو خمس سنين في فلسطين -يكفي يا أخي!!- يجاهد غيري.. لا .. كالصلاة والصوم والزكاة تماماً ما دام فيك قوة، وما دمت تستطيع أن تثبت على الدابة وتعرف الطريق، أما إذا منعك الطغاة كمثل المحصر في الحج، ينوي، يحرم، يذبح.

(فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي) (البقرة: ١٩٦)

تنوي في الوقت، تحاول بكل طريقة أن تفلت من بلدك، تفلت من أجهزة الأمن، وتفرض أنك تريد أن تكمل الدراسة، لن تدع وسيلة إذا أردت إكمال دراسة الدكتوراة أو الماجستير أو أردت التعاقد مع الكويت أو السعودية، لن تدع طريقة إلا وتسلكها حتى تخرج، يجب أن يكون الجهاد على الأقل بهذا المنزلة عندك.

الأولاد، النساء، الأهل... ألخ كلها هذه ليست أعذارا عند الله عز وجل، الأعذار: أعمى، أعرج، مريض، ولد صغير، شيخ كبير.

(لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا) (النساء: ٩٨)

دون هذا لا يوجد أعذار... لا يوجد أعذار أبدا.

ومن نعم الله عز وجل عليكم -أنتم- أن جاء بكم إلى هذه الأرض، هذه نعمة من الله، وجزى الله الأفغانيين كل خير؛ لأنهم فتحوا آفاق المسلمين، وشقوا الطريق أمامهم، أما وقد وصلت يزداد إثمك إذا رجعت؛ لأنك قد وليت الأدبار.

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار) (الأنفال: ١٥)

الجهاد والكفاءات:

ومصيبة الأفغاني أشد وأخطر، خاصة الأفغاني الذي يذهب إلى السعودية أو إلى أمريكا أو إلى السويد أو غير ذلك، هذا مصيبته أشد وعذابه أنكى.

أذكر -العام الماضي- كنت في الحج، فجاءوا لي بطبيب أفغاني، قالوا: هذا طبيب مختص، وفي أمريكا، ففرحت، قلت له: يا أخي أنت نعمة من الله -هو جراح مختص- قلت له: إين كنت تعمل؟ أين الذين يعرفونك؟ قال: أنا في الشمال، قلت له: ما رأيك نرسلك؟ قال: كندز وتخار؟ هناك.. ونعطيك راتبا جيدا، قال: في الداخل صعب (IT,s difficlt to go inside) يفهم بالإنجليزي يفهم، فسألته لماذا؟ قال: لا يوجد مستشفى، قلت: نعمل لك مستشفى، قال صعب، قلت له: طيب.. تخدم في الباكستان على حدود أفغانستان في كويتا أو في بيشاور؟ قال: كم الراتب، قلت: نحن نعطي العربي -أعلى عربي أعطيناه-: ألف وخمسمائة دولار للمختص، نعطيك ألفي دولار أنت -لأنك أفغاني- قال: (IT,s Few) قليل، قلت: يعني لماذا؟ قال: البنت والولد يدرسون في أمريكا... البنت في أي صف؟ قال: في الثاني الإعدادي... والولد؟ في الأول الثانوي، قلت له: نعطيك ألفين وخمسمائة ما دمت أمريكاني، ولولا أنه كان في بيتي يعني -على الأقل- أتكلم عليه ما يشفي غليلي، لكن كان في البيت.

ألفين وخمسمائة دولار!! أفغاني يرفض أن يأتي يعالج هؤلاء الأفغان الذين يموتون بسبب الجروح، وبسبب الرصاص.. والشظايا، هؤلاء كيف عذابهم عند رب العالمين غداً؟ كيف يمكن أن يعذر هؤلاء؟

الآن أسأل أين خريجو كلية الطب في كابل؟ أين هم؟ معظمهم يساريون، معظمهم خرجوا للغرب، معظمهم شيوعيون، لا يوجد أطباء أفغانيون... قليلون... لا في الداخل ولا في بيشاور، كلهم ذهبوا إلى أوروبا وأمريكا، يعيشون كما تعيش الأنعام والنار مثوى لهم، يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام. هؤلاء لا عذر لهم عند الله، والعرب كذلك لا عذر لهم عند الله.

نحن منذ سنة ونيف نبحث عن مختص في الجراحة والعظام؛ يكون ماهراً قديماً يستلم مستشفى -وفي باكستان- وبراتب ضخم أكثر من بلاده، ذهبت إلى بريطانيا وعرضت ذلك على المسلمين: على رابطة الأطباء المسلمين، فما وجدنا إجابة، قالوا: عندنا

ناس قادمون من بنجلاديش، قلت: إن شاء الله... نأخذ من بنجلاديش... ناس ليس فيهم مختصون... إلى أمريكا، اجتمعنا بالأطباء المسلمين.. يا ناس نريد طبيباً واحداً.. طبيبين.. يكونان مختصين ماهرين، واحد في العظام وواحد في الجراحة.. عندكم؟ قالوا والله صعب إنه يأتي متفرغا.

أين الأمة المسلمة؟ أين... المسلم أخو المسلم؟! أين الأحكام الفقهية التي نذكرها؟ هؤلاء يشتركون في دماء الذين يموتون هنا بسبب النزيف، الحكم الشرعي الان: يجب أن يكون في كل جبهة طبيب أو طبيبان دائمان في داخل الجبهة، مثلهم تماماً، ويكون عنده وحدة صحية متنقلة، ويكون عنده عيادة، يعيش معهم ليل نهار، طبيب من مكة، من القاهرة، من دمشق، من عمان، يجب أن يكون في أرض المعركة في داخل الجبهة، أما أن يترك الناس يموتون هكذا ويوضع أحدهم على بغل ويعصّب، لا يصل بيشاور إلا بعد عشرة أيام فتكون الغرغرينة قد بدأت في رجله ووصلت ركبته، نحن نشترك في دمه، يجب أن ندفع دية الرجُل خمسين من الإبل عشرين منها في بطونها أبناؤها...لأن هذا قتل شبه عمد... قتل شبه عمد. نحن نستطيع أن ننقذه بإذن الله بما لدينا من الوسائل وما لدينا من خبرة ! ولذلك لا يقبل من أصحاب الأموال أن يأتوا ويضعوها في بيشاور ويرجعوا.. لا.

وأنا أرجو الله عز وجل أن يخفف عنا –والله أنا خائف كثيراً على نفسي– لأن الكل يجب أن يكون هناك في أرض المعركة، إلا الذي ينتدبه الأمير الذي يتبع، يقول له: أنت تابع للحزب الفلاني، أمير الحزب يعتبر أميراً واجب الطاعة، فإذا قال لك الأمير: ابق في بيشاور هنا فأنت قد رفعت التبعة من عنقك ووضعتها في عنقه، فإذا رأيت أن بقاءك في بيشاور يخدم الجهاد أكثر، يعني عملك في مستشفى في بيشاور يخدم الجهاد أكثر، فهنا رفع عنك التكليف، وأنت رفعت الإثم من عنقك –وليس بدون هذا– وليس باختيارك، هو يقول لك أنت إبق هنا... الحكم الشرعي ثقيل.. ثقيل.. ثقيل، ولكن لابد منه:

(كتب عليكم القتال وهو كره لكم) (البقرة: ٢١٦)

والقتال –أكثر شيء– ثقيل على النفس البشرية، ولذلك هو أثقل شيء في ميزان الإنسان يوم القيامة لأنه أثقل عبادة، وأرفع منزلة، **[وإن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، الفرق ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض]**(١).

وأنتم طلائع الأمم، طلائع الشعوب، وكل واحد منكم في هذه الأرض شاهد على قومه يوم القيامة، وكل شهيد يشهد على المنطقة التي جاء منها، أنتم لا شك أنكم الآن تحيون عقيدة الجهاد مرة أخرى إلى واقع المسلمين، وإلى أذهانهم؛ والدماء التي تراق –دماء الشهداء– منكم الآن تجعل الشعوب تستعيد نظرتها للجهاد.

إذن هنالك قضية تستحق هذا البذل، إذن ليست قضية الجهاد كما ننظر إليها: الجهاد باللسان، والجهاد بالقلم، والجهاد بالكلمة، هذا صحيح يوم أن لا يكون هنالك سيف، أما وقد رفع السيف فلا يجوز أن تشتغل فقط بالقلم، وتكتب عن الجهاد، وأنت جالس على أريكة، منتفخ البطن، متثائباً، ماداً أطرافك كما قال رسول الله ﷺ(٢): **[يوشك رجل شبعان على أريكته يتجشأ]**... تتجشأ من التفاح والبرتقال وغير ذلك بعد اللحوم والدجاج والأرز والصنوبر فوقه.

أقول: أنتم إن شاء الله تحيون فريضة الجهاد في أممكم، وأجركم عظيم عند رب العالمين؛ إن أخلصتم النية، لأن **[من سن سُنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة]**(٣).

فأنتم سننتم سنة حسنة وهي إحياء النفير، إحياء عبادة النفير، في محلتك، في مدينتك، أنت أيقظتها، ولا يوقظ الأمم مثل صليل السيوف ودوي المدافع وقصف الطائرات.

الحلول السياسية:

والجهاد الأفغاني لا يجوز أبداً أن يوقف.

والآن نسمع الحلول السياسية وغير ذلك، لا يجوز الحل السياسي إلا بشرط واحد:

أن يخرج الشيوعيون والروس من أفغانستان قبل كل شيء، وأن لا يتدخل الروس في نظام الحكم المقبل، وأن لا يكون لهم أي قيد أو شرط، وأن لا يكون لهم قاعدة واحدة في أرض أفغانستان، وأن لا يكون لهم أي رأي في الحاكم المقبل، لا نريد المتطرفين(٤) (Fandemanelst) ليس لكم هذا!!!.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٢١٢٦. (٢) قطعة من حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود أنظر الجامع ٧١٧٢. (٣) صحيح الجامع الصغير ٦٢٠٥. (٤) هذا قول أعداء الإسلام.

ولو عقد أمراء القتال الآن كلهم جميعاً -اتفقوا- على إيقاف القتال، فالعقد باطل، والصلح باطل لا تلحقه إجازة ولا تصحيح، عملهم باطل لا يوقف القتال ؛ لأن القتال فرض متعين، وهو متعين لأنه وسيلة لتطهير أرض المسلمين، والذي يمنع الفرض باطل، كل ما يؤدي إلى منع الجهاد المتعين فهو باطل.

ولذلك لو اجتمع كل الأمراء -في بيشاور- مع الحكومة الباكستانية مع الأمريكان مع الروس مع بابراك، كلهم اتفقوا، فعقدهم باطل، وصلحهم باطل إلا بشروط: قبل كل شيء أن تسقط الحكومة الشيوعية، وينسحب آخر جندي -من أفغانستان- للروس، وأن تقام دولة إسلامية.

ويجب أن يكون معلوماً -أنا طبعاً أعتقد أن الروس لن ينسحبوا من أفغانستان برأيهم، وأن المعاهدات الدولية، والضغوط الأمريكية وغير ذلك، والمؤامرات الأمريكية لن ينسحب الروس إذا استطاعوا أن يثبتوا أقدامهم لا ينسحبون - وما دخل الجيش الأحمر بلداً وانسحب منها.

وأنا ظني أن كل محاولات الروس والأمريكان الآن؛ هي عبارة عن خديعة لإلقاء السلاح من يد المجاهدين، فإذا ألقي السلاح لا يعود الشعب يحمل السلاح مرة أخرى، وعندها تنقض روسيا وتمسك البلد، وتنتهي إلى الأبد كما انتهت بخارى.

ولقد حصل ذلك مع بخارى... اقترحوا النقاط التي يقترحونها الآن... الأربعة:

١- إعادة المهاجرين .

٢- انسحاب الروس التدريجي.

٣- ثم الضمانات الدولية.

٤- ووقف الإمداد.

هم يريدون الآن؛ أن يقطعوا أفغانستان عن العالم الذي يتعاطف معها -فإذا عزلوها- يريدون ضمانات دولية: أن تُقطع أفغانستان عن كل ما حولها، وعن المسلمين في العالم -ضمان دولي في الأمم المتحدة- يرجع قسم من المهاجرين، ينسحب بعض الروس، ثم تقام دولة ديمقراطية في داخل أفغانستان باشتراك بابراك كارمل كجزء من الانتخابات، والحزب الشيوعي جزء من الدولة كالأفغانيين، وتقام دولة ديمقراطية كما أقيمت في بخارى، دولة وطنية، وبعد ستة أشهر عادوا إلى بخارى وانقضوا عليهم بعد أن سقط الجهاد، وانتهت بخارى إلى الأبد بعد أن أوقفوا حركة (الباسمتشي) التي هي حركة الجهاد، وكانوا يسمونها حركة (الباسمتشي) يعني المتمردون، أو الأشرار، هم يريدون أن يفعلوا هذه الفعلة الآن.

الأمريكان يريدون أن يوقفوا الجهاد -هم الأمريكان- أمام معادلة صعبة، يريدون أن يستمر الجهاد، ويخافون من استمرار الجهاد، يريدون أن يستمر الجهاد ؛ لاستنزاف طاقة المسلمين وطاقة الروس، وتمريغ روسيا في التراب وتحطيمها اقتصادياً ومعنوياً وعسكرياً وغير ذلك.

وكذلك هذا الشعب الأفغاني الذي يسمّونه (التيس الجبلي) -لو أن لنا في بلاد العرب كم تيس جبلي يحركون الجهاد- وقالوا: نحن أخضعنا العالم كله إلا التيس الجبلي في أفغانستان، حاقدون على أفغانستان، حاقدون على الشعب الأفغاني، لا يريدون أن ينجب الأفغان.

السم في الدسم:

الطبيب الذي رجع من مزار شريف قال: وجدنا أنهم يوزعون حبوب منع الحمل حتى يقطعوا الإنجاب والنسل عن الأفغانيين. فرنسيين... أربع سنوات مكثوا، وفتحوا مستشفى بأجهزة وغير ذلك، وجدنا أنواعاً كثيرة من حبوب منع الحمل يوزعونها، يخافون من أن يتكاثر هذا الجيل، فهم يريدون أن يقصموا ظهر الأفغانيين.. يحطموهم؛ واحد مقطوع الرجل، واحد مقطوع اليد، واحد مقلوع العين، واحد مكسور الظهر، وهكذا... مشوهون، معوقون.

وهنا في بيشاور في مركز الصليب الأحمر الدولي في (النشرة): أجرينا ثلاثة آلاف وخمسمائة عملية معظمها عمليات بتر.. قطع أرجل.

مستشفى الصليب الأحمر الدولي في كويتا... قرروا قطع رجل إنسان فهرب من المستشفى، وجاء إلى مستشفى مكة المكرمة، وعالجوه، وشفيت رجله. فعندما كتبنا عن هذا؛ ثارت ثائرة الدول الغربية: الفرنسيين وغيرهم... شكاوى ضدنا، كيف أنتم تكتبون ؛ أن

الصليب الأحمر الدولي يقطع الأيدي والأرجل؟! حاقدون على عقيدة الجهاد، وحاقدون على الشعب الأفغاني بالذات.

والله!! في كتاب اسمه (أفغانستان) لمؤلف فرنسي لكن بالإنجليزية: على ظهره صورة للأفغانيين، والله لا تدري هؤلاء بشر أو وحوش؟، أنا أريكم إياها، ما وجدت صورة مثلها... الناس شعورهم هكذا... واقفه مثل قرون الماعز، لا تدري هؤلاء بشر أو وحوش !! حقد قرون على الجهاد، وخاصة على الشعوب المجاهدة، ثم بعد ذلك جاءوا إلينا يعالجون باسم الإنسانية، وباسم الطب وغير ذلك.

أقول: الأمريكان أمام معادلة صعبة، يحبون أن يستمر الجهاد حتى يحطم الشعب الأفغاني، ويحطم الروس، ولكن رأوا أن آثار الجهاد الأفغاني تحيي الشعوب الإسلامية، وتحيي عقيدة الجهاد، فبدأ التشديد في الفيز في كل العالم، لا تعطوا فيَزَ للشباب الذين يذهبون إلى باكستان، تشديدات.. تشديدات.

زوجتي كانت قبل شهر في بلد من البلدان العربية، ولأني أرى أنه لا يجوز سفرها وحدها، أرسلت صهري من هنا - مهندس - وأخذنا له الفيزا من البلدة التي ذهب إليها، قلت له: تأتي بعد غد يوم الخميس: دخلوا المطار، ووزنوا الأغراض، قطعوا لهم التذاكر، دخلوا الجوازات، زوجتي معها (ري إنتري فيزا) هو نسي أن يأخذ (ري إنتري فيزا)، بعد أن دخل، ودخلت الأغراض الطائرة، قالوا: أين الفيزا؟ قال لهم: أنا أعمل هناك في الهلال الأحمر، قالوا: لكن لا يوجد فيزا. قال: أنا جئت أمس حتى أخذ هذه المرأة وأعود، وأنا لست من جنسيتكم ما لي ولكم قالوا: لا... يجب أن يكون على جوازك تأشيرة، قال: الأغراض دخلت، قالوا: نرجعها. أرجعوها من الطائرة، أرجعوا الأهل ؛ ذهب... قالوا له احضر كتابا من الهلال، راح وجلب لهم الكتاب -لأنه يعمل في الهلال- وذهب إلى السفارة الباكستانية حتى أعطوه فيزا.

واحد آخر: رفضوا أن يعطوه، بعد ما جاء بكتاب... رفضوا. خمسة في العام الماضي ما استطاعوا أن يحصلوا على فيز.. أفغانيون..سلموهم إلى الهند والهند سلمتهم إلى كابل، قتلوا جميعاً في اليوم التالي.

خوف... لا نريد الشباب -باكستان فيها قانون يحق لأي واحد في العالم أن يدخلها بدون فيزا لمدة شهر، يأخذ الفيزا في المطار- لكن لما وجدوا أن باكستان صارت منفذا لبعض الشباب أن يعبد الله في الجهاد، إذن شددوا على دخوله، امنعوا السياحة.

خوف!! أجهزة الأمن ترتعش في البلاد العربية والإسلامية، إذا وجدوا فيزا باكستان على جواز.. لا وضعك الله مكان صاحب الجواز.

أما في إسرائيل فلا تسألوا عن خوفهم من تأشيرة باكستان على الجواز. اليهود!! ذهلتُ وأنا أرى مؤسسات أمريكية رؤساؤها يهود؛ وظيفتها تهجير الأفغان إلى أمريكا.. يهود!!.

واحد اسمه (أندريه ايفه) فتح مكتباً في أمريكا للجهاد الأفغاني والدعايات للأفغان وغير ذلك، وفي المظاهرات للأفغان... يهودي... يهودي!! يأتون بالأفغاني، يضعون فيزا لأمريكا، ويأخذونه إلى أمريكا ويعطونه أربعمائة دولار في الشهر حتى يوفروا له عملا، المهم أن يبعدوا الشباب الأفغاني عن أرض الجهاد.

الخوف... أكثر من منظمة سألتُ عن رؤسائها فوجدتهم يهودا، يدفعون أموالاً طائلة من أجل تهجير الشعب الأفغاني، وإبعاده عن أرض المعركة أو عن ساحة الرباط.

فالخوف.. أمريكا تخشى أن يمتد هذا التيار، تخشى النار، نار الجهاد أن توقظ الناس وهي أنفقت قرنين من الزمان حتى أطفأت نار الجهاد في قلوب المسلمين.

الآن: الجهاد الأفغاني استمراره يؤذيهم، واستمرار الجهاد الأفغاني يؤذي روسيا: لأن روح الجهاد بدأت تحرك الولايات الجنوبية الإسلامية، وفتح الجسور بين الإتحاد السوفياتي وبين أفغانستان سبَّب في وصول كثير من الآراء الإسلامية والقرآن والتفسير والحديث إلى الولايات الجنوبية من خلال الإذاعات الصغيرة التي يملكها المجاهدون، ويبثون بها باللغة الأوزبكية أو التركية وغير ذلك للشعوب التي ترزح تحت نير الإحتلال منذ خمسين أو ستين عاماً.

يريدون أن ينهوا الجهاد، وخاصة بعد أن رجع (نيكسون)... جاء هنا... زار الحدود... رأى الشعب الأفغاني -الرئيس الأمريكي السابق- كلهم يقولون: الله أكبر، الأرملة تقول: الله اكبر، الطفل الصغير يقول: الله أكبر لا إله إلا الله، الجهاد سبيلنا... عاد مفزوعا... عاد مرعوبا يرتعد، قال لأمريكا وصرح في الجرائد: عليكم أن تتفقوا مع الروس حتى توقفوا الزحف الإسلامي، وقال: إن الروس أقل خطراً علينا من المسلمين، ومن هنا هم واقعون في حرج شديد، ماذا يفعلون؟ يوقفون الجهاد -فأظن أن هذه لعبة إيقاف الجهاد- وبعدها يقوم حكم ديمقراطي أو غير ديمقراطي، وبعدها يعود الروس أو لا يعودون، المهم أن لا يستمر الجهاد.

على كل حال، ليس للزعماء الأفغان أن يبطلوا فريضة معينة، ولو وقعوا كلهم فعقدهم باطل.. وتوقيعهم وصمة عار في وجوههم،

لكن لن يستطيعوا أن يقولوا رأيهم بصراحة، وأن يفرضوا رأيهم الإسلامي على الواقع إلا بشرط واحد: أن ينزلوا إلى ساحتهم وإلى أرض بلادهم التي حرروها بدمائهم فيستقروا فيها. هذه الأراضي ليست مستقرا لهم.

يجب أن يختاروا واحدا من اثنين: إما أن يدخلوا إلى داخل أفغانستان ويستقروا كزعماء في قواعد المجاهدين، أو يرضخوا للضغوط الدولية التي تفرض على باكستان وغير باكستان. ليس لهم مناص من هذين: إما أن ينزلوا، وإما أن يرضخوا، وأظن أنه لا بد لهم أن ينزلوا مهما كان النزول صعباً، ومهما كانت الأمور ستضيق، ليس لهم خيار..

إذا لم تكن إلا الأسنة مركبا فما حيلة المضطر إلا ركوبها

يا أيها الإخوة: عليكم أن تبيتوا النية، تخلصوا الطوية؛ على أن يستمر جهادكم -إن شاء الله- في سبيل الله ولله عز وجل، وتعلموا أن الجهاد فريضة العمر، ليس فريضة مرتبطة بأرض أو بزمان، إنما هي مرتبطة بالعمر، لا تنتهي حتى ينتهي العمر، كما في الصلاة والصيام وغير ذلك.

عليكم أن تجاهدوا بأموالكم وأنفسكم، عليكم أن لا تتراجعوا فتفروا من الزحف:

(ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) (الأنفال: ١٦)

واعلموا أن الأجر عظيم.. عظيم لمن يجاهد في سبيل الله وأنا أذكر لكم أحاديث ثلاثة أو أربعة وكلها حسنة وصحيحة:

الحديث الأول: [**رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم في ما سواه من المنازل**](١).

هذه واحدة؛ رباط يوم بألف يوم.

الثاني: [**قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة**](٢).

ساعة بقيام ستين سنة الليلَ في بيتك.

الحديث الثالث صحيح: [**لأن أحرس أو أرابط ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود**].

ورواية أبي هريرة -هذا حديث مرفوع صحيح- الحديث موقوف على أبي هريرة [**خير لي أو أحب إليّ من أن أوافق ليلة القدر عند الحجر الأسود أن يستجاب لي ليلة القدر عند الحجر الأسود**](٣).

حديث رابع: [**إن للشهيد عند ربه ست خصال: يغفر له مع أول دفقة من دمه، يرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها، ويشفع بسبعين من أهل بيته، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين**](٤).

الجهاد والسلطان

يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولا.. اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) (القصص: ٨٣)

آية من سورة القصص، يقول الفضيل عندها: (هنا هلكت الأماني).

(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين).

---

(١)- رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن غريب، انظر الترغيب والترهيب للمنذري (٢/٢٤٦).

(٢)- صحيح الجامع الصغير (٤٤٢٩).

(٣)- رواه ابن حبان والبيهقي بلفظ (موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود) انظر صحيح الجامع الصغير (٦٦٣٦).

(٤)- صحيح الجامع الصغير (٥١٨٢).

الإخلاص:

والمجاهد إنما نال العلو إلى هذه المنزلة، وارتقى درجات الجنة المائة -إنها مائة درجة، وقد أعدها الله للمجاهدين- لأنه اختفى عن الأنظار، وتوارى بين طبقات التراب، أشعث أغبر، إذا وقف على الباب دفع، وإذا تكلم لم يسمع له، وإذا أمر لم يطع إلا من قبل الصفوة الصادقة المخلصة التي ارتضت هذه الطريق إلى رب العالمين.

ولذلك جمع رسول الله ﷺ في الحديث الشريف بين العزلة وبين المجاهد، بين المعتزل للناس، وبين المجاهد، لأن هاتين خصلتان تلتقيان في الغربة في هذه الدنيا، وعدم الرفعة في الأرض؛ قال: {**خير الناس.. أو من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه، قالوا: ثم أي؟ قال: ورجل يعتزل الناس ويدع الناس من شره في شعب من الشعاب**}[1].

جمع رسول الله ﷺ بين هاتين الغربتين.

والجهاد مقدم على اعتزال الناس، والاعتزال لا يجوز إلا عند اشتداد الفتن، أو كما قال ﷺ: {**حتى إذا رأيتم هوى متبعاً وشحاً مطاعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك**}[2].

الجهاد فرض العين:

والجهاد الأفغاني اليوم، وقد تقرر أنه فرض عين عند كل من عنده أية صلة بكتاب الله أو بفقه أو بغير ذلك، ولا يستطيع عالم أن يجادل الآن في هذه القضية، وقد أفتى بهذا كثير من العماء البارزين، وذلك أنه قد اغتصب شبر من أراضي المسلمين، فيصبح الجهاد فرض عين.

وإذا رأيت الشعب الأفغاني قد طحنته المآسي، واعتصرته الآلام، ورحى الحرب الزبون تدور على رأسه تاكل أعصابه وقلبه ونفسه خلال السنين الثمان؛ لا بد من أياد بجانبه تدعمه، ولا بد من أنامل رقيقة لطيفة تواسي جراحه، ولو بالكلمة الطيبة.

والذين يقولون: إن الجهاد الأفغاني لا يحتاج إلى رجال؛ هؤلاء بعيدون عن واقع الحال، ولم يعانوا، ولم يخبروا الواقع الذي عشناه، ولم يروا المآسي التي رأيناها مما يعاني منها هذا الشعب الكريم الأرومة، الأصيل العرق، الذي أعزالله به دينه، ورفع رايته ونصر شريعته، ورفع كل مسلم في الأرض به جبهته وهامته عاليا، لقد عاد كل مسلم في الأرض يشعر أنه عزيز بسبب هذا الدين، وما كان يشعر بهذا الشعور قبل أن يرفع هؤلاء راية الجهاد فوق ذرى الهندكوش، وعلى أطراف جبال سليمان.

وأنا أقول من خلال تجربتي التي استمرت خمس سنوات: إن الجهاد الأفغاني الآن بحاجة إلى رجال أشد من حاجته إلى المال وإن كانت حاجته إلى المال شديدة جداً؛ إنه محتاج كثيراً إلى المال ولكن حاجته إلى الرجال أشد وأعظم، وخاصة الدعاة الذين يعرفون كيف يدعون إلى الله، والخبراء الذين يمكن أن يصبوا خبراتهم في بوتقة هذا الإسلام العظيم، وفي هذه الأرض المباركة.

الدعاة.. الخبراء .. العلماء .. الأطباء .. المهندسون.. هؤلاء لا يماري أحد في فرضية العين عليهم في الجهاد الأفغاني.

وأما المجاهدون الجنود فهؤلاء كذلك من العالم الإسلامي، سواء كانوا في جيش أو خارج جيش؛ أي مسلم يجب أن يكون جندي لهذا الدين، هؤلاء كذلك عليهم فرض عين، لأنه لابد أن تعطي الذين سُحقوا بين فكي الرحى فترة من الراحة يلتقطون بها أنفاسهم ويستعيدون بها نشاطهم، ويشدون العزيمة مرة أخرى على هذا العدو الغاصب الكافر.

ولقد اتفق جمهور العلماء في هذه القضية: أنه إذا تعين الجهاد؛ والجهاد متعين قبل أن يدخل الروس أفغانستان، وزاد تأكيا عينية وفرضية بعد أن شرع في هذا الدخول الذي داس به الحرمات، ونا ل به من المقدسات، واغتصب الأموال، وذبح الرجال والأطفال.

واتفق العلماء كذلك بجمهورهم: على أنه في هذه الحالة يخرج الولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دائنه، والعبد دون إذن سيده، والزوجة دون إذن زوجها بشرط أن يكون معها محرم وبعيدة عن فتنة الرجال.

هذا الذي نص عليه كل الفقهاء الذين كتبوا في فصل الجهاد، وكل المفكرين الذين كتبوا في باب الجهاد نصوا على هذه القضية؛ وما رأيت كتاباً من الكتب نص على الجهاد وتعرض إلى فرضية العين إلا ونص على هذه الجملة.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٥٦١٥.

(٢) رواه ابن ماجة والترمذي وقال حديث حسن غريب أنظر الترغيب والترهيب ٤ / ١٢٦.

اجتماع القلوب:

والجهاد الأفغاني اليوم هو الهدف الوحيد الذي يمكن أن تلتقي عليه قلوب المسلمين في الأرض جميعاً، وهي الأرض التي تشد أنظار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وأثناء تجوالي وتطوافي في الأرض، ما رأيت القلوب تهفو لسماع خبر كسماعها أخبار هؤلاء الشعث الغبر الذين أعز الله بهم دينه، وربط بهم قلوب المسلمين في الأرض جميعاً. كل الناس يسألون كيف الجهاد؟ كيف المجاهدون؟ ما حاجة المجاهدين؟ كيف وحدة كلمتهم؟ كيف قادتهم؟ حيثما ذهبت: كيف سياف؟ كيف حكمتيار؟ كيف فلان؟ هذه الأسماء التي رفعها الله بسبب هذا الجهاد، وذكرت بذكر من هذا الجهاد، وكما قال الله عز وجل:

(وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون) (الزخرف: ٤٤)

(لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون) (الأنبياء ١٠)

بسبب القرآن العظيم يذكر العرب، وتذكر هذه الأمة المسلمة، وبسبب الجهاد الأفغاني يذكر الأفغان وتذكر هذه الأسماء التي أصبحت تناطح السحاب في شهرتها، وتجاوز الجوزاء في اتساع معرفتها على وجه المعمورة، وتعيش مع كل مسلم؛ مع قلبه مع أناته ودقاته، مع أنفاسه ولفطاته في منامه ويقظته!!

طلائع الشعوب:

إن المسلمين اليوم قد التقوا في الأرض جميعاً على هذه القضية، وأنتم طلائع الجهاد، وأنتم روّاد هذا القتال المبارك العظيم، وأنتم الذين قد منّ الله عليكم أن تكونوا طلائع قومكم إلى هذا الجهاد المبارك، وإلى هذه الأمة التي تحملت التكاليف التي ناءت بحملها الجبال، ولم تستطع أن تحملها كبار الرجال، وعلى كل حال.

فيا أيها الإخوة: أنتم روّاد قومكم، وإن الرائد لا يكذب أهله، والرواد في التاريخ يكونون نظيفين، طاهرين، صادقين، أمناء على الأمانة التي ائتمنهم الله عليها، صادقين لأنهم صدقوا الله بالخروج، والمجاهدون صادقون.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، ما كان لأهل المدينة) (التوبة: ١١٩-١٢٠)

ثم شرع بذكر المجاهدين وثوابهم، وعظيم ثوابهم، عنده سبحانه وتعالى.

فيا أيها الإخوة: أنتم؛ وقد اختاركم الله؛ وهو اختيار واصطفاء، وهو انتقاء واجتباء، ليست صدفة عابرة، ولا فلتة عارضة، إنما هو قدر مقدور، وغيب مسطور أن يختارك الله لحمل دينه، ولتبليغ شريعته، وقد يختارك شهيداً (ويتخذ منكم شهداء) لتكون شهيدا على قومك يوم القيامة؛ أني قد خرجت وبلغت، ولتكون مشهوداً لك يوم القيامة بدمائك التي تنزف من جراحك فتشهد لك بالشهادة، ومشهود لك بالجنة إن كتب الله لك الجنة بصدق النية، وإخلاص الطوية.

أقول: ويشهد لك الملائكة، والشهيد ما سمي شهيداً إلا لهذه المعاني، إما لأنه يشهد مقعده من الجنة عند أول دفعة من دمه، أو لأن الملائكة تشهد احتضاره، و تحمل ملائكة الرحمة روحه، أو لأن الحور العين تشهد احتضاره وخروج روحه، أو لأنه شهيد: أي حي -والشهداء أحياء عند ربهم- أو لأنه مشهود له بالجنة، أو لأنه شهد على قومه أن الحياة أرخص من العقائد، وأن الدماء أدنى من المبادىء والقيم.

فيا أيها الإخوة: لابد أن تتعاهدوا أنفسكم، ولقد ذكرنا لكم أن الشهادة مكانة عظيمة، لا يعطيها الله إلا لصفوة عباده وخيرتهم، ويختار ويتخذ منكم شهداء. وقد ذكرنا في خطبة سابقة، ونبهناكم أن النفس الأمارة بالسوء أشد ما تحمل بين جنبيك.

خطر الشهوة:

وهنالك أسباب وعوامل تساعد النفس على غيّها وطغيانها، وذكرنا لكم على رأسها أربعة أسباب وعوامل منها: الجهل، والغفلة، الهوى، و الشهوة.

وإن كنتم لا زلتم تذكرون فقد وقفنا عند الشهوة، والشهوة هي ميل النفس ونزوعها إلى ما تريد، وقد كان الصحابة رضوان الله

عليهم يتعاملون أنفسهم، ويكبتون من شهواتهم، لأن الشهوة تبدأ بالمباحات، ثم تدخل في المكروهات، ثم تنتهي إلى المحرمات، ثم تنتهي إلى الشرك والكفر.

ولقد كفر بنو إسرائيل بسبب شهواتهم، وبسبب عصيانهم وصغار ذنوبهم، وكما قال الله عز وجل:

(ويقتلون الأنبياء بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) (آل عمران: ١١٢)

بدأوا بالعصيان، وبدأوا بالاعتداء البسيط ثم انتهوا بقتل الأنبياء.

(ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق) (آل عمران: ١١٢)

بدأت بالصغائر وانتهت بالشرك والكفر الاكبر، وكما قال ﷺ: {**لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده**}[١].

والبيضة لا تقطع فيها اليد، ولكن السرقة تبدأ بالأمور الصغيرة وتنتهي بسرقة الأمة بكاملها، وخيانة الشعوب بأعظمها من أجل شهوته التي بين جنبيه، التي يريد أن يروّي بها أهواءه، ويشبع بها نزواته، وإذا اتحدت الشهوة والغفلة -كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- كوّنتا أصل كل سوء في النفس البشرية، وإذا التقت الشبهة والشهوة والغفلة فهي مصدر كل شر.

وكما يقول ابن القيم: إن مصدر كل الشرور الشبهات والشهوات، والشبهة لا تدفع إلا باليقين، والشهوة لا تدفع إلا بالصبر، وبالصبر واليقين، تنال الإمامة في الدين، وقرأ الآية:

(وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (السجدة: ٢٤)

وأعظم الشهوات ثلاث، وأكبر الفساد من هذه الشهوات وعلى رأسها:

١- شهوة السلطان.

٢- وشهوة النساء.

٣- والغنى الكثير الفاحش الذي لا يؤدي الإنسان حقه ولا يؤدي زكاته.

شهوة السلطان:

أما شهوة السلطان: فلقد عرفت -من خلال خبرتي- أن أعظم خطر على النفس هو شهوة العلو في الأرض، شهوة السلطان، شهوة الكبر والظهور، وكم تصم الظهور من الظهور (**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**).

وفي الحديث الصحيح: {**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولا يدخل النار**} -يعني على التأبيد- {**من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان**}.

فقال أحد الصحابة: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسناً، أذلك من الكبر؟ قال: {**لا.. الكبر بطر الحق وغمط الناس**}[٢]. وبطر الحق: جحوده، وغمط الناس: ازدراؤهم واحتقارهم. وحب العلو في الأرض ملازم لهاتين لا يمكن أن ينفك عنهما، لا يمكن أن ينفك عن جحود الحق.

(وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) (النمل: ١٤)

وانظر معي يا أخي كيف يربط الله عز وجل في كثير من الآيات بين الفساد وبين العلو (**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا**).

وهنا (**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين**).

فالإفساد في الأرض معظمه وبدايته ومنبعه من حب التسلط في الأرض، من حب العلو، من حب الكبر والظهور، وهذا يبدأ من أدنى المستويات إلى أعلى المستويات، حيث يتكون هناك عقدة الآثام، ومنبع الشرور، ومستنقع الفتن، وكما قال ابن مسعود أو حذيفة

---

(١) رواه البخاري في صحيحه .

(٢) رواه مسلم في صحيحه

رضي الله عنهم: (إن على أبواب السلاطين فتناً كمبارك الأبل)، وكانوا يحذرون من الورود على السلطان؛ إن لم تكن في نفسك أن تنصح وتزجر، وإن لم يكن في نفسك الترفع عن دنياهم، لابد من هذين الشرطين.

إذا أردت ورود أبوابهم والولوج عليهم، فلابد لك من قضيتين:

الترفع عن أموالهم وعن أعطياتهم، لأن كلامك يسقط في اللحظة التي يسقط فيها الدرهم من يد السلطان إلى يدك.

وكما قال الشيخ سعيد الحلبي رحمه الله وقد جاء إبراهيم باشا إلى بلاد الشام -وكان الشيخ سعيد حوله مجموعة من تلاميذه يعلمهم- ودخل إبراهيم باشا المسجد، وبقي الشيخ سعيد ماداً رجله، وخرج إبراهيم وهو يشتاط غيظاً، ويغلي من الغضب، وأخذ صُرة -التي طالما لويت لها الأعناق وعنت لها الجباه، هذه الصُرر التي يُصر فيها دين الله ويخبأ- دفع صرة إلى أحد حجابه وقال: ألقها في حجر الشيخ. فجاء وألقاها في حجر الشيخ سعيد، فرفعها الشيخ سعيد بيده وناولها للحاجب، وقال: قل لسيدك إن الذي يمد رجله لا يمد يده... قل لسيدك إن الذي يمد رجله لا يمد يده.

وهم ينظرون إلى الناس الذين يأخذون من أموالهم بشهواتهم، ونزواتهم، وإرضائهم، ومهادنتهم على باطلهم، والسكوت على ظلمهم، ينظرون إليهم كالدواب التي تجمعها حزمة برسيم، وتفرقها صيحة من صيحات شرطهم.

دخل المنصور على سفيان الثوري، فقال له: يا سفيان، ما حاجتك؟ قال: هل تعطيني إياها؟ قال: نعم، قال: لا تأتني حتى أرسل إليك، ولا ترسل إليّ حتى أطلب. فقال المنصور -وهو يلم أذياله عائداً-: كل الطيور علفناها فالتقطت إلا سفيان.

إنهم طيور، إنهم ينظرون حتى إلى العلماء أنهم دجاج مزارع يربّونهم على طعامهم، ويذبحونهم متى شاءوا على أقدام شهواتهم، وعلى مذابح نزواتهم، ولقد عرف السلف هذا، عرفوا هذا تماماً وأدركوه من أعماق قلوبهم. ويوم أن وقف سليمان بن عبد الملك على أبي حازم سلمة بن دينار، قال: يا أبا حازم، ما بالك لا تأتينا؟ قال: أعاذك الله من الكذب يا أمير المؤمنين، من متى أعرفك حتى أزورك؟ ثم قال له: يا أبا حازم ما بالنا نكره الموت، ونحب الحياة؟ قال: لأنكم أخربتم أخراكم وأعمرتم دنياكم، فتكرهون الانتقال من العمار إلى الخراب، فمد أحد الحجبة يده على غمد سيفه -على مقبض سيفه- قال: دعني أضرب عنقه يا أمير المؤمنين، فلقد نال منك، فصاح به أبو حازم: أسكت إنما أهلك فرعون هامان، ثم نصحه نصائح كثيرة وقال له: إن أباءك قد أخذوا هذا الأمر بالدماء فالزم الروية، واتق الله في الرعية، ثم قال سليمان: يا غلام هات مائة دينار، ثم قال: خذ هذا يا أبا حازم. فحملها أبو حازم ونظر إليها وقال: هذه ثمن النصيحة؟ الخمر والخنزير والدم أحلُّ عليّ من هذه... الخمر.. والخنزير.. والدم أحل عليّ من هذه، أعدها إلى سيدك لتكن في أيدي أصحابها المستحقين.

ولذلك كانوا يخشون أن يدخلوا على السلطان، لأنهم لا ينجون على الأقل من السكوت على المنكر الذي يرونه. هذا إن لم يداهنوهم على باطلهم... كانوا يكرهون هذا.

ولقد ذكر رب العزة في كتابه العزيز:

(وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا) (الأنعام: ٧٠)

(وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا، فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) (الأنعام: ٦٨)

(**فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين**) قال القرطبي: هذه حجة على الذين يجيزون لأنفسهم الدخول للسلاطين دون تذكير، ودون أمر بمعروف ونهي عن المنكر، إنما الدخول للذكرى، وبعد الذكرى (**فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين**).

وأخطر ما يمكن أن يهجم على القلب البشري هو شهوة السلطان، رأيتها لدى المسلمين، ولدى الكافرين، ورأيتها من أخطر الشهوات، ورأيتها مزقت الأمم والجماعات، وكم من جمع قد ائتلف على الله، فرقه حب الظهور والسيادة، كم من مجموعة كريمة شتتتها أهواء فرد واحد يريد أن يتسلط عليهم بغير حق، هذا في المسلمين، وعلى مستوى دون مستوى السلطان بكثير، فكيف إذا وصل الأمر أن يتجمع بين يدي فرد واحد.. السلطان والمال جميعاً، وتصبح لقمة الناس كلها بين يديه؛ يجيع من أراد، ويمنح من أراد، وينعم على من أراد، ويحرم من أراد؟! هنا الفتنة.. الفتنة الكبرى لنفس هذا السلطان، والفتنة الكبرى لضعاف النفوس.

(قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا

العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون) (القصص: ٧٩-٨٠)

ولقد قلّ الذين أوتوا العلم، قلّ الذين يذكرون في هذه المواقف، قلّ الذين لا يبيعون دينهم بثمن العنز، لقد قلّوا، وشحّوا حتى أصبحت طريق الحق مقفرة إلا من الأنس بالرحمن، و ببعض الخلان الذين عاهدوا ربهم على السير على هذا الطريق مع قلة السالكين، وتجنبوا طريق العامة، والغوغاء أصحاب النزوات والشهوات مع كثرة الهالكين.

يا أيها الإخوة: هذه الشهوة جعلت بعض الناس يدّعون الألوهية في الأرض، وهؤلاء الناس الذين يتسلطون على رقاب الناس ليصل بهم الأمر من خلال النفخ الإعلامي الذي لا يني صباح مساء، وليل نهار أن يبرز الصور، ويظهر الظلم عدلاً، ويبين المساوىء حسنات، لا زالوا ينفخون بهذا القزم الصغير حتى يجعلوا منه عملاقاً ليحل محل الإله في الأرض، ولا يمكن أن يطاع أحد إلا بعد أن ينفخ نفخا يشعر الناس أنه الرجل الذي يلهم، وإذا خطب خطابه في تلفاز أو من خلال مذياع -وقد كتب له أو هو قال كلمات قد لا يعلم ماذا قال- تبدأ الصحف تحلل الخطاب التاريخي المشهور، أسابيع متتالية، ماذا احتوى من الحكم؟ وماذا ضم من الفوائد؟ وماذا خطط للأمة في مستقبلها؟ والله يعلم أن الرئيس بريء من معرفة هذا عندما قال هذا، وبريء حتى الآن من معرفة هذا، حتى بعد التحليلات التي يحللها الذين يبيعون دين الناس بدنياهم، بل بدنيا غيرهم.

وقد سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله: سئل: من الملوك؟ قال: الزهاد، قالوا: من السفلة؟ قال: الذين يأكلون بدينهم، قالوا: من سفلة السفلة؟ قال: الذين يصلحون دنيا غيرهم بإفساد دينهم... يصلحون دنيا غيرهم بإفساد دينهم.

أقول **أيها الإخوة:** وليست القضية قضية السلطان الأكبر وإن كان يصل به الأمر أن يقول:

(أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين) (الزخرف: ٥١-٥٤)

ولا يمكن أن يطاع الرئيس إلا بخفة الشعب وفسقهم، ولا يمكن أن يعتلي هؤلاء على أكتاف البشر ويتعدون على حناجرهم، يذبحون الشعوب على أقدام نزواتهم وعلى مذابح شهواتهم، إلا بأعمدة من أهل الباطل، وهذه الأعمدة ما أكثرها التي تسند الخشب، كما قال الله عز وجل:

(كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم) (المنافقون: ٤)

فإذا رأوا ملتحيا في الطريق جاء إليهم الحاشية -التي تلعق الطناجر، وتجلو الصحون مقابل بيع دين الله- جاءوا إليهم: لقد كثر المتدينون، انظروا! إن هؤلاء خطر عليكم، إن هؤلاء سيفعلون بكم، انتبهوا لقد كثرت الجلابيب، انتبهوا.. اجتمعوا.. خططوا.. اعملوا خطة لمكافحة التطرف الديني، لمكافحة التزمت، لمكافحة التقوقع، ربوا جيلاً.. جيلاً مرناً، دينه مطاطي؛ يمط على أهوائهم، ويتسع على شهواتهم، وهاتوا لكم علماء يفتونكم كما تريدون، ويفتنونكم، وبالنار أنتم وهم تلقون -نعوذ بالله من الفتنة-.

(لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون) (المائدة: ٦٣)

وكم ذبح من العلماء؟ وكم شنق من المفكرين بفتوى من شيوخ بل أكبر شيوخ الأرض؟ وما أعدم سيد قطب إلا بفتوى من شيخ الأزهر بعد أن كتب الآية

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) . (المائدة: ٣٣)

وما قتل عبد القادر عودة، ومحمد فرغلي، ويوسف طلعت، وإبراهيم الطيب، وغيرهم إلا بفتوى من شيخ الإسلام !!.

لقد جاءوا إلى الشيخ محمد الخضر حسين ليفتي بضلال هؤلاء، وجواز قتلهم وسجنهم، قال: معاذ الله -وفي هذا العمر- أن أشتري الجحيم ببيع الجنة، فأقالوه، وقد كان شيخ الأزهر ينتخب انتخاباً، ويختار اختياراً من قبل العلماء، فكان لا ينجح إلا الصادقون، ثم نصب عليهم شيخ آخر بقرار من رئاسة الجمهورية والقوة الثورية، والعصبة الدموية، قالوا عن فلان وهو عند ربه، هذا هو شيخ الأزهر، ونكف عن ذكر اسمه، وخرجت الفتوى التي قرأتها: (إن حكم الإخوان المسلمين معروف في الشرع، إنهم خارجون لا

تقبل لهم توبة) إنهم خارجون... مقبول، ولكن لا تقبل لهم توبة؛ من أي دين جاء بها؟ وقد تأول الآية حسب أهوائه وشهواته.

(إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم) (المائدة: ٣٤)

وقال: هؤلاء لم يتوبوا إلا بعد القبض عليهم، وبعد إلقائهم في السجن، وهم في السجن، وهم رهن القيود، فلا تقبل لهم توبة.

وأعدم عبد القادر عودة بهذه الفتوى مع إخوانه بفتوى شيخ الأزهر في كانون الأول سنة (١٩٥٤م).

على الأعواد أعنـــاق إليها الحور تشــتاق

تغني وهي تمـــتاق لمصرعها أشفـــاق

وملء الموت إشــــراق

على الأعواد فرســان هم بالليل رهبــان

وملء الليـــل قــرآن إذا هتفوا به لانــــوا

فدمع العين رقــــراق

سقوا إنجلـــترا الذلا وداسوا جندها قتلا

وسل صهيون كم أبلى كتائبها فما أبلــــى

دما في الله يهــــراق

فيا أيها الإخوة: انتبهوا، إن هذه هي الشهوة الخفية وقد تلبس عليك، كثيراً ما تضلك عن الطريق، وكثيراً ما تزيغك عن الحق، وكثيراً ما تبعدك عن الجادة، انتبه إليها وابتعد عن الظهور وكم قصم الظهور من ظهور؛ لأن حب الظهور يقصم الظهور.

انتبه ولا يهمنك بروز أو حياة بين العامة.

وقد كان الإمام أحمد رحمه الله إذا سار في الشارع يسير بين الحمالين والعتالين حتى لا يشار إليه بالبنان.

يا أيها الإخوة:

(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين).

ومن حكمة الله ونعمه أنه {ما تواضع أحد لله إلا رفعه، وما أحب أحد الرفعة إلا أذله الله ووضعه} ولقد سابقت العضباء -ناقة رسول الله ﷺ- قعود أعرابي وكانت العضباء لا تُسبق، فشق ذلك على الصحابة أن يسبقها قعود الأعرابي، فقال ﷺ بمثل هذا الحديث.

ولذلك إبتغ التواضع يرفعك الله، وإذا أردت العلو وضعك الله، ابتغ العيش بين الناس وإياك والتميز {فإن الله لا يحب العبد المتميز}[1] في حديث صحيح، وإياك والترفع عن الناس وإياك وازدراءهم، وكفى بالمرء إثما أن يحقر أخاه المسلم، وقد يكون هذا الذي تزدريه بين جنبيه أسد هزبر يعدل ملء الأرض منك، وكما قال ﷺ: {هذا خير من ملء الأرض من ذاك}.

عندما سأل الصحابة عن رجل فذكروه حريّ إذا خطب أن يزوج وإذا قال إن يسمع وإذا أمر أن يطاع، ثم مر رجل رث الهيئة فقير الحال فقال: ما رأيتم؟ فقالوا: حريّ إن قال أن لا يسمع، فبعدما قال ﷺ: {هذا خير من ملء الأرض من ذاك}[2].

فقال العلماء والفقهاء: لايوجد أي صنفين من الأشياء يعدل أحدهما ألفاً أو آلافاً من صنفه إلا من الإنسان، فقد يعدل الإنسان ملء الأرض من جنسه.

ويا أيها الإخوة: أقول: إن حب العلو في الأرض يجعل بعض الناس يدّعون الألوهية، فيشرعون للخلق بغير شرع الله

---

(١) رواه مسلم بلفظ (بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم)

(٢) رواه البخاري / فتح الباري ١٣٢/٩.

(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (الشورى: ٢١)

يغيرون حكم الله، يغيرون كتاب الله، يناقضون سنة رسول الله ﷺ بالتشريع بما أملت عليهم شياطينهم، وبما زينته لهم غواشيهم وأهواؤهم.

الألوهية حق الله:

والتشريع إنما هو لله وحده، وكما اتفق الأصوليون أن الشارع هو الله عز وجل وحده، والرسول ﷺ إنما أخذ الإذن من الله بالتشريع، إنما حق التشريع لله وحده، فمن شرعَ للناس بغير ما أنزل الله فهو يدّعي الألوهية، سواء نطق بها أو لم ينطق، ومن أطاع هذا التشريع فإنما هو عبد البشر سواء نطق بالعبودية أو لم ينطق .

وعندما قدّم (هولاكو) قانون (جنكيز خان) (الياسق) للأمة الإسلامية لتطبقه، وقف العلماء ورفعوا الياسق، وقالوا: من حكم بهذا الكتاب فقد كفر، ومن تحاكم إليه فقد كفر.

يقول ابن كثير في البداية والنهاية عن الياسق -يقول أخيراً-: فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة فقد كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسق -يعني قانون جنكيز خان الذي جمعه من الإسلام واليهودية والنصرانية- فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها على الإسلام، لا شك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين، فمن شرع ولو تشريعاً واحداً بغير ما أنزل الله فقد خرج من دين الله عز وجل، ومن أطاع هذا التشريع فهو عبد لهذا العبد سواء نطق بالعبودية أو لم ينطق.

فمن سنّ قانوناً، قال: إن عقوبة السارق شهران، والله عز وجل يقول (فاقطعوا أيديهما) فهو يدعي الألوهية، سواء نطق بها أو لم ينطق، لأنه يظن أن تشريعه خيرمن تشريع الله، وأن قوله أحكم من قول الله المحكم المفصل، ولذلك من قال: إن عقوبة السارق شهران لا يفترق عن الذي يقول: إن صلاة المغرب أربع ركعات، هذا غيّر حكم الله، وهذا غيّر حكم الله، هذا كافر بإجماع الأمة، وهذا كافر بإجماع الأئمة .

فانتبهوا أيها الإخوة للذين يغيرون شرع الله، وأعظم بلية حلت بالبشر هي أنه انتصب من بين الناس أناس يدّعون لأنفسهم حق التشريع، ويعطون لأنفسهم حقوق الألوهية التي تفرد بها رب العزة ذو الجلال والإكرام .

فلا بد أن يكون التشريع من الله ثم من رسول الله ﷺ من الكتاب أو من السنة أو من الإجماع أو القياس، هذه المصادر التي اتفق عليها العلماء طيلة التاريخ الإسلامي كله، ومن شرع بغير ما أنزل الله فهو كافر خارج من الملة باتفاق أئمة المسلمين.

وحق التشريع هو الذي يعطيهم حق ذبح الأمم، هو الذي يعطيهم حق نزع الأموال، هو الذي يعطيهم حق التوسع بالشهوات، لأن القوانين تحميهم، ويتكلمون باسم القانون، وينطلقون من منطلق الدستور، ولذلك بعض القوانين تنص: على أن فلاناً -يعني الحاكم الأول- فوق الدستور، أي أنه لا يطبق عليه دستور ولا قانون، والإسلام ليس فيه أحد فوق الدستور، ليس فيه أحد فوق القانون، كلهم يخضع لشريعة الله، وكلهم عبيد يجب أن يتحاكموا إلى شريعة الله عز وجل.

ولذلك إذا رأينا في كل مكان من الأرض الآن محاكمات للشباب المسلم يزجّون بهم في أعماق السجون، كلما تجمعت فئة مسلمة من الشباب الذي يسحق تحت نير الظلم والطغيان، إذا عبّروا عن آلامهم، وإذا أنّوا وهم يلفظون أنفاسهم، جاءت العقابين، وجاءت الزبانية تقتص منهم، وتأخذهم في لحظاتهم الأخيرة، أخذ الزبانية بظلم، واستكباراً في الأرض.

(فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) (النمل: ١٤)

وعاقبة الظلم وخيمة.

(وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) (الشعراء: ٢٢٧)

وما من شيء ينتصر الله به في الدنيا مثل قطيعة الرحم، ومثل الظلم، ومثل العقوق، ينتصر الله لأوليائه، وينتقم لأحبائه من أعدائه، وإن كان هؤلاء الظالمون سوط الله في الأرض ينتقم بهم من الظالمين، ثم ينتقم منهم جميعاً .

يا أيها الإخوة: في كل مكان الآن، الإعلام صيحات: إياكم والتزمت، انتبهوا للتطرف، يأتون بالمشايخ ليفتوا: كيف يمكن مكافحة التطرف الديني؟ كيف يمكن محاربة الجهاد؟ إن معظم المحاكم الآن في أرض الكنانة تهمتها الأولى هي الجهاد، يحاكمون الشباب على تهمة الجهاد، يعدمونهم على تهمة الجهاد، يسجنونهم على تهمة الجهاد، فأي استكبار في الأرض أعظم من هذا؟!

الفساد يصبح عدلاً، والجهاد يصبح ظهوراً في الأرض وخروجاً على السلطان، ويُعتبر فاعله مجرماً يؤخذ بالنواصي والأقدام، ويساق إلى الأعواد والمشانق في كل مكان.

ماذا يريدون؟!

لا أدري ما أسباب تخوفهم من هذا الشباب الراجع إلى الله، الآيب إلى ربه، المخبت إلى خالقه وبارئه؟ ما بالهم ينتفضون، ولا ينتفضون من جماهير الشباب التي غرقت في شهواتها؟ والتي غاصت في نزواتها تنطلق في كل مكان في الأرض تروي شهواتها، وهم منها لا يخشون ولا يرتعدون، إنما يرتعدون من لحية إذا طالت، ومن جلباب إذا ستر عورة امرأة مسلمة، وتوضع له الخطط، ويجتمع له الوزراء، ويلتقي له الإنتربول الدولي، ويلتقون له في بلاد الكفر، وفي بلاد الإسلام ليخططوا كيف يمكن أن يكافحوا التطرف الديني؟ كيف يمكن أن يكافحوا الإسلام باسم التطرف الديني، وباسم التزمت، وباسم التقوقع، وباسم الإنغلاق؟!

يريدون شباباً منطلقاً مع شهواته، وكما قال لي ملحق لأحدى الدول: لقد جاءني في ليلة واحدة في أمريكا ثلاثة عشر شابا جاء بهم البوليس مصابين بالسيلان، ولغوا جميعاً في امرأة واحدة مصابة بالسيلان، هؤلاء لا يشكلون خطراً على السلطان، لا يشكلون خطرا لأنهم أغرقوهم بأهوائهم وشهواتهم، وأما الشباب الذي هو درع أمته، وحصن دولته، وبناء بلده، هوالحصن الحصين، والركن الركين الذي تلجأ إليه الأمة إذا أخذت بخناقها الخطوب، وإذا اشتدت عليها الأزمات، هؤلاء يكافحون، وبمن؟ بالمخالب وبالأظافر التي نصبها أعداء الله في بلادنا تمزق أحشاء كل مسلم، وتأخذ بأمعاء كل مؤمن.

إن التطرف الديني: هو التزام بدين الله عز وجل، ليس هنالك تطرف، إن التطرف من الظالمين، إن التطرف من الطغاة، إن التطرف من هؤلاء الذين يظلمون الناس بغير حق؛ أما الشباب الذي يريد أن يسترد بلده بالجهاد، الشباب الذي يبحث عن طريقة يؤدي فرض الإعداد من أجل أن يحمي بلاده من اليهود الزاحفين في كل مكان، ومن الكفر الزاحف من الغرب، ومن البدع الزاحفة من الشرق، ومن اليهود الزاحفة من الغرب من البحر المتوسط؛ هؤلاء يشكلون خطراً على أهواء أصحاب الهوى وعلى ظلم الظالمين، كما أنهم درع الأمة الحصين وركنها الركين، وجدارها المتين، تلجأ إليه في أزماتها، وتحتمي به في كرباتها.

(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) (النساء: ٧٥)

الذين لم يحموا أعراضنا كنساء، ولم يحموا براءتنا ودماءنا كأطفال أبرياء، ولم يحموا شيخوختنا كأناس طاعنين في السن يدبون إلى الموت دبيبا، هؤلاء ظالمون (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) الشعب الظالم أهله: الشعب وسلطانه ظالمون لأنهم لم يحموا الحرمات، ولم يصونوا المقدسات، ولم يحموا أموال المسلمين من السبي ومن الأخذ من قبل أعداء الله عز وجل، وهذه عقوبة من الله عز وجل {وما ترك قوم الحكم بكتاب الله وبسنة نبيه إلا سلط الله عليهم عدوهم فيأخذ بعض ما في أيديهم} فإياكم أن تنخدعوا بمضلات الفتن؛ بأبواق الإعلام التي أضلت الناس جميعاً، والتي حولتهم إلى غوغاء، وكما يقول أحمد شوقي:

جـــرب البهتان فيــه	وانطلـــى الزور عليه
يـــا له من ببـغـاء	عـقـله فـــي أذنــيه

لا يفكرون.. عقله في الأذن، كل ما تسمعه أذنه فهو الحق، وهو صحيح.

كونوا مع الذين يعدون أنفسهم لحماية دين الله ونصرته في كل مكان، كونوا مع الشباب المسلم، كونوا مع التجمعات الإسلامية، كونوا مع الدعوة الإسلامية، كونوا مع الحركات الإسلامية، هذا موقفكم الصحيح، وهذا مكانكم الذي به تتربون وتحت ظله تنشأون نشأة سليمة صحيحة قويمة يحبها الله ويرضى بها الرسول ﷺ.

الجهاد طريق التوحيد

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا.

ماذا نريد؟ ماذا يريد المسلم من حياته؟ وماذا يريد المسلمون الآن؟

المسلم يريد في هذه الدنيا أن ينقذ ما استطاع من البشر من النار، وأن ينقذ نفسه أولاً من النار، وأن يدخل الجنة.

إنقاذ الناس من النار: لا يمكن أن يتم إلا من خلال دولة إسلامية تتبنى مصالح المسلمين في الدنيا، وترفع راية الجهاد، وتجييش الجيوش لفتح البلدان وإعادة الإنسان من عبادة الشيطان إلى عبادة الرحمن.

الطريق إلى الخلافة:

فنحن نريد أن نعيد المنارة المفقودة، والصرح الشامخ الذي توالت عليه معاول الغرب ثلاثة قرون حتى طوّحت به وهدمته. عمود الخلافة الذي تشتت بعده المسلمون في كل مكان بلا راع كالغنم في الليلة الشاتية تأكلها الذئاب، ويدوس رؤوسها كل كافر، وتحول المسلمون بعد هذه المنارة؛ التي كانت تضيء لهم الطريق في الحالكة، تحولوا إلى الغثاء الذي خبّر عنه رسول الله ﷺ[1]: **(تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكَلَةُ على قصعتها، قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: لا إنكم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء -زبد- كغثاء السيل -لا قيمة لكم في البشرية أبداً- غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت -وفي رواية أحمد- حب الدنيا وكراهية القتال).**

العامل الوحيد الذي يتكفل بإعادة هذا الصرح الشامخ هو الجهاد.. الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، الجهاد الذي به تصاغ النفوس، وتصفو الأرواح، الجهاد الذي تصغر فيه -في عيني المجاهد- كل الدنيا، لأن المجاهد عندما يرتفع إلى ذروة سنام الإسلام ينظر إلى الدنيا صغيرة حقيرة، كالإنسان الذي يركب الطائرة كلما حلق في الجو يغيب عن ناظريه المطار، والبلدة، والأهل، والسكان، وكل الأرض تغيب كلما حلق في الفضاء؛ كذلك الذي يصعد إلى ذروة سنام الإسلام، تصغر الدنيا في عينيه لأنه في القمة، فهو يعجب لما يختلف عليه أهل الأرض، ويعجب مما يتخاصم عليه أهل الجاهلية، من المتاع القليل، ومن الدراهم، ومن طول السيارة، ومن عدد الإصابات في لعبة الكرة، يضحك من بعيد، ينظر إليهم من عل يلعبون لعب الأطفال، ويلثغون لثغ الأطفال، ويرثي لحالهم ولكل حال مثل هذه الحال، لأنهم لن يحققوا مهمة حياتهم في الدنيا، وسيفقدون النتيجة في الآخرة.

الشهادة اختيار:

الجهاد فعلاً يصغّر الدنيا في عيني الإنسان؛ قضية الحياة والموت تصبح عنده سيّان، بل الموت أحب إليه إن كان في سبيل الله.

والشاب الذي يأتي للجهاد إنما همّه الاستشهاد، وهمّه الجنة، وهمّه الحور العين، وهمّه أن يأخذ شهادة من رب العالمين، يؤمّن بها مستقبل الأبد أبداً. وماذا؟ هل سيأخذ الشهادة من كلية الطب حتى يدخل في وزارة الصحة؟ هل سيأخذ شهادة من كلية العلوم حتى يصبح أستاذا للفيزياء؟ هل سيأخذ شهادة من كلية أصول الدين حتى يصبح مدرساً في الثانوية أو الإعدادية؟ هل يأخذ شهادة الدكتوراه حتى يصبح أستاذا مساعداً في كلية الشريعة؟ إنه سيأخذ شهادة أمضى عليها رب العالمين، أمضى عليها الله، وهذه الشهادة يدخل صاحبها جنة عرضها السموات والأرض، وإلى الأبد.

(أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين إن هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون) (الصافات: ٥٨-٦١)

شهادة هذه ... وأنا والله غبطت هذا؛ شاكر القرشي الطائفي، وجبران شريف ناصر من اليمن، هذان جاءانا من أمريكا، وشاكر القرشي رجع من أمريكا، واشتغل -كم- شهراً في الرياض ثم جاءنا هنا، شهرين .. رب العالمين ختم له على شهادة وأدخله الجنة -كما نظن والله أعلم-، وعنده شهران.

هذا لو بقي في أمريكا -كم- حتى يحصل على البكالوريوس والماجستير، والدكتوراه؟... سنوات، والله أعلم يخلص من شر الأمريكيات، ومن فتنهن، ومن فتنة الحياة الجاهلية في خضم ظلامها المتلاطم؟

كم سنة حتى يأخذ شهادة ويرجع إلى جامعة الملك عبد العزيز أو جامعة الظهران أو جامعة فيصل أو غيرها؟ بشهرين... يأخذ شهادة من رب العالمين؛ هناك سيمضي له على الشهادة (جون وأنطون)! وهنا الله يشهد له، والملائكة يشهدون، والمؤمنون يشهدون، أي نعمة أكبر من هذه؟.. شهرين.. شهرين تتخرج.. تتخرج وتأخذ شهادة تؤمّن لك سعادة الأبد!!

فهؤلاء الذين فازوا.. فازوا، وتجد الواحد منهم، بعضهم ليس معه ثانوية عامة أو بعضهم راسبا يدخل جامعة ربنا يأخذ شهادة ويمشي بدون ثانوية، ونحن الواحد منا معه الدكتوراه، والله عز وجل -يبدو سبحانه وتعالى- هو أعلم بالقلوب يختار الذين يحبهم، فنرجو الله أن نكون على مستوى أن يحبنا الله، ويختارنا إليه -إن شاء الله- شهداء؛ لأن هذه الشهادة كالثمار كلما نضجت ثمرة

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٩٥٨.

قطفها رب العالمين، ثمرة طيبة... ناضجة يأخذها! فالمسألة اختيار... ينظر كم في صدى؟... مائتين وستين، يأخذ منهم ثلاثة شهداء.. أيهم الله أعلم، أنت وحظك وأنت وصلتك مع رب العالمين، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، أنت وعبادتك، أنت ودعواتك، أنت وقيامك، أنت وصيامك، أنت واهتمامك، أنت وعزمك، هو رب العالمين ينظر... إذا كنت تستحق .. (ويتخذ) يختار سبحانه.

فالجهاد حياة الأمم، ولا حياة للأمة الإسلامية بدون جهاد، ولذلك قال المفسرون أو بعض المفسرين:

-(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيكم) (الأنفال: ٢٤)

قالوا: إذا دعاكم إلى الجهاد، لأن الجهاد هو الحياة.

فضل الجهاد:

والجهاد هو السياحة.. {سياحة أمتي الجهاد}[١] والجهاد هو رهبانية هذه الأمة.. {رهبانية أمتي الجهاد}[٢] والجهاد هو العبادة الوحيدة التي تمحى بها كل السيئات، إذا ختمت بالشهادة كل شيء.

والجهاد هو أفضل أعمال البر على الإطلاق، كما قال الإمام أحمد وغيره: لا يوجد عبادة أجرها كأجر الجهاد ...

{يا رسول الله ماذا يعدل أجر المجاهد؟ قال: لا تستطيعونه، أيستطيع أحدكم أن يقوم فلا يفتر، ويصوم فلا يفطر؟ قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ -أربع وعشرون ساعة صائم مصل- قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت لا يفتر عن صلاة أو صيام أو قيام حتى يرجع المجاهد}[٣].

ولا يوجد واحد نومه ونبهه أجر إلا المجاهد.

{الغزو غزوان -يعني نوعان- **فمن خرج ابتغاء مرضاة الله** -الحديث حسن- **فمن خرج ابتغاء مرضاة الله وأطاع الإمام** -يعني الأمير- **وأنفق الكريمة** -يعني من كريم ماله- **وياسر الشريك** -كانت أخلاقه طيبة مع إخوانه في الخيمة وفي المعسكر ومع المسئول ومع الأنداد ومع الكبار والصغار- **وياسر الشريك واجتنب الفساد** -القيل والقال والنميمة وما إلى ذلك وما يتبعها كذلك من الغلول والسرقة طبعاً- **واجتنب الفساد، كان نومه ونبهه أجراً كله}[٤].** النوم واليقظة كلها أجر، وأنت تلعب لك أجر، ترقد لك أجر، تمزح مع إخوانك لك أجر، بل إن لك أجرا على فرسك إذا كان محبوساً في سبيل الله، إذا كان يلعب الفرس، وإن فرسه ليستن بطوله يعني يستن بطوله، أي يرعى بحبله، والطول الحبل، والأجر يجري عليه، إذا لعبت فرسك لك أجر، وإذا لعبت أنت لك أجر، وإذا نمت لك أجر، فكل وقتك أجر، بالشروط الخمسة هذه: صدق النية... طاعة الأمير.

وطاعة الأمير فرض، ولو كان أمير خيمة، تقول: من أمير الخيمة هذا حتى أطيعه؟! أنا أفهم منه وأعلم منه، أنا أستاذ وأنا... وهذا لم ينه الثانوية.. أمير... وطاعته فرض، وعصيانه حرام... عصيانه حرام يعني إثم، وطاعته فرض، قال لك: أسكت. تسكت، لا تتكلم بعد التاسعة والنصف بعد إطفاء الأنوار.. ما تتكلم بعد إطفاء الأنوار، لا تفتح المسجل، لا تزعج إخوانك انتهى.. إجمع.. أجمع، إجلس...أجلس، طاعته فرض.

نومه ونبهه أجر كله، {ومن خرج رئاءً وسمعة، ولم يجتنب الفساد، ولم يطع الإمام، لم يرجع بالكفاف}، يعني: رجع مأزوراً غير مأجور، يعني ياليته رجع بالحسنات التي جاء بها يوم أن جاء.

فانتبه، أنت في عبادة (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) والجهاد لا رفث، ولا فسوق، ولا جدال فيه.

وهنا إن صدقت: اليوم بألف يوم **{رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم في ما سواه من المنازل يقام ليلها ويصام نهارها}[٥]** حديث صحيح.

اليوم بألف يوم **{ورباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها}[٦]** وإذا مت هنا فأنت شهيد بأي ميتة متَّ، في التدريب أصابتك رصاصة، أصابك مرض.. برد.. زكام.. نزلة صدرية.. انقلبت السيارة، أو وقعت من ظهر الجبل، مت فأنت شهيد.. اطمئن

---

(١) رواه ابو داود والحاكم وقال حديث صحيح الاسناد.

(٢) رواه أحمد وابو يعلي انظر كتاب الجهاد لابن المبارك ٦٨.

(٣) رواه الشيخان. (٤) صحيح الجامع الصغير ٤١٧١.

(٥) رواه النسائي والترمذي وحسنه. (٦) صحيح الجامع الصغير ٣٤٨٢.

حيث ما مت من الآن حتى ترجع إلى بلدك فانت شهيد، حتى وأنت راجع إلى بلادك إن كانت نيتك أن تزور أهلك، وتروح نفسك مدة شهر ثم ترجع إلينا، فإذا سقطت الطائرة بك في الذهاب أو الإياب فانت شهيد، لأن **[قفلة كغزوة]** قفلة: يعني الرجوع للأهل كغزوة لها أجر لأنها تروح عن النفس، وتزيد في النشاط، وترجع بطاقة جديدة **[رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها خير مما طلعت عليه الشمس وغربت]**.

يعني أفضل من جدة، والطائف، و عمان، والقاهرة، ودمشق، اعطف على كل الدنيا، ليس أفضل فقط من المدرسة التي تدرس فيها، والجامعة التي أنت فيها، خير من الدنيا وما عليها.

ومن مات مرابطاً لم يختم على عمله؛ يبقى كل يوم الملك يخرج صفحة جديدة أحسن أعمالك، ويضيفها رب العالمين إلى ديوان أعمالك، وهكذا إلى يوم القيامة! الله أكبر!! أي نعمة أكبر من هذا؟! **[ما من ميت إلا ويختم على عمله إلا من مات مرابطاً..]**[1] ويأمن من عذاب القبر -فتنة القبر - وسألوا رسول الله ﷺ لماذا؟ قال: **[كفى ببارقة السيوف فوق رأسه فتنة]**.. يكفي (B.M) (ب.م ٤١) فوق رأسه كل قصف واحد وأربعون صاروخاً تنزل عليه، يكفي قذائف السوخوي، الميغ (MIG 25) القذيفة طن كامل، يكفي الرشاشات ومع ذلك تريدون أن يعذب في القبر، فهو قد تعذب في الدنيا كثيراً!!

وجرى عليه رزقه؛ يغذى برزقه، لأن أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث تشاء، يغذى برزقه بكرة وعشيا.

فنحن هنا أولاً في الإعداد، والإعداد فريضة **[ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً]**[2] ونحن في شبه رباط، لأنا لسنا في خوف كبير من العدو، -في خوف- لكن لسنا في خوف كبير من العدو، ونخيف، ونخاف، ولكن ليس بالمستوى الذي يكون في داخل الحدود فنحن هنا نعتبر شبه مرابطين، يعني: نصف فريضة الرباط أو ثلاثة أرباعها فأنت إن شاء الله هنا تقوم بفريضة ونصف أو فريضة أو ثلاثة أرباعها، وهو خير من الإنسان الذي يذهب إلى الجبهة بدون فريضة الإعداد ويرابط هناك، أما الذي أعد هنا وتدرب جيداً، وذهب إلى الجبهة فمقامه هناك أكثر أجراً؛ لأن هناك رباطاً كاملاً، وهنا ليس رباطا كاملا، إلا إذا استبقاه الأمير هنا لحاجة إليه كالإعداد، والتدريب إلى آخره، فهذا يأخذ على الفرد عند رب العالمين، عنده ثلاثمائة واحد الآن، كل واحد آخر النهار؛ الأجور التي استفادها في هذا اليوم، تجمع وتضاف إلى الإنسان الذي قام بتدريبهم، أو توجيههم أو ما إلى ذلك.. والله نحن هنا نأخذ أجراً... أجراً على ظهوركم وربنا إن شاء الله لا يحرمنا إن شاء الله جميعاً.

فالجهاد هو الطريق الوحيد لإقامة المجتمع المسلم، وهذا المجتمع المسلم ضرورة كالطعام والشراب والهواء، وإعادة هذا الصرح المفقود فرض على كل مسلم، والعالم كله يخشى من عودة الخلافة مرة أخرى، ويدرك أعداء الله عز وجل أكثر من المسلمين؛ أن الخلافة لن تعود مرة أخرى إلا بالجهاد.

تشويه الجهاد:

ومن هنا كانت الحملة العالمية على الجهاد، وعلى الخلافة، وأصبح الجهاد ديدن المستشرقين وعملهم الدائب؛ أن هذه أمة متوحشة، أمة حاملة لسيوفها تذبح البشرية، أمة عبارة عن مجموعات من مواكب الهمج والغوغاء، كلما وجدت إنساناً قتلته، هذا الدين الذي لا يقوم إلا بالسيف، هذا الدين.. هذا الدين.. فالمسلمون مساكين صدقوا، فصاروا يدافعون عن أنفسهم لا... لا..... ديننا دين دفاعي، دين سلم وبالحكمة، وأنتم النصارى خاصة الأمريكان والإنجليز، أنتم أقرب إلينا.

(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى) (المائدة: ٨٢)

أنتم قريبون لنا، لا... نحن فقط نحارب الإلحاد... نحارب الشيوعية، نحن لا نحاربكم أنتم، لأنكم قريبون لنا.

حسناً... دينكم قام بالسيف...لا.. لا.. ديننا:

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (النحل: ١٢٥)

دينكم هجومي.. لا.. لا.. ديننا دين دفاعي.

---

(١) رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح

(٢) رواه البخاري في صحيحه

{قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين} (البقرة: ١٩٠)

... لا تعتدوا.

وهكذا كل الكتابات التي كتبت عن الجهاد كانت هزيلة.. هزيلة تمثل روح الانهزام في أعماق كتاب المسلمين الذين عاشوا في هذا القرن الذي فيه ذراري المسلمين، فيه ذراري المسلمين مهزومون روحياً وعقلياً أمام ضغط الواقع الحاضر، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر.

ديننا قام بالسيف.. ديننا قام بالسيف؛ أنا أقول لكم: ديننا لن يُنصر ولن يقوم إلا بالسيف، نعم تحبون أو لا تحبون؟ احملوا السيف وتفضلوا، الآن ديننا يحتاج (زيكويك) و(هاون)، و(كلاشنكوف)، و(قنابل)، و(متفجرات) و (R.P.G) و (B.M .12) هذا الذي سينصر ديننا، ونحن سننشر ديننا بهذا، حتى يسمع أعداء الله عز وجل.

يا جماعة مَن أرحم من رسول الله ﷺ؟ من أرحم منه؟ هو ماذا قال؟ **{بعثت بالسيف** -جاء بالسيف بيده- **بعثت بالسيف بين يدي الساعة** -بالسيف لماذا؟- **حتى يعبد الله وحده لا شريك له}** يعني: السيف ضرورة لإقرار التوحيد في الأرض، توحيد بدون سيف !! لا يوجد توحيد بدون سيف **{بعثت بين يدي الساعة بالسيف** -لماذا؟- **حتى يعبد الله وحده لا شريك له}**[1] والرزق من الخطط الإنمائية! من مشاريع الخطة العشرية والخمسية والثلاثية، المشروع الزراعي والصناعي.

الرزق تحت ظل رماح:

{وجعل رزقي تحت ظل رمحي}.

وعندما علم عمر رضي الله عنه أن المجاهدين في فلسطين -**الصحابة**- عندما فتحوا سهل الحولة زرعوه بالقمح، أرسل واحدا ليحرق القمح، وعندما وصل أحرق زرعهم، ومعه رسالة من عمر بن الخطاب سطران فقط، سطران، عمر ما كان واقفاً يخطب ثلاثة ساعات عن الأمة، والاشتراكية، والشعب، والقومية العربية، وما إلى ذلك، كانت رسائلهم سطرين، ثلاثة سطور، أربعة سطور، أكثر رسائله رسالة له تلقاها أقل من صفحة.

بعد أن أحرق زرعهم هجم الصحابة ماذا نصنع؟ أحرقت الزرع؟! سمراء الشام حنطة مضروب بها المثل، قال: اسمعوا رسالة عمر: (إذا تركتم الجهاد واشتغلتم بالزرع ضربتُ عليكم الجزية وعاملتكم معاملة أهل الكتاب، إنما أقواتكم مما تستخرجونه من أفواه أعدائكم) .

اللقم تخرجها من أين؟ من فم عدوك.. مفهوم؟.. يا سلام! يا سلام! يوم أن كان دين الله عز وجل يحميه السيف، وأصابت الجزيرة المجاعة في عام الرمادة، أرسل إلى عمرو بن العاص رسالة: أن الجوع قد عضنا بنابه فأدركنا، فأرسل إليه عمرو بن العاص رسالة.. سطر واحد: (سأبعث إليك بقافلة الغذاء أولها عندك وأخرها عندي).

الله!! أولها عندك وأخرها عندي، أولها في المدينة المنورة، وأخرها في القاهرة! قافلة مشحونة محملة بالقمح، لأن مصر كانت مخزن القمح للعالم العربي.

أين قمح مصر الآن؟ تنتظر شحنات القمح الأمريكي شهراً شهراً! تنتظر شحنات القمح الأمريكي شهراً شهراً! وإذا أرادت أمريكا أن تقيم انقلاباً في مصر تؤخر القمح شهراً أو شهرين، يحدث انقلاب، ولذلك كان عبد الناصر يسب أمريكا في القاهرة والقمح نازل في الإسكندرية.. القمح الأمريكي.

مصر التي أنقذ الله بها العالم الإسلامي أيام سيدنا يوسف من مجاعة سبع سنوات؛ القمح.. أين القمح الآن؟ أين الزراعة؟ أين الصناعة؟

مصر عندما قامت الثورة التي لا بركة فيها سنة (١٩٥٢م) كانت مصر دائنة للعالم؛ كانت مصر دائنة لبريطانيا، كان الجنيه المصري ثمنه أكثر من عشرة ريالات، أكثر من ثلاثة دولارات، كان الناس في زمن الملك الذي يسمونه عميلاً، الملك الذي يسمونه فاسقا إلى آخره، هو فيه أكثر من هذه الصفات، الفسق، والفجور، وما إلى ذلك... الملك فاروق، كان كل بيت في مصر يشعر بالطمأنينة والأمن، يشعر بالكفاية، كما يقول المصريون : كانت حلة الفول هكذا، الآن هكذا، كان رأس البصل هكذا... الآن هكذا....

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٢٨٣١.

نعم.. الآن الدولار يساوي جنيهين ونصف، الآن مصر مدينة بأربعين بليون دولار!! هذا الربا.. رباها أربعة بلايين، مصر لا تستطيع أن تسد لو دفعت كل ما لديها، لا تستطيع أن تسد الربا، ولذلك تسد كل سنة ما عندها ويبقى الدين يزداد، يعني السنة عليها أربعون بليونا، يعني أربعين ألف مليون دولار، الربا أربعة بلايين سدت السنة بليونين، السنة القادمة يصبح عليها اثنان وأربعون بليون دولار، وبازدياد الربا أربعة واثنين في العشرة بليون تسد اثنين فيصبح أربعة وأربعين واثنين في العشرة بليون دولار .. وهكذا.

أين مصر؟ مثل ما قال: هذا هو الشعب المصري، نرجوا الله أن يبارك في هذا الشعب الطيب، يعبر عن آلامه بالنكتة، فواحد اشترى حبات فلافل ووضعها في ورقة جريدة، وورقة الجريدة مثقوبة للأسف، مسرور لأنه سيفطر على طعمية، فعندما وصل وجد أن حبات الطعمية قد سقطت، نظر فوجد صورة عبد الناصر فوضعها تحت قدميه، قال له: لا نلت لاحقن على هؤلاء..

(وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) (النحل: ١١٢)

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) (الأعراف: ٩٦)

نعم عندما حورب دين الله جهاراً نهاراً، أذلهم الله وأفقرهم، عندما شنق العلماء على الأعواد وهم صامتون، انتقم الله. يعدم سيد قطب سنة ست وستين ولا فم يفتح، وسمعت مدير إذاعة صوت العرب أحمد سعيد يعلق يوم أن أعدم سيد قطب يقول: نحن أعدمنا سيد قطب لأنه كان يريد أن يهدم القناطر الخيرية، ويريد أن يقتل أم كلثوم، وعبد الحليم حافظ... وأخيراً وإلى جهنم وبئس المصير...

ولذلك لم يجف دم سيد بعد ثمانية أشهر وأذل الله عبد الناصر وأذل العرب ذلاً ما حفظ التاريخ مثيلاً في طياته.

عندما يشنق العلماء، ويحارب الأبرياء، ويتابع الدعاة، ويفجر بالنساء، وتنتهك أعراضهن بسبب عفافهن وحصانتهن، كيف لا يغار الله عز وجل على حرماته؟ كيف؟!... **(من عادى لي وليا -واحداً- وليا فقد آذنته بالحرب)**[1] فكيف بمن يعادي أولياء الله جميعا.

التوحيد... يغرسه في الأرض السيف... **(بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي)**.

والأمة ولو كان عندها الإنتاج الزراعي والإنتاج الصناعي والإنتاج الحيواني، وكل المشاريع الإنمائية، إذا تركت الجهاد ستقع في ذل لا يرفعه الله حتى ترجع إلى الجهاد.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: **[إذا ضن الناس بالدرهم والدينار وتبايعوا بالعينة وأمسكوا بأذناب البقر** -العينة: هي حيل الربا، أن تشتري سلعة ديناً بألف درهم وتشتريها نقداً بتسع مائة درهم، فهنا.. يأخذ تسع مائة ويكون عليه ألف- **وتبايعوا بالعينة وأمسكوا بأذناب البقر** -الإنتاج الحيواني- **ورضوا بالزرع** -الإنتاج الزراعي- **وتركوا الجهاد سلط الله عليهم ذلا لا يرفعه حتى يرجعوا إلى دينهم]**[2].

العزة بالجهاد:

فالجهاد هو الطريق المأمون الوحيد لإحقاق الحق وإبطال الباطل، وهو الطريق الوحيد لكسر شوكة الكافرين ورد بأسهم وكيدهم

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا) (النساء: ٨٤)

قاتل وحرض: فريضتان مع بعضهما البعض، قاتل وحرض، قاتل ولو كنت وحيداً، وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا .

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح الجامع الصغير ٦٧٥.

الروس الآن لماذا يريدون أن ينسحبوا من أفغانستان؟ بالمفاوضات، بالسلم عن طريق الأمم المتحدة، عن طريق مجلس الأمن، أم عن طريق السيف؟.. السيف...

والله! يونس خالص لو حفظ كل متون الحنفية والشافعية والحنبلية لا يسمحون له أن يدخل الأمم المتحدة لولا السيف! الآن هم يطلبونه ، لو خرجت روحه مائة مرة لا يستطيع أن يقابل مساعد وزير الخارجية الأمريكية. الآن ريغان يطلبه، ريغان بنفسه، تعرف ريغان؟!.... نعم .

وكما قلت لكم: كم يشعر الإنسان بالعزة أن ريغان حاول عدة مرات مع حكمتيارأن يقابله، يرسل له الواحد تلو الآخر فرفض: السفير الباكستاني قال له: أنت مجنون -لحكمتيار- ستون رئيساً على قائمة ريغان يطلب مقابلته، وأنت ترفض مقابلته؟! قال: نعم، وعندما يئس عن طريق السفراء، أرسل رسالة خاصة بيد ابنته.

الله أكبر!! أية عزة للإسلام؟ أية عزة للمسلم؟! فجاءت البنت مورين ريغان برسالة وناولتها لحكمتيار، قال لها: أنا متأسف ، أنا عندي مواعيد الليلة، فذهب وقضاها مع المهاجرين الأفغان في أمريكا.

عزة... عزة، من أين جاءت؟ من مجلس الأمن؟! من العرائض!!... السيف {**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله**}.

مَن من زعماء المسلمين في العالم أو أي مسلم في العالم تجرأ أن يعرض الإسلام على ريغان إلا يونس خالص؟! .. يونس خالص قال له: أسلم يا ريغان... نعم لماذا بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله.

الطريق الوحيد لإقامة دين الله، وإقامة المجتمع المسلم، وبناء دولة إسلامية تتبنى مصالح المسلمين، وتشرع الجهاد، وتقيم الحدود، وتشحن الثغور، وتجيّش الجيوش لفتح البلدان، وإنقاذ الناس... هو الجهاد... هو الجهاد. والمسألة لا تحتاج لفلسفة كبيرة، ولا تحتاج إلى شهادات كبيرة، تسعون في المائة من شعب الأفغان أميون، الشعب التركي الذي حفظ الله به الإسلام ستة قرون، ستمائة سنة، شعب أميّ ، الشعب الذي ثل عروش كسرى وقيصر شعب أميّ.

شعب الرسول ﷺ عندما دخلوا إيوان كسرى، أوعندما دخلوا تستر وجدوا كافورا أبيضاً ناعماً، فقالوا: ما أنعم هذا الملح، ذبحوا يومها بالنصر ذبائح منها الأغنام التي تركها الفرس ووضعوا فيها من الملح الناعم هذا، بعد أن أكلوها لا يوجد ملح، قالوا: ما أنعم هذا الملح، لكنه لا يملح.. الله!! ما كان عندهم ماجستير في الكيمياء الحيوية ، ولا الكيمياء المعدنية -مع الاحترام لأهل الكيمياء- لا يعرفون...؟

أعرابي أسر ملكة بنت عبد المسيح -مضروب بها المثل في الجمال- فعندما مسكها قال: انتهى الحمد لله ملكنا الدنيا، فقالت له: لعلك أنت سمعت عني وأنا في شبابي الآن كبرت مالك ومالي خذ فدية مهما شئت واتركني، قال لها: نعم، أنا أريد ألفاً، ألف درهم، أخرجت ألف درهم فأعطته ومشت، قالت: لماذا ما طلبت أكثر من ألف؟ قال: هل يوجد أكثر من الألف؟

هؤلاء الذين حكموا الدنيا، هؤلاء... المسألة لا تحتاج إلى فلسفة، ولا شهادات ماجستير، ولا دكتوراه! طالب توجيهي يعرف قراءة القرآن الكريم يحيي الله به جبهة كاملة.. نعم قرآن كريم فقط.

ربعي بن عامر ماذا معه؟ دكتوراه في الإدارة والاقتصاد، الذي دخل على رستم يخرق طنافسه وسجاده على الفرس، فرس قصيرة وهو قصير وداخل بدون شسع بدون رباط يعني قليل من التمر وهذا السيف أو الرمح القديم دخل على الإيوان، على ديوان رستم بالفرس ودخلت الفرس، وأصبحت تطأ على السجاد، قاموا، قال: أنا ما أرسلت إليكم أنتم أرسلتم لي، لا تريدون أرجع، قالوا: لا اتركوه نحن الذين بحاجته ؛ ربط الفرس في أريكة من الأرائك هذه المذهبة ، ثم رستم على العرش الذهبي، والفرس جالسون طلع وقعد، قميص مخرق -والله أعلم- والطين والغبرة وسّخ بها العرش الذهبي، وقعد، قال له: ما الذي جاء بكم؟ قال كلمته المشهورة: الله ابتعثنا ... الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام..... يا سلام!!.

كان شيخ في سورية اسمه مروان حديد -رحمه الله- هذا كان يؤمن بالجهاد ضد النصيريين، المهم مسكه حافظ الأسد... هذا الرجل: أرسلوا إليه مجموعة من السيارات لإلقاء القبض عليه، وقفت السيارات في الخارج: على أهل العمارة أن ينزلوا لأن فيها جواسيس. فقال الشيخ مروان: يا أهل العمارة نحن مسلمون، ويا رجال الجيش والشرطة والأمن أنا أنذركم ربع ساعة تغادرون أو أبدأ القتال معكم. وفعلا بعد ربع ساعة بدأ بإلقاء القنابل وبالرشاش الذي عنده، وما إلى ذلك، وبقيت الدولة وجاءت بقواتها طائرات الهليكوبتر، لكن من الذي يجرؤ أن يدخل عليه؟ واحد ومعه أحد أصحابه، أنزلوا قوات (كماندوز) على ظهر العمارة، أرادوا أن يقتحموا الدرج، نسفوا الدرج، من الصبح إلى العصر ما استطاعوا أن يدخلوا شقته، ألف واحد .. المهم أخيراً جرح، واقتحموا شقته، وأخذ..

إلى السجن، فعقدوا له مجلساً عسكرياً من كبار النصيريين ، وكان معهم ناجي جميل وكان قائد القوات الجوية، هذا ينسب لأهل السنة، كلب من كلاب أهل السنة، ومصطفى طلاس قائد الجيش جلسوا -يعني كما حدثنا الشيخ مروان- معروف.. -سبحان الله!!- بجرأته العجيبة، ما رأيت أجرأ منه خاصة في المحكمة بين يدي الجلادين! نظر فوجد ناجي جميل ومصطفى طلاس قال: وأنت يا كلب ناجي جميل ومصطفى طلاس، لا زلتم أحياء يا كلاب؟ أنا أول ما وصيت الشباب أن يقتلوكم قبل هؤلاء النصيريين ، لأن على ظهوركم يا كلاب: انتهك النصيريون أعراضنا.

وأنتم أيها النصيريون .. أيها الضباط: أنا أوصيت الشباب أن يقتلوا منكم خمسة آلاف ضابط فقط! ناجي جميل صار يرتجف قال: أخرجوه هذا مجنون، أخرجوه!! ثم بلغنا أن حافظ الأسد بنفسه جاء إليه في السجن، قال: يا مروان. قال: نعم. قال نريد أن نفتح صفحة جديدة ، قال: طيب عفى الله عما مضى بشرط أن تتركنا من هذه الطريقة التي أنت فيها، قال: ما هي، قالوا: هذا عمل السلاح، قال له: وأنا أوافق بشرط واحد: أن تساعدني على قيام الدولة الإسلامية، فلمّ أذياله وخرج.

الخوف.. الخوف من السيف الذي يقرّ الله به التوحيد.

شاب عنده مائة رجل في منطقة واخان -واخان هذا (إصبع قرب واخان هذا الإصبع الخارج الواصل بين أفغانستان والصين، خريطة أفغانستان فيها مثل الكف مثل هكذا، وطالع منها مثل الإصبع في طرفها- هذه أخطر منطقة، والروس يضعون فيها قواعد مسلحة بالصواريخ وغيرها على بابها) يوجد شاب اسمه (نجم الدين) عنده حوالي مائة مجاهد، أتعب الروس كثيراً. الروس أرسلوا إليه اتركنا، لا يترك، فشنوا عليه هجوما فأسر خمسة من كبار ضباط الروس، أرسل إليه الروس، قالوا: لا تقتلهم ونحن نعطيك ما شئت، قال: والله أنا لست تاجرا ولا أعرف البيع والشراء، قالوا: إن قتلتهم سنحرق الأخضر واليابس وسنحرقك. عندما جاءه الخطاب رأساً أمر بقتل الجنرالات الخمسة أو الضباط الخمسة هؤلاء الكبار، قتلهم، وقال: أتحداكم أيها الروس ....

عزة الإسلام، هذا لا يصل إلى هذا المستوى لولا الجهاد، بمائة مجاهد يتحدى روسيا.

شاب أمي من بغمان اسمه (عبد الواحد) رحمه الله... شهيد -بغمان على حدود كابل- روسيا دخلت، قالت: أين المجاهدون، كان عبد الواحد قد جاء يجهز نفسه في بيشاور، وصل بغمان، عندما وصل بغمان نزل إلى الشارع وفي البوق: أين روسيا؟ وصل عبد الواحد..يا سلام !! أين روسيا؟ وصل عبد الواحد.. هذا عبدالواحد أمي!! والله لما كنت أجلس معه أعتبر حالي... متواضعا كثيراً -نفخة العرب نعوذ بالله.. نعوذ بالله- وهو أفضل منا وعلى رؤوسنا، عندما تجد شاباً أمياً ليس عنده شيء كثير، لكن السيف!!... وصل عبد الواحد!! فاستشهد عبد الواحد فجاءتني رسالة من جيبه كان عليها بعض قطرات من دمه مكثت في جيبي شهرين ورائحة العطر خارجة منها.

فالطريق الوحيد الآمن المضمون لإقامة دولة إسلامية، أو قاعدة صلبة ينطلق منها المسلمون في الأرض هي الجهاد في سبيل الله.

فالرسول ﷺ يقول: **{بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده}**.

فالتوحيد عن طريق السيف ينتشر، لكن العقيدة والفقه وما إلى ذلك، كله يُعلم من طريق الجهاد، وأمس تكلمنا عن هذا الموضوع، فالرسول ﷺ، والصحابة رضوان الله عليهم عندما علموا أن الروم على حدود الجزيرة على تخومها على بعد ألف كيلومتر يعدّون لغزو المدينة غزاهم قبل أن يغزوا.

السيف وظيفته إخضاع الناس لدين الله، وظيفته إزالة العوائق أمام الدعوة الإسلامية، إسقاط الأنظمة الكافرة التي تحول بين الناس وبين دين الله.

مبدأ السيف

يا من رضيتم بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا.. اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير) (الأنفال: ٣٩)

ويقول عليه الصلاة والسلام:

{بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم}[1].

الآية الكريمة تبين: أن الدين لايكون لله إلا بوسيلة واحدة وهي القتال، وهذا ناموس قد وضعه الله عزوجل للبشرية.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٢٨٣١.

قانون المجتمعات:

أن المجتمعات تدين للعقائد أولاً: فئة منها ترتضيها حكما لها بالطاعة والرضا، ثم تحمل هذه العقيدة مجموعة من الناس تواجه الجاهلية بأسرها وخيلها ورجلها، وتقوم عليها هذه الجاهلية بما لها من ميل وميلمان وسيف وسلطان، وتقوم المعركة بين الخير والشر، والحق والباطل، ويسقط على الطريق من يسقط، ويستشهد من يستشهد، ويثبت من يثبت، ثم ينتصر أهل الحق.

ومعظم الناس يقفون في المعركة متفرجين، ينتظرون نتيجة المعركة، حتى إذا انتصر السيف وقفوا تحت ظلاله، وحتى إذا شرعت الرماح -وقد رويت بالدماء وبالنجيع منتصرة مرتفعة- وقف الناس وراءها يرددون، ولمن يحملها يهتفون.

الناس لا يدخلون في دين الله أفواجاً بسهولة، ولا يرتضون الحق ببذل قليل وبنزر يسير، لن يرتضوا حقاً إلا بعد أن يخوض هذا الحق معركة طويلة، وهم ليسوا مستعدين أن يدفعوا الأثمان، بأن يبذل الغالي والنفيس والسهل والرخيص والنفس والنفيس.. يبذلونها من أجل نصرة العقيدة؛ لأن معظم الناس يريدون نيلاً قريباً وسفراً قاصداً وغنيمة باردة. ليس كل الناس ولا معظمهم ولا نصفهم مستعدين أن يخوضوا المعارك، فأهل الحق الذين يحملون الحق والذين يتصدرون للجاهلية؛ هم الذين يبذلون الأثمان، وهم الذين يدفعون الأشلاء، وهم الذين تمزق أسرهم وكل ما يملكون من دنياهم.

وبعد معركة طويلة يرقب الله عز وجل فيها المعركة، ويرقب الله فيها هذا الصراع الدائر؛ ينتصر لأهل الحق بعد أن يبذلوا وبعد أن يدفعوا ما دفعوا، عندها تتدخل الإرادة الإلهية فتنتصر للحق وأهله، وتدفع الباطل وتخذل أهله، وبنظرة واحدة لحياة رسول الله ﷺ ومعاركه؛ يتبين لنا هذا القانون وهذا الناموس: أن الحق الذي يحمى بالقوة هو الذي ينتصر، وأن الناس لا يقبلون الحق إلاّ إذا كان معززاً بالسيف محميا بالعضب القاطع.

رسول الله ﷺ مكث ثلاثة عشر عاماً متواصلة في مكة؛ لم يدخل في دين الله عز وجل سوى مائة أو يزيدون قليلا أو يقلون قليلا، ولكنه هاجر ﷺ الى المدينة، ودخل بدرا بثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وانتصر في بدر فتبعه في أحد ألف رجل. ولذلك فالمنافقون في المدينة أو الزعماء الذين لا يرتضون الحق إلا اذا كانت فيه مصالحهم؛ قام رأسهم وسيدهم الذي كانوا ينظمون له الخرز في المدينة ليتوجوه ملكاً، قال: هذا أمر قد توجّه، فدخل في دين الله لعله يأخذ منصبا أو يجد مرتبة من المراتب.

وفي أحد خرج رسول الله ﷺ بألف، وفي الخندق شهد معه ثلاثة آلاف، و في فتح مكة؛ بعد أن عقد صلح الحديبية في ذي القعدة سنة ست هـ، واعترفت قريش برسول الله ﷺ ككيان قائم مستقل، يفرض شروطه ويضع المعاهدات مع قريش التي تتولى زعامة العرب؛ دخل الناس في دين الله بعد أن عرفوا أن لهذا النبي شأناً يذكر، وبعد أن عرفوا أن له دولة يعترف لها بالحق، وتقعد أمامها قريش وتضع المواثيق، وتقيم العهود وتكتب الصكوك، دخل ما بين الحديبية ومابين فتح مكة؛ بأقل من سنتين حوالي عشرة آلاف، ولذلك خرج معه لفتح مكة عشرة آلاف مقاتل.

وعندما خضض شوكة الكفار في مكة، وأزال الله الباطل من حول الكعبة، وتحطمت الأصنام، ودانت قريش لرسول الله ﷺ، وسهل الأمر، وبدأت القبائل كلها تفكر في الدخول في دين الله أفواجا، ولم يعد أمام رسول الله ﷺ سوى هوازن وثقيف؛ فسار اليهم بعدها بشهر تقريبا، بعد فتح مكة إلى غزوة حنين وانتصر عليهم ذلك الانتصار الرائع، بعد تلك الهزيمة التي سببها الطلقاء الذين لم يجدوا تربية طويلة من رسول الله ﷺ، ولم تتخلص نفوسهم من رواسب الجاهلية، هؤلاء هربوا في بداية المعركة، وسببوا الانخذال والهزيمة للجيش كله، ولكن رسول الله ﷺ ثبت ومعه عشرة، ثم نادى العباس، وفي أثناء وجوده مع عشرة من أصحابه يواجه أربعة آلاف وعلى بغلته البيضاء التي يقودها أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، قال: {أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب}[1] بعشرة يعلن عن مكان القيادة ﷺ ، ثم نادى العباس، وقال: نادِ بالأنصار، فوقف العباس فوق رأس تلة ونادى -وكان رجلا جهوري الصوت- قال: يا معشر الأنصار، يا معشر من نفرتم وآمنتم ونصرتم، هلموا إلى رسول الله ﷺ، وتغير مجرى المعركة.

وبعد حنين جاءت القبائل كلها تدخل في دين الله أفواجا، ولذلك سمي العام التاسع عام الوفود؛ لكثرة الوفود التي كانت تأتي لتسلم طائعة؛ بعد أن رأت السيف مشرفاً، ووميض البيض تضرب، والأسنة قد أترعت بالدماء، وقد رأوا أنه من خالف رسول الله ﷺ فالسيف ينتظره، ولذلك جاءت الجموع من العرب تدخل في دين الله أفواجا. كان ذلك في العام الثامن للهجرة.

وفتح مكة كان العام الثامن للهجرة، وغزوة حنين في شوال سنة ثمان من الهجرة، وغزوة تبوك بعدها ببضعة أشهر في جمادى سنة تسع للهجرة، حضرها رسول الله ﷺ بثلاثين ألفاً، ثم بعدها بعام واحد حج رسول الله ﷺ حجة الوداع وحج معه مائة ألف

---

(١) صحيح الجامع الصغير ١٤٥١ .

إلى السجن، فعقدوا له مجلساً عسكرياً من كبار النصيريين ، وكان معهم ناجي جميل وكان قائد القوات الجوية، هذا ينسب لأهل السنة، كلب من كلاب أهل السنة، ومصطفى طلاس قائد الجيش جلسوا -يعني كما حدثنا الشيخ مروان- معروف.. -سبحان الله!!- بجرأته العجيبة، ما رأيت أجرأ منه خاصة في المحكمة بين يدي الجلادين؛ نظر فوجد ناجي جميل ومصطفى طلاس قال: وأنت يا كلب ناجي جميل ومصطفى طلاس، لا زلتم أحياء يا كلاب؟ أنا أول ما وصيت الشباب أن يقتلوكم قبل هؤلاء النصيريين ، لأن على ظهوركم يا كلاب؛ انتهك النصيريون أعراضنا.

وأنتم أيها النصيريون .. أيها الضباط: أنا أوصيت الشباب أن يقتلوا منكم خمسة آلاف ضابط فقط؛ ناجي جميل صار يرتجف قال: أخرجوه هذا مجنون، أخرجوه!! ثم بلغنا أن حافظ الأسد بنفسه جاء إليه في السجن، قال: يا مروان، قال: نعم. قال نريد أن نفتح صفحة جديدة . قال: طيب عفى الله عما مضى بشرط أن تتركنا من هذه الطريقة التي أنت فيها، قال: ما هي، قالوا: هذا عمل السلاح، قال له: وأنا أوافق بشرط واحد: أن تساعدني على قيام الدولة الإسلامية، فلمْ أذياله وخرج.

الخوف.. الخوف من السيف الذي يقرّ الله به التوحيد.

شاب عنده مائة رجل في منطقة واخان -واخان هذا (إصبع قرب واخان هذا الإصبع الخارج الواصل بين أفغانستان والصين، خريطة أفغانستان فيها مثل الكف مثل هكذا، وطالع منها مثل الإصبع في طرفها- هذه أخطر منطقة، والروس يضعون فيها قواعد مسلحة بالصواريخ وغيرها على بابها) يوجد شاب اسمه (نجم الدين) عنده حوالي مائة مجاهد، أتعب الروس كثيراً. الروس أرسلوا إليه اتركنا، لا يترك، فشنوا عليه هجوما فأسر خمسة من كبار ضباط الروس، أرسل إليه الروس، قالوا: لا تقتلهم ونحن نعطيك ما شئت، قال: والله أنا لست تاجرا ولا أعرف البيع والشراء. قالوا: إن قتلتهم سنحرق الأخضر واليابس وسنحرقك. عندما جاءه الخطاب رأساً أمر بقتل الجنرالات الخمسة أو الضباط الخمسة هؤلاء الكبار، قتلهم، وقال: أتحداكم أيها الروس ....

عزة الإسلام، هذا لا يصل إلى هذا المستوى لولا الجهاد، بمائة مجاهد يتحدى روسيا.

شاب أمي من بغمان اسمه (عبد الواحد) رحمه الله... شهيد -بغمان على حدود كابل- روسيا دخلت، قالت: أين المجاهدون، كان عبد الواحد قد جاء يجهز نفسه في بيشاور، وصل بغمان، عندما وصل بغمان نزل إلى الشارع وفي البوق: أين روسيا؟ وصل عبد الواحد..يا سلام !! أين روسيا؟ وصل عبد الواحد.. هذا عبدالواحد أمي!! والله لما كنت أجلس معه أعتبر حالي... متواضعا كثيراً -نفخة العرب نعوذ بالله.. نعوذ بالله- وهو أفضل منا وعلى رؤوسنا، عندما تجد شاباً أمياً ليس عنده شيء كثير، لكن السيف!!... وصل عبد الواحد!! فاستشهد عبد الواحد فجاءتني رسالة من جيبه كان عليها بعض قطرات من دمه مكثت في جيبي شهرين ورائحة العطر خارجة منها.

فالطريق الوحيد الآمن المضمون لإقامة دولة إسلامية، أو قاعدة صلبة ينطلق منها المسلمون في الأرض هي الجهاد في سبيل الله.

فالرسول ﷺ يقول: **{بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده}**.

فالتوحيد عن طريق السيف ينتشر، لكن العقيدة والفقه وما إلى ذلك، كله يُعلم من طريق الجهاد، وأمس تكلمنا عن هذا الموضوع، فالرسول ﷺ، والصحابة رضوان الله عليهم عندما علموا أن الروم على حدود الجزيرة على تخومها على بعد ألف كيلومتر يعدّون لغزو المدينة غزاهم قبل أن يغزوا.

السيف وظيفته إخضاع الناس لدين الله، وظيفته إزالة العوائق أمام الدعوة الإسلامية، إسقاط الأنظمة الكافرة التي تحول بين الناس وبين دين الله.

مبدأ السيف

يا من رضيتم بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا.. اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

{وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير} (الأنفال: ٣٩)

ويقول عليه الصلاة والسلام:

{بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم}[1].

الآية الكريمة تبين: أن الدين لايكون لله إلا بوسيلة واحدة وهي القتال، وهذا ناموس قد وضعه الله عزوجل للبشرية.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٢٨٣١ .

قانون المجتمعات:

أن المجتمعات تدين للعقائد أولاً؛ فئة منها ترتضيها حكما لها بالطاعة والرضا، ثم تحمل هذه العقيدة مجموعة من الناس تواجه الجاهلية بأسرها وخيلها ورجلها، وتقوم عليها هذه الجاهلية بما لها من هيل وهيلمان وسيف وسلطان، وتقوم المعركة بين الخير والشر، والحق والباطل، ويسقط على الطريق من يسقط، ويستشهد من يستشهد، ويثبت من يثبت، ثم ينتصر أهل الحق.

ومعظم الناس يقفون في المعركة متفرجين، ينتظرون نتيجة المعركة، حتى إذا انتصر السيف وتفوا تحت ظلاله، وحتى إذا شرعت الرماح -وقد رويت بالدماء وبالنجيع منتصرة مرتفعة- وقف الناس وراءها يرددون، ولمن يحملها يهتفون.

الناس لا يدخلون في دين الله أفواجاً بسهولة، ولا يرتضون الحق ببذل قليل وبنزر يسير، لن يرتضوا حقاً إلا بعد أن يخوض هذا الحق معركة طويلة، وهم ليسوا مستعدين أن يدفعوا الأثمان، بأن يبذل الغالي والنفيس والسهل والرخيص والنفس والنفيس.. يبذلونها من أجل نصرة العقيدة؛ لأن معظم الناس يريدون نيلاً قريباً وسفراً قاصداً وغنيمة باردة، ليس كل الناس ولا معظمهم ولا نصفهم مستعدين أن يخوضوا المعارك، فأهل الحق الذين يحملون الحق والذين يتصدرون للجاهلية؛ هم الذين يبذلون الأثمان، وهم الذين يدفعون الأشلاء، وهم الذين تمزق أسرهم وكل ما يملكون من دنياهم.

وبعد معركة طويلة يرقب الله عز وجل فيها المعركة، ويرقب الله فيها هذا الصراع الدائر؛ ينتصر لأهل الحق بعد أن يبذلوا وبعد أن يدفعوا ما دفعوا، عندما تتدخل الإرادة الإلهية فتنتصر للحق وأهله، وتدفع الباطل وتخذل أهله، وبنظرة واحدة لحياة رسول الله ﷺ ومعاركه؛ يتبين لنا هذا القانون وهذا الناموس: أن الحق الذي يحمى بالقوة هو الذي ينتصر، وأن الناس لا يقبلون الحق إلاّ إذا كان معززاً بالسيف محميا بالعضب القاطع.

رسول الله ﷺ مكث ثلاثة عشر عاماً متواصلة في مكة؛ لم يدخل في دين الله عز وجل سوى مائة أو يزيدون قليلا أو يقلون قليلا، ولكنه هاجر ﷺ الى المدينة، ودخل بدرا بثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وانتصر في بدر فتبعه في أحد ألف رجل. ولذلك فالمنافقون في المدينة أو الزعماء الذين لا يرتضون الحق إلا اذا كانت فيه مصالحهم؛ قام رأسهم وسيدهم الذي كانوا ينظمون له الخرز في المدينة ليتوجوه ملكاً، قال: هذا أمر قد توجّه، فدخل في دين الله لعله يأخذ منصبا أو يجد مرتبة من المراتب.

وفي أحد خرج رسول الله ﷺ بألف، وفي الخندق شهد معه ثلاثة آلاف، و في فتح مكة: بعد أن عقد صلح الحديبية في ذي القعدة سنة ست هـ، واعترفت قريش برسول الله ﷺ ككيان قائم مستقل، يفرض شروطه ويضع المعاهدات مع قريش التي تتولى زعامة العرب؛ دخل الناس في دين الله بعد أن عرفوا أن لهذا النبي شأناً يذكر، وبعد أن عرفوا أن له دولة يعترف لها بالحق، وتقعد أمامها قريش وتضع المواثيق، وتقيم العهود وتكتب الصكوك، دخل ما بين الحديبية ومابين فتح مكة؛ بأقل من سنتين حوالي عشرة آلاف، ولذلك خرج معه لفتح مكة عشرة آلاف مقاتل.

وعندما خضض شوكة الكفار في مكة، وأزال الله الباطل من حول الكعبة، وتحطمت الأصنام، ودانت قريش لرسول الله ﷺ، وسهل الأمر، وبدأت القبائل كلها تفكر في الدخول في دين الله أفواجا، ولم يعد أمام رسول الله ﷺ سوى هوازن وثقيف؛ فسار اليهم بعدما بشهر تقريبا، بعد فتح مكة إلى غزوة حنين وانتصر عليهم ذلك الانتصار الرائع، بعد تلك الهزيمة التي سببها الطلقاء الذين لم يجدوا تربية طويلة من رسول الله ﷺ، ولم تتخلص نفوسهم من رواسب الجاهلية، هؤلاء هربوا في بداية المعركة، وسببوا الانخذال والهزيمة للجيش كله، ولكن رسول الله ﷺ ثبت ومعه عشرة، ثم نادى العباس، وفي أثناء وجوده مع عشرة من أصحابه يواجه أربعة آلاف وعلى بغلته البيضاء التي يقودها أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، قال: **{أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب}**[1] بعشرة يعلن عن مكان القيادة ﷺ ، ثم نادى العباس، وقال: ناد بالأنصار، فوقف العباس فوق رأس تلّة ونادى -وكان رجلا جهوري الصوت- قال: يا معشر الأنصار، يا معشر من نفرتم وأمنتم ونصرتم، هلموا إلى رسول الله ﷺ، وتغير مجرى المعركة.

وبعد حنين جاءت القبائل كلها تدخل في دين الله أفواجا، ولذلك سمي العام التاسع عام الوفود؛ لكثرة الوفود التي كانت تأتي لتسلم طائعة؛ بعد أن رأت السيف مشرفاً، ووميض البيض تضرب، والأسنة قد أترعت بالدماء، وقد رأوا أنه من خالف رسول الله ﷺ فالسيف ينتظره، ولذلك جاءت الجموع من العرب تدخل في دين الله أفواجا. كان ذلك في العام الثامن للهجرة.

وفتح مكة كان العام الثامن للهجرة، وغزوة حنين في شوال سنة ثمان من الهجرة، وغزوة تبوك بعدها ببضعة أشهر في جمادى سنة تسع للهجرة، حضرها رسول الله ﷺ بثلاثين ألفاً، ثم بعدها بعام واحد حج رسول الله ﷺ حجة الوداع وحج معه مائة ألف

---

(١) صحيح الجامع الصغير ١٤٥١ .

وأربعة عشر ألفا، ودخل الناس في دين الله أفواجاً (**إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا**).

فبعد النصر وبعد الفتح يدخل الناس في دين الله أفواجا.

ولا يمكن أن يقوم حكم ولا أن يملك ملك إلا بعد أن يرتفع الحسام فوق البيض، وبعد أن يرتفع العضب القاطع في السماء، وبعد أن تعجج الغبار في كل مكان؛ تعقد من النقيع كأنها سحب فوق رؤوس الرجال، وبعد أن يسقط من الهام ومن الرؤوس: ما يكفي لصنع تلال أو لبناء أمجاد المجد وحصون العزة.

يا أيها الإخوة: وكما يقول أبو الطيب:

أيملك الملك والأسياف ظامئـــة	*والطير جائعة لحم على وضم*
أغلى الممالك ما يبنى على الأســل	*والطعن عند محبيهن كالعسـل*

فالملك لا يملك إلا بالرماح وبالسيوف.. إلا بالبيض والسمر.. إلا بالتضحية والفداء.. إلا بالدماء والأشلاء.. إلا بالأرواح والشهداء.. هذه هي التي تصنع المجد، والله عز وجل أنزل في كتابه هذا القانون، وبيّن: أن الجنة دخولها مبني على استعمال السيوف.

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (آل عمران: ١٤٢)

وبيّن رسول الله ﷺ: أن الجنة تحت ظلال السيوف.

وقف أبو موسى الأشعري ذات يوم وخطب، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **[إن الجنة تحت ظلال السيوف]**[1] فوقف أعرابي وقال: ماذا قلت؟ قال: الجنة تحت ظلال السيوف. قال: يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله ﷺ؟ قال بلى، فرجع الأعرابي إلى قومه، وقال: سلام عليكم، الجنة تحت ظلال السيوف، وانتضى سيفه، وأشام هذا الحسام القاطع، وذهب وقاتل حتى قتل.

بعثت بالسيف:

أقول: الرسول ﷺ يبين: أن السيف محّاء الخطايا، وأن الجنة تحت ظلال السيوف، وأن التوحيد مبني على السيف، وأنه بعث بالسيف من أجل إقرار التوحيد في الأرض **[بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله]** ولذلك لا يمكن أن يقر التوحيد في الارض إلاّ بالسيف.. إلا باستعمال القوة، أما الشعوب التي تنتظر انتصار أصحاب الحق؛ فإنها تخير بعد ذلك، بعد أن تزال العقبات التي يزيلها السيف، وبعد أن تماط الهامات التي تخطط لحرب الإسلام، وتمنع الشعوب من أن تصغي الى نداء رب العالمين.

بعد أن تماط هذه الهامات، وبعد أن تسقط هذه الرؤوس، وبعد أن تحطم هذه البيض (البيض: يعني الخوذة التي على رؤوس الكفار)، أقول: بعد أن تحطم وبعد أن تسقط هذه الهامات التي توصل الليل بالنهار كيداً في نصب الأحابيل للإسلام، وفي وضع المصايد لأهله. بعد أن تماط هذه الرؤوس؛ عندها يقال للشعوب:

(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) (البقرة: ٢٥٦)

وعندها يقال لهم:

(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (الكهف:٢٩)

أما العقبات الكبرى، والطواغيت الذين يحولون دون استماع الناس لدين الله عز وجل، ودون وصول الدعوة إليهم، فهؤلاء لا يفهمون منطقا، لأن فرعون عندما جاءه موسى عليه الصلاة والسلام بدعوته ورسالاته وقف قائلاً:

(ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد) (غافر: ٢٩)

وقال عن موسى:

---

(١) رواه مسلم والترمذي وغيرهما بلفظ (إن ابواب الجنة تحت ظلال السيوف) انظر الترغيب والترهيب للمنذري ٢ / ٢٩٠.

(إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) (غافر: ٢٦)

موسى بإصلاحه يسبب الفساد في الأرض!! وأما هو فلا يريهم إلا سبيل الرشاد!! لذلك فهذا لا يمكن التفاهم معه أبدا لأنه -أصلا- قال لموسى عليه الصلاة والسلام:

(لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين) (الشعراء: ٢٩)

فرض العقائد على الضمائر والقلوب بالسياط وبالعقابيل وبالسيوف **(لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين)** فلا يمكن أن يستمع هذا إلى الحق، ولا يمكن أن يقبل النقاش، لماذا؟ لأنه وقف فوق العرش يقول:

(أنا ربكم الأعلى) (النازعات: ٢٤)

فكيف يمكن أن يقبل هذا من عبد كما قالها بنفسه؟!

(أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون، أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولايكاد يبين، فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين، فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين) (الزخرف: ٥١-٥٤)

ولذلك لا يمكن التفاهم مع قيصر ولا مع كسرى! كسرى لمجرد أن أرسل له رسالة من رسول الله ﷺ، وعرف أنها من عربي مزقها تمزيقا، فقال ﷺ: [مزّق الله ملكه][1]، وفعلا لم يقم للاكاسرة ملك بعد أن هلك (إبرويز) كسرى ابن كسرى حفيد (أنوشيروان).

أقول: بمجرد أن عرضت عليه الرسالة مزّقها واعتبرها إهانة: أن يعرض عليه واحد من الأمم المغلوبة تحت حكمه، فقال عنه: هذا من العرب الذين نرمي لهم كسرة الخبز، فيأخذها كالكلب، ونضرب برأسه الدبوس؟! قالوا: بلى من العرب. فلم يكلف نفسه أن يرسل جيشا، بل أرسل لأحد عملائه وصنائعه في صنعاء -باذان- وكان عميلا له وحاكما من قبله على صنعاء اليمن، قال له: احضر لي هذا العربي الذي يدّعي النبوة من جزيرة العرب حتى ألقيه في السجن، وصدّق هذا باذان، وأرسل اثنين من شرطته إلى رسول الله ﷺ ليحضراه مقيدا بالقيود، ليوضع في سجن كسرى الذي كانوا يسمونه (رب الأرباب)، فعندما دخل هذان الرجلان على رسول الله ﷺ سألهما: [ما شأنكما؟ قالا: إن ربنا يريدك، فقال لهم رسول الله ﷺ: إن ربي هذه الليلة قتل ربكم][2].

وفعلاً مات كسرى في تلك الليلة التي وصل فيها الشرطيان اليمنيان من صنعاء حتى يأخذا رسول الله ﷺ، ورجع الشرطيان اليمنيان - والجنبية على صدر كل واحد منهما يريدان أن يسوقا رسول الله ﷺ -رجعا إلى (باذان)، وقالا: أخبرنا محمد أن كسرى قد مات، ولم يكن الخبر قد وصل الى اليمن، وانتظر باذان مدة وصلت إلى شهر تقريباً، حتى وصل الخبر إلى اليمن: أن كسرى قد مات في تلك الليلة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ: عن موته. فأسلم باذان وأقره رسول الله ﷺ أميراً على اليمن، وقال:اصنع ببستانك مسجداً واجعل قبلته الى جبل كذا - جبل قرب صنعاء يسمّونه (نقم)-، ففعل. ورسول الله ﷺ لم يدخل اليمن أبداً، ولا يعرف مسجد وبستان باذان، وبعد أن اكتشفت البوصلة، واكتشفت أدوات تحديد القبلة، وجدوا أن قبلة هذا المسجد، وهو المسجد الكبير في صنعاء، من أدق القبلات في اليمن على الاطلاق لأنه بتحديد رسول الله ﷺ.

أقول: هؤلاء لايفهمون المنطق ولا يريدون الحق ولا يقبلونه، فلابد من استعمال السيف معهم. وبعد أن سقطت رؤوس الذين حول كسرى، عندها أسلمت العراق، وأسلمت ايران، وأسلمت خراسان، ودخل الإسلام الى شمال خراسان، ودخل مرو ووصل سمرقند في أيام الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان، وفتحت كابل من أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين.

حكومة المجاهدين :

الآن عندنا مملكة، والحكومة قامت على الأسل، هذه الحكومة هي حكومة أحمد شاه قامت بعد أن دفعت مليوناً ونصف مليون شهيد.. بعد أن وقف العالم كله حائرا في بداية القتال، وقف العالم كله حائراً: كيف يمكن للشعب الأفغاني الأعزل الفقير، الذي لا

---

(١) رواه البخاري. (٢) أصل القصة في البخاري ولكن هذا السياق أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٢٩٩/٤.

يملك السلاح ولا التكنولوجيا أن يقف أمام الحكومة الشيوعية وأمام روسيا وحلف وارسو والاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية، كلها تسير في هذا الفلك الدائر؛ لنشر السوء في العالم والفقر في أرجاء المعمورة، وقفوا حائرين، وقد سمعناها من المسلمين: أن الشعب الأفغاني ينتحر، ولكنه، ينتحر في نظر العاجزين:

يقتل العاجز الجبـــان وقد يعجز عن قطع بخنق المولود

فالناس بدون جهاد أموات، ولا يمكن أن يفهموا العزة، ولا يمكن أن يفهموا الفروسية، ولا يمكن أن يفهموا الشجاعة ولا القوة، ولا يمكن أن يدركوا معاني النصر إلا إذا زاولوها عملياً. ولذلك عندما كان هؤلاء الأفغان يخوضون المعارك بالعصي والحجارة.. بدأوها بالعصي والحجارة حتى بعد دخول الروس، عام (١٩٨٠م) كان الشيخ سياف يحرس معسكره بالعصي، ليس عندهم سلاح، وكانت باكستان لا تعترف بهم، ولا الغرب يعترف بهم، وبدأت المعارك، وبدأت الهزائم، وصارت الخسائر التي تتكبدها روسيا كبيرة، وبدأت الأخبار تتسرب إلى الغرب أن الروس مهزومون أمام هذا الشعب، فلم يصدّق الكتاب الغربيون، ولا الصحفيون ولا المصورون هذه الأساطير التي هي أبعد من الخيال، وأرسلوا الصحفيين ليروا بعض ما سمعوا، وإذا بالواقع أكبر من الخيال وأعظم مما سمعوه، فعلاً روسيا مهزومة أمام هذا الشعب الأعزل الفقير المتوكل على ربه، الذي لا يملك إلا قذائف (الله أكبر). لقد كان الروس في بعض معاركهم -لشدة رعبهم وخوفهم من كلمة الله أكبر- يظنون أن (الله أكبر) نوع من القذائف تلقى عليهم، وكانوا يبحثون عن سلاح مضاد لقذيفة (الله أكبر).

رجع هؤلاء الصحفيون، وبدأوا يرسلون إلى الغرب العناوين البّراقة التي تعبر عن أحاسيسهم الداخلية، وبعضهم أسلم عندما رأى بعض المعارك، فكتبت الصحافة الفرنسية وبالخط الأحمر (رأيت الله في أفغانستان).

صحفي كاثوليكي شيوعي إيطالي جاء هنا لينقل الأخبار للحزب الشيوعي الإيطالي -ثالث حزب في العالم من ناحية القوة- فعندما رأى أن المجاهدين واقفون أمام الروس رجع وعلى التلفاز الإيطالي أعلن إسلامه وتشهد بالشهادتين، وقال: رأيت الطيور تحت الطائرات تدافع عن المجاهدين، فقال له المذيع التلفازي: أنت تصدق ما تقول؟ قال: لن أكذّب عيني، أما أنتم فصدقوا أو كذبوا، وسأنشر هذا في جريدة (إكسبرس) الإيطالية حتى يقرأها الشعب الإيطالي كله.

بدأ الأفغان معاركهم بالعصي والحجارة، والله عز وجل أخذ بأيديهم، وبدأ الناس يتسابقون لخدمتهم، عندما وقفوا على أقدامهم وأثبتوا وجودهم، بعدما ارتفعت سفينتهم تمشي على بحور الدماء، فرأى العالم كله سفينةً تجري فوق بحر من الدماء، إذن هؤلاء الناس يستحقون الاحترام، ويجب أن نقف أمامهم بإجلال، ولذلك تسابق العالم كله لخدمتهم؛ في تقديم الأطباء والمساعدات والذخائر احتراماً لهم، لأن الناس لا يحترمون إلا القوي، وأما الضعيف فليس له وجود تحت الشمس، لا في الدنيا ولا في الآخرة، مهين في الدنيا، معذب في الآخرة.

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) (النساء: ٩٧)

إذاً جهنم تنتظر المستضعفين، والبخاري قد روى أن سبب نزول هذه الآية هو قتل بعض المؤمنين المتخفين في مكة، خرجوا مع أبي جهل يوم بدر حياءً أو خوفاً، وقتل بعضهم وحزن بعض الصحابة..

(إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفوّ عنهم وكان الله غفوراً رحيما) (النساء: ٩٨-٩٩)

وإذا كانت الأيام دول -وهي تدول لمن بيده الحسام- ...

إذا كانت الدولات قسما فإنها لمن دخل الموت الزؤام تــدول

إن الضعيف ليس له وجود، والناس لا يعترفون بالحق ولا يعتبرون بالمنطق إلا إذا كان الحق معززا بالقوة، ورضي الله عن عثمان عندما قال: (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)[1]، إن الله ليمنع من فعل المنكرات واختراق حدوده وارتكاب الموبقات بالسيف أكثر مما يزع (يمنع) بواسطة المواعظ والإرشاد من خلال آيات الذكر الحكيم، أو من خلال مواعظ رسول الله ﷺ.. ان الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

---

(١) ضعيف مرفوعا وروي من قول بعض الصحابة كعثمان وغيره.

الإسلام قادم:

العالم الآن حائر.. كان فرحا جدا لأن روسيا خضدت شوكتها، وأن الدب الروسي قد أثخنته الجراح مما تعاوره من الرماح على أيدي هؤلاء الذين نزلوا في ساح الكفاح، هؤلاء الأبطال الأفغان الذين أصبحت عمائمهم تاجاً يعتز به المسلم في كل الأرض، أصبحت رمزا يرمز إلى عزة المسلمين في أنحاء المعمورة.

هؤلاء الغربيون -الأمريكان الروس- يقولون: إذن: هنالك قوة ثالثة في الأرض.. ليس العملاقان الكبيران فقط، هنالك قوة الإسلام، وبدأ مفكروهم وعلماء الاجتماع عندهم والسياسيون يحذرون من مغبة ترك الجهاد هذا، لأنه بدأ يحيي الأمة الإسلامية بكاملها، ونزلت في الأسواق الأمريكية كتب تقول: (إن الجهاد الأفغاني لن ينتهي عند حدود (جيحون)، سيخترق حدود جيحون -نهر آمو داريا- الفاصل بين الاتحاد السوفيتي وأفغانستان، وسيسقط الإتحاد السوفيتي، وسيخترق أوربا، فيا أيها الغربيون استفيقوا.. يا أيها الأمريكان قبل أن يحكم الاسلام كرّة أخرى، وتعودوا تدفعون الجزية لهؤلاء الأفغان نسل الأتراك الذين دفعتم لهم الجزية خمسة قرون). لأن شمال أفغانستان يعتبر قسما من تركستان، وتركستان على حدود أفغانستان (تركستان الشرقية وتركستان الغربية). هذه الأرض منها خرج معظم الفاتحين في الأرض، ومنها خرج الكفار والمسلمون وفتحوا معظم أنحاء الأرض، منها خرج جنكيزخان (أرض توران)، هذه الأرض منبت ومنبع أرتمية وتركية، إنما جاء أهلها من هذا المكان، من شمال أفغانستان، وذهبوا حول القسطنطينية، وأقاموا دولتهم بعد أن كانت بلاد الروم فصارت بلاد الترك بعد أن فتح الله القسطنطينية على يد محمد الفاتح قبل ثمانية قرون مما بشر به رسول الله ﷺ، قال: سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً قسطنطينية أم رومية؟ يعني قسطنطينية أم روما، والقسطنطينية كانت عاصمة الإمبراطورية الرومانية الشرقية وكانت عاصمة الكنيسة الشرقية، وكان هرقل الملك يقيم فيها، وعندما فتحها محمد الفاتح، نزل هرقل إلى الأسواق يدافع عن القسطنطينية، وقتل وهو على جواده وسمي (محمد الفاتح) بهذا الإسم لأنه فتح القسطنطينية، فتحها بعد بشرى رسول الله ﷺ بثمانية قرون ونصف، عام (٨٥٧ هـ) فتحت القسطنطينية، والحديث قيل عام (١٠هـ) أي بعد الحديث بـ (٨٥٠) سنة، ولذلك ستفتح روما -إن شاء الله- لأن رسول الله ﷺ، قال: [بل مدينة هرقل][1]، أي القسطنطينية تفتح أولاً وستفتح روما إن شاء الله.

والغربيون يدركون هذا، ويدركون أن الناس بدأوا يتجهون إلى الإسلام بمحض إرادتهم، فكيف إذا كان السيف موجوداً؟! وكيف إذا صالت الأسود وانطلقت من عرائنها إلى داخل أوروبا تنشر دين الله عز وجل وترفع راية لا إله إلا الله؟

إن الأوروبيين بعد أن رأوا إفلاس الحضارة الغربية وتمزقها، وتآكلها من الداخل، وأنها ستنهار على أصحابها، نزلت كتب للكثير من كتابهم ومفكريهم: أنه لا يمكن الآن حماية الغرب من السقوط، ولا حماية الحضارة الغربية من الانهيار، وأن حضارة أخرى ستحل محل هذه الحضارة، وهذه الحضارة ليست إلا الإسلام، ولذلك -وفي عام واحد- دخل فيلسوف الحزب الشيوعي الفرنسي (جارودي) -الذي رشح لرئاسة الجمهورية ولفترة طويلة في مجلس النواب الفرنسي وغير ذلك من مناصب كثيرة وهو المنظر للحزب الشيوعي- دخل الإسلام، وبدأ يكتب عن الاسلام، وكتب كتابين فيهما: أن (الإسلام سيحكم) وأن (الإسلام قادم).

وموريس بوكاي الطبيب الفرنسي الحاذق الماهر الذي دخل في الإسلام إثر قراءته لبعض الآيات القرآنية، وكذلك «قوسطو» عالم البحار العالمي الذي كان يتناقش مع موريس بوكاي حيث قال له: لقد اكتشفت من خلال تجاربي الطويلة نظرية: أن ماء الأنهر مع ماء الأبحر لا يختلطان في نقطة من النقاط، فهنالك نقاط حواجز لا تدع المياه تختلط، قال: هذه قالها رب العالمين، وجاء بها سيد المرسلين قبل بضعة عشر قرناً، قال تعالى:

(مرج البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لايبغيان) (الرحمن: ١٩-٢٠)

فتشهد بالشهادتين ودخل الإسلام.

أقول: الآن كل العالم واقف ينتظر ماذا تكون نتيجة الجهاد الأفغاني؟ وماذا سيلد هذا الجهاد؟ هم خائفون متربصون ترتعد فرائصهم، وترتجف أوصالهم، تتحرك أراؤهم خوفاً من عودة الإسلام مرة أخرى.

راجيف غاندي يقول: إن قيام دولة متدينة متطرفة في أفغانستان خطر على المنطقة كلها، هو يدرك الخطر من الإسلام، لماذا؟ لأن الشعب الهندي المسلم الذي أذلته بريطانيا وفرضت عليه عبدة البقر والهندوس بعد أن حكمه الإسلام بضعة عشر قرناً.. حكم الإسلام الهند اثني عشر قرنا، وجاءت بريطانيا وفرضت الكفر عليهم بهؤلاء الهندوس والسيخ.

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٤ .

هـم يدركون من هـم الأفغان!! ويدركون أن أحمد شاه بابا سنة (١٧٤٧م) -صانع دولة أفغانستان الحديثة- قد وصل (دلهي) سبع مرات.. كان يستثير همم القبائل في قندهار ليزحف إلى دلهي، وكانت بيشاور عاصمته الشتوية، وكانت الأمور تحكم من قبل ابنه تيمورلنك.. هم يدركون من هم الأفغان!! ولذلك فهو يبول في ثيابه خوفاً وحزناً ويرتجف بمجرد رؤية عمامة الأفغاني تلمع من بعيد بالعزة والمجد.. هم يدركون من هم الأفغان.

الإنجليز يدركون من هم الأفغان.. الإنجليز خاضوا ثلاثة حروب ضد هؤلاء المسلمين الأفغان.

سنة (١٨٤٢م)، كان جيشهم مع أتباعهم وعملائهم ستة عشر أو سبعة عشر ألفاً، أبيدوا جميعاً ولم يترك إلا رجل واحد هو دكتور (برايدن)، حتى يرجع إلى بريطانيا ليحدثها مغبة النزال مع أبطال الإسلام.

عام (١٨٨٠م) دخل الإنجليز في حرب أخرى معهم، وأبيدوا جميعا في (خورد كابل).. كل الجيش في هذه المرة أبيد.. أراد الإنجليز أن يفرضوا على كابل رجلاً لا يريده الشعب الإسلامي في أفغانستان، فذاقوا ما ذاقوا، وفي سنة (١٩١٩م)، دخلت بريطانيا الحرب الاخيرة مع أفغانستان، فهزم جيشهم ولحقه الجيش الأفغاني، وتجاوز حدود أفغانستان ودخلوا (تري منكل، وصدا)، ووصلوا إلى (تل)، وعندما فتحوا معسكر (تل) -الذي نمر عليه- سمع (تشرشل) فخاف أن يصل الأفغان الى الهند، ويعلنوها حرباً جهادية ضد الدولة البريطانية التي تمتص دماء المسلمين في كل مكان، أعلن (تشرشل) إستقلال أفغانستان قبل أن يتحركوا من (تل).

هم يدركون، والله عز وجل ينطق هؤلاء الكاذبين بالحق أحياناً، وكما قال ﷺ: **(لقد صدقك وهو كذوب)**[1]، تقول إذاعة صوت بريطانيا (بي بي سي) قبل أيام: (لقد ذاقت بريطانيا ثمن غلطتها ودفعت ثمناً باهظاً) كانت غلطة بريطانيا: أنهم يريدون أن يفرضوا قيادةً على الشعب الأفغاني لا يريدها، فدفعت ما دفعت من الأثمان والتضحيات، وروسيا لم تعتبر بما جرى لبريطانيا فأرادت أن تفرض على الشعب الأفغاني قيادة وحكومة لا يرتضيها بقلبه ولا يقبلها بلسانه ولا بنفسه، وها هي فلول جيوشها منهزمة في أفغانستان أمام المجاهدين الذين يطاردونها في النجاد والوهاد.

والآن: الغرب مرة ثالثة لايريد أن يتعظ بما جرى لبريطانيا.. يريدون أن يأتوا الأفغان بحاكم لا يرتضيه من باب ولا من نافذة.. يريدون أن يفرضوا ظاهر شاه أو عبد الحكيم طبيبي أو غيرهم من الحكام الذين صنعوا وراء كواليس الغرب.. عقليات غربية أمريكية.. عقل جورج وأنطوان وميشيل ومردخاي، وجهه وجه (جل الرحمن و أفضل جل) وغيرهم، وجهه وجه الأفغان، وعقله عقل الأمريكان والشيطان.

هؤلاء الأمريكان لا يريدون أن يحكم الإسلام، لماذا؟ لماذا لا يريدون أن يحكم الإسلام؟

لماذا لم تصر أمريكا على فرض بعض الوزراء عندما انسحبت من فيتنام؟ لماذا لم يفرضوا على كاسترو أن يدخل بعض المتآمرين في حكومته؟ لماذا يريدون أن يتدخلوا في حكومة أفغانستان؟

لأنهم يريدون أن تخرج القرارات من أدمغتهم ومن أيديهم، لا يريدون قوة في الأرض تعتز بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولا، لا يريدونها أن تصنع القرار بيدها، قد عجموا عود هؤلاء القادة الأفغان فوجدوها صلبة المكسر وليست لينة المعصر، لقد حاولوا أن يتصلوا بسياف وبحكمتيار وبخالص وما إلى ذلك ، فرفضوا مجرد المقابلة لهؤلاء.

قادة ورجال:

لقد رد سياف القنصل الأمريكي عن عتبته، قالوا له: إن القنصل الأمريكي بالباب يريد أن يقابلك، قال أنا آسف ليس عندي وقت أن أقابله، ورد القنصل الأمريكي من بيشاور على أعقابه.

ويونس خالص رفض أن يقابل كوردفيز عدة مرات، وتوسط ضياء الحق -وهم يحبون ضياء الحق لأنهم يرونه رجلاً طيباً واقفاً معهم وقفة رجل -وقفة مشرفة- وقفة الرجال في ساعة الشدة والنزال- قال له: إن لم تقابل كوردفيز في إسلام أباد سآتي معه إلى بيتك في بيشاور، قال له: سأقابله من أجلك. وقابل كوردفيز، وقال له: أنا قابلتك من أجل ضياء الحق، وليس من أجلك، وأنا أنصحك أن تدخل في الإسلام .

يونس خالص كذلك قيل له: لماذا قابلت ريغان؟ قال: لأعرض عليه الإسلام لأنها فرصة، وفعلا عرض عليه الإسلام، وهو أول وفد

---

(١) جزء من حديث طويل رواه البخاري.

في البشرية يعرض على ريغان أن يغير دينه ويدخل في دين جديد.

رباني قابل ريغان، وكتبت الصحف الأمريكية بالخط العريض: أول وفد يقول في وجه ريغان لا.

وأما حكمتيار فكان في أمريكا، وعرضوا عليه أن يقابل ريغان فرفض، قال له السفير الباكستاني -الذي كان واسطة- قال: الساعة الحادية عشرة والربع ينتظرك الرئيس ريغان!!- ريغان الرئيس!! سيد الأرض في نظره!! وفعلاً هو سيد الأرض، أقوى من في الارض تقريبا - قال له: ينتظرك الرئيس ريغان في مكتبه الساعة الحادية عشرة والربع، قال له: أنا لا أريد أن أقابله. فهذا الرجل الباكستاني (السفير الباكستاني) ظن أن حكمتيار فاقد للعقل، قال: أنت مجنون؟! ستون حاكما على قائمة ريجان وهو يرفض مقابلتهم، وأنت ترفض مقابلته؟! قال: نعم. وإذا أصررت فإني سأغادر الآن، سأغادر أمريكا -وكان مدعواً للأمم المتحدة لعرض قضية بلاده على الأمم المتحدة- وأنا رأيت الكتاب الموجه من الكونغرس، وأثناء وجوده في أمريكا يدعوه (لأنكم شعب قد ضرب المثل الأعلى للشعوب في الأرض التي تريد أن تتحرر من الطغيان والظلم نتشرف بدعوتكم إلى حفلة شاي مع الكونغرس الأمريكي)، فقال: الكونغرس وريغان وجهان لجسم واحد وهي أمريكا، ورفض أن يذهب الى الكونجرس، ولم ييأس ريغان بل كتب رسالة وأرسلها مع ابنته مورين ريغان، وجاءت إلى حكمتيار، وقالت له بعد أن ناولته الرسالة : والدي ينتظرك هذه الليلة في البيت الأبيض، ظن أن حكمتيار يرقّ لهذه الفتاة، فقال لها: أنا متأسف لأني ضربت موعداً للمجاهدين في إنديانا، سأقضي هذه الليلة معهم. وفعلاً رفض أن يقابل ريغان، وقضاها مع المهاجرين الذين لا يملكون لقمة العيش.

هم الآن قبل أن يصلوا إلى الحكم هذا حالهم، فكيف لو مسكوا السلطان؟ وكيف لو تعزز هذا الحق بالسيف وبالملك وأصبح بيده كلمته بعد أن تزال الشيوعية من أفغانستان؟ هذه قضية تقض عليهم مضاجعهم، وتؤرق أجفانهم، وتطيل سهادهم.

شعب لا يقبل حاكماً إلا برضاه لا نستطيع أن نفرض عليه قادة، القيادة قادمة؛ قيادة إسلامية لا يمكن التفاهم معها، ولا يمكن أن نثير الشعب ضدها؛ لأنها انتزعت إعجابها وقيادتها ليس في الانتخابات ولا بالانقلابات العسكرية، انتزعت إعجابها من أعماق أتباعها من خلال المعارك والسيوف، ومن خلال الرماح ومن خلال الدماء التي جرت، فهم لم يكونوا في القصور في أوروبا وجاءوا إليهم بانتخابات شعبية، هم معهم في المعركة منذ بضعة عشر عاماً، فحكمتيار هو الذي فجر هذا الجهاد المبارك وشاركه منذ خطواته الأولى، وكذلك رباني ثم خالص، وجاء سياف وكان في السجن، وواصل المسيرة مع هؤلاء، فليس من السهل أن يقيموا عليهم انقلابات عسكرية، لأن الحكم الآن بيد الشعب الذي يملك السلاح فلا يمكن القيام بانقلاب عسكري، ولا يمكن القيام بانقلاب على هؤلاء القادة. ويمن نأتيهم من الزعماء؟ هؤلاء الزعماء، قد وقفوا فوق الأسل وفوق الخطي في السماء، وهم ساروها طريق الجمر، طريق الشوك، طريق الدماء، طريق الأيتام، طريق الدموع، ساروها طريقا طويلة، دفعوا الأثمان، وما من بيت تدخله لهؤلاء القادة إلا وله أقاربه من الفاقدين، وله من الثكالى واليتامى والأيامى ما يذهل عقلك وما يدير خاطرك.

حكمتيار فقد أباه وفقد أخاه، وفقد أخاه الآخر، كنت ذات مرة في بيته وهنالك طفل في العام الثاني عشر -تقريباً- من عمره قال لي: هذا الغلام لم يبق له أحد من أقاربه يربيه فجئت به إلى بيتي، في كل مكان ميتم ومأتم، كل بيت تحول إلى دار للأيتام، وكل بيت تحول إلى دار لا ترقأ دموع الباكيات فيه، نساؤهم لا يملكن لقمة العيش ... كثير منهن لا يملكن لقمة العيش، ومع ذلك لا تقف بالأبواب ولا تمد يدها متسولة، لا تدري على من تبكي.

حدثني الأخ صديق تشكري ذات مرة، وكنت أتكلم معه، كان يحدثني عن الجهاد ثم قال لي أثناء الحديث: جاءنا اليوم خبر باستشهاد اثنين وعشرين شخصاً من أقاربنا، ثم واصل القصة عن الجهاد وكأن القصة لا تعنيه، اثنان وعشرون واحداً من أرحامه وأقاربه استشهدوا في يوم واحد، وكم من الناس فقدوا هكذا، وقلما تجد بيتاً إلا وفيه الثاكلة، إلاّ وفيه دموع الرزايا، إلاّ وفيه كما قال المتنبي قال: - وكأنه يصف حالة الأفغان -:

تمرست بالآفات حتى تركتها ... تقول أمات الموت أم ذعر الذعر

كيف بقي هؤلاء أحياء؟ إن القذائف التي ألقيت على أفغانستان تكفي لإحراق أكثر من (خمسين) مليوناً، لم يقتل منهم إلا مليون ونصف المليون، هذا عجب عجاب، إنها فرشت بالحديد من الشظايا والشهب المنقضة عليهم من السماء، والطائرات والمتفجرات ما يكفي لمساحتها خمس مرّات تقريبا، لقد دفع -ولايزال يدفع- الشعب الأفغاني في كل أربع دقائق شهيداً، وفي كل دقيقة مهاجراً، وفي كل اثنتي عشرة دقيقة سجيناً، ومع ذلك، وفوق الجمر سارت المسيرة المباركة، ووصلوا إلى هذه النهاية؛ بعد أن حطموا لروسيا قرابة ثلاثة آلاف طائرة، وحطموا لها أربعة عشر ألف دبابة ومصفحة، وقتلوا لها خمسين ألفاً من الجنود الحمر، وجرح وقتل من الشيوعيين في أفغانستان حوالي مائة ألف. فبعد هذه الخسائر أعلنت روسيا مضطرة، ورغم أنفها المرغ بالأوحال والتراب إننا منسحبون.

وأعلن غورباتشوف قبل أيام أننا سننسحب رغم أن المجاهدين لم يلتزموا بمعاهدة جنيف، وأنهم يتعرضون لجنودنا المنسحبين، وعندما أرسلوا وفداً سرياً للمجاهدين يقول لهم: نحن نريد أن ننسحب فاتركونا بحالنا، فقال المجاهدون: ونحن لن نلتزم بمعاهدة جنيف، فمن التزم لكم فليحم جيوشكم، وقف جندي من جنود الروس الراجعين من الميدان على التلفاز يقول عندما تسمع صيحة (الله أكبر) نبول على ثيابنا !! هذه العزة ما جاءت بالهيّن: **[بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لاشريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي].**

جزاء التضحيات:

يا أيها الإخوة: لقد تنزلت الكرامات في أفغانستان، ولا تظنوا أنها تنزلت هكذا، تنزلت بعد أن دفع الشعب ما دفع وبذل مابذل، وأعد ولم يبق في القوس منزع.

كانت إرادة الله عز وجل تكرم المجاهدين الأفغان بخارقة من السماء، بكرامة تكرمهم على الطريق، كانوا يرون المجاهدين دماءهم كالمسك، ويبقى أحدهم عدة أشهر ملقي فوق الرمال أو فوق التراب لا يتغير، لا يمسه كلب ولا وحش، بينما الشيوعي الذي بجانبه ينتفخ خلال ساعات، ويبدأ القيح والصديد والدود يخرج من كل أجزاء جسده ، ووجوههم كأنما أغشيت قطعاً من الليل مظلماً، رأينا الدود والصديد -نعوذ بالله من حال أهل النار- وبجانبهم المجاهد يتثنى ويمر عليه الشهر كما مر على أخينا عبد الله المصري في جاجي، قتل في أول شوال فوجدناه في الثامن من ذي القعدة يتثنى كالنائم ولا زال كما هو، ولم يتغير إلا طرف أنفه وفمه؛ كما قال جابر عن أبيه: بعد (ستة وأربعين) عاماً لم يتغير إلا هنيهة من طرف أنفه أو من أذنه، ورأيناهم دماؤهم كالمسك، وعبدالله الغامدي في جمكني؛ هنا التكبير بقي يخرج لفترة طويلة من قبره (الله اكبر)!!

وعبد الوهاب الغامدي وسعود البحري كان النور يخرج من قبريهما ليلة الإثنين وليلة الخميس، وزكريا -أبو الهنود الفلسطيني- وهشام الديلمي في المأسدة يخرج النور من قبورهم كذلك يوم الإثنين، ورآه أربعة من إخواننا العرب في داخل المأسدة.

وأما دماء المسك ورائحة العطر التي تخرج من دمائهم ؛ فهذه حدث عنها ولا حرج فقد بلغت حد التواتر، وزادت عن حد التواتر، وفلان؛ (مياجل) الذي يصيح بالأعداء بعد مقتله كلما اقتربوا منه حتى يجروه، اقترب منه زعيم الحزب الشيوعي ليروي غليله منه ويشفي صدره بعد قتله، وكان قائداً في بغلان، فعندما رفع يده ليركل رأس القائد (ميا جل) شلت قدم الزعيم الشيوعي، وكلما أرسلوا له وفدا ليربطوه بالسيارة حتى يطوف به بقرى بغلان صاح بهم ناولوني سلاحي فيهربون، وبعد عدة مرات جاءوا بكفن أبيض جميل، وأعطوه للعلماء الكبار الذين لا تعارضهم الدولة وقالوا لهم: خذوا هذا الكفن لهذا القائد ولن تغلبوا مادام فيكم مثل هؤلاء، ودفن (مياجل) وبقي التكبير يخرج من قبره، وبكته عائلته في بيشاور، فقام أخوه يدعو في وهن من الليل: اللهم إن كان أخي شهيداً فأرنا علامة لذلك، وإذا بباقة زهر ليس لها نظير في الأرض تتنزل عليه من السماء في وسط الليل -من سقف البيت- رائحتها جميلة، وقالوا: لنوقظ محمد ياسر حتى يشم رائحتها ويرى هذه الكرامة لأخينا، ويضعوها في المصحف حتى الصباح، وفي الصباح فتحوا المصحف فلم يجدوا شيئاً.

#################

##########

العبد ليُنسّى الحديث بالذنب يصيبه)، يحرم الرزق بالذنب، ونُسّي الحديث بالذنب. وأنتم تعلمون كلمات مالك للشافعي عندما رآه لأول مرة قال: (يا غلام إني أرى أن الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية).

وأبيات الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي

والحسنة تجر الحسنة، والسيئة تجر السيئة، حسنة الآخرة تجر حسنة الدنيا، وجنة الآخرة لا يُدخل إليها إلا من جنة الدنيا .

وكما قال ابن تيمية -يردد رحمه الله- يقول: (إن في الدنيا جنة من لا يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، جنة الأنس بالله والسعادة بالصلة به) فلن تصلوا إلى جنة الآخرة إلا من خلال جنة الدنيا، وجنة الدنيا ورياض الصالحين فيها، ومتعة المتقين: هي انتهاج الصراط المستقيم، واتباع طريق الصالحين التي خطها رب العالمين، وأمرنا أن نرددها في كل آن وحين.

(اهدنا الصراط المستقيم) (الفاتحة: ٦)

وأما سعة الرزق بسبب المنهاج:

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) (الأعراف: ٩٦)

(ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها) (النحل: ١١٢)

فكفرت فأذاقها، بالفاء الترتيبية والتعقيبية.

(فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) (النحل:١١٢)

(لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور) (سبأ: ١٥-١٧)

ولذا جاء في الصحيح[1]: {من أراد أن ينسىء الله له في أجله ويبسط له في رزقه فليصل رحمه}.

وفي الحديث الحسن الآخر: {بر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار يطيلان الأعمار ويعمران الديار} {صلة الأرحام وحسن الجوار يطيلان الأعمار ويعمران الديار}.

أي يطيلان الأعمار ببركة الحياة، وكم من ساعة تساوي سنوات ببركتها، وكم من سنوات تمر محقاً دون أن تجد لها بركة من العطاء والنماء والإنتاج.

يا أيها الإخوة: أقبلوا على ربكم.

(يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) (الأنفال: ٢٩)

(يجعل لكم فرقانا)، تفرقون به بين الحق والباطل، يجعل بصيرتكم منيرة بحيث تستطيعون أن تروا الأشياء على حقيقتها، وإلا فالشهوات والشبهات تعمي القلوب وتطمسها، وترى الأشياء معكوسة: {.. كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفا... كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف}.

فاتقوا الله، اتقوا الله في أنفسكم.. اتقوا الله في قلوبكم.. اتقوا الله في النور الذي أعطاكم الله إياه، اتقوا الله في ذاتكم تسعدوا في الدنيا، وتسعدوا في الآخرة، ولا منهاج للسعادة في هذه الدار وما بعد هذه الدار إلا بأن نتبع سبيل الأبرار:

---

(١) جزء من حديث في صحيح الجامع برقم ٤٠٧٩

ثالثاً: وكذلك يقول: يا رب يا رب، فدعاء الله عز وجل بلفظ الربوبية، فهو رب العالمين، هو عبارة: عن طلب الرحمة والاستعطاف والاسترحام من رب العالمين الرحمن الرحيم.

إنذار وتحذير:

فيا **أيها الإخوة:** عليكم أن تنتبهوا إلى أنفسكم، وخاصة وأنتم قد حطمتم أغلال الدنيا، وخرجتم في سبيل الله، ومزقتم هذه القيود التي ربطتكم إلى الأرض، لابد أن تنطلقوا من أوهاق الأرض، لا بد أن تتخلصوا من أوحال المادة، لا بد أن ترتفعوا عن وحل المستنقع، والدنيا -كلها- مستنقع.

ويكفي أن رسول الله ﷺ ضرب لها مثلاً بالجدي الميت، عندما مسك جديا أسكَّ ميتاً: {وقال: **أيكم يحب أن يكون له هذا بدرهم؟ قالوا: لا أحد. قال: للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**} رواه مسلم.

وفي الحديث كذلك[1]: {**إن الله ضرب مثالاً للدنيا بالعذرة -العذرة الخرء، البراز- ضرب الله مثلاً للدنيا بالعذرة فقال (انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام)**} ويعد الأكل إلى أين يسير الطعام؟ أنتم كلكم تعلمون.

فيا **أيها الإخوة:** يا من هاجرتم، وخرجتم في سبيل الله، أخلصوا نياتكم، إعرفوا ربكم، الزموا حدودكم، اخشوه وأكثروا من الذكر والدعاء، واتقوه فيما يدخل في أفواهكم وما يخرج منها، اتقوه في أنفسكم بجوارحكم، اتقوه في معرفة اللقمة الحلال التي تدخل في بطونكم، {وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به}. والمال حسابه شديد عند الله عز وجل وعظيم، وفي الصحيح[2]: {**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن اربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن علمه ماذا عمل به**}.

يا **أيها الإخوة:** يا أيها المهاجرون، يا أيها المجاهدون، يامن تركتم دياركم وأموالكم وخلانكم، تركتم الأرض التي عليها حبوتم، تركتم الرباع التي بها نشأتم، تركتم الدنيا هذه كلها، فلا تخلطوا أعمالكم، ولا تشوبوا جهادكم، ولا تلطخوا هجرتكم، ولا توسخوا صالحاتكم، اصدقوا الله، أخلصوا له، املأوا بطونكم من الحلال، واكتفوا بما يكفيكم، وما يقيتكم وما يدفعكم وما يضمن بقاءكم على هذه الطريق واستمراركم في هذه الجادة.

يا **أيها الإخوة:** يا أيها الأحبة، يا أيها المهاجرون، يا أيها المجاهدون، الله الله في هجرتكم، الله الله في جهادكم، الله الله في أنفسكم، واعلموا أن عائشة رضي الله عنها عندما بلغها أن زيد بن أرقم قد باع بيع العينة -عندما باع عبداً بثمانمائة درهم نسيئة دينا واشترى نفس العبد بستمائة درهم نقداً، وهذا هو بيع العينة- وقد قالت عائشة رضي الله عنها: قالت للمرأة التي حدثتها: أبلغي زيد بن أرقم عني أن الله قد أبطل جهاده مع رسول الله ﷺ إن لم يتب -إن لم يتب عن هذه البيعة التي ما أظن أن زيد بن أرقم كان يعلم حكمها- فأبانت له حكمها وبينت له مغبة أكل المال الذي يختلط حرامه بحلاله.

يا **أيها الإخوة:** اتقوا الله واحذروه، واعلموا أنكم ملاقوه وأنكم إليه ترجعون.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله؛ سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

{**إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين**} وإن المؤمن طيب في مطعمه ومشربه، وملبسه وحياته وكلامه ومماته وروحه وجسده، فكونوا طيبين لتستقبلكم الملائكة الطيبون ويقولون لكم:

(سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) (الرعد:٢٤)

(يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) (النحل: ٣٢)

يا **أيها الإخوة:** انتبهوا إلى أنفسكم، انتبهوا إلى عباداتكم، وإلا لا تستطيعون مواصلة المسيرة، فلابد أن يكون الوقود مباركا بالطعام حلالاً حتى تستمر الرحلة المباركة وتؤتي ثمارها المباركة وتكون كالشجرة المباركة:

---

١) بنحوه في صحيح الجامع الصغير رقم ٢١٩٥ .

(٢) . صحيح الجامع الصغير رقم ٧٣٠٠.

بل لعله لم يمر في تاريخ الفقه الإسلامي رجل أفقه من النووي ولا أعمق منه في فقهه. وكما قال ابن كثير عن كتابه المجموع شرح المهذب: لم يصنف على غراره قط، لم يصنف مثله قط، وفعلاً لقد اطلعت عليه فلم أر مصنفاً صنف مثله قط.

أقول: عاش النووي في الشام فمكث معظم حياته فيها، ولم يأكل من ثمارها، وعندما كانوا يسألونه: لماذا لا تأكل من ثمار الشام؟ قال: هنالك بساتين موقوفة ضاعت فأخشى أن آكل من ثمار تلك البساتين.

ومن هنا كانت قلوبهم قلوب أُسُود، ونفوسهم نفوس رهبان في الليل فرسان في النهار، لا يقفون أمام حاجز، يتخطون العقبات مهما علت ومهما شقّت وارتفعت.

وعندما غزا التتار بلاد الشام قال الظاهر بيبرس: أريد منكم أيها العلماء فتوى: أن أجمع المال لنشتري السلاح لنواجه هجمات التتار، فأفتاه العلماء جميعاً الا محيي الدين النووي، قال: أين توقيع النووي؟ قالوا: لقد رفض أن يوقع. فأرسل إليه قال: ما بالك تمنعني أن أجمع مالاً لنصد الحملات، حملات هؤلاء الكفار عن المسلمين؟! قال: لقد جئتنا عبداً مملوكاً لا تملك شيئاً، وأنا أرى لك اليوم الغلمان والقصور والجواري والذهبان والضياع والبساتين، فإن بعت هذا كله، وبعد ذلك احتجت لتزود جيش المسلمين فإني أفتيك بذلك! قال الظاهر: اخرج من الشام. فخرج من الشام وقبع في بيته الأصلي في نوى، وذهب العلماء للظاهر غاضبين مزمجرين: لا طاقة لنا بالحياة بدون النووي، فقال الظاهر: أرجعوه إلى الشام. فذهبوا إلى نوى ليرجعوا النووي، قال: والله لا أدخلها والظاهر فيها. وبر الله بقسمه، ومات الظاهر بعد شهر ورجع النووي إلى الشام.

وكان النووي أستاذاً في دار الحديث في الشام، وبعده بسبعين عاماً تقريباً جاء السبكي رحمه الله، والسبكي ممن وصل درجة الاجتهاد في المذهب الشافعي، كان يردد بيتين من الشعر يقول:

وفي دار الحديث لطيف معنى	*على بسط لها أصبو وآوي*
لعلي ان أنال بحرّ وجهي	*مكاناً داسه قدم النواوي*

ولذلك فيا أخي الكريم: إن للدعاء شروطاً من أجل القبول، والقبول هنا: إما الثواب وإما المدح من الملائكة وإما عدم صحة العمل نهائياً. فعندما يأتي في بعض الأحاديث: **{إن الله لا يقبل صلاة امرىء أتى عرافاً فصدقه أربعين يوماً} {من أتى عرافاً فسأله فصدقه لا يقبل الله صلاته أربعين يوماً}**[1]. إما أن الصلاة باطلة، وإما أن الثواب مردود لا يأخذ ثواباً على صلاته، وإنما يسقط عنه فرض الصلاة. والعلماء رجحوا القول الذي هو الصحة على قول الثواب، أي: إن الله عز وجل لا يعطيه ثواباً ولا يثني عليه بين الملائكة أما فريضة الصلاة فإنها تسقط عنه.

شرط القبول:

والدعاء له شروط: بالإضافة إلى أكل الحلال أو آداب ذكرها رسول الله ﷺ في الحديث: **{وذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول: يا رب يا رب ومطعمه ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له}**. فهذه إشارات إلى آداب الدعاء:

أولاً: طول السفر، لأن المسافر بعيد عن أهله وخلانه وأحبابه وجيرانه، وهؤلاء يكتسب بينهم مكانة ورفعة، أما في غربته فهو منكسر النفس مستوحش، والله عز وجل يتقبل من القلوب المنكسرة، فإطالة السفر من علامات الدعاء المتقبل، ولذلك **{ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والمسافر، ودعوة الوالد لولده}**.

ثانياً: وأشعث أغبر، لأن لبس الأطمار والخلقان من الثياب والأسمال البالية دليل الانكسار والتواضع، والله عز وجل لا يقبل من المتكبرين ولا يحب كل فخور:

{إن الله لا يحب كل مختال فخور} (لقمان: ١٨)

ولا يتقبل دعاءه، وفي الصحيح[2]: **{رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره}**. أشعث أغبر، أنه يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء.

ومد اليدين إلى السماء كذلك من العوامل التي تساعد على استجابة الدعاء، وفي الصحيح[3]: **{إن الله حيي كريم يستحيي اذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين}**. وقد روي أن رسول الله ﷺ[4]: **{كان في الاستسقاء يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه}**

(١) رواه مسلم. (٢) انظر صحيح الجامع الصغير رقم ٢٤٨٧. (٣) أنظر صحيح الجامع الصغير رقم ١٧٥٧.

(٤) رواه الحاكم وصححه أبوداود وقال: هذا حديث غريب، وإسناده جيد انظر فقه السنة ج ١ ص ١٨٢ و١٨٣.

عرفت أنه اغتصب مالا وبنى به هذا المسجد أو أقام به هذه المدرسة، أو رفع به هذا البناء أو المنشأ فلا يجوز لك الانتفاع به.

ورحم الله تلك المرأة التي جاءت تسأل أحمد رضي الله عنه: أيجوز لنا أن نغزل على ضوء السلاطين؟ -كان السلاطين في الليل يوقدون السرج لتنار الطرقات- لأننا لا نتأكد من الوقود أهو من حلال أو حرام، فقال: من أنت؟ فقالت له: أخت فلان، فقال: من بيتكم خرج الورع.

وعندما وهى مسجد البصرة في أيام عمر بن عبد العزيز قال لهم: أصلحوا الصدع ولا تزيدوا على الصدع -أصلحوا الشق ولا تزيدوا عليه- لأني لم اجد للبنيان في مال الله حقاً، ولا حاجة للمسلمين فيما أضر ببيت مالهم.

حكم المال الحرام:

وسئل عطاء عمن عنده مال حرام لا يعرف أربابه؛ قال عطاء: يتصدق به ولا أقول يجزىء عنه. قال مالك هذا القول: (يتصدق به ولا أقول يجزىء عنه) -قال مالك- هذا القول أحب إلي من زنة كذا وكذا ذهباً.

ومن هنا اختلف السلف رضوان الله عليهم فيمن عنده مال حرام ولا يعرف أربابه ولا يدري أصحابه؛ قال عمربن الخطاب والشافعي: (يحفظ عنده حتى يظهر صاحبه). وقال الفضيل بن عياض: (من كان عنده مال حرام فإنه يلقيه في البحر ولا يتصدق به). أما جمهور اهل السنة فإنهم قالوا: يتصدق به ولا أجر له لأنه لا يجوز إتلاف المال.

ثم لابد أن نقف وقفة أمام سير هؤلاء.. هذا السلف الصالح؛ الذين بنوا هذا الدين، وأقاموا ركنه الركين، وشيّدوا صرحه العظيم، كيف بنوه؟ كيف أقاموه؟ وكيف ثلوا عرش كسرى وقيصر؟ كيف افتتحوا نصف الارض بنصف قرن؟ إنها (إنما يتقبل الله من المتقين).

حياتهم ضرباً من الخيال نظنها، أو نوعاً من الأساطير نعتبرها، ولكنها كانت وقائع تسير على هذه الأرض وتدب فوقها.

مع ملا رمضان:

ذات يوم دخل بيتي ملا رمضان -والد الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي- وهو شيخ الشافعية في الشام، فقدمت له الطعام، فامتنع، وأصررت عليه فامتنع، وكان رفيق معه يرافقه الطريق، قال: كل من طعام عبد الله فاستحيا مني وأكل، قال سآكل من طعامك ولكني لا آكل من طعام ابني لأنه يأخذ راتبه من الدولة؛ لا يأكل من طعام ابنه الذي يعمل أستاذاً في كلية الشريعة!! ابنه أستاذنا، لا يريد ان يأكل من طعامه لأنه يأخذ راتبه من الدولة، وهو يرى أن أموال الدولة مختلطة؛ حلال مع حرام، مكوس مع ضرائب للخمر وغير ذلك، فهو لا يدخل فمه من طعام ابنه ولا يأكل من بيته، ومن هنا فأهل الشام يتبركون بدعائه.

حدثني الشيخ سعيد حوّى قال: عندما ألغى الخنزير الكبير؛ هذا النصيري الكافر الذي استولى على بلاد الشام، وانتهك أعراض المسلمات، وبقر بطون الحاملات، هذا الخنزير الكبير الذي تربّع على أكتاف المسلمين، وانتهك أعراضهم، وداس مقدساتهم، وطال به الزمن، وصال وجال على أناس سلطه الله عليهم انتقاماً منهم بهؤلاء، لأن الظالمين سوط الله في الأرض يسلطه على من يشاء ثم ينتقم الله منه المادة الأولى أو الثانية في الدستور أن دستور الدولة الإسلام، قامت حملة ضده، قال سعيد حوى: فذهبنا إلى الشيخ حسن حبنكة رحمه الله فقلنا له: ألا تتكلم؟ لقد طف الصاع، وبلغ الحزام الطبيين، وبلغ السيل الزبى، ونحن صامتون وأنتم لا تتكلمون، فإلى متى أنتم ساكتون؟ ألا تتكلم؟ ألا تخطب؟ قال: نعم أتكلم بشرط واحد؛ أن تتكفلوا لي أن يدعو لي ملا رمضان، لأنني عندها أكون -إن شاء الله- في حماية من أيدي الظالمين ونقمة المتسلطين.

إذن فطيب المطعم هذا هو الذي جعل هذا الرجل في هذا المقام الذي يتبرك بدعائه؛ في هذا المقام الذي يجعل شرطاً تعليقيا لمن أراد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يتكفل له بالدعاء لأنهم يظنون ظناً راجحاً أن الله لا يرد دعاءه، لأنهم يظنونه من المتقين.

مع النووي:

وقد روي عن الإمام النووي رحمه الله أنه عاش في الشام معظم حياته، هو من (نوى) في حوران، ثم دخل الشام واصبح عالمها

بصفاته، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، ومعرفة السنة وأكل الحلال، لأن الله لا يتقبل من إنسان لا يعرفه، فلا بد من معرفة الله وتوحيده بصفاته وأسمائه، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات. فإذا عرف الإنسان ربه فلابد أن يعرف الحق حتى يتبعه، وكيف يتبع الحق من لا يعرفه؟! وإذا اتبع الحق فلا بد من أن يعرف إرشادات سيد المرسلين في تطبيق النصوص، ولذلك لابد من معرفة السنة.

وكل هذا لا يمكن أن يتقبله الله إلا إذا كان لبه ولحمته وسداه -كانت لحمته وسداه- إخلاصاً يتقطر وصدقاً يبين من خلال العمل ويظهر. وكل هذا إنما هو مبني على الطاقة التي تنطق بها والطاقة التي تحرك بها يديك للعمل وللقيام والصيام وللاستغفار بالأسحار، فان كانت الطاقة حراما فإن الله لا يتقبل كلاماً ولا عملاً كان وقوده الحرام، والمال الحرام والطعام الحرام.

قال وهب بن الورد: لو قمت مقام هذه السارية -هذا العمود- قياماً وصياماً لايتقبل الله منك حتى تنظر ما يدخل في بطنك أحلال هو او حرام؟

وفي الصحيحين[1]: {لايقبل الله صلاة إلا بطهور ولا صدقة من غلول}. والغلول: هو المال الحرام، سواء كان الغل من غنائم الحرب وفيئها، أو كان الغل من أموال المؤمنين واغتصاب أموالهم وأخذ أملاكهم.

وفي المسند عند احمد[2]: {لا يكتسب عبد مالاً حراماً فينفق منه فيبارك له منه ولا يتصدق به فيتقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده في النار، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن}.

وعن أبي الدرداء وابي ميسرة : {الإنفاق من المال الحرام كأخذ مال اليتيم وشراء كسوة للأرملة}.

وعن الحسن: (أيها المتصدق على المسكين ترحمه ارحم من ظلمت).

وعن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما: (سئلا عن من يظلم ويأخذ الحرام ثم تاب وتصدق وحج فكان الجواب: إن الخبيث لا يكفّر خبيثاً).

وقد اشتد الصحابة رضوان الله عليهم على أنفسهم فيما يتعاملون به من مال، وما يتعاطونه كذلك من دراهم؛ دخل ابن عمر رضي الله عنهما على ابن عامر وهو في مرض الموت، وكان عبد الله بن عامر أميراً للبصرة. فأخذ الناس يثنون عليه ويطرونه ويكيلون له المدح، إنهم يريدون أن يطمئنوا نفسه أنه شق الطرق وفجر العيون، عمل الإصلاحات، وابن عمر ساكت، قال: ما رأيك يا ابن عمر؟ قال: لا يقبل الله صدقة من غلول.. إن الخبيث لا يكفر خبيثاً، ولذلك ابن عمر رضي الله عنهما عندما سأله عبد الله بن عامر؛ قال له: ما رأيت هذه العقاب التي نزيلها -يعني تمهيد الطرق- والعيون التي نفجرها ألنا بها أجر؟ قال: إن الخبيث لا يكفّر خبيثا. وسأله كذلك عبد الله بن عامر ذات مرة عن الصدقات والعتق الذي يفعله عبد الله امير البصرة، قال: مثلك كمثل رجل سرق إبلا لحاج ثم جاهد به.

ولذلك كانوا رضوان الله عليهم شديدي الورع فيما يتناولون ويأكلون، فيما يدخل بطونهم وما يدخل جيوبهم.

هذا أبو حنيفة رضي الله عنه، يرسل إلى شريكه في التجارة، حيث كان أبو حنيفة مسافراً فاشترى صفقة ثم قال له: إن بها الثوب الفلاني به عيب فعندما تبيعه أبنْ عيبه للمشتري، ونسي شريكه أن يبين العيب للمشتري، فعندما رجع أبو حنيفة سأل عن ذاك الثوب، فقال: لقد بعته، قال: أبعته ولم تبين عيبه؟ قال: بلى، قال: من الآن نقسّم، واقتسم مع شريكه وترك ثمن الثوب.

وهذا أحمد بن حنبل رضي الله عنه وأرضاه، عندما مرض ذات مرة فوصف له الطبيب رأس شاة حتى يشويها ويأكلها، فعندما اشترى رأس الشاة، قال: أين نشويه؟ قال: عند عمك صالح؛ في فرن عمك صالح. قال: لا إنه خالط السلطان! رفض أن يشوي الرأس في فرن عمه لأنه خالط السلطان، وعندما قبل أبناؤه هدايا أمير المؤمنين سد الأبواب بينه وبينهم وقاطعهم.

ولقد زاد بعض التابعين في ورعهم -في هذه القضايا- فكانوا لا ينتفعون بالمنشآت والجسور والمساجد التي يبنيها السلطان، كان وهب بن الورد وطاووس لا يصلون في المسجد الذي يبنيه السلطان لأنهم يقولون: إن ماله قد خالطه الحرام ودخل فيه بعض المكوس والغصوب.

هل تتصورون معي أنهم لا يمرون على الجسر الذي يقيمه السلطان، لا يمرون من الطريق الذي فيه الجسر وأقامه السلطان من مال اختلط حرامه بالحلال، أما أحمد قال: لا بأس بالانتفاع بها ولكن بشرط واحد أن تعلم أن هذا المسجد لم يبْن من مال حرام، فإذا

---

١) رواه مسلم

٢) رواه أحمد، انظر الترغيب والترهيب ج ٢ص ٥٥٠ .

مسلم-[1]: {إن الله طيب لا يقبل الا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) وقال: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون) ثم ذكرالرجل اشعث أغبر يطيل السفر يمد يديه إلى السماء يقول يا رب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّي يستجاب له}.

تحري الحلال:

ومن هنا كان السلف الصالح رضوان الله عليهم حريصين كل الحرص عما يدخل في أفواههم، وما يخرج من أفواههم، شديدين كل الشدة على أنفسهم، كانوا شديدين ورعين على أنفسهم فيما يأكلون، وفيما به يتكلمون، لأن رسول الله ﷺ تكفل لهم في الحديث الصحيح: أن الذي يحفظ ما بين لحييه وما بين رجليه يحفظ له الجنة {من يتكفل لي -وفي رواية- من يحفظ لي ما بين لحييه -أي فمه- وما بين رجليه -أي فرجه- أكفل له الجنة أو أحفظ له الجنة}[2].

والفم أنما يكون تكفله بالطعام والكلام، فلا يكون الطعام إلا طيباً ولا يكون الكلام إلا طيباً، والمؤمن كلامه طيب، وجسده طيب، وطعامه طيب، وروحه طيبة، وكل شيء فيه طيب، فالملائكة عند أخذ الروح تقول {أخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه في الدنيا} والملائكة تستبشر بلقائهم بطيبهم، وتبشرهم بدخول الجنة بطيبهم:

(الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) (النحل: ٣٢)

والله عز وجل ضرب مثلاً للمؤمن بالشجرة الطيبة وكلامه كذلك بالشجرة الطيبة:

(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) (إبراهيم: ٢٤-٢٥)

وقد جاء في حديث -فيه مقال رواه الطبراني- قال ابن عباس رضي الله عنهما[3]: قرأت أمام رسول الله ﷺ: (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) فقال سعد: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مجاب الدعوة، قال: (يا سعد أطب مطعمك تجب دعوتك)، (إن الرجل ليقذف باللقمة الحرام في فيه لا يتقبل الله منه صلاة أربعين يوماً) وفي رواية في مسند أحمد -برواية فيها مقال كذلك[4]- (إن الرجل ليشتري الثوب بعشرة دراهم فيها درهم واحد حرام لا يتقبل الله منه ما دام عليه).

ومن هنا كان السلف رضوان الله عليهم شديدي الحرص فيما يدخل وفيما يخرج من أفواههم، ومنها يقول ابن عباس رضي اللهعنهما: (لا يقبل الله صلاة أمرىء في جوفه شيء من الحرام).

وفي القرآن الكريم:

(إنما يتقبل الله من المتقين) (المائدة: ٢٧)

وكان السلف رضوان الله عليهم إذا قرأوا هذه الآية تهتز فرائصهم وترتعد أطرافهم ويشتد فزعهم وخوفهم؛ يخشون أن لا يتقبل الله منهم، لأن الله (إنما يتقبل الله من المتقين)، لأن (إنما) اذا دخلت على الجملة فإنها تفيد الحصر والقصر، أي: أن القبول محصور في المتقين: أن القبول من الله إنما هو لأعمال المتقين فقط.

وقد سئل أحمد: ما معنى المتقين في هذه الآية، فقال: يتقي الأشياء فلا يقع فيما لا يحل.

خمس خصال:

قال أبو عبد الله الباجي: خمس خصال بها تمام العمل فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل، الإيمان بمعرفة الله عز وجل، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، ومعرفة السنة، وأكل الحلال. هذه الخمس إذا تخلفت واحدة فلا يتقبل الله العمل من المؤمن، الإيمان بالله

---

(١) رواه البخاري والترمذي. (٢) رواه البخاري بلفظه «من يضمن لي ما بين لحييه».

(٣) رواه الطبراني والصغير، انظر الترغيب والترهيب للمنذري ج ٢ ص ٥٤٧.

(٤) بلفظه من اشترى ثوبا، رواه أحمد، انظر الترغيب والترهيب للمنذري ج ٢ ص ٥٤٨.

(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (الأنعام: ٩٠)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

يا أيها الإخوة: من أراد منكم السعادة في الدنيا فعليه بالدين، ومن أراد منكم السعادة في الآخرة فعليه بالدين، ومن أراد منكم السعادة في الدارين فعليه بالدين، وليس إلا هذا الدين طريقاً للسعادة في الدارين.

ورحم الله ابن تيمية عندما كانت الأرض كلها تتحداه، وهو يقول كلمته: (ماذا يصنع فيّ أعدائي، إن سجني خلوة، وإن قتلي شهادة، وإن نفيي سياحة) رغم أنه كان في أعماق السجن وفي غياهبه، إلا أنه كان يقول: (لو أعطيت ملء هذا السجن ذهباً لمن سجنني ما جازيته بما أعطاني الله إياه ..) لو أعطيته ملء هذا السجن ذهباً لما وهبني الله به في هذا السجن، -ما فتح الله به عليّ- ما جازيت الذين سجنوني.

يا أيها الإخوة: فسعة الدنيا.. سعة الرزق.. نور القلب.. نور الوجه.. ومن كثر صلاته في الليل حسن وجهه في النهار.

وأنك تلمح النور في قسمات وجهه ومن جبينه.

أما العصاة فظلمة الذنوب قد سوّدت وجوههم كما أظلمت بها نفوسهم وقلوبهم، وهؤلاء الصلة بالله عز وجل نوّرت قلوبهم وأضاءت وجوههم.

وعليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين من قبلكم، ومقربة لكم عند ربكم، ومطردة للداء عن الجسد، كما جاء في الحديث الصحيح.. {ومطردة للداء عن الجسد}.

يا أيها الإخوة: قد منّ الله عليكم بأن جاء بكم إلى هذه الديار، فالزموا أماكنكم، وهي نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر، وتباركه، وتزكيه، فالزموا أماكنكم، وقد عرفتم.. وإياكم أن ترتدوا على أعقابكم أو ترجعوا على أدباركم، فهو توفيق من ربكم، ليس باختياركم، وليس بعلمكم، إنما هو هداية من الله وتوفيق منه سبحانه وتعالى، فإذا رابطتم فنعمة من الله، وإن قاتلتم فمنّة من الله، وإذا خدمتم الجهاد فهو نعمة كبرى من رب العالمين.

فإياكم.. إياكم، مهما كانت المشقة فهي مشقة أبدان، ولحوم غداً سيأكلها الدود، وتبقى الصفحات المليئة بالحسنات:

(يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) (الأنعام: ١٥٨)

يوم تضع كل مثقلة حملها أمام الميزان.

(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) (الأنبياء: ٤٧)

سيروا على طريقكم، الزموا أماكنكم، توجهوا إلى ربكم، والله -كما أظن- قد منّ عليكم من عليائه، وأنعم عليكم من فوق سبع سموات سبحانه وتعالى.

أطيب مطعمك

يا من رضيتم بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً ورسولا، اعلموا أن الله قد انزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم) (المؤمنون: ٥١)

آية مباركة في كتاب الله، يأمر الله بها صفوة عباده بقضيتين متلازمتين مهمتين: اكل الحلال، والعمل الصالح، كل واحدة ترفع الأخرى فلا بد من العمل الصالح حتى يرفع بأكل الحلال ولابد من أكل الحلال حتى يتقبله ذو العزة والجلال.

(من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) (فاطر: ١٠)

فالعمل الصالح يرفع القول الصالح، والمال الحلال يرفع العمل الصالح ومن هنا -كما قال ﷺ في الحديث- الذي رواه

(أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) (إبراهيم: ٢٤-٢٥)

كنت ذات مرة مع (سياف) فقال لي: أكثر دعاء دعوت الله به عند الملتزم وعند مس الحجر الأسود أن يعفيني الله من مغبة سؤال عن الأموال التي وضعها بين يدي، لأني رغم أني أحاول أن أتشدد على أهلي ونفسي، إلا أني أعتبر نفسي أني آكل من طعام جاهدين، وكذلك فإني أخشى أن لا أكون دقيقاً عادلاً فيما أوزعه على المجاهدين، وعندما يكون حسابي عظيماً عند رب العالمين.

فيا أيها الإخوة: وكما قلنا: أنتم قد تركتم الحياة، قد تركتم الدنيا، قد وضعتم أرواحكم على أكفكم، أنتم وضعتم هذه الأرواح، س مالك هذه الروح تريد أن تضحي بها، فانتبه إلى ما دونها، أما وقد ضحيت بالكثير فضح بقليل، وإنه ليسير على من يسره الله عليه.

يا أيها الإخوة:.. إن الطريق طويل، والرحلة شاقة، والجهاد ثقيل، ولا يتحمله إلا أولئك الذين يثبتهم رب العالمين، ومن هنا إذا نت تجد في قلبك خشية من دخول جبهة، أو من مواجهة عدو، أو من أمر بمعروف ونهي عن المنكر، فراجع طعامك، إن قلبك ضعيف لابد أن يكون الضعف من سموم الحرام الذي تأتيه، ومعظمها من الطعام، وبعضها من السهام التي تنطلق من العيون [وإن النظرة سهم من سهام إبليس المسمومة من تركها مخافتي أبدلته حلاوة يجدها في قلبه] فإن كنت تتحرج، أو تتهيب، أو تتخوف، من ولوج خضم المعارك، أو دخول غمار الحرب، أو أن تغمر نفسك في وطيس المعركة فاعد حسابك مع نفسك، ما سر هذا الضعف الذي يعانيه لقلب؟ ما سر هذا الخوف من البشر؟، والله عز وجل تكفل أن يثبتك إن كنت صادقاً مؤمناً:

(إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) (الأنفال: ١٢)

(هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عليماً حكيما) (الفتح: ٤)

فالسكينة جندي يدخله الله عز وجل، في قلب من شاء. هذا القلب الذي ينمو بالحلال، ويتغذى بالحلال، ولا ينبض إلا بالإخلاص لذي العزة والجلال، واعلموا أن ألسنتكم قد تعيق مسيرتكم، وآذانكم قد تعيق مسيرتكم، وأيديكم قد تعيق مسيرتكم.

روي أن بني إسرائيل قد قحطوا ذات مرة، فجاؤوا إلى نبي من أنبيائهم وقالوا: دعنا نخرج لنستغيث ونستمطر، فخرجوا ورفعوا أكفهم إلى السماء فأوحى الله إلى نبيه أن جئتموني ببطون مليئة بالحرام، وأيد ترفعونها ملطخة بالدم الحرام، ثم تريدون أن أستجيب لكم!! ارجعوا فلن آبه بكم، أو كما جاء في الرواية.

يا أيها الإخوة: انتبهوا إلى أنفسكم، انتبهوا إلى جوارحكم، انتبهوا إلى ألسنتكم، انتبهوا إلى آذانكم، ماذا يدخل فيها، إلى أفواهكم ماذا يدخل فيها، وماذا يخرج منها، إلى أيديكم ماذا تعمل، إلى أرجلكم إلى أين تمشي وإذا صدقتم فإن الله مع الصادقين.

التوكل على الله

- يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) (الطلاق: ٢-٣)

جاء في الروايات: أن سبب نزول هذه الآية: أن أحد الصحابة قد أسر ابنه وكان رقيق الحال، ضيق ذات اليد، فجاء إلى رسول الله ﷺ يشكو الفاقة، وبعد فترة وإذا بابنه يفلت من أيدي أعدائه، وعلى الطريق يجد قطيعاً من الغنم للكفار فيستاقه ويعود به إلى أبيه، وتنزل الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب).

وجاء في الروايات أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية فقال[1]: [يا أبا ذر لو أن أهل الدنيا أخذوا بهذه الآية لكفتهم]، (...لو أن

---

(١) رواه أحمد في مسنده، انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٩٢

أهل الدنيا أخذوا بهذه الآية لكفتهم). ويصدقه حديث رسول الله ﷺ الذي رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان وابن ماجة وقال عنه الترمذي حسن صحيح[1]: (**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطانا**) لو أنكم توكلتم على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير.. فالطير لا تدري وقد غدت من وكناتها أين يكون رزقها في هذا اليوم! أين تلتقط حبها؟ ومن أين تطعم صغارها وفراخها؟ ولكنها تغدو في الصباح خامصة البطن، أي جائعة خاوية البطن، وتروح بطانا، أي تعود وقد ملأت بطونها طعاما.

(وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) (العنكبوت: ٦٠)

(**وكأين من دابة لا تحمل رزقها**) -على ظهرها- (**الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم**).

وقد جاءت هذه الآية تعقيباً على آيات الهجرة التي هي سبب المخاوف على الرزق، وانقطاع سبل الطعام والشراب والأمن:

(يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون) (العنكبوت: ٥٦)

العبادة حيثما وجدت في الأرض فابحث عنها.

(كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) (العنكبوت:٥٧-٦٠)

(**الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة**) ربط الرزق بالتوكل سبحانه (**الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وكأين من دابة**).

كثير من الدواب لا تحمل رزقها الله يرزقها، تبلكم (**الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم**) يسمع حاجات عباده، ودعاءهم، ويعلم حاجات مخلوقاته فيرزقهم (**وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم**). فإذا كان رب العزة قد رزق الصم البكم.. قد رزق الدواب التي لا تدري أين تذهب، ولا تعلم من أين تكتسب، وهو يكفل حياتها، وأرزاقها مربوطة بأنفاسها.. أرزاقها مربوطة بأنفاسها حتى تفارق هذه الحياة، ولن ينتهي رزق إنسان إلا مع اللحظة الأخيرة من حياته؛ فهما حلقتان متصلتان لا تنفصمان أبدا، بل هما وجهان لعملة واحدة هي عملة الحياة، على وجه مكتوب عليه الرزق، وعلى وجه آخر مكتوب عليه الحياة.

فإياك يا أخي أن تبتئس، أو تفكر، أو تسيء الظن برب العالمين (**نفث الروح الأمين في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها**) -لكن مطلوب منكم شيئان: التقوى والإجمال في الطلب- { **فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**}. أي التقوى في أخذ الحلال من مكانه، وترك المحرم في مكانه، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، لا تتهالكوا على الدنيا.. لا تتهالكوا على الدنيا فتشغلكم عن ربكم، فالرزق محدود، والأجل معدود، ولن تصل إلى ربك حتى ينتهي آخر درهم من رزقك، وكما قال عمر رضي الله عنه: (بين رزق العبد وبين العبد غشاء رقيق، فإذا صبر العبد وصله الرزق، وإن هتكه -وإن هتك هذا الغشاء- لم يأخذ إلا ما قدر له).

حسن الثقة بالله:

ولا يعني التوكل ترك الأخذ بالأسباب، فالتوكل: حسن الثقة بالله عز وجل، والعلم: أن النافع والضار، والمعطي والمانع هو الله، وكما قال رسول الله ﷺ لابن عباس[2]: (**يا غلام إحفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء.. لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء.. لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك.. رفعت الأقلام، وجفت الصحف**). وفي رواية أخرى للترمذي وغيره (**واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا**)[3].

ولكن كما قلت لكم: الثقة بالله عز وجل أنه هو المعطي والمانع، وأنه النافع والضار:

(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير) (الأنعام:١٧)

---

(١) صحيح الجامع الصغير رقم ٥٢٥٤ . (٢) صحيح الجامع الصغير رقم ٧٩٥٧ . (٣) إحدى روايات الحديث السابق وهي صحيحة .

(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) (يونس: ١٠٧)

هذه الثقة بالله عز وجل هي التي دعت السلف الصالح أن لا يتكالبوا على الدنيا، وأن لا ينشغلوا عن وظيفتهم الأساسية وهي وظيفة تحقيق عبادة الله في الأرض، تحقيق تشريع الله عز وجل في واقع الحياة، وإقامة دينه، وإقامة مجتمع سليم نظيف على قواعد طاهرة، وعلى أسس متينة.

كان أحدهم يذهب إلى السوق، فيشتري شاة ويبيعها، فيربح ديناراً، ويمسك بالدينار ينفق منه أسبوعاً كاملاً، ثم يعود في الأسبوع الآخر ويعمل كما عمل، ما كانت الدنيا تشغلهم، كانت أجسادهم على هذه الأرض، وأرواحهم معلقة بالملأ الأعلى، كما قال علي رضي الله عنه: نعم الرضا برزق الله عز وجل، والتوكل عليه، والثقة أنه هو الرازق النافع، وأنه الناصر الضار كذلك والمانع، هذا كله لا يغني عن الأخذ بالأسباب .

فالأخذ بالأسباب من سنة رسول الله ﷺ، والتوكل حال رسول الله ﷺ، ومن طعن في الحركة -كما قال سهل التستري-: (من طعن بالحركة فقد طعن في السنة، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان).. لأن الحركة -أي الأخذ بالأسباب- هي سنة النبي ﷺ، والتوكل عليه حال النبي ﷺ، فمن أخذ بحال النبي ﷺ فلا يتركن سنته، والناس أو الأعمال بالنسبة للحركة والأخذ بالأسباب أقسام ثلاثة:

أقسام التوكل:

الأعمال الأولى هي:

عمل الصالحات، وترك المحرمات، وهذه لا تتنافى مع التوكل، بل يجب الأخذ بها ثم التوكل على الله أن يتقبلها الله عز وجل، وأن يرزقنا حسن النية وإخلاص الطوية، فالصلاة والصوم والحج والجهاد هذه أوامر ربانية تنزلت من فوق السبع الطباق، فلا تركنن وتقولن: لقد قسمت المقادير، وقد أخذ الله قبضتين، قبضة في الجنة، وألقاها، وقال: لا أبالي أبداً، وقبضة أخرى إلى النار، وقال: لا أبالي أبداً!! لا، فقد سألوا رسول الله ﷺ: **[إذاً يا رسول الله فيم العمل؟ لماذا نعمل؟ إذا كانت قبضة في النار وقبضة في الجنة!! قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له].**

-اعملوا فكل ميسر لما خلق له-.

(فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) (الليل: ٥-١٠)

وأما النوع الثاني من الأعمال:

فهي الأعمال التي جرت بها العادة في الحياة، ولا تقوم الحياة عادة إلا بها عند كل الناس أجمعين، كالطعام، والشراب، والنوم، وغير ذلك، وهذه نحن مأمورون أن نأخذ بما يكفينا لمسيرتنا نحو الآخرة، ولزاد المعاد نحو رب العباد.

لكن قد يهب الله عز وجل أناسا طاقة يحتملون فيها ترك الطعام فترة، وترك الشراب فترة، وترك المنام فترة، فلا بأس أن يعملوا بقدر الطاقة التي أعطاهم إياها ربنا، كما قال رسول الله ﷺ عندما نهى أصحابه عن الوصال: أي مواصلة الصوم أياما دون أن يذوق طعاما أو شرابا، قالوا: فأنت تواصل يا رسول الله. قال: **[إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني]**[1]. أي كان الفتوحات الربانية والمعارف الإلهية التي يلقيها الله عز وجل على قلبه تشغله وتغنيه عن الزاد، وكما قال الشاعر:

لها أحاديث من ذكراك تشغلها	*عن الشراب وتلهيها عن الزاد*
لها بوجهك نور تستضيء به	*وقت المسير وفي أعقابها حادي*
إذا اشتكت من كلال السير أوعدها	*روح القدوم فتحيا عند ميعاد*

(١) رواه البخاري.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم -بعضهم- يواصل، فقد روي عن (ابن الزبير) أنه كان يواصل ثمانية أيام. وروي عن أبي الجوزاء) أنه كان يواصل سبعة أيام، وكان إذا مسك ذراع الشاة يكاد يكسر عظمها. وكان (الحجاج بن الفرافصة) يبقى عشرة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا ينام. وكان (أبو ابراهيم التيمي) -وهو من التابعين- يمكث شهرين دون طعام وشراب، غير أنه شرب شربة حلوى.

هؤلاء لابأس أن يواصلوا، ولابأس أن يستعملوا الطاقة التي أعطاهم إياها رب العالمين.أما إذا أثر الوصال أو قلة الطعام أو واصلة الصيام أو العمل المستمر على الجسد؛ فإن الإنسان يلام، وأنه إذا ضعف جسمه وتضرر فإنه يعاتب، بل يعاقب. فإذا ترك نسان الطعام وهو يقدر عليه، أو الشراب وهو بين يديه، حتى تضرر جسمه فإنه يرجع مأزوراً لا ماجوراً.

وقد كان السلف رضوان الله عليهم ينكرون على (عبدالرحمن بن غنم) عندما كان يترك الطعام أياما حتى يضعف جسمه يعودونه لضعف الجسم.

الطاعات يجب الأخذ بها، وما أجرى الله به الحياة عادة على جميع الناس كالطعام والشراب؛ يجب أن يأخذ بقدر ما يكفيه في واصلة الحياة، وبقدر ما يعطيه قوة للقيام بواجباته وعباداته، يقول أنس (رضي الله عنه) عن أبي طلحة زوج أمه -زوج أم سليم- كان أبو طلحة من فرسان المسلمين ومن صناديدهم، وفي الصحيح قال ﷺ: صوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف سيف؛ خير ن ألف فارس أو من ألف سيف[1].

وقد روى أنس أن أبا طلحة قد قتل عشرين يهودياً يوم خيبر، وأخذ أسلابهم، وأبو طلحة كان معروفاً بفروسيته وشجاعته، يقول [2]: **[ما رأيت ابا طلحة صائما في حياة رسول الله ﷺ وذلك للتقوي على الجهاد -رواية البخاري- فعندما توفي رسول الله ﷺ ما يت النار في بيته نهاراً أبداً]**. ما كان أبو طلحة في زمن رسول الله ﷺ يصوم -من أجل التقوي على الجهاد-، ومن هنا يستحب في لمعركة وفي أرض الرباط؛ التقوي والإفطار لاخذ طاقة لمواجهة أعدائك، لأن الله عز وجل يحب القوة في هذا المكان وفي كل مكان. لكنه ي هذا المكان بالذات يحب أن يقابل عبده ووليه أعداءه بشجاعة وفروسية، لكن إن وجدت في نفسك طاقة أن تصوم في أرض الرباط قبل المعركة فلا بأس.. إن وجدت في نفسك قوة وفي ذاتك طاقة وحيلة فصيام يوم في سبيل الله -في الصحيح-[3]: **[من صام يوماً ي سبيل الله باعد الله بين وجهه وبين النار سبعين خندقا]**.

أما النوع الثالث من العادات:

فهو ما أجرى الله به العادة في الدنيا في الغالب: ما تجري به الحياة غالباً وهو أنواع: كالتداوي، فالتداوي؛ قد يتركه كثير من لناس، وهذا قد اختلف عليه الفقهاء ، هل يجب، أو يسن، أو يندب، التداوي من الأمراض أو لا؟ قال أحمد -رحمه الله-: ترك التداوي فضل، وكان يستشهد بحديث رسول الله ﷺ[4]: **[سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب من أمتي، قالوا يا رسول الله: صفهم لنا؟ ال: الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون]**، فقال أحمد: إن هذا الحديث يدل أن ترك التداوي أفضل ن التداوي، لأن الرقية هي أخذ ما تعالج به مرضك سواء كان دواء أو غير ذلك.

ورد بعض الفقهاء على أحمد -رحمه الله- على أن المقصود هنا هي الرقية المكروهة، لأنها جاءت بين التطير وبين الكي، وهما مكروهان في السنة، فلذلك الاسترقاء الذي منع منه، والذي يمنع أن يكون من السبعين ألفا هو الاسترقاء المكروه الذي مُنع في سنة رسول الله ﷺ.

وأما مالك، وأبو حنيفة، فقد قالوا: بإباحة التداوي، وقال الشافعي: بندب التداوي، وقد جاء في حديث في السنن وهو حسن أو صحيح أنهم سالوا رسول الله ﷺ، قالوا: يا رسول الله: **[أرأيت رقى تسترقي بها ، هل تغني من قدر الله شيئا؟ قال: هي من قدر الله]**.

ومنها ما يخرقه القليل من العامة وهو طلب الرزق، وهو ترك الكسب من أجل الرزق، فرب العزة قد أنزل الآيات، وسن القوانين، وأقام النواميس لعامة الناس، ولم يقمها لأفذاذ قليلين من البشر، قد خرجوا عن الطاقة البشرية في لحظات معدودة، أو في أوقات متعددة، فطلب الرزق أمر رب العزة أن نسعى من أجله، قال عز وجل:

---

(١) بلفظ، صوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل (انظر، صحيح الجامع الصغير رقم ٣٨٠٠)

(٢)صحيح الجامع الصغير رقم٦٣٢٩.

(٣) صحيح الجامع الصغير رقم ٧١١١.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ص ٢٨٠

(فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون)
(الجمعة: ١٠)

والرزق -هذا- قد تزيده الطاعة وتنقصه المعصية، وفي الحديث عن ثوبان: **{إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه}**[١].

وفي محكم التنزيل قال رب العزة:

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) (الأعراف: ٩٠)

ولذلك جاء في الصحيح: أنه في آخر الزمان عندما تطبق الشريعة ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض -أي يستريح ويمد يديه جليه- **{يلقي الإسلام بجرانه على الأرض لا تدع السماء شيئاً من بركاتها إلا صبته، ولاتدع الأرض شيئاً من خيراتها إلا أنبتته}**[٢].

وفي بعض الروايات وجدنا في خزائن عمر بن عبد العزيز حبة القمح كنواة التمر مكتوب بجانبها: هذا لقاء العدل في الارض. أنتم تعلمون أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه عندما أرسل معاذاً بن جبل الى اليمن أرسل إليه معاذ في السنة الأولى ثلث الصدقات، فأرسل إليه: إني لم آمرك أن تأخذ أموال الأغنياء لترسل بها إليّ، إنما أرسلتك لترد أموال الأغنياء على الفقراء. فأرسل ليه معاذ وهل تظن أني أرسلت إليك شيئاً إلا بعد أن وسع مال الأغنياء الفقراء وفضل ما أرسلته إليك. وفي العام التالي أرسل إليه نصف الصدقات، وفي العام الثالث أرسل إليه الصدقات كلها.

وفي رواية يحيى بن سعيد: أنه جمع صدقات أفريقيا ونادى بالناس شهراً كاملاً (من كان بحاجة الى هذا المال فليأتنا) فلم يتقدم إليه أحد، فأرسلها إلى عمر بن عبد العزيز، وعقب الراوي: أغنى عدل عمر بن عبد العزيز الناس جميعاً بفضل الله عز وجل وكرمه.

ولكن هنالك بعض الناس لظرف من الظروف؛ قد يخرق الله لهم العادات، فلا يأخذون بالأسباب، وهؤلاء شواذٌ من البشر، أفذاذ لا تنطبق عليهم قاعدة، ويخرجون من الناموس الكبير، والقانون العظيم الذي تحكم به الحياة، وهو الحركة من أجل استجلاب الرزق، لكن بشرط: **{فاتقوا الله وأجملوا في الطلب}**.

فقد أقام إلياس عليه السلام عشرين يوماً أو أربعين يوماً في جبل هارباً من قومه، وكانت الغربان تأتيه كل يوم برزقه في الغار. وقرأ واصل بن الأحدب:

(وفي السماء رزقكم وما توعدون) (الذاريات: ٢٢)

فقال: إذا كان في السماء رزقي فلماذا أطلبه في الأرض؟ وهذا خلاف الناموس والقانون، فدخل مغارة ومكث ثلاثة أيام لا يأتيه شيء، وفي اليوم الرابع وإذا بدوخلة -أي بسلة من الرطب عنده- ثم دخل إليه أخ له وانقطعا عن الحياة، وكانت تأتيهما دوخلتان من الرطب، وبقيا كذلك حتى فرق الموت بينهما.

وقد ثبت في الصحيح[٣] أن سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قد ترك هاجر وحيدة لا ماء ولا طعام، فقالت: لمن تتركنا؟ قال: إنه أمر ربي. قالت: إذن فلن يضيعنا.. وكانت ماء زمزم التي لا تجف ولا تزم، تسقي الحجيج الأعظم وإلى يوم القيامة إن شاء الله.

وسئل إسحق بن راهويه: أيدخل المرء الصحراء دون زاد ودون ماء؟، قال: إن كان مثل عبد الله بن جبير فله أن يدخل مثل ذلك، أما إذا كان لا يثق بنفسه أنه يصبر أو أنه قد يسبب له الانقطاع التشكك والسخط على القضاء، أو السخط على ما مضى منه وفرط؛ فهذا لا يجوز له أن يمضي في مسيره، أو أن يسير في صحراء دون أن يأخذ لها أهبتها، ويتحمل لها زادها.

وقد روى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجالاً من أهل اليمن يأتون الحج دون طعام ودون زاد، قال: ماذا تفعلون؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: أنتم المتآكلون ولستم المتوكلون، متآكلون لأنهم كانوا يأتون إلى الحج فيحتاجون إلى الناس، ويأخذون من طعامهم وشرابهم.

ولذلك كان رسول الله ﷺ يجري في هذه القضايا مع الأسباب العادية، وهو الذي راودته الجبال الشم عن ذهب.

وقد جاء في الصحيح كذلك : **{أن أيوب عليه الصلاة والسلام مكث ثمانية عشر عاماً في مرضه، وفي آخر المرض قد أمطرت عليه سحابة ذهباً، وأمطرت عليه سحابة أخرى فضة}**[٤].

---

١) من أحاديث آخر الزمان الثابتة في كتب «الفتن والملاحم» راجع البداية والنهاية ، المجلد الأخير.
٢) رواه البخاري. (٣) رواه البخاري. (٤) صحيح الجامع الصغير رقم ١٠٦٨.

فأقول: كان رسول الله ﷺ يجري على الأسباب، ويتعامل مع القوانين التي سنها رب العالمين، فكان يزجر نفسه، وكان أبو بكر وعمر يزجران نفسيهما -أي كانا يعملان بالأجرة- وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعملون بالأجرة، وما عرف عنهم أنهم انقطعوا إلى الدعاء، وكما قال ﷺ لرجل {قال: أعقلها أو أتوكل؟ قال: اعقلها وتوكل}، وقد مرّ ابن عباس رضي الله عنهما على رجل بجانب ناقته الجرباء، فقال يا ابن عباس: لقد دعوت الله أن يشفي ناقتي فلم يشفها، قال: اجعل مع دعائك شيئاً من القطران.

وأخيراً.. فلابد من الأخذ بالأسباب، لكن لا بد من التوكل على رب الأرباب، ولا يجوز أن تأكلنا الدنيا، ولا أن تفترسنا، ولا أن نعطيها كل وقتنا، وننشغل بها بكل جوارحنا وأنفسنا وحياتنا، فإن الرزق محدود، ولكن لابد من الإجمال في الطلب.. لابد من الطلب الجميل.. عدم التهالك على الدنيا، وعدم الدخول في الحرام، وعدم الانشغال الكبير عن أمور أعظم في هذه الحياة، أقيمت الحياة وخلقت الأناسي من أجلها، وهي تحقيق عبودية الله في الأرض.

يقول (المثنى الأنباري) -وهو من أصحاب أحمد- رحمه الله: لا تكونوا بالمضمون مُهتمين (المضمون: الرزق والأجل) لا تكونوا بالمضمون مُهتمين، فتكونوا للضامن -وهو رب العالمين- متهمين، وبرزقه غير راضين... لا تكونوا بالمضمون مهتمين فتكونوا للضامن متهمين، وبرزقه غير راضين.

درجات التوكل:

والتوكل درجات ثلاث:

أولاً: عدم الشكوى من الرزق ومن الأمراض، وغير ذلك من الفقر والحاجة ...

والثاني: الرضا...

والثالث: المحبة ...

أما الأول: فهو درجة الزاهدين، وهو ترك الشكاية من الداء والألم، وقلة ذات اليد ...

وإذا ابتلتك مصيبة فاصـــبر لها — صبر الكريـــــم فإنه بك أكرم

وإذا اشتكيت إلى ابن آدم إنما — تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحـم

والدرجة الثانية: الرضا وهو فوق ترك الشكاية.

والدرجة الثالثة: المحبة أن تحب ما ينزل عليك.

وكما قال عمر رضي الله عنه: (لو كان الصبر والشكر جوادين، ما باليت أن أركب أحدهما)، وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله (أصبحت وما لِيَ سرور إلا بمواقع القضاء والقدر، ينزل المرض فأصبر فأسَرّ، وينزل الخير فأشكر فأسر، أصبحت ومالِيَ سرور إلا مواطن القضاء والقدر).

فيا أيها الإخوة.. توكلوا على الله، وثقوا برحمته، وثقوا بأنه ضامن لكم أرزاقكم وآجالكم.

والجهاد قائم على التوكل على الله، خاصة في هاتين الناحيتين من الحياة:

{**الخوف على الرزق.. والخوف على الأجل**} هاتان القضيتان تكفّل بهما رب العالمين، ونص عليهما في مواطن كثيرة من كتابه العزيز.

يروي الأصمعي قال: (بينما كنت في مسجد الكوفة ذات يوم أدرّس الناس، وإذا بأعرابي يدخل، وكنت أفسر لهم قول الله عز وجل (**وفي السماء رزقكم وما توعدون**)، قال الأعرابي: من يقول هذا يا أصمعي؟ قال: يقوله رب العزة. قال: وإذا بالأعرابي ينتفض خارجاً إلى ناقته وينحرها، ويدعو الناس أن يأكلوا، قائلاً: تعالوا ما دام رزقنا في السماء وما نوعد فكلوا. قال: وفي الحج المقبل بينما كنت أطوف بالبيت وإذا برجل يجتذبني من بين الحجيج، قال: أولست الأصمعي؟ قلت: بلى، قال: لقد وجدت الآية في حياتي حقاً، فزدني يا أصمعي، قال: فزدته الآية الأخرى:

(فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون) (الذاريات: ٢٣)

وإذا بالأعرابي يصفر لونه، ويربدّ، ويتغير، ويقول: ويل لمن لم يصدق الجبار حتى أقسم هذا القسم.. ويل لمن لم يصدق الجبار حتى أقسم هذا القسم... وما زال يرددها حتى وقع على الأرض، فجسست نبضه فوجدته قد فارق الحياة.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ..

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أيها الإخوة..

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) (الطلاق: ٢-٣)

روي أن رجلاً قد طلق زوجته ثلاثاً، فجاء إلى ابن عباس، قال: يا ابن عباس لقد طلقت زوجي ثلاثاً في مجلس واحد، قال: لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا.

يا أيها الإخوة.. إن الله عز وجل قدر مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قسم الأقسام، وقدر المقادير قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فكونوا مطمئنين إلى أرزاقكم، كونوا واثقين بربكم أنه:

(ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) (آل عمران: ١٤٥)

- والثقة بالله هي سبب النصر، هي سبب الثبات، هي سبب الفوز في الدنيا، هي سبب العلو في الآخرة.

محاورة ونداء:

قلت ذات مرة لطلاب الجامعة: أيهم أقوى أمريكا أم رب العالمين؟ قالوا: يا أستاذ إن هذا سؤال لا يسأله مؤمن، قلت لهم: هل أنتم واثقون أن الله أقوى من أمريكا؟ فعلاً أنتم تثقون أن رب العزة أقوى من صواريخها وأساطيلها؟ قالوا: هذا لا شك فيه. قلت لهم: والله لو كانت الدول الإسلامية واثقة أن الله أقوى من إسرائيل ما أصابتنا هذه الهزائم في كل مجالاتنا، وما رجعنا في كل نواحي الحياة نجر ثياب الخزي والندم والخذلان.. لو كنا نعتقد أن الله أعلى وأعظم وأكبر من إسرائيل ما أصابنا الذي أصابنا.

- والآن أيهما أقوى رب العزة أم روسيا؟ أيهما أقوى رب العزة أو أمريكا؟.

يجب أن يكون الأفغان واثقين أن الله عز وجل الذي نصرهم يوم أن كانوا يجاهدون بالعصي والحجارة أمام الدبابات قادر أن ينصرهم وقد كست (الزيكويك) ومضادات الطائرات معظم رؤوس الجبال، يجب أن يكونوا واثقين أنه سواء ساعدهم الناس أو لم يساعدوهم، سواء فتحت الباكستان حدودها أو لم تفتحها، فرب العزة قادر أن ينصرهم؛ بشرط واحد: أن يتوكلوا على الله عز وجل، وأن يثقوا أنه أكبر من المؤامرات الدولية، وأنه:

(ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) (فاطر: ٤٣)

وأنه:

(ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) (آل عمران: ٥٤)

- (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) (إبراهيم: ٤٦)

ولكن رب العزة يكيد وهم يكيدون:

(إنهم يكيدون كيداً، وأكيد كيدا) (الطارق: ١٥-١٦)

وكيد ربك متين، وبطش ربك شديد، ولن يستطيعوا أن يقفوا أمامه.

حكم ظاهر شاه:

إلى المتخاذلين والمرجفين والمثبطين والذين يقولون: (نحن ماذا نصنع إذا كانت أمريكا تريد إرجاع ظاهر شاه أو تريد رجلا ديمقراطيا يقبله الغرب ويقبله الشرق حتى تنسحب روسيا؟) إن هذا طعن بالعقيدة، إن هذا تحطيم لقواعد الجهاد، إن هذا إنهاء للهدف الأول والأساسي الذي قُدّم من أجله مليون ونصف المليون من الشهداء فوق أرض أفغانستان.

لم تكن المعركة ضد روسيا -أيها الإخوة-، لقد ابتدأت المعركة و(ظاهرشاه) موجود، وابتدأت المعركة بالسلاح و(داوّد) الأفغاني

الوطني الديمقراطي! فوق سدة الحكم، واستمرت المعركة وأبناء أفغانستان الثلاثة تراقي، وحفيظ اللعين، وبابرك كارمل، كلهم من الأفغان، استمرت المعركة، والجهاد القائم الآن قام منذ أول يوم لإقامة دين الله في الأرض، لتطبيق شريعة المصطفى ﷺ فوق أرض أفغانستان.

ونحن يجب أن يكون معلوما لجميع أننا نكفر (ظاهر شاه) كفراً يخرجه من الملة، كما نكفر (بابرك كارمل) كفرا يخرجه من الملة. يجب أن يكون مستقرا في أذهانكم.. مستقرا في قلوبكم.. يجري في عروقكم أنه لا فرق بين (ظاهر شاه) الذي سيَّر الجيش وقتل المئات من أهل (قندهار)؛ من أجل فرض السفور على أهل (قندهار)، وبين (بابرك كارمل) الذي يحارب الإسلام!! هذا يحارب الإسلام، وهذا يحارب الإسلام.. لا فرق بين (ظاهر شاه) الذي كان يشرع أن عقوبة السارق شهران، ويترك قول رب العزة **(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما)**.

لا فرق بين (ظاهرشاه) الذي يغير ما فرض الله، ويحل ما حرم الله، ويحرم ما أحله الله، وهذه قاعدة متفق عليها بين الفقهاء (من أحل الحرام فقد كفر بالإجماع، ومن حرم الحلال فقد كفر بالإجماع).

يقول شيخ الإسلام: (من أحل النظرة فقد كفر بالإجماع، ومن حرم الخبز فقد كفر بالإجماع).

وعندما أراد التتار أن يطبقوا (الياسق) -القانون الجنائي والمدني الذي وضعه (جنكيزخان)- رفع العلماء (الياسق) بأيديهم، وقالوا: ما هذا؟ قالوا: (الياسق)، قالوا: من حكم بهذا الكتاب فقد كفر، ومن تحاكم إليه فقد كفر.. من حكم بهذا الكتاب (الياسق) فقد كفر ومن تحاكم إليه فقد كفر.

ويقول ابن كثير في البداية والنهاية -وارجعوا إليها إن شئتم في الجزء الثالث عشر في الصفحة (١١٨)- يقول: من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة فقد كفر، فكيف بمن تحاكم إلى (الياسق) وقدمها عليه؟! لاشك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين.. لا شك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين.

يجب أن يكون معلوماً أنه لا فرق بين الذي يقول عقوبة الزاني ستة أشهر، وبين الذي يقول صلاة العصر ثلاث ركعات، ليس بينهما أي فرق، هذا كافر بالإجماع، وهذا كافر بالإجماع.

فليعلم الذين يظاهرون (ظاهر شاه) أنهم مخذولون، وعلى أعقابهم مرتدون ومهزومون، و (ظاهر) و (بابرك) كلاهما واحد، و(ظاهر شاه) هو الذي غرس الشيوعية في داخل أفغانستان.

أما الرزق فهو على رب العالمين، وأما النصر فهو من عند رب العالمين، وأما السلاح فهو من عند رب العالمين، وأما التيسير فهو من عند رب العالمين، وأما الفرص التي تُهيأ فهي من عند رب العالمين، ليس لأحد من البشر أي تدخل:

(قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك) (سبأ: ٢٢)

إن أمريكا ليست شريكة في ذرة من ذرات مخلوقات رب العالمين.. ليست شريكة في ذرة رمل أو تراب من تراب أفغانستان، أمريكا.. بريطانيا.. الغرب.. الضغوط الدولية.. المؤامرات السياسية.. هذا كله أمام التوكل على الله، وأمام الثقة به ليس شيئا، وإلا فليعلم المخذلون الذين يريدون أن يعودوا كما بدأوا، ويبدأوا من نفس النقطة التي بدأ منها الجهاد.. بعد هذه الضحايا التي كست جبال الهندكوش، بعد هذه الدماء التي روت أرض أفغانستان، بعد هذه الصيحات، بعد هذه الأنات، بعد صرخات الثكالى، وأنّات المكلومين، بعد التمزق الاجتماعي، بعد التخلخل الأسري الذي أصاب أفغانستان نرجع إلى نفس النقطة؟!

متآمرون:

إن الذين يوالون (ظاهر شاه) وهم يحبون (ظاهر شاه) أنا أخشى أن يكونوا خارجين من الملة، أخشى أن يكونوا خارجين من الإسلام، هؤلاء بنص الشرع مخذلون مرجفون مثبطون، ما حكمهم؟ حكمهم:

(لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)

(التوبة: ٤٧)

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أيها الإخوة..

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) (الطلاق: ٢-٣)

روي أن رجلاً قد طلق زوجته ثلاثاً، فجاء إلى ابن عباس، قال: يا ابن عباس لقد طلقت زوجي ثلاثاً في مجلس واحد، قال: لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا.

يا أيها الإخوة.. إن الله عز وجل قدر مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قسم الأقسام، وقدر المقادير قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فكونوا مطمئنين إلى أرزاقكم، كونوا واثقين بربكم أنه:

(ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) (آل عمران: ١٤٥)

- والثقة بالله هي سبب النصر، هي سبب الثبات، هي سبب الفوز في الدنيا، هي سبب العلو في الآخرة.

محاورة ونداء:

قلت ذات مرة لطلاب الجامعة: أيهم أقوى أمريكا أم رب العالمين؟ قالوا: يا أستاذ إن هذا سؤال لا يسأله مؤمن، قلت لهم: هل أنتم واثقون أن الله أقوى من أمريكا؟ فعلاً أنتم تثقون أن رب العزة أقوى من صواريخها وأساطيلها؟ قالوا: هذا لا شك فيه. قلت لهم: والله لو كانت الدول الإسلامية واثقة أن الله أقوى من إسرائيل ما أصابتنا هذه الهزائم في كل مجالاتنا، وما رجعنا في كل نواحي الحياة نجر ثياب الخزي والندم والخذلان.. لو كنا نعتقد أن الله أعلى وأعظم وأكبر من إسرائيل ما أصابنا الذي أصابنا.

والآن أيهما أقوى رب العزة أم روسيا؟ أيهما أقوى رب العزة أو أمريكا؟.

يجب أن يكون الأفغان واثقين أن الله عز وجل الذي نصرهم يوم أن كانوا يجاهدون بالعصي والحجارة أمام الدبابات قادر أن ينصرهم وقد كست (الزيكويك) ومضادات الطائرات معظم رؤوس الجبال، يجب أن يكونوا واثقين أنه سواء ساعدهم الناس أو لم يساعدوهم، سواء فتحت الباكستان حدودها أو لم تفتحها، فرب العزة قادر أن ينصرهم؛ بشرط واحد: أن يتوكلوا على الله عز وجل، وأن يثقوا أنه أكبر من المؤامرات الدولية، وأنه:

(ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) (فاطر: ٤٣)

وأنه:

(ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) (آل عمران: ٥٤)

(وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) (إبراهيم: ٤٦)

ولكن رب العزة يكيد وهم يكيدون:

(إنهم يكيدون كيدا، وأكيد كيدا) (الطارق: ١٥-١٦)

وكيد ربك متين، وبطش ربك شديد، ولن يستطيعوا أن يقفوا أمامه.

حكم ظاهر شاه:

إلى المتخاذلين والمرجفين والمثبطين والذين يقولون: (نحن ماذا نصنع إذا كانت أمريكا تريد إرجاع ظاهر شاه أو تريد رجلا ديمقراطيا يقبله الغرب ويقبله الشرق حتى تنسحب روسيا؟) إن هذا طعن بالعقيدة، إن هذا تحطيم لقواعد الجهاد، إن هذا إنهاء للهدف الأول والأساسي الذي قدّم من أجله مليون ونصف المليون من الشهداء فوق أرض أفغانستان.

لم تكن المعركة ضد روسيا -أيها الإخوة-، لقد ابتدأت المعركة و(ظاهرشاه) موجود، وابتدأت المعركة بالسلاح و(داوّد) الأفغاني

الوطني الديمقراطي! فوق سدة الحكم، واستمرت المعركة وأبناء أفغانستان الثلاثة تراقي، وحفيظ اللعين، وبابرك كارمل، كلهم من الأفغان، استمرت المعركة، والجهاد القائم الآن قام منذ أول يوم لإقامة دين الله في الأرض، لتطبيق شريعة المصطفى ﷺ فوق أرض أفغانستان.

ونحن يجب أن يكون معلوما للجميع أننا نكفر (ظاهر شاه) كفراً يخرجه من الملة، كما نكفر (بابرك كارمل) كفرا يخرجه من الملة. يجب أن يكون مستقرا في أذهانكم.. مستقرا في قلوبكم.. يجري في عروقكم أنه لا فرق بين (ظاهر شاه) الذي سيّر الجيش وقتل المئات من أهل (قندهار)؛ من أجل فرض السفور على أهل (قندهار)، وبين (بابرك كارمل) الذي يحارب الإسلام!! هذا يحارب الإسلام، وهذا يحارب الإسلام.. لا فرق بين (ظاهر شاه) الذي كان يشرع أن عقوبة السارق شهران، ويترك قول رب العزة (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما).

لا فرق بين (ظاهرشاه) الذي يغير ما فرض الله، ويحل ما حرم الله، ويحرم ما أحله الله، وهذه قاعدة متفق عليها بين الفقهاء (من أحل الحرام فقد كفر بالإجماع، ومن حرم الحلال فقد كفر بالإجماع).

يقول شيخ الإسلام: (من أحل النظرة فقد كفر بالإجماع، ومن حرم الخبز فقد كفر بالإجماع).

وعندما أراد التتار أن يطبقوا (الياسق) -القانون الجنائي والمدني الذي وضعه (جنكيزخان)- رفع العلماء (الياسق) بأيديهم، وقالوا: ما هذا؟ قالوا: (الياسق)، قالوا: من حكم بهذا الكتاب فقد كفر، ومن تحاكم إليه فقد كفر.. من حكم بهذا الكتاب (الياسق) فقد كفر ومن تحاكم إليه فقد كفر.

ويقول ابن كثير في البداية والنهاية -وارجعوا إليها إن شئتم في الجزء الثالث عشر في الصفحة (١١٨)- يقول: من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة فقد كفر، فكيف بمن تحاكم إلى (الياسق) وقدمها عليه؟! لاشك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين.. لا شك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين.

يجب أن يكون معلوماً أنه لا فرق بين الذي يقول عقوبة الزاني ستة أشهر، وبين الذي يقول صلاة العصر ثلاث ركعات، ليس بينهما أي فرق، هذا كافر بالإجماع، وهذا كافر بالإجماع.

فليعلم الذين يظاهرون (ظاهر شاه) أنهم مخذولون، وعلى أعقابهم مرتدون ومهزومون، و (ظاهر) و (بابرك) كلاهما واحد، و(ظاهر شاه) هو الذي غرس الشيوعية في داخل أفغانستان.

أما الرزق فهو على رب العالمين، وأما النصر فهو من عند رب العالمين، وأما السلاح فهو من عند رب العالمين، وأما التيسير فهو من عند رب العالمين، وأما الفرص التي تُهيأ فهي من عند رب العالمين، ليس لأحد من البشر أي تدخل:

(قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك) (سبأ: ٢٢)

إن أمريكا ليست شريكة في ذرة من ذرات مخلوقات رب العالمين.. ليست شريكة في ذرة رمل أو تراب من تراب أفغانستان، أمريكا.. بريطانيا.. الغرب.. الضغوط الدولية.. المؤامرات السياسية.. هذا كله أمام التوكل على الله، وأمام الثقة به ليس شيئا، وإلا فليعلم المخذلون الذين يريدون أن يعودوا كما بدأوا، ويبدأوا من نفس النقطة التي بدأ منها الجهاد.. بعد هذه الضحايا التي كست جبال الهندكوش، بعد هذه الدماء التي روت أرض أفغانستان، بعد هذه الصيحات، بعد هذه الأنّات، بعد صرخات الثكالى، وأنّات المكلومين، بعد التمزق الاجتماعي، بعد التخلخل الأسري الذي أصاب أفغانستان نرجع إلى نفس النقطة؟!

متآمرون:

إن الذين يوالون (ظاهر شاه) وهم يحبون (ظاهر شاه) أنا أخشى أن يكونوا خارجين من الملة، أخشى أن يكونوا خارجين من الإسلام، هؤلاء بنص الشرع مخذلون مرجفون مثبطون، ما حكمهم؟ حكمهم:

(لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم)

(التوبة: ٤٧)

مساكين هؤلاء المهاجرين يستمعون إلى دعاياتهم ...

أما تكفي التضحيات؟! أما يكفي سكب الدماء؟! أما يكفي عدد الأرامل؟! هؤلاء المشردون قد يصدقون هؤلاء الناعقين في كل مكان؛ أن رجوع (ظاهر شاه) أولى من التشرد.

هؤلاء الذين ينادون برجوع (ظاهر شاه) لم يطلقوا طلقة واحدة في أفغانستان.

إن الذين يقررون مصير أفغانستان هم هؤلاء القادة الذين فوق أرض (بنجشير) وفوق (بكتيا) وفوق (مزار شريف) وفوق (بروان) وفوق (هرات)..أحمد مسعود، جلال الدين، ذبيح الله -وقد توفاه الله-، محمد علم، وهكذا... هؤلاء هم الذين لهم كلمة الفصل، هم الذين لهم قول الحق، أما الذين يتاجرون بالأعراض، الذين يتاجرون بالدماء، الذين يريدون أن يقيموا أمجادهم فوق الجماجم والأشلاء، ليس لهم أي كلمة:

(فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) (التوبة: ٨٣)

لأنهم رضوا بالقعود أول مرة لن يخرجوا معه أبدا، فكيف الذين لم يخرجوا أبدا؟ إن المنافقين كانوا لا يقاتلون إلا قليلا:

(ولا يأتون البأس إلا قليلا) (الأحزاب: ١٨)

فكيف الذين لم يأتوا البأس مرة واحدة؟

ليس لأحد أن يفرض على أفغانستان حلاً ليس يرضاه لا رب العزة ولا المؤمنون، إن الله عز وجل حكم وقوله الفصل، وشرعه هو الأمر، يقول:

(وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (المائدة: ٤٩- ٥٠)

حدثني (جلال الدين حقاني) قال: نفد الطعام ذات مرة من عندنا، فجلست بعد صلاة الفجر على مصلاتي وأنا مهموم البال، مغموم النفس على هؤلاء المجاهدين الذين لا يجدون لقمة خبز، قال: وإذا بهاتف يربت فوق كتفي ويقول: -وأنا قد أخذتني سنة من النوم- فإذا بالهاتف يربت فوق كتفي ويخاطبني قائلاً: لقد كان الله يرزقك قبل أن كنت تجاهد في سبيله، أوينساك وقد خرجت نافراً في سبيله؟! قال: ثم قال لي الهاتف: قم فإن الذبائح معلقة على الشجرة الفلانية، قال: وإذا بالذبائح معلقة على الشجرة التي رأيتها وأنا في سنة من النوم.

يا أيها الإخوة.. كم مرة حوصر المجاهدون ثم انقطع عنهم الزاد والطعام؟ في (مزار شريف) قبل شهرين حوصر الروس -والمجاهدون كادت تنفد ذخيرتهم، وينتهي طعامهم- والروس لم يبق عندهم شيء، فطلبوا المعونة من مركز رئيسي شيوعي، وجاءت الطائرات وأنزلت عشرين صندوقا محملة بالطعام والشراب والدواء ، نزل ثمانية عشر فوق المجاهدين، ونزل اثنان فوق الروس.

كم مرة حوصر المجاهدون فدعوا ربهم فرزقهم من حيث لم يحتسبوا؟ كم مرة نفدت ذخيرة المجاهدين فدارت معركة دون أن يعرفوا أسبابها، دون أن يروا أشباحاً على الأرض يسمعون أصواتاً، ولا يرون أحداً، وليس في المنطقة أحد؟

(وما يعلم جنود ربك إلا هو) (المدثر: ٣٦)

فتوكلوا على الله.. توكلوا على الله -أيها المجاهدون- وسيروا وطبقوا شرع الله، ولن يصيبكم إلا ما كتب الله لكم:

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (الطلاق: ٢-٣)

يجب أن يكون معلوماً؛ ليس عندنا فرق بين (ظاهر شاه) وبين (تراقي) وبين (محمد يوسف) وبين (بابرك كارمل).. الكل سواء، والكل ساهموا في غرس الشيوعية وإقامتها في أرض أفغانستان.

و(ظاهر شاه) ووزراؤه، ورئيس وزرائه هم الذين مهدوا الشيوعية، وما ظهرت (أناهيتا راتب زاد) وما ظهر (بابرك) في مجلس الشورى وما ظهر (حفيظ) اللعين في داخل مجلس النواب إلا بمساعدة (ظاهر شاه) وأمثاله الذين رفعوه، ويسمحوا له أن ينشر الشيوعية في داخل أفغانستان؛ بأن أجاز لهم أن يُصْدِروا (الراية: برشم)، (لبابرك كارمل) و (خلق). جريدتان واحدة (للتراقي) وواحدة (لبابرك كارمل)، فظاهرشاه، محمد يوسف، صمد حامد، فلان، فلان.. هذه أسماء سموها ما أنزل الله بها من سلطان.

هؤلاء هم الذين غرسوا الشيوعية، وهم الذين رعوها حتى قامت على سوقها، وحتى تضخمت، وعندما اشتد أزرها، وعندما ربوا هذه الكلاب وتضخمت، أكلتهم.

فيا أيها الإخوة:

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) (الطلاق: ٢-٣)

الزهد في الدنيا

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فيا أيها الإخوة: .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نرجو الله عز وجل أن يتقبل منا ومنكم، ونرجو الله عز وجل أن يرزقنا وإياكم الإخلاص والإستقامة والثبات، ونرجو الله عز وجل ان يشرح صدورنا للإيمان وخصاله وفروعه، وأن يحببها في قلوبنا، وأن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان وأن يجعلنا من الراشدين.

نعمة كبرى:

من أكبر نعم الله على الإنسان؛ أن يحبب إليه العبادة، هذه نعمة كبرى على الإنسان. ولذلك دائماً ادع الله عز وجل أن يحبب الى صدرك وإلى قلبك الإيمان، ودائماً كانوا يدعون اللهم اجعل حبك وحب رسولك وحب العمل بدينك أحب الأعمال إلى قلوبنا و **{ثلاث من كن فيه فقد ذاق حلاوة الإيمان منها أن يكره أن يرجع إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار}**[1].

والحقيقة... النفس فطرها الله على الخير، لكنها تألف عادات، وتستسيغ تقاليد نشأت عليها.

وينشأ ناشيء الفتيان فينا   *على ما كان عــوّده أبوه*

فالنفس تألف مادرجت عليه وما ربيت عليه، فعندما تفطم النفس عن هذه المألوفات يكون صعبا عليها، فأكبر نعمة على الانسان أن يمن عليه بحب العبادة، ولذلك سيدنا عمر رضي الله عنه كان يقول: (إن لهذه النفوس إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فخذوها بالنوافل، وإذا أدبرت فخذوها بالفرائض). فكيف إذا كان العمل الذي نقوم فيه فريضة؟ وهو كما يقول الله عز وجل عنه **(وهو كره لكم)** كره للنفوس لكنه يسير على من يسره الله عليه، – يسير–، ولذلك الرسول ﷺ قال[2]: **{سياحة امتي الجهاد في سبيل الله}**. وقال[3]: -حديث صحيح- **{عليكم بالجهاد فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم}** كيف يلتقي هذا وهذا؟

الأنس بالله:

حقيقة.. النفوس في عزلتها تستريح .. النفوس الطيبة الصافية، ولكن إذا كان فيها دخل أو غبش أو شيء تستوحش، ومن هنا

---

[1]) صحيح الجامع الصغير ٣٠٤٤

[2]) كتاب الجهاد لعبدالله ابن المبارك (٣) صحيح الجامع الصغير ٤٠٦٣

الصالحون يأنسون بالخلوة لأنهم مع الله، والذين لم تصف نفوسهم يحبون أن يختلطوا بالناس حتى يروحوا عن قلوبهم، فراحة القلوب عند الصالحين هي مناجاة رب العالمين، والخلوة به والتجرد له، وكلما رأى نفسه في عبادة مع الله كلما كانت نفسه مرتاحة.

ومن هنا كان السلف رضوان الله عليهم يعتبرون قيام الليل جزءًا من حياتهم، جزءًا من حياتهم كأنه عضو من أعضائهم، فكان أحدهم اذا فاته قيام الليل يندم كثيرا.

وروي عن تميم الداري أنه فاته قيام الليل ليلة واحدة، فآلى على نفسه أن لا ينام الليل أبداً سنة كاملة. **{من نام الليل حتى يصبح فقد بال الشيطان في أذنه}**[1]، ولذلك كان قيام الليل جزءًا من حياتهم. **{عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين من قبلكم}**[2]، عادة.. كان عادة عندهم، كما أنك تعتاد أن تأكل كل يوم مرتين او ثلاث مرات -تأكلون أنتم مرتين وثلاث مرات- وبعضهم خمس وبعضهم ست!!

أما السلف رضوان الله عليهم -لأن أكل الرجال على قدر أفعالها نحن أفعالنا أكثر من السلف رضوان الله عليهم- السلف كانوا يأكلون مرتين، يأكلون صباحاً يسمونه الصبوح وفي المساء يسمونه الغبوق، مرتين.. فنحن زدناها وجبة ثالثة لأنه زادت أعمالنا وواجباتنا عن السلف رضوان الله عليهم!!

أما الأمريكان والغربيون -أعوذ بالله- يأكلون خمس أو ست وجبات في اليوم، دائما تراهم يأكلون أو يشربون، وهذه البيبسي كولا واضع لها لاصقة على سيارته، على مقدمة السيارة، حتى ماذا؟ تبقى البيبسي كولا أمامه.

رأيت أحد الإخوة في أمريكا واضعاً الكأس وواضعاً لها لاصقة، فقلت: من عاش بين قوم أربعين يوماً أصبح منهم.

كان السلف رضوان الله عليهم قيام الليل جزء من حياتهم، عادة، عادة من عاداتهم. وكان الجهاد جزءاً لا يتجزأ من حياتهم، رغم أن الجهاد في أيامهم فرض كفاية -أيام التابعين وتابعي التابعين- كان فرض كفاية، وأيام الصحابة كان فرض كفاية، وعندنا الجهاد في أيامنا هذه فرض عين.

ولو دخلت المدينة المنورة -في حينها- ما رأيت من الجيل الأول إلا القليل جالسين في المدينة، وأين بقية الناس؟ انهم في الأرض سائحون **{وسياحة امتي الجهاد}**.

نعم.. كل الدنيا، هم فتحوا الدنيا بأسرها من العجب العجاب أن تجدهم من أيام عمر في روسيا، الآن هذه سمرقند وبخارى وطشقند وما إلى ذلك، وكاشغر وغيرها، الصين الشرقية الشعبية -من أيام عمر وعثمان وصلوها- مرو وغيرها، عجيب! كيف الوصول إلى هذه البلاد.. كيف وصلوا؟

كل واحد منهم صار الجهاد جزءاً لا يتجزأ من حياتهم، كان لهم أولاد في المدينة المنورة، أين ولدوا؟ ولدوا في المدينة المنورة، وصفوة الصحابة فيها، لكن كم مات من الصحابة في المدينة المنورة؟ ليس في المدينة المنورة حتى الآن إلا مقبرة واحدة، وهي مقبرة البقيع، فكانت مقبرة واحدة، وإلى يومنا هذا.

كل الذين دفنوا من الصحابة في البقيع -في جنة البقيع- حوالي (٢٥٧) واحداً، أقل من واحد في الألف، لأن الذين حجوا مع رسول الله ﷺ (١١٤)ألفاً، أقل من اثنين في الألف تقريباً، فكانوا في الأرض ما كانت تعجزهم لا نساء ولا أولاد ولا غير ذلك أبداً، وبساطة الحياة وزهدهم فيها كان يحبب إليهم الجهاد وييسر عليهم ذلك.

عوائق:

أما الآن إذا تزوج واحدة -ولو كانت من الداعيات الكبار المتحمسات للجهاد والقتال- فتشترط عليه شروطاً.. غرفة نوم وأثاث، وما إلى ذلك ونوع السيارة، وبعد ذلك -طيب- أنا جئت من أرض الجهاد أتزوج وارجع، ما هو رأيك؟ والله أنا نفسي ما تطيق الحياة هنا نرى!! تأتي وإياها في بيشاور، أسبوع والأسبوع الثاني تقول: والله البلاد طلبت أهلها!! فتتعبه كثيراً ولو كانت.. ما رأينا من النساء من ثبتت.. تعيش في بيشاور.. المكيفات عندها والطعام واللحوم والفواكه وكل شيء، لماذا؟! لأن نفسها ألفت المعتادات، انتهى!!.. جيرانها أحب إليها، نفسها ما استطاعت أن تخلص من القفص الذي تعيش فيه. قفص العادات المغلق عليها.. قفص

---

(١) رواه مسلم بنحوه. (٢) صحيح الجامع الصغير ٤٠٧٩.

تقاليد، جيرانها مقدمون على فريضة من فرائض رب العالمين!! وقليل الرمل في جدة او في الرياض أحب إليها من أراضي الجهاد، في عمان أو في أي بلد إسلامي في القاهرة، لماذا؟ النفوس ما حبب إليها الإيمان جيداً، ويصبح الإنسان بين عذاب المرأة التي زوجها وبين عذاب الضمير الذي يؤنبه على تعوده عن الجهاد.

ولا يعلم الناس أن القعود عن الجهاد مثله مثل شرب الخمر، مثله مثل السرقة. ابن تيمية رحمه الله -أظن في المجلد الخامس عشر صفحة ٣١٣- يقول: (فالسرَّقة وشاربوا الخمر، والزناة، وتاركوا الجهاد) خلطهم كلهم مع بعضهم وأعطى لهم حكماً واحداً. تارك الجهاد وضعه بين السراقين، وبين شاربي الخمر.

ما كان الجهاد في يوم من الأيام واجباً أو فريضة أشد منه في هذه الأيام، ففي أيام السلف رضوان الله عليهم كان لهم اولاد، كان لهم زوجة، لكن كان الطلاق موجود.. تحبين أن تعيشي بهذا العيش؟ تتأخري في المدينة؟ أهلاً وسهلاً، أنا أريد أن أذهب إلى الجهاد، فإن عارضت فبيت والدها موجود والطلاق موجود. كلمة واحدة طلقتك وانتهت القضية، لأنه ما كان فرشة أثاث، وغرفة نوم وسيارة المرسيدس وسيارة غير المرسيدس، كانت أمور الزواج على خاتم من حديد، ثلاثة دراهم.

أمهات المؤمنين كلهن تزوجن بخمسمائة درهم، ما زادت واحدة منهن عن (٥٠٠) درهم، خمسمائة درهم، قل: الدرهم يساوي (٣٫٢) جرام، خمسمائة درهم يعني حوالي (١٦٠٠) جرام فضة، إفرض جرام الفضة بعشر ريالات (١٦٠٠٠) ريال أكثر واحدة من أمهات المؤمنين على حسابنا نحن اليوم (١٦٠٠×١٠) عشر (١٦٠٠٠) ريال كان الأمر سهلاً وهذه أكثر واحدة.

أما الرسول ﷺ قال[1]: (التمس ولو خاتماً من حديد). فكانت الأمور بسيطة جداً، الزواج بسيط، والطلاق بسيط، والحياة بسيطة جداً جداً، فنحن عقدنا أمورنا بأنفسنا، فعطلتنا عن عبادة الجهاد.

القاعدة الكبرى:

الدنيا والجهاد لا يلتقيان، فكلما توسعت بالدنيا كلما تعرقلت أمورك الجهادية -قطعاً-، وكلما زدت في الترف كلما قعدت عن الجهاد، فالترف عدو الجهاد، والتوسع عدو الجهاد، والكماليات عدو الجهاد، والزهد هو القاعدة الكبرى التي يقوم عليها الجهاد.

نعم: فالبساطة تعينك كثيراً على الجهاد، تعين كثيراً على الجهاد، ولذلك لم يكن عبثاً أن رسول الله ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم كان الزهد ركنا من أركان حياتهم (ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتاليين)[2] لماذا؟ له خمس الغنائم وخمس الخمس من الغنائم، له فدك وكذا من خيبر، لماذا؟ لماذا ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتاليين؟! تقول عائشة: (ما شبعنا التمر إلا بعد فتح خيبر) رضي الله عنها. لماذا؟.. يتوفى الرسول ﷺ وليس في بيته إلا -ماذا-؟ كمية من الشعير، ودرعه مرهون عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير.. عند يهودي؟!

فالإنسان عندما يتفكر بالنص يقول: عجبا أين الصحابة؟ أين بذلهم؟! أين الخير الذي عند عثمان وعند عبدالرحمن بن عوف؟ يضطرون الرسول ﷺ أن يذهب ليهودي يقترض منه، ويضع درعه عنده.

فعلاً، النص يوحي بأن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يبذلون، لكن الرسول ﷺ ما كان يذكر ذلك لأحد، لأنه لو طلب من عبدالرحمن بن عوف أو من عثمان أو من غيره، لا يمكن أن يأخذا منه بدلاً. فكان يحب أن يقترض ولو من يهودي، أو يضع درعه رهنا حتى لا يطلب من أحد شيئاً، لماذا؟ لأن العزة ركن من أركان الجهاد، والزهد ركن من أركان الجهاد، والذليل لا يجاهد، فعزة النفس ضرورية، ضرورية للجهاد.

ومن هنا صفوة من الصحابة رضوان الله عليهم أخذ عليهم رسول الله ﷺ العهد... ماذا؟ أن لا يسألوا الناس شيئاً. منهم أبو بكر، ومنهم ثوبان مولى رسول الله ﷺ، فكان أحدهم يسقط من يده السوط وهو على الجواد فينزل والناس حوله. أبو بكر يسقط سوطه من يده وهو على جواده فينزل ويأخذه: يا خليفة رسول الله كنا قد كفيناك هذا؟ نحن على الأرض نناولك إياه، قال: (عاهدنا رسول الله ﷺ أن لا نسأل الناس شيئا).

عزة.. استغناء عن كل الناس.. (استغن عن الناس ولو بشوص سواك)، (شوص السواك: الفتات الذي ينزل من السواك)، كلّ هذا الخشب.. خشب السواك! ولا تطلب من الناس، فبالله عليكم لو استغنينا عن الناس كيف نذل؟ ما الذي يجعل الناس يذلون للحكام او للطواغيت؟ ما الذي يجعلهم؟ أليس الخوف على الراتب؟ بلى!!

---

(١) صحيح الجامع الصغير ١٢٤١. (٢) انظر الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٨٧.

الخوف على الحياة:

غير الموظف لا يسأل عن الدولة، لا يخاف من المخابرات، فالموظف يقول: أنا راتبي الآن عشرة آلاف درهم، لو فصلتني الدولة من أين أخرج مائة درهم؟ ولذلك هو يذل طيلة حياته، ولا يخالف الدولة مهما أمرته من معاص ومنكرات -أن يفعلها- حتى لو قالت له: اقتل مسلما يقتل مسلماً! أشنق هذا المسلم! يشنق هذا المسلم حتى يبقى محافظاً على راتبه.

أما غير الموظف مستغن عن الناس هل يسأل عن الناس؟ لا يسأل عن الناس. الآن لو قلت للسوري: إن حافظ الأسد يطلبك يسأل عنك ولو كان هنا يخاف. أما لو قلت للأفغاني: أن حافظ الأسد يسأل عنك، ماذا والله حافظ الأسد؟! هذا كما قال يونس خالص جاءه مندوب الوفد الليبي للمؤتمر الإسلامي للكويت، فقال للشيخ سياف: أنتم تدربون الناس وترسلونهم لاغتيال العقيد. فقال له سياف: نعم! أنتم عندما تريدون أن تقتلوا الشباب المسلم لابد أن تدبروا لهم مؤامرة، والآن أقصر طريق! أن تتهموهم أنهم يذهبون لجهاد الأفغاني، فسأل يونس خالص قال: ماذا يريد هذا؟ قالوا: هذا يقول نحن ندرب الشباب ونرسلهم لاغتيال القذافي، قال له: والله نحن لا ندري أين القذافي! لا ندري عنكم! عندنا مشاكل تشغلنا عن أنفسنا، اذهب!

- عندما نريد أن نكتب عن شهيد سوري يُعترض علينا، لا تكتب الاسم الحقيقي: لا تنشر صورته. والأفغاني يتصور بالدوشكة يتصور بـ (آر. بي. جي) ويقول: أنشر، لماذا؟ لأن الأفغاني ليس بحاجة إلى حافظ الأسد، والسوري بحاجة إلى ورقة من حافظ الأسد اسمها الجواز.

إذن حاجتنا للناس هي التي تجعلنا نذل للناس، أليس كذلك؟.. بلى!

العراقي الآن.. إحك على صدام، يصير ينتفض خوفاً من أن يسمع عنه.. لماذا؟ لأنه حاسب في يوم من الأيام، ولو بعد مائة سنة - لأنه يفكر صدام يعيش (٢٢٣) سنة، يظن أنه يوماً من الأيام سيرجع للعراق وصدام سيحاسبه، ولو أنه بعيد ألف ميل عن صدام.

والأردني كذلك يخاف من ذكر الملك حسين.. لماذا؟ خائف على هذه الورقة.

- إذاً الحاجة.. عندما يكون مستغنياً لا يريد شيئاً منهم، انتهى.. يكون متحرراً.. إذا قلت للأفغاني: الملك حسين زعلان عليك، والله يتبعه كل الحكام ماذا يهمني.

لا.. فلا يسأل، لا يسأل الناس شيئاً، الكلاب تجد خبزاً على المزابل، قال الشافعي:

أنا إن عشت فلست أعدم قوتا ... ولئن مت فلست أعدم قبرا

همتي همة الملوك ونفسي ... نفس حر ترى المذلة كفرا

فالإنسان عندما يستغني عن الناس يكون عزيزاً ويجاهد، أما عندما يكون بحاجة إلى الناس يذل، يذل لهم فلا يستطيع ان يجاهد لأن نفسه منشغلة.

أبو ذر -بالله عليكم- هذا، ما الذي يهم أبا ذر رضي الله عنه؟.. دخل واحد من الصحابة بيته أو من التابعين ما وجد شيئا..: يا أبا ذر؟ قال: نعم. قال: أين اغراضك؟ -لا شيء عنده لا سرير، لا فراش- قال: نقلتها إلى الدار الثانية فقال له: لكنك أنت في دار لا يوجد فيها من شيء. قال: ولكن صاحب الدار لا يبقيني فيها سيخرجني. فهذا ما كان يهمه شيء أبدا.. ما كان يهمه شيء.

مسلم بن عقيل مرض فزاره عبيد الله بن زياد، وعبيد الله بن زياد؛ الطاغية الذي قتل الحسين رضي الله عنه، كان مقاتلاً في العراق -لا حول ولا قوة إلا بالله-، هذه العراق مبتلاة، مبتلاة، بمصائب منذ فجر الإسلام إلى يومنا هذا.

لا يوجد قطر عربي ذاق من المآسي، وصب عليه من الويلات عشر أو نصف أو ربع ما صب على العراق.. مصائب الشيعة، المعتزلة، القدرية، الجبرية، الخوارج، المذابح، المعارك إلى آخره. ثم ربنا أخيراً ساق له صدام، هذا ثالثة الأثافي، يعني مصيبة كبيرة من المصائب في الدنيا!!

نعم مصيبة، أكبر مصيبة: الشاب الذي يتخلف عن المعركة يقتلونه ولا يسلمون جثته لأهله إلا بعد أن يدفعوا ثمن الرصاص الذي قتل به ابنهم.. نعم، ولابد أن يستلموا الجثة وهم يزغردون فرحاً، وإذا لم يزغردوا يسجنوا فكان مصيبة المصائب والله.

فالمهم أقول: الخوف على الحياة هو الذي يمنعك من النفير في سبيل الله، ومن السياحة، يمنعك من الجهاد، التوسع هو الذي يمنعك، وإلا ما الذي يجعلنا.. ما الذي يجعلنا نذل لروسيا؟ ما الذي يجعلنا نذل للطواغيت، من حكام المسلمين؟ ما الذي؟ كله الخوف من الدنيا، بين أيدينا قليل من المال نخاف عليه، فنريد أحداً يحمينا، ويحمي المال الذي بين أيدينا فنذل لهم .. ونخضع لهم ونسير كما يريدون.

ومن هنا لابد من التقشف، لابد من الزهد في الحياة، لابد من التقليل، تقليل النفقة على النفس حتى تبقى تعيش، في أي مستوى تضعها تعيش.. مستويات حياتهم ما تكاد تجد -فيها- فرقاً كبيراً.. بين بيت عمر بن الخطاب وبين بيت عثمان بن عفان، وهذا من أغنى الأغنياء وهذا من الفقراء، أو بيت عبد الرحمن بن عوف وبيت بلال رضي الله عنه، ما تكاد تجد فرقاً كبيراً.

واحد من الإخوة قال لي: إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يأكلون أكثر منا. قلت: نعم صحيح.. ولذلك لأنهم كانوا يأكلون اكثر منا، الواحد إذا ذبح سخلاً يكتب في السيرة.. كان إذا ذبح سخلة صغيرة يكتب في التاريخ.

فلا بد من التقليل من الدنيا.

ذكريات:

كنا في معسكر في سنة (١٩٦٩م) -معسكر تدريبي مثل هذا المعسكر-، فزارنا الكاتب الشيوعي الذي تحول إلى الإسلام محمد جلال كشك، جاء يرى، وأقام عندنا ثلاثة أيام، ونحن طعامنا عادي جداً، أقل بكثير من هذا.. أذكر في معسكر التدريب: أربعة اشهر ما شبعت إلا مرة واحدة.. نعم، كانوا يعطوننا نصف رغيف، من الرغيف اللبناني -الخبز الشامي- الذي إذا نفخت عليه يطير، نصف رغيف في الصبح، وتقف أمام تنكة الزيتون يعد لك عشر حبات وتمشي، وبدون شاي، وكان معنا الوزير السوداني، محمد صالح عمر -واستشهد رحمه الله - كان وزيراً في بلاده ثم ترك الدنيا، جاء وعاش معنا، فطلب كأس شاي من القائد. قال له: لا يمكن. والسودانيون لا يحبون الزيتون الأخضر، لا يأكلونه، فكانوا يأكلون الخبز جافاً.. نصف رغيف.

المهم -طبعاً- النظام يطبق على الجميع، على القائد وعلى الجنود.

كذلك نظام الحراسة.. فمحمد جلال كشك، كان حارساً فجاءنا واحد من عمان، وجاء بصندوق تفاح -هدية للمعسكر- فوزع على كل واحد حبة تفاح، فمحمد جلال كشك كان في الحراسة أخذوا له حبة تفاح، فنظر وقال: خيال أم حقيقة؟ أنا في حلم... حبة تفاح في المعسكر؟! قالوا له: جاء أحد الإخوة وجاءنا بهذه الهدية.

اللحمه.. لا يوجد لحمة.. نعم، معظم الأيام عدس، وكانوا يأتوننا بالخبز كل شهر مرة، الخبز يأتي من عمان ثم يجفف في الشمس، وبعد أن يجفف في الشمس، ويصبح قاسياً ويوضع في داخل الأكياس، ثم كل وجبة يوزعون علينا نصف رغيف من هذا الخبز اليابس. فكان الإخوة لا يأخذون من هذا (كلشن الأخمص) الحديدي يأخذون (دبشك) خشب من أجل أن يدقوا فيه الخبز. نعم وبعض الإخوة تكسرت أسنانهم صدقوا.. تنظر إليهم شباب -معنا- عمرهم (٢٢-٢٣) سنة أسنانهم خربت من الخبز الجاف.

أنتم الآن في نعمة هنا.. المهم .. محمد جلال كشك عندما اخذ حبة التفاح قال: لا أصدق أن هنالك تفاح في المعسكر!! ثم علق وقال: والله لو عاش العالم الإسلامي مثلكم لفتحنا العالم كله. نعم؟... نصف رغيف، حبات زيتون كم يكلف؟ كم تنفق؟

الآن من قادة الجهاد الأفغاني، حكمتيار، ينفق (١٥٠٠) روبية - يعني (٣٠٠) ريال سعودي - فهذا لماذا يحتاج الدنيا؟ هذا كيف يذل لواحد في الدنيا؟ (٣٠٠) ريال من أي مكان لو عمل يومين أو ثلاثة يُحصِّل ثلاثمائة ريال. فلو عاش حكامنا بألف ضعف لما يعيشه واحد مثل حكمتيار، يعني هو يصرف (٣٠٠ × ١٠٠٠) لو عاش حكامنا بـ (٣٠٠) ألف ريال كل شهر لحكمنا العالم كله.

ما هي حاجتنا بهم، والله ما الذي يحتاجه هذا من الناس؟.. الأفغاني هذا الذي يعيش فعلاً على الخبز والشاي كم ينفق في الشهر؟ الآن: الأفغان الذين في داخل بيشاور الذين يعملون في المكاتب عند العرب يعطونهم (٨٠٠) روبية أو (٧٠٠) روبية، (٧٠٠) روبية تعيش منها عائلة بكاملها (١٤٠) ريال سعودي في الشهر.

فكلما كان الزهد طابعا للمجتمع كلما استطاعوا أن يجاهدوا، والترف هو عدو الجهاد الأول:

(وإذا انزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) (التوبة: ٨٦)

أولوا الطول: أصحاب الغنى.

(وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون) (سبأ: ٣٤)

الآن: كثير من الناس صادقون يتشوقون للجهاد.. ما الذي يمنعهم؟ لماذا لم يأتنا وزراء هنا؟ لأن الراتب عال، راتب الوزير.

لماذا لم يأتنا أطباء؟ لأن الطبيب في بلده راتبه عال، وعيادته تدر عليه ربحاً وافراً. لماذا لم يأتنا مدراء شركات؟ لأن شركته ستتعرض للخسارة، او قلة الدخل إذا جاء.

ولذلك بعض الناس يتوبون، والذي يمنعهم من الانصهار الكلي في الإسلام هو أموالهم.

أحد مدراء الشركات تاب الله عليه، لكن الربا جزء من حياة المسلمين الآن -ولا حول ولا قوة إلا بالله- قلت له: حرام، أنت تأكل حراماً، قال: ماذا، يعني أنا أترك الربا؟ قلت: ولو يرجع رأس مالك (٥٠٠) دينار أردني لا بد أن تترك الربا ولو ذهبت كل شركتك.

فلا بد من الزهد، ولا بد من الاستغناء عن الناس، ولا بد من التعفف.

نعم.. المجاهد -أمثالكم- كم نفقته؟ رغم أنكم تأكلون كل يومين لحماً -يوماً بعد يوم أو ثلاث مرات في الأسبوع- والرز تقريباً يومياً، وأحياناً يأتيكم فواكه.

لو كان المسلمون يعيشون هذا العيش لن يخضعوا لأحد أبداً، عشر روبيات أو اثنتا عشرة روبية -كان يحسب أكثر مبلغ- للمجاهد نفقة يومياً اثنتا عشرة روبية، يعني: ريالين سعوديين ثمن علبتي ببسي.. الثوب الذي تلبسونه يكلف (مائة) أو (مائتي) روبية، تحتاج بدلتين = (أربعمائة) روبية في السنة، هذا اللباس الذي ألبسه منذ ثلاث سنوات يكلف كم؟ (مائتي) روبية فلو بقيت ألبس هذا اللباس -(٤٠٠) روبية في السنة- أقل من (مائة) ريال لباس.

والطعام كل يوم عشر، اثنتا عشرة روبية، وفي الشهر (ثلاثمائة) روبية، يعني (سبعون) ريالاً في الشهر طعاماً، وثمانية ريالات كسوة = ثمانية وسبعون، أضف إليها (مائة) ريال تستطيع أن تعيش وحدك.

إذن تجاهد لأنك لا تخاف على شيء في الدنيا، الخوف على ماذا؟ الخوف على الدخل، الخوف على الدنيا، الخوف على الوظيفة، الخوف على الشركة، الخوف على الجامعة، والجامعة تدرسكم كومبيوتر -تريد العلم-؟ تريد أن تدخل الجنة بالكمبيوتر، أو من أجل الفلوس، تدرس الطب حتى تصبح في عليين أم لا؟ لأن دخل الطبيب أعلى من دخل غيره؟ تريد أن تكون (علمي) لماذا؟... حتى تدرس هندسة لماذا؟.. حتى تصبح مخترعاً تفيد الأمة الإسلامية، أو حتى تشتغل في شركة فلان أو فلان، لتأخذ عشرة آلاف ريال في الشهر؟!!

خير من الدنيا:

فلذلك الناس لو أخذوا بالقليل وعاشوا بالقليل، يجاهدون.. يجاهدون.. ولذلك الرسول ﷺ قال[1]: {**لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**}.

لماذا؟ لأن الذي يمنع الإنسان من الجهاد هو الدنيا. فالرسول ﷺ أراد أن يقربها لعقولهم قال: هذه الدنيا التي تتمسكون بشيء تافه منها كلها لو اجتمعت بين يدي رجل وأنفقها لا تساوي غدوة في سبيل الله. الغدوة ماذا؟.. الغدوة: يعني الذهاب قبل الظهر الى الجهاد. يعني ساعتين.. كل الدنيا.

غدوة أو روحة: يعني مشي في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها. فالدنيا هي التي تمنعكم، وإلا هذا فقط من قبيل تقريب المحسوس إلى ذهنك، أما كل الدنيا لا تساوي كما يقول الشوكاني: ذرة من ذرات الجنة، كل الدنيا (ولموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها)[2].. موضع سوط.. وليس موضع سوط.. ذرة واحدة خير من الدنيا وما عليها.. فالمهم لابد أن يقرب؛ تقرب الدنيا -هذه التي تتمسكون بها أو نتمسك بها- للأذهان.

فالرسول ﷺ جمعها كلها، قال: في الحديث الذي يرويه عبد الله بن رواحة -وفيه مقال- ولكن يصلح شاهداً: {**بعثنا الرسول ﷺ في سرية وأمّرني عليهم فأرفدت السريتم، ثم تأخرت حتى صليت الجمعة مع رسول الله ﷺ، فرآني رسول الله ﷺ بعد الصلاة، قال ما الذي أخرك؟** -أو كما قال ﷺ- **قال: أحببت أن أشهد معك الصلاة، قال: لو انفقت ما في الأرض جميعاً ما بلغت مقدار غدوتهم**}[3].

هاتان الساعتان اللتان تأخرتهما حتى تصلي معي، لو أنفقت ما في الأرض جميعاً لا تبلغ مقدار الثواب الذي أخذوه في هاتين الساعتين.

---

(١) رواه مسلم.   (٢) صحيح الجامع الصغير ٥٦٦٣.

(٣) من كمال قال الشيخ ضعفه بعض أهل العلم.

علامة الحب في الله:

(قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى) (النساء: ٧٧)

والله عز وجل جمع كل الدنيا في كفة والجهاد في كفة، وقال: إن لم تختاروا كفة الجهاد فأنتم فاسقون، والله لا يهديكم

(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) (التوبة: ٢٤)

(آباء، أبناء، أزواج، عشيرة، أموال، مساكن، قصور، تجارة، شركات إلى آخره).. الدنيا جمعها رب العالمين في كفة والجهاد في لكفة الثانية وقال: إن اخترت هذه وتركت الجهاد فأنت فاسق والله لا يهديك، فليس لك خيار إلا أن تختار الجهاد وحب الله ورسوله.

والجهاد علامة حب الله عز وجل.. علامة حب الله ورسوله، نعم: لأنك تركت الدنيا من أجل الله عز وجل، ومن أجل رسوله ﷺ، لذلك لابد أن نسلك إلى الجهاد السبيل الموصل إليه، والسبيل الموصل للجهاد هو: التقليل من الدنيا، التقليل من متاع الدنيا، طعام، شراب، لباس، كماليات، أثاث، فراش، رياش، هذا كله؛ يجب التقليل منه.. نعم والله.

الحمد لله رب العالمين لا أحب أن أنفق على نفسي شيئاً، لا أحب، وهذا من نعم الله عز وجل علي، مع أننا لانملك من الدنيا شيئا - ولو ملكنا من الدنيا شيئا -لا نحب أن يكون لأنفسنا شيء، وسبحان الله!! أكره التوسع في الطعام، في الشراب، في اللباس أكرهه.. نفسي - سبحان الله- طيلة حياتي لا تشتاق للباس المكوي... لون الياقة، ولون كذا... هذا ما مر علي فترة من الفترات يشغلني هذا الأمر.

أقول: فلا بد أن نخطو الخطوات الطبيعية حتى نصل إلى الجهاد، ومنها وعلى رأسها عدم التوسع في الدنيا.. معظمكم فقراء كن غدا تفتح الدنيا عليكم: [إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مبتليكم فيها فناظر ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن فتنة بني سرائيل في النساء][1].

والحقيقة أن أمثالكم الخفيفين.. لا تثقلوا على أنفسكم.. الذي منكم لا يخشى على نفسه العنت؛ يعني لا يخشى على نفسه الزنا فلا يستعجل في الزواج مادام في الجهاد، هذه نصيحة حتى لا تعرقلكم في الجهاد.

الآن: أنت متفرغ لا تسأل عن حمدة ولا حميدان -المثل الجزائري- لا سيارة ولا دوار ولا عائشة في الدار. فمرتاح، ما لم تكن خائفاً على نفسك من الزنا، فلا تتعجل، يعني ما لم تخش العنت فلا تتعجل في الزواج، والمتزوج منكم واحدة إياكم أن تفكروا في الثانية ما دمتم في الجهاد.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الاستعداد الحقيقي

يا أيها الإخوة الأحبة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نرجو الله عز وجل أن يتقبل منكم هجرتكم وأن يمضيها لكم، وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص والاستقامة بدون طغيان، كما أمر سبحانه وتعالى:

(فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير) (هود: ١١٢)

ونرجو الله عز وجل أن يثبتنا على هذا الطريق الطويل، وأن يختم لنا بالشهادة في سبيله، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة. نرجو الله أن يمتعنا بوجهه الكريم إنه سميع قريب مجيب.

يا أيها الإخوة: ما من نعمة أفضل عند الله من هذه النعمة التي أنتم فيها، وما من عبادة أعذب على القلب النقي السليم من هذه العبادة، وما من عبادة يجلو بها الله الهم والغم عن النفوس أكثر من هذه العبادة.

---

(١) رواه مسلم.

العبادات عماد ها القلب:

[عليكم بالجهاد فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم)[1]، ولكن على القلوب السليمة النقية المتصلة الصادقة، لأن القلب هو (محرك) العبادات، -ماكنة العبادات- التي تحرك الجسد كله... القلب، وكلما كان القلب حياً كلما كانت الأعضاء حية، وكانت النفس منشرحة للعبادات، وإذا مرض القلب صارت النفس تستثقل العبادات، ثم بعد ذلك يصبح كارها -نعوذ بالله- للعبادة، ولذلك! الله عز وجل قال عن الصلاة:

(واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) (البقرة: ٤٥)

الصلاة: ثقيلة، لأن الذي يقوم بالصلاة ليس الأرجل والأيدي، الذي يقوم بالصلاة القلب والروح.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) (النساء: ١٤٢)

ولذلك! القلب هو الذي يقوم بالعبادة، والأطراف هي عبيد لذلك القلب وتنفذ ما يأمره، إذا كان القلب حياً كانت النفس حية، وكانت العبادات مستساغة، بل تستحليها النفوس وتستعذبها القلوب، وتنشرح لها الصدور، وإذا مرض القلب -أعوذ بالله- استثقل العبادات كثيرا.

والقلب كالمعدة: الآن أطيب شيء للنفس اللحم، لكن المعدة إذا جرحت وصار فيها قرحة يكون أبغض شيء لديها اللحم والدهن والدسم لأنها مريضة.

الحلوى تحبها النفوس، يعني الآن وأنت صائم، لو أفطرت على حبات من القطائف أو الكنافة نفسك تحبها...أليس كذلك؟ بلى، لكن الجسد إذا كان مصاباً بالسكري لا يستطيع أن يأكل الحلوى، وإن كانت محببة للنفس، القلب كذلك! لابد أن يكون قويا بحيث يتحمل العبادات القوية، والقلب كلما قوي فَضَعْ عليه من العبادات ما شئت! يقوم الليل ويستعذب ويستحلي قيام الليل، يصبح عدوه النوم:

(تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا) (السجدة: ١٦)

يصير جفاء.. عداوة بينه وبين الفراش! هنالك خصومة بينه وبين الفراش، صلاة التراويح.. يقوم به الإمام جزأين وثلاثة وهو يقول في نفسه ليت هذا الإمام يطيل حتى تزداد من الانشراح والعذوبة والاستحلاء لهذه العبادة.

ولذلك أحياناً كنت أصلي صلاة عادية في الناس فأطيل الصلاة، الشباب يأتون يقولون: {من أم الناس فليخفف} الشباب..! وكان ورائي شيخ بين التسعين والمائة تقريباً وجهه نور، يقول: أطل لا ترد عليهم، ابن التسعين يستعذب الصلاة الطويلة، وابن العشرين لاعب الكراتيه والجودو يستكثر الصلاة الطويلة، لماذا؟

لو ذهب إلى ملعب كرة القدم ومكث ساعتين يلعب ولا يمل! لماذا يمل من خمس دقائق قرآن؟! والفرق بين الصلاة الطويلة والقصيرة خمس دقائق، أطول صلاة عشاء في المجتمع هذا وأقصر صلاة عشاء الفرق بينهما خمس دقائق في القراءة، لماذا يتثاقل من خمس دقائق ولا يتثاقل من ساعتين يلعب فيها كرة القدم؟ لأن الذي يقف: القلب، وفي الساحة: البدن، البدن موجود، والكراتيه والعضلات موجودة، ولذلك يستمر ساعتين ولا يمل، أما عشر دقائق في القيام فإنه يستثقلها كثيرا، لماذا لا يملّ النظر إلى لعبة كرة القدم؟ يقف ساعتين، ساعة ونصف الساعة وهو واقف، إذا كان المدرج غاصاً مستعد أن يقف ساعتين وهو ينظر إلى جلدة منفوخة.. جلدة منفوخة وقلبه معلق بها، والشيطان يمسكه بخطامه، الكرة.. قربت الكرة من الخشبتين.. انتبه.. يطير مع الهواء، قلبه كالريشة معلق.

إذا الريح مالت مال حيث تميل، وحيثما تهب الريح هذه قلبه لأنه ريشة معلقة في الريح، لماذا يقعد في مدرج كرة القدم ساعتين وهو مأخوذ الأعصاب، مشدود، يلتقط لهاثه ونَفَسه ولا يملّ، وإذا خطب خطيب الجمعة نصف ساعة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية

(١) صحيح الجامع الصغير ٤٠٦٣

تقوم عليه القيامة ولا تقعد، لماذا؟ أنت جالس في المسجد، في ظل ظليل، وفي ملعب كرة القدم لا يوجد ظل أحيانا، هنا يوجد مكيفات، هناك لا يوجد مكيفات وهنا الملائكة معك والسكينة عليك نزلت والرحمة {**نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة**} لماذا أنت ضائق من الجلوس مع الملائكة؟ نفسك متثاقلة من الجلوس مع الملائكة لماذا؟ تقوم على الخطيب {**من مئنة فقه الرجل قصر خطبته وطول صلاته**} أنت لا تحتمل لا طول خطبة ولا طول صلاة لماذا؟ أفئدتهم هواء:

(ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) (ابراهيم: ٤٢-٤٣)

ولأن فؤاده هواء، ليس راكزا، يخاف، يرتجف مع الريح، ويهتز مع الريح، غضب عليه المسؤول، غضب عليه الحاكم، غضبت عليه المخابرات ورفعت فيه تقريراً، وما إلى ذلك.. (أفئدتهم هواء) وهو قلق ليس مستقراً أبدا، وليس ثابتاً أبدا، (**أفئدتهم هواء**)، ونفوسهم ترتجف، لماذا؟ ليس فيها إخلاص، ليس عنده استقامة، ليس لديها عبادات حتى تستقر القلوب وتطمئن، لأن القلوب لا تستقر مع الطابة المنفوخة، مع الجلدة المنفوخة فيها قليل من هواء، القلوب تطمئن بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب:

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (الرعد: ٢٨)

ولذلك القلب المطمئن لا يخاف.

أجهزة الخوف:

جاء واحد يشكو للإمام أحمد، قال يا إمام أنا أخاف من السلطان، من الحاكم- اليوم من المخابرات- **فقال: لو صح قلبك ما خفت أحدا**.. لو قلبك كان صحيحاً ما خفت -أليس كذلك يا أويس القرني؟- **فقال: لو صح قلبك ما خفت أحداً**.

(وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون. الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) (الانعام: ٨١-٨٢)

إذاً الأمن لمن؟ لرجال الأمن الذين وظيفتهم إقلاق الأمن وقطع أحبال السكينة على الشعب؟!! (**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن**) (**فأي الفريقين أحق بالأمن**) (**وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا**)، أنتم لا تخافون الشرك الذي أشركتموه بالله وأنا أخاف من الأصنام التي تعبدونها هذه؟ أي الفريقين أحق بالأمن؟ من الذي يجب أن يخاف منه ويستحيا منه ويخشى منه؟ الله أم خيوط العنكبوت؟ وكل الذين يعتمدون على طواغيت الأرض... اسمعوا قول الله عز وجل بهم:

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) (العنكبوت: ٤١)

كل سلاطين الدنيا إن لم يكونوا في جانب الله فهم خيوط عنكبوت، فأيهم أقوى؟ الذي يتمسك بحبل الله:

(واعتصموا بحبل الله جميعا) (آل عمران: ١٠٣)

أم الذي يتمسك بخيوط العنكبوت؟ أيهم أقوى؟ الذي يمسك بالعروة الوثقى أم الذي يمسك بخيوط العنكبوت؟ الهواء إذا هب يطيّر خيامكم.. فماذا يفعل بخيوط العنكبوت؟ أنظروا كم من عمود يسند هذه الخيمة؟ وكم من حبل يشدها؟ ومع ذلك إذا اشتد الريح فإنها تخلعها جميعاً، فكيف الذي يتمسك بخيط العنكبوت؟ ماذا يساوي؟!

فأنت عند ما تعتصم بحبل الله تتمسك بالعروة الوثقى، فاترك للناس خيوط العنكبوت:

(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة

العبادات عمادها القلب:

{عليكم بالجهاد فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهم والغم}[1]، ولكن على القلوب السليمة النقية المتصلة الصادقة، لأن القلب هو (محرك) العبادات، -ماكنة العبادات- التي تحرك الجسد كله... القلب، وكلما كان القلب حياً كلما كانت الأعضاء حية، وكانت النفس منشرحة للعبادات، وإذا مرض القلب صارت النفس تستثقل العبادات، ثم بعد ذلك يصبح كارها -نعوذ بالله- للعبادة، ولذلك؛ الله عز وجل قال عن الصلاة:

(واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) (البقرة: ٤٥)

الصلاة ثقيلة، لأن الذي يقوم بالصلاة ليس الأرجل والأيدي، الذي يقوم بالصلاة القلب والروح.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) (النساء: ١٤٢)

ولذلك؛ القلب هو الذي يقوم بالعبادة، والأطراف هي عبيد لذلك القلب وتنفذ ما يأمره، إذا كان القلب حياً كانت النفس حية، وكانت العبادات مستساغة، بل تستحليها النفوس وتستعذبها القلوب، وتنشرح لها الصدور، وإذا مرض القلب -أعوذ بالله- استثقل العبادات كثيرا.

والقلب كالمعدة، الآن أطيب شيء للنفس اللحم، لكن المعدة إذا جرحت وصار فيها قرحة يكون أبغض شيء لديها اللحم والدهن والدسم لأنها مريضة.

الحلوى تحبها النفوس، يعني الآن وأنت صائم، لو أفطرت على حبات من القطائف أو الكنافة نفسك تحبها...أليس كذلك؟ بلى، لكن الجسد إذا كان مصاباً بالسكري لا يستطيع أن يأكل الحلوى، وإن كانت محببة للنفس. القلب كذلك؛ لابد أن يكون قويا بحيث يتحمل العبادات القوية، والقلب كلما قوي فَضَعْ عليه من العبادات ما شئت؛ يقوم الليل ويستعذب ويستحلي قيام الليل، يصبح عدوه النوم:

(تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا) (السجدة: ١٦)

يصير جفاء.. عداوة بينه وبين الفراش؛ هنالك خصومة بينه وبين الفراش، صلاة التراويح.. يقوم به الإمام جزأين وثلاثة وهو يقول في نفسه ليت هذا الإمام يطيل حتى تزداد من الانشراح والعذوبة والاستحلاء لهذه العبادة.

ولذلك أحياناً كنت أصلي صلاة عادية في الناس فأطيل الصلاة، الشباب يأتون يقولون: {من أم الناس فليخفف} الشباب..! وكان ورائي شيخ بين التسعين والمائة تقريباً وجهه نور، يقول: أطل لا ترد عليهم، ابن التسعين يستعذب الصلاة الطويلة، وابن العشرين لاعب الكراتيه والجودو يستكثر الصلاة الطويلة، لماذا؟

لو ذهب إلى ملعب كرة القدم ومكث ساعتين يلعب ولا يمل؛ لماذا يمل من خمس دقائق قرآن؟! والفرق بين الصلاة الطويلة والقصيرة خمس دقائق، أطول صلاة عشاء في المجتمع هذا وأقصر صلاة عشاء الفرق بينهما خمس دقائق في القراءة، لماذا يتثاقل من خمس دقائق ولا يتثاقل من ساعتين يلعب فيها كرة القدم؟ لأن الذي يقف: القلب، وفي الساحة: البدن، البدن موجود، والكراتيه والعضلات موجودة، ولذلك يستمر ساعتين ولا يمل، أما عشر دقائق في القيام فإنه يستثقلها كثيرا، لماذا لا يملّ النظر إلى لعبة كرة القدم؟ يقف ساعتين، ساعة ونصف الساعة وهو واقف، إذا كان المدرج غاصاً مستعد أن يقف ساعتين وهو ينظر إلى جلدة منفوخة.. جلدة منفوخة وقلبه معلق بها، والشيطان يمسكه بخطامه، الكرة.. قربت الكرة من الخشبتين.. انتبه.. يطير مع الهواء، قلبه كالريشة معلق.

إذا الريح مالت مال حيث تميل، وحيثما تهب الريح هذه قلبه لأنه ريشة معلقة في الريح، لماذا يقعد في مدرج كرة القدم ساعتين وهو مأخوذ الأعصاب، مشدود، يلتقط لهاثه ونفسه ولا يملّ، وإذا خطب خطيب الجمعة نصف ساعة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٤٠٦٣.

تقوم عليه القيامة ولا تقعد، لماذا؟ أنت جالس في المسجد، في ظل ظليل، وفي ملعب كرة القدم لا يوجد ظل أحيانا، هنا يوجد مكيفات، هناك لا يوجد مكيفات وهنا الملائكة معك والسكينة عليك نزلت والرحمة **(نزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة)** لماذا أنت ضائق من الجلوس مع الملائكة؟ نفسك متثاقلة من الجلوس مع الملائكة لماذا؟ تقوم على الخطيب **(من مئنة فقه الرجل قصر خطبته وطول صلاته)** أنت لا تحتمل لا طول خطبة ولا طول صلاة لماذا؟ أفئدتهم هواء:

(ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفئدتهم هواء) (ابراهيم: ٤٢-٤٣)

ولأن فؤاده هواء، ليس راكزا، يخاف، يرتجف مع الريح، ويهتز مع الريح، غضب عليه المسؤول، غضب عليه الحاكم، غضبت عليه المخابرات ورفعت فيه تقريراً، وما إلى ذلك.. (أفئدتهم هواء) وهو قلق ليس مستقراً أبدا، وليس ثابتاً أبدا، **(أفئدتهم هواء)**، ونفوسهم ترتجف، لماذا؟ ليس فيها إخلاص، ليس عنده استقامة، ليس لديها عبادات حتى تستقر القلوب وتطمئن، لأن القلوب لا تستقر مع الطابة المنفوخة، مع الجلدة المنفوخة فيها قليل من هواء، القلوب تطمئن بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب:

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (الرعد: ٢٨)

ولذلك القلب المطمئن لا يخاف.

أجهزة الخوف:

جاء واحد يشكو للإمام أحمد، قال يا إمام أنا أخاف من السلطان، من الحاكم- اليوم من المخابرات- فقال: لو صح قلبك ما خفت أحدا.. لو قلبك كان صحيحاً ما خفت -أليس كذلك يا أويس القرني؟- فقال: لو صح قلبك ما خفت أحداً.

(وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا، فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون. الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) (الأنعام: ٨١-٨٢)

إذاً الأمن لمن؟ لرجال الأمن الذين وظيفتهم إقلاق الأمن وقطع أحبال السكينة على الشعب؟!! **(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن) (فأي الفريقين أحق بالأمن) (وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا)**، أنتم لا تخافون الشرك الذي أشركتموه بالله وأنا أخاف من الأصنام التي تعبدونها هذه؟ أي الفريقين أحق بالأمن؟ من الذي يجب أن يخاف منه ويستحيا منه ويخشى منه؟ الله أم خيوط العنكبوت؟ وكل الذين يعتمدون على طواغيت الأرض... اسمعوا قول الله عز وجل بهم:

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) (العنكبوت: ٤١)

كل سلاطين الدنيا إن لم يكونوا في جانب الله فهم خيوط عنكبوت، فأيهم أقوى؟ الذي يتمسك بحبل الله:

(واعتصموا بحبل الله جميعا) (آل عمران: ١٠٣)

أم الذي يتمسك بخيوط العنكبوت؟ أيهم أقوى؟ الذي يمسك بالعروة الوثقى أم الذي يمسك بخيوط العنكبوت؟ الهواء إذا هب يطيّر خيامكم.. فماذا يفعل بخيوط العنكبوت؟ أنظروا كم من عمود يسند هذه الخيمة؟ وكم من حبل يشدها؟ ومع ذلك إذا اشتد الريح فإنها تخلعها جميعاً، فكيف الذي يتمسك بخيط العنكبوت؟ ماذا يساوي؟!

فأنت عند ما تعتصم بحبل الله تتمسك بالعروة الوثقى، فاترك للناس خيوط العنكبوت:

(لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة

لوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) (البقرة: ٢٥٦)

لا تحل العقدة وتمسك... وتعرف الناس الذين يشدون الحبل، الذين يصعدونها، ما عندكم حبال هنا؟ ما نصب لكم الأمير حبالاً؟.. هنالك حبال يتسلق عليها، انظر الحبل الذي تتسلق عليه، إذا كان له عقد سهل أن تتسلقه بسهولة، لماذا؟ لأن يدك ماسكة مرة لا تفلت.

ولذلك ابدأ بقلبك فأصلحه واحمه من السهام المسمومة والمحرمات.

الذنوب والقلوب:

الكبائر عبارة عن كسر العظم، عندما تصيبك شظية من الشظايا، إذا كسرت عظمك يطول مدة جبره، ويكون مؤلما جدا كسر العظم، فإذا كسرت يدك يطول بها الأمر حتى تصح، وإذا صحت لا تعود كما كانت إلا إذا كانت كرامة من رب العالمين، هذا شيء آخر، قد ترجع أقوى مما كانت، لأن رسول الله ﷺ عندما نزلت عين قتادة بن النعمان على وجهه قال: يا رسول الله أرجعها، [فأرجعها ومسح عليها فكانت أقوى من الثانية].

أما الحالة الطبيعية، الذي يُكسر يرجع، لكن لا يرجع إلى الحالة الطبيعية، فإذا كسر مرة ثانية يصعب أن يرجع إلى حالة الكسر الأولى.

وهكذا القلب؛ الموبقات، الكبائر، تكسر العظم تماماً، والصغائر مثل رصاصة جاءت في اللحم سرعان ما تشفى إن ابتعدت عن الأعصاب، فإذا كثرت الصغائر قد تصيب عصباً من الأعصاب، وإذا انقطع العصب يصعب كذلك إرجاع الأمر كما كان. كذلك الكبائر بالنسبة للقلوب، هكذا تكسر العظم، يمرض القلب، يطول به المقام حتى يرجع كما كان، أما الصغائر فأمرها سهل.

والصغائر والكبائر: الكبائر كالحجارة الكبيرة والصغائر مثل الطين، وقلبك كزجاجة السيارة الأمامية لابد منها حتى ترى الذي أمامك، فإذا أصابها شيء من الغبار أو الطين سهل أن تحرك المساحات وتمسحها، لكن إن ضرب الزجاج بحجر -بكبيرة من الكبائر- يكسر الزجاج ويصبح المطر ينزل عليك، الهواء، اللصوص تدخل وتسرق السيارة.

كذلك القلب.. زجاجة.. زجاجة القلب مثل زجاج السيارة، الصغائر تتجمع عليه، يسوّد تدريجياً، إذا شغلت المسّاحات -الاستغفار والعبادات- تمسح الغبار والطين ويرجع إليه صفاؤه. [الصلوات الخمس كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر][1] لأن الصلوات الخمس مساحات تمسح ما اجتنبت الكبائر، لماذا؟ لأن الكبائر تُكسّر، فالمساحات لا تشتغل معه (ما اجتنبت الكبائر)، ولذلك إذا كثرت الذنوب الصغيرة هذه طين، طين وقلة ماء في السيارة، تصير المساحات صعب عليها أن تمسح.

وهنا القلب يسودّ، كما قال الرسول ﷺ[2]: [الذنوب ينكت بها نكات سوداء على القلب]، ويكفرها الصلاة والاستغفار والصدقات وما إلى ذلك، لكن أحياناً ما تشتغل المساحات فيزداد؛ يزداد السواد يزداد.. يزداد.. حتى يسوّد القلب.

ولذلك قال رسول الله ﷺ[3]: [إياكم ومحقرات الذنوب] الذنوب الصغيرة، لماذا؟ فإنها تجتمع على صاحبها فتهلكه، كقوم قاموا في فلاة يريدون أن يطبخوا طعاماً يأتي كل واحد منهم بعود فيجتمع الكثير ويطبخون الطعام، لكن العود بسيط، الواحد والاثنين ما يؤثر، فإذا اسودّ القلب صُور الأشياء لا تنطبع أو لا تظهر عليه. الآن أنت تريد أن تأخذ صورة، الصورة كيف تأخذها؟ تنظر في العدسة، العدسة مرآة فتنطبع عليها صورة الشيء، فتحجز الظل على ورقة ثم تحمضها وتخرج، لكن إذا كانت العدسة عليها طين لا ترى فيها صور الأشياء.

المرآة: إذا أردت أن ترى صورتك فيها، فكلما كانت نظيفة كلما رأيت كل شيء واضحاً، لكن إذا كانت معتمة أو معماة فلا تظهر فيها صورتك جلية، كذلك القلب، القلب تنطبع عليه صور الأشياء، فإذا كان صافياً تظهر صور الأشياء صافية، ويراها الإنسان، ولذلك يفرق بين الحق والباطل.

(يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) (الأنفال: ٢٩)

صور الأشياء واضحة، تفرقون به بين الحق والباطل، (إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا).

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٣٨٧٤. (٢) هذا مجموع حديثين صحيحين أحدهما في البخاري والآخر في صحيح الجامع الصغير رقم ١٦٧٠. (٣) صحيح الجامع الصغير ٢٦٨٧.

تعرفون الحق من الباطل، وإذا لا يوجد تقوى لا يوجد فرقان، لا يوجد تفريق بين الحق والباطل، ولذلك لا تستغربوا إن رأيتم أناسا يقولون بغير الحق وقد يكونون يظنون أنهم مخلصون أو أنهم على الحق.

(قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (الكهف: ١٠٣-١٠٤)

فلا تستغربوا أن بعض الناس يقول: إن وجودكم هنا أفرض العبادات وأعظمها عند رب العالمين وأعلاها درجة، وبعض الناس يقولون لكم: أنتم مساكين متهورون متحمسون مغفلون لا تعقلون أليس كذلك؟ وتجدهم يصلون ويصومون، وتجد بعضهم على جانب من حفظ النصوص والمتون، أليس كذلك؟ يحفظون ما شاء الله، حافظ الألفية غيباً، حافظ جزءاً من البخاري، وحافظ من الفقه متن أبي شجاع، وحافظ متن الاختيار والدر المختار، وهكذا حافظ المتن غيباً.. سمّع له.. يعرف عن غيب، يسمّع لك، طيب كيف لا يعرف هذه القضية؟ كيف ما انطبعت صورة الجهاد على القلب واضحاً؟ فحكم بما رأى، وما رأى الصورة واضحة، فما استبان له الحق وما وضح له الفرقان.

تحضر لكم في الأسبوع ساعة.. في الأسبوع ساعة، وبقية الأسبوع أين أنا؟ كم منكر أراه في الأسواق؟ كم من بنت يمكن أن تتعرض إليّ فتستهويني؟ وكم نظرة محرمة تسقط على قلبي سهماً من سهام إبليس المسمومة فتجرحه وتؤذيه؟ وكم من منكر أراه ولا أستطيع أن أزيله؟ وكم من معروف أراه ولا أستطيع أن أصدع به؟ وكم من حق وضع ولم أستطع أن أدافع عنه؟ وكم من مظلوم في السجون ولم أستطع أن أنبس له ببنت شفة؟.. وكم من عرض انتهك تحت رعاية الطاغوت وحمايته، والتلفزيون ليل نهار يريد أن ينشر الفاحشة في الذين آمنوا يحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا:

(إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) (النور: ١٩)

هل أستطيع أن أتكلم عن التلفزيون؟ هل أستطيع أن أتكلم عن البنوك؟ هل أستطيع أن أتكلم عن السافرات اللواتي في الأسواق؟ هل أستطيع أن أتكلم عن التشريع بغير ما أنزل الله؟ هل أستطيع أن أتكلم عن فنادق الدرجة الأولى ذات النجوم الخمسة التي يجب أن يكون في داخلها مسبح للعرايا وبار للسكارى؟ لا تعطى رخصة في معظم بلدان العالم الإسلامي لفنادق الدرجة الأولى إلا إذا كشف مسؤول السياحة عن الفندق وتيقن يقيناً لا يلابسه غموض ولا شك أن فيه خمارة وفيه مسبحاً!!

درسك ساعة في الأسبوع و(١٦٧) ساعة في الأسبوع أين هي؟ هل صحيح أن وجودي عندك مثل وجودي في المعسكر؟ يكفي أن أصلي الصلوات الخمس جماعة؟. يكفي أنه لا تفوتني صلاة الصبح أبداً؟ يكفي أني لا أرى بنتاً ولا منكراً ولا خمارة ولا ملهى ولا لعبا بدين الله ولا ظلماً ولا طغياناً ولا طاغوتا؟

(فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) (الأنعام: ٨١)

الذي في معسكر خالد بن الوليد أو في ملعب (مرادونا) مرادونا أو مرضونا؟! أي الفريقين أحق بالأمن؟! أي الفريقين؟ معسكر خالد، معسكر صدى، معسكر المأسدة، حطين، حنين، العرين، أسماء تفتح صدرك وتشرح قلبك.

فكيف يا شيخنا تفتي بما أفتيت؟ وقد يكون يعتبر نفسه على الحق المبين ويعتبر غيره من المساكين الضائعين، وينبه المغفلين الذين يذهبون مع المجاهدين لينصروا المستضعفين ويحموا أعراض المسلمات المؤمنات، ينبههم: (إياكم أن تذهبوا! بقاؤكم هنا أفضل)، يحدث هذا، يحدث كثيرا من كل أنحاء العالم الإسلامي.

واحد قال: بمجرد أن يفتح شريط عن الجهاد يخرج بعض الناس المتدينين؛ الذين اسمهم متدينون، يخرجون، (هذا شريط لفلان)، يخرجون، لماذا؟!.. لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول ولا قوة إلا بالله.. لماذا تخرج يا أخي؟

(إنتبه، إياك أن تجلس إلى محمد فإنه يفرق بين المرء وزوجه، فإنه أتى بسحر يؤثر، انتبه).. كانوا يجلسون على مداخل مكة وكلما مرّ وفد من الحجاج يقولون له: في البلد هذه رجل اسمه محمد، ضع في أذنيك كرسفا -يعني قطن- حتى لا تستمع إليه، فكان أحد العقلاء يقول: (والله.. أنا رجل عاقل.. أسمع فإن كان حقاً اتبع وإن كان باطلاً أترك)، رجل عاقل عنده عقل، أما إذا سمعت شريطا عن الجهاد ولّيت، لا حول ولا قوة إلا بالله.. إسمع يا أخي فإن كان حقا، فإن لم تستطع أن تفعل به فأمر به على الأقل، حرّض عليه تكون قد أتيت بواحدة من الفريضتين، لأنه يجب عليك فريضتان: فريضة القتال وفريضة التحريض على القتال، فإن قعدت عن القتال فلا أقل من التحريض.

الجزيرة العربية بحاجة -وقد ارتدت بعد أن توفي رسول الله ﷺ- إلا لهذه القاعدة الصلبة ولهذه المواقف الصلبة التي ترجع الجزيرة العربية كلها إلى دين الله، ويقول أبو بكر كلمته: أينقص الدين وأنا حي؟ ولم يبق في الجزيرة سوى المدينة المنورة والمسجد الحرام ومسجد جواثة في البحرين يذكر فيه اسم التوحيد.

فإذا فتح العراق نظر عمر في خارطته فلم يجد أفضل من عمار وسلمان ومن عبد الله بن مسعود، فيرسل إليهم: (إني مرسل إليكم بعمار بن ياسر أميراً، وبعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وإنهما من خيرة أصحاب رسول الله ﷺ وقد آثرتكم بهما عن نفسي).

وعندما جاء أهل العراق وأهل الشام إلى عمر وأسبغ لهم بالعطاء! عمر زاد عطاء أهل الشام عن أهل العراق فعتبوا في أنفسهم، قال: يا أهل العراق أوجدتم في أنفسكم أن زدت عطاء أهل الشام عليكم، ألم أفضلكم بابن أم عبد؟ ألم أرسل لكم عبد الله بن مسعود، وأنتم تعتبون عليّ على كمية من المال؟ وقد أرسلت لكم ابن أم عبد الذي قال عنه رسول الله ﷺ[1]: **(من أحب أن يسمع القرآن غضا طريا كما نزل فليسمعه من ابن أم عبد).**

سقط كسرى ودخل جنود الرحمن الإيوان، وكان أول ما تلاه سعد:

(كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين. كذلك وأورثناها قوما آخرين) (الدخان: ٢٥-٢٨)

ولقد كانت أغرب خارقة في الفتح الإسلامي أن يخترق جيش سعد -وهم ثلاثون ألفاً- دجلة وهو فائض يقذف بالزبد، ولم يفقدوا إلا كوبا واحدا أثناء القذف، مشوا على الماء كما روى ابن الأثير وابن كثير في بدايته وفي تاريخه. كانت أغرب قصة في التاريخ، حتى عندما رآهم الفرس وهم يمشون فوق دجلة، طاروا فزعاً ورعباً وهلعاً قالوا: (ديوانه آمدند ديوانه آمدند) جاء المجانين جاءت العفاريت.

ولكن هنالك قضية أغرب في التاريخ الإسلامي، كانت قضية اختراق نهر دجلة دون أن يفقدوا من أمتعتهم شيئاً، كانت غريبة وخارقة، ولكن الخارقة الأعظم أنهم خاضوا بحور الحضارات الفارسية والرومية دون أن يفقدوا من أخلاقهم شيئاً.. هذه كانت قضية أخطر وأعمق.

عندما يجلس سلمان فوق عرش كسرى ويحكم مكانه وهو فارسي مثله ودهقان وابن دهقان، ابن أمير من الأمراء، عندما حكم كان كسرى -كما يروى تاريخ الدولة الساسانية- يبكي ليل نهار، فيسأله ندماؤه: ما بالك تبكي؟ فيقول: لم يبق عندي سوى ألف مرب للصقور وألف طباخ وألف نديم، فكيف أعيش بألف طباخ وألف مرب الصقور؟!

والذي جلس مكانه يدير هذا الحكم نفسه -وهو سلمان الفارسي- جاء إليه البنّاء، قال له: تبني؟ أتعرف كيف تبني؟ قال أعرف على طولك إذا وقفت وعلى طولك إذا اضطجعت. قال: قد عرفت وكان مصروف سلمان الذي حل محل كسرى -الذي يبكي لأنه لا يستطيع أن يعيش بألف طباخ- كان مصروفه يومياً درهماً واحداً.. كانت ثلاثة دراهم بيد سلمان يومياً، درهم يشتري به الخوص والبوص الذي يصنع منه السلال والأمتعة ويبيعها، ودرهم لنفقته، ودرهم لصدقته، يوفر يومياً درهماً واحداً من أجل أن يشتري ما يصنع به الأمتعة والسلال عبر الليل فيبيعها في اليوم الثاني بثلاثة دراهم، درهم لصدقته ودرهم لنفقته ودرهم لأمتعته، لمواده الأولية في اليوم التالي.

ولذا لا يمكن أن يقوم الإسلام مرة أخرى إلا من خلال جماعة إسلامية.

ثوابت للعمل:

يقوم قائد الدعوة فينادي بالناس إلى قضية التوحيد -والتوحيد بأنواعه-، ويربي أتباعه ليس نظرياً على الكتب، لكن يربي أتباعه على التوحيد من خلال مواجهة الطواغيت ومن خلال الأحداث، ولا يُمكن للصفوة الأولى والنواة الأولى التي تتجمع حولها الأمة الإسلامية إلا أن تتربى على الشدة والمحنة وعلى محك البلاء والابتلاء، ولذا سئل الشافعي: أيهما أولى للعبد، أيُمكّن له أم يبتلى؟ قال:

[1] صحيح الجامع الصغير رقم ٥٩٦١

نحن لسنا بحاجة إلى قوانين الآن، لسنا بحاجة إلى قوانين إدارية ودستورية وقوانين عقوبات وجرائم.

إن الذين يجلسون في الغرف المكيفة ليتفطنوا كيف توضع الأحكام، كيف توضع الحلول لمشاكل يفترضها أنها ستقع في المجتمع المسلم، هؤلاء يتعاملون مع فقه الأوراق ولا يعيشون مع بناء الإسلام الواقعي الذي قام أول مرة مع رسول الله ﷺ، ولن يقوم في كل مرة إلا بهذا الطريق.

الإسلام كيف قام أول مرة؟ قام الإسلام أول مرة بأن قام نبي اسمه محمد بن عبد الله ﷺ ونادى بالناس: يا أيها الناس اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، وكان يقف ويقول:

(قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد) (سورة الإخلاص)

وإذا تكالبت الظروف، وتكاثفت الخطوب، وأخذت بخناقه وخناق الفئة القليلة التي تكتنفه كان يقول الكلمة التي تعبر عن التوحيد:

(قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)

(الأعراف: ١٩٥-١٩٦)

فبناء الإسلام قام أول مرة من خلال رسول كريم، وبدأ الناس يدخلون الواحد تلو الآخر.. يعيشون على محك المحنة، وعلى ظروف الشدة، تطحنهم طاحنة الرحا؛ أعصابهم وحياتهم وأنفاسهم.

وعلى محك الشدة، ومن خلال هذه الظروف تربت العناصر الأولى الصلبة التي قام عليها كيان الإسلام كله أول مرة.

ميزان الدعوات:

والذين ينظرون أن رسول الله ﷺ في مكة لم يؤمن على يديه سوى مائة، يقلّون أو يزيدون قليلا، ينظرون أن هذا -في النظرة البشرية القريبة- عمل تربوي ليس ناجحا، كيف تمضي ثلاثة عشر عاما ولم يسلم على يد سيد البشر ولم يترب على يديه سوى مائة؟ بمعدل سبعة فقط أو ثمانية فقط في السنة!!

إن هذا العمل -في حساب الكمبيوتر الآلي- عمل ليس ناجحا، ولكن الذين يعيشون الدعوات، ويعرفون كيف تنتصر المبادئ، يدركون أهمية هذه المائة، هذه المائة التي رباها رسول الله ﷺ، كما قال عتبة ابن غزوان: **[كنت سابع سبعة مع رسول ﷺ ليس لنا طعام إلا ورق الشجر حتى تقرحت أشداقنا، وقعت إلى إزار فشققته بيني وبين سعد بن أبي وقاص فجعلته نصفين وائتزر سعد بنصفه وائتزرت بنصفه، وما منا اليوم واحد إلا أمير** - ويعقب عتبة بن غزوان قائلا- **وإني أعوذ بالله أن أكون في عين الناس كبيرا وفي عين الله صغيرا].**

هؤلاء المائة مع السابقين الأولين من الأنصار هم الذين كونوا القاعدة الصلبة وأعمدة هذا الدين الذي تشكل من خلاله هذا البناء السامق الناطح في السحاب، وهذا المجموع الورقي الأخضر لهذه الشجرة التي ضربت جذورها في أعماق التراب.

ولذا فإذا نظرنا إلى الجيوش التي انسابت في الأرض وانساحت تفتح الأمم رأينا من القادة؟! هؤلاء السابقون الأولون .. من القضاة؟! هؤلاء السابقون الأولون .. من المفتون؟! هؤلاء السابقون الأولون.

بل الصف الأول في المسجد -في مسجد النبي ﷺ- والثاني كان لهؤلاء السابقين الأولين، (وقد روي أن رجلاً جاء من اليمن يسأل عن أبي بن كعب، وتقدم أبي إلى الصلاة فنظرفي وجوه القوم فرأى رجلاً غريباً فجاء إليه، وقال ليس هذا مكانك، وقدم مكانه أحد السابقين الأولين، وبعد الصلاة سأل أين أبيّ؟ قالوا هذا الإمام الذي أرجعك)؛ لأن الذين وراء الإمام حتى في الصلاة أولو الأحلام والنهى [لِيَلِني منكم أولوا الأحلامَ والنهى][1].

بل في القبور -حتى داخل القبر- يقدم السابقون الأولون وإذا اضطر الناس بسبب الجراح والقرح الذي أصابهم يوم أحد أن يدفنوا الإثنين والثلاثة في قبر واحد، كان رسول الله ﷺ لا يغفل الأولوية لأصحاب القرآن **[قدموا أعلمهم وأحفظهم للقرآن الكريم].**

ولذا لم يكن القطر -بعد أن وجدت هذه القاعدة الصلبة- بحاجة إلى أكثر من اثنين أو ثلاثة يديرون القطر بكامله، ولم تك

(١) رواه مسلم في صحيحه.

والتواصي بالحق على الطريق سينتج عنه قطعا مشاكل وإيذاء وفتن وابتلاء لابد لها من الصبر (والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) وكلها بواو الجماعة، لأن الإسلام لا يمكن أن يقوم إلا من خلال جماعة، لا يمكن للإسلام أن يعود مرة ثانية الى الأرض إلا كما قام أول مرة.

الدعوة للتوحيد:

قام رجل -سيدنا محمد ﷺ- يدعو الناس إلى التوحيد؛ توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه دعوة التوحيد وإقرارها في النفوس لم يكن شيئاً نظرياً يتلقى من خلال الكتب، كانت تتلقى عملية توحيد العبودية أو توحيد الألوهية من خلال أحداث وخطوات، ومن خلال محن وابتلاءات في واقع الحياة اليومية ومجرياتها.

فأبو بكر رضي الله عنه، وهو يتعامل مع اسم الحليم، يرى الناس من قريش -من كفارها وسدنة شركها- يمسكون بخناق رسول الله ﷺ وهو يرى تمهل رب العالمين على هؤلاء المشركين، فينظر إلى السماء ويقول: رب ما أحلمك، رب ما أحلمك، فكان يتعامل مع الأسماء والصفات ليس من خلال الصفحات والأوراق والكلمات، كان يتعامل من خلال الأحداث، وكان رسول الله ﷺ وهو يقود المسيرة من خلال مجريات الأحداث اليومية يعلمهم كيف التوحيد.

يعلم أبا بكر وهو في الغار، وأبو بكر ترتجف فرائصه يقول له: {يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا، فيرد عليه بكلمة التوحيد، يا أبا بكر: ما بالك باثنين الله ثالثهما}[1].

فكان توحيد الألوهية الذي بعثت من أجله الرسل لا يُعلّم من خلال الكتب، إنما يعلّم من خلال مواقف القادة والرجال، من خلال الأحداث والنوازل، لا من خلال الصفحات تحفظ ثم إزاء أي حدث صغير يتبدد التوحيد من أعماق النفوس، وإذا به يخر أمام قزم صغير ناسيا أنه

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) (آل عمران: ١٤٥)

فالتوحيد كان يغرس في النفوس، وليس من خلال نظرية ثقافية، ولذلك كما يقول الله عز وجل:

(وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) (الإسراء: ١٠٦)

فالتفريق مقصود والمكث مقصود، لأن بناء الأمم لا يتم في يوم وليلة.. من خلال حفظ صفحات وأوراق، وإلا لو كان القرآن نظرية ثقافية، وكان الإسلام عبارة عن نظرية يمكن أن يتملاها الأذكياء ويفهمها النبهاء، لأنزل الله القرآن دفعة واحدة، يحفظه الحافظون خلال ستة أشهر، ليتملّون هذه النظرية ويعيشونها في خيالهم، ولكن الله عز وجل وهو الذي خلق النفوس البشرية، يعلم أن هذه النفوس لا يتم تغييرها بهذه السرعة الهائلة التي يحسبها البشر. فكانت النظرية -القرآن الكريم- وقضية التوحيد تبنى مع واقع الجماعة العملي، فكلما ارتفعت في بنائها، كلما تنزلت لها أحكامها حتى إذا تم بناء الجماعة كانت النظرية قضية عملية ناضجة في أعماق النفوس.

بين الجدية والأحلام:

ومن هنا لم يعش القرآن ولا الإسلام يوما ما نظرياً، ولم تشرع الأحكام في مكة، ولم يوضع القانون الدستوري والإداري حتى إذا قامت الدولة الإسلامية في المدينة بدأ التطبيق.

إن القرآن دين، إن الإسلام دين عملي حركي جاد، لا يتعامل مع النظريات والأوهام، إنما يتعامل مع واقع الإنسان ومع مستوياته ومع بنائه وحاله.

ولذا فالذين يطلبون من الجهاد الأفغاني الآن نظريات دستورية وإدارية وقانونية وقانون عقوبات وغير ذلك هؤلاء لم يفهموا كيف قام الإسلام أول مرة، ولم يدركوا كيف تنزلت هذه الأحكام، وكيف طبقت على فترات متتالية تعاملت مع أحداث فتنزل القرآن أو قال رسول الله ﷺ حكمها، فكان بناء الإسلام واقعياً وعملياً مع مجرى الحياة اليومية للجماعة الإسلامية.

---

(١) رواه البخاري في قصة الهجرة.

الشعب الفلسطيني قالوا: سنقطف البرتقال من يافا.. سنقضي عيد الأضحى فوق الكرمل.. في حيفا، والواحد منهم يسأل
ي كم يهودية ستأخذ من الإماء -هم لا يعرفون الإماء- كم يهودية ستأخذ؟ هنا لا يوجد حد لليهوديات، عشر، عشرين.. قدر ما
،، قد يكون عندك مائة من الجواري.

اقترب الخامس من يونيو ليلة الخامس من يونيو، المعركة غداً الصباح، اتصل به السفير الأمريكي الساعة السابعة مساء قال
لا تضرب.. اتصل به السفير الروسي الساعة الثالثة صبحاً أيقظه من النوم -بشأن التهجد قريب صلاة الفجر-!! قال له: لا
ب.. بعد ساعتين الضربة ماذا يفعل الجنود؟ ماذا يفعل الجيش؟ ماذا يفعل الضباط؟ ضباط الطيران أين هم؟ في ثكناتهم في
هم في حالة طوارئ؟ لا.. في حفلة تحييها واحدة من الراقصات اللواتي تاب الله عليها! أخيراً ومن المسئول عن الحفلة؟
شار الأركان الجوية، من هو؟ باروخ نادل، من هو باروخ نادل؟ يهودي مكث مستشاراً لقيادة الأركان الجوية من (١٩٥٤م) إلى
١٩م) ثلاثة عشر عاماً.. الساعة الثانية صباحاً قال باروخ نادل -قرأت له كتابه، كتب كتاباً عن المأساة سماه تحطمت الطائرات
الفجر وتعرض لهذه المصيبة- قال: وفي الساعة الثانية انتهت الحفلة، وخفت إذا رجع الضباط إلى بيوتهم أن يستيقظوا في
ـة الخامسة.. ضباط الطيران الذين سيقودون الطائرات ويغيرون على تل أبيب.. قال: ففكرت ماذا نفعل؟ وفجأة وصلت إلى حل:
ـت الضباط إلى قسمين الذكور إلى جهة والإناث الى جهة، وقال: أنتم الرجال (الميج) المصري وانتن (الميراج) الإسرائيلي، وسنرى
، كيف ينقض الميج المصري على الميراج الإسرائيلي، وانقض الميج على الميراج، وبقوا في سكرهم وعربدتهم في ليلة حمراء حتى
الرابعة.. حتى النصر -كما قال-!!.

قال: ورجعوا إلى بيوتهم ووضعوا رؤوسهم على وسائدهم وركبت بطائرتي لأرى سماء القاهرة وهي تحترق، وتكسى بالدخان
الطائرات المحترقة والمطارات المضطرية، الساعة الخامسة كانت الضربة الأولى.

تصوروا يا إخوة الضربة الأولى موجهة للطيران و(١٠٠٪) (الضربة اليوم)، والسفير الأمريكي والسفير الروسي اتصلا به في
ـ الليلة قالوا: لا تضرب، ومع ذلك يقول جنرال هوب: المسئول عن قيادة الأركان الجوية الإسرائيلية قال: راقبنا السماء المصرية،
نت فيها طائرة واحدة .. طائرة واحدة؟! الآن -في حالة السلم- في أمريكا باستمرار ثلث الطيران في الجو، قال: حتى إذا ضربنا
ربة مباغتة بالصواريخ النووية وغيرها، وأحرقت كل الطائرات على الأرض يبقى معنا ثلث الطيران في الجو.

طائرة واحدة؟! قال: الخامسة إلا خمس دقائق نزلت الطائرة على المطار، قال: وأغرنا ثلاث ساعات.. صفيت المطارات، وحددت
ركة إلى جانبنا.. ثلاث ساعات من الساعة الخامسة إلى الساعة الثامنة، والميج المصري النائم استيقظ بعد الظهر.. وإذا:

فلا الدار دار ولا الخلان خلان

وانتهت المسرحية، وصدرت الأوامر للجيش الذي في الصحراء، ما هي لغة الأمر؟ سلاح الطيران تحطم ألق سلاحك وانسحب،
تنسحب بالسلاح، لماذا انسحب الجيش كله؟ وكاد الجيش يموت عطشاً وجوعاً لولا أن اليهود سمحوا له أن يجتاز القناة سمحوا
ائرات الصليب الأحمر أن تتدخل!!

العملة الصعبة

يا من رضيتم بالله رباً، وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من
شيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

(والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا
لصبر) (سورة العصر)

سورة تنزلت من لدن عزيز حكيم، يقول عنها أبو عبد الله الشافعي: لو لم ينزل من القرآن إلا سورة العصر لكفتهم، لأنها بيّنت
ام تكوين الإسلام من جديد، وبناءه فوق هذه الأرض وإنشاء مؤسساته التي تعيش في ظلالها جموع الناس.

السورة تبين أن الإنسان لا يمكن أن ينجو من الخسارة والضياع، ومن الهلاك والبوار، إلا إذا توفرت فيه أربع صفات: أن
عمل صالحاً، ويعمل مع الذين يأمرون بالمعروف، الذين يتواصون على الطريق بالحق.

حداث لا تنسى:

إن الذين يريدون أن يحموا الأعراض والدماء والحرمات.

إن الذين يريدون أن يحموا دين الله.

إن الذين يريدون أن يحموا المقدسات.

إن الذين يريدون أن يسترجعوا بيت المقدس ويطهروه من رجس اليهود وهم لا يعدون ولا يستعدون في مخيمات وفي معسكرات، ولا يصبح السلاح جزءاً من دمائهم ومن حياتهم؛ هؤلاء يتعلمون السباحة على السرير.

نعم، كنا نقول: عبد الناصر -الآن عند ربه بين يديه- الله أعلم هل ينجو من العذاب في جهنم خالداً أو لا ينجو ونظنه أنه مات على غير الإيمان لأنه لقي الله وهو يشرّع بغير ما أنزل الله، والذي يشرع بغيرما أنزل الله خارج من الملة:

(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (الشورى: ٢١)

فبقي يزاول الشرك؛ شرك الألوهية حتى لقي الله، وهو التشريع بغير ما أنزل الله، المهم الآن عند ربه لا نفترق، وما أظن واحدا منكم يحبه إن كان في قلبه ذرة إيمان لا يلتقي حب عبد الناصر -حب الطاغوت- مع حب الله في قلب أبداً، لابد من أن تكفر بالطاغوت وتؤمن بالله:

(فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) (البقرة: ٢٥٦)

عبد الناصر سنة (٦٥ و٦٦ و٦٧) قال: نحن اخترعنا الصاروخ الظافر والقاهر والناصر، هذه سترمي تل أبيب من القاهرة، نرميها من القاهرة تضرب تل أبيب، وبدأت الإذاعة: (تجوّع يا سمك) لماذا يتجوع؟ -في البحر سنلقيهم-، فيا سمك انتظر لحم اليهود حتى تسمن، وحرك الجيش سنة (٦٧) وكاد الشعب الفلسطيني، كاد يطير فرحاً وجنوناً بعظمة الرئيس، حرك الجيش على سيناء وبدأت النصوص تثبت الجيش المصري في الصحراء بدل أن يقول:

(ولينصرن الله من ينصره) (الحج: ٤٠)

(يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم) (التوبة: ١١٩)

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (محمد: ٧)

بدل أن يقول: (والله مع الصابرين).

بدل أن يقول[1]: (اللهم بك نصول وبك نجول وبك نقاتل)، كان يقول كل يوم: أم كلثوم معك في المعركة، عبد الحليم معك في المعركة، كل يوم تأتي أم كلثوم، كانت لا زالت على قيد الحياة، تدمر الحياة في أعماق الجيل السيدة أم كلثوم!! كوكب الشرق بدون قاف كل يوم، تأتي توجه الجنود، عقد مؤتمر السيد الرئيس، أعوذ بالله ليس سيداً (لا تقولوا للمنافق سيداً فإن يكن سيداً فقد أغضبتم ربكم)[2] قال الرئيس في (٢٧) مايو، في مؤتمر صحفي حضره معظم الصحفيين في العالم: سنحارب اليهود ومن وراء اليهود أمريكا، سنحارب ..

صلاح نصر -إستخبارات عبد الناصر- قالوا له في المحكمة: أنت مسؤول عن هزيمة الجيش، قال: أنا مسؤول! لماذا؟ أنا قدمت تقريراً للسيد الرئيس أن الهجوم (١٠٠٪) يوم الإثنين، والضربة الأولى موجهة للطيران.

وقال: كنا ندخل على سيادة الرئيس -هذا في المحكمة- لنرى ماذا فعل.. الأيام تقترب، والزمان أزف، الوقت قرب، لنرى ماذا عمل؟ قال: وجدناه مشغولاً بتقديم فقرات وتأخير فقرات من أغنية عبد الحليم (لأجل الربيع لأجل الحياة لأجل عشاق الحياة إضرب -يعني: قاتل من أجل الغزل في الحياة والعشق- لأجل الربيع لأجل الحياة) هذه الأغنية كانت هي الملهب الذي يوجه من قبل أجهزة الأثير، أجهزة البث (لأجل الربيع لأجل الحياة لأجل عشاق الحياة إضرب)!.

---

(١)- رواه أبو داود والترمذي والنسائي (انظر عون المعبود ٧/٢٩٥).

(٢)- رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح والحاكم (انظر الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٥٧٩).

وبذلك قال العلماء: فرض على من يتعاطى كؤوس الخمر أن يأمر بترك الخمر وينهى عن شرب الخمر، وهو يشرب الخمر يجب أن يقول: شرب الخمر حرام، يا جماعة لا تشربوا وأنا يجب أن لا أشرب.

وإن كنت جلست ما استطعت، ما احتمل قلبك عبادة الجهاد، فلا أقل من أن تحرض على الجهاد، تقول: والله أنا مقصر ونرجو الله أن يعينني، أرجو الله أن يعينني على تقطيع الحبال الواثقة بالمصالح الدنيوية والأهواء الشخصية، فإن لم تحرض على الأقل أن تسكت عن الأمر بالمعروف، أما أن تنصبَّ نفسك داعية للصد عن سبيل الله فأي ذنب أعظم من هذا عند الله؟! والله عز وجل قرن الصد عن سبيل الله بالكفر:

(إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام) (الحج: ٢٥)

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) (محمد: ١)

فالصد عن سبيل الله مقرون بالكفر، وقد يكون عند الرجل شيء -كما قلت لكم- من الحواشي والمتون والنصوص ويتكلم "الشباب الصغار-مساكين- إن وجوده هناك أفضل من وجوده هنا، هل تصدقون؟! قال لي أحد الشباب من الجزائر: بمجرد أن نفتح الأشرطة، أشرطتك عن الجهاد، بعض الناس من الذين يصلون ويصومون.. (هذه أشرطة عن الجهاد).. رأسا يتسللون لواذاً يخرجون، لا حول ولا قوة إلا بالله .. نرجو الله أن لا ينطبق عليهم قول الله:

(فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) (المدثر: ٤٩-٥١)

كأنهم حمر وحشية فرت من الأسد، ومضروب المثال بخوف الحمر الوحشية من الأسد.

نرجو الله عز وجل أن لا تكون الصورة قريبة من:

(لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) (فصلت: ٢٦)

قطعاً قسم منهم طيب صادق ومخلص، لكنه جاهل أو على قلبه ذنوب كثيرة ما استطاع أن يميِّز الحق من الباطل.

ولذلك كانوا إذا وقعت عندهم مصيبة من المصائب -مشكلة فقهية- اجتمع لها العلماء في بغداد أو في دمشق في عاصمة الخلافة، فإن لم يستطيعوا حلها يقولون: أرسلوها لأهل الثغور لأنهم أقرب إلى الله فهم يوفقون للإجابة، أهل الثغور من؟ أبو الشهيد وجماعته؟! مساكين لا دارسون حواشي ولا متون، ولا حافظون حاشية ابن عابدين ولا شرح الدسوقي على الشرح الكبير ولا الشرح الكبير على متن الخليل.. لماذا يوفقون للإجابة؟ الدين يا جماعة يسر والقرآن ميسور:

(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (القمر: ٢٢)

إذاً، ميسر سهل، ليست القضية بكثرة النصوص، القضية بالبصيرة، البصيرة التي ترى بنور القلب، هل القلب فيه نور فيفرق بين الحق والباطل، أم انطفأ سراجه، وزادت ظلمته، ولم يعد يفرق بين المعروف والمنكر؟! {**كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا، والمنكر معروفا**} والناس كلما بعدوا عن العبادات، وعن الحق وعن الخير وعن فعل الخيرات؛ كلما التبس عليهم الأمر.

قال أنس: أيها الناس والله إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر؛ كنا نعدها في عهد رسول الله ﷺ من ماذا؟ من الكبائر، مسألة سهلة.. طيب يا أخي سهلة، حتى عدم النفير إلى الجهاد؟.. نعم لأن بلادك مهددة الآن فلا تنفر هناك!! انتبه هنا اثبت هنا أعد للعدو القادم!! ماذا تعد؟ مناسف رز ولحم وفواكه!! أعدوا من الكروش واجمعوا من القروش ما تستطيعون أن تقفوا به أمام أعداء الله:

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (الأنفال: ٦٠)

والكرش من القوة!!

ولعمر الحق أين يذهب هذا إذا قابل عدوا؟ هل يقابله بكرشه؟ هل يقابله بدهنه وسمنه؟ هذا إذا ما كان قعد شهراً، شهرين في (صدى) وفي (خالد) ودخل ستة أشهر في داخل أفغانستان يمشي بين الثلوج وفي قمم الجبال حتى يذوب شحمه ولا يبقى إلا الجلد والعظم، هذا كيف يقابل عدوا؟ هذا مثله مثل الذي يتعلم السباحة على السرير، نعم، شاب مسك كتاب سباحة وبدأ يطبق على سريره تحرك هذه اليمنى إلى الأمام.. يشتد الذراع، وما إلى ذلك، يشتد معها الساق الأيسر وهكذا، بعدما أتقن السباحة على السرير، قال لإخوانه: هلموا لقد تعلمت السباحة.. وذهب إلى البحر وألقى بنفسه وما خرج.

لن يُمكّن له حتى يبتلى.

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله) (البقرة: ٢١٤)

محن.. فقر.. شدة تأخذ بخناق الفئة المسلمة وبقائدها ﷺ حتى يصل الأمر: أن تبلغ القلوب الحناجر فيقول الرسول: متى نصر الله؟

يا لله!! محنة، محنة قد تدفع النبي أن يقول: متى نصر الله؟ ولذا فقد غضب رسول الله ﷺ والصحابة يتعجلونه مرحلة الابتلاء والبناء والتربية التي لابد منها أن تكون قاعدة للإسلام فيما بعد.

جاء خباب بن الأرت إلى رسول الله ﷺ -وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة- يقول: **[يا رسول الله ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال ﷺ : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها ،ثم يؤتي بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ،يمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه من لحم وعصب لا يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه. ولكنكم تستعجلون]**.رواه البخاري.

البناء الضخم كالعمارة التي تتكون من عشرين طابقاً، وأساسها من ملح أو لبن، هذه سرعان ما تنهار وتتشقق، لابد أن يكون بناء أساسها عميقا مصبوبا بالإسمنت والحديد، وكلما ازداد صلابة أساسها كلما احتملت علو طوابقها.

التربية والبناء:

إن الذين يشككون في الجماعات الإسلامية؛ هؤلاء يهدمون الإسلام ولا يعلمون. إن الجماعات الإسلامية أساس قطعي لا يمكن تجاوزه أبدا، والذين يريدون أن يتجاوزوا مرحلة البناء والابتلاء ومرحلة التربية في الدعوات الإسلامية: هؤلاء لا يدركون كيف قام هذا الدين أول مرة، لعلهم يريدون أن يحملوا السلاح مباشرة وقبل أن يتلقوا قسطاً من التربية، هذا السلاح الذي بأيديهم بدل أن توجه فوهاته في المستقبل إلى أعداء الله عز وجل ستصوب إلى رؤوس المؤمنين وإلى صدور النساء والأطفال بمجرد أن نزغت نزغات شياطينهم أو جرت في عروقهم وسوسة أبالستهم فيرون أن هذا خطر على مجدهم الأثيل، وعلى ملكهم العظيم.

وهذا تجدونه جلياً واضحاً في أعماق أفغانستان، إن أبناء الدعوة الإسلامية الذين يمسكون بزمام القيادة، والذين فجروا هذا الجهاد المبارك، إذا كانوا في الجبهات فإن الجبهات تنعم بالودّ والإخاء، والرحمة والرخاء.

وعندما قام الجهاد الأفغاني لأول مرة والتفّ بعض الناس حول عمدة قراهم، وحول ما يسمى (أرباب) و (وكيل) وغير ذلك من الزعماء في العهد الملكي وحققوا انتصارات ضخمة في بداية الأمر وساروا عدة سنوات، ثم بعد ذلك، وبين عشية وضحاها، وبعد أن حطموا مئات الدبابات الروس وإذا بهم جنود للروس وعملاء له ومليشيا ينفذون مخططاته.

الجماعة الإسلامية ضرورة:

إذاً لابد من الحركة الإسلامية قبل أن نحمل السلاح، والحركة الإسلامية ضرورة قطعية لا يمكن تجاوزها، ومرحلة أساسية لا يمكن أن نتناقلها إلا إذا تغافلنا بناء الإسلام نفسه، ومن هنا لن يقوم الإسلام إلا بجماعة، والجماعة تربي أفرادها.. ثم الجماعة تكون فتيلا وصاعقا مشعلا لطاقات الأمة ثم تتفجر هذه الطاقات ويمتد الجهاد على طول الطريق، وبعد محن طويلة وابتلاءات وأشلاء وشهداء ودماء؛ تروي الطريق الطويلة المريرة، بعدها يُمكّن الله للفئة الباقية على قيد الحياة ويجعلهم ستاراً لقدره وأمناء على تنفيذ شريعته.. لماذا؟ لأن الله عليم حكيم؛ لا يريد أن يضيع دينه على أيدي المسلمين أو المسمين بالمسلمين، فالذين يمسكون بزمام الحكم ستوضع بين أيديهم الملايين، وستقف أمامهم الملايين تحيي، فهؤلاء إن لم يكونوا أمناء على الأعراض والأموال والدماء؛ فستجري دماء المسلمين على أيديهم، وستنتهك أعراض المسلمات على أيديهم، ولن تبقى قيمة من القيم إلا وتخترق مثلها بناء على المحافظة على الحكم الإسلامي!! وهؤلاء خطر على الحكم الإسلامي.

الحركة الصاعق:

فلا بد من البناء، والبناء لايمكن أن يتم إلا من خلال جماعة إسلامية، والجماعة الإسلامية هي التي تفجر -كصاعق- طاقات الأمة، والأمة هي الوقود، وتبقى الفئة الإسلامية هي الموجهة والرائدة والراشدة، وهي طليعة الحرية، وهي رأسها في مواجهة الكفر، حتى يمكنّ الله لهم في الأرض، ثم الجماعة الإسلامية هي التي تمسك بزمام الحكم.

ولذلك أسأل في أرجاء أفغانستان: من المسؤول في المنطقة الفلانية؟ ومن القائد في الولاية الفلانية؟ فإذا قالوا لي: إنه من أبناء الدعوة الإسلامية القدماء، يستقر قلبي ويرتاح ضميري وتنبسط أساريري، لأن هناك بقايا من الفئة الصالحة التي يمكن أن تؤمّن على الأموال والأعراض والدماء.

والرسول ﷺ والصحابة -من بعده- ما كانوا يولّون التابعين الإمارات والقيادات، كانت القيادات بيد السابقين الأولين من الصحابة المهاجرين والأنصار، ما رأينا قائدا في أيام الخلفاء من التابعين بوجود الصحابة، لأن الصحابة رضوان الله عليهم مهما كانوا هم العملة الصعبة والذهب الأصفر الذي يحمي الورق المتداول والعملة اليومية في أيدي الناس، وكانوا حريصين على هذه العملة، ويعدّون أصحاب بدر كل مرة، وتقرأ التاريخ: شهد هذه المعركة مائة بدري.. لم يبق من أهل بدر أحد.. بقي من أهل أحد فلان.. بقي من أهل الشجرة فلان، لماذا؟ لأن هؤلاء هم العملة الصعبة التي تحمي ملايين الأوراق التي تتداول في الأسواق، وإذا فقدت هذه العملة الصعبة والذهب المكنوز فإن العملة الورقية لا قيمة لها، أوراق مطبوعة في داخل مطبعة لا قيمة لها في عالم الأسواق ولا تشتري بها ورقة من الأوراق.

ولذا لا يجوز أن يسلّم المسؤولية إلا الذين تمت تربيتهم الطويلة عبر دعوة إسلامية، عانى فيها من المرارة وتجرع من الغصص ما عانى، لأنه خلال الابتلاء والامتحان، وخلال وضعه في أتون النار قد تصفّت روحه، وأشرقت نفسه، وانبسطت أساريره، وأصبحت نيته خالصة لله إنما يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

ولذا، وإذا كان علي رضي الله عنه من هذه الصفوة ويجثم على صدر عدو من أعداء الله حتى يحتزّ رقبته، ثم يقوم علي ويتركه، فيقولون له ما بالك؟ قال: لقد بصق في وجهي، فخشيت أن يكون قتله فيه شيء من نفسي، فأردت أن يكون عملي خالصاً لله فتركته.

وعندما يقف علي مع يهودي أمام عمر في مجلس القضاء ويقول عمر: يا أبا الحسن قم واجلس بجانب خصمك اليهودي تمعر وجه علي غضباً، وبعد أن انفضّ مجلس القضاء، عاتبه عمر، أوجدت في نفسك أن قلت لك اجلس مع هذا اليهودي؟ قال: وجدت في نفسي أن قلت لي: قم يا أبا الحسن، وقلت: قم يا يهودي، يجب أن تقول لي قم يا علي فاجلس بجانب هذا اليهودي.

نفوس خلصت لله، فلما أن ابتلاهم الله صبروا، ولمّا علم الله من نفوسهم أنه لم يعد في نفوسهم حظ -حتى حب انتصار هذه الدعوة على أيديهم- علم الله أنهم أصبحوا أمناء على شريعته فمكّن لهم في الأرض.

وعندما يستلم حذيفة إمارة المال في الشرق يرسل رسالة إلى عمر: يا عمر بالله عليك خذ عني أموالك فإني أراها تراودني كفتاة حسناء.

كانوا إذا أقبل الطمع غابوا وإذا أقبل الفزع وجدوا.

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم	*قوما وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا*
فإذا أقبل الزمان توارى	*وإذا زاغت العيون تراه*
وادع كالحمام في حرم البيت	*وكالليث يستباح حماه*
لو لغير الإله ذلت جباه	*لانحنت عند راحتيه الجباه*

تجربة جهادية:

والجهاد الأفغاني كتجربة ثرّة مهمة للحركة الإسلامية المعاصرة، وتعتبر الحركة الإسلامية الجهادية في داخل أفغانستان أغزر حركة فيها من النتائج والآثار في واقع الأرض ما لم تنله أية حركة أخرى في أية بقعة من البقاع الأخرى.

نعم، إن الحركة الإسلامية في أفغانستان هي بنت من بنات الحركة الإسلامية الأم التي نشأت في مصر وفي أرض الكنانة، لكنها وقد سيق لها من الظروف والتجارب والأحداث ما جعلها غزيرة الإنتاج والعطاء لمن أراد أن يدرس هذه التجربة بعمق واستقصاء، وجدير بكل مسلم الآن في الأرض وهو يحاول بناء الإسلام من جديد أن يدرس هذه التجربة، وعلى مهل وتؤدة.

أبناء الحركة الإسلامية في داخل أفغانستان نضجوا على مرارة التجربة، على محنة الابتلاء، على محك الصفاء والاستصفاء نتجت نماذج أنقى وأطهر من ماء السماء.

شاب صغير مثل (إنجنير بشير أحمد)، أو شيخ جليل مثل (جلال الدين حقاني)، أو قائد قدير مثل (أحمد شاه مسعود) الآن مهيأون للحكم، ليسوا بإرادتهم، ولم يدرسوا الإدارة من خلال كلية الإدارة والاقتصاد، بل الأحداث التي واجهتهم أجبرتهم أن يوجدوا حلولاً لكل مشكلة من المشاكل، هو بنفسه رئيس للوزراء، وقائد للجيش، ووزير للصحة، ووزير التربية، والتعليم، ووزير للشئون الإجتماعية، ووزير للمواصلات، ووزير للتمويل، وزير لكل شيء، لأن القضية تفرض عليه بمشاكلها أن يوجد حلولاً يومية لمشكلة الغذاء في تخار، ولمشكلة الخلافات في بدخشان، ولمشكلة الجرحى في منطقة كندز، ولمشكلة المدارس في منطقة كوهستان، هو مضطر أن يجد حلولا، مهما كانت فجة ومهما كانت بدائية: حلا للقضية الصحية، وحلا للقضية التربوية، وحلا للقضية الاجتماعية، وحلا للقضية الغذائية، فهو بنفسه يشكل مجلس الوزراء.

فالأحداث بضخامتها والمشاكل وكبرها أملت عليه أن يكون قائدا قبل أن يستلم الحكم، صنعت منه -بقدر من الله- حاكماً قبل أن يتسلم منصة الحكم.

يأتي إليّ بعض الناس يقول لي: أو يستطيع الأفغان أن يحكموا دولتهم؟ نعم، استطاعوا أن يحكموها وهم أفراد قلائل وفي أشد المراحل العصيبة، وأشدها أزمة في حقبات تاريخهم، فكيف لا يستطيعون أن يحكموها وقد تسلموا جيشاً ومعدات وآليات وأموالاً ووزارات ومساعدين ومستنفرين من العالم الإسلامي، يوجهون ويعطون وينشدون وينصحون.

أولاً: التجربة الإسلامية في داخل أفغانستان تجربة اجتماعية عميقة ضربت جذورها في أعماق المجتمع، لأن تجارب الحركة الإسلامية في العالم الإسلامي بقيت تعيش في مجتمع ضيق نظيف صاف في مثل طهر ماء السماء، لكنهم لم يجبروا على الاحتكاك بالناس، اللهم إلا بفئة قليلة من خلال تجاربهم في داخل السجون، أما في داخل أفغانستان فقد تشكلت الجبهة من الشعب كله، فدخلها النظيف وغير النظيف، ودخلها المسلم العادي، ودخلها أولياء الله، ودخلها القادة العظام ودخلها الجنود السقام، ودخلها الناس المفرطون والناس الملتزمون، فهي تشكلت من مجموع الشعب كله، وعانى القائد عبر هذه السنوات الطويلة من خلال قيادتها ما عانى من مرارة، كيف يمكن أن يرفع هذه المستويات المتدنية، كيف يمكن أن يصنع من هذا المزيج المختلط العجيب الغريب، هذا مفرِّط وهذا مفرط، وهذا مقصِّر، وهذا يقوم الليل، وهذا لا يصلي النوافل وهذا لا يصلي الفجر حاضراً، وهذا يتعاطى الدخان، وهذا يسرق، وهذا يزني، كيف صنع من هذا المجموع جبهة استطاعت أن تقف عشر سنوات متواصلة أمام أعظم وأشرس وأعتى قوى الأرض؟ هذه كذلك تعتبر من إحدى الإيجابيات الناضجة التي حوتها التجربة الإسلامية أو الحركة الإسلامية في أفغانستان ولم يتسنّ لغيرها أن تحتويها.

ثانياً: والصبر في القرآن الكريم -ونحن ندرسه من خلال الحركة الإسلامية- لا تنطلق نواظرنا، ولا تذهب مخيلاتنا وعقولنا إلا للصبر على السياط في داخل السجون، أما الصبر في داخل أفغانستان فقد أعطى تجربة أوسع وانضج وأعمق، هي الصبر على الرباط، والصبر على الرباط أشد بكثير من الصبر على السجون، لأن السجن يجد أنه أمر ليس له فيه حل وليس لديه فيه حكم، أما الصبر في داخل الجبهات فهو بيده يتركه متى شاء ويصبر متى شاء، فالصبر في داخل الجبهات صعب ومرير، ولذا كان الرباط في القرآن الكريم مسبوقاً بأمرين في الصبر:

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران: ٢٠٠)

فهي تجربة فريدة، وتجربة عميقة، وتجربة حية، جدير بالعالم الإسلامي ولكل من يحاولون أن يعيدوا بناء هذا الدين من جديد أن ينظروا إليها بعمق وبتأمل وتروٍّ، لأنها تجربة حركة إسلامية نظيفة لم تعش طويلا تحت ظلم الطاغوت، ولم تتحول فيها الغيرة مع

الزمن إلى برود وجمود، بقيت الغيرة في الأعماق، ولم تدخل الدعوة الإسلامية في داخل أفغانستان؛ لم تتغلغل في مراتب الدولة ووظائفها حتى تخاف على هذه الوظائف وتوازن بين المصالح وبين المفاسد، مصالح بقاء هذه الوظائف في أيدي الحركة الإسلامية ومفاسد التضحية بها والوقوف في وجه الطاغوت، لم تنل الحركة الإسلامية منذ بدايتها إلى الآن شيئاً من الدنيا ولا متاعها، فبقيت بعيدة عن الضغوط، بعيدة عن الإغراء، بقيت غيرتها كما هي، وبقيت الكلمات والتوجيهات، وبقيت الإرشادات منطلقة من خلال النفس وحدها دون ضغوط ودون أثقال على الكواهل والأكتاف.

أقول مرة أخرى باختصار: لن يقوم هذا الدين مرة أخرى إلا من خلال حركة إسلامية. الحركة الإسلامية لابد أن تعتني بالتربية والبناء، والفترة ليست قليلة.

ثالثاً: الذين يشككون في الحركات الإسلامية إنما يشككون في الدين نفسه وفي صلاحيته للعودة للحياة وللبناء وللإستمرار، ولذا وجدنا الدول الآن جاهدة ترمي الحركة الإسلامية كلها عن قوس واحدة، وتصوب إليها سهامها وهي تقول: أنا أريد الإسلام وأحب الإسلام لكني لا أريد هؤلاء المتعصبين المتزمتين، هي تشكك في الدعوة الإسلامية وفي قياداتها حتى ييأس الناس من عودة الإسلام إلى الحياة مرة أخرى، وأقصر طريق لتيئيس الإسلام من صلاحيته لمواكبة الحياة أن يشككوا بالدعاة، فإذا شك الناس ويئسوا لم يعد هنالك محاولة للاستمرار والبناء والبقاء.

رابعاً: والقضية الرابعة أن الحركة الإسلامية لا تستطيع أن تقيم وحدها الحكم الإسلامي. الحركة الإسلامية عبارة عن صاعق ومشعل وفتيل يفجر طاقات الشعب، والحركة الإسلامية عادة ودائماً في عددها قليلة لأن الكرام قليل، والشعوب هي التي تستطيع أن تكون وقود المعركة الطويلة، وتبقى الحركة الإسلامية بعد أن أشعلت الفتيل وكونت الصاعق وفجرت طاقات الأمة التي تكوّن المتفجرات، تبقى الموجهة والرائدة والراشدة والقائدة.

أمانة الحكم:

ومن الخطر الخطير والأمر المرير بعد أن تنتصر الحركة الإسلامية أن تسمح لغيرها بالحكم، لأن هؤلاء لن يستطيعوا أن يكونوا أمناء -مهما حاولوا- على الأرواح والأرزاق والدماء.. لابد للحركة الإسلامية البادئة أن تُبقي ولو عناصر قليلة منها هي التي تمسك بتوجيه الأمور، لأنها قد نضجت بطول مرحلة الابتلاء وعلى محنة أتون البلاء.

ولذا نعندما أسأل: كم بقي حول سياف وحكمتيار ورباني وخالص من أبناء الدعوة الإسلامية الأوائل الذين تربوا وعاشوا هذه المحنة ونضجوا على حرارتها؟ فإذا رأيت العدد كثيراً ترتاح نفسي وتنبسط أساريري، وتنقبض نفسي إذا رأيت الغثاء قد زاد حول هؤلاء القادة لأن الأمل قد يكون بعيداً.

فالأمل بالله أولاً، ثم بأولئك الذين طالت محنة بلائهم، طالت محنة جهادهم، طالت مرارة سيرهم على الطريق، وفي نهاية الطريق هؤلاء -بعد الله- هم الأمل.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أيها الإخوة:

(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا..) (آل عمران: ١٣٧)

الله عز وجل جعل التاريخ عبرة لأولي الأبصار، ويعقب في الآيات الكريمة

(إن في ذلك لآيات لأولي النهى) (طه: ٥٤)

(إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) (النازعات: ٢٦)

(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) (ق: ٣٧)

خلاصة الفكرة:

الإسلام لن يقوم إلا كما قام أول مرة على يد رسول الله ﷺ.. ما قام الإسلام أول مرة إلا من خلال دعوة التوحيد الخالص التي حطمت الأصنام في القلوب قبل أن تحطمها في عالم الوجود والشهود.

التوحيد لا يمكن أن يفهم من خلال قراءة الكتب، إنما يفهم من خلال قراءة الأحداث، ومن خلال مواجهة الابتلاء والمحن، كل من عاش بعيدا عن المحن والابتلاء لا يمكن أن يدرك دين الله، ولا يمكن أن يكون أميناً على شريعة الله فيما لو وضعت بين يديه لينفذها.

ولذا رأينا أن الحكومات تستعين كثيراً بحفظة النصوص والمتون والحواشي لتكفير أبناء الدعوة الإسلامية إذا أرادت تعليقهم على الأعواد أو نصبهم على المشانق.

لماذا؟ هؤلاء العلماء يحفظون أضعاف أضعاف ما يحفظه هؤلاء الدعاة، ويحفظون من الفقه والعلوم الشرعية أضعاف أضعاف ما يحفظه أولئك.. ولكن التوحيد قد استقر في قلب الداعية من خلال المواجهة والأحداث، وهذا لم يقرأ التوحيد والنصوص والفقه إلا من خلال الأوراق والصفحات والكلمات.

نعم، نجد سيد قطب رحمه الله وهو يساق إلى المشنقة يتقدم إليه عالم أزهري! -من مراسم الإعدام أن يشهد الإعدام شيخ من المشايخ يلقن كلمة التوحيد لمن يشنق- فتقدم إليه الشيخ وقال: يا سيد، قال: نعم، قال: قل (أشهد أن لا إله إلا الله) قال: حتى أنت جئت تتم المسرحية؟! نحن نعدم لأننا نقول (لا إله إلا الله)، وأنتم تأكلون خبزاً (بلا إله إلا الله.)

وشتان شتان بين الذين يأكلون الخبز بـ (لا إله إلا الله)، وبين الذين يعدمون ويشنقون بسبب (لا إله إلا الله).

إذاً هنالك فرق كبير بين التوحيد النظري وبين التوحيد الواقعي العملي الذي يهز أركان الطغاة وقوائم عروشهم، ويزلزل الأرض من تحتهم، وبين أناس مسخرين لإصدار الفتاوى الناضجة المطبوخة على جوانبهم كلما أراد هذا الطاغية أن ينكل بالحركة الإسلامية أو يقمعها.

****

#######

##

من تقوية القلب، ولا بد من حراسته من الأعداء، لأن القلب الكبير هو الذي يحمل الحمل الثقيل، والقلب الضعيف لا تسمع له ركزاً، ولا أثر له في واقع الحياة.

القلب مصدر القوة:

فالقلب أيها الإخوة لا بد من الاعتناء به، واعلم أن القلب حصن حصين، ويتنازعه حرسان، ويتطارد عليه خيلان، خيل الرحمن من الملائكة، وخيل الشيطان من الأبالسة، فلا بد لك من معرفة منافذ الشيطان إلى قلبك، ولابد لك من معرفة الثغور، لا بد لك من بصيرة تنير حول هذا الحصن، حتى لا يقتحم العدو عليك حصنك، وأنت في الظلمات لا ترى شيئاً، ولا تدرك داخلاً.

القلب كما خلقه الله عز وجل بإرادته، جعل الشيطان يجري في عروقه مجرى الدم: **{إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم، فضيقوا مساريه}**(1).

ضيقوا مسارب الشيطان، وشددوا الحراسة على الثغور، وافتحوا بصائركم وبصيرتكم بالنور، حتى لا يقتحم عدوك عليك حصنك وأنت لا تعلم.

واعلم أن من المنافذ والأبواب الكبرى والثغور المفتوحة التي يدخل منها الشيطان: الحرص، والطمع، فالحرص كما قلنا من قبل أكثر ما يهلك هذه الأمة، خاصة على الجاه والمال، والحرص على المال يجعلك تحب المنافقين إذا أعطوك، وتبغض المؤمنين إذا حرموك، والحرص على المال يجعلك تؤذي المؤمن الصالح، وتنزله أدنى منزلة إن منعك وحرمك.. **{تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إذا أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش}**(2).

يدعو رسول الله ﷺ أن لا يقيل الله عثرته، ولا ينزع شوكته، ولا يرد عنه الأذى.

وما رفع الطواغيت إلى هذه المنزلة، وما أبعد العلماء والصالحين حتى وصلوا إلى هذا الدرك إلا حب الدنيا، وإلا الحرص عليها، والجهاد خلاص من أوهاق الأرض، وانطلاق من قيودها، وتمرد على كوابحها، وتحطيم لأثقالها؛ فعندما تنوي الجهاد إنما أعلنت أنك قد استعليت على كل ما يشدك إلى الأرض من جواذب، عندما تعلن الجهاد إنما تعلن الخلاص من مستنقع الوحل الذي تغرق فيه البشرية، من الدرك الهابط الذي انحطت إليه الإنسانية، لم يعد بريق المال يخدعك، ولم تعد الدنيا تجذبك، ولم تعد بوارقها وخلبها يخدعك ويشدك إلى الوراء.

والرسول ﷺ جعل المجاهد مقابلاً للذي يحب المال والدنيا، قال ﷺ: **{تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إذا أعطي رضي وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش}**.. هناك عبد الدينار وهنا عبد الرحمن **{طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه** -قد تمرد على كل جواذب الأرض- **آخذ بعنان فرسه مغبرة رأسه** -أو أشعث رأسه- **كلما سمع هيعة طار إليها}**.

كلما سمع صوتاً مفزعاً تجده أول النافرين إليه ليحمي حرمات المسلمين ويحفظ دماءهم، ويحرس أطفالهم، ويؤمن عباداتهم، ويكفل اجتماعاتهم، ويحرس تنفيذ هذه الشريعة فوق المجتمع المسلم الآمن الوادع الهانئ الهادئ.

فإياك إياك من الحرص على المال، وخاصة مال الجهاد، إن المال الذي يأتي هنا إنما هو مال مخصص لليتامى والأرامل والشهداء، إنما هو مال مخصص لسد البطون الجائعة، ولتغطية الأجساد العارية، ولحمل الأقدام الحافية، ولشراء خيمة أو بطانية لأسرة طالما قدمت من الآلام والتضحيات والعذابات على الطريق الطويل لحفظ هذا الدين.

فإياك أن تكون مصاصاً للدماء، إياك أن تكون علقة تمتص دماء الأبرياء، فكيف إذا تحولت إلى غول يمتص دماء الشهداء، ويعيش على جماجم وأشلاء الأبرياء.. **{هذه الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل في النساء}**(3).

نماذج من ورع السلف:

انتبه ولك في الصالحين من قبلك عبرة، يوم أن كان عمر بن عبد العزيز يُطفيء ضوء المصباح إذا بدأ الحديث عن أهله.

---

(1) رواه البخاري. (2) رواه مسلم. (3) رواه مسلم.

انتبه فإن الأمر يحتاج إلى دقة شديدة، وورع دقيق، حتى تحفظ جهادك، وحتى يتقبل الله منك عملك، وعندها.

(ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) (التوبة: ١٢٠-١٢١)

فلا تتساهل.

ويوم أن حمل الحسن بن علي تمرةً ليأكلها من أموال الصدقة، وإذا برسول الله ﷺ يدخل إصبعه في فيه ليخرجها وهو يقول: (كخ كخ.. كخ كخ)، أي هذا أمر لا يؤكل أمر مرٌ على النفوس، فالفظه واقذفه من فمك.

ويوم أن تناول ابن أبي بكر حبة تمر عَلِمَ أبو بكر أنها كانت حلوانا من كاهن، أدخل إصبعه في حلقه ليخرجها، وما زال يحاول اخراجها والطفل يشتد بين يديه، وعقب أبو بكر: لو لم تخرج إلا بخروج روحه لأخرجتها.

وهذا إمام الحرمين الجويني، كان والده قد تكفل أن لا يغذيه إلا من حلال من كسب يده، قوتاً يشتريه بنفسه، ويكتسبه بعرق جبينه وبخطواته، وذات يوم مرضت أمه، وكانت ترضع إمام الحرمين الصغير، فدخل أبوه وهذا الطفل-الجويني- في حضن جارتهم ترضعه، فغضب غضباً شديداً، ثم انتزعه من أحضانها، ثم ضغط على بطنه، ونكس رأسه، حتى تقيأ ما شرب من الحليب، ثم مرت الأيام، وكبر.... وكانت تأخذه بعض الفترة والتعب، فيقولون له: ما هذا؟ فيقول: هذا من آثار تلك الرضعة يوم أن كنت صغيراً.

مداخل الشيطان:

فانتبهوا، ولا يحل مال امرئٍ مسلم إلا عن طيب نفس، ومن مداخل الشيطان سوء الظن بالمسلمين، لأنك إن أسأت الظن بمسلم بأنك تحتقره، وتعتبر نفسك أرفع منه (**وبحسب امرئٍ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**)[1] (**والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله**)[2].

وإذا احتقرت مسلماً وازدريته فإنك تسيغ لنفسك بعد ذلك أن تأكل لحمه، وتمزق عرضه، لأنه في ظنك حلال اللحم، فلحمه الذي بين ثناياك، والذي تملأ به بطنك قد يميت قلبك، لأن لحوم الناس هو سم القلوب فتموت.

إعلم كما يقول ابن عساكر: (إعلم أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار من أكلها معلومة، ومن أطلق لسانه على المسلمين بالثلب أصابه الله قبل الموت بموت القلب) فانتبه يا أخي، لا تبطل جهادك، ولا تقلل ثوابك، وأعد قلبك.

ومن مداخله الحرص على الجاه كذلك، وكم سُفك من أجل المناصب من دماء، وكم استحلت من حرمات، وكم سقط على الطريق من قيم، وكم اضطربت من الموازين، من أجل أن يصل إلى الهوى الذي رفعه إليه الشيطان، وسوّله إليه إبليس.

ومن مداخل الشيطان الحسد، والحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

واعلم أن الحسد يبدأ بصاحبه فيقتله (**ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله**) مداخل كثيرة، ومن مداخلها التنعم والإكثار من إشباع الشهوات، شهوة البطن، وشهوة الفرج والنوم وغير ذلك، فإنها تقسي القلب، وتقلل الذكر، وتفتر عن عبادة الله.

القلب بين القوة والضعف:

انتبه يا أخي.. انتبه إلى قاعدة جهادك.. انتبه إلى الأساس، إلى البنيان، أساس البنيان الذي تقيم عليه بنيان الجهاد.

إن الذي يحمل الجهاد كله هو هذا القلب، فإذا كان قوياً كبيراً فإنه يحمل الحمل العظيم الكبير، وإن كان ضعيفاً هزيلاً، فلن يقيم لك حملا ولو كان خفيفاً.

قوّ قلبك، احرسه من الشيطان، وأحسن النار التي تطلقها على الشيطان، وأحسن سلاح تحرس به قلعة هذا القلب الكبير هو: ذكر الله عز وجل، ذكر الله، لأن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، ماداً خرطومه يكاد يلتقمه، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس.

---

(١) رواه مسلم. (٢) رواه مسلم.

والذكر كالكهرباء يحرق كل الشياطين، فلا تستطيع الشياطين الاقتراب من الذكر إن كان قوياً.

والذكر كالسلاح، إنما ينفع السلاح طردياً بقوة الساعد الذي يحمله، وإنما ينفع الذكر ويقوى طردياً بقوة القلب الذي يطلقه، فالسلاح هو الذكر، ولكن الساعد الذي يطلق على هذا السلاح، ويحمل هذا السيف هو له دور كبير، فلابد أن يكون القلب كبيراً حتى تكون الرمية قاتلة، والإصابة في مكانها، والشيطان، شيطان المؤمن، ضعيف بكثرة الذكر، لأنه محروم من الطعام مع المؤمن، ومن النوم مع المؤمن.

وفي الصحاح، في الأحاديث الصحيحة: **{إن المؤمن إذا دخل بيته عند المساء وذكر الله يقول الشيطان لصحبه: حرمنا المبيت هذه الليلة، فإن لم يذكر الله عز وجل عند الدخول يقول: أمنا المبيت هذه الليلة، فإذا وضع الطعام ونسي الله يقول: لنا المبيت ولنا الطعام هذه الليلة، وإن ذكر الله يقول حرمنا الطعام هذه الليلة}**[1].

فشيطان المؤمن ضعيف، صغير، حقير، لا يستطيع أن يشده، ولا أن يجذبه، ولا أن يقوده إلى مهاوي الضلال، وإلى مرادي الهلكة، لأنه لا يأكل ولا يشرب، محروم بالذكر الذي حرس المؤمن به نفسه.

وفي الحديث الصحيح: **{إذا خرج المؤمن من بيته وقال بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، قال له الملك هُديت ووُقيت وكفيت}**[2].

وقيت من شر الشياطين، وهديت إلى سواء السبيل، وكفيت من شرور الدنيا، وأبالسة الجن والإنس.. **{هديت ووقيت وكفيت، فينادي الشيطان صاحبه ويقول له: ماذا تفعل بعبد هُدي ووُقي وكفي}**.

فانتبهوا إلى الذكر، وفي روايات: أن بعض الشياطين لشدة الذكر على أنفسهم من المؤمن تصرع كما يصرع الذي يصاب بالكهرباء، إن الذي يمس التيار يحترق، وهذا الشيطان عندما يقوى الذكر عليه يصطرع، يصيبه الصرع والإغماء، فيمر عليه الجن فيقولون: ما له؟ فيقولون: صرعه الإنسي.. صرعه الإنسي بذكره.

يا أخي الكريم: إن المهمة عظيمة، ولا بد لها من دابة عظيمة، إن الطريق طويل، فلا بد له من فرس أصيل تحمل لك الحمل الثقيل، وتجتاز هذا الطريق الطويل، وفرسك الأصيلة التي تجتاز بها المفاوز، وتقطع بها المراحل، وتتخطى بها العقبات، هي قلبك الذي بين جنبيك، فقوِّه بذكر الله عز وجل، وقوِّه بمحبته، وقوِّه بالأنس به، قوِّ قلبك -يا أخي- بمعرفة الله عز وجل، وإطالة ذكره، ودوام مراقبته، كذلك والصلة به.

فيا أخي الحبيب: القلب القلب، وكما يقول ابن القيم رحمه: (إن في القلب وحشة لا يزيلها إلا الإيمان بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته، وصدق معاملته، وفيه فاقة -فقر- لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة أبدا).. إن في القلب وحشة لا يزيلها إلا الإيمان بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته.

فيا أيها الإخوة: احرسوا حصونكم من أعدائكم، ونوّروا بصائركم لتنير هذه الحصون، فلا يقتحمها الشيطان، وإن الذي ليس في قلبه شيء من القرآن.. **{إن القلب الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخرب}**[3].

فإياك أن يكون بيتك خرباً، تلعب فيه الجرذان، وتنخر فيه الجعلان، وتنزعه الشياطين شرقاً وغرباً، ومن كل جهة.

يا أخي الكريم: انتبه إلى قلبك لأنه حصنك وحصانك، لأنه دابتك، لأنه هو الذي يحمل أثقالك ليوصلها إلى الدار الآخرة، إنه مركبك الذي تركب عليه حتى يوصلك إلى جنات النعيم، فإياك إياك أن تغفل عن هذا الحصن، فتدخل فيه الوساوس، والشكوك، والحسد، والرياء.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

إن وحشة طريق الجهاد يبدلها الله أنسا، وإن مشقة القتال يبدلها الله سعادة، وإن القذائف التي تتصبب عليك من السماء كأنها حلوى نازلة عليك، تفرح بها الروح، ويسر بها القلب، ولكن بشرط واحد: أن يكون لك قلب..

---

(١) رواه مسلم ولفظه اذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله، قال الشيطان : ادركتم المبيت وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان: ادركتم المبيت والعشاء.

(٢) حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي وغيرهما بزيادة ويتنحى عنه الشيطان، أنظر الترغيب والترهيب المجلد الثاني / ص ٤٥٨٢ .

(٣) رواه الحاكم والترمذي وقال حديث حسن صحيح بدون لفظ القلب انظر الترغيب والترهيب المجلد الثاني / ص ٣٥٩ .

ليكن لك قلب حتى يتذوق العبادة، ليكن لك قلب حتى يفرح بالصلة بالله عز وجل، ليكن لك قلب حتى يأنس في الطريق الموحشة لدى الجاهلين، والتي تنكبها معظم البشر، وليس فيها إلا القلائل، ولكن لا تستوحش بالطريق مع قلة السالكين، وإياك أن تسلك طريق الجهل، ولا يغرنك كثرة الهالكين، سر بطريق الله وإن كنت وحدك..

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا) (النساء: ٨٤)

ولقد أصبحت أدرك علامة الذي يريد الجهاد ببداية الانتقاد، أصبحت أعرف أن هذه علامة التعب والسقوط على الطريق، لأن القلب أوحش، والحمل ثقل، الظهر انكسر، ولم يعد به طاقة لمواصلة الطريق، فانس بالله، قوّ قلبك حتى يستعذب العبادة، ولا يعتبرها عذاباً، حتى تقول كما كان الصالحون يقولون يخاطبون ربهم:

عذابه فيك عذبٌ   وبعده فيك قرب

حسبي من الحب أني   لما تحب أحب

فيا أخي الحبيب: إياك أن يلعب الشيطان في قلبك، وأن يمتلك عليك نفسك ويجرك، انتبه لأن الإنسان قد يفقد قلبه وهو لا يدري..

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنكم إليه تحشرون) (الأنفال: ٢٤)

ولذلك ادعوا الله: يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك، ويا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.

انتبهوا من المعاصي، وإياكم والوساوس، إياكم والشكوك، إياكم وإفساد عبادتكم، إياكم وإفساد جهادكم، وانتبه إلى القلب، فإن فرغت طاقته فعبئها من جديد، وإن نفدت خزينته فاملأه من جديد، والزاد موجود، وقوت القلوب موجود.. إنه الذكر..

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (الرعد: ٢٨)

ويا أخي العزيز: إن رأيت اعوجاجاً في أخيك أو عيباً أو نقصاً، فيجب عليك أن تفاتحه، لأن المؤمن مرآة أخيه، ولكن إياك أن تلقي إعياءك، وتتبع جريرة تعبك تلقيها على كواهل الآخرين..

(ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً، ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) (النساء:١١١-١١٢)

فإن كان أعياك المسير، وأثقلك الطريق، ولم تعد تستطيع المواصلة، فلا تلق بذلك على جريرة غيرك، ولا تحمل تعبك بسبب أخطاء فلان، أو الأفغانيين، أو المعارك، أو الجبهات، قل شيئا واحدا، وكن صادقا، لا تجمع بين نكوص وكذب، لا تجمع بين إعياء عن العبادة، وبين الكذب على نفسك وعلى رب العالمين، قل -كن صادقاً- عادت نفسي مثقلة، وعاد قلبي مثخناً بالجراح لشدة ما أطلق عليه العدو من سهام وبات جريحا، لم يعد يستطيع أن يقوم بعمل، ولا أن يتحمل ثقلا.

يا أيها الإخوة: لا تكسبوا إثما (ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتانا وإثماً مبينا).

إن أردت مواصلة الطريق فحي هلا، إن أردت أن يتقبلك الله في الصالحين فامسك عليك هذا (اللسان)، واجعل عبادتك بينك وبين رب العالمين، وفاتح إخوانك بعيوبهم ونقائصهم من أي جنس كان، ومن أي عرق جاءوا، فاتحهم لأنك أنت هو وهو أنت، لأن المؤمنين كالنفس الواحدة..و**(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)**[1].

فيا أخي الحبيب: نرجو الله عز وجل أن يتقبل هجرتك، وأن يقبل جهادك، وأن يجعلك من الشهداء والصالحين، وأن يرفعك في الصالحين، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وإياك أن تقدم على عمل كجبال تهامة حسنات، فتجعلها بيدك حابطة.

---

(١) رواه مسلم.

وتجعلها هباء منثورا بلسانك، وأكثر ما يضيع أجرك هو لسانك، كم تتعب وأنت تتسلق جبال ننجرهار، أو ترتفع فوق ذرى الهندوكوش، أو تدخل فوق الجليد في مزار شريف؟ فإياك يا أخي الحبيب أن تبطل هذا العمل العظيم بهذه القطعة الصغيرة التي لا تزيد عن بضعة سنتيمترات.

انتبه، واحفظ جهادك، وأثبت أجرك، وإياك إياك أن تكذب على نفسك، فإنك قد تخدع الناس، ولكن الله لا يمكن أن يخدع، فإياك أن تعامل الله كما قال أيوب السختياني: (إنهم يخادعون الله كما يخادعون صبيًا) إياك أن تخادع الله، فإن الله لا يخدع، وإن الله لا يمكر عليه، وإن الله لا يخفى عليه خافيا، كن صادقاً وصريحاً مع نفسك، وكما قال ﷺ لبعض النساء الجائعات، وقد عرض عليهن لطعام، فقال لهن: أن يأكلن، فقلن: لسنا جائعات، فقال: {لا تجمعن بين جوع وكذب}[1].

فأنت لا تجمع بين نكوص وكذب، لا تجمع بين ثقل نفسك وبين الكذب على نفسك، والكذب على المؤمنين.

فانتبه إلى قلبك، ونرجو الله أن لا يحول بيننا وبين قلوبنا، وأن لا تلبّس علينا أمورنا، وأن لا نكون من الأخسرين أعمالا

(الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (الكهف: ١٠٤)

حديث للشباب المسلم

الله عز وجل يقول في كتابه العزيز، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

(يا أيها الذي آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (المائدة: ٥٤-٥٦)

يحبهم ويحبونه:

الله عزوجل بيّن صفات الذين يحبهم ويحبونه: أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم.

هذه الآية بعد أن ذكر الله عز وجل آيات تحكيم الكتاب، الحكم بما أنزل الله، وبين أن ترك الحكم بما أنزل الله، أو رد الحكم بما أنزل الله كفر وفسق وظلم، بين كذلك أن هذا الكتاب أنزل ليطبق في الحياة:

(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم) (المائدة: ٤٨)

ثم ذكر الله عز وجل بعدها بآية:

(أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (المائدة: ٥٠)

وقال بعدها بآية:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن

[1]- رواه ابن ماجه وأحمد والطبراني في الكبير وقال الهيثمي في مجمع الزوائد الجزء الرابع ص (٥٤) حديث حسن.

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد   وينكر الفم طعم الماء من سقم

ليكن لك قلب حتى يتذوق العبادة، ليكن لك قلب حتى يفرح بالصلة بالله عز وجل، ليكن لك قلب حتى يأنس في الطريق الموحشة لدى الجاهلين، والتي تنكبها معظم البشر، وليس فيها إلا القلائل، ولكن لا تستوحش بالطريق مع قلة السالكين، وإياك أن تسلك طريق الجهل، ولا يغرنك كثرة الهالكين، سر بطريق الله وإن كنت وحدك..

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا) (النساء: ٨٤)

ولقد أصبحت أدرك علامة الذي يريد الجهاد ببداية الانتقاد، أصبحت أعرف أن هذه علامة التعب والسقوط على الطريق، لأن القلب أوحش، والحمل ثقل، الظهر انكسر، ولم يعد به طاقة لمواصلة الطريق، فأنس بالله، توّ قلبك حتى يستعذب العبادة، ولا يعتبرها عذاباً، حتى تقول كما كان الصالحون يقولون يخاطبون ربهم:

عذابه فيك عذبٌ   وبعده فيك قرب

حسبي من الحب أني   لما تحب أحب

فيا **أخي الحبيب:** إياك أن يلعب الشيطان في قلبك، وأن يمتلك عليك نفسك ويجرك، انتبه لأن الإنسان قد يفقد قلبه وهو لا يدري..

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنكم إليه تحشرون) (الأنفال: ٢٤)

ولذلك ادعوا الله: يا مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك، ويا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.

انتبهوا من المعاصي، وإياكم والوساوس، إياكم والشكوك، إياكم وإفساد عبادتكم، إياكم وإفساد جهادكم، وانتبه إلى القلب، فإن فرغت طاقته فعبئها من جديد، وإن نفدت خزينته فاملأه من جديد، والزاد موجود، وقوت القلوب موجود.. إنه الذكر..

(الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) (الرعد: ٢٨)

ويا **أخي العزيز:** إن رأيت اعوجاجاً في أخيك أو عيباً أو نقصاً، فيجب عليك أن تفاتحه، لأن المؤمن مرآة أخيه، ولكن إياك أن تلقي إعياءك، وتتبع جريرة تعبك تلقيها على كواهل الآخرين..

(ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليماً حكيماً، ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) (النساء:١١١-١١٢)

فإن كان أعياك المسير، وأثقلك الطريق، ولم تعد تستطيع المواصلة، فلا تلق بذلك على جريرة غيرك، ولا تحمل تعبك بسبب أخطاء فلان، أو الأفغانيين، أو المعارك، أو الجبهات، قل شيئا واحدا، وكن صادقا، لا تجمع بين نكوص وكذب، لا تجمع بين إعياء عن العبادة، وبين الكذب على نفسك وعلى رب العالمين، قل -كن صادقاً- عادت نفسي مثقلة، وعاد قلبي مثخناً بالجراح لشدة ما أطلق عليه العدو من سهام وبات جريحا، لم يعد يستطيع أن يقوم بعمل، ولا أن يتحمل ثقلا.

يا أيها الإخوة: لا تكسبوا إثما **(ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتانا وإثماً مبينا).**

إن أردت مواصلة الطريق فحي هلا، إن أردت أن يتقبلك الله في الصالحين فأمسك عليك هذا (اللسان)، واجعل عبادتك بينك وبين رب العالمين، وفاتح إخوانك بعيوبهم ونقائصهم من أي جنس كان، ومن أي عرق جاءوا، فاتحهم لأنك أنت هو وهو أنت، لأن المؤمنين كالنفس الواحدة..و**{مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى}**[1].

فيا **أخي الحبيب:** نرجو الله عز وجل أن يتقبل هجرتك، وأن يقبل جهادك، وأن يجعلك من الشهداء والصالحين، وأن يرفعك في الصالحين، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وإياك أن تقدم على عمل كجبال تهامة حسنات، فتجعلها بيدك حابطة.

---

(١) رواه مسلم.

وتجعلها هباء منثورا بلسانك، وأكثر ما يضيع أجرك هو لسانك، كم تتعب وأنت تتسلق جبال ننجرهار، أو ترتفع فوق ذرى الهندوكوش، أو تدخل فوق الجليد في مزار شريف؟ فإياك يا أخي الحبيب أن تبطل هذا العمل العظيم بهذه القطعة الصغيرة التي لا تزيد عن بضعة سنتيمترات.

انتبه، واحفظ جهادك، وأثبت أجرك، وإياك إياك أن تكذب على نفسك، فإنك قد تخدع الناس، ولكن الله لا يمكن أن يخدع، فإياك أن تعامل الله كما قال أيوب السختياني: (إنهم يخادعون الله كما يخادعون صبيًا) إياك أن تخادع الله، فإن الله لا يخدع، وإن الله لا يمكر عليه، وإن الله لا يخفى عليه خافيا، كن صادقاً وصريحاً مع نفسك، وكما قال ﷺ لبعض النساء الجائعات، وقد عرض عليهن لطعام، فقال لهن: أن ياكلن، فقلن: لسنا جائعات، فقال: [لا تجمعن بين جوع وكذب][1].

فأنت لا تجمع بين نكوص وكذب، لا تجمع بين ثقل نفسك وبين الكذب على نفسك، والكذب على المؤمنين.

فانتبه إلى قلبك، ونرجو الله أن لا يحول بيننا وبين قلوبنا، وأن لا تلبّس علينا أمورنا، وأن لا نكون من الأخسرين أعمالا

(الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (الكهف: ١٠٤)

حديث للشباب المسلم

الله عز وجل يقول في كتابه العزيز، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

(يا أيها الذي آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (المائدة: ٥٤-٥٦)

يحبهم ويحبونه:

الله عزوجل بيّن صفات الذين يحبهم ويحبونه: أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم.

هذه الآية بعد أن ذكر الله عز وجل آيات تحكيم الكتاب، الحكم بما أنزل الله، وبين أن ترك الحكم بما أنزل الله، أو رد الحكم بما أنزل الله كفر وفسق وظلم، بين كذلك أن هذا الكتاب أنزل ليطبق في الحياة:

(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهوائهم) (المائدة: ٤٨)

ثم ذكر الله عز وجل بعدها بآية:

(أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (المائدة: ٥٠)

وقال بعدها بآية:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن

---

[1]- رواه ابن ماجه وأحمد والطبراني في الكبير وقال الهيثمي في مجمع الزوائد الجزء الرابع ص (٥٤) حديث حسن.

تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرّوا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد إيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) (المائدة: ٥١-٥٤)

أنزل الله هذا الدين ليحكم به، وليطبق في الحياة.

سبب عدم تطبيق الكتاب شيئان اثنان:

١- ولاية غير المسلمين.

٢- وترك الجهاد.

والجهاد مرتبط بعدم الخوف من اللوم،، والذي يريد أن يجاهد يجب أن لا يتلفت حوله، لا ينظر إلى القوى العالمية، ولا إلى القوى المحلية، ولا إلى عتاب الأصدقاء، ولا إلى قوة الأعداء، ولا يتخوف من المكائد، حتى يتشفى به الحاقدون، أو تطمئن بنتيجته ومقتله قلوب الحاقدين، قال:

(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا) (المائدة: ٤٤)

فتطبيق الكتاب يحتاج إلى عدم خشية الناس، إلى عدم النظر إليهم، وهو يحتاج إلى قائم بتطبيق كتاب الله عز وجل وتطبيق الشريعة، على النفس وفي الحياة على قاعدة لها ثلاث دعائم:

١- عدم خشية الناس.

٢- خشية الله.

٣- عدم المتاجرة بالدين **(ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا)**.

ولذلك كما قال الفضيل بن عياض -أو بشر الحافي واحد منهما- قال: وضع الشر كله في مكان ووضع له مفتاح: الطمع في الدنيا، ووضع الخير كله في مكان ووضع له مفتاح: الزهد في الدنيا **(فلا تخشوا الناس واخشوني، ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا)**.

فالجهاد وعدم ولاية أعداء الله عز وجل، وعدم خشية الناس، التي هي وجه ملاصق وضروري لا ينفك عن الجهاد **(فلا تخشوا الناس واخشوني)** خشية الله **(ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا) (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)**.

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: **أخذ علينا رسول الله ﷺ -أو بايعنا- رسول الله ﷺ، على السمع والطاعة في المنشط والمكره وأن نقول الحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم**[1] حديث صحيح.

وكل أمر هذا الدين قائم في عدم النظر إلى الدنيا، وعدم خشية الناس، وعدم التلفت إليهم، ولا إلى دنياهم، ولذلك لن تكون خالصا ولا مخلصا، إلا إذا استوى عندك مدح الناس وذمهم، إن كنت على الحق **(فلا تخشوا الناس واخشوني)**

الأتقياء الأخفياء.

ولذلك كان الصالحون رضوان الله عليهم، يحرصون ألا يظهر خيرهم على الناس، ولا مانع عندهم، بل يحب بعضهم أن يعرف عيوبهم الناس، حتى لا يظنوا بهم خيرا كثيرا، فكان أحمد بن حنبل إذا مر بالأسواق أحب أن يسير بين الحمالين -بين العتالين- حتى لا يحتفي الناس به ويبجلونه ويظهرون الإحتفاء **(فلا تخشوا الناس واخشون) (ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا)**.

بل كانوا ينظرون إلى أكثر من هذا، كانوا إذا أعجبتهم نفوسهم يظهرون عيوبهم للناس.

عمر رضي الله عنه، جمع الناس في غير صلاة، ووقف على المنبر، وقال: (أيها الناس، لقد كنت في مثل هذا العام قبل سنوات، أرعى الغنم على قراريط في مكة، ثم نزل، قال عبدالرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين ما زدت إلا أن حقرت نفسك، قال: هذا الذي

(١) أنظر البداية والنهاية الجزء الثالث / ص ١٦١ قال الحافظ ابن كثير اسناده جيد قوي.

أردت).. والقصص كثيرة في هذا.

كان عمر بن عبد العزيز إذا كتب رسالة وأعجبته مزقها، مزقها حتى لا يدخل في نفسه شيء من العجب.

وكان ابن تيمية عندما يقولون له: لقد هدى الله بك الناس، ويمدحونه، يقول: والله ليس مني شيء، ولا لي شيء، ولا فيّ شيء.

ولذلك المسلم من السنة التي علمنا إياها رسول الله ﷺ: أن يكثر من قول: **(لا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول ولا قوة إلا بالله)**[1].

التبرؤ من الحول والقوة والطاقة والعلم وغير ذلك، وإرجاعه إلى الله عز وجل، (لا) نافية للجنس، لا حول ولا قوة إلا بالله، فالقوة لله، والحول لله عز وجل.

منه وإليه:

وأنت ماذا؟! ماذا تساوي؟! إذا ارتفعت فالله هو الذي رفعك، وإذا اغتنيت الله هو الذي أغناك، وإن تعلمت الله هو الذي علمك، وإن أجدت الخطابة الله هو الذي منّ عليك، وإن كان لك صحة ففضل من الله، وإن كان لك قبول بين الناس وود وحب، فهو من الله عز وجل، كله من الله وإلى الله..

(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب) (آل عمران: ٢٦-٢٧)

فمن الله وإلى الله، فالصحة من الله، والمال من الله، والدنيا ومناصبها كله من الله عز وجل، وهو ابتلاء لك، ليعلم ماذا تفعل، ماذا تعمل، وكله أنت محاسب عليه، عمرك، وظيفتك، شبابك، مالك، صحتك، كله محاسب عليه، لا تظن أن شيئاً بدون حساب، فهذه الصحة.. صحة الشباب، الله عز وجل يحاسبك عليها، كيف أنفقتها؟ وأين ذهبت؟ **(لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه)**[2].

ماذا فعلت في هذا الشباب وفي هذه الطاقة، وفي هذه الصحة هل انفقتهما على الفراش، وفي التقلب على الرياش، والتجول بين المدن وبين الأحبة والإخوة، وعندك أناس يذبحون ويشردون ويقتلون وهم على مرأى منك، وأنت لا تنظر إليهم لأن الشباب ينفق في مجال آخر، وأنت ارتضيت هذا وتمني نفسك أنك تعمل للإسلام، يكفي مني أن أحضر احتفالاً في الشهرين مرّة، عن ذكرى المولد النبوي، أو عن ذكرى الاسراء والمعراج أو عن ذكرى (١٧) رمضان، أو (١٥) أيار، أو يوم الأرض، أو يوم بلفور، الحمد لله، حضرنا، وإخواننا كثيرون ومسرورون وهتفنا.. فقط؟!

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله — لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

الصبر المرّ حتى تذوق المرّ.

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (آل عمران: ١٤٢)

تظن أن تذهب إلى الجنة بدون جهاد وبدون صبر؟ (أم حسبتم) يعني هل تظنون أنكم تذهبون إلى الجنة قبل الجهاد وقبل الصبر، إن ظننتم هذا فأنتم مخطئون.

بشير بن خصاصية قال: يا رسول الله، نبايعك على... فعدد له صلاة وصيام وصدقة والحج والجهاد قال: اثنتان لا أستطيعهما -الحديث حسن- قال: الصدقة والجهاد، والبقية أنا أعاهدك عليها، قال:

[يا بشير لا جهاد ولا صدقة، فبم تدخل الجنة؟ يا بشير لا جهاد ولا صدقة، فبم تدخل الجنة؟][3].

يعني لا يوجد جنة بدون جهاد ولا صدقة، قالها ثلاثاً ﷺ: (قال: فبايعت رسول الله ﷺ **(ولا تشتروا بآيات الله ثمناً قليلا)**.

عندما دخل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- البصرة، وجد الناس يدرسون في المسجد -كان الحسن البصري صغيرا-،

---

١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما. (٢) حديث صحيح رواه الترمذي عن ابن مسعود، انظر سلسلة الاحاديث الصحيحة رقم ٩٤٦ .

٣) رواه أحمد أنظر تفسير ابن كثير في سورة الأنفال المجلد الثاني/ ص ٢٩٤ .

وكان القصاصون والمحدثون في المسجد، كل واحد له حلقته وله درسه، فاختبرهم علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وكل واحد يختبره -يقول له: أنت لا تخطب ولا تحدث، حتى أقبل على الحسن البصري وكان غلاماً يافعاً-. (قال: يا غلام ما الذي يصلح الدين ويفسده؟ قال: يصلح الدين الورع، ويفسد الدين الطمع) شيء بسيط.

طمع العلماء:

لماذا ذهبت البلدان؟ ولماذا ضاعت الأعراض؟ ولماذا ظلم الناس؟ ولماذا قتل العلماء؟ ولماذا شُرد الأبرياء؟ ولماذا خرجت النساء إلى الشوارع سافرات؟.. ولماذا...؟.

أليس هو طمع الذين جعلهم الله حراسا لدينه في دنيا حكامهم؟ طمع العلماء في دنيا الأمراء، هو الذي أضاع الدين والدنيا معا، ولذلك الفضيل كان يقول: "بئس العالم تسأل عنه فيقال لك: على باب الأمير، وحذيفة رضي الله عنه كان يقول: (إنها فتن على أبوابهم كمبارك الإبل)، أرأيت مبارك الإبل والبول والغوط وما إلى ذلك؟! الفتن على أبواب السلاطين كمبارك الإبل.. إنها الفتنة، وكان يقول: (والله لا تأخذوا من دنياهم شيئا إلا أخذوا من دينكم ضعفين). على حسابكم هم يركبون سيارات، ويبنون عمارات،، ويتزوجون الغانيات، على حساب سكوتهم على دينهم، على ظلمهم.

قالوا للشعبي: يا أبا محمد، قد أحييت العلم، وكثر طلابك، قال: لا تحسدوني، ولا تعجبوا، فثلث يموت صغيراً، وثلث يتبع الحكام، وهؤلاء شر من الموتى، وقليل من الثلث الثالث يفلح، ثلث يموت، وثلث يصبح قضاة ومفتين على أبواب السلاطين، والثلث الثالث قليل ما يفلح.. (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا).

دع الجيفة للكلاب

المسألة – والله يا إخوان – لو حسبناها بمعادلة بسيطة -سبحان الله – ما أتفه الدنيا، وما أحقرها، وما أقلها! :

وما هي إلا جيفة مستحليـــة	*عليها كلاب همهن اجتذابها*
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلها	*وإن تجتذبها نازعتك كلابها*

ولذلك دع الكلاب فيما هي عليه متقاتلة، فأنا أشبه لكم الدنيا عند ربنا – ولله المثل الأعلى – أنت إذا أكلت لحما يبقى بعد اللحم العظام، هذه العظام تلقيها على باب دارك، أو تابه أي كلب من كلاب الجيران يأخذ عظمة كبيرة، وأي كلب يأخذ عظمة صغيرة، فالذي يأخذ عظمة كبيرة، رئيس دائرة أو وزير، أو رئيس وزراء، والذي يأخذ عظمة صغيرة يكون كناسا، أو كاتباً في شركة، أو مسكيناً، تعب من الصباح حتى المساء، حتى يحصل لقمته، عظمته صغيرة لا يسد منها شيء – ولله المثل الأعلى – هكذا الدنيا عند الله عز وجل، يرميها للكلاب، فكلب يخرج له عظمة كبيرة، وكلب يخرج له عظمة صغيرة، وانظر إلى الكلاب وهي تتهارش على عظمة صغيرة، انظر إليهم.

ولذلك لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء.

بالله عليكم، لو الدنيا تساوي عند الله شيئا هل يجعل حافظ الأسد رئيس جمهورية؟.. هل يمكن هذا؟ ويجعل ريغان رئيس الولايات المتحدة أكبر دولة في العالم؟! ولكن لا تعدل عند الله جناح بعوضة، لأنها لو كانت تعدل ما سقى منها كافرا شربة ماء.

فعندما دخل عمر على رسول الله ﷺ، ورآه متكئا على حصير قد أثرّ في جنبه، بكى، قال: يا رسول الله، أنت ها هنا وكسرى وقيصر على الأسرة؟! قال:

«أوفيّ شك يا عمر! أولئك قوم عجلت إليهم طيباتهم في الحياة الدنيا» [1]

(ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) (الاحقاف: ٢٠)

وضع طعام شهي أمام عمر بن الخطاب، فبكى، وقيل: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ قال: أخاف أن تكون ممن قال الله فيهم: (أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها).

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

فما الفرق الآن بين أفقر أفغاني في هيرات، وبين أغنى أمريكي في فلوريدا؟ فقط أن هذا قطعة اللحم أو العظم كبيرة، وهذا قطعة العظم صغيرة، وهذا الأفغاني ينام مطمئنا مرتاحا بعد أن يأكل قطعة الخبز الجافة مع الملح، وذاك فيه القرح، وتصلب الشرايين، والضغط، والأزمات، والقلق النفسي.. غير ذلك؟، ودائما معه حقيبة الحبوب، إذا تأخرت عنه ست ساعات يبدأ يتأوه.. نعم لا فرق طبعا، هذا إذا تغاضينا عن الناحية النفسية، السعادة الغامرة التي يفيضها رب العالمين على النفس التي تعبده.

ولذلك أنت من ناحية الجهاد، إن نظرت إلى أصل القضية تهون الدنيا في نفسك، وإن نظرت إلى النتيجة ينبعث الشوق في قلبك، وإن نظرت إلى الواقع الذي أنت فيه كذلك تستريح لما أنت فيه، الأصل أن الدنيا التي تركناها لا تعدل عند الله جناح بعوضة، ولا عدل الجدي الميت كما قال الرسول ﷺ.

فنحن لم نترك شيئا، والواقع

«عليكم بالجهاد، فإنه باب من أبواب الجنة، يذهب الله به الهم والغم».

والنتيجة إنما هي إحدى الحسنيين

{قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا} (التوبة: ٥٢)

الجهاد أصلا وواقعا، ونتيجته هو أفضل وسيلة للنفس البشرية، لكن الجهاد لا يمكن أن يكون إلا بالولاية، يعني الجهاد ليس عملية فردية، لولاية المؤمنين، ومعاداة الكافرين..

{لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء} {ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون}.

مع ولايتك للمؤمنين، ونصرتك لهم، ووقوفك بجانبهم، ومعاداتك عدوهم، ومشاركتهم آلامهم، ومشاطرتهم أفراحهم.. هذا شيء ضروري لا ينفك عن الجهاد، {ولا تخشوا الناس واخشون} عدم خشية الناس، خشية الله عز وجل {ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا} عدم النظر إلى الدنيا، وولاية المؤمنين، هذه أحكام أربعة مهمة جدا، من أجل الجهاد الذي هو النجاة.

هواجس

فالناس يقولون: النفس البشرية دائما في ميادين الشدة تسأل.. تسأل صاحبها - وهذا مدخل الشيطان -: علام حبست نفسك؟ ولماذا تركت أرضك وأهلك؟ إن قتلت فوراءك الأرملة الجميلة! ووراءك الأولاد المدللون!.. إلى من تتركهم؟ وإن بقيت هذه الأسرة التي تركتها، على من تركتها؟ لقد كنت في بلدك حولك مجموعة من الشباب الصغار والرجال الكبار، يعرفون قيمتك ويقدرون قدرك، تركتهم وجئت، وحبست نفسك بين الشعاب والأودية، لا يراك إلا رب العالمين، ولا يسمعك إلا الجن والملائكة، لا ترى الإنس إلا قليلا، إن تكلمت لا يسمعون لك، فأنت في خضم متلاطم، من ماذا؟ من مشاكل الجهاد، فارجع إلى بيتك، فهناك الجهاد، وهناك الإعداد، وهناك الرباط، أما هنا فبقاؤك عبث، ووجودك لعب، فأنت ثقل على الجهاد، تأكل من أكلهم، وتشرب من شربهم، وتعيق حركتهم، فأولى بك أن تستحي على نفسك، وتخجل من ذاتك، وتلم أذيالك، وتعود من حيث أتيت، هكذا يبدأ الشيطان.

لكن أليس للنفس البشرية، وللقلب المؤمن المتفتح الواعي الصادق الخاشع أن يقول: أيها الشيطان، أليس هؤلاء إخواني يجب أن أواليهم؟ أليسوا أوليائي يجب أن أنصرهم؟ أليسوا أحبائي أحب لهم ما أحب لنفسي؟.

لو كانت أفغانستان التي تثخن بجراح الكفار، وتنزف دماؤها، لو كانت أفغانستان ابنتي الصغيرة أو ولدي الصغير، هل أنا تاركه؟ أقول: إن هذا يستحيل علاجه أو يصعب علاجه، فلا أتركه بين براثن المرض تفترسه الآلام، وتأكله الأمراض، ألا أبحث هنا وهناك، وأتنقل هنا وهناك، وأسأل عن الطبيب المختص، وأجمع المال من هذا وأستدين من هذا، وأبيع أرضي وداري ونفسي إن استطعت، وآخذه إلى أقصى الدنيا لعلي أخفف آلامه أو أنقذه من بين هذه المتاعب، لو كان دين الله الذي يجتث الآن من الأرض جتثاثا، لو كان أخي أو والدي أو زوجتي، لو كان دين الله مثل زوجتي عندي، هل أتركه هكذا، يتناوشه الأعداء؟! لكن الحقيقة أن دين الله عز وجل نحن بواقعنا العملي نطبق قاعدة البعثيين: (الدين لله والوطن للجميع).

ثانياً

الدين لله (إن للبيت رباً يحميه) قالها عبد المطلب، لكن هذا الدين لي، والدين لا يقدم عليه شيء، كل الشرائع جاءت تحافظ على الضروريات الخمس: الدين، النفس، العرض، العقل، المال. هذه الضروريات، الدين أولاً، فإذا تعارض بقاء الدين مع بقاء النفس، يضحى ببقاء النفس من أجل بقاء الدين، ولذلك المرتد يقتل، لأنه تعارض بقاء النفس مع بقاء الدين، إذا دخل العدو نقدم قسماً من المسلمين يقتلون من أجل الحفاظ على الدين، إذا أسر العدو مجموعة من الأسرى المسلمين وتترس بهم - وضعهم أمامه، وسار خلفهم- يجب على المسلمين أن يقتلوا أسرى المسلمين حتى يصلوا إلى الكافرين فيقتلوهم، ويحموا ديار الإسلام.

ولذلك تقتل مجموعة من المسلمين مهما كانت كبيرة، من أجل الحفاظ على الدين والعرض والمال والديار.

فيا ترى.. هل دين الله عز وجل أقل قيمة من أزواجنا أو من أولادنا؟ احسب كم تتألم على ابنك إذا تألم، وإذا مرض ابنك لا تفارقه، وإذا كانت زوجتك في المخاض تبقى أنت في المخاض، أنت في مخاض الأفكار والآلام حتى تضع، فتضح عنك الآلام، أثناء وضع زوجتك يكون عقلك هناك في المستشفى، ليس عندك، يعني في فترة حرجة، والمرأة - الزوجة - تتعرض لها، فإذا كان دين الله في المخاض وأنت تتسلى.. تتسلى ولو بقراءة القرآن.. فهل يقبل الله منك؟! يقبل الله منك ولو أن تنشغل عن دين الله بتلاوة القرآن؟، يوجد أفضل من تلاوة القرآن؟ طفل أمامك، وأنت تتعلم التجويد، وتقرأ القرآن على شاطيء البحر، أويجوز لك أن تقرأ القرآن وهو يغرق؟! إن القرآن الذي تقرؤه يلعنك، يلعنك لأنك تركت الفريضة وتشتغل بالسنة، رجل يقوم الليل كله، ثم يذهب عليه فرض الصبح! ماذا يساوي كل القيام؟ ماذا يساوي قيام الليل كله، بالنسبة لركعتي الفريضة؟!.

فيا أخي: أنت ألا توالي المؤمنين؟ أنت تقول: لقد ملت نفسك، لماذا؟ لماذا ملت نفسك؟ من خلافات الأفغانيين، إن القضية ليست خلافات الأفغانيين، إن القضية أن النفس تكره القتال، وتريد أن تتكلف بعذر وتبرير، بعذر وتبرير، فتبدأ التبريرات التي تخدع بها نفسك أنك رجعت لأنك مقتنع أن العمل الإسلامي ليس هنا، إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا أن نخرج الحيَّض إلى مصلى العيد من أجل تكثير سواد المسلمين، الحائضات لا يصلين، قال: هاتوهن، أمرنا أن نخرج العواتق والحيض يشهدن المصلى، لتكثير سواد المسلمين، وإغاظة لأعداء الله عز وجل.

إذا كان سعيد بن المسيب - رضي الله عنه - يخرج وقد كبر سنه وذهبت عينه، وهو مريض، قالوا: لقد وضع الله عنك الحرج فأنت عليل، قال: لقد استنهض الله الخفيف والثقيل، فقال:

(انفروا خفافا وثقالا) (التوبة: ٤١)

فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد، وحفظت المتاع.

صبر ومصابرة:

وكذلك سيد قطب كان جسمه لا يتحمل - هيكل عظم -، فكانوا يقولون له - أهله - نحن نريد أن نقدم طلباً للدولة، يخرجوك بعفو صحي، فكان يحذرهم.

المخابرات لا يجرؤون أن يأتوا إليه، ليقولوا له أنت قدم الاسترحام، يذهبون إلى أهله وأقاربه، أنتم قدموا الاسترحام ونحن نخرجه، فكان يحذرهم، وكان يقول: إن في صبرنا صبر للكثيرين، إن في صبرنا صبر للكثيرين.

أنت لو كنت جالساً وحدك، لو كنت جالساً وحدك هنا، ومعك واحد آخر، أنت تصبره وهو يصبرك، رجوعك إرجاع له، وثباتك تثبيت له، فكيف إذا كان إنسان معروفاً في المجتمع، وله وظيفته، وله شهادته، وقد ترك هذا وجاء لا يعمل شيئاً، فقط بجانب المجاهدين، يسمع ويحاول أن يقدم شيئاً، ولو أن ينقل الأخبار، ولو أن يزور (أرباب رود) فقط، كم تترك هذه من الآثار في أهل بلده وتلاميذه إن كان معلماً أو أستاذاً، وأسرته إن كان رب أسرة، وفي شركته، إن كان مهندساً، وفي مستشفاه، إن كان طبيباً، هذا الذي ترك المستشفى، وكان ذا مكان مرموق فيه، وكان راتبه لا بأس به، تركه وجاء إلى بيشاور، يعيش على الكفاف، ويتقلب بين الطين والتراب، وجاء بزوجته التي اعتادت أن تعيش الحياة المرفهة الناعمة، والبلاط النظيف، وغير ذلك، والذباب لا يعرف بيتها أبداً، تأتي إلى بيشاور، تعيش بين جموع المهاجرين والفقراء والمساكين والمشلولين وغير ذلك. كيف لا تترك أثراً؟ كيف ينسى الله عز وجل لك ذلك؟، الله عز وجل، ألا يعوضك سبحانه وتعالى؟ ألا يسبغ عليك ويسترك بجلابيب ستره؟ ألا يقلب هذا في نفس أهلك رضاً؟.

دائما أنا أذكر هذا – ونرجو الله عز وجل ألا يكون حبا في الظهور – أضرب هذا المثال عن نفسي، الحمد لله أنا متزوج، أذكر سنة ٦٨ – ٦٩م سقطت بقية فلسطين، والجيوش العربية انتقلت إلى خط الدفاع الثاني، صدقوا لما سمعت من الإذاعة أنه اضطر الجيش أن يترك الخط الأول، وينتقل إلى خط الدفاع الثاني، فكرت أنهم تركوا القدس وانتقلوا إلى شعفاط، أو بيت صفافا على بعد ٢كيلو – ٣ كيلو، المهم خط الدفاع الثاني – جبال السلط- سقطت وسقط المسجد الأقصى، واستقال عبد الناصر، وضحك على الناس، وبكى على التلفزيون وقال: امسحوها بهذه اللحية، قال: أنا أتحمل النتيجة، وأنا استقيل وأسلمها إلى أخي زكريا محي الدين، وكانت باصات الاتحاد الإشتراكي مجمعة آلاف الأوباش من الشوارع، حتى يعملوا مظاهرة، وخرجت الجماهير في ٩ أو ١٠ يوليو، وأرجعت عبدالناصر، وانتصر زعيم الشعب.

المهم سقط الأقصى، وسقطت الضفة الغربية، وخرجنا من الضفة الغربية، وعلى الطريق مسكوني اليهود – أنا خرجت ماشيا من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية على الأرجل- مسكوني اليهود، وكادوا يقتلونني، قالوا: ارفع يديك، فتشوني، لكن لا يعرفون من أنا، لو أراد واحد من الجيش الإسرائيلي يتسلى فينا فيقتل ٢ أو ٣ منا، المهم الله عز وجل قدر لنا أن ننجو، فوصلنا إلى عمان، وصرت أستاذاً في عمان، كنت في الضفة الغربية، وسكنا في عمان، لكن لا طعم للحياة، والله كنت في الليل، كنت ساكنا في جبل التاج تحتنا واد – النهر –، في الليل شباب (فتح والجبهة الشعبية)، يكونون مارين – أولاد صغار الذين تركوا مدارسهم – كانوا ينشدون:

بلادي بلادي بلادي لك قلبي وفـــؤادي

كنت أقول في نفسي: أليس عيبا يا عبدالله أن يسبقك هؤلاء إلى الجهاد؟ أي رجولة هذه التي تحملها؟ والله هؤلاء أولاد الشوارع يقولون: بلادهم أغلى، بلادنا فلسطين أغلى عليهم منا، فيضحون من أجلها، فنحن لا نضحي لفلسطين، لا نضحي للإسلام الذي فيه عزنا، والله كان هذا عاملا من العوامل التي حركتني، كنت استحي من نفسي عندما أرى هؤلاء الصغار، وبالليل خاصة، بالليل كان له وقع في نفسي.

فيوم من الأيام، الإخوان أرسلوا إلينا، جمعونا في دار الإخوان، فاتتني صلاة الصبح، فقالوا: من يريد الجهاد يرفع اصبعه، قلت: نائمين في عمان وصلاة الصبح تفوتنا؟! يكفي، خلاص، المهم قالوا: الذي يأتي، نحن مستعدون أن نكفله بطعامه وشرابه وملابسه، كانت فتح تعطي المتزوج ١٥ ديناراً، والأعزب ١٠ دنانير، ما تكفينا، فطلبنا من الإخوان١٠ دنانير كي نستطيع العيش، فكان راتبي ٢٥ دينارا.

طبعا استقلت من الوظيفة، الوزارة ما وافقت، قلت لهم: إذا ما قبلتم الاستقالة اعتبروني مستقيلاً، كنت متزوجا وعندي بنات اثنتين، أذكر أحد الإخوة – الشيخ سبيل – كان معنا في الجهاد، كان له بيت طين، قلنا له: يا شيخ سبيل، سكن زوجتي مع زوجتك، ما عندك غرفة طين تضعهم فيها؟، قال: موجودة، فأسكناها في بيت عند الشيخ السبيل، غرفة طين ٢.٥م / ٣م، ليس معها مطبخ ولا حمام ولا شيء.. والله لا يتبعها شيء، غرفة طين!!

المهم قعدنا في الجهاد ما شاء الله أن نقعد، وكانت عمليات قليلة، نحن جالسون في المغارة، يمضي علينا ٤ – ٥ أشهر حتى نجري عملية واحدة، وتاركين الأمل، وهناك ضبط وربط، ممنوع تذهب أجازه إلا مرة واحدة، كل شهر يوم ونصف.

المهم، خرب العمل الفدائي، ورجعنا أساتذة ثم عملت استاذ شريعة، ثم حصلت على الدكتوراه وأصبحت الشهادة طويلة، ودخلنا الجامعة الأردنية، وصرت أستاذاً في الجامعة، وزاد الطين بلة، مرةً تقول لي أهلي-زوجتي- ما مر علينا أيام أسعد من الأيام التي كنت فيها في الجهاد، ولا أهنأ، ولا أوفر، ولا أيسر من تلك الأيام، قالت: كنتَ تعطينا ١٥ دينار أردني، وكنت تبقي لك ٥ دنانير مصروف، لكن كنا نوفر، اليوم راتبي أكثر من ٢٠ أو ثلاثين ضعفا، عشرين ضعفا من هذا!! ونتمنى أن نأكل طبخة لذيذة في البيت، أنا كنت أستاذا في الجامعة لكن ما كنت أشتري الفاكهة إلا عندما يأتينا ضيف، للضيف ليس لأولادي، لا أستطيع، ضيوفي كثيرين، تقريباً نستطيع أن نعيش بالخبز والرز.

تصور، هي تقول: ما مر علينا فترة أيسر – يعني ماديا- في الجامعة مدينون، ولكن في الجهاد خمسة عشر ديناراً كانت تكفي، قالت: كنت أريد أن أشتري ثوبا جديدا فأستحي، أريد أن أشتري خزانة جديدة أو سرير أو غيره جديد فأستحي، أقول: هو الصبح أو المغرب يأتي مقتول، كيف ألبس ثوبا جديدا وأقابله شهيدا.

فأنت عندما تدخل الجهاد، كل الناس يدخلون معك في خط الجهاد، تتوقف الكماليات، فلابد من التوفير.. لابد من التوفير، لكن

حب الدنيا، وطول الأمل، هذا الذي يجعلنا نغير الطقوم، نغير الفراش، نغير غرف النوم وما إلى ذلك، لكن واحدة تعيش مع زوج يخرج في الصباح لا تظن أنه يرجع في المساء.. (عش في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)[1] إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، هذه عندما وقت أوعند أولاده وقت يفصلوا ثياباً وبدلات وغيره!! أصعب شيء كان علينا في التجربة: الصبر على الرباط، دخول المعركة شيء سهل، لكن في انتظار المعركة هذا الوقت الطويل، وبين حقول الألغام التي تحيط بك، الأعداء من كل جانب، هنا الجبهة الديمقراطية، وهنا الجبهة الشعبية، وهنا الجناح اليساري في فتح، وهم ناقمون علينا، فكنا نحرس أنفسنا ممن حولنا أكثر من اليهود، والله أحيانا نبقى شهرا أو أكثر.. أذكر مرة شهر كامل في حالة استنفار، نبيت تحت الأشجار، لا ندخل خيامنا أبدا، كل اثنين ثلاث نائمين تحت شجرة، نخشى أن يهجم علينا الفدائيون اليساريون والشيوعيون وغير ذلك، وتصور أحيانا في هذه الحياة وأنت كل خمسة أشهر يُسمح لك بنزلة على النهر، أي عملية»

فالصبر على انتظار المعركة هو أصعب شيء في عملية الجهاد، ولذلك الصبر على الجهاد هو أهم من الجهاد، ومن هنا رب العالمين قال: {يا أيها الذين آمنوا اصبروا} - فقط اصبروا - {وصابروا} لأن النفس لا تصبر، وصابروا، عملية مفاعلة .

(يأيها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران: ٢٠٠)

أين الرابطة العالمية؟؟

ثم يا إخوة إذا تركنا كل شعب بنفسه يواجه مصيره، نترك الفلسطينيين يواجهون مصيرهم، ونترك الأفغانيين يواجهون مصيرهم، ونترك الفلبين تواجه مصيرها بنفسها، فأين أخوة الإسلام؟ وأين عالمية الإسلام؟ إذن القومية أقوى تأثيرا على نفوسنا من الإسلام، لأن هنا القبيلة يعتدى عليها، فتهب كلها لحماية أبنائها.. نعم، وتجد الواحد منهم يدخل عليه مائتين روبية وثلاثمائة روبية أو أربعمائة روبية باكستانية، خمسمائة روبية وفي بيته أكثر من عشرين واحدا، وخمسة وعشرين يعيلهم من هذه الخمسمائة روبية، من هذا؟ هذا جريح ابن عمي، ومن هذا؟ هذه أرملة جاري، ومن هذه؟ هذه أرملة أخي الذي استشهد، ومن هذه؟ هذه ابنة عمي التي قتل زوجها في المعركة.. ومن..؟ عشرون واحداً وواحدة يعيشون في مكان واحد على ثلاثمائة أو أربعمائة روبية!! لماذا يجمع هذا كله؟ لأنهم أبناء جيرانه وقبيلته وعشيرته، إذن العصبية القبلية أقوى تأثيرا على نفوس المسلمين من الإسلام.. أليس كذلك؟

إن المعركة ليست إسلامية، معركة قومية، وإنما الله عز وجل سبحانه ساق بقدر منه المعركة على المسلمين فصارت القضية إسلامية، لكن أين هي عالمية الإسلام؟ أين أخوة الإسلام؟ أين موالاة المؤمنين؟ أين نصرة المسلمين؟ هل بقي للمسلمين عذر وقد فتح باب الجهاد؟ يقولون فيه خلاف!! ألا تجد بين ألف جبهة في داخل أفغانستان، جبهة قائدها رجل طيب وفيها أناس طيبون، ويقاتلون من أجل لا إله إلا الله، فستجد.. أدخل جبهة من هذه الجبهات وابق معهم حتى تلقى الله عز وجل أو نصره.

حاجة النفس للجهاد

ليس لك عذر عند الله عز وجل، وليس لنا أن نقول: نحن نجمع له الناس.. لا.. النفس البشرية بحاجة إلى عبادة الجهاد كحاجتها إلى الطعام والشراب، حاجة النفس البشرية لا تصقل، ولا تنظف، ولا تزول أدرانها، ولا تتخلص من شوائبها وأوساخها إلا تحت بارقة السيوف.

أصحيح أن واحداً يتعرض للقنابل والقصف من هنا فتنفجر بين رجليه قنبلة، ولا يجرح، هذه عقيدة القدر وعقيدة الأجل.

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) (آل عمران:١٤٥)

هذا مثل واحد قاعد يكتب وهو نائم على فرشة اسفنج، أو قاعد وراء المكتب فضيلة الأستاذ الدكتور البروفيسور فلان يكتب عن الجهاد.

مرة كنت في الحج سنة ٧١م - واحد وتسعين هجرية - كنا خارجين من التجربه المرة في الاردن، تجربة الجهاد مكثنا ننادي بالمسلمين.. يا مسلمين تعالوا، قالوا: القيادات الاسلاميه ما قررت، ما وافقت القيادات الاسلاميه وما قررت أننا نريد أن ندخل المعركه، قرار عالمي، نحن مع هذه المعركه، وطافوا في الناس من بلد إلى بلد الحقوا بإخوانكم هؤلاء، هذه المجموعات الصغيرة الحقوا بها، الدعاة الذين السنتهم أشبار، كانوا يذهبون في العطلة الى بيروت، يقضون الصيف في بيروت ولا يمرون بالاردن، لأنه يأتي في الطائرة من الرياض إلى بيروت رأسا، أو من قطر إلى بيروت، أو الكويت إلى بيروت.. نعم.. والله ما زارونا زيارة.. زيارة!!.

---

(١) رواه البخاري بلفظ «كن».

وضـــوح :

كنت في منى فكان مخيم المسلمين، وكان المسلمون يحاضرون في منى، فرحم الله الدكتور أمين المصري، تكلم عن الجهاد، وواحد اسمه ابن عبود من المغرب، تكلم في هذه المعاني، وأنا جالس قلت لعريف الحفل: أنا أريد أن أتكلم عن الجهاد، هو يعرفني، فقدم المجاهد الكبير أبو محمد، هو لايعرف ماذا أريد أن أقول.. لو عرف ما قدمني، والله وقفت، فقلت: جزى الله الأستاذين الكريمين خيرا، وسمعنا محاضرتهما، ونفعنا الله جميعا بها، لكن أنا أريد أن أسألكم جميعا يا من تتكلمون عن الجهاد، وتستمعون إليّ - كان سعيد حوى حاضراً وكانت الدنيا كلها هناك - تجربة في الأردن على خطوات من هنا، ليست في المريخ، في الأردن، من منكم زارها زيارة؟ ألا تتقون الله؟! أي جهاد هذا الذي تتكلمون عنه؟! والله إنكم كاذبون كاذبون كاذبون! - ثلاث مرات - ماذا تعطون هنا.. في السعودية؟! أما يكفيكم جمع أموال! وبناء قصور وعمارات وغير ذلك! وسيارات ! عودوا إلى بلادكم، عودوا إلى بلادكم خير لكم، تكلمت كلاما شديداً، الحقيقة الكثير منهم أساتذتنا وغير ذلك لكن نفسي ما طاقت، فكلام كله مسبّات، طبعا بعد أن أنهيت قامت القيامة، لكن لا يستطيعون أن يتكلموا شيئا، فقالوا: هذا من فتح ليس من المسلمين، هذا تابع لياسر عرفات!!!

يا أيها الإخوة:

الإسلام دين عملي واقعي جاد، دين عملي، دين لبس الكاكي والتراب، تتمرغ على التراب، وتنام في الطين، وليس دين الفراش والرياش والعمارات والسيارات، وتحسبون هذا على الإسلام، ليس دين مهرجانات واحتفالات، ليس دين شعارات لا مدلول لها في عالم الواقع.

تقضي هنا خمس سنوات في بيشاور ولا تصل الحدود، أنا لا أصدق أن في قلبك ذرة من حرقة على هذا الدين، لا أصدق.. والله لا أصدق، قد يأتي الداعية الكبير لحضور مؤتمر في إسلام أباد ولا يصل إلى بيشاور، أهم قضية إسلامية في الأرض، ولا تصل إلى بيشاور!! والله إنه يسقط من عيني ولو كان أعظم دعاة الأرض بالكلام، لا وجود ولا اعتبار له في سجلاتي، ويسقط من عيني، وأرجو ألا يكون ساقطا من عين رب العالمين، أما في حسباني، ليس له وجود، ليس في قلبه أدنى ذرة حرقة على هذا الدين، لا تصل هؤلاء، لاتصل هؤلاء الناس، وأمرّ من هذا وأشد أن مجموعات من شباب المسلمين في الحج وعلى بعد أقل من كيلومتر من منى حيث وقف سياف يخطب، وهم يعلمون بخطبة سياف، نائمون وما تحركوا ليسمعوا ما يقول أمير المجاهدين!!، جهاد أحيا دين الله، أحيا دين الله في الأرض من جديد، ماذا يمكن أن ترجو من هذا الشاب؟ ماذا يمكن أن يفعل في يوم من الأيام هذا؟ الذي لا يجرؤ، إما خوفا وإما كسلا أن يحضر محاضرة لسياف يحضرها آلاف من الناس، أما هو حتى لأيُرى الداعية الكبير في هذا الجمع الكبير، ثم بعد ذلك تعرف المخابرات أنه استمع لسياف، لأن المخابرات تحاسب على السمع!! فلا يحضر لأنه يفهم كثيرا، هذا لا قيمة له، لا يمكن أن أحسب، لو كان ورائي مليون واحد من هؤلاء الشباب، أقول كما يقول المثل العامي (يا قطيعة ظهري) لا قيمة له، ما هي قيمة هذا؟ ما هو وجوده.

شاب جاء هنا إلى إسلام أباد، يريد أن يسجل في الجامعة، فبقي عنده أسبوع، فقلت له: ساق الله إليك خيرا كثيراً، سنبعثك إلى بيشاور ترى المجاهدين والمهاجرين، وهذه فرصة في العمر، فيرد عليّ الشاب الذي يردد: الله غايتنا، يقول لي: وكيف إذا علمت الموساد؟ قلت له: الموساد؟! الموساد رب العالمين!! تعلم بالغيب، ما أسمك الآن أحمد صالح عبدالله، لتبحث الموساد بين مليون وبين ٢ ملايين مهاجر عن أحمد صالح عبدالله، كان في بيتي، فقلت له: يا أخي أحسن لك وأفضل، وبدأ يفلسف القضية، أننا يجب ألا نتهور، يجب ألا نتسرع، قضية عامة، تخطيط، من هذه الكلمات التي حفظها، القضية التي تثقل وزنه، هو لا يتحرك أبدا، هذه أحسن مبرر لجلوسه، التعقل، التخطيط، الإذن، التكتيك، الخ.. من هذه الكلمات، ما قيمة هذا الشاب؟ ما قيمة هذه الحياة؟ هل تنتصر المبادىء بمثل هذا؟!.

عندما قتلت(أنديرا غاندي)، قالوا: قتلت (أنديرا غاندي)، ففرحت أن هناك مسلما ينتصر لدينه، وقالوا بعد قليل إنه من السيخ، قلت: يا أسفي على الإسلام، السيخ ينتصرون لمعبد هدم، فيقتلونها في عقر دارها.. في قصرها، ومئات آلاف من المسلمين يذبحون في آسام فلا غيرة لديكم ولا نفير؟! بقرة تذبحونها فيذبحون مئات وآلاف!! دينكم يذبح وأنتم تقولون (أقام العباد على ما أراد)!!

(ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) (الانعام: ١١٢)

سيخ! وعندما سمع رئيس الجمهورية بهذا ماذا يعلق؟ قال: يجب أن تتوقع هذا لأن التي قتلت آلاف أو مئات الألوف يجب أن تتوقع أنها تقتل، ما قال نحن بعيدون، فيجب أن تتوقع هذا الفعل وهذه النتيجة، هدمت معبدهم فتقتل، وماذا؟ في أيام عيدهم.

أين هي عقيدة الإسلام النابضة؟ أين شريعته المتحركة؟ أين خيل الله عندما كانوا يقولون: يا خيل الله اركبي؟ أين الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: **«رجل آخذ بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها يبحث عن الموت مظانه»** (١)

يبحث عن الموت، تجارة، يبحث عن الموت مظانه، يعني يبحث عن الموت حيث يظن أنه يكون، ثم تجدهم متربعين في العالم الإسلامي، ويفلسفون الأمور، وينظرون النظريات، ويخرجون الكتب، وما إلى ذلك، والعبقريات تتفتق من أذهانهم عن الإسلام وعن العمل الإسلامي، وعن الجهاد الإسلامي، ولا يزور بيشاور مرة واحدة، يصيّف في تركيا وفي سويسرا وفي أوروبا وفي إسبانيا، ولا يعني نفسه أن يزور هؤلاء الذين يخطون التاريخ بدمائهم.

الجهاد الأفغاني إذا كان فيه مائة عربي عن مائة مليون عربي، هل هذا كثير؟ مائة عربي من كل مليون عربي، من ألف مليون مسلم ألف، هل هذا كثير؟! من كل مليون مسلم نحن نريد مسلما واحدا، نطلب من المسلمين أن يقدموا واحدا عن كل مليون، هل طلبنا باهظا؟! هل كثير؟ ولكن لا يمكن! لا يوجد من كل مليون عربي واحد، لا يوجد من كل عشر مليون مسلم واحد.

قبل ثلاثة أيام جاؤوا إلى بيشاور بثلاثين فتاة من قرية دخلها الروس، وذبحوا كل من فيها، لم يبق فيها إلا ثلاثون فتاة، هؤلاء جاؤوا إلى بيشاور.

كانوا يدخلون القرية، يمسكون الشيوخ والعلماء والنساء والأطفال يذبحوهم ثم يصبوا عليهم البنزين ويحرقوهم، وأصحاب النظريات الإسلامية كل يوم – ماشاء الله – يخرج كتاب جديد، دار الشروق دار البروق ودار..!! وما إلى ذلك –ماشاء الله– كل يوم، وكل يوم تزداد الكتب عن يوم، مجلدات تنتفخ حسب البطون.

معانده للنص والواقع

فيا إخوان:

– على الأقل وجودكم إعذار إلى الله، أن في الأرض بقية إسلام، إعذار إلى الله، يوجد مسلمون في الأرض.

عندما قلنا: الحكم الشرعي، إذا اعتدى الكفار على قطعة من أراضي المسلمين، إذا وطيء الكفار شبرا من أراضي المسلمين يصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة، فتخرج المرأة دون إذن زوجها، والعبد دون إذن سيده، والولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دائنه، قالوا: ما هذه الفتوى التي أخرجتها؟! عن العقل؟، قلت لهم: لا، ليس عن العقل، قالوا: لو عدت لمنزلك ووجدت زوجتك قد ذهبت إلى أفغانستان هل ترضى؟ قلت لهم: أيها المساكين، والله لو طبق المسلمون الحكم الشرعي أسبوعا واحدا ما وقف عدو في وجوههم، يخرج أهل باكستان وأهل أفغانستان، الزوجة والولد، والصغير والكبير، وأهل السعودية وأهل الأردن وأهل...، كيف يبقى اليهود؟ كيف يبقى الروس في داخل أفغانستان؟ والله ياكلونهم لحما لو جاز أكل اللحم، لو طبقوا أسبوعا واحدا هذا الحكم الشرعي، لتخرج المرأة والولد والمدين والسيد والعبد.. الكل في أرض المعركة، لا يوجد مزرعة ولا صناعة ولا تجارة ولا جامعة ولا مدارس ولا شيء.. الكل.

فتق على المسلمين الثوب، فتق.. فتق، الفتق، انصرف الثوب الإسلامي في ناحية من نواحيه، أسرع بالخياطة قبل أن تظهر عورتك، ثم يظنون هذه الفتوى مني، أروني كتابا فقهيا ما تعرض لهذا؟ ما رأيت – والله – كتابا فقهيا ويتكلم عن الجهاد إلا وينص على هذه القضية، وما عرضت هذه الفتوى على عالم إلا وقبلها وارتضاها، لكن أكثر الناس لا يعلمون، يأتي ولد من الأولاد الصغار، يناقشك فيقول لي: وإذا لم يرضَ الشيخ، لم يعطه إذنا، قلت له: تريد إذنا من الشيخ أن تطيع رب العالمين بفرضه؟! الله فرض والشيخ يأذن، إذا كان الله يقول لك: لا تستأذن النبي ﷺ: **{لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم}** لا يستأذن النبي في الجهاد، الشيخ هذا الذي جاء جديداً آخر العمر، هذا

{لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون} (التوبة: ٤٤-٤٥)

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه.

كان الأولى بالشيخ أن ينفر قبلك، ويعلمك أن «**رهبانية هذه الأمة هو الجهاد**»[1] كما جاء في الحديث الصحيح، يجب أن يعلمك أن القتال في سبيل الله، (**من قاتل في سبيل الله فواق ناقة – مقدار حلبتها – وجبت له الجنة**)[2]

كان لازماً على الشيخ – شيخك هذا – أن يعلمك:

(**قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة**)[3] **هذا من أين شيخك.. هذا الذي تقدمه على رب العالمين؟!.**

* ذكر ابن عباس حديثا: فقال الصحابة، أبو بكر وعمر قالوا: ولكن أبا بكر وعمر يقولون: كذا! قال: والله إني أخشى أن تمطركم السماء بالحجارة، غضبا ولعنا *: أقول لكم: قال رسول الله ﷺ ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر!، وأنا أقول لكم: قال الله، وأنتم تقولون: قال الشيخ! ماذا ستفعل السماء بكم؟ إن كان الذي يضع كلام أبي بكر رضي الله عنه بجانب كلام الرسول ﷺ يخشى أن تمطره السماء بالحجارة، فكيف الذي يضع كلام الشيخ أمام كلام رب العالمين.. كيف؟! .

سأل رجل الشافعي، قال له: يا أبا عبدالله، ماذا أورد في هذه المسألة؟ قال: بلغنا كذا عن كذا عن كذا، قال ﷺ كذا، قال: أوتقول بهذا يا أبا عبدالله؟ يعني أنت رأيك مثل هذا؟، فغضب غضبا شديدا، فاحمرّ واربدّ، قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقلني، أن لا أقول كما قال رسول الله ﷺ ؟، يا هذا أرأيتني ألبس زنارا؟ أرأيتني أخرج من كنيسة؟ أنا نصراني! أنا راهب! ، نصراني ألبس زنار الراهب؟! قال: يا بني أتراني لابساً لبس النصارى؟، خارج من الكنيسة حتى أخالف رسول الله ﷺ! أقول: قال رسول الله ﷺ ، وأنت تقول بهذا!.

يقول أبو حنيفة: روى ابن أبي ذئب حديثا، فقلت له: ما رأيك بهذا؟ فغضب غضبا شديدا، وبدأ يصيح، يقول: نعم، على الرأس والعينين.. نعم على الرأس والعينين.. نعم على الرأس والعينين.

حفظ اللسان

يا من رضيتم بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون) (الممتحنة: ١-٢)

لمن الولاء

هاتان الآيتان الكريمتان افتتحت بهما سورة الممتحنة، سورة نزلت على اثر فتح مكة المكرمة، في العام الثامن من الهجرة في رمضان، وقد نزلت تنبه على أمر خطير جدا في حياة الجماعة المسلمة والأمة الإسلامية، أن الولاية إنما تكون بين المؤمنين أنفسهم، وأن الأخوة إنما تكون بين المسلمين ذاتهم، فالنصرة، والولاية، والمحبة، لا يمكن أن تكون بين مسلم وبين عدو من أعداء الله.

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) (المجادلة: ٢٢)

(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة). (آل عمران: ٢٨)

---

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: فيه مختلف في توثيقه وبقية رجاله رجال الصحيح ٥ / ٢٧٨ وذكره ابن المبارك في كتابه «الجهاد».
(٢) صحيح الجامع الصغير رقم ١٤١٦ . (٣) صحيح الجامع الصغير رقم ٥١٥١ .

فهم الصحابة رضوان الله عليهم، وقد علمتهم التجارب والأحداث هذه القضية، أن التقاء حب الكافر مع الإيمان لا يمكن، لا يمكن أن يجتمع حب كافر مع إيمان في قلب أبدا، ولا يمكن أن يهادن الكفار المسلمين لحظة أبدا إلا لمصالحهم، فهم المسلمون من خلال المحن القاسية، والتجارب الطويلة، أن أعداء الله عز وجل لا يمكن أن يكفوا عن محاربة هذا الدين لحظة من اللحظات

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (البقرة: ٢١٧)

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الله ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير) (البقرة: ١٢٠)

هكذا الخطاب من رب العزة ذي الجلال القهار المتعال لأحب خلقه فوق الأرض إليه، لحبيبه محمد ﷺ، لخليله أبي القاسم ﷺ، يقول له:

{ولئن اتبعت أهواءهم – أهواء} اليهود والنصارى – {بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير}.

وقد حذرتهم الآيات تحذيرا ترتعد منه الفرائص، وتنتفض منه النفوس قائلة لهم:

(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون) (هود: ١١٣)

هذه العقوبات الثلاث للركون للكافرين والظالمين الذين يحاربون رب العالمين.

ميزان الحسنات والسيئات

هذه الآيات أو هاتان الآيتان الكريمتان فاتحتا سورة الممتحنة، نزلت في حادثة غريبة، نشاز في لحن المجتمع المسلم المتناسق، حادثة أن صحابيا جليلا من أهل بدر، اسمه حاطب بن أبي بلتعة، يسمع بإعداد رسول الله ﷺ ليغزو قريشا، فيكتب بهذا رسالة إلى قريش ويرسلها مع امرأة ذاهبة إلى مكة، وينزل الوحي بالخبر، ويرسل رسول الله ﷺ رسولين لها – عليا والزبير–، وقال ستجدانها في روضة خاخ – في مكان في الطريق بين مكة والمدينة – والرسالة معها، واطلبا الرسالة، وانطلق علي والزبير، حتى إذا وصلا ذات المكان الذي وصفه المصطفى ﷺ، وإذا بالمرأة، قال عليّ: أين الرسالة؟ قالت: ليست معي رسالة.. وأية رسالة؟ قال: الرسالة التي أرسلت معك إلى قريش؟ قالت: ليس معي رسالة، قال علي: إما أن تخرجيها وإلا جردناك لنفتشك، وإذا بالمرأة تخشى أن ينتزع خمارها فيبين شعرها، وإذا بها قد ربطتها بعقيصتها أو بجدائلها، فحلتها وناولتها عليا، وعادا بها، فتح رسول الله ﷺ الرسالة فإذا بها: من حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم أن رسول الله ﷺ يغزوهم، وفجع القوم، فجع القوم بصحابي بدري يراسل قريشا، يرتكب الخيانة العظمى، وهذه في عرف الدول الحديثة اسمها الخيانة العظمى، فقال عمر منتفضا مرتعدا: يا رسول الله دعني أضرب عنقه فلقد نافق، وإذا برسول الله ﷺ يرد عنه قائلا:

" **وما يدريك يا عمر، إنه شهد بدرا، ولعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اصنعوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم**".[1]

ثم سأل رسول الله ﷺ حاطبا: ما حملك على هذه الفعلة؟ قال: والله يا رسول الله ما نافقت، ولكن لي أرحام في مكة، وليس لي عشيرة تحميهم فأردت أن تكون لي يدا عند قريش، فكتبت لهم هذه الرسالة، قال: صدقت.

لقد غفر لحاطب بن أبي بلتعة سابقته الإسلامية، وحسناته المتقدمة، ولذلك شهوده بدر قد كفل له أن لا يعاقب:

(إنه شهد بدرا ولعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اصنعوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم).

والميزان الإسلامي أن من ظهرت حسناته، وكثرت مآثره، ثم بان منه خطأ، فإنه يغفر له، لأن الحسنات كماء البحر، كالماء، السيئات كالخبث، وإذا بلغ الماء القلتين لم يحمل الخبث، فإذا ازداد الماء فإنه يغمر السيئات، ويخفي العورات.

ولذلك يقرر ابن القيم هذه القاعدة، أن من كثرت حسناته وبانت أعماله الإسلامية، فإنه يغتفر له ما لا يغتفر لغيره، ثم يستشهد بعض الأحاديث منها حديث حاطب.

(وما يدريك يا عمر، إنه شهد بدرا ولعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اصنعوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم).

وفي الحديث: **(أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم)**[2]

ومن هنا، هنالك ميزان لمعاملة الناس في المجتمع المسلم، أن الناس خطاءون، ولابد أن يزلوا، لأن الذي يتحرك كثيرا إنما

---

(١) رواه البخاري ومسلم. (٢) صحيح الجامع الصغير رقم ١١٨٥.

يخطيء كثيرا وتزل قدمه، أما الساكن الجالس فإنه لا يخطيء لأنه لا يتحرك، إن المتفرجين على لاعبي الكرة في ميدان كرتهم لا تزل أقدامهم، ولا تنزلق أرجلهم، هم ينظرون إلى اللاعبين في الميدان، ويقولون هذا أحسن، وهذا أساء، وهذا فوّت الكرة، وهذا أصاب، ولكن كل هؤلاء إنما اجتمعوا من أجل هؤلاء النفر الذين لا يتجاوزون العشرين أو الثلاثين، الذين جمعوا هذه الأمة لتتفرج على أعمالهم، فهؤلاء تعفى لهم زلاتهم، وتغفر لهم أخطاؤهم، ولا ننظر إلى انزلاق قدم خلال ساعة أو ساعتين من ركض متواصل وراء الكرة، بإمكان المتفرجين أن يقولوا: فلان أخطأ، وفلان أصاب، لو كانوا قادرين أن يعملوا كما عملوا، لو كانوا قادرين أن يلتقطوا أنفاسهم ويمسكوا لهاثهم في ساعة متواصلة من الركض، ولكن أما وقد قصرت أفعالهم عن أن يدركوا هؤلاء بأفعالهم، بل لا يستطيعون أن يفعلوا عشر معشار الذي يفعله هؤلاء، الذي يتفرج عليه النظارة في ساحتهم، إذا فلتقصر ألسنتهم عن أن يتطاولوا إلى العمالقة في ميدان عملهم.

تطاول على العمالقة

ولذلك نحن نقرر هذه الحقيقة، بل هذه القاعدة الإسلامية العظيمة حتى نطبقها على قوم نقف حيالهم وتجاههم كالمتفرجين، بل تقف البشرية كلها متفرجة عليهم، مسلمهم وكافرهم، هؤلاء الذين في الساحة، والبشرية كلها تمثل النظارة، هم القوم الذين في جوارنا يمسكون بأيديهم وعلى أحر من الجمر سيوفهم، حفاة أقدامهم، عراة أجسادهم، خاوية بطونهم، مرملين، جائعين، فلنمسك ألسنتنا عن أن ننتقد هؤلاء، إذا لم نستطع أن ندرك بأفعالنا ما بلغه هؤلاءالعمالقة.

إن الذي فعله الشعب الأفغاني لم تستطع البشرية جمعاء، بل لم يستطع أي شعب من الشعوب في الأرض أن يفعل بضع ما فعله هؤلاء، لم تستطع الدول العربية بكاملها أن تقف يوما واحدا أمام إسرائيل، وهي لاتساوي جزءا بسيطا من قوات روسيا.

لقد احتلت روسيا تشكسلوفاكيا في يوم واحد، دولة لها تصنيعها وأسلحتها المشهورة في البشرية، والسلاح الشرقي التشيكي مشهور في العالم كله، ومع ذلك لم تستطع أن تصمد يوما واحدا أمام أساطيل الجو والبر التي دخلت بها روسيا.

أتريدون من شعب بكامله فوجيء بمعركة مفاجئة، أن يكونوا كلهم كأبي بكر وعمر رضي الله عنهم؟! تريدون من هؤلاء الشباب الذين ما تفتحت أبصارهم إلا على الحكم الشيوعي، ولم تستيقظ أسماعهم إلا على دوي القنابل وانفجار القذائف، ما تسنى لهم أن يدخلوا مسجدا يتربون فيه، ولا مدرسة يتعلمون فيها، ولم يروا مربين وعلماء يولونهم عنايتهم!، تريدون منهم أن تكون ثقافتهم كثقافتكم أنتم الذين قد نالكم من العناية في بلادكم عشرات السنوات من التثقيف والتوجيه والتفكير من كبار المفكرين في العالم الإسلامي؟!، تريدون من هؤلاء الذين لا يسمح لهم أن يكملوا وجبة طعام واحدة دون أن تهتز الصحون في أيديهم من انفجارات وقذائف صواريخ؟!، اسمحوا لهم أن يلتقطوا أنفاسهم، وأن يقرأوا كتاب ربهم فقط، ثم بعد ذلك حاسبوهم.

إن القاعدة الإسلامية: أن الصغار لا يجوز أن يتطاولوا على الكبار، وأن الأقزام لا يجوز لهم أن يترفعوا على العمالقة، ولا يجوز للقاعدين أن ينتقدوا المجاهدين، هؤلاء كرارون، هؤلاء رفعوا اسم أمة محمد ﷺ، ماذا نكون على مائدة البشرية، وفي أي زاوية نجلس لولا هذا الجهاد الذي رفعهم إلى مصاف أن يطلب ريغان بنفسه مقابلة هؤلاء الحفاة العراة؟! بنفسه: ويرتب موعدا، ويجلس لاستقبالهم ثم يرفضون – وهم في أرض أمريكا – أن يقابلوا ريغان، يقول لهم أحد الدبلوماسيين: أنتم ترفضون مقابلة ريغان وستون من الملوك والرؤساء على قائمة ريغان لا يريد مقابلتهم، وليس عنده وقت يصرفه مع الستين ملكا أو رئيسا!! ومع ذلك أبت عزتهم أن يجلسوا مع ريغان حاكم الأرض المفرد المطلق بلا منازع ولا نظير.

أين أنتم؟ أين نحن من هؤلاء؟ لو فتشت جيب حكمتيار الذي رفض مقابلة ريغان، أو جيب محمد ياسر الذي أصر على عدم مقابلة ريغان، ورفض دعوة ريغان والكنجرس الأمريكي، رفضوا وهم في أرض أمريكا، لو فتشت جيوبهم لما وجدت أجرة الفندق الذي يسكنون فيه، ولو كانوا يسكنون على حسابهم ما استطعت أن تجد في جيوبهم أجرة الطائرة في عودتهم، وإنما بعض المخلصين الصادقين هم الذين دفعوا ثمن التذكرة لهم.

أقول: إن أردنا أن نتطاول إلى القمم فلنصعد بأنفسنا إلى القمم، وإن أردنا أن نطيل ألسنتنا في أعراض العمالقة فلنصعد ونعمل بضع ما يعمل هؤلاء، إن أردنا أن نخوض منتقدين في عقائدهم وسيرتهم وسلوكهم، ونسمح لأنفسنا أن نلوك لحومهم، فلنصبر عشر معشار ما صبروا.

كلكم أو معظمكم دخل الجبهة، من منكم استطاع أن يعيش كما يعيش هؤلاء؟ من منكم يستطيع بالثياب الرقيقة الصيفية دون

ملابس صوفية، ودون حذاء، أن يعيش فوق الثلوج؟ من منكم يستطيع أن يصبر صبر هؤلاء على الجفاف والخبز الجاف؟ بل على الثمار البرية الجافة لأيام طويلة؟.

. كلكم أو معظمكم رأى كيف حال هؤلاء. ليس في الجبهة بل في المعسكرات التي حول بيشاور.

إن كثيرا منا لا يستطيع أن يفارق زوجته ليال متواصلة، ويعيش مع هؤلاء في معسكراتهم، كم من الألوف المؤلفة في معسكر ورسك، أو أبي بكر الصديق، أو خالد بن الوليد وغيرها لهم أزواج لم يرونهن منذ سنوات.

كثير منهم ترك زوجته في كابل أو في تخار أو بدخشان منذ الاحتلال الروسي وحتى الآن لم ير له طفلا ولم يشاهد له زوجة.

من منكم يستطيع أن يصبر صبر هؤلاء؟ من منكم يستطيع أن يعيش كهؤلاء؟ كثير منكم يأتي متحمسا، أريد أن أذهب إلى الجبهة، جئت لا ستشهد في سبيل الله، أطمع بالجنة تقربا إلى الله، ولحوقا بعمير بن الحمام وحمزة وغيرهم، ويضغط علينا، ويلح علينا يوما بعد يوم حتى نرتب له رحلة، ولا يمكث إلا أياما قليلة، ثم نجده بعد ذلك في بيشاور، أنا لا أريد أن أسأله عن السبب، لأنني أعرف السبب الذي أعاده، لأن النفوس لم تنضج نضوج هؤلاء، لم تصبر صبر هؤلاء، ولم تحتمل كما يحتمل هؤلاء، ولذلك رجعتم لتريحوا عن أنفسكم ولتعيدوا نشاطكم، أو التقاط بعض طاقتكم وقوتكم.

كما قال عيسى بن مريم عليه السلام **[من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها]** من كان منكم لا يقبل قولي هذا فليرفع يده معترضا.

هذا أخوكم قد عاد من كنر بالأمس، يقول: لقد مات سبعة بسبب الثلوج ومرض الكثيرون.

كم من هؤلاء قد سقطت أصابعهم بسبب الثلوج؟! لقد رأيتهم يمشون على الثلج بشباشبهم الخفيفة عراة، وأعجب كيف يحتمل هؤلاء وأنتم في المكاتب تلتحفون لحافا، وتحته بطانية، ومع ذلك لا تحسون بالدفء أو بالراحة.

إذن، من كثرت حسناته فإنه يغتفر له ما لا يغتفر لغيره من القاعدين والجالسين. لكن القاعدة أن الذين يرتفعون، يجب على الصغار أن يسلموا لهم، الذين يسبقون يجب على المتخلفين أن يسلموا لهم قيادهم.

...ـة صحابي

وقد كان سهيل بن عمرو أعقل منا كثيرا – رضي الله عنه – عندما وقف بباب عمر مع بلال وعمار وصهيب، وأذن عمر لبلال وصهيب، وبقي أبوسفيان وسهيلا خارج باب عمر، فاحمر أنف أبي سفيان غضبا، قال: ما رأيت مثل هذا اليوم، يؤذن لهؤلاء الأعبد، ونترك بباب عمر، قال سهيل: لا تلمه ولوموا أنفسكم، لقد دعوا ودعينا، فتقدموا وتأخرنا، فسلم قائد قريش لهؤلاء الأعبد بالقيادة، لأنهم سبقوا في ميدان الرجولة والفداء والتضحية.

وكان عمر يقول: والله لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه. وعندما كانوا يراجعونه: لماذا تفضل البدريين والأحديين، في العطاءات، يقول هذه الكلمة: والله لا أجعل من قاتل مع رسول الله كمن قاتل رسول الله.

نعرف قدرنا

فهل لنا بأن نقر بأننا دون هؤلاء؟ هل لنا أن نعترف أن طاقتنا أقل من طاقة هؤلاء، وبيننا وبينهم مراحل دونها خرط القتاد؟ هل لنا أن نعترف برجولة وبصراحة أن الذي فعله هؤلاء لا نستطيع أن نفعل عشر معشاره؟ إن كنا صادقين فيجب أن نقر مطمئنين، ونعترف كما السابقون أمثال سهيل، وأمثال عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأمثال أبو سفيان، لسنا خيرا من هؤلاء.

يا **أخي الكريم**: ماذا أنت تساوي في مجتمعك؟ إن الشرطي الواحد في بلدك لا تستطيع أن تعارضه أو تعانده، إن واحدا من ...اتين والمخابرات يستطيع أن يؤرق أجفانك، ويقض مضجعك أشهرا متواصلة إذا علمت أنه يمر ببابك، أنت تعلم هذا؟ ما رأيناك ... بالجهاد في بلدك، الخمور في كل مكان، الرقص في كل مكان، والربا في كل مكان، ما رأينا صوتك يرتفع مغيرا أو منكرا، جئت شهرا أو شهرين تريد أن تتطاول على أولئك القادة الذين يحملون منذ سبع سنوات حملا ناءت بحمله البشرية، تريد منذ أن تصل ...اور أن تنتقد سيافا وحكمتيار ورباني وخالص، اعملوا بعض ما عملوا ثم انتقدوا، اصبروا جزء ما صبروا ثم تكلموا، وإلا فمن ...لة أن تستحي إن كان في القلب إيمان وإحسان، إن كان في الوجه بقية من ماء فعليك أن تستحيي وأنت تتكلم على هؤلاء، أنت ...رت بلدا من البلدان تريد من المطار أن تقابل ملكها أو رئيسها. بعد عشرة أيام، أو بعد شهر أريد أن أجلس مع هؤلاء الزعماء،

لأرى كيف يفعلون هذه الأفعال، هؤلاء القادة، ألأنهم فقراء نتطاول عليهم؟، أما زعيم بلدك، وملك مملكتك، وحاكم أرضك، رجل قلما يخلو من سوء أو فاحشة يوميا يرتكبها، آناء الليل وأطراف النهار.

هؤلاء لأنهم فقراء، جيوبهم فارغة، وبطونهم خالية خاوية، أقول: نتطاول عليهم، أما الطواغيت الذين انتهكوا الاعراض، واستباحوا الدماء، وذبحوا الأبرياء، لا نستطيع أن ننبس ببنت شفة عليهم، أين أنت في بلدك؟ ماذا كنت ؟ المنكرات تعج في كل مكان.

يا أخي الكريم: احفظ عليك كرامتك، بحفظ لسانك، احفظ عليك مكانتك بإغلاق فيك، احفظ عليك حدودك، ورحم الله امرءا عرف حده فوقف عنده.

القاعدة: أن الذين تكثر حسناتهم إنما تختفي سيئاتهم، لأن السيئات كالخبث.

(وإذا بلغ الماء القلتين لم يحمل الخبث)[1]

(ما يدريك يا عمر إنه شهد بدرا، ولعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اصنعوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم).

ألا تغفر لهم وأقدامهم في وسط الثلوج؟ ألا تغفر لهم ووقوفهم أمام المؤامرة العالمية، التقى عليهم العملاقان الكبيران لأخذ هذا الجهاد، واقتطاف ثمرته.

في هذه الأيام يحاول الأمريكان مع الروس جادين أن تكون ثمرة هذه الدماء، ونتيجة هؤلاء الشهداء، ورقة رابحة لحساب المنافع الأمريكية، أو في داخل حساب المصلحة البلشفية، التقى ريغان وغورباتشوف، وكان الزعماء ينتظرونهم، ولم يصرحوا بما اتفقوا عليه إلا بالقليل، ولذلك إذا التقى هذان فإنما يلتقيان على الإسلام.

أين تقع بيشاور في خارطة العالم؟ ما هو وزنها حتى يأتي نيكسون – الرئيس الأمريكي السابق – بنفسه، ويزور مخيم ناصر باغ؟، ماذا تساوي باكستان نفسها لولا هذا الجهاد المشرف الذي أعجز العقل البشري تفسيره، والذي أذهل البشرية، فبدأت تحاول أن تستغله، وتجعله ورقة رابحة؟، مما جعل الأمريكان يترامون على أبواب هؤلاء القادة الذين يتطاول عليهم لسانك الطويل، ولكن لا يصل باعك القصير أن يفعل مثل فعالهم.

لقد رد القناصل الغربيون – وأنا أعلم علم اليقين – عن أبواب هؤلاء، ونحن نعلم أن حكام الدول الإسلامية ذهبوا بأنفسهم إلى أمريكا، وترددوا أسابيع طوالا، لعلهم يحظون بلحظة من مقابلة ريغان، ولكنه رفض متأنفا مستكبرا، رفض أن يقابلهم بعد أن قطعوا له البحار والمحيطات، وهم زعماء بلادهم حكاما وملوكا ورؤساء.

هؤلاء لو كان الإسلام يبيح لنا أن نصنع التماثيل، لصنعنا لهم تماثيل نضعها على مفرق كل شارع، ونعرضها على كل معرض، وأمام كل حانوت.

نماذجنا أفضل

والله – كما أظن والله يحاسبني على ظني – أن هؤلاء لو كانوا شعبا غربيا لعبدوا من دون الله عز وجل، ماذا يساوي نابليون أو غيره أمام هؤلاء؟ هؤلاء الذين واجهوا روسيا بصدور عزلاء، وأيد خالية، ماذا يساوون؟ لقد ذهب نابليون مضرب المثل في التاريخ الغربي والشرقي كله، وأصبح مثالا يحتذى، وصنما يعبد من دون الله عز وجل، ولكن إزنهاور وتشرشل وديجول وكندي، هؤلاء قادة الحرب العالمية الثانية، قادة الحرب العالمية الثانية، الجنرالات الكبار، والله لم يقدموا عشر معشار ما قدمه أحمد شاه مسعود، ولا جلال الدين حقاني، ولا يونس خالص، هذا الذي قد بلغ من العمر عتيا، ولا ذبيح الله، الذين لم يصلوا الثلاثينات من أعمارهم، هؤلاء شعوبهم قدرتهم، عندهم بقية من قيم، فقدمتهم ليصبحوا قادة لهم وملوكا، بعد أن خاضوا غمار الحرب العالمية، ونحن لا يلقى مجاهدونا إلا صدا وردا، لا يلقى إلا أنيابا حادة تلوك لحومهم، وألسنة حداداً نسلقهم بها، وتلغ ألسنتنا بأعراضهم، ونتطاول على هؤلاء القمم الشامخة، وهذه الذرى الرفيعة.

وأما ولاية الكفار فله موضوع آخر، وخطبة أخرى، لأنه موضوع طويل يستحق أن نقف وقفة طويلة، وقفة المتأمل المتبصر المنفذ إن شاء الله، ولكن وقفت عند قصة حاطب فقط..

" وما يدريك يا عمر؟ إنه شهد بدرا ولعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اصنعوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم ".

(١) صحيح الجامع الصغير رقم ٤١٦ .

نحن نعلم، وأنتم تعلمون أن كبراء وسادات العالم الإسلامي يقفون أمام سفراء الدول الكبرى كالديك المذبوح ينتفض هلعا وخوفا أن يغيّر هؤلاء نظرتهم فيه، ولكن هؤلاء أنفسهم، هؤلاء السفراء لايحظون بجلسة على التراب مع هؤلاء الزعماء الذين نعتبر أنفسنا أرفع منهم، وأعلى منهم، ووالله إن بعض العرب يعتبر نفسه أرفع وأعز وأعظم شأنا من الأفغانيين.

لقد أنقلبت المفاهيم، لقد انعكست القيم، لقد تحطمت الموازين، من أنتم حتى تحكموا على هؤلاء؟ من نحن حتى نقف أساتذة لهؤلاء؟

لا تنس نفسك

يقول لي أحدهم قبل أيام: كنت أتكلم عن الأفغان، وإذا بأحد العرب في بيشاور يقول: أنت تتكلم، أي أفغان هؤلاء؟ أي أفغان؟ هؤلاء الباكستانيون أفضل منهم، الأخ الكريم يمضي شهراً واحداً في داخل بيشاور! حتى الآن لا أظنه يستطيع أن يتحمل ليلة باردة من ليالي زابل أو ليالي قندهار أو مزار شريف، لم يدخل جبهة واحدة، ومع ذلك سمح لنفسه أن يقول من هؤلاء؟ أنت تشغل نفسك بهؤلاء الأفغانيين، وبظهر يده هكذا، بظهر يده ليس باطن يده مشيرا بظهر يده، أن هؤلاء لا يستحقون منا حتى أن نتكلم عنهم.

أي انحطاط، وأي درك يصل إليه الإنسان عندما ينسى نفسه، وكما قال ﷺ (**يرى أحدكم القذى في عين أخيه** – القذى الصغيرة – **ولا يرى الجذع في عينه**).[1]

جذع شجرة في عينه لا يراه.

فيا أخي الكريم:

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى	*وحظك موفـور وعرضـك صين*
لسانك لا تذكـر بـه عـورة امـرء	*فكلك عـورات وللنـاس ألســن*
وعينـك إن أبدت إليك معـايبـاً	*فغضها وقل يـا عين للنـاس أعين*

وفي المثال الغربي: " من كان بيته من زجاج فلا يلقي الحجارة على بيوت الآخرين " وبيتك من زجاج، ولا زالت همتك ضعيفة، ولا زالت عزيمتك خاوية.

إعلم أن هؤلا ما وصلوا إلى القيادة بانتخابات، إنما وصلوها بعد أن خاضوا غمار حروب، وسهروا ليال، وطوردوا مطاردات طويلة لسنوات متلاحقة، حتى برزوا على السطح، لم يبرزوا كما برز زعماء بلادك، بالانتخابات والتزوير، أن يأخذوا تسعاً وتسعين من المائة، من الأصوات، كذبا وزورا وبهتانا، وهم قلوبهم كقلوب النعامة أو كقلوب الطير، يجفل لصفير الصافرين..

إمرة النـاس تأتـى	*لجبان ولا تسنى لجبس*

فإذا ارتفعت، وحطمت قيود البخل، وتحررت من أكبال وأوساق الجبن، عندها تكلم يا أخي، وأنا أنصحك: احفظ لسانك..

(وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم)[2]

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

فقنا بهم

كنت أتكلم مع أحد القادة، فقال لي: يا أخي، تعالوا وربونا، أليس لنا حق عليكم أن تربونا، وتعطونا من ثقافتكم التي أعطاكم إياها.

ونحن نقول: يا أيها الإخوة

إذا كان هؤلاء لا يعجبونكم، وفيهم بعض البدع والشركيات وغير ذلك، أليس ذلك يضاعف مسؤوليتنا أمام الله عز وجل؟ أليس يجب أن ندخل في جبهات هؤلاء فنعتبرهم كإخوة لنا، نأكل كما يأكلون، ونعيش كما يعيشون، ونلتحف السماء، ونمتطي الغبراء كما

---

[1] رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ «يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه» أنظر الترغيب والترهيب المجلد الثالث / ص ٢٣٦ .
[2] قطعة من الحديث رواه أحمد والنسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح، أنظر الترغيب والترهيب المجلد الثالث / ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ .

ستطون؟، ثم بالكلمة الطيبة، والمودة المتبادلة، نوصلهم ما نشاء من تصحيح لأفكارهم، وتوضيح لعقائدهم، ونفي لبدعهم، أليس واجبا لينا أن ننزل من قصورنا العاجية، ومن أبراجنا الزمردية، ونعيش مع هؤلاء في واقعهم فوق التراب، وتحت السماء، ونوصل إليهم ما شاء، ونرضى لهم كما نرضى لأنفسنا؟

إن كان هؤلاء فيهم شرك، أنت تأثم أمام الله عز وجل إن استطعت أن تنقذهم من النار ولا تنقذهم، سيمسك هؤلاء بخناقك يوم قيامة،

(يقولون: يا رب – كما جاء في الأثر – إن عبدك هذا خاننا، تقول: والله يا رب ما سرقت لهم مالا، ولا عرفتهم، فيقولون: د رآنا على ضلال أو على خطأ ولم يصوبنا)[1]

إن كنتم ترون فيهم ضلالا أو انحرافا فتفضلوا إلى جبهاتهم، وعيشوا كما يعيشون، والذي يمنعك جبهته ردّ إليّ الخبر وأنا ستعد لأن أوصلك إلى أية جبهة تشاء، بشرط واحد: أن تعاملهم كبشر يعيشون على الأرض، لا تعاملهم كأنهم دون مرتبة الأنعام، إذا تبرت نفسك إنسانا مسلما، واعتبرتهم أناسي، وعاملتهم كما تعامل الإنسان، عندها أنا أتكفل لك أن تغير واقعهم بأقل من شهر أو هرين.

لقد رأى إخوانكم كيف غيروا واقع جبهات بكاملها في مدة أقل من بضعة أشهر، فإن كنت جادا، وإن كنت داعية، وإن كنت ادقا، تفضل وهم يكرمونك ويحترمونك، ويجلونك.. إن لم يوصلوك إلى مرتبة التقديس.

إن العربي عندهم له مكانة عظيمة، فلا نهدمها باستعلائنا على هؤلاء، لقد استعلى هؤلاء على أعظم قوى الأرض وأبطشها شرفها، لقد هاجر هؤلاء بعزتهم ليحافظوا على آخر شيء يملكونه، وهي العزة والكرامة والشرف، وأنت تريد أن تجرحها باستعلائك كبريائك وبترفعك على هؤلاء ، عاملهم كما يعامل البشر، عاملهم كما يعامل الأناسي.

إن الإنسان المسلم يحسن معاملة القطة، ووصانا رسول الله ﷺ بها وقال: **(إنها من الطوافين عليكم والطوافات)**[2]

إذا كان رجل دخل الجنة أو غفر له بسقي كلب من الكلاب، فافرض أن هؤلاء نصارى أو يهودا، نصراني يموت جوعا ألا يجب ى المسلم أن يطعمه، إذا مات النصراني جوعا في حي من الأحياء، إذا مات الذمي جوعا، يجب على الحي أن يدفع ديته لأوليائه، إذا ت اليهودي الذمي في بقعة من البقاع عريا أو بردا، يجب على الحي أو على العرصة.

(أيما أهل عرصة أصبح فيهم امرؤ جائع – لم يقل مسلما – فقد برئت منهم ذمة الله تبارك وتعالى)[3]

إن ذمة الله تكاد تبرأ – إن لم تكن برئت – من كثير من أولئك الذين يترفعون على هؤلاء الجياع الحفاة العراة، ويصل الأمر مض هؤلاء أن يفتوا:أن لا يجوز للأطباء أن يصلوا إلى هؤلاء، إن الطبيب المؤمن يجب عليه أن يعالج الكافر إن كان في داخل الدولة سلامية مستسلما لنظامها، فافرض أن هؤلاء يهودا أو نصارى أو مجوسا – لأن الجزية تجوز من المجوس، وتجوز الجزية من كل فر – إفرضهم صنفا من هؤلاء أو ملة من هذه الملل، ألا يجب عليك أن تساعد هؤلاء؟ إن كانت الأمم المتحدة، إن كان الكفار، إن كان نصارى يتسابقون على خدمة هؤلاء لأي غرض من الأغراض، أفليس الأولى بنا كمسلمين ومؤمنين أن نرعى حق الأخوة فيهم، أن عى حق الإيمان، أن نرعى وشيجة الصلة بيننا وبين هؤلاء.

يا أيها الإخوة: اتقوا الله في هؤلاء، إذا كانت البشرية كلها تكالبت عليهم، وحتى أنت يا بروتس؟..

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة   *على المرء من وقع الحسام المهند*

هؤلاء ذوي القربى ، هؤلاء أرحامنا، بيننا وبينهم رحم، بيننا وبينهم رحم الإسلام، بيننا وبينهم صلة الإيمان، بيننا وبينهم أنهم معون بالمسلمين، إن لم ترد أن تعترف أنهم مسلمون.

فاتقوا الله في أنفسكم أولا، وهؤلاء سيأخذون أجورهم –إن شاء الله – كاملة، ويأخذون من أجور الذين يتطاولون عليهم، رجو الله أن لا تكون من المفلسين، إن كنت من المتطاولين على هؤلاء العظماء الشامخين.

يا أيها الإخوة.. يا أيها الأحبة:

لقد كثر القيل والقال في هذه البلد، لقد كثرت الثرثرة واللغو، فأنا أوصيكم بشيء واحد: أن تشتغلوا بالعمل، أن تشتغلوا فسكم، لا تردوا على أحد، جئت لهدف، جئت لخدمة الجهاد، فلا تكن معولا لهدمه، جئت لنصرة الجهاد، فلا تكن سيفا فوقه يقطعه يبتره أو يمزقه.

حديث ضعيف.   (٢) صحيح الجامع الصغير رقم ٢٤٣٧ .

ا رواه أحمد وأبو يعلي والبزار والطبراني في الأوسط وفيه أبو بشر الاملوكي ضعفه ابن معين، أنظر مجمع الزوائد للهيثمي الجزء الرابع / ص ١٠٣

يا أيها الإخوة:

(ما ضل قوم بعد هدىً كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)[1]

وإذا أحب الله قوما ألهمهم العمل، ومن علامة خذلان الله عز وجل للعبد أن يكله إلى لسانه، وإلى ثرثرته ونفسه، ومدح ذاته، ومن علامة توفيق الله للعبد أن يرى قدرها، وأن يتواضع ويقف عند حدها، ويشتغل بإصلاح عيوبه، وبإصلاح ذاته، وبعمله الذي يعود على نفسه والمجتمع والمسلمين.

اشتغلوا ولا تنكلوا، اعملوا ولا تقصّروا، دعوا أيديكم وأرجلكم وعقولكم تعمل، واحبسوا ألسنتكم حبسا طويلا، حتى لا ترديكم في جهنم داخرين.

النفس الأمارة بالسوء

يا من رضيتم بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا.

إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم)

(الحج: ٧٨)

الآية من سورة الحج، والجهاد معنىً: أي بذل الوسع في تحصيل محبوب الحق، وفي دفع ما يكرهه الحق، هذا معنى الجهاد لغة، وبمعناه الواسع، أما معناه الاصطلاحي الشرعي فهو: القتال والعون فيه.

الجهاد هو القتال

لقد اتفق الأئمة الأربعة على أن الجهاد هو القتال، هذا هو التعريف الاصطلاحي الشرعي للجهاد عند الفقهاء الأربعة: هو القتال، وقد توسع الحنفية قليلا، فقالوا: الجهاد: هو الدعوة إلى الله، وقتال من رفض هذه الدعوة، فالجهاد بمعناه الاصطلاحي هو: القتال، أما بمعناها اللغوي، فهو أوسع بكثير، فهو يتناول مجاهدة النفس، مجاهدة الهوى، والصراع مع الشيطان، الصراع مع الغفلة من أجل إيقاظ القلب من نومه، والذين يرددون حديثا ضعيفا أو موضوعا: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) فهذا لم يقله رسول الله ﷺ، وإنما ينقله بعض السلف عن بعض التابعين عن رجل يسمى (إبراهيم بن عبلة)، وأما الذين ينقلونه كحديث فهم يروونه عن عيسى بن إبراهيم عن يحيى بن يعلى عن ليث بن أسلم، والثلاثة ضعفاء، فالحديث ضعيف باتفاق الفقهاء، بل واه ومنكر، والجهاد الأكبر هو: قتال الأعداء في أرض المعركة، والذين يقولون: إن جهاد الأعداء هو جهاد أصغر، هؤلاء لم يعرفوا أرض النزال، ولم يدركوا رهبات القتال، والذين يعيشون تحت أزيز الرصاص، ودوي المدافع، وقذائف الطائرات، يدركون أن هذا هو الجهاد الأكبر، أن القتال هو الجهاد الأكبر.

ولذلك فإن رسول الله ﷺ عندما يُسأل -كما جاء في الحديث الصحيح عند النسائي -:

(أيفتن الشهيد في قبره؟ قال: كفى ببارقة السيوف فوق رأسه فتنة)[2]

أي يكفيه ما يعانيه من الأهوال، وما يلاقيه من المصاعب في أرض النزال، حتى والله أعلم بحكمته، وهو أعدل من أن يكرر عليه العقوبة مرتين، أن يكرر عليه العذاب، عذاب النزال وعذاب السؤال، سؤال منكر ونكير، وقد ثبت في الحديث الصحيح من عدة روايات في مسلم وغيره: (أن الذي يموت مرابطا يأمن فتنة القبر) ولكن الوصول إلى هذه القمة لابد له من الجهاد اليومي، لابد له من ترويض النفس، لابد له من ربط ذاته ونفسه مع خالقها وبارئها.

ولذلك يقول الله عز وجل:

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون

(١) صحيح الجامع الصغير رقم ٥٦٣٣ . (١) صحيح الجامع الصغير رقم ٤٤٨٣ .

وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) (التوبة: ١١١-١١٢)

فمن التوبة إلى العبادة إلى الذكر إلى الصيام، ثم بعد ذلك يصل إلى قمة سنام الإسلام وذروته، وهو الجهاد في سبيل الله، أي القتال في سبيل الله.

والله عز وجل وهو يتخذ الشهداء إنما يتخذ الأصفياء الأبرياء الأنقياء، ولذلك يقول الله عز وجل:

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء) (آل عمران: ١٣٩-١٤٠)

فالشهادة انتقاء واصطفاء، اختيار من خالق البرايا رب الأرض والسماء من يعلم السر وأخفى، فلا ينتقي إلا الذين يستحقون هذا المقام، ولا يرتقي إليه إلا من يستحق هذا المرتقى، وله أن يصل هذه المنزلة بفضل من الله ومنة، لكن كما قلت: لمنزلة القتال والشهادة لابد من ترويض النفس، وتربيتها، وتدريبها، حتى تثبت على هذا الطريق الطويل اللاحب، الطريق اللاحب الصعب، المليء بالأشواك المتناثر حوله الأشلاء، المفروش بالدماء، لابد لمن أراد أن يتقلب على اللظى، وأن يسير فوق الأشواك، أن يربي نفسه على تحمل المصاعب، وعلى تكبد المشقات.

جواذب ونوازع

والنفس أول العقبات في طريق هذا المرتقى، وكما يقول ابن القيم – رحمه الله – يقول: " إعلم أن النفس جبل عظيم يعترض السائرين إلى الله عز وجل، ولا يمكن أن تسير في هذا الطريق إلا أن تتجاوز هذا الجبل العظيم، وهذا المرتقى الصعب، وهذا الجبل العظيم: فيه أودية وشعاب، وفيه وهاد، وعلى قمته يقف الشيطان، يحذر من يحاول أن يصعد هذا المرتقى، والنفس هذه لابد من أن تعلوها حتى تصل إلى طريق الله الآمن، طريق السلام إلى الله، إلى دار السلام التي ينورها وجه السلام سبحانه وتعالى.

ولذلك لابد أن ترتقي هذا الجبل، وكلما حاول الإنسان أن يصعد صاح به الشيطان، وجذبه الهوى، وانتزعته الشهوة، نوازع الخلود إلى الأرض وأثقالها وأكبالها وقيودها، كلها تريد أن تخلد به إلى الأرض، ولو كان من أكبر العلماء، فلابد أن يجتذب نفسه، وأن ينتزع ذاته من هذه الجواذب، ومن هذه القيود، ومن هذه الأغلال، حتى يصبح خفيفا يرتقي هذا المرتقى، فإذا وصل هذا المرتقى، أدرك الطريق الآمن، التي كما يقول عنها رب العزة:

{والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم}

فهو طريق مُنار مستقيم، آمن سليم، بعد أن يتجاوز المرحلة العظمى، والعقبة الكبرى، وهي عقبة النفس الأمارة بالسوء.

أسباب الجواذب

وللنفس عوامل كثيرة – النفس الأمارة بالسوء – عوامل كثيرة تساعدها لكي تشد صاحبها إلى الأرض، منها الجهل، وعلى رأسها الجهل، والجهل بؤرة منتنة، تشد كل ذي هوى إلى عفنها فيغرق في وحلها، ويغوص في نتنها، والجهل من أعظم الأسباب التي تعيق السير إلى الله عز وجل، وتعيق هذه الاقدام أن تنشط من عقالها، وهذه الروح أن تخف من أصفادها، والجهل إذا نزل بصاحبه قد يكذب الشمس ولو رآها في رابعة النهار..

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمـــد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

(ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) (الانعام: ١١١)

لو كلمهم الموتى، وجاء الملائكة، وجاءت الوحوش كلها وكلمتهم، ما كانوا ليؤمنوا بسبب الجهل. {ولكن أكثرهم يجهلون}.

والجهل هو ليس قلة المعرفة، الجهل هو عدم العلم، والعالم بالله هو الذي يخشاه ويتقيه.

(أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب) (الزمر: ٩)

فالقانت القائم الراجي لجنة ربه، الخاشي من عذابه وناره، هذا هو العالم، وليس العلم كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: "ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم الخشية".

ألا ترى معي قول يوسف عليه السلام

(وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين) (يوسف: ٣٣)

فيوسف عليه السلام يعرف أن الزنا فاحشة، وموبقة كبيرة، ولكن هذه المعرفة لا تنفي الجهل إن وقع فيها وولغ {وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن} – أي أميل إليهن – {وأكن من الجاهلين}

ولذلك فالجهل أكبر العقبات أمام صعود هذا الجبل المسمى بالنفس الأمارة بالسوء.

ولذلك قال سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وهو يأمر قومه أن يذبحوا بقرة

(قالوا أتتخذنا هزوا) (البقرة: ٦٧)

لم يقل أعوذ بالله أن أكون من الساخرين

(قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) (البقرة: ٦٧)

لأن الجهل أعظم بلاءً من السخرية، والجهل بالله هو سبب السخرية، وهو سبب الهزء، الجهل بالله، وعدم تقديره

(وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) (الانعام: ٩١)

فعدم تقدير الله، وعدم إجلاله، وهو الجهل بالله عز وجل.

والمعرفة لا تنافي الجهل، فقد تلتقي المعرفة والجهل معا، العلم هو الذي يضاد الجهل، والعلم هو الخشية، وقد يعلم الإنسان الكثير، ويعرف الإنسان كثيرا، ولكنه لا يعلم إلا قليلا

(الم، غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) (الروم: ١-٧)

– يعلمون أسرار الذرة، ودوران الأليكترونات، والمناطيد الفضائية، والمراكب الهوائية، والسفن الحربية، والطائرات النفاثة، يعرفون هذا، ولكنهم {عن الآخرة هم غافلون}، فلذلك هم لا يعلمون. {ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون} ولذلك قال العلماء: " لا يهزأ أو لا يمزح بالقرآن إلا فاسق " فاستعمال آيات القرآن للمزاح وللتسلية فسق على قول أكثر العلماء، وكفر على قول بعضهم.

ولذلك إن الذين يضعون أمامهم مائدة طعام من الرز واللحم، ثم يتقدم واحد منهم للأكل ويقول: وننسفنا الجبال نسفا، هذا فسق على قول جمهور العلماء، وكفر على قول بعضهم، لم تجد مادة للسخرية إلا كلام الله عز وجل

(قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) (التوبة: ٦٥-٦٦)

فانتبهوا إلى هذه القضية، ولا تتخذوا الأحاديث النبوية والآيات القرآنية مادة دسمه لتسلية المجالس، وأنس المؤانس، لابد أن تنتبهوا، وأن تجلوا الله، فهو عز وجل، سبحانه وتعالى.

ولذلك يقول الله عز وجل لرسوله ﷺ، وهو يرى من صد قومه من الانعكاسات على قلبه الكبير ما يفتته ألما على مصيرهم، وما يزيده حزنا وهو يرى الطريق الذي يسيرون فيه، يقول له:

(وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) (الانعام: ٣٥)

والجهل، والكلام فيه طويل، ومن أحسن العلاج لجهلاء الإعراض عنهم، لانك إن ناقشتهم غلبوك، وإن غلبتهم أبغضوك، ولم يعترفوا لك بحق، فأعرض عنهم.

(فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) (النجم: ٢٩)

أعرض عنه

(واصفح الصفح الجميل) (الحجر: ٨٥)

أعرض عنهم، لا تناقشهم، لأن النقاش يزيدهم انتفاخا، وقد قال الشافعي -رحمه الله-: "ما ناقشت جاهلا إلا غلبني، وما ناقشت عالما إلا غلبته" ما ناقشت جاهلا إلا غلبني، لأن الجاهل قد ينكر- كما قلنا – ضوء الشمس برابعة النهار، وضوء القمر بدرا.

ولذلك دعوا الجهلاء يموتون إن تركتموهم، ويحيون إن ناقشتموهم، فلعلهم يرتدعون بالإعراض عنهم، ويعرفون مقامهم بالصد وبالترفع عن مناقشتهم، هذا إذا تأكد لديك أنه جاهل، صاحب هوى، لا يريد أن يعترف بحق، ولا يريد أن يتبع يقينا.

والسبب الثاني: هو الغفلة، السبب الأول هو الجهل، والسبب الثاني هو الغفلة.

والغفلة تودي بصاحبها إلى النار

(إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) (يونس: ٧-٨)

الغفلة تسبب الإعراض، تسبب اللهو، وأنت تذكرهم بآيات الله هم غافلون

(اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) (الانبياء: ١-٣)

تأتي إليه بالأمر الفصل، وبالقول الجد، وليس بالهزل، تأتي إليه تحدثه عن معارك يتعرض فيها الإسلام للزوال أو الدوام، تحدثه عن حرب ضروس طاحنة، تطحن البشر كما تطحن الرحى الحب، وهو لاهٍ، غافل، وأكثر ما يقابلك ابتسامة صفراوية، أو يقول لك: سمعنا عن هؤلاء أنهم يفعلون كذا وكذا، ليس عندي وقت أن أسمع حديث هؤلاء القوم **(لاهية قلوبهم وأسروا النجوى).. (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون)** إنه مشغول بلعب الورق، إنه مشغول بأنواع الفواكه، وألوان المرطبات، وأنت تأتي إليه لتنغص عليه هواه، ولتشده قليلا من غفلته التي تغمره من أخمص قدميه إلى قمة رأسه، تريد أن تشده قليلا عن الورق الذي يلعب، وعن الدنيا التي بها يلهو، وعن حياته التي اتخذها لهوا ولعبا، وغرته الحياة الدنيا، فهو ليس عنده من الوقت أن يضيع من وقته لحظة واحدة، للاستماع لقول يفيده في دنياه أو في أخراه.

نحن أولى بالوقت

ولذلك قالوا عن بيكاسو – هذا الرسام العالمي أو الفنان العالمي -: كم تنام في اليوم؟ قال: أربع ساعات، قالوا له: أربع ساعات تكفيك؟ قال: تريدون مني أن أنام ثماني ساعات فأضيع ثلث حياتي في النوم، متى يمكن أن أشبع ملذاتي؟ وأشبع نهمي وغرائزي؟ فلا أنام إلا أربع ساعات، من الأولى بهذا؟ رب العالمين أن تقوم بين يديه، أو سيد المرسلين ﷺ تقتفي خطاه، وتتبع أثره في السراء والضراء، في الليل المظلم وفي النهار المشمس؟، أم أولئك الذين يستكبرون أن يضيعوا ثمان ساعات في نومهم، حتى لا تضيع عليهم لذاتهم وشهواتهم.

يقول ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم، (طريق الهجرتين وباب السعادتين): التوكل مركب السائر الذي لا يتأتى له السير إلا به، فهو سيارتك ودابتك، التوكل دابتك التي توصلك إلى الله عز وجل، مركبك الذي يطير بك إلى رب العالمين، ومتى نزل عنه انقطع لوقته، وهو من لوازم الإيمان ومقتضياته، يقول الله عز وجل:

(وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) (المائدة: ٢٣)

فجواب الشرط متقدم على الشرط، أي إن كنتم مؤمنين فعلى الله توكلوا.

ويقول كذلك: التوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله، أما علمه فيقينه بكفاية كفيله، وكمال قيامه بما وكله إليه، وأن غيره لا يقوم مقامه، أن تعتقد أن الذي وكلته بامورك قادر أن يدبرها! وأن الذي كفلته بشؤونك قادر أن ييسر هذه الشؤون وييسر هذه الأمور.

وأما عمل القلب، فسكونه إلى وكيله، إلى رب العالمين، وطمأنينة إليه، وتفويضه وتسليمه أمره إليه، ورضاه بتصرفه له، فوق ما يتصرفه هو لنفسه، وخيرة الرب لعبده خير من خيرة العبد لنفسه، هو أعلم بكم، وهو أعلم بما يصلحكم وبما يدبر أموركم، وبما ييسر أحوالكم، وبما يسكن قلوبكم، ويصلح ذات بينكم، ويهدئ روعكم.

(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (البقرة: ٢١٦)

وكم من القضايا، ضاق الانسان بها ذرعا إذ نزلت، كم من الأمور عندما تواجه الإنسان كأن الكروب كلها أخذت بخناقه، ولكنه بعد حين يدرك حكمة رب العالمين بهذا الأمر الذي لو خير إذا نزل فانه يختار غيره، والخيرة فيما يختاره الله عز وجل.

ويقول الله عز وجل:

(ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (الطلاق: ٣)

ضمن الله لمن توكل عليه القيام بأمره وكفايته همه

(ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم) (التوبة: ٤٩)

عزيز لا يذل من استجار به، ولا يضيع من لاذ بجنابه، حكيم لا يقصر عن تدبير من توكل على تدبيره.

الطيرة شرك

والتوكل ينافي الطيرة، والتوكل لا ينافي الأخذ بالأسباب، والتوكل كذلك لا ينافي أخذ الدواء في حال المرض، أما الطيرة فإنها كلمٌ يكلم التوكل، ولذلك قال ﷺ: **(الطيرة شرك، وما منا إلا...ثم قال: ولكن الله يذهبها بالتوكل)**[1]

يعني وما منا إلا وقد يعرض له الطيرة، والطيرة من ردته فقد أشرك، أي شركا أصغرا، وليس شركا يخرج من الملة، من ردته الطيرة فقد أشرك، لذلك إذا تطيرت فامض لشأنك.

كان رجل يمشي مع ابن عباس رضي الله عنه، فسمع صوت غراب ينعق أو بوم ينعق، فقال: خير خير، قال: أي خير وأي شر في هذا، أنا لا أمشي معك، وتركه لأن هذا تطير، لأن العرب كانت تتطير بالألوان، وكانت تتطير بأصوات بعض الطيور، وتتفاءل بأصوات بعضها، وهذا جاء الإسلام ليمسحه من القلوب، ويجعل عقيدة التوكل مباشرة مع علام الغيوب.

ولذلك كانوا إذا نزلوا منزلا يقولون: نعوذ بحامي هذا الوادي، أي من الجن، فجاء الإسلام ونفى هذا:

(وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) (الجن: ٦)

وأن من ترك الأخذ بالأسباب بالكلية ثقة بالله، فهؤلاء أفذاذ من البشر خارج عن قانون الناس في عوام أمورهم، أن رسول الله ﷺ قال: **(سبعون ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب، فقالوا له: يا رسول الله صفهم لنا؟ قال: لا يكتوون ولا يسترقون ولا**

---

(١) رواه أبوداود والترمذي وقال سمعت محمد بن اسماعيل يقول: كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث: وما منا إلا «ولكن الله يذهبه بالتوكل» هذا عندي قول ابن مسعود، أنظر مشكاة المصابيح رقم ٤٥٨١ بتحقيق الشيخ ناصر الدين الالباني.

فبالصبر واليقين تنال الإمامة بالدين، والجهاد طريقه طويل، ويحتاج إلى صبر، ويحتاج إلى عبادة تدفعك على هذه الطريق التي ا مرارة وسغوب، وكلها عقبات وأشواك، وهي مفروشة بالأشلاء، وبالدماء، وتتناثر حولها أرواح الأبرياء.

يا أيها الإخوة:

كونوا مع هذه الحفنة {واصبروا وصابروا ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون} وغذوا الصبر بالعبادة، وغـذّوا اليقين بالصلة ، وغذوا الإخلاص بتجرد التوكل على الله عزوجل.

التوكل والإيمان

يا من رضيتم بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا.

إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

{ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله غ أمره قد جعل لكل شيء قدرا} (الطلاق: ٢-٣).

هذه الآيه تشير الى أن الله عز وجل يكفي من توكل عليه، التوكل في هذا الدين نصفه، ونصفه الثاني العبادة، فالدين عبادة ستعانة، ولذا يقول الله عز وجل

{إياك نعبد وإياك نستعين}

فالدين قسمان: عيادة واستعانة.

ـ العبادة

والعبادة هي الانابة، والاستعانة هي التوكل، ولذا جاء في النظم الكريم:

{عليه توكلت وإليه انيب} (الشورى: ١٠)

{ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه} (هود: ١٢٣)

فجماع الدين هاتان الكلمتان، (فاعبده وتوكل عليه) وهو جدير بأن نعبده، خليق بأن نستعين به، لأن الأمر كله له، وبيده الأمر، د أمره، ولا يعقب، تعلى مشيئته، أمره نافذ، قضاؤه لامرد له.

{ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله}.

وما دام كذلك فمطلوب منك كلمتان أو قضيتان: أن تستعين به، وأن تعبده {فاعبده وتوكل عليه} {إياك نعبد وإياك ستعين}.

وكل علم وعمل

فما هو التوكل؟ التوكل عند جمهور العلماء هو الثقة بأن قضاء الله نافذ، واتباع سنة نبيه ﷺ في تحري المطاعم والمشارب، ذ بالأسباب، فهذا التوكل.

الاطمئنان إلى قدر الله النافذ، لكن دون ترك الأسباب التي أمر الله بها، فمن ترك السبب فقد طعن في السنة، لأن سنة رسول ﷺ الأخذ بالأسباب، وتوقي المحاذير، وقد كان رسول الله ﷺ يعمّي في الحروب ويتخفى ويكني، ويقول الحرب خدعة، ويلبس ، وقد يخالف بين درعين، ويتداوى.

هذه سنة رسول الله ﷺ، فمن أخذ بالأسباب فإنه متبع لسنة رسول الله ﷺ.

وليس ذلك طعنا في التوكل ولاجرحا بعقيدة الثقة برب العالمين.

حليم، ينظر إلى عبده المؤمن يخطىء فيمد يده في الليل ليتوب مسيء النهار، ويمد يده في النهار ليتوب مسيء الليل، جواد كريم يقبل لتوبة، وباب التوبة مفتوح.

وهؤلاء، هذه العصبة المؤمنة، هذه الحفنة الطيبة، قد يخطىء بعض أفرادها، والخطأ لا يوردهم في جهنم الدنيا، أو في جهنم آخرة، فتنزل عليهم السكاكين تقطع والألسنة تنهش، والأسنان تمضغ.. (**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم**)[1] أصحاب الخير تقال شراتهم، ويغفر لهم ما لا يغفر لغيرهم، حديث صحيح (**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر ويده بيد رحمن**)[2].

(**إن أحدهم ليعثر ويده بيد الرحمن**) هذه زيادة أبي داود.

فأقول:

هذه العصبة – ونظن – إن لم يحو الجهاد هذه العصبة فلن تجد لله في الأرض عصبة، (**ولا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على لحق لا يضرهم من خذلهم ولا من عاداهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**) وروايات (**يقاتلون**)[3]

أقول:

إن لم يكن في الجهاد هذه العصبة، فليس لله عصبة، وإن لم يكن بين المجاهدين أولياء فليس في الأرض ولي، إن لم يكن من بين هؤلاء الذين طحنوا تحت القذائف، أعصابا وأنفسا، يتجرعون مرارة المسيرة، ويتنقلون بين فكي الموت، ويعيشون في داخل جوف التنين، إن لم يكن من بين هؤلاء الشعث الغبر، الذين لو أقسموا على الله لأبرهم، ليس في الأرض أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره.

فاتقوا الله في هؤلاء المجاهدين، واتقوا الله في نهش لحومهم، واتقوا الله في لعق دمائهم، واتقو الله من التفكه بأعراضهم وعيوبهم، اتقوا الله في تمزيق لحومهم، وقوا أسنانكم من أن تكون بينها بقايا لحومهم، ولحومهم مسمومة، وعادة الله أو ناموس الله في هتك أستار من تتبع عوراتهم معلومة، وعادة يصيب الذي يصيب المؤمنين بالثلب لا يموت حتى يصاب بموت القلب، كما يقول ابن عساكر، وينقله النووي عنه.

أقول لكم:

هؤلاء فيهم أولياء لله، (**ومن عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**) كما جاء في البخاري.

اتقوا الله في هؤلاء، ولا تشددوا الفرية والكذب عليهم، (**وأشد الناس، وأعظمهم فرية من هجا قبيلة بأسرها**)[4]

فيقول: هذه القبيلة لا خير فيها، أو هذه القبيلة كلهم سارقون، أو هذه القبيلة زناة، (**أعظم الناس فرية من هجا قبيلة بأسرها**)، فكيف من هجا مئات القبائل؟ فيقول: الأفغان كلهم كذا، الأفغان كلهم مبتدعة، الأفغان كلهم مدخنون.

ثم اتقوا الله في الحفنة القليلة التي تركت ديارها، وأموالها، الذين هاجروا في سبيل الله يبتغون من الله رضوانا، الذين خرجوا بدينهم، وتجردوا لهذا الجهاد، لا تمزقوهم بألسنتكم، ولا تغتابوهم، ولا تتبعوا عوراتهم، (**ويا معشر من آمن بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته**)، ورب جاهل مخلص يطعن الإسلام طعنة نجلاء في أعماقه وهو لا يعلم أنه يؤذي دينه، ويظن أنه من المخلصين، ورب عابث بهذا الدين، وهو يظن أنه يقطر عرقه، ويسيل دمه، يتابع ليله ونهاره في إيذاء أناس يظن أن إيذاءهم خير للجهاد أو البلاد أو للدين، وهو يطعن في هذا الدين، ويعبث في حرمات المسلمين كما يعبث الأطفال بأغلى الدرر، وأثمن الجمان، يرمونها في التراب، ولا يلقون لها بالا.

اتقوا الله، وتربوا كما تربى الصادقون، وعيشوا كما عاشت الحفنات الطيبة، فاستعمل الموازين الربانية في كنف هذا الدين، تحفظون حرمات المسلمين، وتستسلمون لنهج رب العالمين، بالإخلاص واليقين، وبالصبر المبين، حتى تصبحوا الأئمة، ولن تُنال الإمامة في الدين إلا بالصبر واليقين..

(وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (السجدة: ٢٤)

---

(١) صحيح الجامع الصغير رقم ١١٨٥.

(٢) الحديث صحيح سبق تخريجه برقم (١٠) دون قوله «فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر ويده بيد الرحمن» فهذه الزيادة رواها أبو داود وهي ضعيفة.

(٣) رواه مسلم بدون «ولا من عاداهم» وكذلك البخاري وهو حديث متواتر.

(٤) رواه البيهقي بلفظ «أعظم الناس فرية اثنان: شاعر يهجو القبيلة بأسرها ورجل انتفى من أبيه» أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الدين الألباني.

أريجه في أجواء السيارة التي تنقل جريحنا، كما حدث لعبد الصمد رحمه الله، قالوا: ما عرفنا خروج روحه إلا بعد خروج شذا الطيب، خروج روحه، إلا بعد أن خرج الريح الطيب من جسده الطيب الذي نرجو الله أن تكون الملائكة قد تقبلتها قائلة: أخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب، كنت تعمرينه في الدنيا، أخرجي إلى روح وريحان، ورب غير غضبان.

بها يتنزل النصر ويرد البلاء

النماذج التي تربى في مثل هذه الأجواء، بها يحمي الله المجتمعات من الدمار، وبها يشعر المجتمع بالاستقرار، وبها يتنزل النصر كماء مدرار، وبها يرزق الناس، ويرد البلاء عن الأرض النازل من السماء، وفي الأثر: وعزتي وجلالي إني لأهم أن أقع بأهل الأرض عذابا، فأنظر فأرى عمار بيوتي، والمستغفرين بالأسحار، والمتحابين فيّ، فأرفع عنهم ما أوشك أن أقع بهم ".

يا أيها الإخوة:

ـ لا تظنوا أن كثرة سلاح تنزل نصرا، ولا تظنوا أن الأموال تستجلب نصرا مؤزرا، إنما الذي يستنزل النصر دعاء الصالحين، قتيبة بن مسلم الباهلي في فتح بلاد الترك في ما وراء النهر- هنا التي تعتبر من الاتحاد السوفيتي - يرى إصبعا ويدا تشير إلى السماء، فقال: ما هذه اليد التي توسوس نحو السماء، قالوا: هذه يد محمد بن واسع، قال: لهذه أحب إليّ من ثلاثمائة ألف سيفَ تنزل على الأتراك الكافرين، لهذه اليد التي توسوس في المعركة تشير إلى السماء أحب إليّ من ثلاثمائة ألف سيف في سبيل الله.

نماذج، ولكنها تربى من خلال صدق، تربى على أيد نظيفة، قد تجردت من الأرض على يد أرواح، قد تخلصت من أوهاق الأرض وجاذبيتها، فأصبحت تسير على الأرض بأجسادها، ولكن أرواحها تعيش في السماء، تشارك الملأ الأعلى والملائكة يستغفرون لمن في الأرض..

(الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) (غافر: ٧)

وفي الحديث القدسي الصحيح كما يقول الله عز وجل:

(ما ترددت في شيء ترددي في قبض روح العبد المؤمن يكره الموت، أكره مساءته وأكره إيذاءه)(١)

فيتردد رب العزة في قبض روحه لأنه يكره أن يؤذي عبده المسلم.

هذه الصفوة ابحثوا عنها، عيشوا معها، سيروا مسيرتكم بها وبقيادتها، اعبدوا الله عز وجل من خلال نور ما تستمعون منهم، هذا توجيه رباني يقول:

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا)

ـ أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

قبلوا عثراتهم

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه)

(إن لله عباداً إذا أرادوا أراد).(٢)

و(رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره).(٣)

ـ الفئة المؤمنة، العصبة الصالحة المتجردة، ولن ينجو أحد من زلل، ولن يخلو أحد من خطأ، والله عز وجل عظيم كريم، جواد

---

(١) رواه البخاري في صحيحه. (٢) لا أصل له ويغني عنه أحاديث أخرى صحيحة كالحديث الآتي. (٣) رواه مسلم بلفظ «رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره».

ـارج من مشكاة النبوة، كأنه قبس من النور الذي جاء به رسول الله ﷺ، هذه الحكمة كان يحافظ عليها سلفنا كما تحافظ الدول على عملة الصعبة، وعلى الذهب الذي يحمي ورقها المتعامل في الأسواق المطروح بين الناس، ما قيمة الأوراق إن لم يكن وراءها رصيد من ذهب، ان لم يكن وراءها رصيد من العملة الصعبة التي تجعل لهذه الاوراق قيمة في التعامل اليومي بين الافراد في المجتمعات، كانوا يعدون في المعارك، كم بقي عندنا من البدريين؟، كم بقي عندنا من أهل أحد؟ كم بقي من أهل الخندق؟، ثم بعد أن وصل جيل صحابة كله إلى ربه، صاروا يقولون من بقي ممن رأى اصحاب رسول الله ﷺ ، كانوا يسألون من بقي من التابعين الذين رأوا بأم عينهم ذلك الجيل الفريد: الذي تربى على يدي النبوة الكريمتين.

لا تنتصر الجيوش، ولا تستقيم المجتمعات، ولا تعتدل الحياة إلا بكثرة هؤلاء، فإذا كثروا في داخل المجتمع فهذه علامة التوفيق ن رب العالمين، وإشارة الرضا عن هذا المجتمع، وبقدر ما يقرب صاحب السلطة من هؤلاء حوله، يستشيرهم ويرتضي بحكمهم، يلتزم تعليماتهم، بقدر ما يعم الخير والطمأنينة والأمن والاستقرار في المجتمع.

ومن هنا كان عمر يوصي القادة رضوان الله عليهم أجمعين، أن يكون جلساؤهم من القراء والعباد، ومن هنا تجد القائد حوله ن الكوكبة، كوكبة من الحفظة التي لا تكل عن ذكر، ولا تهدأ عن استغفار، ولا تقر جنوبها في الليل قياما وقعودا يذكرون ربهم، يستنزلون النصر بدعواتهم، وهكذا كان الصالحون من القادة، حولهم مستشاروهم علماؤهم صفوتهم، خيرتهم يعيشون معهم، كما عيش التلميذ مع أستاذه، وينسون أنهم سلاطين أو قادة، بأيديهم زمام الأمور، فكان كما قال ابن القيم: لئن كان الملوك ملوكا على ناس، فالعلماء ملوك على الملوك، فهم ملوك الملوك، وأساتذتهم، وقادتهم، لئن كان هذا الشاب أو القائد يقود الآلاف، ولكن له قائد، هو عالم الذي يمسك جماحه أن يستطير، وشره أن يمتد على الناس، أو ظلمه أن ينال المظلومين، ويكف أيدي هؤلاء، ويوجههم كما يريد ب الأرض والسماء.

يا أيها الاخوة: أذكر في هذا المجال البركات والتيسير الذي أحاطنا الله به في هذا الخضم المتلاطم من المشاكل التي تعترض ـذه الحفنة التي تريد خدمة الجهاد الأفغاني، أذكر هذه النماذج، فأشعر أن البركة تنزلت بوجودهم بيننا، وبدعائهم لنا، و بصدقهم بإخلاصهم، وباستعمال موازين رب العالمين، أذكر أبا عاصم، وأذكر سعود البحري، وأذكر عبد الوهاب الغامدي، وأذكر يحيى سنيور، أشعر أن الرحمة قد نزلت علينا، والبركة قد حلت في أعمالنا، والتيسير والتوفيق قد واكب مسيرتنا، بوجود هؤلاء المخلصين، الذين ختارهم واتخذهم الله، ونرجو الله عز وجل أن يكونوا شهداء عند الله كما شهدنا لهم في هذه الدنيا بشهادة.

أذكر سعودا يوم أن كنت أجلس معه – وهو دوني في العمر بكثير – فأستصغر نفسي أمام هذه القمة الشاهقة من الإخلاص، لتجرد، والثبات، ونسيان الدنيا كلها، يبحث الموت مظانه **(آخذ بعنان فرسه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)**[1]

كرامات

ولذلك ليس عجيبا أن نرى النور الذي كان يملأ قلبه قد بدأ يخرج من قبره إلى السماء ويعود – كما شهد شاهد بينكم، وشهد ي الأفغان بذلك –، ليس عجيبا أن نرى جثة سعد الرشود بعد ثماني عشرة ساعة من استشهاده ترتجف عند سماع القرآن، ليس جيبا أن نشم رائحة يحيى على بعد خمس مائة متر ونيف، ويبقى المستشفى الذي ضم جثمانه الطاهر يعبق بالمسك أسبوعا كاملا، ما شهد جمع غفير ممن يسمع خطبتي هذه، ليس عجيبا أن نسمع صوت التكبير لا زال يخرج من قبر عبدالله الغامدي كما شهد لي ظر محمد –قائد الجبهة– وآخرون من جبهته، واستفسرت، وزدت استفسارا، ويقولون: إذا شئت أن تسمع التكبير فتعال، وعش معنا ي جبهتنا، ليس عجيبا أن تشم ملابس عبد الرحمن البنا –حمدي البنا–، ولا زالت عندنا في داخل هذا المكتب بعد أربعة أشهر من ستشهاده، لا زالت طاقيته، ولا زالت بعض آثاره تعبق رائحة طيبة يشمها الأفغان، فيقولون: هذه رائحة شهيد.

هذه الكرامات ليست قول قائل، وليست حدثا، إنما رويت بالعيان، وشمت بحاسة الشم من كثير ممن يجلسون في هذه الجلسة، يسمع أخبارنا، شاب بينكم، يخترق رصاص كلاكوف حذاءه، ولكنه لا تجرحه، والحذاء موجود بين هذه الأحذية، ويجلس صاحبه بينكم.

ليس عجيبا أن تلقى خمس قذائف من الهاون فوق خندق واحد فيه ثلاثة، فينجو العربي، ويقع الشهيد الأفغاني في حضنه، يشهد الله أنه بعد استشهاده أصبح جسده يخرج دخانا كدخان حريق العود، –عود الطيب– يعبق مسكا في الآفاق، وهو بينكم –كما ت لكم– ويسمع كلامي هذا، دخان!! ليس عجيبا أن تعرف وقت خروج الروح بانتشار الشذى الطيب، والعرف الجميل، والمسك

---

[1] رواه مسلم.

والحواشي أن يستعملوا الميزان، لوجدنا المعاهد الدينيه، والكليات الشرعيه، لوجدنا الأزهر والزيتونة وغيرها، لوجدناها تقدم نماذج للعالم تقف أمام الظلم، ولو وضع المنشار على مفرق رأسها فيجعلها نصفين، أو مشط دون عظمها من لحم وعصب، إن الحواشي والمتون لا تربي أفذاذ البشر، الذين يضبطون الميزان ولو كان على أعناقهم، إن الذين يستطيعون أن يضبطوا الميزان ليس أولئك الذين يحفظون المطولات، ويحفظون الألفية وشرحها، والسلم وغير ذلك، يحفظون كتب العقيده أو حاشيه الدسوقي أو حاشيه ابن عابدين أو شرح المغني أو غير ذلك، لا يستطيع هؤلاء أن يضبطوا الميزان، إن الذين ضبطوا هم الذين تربوا على يد رسول الله ﷺ، وتقلبوا بين نار المحنة، وحرارة الابتلاء، إن الذين ضبطوا الميزان هم أمثال حذيفه الذي قال له رسول الله ﷺ يوم الأحزاب: **«قم يا حذيفه وانظر لنا خبر القوم، قال: أنا أرتدي مرطا لزوجتي لا يكاد يغطي ركبتي، وأن أجمع نفسي لكثرة القر، والناس لايكادون يستطيعون أن يقضوا حاجتهم خارج بيوتهم[1]»**.

هذا حذيفه هو الذي أصبح فيما بعد أميرا على المشرق، وعندما أصبح أميرا يرسل إلى عمر يستعفيه من الإمارة، يقول له: إني أنظر الى هذه الأكداس من الأموال بين يدي كفتاة حسناء، تراودني عن نفسي، فاتق الله فيّ يا عمر، ودعني من إمارتك.

ضحوا، دفعوا الثمن، تربوا، فعندما جاءت المطامع الدنيويه، عفوا، وكفوا، وتواروا خلف الستار، ولكنهم يواجهون الأمم جميعا من خلال ورعهم، من خلال صلتهم بربهم، من خلال قيامهم، من خلال سلوكهم العملي الذي أدخل الملايين في دين الله أفواجا، إن الذي يستطيع أن يضبط الميزان، الباحث عن الحقيقه، سلمان الذي ما ترك بلدا إلا ودخلها يبحث عن النبي المرسل، الذي سمع به بقايا أهل الكتاب، حتى اهتدى إلى المدينة المنورة، ينتظر قدوم النبي ﷺ، سلمان الذي بيع كعبد، وهو ابن دهاقين الفرس، بيع عبدا في المدينة، وبقي كعبد يخدم في المدينه لدى اليهود وحتى أعتقه المسلمون، ودارت الأيام، وجلس سلمان على عرش كسرى بن هرمز، الذي جاء في التاريخ، يقول في تاريخ الدولة الساسانيه: عندما هزم كسرى، كان يبكي ليل نهار، فيسأله ندماؤه: ما بالك يا أيها الملك العظيم؟ فيقول: كيف أستطيع الحياة الآن، ولم يبق عندي إلا ألف طباخ، وألف مربي صقور، كسرى يبكي لأنه لم يبق عنده إلا ألف طباخ، وسلمان الذي جلس على عرشه ورد في الإيوان

(كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قوما آخرين) (الدخان: ٢٥-٢٨)

يأتي كما جاء في روايات عن سلمان أنه كان ينفق درهما واحدا في اليوم ويشتري بدرهم آخر ورق البوص ليصنع السلال التي يبيعها في اليوم التالي بدرهم يقتات بدرهم، ويشتري بدرهم بوصا لليوم التالي، هذا سلمان وهذا كسرى، الأرض هي الارض، والملك هو الملك، ولكن الميزان قد تغير، ميزان رب العالمين يمسكه سلمان فينفق درهما واحدا في يومه، ويمسك درهما واحدا، وذاك يبكي، لانه لم يبق عنده إلا ألف طباخ وألف مرب للصقور.

صيد المجتمعات

اقول أيها الإخوة إن تربية الأفراد لا تتم من خلال المعاهد، وإن كان بعض الأفراد يتخرجون أفذاذا من المعاهد، لا بسبب الثقافة التي تلقوها، وإن كان للثقافة اثر، ولكن بسبب تأثره بأستاذ من أساتذته في هذا المعهد، يستقي منه دينه قبل أن يستقي منه علمه، يتلقى منه ورعه قبل أن يتلقى منه ثقافته.

يتربى على يديه قبل أن ينهل مما بين يديه من كتب، ولذلك يقول عبدالله بن المبارك رحمه الله: مكثنا عشرين عاما نتلقى العلم، مكثنا ثلاثين عاما نتلقى الأدب، الأدب الرباني، العيش مع البشر بالأجسام، والأرواح معلقة بالله.

التي تستعمل الميزان الرباني يحفظ الله بها المجتمعات، وبها يرد البلاء عن الأرض، وبها تستقيم الحياة وبها يتنزل النصر، بها يرزق الناس، هؤلاء الناس.

هذه النماذج طالما حرص على وجودها سلفنا وبقية سلفنا الذين قلوا في عصرنا هذا، بقية السلف الصالح الذين لازالوا كرين السلف الصالح الذين كانوا يذكروننا بالانبياء، ولذلك ترى عليهم سمت أولئك الصالحين وكلامهم، به من الاتزان والحكمة كانه

---

[1] رواه مسلم، أنظر مختصره / ص ٣١٥ الحديث رقم ١١٧٢ .

وتبغض لله، وحتى ابتسامتك توزعها حسب ما يرضي الله، قضية لا تطيقها إلا كبار النفوس التي تعبت عليها أنظف الإيدي، في تربية عبر مسار طويل من خلال محن طويلة تصنع النفوس، تربي النفوس على استيلاء المحنة، وحرارة الإبتلاء، وهي جاهزة للطرق مطاوعة للتوجه.

يا أيها الإخوة:

بقدر ما تستغمل موازين الله، - ولم تستعمل إلا على أيدي أناس عاشوا مرحلة طويلة في الابتلاء والمحن، وفي التربية والتوجيه- بقدر ما تستعمل موازين الله بقدر ما يسود العدل في الأرض، بقدر ما ترتاح النفوس، وبقدر ما يسود العدل في أرجاء المعمورة، وإذا اختلت الموازين فقد اختل المجتمع، وإذا انقلبت الموازين فقد انقلب المجتمع، (كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفا والمعروف منكرا) ويلتبس الأمر أحيانا على الناس الذين يبتعدون عن استعمال الموازين الإلهية.. ميزان (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ميزان (اسمعوا وأطيعوا ولو أمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة)[1]، ميزان

(وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) (سبأ: ٣٧)

لن تستقيم الحياة أبدا إلا بقدر الاستقامة في استعمال الموازين الإلهية، وقد يتلاعب في الميزان، وقد يضطرب في أيدي الناس، يضطرب المجتمع، وقد تختل الموازين فيختل المجتمع، وقد تنقلب الموازين فينقلب المجتمع بأسره، فترى الإنسان يقول الناس عنه: ما أحلمه، وما ألطفه وليس في قلبه مثقال ذرة من إيمان، كما جاء في الحديث. وهذا عندما تختل الموازين وتضطرب القيم.

إن لله ميزانا أنزله ليقام العدل في الأرض، وما أنزلت الشرائع إلا من أجل إقرار العدل،

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) (الحديد: ٢٥)

والعدل لن يقام في الأرض، ولن يستعمل هذا الميزان، إلا إذا وجد حماية كافيه وقوة رادعة لكل يد تريد أن تعبث، وكل إنسان يريد أن يلعب فلابد من حماية الميزان من الاضطراب والعبث واللعب، ولذلك

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) (الحديد: ٢٤)

والحديد لحماية الميزان، ولن تقوم للميزان قائمة ولن يستعمل في الأرض ما لم يكن حديد يحميه.

(وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) (الحديد: ٢٥)

فالحديد للجهاد، وأنزله الله عز وجل من أجل أن يحمي هذا الدين، من أجل أن تصان المبادىء من العبث، من أجل أن تحاط القيم من اللعب، من أجل أن لا يعبث السفهاء بالقيم فتضطرب، وبالموازين فتختل المجتمعات، وتضيع القيم ويسود الظلام ويغرق الناس في المستنقع الآسن، في حضيض الشهوات التي لا تفرخ إلا في المستنقعات الآسنة، كما يعيش البعوض والذباب في المستنقعات الآسنة.

المحنة منحة

لا يسود الزنا، ولا ينتشر الظلم، ولا تعم الفوضى، ولا يحدث الارتباك، ولا تزداد الرشوة إلا إذا اختل ميزان رب العالمين، إلا إذا اختلت الأيادي التي عبثت في الميزان، فاختلت الأرض، ولذلك (أنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس)، ومن يستعمل الميزان، هل يستطيع أن يحمل الميزان ويستعمله طيلة حياته، من عرف من الإسلام معرفة ثقافيه، أو من تربع على صفحات الكتب، أو من حفظ الحواشي والمتون؟

إن هؤلا لا يستطيعون أن يضبطوا الميزان، وسيختل بين أيديهم ويختل المجتمع كله، ولو استطاع الذين يحفظون المتون

---

[1] رواه مسلم.

لتطردهم فتكون من الظالمين][1]

إن لله عز وجل قيما وموازين، وللبشر قيم وموازين، إن لله عز وجل موازين أراد أن يقرها في واقع الأرض حياة وسلوكا، ونظام حياة، موازين كانت تعتبر خيالا يمر في أدمغة البشر، كأنه أحلام، فأصبحت واقعا بسلوك وكلمات وحياة وحركات، الميزان الرباني يقول: -

(وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا) (سبأ: ٣٧)

الميزان الرباني يقول:

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات: ١٣)

وموازين البشر تزن دراهم ومراتب، وموازين البشر تقول

(أنى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) (البقرة: ٤٧)

يتفاضل البشر فيما بينهم لأنظمتهم الجاهليه بقدر وزنة القوم، أو عشيرته، أو ماله، أو وظيفته ويكون ترتيب المجتمع حسب هذه كثرة أو قلة زياده أو نقصانا، ومن هنا ميزان الجاهليه قد يرفع رجلاً مثل أبي جهل، فيسميه أهل الجاهليه أبا الحكم، ولكن رسول الله ﷺ يطلق عليه أبا الجهل، ميزان الجاهليه يضع رجلا مثل بلال رضي الله عنه في مصاف الدواب - في ميزان الجاهلية -، يستحيي أمثال أبي سفيان بن حرب أن يجلس مجرد جلوس معه، والميزان الرباني كما جاء في صحيح مسلم: إن بلالا وعمارا وصهيبا تعرضوا لأبي سفيان بعد فتح مكة بكلام غمزوه فيه، قالوا: والله ما نالت سيوف الله من أعداء الله شيئا، فذهب أبو سفيان - قائد الجاهلية، الذي تولى القيادة بعد مقتل أبي جهل، تولى قيادة مكة أم القرى، إلى أن تم الفتح، تولى محاولة مفاوضة الرسول ﷺ يوم فتح مكة، وتولى قيادتهم يوم أحد، يوم أن وقف فوق جبل أحد يقول: إعلُ هبل يوم بيوم بدر- قالوا: والله ما نالت سيوف الله من أعداء الله شيئا، فغضب أبو سفيان، وذهب إلى أبي بكر يشكو هؤلاء، فجاء وعاتبهم بشدة، قال: أتقولون لسيد قريش هكذا، ثم انطلق أبو بكر نحو الرسول ﷺ ، ويشكو بلالا وعمارا وصهيبا، ويريد أبو بكر وهو يصغي بمسامعه إلى رسول الله ﷺ، يريد أن يسمع منه كلمة عتاب على هؤلاء، طمعا في قلب أبي سفيان، أو يريد أن يتمعر وجه رسول الله ﷺ غضبا بسبب إغضاب سيد قريش، الذي من دخل بيته فهو آمن، وإذا برسول الله ﷺ يضع الميزان، قال: « لعلك أغضبتهم إن كنت أغضبتهم فقد أغضبت ربك.. »[2]

يا لله، أي رفعة، أي سماء، وأي عظمة، وأي بركة يرتفع فيها هذا العبد من مصاف الدواب في ميزان الجاهلية إلى مقام يغضب رب العزة من أجله، (إن لله رجالا إذا أرادوا أراد ، ورب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبره)[3]

- أقول: عندما سمع أبو بكر هذا الكلام من رسول الله ﷺ، أخذت فرائصه ترتعد، لعله أغضب الله بإغضاب بلال، فرجع إلى بلال وعمار يرجوهم، ويستجيش العاطفة في أعماقهم: إخوتاه، لعلي أغضبتكم، فيقولون: سامحك الله، فتنبسط أساريره، وترتاح مشاعره، ويقر وجدانه، ويهدأ قلبه، وفي نفس اليوم - كما روى ابن هشام في السيرة، في يوم فتح مكة - يأمر رسول الله ﷺ بلالا أن يصعد فوق الكعبة ليدوي صوت الله أكبر في أرجاء مكة، فأذن بلال، ورددت أرجاءها أصداء هذا النداء الذي يردد الكون، صداه في كل مكان الله أكبر، كان ثلاثة من زعماء قريش يجلسون مع بعضهم، عتاب بن أسيد وأبو سفيان بن الحارث والحارث بن هشام، قال الحارث - وهو من الطلقاء في ذلك اليوم -: الحمد لله الذي أمات هشاما قبل أن يرى هذا اليوم، وقال الثاني: ما وجد إلا هذا الغراب الأسود يصعده فوق سطح الكعبه، وقال أبو سفيان: أما أنا فلا أتكلم شيئا.

ميزان البشر، حمد الله أن والده مات قبل أن يرى الغراب الأسود فوق الكعبة، وفي نفس اليوم يقول الميزان: إن كنت قد أغضبت بلالا، قد أغضبتَ ربك تهتز الارض والسماء إذا غضِبَ هذا العبد، وترتج الأرجاء إذا تمعر وجهه حزنا.

أولئك أهل الجاهلية بموازينهم، في غيِّهم يعمهون، وفي طغيانهم سادرون، يظنون أن موازينهم بقي لها في الأرض قرار، يستعملونها، ويأبى الله عز وجل إلا أن يتم نوره.

إن إقرار موازين الله في الأرض عملية شاقة، لا تطيقها إلا كبار النفوس، وإلا أفذاذ البشر، أن تستعمل ميزانا إلهيا، أن تقدم من يقدمه الله، وتؤخر من من يؤخره الله، أن توالي من يوالي الله، وأن تعادي من يعادي الله، وأن تعطي لله، وتمنع لله، وتحب لله،

---

(1) راجع أضواء البيان للشنقيطي المجلد الرابع / ص ٨٧ . (٢) رواه مسلم مختصرا في صحيحه، أنظر مختصر صحيح مسلم / ص ٤٤٦ رقم الحديث ١٦٨٣ .
(3) رواه مسلم بدون زيادة «إن لله رجالا»، أنظر مختصر المسلم/ ص ٥٢٣ رقم ١٩٧٢ .

قتال قوم، إنما هو جهاد إسلامي عالمي، وتخط تاريخه دماء المسلمين من كل فج وصوب، ومن كل حدب وناحية، هذه الدماء تشهد في التاريخ، وللتاريخ، وللمسلمين أن دين الله عز وجل ليس حكراً على قوم، وليس محصورا في بقعة، إنما الخير في كل مكان، وأهل الخير متناثرون في شتى بقاع الأرض، ويحتاجون إلى من يحركهم، ويفجر طاقات الخير في أعماقهم، ويخرج نبع البر من أعماق قلوبهم.

يا أيها الإخوة:

هذه شهادة حق أن هذا الجهاد – إن شاء الله – جهاد إسلامي، وقد كان لإخواننا الأفغان فضل السبق فيه، فنرجو الله عز وجل أن يجزيهم عنا خير الجزاء، وكذلك ونحن قادمون إليكم، مررنا على مسجد يقام فيه تأبين شهداء ثمانية، جاء خبرهم من بغمان، وعلى رأسهم القائد فاروق الذي أذل الله روسيا على يديه في أطراف كابل وبغمان، وقد قضى على كثير من الروس بنفسه، وقد قتل – كما قالوا – أربعين روسيا، وهو رغم أن مقتله الأخير كان بعد أن حاصر رصدا للروس، ورفض إلا أن يقضي عليهم، وأبادهم، ثم تقدم على مركزه، على بعد خمس كيلومترات، من أطراف كابل، وقالت روسيا: لابد من الإتيان برأس فاروق مهما كان، وجاءت القوة، وحاصرت مركزه، وتخلى عنه الكثير، وقيل له: انسحب، وانحز إلى فئة أو تحرف إلى قتال، قال: لن أخرج من هذا المركز إلا على أيدي الرجال محمولا، وبقي يقاتل حتى هزم الروس، ولكن قبل أن يهزموا بعشر دقائق كان أحد الروس قد وصل على بعد عشرة أمتار منه وألقى عليه قنبلة، وقتله بالقنبلة، ثم تقدموا وعادوا إلى المركز، عاد الروس إلى المركز ليأخذوا رأس فاروق، وقد لبس الله عليهم، واشتبهت عليهم الجثة، وقطعوا رأس آخر، وحملوا الرأس إلى قائد الروس ليبشروه، ولم يكن ذاك رأس فاروق، ورأس فاروق – إن شاء الله – الآن يحظى عند ربه بنعيم مقيم في هذا القبر، حيث – إن شاء الله – يفتح له سبعون ذراعا، ونرجو الله أن يرى مقعده من الجنة، كما بشرنا رسول الله ﷺ عن الشهيد، ونرجو الله لفاروق ولإخواننا الثلاثة، ولإخواننا الأفغان الشهداء جميعا.

المعارك ملتهبة الآن في كل مكان، والشهداء في كل مكان يتساقطون، يضمخون أرض أفغانستان بالعبق الطيب، وبالشذى الأريج، الذي تعبق رائحته الزكية في أنوف الطيبين، ويشتمها المخلصون والصادقون.

ونرجو الله عز وجل أن يلحقنا بهؤلاء جميعا في جنات النعيم، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

الموازين الربانية

يا من رضيتم بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا.

اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

{واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا} (الكهف: ٢٨)

ويقول الله عز وجل:

{ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين، وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمه أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم}

(الانعام: ٥٢-٥٤)

وقد جاء في كتب التفسير أن سبب نزول هذه الايات: أن علية القوم من قريش ومن زعماء القبائل – الأخنس بن شريق زعيم بني زهرة وعمرو بن هشام وكذلك أبوسفيان بن حرب– جاءوا إلى الرسول ﷺ وقالوا: يا محمد، أفرد لنا مجلسا حتى نجلس معك لأننا نستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد حولك فتعيرنا بذلك، وهمّ رسول الله ﷺ أن يكتب بينه وبينهم عهدا أن يفرد لهم مجلسا، وإذا بجبريل عليه السلام يتنزل بهذه الآيات:

{ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء

من أراد الجنة

فمن أراد الجنة فعليه بسلامة الصدر، وعليه بقصر اللسان، ورسول الله ﷺ، وهو يردد ثلاثة أيام:

(يطلع عليكم رجل من أهل الجنة - وهو في بعض الروايات سعد بن أبي وقاص - يتبعه أحد أبناء الصحابة، وينام عنده ليلة أو ليلتين، ويشاهد عبادته، قال: والله إن رسول الله لا يكذب على ثلاث، يقول يطلع عليكم رجل من أهل الجنة، فتطلع ولم أر في عبادتك زيادة، ولا في تهجدك طولا، قال: يا أخي ليس عندي فضل عبادة، وإنما لا أبيت وفي صدري شيء على أحد من المسلمين)[1]

فيا أيها الإخوة:

أسلموا الطوية، وأخلصوا النية، وأحسنوا الظن بالبرية، تدخلوا الجنة العلية.

يا أيها الإخوة:

الجنة لابد لها من عمل، لابد لها من عمل، الجهاد في أعلاها، ولكن الجهاد بدون تربية نفس، وبدون ترويض روح، وبدون ارتباط بالله، قد تكون النتيجة مشكوكاً فيها، إن لم يتداركه رب العزة برحمته، وبناله برضاه وفضله.

فيا أيها الأخ الحبيب:

هؤلاء إخوانك الذين مضوا على الطريق، وكل واحد يرى أبا عاصم يدرك أنه شهيد، قبل أن يستشهد

(إن في ذلك لآيات للمتوسمين) (الحجر: ٧٥)

إن إشراقة النور لا تفارق وجهه، وإن الابتسامة المخلصة لا تفارق شفتيه، وإن الوضوء واللمعان لا يفارق محياه، حافظ قرآن، ثبت أكثر شاب من إخواننا، منذ عرفه أحمد شاه مسعود اتخذه خليلا ومستشارا في الحل والترحال، وفي السفر والإقامة، وهو له قريب، ومن قلبه حبيب، ويحدثنا مندوبهم: أنه رأى في المنام ليلة استشهاده أنه يستشهد، وفي الصباح قام إلى ملابسه، فوزعها، وقال: أنا أودعكم هذا اليوم لأني اليوم سأستشهد، وهجموا على معسكر من معسكرات العدو - في (اندراب) - وكان هو الشهيد الخامس الذي يسقط بعد أربعة من إخوانه الشهداء الأفغانيين.

وأما أخونا أبو عقبة، فقد استشهد بالأمس الأول، من جراء قصف طائرات على منطقة (شناري) في منطقة قندهار، وهي الآن تشهد قصفا مروعا، وضربا شديدا، لا يكاد يمل، ولا يكل من ضرب الأبرياء، وتمزيق المجاهدين، لإتباع الشهداء لركب السائرين في منازل الدارجين في طريق إياك نعبد وإياك نستعين.

وكلما جاءنا خبر شهيد أستصغر نفسي وأحتقرها، وأقول: لو كنا قد وصلنا إلى مرتبة تستحق بها منزلة الشهادة فإن الله عز وجل أكرم الأكرمين فسيمن علينا، ولكننا دون ذلك، ونرجو الله أن لا يحرمنا من بلوغها في عملنا في الدنيا، وأن يختم لنا بالشهادة، حيث يجمعنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وأما الأخ عبد الرحمن البنا، فهو مهندس جيولوجي، وقد ذهب إلى لندن ليواصل دراسته العليا، ثم قطع دراسته، وعاد ليأخذ مكانه في الركب الذي يقوده الصالحون، على أقدام سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ، ليأخذ مكانه في ركب الجهاد.

كنت جالسا معه طويلا، فتتمنى أن تسمع منه كلمة، فإذا سئل تبدى كلامه عن رجل يعرف في العلم الشرعي، ويلتزم الحق، يسير على هداه.

أهمية الجهاد

فيا أيها الإخوة: الزموا الزموا الطريق، وكما جاء في الأثر: **(يا حارثة قد عرفت فالزم)**[2]

قد عرفتم الطريق، طريق الجهاد فالزموه، عرفتم طريق الله فاتبعوه، يا هذا، يا أخي، يا مجاهد، يا مرابط، قد عرفت فالزم، قد عرفت فالزم، قد عرفت فالزم.

والأخ أبو عقبة هو من تونس، والأخ أبو عاصم من العراق، والأخ عبدالرحمن البنا من مصر، شهادة عملية أن الجهاد ليس

---

(1) القصة مروية عن عبدالله بن عمر وهي مشهورة.

(2) رواه الطبراني في الكبير بدون لفظ «قد»، قال الهيثمي في مجمع الزوائد الجزء الاول / ص ٦٢ فيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج الى الكشف عنه

بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث)

(الاعراف: ١٧٥-١٧٦)

كالكلب لهاثه على الدنيا لا ينقطع، كالكلب يلهث سواء كان مستريحا أو كان تعبا، ويا له من تشبيه وتصوير بالغ رائع، بكلام رب العزة سبحانه وتعالى {فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث}، وقد جاء في التفاسير: أن صاحب هذه الآية، رجل من بني إسرائيل يسمى بلعام بن بعوراء، كان مستجاب الدعوة، وعندما جاء جيش موسى عليه السلام، قال له قومه: ادع الله على موسى، فاستجاب لهم طمعا في دنياهم، فاندلع لسانه على صدره، وانسلخ من آيات الله، وأصبح كالكلب، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.

السبب الرابع: الشهوة

السبب الرابع الذي يجعل النفس تتمرد: هو الشهوة، والشهوة نزوع النفس إلى ما تريد، وأول الشهوات العلو في الأرض، الذي يجعل الحق باطلا، والباطل حقا، والذين يريدون العلو في الأرض لا يدخلون الجنة

(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) (القصص: ٨٣)

والكلام في هذا الموضوع يطول، ونرجو الله عز وجل أن يهبنا بركة وقت، وفرصة لقاء، فنفصل في هذه المواضيع، ونشرح هذه الأمور. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

نماذج فريدة

يا أيها الإخوة:

جاءنا بالأمس نبأ استشهاد أخ من إخواننا، وهو أبو عقبة التونسي، وهذا الأخ عرفته عن كثب، وعشت معه فترة، خاصة في رمضان المنصرم، هذا وهو الشهيد الخامس عشر من إخواننا العرب، الذين مضوا من خلال هذا المكتب إلى الله عز وجل.

ولقد رأيت، وتيقنت، أن الله يتخذ شهداء، والطابع العام للشهداء شيء واحد، وصفة مميزة، هي سلامة الصدر أولا بالنسبة للمسلمين، وعدم اللغو، وكثرة الفعل.

لقد استشهد أبو عقبة قبل أمس، واستشهد عبد الرحمن البنا المصري في رمضان، ومن قبلهم استشهد عبدالوهاب، وسعود البحري، وأبو حمزة، وأبو عثمان، كل الذين عرفتهم تجمعهم هذه الصفة المميزة: سلامة الطوية، وإخلاص يجعله يكبت اللسان، ويطلق الأركان بالأفعال، لا يتكلم، ولا أذكر أني سمعت له كلمة خلال شهر رمضان، لا أذكر أني سمعت له كلمة واحدة، بنفسه يقوم بعمله، ومن قبله عبدالرحمن كذلك، صامت لكنه..

صامت لو تكلما لفظ النار والدما
قل لمن عاب صمته خلق الحزم أبكما

هؤلاء الناس الذين يتخذهم الله عز وجل، أدركت أن الجنة ليست متاعا زهيدا يستامه المفلسون، وليست عرضا زائلا رخيصا يشتريه الناس بالنسيئة، إنما الجنة لها ثمنها، وأول الأثمان سلامة الصدر، وحفظ اللسان، وخاصة على المسلمين.

وإن كنت أنسى فلا أنسى كذلك أخانا الحبيب، الذي جاءنا خبر استشهاده من بنجشر، حافظ القرآن، الذي طالما ردد هذا المركز صدى تلاوته في شهر رمضان الماضي، ولقد كان يتلو، فتنطلق له القلوب ندية كأنها تتلقى القرآن نازلا من السماء غضا طريا، صوت جميل، ووجه مشرق جميل، ولسان قصير، إلا عن كلام الخير، وباع طويل، إلا عن فعل الشر، هؤلاء الإخوة الثلاثة الذين استشهدوا خلال شهر، وكما قلت لكم: سمتهم العامة سلامة الصدر، وحفظ اللسان عن إخوانه المسلمين، ما سمعت من أحدهم – على كثرة ما خالطتهم – كلمة واحدة يلوك بها لحما، أو ينتهش بها عرضاً، أو ينال بها أخا من إخوانه.

ولذلك أمرنا أن نقاطع هؤلاء، أن نقاطعهم بكلامنا، فنحن نعطيهم شيئا من ابتسامتنا، شيئا من حسن أخلاقنا ومعاملاتنا، لكن لا نضيع وقتنا مع هؤلاء، ولا نتلقى من هؤلاء أي رأي، [ولا تطع] ولا ناهية، والنهي للتحريم

(ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) (الكهف: ٢٨)

وكان أمره فرطا، لأن اتباع الهوى مع الغفلة لابد إلا أن يؤدي إلى شتات الأمر، وإلى انفراط عقد الناس، وإلى ضياع الآراء السليمة، وإلى غياب المنطقية المعقولة.

السبب الشر في الأرض.

ولذلك يقول الله عز وجل: [ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا].

السبب الثالث:- الهوى

والسبب الثالث الذي يقوي هذه النفس الأمارة بالسوء عليك، ويصعب مرتقياتها، ويحمز قممها، ويجعل الصعود شاقا، الجهل، ثم الغفلة، ثم الهوى.

والهوى ميل النفس إلى الشهوة، والحق عكس الهوى، والله هو الحق، وخلق السموات والأرض بالحق

(ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون)

(المؤمنون: ٧١)

فالحق يقابله الهوى، والهوى يلازمه الظلم، ويلازمه الضلال.

(يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) (ص: ٢٦)

والهوى - قلنا - يلازمه الضلال، والهوى يلازمه الظلم

(يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا) (النساء: ١٣٥)

فالهوى يجانب العدل، والحق يلازمه العدل دائما.

ولذلك سمي الهوى هوى، لأنه يهوي بصاحبه، والهوى هو السقوط من العلو إلى الأسافل.

ولذلك فصاحب الهوى هو الذي يسفل ويهوي مع أهوائه وغفلته وجهله إلى أسفل سافلين، في هذه الدنيا وفي الآخرة، حيث يهوي بريحه إلى سجيل.

وقد يتعاظم الهوى في النفس، حتى يصبح صاحبه لا يعصيه في منكر يراه، ولا يطيعه في معروف يستيقنه، بل قد يتعاظم الهوى في النفس، فيصبح المنكر معروفا والمعروف منكرا

(وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا)

(الفرقان: ٤١-٤٤)

والهوى هو الذي يخلد بصاحبه إلى الأرض، وهو الذي ينزل العلماء من منزلة دون منزلة النبيين، من منزلة تصل بهم مرتبة [illegible] إلى منزلة الكلب

(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه

(وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) (الانعام: ٣٥)

والجهل، والكلام فيه طويل، ومن أحسن العلاج للجهلاء الإعراض عنهم، لأنك إن ناقشتهم غلبوك، وإن غلبتهم أبغضوك، ولم يعترفوا لك بحق، فأعرض عنهم.

(فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) (النجم: ٢٩)

أعرض عنه

(واصفح الصفح الجميل) (الحجر: ٨٥)

أعرض عنهم، لا تناقشهم، لأن النقاش يزيدهم انتفاخا، وقد قال الشافعي -رحمه الله-: "ما ناقشت جاهلا إلا غلبني، وما ناقشت عالما إلا غلبته" ما ناقشت جاهلا إلا غلبني، لأن الجاهل قد ينكر- كما قلنا - ضوء الشمس برابعة النهار، وضوء القمر بدرا.

ولذلك دعوا الجهلاء يموتون إن تركتموهم، ويحيون إن ناقشتموهم، فلعلهم يرتدعون بالإعراض عنهم، ويعرفون مقامهم بالصد وبالترفع عن مناقشتهم، هذا إذا تأكد لديك أنه جاهل، صاحب هوى، لا يريد أن يعترف بحق، ولا يريد أن يتبع يقينا.

والسبب الثاني: هو الغفلة، السبب الأول هو الجهل، والسبب الثاني هو الغفلة.

والغفلة تودي بصاحبها إلى النار

(إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) (يونس: ٧-٨)

الغفلة تسبب الإعراض، تسبب اللهو، وأنت تذكرهم بآيات الله هم غافلون

(اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون) (الانبياء: ١-٣)

تأتي إليه بالأمر الفصل، وبالقول الجد، وليس بالهزل، تأتي إليه تحدثه عن معارك يتعرض فيها الإسلام للزوال أو الدوام، تحدثه عن حرب ضروس طاحنة، تطحن البشر كما تطحن الرحى الحب، وهو لاه، غافل، وأكثر ما يقابلك ابتسامة صفراوية، أو يقول لك: سمعنا عن هؤلاء أنهم يفعلون كذا وكذا، ليس عندي وقت أن أسمع حديث هؤلاء القوم **[لاهية قلوبهم وأسروا النجوى]**.. **(اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون)** إنه مشغول بلعب الورق، إنه مشغول بأنواع الفواكه، وألوان المرطبات، وأنت تأتي إليه لتنغص عليه هواه، ولتشده قليلا من غفلته التي تغمره من أخمص قدميه إلى قمة رأسه، تريد أن تشده قليلا عن الورق الذي يلعب، وعن الدنيا التي بها يلهو، وعن حياته التي اتخذها لهوا ولعبا، وغرته الحياة الدنيا، فهو ليس عنده من الوقت أن يضيع من وقته لحظة واحدة، للاستماع لقول يفيده في دنياه أو في أخراه.

نحن أولى بالوقت

ولذلك قالوا عن بيكاسو - هذا الرسام العالمي أو الفنان العالمي -: كم تنام في اليوم؟ قال: أربع ساعات، قالوا له: أربع ساعات تكفيك؟ قال: تريدون مني أن أنام ثماني ساعات فأضيع ثلث حياتي في النوم، متى يمكن أن أشبع ملذاتي؟ وأشبع نهمي وغرائزي؟ فلا ينام إلا أربع ساعات، من الأولى بهذا؟ رب العالمين أن تقوم بين يديه، أو سيد المرسلين ﷺ تقتفي خطاه، وتتبع أثره في السراء والضراء، في الليل المظلم وفي النهار المشمس؟، أم أولئك الذين يستكبرون أن يضيعوا ثمان ساعات في نومهم، حتى لا تضيع عليهم لذاتهم وشهواتهم.

لو كلمهم الموتى، وجاء الملائكة، وجاءت الوحوش كلها وكلمتهم، ما كانوا ليؤمنوا بسبب الجهل، **{ولكن أكثرهم يجهلون}.**

والجهل هو ليس قلة المعرفة، الجهل هو عدم العلم، والعالم بالله هو الذي يخشاه ويتقيه،

{أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب} (الزمر: ٩)

فالقانت القائم الراجي لجنة ربه، الخاشي من عذابه وناره، هذا هو العالم، وليس العلم كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: **"ليس العلم بكثرة الرواية، إنما العلم الخشية".**

ألا ترى معي قول يوسف عليه السلام

{وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين} (يوسف: ٣٣)

فيوسف عليه السلام يعرف أن الزنا فاحشة، وموبقة كبيرة، ولكن هذه المعرفة لا تنفي الجهل إن وقع فيها وولغ {وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن} – أي أميل إليهن – {وأكن من الجاهلين}

ولذلك فالجهل أكبر العقبات أمام صعود هذا الجبل المسمى بالنفس الأمارة بالسوء.

ولذلك قال سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وهو يأمر قومه أن يذبحوا بقرة

{قالوا أتتخذنا هزوا} (البقرة: ٦٧)

لم يقل أعوذ بالله أن أكون من الساخرين

{قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين} (البقرة: ٦٧)

لأن الجهل أعظم بلاءً من السخرية، والجهل بالله هو سبب السخرية، وهو سبب الهزء، الجهل بالله، وعدم تقديره

{وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء} (الانعام: ٩١)

فعدم تقدير الله، وعدم إجلاله، وهو الجهل بالله عز وجل.

والمعرفة لا تنافي الجهل، فقد تلتقي المعرفة والجهل معا، العلم هو الذي يضاد الجهل، والعلم هو الخشية، وقد يعلم الإنسان الكثير، ويعرف الإنسان كثيرا، ولكنه لا يعلم إلا قليلا

{الم، غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا} (الروم: ١-٧)

– يعلمون أسرار الذرة، ودوران الأليكترونات، والمناطيد الفضائية، والمراكب الهوائية، والسفن الحربية، **والطائرات النفاثة، يعرفون** هذا، ولكنهم **{عن الآخرة هم غافلون}**، فلذلك هم لا يعلمون، **{ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون}** ولذلك قال العلماء: " لا يهزأ أو لا يمزح بالقرآن إلا فاسق " فاستعمال آيات القرآن للمزاح والتسلية فسق على قول أكثر العلماء، وكفر على قول بعضهم.

ولذلك إن الذين يضعون أمامهم مائدة طعام من الرز واللحم، ثم يتقدم واحد منهم للأكل ويقول: ونسفنا الجبال نسفا، هذا فسق على قول جمهورالعلماء، وكفر على قول بعضهم، لم تجد مادة للسخرية إلا كلام الله عز وجل

{قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم} (التوبة: ٦٥-٦٦)

فانتبهوا إلى هذه القضية، ولا تتخذوا الأحاديث النبوية والآيات القرآنية مادة دسمه لتسلية المجالس، وأنس المؤانس، لابد أن تنتبهوا، وأن تجلوا الله، فهو عز وجل، سبحانه وتعالى.

ولذلك يقول الله عز وجل لرسوله ﷺ، وهو يرى من صد قومه من الانعكاسات على قلبه الكبير ما يفتته ألما على مصيرهم، وما يزيده حزنا وهو يرى الطريق الذي يسيرون فيه، يقول له:

يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون)[1].

لا يسترقون أي: لا يطلبون الرقي من أحد؛ لا يتناولون الدواء، ولا يطلبون التدواي من أحد، ولا يكتوون، لأن الكي خلاف الأولى، ولا يتطيرون، لأن التطير تشاؤم بأشياء لا قيمة لها في واقع الحياة، ولا تؤثر على نفاذ قدر، ولا على تعويق مشيئة من رب العالمين، وأما التداوي، فقد قال ﷺ

(نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد، قالوا: ما هو؟ قال: الهرم)[2]

أخرجه أحمد والترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

وقد جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فقال له: يا رسول الله، أعقل ناقتي وأتوكل، أم أطلقها وأتوكل؟ قال: **(اعقلها وتوكل)**، والحديث رواه الطبراني وإسناده صحيح.

الزهد لا ينافي التوكل

والتوكل يعتمد على الزهد، ولا يطعن في التوكل مثل التعلق بالدنيا، وأكثر الناس توكلا هم الذين زهدوا بما في أيدي الناس، وزهدوا في الدنيا، فلا يعودون يخافون على شيء، إن أقبل فنعمة من الله تشكر، وإن أدبر فبلية من الله يصبر عليها، الزهد بما في أيدي الناس، والزهد في الدنيا هما قائمتان من قوائم التوكل.

العلو والمال ذئبان

وأكثر ما يهدم التوكل في قلب المرء المسلم هو الحرص على الدنيا، والحرص على المال والشرف، الشرف أي العلو والعظمة في الدنيا، يقول رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي: **(ما ذئبان جائعان أطلقا في غنم بأفسد لها** - وفي رواية ضاريان **ما ذئبان جائعان أطلقا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه)**[3].

أي أن الذئبين لا يفسدان وهما ضاريان جائعان في غنم، ولا يهلكان منها، كما يهلك ذئبان جائعان في قلب المرء، الذئب الأول: الحرص على المال، والذئب الثاني: الحرص على الشرف، فلا يتركان من دين المرء إلا أقل مما يترك الذئبان الضاريان إذا أطلقا في ربية غنم، وفي ليلة شاتية وهما جائعان.

فيا أيها الإخوة:

الحرص على الشرف -يعني على العظمة والعلوّ في الدنيا-، والحرص على المال هما طعنتان نجلاوان تصمّمان وتسددان إلى تيدة التوكل بالنسبة للمرء المسلم، فاحرصوا واحذروا من هذين الذئبين الضاريين الجائعين.

(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) (القصص: ٨٣)

نماذج من الواقع

وقد رأينا أقواما يتوكلون على الله عز وجل بما عنده كتوكلهم بما في أيديهم، يتوكلون على المخبأ لهم في الغيب من مقدور رزق أجل كما يتوكلون على محسوس بين أناملهم.

قلت ذات مرة: - لأحد القادة الأفغان - إن سلوككم في هذه القضية ينفر قلوب العرب عنكم، فتشح وتقل المعونات التي تصل كم، قال: هذه قضية لا تهمني أبدا ولا أفكر فيها.

لقد بدأنا الجهاد وبقينا سنوات طوال قبل أن نرى عربيا واحدا، ومشى جهادنا وكان أنجح، والنصر أعظم قبل أن تأتينا نات العرب، فإذا انقطعت المعونات فلعل رب العزة يعيد إلينا الأيام السابقة، يوم أن كانت الانتصارات تتوالى علينا من كل مكان، أن تنقطع أسباب الأرض تنفتح أسباب السماء، ويوم أن يتعلق المرء بحبال الأرض تقل حبال السماء، أو تنقطع الحبال أو تنوب

---

(١) رواه مسلم في صحيحه. (٢) صحيح الجامع الصغير رقم ٧٩٣٤ . (٣) صحيح الجامع الصغير رقم ٥٦٢٠ .

تدريجيا بينهم وبين رب العالمين.

يحدثني الشيخ جلال الدين حقاني ذات مرة قائلا: كنت ذات مرة مهموما على طعام المجاهدين، نفذ طعامنا ونحن في قمة الجبل في أيام تراقي لا نستطيع أن نختلط بالناس، ولا أن نغادر قمة الجبل، ولا أن نوقد نارا، حتى لا يرى دخاننا فتضربنا الدولة، قال وصليت الفجر وأنا مهموم لا أدري من اين سنأكل؟ قال وإذا بهاتف يربت على كتفي، ويقول في أذني:يا جلال الدين، كان الله يرزقك قبل أن تجاهد في سبيله، فهل تظن أنه يتركك، وقد شرعت الجهاد في سبيله؟ قم إلى تلك الشجرة، ستجد اللحوم معلقة عليها، قال الشيخ جلال الدين: وإذا باناس من القريه يأتون ويهدون المجاهدين ذبائح أو ذبيحة أو أكثر ويذبحونها، ويعلقونها على نفس الشجرة التي رأيتها في المنام.

كم من المجاهدين حدثوني أنهم كانوا في صحراء بيداء من الأرض لا ماء ولا شجر ولا حيوان ولا أثر لدابه فيها، وأخذ الجوع منا كل مأخذ ودعونا الله أن يطعمنا وإذا بنا وفي الصحراء بعنب وشمام موجود أمامنا.

وقالوا: كنا في أسامة بن زيد هنا (في قاعدة أسامة بن زيد) قطعنا النهر ورجعنا، لأن العدو حاصرنا، بقينا ثلاثة أيام وكدنا نهلك من الجوع، ودعونا الله عز وجل، وإذا بالنهر يحمل لنا علبة معلبه كانها خارجة من مصنع، فتحناها وإذا بها طعاما، معلبة كانها خارجه من مصنع لم تمسها يد بشر.

يا أيها الإخوة! التوكل على الله، وفي صحيح الترمذي: **(لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصا وتروح بطانا)**[1].

صبر على المصائب

رجع الأخ أبو سيف قبل يومين من رحلته الطويله التي استمرت تسعة أشهر تقريبا، وكان منها أربعة أشهر ونصف في السجون – في سجون الثوره الاسلاميه التي تسد الطريق على الذين يريدون أن يساعدوا المجاهدين –.

ويحدثني بعض المجاهدين من المعركه نفسها، يقول: لقد دارت رحى المعركة منذ عيد الأضحى، وهي مستمرة إلى يومنا هذا في هرات، التي منذ سنتين الرغيف فيها بمائة وعشرين فلسا كويتيا، العامل قد يعمل طيلة النهار حتى يشتري رغيفا واحدا.

أصابهم الجوع، وعضهم الفقر بنابه، وصبروا، ولم يجدوا إلا الأقط المضير الجاف في السنة الماضية والتي قبلها، ياكلونه ليس تحته ولا فوقه إدام، حتى أصيبوا بالقرح المعدية، وجاءوا يتداوون في بيشاور من آثار أكل الإقط الذي لا يخالطه شيء من الطعام، ومع ذلك فهرات لازالت تشهد معارك ليس وراءها ولامعها إلا رب العزة يؤيدها وينصرها، لازالت تقف أمام روسيا، وفي هذه المعركة التي لازالت رحاها دائرة في داخل هرات وفي ككري وفي دوآب، هذه معركة حطم فيها للروس تسع عشرة دبابة، ومع أنه لا يقابلها إلا أفراد، دون أعداد الدبابات التي تقابلهم، ويؤكد المجاهدون أن هذه أول مساعدة تصل إلى أيدينا.

مجموعات كبيره من المجاهدين تؤكد أننا لم نستلم في أيدينا منذ أن بدأوا الجهاد إلى يومنا هذا مساعدة إلا هذه، ومع ذلك فالجهاد شارع، والنصر متوال، وهم يقدمون الشهيد تلو الشهيد، والعزيز تلو العزيز، وهم يقسمون ويؤكدون: إننا لن نضع السلاح حتى آخر قطرة من دمائنا.

رسالتان

وصلتني رسالتان من هرات، رسالة من صفي الله أفضلي، وهو من الشباب الذين تربوا منذ نعومة أظفارهم على الإسلام وعلى الدعوة إلى الله، يقود آلافا مؤلفة، ولم يدرك التاسعة والعشرين بعد، ولم يتم التاسعة والعشرين من عمره، بدأ الجهاد وعمره عشرون أو أقل.

يقول لي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

أولا وقبل كل شيء أقدم إلى والدي العزيز، – وهو والدنا والله ونحن صغار أمامه – عميق شكري وتحياتي، وأسأل الله العلي القدير أن تكون في خير مع أسرتك وباقي الإخوة الأعزاء وبخير وعافية، وأن يحفظنا الله وإياكم وجميع المسلمين من جميع الآفات

(١) صحيح الجامع الصغير رقم ٥٢٥٤ بلفظ «تتوكلون بدل توكلتم».

البليات إنه سميع مجيب.

أخي العزيز:

كنت في داخل هرات وجاءت أخبار الإخوة عبد القادر وعبدالله – وعبدالقادر هو أبو سيف – بأنهم سيأتون إلينا ليروا آلام خوانهم المتعددة.

وضروري أن يتميز الصف، ويتضح لكم ولجميع المسلمين الأمر، ونعلمكم أن ما وقع على الإخوة عبد القادر وعبد الله من سجن، وتحمّل المشاكل الأخرى، كان أمرا طبيعيا، وهو من عقبات هذا الطريق الذي اخترناه بأنفسنا، ولا زلنا راغبين فيه، وهم أجورون على ما وقع عليهم، ونخبركم بأننا كنا في هيرات حوالي ثمانية أشهر، وأنتم تعرفون أوضاع هرات الجغرافية، بأن هيرات اضي واسعة، والجبال بعيدة عن المدينة، وكنا دائما تحت قصف القنابل والدبابات والصواريخ، ومع ذلك كان حزب الله غالبا، ويبقى لك إن شاء الله، ورأينا انتصارات بأعيننا، لا يقبلها العقل البشري، ولكنها قدرة الله عز وجل.

ونقول: إن المجاهد يعيش في مواضع الجهاد حياة فقر وعناء، فقر اقتصادي وعسكري وثقافي، وبعد تسعة أشهر جئت إلى حلقة (دوآب وككري)، وجدت الحرب مشتعلة في هذه المنطقة الحدودية المهمة، كما رأى الأخ الفاضل عبد القادر بعينه أنه: كانت أكثر ن ستين طائرة تقصف المنطقة، ومعظم الطائرات كانت تأتي من روسيا مباشرة في حدود هيرات، إذ أن هيرات حدودها الغربية تاخمة لإيران، وحدودها الشمالية متاخمة لروسيا مباشرة، وكذلك المدفعية والصواريخ الراجمة وغيرها من أنواع الأسلحة، وبعد سبوع كامل، ونحن نقاوم العدو الشرس، استشهد بعض من إخواننا ومن بينهم ابن عمي الشهيد قاسم جان قائد ككري، فنرجو من له أن يتغمد هؤلاء الشهداء برحمته،إنه هو الغفور الرحيم.

وأطمئنكم بأن الشهادة لا تؤثر في معنويات المجاهد، فنحن إن شاء الله نبقى على هذا الطريق، نبقى على هذا الطريق إلى آخر قطرة دم فينا، وجدير بالذكر أن بجانب هذا الفداء الذي في ميادين القتال، ومن أبناء هذا البلد المسلم، فهنالك أيد تعمل لينحرف هذا جهاد، عن مساره الصحيح، وهذا الصف الذي أثبتت ارتباطاته علينا بأعداء الله شرقيين كانوا أم غربيين، يتراجع ولا يستطيع ثبت أمام هؤلاء الأبطال، وهنالك أيد تعمل جاهدة لتستخدم هذا الجهاد لصالحها في ميادين السياسة الدولية، والمصالح الأخرى، ا شاهدنا آثاره في هاتين السنتين الأخيرتين، إن هؤلاء الشرقيين والغربيين يحاولون جهد الإمكان، وبشتى الوسائل أن لا يقوم لهذا جهاد قائم، فعلينا وعليكم أنتم كأساتذة وكبار رجال دعوة أن نعمل في هذا المجال بجد، وأن نملأ مواضع الجهاد من أبناء الدعوة، لرجال ذوي الخبرة، ومن الناس الخيّرين المخلصين، لكي يأخذوا بيد هؤلاء الذين يعيشون في الجبهات، وأن يوّجهوهم ويعلموهم دعوة إلى الله عز وجل، وإذا لم نقم بهذا الواجب أو أهملنا فيه – لا سمح الله – سيكون المآل خطيرا والله أعلم، ولكننا نظن ونتيقن مستقبلا طيبا للجهاد في أفغانستان بإذن الله، ونحن بحاجة ماسّة للإخوة المخلصين، وبتواجدهم في خنادق القتال.

أخوكم في الله

صفي الله أفضلي

أما صفي الله أفضلي، فهو بطل يذعر الروس إذا ذكر.

يحدث المجاهدون وأبو سيف – كذلك –: أنه قد ألقت الطائرة قذيفة على البيت الذي فيه صفي الله أفضلي أثناء المعركة أخيرة، وهدم البيت على جسده النحيل، وبقي تحت الردم ربع ساعة، وأخرجوه بشق الأنفس بعد أن رضت أعضاؤه، وخرج يتحامل ى نفسه ليتفقد جبهات القتال في ككرى وفي دوآب، خرج من هيرات ليتفقد الجبهات الأخرى، خرج بمائة مجاهد ونيف، وعندما سل ككرى وجد ابن عمه قاسم قائد الجبهة قد قتل، واحتل الروس (جشمه شيرين)، أي العين الحلوة، فأقسم ليصلين العصر في شمه شيرين.

قال الإخوة: أمسكنا به، إنك مريض متعب، وجئنا بك من أعماق هيرات لنضعك في المستشفى، قال: والله لن أصلي العصر إلا جشمة شيرين، وانطلق لتوه، وما صلى العصر إلا في جشمه شيرين، بعد أن طرد الروس من داخلها.

ثقة بالله، وتوكل عليه، وعزيمة لا تعرف الكلل..

مسلم يا صعاب لن تقهريني	*صارمي قاطع وعزمي حديد*
بدمائي في مقفرات البراري	*ينبت الزهر والحيا والـــورود*
وبغير الإسلام عمري هشيم	*واخضرار الحياة يوم يســود*

هذه النفوس يأكل الجوع بدنها، وتأكلها أنياب الفاقة والشغوب، وهم يتقلبون بين نيران لا يعلمها إلا من عاشها وذاقها.

الرسالة الثانية

وأما الرسالة الثانية، فهي من خليفة سبحان، قائد الحزب الإسلامي في دوآب، يقول:

إلى أخي في الله عبدالله عزام حفظه الله..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد:

فنحن نرى أنكم تحاولون ليلا ونهارا كي تخدموا الجهاد والمجاهدين، وتعملون بجد وإخلاص – والله أعلم – لإعلاء كلمة الله
رة دينه – اللهم اجعلنا خيرا مما يقولون، واغفر لنا ما لا يعلمون – ونحن نعرفكم كداعية لا يعرف الملل في طريق دعوته، ونتمنى
الله تعالى أن يقبل أعمالنا وأعمالكم، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم.

ونحن إذ نبشركم بأننا بجانبكم في القيام بهذه الأعمال والجهاد المبارك، نعلمكم بأننا نخوض الآن حربا طاحنة في منطقة
رد بولاية ميرات، ويقصد العدو من التركيز على هذه المنطقة لأسباب كثيرة – ويذكرها – وهذه المنطقة مسير المجاهدين
اجرين، ولأجله نرجو دعاءكم – وجزاكم الله خيرا – أن تقوموا بالتعرف بأنفسكم على مشكلات جهادكم المبارك، وإخوانكم في الله
أقصى أفغانستان، ونرجو بذل الجهود المتواصلة لنصرة هذا الجهاد، وندعو الله أن لا تعيقكم تخرصات البعض وانحرافهم عن
يق السوي، فإن هذا الطريق طويل، ونعيش فيه حالة صراع الحق مع الباطل حتى نلقى الله تبارك وتعالى.

أضيف بأن مندوبكم عبدالقادر قد شاهد بنفسه المنطقة، وشارك بجد وإخلاص في جهادنا المبارك، ورأى بعينيه كرامات الجهاد
جاهدين، ونرجو منكم إرسال مزيد من هؤلاء الإخوة المخلصين، ليعملوا في تثقيف الإخوة المجاهدين، ويكونوا أسوة خير لهم، فإن
داً منهم يساوي مائة، فنحن بحاجة شديدة إلى معرفة ديننا وعقيدتنا النقية أكثر وأكثر مما نحتاج إلى المساعدات المالية، نحن
جة – إسمعوا أيها الدعاة في كل مكان، اسمعوا أيها المسلمون في أرجاء الأرض جميعا، اسمعوا كلمات الذين يتقلبون على
ى، ويدركون أثر الدعاة في ما بينهم – نحن بحاجة شديدة إلى معرفة ديننا وعقيدتنا النقية أكثر وأكثر مما نحتاج إلى المساعدات
ة – وكل واحد منكم ممن دخل إلى الجبهات، وعاش بين المجاهدين يدرك معنى هذا السطر الذي ردده خليفة سبحان، وقد رددناه
، ويردده كل من توغل في أعماق المعركة، وعرف أبعادها، وأدرك خطورة التخلي عنها –.

يا أيها الإخوة:

إن التوكل على الله عز وجل هو نصف هذا الدين، وهو عماد السائرين إلى الله عز وجل، ووالله لن يخذل من توكل عليه..

{ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل لكل شيء قدرا}.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

يا أيها الإخوة:

(وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)، (فقالوا على الله توكلنا)، فعليه توكلوا في هذه المسيرة التي ليس فيها إلا التضحيات،
، فيها إلا الدماء، ليس فيها إلا الأشلاء، ليس فيها إلا المؤامرات والعقبات والمشاكل والعقابيل، وهذه كلها لا تثني المؤمن عن عزمه
تزيد عزمه على مواصلة الطريق، هؤلاء الناس الذين صبروا هذه الفترة الطويلة بتوكلهم على الله وحده، قابلوا أشرس عدو في
ض بصدور عزلاء، وجيوب خالية، وبطون خاوية، ولكن الله عز وجل لا يضيع من توكل عليه، ولن يفرط فيمن جعله كفيله ووكيله،
له هو منفذ أمره، وأوكل إليه الأمر كله.

يا أيها الإخوة:

توكلوا على الله، وكما كان السلف يقولون: ما لي أراكم بالمضمون مهتمين – يعني الرزق والأجل – فلا تكونوا للمضمون
مين، فتكونوا للضامن متهمين، لا تكونوا لمضمون الرزق والأجل مهتمين فتكونوا لرب العزة الضامن لكم هذين متهمين.

يا أيها الإخوة:

شباب عرّفونا عقيدة التوكل على الله في الرزق، شباب صغار علمونا عقيدة التوكل على الله في الأجل.

كان أحد الإخوة الطبيين يوزع الخيام والطحين على مهاجرين مقبلين من الداخل، بعد أيام من الفاقة والعناء والتعب والشمس،

ال هذا الأخ: فاقبلت إلى شيخ وأعطيته خيمة وطعاما وغير ذلك، وأخذتني الشمس، وكادت تغرب، فقمت مستعجلا وصليت بحذائي، إذا بالرجل الكبير يلقي إليّ خيمتي وطحيني، ويقول: أنت لا تحترم دين الله، فأنا لا أريد أن آخذ منك مساعدة، كيف تصلي بالحذاء؟ ـنّ أن الصلاة بالحذاء إنما هو مخالف لاحترام هذا الدين، وإجلال رب العالمين، قال: وألقاها في وجهي ثم ذهب لا يلوي على شيء لا يأبه بشيء، قال: فقمت إليه، وجئت ببعض الأفغانْ المتعلمين، توسلت إليه حتى يسمع كلامي، وأفهمته أن هذا جائز في الشريعة، ثم جوته مرة أخرى أن يأخذ الخيمة، فأخذها بعد التوسل.

هؤلاء الناس المتوكلون على الله عز وجل، لن يخذلهم الله -إن شاء الله-، فتوكلوا على الله، واسلكوا طريقهم، واعتمدوا كما عتمدوا، وتوكلوا على الله كما توكلوا وزيادة، لأنكم تعلمون من دين الله أكثر منهم، وتعرفون من أسرار الشريعة أكثر منهم، فيجب أن كون مواقفكم أشد وأصلب، وعزائمكم أمضى، وقواتكم جياشة موّارة بالقوة والطاقة.

يا أيها الإخوة:

أقبلوا على الله، وقفوا بجانب إخوانكم، وادخلوا بينهم، وعلموهم دين الله، وعيشوا دعاة في داخل الجبهات، تحفظون هذا ـد من أيدي الأشرار التي تمتد من كل أخضر ويابس، ومن كل صوب وحدب، ومن كل فج عميق، تريد أن تقطف ثمرة هذا الجهاد لمبارك، احموها للإسلام والمسلمين، واحفظوها بجهودكم، وإن كانت جهودكم قليلة فإن الله يبارك في القليل.

(قل هل يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث) (المائدة: ١٠٠)

فالقليل يبارك رب العالمين فيه إذا قصد به وجهه، وابتغيت به مرضاته، وصدقت النية، وأخلصت الطوية.

الحرص على الشرف والمال

يا من رضيتم بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا.

- إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم

(فإذا جاءت الطامة الكبرى، يوم يتذكرالإنسان ما سعى، وبرزت الجحيم لمن يرى، فأما من طغى آثر الحياة الدنيا، فإن الجحيم هي المأوى، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة ـي المأوى) (النازعات: ٣٤-٤١)

الناس صنفان

الناس صنفان: طالب دين، وطالب دنيا.

- طالب دنيا يجري وراءها لاهثا، كلهاث الكلب لا ينقطع، وطالب الدين والآخره باع الدنيا واشتراها.

(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا رفعناه بها ولكنه أخلد إلى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث)

(الاعراف: ١٧٥-١٧٦)

لهاث لا ينقطع وراء الدنيا، حيث مصالحها لا تنتهي، وأبوابها لا تسد، ومياهها لا تروي، بحر مالح، يرده العطشان ليروي طشه فلا يزداد إلا عطشا، فمن جرىٰ وراءها أتعبته، فكم من خطاب خطبوها، فقتلتهم في ليلة زفافهم، وما فاز في الدنيا إلا الذي رفع عليها وداسها بقدمه، ووطئها بعقبه، فأكبت على أقدامه تقبلها، داسها: وهي ترجوه أن ينظر، طالما تتجمل إليه وتمسح وجهها بأنواع المسوح الجميله، ولكنه معرض عنها، متنكب جادتها عرف طريقه إلى الله فتركها بأهلها، وصحب الدنيا ببدنه، وروحه معلقة بالملأ الأعلى، والحرص على الدنيا منبعه الهوى، والهوى مضل عن سبيل الله.

(يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل

الله) (ص: ٢٦)

وكم من الناس اتبعوا الهوى فهووا، و...

(يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن وأنزلنا عليكم المن والسلوى، كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) (طه: ٨٠-٨١)

والهوى من الهوى من السقوط، لأن روحك ترفرف تريد أن تتصل بالملأ الأعلى، والطين يجذبك، والشهوات تنزلك، فتغرق في مستنقع الدنيا بعفنها، وتهوي بها وتسقط للتلبط.

الورع والطمع

وهيهات هيهات ان تفلت بعد أن غرقت في وحلها، وغصت في طينها، ولقد ذكرنا في الأسبوع الماضي عن التوكل على الله، وقلنا إن التوكل مبني على الزهد، والهوى مبني على الطمع، فهو ورع وطمع، وما أجمل كلمة الحسن البصري عندما كان غلاما يافعا وسأله علي بن أبي طالب رضي الله عنه: يا غلام، ما يصلح الدين؟ قال: الورع، قال: وما يفسد الدين؟ قال: الطمع، فالهوى يبعث على الطمع، والورع مبني ومنبعث من الزهد، وعلى الزهد أقيمت قوائم التوكل الثابتة، ومن مستنقع الهوى الآسن تنبعث رائحة الهوى العفنة، وشتان بين إنسان ارتفع على الدنيا صاعدا القمم يتنسم أفق الذرى، ويتروح الأريج يعبق في أنفه، وبين إنسان لا ينبعث من موطنه إلا العفن، و لا يفوح من نفسه إلا الرائحة التي تشمئز منها النفوس، وتتقزز منها الأبدان.

الشرف والمال

وكم كان جميلا كلمة رسول الله ﷺ ، -وكل كلامه جميل-، وما أطيب ما يخرج من فم النبوة الشريف، وكله طيب، وهو يلخص قضية الطمع بالحرص، والحرص غالبا إنما هو حرص على الدنيا بمالها، أو على الدنيا بجاهها.

وذكرنا الحديث الذي رواه الترمذي، وهو حديث حسن أو صحيح:

(ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه)[1].

(ما ذئبان جائعان) وفي رواية **(ضاريان أرسلا في غنم بأفسد لها)** وفي رواية **(أرسلا في غنم غاب رعاؤها، بأفسد لها من حرص المرء على الشرف والمال لدينه)**، وقد جاء في سبب ذكر هذا الحديث أن عاصم بن عدي قد اشترى مائة سهم من أسهم خيبر، بعد أن قسمها رسول الله ﷺ فخرج لكل صحابي راجل سهم واحد، وخرج لكل صحابي فارس ثلاثة أسهم، فكانت أسهم خيبر ألفا وثمانمائة، وكان أصحاب الحديبية ألفا وخمسمائة، ألفا وثلاثمائة كانوا راجلين، ومائتان كانوا راكبين في خيبر، وللراكب ثلاثة أسهم، للفارس سهم، ولفرسه سهمان، وللراجل سهم واحد، فهم مائتان بـ ستمائة سهم، و ألفا وأربعمائة في رواية، و ألفا وخمسمائة في رواية، والروايتان صحيحتان، ألفا وأربعمائة، مائتان من الفرسان بستمائة سهم، وألفا ومائتان كل واحد بسهم، ألفا ومائتان سهم، المجموع ألفا وثمانمائة سهم، كان لكل صحابي سهم واحد، فجاء عاصم واشترى مائة سهم من أسهم خيبر، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقال الحديث، في الرواية التي رواها الطبراني فهي حسنة: **(ما ذئبان ضاريان أرسلا في غنم أضاعها ربها - ربها صاحبها - بأفسد لها من طلب المسلم المال والشرف لدينه)**[2].

والحرص على المال يكون من ناحيتين، والمهلكة تأتي من طريقين، فبعض الناس يحرص أن يجمع المال بكل طريقة حلال، ولكنه لا يضيع لحظة من اللحظات تمر دون أن يضيف إلى خزينته شيئا، ولا يدع يوما من الأيام يمضي، ولا ليلة من الليالي تقبل إلا ويحسب أن ثروته زادت شيئا جديدا، فإن نقصت ولم تزد فتجده حزينا كئيبا، لا بأس أن يكون عند المسلم ملايين الدراهم والدنانير، ويكون زاهدا في نفس الوقت.

---

(١) صحيح الجامع الصغير ٥٦٢٠ . (٢) سبق تخريجه بلفظ آخر في رقم ١

قيل لأحمد بن حنبل: رجل عنده مائة ألف درهم، أيكون زاهدا؟ قال: نعم، إذا لم يحزن إذا ذهبت، ولم يفرح إذا زادت، يكون
ا بهذا الشرط، لا يفرح إذا زادت، ولا يحزن إذا نقصت، هذا طريق، وهذا سبب من أسباب هلاك المرء، لأنه ليس عنده فرصة
ته، فأوقاته آناء الليل وأطراف النهار ينفقها في جمع المال والحسابات، وكم جنى من الأعمال أحد الناس في جلسة في يوم عيد
ر، والناس فرحون بقضاء فريضة الصيام، ويهنئون بعضهم بعضا، فقدم صاحب البيت كأسا من الشاي له وهو يحسب حساباته
لحظة تناول كأس الشاي، لم تنقطع حساباته، فقال: شكرا، أنا لا أدين أحدا.

الحرص على المال إلى هذا الحد مهلكة للنفس، ويكفي أنك تنفق أعز ساعاتك أو أوقاتك في طلب مضمون، وفي الحرص على مقسوم، كما قال رسول الله ﷺ لأم حبيبة، وقد دعت أن يمتعها برسول الله ﷺ، وأن يبارك في عمرها وعمر أخيها معاوية، قال: دعوت الله لآجال محدودة، ولأيام معدودة، لأرزاق محدودة ولأرزاق معدودة، ثم وجهها أن تدعو الله لأمور الآخرة، أثمن ما تملك.

يا أيها الأخ: هو عمرك، وإن تمسكه في تتبع الأيام،

إنا لنفرح بالأيام التي نقطعهـــا	*وكل يوم مضى نقص من الأجـــل*
ومن ينفق الساعات في جمع ماله	*مخافة فقـر فالـذي فعـل الفقـر*

فالذي فعل الفقر، هو الله، وقد طمأنها رسول الله ﷺ لذلك، لأن ربه أقسم له على ذلك فقال:

(وفي السماء رزقكم وما توعدون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)

(الذاريات: ٢٢-٢٣)

فقال ﷺ: **(نفث الروح الأمين في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)**[1]

هذا حرص على جمع المال الحلال.

وفي بعض الآثار الإسرائيلية: الرزق مقسوم، والحريص محروم، ابن آدم إذا أفنيت عمرك في طلب الدنيا فما تطلب الآخرة.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: " اليقين أن لا ترضي الناس بسخط الله، ولا تحسد أحدا على رزق الله، ولا تلوم أحدا على ما
ك الله، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص، ولا ترده كراهية كاره، فإن الله بقسطه جعل روحة، والفرح في اليقين والرضا،
الهم والحزن في الشك والسخط " الروحة واليقين: راحة النفس والضمير، واستقرار القلب، حضور الأعصاب، إنما هو في
ى، الرضا بالقدر.

وقد كان عمر بن عبد العزيز يردد كلمته: أصبحت ومالي سرور إلا في مواقع القضاء والقدر، أصبحت ومالي سرور إلا في
ع القدر.

وقال عمر بن الخطاب: لو كان الشكر والصبر – الشكر على النعمة، والصبر على المحنة – جوادين ما باليت أن أركب أحدهما،
يت أن تنزل بي نعمة فأشكر، أو تنزل بلية بي فأصبر.

وقال بعض السلف: إذا كان القدر حقا فالحرص باطل، وإذا كان القدر في الناس طبيعي فالثقة بكل أحد عجز، وإذا كان الموت
احد راصدا فالطمأنينة إلى الديار حمق.

وقال بعض الحكماء: وأطول الناس هماً الحسود، وأهنأهم عيشاً القنوع، وأصبرهم على الذل حريص، وأخفضهم عيشا
هم للدنيا، وأعظمهم ندامة يوم القيامة العالم المفرق.

الحرص داء قد أضـر بمـن تـرى إلا قليلا	*كم من حريص طامع، والحرص صيره ذليلا*

ولن تجد حريصا إلا ذليلا، كل من حرص في الدنيا أذله أهل الدنيا، لأنه يطلب الدنيا من بين أيدي الناس، والناس لا يحبون
سائلهم..

الله يغضب إن تركت سؤاله	*وبنيّ آدم حين يسأل يغضب*

حتى لو سألته أن تأخذ المال للفقراء فإن نفسه تضيق، وهو يعلم أنك لا تأخذ منه شيئا، لأن الإنسان جبل على الشح إلا قليلا،
من التي تبنى وتجبل على الكرم والسماحة إنما هي النفوس التي تقام بها المجتمعات، وتشاد بها أركان الأمم والممالك، وما أذل
وضيع الديار، وديست به المقدسات أكثر من الحرص على الدنيا، دنيا المال أو دنيا الرياسة والشرف.

وكان أبو العطاء يقول: أذل الحرص أعناق الرجال.

---

[1] صحيح رواه البزار بلفظ «هذا رسول رب العالمين جبريل صلى الله عليه وسلم نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فإن أبطأ عليها فاتقوا الله وأجملوا في
» أنظر الترغيب والترهيب المجلد الثاني/ ص ٥٢٥.

وأما النوع الثاني:

فهو حرص مع الحرام، إذ يخالط جمع المال شبهات وحرام، وهو لا ينتبه ولا يهتم أن يجمع المال من حرام أو حلال، فماله خليط، ودمه مخلوط من الحلال والحرام، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به.

لقد حدثنا بعض الناس عند شيخ من مشايخ الأزهر، وقد دعاه الملك فؤاد لمأدبة من المآدب ذات يوم، وكان من عادته أن يدعو الناس على طعام الإفطار، فوقف، فأمسك شيخ الأزهر بيده، ورجاه الملك أن يمد يده ليأكل من أرزه ولحمه، قال:

(حرمت عليكم الميتة والدم) (المائدة: ٣)

قال: هذا طعام حلال، ولحم حلال، وأرز حلال، فأخذ قبضة من طعام الملك وعصرها، فنزل الدم الأحمر قانيا.

الشح مهلكة

والحرص أشد البخل، والحرص - كما جاء في الحديث الشح، الذي هو أشد البخل بجمع المال من شبهات، من الحلال والحرام، ثم منع حقوقه وواجباته، قال ﷺ: **(اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا)**[1] صححه الحاكم ووافقه الذهبي ورواه أبو داود، وهو حديث حسن صحيح.

وفي الحديث الحسن الذي رواه أحمد: **(ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب المؤمن أبدا)**[2].

وفي الحديث: **(لا يجتمع الغبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف أبدا)**[3].

(ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب المؤمن) والحديث حسن كما قلت.

وأفضل الإيمان: الصبر والسماحة.

هذا الحرص على المال.

أفنيت يا هذا عمرك في جمع دراهم ودنانير وإذا جمعت الدينار، وطاب لك رنينه، ولذت بصرّه في داخل صررك العذرة، وحكمت عليه بالإعدام أو السجن المؤبد لا يراه أحد، ولا تتداوله يد صالحة، ولا تنفع به مسلما، ميت في دنياك، وميت في أخراك، وكما قال علي رضي الله عنه: عجبت للبخيل يطلب الفقر الذي منه هرب، ويهرب من الغنى الذي إياه طلب.. يطلب الفقر الذي منه هرب، ويهرب من الغنى الذي إياه طلب، يعيش في الدنيا عيش الفقراء، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء.

هذه الدنانير يجمعها لنسله ولخلف من بعده يخلفون، ينفقونها على الشهوات، وفي الأسواق، وفي لندن، وفي بانكوك، وفي مانيلا، وفي لوس أنجلس، وفي الربا والقمار والموائد الخضراء، والليالي الحمراء، وهو يعيش تحت سياط منكر ونكير، يضرب الضربة بمزربة الحديد، فيصيح صيحة يسمعها من في السموات ومن في الأرض إلا الإنس والجن، **(ولولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر)**.

فيا هذا لمن تجمع الأموال، وكثير من الناس يقولون: **(كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت)**[4].

لا تضيّع من تقوت، ولا تضيع من تعول، فشيء لك وشيء لآخرتك، وشيء لعائلتك، لا أن تعيش للدنيا، لا تتعدى بطنا وأنت تعلم أين يذهب ما يخرج من البطن، أو فرجا وأنت تعلم النطفة القذرة التي تخرج، وعجبا لابن آدم!! كيف يتكبر لمال، وأصله من نطفة قذرة، وآخرها جيفة قذرة، وبينهما يحمل العذرة، وضرب الله مثلا للدنيا بالعذرة، بالوسخ الذي يخرج من الإنسان، هذا مثل الدنيا عند رب العالمين، وإن شئتم فاقرأوا:

(إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم و تكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته)

(الحديد: ٢٠)

وماذا بعد الغيث؟ زرع، وماذا بعد الزرع؟ طعام، وماذا بعد الطعام؟ أنتم تعلمون. إنهم في كل عام أو ثلاثة، يغيرون مجاري

---

(١) رواه مسلم بلفظ «اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم».

(٢) انظر صحيح الجامع الصغير رقم ٧٦١٦ بلفظ «في قلب عبده بدل المؤمن». (٣) صحيح الجامع الصغير رقم ٧٦١٦ بزيادة عبد بعد كلمة جوف.

(٤) صحيح الجامع الصغير رقم ٤٤٨١.

اصم الدول العربية لكثرة ما يأكل الناس، ولازدياد حرصهم وأكلهم وطعامهم.

ـنة العلو

والثاني: هو الحرص على الشرف، والحرص على العلو في الدنيا، ولقد رأيت زهد الناس في طلب الرئاسة أقل منه بكثير من دهم في المال، فكم من زاهد في المال يعيش عيش الفقراء، ومع ذلك هو شحيح في زهده في الحرص على طلب الرياسة، وللأسف شديد أني رأيت كثيرا من المسلمين الأتقياء الصالحين يقطع الأرحام من أجل علوه، ويقطع الصلة بإخوانه ووشائجه بمن يعيش معهم تبادل معهم وداداً وحبا، إذا تعارضت رياسته مع استقامتهم، ومع حرصهم على إرضاء ربهم، والله رأيت ذلك واضحا، رأيتهم؛ يش معهم كثيرا، وأنت أعطيتهم قلبك، وأنت وهبتهم حبك، وأنت تركت الدنيا كلها تخدم الغرض الذي تظن أنه مرض لله عز وجل، ذا تخالف عملك باستقامتك وحرصك على إرضاء ربك مع زعامته أو رئاسته أو علوه لا تجد وصفا ذميما، يدخل في عقول الناس إلا ماك به بين يوم وليلة.

ـ في الأمس تكون أقرب المقربين لديه، أقرب المحبين، أقرب من دخل أعماق قلبه، وبالغد، بعد أن تعارض هوى الرياسة مع رصك على ما تظن أنه طريق آخرتك، وأنه جادة ربك تجده يقليك، ولولا مداراة، ولولا أن الناس لا يصدقون عنك ما يمكن أن يرميك لما ترك ذميمة إلا ألصقها بك، ولا ترك عارا إلا ألزقه، ولا ترك شنارا إلا ألصقه، وهم في نفس الوقت زهاد الدنيا، يعيشون عيشا سيطا، لكن حب الدنيا والرياسة يمنعهم أن يقول الحق فيك، لأن قول الحق يصطدم مع الهوى الذي بنيت عليه الرياسة، وتبا لمن ضب ربه ويرضي العبد...

فليت الذي بيني وبينك عامر	*وبيني وبين العالمين خراب*
إذا صح منك الود فالكل هين	*وكل الذي فوق التراب تراب*

رأيت من خلال تجربتي الطويلة مع الناس، سبرت فيها أغوارهم، وعشت معهم في دقائق حياتهم، ليلهم ونهارهم، طعاما شرابا، نتقلب كما يتقلبون، ونعيش كما يعيشون، ونتعرض لسهام الأعداء أكثر مما يتعرضون، ومع ذلك نجد في موقف ترضي به ك، في موقف تظن أن سخط الله سيحل عليك إذا سرت في ركابهم، وإذا مضيت مع أهوائهم، فقلت كلمة الحق، والتزمت الجادة التي تظن أنها ترضي رب العالمين، وتضع لك الشيء الثمين في ميزانك

(يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) (الشعراء: ٨٨-٨٩)

(وإن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا من رضوان الله فيدخل بها الجنة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا تي لها بالا، فيهوي بها في النار)[1].

تهلك بهوى الآخرين

ـ فيا أيها المسلمون:

لستم أنتم فقط السامعين، بل المسلمين أجمعين، لا تبيعوا آخرتكم بدنيا غيركم، ولا تهلكوا دينكم وأعمالكم، ولا تحبطوا صالحاتكم بهوى غيركم، فهؤلاء هم السفلة بل سفلة السفلة.

سئل عبد الله بن المبارك: من الملوك؟ قال: الزهاد، قالوا: من السفلة؟ قال: الذين يأكلون بدينهم، يعني يصلحون دنياهم، قالوا: ن سفلة السفلة؟ قال: الذين يصلحون دنيا غيرهم بإفساد دينهم.

(واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) (مريم:٨١-٨٢)

(واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون) (يس: ٧٤-٧٥)

---

[1] رواه البخاري.

فانتبهوا!! إياكم أن تجروا مع الهوى، والهوى أمواجه خفية عظيمة، وكم من العمالقة سقطوا مع عواصف الهوى؟ وكم من الناس ثبتوا وقد صمدوا ضد رياح وزوابع الهوى.

يا أخي الحبيب.. يا أخي:

أنصحك من نفسي، ومن أعماقي، وإياك أن تقطع مودتك مع الناس من أجل عبد لا ينفعك ولا يضرك يوم القيامة، إياك أن يأمرك الشح والهوى بالقطيعة فتقطع، فتهلك بهوى فلان، أما يكفيه هلاكه، كان الأولى بك، وقد اتخذك مقربا نجيا، أن تقترب منه في ساعة الخلوة، فتلقي في أذنه بعض المواعظ الحارة، وبعض الكلمات الصادقة، تقول له: يا أخي، اتق الله في فلان، فوالله ما رأينا منه إلا خيرا. يا أخي، ما تقول في فلان؟ والله إن الذي ظهر منه من صحيفته، أقول: إن الذي بدأ من صحيفته لنا بيضاء نقية، لم نر منه إلا خيرا.

فلا تجر مع الهوى فتهلك مع الهالكين، ولا يغرنك كثرة السالكين، فأولئك قد يكونون مع الهالكين.

(وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) (يوسف: ١٠٣)

والحرص على الشرف يكون كذلك من ناحيتين: إما حب رئاسة الدنيا، وإما طلب الدنيا بالدين، إما حب رئاسة الدنيا بوسائل دنيوية، وإما حب رئاسة الدنيا بوسائل أخروية، كأن حب الدنيا بوسائل الدنيا أن تحرص على الإمارة ببذل المال، أو بذل الجاه، أو ببذل طعام أو غير ذلك من أجل جاه والعلو والشرف والمنزلة الرفيعة في نظر الناس الغافلين - السقطة المسخوط عليهم في نظر رب العالمين -.

فيا أيها الإخوة: هذه منزلة حرص أو دركة لأنها منزلة السافلين، فهي دركة من دركات الهابطين، فهذه الدركة التي تؤدي بصاحبها إلى جهنم، أنت تطلب الدنيا عن طريق دين، أن تطلب حب العلو والشرف عن طريق العلم، عن طريق الجهاد، عن طريق النفقة، عن طريق الزكاة، أو غير ذلك، أن تطلب الدنيا بإهلاك الآخرة.

الحرص على الإمارة

أما الدنيا فقد قالﷺ لعبد الرحمن بن سمرة: **(يا عبد الرحمن بن سمرة، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أعطيتها عن مسألة أوكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها)**[1].

وفي البخاري: **(إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعمت المرضعة، وبئست الفاطمة)**[2] لأن الرضاع من الحليب طيب وحلو، والفطام عن هذا الحليب مرٌ وصعب على النفوس، والفطام- وما أشد الفطام - عن شرف الدنيا، وعن جاهها، ولقد رأيناهم يصابون بانهيارات عصبية عندما تفاجئه الإقالة، هو صاحب المعالي في الصباح، وفي الضحى يصبح كوما رميما في داخل بيته، لا ينظر إليه ناظر، ولا يسلم عليه مار.

وفي الصحيحين: **(إنا لا نولي أمرنا هذا من سأله ولا من حرص عليه)**.. وأما طلب الدنيا والشرف ببذل الدين، فقد جاء في الحديث الحسن الذي رواه أبو داود: **(من طلب علما مما يبتغى به وجه الله لا يطلبه إلا لعرض من الدنيا، لم يرح عرف الجنة يوم القيامة)**[3] لم يشم رائحة الجنة يوم القيامة، **(ورائحة الجنة تشم عن بعد سبعين عاما)**[4].

وفي رواية أحمد: **(تشم عن بعد مائة عام)**..لم يرح رائحة الجنة يوم القيامة، ومن طلب العلم ليماري به السفهاء، أوليجادل به العلماء، أولصرف وجوه الناس إليه.. **(من طلب علما ليماري به السفهاء، أو يباري به العلماء، أو يصرف وجوه الناس إليه فالنار النار)**[5].. فالنار النار.

وأعظم من هذا الذين يبذلون أرواحهم أو يخاطرون بأنفسهم من أجل الشرف في الدنيا، يقاتلون ويبذلون، وتجدهم في المعركة من أجرأ الناس، حتى يقال: جريء، وفي الصحيحين: **(قاتلت ليقال عنك جريء، وقد قيل فأخذت أجرك في الدنيا فيؤمر به فيلقى على وجهه في النار)**.

---

(١) رواه البخاري ومسلم. (٢) رواه البخاري. (٣) صحيح الجامع الصغير ٦١٥٩ .

(٤) رواه النسائي بلفظ «من قتل رجلا من أهل الذمة لم يجد ريح الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عاما» أنظر الترغيب والترهيب المجلد الثالث/ ص ٢٩٩.

(٥) صحيح الجامع الصغير ٦٣٨٢ حديث صحيح رواه ابن ماجة بلفظ «من طلب العلم ليجاري به العلماء أو ليماري به السفهاء ، أو ليصرف به وجوه الناس إليه، ادخله الله النار» أنظر مشكاة المصابيح رقم ٢٢٥ .

يا أيها الإخوة: هذا الجهاد لابد له من آداب، وإلا فإنكم ترجعون مأزورين غير مأجورين، ففي الحديث الحسن: **(الغزو غزوان، فمن غزا ابتغاء مرضاة الله، وأطاع الأمير، وأنفق الكريمة** – المال العزيز عليه – **واجتنب الفساد، وياسر الشريك** – ياسر الشريك أي صاحب شركاءه بخلق حسن، وتخلى عن كثير من مطالب نفسه، وصبر على كثير من إيذائهم – وتصدق بعرضه – أي بما يغتابونه به عليهم، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، القيل والقال، وكثرة السؤال والفضول فيما لا يعنيك، ودس الأنف فيما لا ينفعك معرفته، ولا يضرك جهله، إذا عمل بهذه الخمسة فأجره ونومه ونبهه أجر كله، القلم لا يتوقف عنك في ليل أو نهار، يقظة أو منام.. **(من خرج ابتغاء مرضاة الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فنومه ونبهه – أي يقظته – أجر كله، ومن لم يجتنب الفساد، ولم يطع الإمام، وخرج رياء وسمعة، لم يرجع بالكفاف** – أي لم يرجع بنفس الأجر الذي دخل به يوم دخل، أي رجع آثماً غير مثاب – **ورجع مأزورا غير مأجور)** .

إحفظوا ألسنتكم، وأحسنوا صحبتكم مع من حولكم، وأطيعوا من فوقكم، وأخلصوا نياتكم، واصدقوا طوياتكم، حتى ترجعوا بأجر عظيم، وثواب جزيل.   أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله، ثم الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

(ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء – وفي رواية: **حرص المسلم على المال والشرف لدينه** –).[1]

والحرص على المال نوعان:

حرص على جمع المال من حلال..

وحرص مع الشح بجمعه مع الشبهات، وعدم أداء حقوقه وواجباته.

والحرص على الشرف نوعان:

حرص على طلب الدنيا بدنيا..

وحرص على طلب الدنيا بدين.

فانتبهوا يا أيها الإخوة، واحذروا أن تكون من هذين الصنفين، فالله عز وجل قد اختاركم لحمل هذا الدين، والمخاطرة بأنفسكم من أجل إرضاء رب العالمين، فلا تبدأوا مأجورين ولا ترجعوا مأزورين.

ياأيها الاخوة: إحفظوا آداب جهادكم، فالجهاد عظيم فلا يعدله في ميزان الله شيء، احفظوا شرف قتالكم **فشرفه عظيم رفيع، وهو قمة سنام الإسلام كما قال ﷺ**، واحذروا من التجرؤ على الفتوى والإسراع فيها، واعلموا أن مالكا قد سئل عن أربعين مسألة جاءه رجل من المغرب إلى المدينة، يسأله عن أربعين مسألة فأجابه عن أربع وقال عن ست وثلاثين لا أدري، قال له الرجل: ماذا أقول للقوم؟ لقد جئتك من بلاد المغرب، فقال: قل لقومك إن مالكا لا يدري.

العلم ثلاثة: آية ناطقة، وسنة ماضية، ولا أدري، فانتبهوا ولا تتجرأوا على الفتوى، ولا تتسرعوا في الإجابة على الأسئلة، فأجرأكم على الفتوى أجرأكم على النار، لأنك تتجرأ من أجل طلب الشرف في الدنيا، تبذل دينك.

وقد رأينا ابن سيرين إذا سئل عن مسألة يتغير لونه كأنه ليس بالرجل الذي كان، وكان مالك إذا سئل عن مسألة كأنه واقف بين الجنة والنار، وهكذا السلف كان كل واحد يحب أن يفتي غيره بها، حتى إذا جاءه رجل يسأله، يقول: ألم تجد أجرأ مني فتسألني على الفتوى؟ إسئل الحسن عنها، أنا لا أدري، فلا تتجرأوا على الفتوى طلبا لحب الدنيا حتى يقال فلان يعلم، أو فلان فقيه أو فلان مطلع.

ياأيها الإخوة، إحرصوا على الآخرة، واحذروا من طلب الشرف وحب العلو والجاه والمنزلة في الدنيا، ولقد رأينا كما قلت، بعضهم تضعه مسؤولا عن خمسة، فإذا رفعته قام ضدك وما ترك اثنين إلا جرى خلالهما، يجري بالنميمة ويفسد بين هذا وهذا يقطع الأوصال بينك وبينهم، ولو أرجعته في اليوم التالي مسؤولا عن ثلاثة، لأصبحت العلم الذي يزار، وأصبحت الطود الشامخ الذي ينظر إليه بالإجلال، وأصبحت الرجل الذي لا يكاد يخطئ إلا قليلا، إنزالا لك عن عصمة النبوة، ولكن إذا أنزلته عن مسؤوليته، عن خمسة أفراد فقط، خمسة أفراد تجده كما قلت لكم لا يجد وسيلة إلا العضة **(حذر منها رسول الله ﷺ، قال وهو يحذر عن العضة قيل: وما العضة قال: المشي بالنميمة بين الناس وشر الناس)** في الحديث الصحيح **(المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرآء العيب)**.

---

(١) سبق تخريجه.

بشرى للصابرين

يا من رضيتم بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم :

(إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (الزمر : ١٠)

وفي آية أخرى

(وبشر الصابرين) (البقرة: ١٥٥)

(إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين).

(فصلت : ٣٠-٣٣)

فنبدأ بالبشرى ؛ بشرى الحياة الدنيا التي هي للصابرين ، التي أعطاها رب العزة لكل قوم تمسكوا بكتابهم ، واعتصموا بحبل ربهم ، وساروا على نهج نبيهم ﷺ ، فيقول الله عز وجل عن بني إسرائيل :

(وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) .

(الاعراف : ١٣٧)

بالصبر ينال التمكين

فبصبر بني إسرائيل مكن لهم في الأرض (بما صبروا) والباء سببية، أي بسبب صبرهم مكن الله لهم في الأرض، وأورثهم الأرض التي بارك الله فيها، وهي فلسطين بعد أن دخلوها بعد وفاة موسى عليه السلام، دخلوها مع داوود، ودخلوها مع سليمان عليهما الصلاة والسلام، وحكموا فلسطين بالتوحيد بلا إله إلا الله ، بهذه الكلمة استحقوا أن يرثوا الأرض بالتوحيد، استحق فرعون الغرق لتعديه على أهل التوحيد ، واستحق أهل التوحيد بعده الوراثة في الأرض ، بعد أن كانوا يستذلون ويستضعفون ، كانوا أذلة ، وكان القبطي اذا أراد أن يحمل شيئا فبدل أن يحمله على حمار أو حصان ، ينتقي من بني إسرائيل رجلاً ويحمله حطبه وأمتعته ، أصبحوا أعزة.

(وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض و مغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا).

بصبرهم على نهج نبيهم ﷺ، وبصبرهم على إيذاء عدوهم طمعا أن ينزل الله عليهم فتحا ، وأن يفتح الله لهم سبيلا ، وبصبرهم على تنفيذ أوامر ربهم

(وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا)

والبشرى لكل من صبر في الدنيا و في الآخرة ، وفي الحديث الحسن

«يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة، فلا ينصب لهم ميزان ولا يفتح لهم ديوان ولا يفتح عن سيئاتهم ولا يحاسبون عن ذنوبهم ولا توزن أعمالهم في الميزان ، ويقال لهم ادخلوا الجنة بغير حساب فيسألهم أهل الحشر ما بالكم لم تحاسبوا على أعمالكم ؟ فقالوا : كنا نصبر على البلاء ونرضى بالقضاء ، فيود أهل العافية في الدنيا ، لو كانت تقرض لحومهم بالمقاريض لما يروا من العافية لأهل الصبر يوم القيامة» «ويؤتى بأبأس رجل كان في الدنيا ، ويغمس غمسة واحدة في الجنة، فيسأله رب العزة هل رأيت بؤسا في

حياتك ؟ فيقول :وعزتك وجلالك ما رأيت بؤسا في حياتي قط»[1].

غمسة واحدة في الجنة تنسيه كل البلاء ، وما البلاء؟ ستون عاما، سبعون عاما ، ماذا تقابل هذه بنعيم مقيم

(وجنةٍ عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)؟.   (آل عمران : ١٣٣)

الجهاد كله صبر

ونحن في هذا الميدان، ميدان الجهاد ، كله صبر ، صبر على طاعة الله عز وجل ، وصبر عن معصية الله عز وجل ، وصبر على قدر الله عز وجل ، وصبر على نعمة الله عزوجل ، وصبر على طاعة الله ، انفروا فنفرنا ، وهذه تحتاج إلى كثير من الصبر، صبرعلى الملل الذي يمكن أن تعاني منه النفس، وعلى القلق، وعلى فراق الأهل والخلان ، صبر عن المألوفات والعادات التي اعتدناها في ديارنا ، الطعام اللذيذ الذي كنا نحتسيه، والفراش الوثير الذي كنا ننام عليه ، والسيارة الفارهة التي كنا نمتطيها، والعمارة الشاهقة التي كنا نسكنها ، والوظيفة التي أصبحت من مألوفاتنا ، وعادتنا التي كنا نذهب إليها صباحا ونعود منها ظهرا، رؤية الزوجة، رؤية الأولاد ، ذاك البيت الجميل الذي ترعرعنا فيه ، هذا المسجد الأنيق الذي طالما صلينا فيه ، هذا الجار اللطيف الذي تعلقت به قلوبنا، وهذا الصديق الشفيف الذي له محل في أعماقنا ، وهذا الأخ الوفي الذي جرى حبه في عروقنا ، كل هذه فارقناها بانفروا ؛ فنفرنا.

وصبر عن المعصية، عن التراجع بعد المنة ، وعن القهقرة بعد النعمة ، وعن تحول نعمة الله إلى سخط إذا تركنا نعمة الله التي منّ بها علينا وأنعم.

(ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب)   (البقرة : ٢١١)

صبر على طاعة الله عز وجل ، بطاعة الأمير الذي قد لا يكون في مستوانا علما أو ذكاء أو غنى أو منزلة اجتماعية، صبر على طاعة الأمير العام أو على طاعة أمير الخيمة ، أو على طاعة المدرب وكلهم أمراء ، وكلهم طاعتهم فرض ، كطاعة الرحمن ، لأنه طاعتهم طاعة للرحمن عز وجل ، **«من أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصى أميري فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله»**[2].

صبر على الجو الذي ما ألفناه ، على البرد الذي ما اعتدناه، على التقشف الذي ما رأيناه ، على انتظام الحياة كلها كحد السيف صارمة ، الذي ما ألفت القلوب رؤيته ولا اعتادت النفوس طاعته ، كنا في بيوتنا ننام كما نشاء ونقوم كما نشاء، ونأكل كما نريد ، ونترك الطعام الذي نعاف ، أما هنا : فيجب أن نقوم بنظام ، وننام بنظام، ولا نتعدى ولا نعصي ، هذه المألوفات كلها قد حطمت جميعا ، فطاعة الله فيها بالصبر عليها ، والصبر عليها شاق ، فاللهم عونك على هذا الحمل الثقيل .

والصبر قد يكون فيما تهواه النفوس ، أو فيما يخالف النفوس ، والذي تهواه النفوس قد يكون جزء من عملنا، فيما تهواه النفوس ، كالفروسية والفتوة والقوة وغير ذلك وحمل السلاح والاعتزاز والحرية ، فهذه كلها مما تحبها النفوس وتهواها ، ولا بد من الصبر على ما تهواه النفوس ، هذه أولا الصبر عليها بعدم الركون إليها، لأن الذي أنعم قد يسلب، والذي أعطى قد يأخذ ، ولابد من الصبر عليها بأن نخشى من مكر الله عز وجل فيها بأن يسلبها بعد أن أعطاها ، فعدم الركون إليها ودعاء الله عز وجل أن يتم علينا هذه النعمة ، وأن يزيد علينا هذه العافية ، وكذلك صبر بأن لا تتهمك في نيل بعضها كالمال مثلا .

المال والصحة هذه مما تهواه النفوس وتحبه، فلابد من الإجمال فيها،

«نفث الروح الأمين في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»[3] .

فالرزق محدود، والأجل موعود، ولايمكن أن يتعدى أن يزيد أو ينقص سواء كان رزقا أو أجلا ، فلابد من الطاعة في طلب المال، ولابد من الإجمال في طلب المال كذلك ،وكذلك الصبر على أداء حق الله فيها ، على أداء حق الله فيما نحن فيه كما قلت من حرية، الحرية مقيدة بطاعة الأمير وبطاعة رب العالمين، والعزة مقيدة بأن لا نعتدي على إخواننا الآخرين ، والاستعلاء على الكافرين يقابله ذلة على

---

(١) رواه الطبراني في الكبير بلفظ «ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان فيصب عليهم الأجر صبا حتى ان أهل العافية ليتمنون أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله لهم» رواه الطبراني في الكبير وفيه مجاعة بن الزبير وثقه أحمد وضعفه الدار قطني، أنظر مجمع الزوايد ج/ ٢ص / ٣٠٨ .   (٢) رواه مسلم.

(٢) حديث صحيح رواه في (شرح السنة) والبيهقي في (شعب الايمان)، أنظر مشكاة رقم ٥٣٠٠ .

(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) (هود : ١٥-١٦)

كم كانت تخيفني هذه الآية وأنا أمرّ عليها كلما تلوت "هود" وقبل أن أقرأ الحديث وقبل أن أعرف موقف سيدنا معاوية رضي الله عنه، وازداد خوفي منها عندما قرأت الحديث الشريف.

الصبر بعد العبادة

يجب أن يتوجه القلب للخالق أثناء العبادة كلها، وأن لا يغفل القلب وهو يؤدي المأمور عن الآمر ، فلابد من أن تنشغل الجوارح بأداء العبادة بأركانها وشروطها ، صلاة أو صياما، حجا أو زكاة، جهادا أو غير ذلك ، لابد أن تنشغل الأركان بأداء العبادة مع مراقبة الرحمن، أثناء أداء العبادة ، فلا يغفل القلب عن الرحمن ولا تغفل الأركان عن أداء العبادة كما أمر رب العزة عز وجل .

ثم كذلك الصبر بعد أداء العبادة ، والصبر بعد أداء العبادة بثلاث ، أولاً : عدم إبطالها ، ثانياً : عدم العجب فيها، ثالثاً: عدم نقلها من ديوان السر إلى ديوان العلانية ، أولا : عدم إبطالها .

(يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) (البقرة: ٢٦٤)

تقول أعطيت فلان كذا ، وأنفقت على فلان كذا ، وصمت شهرا رجب وشعبان، أو تكون صائما ولا يعلم بك أحد ثم تقول : و الله لقد تعبت اليوم كثيرا ، لقد جعت هذا اليوم أو عطشت كثيرا ، لأني كنت صائما ، تريد يا أخي أن تأخذ أجرك من هؤلاء؟!

يقول لي أحد الشباب: ما هذا الشهيق الذي تسمعه منك أحيانا في الصلاة؟ ألمرض؟ قلت: الحمد لله لست مريضا ، قلت: أنت كيف تفسره؟ قال : هناك احتمالات قلت ماذا؟ قال : يعني قد يكون عملا بالحديث «فإن لم تبكوا فتباكوا»[1] قلت له : ألا تعلم أن تعمد هذا في الصلاة يبطلها ، ألا تعلم أن تعمد الشهيق يبطل الصلاة، فهل تظن بي بهذا المقام بين يدي الرحمن أن أتعمد الشهيق حتى يسمعني ثلاثة أو أربعة من البشر، ويبغضني رب البشر وتلعنني الملائكة ، أن أبطل صلاتي وصلاة من ورائي حتى أسمع أناسا شهيقا في أثناء الصلاة ، كيف تفكرون ؟ كيف تأخذون الآيات ؟ ألم تسمع قوله عز وجل :

(إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) (مريم : ٥٨)

أين البكاء؟ أين حال الصالحين؟ ألم تعلم أن عمر رضي الله عنه والصحابة كلهم كانوا إذا مر أحدهم بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه؟ وإذا مر أحدهم بذكر الجنة بكى شوقا إليها؟ أين حال الذين يصفهم القرآن الكريم؟ أعرض حال الناس اليوم بالحال الذي يصفه القرآن ، ألم تعلم أن عمر بن عبد العزيز كان إذا قرأ القرآن بكى واخضلت لحيته وأغمي عليه؟ ألم تعلم أن عمر كان له خطان في وجهه لكثرة البكاء؟ ألم تعلم أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى صدره له أزيز كأزيز المرجل؟ ألم تعلم أن عائشة رضي الله عنها قالت عندما قال رسول الله ﷺ «مروا أبا بكر فليصل بالناس ، قالت له : إن أبا بكر رجل أسيف - يعني : حزين - فإذا صلى بالناس بكى ، فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس»[2] ، أم غابت تلك الصور جميعا عن الناس جميعا ، حتى أصبح سماع البكاء غريبا يشك بصاحبه ويتهم صاحبه أنه يتظاهر أمام الناس والرياء في الصلاة بين يدي الذي يملك السموات والأرض !! كيف تفكرون ؟! فلابد أولاً من عدم إبطالها والمنّ بها .

ثانياً : عدم العجب فيها ، أن ترى أنك قد قدمت شيئا...

(يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم) (الحجرات : ١٧)

أو ترى لنفسك أن لك منزلة لأنك جئت للجهاد، وتتهم بقية الناس وتستعلي عليهم، هذه نعمة تحتاج إلى شكر وتواضع ، لا إلى استعلاء وترفع ، هذه نعمة من الله، فإياك أن ترى لنفسك منزلة، وإذا ذكر فلان أو فلان تقول : من فلان؟ هذا قاعد وأنا مجاهد ، من

---

(١) جزء من الحديث ضعيف رواه الحاكم. (٢) حديث صحيح رواه البخاري.

ن ؟ من فلان ؟ أشكر الله على هذه النعمة ، وعدم العجب بنفسك لأن الله يسّر لك هذه العبادة ، لم تأت بنفسك ، الله بعثك، والله والله يسّر لك التذكرة ، والله يسّر لك الوصول ، والله يسّر لك ميدان التدرب والله يسّر لك الجبهة، والله يسّر لك القافلة ، والله يسّر لك المال الذي تنقلت به ، والله يسر لك أن يستقبلك الأفغان ، وكلها من الله ، ليس منك شيء وليس لك شيء وليس فيك شيء ، كان السلف رضوان الله عليهم يقولون : لأن ننام حتى الفجر ولا نصلي في الليل ركعة أحب الينا من أن نقوم الليل كله ونكون معجبين بأنفسنا، على من تعجب ؟ تستعلي على من بعبادتك؟ إن هذه العبادة تستدعي منك التواضع ، تستدعي أن تزيد الدعاء لرب العالمين أن يديم عليك هذه المنة ، وأن يديم عليك هذه النعمة ، لا أن تعجب بهذه النعمة فتسلب وتستبدل بها النقمة ، ثم أن تحذر وتصبر عليها حتى لا تنقل من ديوان السر إلى ديوان العلانية ، لأن بقاءها في ديوان السر له مقام أرفع، وثواب أكثر من أن تكون في ديوان العلانية ، «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»[1]، فيستحق بها مقام الاستظلال بعرش الرحمن يوم لا ظلّ إلا ظلّه، وقد سمعتم القصة التي حدثها الشيخ تميم بالامس ، قصة أبي الخير زين العابدين يوم أن دعا الله للاستسقاء ، وكانت الشمس مشرقة، وكان الناس يشكون قلة الأمطار والجدب منذ فترة طويلة، وما أنهى دعاءه إلا والسماء تنهلهم مطرا وابلا ، وبعد العشاء جالسون عند شيخ حلب أبي الخير زين العابدين عشرة من بينهم الشيخ تميم، فيقول أبو الخير زين العابدين : لقد وقع في قلبي أننا مطرنا ببركة فلان – ولم يذكر اسمه – ببركة واحد منكم، وقصته : أن رجلا جاءني بالأمس أو قبل أيام وقال لي : أن رجلا يأتينا منذ أعوام كل يوم بعد العشاء بسيارته ويناولنا طعامنا ولحومنا وأرزنا وفواكهنا ، وهو ملثم حتى لا يعرف ، ثم ينطلق ، ويكفل ستين أسرة من أهل حلب – في قرية بجانب حلب – بهذه الطريقة ، وعندما أراد أبو الخير زين العابدين أن يعرف من هذا الرجل كمن له في الظلام، وعندما جاء الرجل قفز عليه فدفعه الرجل حتى لا يعرف ، فنزع لثامه فاذا به أحد تلاميذه الذين يتتلمذون على يديه ، فقبل يديه ورجليه حتى لا يذكر اسمه لا في الحياة ولا بعد الممات ، فبقاء العبادة في دائرة السر هذا أمر عظيم وله أجر عظيم عند رب العالمين .

ولذلك يا أيها الإخوة : لابد أن نصبر بعد أداء العبادة على عدم إبطالها ، وعلى عدم العجب فيها ، وعلى عدم نقلها من السر إلى العلن ، واجعل بينك وبين الله عبادة سرية تجمعها وتستكنها في صندوق رب العالمين ، لأيام الشدة ، وأنتم تعلمون الثلاثة الذين دخلوا في الغار كل واحد منهم دعا بدعوة خاصة، ففتح الله الغار بسبب تلك العبادات الخالصة لوجهه الكريم .

الصبر على المصائب

وأما الصبر على المصائب فهذا له مقامات ، المقام الأول : هو حال العجز ولا يفعله إلا سفيهوا النفوس وضعاف العقول ، كالبكاء والشكوى للبشر .

وإذا اعترتك بلية فاصبر لها ... صبر الكريم فإنه بك أكرم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما ... تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

والصبر على المصائب إنما يكون بتذكر اليد التي ساقت المصيبة وهي يد الله عز وجل ، فلا تشكوه إلى خلقه وهو أرحم بك من نفسك .

(فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) (النساء : ١٩)

ثم تذكر الثواب الذي يترتب على المصيبة، والأجر الذي يتبع الصبر عليها ، فإياك والعجز، وإياك والشكوى إلى البشر، وهذا أول مقام.

والمقام الثاني : وهو الصبر على المصيبة ، والصبر علي المصيبة معناه حبس القلب عن التسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش ، فلا لطم خدود، ولا شق جيوب وحبس اللسان عن الشكوى للبشر ، وكذلك حبس القلب من التسخط على قدر الرحمن، فهو يحبك أكثر من حبك لنفسك، وهو أرحم بك من نفسك سبحانه ، «لله أرحم بكم من هذه بوليدها» ، عن المرأة التي وجدت ابنها في السبي بعد ضياع في جموع السبي وتيه كبير ، وهذا واجب.

والصبر إما لله، وبعض الناس يصبرون مروءة لأنهم يجدونها على أنفسهم كبيرة وكثيراً أن يشكوا للبشر، ولذلك كما قال المتنبي :

فصرت اذا أصابتني سهام ... تكسرت النصال على النصال
فهان وما أبالي بالرزايا ... لأني ما انتفعت بأن أبالي

فهم يصبرون مروءة ، هذا صبر الكفار الذين يرفضون أن يشكوا للبشر .

---

(1) جزء من الحديث رواه مسلم.

وفوق مقام الصبر ، الرضى ؛ الرضى بقدر الرحمن، وهذا تنازع العلماء في وجوبه: أهو واجب أو غير واجب ؟ الرضى بالمصيبة، ليس الصبر عليها ، الرضى بها، وأعلى الكل مقام الإحسان ، مقام الشكر، وهذا المقام أن تنظر الى البلية الساقطة النازلة عليك أنها نعمة من الله ، فتشكر عليها الله عز وجل.

وكان أبو ذر يقول : الفقر أحب إليّ من الغنى، والمرض أحب اليّ من الصحة، كانوا ينظرون إلى أنها نعم .

ولذلك ، حدثني في هذا المقام سكرتير الأستاذ حسن البنا قال : جاء أحد أصحاب الأستاذ حسن البنا وقال له : إنك راسب في مادة كذا وكذا في التخرج من كلية دار العلوم. قال: وإذا بحسن البنا يسجد، فقال له : يا شيخ حسن أنا قلتها مزاحا، أنت الأول في دار العلوم كلها ، فسجد مرة أخرى، قال له : عجبت لك، قلت لك : أنت راسب فسجدت، فقلت لك : أنت الأول فسجدت ، قال : نسجد لله على السراء والضراء .

أقول قولي هذا واستغفرالله لي ولكم ويا فوز المستغفرين استغفروا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

يا أيها الإخوة : نحن في مقام عبودية لله عز وجل فيجب أن نراعي حقوق هذه العبودية ، أن نراعيها قبلها وأثناءها وبعدها، ويجب أن نصبر على ما نحب وعلى ما نكره ، ويجب أن نؤدي الشكر لله عز وجل على هذه النعمة ، وإياكم أن تملّوا، فلا يملّ الله حتى تملّوا . وإياكم أن تستعجلوا، فما فاز إلا من صبر ، وإياك أن يغلبك الشيطان على نفسك فيعيدك إلى الجاهلية التي انتزعت نفسك منها ، أو إلى المدرسة التي جئت منها، أو الى الجامعة التي أنقذك الله منها ، أوإلى شركتك أو محلك أو قريتك أو مدينتك ، إياك إياك، فهذا المقام لا يعدله مقام في الأرض أبدا ، هو مقام الهجرة فأنت حيث تموت تكون شهيدا ، سواء مت بلدغة، أو بانقلاب سيارة، أو بطلقة من أحد زملائك، أو بطلقة من نفسك، أو بيد عدوك، فأنت شهيد ، مت حيث تموت ، وكيف تموت، بأي حتف مت فأنت شهيد ولك الجنة ، بشرط إخلاص النية، وبشرط شروط العبادة:

«من وضع رجله في الركاب فاصلا - بالهجرة - فوقصته دابته فمات ، أو لدغته هامة - أي أفعى أو عقرب فمات، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد، وإن له الجنة»[1] حديث صحيح .

فاذا مت هنا بالاسهال، بمرض، بأي سبيل ، فأنت شهيد بإذن الله ولك الجنة .

الصبر على الإعداد والرباط

ثم مقام الإعداد : وهو فرض عليك من رب العالمين ، والصبر عليه كذلك فرض ، وهذا المقام ، **«من تعلم الرمي ونسيه فليس مني»**[2] ، **«ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا»**[3].

يقول رسول الله ﷺ **«من رمى بسهم في سبيل الله بلغ أو لم يبلغ فله عدل محررة»**[4] ، كل طلقة كأنك أعتقت عبدا في سبيل الله ، فانتبهوا ، وهذا فرض عليكم، وهو علامة الجدية في الجهاد.

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) (التوبة: ٤٦)

ونحن هنا في أداء فريضتين : فريضة الإعداد ، ثم نحن شبه مرابطين، ففريضة الرباط كذلك، ونحن أولى وأكثر ثوابا من الذين يعيشون في أرض الرباط دون أن يمروا بالتدريب أو التمرين ، وأجركم أعظم بإذن الله عز وجل من أولئك الذين استعجلوا ووصلوا الجبهة دون الإعداد ، ودون التدريب والتمرين .

ثم مقام الرباط: **«ورباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل ، يقام ليلها ويصام نهارها»**[5] حديث صحيح .

وكذلك **«رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطا لم يختم على عمله ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويغذى برزقه ويؤمن عذاب القبر، يأمن فتنة القبر»**[6].

---

(١) حديث حسن رواه أبو داود. (٢) رواه مسلم. (٣) حديث صحيح رواه الإمام البخاري. (٤) رواه النسائي بإسناد صحيح، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم ٦٢٠٨ .
(٥) رواه النسائي والترمذي وحسنه. (٦) حديث صحيح رواه مسلم.

فأي نعمة أكبر من أن تموت مرابطا؟ والرسول ﷺ يقول:

- **« لأن أرابط أو أحرس ليلة في سبيل الله أحب إليّ من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود »**[1] حديث صحيح كذلك.

وهناك مقام القتال ، المقام الأرفع ، وهذا مقام لا يوازيه شيء في الثواب:

«قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة»[2] .

قيام ساعة في القتال خير من قيامك الليل في بيتك ستين عاما ، وهو حديث صحيح ، وفي رواية أخرى

«ولمقام أحدكم في سبيل الله خير من قيامه في بيته سبعين عاما»[3] .

فانتبهوا إلى هذا الأجر العظيم ، وراعوا الله وراعوا حرماته ، راعوه في أخوتكم بينكم، وراعوه في طاعة أميركم، وراعوه في كف ألسنتكم ، وراعوه بعدم الغرور ، وعدم العجب ، وبمحاولة إبقاء هذه العبادة بينك وبين خالقك ، إلا إذا كانت للتحريض فلا بأس، بشرط أن تأمن عدم اغترارك ، وعدم تزعزع نيتك وعدم اختلاف قلبك .

دروس مع النفس

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران : ٢٠٠)

الله عز وجل ربط الفلاح في الدنيا والآخرة بعوامل ثلاثة : الصبر ، والرباط ، والتقوى .

دعائم الرباط

والصبر والتقوى دعامتان أساسيتان من دعائم الرباط، ما من عبادة أصعب من الرباط أبدا ، لأنها فراغ وانتظار، وتبقى شهراً ، شهرين ، ثلاثة ، ستة أشهر، جالساً في رؤوس الجبال أو في قعر واد لا ترى إلا هؤلاء الأربعة والخمسة الذين معك في الخيمة . والنفس بطبيعتها تحب الخلطة مع الناس ، تحب رؤية الناس ، تأنس برؤية الناس الذين عرفتهم، تستوحش إذا غابت عن الأمهات ، وعن الآباء وعن الخلان، وعن المدن والعمارة وعن السيارات وغير ذلك، تستوحش إلا إذا آنسها الله عز وجل وإلا إذا شرح صدرها للعبادة التي هي فيها.

ولذلك، الله عز وجل كان يشرح صدور بعض الناس الصالحين للعزلة ، فيحبون أن يكونوا بعيدين عن الناس للعبادة، لطلب العلم ، للذكر، فكيف إذا اجتمع الذكر والعبادة والرباط والجهاد والخلوة ، هذه لا نظير لها أبداً.

الرباط أو الجهاد مع الخلوة أفضل طريقين دلّ عليهما رسول الله ﷺ ، قالوا:

«يا رسول الله من أفضل الناس ؟ قال : رجل يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله . قالوا : ثمّ أيّ قال رجل معتزل بشعب من الشعاب يعبد الله ويتقي الناس من شره»[4] .

فأنتم جمعتم بين الاثنين : جمعتم الجهاد في سبيل الله ، وجمعتم عبادة الله عز وجل .

في شعب ، هذا الشعب مكانكم، الشعب هو : الانفراج بين جبلين، يعبد الله ويتقي الناس من شره.

فالرباط قائم على الصبر، والنفس التي ليس لها صبر لا تستطيع أن تزاول العبادات، والنفس التي ليس لها صبر ليس لها إيمان كامل، وإنما الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فكما أنه لا جسد بلا رأس فلا إيمان بلا صبر.

كل العبادات تحتاج إلى صبر، مكابدة الليل وقيام الليل تحتاج إلى صبر، القيام إلى صلاة الصبح يحتاج إلى صبر، الصوم يحتاج إلى صبر، الحج يحتاج إلى صبر، الإعداد يحتاج إلى صبر... فلا بد من الصبر .

والشيء الذي يضاد الصبر هو: قضاء الشهوة، كلما اشتهت النفس تعطيها، إذا جاعت تأكل، إذا اشتهت الحلوى تشتري لها الحلوى تأكل، إذا اشتهت النوم تنام، اذا اشتهت مخالطة الناس تذهب إلى أمريكا وإلى أوربا وإلى بانكوك وإلى المباريات الرياضية وغير ذلك.

(١) رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ « مرابط ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود » أنظر صحيح الجامع الصغير رقم ٦٦٣٦ .
(٢) حديث صحيح، انظر صحيح الجامع الصغير رقم ٥١٥١ . (٣) رواه الترمذي وحسنه والحاكم وأحمد. (٤) رواه البخاري ومسلم بنحوه.

ولذلك إذا قطمت الشهوات؛ تصبر، وإذا تركت الشبهات تتيقن، ومعظم الضلال من الشبهات والشهوات .

الشهوات قضاؤها ولو بالحلال يؤدي إلى ترهل النفس ، وإلى الاستكثار من الطيبات ، وإلى التمتع بالحياة ، وإلى النعيم والترف، وهذا الذي يحاربه الإسلام لأنه ضد التقشف وضد الصبر الذي يبنى عليه الجهاد ، والجهاد هو عماد حياة الأمم.

ولذلك:

وخالف النفس والشيطان واعصهما ... وإن هما محضاك النصح فاتهم

النفس تحب تتبع الشهوات وتتبع الشبهات ، فإذا خالفت النفس بترك الشهوات فقد صبرت ، وإذا خالفت النفس بترك الشبهات فقد تيقنت ، وهنا تكون قد بدأت تسير على طريق الإمامة في الدين .

(وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (السجدة : ٢٤)

وكما قال ابن القيم «والإمامة بالدين لا تعطى إلا بالصبر واليقين ، ثم تلا الآية

(وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون).

ووالله يا إخوة : ما أذل الناس ولا أضاع الشعوب ولا ديست المقدسات ولا سلبت الأموال ولا انتهكت الحرمات ؛ إلا بسبب عدم صبرنا على الشهوات .

عيش النبي ﷺ

ولذلك الرسول ﷺ كان له «فدك» هذه منطقة نخيل كثيرة جاءت فيئاً وكان له خمس نصف خيبر

(واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول) (الانفال : ٤١)

ومع ذلك تقول عائشة «**ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين**»[1] لماذا هذا الزهد ؟ لماذا هذا التجويع ؟

وضعت شاة مصلية –مشوية– أمام أنس ،فبكى، قال : لقد فارق رسول الله ﷺ الدنيا وما رأى شاة مصلية ولا ذاق خبزا مرققا .

هذا الأمر مقصود لمحاربة الترف في النفس البشرية، محاربة الشهوات ، تصبير النفس على الطاعات .

عمر – رضي الله عنه – عندما أخذ نفسه بالعزائم ، وعام الرمادة – عام أصاب الجزيرة بالمجاعة –فاقسم ألا يذوق لحما ولا سمنا حتى يرى الخير في شوارع المدينة .

ماذا سيأكل ؟ لا يوجد إلا الخبز الجاف ، فأصابه الباسور ، أمعاؤه جفت وصارت تقرحات عنده في أواخر الأمعاء، وصار الدم ينزل مع الغائط ، اسودّ جلده ، قالوا : من يكلم عمراً؟ من يجرؤ أن يكلم عمراً؟!! قالوا : لا يجرؤ عليه إلا أم المؤمنين ابنته حفصة ، دخلت عليه وذكرته بنفسه قالت له : إن لنفسك عليك حقا ؛ وأنت بهذه الطريقة تتعب نفسك أو كما قالت ، قال : يا حفصة ألم تخبريني أن رسول الله ﷺ كان عنده قطيفة واحدة يطوي نصفها تحته ونصفها فوقه في الشتاء، وفي الصيف يطويها تحته؟ يا حفصة ألم أخبر أن رسول الله ﷺ ما شبع من خبز الشعير يومين متتاليين؟ يا حفصة ألم تعلمي أن رسول الله ﷺ كان يضع حجرين على بطنه؟ حتى سكتت ، أفحمها وخرجت .

فمحاربة الشهوات في وقت يستطيع الإنسان أن يأكل ، النفس لا تشبع ، هذه شهوات، والشهوات إشباعها كالعطشان الذي ذهب إلى ماء البحر ليشرب، كلما شرب ازداد عطشا ، لأن الماء مالح.

سبب العزوف عن الشهوات

هؤلاء الرومان كانوا قد توسعوا بأنواع الطعام وأنواع الحلوى حتى صاروا لا يستطعمون بالطعام، فصاروا يصلبون حتى يجدوا لذة الطعام ، غرقوا في الجنس ، حتى صاروا يكرهون النساء، فصاروا يبتعدون عن المدن حتى يشتاقوا إلى النساء .

الأوروبيون فتحوا باب الجنس على مصراعيه ، وأصبح الجنس مثل الطعام والشراب والهواء ، ومع ذلك حوادث الاغتصاب

---

(١) متفق عليه.

ولذلك إذا فطمت الشهوات؛ تصبر، وإذا تركت الشبهات تتيقن، ومعظم الضلال من الشبهات والشهوات .

الشهوات قضاؤها ولو بالحلال يؤدي إلى ترهل النفس ، وإلى الاستكثار من الطيبات ، وإلى التمتع بالحياة ، وإلى النعيم والترف، وهذا الذي يحاربه الإسلام لأنه ضد التقشف وضد الصبر الذي يبنى عليه الجهاد ، والجهاد هو عماد حياة الأمم.

ولذلك:

وخالف النفس والشيطان واعصهما — وإن همـا محضـاك النصـح فاتهـم

النفس تحب تتبع الشهوات وتتبع الشبهات ، فإذا خالفت النفس بترك الشهوات فقد صبرت ، وإذا خالفت النفس بترك الشبهات فقد تيقنت ، وهنا تكون قد بدأت تسير على طريق الإمامة في الدين .

(وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (السجدة : ٢٤)

وكما قال ابن القيم «والإمامة بالدين لا تعطى إلا بالصبر واليقين ، ثم تلا الآية

(وجعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون).

ووالله يا إخوة : ما أذل الناس ولا أضاع الشعوب ولا ديست المقدسات ولا سلبت الأموال ولا انتهكت الحرمات ؛ إلا بسبب عدم صبرنا على الشهوات .

عيش النبي ﷺ

ولذلك الرسول ﷺ كان له «فدك» هذه منطقة نخيل كثيرة جاءت فيئاً وكان له خمس نصف خيبر

(واعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول) (الانفال : ٤١)

ومع ذلك تقول عائشة **«ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتاليين»**[1] لماذا هذا الزهد ؟ لماذا هذا التجويع ؟

وضعت شاة مصلية -مشوية- أمام أنس ،فبكى، قال : لقد فارق رسول الله ﷺ الدنيا وما رأى شاة مصلية ولا ذاق خبزا مرققا .

هذا الأمر مقصود لمحاربة الترف في النفس البشرية، محاربة الشهوات ، تصبير النفس على الطاعات .

عمر - رضي الله عنه - عندما أخذ نفسه بالعزائم ، وعام الرمادة - عام أصاب الجزيرة بالمجاعة -فأقسم ألا يذوق لحما ولا سمنا حتى يرى الخير في شوارع المدينة .

ماذا سيأكل ؟ لا يوجد إلا الخبز الجاف ، فأصابه الباسور ، أمعاؤه جفت وصارت تقرحات عنده في أواخر الأمعاء، وصار الدم ينزل مع الغائط ، اسودّ جلده ، قالوا : من يكلم عمراً؟ من يجرؤ أن يكلم عمراً؟!! قالوا : لا يجرؤ عليه إلا أم المؤمنين ابنته حفصة ، دخلت عليه وذكرته بنفسه قالت له : إن لنفسك عليك حقا ؛ وأنت بهذه الطريقة تتعب نفسك أو كما قالت ، قال : يا حفصة ألم تخبريني أن رسول الله ﷺ كان عنده قطيفة واحدة يطوي نصفها تحته ونصفها فوقه في الشتاء، وفي الصيف يطويها تحته؟ يا حفصة ألم أخبر أن رسول الله ﷺ ما شبع من خبز الشعير يومين متتاليين؟ يا حفصة ألم تعلمي أن رسول الله ﷺ كان يضع حجرين على بطنه؟ حتى سكتت ، أفحمها وخرجت .

فمحاربة الشهوات في وقت يستطيع الإنسان أن يأكل ، النفس لا تشبع ، هذه شهوات، والشهوات إشباعها كالعطشان الذي ذهب إلى ماء البحر ليشرب، كلما شرب ازداد عطشا ، لأن الماء مالح.

سبب العزوف عن الشهوات

هؤلاء الرومان كانوا قد توسعوا بأنواع الطعام وأنواع الحلوى حتى صاروا لا يستطعمون بالطعام، فصاروا يصومون حتى يجدوا لذة الطعام ، غرقوا في الجنس ، حتى صاروا يكرهون النساء، فصاروا يبتعدون عن المدن حتى يشتاقوا إلى النساء .

الأوروبيون فتحوا باب الجنس على مصراعيه ، وأصبح الجنس مثل الطعام والشراب والهواء ، ومع ذلك حوادث الاغتصاب

(١) متفق عليه.

فأي نعمة أكبر من أن تموت مرابطا؟ والرسول ﷺ يقول:

- **« لأن أرابط أو أحرس ليلة في سبيل الله أحب إليّ من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود »[1]** حديث صحيح كذلك.

وهناك مقام القتال ، المقام الأرفع ، وهذا مقام لا يوازيه شيء في الثواب:

« قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة »[2] .

قيام ساعة في القتال خير من قيامك الليل في بيتك ستين عاما ، وهو حديث صحيح ، وفي رواية أخرى

« ولمقام أحدكم في سبيل الله خير من قيامه في بيته سبعين عاما »[3] .

فانتبهوا إلى هذا الأجر العظيم ، وراعوا الله وراعوا حرماته ، راعوه في أخوتكم بينكم، وراعوه في طاعة أميركم، وراعوه في كف ألسنتكم ، وراعوه بعدم الغرور ، وعدم العجب ، وبمحاولة إبقاء هذه العبادة بينك وبين خالقك ، إلا إذا كانت للتحريض فلا بأس، بشرط أن تأمن عدم اغترارك ، وعدم تزعزع نيتك وعدم اختلاف قلبك .

دروس مع النفس

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران : ٢٠٠)

الله عز وجل ربط الفلاح في الدنيا والآخرة بعوامل ثلاثة : الصبر ، والرباط ، والتقوى .

دعائم الرباط

والصبر والتقوى دعامتان أساسيتان من دعائم الرباط، ما من عبادة أصعب من الرباط أبدا ، لأنها فراغ وانتظار، وتبقى شهراً ، شهرين ، ثلاثة ، ستة أشهر، جالساً في رؤوس الجبال أو في قعر واد لا ترى إلا هؤلاء الأربعة والخمسة الذين معك في الخيمة . والنفس بطبيعتها تحب الخلطة مع الناس ، تحب رؤية الناس ، تأنس برؤية الناس الذين عرفتهم، تستوحش إذا غابت عن الأمهات ، وعن الآباء وعن الخلان، وعن المدن والعمارة وعن السيارات وغير ذلك، تستوحش إلا إذا آنسها الله عز وجل وإلا إذا شرح صدرها للعبادة التي هي فيها.

ولذلك، الله عز وجل كان يشرح صدور بعض الناس الصالحين للعزلة ، فيحبون أن يكونوا بعيدين عن الناس للعبادة، لطلب العلم ، للذكر، فكيف إذا اجتمع الذكر والعبادة والرباط والجهاد والخلوة ، هذه لا نظير لها أبداً.

الرباط أو الجهاد مع الخلوة أفضل طريقين دلّ عليهما رسول الله ﷺ ، قالوا:

- **« يا رسول الله من أفضل الناس ؟ قال : رجل يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله . قالوا : ثمّ أيّ قال رجل معتزل بشعب من الشعاب يعبد الله ويتقي الناس من شره »[4]** .

فأنتم جمعتم بين الاثنين : جمعتم الجهاد في سبيل الله ، وجمعتم عبادة الله عز وجل .

في شعب ، هذا الشعب مكانكم، الشعب هو : الانفراج بين جبلين، يعبد الله ويتقي الناس من شره.

فالرباط قائم على الصبر، والنفس التي ليس لها صبر لا تستطيع أن تزاول العبادات، والنفس التي ليس لها صبر ليس لها إيمان كامل، وإنما الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فكما أنه لا جسد بلا رأس فلا إيمان بلا صبر .

كل العبادات تحتاج إلى صبر، مكابدة الليل وقيام الليل تحتاج إلى صبر، القيام إلى صلاة الصبح يحتاج إلى صبر، الصوم يحتاج إلى صبر، الحج يحتاج إلى صبر، الإعداد يحتاج إلى صبر... فلا بد من الصبر .

والشيء الذي يضاد الصبر هو: قضاء الشهوة، كلما اشتهت النفس تعطيها، إذا جاعت تأكل، إذا اشتهت الحلوى تشتري لها الحلوى تأكل، إذا اشتهت النوم تنام، إذا اشتهت مخالطة الناس تذهب إلى أمريكا وإلى أوربا وإلى بانكوك وإلى المباريات الرياضية وغير ذلك.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ « موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود » أنظر صحيح الجامع الصغير رقم ٦٦٣٦ .

(٢) حديث صحيح، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم ٥١٥١ . (٣) رواه الترمذي وحسنه والحاكم وأحمد . (٤) رواه البخاري ومسلم بنحوه.

طلبوا من رئيس الوزراء قال: ليس عندنا أموال يا وزير المالية ، دبر لنا! قال: لا يوجد ، قالوا : هذه المرأة لابد أن تتفسح في أوروبا! قال: جاءنا كمية من القمح موجودة ولازالت في الميناء ، بيعوها وتذهب بثمنها ، وباعوا القمح وأعطوا لسيدة القصر حتى تذهب تتفسح في أوروبا ، الناس يموتون جوعا ويأتيهم القمح لسد رمقهم، يباع القمح من أجل بنت من بنات القصر تريد أن تتفسح في أوروبا .

بروز القيادة بالعمل

ولذلك الشعوب تسحق سحقا، وهذه الطبقة لا تعيش فوق الأرض، تعيش في بروج عاجية، تخاطب الشعوب من الخيال . لماذا ؟ لأنها ما جاءت بطريقة طبيعية منطقية إلى الحكم ، وإن الطريق الطبيعي للحكم أن يبدأ الانسان جنديا ثم جندي أول ثم ضابط ، حتى يصبح رئيس دولة ، ليس شرطا البزة العسكرية والرتب العسكرية ، أن يبدأ بالدعوة إلى الله ، ثم يتحول ويؤذى ويسجن ويطارد ويجاهد ويجوع ويعرى ويبرد ويتعرض للموت ، وبعدها إذا أرادت الأمة أن تختار قيادتها تكون المعركة قد أفرزت القيادة طبيعيا ، ليس بحاجة إلى انتخابات، وليس بحاجة إلى ترشيحات ، من خلال الدعوة من خلال التضحية من خلال البذل كم معركة حضر؟ كم ليلة في سبيل الله؟ كم سنة جاهد؟ مجموع العلامات الساعات المعتمدة أكمل مائة واثنين وثلاثين ساعة يعطى بكالوريوس يصير رئيس دولة، فالإسلاميون ليسوا بحاجة إلى دعاية انتخابية، لأن العمل هو الذي يفرز القيادات .

عندما نظرت الأمة عشية فقد سيد البشرية محمد ﷺ ، تلفتت أمامها فلم تجد رجلا أنسب من أبي بكر، لماذا ؟ حضر الغزوات كلها، أنفق ماله كله في سبيل الله، ما تلعثم منذ أن دخل الإسلام ، احتمل في سبيل الله كل إيذاء واضطهاد ، ترك أهله، ترك زوجتيه، ترك بناته في مكة وخرج وهاجر، يهرب الناس في أحد إلا أبا بكر حوله ، هرب الناس في حنين لا يجد إلا أبا بكر حوله ، يخرج الناس إلى بدر، أبو بكر مع الرسول ﷺ، يشتد الوطيس أبو بكر في مقدمة الناس ، أهذا بحاجة إلى دعاية انتخابية؟! بحاجة إلى (انتخبوا مرشحكم الحر الديمقراطي)؟! أم يعمل دسائس ضد عمر ويقول : هذا شديد عليكم لا تنتخبوه وأنا انتخبوني لأني رحيم بكم ، لأني صاحب الرسول ﷺ ... لا ..

قال : يا عمر أمدد يدك أبايعك ! قال عمر : لأن تمتد عنقي إلى سيف فتقطع في سبيل الله خير من أن آمر على جماعة فيها أبو بكر !!

ماذا قدمت لروحك ولنفسك ومجتمعك وبلدك ؟ ماذا سجلت في سجلك من أعمال ومآثر ؟ أين وصلت بناية الروح ؟ كم طوبة وضعت روحك ؟ أم لا زلت على طوبة واحدة ، الناس سبقوك إلى الآخرة ارتفعت أرواحهم ، وخلصت نفوسهم من حظ نفوسهم .

الواحد منهم لم يعد لنفسه أي شيء – كما قال أبو الحسن الندوي ونقله الأستاذ سيد عنه –: فلما أن ابتلاهم الله وصبروا، خلصت نفوسهم من حظ نفوسهم، حتى علم الله أنهم لا يريدون شيئا – أجرا- كانوا من كان على العمل لهذا الدين ، عرف أنهم أمناء، مكن لهم في الأرض، وجعلهم ستارا لقدره. قال : حتى ما كانوا ينتظرون انتصار هذا الدين على أيديهم ، كانوا ينتظرون أن ينتصر هذا الدين على أيديهم أو على أيدي أبنائهم أو على أيدي الأجيال القادمة ، المهم أن ينتصر هذا الدين ولذلك سيدنا عليّ عندما جلس فوق صدر الكافر ليقتله ، بصق في وجه سيدنا علي فقام علي ، يا أبا الحسن ما بالك قد تركته؟ قال: كنت أريد أن أقتله لله خالصا ، عندما بصق في وجهي خشيت أن يكون انتقاما لنفسي ، خلصت نفوسهم من حظ نفوسهم .

نماذج خالدة

محمد فرغلي بعد العذاب الأليم الذي عذبوه إياه في السجون الشرطة المصرية – الشرطة جاءوا بهم من النوبة تقول له : السلام عليكم يضربك سوطا ، لا يفهمون أي شيء – بعد العذاب الأليم وهو على خشبة الإعدام على حبل المشنقة ، قال: اللهم اغفر لي ولمن أساءوا إليّ ، هذه نفوس ارتفعت .

فهناك فرق بين نفسية عبد القادر عودة وبين نفسية محمد فرغلي ؟ عبد القادر عودة قال : سيكون دمي لعنة على رجال الثورة ، لكن محمد فرغلي تخطاه قال : اللهم اغفر لي ولمن أساءوا إليّ ، لأنه كان يظنهم مسلمين ، فالروح ارتفعت، لم يعد للنفس أي حظ .

ولذلك ابن تيمية عندما كانوا يقولون له : ما هذه الألوف التي قد تابت على يديك ورجعت إلى الاسلام؟! فيقول : ليس مني شيء ليس فيّ شيء وليس لي شيء ، من الله ! والكل إليه .

حوادث الجنس وأمراض الجنس وما إلى ذلك لا تنتهي ؛ لأن الشهوات لا تشبع، كلما أرويتها كلما ازدادت نهما.

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

سيدنا جابر كان ذاهبا إلى السوق ، سأله عمر رضي الله عنهما: إلى أين يا جابر ؟ قال : قرمت نفسي إلى اللحم فأريد أن أشتري لحما بدرهم ، قال : يا جابر أكلما اشتهيت اشتريت؟!

عمر مرة وضع أمامه طعام فبكى وقام ، ما بالك يا أمير المؤمنين ؟! قال : أخشى أن يقال لنا يوم القيامة :

(أذهبتم طيباتكم في الحياة الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون). (الاحقاف : ٢٠)

ولذلك كان الزهد ومحاربة الشهوات في النفس البشرية ، كان مقصودا لأن النفس لا يمكن أن تعلو ولا ترتفع إلا إذا استعلت على شهواتها وعلى أهوائها ، والنفس التي تقع أسيرة الشهوات لا يمكن أن تنازل الأعداء في ساحة اللقاء .

ولذلك اذا أردت أن تبقى سائرا على الطريق إلى الله عز وجل فامسك زمام نفسك ، وللأسف هذا العلم لا يدرس في الجامعات ولا في المدارس (علم السلوك) (علم مدارج السالكين) بين إياك نعبد وإياك نستعين.

هذا العلم فُقد لأنه لا يوجد مربين، ولا يدرس لا في الازهر ولا في كليات الشريعة؛ علم السلوك، علم الأخلاق، علم ترويض النفس، علم التربية، فتجد أحيانا الشاب حافظا -ما شاء الله- من الكتب الكثير، وأحاديث -ماشاء الله- ورياض الصالحين ! قرأه من زمان، وروضة الناظر درسها ، ونيل الأوطار قرأه ، وسبل السلام وفتح الباري وما إلى ذلك، تجده لا يصوم تطوعاً ، لا يقوم الليل ، نفسه ميتة، لا يصلي النوافل ، يتبع الرخص حيثما وجدها . لماذا ؟ مرضت النفس ، ما تربى ، والشهوات - أعوذ بالله.

نماذج صادقة

حدثني كمال السنانيري -رحمه الله- الذي وضعه الإخوان مسؤولا عليهم في السجن ، فعملوا تكافلاً اجتماعياً ، كل الإخوان يجب أن يأكلوا مثل بعض ، وينفقوا مثل بعض، ويشربوا مثل بعض، فأي واحد تأتيه فلوس تسلم لكمال السنانيري وهو ينفق عليهم ، قال : والله حبة الشوكولاته تأتي للأخ -وفي داخل السجن لها قيمتها -، قال : تطوف على سبعة من الإخوان وترجع إلى من اعطاها أولا؛ وهذه لها قيمتها ، وكأس الشاي لها قيمة في السجن كبيرة .

مقــــــارنة

قال : كنت أقارن بين الإخوان وبين الشيوعيين - قادة الحزب الشيوعي - اكتشفهم عبد الناصر في مؤامرة يريدون أن يعملوا انقلابا عليه ، فوضعهم في السجن ، لو نجح الانقلاب لسكنوا الحكم ، لكان رئيس الجمهورية منهم ، ورئيس الوزراء منهم ، والوزراء منهم ، هؤلاء وضعوا في السجن، قال : والله أساتذة جامعات كبار ، زوجته تأتيه بدجاجة يضعها في عبه أو يخبئها في كمه ، ويأتي في عنبر الإخوان يأكلها بعيداً عن الشيوعيين ويرجع للشيوعيين ، قال : أخذتهم الغيرة من الإخوان، أرادوا أن يعملوا تكافلا اجتماعيا ، فهنالك شيوعيون يدخنون وشيوعيون لا يدخنون ، قالوا : ماذا نصنع؟ نحن نريد أن نعمل مساواة واشتراكية ، اختلفوا كيف نعمل بالذين يدخنون؟ فرفعوا الأمر إليّ ، تحاكم الشيوعيون إليّ كي أحكم في قضية الدخان ، قلت لهم : أنا أحكم بما يلي : مقابل كل سيجارة كأس شاي ، الذي لا يدخن يُعطى كأس شاي إضافي مقابل سيجارة ، رفض المدخنون ، قلت كيف تحكمون أنتم ؟ قالوا : الذين لا يدخنون يدخنون ، هذه الشلل التي تحكم العالم العربي !!.

عندما يكون بهذه الثقافة وبهذا المستوى النفسي : أنه لا يسمح لأخيه في الكفر أن يشرب كأس شاي مقابل السيجارة ؛ هؤلاء غدا لو ملكوا ناصية الشعوب وكانت الأموال بين أيديهم، هل فعلا هؤلاء سيطبقون الاشتراكية أم سيسرقون كل أموال الشعب لتلبية شهواتهم وتنفيذ رغباتهم ؟ وهذا الذي يحصل .

نحن نريد أن نستعلي عليهم ، صدقوا يا إخوة : بعض البلدان بعد نكبة سنة سبع وستين، الدول الغربية أرسلت مساعدات قمح للدول المنكوبة -الأردن وسوريا ومصر -، فواحدة من نساء القصر تريد أن تشم الهواء في أوروبا ، تحتاج إلى حوالي مائة ألف دولار ،

(وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) (الاسراء: ١٠٦)

فالفرق مقصود والمكث مقصود ؛ لأن تربية الأمم لا تتم بين عشية وضحاها ، ولذلك الذين لم يعرفوا دين الله من زمن بعيد، وما تربوا في دين الله عز وجل وجاءوا للجهاد مباشرة ، يتعبوننا أكثر من الشاب الذي تربى منذ سنوات في دين الله عز وجل لماذا ؟ لأنه تشربت نفسه دين الله عز وجل تدريجياً، وطبقه تدريجياً ، ورجع إلى الله تدريجياً، ولذلك صار عوده صلباً ، وصار يحتمل التكاليف، ومن أصعب التكاليف الجهاد في سبيل الله .

فلابد من التربية على التوحيد ، على الخوف من الله عز وجل على الورع:

«أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1]

الورع الذي يجعل أخت بشر الحافي تذهب إلى أحمد بن حنبل ، تقول له : يا إمام هل يجوز النسيج على نور الظالمين ؟ كان الحكام قبل يوقدون بيوتهم وحول بيوتهم بالقناديل المعلقة طيلة الليل ، فهي جاءت تسأله أيجوز أن ننسج على هذا النور المنبعث من ديار الظالمين ؟ قال : من أنت ؟ قالت : أنا أخت بشر الحافي، قال : من بيتكم خرج الورع.

نحن نريد أناساً يخافون من الدرهم إذا كان فيه شبهة أكثر مما يخافون من الأفعى والعقرب ، نريد أناساً كعمر بن عبد العزيز، يحصي بأموال بيت المال حتى إذا كان الكلام عن أسرته أطفأ المصباح ، قال : ما بالك ؟ قال : كنا ننفق من زيت بيت مال المسلمين لنعد أموال بيت مال المسلمين ، والآن نحن نتحدث عن أسرة عمر بن عبد العزيز، فكيف ننفق من زيت بيت مال المسلمين؟

نريد أناساً يخافون من الدرهم المشبوه، كما يخاف أبو بكر، أبو بكر أخذ حلوى وأعطاها لابنه ، فأكلها ابنه، فعلم أن هذه حلوان كاهن، أن كاهناً تكهن ، فأعطي مقابلها حلوى فوزعها الكاهن فعندما علم بهذا وضع إصبعه في فيه ونكسه حتى تخرج ، حتى يتقيأ، هذه التي دخلت جوفه حراماً ، قالوا يا أبابكر : قال : لو لم تخرج إلا بخروج روحه لأخرجتها ، نريد الناس الذين يخافون من عذاب الله عز وجل أكثر من خوفهم من النار الموقدة أمامهم ، نريد أناسا يراقبون الله عز وجل، حتى إذا فعل أحدهم فاحشة جاء إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله طهرني، يعني : اقتلني حتى أطهر.

ماعز والغامدية ويرده الرسول ﷺ، ويردها مرة واثنتين وثلاث، والرابعة قال : مابالها ! قالوا : إنها حبلى من الزنا، قال: «اذهبي حتى تضعي فوضعت، قالت : يارسول الله وضعت، طهرني ، قال : اذهبي حتى تفطميه ، فطمته وجاءت بكسرة من الخبز، يا رسول الله طهرني ، فأمر بها فحفر لها حفرة ثم رجمت بالحجارة ، فشخب شيء من دمها من حجر خالد على خالد، فلعنها خالد، فمسكه الرسول ﷺ ، قال **مهلا يا خالد، لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له» وفي رواية «لو قسمت على أهل المدينة لوسعتهم»**[2] وهي تعرف الحكم ، ماذا ؟ الموت، لكن تريد أن تطهر .

أحد الشباب تاب إلى الله عز وجل وأناب ، بدأ يتربى على الإسلام، وبدأ ينظر إلى جهنم وإلى الجنة كأنها ماثلة أمامه ، وكان غارقاً في الفاحشة ، وذات يوم دعا إخوانه الذين ربوه ، وقد جمع مجموعة من العصي قال لهم : أقيموا عليّ الحد ، قالوا : لقد تبت وأنبت ورجعت إلى الله، قال : أنا كنت غارقاً في الفاحشة فاقيموا عليّ الحد ، وكنت أعزب فاقيموا عليّ الحد مائة جلدة بهذه العصي، وهم يحاولون وهو يبكي ثلاث ساعات يرجوهم أن يقيموا عليه الحد .نريد شباباً أتقياء ...

نحن نريد شباباً ؛ ينظرون إلى الجنة وإلى النار كأنها ماثلة أمام أعينهم ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها، وكلما مر بآية من ذكر النار زفر زفرة كأن جحيم جهنم بين أذنيه ، أما الثقافة والكلام ، والغرور والعجب بعدة أسطر حفظتها أو بكم كتاب صغير قرأتها ، وصار لا يعلق في عينيك أحد ، وتتعالى على كل أحد ، وتقول : من فلان ومن فلان ومن فلان ؟ أنا الذي فهمت ، وأنا الذي علمت ، وأنا الذي عرفت التوحيد ، وأنا الذي عرفت الحديث ، وأنا الذي عرفت الفقه ، لا خير فيك ولا في علمك ، أنت لا يمكن أن تكون في يوم من الأيام فيك خير للإسلام بهذه الأخلاق .

قال ابن مسعود : والله لا أجرؤ أن أقول إني أفضل من كلب ، وأنت لا يعلق بعينيك أحد ، لماذا ؟ لأنك قرأت كتاباً أو كتابين أو حفظت سطراً أو سطرين ، أو حفظت ألفاً أو ألفين من الأحاديث ، هذا هو الإسلام ؟! والغرور والعجب من محبطات الثواب ، أنت ما قدمت لدين الله ؟! ما سرت خطوة واحدة في دين الله عز وجل بعد ؟! ما دفعت قطرة دم ولا قطرة عرق في سبيل الله عز وجل ، ما سجنت يوماً في سبيل الله ، ما ضربت كفاً في سبيل الله ، عن أي شيء تتعالى على عباد الله عز وجل؟!

---

(١) رواه مسلم. (٢) رواه مسلم.

ن أولياء الله ، إنه يقوم الليل ، من أولياء الله –حافظ الأسد !! نصيري كافر باتفاق الأمة جميعاً من أولياء الله !!– فكيف لا يصير الناس شيوعيين ، وتجده يفتي – كلما مسكوا شابا من شباب الدعوة الإسلامية واقفاً ضد حافظ الأسد أو أطلق النار ضد القادة الكفار هؤلاء– شنك، والفتاوي جاهزة الذبح، والفتاوي جاهزة لمن ؟ لأولياء الله الذين يقومون الليل ، –حافظ الأسد– لأن الخروج على ولي من أولياء الله يعتبر كبيرة من الكبائر لا يجوز .

ومن هم أولياء الله؟ هذا حافظ الأسد الذي كان يرسل وراء الوفود حتى تصلح بينه وبين الإخوان ، فقال لهم : الإخوان لماذا يخرجون عليّ ويحاربونني ؟ أنا والله أصلي الجمعة، وأصلي العيد ، وأصلي صلاة المولد النبوي – يظن المولد النبوي فيه صلاة –، وولي من أولياء الله يصلي صلاة المولد النبوي، على من خرجوا ؟على هؤلاء النصيريين ، الذين يقولون: إن الله هو علي بن أبي طالب .

نعم ... قالوا : إن الله قد حلّ في علي، وعلي خلق محمداً ، ومحمد خلق سلمان الفارسي ، وسلمان الفارسي خلق الأيتام الخمسة : أبو ذر، والمقداد وفلان وفلان وفلان هؤلاء الذين يحبونهم من الصحابة. خال حافظ الأسد إله !! سليمان المرشد إله ، صنع له الفرنسيون أزراراً في الثوب وضعوا في داخله أزراراً كهربائية وسلك وبطارية ويلبسه، وعندما يدخل عليه القنصل الفرنسي، مع الجهلة، هؤلاء النصيريون لا يفهمون شيئاً، كانوا يبيعون بناتهم ، قبل خمسين سنة يبيعون بناتهم في السوق بيعاً ، هؤلاء جماعة حافظ الأسد ورفعت الأسد، ثم يدخل عليه النصيريون فيضغط على الزر – الزر والبطارية – في جيبه فيضيء ، فيسجد القنصل الفرنسي.

عفوك يا إلهي ، أولئك يسجدون وراء القنصل الفرنسي ، نعم خال حافظ الأسد ، ولذلك ليس بعيداً أنه يصبح من أولياء الله ، نعم هو من أولياء الله ، من أولياء سليمان المرشد .

ولذلك أخيراً هو تمرد على الدولة، عندما خرج الفرنسيون ، أعطوه سلاحاً حتى يقاوم الحكم، حكم أهل دمشق، ويعني: حكم البلد الإسلامي، أو شبه إسلامي، فوزير الداخلية صبري العسلي مسكه وحكم عليه بالإعدام، حكم على الإله بالإعدام ، فقيدوه وساقوه إلى المشنقة ، كان صبري العسلي حاضرا، فقال له : يا أبا شجاع –السوريون سموه أبا شجاع لأنه أعدم سليمان المرشد لأنه ما أحد يستطيع أن يعدمه خوفا من فرنسا – و هو مساق للمشنقة قال له : يا أبا شجاع يريدون أن يعدموني فتشفع لي ؛ قال له : هذه المرة لا، المرة الثانية نتشفع لك .

علم بغير تقوى

فهؤلاء خطيرون جداً ، المتفقه بدين الله عز وجل بلا عمل كالمستشرق .

الآن هنالك بعض النصارى يدرسون في دين الله ، هذا المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي أكبر موسوعة حديثية ، ألفه مجموعة من النصارى ، رتبوه ، مجموعة من النصارى فنسنج وجماعته قعدوا اربعين سنة وهم يرتبون الأحاديث ، حتى يعرفوا كيف يحاربون دين الله عز وجل .

ولذلك أخذوا من أبنائنا أناساً خرجوهم من السوربون ، أخذوا دكتوراه ، الشريعة من سوربون !! ومن أمريكا ومن غيرها ، ورجعوا يفسدون دين الله عز وجل، من أكسفورد ومن هارفرد دكتوراه في الشريعة الإسلامية !! ورجعوا أساتذة الأزهر وصاروا شيوخاً للأزهر ، وصاروا أساتذة لكلية الشريعة ، وعمداء لكلية الشريعة في العالم العربي .

وماذا يقولون في رسالة الدكتوراه ؟ يقولون : إن محمداً كان يكذب على أصحابه ، يكذب على أصحابه يقول لهم : تزوجوا أربعة ، وهو يتزوج تسعة ، يقول لهم : النوم يفسد الوضوء ينقض الوضوء ، وهو ينام ولا ينقض وضوءه ، فاذا قالوا له : لماذا لا تتوضأ ؟ قال عيناي تنامان وقلبي لا ينام .

وهكذا ، هذا دكتوراه في الشريعة الإسلامية !! وصاحبها تجده أستاذاً في الكلية ، أستاذاً في الكلية، في كلية الشريعة ، ويعلم دين الله عز وجل .

ولذلك الإنسان إذا لم يكن هنالك ورع وتقوى مصيبة على دين الله إذا عرف شيئاً من دين الله عز وجل، نعم يصير يخطب فويل للمصلين ولا يكمل.

ولذلك التربية تتم من خلال الحركة بهذا الدين، ومن خلال العمل بهذا الدين، ليس من خلال الثقافة المكتبية ، وكثرة الثقافة المكتبية تؤدي إلى قساوة القلوب ، وجلافة الطبع، وفتح المنافذ للتخلص من الأوامر الشرعية، والإسلام لم يكن في يوم من الأيام نظرية ثقافية، وإلا كان بالإمكان أن ينزل القرآن في مكة دفعة واحدة، فيحفظه بعض الصحابة في ستة أشهر وبعضهم في ثلاثة أشهر... لا..

كانوا حجر عثرة في سبيل الإصلاح ، والآن العلماء نفس الشيء ، العلماء المثقفون ثقافة إسلامية بدون عمل وبدون ورع هؤلاء (يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله) يفتون هذا المسكين ، هذا يسمعهم على التلفيزيون ، الشيخ الفلاني وعمامته بهذا القدر .

كم يأتون يستفتونني هل يجوز مصافحة المرأة الأجنبية ؟ لا يجوز ، حرام **«لأن يضرب أحدكم بمخيط من حديد في رأسه خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»**[1]، فيقولون : العالم الفلاني على التلفيزيون يصافح زوجة الملك ، ويصافح زوجة الأمير الفلاني ، والأمير الفلاني ، قالوا لي : من يفهم أنت أم وزير الأوقاف ؟! لا والله وزير الأوقاف الذي أوقف حال المسلمين أفهم.

فهؤلاء يموّهون على الناس، يضيعون الناس ، ويلبّسون عليهم ، ولذلك التربية لا تكونُ بالكتب وكثرة الثقافة في الكتب دون عمل ودون حركة ، هذا مزذ للقلوب ومؤذ للنفوس ، ويفتح أبواباً يتخلص الناس فيها من الأوامر الشرعية .

نعم...ألم يصل مشايخ الطرق إلى تخدير الناس بهذه الطريقة ؟ لا يصلي تقوم تصلي، أنت ، لا يصلي ، لماذا لا تصلي ؟ يا بني أنت بعدك ما فهمت ، أنا أصلي في مكة كل وقت ، نعم صل أنت حتى تصل درجتنا وتصبح كل وقت تصليه في الكعبة ، ثم ماذا ؟ الله عز وجل يقول :

(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) (الحجر: ٩٩)

أنا جاءني اليقين – خلاص – سقطت عني العبادة .

في أوروبا كلما ظهرت نظرية علمية أو قانون علمي وقف رجال الدين ضدها ، ورجال الدين حالتهم سيئة جداً ، أموال ضخمة ، قصور فخمة، مآكل، مشارب ، بقاع ، والكنيسة تحولت إلى بؤر عفنة من الفاحشة والخنا ، فلم يعد الناس يثقون بشيء ، ومع ذلك يتسلطون عليهم باسم الكنيسة وباسم دين الله ، جهنم أمامك، إن لم تطعنا فجهنم أمامك، لا صلاة لك إلا عن طريقي ، لا مغفرة لك إلا عن طريقي، وأي واحد يتمرد على البابا من الحكام والملوك والرؤساء قرار الحرمان جاهز حاضر، يصدر البابا قرار حرمان ، أن هذا لا يبايع ولايشارى ولا يؤاكل ولا يجالس ، ولا ولا إلى آخره ، يموت وهو حي وهو ملك فيسقط الملك .

ولذلك هنري الرابع ملك فرنسا قطع جبال الألب حافياً، يلبس الصوف الخشن، وسجد أمام قلعة البابا في كنيسته ثلاثة أيام ؛ والثلوج تتساقط عليه ، حتى يغفر له البابا ، فكان البابا سلطة رهيبة ، ترتجف لها كل أوصال أوروبا ، قالوا : كيف الخلاص منها ؟ حياتنا ، دماؤنا ، عملنا كله للكنيسة ، وكلما تكلمنا قلنا الأرض كروية قالوا لا ، الأرض ليست كروية الأرض منبسطة ، والأرض يحملها ثور ، وكلما صارت هزة قالوا : يريح القرن للقرن الثاني.

كيف هذا ؟ برونو قال : الأرض كروية ، جاءوا بمحاكم عسكرية ، جاءوا ببرونو هذا ، قالوا له : أنت قلت الأرض كروية ؟ قال : نعم، قال: حكمت عليك المحكمة بالموت، بدون أن تراق منك قطرة دم، ماذا يعني؟ يحرق حيا، قال لهم olso itis roumd ومع ذلك هي كروية، ولو أحرقتموني.

«كوبر نيكس » و «جاليليو» يضعونهم في السجون ، جاليليو لأنه اخترع التلسكوب ، قالوا: أنت تريد أن تنظر إلى ملكوت الله تعالى وضعوه في السجن، أحرقوا ثلاثة وثلاثين ألفا أحياء، وقتلوا ثلاثمائة ألف ، لأنهم يعارضون الكنيسة، ولأنهم يقولون بأقوال العلماء . كيف الخلاص ؟ خرافات تسيّر الناس بسيف الإرهاب ، – المسمى بسيف الله عز وجل – قالوا : الله يريد منكم ، الله لا يريد منكم ، الله يقول كذا ، لأن ما يتكلم به رجال الكنيسة هو الحق المبين ، لأنه يجوز لرجال الكنيسة أن يجتمعوا وقولهم معصوم ، هكذا ينظر النصارى ، قولهم غير قابل للخطأ ، قالوا: هذا السيف الذي تضرب به الكنيسة كيف الخلاص منه ؟ أقصر طريق للخلاص منه هو : ننكر الله عز وجل ، إذا أنكرنا الله عز وجل سقطت الكنيسة، – أعوذ بالله – أنكروا وجود الله عز وجل فسقطت الكنيسة ، هم ما أنكروا وجود الله عن اقتناع، لكن هرباً من الكنيسة، هربوا من الله أثناء هروبهم من الكنيسة.

الآن الشيوعيون في العالم العربي –عندنا– قسم منهم صار شيوعياً بسبب فتاوى علماء ، بسبب التفاف المشايخ كالذباب على قصعة الطعام يتهافتون ، في الوقت الذي يمتص فيه الحاكم دماء الناس ، ويأكل أقواتهم ويمنع أرزاقهم ، ويعدم رجالهم ، ويكمم أفواههم ، ويعد نبضاتهم ، ويعد أنفاسهم ، ومع ذلك المشايخ حوله ، قالوا عن حافظ الأسد : هذا وزير الأوقاف كان يدرس معنا في القاهرة : وزير الأوقاف السوري اسمه محمد الخطيب ، كان يدرس معنا في القاهرة ، قال : أنا لا أجافي الحقيقة إن قلت : إن الرئيس

م

---

(١) حديث صحيح أنظر الجامع الصغير ٥٠٤٥، رواه الطبراني في الكبير بنحوه.

نعم ... الآن أي حاكم يريد فتاوي من العلماء حتى يرضي الشعب ، يعمل مؤتمراً إسلامياً -هو عدو لحاكم آخر- ، يجمع العلماء -وهيا أصدروا فتاوي - أي فتوى تريد ؟ الفتوى جاهزة من الحاكم ، لكن هم يجب أن يبحثوا عن النصوص التي تدعمها ، هم ما يتولون الفتوى ؛ الفتوى تخرج من رأس المفتي ، المفتي هو الحاكم ، ليسوا هم المفتون .

ولذلك أخطر الناس على دين الله من تثقفوا في دين الله بلا ورع ولا عمل ، هؤلاء خطيرون جداً ، خطيرون جداً ، لأنهم كما قال ابن القيم : هؤلاء قطاع طرق جلسوا على طريق الجنة ، يقطعون طريق الجنة ، أقوالهم تنادي إلى الجنة ، وأعمالهم تنفر من الجنة ، هؤلاء لصوص .

وكما قال حذيفة رضي الله عنه: (إذا رأيتم العالم بباب السلطان فاتهموا دينه، فإنهم لا يأخذون من دنياهم شيئاً إلا أخذوا من دينكم ضعفين)، لأنهم يساومون على دين الشعب على دين الناس. ولماذا قربه الحاكم؟ لأنه يتكلم باسم دين الله عز وجل، ولأن الناس يأخذون منه، أما إذا كان الناس لا يأخذون منه فلا يقربه الحاكم. فهو يعطيه يملأ بطنه وفمه حتى لا يتكلم، وإذا تكلم يجب أن يتكلم بما في رأس الحاكم، و تسأله يقول لك: مصلحة شرعية، نحن نريد أن نكون حولهم حتى لا يكون حولهم الفساق والفجار، أنت أفسق الفساق.

قال الأوزاعي : شكت النواويس-مقابر النصارى- إلى الله عز وجل من نتن جثث الكفار ، شكت الأرض -المقبرة - من نتن جثث الكفار ، قالت : يارب أنا لا أحتمل جثث الكفار ، فأوحى الله إليها : إن بطون علماء السوء أشد نتناً من هذه الجيف .

نعم ... إن بسيارتك هذه تبيع الأمة بكاملها ، وبراتبك هذا يباع دين الله ودنيا الناس ودينهم .

ولذلك إذا أردنا التربية ، التربية ليست الثقافة.

نعم... ولذلك الحكومات تجد أن أسهل الفرائس والصيود ؛ هم هؤلاء الذين يتثقفون بدين الله ولا يعملون به ، نعم أي فتوى جاهزة والنصوص موجودة ، ولا يعجزه أن يبحث عن النصوص ويلصقها على هذه الأوضاع حتى يثبت شرعية هذه الأوضاع، ويثبت أن الناس الذين يخالفون هذه الأوضاع القائمة والأحكام الجارية ؛ هؤلاء هم الخارجون على دين الله عز وجل .

- نعم وهؤلاء سبب كفر أوروبا ، يعني رجال الدين كانوا السبب في إلحاد أوربا ، والسبب في خروج الشيوعية ، والسبب في خروج الثورة الفرنسية ، وهم جالسون حول الملوك في أوربا، يفتونهم أنكم إذا لم تطيعوا الملوك ستدخلون النار ، وإذا لم تطيعونا نحن كرجال الدين تدخلون النار ، لا يصعد دعاؤكم إلى الله عز وجل إلا عن طريقنا ، لابد أن تشتغلوا في إرضاء الكنيسة ، ولابد أن تدفع أتاوات وضرائب للكنيسة ، ولابد أن تشتروا أرض الجنة بالأمتار ، أرض الجنة ممترة قطعاً قطعاً ، يوزعها البابا قطعاً ويبيع القطعة بكذا، بصكوك الغفران .

جاء أحد الناس إلى البابا وهو يضحك عليهم يبيع أراضي الجنة ، فجاء إليه قال : يا أبانا -للبابا-، قال : نعم قال : أنا أريد أن أشتري النار! قال : ماذا تريد فيها ؟ قال : أنا أريدها كلها ، تسود لي إياها وأدفع لك ثمنها كلها ؟ فقال له : خذها ، باعه إياها، فخرج هذا الرجل قال : أيها الناس لا تشتروا أرضاً في الجنة ، لأنكم ستدخلون الجنة جميعاً ،لأن النار بيدي ولي ، ولن أسمح لأحد أن يدخلها ، فعكر على البابا كل التجارة .

ولذلك أكثر شيء واجه الصحابة من علماء أهل الكتاب ..

(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله) (البقرة : ٧٩)

لماذا ؟

(ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) (البقرة : ٧٩)

(يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) (التوبة : ٣٤)

(وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) (آل عمران : ٧٨)

الحق المبين ، فيأتي الشيخ وعلى التلفاز يفتي : **«كنا نعزل والقرآن ينزل، ولو كان شيئاً مما تهانا عنه القرآن لنهانا عنه»**[1] إن هذا وارد في دين الله عز وجل، الحديث صحيح عن جابر رضي الله عنه . فلا بأس من تحديد النسل ، ولا بأس من تنظيم النسل ، ولولي الأمر أن يتخذ احتياطات تدبيرية وقائية إصلاحية من أجل منفعة المجتمع وخدمته .

نعم ... لابد من مشايخ يفتون ، فاذا أرادت الدولة أن تستورد لحماً من بلغاريا ورومانيا ، والدول الشيوعية -وذبائحهم ميتة لا يجوز أكلها كلحم الخنزير والكلب، لا يجوز-، لابد من عالم يفتي **«سمُّوا أنتم وكلوا»**[2] «الأصل في الأشياء الإباحة »، ولا بأس أن يأكل الشعب كله ميتة حراماً، من أجل أن يأخذ ابتسامة من الرئيس ؛ أربعون مليوناً يأكلون لحماً حراماً ميتة ، من أجل أن لا يغضب الرئيس عليه .

(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث)

(الاعراف : ١٧٥-١٧٦)

كالكلب لا ينقطع لهاثه أبداً على الدنيا ، الكلب مستريح أو تعبان يلهث ، وهو كذلك لهاثه لا ينقطع وراء مصالحه ووراء دنياه .

نعم ... في الوقت الذي كانت أيادي عبد الناصر غارقة بدماء الدعاة ، كان العلماء يكتبون له ...

(فتوكل على الله إنك على الحق المبين) (النمل: ٧٩)

والله رأيت صورته في الأزهر طولها أكثر من متر ونصف المتر على الاقل ، وتحتها هذه الآية **(فتوكل على الله إنك على الحق المبين)** ، فهذا العالم مصيبة على الأمة ، لماذا ؟ لأنه لم يترب على العمل، هو درس من أجل الشهادة ، ولذلك أخطر المعاهد في البلد هي كليات الشريعة التي لا يواكب أصحابها العمل ، خطيرة جداً ... لماذا ؟ لأن هذا غداً ينال الماجستير وبعدها سيصبح دكتوراً ، وبعدها يصبح محاضراً في التلفيزيون وفي الإذاعة ، وبعدها تبدأ الكتب تنزل إلى الأسواق ، وبعدها يصبح من كبار العلماء ، وبعدها يصبح له راتب ، تعديل الحالة الاجتماعية ، كل سنة يجب أن يُغيِّر السيارة ، ويُغيِّر الفراش ، ويُغيِّر الرياش وما إلى ذلك ، ويبيع بعدها دين الله والناس كالفراش .

نعم، أنا سمعت يوم أعدم سيد قطب طبعاً الفتاوي خرجت ووزعت ، وزعت بالكتاب ، الكتاب عندي ؛ يبدأ بفتوى شيخ الجامع الأزهر : أن هؤلاء كفار يجب قتلهم، هذا سنة ١٩٦٦ .

سنة ١٩٥٤ جاءوا لمحمد الخضر حسين -رجل صالح -كان شيخ الجامع الأزهر ، وكان شيخ الجامع الأزهر يختار اختياراً، كان لا يختار إلا التقي العالم الورع ، لا ينجح في الانتخابات إلا الذي يعرفون دينه وعلمه ، ويكون اسمه شيخ الإسلام الأكبر يعني: أكبر منصب للإفتاء في الدنيا، فجاء عبد الناصر وطلب من محمد الخضر حسين فتوى بتكفير الإخوان ، أو بجواز قتلهم ، قال : أتنهي حياتي بهذه الفتوى ؟! أعلق برقبتي دماء الدعاة ؟! أسأل عنهم يوم القيامة ؟! دعاة إلى الله عز وجل، أضع دماءهم في عنقي ؟! اسأل عنهم واحداً واحداً يوم القيامة كأني قتلتهم جميعاً ؟! فأحالوه و طردوه .

وجاءوا بشيخ جديد ، نرجو الله عز وجل أن يغفر له هذه المصيبة ، فخرجت الفتوى : كان رأي الدين في الإخوان ظاهراً لا خفاء به ، هم خارجون لا تقبل لهم توبة.

لا تقبل لهم توبة لماذا ؟... معروف المرتد تقبل توبته... لماذا لا تقبل لهم توبة ؟ قال : لأن الله عز وجل يقول :

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم ...) (المائدة : ٣٣-٣٤)

فهؤلاء ما تابوا إلا في السجن بعد أن قدرتم عليهم ، ولذلك لا توبة لهم ، لابد من القصاص ، لابد من أن يقام عليهم حد الحرابة، باسم الدين وباسم شيخ الجامع الأزهر .

---

(١) متفق عليه. (٢) رواه البخاري بلفظ (سموا الله وكلوه) أنظر صحيح الجامع الصغير رقم ٣٦١٤ ج / ١ .

العلماء الذين لا يعملون أشدّ على دين الله من الشياطين ... ، لماذا ؟ لأن قولهم غير عملهم ، وظاهرهم غير باطنهم، والباطن مهما خفي على الناس فترة ، فلابد أن يكشف للناس ولو بعد حين ، فيصدمون بالعلماء، فيصطدمون بهذا الدين من خلال تصرفات العلماء ، وهم ليسوا علماء -الذين يحفظون المتون والنصوص- فيصطدمون بهذا الدين من خلال اصطدامهم بتصرفات العلماء ، فيرتدون إلى الشيوعية والقومية وغير ذلك.

ولذلك كثرة الثقافة دون عمل خطر على الدعاة ، لماذا؟ لأنه يورث قسوة القلب .

(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد ، فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) (الحديد : ١٦) .

بل هؤلاء سيتخذهم السلاطين سياطاً على ظهور المصلحين ، وسيتخذهم حوله سوراً يبيّنون للناس أن هذا الحاكم على حق ، وأن كل واحد ينتقده على الباطل ، وفتاويهم جاهزة لكل من انتقد السلطان ، أو وقف في وجه ظلمه ، أو حاول أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فالفتاوي جاهزة ؛ أن هذا الذي ينتقد السلطان إنما يهين سلطان الله في أرضه ، ولذلك لابد من تأديبه ، وقد تصل الفتوى إلى الإفتاء بتكفيره والأمر بقتله ، نعم... كثير من الدعاة قتلوا بفتاوي العلماء .

عندما قتل الأستاذ عبد القادر عودة ، ومحمد فرغلي ويوسف طلعت ، وقتل سيد قطب إنما قتلوا بفتاوي، فتاوي من شيخ الأزهر، طلب عبد الناصر من الأزهر أن يفتوا بأن هؤلاء يستحقون القتل -الإخوان المسلمون -، فأفتوا بأن هؤلاء حكمهم في القرآن ظاهر.

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) (المائدة : ٣٣)

نعم... ولذلك أعدم سيد قطب بهذه الآية ، أنه مفسد في الأرض ، ويحارب الله ورسوله ، ولذلك يجب أن يقتل أو يصلب، فهم اختاروا القتل ولم يصلبوا ، ولم يكتفوا بفتوى من شيخ الأزهر فقط ، بل خرج كتاب كامل أفتى فيه كبار العلماء - المسمّون بالعلماء - أفتوا فيه بتكفير سيد قطب .

وفي تكفيره كتاب كامل اسمه «رأي الدين في إخوان الشياطين» ، -كان يوزع مجانا عن طريق مجلة منبر الإسلام التي يصدرها الأزهر مجاناً - افتتح بفتوى شيخ الجامع الأزهر؛ أن هذا كافر، وأنه يجب أن يقتل - سيد قطب -.

ثم المقالات من كبار العلماء على أن هذا الفكر أنه خروج عن الإسلام ، فيجب أن يقتل صاحبه ومن معه ، وكانوا يصدرون الحكم بـ

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم).

وهؤلاء العلماء من أكبر الدعائم التي يعتمد عليها الحكم الظالم طيلة العصور الإسلامية ، والحقبات التي مرّ بها هذا الدين، دائماً الحاكم يحرص أن يكون حوله مجموعة من العلماء وظيفتها الإفتاء، وكل عالم معه ماكينة إفتاء. كما أن هنالك في الجامعات وفي الدوائر وفي غيرها ماكينة للكوكاكولا والبيبسي كولا تضغط تخرج علبة بيبسي كولا ، هو يضغط يخرج الفتوى جاهزة .

ولذلك إذا أراد الحاكم أن يتبنى الاشتراكية يأتي العلماء وشيخ الأزهر كل صباح يتكلم عن الاشتراكية، والحياة، ويتكلم العالم الآخر أن الاشتراكية دين الله، وليتكلم الناس:- الاشتراكيون أنت إمامهم -يقصدون (رسول الله ﷺ)- أن النبي اشتراكي ﷺ .

خديجة بنت خويلد أم الإشتراكية الأولى ، وأبوذر سيد الإشتراكيين ، نعم ... هذه فتاوى كانت تصدر من العلماء وتدون ويثقف بها الشعب المسلم في كل أنحاء الأرض.

وإذا غيّر الحاكم الاشتراكية - نفس البلد ونفس الظروف - كان عبد الناصر يدعو للاشتراكية، فكانت الاشتراكية دين الله، فجاء أنور السادات وألغى الإشتراكية، فأصبحت الاشتراكية كفر يخرج من دين الله ، نفس الشيء، نفس المكان في البلد -القاهرة - ونفس المصدر من الأزهر.

فاذا خافت أوربا من الشعب المصري أن يتكاثر ويصبح عدده كبيراً سيقضي على اليهود بسهولة ، اذاً لابد من إيقاف النسل وتحديده ، فترسل آلاف الأطنان من حبوب منع الحمل وتوزع على الأسر مجاناً ، ولابد من فتوى من المشايخ تثبت أن عمل الدولة هو

الكنيسة ، كلها ما نفعت لأن العلاج ليس موجوداً في الأرض إلا بيد فئة واحدة من الناس وهي يد المسلمين .

الله عز وجل ألقى هذا الدين سالماً من التشوية ومن الاختلاط بالشوائب والأخلاط، حتى يبقى معينا يرده المرضى فيستشفون ، يشربون من هذا الماء فيتعالجون به.

نحن وحدنا في الأرض نملك الشفاء لكل البرية ، وهو القرآن والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأطيب السلام ، ونحن نستطيع أن نقدمها للناس بشرط واحد: إن نحن أخذناهما نستطيع أن نقدمها للناس .

وهذا الدين لا يرى كاملاً إلا إذا تمثل واقعاً في حكم ، وفي نظام حياة ، وفي مجتمع .

الآن أندونيسيا والملايو وجزر الفلبين ما وصلتها جيوش إسلامية ، إنما أسلمت بسبب رؤية بعض التجار الصادقين من المسلمين ؛ فاسلمت هذه الملايين ، فيوم أن يكون لنا دولة إسلامية ومجتمع إسلامي وسفراء مسلمون - والسفير المسلم في أي بلد إنما يمثل الإسلام ، لا يرتشي ولا يقامر ولا يسكر ولا يزني ولا ما إلى ذلك - الناس سيعجبون بهذا الدين ، ويحترمون هذا الدين، وكل البشرية تبدأ تراجع نظرتها للإسلام، وهي تبحث عن مخرج وستجد المخرج في هذا الدين.

ونحن نريد أرضاً تحافظ على هذا النهج ، حتى يأتي إليه المرضى يستشفون ويتعالجون ، والبشرية كلها ليس عندها هذا الدواء، ونحن خصنا الله عز وجل بهذا الدواء ليكون للبشرية شفاء ، فالذي ينقص البشرية الآن ليس كتباً فقد كثرت الكتب، وليس ثقافةً ، وليس إعلاماً ، وليس خطباً ، وليس أشرطة فيديو، إنما ينقصها فيديو عملي ، الفيديو العملي بقعة أرض يرى عليها الإسلام ، فاذا رآها الناس رأوا دين الله ، فإذا رأوا دين الله يوقنون أن به الخلاص فيدخلون فيه .

عمل بدون علم

النصارى لماذا اتبعوا المسيح؟ الآن أوروبا وأمريكا لماذا اتبعوا المسيح عليه السلام؟ لأنهم يسمونه المخلص والمنقذ؛ لأنه هو الذي سيخلصهم من الآلام، وجاءوا ببدعاتهم وخرافاتهم الكاذبة: أن المسيح عليه السلام نزل إلى الأرض وتحمل ذنوب بني آدم بسفك دمه، وقبل أن يسفك دمه حتى يتحمل كل مآسي الأرض وذنوبها، ثم بعد ذلك خرج إلى السماء، والذي يتبعه في الدنيا سيتبعه في الآخرة، هذه فكرة نصرانية: أنه المنقذ .

البنت الراهبة هذه لماذا تترك الزواج في الدنيا وتغلق على نفسها الدير، وتحرم نفسها من متاع الدنيا وشهواتها ؟ فتجدها لابسة خاتماً ، فتسأل لماذا هذا الخاتم؟ - الراهبة لا تتزوج - فتقول: هي تزوجت المسيح في الجنة، ولن تراه طبعاً- لا حول ولا قوة إلا بالله-

(عاملةٌ ناصبةٌ تصلى ناراً حاميةً) (الغاشية: ٣-٤)

دخل راهب- اصفّر لونه- على عمر رضي الله عنه ، فبكى عمر ، قالوا : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أبكي لهذا وأتذكر قول الله عز وجل (عاملة ناصبة تصلى نارا حامية)، فهم يتعبون كثيرا في الدنيا ومع ذلك خالدين في جهنم أبداً .

فمن نعم الله عز وجل أن منّ علينا بنعمة التوحيد، هذه أكبر نعمة منّ الله بها على المسلمين ، مَنّ علينا بلا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ.

كيف الوصول إلى هذه البقعة؟ هذه البقعة لا يوصل إليها إلا أن تقوم جماعة من الناس تربى على التوحيد الخالص ، وتخوض معركة ضد الجاهلية في الأرض ، وعلى الطريق يسجن من يسجن، ويطرد من يطرد، ويعذب من يعذب، ويقتل من يقتل، ويثبت من يثبت؛ فإذا ثبتت فئة من هذه الجماعة ؛ الله عز وجل ينّزل عليها نصره ، ويمكنّ لها دينه ، ويجعلها ستاراً لقدره ، ويبدل خوفها أمناً.

أضلّهم على علم

هذه الجماعة يجب أن لا تربى على الثقافة ، لأن كثرة الثقافة بدون عمل إنما هي قسوة للقلب ، يعني: الذين يتثقفون في دين الله عز وجل ويعرفونه كلاماً دون أن يطبقوا ، تجدهم أقسى الناس قلباً ، وأكثرهم منه تفلتاً ، أكثرهم من دين الله تفلتاً ، لأنهم يعرفون المخارج من دين الله ، ويعرفون الرخص ويعرفون كيف يتخلصون من العزائم ، وكيف يتخلصون من الأوامر ، وهكذا .

ولذلك أقل الناس ورعاً هم الذين يدرسون الشريعة ولا يطبقون ، وهؤلاء أخطر على دين الله عز وجل من الجاهلين، نعم... يعني

وصفاء في روحك ، تزداد ثقافة، تزداد عمقاً ، تزداد معرفة بطبيعة الشعب الأفغاني ، تزداد معرفة بأساليب القتال ، فكل يوم يمر عليك هنا إنما يفيدك في داخل أفغانستان ، وإذا تعجلت فكالذي يستعجل الثمرة قبل أوانها، «ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه».

كثير من الشباب مروا علينا واستعجلوا... يا فلان اقعد ، والله أنا أريد أن أقاتل، أنا جئت للقتال ، ماذا أفعل هنا ؟ إذهب... لا يركن عليه الأفغان لماذا... ؟ لا يعرف على الزكوياك ، ولا على الدوشكا ، يقدم على الزكوياك يقول : هذه الدوشكا من أين اشتريتموها، فطبعا لا يركن عليك الأفغان ، ولا يركن عليك العرب ، ولا يوكلون إليك أي مهمة ، ولا يثقون بك، وتسقط من أعينهم لأنك لا تعرف على السلاح ، فاذا زاد الطين بلة أنك لا تعرف قراءة القرآن جيداً ، مصيبتان فوق بعضهما البعض ، «تبقى مثل أم العروس فاضية مليانة ، مشغولة وهي لا تعمل شيئاً» .

لعلاً ذهبوا أين... ؟ أنا أريد أن أذهب إلى جاجي ، أرابط... ذهب قعد هناك أسبوعا –هنا ما قعد أسبوعا – ما صارت معركة حمل شنطته ، ما تراه إلا وهو قادم مثل المختار، وداخل يريد أن تؤدي له تحية ... وهو خارج تؤدي له التحية ، تفضل يا فلان ماذا... ؟ هذه ولاية صبرك... تقول لهم : معركة ، معركة يقولون صبرك ، ولاية صبرك ما فيها معارك... أين ؟ إلى جلال الدين ، إلى خوست، ذهب إلى خوست أسبوعا أسبوعين ما صارت معركة.. حقيبته على أكتافه وجاء إلى هنا ، والله ما عندهم... سمعت أن في قندهار معارك... هيا على قندهار... لا لن تعمل شيئاً ...

لن يعمل شيئاً، ولذلك غابوا عنا ستة أشهر ، أو تسعة أشهر، ورجعوا ليتدربوا من جديد ، فمن الذين دربوهم ؟ صهيب وأمثاله الذين بدأوا الدورة معهم، نعم صبروا ، نضجوا ، أتقنوا السلاح ، أصبحوا أساتذة ومدربين ومعلمين، ولما صارت معركة جاجي ، ما استفدنا إلا من الشباب المدربين هؤلاء ، يتقنون الرماية، يتقنون الزحف ، يتقنون الانسحاب ، يتقنون الضرب على R.P.G ، تركن عليهم ، أما شاب جاء ضابطاً ويريد أن يرجع ضابطاً... لا ، نحن وظيفتنا هنا في صدى نمسكك ضابطاً، ننفسك ، لأنه جاء ضابطاً منفوخاً ، فننفس *الهواء الذي* معك ونرجعك إلى جندي ، تعرف ما هي الطاعة ، تعرف ما هو: إجمع ، تفرق ، ما معنى أمير ، ما معنى معسكر ، ما معنى حراسة ؟ أما على رأسك ، فلا يوجد جهاد ، لأن الجهاد عبادة جماعية والعبادة الجماعية لها إمام واحد .

الصلاة كم إمام لها؟ كلكم أئمة ما شاء الله تأتون، فنحن نعلمك أن تكون مأموماً، ولك إمام واحد، لا تسابق الإمام، لا تركع قبل ركوعه

«إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا ركع فاركعوا، وإذا سجد فاسجدوا» .

لا يجوز لك أن تسابقه ولا أن تتقدم عليه ، وأنت إذا لم تطعه فصلاتك باطلة ، كذلك جهادك إذا لم تطع الأمير فقد ترجع آثماً غير مأجور، في حديث «لم يرجع بالكفاف» أي رجع مأزوراً غير مأجور؛ لأن الجهاد له آداب، له أحكام، له إمارة، له جندية له طاعة ، لابد أن تعرفها، وبدون هذا ستبقى ضائعاً، ستفسد أكثر مما تصلح، ومن هنا لا تستعجلوا ، إذا كنت تريد أن تواصل المعركة فهذا يعني أنه لابد أن تُعِدَّ ، والله عز وجل جعل الإعداد علامة على العزم على استمرار الجهاد،

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) .

رسالة إلى العلماء

حاجة البشرية للمثال الواقعي

إن الذي يحتاجه المسلمون الآن : بقعة من الأرض يمثل عليها الإسلام ، فإذا وجدت هذه الأرض وجد فوقها المسلمون الذين يطبقون دين الله على أنفسهم ، فيدخل الناس في دين الله أفواجا .

يعني الآن : أمريكا وأوروبا وكثير من الشعوب ، لو رأت فعلاً نموذجاً مسلماً ؛ تدخل في دين الله أفواجاً ، بعد أن عانت ما عانت من القلق والتعب والضياع والتشتت والمخدرات والكحول والتمزق والحيرة .

هي تبحث عن حل، هي بنفسها تبحث عن حل ، هربت إلى الكنيسة ما وجدت الكنيسة حلا ، كالمستجير من الرمضاء بالنار ، هربت إلى الشيوعية فزادتها ضنكاً وقلقاً ، وزادتها فقراً وحيرة ، يعني أوربا وأمريكا جربت الشيوعية ، وجربت الرأسمالية ، وجربت

في كلية الهندسة ، ما تنتظر حتى تستشير أمك وأباك ، جئت هنا ماذا ؟ لا وجه معروف ولا قرش مصروف في جيبك ، هناك سيارتك ، وبيتك، وبجنبك المسجد، كنت تصلي فيه، وتعلم بعض الشباب القرآن ، وفي مدرستك كان لك مجموعة من الصحبة الطيبة ، تتعاونون على العمل لله ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، تسدون ثغرة من الثغرات، هكذا يقول لك الشيطان ، فهنا ماذا ؟ جئت عند ناس الواحد منهم لا يضحك للخبز الساخن ، وماذا ؟ هؤلاء الأفغانيون مرميّون ، أنت تفيد في بلدك، لو جمعت لك مجموعة من المال أو بقيت في وظيفتك وآخر كل شهر أرسلت هذا المبلغ أليس أفضل؟ أليس أفضل إذا اشتريت بثمن تذكرتك هذه لباساً لواحد أفغاني؟ أو أرسلتها إلى أيتام يعيشون بها؟ جئت هنا في هذا البرد والجوع؟ ماذا ستفيد ؟! أناس لا يفهمون عليك ولا تفهم عليهم ، منهم البشتوني ومنهم الفارسي ، هكذا يقول لك الشيطان... نعم .

فيا ابن الحلال فكّر ، فكّر جيدا ، أنت بعدك صغير في أول عمرك ، أيام أمامك كثيرة ، تقبل فيها على الله عز وجل تجاهد ، هل الجهاد في أفغانستان؟!

يا أخي أنت أعد نفسك في بلدك ، والعب رياضة وانتسب لنادي كراتيه ما إلى ذلك ، والعب كرة قدم، أعد جسدك ، فيك هكذا ، لا قادر تطلع طابور الرياضة الصبح ، لا قادر تطلع الجبال ، ثم ماذا تفيد بعد ذلك ؟

والله : إن بلدك وما فيها لا تساوي لحظة من لحظات وجودك هنا

«وإن رباط يوم في سبيل الله - هنا- خير من الدينا وما عليها»[1]

ليس من عمان وما حولها ، ومن الزرقاء ومن جدة ومن القاهرة ومن غيرها ، بل خير من الدنيا وما عليها .

ميزان المجاهد

لو جمعت كل أموال الأرض جميعاً لا تعدل يوماً واحداً من أيامك هنا ، وكما قال الشيخ سياف : قابلت أحد أبناء الحكام - كان قد ذهب إلى بلد من البلدان ولم يستقبل ، الشيخ سياف - فقال لابن الحاكم بعد أن مكث ثلاثة أيام في الفندق ولم يقابله لا الحاكم ولا واحد رسمي ، ثم قابل ابن الحاكم- فيه خير-، قال له : اسمع! لو كنت لاعباً لكرة القدم لاستقبلني الحاكم وحاشيته ، لكن بلغ أباك والله إن مائة عرش مثل عرش أبيك لا أعدلها بلحظة من لحظات الجهاد، فعلاً ، ما قيمة الدنيا الآن في البلاد الإسلامية؟ عندما تحول البشر إلى أنعام يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام، فقط لا يفكر إلا في ماذا نفطر ؟ ماذا نتغدى ؟ ماذا نتعشى ؟ في شكل السيارة بماذا يبدلها ؟ هو هذا الذي يفكر فيه ، أنعام يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام .

ولذلك يوم من أيامك هنا، وأنت تشعر بهذا في نفسك، أي يوم من أيام حياتك حتى على مستوى العلم، حتى على مستوى القرآن، حتى على مستوى القيام ، حتى على مستوى الرياضة -كل هذه - أي يوم من أيام حياتك قرأت قرآناً مثلما قرأت هنا ؟ أي يوم من أيام حياتك مرّ دون خطيئة مثل هنا ؟ أي يوم من أيام حياتك قمت الليل كما قمته هنا؟ أي يوم من أيام حياتك تذوقت السعادة كما تذوقتها هنا، أي يوم من أيام حياتك، وفي أي مسجد من مساجد بلدك فككت الزكوياك وركبته ، أو الهاون أو المسدس أو شعرت بأنك حرّ طليق ليس عليك رقابة إلا من رب العالمين؟

ولذلك إياكم أن يفتنكم الشيطان،

«إن الشيطان قد قعد لابن آدم في أطرقه كلها ، قعد له في طريق الاسلام ، قال: أين تذهب وتترك دين آبائك وأجدادك ، قعد له في طريق الهجرة قال له: أين تذهب؟ تترك بلدك وأرضك وسمائك، وأهلك وجيرانك قعد له في طريق الجهاد، قال: أين تذهب وتقتل وتذهب الزوجة ويضيع الأولاد»

الشيطان الآن قاعد في طريق الهجرة.

وأبشر يا أخي ، كل يوم هنا خير من الدنيا وما فيها ، واعلم أنك هنا تأخذ أجراً أكثر من أجر الرباط ، إذا لم تكن متدرباً ، نحن هنا نقوم بفريضتين : فريضة الإعداد وفريضة الرباط ، الرباط هنا ليس كاملاً صحيح يعني نصف إلى ثلاثة أرباع مرابطين ، لكن نقوم بفريضة الإعداد ، فأنت تقوم بفريضة ونصف أو فريضة وثلاثة أرباع ، بينما المرابط بدون إعداد هذا يقوم بفريضة وهو آثم لأنه ترك الإعداد ، فلا تستعجل علي جاجي ، جاجي لن تهرب ، - صدق لن تهرب - ، فلا تستعجل تعلم ، كل يوم يمر عليك هنا تزداد نضجاً

[1] أخرجه البخاري ومسلم.

ربك الذي يدبر الأمر، أتفكر الأمر بيدك أو بيد هذا الذي تخاف أن يقدم ورقة فيك؟ خلاص نسينا عقدة المخابرات وانحلت عندما نسيناها، ما بالك تتجفل حولك ؟ إنس، أنت جئت لتموت في سبيل الله، روحك على يدك تقدمها وتعرضها لله ليقبلها صباح مساء، خائف من ورقة ؟! لا تخف ، فلا تشك في هذا ولا في هذا ، دعهم من يكتب يكتب ، والذي يتجسس يتجسس، ونرجو الله عز وجل أن نكون جميعاً صالحين صادقين مؤمنين .

ووالله هذا الرجل الذي جاء يكتب عنك تقريراً قد يتوب الله عليه ، وينشرح صدره للجهاد ولا يرجع ، مثل عباد الطالقاني حمل رسالة هارون الرشيد لسفيان الثوري ، فسفيان الثوري كتب كتاباً لهارون الرشيد شديداً، وعباد الطالقاني نسي أنه رسول الملك ، فصار يصيح في الشارع: من يشتري عبداً هرب من الله إلى الله ؟ ظنوا أنه يريد فلوساً، كلهم قاموا ليعطوه فلوساً، قال : لا من يعطيني ثوبا خشنا وأخلع له شارات الملك وثيابه في وسط سوق الكوفة؟

رمى ثياب الملك ، ولبس ثوباً خشناً ورجع لهارون الرشيد مطلقاً الدنيا، فصار الذين حول هارون الرشيد يضحكون عليه، ولما رآه هارون الرشيد بكى، قال : انتفع الرسول وخاب المرسل -عباد الطالقاني -، انتفع الرسول وخاب المرسل .

فهذا قد ينفعه الله عز وجل، قد يشرح صدره للجهاد، مسكين غشاوة على قلبه ، فقير ما لقي شغلاً إلا هذا ، ربنا يعوِّض عليه، إنه يتتبع عورات المسلمين ، ويأكل بأعراضهم ويدمائهم ، وبقدر إيذائهم يزداد بطنه وكرشه ، هذا قليل من التراب انفخ عليه أو كم كلمة من هنا وكم موقف طيب من هنا ، ورأى هذا الصادق ، وهذا الشهيد ، هذا سيرمي دفتر المخابرات والقلم وراءه ويركض حتى تقطع أذنه وأنفه وعينه في سبيل الله .

مرة سألت واحداً قلت له : ماذا كنت تعمل في بلدك ، قال : الله يتوب علينا يا شيخ عبد الله ، والله ما رأيت شاباً ثبت في الجهاد مثل هذا الشاب – ياسلام –، كأنه قطعة حديد في داخل أرض أفغانستان ، أو جبل من الجبال ثابت لا يتحرك.

صدِّقوا في معركة من المعارك الدنيا كلها احترقت حوله ، وهو ثابت لا يتحرك ، قال : الله يتوب علينا يا شيخ عبد الله ، فقد يتوب الله عليه ،هذا بشر ، عنده خير، عنده الفطرة ، لكن قليل من التراب ، سال لعابه على دراهم معدودة أو ريالات أودنانير ، هذا مسكين، فقط تذكره تنقر رأسه تجرحه ، يرجع إلى الله ويتذكر ، ورجوعه يكون إلى الله قوياً ، لا تخف لا تلتفت حولك مثل المصروع، لا تخف ، امش للأمام ولا تنظر وراءك ولا جانبك ، توكل على الله وكن مطمئناً، كن مطمئناً ، وكِّل أمرك إلى ربك الذي بيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله ، ويدبِّر الأمر ..

﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾ (يونس: ٣)

لا راد لمشيئته ولا معقب لقضائه، نتعال إلى الجهاد، أطع الرحمن وانس الإنسان ، ماذا يملك الإنسان هذا؟ لا يملك شيئاً .

إن ربك يستطيع أن يقلب ممالك من أجل إنقاذك ، وقد يهلك الله الأرض كلها من أجل حفنة مؤمنة ، كما أهلك الأرض كلها وأغرقها بناسيها وحيواناتها وشجرها من أجل اثني عشر شخصاً مؤمناً دخلوا السفينة مع سيدنا نوح .

كل الأرض ، والله رأينا هذا بأنفسنا ، ورأينا كيف ينتصر الله عز وجل لعبده ، وكيف ينتقم من عدوه ، وهو طاغوت كبير ، وأنت مسكين لا وظيفة كبرى لك في بلدك ولا هذا ، الله عز وجل ينتصر لك ..

﴿فدعا ربه أني مغلوب فانتصر﴾ (القمر: ١٠)

عبدالقادر عودة عندما وضعوه على حبل المشنقة ، قدموه أمام خشبة الإعدام نظر إلى السماء وقال : **﴿أني مغلوب فانتصر﴾**. اللهم اجعل دمي لعنة على رجال الثورة ، وكان لعنة -سبحان الله - كلهم كانت ميتتهم بشعة جداً ، وما مات واحد منهم إلا بخزي ، ولذلك اترك الأمر لله، أتركه لرب العالمين ، وأنت قادم لله عزوجل ومقبل عليه .

ووفد الله ثلاثة : الغازي في سبيل الله ، أنت وفد الله فهل تظن أنه لا يكرمك، إذا نزلت عندي وأنا عبد فقير ، وإنسان حقير، أكرمك، فكيف إذا نزلت في ضيافة الرحمن؟

«ثلاث حق على الله عونهم، الغازي في سبيل الله ...»[1]

وأنتم الآن في أولى الدرجات على الطريق إلى الله ، وفي هذه الفترة يشتد عليكم الشيطان ، تركت مدرستك يابني أين عقلك ؟ أنت تحمست ، أنت طائش ، قرأت مقالاً في مجلة الجهاد وطرت ، ما تصبر لآخر السنة ، ما تنتظر حتى تنتهي السنة الثالثة أو الرابعة

---

(١) حديث صحيح ، أخرجه ابن حبان والترمذي.

لمخابرات والرزق والوظيفة ، وما إلى ذلك ، قل له : (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة) قل له: (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم) قل له : إن الذي يرزق النملة في جحرها في الشتاء وفي الصيف ، يستطيع أن يرزقني وأنا عاقل بالغ كبير، قل له : إذا كانت المخابرات تقدر أن تقطع رزقي فلتقطعه ، إن كان رزقي بيدها أو بيد سيدها فلتقطعه ، أما أنا فأعتقد أن رزقي بيد سيد سيدها ، ورزق سيدها بيد سيدي ، ورزق ملكها وحاكمها بيد ملكي وحاكمي ، بيد رب العالمين .

التقوى أقوى

أحد الخلفاء الأمويين قال لسفيان الثوري : أوصني ، قال : شهدت موت عمر بن عبد العزيز وموت هشام بن عبد الملك ، أما عمر بن عبد العزيز فقد بكى عندما رأى أولاده فوق رأسه. ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟! قال أبكي لهؤلاء الذين ما تركت لهم إلا سبعة عشر درهماً ، قال : وشهدت موت هشام وقد ترك من الذهب ما يقطع بالفؤوس ، ولقد شهدت أحد أبناء عمر بن عبد العزيز -الذين كانوا ثلاثة عشر، والذين ورّثهم عمر بن عبد العزيز سبعة عشر درهما، كل واحد أصابه درهم ونصف أو أقل - شهدت أحد أبناء عمر بن عبد العزيز قد شد على مائة فرس في سبيل الله، وشهدت أحد أبناء هشام يتكفف على أحد أبواب المساجد في المشرق، الذهب أين ذهب ؟!

ولذلك أحد الصالحين قالوا له : انفقت مالك كله ، قال ادخرت مالي عند ربي ، وادخرت ربي لأولادي ، تركت أولادي لربي وتركت مالي عند ربي .

(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذريةً ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً)
(النساء: ٩)

يعني: من خاف على أولاده فليتق الله ..

(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا) (الكهف : ٨٢)

جاهد وأنفق، ووالله إن الذي بيده مقاليد السموات والأرض وعنده خزائنهما لا يبخل على أولادك إن كنت صالحاً ، ولن يبخل سبحانه فهو جواد كريم، ولن ينسى ابنك ولن ينسى أباك وسيعمهم الخير ببركتك ، فلا تخف ، الله يرزقهم ، والله يرزقك، ولا يموت أحد جوعاً ، ثم هذا الذي يخوفونك به ، وزيرالداخلية ومدير المخابرات يا أخي الكريم نحن نسينا! هؤلاء جميعا بيد رب العالمين، يرفع القسط ويخفضه ، يزيل الدول في لحظات ، أين فاروق؟ أين ظاهر شاه؟ أين الملوك؟ أين السادات؟ أين هؤلاء؟ أين بورقيبة أين هم؟ .

حسن البنا رحمه الله قتله فاروق ، في يوم عيد ميلاد فاروق قتل البنا، وأمر أن لا يحضر جنازته أحد ، وحملته خمس نساء ودفن البنا بين أرتال الدبابات ، والله إحدى النساء اللواتي صلّين عليه قالت : صلينا عليه أربع أو خمس نساء مع والده الذي بلغ من العمر عتياً .

ومات فاروق في خمارة من خمارات إيطاليا أو في جزيرة من الجزر في ملهى من الملاهي ، واستؤذن له أن يدفن في مصر، فما حضره أربع نساء، حضره امرأتان فقط .

محمد قطب سجين هو وأخته حميدة قطب في نفس السجن، في سجن القناطر الخيرية ، طلب محمد قطب : زيارة أخته حميدة ، قال مدير السجن: (أنا مقدرش على دي)[1].

فأصبح يرجف، مسكين، هو أخته مقابله في السجن، قال : فقط أنظر إليها من بعيد ، قال : لا أقدر على ذلك ، مدير السجون العامة قال : أنا لا أقدر على ذلك ، وزير الداخلية -شعراوي جمعه - قال : قولوا لمحمد قطب لن يرى أخته لا حية ولا ميتة، ما مضى على هذا الكلام سنة إلا وشعرواي جمعة وزير الداخلية في السجن ، ومحمد وأخته في الدار .

بيده الأمر، إليه يرجع الأمر كله، كان نكاية بالمسلمين المسجونين منع إدخال الفاكهة عن المساجين ، فجاءت زوجة شعرواي جمعة بكمية من الفاكهة لتزوره ، الشرطي على الباب قال لها : (فين ريحه بيهم ، قالت : دول لشعراوي بيه ، قال لها : هو إيه يكون لك ، قالت : زوجي قال لها : هو جوزك؟ قالت : نعم، قال لها هو كان مسؤولا عني،[2] وأمر ألا يدخل للمساجين فاكهة، وأنا كنت أطيعه وهو خارج السجن، وسأطيعه وهو داخل السجن ، والله لن يذوق حبة واحدة .

---

(١) هذه باللهجة المصرية العامية. (٢) هذا الكلام نقله الشهيد باللهجة المصرية العامية.

خارج دمشق ، على الطريق قال لهم: قفوا حتى أقضي حاجتي ، نزل وإذا أمامه تاجر آخر ، قال له: إلى هنا لحقت بي ، خذ مليوناً وارجع ، قال له لا : ثلاثة ملايين ، من هنا إلى هنا قال له : خذ مليونين واتركني ، واترك الصفقة لي ، قال له : اكتب، كتب له شيكا بمليونين، وذهب وقبضها ، وإذا به يومها الجيش الفرنسي يريد أن يرحل ، ويريد أن يبيع الكامبات – كامبات الجيش الفرنسي- يعني مخلفاته ، فهذا الرجل التاجر جاء ليشتريها، وظن أن هذا التاجر جاء ليشتريها، فمليونان بقضاء حاجة فالرزق رغم أنفك ، «إن الرزق ليطلب صاحبه أكثر من أجله» .

وفي الحديث الصحيح «**نفث الروح الأمين في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**»[1].

والله عز وجل وعد الذين يجاهدون أن يرزقهم في الكتاب – في القرآن – وفي عدة أماكن، قال :

(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة) (النساء : ١٠٠)

مراغم : ملجأ، وسعة في الرزق .

الشيشان والشركس هربوا من روسيا بدينهم ، جاءوا إلى الأردن ما كانوا يستطيعون أن يأكلوا الخبز ، وأعطاهم الملك عبدالله جبالا في عمان ، وجبالاً حولها في صويلح وغيره ، ثم تغيرت الحال، وهاجر الفلسطينيون، وامتدت عمان ، وأصبحت عاصمة كبرى، وأصبح المتر أحيانا بثلاثين دينارا ، يعني ثلاث مائة ريال ، يعني الدونم بثلاث مائة ألف ريال أو أكثر ، فأصبحوا من كبار الأغنياء، رغم أنهم ما كانوا يملكون رغيفا واحدا .

ويقول الله عز وجل :

(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) (الحج : ٥٨)

هذا في الآخرة ..

(وإن الله لهو خير الرازقين) (الحج : ٥٨)

يقول الله عز وجل في الآية الأخرى :

(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة) (النحل : ٤١)

اي لنرفعن مكانتهم في الدنيا ، ولنرزقنهم ..

(يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون، كل نفس ذائقة الموت، ثم إلينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، نعم أجر العاملين) (العنكبوت : ٥٦-٥٨)

الطيور في أعشاشها تأكل وتشبع ، وهي معلقة في الهواء وفي الفضاء ، هل يعجز الذي يطعم هذه الفراخ الصغيرة أن يطعمك أنت ؟! سبحان الله !! تخاف على الرزق ؟! الدابة ؟ ربنا يطعمها ، الله يرزقها، يعني : إن كنتم خائفين على الرزق على الوظيفة على الشركة ...

(وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم) (العنكبوت : ٦٠)

الدابة حاملة رزقها ؟! عندها تموين سنة ؟! عندها مدخرات؟! **(لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم)**

«**ولو أنكم توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً**»[2] في صحيح الترمذي وهو صحيح .

في الصباح تذهب جائعة وترجع بطونها مليئة ، الذي يرزق الطير في الهواء يعجز أن يطعمك ؟! و أنت ما شاء الله طولك ١٧٥سم، وزنك ٨٢ كغم ، يعجز ؟! سبحانه وتعالى هل يغفل؟ هل ينسى ؟! خرجت في سبيله هل ينساك؟! سبحانه ، ولذلك الذي يقول لك:

(١) حديث صحيح أنظر مشكاة رقم ٥٣٠٠ (٢) حديث صحيح رواه الترمذي.

والطائرات والدبابات أحرقوا الغابات عليهم .

المهم رجعنا إلى الدنيا ، رجعنا من الجهاد إلى الدنيا ، ليس منا أحد إلا وتحسنت حالته في الدنيا ماديا .

فأنت خائف ؟ كما قال جلال الدين : كنت ذات مرة مهموما على رزق المجاهدين ، لم يبق عندنا طعام، فصليت الفجر ، وجلست على سجادتي ، فأخذتني سنة من النوم وأنا مهموم محزون ، وإذا بهاتف يناديني: يا جلال الدين ، كان الله يرزقك ويطعمك وأنت لا تجاهد ، أفينساك وقد خرجت في سبيله ، قم فهناك ذبيحتان معلقتان على الشجرة الفلانية، فقام ووجد ذبيحتين معلقتين على هذه الشجرة جاء واحد وذبحهما وعلقهما على الشجرة للمجاهدين ، **(ويرزقه من حيث لا يحتسب)**.

(أليس الله بكاف عبده) (الزمر: ٣٦)

بلى ... يقول لك : إسمع، المخابرات والله لتمنعك من وظيفتك ، تقطع رزقك ، كيف إذا اطلعت المخابرات على جوازك ؟ كيف تتوظف في المستقبل ؟ ستمنع من السفر، ستمنع من دخول الجامعة ، ستمنع من هذا ...

(لله ملك السماوات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير) (المائدة : ١٢٠)

(وله من في السموات والأرض كل له قانتون) (الروم : ٢٦)

(قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) (سبأ : ٢٢)

ذرة لا يملكها ملكك ولا حاكمك ولا قائدك ولا رئيس بلدك ولا رئيس جمهوريتك ، ذرة في السموات أو في الأرض ! وميزانية حاكمك من أين يأخذها ؟ أليس من يد الذي بيده مقاليد السموات والأرض ؟ ميزانية دولتك من أين ؟ أليس من السماء ؟ أليس من الذي بيده مفاتيح الرزق ؟ بيده المقاليد، المفاتيح .

(هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون) (المنافقون : ٧)

خزائن السماوات والأرض ، يا أخي أنت خائف على رزقك؟! في صحيح مسلم:

«قدر الله مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض، بخمسين ألف سنة»[1].

مكتوب فلان بن فلان ، هذا سيأخذ من الدنيا ١٥٠ ألف و٦٢٢ ألف درهم ، مكتوب قبل خلق السموات والأض ، لن تخرج من الدنيا حتى تأخذ هذه كلها ، وإن الرزق ليطلب العبد أكثر من أجله ، يعني الرزق يبحث عنك.

والله أعرف أناساً استغنوا رغم أنوفهم.

هذا عم وائل جليدان اسمه إبراهيم الجليدان، هذا الآن من كبار الأغنياء في السعودية ، معروف ، الذي أنشأ مؤسسة المدينة المنورة ، أحدى دور الأيتام التي ينفق عليها (٥٠٠ يتيم)، هذا موظف بسيط فقير، وقبل الوظيفة كان يبيع الخضار على الحمير في المدينة، جاء أحد الأمراء قبل أن ينشأ المطار ، قال له : اشتر لي مجموعة من الأراضي حول المطار، فاشتراها بأربعين ألف ريال – أيام كان الريال يساوي – ثم جاء للأمير وقال له : اشتريت لك بأربعين ألف ريال ، استدنتها من فلان وفلان وفلان ، قال الأمير : أنا لا أريد أرضا ، قال له : يا سمو الأمير طال عمرك من أين أسُد هذا الدين ، طول حياتي لا استطيع أن أسده، قال له: دبر أمرك أنا لا أستطيع، إذهب وارجع الأرض ، دبر أمرك لا أريد أرضا ، قال : إنا لله وإنا اليه راجعون ، سنبقى طيلة حياتنا مدينين، وبدأ يحمل طاقية هذا ويلبسها لهذا ، يعني يستقرض من هذا ليسد هذا، وتغيرت الأيام ، وأنشيء المطار، وأصبحت الأربعين ألف هذه ثمنها أكثر من أربعين مليوناً، هذا أصبح غنيا رغما عنه ، أليس كذلك ؟! رغم أنفه ، الرزق يدفع الباب ويدخل .

والله حدثنا الشيخ تميم قصة عن الرزق –لا أدري حدثكم إياها أو لا – رجل كان من الأغنياء وتاجر ، مرض مرضا شديدا، وأولاده ضيعوا معظم ماله ، فالمهم: يوم من الأيام الرجل أراد أن يغير الجو ، قال لأولاده : أخرجوني بالسيارة خارج دمشق ، فأخرجوه

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري.

صدرية ربنا يعافيها ، ادع لها في أرض الجهاد، وخاصة إذا كنت صائما يوم الإثنين **«ومن صام يوما في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار سبعين خريفا** -سبعين سنة -»[1] يوما في سبيل الله يعني : يوما في الجهاد ، وهذه الأيام أيام عز للمؤمن .

السلف كانوا يقولون : الشتاء ربيع المؤمن، طال ليله فقامه، وقصر نهاره فصامه ، فأكثروا من الصيام في هذه الأيام ، وكل يوم يباعد الله بينك وبين النار سبعين خريفا ، وادع لها أن يعافيها ربنا، أصابتها جلطة لا تخف ، إن شاء الله ربنا يعافيها.

ولكن المهم يأسها من رجوعك، لا تعدها بالرجوع ، قل لها : يا أمي أخي الذي في بانكوك إذهبي الحقيه أرجعيه ، أرجعي أخي الذي في أمريكا، الذي في بريطانيا ، والذي في مكان كذا ، أنا خارج في سبيل الله ، إن قتلت أشفع لك وأشفع لسبعين واحداً من أقاربي ، لكن الذي في بانكوك إن مات يجر كم واحد إلى النار من أقاربه ؟!

فكم من ناس نائمة ، الآخرة ليس لها في ميزانهم حساب ، صححوا لهم الحسابات ، والكلام لا يصحح الحساب، ولا يضبط الموازين ، لا يضبط الموازين إلا الدماء والأرواح ، لا يضبطها إلا تكسير القيود الاجتماعية ، تكسير العادات هذه: أما هؤلاء جميعا ، الشيخ والأمير وقائد الحزب وقائد الجماعة وما إلى ذلك ، وإمام المدرسة ومديرها ، لا بأس ، تستشيرهم تستأنس ، يعني: إرضاء لخاطرهم تقول لهم : أنا ذاهب للجهاد .إذا أردت مني أي خدمة أي توصية أي إرشادات ، فإن قال لك لا تذهب ، قل له : الأمر منته. لكن أنا أريد توجيهاتك ، لا رجوع ، الأمر انتهى ، أمر فلبينا ، ودعا فقمنا ، وما كان لنا أن نتخلف عن رسول الله ﷺ ، ولا أن نرغب بأنفسنا عن نفسه، هو قاد لنا الطريق ونحن على أثره سائرون ، وعلى خطواته ماشون -إن شاء الله-. قل له لا رجوع انتهى، أمر الله.

يقول لك: بلدك بحاجة إليك قل له: بلدي فيها من الخروب «سدة ملآنة»، مفهوم معنى فيها من الخروب سدة ملآنة؟! يعني: كثير مثلي.

بلاد الأفغان هي التي بحاجة إليّ ، المجاهدون بحاجة إليّ ، الذين لا يعرفون قراءة القرآن، أعلمهم آية قرآن خير من وجودي في هذا البلد. مدرستك شهادتك ، قل له : شهادتي التي تنتظرني أعظم من شهادتك التي تريد أن تعطيني ، ماذا سآخذ؟ شهادة بكالوريوس في الهندسة المعمارية، أو الكيماوية أو الكهربائية؟ راتبها أربعة آلاف ريال -إذا وجدنا وظيفة – لأن الشركات بدأت تغلق أبوابها -الحمد لله- على ذوي الشهادات الجدد ، حوالي ثمانية آلاف مهندس في الأردن لا يجدون عملا، ومثل هذا العدد أو زيادة أطباء لا يجدون عملا، لا يجدون، يقولون للدولة : شغلونا مجانا في مستشفياتكم ، فترفض الدولة أن تشغلهم مجانا ، شغلونا مجانا سنتين وأعطونا شهادة خدمة ، فيقولون لهم: لا، اجلسوا في بيوتكم يرحمكم الله ، فماذا ستأخذ؟ شهادة دكتور؟ والدكاترة لا يجدون عربة يبيعون عليها بندورة ، هذا في الدنيا فأنت تريد من الآن أن أدرس ثماني سنوات الطب وأحمل شهادة دكتور وأقعد في الدار ، لو اشتغلت في البطيخ أفضل لي من هذه الثماني سنوات ، أنت تفيد المجاهدين بعد أن تتخرج بشهادة الطبيب ، انتظر اذاً ثماني سنوات، إن شاء الله يكون المجاهدون الله أعلم أين؟ حجوا قبل أن لا تحجوا، وجاهدوا قبل أن لا تجاهدوا ، واغتنموا الفرص، واستبقوا الخيرات كما يقول سيدنا علي ، اغتنموا الفرص فإنها أسرع من السحاب.

يا بني وراءك مخابرات ، التأشيرة وما إلى ذلك ، يسمع المسئولون عنك ، غدا ترجع يقطعون رزقك ، لا تشتغل ولا تعتمل ، ونحن لسنا مسؤولين عنك ، قل له : الذي خرجت من أجله هو مسؤول عني ...

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه)

(الطلاق : ٢-٣)

قل له : الرزق تحت الرمح **«وجعل رزقي تحت ظل رمحي»**[2].

ولله خزائن السموات والأرض

والله يا إخوان: لقد اشتركنا في حرب فلسطين، وكنا موظفين وما إلى ذلك، وانتقلنا وذهبنا إلى فلسطين ، وكنا نعيش على الكفاف ، يعني أذكر -ولله المنة والنعمة والفضل والحمد والشكر- أخذت أهلي فوضعتهم في غرفة واحدة، غرفة طين ليس لها مطبخ ولا يتبعها أي شيء، غرفة طين مساحتها متران في ثلاثة أمتار وانتهى الجهاد، حرمونا من الجهاد في فلسطين، وصرنا إذا أطلقنا طلقة على إسرائيل، أطلقوا علينا عشر طلقات في ظهورنا، العرب المحترمون، وذبحوا الفدائيين في الأردن، قالوا لهم: لا صلح بيننا وبينكم، إلا إذا تركتم المدن وتجمعتم في الغابات بعيداً عن المدن حتى لا تثيروا الاضطرابات، اجتمعوا في الغابات، سلطوا عليهم المدفعية

---

(١) حديث صحيح أنظر صحيح جامع الصغير رقم ٦٣٣٢. (٢) حديث صحيح أنظر الإرواء ١٢٦٩.

جلسة واحدة أمام التلفيزيون ، حتى يشاهدوا الفلم ، فأنت قلت هذا لا يجوز وقمت ، فأمك قالت :إذا أردت أن ارضى عليك فاجلس معنا ولا تعكر صفونا ، ولا تجعل عيشنا نكدا ، إن أطعت أمك فقد عصيت الله ، فهنا طاعة الأم لا تصبح عبادة ، تصبح طاعة الأم إثما ومعصية وذنبا ، هذا أمر يجب أن يكون واضحا : أن طاعة الوالدين بطاعة الله ،إذاكانت طاعة الوالدين فيها عصيان الله لا تصبح طاعة لوالدين طاعة ، تصبح طاعة الوالدين معصية .

وطاعة أولي الأمر كذلك ، طاعة أولي الأمر إنما هي متعلقة بطاعة الله، فاذا كانت طاعة أولي الأمر في عصيان الله وفي غضبه ، نالله عز وجل يغضب عليك إذا أطعت أولي الأمر ، لأن طاعتهم معلقة بطاعة الرحمن «أطيعوني ما أطعت الله ، فإن عصيت الله فلا طاعة ي عليكم».

وفي الحديث الصحيح «**إنما الطاعة في المعروف**»[1]، وفي الحديث الصحيح كذلك «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[2] طاعة الوالدين، وطاعة أولي الأمر من أجل إرضاء الله عز وجل ، فإذا كانت طاعة الوالدين أو طاعة أولي الأمر أو طاعة لعلماء فيها عصيان لله عز وجل ، فإنها تنقلب من منفعة إلى مساءة ، وتنقلب من حسنة إلى سيئة ، وتنقلب من طاعة إلى معصية . لأن لأصل طاعة الله ، وكل الناس يستمدون طاعتهم من طاعة الله عز وجل ، فلا طاعة للوالدين في الجهاد ، ولا طاعة للشيخ ، ولا طاعة لأي احد ، ولا طاعة لقائد جماعة ، ولا حزب ولا أمير ولا ... ما إلى ذلك، إذاكان هؤلاء يكرهون الجهاد أو يعطلون الجهاد ، ويمنعون من لجهاد ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

الله يقول (انفروا) وهم يقولون : اقعدوا ، من نطيع ؟ رب الخلق أم المخلوق ؟ رب المخلوقات أجمعين أم نطيع مخلوقا ؟

«من أرضى الناس بسخط الله ، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وارضى عنه الناس»[3] . هذا حديث صحيح رواه ابن حبان والترمذي وغيرهم .

من أرضى الله بسخط الناس يعني : وأسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن أسخط الله – أغضب الله وأرضى لناس –يرضي الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ، ولذلك تبحث هل الله راض عنه ، هذا أولا .

(وإن جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفا) (لقمان : ١٥)

أمك قالت: لا تصل الصبح ، أطيعها؟ لأن أمي تنام متأخرة؟ طاعتها عصيان الله إغضاب له ، أمي قالت لي : احلق لحيتك يا بني أن المخابرات كثيرون يقدمون عنك تقريرا ، «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» .

أمك قالت لك : تزوج بنت خالتك، لأنها تريد أن تكون بنت أختها عندها ، وبنت خالتك لا تساوي قرشين في أيام الغلاء ، سافرة كاشفة الرأس ، حاسرة الساقين ، إن اطعت أمك فقد عصيت الله عز وجل ، «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» .

إستئذان في الجهاد

أمك قالت لك : لا تذهب إلى الجهاد لأني أمرض ، الله يقول:

(وقاتلوا في سبيل الله) (البقرة : ٢٤٤)

(كتب عليكم القتال) (البقرة : ٢١٦)

فرض عليكم القتال، وهي تقول : يا بني أمرض إذا ذهبت ، تمرض أو تتعافى – إن شاء الله ربنا يعافيها –، لكن أنا لن أغضب له من أجلك، إذاكان كل واحد أطاع أمه ، من ينفرفي سبيل الله ؟ كل الأمهات يبكين إذا خرج أبناؤهن إلى الجهاد.

قصة سيدنا سعد مع أمه ، ومصعب كذلك ؛ قصته أكثر أثرا، سعد قال لها : والله لو كانت لك مائة روح، وخرجت روحا روحا ما جعت إلى عبادة اللات والعزى . قالت : والله لا أطعم طعاما ولا أشرب شرابا حتى ترجع إلى عبادة اللات والعزى ، قال : والله لو كانت ك مائة روح وخرجت روحا روحا، ما رجعت إلى عبادة اللات والعزى ، وقال: أمي إن جاعت تأكل وإن عطشت تشرب ، وأمك لما ـأس منك – خلاص – تشفى ، هي تبقى مريضة مادامت متأملة أن ترجعك إلى الدنيا، وإلى الملذات وإلى الجاهلية ، وإلى السيارات فخيطها، وإلى الشوارع ومنكراتها ، أما إذا يئست، تقطع لها قل لها: لن أرجع أبدا، وأنا أدعو الله أن يعافيك ، أصابتها أزمة

١) حديث صحيح أنظر مختصر مسلم ١٢٢٥ . (٢) حديث صحيح أنظر الجامع الصغير ٧٥٢٠ . (٣) حديث صحيح رواه الترمذي .

فسيد قطب صابر على شهوات الدنيا ، فكتب قال له : (إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة ! لترفض أن تكتب حرفا واحدا تقر به حكم طاغية) ، هذا التوحيد، هل تظن التوحيد أن تقرأ الرسالة التدمرية والرسالة الحموية ؟ وكل يوم توجه رسالة شكر لقائد الشرطة ومدير المخابرات وغيره. حكم عليه بالإعدام، قالوا له : استرحم! قال : لماذا أسترحم؟ إن كنت محكوما بحق فأنا أرتضي حكم الحق ، وإن كنت محكوماً بالباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل! -يا سلام! -من هو السجين ؟ ومن هو الحاكم ؟ هل سيد قطب هو السجين ؟ عبد الناصر هو السجين ، والحاكم الفعلي هو سيد قطب ...

(إن الحكم الا لله) (يوسف: ٤٠)

يوم (٢٨ أغسطس ١٩٦٦) وقع عبد الناصر تنفيذ حكم الإعدام بسيد قطب، وأرسل إلى حمزة البسيوني، قل لسيد قطب إذا اعتذر سنخفف عنه حكم الإعدام. قالت حميدة : ناداني وقال لي : اقرأي. فقرأت : ينفذ حكم الإعدام بسيد قطب ، ومحمد يوسف هواش ، وعبد الفتاح إسماعيل. قال لها : عندنا فرصة أخيرة لإنقاذ الأستاذ ، لأنه في الليل سينفذ حكم الإعدام ، وهي : أن يعتذر، ثم تخفف عنه حكم الإعدام ويخرج بعد ستة أشهر بعفو صحي، هيا أسرعي! فاسرعت إليه، قالت له: يقولون : إن اعتذرت سيخفف عنك حكم الإعدام، - هذا حدثتنيه أخته نفسها -، فقال : عن أي شيء أعتذر يا حميدة ، عن العمل مع الله ، والله لو عملت مع أحد غير الله لاعتذرت ولكني لن أعتذر عن العمل مع الله ، واطمئني يا حميدة، إن كان العمر قد انتهى فسينفذ حكم الإعدام ، وإن لم يكن العمر قد انتهى لم ينفذ حكم الإعدام ، ولن يغني الاعتذار شيئا في تقديم الأجل أو تأخيره .

صبر مع توحيد ، توحيد الألوهية الذي هو مواقف تترجم الآيات والكلمات والأحاديث ،-عندما كان مساقا إلى حبل المشنقة جاء شيخ أزهري من مراسم حكم الإعدام ، ولقنه الشهادة، قال له : يا سيد ، قال: نعم ، قال له : قل لا إله إلا الله، فقال له : حتى أنت جئت تتم المسرحية! نحن نعدم لأننا نقول لا إله إلا الله ، وأنتم تأكلون خبزا بلا إله إلا الله .

فيوجد فرق بين توحيد من ورائه دراهم ، وتوحيد من ورائه إعدام .

ولذلك ، نحن نريد أن نربي أنفسنا على الصبر ، ورباط بدون صبر لا يمكن ، وجهاد بدون صبر ورباط لا يمكن ؛ لأن القتال مرة واحدة كل ثلاثة أو أربعة أشهر ، قبلها لابد أن تصبر هذه الفترة الطويلة.

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

الشيطان على طريق الجهاد

تكلمنا بالأمس عن حكم الجهاد ، وقلنا : إن حكم الجهاد فرض عين الآن ، وليس الآن بل منذ أن سقطت الأندلس ، وإلى أن ترجع آخر بقعة إلى يد المسلمين كان يرفع عليها راية لا إله إلا الله .

ولذلك لو انتهى الجهاد في أفغانستان لا يسقط عنك الجهاد، الجهاد مستمر ، تذهب إلى فلسطين، -إن شاء الله – حررنا فلسطين ، نذهب إلى الفلبين، إلى أي مكان فيه جهاد ، حتى نحرر كل البلاد من الكفار – إن شاء الله –، فالجهاد فرض عين ، ولا إذن للوالدين أبداً في فروض الاعيان .

رضى الله أولاً :

واحد سألني اليوم قال : اتصلت بوالدي فقال : أنا غاضب عليك ، فما رأيك بهذا ؟ قلت له : غضبه لأنك أرضيت الله ، الغضب سينتهي إلى الله عز وجل ، فهل يغضب الله على من أرضاه وأغضب البشر ؟! هل يطيع الله أمك وأباك لأنك أرضيته وأغضبتهم ؟! الرضا والغضب واللعنة كلها من الله عز وجل ، والدعوة هذه طلب يرتفع من الوالدين إلى الرحمن ، الرحمن سيردها عليهم ، لأنهم يغضبون عليه لأنه أرضى الله عز وجل، ولذلك غضبهم رضى ، لأن غضبهم في هذه الحالة رضا – إن شاء الله – فلا يهمك غضب أو رضى الوالدين، -لا يهم- لأن الله رضي .

واحدة من اثنتين : إما أن ترضي الله ، وإما أن ترضي الوالدين ، ورضا الوالدين إنما اكتسب أهميته إذاكان برضى الله عز وجل ؟! هل يصبح إرضاء الوالدين عبادة إذاكان فيه اغضاب الله ؟ يصبح معصية ارضاء الوالدين ، ويصبح ذنبا ، يصبح إثماً، إذا أرضيت والديك في إغضاب الله ، يعني: أمك وأبوك يجلسون جلسة مختلطة مع أقاربك ، بنات عمك، بنات خالك ، بنات خالتك ؛ كلهم يجلسون في

شيخهم ، فعندما يسأله من حوله أسئلة سخيفة وهو تعبان قال أبو حنيفة : آن لأبي حنيفة أن يمد رجله .

الجاحظ يصف قاضياً من القضاة ، كان قاض بالبصرة يأتي يصلي الفجر ، ويجلس ليقضي بين الناس بعد صلاة الفجر – هناك الدوام يبدأ بعد صلاة الفجر- ، قال : فيحتبي ويبدأ يقضي بين الناس . قال: لا يلتفت لا يرمش، لا يطلب ماءً ولا طعاماً، يبقى يقضي بين الناس حتى يؤذن للظهر، ولايفك حبوته، ويقوم دون أن يتوضأ ، على وضوء الفجر ؛ يصلي بالناس ، ثم يجلس ليقضي بين الناس ، وهكذا إلى صلاة العصر ، فيقوم يصلي على وضوء الفجر، ثم إلى صلاة المغرب ، لا يفك حبوته ، ثم إلى صلاة العشاء .

وذات يوم جاءت ذبابة وأخذت تأكل موق عينه ، هو صبر وبقيت الذبابة ، ولم يرفع يده يطردها ، نفسه قلبه مع الناس ، وعندما أطالت الذبابة وانتقلت إلى العين الأخرى وهو صابر ويقضي وأخيرا رفع يده وطردها ، وقال صدق الله العظيم:

(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) (الحج : ٧٣)

اعتذر إلى الناس أنه رفع يده هكذا .

تجد الطلبة في حلقة العلم حول الشيخ كل ملتزم جلسة طلب العلم ، وهي جلسة جبريل عليه السلام مقابل الرسول ﷺ ، وهي الجلوس على الركب وهي جلسة الصلاة، جلسة التشهد ، لا تجد أحدهم يعبث ولا يلعب ولا يدخل إصبعه في أنفه ، أو يحرك اذنه، أو يعبث بلحيته، وهكذا حتى ينقضي الدرس .

الآن يكون في درس العلم ؛ هذا ماد رجليه، هذا نائم على ظهره، وهذا يلعب في أنفه ، يخرج من هذه الأوساخ لأستاذه ، وهذا لا يمكن أن تجده عند طلبة العلم .

الصبر على النفس وعلى الناس وعلى إيذاء الناس.

الرسول ﷺ ليلة زواجه بزينب، وزينب رضي الله عنها بدأ رأسها يخفض من شدة النوم ، وعروس، والرسول ﷺ نعس والصحابة مسرورون بالجلوس مع الرسول ﷺ ، حتى أنزل الله عز وجل :

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق) (الاحزاب : ٥٣)

صبر، . والداعية يحتاج أن يصبر على نفسه وعلى الناس ، والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم .

فلابد من الصبر، لأن الرباط قائم على الصبر، ولا جهاد بلا صبر ، ولا رباط بلا صبر ، ولا عبادات بلا صبر ، وخاصة عبادة الجهاد .

ولذلك رب العالمين قال :

(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) (البقرة : ١٥٣)

والله أعجبني بعض الإخوة في القاهرة ، لا يقبلون أن يشربوا الشاي حتى لا نصبح مأسورين لأي حاجة من الحاجات .

الآن الشاي كيف ، والدخان كيف ، والناس لا يستطيعون أن يعيشوا بدون هذه الأشياء الكمالية الزائدة على الحياة أصلاً –بعد الأكل شاي -، صار الإنسان أسيرا لأمور بسيطة ، لابد لي من فنجان قهوة (عصملّي)، وإذا غابت القهوة مزاجه يتعكر.

نريد أن تخضع الدنيا كلها تحت أقدامنا، فإذا استطعنا أن نستعلي على شهواتنا فالدنيا كلها ندوسها بأقدامنا ، والله يا إخوة : إن الإنسان الذي يصمم على الصبر كل الدنيا تذل تحت قدمه ، الحكام الطواغيت أمامه صغار ، لماذا ؟ الصبر على متاع الدنيا فقط .

صبر سيد قطب

ولذلك عبد الناصر كان يرهب سيد قطب ، وعندما كان يعرض عليه الدنيا ، – الوزارة – وهو مسجون يقول له تعال استلم وزارة ،

فنحن نريد أن نعلم النفوس الصبر ، والإنسان لا يصل إلى درجة الإحسان إلا إذا تعود الصبر ؛ الصبر عن النوم إذا اشتاقت النفس للنوم ، والصبر عن الراحة إذا اشتد التعب ، والصبرعن الطعام إذا جاع البطن ، بل إيثار إخواني على نفسي إذا وجد الطعام:

«من يضيّف ضيف رسول الله ﷺ؟ أنا يا رسول الله ، أخذه - ليس في بيته ما يكفي لواحد - فقام وتظاهر أنه يصلح السراج وأطفأه، وبات جائعا هو وعائلته، حتى يشبع الضيف، صار يمد يده على الطعام ولا يأكل والضيف يأكل، يظن أن صاحب البيت يأكل معه حتى شبع الضيف»[1]

لما فتحت (جاوني) ذهبنا إليها فجاء محمد نعيم هذا القائد من جماعة التبليغ والحقيقة جماعة التبليغ تربي أفرادها على آداب رفيعة ، الحقيقة أنا معجب بآدابهم ، عندهم صفات يفتقدها كثير من الدعاة ، عندهم أولا : حب العلماء والأدب معهم، وهذه يفتقدها معظم طلبة العلم الآن ، الآن دليل العلم الوقاحة مع العلماء ، والتجرؤ عليهم ، ويكاد يقلع عينك بأصبعه ، ماذليلك ؟! وهو مادٌ إصبعه أمامك ! أنا أرى غير ذلك - ليس المعاصرين كل المعاصرين طلبة علم مثلنا ، لا يهم يتجرأ عليهم - يتجرأ على أبي حنيفة وعلى النووي ، وهكذا بظهر يده : من هو أبو حنيفة هذا ؟! وكأن أبا حنيفة كنّاس في الشوارع .

فيعجبوني - جماعة التبليغ - بحب العلماء، وبالتواضع، ويعجبوني بالزهد، ويعجبوني بالتضحية ، هم لا يجاهدون صحيح ، لكن التضحية بوقتهم، التضحية بمالهم ، يطوف الكرة الأرضية سنة كاملة تاركا أهله وتاركا وظيفته تاركا تجارته ، لا يقبل أن يأكل من أحد لقمة ، فمحمد نعيم الذي فتح جاوني من جماعة التبليغ متأثر بهم ، قائد لحكمت يار شاب عمره حوالي ٢٧ سنة مقطوعة رجله ؛ أعرج ، فجاء يريد أن يحتفي بنا، فجلس بجانبي ، ووضع الطعام ، قلت له : يا أخي كل ... قال: الحمد لله أنا آكل مد يده تناول قطعة خبز أو قطعتين مع المرق، ما ذاق اللحم ؛ رأى أن اللحم قليل أمامنا ، فجاءنا بصحن كبير وفيه قطعة لحم كبيرة ومرق، وجلس بجانبي أخ من الإخوة، قلت له : يا أخ محمد نعيم كل ، قال : آكل، مد يده كأنه يسرق، أكل لقمة خبز مغموسة بالمرق ، أيمد يده على اللحم؟ لا . ما مد يده للّحم ، وبجانبنا شاب من الشباب أنا استحييت أن آكل اللحم، وقلت : أتركها له ، هو ما أكل خبزا أو لحما ، والأخ رغم أنه يراه ما أكل ، قام بالواجب، أكل اللحم وأكل الخبز ، كنت أتمنى أن ينتبه الأخ لأدب هذا القائد ، وكدت أقول له : لا تمس اللحم ، حتى يتعلم ، يتأدب يا أخي .

فالنفس شهواتها لا تنتهي ، هذا الشاب محمد نعيم علمني درساً في الإيثار والأدب والصبر ، هو القائد الذي فتح جاوني، ونحن في بيته ، ومع ذلك أكل لقمتين مع مرق ، أنا قطعت له قطعتين لحم صغيرتين ووضعتها أمامه ، ولا أدري أكلها أو لم يأكلها.

الصبر والأدب

الصبر.. عندما تصبر على نفسك يؤدي إلى إيثارك إخوانك على نفسك ، أولا يا أخي الزم حدك واصبر على شهواتك، ولا تعتدي على حقوق غيرك ، وإذا صبرت على هذه المرحلة تنتقل إلى المرحلة الثانية : أن تؤثر أخاك أولا ، أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك .

ما الفرق بين أغنى واحد في الدنيا وأفقر واحد في الدنيا ؟ أفقر واحد في الدنيا يأكل خبزاً وبدون لحم ، وأغنى واحد في الدنيا يأكل خبزاً ولحماً، بل قد يكون الفقير هذا الذي لا يجد اللحم يأتي برأس البصل ويدقه ويأكل خبزاً وبصلا - رغيفين - ويقول : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ، ويستطعم بكل لقمة ، وذاك يوضع أمامه الحلويات واللحوم وهو ممنوع من الأطباء أن يأكل لحما دهنا وسمنا وحلوى لأنه مصاب بكل الأمراض التي خلقها الله إلا ما شاء ربك ، حرمه الله من كل ألوان النعيم .

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

رمضان مضى ، والذين قاموا هم الذين فازوا، والناس كانت تحب النوم ، كل يوم بعد الفطور تسترخي وتقول : آخر الليل أقوم، ويروح آخر الليل وأول الليل بدون قيام ، وإخوانك يقومون، وإذا أطال الإمام قليلاً فويل له من المسترخي إن منّ عليك ركعتين أو أربع ركعات ، يا أخي لا تطل ، يا أخي تعبنا ، حتى نستطيع أن نقوم بواجب الجهاد في سبيل الله ! من هذا الطريق يأتي .

الصبر على القليل هو الذي يرفعك تدريجياً عند الجليل.

ولذلك حتى أهل الدنيا . أحمد أمين يكتب رسالة إلى ابنه يقول : أريدك أن تجوع حتى تجد لذة الطعام ، وأن تسهر حتى تجد لذة المنام ، وأن تعطش حتى تجد لذة الماء ، يعلمه الصبر ، وتجدهم في الآداب العامة -يا سلام- يصبرون على أنفسهم .

في حلقة العلم ! أبو حنيفة يلتزم جلسة طالب العلم والمعلم بهذا الشكل ، فيتعب لأن أمامه أناس يستحي منهم رغم أنه عالمهم

---

(١) رواه مسلم بلفظ «من يضيف هذه الليلة».

شيخهم ، فعندما يسأله من حوله أسئلة سخيفة وهو تعبان قال أبو حنيفة : آن لأبي حنيفة أن يمد رجله .

الجاحظ يصف قاضياً من القضاة ، كان قاض بالبصرة يأتي يصلي الفجر ، ويجلس ليقضي بين الناس بعد صلاة الفجر – هذك الدوام يبدأ بعد صلاة الفجر–، قال : فيحتبي ويبدأ يقضي بين الناس ، قال: لا يلتفت لا يرمش، لا يطلب ماءً ولا طعاماً، يبقى يقضي بين الناس حتى يؤذن للظهر، ولايفك حبوته، ويقوم دون أن يتوضأ ، على وضوء الفجر ! يصلي بالناس ، ثم يجلس ليقضي بين الناس ، وهكذا إلى صلاة العصر ، فيقوم يصلي على وضوء الفجر، ثم إلى صلاة المغرب ، لا يفك حبوته ، ثم إلى صلاة العشاء .

وذات يوم جاءت ذبابة وأخذت تأكل موق عينه ، هو صبر وبقيت الذبابة ، ولم يرفع يده يطردها ، نفسه قلبه مع الناس ، وعندما أطالت الذبابة وانتقلت إلى العين الأخرى وهو صابر ويقضي وأخيرا رفع يده وطردها ، وقال صدق الله العظيم:

(يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) (الحج : ٧٣)

اعتذر إلى الناس أنه رفع يده هكذا .

تجد الطلبة في حلقة العلم حول الشيخ كل ملتزم جلسة طلب العلم ، وهي جلسة جبريل عليه السلام مقابل الرسول ﷺ ، وهي الجلوس على الركب وهي جلسة الصلاة، جلسة التشهد ، لا تجد أحدهم يعبث ولا يلعب ولا يدخل إصبعه في أنفه ، أو يحرك اذنه، أو يعبث بلحيته، وهكذا حتى ينقضي الدرس .

الآن يكون في درس العلم : هذا ماد رجليه، هذا نائم على ظهره، وهذا يلعب في أنفه ، يخرج من هذه الأوساخ لأستاذه ، وهذا لا يمكن أن تجده عند طلبة العلم .

الصبر على النفس وعلى الناس وعلى إيذاء الناس.

الرسول ﷺ ليلة زواجه بزينب، وزينب رضي الله عنها بدأ رأسها يخفض من شدة النوم ، وعروس، والرسول ﷺ نعس والصحابة مسرورون بالجلوس مع الرسول ﷺ ، حتى أنزل الله عز وجل :

(يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق) (الاحزاب : ٥٣)

صبر .. والداعية يحتاج أن يصبر على نفسه وعلى الناس ، والمؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم .

فلابد من الصبر، لأن الرباط قائم على الصبر، ولا جهاد بلا صبر ، ولا رباط بلا صبر ، ولا عبادات بلا صبر ، وخاصة عبادة الجهاد .

ولذلك رب العالمين قال :

(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) (البقرة : ١٥٣)

والله أعجبني بعض الإخوة في القاهرة ، لا يقبلون أن يشربوا الشاي حتى لا نصبح مأسورين لأي حاجة من الحاجات .

الآن الشاي كيف ، والدخان كيف ، والناس لا يستطيعون أن يعيشوا بدون هذه الأشياء الكمالية الزائدة على الحياة أصلاً –بعد الأكل شاي –، صار الإنسان أسيرا لأمور بسيطة ، لابد لي من فنجان قهوة (عصملّي)، وإذا غابت القهوة مزاجه يتعكر.

نريد أن تخضع الدنيا كلها تحت أقدامنا، فإذا استطعنا أن نستعلي على شهواتنا فالدنيا كلها ندوسها بأقدامنا ، والله يا إخوة : إن الإنسان الذي يصمم على الصبر كل الدنيا تذل تحت قدمه ، الحكام الطواغيت أمامه صغار ، لماذا ؟ الصبر على متاع الدنيا فقط .

صبر سيد قطب

ولذلك عبد الناصر كان يرهب سيد قطب ، وعندما كان يعرض عليه الدنيا ، – الوزارة – وهو مسجون يقول له تعال استلم وزارة ،

فنحن نريد أن نعلم النفوس الصبر ، والإنسان لا يصل إلى درجة الإحسان إلا إذا تعود الصبر ؛ الصبر عن النوم إذا اشتاقت النفس للنوم ، والصبر عن الراحة إذا اشتد التعب ، والصبر عن الطعام إذا جاع البطن ، بل إيثار إخواني على نفسي إذا وجد الطعام:

«من يضيِّف ضيف رسول الله ﷺ؟ أنا يا رسول الله ، أخذه - ليس في بيته ما يكفي لواحد - فقام وتظاهر أنه يصلح السراج وأطفأ، وبات جائعا هو وعائلته، حتى يشبع الضيف، صار يمد يده على الطعام ولا يأكل والضيف يأكل، يظن أن صاحب البيت يأكل معه حتى شبع الضيف»[1]

لما فتحت (جاوني) ذهبنا إليها فجاء محمد نعيم هذا القائد من جماعة التبليغ والحقيقة جماعة التبليغ تربي أفرادها على آداب رفيعة ، الحقيقة أنا معجب بآدابهم ، عندهم صفات يفتقدها كثير من الدعاة ، عندهم أولا : حب العلماء والأدب معهم، وهذه يفتقدها معظم طلبة العلم الآن ، الآن دليل العلم الوقاحة مع العلماء ، والتجرؤ عليهم ، ويكاد يقلع عينك بأصبعه ، مادليلك ؟! وهو مادّ إصبعه أمامك ! أنا أرى غير ذلك - ليس المعاصرين كل المعاصرين طلبة علم مثلنا ، لا يهم يتجرأ عليهم - يتجرأ على أبي حنيفة وعلى النووي ، وهكذا بظهر يده : من هو أبو حنيفة هذا ؟! وكأن أبا حنيفة كنّاس في الشوارع .

فيعجبوني - جماعة التبليغ - بحب العلماء، وبالتواضع، ويعجبوني بالزهد، ويعجبوني بالتضحية ، هم لا يجاهدون صحيح ، لكن التضحية بوقتهم، التضحية بمالهم ، يطوف الكرة الأرضية سنة كاملة تاركا أهله وتاركا وظيفته تاركا تجارته ، لا يقبل أن يأكل من أحد لقمة ، فمحمد نعيم الذي فتح جاوني من جماعة التبليغ متأثر بهم ، قائد لحكمت يار شاب عمره حوالي ٢٧ سنة مقطوعة رجله ؛ أعرج ، فجاء يريد أن يحتفي بنا، فجلس بجانبي ، ووضع الطعام ، قلت له : يا أخي كل ... قال: الحمد لله أنا آكل مد يده تناول قطعة خبز أو قطعتين مع المرق، ما ذاق اللحم ؛ رأى أن اللحم قليل أمامنا ، فجاءنا بصحن كبير وفيه قطعة لحم كبيرة ومرق، وجلس بجانبي أخ من الإخوة، قلت له : يا أخ محمد نعيم كل ، قال : آكل، مد يده كأنه يسرق، أكل لقمة خبز مغموسة بالمرق ، أيمد يده على اللحم؟ لا . ما مد يده للحم ، وبجانبنا شاب من الشباب أنا استحييت أن آكل اللحم، وقلت : أتركها له ، هو ما أكل خبزا أو لحما ، والأخ رغم أنه يراه ما أكل ، قام بالواجب، أكل اللحم وأكل الخبز ، كنت أتمنى أن ينتبه الأخ لأدب هذا القائد ، وكدت أقول له : لا تمس اللحم ، حتى يتعلم ، تأدب يا أخي .

فالنفس شهواتها لا تنتهي ، هذا الشاب محمد نعيم علمني درساً في الإيثار والأدب والصبر ، هو القائد الذي فتح جاوني، ونحن في بيته ، ومع ذلك أكل لقمتين مع مرق ، أنا قطعت له قطعتين لحم صغيرتين ووضعتها أمامه ، ولا أدري أكلها أو لم يأكلها .

الصبر والأدب

الصبر ، عندما تصبر على نفسك يؤدي إلى إيثارك إخوانك على نفسك ، أولا يا أخي الزم حدك واصبر على شهواتك، ولا تعتدي على حقوق غيرك ، وإذا صبرت على هذه المرحلة تنتقل إلى المرحلة الثانية : أن تؤثر أخاك أولا ، أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك .

ما الفرق بين أغنى واحد في الدنيا وأفقر واحد في الدنيا ؟ أفقر واحد في الدنيا يأكل خبزاً وبدون لحم ، وأغنى واحد في الدنيا يأكل خبزاً ولحماً، بل قد يكون الفقير هذا الذي لا يجد اللحم يأتي برأس البصل ويدقه ويأكل خبزاً وبصلا - رغيفين - ويقول : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ، ويستطعم بكل لقمة ، وذاك يوضع أمامه الحلويات واللحوم وهو ممنوع من الأطباء أن يأكل لحما دهنا وسمنا وحلوى لأنه مصاب بكل الأمراض التي خلقها الله إلا ما شاء ربك ، حرمه الله من كل ألوان النعيم .

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليل تقنع

رمضان مضى ، والذين قاموا هم الذين فازوا، والناس كانت تحب النوم ، كل يوم بعد الفطور تسترخي وتقول : آخر الليل أقوم، ويروح آخر الليل وأول الليل بدون قيام ، وإخوانك يقومون، وإذا أطال الإمام قليلاً فويل له من المسترخي إن منّ عليك ركعتين أو أربع ركعات ، يا أخي لا تطل ، يا أخي تعبنا ، حتى نستطيع أن نقوم بواجب الجهاد في سبيل الله ! من هذا الطريق يأتي .

الصبر على القليل هو الذي يرفعك تدريجياً عند الجليل.

ولذلك حتى أهل الدنيا ، أحمد أمين يكتب رسالة إلى ابنه يقول : أريدك أن تجوع حتى تجد لذة الطعام ، وأن تسهر حتى تجد لذة المنام ، وأن تعطش حتى تجد لذة الماء ، يعلمه الصبر ، وتجدهم في الآداب العامة -يا سلام- يصبرون على أنفسهم .

في حلقة العلم ؛ أبو حنيفة يلتزم جلسة طالب العلم والمعلم بهذا الشكل ، فيتعب لأن أمامه أناس يستحي منهم رغم أنه عالمهم

(١) رواه مسلم بلفظ «من يضيف هذه الليلة».

التربية، نحتاج إلى تربية الشباب الذين يخافون من الله عز وجل أكثر من خوفهم من مجموعة الأفاعي تنام في فراشه ، الذين يراقبون الله ويستحيون منه استحياءهم من اثنين من صالح عشيرتهم كوالدهم ووالدتهم لا يفارقانهم أبداً ، أنت إذا أردت أن تتكلم إلى ..ة أو تغمزها أو ما إلى ذلك ، هل تستطيع أن تفعل ذلك أمام والدك ؟! والدك، فاستحيي من الله استحياءك من والدك ، وراقب الله كأن والدك فوق رأسك ، فكيف والملكان يسجلان، ورب العالمين يعلم السر وأخفى ، نريد تربية إسلامية حقيقية ليس ثقافة ، نحفظ المتون ننقسوا معها القلوب، ونحقر كل الذين ليس عندهم مثل علمنا ، أصلاً أنت لست عالماً، ولست عاملاً ولست داعية ولست مجاهداً ، فبأي شيء تختال على عباد الله..

(ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) (الاسراء : ٣٧)

ولذلك أي تربية فعلاً يعقبها جهاد في سبيل الله ، وعندما تعيش لله وفي الله يلتف الناس حولك ويحبونك ، والدعوة الإسلامية عندما يلتف الشعب يكون هذا حصنها الحصين ، ويكون درعها المتين يحميها من الشرور ، خاصة من الخصم المبين من السلاطين ومن أبلياء الثروات والشهوات وغيرها.

تربية صحيحة حقة على التوحيد ، توحيد ...

(عليه توكلت وإليه أنيب) (الشورى : ١٠)

توحيد ...

(إياك نعبد وإياك نستعين)

وعبادة واستعانة ، أما لا تحفظ من دين الله عز وجل إلا أن صلاة المسافر ركعتين «وإن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»[1] ، وأنه لا سنن في السفر، هذا الذي تحفظ من دين الله ، و«إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده»[2] فنفارق في أنواع الفواكه واللحوم والأطعمة والشهوات ، ودين الله عز وجل يذبح ، يجب أن تحمل دينه ، تخشى عليه كما تخشى على والدك الذي في غرفة الإنعاش ، وليس والدك أهم من دين الله، ولا أفضل من دين الله، ولا أخطر من دين الله ، يجب أن تخشى على دين الله أن يضرب أو يهزم أكثر من خشيتك على ابنك الصغير ، أو على أخيك الصغير وقد أصابه مرض عضال لا تترك باباً من أبواب المستشفيات ولا مختصاً من الأطباء إلا وتقرع بابه وتطرق أعتابه ، لعلك تجد عنده المنتجع والدواء الكافي والشفاء الشافي.

عندما تتربى هذه الفئة على دين الله ، على التوحيد الخالص كالعز بن عبد السلام ، عندما أفتى : أن ولاية هؤلاء الأمراء الحكام غير جائزة ، لأنهم عبيد ولا تجوز ولاية العبد . .

يأتي أحد الحكام الأمراء يرتجف غضباً على بابه وبيده سيفه يهتز لشدة نقمته وسخطه ، فقرع الباب خرج ابنه، أوالدك هنا؟ قال نعم، قال : ادعه لي ، ذهب ابنه قال : يا أبت الأمير بالباب ، وبيده سيفه يرتجف غضباً ، قال : يا بني إن أباك أقل من أن يقتل في سبيل الله .

تعلمت من هذا الجهاد

لقد أنزل الله في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم :

(فلولا نفرمن كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (التوبة:١٢٢)

هذه الآية الكريمة من سورة التوبة ، وسورة التوبة : تضمنت التشريع المحكم النهائي للجهاد ، ولقد حوت في طياتها آخر ما يطلبه رب العزة من البشرية بالنسبة لهذه الشرعة المحكمة، والفريضة الدائمة إلى يوم القيامة.

وهذه الآية– وكل آيات التوبة –إنما نزلت في التقديم لغزوة تبوك ، أو في إبان أحداثها ، أو بعد عودة رسول الله ﷺ من هذه الغزوة المباركة ، التي كانت خاتمة الغزوات ، وبها ختم سجل السيرة في الأحداث التي كانت تصنع التاريخ.

---

(١) حديث صحيح أنظر الجامع الصغير رقم ١٨٨٥ . (٢) حديث حسن رواه الترمذي، أنظر مشكاة رقم ٤٣٥٠ ج ٢ / ٢ .

وكذلك طوت في آياتها : ما يريده رب العزة من الناس إلى يوم الدين من هذه الشرعة المحكمة وهي شرعة القتال ، وجاء قبلها مقطع ، وبعدها مقطع ، وكلها تتكلم عن القتال والجهاد ،

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين # ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون # يا أيهاالذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلمو أن الله مع المتقين) (التوبة : ١١٩-١٢٣)

من ينفر يتفقه

والرأي الذي ترجح عندي بعد أن اطلعت على آراء المفسرين : أن الذي ينفر للجهاد هو الذي يتفقه في الدين ، وأما القاعدون فهم لا يتفقهون في الدين . وهذا الرأي الذي رجحه الطبري شيخ المفسرين بالأثر أخذاً عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية ، وابن كثير والحسن البصري : أن الذين يفقهون هذا الدين هم الذين ينفرون ، ثم يقول الطبري منتصراً لرأيه : فلو سألنا سائل : لماذا ذهبتم إلى هذا الرأي ورجحتموه؟، لقلنا له : إن الله عز وجل يقول: **(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا)**. واللام، لام التعليل والسببية ، فالذين ينفرون هم الذين يتفقهون .

ولو أخذنا بالرأي الآخر لكان معنى الآيه : إن الذين ينفرون سبب لتفقيه القاعدين ، معنى هذا : أن قعود النافرين هو جهل للقاعدين ، وهذا لا يمكن أن يتفق مع سياق القرآن الكريم ، ولا مع مدلولات آياته المحكمة المعجزة .

والذي تميل إليه النفس هو هذا الرأي : إن الذي يتحرك في الأرض لإقرار هذا الدين في عالم الواقع ، هو الذي يفهم مدلولات هذا الكتاب ، لأن هذا الكتاب العزيز لا يفتح مكنوناته وأسراره لفقيه قاعد ، يعيش بين الأوراق الباردة ، ويأخذ الفقه من قوالبه الجامدة ، ولا يتحرك لإقراره في عالم الحياة ، ولإنشائه في واقعها المتدفق .

إن الذين يفهمون هذا الدين ، ويفقهون أحكامه : هم الذين يتحركون في الحياة ويدفعون الثمن ، ومن حرارة الحركة في الحياة الدافقة تتفتح أسرار هذا القرآن ، ويعطي لمحاته الكاشفة لهذه النفس البشريه التي تسخن مع حرارة الأحداث ، فإذا سخنت مع حرارة الأحداث تلقت التنزيل ، وطبقت التأويل ، وأما النفس الباردة الجامدة فلا تتفاعل مع الآيات ، ولا تعمل معها النصوص ، تماماً كالحديد الساخن والحديد البارد : الحديد الساخن هو الذي يمكن أن تصنع منه ما تريد ، وهو لين مطاوع بين يديك ، أما البارد فلا تستطيع أن تتصرف فيه بحال.

وإنه لجهل فاضح أن يفهم أحد أنه يستطيع أن يتفقه في هذا الدين ، وهو قاعد لا يدفع درهماً لنصرته ، ولا يبذل قطرة واحدة لإقامته في الحياة .

وهذا الدين فهُم مع مجرى الحياة ، مع الحركة ، مع الدماء المتدفقة ، مع العرق المتصبب ، مع الخطوات على الأرض اللاهبة على طول المسيرة ، يتجرع فيها – الذي يحمل المبدأ– مرارة التجربة وغصة المعاناه ، ومن خلالها يفتح الله على القلوب ما يفتح ...

(أولئك الذين كتب الله فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) (الانعام : ٩٠)

وهذا الذي فهمه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ يقول في الاختيارات العلمية: (والواجب أن يعتبر في أمور الجهاد بأمر أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا ، لا الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين ، ولا برأي أهل الدين ، الذين لاخبرة لهم بالدنيا).

فمعنى كلام ابن يتميه : أنه لا يُسأل عن الجهاد إلا المجاهدون العلماء ، أما العالم القاعد فلا يؤخذ منه هذا الدين بحال ، ولا يؤتمن على فتاوى في حال انتهاك الأعراض ، وسفك الدماء للأبرياء والأطفال والشيوخ وهو قاعد جامد ، لا يتحرك لنصرة هذا الدين، ، غيرة لديه ، ولا يتمعر وجهه ، ولا تحمر بشرته إزاء الحرمات التي تنتهك ، والأموال التي تسلب ، والمقدسات التي تداس ، وهو لا يتحرك، يعيش بين أوراقه يكتب ، ويسطر ويطبع وينشر ، هؤلاء كما قال ابن تيميه : لا يؤخذ منهم الرأي في الجهاد.

قواعد رسخت في أعماقي

ولقد شرفني الله عز وجل أن أتتلمذ ست سنوات على مدرسة الجهاد المبارك في أفغانستان ، وقرابة سنة ونصف على الجهاد في فلسطين ، وفقهت منها وخرجت بقواعد لا أتردد فيها أبداً ، وأستطيع بعد هذه التجربة الطويلة مع هذه المسيرة العاتية المريرة في فلسطين وأفغانستان أن أقول بملء فمي : قواعد رسخت في أعماقي وثبتت في كياني ، من هذه القواعد:

القاعدة الأولى

- القاعدة الأولى التي تكلمت عنها : إن فقه هذا الدين إنما يؤخذ من خلال الحركة به ومن خلال البذل له ، وبقدر ما تبذل له يفتح لك عن أسراره ، وبقدر ما تعطيه يعطيك ، وبقدر ما تنفق له من المعاناة من النفس والمال ، بقدر ما يفتح لك عن أسراره وعن معانيه.

فالنصوص قد تكثر ويلتبس الأمر على الإنسان ، ولابد من التقوى التي يحدث بها الفرقان ، (**يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً**) الفرقان : الذي تفرقون به بين الحق والباطل ، فلابد من التقوى.

ورأيت أن التقوى مصاحبة للجهاد غالباً ، والتقوى مصاحبة للجهاد في آيات القرآن ، والصدق والتقوى عنوانان لازمان للمجاهد المخلص: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

والتقوى تنشيء الفرقان الذي يفتح الله به على النفس البشريه بأن تحكم بالحق ، ويتفتح على النفس أثناء بذلها لهذا الدين، ما لا يفتح لها لو قرأت مئات المجلدات وهي قاعدة باردة .

- والصبر والتقوى صفتان ضروريتان لحماية النفس البشريه أثناء الجهاد .

(وإن تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط) (آل عمران: ١٢٠)

والصبر والتقوى صفتان ضروريتان للانتقال إلى درجة الإحسان .

(إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) (يوسف: ٩٠)

والصبر والتقوى ضروريان لازمان لإنزال الملائكة للنصر في أثناء الحرب .

(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين)
(آل عمران: ١٢٥)

- هؤلاء الخمسة الآف كما يقول الحسن وغيره : عدة لكل عسكر صبر واحتسب إلى يوم القيامة ، تتنزل لنصرته .

فالفقه في هذا الدين : هذه القاعده الأولى التي فهمتها من خلال الجهاد .

القاعدة الثانية

وفهمت من خلال الجهاد قاعدة ثانية : أن عقيدة القدر لا يمكن أن تتكشف ولا تتجلى في النفس البشريه في ميدان أوضح من ميدان الجهاد ، ولا يمكن أن تترجم واقعاً عملياً إلا في ساح النزال وأرض القتال .

هذه العقيدة سطرت في كتاب الله العزيز ، خاصة أهم عمودين يقوم عليهما العمل لهذا الدين ، وهما عمود عقيدة القدر في الرزق ، وعمود عقيدة القدر في الأجل ، والله عز وجل سطرها فقال :

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً) (آل عمران: ١٤٥)

وقال عز وجل :

(وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون)
(الذاريات: ٢٢-٢٣)

ولكن هذا توحيد الربوبيه ، أما الإنتقال من توحيد الربوبية الذي هو نظرية في عالم القلب والعقل ، إلى واقع حياتي في سلوك وأخلاق وكلمات، مسافة شاسعة وبون واسع بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية . وتوحيد الربوبيه سهل على النفس البشريه ؛ أن تتلمذ وتثقف وتقرأ ، أن الله خالق رازق ، هذا أمر سهل على النفس البشرية ، أما أن تترجم هذه في مواقف فريدة يسطرها التاريخ فخراً في جبينه ، ودرّة على تاجه ؛ تشعّ للأجيال على مدى الأجيال ، هذا أمر عريض واسع ، ودونه بون شاسع عريض .

إن ترجمة الكلمات إلى واقع حياة ، هذا الذي يعيش له الأنبياء ؛ فالأنبياء عليهم السلام جاءوا لإقرار توحيد الألوهية، أما توحيد الربوبيه فقد كانت تعرفه الجاهليه ، كانوا يعرفون أن الاجل والرزق بيد رب العالمين .

(قل من يرزقكم من السماء والأرض أمّن يملك السمع والأبصار ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله) (يونس : ٣١)

من هم الذين يقولون: الله ؟! الجاهليون المشركون ...

(فقل أفلا تتقون) (يونس: ٣١)

فكانت مهمة النبوة ومهمة نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام الذي طوى به سجل الرسل قاطبة ، هو تحويل هذه الكلمات إلى واقع حياتي من سلوك وأخلاق ومواقف ، وحياة تقوم عليها الحياة البشريه بأسرها .

وعندما تنظر إلى الذين يتمثلون هذا الدين من خلال الجهاد، ويحولون توحيد الربوبيه إلى توحيد الألوهية ، تدرك فعلاً كيف عقيدة القدر، - تدركها- من قول صفي الله أفضلي قائد هرات، الذي مكث ثماني سنوات لا يخوض المعارك إلا في الصفوف الأولى، فينهاه بعض جنده ما بالك ؟! نحن في حاجة إليك! لا تلق بنفسك إلى المهالك ، فيرد عليهم: ألم يقل الله عز وجل (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً)؟ تحويل عقيدة الرزق والأجل من العقل والقلب إلى واقع حياتي ، هذا امر عظيم جدا.

وعقدة الخوف على الرزق والأجل هي العقدة الكبرى في حياة الدعاة ، فإذا انحلت هذه العقدة انحلت العقد كلها وراءها، وأصبحت هذه العقدة التي تسمى اليوم عقدة المخابرات التي أحالت الدعوات إلى ألغاز معمّاة، وأسرار خفية لا تكاد تفهم في عالم الحياة ، هذه العقدة لا يحلها إلا الجهاد ،وما أهون الحياة على المجاهد !!

إن المجاهد يضع روحه على يده ، يعرضها كل يوم على خالقها ليتسلمها ، وهو فرح أن يتسلمها خالقه منه ، وأن تعود الأمانة إلى فاطرها وبارئها ، فكيف بعد ذلك يمكن لهذا المجاهد أن يحسب حساباً لورقة في دوائر المخابرات ، أو في سجل أجهزة الرصد والمراقبة، لقد انحلت عندنا عقدة المخابرات فانحلت وراءها جميع العقد ، انحلت عندنا عقدة الخوف ، الخوف على الحياة ، والخوف على الرزق.

وما هذه التخفيات والدخول في الأنفاق في تبليغ دعوة الله عز وجل التي أنزلها واضحة جلية إلا خوفاً على الرزق أو على الوظيفة أو على الأجل ، وليس سوى ذلك ، وإن كنا نبرر لأنفسنا الضعيفة أنه من أجل مصلحة الإسلام ، أو من أجل مصلحة الدعوة ، أو من أجل أن هذه الشخصية مهمة جداً في حياتها للجيل ، من قال إن حياة فلان أو فلان مهمة جداً للجيل ، وما يدريك لعل موته أفضل من حياته للجيل، وإن كنتم في شك مما أقول فاسألوا المطابع؛ ماذا طبعت لسيد قطب في حياته ؟ وماذا طبعت له بعد استشهاده ؟ في السنة التي أستشهد فيها سيد قطب طبع الظلال سبع طبعات ، بينما لم يطبع طيلة حياة سيد من الظلال إلا طبعة ونصف ، إلا طبعه ونصف !!

وعلمني الجهاد هذه القضيه فاستقرت عندي ، وما أجمل الموت إذا كان في سبيل الله.

فج يكاد صهيل الخيل يقذفه *عن سرجه فرحاً بالغزو أو طرباً*

بل كما قال شاعرهم :

أسد دم الأسد الهزبر خضابه *موت فريص الموت منه ترعد*

وعندما تلمح المجاهدين داخل أفغانستان ، تدرك أن هؤلاء لم يعد للموت أي رهبة في أعماقهم.

وأما الرزق فما رأيت توكلاً على الله عزوجل في قضية الرزق أكثر منه عند الأفغانيين ، عندما تجلس - كما قال لي سياف ذات مرة - عندما أجلس لأرتب طعام الجبهات ينحسر تفكيري ويشل أمري ، فاترك القلم لرب العالمين يدبر كما يشاء، لأني لا أستطيع أن أفعل شيئاً أمام هذه المعضلة الكبيرة.

حدثني جلال الدين ذات مرة قال لي : أهمني أمر المجاهدين، وانتهى الطعام، ولم يكن أحد يجرؤ أن يصل إلينا ، لا بطعام ولا

بمساعدة ، وبعد صلاة الفجر جلست على سجادتي مهموماً وأخذتني سنة من النوم، وإذا بهاتف يهتف بي: يا جلال الدين كان الله يطعمك وأنت لا تجاهد ، فهل ينساك وأنت تجاهد في سبيله .

القاعدة الثالثة

وعلمني الجهاد العزة ، وهذا شيء طبيعي .

والعز في صهوات الخيل مركبه — *والمجد ينتجه الإسراء والسهر*

والعز إنما يكون نتيجة التحرر من الخوف على الحياة والأجل ، قيل لابن المبارك: من الملوك ؟ قال: الزهاد ، قيل : من السفلة؟ قال : الذين يبيعون دينهم بدنياهم ، قيل : فمن سفلة السفلة ؟ قال : الذين يبيعون دينهم بدنيا غيرهم .

وقال النبي ﷺ للصحابي الذي سأله قال له **«إزهد في الدنيا يحبك الله وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس»**[1] ، والعزة ناتجه من علو المقام الذي فيه المجاهد ، لأنه ينظر إلى الأرض من علٍ، لأنه في قمة سنام الإسلام ، وكلما ارتفع الإنسان كلما صغرت الدنيا في نظره، ولذلك فإني والله أجلس أحياناً بين أرحام لابد أن أجلس معهم، أو بين معارف لابد أن أقابلهم، -لكنني في واد وهم في واد ، أنا جسدي معهم و روحي في مكان آخر ، وكما قال العز بن عبد السلام عندما جاءوا يراودونه ليقبّل يد وليّ الأمر حتى يعفو عنه ، قال : يا قوم أنتم في واد ونحن في واد ، والله لو قبّل يدي ما قبلت.

فالناس في واد ، وفعلاً أنا أكون في واد آخر، قلبي ، عقلي ، مشاعري كلها على نهر جيحون ، في تخار، ماذا حصل لجبهة بدخشان ؟ ماذا أصاب الناس في كابل ؟ هل نقل الجرحى من شكردره ؟ هل انتهت المعركه في جاجي ؟ قلبي هناك، وعقلي هناك، وروحي هناك، وجسدي هنا .

ولذلك والله لا أسأل عن الموت أبداً ، وعندما يقولون لي : إن فلاناً من المخابرات يجلس أمامك، كأنهم يقولون لي : إن أباتمام قد مدح المعتصم ، لايثير فيّ اي مخاوف ، لم يعد -كما قال صفي الله - لم يعد لي حظ في هذه الدنيا أريد تحقيقه ، خلصت نفوسهم من حظ نفوسهم «حتى إذا خلصت نفوسهم من حظ نفوسهم ، علم الله أنهم أصبحوا أمناء على شرعه، فمكن لهم في الأرض، وجعلهم أمناء على شريعته»[2].

القاعدة الرابعة

وعلمني الجهاد حقارة الحياة وتفاهتها بجانب الفردوس الذي ينتظر المجاهد ، بجانب المائة درجة إن كتب الله له الخاتمة بالشهادة ، وما هي إلا رصاصة هنا فتنقلنا إلى هناك ، كما يقول لي بعض الشباب عندما أحدثهم . كيف يمكن لهؤلاء أن يذلوا ؟ كيف يمكن لهؤلاء أن يحنوا هاماتهم لعاطفة؟ كيف يمكن أن يتصور مرء أن هؤلاء يمكن أن يذلوا أعناقهم لطاغية ؟ .

إن الطغاة كلهم في نظرهم كما يقول العزّ عن الملك أيوب : إتق الله يا أيوب! -أمام الموكب- فيقولون : كيف قلت هذا ؟ قال : قارنت بين قدرة الله وبين قدرته فبدا أمامي كالقط .

القاعدة الخامسة

وعلمني الجهاد : أن الحياة الحقيقية هي حياة الجهاد ، وتعلمت هذا الدرس من رجل أفغاني بسيط -إسمه عمر حنيف- يقول لي -: الجهاد بالنسبة لنا كالماء للسمك ، فكما أن السمك لا يعيش بلا ماء نحن لا نستطيع أن نعيش بلا جهاد .

وهذا يتفق مع روايات بعض المفسرين الذين يقولون : إن معنى ...

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ (الانفال : ٢٤)

أن الحياة التي يدعو لها هي الجهاد .

القاعدة السادسة

وعلمني الجهاد كذلك أن التربية الإسلامية والحركة الإسلامية ضرورة من الضرورات للجهاد ، والشعب ضرورة حتمية للجهاد، والجهاد ضرورة للحركة ، فلابد من حركة ، ولابد من جهاد، ولابد من شعب .

أما الجهاد فهو ضروري للحركة الإسلامية ، لأن الحركة التي تطول ثقافتها بين الكتب دون أن تتحرك في واقع الحياة لإقرار ما تتثقف عليه وتتلمذ عليه ، هذا يورثها قساوة القلوب وينتج عندها الجدل ، فيتحول الداعية إلى قاسي القلب، مجادل لا تكاد تشعر به،

---

(١) حديث صحيح رواه الطبراني في الكبير. (٢) من كلام سيد قطب رحمه الله.

طرة ندى أو بذرة حرارة.

لابد من الجهاد للحركة، ولابد من الشعب للحركة، ولابد من الشعب للجهاد ، والحركة التي لا تجاهد لإقرار هذا الدين في الحياة ما يصيبها الخمول والتفسخ ، وتشتغل ببعضها، وتحترق فيما بينها

فالنار تأكل بعضـــها إن لم تجد مـــا تأكله

وأما الشعب فهو ضروري جداً لمواجهة الطواغيت ، لأن الحركة الإسلامية لها دور ريادي قيادي ، وهي تمثل الصاعق الذي يوضع في أطنان المتفجرات ، ليفجر طاقات الأمة وبرها وخيرها ، وأما الحركة التي تظن أن باستطاعتها أن تقوم بحركة جهاد طويلة أم دولة من الدول ، هذه واهمة كل الوهم، غارقة في الخيال ، سابحة في الأوهام.

إن الجهاد يحتاج إلى وقود، والوقود لا تستطيع الحركة الإسلامية مع قلة أعدادها أن تقدمه ، إن الشعوب هي التي تقدم هذا الوقود ، فضلاً عن أن تواجه دولة كبرى مثل روسيا.

وجهاد الشعوب جهاد فيه كثير من العيوب، وفيه كثير من الأخطاء، فيه الهفوات وفيه العثرات، وتجد فيه الشرك الأكبر والأصغر، الكبائر والصغائر، وهذا شئ طبيعي في الشعوب ، وإلا فأيكم – كما قال عيسى عليه السلام – (من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها).

أروني شعباً من الشعوب يخلو من هذه العيوب ؟ والفجور والفسق يوجب علينا أن نعيش بين الشعوب لنرتب أمورها ، ونحيي يدتها ، ونوجه مسيرتها، ونحن نبقى كصفوة قته، ويبقى لنا دور القيادة والريادة ، ولكن أمام المجموع جميعاً . والذي يشك في هذا ليدخل في أفغانستان ليرى الفرق بين جبهتين ، جبهة يقودها أحد أبناء الدعوة الإسلامية الذي نال قسطاً من التربية ، وتتلمذ على هذا الدين ، فتجد الناس كلهم راضين مطمئنين ملتفين حوله ، يفتدونه بالنفس والمال والدم .

إن التربية ضرورة من الضرورات قبل حمل السلاح ، وإلا حمل السلاح يحيل الناس إلى عصابات مسلحة تهدد الناس في أمنهم وأموالهم ، فلابد من وجود دور قيادي ، ولابد من توجيه ، ولابد من نماذج ، ولكن الشعب وراء ذلك بهفواته وأخطائه وعيوبه وسلبياته : هذه المجموع تقاتل الكفر، والوقوف بجانب الفاسق ضد الكافر -كما يقول الشوكاني -: والاستعانة بالفساق ضد الكافر واجب إجماعاً . والجهاد مع أهل الفجور – كما يقول ابن تيمية– : واجب لأنه يدفع الكفر ، والكفر أعظم من الفجور .

القاعدة السابعة

وعلمني هذا الجهاد أن الدولة الإسلامية لا يمكن أن تقوم ولن تقوم إلا من خلال جهاد شعب طويل ، تتميَّز فيه أقدار الناس، وتبرز القيادات، وتظهر فيه الشخصيات ، تظهر من خلال تضحيتها وعرقها وبذلها ودمائها.

ولذلك كان ميزان التفاضل بين الصحابة جميعا عدد الغزوات، فتجد في الإصابه لابن حجر عندما يريد أن يتكلم عن الصحابي: شهد الغزوات كلها إلا بدراً ، هذا ميزان التفاضل.

وميزان التفاضل الآن في داخل أفغانستان هو عدد السنوات التي مكثها المجاهد في داخل الجبهه ، ولا يستطيع مفكر ولا نو ... أن يغمض عينه، ولا يغض طرفه ، أو ينكر أو يجحد جهاد أحمد شاه مسعود ، أو جلال الدين حقاني، أو أرينبور ، أو عبد الودود أو صفي الله ، ولا يستطيع جاحد مهما كان يكره هؤلاء إلا أن يقول : هؤلاء مجاهدون ، ولكن له عليهم بعض النظرات والأخطاء، فهذا شيء آخر ، أما أن ينكر جهاد إنجينير بشير، أحمد شاه ، إنجينير ضياء ، صفي الله ، مُلا مالنج في قندهار لا يستطيع أحد أن ينكر دور هؤلاء الجهادي القيادي .

ولذلك عندما جاءت الأمة لتبايع أبا بكر، لم يكن أبو بكر–لم يكن– بحاجة إلى دعاية انتخابية ولا لتزكية نفسه ، لقد فرضه الجهاد، فهو بجانب رسول الله ﷺ ، والرجل الثاني في الأمة، فلم يعد هناك مجال للاختلاف، ولا رأي للملاحاة أو الجدل حول من يكن بعد رسول ﷺ .

كان الصحابه -كما- يقول ابن عمر رضي الله عنهم-: لا يعدلون بأبي بكر أحدا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم يتركون بقيه الصحابه يتفاضلون بينهم.

وعلمني الجهاد كذلك : أن الذي يريد أن يجاهد يجب أن يضغط على ضاغط البترول حتى ترتفع السرعة إلى مائة وثمانين، ولا ... إلى نقد الناقدين ولا إلى فلسفة المتفلسفين ، ولذلك لفت نظري هذا النص القرآني ...

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) (المائدة : ٥٤)

ما صفاتهم ؛

(أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) (المائدة : ٥٤)

ولا يخافون لومة لائم .

وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلمو للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون) (المائدة : ٤٤)

فلا تخشوا الناس، ولا تنظروا إلى لومة اللائمين ، وما أكثر اللوم في حال العمل ، لأن العثرات تزداد كلما ازدادت السرعة.

والإنسان الذي يعمل في الساحة هو الذي يراقب من الجميع ، هو الذي يتعرض للكبوات والعثرات والهفوات ، أما القاعد في منزله، في مكانه، لا يمكن أن يعثر أبداً، والعثرات صفة لازمه لسير الإنسان مادام إنساناً معرضاً للخطأ والنسيان وغير ذلك .

القاعدة الثامنة

وعلمني الجهاد كذلك أن النتائج لا تترتب على الأسباب ، وإن كان الأخذ بالأسباب فرض من الفروض .

إن إعداد العدة واجب بأمر رب العزة .

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (الانفال: ٦٠)

وكلمة القوة كما يفهمها هؤلاء الأفغان، غير القوة التي يفهمها الذين يعيشون بين الأوراق.

القوة التي يفهمها الافغان كما يقولون: فهمنا أن القوة التي نستطيعها هي الخشب والحجارة في بدايه الأمر ، فقمنا ضد دولة تراقي ، ثم فتح الله علينا.

يقول جلال الدين : والله لقد جمعت بالدرهم والدرهمين من جميع المجاهدين والناس حتى حاولنا أن نشتري مضاداً للدبابات، لأنه في أفغانستان ، ولم نستطع أن نشتري مضاداً للدبابات ، وما هي إلا رحمة ربك حتى جاءت حملة من تراقي قوامها ثمانون دبابة وآلية ووقف خيال محمد -صهر جلال الدين - عندما تقدمت الدبابات لتمسكهم أحياء وليس عندهم رشاش واحد لمقاومة الدبابات فشرع إلى الله ويدعو ، قال : خيال محمد وهو يحدثني ، فحملت حفنة من الحصى وقرأت عليها شاهت الوجوه ثلاثاً ، ثم استعبرت وبكيت قلت : اللهم لا تسلطهم علينا ، ثم رميت هذه الحصيات-كما فعل ﷺ يوم بدر وحنين- نحو الدبابات ، والطريق ضيقة ترابيه ، ولا أدري ماذا حصل؛ انقلبت الدبابة الأولى دون أن يكون هنالك شيء ورمينا زجاجة ملتوف من البنزين والخرق على الدبابة الثانيه ، فظن سائق الدبابة أن تحت الدبابه لغم فانحرف عن الطريق ، فلم يحتمل التراب الدبابه ، وتعرضت في وسط الطريق الضيق ، وسدت الطريق أمام القافلة، وإذا بالأيادي ترتفع من سبع وثمانين أليه مستسلمين .

نعم ... وأكثر من هذا ، قال : وجدنا في الدبابات خمسة وثلاثين مضاداً للدبابات، مع حوالي ألف قذيفة ضد الدبابات، فقلنا: سبحان الله !! ليس عندنا دبابات، لماذا جاءت هذه ؟ رزق من الله سيق إلينا، لأنه علم ضعفنا فأعطانا هذه الدبابات، قال: ومنذ تلك اللحظة تطور الجهاد كثيراً بسبب هذه المضادات.

وعلمني الجهاد الكثير الكثير، ولكن هذا المقام لايتسع لهذا.

القاعدة التاسعة

علمني الجهاد أن الدوله التي تنشأ من خلال الجهاد الطويل لا يمكن أن يقام عليها انقلاب ، لأن الشعب من خلال الجهاد الطويل حمل السلاح، فلم يعد السلاح في يد فئة معينة وهوالجيش ، بل البلد كلها والشعب كله جيش فلا يمكن الانقلاب ، والانقلاب على من ؟! على قيادة أفرزها الجهاد ؟! الانقلاب على قيادة جاءت في وضح النهار ملكت القلوب والنفوس ؟! الانقلاب على قيادة قدمتها الأرواح والدماء قبل أن تصل إلى مصاف الحكم وإلى سدة القيادة؟! لا يمكن : الانقلاب يكون على أناس تسللوا في الظلام ، عند غفلة هذه الأمة في ليلة دامسة داجية، وببيان وبإعلان- أول جاءت برجل صفيق من الشارع تافه رويبضة ، كما قال رسول الله ﷺ : **(ويتكلم الرويبضة في أمور العامة)**[1] الرجل السفيه يقود أمة يكمم أفواها ، ويعد أنفاسها، ويحصي حركاتها، وتهاجر الأدمغة ، ويضيع العلماء ، وتنصب المشانق ، وتجري الدماء سيولاً ، لأنه لا يستطيع أن يحكم بدون هذه المجازر ، وبدون هذه المشانق.

---

(١) جزء من حديث حسن رواه أحمد في المسند وأورده ابن كثير في البداية والنهاية .

أما هذا الرجل الذي وصل إلى الخلافه أو إلى أمير المؤمنين، فقد بقي عشر سنوات في أرض المعركه صباح مساء يتعرض للموت مئات المرات يومياً ، ولكنها الحياة الحقيقيه .

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد *لنفسي حياة مثل أن أتقدما*

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد الله ثم الحمد لله، والصلاة على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

القاعدة العاشرة

وكذلك أيها الإخوة: مما علمني الجهاد، أن هذه الهالات الضخمة التي ترسم للدول الكبرى لا تقف أمام قوة رب العالمين وتأييده للمؤمنين ، وهذه الهالة التى ترسم لأمريكا وروسيا سقطت أمام الجهاد الأفغاني، فما رأيت الجنود الروس أصغر ولا أحقر ولا أدحر منهم في داخل أفغانستان ، سألت أسيراً روسيا : ما أكثر ما تخافون منه؟ قال : أكثر ما نخاف منه -يعيش في المطار هذا الأسير الروسي حوله الدبابات والصواريخ والطائرات وحقول الألغام - قال : أكثر من يفزعنا ويقض مضجعنا مير محمد - القائد المجاهد الذي ليس عنده إلا بنادق خفيفة -، كنا نخشى أن يدخل علينا في الليل فيذبحنا بالسكاكين.

القاعدة الحادية عشرة

وعلمت وتعلمت من خلال الجهاد : أن النفس البشرية لا تربى إلا من خلال الجهاد ، لأن النفس تتعرى لخالقها أثناء أهوال الحرب عند اشتداد المعارك ، فتمتلىء النفس بالتوجس والمراقبة والخوف من الله في كل لحظة، وهذا بالنسبة للكفار، وبالنسبة *للمسلمين* .

(حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبةٍ وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين).

(يونس : ٢٢)

الكفار!! قبل أسبوعين نزلت طائرتان في مطار شترال ، وأكثر ما لفت النظر عند الطيارين الروس أن أعمارهم بين الخامسة عشرة والثانية والعشرين، سئلوا: ما أكثر ما يرهبكم ويخيفكم؟ قالوا : صاروخ ستنجر ، ولكننا نتعوذ منه بنصوص من كتابكم المقدس علمنا إياها الشيوعيون الأفغان ، الروس يقرأون القرآن في أثناء ركوبهم بالطائرة ، حتى تحميهم من صاروخ ستنجر .

عقيدة التوكل التي تصنع لدى المؤمنين ، والفزع إلى الله عند الكافرين من خلال شدة المحنة وأخذ الكروب والخطوب بالخناق، عقيدة التوكل التي صنعها ورباها الجهاد الأفغاني ، تريد أمريكا أن تزعزعها ، لقد عز عليها أنْ يعود الناس إلى الثقة بربهم ، إلى التوكل على خالقهم ، فتريد من خلال صاروخ ستنجر أن تبين أنها حاضنة الجهاد وأمه وأبوه ، ولا يُعلم أن كل صاروخ من صواريخ ستينجر الأمريكية تأخذ أمريكا ثمنه سبعين ألف دولار من أموال المسلمين ، لا يعلمون هذا !!

وأنا حتى الآن على قدر اطلاعي على الجهاد- وأظن أنني مطلع على الجهاد- أتحدى أي واحد من المسلمين أو من الكافرين، يثبت أن أمريكا قدمت قطعة سلاح واحدة للجهاد ، أتحدى أي مسلم أو كافر أن يثبت لي أن أمريكا قدمت قطعة سلاح واحدة بلا ثمن، الأسلحة كلها شرقية ، والثمن كله من أموال المسلمين، وأقول هذا وأنا على اطلاع كاف بهذه القضية .

يا أيها الإخوة:

(هذا بلاغ للناس ولينذروا به) (ابراهيم: ٥٢)

(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كانت عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظةٌ للمتقين) (آل عمران: ١٣٧-١٣٨)

قواعد وصلت إليها من خلال تجربة طويلة ، ومعاناة مريرة على درب لاحب طويل، درب العرق والدم ، فهل تستفيدون؟ ونرجو الله عز وجل أن ينفعني وإياكم بكتابه العزيز وبتجارب الناس الذين سبقوكم على هذا الطريق.

الجهاد ومدرسة التوحيد

يا أيها الإخوة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ماذا يريد المسلمون ؟ أو ماذا يريد المسلم من حياته ؟ الله عز وجل يجيب على هذا -سبحانه وتعالى -:

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) (الذاريات: ٥٦)

خلق لعبادة الله ، الله عز وجل يريد من الناس أن يأتوا إليه، إلى الجنة ، إلى داره .

(والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) (يونس : ٢٥)

يوجد دعوتان من الله عز وجل في القرآن الكريم ، والدعوتان إلى الجنة **(والله يدعو إلى دار السلام)** ، يوزع بطاقات دعوة بكم، يدعوكم إلى داره . والدعوة الثانية .

(والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه) (البقرة: ٢٢١)

فالدعوتان لداره، ولله المثل الأعلى ، كما أن الإنسان لا يدعو إلا إلى داره ، والله عز وجل يدعو إلى داره ؛ فأنت ماذا تريد ؟ جنة ، والله عز وجل أخذ عليك الميثاق .

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) (التوبة : ١١١)

الجنة مرتبطة ب(يقاتلون)، مرتبطة بدفع النفس والمال (**يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون**) ، فبيع، بينك وبين الله قد بيع ، ومن الشاري ؟ رب العزة يعقد معك عقداً ، أي رفعة للإنسان وأي تكريم ، وأي عزة : أكبر من أن يرفعه الله عز وجل إلى مقام -قد العقود مع ذاته المقدسة ، مع ذاته الكريمة -سبحانه وتعالى؟ أنت تعقد مع الله عقدا .

أنت لو عقدت عقداً مع رئيس جمهورية أو ملك من الملوك لن تسعك الأرض لا طولا ولا عرضا ، فكيف إذا عقدت العقد ليس مع رسول الله، مع رب رسول الله ﷺ ، والعقد في دفع المال والنفس بمقابلها يعطيك الجنة ، نحن إذن نريد الجنة ، كل إنسان يسعى لجنة، وفي الدنيا نطمع في رضى الله عز وجل، وأن يرينا الله عز وجل شريعته تطبق في الحياة .

المسلمون كالأيتام على مأدبة اللئام، ضائعون. نسأل عن هذا مالك أنت؟ أنا ليبي هارب، لماذا؟ لأني ملتح وأصلي الصلوات الخمس في المسجد. أنت مالك ؟.قال : والله أنا سوري محكوم علي بالإعدام؟ لماذا محكوم عليك بالإعدام ؟ أنا كنت معروفاً من الدعاة. وأنت مالك؟ أنا في مصر محكوم علي بالإعدام، لماذا ؟ من جماعة الجهاد، الجهاد صارت جريمة يا جماعة !! أنت هارب من عند أهلك لأنك من جماعة الجهاد، محكوم عليك بالإعدام، لأنك تريد أن تجاهد، أي نعم، أين؟ في أرض عمرو بن العاص، أرض الكنانة، أرض مصر.

- وأنت مالك ؟ والله أنا من البلد الفلانية ليس معي جواز سفر، انتهى جواز السفر، ورفضوا أن يجددوا القديم، لماذا ؟ لأنك مسلم.

المسلمون أيتام ضائعون كالأغنام في الليلة الشاتية ، موزعون تنهشهم الكلاب وتتناوشهم الذئاب في كل مكان ، أيتام مساكين ، ليس لهم أب ولا أم ، ولا أحد يدافع عن مصالحهم ، ولا أحد يتبناهم ، بل وكيل الأيتام مسؤول عن ذبحهم وعن أكل أموالهم ، وولي اليتيم.. وصي اليتيم يأكل ماله وموكل بذبحه إذا تحرك .

إذن ماذا نريد ؟ نحن نريد أن نبني دارا لهؤلاء الأيتام؛ دار لهؤلاء الأيتام بحيث تؤويهم ، بحيث إذا أطلق لحيته لا يحكمون عليه بالإعدام ، وبحيث أن وصيّ الأيتام والمسؤول عنهم هو الذي يقول لهم اذهبوا إلى الجهاد ، والذي يجاهد له عندي جائزة، وله عندي نقد، وسأرفعه في المجتمع، وسأضعه وزير دفاع لأنه شجاع ، وعندها تتغير أولوية الذي يجاهد، يرتفع في نظره ، مجتمع لا يعتبرالجهاد جريمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام ، ويوضع رهن الزنزانة والسجون، نريد دار الأيتام تؤويهم من الشتاء والصيف والحر والقر ، نرجو الله عز وجل أن تكون بنيت الآن ، ما بقي إلا بضع طوبات وبقي جزء من السقف .

- **دين المجاهد**

في أفغانستان كل واحد يحمل بيده كتلة طين يضعه على السقف ، يتم السقف .

إذا أردت الجنة ، أقصر طريق للجنة أفغانستان، يغفر لك كل شيء حتى الدين ، والرسول عليه وسلم قال : «إلا الدين»، قال

العلماء : الدين الذي لا يغفر، الدين الذي تستطيع سده ولم تسده ، أما إذا كنت لا تستطيع سده فهذا يتكفل الله به ويسده عنك يوم القيامة ، من أخذ أموال الناس يريد سدادها سد الله عنه.

وكيف يسد الله عنه يوم القيامة ؟ يطالبك الغرماء، يارب أنا لي عليه عشرة آلاف درهم ، يارب أنا لي عليه خمسة آلاف دينار، يوم القيامة من أين يسددهم؟! فيقول الله عز وجل : انظروا خلفكم، فيرون قصورا ، لمن هذه يارب ؟ لكم إن عفوتم عن أخيكم ، عفونا، أدخلوا القصور .

بل سئل ابن تيمية : رجل مدين وصار النفير إلى الجهاد أو تعين عليه الجهاد ، ماذا يفعل ؟ قال : أنظر، إن كان الدائن معه المال، فالدائن الذي يريد أن يسده الدين ، هل سيستعمل المال للجهاد أم لشراء سيارة جديدة وعمارة جديدة؟ إن كان سيستعمله لأغراض شخصية لا تسده ، خذ دينه واذهب به إلى الجهاد ، والله يتكفل به يوم القيامة .

أما إذا كان يريد أن يستعمل المال الذي تسده للجهاد سده، ولأنك تكون قد اصبت الحسنيين يعني : سداد الدين ومنفعة الجهاد، أما إذا لم يكن معك مال فهذا من باب أولى! أن لا تسده وأن لا تنتظر ، لأنه إذا تعين الجهاد - خلاص - الدين لا يمنع الجهاد ، إذن أنت تريد الجنة في الآخرة، وتريد في الدنيا : أن ترى شريعة الله مطبقة، والمسلمين منتصرين على أعدائهم .

جذور قوية للدولة

الآن إذا نظرنا أقرب بقعة يمكن أن يقام فيها دين الله عز وجل ويقام فيها مجتمع إسلامي ويمكن أن تنشأ فيها دولة إسلامية ، تتبنى مصالح المسلمين وتعطيهم جوازات سفر ولا تعدم المجاهدين ، هي أفغانستان ، هذه الدولة لو قامت في أفغانستان -الحمد لله- لا يحدث عليها انقلابات عسكرية، أمريكا لا تستطيع أن تفعل شيئاً، لأن أمريكا تشتغل عن طريق الجيوش، تعمل انقلاب عن طريق الجيش، عن طريق حفنة من الضباط، لأن القوة بيد الضباط ، أما في داخل الشعب الأفغاني كل الشعب جيش، يعني كل واحد مسلح، نعن طريق من تعمل إنقلاباً ؟ وعلى من ستعمل الانقلاب ؟ ستعمل انقلاباً على الشعب! الشعب كله جيش .

وعلى من ستقيم أمريكا الانقلاب ؟ تقيمه على أحمد شاه مسعود؟ أو على صبغي الله؟ أو على ذبيح الله؟ أو على جلال الدين حقاني؟ أو على سياف؟ أو على حكمتيار؟ .

هؤلاء الناس برزوا من خلال المعارك ، واحد مضى عليه عشر سنوات تحت القصف وهو يتقدم الصفوف ، هذا الشعب يمكن أن يموت جميعه قبل أن يمسوا شعرة من شعراته ، لماذا يقوم عليه انقلاب ؟ لا مستهتر في أموال ، لا جبان ، لا بخيل ، لا فاسق ، وبرز من خلال المسيرة، فلماذا يحدث الانقلاب ؟

الاحتلال العسكري لا يمكن ، فبعد أن تهزم روسيا أقوى دولة تقريباً في الأرض من الذي يستطيع أن يحتك بأفغانستان ؟ الهند ؟ الباكستان إذا قام فيها حكم شيوعي ؟.

ايران لا تستطيع أن تحتك بها ، هذا الشعب لا يذل أبدا ، شعب شديد المراس .

الآن أمريكا إذا أرادت أن تفعل شيئاً تقول للحاكم الفلاني : إسمع ، إن لم تفعل الفعل الفلاني، إن لم تضرب الشباب الإسلامي عندك ، وتضيق على التيار الإسلامي عندك أو ... نعمل عليك انقلاباً ... لا لا أضربهم ، من تريدون ... ؟ فلان وفلان وفلان في الجامعة تعزلهم ، خلاص نطردهم ، إعمل منتزهات ومسارح ونوادي ليلية ، طيب عملنا ، إفتح الخمارات، فتحنا ، ماذا تريدون ؟ فقط اتركوا الكرسي الذي يدور تحتي .

الآن لمن تقول هذا الكلام ؟ أمريكا ، لأحمد شاه مسعود ؟ لسياف ؟ ليونس خالص ؟ يونس خالص في الأسبوع الماضي جاء كوردفيز مندوب من الأمم المتحدة ، قال نرفض مقابلة كوردوفيز ... نعم، لا نريد مندوب أمريكا وروسيا والأمم المتحدة!، عمره سبعون سنة، من أين يستمد هذه القوة وهذا العزم؟ من الله بعزة الجهاد ، لأن الأمريكان الآن مضى عليهم ثلاث سنوات هم والروس يحاولون أن يقنعوا قادة الجهاد ، يا جماعة : نرجع لكم واحداً أفغانياً كان ملكا عليكم ، نرجعه لكم ونخرج ؛ فسياف قال أهلا وسهلا ، نرحب بالملك بشرط واحد أن نقتله في المطار .

الأمريكان ، الواحد منا في بلادنا يتمنى يرى كناس السفارة الأمريكية، أهل الدنيا يتمنون أن يلتقوا بطابع ، يقول لك أنا أعرف الطابع الفلاني في السفارة الأمريكية .

هؤلاء يصل السفير الأمريكي على أبوابهم ويطردونه، القنصل الأمريكي وصل إلى باب الشيخ سياف ، قالوا : القنصل في

الباب. قال : والله عندي شغل .

- نعم ... هؤلاء أهل الدنيا في بلادنا في البلاد العربية فعلاً، أنا أعرف فلاناً يشتغل طابعاً في السفارة الأمريكية.

العزة لا تصنع إلا من خلال الجهاد ، لا يمكن، والتوكل على الله لا يأتي إلا من خلال الجهاد أبدا .

هم يخوفونهم ، ياسادات : خطر عليك من المسلمين المتطرفين عندك ، فنحن اسمح لنا نعمل جهازاً أمنياً ، تفضلوا، والجهاز الأمني يتضخم ويتضخم حتى يجد نفسه في أيديهم، ثم هم الذين يقتلونه ، هؤلاء خوفهم على الحياة، خوفهم على المنصب يجعلهم هكذا، يرتجفون .

توحيد عملي

هؤلاء كل يوم يتعرضون للموت عدة مرات ، فانتهت قضية الحياة والموت ، أصبح سواء، وهذا لا يمكن إلا أن يتم من خلال الجهاد، ولا يمكن أن تبنى الأمة الإسلامية إلا من خلال الجهاد، ولا يمكن أن تفهم عقيدة لا إله إلا الله إلا من خلال الجهاد ، ولا يمكن أن يفهم توحيد الألوهية إلا من خلال الجهاد ، لا يمكن .

توحيد الربوبية أمر سهل ، أنت تقرأ في كتاب : أن الله خالق ، رازق ، محي مميت ، له يد سبحانه وتعالى، بيده الأمر، إليه يرجع الأمر كله، هذا تحفظه، هذه عقيدة تقرأها في ساعة ساعتين ، ثم الأسماء والصفات ، ما هي الأسماء والصفات؟ نثبت لله عز وجل الأسماء الحسنى والصفات العليا التي وردت في الكتاب والسنة الصحيحة من غير تأويل ولاتعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ، فنحن نثبت لله يداً ليست كأيدينا، وعيناً ليست كأعيننا ، و..

(الرحمن على العرش استوى) (طه: ٥)

- والإستواء معلوم، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، والله عزوجل مستو على عرشه فوق السماء السابعة بائن عن خلقه ، هذا تحفظه في خمس دقائق، هذا أنا حفظتكم كل عقيدة الأسماء والصفات ، عقيدة الأسماء والصفات لخصتها لكم في دقيقة، وعقيدة توحيد الربوبية : أن الله خالق ، رازق ، محي ، مميت بيده الأمر ، ينزل الأمر ، فعال لما يريد.

توحيد نظري نحن نريد توحيداً عملياً، توحيد الألوهية ، نقل عقيدة : أن الله خالق رازق من الأذهان إلى واقع الحياة ، محي مميت من الصدور إلى سلوك ، إلى خلق ، إلى مواقف ، إذا أنت تعتقد فعلا : أن الله محيي ومميت نظريا ولم أرَ في حياتك موقفاً واحداً تعرض فيه رزقك وأجلك بمغامرة لله عز وجل، أين العقيدة : أن الله خالق ، رازق ؟ أين عقيدة خالق، رازق ، محي ، مميت ومسؤولك فاجر فاسق كل يوم ينال من الإسلام وما وقفت مرة واحدة أمامه ، خوفا على الزيادة السنوية وخوفا على الوظيفة : أن يفصلك؟! أين خالق، رازق؟!

نحن نريد أن تنتقل عقيدة خالق ، رازق ، محي، مميت من الأذهان إلى واقع الحياة ، وهذا توحيد الألوهية الذي بعث من أجله الرسل .

هذه القضية ، توحيد الألوهية عند الأفغان واضح تماما ، انتقلت عقيدة خالق رازق ، محي مميت، إلى سلوك عملي في واقع الحياة، مدة عشر سنوات.

ومن هنا ، عندما وقفوا أمام روسيا سألناهم: كيف تقفون أمام روسيا ؟ وهل تظنون أنكم ستنصرون عليهم ؟ قالوا : سننتصر عليهم، لماذا ؟ قال : سؤال: من أقوى ؟ الله أم روسيا؟ توحيد الربوبية الله أقوى، قالوا : إذن نحن مع الله ، إذن نحن سننتصر على روسيا .

توحيد الألوهية، هذا توحيد الألوهية الذي يكلف دماء ، يكلف أعراضا، يكلف أموالا، أمك تذبح أمامك، إبنك يحرق أمامك، بيتك يهدم على كل من فيه ، وأنت واقف لله عز وجل، وتعلم أنه هو الذي يوجد القدر وأنت صابر محتسب،هذا توحيد الألوهية ، هذا التوحيد، من أراد أن يتعلم التوحيد فليأت إلى أفغانستان .

صفي الله أفضلي ثمان سنوات وهو في الصف الأول في المعركة ، يقولون : يا صفي الله نحن بحاجة لك لأنك قائد، وإذا مت خسارة، فيرد عليهم :

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً) (آل عمران : ١٤٥)

هذا توحيد الألوهية ، يا هذا : تفكر توحيد الألوهية تحفظ كلمتين من الكتاب، وهذا الذي بعث من أجله الرسل صلوات الله وسلامه
يهم .

أما توحيد الربوبية في ساعة واحدة أنا أعلمكم كل توحيد الربوبية ، كل توحيد الأسماء والصفات ، أعلمكم إياه في ساعة واحدة.

نعم ، لكن التوحيد العملي ، توحيد السلوك، توحيد العبادة، توحيد الخلق ، توحيد التعامل مع أسماء الله وصفاته ، الله قوي، إذن يهزم، إذن سيهزم روسيا ، مثل واحد اسمه محمد عمر – كما حدث محمد صديق– الطائرة تضرب قال : اختبأنا إلا رجل كبير السن:
ب يارب! من أقوى أنت أو الطائرة التي تضرب جندك ؟! أيهما أعظم أنت أو الطائرة ؟ رفع يديه هكذا، يارب– وينظر إلى السماء طائرة ترش– ما نزل يداه إلا والطائرة ساقطة ، هذا التوحيد ! قارن بين توحيد هذا ، بين توحيد أي شاب أفغاني وبين قادة الجيوش دنا ، مثل محمد فوزي وفلان انهيارات عصبية ، وعلي بوتو هذا الذي كان رئيس جمهورية باكستان ،انهيارات عصبية ، لا يستطيعون يقفوا في المحكمة خوفاً على أنفسهم ، لا يستطيعون ! انهيار ! قارن بين المجاهد الأفغاني المسلم الذي لا يحمل إلا كلاشنكوفاً وبين ك الذي يركب في الطائرة أو الدبابة ، يسألون جندياً روسياً على التلفيزيون الروسي وينقل التلفيزيون الأمريكي ، قالوا له : كيف حالك داخل أفغانستان ؟ قال:عندما نسمع صوت الله أكبر، نبول على ثيابنا ، نعم التلفيزيون الأمريكي نقلاً عن التلفيزيون الروسي، يبول ى ثيابه .

عقيدة التوحيد ، عقيدة لا إله إلا الله –يا سلام–، عندما يتحول توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية، توحيد الربوبية المشركون نوا يؤمنون به ، أليس كذلك ؟ بلى .

(قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج يت من الحي ، ومن يدبر الأمر فسيقولون الله) (يونس : ٣١)

من الذين يقولون: الله ؟ المشركون .

(فقل أفلا تتقون) (يونس: ٣١)

(ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) (الزخرف: ٨٧)

(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) (الزمر : ٣٨)

توحيد الربوبية لا يكلف الفلوس ، لا يكلف أرواحاً ، لا يتعب أبداً .

مرة ، شاب طيب – فتح الله عليه وشرح صدره يعني : يفهم لا إله إلا الله التوحيد –، قال : هذا الشعب المصري عقيدته تعبانة، ت له : كيف ؟ قال : يا أخي يعبدون السيد البدوي ويطوفون حوله ويستغيثون به ، قلت : مسكين السيد البدوي ما لكم عليه يا جماعة، سيد البدوي ما لكم عليه ، واحد مات من خمسمائة سنة ، ستمائة سنة أو أكثر .

قلت : يا ترى لو السيد البدوي عنده الشرطة أو جيش مثل حافظ الأسد ، هل أحد يستطيع أن يحكي عليه ؟ لماذا ما تحكي على فظ الأسد ؟ سيد البدوي أضر على المسلمين أم حافظ الأسد الذي يعبِّد الناس لشخصه وشرائعه ؟ هذا شرك حيٌّ وذاك شرك ميت، يهم أخطر على الأحياء، السيد البدوي ؟! لو كان عنده بضعة جنود ما أحد يستطيع أن يحكي عليه .

توحيد الألوهية لا يفهم إلا من خلال الجهاد .

تحويل النظريات إلى سلوك وأخلاق ومواقف وأحداث في واقع الحياة؛ تصنع التاريخ بالجماجم والأشلاء والدماء، هذا توحيد لوهية .

توحيد الألوهية، الشاب هذا الفلسطيني الذي جاء من الكويت (عبد الرحيم رشيد العرجا) وأسره الروس وأخذوه للمحكمة في بل، قالوا له : لماذا جئت ؟ قال : بل أنا أسألكم لماذا جئتم أنتم ؟ قالوا له : نريد أن نقتلك ، ماذا ستصنع ؟ قال : سأحمل البندقية اتلكم مرة أخرى ، هذا توحيد الألوهية .

توحيد الألوهية الذي يتحول إلى مواقف ، مثل توحيد سيد قطب ، حدثتني أخته قالت : في(٢٨ آب) ، جاء القرار من عبد اصر، جاء القرار سنة ١٩٦٦ ؛ لينفذ حكم الإعدام ، سيد قطب إبراهيم ، سيد قطب إبراهيم ومحمد يوسف هواش وعبد الفتاح إسماعيل ، قالت : ناداني مزة البسيوني – وأخته حميدة قطب تحدثني – قال لها : إقرأي هذا ، تنفيذ حكم الإعدام ، لم يبق أمامنا إلا فرصة واحدة ننقذ

الأستاذ -حمزة البسيوني مدير السجن الحربي - وهو أن يعتذر أمام المحكمة أو أن يعتذر أمام الناس ، ثم نخفف عنه حكم الإعدام ثم بعد ستة أشهر نخرجه بعفو صحي ، هيا أسرعي لننقذ حياة الأستاذ ، لأن حياته خسارة ليس لمصر ولكن للعالم الإسلامي ، قالت : ذهبت إليه قلت ، - هي قالت - : ملأ عليّ حياتي سيد ، وما كنت أظن أنني أستطيع أن أعيش بعده ، قالت : ما أحتمل نفسي ولا أعصابي تحتملني عندما قرأت القرار ، ذهبت إليه وقلت له : يا سيد قال : نعم ، قالت : يقولون : إن اعتذرت يخففون عنك حكم الإعدام - الحبل يلوح أمام ناظريه -، فنظر إليها وقال : يا حميدة ، عن أي شيء أعتذر ، عن العمل مع الله؛ والله لو عملت مع جهة غير الله لاعتذرت، ولكني لن أعتذر عن العمل مع الله ، ثم بدأ يطمئنها - هو المحكوم عليه بالإعدام وسينفذ الليلة - قال : اطمئني يا حميدة، إن كان العمر قد انتهى سينفذ حكم الإعدام ، وإن لم يكن العمر قد انتهى لن ينفذ حكم الإعدام ، لن ينفذ .

هذا توحيد الألوهية بالتوكل على الله .

حفظ أن الله محي ومميت ، هي كلمة بسيطة ؛ أما المواقف، فهي هذه المواقف ، فيها حياة وموت ، قال : ولن أعتذر عن العمل مع الله، ولن يجدي الاعتذار شيئاً في تقديم الأجل أو تأخيره ، آخر الليل ساقوه إلى المشنقة .

من مراسم حكم الإعدام أن يكون شيخ أزهري موجودا حتى يلقن المحكوم عليه بالإعدام بالشهادة ، فلما مر سيد قال : يا سيد - تقدم عليه - يا سيد ، قال : نعم ، قال: قل :أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : حتى أنت جئت تتم المسرحية، نحن نعدم لأننا نقول لا إله إلا الله وأنتم تأكلون الخبز بلا إله إلا الله ، أناس يعدمون لأنهم يقولون لا إله إلا الله .

حدثني واحد عن البشير الإبراهيمي- كان هذا الرجل عالماً كبيراً من علماء الجزائر يمرّ على الملوك فينصحهم - فمرة مرّ على الملك فاروق، فوجد أن الملك فاروق وحاشيته يتآمرون على حسن البنا، ذهب رأساً لحسن البنا -رجل فاضل هذا البشير الإبراهيمي- قال:

(إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين) (القصص : ٢٠)

فنظر إليه ملياً وقال : أهذا أنت ؟ أهذا أنت ؟ أهذا تفكيرك ؟ أهذا أنت ؟

(إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) (الطلاق : ٣)

ثم قال :

أي يوميّ من الموت أفــر	*يوم لا قدّر أم يوم قــــدر*
يــوم لا قــدّر لا أرهبــه	*ومن المقدور لا ينجو الحذر*

هذه عقيدة لا إله إلا الله ، توحيد الألوهية ، هذا مواقف عملية تصنع بها المجتمعات، وتصان بها الحياة، وتبنى بها الأمم، ويخط بها التاريخ ، التاريخ يبنيه توحيد الألوهية ، التاريخ يخطه الناس الذين يسيرون بتوحيد الألوهية في الحياة ، ولا يفهم هذا إلا من خلال الجهاد ، لا يفهم .

انظروا واحداً مثل خلفاء آل عثمان، مثلاً السلطان عبد الحميد، يعرف أن اليهودية العالمية أقوى منه ، والماسونية العالمية ضده ، ال... الصليبي ضده ،والعالم كله متكالب عليه ... كل العالم .

مائة وخمسون مليون دينار ذهباً ياسلطان عبد الحميد لك ، لجيبك الخاص ، نبني لك أسطولاً عثمانياً ، نبني لك جامعة عثمانية ، ندافع عن حكمك في الغرب وعن سياستك ، نسد معظم ديون الدولة ؛ مقابل شيء واحد وهو : السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين .

قال عبد الحميد : إن إعمال المبضع في جسدي - يعني السكين - وقطع عضو من أعضائي أحبّ إليّ من أن تقطع فلسطين من أرضي المسلمين ، إن فلسطين قد أخذها المسلمون بالدم ولن تؤخذ منهم مرة أخرى إلا بالدم ، ثم نظر إلى هرتزل رئيس المنظمات الصهيونية العالمية الذي بيده بيوتات المال وبيده الإعلام العالمي ...

قال : وفر نقودك يا هرتزل ، إن ذهب عبد الحميد ستأخذون فلسطين مجاناً ، هذا توحيد الألوهية ، وهو يعلم أن عرشه سيذهب ، لك رأساً هرتزل ذهب إلى إيطاليا وأرسل رسالة برقية ، قال : ستدفع ثمن هذه المقابلة من عرشك ونفسك ، وفعلاً دفعها ، دفع ثمنها غالياً من عرشه ونفسه ، كان يعلم أن اليهود أقوى منه ؛ ولكنه معتصم بالله.

- ونحن بحاجة أن نفهم توحيد الألوهية ، ويجب أن نركز على توحيد الألوهية، لأن توحيد الألوهية مواقف وأحداث وحياة وسلوك وأخلاق، ليست هينة، ليست سهلة ، تكلف الإنسان كثيراً من دمه ونفسه وماله .

السنة الثانية للهجرة ، الحج فرض في التاسعة أو العاشرة للهجرة ، ما سر هذا ؟ أركان الإسلام وشعائره الظاهرة، عمود الإسلام: الصلاة تفرض بعد اثني عشر عاما من البعثة، والصوم بعد خمسة عشرعاما، والحج بعد ثلاثة وعشرين عاما من البعثة؛ لأن رب العزة الذي فطر هذه النفوس، وجبل هذه القلوب، وصاغ هذه الفطر، يعلم أن الظواهر لابد أن تقام على بواطن، ويعلم أن الشجرة الباسقة في الهواء ذات المجموع الخضري الوارف الظلال لابد أن يكون لها جذور ضاربة في أعماق الأرض ، وإلا فإن هبة من الريح ستجتثها من أعماقها، وتلقي بها في مهاوي الردى ، فماذا كان يصنع رسول الله ﷺ في الفترة المكية التي ليس فيها شعائر ؟ لقد كان منهمكا في إقرار الجذور ، في إصلاح النفوس ، في تعميق التوحيد ، في شرح معنى لا إله إلا الله ، في ربط القلوب بخالقها، وتوثيق الوثائق مع فاطرها، في إصلاح البواطن، وأما الظواهر فلم يتعرض إليها إلا مما يستدعيه إصلاح الباطن فتعرض له .

{قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط...}.

هذه المعاني التي لها صلة بعملية الإصلاح الباطنية ، التي لها ارتباط بالجذور تعرض لها – لابد من أن تتخلص النفس من بعض سلبياتها التي فيها في جاهليتها – من أجل أن ترسخ عقيدة التوحيد ، ومن أجل أن يصلح الباطن .

وكثير من الناس يتساءلون: لماذا يتجمع الكفار على باطلهم ويتفرق المسلمون عن حقهم ؟! والجواب بسيط ، لا مجال لتعميق التفكير فيه : إن الكافر كافر في ظاهره وباطنه ، وأما المسلم ؛ فكثير منهم ظاهره فيه رحمة وفي أعماقه الشهوات ، حق في ظاهره ، رونق وإشراقة وأناقة وعبادة وأركان وشعائر ، ولكن البطون خاوية ، لكن الباطن خاو من هذه القيم ، لكن القلب مقفر من هذه المعاني السامية .

عوامل خفية ..

ومن هنا ظاهرهم مع بعضهم ، ولكن شهواتهم الخفية وبواطنهم كل ينسج على منوال ، وكل يغني على ليلاه ، وكل يصيح في واد وأخر ينفخ في الرماد ، وأما ظاهراً فشعائر واحدة، والصلاة واحدة والصوم واحد ، وأما الكفار فهم واضحون .. واضحون في ظواهرهم الباطلة ، وواضحون في بواطنهم الخفية ، ومن هنا يلتقون على هدف واحد "أننا نريد تدمير الإسلام" ، ويسلكون له كل مسلك، وينسجون له على كل آلة، واضحون في تخطيطهم، واضحون في الهدف المنشود على الغاية التي يريدون ، ومن هنا قد يحقق اجتماعهم وحدة، أما كثير من الناس فهم أصحاب الأهواء، إن كانوا يُصلّون ويصومون، لا يعتنون بقلوبهم، ومرد ذلك إلى عوامل كثيرة:

اولها : وعلى رأسها الأنانية الفردية، ثم الهوى، ثم حب الشرف والمال لديه، ثم استكبار على المسلمين واحتقار الآخرين.

(فلما جاءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون)(غافر : ٨٣)

.. لما جاءهم الهدى يفرحون بما عندهم .

تجد الواحد منهم لا يجد أحدا في الأرض مخلصا غيره ، يعتبر نفسه فوق الجميع .. قرأ كتابين ، لم يتلق تربية على يد شيخ، لم يجد يدا حانية ترعاه ، ولا نفساً صادقة توجهه ، فهو فرح بما عنده من العلم ، وظن هذا الأخ الكريم أنه قد ملك العالمين، وأنه أصدق الناس، فإذا ذهبت تنصحه أو بدأت توجهه، أو طفقت من أعماقك تبثه بعض التواءاته واعوجاجه ؛ (فرحوا بما عندهم من العلم) من أنت؟! هو ينظر إليك وقد يستحي أن يصارحك بما في أعماقه "من هذا الذي ينصحني" ؟! إن ذكر الإصلاح ، فهو يظن أنه أخلص العاملين ، وإن ذكر العمل للإسلام ! أنه أكبر العاملين ، وإن ذكر الدعاة فهو على رأس قافلة الدعاة، وإن ذكر اتباع الرسل فهو الصفوة منهم ، يظن نفسه كذلك، وما ذلك إلا لأن نفسه لم تتربّ على هذا الدين كما أنزل، حفظ كلمتين من هنا وكلمتين من هناك ، ودرس كتابا عن مخططات حكماء صهيون أو عن الماسونية، أو عن طريقة الشرب قائما أو عدم الشرب قائما ، فهو يظن أنه ليس فوق الأرض غيره، وهذا الظن ينشأ عنه عاملان:–

العامل الأول : أنه يبقى جاهلا لا يتعلم ، لأنه لا يتقبل نصيحة الآخرين ، لا ينظر إلى أحد، فإذا قال لك عن مسألة، قلت له: دعنا نسأل الشيخ الفلاني ، نسأل ابن باز ، لنسأل الشيخ فلان ، يقول : ومن الشيخ الفلاني ، ومن فلان ؟! إن هؤلاء يعيشون في أكناف الطواغيت ، إن هؤلاء يأكلون ويشربون وينامون ولا يجاهدون ، وأما وقد قطع كلامه ولو تكلم لسان حاله لقال ؛ انا أعلم من الشيخ بن باز، لو استطعت أن تشق على قلبه وأعطاك الله علما بما في قلبه ، لوجدت أن في قلبه أنه ليس بين العالمين جميعا من هو أوضح جادة

الأستاذ –حمزة البسيوني مدير السجن الحربي – وهو أن يعتذر أمام المحكمة أو أن يعتذر أمام الناس ، ثم نخفف عنه حكم الإعدام ثم بعد ستة أشهر نخرجه بعفو صحي ، هيا أسرعي لننقذ حياة الأستاذ ، لأن حياته خسارة ليس لمصر ولكن للعالم الإسلامي ، قالت : ذهبت إليه قلت ، – هي قالت – : ملأ عليَّ حياتي سيد ، وما كنت أظن أنني أستطيع أن أعيش بعده ، قالت : ما أحتمل نفسي ولا أعصابي تحتملني عندما قرأت القرار ، ذهبت إليه وقلت له : يا سيد قال : نعم ، قالت : يقولون : إن اعتذرت يخففون عنك حكم الإعدام – الحبل يلوح أمام ناظريه –، فنظر إليها وقال : يا حميدة ، عن أي شيء أعتذر ، عن العمل مع الله؛ والله لو عملت مع جهة غير الله لاعتذرت، ولكني لن أعتذر عن العمل مع الله ، ثم بدأ يطمئنها – هو المحكوم عليه بالإعدام وسينفذ الليلة – قال : اطمئني يا حميدة، إن كان العمر قد انتهى سينفذ حكم الإعدام ، وإن لم يكن العمر قد انتهى لن ينفذ حكم الإعدام ، لن ينفذ .

هذا توحيد الألوهية بالتوكل على الله .

حفظ أن الله محي ومميت ، هي كلمة بسيطة : أما المواقف، فهي هذه المواقف ، فيها حياة وموت ، قال : ولن أعتذر عن العمل مع الله، ولن يجدي الاعتذار شيئاً في تقديم الأجل أو تأخيره ، آخر الليل ساقوه إلى المشنقة .

من مراسم حكم الإعدام أن يكون شيخ أزهري موجودا حتى يلقن المحكوم عليه بالإعدام بالشهادة ، فلما مر سيد قال : يا سيد – تقدم عليه – يا سيد ، قال : نعم ، قال: قل :أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : حتى أنت جئت تتم المسرحية، نحن نعدم لأننا نقول لا إله إلا الله وأنتم تأكلون الخبز بلا إله إلا الله ، أناس يعدمون لأنهم يقولون لا إله إلا الله .

حدثني واحد عن البشير الإبراهيمي– كان هذا الرجل عالماً كبيراً من علماء الجزائر يمرّ على الملوك فينصحهم – فمرة مرَّ على الملك فاروق، فوجد أن الملك فاروق وحاشيته يتآمرون على حسن البنا، ذهب رأساً لحسن البنا –رجل فاضل هذا البشير الإبراهيمي– قال:

(إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين) (القصص : ٢٠)

فنظر إليه ملياً وقال : أهذا أنت ؟ أهذا أنت ؟ أهذا تفكيرك ؟ أهذا أنت ؟

(إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) (الطلاق : ٣)

ثم قال :

أي يوميَّ من الموت أفــر	*يوم لا قدِّر أم يوم قــــدر*
يــوم لا قــدِّر لا أرهبــه	*ومن المقدور لا ينجو الحذر*

هذه عقيدة لا إله إلا الله ، توحيد الألوهية ، هذا مواقف عملية تصنع بها المجتمعات، وتصان بها الحياة، وتبنى بها الأمم، ويخط بها التاريخ ، التاريخ يبنيه توحيد الألوهية ، التاريخ يخطه الناس الذين يسيرون بتوحيد الألوهية في الحياة ، ولا يفهم هذا إلا من خلال جهاد ، لا يفهم .

انظروا واحداً مثل خلفاء آل عثمان، مثلاً السلطان عبد الحميد، يعرف أن اليهودية العالمية أقوى منه ، والماسونية العالمية ضده ، الحقد الصليبي ضده ،والعالم كله متكالب عليه ... كل العالم .

مائة وخمسون مليون دينار ذهباً ياسلطان عبد الحميد لك ، لجيبك الخاص ، نبني لك أسطولاً عثمانياً ، نبني لك جامعة عثمانية ، ندافع عن حكمك في الغرب وعن سياستك ، تسد معظم ديون الدولة ؛ مقابل شيء واحد وهو : السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين .

قال عبد الحميد : إن إعمال المبضع في جسدي – يعني السكين – وقطع عضو من أعضائي أحبُّ إليَّ من أن تقطع فلسطين من أراضي المسلمين ، إن فلسطين قد أخذها المسلمون بالدم ولن تؤخذ منهم مرة أخرى إلا بالدم ، ثم نظر إلى هرتزل رئيس المنظمات الصهيونية العالمية الذي بيده بيوتات المال وبيده الإعلام العالمي ...

قال : وفر نقودك يا هرتزل ، إن ذهب عبد الحميد ستأخذون فلسطين مجاناً ، هذا توحيد الألوهية ، وهو يعلم أن عرشه سيذهب ، لك رأساً هرتزل ذهب إلى إيطاليا وأرسل رسالة برقية ، قال : ستدفع ثمن هذه المقابلة من عرشك ونفسك ، وفعلاً دفعها ، دفع ثمنها بأ من عرشه ونفسه ، كان يعلم أن اليهود أقوى منه ؛ ولكنه معتصم بالله.

–نحن بحاجة أن نفهم توحيد الألوهية ، ويجب أن نركز على توحيد الألوهية، لأن توحيد الألوهية مواقف وأحداث وحياة وسلوك وأخلاق، ليست هينة، ليست سهلة ، تكلف الإنسان كثيراً من دمه ونفسه وماله .

لم يجرح جرحاً واحداً .

هذا توحيد الألوهية ، من درّس هذا ؟ ومن درس هذا في الجامعة ؟ هل هو خريج كلية أصول الدين، تخرج من جامعة توحيد الألوهية ، من كلية التوكل على الله ، قسم

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله)

أراد أن يتزوج، فذهب واختار مكان بيت على بعد خمسة عشر متراً من (الهاي وي) الطريق السريع، قالوا له يا بانه: الروس آتون ، قال : إلا هنا، معه ستة من المجاهدين من مجموعته، نام هو وعروسه في غرفة والمجاهدون في غرفة، الروس علموا- الجواسيس كثيرون -، أحاطوا بالبيت .

الصبح قام واحدٌ منهم يتوضأ ، وجد الروس، طرق على الباب قال : يا بانه الروس أحاطوا بالبيت ، قال : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء – هو لا يحفظ إلا نصف الحديث – توكل على الله ، لأن القسم الذي هو فيه ما يدرس إلا آية واحدة .

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله).

والكلية لا تدرس فيها إلا موضوعاً واحداً ؛ موضوع التوكل على الله.

والجامعة جامعة توحيد الألوهية ، قال : إثنان يفتحوا لي الطريق ، ضربوا على الباب فقتلوا إثنين ، الستة قتلوا على باب الدار ، قال : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء ، حمل الكلاكوف – لأن أسلحتهم كلها غنائم من الروس – نظر من الشباك عزم على مجموعة من الروس ، خرج وفتح الرشاش عليهم ، ومن بين الروس خرج ولم يجرح جرحاً واحداً .

♥♥♥♥♥♥♥♥♥♥

♥♥♥♥♥♥♥♥♥

**

الناس أصناف

يا من رضيتم بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً .

اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل ، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون) (الأنعام : ١٢٠)

ويقول الله عز وجل :

(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق، نحن نرزقكم وإياهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) (الأنعام : ١٥١)

إثم ظاهراً وباطناً

أيتان كريمتان تشيران: أن الإثم له ظاهر وباطن ، فهنالك آثام ظاهرة وهنالك آثام باطنة ، فالآثام الظاهرة : كشرب الخمر والزنا والقمار وتعاطي المخدرات والغيبة والنميمة وغير ذلك هذه الآثام الظاهرة، والآثام الباطنة: كالكبر والحسد والإستعلاء والنفاق والرياء .

والناس كثيراً يلحظون الآثام الظاهرة ، ويأخذون بجهودهم في محاولة الإصلاح في ترك السكر إن كان يسكر ، أو في ترك الزنا إن كان يتعاطاه ، أو في وضع المخدرات إن كان من أصحابها، ولكن كثيراً من الناس يغفلون عن أمراض القلوب ، يغفلون عن الحسد ، يغفلون عن الاستكبار، يغفلون عن الشهوات الخفية ، يغفلون عن احتقار المسلمين في أنفسهم، وهذه قضية خطيرة في حياة المسلمين .

إن الذين يصلحون ظواهرهم لا يفترقون عن الذي يأتي بسيارة خربة مهملة قد خرب محركها وصدىء حديدها، فيجهد نفسه في البحث عن ألوان الدهان اللامعة وأنواع الدهان التي تمنع الصدأ ويترك محركها كما هو صدئاً، خارباً لا يتحرك ، فأنت إذا بذلت مالك وأنفقت جهدك لم تستطع أن تستفيد منها شيئاً واحداً ، والنفوس كذلك .

إن الذين يذهبون في إصلاح ظواهرهم كل مذهب، ويتأنقون في إشراق رونقهم كل لمعان وبراق ، ويعطونها بريقاً خادعاً ولوناً جذاباً أخاذاً، يأخذ بالألباب ، ويغفلون عن بواطنهم فلا ينتبهون إليها، كما ينتبه أحدهم إلى حذائه، ولو كان أحدهم يلمع قلبه يوميا كما يلمع حذاءه، لما وصل في الدركات إلى هذا الدرك الهابط، لو كان يتأنق في تنظيف داخله، كما ينظف ثوبه إذا وقع عليه بقعة من سواد، أو شيء من القذر لما هبط هذا المهبط ، ولما غرق في هذا المستنقع الآسن من الأنانية والهوى، ومن الشهوة الخفية والاستكبار، ومن الحسد وحب زوال النعم عن الآخرين ، يجب أن نتدارك بواطننا كما نعتني بظواهرنا .

– والإسلام لا يمكن ان تقوم له قائمة على لثام رقيق من الشريعة ، أو على مظاهر من الشعائر تؤدى بأحكامها وآدابها وهيئاتها وبواطن القلوب خربة ، وسيقان الأشجار نخرة ، وأعماق النفوس صدئة ، هذا كمن يقيم عمارة باسقة في الهواء عظيمة في الأرجاء ولكن ليس لها أساس، فستنهار وتنهار على صاحبها ، وتنهار به في نار جهنم.

جذور البناء

إن الإسلام قبل أن يفرض الشعائر غيّر الاعماق ، وإن الدين قبل أن يصلح الظواهر قد اعتنى بالجذور ، وإن رب العزة الذي خلق هذا الانسان يعلم أن الشعائر والشرائع والقوانين لا يمكن أن تستمر مستقيمة في نفس مسلم ، أو في أسرة أو مجتمع ، ما لم يكن لها في الأعماق جذور ضاربة ، تحمل هذا المجموع الظاهر ، ولذلك كما قال رسول الله ﷺ: **(بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت)**[1] .

الصلاة فرضت ليلة الإسراء بعد اثني عشر عاما من البعثة ، والصوم فرض في السنة الثانية من الهجرة، والزكاة فرضت في

---

١) رواه البخاري ومسلم.

السنة الثانيه للهجرة ، الحج فرض في التاسعة أو العاشرة للهجرة ، ما سر هذا ؟ أركان الإسلام وشعائره الظاهرة، عمود الإسلام؛ الصلاة تفرض بعد اثني عشر عاما من البعثة، والصوم بعد خمسة عشر عاما، والحج بعد ثلاثة وعشرين عاما من البعثة؛ لأن رب العزة الذي فطر هذه النفوس، وجبل هذه القلوب، وصاغ هذه الفطر، يعلم أن الظواهر لابد أن تقام على بواطن، ويعلم أن الشجرة الباسقة في الهواء ذات المجموع الخضري الوارف الظلال لابد أن يكون لها جذور ضاربة في أعماق الأرض ، وإلا فإن هبة من الريح ستجتثها من أعماقها، وتلقي بها في مهاوي الردى ، فماذا كان يصنع رسول الله ﷺ في الفترة المكية التي ليس فيها شعائر ؟ لقد كان منهمكا في إقرار الجذور ، في إصلاح النفوس ، في تعميق التوحيد ، في شرح معنى لا إله إلا الله ، في ربط القلوب بخالقها، وتوثيق الوثائق مع فاطرها، في إصلاح البواطن، وأما الظواهر فلم يتعرض إليها إلا مما يستدعيه إصلاح الباطن فتعرض له .

(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط...).

هذه المعاني التي لها صلة بعملية الإصلاح الباطنية ، التي لها ارتباط بالجذور تعرض لها – لابد من أن تتخلص النفس من بعض سلبياتها التي فيها في جاهليتها – من أجل أن ترسخ عقيدة التوحيد ، ومن أجل أن يصلح الباطن .

وكثير من الناس يتساءلون: لماذا يتجمع الكفار على باطلهم ويتفرق المسلمون عن حقهم ؟! والجواب بسيط ، لا مجال لتعميق التفكير فيه : إن الكافر كافر في ظاهره وباطنه ، وأما المسلم ؛ فكثير منهم ظاهره فيه رحمة وفي أعماقه الشهوات ، حق في ظاهره ، رونق وإشراقة وأناقة وعبادة وأركان وشعائر ، ولكن البطون خاوية ، لكن الباطن خار من هذه القيم ، لكن القلب مقفر من هذه المعاني السامية .

عوامل خفية ..

ومن هنا ظاهرهم مع بعضهم ، ولكن شهواتهم الخفية وبواطنهم كل ينسج على منوال ، وكل يغني على ليلاه ، وكل يصيح في واد وآخر ينفخ في الرماد ، وأما ظاهراً فشعائر واحدة، والصلاة واحدة والصوم واحد ، وأما الكفار فهم واضحون .. واضحون في ظواهرهم الباطلة ، وواضحون في بواطنهم الخفية ، ومن هنا يلتقون على هدف واحد "أننا نريد تدمير الإسلام" ، ويسلكون له كل مسلك، وينسجون له على كل آلة، واضحون في تخطيطهم، واضحون في الهدف المنشود على الغاية التي يريدون ، ومن هنا قد يحقق اجتماعهم وحدة، أما كثير من الناس فهم أصحاب الأهواء، إن كانوا يُصلّون ويصومون، لا يعتنون بقلوبهم، ومرد ذلك إلى عوامل كثيرة:

أولها : وعلى رأسها الأنانية الفردية، ثم الهوى، ثم حب الشرف والمال لديه، ثم استكبار على المسلمين واحتقار الآخرين.

(فلما جاءتهم رسلهم بالبيّنات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون)(غافر : ٨٣)

.. لما جاءهم الهدى يفرحون بما عندهم .

تجد الواحد منهم لا يجد أحدا في الأرض مخلصا غيره ، يعتبر نفسه فوق الجميع .. قرأ كتابين ، لم يتلق تربية على يد شيخ، لم يجد يدا حانية ترعاه ، ولا نفساً صادقة توجهه ، فهو فرح بما عنده من العلم ، وظن هذا الأخ الكريم أنه قد ملك العالمين، وأنه أصدق الناس، فإذا ذهبت تنصحه أو بدأت توجهه، أو طفقت من أعماقك تبثه بعض التواءاته واعوجاجه ! (فرحوا بما عندهم من العلم) من أنت؟! هو ينظر إليك وقد يستحي أن يصارحك بما في أعماقه "من هذا الذي ينصحني" ؟! إن ذكر الإصلاح ، فهو يظن أنه أخلص العالمين ، وإن ذكر العمل للإسلام ؛ أنه أكبر العاملين ، وإن ذكر الدعاة فهو على رأس قافلة الدعاة، وإن ذكر اتباع الرسل فهو الصفوة منهم ، يظن نفسه كذلك، وما ذلك إلا لأن نفسه لم تتربَّ على هذا الدين كما أنزل، حفظ كلمتين من هنا وكلمتين من هناك ، ودرس كتابا عن مخططات حكماء صهيون أو عن الماسونية، أو عن طريقة الشرب قائما أو عدم الشرب قائما ، فهو يظن أنه ليس فوق الأرض غيره، وهذا الظن ينشأ عنه عاملان:-

العامل الأول : أنه يبقى جاهلا لا يتعلم ، لأنه لا يتقبل نصيحة الآخرين ، لا ينظر إلى أحد، فإذا قال لك عن مسألة، قلت له: دعنا نسأل الشيخ الفلاني ، نسأل ابن باز ، لنسأل الشيخ فلان ، يقول : ومن الشيخ الفلاني ، ومن فلان ؟! إن هؤلاء يعيشون في أكناف الطواغيت ، إن هؤلاء يأكلون ويشربون وينامون ولا يجاهدون ، وأما وقد قطع كلامه ولو تكلم لسان حاله لقال ؛ أنا أعلم من الشيخ بن باز، لو استطعت أن تشق على قلبه وأعطاك الله علما بما في قلبه ، لوجدت أن في قلبه أنه ليس بين العالمين جميعا من هو أوضح جادة

نوم طريقة وأرشد سبيلا منه ، هذا الشاب لن يتعلم أبداً، وسيعيش جاهلا، ويموت جاهلا، ويطعن الإسلام الطعنة تلو الطعنة بجهله، م من صديق جاهل أضر أكثر من عدو عاقل .

وتعرفون جميعا قصة الدب الذي قتل صاحبه ، عندما حطت الذبابة على وجه صاحبه وهو نائم فطردها ، فرجعت وغضب صاحبه ، وأخذ بصخرة وألقاها على الذبابة فقتلها وقتل صاحبه .

من أنت يا هذا؟! هل عرفت حتى الآن تلاوة القرآن حاضرا ؟! ماذا عرفت من أحكام الآيات ؟! ماذا قرأت من فقه السنة؟! ماذا قت من قواعد الأصول ؟! ماذا عرفت من اللغة ؟! ماذا عرفت من أسباب النزول؟! ماذا قرأت من أمهات الفقه ؟! لو اتبعناك وسألناك كنت صادقا ، لا نجدك قرأت كتابا واحداً من هذه، فكيف تنصب نفسك رمزاً للعالمين ، وسيدا للمجاهدين ، وقائدا لمن يسلكون على ريق هذا الدين من الدعاة المخلصين ؟! لقد أصبحت عالما في نفسك ! وهذا رمز قرب الساعة لأنه.

(يخرج غلمان سفهاء الاحلام ، جهال يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميه ، تحقرون صلاتكم ع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم)[1] والحديث في البخاري .

لقد ظننت نفسك عالما لأن هذه علامة على خراب الدنيا ، وعلى خراب نفسك ، ولا تغيب عني قصة في الأدب التركي : رجل اسمه كري مصطفى كان دائما يلبس زي العلماء : العمامة والجبة ، وكان يسكر ويزني وغير ذلك ، وذات يوم مر بكري على أناس يجتمعون لى جنازة ، ولا يجدون من بينهم من يتقن صلاة الجنازة ، قالوا : قد أقبل الملا ، فليصل بنا صلاة الجنازة ، جاءوا إليه ، قالوا ياشيخ تعال وصل بنا : قال دعوني فأنا سكران زان إلى أخره ، اتركوني لست أهلا لهذا ، قالوا : أنت ملاّ فلا بد أن تصلي بنا ، إن العمامه الجبة دليل أنك عالم، قال : دعوني والله لست من أهل الإمامة ، ألحّوا عليه وأصروا ، فوقف وصلى بهم ، وأخيرا جلس فوق رأس الميت تكلم كلمات خفية ، قالوا : لعل الشيخ عنده ولاية تكلم مع الميت فيها ، فقالوا له : ماذا قلت للميت وماذا أوصيته ليجيب الملكين ؟ قال : لت له إن سألك أهل الآخرة عن حال الدنيا فقل لهم : بكري مصطفى أصبح إماما .

وتعرفون قصة الدنيا بعد ذلك ، بكري مصطفى أصبح إماما ، وأنت أصبحت عالما وقائدا تعتبر نفسك فوق الناس جميعا ، لا نظروا إلى المسلمين بنظرة إخاء ولا نظرة محبة ، والقرآن وهو يتكلم عن بنت الصديق، يقول :

(لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين) (النور : ١٢)

ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا، أبو أيوب رجع إلى زوجته قال لها :

(يا هذه لو كنت مكان عائشه أو تفعلين ما يقال، قالت: والله لا أفعل، قال: وعائشة خير منك ، لم تفعل، وأنا والله لو كنت مكان صفوان لن أفعل، وصفوان خير مني ولم يفعل صفوان ما قيل عنه، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين)) .

الاستعلاء على المسلمين ، واعتبار نفسك أنك الطاهر المطهر ، الصادق المصدق الذي عرف أمور الدنيا والآخرة، والذي ليس على الطريق غيره ، هذا يبقيك يا مسكين جاهلا ، وسترى في الآخرة أين يكون مصيرك المظلم!

وينشأ عنه قضية أخرى، احتقار المسلمين **(وكفى بالمرء إثماً أن يحقر أخاه)** فتقف عند حد معين من الجهل، لن تتعلم يا هذا ، ولن يتعلم إلا من تواضع لله ، لن يتعلم إلا من احترم العلماء ، لن يتعلم إلا ذوو الفضل ، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه، دليل على مساحة شخصيتك ، وعلى انحطاط نفسيتك ، أنك تحتقر الآخرين ، ولا تظن بهم خيرا ، ولا تعتبر فوق الأرض غيرك ، هذا دليل أنك وضيع فتريد أن تترفع في أعين الناس، أنك حقير فتريد أن تشرف في عيون الناس ، ووالله لن يزيدك هذا من الله إلا حقارةً وإلا وضعاً ، وإلا ازدراءً من الخلق أجمعين .

تربية الشيوخ

لابد أن ننظر إلى القلوب ، لابد أن ننظر إلى المسلمين بعين الأخوه الإسلامية، لابد أن ننظر إليهم بعين الرحمة والمحبة **«والمسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه ولا يخذله، بحسب امرىءٍ من الشر -أو من الإثم- أن يحقر أخاه المسلم»**[2] .

ـ كل من تربى بدون مرب فهو حجر ناشز في بناء المسلمين المتناسق ، كل من أخذ علمه عن الكتب دون أن تتولاه عناية ورعاية

---

(١) صحيح الجامع الصغير (٨٠٢٥) . (٢) رواه البخاري دون لفظ (ولا يخذله) ورواه مسلم دون لفظ (لا يسلمه).

جيه من أناس سبقوه على هذا الطريق ، لابد أن يشكل عقبة في مجتمع متناسق صالح متواضع ، و كما قال علي رضي الله عنه: م ظهري رجلان : عابد جاهل وعالم فاجر، لأن العابد الجاهل يخدع الناس بعبادته فيلحقونه .

وقصة الأثر الذي عن بني إسرائيل أن أحد العبّاد ذات ليلة وقد قام يقوم الليل وطيء على فأر فقتله ، فندم ندماً شديداً، وتكفيراً طيئته ، وتوبةً لخالقه وضع الفأر في كيس وعلقه في عنقه ، وتعفن في عنقه وتعفن الفأر وتحلل ، والروائح تشمئز لها الأنوف وتتقزز الأبدان ، ولكنه يريد أن يكفر عن توبته ، وبعد سنوات طويلة جلس إلى أحد العلماء ، قال ما هذا الخيط الذي في عنقك ؟ وهذا يس الذي في صدرك ؟ قال إنه فأر وطئته في الظلام فكفرت عن خطيئتي وهو في عنقي منذ سنوات، قال: صلاتك يا هذا منذ أن حته باطلة، لأنه نجس وصلاتك باطلة ، ومن هنا قالوا: مجلس علم خير من عبادة ستين سنه .

ويحضرني في هذا المقام أني سألت فضيلة الشيخ ابن حميد رحمه الله - وكان كما أظن من أفقه الناس في الأرض- فقلت له : رأيك في إسبال الثوب،- سألته عدة أسئلة منها إسبال الثوب: قال: لا بأس به إن لم يكن فيه كبر أو تخيل، فقلت له : إن فلاناً يقول وكذا في القضية ، قال فلان لا يؤخذ عنه لأنه أخذ علمه عن الكتب ، فلان لا يؤخذ عنه لأنه أخذ علمه عن الكتب .

ومن هنا لم يكن في المجتمعات الإسلاميه واحد يجلس على كرسي تدريس في المسجد إلا بعد أن يشهد له العلماء ، ويضع له ه وشيخه كرسيه في المسجد أمام الناس ، فيجلس عليه للتدريس ، أما إذا حفظ متناً من المتون ، أو تفهم ، واطلع على حاشية من واشي وحفظ ألفية ، ثم يجلس ويفتي للناس في أحكام بينهم ، يبلغ عن رب العالمين ، فإن هذا بدع من الدين ، ما نشأ إلا يوم أن بح بكري مصطفى إماما للناس .

يقول لي أحد الإخوة بالأمس: كان ابني مع مجموعة من الشباب، فقال له الشباب (شباب متدينون) : إنا نكرهك في الله ، أنت اك ، قال لهم : لماذا ؟ قالوا: لإنكم من الإخوان المسلمين ، قلت : سبحان ربي أي دين هذا الذي يتلقونه؟! وأي تربية هذه التي لوها؟! هل تربيتهم أن يضعوا الأحقاد على المسلمين ؟! وهل يجوز للمسلم أن يبغض أخاه المسلم؟! لمجرد أنه في مدرسة من المدارس، رسة الإخوان أو السلفية أو التبليغ أو غيرذلك ؟! أي تربية هذه التي يتربون عليها؟! أي حليب من التثقيف والتهذيب والتوجيه هذا الذي معوه؟! إنهم لم يتلقوا العلم عن الصالحين ، ولم تعتن بهم أيدي المخلصين، فخرجوا نشازاً في طريق هذا الدين ، وكم أضره من اهلين من أبنائه الجاهلين أكثر من أعدائه العاقلين .

ثم كذلك في هذا الباب الأنانية الخفية ، الشهوة المنطوية في الأعماق ، أنك لا تعتبر الآخرين ، كذلك إن الله قد يهديك إلى أن حذ في مدرسة من المدارس ، فإذا قرأت فيها كتابا بدأت تنظر إلى الجهات الأخرى ، وإلى المدارس الأخرى ، نظرة استخفاف زدراء واستعلاء واستكبار ، كذلك هذا ضلال عن الطريق، وليس هذا هو السبيل لتربط القلوب بربها ، ولمسح الاعماق من أدرانها، نقية النفوس من أوساخها ، إن كان الله هداك إلى طريق وتظنه صحيحا ، فيجب أن تنظر إلى الناس على الاقل نظرة الطبيب للسقيم، ، تريد علاجه ، أنك تريد مداواته ، أنك تشفق على آلامه ، فتريد أن تنقذه ، لا أن تتخذه لك عدواً ، وأن تنظر من علٍ وتجلس في سيك العاجي وفي برجك المرتفع ، ثم تطلق الأحكام على الناس ، هذا كافر، وهذا مبتدع، وهذا ضال، وهذا ماسوني، وهذا وهذا .

والبطاقات تملأ جيوبك ، كل جيب مكتوب عليها علامة من العلامات أو عنواناً من العناوين ، هذا الجيب مملوء ببطاقات مكتوب بها كافر ، كلما رأيت واحداً لا يعجبك ناولته بطاقة، وهذه الأخرى مبتدع وتلك الثالثة .. هذا مسكين ، والرابع طيب، وطيب معنى ذلك أهبل ، وهكذا ، تناول كل واحد بطاقة من البطاقات .

وأما أنت فلسان حالك يقول : أنا الصادق المصدق، أنا الطاهر المطهر ، أنا الخالص المخلص، أنا الذي ليس في العالمين من ك السبيل غيري ، فإن شئتم فالحقوني، ولعمر الله إن هذا لهو الضلال المبين . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

يا أيها الإخوة: اعتنوا بقلوبكم كما تعتنوا بأحذيتكم ! ، ولو اعتنيتم بقلوبكم - بتلميعها- كما تعتنون بتلميع أحذيتكم لكان مر غير هذا .. اعتنوا بأفئدتكم ونفوسكم كما تعتنون بقمصكم وأزركم ، نظفوها كما تنظفون وتطهرون ثيابكم البيضاء .

خطب متفرقة . .

وهنالك عائلات في بيشاور لا تجد المبيضات الكافية في الأسواق (الكلوريكس) وغيرها فيرسلون إلى إسلام آباد لشراء

لبيضات، حتى يضع على ثيابهم وثياب أهلهم ، فأنت بحاجة أن تبحث عن المبيض ، بحاجة إلى أن تنجح وتفلح في استخراج ما خلف قلبك ويطهر أعماقك ، إن كنت في جماعة إسلامية فإياك أن تظن الحق كله فيها ، وأن الباطل كله في غيرها ، وكما يقول متعصب من السابقين : قولنا صواب ويحتمل الخطأ وقول غيرنا خطأ يحتمل الصواب . هذا تعصب مقيت ، كم مزق من الجماعات، وكم شتت من الناس المؤتلفين الملتقين ، اعتن بقلبك وإياك والاستعلاء على الآخرين ، وإياك والاستخفاف بهم ، وكم من الناس من قدموا لهذا الدين – ولكن بينهم وبين رب العالمين – أضعاف ، بل والله قد يكون أحدهم ممن تزدري قوله وتحتقر شكله ، قد يكون قدم لهذا الدين أكثر من ملء الأرض من أمثالك ، فانتبه لنفسك ، ورحم الله امرءاً عرف حدّه فوقف عنده . وأهل الفضل يعتبرون لأهل الفضل فضلهم (إنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه) ، وخاصة العلماء وخاصة كبار السن وخاصة الوالدين .

إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم . إن من إجلال الله تعالى معرفة قدر العلماء

(ليس منا من لا يحترم كبيرنا ولا يعطف على صغيرنا ، ولا يعرف لعالمنا قدره)[1]

حديث صحيح .. **ليس منا من لا يحترم كبيرنا ولا يعطف على صغيرنا ، ولا يعرف لعالمنا قدره .**

إياك أن تظن أن الحق في المدرسة التي أنت فيها، وأن عند الناس الآخرين الضلال والضياع والتيه المطبق .

فكل الناس ! كما قال مالك عندما قال له أبو جعفر المنصور : نريد أن نجمع الأمة على كتابك «الموطأ» ، ونريد أن نكتبه بماء ذهب ونعلقه في داخل الكعبة ، قال : إياك أن تفعل، فأصحاب رسول الله كثيرون وقد تفرقوا في البلدان ، وكلهم عنده غير الذي عند آخر ..

فالدعاة كثيرون غيرك ، والمجاهدون كثيرون غيرك ، والمخلصون كثيرون غيرك ، وكم من أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره .

ويل للمطففين

فيا أخي : كفى بعملك حبطاناً أن تنظر إلى عملك أنه كبير ، كفى بك إثمًا أن تكبر ما لك وتصغر ما للآخرين .

(ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون)

(المطففين : ١-٣)

فإذا ذكر نفسه لا يذكر إلا محاسنها ، وإذا ذكر الآخرين لا يذكر إلا مساوئهم ، وكما قال ﷺ

(يرى أحدكم القذى – الصغير – في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه)[2]

جذع في عينه، أوساخ تلف نفسه بكاملها لا ينظر إليها ، ينظر إلى قذاة صغيرة وقذرة حقيرة، لا تكاد ترى في عين أخيه ، لأن القذرة إذا كبر حجمها لا يستطيع الإنسان أن يهدأ حتى يزيلها، فهي قذاة صغيرة، ولكنك تراها كبيرة، وتكبرها وتعظمها وتفخمها تجعل من الحبة قبة ، وأما أنت فمن الطاهرين المطهرين ، الصادقين المخلصين ، المبرئين المنزهين ، ولولا عصمة المرسلين لقلت لن تخطئ أبداً بين الناس أجمعين . اعتن بقلبك ، وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ، خاصة وأنت في أرض الجهاد ، خاصة وأنت تقوم بأشرف عمل ، خاصة وأنت تتسنم قمة سنام الإسلام .. إياك أن لا ترجع بالكفاف ، ترجع مأزوراً غير مأجور ، انتبه إلى نفسك، اعرف قدرك، وقف عند حدك، واحترم الآخرين، وخذ هذا الدين من الطريق القويم، وأعط للناس حقوقهم، ولا تستوف عليهم لنفسك وتبخسهم حقوقهم، **(ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق)** ولا تظلموا الناس ولا تتعالوا عليهم ، واستبشروهم ، فالناس عندهم خير والدعاة تفرقوا ، وليس كونك في جماعة معينة أنك أفضل من الناس أو أنك تتلمذت على كتاب معين ، أنك خير من الناس، عند الإخوان شيء من الخير، وعند التبليغ شيء من الخير، وعند السلفية شيء من الخير، وكل واحد منهم جمع شيئاً من الخير، وحبذا، لو استطعت ان تجمع الخير كله من هذه الجماعات ، كما كانوا يتتلمذون على مجموعة من الشيوخ كثيرين ، فأستاذه في الحديث غير أستاذه في التفسير ، وأستاذه في التربية الروحية غير أستاذه في اللغة العربية ، خذ من التبليغ أدبهم في التبليغ ، وحبذا لو سلكنا طريقهم في احترام الناس وفي الأدب مع العلماء ، وفي تبليغ الكلمة الطيبة كما يبلغونها، فيسحرون القلوب بأدبهم ويمتصون كل حسد

---

(١) صحيح الجامع الصغير رقم (٥٤٤٣) .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ (يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه). انظر الترغيب والترهيب، المجلد الثالث صفحة(٢٣٦).

بهم ، خذ من الإخوان أفكارهم وحركتهم ، خذ من السلفية عقيدتهم ، إجمع بين الخير ، تتلمذ ، لا تحصر الحق في شيخك، أو قد ين شيخك جاهلاً وقد يكون عن الحق زائغاً وقد يكون هواه هو الذي يوجهك ، فخذ من هذا وخذ من هذا ، واحترم الناس وضع ناس في مقاديرهم، وأنزلهم منازلهم ، ورحم الله امرءاً أنزل الناس منازلهم ، لأننا أمرنا أن ننزل الناس منازلهم .

إعتن بقلبك ، ودواء القلب ست : قيام الليل ، والاستغفار بالأسحار ، والجوع الطويل بالصيام ، ومصاحبة الصالحين ، وتلاوة قرآن ، وحفظ اللسان ، واحفظ هذه الستة : مجالسة الصالحين والصيام ، والتهجد في الظلام والإستغفار بالأسحار وحفظ اللسان، لانه من شيء أحق ؛ بطول حبس اللسان ، واعتن بقلبك ، وإياك وازدراء الناس والإستخفاف بهم فقد أورد غيرك المهالك ، (والسعيد من عتبر بغيره ، والشقي من اغتر بنفسه).

الولاء والبراء

يا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً ، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل ، بعد أعوذ بالله من شيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم :

(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو خوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها لأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنَّ حزب الله هم المفلحون)(المجادلة :٢٢)

آية كريمة اختتم بها رب العزة سورة المجادلة ، وهي مدنية، وفي المدينة المنورة كان الولاء والبراء قد ظهرا واضحين ، وفي القمة بارزة للسمة الفاصلة بين الجاهلية والإسلام ، وهو الجهاد في سبيل الله ، لأن أكثر وسيلة يعرف بها ولاء المؤمنين لبعضهم وعداوتهم كافرين هي وسيلة الجهاد ، ودونها وسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إذ أن قمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو التغيير اليد ، والجهاد هو التغيير باليد ، والتغيير باللسان وبالأسل وبالقواطع والرماح .

صور من الولاء والبراء

تروي روايات المفسرين أن هذه الآية نزلت في أبي عبيدة رضي الله عنه عندما قتل والده يوم بدر ، فنزلت هذه الآية ، وهي تبين القمة السامقة التي ارتقى بها رسول الله ﷺ بالفئة المؤمنة حتى وصل أحدهم أن قتل أباه ، وقد تعرضت الآيات القرآنية في السور لمكية لصور المفاصلة بين المؤمنين وبين الكافرين لمجتمع واحد ، فقد تعرضت للزوجة عندما تتبرأ من زوجها وهو ذو مال وخيل وهيلمان وقوة وسلطان

(ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل ادخلا النار مع الداخلين ، وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين) (التحريم : ١٠-١١)

هي زوجة حاكم مصر بل حاكم المنطقة بأسرها ، لأن جنوب فلسطين وقسماً منها كان يتبع له، يتبع لمصر ولفرعون في فترة من الفترات خاصة (رمسيس الثاني) وهو والد (منبتاح) فرعون موسى الذي غرق ، ورمسيس هو فرعون موسى الذي تربى على بلاطه ، وإنما بطعامه وشرابه ، وفي داخل جدران قصره ، هو حاكم المنطقة ، ومع ذلك تقول زوجته رغم هذه الوظائف :

«رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ، ونجني من القوم الظالمين»

أي نجني من القصور ، ومن حياة الترف إلى حياة تؤدي بي إلى أن أدخل سبيل السلام، لاصل عندك أيها السلام، وأستقر في دار السلام ، وضرب الله مثلا للولد يتبرأ من أبيه :

(قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء) (الممتحنة : ٤)

(وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) (التوبة : ١١٤)

وصلة الوالد المؤمن بابنه الكافر ، كيف يعلن براءته منه أمام رب العالمين من خطأ قد زلت به قدمه :

(ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ، قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) (هود : ٤٥-٤٦)

تغير العمل من عمل صالح إلى عمل باطل وهنا انقطعت وشيجة النسب وصلة القرابة ..

(فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ، قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين) (هود : ٤٦-٤٧)

ماذا طلب نوح ؟! طلب المغفرة لابنه، فأعلن رب العزة له أنه ليس بينك وبينه قرابة إلا العمل الصالح، فانقطعت آية وشيجة بينكما..

- (فاستغفر ربه وخرَّ راكعاً وأناب) (ص: ٢٤)

الصلات في المجتمع المسلم :

الصلات كلها في المجتمع المسلم قائمة على الإيمان ، المحبة ، المودة ، والموالاة ، والمعادة ، والنصرة، وغير ذلك ، كلها مبنية على كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)؛ فكل من ارتبط بهذه الكلمة – كلمة الاخلاص – بأية وشيجة أو رابطة ، -فالرابطة التي أرادها الله عز وجل- فهو أخي ويجب نصرته وموادته في الغيب والعلن ، في السر والحضور ، في الذهاب والإياب ، في كل مكان ، سواء كان يشترك معي في الأرض التي ولدت فيها أو لم يشترك ، سواء شابهني في بشرتي أو لم يشابه ، سواء كان لونه أبيض أو أصفر أو أحمر، الرابطة هي التقوى ، والهدف هي الجنة ، والغاية هي رضى رب العالمين .

هذا المجتمع عندما قام لأول مرة – ومرات كثيرة على يد الأنبياء – ، كان مجتمعاً نظيفاً صادقاً خالصاً ، وسبب إنشائه أنه رباه رسول الله ﷺ بعد أن انتشلهم من الحضيض الذي كان يعبر عنه دريد بن الصمة :

وما انا إلاّ من غزية إن غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

صار الواحد منهم أول ما يبدأ يبدأ بأبيه ، وعمه وأخيه ، كما قال عمر ورسول الله ﷺ يتشاور معهم في أسرى بدر يقول لهم: ماذا نصنع بهم ؟ قال : سلّمني قريبي فلاناً ، وسلم حمزة فلاناً ، وسلم علياً عقيلاً ، ولنقتلهم جميعاً فلا يعودون يقاتلوننا أبداً ، وعندما عمر عاد سعيد بن العاص فوجد وجهه متمعراً، ورآه يكشر في وجهه عندما يراه ، قال أتظن أني قتلت أباك، لا والله ما قتلته، ولكن قتلت خالي العاص بن هشام ..

وعندما كان أبو عزيز أسيراً في يد عبد الرحمن بن عوف – وأبو عزيز شقيق مصعب بن عمير – مرّ مصعب بن عمير به وهو في وثاقه – في أسره– ، قال له مصعب : شدّ على أسيرك فإن أمه غنية ، إذاً بإمكانها أن تفتديه بالمال ، فلماذا تفلت يد أخي ، قال: أخي اتقول له هذا؟ قال والله انه اخي من دونك .

وعندما قتل محيصة بن مسعود زعيم بني قريظة بن سنينة، قال له أخوه الكبير حويصة – وكان كافراً – ، ومحيصة كان مسلماً، غير أن حويصة كان زعيم بني قومه ، كان بينه وبين قريظة ولاء ، وكان زعيم بني قريظة يتفقدهم بالعطاء – قال : يا محيصة ما أقسى

قلباً ، أتقتله؟! والله إن اللحم الذي عليك من ماله ومن قوته ، قال له : لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك ، لقد أمرني رسول الله ﷺ بقتله .

الرابطة الحقيقية :

اذاً لم تعد المدينة المنورة هي الرابطة، ولم تعد أم القرى – وهي تضم البيت العتيق وفي داخل جوانحها وبين قوابلها وخوافيها – هي الرابطة ، لقد افترقت العقيدة ففصلت السيوف ، وإذا كان خالد بن الوليد مسلماً فوالده الوليد بن المغيرة سيد قريش ، والذي تعرف قريش قيمته ومكانته حتى قالت :

(لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (الزخرف : ٣١)

واستطاع رسول الله ﷺ أن ينتزع من خيرة الأسر ، ومن سَدَنَةِ قريش، ومن زعامتها ، ومن أوسط عائلاتها شباباً رباهم على هذا الدين وتولوا بأنفسهم تحطيم الاصنام حيث تطهرت مكة منها إلى يوم الدين .

أعداء الله وتمزيق المجتمع الإسلامي ..

وعندما رأى أعداء الله عز وجل أن هذه الرابطة لا يمكن أن تقهر ، وهذه الوشيجة لا يمكن أن تنفصم ، وأن الصلة بالله لا يمكن أن تهزم ، كما يقول " كاندل " :(بلاد إسلامية مترامية الأطراف ، كلهم يصلّون إلى قبلة واحدة ، تجمعهم كلمة واحدة، يصلون خمس صلوات في اليوم والليلة نحو هذه القبلة ، كيف لنا أن نتغلب على هذه البلاد ؟ ، فلابد من تفريقها وتمزيقها) .

وهذا الذي أوصى به لويس التاسع وهو مأسور في دار ابن لقمان في المنصورة ، عندما هزمت الصليبية ، فكر طويلاً : كيف يمكن لهذا الشعب البسيط ولهذه القرية القليلة السكان أن تهزم جحافل الصليبيين المدججين بالعدد ، المتترسين بالعدد ، فكّر طويلاً ، وقال : لا يمكن أن يهزم هذا الشعب مادامت عقيدة هذا الدين واثقة في قلبه ، منغرسة في أعماقه، جارية في عروقه ، فكان أن وصى لويس التاسع الدول الأوربية كلها : أنكم لا يمكنكم أن تنازلوا المسلمين في ميدان السلاح ، لابد أن تهزموهم أولاً في ميدان الفكر ، وبعد ذلك يسهل لكم أن تستولوا عليهم ، وقد تخدروا بمخدرات ثقافتكم .

ومن هنا مزقوا العالم الإسلامي ، مزقوه بأفكار جديدة ، وهذا الذي أكده نابليون عندما داست سنابك خيله الأزهر ، ووجد أن الأزهر : هذا المعهد القديم البالي الذي مضى عليه قرابة ثمانمائة عام استطاع أن يحرك مصر بأسرها ، وأن تقف أمام جحافل نابليون، وأن يُخضع نابليون حتى يعلن إسلامه ، وأن يلبس عمامته وجبته ، ويجلس مع مجلس الأزهر الأسبوعي تظاهراً ونفاقاً ورياءً حتى يستطيع أن تجد كلمته سبيلاً إلى قلوبهم أو إلى نفوسهم ، ثم وجد أن الأزهر كذلك أخرج سليمان الحلبي الذي قتل " كليبر"، انتهت الحملة الصليبية الفرنسية التي ظن نابليون أنها أخضعت مصر إلى الأبد ، عندما وجد هذا أوصى الغرب بأنه لابد من غسل أدمغة المسلمين من الإسلام ، ومن اجتذاب القرآن ، و"لا إله إلاّ الله" من قلوبهم ، والطبيعة عندهم لا تقبل الفراغ ، ولابد من إحلالها بعقائد جديدة يمكن أن يتمسك بها الشعب ، وأغلى العقائد التي يمكن أن نزرعها في قلوبهم هي عقيدة القومية العربية ، وبدأت فكرة القومية العربية منذ أيام "محمد علي باشا" –الذي تولى عرش مصر إثر مغادرة نابليون أرض مصر إلى غير عودة – وتولى رفاعة الطهطاوي –العالم الازهري الذي تفرنج – نقل الثقافة الفرنسية والقانون الفرنسي إلى مصر ، ليستبدل بها دين الله شيئاً فشيئاً، ولذلك ليس عجيباً أن نرى أن بذور القومية العربية نشأت في المحضن الدافيء، في داخل الجامعة الأمريكية التي أنشئت سنة ١٨٦٦م بعد أن استولى إبراهيم باشا على المنطقة، واستطاع المبشرون أن ينفذوا إلى المنطقة ، وزرعوا فيها الصليبيين وأوكارهم التي تهدد المنطقة بأسرها ، زرعوا بذور القومية في الجامعة الأمريكية ، وقد ابتدأت بذور القومية العربية على يد خمسة من الشباب النصارى، منهم: إبراهيم اليازجي ووالده ناصيف اليازجي ، وشاهين مكاريوس ، ويعقوب صرّوف ، والبستاني ، وغيرهم ، أما هؤلاء الشباب الذين طالما غنينا بأشعارهم ، ولقد تعلمنا في المدارس:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب	لقد طما السيل حتى غاصت الركب
اقداركم في عيون الترك نازلة	وحقكم في أيادي التـــــرك منتهب

كنا نحفظه ، ونحفظ أنه لشيخ من الشيوخ ، الشيخ ابراهيم اليازجي ، وكنت في صغري أظن أن إبراهيم اليازجي أحد مشايخ

إسلام الكبار ، وإذا به أحد أبالسة الصليبيين والمنصرين في المنطقة كلها ، وتولى تمزيق الدولة العثمانية .. نادوا بالعروبة ، واستمرت قومية العربية حتى أدخلوها عقل فيصل بن الشريف حسين ، الذي أطلق والده الرصاصة الأولى على صدر الإسلام وقلبه فأرداه قتيلاً. نادوا بالقومية ، واستطاع لورنس- العميل الإنجليزي الذي يحلو للعرب أن يسموه "ملك العرب غير المتوج" أو ملك الصحراء العربية استطاع أن يقود الجيوش العربية ضد الخلافة العثمانية ، وكان لورنس يدفع على رأس كل تركي مسلم تسلمه له العرب ديناراً ذهباً .

ويقول لورنس : (إنني جدّ فخور أنني في المعارك الثلاثين التي خضتها لم يرق الدم الإنجليزي النبيل ، لأن دم جندي إنجليزي واحد عندي أهم من كل الشعوب التي نحكمها ، وما كلفتنا الثورة العربية سوى عشرة ملايين دينار) ، عشرة ملايين دينار فقط ، أجهزنا بها على أكبر كيان ، وعلى أكبر منارة كان يتجمع حولها المسلمون في كل أنحاء الارض وتحركهم بطرف بنان أو بإشارة أصبع .

أديان جديدة

- واخترع الغرب أدياناً جديدة في أعماق هذه الأمة المسلمة من أجل أن تجهز على عقيدة الجهاد في أعماق النفس المسلمة، ومن أجل أن تكون إسفيناً ضخماً عميقاً في قلب الأمة المسلمة المتوحدة .. اخترع القاديانية ، وظهرت في باكستان ورعاها الإنجليز ، "ميرزا غلام أحمد" من منطقة قرب لاهور ، ولازال قبره النجس في القبة ، وسمي قبره «الربوة» لأنه كان يدعي أنه المسيح بن مريم «وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين» ، ورعاها حتى أصبحت تعد في داخل باكستان نيفاً ومليون نسمة يمسكون بأكبر المناصب في البلد .

ومهدوا للإسماعيلية ، وليس عجيباً أن تنشأ الباكستان على بحر من الدماء ، تدفع التضحيات بما يقارب خمسة ملايين أجهزت عليها العصابات الهندية أثناء هجرتها ، ثم بعد ذلك يسلم السلطان، ويجلس فوق هذا العرش الكبير ، فوق أرض باكستان - الأرض الحرة - رجل إسماعيلي الأبوين ، متفق على تكفير ملته باتفاق الأمة والعلماء والسلف والخلف ، جيء به من بريطانيا ثم فرض على البلد ، لا يعرف لغة البلد نفسها، لا يعرف الأوردية، ثم ملأ المناصب بالقاديانية والإسماعيلية والبهائية والشيعة وكل الطوائف التي تحارب الإسلام ، ويوم أن أريد من خلال البروتوكول ان يعلن استقلال باكستان سنة ١٩٤٧م ، بعد هذه التضحيات الباهظة علّم كيف يقف في صورة أمام الجمهور لتكون علامة اطمئنان للجماهير التي ضحت بالنفس والنفيس والغالي والرخيص ، ومن هنا توارث عرش باكستان أناس لا دين لهم إلا من رحم الله ، فقد حكم محمد علي جناح سنة واحدة ، ثم جاء بعده اسكندر ميرزا - وهذا كانت زوجته مجوسية -، ثم جاء بعده رجل اسمه غلام محمد ، ومن شدة عداوته للإسلام والمسلمين قد ألقاه أهل كراتشي ولم يقبروه في مقابر المسلمين أبداً، ثم جاء بعده بانقلاب عسكري أيوب خان ، وهو رجل مثل عبد الناصر لا يختلف عنه أنداً ، ثم بعده يحيى خان ؛ وهو شيعي ، ثم جاء بعده بوتو ولايُدرى من أين جاء هذا الرجل ، أسرة مهاجرة من إيران ، يعرف أنه كان يعمل في داخل قصر شاه بهلوي ، ثم جاء إلى البلد ، وزوجته لا يعرف دينها ، هو لا يعرف ما دينه، إلا أن أكثر الأقوال تقول أنه من الشيعة على الأقل ، وقد ترمى زوجته بالمجوسية أو الإسماعيلية أو غير ذلك ، ولذا عندما ترشحت زوجته ترشحت عن مدينة «چترال» ، لماذا؟ لأن چترال بلد الإسماعيلية في هذا البلد، ترشحت عن دائرة چترال ، ولذلك ليس عجيباً أن نرى هذه النتيجة التي أفجعت الناس وهي نتيجة منطقية وطبيعية لهذا الميراث الضخم، هذا الميراث الذي يمثل كوماً من قمامات الماضي ، ورثه ضياء الحق وأمسك بضعة عشر عاماً يحاول أن يغير فيه ، ويحاول أن يصلح في ميداني الاقتصاد ، وفي كل مكان ، والمسلمون في هذه البلد يقفون موقف المتفرج ، أحسنهم حالاً يقف موقف المتفرج ، وكما يقول المثل العامي : (آف عليه ونفسي فيه) .

الغرق

- "نحن لا نستطيع أن نقف بجانب ضياء الحق لأنه مركب تتقاذفه الأعاصير وتتنقل به الأمواج ، وهو غارق لا محالة فلا نريد أن تغرق شعبيتنا" .
- ماهي شعبيتكم التي تأخذون بها أصواتاً في الانتخابات ؟! ..
- أين هي شعبيتكم التي حافظتم عليها بضعة عشر عاماً؟! .. ماذا كانت نتيجتها؟! ..

كنا نقول للمسلمين في هذا البلد «باكستان» إن القضية الأساسية الأولى لهذا الدين هي قضية أفغانستان ، وهي إقامة دين الله من جديد ، وإنشاء مجتمع مسلم ، ولابد لكم أن تقفوا بجانب هذا الرجل لأنه فرصة ذهبية . ما مر في هذا القرن حاكم مثل

ضياء الحق أبداً ، من بداية هذا القرن حتى الآن، ما مر رجل خارج عن قبضة الغرب والشرق ، ويتخذ بعض القرارات بنفسه إلا هذا الرجل ، انطلاقاً من عقيدته وانبثاقاً من دينه ، ومع ذلك فالمسلمون لا يفكرون في واقعهم ، ويعيشون في عالم الأحلام . لا يريدون أن يتدرجوا كما تدرج رسول الله ﷺ في بناء هذا المجتمع . يريدون أن ينزل لهم رجل من السماء طاهراً مطهراً، ولا يحكم الأرض إلا كما حكمت المدينة المنورة على يد رسول الله ﷺ منذ اللحظة الأولى، ورسول الله في مكة لم يستطع أن يحكمها، وفي السنوات الأولى في المدينة لم يستطع أن يهيمن بسيطرته عليها ، ولم يستقر له الأمر في داخل المدينة إلا بعد أن خضد شوكة قريش وأجهز على هذا الصنم الكبير ، ثم بعد ذلك دان له الناس ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

الماسونية والكيد للإسلام

كل ما نسمعه من خلال كتب الأدب والأشعار وغير ذلك كلها- إلا من رحم الله - إنما هي تخرج من كوة واحدة، تلك الكوة الخبيثة التي تخطط للاجهاز على الإسلام حيثما كان ..

الماسونية وأصابع اليهودية العالمية ؛ تراها تلعب في كثير من القضايا ، ومنها الإجهاز على كل تجمع إسلامي، والانقضاض التام وإبادة كل تجمع إسلامي مسلح ، فعقيدة الجهاد التي يمكنها أن تتخذ بأيدي المسلمين القرار هدياً بكتاب ربهم وسنة رسولهم ﷺ . أرادوا أن يمسحوها من أذهان المسلمين .. القومية ، الوطنية ، اللادينية، الماسونية ، كلها عبارة عن شعائر تحتضن وراءها تلك الأيدي الخبيثة التي تحمل خنجراً مسموماً لتجهز على هذا الدين في كل مكان ، واستطاعوا من خلال هذه الشعارات ، ومن وراء هذه اللافتات أن يأخذوا فلذات أكبادنا ، وخيرة أبنائنا ، وعِلْية أقوامنا ، ويجندوهم جنداً لهم ، ينفذون ما يريدون .

ثلاثة عشر من الذين يُسَمَّون بـ «حكماء صهيون» - أو شياطين صهيون - يقبعون في «بروكلين» في نيويورك ، يخططون للبشر كلهم، لمن في ساحة البشرية في المعمورة ، ويذهب الزعماء والوكلاء والوزراء كل عام يتلقون من وراء حجاب - يفتي لهم حكماء صهيون- ماذا يريدون منهم في هذا العام أن ينفذوا في بلادهم ، وأن يعملوا في داخل أوطانهم ولذا ليس عجيباً أن تُعلن دولة المجاهدين التي قامت على الأسل ، وقامت بعد تضحيات لم يشهد لها التاريخ نظيراً ، ويقرّ به العام والخاص . تُعلن الدولة وينتظر المجاهدون دولة ممن تحكم المسلمين في أي ناحية من نواحي المعمورة لم يعترف بها أي أحد من العالمين .. لماذا ؟! لأن هؤلاء : القرار بأيديهم ، والحسام بأيمانهم ، والقرآن في قلوبهم ، وقد أعلنوا التمرد على كل طواغيت الأرض ، ولذا أحكم العالم الخناق والمؤامرة والخطة عليهم فلا يعترف بهم أحد .

بين دولة أفغانستان ودولة فلسطين

كانت بعض الدول تقول لو أعلنوا عن دولة لهم حتى نعترف بهم ، واستطاعو أن يجتازوا كثيراً من العقبات ويعلنوا دولتهم، فلم يسمعوا نفساً ، ولم تنبس دولة ببنت شفة ، دولة أفغانستان المسلمة ، دولة المجاهدين الذي مازال الحسام بأيديها ولازال القرار بأيمانها، ولا زالت سيدة الموقف فوق أرضها، دولة لها شعبها ولها أرضها وتهيمن على الموقف بكامله لم يعترف بها أحد من الناس ، ولا من أجزاء المعمورة .

أما دولة فلسطين التي ليس لها شبر من الأرض تقف عليه ، وتعلن بعيداً عن أرضها آلاف الأميال ، أمريكا تعترف بها ، إذا اعترفت بها أمريكا فلتعترف بها الدول العربية وغيرها ممن يحكمون المسلمين ، لماذا قامت الدولة الفلسطينية في هذه الفترة ، وهي جزء من المؤامرة على هذا الدين وأهله ، على تمزيق الإسلام والمسلمين، على إجهاض أي حركة إسلامية ، والإجهاز على أي تجمع قوي مسلح مسلم ، لماذا ؟! حتى يجهض المسلمون الذين استطاعوا أن يسحبوا البساط من تحت أرجل منظمة التحرير ، ولذا حركت أمريكا منظمة التحرير حتى تعلن هذه الدولة حتى تسحب البساط أو تستعيد البساط مرة أخرى من تحت أقدام المسلمين ، وإلا ما سر الاعتراف بها؟! دولة تعترف أن أرضها فلسطين ، وأن عاصمتها القدس . كيف يمكن لليهود وعملائهم ممن تحركهم من الأمريكان وغيرهم والفرنسيين والبريطانيين أن يعترفوا بها بعد لحظات من إعلانها ، أو بعد ساعات من إعلانها؟! إنها المؤامرة على هذا الدين .

يوم أن استطاع أعداء الله عز وجل أن ينسلوا هذه العقيدة من قلوب المسلمين ، وهذا الدين من أذهانهم، ويستبدلوها بشعارات علمانية ودولة علمانية ، كما تعلن منظمة التحرير الفلسطينية عن دولة علمانية يستوي فيها اليهودي والنصراني والمسلم ، فحي هلا بها إن كانت منزوعة السلاح ، وإن كانت تحت أقدام اليهود لا تستطيع أن تتنفس ، ولا أن تتحرك حركة إلا بإذنهم وأوامرهم .

عقيدة الولاء والبراء ، عقيدة لا إله إلا الله ، يجب أن يعاد النظر في إدخالها مرة أخرى في قلوب المسلمين . إن السر الوحيد في الضياع الذي نعيشه ، وهذه الدياجير التي نتضوع فيها ، وهذه الظلمات التي نتخبط فيها ، هو واحد : أننا لم نفهم عقيدة " لا إله له " ، وأن "لا إله إلاّ الله" تعني الحب لكل مسلم ، والنصرة لكل مسلم ، والولاء لكل مسلم ، والذود عن كل مسلم ، ودفع الدم رخيصاً ع عن أرض الإسلام والمسلمين ، ويقابل ذلك عداء الكافرين ، وعدم التشبه بهم ، والتبرؤ منهم ، ومحاربتهم ومنازلتهم في الميادين ـرية والثقافية ، ثم في ميادين النزال والقتال ، أو من لم يقف مع المسلمين ، ومن لم يعش معهم ، ومن لم يحبهم ويحب لحبهم ويبغض ـهم نفي دينه شك ، وفي عقيدته جرح ، وقد يكون خارج إطار هذا الدين ، ولذلك فرض الإسلام على كل مسلم حيثما قامت بقعة لأرض تحكم بشريعة لا إله إلاّ الله أن يهاجر اليها ، وأن يقف بجانبها ، وأن يتولى الذود عنها ، وفرض الإسلام على كل مسلم يرى لمين مضطهدين في الأرض ويستطيع أن يجد لهم معبراً أن يرحل إليهم ، ويقف بجانبهم، ويضع نحره من نحرهم ، ومن هنا كما ـ القرطبي : (من علم بحاجة المسلمين إليه وهو يستطيع الوصول إليهم وجب عليه النفير إليهم) .

(والعدو الصائل – كما يقول ابن تيمية – الذي يفسد الدين والدنيا ، ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه) . قام الجهاد في نستان ، وبقي الناس متفرجين عدة سنوات، ثم بدأ الواحد تلو الواحد يأتون ليتفرجوا من بعيد ، وكأن هذا الدين الذي في نستان ليس هو الدين الذي يحملونه بين جوانحهم، وكأن هذه العقيدة التي ينافح دونها الأفغان ليست هي العقيدة التي يحملونها في ـت جوانحهم ، لماذا ؟! السبب واحد : أن الولاء والبراء أصبح بيننا على لون جواز السفر ، هذا جوازه أخضر فمحبتي له على لون ـران ، وهذا جوازه أزرق ، وأنا أحمل هذا الجواز ، فيجب عليّ أن أنصره، ويجب عليّ أن أذود عنه ، ويجب عليّ أن أصطف تحت ـه، وأن اندرج تحت عُقابه – أي تحت علمه – ، ومن هنا لم يستطع المسلمون وللأسف ، حتى الدعوات الإسلامية لم تستطع أن ـطم الحواجز العرقية تماماً ، لقد استطاعت إلى حد ما أن تنقل كثيراً من القطيع من داخل الحظيرة والكلأ إلى داخل هذا الدين ـظيرته ، ولكن لم تستطع أن ترتقي به إلى المرتقى السامق ، ولذا نجد بعض الذين يدعون إلى دين الله عز وجل لم يستطيعوا أن ـصدا من هذه الرواسب ، هذا مصري فأنا آخذ برأيه لأني ولدت في أرض مصر ، ولا أفكر إلاّ بآلام مصر ولا أعيش إلاّ لمصر، رغم ـ أعيش في أمريكا أو في أفغانستان أو في الفلبين أو في السعودية . أنا مصري لا أعيش آلام السعودية ولا آلام أفغانستان .

كما قال حافظ ابراهيم :

أنا مصري بناني من بنى   هرم الدهر الذي أعيى الفنا

وكما قال أحمد شوقي يعبر عن لسان هذه الدهماء وهذه الغوغاء ، وهو في الأندلس منفياً، يقول عن مصر :

أدير إليك قبل البيت وجهي   إذا فهت الشـهادة والمتابا

.. أدير إلى مصر وجهي إذا فهت الشهادة والمتابا ..

ومن هنا ليس عجيباً أن يخرج من أبنائنا من يتولى الإجهاز على هذا الدين ، وأن يتربع على عرش هارون الرشيد في بغداد وفي ـجد بني أمية في دمشق ، أناس لا دين لهم يطالبون ذبح هذا الدين حيثما وجدوه، والإجهاز على المسلمين وعلى علمائهم حيثما رأوهم، ـ ـتر شفيق الكمالي عندما يقول لصدام :

تبارك وجهك القدسي فينـا   كوجـه اللـه ينضح بالجـلال

هذا شاعر حزب البعث ، وليس بعد ذلك عجيباً أن نسمع إذاعة دمشق تردد :

آمنت بالبعث رباً لاشريك له   وبالعروبة دينـاً ما لـه ثانـي

وعندما يترنح صنم سوريا وطاغوتها عدة مرات على يد الشباب المسلم الذين استطاعوا أن يتخلصوا من واقعهم، وأن يقدموا ـامهم فداء لهذا الدين ، عندما كان يترنح تتدخل اليهودية وأمريكا والعالم كله لتنقذه بموقف وطني ، فعندما كان يترنح تحت ضربات ـباب الحركة الإسلامية في داخل سوريا ، وإذا (ببيجين) يخرجونه من داخل المستشفى ويأتون به على عربة إلى الجولان ليكرس ـحتلال الجولان ، أي تكريس لاحتلال الجولان وأنتم تحتلونه قبل سنوات طويلة ؟! ماجاءت الفكرة أن تكرسوا احتلال الجولان إلاّ أن ـخرجوا بيجين – رئيس وزراء اسرائيل – على عربة ، وتأتون به إلى سوريا –إلى الجولان–، لماذا؟ ليقال أن الإخوان المسلمين هم ـملاء اليهود رضوا أو لم يرضوا، لأن اليهود الذي يقف أمامهم بطل الصمود هو حافظ الأسد ، فالذين يضربونكم من الخلف هم عملاء ـليهود رضوا، أم لم يرضوا علموا أم لم يعلموا، اتصلوا باليهود مباشرة أو لم يتصلوا .

ويترنح مرة أخرى فلابد أن تتدخل الأيدي ، وإذا بقضية الصواريخ تثار في لبنان ، انتشار اتفاقية الصواريخ ، ويصر بطل

الصمود وبطل العروبة حافظ الأسد النصيري الذي اتفق على كفره بالإجماع ، الذي لا يعرف الصلاة . وعندما قابله وفد من الوفود الإسلامية استدعاهم للصلح بينهم وبين الإخوان قال لهم : أنا مسلم ، أنا والله أصلي الجمعة ، وأصلي صلاة المولد النبوي . يظن أن المولد النبوي له صلاة ! ، ومع ذلك يقف وزير الأوقاف في سوريا ويعلن أن الرئيس من كبار الأولياء ، وهو يقوم الليل ، وللأسف أن هذا الوزير كان في يوم من الأيام يدعي أنه من أبناء الدعوة الإسلامية . وكان يحضر معنا «الماجستير والدكتوراه» في القاهرة.

وحيثما تحرك الإسلام الذي لا يخضع للغرب يجب أن يجهز عليه ، فعندما رأوا أن عيدي أمين في أوغندا وقف وأعلن عداءه اليهودية ، وأعلن أنه لا يقبل إسرائيليين ولايقبل المبشرين ، وطرد المبشرين ، اتفقوا على الإجهاز عليه ، وبدأت تنزانيا ورئيسها الراهب (جوليوس نيريري) يعدون للانقضاض على عيدي أمين، فحرك جيشه قبلهم ووصل إلى مشارف دار السلام، وهنا ضج الغرب جميعاً خوفاً على تنزانيا من هذا الوحش الذي كانوا ضائقين به في داخل أوغندا، فكيف وقد توسع إلى تنزانيا؟! وإذا بهم يحركون السادات، والسادات يحرك النميري يقول له : أنت رئيس الوحدة الأفريقية فتحرك لإنقاذ تنزانيا ، وذلك بأوامر الغرب ، وذهب النميري إلى عيدي أمين ، وقال له : ارجع ، قال : إنهم يريدون أن يدخلوا بلادي ، قال : أنا أتعهد لك ، أنا رئيس الوحدة الإفريقية كلها فأنا أتعهد لك . ورجع عيدي أمين ، وفي اليوم التالي فقط تنقض تنزانيا على عيدي أمين بأساطيلها البرية ، أما الأساطيل الجوية فقد تكفلت بها مصر والجزائر ، وأجهزوا عليه ، وأجهزوا على الإسلام ، وجاءوا بنصراني ليحكم هذا البلد ، ولا زالت جراح المسلمين في هذه البلدة تنزو دماً ، ولازالت ثكالاهم وأياماهم تئن في وهن من الليل .

نلتقي على الإيمان

نحن يجب أن ننتقل من تجمع الجبل ، من تجمع الحيوانات – الحظيرة والكلأ والماء – ، يجب أن ننتقل من هذا التجمع ، تجمع الجنس والكلأ والحظيرة الذي هو تجمع الحيوان ، يجب أن ننتقل صعداً إلى الآفاق العليا نستروح شذا هذا الدين وعقيدته الطيبة ، يجب أن ننسى لون جوازات السفر والمولد الذي ولدنا فيه ، وتتجه أنظارنا إلى البلد الذي يمكن أن يقام فيه هذا الدين من جديد ، ليس عجيباً أن تنجح هذه البنت الضائعة المسكينة – بنظير بوتو – وبتأييد غالبية شعب مسلم يعطيها ولاءه، وليس هناك أي عذر لهم ، فالمرأة باتفاق المسلمين لا يجوز أن تحكم في هذا الدين ، ولا أن تتولى الإمارة العامة ، هذا الأمر لا يخفى على العامة ولا على الخاصة ولا على أحد من الناس ، ومع ذلك تنهال بعض الأموال من بعض الجهات الإسلامية على هذه البنت ، مئات الآلاف ، أكثر من ألف مليون روبية لتشتري بها الضمائر الجائعة إلى لقمة الخبز ، وليس جائعة إلى معرفة ربها ودينها وعقيدتها ، ومن هنا وقفت وأخذت أربعة وتسعين صوتاً مقابل أربعة وخمسين صوتاً جمعتها تسعة أحزاب كبرى في البلد ، وبنت واحدة مع سبع نساء حولها تأخذ غالبية هذا الشعب الذي يقف بجانبها ، والآن تطالب من منطق القوة بتشكيل الدولة وتفعل فيها ماتشاء ، وكل ذلك ونحن نعلم أن المؤامرة كلها على هذا الجهاد الذي رفض أن يخضع للغرب أو الشرق ، ولكن رب العزة يقول لنا:

(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون) (البقرة : ٢١٦)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

أقرأ عليكم بعض النصوص التي تدلل عقيدة الولاء والبراء إنها لا إله إلا الله ، أنها هي المفهوم العلمي لشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله .

يقول ابن تيمية : ليس للقلوب سرور ولا لذة تامة إلا في محبة الله والتقرب إليه بما يحبه ، ولا يمكن محبة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه ، وهذه هي حقيقة «لا إله إلا الله» ، وهي ملة إبراهيم الخليل عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، أما شقها الثاني : «محمد رسول الله» فمعناه تجريد متابعته ﷺ فيما أمر ، والانتهاء عما عنه زجر .

ويقول الرسول ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه أبو داوود:

(إن من عباد الله لأناس ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانتهم من

الله تعالى، قالوا يارسول الله: تخبرنا من هم، قال هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، ووالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ الآية: ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[١] .

وفي الهجرة ومفارقة الكفار جاءت أحاديث صحيحة كثيرة منها:

(أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين)[٢] . (من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله)[٣]. (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها)[٤] .

ويقول ابن حزم : [ولو أن كافراً مجاهراً بكفره – مثل حافظ الأسد والقذافي – غلب على دار من دور الإسلام وأمر المسلمين بها على حاله إلا أنه هو المالك بها، والمنفرد بنفسه في ضبطها، وهو معلن بدين غير دين الإسلام ، لكفر بالبقاء معه كل من عاونه وأقام معه، وإن ادعى أنه مسلم] نص خطير جداً .

ولذلك أيها الإخوة لابد أن نعود لفهم (لا إله إلا الله) مرة أخرى، لفهم عقيدة البراء والولاء في الدين ، والبراء من أعداء الدين ، المحبة في الله والبغض في الله ، نصرة المسلم حيثما كان ، من أي بلد ، ومن أي جهة كان لابد أن نقف بجانبه مادمنا نظنه أنه على الحق، وأن ننصره وأن نعاونه لعلنا نصل إلى نصرة هذا الدين .

صور الغبش

وأما الصور التي تبين غبش هذه العقيدة في أذهان المسلمين ، كثيرة جداً منها : أن المخابرات العالمية ، والمخابرات الكفار في داخل البلد قد احتلت قطاعاً كبيراً من المسلمين، يجندون أنفسهم لعداء هذا الدين مقابل لقيمات مسمومة يأكلونها مغموسة بدماء الناس وأعراضهم ، (ولا يدخل الجنة قتات)[٥] وكان حذيفة بن اليمان جالساً ذات يوم، وحذيفة يعيش في دار الإسلام ويحكمه خليفة من خلفاء الإسلام ، أقبل رجل من بعيد، وقالوا : هذا يرفع أشياء إلى السلطان ، فقال قال ﷺ – على مسمع هذا الرجل (لا يدخل الجنة قتات) والقتات هو الذي ينقل عيوب الناس .

ومن صورها : هذه الجيوش الكبيرة التي جندتها المخابرات الأمريكية وغيرها لتحطيم هذا الدين في داخل أرضه، وللإجهاز عليه بين الجدران ، ومن صورها هذه الشعارات المرفوعة باسم الوطن وباسم القوم وباسم الجنس وباسم العلمانية وباسم الماسونية والليونز، وغير ذلك ، كل شعار مرفوع إذا وقفت تحته إن كان غير شعار الإسلام ونافحت عنه فأنت تخرج من هذا الدين ، فانتبه إلى الراية التي تأوي إليها ، انتبه إلى الناس الذين تدافع عنهم ، احذر ،انتبه ، تفهم الطريق الذي تسير فيه .

وضوح المعركة

يا أيها الإخوة : وهنا صورة واضحة للمعركة بين الكفر الواضح والإلحاد الواضح والإيمان الواضح والإسلام الواضح والكفر الواضح، بين الإلحاد من جهة روسيا ، وبين الإسلام في أفغانستان ، ونحن يجب أن نقف بجانبهم على أساس أن هذه المعركة هي معركة هذا الدين ، وأنها معركتنا، وأن هذه الأرض التي فيها الممات وفيها الحياة ، وعليها أريد أن أقيم هذا الدين، علّنا نستطيع أن نصل إلى حكم يستطيع الذين يحكمون فيه أن يتخذوا قراراتهم من أنفسهم بهدى من ربهم ومن دين نبيهم ﷺ .

وصايا للشباب

يا أيها الإخوة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أولاً : هنيئاً لكم هذا المكان الذي أنتم تعيشون فيه، وهنيئا لكم هذا المقام الذي أقمتم فيه ، وهنيئا لكم هذا العمل الذي شرفكم الله بالانشغال فيه .

يا أيها الإخوة: ليس كل واحد يشرفه الله بحمل رسالته (كما قال ابن القيم نقلاً عن السلف : إذا أردت أن تعرف مكانتك

---

(١) رواه أبو داود، انظر مشكاة المصابيح رقم (٥٠١٢) . (٢) انظر صحيح الجامع الصغير رقم (١٤٦١) .(٣) انظر صحيح الجامع الصغير رقم (٦١٨٦) .
(٤) انظر المشكاة رقم (٣٣٤٦) والإرواء رقم (١٢٠٨) . (٥) رواه البخاري ومسلم.

ومقامك عند رب العالمين فانظر إلى العمل الذي سلمه إليك)، أنظر إلى الشغل الذي بين يديك، فعندما تنظر أنه سلمك عملاً هو ذروة سنام الإسلام فاعلم أن لك عند الله علو المقام ، وليس هذا بأمانيكم ولا باجتهادكم ، إنما هو فضل من رب العالمين، فاحمدوه واشكروا له ..

(إعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور) (سبأ : ١٣)

فالشكر بالعمل .

يا أيها الإخوة : في ميزان الآخرة ليس هنالك عمل يعدل عملكم أبداً ، والحديث الذي في الصحيحين:

(رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه)[١] أو في صحيح مسلم – على الأقل – **(ومن مات مرابطاً لا يختم على عمله وأمن من الفتّان)**[٢] يعني الذي يموت في مثل هذا المكان يبقى عمله ينمو له إلى يوم القيامة .

كم مدة بقائك فوق هذه الأرض ؟ ستين ، سبعين سنة ، القيامة قد تكون بعد سبعة آلاف سنة ، سبعة ملايين سنة – الله أعلم – يبقى عملك يضاف إليه كل يوم نسخة من أعمالك اليومية التي كنت تعملها هنا ، فانظر إلى ميزان حسناتك يوم القيامة، وانظر إلى ديوان غيرك يوم القيامة ، ذاك ملفه كم فيه؟! هكذا !! ، وأنت ملفك هكذا ..!! .. جبال ، لأنه : كل يوم يضاف إليك نسخة من أعمالك التي كنت تعملها ، في ميزان الآخرة ما من أعمال البر أفضل من الرباط والجهاد ، كما قال الإمام أحمد وقد سئل عن الرباط فأخذ يبكي وقال: ما من أعمال البر أفضل منه .

حرمان ما بعده حرمان ..

والله يا إخوان : ما مسكين إلا الذي حرم مثل هذه الحياة ، وما محروم أشد من حرمان الذي تمر عليه عشر سنوات من الجهاد الأفغاني ولا يغبر أقدامه في سبيل الله، ولا يرابط فيها، ولا يشترك بمعاركها، هذا أكبر حرمان ، وحرمان أكبر منه رأيته ، الذين وصلوا إلى هنا إلى النهر عطاشاً ورجعوا عطاشاً ، لم يذوقوا ولم يستعذبوا طعم الماء ، هكذا ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، وهذه عقوبة من رب العالمين ، أن يحرم القلب تذوق العبادة .

(أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) (المائدة : ٤١)

هذا حرمان ما بعده حرمان ، يعني كان أشد حسرات التابعين أنهم لم يروا رسول الله ﷺ ، ولذلك أحدهم يحدث حذيفة رضي الله عنه ، يقول له : والله لو رأينا رسول الله صلى الله عليه ما تركناه يمشي على الأرض ، إلا ويمشي ..أين ؟ على أكتافنا دائماً .. ما تركناه يمشي على الأرض .

أحد إخواننا الذين شاركونا مسيرة الدعوة الطويلة، قال لي: أنا لو عشت في زمن التابعين أموت غماً أني ما رأيت رسول الله ﷺ.

والله ما من مصيبة أعظم من الذي يحرم الجهاد والرباط أبداً ، باب من الخير مفتوح لمن أراد أن يلج ، أبواب السماء مفتوحة للذي يريد أن يدخل ، واليوم – في الصحيح – بصيام شهر وقيامه ، وفي السنن في رواية الترمذي:

(وقف عثمان بن عفان رضي الله عنه ذات يوم على المنبر فقال : أيها الناس إني أحدثكم حديثاً ما منعني أن أحدثكموه إلا خشية التفرق عني ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)[٣]

كان عثمان قد خبأه عن الصحابة لأنه بمجرد أن يسمعوه سينفضوا من حوله ويذهبوا : أولاً يدلك على النفسيات التي كانت تتفاعل مع النصوص .. هو خائف إن حدثهم الحديث أن يتركوا المدينة ويبقوه وحده في المدينة، لكن من أجل التبليغ بلغهم إياه ، والحديث حسن وحسنه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول لابن الأثير .

وفي رواية أخرى وصححها الحاكم وصححها السيوطي كذلك في الجامع الصغير، قال :

(رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة قيامها وصيامها)[٤]

الليلة بألف ليلة، فماذا تصنع؟

فيا بائعاً هـــذا ببخس معـــجل *كأنك لا تدري ولا أنت تعلـــــم*

---

(١) رواه البخاري ومسلم. (٢) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه. (٣) رواه النسائي والترمذي وحسنه. (٤) رواه ابن ماجة والحديث السابق يشهد له.

ولذلك دائماً أنا أدعو الله عز وجل : الثبات في هذا المجال، وأن يختم لنا بالشهادة ، أدعو الله الثبات، لأن المثبطات والمعوقات عن هذا العمل كبيرة وثقيلة ، وما من أعمال البر أفضل منه، وما من أعمال البر أثقل منه، ما عبادة أثقل من عبادة الجهاد، لأن الصوم.. تصوم تحت المكيف ، طول النهار نائم ، وطول الليل تاكل ، وتذهب وراء الحذيفي في الحرم إذا كنت في الحرم تستمع ساعة ، تستمتع وترجع إلى البيت ، أنواع الفواكه واللحوم وأنواع الحلويات والطعام ، وتبقى هكذا حتى مطلع الفجر

(وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) (البقرة : ١٨٧)

بعض الناس فاهمون أنه لازم طول الليل يأكل حتى يرى ماذا ؟ حتى يرى الفجر ، الصلاة تصلي على الفراش الوثير وأنت بين الزوجة والولد الصغير، الزكاة على التلفون .

– (ألو) أريد إخراج زكاة مليون ريال ! .

الحج صاروا يحجون الآن بيومين يذهب إلى عرفة ثم يبيت ليلة المزدلفة في اليوم التالي يرمي جمرة العقبة وبعضهم لا يبيت ، بعد منتصف الليل ينزل يرمي جمرة العقبة وينحر ثم يذهب يطوف طواف الإفاضة والسعي، ويعطي واحداً ثمن ذبيحة بدل ليالي منى ويرجع إلى بلده ، في يوم واحد، لكن هنا ترْك الزوجة والأولاد والوطن والبلاد والجيران والخلان والفضة والذهبان والشركة والخدم والحشم والوظيفة والجامعة والمدرسة، كلها ستترك ، لإنه ما تستطيع تنقل جامعتك إلى «صده» وإلى «خَلْدَنْ» ، ولا شركتك تنقلها هنا هنا ولا تستطيع أن تنقل أولادك وزوجتك هنا ، فلا بد أن تترك هذا كله، ولذلك قال الله عز وجل :

(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين) (التوبة : ٢٤)

كل الدنيا : الأولاد ، العشيرة ، التجارة ، الشركة ، كل الدنيا وضعها في كفة والجهاد في كفة ، واختر إحدى الكفتين، فإن اخترت كفة الدنيا فانتظر عقوبة الله عز وجل ، وخذ منه لقب الفسق ، وعدم الهداية ، وإن اخترت الأخرى فهو فوز الآخرة ونيل الجنة إن شاء الله .

والحقيقة أمثالكم ومعظمكم غير متزوجين ، فتزودوا قبل أن تتزوجوا يا إخوان ، وانفروا خفافا قبل أن تثقل أقدامكم ، والله يا إخوة أمثالكم لا أدري ما الذي يزهدهم بمثل هذا المكان، الآن أندادكم من بلادكم تجده على حافة نهر – مثل هذا النهر – في بلاد أوروبا، ويدفع يومياً ما يكفي للمعسكر عدة أيام بكامله ، ينفق يومياً ما يكفيكم جميعاً عدة أيام طعاماً وشراباً، وهنا اليوم هذا بألف يوم، وهناك ينقص من عمله ألف يوم، والله أعلم ، الله أعلم كم ينقص من أجره ومن عمله، وهنا فعلاً سياحة ، **(سياحة أمتي الجهاد)**[1] وأنت أفضل الناس ، **(وسئل رسول الله ﷺ : أي الناس أفضل؟ (قال : رجل يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله)**[2] فإذا استطعت أن تجاهد بمالك ونفسك ولا تحمل الجهاد درهماً ، هذا أفضل المنازل ، يعني إذا استطعت أن تشتري سلاحك بنفسك، وتدفع ذخيرتك بنفسك، وتحسب كم الطعام يكلف وتدفعه، وتحسب كم تكاليف سفرك وقدومك ولباسك وما إلى ذلك ، وكله تنفقه من مالك الخاص، فأنت في أعلى المنازل وأشرف الدرجات وحاول أن يكون كذلك وإلا فقد ساق الله لك من المال الحلال ، ما تستطيع أن تؤدي به هذه العبادة والحمد لله ، إطمئنوا! إن ما تأكلونه وما تشربونه وما تلبسونه هو من مال حلال مخصص لأمثالكم العرب ، ليس للأفغان ، لأن ما يجمع للجهاد الأفغاني لا ينفق عليكم منه والحمد لله ، ينفق عليكم من مال مخصص للعرب المجاهدين، لكن إن استطعت أن تجاهد بنفسك ومالك فهذا أشرف المنازل وأعلاها، وأنت الآن، لا لك –كما قالوا في الجزائر أو في المغرب مثل عندهم–: لا دار ولا دوار ولا عايشة في الدار ، ما الذي يربطك بالحياة وعلى أي شيء تخاف ؟

(١) حديث صحيح رواه أبو داود والبيهقي والحاكم وقال صحيح الإسناد وأورده ابن المبارك في كتابه «الجهاد» ص ٦٨ وصححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير رقم (٢٠٩٣) .
(٢) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم.

بعض تكاليف الجهاد

والله يا إخوة أنتم لا تدرون ما نتيجتكم ما خاتمتكم غداً إذا فتحت عليك الدنيا واشتغلت في هذه الدنيا، يغلق عليك باب ويفتح لك أبواب، والدنيا تقبل عليك بزهرتها، ويكثر المال والأولاد، ولا تدري ماذا تكون خاتمتك، وكيف تكون نتيجتك، ولا تدري هل يسمح لك بعد الآن أن تحمل هذا السلاح الذي تحمله، وأن تتعرض لنسمات الجنة كما تتعرض الآن، لا تدري، لأنه في بلادنا الرصاص حكمه سجن، والسلاح حكمه الإعدام، أليس كذلك؟ أين تجد؟ هنا رصاصة واحدة بيد شيوعي ترسلك إلى الجنة **(إتبعتك على أن أضرب هنا نأدخل الجنة)** قال له كما يقول المثل: (إذا ضربتك كف بجيبك بمكة) – مثل – قال له: الحَجّة تكون على يدك !! . وهؤلاء الشيوعيون وأعداء الله عز وجل: رصاصة واحدة يقتلوننا بها تصعد أرواحنا إلى الجنة في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش .

أين يا أخي ؟! يذهب يشتغل، في عجمان والشارقة ودبي وأم القوين والبحرين وغيرها والرياض، ومن أول الشهر لآخره وأنت تركض حتى آخر الشهر يعطونك ألفي ريال، التي هي بنزين للسيارة، أو مهر للعروس، أو فراش أو كنبايات أو أثاث أو رياش، كيف تكفي هذه ؟! وطيلة حياتك ستتزوج واحدة، وإذا كنت جريئا ستتزوج الثانية، إثنتان وسبعون حورية، أين تترك هذا النعيم وتذهب تبحث عن بدوية ؟! .

نعم والله، الماء يُرى من حلقها عندما ينزل، ومخ عظامها ظاهر من سبعين حلة من الحرير، وفي قصر من لؤلؤة مجوفة طوله في الجنة سبعون ميلاً من زمرد أخضر، أين تترك هذا ؟! أين تترك هذا ؟! الله ! .. أعزب لا وراءك شيء !!

أمي مرضت، أنا أمي مرضت كذلك، أختي دخلت المستشفى كذلك، ما من أحد يأتي إلى الجهاد إلا ويدركه بعض البلاء في أهله وفي ماله، هذا شيء طبيعي .

سنة ٦٩ – ٧٠ ذهبنا إلى الجهاد في فلسطين، ونحن نعرف أخانا الدكتور محمد نور من تلك الأيام زارنا هناك، وأحببناه من تلك الأيام، صدقوا أمي أصابها مرض في صدرها، أختي كذلك؛ أزمة صدرية، ووالدي يبكي شيء طبيعي، أنا كنت معلماً في عمان، معلماً في مدرسة ثانوية، وأسكن في أحد جبال عمان، وتركت الوظيفة وتركت المدرسة وتركت الأهل، طبعا لا أستطيع أن أدفع أجرة البيت، فنقلناهم إلى غرفة من طين في بيت أحد الإخوان الذين كانوا يجاهدون معنا، هذه الغرفة ليس لها مطبخ، ولا حمام، ثلاثة أمتار في مترين، وكان عندي ثلاثة أولاد لكن صغار، مترين بثلاثة تكفيهم، هل يشترط أن يكون قصراً وحوله الحديقة ودرابزين وديكور والمر والرخام، هذا عيش وهذا عيش، ووالله إن السعادة التي تغمر الإنسان في مثل هذه الحجر الطينية لا يعدلها الحياة في تلك القصور المزوقة من الخارج، ولكن في الداخل من المآسي لا يعلمه إلا الله عز وجل .

فالمهم، حاولوا أن أرجع، رفضت، أقاربنا الذين كانوا يحترموننا لمكانتنا الاجتماعية ولوظائفنا، هؤلاء جفوا أهلي، يعني لأني الآن صرت في رؤوس الجبال لم أعد ذلك الموظف الذي له مكانة في وزارة التربية، يدخل على هذا، ويتوسط لهذا، فشكت لي زوجتي قالت لي: امرأة فلان فعلت كذا، ودار فلان لا يدخلون علينا، قلت لها: لا يهمك أنت والله ستصبحين خيراً منهم ليس في الآخرة، في الدنيا قبل الآخرة، وكنت أقسم لها كما أظن الآن أني كنت أقسم لها أنها ستصبح خيراً منهن في الدنيا قبل الآخرة، لأن الله عز وجل يقول:

(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) (النحل : ٤١)

فكنت معتمداً على هذه الآية، وفعلا أنا قدمت الماجستير وأنا في القواعد، كنا مرابطين في قاعدة مثل هذه القاعدة وأدرس مع الإخوة، لنا بعض الإخوة في القاهرة يرسلون لنا المنهج، وأنا هكذا قرأته مرة على عجل تقريباً، وذهبت إلى القاهرة وقدمت، وأنا في القاهرة قلت ياليتني ما خسرت ثمن التذكرة، لا ندري ننجح أو لا ننجح، صدقوا يا إخوة أني خرجت الأول في الجامعة، الأول ! نعم .

أنا سبقت المعيد الذي وظفوه معيداً، علاماتي أعلى منه، فلما خرجت النتائج أرسل لي أحد الإخوة برقية نهنئكم بالنجاح، ما ذكر التقدير، هناك لا يحق لإنسان أن يسجل رسالة الدكتوراه إلا إذا معه جيد على الأقل، فأرسلت له رسالة لعل التقدير مقبول، وأنت استحييت أن تذكر التقدير، فأرسل لي برقية أخرى تقديرك جيد جداً، أرسل مخطط الدكتوراه، نعم، وما أحد أخذ جيد جداً في تلك الدفعة، في تلك الدورة إلا أنا، هذا بفضل الله ونعمه، والله وكما قلت لكم أنا هناك كنت نادماً أني دفعت ثمن التذكرة، أنا ما كان عندي ثمن تذكرة، إخواني هم الذين اشتروها لي .

وأرسلت مخطط الدكتوراه وأنا في القواعد، وجاء صاحبنا – في الأردن – وقضى على العمل الفدائي ولم يبق ولم يذر، الملك

حسين سليل الدوحة الهاشمية ، قضى على العمل الفدائي ، أحرق الشجر والحجر ، نعم أحرق ، يعني : صارت معارك بين الجيش وبين الفدائيين في عمان واستمرت طويلاً وبالتالي تدخل المصلحون ، وقالوا : إذا خرجوا من عمان ومن «إربد» ومن المدن وعاشوا في الأحراش نحن نتركهم ، فصدق الفدائيون وخرجوا إلى الغابات ، وعندما تجمعوا في الغابات ، سيّروا إليهم الطائرات والدبابات وأحرقت عليهم الغابات، وهرب قسم منهم وانضم لليهود وقالوا : نحن معكم ضد العرب .

المهم : ضرب العمل الفدائي ، أحد أصحابنا استلم وزيراً للتربية والتعليم والأوقاف ، فعينني - معي ماجستير في الشريعة - معيداً في كلية الشريعة مباشرة ، ثم أرسلني بعثة إلى القاهرة، وخلال سنتين أخذت الدكتوراه ورجعت أستاذاً في الجامعة الأردنية، لو بقيت أستاذاً في عمان في الثانوية ماساق الله لنا هذا الخير في الدنيا ، أنا قلت لكم كنت أقول لزوجتي ستصبحين أفضل منهم في الدنيا، هكذا يقول الله عز وجل .

وصرت أستاذاً في الجامعة الأردنية ، وصار راتبي ضخماً ، وما إلى ذلك : أستاذ !!، في يوم من الأيام زوجتي تفاتحني تقول لي : والله نحن وأنت فدائي - تعمل مع العمل الفدائي في الجهاد - كنا نشعر برغد العيش أكثر من هذه الأيام ، والله كنا نأكل أفضل من هذه الأيام، ليس علينا دين ، لماذا ؟ قالت : لا يوجد كماليات بالمرة أبداً ، لا أشتري ثوباً جديداً، لأني كلما أردت أن أشتري ثوباً جديداً أقول : طيب الآن ألبس الثوب الجديد ، قد يأتي محملاً على أيدي الرجال ، لا يناسب الثوب هذا المبرق الجميل مع الموت : تريد أن تشتري خزانة ، تريد أن تشتري سجادة ، تريد كنبة ، لماذا ؟ نحن بين فكي الموت ، ولذلك كان العمل نفسه يقتضي الزهد .

قالت : اليوم راتبك ضخم لكننا مدينون ، لا نجد تلك الحياة الهانئة الوادعة التي عشناها أيام أن كنت في الجهاد .

خير معاش الناس

فيا أيها الإخوة : صدقوا ، الدنيا كذلك تنتظر الذي يرجع إليها بعد الجهاد ..

(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيراً وسعة) (النساء: ١٠٠)

فأقول : أنت أد الخطوة الأولى واترك على الله البقية ، والله كريمٌ

(ما تقرب إليّ عبدي شبراً إلا تقربت إليه ذراعاً ، ولئن أتاني ماشيا أتيته هرولة، وما ذكرني في ملأ إلا ذكرته في ملأ خير منه)[١]

والله تكفل بعونكم **(ثلاثة حق على الله عونهم)** - من هم ؟ - **(الغازي في سبيل الله، والناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء)**[٢]

حق على الله عونهم ، فحق على الله عونكم تفضلاً منه وتكرماً:

(تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي وجهاد في سبيلي أن يدخله الله الجنة أو يرجعه إلى المنزل الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة)[٣]

تضمن: تكفل. في رواية: (تكفل الله، تكفل الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي وجهاد في سبيلي أن يدخله الله الجنة أو يرجعه إلى المنزل الذي خرج منه بما نال من أجر أو غنيمة) .

إذن ربنا متكفل لك بالجنة أو بالأجر والغنيمة، فعلى أي شيء تخاف .. على أي شيء تخاف أو تخشى ؟!

والله يا إخوة : أنتم في نعمة لا تدركونها ، أنا أدركها أكثر منكم ، لا يدرك هذه النعمة إلا الذي عاشها فترة وحرم منها ، عشنا هذه الفترة وحرمنا منها ، ثم فتح الله علينا مرة أخرى وعشناها ، فلا تفرطوا فيها ، لا تفلتوها من أيديكم ، ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل:

(قالوا : على أي شيء نبايعك يا رسول الله؟ قال: تبايعوني على أن تحموني مما تحمون منه نساءكم وأولادكم - بيعة العقبة الثانية - قالوا : ماذا لنا يارسول الله ، قال: الجنة ، قالوا : ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل، وقام أسعد بن زرارة وأبو الهيثم وغيرهم ، قال: يا قوم هل تدرون علام تبايعون الرجل، تبايعونه على حرب الأحمر والأسود وعلى أن تعضكم السيوف، قالوا: أبط عنا يا أسعد ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل)[٤]

---

(١) جزء من حديث قدسي رواه البخاري في صحيحه بنحوه. (٢) حديث صحيح أورده الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٣٠٥٠). (٣) رواه مسلم في صحيحه بنحوه.
(٤) هذا الحديث ضمن قصة طويلة مشهورة في السيرة تلقاها أهل العلم بالقبول.. انظرها في سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٦٣).

ربح البيع يا جماعة، ووصلتم وذقتم وعرفتم حلاوة الجهاد ، فإياكم ، إياكم أن تخسروا بعد أن ربحتم ، وأن تبدلوا نعمة الله بعد أن وصلتم ..

(ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب) (البقرة : ٢١١)

يا أيها الإخوة : صحيح أن البعد عن الأهل يوحش ، ولكن الله يعوّض في الداخل إذا علم الصدق والإخلاص ، يعوّض النفوس ، **(عليكم بالجهاد فإنه باب من أبواب الجنة يذهب الله به الهمّ والغمّ)**[١] .

وكما قال الرسول ﷺ – هذه أفضل حياة – قال :

(من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)[٢]

ما هي أفضل حياة ؟! هي حياة الآخذ بعنان فرسه . من خير معاش الناس يعني : من أفضل أنواع الحياة ، حياة الرجل الآخذ بعنان فرسه .

ويكفيك ها هنا أنك لا ترى البنات ، ولا المنكرات ، ولا تسمع الموسيقى ولا الغناء ، ولا الفحش ولا الخنا، ولا ترى خمارة قرب بيتك، ولا مرقصاً بباب مسجدك، ولا سافرةً ولا عارية ، وتصلي الصلوات الخمس جماعة ، ويوم بألف يوم ، والرز زيادة ، ماذا تريدون زيادة عن هذا ؟! بجانبك نهر ، عندك الطعام والله – يا سلام – أنتم الآن مثل رجل فاضل كبير في السن جاء إليه أبناؤه، وقالوا: ياأبانا نحن لا نريد أن تعمل ، أترك وظيفتك ثم اجلس على صيامك وصلاتك ، فأنتم متفرغون للعبادة، والله عز وجل ساق لكم من يكفلكم بلباسكم وطعامكم وشرابكم وتنقلكم فأي نعمة أكبر من هذه ؟ أي نعمة؟! والله من نعم الله عليكم هذا ، وإن أهل الدنيا ليتعبون أضعاف أضعافكم، ويدفعون يومياً من ضرائب الذل ما لا يعلمه إلا الله ، أمام ولد صغير لا يساوي خمسة دراهم ، يكون مسئولاً عنه لا بد أن يضرب له السلام، أو ينحني إليه أو يسلم عليه ، وهو يعلم أن مسئوله لا يعدل في ميزان الله جناح بعوضة ، ولا في ميزانه ، لكن هو مضطر أن يقول له: يا أبا فلان ويا كذا، لماذا ؟ حتى يأكل لقمة الخبز المغمسة بكرامته طيلة الشهر .

وكل يوم لا ينام إلا عـلى	مواطىء كل جبار غشـوم
ولا يصحـو إلا علـى	خطىً للذل خاشعة الرسوم

حتى يأخذ آخر الشهر، ماذا؟! الدراهم هذه المغمسة بكرامته وبحيائه وبغير ذلك، كم أراق من ماء وجهه؟! كم أذل نفسه؟! كم تعب؟! كم تصبب عليه من عرق؟! لا تبعدوا، هؤلاء الذين يقطعون الخشب حولكم، صدقوا أنهم يتعبون أضعاف أضعافكم، تجدهم في رؤوس الجبال معلقين وكيف يقطعون الشجرة، وكيف يوصلونها إلى أسفل، وفي الشتاء كيف يحملونها على الجمال، وكيف ينزلون من رؤوس الجبال ، يعرضون للموت عدة مرات حتى ينزلوا خشبة .

يا أيها الإخوة : أنتم في نعمة عظيمة فلا تضيعوها ، والعمل الذي تقومون به وهو عمل الإعداد والتدريب ، هذا أفضل عمل .

والرباط كما يقول، أبو عمر بن عبد البر: والرباط لحقن دماء المسلمين ، والجهاد لسفك دماء المشركين ، وحقن دماء المسلمين أحبّ إليّ من سفك دماء المشركين ، يعني: الرباط أحب إليه من الجهاد ، لماذا ؟ لأن الرباط صعب ، الرباط ترابط شهرين ثلاثة، أربعة ، حتى تعمل عملية واحدة ، ونستحق عمل عملية خاصة إذا لم يكن فيها خطر .

أما الرباط : عمل إن لم يكن قرآن يندي القلوب، وذكر يرطب النفوس، واتصال بالله يثبت الأقدام .

ضرورة الإعداد

يا أيها الإخوة : إذا أردتم أن تجاهدوا أو تواصلوا الجهاد وأن يثبتكم الله على هذا الطريق، فأطيلوا البقاء في معسكر التدريب، لأن هنا تعد نفسيتك وتهيء روحك ونفسك من أجل أن تكون جندياً ، أنت جئتنا ضابطاً من بيتك ، كنت تأمر فتطاع "أريد أن آكل"، كل ما يقدم لك، أنت تنام متى شئت ، تقوم متى شئت ، نحن هنا نريد أن ننزلك إلى جندي – بدون مؤاخذة –، نسحب النجمة التي على كتفك والشرايط التي على ذراعك وننزلك جندياً ، حتى تعيش حياةً جماعية ، حياة الجندية في مجموعة منظمة جهادية، والذين لا يتدربون لا يستطيعون الجهاد، لأن نفسيتهم لا تنزل إلى نفسية الجندي، ولا يعرف الضبط ولا الطاعة ولا الإمارة ولا السمع ، لا يعرف إلا الذي

(١) انظر صحيح الجامع الصغير رقم (٤٠٦٣) . (٢) رواه مسلم.

يعيش في أجواء التدريب، في معسكر التدريب ، وكلما طالت فترة تدريبك وإعدادك واستعدادك كلما أفدت الأفغان واستفدت في أعماقك أنت ، فلا تستعجل ، هذه الفترة أهم فترة من فترات حياتك الجهادية ، لأنها فترة البناء، والذين يريدون أن يجاهدوا دون أن يعدوا ويستعدوا هؤلاء لن يجاهدوا ولن يستمروا ، والله عز وجل جعل الإعداد علامة لاستمرار الجهاد ، قال عز وجل :

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدة) (التوبة : ٤٦)

لأعدوا له عُدة .. فالذي يريد الخروج يستعد ، ونحن رأينا بعض الشباب المتعجلين الذين يريدون أن يجاهدوا قبل أن يستعدوا، ويريدون أن يدخلوا الجامعة قبل أن يدخلوا الصف الأول الابتدائي ، رأيناهم يأتون إلى المعسكر ، كم مدة التدريب؟ شهر ونصف ، شهر ونصف ؟! أنا جئت لأرابط وأجاهد ، يحمل أغراضه وملابسه ويضع حقيبته على أكتافه ، يذهب إلى أين ؟! أنا ذاهب إلى المأسدة، ذاهب إلى جاجي أرابط وأقاتل ، يذهب ، تحصل معركة ، تحصل عملية يقول : أنا أريد أن أشترك فيها ، فيرفض العرب أن يشركوه معهم لأنه لا يعرف لا على - أر بي جي - ولا على «مشتانو دو» ، ولا على «زيكويك» ، والكلاشنكوف قلما يستعمل الآن ، تتحصل عملية، عمليتان، لا يشترك فيها، يرد حقيبته على أكتافه ، يذهب للأفغان ، يجلس عند الأفغان يُرابط ، عملية (موجود است) موجودة ؟! يقولون: صبرك ،كل يوم ، كل ساعة يراجعهم يقولون «صبرك» ، يرد الحقيبة على أكتافه ، يجيء ، ما لك يا فلان، قال هذه ولاية صبرك ، نعم جبهة صبرك ، أنا سمعت أن عند جلال الدين معركة . على جلال الدين .. يجلس عند جلال الدين شهر ، شهرين ، ما يوجد عمليات، رجع ، أين؟! سمعنا في قندهار هناك عمليات شديدة ، وهكذا يضيع عليه ستة أشهر ، يكون جماعته قد تخرجوا وأصبحوا مدربين، وكثير من الإخوة الذين لم يتدربوا أولا رجعوا وتدربوا ، زملاؤهم مدربون فتدربوا على أيديهم ، فهنا نحن في معسكر «صبرك»، لازم تصبر وتستعد .

وكلما طالت فترة جهادك ، وكلما تفتحت أمامك آفاق، وكلما استطعت أن تعيش في المجموعات حيثما ذهبتم وأنّى حللتم، فلا تستعجلوا .

والشباب الذين تدربوا ، يعني: نحن تعبنا على مجموعة كانت عندنا أول مجموعة ، بدأت في «صده» حوالي أربعة عشر، خمسة عشر شاباً، هؤلاء الذين كانوا يعتمد عليهم في العمليات، وكنا نسميهم مجموعة الضباط، تدربوا ثلاثة أشهر لكن استفادوا.. ما شاء الله.

ثم هذه المجموعة "مجموعة الفصائل" التي خرجت الشيخ أبا عاصم والشيخ أبا تركي وصاروا أمراء عليكم - ربنا يحفظهم لكم-، هؤلاء استفادوا لأنهم دخلوا بعد معسكر التدريب دخلوا في دورة خاصة لمدة ثلاثة أشهر .

فأنت ضع في ذهنك : (أريد أن أتقن كل سلاح هنا) ، لماذا؟ حُجوا قبل أن لا تحجوا، وجاهدوا قبل أن لا تجاهدوا، واستعدوا قبل أن تحرموا من ميادين الاستعداد ، لأنك لا تدري غداً قد تغلق الحدود أو ينتصر الأفغان ويقيموا دولة الإسلام ، أين ستستعد وتحمل الكلاشنكوف وتمشي - إن شاء الله ، إن شاء الله - إذا سمح لنا الملك نذهب إلى فلسطين !!

مشكلة فلسطين . .

أخي الحبيب ، فلسطين الآن ، يقول العرب المحيطون باسرائيل - الحكومات العربية - من أطلق رصاصة على إسرائيل أطلقنا عشر رصاصات في ظهره قبل أن يطلق على اليهود رصاصة ، والله ليست المشكلة هي مشكلة اليهود ، لا والله المشكلة هي .. مشكلة من؟! مشكلة العرب ، ستُقتل على الحدود العربية أو على الأقل ستوضع في السجون، لا يعرف الذباب الأزرق أين أنت ، نعم! من الذي يستطيع أن يدخل من الأردن إلى الضفة الغربية ؟

شاب من الشباب ، قيل أنه كان هنا - قيل ، لا أدري - فشكل مجموعة ، ثلاثة ، أربعة ، وراحوا دخلوا من جهة إربد والشمال والجولان - المنطقة بين سورية والأردن -، قتل واحد والبقية مسكتهم الأردن ورمتهم في السجون ، الآن تسمع الإذاعات العربية والصحف العربية تكتب عن الانتفاضة وعن الناس في الضفة الغربية وعن فلسطين وعن بطولات الشعب الفلسطيني ، هل تعلمون لماذا؟ لأنهم يعلمون أنهم يثيرون الأشواق ويحركون الأشجان وينتهي كل شيء باب المساجد ، أو بعد انتهاء النشرة، لماذا؟ لأن الحدود بأيديهم، هكذا مغلقة ، لماذا لا يتكلمون عن أفغانستان ، لأن الكلام عن أفغانستان سيثير الشباب ، سيحمل حقيبته ويذهب إلى أفغانستان ، ولذلك خطر أن يتفاعل الشباب مع قضية أفغانستان ، وليس من الخطر أن يتفاعلوا مع قضية فلسطين، لأن العصفور يكاد يتعب إذا أراد أن يدخل من سورية إلى الجولان، أو من الضفة الشرقية إلى الضفة الغربية، صعب، وبقدر ما تقول صعب فقل هم أصلاً الآن خانقون

ذرعاً بالانتفاضة في داخل فلسطين ، خائفون أن تؤثر على الناس في الدول العربية . وأحدهم مسك «شولتز» الوزير الأمريكي ، قال له : استعجلوا في القضاء على الانتفاضة وإلا المتدينون المتطرفون سيمسكون المنطقة وسترجع إليّ في المرة القادمة لي لحية ومسبحة ودشداشة قصيرة .. "استعجلوا" ، بماذا ؟ بالقضاء على الانتفاضة .

يوصي من ؟ عمّه شولتز، العم سام، لأن الأمريكان يسمونهم ماذا ؟ العم سام .

علاج الهم والغم ..

فيا أيها الإخوة : أنتم في خير عظيم ، عظيم ، عظيم ، لا يعلمه إلا الله العظيم .. لا تفرطوا في هذا الخير ، ولا تتعجلوا بأن تتخطوا فترة الاستعداد ، وإذا سئمتم أو مللتم فعليكم بالقرآن الكريم .

(اللهم أنا عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتي بيدك ، ماض فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي)[1] .

هذا الدعاء الذي علمنا إياه رسول الله ﷺ، قال : ما أصاب عبداً هم أو غم فقال اللهم أنا عبدك .. إلا أذهب همه وغمه وأبدله فرجاً .. فعليك بالقرآن، ربيع القلب ، ونور الصدر ، وجلاء الحزن ، وهذه الفترة ، هي فترة حفظ القرآن ، أنا بدأت واستفدت كثيراً من أيام التدريب سنة ٦٩، أستفدت كثيراً في حفظ القرآن ، وهي فترة الصفاء الذهني القلبي والشفافية الروحية ، فمن السهل أن تحفظ هنا ، سهل عليك كثير ، كثير ، نعم .. وكان عندي مصحف كبير ، وكنت في الحراسة أستعيد ما حفظته في النهار ، فإذا أعجمت عن كلمة ، فتحته وكنت أرى على ضوء القمر ، أما الآن على ضوء الشمس لا أرى ، فنرجو الله أن يقوي أبصارنا ، فحاول أن تحفظ في القرآن وكل يوم احفظوا خمس آيات وابدأوا بسورة الأنفال ، كل يوم جلسة الفجر بعد صلاة الفجرعلى القرآن الكريم ، لتكن حفظ خمس آيات ، تسميع خمس آيات من اليوم السابق من سورة الأنفال ، حتى إذا أتممتم الأنفال ، الأنفال تحفظونها بخمسة عشر يوماً، خمساً وسبعين آية كل يوم خمس آيات ، ثم التوبة (١٢٩) آية ، فتحفظون الأنفال والتوبة قبل أن تتموا هذه الدورة ، كل يوم خمس آيات وهي سهلة ، سهلة جداً عليك .

والأذكار لا تفرط في الأذكار ، أذكار الصباح والمساء الصحيحة ، هذه مهمة جداً جداً ، لأنها أدوية لأمراضك النفسية وللقلق وللحزن وللدّين ولكله ، عبارة عن صيدلية فيها مجموعة أدوية تناولوا هذه الأدوية تقضي على جميع الأمراض التي عندك ، قسم يحميك من الشيطان ، قسم يحميك من الهمّ قسم يحميك من الدّين ، قسم يحميك من الآفات ، قسم يحميك من الأعداء ، وهكذا ، فهذه لا تفرطون فيها في الصباح والمساء ، وطالعوا ، وقوموا الليل ، عندما تكون الحراسة ، إستيقظ قبل الحراسة بعشر دقائق ، توضأ وطيلة الحراسة راجع القرآن أو استغفر واذكر ، وبعد الحراسة أربع ركعات ، ثمان ركعات يعني : أحرس ساعة وقم ساعة من الليل .

أخونا خالد قبلان – الذي أستشهد قبل يومين في خوست "أبو الوليد" من الرياض – استشهد يوم الجمعة الساعة الثانية والنصف ، قال كل الذين من حوله، إخوانه – زرتهم بعد استشهاده بيوم أنا ذهبت إليه فوجدته قد أستشهد ما كنت أعلم أنه قد إستشهد – كل حاله ينبيء أنه يستعد للآخرة ، قالوا : كان يختار فترة الحراسة من الثانية عشرة إلى الواحدة ، وبعد الواحدة يبقى قائما حتى الفجر ، يؤذن الفجر ويصلي الفجر ، ثم بعد ذلك تبدأ الأعمال ، الأذكار وغير ذلك ، كان يصوم الإثنين والخميس باستمرار، والأيام البيض وصام الستة من شوال ، وقالوا : ليلة الجمعة – وهي آخر ليلة من حياته – حرس من الثانية عشرة إلى الواحدة ، ثم قام الليل ، حتى الفجر ، ثم أذن الفجر ثم صلينا الفجر ، وقرأ أذكار الصباح ، ثم توجهنا نحو الموقع ، وعلى الطريق قرأ سورة الكهف وأكثر من الصلاة على النبي ﷺ ، فعندما وصلنا – هذا صاحبه يحدث أخ من ريما ، من اليمن – ريميّ – قال : سألته أما قرأت سورة الكهف ، هل أتممتها ؟ قال : نعم ، وبدأنا نطلق الهاون ثم – رحمه الله – القذيفة التاسعة عشر انفجرت في داخل الهاون وتطاير الحديد شظايا صغيرة ودخل منها الكثير في جسده ولم يشهق إلا شهقتين ، ثم أسلم الروح لرب العالمين ، ونرجو الله أن يكون قد تقبله في الصالحين ، وفي يوم الجمعة ، نرجو الله عز وجل أن يكون قد تقبله ، إن شاء الله .

فأقول : هي فترة تهيئة ، تحضير للآخرة ، واستعداد للقاء الله عز وجل فأكثروا من القرآن وأكثروا من الذكر وأكثروا من الإستغفار ، وأحبوا إخوانكم ، وتغاضوا عن هفواتهم ، فوالله – كما أظن – لن تقوم بينك وبين أحد محبة أكثر ولا أعمق منها في هذا

---

(١) أنظر صحيح الكلم الطيب لمحمد ناصر الدين الألباني رقم (١٠٥) .

المكان ، هذه المحبة ستبقى حتى تلفظ أنفاسك ، ولو رجعت إلى بلدك وبقيت خمسين سنة أخرى أو ستين سنة أخرى ، ستبقى هذه الأيام ألذ أيام حياتك وسيبقى هؤلاء الإخوة - خاصة الذين دربوك وربوك وما إلى ذلك - أسماؤهم أحب الأسماء إلى قلوبكم ، وأشكالهم أحب الأشكال إلى قلوبكم ، ونوصيكم بطاعة أميركم ، وباحترام كبيركم وبالعطف على صغيركم ، ونوصيكم بالمطالعة في الكتب الإسلامية التي عندكم ، وأكثر ما أوصيكم به بعد كتاب الله وبعد الأذكار ، أن تقرأوا تفسيراً مجملاً للقرآن الكريم ، مثل تفسير الجلالين ، أو مختصر ابن كثير للصابوني فهو من خيرة الكتب ، هذا مختصر ابن كثير للصابوني أو للرفاعي ، وأوصيكم بقراءة السيرة وأقرأوها بالتفصيل ، السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأطيب السلام وأقرأوا كتاب حياة الصحابة، فهو من خيرة الكتب التربوية التي رأيتها لمحمد يوسف ، واقرأوا كتاباً في العقيدة ، كتيباً صغيراً (عقيدة أهل السنة والجماعة) لابن عثيمين ، وعليكم بحفظ اللسان وعليكم بتفسير أعمال إخوانكم على أفضل تفسير ، ويحمل كلماتهم على أفضل محمل، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيراً مادمت تجد لها في الخير محملاً ، ولا تستعجلوا بسوء الظن بإخوانكم ولا تستعجلوا بالكلام .

نحن وأعداء الله

يا أيها الأخوة: إعلموا على أن هذا التجمع مرصود من كل أنحاء الأرض، وكل أعداء الله يكرهون هذا التجمع، التجمع على الإسلام متفق عليه بين العالم كله أنه يجب أن يُقضى عليه، فكيف التجمع على الإسلام القوي المسلح، فهذا أخطر تجمع على أعداء الله عز وجل .

ولذلك ، هم يحاولون منذ سنتين وبشتى الوسائل أن يفرقوا هذا الجمع ، ومن رحمة الله علينا أنه حفظ علينا هذا الجمع وأنه بارك فيه وبارك في عدده وبارك في نوعياته وأعاننا على دفع العجلة إلى أن وصل إلى هذا المستوى ، ونرجو الله أن يبارك حتى يبقى هذا الزورق سائراً إلى شاطيء السلام ، وتبقى هذه المجموعة متدرجة في مراقي الفلاح ، وفي مدارج السالكين إلى رب العالمين .

فانتبهوا يا إخوان، انتبهوا كثيراً، انتبهوا كثيراً من أعداء الله عز وجل، أو المنافقين أو المدسوسين، الذين وظيفتهم أن يبلبلوا الأفكار، وأن يثبطوا الهمم ، وأن يخذلوا المجاهدين .

يا إخوة : أنا رأيت في الفترة الأخيرة أنه قد كثرت السهام نحو هذا التجمع ، وصوّبت النصال نحو هذه المجموعة ، هذه المجموعة المجاهدة ، يحاولون أن يفرقوها بكل وسيلة وبكل جهد ، ورأيت أن هنالك سفارات تشتغل ضد هذا التجمع ، ودولاً تبث عيونها ضد هذا التجمع ، وكذلك أناس في بيشاور وظيفتهم صناعة الإشاعات ضد هذا التجمع ، ونقل البلبلات ضد هذا التجمع ، فانتبهوا ، لا تكونوا سمّاعين لهم .

بين الحق والباطل

يا من رضيم بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً .

إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل ، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق) (الأنبياء : ١٨)

ويقول الله عز وجل:

(أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) (الرعد : ١٧)

مبدآن لا ثالث لهما على وجه الأرض : حق وباطل ، قضيتان لا ثالث لهما فوق المعمورة : خير و شر ، وجهان لا ثالث لهما : إسلام وكفر .

والحق والباطل منذ أن خلق الله الخليقة ، بل خلق الخليقة على الحق ، وخلق السموات والأرض بالحق ..

(وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) (ص: ٢٧)

(وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) (الأحقاف: ٣)

ذلك بأن الله هو الحق، وأن الخلق صدر بأمر الحق على الحق، وأن الرحلة من الأرض إلى الحق طريقها الحق، الحق هو الذي يحكم الكون، والحق هو الذي خلق بيده سبحانه وتعالى هذا الإنسان بالحق، والحق أقام الدنيا والآخرة كلها على ناموس واحد هو: الحق.

فالذي يريد أن يخرج عن الحق إنما يريد أن يصطدم مع الكون كله، يصطدم بالناموس، يصطدم بالقانون الذي تجري عليه هذه الكواكب والأفلاك والمجرات، يصطدم بالفطرة التي فطره الله عليها، فمن أراد أن يخرج عن الحق فليشهر سلاحه أولاً على نفسه التي بين جنبيه، لأن النفس لا ترضى إلا بالحق، ولذا فكل من قام يريد أن يخالف الحق يبدأ الصراع بينه وبين أعماق نفسه .. بينه وبين ضميره .. بينه وبين نوازع فؤاده ووخز ضميره .. بينه وبين هذا الكيان الذي ركبه الله عز وجل على الحق.

ولا يمكن أن يخرج عن الحق، والحق صاحبه منتصر دائماً، ولا يمكن أن يهزم الحق بحال أبداً، والباطل وإن انتفش وانتفخ؛ فهو سرعان ما ينطفيء ويندثر، لأنه على خلاف سنن الكون كلها.

قد يقوم قائم يدعي الباطل، ويفرضه منهجاً يطبق في عالم الحياة كقوانين ونظم، تسيّر فيه الجماهير كما تسيّر القطعان إلى مذابحها ومسالخها، ولكنها فترة قصيرة ولمحات قليلة في عمر الزمن المديد، سرعان ما تزول كزوال السراب إثر تحقق الواصل إليه.

فكن مع الحق، لأن الحق جذوره عميقة في الأرض، وفروعه باسقة في عنان السماء، وثماره تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ..

(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) (إبراهيم: ٢٤-٢٧)

والحق له صورة واحدة لا تتغير، ولا تتكرر، وهي ما وافق كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فالحق ما وافق إرادة الحق، وما انطبق على قانون الحق، لا تتغير هذه الصورة، فكل ما وافق ما جاء به رسولنا ﷺ من عند ربه هو الحق، وكل شيء خلافه هو الباطل، فإذا كنت مع هذا الحق قد تتنكر الدنيا لك بأسرها، وتكشر لك الخطوب كلها عن أنيابها، وتقف الجماهير إزاءك تعبس بوجهها، كالحة بشرتها، تسنّ على أسنانها، وذلك لأن الباطل معه أموال، ولأن الباطل معه جاه، ولأن الباطل يحمل أوسمة من قماش، يضعها على الأكتاف، وأنجماً من معادن يرصعها على الكواهل، ولكن الحق يبقى هو الحق، والباطل يبقى باطلاً، ويبقى صاحب الحق، وهو فريد فوق هذه الأرض مستعلياً بإيمانه لا يفارقه شعوره لحظة أنه هو الأعلى، وأنه هو على الطريق، وأن الناس في ضلال مبين، وأن العاقبة للمتقين:

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله)
(آل عمران: ١٣٩)

قولة صادقة

جاء في السيرة: أن عثمان بن شيبة بن طلحة – عثمان بن شيبة من بني عبد الدار وكان سادناً للكعبة، وحاملاً لمفاتيحها – فتح الكعبة ذات يوم، لتدخل العلية من قريش، والنزاية من سدنتها وصناديدها، ويجد رسول الله ﷺ مكانه بين هؤلاء ليدخل الكعبة، وإذا بعثمان يدفعه في صدره، يقول له: ما كان لك أن تدخل، فنظر إليه رسول الله ﷺ قائلاً:

(كيف بك ياعثمان لو رأيت هذه المفاتيح بين يدي أضعها حيث شئت)[1]

قال: إذاً خابت قريش وذلت.

---

(١) القصة جاءت في السيرة وأشار إليها ابن كثير في تفسير الآية ٥٨ من سورة النساء في المجلد الأول (ص ٧٨٠).

وداورت الأيام، ولم تمض إلا بضعة عشر عاماً، حتى يمسك رسول الله ﷺ بعضادتي الكعبة ، وهو ينظر إلى هذه الجماهير المستسلمة بين يديه، يا معشر قريش ، ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ ويدور في ذهنه شريط طويل من المآسي والآلام ، ذكريات لا يكاد يحتملها، طالما جرعه هؤلاء المستسلمون غصصاً، وكم تشببوا بنسائه وكم تغزلوا بأرحامه ، وكم ألقوا الشوك في طريقه ، ولقد ألقوا الفرث فوق رأسه أثناء سجوده في فناء الكعبة ، ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا: خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : (إذهبوا فأنتم الطلقاء)[1] ، ويأتي علي ويلوي يد عثمان ، ويأخذ مفاتيح الكعبة ويقول له: يا رسول الله اجمع لنا بين السقاية والسدانة، وإذا بجبريل يتنزل من السماء قائلا بالذكر الحكيم ، على قلب الرسول الأمين:

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) (النساء : ٥٨)

فأخذها رسول الله ﷺ،

(ووضعها بيد عثمان بن طلحة بن شيبة، وقال: خذوها خالدة تالدة فيكم)[2]

ولا زالت مفاتيح الكعبة حتى اليوم في يد بني شيبة من بني عبد الدار .

والذين يريدون أن يواجهوا الحق ، ويريدون أن يضيعوه تحت ضجيج الإعلام ، وتحت أمواج الجهل وغير ذلك ، هؤلاء لا يدركون أنهم يقفون في معركة مع رب العالمين ، لا يدركون أنهم لا يستطيعون منازلة رب العالمين في ميدان ، ولا يدركون أنهم يقفون أمام الكون كله ، الذي يسير على الحق ، الذي بجانب هذا الرجل ، الذي ينظرون إليه مستضعفاً مهيناً ، ولا يكاد يبين ، لا يعلمون وهم يحاربون الحق أنهم يعادون الله :**(ومن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)**[3] لا يدركون أنه :

(ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه) (هود : ١٢٣)

(قل إن الأمر كله لله) (آل عمران: ١٥٤)

(قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون الله) (المؤمنون : ٨٨)

لا يعلمون أنه ..

(إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوّان كفور ، أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير) (الحج : ٣٨-٣٩)

إنتصار العقيدة على الحياة

والتاريخ يحدثنا أن الحق منتصر أبداً ، وقد تقتل المجموعة بأسرها ، ولكن الحق مع قتل مجموعته كلها هو المنتصر ، لأن بذرته تبقى في الأرض ، فستنبت ولو بعد حين ، وتؤتي أكلها بإذن ربها ، فقد يقتل أصحاب الأخدود جميعاً عن بكرة أبيهم ، ومع ذلك عُدّ هذا انتصار الحق على الباطل ، وانتصار العقيدة على الحياة ، وانتصار الإيمان على الطغاة ، يوم أن يفشل الطغاة بخيلهم ورجلهم ، وهيلهم وهيلمانهم ، أن يسيطروا على قلب رجل واحد، لا يستطيعون إلا أن يؤذوا الجسد . أما الروح ، فقد أشرقت بإذن ربها ، وإنها لن تهزم، وأما القلب فهو موصول بربه، ولن يتزعزع ، وأما الثقة برب العالمين ، فإنها في قرار مكين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

قتل كل أصحاب الأخدود ، ومع ذلك عُدت قضية أصحاب الأخدود نصراً عظيماً .

ووقف فرعون وهو يهدد السحرة الذين كانوا بالأمس يقولون :

(بعزة فرعون إنَّا لنحن الغالبون) (الشعراء ٤٤)

جاءوا يريدون الدنيا :

(أإنَّ لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين) (الشعراء ٤١)

---

(١) رواه ابن اسحاق في السيرة، ونقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية . (٤/ ٣٠٠/ ٣٠١) (٢) أنظر تخريج رقم ١٠. (٣) رواه البخاري .

هل يوجد رتبة ؟ هل ترتفع مرتبتنا من الثانية عشرة إلى الثالثة عشرة؟ أو من السابعة إلى الثامنة والتاسعة ؟ هل عندك دراهم نملأ بها جيوبنا ؟ قال :

(نعم وإنكم إذاً لمن المقربين) (الشعراء: ٤٢)

كل واحد منكم مستشار أو وكيل في وزارة من الوزارات ، أو مدير لشركة من الشركات **(أإن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين)** وعندما رأوا الحق المبين ..

(فألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين قالوا لا ضير إنا إلى ربنا منقلبون) (الشعراء: ٤٦ - ٥٠)

لا ضير : لا ضرر - **[اقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا]**

(قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) (طه: ٧٢ - ٧٣)

والحق عندما يخالط القلب البشري ، ويستقر فيه ، ويتمكن في أعماق النفس ، قوة لا تزلزل ، وطاقة لا تزعزع ، وثبات لا يعرف الرجرجة ولا الزوال .

ولذلك فالذين يحاربون الحق بالباطل ، أو بوسائل الباطل ويشنون عليه حملة عنيفة ، مما يفعله الطواغيت في كل زمان ومكان، سواء بالتشويه الإعلامي، أو بزلزلة مكان الذين يتصدرون للحق بين الناس، أو تحطيم الدعاة الذين يقودون المسيرة، أو.. وآخر الدواء الكي، عندما ييأسون من كل وسيلة ، يلجأون إلى التصفية الجسدية ، هؤلاء لا يدركون أنهم منهزمون ، وأن العاقبة للمتقين .

(إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميزَ الله الخبيثَ من الطيب ويجعلَ الخبيث بعضهُ على بعض فيركمَهُ جميعاً فيجعلهُ في جهنم أولئك هم الخاسرون) (الأنفال: ٢٧)

وعلى الباغي تدور الدوائر

وقد قضت إرادة الله عز وجل أن يسلط الله على جنود الباطل سيدهم الذي سيّرهم على الباطل ، ولقد رأينا من تاريخ الحركة الإسلامية الحديث وسيرها هذا بأم أعيننا ، عايشناها أحداثاً، ورأيناها وقائع ، ورأينا كيف ينتصر الله للحق وينصر أهله .

حمزة البسيوني ، كان مديرا للسجن الحربي ، وكان السجناء تحت سياط التعذيب يقولون له : من أجل الله ، فيقول : لو جاء الله لألقيته في الزنزانة ، سبحانه وتعالى .

تقول زينب الغزالي : «وضعوني ذات مرة مائتين وأربعين ساعة متواصلة في العذاب ، وأثناء هذا العذاب : لا طعام ولا شراب ولا منام ، يأخذونني من العاشرة صباحاً إلى السابعة مساءً ، أتردد على غرف التعذيب البالغة ثلاثين غرفة ، كل غرفة فيها من وسائل التعذيب ما ليس في الأخرى ، وفي المساء يلقونني بجراحي ودمائي في داخل زنزانة ، فيها من الماء البارد ، في أواسط الشتاء إلى عنقي ، ويلقونني بها ، وكانت إذا أخذتني سنة من النوم ، لا أستيقظ إلا وقد مسّ وجهي الماء فارفع رأسي ، وإذا أردت أن أقف فسياط الشرطي فوق رأسي ، تلهب رأسي وظهري ، كانت هذه اللحظات - كنت أسميها فماً لأذن - في هذه اللحظات كانت تمتد (لحظات السنة) تمتد بين يدي مائدة ، عليها من ألوان الطعام ما لم أره في الدنيا، حبة العنب تساوي في طولها الإصبع ، وقرون الموز أكبر بكثير من موز الدنيا ، وقطع الدجاج المحمّر ، وما إلى ذلك ، فأجبتها : هي سورة الواقعة مجسمة على طبق ، قالت : فيأخذ حبة من عنب في أثناء هذه اللحظة ، التي تأخذني فيها السِّنة ، فأستيقظ وطعم العنب في حلقي» .

قال لها حمزة : أيهم أشد ، نار ربكم أم نار عبد الناصر؟ لا تزالين في نار عبد الناصر حتى تعترفي بحكمه ، ولم يمض على

هذا الأمر، على شمس بدران، الذي كان يشرف على التعذيب، وعلى حمزة البسيوني وغيرهم ، إلا عام فقط أو أقل ، لقد أعدم الأستاذ سيد في ٢٩ آب سنة ١٩٦٦، وما جاء الخامس من حزيران سنة ٦٧، بعد ثمانية أشهر فقط ، إلا هؤلاء جميعاً في أعماق السجون .

شمس بدران كان يقول : رحمك الله يا سيد ، فلعل هذه الزنزانة التي سجناك فيها ، والشرطة الذين كانوا يضربونه ، ويضيقون على شمس بدران ، يقولون بلغتهم العامية :

(دون مؤاخذة يا بيه، ده انت اللي علمتنا التعذيب) ، لا مؤاخذة ، فأنت الذي علمتنا التعذيب .

وشعراوي جمعة الذي كان وزيراً للداخلية، وكانت مصر ترتعد بمجرد ذكر اسمه، وطلب محمد قطب أن يزور أخته بعد سبع سنوات وهما في سجن واحد، أن يرى أخته حميدة الذي لا يفصله عنها سوى القضبان، فاعتذر مدير السجن مرتعداً خائفاً مرعوباً، قال: هذه قضية لا أجرؤ عليها ، ورفعت القضية إلى مدير السجون العامة ، فكذلك ارتجف حيالها ، ورفعت إلى شعراوي جمعة وزير الداخلية، فقال : قولوا لمحمد قطب ، لن يرى أخته لا حياً ولا ميتاً..

ولم يمض القليل إلا وشعراوي جمعة وزير الداخلية في أعماق السجون ، ومحمد قطب وأخته في البيت سالمين آمنين .

السادات يأتي بالشيخ المحلاوي ويلقيه في السجن ، ويخطب : «زيّ الكلب مرمي في السجن» ولم يمض شهر واحد على هذا الكلام وإذا به يلقى في يوم الزينة بين حرسه وجنده لم يستطع أحد أن يدافع عنه ، لأن جنده كانوا يحملون البنادق، ولكنه ما كان يأمن جنده، فكانوا يحملون البنادق بلا رصاص ، وحارس السفير الأمريكي هو الذي تقدم وألقى عدة طلقات على الإخوة رحمهم الله ، على الإخوة الذين أطلقوا على السادات النار ، ولم تُر إلا يد واحدة تفرك يديها همّاً أو تظاهراً بالهمّ ، وألقي السادات ..

(فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) (الدخان : ٢٩)

والحركة الإسلامية في أفغانستان ، يقول سياف : جاء داوود ليصفي أبناء الحركة الإسلامية إثر تقرير من الشيوعيين أن أبناء الحركة والدعوة قد انتصروا في داخل كابل وحازوا على مقاعد الاتحاد في داخل الجامعة، فعلق بكلمة (إن مستقبل هذه البلاد بيد هؤلاء الشباب)، فلا بد من الإطاحة بالملك والإتيان برجل قوي يتولى عملية القمع والإبادة لطلائع البعث الإسلامي ، وجيء بداود ، فولّى وزارة الداخلية للشيوعيين ، واستلم معظم المناصب الشيوعيون وأعوانهم .

يقول سياف : فكانوا عندما يبدأون التعذيب في الليل ، يغلقون الشوارع العامة التي تمر كنفي السجن ، حتى لا يسمع الناس صياحنا تحت سياط التعذيب وتحت لذع الكهرباء ، وأثناء التعذيب كان يدور بيني وبين نفسي : هل يوجد فئة في العالم تعلم أن هنالك دعوة إسلامية في أعماق السجون في أرض متعزلة منقطعة تسمى أفغانستان ، تلقى من التعذيب من أجل الرحمن ما لا يلقاه إنسان، ما كان سَياف يظن سنة (٧٥و٧٦) أن قضيتهم ستصبح بعد سنتين فقط أو ثلاث سنوات قضية عالمية تملأ الدنيا وتشغل الناس ، وذلك لأن نظر الإنسان قصير ، ولكن الذي يدير الكون هو رب الإنسان ، وهو الذي يجري الأقدار .

كان نجيب مديراً للمخابرات لفترة طويلة قبل أن يصبح رئيساً للجمهورية ، وكانت الشيوعية منتفشة، والاشتراكية منتفخة ، وتظن أن أفغانستان بيدها هكذا .

والذي جاء بداود هم الذين قتلوا داود ، جاءوا به ثم قتلوه وألقوا جثته مع أهله جميعاً على سجاد القصر ، وجاءوا بالناس ليروا مصير أعداء الشعوب .

ومسك تراقي ، وقتل مائتي ألف إنسان من أفغانستان إبان حكمه ، لأنه لم يكن عندهم وقت - أثناء الإعدام - أن يقتلوهم بالرصاص ، فكانت الجرافة تأتي وتفتح شقاً عريضاً طويلاً أمام المئات ، ثم بعد ذلك تأتي الجرافة أو البلدوزر مرة أخرى وتدوسهم أحياء ، ثم تطمرهم مرة أخرى .

يذهب تراقي .. وهم يريدون أن يقتلوه ، طلب شربة من الماء فلم يُعطوه، وجاء حفيظ الله ووضع الوسادة على وجه تراقي ، وجلس عليه حتى خرجت الروح الخبيثة من جسد خبيث ، إلى ربّ غضبان ، وإلى جهنم والنيران ، وجاء حفيظ الله الذي قتل تراقي ودخل الروس ، وجاءوا ببابرك كارمل وأول عمل عملوه في داخل كابل أن هجموا على قصر حفيظ الله . يحدث المحدث قال : عندما فتحت الرشاشات على قصر حفيظ الله ، قال : لعل الأشرار قد وصلوا (أي : لعل المجاهدون قد دخلوا كابل) لأن المجاهدين كانوا يحيطون بكابل آنذاك إحاطة السوار، ولكن خرج حارسه وعاد وقال له أنهم ليسوا الأشرار ، إنهم صحبك الذين جاءوا من وراء الأنهار ، قال : قل لهم ماذا يريدون ؟ أنا مستعد أن أوقع لهم على أي شيء يريدون ، واستمرت الرشاشات تلعلع والرصاص يُدندن وجرح حفيظ الله ، وجُر كالكلب تحت خشبة صغيرة في داخل مطبخ من المطابخ ، ثم اقتحم الروس ، وقتلوا ابنه الذي تصدى لهم ، ثم دخلوا المطبخ وقتلوه في

داخل المطبخ ، وربطوه برجله وجروه من أعلى السلم ، من أعلى الدرج ، وساروا به إلى دبابة قريبة وربطوه في دبابة وسارت الدبابة تطوف شوارع كابل ، ووراءها الجثة الخبيثة النتنة العفنة .

وجاء بابراك ، والآن بابراك في أحد سجون روسيا ، ولا ندري أتكون نتيجته القتل أم غير ذلك ، وقبل فترة ، قبل شهرين أو ثلاثة يرسل نجيب رسالة إلى أحمد شاه مسعود ، قال له : اطلب ما شئت من الوزارات ، وزارة الدفاع والخارجية إن شئتها مهيأة ترقص طرباً وفرحاً بقدومك ، فرأى أن العرض لا يستحق جواباً فلم يتكلم مع الرسول الذي جاء من نجيب ، ولكنه نظر نظرة إلى صدّيق (أخو نجيب) الذي هرب من نجيب إلى أحمد شاه ، قال له : غداً إذاً أمسكنا بنجيب وأردنا قتله فإياك أن تتشفع له .

الحق منتصر مهما طال الزمن ، والباطل منهزم مهما كانت الوسائل التي بين يديه ، وذلك لأن الحق أصيل في الحياة ،طريقه واضح ،أصيل ، مركوز، مغروس في الفطرة الإنسانية وقبل ذلك كله وبعد ذلك كله ، فهو مؤيد من الواحد القهار ، الذي لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض .

والآن ، الحق الذي حملته هذه الفتية منذ عشرين عاماً ونيف ، على أبواب النصر ، والباطل منهار منهزم ، حتى في أعماق أتباعه.

يقول الأخ عبد الله أنس : كانت مجموعة من الجنود الشيوعيين أو الميليشيا أو غير ذلك راكبة مجنزرة ، ولكنها تريد أن تذهب إلى «بنجشير» بالمجنزرة مستسلمة إلى الأخ أحمد شاه ، ومررنا على بعد مترين فقط من بوستة أو مركز الروس ولم يشيروا جواباً ويعلمون أننا ذاهبون إلى بنجشير ، هاربون بهذه المجنزرة ، ثم جاءت سيارة كبيرة وبها مجموعة من الناس ، وعلى مفرق الطريق الذي تسيطر عليه هذه النقطة الروسية ، وقفت وإذا بالروس يقولون لهم من هنا طريق «بنجشير» إن شئتم أن تذهبوا إلى أحمد شاه .

الروس الذين دخلوا من أجل نصرة الشيوعية ، الآن كلما قابلوا مجاهداً ، هكذا أشاروا بإبهامهم إلى السماء أنكم منتصرون، وكلما قابلوا شيوعياً من الشيوعيين المحليين الذين جاءوا لنصرتهم ، قالوا : (وطن فروش) ، أنتم بائعوا الوطن المنهزمون ، سبحان ربي كيف حصل هذا ؟! كيف تم هذا التحول العميق ؟! .. (وطن فروش) ! بائع الوطن ؟! . وأما المجاهدون الذين أصلوهم بنيرانهم وأثخنوهم جراحاً وأشبعوهم قتلاً ، هؤلاء مُنتصرون ويعتزون بهم ، الحق .. الحق منتصر ولو بعد حين ولو بعد جيل ، ولو بعد عقود من الزمن، العاقبة للمتقين والنتيجة للمخلصين ..

(قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) (الأعراف : ١٢٨)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

الحق منتصر، والباطل منهزم، لكن بشرط واحد: هو اتباع سنن الله في الحياة، ومن الحق استعمال القوة لنصرة الحق، وترك استعمال القوة لنصرة الحق هو مجافاة لطريق الحق، فقد يتأرجح الحق بسبب خذلان أهله له، فلا بد من معرفة الحق أولاً، ولا بد من حمله في الأعماق ثانياً، ثم تبليغه للناس ثالثاً، وإذا كانت البشرية لا يمكن أن تكون كلها على خير..

(وما أكثرُ الناسِ ولو حرصتَ بمؤمنين) (يوسف: ١٠٣)

ولابد من أن يكون هنالك أهل باطل يروجون لباطلهم ، بل يصورون الحق باطلاً بزخرف قولهم .

في زخرف القول ترويج لبـــاطله	*والحق قد يعتريه بعض تأويل*
تقول هذا جنىً النحـل تمدحـه	*وإن تعب قلت ذا قيء الزنابير*

فإن أردت أن تقول إن العسل طيب تقول: هذا جنى النحل ، وإن أردت الإعابة تقول هذا قيء الزنابير ، وهؤلاء لا يُصلحهم إلا السيف ، ولا يستيقظون إلا على الضربات التي توقظهم، على صليل سيوف الحق ، وبدون هذا هؤلاء سيكونون وسيلة من وسائل الإفساد المستمر التي تواكب مسيرة الحق ، لأنه كلما حقق انتصاراً في عالم الأرض ، كلما ازداد أعداؤه ، وكلما تكالب عليه الناس ، فلا بد من البيض حتى تصدّ هؤلاء الكلاب ، وحتى يبقى الحق سائراً في طريقه .

لكن مهما طال الزمن فالنتيجة بجانب الحق ..

(ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) (فاطر : ٤٣)

يقول رجل لابن عباس : إنا لنجد في التوراة (من حفر حفرة لأخيه وقع فيها)، قال : إنها في القرآن الكريم : **(ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله)** وأهل الباطل لا ينفكون أبداً عن متابعة الحق بالتهم وبالضربات ، وبكيل الاتهامات، وبتسديد اللكمات، من أجل قمعه أو اجتثاثه إن استطاعوا ، وما لم يكن على الطريق من يحميه ، قد يعتريه بعض اللبس في أذهان الكثيرين ، ومن هنا، فآية الجلد للزنا، وآية القطع ليد السارق، وآية القصاص إنما نزلت لتطبق على الصحابة ، لتطبق على أناس يعيشون بين الصحابة ، ولولا ضرورتها وأنها لا محالة أن المجتمع بحاجة إليها ما كانت تنزلت على أنظف مدينة في الأرض وأطهرها، وأصلب قاعدة فيها – على المدينة المنورة –، فالحدود طبقت والرسول ﷺ بين أظهرهم ، وقد طبقها ﷺ بيده ، لأن الله عز وجل يعلم أنه لا يمكن لمجتمع أبداً، أن يخلص من المرجفين والمثبطين والمعوقين وغير ذلك .

وبقي رسول الله ﷺ حتى آخر لحظة حتى تنزلت سورة التوبة ، وهي من آخر ما نزل في القرآن تكشف : ومنهم ، ومنهم ، ومنهم :

(ومنهم الذين يؤذون النبي) (التوبة : ٦١)

(ومنهم من يلمزك في الصدقات) (التوبة : ٥٨)

قال ابن عباس : ما زالت سورة التوبة التي نزلت بعد ثلاثة وعشرين عاماً من البعثة –نزلت في العام التاسع للهجرة – مازالت سورة التوبة تنزل وتقول : ومنهم ومنهم ، حتى قلنا لا تدع ولا تغادر أحداً ، من هم ؟ ، الذين كانوا يصلون مع النبي في الصف الأول؟!.

من هم ؟! .. الذين كانوا يشاركونه في الغزوات .. من هم ؟!

(والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون) (التوبة : ١٠٧)

والذين ينتظرون من أي بلد أو أية بقعة ، أن يكون أصحابها في طهر الملائكة وأن لا يكون فيها أعداء للحق ..

(حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين) (البقرة : ١٠٩)

ألم يكونوا يعرفون أن رسول الله ﷺ بعد هذه التأييدات الربانية ، وبعد هذه المساعدات الرحمانية ، وبعد هذه الانتصارات في عالم الأرض ، وبعد هذه المؤيدات الغيبية، كلهم كانوا يعرفون ، ولكن النفوس المريضة والرؤوس المخرفة لا يُصلحها إلا السيف.

فالذين يريدون من أي مكان أن يكون نظيفاً طاهراً كطهر الملائكة وأهله يعيشون فوق هذه الأرض حياة ملائكية .

(لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (التحريم : ٦)

هؤلاء لا يعرفون طبيعة الإنسان ، ولا منهج هذا الدين ، ولا منهج تغيير الله للمجتمعات أبداً.

وقفة تاريخية

كلما حقق الحق انتصاراً، كلما تكالب عليه الشر من كل مكان ، أنظروا إلى هذا الرجل، هذا ضياء الحق، لأنه وقف وقفة طيبة مع الجهاد الأفغاني – ولا نريد أن نخوض في سياسته الخارجية وغير ذلك – هو بين يدي الله وأفضى إلى ما قدم ، لكنه لأنه وقف وقفة مشرّفة، حاولت الدنيا بأسرها أن تزعزعه عن هذا الموقف بجانب هذا الجهاد العظيم ، ما استطاعت، وفرضت عليه رئيساً للوزراء، وحكومة مدنية، ومجلساً للشورى ، وغير ذلك من هنا وهناك ، ومع ذلك أمسك الحكم بقبضته أخيراً ، وقال للمعارضة التي تطل برأسها من جحورها، وفي كل مكان : افعلوا ما شئتم ، لن أترك مكاني حتى أودع آخر مهاجر من ممر خيبر عبر باب طورخم عائداً إلى بلده معززاً مكرماً منتصراً .

ومن أجل هذا يرون أن الجهاد الذي حمل راية الحق، وامتشق حسام الحق، وسار على الطريق الحق، واقترب من أن يمسك سدة حكم بيديه ، وأن يعطي الحكم تحت قدميه ، عندها لابد من إزالة كل العوائق التي تحول دون تذويب هذا الجهاد ، أو محاولة تمييعه من أن يصل إلى الحق ويحكم بالحق ، فالذين ينتظرون من أي مكان أن يكون خالصاً طاهراً مطهراً نظيفاً ، هؤلاء لا يعرفون كيف تسير

المجتمعات .

واحد يعرف : مهما تغير الزمن حوله ومهما تنكر الشعب، ومهما كانت وقفة الجماهير ، هو الذي وقر الحق في جنانه ، واستقر هذا الأمر في كيانه ، ويدرك بعين البصيرة لا بعين البصر أن الحق قادم ، وأنه منتصر ، وأنه آخذ بزمام الأمور.

{فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض} (الرعد : ١٧)

ولذلك كلما رأيت التكالب على هذه المسيرة الطيبة- ونحن جزءٌ منها- وكلما رأيت الغثاء والزبد يزداد ، أدركُ أن حركة النهر قد ازدادت سرعة فصارت تقذف بالزبد ، لأن الأنهار عندما تفيض يزداد زبدها، ويزداد الغثاء الذي يلقى على جانبي النهر *{وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض}*

وأنا مطمئن بإذن الله أن الحق قادم ، وأن النصر إن شاء الله قريب ، وفي أفغانستان ، وأن الإسلام عائد بإذن الله ؛ ونحن نسجد لله شكراً أن كنا جزءاً من المسيرة ، وخدماً في هذه الطريق المريرة .

أنا أشعر في أعماق نفسي وأنا أقارن بين اليوم الذي جئت فيه إلى باكستان قبل سنين سبع وبين هذا اليوم ، أننا سرنا مسيرة طويلة، وحققنا انتصارات عظيمة بإذن الله وراء هذا الجهاد المبارك العظيم ، خدما لهذا الشعب الكريم ، الذي لم يحلم به الخيال في عالم الأساطير أو في دنيا الأحلام .

وكما قلنا والأمثلة كثيرة ، وأنا أستحضر في ذهني موقف ابن تيمية رحمه الله، في أعماق سجن القلعة ، وقد أحرقت كتبه ، ولم يكن بين يديه قلم يكتب به ، وكتب بعض الرسائل كالرسالة الحموية بالحجارة على جدران السجن من الداخل ، وطيفَ بتلميذه ابن القيم في شوارع دمشق ، والأطفال وراءه يسخرون ويضحكون ويهزأون ، وبعد ستة قرون يأتي تلميذ من تلاميذه اسمه محمد بن عبد الوهاب، ويحمل نفس التعاليم ثم يقتنع بها ، ويتفق مع أمير من الأمراء لينصر هذه التعاليم ، ثم يفجر الله البترول في أرض الجزيرة ، وتطبع كتب ابن تيمية مرة أخرى وتوزع على العالم ، وابن تيمية ما كان قبل مائة عام له أي وزن في أذهان العالم الإسلامي كله ، ولم يكن لرأيه ثقل في ميزان الذين يتكلمون عن الإسلام ، وخلال نصف قرن وإذا بابن تيمية يصبح كلامه هو الفصل في معظم القضايا التي تجدّ بين أبناء الحركة الإسلامية الحديثة ، كيف هذا ؟ ..

{فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض} .

القيادة الناضجة

يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً .

إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم :

{واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا} (الكهف : ٢٨)

ويقول الله عز وجل :

{ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فَتَطرُدَهُم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلمَ بالشاكرين ، وإذا جاءَكَ الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءً بجهالةٍ ، ثم تاب من بعده وأصلح ، فأنه غفور رحيم}
(الأنعام : ٥٢-٥٤)

توجيه رباني

آيات مبينات منزلات من لدن حكيم عليم ، تبين النواة الأولى التي تتجمع حولها المجتمعات ، والقاعدة الصلبة التي تحمل البناء

كله، والجذور الضاربة في الأرض التي تحمل الشجرة الباسقة في عنان السماء لابد لكل بناء يُبنى من نواة ومن أساس متين يكثر فيه من الحديد والإسمنت ، حتى تحمل تلك العمارة الشاهقة في الهواء التي تناطح سحاب السماء .

والله عز وجل وهو يوجه أنظار نبيه ﷺ إلى قاعدة التربية والبناء في الفئة الأولى التي كانت تتجمع حوله ، وهو العليم الحكيم يعلم أثر هذه النواة في ما يتجمع حولها ثمار طيبة دنية شهية ، تأكلها النفوس ، يعلم رب العزة وهو يرى نبيه يميل إلى أن يفرد مجلساً لعلية القوم من قريش وسدنتها ، وهذا هو سبب نزول الآية .

يعلم رب العزة وهو يرى نفس نبيه تميل إلى أن يستجيب لأهواء قريش ، وهم يعرضون عليه أن يفرد لهم مجلساً ، لأنهم يخشون أن يراهم العرب يجلسون مع الأعبد فيعيروهم ، وكادت نفسه تميل، وطلبت قريش أن تعقد بينها وبينه عقداً ، يفرد للأخنس بن شُريق ولأبي سفيان وللأقرع بن حابس وغيرهم مجلساً ، ومجلس آخر لعمار ولصهيب ولبلال وغيرهم ، وطمعت نفس رسول الله ﷺ بإسلام الذين يتسلمون الزمام في الذؤابة من قريش ، حتى إذا أسلم هؤلاء أسلمت قريش كلها ، فأنزل الله هذه الآيات

{ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين}.

منازل الناس عند رب العالمين غير منزلتهم في موازين الناس وقيمهم ومعاييرهم ، فكم من رجل يساوي ملء الأرض من رجل آخر وهو في أعين الناس مبجل معظم موقر .

وقد ورد الحديث في هذا ، إذ رأى رسول الله ﷺ رجلاً يمر فيسأل الصحابة عنه

(فيقولون: إنه جدير إذا قال أن يسمع، إذا خطب أن يزوج وغير ذلك ثم سأل عن آخر فأجابوا بخلافه، فقال: هذا خير من ملء الأرض من ذاك)

هذا الذي إذا قال لا يُسمع له ، وإذا خطب لا يزوج ، خير من ملء الأرض من ذاك ممن قلتم عنه : إذا قال يُسمع له وإذا خطب يزوج .

والله عز وجل يتعامل مع القلوب وهو علام الغيوب سبحانه وتعالى، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وهو يعلم من يحملون الإرث عن حملة الرسالة الذين تلقوا العلم من لدن عليم حكيم، سبحانه هو أعلم بالناس بقلوبهم ، بأعمالهم وما يستحقون، ولذلك يعطيهم كما يستحقون .

والقيادة التي تقود الركب ، لابد أن تعتني بالفئة التي ترقب الآخرة ، وتبتغي مرضاة ربها

{واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم}

لأن ترك الفقراء الذين حوله ، والضعفاء الذين يتجمعون على الفكرة التي جاء بها ، ويتربون على العقيدة هذه، أقول : الحياة معهم خير بكثير من الحياة مع العلية الذين يطمع في إسلامهم ، ويود إسلامَ الناس من وراء إيمانهم وإسلامهم**{واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم}** لأن ترك هؤلاء لا بد أن يكون لهدف من أهداف الدنيا ، ولا بد أن يكون لغرض آخر غير الغرض الذي أخلصت له النفس ، وصفت له الروح ، ونهر له القلب وأفرد له العمل ، ترك هؤلاء إنما يعني الإتجاه إلى أهل الدنيا **{ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا}** .. لأنه ليس عنده أي قرار ، وليس لديه أي استقرار حتى يقدم لك شيئاً ينفعك في هذا الطريق الذي تسير فيه **{ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا}** والذي غفل عن ذكر الله لابد أن يكون قد اتبع هواه ، وأمره قد انفرط وحبله قد انقطع ، وهو كالريشة في مهب الريح ، لا يقف على قرار ، ولا تجد له استقرار .

هذه الفئة التي يربيها الداعية حوله – والداعية الأول رسول الله ﷺ – هذه التي نفعت المجتمع المسلم في كل أطواره وفي كل حركاته ، كانت القاعدة التي يفيء إليها الناس إذا فزعوا ، ويلجأ إليها القوم إذا ارتبكوا ، ويهرب إليها الناس حيث لا نجاة إلا بالله ثم بها .

ولذا عندما تضطرب الجزيرة العربية كلها وتخرج من قبضة المسلمين والإسلام ، ويفلت الزمام في كل البلدان ، يبقى الزمام باقياً في يد الحفنة الصلبة التي رباها رسول الله ﷺ واستقرت في المدينة، وأرجعت هذه الأمة النافرة إلى صوابها، وأعادت رشدها إلى رؤوسها، وأرجعت المرتدين إلى حظيرة الإسلام مرة أخرى، بمدينة واحدة بقيت على هذا الدين وهي مدينة المصطفى ﷺ «طابة وطيبة».

وحياة القائد بين جنده، وحياة الجنود حول قائدهم حيث المحضن الدافيء الذي تنضج على حرارته النفوس ، وحيث البؤرة المنيرة

التي تهتدي النفوس على نور إشعاعها بفضل من الله عز وجل ونعمة ، وبفضل النور الذي تحمله في طيات صدرها فلا تغيب ولا تضل ولا تتلعثم ولا تتلجلج ، ولا يطبق عليها الظلام ، ولا يسبل عليها ستره ، هذه الفئة حياة القائد بين الجنود – الأوائل على الأقل –، وحياة الجند حول قائدهم كانت مقصودة في شرع الله عز وجل.

ولذلك قد اعتزل رسول الله ﷺ بيت خديجة رضي الله عنها ليعيش بين الفئة الأولى في دار الأرقم ، أول عُش نبتت فيه الفئة الأولى التي قام على أكتافها هذا الدين العظيم ، وذلك لما للتربية ولما لعيش القائد بين جنوده أثر بالغ في التربية .

الكتب تثقف ولا تربي

والتربية لا تؤخذ من خلال الأوراق ، ولا توزع من خلال النشرات ، إن الذي يؤخذ من الكتب ويُقرأ في المجلات إنما هو الثقافة وليس التربية ، وشتان شتان بين التربية والثقافة ، ولذا تجد البون شاسعا بين شاب تربّى على أيدي الرجال وشاب تثقف على الأوراق ، لا نقول تربّى على الأوراق ، لأن المعلم والقائد إنما يعطون الأدب من خلال الثقافة ومن خلال الفكر ، وهو يربي من خلال عمله ، كأسوة حسنة يقود هذه الفئة التي حوله ، ومن خلال دلّه وسمته ، من خلال خلقه والتزامه ، من خلال زهده وشجاعته ، تتربّى هذه الأفراخ الناشئة حوله فتنضج بإذن ربها ، وعلى هدى من كتابه وسنة نبيه ﷺ .

ولذا قال ابن المبارك – رحمه الله – : مكثنا عشرين عاما نطلب العلم ، وثلاثين عاما نطلب الأدب ، لأن الأدب لا يؤخذ من الكتب ؛ إنما يؤخذ الأدب من أخلاق الرجال .

والنفوس بطبيعتها تتأسى بالأمثلة الحية التي تعيش أمامها، وتقتفي آثار الناس الذين يقودون المسيرة في معركتها ، والأحياء مؤثرون أكثر من الأموات ، وإن كان سلف هذه الأمة لم يموتوا إلا أن طبيعة النفوس تتأثر بالاحياء الشاخصون أمامهم ، بدمائهم وبشريتهم وخطواتهم وسلوكهم ، أكثر من الذين ماتوا قبل زمن طويل ، ولذا تجد المثال الحي من معركة قائمة عندما تضرب مثالا حيا في مواجهة الطواغيت ، غير أن تضرب مثالا عن سلفنا الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم الذين كانت حياتهم كلها وقوفا أمام الطواغيت ، وتضحيات من أجل الإطاحة بهم في الأرض : تذكر قائدا في ميدان أفغانستان تؤثر فيك قصته أكثر من القصص التي تلقيناها كثيراً وهي صحيحة عن سلف هذه الأمة ، لأن الأجيال بحاجة إلى تجديد الأسوات الذين يسيرون أمامهم على طول الطريق .

لا بد من تجديد القيادات والنماذج التي تعيش في داخل الميدان ، ولذا شتان شتان بين أفراد يعيشون في داخل بروان أو بدخشان أو فارياب حول قائد صغير يموتون قبل أن يجرح ، ويبادون قبل أن يؤذى ، ويتلقون منه كل كلمة لأنه يشاركهم السراء والضراء ، يأكل كما يأكلون ويشرب كما يشربون، ويعيش بين فكي الموت كما يعيشون ، شتان بين هذه الفئة التي يقودها هذا القائد الصغير ، وبين تلقيها لأوامره ، وتلقيها لأوامر تأتيها من بيشاور ، إنهم يطيعون ذاك الذي يعيش معهم في داخل الميدان ، وهو يشاركهم آلامهم وآمالهم وتخطيطاتهم وطموحاتهم ، يعيش معهم ؛ يعيشون كلهم كنفس واحدة وروح واحدة وجسد واحد ، والسبب هو أن القيادة الحقيقية هي القيادة الميدانية التي تمسك الزمام ، وتؤثر على القلوب ، وتغزو الأفئدة وتنتزع إعجابها ، وتفرض احترامها على كل النفوس التي حولها .

ولذا لابد من عملية التربية ، والتربية لا تكون من خلال الكتب ، ولا بد للتربية من القيادة، ولا بد للقيادة أن تكون ميدانية .

و من هنا لم يسمح رب العزة ولا رسوله الكريم ﷺ لأهل مكة أن يؤمنوا في مكة ويقبضوا على الإسلام كالقابض على الجمر، لا، بل جعل الولاية والنصرة لمن عاش حول القائد وشاركه المسيرة ، وبقي في كنفه يتلقى تربيته وخلقه وسمته وتوجيهاته ..

(إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا) (الانفال : ٧٢)

بل قال عن الباقين في مكة يوم أن قتل بعضهم ، خرجوا حياءً يوم بدر مع أبي جهل ، وقتلوا في المعركة، وتألم الناس ، تألم الصحابة قالوا : قتلنا إخواننا في المعركة من المؤمنين الذين كانوا يخفون إسلامهم في داخل مكة ، فأنزل الله عز وجل كما روى البخاري ..

(إن الذين توفاهم الملائكه ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم

تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً) (النساء: ٩٧-٩٩)

الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ؛ بقي في مكة (قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت)

ولم يعذر الله عز وجل إلا الثلاثة: الطاعنين في السن، والنساء، والأطفال ، لأنهم لا يعرفون الطريق إلى المدينة ، ولا يثبت الكبار على الدابة (لا يستطيعون حيلة) ، أي وسيلة، ولا يثبتون على الدابة إذا ركبوا عليه،! حتى قيل أن ضمرة بن أبي العيص قال عندما قرأ هذه الآية ، أنا أستطيع أن أثبت على الدابة وأعرف الطريق إلى المدينة ، فجهزوا راحلتي ، قالوا: إنك مريض ، قال أستطيع الثبات على الدابة وأركب على الدابة ، بعد أن جُهزت راحلته وأعدت وما مشى سوى ستة كيلومترات ثم مات في التنعيم رضي الله عنه وأرضاه ، وأنزل الله عز وجل فيه :

(ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيما) (النساء: ١٠٠)

القائد في أتون المعركة

إذاً لا بد أن يكون هنالك قيادة ، ولابد أن تكون هنالك تربية ، ولا بد أن تكون القيادة ميدانية ، وكلما كانت الخطة أحكم ، كلما كان النجاح بإذن الله ، وكان العدو مخذولاً مشتتاً فزعاً مرعوباً .

لا أجد لأول تجربة للعمل الإسلامي للإطاحة بالطاغوت بالدماء وبالأشلاء ، وهي تجربة الإخوة في سوريا ، لا أجد سبباً رئيساً لفشلها سوى أن القيادة أرادت أن تدير المعركة وهي خارجة عن أرضها .

إن محاولة إدارة المعركة من خارج أرض القيادة غالباً ما تبوء بالفشل ، لقد كانت التضحيات التي قدمت من الشباب في سوريا لا نظير لها.

رأيت بعضهم والله في أثناء المعركة ، كنت ترى النور من جبينهم يشع ، تجردوا ، رأيت مروان حديد قبل أن يُقتل بعام ، مررت عليه في سوريا ، وأول كلمة قالها لي : يا أبا محمد أما اشتقت إلى الجنة ؟ فنظرت في وجهه، رأيت أن هذا الرجل ليس من أهل الدنيا، نور ما رأيته على جبين قط تقريباً.

تجرد الناس من نواتهم وخلصت نفوسهم من حظ نفوسهم ولذا أتوا بما لم يستطعه غيرهم ، وزلزلوا الطاغوت وزلزلوا الأرض تحت أقدامه ، حتى كان يبحث عن أي واحد يتصل في الإخوان المسلمين ، بأي جزء من أجزاء الأرض حتى يتوسطوا له عند الإخوان حتى يحلوا له مشكلته وينهي له معضلته.

لكن عندما جاءت بعض الأوامر من الخارج من الذين لا يعيشون المعركة ولا يصطلون بنارها ولم يدركوا أعماقها ، كان التخطيط لا يناسب الواقع الذي يعيش فيه الشباب الذين ينتظرون الموت في كل لحظة .

رأيت عبد الستار الزعيم الذي تولى القيادة بعد مروان حديد ، وكان قد خطب فتاة، يقول لي : يا أبا محمد والله إني أتمنى أن أبيت ليلة واحدة في بيت من البيوت ، إنني أبيت في داخل المقابر ، في داخل القبور المحفورة ، لأنهم يبحثون عني في كل مكان، وهو يهز دنيا الطاغوت ، ولا يجد واحداً في حماة أو دمشق أو غيرها ، يؤويه إلى بيته أو يجرؤ أن يسلم عليه .

كانت نماذج عجيبة وكرامات غريبة حصلت على أيدي هؤلاء ، حتى أن أحدهم كان في الطابق الرابع واقتحمته جنود النصيرية وعندما وجد أنهم لا بد آخذوه ، وهو يخشى تعذيبهم الذي يُدلي بعده بأسماء إخوانه وأماكن قواعدهم ، ألقى بنفسه في الشارع العام، وكان الشارع عريضاً ، عريضاً جداً ، وكانت العمارة على الشارع العام ولم يأت الشاب في الشارع العام وإذا به في الطابق الرابع من الجهة المقابلة ، كرامات سمعنا بها أثناء تلك المعركة كما سمعنا بها في أفغانستان ، ولكن القيادة الميدانية كانت تنتظر الأوامر من القيادة التي خارج الميدان ، ولا يستطيع البعيد أن يخطط كمن يرى ، وليس من رأى كمن سمع، وليس الخبر كالمعاينة .

تقدم هؤلاء الذين لم يكن لهم في المعركة نصيب ووزعها على هؤلاء الطلقاء .

جاء صفوان بن أمية وكان لا زال على كفره (قال : أعطني يامحمد أو يا رسول الله ، قال لك هذا الغنم ، فأعطاه وادياً من الغنم ، قال ما جادت بهذا إلا نفس نبي) ، ثم أسلم صفوان .

وأما الأنصار الذين دعاهم في وقت الشدة فلم يأخذوا شيئاً ، والتقوا فيما بينهم : لقي رسول الله ﷺ قومه ، لقي والله رسول الله قومه ، فجاء سعد بن عبادة وقال لرسول الله ﷺ ، قال من أنت يا سعد ؟ أو ما أنت من قومك ؟ مارأيك ؟ قال : ما أنا إلا رجل من قومي – كذلك أنا عاتب –، قال : اجمع لي قومك في حظيرة ، وجمع القوم في حظيرة، وخطب رسول الله ﷺ بهم تلك المقالة التي تأخذ طريقها في أعماق القلوب:

«يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها عليَّ في أنفسكم؟، ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي وأعداء فألف بين قلوبكم ؟! قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟! لله ولرسوله المنُّ والفضل ، قال : أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصُدِّقتم ، أتيتنا مكذوباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك. أوجدتم عليّ يا معشر الأنصار في أنفسكم لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟! ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله في رحالكم؟! فوالذي نفس محمد بيده لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً ووادياً وسلك الأنصار شعباً ووادياً لسلكت شعب الأنصار وواديها ، الأنصار شعار والناس دثار، اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار، فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم، وقالوا : رضينا برسول الله ﷺ قسماً وحظاً ، ثم انصرف الناس وتفرقوا »[1] حديث صحيح جاء في الصحيحين، ورواه الإمام أحمد كذلك عن ابن إسحاق برواية صحيحة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

لا بد لأية معركة من جماعة ، ولا بد للجماعة من قيادة وجندية ، ولا بد للقيادة من تربية لأفرادها، وللأفراد من تربية على يد قائدها، ولا بد أن تكون القيادة ميدانية ، حتى تكون ناجحة وتحقق نصرها وآمالها ، هكذا بدأت حياة رسول الله ﷺ وهكذا عاشت وقامت كل فكرة ونجحت سواء كانت دنيوية أو أخروية، فكيف بالعقيدة التي تنزلت من عند رب العالمين ؟!

ولا بد أن نبذل لها القليل والكثير والغالي والرخيص ، واشترى الله إزاءها ومقابلها النفس والمال فقال :

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون)

(التوبة : ١١١)

فيقتلون ويُقتلون ، وسبحان ربي كيف جاء النص الكريم محكماً مفسراً ، لا رأي فيه لأحد أبداً ، وحتى لا يفسر البيع والشراء لرب العالمين بالعبادات كقيام الليل أو صوم النافلة والدعوة إلى الله ، نص رب العالمين :(يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون) ، ولم أر مقطعاً من آية كريمة في القرآن الكريم فيها ثلاث كلمات عن القتال إلا هذه الآية ، جملة واحدة فعلية ، {يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون} في سبيل الله شبه جملة، فالجملة كلها قتل وقتال ، أي أن البيع والشراء كان على القتل والقتال ، البيع والصفقة والعقد قد تم على القتل والقتال، (يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون) ، هذا هو التطبيق العملي الواقعي التنفيذي للشراء الذي تم بين الواحد القهار وبين عباده الأطهار .

أضواء على التربية والبناء

يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم :

---

(١) حديث مشهور رواه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ مختلفة.

(إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون، ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون ، قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين ، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ، وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) (الأنفال : ٣٦-٤٠)

آياتٌ كريمات مبينات نازلات من فوق السبع الطباق على قلب رسول الله ﷺ .

وسبب الآية الأولى أن قريشاً بعد أن هُزمت في بدر ، ذهب عبدالله بن ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية بن خلف إلى قريش بشأن القافلة ، قافلة أبي سفيان التي نجت والتي خرج رسول الله ﷺ ابتداءً من أجلها ، فقالوا : إن هذا الرجل – محمداً – قد وتركم وقتل خياركم ، فهل تعينوننا بأموالكم لنثأر بها ما نال به منا ، فتبرعوا بالقافلة لتكون مرصودة لمعركة قادمة تأخذ بها قريش بثأرها ، وتنفس عن أحقادها، وتنتصر لليوم الذي مضى – ليوم بدر – .

والآيات الكريمات عامة في ألفاظها ومدلولها ، وإن كان سبب النزول خاصاً ، فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والآيات تطرح وتؤكد قوانين ربانية قد أودعها الله في المجتمعات الإنسانية .

إن الكفار سيرصدون كل ما يملكون من أجل محاربة الخير وأهله ، والله عز وجل يقرر النتيجة في القانون ، أنهم سينفقونها ثم يتحسرون على إنفاقها بعد رؤية النتائج ، أنهم سيغلبون، ثم تكون نتيجتهم في الآخرة كنتيجتهم في الدنيا، خسار في الأولى وبوار في الآخرة ، هزيمة في الأولى ، وعذاب في الآخرة ، ثم يمضي القانون مبيناً على أن الله عز وجل سيجمع هذا الخبيث كله ، وكأن الخبيث مجموعة من القمامة أو الأقذار أو الأدران ، يجمعها ربّ العزة ثم يُلقيها في جهنم غير مبال بنتيجتها، وفي أيّ واد هلكت من أودية جهنم، لكن لا بد من طرح هذا الدين على الكفار ، لأن في قلوبهم بقية من خير ، أو نداء من ضمير، فيستجيبون لهذا الدين ، ويبين لهم القانون في الدعوة كذلك ، أنكم إن أسلمتم ودخلتم هذا الدين ، فالإسلام يجبّ ما قبله ، ويغفر لكم ما قد سلف ، وإلا فيصيبكم ما أصاب الذين من قبلكم ، هزيمة في الدنيا ، وعذاب في الآخرة ، فقد مضت سنة الأولين ، أي كتب الله قانونه وقدر قدره بأن يهزم الكفار في الدنيا ويعذبهم في الآخرة ، وأن ينصر عباده المؤمنين ، فقد مضت سنة الأولين ، وسنة الأولين أو قانون الأولين وهو الهزيمة للكفار والانتصار لأولياء الله وعباده الذين يقودهم الأنبياء ، ثم يدل أولياءه على القانون الذي لا يتخلف ، والناموس الذي لا محيد عنه ، أنه لا يمكن الوقوف أمام كيد الأعداء وعنادهم، وأمام كبريائهم الشّموس ، وعنادهم الجموح ، سوى القتال في سبيل الله **(حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)** ،

فالقتال لهاتين الغايتين ، إقرار دين الله في الأرض ، وصيانته من التحريف أو التأويل ، وكذلك محو آثار الكفار وقطع دابرهم واستئصال شأفتهم

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ، وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) .

والآيات الكريمات كأنها تتنزل الساعة غضة طرية على قلوبنا ، والذين يتحركون بهذا الدين في الحياة وإقراره في واقع الناس ولجعله نظام حياة : عقيدة وعبادة وشريعة ، يفهمون معنى القرآن وهم يسيرون في الحياة ويبذلون من أجله الحياة نفسها ، القانون يقول : إن الكفار لن يكفوا عن قتالكم ، فالمعركة مستمرة ، ولن يدعوا أية وسيلة يرصدونها لحربكم واستئصال شأفتكم واجتثاث شجرة دينكم من هذه الأرض ، لن يدعوا مالاً ولا كيداً ولا مكراً ولا علماً ولا رجالاً إلا ويرصدونه لمحاربة هذا الدين .

والقانون يقول : أن هنالك فريقين في الأرض ، فريق الكافرين الذين يحاربون هذا الدين بكل ما أوتوا من قوة، وحزب الله الذين يجب أن يقاتلوا حتى يقروا هذا الدين في واقع الأرض، وحتى يمضي الكفار من عالم الحياة .

وهذا القانون يقول إنه لا بد من تجمع إسلامي حركي ، يقف أمام تجمع الجاهلية ، وكيدها وسلطانها ، إن هذا الدين ليس نظرية في الخيال، إنه دين واقعي جاد نزل ليطبق في عالم الناس ، نزل ليطبق على البشر .

ولذا ورب العزة وهو الذي جبل هذه النفوس ..

أساس المفاضلة

إذن الإنسان وسابقته، الإنسان وهجرته، الانسان وبلاؤه، الأنسان وعطاؤه في هذا الدين، ولهذا الدين، لا يحكم على الأفعال ولا على الأشخاص من خلال وقعة من الوقعات، أو من خلال سنة من السنوات، فإن العلامات في الجامعة إنما تجمع طيلة السنة وتقسم ويُعطى عن النتيجة، وكذلك السنوات الجامعية تجمع السنوات الأربع ويؤخذ معدلها ثم تعطى النتيجة لصاحبها، أما أن أحدهم يتميز في السنة الرابعة ويأخذ امتيازاً، غيره يتأخر لظرف من الظروف ثم يقال هذا امتياز وهذا مقبول، فلا، لا بد أن ننظر في السنوات الأربع، وفي العلامات السابقة ثم نأخذ معدلها، ثم نقدم ما قدموه في هذه الجامعة . كمعدل يشير إلى العدل، والمعدل إنما هو يؤخذ من العدل.

هذا الجهاد

ونحن ننظر إلى هذا الجهاد ، يجب أن نأخذ هذه القاعدة بعيني البصر والبصيرة ، ثم نحكم على الناس بعد ذلك ، نحكم على هؤلاء الأفغان ، كل وأقدميته ، كل وسابقته ، كل وعطاؤه، كل وصبره على طريق هذا الدين ، وإذا حصلت أخطاء في داخل المجتمع المسلم ، فلا يعني هذا أن رسول الله ﷺ قد فشل في تربيتهم ، فهم بشر ، وكل إنسان معرض للأخطاء ، معرض لأن يستجيب لشهوته مرة من المرات ، معرض للكذب ، معرض للسرقة ، معرض لشرب الخمر .

فإذا كان قدامة بن مظعون قد شرب الخمر فيطبق عليه الحد ، لكن هذا لا يهز منزلته عند عمر رضي الله عنه الذي أرسله إلى البحرين، ثم يبقى عمر سنة أو سنتين يتلمس اللحظة التي يسترضي فيها قدامة بن مظعون ، وقدامة معرض عنه ، حتى اختلى به ذات مرة في الحج واحتضنه وقال له يا أخي : إغفر لي .

قدامة من السابقين ، شرب خمراً ، وعندما أراد عمر أن يقيم عليه الحد قال له قدامة ليس لك عليّ سبيل ، لأن الله عز وجل يقول:

(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين) (المائدة : ٩٣) .

وقف وقال : وأنا أسلمت وآمنت وهاجرت فليس لك عليّ سبيل .

ووقف عمر أمام هذه الآية ثم جمع الصحابة واستشارهم، فقال علي: اسأله، إن كان يستحل الخمر فهو كافر تضرب عنقه ، وإن كان لا يستحل الخمر وإنما يتأول فيقام عليه الحد ، فأقام عمر عليه الحد .

الأخطاء تقدر بقدرها

والرسول ﷺ ينزل الناس منازلهم ، ويضع الإنسان فيما يمكن أن يفيد فيه، ولكن الأخطاء لا تجعله أن يقلعه من جذوره أو يزيحه من مكانه .

فإذا كان خالد بن الوليد قد تعجل في قتل بعض بني جزيلة ، والرسول ﷺ يرفع يديه إلى السماء يقول : **(اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد)**، فإن هذا لا يستدعي رسول الله ﷺ أن يبعده عن القيادة ، بل بقي يوليه ويعقد له الألوية والرايات ويرسله للفتوح في أيلة وأذرح وغير ذلك .

نعم أخطأ خالد ، فيشير إلى هذا الخطأ : «اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد» ، ولكن بقي يجعله في مكانه الذي يُعطي فيه ، وهو العطاء العسكري الذي نبغ فيه خالد وتفوق .

وإذا كان سعد بن عبادة يقف في المسجد يوم أن وقف رسول الله ﷺ في محنة الإفك يقول : من يعذرني في قوم يرمونني في أهلي ، فيقول أسيد بن حضير – من الأوس – يقول : يا رسول الله مرنا فإن كانوا من الأوس كفقناهم وإن كانوا من الخزرج كذلك كفقناهم ، وإلا ضربنا أعناقهم ، وقف سعد بن عبادة زعيم الخزرج يقول : كذبت، إنك تقول هذا لأنك تعلم أنه من الخزرج ، وهذا المقال لا يجعل رسول الله ﷺ يبعد سعدا من مكانه في استشارته في أثناء أزماته وإبان الخطوب ، فيرسل إليه في أزمة الخندق ويرسله إلى بني قريظة ليستشيره، كذلك في غطفان الذين أعطاهم ثلث ثمار المدينة، ويرسله مع سعد بن معاذ إلى بني قريظة ليرى هل نكثوا عهدهم

أم لا زالوا قائمين على العهد، وهذا لم يمنع رسول الله ﷺ يوم فتح مكة أن يعقد اللواء ، لواء الأنصار، ويحمله لسعد بن عبادة ليقود الأنصار كلهم ، حتى إذا كانوا على مشارف مكة ، ورأى سعد جنود الله تقتحم مكة وتدخلها ، ولا يقف في وجهها واقف، أخذته نشوة النصر قال : اليوم تستحل الحرمة، اليوم أذل الله قريشاً، فيذهب بعض الناس كأبي سفيان يقول : يا رسول الله هذا سعد يقول: اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذل الله قريشاً فيقول :

(لا، بل اليوم تعظم الكعبة ، اليوم أعز الله قريشا، اليوم تعظم الحرمة)

ونزع اللواء منه، ولكن لمن دفعه ؟ لابنه ، حتى لا تحدث فتنة في داخل الصف ، لأن قوماً قد التفوا عليه ودانوا له وأحبوه وهو قائدهم .

فإذا خاف الرسول ﷺ مشكلة من المشاكل ! خوفاً من رهب الأسنة، وخوفاً من مسيل الدماء في داخل مكة ، أخذ اللواء ، وما نقله فعلاً ، إنما نقله لابنه ، وابنه في ظله، ولا زال يعيش في صفه، ويمشي في ركبه .

منازل الناس

إذن رسول الله ﷺ وهو يقود المسيرة ينزل الناس منازلهم ، وعلمنا رسول الله ﷺ هذا وقال : **(أنزلوا الناس منازلهم)**، وقد علمه القرآن هذا ، علمه ربه أن ينزل الناس منازلهم ، لأن الناس طبقات، حسب العطاء والبلاء لهذا الدين، وحسب التضحية في سبيله، وحسب القدم في الهجرة، وحسب القدم في الإسلام .

هذه القاعدة التي علمها رسول الله ﷺ صحبه : أن الأخطاء لا تدل على خطأ منه في التربية ، وأن الانسان الذي يُخطيء، يُنظر إلى حسناته من قبل ، فإن كانت كثيرة تغرق فيها سيئاته ، ولا ينظر إليها ، ويعرض عنها ، لأنه علمنا :

(أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر ويده بيد الرحمن).

وقد أخذنا الوقت ، والكلام طويل في هذه القواعد التي قام عليها هذا الدين أول مرة ، ولن يقوم الدين في أي مرة إلا على مثل هذه القواعد ، وإلا فعملنا مثابون عليه، ولكن نتيجته في الحياة غثاء ويحصد ثماره الفاتحون . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

(قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) (آل عمران : ١٣٧)

(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الالباب ما كان حديثا يُفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) (يوسف : ١١١)

هذه القواعد وهذا الجهاد

لابد أن نتبصر في السيرة طويلاً ، ولا بد ونحن نعيش واقع الجهاد الأفغاني، أن نطبق أولا : قاعدة الإنسان وبلاؤه ، الإنسان وقدمه في الهجرة ، الإنسان وعطاؤه لهذا الجهاد ، وهؤلاء الذين يقودون الجهاد الآن لا بد أن ندين بالاعتراف بأفضليتهم وسابقتهم على هذا الطريق ، فإذا رأينا أخطاء ، أولاً: لابد أن نرجعها إليهم حتى يحللوها لنا .

ثانيا : لابد أن نتغافل عنها ، أن نغض الطرف عنها ، ولا نشير إليها إلا بإشارات خفيفة ، كما كان رسول الله ﷺ يُشير إلى الأخطاء في المجتمع (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا) ونشير إليها مع الناس المعنيين بها ، الذين يمكن أن يسددوا المسيرة إن كان هذا خطأ في المسيرة ، لا أن نشهر بهم، ولا أن ننشر أخطاءهم **(لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل)** .

سيرة الرجال ..

أنتم ما عشتم الأيام التي عاشها رباني ولا سياف ولا حكمتيار هنا في أرض بيشاور ، كل منكم يمسك نفقات تساوي أكثر من

فقد أعطى بأصالته وصلابته وطبيعة أرضه ولظروفه المحيطة، وبالفرصة التي أتيحت إليه بالحركة الجهادية وبوجود السلاح وغير ذلك، ما يجعله متفرداً من بين شعوب الأرض في قدرته على الحركة بهذا الدين وإقراره في واقع المسلمين الآن في الأرض كلها، والذين يبحثون عن قيام هذا الدين في بلادهم ، الذين لم يتخلصوا بعد من رواسب الجاهلية العرقية والإقليمية وغير ذلك ، هنا يعملون وقلوبهم معلقة هنا وهناك، إن كانوا يريدون أن يتركوا هذا المنهاج، ويبحثوا عن العمل في بلادهم فقد أخطأوا المسيرة، وأفلتوا الثمرة وهي دانية للقطاف وحان حصادها .

إن هؤلاء كالذي يترك الطبخة على النار لم يبق إلا الدقائق للنضج ثم يذهبون ليشتغلوا ويجمعوا الفلوس ليشتروا الخضروات واللحوم من جديد ثم يطبخ من جديد.

وارض اللهم عن الصحابة الذين مكنوا لهذا الدين بفضلك وعنايتك وتأييدك وقدرتك وعلمنا اللهم أدبهم وسيرهم حتى نعمل بها ونسير على آثرها ..

(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده)   (الانعام : ٩٠)

♥♥♥♥♥♥♥♥

♥♥♥♥

♥♥

الأمل العريض

يا من رضيتم بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً .

اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم :

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) (البقرة : ٢١٤)

فضل الأمل بالله

بشرى من رب العزة ، أنه كلما اشتدت المحن قرب الفرج ، وكلما اشتد الكرب قرب النصر ، وكلما اشتد العسر جاء اليسر، **«ولن يغلب عسر يسرين» ، «واعلم أن النصر مع الصبر»** .

ورب العزة سبحانه وتعالى يغرس الأمل في قلوب المسلمين ، في أشد الحالات من ادلهام الظلام ، ومن أخذ الكروب والخطوب بخناق الناس .

رب العالمين يقرن معه النصر ويقرن معه الفرج ، وما أشد الظلام إذا قرب الفجر ، بعد أن يصف حالة المسلمين من الضيق والمرض والفقر والحرب ، حتى يصل الأمر بنفس الرسول ﷺ أن يقول : {متى نصر الله} يبشرهم الله : {إن نصر الله قريب} ...

(حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كُذِبوا جاءهم نصرنا) (يوسف : ١١٠)

حالة من الضيق والخوف ، والتشريد والمجاعة ، وقتل النفوس، وإزهاق أرواح الأبرياء، تصل بنفس صاحب الرسالة قائد المسيرة ؛ أن يصل إلى حافة الاستيئاس.. {حتى إذا استيأس الرسل} والرسل لا ييأسون ولكنهم يستيئسون لأنه :

(لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) (يوسف: ٨٧)

(حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) (يوسف : ١١٠)

والمعركة مع أعداء الله تتطلب أملاً عظيماً بالله ، وتتطلب انفراجاً واسعاً وفسحة في الأمل ، وبعداً في النظر ، ورؤية بصيص من نور ، الليل المطبق الذي يسدل ستوره ويرخي ذيوله على الأرض كلها ، وحتى على نفس الفئة المسلمة ، حتى لا تتعطل عن واجباتها .

من هنا كان رسول الله ﷺ كلما أخذ الكفار بخناق المسلمين ، وكلما كادت شجرة الدعوة تقف عن النمو ، وكلما تكالب أعداء الله على دين الله ، وعلى أحبابه، يبشرهم رسول الله ﷺ ليغرس الأمل ، ليترك لهم فسحة وفرجة في هذه الصدور التي ضاقت بالأرض وما عليها .

يروي لنا أصحاب السنن أنه عندما جاءت الأحزاب إلى المدينة بعشرة آلاف من رجالها يقودها أبو سفيان، ويحرك أوارها، ويشدد ذكاءها سلام بن مشكم ، وسلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن أبي الربيع ، وغيرهم مثل حيَي بن أخطب الذي كان رأس الفتنة -، ساقوا هذه الجموع من قريش ، ومن غطفان ، ومن أسلم ، ومن أشجع ، وأحاطت بالمدينة إحاطة السوار بالمعصم ، ووصف القرآن حالتهم :

(يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا، إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) (الاحزاب : ٩-١١)

وألهم الله رسوله أن يحفر الخندق بإشارة سلمان ، واعترضت بعض الصحابة صخرة عظيمة لا تكاد تهوي تحت معول ، ولا يؤثر بها فأس ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فجاء ﷺ وضرب ضربته الأولى فانطلقت شرارة ، فكبر وكبر المسلمون معه ، ثم ضرب

ضربته الثانية فانطلقت شرارة ، فكبر وكبر المسلمون وراءه ، وضرب الضربة الثالثة فتفتت الصخرة كأنها كانت كثيباً مهيلاً ، وكبر وكبر المسلمون وراءه .

يبشرهم ﷺ .. في هذه الظروف التي زلزلت فيها قلوب المؤمنين .. قلوب صفوة البشر .. قلوب أبي بكر وعمر وعثمان وبقية الصحابة .. زلزلوا زلزالاً شديداً ، بلغت القلوب الحناجر ، يبشرهم أنه :

«... في الشرارة الأولى أضاءت لي قصور بصرى من الشام، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، وأضاءت لي الثانية قصور الحيرة من العراق، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ، وأضاءت لي الثالثة قصور صنعاء من اليمن وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها» .

وهنا انطلق المنافقون بهذه المقالة يشككون ويروّجون ويرجفون في المدينة . ويقولون : محمد يعدنا قصور كسرى وقيصر وأحدنا لا يكاد يستطيع أن يقضي حاجته !!

(وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) (الاحزاب : ١٢)

إلا خداعاً وكذباً .

واستأذن بنو حارثة ورجعوا إلى بيوتهم ، وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ أن قريظة قد نقضت عهدها ، فأرسل السعدين .. سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، وأرسل عبدالله بن رواحة وجبير بن خوات يستطلعون الخبر ، ثم قال لهم : إن نقضت قريظة عهدها فاكتموا ذلك عن المسلمين ، وإن بقيت على عهدها فأشيعوا ذلك بين المسلمين .

وذهب سعد – وسعد بن معاذ هو حليف بني قريظة في الجاهلية وفي الإسلام –، فسمع منهم كلاماً منكراً ، وشتموا رسول الله ﷺ، ورجع إلى رسول الله ﷺ هو والثلاثة ، ولم يقولوا له أمام المسلمين شيئاً ، إلا إشارة لاسلكية قد التقطها رسول الله ﷺ ، قالوا : عضل والقارة ، ففهم رسول الله ﷺ أن قريظة نقضت عهدها ، كما نقضت عضل والقارة – قبيلتان – بفئة من الصحابة وقتلتهم جميعاً .

ماذا كان جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمام المسلمين وقد ضاق صدره واشتد حاله؟ قال : **«الله أكبر أبشروا أيها المسلمون»** ، لا يريد أن يفارق الأمل أعماق قلوبهم ، ولا يريد أن تتوقف هذه المسيرة التي يقودها هو حتى في أحلك الظروف ، لا يريد أن يفت في عضد المسلمين ، ويوهن قوائم حتى وهو بين ظهرانيهم .

خطر الشائعات

قصة بني قريظة – وقريظة في أعالي المدينة– ما أحب أن يشيع الخبر بين المسلمين، لأن المعارك يجب أن تشاع فيها الإيجابيات، وتكتم السلبيات ، يجب أن تظهر المحاسن وتخفى المساويء ، لأن إشاعة واحدة في داخل الجيش قد تكفي لهزيمته .

ومن هنا عندما أشيع أن رسول الله ﷺ قد قتل يوم أحد هرب معظم المسلمين ، وعادوا إلى مشارف المدينة ، قالوا : ماذا نفعل بعد أن قتل رسول الله ﷺ ؟

والمعركة التي أوقفت تقدم المسلمين داخل أوروبا ، وحرمت بقية أرجاء أوروبا من نور هذا الدين القويم ؛ هي إشاعة أشاعها الإفرنج أننا قتلنا (عبد الرحمن الغافقي) قائد معركة بلاط الشهداء سنة ٧٣٢ م ، وهزم المسلمون على يد سيف (شارل مارتل) ، وتوقف الفتح الإسلامي ، وأوصد دون هذا النور العظيم سد من الظلمات بقيت إلى يومنا هذا .

لم يغب عن رسول الله ﷺ في أشد الساعات أن يدفع بالمسلمين إلى الأمام بتبشيرهم على الأقل بالكلمات – ولكنه لا ينطق عن الهوى –، والكلمة الطيبة تدفع إنساناً سنوات إلى الأمام، وكلمة من التوهين من صاحب قلب خاو يائس تكفي لإسقاط همم الكثيرين، ولقعودهم عن مواطن النزال ، وعن مواقع القتال .

يقول خباب بن الأرت :

«أتيت رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في فناء الكعبة ، فقلت يا رسول الله ، ألا تدعو لنا؟! ألا تستنصر لنا!! –وكانت أزمة عظيمة خانقة أخذت برقاب المسلمين ، كانت كربة ما تركت قلب مسلم إلا واعتصر ألماً ، فجاء يشكو : يا رسول الله ألا تستنصر لنا؟! ألا تدعو لنا؟!– فقعد وهو محمّر وجهه ﷺ قال :(لقد كان من قبلكم يوضع منشار الحديد على رأسه فيجعله نصفين ، أو ليمشط بأمشاط الحديد

ما دون عظمه من لحم وعصب، ما كان يصرفه ذلك عن دينه، والذي نفسي بيده - في أعماق مكة- ليتمّن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه»[1].

يبشر خباب أن هذه الأرض ستدين لهذا الدين ، تعلن الخضوع لشرعه القويم ، ويعمّ الأمن الأرض حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله .

ويقول عدي بن حاتم :

«دخلت على رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب من الذهب، فعندما دخلت عليه قال : ألق هذا الوث، فألقيته ، ثم سمعته يقرأ :{اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم} فقال عدي : يا رسول الله ما عبدوهم ، قال : بلى، أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم ، فتلك عبادتهم إياهم»

وما ذكرته هذا من رواية الترمذي .

ثم يصف عدي هذا الوصف القادم في الصحيحين قال : «بينما كنت جالساً عنده دخل رجل وشكى الفاقة - الفقر - ثم دخل رجل آخر وشكى قطع الطريق - وكان رسول الله ﷺ قرأ ما في نفس عدي، وكان قد أسلم في تلك الجلسة، وهؤلاء الزعماء يعجبون بالمظاهر ، ويحبون الثراء، ويريدون معالم الأمن مرخية أطرافها على المجتمع - فقال يا عدي : قلت نعم، قال : هل أتيت الحيرة؟ قلت : لا ، ولكني أعرفها ، قال : إن طال بك الزمن لترينّ الظعينة تأتي من الحيرة تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله ، قال عدي : - ولم يصدق - فقلت في نفسي : فأين دُعّار طيء - أي صعاليك طيء ، أي قطاع الطريق الذين يسفكون دم الرجل من أجل درهم ؟! كيف تفلت المرأة الظعينة من بين أيديهم ؟ وهل تخترق طريقها مارة بهذه الصحراء الطويلة من الحيرة حتى تصل البيت الحرام فتطوف ؟- قال : يا عدي ولئن طال بك الزمن لتفتحن كنوز كسرى قلت : كسرى بن هرمز؟! قال : كسرى بن هرمز، ولتنفقن كنوزه في سبيل الله، ولئن طال بك زمن لترينّ الرجل يأخذ ملء كفه من ذهب وفضة ينادي بالناس: من يأخذ هذا المال ، فلا يأتيه أحد، قال عدي: ولقد رأيت الظعينة تأتي من الحيرة تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله، وكنت ممن افتتح كنوز كسرى ولئن طال بكم زمن لترون الثالثة التي بشركم بها أبو القاسم» .

وجاءت أيام عمر بن عبد العزيز ، وجمع يحيى بن سعيد صدقات أفريقيا ونادى بالناس شهراً كاملاً : من كان منكم في حاجة إلى هذا المال فليأتنا ، فلم يتقدم إليه أحد .

الأمل .. الأمل الذي يزرع في ثنايا أفئدة الجنود وهم يقابلون الحشود في أرض القتال ، وفي ميادين الشرف ! لابد من الأمل ، والأمل يزرعه رب العزة في قلب من يشاء من عباده ، فينزل عليها السكينة ويفيض عليها الطمأنينة .

قبل الصحوة

يا أيها الإخوة:

أنتم عشتم أيام الصحوة الإسلامية ، ونحن عشنا قبلها أياماً ما أذكر أني رأيت فتاة تدرس في الثانوية تلبس لباساً شرعياً ، أيام أن كنت أعد رسالة الدكتوراه في القاهرة ، كانت جامعة القاهرة وهي تعد مائة وعشرين ألف طالب وطالبة ، ليس فيها إلا فتاة واحدة متحجبة وهي ابنة أخت الشهيد سيد قطب رحمه الله .

كنا إذا أراد أحدنا أن يتزوج يبحث عن فتاة تغطي ركبتها أو تلبس الجوارب على أرجلها ، كنا نبحث عن فتاة تغطي نصف شعرها بمنديل فنمسك بها كأنها من أولياء الله الصالحين .

أيام كنا نستحي أن نذكر إسلامنا، كان الكفر يطاردنا ، والإعلام الناصري لا يدع لنا مستقراً يؤرق أجفاننا ، وكلما تمسك شاب بدينه أطلق عليه الإعلام الناصري وغيره عملاء الغرب ، عملاء الاستعمار، أعداء الأمة العربية .

وهكذا كان الشباب الفاسق والفاجر كل يفخر بفسقه وفجوره ، هذا يحدث في المدرسة عن صاحبته التي تكلم معها ، وهذا يحدث عن الفلم الذي رآه ، والإسلام مطارد ... محاصر .

---

[1] رواه البخاري.

أشد بأساً وأشد تنكيلا) (النساء: ٨٤)

آية كريمة نزلت من لدن عليم حكيم كريم في سورة النساء، تتضمن أمرين: أن المسلم عليه بالقتال ولو كان وحيداً في الميدان،

والأمر الثاني: أن على المؤمن أن يحرض على القتال في أي مكان وفي أي مجال.

فرضان متلازمان، لأن الجهاد قائم على التحريض، قائم على الاندفاع والعاطفة، قائم على الأشواق والغيرة. أقام سرجه ورحله فوق أقدام الأشواق المجنحة، وفوق النفوس المتطلعة للموت.

لنا فرس لم تنجب الخيل مثلــه *فتحنا به الدنيا يسمونه الــردى*
على ظهره القاني أقمنا سروجنا *نطير الى الرحمن في إثر أحمدا*

ﷺ.

فهم الصحابــــة

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم الآية على ظاهرها! فعن أبي إسحاق قال: سألت البراء بن عازب، الرجل وحده يكرّ على القوم -أي يهجم على القوم-، أليس في هذا تهلكة؟ قال: يا ابن أخي - أبو اسحاق تابعي، ومن أدب الصحابة أنهم كانوا اذا خاطبوا التابعي، قالوا له يا ابن أخي، لأن الصحابة والمسلمون كلهم إخوة، فكانوا يسمون جيل التابعين يا ابن أخي إذا خاطبوه - قال يا ابن أخي: لقد أنزل الله عز وجل الكتاب على نبيه فقال له:

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) (النساء: ٨٤)

وإنما آية التهلكة في النفقة، لأن الصحابة رضوان الله عليهم من الأنصار، كما روى أبو عمران قال: **«كنا محاصري القسطنطينية وعلى القوم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، والروم ملصقو ظهورهم بأسوارها، فكرّ رجل على الروم، فقال الحاضرون: مه مه، سبحان الله يلقي بنفسه الى التهلكة!** - كان أبو أيوب حاضراً وأبو أيوب من الجيش الذي حاصر القسطنطينية، وأول جيش يغزو مدينة قيصر مغفور لهم، كما في الحديث الصحيح. وكان من بينهم أبو أيوب الأنصاري - **قال: فينا معشر الأنصار نزلت هذه الآية:**

(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) عندما نصر الله دينه وأعز نبيه قلنا: لو رجعنا إلى أموالنا فأصلحناها، فأنزل الله فينا:

(وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) (البقرة: ١٩٥)

فكانت التهلكة في إصلاح الأموال، وفي ترك الجهاد.

هذان الصحابيان يفهمان الآية على ظاهرها - أبو أيوب، والبراء بن عازب - على أن الإنسان يجب أن يقاتل ولو كان وحيداً.

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو داوود **«عجب ربنا لرجل انكشفت فئته فعلم ما عليه فرجع فقاتل حتى قتل»**[1] انهزمت السرية كلها، وهو رجع من السرية وقاتل وحده حتى قتل، فيعجب له ربنا سبحانه وتعالى.

ضرورة استمرارية القتال

ولذلك القتال لا يتوقف، فإذا كان الإنسان في بلد بإمكانه أن يقاتل فيها وجب عليه أن يقاتل ولو كان وحيداً.

وقد سئل أبو بكر بن العربي صاحب أحكام القرآن: قعد الناس كلهم، أيجب على الأنسان أن يقاتل؟ قال: نعم. يقاتل إن استطاع القتال، وإلا فيعمد إلى ماله فيفتدي أسيراً من أسرى المسلمين.

فرضان متلازمان، وحلقتان متصلتان لا تنفكان عن بعضهما: فريضة القتال وفريضة التحريض عليه،

ولذلك يعتبر التحريض على القتال من الفرائض، وتاركه والصامت عنه يعتبر مفرطاً بفريضة من الفرائض، ويحرم على الإنسان

(١) حديث حسن رواه أحمد بلفظ «عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه فعلم ما عليه فرجع حتى أهريق دمه. فيقول الله عز وجل لملائكته: أنظروا الى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه» أنظر صحيح الترغيب رقم (٦٢٦).

أن يترك فريضة من الفرائض ، ومن المعلوم أن ترك الفرض حرام، والفرض في الأصول ما يثاب فاعله ويأثم تاركه ، فالإثم يلحق الإنسان إن ترك فرض القتال، ويلحقه إثم آخر إن ترك فريضة التحريض على القتال ، فكيف إذا لحقته موبقة ثالثة : هي موبقة التثبيط عن القتال؟!

السكوت عن القتال يعتبر فسقاً . السكوت عن التحريض للقتال يعتبر فسقاً في لغة الأصوليين ، لأن الفسق هو ترك الفرض ، والتحريض فرض ؛ فتارك الفرض فاسق، فكيف إذا رُكب فوق هذا الفسق فسقا آخر هو التثبيط والإرجاف والتخذيل والتعويق عن فريضة يأمر بها رب العزة من فوق سبع سماوات :(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين) ولماذا ؟ (عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا) فلا يكف بأس الكافرين ، ولا تخضد شوكتهم ، ولا يردعون ولا يرتدعون إلا بالقوة وإلا بالشوكة ، لأن الذي يطلب حقه بغير السيف كما قال أبو الطيب :

لنطلبن بحد السيف مأربنا — فلن يخيب لنا في حده أرب

ولذلك فالإنسان المسلم عليه أن يقاتل ، ويستجيب للمسلمين إذا دعوه للقتال ، ويحرض المسلمين القاعدين للقتال ، ويحرم عليه أن ينشر عيوب القتال في أثناء المعركة .

ولم يكن يتنزل القرآن أثناء المعركة يبين عيوب الصحابة ، بل كان بعد أن تنتهي المعركة يبيّن لهم أخطاءهم ، ويعقب على الأحداث التي حصلت لتوجه المسيرة ، وليصنع الجيل ولتبنى الأمة .

التحريض مطلوب والإرجاف ممنوع

وأثناء المعركة يحرم أن تتكلم عن عيوب القتال وعن مساوىء النزال :

(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ، ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) (النساء : ٨٣)

هذه الآية قبل آية (فقاتل في سبيل الله) وكأن قضية الإرجاف ، الله عز وجل يبين للمؤمنين : أنه لا يجوز لهم أن يستجيبوا لقضية الإرجاف، ولو استجابت الأمة بكاملها، قال : (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم).

فالأولى في قضايا تلتبس على الناظر ويشكل تفسيرها على الحاضر ، أن يرد الأمر لأولي الأمر، فهم أقدر الناس على استنباط السبب فيما يحصل فوق هذه البقعة التي تراها أمام ناظريك : (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) أي: لاستمعتم للأقوال التي تقال في المعركة، وللأراجيف التي تنتشر أثناءها فتخذلكم وتعوقكم ، ومن رحمة الله أنكم لم تستجيبوا لها ، أما أنت يا محمد يا رسولي (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) ولو قعد الناس كلهم بسبب الإرجاف وبسبب التثبيط .

وعندما علم رسول الله ﷺ يوم الخندق أن قريظة قد نكثت عهدها وغدرت بوعدها ، أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عبادة قال : «انظرا ، فإن نكثوا العهد – أو كما قال ﷺ – فلا تشيعوه بين المسلمين ، وإن لم ينكثوا فأشيعوا ذلك بين المسلمين» ، حتى تنشرح صدورهم وتطمئن قلوبهم ، في وقت تكالبت الدنيا كلها على المدينة المنورة تريد إجتثاث هذه النبتة النامية بإذن ربها .

لا يجوز أبداً لا عقلاً ولا شرعاً أن تشاع أثناء المعركة أراجيف تفت في عضد المسلمين ، نحن بحاجة إلى التحريض ، بحاجة إلى شيء يشد من عضدهم ويقوي هممهم ، ويشحذ عزائمهم، ويدفع طلائعهم ، نريد أناساً ينطلقون وهم يقولون :

محرمة أكفال خيلي على القنا — ودامية لباتها ونحورها
حرام على أرماحنا طعن مدبر — وتندق منها في الصدور صدورها

نريد شباباً... والإسلام يريد شباباً لا يبالون بالموت ، ينطلقون وهم يرددون :

فالموت أعذر لي والصبر أجمل بي — والبر أوسع والدنيا لمن غلبا

أما أن تأتي في وسط المعركة وتقول :

(ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) (الاحزاب: ١٢)

فهذا يوهن العزائم المشحوذة، ويكل ويهبط الهمم المندفعة .

«...فذهبا؛ وعندما علما أن قريظة فعلاً قد نقضت عهدها وردتهما رداً سيئاً بجلافة وغلاظة رجعا إلى رسول الله ﷺ وقالا: عضل والقارة» . كلمتان فقط ، فهم منهما رسول الله ﷺ أن قريظة قد نقضت عهدها ، فماذا قال رسول الله ﷺ : **«أبشروا أيها المسلمون»** ، لماذا ؟ لأن الجهاد قائم على البشرى ، القتال قائم بنشر الأخبار التي تشرح الصدور ، لا التي كالقنا في الصدور والنحور ، كم من خبر واحد فت في عضد الكثيرين فأقعدهم عن نصرة المسلمين . قال : أبشروا . والمدينة تروج بأقوال المرجفين .

الرسول ﷺ وفي أشد الساعات حلكة يوم أن أطبق الظلام كله ، وكشر الشر عن نابيه وحمشت ساق الجاهلية ، تريد أن تمسح هذه الفئة المؤمنة من فوق المدينة .

«الرسول ﷺ يمسك معولاً ليضرب صخرة اعترضت سلمان أو عبد الرحمن وبعض الصحابة ولم يستطيعوا إزاحتها عملاً ، فضرب ضربته الأولى فأورت شراراً ، فكبر وكبر المسلمون وراءه ، ثم الشرارة الثانية والثالثة انهالت الصخرة كأنها كثيب مهيل ،

«... قالوا: يا رسول الله كبرت في الأولى والثانية والثالثة، قال: لقد أضاءت لي الشرارة الأولى قصور بصرى من الشام، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، وفي الثانية قصور الحيرة، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، وفي الثالثة قصور صنعاء من اليمن ، واخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها».

دور القيادات

نعم هو وحي ، ولكن دور القيادات من وراء الرسول ﷺ التأسي والاقتداء ، زراعة الأمل في أعماق الجنود في أشد الساعات ظلمة ، وفي أحرج الأوقات التي تأخذ فيها الخطوب بالنحور والكروب بالصدور .

وظيفة القيادة أن تزرع، أن تغرس الثقة، أن لا تتردد ، مادام في ذهنها وفي صدرها أمل كبير لا يتزعزع أن الله ناصر دينه ، وأنه ينصر من ينصره، وأنه على الحق ، وأن الله عز وجل ينصر جنده ويذل عدوه .

قال : أبشروا . ما نشر رسول الله ﷺ خبر نقض قريظة على المسلمين حتى يكون واقعياً، وحتى يتحركوا بمنهاج واقعي !!

بين الأفغان والروس

قالوا لي : أنت قدمت صورة للعالم عن الجهاد الأفغاني غيرالصورة الواقعية ، فالناس عندما يأتون يصطدمون بالواقع ، قلت لهم : ماذا تقول للناس ؟

نحن قلنا للناس : هنالك شعب من أفقر الشعوب ، وأقلها ثقافة وأندرها موارد وأقلها دخلاً، لا تكنيك ولا صناعة ولا زراعة ولا ثقافة ، ومع ذلك يقف منذ عشر سنوات أمام أعتى قوى الأرض وأشرسها !! هذه القضية هي التي يعيش العالم الإسلامي بمواته وانحطاطه وذله بسبب فقدها.. هذا نموذج حي .

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم	*ساروا إليه زرافات ووحــــــــدانا*
لا يسألون أخاهم حين يندبهـم	*في النائبات على ما قال برهــــانا*

الشعب الأفغاني شعب كبقية الشعوب، ولكنه يبقى من أفضل الشعوب وأنقاها ، لقربه من الفطرة، ولالتصاقه بالأصالة ، لم تدنس فطرته الأصيلة الثقافة الغربية ، ولم يهز نخوته تدجين الأسود ولم يستطع الغرب أن يحول الأسود في أرض الهندوكش إلى قرود، لم يستطيعوا أن يدجنوا هذا الشعب ، ولذا ولا زالوا يسمون هذا الشعب بالتيس الجبلي ، قالوا : لقد أوصلنا ثقافتنا إلى كل العالم إلا التيس الجبلي في أفغانستان ، والأعرابي في أعماق الصحراء دجنوه، حولوا الأسود إلى أرانب وقرود تحاكي ما يفعلون ، وتقلد ما يصنعون .

كل ما كتبناه يدور حول هذه القضية ، شعب رفض أن يذل إلا لرب العالمين، وأبى أن يطمئن هامته إلا لخالقه سبحانه وتعالى . فكل ما كتب وكل ما دار إنما كان حول شعب .

قلنا فيه :

قعد الناس كلهم عن مساعيك — وقامت بها القنا والنصول

لم يستطع شعب أن يفعل كما فعل الشعب الأفغاني .

ليس مــن عنده تدار المنـايا — كالــذي عنــده تدق الطبــول

أنت طول عمرك للروس غـاز — فمتى الوعد أن يكون القفـول

نعم أنا لازلت أنظر الى هذا الشعب كنظرة قزم صغير أمام عملاق كبير – والله كما أظن– لو كان هذا الشعب غربياً لصنعت لقادته التماثيل ، لا يترك ناصية شارع ولا مفرق طريق إلا وتربع فوق أعمدتها تمثال لأحد القادة في أفغانستان ، ولكن هذا الشعب شعب شرقي فقير ، لم يجد إعلاماً ينقل ما صنعه في واقع الأرض فتبنى وتربى عليه أجيال لعدة قرون ، ليس عنده كميرا يصور ولا مراسل صحفي ، ليس في داخل أفغانستان مراسل صحفي واحد من المسلمين ، وليس هنالك مصور واحد، ولا صانع أفلام واحد، ولا وكالة للأنباء ، ليس هنالك واحد من هؤلاء .

ومن نعم الله عز وجل أن الغرب يكره الروس ، فنقلوا هذه الصور أو بعضها للعالم، ونقلت صحفنا العربية مصدقة عن الإعلام الغربي، لأنها لا يمكنها أن تصدق أن شعباً فقيراً واقفاً أمام صواريخ عابرة للقارات وأمام طائرات نفاثات وأمام دبابات مدمرات، أيام تلك الهالات التي كانوا يرسمونها في أذهاننا لروسيا وأمريكا، نسقطت كل الهالات أمام دين الله الذي حمله هذا الشعب بعزة وفخار.

لم يصدق الغرب أن الأفغان –الشعب الأفغاني – واقف أمام أعتى قوى الأرض، أمام روسيا ، أمام الإتحاد السوفياتي ومعه بعض اليمنيين الجنوبيين والكوريين والكوبيين وغيرهم ، نعم! فلم يصدقوا ، وعلموا عن معركتين في بنجشير فجاءوا يرون ، فعندما رأوا فعلاً أن قوات روسيا مدحورة مهزومة كليلة حسيرة في هذا الواد الضيق الصغير ، لم يتمالكوا أنفسهم إلا وكتبوا بالخط الأحمر في الصحف الغربية أن الله في أفغانستان ، رأيت الله في أفغانستان ، والصحفي الكاثوليكي الشيوعي الإيطالي يسلم على التلفاز الإيطالي بعد أن رأى معركة أو معركتين في داخل أفغانستان ، قلنا لهم : سقط في داخل أفغانستان باعتراف أعدائهم – وقبل ثلاثة أشهر هذا التقرير – ألف وأربعمائة واثنتان وسبعون طائرة لم يصدقوا ، ودمر أكثر من (١٤٠٠٠) دبابة وآلية، لم يثقوا ، ولكن الشباب العائدين من الشمال ينبئون – رأوا بأم أعينهم –.

نصر وغنائـــم

رجع أبو الحسن المقدسي والقاري عبد الرحيم وحدثوني ما يزيد ثقتي بأن هذا الشعب لن يهزم ولن يذل، والنصر حليفه في كل معركة يدخلها إن شاء الله .

قالوا : في المعركة الأخيرة في الهجوم العاشر الذي يسميه الأفغان شصت وسه ١٣٦٣ هجري شمسي ١٩٨٤ ميلادي، واشتركت فيه (٣٠٠) طائرة وحوالي (٥٠٠) دبابة وآلية، وجرت معارك عنيفة . الدبابات التي دمرت وبقيت وانقلبت في النهر ولم يستطيعوا جرها ، لأن الدبابات التي تسد الطريق لابد من جرها حتى تفتح الطريق ، والدبابات التي على حافتي الطريق لابد أن تجر حتى لا (ويشف صدور قوم مؤمنين) برؤيتها، قال : وعلى طول مائة كيلومتر طول وادي بنجشير ، لا تكاد تمشي قليلاً إلا وترى أكوام الآليات كأنك في محرقة جدة ، حيث تلقى السيارات القديمة .

وحاولنا أن نعد، وعنيت نفسي ولكنني لم أستطع إلا في مكان واحد عددت من هذه الآليات التي لم يستطع الروس أن يجروها (٣٠٠) آلية، فكيف التي جروها؟ المتبقي من الآليات التي لم تجر بعد الهجوم الأخير (سنة) أكثر من ألف آلية ودبابة، والتي جروها أضعاف أضعاف هذه ، فماذا عن بقية أفغانستان؟ إذا كانت جنكلك – بلد قوماندان مسلم– لايسعك إلا أن تقف مبهوراً مذهولاً عند تلك الآليات التي تحطمت أمام هذه القرية ، قرية أحمد شاه مسعود وقرية قوماندان مسلم، فماذا عن بقية القرى ؟ وما ذا عن بقية الآليات والدبابات؟

ولذلك ما تسمعونه وما يكتب في الجهاد أو غيرها كالبنيان ، أقول : عن (الجهاد) يردها الإخوة مرة ومرة ويهذبونها وينقحونها وغير ذلك، حتى أخيراً يصفوا المعلومات بعد أن يتوثق منها كل الثقة كما يظنون .

إن الآليات التي دمرت في بنجشير تساوي نصف قوة الجيش الإسرائيلي ، وبنجشير إحدى الولسواليات، والولسوالي يعني: إحدى المديريات من منطقة كابيسا ، ومعها كثير من المديريات حولها من هذه المنطقة ومن منطقة «بروان» .

إذا كانت «نمروز» قبل- شهر وهي تعتبر من المناطق النائمة الهادئة -! قد غنمت في مرة واحدة مائة آلية ودبابة وجرارة ، - مائة - وبينكم الأخ أبو حمزة الذي أخذ صورها بنفسه وأعدها بيده ، وعلى هذا فقس .

ادخل الآن بنجشير لا تجد سقفاً قائماً على جدرانه ، إلا قرية واحدة مالت مع الدولة ولا زالت خضرتها وأشجارها وبيوتها كما هي ، قرية واحدة ويقف قائد صغير السن هو أحمد شاه مسعود ويأمر منطقة بأسرها أن تهاجر ، ويهاجر لقاء كلمة واحدة ثمانون ألفاً في يوم واحد، أين هذه الطاعة نجدها في الأرض، والخروج من الأوطان قرنه الله بقتل النفوس .

(ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم) (النساء : ٦٦)

فترك الديار مقرون بقتل النفس ، وترك الديار مبرر في القرآن الكريم لإشهار السيوف وإعلاء الرماح والعوالي :

(وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا) (البقرة : ٢٤٦)

هذه القرية بقيت تنعم ثلاث سنوات ونيف ذليلة مهينة كسيرة شاذة ، بعيدة عن ركب يسير نحو رب العالمين على دماء النحور وعلى عظام الصدور ، وعلى جماجم أناس قد بنوا مجدهم فوق صفحة الجوزاء ، وحررت «تشمبنا» ، وغنم فيها المجاهدون في بنجشير بقدر ما غنمه أهل بنجشير طيلة السنوات العشر ، واضطر الروس بعد فتح تشمبنا أن يبدأوا بالتفكير بالرحيل ، وكان أحمد شاه خارج بنجشير ، وجاءه الخبر أن أحد قادتك في بنجشير قد فتح تشمبنا وغنم كذا وكذا وكذا ، لم يصدق أحمد شاه، قال : لا يمكن لهذا القائد أن يفتح «شمبنا»، وعندما رأى ذلك بأم عينه قال : الحمد لله ، الآن بامكاني أن أمضي الى ربي ، وقد تركت ورائي من يحمل هذه الرسالة ويواصلها ، ماذا حصل لهذه القرية «عنابة» ؟

بلغنا : أن أحمد شاه أمر كل هؤلاء أن يغادروا هذه البلد ويسكن فيها أولئك الذين ضحوا بالنفس والنفيس ، ولأول مرة وفي هذا العيد يأتي الأطفال والرجال من كل مكان من أهل بنجشير ليصلوا صلاة العيد في رخا - مركز بنجشير - وماذا في مركز بنجشير ؟ ليس فيه سقف واحد ، ليس فيه دار قائمة ، ليس في رخا أي مكان ، ولكن الفرحة التي تغمر الوجوه وتعلو على البشرة وتملأ الجوانح والصدور ما كان يعدلها فرحة في الأرض ، لقد عادوا إلى هذا البلد الذي رفع الله اسمه بواحد من أبنائه - أحمد شاه -، فرد واحد من الرجال يغيّر التاريخ ويصنع الأمجاد .

رجل وموقف

وفي كثير من الأمم ، ألم يغير أبو بكر رضي الله عنه التاريخ بموقفه الذي لو تزعزع أو تزلزل لم يصلنـا إسلام ولا قرآن؟ ألم ترتد الجزيرة كلها ولم يبق في الأرض بلد إلا المدينة المنورة والمسجد الحرام ومسجد جواثة في البحرين يعبد الله ، وبقية الجزيرة قد ارتدت على أعقابها خاسرة؟ ويقف أبو بكر ويقول: **«أينتقص الدين وأنا حي! والله لو منعوني عناقاً أو عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم فيه أو تنفرد هذه السالفة»**.

وعندما بدأ عمر يقدم له بالعقل والمنطق أن يتريث في قتالهم أخذ بتلابيبه وهزه وقال: يا عمر! أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام؟! وعندما انطلقت الجيوش وأشهر سيف خالد وأشيم من غمده، ما كان أحد يظن أن الجزيرة كلها ستدين إلى دين الله مرة أخرى، ثم بهذه القبائل المرتدة يسيّرها أبو بكر وعمر لثل عرش كسرى ولتحطيم عرش قيصر، وكان طليحة الأسدي أحد المتنبئين الكذابين أحد القادة المرموقين المعروفين في القادسية؛ ولكن الذين لا يعرفون السيرة ولا يدركون التاريخ ولا يفهمون كيف تتغير الأمم.

(إذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به)

ولكننا نحن نرده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منا حتى يستنبطوه لنا ، وهم لا يعلمون أن المؤمنين قد يقتتلون ويبقى اسم الإيمان قائماً عليهم ، ولا يعلمون أن القرآن الكريم في آيتين متتاليتين قال :

(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين)

(الحجرات : ٩)

أما أن يريد من شعب كامل أن لا يحصل فيه هفوة، ولا يرى فيه نزوة ، ولا يرى لجواده كبوة، ولا يرى لصارمه نبوة، ولا يرى فيه

منافقين ولا قطاع طرق ولا سراقين ولا كذابين ؛ فهذا عليه أن يصعد إلى السماء، لأنه ليس في الأرض مجتمع مثل هذا المجتمع الذي يفكر به هؤلاء الصغار الأطهار ولكنهم أغرار . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

- الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

مناقشة مع العلمانيين

في ندوة عكاظ التي دعت إليها الجريدة واشتركت فيها تكلمت عن تكالب العالم الذي يريد أن يفرض على أفغانستان قيادة علمانية، لا تدين بدين هذا الشعب ، وتكلمت بضع كلمات عن العلمانية ، وبعد الندوة جاءني أحد كتاب الجريدة الصغار فرحاً متهللاً مستبشراً . قال : جزاك الله خيراً أن تكلمت عن العلمانية، لقد أغظت صدورهم، ووجرت حربة في نحورهم ، وأنا كما قال المثل العامي: (يا غافل لك الله) أنا ليس قصدي أن أهاجم العلمانية، ولكن قصدي أن أبين المؤامرة العالمية ، وفي اليوم التالي دعيت على مائدة الغداء، دُعي إليها كبار كتاب جدة ، وكلهم من العلمانيين، وبدأوا يناقشونني وهم فرحون أنهم متجمعون ضدي ، ولم يكن بجانبي إلا الأخ أبو الحسن المدني – جزاه الله خيراً – فقال أحد الكتاب للآخر وهم يغسلون أيديهم : أناعرفت أنك علماني مثلي ، وهو فرح أنه وجد علمانيا مثله . بدأوا يناقشونني عن الكرامات ، وقالوا : هذه قضية لا يصدقها العقل البشري ، قلت لهم : كل ما كتبته عن الكرامات احسبوه كذباً أو نوعاً من الأحلام أو الأساطير أوالخيال ، لكن هل تستطيعون أنتم أو الكتاب الغربيون ، أوالناس كلهم والكفار أجمعون أن ينكروا كرامة كبرى لازالت قائمة شاخصة أمام أعين الناظرين أن شعباً فقيراً أعزل وقف أمام روسيا وهزمها ولازالت مهزومة ، أظن أن هذه الكرامة ليست في أحلامي ، إنما هي قائمة أمام الكتاب الغربيين والصحفيين الأمريكيين والمصورين الكنديين، وأنتم بامكانكم أن تروا إن شئتم، وعندها بهت الذي كفر .

ألجموا وصمتوا، ونزل بهم الأخ أبو الحسن جزاه الله خيراً كذلك ، وبدأ يبكتهم ويؤنبهم : أفوق أنكم قاعدون ولا تدرون ماذا يجري تشككون في مجريات وأحداث أكبر من الخيال وأغرب من الأساطير.

كل ما كتبناه في (آيات الرحمن) وفي (عبر وبصائر) لكم أن تتشككوا فيه ، ولكن قضية واحدة لايمكن أن تتشككوا فيها ؛ هي هزيمة الجيش الأحمر أمام الشعب الأفغاني ، قضية واحدة لا تستطيعون أن تتشككوا فيها وهي التي نعلن عنها ويعلن عنها كل الناس الآن: أن السيف بلغته قد أنطق أولئك الذين أمضوا حياتهم في كل ثوانيهم و دقائقهم في محاربة لا إله إلا الله ، عادوا وتحت صليل السيف و قعقعة السلاح ، عادوا في خطبهم يستشهدون بالآيات القرآنية و بالأحاديث النبوية .

للباطل نهاية

هم الآن الهيئة الحاكمة في كابل كما أعلن الشيخ سياف قبل يومين في محاضرته : أن مجلس الوزراء يتباحثون إلى أيِّ جبهة ننضم ، وكيف يمكننا أن ننجو من بين براثن الموت التي امتدت إلينا من قبل المجاهدين ؟.

هؤلاء أنفسهم – نجيب مدير الاستخبارات الشيوعي – منذ بداية هذا العهد الشاحب البائد إلى الآن ، الذي كرّس كل أقلامه وأجهزة مراقبيه وأضواء متابعته كلها على المسلمين، عادوا أمام فئة من المسلمين التي حملت السيف وأشهرت الرماح وأشعلت النيران وأضرمت الحروب ، عادوا كالأرانب والفئران وفي داخل المصائد .

وأين الآن الحركة الإسلامية سنة ١٩٨٨ في أفغانستان ، والحركة الإسلامية سنة ١٩٧٥ أيام أن بدأوا إطلاق النار على نظام داوود ، لم يكن في الحركة الإسلامية كلها واحد يستطيع أن يضرب على (الزناد) إلا أحمد شاه مسعود .

والآن اسألوا الأطفال من أبناء الحركة الإسلامية ، اسألوا أبناءهم وأبناء أبنائهم هل بقي شيء من السلاح إلا ويزاولونه كما لو كانوا يلعبون بالدمى واللعب ؟

تجربة ضخمة ونقلة بعيدة وخطوة واسعة ، نقلها القتال، لأن القتال ...

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا)
(النساء : ٨٤)

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (الانفال: ٣٩)

وكما أشرنا في الأسبوع الماضي : أن الجهاد الأفغاني كان أحد الأسباب التي جعلت غوربتشوف يفكّر في تغيير الاستراتيجية والعقائد والإيديولوجيات التي بني عليها هذا النظام منذ سنة ١٩١٧ عند ما قامت ثورة اكتوبر الشيوعية.

يا أيها الإخوة إن شئتم فهذا هو الطريق ، هذا هو الطريق .

دع المداد وسطر بالدم القـــاني	*وأسكت الفم وانطق بالفم الثانـــي*
فم المدافع في وجه الطغاة لـــــه	*من الفصاحة ما يزري بسحبـــان*

التأدب مع الجهاد

يا أيها الإخوة : قلنا لكم في الصباح : إن عبادة الجهاد : الجهاد هو القتال كما عرفه العلماء ، كل الفقهاء عرفوا الجهاد : هو قتال الكفار بالسلاح حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . ولا مجال لتأويل الجهاد بجهاد القلم ، وجهاد النفس ، وجهاد الإعلام ، وجهاد اللسان ، وجهاد الدعوة ، إذا أطلقت كلمة الجهاد في السنّة فإنما تعني القتال بالسلاح، واذا أطلقت في القرآن فإنما تعني القتال بالسلاح ، وما وردت في القرآن الا في موضع أو موضعين ! على غيرالقتال بالسلاح ، عن القرآن:

(وجاهدهم به جهاداً كبيراً) (الفرقان: ٥٢)

هنا الكلمة لم تأت مطلقا كلمة (جاهدهم به) أي جاهدهم بالقرآن ، هنالك جهاد اسمه جهاد النفس ، وجهاد الهوى، وجهاد القلم، لكنها ليس المصطلحات الشرعية ؛ هي مصطلحات لغوية .

فالرجل عندما يقوم الليل هذا اسمه جهاد نفس ، عندما يصوم صوم تطوع يجاهد نفسه ، عندما يتكلم بالحق هذا جهاد، لكن جهاد بالكلمة ، أما كلمة الجهاد إذا أطلقت – بدون جهاد بالنفس ، جهاد بالكلمة جهاد – فإنما تعني القتال في سبيل الله بالسلاح .

وكلمة في سبيل الله كذلك إذا أطلقت فإنما تعني كذلك القتال ، ولذلك ..

(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل) (التوبة : ٦٠)

وفي سبيل الله هنا : القتال ، يعني : أحد أسهم الزكاة : القتال ، الغزو ، وإلا إذا فسرناها غير هذا فإن إطعام الفقير : في سبيل الله ، وإطعام المسكين : في سبيل الله ، والنفقة على المسافر المنقطع في سبيل الله ، أما كلمة في سبيل الله لها مصطلح شرعي معين هو القتال .

ولذلك : **«لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها»**[1] ، ليس يعني هنا في سبيل الله أنك تخرج إلى مسجد أو تبلغ الناس ... لا ، هذا إخراج للنصوص عن معناها الشرعي ، **(لغدوة أو روحة في سبيل الله)** أي : لغدوة أو روحة إلى القتال خير من الدنيا وما عليها **«من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً تاماً يوم القيامة»**[2] ، أي في الجهاد، الذي يشيب لأهوال الجهاد ، **«ومن صام يوماً في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار سبعين خريفاً»**[3] أي في الجهاد، الصوم في الجهاد ، وإلا فكل صوم من المسلم الصادق هو في سبيل الله .

إذاً كلمة (في سبيل الله) عندما يريدها رسول الله ﷺ لها معنى، لأن كلام الشارع منزه عن العبث، عن اللغو، فلماذا وردت في سبيل الله هنا ؟ معنى ذلك :لها معنى واحد وهو في القتال .

ولذا عندما يسأل الرسول ﷺ:

«ما أجر المجاهد؟ قال: لا تستطيعون . قالوا : ما أجر المجاهد ؟ قال: لا تستطيعون ، أيستطيع أحدكم أن يدخل مصلاه أو مسجده فيقوم ولا يفتر ويصوم ولا يفطر ؟ قالوا : من يستطيع ذلك؟ قال ذاك أجر المجاهد»[4]

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم بلفظ «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها» أنظر مختصر مسلم رقم (١٠٧٧) .

(٢) حديث صحيح رواه الترمذي وغيره دون لفظ «تاما» أنظر صحيح الجامع الصغير برقم «٦٣٠٨».

(٣) رواه البخاري ومسلم بلفظ «من صام يوما في سبيل الله بعد الله وجهه من النار سبعين خريفا» أنظر مشكاة رقم (٢٠٥٦) . (٤) رواه البخاري ومسلم بنحوه.

«مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت ، لا يفتر عن صلاة أو صيام أو قيام حتى يرجع المجاهد»[1]

يعني : كأنه أربع وعشرون ساعة في صلاة أو قيام أو صيام ، من يستطيع أن يكون أربعا وعشرين ساعة في صلاة أو صيام أو قيام؟ لا يستطيع أحد طبعاً . ذاك أجر المجاهد ،لأن المجاهد : أربعا وعشرين ساعة الأجر يمشي عليه ، فنومه ونبهه أجر كله ، نومه أجر، ونبهه أجر ، ولعبه أجر ومزاحه أجر ، كله أجر، بينما هذا في الحياة العادية كله محصي

«كل لغو باطل إلا مداعبة الرجل أهله، ومداعبة الرجل قوسه، ومداعبة الرجل فرسه»[2] .

فالجهاد أعظم العبادات في الإسلام ، والجهاد ليس الجلوس في بلدك الذي ولدت فيه ، وتمن على الناس أنك تجاهد، إذا كنت تجلس مع أصحاب لك تقرأ في رياض الصالحين ، أو تقرأ في القرآن أو تفسر القرآن ، أو تحدث الناس وتقول : أنا على ثغرة !! لا تكذب على الناس، ولا تكذب على الله .

المصطلح الشرعي غير هذا ، المصطلح الشرعي : المجاهد الذي يكون في المعركة في أفغانستان ، هذا المجاهد فقط، ما دون ـت يمكن لك أجر الدعوة في سبيل الله، لك أجر عظيم ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لك أجر عظيم ، قيام الليل لك أجرعظيم ؛ لكن ليس اسمه الجهاد .

هنالك فرق بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي ، المعنى الشرعي للجهاد : الذبح ، الذبح بالسكاكين ، استعمال السلاح، هذا هو الجهاد ، كما قال الرسول ﷺ **«والله لقد جئتكم بالذبح»**[3] لقريش ، هذا هو الجهاد ، الجهاد هكذا هكذا، ليس في الصلاة فقط، هكذا في المعركة .

هذا الشاهد وظيفته ماذا ؟ على الزناد ، إن الشاهد – الأصبع السبابة – له وظيفته ليلا عندما يهدر بالعبادة ، وفي الليل، والتشهد في الصلاة ، وظيفة أخرى الضغط على الزناد وإرهاب الاعداء .

أقوال العلماء

قال ابن رشد : « وكلمة الجهاد إذا أطلقت إنما تعني قتال الكفار بالسيف حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

الحنابلة قالوا : الجهاد هو قتال الكفار ، الشافعية كذلك ، المالكية كذلك ، بالنسبة للحنفية أدخلوا الدعوة في الجهاد ، قالوا : الجهاد دعوة الكفار للإسلام ، فإن أبوا فقتالهم ، هذا قبل استعمال السيف بقليل ، وهم واقفون على باب القلعة ، فالجهاد أجره عظيم، ولكن الله عز وجل جعل لكل عبادة عند الله عز وجل آداب ، كالمصطلح الشرعي، فكما لها مصطلح شرعي لها آداب شرعية ، يعني: الصلاة في اللغة ، ما معنى الصلاة في اللغة ؟ الدعاء ، قال : من دعي فليجب، فإن كان مفطراً فليطعم، وإن كان صائماً فليصل ، كيف يصلي ؟ يعني وليدعو لأهل الوليمة ..

(إن الله وملائكته يصلون على النبي) (الاحزاب: ٥٦)

الصلاة من الله رحمة ، والصلاة من الملائكة استغفار، **«إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى الحيتان في البحر ليصلون على معلم الناس الخير»، ما معنى يصلون هنا؟** يستغفرون أو يسترحمون أو غير ذلك .

وهل السمكة تأتي تصلي على الذي يدعو إلى الله ؟.

المصطلح الشرعي واللغوي

الصلاة في اللغة: الدعاء، وفي الشرع: أقوال وأفعال مبتدأة بالتكبير ومختتمة بالتسليم، فلابد أن تأتي بالمصطلح الشرعي حتى تقول صليت.

---

(١) رواه البخاري ومسلم بلفظ «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله، لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله» أنظر مشكاة رقم (٣٧٨٨)..

(٢) رواه النسائي بلفظ «كل شيء ليس من ذكر الله لهو ولعب إلا أن يكون أربعة: ملاعبة الرجل امرأته ، وتأديب الرجل فرسه، ومشي الرجل بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة» انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٣١٥).

(٣) حديث صحيح رواه محمد بن اسحاق في السيرة.

واحد بقي من الظهر إلى العصر وهو يدعو ولم يصل الصلاة التي أمر الله بها الله عز وجل، هل يسقط عنه الإثم ؟ لا يسقط عنه الإثم، إذا لم يقم ليصلي أربع ركعات كما علمنا الرسول ﷺ ، هل يسقط عنه الإثم ؟ لا يسقط عنه الإثم، لماذا ؟ لأنه لم يأت بالصلاة الشرعية، ولابد أن نصلي كما علمنا رسول الله ﷺ ، يعني : الصلاة لها مصطلح شرعي .

كذلك الصيام في اللغة : هو الإمساك :

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت الغبار وأخرى تعلك اللجما

ماذا يعني الخيل صائمة ؟ يعني : ممسكة عن الطعام ، لكن الصيام في الشرع : الامتناع عن الطعام والشراب والنكاح من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس .

لو أن واحداً اجتهد وفعل كما يفعل النصارى ، صاموا عن أكل اللحوم والذي يخرج من الحيوانات ، وطول النهار وهم يأكلون فول وحمص وزيت وغير ذلك ، ويقولون لك : نحن صائمون – النصارى – ، ويصومون ستين يوماً، هل هذا اسمه صيام ؟ هذا كذب .

فالصيام الشرعي : الامتناع عن الطعام والشراب والنكاح من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، فأنت إذا فعلت كما فعل الرسول ﷺ، لكن قلت : والله بعد العصر نحن صمنا معظم النهار لكن الله يتقبل ، هل يتقبل ربنا ؟ لا لابد أن تطبق المصطلح الشرعي للصيام.

أنت لو بقيت في بلدك وطيلة النهار تعلم الإسلام ، وتخطب عن الإسلام، وتكتب الكتب الإسلامية ، ومسؤول عن جريدة إسلامية وغير ذلك لكن لا تقاتل بالسلاح، هل تعد مجاهداً ..؟ لا ، ما أتيت بالمصطلح الشرعي للجهاد ، المصطلح الشرعي عند الرسول ﷺ هو القتال، فالصلاة لها مصطلح شرعي ، والصيام له مصطلح شرعي، معنى محدد .

والحج له معنى محدد .الحج في اللغة : هو القصد، ولابد أن تأتي وتقف على عرفة وتطوف طواف الإفاضة ، وتسعى بين الصفا والمروة ، وتحرم هذه أركان الحج الأربعة .

افرض أن واحداً قال : أنا لا أريد أنزل على عرفة، سأبقى بمكة بقرب الحرم ، هل يجوز له الحج ؟ حجه باطل . ولو جلس شهرين أو ثلاثة، إذا لم يحضر يوم عرفة على عرفة فحجه باطل ، الدين ليس هكذا مائعاً بهذا الشكل حتى يؤوله كل واحد كيفما شاء .

الدين له مصطلحات شرعية ، فكما أن الصلاة لها آداب وأحكام ، يعني: أنت في الصلاة ، هل يجوز لك أن تتكلم ؟ لا يجوز لك أن توجهه، لا يجوز لك أن تأكل أو تشرب ، إذن هناك أحكام لهذه العبادة .

ومن آدابها: عدم كثرة الحركة وما إلى ذلك ، عندما تكون كل ساعة تحك هنا وتحك هنا، وتنظر إلى ساعتك هذا لعب في الصلاة، والصيام له آداب:

«رب صائم لا يناله من صيامه إلا الجوع والعطش، رب قائم لا يناله من قيامه إلا السهر»[1]

«إذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق وإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم»[2]،

والحج له *آداب كذلك* ..

(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) (البقرة : ١٩٧)

أنت في عبادة ، في استغفار ؛ لبيك اللهم لبيك ، دعاء ، لا يوجد جدل .

آداب الجهاد

كذلك بالنسبة للجهاد له آداب ، من هذه الآداب فرائض وسنن ؛ من فرائضه : أن يكون في سبيل الله ، أن تكون النية خالصة في سبيل الله ، هذا ركن من أركان الجهاد ، فإذا لم تكن النية خالصة لله عز وجل فالجهاد باطل .

ثانياً : من فرائضه طاعة الأمير . ثالثاً : من فرائضه حسن معاشرة الإخوة الذين معك، لأن الجهاد عبادة جماعية ؛ فلابد أن تعيشوا تحت سقف واحد في خيمة واحدة، وتمشون في صف واحد، تتدربون مع بعض. فما لم تكن أخلاقك هينة لينة سهلة مع إخوانك. أنت تؤذيهم كثيراً ، فقد تجاهد ولكن تنفر عشرة من الجهاد بأخلاقك، فأنت صددت عن سبيل الله عز وجل .

وما حـــججت ولكـــــن حجت العيــــــر

---

(١) حديث صحيح رواه ابن ماجة بلفظ «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر» انظر مشكاة رقم (٢٠١٤).

(٢) رواه البخاري بنحوه.

الجمال التي حجت ، أنت ما حججت ، لماذا يجب أن تكون أخلاقك سهلة لينة ؟ فإن سابّه أحد أو شاتمه ، فليقل إني مجاهد، مثل إني صائم إني مجاهد ، «سامحك الله»، هل يوجد أحسن منها ، مجاناً تأخذ أجراً عظيماً جداً . أما واحد يطوف حول الكعبة ويدفع هذا ويضرب هذا ويضايق هذا .

كان أناس في الجهاد فكأنهم ضيقوا فقال : قم يا فلان فناد : «من ضيق طريقاً فلا جهاد له»[1] الحديث نصه طويل ولكن أنا لا أحفظه لكن (قم يافلان ناد في الناس من آذى أو ضيق على المسلمين طريقهم فلا جهاد له) - آتيكم بنصه إن شاء الله -، فلابد أن تكون ميسوراً ، «يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا» تطاوعا ؛ فلابد أن تطيع الأمير .

ومما يقول السرخسي في شرح السير الكبير، السير معناها الجهاد والمغازي: وطاعة الأمير في الجهاد فرض كطاعة الزوجة لزوجها . فإذا قال لكم الأمير اطفئوا الأنوار الساعة التاسعة والنصف، ممنوع استعمال البطاريات في الليل، وأنت استعملتها فأنت آثم، ولو لم يرك الأمير.

وإذا قال: ممنوع أن يدخل أحدكم الطعام إلى خيمته، وأنت اشتريت سراً فأنت آثم، كالمرأة التي تعصي زوجها دون أن يعلم. طاعة الأمير فرض في المعسكر ..

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه)

(النور : ٦٢)

فلابد من الإذن من كل أمر فيه مخالفة ، لابد من الاستئذان ، قال لك الأمير : أحرس ، عليك أن تحرس من الساعة الثانية حتى الرابعة، لازم تحرس ، وحتى لو شعرت أنك مظلوم لابد أن تحرس ، وإن لم تنفذ فأنت آثم ، لأن الأمير ليس له حاجة في إيذائك، إنما هي عقوبات .

إذا عاقبك من أجل تهذيب نفسك وتعويدك على الطاعة ، وماذا تجدون من عقوبات هنا ؟، لا يوجد عقوبات ، الجيوش الجاهلية لو رأيتموها ، والتجنيد الإجباري وماذا يصنعون بالإنسان ؟!

وما يتخذ من قرارات وأوامر إنما هو لتسيير أمر المعسكر .

(ومياسرة الشريك) فأنتم خمسة في داخل الخيمة، وكل واحد من بلد ، وهذا يحب الطعام مالحاً ، وهذا يحبه حامضاً ، وهذا يحبه عليه فلفل ، وهذا يحبه بدون فلفل ، إذا أردت أن تفرض على الناس شهواتك ورغباتك ، معنى هذا: أنك ستؤذي الآخرين ، فلابد أن تتنازل عن كثير من رغباتك الشخصية ، وأنت معتاد في بلدك أن تأكل بالملعقة ، وهذا يأكل بأصابعه ، وقد تقرف وقد تأنف أن ترى واحداً يمد أصابعه وتطيش في الطعام وما إلى ذلك ، ويؤثر هذا في قلبك .

أصلا لابد أن تذل نفسك وتدوس عليها ، أهواؤك شهواتك هذه انسها ، في داركم افعل ماشئت ، أؤمر على أخواتك الصغار أو على إخوانك يعملوا لك الشاي خفيفاً، والسكر ثقيلاً وما إلى ذلك ، أما هنا فأنت في جماعة ، فلابد أن تتنازل عن كثير من رغباتك الشخصية ، حتى تمشي المجموعة .

وقد تكون طريقة هذا لا تعجبك ، وطريقة كلام هذا لا تعجبك ، تأكل رغيف خبز أو رغيفين ، تقبل فوقها كلمتين ابلعها ، بطنك يسع رغيفين ، نصف كيلو خبز، تقبل فوقها كلمتين ، غرام وغرامين وخاصة من أخيك !!

ثم اجتناب الفساد وعلى رأسها حفظ اللسان ، اجتناب القيل والقال والنميمة ، واجتناب الإرجاف في الجهاد والتخذيل والتثبيط، وأحيانا أنت لا تقصد ، تقول : يا أخي سمعنا المجاهدين هؤلاء صفتهم كذا ، عندهم شركيات ، وسمعنا أن القائد الفلاني يفعل كذا، وفلان يسرق سلاحاً ، وفلان يسرق فلوساً ، وفلان يفعل كذا ، وما يوجد أحد مجاهد حقيقي في كل أفغانستان إلا فلان ؛ هذا من التثبيط والتخذيل ، نشر السلبيات في الجهاد وإن رأيتها ، هذا من التثبيط والتخذيل والإرجاف والتعويق ، وإن رأيتها بنفسك (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به) هذه صفات المنافقين ، سمعنا كذا وسمعنا كذا (وفيكم سماعون لهم) سمعنا كذا (ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) .

تأتي للمسؤول تقول له : والله سمعنا القائد الفلاني يفعل كذا ، والقتال بين المسلمين ، ويذبّحون بعضهم ، وفلان قتل مائة واحد في معركة من المسلمين .

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود بلفظ «من ضيق منزلاً ، أو قطع طريقاً ، أو آذى مؤمناً ، فلا جهاد له» أنظر مشكاة رقم «٣٩٢٠».

الإرجاف الغربي

وهذا الإرجاف الذي تستعمله الآن محطة صوت بريطانيا ، فأنت إذا كنت أحد مراسلي محطة بريطانيا أو أحد فروعها أو أحد إذاعاتها تستعمل كما تستعمل ، تستعمل في نشر السيئات التي تخذّل المسلمين ، لولانا المجاهدون ما يجاهدون ، لولانا العرب ما يجاهدون – ماشاء الله – !!

ولذلك أنت الذي افتتحت هذه البلدان كلها ، المجاهدون كذا لا تعطوهم !!

جاءت مجموعة من التجار قالوا : نريد أن نعطي المجاهدين من نعطي ؟! قلت لهم : والله نريد أن تكفوا المجاهدين.

أكثر الناس عندهم جهاد في أفغانستان حكمتيار ورباني ثم سياف ويونس خالص . ثاني يوم جاءني واحد منهم قال : سمعنا أن حكمتيار عنده صنم يجمع النذور له، قلت له: والله أنا ما رأيته يصلي لصنم، قال : الصنم موجود في معسكر ورسك – قبر وضريح – وعنده صندوق يجمع له ، قلت له : أنا أذهب باستمرار إلى معسكر ورسك، وأنا لا أرى، إلا إذا أنتم معكم نظارات ليلية بالليزر !! يبدو أنه لا يرى بالعين المجردة – هذا الضريح – رجع ، قال لهم : هذا كذب ، هكذا يقول عبد الله عزام ، قالوا : تعال اركب ، ركبوهم في الباص أخذوهم خارج المعسكر ، رأيتم ... هذا معسكر ورسك وهذا الضريح ، وفعلاً يوجد ضريح خارج المعسكر، الباكستانيون هم الذين بنوه ، والباكستانيون تعرفوا خرافاتهم ، وعلى الطريق يوجد أضرحة ونساء باكستانيات يتبرعن للأضرحة ، ولو يوجد في المعسكركان حكمتيار نسفه بـ الـ B.M.12 نعم . قالوا : سمعنا أن الشيخ سياف عنده حروز وتمائم !! واحد يقول لأصحابه الذين يعلمهم يقول بصراحة : أنا والله لا أعول على الجهاد الأفغاني حقاً ، نريد أن نستفيد من الجهاد الأفغاني بالتدريب والتربية ، لن يقوم الإسلام في أفغانستان، قالوا له : لماذا ؟ قال : تصور!! القادة مخرفون ، تصور !! سياف عند جنوده حروز وتمائم ، قلت : مسكين، هذا سياف لا هو مع جده بخير ولا مع جدته بخير .

إذاعة لندن عندما اعترفت السعودية بحكومة المجاهدين قالت : وبسبب اعتراف السعودية بالمجاهدين أن رئيس الوزراء هو عبد رب الرسول سياف حامي حمى الوهابية في أفغانستان، لماذا ؟ ليثيروا الشعب الأفغاني على سياف ، ويذهب بعض الناس يقولون للسعودي يقولون : إن سياف مخرف وعقيدته أشعرية ، قلت مسكين سياف ؛ لا من هنا نايلها ولا من هنا نايلها ، يثيرون عليه في الداخل الناس ، ومحطة لندن منذ أن نجح سياف برئاسة الوزراء إلى الآن، كل يوم تذيع عن الوهابية ، فأنت قد تكون مخلصاً لكن أنت تطعن بالجهاد .

الوزن الحق

الأمة الإسلامية كم تعبت حتى أنتجت هؤلاء الثلاثة أو الأربعة الذين برزوا في أفغانستان ، (ستين ، سبعين سنة) برز من هؤلاء ، طبعاً أنا أعرف الدعاة، وأعرف الحركات الإسلامية، وأعرف العلماء، أختلط بمعظم الدعاة البارزين ، اختلطت بهم وعشت معهم رقابلتهم ! لو وضعت نصفهم في كفة وسياف في كفة ، سياف يرجح عليهم جميعاً ، والله لن يستطيعوا أن يصبروا عشر معشار ما صبره هؤلاء ، أو أن يثبتوا أمام أعداء الله كما ثبت هؤلاء ، أو أن يضحوا كما ضحّى هؤلاء . أنا عارفهم ، وأعرف مشايخك وأعرف دعاتك وأعرف قادة حركتك وأعرف الأحزاب وكلهم أعرفهم ، والله من العيب أن يقاسوا بسياف أوبحكمتيار ولو وضع ألف ، مائة منهم، لا أريد أن أكون مبالغاً مئة منهم في كفة ووضع حكمتيار في كفة لرجح عليهم جميعاً ، الإنسان كيف يبرز ..

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (آل عمران: ٣١)

فالإنسان يعرف صدقه بالجهاد ، ما رأينا صاحبك شيخك ولا عالمك ولا قائد حركتك ولا زعيم دعوتك جاهد ، أو أطلق طلقة في سبيل الله ، عشر سنوات والجهاد مستمر ولم يطلق سهما في سبيل الله . أين حرقته على الإسلام والمسلمين ؟ أين ؟ وجئت تستدل بقول فلان على أن الشيخ سياف عقيدته أشعريّة ، أنت اسأل الشيخ سياف عن عقيدة شيخك ، نعم يجب أن نسأل هؤلاء حتى يقوّموا الناس ، لأن هؤلاء دخلوا في امتحان طويل ونجحوا ، الآن هم الذين يستفتون بالناس وليس الناس يستفتون بهم. هل يمكن أن تأتي لواحد في الصف الرابع ابتدائي أو الثالث الإبتدائي تقول: ما رأيك بأستاذ الجامعة هذا تعليمه مضبوط أو غير مضبوط؟! معقولة هذه؟! إلا إذا كان ما عندك عقل، يستفتى في الناس الأنداد والأقران والذين هم أعلى منهم، أما واحد لا يصلي تأتي تقول له: ما رأيك بتارك الصلاة، يقول لك: مسلم ..

(إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (النساء : ١١٦)

إن الله غفور رحيم ، نحن مقبلون على جريمة وخلاص ، ما راح يقول لك : إن تارك الصلاة يقتل ، لا يقول هذا .

تارك صيام تقول له : ما رأيك بالمفطر في رمضان ؟ سيفتي لك إياها ، وتارك الجهاد يفتي لك إياه، أنا أقولها وأنا أعرف من الناس كلهم حككتهم جربتهم :

إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحداً

لا يوجد ... متوهم والله أنت على الكثيرين !!

وهؤلاء الذين لا يزنون في ميزانك شيئاً ؛ هؤلاء يقتلون الآلاف من هؤلاء الكبار في ذهنك . كيف تنظرون إلى تارك الصلاة ؟ واحد تارك الصلاة كيف نظرة المسلمين الطيبين له ؟ أليس نظرات احتقار وازدراء ؟ .

حكم تارك الجهاد

واحد يفطر في رمضان عمداً في الشارع العام، ألا يحتقره الناس ؟ إن تارك الجهاد لا يقل إثماً عن المفطر عمداً في رمضان في الأسواق العامة ، لا يقل والله ، إن ترك الصيام أقل إثما الآن من ترك الجهاد ، لأن ترك الصيام يضرك أنت، وترك الجهاد يضر الأمة بكاملها .

ولذلك قال ابن تيمية : «فالزناة وشربة الخمر واللوطية وتاركو الجهاد والمبتدعة هؤلاء لا يجالسون ، لأنه ليس فيهم خير لك لا في دنياك ولا في أخراك» ، تارك الجهاد لا يجالس، هذا رأي ابن تيمية ، فكيف بتارك الجهاد الذي يثبط عن الجهاد، ثم تذهب تسأله ، ماذا تسأل ؟... الله قال عنه لا يفقه، والله قال عنه لا يعلم، قال :

(وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم) (التوبة : ٨٦)

من هم أولوا الطول ؟ الأغنياء أصحاب الوظائف الكبيرة ، وأصحاب الأموال والبنوك ...

(وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطُبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) (التوبة : ٨٦-٨٧)

لا يفقهون، كيف تذهب تستأذنهم؟ وقال :

(ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) (الحشر : ١٣)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون) (التوبة : ٨١)

(وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم) (التوبة : ٩٠)

المهم : أكثر من آية تقول : لا يعلمون ، لا يفقهون . تارك الجهاد لا يعلم، وبعد هذا ما تركوا الناس الذين يجاهدون . أتركوهم بحالهم يا جماعة ، ناس قاموا يدافعون عن أعراضهم، ما لكم ولهم؟ .

بين سوء الطاعن وأدب المطعون

ثم أنت يا أخي الكريم من أي بلد جئت؟ جئت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، أول ما تتناول سياف وحكمتيار ، ما سمعناك تتكلم على حاكم بلدك، ولا حاكم بلدك أفضل من حكمتيار وسياف ، ما سمعناك ، ما سجنت في بلدك لأنك انتقدت الحاكم ، ما رأيناك تكلمت أمام واحد من المخابرات كلمة ، أما ذاك رجل المخابرات تهابه أكثر من ذاك الذي تهابه الدنيا بأسرها ، أي إسلام هذا الذي تتكلم عنه ؟ لماذا لم تأمر بالمعروف وتنه عن المنكر ببلدك .

فعلاً ، كم من المنكرات في بلدك؟ من أين جئت أنت؟ من الجزائر ؟ هل تستطيع النوم من الموسيقى التي تنبعث من الشارع ؟ الخمارة من هنا وهناك حول بيتك حول المسجد ، والبنك قلعة قبالك تحارب الله ورسوله ، ما تكلمت ببلدك، لماذا جئت هنا ؟ عملت حالك شيخ الإسلام ابن تيمية أمّاراً بالمعروف ونهّاء عن المنكر، ولا تمد يديك إلاعلى القطوف العالية ، على القادة ، لماذا ؟ : فقط لأن هؤلاء ما معهم فلوس وحاكم بلدك معه فلوس، فقط .

لو وضعنا سياف في جهة وكل حكام الأرض في جهة من يرجح؟! قل لي؟ حكمتيار، خالص، ضع خالص في جهه ثانية وضع القذافي في جهه وحافظ أسد معه وصدام حسين وحسين وحسن ومبارك أليس عيباً؟! أما تستحي من نفسك ؛ تنتقد هؤلاء الذين يشرعون هاماتهم للرماح والرصاص يحمون به الأعراض ودين الله عز وجل ، ثم تسكت عن أهل بلدك ؟!.

ومن حسن خلقهم أناس عندهم وفاء وحياء ورجولة ، وإلاكان بالإمكان أي واحد يتكلم ، يقولون للبوليس الباكستاني: أخرجوه خارج البلد وانتهى ، أي واحد يتطاول عليهم يرسلون له اثنين أفغان يمسكونه بليل أو بنهار والله أعلم الذباب الأزرق لا يعرف أين هو ، لكن هم رجال والله ! عيب كبير جداً أن يؤذوا الضيوف، وهم يعتبرون العرب ضيوفاً .

حكم المخذل والمثبط

المهم في الجهاد لا ينشر إلا الخير ، لان نشر السيئات ولو كانت صحيحة يثبط الناس ويعوقهم ، ولذلك نحن نتكلم للمسلمين عن الخير ، لأننا نرى الأمة الإسلامية وضياعها ، والشعوب الإسلامية وعجزها ، والناس حاكمهم ومحكومهم ومصائبهم وهوانهم وذلهم ، خزيهم وانهياراتهم وهزائمهم ، نريد أن نفرح المسلمين ونؤملهم بالخير .

ولذلك رب العزة أخفى بعض المعلومات عن نبيه حتى قلبه لا يهتز في المعركة .

(إذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم)
(الانفال : ٤٣)

(وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور) **(الانفال : ٤٤)**

لأن الجهاد كله قائم على عملية التحريض، أما تقعد فيلسوفاً، واضعاً رجلاً على رجل وتشرب شاياً وقهوة وفلان مشرك ... وفلان ... وفلان ... مخذل ... وفلان سراق، وفلان كذا، وفلان كذا، ما ظل في الدنيا غيرك .

لو كان هنالك دولة إسلامية لسجنت هؤلاء ، والله يسجن المخذل .

كل الفقهاء يفتون على أنه لا يخرج المخذل أو المثبط ، لا يجوز للإمام أن يترك المخذل يخرج في المعركة ، وإذا كان رجلاً كبيراً في قومه ، مطاعاً على جهل ، وخشي من إعادته أن يحدث فتنة فيخرج ؛ ولكن ليس له لا سهم من الغنيمة ولا رضخ منها . الأولاد الصغار إذا حضروا المعركة ... آخر المعركة يعطيهم الإمام أو القائد، يعطي هذا سترة وهذا بوتاً ، وهذا سيفاً وهذا كلاشنكوفاً وهذا كلاكوفا ، أما المخذل فلا يأخذ شيئاً .

الكيد الصليبي

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون)
(الانعام : ٢٠)

أهل الكتاب يعرفون طبيعة هذا الدين، ولذلك يحاربونه محاربة العارف ، يبحثون عن الثغرات التي يمكن أن يدخلوا منها ، يبحثون عن مواطن القوة فيه ويطعنونها ، ويبحثون عن الأسباب والأشخاص التي يمكن أن تنصر هذا الدين فيحاربونها، ويشنون عليها حملة شعواء . ولذلك لما رأوا أن هذا الدين الذي يحركه العلماء والذي يحميه السيف ، وحصنه الحصين وسوره المكين هو الجهاد ، فإذا سقط السيف من السهل أن يدخلوا عليك ، إذا ذهب السور من حول البيت من السهل أن يدخله اللصوص في أي وقت ويقتحمون ويسرقون ، فالبيت يحميه السور ويحميه الرجل القوي في البيت، واللص يخاف إذا كان هنالك شباب في داخل البيت ، أقوياء أشداء يخاف أن

يقتحمه ، وإذا كان البيت فيه سلاح كذلك يخشى أن يقتحمه ، فهو يبحث عن البيت الذي ليس فيه سلاح وليس فيه رجال ، فيه نساء يمكن أن يدخل ، أعداء الله همهم الكبير وشغلهم الشاغل كيف يجردون هذا الدين من السلاح ؟ وكيف يحطمون الرجولة فيه ؟

أنظروا معي الأزهر ... وجدوا أن الأزهر منذ ألف سنة قلعة علمية ، يخرج العلماء إلى كل أنحاء الأرض ، فأجمعوا كيدهم أن يحطموا هذه القلعة وهذا الصرح الشامخ ، أو أن يفرغوه من محتوياته فيصبح جسداً ميتاً بلا روح، وشبحاً ليس فيه حياة ، هيكلاً قائماً، هم جسوا نبض الأزهر في أوائل القرن التاسع عشر (١٨٠٠).

دخل نابليون مصر ، ثم اقتحم بخيله الأزهر نفسه ؛ فوجد أن البناء القديم الذي عمره ألف عام يحرك مصر ، وابتدأت الحرب من علماء الأزهر ، الجهاد... يقف الشيخ ويفتي بكفر نابليون ومن معه، ويعلنها جهاداً في سبيل الله، وتتحرك القافلة ، وبالتالي نابليون اضطر أن يلبس العمامة والجبة ويسلم حتى يبرد الأزهر وكان يحضر اجتماعات مجلس العلماء في الأزهر، لابس عمة وجبة وعينيه زرق وأسنانه فرق ، صارت مشاكل في فرنسا واضطر نابليون أن يرجع وضع مكانه كليبر نائباً له، خرج شاب ليس مصرياً، من حلب، سليمان الحلبي شاب من الأزهر، استفتى مجموعة من العلماء قالوا : اذبحه ، راقب كليبر خارج القاهرة وذبحه بالخنجر ، ذبحه انتهى ! وانتهت حملة نابليون بهذه القضية ، قتل كليبر وعادت الحملة ، نابليون أوصى أوروبا قال لهم: اسمعوا، إذا أردتم أن تثبتوا أقدامكم في العالم الإسلامي ، لا يمكنكم مادام هذا الدين يسري في عروقهم ، ولابد لكم أن تجتثوا هذا الدين من قلوبهم، وتزرعوا شجرة أخرى بدل هذا الدين، انزعوا هذه الشجرة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، وازرعوا شجرة خبيثة ، ماذا نعمل ؟ قال : النفس لا تقبل الفراغ، لابد أن تشغل الناس بشيء غير دينهم، افرض الآن إبريق ماء أو جالون ماء ، لابد وأنت تصب الماء منه أن يدخل الهواء ليحل محل الماء، ما دخل الهواء لا يستطيع الماء أن يخرج لأنه لا يوجد فراغ .

اسحبوا الدين تدريجياً وضعوا بدله شيئاً جديداً، قولوا لهم : القومية ، القومية العربية ، فجأة وإذا بضابط جاء مع الحملة التي جاءت تقاوم نابليون جاء من ألبانيا، الأصل، اسمه محمد علي باشا، فجأة وإذا به مستلم حكم مصر (١٨٠٦)، هذا الرجل تبحث عنه أوروبا خنزير طعن الإسلام طعنة نجلاء.

قواعد حفظ المجتمع الإسلامي

يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيا ورسولاً .

إعلموا أن الله يقول في محكم التنزيل ، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين أمنوا لهم عذاب أليم في الدينا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ، ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم ، يا أيها الذين أمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) (النور : ١٩-٢١)

أيات مباركات من سورة النور التي نزلت إثر حادثة الإفك التي حصلت في غزوة المريسيع ، التي نزلت في السنة الخامسة للهجرة، على أرجح الأقوال، وقبل الأحزاب .

والآيات الكريمات وإن كانت عبر نسق واحد لتبرئة السيدة الطاهرة المطهرة العفيفة المشرفة ، التي قالت عن نفسها : والله ! لنفسي كانت أحقر من أن ينزل الله فيّ قرآناً يتلى ، وكنت أمل أن يرى رسول الله ﷺ رؤيا تبرئني ، وإني لأعلم أني بريئة .

قاعدة اجتماعية

والآيات تتكلم عن قاعدة اجتماعية من سنن المجتمعات ، حافظ عليها الإسلام كثيراً ، والقاعدة تقول : إن نشر أخبار الخير في أي مجتمع إنما هو دافع وحافز للناس أن يقتدوا ويتأسوا ويعملوا الخير ، وفي المقابل ، نشر الأخبار السيئة في المجتمع ، به تنحط الأرواح، وتهبط الهمم ، وتهن العزائم ، وترخص الفواحش، وتستسهل الموبقات .

الآية تتكلم عن الذين تكلموا في حادثة الإفك، وأنهم لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة، في حادثة كادت لولا أن تفضل الله من

عليائه فأنزل براءة عائشة، كادت تعصف بالمجتمع كله، كيف لا؟ وهي ترمي قائد هذه المسيرة، النبي ﷺ في أغلى ما يملك، وأعز ما يحتضنه، في شرفه ونفسه، وترمي ساعده الأيمن، الذي ما سبقه أحد في الإسلام لتضحية لهذا الدين بابنته الصديقة بنت الصديق، ولشدة المرارة التي كانت تعتمل بين جوانح أبي بكر رضي الله عنه قال: والله ما رمينا بهذا في الجاهلية، أفنرضى به في الإسلام؟!

ويرمى بها أحد البدريين الأصفياء الأنقياء، الذين قد واكبوا المسيرة مع رسول الله ﷺ، يرميه بنفسه مع خيانته لنبيه في أعز ما يملك، حتى قال صفوان بن المعطل: سبحان الله!! والله ما كشفت على كنف أنثى قط، كيف يرمى به في زوجة نبيه، وقائده وحبيبه الذي هو خيانة لدينه ولنبوته ولصحبته ولسيرته؟!

ورسول الله ﷺ قائد المسيرة، نبي هذه الأمة، الذي وحد الله على يديه المدينة، بين خزرجها وأوسها، ماذا يفعل؟ فيسأل من حوله، يسأل زيداً، ويسأل جاريتها، ويسأل علياً، ويسألها هي، وكما قالت عن نفسها[1]:

«دخل عليّ رسول الله ﷺ وهو مع أبي وأمي قال: يا عائشة، إن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت فعلت فاستغفري الله وتوبي، قالت: قلت لأبي ردّ عني، قال: ماذا أقول! والله لا أدري ماذا أقول لرسول الله ﷺ! والمرارة تكاد تعقد لسانه، وتقول لأمها: ردي عني، فتقول: ماذا أقول؟ والله ما أدري ماذا أقول لرسول الله ﷺ!، لكن يا بنية هوّني عليك، إنه ماكانت امرأة وضيئة -أي جميلة- في بيت رلها ضرائر إلا وأصابها ما أصابها، فهي تقول: والله لقد تذكرت اسم يعقوب عليه السلام، فما تذكرته لشدة الألم والحزن، فقلت: والله لا أقول لكم إلا كما قال أبو يوسف:

(صبر جميل والله المستعان على ما تصفون) (يوسف: ١٨)

ورسول الله ﷺ وفي هذه الدوامة التي تلفّ المدينة كلها والجو المدلهمّ الذي قد عبث فيه الخفافيش وانطلق فيه المنافقون ... يدير رحى المعركة ضد رسول الله ﷺ ذاك المنافق الذي تولى كبره عبد الله بن أبيّ، فوقف على المنبر وقال: أيها الناس من يعذرني في رجل بلغ أذاه في أهلي، فوقف سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، إن كانوا من الأوس أعذرناك فقتلناهم، وإن كانوا من الخزرج فمرنا نفعل ما تريد – وعبد الله بن أبيّ الذي تولى كبر المؤامرة من الخزرج –، فوقف سعد بن عبادة وكان رجلاً صالحاً وأخذته الحميّة لقومه قال: كذبت والله لا تمسّهم أو كما قال، فوقف أسيد بن حضير من الأوس وابن عم سعد بن معاذ قال: كذبت إنك منافق تدافع عن المنافقين، وقام الهرج والمرج في المسجد، ثم نزل رسول الله ﷺ، وكاد القوم يقتتلون في داخل المسجد – الأوس والخزرج –، وبقي الأمر كذلك حتى قالت عائشة: والله لقد بكيت طيلة يومي، لا يرقأ لي دمع، لا يكفّ لي دمع، وبكيت اليوم الذي بعده، وبينما أنا كذلك ورسول الله ﷺ بجانبي وأميّ وأبي وهذا حالي، نزل الوحي على رسول الله ﷺ، فقام ﷺ عندما فرّج عنه وذهب الوحي، قال: يا عائشة أبشري – أو كما قال –، نزلت براءتك من السماء، فقالت لها أمها: قومي إلى رسول الله ﷺ، قالت: والله لا أقوم ولا أحمد إلا الذي برأني –رب العزة –.

الحادثة حادثة حصلت في بيت القيادة، في بيت النبوة، اشترك فيها الصالحون والطالحون، واشترك فيها بدريون، ومن الذين اشتركوا أقرب الناس الذين ينفق عليهم أبو بكر؛ مسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش أخت زينب، وحسان بن ثابت، حتى بلغ (الغيظ) بصفوان؛ عندما علم أن حساناً يشترك في الإفك، اخترط سيفه وضرب رأس حسان ضربة كادت تودي بحياته.

القاعدة تقول: – قاعدة ربانية في ناموس المجتمعات –:

(إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة)

القضاة في أفغانستان

وقد سألت كثيراً من القضاة الذين في داخل أفغانستان، والذين يطبقون شرع الله: هل تقيمون الحدود؟ أو طبقتم قانون الرجم والجلد؟ قالوا: نعم ... السرقة؟ قالوا: السرقة لم تثبت بشروطها بسبب الفقر والمجاعة، القصاص، الجلد، كله أقاموه، رجعت إليهم قلت هل ثبت عندكم جريمة زنا بشهودها؟ قالوا: لا، لقد طبقنا قانون الرجم على كثير من الرجال والنساء، ولكن ثبت الجرم عليهم؛ ثبتت الفاحشة بالاعتراف.

---

(١) رواه البخاري.. أنظر فتح الباري مجلد ٨ ص / ٤٥٢ - ٤٤٤.

ثبوت جريمة الزنا

سألني أحد الجالسين : هل يمكن لجريمة الزنا أن تثبت بأربعة شهود كما حدد الفقه الإسلامي ؟ قلت: كل الذي أعرفه أني لم أر موبقة زنا محصن قد ثبتت طيلة التاريخ الإسلامي بشهود ، لم يثبت ، لم أطّلع على حادثة واحدة ثبتت بشهود على قدر اطلاعي، وإنما كل الحوادث، كل عقوبات الرجم التي طبقت ، إنما طبقت بسبب اعتراف الجناة أنفسهم ، قالوا : إذاً ما الحكمة من اشتراط أربعة شهود في هذه الجريمة ؟ قلت لهم : إن رب العزة وهو العليم الحكيم يعلم أن طهارة المجتمع أفضل وأعظم بكثير من أن يقام حد الرجم على إنسان زان محصن أو محصنة ، ولذا فالله عز وجل جعل كل جريمة من الجرائم حتى جريمة القتل تثبت بشاهدين، إلا جريمة الزنا، فإنها لا تثبت إلا بأربعة شهود.

وفي أيام عمر كادت أن تثبت جريمة الزنا وحدّها الرجم على المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، وقد جاء أبو بكرة - وهو الصحابي- وكان يسكن مقابل المغيرة ، فجاء مع أربعة وشهدوا عند عمر ، أننا رأينا المغيرة يزني ، فقال عمر لهم: أخرجوا، تعال يا أبا بكرة أرأيته يزني ؟ قال : نعم . قال : هل تأكدت أن المرأة ليست زوجته ؟ قال : نعم . قال : قف جانباً ، الثاني: الثالث ، مثل أبي بكرة، الرابع قال له : لم أتأكد ، أنها ليست زوجته ، قال عمر : أما أنت فقد نجوت ، وأما الثلاثة فاجلدوا كل واحد منهم ثمانين جلدة، وسجل اسم الصحابي -أبي بكرة - ومن معه في دفاتر المحاكم ، وأشاع لدى القضاة أن : أبا بكرة فاسق لا تقبل شهادته ، وكان عمر يقول له : تب حتى أقبل شهادتك فيقول : أشهد أن فلاناً زنى.

القاعدة تقول: وإن كانت في قضية الزنا (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة)، وكيف يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا؟؟ بنشر الأخبار السيئة التي تسهل للمجتمع أن يغرق في هذا المستنقع الآسن؟!

الاعلام اليهودي

وأجهزة الإعلام اليوم إنما تتولى هذه الجريمة ، حب نشر الفاحشة في الذين آمنوا ، من خلال الصورة المرئية ، ومن خلال الصورة الخليعة ، والمجلات الماجنة، والأغنية الرخيصة، والشعر الساقط وغير ذلك ، مما يسهّل للجيل ويرخص له أن يأتي بهذه الفاحشة وهو يرى أن فلاناً و فلاناً وفلاناً وقعوا في هذه الفاحشة ، فليس أفضل منهم (وأن الله غفور رحيم) .

وقد عرفت أجهزة الإعلام التي تلهب بها اليهودية العالمية ظهور البشرية ، عرفوا ذلك، فأنشأوا دار هليود وأجهزة السينما والصورة المنقولة بالأثير وغير ذلك ، وهي تنقل هذه الفاحشة وتحب أن تشيع في الذين آمنوا، والذين أجرموا من قبلهم شاعت فيهم.

وقد طبق اليهود هذا القانون على البشرية جمعاء، فهم يأتون برجل شاب ساقط على شاشة التلفاز الإمريكي C.B.S , C.B.N يلبسوه قناعا فلا تظهر إلا عيناه فقط عيناه ظاهرتان ، يقول: أنا زنيت بابنتي عدة سنوات ، ثم وجدت أخيراً ، أن فعل الفاحشة بابنتي ألذ وأشهى ، ولماذا ؟ حتى يتحطم المجتمع ، حتى تنتشر الرذيلة ، وحتى ترخص الفواحش ، لأن اليهود يعملون على نشر آراء فرويد الجنسية ، كما قالوا: سنعمل على نشر آراء فرويد الجنسية ، على مثل ضوء الشمس ، حتى لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، وتنهار الأخلاق في كل مكان ، ونستولي على العالم وهو مخدر. وطبق اليهود القاعدة على كل الموبقات التي تدمر المجتمع، كلما حدثت جريمة شنيعة في القتل ، جاءوا بها على شاشة التلفاز ليعلموا الأولاد الصغار والأحداث المراهقين ، كيف يمكن أن يفعلوا جريمة القتل ، وكذلك غيرها من الموبقات من السرقات والنزول على المنازل ، واغتصاب الفتيات، واختطاف النساء من الشوارع، وسرقة السيارات وغير ذلك ، كل ذلك يبث جهاراً نهاراً على شاشة التلفاز التي لا تتوقف لحظة واحدة صباح مساء ليل نهار .

وأجهزة إعلامنا نقلت عنها ، فبدأت تبث هذه الفواحش ، لأنها تحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا .

الاعلام العالمي وفرخار

هذا القانون الآن تطبقه اليهودية العالمية ؛ إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا ، من أجل تمزيق صفوف المجاهدين ، على الجهاد الأفغاني ؛ لأنهم يرونه قاب قوسين أو أدنى من النصر ، إن شاء الله ، وأبشركم : أن طريق روسيا كابل من سالانج قد أغلق والحمد لله، والحمد لله هنالك معارك طيبة، في هرات وكابل وغيرها تحدث يومياً غابت تحت ضجيج الإعلام الذي استعمل حادثة فرخار -قضية فرخار - مادة دسمة ، ومعينا ثراً وينبوعا كبيرا لمداد أقلامهم ، حتى يشوهوا صورة هذا الجهاد في أذهان الجيل على الأقل، حتى يحطموا آمال المسلمين التي تعلقت بهذ الجهاد وتنتظر نصره واقتراب كيانه ومجتمعه ، وهي تأمل من الله أن يكون هذا النصر قريباً ،

وتقتطع عن أفواهها لقمتها، وتقتطع من رواتبها شهرياً لتدفع به هذا الجهاد ليواصل مسيرته ، لعل عيون المؤمنين في كل مكان تقر بانتصار هذا الدين وباجتثاث الشيوعية من داخل أفغانستان وإلى الأبد إن شاء الله .

الناس مشغولون ولا يتحدثون الا عن الحرب الأهلية ، وعن قضية فرخار ! قضية جاءت ومضت وانطوت ، لكنها مادة دسمة وينبوع غزير لمداد أقلام المخابرات التي تقتفي أثر الإعلام الغربي خطوة خطوة ، تتبعوا خطوات الشيطان ، وانظر هذا المنظر البشع، الذي تتقزز منه النفوس وتشمئز له القلوب ، أن رجلاً يتبع الشيطان فحيثما رفع قدمه وضع قدمه مكانها .

(يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زَكَى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم) (النور: ٢١)

إنما هو ستر الله ورحمته وعصمته التي يمسك بها لجام شهواتك وخطام نزواتك ، فلا تقع في مستنقع الجنس الذي وقع به من اتهم بهذا .

ولذا ! وردعاً ومنعاً لانتشار الفاحشة في الذين آمنوا ، حدد القرآن أربعة شهود لمن يريد أن يرمي مؤمناً بجريمة الفاحشة وإلا فجلد القذف ينتظره .

الآن : الصحف العربية تتبع خطوات الشيطان خطوة خطوة ، والصحف العربية لم ينته أثرها على الشعوب التي تعيش فيما وراء البحار ، إنما امتد أثرها ووصلت جاذبيتها إلى الناس الذين يعيشون في أرض الجهاد .

ابن أبي في بيشاور !!

أقول لكم : هنالك أدلة يقينية عندي – أنها قطعية – أن في أرض بيشاور مجموعة من المخابرات العربية وظيفتها نشرالفاحشة في الذين آمنوا، ليس نشرالزنا ! وإنما نشرالأخبار السيئة عن الجهاد ، حتى يشوشوا الشباب ، فتنقبض صدورهم، وتكلّ عزائمهم، وتنثني إرادتهم، ويعودوا إلى بلادهم ليشاركونا في تشويه هذا الجهاد ، ليست المخابرات وحدها ، وإن كانت المخابرات هنا هي التي تتولى كبر هذه المؤامرة ، هي عبد الله بن أبيّ ...

(والذي تولى كبره منهم له عذاب أليم) (النور: ١١)

يتلقطون سقطات الصادقين ، وينتظرون عثرات المخلصين ، ويسجلون بها أشرطة وينشرونها في العالم الإسلامي ، هذا واقع في داخل دائرة (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة)، وأعرف بعضهم بأعيانهم وأسمائهم: وقد أفسدوا في ساحة بيشاور ما أفسدوا ، ودمروا ما دمروا، وشتتوا من شتتوا، وأرجعوا من أرجعوا، (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) ووقع تحت تأثيرهم ...

(وفيكم سماعون لهم) (التوبة: ٤٧)

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) (التوبة : ٤٦)

(لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) (التوبة : ٧٤)

ولأوضعوا ! أوضعوا أسلوب يدل على الخسة والوضيعة ، أوضعوا : أسرعوا بينكم بالنميمة ، ما من يوم إلا ويصل مسامعنا أخبار جديدة ، تديرها أيدي عبد الله بن أبي ، الذي تمثل الآن في ساحة بيشاور المخابرات ، هذا عبد الله بن أبي الذي يتولى كبر تمزيق هذا التجمع ، وتشويه هذا الجهاد الذي ما عرفت هذه الأمة أبداً في هذا القرن ولا في القرون الثلاثة صورة أنصع ولا أنضر ولا أفضل ولا أشرف منه ، والذين وقعوا في دائرة الجاذبية هم اشتركوا في نشرالفاحشة دون أن يعلموا ، أما الذين وقعوا بإخلاص ، ونشروا عيوب المجاهدين وسوآتهم وتتبعوا عوراتهم وتلقطوا هفواتهم ، أرجو الله أن يغفر لهم بإخلاصهم إذا تابوا وكفوا ، وإن كان رب العزة لا يقبل عملاً إلا إذا كان صواباً خالصاً ، يجب أن يكون موافقاً للشرع، ويجب أن يكون بنية صادقة.

فالنية الصادقة مع العمل الذي لا يطابق الشرع عند الله عز وجل لا يقبل عمله ، أما أن يغفر الله له فذاك راجع الى الملك الديان الواحد القهار الرحيم الغفار .

فإذاً ما لكم ولهذا الجهاد ؟ جهاد أمة تعلقت به آمال المسلمين ، فلم تطعنون آمال المسلمين في الصميم؟ ما لكم ولهؤلاء الرموز الذين يقودون الجهاد ؟ أصناعتك أن تبث عيوبهم ، تنشر ذنوبهم وتتبع خطواتهم ، لتبرأ ذمتك أمام رب العالمين؟! أنت تضع في ذمتك وفي رقبتك ذنوبا لا يعلمها إلا الله عز وجل .

(ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون) (النحل : ٢٥)

أنتم يا أيها الإخوة ، انتبهوا إلى القضية ، نحن الآن كما قال المثل العامي : (مشينا حتى حفينا وبكينا حتى عمينا) حتى وجدنا شعباً مثل الشعب الأفغاني ، يواجه كل قوى الأرض وأنت معهم ، يواجهون التضييق الاقتصادي ، والمحق والقهر وتوقف الإمداد والتضييق على الحدود ، والتشويه الإعلامي ، والمؤامرات السياسية الامريكية الغربية الروسية، والناس الذين من حول هذا الجهاد ؛ كلهم قد تخلوا عنه ، أو أخذوا بخناقه ، يريدون أن يشدوا الأنشوطة في عنقه ، أنت بعد ذلك بإخلاص وبصدق ، وأنا لا أشك أن السمّاعين، أكثر من تسعين في المائة منهم مخلصون صادقون.

(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) (النساء : ٨٣)

لا تحبطوا أعمالكم ، لا تحبطوا حسناتكم التي هي مثل جبال تهامة ، لأن رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، **«رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه»**[1] **وقيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة»**[2] فما بالكم تجمعون هذه الحسنات من داخل أفغانستان ثم تجعلونها هباء منثوراً ...

(وما أرسلناك عليهم وكيلا) (الاسراء: ٥٤)

(لست عليهم بمسيطر) (الغاشية : ٢٢)

عملك أن تساعد هؤلاء وأن تحاول الإصلاح بينهم ، وأن تجمع المختلفين ...

(فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) (الانفال: ١)

لأن فساد ذات البين هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكنها تحلق الدين ، كلمة طيبة في هذا الجو المغبر ترطب بها قلب مؤمن.

مثال واحد

أنا أضرب لكم مثلاً واحداً من أثر هذه الشائعات التي تدور فوق أرض بيشاور، - أرض القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال-، رجل محسن من الجزيرة تبرع وقال : كم يكلف إطعام المجاهدين في معركة كابل هذا الصيف ؟ حسبنا له ، قلناله : تكلف مليون دولار -اثنين وعشرين مليون روبية باكستانية -، قال: جميعها عليّ وتوكلوا على الله، وبدأنا بدأ الإخوة الذين - نرجو الله أن يعينهم- ينقلون المؤن إلى حول كابل ويسلمونها للمجاهدين ، نقلوا عشرين سيارة وأعدوا عشرين أخرى ؛ فجاء الرجل ليفرح قلبه برؤية ما تبرع به، عندما وصل بيشاور امتنع عن المواصلة ، قال : كم أنفقتم ؟ بكم اشتريتم ؟ تسعة ملايين روبية ، هذه تسعة ملايين روبية ، وأنا الآن لا أدفع لكم بعد اليوم روبية واحدة .

هذا بداية الغيث وأول الغيث قطر ثم ينهمر **(لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم).**

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين استغفروا الله .

(١) رواه النسائي والترمذي وحسنه. (٢) رواه الترمذي وحسنه والحاكم وأحمد.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

يا أيها الإخوة : الحمد لله الذي شرفني بخدمة هذا الجهاد ، ولا تزيدني الأيام والأحداث إلا إصراراً على المواصلة بجانب هذا الجهاد الإسلامي العظيم، وبجانب قادته : الذين أراهم أنهم خير من أخرج هذا القرن من قادة عسكريين وسياسيين، هذا الذي تطمئن إليه نفسي ، وأدين به ربي، أن هذا الجهاد إسلامي، وأنه فرض عين لا إذن لوالد ولا ولد ولا زوجة ولا سيد ولا أمير ولا غيره ولا مربّ عليك ، إذا أردت أن تنفر للجهاد ، هذا الذي نص عليه الفقهاء ، وهو الذي أدين له رب العزة سبحانه .

أنضج تجربة

وأنا أرى أن هذا الجهاد أنضج تجربة إسلامية خاضها العمل الإسلامي في بداية هذا القرن على الأقل ، وأقدر الناس على الكتابة عن الحركة الإسلامية وكيف تواجه الواقع ، وكيف تسير مسيرتها ، هم أهل هذا البلد ؛ الذين نقلوا الكلمات إلى وقائع، والجمل إلى سلوك وحركات، وقد مررت في المرحلتين ؛ مرحلة الدراسة النظرية في الكتب وتربية الشباب عليها، وكنت أعيش في تلك الأحلام العذبة ، وفي تلك الأماني المعسولة ، وفي تلك الأبراج العاجية ، ثم عشت الواقع ، فوجدت ؛ أن هنالك بوناً شاسعًا بين التربية من خلال الكتب وبين التربية من خلال الدماء والأشلاء والعرق والأرواح وغير ذلك .

لا يستطيع أحد ؛ أن يكتب تجربة حركية أنضج من قادة هذه المسيرة ، لأنهم : واجهوا المجتمع بكل طبقاته ، وواجهوا الدنيا بكل مؤامراتها ، وواجهوا الظروف بكل أحوالها ، وبقوا رغم اشتداد الخطوب وازدياد الكروب ، صامدين ثابتين سائرين، وعلى طريقهم مواصلين ، فهم أقدر الناس على كتابة تجربة حركية رائدة ناضجة ، لتستفيد منها الأجيال في القرون التي تليها .

لا يستطيع أي أحد ؛ أن يكتب عن الإسلام وعن السيرة وكيف تواجه النصوص المجتمعات ، وكيف تسير بها في داخل طبقات المجتمع أكثر من هؤلاء ، يستطيع الكثيرون أن يكتبوا، ولكنهم سيبقون في كثير من الأمور يعيشون مع قصص أبي بكر وعمر في تلك الأماني العذبة وفي تلك الأجنحة المحلقة .

الناس هنا – أبناء الحركة الإسلامية الأفغانية – أقدر الناس على كتابة تجربتهم التي كتبت بالدماء وبالعرق، ولايوجد بقعة في الأرض الآن مرشحة لقيام مجتمع إسلامي أحسن ولا أفضل ولا أكثر خيراً من هذا المجتمع ؛ الذي نعد عيوبه ونتتبع ذنوبه .

هذا المجتمع أقرب المجتمعات، لأنه: يقيم فوقه مجتمعاً إسلامياً ، ولكن تحتاج القضية فترة من الزمن لتنقية الشعب من خلال أجهزة التربية والإعلام ، ومن التلفاز إلى المذياع ، إلى الصحيفة ، إلى الجامعة ، إلى المدرسة ، إلى المنبر ، وغير ذلك ، فاتقوا الله في هذه التجربة ، واتقوا الله في هذه الثمار التي أراها قد دنا حصادها وقطافها بيد المجاهدين ، إن لم يكن هذا العام ، وهو غالباً ليس هذا العام فالعام، القادم أو العام الذي يليه.

المهم معنويات المجاهدين مرتفعة، والكفة راجحة بجانبهم، والنصر يواكبهم ، وإن شاء الله يمن عليهم بالنصر الكامل

(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقويّ عزيز) (الحج : ٤٠)

حرب الشائعات

يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً .

إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم :

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون. يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم)

(الحجرات : ١١-١٢)

فالنية الصادقة مع العمل الذي لا يطابق الشرع عند الله عز وجل لا يقبل عمله ، أما أن يغفر الله له فذاك راجع الى الملك الديان الواحد القهار الرحيم الغفار .

فإذاً ما لكم ولهذا الجهاد ؟ جهاد أمة تعلقت به آمال المسلمين ، فلم تطعنون آمال المسلمين في الصميم؟ ما لكم ولهؤلاء الرموز الذين يقودون الجهاد ؟ أصناعتك أن تبث عيوبهم ، تنشر ذنوبهم وتتبع خطواتهم ، لتبرأ ذمتك أمام رب العالمين؟! أنت تضع في ذمتك وفي رقبتك ذنوبا لا يعلمها إلا الله عز وجل .

(ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون)

(النحل : ٢٥)

أنتم يا أيها الإخوة ، انتبهوا إلى القضية ، نحن الآن كما قال المثل العامي : (مشينا حتى حفينا وبكينا حتى عمينا) حتى وجدنا شعباً مثل الشعب الأفغاني ، يواجه كل قوى الأرض وأنت معهم ، يواجهون التضييق الاقتصادي ، والمحق والقهر وتوقف الإمداد والتضييق على الحدود ، والتشويه الإعلامي ، والمؤامرات السياسية الامريكية الغربية الروسية، والناس الذين من حول هذا الجهاد ؛ كلهم قد تخلوا عنه ، أو أخذوا بخناقه ، يريدون أن يشدوا الأنشوطة في عنقه ، أنت بعد ذلك بإخلاص وبصدق ، وأنا لا أشك أن السمّاعين، أكثر من تسعين في المائة منهم مخلصون صادقون.

(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا) (النساء : ٨٣)

لا تحبطوا أعمالكم ، لا تحبطوا حسناتكم التي هي مثل جبال تهامة ، لأن رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، **«رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه»**[1] **«وقيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة»**[2] فما بالكم تجمعون هذه الحسنات من داخل أفغانستان ثم تجعلونها هباء منثوراً ...

(وما أرسلناك عليهم وكيلا) (الاسراء: ٥٤)

(لست عليهم بمسيطر) (الغاشية : ٢٢)

عملك أن تساعد هؤلاء وأن تحاول الإصلاح بينهم ، وأن تجمع المختلفين ...

(فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) (الانفال: ١)

لأن فساد ذات البين هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكنها تحلق الدين ، كلمة طيبة في هذا الجو المغبر ترطب بها قلب مؤمن.

مثال واحد

أنا أضرب لكم مثلاً واحداً من أثر هذه الشائعات التي تدور فوق أرض بيشاور، - أرض القيل والقال وكثرة السؤال وإضاعة المال-، رجل محسن من الجزيرة تبرع وقال : كم يكلف إطعام المجاهدين في معركة كابل هذا الصيف ؟ حسبنا له ، قلناله : تكلف مليون دولار -اثنين وعشرين مليون روبية باكستانية -، قال: جميعها عليَّ وتوكلوا على الله، وبدأنا بدأ الإخوة الذين - نرجو الله أن يعينهم- ينقلون المؤن إلى حول كابل ويسلمونها للمجاهدين ، نقلوا عشرين سيارة وأعدوا عشرين أخرى ؛ فجاء الرجل ليفرح قلبه برؤية ما تبرع به، عندما وصل بيشاور امتنع عن المواصلة ، قال : كم أنفقتم ؟ بكم اشتريتم ؟ تسعة ملايين روبية ، هذه تسعة ملايين روبية ، وأنا الآن لا أدفع لكم بعد اليوم روبية واحدة .

هذا بداية النيث وأول النيث قطر ثم ينهمر **(لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم).**

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين استغفروا الله .

---

(١) رواه النسائي والترمذي وحسنه. (٢) رواه الترمذي وحسنه والحاكم وأحمد.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

يا أيها الإخوة : الحمد لله الذي شرفني بخدمة هذا الجهاد ، ولا تزيدني الأيام والأحداث إلا إصراراً على المواصلة بجانب هذا الجهاد الإسلامي العظيم، وبجانب قادته ؛ الذين أراهم أنهم خير من أخرج هذا القرن من قادة عسكريين وسياسيين. هذا الذي تطمئن إليه نفسي ، وأدين به ربي، أن هذا الجهاد إسلامي، وأنه فرض عين لا إذن لوالد ولا ولد ولا زوجة ولا سيد ولا أمير ولا غيره ولا مربٍّ عليك ، إذا أردت أن تنفر للجهاد ، هذا الذي نص عليه الفقهاء ، وهو الذي أدين له رب العزة سبحانه .

أنضج تجربة

وأنا أرى أن هذا الجهاد أنضج تجربة إسلامية خاضها العمل الإسلامي في بداية هذا القرن على الأقل ، وأقدر الناس على الكتابة عن الحركة الإسلامية وكيف تواجه الواقع ، وكيف تسير مسيرتها ، هم أهل هذا البلد ؛ الذين نقلوا الكلمات إلى وقائع، والجمل إلى سلوك وحركات، وقد مررت في المرحلتين ؛ مرحلة الدراسة النظرية في الكتب وتربية الشباب عليها، وكنت أعيش في تلك الأحلام العذبة ، وفي تلك الأماني المعسولة ، وفي تلك الأبراج العاجية ، ثم عشت الواقع ، فوجدت ؛ أن هنالك بوناً شاسعًا بين التربية من خلال الكتب وبين التربية من خلال الدماء والأشلاء والعرق والأرواح وغير ذلك .

لا يستطيع أحد ؛ أن يكتب تجربة حركية أنضج من قادة هذه المسيرة ، لأنهم : واجهوا المجتمع بكل طبقاته ، وواجهوا الدنيا بكل مؤامراتها ، وواجهوا الظروف بكل أحوالها ، وبقوا رغم اشتداد الخطوب وازدياد الكروب ، صامدين ثابتين سائرين، وعلى طريقهم مواصلين ، فهم أقدر الناس على كتابة تجربة حركية رائدة ناضجة ، لتستفيد منها الأجيال في القرون التي تليها .

لا يستطيع أي أحد ؛ أن يكتب عن الإسلام وعن السيرة وكيف تواجه النصوص المجتمعات ، وكيف تسير بها في داخل طبقات المجتمع أكثر من هؤلاء ، يستطيع الكثيرون أن يكتبوا، ولكنهم سيبقون في كثير من الأمور يعيشون مع قصص أبي بكر وعمر في تلك الأماني العذبة وفي تلك الأجنحة المحلقة .

الناس هنا – أبناء الحركة الإسلامية الأفغانية – أقدر الناس على كتابة تجربتهم التي كتبت بالدماء وبالعرق، ولايوجد بقعة في الأرض الآن مرشحة لقيام مجتمع إسلامي أحسن ولا أفضل ولا أكثر خيراً من هذا المجتمع ؛ الذي نعد عيوبه ونتتبع ذنوبه .

هذا المجتمع أقرب المجتمعات، لأنه: يقيم فوقه مجتمعاً إسلامياً ، ولكن تحتاج القضية فترة من الزمن لتنقية الشعب من خلال أجهزة التربية والإعلام ، ومن التلفاز إلى المذياع ، إلى الصحيفة ، إلى الجامعة ، إلى المدرسة ، إلى المنبر ، وغير ذلك ، فاتقوا الله في هذه التجربة ، واتقوا الله في هذه الثمار التي أراها قد دنا حصادها وقطافها بيد المجاهدين ، إن لم يكن هذا العام ، وهو غالباً ليس هذا العام فالعام، القادم أو العام الذي يليه.

المهم معنويات المجاهدين مرتفعة، والكفة راجحة بجانبهم، والنصر يواكبهم ، وإن شاء الله يمن عليهم بالنصر الكامل

(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقويٌّ عزيز) (الحج : ٤٠)

حرب الشائعات

يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً .

إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم :

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون. يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم)

(الحجرات: ١١-١٢)

قواعد ربانية

قواعد ربانية لحفظ المجتمعات الإنسانية ، النواميس تقوم عليها المجتمعات كما تقوم على النواميس الأرض والسموات ، حتى إذا اختلت حركة الشمس أو القمر اندثر الكون وغير ، وإذا اختلت قوانين المجتمع ، فإن المجتمع كله يتخلخل ، وكله يهتز، وليس من السهل أن تجمع المجتمع إلا على نظام أنزله خالق هذا المجتمع ، وصانع هذا الإنسان ، وباني هذه الروح، وجابل هذه الفطرة .

الآيات تتحدث عن كيفية حفظ المجتمع المسلم ، تتكلم عن الظن ، عن الهمز واللمز ، عن السخرية، عن الغيبة ، وهذه كلها هي التي تفسخ كيان المجتمعات ، وتزلزل بنيانها ، وتمزق أسرها ، وتضيع دولها ، وتدثر عمرانها، المجتمع لا يقوم إلا على مجموعة من الناس، فهو مجتمع ، والناس -سبحان خالق فطرتهم - تختلف أذواقهم، وتختلف أهواؤهم، وتختلف مشاربهم وطرق تفكيرهم وقدر استيعابهم إلى غير ذلك ، فإذا أطلق كل واحد لعقله العنان، وفتح لقلبه ابواب الشيطان ، يظن في الناس كما يشاء ، ويحسب أنه لا يخطىء، أن كل واحد مخطىء إلا هو ، معجب برأيه ، معتد بنفسه ، فهذا ما لم يكن هنالك ضوابط لقلبه وضوابط للسانه وضوابط لعقله ، فإنه يصبح آفة من الآفات تزلزل كيان المجتمعات وتنخر في بنيانها كما ينخر السوس في الخشب ، ولذا قرب العزة حتى الظن ضبطه بالضابط الشرعي الصحيح ، وقيد اللسان وضبطه بأحكام ، وقيد الناس في طريقة تصرفاتهم وطريق تعاملهم .

وما جاء الدين - كل دين - إلا لحفظ الضرورات الخمس .. لحفظ الدين ، والنفس ، والمال ، والعرض ، والعقل ، فهذه الضرورات الخمس ، جاء الإسلام وجاء كل دين ليحافظ عليها .. ومن أجل حفظ الدين شرع القتال ، وشرع قتل المرتد ، ومن أجل حفظ النفس شرع القصاص، وشرع كذلك تحريم الانتحار، وكذلك منع الإسلام كل ما يضر بالجسد والعقل فقال : «لا ضرر ولا ضرار»[1] ، منع المخدرات والخمور والكحول وغير ذلك حفاظاً على النفس وحفاظاً على العقل ، وحفظ العرض بجلد القاذف وجلد الزاني، ورجم الزاني، ومنع الغيبة في هذا ، وحفظ المال بقطع يد السارق ، ومنع الغش والاحتكار والمنافسة والمضاربة وغير ذلك . حفظ الدين والنفس والعقل والمال والعرض . هذه كلها محفوظة بالآيات الكريمات .

الوازع الديني

لكن هنالك ضوابط لا يمكن للقوانين أن تضبطها ، فالنظرة إلى المرأة الأجنبية المارة في الشارع لا يمكن أن يضبطها قانون، ولا يمكن أن يحكمها حد ؛ لابد أن يكون الضابط من أعماق النفس البشرية ، ويكون الرادع من مسارب النفس الإنسانية ، فما لم يتعاون الحد والشرع والقانون في معاقبة الذين لا تردعهم الزواجر ولا تنفع بهم النصائح فإن المجتمع كله يفسد .

ونحن هنا فقد على الاسلام بالتوجيه والتشريع .. التوجيه : النصح الذي يؤثر في النفس، ويرقق القلب، ويمنع الفواحش (ما ظهر منها وما بطن)

(ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) (الانعام : ١٥١)

فهنالك فواحش باطنة لا تنفع بها الشرائع والعقوبات، كالحسد والرياء والشك والنفاق والظن وغير ذلك ؛ فهذه لابد لها من توجيه يؤثر في حشاشة القلوب ، ويوجه النفوس ، وما لم تتعاون هاتان الوسيلتان فلا يمكن أن يردع قانون مهما كان زاجراً ولا يمكن أن ينفع تشريع مهما كان قاسياً شديداً .

ومن هنا فشلت الأنظمة الغربية في تطبيق تشريعاتها ، لأن القلوب الإنسانية ليست مع هذه التشريعات . هنالك انفصام نكد بين ما تحسه النفس في داخلها ، وبين ما تقتضيه هذه القوانين في مجتمعاتها ، فلابد أن يلتقي التوجيه الذي يعنى بتربية النفس البشرية، الذي يعني بتهذيب الانسان ، الذي يعنى بربط القلب بخالقه ، والذي يعنى بتذكير الإنسان بالحساب والعقاب يوم القيامة ، ومن هنا كان الإيمان بالله هو ضابط الإيمان الوحيد في المجتمعات المسلمة ، التي تكفل تنفيذ الشرائع على الناس في داخل المجتمع ، وركز القرآن على القيامة وعلى مشاهدها، وعلى العذاب وعلى النار وجحيمها ، وعلى الجنة ونعيمها ، من أجل أن يعينه في تطبيق أوامره على الناس في داخل المجتمع ، ولكن المجتمع لا يمكن أن يخلو أبداً من الأشرار ، مهما كان التوجيه ومهما كانت النصائح ، وهنا كانت الزواجر

---

(١) حديث صحيح رواه أحمد وغيره، أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٢٥٠).

والعقوبات ، وهنا كان حد الرجم والقذف وجلد شارب الخمر ، وقتل القاتل ، وقطع يد السارق ، لأن هنالك أناساً في داخل المجتمع لا تنفع بهم مواعظ ، ولا تغنيهم نصائح ، قد أغلقوا قلوبهم وفوق قلوبهم أكنة ..

(وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون) (فصلت : ٥)

باطن الإثـم

وفي هذه الآيات الكريمات يعني القرآن الكريم بالفواحش الباطنة ، التي لا يستطيع القانون أن يمسكها ، وأولها الظن .. وأولها احتقار الناس وظن السوء بهم ، وهما حلقتان مرتبطتان، ووجهان لعملة واحدة ، لأنك لا تحتقر إنساناً إلا إذا ظننت به شراً ، وظننت بنفسك أنك خير منه ، وأنت لا تستطيع أن تسخر ممن أعجبت به ، ومن الذين تدرك أنهم خير منك، إلا في حالات شاذة ..

(وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) (النمل : ١٤)

أقول .. احتقار الناس ناشيء عن الغرور ، وعن البطر وعن الكبر ، وعن الإعجاب بالنفس، وكلها من الفواحش الباطنة ، إعجابك بنفسك يدفعك أن تحتقر الذين لا يعجبوك ، فأنت مغرور، وهذا يدفعك أن تنظر إلى الناس باستخفاف من عليائك المنفوخ ، الذي لا يكون إلا على انتفاخ الغرور

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فهي أورام سرطانية في نفسك تنمو ، ولكنها لا تأكل خلايا الدماغ بسرطان الدماغ، ولا تأكل القلب بسرطان القلب ، أو الدم ، أو العظام، إنما هو سرطان الدين ، سرطان يأكل دينك يومياً وأنت لا تعلم، وكفاك قول رسول الله ﷺ

«كفى بالمرء إثماً أن يحتقر أخاه المسلم»[1]

«كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه، وأن يظن به إلا خيراً»[2] .

والعرض ليس هو العورة ، وليس الظن في العرض اتهام الإنسان بالزنا ، فالعرض في اللغة : هو كل ما يمدح ويذم في الإنسان .. فطريقة كلامه يعتبر عرضاً ، وطريقة مشيه تعتبر عرضاً ، وطريقة لبسه تعتبر عرضاً ، وطريقة ركوبه تعتبر عرضاً ، وطريقة قتاله تعتبر عرضاً .. **«وحسب امريء من الإثم أن يحتقر أخاه المسلم»**[3] .. والظن لا يغني من الحق شيئاً **«إياك والظن فإن الظن أكذب الحديث»**[4].

(إن يتبعون إلا الظن وما تهوي الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) (النجم : ٢٣)

قرن الهدى بالظن ..

(إن يتبعون الا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا) (النجم : ٢٨)

الظن سبب البلوى

ولقد وجدت أن أكثر المصائب في داخل المجتمعات إنما هي راجعة إلى الظن وعدم التثبت ، وفي أفغانستان بالذات ، وجدت أن معظم المصائب راجعة إلى الظن ، لأن الإنسان لا يتثبت مما يسمع من الناس .. **« كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع »** .. كثير من القضايا حققت فيها وسمعتها في بيشاور .. وحققت فيها داخل أفغانستان فوجدتها كذباً صراحاً ، ولذلك بعد أن اصطدمت عدة اصطدامات نتيجة الأقوال من بيشاور، وبناء بعض المواقف عليها ، قلت في نفسي : لو قال لي الناس في بيشاور : أن الشمس تطلع من المشرق لراجعت عقلي مرتين حتى أصدق أن الشمس تطلع من المشرق .

يا أيها الإخوة: كثير من القضايا التي يتناقلها الناس بينهم كذب.. هي عبارة عن ظواهر، أخذها الناس كحقائق، ثم نقلوها بينهم.. وأصبحت في داخل بيشاور حقيقة، ثم انتقلت إلى السعودية والأردن وزادوها من الملح والبهارات، فأصبحت قصة طويلة ..

قلت لمسعود: أنت تفهم بأنك سبب في عدم فتح جلال آباد، لأنك فتحت ممر سالانج للدبابات الروسية، ودخلت واستطاعت أن

---

(١) هذا جزء من حديث رواه مسلم. (٢) أنظر المصدر السابق. (٣) أنظر المصدر السابق. (٤) جزء من حديث رواه البخاري.

تصل إلى جلال أباد، وتقاوم المجاهدين.. قال: سبحان الله.. الله يعلم: أن موقفنا غير ذلك.. لقد اتفقت مع القيادة، أنهم يريدون أن يفتحوا جلال أباد بشرط أن أغلق ممر سالانج، فقلت لهم: أخبروني قبل أن تبدأوا بالمعركة حتى أرتب ذلك، لأن جبهة واحدة لا تستطيع أن تغلق ممر سالانج، لابد أن تتعاون جبهات كثيرة حتى تغلق الممر، لأن أية مجموعة من الناس تقف على الطريق العام الواصل بين كابل وموسكو، فإنها لن تستطيع أن تقف في مكان واحد أكثر من شهر أو شهرين، مهما قاومت، ومهما كانت قوتها، لابد أن يبدأ قطع الطريق من «حيرتان» -الجسرالذي على نهر جيحون في مزار شريف- فتبدأ المعركة مع القافلة الداخلة من جيحون من مزار شريف، تدمر بعض دباباتها وتعيقها لمدة أسبوعين، ثم تنتقل إلى سمنجان، وتشتبك معها ثم تعيقها أسبوعين، وتدمر جزءًا منها، ثم إلى بغمان، ثم إلى كذا وكذا من الأماكن، ثم إلى بروان ثم.. ثم.. وبعد ذلك تنتهي القافلة بهذا الشكل .. أما أن يطلب من ممر سالانج الذي طوله ثلاث كيلو مترات أن يوقف ثمانمائة دبابة داخله، طائرات تقصف من فوقنا، ودبابات تقصف بكل أنواع القذائف، و الصواريخ سكود تنهال علينا من كابل.. والصواريخ بأنواعها تنهال على المدينة حول الطريق، ليت شعري.. أحديدا كانوا أم فولاذا حتى يثبتوا بطول الصيف لإغلاق هذا الممر ؟!!

قال: وبدأت معركة جلال أباد واستمرت عشرة أيام دون أن يخبروني.. وبعد عشرة أيام بعد أن وجدوا أنهم لا يستطيعون أن يتقدموا، اتصلوا بي وقالوا: أغلق ممر سالانج فقلت نعمل باستطاعتنا.. وفي الثلوج تحركت قواتنا وأغلقت ممر سالانج شهرين، وفقدنا ثمانية وثلاثين شهيداً ، وعندما وجدت أن المعركة خاسرة لا تقدم فيها ولا تأخر سحبت جنودي حتى لايقتل الباقون.

وكثير من القضايا ليست مع مسعود.. مع كثير من القادة هنا أو هناك، حققت فيها، فوجدت أن الظن أكذب الحديث ؛ وعندها فهمت معنى قوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) (الحجرات : ٦)

الأمور سمعت بها .. فلان مرتبط بالدولة ، وأدخل عنده فأجده يقاتل الدولة .. والدولة تصب حممها ونيران غضبها وجام غضبها عليه ، ذلك بالظن والحسد ..

«ولا تنافسوا ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا»[1] .

حرمة التجسس

فالتجسس حرام ، والتحسس وهو قريب من التجسس حرام ؛ بنص الأحاديث وبإجماع الفقهاء ... وأنتم تعرفون قصة عمر : يوم أن تسلق جداراً على أناس يسكرون ، فمسكهم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين عصينا الله في واحدة فأنت عصيته في ثلاث ... قال الله عزوجل :

(ولا تجسسوا ..) (الحجرات: ١٢)

وأنت تجسست . وقال :

(وأتوا البيوت من أبوابها ...) (البقرة: ١٨٩)

وأنت أتيت من فوق السور . وقال :

(فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) (النور : ٢٨)

وأنت اقتحمت علينا دون إذن . وخرج عمر وكان لسانه يقول : هذه بتلك ، ويتعلم عمر..

التنافس على الدنيا

والتنافس -سبحان الذي خلق النفوس- كل واحد يريد أن يكثر حاله ويكثر جمعه ويكبر سلطانه وغير ذلك... والتنافس دافع أساسي، هذا ولقد رأينا التنافس في ساحة بيشاور، وكم ضرب في ساحة بيشاور -حسبنا الله ونعم الوكيل- تجد الإنسان تتعب

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم.

لإقناعه بالبقاء في بيشاور لأنه يريد أن يدخل في داخل أفغانستان، وبعد أن يعمل معك في مؤسستك فترة من الفترات، فإذا به يخرج من عندك وهو يحبك، ثم تعاتبه بعد فترة أين ذهبت، فيقول: أنا أعمل في المؤسسة الأخرى، وأنا كنت أعمل معكم بمئتي دولار، وقد دفع لي مئات من الدولارات، والعمل واحد وكله جهاد؛ فأنا أؤدي فريضة الجهاد هنا وأؤدي فريضة الجهاد هنا.. هذا لا يجوز شرعاً، ولا يجوز لمن فصله، ولا يجوز لمن اختطفه، لأن التنافس نتيجة التحاسد، و التحاسد ينتج التدابر، و التدابر ينتج التباغض، و لذلك جمعها رسول الله ﷺ فقال:

«ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا»[1] .

حرمة أموال الجهاد

أما أنه لا يجوز للعامل أن ينتقل من مؤسسة إلى مؤسسة طلباً للمال وطمعاً في الدنيا فهذا شرعاً غير جائز . لأنك عند ما جئت إلينا . جئت و في ظنك أنك ستعيش في خيمة من الخيام ، أنك ستأكل الخبز الجافّ ، كما سمعت في المحاضرات أو غيرها من الأشرطة، و عند ما وصلت فهّمناك أن هنا ثغر في بيشاور يسدّ بوجودك ، فإن كانت نيتك و محبتك أن تدخل إلى الجبهة وقد حجزناك عن الجبهة رغم أنفك، فإن شاء الله أجرك لا يقلّ عن أجر الجبهة ، لأن ثغورا هنا لابد أن تسد كما يجب أن تسد ثغور القتال، و عندما أعطيناك راتباً إنما قدرنا كفايتك ؛ أعطينا الكفاية، و لا يجوز للإنسان في أرض الجهاد أن يزيد عن كفايته ، و لقد أفتى كثير من الفقهاء بأن أموال الجهاد لا تحل للأغنياء ، حتى سهم (في سبيل الله) لا يحل للأغنياء ، فالذي معه ماله لا يحل له أن يأخذ راتباً من أي مؤسسة من المؤسسات في الساحة . . ألا تعلم أن هذا المال الذي أخذته قد جاء للجهاد ، ولو لم تأخذه أنت واحتجزته في جيبك سيدخل إلى داخل افغانستان للأرامل واليتامى ، وللمعوقين والمشوهين ، وللرابضين كالليوث في خنادق قتالهم ، فكيف تبيح لنفسك أن تجمع الأموال في جيبك وتحتجزها عن المجاهدين وأنت لست بحاجة إليها؟!

ألا تعلمون أن كثيراً من الفقهاء قد أفتوا أنه إذا كان الجهاد بحاجة إلى المال ، لا يحل لأحد من المسلمين في الأرض أن يكتنز مالاً حتى تسد حاجة الجهاد.

إنها فتوى الفقهاء - أو كثير من الفقهاء - تقول : أنه لا يجوز لأحد في الغرب ولا في الشرق أن يدخر مالاً في بنك أو في صندوق مادام الجهاد الأفغاني أو الجهاد في فلسطين أو في الفلبين في حاجة إلى رصاص أو إلى طعام أو إلى خيام أو غير ذلك .

فكيف تسمح لنفسك أن تدخر مالا وتشتري ذهبا لزوجتك ، وفي الداخل أناس وفي إيران من المهاجرين أناس ، لم يروا الرز في حياتهم ؟ ألا تعلمون أنه في دار الأيتام التي مديرها بينكم - دارالمدينة المنورة - نأتي بالأيتام فيمكثون أربعين أو خمسين يوماً حتى يعلموهم أكل الرز، لأنهم لم يأكلوا الرز أبداً ، فكيف تسمح بعد ذلك لنفسك أن تحتجز مالاً في جيبك ثم تنتقل من مؤسسة إلى مؤسسة، كما قال رسول الله ﷺ عن ذلك :

«كان الرجل يعرض نفسه على القبائل أيهم يأخذه بأجر أكثر فنهى ﷺ عن ذلك»[2].

وأنت تعرض نفسك هنا على القبائل ، التي تسمى بالمؤسسات ، فأي مؤسسة راتبها أعظم ودخلها أكثر فأنت تدخلها ، سواء اقتنعت بعملها أو لم تقتنع .

يا أيها الإخوة : ألم تعلموا أن الفقهاء قد أفتوا :أنه إذا سبيت امرأة في المشرق وجب على أهل المغرب تخليصها، وإن استنفدت جميع أموالهم ؟ ألم تعلموا أن الإمام مالك قال : حق على الأغنياء أن يفتدوا أسراهم ولو استنفد ذلك جميع أموالهم؟

عند خروجنا من بيتنا قلت لأولادي : والله عندما أرى السجاد في غرفة الضيوف ينقبض صدري وتضيق نفسي ، مع أنه من مالي الخاص الذي هو من راتبي ، الذي ليس من أموال الجهاد ، وحرمة مال الجهاد عليّ كحرمة دم الخنزير ولحم الميتة .

قال ابني: هل هذا حرام؟ إن أناساً يشترون السجاد المطرز-، مع أن السجاد قديم- ويشترون كذا وكذا، هذا حرام؟! قلت نعم، حرام، إذا كان الناس يموتون حولنا جوعاً يحرم علينا أن نقتني السجاد في بيوتنا. ولذلك هذا المال قضيته مهمة، ويجب أن ننتبه كثيراً عندما نمد أيدينا لأخذ الراتب، وتنافس بعض المؤسسات في التقاط الشخصيات والكفاءات جعل المؤسسات تدفع رواتب عالية تكفي

---

(١) أنظر المصدر السابق. (٢) أشار إليه مختصرا. وهو عن أبي أيوب قال: «سمعت رسول الله ص يقول: ستفتح عليكم الأمصار وستكونون جنودا مجندة يقطع عليكم بعوث، أي يمشون للغزو، فيكره الرجل منكم البعث فيها فيتخلص من قومه ثم يتصفح القبائل يعرض نفسه عليهم يقول: من أكفيه بعث كذا؟ من أكفيه بعث كذا؟ ألا وذلك الأجير الى آخر قطرة من دمه» رواه أحمد وأبو داوود. أنظر نيل الأوطار ٣/ ٢٢٨.

عشرة أضعاف أحياناً، أو بضعة أضعاف مما تحتاجه الأسرة .

قال لي أحدهم: أيجوز لي أن أوفر من راتبي الذي أعمل به وأبني بيتاً في بلدي في الأردن، أو في سوريا، أو في مصر؟ قلت: يحرم عليك ذلك .. كفاك أن ربك يسّر لك من يكفلك وييسر لك إقامة العبادة، وتطبيق هذه الفريضة.. أنت تمتن على الناس في الأرض، أني هنا أجاهد في سبيل الله ، لو كنت في بلدك أيكون راتبك مثل هذا الراتب ؟ أنا أعلم أن راتبك في بلدك أقل من هذا الراتب بكثير . فاتق الله .. وليكفك الراتب الذي كان في بلدك .. إن لم يكفك راتب بلدك ، فضعف راتب بلدك ، ثلاثة أضعاف راتب بلدك ، أما أنك تريد أن تؤدي فريضة العين وتأخذ أموالاً وتكتنزها ، ثم ترسلها لتبني قصوراً أو عمارات أو (فيلات) أو أي دار في بلدك ، لا يجوز لك شرعاً ، إن ربك قد كلفك أن تجاهد بمالك كما كلفك أن تجاهد بنفسك ..

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) (التوبة : ١١١)

فهو اشترى المال واشترى النفس .

(وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) (التوبة : ٤١)

فلو كان هذا المال في جيبك أصلاً من عملك في بلدك عليك أن تدفعه هنا ، عليك أن تدفعه للجهاد ، فكيف تأتي هنا لطلب الرزق كأنما نقيم على آبار بترول تجمع أموالاً وتطلب رواتب ، وتنتقل من مؤسسة إلى مؤسسة، والمصيبة الكبرى أنه يظن أنه يجاهد في سبيل الله ، فوق ذلك كله إذا ذهب إلى بلده يبدأ يحدث عن الجهاد ويندد بالقاعدين ويلمز بالمتخلفين ، وأما هنا فهو شيخ المدخرين والجامعين لأموال الجهاد في جيبه ليبني في بلده عمارة ، أو ليشتري ذهباً لزوجته تتحلى به في الأعراس .

أي منطق هذا وكيف نفهم الشرع ؟!! لا يجوز لأحد في هذه الساحة أن يأخذ فوق كفايته ، وكل ما زاد على كفايتك يجب أن تدفعه للجهاد ، فإن كان راتبك أكثر من الكفاية ، كل ما تدخره يجب أن تدفعه للجهاد ، ليس لك إلا تذكرة واحدة ترجع بها عندما لا تجد مكاناً لك في الساحة .

أما أن تتخوض في مال الجهاد بغير علم وبغير ضابط، وبغير شرع . ولا ينجو من لسانك أحد .. لا من المتخلفين .. ولا من المتقدمين .. ولا من الأموات ولا من الأحياء ... حسبك هذا إثماً عند ربك والحساب الذي ينتظرك عظيم ..

من آداب المسلم

(ولا تنافسوا) ... «ولا يبع أحدكم على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه» .. لا يجوز لك شرعاً أن تأتي إلى واحد في مؤسسة وقد أتقن عمله وتعبت المؤسسة عليه .. أن تختلسه رشوة تحت جنح الظلام ، وإرضاء لنفسه التي سال لعابها على أموالك التي تنفخ جيبك .

(لا تجسسوا) ... (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا) ..

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) (الحجرات : ١١)

وكثير من الناس الذين لا ينجون من لسانك، إن لسانك كالمنشار يأكل في الذهاب والإياب.

أقول : كثير من الناس الذين يتناولهم لسانك وتطعن في أعراضهم أو بطريقة عيشهم أو غير ذلك ، أو طريقة كلامهم ، أو مستوى تفكيرهم ، هؤلاء بينك وبينهم منازل عند رب العالمين ، معظمهم خير منك – والله أعلم –.

أحد الإخوة الأفغان ممن يقومون على خدمتنا واقف بالباب ، فصاح به أحد الجالسين أو طلب منه شيئاً أن يحضره .. فقلت له : يا فلان إن هذا الذي يقف بالباب قد يكون أفضل منا بمراتب كثيرة عند رب العالمين ..

(وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) (الاسراء : ٢١)

وأنتم تعلمون الحديث الشريف الذي سأل فيه رسول الله ﷺ الصحابة عن رجل فقالوا **«جدير إن قال أن يسمع وإن خطب أن يزوج»**، ولما سألهم رسول الله ﷺ عن الرجل الثاني الذي لم يعتبره الصحابة قال ﷺ: **«هذا خير من ملء الأرض من ذاك..»**[1] ولا يوجد أي مخلوق الفرد منه خير من آلاف إلا الإنسان .

وكم رجل يعد بألف رجل *وكـم ألف تمر بلا عـداد*

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

---

(١) رواه البخاري.

ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا»[1]

والغيبة حرام؛ وقد بين الله تكريه هذه الكبيرة للمسلمين بأن شبّهها بأكل لحم الأخ ميتاً، إنه منظر تتقزز منه الأبدان، وتشمئز منه النفوس أن يأخذ الإنسان بسكين فيبدأ بتقطيع أخيه الميت ويأكله.

يقول ابن كثير: فكما أنكم تكرهون أكل لحم أخيكم ميتاً طبعاً فاكرهوه شرعاً، لأنه أشد حرمة منه، أي أن غيبة المسلم أشد حرمة عند الله من أن تأتي إلى ميت وتبدأ تقطع بدنه وتأكله.

الرسول يبني المجتمع

ولقد ركز رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة على منع الغيبة ؛ لأنه كان يريد أن يبني مجتمعاً مسلماً متراصاً متحاباً ، ولا يمكن المحبة بين الناس إذا كانوا كما قال حذيفة لمعاذ : إني أدركت زماناً رأيت فيه إخوان الظواهر أعداء السرائر ، كلما لقيك لقيك بوجه بش إليك واحتضنك وعانقك وقبلك على كتفيك ، حتى إذا خرجت من عنده دقيقة أسلط عليك لسانه ، وما ترك لك أخضر ولا يابساً إلا ناله ، هذا من إخوان الظواهر وأعداء السرائر . الذين يأتون الناس بوجه وهؤلاء بوجه، وأشد الناس عذاباً يوم القيامة ذو الوجهين .

كان رسول الله ﷺ يدرك أثر اللسان وانطلاقه في نهش لحوم المسلمين والولوغ في أغراضهم ، يدرك أنه من أكثر الأدوات التي تهدم المجتمع وتحطمه ، فكان يوصي بالكلمة الطيبة ، **«والكلمة الطيبة صدقة»** ، و **«ولا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه باش»**، و **«تبسمك في وجه أخيك لك صدقة»**.

الجيل الفريد

ولذا رأينا الجيل الذي رباه جيلاً فريداً متماسكاً ، لا يستطيع أشد أعداء الله وأكبرهم قوة في الأرض أن ينتزعوا واحداً من هذا المجتمع

«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2] .

وحسب هذا المجتمع شرفاً أن قيصر الروم بنفسه حاول أن يستميل إلى جانبه رجلاً منبوذاً في المجتمع ، فلم يستطع أن يستميله إليه.

كعب بن مالك إبّان نبذه من المجتمع ، بعد أن تخلف عن غزوة تبوك ، ثلاثة تخلفوا من ثلاثين ألفا في غزوة تبوك ، هلال بن أمية وكعب بن مالك ومرارة بن الربيع ، من عشرة آلاف يتخلف رجل واحد ، ومع هذا كانت العقوبة الربانية أن قاطعهم المجتمع خمسين يوما، حتى أزواجهم تركنهم بأمر رسول الله ﷺ ، وحتى أن كعب بن مالك يصف عن نفسه كما قال القرآن : حتى تنكرت لي الارض ، وكما قال القرآن عنهم :

(وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) (التوبة : ١١٨)

في إبان هذه المحنة التي كان يتمنى فيها كعب بن مالك أن يرى رسول الله ﷺ ينظر إليه فقط .

يقول كعب رضي الله عنه : كنت إذا قمت إلى الصلاة نظر إليّ رسول الله ﷺ ، حتى إذا نظرت إليه أشاح بنظره عني .

كان يعيش على أمل النظرة ، يعيش على أمل كلمة من رجل صالح في المجتمع ، فلا يجدها . قال : وتذكرت ابن عم لي اسمه أبو قتادة وهو من أحب خلق الله إليّ ، وكذلك هو يبادله الشعور قبل أن تحصل المقاطعة . قال : فتسوّرت عليه الجدار لأنه لو قرع باب الدار لا يفتح له، قال : تسورت عليه الجدار ، قلت : يا أبا قتادة، بالله عليك أتعلم أني أحب الله ورسوله ؟ قال : فلم يجب ، ثم الثانية ، ثم الثالثة، فقال بعدها : الله ورسوله أعلم، لم يتكلم معه ، قال : ففاضت عيناي وتسورت الجدار مرة أخرى ، في إبان هذه المحنة الخانقة والأزمة التي غيّرت الأرض في أنظارهم ، حتى أصبحت في أنظارهم أضيق من كفة الحابل ، يرسل إليه ملك غسان برسالة ، إنا قد سمعنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله في دار هوان ، فالحق بنا ، قال : وإذا بنبطي في شوارع المدينة يسأل ، أين كعب بن

---

(١) حديث صحيح رواه الشيخان بنحوه. (٢) رواه البخاري ومسلم.

مالك؟ فأشار إليّ الناس من بعيد ، فناولني رسالة ملك غسان ، فقلت والله هذه هي المصيبة ، ثم ذهبت إلى التنور وسجرتها ، - حرّقها - حتى لا يبقى في نفسه أي وسواس أو مراودة أو خاطر يمر بخياله أن يستجيب لهذه الرسالة ، أحرقها حتى لا تؤثر في ذكراها .

ولو استلم أحدنا رسالة من بوش أو من ريجان أو من غورباتشوف أو من غيره ؛ لوجدته يحتفظ بها بين ملفاته وثيقة رسمية .

إنه داس على الدنيا وأباها ، بعد أن راوده كبار رجال الأرض ، ولكنه لم يستجب لهم اعتزازاً باسلامه، واعتصاماً بإيمانه حتى يذهب الأجر مع الأيام ، لأنه كلما تكلمت عن نفسك احترقت حسناتك حرقاً ، حب الظهور يقصم الظهور.

صور من المجتمع الصلب

أقول : هذا المجتمع الذي رباه رسول الله ﷺ بهذه الصلابة ، وهذا التناسب الذي يأبى على ملك غسان أن ينتزع منه شخصاً واحداً منبوذاً لا يكلمه أحد في الأرض ، حتى زوجته .

هذا المجتمع الذي أخرج عمر وأبا بكر يوم السقيفة يمد أبوبكر يده لعمر ، يقول له : يا عمر امدد يدك أبايعك ! فيقول عمر : لأن تمتد عنقي إلى سيف فيقطعها في غير معصية ، أحب إليّ من أن أتأمر على أناس فيهم أبوبكر ، أن تقطع عنق عمر ، أحب إليه من أن يتأمر على سرية أو فئة أو مجتمع فيهم أبو بكر .

ولذا امتد هذا المجتمع بصلابته ، يتمايل في هذا الموكب... كبار الصالحين وخيار الزاهدين ، وأئمة الفقه من التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، حتى إننا نجد الفقهاء وهم أنداد بعضهم لبعض ، يقدمون لبعضهم محبة لا تكاد صورها تمر بالخواطر.

الشافعي يقول عن أحمد – وهو تلميذه – :

قالوا يزورك أحمـــــد وتزوره ... قلت المكارم لا تفارق مـــنزله
إن زارني فبفضله أو زرتــــه ... فلفضله فالفضل في الحالين لـه

وكان أحمد كلما سمع برجل صالح يحب زيارته ؛ ليقوي به محبته لعله ينال منه دعوة صالحة ، وكم من دعوة صالحة لأخيك في الغيب، قد ردّت عنك مكاره كثيرة ، وفرجت لك أزمات كربة آخذة بخناق ، والاستكثار من الإخوان زينة ، زينة في الدنيا وذخر في الآخرة، وهو يغادر بغداد قال : خلفت بغداد وما تركت فيها أحداً أزهد ولا أورع ولا أتقى ولا أفقه من أحمد بن حنبل ، وأحمد نفسه لكثرة ما يقول عن نفسه : ما توجهت بالدعاء إلى الله منذ ثلاثين عاما إلاّ ودعوت للشافعي ، فقال له ابنه : يا أبت من هذا الشافعي ، الذي تدعو له ؟ قال يا بني : لقد كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، فهل عن هذين من غني ، هكذا كانت صلاتهم ببعضهم .

ويزور محمد بن الحسن مالكاً، فيفتح له خزائنه ويعطيه ما فيها ، وكذلك الشافعي بصلته بابن الحسن ، محمد بن الحسن وقد كان معظم أيامه فقيراً – الإمام الشافعي–، فكان محمد بن الحسن يفتح له خزائنه ويعطيه ، وكذلك مالك يعطيه كل ما فيها .

ولذا يقول ابن عمر رضي الله عنهما: يصف هذه المحبة في جيل الصحابة ، لقد مرّ علينا زمان كان أحدنا لا يرى نفسه أحق بدرهمه وديناره من أخيه .

ويسأل أحد التابعين –ولعله الحسن البصري– قال لأحد الجالسين أو قال للجالسين : أو يدخل أحدكم يده في جيب أخيه فيخرج ما شاء ؟ قال : لا ، قال : إذاً لستم إخوة .

هذا المجتمع المتحاب المتراص ؛ مضمون دمه وماله وعرضه في حضرته وفي غيبته ، وسواءً بالكلام أو بالهمز أوباللمز أو بالإشارة أو ما إلى ذلك ، كلها إن كانت في غيبته فهي غيبة، وإن كانت في حضرته فهو همز .

جاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز فقال له : إن فلاناً يصنع كذا وكذا ، قال : إن شئت نظرنا في الأمر ، فإن كنت صادقاً ، انطبقت عليك الآية ..

(هماز مشاء بنميم) (القلم: ١١)

وإن كنت كاذباً ، انطبقت عليك الآية :

(يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (الحجرات : ٦)

ولذا فالغيبة محرمة بكل أنواعها ، وقد عرفها رسول الله ﷺ .

«قالوا : يا رسول الله ما الغيبة؟ قال ذكرك أخاك بما يكره ، قال : أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»[1] أي أتيت ببهتان.

توجيهات

الله عز وجل يحب الذين يحبون عباده، ويكره الذين يكرهون عباده، لأنه يكره أولياء الله، لأنه يكره أن ينتصر حزب الله، لأنه يكره أن ترتفع راية الله، وابحث عن السبب في أعماقه، تجده أمراً تافهاً دنيوياً لا يتعدى أحياناً مسألة طلبها من أخيه فلم يجبه إليها لأسباب أو لضيق أو لغير ذلك، أو تألم من الله، أو خوف من الله، أو خوف من نار يوم القيامة، تجده يشرع لسانه فيه لا يرعى فيه إلا ولا ذمة.

والحديث الصحيح «أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً، ولأن أمشي مع أخي في حاجة أحب إلى من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً»[2] مسجد النبي ﷺ . «ومن كف غضبه ، ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ، ولو شاء أن يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة. ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له ، أثبت الله له قدمه يوم تزول الأقدام» فأحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، فإذا كنت تتألم إن اغتصب أحد حقك المالي، بضع دريهمات من لعاعات الدنيا، فما هو ذنب الذي يطعن فيك .

كاتب عقبة ، قلت لعقبة : إن لي جيراناً يشربون الخمر ، وإني آتيهم بالشرط، قال : ويحك لا تفعل، وعظهم وهددهم، قال: ثم رجعت إلى عقبة وقلت : لقد هددتهم ووعدتهم ونصحتهم فلم ينتصحوا ، وإني آتيهم بالشرط، قال : ويحك لا تفعل، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر عورة مسلم فكأنما أحيا موؤودة من قبرها»[3] .

يشربون الخمر ، يرتكبون موبقة من الموبقات المحرمة بالكتاب والسنة ، وهو يريد أن يأتيهم بالشرطة، قال : لا تفعل ، وحتى الغيبة وكشف العيوب ، لو كانت ظاهرة عياناً للناس، بارزة واضحة كالشمس، فلا يجوز لك .

قالت عائشة في الحديث الصحيح للرسول ﷺ «حسبك من صفية كذا وكذا أي أنها قصيرة. فقال : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته»[4] أي لو اختلطت بماء البحر الهادر لنجسته ، لو مزجت بماء البحر لمزجته .

جزاء الغيبة

وفي الحديث الصحيح «أن ماعزاً قد جاء إلى رسول الله ﷺ ، وقال : يا رسول الله طهرني من الزنا، والمرة الثانية والثالثة والرابعة وهو يرده، سأل هل به من شيء؟ قالوا: لا يا رسول الله، فدعاه، قال: تعرف ما الزنا؟ ووصف له الزنا، فأمر رسول الله ﷺ برجمه فرجم ثم خرج رسول الله ﷺ في غزوة، وإذا باثنين من الصحابة في مؤخرة الجيش يقول أحدهما لصاحبه: هذا الذي ستره الله فأبى إلا أن يرجم كما يرجم الكلب سمعها رسول الله ﷺ بوحي من ربه فسكت ، ومضى ، فمرّوا على جيفة حمار، فقال : أين فلان وفلان نجاءا إليه ، قال إنزلا وكلا من جيفة هذا الحمار، قالوا: سامحك الله يا رسول الله ! أوتؤكل هذه الجيفة ؟ قال : ما نلتما آنفا من أخيكما أشد من هذه الجيفة ، والذي نفسي بيده ، إنه لفي أنهارالجنة يغتسل بها الآن»[5] – والحديث صحيح– كما يقول ابن كثير وغيره ، «ما نلتما آنفاً أشد من جيفة هذا الحمار، والذي نفسي بيده إنه لفي أنهار الجنة يغتسل بها الآن».

بين النصيحة والغيبة

هذا في غيبة المسلم كما قال النووي: يحرم غيبة لباسه ودابته وطعامه وغير ذلك ، أي لا يجوز لك أن تقول انظروا إلى فلان يلبس هذا الثوب ذي الخياطة الرديئة ، هذه تعتبر غيبة عند العلماء، وتعتبر محرمة ، بل لقد نص العلماء على تحريم غيبة اليهودي والنصراني

(١) حديث صحيح رواه مسلم وأبو داود. أنظر نهاية المرام (٤٢٠/م). (٢) حديث حسن رواه الطبراني في الكبير. أنظر السلسلة الصحيحة رقم (٩٠٧).
(٣) رواه أبو داود والنسائي . أنظر تفسير ابن كثير مجلد ٣٢٧/٢. (٤) رواه ابن حبان في صحيحه. أنظر الترغيب والترهيب مجلد ٥٠٩/٣.
(٥) رواه الترمذي وأبو داود. أنظر مشكاة رقم (٤٨٥٣).

الذين يعيشان في المجتمع المسلم كذميين ، اللهم إلا إذا كان الرجل مظهراً فسقه وفجوره وتخشى على بعض المسلمين منه ، فإنك تنبه الناس الذين تخشى عليهم منه .

ولذا فالغيبة حرام في أي نوع من أنواعها ، أما إذا كنت ناصحاً فالنصيحة بينك وبينه لا على رؤس الملأ ، إنك إن نصحت أخاك في حضرة الناس فقد شنته ، وإن نصحته بينك وبينه فقد زنته .

وكان عمر يقول: رحم الله امرأ أهدى إليّ عيوبي . فهذا لك فيه أجر النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم ، أما إذا كان باسم النصيحة تبيح لك نفسك أن تغتاب من شئت ، وأن تعيب من شئت ، وأن تكتب في من شئت ، وأن تهاجم من شئت ، وأن توزع مناشير فيمن شئت ، فهذا ليس من الإسلام في شيء ، وأنت تتلقى عذابه يوم القيامة . لأن هذا القائد الذي تغتابه له بعض الناس المحبين فيكرهونك ، لأنك اغتبت ولأنك عبت، ولو كانت عيوبه صحيحة قاطعة ، النصيحة حيث تنفع النصيحة ، وإذا كنت لا تأمل من نصيحته أن يستجيب لك فالأولى أن لا تنصحه ، لا بينك وبينه ولا أمام الناس ، لأن النصيحة إنما تجب عليك ممن تظن أن يأخذ منك . على كل حال بينك وبينه قد تثاب عليها . الفرد المسلم غيبته كأكل لحم الميت ، كأكل لحم أخيك ميتاً . وكما قال ابن كثير مرة أخرى : كما تكرهون أكل لحم أخيكم طبعاً ، فاكرهوه شرعاً ، لأنه أشد حرمة منه . والأحاديث كثيرة .

ويروي ابن كثير منها عند آية الغيبة ما تقشعر منه الأبدان ، يروي : أن صحابيين في غزوة كان معهما عبد ، فقاما إلى الخباء فضرباه، وإلى الطعام فحضراه ، ثم قال أحدهما للآخر إن هذا العبد نؤوم كثير نوم ، فبعدما قالا : هذا العبد لايريد إلا خباء مضروباً وقدراً محضراً، ثم كان توزيع الطعام من رسول الله ﷺ ؛ فأرسلا وعاء مع العبد أو مع الغلام، فقال: يا رسول الله فلان وفلان يريدان الإدام ، فقال لقد ائتدما – أكلا اللحم –، فرجع إليهما قال: يقول ﷺ : لقد ائتدمتما، فجاءا الى رسول الله ﷺ وأقسما له أنهما ما ذاقا اللحم، قال: «**لقد ائتدمتما بلحم صاحبكما، والذي نفسي بيده، إني لأرى لحمه بين ثناياكما**»[1] .

يا أيها الإخوة :

أجركم عظيم، فإياكم أن تحبطوه باللسان ، أجركم عند الله كبير، فإياكم أن تستهينوا بالغيبة وتستحقروها وتستقلوا ذنبها .

يقول ﷺ :

«**رأيت ليلة عرج بي أقواماً لهم أظافر من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم ، فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يقعون في أعراض الناس ويغتابونهم**»[2].

معنى العرض

والعرض كما قلت في لغة العرب ليس هو فقط شرف العورتين ، العرض في اللغة ما يمدح أو يذم ، فإذا مدحك يقال أثنى على عرضك، وإذا ذمك يقال : نال من عرضك ، ليس العرض هو ذكر الزنا وما شابهه ؛ إنما العرض ما يمدح ويذم من الإنسان ، فقفوا عند حدودكم ، وإياكم أن يسوّل لكم الشيطان الغيبة باسم المصلحة أو باسم مصلحة العمل الإسلامي ، وباسم مصلحة الجهاد ، وباسم كشف هؤلاء ، يجب علينا أن نبين للناس، ليس الأمر لك ، الأمر لولاة الأمر، فإن كنت صادقاً فارجع الأمر إلى أهله ..

﴿وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ (النساء : ٨٣)

العدل

كم من الناس قد آذوا هذا الجهاد، كم من كلمة منعت ملايين الدراهم والدينارات عن هذا الجهاد، كلمة واحدة تطعن بها بأحد القادة المعروفين المشهورين تزرع اليأس في قلوب الحاضرين، وتمنع الخير من البذل من أيدي المحسنين، كثير كثير، كلمة واحدة قد تضر بأمة بكاملها ، وخاصة ونحن نعمل مع قضية قد تعلقت بها قلوب الأمة الإسلامية ، والتفت عليها آمالهم، والتقت عليها تطلعاتهم، وترنو إليها أنظارهم، وتشد إليها قلوبهم، أنت تأتي تحطم هذه الآمال فأنت آثم ؛ لأنك منعت الخير عن هؤلاء. أنت تتلقى ذلك عند رب العالمين، وكما قلت في خطبة سابقة: إذا كنت أنت تعيش في بيت ترى أمك وأباك وتعرف من عيوبهم ما تجمع منه المجلدات، فلماذا

(١) أنظر تفسير ابن كثير مجلد ٤/ص ٣٣٢. (٢) رواه أبو داود بنحوه، أنظر الترغيب والترهيب مجلد ٣/ ٥١٠ .

تسكت عن عيوب أمك وأبيك ، إذا كنت تريد أن تأخذ بالمنهج الغربي ، الصراحة في الحق وتبيين الحق للناس ؟ أم أن أمك وأباك أعز لديك وأغلى من جهاد يراد به إنقاذ أمة وإحياء جيل ، ويكون منارة للسالكين للمدلجين على طريق هذا الدين ؟ لماذا لا تتكلم عن حكامك في بلدك مثلاً ؟ لماذا لا تتكلم عن جماعتك التي تنتمي إليها -إن كنت تنتمي إلى جماعة أو إلى دعوة أو إلى مدرسة فكرية- ... ؟ لماذا لا تتخذ هذا المنهج الذي تريد أن تسلكه بمن شرّف الله بهم البشرية كلها، وضرب بهم المثل عزاً ومجداً ؟ تريد أن تستعمل أسلوب تدوين الحقائق للناس ، ولا تريد أن تستعمله مع مجموعة قد تصل إلى مائة أو تقل أو تزيد، لماذا لا تستعمل نفس الميزان على نفسك كما تستعمله على غيرك ؟ تكلم عن أبيك وأمك بنفس المنهاج، إن كنت تريد أن تتبع منهاج جان جاك روسو الذي يكتب في اعترافاته وفي مذكراته عن أسماء الذي كانوا يخادنون أمه ويزنون بها . إن كنت تريد أن تتبع المنهج الغربي ، تبيين الحقائق للناس ، لأن هذا هو المنهج ، فاتبعه مع نفسك وأهلك ومدرستك وجماعتك وتنظيمك ودولتك مع كل هؤلاء جميعاً .

أما أن تستعمل الميزان في حق الأفغان لأنهم فقراء ولا تستعمله في حق الدولة التي ولدت فيها أو البلد التي عشت فيها ، فأنت من المطففين ..

(ويل للمطففين، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) (المطففين:١-٣)

«**وأشد الناس فرية من هجا قبيلة بأسرها**»، فكيف بمن يهجو مئات القبائل في شعب أفغانستان ؟! كيف بمن يقول بظهر يده أو بداخل يده ، هؤلاء قوم لا خير فيهم ، هؤلاء قوم عقيدتهم فاسدة ، هؤلاء قوم فيهم مشركون ، هؤلاء قوم يقتتلون فيما بينهم ، هؤلاء قوم ... ؟!

وقفة مع النفس

نعم ... أنت عندما ترجع إلى نفسك قد تجد بعض الحقائق التي تبررها لنفسك ؛ ولكن لو فتشنا في نفسك ، نجد أن هنالك حقداً بسبب موقف من المواقف من بعض السفهاء من هؤلاء القوم ، أو مجموعة من قطاع الطريق وقفوا لك على الطريق ، ما من شعب إلا وفيه من الخير الكثير ، وإذا كنت تريد أن تتبع المنهج الغربي في نشرالحقائق فعد حسناتهم أولاً ، ثم عد بجانبه سيئاتهم ، وأنت تبوء بإثمك وإثم الذين منعتهم عن الخير تجاه هذا الجهاد المبارك ، الذي يطاول عنان السماء عزة ويناطح السحاب مجداً وفخراً ، هؤلاء والجهاد الأفغاني بالذات ، كلما مر بذهني أقول لمن يلومونني على ذكره بالخير :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنك ولا متقـــــــدم
أجد الملامة في هواك لذيـــــذة حباً بذكرك فليلمني اللــــــوّم

يا أيها الإخوة:

احفظوا حسناتكم ، ولا تحبطوها وهي عظيمة في ميزان الرحمن ، وهي تفتح لكم أبواب الجنان بشروط، أولها: حفظ اللسان، إحفظ لسانك واحفظ حسناتك مقابلها التي تساوي جبال السرى ؛ بل تزيد إن شاء الله .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

يا أيها الإخوة :

إن المسلم عظيم عند الله عز وجل :

«**... وتنتهك فيه حرمته ، إلا خذله الله في موطن يحب أن ينصر فيه ، وما من مسلم ينصر مسلماً في موطن ينتهك فيه من حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا نصره الله في موطن يحب أن ينصر فيه ...**»

شروط التوبة

ولذلك انتبهوا لهذه الكبيرة .. الغيبة من الكبائر ، الغيبة ، كل الذين كتبوا عن الكبائر عدوها من الكبائر ، فمحرمة بالإجماع كما يقول ابن كثير وغيره ..

ولابد لك من أن تتوب عن الغيبة ، والتوبة عن الغيبة تكون بشروط : أن تكف عن الغيبة أولاً ، ثانياً : أن تندم على ما فات ، وبعضهم اشترط الحزن والبكاء، ولكنه ليس من الشروط المتفق عليها ، ثالثاً : أن تتخلص يعني تستحل من الحرمة ممن اغتبته ، وكيف تتخلص من ذنوب الذي اغتبته ؟

قال بعضهم : يأتي إليه ويعترف أنه اغتابه بكذا وكذا وكذا ، ولكن جمهور الفقهاء قالوا : لا ، لأنه يزيد من آلامه ولكن حق عليه أن يذكره في مجلس ذكره بسوء أن يذكره بخير، وكل إنسان قاتحه عن هذا الإنسان ، أو عن هذا القائد ، أو عن هذا الجهاد بسوء، يجب عليه أن يأتيه ويعيد مرة أخرى ويذكره بخير فتمحو هذه تلك . فالكف أولاً ، والندم ثانياً ، وعدم العودة ثالثاً ، والاستحلال من الحرام رابعاً : بأن تذكره في المكان الذي ذكرته بسوء أن تذكره مرة أخرى بخير .

ويا أيها الإخوة :

والله ما رأيت مثل الغيبة تمزيقاً للجماعات والمجتمعات ، من أشدها مضاءً :

احذر لسانك أيها الإنسان ... لا يلدغنك إنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... قد كان خاف لقاءه الشجعان

***

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى ... وحظك موفور وعرضك صين

لسانك لا تذكر به عورة امرىء ... فكلك عورات وللناس أعين

وعينك إن أبدت إليك معايبا ... فغضها وقل يا عين للناس أعين

والذي بيته من زجاج لا يرجم الناس بالحجارة ، فكلك عورات وكلك عيوب ...

أقلوا عليهم لا أبا لأبيكم ... من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

أين الثرى من الثريا

وقد ذكرت في الخطبة السابقة : كانوا يسألونني عن سياف وحكمتيار ورباني ومسعود وما إلى ذلك ، ما رأيك بهم ؟ أقول لهم : أنا والله أقل من أن أحكم على هؤلاء لأنهم صنعوا التاريخ بالدماء ، وأنا أتقن كتابة المقالات بما أخذه من مداد، لأني أقول لكم بما في نفسي ، والله أشعر من أعماقي بالشرف عندما يسمح لي هؤلاء أن أجلس بجانبهم وأحدثهم . وبعضكم لم يكن قد ولد عندما بدأ هؤلاء معركتهم مع الجاهلية ، وكثير من الناس ممن تنالهم الألسنة ، أو تنصب عليهم السهام . كانوا يجاهدون الطواغيت ، أو كانوا يجاهدون أعداء الله عز وجل بالسنان في أرض القتال والنزال ، فإذا وصلت إلى مستواهم وعملت كما يعملون عندها يحق لك أن تنتقد ، يحق لك أن تعطي رأيك بهؤلاء . وبعضهم لا أقل من ألف معركة خاضها ، وأنت لم تخض في حياتك خمس معارك، أو عشر معارك ، فانتبهوا إلى حسناتكم ، وانجوا بأنفسكم ، واستحلوا واخلصوا من الذنوب التي تراكمت عليكم بسبب هذه الكبيرة ، وإني وللأسف الذي يقطع نفسي، كنت والله مرّ عليّ زمان ، ما كنت أطيق أن أسمع عن مخلوق أي كلمة سوء ، وكانوا إذا ذكروهم ، إذا ذكروا أي مسلم بسوء أمامي، كنت أقول لهم : إما أن تسكتوا وإما أن أقوم من المجلس ، لأن هذا هو الحكم الشرعي ، ثم مضت بنا الأيام ودارت عجلة الزمان، وللأسف صرنا على الأقل نسمع ، نسمع غيبة المسلمين ، وهي محرمة كذلك ، وحكم السامع كحكم المغتاب إن لم يرد عن أخيه

*****

**

*

الغرباء

يا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً.

إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(تلك الدارالآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) (القصص : ٨٣)

الدار الآخرة جعلها الله عز وجل للذين لا ينظرون إلى هذه الدنيا ، وكما قال الفضيل عند هذه الآية : هنا هلكت الأماني ! آمال الدنيا التي يتعلق الإنسان بأذيالها ويتشبث بأرجائها ، ولو كانت الدنيا كلها أعطيت لإنسان ووضعت في يده فماذا تساوي ؟

(فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) (التوبة : ٣٨)

«موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها»[١] ، **«لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها»**[٢]، و **«ركعتان في جوف الليل خير من الدنيا وما عليها»**[٣] ، **«ركعتا الفجر خير من الدنيا وما عليها»**[٤] وما أهون هذه الدنيا التي يتهالك عليها المتهالكون، ويتطاحن عليه الطامعون ، وكم في سبيلها ذاق الناس من حتف وموت؟! وكم قتلت من خطابها، وسمّت من أحبابها، وهي عروس تتزين لخطابها، وما تزوجها أحد إلا قتلته .

غابت ملامح وجوههم

هذه الدنيا، (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين)، دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على معاذ بن جبل يبكي في ناحية المسجد متكئاً على حائط بيت رسول الله ﷺ ، قال : ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن ؟ أفقدت أخاك فلان؟ قال: لا ، ولكن حديث سمعته من حبيبي ﷺ **«إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء، الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يعرفوا، أولئك مصابيح هدى تنجلي عنهم كل ظلمة»**[٥] هذا الحديث صحيح .

هؤلاء الأخفياء الأتقياء الأبرياء الغرباء في هذه الدنيا كما قال ﷺ : **«إن هذا الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»**[٦] أي الجنة للغرباء ، أو شجرة في الجنة للغرباء . وفي زيادات في روايات كثيرة **«قيل: ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : النزّاع من القبائل الذين ينزعون عن أهلهم وذويهم»** ، يعيشون في واد وأهلهم في واد ، هم في شعب والناس في شعب ، هم في جادة والناس في جادة ، يعيش هموم هذا الدين ، ومع أفكاره لنصرة سيد المرسلين، ولرفعة هذه الشريعة ، والناس يتطاحنون ويتهمونه بالجنون، وكم من الألقاب يبتدعونها لمن أراد أن ينشر هذا الدين ، أو يعيش غريباً كما أمر سيد المرسلين محمد ﷺ .

«طوبى للنزّاع من القبائل» ، الذين خالفوا قومهم في تفكيرهم وفي آرائهم ، وحددوا اتجاههم ، وسلكوا سبيلهم ، فلم يعد يثنيه إنسان عن هذا الطريق ، لا يبالون سواء اتهموهم بالجنون أو رموهم بالتهور ، أو لقبّوهم بالعاطفة أو التحمس الزائد ، وقالوا : إنهم مجانين، أو فقدوا عقولهم، أو فلتت ضوابطهم ولم يعد عندهم ما يمكن أن يضبطوا به عواطفهم أو أنفسهم ، إنهم في واد والناس في واد، إنهم يفكرون كيف ينصرون هذا الدين، لا ينظرون إلى الغوغاء، ولا إلى الدهماء، ولا إلى أبناء الشوارع الجهلاء، ولا إلى أهل الدنيا، رعاع همج يتبعون كل ناعق ..

وما هي إلا جيفة مستحيلة	*عليها كلاب همهن اجتذابها*
فإن تجتنبها كنت سلماً لأهلها	*وإن تجتذبها نازعتك كلابها*

تعاسة وانتكاس

يقول أحد الإخوة من بينكم ويستمع إليّ: جاءني صديق من أصدقائي إلى البيت فودعته قال: أين تودعني؟ قلت: إلى بيشاور. وإذا بالحزن يكسو وجهه، ويحوقل هذا المسلم يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، هداك الله أيها الإنسان! يتحوقل لأن مسلماً يفكر في

(١) رواه البخاري. (٢) رواه البخاري ومسلم. (٣) حديث ضعيف ، أنظر ضعيف الجامع الصغير رقم (٣١٣٧) .

(٤) رواه مسلم بلفظ: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» ، أنظر مختصر مسلم رقم (٢٥٩). (٥) حديث حسن رواه المنذري في الترغيب والترهيب.

(٦) رواه مسلم في صحيحه والزيادات في غير مسلم وهي صحيحة احتج بها ابن حزم كما في الأحكام (ص٧٠٩).

الجهاد، أو يفكر أن يزود الذين يسيرون على طريق الجهاد، احذر من العقلية الصغيرة التي تفكر بنصرة الشريعة، وأما هو فهو صاحب العقل الكبير والقلب الكبير والصدر الواسع، هو صاحب الحكمة والعقل؛ لماذا ؟ لأنه لم يعد في قلبه ذرة من حرقة لهذا الدين ، لم يعد في نفسه ولا في دمه بقية من حرارة لمبادىء نزلت لتكون شريعة للإنسان ، ولينقذ الله بها البشرية .

يظن الناس أن دين الله عز وجل إنما ينتصر بالكلمات الفارغة يقولها المتكئون على الأرائك، كما يقول رسول الله ﷺ: **«يوشك رجل شبعان متكىء على أريكته»**[1] إنه يقف حول هؤلاء : يقف حول هؤلاء المترفين الذين يلوون أعناق النصوص ، الذين يريدون أن يحوّلوا دين الله إلى هوىً متبع . والرسول ﷺ أمرنا أن ندع هؤلاء ، أن ندع هؤلاء بحالهم ، **«مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك- أو بالخاصة-، فإن وراءكم أيام صبر الصابر فيها كالقابض على الجمر»**[2] .

دعوا هؤلاء العوام ، دعوا الذين يتشدقون بالكلام، دعوا الذين يريدون أن يحوّلوا دين الله لعبة .

(وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً) (الأنعام: ٧٠)

والله إنهم يتخذون دين الله لعباً ولهواً .

(وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع)
(الأنعام : ٧٠)

أين ذهبت عقول هؤلاء ؟! ألا يقرأ هؤلاء سورة التوبة ؟! ماذا يقولون للنصوص ؟! كيف يواجهون القرآن ؟! كيف يقرأون سورة الأنفال وسورة التوبة ؟! ألا يمرّون عليها ؟! ألا يواجهون :

(لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون) (التوبة : ٤٤-٤٥)

ألا يواجهون :

(قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا) (التوبة : ٢٤)

فانتظروا ، تهديد من رب العزة من فوق سبع سموات، (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) ، حتى يأتي بالعذاب ، حتى يأتي بالخزي، حتي يأتي بالإستذلال .

(إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير)
(التوبة : ٣٩)

يظن هؤلاء أن نصرة دين الله عز وجل إنما تأتي من التربيت على الأجساد، من التربيت على الشهوات، من إرضاء الخواطر، والالتقاء على صفحات يتسلون بها وهم يأكلون التفاح والموز، ويشربون الشاي والقهوة، وهل انتصر دين الله إلا بالدماء والجماجم والأشلاء ؟

يقول رسول الله ﷺ: **«تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة - الثوب -، إن أعطي رضي وإن لم يعط، سخط تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش»**[3]، يعني: إذا أصابته شوكة ما أخرجها الله عز وجل، إذا أصابته عثرة لا أقال الله عثرته، يدعو عليه ﷺ بالتعاسة والنحس والضياع ، تعس وانتكس، وأي نكسة أكثر من أن يحرم لذة التعرف على الجهاد؟! أي نكسة أكبر من أن يصاب بموت القلب، فلا يعود يهفو قلبه إلى المعالي؟! أي نكسة أعظم من أن لا يعود يتلذذ بالعبادة؟! أي نكسة أعظم من أن لا يحب الصالحين الذين امتنعوا عن قبائلهم من أجل انتصار هذا الدين؟! أي انتكاسة أكبر من

---

(١) رواه أحمد وأبو داود بنحوه، وهو حديث صحيح ، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٨١٨٦).

(٢) جزء من حديث صحيح ، رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح ، وأبو داود وابن ماجة.

(٣) الحديث بتمامه رواه البخاري في صحيحه، ولكن الشيخ الشهيد فرقه تبعاً للشرح لحاجة الخطبة.

هذه..؟! إنه يقف على رأسه ، ويمشي على رأسه ورجلاه إلى أعلى .

لقد انتكس في هيئته، وانتكس في شهوته، فلم يعد هنالك نظرة صحيحة أبداً ، لأنه ينظر إلى الأرض ويظنها السماء، وينظر إلى السماء ويظنها الأرض ، وينظر إلى الرأس ويظنه الأرجل ، وينظر إلى الأرجل ويظنها الرأس ، فلابد قبل أن تأخذ منه كلمة واحدة أن تعيد تصحيح اتجاهه ، أن تعيده واقفا على قدميه، رافعاً رأسه حتى ينظر إلى الأشياء ويعطي صورة الأشياء حقيقة .. «تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش» .. يكمل رسول الله ﷺ .

وانظروا إلى حقيقتين متقابلتين : صفحة أهل الدنيا ثم صفحة أهل الآخرة. **«طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه، إن كان في الساقة فهو في الساقة، وإن كان في الحراسة فهو في الحراسة»** أي لا ينظر إلى مكانه: إن كان حارساً فهو يلزم الحراسة، وإن كان ساقياً للمجاهدين فهو ساق للمجاهدين .. لم يعد للدنيا متعلق في عينه مهما كان وضعه في الجهاد، فهو يؤدي دوره، ويلزم مكانه ، ولا يغادر مستقره ، «إن كان في الحراسة فهو في الحراسة ، وإن كان في الساقة فهو في الساقة ، طوبى له ثم طوبى له ثم طوبى له ».

رسول الله ﷺ يدعو له ثلاث مرات ، وفي رواية:

«طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه، مغبرة قدماه، أشعث رأسه، إن كان في الساقة فهو في الساقة، وإن كان في الحراسة فهو في الحراسة ، وإن شفع لم يشفع، وإن استأذن لم يؤذن له، طوبى له ثم طوبى له»[1] .

وفي رواية أخرى والرواية صحيحة ، الرواية رواية الحاكم – عن الصحيحة –، ووافقه على الرواية الذهبي على صحته، وفي رواية

لعالمين . الصبر على الجهاد ، الصبر على القيام، الصبر على الصيام ، الصبر على الحج ، على العمرة ، على كل الطاعات، وهذا لصبر على الطاعات ، والصبر عن المعاصي هذان أمران كسبيان باختيار المرء . والصبر على البلاء هذا صبر على أمر لا دخل ولا حول فيه للمرء ولا قوة إنما هو من الله .

ولذلك فالصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي أرفع درجة من الصبر على البلاء الذي ينزله رب العالمين بك، والصبر على الجهاد الذي تختار لنفسك، وصبرك على الجهاد وقد جئت من بلدك باختيارك أعظم أجراً، إن كنت تشارك الأفغاني في نفس الأرض في نفس المكان، لأنه إن شاركته في نفس الجهاد، وفي نفس المكان فأنت تقوم بهذا العمل اندفاعاً من نفسك، أما هو فقد فرض عليه الأمر، فرض عليه أن يجاهد، وأنت مفروض عليك أن تجاهد، ولكن وقع الجهاد أول ما وقع فوق رأسه. والجهاد في أفغانستان من لعربي أو المسلم غير الأفغاني أعظم أجراً، إن صبر كما صبر الأفغاني، ومَن من العرب يصبر كما يصبر الأفغان؟! ومن يستطيع أن يصل إلى منازلهم في الصبر؟! من يستطيع أن يحتمل ست سنوات متواصلة من الدك المتواصل، من الهدم والقتل والسحق والإبادة والاعتداء على كل مقدّس وحرمة، وهو ثابت في أرضه، مزروع في مكانه لا يغادره؟! فإن صبرت صبره فلك أجره وزيادة، لك أجر الهجرة والجهاد، ولك أجر السعي من بلادك إلى هذه البلاد، ولك كذلك الأجر على تغير المناخ والطقس والطعام والعادات والتقاليد واللغة وغير ذلك، وهي صعبة على النفس، وقلما تحتملها إلا معالي النفوس .

والصبر على الجهاد أعظم أجراً من الصبر على البلاء الواقع على الإنسان رغم أنفه ، كالسجن، والمرض وغير ذلك ، لأن السجن ليس باختيارك ، ولأن المرض ليس باختيارك ، إنما هو ابتلاء من رب العالمين، ليس لك معه –إن أردت الأجر والذخر– إلا التسليم لقضاء الله عز وجل، ولا تستطيع أن تنفك من هذا البلاء بنفسك، وليس الأمر بيدك، إنما هو بيد رب العالمين

ولذلك كان صبر يوسف عليه السلام على امرأة العزيز أعظم وأكثر أجراً من صبره على إخوانه في الجب ، وأين هذا المقام من هذا المقام ؟ أين مقام يوسف وهو الشاب ، ودواعي الشهوة عند الشاب شديدة ، وهو الغريب، والغريب لا يخشى من الفضيحة كما يخشاها بين قومه وذويه وأهله ، وهو في بيت العزيز عبد، والعبد ليس كالحر ، يخشى أن ينال منه أو تلوك الألسنة عرضه، والتي تراوده هي امرأة العزيز ، السيدة في قصرها ، الجميلة في وجهها ، المهددة بقواتها ..

(وإن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين) (يوسف : ٣٢)

وإذا بنفس الشاب الغريب العبد، الذي تراوده سيدة النساء –نساء مصر– امرأة العزيز، يقول:

(رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) (يوسف : ٣٣)

تعلن هذا امرأة العزيز بعد أن رأت نساء علية القوم من حاشية الملك وغيرهم ، بعد أن رأينه :

في سبيل الله ..» وكلمة في سبيل الله إذا أطلقت إنما تطلق للجهاد . نحن لا ننظر إلى الذين يريدون أن يخرجوا النصوص عن ظاهرها، ويريدون أن يمسخوها لتتوافق مع وضعهم الممسوخ ، ومع هواهم المنحرف ، «في سبيل الله» إذا أطلقت في القرآن أو في السنة إنما تطلق للجهاد ، إنما تطلق للجهاد في سبيل الله . والرسول ﷺ يقول:

«ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله إلا حرمه الله عن النار»[1].

«من قاتل في سبيل الله فواق ناقة -أي ثلاث أو أربع ساعات مقدار مابين الحلبتين- وجبت له الجنة»[2] .

وفي حديث حسن عن عبد الله بن رواحة قال : أرسلني رسول الله ﷺ في سرية فتأخرت ، لأن اليوم يوم جمعة ، لأشهد الصلاة مع الرسول ﷺ وألحق بالسرية، ورآني ﷺ في صلاة الجمعة ، فسألني ، قلت : أحببت أن أشهد صلاة الجمعة معك ، قال لي: «لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما أدركت مقدار غدوتهم»[3] .

وهذه الدنيا؛ يا لها من تفاهة ، يا له من ضياع ، يا لها من خسارة ؛ أن تتاجر بالدنيا ، كلها لا تساوي غدوة في سبيل الله ، لا تساوي ركعتين في سبيل الله ، لو اجتمعت الدنيا - كلها مجتمعة - لا تساوي روحة في سبيل الله .

فمن المجانين ؟! من البلهاء ؟! من السفهاء ؟ من الذين ضيعوا عقولهم ؟! من الذين خسروا ألبابهم ؟! أهم الذين ينفرون في سبيل الله يجدّون المسير إلى القدير الغفور الرحيم على طريق السلام إلى دار السلام ؟

(والله يدعو إلى دار السلام) (يونس: ٢٥)

يصبرون على لأواء الطريق، ووحشة الخلان، وبعد الأحباب، وتنكر الأقارب !!

أو الذين يأنسون لدنيا تشجب أربابها ؟!

وما هذه الدنيا إلا كالبحر المالح ، كلما شربت منه ازددت عطشاً ، وما هي هذه الدنيا إلا كالبحر المالح ، كلما أقبل عليه العطشان ليشرب، ليروي ظمأه ويطفئ لهيب عطشه ازداد ظمأً وازداد عطشاً ، من المغفلون ؟! من هم أصحاب الهوى ؟! من هم الذين لا يُقدّرون؟ أهم الذين يتمتعون الساعة ، ليعذبوا إلى قيام الساعة ، وبعد قيام الساعة ؟! أم الذين يتعبون ساعة ليفوزوا في هذه الدنيا وفي الآخرة عند مليك مقتدر :

(في مقعد صدق عند مليك مقتدر) (القمر: ٥٥)

دور العاطفة

يا أيها الإخوة : إن المفاهيم قد انقلبت ، والموازين قد تغيرت، وكل من جاء لينصر دين الله عز وجل، أو وقف في وجه طاغوت أو أمر بالمعروف وتعرض لمحنة ، صار الناس يرمونه بقلة العقل وبالعاطفة ، وهذه العاطفة أصبحت شيئاً مذموماً . لقد أصبحوا يرمون بالطيبة، أصبح الطيب عيباً عند الناس ، إذا أرادوا أن يعيبوه ، إذا أرادوا أن يتهموه بالبلاهة والهبل ، يقولون : فلان طيب القلب ، أو هم فهم خبثاء لؤماء حاقدون .

وهل طيب القلب أصبح معرّة ؟! هل طيب القلب أصبح معرّة ؟! هل العاطفة التي ينصر الله بها هذا الدين ، وبها انطلق الأوائ فوق صهوات جيادهم ليخلصوا البشرية ، هل انطلقوا بعقولهم واتزانهم وحكمتهم التي يدعيها الحكماء ويدعيها العقلاء ؟ أم كان العاطفة هي التي تسير هؤلاء ؟ وإلا فبالله عليكم أيّ عقل هذا أن يرسل أبو بكر سبعة آلاف ليغيبوا في خضم بحر متلاطم الأمواج من جنود الفرس منقطعين عن الإمداد ، منقطعين عن القاعدة ، منقطعين عن القيادة ، سبعة آلاف ! ويرسل إلى بلاد الشام عشرة آلاف دونها يغيبوا ويغرقوا في بحر متلاطم من الروم .

إن هذا العمل في نظر العقلاء والعسكريين يعتبر انتحاراً، ولكنها العاطفة: العاطفة المبنية على التوكل على الله، العاطفة التي تؤجج دماءهم ناراً، العاطفة التي تحول قلوبهم جمراً، لا يهدأون حتى ينقذوا البشرية ، لا يستقرون حتى يخلصوا الناس من النار ، إنها وظيفتهم.

لقد خلقوا من أجل أن ينصروا دين الله، لقد جاءوا إلى الحياة من أجل أن يؤدوا الرسالة، وليت شعري ماذا أدى هؤلاء العق

بالقلم البارد! ماذا أدى هؤلاء الحكماء بحكمتهم المنعكسة؟! هل غيروا بلادهم؟ هل استطاعوا أن يؤثروا على شخص ممن حولهم؟ .

(٢) صحيح الجامع الصغير رقم (٦١١٦).

(٣) رواه الترمذي، انظر مشكاة المصابيح المجلد الثاني رقم ٣٩٢٣ ص ١١٤٧ .

استطاعوا أن يربوا حياً واحداً في واقعهم وفي أرضهم؟!

أروني من هؤلاء واحداً غيّر؟ إن الذين يغيّرون هم أصحاب العاطفة، هم النماذج، إن أصبع بلال وهي تشير إلى السماء "أحد أحد" ليس هذا صوت العقل ولا صوت الحكمة، إنه صوت العاطفة، صوت الروح، إن العقل يدفعه للاستسلام والمهادنة، إن العقل يأمره أن يخدع أبا جهل وأن يخادع أمية بن خلف ، ولكن الروح بهذا الأصبع تتحدى الأرض كلها .

العاطفة التي حولت الدم إلى نار يغلي بالعروق ؛ هي التي جعلت الأصبع يتحرك وينادي بهذه الكلمة: أحد أحد ، وقيل له: ما بالك تقول : أحد أحد ؟ قال : لو علمت أن كلمة أغيظ لهم منها لقلتها ، ولكني أعلم أنها تغيظهم.

من الذين يغيّر ؟! الأكاديميات العلمية ؟! المكتبات العامة ؟! العلماء الذين يجلسون على مكاتبهم يكتبون ؟! . لقد امتلأت رفوف المكاتب بالكتب ، لكننا نريد كتاباً واحداً يمشي على الأرض . لقد امتلأت المطابع بالمصاحف ، لكننا نريد مصحفاً واحداً يمشي على المعمورة ، إن هذه المصاحف التي تدب على الأرض من لحم ودم هي التي غيرّت الجيل ، وهي التي تدفع الناس ، هي التي تربي الناس، هي التي تقلب الأوضاع .

إن إصبع سيد قطب وهي تشير لهم ، وهم يراودونه أن يستلم الوزارة، ويقول في إصبعه هذا : إن إصبع السبابة التي تشير بالوحدانية لله في الصلاة لترفض أن تكتب حرفاً واحداً تقر به حكم طاغية .. هذه النماذج .. ! .. إن سيد قطب قد صنع وحده ما لم يصنعه الأزهر في مائة عام .. لماذا ؟!

فقط صوت العاطفة يحثوه ، صوت الروح يدفعه ، وكما يقول هو في كتبه : كيف يمكن لقلب خالط بشاشة الإيمان أن يستقر ويهدأ وهو يرى الجاهلية تجثم فوق رأسه ؟! .. كيف يمكن أن يستقر؟ كيف يمكن أن يهدأ دون أن ينطلق ليغير الأوضاع؟!

"إن العاطفة هي الدور الأول -كما يقول مالك بن نبي-: هي الدور الأول الذي تبدأ به الدعوات ، وبعد أن تنتصر الدعوات، وترتفع المبادىء بتضحيات العاطفة والروح ، يأتي دور العقل للإنتاج العلمي والإبداع الحضاري ، وما سبق العقل الروح في دعوة من الدعوات إلا ماتت في مهدها، ووئدت في أرضها ، ولم تنتقل من مواطن أبدانها .

لا يجوز أبداً أن يسبق العقل الروح ، لا يجوز أبداً أن تبدأ العقلانية الحديثة ، عقلانية القرن العشرين ، وحكمة العصور الحديثة كما يدعون ، لا يجوز أن تبدأ صوت العاطفة ولا صوت الروح .

ومن هنا وجدنا أن مبادىء الأرض قد انتصرت يوم أن وجدت لها أتباع من أجلها يضحون ، وفي سبيلها يقدمون ..

في أفغانستان ؛ هؤلاء الشيوعيون . يحدثني أحدهم عن شيوعي ، قال : لقد أمسكنا بقائد منطقة أو مسئول منطقة ، ثم قلنا له : قل أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : أنا أقول أشهد أن لا إله إلا الله ! لقد قطعت ألسنة العلماء لأنها تقول لا إله إلا الله ، لقد مزقت أشداق الموحدين لأنهم يقولون لا إله إلا الله ، أنتم تريدون مني أن أقول لا إله إلا الله ؟! . وقتلوه وهو يصرّ على مبدئه .

ألسنا أولى أن نتحدى الجاهلية بديننا ؟! .. أن نعتز بمبادئنا ؟!.

أبو جهل ، وفي الرمق الأخير يصحو ويفتح عينيه ويرى عبد الله بن مسعود جاثماً على صدره، فيسأل لمن النصر اليوم ؟ (من المنتصر ؟) فيقول : لله ولرسوله ، فيقول : أف ..

حتى اللحظة الأخيرة .. عناد وجاهلية ، وإصرار على الكفر .. حتى آخر لحظة .. ألسنا أولى من هؤلاء بالإصرار على حقنا ؟! فلم نعطي الدنية في ديننا ، لم نعيش مستضعفين في الأرض ؟!

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) (النساء: ٩٧)

يروي البخاري عند هذه الآية : أنها نزلت في المؤمنين في مكة ، الذين قتلوا يوم بدر ، وخرجوا مع أبي جهل ، **(أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)** . في المؤمنين في مكة ، ولولا أنها رواية البخاري ما صدقت ، **(إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة)** ، لا يستطيعون أن يثبتوا على الدابة ، **(ولا يهتدون سبيلا)** ، لا يعرفون الطريق إلى المدينة **(فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم)** ، أولئك عسى الله أن يعفو عنهم ، فما بال هذه الشعوب المستضعفة ؟!..

ما بال هذه الشعوب ، تموت كل يوم مائة ميتة ؟! وهي ميتة واحدة ، فلتكن في سبيل الله ، لماذا تدفعون ضرائب الذل كل يوم أضعاف أضعاف ضريبة العزة ، لو أردتم أن تدفعوها ؟ .

إن هذا الدين يحتاج إلى الغرباء، يحتاج إلى الأخفياء الأتقياء الأبرياء، أمثال أهل أفغانستان الذين ضمخت دماؤهم ثرى الهندكوش وجبال سليمان، ولا تجد بقعة واحدة في أفغانستان إلا وزرعت بالجماجم وإلا غرزت بالأشلاء، هذه الأشلاء و الجماجم لم تذهب هدراً، إنها ذخيرة لتربية الأجيال، إنها سدّ يقف أمام الكفر الذي لو انهار لانهال الكفر والإلحاد وأغرق العالم العربي بطوفان فساد.

هؤلاء الغرباء: **«طوبى لعبد أشعث أغبر – أشعث أغبر – آخذ بعنان فرسه، إن كان في الساقة فهو في الساقة، وإن كان في الحراسة فهو في الحراسة ، طوبى له ثم طوبى له ثم طوبى له»**[1].

كم من الناس يومياً يستشهد فوق ذرى أفغانستان ؟! كم من الناس يومياً يسقط شهيداً مجندلاً بدمه ، وترك أرملته ثكلى تئن ، وترك أولاده أيتاماً لا يملكون قوت يومهم ؟! لقد تركهم منذ أربع سنوات أو خمس ، لم يقدم لهم درهماً واحداً ، ولكنه عرف الطريق ، هؤلاء هم العقلاء ، هؤلاء هم الذين عرفوا الطريق ، هؤلاء هم الغرباء ، يطلب الموت مظانه .

«طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه، كلما سمع هيعة طار إليها يطلب الموت مظانه»[2] .

يذروا الذين يعيشون في دنياهم يتقلبون بين أعطاف النعيم ، عبيد الشهوات ، خاضعين للملذات ؛ لا يجدون لذة في عزة، ولا استطعاماً لكرامة ، بل لا يستسيغون أن يأمر الناس بالمعروف وينهون عن المنكر ، لا يستسيغون أن يجاهد المسلمون .. لا يستسيغون.

«كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً، والمنكر معروفاً ، قالوا: أوذلك كائن ؟ قال : نعم» .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

لقد كنت أقول أحياناً لبعض الموظفين العرب وأنا أرى خادماً أفغانياً على الباب، يقدم الشاي أو الطعام، أقول له: كم الفرق بين منزلتنا ومنزلة هذا عند رب العالمين. هو يخدمنا في الدنيا، فهل يقبل الله أن نخدمه في الآخرة؟! هل يقبلنا خدماً له؟! هل نراه في الجنة؟! هؤلاء غرباء:

«رُبَّ أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبرّه»[3]

ذي طمرين : ذي خلقين باليين ، لو أقسم على الله : لو نظر إلى السماء وقال : أقسمت عليك لتمطرن ؛ تمطر السماء .

يقول ذو النون المصري : كنت راكباً في مركب وفُقد شيء في المركب ، واتجهت الأنظار إلى رجل ، فقلت له : الأنظار تتجه إليك، قال : إليَّ ؟! لماذا ؟! قال : لقد فقدوا جوهرة ، ويظنونك قد أخذتها ، قال : وإذا به ينظر إلى السماء ويقول : أقسمت عليك إلا أخرجت حيتان البحر بجواهرها ولؤلؤها ، قال : وإذا بالحيتان تنهال علينا من كل جانب تلقي اللؤلؤ والجواهر في داخل المركب .. ! «رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبرّه» .

هؤلاء أصحاب الثياب البالية ، أصحاب الأرجل الحافية ، أصحاب البطون الخاوية ، هؤلاء الذين تستجاب دعواتهم ، وتستمطر بدعواتهم السماء . هؤلاء الذين يُتبرك بدعائهم ، هؤلاء الذين يقودون البشرية فعلاً في الدنيا وفي الآخرة . ليس الذين قتلتهم البطنة، والذين يتقلبون بين أنواع المطاعم وألوان الشهوات ، حتى باتت نفوسهم لا تلتذ لطعام، ولا ترتاح لمنام لكثرة النوم ولكثرة النعيم ولكثرة الطعام ، كما أصاب الدولة الرومانية في آخر عهدها ، لكثرة غرقهم في الشهوات صاروا يصومون حتى يجدوا طعم الطعام ، صاروا يبتعدون عن النساء ، حتى يجدوا لذة الجنس ، فانتهت الأمبراطورية الرومانية التي استمر بناؤها ألف عام على ضربات بسيطة .. على يد قبائل متفرقة من قبائل الهون والونتال .

نحن نعيش هذه الفترة ، ونحن في طور الاستبدال ، لأن النعيم يقتل الأمم ويذهب الفطنة ، ويقلب الموازين ، ويغير الآراء في المبادىء والقيم .

الصبر على البلاء

يقول الله عز وجل :

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله

---

(١) جزء من الحديث رواه البخاري بنحوه. (٢) رواه البخاري في صحيحه. (٣) رواه مسلم في صحيحه.

كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) (الحج : ٤٠)

فالمساجد وعمارتها، والصلوات وركعاتها، والاجتماعات ومؤتمراتها ؛ كلها يحميها سيف الجهاد ، ويكفل بقاءها الإعداد والاستعداد ، ولا يمكن أن تقوم عبادة أو تستمر، ولا أن تبقى جماعة أو تستقر بدون أن يكون جهاد يحميها، وبدون أن يكون هنالك بلاء من أجل حماية عقيدتها، يشكل ترسها ودرعها .

ما هو الصبر ؟

فما هو الصبر ؟ الصبر كما قال العلماء : حبس النفس عن التجزع والتسخط والحزن ، وحبس اللسان عن الشكوى ، وحبس الجوارح عن التشويش ، حبس النفس عن التسخط ، لأنك إنما تتسخط وتجزع وتحزن من أمر أنزله الله عليك ، ولا تعلم لعل هذا خيراً إليك ساقه رب العزة من فوق سبع سموات :

(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) (البقرة : ٢١٦)

(فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) (النساء : ١٩)

ولقد أجمع العلماء والعقلاء على أن النعم لا تستجلب بالنعم ، إنما تستجلب النعم بالبلاء وبالتعب وبالضنك وبالتضحيات ، فهذه هي التي تستجلب النعماء في آخر الأمر ونهايته . ولذلك قال الله عز وجل عن الصابرين في مواطن وصلت تسعين موطناً في القرآن الكريم ، والصبر عدّد له رب العزة محاسن وإيجابيات تفوق ست عشرة أو عشرين إيجابية ، أو فائدة ، وعلى رأسها هذه :

(إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (الزمر : ١٠)

إن نهاية الصبر هي الفوز العظيم ، بل وإن الملائكة تستعد لتلاقي هؤلاء وتسلم عليهم وتذكرهم أن قيامهم إنما هو بسبب صبرهم

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) (الرعد : ٢٣-٢٤)

سلام عليكم بما صبرتم، والباء سببية :أي بسبب صبركم نحن نسلم عليكم وندخل عليكم ونرحب بكم ومن كل باب من أبواب الجنة.

وفي الأثر : للصابرين يوم القيامة :

«يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم الديوان ، وتصب لهم الحسنات صباً ، فيسأل أهل الجنة بم نال هؤلاء ؟ ويسأل أهل الموقف عن هؤلاء لماذا لم يحاسبوا ؟ فيقولون : بسبب صبرهم ، فيتمنى أهل النعماء في الدنيا أن لو كانت أبدانهم تقرض بالمقاريض مما رأوا من الخير لأهل البلاء والصابرين عليه»[1].

ولذلك فأهمّ درجات العبادة وأعلاها هي الصبر ، والصبر فرض ، وهو من الإيمان والإسلام بمنزلة الرأس من الجسد ، كما أنه لا حياة لجسد بلا رأس ، كذلك لا يجوز الإيمان بلا صبر . والصابرون يفتح الله بصائرهم على آياته، ويعلمهم أحكامه ، به يفتح الله عليهم من عيون بصائر، ما العين المبصرة، بل عيون البصائر المبصرة، التي تفرق بين الحق والباطل.

(إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) (سبأ : ١٩)

فالذين يفهمون آيات الله عز وجل ويدركونها، إنما هم الصابرون على الطريق، وقد لفت نظري أحد الشباب لعله بينكم يقول لي: إن الإسلام لا يمكن أن يفهم إلا بجهاد، وأنا قد أمضيت شهرين بين المجاهدين، علمت بذلك أن هذا الدين لا يمكن أن يفقهه إلا المجاهدون .

ورحم الله سيد قطب إذ يقول : إن هذا القرآن لا يفتح أسراره ولا يمنح مكنوناته لفقيه قاعد بارد ، لا يمكن أن يفقه هذا الدين إلا المجاهدون من أجل رفع راية لا إله إلا الله فوق هذه المعمورة .

---

(١) رواه الترمذي والطبراني بنحوه، وفي تصحيحه خلاف بين أهل العلم بالحديث .. (راجع الترغيب والترهيب للمنذري ٤/٢٨٢).

أقول : ففهم هذا الدين إنما يكون للذين يتحركون في هذه الأرض ، ويصبرون على البلاء والابتلاء ، وعلى العبادة، وعن المناهي لمكاره حتى يفتح الله فتوحاً يجدونها في أعماقهم ، في سرائرهم وطوياتهم ، ويدركونها واقعاً عملياً في حياتهم، فتوحاً قريبة وفتوحاً بيدة. فتوحاً في هذه الأرض ، في النفس وفي آفاقها، وفي القلب وفي طياته ، ثم بعد ذلك يدركونه فتحاً عظيماً مع الملأ الأعلى في سموات وفي الجنة .

ولذلك يقول ابن عباس في قوله عز وجل :

(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم حذرون) (التوبة : ١٢٢)

قال ابن عباس: -وهذا الذي أخذ به سيد في الظلال- إن الذين ينفرون هم الذين يفقهون فالذين يفقهون هذا الدين هم الذين نفرون في سبيل إقراره في واقع الأمر، كيف ينذرون قومهم إذا رجعوا إليهم؟! بما فهموه من أسرار هذا الدين أثناء حركتهم، وأثناء ...تهم وجهدهم من أجل إعلاء رايته ، وإقرار شريعته .

المعية الخاصة

ثم كذلك بشر الله الصابرين أنه معهم، وهي ليست المعية العامة ، إذ أن الله عز وجل معكم حيثما كنتم بسمعه وعلمه وبصره.

(ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) (ق : ١٦)

بسمعنا ويبصرنا ويعلمنا ، هذه معية عامة ، أما المعية الخاصة فهي للأصفياء والأولياء والأتقياء **(والله مع الصابرين)** ، **(إن لله مع الصابرين)** والصبر كذلك يفيدنا أنه به وبالتقوى يحمينا الله من أعدائنا، ويقينا مكائدهم، ويرد كيدهم ومكرهم في نحورهم ..

(إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) (آل عمران : ١٢٠)

و .. «شيئاً» : نكرة جاءت في سياق النفي ، لا يضركم كيدهم شيئاً فهي للعموم كما قال الأصوليون : أي أنه يعم كل شيء يكيدونه لكم ، ولا يضركم من أذاهم أي شيء ، (لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط). بل إن نزول الملائكة متوقف على الصبر والتقوى ، والملائكة هذه الكتيبة ، هذا اللواء من الملائكة الذي يضم خمسة آلاف عدة لكل عسكر صبر واحتسب إلى يوم القيامة .

(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين. وما جعله الله إلا بشرى لكم) (آل عمران : ١٢٥-١٢٦)

فالصبر والتقوى يستنزلان الملائكة من السماء من أجل النصر . (واعلم أن النصر مع الصبر) فهي تستنزل الملائكة من السماء ، وهي ترد كيد الأعداء في الأرض ، وهي تفتح البصائر في أعماق النفوس والقلوب . والصبر فريضة من الله عز وجل :

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران : ٢٠٠)

اصبروا على النعماء ، وصابروا على البلاء ، ورابطوا على ثغور الأعداء ، واتقوا الله في كل الأشياء، تفوزوا بدار البقاء عند رب العالمين . **(اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)**

والصبر ثلاثة:

- صبر على الطاعات : وهو من أصعبها وأحمزها .
- وصبر عن المعاصي : وكذلك هو شديد على النفس .
- وصبر على البلاء : الذي ينزل من رب العالمين .

صبر على الطاعات : وهذا كلما درج فيه الدارج، وسلك فيه السالك ، ومشى فيه الماشون، فإنهم يدركون الدرجات العلى عند رب

العالمين . المصبر على الجهاد ، الصبر على القيام، الصبر على الصيام ، الصبر على الحج ، على العمرة ، على كل الطاعات، وهذا الصبر على الطاعات ، والصبر عن المعاصي هذان أمران كسبيان باختيار المرء . والصبر على البلاء هذا صبر على أمر لا دخل ولا حول فيه للمرء ولا قوة إنما هو من الله .

ولذلك فالصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي أرفع درجة من الصبر على البلاء الذي ينزله رب العالمين بك، والصبر على الجهاد الذي تختار لنفسك، وصبرك على الجهاد وقد جئت من بلدك باختيارك أعظم أجراً. إن كنت تشارك الأفغاني في نفس الأرض وفي نفس المكان، لأنه إن شاركته في نفس الجهاد، وفي نفس المكان فأنت تقوم بهذا العمل اندفاعاً من نفسك، أما هو فقد فرض عليه الأمر، فرض عليه أن يجاهد، وأنت مفروض عليك أن تجاهد، ولكن وقع الجهاد أول ما وقع فوق رأسه. والجهاد في أفغانستان من العربي أو المسلم غير الأفغاني أعظم أجراً، إن صبر كما صبر الأفغاني، ومَن من العرب يصبر كما يصبر الأفغان؟! ومن يستطيع أن يصل إلى منازلهم في الصبر؟! من يستطيع أن يحتمل ست سنوات متواصلة من الدّك المتواصل، من الهدم والقتل والسحق والإبادة والاعتداء على كل مقدّس وحرمة، وهو ثابت في أرضه، مزروع في مكانه لا يغادره؟! فإن صبرت صبره فلك أجره وزيادة، لك أجر الهجرة والجهاد، ولك أجر السعي من بلادك إلى هذه البلاد، ولك كذلك الأجر على تغير المناخ والطقس والطعام والعادات والتقاليد واللغة وغير ذلك، وهي صعبة على النفس، وقلما تحتملها إلا معالي النفوس .

والصبر على الجهاد أعظم أجراً من الصبر على البلاء الواقع على الإنسان رغم أنفه ، كالسجن، والمرض وغير ذلك ، لأن السجن ليس باختيارك ، ولأن المرض ليس باختيارك ، إنما هو ابتلاء من رب العالمين، ليس لك معه -إن أردت الأجر والذخر - إلا التسليم لقضاء الله عز وجل، ولا تستطيع أن تنفك من هذا البلاء بنفسك، وليس الأمر بيدك، إنما هو بيد رب العالمين

ولذلك كان صبر يوسف عليه السلام على امرأة العزيز أعظم وأكثر أجراً من صبره على إخوانه في الجب ، وأين هذا المقام من هذا المقام ؟ أين مقام يوسف وهو الشاب ، ودواعي الشهوة عند الشاب شديدة ، وهو الغريب، والغريب لا يخشى من الفضيحة كما يخشاها بين قومه وذويه وأهله ، وهو في بيت العزيز عبد، والعبد ليس كالحر ، يخشى أن ينال منه أو تلوك الألسنة عرضه، والتي تراوده هي امرأة العزيز ، السيدة في قصرها ، الجميلة في وجهها ، المهددة بقواتها ..

(وإن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين) (يوسف : ٣٢)

وإذا بنفس الشاب الغريب العبد، الذي تراوده سيدة النساء -نساء مصر- امرأة العزيز، يقول:

(رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه) (يوسف : ٣٣)

تعلن هذا امرأة العزيز بعد أن رأت نساء عِلْيَة القوم من حاشية الملك وغيرهم ، بعد أن رأينه :

(قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) (يوسف : ٣٢)

استعصم بالله عز وجل .. **(فاستعصم وإن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين ، قال رب السجن أحبّ إلي)** .. أحبّ إليّ من هذه القصور ، ومن هذه الوجوه والنحور ، لأن عندك دار البقاء والخلود التي تنتظرنا ، التي تنتظر الصابرين.

يا أيها الإخوة :

الصبر على الطاعات، والصبر على المكاره أعظم أجرا من الصبر على البلاء ، والجهاد يرافقه البلاء، ولا جهاد بلا بلاء، وهو عبادة وصبر ، ومع ذلك صبر على العبادة ، وصبر على البلاء في وقت واحد ، فقلما تجد بيتاً في أفغانستان - في هذه الأيام - إلا وتجد فيه مأتماً ؛ لكن لا نواح فيه ، صبر جميل بلا شكوى ، صفح جميل بلا عتاب . فالصبر الجميل محمود عند رب العالمين ، والصفح الجميل محمود عند رب العالمين ، والهجر الجميل الذي لا عيب فيه كذلك له مقام كريم عند رب العالمين .

(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) (الشورى : ٤٣)

ولا يحتمل الصبر والمغفرة على أذى الناس إلا النفوس الرفيعة ، إلا الأفذاذ من الأمم ، القلائل من الشعوب التي رباها الإيمان وصنعها الإحسان ، واحتمى بها الإسلام، فأصبحت نماذج ، ونماذج أولي العزائم قليلة .

على قدر أهل العزم تأتي العـــزائم وتأتي على قدر الكرام المكـــارم
ويعظم في عين الصغير صـــغيرها ويصغر في عين العظيم العظائـم

والصبر على البلاء إنما هو كذلك : رضى بالقضاء ، وهذا يرفع المقام عند رب العالمين . كان أحدهم كلما أصابته مصيبة ينظر إلى المصدر، فهو رب العالمين . فلمن يشكو ؟

(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير)(الأنعام : ١٧)

فرفع البلاء من الله ، ومنزل الرخاء هو الله:

«واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1] .

«واعلم – في آخر الحديث في رواية أخرى – أن الفرج مع الكرب وأن النصر مع الصبر وأن مع العسر يسراً، ولن يغلب عسر يسرين» .

الله عز وجل يقول :

(فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسراً) (الشرح : ٥، ٦)

والمعرفة عند الأصوليين إذا تكررت فهي واحدة ، وأما النكرة إذا تكررت فهي مختلفة .

فالعسر واحد ، إن مع « العسر » المعرفة واحدة فهو واحد ، عسر واحد ، وهما يسران منكّران ، فإن مع العسر يسراً ، إن مع العسر يسراً .

ولذا جاءت الرواية **«لن يغلب عسر يسرين»** ، انتظار الفرج من الله الذي يكون البطانة بالصبر، فيدعها راحة وبرداً وسلاماً، يحيل الصبر إلى رضى ، ويحول الآلام إلى فرحة ، ولذا فعندما عثرت قدم واحدة من العابدات ضحكت، قيل لها : قد انقطع أصبعك وتضحكين ، قالت : حلاوة أجره أنستني مرارة صبره .

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله	*لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا*

بمرارته وتتجرعها . ولذلك قالوا : الصبر تجرع المرارة دون تسخط ، بل المرارة تحال إلى حلاوة عندما تكون النفس مراقبة اليد التي تدير الأحداث والأشياء والإنسان ، يد رب العالمين المدبرة للقضاء ، المسيرة للأشياء ، التي لا يملك معها أحد حولاً ولا قوة . ولذلك من أصابه أمر فليكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . بل إن الإمامة في الدنيا والرئاسة يصلها الرؤساء الذين يأخذون برأس الأمر ، رأس الأمر هو الصبر ، إذ أنه رأس الإيمان والإسلام ، رأس الإيمان الصبر ، والذين يأخذون برأس الإيمان وهو الصبر . وكما يقول ابن تيمية : «إن الإمامة في الدين مبنية على الصبر واليقين » .

فالصبر كما قلنا : لابد ، من أجل أن تحتمل آلام المصائب ، وأن تتجرع غصص العبادة وتكاليفها ولأوائها وأنت تقوم بها، فلابد لك من مراقبة رب العالمين : أن تنظر إليه هو الذي أمر بالجهاد ، وهو لا يريد أن يعنتنا، ولا يريد أن يظلمنا .

(إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين) (آل عمران : ١٤٠)

والله لا يحب الظالمين ، فهل تظنون أن تكليفكم بالجهاد ظلم ، أن أخذ الشهداء من بينكم ظلم ؟ إنما هو إختيار واصطفاء (ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين)

ولذلك كان أحدهم يردد عندما تصيبه مصيبة يقول ، يصبّر نفسه .

وإذا اعترتك بلية فاصبر لها	*صبر الكريم فإنه بك أكرم*
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما	*تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم*

فالتشكي إلى الناس نفي للصبر ، وشكوى على رب العالمين لخلقه الضعفاء المساكين ، الذين :

(لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً) (الفرقان : ٣)

---

(١) جزء من حديث رواه الترمذي وهو صحيح وقد سبق تخريجه.

فالنظر إلى اليد التي أنزلت البلاء ، والنظر إلى الجزاء الذي يترتب على الصبر والبقاء مع الصبر ، الجزاء في الدنيا والجزاء في الآخرة ، ثم النظر إلى النعم التي تتصبب عليك مع هذه البلية الصغيرة التي لا تكاد تذكر بين النعم التي أنعم الله بها عليك ، وإذا قارنت وعددت النعم ، فإن كانت عينك تؤلمك فلك عين أخرى ، وإن كانت أذن تؤلمك فعندك القلب والرجلان واليدان ، وعندك الخير، وعندك القلب، وعندك الشرايين، وعندك الصحة وغير ذلك . فأين تضع هذه المصيبة ؟ مصيبة المكاره في مقابل كفة المحاسن والنعم . إنك إن نظرت إلى المحاسن والنعم ، وإلى الآلاء التي تتصبب عليك من رب العالمين تنسى بليتك التي نزلت عليك ، ومن هنا كما جاء في الصحيحين:

«أنظروا إلى من هو أسفل منكم في الدنيا ولا تنظروا إلى من هو أعلى منكم فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»[1] .

.. أنظروا إلى من هو أسفل منكم ، قارن نفسك بمن حولك ، إذا اشتكيت من الرزق ، من قلة الرزق ومن الفقر فانظر إلى من حولك ، وإذا اشتكيت من الألم فاذهب إلى المستشفيات ، وإذا اشتكيت من الحزن فاذهب إلى المخيمات، مخيمات الأرامل واليتامى والمشردين والمهاجرين ، فأنت في نعمة عظيمة ، وفي منة كريمة ، ولكنك لا تدرك ، ولعل الله يفتح بصيرتك فترى بعين البصيرة ما لا تراه العين المبصرة .

يقول مطرف بن عبد الله الشخير: دخلت على عمران بن الحصين وقد اشتد مرضه، وثقبوا له السرير لأنه لا يستطيع أن ينزل عنه، فاستعبرت لحاله، بكيت لحاله، قال: يا مطرف –مطرف من التابعين وعمران من الصحابة، خيار الصحابة– قال: يا مطرف ما يبكيك؟ قال: حالك، قال: لا تبك، قلت: لماذا؟ قال: لأني أحب ما يحب ربي. يا مطرف، أوَ تكتم عني؟.. والله إن الملائكة لتزورني في مرضي هذا وتسلم عليّ وآنس بها وأردّ عليها السلام.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية :

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فيا أيها الإخوة : يا من تركتم بلادكم ابتغاء مرضاة الله ، وجئتم مهاجرين في سبيل الله ، ورابطتم ابتغاء مرضاة الله عز وجل وثوابه .

يا أيها الإخوة:

الرباط صعب على النفس ، يحتاج إلى صبر يوازيه ، والرباط رباط ، لأنه ربط النفس على ثغور الأعداء ، وكانوا يربطون خيولهم انتظار الفزع ، ولذلك سموا مرابطين وسماه الله عز وجل رباطاً ؛ لأنهم يربطون أنفسهم وخيولهم ، وكما جاء في الحديث **«ورجل آخذ بعنان فرسه** – خير الناس في الفتن – **رجل آخذ بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها يبحث الموت مظانه»[2]** يبحث الموت مظانه ، إنه يبحث عن الموت ، إنه يكد نفسه بحثاً عن الموت في سبيل الله ، فهل تريدون أن تصبروا على الرباط ؟ هل تريدون أن ترابطوا ، حتى يأتي يوم فيه تجاهدوا؟! ولا جهاد بلا رباط ، والرباط والصبر عليه أصعب من الجهاد ؛ فالجهاد معركة ومعركتان وثلاثة، وقد يصبر الإنسان سنوات حتى يدخل معركة واحدة ، و الأعداء يعدون ويجهزون سنوات حتى يخوضوا معركة واحدة ، وكما قال ذاك اليهودي : «إيجال ألون» قال : «لقد حضّرنا عشر سنوات متواصلة من أجل الثلاث ساعات الأولى التي ضربنا بها المطارات المصرية، وحققنا بها نصرنا» .. عشر سنوات من أجل ثلاث ساعات ؛ أو تظنون أن النصر يأتي هكذا صدفة أو اعتباطاً ؟! إنه لا يأتي إلا حسب السنن والقوانين ، إن لله سنناً وقوانين في هذه الحياة تجري على الأحياء والأشياء ، وإذا حصلت كرامة لبشر أو لفرد أو لولي في معركة أو في رباط فذاك خارج من السنن ، بل هو جزء من سنن الله أن يكرم عباده بعد الصبر والشدة .

ولذلك ما انتصر الأنبياء ولا انتصر الناس إلا بعد أن رابطوا طويلاً ، وبعد أن صبروا كثيراً ، وعندما يصل الأمر إلى شدة، لابد لها من إرادة رب العالمين، فتوقف السنن التي يراها الناس لتأتي بسنن أخرى تنقذ بها عباده وتخلص بها أولياءه ؛ عندما تتدخل الإرادة الإلهية .

(فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون، قال كلا إن معي ربي سيهدين، فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وأزلفنا ثم الآخرين، وأنجينا

---

(١) رواه البخاري ومسلم بنحوه. (٢) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه.

سى ومن معه أجمعين، ثم أغرقنا بعد الآخرين، إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو
زيز الرحيم) (الشعراء: ٦١-٦٨)

وبعد صبر بني إسرائيل الطويل على الذبح ، على قتل أبنائهم واستحياء نسائهم ، بعد الصبر على إيذاء فرعون ، بعد العذاب شديد ، وفي لحظة الضيق تدخلت الإرادة الإلهية ؛ لتنقذ العباد المؤمنين ، ولم تتنزل الملائكة في مكة ، لم تتنزل الملائكة حتى يتم قانون ه وناموسه بتربية النفوس المؤمنة على محك البلاء ، وفي نار البلاء ، وفي أتون التضحيات ، حتى تصفو النفوس ، حتى إذا انتهت فترة المكية وصبر من صبر ، وكما يقول أبو الحسن الندوي وسيد قطب : (فلما فرغت نفوسهم من حظ نفوسهم، وعلم الله أنهم لا ينتظرون جزاء في هذه الأرض كائناً ما كان ، حتى انتصار هذا الدين على أيديهم ، علم أنهم أصبحوا أمناء على شريعته ، فمكن لهم في الأرض) .. خلصت نفوسهم من حظ نفوسهم ، لقد أزال الصبر كل الغبش واللبس ، لقد أزال كل ما يضجر القلب ، لقد أزال الرياء، لقد جاب معه سحائب الرياء والحقد والنفاق والطمع وغير ذلك ، لقد نزلت كلها على محك الفتنة وفي أتون الإبتلاء ؛ فخلصت نفوسهم من حظ نفوسهم ، ولم يعد لهم في هذه الأرض طمع في أي جزاء ، حتى انتصار هذا الدين على أيديهم، لأنه نوع من الجزاء ، علم الله أنهم أصبحوا أمناء فمكن لهم في الأرض .

ومن هنا تَرِد القصة التي رويت عن سيدنا علي : أنه جثم على صدر كافر ليقتله، فبصق الكافر في وجهه ، فتركه سيدنا علي حتى لا يكون قتل الكافر فيه حظ لنفس سيدنا علي من انتقام من تلك البصقة .

يا أيها الإخوة :

(اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران : ٢٠٠)

ولا فلاح بدون صبر ومصابرة ورباط وتقوى ، الزموا أماكنكم قد عرفتم ، **«يا حارثة قد عرفت فالزم»** ، لقد عرفتم الطريق منّ الله عليكم بهذا المكان .

(ومن يبدل نعمة الله من بعدما جاءته فإن الله شديد العقاب) (البقرة : ٢١١)

الصبر على الرباط

فيا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً .

إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) (آل عمران :١٢٥-١٢٦)

بالصبر والتقوى يتنزل التأييد والنصر ، وبالصبر والتقوى تتنزل الملائكة من السماء، وبالصبر والتقوى يرتفع المرء إلى درجة المحسنين ، وبالصبر والتقوى يكف الله عداوة الظالمين وكيد الكافرين ويرده في نحورهم .

فالجهاد مبدؤه ومنتهاه، أصله وفرعه، منبته وثمرته، جذوره وفروعه، قائمة على الصبر، والصبر في القرآن الكريم ذكر -كما قال الإمام أحمد- في أكثر من تسعين موضعاً، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، وكما أنه لا جسد بلا رأس، فلا إيمان بلا صبر، بل إن الجنة قائمة على الصبر ، وجزاء الصابرين :

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (آل عمران : ١٤٢)

الصبر ستة عشر نوعاً

- وذكر الصبر في القرآن الكريم على أنواع كثيرة ، قد تصل ستة عشر نوعاً ، ويترتب على كل نوع جزاء معين.

فالله عز وجل أولا أمرنا بالصبر، لأن الصبر واجب باتفاق العلماء .

(واصبر وما صبرك إلا بالله) (النحل : ١٢٧)

ونهانا عن ضده ..

(فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) (الأحقاف : ٣٥)

والثناء على أهله ..

(والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) (البقرة : ١٧٧)

ووجبت محبة الله للصابرين : (والله يحب الصابرين) ومعيته كذلك : (والله مع الصابرين) .

وهو خير لمن جعله له مسلكاً :

(ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) (النحل: ١٢٦)

وخير الجزاء يترتب على الصبر ..

(ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (النحل : ٩٦)

بل يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب .

(إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) (الزمر : ١٠)

ولقد ورد في الصحيح : «أنه يؤتى بالصابرين يوم القيامة ، فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان ، ويُصب عليهم الثواب صباً ، فيتمنى أهل العافية في الدنيا لو كانت أجسادهم تقرّض بالمقاريض ؛ مما يرون من العاقبة لأهل الصبر[1]» .

والبشرى لأهل الصبر ..

(وبشر الصابرين) (البقرة: ١٥٥)

والنصر لأهل الصبر .

(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين)

(آل عمران : ١٢٥)

وصاحب الصبر ذو حظ عظيم مّن الله به عليه

(وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) (فصلت : ٣٥)

وإنما ينتفع بآيات الله عز وجل وبالمواعظ من قدره سبحانه الصابرون .

(إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) (لقمان: ٣١)

والجنة مترتبة على الصبر ..

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) (الرعد: ٢٣-٢٤)

والباء سببية هنا، أي بسبب صبركم ، والصبر هو طريق الإمامة في الدين

(وجعلنامنهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (السجدة : ٢٤)

يقول ابن القيم رحمه الله : «سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : " بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين " ثم تلى الآية الكريمة».

---

(١) رواه الترمذي والطبراني بنحوه، وفي تصحيحه خلاف بين أهل الحديث راجع الترغيب والترهيب للمنذري (٢٨٢/٤).

لأن سبب المفاسد في الدنيا الشبهات والشهوات . والشبهات لا تزال إلا باليقين ، والشهوات لا تزال إلا بالصبر ، فبالصبر واليقين تكون الإمامة في الدين : (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)

والصبر أنواع : صبر بالله ، وصبر لله ، وصبر مع الله .

صبر بالله : أن تعلم أن الله عز وجل هو مُصَبِّرك ، وإن لم يصبِّرك الله فلا صبر لك ، فمن الله الصبر وإليه يرجع الأمر .

والصبر لله : أي الصبر ابتغاء مرضاة الله عز وجل، فأن تصبر وعيونك معلقة بالملأ الأعلى تنتظر الثواب من رب العالمين والأجر من أحكم الحاكمين .

والصبر مع الله : الدوران مع الأمور الشرعية حيث كانت ، أن تبتعد عن المناهي وأن تصبر على الطاعات ، وأن تكون حيث يحب الله أن يراك تكون ، وأن تبتعد عن المكان الذي لا يحب الله أن يراك فيه .

الرباط أصل الجهاد وفرعه

والجهاد قائم على الرباط، والرباط قائم على الصبر ، ولا يمكن أن يكون جهاد بلا رباط ، ولا يمكن أن يكون رباط بلا صبر ، ولذلك قال الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) . وكما فسرها بعض المفسرين : اصبروا على اللقاء ، وصابروا على البأساء والضراء ، ورابطوا في دار الأعداء ، واتقوا إله الأرض والسماء ، لعلكم تفلحون في الدنيا وفي دار البقاء.

والرباط كما قال الإمام أحمد رضي الله عنه «أصل الجهاد وفرعه»، والذين يظنون أن الجهاد حضور معركة وإطلاق عيارات نارية ثم يعود إلى دنياه ينشغل بها ، ليس هذا هو الجهاد ، بل الجهاد رباط طويل ثم حضور معارك ، تتخلل هذا الزمن الطويل الذي تتجرع فيه النفس مرارة الوحشة عن الخلان، ومرارة البعد عن الأهل والجيران ، فقد ترابط عاماً كاملاً ولا تحضر معركة واحدة ، وهذا كله في ميزانك ، والمستعجلون لايجاهدون .

- إن أهل الدنيا الذين نتهمهم بالانحراف وغير ذلك ، مثل منظمة التحرير مثلاً : بدأت بنماذج ضاق الصبر عن صبرها ، عجز الصبر عن صبرها ، حفنة من المهندسين والمعلمين في الكويت والجزيرة العربية، تركوا وظائفهم وجاءوا إلى الشام ، وكانوا حفنة قليلة عسكرت في الهام فوق دمشق ، كانت تتلقى تدريبها ، وكانوا يجرون العملية ؛ يأخذ أحدهم لغماً ضد سيارة أو فرد من الأفراد ، يخبئه تحت ثيابه أو في سلة أو حقيبة طعامه وشرابه ، يقطع به سوريا ويصل الضفة الشرقية من الأردن – هذا قبل سنة ١٩٦٧م –، ثم يخترق الضفة الغربية وكله عيون ؛ أن تلتقطه رجالات المخابرات التي كانت ترتجف من أية عملية في داخل الأرض المحتلة سنة ثمان وأربعين، وتبرر ذلك وتعلله : "أننا لسنا على استعداد أن نواجه إسرائيل" . وإسرائيل الآن بهذه العمليات يوغر صدرها ، ويؤلب جمعها ، وتعد عدتها بالانقضاض علينا ، فيقطع الضفة الشرقية ، ويخترق نهر الأردن ، ثم يدخل الضفة الغربية وهو يترقب ترقباً أكثر من ترقب موسى عليه السلام ، خائفاً يترقب .. حذراً من أي عين تراه ، ينام في النهار ، ويمشي في الليل ، ثم يقطع الضفة الغربية – الجزء المتبقي من فلسطين – حتى يصل إلى يافا أو إلى تل أبيب ، ثم إذا تسنّت له فرصة ، يضع هذا اللغم ثم يعود إلى الشام كما حضر، هذه الفئة الصابرة ، بصبرها ولو على الدنيا ولو على أمل تخليص تربة بلادها .

هذا الصبر هو الذي جمع الجموع فيما بعد ، والذي جعل الناس يتكالبون حولهم ، وجعل الجيل يتبعهم ، لا يدري أين يسير، إنما اسم فلسطين ، وصبر الحفنة الأولى هو الذي جمع هذه الجموع ، وكوّن هذه المنظمات ، وساروا ، وأحياناً حتى وراء النصارى أمثال جورج حبش ونايف حواتمة .

فالمسلمون الذين يريدون أن يجاهدوا لا بد أن يتعلموا من أهل الدنيا –إن حسبناهم أهل دنيا–، ونحن نحسب أن الفئة الأولى كان فيها الصالحون المخلصون المحتسبون الذين يريدون أن يحيوا الفريضة الغائبة عن الأمة ، يحيوا فريضة الجهاد ، التي أصبحت عبارة عن تأويلات ممسوخة في أذهان القاعدين عن الحركة بدين الله عز وجل، أصبح الجهاد خطبة تقال من فوق منبر ؛ أو ورقة تكتب من فوق كرسي، والفواكه من كل ناحية، والمشروبات والمرطبات تتخلل كل جملة من جمل الجهاد التي تكتب ، وهو كما قال الرسول ﷺ: من على أريكته شبعان – على أريكته– ، وكأني أنظر إليه يمد ذراعه أحياناً متثائباً، ويمد رجله متكاسلاً، ويطلب المشروبات التي تذيب الرز واللحم التي انتفخ بها بطنه ، والتي امتلأ بها كرشه .

فيا أيها الإخوة:

أقول لكم : إن الذين يريدون أن يجاهدوا بحيث عند وصولهم يجب أن تكون روسيا في أرض المعركة، والطائرات تضرب، والمدفعية تقصف ، وهو يأتي ويشاهد ، ويحضر ويطلق رصاصات يشبع بها رغبته ، ويطفئ بها عطشه برؤية المعركة. هذا ليس هو الجهاد ، هذا قمة وثمرة تأتي بعد صبر طويل ، ومكوث مديد في أرض المعركة ، انتظاراً لكيد الأعداء ، واصطباراً لشرورهم ، ومكوث يستمر أشهر متتالية .

لقد مَنَّ الله علينا فترة في فلسطين ، كنت أمكث ستة أشهر ولا أطلق طلقة واحدة ، منعزلاً في مغارة في رأس جبل عن الناس مع حفنة قليلة ، ننتظر أمراً كل ستة أشهر أو سنة ، حتى نقطع نهر الأردن ونطلق على اليهود ، أو يطلقون علينا .

إن الجهاد الأفغاني جهاد دسم ، زاخر بالمعارك ، وبعض الإخوة يريدون الجهاد فقط ؛ أن يطلقوا الرصاص ثم يعودوا فيجلسون تحت أثير المكيفات، ويتقلبون بين أنواع النعم ، وأعطاف الترف ، ليس هذا هو الجهاد.

الجهاد لا أن تذهب إلى ننجرهار ، فإن لم تجد الروس ترجع إلى خوست ، فإن لم تجد الروس تتوجه إلى جاجي ، فإن لم تجد في جاجي تذهب إلى شمكني ، كمن يضيع وقته ذاهباً فيها آيباً ، يحمل كتباً ليدرس بها ولا يدخل المدرسة ولا يرى معلماً.

لابد لك من الصبر ، لابد من الرباط ، لابد من أن تحبس النفس على المكاره ، أن تعيش بين الأفغان مستوحشاً لغرابة اللغة، متضايقاً لاختلاف الطعام ، متألماً لاختلاف المناخ، لست منشرح الصدر ؛ بسبب اختلاف التضاريس ، لابد أن تتجرع هذا ، وإن لم تتجرع الآلام هذه لن يفتح الله عليك بالنصر ، لأن النصر مع الصبر . **(واعلم أن الفرج مع الكرب، وأن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسرا)**[1] كم كانوا يمكثون -القدماء والمحدثون- على أبواب رام هرمز ؟ سبعة أشهر وابن عمر رضي الله عنه يقصر الصلاة، وهم محاصرون قلعة من القلاع ، وهذا الصحابي الآخر في أرمينيا ثلاثة عشر شهراً والثلوج تعترضهم وهم ينتظرون الفتح .

فلا تحسب المجد تمراً أنت آكله — لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر

فصبراً في مجال الموت صبراً — فما نيـــل الخلود بمســتطاع

والرباط أصعب على النفس من القتال ، والجهاد هو القتال ، فلابد أن يسبق الجهاد هجرة ورباط، ثم يتبعها القتال وهو القمة العظمى ، وذروة السنام ، لابد من هجرة الأهل والخلان والأصدقاء ، والجيران أبناء الرحاب ، ستترك أبناء مسجدك ، ستهجر أهل مدرستك ، ستفارق أبناء جامعتك ، لابد أن تتجرع هذا وأنت تفارق ، ومنذ أن وضعت رجلك في الركاب فأنت في سبيل الله ، وإن متّ فأنت شهيد ، في الصحيح **(من وضع رجله في الركاب فاصلاً فوقصته دابته** – أي سقطت الطائرة به، أو انقلبت السيارة، أو أسقطته دابته – **فمات أو لدغته هامة** – أي أفعى أو عقرب – **فمات أو مات بأي حتف مات فهو شهيد)**[2] والحديث صحيح ، والحديث الآخر **(من مات في سبيل الله فهو شهيد)** والحديث هذا أخرجه مسلم .

كان التابعون والصحابة في سفر، فمات أحدهم، واستشهد أحدهم، فجلس فضالة بن عبيد – وهو من خيار التابعين – فوق قبر الميت فقالوا : أتجلس فوق قبر الميت وتترك قبر الشهيد ؟! قال : والله ما أبالي من أي الحفرتين بعثت ، لأن الله عز وجل يقول:

(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم) (الحج : ٥٨-٥٩)

فإذا تكفل الله بالرزق الحسن، وتكفل الله لي أن يدخلني مدخلاً أرضاه، فلا أبالي أمن هذه الحفرة بعثت، أم من هذه الحفرة بعثت .

والنفوس لا تستطيع الصبر طويلاً إلا الأفذاذ ، ولقد خبرت الشعائر والعبادات ومارستها جميعاً فما وجدت أصعب من الرباط، ما وجدت عبادة أثقل على النفس من الرباط ، خاصة إذا طال الزمان ، وامتد الوقت ، وتفرق الناس ، وبقيت وحدك مع فئة قليلة حولك، تزداد الآلام ، تزداد مرارة المعاناة كلما وجدت الغثاء في الطريق ، فإذا وجدت مجموعات بها بعض خلل أو بعض انحراف ، أو بعض تهاون في السنن ، أو عندهم بدع حولك كحمل حرز .

والحروز : نعود فنذكر ونؤكد أنه لم يكفرّ أحد من العلماء حاملها ، بل إذا كانت الحروز بالكتاب والسنة ، فجمهور العلماء على جوازها، وبعضهم كرهها ، بعضهم يكرهها تحريماً ، ونحن ممن يكرهها ويحاول أن يزيلها بالتي هي أحسن ، وبالدعوة إلى الله بالحكمة.

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه الترمذي. (٢) حديث صحيح رواه أبو داود والحاكم عن أبي مالك الأشعري (أنظر أحكام الجنائز للألباني ص ٣٧).

قد ترى الغثاء، وقد ترى التهاون ، وقد ترى الهفوات، وقد ترى قلة الاستجابة لك ، وأنت في أرض الرباط تحاول أن تصلح أو تعمل فلا يستجيب لك إلا القليل، وهنا تزداد .

لكن لا بد من الصبر ، لأنه لا جهاد بلا رباط ، ولاجنة بلا جهاد ... (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) . وخاصة في هذه الظروف التي يتعيّن فيها على الناس أن ينفروا جميعاً لإنقاذ البلدان الإسلامية من براثن الكفار ومخالب الشرك ، واتفق العلماء جميعاً في مثل هذا الحال : أنه إذا وطيء شبر من أراضي المسلمين ، أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم ، بحيث يخرج الولد دون إذن والده ، والعبد دون إذن سيده ، والمرأة دون إذن زوجها ، والمدين دون إذن دائنه ، فإن لم يكف أهل البلد أو قصروا أو تكاسلوا ، أو لم يقدروا على إخراج العدو ، فيتوسع فرض العين على من يليهم ، فإن لم يفعلوا كذلك - قصروا أو تكاسلوا - فعلى من يليهم ، وهكذا يتوسع فرض العين على شكل دوائر ، حتى يعم فرض العين الأرض كلها، وكل من لم يشارك في القتال بنفسه أو بجهوده وبماله فإنما يلقى الله آثماً عاصياً.

ـ لا تزيدوا جراحهم

وأنا أقول لكم : إن الذين يقولون إن الأفغان أعدادهم كافية ويحتاجون إلى المال ، هؤلاء لم يعيشوا طبيعة المعركة ، ولم يختلطوا الاختلاط الحقيقي بأبناء المعركة ، ولم يصطلوا بنارها، ولم يتقلبوا على لظاها ، لقد قدم الأفغان ما يكفيهم ، واعتصروا كما اعتصرت الليمونة تحت الضغط ، لم يبق فيهم قطرة من ندى أو شيء من الحيوية إلا عصرتها الأحداث ، وطحنتها المحن، وأجهدتها ودكتها البأساء تحت خيلها ورجلها .

إن الأفغان بحاجة إلى رجال أكثر مما هم بحاجة إلى مال، بحاجة إلى رجال يواسون جراحهم، لا أن يضيفوا إلى جراحاتهم جرحاً جديداً، أن يدمدموا ويهدهدوا على أكتافهم، حتى تبرأ الجراح، أو تخف آلامها، لا أن ننهال عليهم باللوم والتأنيب والتبكيت، وننظر إليهم من علٍ كأننا السادة وهم العبيد، فإذا دفعنا إليهم درهماً من جيوبنا فكأن السيد يعطي عبده لقمة خبز أو كسوة، أو حفنة من الطحين، لا، إن هؤلاء هم السادة وهم القادة، ونحن يجب أن ننظر إليهم نظرة الجندي إلى قائده، ونظرة الأخ إلى أخيه الكبير، ونظرة الابن واحترامه إلى أبيه، هذا وضع الأفغان الذين أعزّ الله بهم الإسلام، ورفع بهم كل مسلم في الأرض أنفه عالية مشمخرة تناطح السحاب، وعاد كل مسلم يشعر من أعماقه أن المسلم أعزّ إنسان على هذه الأرض، وتحطمت أساطير القوى العظمى والدول الكبرى و«السوبرباور» وغير ذلك، لقد تحطمت هذه الأساطير تحت أقدام الحفاة العراة فوق ذرى الهندوكوش وعلى سفوح جبال سليمان.

ولذلك يا أيها الأخوة لابد لهم من أناس يعيشون جراحاتهم ، ويتألمون لآلامهم ، لا أن نعتمد سيوفنا في أعماقهم ، ونحن نريد أن نكحلهم فنعميهم ، أو نريد أن نداوي عيونهم فنعورهم ، يكفيهم الجراح ، يكفيهم الألم البراح ، يكفيهم ما يعانون .

فكل بيت في أفغانستان أو في بيشاور - من المهاجرين والمجاهدين - أدخله تجده مأتماً .. ما من بيت إلا وفيه مشوّه ، ومقطوع، ومعوّق ، وأرملة ، شهداء ، لا أظنك تجد بيتاً من بيوت الأفغان يخلو من مصيبة من هذه المصائب ، يقول لي أحد الإخوة الذين ذهبوا إلى «بنجشير» ، وأخذوا بأيديهم مساعدات - وهو يسمعني - يقول لي : ذهبت أنا وأحد الأخوة إلى أحمد شاه مسعود، ومنذ الجلسة الأولى مع الأسد الذي أذلّ الله على يديه روسيا ، أسد بنجشير ، بل أعظم قائد في داخل أفغانستان ، كانت الكلمات الأولى من الشباب العربى الذي يحمل زكاة أموال المسلمين يقول له : أين الفرنسيون الذين عندك ؟ قال : إن شاء الله سترى في كل قاعدة مجموعة من النساء والرجال الفرنسيين والإنجليز والإيطاليين! ثم تنهد أحمد شاه مسعود قائلاً : يا إخواننا ، أنتم تأتوننا لتزيدوا جراحنا أم تأتونا لتواسوا جراحنا ؟! سترى - إن رأيت- طيلة بقائك فرنسيا أو غربياً إلا صحفياً قد يدخل ويخرج ، فأنت تراجعني بهذا ، قال لي الأخ وقد مكث عدة أشهر مع أحمد شاه ، قال : ما رأيت رجلاً غربياً أو امرأة غربية . وأما الأخ الذى عاتبه على وجود الفرنسيين فلا زال معه حتى الآن منذ عام ونيف .

فيا أيها الإخوة : أحسنوا الظن بأولئك ، واعتبروا لهم من الإيمان ما هو كإيمانك ، وافترضه مسلماً كإسلامك ، دع عنك صبره الطويل، دع عنك أياماً يعلن فيها أحمد شاه : من شاء منكم أن يواصل معي المسيرة فعليه أن يوطنّ نفسه أن يأكل حبة من البطاطا كل أربع وعشرين ساعة ، دع عنك أياماً ، يوماً يأمر فيه أهله وذويه وكل النساء والأطفال أن يغادروا الوادي ، يهجروا مواطنهم ، ويهاجر في اليوم هذا فور الأمر ثمانون ألفاً ، كل نساء بنجشير وأطفالها يتمزقون ، ويتوزعون على كل أنحاء أفغانستان . ويصل قسم منهم إلى بيشاور ، دع عنك أياما لا يتنقل فيها المتنقل خطوات إلا وهو يتوقع الموت في كل خطوة ، ويترقب المنون في كل لحظة ، دع عنك هذا كله وافرضه مسلماً كإسلامك، ومؤمناً كإيمانك، ومعتدلا كإعتدالك، وصابراً كصبرك، فلا تغمد فوق الأنصال نصلاً ، ولكن لسان

حالهم يقول – وهم يرون هذه المصائب من كل ناحية – :

ولو كان سهماً واحداً لاتقيته ... ولكنـــه ســـهمٌ وثـانٍ وثالثُ

وقيل : الصبر له غناء ، وبالله تعالى بقاء ، وفي الله بلاء ، ومع الله وفاء ، وعن الله جفاء ، والصبر على الطلب عنوان الظفر، والصبر في المحن عنوان الفرج .

وإذا أردت الصبر ، فلابد أن تضع نصب عينيك عوامل أربعة تنظر إلى الجزاء الذي ينتظرك ، والثواب الذي ستلقاه : **(والذي نفسي بيده لا يصيب المؤمن من همّ ولا غم ولا نصب ولا وصب إلا كفر الله له عن خطاياه حتى الشوكة يشاكها)** والحديث في الصحيحين .

وفي الصحيح كذلك **(ما يزال البلاء بالعبد حتى يدعه يمشي على الأرض بلا خطيئة)**[1] وأظن أن كثيراً من هؤلاء لم يبق الصبر فوق أجسامهم خطايا.

يقول لي أحد الجالسين بينكم : كنت متوجهاً إلى بدخشان واستمرت مسيرتنا واحداً وثلاثين يوماً ، مررنا بقرى الشيعة وهم يمنعون عنا الطعام والشراب ، حتى ثمن البيضة عندهم مائة روبية أفغانية ، وثمنها في بقية أفغانستان ثلاث روبيات أو أربع ، قال : كان الثلج قرابة مترين، وسرنا سبعة أيام كل يوم، نسير ست عشرة ساعة ، وتجمدت أصابعي ، ولشدة الآلام تمنيت لو سقطت أصابعي حتى أتخلص من الآلام التي تكاد تفتت قلبي .

يا أخي الكريم : كنت أقول لأحد الأطباء الذين ذهبوا إلى مزار شريف ، يوم في مزارشريف خيرٌ من الدنيا وما عليها ، خير من بشاور وبابي وما بينهما، فكان يقول لي: بل يوم على الطريق خير من هذا كله ، بل خير من الدنيا وما عليها ، لأنه ذاق المرارة ، وتجرع الغصص، وعرف طعم المعاناة ، تذوق الآلام وأحسها، ودفع ثمنها أعصاباً وسهر ليالٍ وبطن خامص ، دفعها آلاماً يتمنى بها الموت ..

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً ... وحسب المنايـــا أن يكن أمـانيــا

من شدة الآلام ولزيادة ضغط الغصص على الأعصاب ولسان حال الأفغاني يقول :

صُبّت عليّ مصائب لو أنها ... صبت على الأيام صرْنَ لياليا

أياماً تترك الولدان شيباً ، أياماً لا يعرف مرارتها ولا ذخرها وعظمها إلا من عاناها وتجرع آلامها ، وذاق غصصها .

فيا أيها الإخوة :

-تذكروا الثواب من الله عز وجل ليصبرك على الطريق، ثم قرب الفرج كذلك يصبرك على الطريق، ثم قرب الفرج .

لها احاديث من ذكـــراك تشغلهـــا ... عن الطعـام وتلهيـها عـن الـــزاد

لـها بذكرك نـورٌ تستضيـــىء بــه ... عند القدوم وفي أعقابهـا حـــادي

إذا اشتكت من كلال السير أوعــدها ... روح القدوم فتحيا عنــد ميعـــاد

فالأمل بإذن الله، أن يفرج، كلما اشتد الظلام اقترب الفجر، هذه تدفع الإنسان على الطريق، ثم النظر إلى اليد التي تنزل هذا البلاء وأنها يد العزيز الحكيم اللطيف الخبير ، يقول مطرف بن عبد الله الشخير : دخلت على عمران بن الحصين وقد استطلق بطنه وثقبوا له السرير فاستعبرت فبكيت ، قال عمران: ما يبكيك يا مطرف ؟ قال : أبكي لحالك ، قال لا تبك، أحب ما يحب، يا مطرف أو تكتم عني، والله إن الملائكة لتزورني في مرضي هذا وترد عليّ السلام وأنس بها! .. فهذه ثلاث .

والرابعة : أن تقارن نفسك بذوي البلاء غيرك ، فإذا ذهبت عينك في معركة فتذكر أن غيرك قد ذهبت عيناه ، وإذا قطعت يدك فتذكر مقطوعي الأيدي والأرجل ، وإذا كنت لا تملك ثمن تذكرة السفر إلى أهلك ، فتذكر الأهالي والعائلات التي تحت الركام بكاملها ولم يعودوا يحلمون برؤية طفل ولا زوجة ولا والد ولا والدة ، وإذا كنت فقيراً فتذكر الذين لا يجدون ثمن الطعام ، وإذا كنت تشكو من الحرّ لعدم وجود «مكيّف» في بيتك فهيا بنا لآخذك بيدك لترى آلاف العائلات التي تتقلب على الرمال اللاذعة في لظى الهاجرة ، تعال معي لترى العائلات التي تفقد يومياً في بشاور ثلاثة أطفال موتى لشدة الحر ، تعال لترى حرّ الخيام ، لترى الناس الذين لا يجدون إلا الماء الذي يغلي يتجرعونه، أو خبزاً جافاً يمضغون ويبتلعون .

وبعد هذا كله أتألم كثيراً عندما ينقل لي عن بعض الإخوة والذين هم في أرض الجهاد أنهم يتشككون في هؤلاء القتلى في أرض الجهاد "هؤلاء هل يمكن أن يكونوا شهداء؟! هؤلاء أهل بدع! هؤلاء كذا! .. والله إن كانت المصائب كلها فهي تهون عند هذه المصيبة ، يا

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم في صحيحه.

أخي الحبيب إن كنت تشك في جهاد هؤلاء ما الذي يربض في هذه الأرض ؟! إن كنت تشك أن هؤلاء مسلمون يستحقون الشهادة فما الذي جاء بك هنا ؟! إن كنت لا زلت في ريب أن هؤلاء الذين ضحوا بالغالي والنفيس تحت أزيز الطائرات ودوي القذائف والمدافع ، تأتي إليهم بعد غارة الطائرة، وقد قتل أخوه قبله، وقتل زميله وهو فوق الزيكويك يقاوم الطائرة ، تسأله بعد كل غارة : كيف أنت يا أخي، فيقول : «الحمد الله خير وخيرات» .. تأتي القذيفة فتقتل ابنه فيذبح ذبيحةً ، فيقولون : تقتل ابنك وتذبح ذبيحة لنا ، قال : شكرا لله لأنه أبقى لي بقية أولادي وبناتي .. إن لم يكن الإيمان هذا فما هو الإيمان ؟ إن لم يكن الإسلام الصحيح هذا فما الإسلام الصحيح ؟ أروني أين تعلمتم عقيدة الإيمان بالأجل المحدود ؟ أين تعلمتم عقيدة الإيمان بالرزق المحدود والموعود؟ أنا ما تعلمتها بمثل ماتعلمتها من أمثال هؤلاء الجهال! الذين يتشكك فيهم الناس ، وبعد هذا البلاء الطويل والصبر العظيم يتشككون بإسلامهم، فيتشككون في قتلهم .. كل مسلم يقتل فوق أرض المعركة نعامله شهيداً ، أما بقية ذلك فهي عند رب العالمين ، هو يعلم بنيته يدخله الجنة أو يدخله النار ، إن كان محرفاً أو خرج رئاء الناس وحمية ، فهي لرب العالمين، أما نحن فنعامله معاملة الشهيد ، لا نغسله ولا نكفنه ولا نصلي عليه ، ونعتبره شهيداً ، والذين يتشككون في هذا فليقرأوا التاريخ الإسلامي، وليقرأوا كتب الرجال ، وشهداء أحد ، وشهداء اليرموك ، وشهداء القادسية، هؤلاء سلف أمتنا كانوا يعددون الشهداء في الكتب المعتمدة من كتب الحديث وكتب السير والمغازي .. إن خرجنا بفقه جديد ودين جديد وعلم جديد ، فهذا عليّ شيءٌ جديد ، وأبرأ إلى الله منه ..

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية:

الحمد الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن والاه ..

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران : ٢٠٠)

(اصبروا وصابروا) لأن النفس لابد لها من مفاعلة الصبر ، مصابرة : من صابر ، يصابر ، لأن الصبر مُرّ على النفس .

والصبر هو حبس القلب عن السخط ، وحبس اللسان عن التشكي ، وحبس الجوارح عن التشويش .

(واصبر وما صبرك إلا بالله ..) (النحل :١٢٧)

وإذا اعترتك بلية فاصبر لها	*صبر الكريم فإنه بك أكرم*
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما	*تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم*

فيا أخي الحبيب: تذكر أن **(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)**(١) ، **(رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)**(٢) ، **(رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطاً أجري عليه عمله الذي كان يعمل إلى يوم القيامة وأمن الفتان** - وفي رواية أخرى صحيحة - **من فتنة القبر)**(٣) فالمرابط الذي يموت مرابطاً يموت شهيداً، ويأمن من عذاب القبر، ويبقى سجل عمله يزداد . كل يوم تسحب الملائكة نسخة عن عملك الذي كنت تعمل وتضيفه إلى ديوان عملك، قيامك ، صيامك ، رباطك ، جهادك ، كله نسخ ويضاف إلى ديوان عملك ولا يختم عليه إلى يوم القيامة.

فيا أخي : رابط واصبر، اصبر على الغثاء ، اصبر على البدع ، اصبر وحاول أن تصحح ، إصبر من أجل جنتك ، من أجل آخرتك ، وإذا تعبت ورجعت فإياك أن تبرر ذلك بتقصير الآخرين ، اتهم نفسك أولاً ، إذا عدت إلى بلدك لا تقل "إن المجاهدين مختلفون فرجعت" ، لا تقل : "إنهم أهل بدع فمللت" ، لا تقل "إنهم لا يقاتلون على الطريقة الحديثة فسخطت" ، قل : أنا ضعفت ، أنا قصرت، أنا تعبت .. لا تجمع بين كذب وهزيمة ، وكما قال ﷺ : **(لا تجمعن بين كذب وجوع)**(٤) ، فأنت لا تجمع بين تراجع وفرار ، وبين كذب على الناس الأبرار .

يا أخي الحبيب .. يا أخي الكريم : كن صادقاً مع نفسك يقلّ إثمك عند رب العالمين .. يقلّ ، أما أن تتهم جهاداً بكامله وأمة بكاملها وفي الصحيحين **(كفى بالمرء كذباً أن يهجو قبيلة بكاملها)** فكيف الذي يهجو مئات القبائل ، يقول : كلهم أهل بدع، أو كلهم مختلفون ، أو كلهم متقاتلون ، أو كلهم ... إلى آخره ...

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم. (٢) رواه النسائي والترمذي وحسنه. (٣) رواه مسلم في صحيحه.

(٤) رواه ابن ماجة وأحمد والطبراني في الكبير وقال الهيثمي في مجمع الزوائد الجزء الرابع ص ٥٤ حديث حسن.

يا أخي الحبيب : "أحَشَفاً وسوء كيلة" ؟! . الحشف : هو التمر الرديء ، وسوء كيلة : تطفيف الصاع ، لا تجمع بين الحشف وبين سوء الكيلة ، لا تجمع بين التراجع والتقصير وبين الكذب والافتراء . قل لقد ضعفت وقصرت، والمشوار طويل، والطريق لاحب، والأشواك كثيفة ، والجمر لا تستطيع رجلاي أن تتحمله فوق ما احتملت ، فهذه المسيرة الطويلة مسيرة دماء ودموع ، دموع الآلام والخشية من رب العالمين ، وكذلك الدماء التي تروي شجرة الإسلام والتي نبتت على أصولها باسقة فروعها وثمارها .

الطريق إلى المجتمع الإسلامي

يا أيها الإخوة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نرجو الله عز وجل أن يتقبل منا ومنكم خطواتنا وحركاتنا ونياتنا واهتماماتنا ونفقاتنا، ونرجو الله عز وجل أن يكون هذا كله في ميزاننا يوم القيامة . نرجو الله عز وجل أن يتقبل منا ومنكم هجرتنا وإعدادنا وقتالنا، ونرجو الله لنا ولكم حياة السعداء، وخاتمة الشهداء، والحشر مع الأنبياء صلى الله عليهم وسلم .

ماذا نريد ؟

ماذا نريد ؟ .. نريد في الدنيا مجتمعاً إسلامياً ، ونريد في الآخرة الجنة ، نحن مسلمون ، الله رازقنا وخالقنا، ونعيش في ملكه ونأكل من رزقه ، فنريد أن نتحاكم إلى شريعته ، حق منطقي طبيعي لا يجادل فيه إلا مكابر أو باغ، نريد أن نتحاكم إلى شريعة الله، نريد أن نبني البيت الذي نسكنه كما نريد ، ونطبق في داخله القانون الذي ربنا يريده، نريد أن نبني المجتمع الذي يحبه الله ، ونريد أن نحيا في ظلال شريعة الله، ويأبى الكفر ذلك علينا . ونحن نأبى الكفر ، لأن التشريع بغير ما أنزل الله كفر بإجماع الأمة :

(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (الشورى : ٢١)

فهو شرك .. وأجمع العلماء جميعاً في جميع العصور الإسلامية : أن من أحل الحرام فقد كفر ، ومن حرم الحلال فقد كفر، فالتشريع بغير ما أنزل الله كفر ينقل عن الملة ، يقول ابن تيمية : «من أحل النظرة فقد كفر بالإجماع، ومن حرم الخبز فقد كفر بالإجماع» .

ولم تبتل الأمة الإسلامية طيلة العصور الإسلامية ببلية قوانين كفر تطبق على أناس مسلمين إلا مرة واحدة في التاريخ : يوم أن دخل التتار بغداد سنة ستمائة وست وخمسين هجرية، واحتلوا أجزاء من العالم الإسلامي، وأراد هولاكو أن يطبق شريعة جده جنكيزخان المسمى بالسياسات الملكية أو «الياسق» . وعندها وقف العلماء بحزم أمام هذه الظاهرة ، وحمل أحدهم الياسق بيده وقال: ما هذا؟ قالوا: الياسق -يعني كتاب جنكيز خان-، قال: من حكم بهذا الكتاب فقد كفر، ومن تحاكم إليه فقد كفر ، وابن تيمية رحمه الله عندما طالب بقتال التتار ، قالوا كيف نقاتلهم وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيمون بعض الصلوات ، بعضهم يقيمون الصلاة، وبعضهم يصوم. قال: إن رأيتموني بينهم والمصحف فوق رأسي فاقتلوني .

ويقول ابن كثير في البداية والنهاية في المجلد الثالث عشر وهو يتكلم عن هذه القضية بعد أن تكلم عن الياسق – والله أعلم في صفحة مائة وثمانية عشر – يقول ابن كثير – بعد أن استعرض بعض قوانين الياسق – قال : «من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنصوصة فقد كفر ، فكيف بمن تحاكم إلى «الياسا أو الياسق» وقدمها عليه؟! لاشك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين» . هذا كلام ابن كثير (فكيف بمن تحاكم إلى الياسق وقدمها عليه؟! لاشك أن هذا يكفر بإجماع المسلمين) .

وكان هولاكو أعقل من طواغيت العصر ، فوضع محكمة للمسلمين تحكم بالقرآن والسنة ، ومحكمة تحكم بالياسق ، وكانت العلامة واضحة جداً ، فمن ذهب إلى محكمة التتار : إلى محكمة الياسق يحكم عليه المسلمون بالكفر بدون تردد، سقط الياسق طبعاً لموقف الأمة الإسلامية ولموقف العلماء منه .

المصيبة الثانية : حصلت يوم أن دخل نابليون إلى مصر وجاء بقوانين فرنسية ، ثم تولاها من بعده المجرم الكبير الذي دمر العالم الإسلامي، «محمد علي باشا»، هذا أكبر مجرم أجرم في حق العالم الإسلامي ، وأرسل بعثات إلى فرنسا ، وكان عنده دكتور فرنسي هو الذي يدير مصر ، محمد علي باشا أُمّيّ ، ولا يدرى نسبه ؛ رجل ألباني جاء مع الحملة العثمانية التي تريد أن تتصدى لنابليون ، وبعد أن خرج نابليون وقتل «كليبر» قام على المماليك وخدعهم ، وفي حفلة في القلعة ذبحهم جميعاً ، ثم أعلن نفسه حاكماً على

مصر ، لا يُدرى نسبه – محمد علي –، فرنسا وضعت حوله مجموعة من الرجال منهم سليمان باشا رجل فرنسا ، هذا الذي بنى له الأساطيل البحرية، ومنهم «دكتور كلوت» هذا الرجل العقلية التي كانت تدير مصر ، ونصحو أن يرسلوا أبناء مصر إلى فرنسا ، فكان أبناء مصر يذهبون بشهادتين ، ويرجعون بشهادة واحدة ، يذهبون بأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ويرجعون بشهادة أنه تدرب في الكلية الفلانية الفرنسية أو درس اللغة الفرنسية أو غير ذلك .

وكان ممن أرسل إلى فرنسا رجل اسمه «رفاعة الطهطاوي»، هذا شيخ أزهري ، فهناك مزق عمامته ، وغسل دماغه من الإسلام، رجع ونصح محمد علي باشا أن يضع له القوانين الفرنسية ، وكتب له كتاباً سماه (تخليص الإبريز – يعني : تخليص الذهب – في تلخيص باريس) . يعني الذهب الخالص في تلخيص الحضارة الفرنسية في باريس ، وبدأوا يفكون الإسلام ، مسكوا الإسلام ، الإسلام الساعة، هم فكوها من تحت وأخذوا يرفعون كل يوم قطعة ويضعون قطعة فرنسية بدلها، لكن ما غيروا الزجاجة ولا الإطار ولا العقارب، بدأ ما مسوها، غيروا الإسلام كلياً وبقيت المنائر والشعائر مرفوعة، وبقيت «يامبش رمضان» موجودة ، وبقيت قوافل الحجاج تذهب، وبقيت المساجد تبنى، لكن الإسلام قد غير نهائياً ، والناس لا يدرون أن الإسلام قد اجتث من الأرض وغيّر نهائياً ، والحمد لله مادامت المساجد موجودة والناس يصلون ، سيدنا الحسين وسيدنا الأزهر وما إلى ذلك موجود .. خلاص ، الحمد لله رب العالمين ! انتهى، المحمل موجود، وثوب الكعبة يصنع بجانب الأزهر الشريف طيلة السنة يشتغلون بثوب الكعبة ويرسلونه .. "الحمد لله ، نحن بخير الاسلام بخير" ! ..

لكن الإسلام غُيِّر نهائياً ، كل القطع ؛ القانون التجاري ، القانون الاقتصادي، قانون العقوبات ، القانون المدني ؛ كل القوانين قد غُيرت، وبقيت المآذن، وبقي رمضان ، وجازت الحيلة على العالم الإسلامي ، والناس "نحن الحمد لله مسلمين والإسلام بخير" وما الى ذلك، المساجد موجودة ، لكن لا يعلمون أن دين الله قد اجتث من الارض ، وهذه بقيت – المساجد – حتى تخدر مشاعر الباقين على الولاء العاطفي لهذا الدين ، لا يعرفون أي شيء عن الاسلام، وأي شيء عن طبيعة الإسلام .

إن الإسلام مصحف وسيف ، سياسة وسلام ، مئذنة مسجد ومدخنة مصنع ، قوة وعبادة ، لا يعرفون هذا كله .

المهم ، الكلام في هذا الموضوع يطول ، نحن نريد أن نتحاكم إلى الإسلام ، نريد أن نبني مجتمعاً يريده الله، ونريد أن نطبق في داخل هذا المجتمع قانون الله .

كيف يبنى هذا المجتمع ؟

كيف يبنى هذا المجتمع ؟ لن يبنى هذا المجتمع إلا بالطريقة التي قام بها أول مرة ، كما أقامه رسول الله ﷺ يقوم في كل مرة ، يقوم بأن تقوم فئة من الناس يدعون إلى (لا إله إلا الله) ، إلى التوحيد ، إلى توحيد الربوبية والألوهية ، توحيد الأسماء والصفات ، جمع الناس على التوحيد ، ستقف الجاهلية في وجه التوحيد الحق الخالص ، لن يطيقه أي طاغوت في الأرض ، ولذلك لابد أن تحصل معركة، لابد أن تحصل معركة بمجرد الدعوة للتوحيد ، بمجرد الدعوة لـ (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، وأن السلطان لله ، و(إن الحكم إلا لله)، وأن التشريع لله، وأن (له ما في السموات وما في الأرض كل له قانتون) . ونحن وأنت أيها الحاكم لابد أن نتحاكم إلى شريعة الله .

هنا تبدأ منازعة السلطان، ويخشى الطاغوت على ملكه ، فيكون الاحتكاك بين دعاة التوحيد ؛ بين الحركة الجديدة وبين الجاهلية التي تنتفض بكليتها لحماية كيانها وسلطانها وأموالها ، يقف دائماً في وجه دعوة التوحيد ثلاثة أصناف من البشر : أصحاب السلطان، وأصحاب الأموال، وأصحاب الشهوات ، هذا المثلث الخطير الذي يقول الله عز وجل عنه :

(وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون) (سبأ : ٣٤)

(قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين) (يونس:٧٨)

والمعركة تقوم منذ اللحظات الأولى ، ليس من اللحظات الأولى ، منذ أول عام يمكن أن يتبلور فيه فكر التوحيد في أذهان شباب يضحون من أجله، فتبدأ بمعركة ، تبدأ المعركة في أي مكان لا يحكم فيه بشريعة الله .. قطعاً لابد أن تقوم المعركة .. الإعلان العام للطاغوت :

(إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) (غافر : ٢٦)

"هؤلاء جماعة تكفير وهجرة ، هؤلاء جماعة جهاد، هؤلاء جماعة فنية عسكرية، هؤلاء إخوان مسلمون، هؤلاء تنظيم، اكتشفنا جريمة"، جريمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جريمة المطالبة بشريعة الله عز وجل، جريمة طلب التحاكم إلى دين الله عز وجل، جريمة المطالبة بالدفاع عن أعراضنا التي انتهكت من قبل أعداء الله في الأرض !! .

ومن هنا لا يستعمل السلاح من قبل المجموعة التي تدعو إلى الله عز وجل . لا يستعمل السلاح، ولا يمكن أن يستعمل في البداية، واستعمال السلاح في البداية انتحار ، انتحار ! .. لابد - فعلاً - من التربية على التوحيد ، لكن التربية على التوحيد تتم من خلال المعركة ، معركة بدون سلاح ، تربية يقف فيها الرسول ﷺ بين سادة قريش ..

(قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون) (الكافرون: ١و٢)

فتقوم عليه الدنيا ، معركة ، مطلوب من الرسول ﷺ أن يبلغ الوليد بن المغيرة، ويقرأ على مسامعه وعلى مسامع سادة قريش :

(ولا تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم)

(القلم : ١٠-١٣)

كل هذه الصفات فيمن ؟! في سيد مكة ، الوليد بن المغيرة ، الذي حوله ثلاثة عشر من بينهم خالد بن الوليد، ولابد أن يبلغ ، فكان التبليغ يكلف الإنسان رأسه ، ومن هنا وبدون استعمال السلاح بنى التوحيد تدريجياً من خلال المعركة ، ثلاثة عشر عاما - فعلاً - والرسول ﷺ من خلال المعركة التي يخوضها بالقرآن :

(وجاهدهم به جهادا كبيرا) (الفرقان: ٥٢)

عرضوا للمجاعة، عرضوا للمطاردة، عرضوا للتشريد سادة قريش من أتباع الرسول ﷺ، عثمان ، زوجته ابنة رسول ﷺ، أم حبيبة بنت أبي سفيان، سهلة بنت سهيل بن عمرو، جعفر بن أبي طالب، من أوسط بيوتات مكة، تركوا مكة وذهبوا إلى الحبشة، "**إن هنالك ملكاً لا يضام أحد عنده**"، وليس قليلاً هجرة النساء ، والمكيات بالنسبة للحبشيات عندهن مسحة من الجمال فكن يتعرضن لإيذاء صعاليك الشوارع بالتصفير والتنكيت والهزء عليهن عندما يمررن .. مؤمنات، من أوسط وأشرف بيوتات قريش ، ويقوا في داخل الحبشة ، من السنة الخامسة للبعثة، ثمان سنوات ، ثم سبع سنوات بعد الهجرة ، خمسة عشر عاماً وهم في الحبشة، الواحد منهم أو الواحدة منهن تعمل طيلة نهارها حتى تخلص رغيفاً تسد به رمقها، والدنيا تضيق على دعاة "لا إله إلا الله".. ويقاطعون ثلاث سنوات متواصلة، وتعلمون أن سعد بن أبي وقاص قد أكل جلد بعير **«خرجت أبول ذات ليلة وأنا في الشعب، قال: فسمعت شيئاً تحت بولي، فأخذته فإذا به جلد بعير، فنقعته بالماء حتى لان، ثم قضمنا ما استطعنا أن نقضم منه»**.

سعد بن أبي وقاص هذا أهل الكوفة يشتكون عليه ، قال لهم عمر : ماذا لكم عند سعد ؟ قالوا : كذا وكذا ما تركوا عيباً فيه، قالوا : لا يعرف أن يصلي باختصار، الصلاة لا يعرفها، وهذا ليس عجيباً ، ليس عجيباً ، فأرسل عمر وراءه قال : ما هذا يا أبا إسحاق ؟ ما الذي يلغني عنك ؟ لا تعرف الصلاة:

(قال: والله لقد كنت سابع سبعة في الإسلام حول رسول الله ﷺ، ليس لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى تقرحت أشداقنا، وإن أحدنا ليضع كما تضع الشاة ليس له خلط -بعر-، وكنت أول من رمى بسهم في الإسلام، والآن بنو أسد تعزرني أو تعيرني على الإسلام ، إذاً خبت، قال: والله إني أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ، ووصفها كما جاء في البخاري)[1] .

والآن ، ما من فقيه يكتب عن الصلاة ، عن صلاة النبي إلا ويرجع إلى حديث سعد ، ثم أرسل عمر لجنة تستقصي الحقائق، وسألوا عنه في الكوفة، وما من مسجد إلا ويدخلوه يسألوه ويسألون ويشهدون لسعد خيراً، حتى دخلوا على مسجد لبني عبس ، وسألوا عن سعد فقالوا خيراً ، فقام رجل اسمه أبو سعد ، قال : أما وقد سألت عن سعد فإنه لا يخرج بالسرية ، - لا يجاهد - ولا يعدل بالرعية، ولا يقسم بالسوية ، فقال سعد : اللهم إن كان عبدك هذا وقف ابتغاء مرضاتك فاغفر له ، وإن كان وقف رياء وسمعة ، اللهم أطل عمره ، وأطل فقره، وعرضه للفتن .

يقول راوي الحديث : ولقد رأيته وقد تهدل حاجباه على عينيه من الكبر ، يتتبع الفتيات في الشوارع، يغمزهن فيقولون: ما هذا؟

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري. (٢) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود عن الدراء (انظر مشكاة المصابيح قم (٥٠٤٤).

عمره مائة وعشرون ويلاحق الطفلات الصغيرات ، يغمزهن في الشوارع ، فيقول : شيخ مفتون ، أصابته دعوة سعد !! .

كما قال ابن عساكر : ينقل النووي عن ابن عساكر، اعلم أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار من أكلها – من نهشها – معلومة ، ومن أطلق لسانه على العلماء بالثلب أصابه الله بموت القلب .

لحوم الناس مسمومة ، انتبه ، لا تأكل اللحم المسموم فيموت قلبك ، ولا تتبع الناس بالثلب فيتتبع الله عورتك ، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته **(يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض إيمانه إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته)**[1].

فالرسول ﷺ كان يقود معركة ، كان يربي الجماعة من خلال الحركة وينمي الحركة، من خلال الجماعة ، ينمي الجماعة من خلال العقيدة ، فكانت العقيدة تنمو تدريجياً، والجماعة تنمو تدريجياً من خلال معركتها مع الجاهلية ، فنضجت الجماعة على نار المحنة، ونضجت العقيدة من خلال نمو الجماعة ، وما أن بلغت الجماعة إلى حد تستطيع فيه مواجهة مجتمع جاهلي بالسلاح ..

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) (الحج : ٣٩)

الهجرة لتحقيق هذا المجتمع

كان رسول الله ﷺ ، يبحث في كل مكان : أين يمكن أن يقوم المجتمع الإسلامي ، أين يمكن أن ينشر دعوته ، بحث في الحبشة، بحث في الطائف ، عرض نفسه على القبائل ، وما وجد في معظمها الا الصدّ والردّ ، أقفرت مكة ، أجدبت ...

وانطلق إلى ربوع العالم بمجرد أن وجد الأرض ، انطلق .. انطلق بالسلاح ومن هنا رسول الله ﷺ ترك مكة وودعها بكلمات معروفة : **(والله إنك لأحب أرض الله إلى الله وأحب أرض الله إليّ ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت)**[2] .

والخروج من الحرم كان صعباً على أهل مكة، حتى أنهم في الحج ما كانوا يصلون إلى عرفة حتى لا يخرجوا من الحرم ، كانوا يصلون في أخر مزدلفة ، لأن المزدلفة من الحرم ، ويرفضون أن يخرجوا إلى الحل إلى عرفة ، كان صعباً عليهم أن يغادروا أرض الحرم .

ولكن إذا كانت الأرض لا نستطيع أن نقيم فوقها حكم الله عز وجل ، فلتهجر ولو كانت مكة المكرمة .

(يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون، كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون)
(العنكبوت: ٥٦-٥٧)

المهم : تحقيق العبادة .. الرسول ﷺ ما قال : أنا ولدت في مكة : يجب أن تقوم الدولة في مكة ! .. لا ، ولد في مكة وأرض الله كلها لله ، ومكة قطعة من أرض الله عز وجل ، وأرض الله لله يورثها من يشاء ، ليبحث عن أي مكان يمكن أن يحقق فيه العبادة، ويمكن أن يحقق فيه المجتمع المسلم .

ومن هنا : المسلم يجب أن يبحث عن قطعة أرض يمكن أن يقام بها دين الله ، ويمكن أن ينتصر فيها دين الله ، ويمكن أن يقام فيها المجتمع المسلم، ونتفيأ تحت شريعة الله عز وجل .

أما أن يتحول تفكيرنا الإسلامي إلى تفكير إقليمي مدهون بالاسلام .

–أنا ولدت في فلسطين، يجب أن أحوّر الاسلام كله حتى يتفق مع واقعي في فلسطين..!

– لماذا ؟!

لأني مدرس .. الإسلام يجب أن ينتصر من خلال البلد التي أنا فيها ، لست مستعداً أن أغادره .

– لماذا ؟!

– الحقيقة وظيفتي التي تمنعني ، هذه هي الحقيقة . أما ما أقول : أنا على ثغرة ، أنا أريد أن أقيم الإسلام ، إن بلدي فلسطين رضة للشيوعية ، والبعثية والقومية ، والنصيريون قادمون ، والشيعة وما إلى ذلك ، سأخترع كل الاختراعات خوفاً على المائة دينار ي أخذها في كل شهر .

---

[1] حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود عن البراء (انظر مشكاة المصابيح تم (٥٠٤٤).   [2] حديث صحيح له طرق أوردها ابن حزم في المحلى (٧/٢٨٩).

صنع لنا سايكس وبيكو حدوداً (وزير خارجية بريطانيا ووزير خارجية فرنسا) ، قالوا : هنا تنتهي الأردن : عند «الرمثا» وسورية تبدأ بعد الرمثا ، والأردن تبدأ عند «المدورة» والسعودية تبدأ بعد «حالة عمار» ، والكويت هذه ، مدينة الكويت ، دولة الكويت ، ودولة قطر مدينة واحدة ، ودولة البحرين مدينة واحدة ، ولبنان هذه بحجم الدرهم ، وسورية هنا "اسمعوا : هذه أرضكم ومسقط رأسكم، وحب الوطن من الإيمان" وهكذا ، وصرنا نفكر تفكيراً إقليمياً ، وليس بتفكير إسلامي ، تفكير إقليمي مدهون بالإسلام ، وصار الأردني الذي في «الرمثا» يرى ابن «درعا» يذبح على يد النصيريين لا تختلج له خلية، ولا يتحرك له عصب، ولا ينبض له قلب ، غير مستعد أن يقطع الحدود، لماذا؟ لأن الإسلام ينتهي عند «الرمثا»، «درعا» لا دخل لها بالإسلام، ولو تألم أردني في العقبة تجد أعصابه تنتفض ، مع أن البعد بين «العقبة» و«الرمثا» أكثر من ستمائة كيلو متر ، والبعد بين «الرمثا» و«درعا» أقل من ستة كيلو متر ، هذا ليس تفكيراً إسلامياً، وليس تفكير :

(إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (الأنبياء : ٩٢)

ليس تفكير الإسلام العالمي الذي يقول :

الهند لنا والصين لنــــا *والعرب لنا والكـــــل لنا*
أضحى الإسلام لنا ديناً *وجميع الكون لنا وطنـــا*
دستور الله لنــــا ديـــن *أعددنا الروح له سكـــنا*

الكويتي يقول : لابد أن ينتصر الإسلام في مدينة الكويت ، لا دخل له : على بعد عشرة كيلو مترات في «*الزبير*» ، لادخل له أبداً، لأنها تبع العراق ، دبي والشارقة بينهما الدوار ، دوار تكسي ، الجزء الشمالي من الدوار على دبي وجزءه الجنوبي إلى الشارقة ، أنا ابن دبي لا دخل لي بالشارقة ، نعم! وتجد ابن دبي يجمع أبناء بلده في المناطق ، فسقة فجرة وما إلى ذلك ، المهم من دبي، لأن الدين ينحصر في دبي ! ويجب أن ينتصر من دبي ! ويجب أن يقام حكم الله في دبي ! ويجب أن ترتفع راية (لا إله إلا الله) فوق دبي ! وأما الشارقة فالله لا يسألني عنها يوم القيامة ! .

هذا التفكير : كان أعداء الله يقولون قبل خمسين سنة، أيام أن كنا تحت حكم راية لا إله إلا الله ، ويحكمنا رجل ليس عربياً.. عثماني .. كان الغربيون يقولون: كيف يمكن لبلاد تمتد من شرق الأرض إلى غربها يتكلمون بلغة واحدة ويستقبلون قبلة واحدة ويعبدون رباً واحداً ويدينون بدين واحد ، كيف يمكن أن نستولي عليها ؟ لابد من تقطيعهم أجزاء حتى نستطيع أن نستولي عليها ، قالوا : لابد من تخديرهم أولاً ثم من تقطيع هذا الجسد الضخم ، هذا العملاق الكبير ، لابد من تخديره أولاً ثم تقطيع يده بحيث لا يحس رأسه، ثم تقطيع رجله ، وهكذا قطع العالم الإسلامي قطعة قطعة ، وكل من يعيش في قطعة : "أنا أردني" ، الناس في سوريا يقطّعون يذبحون: "لا دخل لي" .. لماذا ؟ لكي لا تخلو الثغور ، أنا أريد أن أنصر الإسلام هنا" ، يعني إذا تركت البلد تضيع ."أنا لابد أن أعد" ، وذبح المسلمون في كل مكان ، وضاعت فلسطين ، وضاعت بخارى ، وضاعت الأندلس ، وضاعت أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي ، وكل من يعيش في مدينة عليها مختار من المخاتير قد تصبوه أو خرج هكذا ، حصر دينه وتفكيره واهتماماته كلها في هذه المدينة .

الناظر في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يقول لنا : إن الحفنة الأولى التي كونت نواة هذا الدين : تتكون من أبي بكر العربي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وبلال الحبشي ، وعندما كان يقف بلال على باب عمر مع أبي سفيان سيد مكة ، كان يؤذن لبلال الحبشي العبد ، ويترك أبو سفيان على باب عمر، فيحمرّ أنف أبي سفيان ، يقول : ما رأيت مثل اليوم، يؤذن لهؤلاء الأعبُد ونترك بباب عمر، وهو في الإسلام .

ثم سيرة النبي ﷺ : أن معركة العقيدة معركة التوحيد ، تقوم منذ أول يوم بـ لا إله إلا الله .. يعلن بها .. تقوم المعركة ، لأن وراءها تكاليف .

عثمان بن مظعون كان في جوار خاله الوليد بن المغيرة ، فرأى إخوانه يعذبون ، قال : رددت عليك جوارك ، إن نفسي لا ترتضي أن يعذب إخواني وأنا ساكت ، قال : إذن ردّ جواري في جوار الكعبة .. قال : يا معشر قريش ! إني رددت جوار الوليد عليّ ، وجد لبيد يتكلم فقال لبيد – شاعر – :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

قال : عثمان بن مظعون : صدقت ، قال :

وكل نعيم لا محالة زائل

قال : كذبت ، فإن نعيم الجنة لا يزول ، فقال لبيد : يا معشر قريش ، منذ متى يتجرء هؤلاء السفهاء على مجالسكم ، فقاموا إليه ولا زالوا يضربونه حتى اخضلت عينه بالدماء ، فنظر إليه الوليد وقال : يا ابن أختي كانت عينك في غنى عما أصابها ، قال : والله إن عيني الأخرى بحاجة إلى ما أصاب الأولى .. !!

التربية من خلال المعركة

كانت معركة .. والثقافة مع طول الزمن تبلّد الحسّ وتقسي القلوب ، أي حركة إسلامية تدعو إلى قيام دين الله في الأرض بطول تثقيفها لأفرادها دون أن تدخل بهم معركة ، هذا يؤدي إلى قساوة قلوبهم وإلى تحول طاقاتهم إلى ما بينهم ، خلافات وتمزقات .

فالتربية إنما تتم ليس من خلال التثقيف ، التربية تتم من خلال المعركة ، وإن لم يستعمل فيها السلاح ، هذه الحركة التي رباها رسول الله ﷺ لم يثقفها ثقافة، وكان بالإمكان أن ينزل القرآن كاملاً في مكة ، ويستوعب الناس حسب ذكائهم، القرآن الكريم، يثقفون به، وكان بالإمكان أن تعد قوانين في مكة ، قوالب جاهزة ، مخزونة، حتى إذا قامت الدولة الإسلامية في المدينة ، طبقت ، ولكن هذا الدين دين عملي ، حركي جهادي جاد ، ليس نظرية ثقافية ، إنما هو دين يتعامل مع القلوب والنفوس ويتعامل مع واقع الحياة .

عندما وصلت الجماعة إلى درجة من النضج، وأذن لها ربها بالهجرة، أشعل رسول الله ﷺ الفتيل ، فتيل المعركة ، وبدأت السرايا، ثم جاءت بدر وأحد والخندق والحديبية وخيبر ، ثم فتحت مكة وحُطمت الأصنام ، وانتهى الشرك إلى يوم الدين من مكة ، ثم جاءت الوفود من الجزيرة العربية، ودخل الناس في دين الله عز وجل .

الآن ، العالم الإسلامي ينظر إلى أفغانستان النظرة الإقليمية المدهونة بالإسلام ، دعوناهم منذ سنوات " يا مسلمون ماذا تريدون"؟!

والله يا إخوان عندما رأيت الجهاد الأفغاني قبل ست سنوات ونيف ما صدقت نفسي أني على الأرض ، ما صدقت أن شعباً مسلماً يخوض معركة حية بهذا الزخم ، وبهذه الضخامة ، أمام أشرس قوة في الأرض ، ومن الذي يقود المعركة ؟ أبناء الحركة الإسلامية : رباني ، حكمتيار ، سياف ، خالص ، هؤلاء أبناء الحركة الإسلامية .

كان رباني رئيس الجمعية الإسلامية ، رئيس الحركة الإسلامية ، وكان مساعده سياف ، وكان حكمتيار رئيساً للجناح العسكري للحركة ، وكان خالص من أبناء الحركة الإسلامية ، أنا ما صدقت ، قصرت أصيح ، طقت العالم أصيح: يا جماعة، أنتم لا تدرون أن هناك معركة في بقعة اسلامية إسمها أفغانستان ، يريدون أن يقيموا دين الله في الأرض ، شعب بكامله يحمل السلاح ! كله مستعد أن يموت من أجل دينه، والذين يقودون المعركة أناس معروفون بدينهم وطهارتهم ووضوح عقيدتهم منذ نعومة أظفارهم، ماذا تريدون بعد ذلك؟؟ كنا نقول: نريد شبراً من الأرض نقيم عليها مجتمعاً إسلامياً، الآن عندكم ستمائة وخمسون ألف كيلو متر مربع، أقيموا عليها مجتمعاً إسلامياً.

كنتم تقولون لو نجد السلاح حتى نقف أمام الطواغيت الكافرة في الأرض ، الآن عندكم شعب بكامله يحمل السلاح ، وتعالوا إلى منطقة القبائل ؛ نأتي بالشاحنة ، والصبح نشتري سلاحاً .. نعم ، منطقة القبائل .

مرة حدث هجوم على «الأرجون» ، جاءنا قائد قال : هناك هجوم على الأرجون ، أرجون قرب «بكتيكا» ، معنا كمية من النقود، نزلت مع القائد إلى «دره» نشتري سلاحاً ، فقلنا له : نريد ألف قذيفة R.P.G مضاد للدبابات ، طبعاً سوق أكثر من الحلقة ، كما أن الحلقة فيها بندورة ، باذنجان وبطاطا، السلاح أكثر من البطاطا ، عندنا في الحلقة الطماطم والباذنجان .. وكل واحد كاتب اسمه على الباب وتلفون : (الحاج جل رحمن أرمي ستور ، تلفون كذا) ، كل واحد تلفونه وعنوانه واسمه ، لا يوجد سرّية ، دخلنا على واحد قلنا له:

– نريد ألف قذيفة R.P.J، ونريد كذا مضاداً للطائرات ونريد كذا ، نريد كذا .

– طيب، أرى الـ R.P.G الذي في البلد : مرحباً ، فلان عندك كذا ؟ .. بدأ يجمع ، قال : عندنا ثلاثمائة قذيفة R.P.G في البلد، اتصل بالقرية الفلانية الثانية : مرحبا ، كم قذيفة R.P.G عندك ؟ ، كم قذيفة هاون ؟ ، عند العصر ذهبنا إلى الدكان .. جئنا الشاحنة وخمسة فوق وخمسة تحت، حملنا القذائف مثل تحميل البطيخ عندنا ، والله حملنا كل الشاحنة وركب فيها السائق وتوجه إلى أفغانستان ، قلت : "ألا ليت قومي يعلمون ، ألا ليت قومي يعلمون" ، الذين لا يجرؤون أن يلتقوا ثلاثة على كتاب من الكتب في غرفة ظلمة ، مغلق عليها بمفاتيح ، أين يتركون هذا الخير ؟! هذه الفرصة ، ألا يحاسب الله المسلمين على هذه الفرصة ؟!

قلنا للفلسطينيين : يا جماعة.. أفغانستان ، تعالوا أقيموا دولة إسلامية هنا ، يا سوريين يا مصريين يا كويتيين يا حجازيين ..

وكل متمسك ، عليه أن يقيم الإسلام في الدار التي ولد فيها .. ليس في البلد ، في نفس الدار لازم تطلع شجرة الإسلام ! .. وبعضهم يقول : لابد من إمام حتى يعلن النفير ! ، فكنت أقول : اللهم أنزل علينا من السماء خليفة على طبق من ذهب (يكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين) .

كيف يقوم المجتمع المسلم ؟ كيف يمكن أن يقوم المجتمع المسلم بدون دماء وبدون أشلاء وبدون شهداء ؟ .

هذا هو الطريق

أفغانستان مضى عليها عشر سنوات وشلالات الدم مفتوحة ، كل أربع دقائق يسقط فوق أرضها شهيد ، وكل دقيقة يهاجر مهاجر من قريته إلى الأدغال والجبال، ونرجو الله عز وجل أن يقيم على أيديهم دولة الإسلام .

كيف يمكن أن يقام المجتمع المسلم بدون هذا ؟

وكيف ينال المجد والجسم وادع   *وكيف يحاز الحمد والوفر وافر*

مالك موفر بين يديك، وجسمك مستريح ، كيف تقيم مجتمعاً إسلامياً، لا يمكن إلا بالطريقة التي في أفغانستان ، قامت حركة إسلامية، الحركة الإسلامية اصطلت بنار المحنة من أيام الملك ظاهرشاه ، كان قد خنقهم خنقاً ، ويسمح لبابراك كارمل أن يخرج جريدة، ويسمح لتراقي أن يخرج جريدة ، وبقيت الحركة الإسلامية ، تدفع التكاليف حتى أيام داوود ، قام الشيوعيون .

الحركة الإسلامية في جامعة كابل استطاعت أن تحوز على مقاعد اتحاد الطلبة ، علق السفير الروسي : إن مستقبل هذه البلاد بيد هذه الحركة ، بيد «جوانان مسلمان» ، بيد الشباب المسلم ، ولابد من الإطاحة بالملك والإتيان بجمهورية ، وبعد هذا بأربعة أشهر أطيح بالملك ، خرج إلى روما يتفسح ، فقالوا : إبق تفسح إلى نهاية حياتك ، وجاءوا بابن عمه وزوج أخته داوود عن طريق الشيوعيين ، قالوا لداوود : نريد أن تصفي الحركة الإسلامية ، وعندما شعرت الحركة الإسلامية أن داوود يريد تصفيتها بدأت المعركة بالدم ، يقول سياف : التقينا أربعة عشر شاباً عندما قام انقلاب داوود ، وقرر أربعة عشر شاباً القيام بحركة مسلحة ضد داوود بشرط واحد ، أن تدبر لنا مسدسات ، ليس معهم مسدس ، ثم هاجر حكمتيار ورباني، وسجن البروفيسور غلام محمد نيازي عميد كلية الشريعة وموجه الحركة الإسلامية مع سياف في السجن .

وهاجر حكمتيار ورباني إلى بيشاور، واجتمع حولهم ثلاثون شاباً ، وهؤلاء الثلاثون هم الذين فجروا الجهاد الذي فجر ينابيع الخير ، هم أشعلوا الفتيل في داخل هذا الشعب الطيب، فتفجرت ينابيع الخير والبر في أعماق هذا الشعب .

بدون حركة إسلامية تعيش منذ اليوم الأول على المحك، وفي أتون المحنة تنضج على حرارة الابتلاء ، وبدون أن تخوض الحركة الإسلامية ، معركة جهادية أولا بدون سلاح ، ثم تكون الفتيل والصاعق الذي يفجر المتفجرات التي يمثلها الشعب، ليواصل الشعب دفع تكاليف وتود المعركة الطويلة ، التي يأذن الله بعدها بالتمكين في الأرض للعصبة المؤمنة .

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنكم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) (النور : ٥٥)

بدون ذلك لا يحدث التمكين :

(ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيعَ عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ...) (آل عمران : ١٩٢-١٩٤)

هؤلاء الذين استجاب الله لهم ، ليست التفكر في خلق السموات والأرض، وليست الدعاء ، استجاب لمن ؟ الذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا ..)

إذاً لابد من الهجرة ، ولابد من الخروج من الديار، ولابد من إيذاء، ولابد من قتل وقتال :

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلو من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) (البقرة : ٢١٤)

بعد الزلزلة ، بعد الضراء ، بعد القتل والقتال يكون التمكين وليس قبلها .

الذين يظنون أن دين الله عز وجل يمكن أن يقام بغير هذا ؛ بغير الدماء، وبغير الأشلاء، وبغير الاحتكاك، وبغير الدفع ، فهؤلاء لم يعرفوا طبيعة هذا الدين ، ولا يعرفون نهج سيد المرسلين في إقامة المجتمع المسلم ، وفي إعلاء شريعة الله عز وجل .

الآن فرصة لإقامة المجتمع المسلم ، هل نطرح من أذهاننا الفكر الإقليمي المدهون بالإسلام؟ أم نبقى نقول : لكن بلغة أخرى .

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

الآن بلغة أخرى ، وما أنا إلا فلسطيني ، فإن جاء الإسلام فيه فلسطين أهلاً وسهلاً ، وإلا فلست بخارج ، هذا إسلام كل المسلمين في الأرض ، أليس كذلك ؟! بلى .

نعم . هنالك اعتبارات وهنالك تعللات وهنالك أسباب تقدم ، لكنها كلها واهية أمام نصوص هذا الدين .

الطريق المرسوم

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ..) (التوبة : ٣٣)

هذه الآيات الكريمات رسمت الطريق إلى الجنة وإلى إقامة المجتمع المسلم ، أن الله عز وجل لابد أن ينصر دينه، لأنه (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق). لماذا ؟ هناك لام «ليظهره» لام التعليل ، ليظهره على الدين كله .

(وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) (النساء : ٦٤)

والله عز وجل ما أرسل الرسول عبثاً . (ليظهره على الدين كله) ولم يأت حتى الآن هذا، وسيأتي أن هذا الدين سيحكم البشرية كلها ، **وليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر إلا ويدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يعز به الإسلام وذلاً يذل به الكفر**[1].

لابد أن يظهر هذا الدين ، لأنه دين الله ، ولابد أن ينتصر ، لأنه من الله ، لكن المشركين والكفار لم يتركوا هذا النور ينساب في الأرض ، فيريدون أن يغطوا الشمس بغربال ، ويريدون أن يحاربوا الله، ويريدون أن ينازلوا الله عز وجل في الميدان ، ولن يستطيعوا، من الذي يستطيع أن يحارب الله ؟! من ؟! .. لا أحد .

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (الصف : ٩)

المشركون يكرهون أن ينتصر دين الله ، فهم لا يعلمون أن هذا الدين جاء لينقذهم ، وأن فيه خيرهم في الدنيا وفي الآخرة ، وأنه رحمة في الأولى والآخرة لهم .. هم لا يقدروا ، ولذلك سينصره الله رغم أنوفهم : **(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق)** ولا هدى ولا دين حق إلا هذا الدين . فنحن الوحيدون في الأرض - والحمد لله - الذين بين أيدينا دين صحيح حق ، وكل البشرية تعبد على ضلالة مع أننا لا نعبد الله كثيراً .. البوذي والهندوسي يعبد أكثر منا ، أو النصراني ؛ كم يتعب هؤلاء الرهبان بتعذيبهم أنفسهم ؟! كم يتعبون ؟! كم يتعبون أنفسهم ومع ذلك (خالدين في جهنم أبداً) !.

دخل راهب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه، فبكى عمر عندما رآه قد اصفر وجهه من كثرة العبادة ، قالوا : ما يبكيك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أبكي لهذا وأتذكر قوله عز وجل :

(عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية) (الغاشية : ٣و٤)

يعني: لو تابعت المبشرين في أفريقيا، لو تابعت المرضين الفرنسيين في داخل أفغانستان، البنات الفرنسيات في داخل

---

(١) هذا نص حديث صحيح، أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم "٣".

سلامياً إن شاء الله، ولا يقوم مجتمع إسلامي إلا عن هذا الطريق . لأن الصفوة ، يعني الدعوة الإسلامية والصفوة المجاهدة أو الصفوة النافرة في سبيل الله هذه كم معركة تحتمل ؟! في يوم واحد قتل من هرات ستة وعشرين ألفاً، فكم وجبة هؤلاء الألف يتحملون أمام الرشاشات مثل هذا ؟ ولذلك لابد من الشعب في العملية الجهادية الطويلة . لابد أن الشعب يلتف حول الحركة ، والشعب فيه التعبان وفيه الفاسق وفيه العاصي وفيه الزاني .

الآن أقرّبها لكم : اليهود هجموا على عمان أو على القاهرة ، سيقوم الشعب كله في وجههم ، إذا أراد أن يدافع عن أرضه وعرضه ، تقول له : أنت صاحب بدع لا تقاتل معي ؟! وأنت صوفي لا تقاتل معي، وأنت تشرب الدخان لا تقاتل معي، وأنت عندك بعض المخالفات لا تقاتل معي، وأنت ما تستعمل السواك لا تقاتل معي ؟! من الذي سيقاتل معك ؟! سيقاتلون جميعاً، وهكذا فعل صلاح الدين .. صلاح الدين جاء بالناس من شعوب مصر والعراق وسورية ، جمعهم وقاتل الصليبيين ، ونصره الله .

الذين ثلّوا عرش كسرى وقيصر تعرفون من هم ؟! القبائل المرتدة ، قبائل المرتدين ، أرسل لهم أبو بكر خالد بن الوليد رضي الله عنه، أرجعهم إلى الإسلام قال : امشوا ، قاتلوا قيصر وكسرى .. وغلبوهم .

وطليحة الأسدي كان من القادة البارزين في القادسية ، أحد المتنبئين الكذابين ! رجع .. قال له : امش إلى المعركة .

ولذلك مسيرتك في الجهاد كلها متعبة ، كلها ثقيلة وكلها شاقة :

(وهو كره لكم) (البقرة: ٢١٦)

لكن مع الزمن تستعذبها وتستحليها ، ويصير أحب الأشياء إليك هو الجهاد ، ويصبح الجهاد لك كالماء بالنسبة للسمك . كما أن السمك لا يعيش خارج الماء ؛ تصبح لا تعيش خارج الجهاد . الآن قد تكون تعبت .. شمس ، تعب ، جوع ، وما إلى ذلك ، أوامر . لكن والذي نفسي بيده لساعة في هذا المعسكر خير من البلاد التي جئت منها ، ولكنكم لا تعلمون . ماذا عندك أنت هناك ، ماذا عندك ؟ بلدك، أموال ، دولة ، كنوز ، ثروة ، كلها لا تساوي غدوة ساعة في سبيل الله . **(الموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها)**(١).. لا والله! ذرة من ذرات الجنة خير من الدنيا وما عليها. فتحتاج إلى تعب وإلى جوع وإلى عطش، وكله في ميزانك يوم القيامة: **(ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ -عطش- ولانصب -تعب- ولا مخمصة -جوع- في سبيل الله، ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح)** كله مكتوب :

(إن الله لا يضيع أجر المحسنين) (التوبة: ١٢)

كله مكتوب في ميزانك يوم القيامة . فإياك أن تمل، وإياك أن تكل، وإياك أن تسأم، وإياك أن تتراجع بعد أن فتح الله لك الطريق وفتح على بصيرتك . والله عز وجل يعدنا بالنصر القريب، لأن النفس تحب النصر ..

(وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين) (الصف : ١٣)

شروط ومقومات

لكن النصر وغيره ماذا يساوي بالنسبة للجنة؟ ماذا يساوي بالنسبة للجنة ؟ افرض قامت دولة إسلامية وأنت ذهبت إلى النار، ماذا استفدت . لابد أن تؤمّن مستقبلك أنت أولاً ، الجنة .. شهادة يغفر الله فيها كل الذنوب ، كل الذنوب ، **«هل تكفّر عني جميع خطاياي ؟ قال : نعم إلا الدين »**(٢) . والدين إذا لم تستطع سداده الله يسد عنك ويرضي غرماءك يوم القيامة . فابشروا ببيعكم الذي بايعتم به :

(فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) (التوبة : ١١١)

لكن انتبه ..

(التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) (التوبة :١١٢)

انتبه لشروط الجهاد ، جاء رجل لعبد الله بن عمر ، قال : أردت الجهاد ، قال : إئت بشروطه ، عليك بشروطه، ثم تلا عليه (التائبون العابدون الحامدون) وأكثروا من الذكر .

وشروط النصر كما حددها الله عز وجل في سورة الأنفال:

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس) (الأنفال : ٤٥-٤٧)

هذه مقومات النصر وشروطه الستة، وآخرها أهمها وهو الإخلاص (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطوا ورئاء الناس) الذكر الكثير مهم جداً قبل المعركة، كما يقول أبو الدرداء : «إنما تقاتلون بأعمالكم» ، فاكثر من العمل حتى يفتح الله لك النصر ، والذنوب قبل المعركة تسبب الهزيمة في المعركة .

(إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) (آل عمران :١٥٥)

الهزيمة في المعركة لماذا ؟ صارت بسبب بعض الأعمال ، الذنوب السابقة، فاثبتوا ثبّتكم الله، وادعوا الله بالثبات والإخلاص .. الإخلاص ، الإخلاص أهم شيء، الإخلاص ، والإخلاص أن لا تنظر إلى قول الناس، وانتبه ، قد يقال لك : الشعب الأفغاني يفعل كذا ويفعل كذا ، ويفعل كذا ، يأتيك واحد في بيشاور وغيرها يسرد عليك ساعتين ثلاثاً من المثبطات ما يجعلك تكره الجهاد وأهله .

وفيكم سماعون لهم

قد يسوق الله لك بعض الناس متبرعاً، وقد يكون كل الذي يقوله صحيح . لكن هو عد لك كل السيئات . عدّ لك السيئات في ساعتين . أما الحسنات لو مكث يومين لا يعده!! فلو عد لك الحسنات وعد لك السيئات تضيع السيئات مع الحسنات ، ومعروف أن الإنسان إذا كثر خيره فإنه يعفى له عن هفواته، أليس كذلك ؟ (**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر ويده بيد الرحمن**)[1] ، وتعرفون في الفقه (**إذا بلغ الماء القلتين لم يحمل الخبث**)[2] النجاسة ، لا يتنجس ، لماذا ؟-لأنه كثر الماء ، كذلك الحسنات إذا كثرت لا ينجسها بعض السيئات ، فانتبه .. صحيح أنه قد يكون كل الذي قاله صحيح ، قد يكون ، مع أنه لا يعلم عن الجهاد شيئاً غالباً . غالبا ما وصل إلى جاجي أو خوست ومكث ثلاثة أيام وجهاد قبول ، ختم، والسلام عليكم ورحمة الله .. وجاء وجلس يعدد الشبهات وعيوب الجهاد ! .. فإذا ابتلاك الله بواحد من هؤلاء فإياك أن تلقي له الأذن . هؤلاء ممنوع أن يبقوا في أرض الجهاد ، لا يجوز ، ممنوع أن يخرجوا إلى أرض الجهاد .

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين) (التوبة : ٤٦-٤٧)

ويقول عز وجل عنهم :

(فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا) (التوبة :٨٣)

ولذلك نص الفقهاء على أنه يحرم أن يخرج الإمام أو الأمير أو القائد معه مخذلاً أو مثبطاً أومعوقاً، يحرم، ولو حضروا المعركة وجاءت الغنائم وانتصر المسلمون لا يسهم ولا يرضخ لهم.

النصراني إذا اشترك في المعركة -ممكن أن يشترك نصراني، يهودي، قادياني، يستعين به الإمام إذا كان ضعيفاً، أو مختصاً

---

(١) حديث صحيح بدون قوله: (فوالذي نفسي بيده)، رواها أبو داود وهي ضعيفة.

(٢) صحيح الجامع الصغير رقم (٤١٦).

بقياسات المدفعية، مختصاً باللاسلكي، وما إلى ذلك-، النصراني والقادياني وغيرهم هؤلاء يأخذ لهم الإمام من الغنيمة رضخاً. يأخذ لهم جزءاً يقول: هذا لكم. لكن ليس لهم سهم، المجاهدون يسهم لهم. أربعة أخماس للمجاهدين ثم الخمس لبيت المال، الذين أبلوا بلاء حسناً في المعركة ينفلهم الإمام أو قائد الجيش يقول: أنت يا فلان أبليت بلاء حسناً، هذه الفرس العتيقة من المذاكي الأصيلة لك. أنت يا فلان خذ كلاكوفا روسيا لأنك أبدعت. أقول: ينفلهم، وقد يقول الإمام : «**من قتل قتيلاً فله سَلَبُه**» .

ثم يأتي الذين كانوا يقاتلون في الدبابات يعطيهم سهمين للدبابة، أو معهم سيارة مثلاً جيدة كانت تستعمل في المعركة سهمين للسيارة و سهم له ، أو على فرس ، سهمين للفرس وسهم له ، ثم المثبطين والمعوقين ليس لهم ، اليهودي له، والمثبط والمعوق ليس له، والنصراني له، واليوذي والقادياني يرضخ له، أما المثبط والمعوق ليس له ، قالوا : ولا يرضخ لهم ولا يسهم لهم ولا يعطون شيئاً أبداً .

فابتلاك الله بواحد منهم. جاء رجل – أظن – إلى ابن المبارك، قال له: فلان يعمل كذا وكذا ، قال : يا ابن أخي هل غزوت الروم؟ قال: لا . قال: هل حاربت الترك؟ قال: لا . قال : هل قاتلت الديلم ؟ قال: لا . قال : تركت هؤلاء كلهم واتبعت مسلماً تأكل عرضه ولحمه، الروم خلصوا من شرك والترك والديلم ، ما وجدت إلا المسلم هذا .. ونحن كذلك ، الروس خلصوا من شرنا ، وكذلك الشيوعيون والبعثيون والقوميون والطواغيت، وما وجدنا إلا الأفغان المجاهدين المساكين نتكلم عليهم ؟ نرجو الله أن يغفر لنا أجمعين، نرجو الله على كل حال، نرجو الله أن لا يجعلنا سماعين للشر ، لأن الذي يسمع الشر والغيبة والنميمة إثمه كالقائل ، إذا لم ينكر، تعلمون هذا ؟

جيء لعمر بن عبد العزيز بقوم سكارى وقالوا : وجدنا معهم هذا الرجل الصائم ، قال : اجلدوه ثمانين **(إنكم إذاً مثلهم)**، قالوا : ليس سكراناً ، فقط قاعد مع السكارى ، قال : اجلدوه ثمانين جلدة ، مثله مثل السكران ، لماذا ؟

(وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم) (النساء : ١٤٠)

نعم ، الراضي كالفاعل ، والسامع للغيبة كالمغتاب ، إن لم يعترض أو يخرج . لابد أن تدافع عن أخيك ، فكيف عن هذا الشعب المطحون طحناً ؟! ، يطحن والله ، طحن بين طاحونة الطائرات وطاحونة الدبابات والمدفعية وراجمات الصواريخ .. والله آلام لا يحتملها إلا القليل من البشر ، ومع ذلك ما نجي منك .. يا أخي جاهد كما جاهد، واعمل كما عمل، واصبر كما صبر، وبعد ذلك انتقد . هو جاهد عشر سنوات ، أنت جاهدت عشرة أيام ؟

هنا بعض الأسئلة : بعض الإخوة جاء من بلاده بدون تذكرة عودة على أمل أن يأتي بزوجته وأولاده ، على أن تكون أفغانستان دار الهجرة ، ولكن كان الوضع غير ذلك، فلا زوجة جاءت ولا تذكرة عودة معه، وبعد ذلك يتسول الإخوة حتى يعود إلى بلاده.

ج – لماذا يتسول الإخوة ؟!هو مجاهد ، هؤلاء الأفغان الذين يعيش معهم زوجته تكون في القرية بجانبه على بعد كيلو متر، لا يراها أحياناً كل ثمانية أشهر مرة .

أخو الشيخ سياف مسئول عن مخازن السلاح واللجنة العسكرية – مكث قاضي عشرين سنة – ساكن الآن في بابي والمخازن في بابي ، سمعت أنه كل ثلاثة أو أربعة أشهر يرجع إلى بيته مرة . بابي قرية صغيرة وهو في نفس القرية، بيته على بعد مائة متر . قلت له : صحيح ؟ كل ثلاثة ، أربعة أشهر تنام في بيتكم مرة ؟! ، قال : والله مشغولون بتجهيز المجاهدين ولا يوجد وقت .

أما والله جئت جدة ومكثت شهراً أو شهرين ومن جدة إلى بنجلاديش ومن بنجلاديش إلى كراتشي ومن كراتشي إلى بيشاور ، وكم من أموال المسلمين دفع حتى تصل إلى هنا ، ولما وصل بيشاور قبل ان يتدرب وقبل ان يصل الجبهة ، سمع كلمة من هنا أو من هنا قال : والله أريد العودة !! .

الرسول ﷺ كان له غلام – خادم – أو عبد اسمه مدعم .. قتل ، فقال الصحابة هنيئاً له الجنة ، قال : **وما يدريكم** ؟! وما يدريكم؟! **إن العمامة التي غلها يوم خيبر لتشتعل عليه ناراً** !، أو الشملة أو العباءة – لماذا؟ أخذها من الغنائم قبل أن تقسم – والغنائم من عرق جبينه وعرق إخوانه ، فكيف المال هذا الذي لولا أنه دفع عليك لأرسل إلى المجاهدين ، تستحل لنفسك أن ينفق عليك ألفي دولار ، ألفي دولار ولا تمكث عشرين يوماً في الجبهة – والأخ المتزوج إذا مكث عادة ستة أشهر في داخل أفغانستان نحن نقطع له تذكرة يعود إلى أهله ، والأعزب بعد سنة ، المتزوج بعد ستة أشهر نقطع له تذكرة . أما والله واحد عاملها (شمة هواء) ! ، فلا يتسول ، لماذا يتسول ؟ يدخل جبهة من الجبهات ويمكث مع إخوانه يعلمهم القرآن ويجاهد معهم وبعد ستة أشهر هو على رؤوسنا إن شاء الله نرجعه ، مع أنه آثم إن رجع إلى بلده وهو يظن أن بلده لا تخرجه مرة أخرى . أما إذا كان يظن أنه يرجع إلى بلده ويمكن أن يخرج بسهولة مرة أخرى إلى الجهاد ، هذا لا بأس .

وفي فرض العين ، الستة أشهر والأربعة أشهر والخمسة أشهر هذه والله أعلم فيها ، - أمر المدة - أيام عمر كان الجهاد فرض كفاية فحدد عمر أربعة أشهر . كان المجاهدون يذهبون على نوبات لأنه عنده جيوش . أما اليوم قعدت الهمم في العالم الإسلامي، والعالم الإسلامي تنتهك فيه الأعراض والحرمات، وتضيع المقدسات وما إلى ذلك ، وقليل هم المجاهدون، يعني أمر الأربعة أشهر والخمسة الأشهر عندما تنظم العملية من دولة .. عندما يكون جيش يحمي الثغور ، ويكفي لمواجهة الأعداء، أما الآن حسبنا الله ونعم الوكيل .

س: نرجو معرفة آخر الأخبار في جميع الجبهات وكذلك باكستان، ومقتطفات من الأخبار العالمية التي تهمنا، وذلك بصفة دورية؟

ج - نرجو الله عز وجل.. أما قبل ليلتين صرح راجيف غاندي: أن قيام دولة إسلامية في أفغانستان خطر على آسيا، وعلى العالم! .. **(لقد صدقك وهو كذوب)**[1] ، صدق الكذوب، فعلاً خطر على الهند وعلى العالم كله في نظرهم، نعم خطر، خطر على دنياهم، ورحمة لأخراهم . كل الدنيا خائفة من الدولة الإسلامية في أفغانستان، إيران خائفة، الشيوعيون خائفون في باكستان، القوميون في باكستان خائفون، أمريكا، الهند، روسيا، الهنود -يا لطيف- كم يخافون من الأفغان، والإيراني يخاف من الأفغان كثيراً.

وعمامة الأفغاني أصبحت محطة الرعب ، نعم ، عندما يرى الهندي أو الإيراني أو الشيوعي قبعة الأفغاني هذه العمامة الأفغانية- يفكرها كومة متفجرات فوق رأسه ، **«نصرت بالرعب ..»**[2]، لماذا يكون في الجهاد رعب ؟ اليهود .. - يا لطيف - كم يخافون من الجهاد الأفغاني . نعم ستقوم الخلافة الإسلامية .. إسلامية ونسمي رئيس الدولة الإسلامية : الخليفة .

الحمد لله أن ضياء الحق بدأ يستعيد سلطاته ، مسك البلد ، وهو يريد - إن شاء الله - أن يعيد الأمور كما كانت قبل جنيف - إن شاء الله - بعد أن ذهب جونيجو ، فالحمد لله رب العالمين ، ووضع على المنطقة - الحدود هذه - رجلاً اسمه فضل الحق - جنرال سابق-، فضل الحق هذا استلم رئيس الوزراء الآن في بيشاور وللحدود كلها ، هذا معروف أنه يحب الجهاد الأفغاني ، له أعمال سيئة لا يعلمها إلا الله عز وجل ، هو يقول عن نفسه : أنا لي أعمال سيئة نرجو الله أن يغسلها بحبي للجهاد الأفغاني ، يحبهم كثيراً ، منذ زمان معروف بموقفه الطيب بجانب الجهاد الأفغاني ، **«إن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم»**[3].

الاستعلاء الإيماني

يا من رضيتم بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً .

اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل ، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم :

(والعصر إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (سورة العصر)

هذه السورة القصيرة ، كما قال الشافعي (رضي الله عنه) : لو تدبر الناس بسورة العصر لكفتهم .

أربع صفات للفلاح ..

فالله عز وجل يعلق الفلاح في من توفرت فيه الصفات الأربع : الإيمان والعمل الصالح ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر؛ لابد أن يواجه بأصحاب السيئات والقبائح ، وكل صلاح في الدنيا لابد أن يعارضه الطواغيت وأصحاب الشهوات وأصحاب الأموال، فكأن الآية من قبيل الإيماء ، دلالة الإيماء ، والإشارة تدل على أن الذي يريد أن يؤمن بالله ويعمل صالحاً، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، لابد أن يوطنّ نفسه على الصبر ، لأن الإيذاء ملازم للعمل الصالح من قبل أعداء الله ورسوله ﷺ . وما من إنسان يلتزم الطريق المستقيم وينتهج الجادة الحقة إلا ويجد على الطريق معوقات، وأعظمها مصيبة وأشدها بلاء على النفس هو هوى النفس وشهواتها، فهذه أكبر عقبة في طريق الصالحين ، فالشهوات هي التي تجتال الناس عن الطريق الصحيح . إني خلقت عبادي حنفاء ؛ فجاءت الشياطين فاجتالتهم . والشياطين إنما تجتال الناس عن الطريق المستقيم بالشهوات والتمني والإغراء .

(يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) (النساء : ١٢٠)

---

(١) هذا مثل مقتبس من حديث طويل رواه البخاري في صحيحه. (٢) قطعة من حديث صحيح رواه البخاري. (٣) حديث صحيح رواه البخاري ضمن قصة في إحدى الغزوات.

﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ (الإسراء: ٦٤)

في الأموال مشاركته لهم معروفة، فكيف مشاركته في الأولاد؟ قالوا: إن الشيطان إذا نسي الإنسان أن يسمّي «باسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا» اشترك معه في نكاح زوجته.

ولذلك أقول: كلما ازداد إيمان المرء؛ كلما غلبه الله على شيطانه، ولكن قد يضعف الإنسان أمام شهواته؛ فيسلم نفسه لألدّ أعدائه، كقائد من القادة من أعداء الروس مثلاً، يأتي ويسلم نفسه اختياراً طائعاً للروس، يفعلون به ماشاءوا، كذلك الإنسان بشهواته، إنما يسلم نفسه لألد أعدائه، يفعل به الشيطان ما يشاء.

والناس مع الشياطين على ثلاثة أطباق، أو على ثلاثة أحوال: منهم قوي الإيمان الذي يصرع الشيطان، ولا يستطيع الشيطان معه أن يفعل شيئا، وهذا النوع من الناس الذين يقول الله عز وجل فيهم:

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا﴾ (فصلت: ٣٠)

قالوا ربنا الله، ثم استقاموا؛ هؤلاء الشيطان ليس له عندهم أي شيء، وشيطانهم ذليل مهزول ضعيف مخزي مقهور، وأكثر ما يقهر الشيطان الذكر، فإنه يحرقه كما يحرق أحدكم بالكهرباء أو بالاكسيجن الحديد ويذيبه.

«إن ابن آدم إذا سجد اعتزله الشيطان يبكي يقول: يا ويلي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار»(١).

النوع الثاني من الناس: قد استبد به الشيطان وتحكم، وأعطى نفسه هواها، وأخذ الشيطان بخطامه، وقاده إلى حتفه بظلفه، وهذا في حال لا يحسد عليه كما قال ﷺ: **«تعوذ بالله من درك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء»**(٢) فهذه هي المرتبة التي يحل فيها الإنسان، ويكون في أوائل أمره يتلقى إيحاءاته وتزيينه من الشيطان، وبعد فترة يرتقي به الحال، فيعلم الشيطان الجن بعض الأساليب في الخبث والاحتيال والمكر، كما قال أحدهم:

وكنت امرأً من جند ابليس فارتقى ... بي الحال حتى صار إبليس من جندي

وهذه مرتبة – أعوذ بالله – كما قال ﷺ: «شماتة الأعداء ودرك الشقاء وسوء البلاء والقضاء»، هؤلاء أساليبهم المكر والخداع، وهؤلاء كذلك أعوذ بالله من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء..

والجنود التي يستعملها؛ هذا الإبليس الإنسي أو هذا الشيطان الإنسي، المكر والخداع والأماني الباطلة والغرور والتسويف بالعمل، وطول الأمل وإيثار العاجل على الأجل، وهي التي قال في صاحبها النبي ﷺ: **«العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني»**(٣). وهؤلاء أنواع: فمنهم المحارب لله ورسوله، الساعي في إبطال ما جاء به الرسول، يصد عن سبيل الله ويبغيها عوجاً.

والثاني: المعرض عما جاء به الرسول ﷺ، المقبل على دنياه وشهواته.

والثالث: المنافق ذو الوجهين، ومنهم الماجن المتلاعب الذي قطع أنفاسه بالمجون واللهو واللعب.

ومنهم من إذا وعظ قال: واشوقاه إلى التوبة، ولكن لا مطمع لي فيها، ومنهم من يقول: لست محتاجاً إلى صلاة ولا صيام لأني قادم على غفور، وكما قال أحدهم.

فكثر ما استطعت من الخطايا ... إذا كان القدوم على كريم

ومنهم من يقول: ماذا تفيد طاعتي الرحمن وأنا غارق في شهواتي؟ وما ينفع الغريق إذا كان أصبعه جافاً؟! فهؤلاء الناس كلهم صارت عقولهم في أيدي شهواتهم، فلا يستعمل أحدهم عقله إلا في الحيلة التي يقضي فيها شهوته، فعقله مع الشيطان كالأسير في يد الكافر، والكافر يستعمله في رعي الخنازير، وعمل الصلب، وعصر الخمر، وقتل المؤمنين، وغير ذلك من الأعمال الخبيثة التي يبغضها الله ورسوله.

وهنا يجب التنبه إلى شيء مهم: أن القلب إنما خلقه رب العالمين مستقراً لمحبته، ومكاناً لحكمته، ووعاء لإجلاله، فإذا أخليتها من إجلال الخالق الكريم، وتخليت عن محبته في هذا الوعاء النظيف، فإن الله عز وجل يعاقبك، لأن الأشياء لا تقبل الفراغ، فوقتك إما

---

(١) رواه مسلم في صحيحه قريبا من هذا اللفظ. (٢) رواه مسلم في صحيحه. (٣) حديث حسن رواه الترمذي كما في رياض الصالحين (بين يدي الدجال..).

تملأه بطاعة الله وإما أن تملأه بمعصية الله ، ولا فراغ أبداً ، وقلبك إما أن تملأه بمحبة الله أو بمحبة أنداده من خلقه ، ولذلك رب العالمين يسلط عليك عدوك لأنك لم تستعمل قلبك في ما خلقه الله له .

- **والنوع الثالث من الناس** : هم الذين بينهم وبين الشيطان حرب سجال ، فأحياناً يتغلب على شيطانه ، وأحياناً يدركه شيطانه فيتبع هواه ، والناس في الآخرة أحوالهم كأحوالهم مع شياطينهم في الدنيا ، فمن تغلب على شيطانه وشهواته وهواه ودنياه فهو من أهل الجنة لا يعذب أبداً، ومن أتبع نفسه هواها وغرق في شهواته وأشبع نزواته فهذا في أهل النار أبداً .

ومن هذا الصنف الثالث : الذي تدور المعركة بينه وبين شيطانه ، فمن غالب إلى مغلوب ، ومن مغلوب إلى غالب ، وهؤلاء يعذبون في النار ثم يخرجون إلى الجنة .

ألا تلاحظ أن الصنف الثاني هذا الذي أصبح إبليس من جنده ، وجنوده الذين يستعملهم المكر والخداع وطول الأمل والغرور واتباع نفس هواها ، ألا ترى أن هذه متوفرة في الساسة ؟ وأن هذه الصفات موجودة في القادة والطواغيت ؟ فكلما أتقن الإنسان المكر والكذب والخداع قالوا : إنه رجل سياسي ، إنه رجل يصلح للسياسة ، لأنه يكذب كثيراً ، ويمكر بعباد الله كثيراً ، وطول الأمل وحب الدنيا كأنهم لا يموتون ، يبنون القصور ويعمرون الدور، والذي ينظر إليهم يظن أن هؤلاء لا يظنون أن هنالك قبور .

أقول : يقولون عن الصادق الأمين "هذا لا يصلح للسياسة " ، هذا مسكين ، هذا عاطفي ، هذا طيب ، بل أصبح الطيب وصمة عار في جبين الإنسان ، وأصبح المكر والخداع من أخص خصائص الإنسان العالي في أعين الناس ، ولعمر الحق هذه هي المصيبة : أن أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

«كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً»[1].

«إن بين يدي الدجال سنين خداعة يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب ويخون فيها الأمين ويؤتمن فيها الخائن ويتكلم فيها الرويبضة ، قالوا : وما الرويبضة يا رسول الله ؟ قال : الرجل السفيه يتكلم في أمر العامة » .

الرويبضات

فإذا رأيت شرار الناس يسوسونهم ويخطبون على المنابر كسلاطين وحكام ، فاعلم أن هذه من علامة غضب الله على الأمة . الرويبضة : الرابض عن معالي الأمور يصبح رئيساً للعامة ، يتكلم ، لا يتكلم على التلفاز إلا هو ، ولا يظهر في الصفحات الأولى من الجرائد إلا هو ، ولا يسمع صوت من خلال المذياع إلا صوته ، رويبضة : رابض عن العزة ، لا يستطيع أن يبلغها ، رابض عن معالي الأمور ، غارق في مستنقع الجنس وفي شهوات نفسه .

وكلما رأيت القذافي وصداماً وحافظ الأسد رؤساء ، أدركت سقوط هذه الأمة من عين خالقها ، ولولا أن هذه الأمة ساقطة من عين خالقها ما سلط عليها هؤلاء الرويبضات الذين يتكلمون في أمور العامة .

قيل لعمر رضي الله عنه «أتخرب القرى وهي عامرة ؟ قال : نعم ، إذا علا فجارها» ..

(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (الإسراء: ١٦)

والصبر في القرآن الكريم ذكر كما قلنا في أكثر من تسعين موضعاً، فقد أمر الله به قال: **(واصبر وما صبرك إلا بالله)** ونهى عن ضده قال :

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) (آل عمران : ١٣٩)

وعلق الفلاح به فقال :

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران : ٢٠٠)

والخامس : علق الإمامة في الدين على الصبر واليقين

(وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) .

---

(١) رواه أحمد بإسناد جيد كما قال ابن كثير في النهاية.

والسادس : معية رب العالمين مع الصابرين .

(إن الله مع الصابرين) وأي عظمة أن يكون رب العزة معك .

قال أبو علي الدقاق : فاز الصابرون بعز الدارين ، لأنهم نالوا من الله معيته ، فإذا كان الله معك فلا خوف عليك ، «ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ورجله التي يمشي بها، ويده التي يبطش بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[1] . وجمع الله للصابرين ثلاثة أمور لم تجتمع لغيرهم ، يقول الله عز وجل :

(ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (البقرة : ١٥٥-١٥٧)

وكذلك جعل الله عز وجل الصبر عوناً له على الطريق الشاق الطويل ..

(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) (البقرة : ١٥٤)

أي أن الله عز وجل مهد بالعمودين الأساسيين للجهاد ، الصبر والذكر ، الصبر والصلاة، لأن الجهاد قائم عليهما ، ثم ذكر بعدها [ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) ، وكذلك جعل الصبر سبباً للنصر على الأعداء ، وجعلها جنة وحماية من الأعداء ..

(وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) (آل عمران : ١٢٠)

ولذلك قرن الله عز وجل التقوى بالصبر ، لأن التقوى تعني فعل المأمور وترك المحظور، والصبر، أي الصبر على القضاء ، وهذا هو الدين كله ، فقرن الصبر بالتقوى في أماكن كثيرة، وأعلن سبحانه وبين أن درجة الإحسان إنما تتوقف على الصبر والتقوى ..

(إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) (يوسف : ٩٠)

وبين سبحانه كذلك : أن نزول الملائكة متعلق بالصبر والتقوى ..

(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) (آل عمران : ١٢٥)

يقول الحسن وغيره : هؤلاء الخمسة آلاف من الملائكة عدة لكل عسكر صبر واحتسب إلى يوم القيامة ، وكذلك بين سبحانه : أن الصبر يدخل الجنة وفي الجنة تتلقاهم الملائكة .

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) (الرعد : ٢٤)

وكذلك بين الله عز وجل: أنه يجوز للإنسان أن يعاقب بمثل ما عوقب به، ولكن الصبر خير.

(ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) (النحل: ١٢٦)

(وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) (آل عمران : ١٨٦)

والصبر على المصائب كما قلنا : والصبر على الأعمال والصبر على العبادات ؛ هذه تسبب محبة الله لعبده .

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا

---

(١) جزء من حديث قدسي رواه البخاري في صحيحه.

وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين)
(آل عمران : ١٤٦-١٤٨)

وكذلك بين سبحانه : أن الذين ينتفعون بآيات الله ويتعظون بها أولئك الصابرون، قال :

(إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب) (ص : ٤٤)

وهذه منزلة ما بلغها سيدنا أيوب إلا بالصبر، والصبر على البلاء ثمانية عشر عاماً، وبعد البلاء هذا، وبعد تفرق الناس عنه قال :

(اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) (ص : ٤٢)

أي احفر برجلك يخرج الماء الذي تغتسل منه وتتطهر من مرضك، ثم أنزل الله ، أمطر الله عليه جراداً من ذهب ، فعادت له الدنيا، وثبت له المقام العالي في الآخرة وفي الدنيا كذلك .

وكذلك الصابرون هم أهل الميمنة (أولئك أصحاب الميمنة)

(وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة) (البلد : ١٧-١٨)

وكذلك قرن الله عز وجل الصبر بأركان الإسلام كلها فقال :

(واستعينوا بالصبر والصلاة) (البقرة: ١٥٣)

وقال : (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) (هود : ١١)

وقال سبحانه : (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)، (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) ، وكذلك قال الله عز وجل :

(والصابرين والصابرات) (الأحزاب : ٣٥)

أيها الإخوة : إن سبب العزة في هذه الدنيا هو الصبر ، والنصر مقترن مع الصبر **«واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»**[1] .

وأقل ما يمكن أن تصبره ، بعدك عن أهلك في مثل هذا المكان ، بعدك عن أولادك وزوجك إن كنت متزوجاً ، تركك لوظيفتك ، تركك لخلانك وجيرانك ، تركك لمهبط رأسك ومربع تربيتك ، تركك للمرابع التي درجت عليها ، تركك لمتاع الدنيا القليل ، والصبر على هذه العبادة التي لا تقوم بدون صبر ، وقد قالوا : النصر صبر ساعة .

فاصبروا أيها الإخوة ، وصبركم يجني ثماره أولادكم أو الأجيال من بعدكم ، والصابرون يقدمون أرواحهم ، يقدمون دماءهم، يقدمون أنفسهم يضحون بأغلى ما يملكون من أجل النصر ، والنصر قد ينالونه هم ، وقد تناله الأجيال من بعدهم ، ولذلك عندما قال ﷺ سألته عائشة هل رأيت يوماً أشد عليك من يوم أحد ؟ قال :

«نعم، عرضت نفسي على أبناء عبد ياليل فردوني، فانطلقت هائماً على وجهي حتى وصلت قرن الثعالب حزيناً مهموماً، وإذا بجبريل يناديني: يا محمد! هذا ملك الجبال قد أنزله الله إليك – أو كما قال ﷺ – ينفذ ما تريد فأمر بما شئت ، فإذا بملك الجبال يقول : يا محمد مرني، إن الله أمرني أن أفعل ما تريد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين أطبقت الجبلين – يعني : جبل أبي قبيس والجبل الأحمر – **على أهل مكة، فقال ﷺ إني لآمل أن يخرج الله من أصلابهم من يحمل هذا الدين»**[2].

فكان الصحابة رضوان الله عليهم متيقنون من شيء واحد، أن هذا الدين سينتصر ، لكنهم لا يعلمون أينتصر على أيديهم أم ينتصر على أيدي الأجيال التي بعدهم ، بشرهم رسول الله ﷺ أن هذا الدين قادم لا محالة ، وستنهار إمبراطورية الرومان، وستنهار إمبراطورية كسرى ، وأنهم سيملكون ملك كسرى ، وأنهم سيفتحون الكنز الأصفر كنز الروم ، والكنز الأبيض كنز كسرى ، كانوا يعتقدون تماماً أن هذا الدين سينتصر ، لكنهم ما كانوا يعلمون أنه سينتصر على أيديهم أو ينتصر على أيدي الأجيال التي بعدهم ، كانوا قد بايعوا الله على شيء واحد، وعاهدوا على أمر واحد، قد تم العقد على الجنة ، أما النصر فلم يتم عليه التعاقد

(١) إحدى روايات حديث ابن عباس المشهور (يا غلام إلا أعلمك....) رواه الترمذي وحسنه. (٢) القصة رواها البخاري في صحيحه.

أبلغتم رسالتي ؟! أنشرتم ديني ؟! أحاولتم إنقاذ البشرية بهذه الرحمة التي أهديتها لكم ؟!

(نزل به الروح الأمين) (الشعراء: ٩٣)

على قلب محمد الأمين ﷺ ، وفي أكثر من مكان في القرآن ترددت هذ الآية :

(لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (البقرة : ١٤٣)

(وكذلك جعلناكم أمة وسطا) (البقرة : ١٤٣)

أمة فاضلة وعدولاً **(لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)**

فالسؤال يوم القيامة ليس «هل طبقت الإسلام فقط؟!» بل هل نشرت الإسلام في الأرض؟ هل أنقذت الأمريكان والروس والإنجليز والفرنسيين؟ أعدوا لهذا السؤال جواباً أمام رب العالمين .**(هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج)** .

ليس هنالك أثقال، وليس هنالك عنت ولا مشقة : بل **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** ، ولولا أن في وسعنا أن نحمل هذا الدين للبشر ما حملنا إياه رب العالمين ، ولولا أن هذه الكلفة تستطيع كواهلنا حملها ما حملنا إياها ، ولولا أن هذا الأمر الذي نظنه ثقيلاً.. لا **(ما جعل عليكم في الدين من حرج)** ليس هنالك ثقل، وليس هنالك عنت، وليس هنالك مشقة ..**(ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ..)**.

حملتم اسم الإسلام ، وحملكم هذا الاسم لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً .

يوم القيامة يؤتى برسول الله ﷺ ، والأنبياء كلهم يسألون ..

(ولنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين) (الأعراف : ٦)

فالمرسلون مسؤولون ، والناس الذين بلغوا مسؤولون ، **«وإن الله أمركم بما أمر به المرسلين ، إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:**

(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) (المؤمنون : ٥١)

وقال : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) (البقرة : ١٧٢)

فلا بد أن نفهم ما هي مسؤوليتنا، مسؤوليتنا كمسلمين: انتماؤنا لهذا الدين مسؤولية عظيمة أمام رب العالمين، مسؤولية في الدنيا، ومسؤولية في الآخرة، هؤلاء البشر الذين حولنا ممن يترفعون فوقنا ، وقد يملكون زمام الكثير منا، هؤلاء نحن جعلنا الله أوصياء عليهم، نحن أولياء عليهم، نحن أساتذة لهم، نحن الذين يجب أن نبلغهم» هؤلاء سيمسكون بخناقنا يوم القيامة، يقولون: يا رب خذ حقنا من هؤلاء، فيقول المسلم: يا رب أنا لا أعرف هؤلاء، وليس لهؤلاء حق عليّ، فيقول أحدهم: بلى، لقد رآني على ضلال فلم ينهني.

ولذلك قبل أن يأخذ الناس بخناقكم حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، وتهيؤوا لحسابكم وعرضكم على ربكم ، واعلموا أنكم غداً بين يدي الله موقوفون، وعن أعمالكم مجزيون ..

(وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون) (الشعراء : ٢٢٧)

يا أيها الإخوة : المسلم الذي يحمل رسالة الإسلام يجب أن يتمثل الإسلام في نفسه أولاً ، ثم ينقله إلى الناس ثانياً ، ولا يمكن أن يتمثل الإسلام في نفسه ما لم يعرفه ويعلمه عقيدة وشريعة ونظام حياة، ويطبقه في واقعه ، ثم ينتقل به إلى الناس .

أما تمثله في نفسك علماً وعملاً وعقيدة : أن نبدأ بالقاعدة الأولى ، التي يقوم عليها هذا الدين ، (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، هذا الباب الذي يدخل منه كل داخل لهذا الدين ، ولا باب غيره .

(لا إله إلا الله) تعني في أبسط صورها كلمة التوحيد ، التوحيد : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات .

توحيد الربوبية الذي يسمونه توحيد المعرفة ، توحيد الاقتناع الذاتي ، توحيد العلم : أن تعلموا أن الله خالق، رازق، محي، مميت .. إلى آخره ، هذا يسمونه توحيد الربوبية .

توحيد الألوهية : هو توحيد العمل، تنقل العلم الذي في داخلك إلى واقع الحياة ، تنقل كلمة اعتقادك : أن الله رازق إلى واقع الحياة ، كيف ؟ .. هذا توحيد الألوهية ؛ أن توحد الله في عملك ؛ فإذا طلب منك مسؤول مثلاً أن تقدم له في نهار رمضان طعاماً، مديرك

في الشركة ، أو نائبك في الكتيبة ، أو صاحب البستان الذي تعمل فيه ، طلب منك في نهار رمضان أن تعد له طبقاً من الطعام، ليتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام ، و النار مثوى لهم ؛ هنا يمكن أن يعرف هل انتقل توحيد الربوبية إلى واقع الحياة ؟ هل انتقل إلى توحيد الألوهية إذا كنت تعتقد تماما : أن الله رازق ، تمتنع وتقول : هذا حرام أن أعينك على معصية ، لأن الذي يقدم طعاماً لمفطر في نهار رمضان – ما لم يكن نصرانياً – فذاك ليس بعد الكفر ذنب .

أما بالنسبة للمسلم : من قدم له طبقاً من الطعام في نهار رمضان فكأنما قدم له الخمر في رمضان أو في غير رمضان ، هذا حرام وهذا حرام ، فإذا امتنعت، عندها تكون قد نقلت توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية ، وعلمت أن الله رازق، أما إذا خفت وقلت : علاوتي السنوية، أو هذا صاحب شركة، أو هذا صاحب الأموال وبإمكانه أن يحرمني ، معنى ذلك أنت بقيت في دائرة التوحيد النظري –توحيد الربوبية – ؛ أن الله محي ومميت ، هذا يدرك تماماً توحيد الألوهية بمواقفك لنصرة هذا الدين ، فإذا وقفت لله عز وجل أمام أي مسئول مهما كان سلطانه وهيلمانه ، تبلغ دعوة الله عز وجل، عندها فعلاً ارتفع توحيد الربوبية الذي في داخلك وانتقل إلى واقع الأرض سلوكاً وعملاً وخلقاً ، كما قال سليمان بن عبد الملك مرة لأبي حازم – سلمة بن دينار – قال له : لماذا نحب الدنيا ونكره الموت ؟ هذا سليمان بن عبد الملك الخليفة؛ ليس حاكماً على دونمين أرض ، كان يحكم نصف الأرض، نصف الأرض، تماما، قال له : لماذا نكره الموت ونحب الدنيا ؟ قال : لأنكم أخربتم أخراكم وأعمرتم دنياكم ، القصور في هذه الدنيا، ولكن القبور خراب ، فأنتم تكرهون الانتقال من العمار إلى الخراب ، فقال واحد من الحاشية الذين يلحسون الطناجر والصحون ، قال : تجرؤ على أمير المؤمنين ، تجرؤ على أمير المؤمنين! فنفر به وعلا صوته عليه وقال: أسكت يا هذا! إنما أهلك فرعون هامان ، وقال له: إن الله قد أخذ العهد والميثاق على العلماء :

(وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه) (آل عمران : ١٨٧)

عاهد ربنا عهداً خطياً في كتابه العزيز على كل عالم أن يبلغ هذا الدين كما أنزل ، وإلا فجهنم واللعنة تنتظره .

(إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار) (البقرة : ١٧٤- ١٧٥)

مثلاً : تعتقد أن الله سميع ، هذا توحيد ربوبية ، نقله إلى واقع الأرض : أن تمسك لسانك عندما تريد أن تتكلم عن أخيك كأنه حاضر، لأنه إن لم يكن أخوك حاضراً فرب العزة سميع بصير ..

(ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) (المجادلة : ٧)

تعتقد أن الله قدير، عندها ستعتصم وتعتز بالله العلي القدير، فإذا قيل لك : (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) يزيدك الله إيماناً وتقول : (حسبنا الله – يكفينا الله – ونعم الوكيل) ، لا أن نبيع ديننا من أجل رصاصة ، أو من أجل بندقية ، أو من أجل دبابة ، نشتريها من الاتحاد السوفياتي ، ثم نشتري بها الكفر والإلحاد والاشتراكية نطبقه على الأمم، ونقول : ماذا نصنع ؟ ليس لنا سند ولا نصير للأمم المستضعفة إلا الدول الشرقية . هنا كلمة ، (الله قدير) بقيت في الداخل ، ولم تنتقل إلى واقع الأرض . ولو كنا نعتقد اعتقاد أبي جهل في هذه القضية لا يصيبنا الذي أصابنا من انهيارات عسكرية واقتصادية وسياسية وفي كل مجال .

أبو جهل وهو ذاهب إلى غزوة بدر – إلى معركة بدر – على الطريق خرج إليه خفاف بن سماء بن رحبة الغفاري زعيم غفار ، قال : إن شئت مالاً أو سلاحاً أو رجالاً أمددناك ، فقال أبو جهل : وصلتك رحمك، يعني : بوركت صلة الأرحام بيننا وبينكم ، إن كنا نحارب محمداً فماله طاقة بنا ، وإن كنا نحارب رب محمد فما لنا طاقة به ، ولن تغني عنا رجالكم ولا أسلحتكم ولا عتادكم شيئاً .

هذا كلام من ؟ هذا كلام أبو جهل ! في هذه القضية أبو جهل كلمة قدير نقلها إلى واقع الأرض في موقف عملي .

لأن الإيمان لا يمكن أن يعرف، إنما يظهر ويتبدى من خلال السلوك ، من خلال القيم ، من خلال التعامل . إذا كنت تعلم أن الله رازق، أن الله عز وجل يقول :

(وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) (هود : ٦)

ثم عرض عليك بنك «السكن» – أو بنك الرماد على رؤوس الناس – عرض عليك عرضاً أن تبني لأولادك بيتاً ، فتقول : أريد أن

أؤمن مستقبل أولادي ، هنا بدأ الجرح بكلمة «الله رازق» ، عقيدة «الله رازق ، بيده مقاليد كل شيء» .

(ولله خزائن السموات والأرض) (المنافقون : ٧)

فيها جرح .. هذا الجرح منعك أن تتعامل مع الله ، كأنك تتعامل مع إنسان واقف أمامك ، (ولله المثل الأعلى) ، بل أكثر من ذلك، يجب أن تتعامل مع الله ، أن تكون بما في يد الله أوثق مما في يدك .

إفرض في يدك مائة مليون دينار، وتعلم أن عند الله عز وجل أكبر وأكثر من ذلك ، تعتمد على ما عند الله وهو في علم الغيب ، ثم تترك هذا إن كان حراماً ؛ إن كنت تعتقد أن الله رازق :

(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله) (النساء : ٩)

يعني : إن الذي يخاف على أولاده يجب أن يعمل لهم حصناً ومكاناً مكيناً ، وهو التقوى ، التقوى عند الله عز وجل هي التي تحمي أولادك وترعاهم .

(وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) (الكهف : ٨٢)

وتوحيد الألوهية ؛ **ألا تُقسم إلا بالله** ، لا يجوز القسم لا بالأمانة ولا بمسؤول ، ولا بعظيم ولا بالشرف ولا بالوالدين ، هذا كله شرك ، «**من أقسم بغير الله** – في الحديث الصحيح – **فقد كفر أو أشرك**»[1] . طبعاً شرك أصغر لا يخرجه من الإسلام ، «**ولا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت** – الطواغيت – يعني : العظماء أو الأصنام – الحديث .. بآبائكم ولا بالطواغيت **ومن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**»[2]، كذلك النذر يجب أن يكون لله رب العالمين .

(وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) (البقرة : ٢٧٠)

فإذا نذر لسيده الشيخ الفلاني، أو للقبر الأخضر، أو للقبر الفلاني ، أو لأي واحد ولو لنبي ؛ النذر لا يجوز للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، ولا يجوز لا للرسول ﷺ ولا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه.

القانون يجب أن يفرد الله عز وجل :

(وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله وهو الحكيم العليم) (الزخرف : ٨٤)

(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم)(الشورى : ٢١)

سمى الله عز وجل تلقي الشرائع من عند غير الله شركاً

(وإن الظالمين لهم عذاب أليم) (الشورى: ٢١)

ولذلك يجب أن تفرد شريعة الله وحدها بالطاعة ، «**ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[3] ، وعندما قرأ سيدنا رسول الله ﷺ الآية :

(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم) (التوبة : ٣١)

وكان عدي بن حاتم جالساً – عدي كان زعيماً من زعماء القوم ، ابن حاتم الطائي ، وكان نصرانياً فأسلم – فعندما سمع الآية (**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم**) قال : يا رسول الله ما عبدوهم – وهو يفكر يصلي أربع ركعات لهذا الراهب : الله أكبر، –قال : يا رسول الله ما عبدوهم .قال : بلى ، **أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم فتلك عبادتهم إياهم**»[4] الحديث في الترمذي والكلام طويل على موضوع توحيد الألوهية .

ننتقل إلى توحيد الأسماء والصفات، توحيد الأسماء والصفات أن لا نطلق على الله عز وجل اسما لم يسمّ به نفسه، ولا سماه به رسول الله ﷺ، يعني: رب العالمين سمّى نفسه سميعاً، لا يجب أن نسميه سامع، لماذا؟ لأن هذا اشتقاق والاشتقاق لا يجوز. يعني أقول:

---

(١) رواه الترمذي وأحمد والحاكم بلفظ «من حلف بغير الله فقد أشرك» انظر صحيح الجامع الصغير رقم (٦٢٠٤). (٢) رواه مسلم. (٣) رواه البخاري.

(٤) رواه الترمذي، وقال هذا حديث غريب، انظر تحفة الأحوذي، الجزء الثامن صفحة (٩٤٢).

أخوك الكبير الذي تحترمه اسمه محمد، إذا ناديت وقلت: تعال يا حمدان، سيغضب، سيتأثر، أو تعال يا حميد مع أنه مشتقة من حمد يحمد محمد، كذلك رب العالمين لا يجوز الاشتقاق من أسمائه أبداً، أسماء الله على التوقف: التوقف أي توقيفية ، أي أنها تتوقف على السماع من النصوص، مثل ما جاء في القرآن نسمي رب العالمين، كما سمّى نفسه في القرآن، أو كما سمّاه رسول الله ﷺ: كما سمّى نفسه سميع لا يجوز أن نسميه (سامع) .

فإذا جاء لنا ولد ، لا يجوز أن نسميه عبد السامع ، ولا يجوز أن نقول : يا سامع ، بل "يا سميع ارحمني، يا قدير يا عليم ياعلاّم" إلى آخره . فما دام رب العالمين سمّى نفسه جبار .. ليس من الأسماء جابر ، فما يجوز أن نسمي عبد الجابر ، لأنه لم يأت في أسماء الله عزوجل اسم (جابر) كما نعلم .

رب العالمين سمّى نفسه (ستّير) على لسان رسول الله ﷺ، ولذلك لما يعثر ابنك لا تقول : يا ساتر . يجب أن تقول : يا ستير لأن (الساتر) ليس من أسماء الله عز وجل .

يجب أن يدعى الله عز وجل بما سمى به نفسه ، أو سمّاه به رسوله ﷺ من غير اشتقاق ولا تأويل ولا تحريف ولا تعطيل . هذه العقيدة التي تبدأ بـ (لا إله إلا الله) : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

كذلك العقيدة: أن نعتقد أننا سنتقف في يوم من الأيام بين يدي رب العالمين ، أن هنالك بعث وهنالك نشور وحشر وميزان وصراط، وجنة ونار: هذه العقيدة هي صمام الأمان في الحياة كلها، ولا يمكن أن تستقيم الحياة إلا إذا اعتقد الناس بالبعث بعد الموت، وإلا يأكل بعضهم بعضاً، وينضب معين الخير من النفس البشرية، وتنطلق على أهوائها مع شهواتها، تأكلها الشهوات كما تمزق الذئاب الأجساد.

عندما تعتقد أن هنالك بعث ، هذا سيمنعك من الظلم إذا قدرت ، لأنك تعتقد أنك في يوم من الأيام ستقف وتحصى عليك هذه، ويمنعك أن تأكل أموال الناس ، لأنك تعلم أنك ستقف في يوم من الأيام ، ويقول الله عز وجل: خذوا منه حقوقكم.

«أتدرون من المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وحج - إلى آخره - وقد ظلم هذا وأكل مال هذا وقذف هذا وسفك دم هذا، فيأخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ، ثم طرح في النار»[1].

ولذلك هذه العقيدة كانت تدفع الصحابة أن يتخلوا من أموالهم جميعاً ، والقصص كثيرة جداً لا أستطيع أن أحصيها .

عائشة رضي الله عنها في يوم من الأيام جاءها مائة ألف درهم وكانت صائمة ، فوضعتها على طبق وأخذت توزعها حتى أتت عليها جميعاً ، قالت لها الخادمة : لو أبقيت لنا درهماً حتى نفطر منه نشتري به فطوراً ، قالت : لو ذكرتني لأبقيت ثمن الخبز ، هي نسيت الدنيا !! .

عثمان بن عفان رضي الله عنه : جاءت القافلة فيها ألف بعير محملة في عام الجدب، وأقبل التجار عليه جميعاً - تجار المدينة-، قالوا له : الدرهم بدرهمين - ألف جمل تساوي ثمنها مليون دينار أو مائة ألف على الأقل - الدرهم بدرهمين ؟! .. قال : دفع لي زيادة، "الدرهم بثلاثة"، قال: دفع لي زيادة ، "الدرهم بأربعة" ، قال : دفع لي زيادة ، قالوا : نحن تجار المدينة جميعاً فمن دفع لك أكثر ، قال: إن الله قد أعطاني في كل درهم عشرة، فهل عندكم زيادة على رب العالمين ؟ قالوا : لا ، قال : هو صدقة على فقراء المسلمين .

ولذلك يعجب الإنسان أحيانا عندما يرى آثار هذه العقيدة في الحياة ، عقيدة البعث بعد الموت . أبو بكر رضي الله عنه، يوم غزوة تبوك ندب رسول الله ﷺ الناس حتى يدفعوا، وإذا به يأتي بجميع ماله ، **(قال : ماذا أبقيت لأهلك ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله)**[2] ، وكما قالوا لأحد الصالحين وقد أنفق ماله كله في سبيل الله ، قالوا له : ماذا أبقيت لأولادك؟ قال: ادخرت مالي عند ربي، وادخرت ربي لأولادي .

وكما يروي الثوري ، يقول له أبو جعفر المنصور : عظني ، قال له : يا أمير المؤمنين شهدت موت خليفتين وتولية خليفتين ، شهدت موت عمر بن عبد العزيز ، وشهدت موت يزيد الثاني ، أما عمر بن عبد العزيز - وروى القصة كذلك مقاتل - فقد جلس أبناؤه فوق رأسه، فبكى ، قالوا : ما يبكيك ؟ قال : أبكي لهؤلاء الذين ماتركت لهم صفراء ولا بيضاء - لا ذهب ولا فضة - صفراء ولا بيضاء ، وأما يزيد الثاني فقد ترك من الذهب ما يقطع بالفؤوس، وإني بعد زمن رأيت أحد أبناء عمر بن عبد العزيز الذين ما ترك لهم لا أصفر ولا أبيض رأيته شدّ على مائة فرس في سبيل الله . ويعني هذا : أن الله قد فتح عليه ، ورأيت أحد أبناء يزيد الثاني يتكفف في أحد أبواب المساجد في المشرق . **(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله)** .

---

(١) رواه مسلم. (٢) رواه الترمذي رقم (٣٦٧٥) وقال حديث حسن صحيح، وأورده ابن الأثير في أسد الغابة في سيرة الصديق (٣/٢١٨).

واعلم أنك غداً – يا أخي – موقوف أمام الله عز وجل :

(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) (الأنبياء : ٤٧)

النظرة محصية، والخطوة محصية، والدرهم محصيٌ، والحركة محصية، وعزيمة القلب محصية عليك :

(ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) (الكهف : ٤٩)

(لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها)كل شيء مسجل (ولا يظلمون فتيلا) ، **(ولا يظلمون نقيراً)** ، **(وما يملكون من قطمير)**، كلها هذا قطمير والنقير والفتيل كلها تختص بنواة التمر ، نواة التمر ! .. الخيط اسمه فتيل ، والقشرة البيضاء الرقيقة التي هي أرق من ورقة السيجارة إسمها قطمير ، والثقب الصغير الذي فيها إسمه نقير ، ورب العالمين ضرب بها الأمثلة : أن الله عز وجل سيأتي بها وبما هو أقل منه .. هذه عقيدة .

أما العبادة ، فيجب أن يكون المسلم مصحفاً يتحرك ، يترجم إلى واقع ، يجب أن يترجم الإسلام إلى واقع ، سلوك ، قيم ، خلق، تعامل يراه الناس ، فيفهمون ما هو القرآن، ونحن نعرف أن الإسلام الذي يعتنقه الآن قرابة بليون من البشر (ألف مليون) معظم هؤلاء ما دخلوا في دين الله إلا عن طريق أخلاق الصحابة ، وإلا عن طريق الذين حملوا لهم هذا الدين، في أندونسيا ما دخلها جندي محارب في سبيل الله ، إنما هي أسلمت جميعاً على يد حفنة من التجار المسلمين ، وثقوا بهم واطمأنوا إليهم ، فاطمأنوا إلى هذا الدين الذي يحملونه، كما قال النصارى في بلاد الشام لأبي عبيدة : – يوم أن أرجع لهم الجزية – والله لعدلكم أحب إلينا من ظلم حكامنا ، فعندما يرون أمثال أبي عبيدة تؤمن الجماهير وتدخل في دين الله أفواجاً .

وكذلك المسلم قبل أن يعظ الناس يجب أن يعظ نفسه .

يا أيها الرجل المعلم غيره	*هلا لنفسك كان ذا التعليم*
لا تنه عن خلق وتأتي مثله	*عار عليك إذا فعلت عظيم*

(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) (البقرة : ٤٤)

فإذا نصحنا الناس أن يقيموا الليل يجب أن نقوم قبلهم ، وإذا أمرنا الناس ، أو وجهنا الناس إلى القرآن يجب أن نتوجه قبلهم، إذا وجهنا الناس للإنفاق يجب أن نكون أمامهم ، لأن الذين يريدون أن ينقذوا الناس يجب أن يكونوا عالين حتى يرفعوا الناس، وأقوياء حتى ينتشلوهم ، وطاهرين حتى يطهروهم ، أما النجس فلا يستطيع أن يطهر الناس ، وأما الذي يعيش في الحفر، في الطين، فلا يستطيع أن يرفع الناس ، والضعيف لا يستطيع أصلاً أن يرفع الناس من وهدة الجاهلية التي يعيشون فيها .

يجب على الدعاة أن يتمثلوا هذا الدين ، ويكونوا أقوياء ، رسول الله ﷺ – كما حدث الصحابة عنه – كان إذا ذكر الكرم فهو أكرمهم ، وإذا حمي الوطيس فهو أولهم وأقربهم إلى العدو ويتقون به ، وإذا ذكرت الشجاعة فهو أشجعهم ، وإذا ذكر الوفاء فهو أوفاهم، وإذا ذكر التواضع فهو أكثرهم تواضعاً ، وكذلك حسن الخلق والتعامل مع الزوجة والأولاد والصغير والكبير .. هو سابقهم في كل شيء.

ومن هنا استقوا منه كل شيء ، وكذلك الموجهون يجب أن يكونوا كذلك . الدعاة الذين يحملون دين الله عز وجل يجب أولاً أن تكون ثقافتهم إسلامية . العلم .. قال الله ، قال رسوله ﷺ ، قال الصحابة .. ليس بالتمني ! يجب أن تكب على كتاب الله تلاوة وتدبراً ومعرفة ، على سنة رسول الله ﷺ ، نتعرف عليها ، على سيرة السلف الصالح ، على حياة الصحابة ، نقتبس وننهل ونستنير ونستضيء، فإذا العلم الشرعي ؛ ننتقل إلى نقل هذا العلم الشرعي إلى واقع الحياة ، يعني : من العيب أن ينتهي رمضان والمسلم لا يختم القرآن مرتين على الأقل مهما كان عمله ، أنت تريد أن تأخذ المال معك إلى القبر ، أنت تريد أن ترتفع منصباً فوق فرعون ، تريد أن تجمع مالاً أكثر من قارون ، أو تريد أن تتاجر أكثر من أبيٍّ بن خلف ، أنت بحاجة أن يكون لك أوقات في العبادة ، تخلو مع ربك وتجلو بها قلبك، إن هذه القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد، وجلاؤها ذكر الله وتلاوة القرآن . **«والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم .. وجاثم على قلبه مادّاً خرطومه يكاد يلتقمه، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس»**[1] .

---

(١) أصل الحديث في البخاري دون قوله (وجاثم على قلبه).

ولذلك كما قال أبو هريرة : شيطان المؤمن ضعيف ، هزيل ذليل ، وشيطان الكافر سمين كبير وعتل ، فيسأل شيطان الكافر شيطان المؤمن يقول : ما بالك ضعيف هزيل ؟ قال له : هذا يحرمني من كل شيء - الذي أنا معه - إذا أكل سمىّ فيحرمني من الطعام فأبقى جائعاً ، وإن لبس قال : باسم الله الذي لا إله إلا هو .. فأبقى عارياً ، وإن دخل بيته سمىّ الله فأبقى خارج بيته ، ولذلك تراني هكذا مهزولاً . في رواية : أنه من شدة الذكر ، كثرة الذكر ، الشيطان من كثرة إشعاع الذكر عليه يصعق .. في الحديث يصمق - يغمى عليه - فتمر الجن به ، فتقول : ما باله ؟ فيقولون : صرعه الإنسي ، الإنسي هذا .. صرعه القرين الإنسي .. صرعه ؛ لكثرة ذكره، ولذلك دائماً مسحور ، مغلوب ، هزيل ذليل ، وأما الفاسق أو الكافر - أعوذ بالله - فينسى التسمية ، ينسى ذكر الله عز وجل ، ومن هنا يأكل معه ويشرب معه وينام معه ، وفي هذا كله أحاديث صحيحة ، ومن هنا هو سمين ، كبير ، ضخم ، فأنت بحاجة وأنت تدخل المعركة مع الشيطان ، مع الهوى ، مع نفسك ، مع أعدائك في الدنيا - وما أكثر الأعداء من الإنس والجن والهوى والنفس - أنت بحاجة إلى عزم، أنت بحاجة إلى سلاح ، لابد أن تمشي إلى المعركة بسلاح ، والذي يمشي بغير سلاح هذا مهزوم لا محالة . والسلاح : الصلة بالله عز وجل وذكر الله عز وجل وتلاوة القرآن ، كذلك العبادة والنوافل .

يوجد ناس لا نراهم إلا في رمضان في المسجد ، وبقية السنة لا نراهم في المسجد أبداً ، عباد رمضان ! ، وبعد أن انتهى رمضان ، عاد كلٌ إلى سبيله ، وعاد الشيطان يأخذ بخطام صاحبه كما كان يأخذ به .

الله في شوال وفي رمضان وفي ذي القعدة وفي رجب ، ولذلك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة **«يا غلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف»**[1] .

لا يمكن للبشر جميعاً أن يغيروا من قدر الله شيئا ..

(قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وماله منهم من ظهير) (سبأ : ٢٢)

وكما كتبت السيدة عائشة رضي الله عنها إلى سيدنا معاوية رضي الله عنه ، قالت له : **«أما بعد : من أرضى الله بسخط الناس** - من أرضى الله وأسخط الناس ، يعني : أغضبهم - رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، **ومن أسخط الله** - أغضب الله - **برضى الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ، واعلم أن رزق الله لا يضره حرص حريص، ولا ترده كراهية كاره ، واعلم أن الله برحمته وعدله قد جعل الفرح والروح بالرضى واليقين ، وجعل السخط في الشك»**[2] .

أو كما جاء في الآثار عن الصحابة وعن رسول الله ﷺ .. في الأيام العادية حافظ على الصلوات ، وحافظ على تلاوة القرآن، كل يوم جزءاً ، تعرّف ، ماذا يريد ربك ؟! لأن هذا القرآن رسالة من عند ربك ، يريد منك بها أشياء فافتحها واقرأها ، من العيب إذا جاءتك رسالة من أخيك ألا تقرأها ! فإذا جاءتك رسالة من ابنك العزيز تقرأها مرة واثنتين وثلاثاً ، وإذا كانت أم مولعة وقد جاءتها رسالة من ابنها قد تقبلها وتضعها على رأسها عدة مرات .. رب العالمين أرسل لك هذه الرسالة ، ودفع ثمن إيصالها دماء وجماجم وشهداء وأشلاء، فالأولى بك حياء - حياء من الله ، قليلاً من حياء من الله- أنت تتعرف ماذا في كتاب ربك ، ماذا في المكتوب الذي أرسله رب العالمين إليك ، وحمله إليك محمد ﷺ .

كذلك لا ننسى كما قلنا: تلاوة القرآن، الأدعية، كتاب المأثورات، ما هو المأثور؟ يعني: المنقولات عن رسول الله ﷺ، ماذا تقول عندما تدخل المسجد، عندما تخرج منه، عندما تأكل، عندما تشرب، عندما تنام، عندما تقوم، عندما تدخل الدورة وتخرج منها، عندما تلبس ثوبا جديداً، عندما ترى المطر، عندما ترى القمر، كل ذلك فيه أدعية عن الرسول ﷺ .

كتيب صغير للأستاذ البنا رحمه الله نقله عن الأذكار ، وهو منقول عن رسول الله ﷺ ، حتى تكون على آثار رسول الله ﷺ في حلّك وترحالك ، وفي قيلك ومقالك .

كذلك لا تنس في أثناء السنة الصدقات بالإضافة إلى الزكاة ، لا تنس كذلك أن عليك السنن ، لا تنس إن استطعت أن تصوم تطوعا ، لا تنس لأنه ، **«ومازال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به،**

---

(١) صحيح الجامع الصغير ص (٧٩٥٧) دون زيادة تعرف على...

(٢) حديث صحيح، رواه الترمذي وأبو نعيم في الحلية بنحوه، انظر سلسلة .

وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»[1].

بعد ذلك : بعد أن عرفنا الإسلام عقيدة وشريعة وعبادة ، كذلك نظام الحياة – هذا الدين – يجب أن نحاول نقله نظاماً للحياة في كل مكان .

وكل مسلم مسئول أمام الله عز وجل أن يحمل هذا الدين ويحاول رفعه مرة أخرى ، ويعيد القرآن مرة أخرى إلى المنصة حاكما مسؤولاً عن ذلك ، وإلا فأنت مسؤول بين يدي رب العالمين ، مسؤول لأنك لم تحاول نقله إلى الناس ، ومسؤول لأنك لم تحاول أن تعيده لما أنزل إليه ، لأن هذا الكتاب أنزل ليحكم به ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه) (البقرة : ٢١٣)

هذا الكتاب نزل ليحكم :

(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) (النساء:١٠٥)

فإن حملته فقد أديت ما عليك ونجوت من السؤال بين يدي رب العالمين ، يسألك : هل حاولت نصرة ديني ونقل شريعتي ؟ فأعد لذلك جواباً :

(وقفوهم إنهم مسؤولون) (الصافات : ٢٤)

فتسألون أمام رب العالمين ونحن نعلم ، وكل داعية يجب أن يعلم أن هذا الإسلام سيعود مرة أخرى إلى الحكم ، رضي الطغاة أو لم يرضوا ، قاوموا أو لم يقاوموا، ضرب الدعاة ، علقوا على الأعواد، مشطت لهم الأجساد، تناثرت أشلاؤهم، سقطت دماؤهم أو لم يقاوموا سيعود هذا الدين مرة أخرى ، لأنه دين الله عز وجل فإن أنت حملته فقد أخذت مكانك في الركب الذي يقوده محمد وإبراهيم وعيسى وموسى عليهم الصلاة والسلام ، أنت في الركب فلا تترك الركب ، أنت في صفوة طيبة لا تترك صفوة المتقين ، لا تترك السير وراء هؤلاء:

(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (الأنعام : ٩٠)

والله عز وجل من نعمته وعظمته أنه يجب أن ينشر هذا الدين ، لماذا ؟ لينعم الناس به، وليستظلوا في ظلاله ، لأنه لا يمكن أن تستريح البشرية ، لا يمكن أن يستريح الفرد ، لا يمكن أن يستريح أي فرد في داخل الأسرة ، ولا في داخل المجتمع ، ولا في داخل الوظيفة ، إلا إذا كان الجميع ينتظمون سلكاً واحداً ، وهو سلك الإسلام ، ويقومون على حكم واحد ، وهو الصراط المستقيم إلى رب العالمين ، بدون هذا لا يمكن أن تستريح النفس البشرية .

والله عز وجل وضع قاعدة ، أنزل قاعدة لا تتخلف ، قال (**فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى** – لا يتعب ولا يكل-، **ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى** – معيشة شديدة وقاسية – **قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى**).

وأي إنسان متبصر يدرك هذه القاعدة في المؤمن وفي الكافر ، وكيف أن المؤمن يعيش في راحة ، يعبر عنها السابقون : نحن في سعادة لو علمها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف . وكما قال ابن تيمية عندما وضعوه في سجن القلعة ، سجن القلعة أمام السجن المركزي ، -فيقول : ماذا يصنع فيَّ أعدائي ؟ إن جنتي وبستاني في صدري لا تفارقني، يعني : بداخله المستراح والراحة ، إن سجني خلوة ، وإن قتلي شهادة ، وإن نفيي سياحة ، ماذا يفعلون هؤلاء ؟ .

هذه النفسية التي تعيش في ظلال هذا الدين ، كل العالم يمكن أن يزحزح جبلاً من مكانه ، ولا تزحزح هذه النفسية المؤمنة من موقفها.

ولذلك قال له الأمير : أنا أعلم أنك رأيت الناس يتبعونك ويعملون معك ، ومئات الألوف يعجبون بكلامك ، أنت تطمع بهم وهم خائفون على أنفسهم .

---

(١) جزء من حديث صحيح قدسي رواه البخاري.

الشجاعة والكرم

يا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً : اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل ، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير) (الحديد : ١٠)

لقد رفع رب العزة درجات المؤمنين بأعمالهم ، واختار رب العزة من بين الأعمال الصالحة صفتين مميزتين لرفع الدرجات والتقريب من الله عز وجل، هاتان الصفتان هما : الشجاعة والكرم ، (**لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل**)، وذلك لأن في الإنفاق صعوبة ، ولأن في القتال مشقة وتعب ، حيث كانت الأرض كلها متكالبة على المسلمين ، ولم يكن في الأرض قطعة واحدة يقف فيها الإسلام على قدميه سوى بلدة واحدة وهي المدينة المنورة ، وإن كان الفتح هو فتح مكة ، أي في السنة الثامنة للهجرة، فإنها كذلك لم يكن هنالك إلا هذه البقعة التي يقف فيها المسلم على قدميه دون خوف أو وجل ، وإن كانت بيعة الرضوان ، فكذلك الأمر (.. **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا**) ، رفعت الأعمال درجات أصحابها، وازدادت مكانتهم في قلوب المؤمنين وعند الملأ الأعلى ، ورفعتهم درجات عند رب العالمين .

صفتان عظيمتان

الشجاعة والكرم هاتان الصفتان اللتان تحيا بهما الأمم ، والبخل والجبن ، هاتان الصفتان اللتان بهما تبيد الأمم وتزول ، ولذا لا يمكن أن يستمر قوام أمة ولا أن يمتد ميدان مدنيتها ولا تتعمق أصالتها ولا حضارتها إلا إذا كانت هاتان الصفتان هما اللتان يقام عليها المجتمع ، ولذا فإذا قلت الشجاعة أو انتشر البخل ، فالأمة آذنة بالزوال بنص من فوق سبع سموات :

(إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير)
(التوبة : ٣٩)

(ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) (محمد : ٣٨)

والأمة المسلمة يوم أن نسيت تعاليم ربها ووصايا خالقها وإرشادات بارئها، عادت في ذيل قافلة الأمم ، يوم أن نسيت التوجيهات الربانية ، أن الأمم إنما تحيا بشجاعتها وصفائها، بسماحتها وكرمها، ببطولتها وتضحيتها، عادت رعاعاً يتسلط على رقابها كل كافر، وينفذ أمره فيها كل فاجر، وعادت لا تملك منزلة إلا على هامش التاريخ، ولا تعتبر في مصاف الأمم ، ولا بين البقايا التي تستحق الاحترام .

الشجاعة والسماحة : السماحة وهي الكرم ، والشجاعة التي هي قوة الصبر ، الصبر وهو قوة القلب، لأن الشجاعة لا تعتمد على قوة البدن، فكم من بدين يفرّ لأول صفرة :

هلاّ خرجت إلى غزالة في الوغى	*أم كان قلبك في جناحي طائر*
أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة	*خرقاء تجفل من صفير الصافر*

قالته امرأة أو قاله شاعر يعيّر الحجاج يوم أن دخلت غزالة الخارجية الكوفة بثلاثمائة رجل وهزمت الحجاج ، الحجاج الذي أهلك الحرث والنسل ، ولكن قلبه ضعيف لكثرة الظلم ، ففرّ لأول صفرة وأول علامة ظفر .

وشجاعة القلب إنما هي الشجاعة ، والشجاعة لباسها الصبر ، ولا صبر ولا شجاعة إلا إذا كان القلب مطمئناً موصولاً مع رب العالمين ، والقلب المؤمن قلب قوي، ولذا لا يجزع ولا يفتر ، فإذا نال من الدنيا لا يتكبر ، وإذا نيل منه لا يجزع ولا يئن :

(لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) (الحديد : ٢٣)

الصبر على الدنيا ومغانمها ، والصبر على الآلام ومغارمها ، ومن هنا فالرجل الرّقوب كما قال الرسول ﷺ جمعة مع الصرعة قال : **(ما تعدون الرقوب فيكم؟ قالوا الرقوب فينا من لا ولد له، قال : الرقوب من لم يقدم شيئاً من ولده)**[1]، أي أنه لم يضحِّ ويصبر على مصيبة ، والرقوب من الرقابة، لأنه ليس له إلا ولد واحد وهو يخاف عليه الموت ، ويترقب كل مصيبة ، أو نسمة هواء ، أو عاصفة أو غير ذلك تهب عليه، فهو يترقب ابنه ليل نهار، ولذا سميَّ (رقوب)، وهذا الرقوب الذي يخاف على ابنه الذي يخشى أن تتخطفه يد المنون .. قالوا : الرقوب من لا ولد له، قال : الرقوب من لم يقدم شيئاً من ولده ، أي من لم يضحِ بشيء من أبنائه تكون فرطاً له على الحوض، أو شفعاء له عند الكوثر ، ثم قال : وما تعدّون الصرعة فيكم ، الصرعة يعني : الشديد المراس ، فقال ﷺ : **(ليس الشديد بالصُّرَعَة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)**[2]، فالصبر عند الغضب وعند الحزن ، والصبر على الدنيا وما آتاه الله منها ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يصفونه يقولون: لا يبطر إذا غَلب ، ولا يجزع إذا غُلب **(لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)**، وعندما مدحه حسان بن ثابت رضي الله عنه وكعب بن زهير مدح المهاجرين والأنصار فقال أحدهما :

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا

ليسوا مفاريح إن انتصروا ، وليسوا مجازيع ، -أي ليسوا من أصحاب الجزع- إذا نيل منهم وضربوا .

لا فخر إن هم نالوا من عدوهم وإن أصيبوا فلا خـور ولا هلعُ

أي : لا تقلّ زمامهم ولا تهبط قوامهم ولا ييأسوا ، ولا هلعوا ، أي : لا يصيبهم الهلع ..

(إن الإنسان خلق هلوعا، إذا مسه الشر جزوعا، وإذا مسه الخير منوعا، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) (المعارج : ١٩-٢٣)

قلوب المنافقين

وهذا الميزان ميزان القلب المهتدي المؤمن الثابت، عدم الفرح والبطر إذا انتصر، وعدم الجزع والهلع إذا غُلب .

لا يحافظ على هذه الوصية إلا قلب مؤمن واثق بربه، متصل بخالقه ، ولذلك الذين يكثرون من الذنوب هؤلاء أول ما يفرون من المعركة، وكما قال الله عز وجل عنهم :

(أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) (الاحزاب : ١٩)

هذه القلوب المريضة المنافقة لا تستطيع أن تثبت أمام عدو ، لأن كل ذنب من الذنوب إنما هو سهم يصيب القلب، فيمرض القلب وإذا تكاثرت السهام على القلب اشتد المرض ، وكل ذنب ينكت نكتة سوداء وهي تكون أثراً من عذاب النار كما تظهر الحبيبات إثر الحمى الباطنية هذه النكات السوداء التي تتكون على القلب كحبيبات تعكس أمراضاً داخلية ، وكلما ازدات الحبيبات ، كلما ازداد المرض، ، وكلما ازداد مرض القلب كلما ازداد ضعفه ، وعندها لا يصبر على مصيبة، ولا يشكر عند نعمة ، ولذا يصفهم الله عز وجل :

(ويحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون ، لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدَّخلا لولوا إليه وهم يجمحون) (التوبة : ٥٦ - ٥٧)

أي : يهرعون ويسرعون ، لماذا ؟! ، قلب قد أوهنته سهام المصائب ، قد أوهنته سهام الذنوب، وأضعفته سيوف الآثام ، فبقيت

---

(١) حديث صحيح، رواه أبو يعلى بلفظ (عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : ما تعدون الرقوب فيكم؟ قالوا: الذي لا ولد له، قال: بل الذي لا فرط له)، انظر مجمع الزوائد للهيثمي الجزء الثالث صفحة ١١ .

(٢) رواه البخاري ومسلم.

فيه الثقوب ، وفيه صمامات مصابة ، وفيه جدران مصابة، وفي كل ناحية من نواحيه تجد إصابة وأثر ضربة من ضربات الشيطان ، فلم يعد قادراً على أداء عمله ، ومن هنا فهذا القلب المريض ، حتى الدم لا يستطيع أن يوزعه أو يدفعه عند الحاجة الضرورية ، ولذلك يقول رسول الله ﷺ عن الذين لا يتأثرون عند رؤية المنكرات: " إنه لم يتمعّر وجهه غضباً لي". في الحديث القدسي كما جاء في الرواية:

(أوحى الله إلى ملائكته أن اخسفوا أهل قرية كذا، فقالوا: يا رب إن بها فلاناً عبدك الصالح، قال: به فابدأوا، لأنه لم يتمعر وجهه يوما غضباً لي)[1]

وتمعر الوجه احمراره ، وهل تدرون لماذا يحمر الوجه عند الغضب لرؤية المنكرات؟.. إنها غيرة المؤمن وغضبه لله، فيزداد تدفق الدم من القلب إلى الوجه فتزيد آثار الغيرة وحرقته وحرارة القلب تبين على الوجه ، ولذا كان ﷺ كما يصفونه **(إذا غضب كأنما فقيء في وجهه حب الرمان)**[2] من الاحمرار ، وكان لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمة من حرمات الله عز وجل ، ولذلك فقلب المؤمن الصادق ، قلب ثابت في المصائب والنعم ، قلب يعكس آثاره على نفس مطمئنة، وعلى سلوك متزن ، لا تستخفه نعمة فرح ، ولا تستثيره نقمة عزاء ، إنما هو ثابت فلا يسمع صوته لا بالفرح ولا بالحزن **(صوتان ملعونان رنة عند فرح وصوت عند مصيبة)**[3]. ولذلك أخبر الله عز وجل **(أشحة عليكم)** كأنه يصف حالنا هذه الأيام ، أولئك الذين لم نسمع منهم كلمة تشجيع واحدة ، أولئك الذين يتتظرون منا عثرة حتى ينشروها ، أولئك الذين يترقبون منا أية هفوة حتى يعظموها ، لماذا ؟ لأنهم قاعدون ، لا يستطيعون أن يقفوا مواقف الرجال، ولا أن يصطفوا بأقدامهم عند احتدام القتال ، فإذا حمي الوطيس تجدهم في المغارات والمداخل ، وإذا جاءت الغنائم تجدهم انما يبخلون به ، **(فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد)** وما أطول ألسنتهم ! ما أطول ألسنتهم إذا ذهب الخوف ! أما إذا جاء الخوف ، تراهم كالمغشي عليه من الموت .. ميت ولكن النفس لا تزال تجري ، إنه ميت في ثياب الاحياء .

ليس من مات فاستراح بميت — إنما الميت ميت الأحياء

تجده جالساً فوق أريكته كما قال ﷺ : يتجشأ لكثرة اللحوم والفواكة التي انتفخ بها بطنه، وأنواع الطعام والشراب، وكما يصفهم ﷺ في الحديث الصحيح **(إن الله يكره كل جعظري متكبر ، حمار في النهار جيفة في الليل ، عالم بأمور الدنيا جاهل بأمور الآخرة)**[4] جعظري ، متكبر ، منتفخ ، لا تكاد في الأيام العادية تستطيع أن تتكلم معه كلمة ، إما يتكلم معك من رأس أنفه ؛ إذا تواضع وتكلم مع الناس .. وكم من فقير مدفوع ببابه، وكم من منافق يتحوط حوله يكوّن حاشيته . كل جعظري جواظ صخاب في الأسواق ، جواظ جمّاع مناع ، جمّاع مناع للمال .

صخاب في الأسواق : كثير الثرثرة ، لا يسمح لأحد أن يتكلم في مجلسه .

في الأيام العادية تجده في شجاعة عليّ، وفي إقدام عمرو، وفي سماحة حاتم :

إقدام عمرو في سماحة حاتم — في حلم أحنف في ذكاء إياس

هذه الأيام العادية ، فإذا اقترب العدو رأيته كالميت في ثوب الأحياء، لأنه لا يستطيع أن يقف كما يقف الرجال فهو كالغزال في الهرب ، ولكنه في الأيام العادية : جعظري ، جواظ ، صخاب ، جيفةٌ في الليل ، لا يصلي في الليل ، حمار في النهار ؛ يواصل عمله من قبل طلوع الشمس إلى منتصف الليل ، وقال عنه النبي ﷺ حمار، لأن الحمار من أفضل الحيوانات، وهو من أفضل الحيوانات قدرة على العمل من الشركة إلى المتجر ، ومن السوق إلى المصنع ، وهكذا ، حمار في النهار يتبع آناء النهار ساعة بعد ساعة ، العرق يتصبب حتى يجمع الأموال لكي ينفقها أبناؤه غداً ، سواء في السكر أو في الزنا أو في افتعال المحرمات ، أو في السفرات والرحلات ما بين لندن وامريكا وواشنطن وبانكوك .. عالم بأمور الدنيا .. إسأله عن أي خبر في الجريدة أو الراديو ، لا يفوته أبداً، وضعْ بين يديه المصحف ؛ لا يستطيع قراءة آية واحدة ، جاهل بأمور الآخرة ، هؤلاء الناس بهم تصاب المجتمعات وهم أدوأ دائها وهم أشد أمراضها، وكما قال القرآن الكريم : عن الجد بن قيس (زعيم بني سلمة) :

(ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ، إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون)

(التوبة : ٤٩ – ٥٠)

---

(١) حديث ضعيف، رواه الطبراني في الأوسط، أنظر مجمع الزوائد للهيثمي الجزء السابع صفحة (٢٧٢). (٢) حديث صحيح ، رواه الطبراني بلفظ كان إذا غضب احمرت وجنتاه. أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٤٧٥٨) . (٣) حديث حسن، أنظر صحيح الجامع الصغير. (٤) حديث صحيح رواه البيهقي بنحوه، أنظر صحيح الجامع الصغير.

المنافقون وأفغانستان

هؤلاء القوم يترقبون الجهاد الأفغاني ، فإذا رأوا مزلةً ، أو انزلاقاً ، أو خطأ ، ينشرونه على الملأ ، ويوسعونه ويضخمونه ليثبتوا خطأ الذين يعملون مع هذا الجهاد ، ليثبتوا أن هؤلاء قوم متهورون لا عقول لهم ، ولا بأس ، وكما قال المتنبي .

يرى الجبناء أن الجبن عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم

أصبح الجبن حزماً ، وأصبح القعود حكمة ، وأصبح الخور اتزاناً ، أما الذين ينفرون لحماية أعراض المسلمات ، ولحماية دين الله عز وجل، ولصيانة المقدسات ، وليبذلوا دمهم رخيصاً من أجل أن تحفظ الكرامة ، ومن أجل أن تبنى المبادئ ، ومن أجل أن تشاد صروح المجد لهذا الدين ، هؤلاء عملهم تهور ، وعدم انضباط ، وعدم حكمة ، وعدم اتزان ، والكفار يعلمون حتى طبيعة هؤلاء ، كان الصينيون يوصون الذين يتدربون عندهم في الثورة الفلسطينية يقولون لهم : إن أردتم أن تقوموا بعملية جريئة فاياكم أن تشركوا فيها الذين يفكرون طويلاً ، هؤلاء يعطلون أية عملية مهما كان تخطيطها ، ويثبطون أي مجموعة مهما كانت شجاعتها، انتقوا إليها الذين يغضبون بسرعة ، الذين ينفذونها بسرعة ، اختاروا لها الشباب الذين يضحون بأرواحهم دون أن يفكروا لماذا يضحون ، لكن الشباب المسلم يعرف لماذا يضحون ، إنما يضحون من أجل رب العالمين ، وكانت بريطانيا في الحرب العالمية الثانية في الحروب تختص بعمليات الصاعقة الشباب الذين لا تتجاوز أعمارهم العشرين ، لأن هؤلاء أرواحهم على أكفهم .

سـأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدا
ونفس الشريف لها غايتان ورود المنايا ونيل المنى
لا تسل عن سلامته روحه فوق راحته
دثرته أمه طلبا لراحته
يرقب الساعة التي بعدها هول ساعته
لا تلوموه قد رأى نهج الحق مظلما
وديـاراً أحبها ركنها قد تهدما
وقصوراً ببغيهم ضجت الأرض والسما

كيف يصبر المسلم وهو يرى الحرمات تنتهك؟! وكيف يصبر المسلم؟ أي غيرة ، وأي دين؟ كما يقول ابن القيم : عن هؤلاء الذين يتركون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، وينقطعون للعبادة والعلم ، يقولون: إن هؤلاء أقل الناس تدينا ، إن هؤلاء لو تعرضت مصلحة من مصالح دنياهم لانتقاص أو غم لوجدته طار عليها ، وغضب لها ، وقام من أجلها ، أما ودين الله ينتهك ، أما وحرمات الله تنتهك ، ووجهه لا يتمعر غضبا ، فأي دين عند هؤلاء .

ولذلك جاء في الحديث : لا تعبأ بهؤلاء ، ولازال القرآن كأنه يتنزل الساعة ، يقول :

(إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) (آل عمران : ١٢٠)

فانظروا إلى الجهاد الأفغاني ، إنهم يأكلون النسوار ، ويشربون الدخان، ويحملون التمائم ، ومختلفون ، هكذا سمعنا من كثير من الناس ، وبعضهم طيبون في العالم العربي وفي العالم الغربي من المسلمين ، هذا الذي ينشرونه عن الجهاد الأفغاني ، أما أن ينشروا أنهم في محافظة واحدة ، في شهر واحد ، في بكتيا أسقطت أربع وعشرون طائرة حربية في القتال الأخير ، هذا لا ينشرونه ، أما أن يقولوا : أن مائتي شخص يقفون أمام آلاف الدبابات ومئات الطائرات هذا لا ينشرونه ، أما أن يقولوا إن أناساً يطعمون الدبابات لحومهم ويسقون المجنزرات دماءهم ، هذا لا يتردد على ألسنتهم ، لا نسمع إلا "هل هؤلاء مختلفون ؟! أحقاً هناك اختلافات ؟! أحقاً هناك اشتباكات بين هؤلاء ؟! أحقاً إن هؤلاء عليهم تمائم وعندهم بدع وشرك وغير ذلك"؟! قلت : سبحان ربي! أي واحد من قادة الأفغان مهما كان سوؤه ، تستطيعون أن تضعوا أحسنكم حالاً وأفضلكم وضعاً ، وإمامكم بالعمل لله ، من منكم يستطيع أن يقف عند مصاف أقدام هؤلاء ؟ هؤلاء يكفيهم فخراً أنهم دوخوا روسيا ، التنين ، السرطان البشع الذي تنتفض البشرية بمجرد ذكره ، إن الذي يدخل بيته هذه الأيام من خوست إلى جرديز إلى جاجي إلى حسن خيل .. ماذا يجد ؟! العجب العجاب .

لا يستطيع الإنسان أن يمسك صحنه إلا وهو يرتجف لكثرة القذائف التي تصب عليه من السماء والأرض ، وهم كم عددهم ؟! ما هي قوتهم ؟! ما هو وقودهم ؟! .. ليس عندهم طعام يوم .

يقول لي أحد الإخوة وقد رجع بالأمس وبعضهم قبل أيام من بنجشير ، قالوا : لقد جاءت مساعدتكم إلى أحمد شاه مسعود وهو قد اقترض منا – وكنا عرباً – لشراء طعام للمجاهدين ، إذ كان معنا كل واحد ثمانمائة روبية ، هؤلاء الذين أجبروا الكفر على ترداد كلمة الجهاد، وأعادوا كلمة المجاهدين إلى قاموس التعامل البشري مرة أخرى بعد أن انتسخت من تلفظ البشر ومن ميدان تعاملهم ، فرضوا كلمة «الجهاد» و «المجاهدين» على التلفاز الامريكي والصحافة الفرنسية والمذياع البريطاني ، أيكم يستطيع أن يقف بجانب هؤلاء ، مهما كان حاله ، ومهما ساء وضعه ، كالمتتبع لهفوات الكفار ، هؤلاء يصابون بموت القلوب ، يقول بن عساكر : اعلم أن لحوم العلماء مسمومة، وأن عادة الله في هتك أستار من أكلها معلومة، ومن تتبع الناس بالذم والثلب أصابه الله بموت القلب .

لا خيل عندك تهديها ولا مال فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

أقيلوا عثراتهم

القرآن ندي كما قلت كأنه يتنزل الساعة :

أشحة عليكم : كلمة طيبة لا تسمعونها، يريدون من الإنسان الذي يتحرك في الميدان ليل نهار أن لا يخطئ ولا يعثر !! إن الذي لا يعثر هو الجالس، لأن القاعد في بيته لا يمكن أن يعثر ويقع ، إن الذي يعثر ويقع إنما هو الذي يتحرك ، كالخيول الدهماء في داخل الحظيرة بالعراء ، وتحت ظلال السماء ، هؤلاء الذين يعثرون ، وهؤلاء الذين يخطئون ، ومعلوم أن المؤمن إذا عثر فإن الله يقيل عثراته، وطلب الله منا أن نقيل عثرات ذوي الهيئات في الحديث الصحيح (**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم ، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر ويده بيد الرحمن**)[1] مع أنه يعثر لكن يد الرحمن لا تفارقه ، يده بيد الرحمن ، ومن هنا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله يقول : ولهذا فقد اتفق السلف والخلف على أنه إذا ظهرت محاسن امرىء وانتشر خيره في المجتمع وأمره بالمعروف ، فإنه يتغاضى عن زلاته وعن هفواته ما لا يتغاضى عن الآخرين، لأن الخطأ والذنب خبث، (**والماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث**)[2] فإن ذنبه خبث يضيع في بحور حسناته ، يضيع في بحور أعماله ومعروفه ، ألم تر أن رسول الله ﷺ قال لعمر عندما قال عن حاطب بن ابي بلتعه يا رسول الله دعني أضرب عنقه إنه قد نافق : «**وما يدريك يا عمر إنه شهد بدراً ولعل الله اطلع على أهل بدر وقال : اصنعوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم**»[3] ، وقال رسول الله ﷺ عن عثمان عندما جهز جيش العسرة ، قال : «**ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم**»[4]، وقال عن طلحة عندما دافع عن رسول الله ﷺ يوم أحد حتى شلت أصبعه قال : «**لقد أوجب طلحة**»[5] أي : وجبت له الجنة ، وقال : «**طلحة ممن قضى نحبه**» حديث صحيح ، وقال : «**من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض ، فلينظر إلى طلحة**»[6] ، والحديث صحيح .

ولذلك الناس إنما هم ناس لنسيانهم ، والبشر إنما هم من أخطائهم ليسوا معصومين «**وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**»[7]، ألم تر أن رب العالمين ، قال :

(إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) (آل عمران : ١٥٥)

.. كانت الهزيمة ببعض ذنوبهم ..

(ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم) (آل عمران : ١٥٥)

لقد عفا عن أهل أحد عندما تولوا عن رسول الله ﷺ وتركوه وحيداً في الميدان ، وهل بعد الفرار من الزحف من كبيرة ؟! والفرار من الزحف عمن ؟! فرار عن رسول الله ﷺ .

(إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في آخراكم فأثابكم غما بغم لكي لا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون) (آل عمران : ١٥٣)

– أي يقول : هلموا إليّ أيها الناس .

---

(١) أورد الشيخ ناصر الدين الالباني هذا الحديث في صحيح الجامع الصغير برقم (١٨٧٨). (٢) صحيح الجامع الصغير رقم (٤١٦). (٣) رواه البخاري ومسلم.
(٤) رواه الترمذي وقال حديث حسن غريب ، أنظ البداية والنهاية الجزء الخامس صفحة ٥. (٥) أنظر القصة بتمامه في البداية والنهاية الجزء الرابع صفحة (٣٧).
(٦) حديث صحيح، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٥٩٦٢) بلفظ «من أحب..». (٧) حديث صحيح، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٤٥١٥).

فهب أن هذا قد ارتكب فاحشة الفرار من الزحف ، هب أنه ارتكب جريمة الزنا ، هب أنه سرق، فإن الله عز وجل قال: {ولقد عفا الله عنهم}، وأيهم أعظم ضرراً ونكتاً بالمجتمع ؟! أولئك الذين لا يتحركون ولو رأوا حرمات الله تنتهك، ودين الله يجتث، ورؤوس المؤمنين تسقط، ولحومهم تتناثر ولا غيرة لديه ولا ضمير ؟! أو الذي يشترك في معارك كثيرة ويفر من معركة واحدة ؟! أيهم أشد ضرراً أو مصيبة على الإسلام والمسلمين ؟! أولئك الذين يمدون أرجلهم ويقولون : هؤلاء الذين يختلفون الأولى لهم أن يتفقوا ، صحيح "الأولى لهم أن يتفقوا" ، هؤلاء الذين يخرجون ويساعدون المجاهدين الأفغان ، " هؤلاء من المتهورين ، هؤلاء أغرار ، هؤلاء صبية ، هؤلاء أطفال التفكير ، هؤلاء لا يعرفون محاور السياسة ، هؤلاء لا يدركون اللعبة الدولية " ، هؤلاء وهؤلاء .. من هذه الالفاظ التي يطلقها علينا أعداء الله كالبعثيين والشيوعيين والقوميين ، لا يتورع بعض الطيبين أن يطلقها علينا ، يقول : الأولى بكم أن لا تذهبوا !! .

وإنن من الأفضل والأولى والأكثر صواباً والأعظم درجة أن تقعد في بيتك ولا تتحرك ، ولو وصل العدو واغتصب زوجتك، ولو أخذ أولادك، ولو دمر بيتك ، أم تتحرك ؟ أهذا هو العقل وهذا هو الحزم ، وهذه هي الحكمة ؟! .

ويحضرني في هذا المقام قصة الشاب التركي الذي جاء إلى بغداد وسأل: ما سبب الحر الشديد في هذ البلاد ؟ قالوا : حكمة، حتى يستوي التمر وينضج البسر والبلح ، قال : إذن فاقطعوا النخيل حتى يعتدل الجو ، لا يريدون أن يقطعوا النخيل حتى يعتدل الجو، ويريدون أن يقطعوا الجهاد والنفير لكي لا يروا خطأ ولا هفوة .. إنهم كما قال عنهم أبو حنيفة : لقد آن لابي حنيفة أن يمد رجله ؛ كان أبو حنيفة جالساً أمام رجل مهيب يبدو عليه الوقار والهيبة والاتزان ، وأبو حنيفة ماسك برجليه ، اتعبته رجلاه ، ما استطاع أن يمدها بحضرة الرجل، حتى إذا تكلم وعرف أنه رجل تافه ، قال أبو حنيفة : لقد آن لأبي حنيفة أن يمد رجله . ونحن آن لنا أن نمد أرجلنا مقابل هده المقالات التي تنشر هنا وهناك ، ووالله ما الباعث عليها في معظم الأحيان إلا (حسداً من عند أنفسهم من بعد أن تبين لهم الحق) ، فأما أن نمد أرجلنا ونعفو، كما قال الله عز وجل :

(فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير) (البقرة : ١٠٩)

الشجاعة والكرم ؛ عليهما تبنى المجتمعات ، وبهما يشاد صرح المجد والعظمات ، وبدونهما تباد الأمم وتزول الأجيال :

(إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير إلا تنصروه فقد نصره الله إذا أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار) (التوبة : ٣٩ - ٤٠)

إلا تنصروا الجهاد الافغاني أيها العرب فقد نصره الله ، فالدبابات تُرد، والطائرات تسقط بفئة قليلة ، ومن شهد معركة جاجي يعلم أن الله عز وجل هو الذي يدير المعركة، بعد أن وصلت الدبابات إلى المركز العام وكادت تدخل .. ما ردّها إلا إرادة الله وقوته ونصرته.

بعد أن كادت تدخل وتصل الحدود ، ورفعت الأعلام البيضاء على بعض النقاط ، إلا أن الله ردها بفعل ..

(فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) (الكهف : ١٣)

وصية شهيد

سبعون من الشهداء ، من الصفوة المختارة الذين اختارهم الله أصفياءً لنبيه ، وحملة لدينه ، ومبلغين لشريعته وحواريين لهذا الرسول الكريم ، ولكن هذا هو الطريق .

فالتاريخ لا تكتب سطوره إلا بالدم ، والمجد لا يبنى صرحه إلا بالجماجم ، والعزة والرفعة لا يمكن أن تقوم إلا على تلال من الأشلاء والأجساد .

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

قليل هم الذين يحملون المبادىء ، وقليل من هذا القليل الذين ينفرون من الدنيا من أجل تبليغ هذه المبادىء ، وقليل من هذه الصفوة الذين يقدمون أرواحهم ودماءهم من أجل نصرة هذه المبادىء والقيم ، فهم قليل من قليل من قليل ، ولا يمكن أن يوصل إلى المجد إلا عبر هذا الطريق ، ولا يمكن أن يقام لهذا الدين بنيان ، ولا أن ترفع له راية ، ولا أن تشرع له سفينة ، إلا عبر هذا الطريق ، وهذا الطريق وحده ، بل لا جنة بدون هذا الطريق ..

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (آل عمران : ١٤٢)

نماذج وتضحيات

وقد يبدو للعين القصيرة ، وللأفق الضيق ، وللإنسان المحصور في حدود الزمان والمكان أنها قصة حصلت وانتهت ، ففتح فك الموت فاه ، وابتلع هؤلاء السبعين ، ثم مضى الموت بعجلته التي لا تبقي كبيراً ولا صغيراً ، ولكن العين المبصرة ، والقلب المنير، يدرك أن هذه التضحيات ، هي غذاء الأجيال القادمة لقرون طويلة ، هذه القصص ، وهذه التضحيات ، وهذه النماذج ، تبقى أعلاماً شامخة على طول جادة هذا الدين لمن أراد أن يسلكها من السالكين، أو يتأسى بأولئك الصفوة الصالحين ..

﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ (الانعام : ٩٠)

والممالك - أيها الإخوة - والأمجاد والدول والمجتمعات لا يمكن أن تقام إلا بالنماذج .

إن الذين يظنون أنهم يستطيعون أن يغيروا واقعاً أو يبدلوا مجتمعاً دون دماء وتضحيات وأشلاء .. دون أرواح أبرياء ، هؤلاء لا يدركون طبيعة هذا الدين ، ولا يعلمون نهج سيد المرسلين ﷺ .

قليل هم الذين يبنون الأمم ، والأمة أحياناً تكون بواحد يقف موقفاً ينقذ الله به هذا الدين ، كما وقف أبو بكر رضي الله عنه يوم الردة ، ووقف أحمد بن حنبل يوم أن ارتجت الأرض كلها ببدعة خلق القرآن ، فنجى الله الأمة جميعاً .

يحدثنا التاريخ أن عشرين من مسلمي أسبانيا ، من مسلمي الأندلس، اخترقوا برشلونه إلى بلدة صغيرة في قمة جبل تسمى «فراكشيا» قريبة من سواحل فرنسا ، عشرون شخصاً ، وأقاموا حصناً فوق ذلك الجبل ، وازداد عددهم إلى أن وصلوا مائة رجل ، سيطروا على المعابر الرئيسية بين فرنسا وشمال إيطاليا ، وخاصة معبر «برنار» الشهير ، وتوغلوا في بلاد البيامون ، وأصبحت بلاد الفرنج كلها - التي تمر عبر هذه المعابر - تدفع لهم الجزية .. وتوغلوا ودخلوا سويسرا ، ووصلوا إلى بحيرة كُنْتانزا ، وحكموا المنطقة تلك تسعين عاما .. تسعين سنة .. يبدأها عشرون من المسلمين .. تحكم أواسط أوروبا ، وتسيطر على معابرها التجارية الشهيرة ردحاً من الزمن يقارب القرن ، وتكالبت أوروبا جميعاً على هذه الإمارة حتى أسقطتها .. بعد تسعين عاماً كما قلت ، ولم يكن عددهم يوم أن هزموا هزيمتهم النهائية أكثر من ألف وخمسمائة رجل !

القرار الأول

فبناة الأمم وصانعو الأمجاد قليلون ، لكن الذي يريد أن يصنع مجداً يجب أن يتسلق قمة المجد على بحور من دمائه وعرقه ، من دماء الذين حوله ، من أشلاء الذين ربّاهم ، حتى يصل إلى قمة المجد ، والمجد لا يُبنى إلا بهذا الطريق .

هذا الجهاد المبارك الذي نراه - الجهاد الأفغاني - بدأ قراره الأول بأربعة عشر شاباً ، التقوا من جامعة كابل وخريجيها ، قالوا : ماذا نضع إزاء هذا الطاغوت الجديد ، إزاء داوود الذي ما جاء إلا ليصفي الحركة الإسلامية ، وإذا بالجميع يقررون القرار الحاسم الجازم: «لا بد من حسم عسكري» ، واشترطوا على مسؤولهم - وكان أنذاك سياف - أن يقدم لهم مسدسا واحداً حتى يشرعوا بالجهاد، ثم وصل إلى بيشاور حوالي ثلاثون شاباً ، وقرروا دخول أفغانستان بمعركة عسكرية ، وابتدأ الجهاد بقطرات قليلة ، ثم فجر الله طاقات هذا الشعب المبارك ، هذا الجهاد الفياض العظيم ، الذي أنعم الله به على أفغانستان وعلى المسلمين ، حتى عمّ خيره الأرض كلها ، والتقى الشعب الأفغاني بكامله حول الصفوة الذين لا يزيدون على ثلاثين شاباً عندما أطلقوا أول طلقة في داخل أفغانستان .

فيا أيها الاخوة : لا تظنوا أن التضحيات تذهب هدراً ، ولا تظنوا أن الدماء تضيع هباء ، إن دماء الأبرياء ثقيلة في ميزان الرحمن ، إن رب العزة قد أهلك الأرض كلها في يوم من الأيام من أجل اثني عشر شخصا دخلوا السفينة مع نوح عليه الصلاة السلام ، الأرض بأناسيها وحيواناتها وأشجارها وأحيائها أغرقت من أجل اثنى عشر مؤمناً نجاهم الله عز وجل بالفلك المشحون ، ثم عمرت هذه الأرض من جديد بهذه الصفوة الصالحة وبهذا النفر القليل الذي لا يتجاوز اثني عشر رجلاً .

دور العرب

فلا تظنوا أن عددكم قليل، لاتظنوا أن دور العرب إنما هو إثقال على الأفغانيين، لأن الأفغان أقدر على المواجهة، وأصلب في تحمل المشاق، وأحمل في تسلق الجبال، وتحمل درجة الحرارة والبرودة، والعربي إنما يحتاج إلى فئة بكاملها لتحميه لا ليكون في مقدمة الصفوف، ولذا فالعرب قد يظن ذو النظرة الضيقة الصغيرة أنهم حمل ثقيل، وعبء وبيل على أكتاف الأفغانيين، إنه أعظم من هذا، وإن الأبعاد خطيرة، وجد مؤثرة في التاريخ المقبل والمعاصر .

إن فئة قليلة من العرب ، هذه التي قد لا يصل عدادها المئة أو ينوف قليلاً ، هذه تُغير وجه المعركة من معركة إسلامية لقوم واحد، إلى حركة جهادية إسلامية عالمية ، تشترك فيها الأجناس جميعاً ، وتلتقي فيها جميع الألوان واللغات والعادات ، يجمعهم رب واحد، طريق واحد ، صف واحد ، غاية واحدة ، قبلة واحدة ، هدف واحد ، ليكون دين الله هو المنتصر ، ولتكون كلمة الله هي العليا ، فلا تظنوا الأمر قليل ، إن هذه الفئة القلية إن كانت صغيرة في نظر نفسها تستصغر أعمالها ، وتحتقر تضحياتها، نرجو الله عز وجل أن تكون كبيرة وثقيلة في ميزان رب العالمين .

وأعداء الله الذين يراقبون الساحة يفزعهم اشتراك جنس غير أفغاني في المعركة ، لأن هذا تحريك لشعوب كثيرة ، إحياء لأناس وصلوا حافة اليأس ، غرس للأمل في قلوب شعوب وصلت إلى الموت أو كادت ، إنه يوقظ النائمين ، وينبه الغافلين ، ويزلزل الظالمين، وهم يدركون الأبعاد .

واحد ينطلق من قطر لتدفن جثته في ثرى أفغانستان ، لتعلن للعالم أن هذا الدين يحتاج إلى ملايين من التضحيات ، لا بد -إن كنتم جادين في تغيير واقعكم - أن تلحقوا بي هنا في الذرى ، حيث يُعبرُ الرصاص وحده عن عزة هذا الدين ، وعن منعة المسلمين ، وعن إباء المؤمنين، وأنه لا طريق إلا هذا الطريق إن كنتم جادين .

الشهيد عبد الوهاب

غداً سيتحدث الناس عن عبد الوهاب ، ويتحدثون عن عبد الصمد ، ويتحدثون عن سَعود ، نحن ذكرناها قصة عابرة ، وقد عاشوا بيننا فكان أثرها في أعماقنا كبيراً عظيماً ، ولم يفارق مخيلتنا سواء كنا في هذه الأرض أو انتقلنا إلى غيرها ، لن يفارق مخيلتنا هؤلاء الشباب .

لن يفارق مخيلتنا عبد الوهاب الغامدي ، ذاك الذي لا تراه إلا بين جبهة وجبهة ، وكما قلنا آخذ بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها يطلب الموت مظانه ، حيث يظن الموت فإنه يطلبه ، ولن يفارق مخيلة أهله ، ذاك النموذج الذي تمرد على الواقع يوم أن كانت أمه تقول له : ياعبد الوهاب اسأل العلماء ، أنت بحاجة إلى إذن والديك ، فيقول : لقد أخذت الفتوى ، واقتنعت بها ، ولم أعد أطيق هذه المجتمعات الميتة .

أنا أقرأ عليكم رسالتين وجدناهما في أمتعته : -

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله مالك الملك، وجبار السموات والأرض العزيز القدير ، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد .

والدتي العزيزة ، إني أكتب هذه الكلمات وأنا أؤمن بقضاء الله وقدره ، فحياتي جرت كما تعلمين غريبة ، عجيبة بآلامها وآمالها ، وحلوها ومرها ، حتى انتهى بي المطاف هنا وما أدراكِ ما هنا ، هنا عبادة فرضها ربي علينا من زمان ، وأضعناها ، وعادت اليوم الفريضة الغائبة ، فجزى الله خيراً الرجال الذين أعادوها ، والرجال الذين قدموا أنفسهم رخيصة في سبيل الله ، وعلى درب الجهاد نلتقي .

أمي يا ست الحبايب ، والله لست بقاس ولست بعاق ، ولست بساذج ، ولست معقد ، وليس بي ضلالة ، ولكنكم قوم تجهلون ، أنا أسف على عدم ملاطفتكم ومجاملتكم ، أنت وإخواني وأخواتي والأصدقاء ، ولكن هذا ليس بيدي ، فالطامة كبيرة والحدث عظيم ، الإسلام يُدمر ، والأعراض تنتهك ، والحرمات تُدنس ، وكرامة المسلم وحريته أبيدت ، والجميع صامت ، كالإعلام العربي العميل ، الجميع يأكل ويشرب ليعيش ، ويعيش ليموت ، بئست الحيـاة ، أما أنا وغيري من أقراني وإخواني في الله ، بذلنا وسنبذل كل ما في وسعنا لإعلاء كلمة الله خفاقة في مشارق الأرض ومغاربها بإذن الله ، أو تراق منا الدماء مقبلين غير مدبرين ، فمن كان هذا فكره لا تلوموه على عدم ضحكه ، وعدم ملاطفته ، فجراح الأمة أثقلتها ولهذا :-

لمثل هذا يذوب القلب من كمد   إن كان في القلب إسلام وإيمان

ولكن لا بأس علينا ، نحن سعداء جداً في هذا الطريق ، عندي كلام كثير وددت أن أقوله ، ولكن أرجو من الله أن أكون باستشهادي قد قلت كل ما عندي ولا أبالي .

والدتي ، إخواني ، أخواتي ، أقاربي ، إبنتي ، إخواني في الله : مع كل خشوع وتفكر بآية قرآنية أو ذكر شهداء وشهادة ؛

اذكروني .. مع كل إشراقة نهار جديد اذكروني ، ومع كل موجة من التيار الإسلامي اذكروني ، واعتبروا يا أولي الأبصار .

لقد عجزت عن التفكير، وقد يخونني التعبير ، ومع ذلك لا أبالي ، وسأمضي حيث إخوتي الشهداء ، وإلى يحيى ، وسنكون جميعاً في ضيافة رب العالمين الكريم عز وجل ، فقد رحب بنا في دنيانا ، وعندما أكرمنا بدينه ، لقد أكرمنا في دنيانا بدينه وسيكرمنا في أخرانا بإذنه سبحانه وتعالى ، فإلى لقاء هناك ، وما أدراك ما هناك ، حيث الرضوان والنعيم ، والجمال والخلد فلا إله إلا الله والله أكبر، الشهيد الذي لم يستشهد بعد – وهو عند الله شهيد – عبد الوهاب ٤/١١/ ١٩٨٥ ..

وهذه وصيتي .

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، (هو يكتب هكذا) هذه وصيتي أنا عبد الوهاب بن عبد الله بن سعيد الردة من المملكة العربية السعودية جدة . مالي وملابسي في قسم الأمانات هنا تعطى للمجاهدين والمهاجرين فور استشهادي، تبليغ أهلي وذوي الخبر بطريقة حكيمة ، وياحبذا أن تكون عن طريق الشيخ عبد الله عزام ، أو الشيخ سياف إلى الوالدة والإخوان والأخوات . لن أطيل الكلام، وأنتم بالتالي يجب أن لا تكثروا الملام ، بل على العكس ابكوا أنفسكم ، واندموا على فوات الأوان ، حيث أن لم يكن لأي شخص فيكم فضل في استشهادي ، لا بتشجيع ولا بحافز ، بل كنتم ضدي، – للمعلومية – أنا لم أجاهد في أفغانستان بنفسي ومالي إلا باقتناع تام بأن الجهاد فرض عين ، ولهذا أقدمت على الجهاد طائعاً مختاراً ، ولا داعي للإدلاء بالأدلة والنصوص من القرآن والسنة، أو أقوال العلماء العاملين في الجهاد ، لأنني كررت هذا مراراً وتكراراً ، ولكن كالذي يصيح في واد أو ينفخ في رماد .

لقد أسمعت لو ناديت حياة ولكن لا حياة لمن تنادي

إلى ابنتي : لقد عاش أبوك وحيداً وغريباً ، رغم كثرة المال والأهل والخلان ، ولكني كنت بفكر متميز وصاحب مبادىء وقيم ، لم أتنازل عنها أبداً ، ولذلك جفاني الناس وجفاهم فكري ، ومن أفكاري وما أنا عليه يا عزيزتي ، أن الإسلام دين ودولة ، ومصحف وسيف، وأنا لن ألدغ من جحر واحد مرتين ، إني أكره الطواغيت ، وأحاربهم بقلمي ، هم وأتباعهم صبح مساء ، وكل يوم لأنهم (ووضع ... نقط) عزيزة نفسي من غير كبر – إن شاء الله –، مثابر عنيد ، ومجاهد صنديد ، عيشي هنيئة ، وموتي شهيدة ، كوني مؤمنة صابرة مجاهدة، بكل ما أوتيت من وسائل ، واعلمي سبب وجودك في الحياة، واعملي به، واحفظي كتاب ربك ، وإلى لقاء في جنة ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

إلى إخواني في الله في كل مكان ، كثير من الناس يتخذ الحياة طريقا إلى الموت، وأنا اخترت الموت طريقاً للحياة ، عليكم جميعاً التمسك بالإسلام قولاً وعملاً ، وحركة وجهاداً ، والإسلام ليس كما يتصوره البعض ، ركيعات في المسجد ، ولكنه دين شامل ، كفاكم غواية إبليس ، وشهوات أنفسكم ، ومكر الطواغيت بكم ، وضحك الشرق والغرب عليكم ، العنوا الطواغيت وعادوهم بكل ما أوتيتم من قوة هم وأذنابهم من حثالة البشر ، ولعنة الله على الظالمين .

الوصية الشرعية أوصي بثلث مالي أن يعطى للمجاهدين في أفغانستان ، عن طريق أميرهم الشيخ عبد رب الرسول سياف ، والباقي يقسم قسمة شرعية ، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ، فالنصف لابنتي والسدس لأمي والباقي يوزع على أخواتي وإخواني بالتساوي ، أغراضي ملابسي عندكم تصدقوا بها على من شئتم ، وجزاكم الله خيراً ، اللهم إني قد عفوت ما بيني وبين الناس، فاعف ما بيني وبينك ، الرجاء من الجميع السماح والدعاء، وسبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين .

الخامس عشر من شعبان سنة ١٤٠٥ هـ

أبو سلمان

يا أيها الإخوة: مثل هذه الرسالة تكفي لتشرح بمجلدات للأجيال ، تكفي لتحفر سطورها عميقة في القلوب ، ويكفي أنه هز عائلة بكاملها من إخوانه وابنته وأقاربه .

وأما سعود فرحمك الله يا سعود ، ستبقى بناتك الثلاث تذكر هذا الوالد الكريم ، الذي هجر الفراش الوثير، هجر النعيم والترف، وعاش في جبال أفغانستان متنقلاً ، وإن كنت أنسى فلن أنسى يوم أن حدثني : أني قد نسيت صور بناتي، وذات ليلة رأيت إحدى بناتي في المنام تلاطفني وتكلمني ، فهببت من نومي فزعاً مذعوراً، وعلمت أن هذه رؤيا شيطانية ، تريد بحنان الأبوة أن ترجعني حيث خرجت، وأن تعيدني حيث كرهت ، وأن تبقيني بين أعطاف النعيم وأطراف الترف .

أيها الإخوة: إن التاريخ لا يسجل بمداده ، لايسجل إلا بدماء هؤلاء ، إلا قصص هؤلاء ، إلا أمثال هؤلاء ، وبمثل هؤلاء تقام الأمم ، وتحيى المبادىء ، وتنتصر العقائد .

يا أيها الإخوة:

هذا هو الطريق ، فاسلكوه إن كنتم جادين ، هذه هي الجادة فاسلكوها إن كنتم صادقين، يا أصحاب المبادىء ، يا حملة الدعوات ، والله غريب عليكم – إن كنتم جادين – أن تبخلوا بدمائكم على هذا الدين ، والله كبير عليكم أن تضنُّوا على رب العالمين ، بعرق وبدماء وبروح هو وهبها لكم ، وقد اشتراها منكم :

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) (التوبة : ١١١)

يا أيها الشباب ، يا أيها الإخوة ، يا أبناء الإسلام : ما الذي يغسل حوبتنا ؟ ما الذي يطهر أدناسنا ؟ ما الذي ينظف أرجاسنا؟ لن يغسلها إلا دم الشهادة ، وإلا فالحساب عسير ، والميزان ينتظر ، والصراط منصوب ، ولابد أنكم مارون فاكسبوها .

إذا لـــم يكن من المـــوت بدٌ — فمن العجز أن تموت جبانـــا

إذا غامرت في أمر مـــروم — فلا تقنـــع بما دون النجـــوم

فطعم الموت في أمـــر حقـــير — كطعم الموت في أمر عظـيـــم

يرى الجبناء أن الجبن عقـــل — وتلك خديعة الطبـع اللئيـــم

يا أيها الإخوة:

أرواحنا ، أرزاقنا ، أيامنا ، حياتنا ، كلها من الله وإلى الله ، فلتبذل في سبيل الله :

(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)
(الأنعام: ١٦٢–١٦٣)

لا يأخذ الله شهيداً من إخواننا ، أو تختطف المنون ابناً من فلذات أكبادنا ممن يشاركنا هذا الطريق ، إلا وأبكي غالياً على نفسي، لأن هؤلاء سبقوا ، وهذا دليل أننا لم نصلح للشهادة بعد ، هذا دليل أننا لم نستحق هذا المقام بعد ، فاختار الله هؤلاء، وكلهم رأيتهم تجمعهم صفة واحدة: سلامة الصدر على المسلمين ، وكف اللسان عن المؤمنين ، كل هؤلاء الشهداء لا تجدهم يلغون، ولا تجدهم يثرثرون، أعمالهم شغلتهم ، عيوبهم ألهتهم عن عيوب الناس ، **(وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس)** .

فأقبلوا على الله، واصدقوا النيات، وأخلصوا الطويات، حتى يتخذكم رب الأرض السماوات في جنات في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أثر المجاهد العربي في الجهـــاد الأفغاني

يا من رضيتم بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير، وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) (الأنفال: ٣٩ – ٤٠)

إن أول ما يتبادر للذهن ونحن في هذا المكان أن يتساءل المرء بينه وبين نفسه ما الذي أتى بي هنا ؟ ولماذا حللت في هذا المكان؟ ولماذا تركت أهلي وبلدي وأصدقائي وخلاني وجيراني؟ والإجابة على هذا من كتاب رب العزة.. **(حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله)** .

رحمة وسيف..

والفتنة هي الشرك والكفر ، فبدون القتال تعم الفتنة، ويزيد الكفر، ولن يكون الدين لله إلا إذا كان هنالك جهاد ،فالحق لا بد له من قوة تحميه ؛ وكل حق في الأرض ليس وراءه سيف حاد يحمي أركانه ويقيم بنيانه فإنه لا وجود له ، لن يستطيع دين أن يقوم على

قدميه، ولا أن يضرب بجذوره في الأرض ؛ إلا إذا كان السيف رائده ، ولذلك لم يكن غريباً أن يقول رسول الله ﷺ :

« بُعثت بالسيف بين يدي الساعة وجُعل رزقي تحت ظل رمحي »[1] والحديث صحيح رواه أحمد.

والرسول ﷺ الرحمة المهداة للبشرية ، كيف تلتقي الرحمة مع السيف ؟ إن الرحمة لن تصل إلى البشر بدون سيف يحميها، إن الناس لن يتقبلوا الدين القويم مادامت هنالك عقبات تحول بين هذا الدين وبين الوصول إلى قلوب الناس الذين يعبدون الطواغيت من دون الله عز وجل ، فلابد من الجهاد أولاً: {حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله} .

قيمة الرجال

ولا بد من الجهاد وخاصة في هذه الايام لقلة الرجال، ولا قلة أعظم ولا أعوز من قلة الرجال، وجلب المال يسير، وجمع الحطام سهل، أما دماء الرجال فهو في القمم والتلال، وقلما تستطيع أن تشد يديك على حفنة تعتمد عليها في حماية دين الله، وفي التضحية في سبيله، ومن أجل رفع بنيانه .

ولذا يقول عمر رضي الله عنه لبعض جلسائه من صفوة الصحابة ، تمنوا ، فتمنى بعضهم أن يكون له مال كالجبال فينفقه في سبيل الله ، وتمنى آخر الشهادة ، وتمنى وتمنوا ، وقالوا : تمنَّ يا أمير المؤمنين ، قال: " أتمنى أن يكون عندي ملء هذا البيت مثل أبي عبيدة " لقلة الرجال، لأن رجلاً واحداً يصدق مع الله ويضحي من أجل العقيدة التي بين جنبيه قد يغير أمة بكاملها ، ألم يهرب صقر قريش عبد الرحمن الداخل ويقيم مملكة إسلامية ، أو دولة وخلافة ؟! وحده عبر البحار في الأندلس ، وتستمر هذه الدولة حوالي ثمانية قرون ؟ .. ولذلك نحن بحاجة إلى الرجال .

والذين يرددون دون علم ودراية: أن الجهاد الأفغاني ليس بحاجة إلى رجال إنما هو بحاجة إلى مال هؤلاء لا يدركون واقع الحال، ولا يعرفون قدر الرجال في هذا المجال، في أرض النزال، وفي ساح القتال .

إن الجهاد الافغاني بحاجة شديدة إلى المال ، وفي عوز عظيم كذلك للأموال التي تسير أمورهم، ولكنهم بحاجة أشد وفي ضرورة أعظم للرجال ، إن كنت في شك من هذا ياصاح فيا صاح تعال بنا لندخل أفغانستان ، كم من جبهة لا تجد فيها واحداً يتقن صلاة الجنازة ؟ فيحملون الشهيد -وهم يُصلون على الشهيد حسب المذهب الحنفي- يحملون الشهيد في مرات عديدة ليجدوا من يعرف صلاة الجنازة عليه .

تعال معي.. كم من الجبهات ليس فيها واحد يتقن قراءة القرآن، فضلاً أن يعرف طريقة تقسيم الغنائم أو معاملة الأسرى أو غير ذلك من أحكام القتال والجهاد؟

فنحن بحاجة إلى الرجال، والرجال قليل والعلم غير العمل، والعمل غير الجهاد، فالذين يعلمون قليلون، والذين يعملون من العالمين أقل، والذين يجاهدون من العاملين أقل ، والذين يصبرون على هذا الطريق ووعثائه ولأوائه ، هذا الطريق بثقله وشدته ، الذين يصبرون عليه أقل من القليل ، بل هم ندرة كالملح في الطعام ، وقد قال ﷺ : «تجدون الناس كإبل مائة ، لا تجد فيها راحلة»[2]، في كل مائة جمل لا تجد جملاً نجيباً قوياً يستطيع أن يتحمل أسفارك، وأن يعينك في حلك وترحالك تجدون الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة، الراحلة: الجمل القوي حسن المنظر حسن السير .

حياة الاستضعاف

ونحن إذ ندعو إلى الجهاد كذلك لينقذ الله الناس من النار، يقول الله عز وجل :

(إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير)

(التوبة : ٣٩)

والعذاب الأليم كما يقول أبو بكر بن العربي وغيره: هو الخزي في الدنيا وعذاب جهنم في الآخرة {إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم} يستبدلها بالمسخ، يستبدلها بزوال حضارتها، يستبدلها بذوبان شخصيتها، يستبدلها بتقزم أجيالها، يستبدلها بمسخ أفكارها وشخصيتها، والأمة المهزومة لا وجود لها على هذه الأرض، ولا مكان لها على حاشية هذا التاريخ، فضلاً عن أن تكون في

(١) حديث صحيح، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٢٨٣١). (٢) رواه البخاري في صحيحه.

صلبه ومترنه .

ويقول الله عز وجل:

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا) (النساء : ٩٧-٩٩)

إن الله لا يقبل حجة المستضعفين ، والاستضعاف صيغة مطاوعة وتقبل ، فلولا أن في نفسية الشعوب تقبل للضعف ما استضعفهم أولئك المستبدون .

أنا لا ألوم المستبد إذا تجبر أو تعدى
فسبيله أن يستبد وشأننا أن نستعدا

فإذا علمتم أن هذه الآية [إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم] نزلت في قوم مؤمنين كانوا في مكة ، قد خرجوا لم يهاجروا حفاظاً على أموالهم أو مصالحهم ، أو خوفاً على رزقهم، يهاجرون مؤمنين يقبضون على دينهم كالجمر ، في أعماق مكة التي قد جفت أرضها عن قطرة ندى ، أو يبست وأقحلت مناطقها أن تخرج نبتة خير واحدة ، وأخرجت نبيها منها ﷺ ؛ مكة هم قابضون فيها على الجمر .

وجاءت غزوة بدر ، وخرجوا خوفاً وحياء من الكفار ، وأصاب بعضهم سهام من الصحابة الكرام الذين مع رسول الله ﷺ ، فحزن الصحابة رضوان الله عليهم ، قالوا : قتلنا إخواننا المؤمنين في مكة ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية:

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قال ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا).

فإذا علمت أن البخاري هو راوي سبب النزول ، فماذا تقول للملايين من المسلمين التي تعيش عيشاً تعلوه حياة السوائم؟ ماذا تقول للملايين التي يحكمها فرد واحد يستبد بها؟ تعيش عيش الخسف والذل والهوان لا تستطيع حراكاً، بل لا تستطيع أن تطلق لحيتك، لا تستطيع أن تتحكم بثوب زوجتك ، لا تستطيع أن تتحكم بغطاء عورة زوجتك ، لا تستطيع أن ترد يد المخبر في أعماق الظلام، وفي وهن الليل إذا أخذ ابنتك من داخل مخدعها ليحقق معها ، بل لا يستطيع أن يجلس في بيت الله مع ثلاثة أو أربعة من الشباب يقرأ كتاب الله عز وجل ، ولا يستطيع أن يردّ أمراً للطاغوت إذا أرسله ليذبح على مذبح شهواته ، وقرباناً رخيصاً من أجل أهوائه .

من الذي يستطيع الآن إذا أراد الطاغوت أن يرسله إلى أي مكان حربا يشعلها إرواءً لنزوة السلطة أو إشباعاً لشهوة الغلبة، من الذي يستطيع أن يقول له أنا لا أدخل في هذه الحرب؟ كم من الآلاف المؤلفة تقتل هكذا دماؤها هدراً، ملعونة في الدنيا، مغضوب عليها في الآخرة، معذبة في الجحيم، ماذا ستقول هذه الملايين للملائكة إذا سألتهم (فيم كنتم)، ألا يكون الجواب هو جواب الذين مضوا من قبل، (كنا مستضعفين في الأرض) من الذي يستطيع في بلده أن يحمل رصاصة ؟! من الذي يستطيع في أرض إسلامية الآن –عدا هذه البقعة – أن يعد العدة التي أمر بها رب العزة ؟! .. من الذي يستطيع أن يدافع عن عرضه وقد دخل اليهود إلى أعماق بيوتنا ، وقد دخل الكفار إلى جوف مخادعنا ؟! .. هل تستطيع أن تعد أو تستعد أو تستطيع أن تحمل رصاصة ؟! .. إذ أن قوانينهم تأخذك بجريمة الجهاد ، لقد أصبحت فريضة الجهاد جريمة في معظم الدول التي تسمى إسلامية .

ماذا نقول للملائكة إذا سألتنا (فيم كنتم) لن تستطيع أن تنبس ببنت شفة، إلا تلك المقالة التي أصبح بها هؤلاء القوم الذين في هذه الآية (كنا مستضعفين في الأرض).. كنا مغلوبين على أمرنا، كنا والقيود في أيدينا، ما بالنا نضع القيود بأيدينا، وهل حصر رزق الله في بقعة من البقاع !، وهل انعدم الرزق إلا في وظيفة من الوظائف؟!. وهل سدّت خزائن السموات والأرض إلا تلك الشركة التي كنت فيها؟! أليس له مقاليد السموات والارض؟!.. عدم الجهاد أو عدم المسير إلى الهجرة دليل واضح على ضعف الإيمان، وعلى وهن وعلى جهل العقيدة .

إن الذين لا يهاجرون ولا يجاهدون إنما يشكون في قدرة الله على الإحياء ، وعلى الرزق بغير حساب ، لذلك فإن عدم الجهاد الآن: هو جريمة يستحق صاحبها جهنم [أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا]، ولم يعذر رب العزة من هؤلاء إلا ثلاثة: الطاعن في

السن الذي لا يثبت على الدابة ، والمرأة التي لا تستدل الطريق ، والطفل الصغير الذي لا يفرق بين الخير والشر ، {إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة} لا يعرفون طريقاً للتخلص، {ولا يهتدون سبيلا} أي: لايعرفون الطريق إلى أرض الهجرة والرباط والجهاد ، وإلى أرض الغزو والنزال والقتال .

خفافاً وثقالاً

ونحن إذ ندعوا الناس للجهاد إنما ندعوهم استجابة لرب العالمين بأمره الذي أمر به من فوق سبع سموات .

(انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) (التوبة : ٤١)

وقد روى القرطبي وأبو بكر بن العربي وغيرهم عن المفسرين عشرة أقوال في تفسير (خفافا وثقالا) ، فقد روي عن ابن عباس : شباناً وكهولاً ، ورواية أخرى : نشاط وغير نشاط ، ورواية عن مجاهد : الغني والفقير ، ورواية عن الحسن: الشباب والثقيل ، ورواية عن الحكم : مشاغيل وغير مشاغيل ، ورواية عن زيد بن أسلم : الذي له عيال والذي لا عيال له ، ورواية قالها ابن زيد ، الثقيل : الذي له بيعة يكره أن يدعها - أي سلعة ومشغل ومصنع - والخفيف الذي لا بيعة له .

عن الأوزاعي : «والخفاف : هم الرجال ، والثقال : هم الفرسان» ، وقال بعضهم : الخفاف يسبقون أهل الحرب كالطليعة ، وهو مقدم الجيش ، والثقال : الجيش بأسره ، وقال النقاش : الخفيف الشجاع ، والثقيل الجبان ، فهل تركت أحداً . إن الحق الذي لا محيد عنه هو قول أبي طلحة عندما قرأ الآية {انفروا خفافا وثقالا} قال : ما سمع الله عذر أحد ، جهزوني جهزوني ، فقال له بنوه : لقد غزوت مع رسول الله ﷺ ، ومع أبي بكر ومع عمر ، قال : جهزوني ، ما سمع الله عذر أحد ، وجهزوه وركب البحر رحمه الله ، وتوفي في البحر ، ومكثوا سبعة أيام يبحثون عن مكان يدفنونه فيه : فلم يجدوا إلا بعد سبعة أيام ، ولم يتغير رضي الله عنه وأرضاه .

يقول الزهري : خرج سعيد بن المسيب وقد بلغ من العمر عتياً ، وسعيد معروف "من سعيد" ؛ وارث علم النبوة ، أعلم أهل الأرض آنذاك ، وسيد التابعين ، والذي يروون عنه أنه يقول : ما أذن المؤذن منذ أربعين سنة إلا وأنا في هذا المسجد النبوي ، في أيام الحرة ، خلا المسجد من الناس جميعاً إلا من سعيد ، ولم يكن يعرف مواقيت الأذان ، فكان يسمع الأذان من قبر رسول الله ﷺ ، وسعيد ؛ هو سعيد الذي خطب عبد الملك ابنته للوليد ابنه ولي عهده والخليفة بعده، ورفض أن يزوجه خوفا على ابنته من الفتنة ، من فتنة الملك ، وقد زوجها أحد طلابه .

قال يحيى بن سعيد : كتب هشام بن إسماعيل والي المدينة إلى عبدالملك بن مروان أن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلا سعيد بن المسيب ، فكتب : أن اعرضه على السيف، فإن لم يستجب فاجلده خمسين جلدة وطف به في أسواق المدينة، فلما قدم الكتاب على الوالي دخل سليمان بن يسار وعروة بن الزبير وسالم بن عبدالله على سعيد بن المسيب، وقالوا : جئناك في أمر ؛ قد قدم كتاب عبدالملك "إن لم تبايع ضربت عنقك" ، ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثاً فأعطنا إحداهن ، فإن الوالي قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب فلا تقل لا ولا نعم ، قال : يقول الناس بايع سعيد بن المسيب ما أنا بفاعل ، وكان إذا قال :(لا) لم يستطيعوا أن يقولوا : (نعم)، قالوا : تجلس في بيتك ولا تخرج إلى الصلاة أياماً، فإنه يقبل منك إذا طلبك من مجلسك فلم يجدك ، قال : فأنا أسمع الأذان فوق أذني "حيَّ على الصلاة حيَّ على الصلاة" ، ما أنا بفاعل ، قالوا : فانتقل من مجلسك إلى غيره، فإنه يرسل إلى مجلسك، فإن لم يجدك أمسك عنك ، قال : أفَرَقاً من مخلوق "أخوفاً من مخلوق" ، ما أنا متقدم شيئاً ولا متأخر ، فخرجوا وخرج إلى الصلاة، فجلس في مجلسه الذي كان فيه، فلما صلى الوالي بعث إليه فأتى به، فقال: إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك ، قال: نهى رسول الله ﷺ عن بيعتين ، بيعة للوليد ومثلها لسليمان في وقت واحد، فلما رآه لم يجب أخرج إلى السدة فمدت عنقه وسلت السيوف، فلما رآه قد مضى ، أمر به مجرداً، فإذا عليه ثياب من شعر ثم ضربه خمسين سوطاً ثم طاف به أسواق المدينة.

خرج سعيد إلى الغزو وقد ذهبت عينه وهو عليل، وبلغ من العمر عتياً، فقالوا له: إنك عليل، فقال: استنهض الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب، كثرت السواد، -يعني: عدد المسلمين-، وحفظت المتاع .

أي عذر للناس؟! هذا ضمرة بن العيص أحد الصحابة رضوان الله عليهم وكان مريضاً، وتقرأ عليه آية {إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض} قال: جهزوني، وبدأ يرتجف، احملوني احملوني على راحلتي، وما وصل التنعيم إلا وقد فاضت روحه على بعد ست كيلو مترات من مكة، فأيّ عذر للشباب؟! أيّ عذر للعلماء؟! أيّ عذر للدعاة؟! أيّ عذر للأطباء؟! أيّ عذر للمهندسين؟! أيّ عذر لمن كان يعرف قراءة القرآن الكريم؟! أيّ عذر لمن كان يستطيع أن يحمل السلاح؟!.. كيف

يجلس؟!

عجبت لمن له حد وقد	وينبو نبوة القضم الكهام
ومن يجد السبيل إلى المعالي	لا يذر المطي إلى السنام
ولم أر في عيوب الناس عيبا	كنقص القادرين على التمام

لقد تركنا الأوامر الربانية ، (انفروا خفافا وثقالا)

(يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض) (التوبة : ٣٨)

إن رب العزة يتهم الذي يستأذن عن الجهاد بالنفاق ، مجرد : (الإستئذان) علامة النفاق ، يقول سبحانه وتعالى :

(لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ، ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) (التوبة : ٤٤ - ٤٦)

والحديث الشريف يفسر هذه الآية (من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من النفاق)[1]. إن عدم الغزو بنص القرآن وعلى لسان النبي الشريف علامة النفاق ، وإذا لم يحدث الإنسان نفسه في مثل هذه الظروف بالغزو فليت شعري متى يحدث نفسه بالغزو ؟!

نماذج عزّة

يا أيها الإخوة :

ماذا نحدث عن سلفنا الصالح ؟! .. كيف كانوا ؟! .. أحمد بن إسحاق السلمي يقول : لقد قتلت بسيفي هذا ألف تركي كافر، ولولا أن تكون بدعة لطلبت أن يدفن هذا السيف معي.

هذا عبدالله بن قادوش لشدة رهبته ورعبه في قلوب الكفار كان النصارى إذا أخذوا خيولهم إلى الماء ورفضت الفرس أن تشرب الماء يقول لها: ما بالك لا تشربين؟ أرأيت صورة بن قادوش في الماء؟ كانت النساء تخوّف أطفالهن بأبطال المسلمين .

هذا عبد الله البطال كان ذات ليلة في إحدى قرى الكفر ، في هذه المناطق ما بين تركيا وقزوين ، كانت هذه مسرح حروب طويلة، وكم من المسلمين دفنت جماجمهم الطاهرة ، وروى نجيعهم الطيب هذه الأرض ، فعبقت بالمسك وفوحت بالأريج ، أقول : كان عبدالله البطال ذات ليلة في قرية من قرى الكفر ، فسمع امرأة تقول لابنها : إن لم تسكت أنادي لك البطال ، ثم حملت ولدها من المهد من السرير، قالت : خذه يا بطال، قال البطال فتناولته ومشيت ، تناوله ومشى وهي لا تراه ، سمع المرأة تقول لابنها خذه يابطال ، فتحت الباب وأخذت الولد ومشيت.

هذا أبو بكر الملك العادل أيوب بن صلاح الدين ، عندما سمع سنة ٦٤٠هـ أن دمياط وقلعتها قد سقطت بيد الإفرنج ضرب على صدره همًا وحزناً وسقط لساعته في مرض الموت ومات .. هذا حال الأئمة المسلمين وهذا حال الرجال المسلمين .

رب وا معتصماه انطلقت	ملء أفواه الصبايا اليتم
لامست أسماعهم لكنها	لم تلامس نخوة المعتصم

ورحم الله إخواننا الذين سبقونا وشرفوا طرق أفغانستان ، وخاصة من إخواننا الأفغان ومن إخواننا العرب ، فهذا ذبيح الله قائد مزار شريف أو بلخ كانت النساء فيما وراء النهر تخوف أبناءها بذبيح الله إذا لم ينم في الليل ، هؤلاء : أرسلان وأحمد شاه وجلال الدين وغيرهم من القادة ، الروس كانوا يظنون كما يقال لهم أن أرسلان رجل طول يده متران وطول سنه عشرون سنتمترا ، وأنه يأكل لحوم البشر، وعندما يأسرون الروسي يسأل : أين أرسلان ؟! فيشيرون إلى ذلك الكهل الطويل النحيل الذي لا يصل وزنه إلى خمس وستين كيلو غرام ، فيقولون : هذا أرسلان، فلا يصدق الروسي أن هذا أرسلان .. رحم الله أخانا سعود البحري ، وكلما مر طيفه في مخيلتي أتضاءل في نفسي وأشعر صغرها أمام هذا الشاب ، ترك زوجه وبناته الثلاث ، ترك وظيفته، ومكث ستة عشر شهراً يبتغي الموت

---

(١) رواه مسلم.

مظانه في داخل أفغانستان ، فمن بكتيا إلى جوزجان إلى ننجرهار إلى كونر " كلما سمع هيعة طار إليها، وعرفت قبل أن يستشهد بشهر تقريباً أنه متزوج ، قلت ياسعود وهو اسمه سعد الرشود ، قلت له : نأتي بزوجك وبناتك ليكن قربك ، قال : دعهن يشاركننا مسيرة الجهاد بالصبر على فراقنا ، يقول لي : لقد نسيت صور بناتي، لم أعد أتذكر صورهن ، وذات ليلة وبينما كنت في المنام رأيت فيما يرى النائم إحدى بناتي تدغدغني بلثغتها وتتكلم معي ، فجذبت قلبي وحن اليها ، فانتفضت من نومي فزعاً خائفاً إن هذه البنت تريد أن تعيدني إلى بلاد القعود ، وتريد أن تشدني من أرض العزة والفخار ، قال : فتفلت على يساري ثلاثاً ثم نمت ، قلت يا سعود : نعطيك بعض المال ترسله لأهلك ، قال : عندهم ما يكفيهم ، ونحن لا نريد أن يتوسعوا في الدنيا ، وجاء يوم استشهاده ورأى في المنام الحورية في ليلة الشهادة، ويشره بعض إخوانه بالشهادة ، واستشهد سعود ومعه عبد الوهاب - وهما- ما تذكرت أحدهما إلا وشعرت أن هذا الدين لن يموت ما دام معه مثل هؤلاء الرجال .

قال لي عبد المتين (القائد الأفغاني) الذي استشهدا عنده قال لي : لقد حملناهم ، حملنا سعوداً ، وأثناء مرورنا بالنهر اهتزت الأرض تحت أقدامنا، وفي صباح اليوم الثاني بعد استشهاده بثماني عشرة ساعة دخل عليه أحد العلماء الأفغان وبدأ يقرأ القرآن ، فبدأ يرتجف من خشية الله عز وجل ، ودفن سعود وعبد الوهاب ، وبدأ النور يخرج من قبريهما ليلة الإثنين وليلة الخميس علامة الصيام ، لأنهما كانا يصومان هذين اليومين ، وبدأ الأفغان يتناقلون فيما بينهم قصة سعود وعبد الوهاب ، ولم يصدق العرب ، وذهب أبو داوود ، واقترب من قبورهما ليلة الأحد فلم ير شيئاً ، وفي ليلة الاثنين وفي الساعة الحادية عشر إلا ربعاً بدأ النور يخرج حتى يصل عنان السماء ثم يعود على شكل قوس إلى قبورهما ، قلت : يا أبا داوود أكان هذا النور مثل سراج الشمعة ، قال : والله إنه مثل ضوء النيون لمعانه وشدته .

يا أيها الإخوة :

ماذا نقول : أنحدثكم عن أبي دجانة ؟! أم عن أبي عاصم ؟! أم عن ذبيح الله العربي ، ليس الأفغاني ؟! نحدثكم عن من ؟! عن أبي عبد الحق ؟! كانوا قمماً ، كانوا نماذج ، ولقد رأيت أن هؤلاء الشهداء تجمعهم صفات لا تكاد تخلو في واحد منهم ، كل واحد منهم قليل الكلام ، كانوا قليلي الكلام ، قليلي النقاش ، كثيري العمل ، لا يعرفون الانتقاد ، مطيعين ، محبين للجميع ، فرأيت أن هذه صفة جامعة في معظم الشباب -إن لم تكن في جميع الشباب- الذين اختطفتهم يد المنون ، بقدرة رب العالمين وبأمره سبحانه وتعالى .

ماذا نريد

يا أيها الإخوة:

نحن نطالب الناس بالجهاد حتى يقيموا دين الله في الأرض ، حتى يقيموا أرضاً يتنفس المسلمون فوقها الصعداء ، حتى يستريح الناس تحت ظلال هذا الدين ، ويخرجوا من جحيم الجاهلية ، ولن يقوم للمسلمين كيان ، ولن تكون لهم أرض ، ولن تكون لهم قاعدة صلبة إلا من خلال جهاد شعبي عام .

إن أية حركة إسلامية مهما كانت قوتها ، ومهما كان تنظيمها، لن تستطيع وحدها أن تقيم دولة الإسلام .

إن دولة الإسلام تقوم من خلال جهاد شعبي عام ، ولكن الحركة الإسلامية هي عقلها المفكر ، وقلبها النابض ، والصاعق الذي يفجر طاقات الأمة، ويبعث في أعماقها الخير والرجولة والفروسية ، فمن أراد - إن كان جاداً وصادقاً مع نفسه - أن يقيم دولة الإسلام، فلا بد له من أن يسلك طريق الجهاد ، والانقلابات العسكرية لا تقيم دولة إسلامية ولا تبني نظاماً راشداً ، وكل الانقلابات التي قامت إنما انكفأت وارتدت على أصحابها فذبحتهم ، لا بد من جهاد شعبي عام تكون الحركة الإسلامية صاعقها المفجر ، وقلبها النابض ، وعقلها المفكر ، فمن أراد أن يقيم دين الله ، وأن ينصره في الأرض ، فعليه بالجهاد ، ولا طريق غيره ، ومن أراد الجنة فعليه بالجهاد ، وقلما يصل طريق غيره .

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوامنكم ويعلم الصابرين) . (آل عمران : ١٤٢)

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن ولاه .

وقد يعذر بعض الناس بعضاً ، أو يعذر الناس أنفسهم فيقولون : إن الأفغان لا يجاهدون في سبيل الله ، إن الجهاد من أي

شعب مسلم إن كان دفاعاً عن العرض أو الأرض أو المال فهو جهاد في سبيل الله. **(ومن مات دون ماله فهو شهيد، ومن مات دون أهله فهو شهيد، ومن مات دون أرضه فهو شهيد)**[1] . ولنفرض أن صورة الجهاد ليست واضحة تماماً ، فنقول : هم المستضعفون، هم المظلومون ، والجهاد كذلك يكون في سبيل الله ، والمستضعفين في الأرض .

(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان) (النساء : ٧٥)

مالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين؟ أي المعطوفة، على سبيل الله، أي وفي سبيل الله ، المستضعفين في الأرض

(والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) (النساء : ٧٥)

فالجهاد في الأرض إما يكون كذلك لإنقاذ المستضعفين في الأرض ، لرفع الظلم عن المظلومين ، لإقامة دين الله في الأرض، لنشر رايته فوق ربوع العالمين .

فالذين يفكرون أن يخدموا دين الله عز وجل عليهم بالجهاد ، عليهم بالإعداد ، عليهم بالرباط ، عليهم بالهجرة ، أما الرباط فحسبك حديث حسن أو صحيح صححه الحاكم ووافقه الذهبي ، عن عثمان رضي الله عنه **(حراسة ليلة في سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه ، يقام ليلها ويصام نهارها)**[2] ، والهجرة حسبك فيها حديث واحد ، حديث صحيح ، **(من وضع رجله في الركاب فاصلاً** – أي مفاصلاً الأهل أو مهاجراً – **فوقصته دابته فمات** ، – أي رمته دابته فمات – **أو لدغته هامة** – أفعى أو عقرب – **فمات ، أو مات بأي حتف فهو شهيد)**[3] .

(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) (النساء : ١٠٠)

والحديث الصحيح يفسر الآية ، فقد وقع أجره على الله ، واستحق المآب ، أي الجنة .

وحسبك من أحاديث القتال حديث صحيح ، **(قيام ساعة في الصف الأول للقتال** – ساعة واحدة – **خير من قيام ستين سنة)**[4] ، فماذا تريدون بعد هذا ؟! مت حيثما تموت الآن فأنت شهيد، إن كانت نيتك أن تستمر بالجهاد وفي القتال، مت حيثما تموت فأنت شهيد، مت بمرض، مت بلدغة، مت بانقلاب سيارة، مت بطلقة شيوعي، مت بطلقة منافق، حيثما تموت وأينما تكون وبأية وسيلة فأنت شهيد، إن كانت النية الاستمرار في القتال، واستمرار الهجرة والرباط في سبيل الله عز وجل .

أبو حامد مروان .. ذبيح الله

يا من رضيتم بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ورسولاً ، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير) (لقمان : ٣٣ – ٣٤)

وفي الصحيح : **(مفاتح الغيب خمسة : إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت)**[1] .. قضايا قد اختص بعلمها رب العزة ، أما الساعة :

---

(١) رواه أحمد بلفظ: (من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد)، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٦٤٤٥).

(٢) رواه الحاكم ووافقه الذهبي، دون قوله (فيما سواه). أنظر المستدرك، المجلد الثاني، ص (٨١). (٣) حديث حسن رواه أبو داود.

(٤) حديث صحيح ، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٥١٥١).

(يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (الاعراف : ١٨٧)

قضية اختص بها رب العزة وحده {لا يجليها لوقتها إلا هو} ، {يسألونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها إلى ربك منتهاها} .

وعلامات الساعة كثيرة ، وليس هذا مجال سردها ولا موطن ذكرها ، علاماتها الصغرى ، وعلاماتها الكبرى .

أما العلامات الصغرى فقد بدأنا بها منذ أن بعث الرسول ﷺ : {بعثت أنا والساعة كهاتين}[٢] .

وأما علاماتها الكبرى ، من خروج الدابة ، وظهور الدجال ، ونزول المسيح والمهدي عليهم الصلاة والسلام ، فهي كالعقد إذا فرط ، فإن حباته تتناثر بسرعة ، أي إذا ظهرت أي علامة من العلامات الكبرى فإن بقية العلامات تتوالى .

وفي الأحاديث المتواترة تواتراً معنوياً، أن (خروج الدجال سيكون في آخر الزمان ويتبعه سبعون ألفاً من يهود أصفهان)[٣]، وأنه يدخل القرى جميعاً عدا المدينة المنورة، وأنه يقتله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، يقتله بباب لُدّ، والغالب أن باب لُدّ المدينه المعروفة في فلسطين، وأن عيسى عليه السلام ينزل على المنارة البيضاء في شرق دمشق، وأنه يصلي به المهدي مع جيشه الإسلامي، يؤم المهدي عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام في بيت المقدس، وبعدها يتحركون لقتل الدجال في فلسطين بباب لدّ، ولدّ والقدس متقاربتان لا تكاد تبتعدان خمسين كيلومتراً .

{إن الله عنده علم الساعة} وقد اخفاها رب العزة ، حتى تنطلق هذه الأمة والأمم جميعا من عقالها، ولتصنع ما شاء الله لها أن تصنع في الأرض، للبناء والإعمار ونصرة دين الله عز وجل ، والقيام بالخلافة في هذه الأرض .

{وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت}

(قل لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) (الاعراف : ١٨٨)

{وما تدري نفس بأي أرض تموت} .. كم من النفوس ماتت فوق أرض ما كان يدور بخلدها ولا يمر بذهنها أنها تدخلها في يوم من الأيام ، والأقدار بيد الواحد القهار ، يقلب الليل والنهار ، يجري الأمور كما يشاء، لا معقب لحكمه ، ولا راد لمشيئته .

الأخطار والأقدار

والحروب والقتال – في أذهان الناس – إنما هو مرادف للموت ، ولذا فكم من شاب إذا علم والداه أنه تحرك لنصرة إخوانه قاموا وقعدوا وتحركوا واتصلوا ووصلوا إلى بيشاور ، وقد يصلون إلى أرض الجبهة ، الرجل وزوجته ، والأخ وأخته ، والابن وأخته، كلهم يريدون أن ينقذوا شاباً كما يدور في ذهنهم من بين براثن الموت ، لأنه تحرك إلى أرض القتال وإلى مواطن النزال ، لكن الأخطار لا تغير الأقدار ، ولكن التعرض للموت لا يقرب أجلاً ، والحذر لا يغني من القدر .

أي يومـيّ من المـوت أفـر   يـوم لا قُـدّر أم يـــوم قُـدِر
يـوم لا قـدّر لا أرهـبـــــه   ومن المقدور لا ينجو الحذر

عرفت كثيراً من الشباب ، شاباً قد اشترك معنا في فلسطين في سنة (١٩٦٩/١٩٧٠) ، حكم عليه بالموت أيام أمين الحافظ، أيام أن كان رئيساً للجمهورية ، وقُدّم هو والشيخ مروان حديد إلى المحكمة العسكرية ، وكانت محكمة مشهورة في التاريخ ، كان حرياً أن تسطر بأحرف من ذهب، وكان الحاكم صلاح جديد : زعيم النصيريين الذي مهد لهذا الحاكم الذي يجثم على صدر سوريا منذ سبعة عشر عاماً، ومصطفى طلاس : الذي كان وزيراً للدفاع آنذاك .

سألوا الشيخ مروان كيف تحمل السلاح بتنظيم وتحاول قلب نظام الحكم ؟ فقال : هناك كلب من الكلاب النصيرية اسمه صلاح

---

(١) أصل الحديث رواه البخاري. (٢) رواه البخاري ومسلم. (٣) رواها البخاري ومسلم في صحيحها.

جديد -رئيس المحكمة- وكلب منسوب لأهل السنة اسمه مصطفى طلاس ، يريدان أن يجتثا الإسلام من سوريا ، وينتهكا الأعراض ويستبيحا القيم ، فأبينا أن نموت بذلة . هجم عليه الحرس الثوري ليقتله في داخل المحكمة ، وتدخل رجال الشرطة ؛ لأن بعض الصحفيين الأجانب كانوا يشاهدون المحكمة ، قال له : أنتم عملاء ، قال : نحن عملاء لرب العالمين . وأما العميل للبشر والخائن فهو زعيمك ميشيل عفلق الذي قبض تسعة وسبعين ألف جنيه من مصر ، قال له : أنتم تقولون أن الشيخ محمد الحامد شيخ مشايخ حماة ؛ أنه معكم وهو لا يحبكم، قال :

(فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) (التوبة : ١٢٩)

وكانت نهاية المحكمة أن صدر حكم الإعدام على الشيخ مروان وعلى مجموعة من الشباب ، منهم هذا الشاب الذي أحدث عنه، فابتسموا وضحكوا ، وتبرأت مجموعة من الشباب من الحكم فبكوا، فأقبل الصحفيون بلهف يسألون الذين يبكون : ما بالكم تبكون؟! قالوا لقد برئنا فحرمنا من الجنة ، وهؤلاء يضحكون لأنهم نالوا الجنة والحور العين .

يحدثني الشيخ مروان حديد رحمه الله، قال: والله إن أطيب أيام حياتي وأهنأ ساعاتها تلك الأيام التي كنت أنتظر فيها أن أعلق على المقصلة، وأن يلتف حول عنقي حبل المشنقة.. وفي تلك الأيام كتب كلماته التي يرددها أصحابه وتلاميذه وأتباعه ممن تربوا على يديه :

الروح ستشرق من غدها   وستلقى الله بموعدها

وينزل الشيخ محمد الحامد إلى أمين الحافظ؛ زعيم حزب البعث ورئيس الجمهورية، يقول: أتريدون أن تعدموا مروان حديد؟! أو تظنون أن حماة ستسكت صامتة بكماء عمياء عن قتل ابنها الأول وزعيمها وعالمها ومرشدها وبطلها وقائدها، قال: ما رأيك يا شيخ محمد؟ قال: أخرجه من السجن ومن معه، قال: اذهب واخرجه من السجن، وذهب الشيخ محمد الحامد إلى السجن وقال هيا اخرجوا، قال الشيخ مروان: سامحك الله لقد حرمتنا من الجنة .

كان ذلك سنة (١٩٦٤)، ونجا عنق غازي نوربيه – الذي أحدثكم عنه – من حبل المشنقة ، واشترك معنا في حرب فلسطين ، ومكث نيفاً وسنة وعاد آمناً مطمئناً لم يخدش ولم تسقط منه شعرة ، وذات يوم وهو على نهر العاصي ماشياً ضربته سيارة مسرعة ، فخرجت الروح إلى بارئها وخالقها .

إن الاخطار لا تغير الأقدار ، وإن الحروب لا تقرب الأقدار {وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وماتدري نفس بأي أرض تموت} .

كم من مرة حكم على الأستاذ المودودي بالإعدام ، ولم يعدم لحكمة يريدها الله ، ومات على سرير المستشفى في أرض ليست إسلامية ولا عربية ، مات وهو يعالج على سرير المستشفى في أمريكا .

كم من مرة حكم على الشيخ مروان حديد بالإعدام ولكنه لم يعدم، وتوفي في السجن رحمه الله .

وحديث قصتنا اليوم شاب من هؤلاء الشباب ، شاب اسمه مصطفى حاج خليل ، رأيته أول مرة في الجامعة الإسلامية قبل عام ونيف ، وزارني في البيت ، وقال لقد كنت أحد سبعة عشر في سجون الطاغية النصيري محكوم علينا بالإعدام ، ونقبنا السجن وخرجنا وهربنا .

هرب من قبضة الموت ، سجن دمشق الذي لا يستطيع الطير أن يخرج منه ، ولكن {وما تدري نفس بأي أرض تموت} قال : ما رأيك ؟ قلت : استبدلت الجهاد لتعيش أربع سنوات في إسلام آباد ، كيف تتبدل نعمة الله عز وجل من بعد ماجاءتك ، وهل تستطيع روحك المنطلقة أن تعود إلى الأقفاص؟ وهل يستطيع طير اعتاد الطيران منذ بداية عمره أن يعيش حبيس قفص ذهبي، ولو قدم له العلف من كل نوع ومن كل صوب ، قال : ما رأيك ؟ قلت : لقد أبدلك الله بساحة ضيقة في سوريا تجاهد فوقها بساحة أوسع، ومجموعة من الشباب حولك في أرض جلّق ، بشعب كريم كامل يحمل السلاح ليحمي الديار والذمار ، وبحدود ضيقة لا تفلت منها إلا إلى قبضة بعثي أو غيره ، بحدود مفتوحة تمتد إلى أكثر من أربعة آلاف كيلومتر ، قال : رأيك أن أترك الجامعة ؟! قلت : دع الجامعة وتوجه إلى الجهاد، ولن تستطيع القرار ، ولو درست شهراً أو شهرين أو سنة أو سنتين ، لا أظنك تستطيع المضي وأنت ترى دوي القنابل حولك، وأزيز الطائرات فوقك ، ورنين الرشاشات من بين يديك ومن خلفك ، ولم يعد في اليوم التالي إلى الجامعة ، وتوجه إلى حدود روسيا، نقطة قريبة من الحدود، وهناك في بلخ التي سميت مزار شريف ، وليت شعري ما هذا المزار الذي يدّعون .. إنها بلخ !! ، واستلم مضاداً للطائرات ، والتف حوله مجموعة من الشباب الأفغان ، وكانت وظيفته ليل نهار صباح مساء أن يتصدى للطائرات .

وقد حدثني الأفغان والعرب كذلك : أنهم يظنون أنه أسقط طائرتين ، أما الطائرة الأولى فظنهم في إسقاطها راجح وقد رأوها

محطمة على أرض المطار بعد أيام من إصابتها ، ورؤية الدخان خارج من ذيلها بعد أن ضربها أبو حامد الذي كان يسمي نفسه في سوريا مروان أبو حامد حباً بمروان حديد ، وعندما وصل مزار شريف غير اسمه إلى ذبيح الله أبو حامد حباً بذبيح الله قائد منطقة بلخ ومزار شريف ، الذي أحيى هذه المنطقة بعد أن كادت تسقط في فم الشيوعية، لم يكن أحد يستطيع أن يدخن في السوق العام من هيبته ، وذبيح الله يحتاج إلى خطبة جمعة أخرى .. ذبيح الله الذي كانوا يسمونه حسن البنا الصغير . لقد ربى جيلاً وهو في العشرين من عمره ، لقد أحيى منطقة بعد أن ماتت ، ليس من مجاهد في أرض أفغانستان وما حولها ولا في إيران ولا باكستان إلا ويقر لذبيح الله بالسابقة وبالفضل وبالشجاعة والرجولة ، وبالخلق الرفيع وبالكرامة .

ذبيح الله الذي هجمت عليه قوة ضخمة من الروس ، فصار الناس يتسللون لواذاً من حوله ، ولم يبق إلا مجموعة قليلة حوله . وجاء العلماء وقالوا له : **(ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة)** ، وأنت يا ذبيح الله تلقي بنفسك إلى التهلكة ، إذ لم يبق معك إلا حفنة قليلة ، وحولك مئات الدبابات والآليات ورجال الروس والشيوعيين المحليين ، فأطفأ ذبيح الله المصباح – وكان ليلاً – وقال : من شاء منكم أن ينسحب فلينسحب حتى لا أرى المنسحب وأبقوني وحدي ، والله لن أنسحب ولو بقيت وحدي أمام هذه الدبابات .

وأرسل قائد الروس رسالة ليتأكد : أذبيح الله في مقره أم هو خارج المقر ، لأن الحملة كلها من أجل رأسه ، قال له : يا ذبيح الله إن أعطيتنا شروطاً فستنسحب ، وشروطنا كذا وكذا وكذا ، وتفطن ذبيح الله الذكي – أرطبون الأفغان – لخطة القائد الروسي الماكرة ، وكتب : نوافق على هذه الشروط إلا شرط كذا وكذا ، ثم قالوا : نائب ذبيح الله ، لأن ذبيح الله ليس موجوداً هنا، وعندما عادت الرسالة إلى القائد الروسي أمر بالانسحاب ، لأن ذبيح الله همهم الأول وهدفهم المزمع ليس موجوداً ، ونجا ذبيح الله من بين مئات الدبابات والآف الجنود.

سمى نفسه ذبيح الله، وبقي منذ شهر أكتوبر في العام الماضي حتى أكتوبر هذا العام فوق الجبال كالصقر ، لا ينزل إلا للوضوء ثم يرجع ، واشتدت المعارك في الأيام الأخيرة ، وزادت غارات الطيران ، ونزل ذبيح الله أبوحامد من رأس القمة ليتوضأ لصلاة الفجر ، وأغارت الطائرات على مضاده قبل صلاته للفجر ، وعندما أغارت الطائرة هجم أبوحامد على المضاد وليشغل رصاصه ضدها ، ولكن المنية كانت له بالمرصاد فوافاه صاروخ على بعد ثلاثة أمتار من المضاد ، ولحق بالركب الكريم ، لحق بيحيى ، ولحق بعبد الوهاب وسعد الرشود ، ولحق بماهر جودت – أبو شلبك – أبو حمزة وعبد الله الفيلكاوي ، وعلى الطريق الكثيرين ، سيلقى إن شاء الله مروان الذي كان يحبه ، وذبيحاً ، اللذين تسمى باسميهما .

ترك قصاصة من الورق وجدناها في أوراقه : «بالنسبة لوصيتي فهي مع الأخ فلان ، وهو بالطريقة التي قلتها له يتصل بأهلي ، الأسم مصطفى حاج خليل ، الأب عبد الحميد ، الأم : قدرية ، مواليد ١٩٥٩من محافظة إدلب قرية ثرنيم ، طالب معهد متوسط هندسة ميكانيكية ، أحب أن أذكركم : الطريق الأخير لعزة الإسلام هو الجهاد وبذل الدم ، كما بدأها الإمام الشهيد بكتائب المجاهدين في فلسطين ، وفي القتال ، ليكن دمي – وهذه الأمانة التي أوكلتها بكم – صيحات مدوية وبركاناً ثائراً لا يهدأ لإحياء شعلة الجهاد ، والمضي على جماجم الطواغيت أعداء الإسلام ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين».

يارب قد أخلصتهم فنجوا   فمتى تمن علي ياربي

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

صدقوا الله فصدقهم ، قدموا فقبلهم ، وارتفعوا فاتخذهم .

(ويتخذ منكم شهداء) (آل عمران: ١٤٠)

وكم رددت ولازلت أردد الآن : لو كنا مثل هؤلاء لاصطفانا ، ولكننا لسنا أهلا للاصطفاء ، وكم تعرضنا للموت ولكن (ويتخذ منكم شهداء) ، (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا) ، ولابد من الارتفاع ، لابد من الارتفاع عن جواذب الأرض ، وعن ثقلة اللحم، وعن نتن الطين، لتسمو الأرواح ، وتشرق النفوس ، وعندها يصطفيها بارئها ، ويختارها خالقها، في دار السلام وصاحبها السلام ، وهو جميل يحب الجمال ، طيب ولا يقبل إلا طيباً ، ستّير يحب الستّيرين ، لا يحب الثرثار ولا المتفيهق ولا المتشدق .

سمات الشهداء

وهذه سمة واحدة رأيتها في جميع الذين شاركتهم شرف هذه الطريق ، لا يتقنون الكلام ولكن يتقنون الكلم ، يتقنون جرح

يعتبر لعباً إذا كانت الحدود تنتهك، وإذا كانت المقدسات تداس، وإذا كانت الحرمات توطأ بالأقدام .

أي لعب أعظم من أن يترك رجل لصاً ينام مع زوجته ثم يقوم الليل في غرفة مجاورة ؟ أليس هذا لعباً يمقته رب العالمين ويزدريه كل المؤمنين ؟ إنك بالعبادة تلعب ، وعندما وصلت الرسالة إلى الفضيل بن عياض بكى ، وقال : صدق أبو عبدالرحمن ونصح ، ثم قال : ذكر الرباط أمام الإمام أحمد فبكى ، وقال : ما من أعمال البر أفضل منه .

الناس ينامون ، وهم يدافعون عن الإسلام وحريمه ، ثم الذين يقضون ليلهم قياماً في صوامعهم يتلذذون بتطوعهم وقيامهم ، هؤلاء أحياناً يرددون رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، ويعنون بالجهاد الأصغر القتال في سبيل الله ، ويعنون بالجهاد الأكبر مجاهدة النفس .

وأي افتراء على الله وأي كذب على رسول الله ﷺ أعظم فرية من هذه؟ وهم يقولون إنه حديث، نعم: إنه حديث موضوع لا أصل له، حديث مكذوب على لسان رسول الله ﷺ ، ما نطق به ولا قاله أحد من الصحابة ، إنما هو قول لأحد التابعين اسمه إبراهيم بن أبي عبلة، وهو خطأ خاصة في مثل حالنا هذا .

وقضية أخرى يغفل عنها الناس في الجهاد، - هذه القضية - بالنسبة للجهاد ، أن الجهاد لا بد له من هجرة قبله ، لا بد له من مرابطة ، لا بد له من صبر ومصابرة ، ليس الجهاد هو أن تطلق طلقات على العدو ثم ينتهي الأمر ، إنما الجهاد هجرة ، يبدأ بالهجرة في سبيل الله، وتحمل مشاقها، ثم رباط، وما أمر طعمه .

طريق الجهاد

الرباط إذا طال؛ صعب على القلوب، ثقيل على النفوس، أن تربط نفسك ولا تشترك في معركة خلال ستة أشهر، فهذا ثقيل على نفسك، ثم تقول: أنا أريد أن أعود إلى بلادي، مكثت ستة أشهر ولم أشترك في معركة .

بل لا بد من الهجرة ، ثم الإعداد، ثم الرباط، ثم القتال ، وكلها مراحل يسلم بعضها إلى بعض ، فلا قتال بدون إعداد ، ولا قتال بدون رباط ، ولا رباط بدون هجرة ، ولا هجرة بدون إيمان وصبر طويل على طريق الدعوة إلى الله ، فلا يجوز تجاوز المراحل بعضها عن بعض ، ولا يجوز لك أن تشهد معركة دون إعداد ، وإذا شهدت المعركة دون إعداد فأنت آثم لأنك تركت فريضةً من فرائض الله، كما أن الذين يصلون يبدأون بالوضوء فلا بد من وضوء الجهاد، ووضوء الجهاد هو الإعداد، ولا يجوز لكم تجاوز هذه المراحل فانتبهوا: فالقضية قضية شرع وقضية دين، فلا يجوز تجاوز فرض إلى فرض آخر مبني على هذا الفرض ، وأعدوا ، وأقيموا الصلاة ، وأعدوا وجاهدوا ، كلها أوامر من رب العزة ظاهرها واحد وهي للوجوب، وهي فرائض فلا يجوز تجاوز فرض من هذه الفروض :

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران : ٢٠٠)

اصبر ثم بعد ذلك إذا بلغت القلوب الحناجر صابر النفس إذا ملّت ، وأرغِمها إذا سئمت ولا تُطعها .

والنفس كالطفل إن تهمله شب على ... حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

قلت لأحدهم: أين تذهب يا أخي؟ قال: أنا ذاهب إلى بنجشير، قلت: إلى بنجشير دفعة واحدة؟ هل تدربت؟ قال: نعم، أستطيع أن أحل الكلاشنكوف وأركبه، قلت: ما هذا الإعداد الذي أعددته، كيف تغزو بجسم ترهل عشرين عاماً دون أن تعطيه عشرين يوماً من الرياضة؟ كيف تغزو وأنت لم تر السلاح الذي يستعمل في المعركة حقاً؟! أيجوز لك؟!.. أو ليس هذا إلقاء بالنفس إلى التهلكة؟! أو ليس عليك أن تعرف طريقة الفر والكر، وطريقة مهاجمة الأعداء، وطريقة استعمال القنابل، وطريقة استعمال الأسلحة الثقيلة؟!.. يومين وتريد أن تغزو مباشرة؟!

قياس مع الفارق

أما إذا استشهدت بشأن الصالحين من قبلنا ، والصحابة الكرام الذين أمامنا، وهم أسوة لنا فهذا ليس مثالاً ، والفرق كبير فلا شبه بين المثالين ، إن الصحابة كانوا يتربون منذ نعومة أظفارهم على القنا والصوارم، وعلى ركوب الخيل ، والفروسية عنوان عزهم ومجدهم ، ونحن إذا انتقلنا مائة متر لنصلي الجماعة لا بد من استعمال السيارة، كانت السهام جزءًا من حياتهم، كانت النصال عليها تربيتهم، فعندما جاء رسول الله ﷺ ودعا للقتال، كانت كل نفس جاهزة، ومع ذلك كان رسول الله ﷺ يسابق بين الخيل، فيجعل مدى الخيل المضمرة من مسجد أبي زريق إلى ثنية الوداع ستة أميال ، والخيل غير المضمرة ميدانها ميلاً واحد .

كان ﷺ يتسابق مع زوجته عائشة ، فكان الإعداد جزءًا من حياته ، وكانت الصحراء ميداناً فسيحاً لتدريبهم ، وكانت الفروسية في عنوان حياتهم ومجدهم .

يقول المتنبي وهو يصف حال هؤلاء الناس ، وهو يتكلم عن حاله :

يقول لي الطبيب أكلت شيئاً ... وداؤك في الشراب وفي الطعام

وما في طبه أني جواد ... أضر بجسمه طول الجمام

تعود أن يغبر في السرايا ... ويخرج من قتام في قتام

يقول لي الطبيب : إن مرضك في الطعام، وهو لا يدري أن مرضي هو الراحة عن القتال .

يكاد صهيل الخيل يقذفه ... عن سرجه فرحاً بالموت أو طربا

كل واحد منهم لسان حاله يقول :

يلذ لأذني سماع الصليل ... ويبهج نفسي مسيل الدماء

ولذلك القرآن نزل يعبر عن حالتهم :

{إنما النسيء زيادة في الكفر} (التوبة: ٣٧)

كان العرب في جاهليتهم قد اتفقوا على أن الأشهر الحرم كما قال الله عز وجل : {منها أربعة حرم} (التوبة : ٣٦)

قال رسول الله ﷺ: **(ثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان)**(١). فكان يعز على العرب أن يمر عليهم ثلاثة أشهر دون قتال، يمر ذو القعدة ويمر العاشر من ذي الحجة فيقف أحد زعمائهم في موقف الحج هذا في الجاهلية ويكون من كنانة أو مضر أو غيرها من القبائل، فيقول: أتعرفونني؟ فيقولون: نعم نعرفك أنت الذي إذا قال يسمع ، قال : فإني أخرت عليكم حرمة محرم إلى صفر، حتى إذا تقاتلوا يتقاتلون في صفر يؤخر حرمة شهر، وتأخير حرمة شهر إلى شهر آخر هذا هو النسيء الذي تكلم عنه القرآن الكريم {إنما النسيء زيادة في الكفر}، لا تقيسوا أنفسكم بهؤلاء؟ نحن جيل البسكوت، حيثما تمسكه يتكسر، جيل؛ نسمة الهواء تقعده شهراً في بيته، تصيبه نزلة صدرية، جيل أمهاتهم يرتعدن من رؤية «أم بريص»، إذا رأتها في مطبخها تصيح يسمع الجيران صراخها.

أولاً ، لا قياس بيننا وبينهم ، نحن جيل لا نستطيع أن نعيش إلا ونتقلب على الحرير والحشايا والوسائد ، ما اعتدنا التخشن في حياتنا ، لا نستطيع أن نأكل إلا وقنينة الببسي والميرندا وكل لقمة تنزلها جرعة من الببسي، وإذا غاب الببسي أو غابت الميرندا الحياة كلها تتعكر .

جيل إذا انقطعت الكهرباء ساعة في البيت ينقلب البيت كله ، وتسمع التضجر والتذمر من الصغير والكبير ، ما هذه شركة الكهرباء ؟ قاتلهم الله ما جاءوا إلى بلدنا إلا ليقطعوا عنا الكهرباء!! ، ما تربينا على التقشف ، نحن جيل غرقنا بالمتاع ، وقتلنا الترف كما ينخر السوس في أعماق الخشب ، يجب أن نتخشن وأن نتقشف ، وأن نتعود على الصبر في الشدائد، وأن نعيش حياة الملمات فترات وفترات ، حتى نستطيع أن نواجه أعداء الله في النزال وفي أرض القتال .

ضرورة الإعداد

لا بد من الإعداد ، لا بد أن نذيب هذه الشحوم المتربية على الرز واللحوم ، لا نستطيع أن نأكل إلا الرز واللحم يومياً، وإذا غاب اللحم تكشرت الأسنان وتجهمت الأبدان، وأصبح أحدنا كما يقول الله عز وجل: «عبس»، العبوس بارز في الوجوه لغياب اللحم، أو لأن المرق قليل، أو لأن الفواكه ليست إلا صنفاً واحداً ، ويجب أن تتعدد أصنافها ، لا بد أن تدرك أن هناك بوناً شاسعاً بين جيلنا والأجيال الماضية، فلا بد أن ننتقل تدريجياً، والنقلة الواسعة دفعة واحدة، هذه تضر بالنفوس، ولا تطيقها إلا عظائمها وأفذاذها ، وقلة ممن خلق الله عز وجل .

يا أيها الإخوة: يجب ونحن نربي جيل الله عزوجل في الأرض، يجب أن ندرك أننا نحيي الأمة مرة أخرى، أننا نجدد الدماء في عروقها التي جفت، أننا نوقظ أمة طال سباتها، والذين يوقظون الأمم ويوجهون مسيرتها ويقودون حركتها إنما هم بشر، ولكن ليسوا

---

(١) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه.

كالبشر، يجوعون إذا شبع الناس، ويسهرون إذا نام الناس، ويصمتون إذا ثرثر الناس، ويبكون إذا فرح الناس وضحكوا.

أفذاذ قلائل هم الذين يقودون الأمم ويحيونها ويطهرونها، وإن الذي يتصدر لتطهير الناس يجب أن يكون طاهراً أولاً ، والذي يتصدر لرفعة الناس يجب أن يكون مرتفعاً أولاً ، والذي يتصدر لتوجيه الناس يجب أن يكون قوياً حتى يجر هذه العربة الثقيلة وراءه، ويحمل هذا العبء العظيم الذي خلفته القرون .

أيها الإخوة:

إنتبهوا فأجركم عظيم ، ومقامكم كريم إن أخلصتم النية واتبعتم المنهاج النبوي في التربية والبناء والتضحية والفداء .

أقول قولي هذا وأستغفرالله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أيها الإخوة : هنيئاً لكم مقامكم هذا ، ونرجو الله عز وجل أن يتقبل منا ومنكم ، فالأجر عظيم ، وكثيراً ما أردد الأحاديث التي تدل على أجر الرباط والإعداد والجهاد والهجرة.

فمن أحاديث الهجرة الصحيحة **(من وضع رجله في الركاب ناصلاً فوقصته** -أي رمته- **دابته فمات، أو لدغته هامة فمات، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد)**[1].. فمت حيث تموت الآن، ما دامت النية منعقدة على الجهاد فأنت شهيد -بإذن الله- وبأي طريقة مت!!

أما الرباط: فعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل)**[2] وفي رواية صحيحة يقام ليلها ويصام نهارها.

أما أجر القتال ، ففي الحديث الصحيح كذلك **(قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة)**[3]، قيام ساعة خير من قيام الليل ستين سنة .

ولقد من الله على بعض إخوتنا الذين صدقوا ، أن سبقونا إلى الله عز وجل، ونرجو الله أن يتقبل شهادتهم .

أحدثكم عن اثنين من إخوتنا العرب الذين كانوا دوننا في العمر ، ولكننا نقصر عنهم ودونهم في المقام والفهم، وكما قال عبدالرحمن بن عوف: كنت يوم بدر بين غلامين من الأنصار تمنيت أن أكون بين أضلع منهما يسألانه عن أبي جهل، قال: ما لك يا ابن أخي تسأل عنه، قال: والله لو رأيته لا يفارق ظلي ظله ولا سوادي سواده حتى يقضي الأسرع منا.

الشهيد عبد الرحيم

شابان أحدهما في التاسعة عشر من عمره ، فلسطيني اسمه عبد الرحيم رشيد العرجة، يبحث عن قبول في باكستان ، فرأيته ذات يوم في مكتب الخدمات ، مشرق الوجه ، ناصع الجبين ، تعلو وجهه ابتسامة عريضة ، فسألته، قال : أنا فلسطيني أعيش في الكويت ، أتيت للجهاد ، وتوجه مع قافلة ميممة إلى مزار شريف ، شاب ناعم صامت إلا أنه مبتسم لم يذق للبين لوعة . ولم تعركه الحياة بين رحاها ، جاء من حضن أمه وانطلق ثلاثة وثلاثين يوماً يمشون بين الثلوج ، فالأظافر تسقط في الثلوج، والأصابع تتجمد في الثلوج، ووصل مزار شريف – وكان هناك شاب عربي إسمه (خاطب الحوراء) – وهو يحمل رسالة إلى خاطب الحوراء .

وخاطب الحوراء : هو أول شهيد في مزار شريف (ياسر أبو النور) كان لا يسمع بعملية إلا ويطير إليها آخذٌ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعةً أو فزعةً طار إليها ، وبدأ يتنقل من جبهة إلى جبهة ، فسماه رئيس الجبهة محمد علم (ديوانه) يعني : (مجنون)، مجنون لشجاعته .. لا يعرف الخوف .

إن المنيـة لو لاقتهم جفلـت   خرساء تنهم الأقدام والهربا

وجاءت العشر الأواخر من شهر رمضان وكان ياسر على قدر مقدور ، خرجوا في عملية وإذا بقوة الأعداء كبيرة وهي دبابات وطائرات ، ولم يستطع أن يقاوم بالسلاح الخفيف، فنظر إليه جند الشيطان وقيدوه ، فهرب منهم ، ثم أمسكوه ، وزجوا به في الطائرة فألقى بنفسه من الطائرة قبل أن تطير وهرب ، واختفى ببستان لأحد الفلاحين وخبأه الفلاح ، ودل عليه أحد المنافقين ، وجاء الكفار

---

(١) حديث حسن رواه أبو داود. (٢) رواه النسائي والترمذي وحسنه. (٣) حديث صحيح، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٥١٥١).

وضربوا الفلاح وأمسكوا به ووضعوه في الطائرة إلى مزار شريف ، ثم إلى كابل ، وبعد فترة أمسك المسلمون المجاهدون ضابطاً روسياً وطلب الروس مبادلته ، فقال لهم المجاهد محمد علم : نعطيكم الضابط وتعطونا عربياً واحداً عندكم ، قالوا : سلوا ما شئتم إلا هذا العربي ، قالوا : لا نريد إلا هذا العربي ، قالوا : لقد قتلناه ، وأعطوه بدله أحد عشر من المجاهدين مقابل ضابط روسي ، لم تبق جهة ممن يعرفون ياسر أو عبد الرحيم إلا وخيم عليها الحزن .

كانوا إذا تذكروه ما تفارق الحسرة قلوبهم، ولا المرارة أفئدتهم، فلعله لقي الحوراء فعلاً ، وما أجمل هذه الابيات التي تقال فيه وفي أمثاله .

لله كم من خيرة إن تبسمت — *أضاء لها نور من الفجر أعظم*

فيا لذة الابصار إن هي أقبلت — *ويا لذة الأسماع حين تكلم*

القاعدة الصلبة للجهاد

يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً: اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(قد نعلم أنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ،ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين ، وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ، إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون) (الأنعام : ٣٣ - ٣٦)

آيات كريمات من سورة الأنعام المكية ، تبين سمات الحركة الإسلامية ، وما هو موقف الداعية إزاء المحن التي تواجهه ، والسنن التي جعلها الله طريقاً للدعوات ، والنواميس التي أقام عليها المجتمعات، سورة الأنعام المكية ، التي كما جاء في الروايات **(نزلت عليّ سورة الأنعام دفعةً واحدة، ولقد شيعها من الملائكة ما سدّ الأفق)**، ولقد كادت عظام الناقة تتحطم والوحي يتنزل على رسول الله ﷺ وهو يعلوها .

قانون الله في الدعوات من الأنبياء الذين يمثلون الصفوة في القيادة، والذروة في الريادة، ثم إلى أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

منهج الدعوة إلى الله

القاعدة تقول : إن الدعوة لا بد أن تبدأ برجل يعلن التوحيد ، ويوضح للناس توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ، ويواجه حامل هذه الدعوة – النبي الكريم ﷺ – بكل أنواع الكيد وشتى صنوف المكر ، يواجه بالاضطهاد والتعذيب ، ويواجه بالمقاطعة والتهديد ، ويواجه بالإغراء والطرد البعيد ، وكذلك كل من دخل هذا الدين واتبع هؤلاء المرسلين .

النبوة اصطفاء

نعم إن النبي يُختار صفوة من البشر ، وكل نبي يُختار يجب أن يكون خير زمانه ، لذا جاء في النصوص الصحيحة **(فأنا خيار من خيار)**، **(إن الله اصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى بني هاشم من قريش، واصطفاني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار)**[1] ، والرسول ﷺ أباً وأماً من أوسط الناس نسباً، فأبوه من الذؤابة من بني هاشم ، كيف لا وهو عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وكذلك يختار له أم شريفة ، وفي الحديث الصحيح **(ولدت من نكاح لا من سفاح)**[1].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه دون: (فأنا خيار من خيار من خيار).

فأمهات النبي ﷺ من لدن آمنة وصولاً إلى حواء مروراً بهذه الآماد المتعاقبة كلهن شريفات لم تزن واحدة من جدات النبي ﷺ ، رغم الجاهلية الجهلاء ، ورغم الفساد الطاغي فوق الأرض ، والأنساب التي كانت مختلطة في هذه الأزمان المتطاولة ، فالرسول ﷺ يكون خير الناس ، ويختار من أوسط الناس وأشرفهم ، وعندما سئل أبو سفيان من قبل هرقل: كيف نسبه فيكم ؟ قال : هو من أشرافنا. قال كذلك الأنبياء إنما يبعثون من أشراف أقوامهم ، فهو شريف النسب شريف الحسب ، صافٍ لا يتطرق إلى نسبه شبهة ، ولا يغمز جانب قبيلته بمغمز ، فهو من أوسط الناس أولاً ، وهو خير الناس ثانياً ، وهو أحمد الناس وأكثرهم صلابة وأشدهم عوداً بما يواجهه ، أو لما يجب أن يواجهه من محن وصعوبات ومكائد وغير ذلك .

تكاليف الطريق

يبعث النبي ﷺ فيواجه بالعداوة التي يعرفها الخاص والعام ، ويواجه بصنوف الاضطهاد وأنواع العذاب ما تزلزل له شم الراسيات ، ولكن نفس رسول الله ﷺ لا تتزلزل ولا تتحول :

(وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجِبال) (إبراهيم : ٤٦)

وفي هذه الآية دليل أن نفسية رسول الله ﷺ أثبت من الجبال ، لأن رسول الله ﷺ نفسيته لم تزلّ ولم تملّ ، وأما الجبال فتزول من مكرهم (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال)، وبدأ الناس يدخلون واحداً واحداً ، وكل واحدٍ يدخل هذا الدين يواجه نفس العذاب وصنوف الاضطهاد، ويواجه حركات القمع والإبادة ، يواجه أنواعاً من الظلم، ويتحمل ما لا تتحمله الجبال في أماكنها الراسية.

لقد كانت المحنة شديدة ، ولكن لا بد منها ، ولقد كان التكذيب ثقيلاً على نفس رسول الله ﷺ لأنه بقلبه الكبير ونفسيته العظيمة كان يودُّ من قومه لو تقبلوا هذه الرحمة المهداة ، وهذه النعمة المسداة من فوق السبع الطباق إلى الأرض وفي جميع الآفاق :

(فلا تذهب نفسك عليهم حسرات):

(لعلك باخعٌ نفسك ألا يكونوا مؤمنين) (الشعراء : ٣)

أي مهلكها هماً وحزناً بسبب عدم إيمان قومك ، ولقد كان رسول الله ﷺ يواجه بالعذاب ، فيواجه بتلك الكلمات التي طالما رددتها شفاه النبوة الكريمة (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[٢] وتسأله السيدة عائشة رضي الله عنها : **(هل لاقيتَ من قومكَ أشد من يوم أحد، فيقول : نعم ، لقد عرضت نفسي على أبناء عبد ياليل فردوني، فانطلقت هائماً على وجهي حتي وصلت قرن الثعالب ، وإذا بجبريل يناديني يا محمد هذا ملك الجبال ، وقد أمره الله أن يفعل ما تريد ، يقول له ملك الجبال : إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لأطبقت)**[٣] -والأخشبان هما جبل أبي قبيس، والجبل الأحمر ، المحيطان بمكة- إن شئت أن أطبق عليهم هذين الجبلين وينتهون ، يطوون في باطن الأرض إلى أن يبعثهم الله، فيقول رسول الله ﷺ – وهو بهذا الهم الذي يكاد يقتل نفسه حزناً – : **(إني لآمل أن يخرج الله من أصلابهم من يحمل هذا الدين)** ، أو كما قال ﷺ.

نفسية كبيرة ، قلبٌ كبير ، صدر واسع ، ينظر إلى هؤلاء البغاة الذين يريدون أن يسدوا الأفق ، ينظر إلى الذين يريدون أن يغطوا الشمس بمنخل ، ينظر إلى أولئك الذين يحملون قطع قماش فيريدون أن يواروا بها الشمس ، فينظر إليهم من القمة التي يتربع فوقها رسول الله ﷺ ، وينظر إلى المستقبل الهانيء الوادع الذي ينتظر قريشاً وينتظر العرب ، بل ينتظر البشرية جمعاء حينما تتفيأ ظلال هذا الدين ، حينما تدخل تحت جناح شريعة سيد المرسلين ﷺ ، فيقول : (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) ويقول : **(إني لآمل أن يخرج الله من أصلابهم من يحمل هذا الدين)**، ولقد صدق رسول الله ﷺ ، فلقد خرج من ظهر أبي جهل عكرمة الذي حمل هذا الدين ، وخرج من صلب الوليد بن المغيرة أعتى الطغاة بعد أبي جهل ، خرج خالد بن الوليد الذي فتح الله على يديه الفتوح ، وثلّ به عرش كسرى ، وقوض به عرش قيصر ، لقد خرج من ظهر عتبة بن ربيعة أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وخرج من صلب عبد الله بن أبي عبد الله بن عبد الله بن أبي ، وهكذا دواليك ، ومعظم أبناء العتاة الطغاة من سدنة الجاهلية وحماتها، ومن علية الكفر وجبروتها أخرج الصفوة من أبناء الصحابة الذين حملوا هذا الدين رحمة للعالمين ونشروا آفاقه في كل أرجاء المعمورة .

---

(١) حديث حسن، أورده الشيخ الألباني في صحيحه «الجامع الصغير» برقم (٣٢٢٤) (خرجت من نكاح غير سفاح).

(٢) رواه البخاري ومسلم. (٣) رواه البخاري ومسلم بنحوه.

الطريق إلى القلوب

الداعية كذلك لا بد أن ينظر إلى الناس بهذا الصدر الواسع المنشرح ، ولا بد أن يعاملهم معاملة الطبيب للمريض ، فكم من قلب ساهٍ ليس لك إلا أن تمسح عنه قليلاً من الغبار فيفيء إلى هذا الدين ، ويصبح من جندك المخلصين .

أيها الداعي ، كم من قلب قاس متجبر وفي لحظة من لحظات الرحمة الإلهية يتعرض لنسمة من نسائم الرحمن ولنفحة من نفحاته ، فيصبح بصلابته الجاهلية أصلب وأشد أمام أعداء الله عز وجل لنشر هذا الدين ، ويتحمل كل قاس وكل عات من أجل أن يحمله إلى ربوع العالمين .

والرسول ﷺ قد أمر بالكف عن قتال أهل مكة لأمور يعلمها رب العالمين ، كانت هذه المرحلة الأولى من مراحل الجهاد :

(ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة) (النساء : ٧٧)

فكان الجهاد في مكة محرماً ، يعلم الله عز وجل ولحكم كثيرة يعلمها سبحانه منعه من قتال أهل مكة .

الآن كثير من الذين وقفوا صخرةً صلداء أمام طريق هذا الدين سيدخلونه ويصبحون من الحملة الأمناء ومن الصادقين الخلصاء الذين نفع الله بهم البشرية ، فهذا عمر وهذا خالد وهذا عمرو بن العاص ، وغيرهم الكثيرون ممن تصدوا لهذا الدين .

هذا الحارث بن عبدالمطلب عم رسول الله ﷺ الذي كان متخصصاً بفنون إيذاء رسول الله ﷺ قولاً ، ويسبّه شعراً ، وينظم القوافي ضد أمهات المؤمنين أصبح من خيار الصحابة الذين ثبتوا مع العشرة الذين ثبتوا يوم حنين .

الحكمة من منع القتال في مكة

ولعل الله عز وجل وهو يعلم سبحانه الحكمة حتى لا تقوم مقتلة في كل بيت ، وحتى لا تتسم هذه الدعوة في بداية أمرها بتلك الدماء التي يمكن أن تصبغها فتبقى الحزازات في النفوس ، وتورث الإحن والثارات والضغائن والأحقاد التي تتوارثها الأجيال جيلاً بعد جيل ، ولعل الحكمة كذلك بمنع القتال حتى تتعود نفس العربي الصبر على المحن ، حتى تتعود مع الزمن الطويل احتمال العذاب على أن تكون ذليلة على المؤمنين عزيزة على الكافرين .

نماذج من التربية الطويلة

كيف يمكن لنا أن ننقل نفسية كنفسية أبي ذر زعيم غفار إلى أفق من التواضع ، يضع بعده صدغه على التراب ، يمرغ الرغام وجهه حتى يطأه قدم بلال العبد الحبشي .. العبد الحبشي الذي كان يباع في الأسواق قبل سنوات كما تباع البهيمة ، كيف يمكن أن تنزع الجاهلية من أعماق هذه الصفوة التي جعلها الله رائدةً لهذا الدين ، كيف يمكن أن تنتزع هذه العنجهية والعصبية والقبلية، هذه الثورة الغاضبة لكلمة من الكلمات لا يقوم في وجهه شيء حتى تسفك الدماء وتتناثر الأشلاء ؟! كيف يمكن لنا أن نربي نفسية كنفسية خالد عندما يأتيه أمر من أمير المؤمنين أن ينزل من قيادة جيش عداده أربعون ألفاً ؟! ليس فوق الأرض أكثر تنظيماً من هذا الجيش ، وليس فوق الأرض أعرق من خالد في القيادة ، ولا عرفت البشرية عبقرياً مثله في الريادة ، كيف يمكن لنا أن نوصله إلى أنه بكلمة واحدة يقول – وقد جاء أمر العزل من عمر – يتنازل ويسلم القيادة لأبي عبيدة ، ويرجع جندياً أميناً لأبي عبيدة ، ويقول : تلك الكلمة الخالدة التي سجلت في صفحات الزمن "أنا لا أقاتل من أجل عمر؟!"

كيف يمكن لنا وبسرعة لولا هذا الزمن المديد من التربية على الاحتمال ، من التربية على الإخلاص ، من التربية على الصدق ، من التربية على حمل الأمانة؟!

من دلائل النبوة

كيف لنا أن نربي واحداً أعرابياً لا يملك قوت يومه ، يملك سواري كسرى ، وهو عامر بن عبدالقيس ، ويأتي بها ويضعها في الغنائم أمام سعد ، فيقول الخازن إن الذي جاء بهذا لأمين ، ويكون عامر بن عبد قيس متلثماً فيسأله عن اسمه ، فيقول : لا أقول لكم اسمي حتى تمدحوني ، والله لولا خوف الله ولولا حب الله ما جئنا بهذه ووضعناها بين أيديكم ، أنا أريد أن أمدح عند الملائكة وعند رب العالمين ، وتحمل سواري كسرى التي تعدُّ في ذلك العصر درة الدهر ، فريدة العصر بلآلئها ودررها وياقوتها وأحجارها الكريمة ، كلها

يحملها ذلك الرجل الذي لا تجد في دنياه إلا تمرات يحملها في قرنه ولا يملك من الدنيا غير ذلك ، يصل السواران إلى عمر، ويتذكر عمر وعد رسول الله ﷺ سراقة بن مالك وهو مهاجر إلى المدينة، فيناديه: أين سراقة بن مالك؟ فيأتي سراقة بن مالك وقد بلغ من العمر عتياً، وقد لحُب الجنبان واحدودب الظهر، قال: هذه بشرى رسول الله ﷺ لك، يوم كنت تتبعه لتقتله وهو على طريق المدينة، فيقول لك: يا سراقة من ذا الذي حملك على هذا، فيقول: مائة من الإبل دفعوها لمن يقتلك. قال: **(يا سراقة هل لك بسواري كسرى؟!)**[1]، فيسأله سراقة: كسرى بن هرمز؟! قال: نعم كسرى بن هرمز، ثم يبكي عمر ويبكي الحاضرون وهو يسلم سواري كسرى لسراقة بن مالك وهو يقول: الحمد لله الذي نزع هذه من كسرى بن هرمز، وألبسها أعرابياً يبول على عقبيه .

كيف يمكن لنا لولا هذه التربية الطويلة أن تخرج هذه النماذج من القادة التي كانت تغشى الوغى ، وتعف عند المغنم .

فإذا أقبل الزمان توارى　　　　وإذا زاغت العيون تراه

ليوث الحرب ، وإذا جاء وقت الغنائم تواروا وكأنهم لم يكونوا في المعركة ، كيف يمكن لنا لولا التربية الطويلة ، والصبر على الأذى واحتماله .

يا أيها الإخوة :

إن حكم الله عديدة في طول فترة التربية ، حتى تكونت تلك القاعدة الصلبة التي انتقلت إلى المدينة ، فنقلت هذا الدين، ثم دخلت في تلك القاعدة الصلبة المتينة التي أقيم عليها بناء الإسلام كله ، هذا المجد الشامخ ، وهذا الصرح الذي يناطح عنان السماء ، هذا الدين العظيم قد أقيم على حكمه الناس ممن تربت على يدي النبي الأمين في مكة، ودارت بين فكي الرحى، والتي طحنتها المحنة، والتي صقلتها الشدائد والمحن، ولذا هذه القاعدة الصلبة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار هي التي فتح الله بها ما فتح ، وجعلها ستاراً لقدره ، حتى إذا ارتدت الجزيرة العربية بكاملها، وكشرت الردة عن أنيابها ، وظهر قرن الشيطان في نجد وفي غيرها على يدي مسيلمة ، وفي اليمن على يدي الأسود العنسي وعلى يد سجاح بنت الحارث وغيرها في الجزيرة ، لم يبق في الأرض إلا تلك القاعدة الصلبة ، لم يبق في الأرض إلا ثلاثة مساجد تعبد الله ، المسجد النبوي ، والمسجد الحرام ، ومسجد بني عبد قيس في البحرين ، والبقية عادت إلى جاهليتها .

مواقف الرجال

وعندما انبرى ليث الشرى أبو بكر الذي كان في الصفوة من هذه القاعدة الصلبة ، وقال كلمته التي رددتها أقوال الشعراء وسارت بها الركبان ولا زالت على مسامع الزمان ، تلك الكلمة الخالدة : أينقص الدين وأنا حي ، والله لو منعوني عقالاً – رباط بعير – وفي رواية عناقاً أي جدياً صغيراً ، سخلاً صغيراً ، كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم فيه أو تنفرد هذه السالفة أو أهلك دونه .

وعندما حذّره بعض الصحابة من مغبة مواجهة الجزيرة بأسرها ، وكان عمر يحاول أن يقنعه أن ينثني عن رأيه، وأن يفتر من عزمه، أمسك بخناق عمر ، وقال : "أجبار في الجاهلية خوار في الإسلام؟!" يقول عمر: فما هو إلا أن رأيت انشراح أبي بكر لهذا فعلمت أنه الحق .

هذه الأخوة، هذه المحبة ، هذه الصلابة ، هذا العزم الذي لا يلين ، فأنفذ بعث أسامة، وأرسل خالداً ليرجع المرتدين إلى حظيرة الإسلام ، وعندما عاد الصحابة كذلك يراودونه أن يؤخر بعث أسامة ، يقول كلمته الخالدة كذلك : والله لو دخلت الكلاب إلى بيوت أمهات المؤمنين ، وجرّت أمهات المؤمنين من أرجلهن ما أوقفت بعث أسامة" . ولذلك كما قال أحد العلماء : لقد أكرم الله هذا الدين باثنين ، أكرمه بأبي بكر يوم الردة، وأكرمه بأحمد بن حنبل يوم فتنة خلق القرآن .

هذه القاعدة الصلبة كان الواحد منهم يقود أمة ، فذهب عقبة بن عامر إلى مصر ، وعمرو بن العاص وابنه إلى مصر ، وأنس بن مالك وسعد إلى العراق ، وعبادة بن الصامت إلى الشام، وعبدالله بن مسعود إلى العراق – الكوفة – ، ويعبر لنا عمر رضي الله عنه عن قيمة هؤلاء الرجال الذين رباهم سيد المرسلين ، وقائد الغر الميامين رسول الله محمد ﷺ وعندما يرسل عبد الله بن مسعود إلى الكوفة ، يكتب إلى أهل الكوفة : " لقد أرسلت إليكم بعمار بن ياسر أميراً ، وبعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وإنهما من خيرة أصحاب رسول الله ﷺ، ولقد آثرتكم بهما عن نفسي" ، وعندما يأتي أهل العراق وأهل الشام إلى عمر فيغدق على أهل الشام ، ويقلل العطاء لأهل العراق ، فتحمر العيون غضباً ، فيقول لهم عمر مهدئاً : يا أهل العراق : أوجدتم أن زدت عليكم أهل الشام في عطائهم، ولقد بعثت

---

(١) أصل قصة سراقة في تعقبه للنبي ﷺ أثناء الهجرة قصة صحيحة، رواها الإمام البخاري في صحيحه.

عليهم الشقة - لأن المسافة بين الشام والمدينة أكثر من المسافة بين العراق والمدينة - ولقد بعدت عليهم الشقة ، ولقد آثرتكم بابن أم عبد، لقد آثرتكم أي فضلتكم يا أهل العراق بعبد الله بن مسعود ابن أم عبد .

هؤلاء - القاعدة الصلبة - ضرورة أساسية ، وقضية حيوية ، لتكون نواة لهذا الثمر الكبير ، الذي يكوّن بيضة الإسلام ، وجماعة المسلمين .

كرامات عبر التاريخ

هذه النواة يجب أن تكون صلبة ، ومن هنا نفذوا في الأرض ، وساحوا في أرجائها ، فقادوا أمماً ، لقد كانت أكبر معجزة لهؤلاء أنهم مشوا على ماء دجلة وخاضوا بحرها وهو ثائر فائض حتى هرب الفرس وهم يرونهم يمشون على الماء ، وكما روى ابن الأثير وابن كثير وغيرهم كانوا ثلاثين ألفاً لم يفقدوا إلا قدحاً داخل دجلة ، يقول : عندما رآهم الفرس هربوا وهم يقولون ، (ديوانه أمد ، ديوانه أمد) جاء المجانين ، جاءت العفاريت ، هربوا ، لقد كانت معجزة كبيرة ، ولكن المعجزة الأكبر أنهم خاضوا بحار المدنيات كلها ولم يتغيروا، خاضوا بحر مدنية الروم الآسنة بشهواتها ، الغارقة بنزواتها ، وبقوا أصفياء أنقياء ، لم تغيرهم حضارة الروم ولا شهواتها، ولا لين منامها، ولا حسن مطعمها ، ولا الزينة التي تبعجت لها الدنيا بأمعائها ، ما غيرتهم ، ها هو سلمان مكان كسرى، جلس في الإيوان مكان كسرى يحكم العراق والشرق ، هذا سلمان وهذا كسرى ، كسرى هارب مهزوم ، ويبكي طويلاً ، ويسأله وزراؤه ويستفسر جلساؤه : ما بالك أيها الملك العظيم ، لا يرقأ لك دمع ، ولا يفتر لك حزن ، فيقول : لم يبق لي إلا ألف طباخ ، وألف مربٍ للصقور ، فكيف يمكنني أن أعيش فقط بألف طباخ .. هذا كسرى .

ومن الذي جلس مكانه ، سلمان الباحث عن الحقيقة ، كانت نفقته في اليوم درهماً واحداً ، كان في النهار يقضي بين الناس ويحل مشاكلهم ، ويقضي جزءاً من ليله في عمل السلال والأواني من البوص والقش ، ويبيعها سلمان أمير العراق والشرق في اليوم التالي بثلاثة دراهم ، درهم لنفقته ، ودرهم لصدقته ، ودرهم يشتري به القش لليوم التالي ! .

أي بناءٍ هذا ، أي صنفٍ من البشر هؤلاء، خاضوا مدنية الفرس ، ولكنه لم يغرق فيها واحد، فعدم غرقهم في بحور الحضارات أعظم أثراً وأبعد في التأثير في قلوب الناس من تلك الخارقة التي مضت ، كرامةً لمن سارها سيراً على الأقدام فوق نهر دجلة .

يا أيها الإخوة :

هذه القاعدة الصلبة رباها رسول الله ﷺ في أمدٍ قد ينظر إليه الناظر أنه طويل، ولكنه قصير جداً في عمر الأجيال، إنه قصير جداً في حساب الزمن ، إنه قصير جداً بالنسبة للآثار العميقة التي تركها في أعماق البشرية ، وتركها للأجيال القادمة ، لقد ربى رسول الله ﷺ هذه المجموعة، وانضمت إليها المجموعة الثانية من السابقين من الأنصار :

(والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم) (الحشر : ٩)

وبثمانية أعوام عاد رسول الله ﷺ ، وحطّم الأصنام ، ورفع راية التوحيد فوق البيت العتيق إلى يوم الدين .

مراحل الجهاد

لقد كان الجهاد الأفغاني تجربة رائدة، وقبل أن ندخل في الجهاد الافغاني نقول : لقد كانت مراحل الجهاد أربعة مراحل : مرحلة التحريم حيث كان محرماً في مكة ، ثم أصبح مأذوناً فيه عند الهجرة :

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) (الحج : ٣٩)

ثم أصبح واجباً لمن بدأهم بالقتال والكف عن من كف عنهم :

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (البقرة : ١٩٠)

ثم نزلت آية السيف بسورة التوبة :

(فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) (التوبة : ٣٦)

(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) (التوبة : ٥)

هذه كانت المرحلة الرابعة والنهاية التي حددت السورة، النهاية بأحكام الجهاد وهذا الدين، وإلى يوم الدين .

فكان الجهاد محرماً، ثم مأذوناً فيه، ثم مأموراً به لمن بدأهم، ثم مأموراً به بالنسبة للمشركين كافة، وأصبح أهل الأرض بعد "براءة" ثلاثة أقسام لا رابع لهم: مسلم مؤمن بهذا الدين، ومسالم آمن "أي معاهد آمن"، ومحارب خائف، ثلاثة فقط، إما مسلم، وإما معاهد يدفع الجزية وهو مسالم آمن، وإما أن يكون محارب خائف.

تجربة فريدة

وأقول لقد كانت الحرب الضروس في أفغانستان ، كان على الحركة الإسلامية أن تكون نواتها، فقد كانت نواتها فعلاً ، لقد كانت الحركة الإسلامية الأفغانية نواة هذا الجهاد العظيم الذي بارك الله فيه، وأذل كبرياء روسيا، ومرغ كرامتها بالتراب ، لقد زلقت أقدام الدب الروسي فوق ذرى الهندوكوش فسقطت تحت أقدام هؤلاء الفقراء الذين لا يملكون ما يملؤون به بطونهم، ولا يملؤون به جيوبهم ، لكن الحركة الإسلامية الأفغانية لم تكن قد نضجت بعد ، لم يمض وقت طويل على القاعدة التي كنا نودّ أن تكون صلبة ، لتكون نواة لهذا الجهاد العظيم ، وبداية تحويل خط التاريخ ، وتغير مجرى البشرية كلها ، لقد كانت الحركة الإسلامية الأفغانية نواة فجرت ينابيع الخير وطاقات البر في هذا الشعب الكريم الأصيل ، لكن الفترة التي مرّت على الحركة الإسلامية الأفغانية لم تكن كافية لتصقل هذه العناصر ، ولتتصلب هذه الأعواد ، ولتستطيع أن تحمل التغير التاريخي الذي ينتظر نتيجة المعركة في أفغانستان ، كنا نود من الحركة الإسلامية التي مر عليها ردح من الزمن ، وأخذت فترة طويلة من اليد الحانية والعين الساهرة ، وأخذت قسطها من التوجيه والتربية ، وصلب عودها على نار المحنة، وصقلت أرواحها في سجون الطغاة ، كنا نود أن تقبل على أفغانستان ، فتكون النواة الحقيقية ، وتصبح القاعدة الصلبة التي تحتمل التغيير الذي تراه العيون من وراء الأفق البعيد ، الذي يتلو - إن شاء الله - النصر في أفغانستان ، وينتقل إلى غيرها - إن شاء الله - في كل مكان .

كنا نود من أولئك الذين أعطاهم الله عز وجل قسطاً كبيراً من الصلابة والصبر على المحن، كنا نود من أولئك الذين عرفوا التعامل مع الأجيال، عرفوا التعامل مع المنحرفين، عرفوا كيف يسلكون مع أولئك الذين شردوا عن الجادة، وحادوا عن الطريق، كنا نود أن يقبلوا، وأنا في هذا المكان أتصور كيف يمكن لهذا الجهاد أن يكون لو أقبل هؤلاء، لو أقبل المهندس بهندسته، والطبيب بطبه، والعالم بعلمه، والداعية بدعوته، والعربي بنحوه وصرفه، والمعلم بعلمه، لو أقبلت هذه الجموع التي تربت بين فكي الرحى، والتي طالما افتتح المنون شدقيه ليبتلعها، ونجت بقدر من الله من فم الموت مرات، أقول: ماذا يمكن أن يكون لهذا الجهاد العظيم المبارك لو أقبلت هذه الجموع؟ لا أكاد أتصور الآثار العميقة التي يحدثها هؤلاء لو أقبلوا وحملوا على عواتقهم السيوف، وأقبلوا إلى الله وعادوا، وفوق المعركة يرددون فعلاً: الله غايتنا، والجهاد سبيلنا، والقرآن دستورنا، والرسول قدوتنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا، ماذا يمكن لهذه الحفنة فقط التي أوت إلى الجزيرة العربية، ولم تفعل شيئاً إلا أنها هربت بدينها، وحافظت على دينها في طيات صدورها، وبدأ يموت فيها الإيمان شيئاً فشيئاً، وبدأت الحيوية تخبو وتفتر مع الزمن، وبدأ الحماس يبرد مع الأيام، أقول: ماذا لو جاءت هذه الكتل الملتهبة التي خرجت من بلادها، خرجت وهي ملتهبة ثم خبا نورها وبرد حماسها مع الأيام، وبعضها قد أغرته الأيام ببريق مادتها، وأغشت أبصارها لمعان الدراهم، فلم يعد لها لا بالدعوة صلة، ولا بهذا المنهاج الذي يحرك البشرية أي سبيل .

أقول: لو جاء الذين ذهبوا إلى الجزيرة فقط إلى هذا الجهاد العظيم، لغيّر الله بهم الكثير، ولكن أنت تشاء وأنا أشاء والله يفعل ما يشاء.

(الله أعلم حيث يجعل رسالته) (الأنعام: ١٢٤)

لا تدري لعل الله عز وجل أمدّ هذا الجهاد بكل ضعيف وفقير ، بكل مستضعف من أجل هذا النصر الذي يتنزل ، (وهل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم وبفقرائكم؟) .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

قد كان الجهاد الأفغاني واجباً على المسلمين ، ولكنهم نبذوه وراء ظهورهم ، فلقد كانت فرصة ذهبية للمؤمنين ، ولكنهم افلتوها من أيديهم ، لقد كان الجهاد الأفغاني طريقاً واسعاً وأملاً لاحباً للذين يتمنون أن يقيموا هذا الدين في دنيا الناس ، لقد كان بإمكان أولئك الذين يبحثون عن إقامة مجتمع إسلامي ، وإقامة دولة إسلامية ، كان بإمكانهم أن يأتوا إلى هنا، وكل عوامل الدولة موجودة ، الشعب المجاهد موجود، والسلاح موجود ، والأرض موجودة ، إذا أراد الذين يريدون أن يقيموا دين الله .. ! ماذا يريدون أكثرمن هذا ؟! ماذا يريدون أكثر من حدود مفتوحة على مصراعيها ، طولها ثلاثة آلاف كيلومتر ، تدخل فيها القوافل عدادها مائتان أو ثلاثمائة من الدواب، تحمل كل نوع من السلاح، وكل صنف من المتفجرات ، فوقها صواريخ سام وصواريخ ستنجر ، وقذائف الهاون ومضادات الطائرات، يسيرون بها من أقصى جنوب أفغانستان إلى أقصى الشمال ، حيث يحطون رحالهم على نهر جيحون ، أين يمكن أن تجد شعباً عداده الملايين كله مستعد أن يموت من أجل هذا الدين؟! أين يمكن أن تجد فرصة تلتقي فيها معظم نفوس المسلمين على حرب عدو سافر كافر، سافر الكفر كروسيا ؟!

معركة سافرة بين الكفر والإيمان ، لا لبس فيها ولا غموض ، أين تجد مثل هذه الفرصة ؟ أين يمكن أن تجد أرضاً تملك فيها عزتك وتقول فيها كلمتك، وتتحرك فيها حركتك كما تشاء دون رقيب أو حسيب إلا من رب العالمين؟! ، أين يمكن أن تجد فرصة مثل هذه الفرصة التي تجد فيها شعباً عريق الأرومة أبياً بطبيعته ، متقشفاً بفطرته ، يتحمل المشاق ويبتسم وهو يرى المحن تعضه من كل ناحية، ويرى الآلام تنهش جسده من كل جانب؟ ، أين تجد مثل هؤلاء ، مثل الشعب الأفغاني؟ ، أين تجد مثل تضاريس أفغانستان ، جبالها ووديانها وغاباتها؟ ، أين تجد مثل هذه الفرصة؟ ، إنها فرصة ولا زالت مفتوحة لمن أراد فعلاً أن يحقق قيام هذا الدين في عالم الأرض، يحول الآيات إلى سلوك وحركات، ويحول الجمل والكلمات إلى أخلاق وقيم تعيش في عالم الأحياء . لا بد أن نراجع أنفسنا، ولا بد أن نعلم أن المسلمين قد أجرموا في حق أفغانستان وأجرموا في حق أنفسهم ، لقد كان ﷺ يبحث عن البقاع ليجد بقعة تصلح أن يقيم فوقها هذا الدين ، ويبني فوقها صرحه المتين ، بحث في مكة ، بحث في الطائف ، بحث في الحبشة ، ثم أوى إلى ركن حصينة، إلى حصن حصينة ، وكانت طابة وكانت طيبة مهجره وحياته ومماته .

يا أيها الإخوة ! لا بد أن نراجع أنفسنا وندرك أن المسلمين قد قصروا تقصيراً كبيراً ، والجهاد عليهم فرض ، ومعونة الأفغان فرض بالنفس والمال .

الجهاد هو الطريق

يا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم :

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير)

(الأنفال : ٣٩)

الجهاد هو القتال

هذه الآية في سورة الأنفال، وقال عز من قائل في سورة البقرة: (**وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين**) وقال عز شأنه :

(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) (التوبة : ٣٦)

يشير رب العزة إلى غرض الجهاد في سبيل الله ، والجهاد حيثما ورد فإنما هو القتال – كما قال الأئمة الأربعة– ، فقهاء المذاهب الأربعة يقررون وينصون على أن كلمة (الجهاد في سبيل الله) إذا أطلقت دون أن تقيد بنفس وغير ذلك فإنما تعني القتال في سبيل الله، وهذا الذي قرره ابن رشد قال : «وكلمة الجهاد في سبيل الله إذا أطلقت إنما تعني قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» .

غاية الجهاد

فرب العزة سبحانه يحدد مهمة الجهاد والقتال بوظيفتين أساسيتين: الوظيفة الأولى حتى لا تكون فتنة، والوظيفة الثانية: ويكون

الدين كله لله، كله لله، حتى لا تكون فتنة، أي حتى لا يعم الشرك وينتشر الكفر .

والفتنة هنا هي الشرك والكفر، ويكون الدين كله لله، أي حتى يسود دين الله في الأرض ، كما قال الله عز وجل في آية أخرى :

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (التوبة : ٣٢ – ٣٣)

إن رسول الله ﷺ قد بعث بالآيات البينات ، والدلائل القاطعات ، بالحجج الواضحات ، من أجل أن ينتشر الإيمان، وينقطع الكفر، وحتى تنحسم الفتنة، ويعلو هذا الدين، ويظلل البشرية جمعاء :

(حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (الأنفال : ٣٩)

(ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) أي أن هذا الدين سينتصر وسيعم، سيعم الكرة الأرضية جمعاء، ولكن بأي شيء؟ بالقتال، ولن ينتصر دين ولن يعلو مبدأ، ولن يقوم لحق قائمة، ولن يرسخ لعقيدة وجود في الأرض، إلا بالقتال، إلابالقوة، إلا بالسيف، وبدون السيف، بدون السلاح لن يكون دين ولا عقيدة، ولن يقوم للإسلام قائمة أبداً، ولن يُوَحَّد الله في الأرض.

ولذلك قال ﷺ :

(بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له)(١) .

فالسيف الذي جاء به رسول الله ﷺ من أجل نشر التوحيد في الأرض (**بعثت بين يدي** – أي أمام الساعة ، قبل الساعة – **بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري**) .. على من ترك السيف ولجأ إلى حجج الضعفاء ، وإلى طرق المساكين الذين يستهينون الحياة في ظل الهوان ، فيتكلمون وهم تحت نير العبودية ، ويكتبون والقيود بأيديهم ، وإن الناس لا يأخذون هذا الدين إلا من الأقوياء ، وإن الناس لا يتبعون إلا الذين هم أمامهم على الطريق ، قد رشوا الطريق بالدماء ، وفرشوها بالأشلاء ، وانتصروا على الأعداء ، ومن طبيعة النفوس أن تقلد الأقوياء وتكره الضعفاء . إن من طبيعة النفس البشرية أن تكره الضعف ولو كان عند مؤمن ، وتحب الشجاعة والقوة ولو كانت عند كافر.

ولذلك من الفطرة التي فطر الله عليها النفوس، أنها تحب أن تقلد الذين هم أعلى منها وأقوى منها وأشجع منها، والنفوس تكره تقليد الضعفاء، وتكره تقليد الأذلاء، تكره اتباع المهينين الذين يعيشون في الحياة سبهللاً ، تحت نير العبودية .

الرزق تحت ظل الرماح

ولذا بعث بالسيف ، حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، والرزق إنما هو مما تحصله الرماح لا من قواطع السيوف، لأن ظل الرمح أطول من ظل السيف ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي .

ولذلك قال العلماء إن أشرف الكسب هو الغنائم ، لأنها كسب الأنبياء ، لأنها كسب نبينا ﷺ ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي .

ومن هنا: رسول الله ﷺ يأبى الصدقة، وحرمت عليه الزكاة، ويقبل الهدية، لأن الصدقة تمتد إليها أيدي الضعفاء والمساكين، وهي أوساخ الناس، ولذلك لا بد أن يترفع مقام النبوة عن قبول الصدقة وعن مقام المساكين والمحتاجين، أما الغنائم والفيء فقد نص له رب العزة على قسم منها، فقال عز شأنه سبحانه وتعالى في سورة الحشر :

(ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) (الحشر : ٧)

وذو القربى: الذين نالوا شرف الرحم من رسول الله ﷺ، نالوا علو المكانة بشرف النسب، هؤلاء كذلك نص الفقهاء ونص رسول الله ﷺ على أن هؤلاء يجب أن يترفع عنها قرابته، لشرف نسبهم، ولعلو كعبهم، ولشأوهم ورفعتهم، **(إن الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لآل محمد)**(١). ولكن لهم من الغنائم ومن الفيء التي أخذت بأيدي الرجال ، بسواعد الأبطال في ساح النزال ، وسفكت دونها الدماء، وحصلت بالجماجم والأشلاء ، وبالعرق وبالرجولة والبطولة والقوة ، قال عز شأنه :

---

(١) حديث صحيح، انظر صحيح الجامع الصغير رقم (٢٨٣١).

(واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) (الأنفال : ٤١)

فأقارب الرسول ﷺ لهم حق في الفيء ، لهم الخمس في الفيء ، ولهم خمس الخمس في الغنائم ، لشرف مكانتهم وصلتهم بهذا النبي الشريف الكريم العزيز ﷺ ، الذي يأخذ قوته من فم أعدائه ، ومما يستخلصه سيفه، ومما ينقذه رمحه من أيدي الكفار ، ولذلك سمي الفيء فيئاً . فاء بمعنى رجع ، والفيء سمي فيئاً ، والظل سمي فيئاً لأن الظل قد رجع من مكان إلى مكان ، وسمي الفيء فيئاً لأن المال عاد من أيدي الكفار إلى أيدي مستحقيه من المؤمنين الذين ينفقونه فيما يرضي رب العالمين مالك السموات والأرض وخالق الأرض والمخلوقات جميعاً.

ولذلك إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد، وعندما جاء العباس يطلب من رسول الله ﷺ أن يوليه أمر جمع الصدقات من أجل أن يأخذ أجر العاملين عليها، قال: **(هذه أوساخ الناس)**[٢]، هذه الصدقات أوساخ الناس ، وقال ﷺ : **" لا تحل الصدقة لمحمد، ولا لآل محمد "** .

القتال ضرورة

ولذلك أيها الإخوة ؛ القتال ضرورة من ضرورات الحياة ، وبدون القتال تأسن الحياة، ويفسد العيش ، ويستعلي الكفر ، وينخنس الإيمان وأهله ، ويعود الشرك ، والظلم يطغى على البشرية دون أن يجد رقيباً ولا حسيباً .

ولذلك يقول عز شأنه :

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين)

(البقرة : ٢٥١)

ومن هنا فعندما تكون الأمة ودينها معرضة للاجتثاث، والأمة بكامل جيلها معرض للمسخ والتفسخ والضياع والتشتت والتمزق، عندها فالاشتغال بالزراعة والصناعة والتجارة وغير ذلك إنما يعتبر في نظر هذا الدين جريمة من الجرائم .

يرى رسول الله ﷺ في المدينة المنورة سكة محراث بباب أحد الأنصار ، فقال ﷺ : **(ما دخلت هذه بيتاً إلا ودخله الذل)**[٣] ، ويقول ﷺ : **(لا تتخذوا الضيعة** - يعني الصناعة صنعة أو حرفة - **فتركنوا إلى الدنيا أو فترغبوا في الدنيا)**[٤]، وقال ﷺ، هذا في الزراعة وهذا في الصناعة، وأما التجارة فيقول عبد الله بن عمر في الحديث الصحيح كذلك ، وهذان الحديثان صحيحان ، قال : **(لقد رأيتنا وما يرى أحدنا نفسه أحق بدرهمه وديناره من أخيه، والصحابة ما كان أحدهم يرى نفسه أحق بدرهمه من أخيه)** . فكان أحدهم يدخل يده في جيب أخيه فيأخذ ما شاء، قال: -يسأل عبد الله بن عمر، يسأل التابعين- **(هل يرى أحدكم نفسه أحق بدرهمه وديناره من أخيه؟ قالوا: نعم، فقال: لقد رأيتنا** -رواية أبي داوود- **وما يرى أحدنا نفسه أحق بدرهمه وديناره من أخيه، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا ضن الناس بالدرهم والدينار وتبايعوا بالعينة)**- يعني حيل الربا، التجارة التي فيها حيل الربا، كان تبيع بضاعة نسيئة بثمن مرتفع، ثم تأخذ نفس البضاعة نقداً بثمن أرخص فيكون الفرق هو الربا -إذا تبايعتم بالعينة **(إذا ضن الناس بالدرهم والدينار وتبايعوا بالعينة وأمسكوا بأذناب البقر** «الإنتاج الحيواني» **ورضوا بالزرع** «الإنتاج الزراعي» **وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا يرفعه حتى ترجعوا إلى دينكم)**[٤]، فكأن ترك الجهاد ترك لدين الله عز وجل، ما قال (لا يرفعه حتى تجاهدوا) ، قال ﷺ: (لا يرفعه حتى ترجعوا إلى دينكم)، أو حتى تراجعوا دينكم ، كأن ترك الجهاد قرين الكفر ، والصد عن الجهاد كذلك قرين الكفر:

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل

---

(١) رواه مسلم بلفظ (إن الصدقة لا تنبغي لآل محمد وإنما هي أوساخ الناس). (٢) أصل القصة موجود في صحيح مسلم، أنظر مختصر مسلم رقم (٥١٦).
(٣) رواه البخاري في صحيحه بنحوه. (٤) رواه أحمد والطبراني بلفظ: (إذا ضن الناس بالدينار والدرهم، وتبايعوا بالعينة، وتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد في سبيل الله، أدخل الله تعالى عليهم ذلاً لا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم) ، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٦٧٥).

على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم) (محمد : ١)

ثم يقول الله عز وجل بعدها بآية :

(فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب) (محمد : ٤)

يبدؤها عز وجل – سورة محمد سورة اسمها سورة القتال أو سورة محمد –، وما أجمله من معنى، وما ألطفه من اقتران أن سورة النبي محمد ﷺ اسمها سورة القتال ، يقول في بدايتها : (**الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم**) .

سورة القتال تبتدئ بهذا ، أن الكفر قرين منع الجهاد، وإن الإيمان بالنبي ﷺ يقتضي القتال :

(فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض) (محمد : ٤)

أثخنتموهم : أي أكثرتم القتل منهم، أي أن الله بإمكانه – سبحانه – وهو قادر لا يعجزه شيء في السموات والأرض ، إن قدرته بكلمة (كن):

(إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) (يس : ٨٢)

فيزلزل أمريكا بين الكاف والنون ، ويدمر روسيا بين الكاف والنون ، ولكن العبرة والعلة في القتال ليبلو بعضكم ببعض ، والله عز وجل ليس ظالماً سبحانه ، ولا يحب الظلم، ولكن يريد أن يتخذ منكم شهداء :

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين ، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس) (آل عمران : ١٣٩)

إن يمسسكم قرح : (بالهزيمة أو الجراح أو القتل)

إذن لماذا القتال ؟! :

(وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)

(آل عمران : ١٤٠ – ١٤٢)

وليمحص : (يختبر) .

أم حسبتم : (هل تظنون) أن تدخلوا الجنة بدون جهاد وبدون صبر ، هذا ظن بعيد فلا تظنوا ذلك ، فلا تتخيلوا أن هنالك جنة بدون صبر وبدون جهاد ، لا جنة بدون صبر، ولا جنة بدون جهاد ، لأن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فكما أنه لا جسد بلا رأس فكذلك لا إيمان بلا صبر .

قيمة السيف

ولذلك فعندما يعدد رسول الله ﷺ الصناعة والتجارة والزراعة والإنتاج الحيواني ، ويضعها كلها في كفة، لأن هذه الأشياء الأربعة هي التي تمنع من القتال، وهي التي تحول دون الجهاد، وهي التي تعرقل الأرجل، وتصفد السيقان، وتقيد الأيدي عن الإنطلاق مع ركب الله، مع الموكب الرباني الذي ينطلق بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له .

والذي يرى البشرية اليوم يدرك قيمة السيف ، والذي يرى تعفن المجتمعات الغربية وتفسخها وانحلالها يدرك قيمة القتال ، إن الذي ينظر إلى الإنسان الممزق الضائع الأمريكي أو الفرنسي أو الألماني أو البريطاني ، إن الذي يرى الحيرة التي تسيطر على النفوس، والسأم الذي يمزق القلوب، والخيبة والضياع والحيرة التي تسيطر على الحياة بكاملها ، الذي يرى تمزق النفس البشرية في الدوامة التي دخلت فيها ، الدوامة المادية .. لا تعيش لهدف، ولا تحيى لأمل، ولا تتصل بإله، ولا تؤمن ببعث ، فكيف يمكن أن تعيش هذه الذرة هائمة في الهواء ، معلقة في الفضاء لا تملك غاية تسعى إليها، ولا هدفاً تعيش من أجله ، كل حياتهم :

(يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) (محمد : ١٢)

عندما يرى تمزق الإنسان الغربي ، وضياع الإنسان الشرقي الروسي ، عندما يرى أن معدل شرب الإنسان الشرقي - لكثرة الهموم والحيرة التي يعيشها ، لكثرة الأحزان التي تسيطر على قلبه ، فتحيل حياته جحيماً مستعراً - عندما يرى أن معدل تناوله للكحول المخفف وغيره المثقل عشرون لتراً يومياً يدرك مدى حاجة البشرية إلى القتال ، حتى تخلص هذا الإنسان الضائع من حيرته ، وتعيده إلى طريق الواحد القهار .

عندما يرى الإعلام اليهودي سياطاً يلاحق ظهور البشرية ، ويتابعها بالصورة العارية وبالجنس العاري ، يؤجج النزوات ويسعر الشهوات، ويغرق البشرية بكاملها في مستنقع الجنس الآسن، لا يعرف إلا الشهوة الجنسية ، وحياته كلها ما بين البطن والفرج ، ويرى (الإي بي سي) محطة التلفاز الأمريكية ، و(سي بي إس) ، والتايمز ، والواشنطن بوست وغيرها ، مع أقاربه ، مع بلده ، مع دينه ، هم عندما يراهم وهم يحاولون كما يقولون : سننتزع فكرة الله من أذهان المسيحيين ، ونضع بدلها أرقاماً حسابية وعمليات مادية ، عندما يرى الإنسان الغربي وهو يعيش هذه الدوامة التي تسحق عظامه ، والتي تطحن أعصابه ، والتي تحيل حياته إلى نار لا تكف عن سعيرها ، لا تتوقف عن تأجيجها وضرامها ، يدرك قيمة السيف ، يدرك معنى قول رسول الله ﷺ **«بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له»** عندما يرى الزوجة الأمريكية تبعد ابنتها من البيت وتسكنها وحدها خوفاً من أن يعتدي أبوها على عرضها ، خوفاً من أن يترك أمها ويتصل بها بالحرام، وهم لا يعرفون لا حراماً ولا حلالاً . عندما يرى الرجل العاقل كيف يدوخ اليهود هؤلاء البشر ويسوقونهم كالقطعان على مذابح شهواتهم وعلى مسالخم يذبحونهم وهم يهتفون للإعلام اليهودي العالمي وهم لا يعلمون أن دماءهم وحياتهم وأموالهم كلها ضرائب رخيصة من أجل اليهود ، وكلها تدفع من أجل حفنة من المجرمين المسمّين بحكماء صهيون أو حكماء الشياطين ، هؤلاء الذين يخططون للبشرية ويدمرونها ، عندما يأتي رجل على التلفاز الأمريكي وقد كمم فاه وغير وجهه ويقول لقد كنت أمارس الجنس مع ابنتي ، فوجدت أن ممارسة الجنس مع ابني ألذ وأشهى.

أي مكانة وصلت إليها البشرية ، وعلى شاشة التلفاز ، حتى لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، كما يقول اليهود : "ستنتشر آراء فرويد الجنسية حتى لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، وتنهار الأخلاق في كل مكان، ونستولي على العالم وهو مخدر " .

ولذلك لا يجد الإنسان الغربي ولا الشرقي مفراً من دوامته إلا الخمور والكحول ليغيّب عقله ، وإلا المخدرات التي تغيب ذهنه الذي يفكر ، والتي تغطي ذاكرته ، التي هي عبارة عن معين من الأحزان ، ومنبع من الآلام ، وعندما لا تنفع هذه و لا تلك لا يجد له مجالاً للخلاص سوى الارتماء أمام قاطرة من القاطرات حتى يذهب تحت عجلات القطار ، أو يلقي بنفسه من فوق إحدى الناطحات اللاتي يصلن إلى مائة أو ثمانين طابقاً حتى يتخلص من أحزان الحياة وأثقالها وآلامها وأعبائها التي لم تعد أعصابه تطيق لها الاحتمال، أو تواصل العيش وهي كابوس فوق عاتقيه ، وفوق صدره وقلبه ونفسه .

هؤلاء الناس لو عرفت طريقة حياتهم لحمدت الله على دينك ولحمدت الله على التوحيد ، بينما كنت أشق طريقي من «آخن» إلى فرانكفورت قلت لصاحبي الذي يقود بي السيارة -وهو شاب مسلم- قلت له : لا يمكن للبشرية أن تسعد ولا أن ترتاح ولا أن تجد سعادتها ولا أن تهدئ أعصابها وتقر ضمائرها إلا في ظلال هذا الدين ، وهؤلاء حتى الشباب المسلمين الذين يعيشون في الغرب ينالهم شيء من هذه الدوامة ، ويصيبهم شيء من هذا الدوار .

إن الناس في الغرب يتلوون من الألم ، ويعيشون كالمصروعين ، ويتصرفون كالمجانين ، ويمشون لا يلوون على شيء ، لا يدرون لماذا يعيشون، ولا إلى أين ينتهون، ولا على أعتاب من يرتمون ، ولا يدرون ما نتيجتهم ، ما بدايتهم ، ما علة عيشهم، إلى من يلجأون أو يضرعون ، ضائعون تائهون خائفون ، تأكل حياتهم الأحزان ، وتمزق أفئدتهم الآلام .

الإحصائيات في الغرب تكاد تذهلك ، أربعة وخمسون مليون أمريكي مصابون بالأمراض العقلية والنفسية والعصبية .

ربع عدد سكان أمريكا مصابون بالأمراض النفسية والعقلية والعصبية .

وهنالك طنين من الطائرات ، وهناك دندنة الحديد والصناعات ، وأصوات المصانع ودخانها يعشي كثيراً من أبصار الذين على أبصارهم غشاوة ، ويظنون أن الغرب قد وصل إلى قمة المجد ، نعم لقد وصلوا شأناً بعيداً في الصناعات، ولكن هذه الصناعات وهذه المدنية هي التي تقتل أصحابها، فالإنسان أرخص شيء في هذه الحضارة ، والآلة أثمن منه هو ، يصنع الآلات ثم بعد ذلك يصبح عبداً لها .

ولذلك يشتغل أحدهم من طلوع شمس الإثنين إلى غروب شمس يوم الجمعة ، حيث يكون أمامه يومان عطلة نهاية الأسبوع يأخذ راتبه أسبوعياً في معظم أنحاء الغرب ، ويذهب إلى أماكن اللهو ليشرب الخمر ، ولا يعود إلا يوم الإثنين ! إلا بعد أن ينهي ما في جيبه

حتى تخرج المرأة دون إذن زوجها ، والعبد دون إذن سيده ، والولد دون إذن والده ، والمدين دون إذن دائنه ، هذه قاعدة اتفق عليها جميع الفقهاء والمحدثين والمفسرين والأصوليين ، ما رأيت فقيهاً كتب في الجهاد إلا ونص على هذا النص ، على أن القتال أو الجهاد يصبح فرض عين على كل مسلم إذا غُزِي أي شبر من أراضي المسلمين حتى يطهَّر هذا الجزء ، وكالصلاة والصوم ، لا يسعهم تركه .

ولذلك إذا قلنا للناس انفروا في سبيل الله يقولون إن أفغانستان لا تحتاج إلى رجال ، إن أفغانستان بحاجة إلى رجال، إن لم تنفر في أفغانستان لا بد أن تقاتل في أي مكان ، الآن القتال فرض عين حيثما استطعت، في أفغانستان فقاتل في أفغانستان ، وإذا استطعت في فلسطين فقاتل في فلسطين أو في الفلبين أو في الأندلس أو في بخارى .

المهم أن كل واحد يلقى الله دون أن يكون في ميدان القتال ، أو واقفاً لخدمة المقاتلين ، فإنه يلقى الله مضيعاً لفرض من الفرائض ، كالذي يلقى الله وهو يفطر في رمضان في كل حياته عامداً دون رخصة ، لا فرق بينهما أبداً، ولذلك من جاء إلى القتال فلا يظنَّن أنه يأتي للأفغانيين أو من أجل خدمتهم ، إنما يأتي ليؤدي الفريضة التي لزمت في عنقه ، وألزمها هذا الدين في قلبه ، نزلت من فوق سبع سماوات ، فريضة ضيعها الناس ولا يجوز لأحد أن يتصرف في هذه الفريضة أو يميعها أو يؤولها ، ويقول نحن هنا في بلادنا على ثغرة .

القتال - الجهاد - لابد أن تقاتل الآن ، لا بد أن نحاول أن نقيم دولة الإسلام في أي مكان، ولا مكان في الأرض الآن أصلح من أفغانستان بحدودها ورجالها وشعبها وسلاحها ووضوح معركتها وصفاء رايتها بين الكفر وبين الإيمان .

وأنت إنما تأتي إلى أفغانستان يجب أن تشكر أهل أفغانستان لأنهم فتحوا لك المسجد لتعبد الله عز وجل، فتحوا لك الطريق لتؤدي العبادة، فلا تمنَّنْ على أحد منهم، ولا تمنَّنْ على ربك، فهي عبادة فرضها الله عليك كالصلاة والصوم، لابد من الجهاد كما أنه لا بد من الصلاة.

والجهاد لا ينتهي حتى يلقى الإنسان ربه ، تنتهي فريضة الجهاد بخروج آخر نفس من أنفاسك ؛ أما قبلها فلا يجوز لك أن تقول لربك : لقد صليت في العام الماضي وأستريح هذا العام، كذلك لا يجوز لك أن تقول يوم القيامة : جاهدت في أفغانستان وأنا أريد أن أستريح الآن ، أرجع لتجارتي، لأن الصحابة نصروا هذا الدين ونصروا رسول الله ﷺ، أنزل الله عز وجل قوله :

(وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (البقرة : ١٩٥)

قال أبو أيوب الأنصاري : فكانت التهلكة هي ترك الجهاد والعودة إلى البساتين ، والعودة إلى التجارة ، لا تجارة ، لا صناعة ، لا زراعة وأعراض المسلمين تنتهك ، لا تجارة ، لا صناعة ، لا زراعة ، لا وظيفة ، والحرائر يسلب شرفهن جهاراً نهاراً .

أتسبى المسلمات بكل ثغـــــر — وعيش المسلمين إذاً يطـــيب
أما لله والإسلام حـــــق — يدافع عنه شبان وشـــيب
فقل لذوي البصائر حيث كانـوا — أجيبوا الله ويحكمو أجيبـــوا

بين مجتمع التوحيد ومجتمع الانحلال

يا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً .

إعلموا أن الله قد أنزل فى محكم التنزيل ، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم :

(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (الأنبياء : ٢٥)

(ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن أعبدو الله واجتنبوا الطاغوت) (النحل : ٣٦)

التوحيد رسالة إلى البشر ، التوحيد هو حياة البشر ، التوحيد عليه تقوم الإنسانية ، وعليه تبنى البشرية ، وبدون توحيد لا حياة للإنسان ولا للبشرية ولا للإنسانية ، والله عز وجل وهو يبعث رسله صلوات الله وسلامه عليهم بالتوحيد ، يعلم أن التوحيد ضرورة حياتية أكثر من الطعام والشراب ، إنّ حاجة الإنسان للتوحيد أكثر من حاجته للباسه وهو عار فى البرد ، وأكثر من حاجته إلى طعامه وهو خامص جائع ، وأكثر من حاجته إلى النفس وإلى الهواء ، ولذا فقد جاء كل رسول من عند الله عز وجل يشرح رسالة التوحيد ، ويقرها فى واقع الأرض ، ويدفع لها الغالي والرخيص والنفس النفيس ؛ من أجل إقرارها .

أنواع التوحيد

والتوحيد إنما نعني به ويعني به علماء التوحيد : توحيد الرّبوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

وأول ما يطالعنا من توحيد الرّبوبية ، وهو توحيد المعرفة والإثبات ، الاطمئنان أن الرزق والأجل من عند الله عز وجل، وأن الله هو الخالق ، وأنه هو الرازق :

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا) (آل عمران : ١٤٥)

(وفى السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض ، إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) (الذاريات :٢٢- ٢٣)

وتوحيد الرّبوبية الذى هو توحيد المعرفة والإثبات ، أو الذى يسميه العلماء كذلك التوحيد النظري : أن تثبت وتعترف لله عز وجل بأنه خالق كل شيء ، ورازق كل شيء ، وهو المحيي، وهو المميت، وإليه يرجع الأمر كله ، وفعّال لما يريد ، يدبّر الأمر، بيده ملكوت كل شيء، ما من شفيع الا من بعد إذنه .

والتوحيد الثاني : هو توحيد الألوهية ، و توحيد الرّبوبية – الأول – هو توحيد معرفة أو توحيد الله فى أفعاله ، وتوحيد الألوهية هو توحيد الناس لله عز وجل بأفعالهم ، توحيد الله بأفعال خلقه ، أن لا نصلّي إلاّ لله ، ولا ننذر إلا له ، ولا نحلف إلا به، ولا نتحاكم إلا إليه، ولا نتناول التشريع إلا من كتابه ومن سنة نبيه وحده، لا إله إلا الله سبحانه عمّا يشركون .

وأما توحيد الأسماء والصفات : فهو كما يقرّر العلماء بقاعدتهم المعروفة : أن نثبت لله عز وجل الأسماء الحسنى والصفات العليا التى وردت فى كتابه العزيز ، دون تحريف ولا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل .

أن نثبت لله عز وجل كل صفة وردت فى كتابه دون أن نؤولها ، فإذا قال الله عز وجل :

(يد الله فوق أيديهم) (الفتح : ١٠)

فإنما دورنا أن نثبت لله عز وجل يداً ليست كأيدينا، ولا نقول إن اليد هى القوة أو العناية، وكذلك :

(واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم) (الطور : ٤٨)

نثبت لله عز وجل صفة العين، ولا نقول إن عينه رعايته، ولا نشتق له اسماً، بل أسماؤه على التوقيف التى وردت فى الكتاب والسنة، فلا يجوز الزيادة فى أسماء الله، كما لا يجوز تأويلها وإبطالها وتعطيلها ، فالله عزوجل سمّى ذاته فى الكتاب (الجبار)، فلا يجوز أن نسمّيه الجابر اشتقاقاً من اسم (الجبار) ، وسمّى نفسه على لسان رسوله ﷺ الستير، فلا يجوز أن نسمّي الله الساتر ولا الستار، فلا يجوز اشتقاق أسماء جديدة لله عز وجل .

...رف التوحيد

– وأهم ما جاءت به الأنبياء لإقراره هو توحيد الألوهية ، وتوحيد الألوهية هو نقل التوحيد النظري من العقول والصدور والسطور إلى واقع منظور ومشهود، إلى حركات وسكنات وكلمات يتمثلها البشر فى واقع العين بسلوك وأخلاق ، وبنماذج وقوانين يراها المجتمع، ...ن الله عز وجل من خلال تصرّفاتهم ، ولذلك جاء فى الصحيح عن خير الناس : **(الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل)**[1] .

فالتوكل عليه وحده ، والخشية من الله عز وجل وحده ، واللّجوء إليه وحده ، والإنابة إليه وحده ، منه يطلب الرزق إذا اشتدت بنا ...وب وعضنا الجوع بنابه ، ومنه يستنزل النصر ؛ إذا ألمت بنا الكروب وحاقت بنا الأهوال وأحاطت بنا فى كل مجال .

وهذا التوحيد ، توحيد الألوهية الذى هو نقل التوحيد النظرى، الذى هو توحيد الرّبوبية إلى واقع حيّ فى حياة المسلم وفي دنيا ...، فالرّزق معلوم أنه من الله بتوحيد الرّبوبية ، ولكنّ مواقف المؤمن هي التى تبين توحيد الألوهية وتوضّحه فى حياته : فإذا لم ...ذ ولم يستهن أمام قوة الطاغوت التى تملك قوته فى يدها وتتحكّم بلقمة عيشه اليومية فى قبضتها ، والذى لا يهنْ ولا يقف ذالاً ...ئاً رأسه أمام قوى الأرض ، وهم يملكون خناقه بأيديهم ، وحبل المشنقة تلوح أمام ناظريه .

---

[1] ...أحمد، وفيه شهر بن حوشب، وبقية رجاله رجال الصحيح، انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد الهيثمي، الجزء الثامن صفحة ٩٦ الترغيب والترهيب المجلد الثالث، ص (٢٨٣١).

مهمة الأنبياء

إن نقل التوحيد ، توحيد الربوبية من الصدور إلى واقع ، ومن الكتب إلى حركات وأخلاق ، هذه هي مهمة الأنبياء، وهي مهمة العلماء ورثة الأنبياء بعد الأنبياء .

والخوف على الحياة ، والخوف على الرزق ، هذا لايرد فى حياة المؤمن الذى استقر في أعماقه معنى التوحيد ، رسخ فى باطنه وفى أعماق قلبه توحيد الألوهية ، فإذا زلزلت الأرض كلها فموقفه ثابت، وإذا ارتجت الأرض من حوله فهو ثابت كالطود الشامخ لا يلين ولا يستكين .

يحدثني أحدهم عن الأستاذ البنا رحمه الله ، قال : جاء البشير الإبراهيمي من عند الملك فاروق إلى الأستاذ حسن البنا وقد سمع الملك فاروق وحاشيته يتآمرون على الأستاذ البنا ، فقال له :

(إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين) (القصص : ٢٠)

فقال له البنا رحمه الله : أهذا أنت ؟! يعني: هذا تفكيرك ؟! .. أهذا أنت ؟! :

(إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) (الطلاق : ٣)

ولعله فى هذا المقام ردد البيتين :

أي يومي من الموت أفر	*يوم لا قدر أم يوم قُدر*
يوم لا قدر لا أرهبُه	*ومن المقدور لا ينجو الحذر*

وتحدثني حميدة قطب عن شقيقها سيد وقد جاء التوقيع والموافقة على إعدامه اليوم الثامن والعشرين من أغسطس سنة ١٩٦٦ وألقي القرار إلى حمزة البسيوني ، وترك لحمزة البسيوني فرصة مراودة الأستاذ سيد إلى آخر رمق ، قالت : فناداني حمزة البسيوني- تحدث هكذا حميدة - تقول : ناداني حمزة البسيوني فقال لي : هذا هو القرار وتوقيع الرئيس عليه بإعدام سيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف هواش ، وعندنا فرصة أخيرة نستطيع أن ننقذ بها حياة الأستاذ ، لأن موته ليس خسارةً لمصر وحدها ، بل خسارة للعالم أجمع ، هيا اذهبي إليه لعله يعتذر ، ثم ننزل حكم الإعدام عنه ، ويخرج بعفو صحي خلال ستة أشهر .

تقول حميدة : فذهبت إليه وقلت له : إنهم يقولون إذا اعتذرت فسيخففون حكم الإعدام ، قالت : فنظر إلي متأملاً ، ثم قال : عن أيّ شيء أعتذر يا حميدة ؟! عن العمل مع الله ؟! والله لو عملت مع جهة أخرى غير الله لاعتذرت ، ولكني لن أعتذر عن العمل مع رب العالمين . ثم قال لها : «إطمئني يا حميدة - المعدوم يطمئن الأحياء !! - إطمئني ياحميدة! إن انتهى العمر فسينفّذ حكم الإعدام ، وإن لم ينته العمر فلن ينفذ حكم الإعدام ، ولن يغني الاعتذار شيئاً فى تقديم الأجل أو تأخيره » .

أي طمأنينة ؟! .. أي سكينة ؟! .. أي راحة نفسية ؟! .. أي استقرار للقلب والضمير ؟! .. أي طمأنينة للأعصاب والنفس وحبل المشنقة يلوح أمام ناظريه ؟! .. يحدثها باطمئنان الواثق بربه ، المطمئن لقدره ، المؤمن بكتابه ، الذى يعلم أنه:

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا) (آل عمران : ١٤٥)

بائع الملوك

ولذلك إذا كان العزّ بن عبد السلام رحمه الله ، والأمير يقف ببابه يرتعد غضباً ، ويستشيط غيظاً ، يقرع بابه فيخرج ابنه ويقول له : أين أبوك ؟ فيقول : هذا ، ثم دخل ابنه وقال : إن الأمير يهتز سيفه بيده غيظاً، وترتعد فرائصه غضباً يريد أن يقتلك، فيردّ عليه أبوه باطمئنان الواثق بربه ، المطمئن لقدره ، الساكن لمشيئته ، الراضي بإرادته ، قال له : إن أباك أقلّ من أن يقتل في سبيل الله، ثم خرج الشيخ، وعندما قابلت هيبة الشيخ هذا الرجل الأمير، الذى يحمل سيفه اهتزّت يده حياءً وخوفاً من الشيخ ، ونزل السيف من يده، ثم نزل على يديّ الشيخ ورجليه يقبّلها ويقول له : ماذا تريد منا يا سيدي ؟ قال : نريد أن نطبق الحكم الشرعي أنتم مماليك والولاية العامة لا تنعقد لكم ، لابد أن تتحرروا ابتداءً ، ثم بعد ذلك نعقد لكم الولاية ونبايعكم ، قال : كيف نتحرّر ؟ قال : نبيعكم لبيت المال ونقبض ثمنكم لخزينته، ثم بعد ذلك نبايعكم .

ويمسك العز بأيدي الأمراء وفى السوق العام ينادى بأعلى صوته ، أمراء للبيع، ويدفع الناس بالأمراء أثماناً ، ثم يشتري الأمراء أنفسهم ، ويدفعون الثمن للعزّ ويضعها فى بيت المال ، ويعود الناس ، فيعيدون لهم البيعة بعد أن تحرّروا من العبودية .

مجتمع الانحلال

يا أيها الإخوة :

إن صورة المجتمع المؤمن المطمئن لعقيدة التوحيد ، الراضي بعقيدة الرزق والأجل ، الذى لا يزعزعه شيء ولا يهزّه حول ، يقابلها صفحة أخرى ، صفحة المجتمع الجاهلي للأعصاب المتوترة والقلوب الواجفة ، والنفوس المنهارة ، والعقول الحائرة ، أناس يخافون على حياتهم ، لا يستطيع أحدهم أن يفارق شبح الموت الذى يطارده حيث يسير ، ويقض مضاجعهم ويؤرق أجفانهم الخوف على الرزق الذى تنتشر آثاره بالبطالة التى تزيد يوماً بعد يوم في الغرب ، وتجد أحدهم بين لحظة وأخرى يُبلّغ بانتهاء عمله لأن الشركة أفلست أو كادت، فلا يجد أمامه إلا الانتحار والموت ، لأن حياته كلّها مرتبطة براتبه، فإذا انقطع راتبه ظن أن الحياة قد انتطعت ، ولا يجد سبيلاً للحد من آلامه ولإنهاء أحزانه ولإيقاف توتر أعصابه إلا بالخلاص من الحياة .

والإعلام اليهودي يطارد هؤلاء ، يطاردهم في يقظتهم ومنامهم ، نزع عقيدة الألوهية من أعماقهم ، واجتث أيّ دين من داخلهم، فلم يعودوا يؤمنون بدين ، ولم يعودوا يفزعون إلى إله أو يلجأوا إلى خالق ، أو يرتموا فى أحضان قوة عليا فى أثناء كرباتهم ، أو إذا اشتدت مُلمأتهم .

ولذلك فالمسلم إذا اشتدت به الكروب اتصل بالله، وارتمى على أعتابه، وتضرّع إلى جنابه، وطلب منه أن يكشف كربته ، وأن يزيل حزنه ، وأن يكشف آلامه وأن يسرّي عن نفسه ، فإلى من يلتجيء الغربي ؟ .

يقول اليهود فى البروتوكول الرابع : سنجتث فكرة الله من أذهان المسيحيين ، ونضع بدلها أرقاماً حسابية وعمليات مادية، واستطاعوا أن يدمروا الكنيسة ، ويطيحوا بآخر صرح يمكن أن يلجأ إليه النصراني مرة واحدة فى الأسبوع ، والنصارى الآن عادوا يتبرأون من الكنيسة، لأن الكنيسة تفرض عليهم أتاوات ، فحتىٰ يتخلص من ضرائبها لابد له أن يعلن أنه لا ينتسب إلى الكنيسة، ولا يتردد عليها ، فيحرم بذلك دعاء القسيس ، وتكليله يوم عرسه، والصلاة عليه يوم موته ، وهذه لا تساوي شيئاً عند الغربي ، لم يعد يجد فى الكنيسة راحته ، لم يعد يجد عندها ما يمسح على صدره ، فيمسح بعض الآلام ، لم يعد عندها شيء تقدمه ، خاصة ورجال الكنيسة أنفسهم قد فسدوا وتحولت الكنائسَ إلى بؤرة عفنة من مستنقع آسن للجنس، وعادت الراهبات اللواتي خطبن المسيح طمعاً فى الجنة، تراهنّ يلبسن الخواتم ، مع أنهن غير متزوجات ؛ لأنهن يطمعن أن يتزوجن المسيح فى الجنة .

هذه الراهبة التى حرمت من الزواج الحلال ، سقطت فريسة بين براثن الرهبان الذين لم يستطيعوا أن يقهروا الفطرة إلى الأبد ، ولم يتغلبوا على كوامن الجنس فى أنفسهم ، ولم يجدوا متصرفاً طبيعياً نظيفاً لطاقاتهم وغرائزهم ، فانطلقوا كالوحوش يروّنها من هاتيك الراهبات اللواتي نذرن أنفسهن للمسيح وقطعن أنفسهن عن الحياة .

والصور والمجلات والجرائد تطاردهم فى كل مكان ، تمسح ما بقي فى أذهانهم من إنسانية ، وتجتث ما بقي فى أعماقهم من بقايا خلق أو نداء ضمير أو هاتف دين ، لم يعد عند الغربي شئ فعاد لم يجد أمامه إلا المصحات النفسية ، والمستشفيات العصبية والعقلية وباتت ترتفع يوماً بعد يوم ، حتى أصبحت فى بعض الدول الغربية نفقاتها تساوي نفقات جميع الأمراض على الإطلاق ، وأصبح علاج الأمراض النفسية فى بلد متقدم أو يعتبر من أرقى بلدان العالم كالسويد ثلث الميزانية مخصّص للأمراض العقلية والنفسية والعصبية .

والدولة كذلك لم تجد بدّاً من أن تفتح مستشفيات للانتحار ، وبقرار من مجلس النواب الذى طالب بنداء حار: «أننا لابد أن ننقذ أبنائنا من أن يموتوا قطعاً تحت عجلات القطارات، أو يتمزقوا إرباً من إلقاء أنفسهم من فوق ناطحات السحاب» .

دخلت على طبيب فى ألمانيا - طبيب مسلم - أصلح سناً لي ، فوجدت فتاتين من أجمل الفتيات يشرفن على التمريض ، ويساعدن الطبيب ، فقلت له : مستفسراً ، ألم تجدوا فى هذا المجتمع شباباً يخدمونكم ويؤدون مهمة (النيرس) ، مهمة الطبيب المساعد ، أو الممرض المساعد ؟ قال لي : أولاً : قليل من الشباب من يقبل بأجر البنات ، ثم لو وضعت فى عيادتي هذه - طبيب مسلم يصلي الصلوات الخمس وقد أخذني إليه الشباب المسلم لأنه مسلم - قال : ولو وضعت الشابين مكان هاتين البنتين لانتشر في ألمانيا خلال أسبوع ، أن *هذا الطبيب* جاء بهم من أجل الشذوذ الجنسي !! .. عندما تنقلب القيم يتعرضون للّعنات التي تتحدث عنها الأساطير

القديمة ، لعنات الآلهة - الأساطير القديمة الكافرة المشركة - كأن لعنات الآلهة تتصبّب عليهم ، ونحن نعلم أن لعنة الله تنزل عليهم ، نعلم أنه مجتمع قد نسي الله فنسيه ، بناته شاردات ، رجاله ضائعون ، يعمل الواحد منهم طيلة الشهر ، ثم يأخذ راتبه في نهاية الشهر لينفقه جميعاً على شاطيء البحر ، على ملذاته ، وتجده يأخذ إجازته الأسبوعية مساء الجمعة ، فيذهب لقضاء إجازة آخر الأسبوع ، لا يصحو من سكر ولا من مخدّرات إلى صباح الإثنين حيث يعود إلى المصنع ، يعملون كما تعمل الحيوانات ، من السادسة صباحاً حتى السادسة مساء ، لا يتوقفون .

تجد أحدهم يسوق سيارته على المائة وثمانين ، أو المائة وخمسين ، فتسأله : ما بالك تسوق بهذه السرعة الجنونية ؟ فيحسبها لك مائة ميل فيها فرق نصف ساعة، نصف ساعة به عشرون ماركاً، يحسبها هكذا ، يجمعها ، ثم يبددها في نهاية الأسبوع ، أو نهاية الشهر على نزواته وأهوائه .

والأمراض الجنسية أصبحت غولاً رهيباً ، وشبحاً مفزعاً يطاردهم ، لأن الجنس الذى غرقوا فى وحله عاد مغبة عليهم ومصيبة من المصائب الكبرى ، فأصيبوا بالأيدز الذى لا يملكون له علاجاً ولا يدرون له دواء .

سيطرة اليهود

هذا المجتمع البعيد عن الله، والذي تؤجج - كما قلت - تؤجج نزواته الصحف والمحطات اليهودية ، وشركات البث والتلفاز والسينما، ومعظمها شركات أهلية في الغرب ، ومعظمها بيد اليهود .

وأنا أقرأ عليكم بعض الصحف والمحطات ووكالات الأنباء بعضها على سبيل الإشارة لا الحصر ، لتعرفوا مدى سيطرة اليهود على عقليات العالم كله وعلى عقليات الغرب بالذات .

لا زال اليهود فى ألمانيا معفون من الضرائب ، والضرائب عالية في الغرب، وكل مؤسساته الحكومية ورواتب الدولة وغير ذلك، كلها قائمة على الضرائب ، واليهودي فى ألمانيا معفى من الضرائب لخمس سنوات ، ثم يفتح شركة باسم ابنه ، ثم ثالثة باسم ابنته فتعفى خمس سنوات ، وخمس سنوات ، وكل ذلك تعويضاً لليهود عن خسائرهم فى الحرب العالمية الثانية كالمأساة التى ابتدعوها، مأساة حرق هتلر لهم فى الأفران ومطاردتهم ، وهى عبارة عن مسرحية يهودية اصطنعها العقل اليهودي لاستدرار العطف العالمي بعد الحرب العالمية حتى يقر بناء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وليفرض اليهود ما شاءوا من التعويضات على ألمانيا التى لا زالت حتى اليوم وإلى الغد تدفع لليهود تعويضات، مأساة الهولوكوست : المحرقة التي حُرق بها اليهود بأفران الغاز .

هنالك مؤسسة التاريخ فى لوس انجلوس حديثاً اثبتت أنها كلها كذب ، ودفع ويليّس كارسو خمسين ألف دولار لكل مؤرخ يستطيع أن يثبت أن اليهود قد حُرقوا بافران الغاز، وذهبوا إلى الأفران إلتى يدعونها ، والفرن لا يتسع إلا لواحد ، فما هي حقيقة الأفلام التى ينشرها اليهود ؟! ويقولون : إنهم كانوا يحرقون بالآلاف فى الفرن الواحد .

يقول اليهود : يجب أن لا يصل خبر إلى المجتمع من دون أن يحظى بموافقتنا ، فوكالة رويتر مؤسسها رويتر سنة (١٨١٦) يهودي ، ويونايتد بريس أسسها سكايس وهوارد يهوديان ، وهاباس الفرنسية الذى أسسها يهودي سنة (١٨٢٥) .

وفى بريطانيا : التايمز سنة (١٧٨٨) ، واشتراها ميردوخ يهودي خسائرها خلال شهرين تسعة ملايين جنيه ، مع ذلك فهذا اليهودي يتحملها من أجل نشر الأفكار اليهودية، وفرضها على العالم وهي توزّع ثلاثة ملايين وسبعمائة ألف مليون نسخة فى الأسبوع.

نيوز أف ذى ورلد ، أربع ملايين نسخة توزّع ، هنالك خمس عشرة صحيفة بريطانية توزع يومياً ، اثنين وعشرين مليون نسخة في أمريكا كلها يهودية، تغسل أفكار الناس من الإنسانية والخلق والضمير .

أمريكا فيها ألف وسبعمائة وتسع وخمسون صحيفة يومياً ، يتلقفها واحد وستون مليون أمريكي توزعها ألف وسبعمائة شركة، سيطرة اليهود على نصفها كاملة، وعلى النصف الثاني شبه كاملة .

نيويورك تايمز : اشتراها أوش(يهودي) ، واشنطن بوست :ستمائة وعشرون ألف نسخة يوميا (يهودية) ، ديلي نيوز (يهودية)، شركة فري برايتي السينمائية يهودية .

المجلات الأسبوعية : نيوزويك ، التايم ، النيوزويك توزع ثلاثة ملايين نسخة أسبوعياً، والتايم أربعة ملايين ونصف المليون نسخة، في فرنسا جريدة الإسك لس ، الليفي جاروا .

السينما : أضخم خمس شركات بيد اليهود ، ٩٠٪ من السينما في العالم بيد اليهود ، هوليود مؤسسة يهودية مائة في المائة، شركات بوكس ، جولدن ، ميترو ، ونر بارامنت كلها يهودية ، شركات السينما، شركات التلفيزيون .

البث الأمريكي : الشركات الثلاث الكبرى التي تسيطر على عقول الأمريكان وعلى عقول العالم ومنها تنقل أخبارنا في العالم الإسلامي (A.B.C - C.B.S - M.B.S) الثلاثة يهودية

هذه بعض أسماء الشركات والصحف التي يحملها اليهود سياطا في أيديهم، تلهب ظهور البشرية وتطاردها ولا تسمح لهم بتفكير، ولا تدع لهم لحظة يعودون الى إنسانيتهم أو يفكروا بمصيرهم أو يفكروا بمستقبلهم .

يقف أحد الوزراء الألمان قبل فترة في التلفيزيون يقول : لقد آن لإخواننا اليهود أن يشاركونا في الضرائب بعد مضي نيف وأربعين عاماً من إعفائهم من الضرائب ، وتطارده الصحف، ويجبر على الاستقالة خلال أيام من الوزارة الألمانية .

أقول أيها الإخوة : التوحيد به حياة البشرية ، والتوحيد لا يقوم ولن يقوم إلا بالجهاد ، لا بالخطب الفارغة أو الرنانة ، ولا بالكلمات القوية، ولا بالمقالات العاصفة ، إنما يقيمه الجهاد (**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين، استغفروا الله .

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

إن إقرار عقيدة التوحيد في الأرض أشد ضرورة للناس من الطعام والشراب والهواء .

إن إقرار عقيدة التوحيد في الأرض ولو على بحور الدماء وتلال الأشلاء؛ فرض على المسلمين الذين يعرفون قيمة التوحيد ، ولو فنيت نصف البشرية ، أو قُتل ثلاثة أرباعها من أجل إقرار عقيدة التوحيد ، ومن أجل أن تنعم البشرية تحت ظلال هذا الدين وتتفيأ في فيء شريعته هو قليل ، قليل بجانب السعادة التي يعيشها الربع الباقي من البشرية .

إن الدماء رخيصة ، من أجل إنقاذ الإنسان ، إن الأشلاء هيّنة من أجل تخليص البشر .

أقول لأحد الشباب الذي كان يقلّني في السيارة إلى المطار بالأمس قلت له : ألم تتعلم اللغة الألمانية بعد ؟ – وكان هذا الشاب يعيش فترة بين ظهرانينا – فقال لي : لم أتعلم سوى بضع كلمات ، إنني معتكف في المسجد لا أستطيع فراقه إني أخاف على نفسي إن خرجت إلى السوق ، إني أخاف على نفسي إن ذهبت إلى الجامعة ، أخاف على نفسي إن وقفت طويلاً على عتبة المركز ، لقد تيقنت الآن أن الدراسة في الغرب حرام ، وأنه لا يجوز للشاب أن يعيش في الغرب .

وأما الأسر وأما الجاليات فلا تسأل عنها، فقد ذابت منذ زمن طويل في حمأة الأحماض الجاهلية ، ولقد عصفت بها تلك العواصف الهوجاء التي لا تقف إليها أسرة ولا تعمد لها جالية .

فرق كبير

يا أيها الإخوة:

كنت أقارن وأنا في ألمانيا بين الشباب الذي يعيش هنا، وبين الشباب الذين يعيش هناك ، هنا الشباب في نومه ويقظته الأجر جار عليه، والثواب يتصبب عليه ، وهناك حيثما ذهب وأينما سار يجمع خطايا ويلمّ مصائباً ، ويلم ذنوباً ، فمن نعم الله ، من نعم الله علينا أن منّ علينا بمثل هذه الأجواء ، من نعم الله علينا أن فتح لنا طريق الجهاد ، من فضل الله علينا ومنته أن حبّب إلينا الاستشهاد .

كنت أقول لهم : أنتم تتكلمون بماذا ؟ هو يقول لي : إنني أتابع جاري منذ سنة حتى أجلبه للخط الإسلامي، قلت له: تعال في يوم

واحد نسلّمك الآلاف تربيهم كما تشاء ، ويقولون لك: إعطنا ما شئت ، وعظنا بما تريد، ونحن ننفذ كما تشاء.

أقول: أولئك أقصى غاياتهم وأغلى أمانيهم أن يستطيعوا إنقاذ شاب من بين براثن فتاة قد امتصت الحيوية من وجهه، قد امتصت الإنسانية من أعماقه، قد دمّرته وأنهته نهائياً.

أقصى ما يحلم به الشاب المسلم في الغرب أن ينقذ شاباً من بين مخالب هذه الفتاة ، وأنتم بعون الله مع إخوانكم الأفغان تواجهون أعتى قوة في الإرض ،وحديثنا صباح مساء : استشهد فلان ، جرح فلان ، فلان ذهب إلى الجبهة ، فلان عاد من الميدان، هذا حديثنا، وهناك حديثهم، والحديث الإسلامي ، يتحدثون بالإسلام مرة في الأسبوع، وبقية أيامهم وبقية ساعاتهم، لقد فتحت لهم الدنيا فاها فاغرة وابتلعت الكثيرين منهم، ومات قلبه بسبب رؤية المنكرات طويلاً دون غيرة ولا نكير، فضرب الحس ومات القلب، وهو لا يشعر أن الله عاقبه بأعظم عقوبة، وهي موت القلب وعدم الإحساس، وعدم تمعر الوجه غضباً لله عز وجل، فاحمدوا الله على هذه النعمة.

وكم كان يحزنني أولئك الشباب الذين دخلوا أرض الميدان وتذوقوا حلاوة الجهاد ثم دفعة واحدة وإذا بهم في الغرب يغرقون في بؤرة الجنس ، أو يكادون يغرقون .

إن أكبر مصيبة لأولئك هي وصولهم إلى تلك الديار ، وعيشهم بين قطعان الكفار، وعندها فهمت معنى قول الرسول ﷺ : **(أنا بريء ممن عاش بين المشركين لاتتراءى ناراهما)**[1] – لا يجوز أن يرى المسلم نار الكفار، ولا الكافر نار المسلم–، من عاش بين المشركين ، **(من ساكن المشركين وعاش معهم ومات بينهم فهو منهم)**[2]، ولذلك البراء والولاء والانفصال عن المجتمع الجاهلي الآسن المتعفن ، والحياة بهذا الدين بين بقايا الإسلام في الشعوب الإسلامية ، هذه أكبر نعمة يمنّ بها الله على البشر ، ومن بها عليكم، فكيف إذا كانت النعمة رباطاً وهجرة وجهاداً واستشهاداً ؟ إنه فضل الله على البشر **(رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم في ما سواه من المنازل يقام ليلها ويصام نهارها)**[3].

---

(1) حديث حسن رواه أبو داود والترمذي بلفظ: (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين لا تراءى ناراهما)، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (١٤٦١).

(2) أنظر التخريج رقم ٣ فهو في معناه.

(3) يبدو أنه حديثان، الأول من قوله: (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل) رواه الترمذي وحسنه والنسائي وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري، والحديث الثاني رواه ابن ماجة بلفظ (من رابط ليلة في سبيل الله كانت له كألف ليلة صيامها وقيامها..)، أنظر المتجر الرابح صفحة (٢٣٧).

العقد والبيعة مع الله

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله- اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا.

عقد الصفقة مع الله

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بإن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) التوبة (١١١ - ١١٢)

هذه الآية أو هاتان الآيتان هما بداية المقطع الأخير من سورة التوبة ، وهذا المقطع يبيّن طبيعة صلة المؤمن بربه ، الثمن الذي يجب أن يقدمه لله عز وجل من أجل الجنة ، صلة المؤمن وعلاقته بأقاربه ممن لا يحملون هذه العقيدة ولا يعتقدون هذا الدين ، صلته بقيادة المجتمع المسلم التي تخوض المعارك ، طبيعة المعركة نفسها وتكاليفها ، ثم تختمها بالآيتين الكريمتين الودودتين تصفان بها رسول الله ﷺ، تبينان أن هنالك عقدا بين المؤمن وبين ربه ، عقد بيع وشراء ، أي نعمة؟! أي إجلال؟! أي تكريم لهذا الإنسان أن يرفع إلى مستوى أن يعقد عقودا مع رب العالمين؟! فضل ونعمة ومنة ليس بعدها وليس فوقها نعمة على هذا الإنسان.

الإنسان الذي يقول عنه داروين أن أصله قرد، لا... هذا الإنسان كريم عند الله عز وجل خالقه، فهو ليس حيوان، هو مكرم

(ولقد كرّمنا بني آدم) (الإسراء:٧٠)

لم يكن أميبا ولا اسبيروجيرا ، و لم يكن من الزواحف، ولم يكن من الفطريات ، ولم يكن من القرود : لا شمبانزي ولا غوريلا ، ولا ابن الغاب ، لقد وُلد إنسانا كريما ، كرّمه خالقه، وأسجد له ملائكته، و أقام معه العقود وسجل العقد ؛ ليس في دائرة الطابو عند المدعي العام أو عند كاتب العدل ، لا قطعة أرض صغيرة لا تقبل ملكيتها عند الدولة إلا إذا كانت مسجلة بشهادة كاتب العدل.

لكن هنا المشتري هو الله سبحانه وتعالى ، والبائع هذا المخلوق الصغير ، الذرة الهائمة فوق سطح الأرض المسمى بالإنسان ، والثمن هو الجنة ، الثمن من الله هو الجنة، والمبيع هو النفس والمال ، والشاهد رسول الله ﷺ ، والطريق هو القتل والقتال ، والكتاب الذي كتب فيه هذا العقد وهذا البيع التوراة والإنجيل والقرآن.

مسجل، ليس عند كاتب العدل، مسجل في كتاب رب السموات والأرض، ما هو الثمن؟ الجنة، الله اشترى، إنتهى... تم العقد، أنت بعت... إن كنت مؤمنا فقد بعت

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم)

يا عجبا لخالقنا! يا عجبا لربنا! كما قال الحسن وعمر : النفس هو خالقها، وأموال هو رازقها، والجنة بلا ثمن.

الجنة الحقيقية بلا مقابل ، الله اشترى منك النفس والمال ، لم يعد لك في مالك شئ هو أخذه وأنت قبلت أن تعقد مادمت مؤمنا فقد عقدت العقد ، النفس ليست لك ، فكيف تضن بها على مالكها وخالقها والذي أخذت منه الثمن عليها ، كيف تبخل بها؟ هي ليست لك.

اشترى فعل ماض يعني، تم العقد بصيغة الجزم ، ولذلك عقد البيع يتم دائما بالإيجاب والقبول ، والصيغتان بصغية الماضي بعتك ، اشتريت ، جزم ، فلم يعد لك في نفسك شيء ولا في مالك شئ هو يتصرف سبحانه بالنفس التي خلقها ثم اشتراها مرة آخرى، ودفع لها ثمنا ، وبعد ذلك تضن على الخالق و المشترى مرة ثالثة؟! إنك عبد عقاق ، أي عقوق أكثر من هذا؟! أنت عبد ليس لك أن تناقش السيد الذي اشترى ، كل ما تشتغله هو للسيد رب العالمين، إن الله هو السيد ، ومعلوم أن العبد إذا اشتراه إنسان هو وشغله وماله ونفسه يتصرف فيها السيد كما يشاء، لا يجوز له أن يخالف السيد، فكيف تخالف رب السادة، وقد خلق نفسك واشتراها، وأعطاك المال

واشتراه مرة أخرى، ثم المرة الثالثة تخلف فيه البيع وتنقض فيه الصفقة وتنقض فيه البيعة **(اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة)** يقاتلون -هذا هو الطريق- **(يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن)**.

التفاعل مع الآيات

وهذا وعد لا يمكن أن ينكث، وهذا عقد لا يمكن أن يخلف من رب العالمين أن ينقض بيعته، إذا كان الرجل الأمين يستحي على نفسه أن يخلف وعده، فكيف رب العزة؟ (ومن أوفى بعهده من الله) لا أحد، الجواب لا أحد، فاستبشروا، إن وفيتم لكم الجنة:

(ماذا لنا يارسول الله؟ قالوا: اشترط لربك ولنفسك -ليلة العقبة- قال: اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم، قالوا: ماذا لنا إن وفينا؟ قال: لكم الجنة قال عبد الله بن رواحة ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل).

إقالة البائع: أي فسخ العقد ، إقالة البيع فسخ العقد من طرفك أن تسمح لأخيك **(من أقال نادما بيعته أقال الله عثرته يوم القيامة)** ، نستقيل: أي تطلب من أخينا أن يقيلنا هذا البيع، فسخ العقد، قال : ربح البيع، لا نقيل ولا نطلب منك أن تقيل، ناس فهموا (لكم الجنة) ربح البيع.

أعرابي سمع هذه الآية من النبي ﷺ في رواية الحسن -حديث مرسل- قال كلام من هذا (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) قالوا : كلام الله ، قال بيع والله مربح ، الأعرابي فهمها ، بيع والله مربح، لا نقيله و لا نستقيله ، فخرج إلى غزوة واستشهد، كانوا رأسا يتفاعلون مع هذه النصوص ، ربح البيع، **قالوا فإذا فعلنا ذلك ما لنا؟** -عبد الله بن رواحة ليلة العقبة- **قال: الجنة ، قالوا : ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل** .

وهذا تفاعل النفوس مع الآية الكريمة ، تفاعل النفوس مع الآيات ، مع النصوص.

يقول الأصمعي: كنت في مسجد الكوفة أحدث

(وفي السماء رزقكم وما توعدون) (الذاريات:٢٢)

أفسر هذه الآية، فقال أعرابي: من الذي يقول هذا يا أصمعي؟ قلت: الله، قال: الله يقول (وفي السماء رزقكم وما توعدون) قلت: نعم -هذا الأصمعي-، قال: فخرج إلى ناقته المربوطة بباب المسجد وذبحها، قال: من أراد منكم اللحم فليأخذ لأن رزقنا في السماء.

وفي العام التالي كنت أطوف بالبيت، وإذا برجل يجتذبني من بين الحجيج، أولست الأصمعي؟ قلت: بلى، قال: لقد وجدت الآية في حياتي حقا فهل من مزيد يا أصمعي؟ قال: فقرأت عليه الآية التي بعدها

(فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) (الذاريات: ٢٣)

قال: فإذا بوجه الأعرابي يصفر ويحمر ويتغير، ويقول: ويل لمن لم يصدق الجبار حتى أقسم هذا القسم -هل هنالك أناس لا يصدقون الله؟- ويل لمن لا يصدق الجبار حتى أقسم هذا القسم، ومازال يرددها حتى وقع على الأرض، فجسسته فوجدته قد فارق الحياة، تفاعل مع النصوص.

ولذلك كانوا -رضوان الله عليهم- إذا سمعوا الآية... مباشرة للتطبيق، ليس للتملي وليس ليستعذبها في نفسه، ليس ليستروحها في ذاته

(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) (آل عمران: ٩٢)

يقوم رجل من ناحية المسجد اسمه أبوالدحداح: يا رسول الله إن أحب شيء لدي هو بيرحاء [بستان] فيه ألف نخلة، هو لله ولرسوله، (حتى تنفقوا مما تحبون) ذهب وقال : يا أم الدحداح اخرجي فقد بعت هذا البستان لله ولرسوله **(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)**، الواحد منا صار حافظ القرآن كله ولم يطبق آية من الآيات ، وهم كانوا إذا سمعوا من رسول الله ﷺ آية أو آيتين يقومون -لا يستكثرون-، يطبقونها ويرجعون.

كان عمر رضي الله عنه إذا أراد أن يأمر الناس بأمر جمع أهله وذوية يقول لهم : إني خاطب في الناس وآمرهم بكذا وكذا، والله لا أرى أحدا منكم خالفه إلا جعلته نكالا للناس ، أول ما يطبق على نفسه.

الآن تقرأ عليهم سورة التوبة والأنفال ومحمد التي اسمها القتال، وهو ينافشك ، يقول لك : يا أخي بقاؤنا هنا أفضل، أفضل للإسلام والمسلمين ، أو أفضل للعمل الإسلامي ، أو أفضل للدعوة الإسلامية، والآيات التي تتكلم بها لو نزلت كما قال الله عز وجل:

(لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) (الحشر: ٢١)

تأتيه من هنا يلف لك مائة لفة، -أعوذ بالله من عدم إجلال العظيم ، نعوذ بالله من عدم إجلال العظيم ، نعوذ بالله من عدم تملي هذه القلوب وتفاعلها مع القرآن العظيم.

صدقوا في الحج وفي المؤتمرات كنت أريد أن أفتتح أو أتكلم بآيات من الجهاد ، كلما أردت أن أختار آيتين أو ثلاثاً من الجهاد، أقول هذه تجرحهم، أنتقل إلى غيرها، هذه تقدحهم، ما أجد آيات إلا وكأنها تسب عليهم ، وتقبّحهم وتقرّعهم وتوبّخهم ، أحاول أن أختار أخفها عليهم ، آيات صريحة ، صريحة .

على كل حال سنقرأ ما قاله ابن القيم وسيد بعد أن نكمل المعاني العامة، التائبون: الراجعون عن الحالة المذمومة في معصية الله إلى الحال المحمودة ، فالتائب هو الراجع ، الراجع عن المعصية ، الراجع إلى الطاعة.

العابدون : المطيعون ، الحامدون : الراضون بقضاء الله ، الشاكرون في النعم ، الصابرون في المصيبة ، ولكن الحديث الشريف الصحيح (سياحة أمتي الجهاد)[1] ، أيّ سياحة أفضل من هذه السياحة؟ ومنهم من قال : السائحون الذين يفكرون بذات الله، يجولون بأفكارهم في السموات والأرض ، ومنهم من قال : يعني الذين يفكرون بالآيات وبالسموات والأرض .

تــذكــيــر

بعض العباد أخذ قدحا ليتوضأ فيه في الليل، فأدخل أصبعه في أذن القدح وقعد يتفكرحتى طلوع الفجر ، قيل له ما بالك؟ قال: أدخلت أصبعي في أذن القدح فتذكرت قول الله

(إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون) (غافر: ٧١)

وذكرت كيف أتلقى الغل، وبقيت في ذلك ليلي أجمع. كانوا بعضهم إذا دخل سوق الحدادين يغمى عليه ، نعم ... يرى الحديد المحمى بالنار يغمى عليه، ينقل إلى البيت وهو مغمى عليه.

سمع عمر رضي الله عنه قارئا يقرأ

(إن عذاب ربك لواقع ، ما له من دافع) (الطور: ٧-٨)

وكان راكبا على الحمار فلم يحتمل ، فلم يثبت على الحمار، فوقع مريضا، وبقي شهرا لا يدرون لماذا مرض.

والمسور بن مخرمة يقرأ

(فإذا نقر في الناقور) (المدثر: ٨)

كان في المحراب فخر مغشيا عليه وشهق ومات

الراكعون الساجدون: يعني الصلاة، الآمرون بالمعروف: المعروف كل أمر أمر الله به، وكل سنة سنها لنا رسول الله ﷺ، والناهون عن المنكر: كل ما نهانا عنه الشرع فهو منكر، الحافظون لحدود الله : أي الذين يقفون عند أوامر الله ينفذونها، ولا ينتهكون ما حرم الله.

كلام ابن القيم

ونأتي لما قاله ابن القيم في هذه الآية في زاد المعاد الجزء الثالث صفحة ‹٧٢› يقول: «أخبر سبحانه أنه (اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) و أعاضهم عليه الجنة . وأن هذا الوعد والعقد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن، ثم أكد ذلك بإعلامهم أنه لا أحد أوفى بعهده منه تبارك وتعالى، ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا ببيعهم الذي عاقدوه عليه ، ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم ، فليتأمل العاقد-انتبه فكر- مع ربه عقد هذا التبايع ما أعظم خطره وأجله ، فإن الله

---

(١) حديث صحيح، انظر كتاب الجهاد لعبد الله بن المبارك ص (٦٨).

عز وجل هو المشتري، والثمن جنات النعيم ، والفوز برضاه ، والتمتع برؤيته هناك ، والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من الملائكة والبشر ، وإن سلعة هذا شأنها لقد هيأت لأمر عظيم وخطب جسيم.

قد هيأوك لأمر لو فطنت له — فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

مهر المحبة الجنة ، بذل النفس والمال لمالكهما الذي اشتراهما من المؤمنين ، فمال الجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة؟! مالك وما لها يا أيها الجبان لا تسمها يعني لا تسأل عن ثمنها لست من أهلها- فمال الجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعه. بالله ما هزلت فيستامها المفلسون ، ولا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرين ، لقد أقيمت للعرض في سوق من يريد فلم يرض ربها لها بثمن دون بذل النفوس. فتأخر البطالون، وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن ، فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد «أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين»، لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوة ، فلو يعطى الناس بدعواهم لادعَّى الخليّ حرقة الشجّي -الشجّي صاحب المصيبة-، والخلي : الخالي منها- فتنوع المدّعون في الشهود فقيل لا تثبتوا هذه الدعوى إلا ببينة:

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) (آل عمران: ٣١)

فتأخر الخلق كلهم وثبت أتباع رسول الله في أفعاله وأقواله وهديه و أخلاقه ، فطولبوا بعدالة البينة، وقيل لا تقبل العدالة إلا بتزكية .

(يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) (المائدة :٥٤)

فتأخر أكثر المدعين للمحبة ، وقام المجاهدون ، فقيل لهم : إن نفوس المحبيّن وأموالهم ليست لهم ، فسلموا ما وقع عليه العقد ؛ فإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، وعقد التبايع يُوجب التسليم من الجانبين ، فلما رأى التجار عظمة المشتري وقدر الثمن ، وجلالة قدر من جرى عقد التبايع على يديه ، ومقدار الكتاب الذي أثبت فيه هذا العقد ، عرفوا أن للسلعة قدراً وشأناً ليس لغيرها من السلع ، فرأوا من الخسران البيّن والغبن الفاحش أن يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة ، تذهب لذتها وشهوتها ، وتبقى تبعتها وحسرتها ، فإن فاعل ذلك معدود في جملة السفهاء ، فعقدوا مع المشتري بيعة الرضوان رضى ً واختياراً من غير ثبوت خيار ، وقالوا : والله لا نقيلك ولا نستقيلك، فلما تمّ العقد ، وسلموا المبيع ، قيل لهم : قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا ، والآن فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها:

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياءً عند ربهم يرزقون) (آل عمران: ٦٩)

لم نبتع منكم نفوسكم وأموالكم طلباً للربح عليكم، بل ليظهر أثر الجود والكرم في قبول المعيب والإعطاء عليه أجل الاثمان: الجنة، ليس ألف ريال أو ألف درهم، الجنة ثمن لمن؟ للنفس العمياء العرجاء .

ثم جمعنا لكم بين المثمن الثمين فحي هلا

إن كنت ذا همة فقد حدا — بك حادي الشوق فاطو المراحلا
وقل لمنادي حبهم ورضاهم — إذا ما دعا لبيك ألفا كواملا
ولا تنتظر بالسير رفقة قاعد — ودعه فإن الشوق يكفيك حاملا
وخذ منهمو زادا إليهم وسر على — طريق الهدى والحب تصبح واصلا
وقل ساعدي يا نفس بالصبر ساعة — فعند اللقا ذا الكد يصبح زائلا
فما هي إلا ساعة ثم تنقضي — ويصبح ذو الأحزان فرحان جاذلا

فما هي إلا ساعة طلقة هنا ترسلك إلى الجنة، واحد من الكفار أسلم فكان أحيانا يمزح يقول: لقد زوجت عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ الحور العين يعنى قتلتهم.

نعم، لقد حرك الداعي إلى الله وإلى دار السلام النفوس الأبية والهمم العالية، وأسمع منادي الإيمان من كان له أذن واعية ، وأسمع الله من كان حيا فهزه السماع إلى منازل الأبرار، وحدا به في طريق سيره فما حطت رحاله إلا بدار القرار، فقال :

(انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي، وتصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل)[1] أخرجه البخاري.

---

(١) رواه الشيخان.

وقال: (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله، وتوكل الله -يعني تكفل- للمجاهد في سبيله إن يتوفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه سالما مع أجر أوغنيمة)[1] رواه الشيخان البخاري ومسلم.

مع سيد قطب في ظلال الآية

وأما الأستاذ سيد رحمه الله يقول عند هذه الآية:

"هذا النص الذي تلوته من قبل وسمعته ما لا أستطيع عده من المرات ، في أثناء حفظي للقرآن وفي أثناء تلاوته وفي أثناء دراسته بعد ذلك في أكثر من ربع قرن من الزمان ، هذا النص حين واجهته في هذه الظلال -يعني عند التفسير- أحسست إني أدرك منه مالم أدركه من قبل في المرات التي لا أملك عدها على مدى هذه الأزمان ، إنه نص رهيب ، إنه يكشف عن حقيقة العلاقة التي تربط المؤمنين بالله وعن حقيقة البيعة التي أعطوها بإسلامهم طوال الحياة، فمن بايع هذه البيعة ووفى بها ؛ فهو المؤمن الحق الذي ينطبق عليه وصف المؤمن ، وتتمثل فيه حقيقة الإيمان، وإلا فهي دعوى-زعم- تحتاج إلى تصديق وتحقيق.

حقيقة هذه البيعة أو هذه المبايعة كما سماها الله كرما منه وفضلا وسماحة ، أن الله سبحانه قد استخلص لنفسه أنفس المؤمنين وأموالهم، فلم يعد لهم منها شيء، لم يعد لهم أن يستبقوا منها بقية لا ينفقونها في سبيله ، لم يعد لهم قيام في أن يبذلوا أو يمسكوا، كلا، إنها صفقة مشتراة، لشاريها أن يتصرف بها كما يشاء ، وفق ما يفرض ووفق ما يحدد ، وليس للبائع فيها من شيء سوى أن يمضي في الطريق المرسوم، لا يتلفت ولا يتخير، ولا يناقش ولا يجادل، ولا يقول إلا الطاعة والعمل والاستسلام، والثمن هو الجنة، والطريق هو الجهاد والقتل والقتال ، والنهاية هي النصر أو الاستشهاد (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) من بايع على هذا، من أمضى عقد الصفقة، من ارتضى الثمن ووفى فهو المؤمن ، فالمؤمنون هم الذين اشترى الله منهم وباعوا ، ومن رحمة الله أن جعل للصفقة ثمنا، وإلا فهو واهب الأنفس والأموال، هو مالك الأنفس والأموال، ولكنه كرم هذا الإنسان فجعله مريدا، وكرّمه فجعل له أن يعقد العقود ويمضيها حتى مع الله ، وكرّمه فقيده بعقوده وعهوده وجعل وفاءه بها مقياس إنسانيته الكريمة، ونقضه لها هو مقياس ارتكاسه في عالم البهيمة شر البهيمة

(إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لايتقون) (الأنفال: ٥٥ – ٥٦)

كما جعل مناط الحساب والجزاء هو النصوص أو الوفاء، وإنها لبيعة رهيبة بلاشك ، ولكنها في عنق كل مؤمن ، بيعة رهيبة خيفة، ولكنها في عنق كل مؤمن قادر عليها ، لا تسقط عنه إلا بسقوط إيمانه ، ومن هنا تلك الرهبة التي أستشعرها اللحظة وأنا أخط هذه الكلمات (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون) عونك اللهم ؛ فإن العقد رهيب .

وهؤلاء الذين يزعمون أنفسهم مسلمين في مشارق الأرض ومغاربها قاعدون لا يجاهدون لتقرير ألوهية الله في الأرض، وطرد الطواغيت الغاصبة لحقوق الربوبية وخصوصياتها في حياة العباد، ولا يقتلون ولا يقتلون ولا يجاهدون جهادا ما دون القتل والقتال، لقد كانت هذه الكلمات تطرق قلوب مستمعيها الأوائل على عهد رسول الله ﷺ ، فتتحول من فورها في القلوب المؤمنة إلى واقع من واقع حياتهم ، ولم تكن مجرد معان يتملونها بأذهانهم، أو يحسونها مجردة في مشاعرهم، كانوا يتلقونها للعمل المباشر بها لتحويلها إلى حركة منظورة لا إلى صورة متأملة.

هكذا أدركها عبدالله بن رواحة عندما قال : ربح البيع ، لا نقيل و لا نستقيل ، ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ، لقد أخذوها صفقة ماضية نافذة بين متبايعين ، انتهى أمرها ، وأمْضي عقدها، ولم يعد إلى مرد من سبيل .

فالصفقة ماضية لا رجعة فيها ولا خيار ، والجنة ثمن مقبوض لا موعود ، أليس الوعد من الله؟ أليس الله هو المشتري؟ أليس هو الذي وعد الثمن ، وعد قديما في كتبه (وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن)، ودع عنك رفعة الإنسان وهو يعيش لله، ينتصر إذا انتصر لإعلاء كلمة الله ، وتقرير دينه وتحرير عباده من العبودية المذلة لسواه ، ويستشهد إذا استشهد في سبيله ، ليؤدي لله شهادة بأنه خير عنده من الحياة ، ويستشعر في كل حركة وفي كل خطوة أنه أقوى من قيود الأرض، وأنه أرفع من ثقلة الطين.

---

[1] رواه الشيخان.

والإيمان ينتصر فيه على الألم ، والعقيدة تنتصر فيه على الحياة ، إن هذا وحده كسب بتحقيق إنسانية الإنسان التي لا تتأكد كما تتأكد بانطلاقه من أوهاق الضرورة وانتصار الإيمان على الألم ، وانتصار العقيدة فيه على الحياة، فإذا أضيفت إلى ذلك كله الجنة ، فهو بيع يدعو إلى الأستبشار، وهو فوز لا ريب فيه ولا جدال «فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم»

منازلنا الأولى

وما ذاك إلا عـــزة أن ينـالهــــا   سوى كفـؤها والرب بالخـلق أعلـــم

وإن حجبت عنهــــا بكــل كريهــة   وحفت بمـــا تؤذى النفـوس وتؤلـــم

فلـلـــه ما فـــي حشوهـا من مسرة   وأصنــاف لـذات بـهـا تتــنعـــم

ولـلـه برد العيش بيــــن خيامهـــا   وروضاتها والثغر في الــروض يبسم

ولله واديــهـــا الـــذي هــو موعـــد   المـزيد لوفد الحب لو كنت منهـــم

بذيالك الـوادى يهيم صـــبابــــة   محـب يـرى أن الصبابة مغنـــم

ولله أفراح المحبيـــن عنـدمـــــا   يخـــاطبهم من فـوقـهم ويسلـــم

ولله أبصــار ترى الله جهرة فـــلا   الضيم يغشـاها ولا هـي تســـأم

فيا نظرة أهدت إلى الوجه نـضـــرة   أمن بعدهـــا يسلـو المحب المتيَّـــم

ولله كم من خيرة * إن تبسمـــت   أضاء لها نـور من الـفجر أعـــظم

ويا لذة الأبصـار إن هـي أقبلـــت   ويـا لـذة الأسمـاع حيـن تـكـــلم

وياخجلة الغصن الرطيب إذا انثـــنت   ويا خجلــة الفجرين حيـن تـبسـم

فإن كنت ذا قلب عليـل بحبـهـــا   فلـم يـبق إلا وصلـها لـك مـــرهم

تراها ولا سيما في لثمها عند ضـمها   وقد صار منها تحت جيدك معصــم

تراها إذا أبدت له حسـن وجهـــها   يـلذ بـهـا قـبل الـوصال وينـعـــم

تفكه منها العيـن عند اجتـلائهـــا   فـواكـه شتي طلعها ليس يعــــدم

عنـاقيـــد من كرم وتفــاح جنة   ورمان أغصان بـها القلب مغـــرم

ولـلـورد ما قد ألبســته خدودهـــا   وللخمر ما قـد ضمـه الـريق والفـــم

تقسـم منها الحسن في جمع واحـد   فـيا عجبـــاً من واحــد يتقســـم

تـذكـر بالرحمن مـن هـو نـاظـــر   فيـنـــطق بالتسـبيح لا يتلعثـــم

إذا قابلت جيش الهـموم بوجهــــها   تولى علـــى أعقابه الجيش يهــزم

فيا خاطب الحسناء إن كنت راغــبا   فـهذا زمان المهــر فـهو المـقـــدم

هذا المهر ، قريب هنا ساعة تكون من هنا عندها ، جاجي، المأسدة ، رصاصة واحدة تلحق خالداً وعبدالمنان تلحقهم هناك ، تلحق سعد الرشود وعبدالوهاب، وتلحق يحيى سنيور، وتلحق هشام بن عبد الوهاب الديلمي، وتلحق عبد الصمد ، فيا خاطب الحسناء إن كنت راغبا إذا اردت تخطب، أما إذا أردت ترجع ارجع على خاطرك.

فـيا خاطب الحسناء إن كنت راغبا   فـهذا زمـان المهـر فهو المقدم

ولما جـرى ماءالشبـاب بغصـنـها   تيقـن حقــا أنــه لـيس يهـرم

وكـن مبغضـا للخـائنـات لحبها   فتحظـى بهـا من دونـهن و تنعـم

وكن أيما: لاتتزوج غيرهن، أيم بدون زواج.

وكن أيما ممـــا سواهـا فـإنهـا   لمثـلك فـي جـنـات عدن تأيـم

وصم يومـك الأدنى لعلك في غد   تفوز بعيـد الفطر والناس صـوم

وإن ضاقت الدنيا عليـك بأسرها   ولـم يـك فيـها منـزل لك يـعلـم

فحي عـلى جنات عـــدن فإنهـا   منـازلــك الأولــي وفيهـا المخـيم

ولكنـنا سـبي العدو فـهل تـرى   نعــود إلى أوطانـنـا ونسـلـم

وقد زعموا أن الغريب إذا نأى — وشطت به أوطانه فهو مغرم

وأي اغتراب فوق غربتنا التي — لها أضحت الأعداء فينا تحكم

وحي على السوق الذي فيه يلتقي — المحبون ذالك السوق للقوم يعلم

فما شئت خذ منه بلا ثمن له — فقد أسلف التجار فيه وأسلموا

وحي على يوم المزيد الذي به — زيارة رب العرش فاليوم موسم

يوم الجمعة اسمه يوم المزيد في الجنة

وحي على واد هنالك أفيح — وتربته من أذفر المسك أعظم

منابر من نور هناك وفضة — ومن خالص العقيان لا تتقصم

وكثبان مسك قد جعلن مقاعداً — لمن دون أصحاب المنابر تعلم

فبينا هم في عيشهم وسرورهم — وأرزاقهم تجرى عليهم وتقسم

إذا هم بنور ساطع أشرقت له — بأقطارها الجنات لا يستوهم

تجلى له رب السموات جهرة — فيضحك فوق العرش ثم يكلم

سلام عليكم يسمعون جميعهم — بآذانهم تسليمه إذ يسلم

يقول سلوني ما اشتهيتم فكل ما — تريدون عندي التي انا الرحم

فقالوا جميعا نحن نسألك الرضا — فأنت الذي تولى الجميل وترحم

فيعطيهم هذا ويشهد جمعهم — عليه تعالى الله فالله أكرم

فيا بائعاً هذا ببخس معجل — كأنك لا تدرى ولا أنت تعلم

فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة — وإن كنت تدرى فالمصيبة أعظم

طريق الجنة

الجنة لا تضيعوها، العقد لا تنكثوه، فتح الله لكم أبواب الجنة في أفغانستان، فإلى أين تذهبون؟ وكيف على أعقابكم تنكصون؟ والجنة مفتوحة الأبواب، مشرعة تدخل فيها من أي باب

(إن في ذلك لذكرى لأولى الألباب) (الزمر: ٢١)

إنك إن تركتها وعدت وتاجرت بالرمل والتراب ، عجبا لمن يترك رب الأرباب ويتاجر بالتراب ..

(إن هذا لشيء عجاب) (ص: ٥)

الجنة تكفل بها رب العزة للمجاهد ، تكفل بها رب العزة للمهاجر في سبيله:

(من رضع رجله في الركاب فاصلا -الهجرة- فوقصته دابته فمات-أي سقط من الطائرة، تحطمت الطائرة - فمات أو لدغته هامة -أفعى أو عقرب- فمات، أو مات بأي حتف مات ، فهو شهيد ، وإن له الجنة)[1] حديث صحيح.

الرباط: **(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)**[2] ، **(خير مما طلعت عليه الشمس)**[3]، وإذا مات **(من مات مرابطا أجري له رزقه إلى يوم القيامة، ونمي له عمله)**[4] ، لا يختم ديوانه تبقى الملائكة تسجل له الحسنات التي كان يعملها أيام الرباط إلى يوم يلقاه ، ماذا تريدون؟.

وأما القتال : فالساعة بقيام ستين سنة ، كلها أحاديث صحيحة : **(قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود)**[5] ، **(قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة)**[6] فأين تذهبون؟!

فرض الكفاية إلى متى ؟

تقولون : الجهاد فرض كفاية ، المسلمات تنتهك أعراضهن في كل مكان الإسلام يجتث من الارض اجتثاثا، وقد سمعتم أخانا

---

(١) حديث حسن، أنظر صحيح الجامع رقم (٦٤١٣). (٢) حديث صحيح رواه البخاري. (٣) جزء من حديث صحيح رواه مسلم. (٤) رواه مسلم.

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ: (موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود) أنظر صحيح الجامع رقم (٦٦٣٦)

(٦) حديث صحيح، أنظر صحيح الجامع رقم (٤٤٢٩).

الشيخ تميم يحدث عن أحد قادات بكتيا يقول : إن ثماني طائرات حطت في قريته ، وأخذت أجمل بنات البلد ، وارتفعت فوق القرية، ونزعوا ألبستهن الداخلية والخارجية والقوها فوق القرية على آبائهن وعلى بيوتهن، ثم انتهكوا أعراضهن وألقوا بهن فوق الجبال ، فوق القرية عاريات.

كيف القــــرار وكيف يهدأ مسلـــم	والمسلمـــــات مع العدو المعتـــدي
القائلات إذا خشيـــن فضيحـــة	جهد المقالـــة ليتنا لم نولـــد
أتسبــى المسلمات بكـل ثغـــر	وعيـــــش المسلمين إذن يطيـب
أمـا للـــه والإســـلام حـــق	يدافع عنـــه شبان وشيـــب
فقـل لـذوي البصائر حيث كانوا	أجيبـوا اللـــه ويحكـموا أجيبـوا

هذا إذا كان من عبدالله بن المبارك عندما كان الجهاد فرض كفاية ، فكيف إذا أصبح الجهاد فرض عين كما هو الآن وإلى أن تسترجع كل بقعة كانت إسلامية؟ فلسطين وحتى الأندلس ، وبخاري وسمرقند وآذربيجان ، ليس أفغانستان فحسب ، في مثل هذه الحالة نص جميع الفقهاء والمفسرين والمحدثين والعلماء السابقين واللاحقين ممن كتبوا عن الجهاد أنه: إذا وطئ الكفار شبرا من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم، بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والعبد دون إذن سيده، والمدين -الذي عليه دين- يخرج دون إذن دائنه ، ويصبح فرض عين على هذه البقعة ، فإن لم يخرج العدو فعلى من يليهم، وثم وثم إلى أن يعم فرض العين الأرض كلها فرضا كالصلاة والصوم لا يسعهم تركه ، فأين تذهبون؟ كالصلاة والصوم ، يعني ليس هناك فرق بين الذي يترك الجهاد وهو صحيح سليم وبين الذي يفطر في رمضان ، هذا فرض من تركه فهو ارتكب محرما ، وهذا فرض من قد تركه فقد ارتكب محرما ، وليس بين آكل الربا وشارب الخمر والسارق وبين تارك الجهاد أي فرق ، هذا يرتكب حراما ، بل الذي يشرب الخمر – والله أعلم – والذي يفطر في رمضان – والله أعلم – أقل إثما من الذي يترك الجهاد ، لأن تارك الجهاد يضر الأمة والبلاد، ويعم الشرك والفساد ، وأما شارب الخمر فإنه يضر نفسه ، والمفطر في رمضان يضر نفسه.

ولذلك يا أخي الكريم لا تقل بعد هذا الجهاد فرض عين، أو فرض كفاية ، هذه قضية مسلم بها عند العلماء جميعا ، ولا أعرف كتابا واحدا من تفسير أو حديث أو أصول أو فقه كتب في الجهاد إلا ونص على هذه القضية، وبعد ذلك إذا جاء أحد إلى الجهاد تقول له أنا أنصحك أن لا تذهب إلى أفغانستان ، كيف تلقى الواحد القهار يوم القيامة؟ كيف تلقى الله عز وجل وأنت تصد عن سبيله؟ كيف تلقى الله عز وجل ، والله عز وجل يقرن الذي يصد عن سبيل الله مع الكفر ..

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) (محمد : ١)

والجهاد عندما تطلق في القرآن أو السنة أو الفقه إنما يعنى بها قتال الكفار بالسيف، قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

أرض الإسلام واحدة

هكذا اتفق الأئمة الفقهاء ، الأئمة الأربعة، ولذلك يا أخي فرض عليك أن تمتشق حسامك، وأن تحمل سلاحك، وأن تدافع عن هذا الدين، فلقد اقتطعت ديار المسلمين قطعة قطعة ، والمسلمون مخدرون نائمون ، وهذا يقول : أفغانستان بعيدة، ونحن هنا أرضنا أو موطننا أهم وأشد ضرورة أو أشد حاجة لنا ، ما موطنك؟ موطنك هي أرض الإسلام.

وحيثـما ذكـــر اســـم اللـــه فـي بلـــد   عـــددت أرجاءه مـــن لب أوطـــاني

***

العرب لنا والصيـــن لنا والهـــند لنا والكل لنا

أضحى الإسلام لنا دينا وجميع الكون لنا وطنا

دستور الله لنا دين أعددنـــا القلب له سكـنـــا

وأرض المسلمين كلها واحدة، وليست أختك الأردنية بأولى من أختك الأفغانية في حماية عرضها من أن ينتهك ، وليس الدم السعودي أو الكويتي أو الدم المصري أغلى عند الله من الدم الأفغاني، هذا دم مسلم إراقته حرام، وصيانته فرض على الأمة، و في الحديث الصحيح :

(لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرئ مسلم)[1].

ألم تعلم بأن الفقهاء قد نصوا على أنه إذا سبيت إمرأة في المشرق وجب على أهل المغرب تخليصها ألم تعلم بأنه إذا سبيت إمرأة واحدة يصبح الجهاد فرض عين على الأمة المسلمة كلها حتى تستنقذ هذه المرأة ، أين تذهبون من هذه النصوص؟ أين تذهبون من سورة التوبة؟ أين تذهبون من سورة الأنفال؟ أين تذهبون من قاتلوا التى تتكرر عشرات المرات في كتاب الله؟ أين تذهبون من (وجاهدوا) التى تكررت اكثر من آيات الصلاة والصوم والزكاة والحج؟ الجهاد أفرد له رب العزة في كتابه من آيات اضعاف اضعاف ما أفرده للصلاة والصيام والزكاة والحج مجتمعة أين تذهبون ؟ القضية جد خطيرة.

التحمل على الشدائد

الحمد لله، نحمده نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم :

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم ، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين ، ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبيّن لهم أنهم أصحاب الجحيم ، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلمّا تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم. وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ، إن الله بكل شئ عليم . إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير . لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم. وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) (التوبة: ١١١ - ١١٨)

طبيعة البيعة

بالأمس تكلمنا عن البيعة ، طبيعة البيعة بين الإنسان وبين الرحمن ، وأن الله عز وجل اشترى المال والنفس ودفع الثمن الجنة، فإذا كنت مؤمناً فقد تم العقد، اشترى في الماضي، وأمضي العقد، ولا إقالة ولا استقالة ما دمت مؤمناً، فهي بيعة في عنقك إلى أن تلقاه، أخذ المال والنفس، لم يعد لك حرية التصرف فيهما ، وأعطاك الجنة، وهو اشترى عبدا معيبا مقابل ثمن كبير...الجنة.

وفي الحديث الصحيح : «أقل أهل الجنة مكانا من له ضعف الأرض»[2] ، ومن له ضعف مساحة الأرض ، وفي رواية عشرة أضعاف مساحة الأرض ، فآخر من يخرج من النار له -في رواية صحيحة- ضعف مساحة الأرض ، وفي رواية صحيحة عشرة أضعاف مساحة الأرض ، هذا آخر واحد يخرج من النار، فكيف السابقون الأولون ، كيف أصحاب اليمين ، كيف أصحاب الغرفات، كيف وكيف ؟.

(١) حديث صحيح رواه الترمذي . انظر صحيح الجامع رقم (٥٠٧٨). (٢) رواه مسلم في حديث طويل، أنظر إن شئت الترغيب والترهيب للمنذري (٥١/٤).

فيا بائعا هذه ببخس معجل — كأنك لا تدري ولا أنت تعلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة — وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

أين تذهب؟ إلى بلدك، ماذا في بلدك؟ الجامعة، سنة ثانية طب، سنة ثانية هندسة، سنة رابعة اقتصاد وإدارة، مساكين أهل الطب، خرجوا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب ما فيها، إن أطيب ما في الدنيا عبادة الله والأنس به ، وأحلاها طعما الجهاد في سبيل الله {التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله}

شرحنا معانيها بالأمس ، لكن هل هنالك إرتباط بين الآيتين أو هذه الآية وحدها وهذه الآية وحدها ، هذه الآية ، يعني المؤمن المجاهد يجب أن يكون تائبا ، عابدا ، سائحا ، راكعا ، ساجدا إلى آخره ، أم أن هذه الآية وحدها ليس لها ارتباط بالبيعة السابقة.

الذي تميل إليه نفسي -والله أعلم- أن هذه مرتبطة بالتي قبلها ، لماذا ؟ لأن الجهاد عبادة ثقيلة ، الجهاد قمة سنام الإسلام ، فلا تصل إليها إلا بعد الدرجات كلها ، فإذا لم يكن عندك أرضية وقاعدة تحتمل طول معركة الجهاد ومشقة طريقها فإنك لا تستطيع مواصلة المسيرة ، ولذلك رأينا كثيرا من الشباب جاء متحمسا ثم رجع مرتكسا منتكسا ، لماذا ؟ ما احتمل التضحيات ، هو ظنها رحلة بسيطة أو نزهة مريحة ، وهذه ليست طبيعة الجهاد طبعا ، طبيعة الجهاد تكاليف صعبة {التائبون العابدون} تكاليف الجهاد

{أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين} (آل عمران: ١٤٢)

التعويد على الصبر

مرارة الصبر على الطريق صعبة ، وتجرع غصصها ثقيلة على النفس ، خاصة إذا ذهب إلى الشمال ، أنتم الآن متحمسون كل منكم يريد أن يذهب إلى الشمال ، عندما تدخل إلى الشمال وتبدأ الثلوج تتساقط ، تسد الطريق، وتنظر ليس فوقك إلا السماء ، وليس حولك إلا البياض ، وليس لك طعام إلا الخبز والشاي صباحا وظهرا ومساء ، إذا يسر الله لك حبيبات من الأرز تسد بها رمقك ، لن تأكل في الشمال -والله أعلم- أرزا اكثر من الأكلة التي أكلتها هذه الليلة وقمت وأنت غاضب ، لأن بطنك أخمص ، وأنت لم تشبع.

نحن نريد أن نختبر صبركم عن الطعام وهو موجود ، حتى تصبروا على الطعام وهو مفقود ، نحن أرجعنا الطعام إلى المطبخ وقد يكون رموه .

المهم الصباح أكلوه ، وفروا علينا وقد يسكب ، قد يكون الشاي موجودا ونسكبه هكذا في الأرض فلا تشربوه ، لنعلمكم كيف تعلموا أنفسكم حرمانها من الملذات وهي موجودة.

من الذكريات

نعم أنا قلت لكم تدربنا أربعة أشهر في معسكر ما أذكر أني شبعت لإمرة واحدة، لولا الحياء والإباء يبكي الإنسان من الجوع! والله ، والله أذكر مرة كان قائد المعسكر غائبا، وكنا نهابه، لا يستطيع واحد منا أن يتنفس نفسا في داخل المعسكر و هو موجود، فغاب، فأرسلوا لنا على العادة قطعة خبز -نصف رغيف- من هذا الرغيف الشامي الصغيرالذي إذا نفخت عليه طار ، فقال : نصف رغيف الصباح والظهر والمغرب ، يعني : هذا كم لقمة للرجل ؟ ثلاث لقمات ، ولذلك كان الواحد منا يعزي الآخر يقول له : «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه»، فالثاني يرد عليه لقمة الصحابي هي نصف رغيف.

فاذكر أنه غاب القائد ونحن جائعون، فحملنا الكلاشينات وهجمنا على المطبخ، وقلنا للمسؤول عن المطبخ -مسؤول المطبخ يعني ظاهري بحت ، يأخذ بظاهر النصوص ، لا يمكن أبدا أن يحيد- قلنا له : هات ، قال : ممنوع ... هكذا قال القائد ، قلنا له : هات خير لك ، قال : والله لن تأخذوا لقمة واحدة ، نعم ... و أصر ، والكلاشينات بأيدينا وأصر، فرجعنا خائبين من باب المطبخ.

كانوا يأتوننا بالخبز ويجففونه بالشمس، وتبقى أكياس الخبز شهرا نأكل منها ، فكنا نستعمل الديشك -قاعدة البندقية- من أجل تكسير الخبز ، وقسم منا -شباب- تكسرت أسنانهم بسبب صلابة الخبز ، شهر كامل ونحن نأكل الخبز اليابس.

الآن تجد أمام المجاهدين خبزاً مفتتاً ، وبعضهم مخرج اللب ، الله أكبر !! هذا مجاهد ؟! هذا بطر ، هذا لو تدرب جيدا وتعلم كيف يكون الجوع يعرف أن الله حق ، يأكل الخبز الذي عليه الأخضر هذا ، عفن الخبز وغيره.

فأقول : نحن هنا نرى الناس الذين جاءوا يتحملون أو لا يتحملون، نشد عشر معشار الشد المطلوب.

قال لي الأخ الذي دربنا : أريد أن آتي، قلت : لا يحتملوك ، نحن ما احتملناك ، كيف هؤلاء !! أحدهم ترك سيارته ، وأحدهم ترك عمارته ، وأحد تارك المناسف والكبسات ، تريد أن تطيرهم ، ما صدقنا وقد جمعناهم ، في يوم واحد تنفخ عليهم وتطيرهم ... لا يحتملونك .

الجهاد ثقيل

الجهاد صعب ، صعب ولا تتحمله إلا كبار النفوس ، فإذا نزل الثلج وسد الطريق تلتفت حولك لا تجد إلا واحداً أو اثنين ، ثلاثة من العرب ، تفرغ سمُّك في المسؤول عنك : أنت الذي جئت بي ... أنت تستحيي أن تقول : أنت الذي جئت بي ، لو يقول السلام عليكم ترد عليه، هم هم ، وأنت مغلق فمك لا تريد أن يرد عليك السلام، ملل سأم تعب، نعم .

وعندما تطلع جبال نورستان وجبال بنجشير هذه ، فعلا الواحد غضبه وتعبه يفرغه في من حوله إلا الصابرون.

ولذلك كثير من الإخوة على الطريق يعملون مشاكل بسبب التعب ، ومن هنا نحن علمتنا التجارب أن لا نرسل إلا الإنسان الذي يتحمل ، الإنسان المتربي على الإسلام ، الذي يعرف تكاليف الطريق ، ليست القضية عرضا قريبا وسفرا قاصدا ، القضية جهاد، قمة سنام الإسلام ، تريد جنة ، ولا تدخل الجنة حتى تدفع الثمن، وثمنها صعب

(حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا) (يوسف: ١١٠)

ولذلك أفرح كثيرا عندما أرى شابا متربيا على الإسلام ، لأنه أتى وهو عارف تكاليف الطريق، ويتحمل ويعرف الانضباط، ويعرف الطاعة، ويعرف معنى الجندية، ويعرف معنى الإمارة.

أما هذا الشاب ، هذا جاء من شركته، وهذا جاء من جامعته، وهذا جاء من مدرسته ، أول ما يبدأ يعمل مشاكل مع أبناء خيمته ، تبدأ أخلاقه الجاهلية تظهر على من حوله .

أنا عجبت مرة ، جاء القائد قال : فلان-مدرس استقال من تدريسه وتفرغ معنا للجهاد في فلسطين ، وصاحب فتوة وشجاعة ما يتأخر عن الطابور- قال : إحمل شنطتك وعلى السيارة خذه إلى عمان، ليس لك جهاد، إذهب في بيتكم تفيدهم ، فأنا سألت القائد بيني وبينه، قلت : كيف تركت هذا ؟ قال : إذا كان في وجودي يكاد يأكل إخوانه ، فكيف غدا عندما نرسلكم إلى القواعد تكونون وحدكم، ماذا سيعمل لكم من المشاكل ؟! صاحب تجربة بعيد النظر ، أنا عرفت هذا.

العود الناضج

ولذلك عندما أخرجت بعض البلدان قراراً يمنع واحداً أن يخرج دون إذن والديه قبل الحادية والعشرين أنا فرحت في قلبي، صدقوا! ، لأن ابن الثامنة عشرة ما يتحمل ، يتحمل معك شهراً شهرين بعد ذلك يتعبك، لابد أن يكون رجلاً يتحمل التكاليف ، لابد أن يكون ناضجا ، لابد أن يكون ذا فهم عندما تتكلم معه ، أما هذا شاب صغير ولد ، لا يتحمل ، تقول لي : أسامة بن زيد ستة عشر ، محمد بن القاسم ستة عشر فتح السند، لم يكن عندهم سيارة يفحط فيها محمد بن القاسم ولا أسامة بن زيد ، كانوا متربين منذ نعومة أظفارهم على الإسلام ، فهم ناضجون قبل أن يصلوا الخامسة عشرة ، متشربون بالإسلام ، تربوا في المحنة ، أدخلوا في فرن التجارب ، خرج كل واحد منهم صلب العود ، شديد المراس، يتحمل التكاليف.

أهمية التربية والانضباط

فأنا ما حزنت، بعض الشباب قالوا: ما هذا القرار؟ قلت لهم: أنا فرحان في قلبي، فرحان والله مسرور، لأنه يتعبنا كثيراً، و أنتم لا تتعبون... نحن الذين نتعب معه، يعني كل واحد منكم عندما يتخرج من هنا، المتربي على الإسلام في بلده نرتاح معه، لأنه يعرف الانضباط، لأنه تعلم على هذا في بلده، أما الذي ما عرفه في حياته، ما حكمه أحد، ولا أمر عليه أحد، لا يرد لا على أم ولا على أب، ومعلم المدرسة شيّب رأسه، ويعتبر هذا فهلوية، شجاعة رجولة، نعم! كان في المدرسة ينكت على الأستاذ يؤذيه إلى آخره، الأستاذ مسكين... متعاقد... مقاول... ساكت... يريد أن يأكل لقمة العيش، هذا لا يستطيع إلا إذا ضغط كثيراً على نفسه، وفعلا جاد في توبته، وجاد في هجرته، وجاد في الرجوع إلى الله عز وجل.

عندما أرى شابا ناضجا ، أنا أنظر فيكم، والله أفرح لما أرى شابا عنده علم ، أو عنده أدب ، عنده التزام، أفرح كثيراً لأن هذا

الذي يستطيع أن يواصل الطريق.

أما شاب يأتيني بعد ثلاثة أيام من وجوده ، يقول : أريد أن أذهب إلى بيشاور، لماذا ؟ قال : أريد أن أتصل بأهلي، الله يعوض على أهلك ، إذهب إليهم أحسن لك ، أنت لا تستطيع أن تواصل الجهاد ، إذا كنت لا تستطيع أن تقعد شهرا هنا دون أن تذهب إلى بيشاور ، إغسل يديك بالماء والصابون النابلسي، والجهاد كله صبر ومصابرة.

أما كلما طلبت نفسك أتبعتها هواها ، وتأتي تقول : أنا أريد أن أذهب ... أنا لا أحمل سيفا حتى أضعه على عنقك ... ننصحك أن تبقى ، فإن أبيت ... أبي وأمي مرضت، وجدي مات، وجدتي أصابتها جلطة ، أنت لا تعرف هذا قبل أن تأتي إلى الجهاد، وتريد أن تدخل هؤلاء جدك وجدتك وسبعين واحداً من أهلك الجنة بلا مقابل ، ما تريد أمك تمرض وجدتك تموت ، اتركها تموت تشفع لها يوم القيامة.

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وإلا كيف نعتبره شهادة وقمة سنام الإسلام ، ثم الشفاعة ... أنت يوم القيامة مقامك مقام الأنبياء ، يقف الرسول ﷺ و ينتقي أناسا ؛ يقول : هذا أدخله الجنة ، وهذا لا يدخل الجنة ، و أنت تقف تقول : هذا أدخله الجنة، وهذا أدخله الجنة، أهذا المقام قليل عند الله عز وجل؟

تريد أن تبلغه بأكل البسكوت والمربى والقشطة والتفاح والموز ، لا .. تحتاج أن تأكل الخبز الجاف حتى تجف عينك!

طبعا لابد أن تتعب .. التكاليف كثيرة.

و أنا قلت لكم : لا يمكن لا أم ولا أب يرضوا ، لا يمكن.

أنا أمي.. حتى الآن تبكي عندما أذهب إلى صدى ، عندما تودعني تبقى تبكي، والله واحد جارنا قال : لقد رثيت لحالها ولبكائها.

ووجدت الإخوة في المكتب -بيشاور- قد قرروا أن أجلس أسبوعا في بيشاور عند أمي حتى فقط تراني، قلت لهم : لو بقيت عندها طول العمر هي لا تريدني أن أخرج، إذا خرجت هي ستحزن ... تحبني ..ستحزن حتى تقطع الأياس.

فيا أيها الإخوة : يا من تريدون الذهاب إلى الشمال ، لا تظنوا الجهاد رحلة مريحة ، شمة هواء ، نزهة ، هنالك ستتعب ، تتعب عندما ترى نفسك لا تستطيع أن تتحرك لشدة البرد ، لا تستطيع أن تحضر الحطب لتوقد النار ، ومطلوب منك أن تحرس ، ومطلوب منك أن تتوضأ ، و مطلوب منك أن تغتسل من الجنابة ، فانتبه، القضية قضية شديدة ، وطنت نفسك على هذا ؟ مستعد تفضل البس .. طاقيه حمراء أو خضراء ليس مهما.

هذا عبد الله أنس -ما شاء الله - سبحان الله !! ربنا أعطاه فراسة وحكمة ، العام الماضي قلت له : خذ هذا و خذ هذا، قال: أين أخذ هذا و هذا ، هذا على الطريق سيأكل لحمي ، وهو يصعد الجبل كل ساعة يقع ، يغمى عليه لقلة الاكسجين في رأس الجبل، هذا سيأكل لحمي ويأكلني أمام الأفغان.

ولذلك الشاب يأتي متحمسا مندفعا معه عشر رصاصات طاقة ، مثل واحد داخل معركة أطلقهن وانتهت الطاقة ... قلّ الحماس... يصبح أول شيء يعمل مشاكل في المكان الذي هو فيه، باطنه ينعكس على ظاهره بأخلاقه وتصرفاته، ثم بعد ذلك يبدأ يناقش في حكم الجهاد نفسه، يرجع من فرض العين إلى فرض الكفاية... حسب طاقته... فلما نزلت طاقته ؟ نزل الجهاد من فرض عين إلى فرض كفاية.

لا إذن في الفروض

وبعد ذلك يبدأ يسأل: إذن الوالدين، يا ترى مارأيك أنا جئت بدون إذن الوالدين؟ ما فطن إلا بعد ما شرب كل واد سيله ، الآن تسأل !؟ وأنت لماذا خرجت بدون إذن والديك ؟! ألست معتقدا أن إذن الوالدين ليس واجبا، وليس سنة في فرض العين ، لا يستأذن لا والداً ولا والدة ولا أميراً ولا صغيراً ولا كبيراً ولا قائد حركة ولا زعيماً مسلماً ، لا شيخ مسجد ، لا غيره !! هذا معروف ، هذا عند كل العلماء، لكن نفسك صارت لا تحتمل لا فرض عين ولا فرض الكفاية.

إفرض أنه فرض كفاية، هل يجوز لك الرجوع ؟ ، إن فرض الكفاية يتحول إلى فرض عين عندما تصل أرض الجهاد ، لا يجوز الرجوع ، أفرض أنه كفاية ولم يتحول إلى فرض عين بشأنك ، هل اكتفى أهل أفغانستان رجالا لكي يطردوا الروس ؟ ما اكتفوا ، والله

بحاجة لظفر كل واحد منكم إن حاجتهم إلى المال شديدة جدا، ولكن حاجتهم إلى الرجال أضعاف حاجتهم إلى المال، وأنا أعرف، أعرف الآن أنتم بإذن الله عزوجل حل القضية الأفغانية ، أنتم بإذن الله تحفظون سلامة مسيرة الجهاد الأفغاني ، أنتم بإذن الله تعلمونهم دينهم ، تعرفونهم بربهم ، تعرفونهم بمعنى الشهادة والجهاد ، كثير منهم حطم عشراً ، خمس عشرة ، عشرين دبابة ، لا يعرف ما معنى الجهاد ، ولا الاستشهاد ، عنجهيه وبطولة ورجولة وما إلى ذلك وأبو علي وأبوزيد.

فعندما تعلمهم كلمتين وأنت جئت من بلاد العرب ؛ عندها تمنع هجرة عشرات الألوف من الناس .

الطريق صعب

فيحتاج إلى عبادة في داخل النفس تحمل هذه العبادة الثقيله ، لابد من ذكر ، لابد من استغفار ، لابد من توبة ، لابد من صيام ، لابد من سياحة ، لابد من ذكر الله كثيرا ، أمر بالمعروف ، نهى عن المنكر ، من أجل أن تبقى نفسيتك سليمة وقلبك سليم فيتحمل التكاليف من رب العالمين.

تكاليف الجهاد الثقيلة ، أما والله ولد صغير تعطيه حليب دسم كامل يتضرر ، واحد مريض القرحه المعدية ، ضعيف لأن عند قرحة معدية تعطيه لحم خاروف دسم هذا سينتكس ويزداد ضعفا ، ولذلك الله عز وجل في داخل المعركة يوجه

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (الأنفال: ٤٥ - ٤٦)

ثم الجهاد عبادة جماعية ، الخلق السيء رأسا يظهر ، الملل يظهر على النفس ، التعب ، القلق، ولذلك عمر قال : هل رافقتة في سفر حتى تعرف به أخلاقه ، وسمي السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال يظهرها على حقيقتها .

أنت قد تكون في بلدك دكتوراً ، وعندما تأتي إلى المحاضرة تتكلم الناس يهتفون الله اكبر ، والجماهير تمشي وراءك ، لكن تأتي هنا لا تحتمل، شاب صغير يصعد أكثر منك، لماذا ؟ الداخل ليس مليئا ، لا تستطيع تحمل تكاليف الطريق، و لذلك يأتي الشباب يقولون : جاء فلان ، الشيخ الفلاني يأتي ، وفلان يأتي أو فلان يأتى فأقول إن شاءالله ، وأنا أعرف أنه لن يأتي، ولا يستطيع أن يبقى ، لا يستطيع أن يبقى ، الجهاد غير الكلام في البلاد ، كما قيل : (حكي السرايا ليس مثل حكي القرايا)، لماذا رب العزة وضع هذا الأجر العظيم للجهاد ؟ لماذا ؟! فيه تعب، تخرج روحك ، تخرج روحك فعلا ، تخرج روحك مشقة وتعبا واحتمالا وما إلى ذلك وكما قلت الجهاد عبادة جماعية .

وأحيانا احتمالك للناس الذين في خيمتك أشد عليك من احتمال رصاص الروس عليك ، نعم! هذا يأكل بطريقة لا تعجبك ، وهذا يتكلم بطريقة لا تعجبك ، وهذا يمد رجله بوجهك ، وهذا ينكت نكته تؤذيك ، هذا و هذا وهذا ، لابد أن تحتمل هذا وإلا لا يوجد جهاد إلا هكذا ، عبادة جماعية ... ولذلك لفت نظري أنا والله أول مرة في الصلاة أمس ، في الصلاة قلت : سبحان الله -في صلاة العصر أو الظهر أو اليوم- قلت : لماذا رب العالمين سبحانه وتعالى قال :

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون) (المائدة: ٥٤)

لماذا أذلة على المؤمنين مع الجهاد، لماذا ؟ لولاكم أنا ما فهمت ، لولا مشاكلكم ما فهمت هذه الآية.

نعم، الجهاد عبادة جماعية تحتاج أن تكون ذليلا على المؤمنين .. هذا يؤذيك فتسكت ، و هذا يأكل بطريقة لا تعجبك فتسكت، وهذا وجدت منه هفوة تغض عنها الطرف ، وهذا ... وإلا ما تستطيع أن تواصل الجهاد ، لا تستطيع أبدا ، لابد من صفتين قبل الجهاد (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين)، لأن الجهاد يحتاج عزة وقوة ، اعتزاز بهذا الدين ، اعتزاز برب العالمين، فروسية، فتوة، وفي نفس الوقت ذل تام على المؤمنين.

وادع كالحمـام في حـرم البيت وكالليث لا يستبـاح حمـاه

مواقف تعلم العزة

نحن بالعكس... الطواغيت في بلادنا أذلة على الكافرين وأعزة على المؤمنين، والمؤمنون فيما بينهم، نعم، الناس، المسلمون في ما

بينهم: المسلم على أخيه عزيز، و على الكافر ذليل (هواريو)، ويحني صدره ويحني هامته وما إلى ذلك، ويطأطئ رأسه، أنت عزيز مسلم، هذا كافر!!

الأستاذ محمد عبد الرحمن خليفة جزاه الله خيرا قائد الحركة الإسلامية في الأردن، وله فضل كبير عليّ ورباني يقول: إن حادثة واحدة أثرت في نفسي كثيرا، من الحوادث التي أثرت في حياتي ومجراها -هو سلطي من السلط من الأردن- قال: قاضي السلط كان مريضا، قال: وكنت في السادس الابتدائي، فقلنا في ما بيننا -الطلاب-: القاضي مريض نذهب إلى زيارته، قالوا: نذهب، قال: فعندما وصلنا وقرعت جرس الباب هرب الشباب الصغار، طبعا كانوا لا يجرؤون أن يجلسوا مع القاضي، قال: أما أنا فقد بقيت على الباب، خرج القاضي قلت له: أنا ابن عبد الرحمن خليفة، علم والدي أنك مريض فأرسلني لزيارتك، قال: تفضل يا بني، قال: فدخلت، فوجدت عنده أكبر راهبين، راهب الكنيسة الأرثوذكسيه واللاتين -يوجد كنائس عندنا في الأردن-، فالزعيمين الدينين في البلد للنصارى عنده، أحدهم جالس بجانبه، والثاني بجانبه، قال فعندما دخلت قال للزعيم هذا الديني قال: قم من هذا المكان واجلس هناك، وتعال يا بني واجلس بجانبي، ثم نظر إليه قال: هكذا يأمرني ديني أن أعاملكم، فإن زرتكم وأنتم مرضى فعاملوني كما يأمركم دينكم ، قال عندها : أدركت أن المسلم أعز إنسان على الأرض -هو في السادس إبتدائي-، قال : أثرت في نفسي كثيرا، وفعلا هو عزيز النفس .

مرة وقف أمام الملك عبدالله في المسجد الحسيني وكان إمام من الأئمة يوم سقوط اللد والرملة سنة «١٩٤٨» في يد اليهود وهو كان شاب عمره «٢٢ أو ٢٣» سنة في بداية حياته ، لكن تعلم العزة من القاضي وهو في السادس الإبتدائي، فبدأ الأمام - إمام المسجد- يعطي درسا ويبرر تسليم اللد والرملة وسقوط فلسطين وما إلى ذلك ، هو ما احتمل، خرج من بين المصلين ، ومسك السماعة قال : كفاك أكلا من فتات هؤلاء ، كان الأولى بك أن تقول لهذا وأشار إلى الملك كيف سلمتم اللد والرملة؟! أنتم ورثة الأنبياء ، و بدأ يخطب ، الملك قفز قال : أيها الناس، هذا رجل منافق يريد أن يفتن بيني وبينكم ، وخرج الملك من المسجد خائفا على نفسه، وبقي يخطب ، فجاء قائد شرطة العاصمة وضع يده على كتفه وقال له: من أجل الله يا أبا ماجد ، جاءنا أمر إن حصل أي شيء أن نفتح الرشاشات في المسجد.

المهم عندما وضع يده على كتفه وإذا بلحام جار للمسجد يعرفه ، اللحّام اقترب من قائد شرطة العاصمة قال : والله إن مسسته لأقطعن رأسك ، لحّام كل يوم يقطع رأس ، يقول : رأس من الرؤوس ، نعم! قال : والله إن مسسته لا تلومن إلا نفسك ، قال : إسمع، الآن تأخذني إلى القصر يسلمني إلى عبيده ينقعون الدم تحتي، قال : أنا أتعهد أن لا يمسك أحد ، قال : والله لئن مسني أحد لتقومن الدنيا ولا تقعد ، قال : أنا أتعهد، أخذه في السيارة وعلى باب القصر قال : هنا نزلني أنا لا أدخل للملك قال : هذا رافض يدخل، خرج الملك على شرفة تطل على ساحة القصر قال : حتى في القصر لا تدخل أيها المنافق ، قتلني الله إن لم أقتلك ، قتلني الله إن لم أقتلك! قال : فرأيت واحداً من الحاشية يحمل الكرسي ويركض وراءه قلت له : المنافقون الذين حولك ، قال : كانت الدنيا رمضان، وإذا بأخيه -كان رئيس بلدية السلط في ذلك الوقت- أحضر مائة دينار -الدينار كان يساوي رجلا في ذلك الوقت-، وضع المائة دينار في كيس ورماها عليه قال : يا أبا ماجد ... لا يهمك ، قلت له : هات فطوراً -كان ثلاثة عشر جنديا يحرسونه- فطوراً لي وللثلاثة عشر ... المساكين هؤلاء ، فذهب أخوه إلى المسجد وطلب طعاماً لأربعة عشر ، ولا يوجد سيارات في ذلك الوقت ، ولا يوجد مطعم إلا عند المسجد الحسيني ، و المسجد الحسيني بعيد عن القصور ، فصار صاحب المطعم يقول : تعال ، تعال إحمل ... أين ؟ قال له : لهذا الذي خطب في المسجد ، بدأ الناس يتراكضون لحمل الطعام لمن خطب في المسجد ، صاحب المطعم أخرج أخوه فلوساً قال له : والله لن آخذ قرشا واحدا، إذهب.

المهم قال الملك : خذوه إلى المنفى الصحراوي «باير»، وهو مار في السوق قال : أريد أن اشترى بجامة أنام فيها ، قال: دخلت محلا للبيع قال: أنت الذي خطبت في المسجد ؟ قال : نعم، قال : والله لن آخذ ثمنها... إمش ... ذهب ، وصل المنفى الصحراوي ... الملك -يومان- ويكاد الشرار يطير من عينيه ، والدم يكاد يخرج منها غضبا ، والناس حوله كأن على رؤوسهم الطير، فأنطقه الحق، الحاشية حوله ساكتون وهو صامت يفكر ، قال : شاب غار على مصلحة وطنه فتكلم بما تكلم ، أليس الأولى بكم أنتم أن أسمع هذا الكلام منكم بيني وبينكم، وإذا بأحد الأمراء شريف من الأشراف قال له : والله يا جلالة الملك هذا الشاب أنا أعرفه وخدمت معه ، كان موظفا في القضاء شريفا نزيها ما إلى ذلك، فقال له : هيا اذهب إليه، إن إعتذر أخرجوه ، فركب السيارة اليوم الثاني على المنفى الصحراوي قال له : الملك يقول : إن اعتذرت يخرجك ، قال : والله لا أعتذر، والله لا أعتذر، ورفض وبقي في السجن.

فالجهاد يحتاج عزة، يحتاج أعزة وأذلة:

{أذلة على المؤمنين} و{أعزة على الكافرين}

لأن هذه عبادة جماعية، لا تستطيع أن تجاهد وحدك ، لابد أن تعيش مع مجموعة، والمجموعة مختلفة معك ، مختلفة في عاداتها،

في طبائعها ، في طريقة كلامها ، في طبيعة نومها ، هذا يغط ، هذا لا يغط ، هذا لقمته كبيرة، هذا لقمته صغيرة ... لابد أن تعيش أعمى، أبكم، أصم، لا ترى عيبا، لا ترى إلا الخير، بدون هذا لا تستطيع الجهاد.

فهمتم ! هذا هو الجهاد {أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم} لأن الناس كلهم سيلومونه، اقاربه ، أمه ، أباه ، وما إلى ذلك، هؤلاء كلهم ضده . فلابد أن تلتقي هذه الصفات الأربعة حتى تكون مجاهدا ، جهاد أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، لا يخافون في الله لومة لائم ، وفي سبيل الله ، ثم ذلك فضل الله، والجهاد فضل من الله

{ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء}

أن يختار مجموعة من البشر ليحملهم رسالته ويبلغون دينه بدماءهم ،

{ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم}

ثم الولاية

{إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا} (المائدة: ٥٥)

لأنه لا جهاد بدون المؤمنين، لا جهاد دون ولاية الله ورسوله.ولقد رأيت أن من أهم أركان الإسلام الولاء في الله، الحب في الله والبغض في الله:

{من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان}[1] حديث صحيح

{إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله وسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون}

فلابد أن تكون داخلا في حزب الله ، ولابد أن تكون ولايتك لله ولرسوله ، ولابد أن تكون ذلتك على المؤمنين ، و أن تكون عزتك على الكافرين ، ولا تخشى في الله لوئم ، وهذا فضل من الله ونعمة، وأعظم منة يمكن أن يمن الله بها على البشر هي الجهاد ، لا توجد نعمة أكبر من هذه النعمة، لأنها قمة السنام ، لأنه أعظم الأجر ، ولأنه أجل الثواب ، فلا يعطيه الله عز وجل إلا لمن أحب {إن الله يعطي الدنيا لمن أحب و لمن لا يحب، ولا يعطي الآخرة إلا لمن أحب} .

أين حرارة القلوب؟

واليوم... ماذا يُدخل الجنة؟ الذنوب من أخمص قدمك إلى قمة رأسك، لايغسلها إلا دم الشهادة، تحتاج حمام تركيا، والصابون نابلسي وماء ساخن وهذا... لا يوجد شيء ساخن في هذه الدنيا إلا الجهاد الآن، لان قلوب الناس ماتت باردة، كلامهم بارد، لا تجد كلمة حارة، لا تجد قلبا حاراً يتحرق على مصائب المسلمين، فنفوس ميتة، قلوب باردة جامدة، الكلام يتصنعونه تصنعا، الخطبة عبارة عن كلام مزوق؛ لا تخرج كلمة من القلب، ولا تؤذى كافرا ولا تمس منافقا، إنما كلها على السواك والوضوء، فإن تعدت فعلى الاستنجاء والصلاة، أليس كذلك حال المسلمين اليوم؟ فلا يوجد حرارة.

فعندما تجد شابا فيه حرارة أوصلته إلى هنا، حرقة تقض مضجعه على مصائب المسلمين، ووصل إلى أفغانستان، تستبشر به خيرا، فنحن نريد أن يواصل المسيرة، يواصل مسيرة:

{أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم}

مسيرة ولاية الله ورسوله والذين آمنوا ولذلك رأسا رب العزة عقب على الآيتين بآية هي من مقتضيات الجهاد :

{ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين}

قطع الولاية مع الكفار أحياءً وأمواتا ... انتهت ، لا ولاية، لا محبة، لا مناصرة لا مودة بينك وبين الكافر ، لا في دنياه ولا في أخراه، ولو كان أعز الناس إليك، ولوكان عمك أبو طالب.

روى سعيد بن المسيب عن أبيه -الرواية رواية مسلم- قال: {لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل وعبدالله بن ابي أمية زعماء قريش، فقال رسول الله ﷺ: يا عم قل لا إله إلا الله، كلمة

---

(١) حديث صحيح، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم ٥٩٦٥.

أشهد لك بها عند الله، قال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أباطالب.. أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرض عليه -وأبوجهل قاعد حتى يموت)[1]، لايريد أن يخرج لماذا؟ لأن إسلام أبي طالب فيه خطر على جاهلية الآخرين، قد يسلمون بإسلام أبي طالب، فهو يريد أن يتأكد أنه مات على الكفر، حتى تنشر جريدة الشهاب أو جريدة القبس الكويتية على أنه مات على الكفر ..مفهوم .

مخازي الظالمين

جريدة القبس الكويتية هذه متخصصة بمهاجمة المجاهدين الأفغان، فتسميهم المتمردين، وتسميهم الثوار، لم تطلق عليهم المجاهدين، أمريكا، روسيا كل الناس يطلقون عليهم المجاهدين، بريطانيا، ألمانيا يطلقون عليهم: المجاهدين، إلا هؤلاء الذين يفهمون في الكويت!! هم متمردون، حتى تنشر جريدة القبس أن أباطالب مات على الكفر، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول (لا إله إلا الله) فقال رسول الله ﷺ : **(أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك)**[2]. فأنزل الله عز وجل:

{ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى}

فعندما مات جاء علي للرسول ﷺ فقال له: [إذهب فوار جثة أبيك. قال: والله لا أواري هذا المشرك.. انتهى.. شاب صغير يفهم، تربى على الإسلام... تكون المداراة عند الكبار، أما الصغار الذين يتشربون دين الله عز وجل هؤلاء عندهم الحق حق، ولذلك الكبار هؤلاء يداروك، أما الصغار رأسا يقول لك الحكم الشرعي، فهذا علي بن أبي طالب عمره سبع سنوات مسلم... أبوه كافر مات على الكفر... جيفة، قال: لا أواريه قال: إذهب فواره، من هنا يستحب مواراة جثة الكافر.

قال رسول الله ﷺ: **(والله لأستغفرن لك حتى ينهاني ربي ما لم أنه عن ذلك) {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى}** ولذلك يقام في دول الخيج - كانت تحب عبد الناصر وفلسطين ولبنان وما إلى ذلك- ، يصلون صلاة الغائب على الشهيد عبد الناصر، ولكن إذا كان شهيد بإجماعة لا يصلى عليه، أنتم حنابلة مذهبكم يقول: لا صلاة على الشهيد، أم صرتم احنافاً على آخر الزمان من أجل الشهيد الخالد أبوخالد؟! الله أعلم أين الآن خالد نعوذ بالله من مصيره، نعوذ بالله من نهايته، مات مخزيا في الدنيا ، وإن شاءالله في الآخرة أخزاه الله ، يبقى يتاجر بفلسطين ويقول حرب اليهود، قبل موته بشهر ضغط عليه الأمريكان، وقبل مبادرة روجرز، فهو مات في (٢٩/٩«ايلول» سبتمبر).

في أغسطس قبلها بشهر فقط أعلن قبوله لمبادرة روجرز الأمريكية والصلح مع إسرائيل ، ثم ما مات إلا بعد أن أخزاه الله أمام كل قادة العالم العربي ، أخزاه الله عندما تبين أن ضرب الفدائيين في الأردن هو الذي خطط له ، وعندما فتح الشريط في داخل المؤتمر ذهل الملك فيصل ، عبد الناصر قال: (كيف حسين يعمل كده...) وما إلى ذلك ، فلما فتح الشريط: (انصحك يا جلالة الملك تدخل ثلاث ألوية إلى عمان، وأنصحك تضع المجالي، وأنصحك...) بدأ العرق ينزل، وشل في نفس المجلس ، وقال طبيب أمير الكويت له : لن نصل الكويت إلا وقد مات عبدالناصر ، وفعلا ما وصل الكويت إلا وقد مات، لأنه خرج يتكيء على اثنين ، خرج يودع أمير الكويت ، أخزاه الله في آخر لحظة من لحظات حياته {فأذاقهم الله عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون}

ويأتي يكتب عبدالناصر رحمه الله، من أين رحمة الله هذه؟ من أين جئت بها؟ **{ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى}** رجل نصّب نفسه عدوا للإسلام حتى لقي الله عدوا للإسلام والمسلمين ، ما وجد كافرا ولا عدوا للإسلام إلا والاه ، ولا وجد مسلما إلا عاداه ، كان يطارد المسلمين في أوروبا يقتلهم في داخل الفنادق، في قبرص اليونانيين ضد الأتراك المسلمين ، أرسل الكوماندوز المصري .

والله أحدهم حدثني عن واحد من الضباط المصريين ، قال : في يوم واحد نسفنا كذا مسجداً للأتراك المسلمين في قبرص، يقف مع مكاريوس ، مع الأخ تيتو !! مع بريجنيف والأخ خريتشوف !!.ما وجد عدو الله ولا لرسوله ولا للمؤمنين إلا والاه ، وبعد ذلك يجيء يكتب لك عبد الناصر رحمه الله ، ورحمة الله من أين ؟ مات وهو لم يطبق الإسلام ، وهو يشرع بغير ما أنزل الله، فهو كافر بنص القرآن أليس كذلك ؟ مات وهو يشرع بغير ما أنزل الله ، حكم بالاسلام ؟! هو رضي أن يحكم بشرع غيرما أنزل الله، باتفاق المسلمين كافر، من شرع بغير ما أنزل الله فهو كافر خارج من الملة، ليس كفرا عمليا، هذا كفر اعتقادي يخرج من الملة، فكل من لقي الله من الحكام-إسمع

---

(١) رواه مسلم (٢) رواه البخاري ومسلم.

وهو يشرع بغير ما أنزل الله فهو كافر خارج من الملة، لا يجوز الصلاة عليه ولا الترحم عليه {**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**} مشرك ، كافر بنص القرآن ، يشرع بغير ما أنزل الله ، يوالي الكافرين.

عندما يقف من فوق قبر لينين و هو يضع الزهور عليه وينحني أمام قبر لينين، يقول: نحن -في روسيا- اكتشفنا مؤامرة للإخوان المسلمين، ولئن عفونا المرة الأولى فلن نعفو في المرة الثانية.

مباهج الصبر

يا من رضيتم بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا.

اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

(وبشرالصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنالله وإنا إليه راجعون .أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧)

آية يبشر بها رب العزة الصابرين من فوق سبع سموات بالبشارة ، ظهور البشر والبشارة أي ظهور السرور على البشرة واستنارة الوجه بالسرور، (وبشرالصابرين) يبشرهم ربهم بثلاث نعم كبرى مقابل متاع زائل من متاع الدنيا قد وهبهم إياه ثم أخذه .

وما المال والأهلون إلا ودائع ولابد يوما أن ترد الودائع

أخذ وديعة سبحانه وتعالى وأعطاك مقابلها ثلاثا (صلوات من ربهم) والصلاة من الله: رحمة ومغفرة ، صلوات وذكر وثناء عليك في الملأ الأعلى ، ورحمة ، وكذلك شهادة من الله عز وجل أنك من المهتدين .

ولذلك فقد مات ابن أحد السلف ، فدهن جمته وغسل بدنه ولبس أحسن ثيابه وخرج إلى الناس ، فقالوا له : مات ابنك وتفعل هكذا؟ قال : أخذ مني واحدا وأعطاني ثلاثة ، ثم قرأ الآية (**أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون**) فما هو الصبر؟ وما هي قيمة الصبر عند رب العالمين ، وفي ميزان الناس المؤمنين المخلصين؟.

قيمة الصبر

الصبر هو الحبس ، وقتل صبرا ؛ أي قُتل محبوسا رغم أنفه ، والدابة عندما تقتل صبرا ، عندما تربط حتى تموت جوعا وعطشا، تموت رغم أنفها وحتف أنفها ، والصبر هو الحبس ، حبس القلب وحبس اللسان ، حبس للجوارح ، حبس القلب عن التسخط ، عدم الرضا، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش من ضرب ولطم وتمزيق ثياب أو غير ذلك .

أما حبس القلب عن التسخط فهذا يتأتى إليك عندما تنظر ؛ أن هذه النعمة من الله، وقد أخذها الله، فلا يجوز لي أن أعترض على الله، هي منه وإليه .

وكما قالت أم سليم لزوجها أبي طلحة عندما عاد إليها وقد ترك ابنه مريضا، قال: كيف الولد؟ قالت: ما كان أسكن منه في هذا اليوم، فظن أنه مرتاح، قالت أم سليم فقمت فتجملت له حتى أتاني، ثم قلت له: أرأيت لو كان لجيراننا أمانة عندنا وطلبوها منا، أنعطيهم إياها؟ قال: كيف نأكل الأمانات؟ قالت: فقد كان لربنا أمانة عندنا وقد طلبها منا وأخذها. فغضب أبوطلحة وقال: الآن، الآن بعد أن تعافسنا، وفي اليوم التالي أخبر رسول الله ﷺ بما حصل، فقال: (**بارك الله لكما في ليلتكما**)[1].

يقول الراوي : فولدت أم سليم ولدا أنجب عشرة من الأولاد كلهم حفظوا القرآن الكريم.

فالصبر يتأتى من النظر إلى يد الله عز وجل وهي تحرك الأقدار ، والشكوى ، لمن تشكو الإله؟ لعبد من عباده ؟ تشكو صنيع الله إلى الناس ؟ وتشكو الله إلى عباده؟.

وإذا اعترتك بلية فاصبر لها صبر الكريم فإنه بك أكرم
وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

---

(١) أنظر القصة بتمامها في مختصر صحيح مسلم، رقم (١٧٠٢)، وكذلك رواها البخاري.

وأما حبس الجوارح عن التشويش وعن لطم الخدود ، وعن تمزيق الثياب ، ففيه نهي صريح من رسول الله ﷺ **(ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية)**[1] ، والجيب فتحة القميص . [ونهى رسول الله ﷺ عن النعي] إذ كانت العرب في جاهليتها تنعى ميتها طويلا وتتقبل التعازي فيه ، فعندما جاء الإسلام منع النعي ؛ أي نشر أخبار الميت طويلا، وذلك لأنه دليل على عدم الصبر على قضاء الله ، وعدم الرضا بقدره.

والصبر قد ورد في كتاب الله عز وجل في مواضع قد زادت عن الخمسين موضعا ، وقد أمر رب العزة بالصبر ، والأمر للوجوب

(واصبر وما صبرك إلا بالله) (النحل: ١٢٧)

(واصبروا إن الله مع الصابرين) (الأنفال: ٤٦)

والأمر للوجوب، ولذلك قال العلماء إن الصبر على القضاء واجب، أما الرضى بالقضاء فهل هو واجب كالصبر أو هو مستحب؟ فيه روايتان عن الإمام أحمد، والراجح أنه مستحب، إذ أن بعض الناس لا يستطيعون الرضى على المكروه، لا يستطيعون أن يرضوا بالفقر وبالمرض والمصائب وسلب الأموال وأخذ الأولاد وغير ذلك ، لكنهم أمروا بالصبر، أمروا بحبس القلب عن التسخط، أو النفس عن التسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس اليد عن التشويش، والجوارح عن الاضطراب كذلك، ونهى رب العزة عن ضده قال:

(ولا تستعجل لهم) (الأحقاف: ٣٥)

ويشر رب العزة أن الإمامة في الدين إنما تحصل بالصبر واليقين ، لأن الانحراف عن الجادة والخروج عن الطريق إنما يحصل بالشهوات، والشبهات والشهوات لابد لها من صبر ، والشبهات لابد لها من يقين ، فعندما تزول الشهوة والشبهة يحصل الصبر واليقين، وعندها تحصل الإمامة في الدين

(وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا ، وكانوا بآياتنا يوقنون) (السجدة: ٢٤)

وكما يقول ابن القيم : فالإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر واليقين وتلا هذه الآية .

وكذلك فإن رب العزة – كما قدمنا – قد رتب ثلاث نعم كبرى على الصبر، وهي الصلوات والرحمة والهدى منه عز وجل لمن رضي وصبر، وكذلك رتب رب العزة الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة على الصبر فقال:

(يا أيهاالذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران: ٢٠٠)

وبين أن الصابرين يضاعف لهم الأجر مرتين (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا)، وبين الله عز وجل كذلك من فوائد الصبر في كتابه أنه لا ينتفع بآيات الله وبالعبر إلا الصابرون ، يقول رب العزة (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور)، ولقد تكررت أربع مرات في الكتاب العزيز (إن في ذلك لآيات لكل صبارشكور)

وكذلك إذا اجتمع الصبر والتقوى فإن الله عز وجل ينفع به كثيرا ، يرفع درجة العبد كثيرا في الدنيا، وينيله مراتب العز والشرف، ويرفعه في الدنيا والآخرة إلى درجة الإحسان، وقد قال رب العزة على لسان يوسف عليه السلام:

(إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) (يوسف: ٩٠)

والله عز وجل بين لنا أنه بالصبر والتقوى تتنزل الملائكة

(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) (آل عمران: ١٢٥)

فالصبر والتقوى ينزلان ملائكة الله عز وجل على عباده المجاهدين بالنصرة والسكينة والتثبيت

(إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) (الأنفال: ١٢)

---

(١) رواه البخاري ومسلم

وبيّن الله عز وجل أن أحسن علاج يحميهم وأحسن حصن يقيهم - حصنا حصينا وركنا ركينا ، يحميهم دون أعداء الله عز وجل- هو الصبر والتقوى :

(إن تمسسكم حسنة تسؤهم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها، وإن تصبروا وتتقوا، لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) (آل عمران: ١٢٠)

وكذلك يقول الله عز وجل يبيّن رب العزة أن الملائكة تدخل على الصابرين من كل باب :

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) (الرعد: ٢٤)

بما الباء السببية (بما صبرتم فنعم عقبى الدار)

والله عز وجل بشّر أن أهل العزم في الدنيا الذين صبروا :

(وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) (النحل: ١٢٦)

وقال سبحانه :

(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) (الشورى: ٤٣)

وكذلك رتب رب العزة الأجر الكبير على الصبر فقال: (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير)

وكذلك سبحانه بيّن أن التمكين في الأرض إنما يتم بعد الصبر :

(وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) (الأعراف: ١٣٧)

فتمكين بني إسرائيل في الأرض إنما كان بعد الصبر الطويل على إيذاء فرعون، وعلى تقتيلهم واستحياء نسائهم وإذلالهم، وسبحانه كتب لهم بصبرهم التمكين في الأرض والثبات بها .

وكذلك علق محبته سبحانه بالصبر:

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (آل عمران: ١٤٦)

ربيون أي: ربانيون أو عبّاد، أو علماء، أو علماء صبر صابرون، وكلها نسبة إلى الرب، أو الربّي وهو : العالم والحبر الصادق الصابر.

وكذلك خصال الخير كلها متعلقة بالصبر:

(قال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وما يلقاها إلا الصابرون) (القصص: ٨٠)

وكذلك بين سبحانه أن أحسن الثناء منه إنما يكون على الصابرين ، وقد أثنى على عبده أيوب ﷺ إذ يقول عنه :

(إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) (ص: ٤٤).

ويبن سبحانه كذلك أن الذي لا يصبر خاسر في الدنيا والآخرة :

(والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) سورة العصر

فالإنسان لابد له من تكميل علمه وعمله، لابد كذلك من تقوية إيمان الآخرين، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على ما يتأتى منهما (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا) بالعلم، (وعملوا الصالحات) بالعمل(وتواصوا بالحق) أمروا بالمعروف

ونهوا عن المنكر، (وتواصوا بالصبر) التى هى لازمة هذا الطريق ، طريق الأمر بالمعروف والنهي وعن المنكر وهي إيذاء الناس له، والصبر على ما يلقاه في هذا الطريق اللاحب ، وفي هذه الجادة الطويلة.

وكذلك بين الله عز وجل أن أهل الميمنة هم الذين صبروا

(ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، أولئك أصحاب الميمنة) (البلد:١٧- ١٨)

وكذلك ربط الله عزوجل وقرن بين الصبر وبين أركان الإسلام

(واستعينوا بالصبر والصلاة) (البقرة: ٤٥)

وكذلك قرن بين العمل الصالح وبين الصبر

(إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) (هود: ١١)

وبين التقوى والصبر، لأن التقوى تتضمن عمل الأمر واجتناب النهي، والدين هو فعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور، هذا دين الله عز وجل، وقد لخصها رب العزة في كلمتين: (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) التقوى: التي هي فعل المعروف وترك المنكر، والصبر: إنما هو الصبر على ما ينزل من الله عز وجل من أمور تعافها النفس ولا ترضاها، فالصبر على المقدور وفعل المأمور وترك المحظور إنما هو فعل الرجل المبرور.

وكذلك قرن بين الصدق والصبر، وبين الرحمة والصبر، وبين اليقين والصبر فقال: (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) وقال سبحانه:

(والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات) (الأحزاب: ٣٥)

والحقيقة أن- الصبر كما قال علي رضي الله عنه- من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فكما أنه لا جسد بلا رأس، كذلك لا إيمان بلا صبر ، وكان علي رضي الله عنه يقول : الصبر جواد لا يكبو ، فهذه النفس لابد أن تراقبها ولابد أن تربطها بآخيتها أي وتدها الذي تربط فيه ، ولابد أن يكون بيدك زمامها لتكبح جماحها، لابد أن يكون بيدك عنانها حتى لا تفضي بك إلى المهالك، وتوديك في أودية المهالك، وفي أضيق المسالك، هذه النفس آخيتها هو الصبر، وعنانها هو الصبر، وساق إيمانها هو الصبر، لا يقوم إيمان بلا ساق كما لا تقوم شجرة بأوراقها وفروعها بلا ساق .

فلابد لك من الانتباه إلى الصبر، الصبر على أوامر الله عز وجل، الصبر على نواهيه ، والصبر على قدره الذي تتجرعه النفس غصصا .

ولقد ترقت نفوس الصحابة رضوان الله عليهم حتى وصلوا إلى درجة أن يعتبروا نزول الشيء المرير على النفس كالشيء الذي يسرها.

صبر السلف

كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول : "وجدنا أفضل حياتنا بالصبر، ولو كان الصبر والشكر جوادين ما باليت أي ما توانيت أن أركب أحدهما ، الصبر على المكروه، أو الشكر على ما يسر القلب وينعم النفس" .

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول : أصبحت وما لي سرور إلا مواقع القضاء والقدر ، كل ما ينزل على النفس فهو سرور ، وكل ما يحكم به رب العزة فهو حبور ، فالنفس لخالقها وليصرفها كما يشاء .

أصيبت إحدى العابدات بأصبعها فقطعت ، عثرت فقطعت إصبعها، فضحكت، قالوا : أو يقطع إصبعك وتضحكين ؟ قالت : حلاوة أجره أنستني مرارة ذكره ، ثم نظرت إلى السماء وقالت :

أحب ما تحب	أحب ما تحب
عذابه فيك عذب	وبعدك فيك قرب
حسبي من الحب	أني لما تحب أحب

يقول مطرف بن عبد الله الشخّير: دخلت على عمران بن الحصين وقد استطلق بطنه، فلم يعد يستطيع أن ينزل عن السرير

وبيّن الله عز وجل أن أحسن علاج يحميهم وأحسن حصن يقيهم – حصنا حصينا وركنا ركينا ، يحميهم دون أعداء الله عز وجل– هو الصبر والتقوى :

(إن تمسسكم حسنة تسؤهم، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها، وإن تصبروا وتتقوا، لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) (آل عمران: ١٢٠)

وكذلك يقول الله عز وجل يبيّن رب العزة أن الملائكة تدخل على الصابرين من كل باب :

(والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) (الرعد: ٢٤)

بما الباء السببية (بما صبرتم فنعم عقبى الدار)

والله عز وجل بشّر أن أهل العزم في الدنيا الذين صبروا :

(وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) (النحل: ١٢٦)

وقال سبحانه :

(ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور) (الشورى: ٤٣)

وكذلك رتب رب العزة الأجر الكبير على الصبر فقال: (إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير)

وكذلك سبحانه بيّن أن التمكين في الأرض إنما يتم بعد الصبر :

(وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون) (الأعراف: ١٣٧)

فتمكين بني إسرائيل في الأرض إنما كان بعد الصبر الطويل على إيذاء فرعون، وعلى تقتيلهم واستحياء نسائهم وإذلالهم، وسبحانه كتب لهم بصبرهم التمكين في الأرض والثبات بها .

وكذلك علق محبته سبحانه بالصبر:

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (آل عمران: ١٤٦)

ربيون أي: ربانيون أو عبّاد، أو علماء، أو علماء صبر صابرون، وكلها نسبة إلى الرب، أو الربّي وهو : العالم والحبر الصادق الصابر.

وكذلك خصال الخير كلها متعلقة بالصبر:

(قال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وما يلقاها إلا الصابرون) (القصص: ٨٠)

وكذلك بين سبحانه أن أحسن الثناء منه إنما يكون على الصابرين ، وقد أثنى على عبده أيوب ﷺ إذ يقول عنه :

(إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) (ص: ٤٤).

وبين سبحانه كذلك أن الذي لا يصبر خاسر في الدنيا والآخرة :

(والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) سورة العصر

فالإنسان لابد له من تكميل علمه وعمله، لابد كذلك من تقوية إيمان الآخرين، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على ما يتأتى منهما (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا) بالعلم، (وعملوا الصالحات) بالعمل(وتواصوا بالحق) أمروا بالمعروف

ونهوا عن المنكر، (وتواصوا بالصبر) التي هي لازمة هذا الطريق ، طريق الأمر بالمعروف والنهي وعن المنكر وهي إيذاء الناس له، والصبر على ما يلقاه في هذا الطريق اللاحب ، وفي هذه الجادة الطويلة.

وكذلك بين الله عز وجل أن أهل الميمنة هم الذين صبروا

(ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة، أولئك أصحاب الميمنة) (البلد:١٧-١٨)

وكذلك ربط الله عزوجل وقرن بين الصبر وبين أركان الإسلام

(واستعينوا بالصبر والصلاة) (البقرة: ٤٥)

وكذلك قرن بين العمل الصالح وبين الصبر

(إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات) (هود: ١١)

وبين التقوى والصبر، لأن التقوى تتضمن عمل الأمر واجتناب النهي، والدين هو فعل المأمور، وترك المحظور، والصبر على المقدور، هذا دين الله عز وجل، وقد لخصها رب العزة في كلمتين: (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) التقوى: التي هي فعل المعروف وترك المنكر، والصبر: إنما هو الصبر على ما ينزل من الله عز وجل من أمور تعافها النفس ولا ترضاها، فالصبر على المقدور وفعل المأمور وترك المحظور إنما هو فعل الرجل المبرور.

وكذلك قرن بين الصدق والصبر، وبين الرحمة والصبر، وبين اليقين والصبر فقال: (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) وقال سبحانه:

(والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات) (الأحزاب: ٣٥)

والحقيقة أن- الصبر كما قال علي رضي الله عنه- من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ، فكما أنه لا جسد بلا رأس، كذلك لا إيمان بلا صبر ، وكان علي رضي الله عنه يقول : الصبر جواد لا يكبو ، فهذه النفس لابد أن تراقبها ولابد أن تربطها بآخيتها أي وتدها الذي تربط فيه ، ولابد أن يكون بيدك زمامها لتكبح جماحها، لابد أن يكون بيدك عنانها حتى لا تفضي بك إلى المهالك، وتوديك في أودية المهالك، وفي أضيق المسالك، هذه النفس آخيتها هو الصبر، وعنانها هو الصبر، وساق إيمانها هو الصبر، لا يقوم إيمان بلا ساق كما لا تقوم شجرة بأوراقها وفروعها بلا ساق .

فلابد لك من الانتباه إلى الصبر، الصبر على أوامر الله عز وجل، الصبر على نواهيه ، والصبر على قدره الذي تتجرعه النفس غصصا .

ولقد ترقت نفوس الصحابة رضوان الله عليهم حتى وصلوا إلى درجة أن يعتبروا نزول الشيء المرير على النفس كالشيء الذي يسرّها.

صبر السلف

كان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول : "وجدنا أفضل حياتنا بالصبر، ولو كان الصبر والشكر جوادين ما باليت أو ما توانيت أن أركب أحدهما ، الصبر على المكروه، أو الشكر على ما يسر القلب وينعم النفس" .

كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول : أصبحت وما لي سرور إلا مواقع القضاء والقدر ، كل ما ينزل على النفس فهو سرور ، وكل ما يحكم به رب العزة فهو حبور ، فالنفس لخالقها وليصرفها كما يشاء .

أصيبت إحدى العابدات بأصبعها فقطعت ، عثرت فقطعت إصبعها، فضحكت، قالوا : أو يقطع إصبعك وتضحكين ؟ قالت : حلاوة أجره أنستني مرارة ذكره ، ثم نظرت إلى السماء وقالت :

أحب ما تحـــب	*أحـب مـا تحب*
عذابه فيك عذب	*وبعدك فيـك قـرب*
حسبي من الحب	*أني لما تحب أحـب*

يقول مطرف بن عبد الله الشخّير: دخلت على عمران بن الحصين وقد استطلق بطنه، فلم يعد يستطع أن ينزل عن السرير

-أصابه إسهال دائم-، فخرقوا له السرير حتى يبرز منه قال: فاستعبرت وبكيت، قال: ما يبكيك يا مطرف؟ -ومطرف هو من خيار التابعين- ما يبكيك يا مطرف؟ قال: حالك، قال: لا تبكي فإني أحب ما يحب، يا مطرف أوتكتم عني؛ والله إن الملائكة لتزورني في مرضي هذا ، وتردُ علي السلام وأستأنس بها ، وبقيت الملائكة تعوده في مرضه وتزوره وتكلمه ، ويستأنس بها حتى اكتوى ، فعندما اكتوى فارقته الملائكة ، ثم عندما برئ وشفي من الكي عادت إليه الملائكة تزوره وتعوده .

وهذا عروة بن الزبير، يزور الوليد بن عبدالملك وكان معه ابنه محمد، وكان ذا منظر جميل له غديرتان، وقد ألبسه الوشي يعني (الثياب الموشاة المطرزة) فعانه الوليد، أي أصابه بالعين قال: إن لفتيان قريش نضارة، وبعد أن خرج وكان في إسطبل الدواب يريدون أن يأخذوا خيولهم زلقت قدمه وداست عليه الخيول ومات محمد، ثم سار على الطريق عروة بن الزبير، فبدأت الأكلة أي السرطان -أو قريبا- منه يأكل رجله، فعاد إلى الوليد فأمر له بأطبائه، فقرر الأطباء أن يقطعوا رجل عروة، وجاءوا بالمنشار لينشروا رجله، فقالوا: نعطيك المخدر، فقال: لا أوافق على ذهاب عقلي، ولكن إذا دخلت في الصلاة فافعلوا ما شئتم، فدخل في الصلاة وقطعوا رجله وهو ساجد، ثم قال: الحمد لله رزقني الله ولدين فأخذ أحدهما وأبقى الآخر، ورزقني الله رجلين فأخذ إحداهما وأبقى الأخرى، فالحمد لله على ما أخذ والحمد لله على ما أبقى.

أقسام الصبر

والصبر قسمان : إما اختياري وإما اضطراري، وفي الاثنين لك أجر عظيم ، ولكن الصبر على المختار أعظم أجرا، وأجزل ثوابا من الصبر على الاضطرار ، فإذا سجنت رغم أنفك وصبرت في السجن لله لك أجر ، ولكن أجرك دون المجاهد الذي في ساحة القتال، ويستطيع أن يرجع متى شاء، ومع ذلك هو يتجرع مرارة الملل والسأم والقلق والوحشة ، والبعد عن الأهل ومفارقة الخلان، والنأي عن الجيران ، هذا الذي في الجبهة ويصبر فيها أجره أضعاف ، أضعاف أولئك الصابرين في السجون ، لان الصابر في السجن صابر رغم أنفه ، أو سجن رغم أنفه وهو صابر لله **(عجبا للمؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابه ضراء صبر فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن)**[1] .

مقارنة بين الصبر

فالصابرون في الجبهات هؤلاء أعظم أجرا من الدعاة الذين في السجون ، لأن أولئك ما سجنوا باختيارهم، إنما سجنوا رغم أنوفهم، أما هذا فقد جاء باختياره ، وهاجر باختياره، ورابط باختياره، وأعد نفسه واستعد وتدرب باختياره ، وذهب إلى الجبهة باختياره، ومكث السنوات باختياره ، فهذا أجره أعظم بكثير من ذاك ، لأن السجين يود لو يخلى سراحه ويطلق إساره ويفك قيده.

أما هذا فقد قيد نفسه بنفسه ، وربط نفسه على عبادة الله بنفسه، ولذلك قال الله عز وجل (ورابطوا)، وسمَّوا المرابطون لأنهم ربطوا أنفسهم على عبادة الله عز وجل ، ورابطوا : المراقبة على ثغر القلب : جعلوا القلب على الثغور حتى لا يتسرب إليه عدو الشهوة وعدو الهوى وعدو الطبع ، وعدو النفس اللوامة، والنفس الأمارة بالسوء ، وهم مرابطون عند حدود الشرع بقلوبهم على الثغور ، حتى لا يتخلل الشيطان ولا يوسوس إبليس، ولا يزينه الهوى ، ولا تبعده النفس الأمارة بالسوء عن حدود الله ولا ينتهك حرماته ، فهذا الذي في الجبهة أجره أعظم من الذي سجن رغم أنفه، وإن كان الاثنان مشتركين في الأجر.

وأجر الشاب الذي معه جوازه ويستطيع أن يعود إلى بلاده متى شاء دون رقابة مخابرات ، ولا حساب دولة، ولا عيون أمن أجره أعظم من الشاب الذي لا يستطيع أن يرجع إلى بلاده أو فقد جوازه ، أو انقطعت به السبيل ، لأنه كذلك وإن كان ابتداءً جاء اختياراً فإنه لا يستطيع الآن أن يعود إلى بلده أو يؤوب إلى موطنه ، أما هذا الشاب الذي يستطيع أن يرجع إلى بلده متى شاء أجره أعظم وثوابه أجزل، لأنه قد ربط نفسه باختياره ، وكل دواعي الهوى قد فتحت أمامه ، والدنيا بمنافذها وأبوابها قد شرعت أمام ناظريه، ومع ذلك يربط نفسه وهو ينظر إلى السماء ابتغاء الأجر ، أجسادهم فوق الأرض، وعيونهم معلقة بالمحل الأعلى إلى الجنة ، إلى الرفيق الأعلى ، إلى هناك مع الملائكة (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا) (النساء: ٦٩)

وكلما كان المحظور سهل المنال ، وكلما ازداد الميل إليه ، كان الصبر عليه أكثر أجرا وأعظم ثوابا.

---

(١) رواه مسلم.

فمثلا : عودتك إلى بلدك ، إلى وظيفتك ، إلى جامعتك ، إلى شركتك ، إلى تجارتك إن كان ذلك ميسورا ، فدواعي النفس ؛ تشد إليها ، والهوى يريد أن يعيدك إليها، وهي ميسورة بإمكانك أن تعود إليها ، بمجرد قرار أن تحمل جوازك وتتوجه إلى الطائرة، لأن التذكرة موجودة والجواز موجود ، والتأشيرة موجودة ، ولم يعد هنالك أي مانع من العودة، وإنما هو مانع واحد : هو خوف العذاب يوم القيامة، وخوف النار ، خوف العصيان .

حذار أن تخالف أمرا من أوامر رب العالمين، وتترك فريضة من فرائضه، وتهمل واجبا من واجباته، فالخوف من النار إنما هو الذي يربطك هنا، والدنيا كلها مشرعة الأبواب أمام ناظريك، وقد يختبرك الله عزوجل ويبتليك في الوقت الذي تحدد فيه أن تأتي للجهاد، تفتح أمامك أبواب من الدنيا كثيرة ، وهنا تزداد المحنة ويزداد بلاء الصبر على جواذب الدنيا ، على أوهاق الأرض، على ما يشدك إلى أوحال الطين ، ومع ذلك تدوس عليها بقدمك ، وتحطم القيود بيديك ، ثم تأتي إلى هنا تعيش على الخبز الجاف، على التعب، تأكل السنوب ، وتتجرع مرارة تسلق الجبال ، ولكنها مع ذلك هي حلوة عذبة ، إن كانت في ذات الله فما أحلاها وما أجملها، والله عز وجل يستبدلك بمرارة المشقة حلاوة الإيمان ، يستبدلك بعذاب الطريق عذوبة العبادة ، يستبدلك بترك جزء من الدنيا بعز الدنيا وشرفها.

والناس كلهم ينظرون إلى الصابرين نظرة احترام وتوقير وإجلال، ويقفون أمامه، وهو يصبر على العبادة، وهم يدركون أنه مثلهم وابن صفهم، أو ترك نفس المستوى من جامعتهم، هو حلـّق في الآفاق بعبادته، وهم مع ذلك يرتكسون ارتكاس البهيمة، وينتكسون انتكاس الدابة، يترددون بين لقمة غذاء وقطعة كساء، وقطعة حديد لامعة تسمى سيارة، أو مجموعة من الحجارة تسمى عمارة، قد ربط نفسه بها يطوف حولها واستبدلها بالقبلة التي جعلها الله له، قبلته التي يتوجه إليها بالعبادة، أصبح شغله الشاغل كيف يملأ بطنه، وكيف يشبع نزواته، وكيف يروى شهواته؛ هذه المرأة جميلة فلابد من خطبتها وزواجها، وليتزوج الثانية والثالثة فإنه سنة **(تناسلوا تكاثروا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة)** والمبررات كثيرة، وإذا لبس من أجمل الثياب؛ فإنه يقول: إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، وكذلك إن أنفق على نفسه وشهوته ونصحته :

(قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق) (الأعراف: ٣٢).

وإذا نصحته بقيام الليل وصيام النهار وبالإتيان إلى الجبال يقول لك : صحة الأبدان مقرونة بصحة الأديان (إن لبدنك عليك حقا وإن لربك عليك حقا).

وهكذا كلها يبررها الشيطان له، ولا يدرى أن الشيطان الذي جعل الله للمؤمن عليه سلطانا وجعله ذليلا أمامه أصبح هو أسير شيطانه، وأصبح ذليل هواه، وأصبح سجين شهوته ونزوته وهو لا يدرك .

صبر عمر

لقي أحد المؤمنين أحد الشياطين فصارعه فصرعه ، فسئل كيف صرعك ؟ قال: إنه فيهم لضليع -أي شديد- وقوى فسئل من هذا؟ قالوا : وهل غيرعمر؟ فكان الشيطان يخشى من عمر **(وما سلك عمر واديا أو فجا إلا سلك الشيطان فجا آخر)**، كيف ارتقى عمر إلى هذا ؟ ارتقى بالصبر ، ارتقى بتقييد شهوته ، ارتقى بلجام نزوته ، ارتقى عندما كان خليفة المسلمين ، وأصاب الناس المجاعة عام الرمادة ، ويسر -أصابه الباسور- واسود جلده لأنه أقسم أن لايذوق لحما ولا سمنا حتى يرى الخير في السوق، يراه الصحابة قد شدد على نفسه واجتمعوا: من يكلم عمر ، من الذي يجرؤ أن يكلم عمر في هذا أن يرحم نفسه؟ قالوا : لا يستطيع أن يكلمه إلا أم المؤمنين ابنته حفصة ، فإنه لا يستطيع أن يبكتها أو يقرّعها أو يؤنبها، دخلت عليه حفصة قالت : يا أبت كفاك تعذيبا لنفسك وشدة عليها، فنظر إليها قال: يا حفصة ألم أخبر أن رسول الله ﷺ ما شبع من خبز الشعير يومين متتاليين ؟ يا حفصة ألم تقولي: **"إن رسول الله ﷺ كانت له قطيفة يفرش جزءها تحته في الشتاء وجزءا فوقه ، وفي الصيف يفرشها تحته"** . وذات ليلة قلت: لو وطئت الفراش تحت رسول الله ﷺ وطويته طيتين ، ففاته قيام الليل فقام مغضبا ، وقال : من طوى تحتي الفراش هكذا؟ يا حفصة ألم أخبر أن رسول الله ﷺ ما ذاق الخبز المنخّل في حياته؟ - كانوا لا يستعملون المناخل ، لم يستعمل رسول الله ﷺ منخلا ، حتى يأخذ منه الصغير الشعير- يا حفصة ويبدأ يعدد لها ، ثم بكى وبكت حفصة وقامت من عند عمر ، كيف لا يخشى الشيطان عمرا.

إن الدنيا كلها بيده ، إن الذي يصبر على شهوته يدوس الدنيا بقدمه ، إن الذي يصبر على نزوته وهواه ولا يطيعه فإنه أثبت من الجبال الراسيات .

صبر ابن تيمية

أنظر إلى شيخ الإسلام وقد ألقي في سجن القلعة فيقول: "ماذا يصنع فيّ أعدائي؟ إن سجني خلوة، وإن نفيي سياحة، وإن قتلي شهادة"، أي ارتقاء وأي ارتفاع وأي قمة سامقة قد صعد إليها هذا المخلوق بإيمانه وصبره، وماذا عند الطغاة غيرهذه؟! النفي أو السجن أو القتل ، وكلها حلاوة لقلب المؤمن ، وكلها عذبة في نفسه ، وهو ينظر إلى اليد المحركة للأقدار ، ينظر إلى الواحد القهار الذي يدبر الليل والنهار ، والذي يحرك البشرية ويسيِّر الأقدار سبحانه وتعالى ، ينظر إلى اليد فيصبر، وينظر إلى المصير فيصبر، وينظر إلى الآخرة فيصبر، ينظر أن النصرفي الدنيا مقترن بالصبر (**واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا**) ، يعلم أن النصر صبر ساعة ، وأن عدوك الذي يقابلك سواء من الطواغيت الظالمين أو الكفار أو الجيوش الجرارة ، إنما ينتظر ساعة واحدة تستسلم بها ، فإن لم تستسلم يستسلم .. فهو الصبر ، صبر ساعة (النصر صبر ساعة) .

من الذكريات

أذكر أننا في حرب فلسطين زارنا الكاتب محمد جلال كشك، وكان الطعام قليلاً ، وكان جو التدريب شديدا، كنا لا نأكل اللحم في الشهر مرة.. لا، بل لا أذكر أننا في الشهرين أكلنا لحما إلا مرة واحدة، جاء واحد وعمل عقيقة فأكلنا اللحم، ثم منع بعد ذلك القائد دخول اللحوم والعقائق وغير ذلك، كان الجوّ شديدا، كان الطعام قليلا، الخبز يابس نستعمل كواعب البنادق من أجل تكسيرالخبز، ونستعمل الماء من أجل بله لتليينه على أسناننا، ونظر محمد جلال كشك وعاش بيننا يومين أو ثلاثة ثم جاءه وقت الحراسة -وكان الضيف كذلك يحرس كما يحرس أي واحد فينا-، والحارس يرسل إليه طعامه، وفي ذلك اليوم جاء أحد الزوار يحمل صندوق تفاح، فأرسل إليه صحن الطعام القليل، العدس المفتوت به بعض لقيمات من الخبز، ثم معه حبة التفاح، نظر إلى حبة التفاح بعد أن تناولها وقال:

أحقا أرى أم ذاك طيف خيال ؟ ثم عقب بكلمته :والله لو عاش شعب من الشعوب أو دولة مهما صغرت كعيشكم لدانت لهم العالم، ولداسوا على العالم بأسره، ماذا يخشى المجاهد الآن؟ ماذا يخشى ؟

كما يقول الشافعي:

أنا إن عشت فلست أعدم قوتا	*ولئن مت فلست أعدم قبرا*
همتي همة الملوك ونفسي	*نفس حر ترى المذلة كفرا*

عزة المجاهد

المجاهد ينفق يوميا خمساً إلى عشر روبيات، لنفرض أنها عشر روبيات ، نحن ننفق عليكم يوميا عشرا إلى خمس عشرة روبية، في الشهر أربعمائة وخمسين روبية أي مائة درهم ، مائة ريال ، من الذي لا يستطيع أن يدبر مائة ريال في الشهر ، في أي مكان في الأرض ؟! فإذا كنت تعيش فقط على مائة ريال ! أي قوة في الأرض يمكن أن تهابها أو تخافها ماذا تخشى ؟ تخشى على أي شيء ؟ ليس هنالك أي شيء من الدنيا تخشاه ، زينتها دست عليها ، طعامها طلقته ثلاثا ، كسوتها لبست الأسمال وتسلقت الجبال ووردت موارد الأبطال ، ونزلت منازل الرجال ، ماذا يهمك بعد ذلك؟ هل تخشى على فصل من وظيفة ؟ هل تخشى على تجارة ؟ هل تخشى على مراكز؟ هل تخشى على عمارات ؟ الدنيا قد انتهى حسابها من ذهنك ، وزال من مخيلتك، ومائة درهم فقط هي تكفيك طيلة شهرك .

وما الذي أذل الرقاب سوى هذه الطوابق التي ترتفع طبقا فوق طبق؟ سوى هذه السيارات الأنيقة؟ سوى هذه العمارات الشاهقة؟ سوى هذه الوظائف والأوسمة؟ سوى هذه المنازل التي لا تعدل عند الله غدوة أو روحة في سبيله؟ (**الغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**)(١).

ومن هنا أذل الأفغان الدنيا كلها ، لأنهم داسوا على الدنيا بأسرها بصبرهم . هذا المجاهد الذي يعيش في الشعاب وفوق قمم الجبال ، ينتظر وقت الظهر قطعة خبز قد تصل الكف ، وكأس شاي بلا سكر ، فطوره وغداءه شاي بلا سكر مع قطعة خبز، وعشاؤه -إن توفر- فسليق رز بلا شيء، وإلا فالشاي بلا سكر، هو غذاؤه وإدامه ، هذا ما الذي يخشاه من الدنيا؟ ما الذي يخشاه من الممات؟

الموت والحياة كلها سيان، كما قال صفي الله أفضلي: لم يعد لي أي شهوة في هذه الدنيا، لم يعد لي أي هوى أو آمال وأماني أحققها لنفسي ، فالموت والحياة سيان عندي .

هؤلاء الناس ، بل بعضهم يحب الشهادة ، يحب الموت على الحياة ، لان في الشهادة الحياة الأبدية والخلود الدائم في جنات النعيم (**أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث تشاء ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش**)(٢)

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم بلفظ (أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل .. الخ) ، أنظر مختصر مسلم رقم (١٠٦٨).

فالصبر الصبر ، الصبر الصبر ، وبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

هذا الشاب في داخل أفغانستان ، الذي ترك أهله قد غاب قسم كبير من أولاده تحت الثرى ، أسر والده ، ألقي إخوانه رهن السجون وراء القضبان ، ماذا بعد ذلك من علائق الدنيا يرتبط بها ؟ لقد قطع كل علائق الدنيا ، وانطلق بروحه يرفرف مع الملأ الأعلى ، ينتظر الأمر بمفارقة هذه الروح للجسد حتى تعود إلى موطنها الأول.

فحيّ على جنات عـــــدن فإنهـــا	*منازلك الأولى وفيها المخيــــــم*
ولكننا سبي العــــدو فهل تــــرى	*نـعود إلى أوطانـــنا ونسلـــم*
فيا بائـعا هـذا ببخس معجـــــل	*كأنك لا تـدري ولا أنـت تعلــــم*
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبــــة	*وإن كنت تدري فالمصيبة أعظــــم*

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية:

الحمدلله ثم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

كان متمم بن نويرة كثير البكاء على أخيه ، - مالك بن نويرة - وجاء إلى المدينة المنورة واتكأ على قوسه ، وبجانب المحراب كان عمر وأبوبكر ، وبدأ يردد قال :

لقد لامني بين القبـــــور على الجــوى	*صديقي لتـذراف الـدموع الســوافـــك*
فـقال أتـبكـي كـل قـبـر رأيـتــــه	*لـقبر ثـوى بـيـن الـلـوى فالـدكـادك*
فقلت لــه إن الشـجا يبعث الشجـــا	*فـدعـنـي فـهـذا كـلـه قـبـر مالــك*

قال عمر: لو رثيت أخي زيدا بمثل ما رثيت أخاك، فقال متمم: والله لو مات أخي كما مات أخوك ما قلت فيه بيتا واحدا. قال عمر: ما عزّاني أحد بمثل ما عزّيتني، عندما يموت الإنسان على الإيمان، كما قالت أم حارثة: يا رسول الله قل لي أين حارثة ؟ فإن كان في الجنة صبرت، قال: **(ويحك! أهبلت؟! إنها جنان! وإن ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى)**(١).

اسلكوا هذا الطريق

إن الذين يصبرون في مواطن يحبها الله عز وجل ، ثم تكون الخاتمة على هذا الصبر ، يرفعهم الله في الدنيا والآخرة مهما كانت الميتة التي ماتوها، مهما كانت، سواء **(وقصته دابته فمات، أو لدغته هامة فمات، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد)**(٢).

ومن هنا مدح رب العزة الهجرة لما فيها من الصبر على المشاق، مدح الرباط لما فيه من الصبر على النفوس، مدح الجهاد لما فيه من إتلاف الأموال والنفوس، مدحه لأن الصبر عليه شديد، وكلما زاد الصبر كلما ازداد الأجر، وكلما ارتفع الذكر في الدنيا وفي الآخرة.

فيا أيها الإخوة : هذا طريق الصابرين فاسلكوا ، هذا طريق الجادين فانهجوا ، هذا طريق الرجال، ومن رام موتا شريفا فذا طريق الرجال، هو الطريق الذي ارتضاه الله عز وجل لأنبيائه، ولمن ؟! وللصفوة الذين حولهم، وللفئه التي تكتنفهم

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (آل عمران: ١٤٦).

الصبر الصبر في الإعداد، الصبر الصبر في الرباط، الصبر الصبر في الجهاد، والنهاية بإذن الله مشرقة، والخاتمة سعيدة، والملتقى الجنة بإذن رب العالمين، ولا جنة بلا جهاد وبلا صبر

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (آل عمران: ١٤٢)

وعندما جاء بشير بن الخصاصية يبايع رسول الله ﷺ وعدد له الأمور التي يبايع عليها قال: أبايع عليها جميعا إلا الجهاد والصدقة، فقبض ﷺ يده وقال: **يا بشير لا جهاد ولا صدقة فيم تدخل الجنة!)**(٣) يابشير لاجهاد ولاصدقة فبم تدخل الجنة؟.

---

(١) رواه البخاري بلفظ (يا أم حارثة إنها جنان في الجنة وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى) أنظر فتح الباري (٦/٢٦)

(٢) جزء من حديث حسن رواه أبو داود، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٦٤١٣). (٣) رواه أحمد ضمن قصة، أنظر تفسير ابن كثير في سورة الأنفال (٢/٢٩٤).

الاستئذان في فروض الأعيان

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة ، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد : فيا أيها الإخوة الأحبة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أدعو الله عز وجل أن يتقبل منا ومنكم هجرتكم وإعدادكم ورباطكم وقتالكم ، وأرجوالله عز وجل أن لا يتركم أعمالكم ، وأرجو الله عز وجل أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه ، إنه سميع قريب مجيب .

ماذا نريد ؟!

نريد مجتمعا إسلاميا نتحاكم فيه إلى شريعة الله .. نريد أن نبني مجتمعا يحبه الله وتسيطر فيه شريعته ، ونريد الجنة .. في الدنيا نريد نصرة هذا الدين ، وفي الآخرة نريد أن ندخل الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

المجتمع الإسلامي لن يقوم إلا بخطوات : الخطوة الأولى تكوين دعوة أو حركة إسلامية ؛ يربي أفرادها على دين الله عز وجل .. يربون على الشريعة الإسلامية .

أقول: نريد أناسا يقيمون دين الله عز وجل في صدورهم قبل أن يقيموه في أرضهم ، هذه المجموعة التي تتربى على دين الله وتطبق شريعته ، تتحرك وتواجه الجاهلية بخيلها ورجلها ، هذه المجموعة تكون رأس الحربة بالنسبة للأمة ، تدفع التكاليف ، تؤدي التضحيات ، تدفع الضرائب الغالية، يسجنون ، يقتلون ، يشردون ، هذا شيء لا يمكن أن تنجوا منه ، أي دعوة إسلامية .

(وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا) (إبراهيم : ١٣)

(إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا ابدا) (الكهف : ٢٠)

على لسان سيدنا شعيب يقول لقومه :

(وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولوكنا كارهين، قد إفترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها)
(الأعراف : ٨٧ – ٨٩)

لابد من الابتلاء

سألني أحد الشباب قال : ألا يمكن للإنسان أن يدعو إلى الله عز وجل ولا يبتلى ؟ قلت له : لا يمكن ، لو نجا منها لنجا سيد البشر محمد ﷺ ، لأن سنة الله في الدعوات ، الابتلاء والمحن ، وسنن الله لا تتغير .

قيل للشافعي أيهما أفضل للمرء ، أيمكّن له أم يبتلى ؟ ، قال : لن يمكن له حتى يبتلى :

(أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون) (التوبة : ١٦)

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (آل عمران : ١٤٢)

(وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف

كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون، حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا، جاءهم نصرنا فنجي من نشاء، ولايرد بأسنا عن القوم المجرمين) (يوسف: ١٠٩ - ١١٠)

(قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون، ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإى المرسلين) (الأنعام: ٣٣ - ٣٤)

ما هكذا استقبل الرسل

وهذه سنة لا تبديل لها، ولا مبدل لكلمات الله. الأستاذ البنا رحمه الله -حدثني أحدهم- قال: كان في يوم من الأيام في قرية من قرى مصر فاستقبل استقبالا حافلا، قال: ثم دخلنا الدار وتفقدناه فلم تجده، قال: فوجدته منزويا وراء باب من الأبواب يبكي، قلت: هذا فتح عظيم من الله، ألا ترى هذه الجموع المقبلة على الله؟ قال: ما هكذا كانت تستقبل الرسل، أخشى أن لا نكون على الطريق.

ولذلك كل عاقل سواء كان مسلما أو غير مسلم يدرك أن أصحاب الدعوات لابد أن يبتلوا و(**عندما كلمت خديجة ورقة بن نوفل عن الرسول ﷺ قال له ورقة: ليتني معك إذ يخرجك قومك** -الرسول ﷺ ما صدق أنه يخرج.. الأمين.. المكي كان يستبشر عندما يستفتح بوجه الأمين، إذا رأى وجه محمد ﷺ يبقى طيلة يومه مسرورا: أنا استفتحت يومي بوجه الأمين.. الرجل الذي حكّمته مكة في أخطر قضية في حياتها، قضية الحجر الأسود، تعجب، معقول هذا؟- **أوَ مُخرجي هم!! قال: ماأتى أحد بمثل ما أتيت به إلا أخرجه قومه**)(١).. سنة ولا مبدل لكلمات الله.

والدعوة التي لا تبتلى ولا تمتحن يجب أن تمتحن نفسها ، هل هي على الطريق أم لا؟

التربية في فرن الابتلاء

لابد من التربية ، والتربية تكون في أتون المحنة غالبا ، في فرن الابتلاء ، لأن الإنسان عندما يدخل هذا الدين أو يبدأ يكون لبنة طرية ، اللبنة الطرية هذه معظمها ماء، لابد أن توضع في الفرن حتى تجف ، وإلا لا يمكن وضعها في بناء كبير عظيم ، لأن فوقها سيكون ثقل كبير ، فلابد أن تكون صلبة ، خاصة أحجار الزوايا ، خاصة الأعمدة ، والطلائع الأولى دائما هي الأعمدة للدعوات وللمجتمعات ، هذه الطلائع مالم تكن صلبة من الإسمنت المسلح ، البناء كله سينهار مهما سمق في السماء، ومهما شهق في الفضاء .

ولذلك انظر إلى أصحاب الدعوات : إذا لم يكونوا هم نماذج لهذا الدين أو للدعوة التي يدعون إليها ، فاقرأ عليها الفاتحة وكبر على هذه الدعوة أربعاً .. لن تعيش دعوة أعمدتها أو أساسها من ملح سرعان مايذوب .

ناطحات السحاب يجعلون لها – أسسا – أساسات قوية جدا جدا ، يشركون فيها معادن مختلفة لأنها ستحمل ثمانين طابقا أو مائة طابق .

ولذلك لابد أن تبدأ الخطوة الأولى بدعوة ناضجة، نواة قوية، لأن هذه النواة القوية هي التي ستحمل كل المجتمع المسلم، لابد من أرض صلبة، هي التي تحمل المجتمعات فيما بعد.

القاعدة الأولى

ولذلك الرسول ﷺ تعب في بناء هذه القاعدة بإذن ربه، ورباها على عينه، فاهتم في المدينة، وكانت الهجرة واجبة حتى يتتلمذ الناس على يديه، وحتى تبنى العيّنات الأولى بناء متماسكا صلبا، هذه المدينة أوجب الله الهجرة إليها، لأن فيها القيادة، احتضنت القيادة الأفراخ الناشئة تحميهم من الأعاصير والزوابع والعواصف. فنشأت قوية. كانت مدة البناء في مكة -في البداية- ثلاثة عشر عاما، لم يرب الرسول ﷺ فيها إلا حوالي مائة رجل، مائة رجل كانوا تقريباً يزيدون قليلا، لكن هؤلاء مع السابقين الأولين من الأنصار

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ضمن قصة طويلة.

الذين اعتنت بهم يد المهندس الحكيم المربي الرؤف الرحيم الكريم، هذه الصفوة وهذه القاعدة وهذه المجموعة هي التي كانت تدير البشرية بعد عشرين سنة.

فعندما ارتدت الجزيرة العربية كلها ولم يبق إلا مكة والمدينة (وجواثا) في البحرين ، الآن (جواثا) في المنطقة الشرقية في الإحساء، لم يبق إلا هذه الثلاثة مساجد ، مسجد بني عبد القيس في المنطقة الشرقية، كانوا يسمونها البحرين، كل هذه، ومسجد المدينة، ومسجد مكة، هذه الثلاثة التي كان يعبد الله فيها، فقط هذه الثلاثة في الحديث.

لكن القاعدة الصلبة تحركت وأعادت الجزيرة العربية كلهاإلى ظل الإسلام، القاعدة الصلبة كان منها أبوبكر رضي الله عنه، وكم حاول الصحابة معه أن يؤخر إرسال الجيوش لإعادة المرتدين، فمسك بخناق عمر قال: **(أجَبَّارٌ في الجاهلية وخوار في الإسلام؟!)**- خوار: أي خائر القوى ، ضعيف جبان - **(والله لو منعونى عناقا)** - العناق : السخل الصغير ، وفي رواية عقالا: رباط ناقة - **(والله لومنعوني عناقا كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم فيه)**(١)، لقاتلتهم فيه ، وعندما قالوا له: أخّر جيش أسامة قليلا، لأن جيش أسامة كان على مشارف المدينة ، غضب غضبا شديدا كذلك، قال: والله لو دخلت الكلاب إلى بيوت أمهات المؤمنين ، التي هي كنز الأمة، واجترتهن من أرجلهن ، ما أوقفت بعث أسامة .

رجل أحيا الله به الأمة رضي الله عنه.. كيف؟! اللبنة صلبة، كان طيلة المسيرة يدفع التكاليف بجانب القائد، أوذي في الله، دفع أمواله كلها في سبيل الله، شهد المواقع كلها.

نماذج من القاعدة الصلبة

اللبنة الأولى ، هذه ضرورية من أجل البشرية ، القاعدة الصلبة ضرورية جدا ، لأن منهم سيكون الأمير ، ومنهم القاضي ومنهم القائد ، فهؤلاء سيؤتمنون على أموال الناس ودمائهم وأعراضهم .

ولذلك لابد من الاعتناء بهذه اللبنات التي تكون القاعدة الصلبة التي يُقام عليها بناء المجتمع الإسلامي كله. فكان بعدما فتح العراق ، فيكتب عمر لهم: إني مرسل إليكم بعمار بن ياسر أميرا، وبعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا، وإنهما من خيرة أصحاب رسول الله ﷺ، وقد آثرتكم بهما عن نفسي .

من هذه اللبنة سلمان الفارسي ، هو من فارس .. كسرى نزل عن عرشه واحتل الإيوان ، وتربع على عرشه سلمان ، كسرى -بعد هروبه- كان يبكي، فيسأله الندماء : ما الذي يبكيك؟ قال: لم يبق إلا ألف طباخ وألف مرب للصقور عندي ، كيف أعيش ؟! ألف طباخ كيف يعيش بهم هذا المسكين ! ألف طباخ وألف مربٍ للصقور ! الذي جلس مكانه سلمان ، هذا مهزوم وهذا منتصر.

كانت نفقة سلمان يوميا درهما واحدا ، كان طيلة نهاره مشغولاً بمشاكل المسلمين وبالقضاء بينهم ، وفي الليل يصنع الأواني من البوص (سلال من الخصف).

يشتري كل يوم خصفاً بدرهم، ويصنع السلال وغيره، وفي اليوم التالي تباع لأمير العراق بثلاثة دراهم ، درهم لنفقته ودرهم لصدقته، ودرهم للخصف .. الليل يصنع به أواني جديدة، وذاك المسكين يبكي لم يبق عنده إلا الف طباخ -مثل أبي عمر-، ألف واحد كيف يعيش بهم ؟! ولذلك الأمم المترفة هذه لا تستحق الحياة ، سرعان ما تنهار التي لا تتربى على الصبر لا تتربى على مرارة المحنة ، لا تتربى على تجرع الغصص ، لا تصبح المبادئ جزءاً من دمائها وروحها وحياتها ، هذه لا تستطيع أن تعيش . الترف سوس الأمم ينخر بعظامها كما ينخر السوس في الخشب ، والمعالي عمادها الصبر .. المعالي والمجد والعز ، عماده وأساسه مخالفة الشهوات .

لا تـــحسب المجد تمرا أنت آكله   *لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا*

جاء عامر بن عبد القيس ملثما بحُق من ذهب كبير ووضعه على الغنائم، فنظر الناس إليه وتعجبوا ، قالوا: إن الذي جاء بهذا لأمين، قال: لولا الأمانة ما جاهدنا، من أنت ؟ قال : لو أردت أن تعرفوني لما تلثمت فلحقه رجل وفك لثمته فإذا به عامر بن عبد القيس.

أناس نماذج عجيبة وغريبة ، لكن الله أحيا الزمان بها، وأسعد البشرية بإمارتهم عليها ، يدخلون سمرقند ، يدخل قتيبة بن مسلم الباهلي سمرقند .. متى؟ في أيام عمر بن عبد العزيز -الاتحاد السوفيتي معظمه قد افتتح في زمان سيدنا عثمان رضي الله عنه، ثم زادت الفتوح- افتتحها دون أن ينذرهم ، ويعرفون أنهم عندما يحاصرون مدينة أو قرية يخيرونهم بين الإسلام وبين الجزية وبين الحرب، -هو لم يخيرهم ، ودخل سمرقند، فأرسلوا إلى عمر بن عبد العزيز يشكون ، فأحال عمر بن عبدالعزيز محاكمة الجيش إلى جندي فيه،

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري، أنظر فتح الباري (٣/٢٦٢).

القيادة العامة تحاكم عند عمر الباجي – رجل معروف بورعه في داخل الجيش –، فجاء بزعماء المدينة وجاء بقتيبة ، واستمع إليهم واستمع إليه ، وأمر الباجي الجيش الإسلامي أن ينسحب من سمرقند ، الجيش كله .. فتحها الجيش !! لم يكن الدخول على الشرط الإسلامي، وعندما بدأ الجيش ينسحب خرج أهل سمرقند ، قالوا : أمنا بهذا الدين الذي أنتم عليه ، ابقوا حكاماً لنا .

الصواعق التي تفجر الطاقات

لابد من بناء اللّبنات ، هذه اللّبنات لابد أن تعلن الجهاد وهي في الجهاد منذ أول يوم ، لكن لابد أن تحمل السلاح وتعلنه، وتكون نواة يلتف حولها الشعب ، هذه النواة أو النماذج تكون الصاعق الذي يفجر طاقات الأمة ، الآن عندما يكون عندنا كميات من (TNT) هذه لابد لها من صاعق صغير أقل من نصف إصبع طوله، وأرفع من الإصبع بكثير، يوضع هذا يشعل، البادئ هذا يشعل طاقات الأمة، يشعل [تي–أن–تي] (TNT) .

فالدعوة الإسلامية وظيفتها مشعل –بادئ–، بدون هذا المشعل وبدون هذا البادئ لا فائدة في كل (TNT) لا تتفجر طاقات الأمة ، لكن هذا البادئ وحده ، هذا الصاعق وحده لا يساوي شيئاً، أكثر شيء إذا انفجر يقطع رأس الأصبع .

إن أمامنا طريق طويلة من التضحيات ، هذه تحتاج إلى طاقات، فلابد أن يكون الشعب هو المحضن الآمن لهذه النواة التي تشعل الجهاد في داخلهم ، مع طول الزمن مع استمرار المسيرة تتفرز القيادات بين الشجاع من الجبان لأن المنابر اعتلاؤها سهل والكلام أسهل، والتسجيل في الفيديو أسهل، والكلام في الجرائد سهل ، لكن طريق الجوع والمرارة والعذاب والحرمان ، طريق التضحيات والأشلاء والدماء ، يُهدم البيت وتُمزق الأسرة ويُقتل الأبناء ، ويُسجن الآباء ، وتغيب الأمهات تحت الركام ، هذا أمر لا يحتمله إلا أفذاذ الرجال .

لا تظنوا الجهاد سهلا ، لا تفكروا أبدا ، لا يوجد أصعب من عبادة الجهاد في الإسلام ، ولا أثقل منها أبدا ، ولكن لا تعدلها عبادة عند رب العالمين أجرا ومثوبة ورفعة وثناء .

وبقدر التعب يكون الأجر، ولذلك هي قمة سنام الإسلام. أليس الصحابة هم الذين كانوا يجادلون الرسول ﷺ ؟ وقال فيهم القرآن:

(يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) (الأنفال : ٦)

وهم ذاهبون إلى بدر: (كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) .

أليس القرآن الذي يصف الصحابة رضوان الله عليهم

(ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او أشد خشية) (النساء : ٧٧)

نعم ! هؤلاء قسم منهم منافقون ، لكن الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة في مكة ، من هم ؟ .. الصحابه .

فالجهاد ثقيل.. صعب، خاصة إذا طالت المسيرة، وإذا امتد الزمن، وإذا زادت التضحيات.

أنت قد تسمع شريطا للشيخ تميم العدناني أو للشيخ فلان أو فلان فتتحمس وتندفع وتأتي إلينا ، نرجو الله أن يثيبك – إن شاء الله –، وتسمع أن الجهاد فرض عين ، ولا إذن للوالدين، ولا إذن لأحد في العالمين ، وهذا الحكم الشرعي ولكن هذا الحكم الشرعي ثقيل، أنت ستترك أسرتك ، ستترك وظيفتك ، ستترك جامعتك ، ستترك أموالك .. الصلاة : بإمكانك أن تصلي في البيت ، تقوم الليل كله وأنت مرتاح في بيتك .. مكيف الهواء مفتوح ، وبعد كل ركعتين تمر وقهوة وحلويات أو غيرها .. فسهل .. سهل .

الحج يومان ،والآن في (عَرَفَة) يوجد مكيفات، وفي (منى) مكيفات .. يومان تحت المكيفات تحج ! .. فريضة الحج .

الصيام؛ طيلة الليل أكل، وطيلة النهار نوم ، أليس كذلك؟ بلى .. إذن ثلاث فرائض بإمكاننا أن نؤديها دون أن نشعر بأدنى تعب.

الزكاة كذلك : اثنان ونصف في المائة ، لكن الجهاد .. الجهاد ثقيل ، الجهاد يستدعيك أن تترك جيرانك وخلانك ، ستترك الزوجة ، ستترك الأولاد ، تستقيل من وظيفتك ، الراتب اثنا عشر ألف درهم ، ستترك جامعتك ، ستترك الدنيا . طيب تركناها وجئنا ، وصلنا هنا ، خبز وشاي وعدس ، والواحد لا يرى ابتسامة ، مكشر ويفكر أن كشارته هذه بسبب غضبه عليك ، ولا تدرى أن في رأسه ثلاثمائة وستين مشكله ، كل واحدة عامل له دوامة في رأسه ، كيف يدبر لهم الطعام ، كيف يدبر لهم المنام ، كيف يدبر له المدربين ، كيف يدبر لهم

البطانيات ، وبعد ذلك الله أعلم يرضى أو لا يرضى لأن كل واحد جاء على مزاجه وما يطلبه الأكل .

فأنت تفكر أن هذا الرجل فظ ، غليظ ، يا أخي يبتسم في وجوه إخوانه ، هو قادر يبتسم ؟! غير قادر ، أثقال على رأسه، أثقال على نفسه فعلا .. ثم هنا يمكث ثلاثة أيام أو أربعة أيام أو خمسة أيام ..

– " أريد أن أذهب إلى جاجي ، إلى المأسدة " .

– خير إن شاء الله .

– " الجهاد " .

– طيب يا أخي ، تعد نفسك ..

– " أنا جاي أتعد هنا في صدى ! ، أنا أريد أن أدخل المعركة " .

– تفضل ، تفضل صلي بدون وضوء ! .

ضرورة الإعداد

لابد أن تصبر .. ماذا أخذت يا إخي ؟ .

– " الحمد الله أخذت الكلاشنكوف والدكتريوف ! .

– لا .. إن شاء الله تهزم الدبابات الروسية بالكلاشنكوف ، وتسقط الطائرات ، الآن أين أنت ؟ .. من الصف الأول الابتدائي تريد أن تدخل الجامعة رأسا ، قليلاً على الأقل حتى تعرف تكتب اسمك ، تعرف تفك الخط ، لابد أن تصبر ، وإذا كان طار عقله من رأسه وتكلم كلمة جافه لا يكادون يحتملونها ، احتملوها ..

– أسرعوا يا تعبانين .. !

– كيف يقول لنا تعبانين ، نحن ، نحن الأبطال .

– أنت تلميذ الآن، نعم أنت في بلادك قد تكون ابن وزير، قد تكون ابن غني كبير، قد تكون مرب كبير، لكن الآن أنت تلميذ، ودخلت في الصف الأول عندنا، أنت تلميذ ، نحن لا نستطيع وأنت في الصف الأول أن نفرق بينك وبين غيرك، فأنت تحتاج تتحمل.. تتحمل القليل والكثير، وتذل نفسك لإخوانك حتى تتعلم، والذي تبقى نفسه معه لا يستطيع أن يتعلم؛ الباب محدود أقل من متر، والذي نافخ نفسه لا يستطيع أن يدخل من الباب .. بابنا صغير، ثم بعد ذلك مضى شهر، شهر ونصف، تذهب إلى المأسدة أو إلى الجبهات من هنا.

لغة غير لغتنا، زاد الجفاف ، زادت الوحشة ، شعب غير شعبك ، لا يجمعك بهم إلا الصلاة ، طبعا دين الله عز وجل يجمعنا بهم، لكن كل شيء مختلف، بيئة غير بيئتك ، ما صعدت جبلا في حياتك إلا هنا في صدى ، نعم هناك ستجد جبالا .. مجموعة من الشباب قالوا لي : كلما ازداد تعبنا ونحن في جبال نورستان ، جبال نورستان هذه ، جبل فوق جبل فوق جبل ، يكون السحاب تحتك وأنت ماش فوق الجبل ، السحاب تحتك .. نعم ، وتبقى أسبوعان معلقا بين السماء والأرض، قالت لي مجموعة: كنا كلما ازداد تعبنا نقول : اللهم اجز أبا برهان خير الجزاء لأنه لولا شدته علينا هناك ما استطعنا أن نسير في هذه الجبال ، هناك أسبوعان وأنت ماش في هذا الجبل معلق بين السماء والأرض ، البغال لشدة تعبها تنتحر ، صدقوا ، هل تصدقوا أن البغال تنتحر ؟! يقف على طرف الجبل ويرمي بنفسه في الوادي، حتى يخلص من التعب .

الثلوج خاصة إذا ذهبت إلى الشمال ، أربعة عشر يوما تقريبا تمشي في الثلوج ، ست عشرة ساعة في اليوم ، ست عشرة ساعة لمدة أربعة عشر يوماً في الثلوج، وإذا نزلت عليك عاصفة ثلجية في الطريق قد تكون نهايتك.. تدفنك.

وقطعان الذئاب تنتظر مثل هذه الليالي لتغير على قوافل المجاهدين وتأكلهم أحياء، خاصة في الرجوع.. وليس معهم سلاح، طيب وصلنا أين؟ وصلنا للشمال، وصلنا إلى تخار، نزل الثلج، الدنيا اكتست بالبياض، قطعت الطرق.. الأولاد والزوجة في مكة أو في عمان .. تريد أن تذهب لزيارة الأهل، متى؟ ممكن غدا أو بعد غد.. بعد ستة أشهر يُفتح الطريق .. نعم.. نعم بعد ستة أشهر تُفتح الطريق.. فعندما ترى الدنيا كلها مكسوة بالثلوج، وأنت في مغارة في رأس الجبل لا تستطيع أن تتحرك شهراً شهرين، تتحرك بين المغارة والمغارة بشق الأنفس، تبدأ الوحشة تزداد ويدخل الشيطان.. ضحك عليك عبدالله عزام، من قال لك أنه فرض عين؟ –الشيطان يتكلم–، من قال أنه فرض عين؟ يا أخي هو الشيخ عبد الله عزام افهم من الشيخ الفلاني والشيخ الفلاني بعدين أنا خرجت بدون إذن الوالدين أنا خائف إني عصيتهم، أخشى أن أموت عاصيا للوالدين، نعم أخشى أن أكون عاصيا للوالدين.

والله مرة في جاجي كانوا في بلدة، بدأت الطائرات تقصف، فبدأ يبكي ، مالك؟ قال: والله أنا خرجت بدون استئذان أمي، خائف أن أستشهد عاصيا، مالك الآن؟ قال: أنا أريد أن أرجع.. أرجع!! أنت ما تذكرت استئذان أمك إلا في بلدة، تحت قصف الطائرات، أنا أطمئنك، إنك شهيد، ولو كان استئذان الوالدين واجبا فأنت شهيد بإذن الله، و تدخل الجنة إن شاءالله.

ولوكان استئذان الوالدين واجبا، فإذا استشهدت فأنت شهيد، يغفر لك.. فتبدأ تراجع حساباتك .

نعم طيب أنا خرجت تركت مدرستي، أنا أستاذ في المدرسة، ضاعوا الأولاد، أنا أستاذ في حلقة القرآن، ضاعت حلقة القرآن، أخواتي ملتزمات سيتركن الالتزام، أبي تعبت معه سنة حتى ترك الدخان وترك التلفيزيون، الآن سيرجعون في البيت يستعملون التلفيزيون والدخان، وتبدأ هذه العوامل تعمل في الداخل مع الضعف ... ضعف، تنظر حولك لا تجد إلا اثنين، ثلاثة من العرب، واحد منهم أمرناه عليك تبدأ تأكل لحمه، نعم، أخي الكريم هذا هو الطريق، وليس هنالك طريق للدولة الإسلامية وللمجتمع الإسلامي بدون هذا، وليس هنالك طريق إلى الجنة بدون هذا.

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (آل عمران: ١٤٢)

وإلا كيف تحمى الأعراض ؟؟

إن لم يقم بالعبء أنت فمن يقـــــوم به إذن

إن لم يدفع الشباب ضريبة المحافظة على البلاد والأعراض والعباد، من الذي يدفع الضريبة؟ الأطفال أم الشيوخ الذين بلغوا من العمر عتيا؟!! فلا تظنوا المسألة سهلة.. المسألة صعبة جدا.

ولذلك بعض الإخوة كانوا يرجعون من الجبهة يبدأون نقاشا، هل الجهاد فرض عين أو فرض كفاية؟، في البداية جاء إلى بشاور.. فرض عين، لما رأى الجبهة ورجع صار فرض كفاية، ثم يبدأ يناقشك ولماذا فلان ما جاء؟ ولماذا فلان ما نزل؟ أقول له: تريد أن ترجع.. أعرف إن الصبر قد نفد .

ضريبة هذا الطريق

وبدون هذا لا يمكن أن يكون للإسلام وجود في الحياة، لابد أن تدفع أجيال الضرائب، أو جيل أو جيلان يدفعون الضرائب حتى تسعد البشرية من بعدهم أجيالا، كم عدد المسلمين؟ ألف مليون، لو قتل خمسمائة مليون -يعني نصف المسلمين -وقامت دولة إسلامية تتبنى مصالح الإسلام في الأرض، وتجيش الجيوش، وتجند الجنود ، وتعلن الجهاد، وتحمي الثغور، وتقيم الحدود إلى آخره، لكان هذا قليلا جدا بجانب سعادة البشرية، نحن لا نريد خمسمائة مليون، نحن نريد عشرة آلاف شاب يعرفون دين الله، أو اثنا عشر ألف شاب يعرفون دين الله ومستعدون للموت .

حاجة الجهاد الأفغاني

قالوا لي: هل الجهاد الإفغاني بحاجة إلى مال أم بحاجة إلى رجال؟ قلت لهم: حاجة الجهاد الأفغاني إلى مال شديدة جدا، ولكن حاجتهم إلى الرجال أشد، إن داعية واحدا في داخل أفغانستان أنفع لهم من مئات الألوف من الدولارات، أن هذا يحيي جبهة بكاملها.

قال لي بعضهم: الجهاد فرض كفاية، قلت: أنا معكم فرض كفاية، فإذا لم يكف الموجودون ما هو الفرض؟ ما هو فرض الكفاية في أفغانستان؟ هو إخراج الشيوعيين والروس عن الحكم، فهل خرج الشيوعيون والروس عن الحكم؟ لا، إذا لم يكف الرجال، إذا هم بحاجة، إذا الأمة الأسلامية كلها آثمة، لأن الكفاية لم تحصل معك، ليس هناك فرق، لا تريد فرض عين، فرض كفاية، وتعلمون أن فروض الكفاية تنقلب إلى فروض أعيان إذا لم يجتمع عدد يكفي للقيام بالفرض ، ولم يختلف في هذا أحد .

جنازة موجودة، الصلاة على الجنازة فرض كفاية، إذا لم يصلّ عليها أحد من المسلمين، فكل الأمة الإسلامية آثمة، أليس كذلك؟ بلى.

الآن عندنا قضايا، عندنا أفغانستان , عندنا فلسطين، اليهود موجودون، أفغانستان الكفار موجودون فيها، لم يتجمع عدد لإخراج هؤلاء الكفار، إذن كل الأمة آثمة، لأنها لم تخرج هؤلاء الكفار، ولم يحصل فرض الكفاية، إذن أنت تريد كل الناس يأتون؟، معنى ذلك أن الشيوعية ستنتشر في الأردن وفي سوريا وفي مصر وفي الحجاز، البعثيون والشيوعيون والقوميون والعلمانيون و المتأمركون والمستغربون كلهم سيستلمون البلد، أنت تريد أن تأخذهم ياشيخ عبد الله وتصفي البلد من العناصر الطيبه، كل الأمة تريد أن تأتي، أنا لا أريد كل الأمة، يبقى فرض عين على الأمة حتى يتجمع عدد يكفي ويخرج الكفار، أو يتجمع عدد يكفي لأخراج الكفار، فإذا تجمع

عدد يكفي لإخراج الكفار انتهى، ينقلب فرض العين إلى فرض كفاية، ويسقط الإثم عن بقية الأمة.

لكن مادام هذا العدد لم يتجمع فالأمة كلها آثمة، ولا إذن لأحد على أحد قبل أن يتجمع هذا العدد.. والدين.. مرب..مسئول.. إلى آخره.. أمير و ما إلى ذلك.. ليس هنالك أي إذن لأحد من العالمين في فريضة من فرائض رب العالمين .

لا استئذان في فروض الأعيان

لا يوجد إذن، أنت تريد أن تصلي، الظهر، أبوك يقول لك لا تصلي، هل يجوز لك أن تطيعه؟ فريضة.

قاعدة: لا استئذان في فروض الأعيان، لا استئذان، الاستئذان في أرض المعركة من قائد المعركة. هنا الطاعة، طاعة الأمير، قال ابن رشد: (وطاعة الإمام لازمة وإن كان غير عدل، -يعني وإن كان فاسقا- إلا إذا أمر بمعصية، ومن المعصية النهي عن الجهاد المتعين).

الإمام يعني: أمير المؤمنين، و من المعصية النهي عن الجهاد المتعين، يعني: الجهاد الذي أصبح فرض عين.

قال العلماء: ويُستأذن الإمام، ويكره أو يحرم الغزو بدون إذن الإمام إلا في ثلاث حالات: إذا فوت الاستئذان المقصود، أو عطل الإمام الجهاد، أو علمنا أن الإمام لا يأذن، في هذه الحالات لا يستأذن الإمام.

وقد ذكرنا من قبل أن سرح المدينة -الماشية- قد تعرضت إلى سلب من قبل مجموعة من الأعراب، فخرج مجموعة من الصحابه بدون استئذان رسول الله ﷺ وأعادوا مواشي المدينة، فمدحهم رسول الله ﷺ وقال: **(خير فرساننا أبوطلحة، وخير رجالاتنا-أي مُشاتنا -سلمة بن الأكوع)**[1] ، لا ترد على أحد، لا إذن ابدا.

الجهاد فرض عين، عندك زوج و أولاد، إبحث عن من يكفلهم، إذا وجدت من يكفلهم لا يجوز لك أن تبقى لحظة واحدة عندهم.

قال لي أحد الشباب: أنا أدرس الطب، قلت له: أي سنة؟ قال: في السنة الأولى، هل عليّ أن أجاهد؟ تنصحني أترك الكلية وأجاهد، قلت: والله أنا فتشت في كتاب الله وفي سنة نبيه ما وجدت ليس على الطبيب حرج، ما وجدت، مهندس، طبيب، أمير، كبير، صغير يجب أن تأتي على المعركة مليونير، فقير، غني ما إلى ذلك، لازم تحمل سلاحك وتأتي.

عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه دفع أربعة آلاف يوم تبوك، عثمان بن عفان جهز جيش العسرة جيش تبوك، لكن ما أعفاه الرسول ﷺ من الاشتراك في الغزوة، ما قال له: اجلس أنت تاجر.. أنت وعبدالرحمن بن عوف وأبوبكر أنتم من الطبقة الكبرى ذوي الدم الأزرق النبيل، ابقوا هنا وبلال وعمار إن ماتوا لا يهم، أما أنتم فنحن نحرص عليكم، ما قال، قال رسول الله ﷺ للجميع اخرجوا، وتخلف ثلاثة من ثلاثين ألفاً، وقاطعتهم المدينة خمسين يوماً.

أنتم.. لاحظوا التدرج في البناء، في البداية يوم بدر

(يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) (الأنفال: ٦)

يوم تبوك لم يتخلف من المسلمين إلا ثلاثين من ثلاثين ألفا.

حقيقة نجح الرسول ﷺ نجاحا كبيراً ما نجحه أحد في بناء الأمة، وفي تربية روح الجهاد في أعماقها.

يا إخوة: إعلموا رحمكم الله أن الجهاد كان في زمن عمر رضي الله عنه، وفي أواخر أيام الصديق، وفي أيام الصحابه والتابعين والخلفاء الراشدين كان فرض كفاية، كان الجهاد فرض كفاية، لأنه فتح بلدان جديدة.

وأعلموا أن الجهاد في أيامنا فرض عين، لأن بلاد اسلام قد انتهبت وأخذت، أما هناك، ما أخذت الأراضي الإسلامية التي كانت ترفرف عليها راية (لا إله إلا الله)، إلى متى يبقى فرض عين؟ يبقى الجهاد فرض عين حتى ترجع الأندلس وبخارى وسمرقند وأذربيجان وكل بقعة كانت إسلامية، ترجع تحت راية (لا إله إلا الله) يتحول الجهاد من فرض عين إلى فرض كفاية.

متى هذا؟ لا يتم في جيلنا هذا، إذن الجهاد فرض عين عليك حتى تلقى الله، وأبناؤك، حررنا أفغانستان، ننتقل إلى فلسطين إلى تشاد إلى الفلبين إلى لبنان، أي مكان فيه جهاد، والجهاد هو القتال، الجهاد هو الذبح .

---

(١) رواه مسلم.

قضية الإيمان والكفر

الحمد لله ثم الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد :

فيا إيها الإخوة : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

قلنا بالأمس إن أعظم عبادة عند رب العالمين هي عبادة الجهاد، وما من ثواب يعدل أجر الجهاد أبدا ، ولكن في الوقت نفسه ما من عبادة أشق من عبادة الجهاد ، والذي يعيننا على تحمل المشاق هو قوة الصلة بالله عز وجل ، كلما كانت الصلة قوية كلما كان الاحتمال أكبر، والصبر أعظم ، لأن القلب ليس بيدك

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكمْ واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون) (الأنفال : ٢٤)

عماد العبادات القلب

وأما الذي يقوم بالعبادة ليس جسدك، الذي يقوم بالعبادة قلبك ، والذي يحتمل العبادة قلبك ، والذي يجعلك مستمراً على هذا الطريق هو القلب ، الجسد ليس له دخل إلا قليلاً، فالصابر هو القلب، والثابت هو القلب ، والشجاع هو القلب ، والغيرة تكون في القلب ، وكلما ازداد إيمان القلب ازدادت غيرته ، وكلما ازدادت غيرته ازدادت حميته، وازدادت شجاعته، وإذا قل غذاء القلب مرض القلب ، وإذا مرض القلب لا يستطيع أن يقوم بالعبادات ولا أن يحتمل المشقات ، وقد يموت القلب وقد يقسوا ، والمعاصي تقسّي القلوب وتميتها وتذهب الحياة منها ولذلك المؤمن قلبه حيّ فإذا رأى منكراً القلب ينبض بالدم ويحمر الوجه ويتمعر.

أما القلب البارد الميت لا ينكر منكراً ولا يعرف معرفاً، وفي الحديث أو في الأثر «إنه لم يتمعر وجهه يوماً غضباً لي». لماذا ؟ لأنه لا يوجد غيرة، لا يوجد حرارة ، القلب كلمبة الكهرباء، إذا كانت متصلة بمصدرالكهرباء فإنها تنير مهما كانت صغيرة، وإن لم تكن متصلة بمصدر الكهرباء مهما كانت كبيرة فإنه لا فائدة فيها ، وأنت قلبك ما لم يكن متصلا بمصدر النور ، متصلا برب العالمين يكون مظلماً ميتاً بارداً لا حرارة فيه ولا غيرة ولا شجاعة ولا حمية .

نعم، قد تكون لمبة كبيرة، لكنها مظلمه، وهذه اللمبة المتصلة بمصدر الكهرباء هي اللمبة التي تعطي الحرارة وتعطي النور وتضيء جنبات الغرفة، كذلك القلب إذا كان متصلاً بربه ففيه النور، وفيه الحرقة ، النور الذى يضيء أرجاء النفس ، وفيه الحياة التي تعطي الجسد حيوية، وتعطي النفس احتمالا ، والقلب تحييه العبادات وتقتله المعاصي، ولذلك في الحديث : **(النظرة سهم من سهام إبليس المسمومة من تركها مخافة الله أبدله حلاوة يجدها في قلبه)**[1] ، فتصور السهام التى تغرس في قلبك، سهم وسهم يجرح القلب، كالمعدة تصاب بجرح ، تصبح لا تستطع هضم الطعام، وأدسم الأطعمة وأفضلها هو أثقلها عليها ، لأنها مجروحة، مريضة لا تحتمل الأطعمة ، كذلك القلب إذا جرح جرحا كثيرة يمرض، وإذا مرض يصير لا يحتمل العبادات، خاصة عبادة القيام، خاصة الصلاة الطويلة، لا يطيقها ، يمكن أن يقف ساعة مع زميله يتكلم قائما على قدميه لا يكل ولا يمل ، لكن إذا أطال الإمام خمس دقائق فإنه يستثقلها كأن جبلاً فوق قلبه، لماذا ؟ لأن الذي يحتمل هو القلب.

كنت أحياناً أصلي بالناس، فأحياناً قد أطيل فالشباب يستثقلون ويأتون يشكون إليّ طول الصلاة، وكان ورائي شيخ فوق التسعين من عمره تقريباً ، إذا شكى الشباب يقول لا نحن نحب أن تطيل لماذا ؟ لأن الذي يثبتك ويقيمك ليس العضلات وليست الصحة .. القلب .. فإذا كان القلب يستعذب القرآن حلاوة يجدها في قلبه، يستحلي يعني يذوق الحلاوة ، يستحلي العبادة، فإنه يحب أن تطيل منها، وإذا كان القلب جريحاً، مريضاً قد عشش فيه الشيطان و (الشيطان جاثم على قلب إبن آدم مادأ خرطومه يكاد يلتقمه، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس).

ابن عساكر يقول : «إعلم أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار من أكلها أو نهشها معلومة، ومن أطلق لسانه على

(١) حديث ضعيف أنظر المستدرك (٤/١٤).

العلماء بالثلب أصابه الله بموت القلب، فهي سيئة من السيئات تنكت على القلب وتمرضه، السهام تغرس فيه ، جراح، وكلما كثرت النكات السوداء مع الزمن يتكّون الران طبقه سوداء حول القلب ، فإذا تكّون الران

(كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) (المطففين: ١٤)

عندها لا يدخل نور ولا يخرج منه نور ، لا يخرج منها نور ، هل يدخلها نور ؟! فانتبه إلى قلبك.

قلب تغلف بالسواد ، زجاجة سوداء هل يخرج منها النور ؟ لا يخرج منها النور ، هل يدخلها النور ؟ لا يدخلها النور، فانتبه إلى قلبك، انتبه إلى قلبك، واشتغل بنفسك، إذا أحببت أن تستمر في الجهاد اشتغل بنفسك **«وطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»** .

الهزيمة من الداخل

ثم الهزائم دائماً تحصل من الداخل، ولا تحصل من الخارج ، وتراجعك من القتال يكون من الداخل وليس من الخارج ، والملل والسأم الذي يصيبك يكون داخلياً وليس خارجياً

(إن الذين تولّوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم) (آل عمران: ١٥٥)

الذين تولوا منكم ما علة هزيمتهم يوم أحد ؟ إنما استزلهم الشيطان ... كيف استزلهم الشيطان ... لماذا ؟ ببعض ما كسبوا، ولقد عفا الله عنهم، عفا عن أهل أحد.

لكن الله أعلم يعفو عنا أم لا

(أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا) (آل عمران: ١٦٥)

يعني ما سبب الهزيمة ؟ أولما أصابتكم مصيبة يوم أحد بقتل سبعين قد أصبتم مثليها يوم بدر بقتل سبعين وأسر سبعين قلتم : أنى هذا ؟ كيف حصل هذا ؟ نحن أصحاب النبي ﷺ ، نحن المؤمنون ؟ نحن أهل الهجرة والنصرة ، كيف هزمنا ؟.

(قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير) (آل عمران: ١٦٥)

ولذلك إذا ملّت نفسك عبادة الجهاد فعليك بالنوافل وعليك بمسك اللسان عن تتبع عورات المسلمين ، وعليك بالقيام والصيام فإنه أكبر عون لك على هذه العبادة..

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) (الأحزاب: ٢١)

فانتبه للسانك، وأول شيء تنتبه للسانك من تتبع عورات الذين فتحوا لك باب الجهاد وأوصلوك إلى هذه البلاد، وكانوا بفضل الله عز وجل ومنته سبب تصبب الثواب عليك وهم الأفغان، لولا الأفغان ما عرفنا العزة التي تتذوقها الآن، ولولا الله ثم الأفغان ما عرفنا السلاح، ولولا الله ثم الأفغان ما رفع المسلمون رؤوسهم في كل مكان. ولولا الله ثم الأفغان ما نضجت نفوسنا هذا النضج واستوت وصلب عودنا بهذا الشكل « وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه»، أما أن تطلق لسانك على المجاهدين بالثلب، فإن الله يبتليك بموت القلب ، وإذا مات القلب لا حول ولا قوة إلا بالله.

حكم الحروز والتمائم

روي عن نبي من بني إسرائيل أن أحد الناس قال له: كم أعصي الله ولا يعاقبني. فرد الله عليه: كم أعاقبك وأنت لا تعلم، ألم أصبك ببلية موت القلب؟ وهل من بلية أعظم من موت القلب؟! ولذلك أحي قلبك بالنوافل والعبادات، ولا تجعل نفسك حكماً وقاضياً على شعب بكامله، كلما رأيت تميمة أو حرزاً على كتف أحدهم أعطيته كرت الكفر، وأخرجته من دين الله عز وجل.

لا يا أخي إن أشد الناس تعصباً في هذه القضية لم يقولوا : إن حمل الحروز والتمائم شرك أكبر، ما قال أحد من العلماء أن

حمل الحرز شركاً أكبر، شرك أصغر والتمائم الحروز والتعاويذ قضية مختلف فيها إن كانت بالقرآن والسنة حتى في كتاب فتح المجيد، اقرأ وهو أشد ما رأيت في هذه القضية، لأن كثيراً من العلماء يخالفونه، قال : اختلف الصحابة رضوان الله عليهم فيمن يضع حرزاً بالكتاب أو بالسنة فأجازه عبد الله بن عمروبن العاص ، والحديث الذي حسنه الارناؤط **(علمنا رسول الله ﷺ-يعني الكلمات-أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه، ومن شر عقابه، ومن الشياطين وأن يحضرون)**[1].

المهم نص الحديث قال : (فكان عبد الله بن عمرو بن العاص يعلّمها من عقل من بنيه، والذي لم يعقل كتبها في صك وعلقها عليه) فعبد الله بن عمرو بن العاص يجيزها، و عبدالله بن مسعود لا يجيزها ، هكذا قال صاحب فتح المجيد.

لكن أنا قرأت في زاد المسلم شرح ما اتفق عليه البخاري ومسلم على أن الحرز إن كان بالكتاب والسنة فهو شبه مجمع – بل نقل الإجماع على جوازه الشنقيطي – صاحب كتاب زادالمسلم في شرح ما اتفق عليه البخاري ومسلم، وارجعوا إليه إن شئتم .

العذر بالجهل قول العلماء

على كل حال أقول: هي مسألة خلافية، أما ما أحد قال: إنه شرك، مهما كان في داخل الحرز ما أحد قال شرك، شرك ينقل عن الملة أنت تفهم معنى شرك ينقل عن الملة؟ هل تفهم معنى هذه الكلمة؟ معناها: إنه كافر، فلان كافر، إنه لا تنكح ابنته –إن كانت مثله–، ولا تؤكل ذبيحته، ولا تقبل صلاته ولا صيامه، ودمه هدر، ولا يغسل إذا مات ولا يكفن، ولا يقبر في مقابر المسلمين، ولا يجوز أن يُردّ عليه السلام ، وزوجته طالق، وأولاده لا يرثون منه ! هذا معنى كافر . بهذا الحرز حكمت عليه أن دمه هدرا .

والله مرة بعض الشباب أرسلناهم إلى كنر، ذهبوا إلى معسكر أسامة بن زيد، لكن شباب داخلون هم في الإسلام جديد، يعني معرفتهم بالإسلام مثل معرفة أمي في اللغة الصينيه، يعني لا يعرفون شيئا نزلوا على معسكر اسامة ابن زيد في كنر –المعسكر ما شاء الله– شباب متفهمون للإسلام عقيدتهم نظيفة وصافية، وجدوا اثنين معهم حروز، جاء قال له : إرفع –هذا الشاب الفهمان– ارفع هذه ، قال له : لا ، قال له : إرفعها، أنا أقول لك: إرفعها . قال له : لا أرفعها، سحب عليه أقسام الكلاشينكوف، فهجم عليه أمير المعسكر ودفعه، وأخذوا منه الكلاشنيكوف، فأنا سألت لماذا سحب عليه الكلاشينكوف ؟

قالوا: يعتبره كافراً حلال الدم والله! قلت: يا جماعة اعلموا، إدرسوا، اسألوا «إنما شفاء العيِّ السؤال»، «قتلهم الله قتلوه، كما قال رسول الله ﷺ عندما أصابت الجنابه واحداً من الصحابة قال لهم: هل أتيَمم؟ قالوا له: لا، لا نجد لك رخصة، يجب أن تغتسل، اغتسل وكان مصابا بجرح في رأسه التهب الجرح ومات فقال رسول الله ﷺ: **قتلوه قتلهم الله، إنما كان شفاء العيّ السؤال)**[2].

تجد هذا الشاب وأمثاله يخرج الناس بجرة قلم، و الله رأيتهم يأبون أن يدعوا للمجاهدين الأفغان، يرفضون .. لا يعتبرونهم مجاهدين ولا يعتبرونهم مسلمين .. صدّقوا .

وهؤلاء تجدهم يأتون للشيخ يقولون له : إن آدم خلق من حواء، حواء أولا ثم آدم ثانياً ، لماذا؟ قالوا هذا نص القرآن الدليل

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها) (النساء: ١)

وخلق منها زوجها ما قال زوجتها ، فيفكرون أن زوجها آدم و لايعرفون في اللغة العربية أنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة كلمة زوجة، إنما هي كلمة زوج

(إنا احللنا لك أزواجك) (الأحزاب: ٥٠)

ليس زوجاتك، قال : خلاص هذا الدليل، هم ما يسألون العلماء، لأنهم يجتهدون رأسا .

والله مرة شاب جاءني في الجامعة قال :

(فأرسل معنا أخانا نكتل) (يوسف: ٦٣)

---

(١) حديث حسن رواه الترمذي بنحوه وصححه الحاكم، أنظر مختصر الترغيب والترهيب ص (٥٣٧).
(٢) حديث صحيح رواه أبو داود بلفظ: (قتلوه قتلهم الله ألا سألوا إن لم يعلموا فإنما شفاء العي السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم)، أنظر صحيح أبي داود ص (٣٦٣).

قال: اسم أخي يوسف نكتل ؟ نعم لا يعرف أن نكتل فعل مضارع ، فاتقوا الله ، اتقوا الله في هذا الشعب، واتقوا الله في أنفسكم.

جئت للشيخ جلال الدين في جاور، قلت له: يا شيخ جلال الدين ؟ قال : نعم ، قلت له : لماذا لا تدعون إلى التوحيد ؟ قال : أي توحيد يا شيخ عبد الله الذي تريده تدعو إليه ؟ قلت له : الاستغاثة بالأموات ، ثانياً الحروز والتمائم قال : أما الاستغاثة بالأموات فوالله إن عمري الآن -كان عمره سبعا وأربعين سنه الآن عمره في الخمسين- عمري سبعة وأربعون عاماً ، ما رأيت في حياتي أفغانيا يستغيث بصاحب قبر، قال لي : أين الاستغاثة بالقبور؟! قلت له : والحروز والتمائم؟ قال : أنت تعلم يا شيخ عبد الله أن هؤلاء يأتون إلى مشايخ يتاجرون بهذه الطريقه ، فيقول له : رأسي يؤلمني أو غير ذلك، فيكتب له ورقة ويعطيه فيظن أنه يكتب له قرآناً ، سنة ، حديثاً ، أدعية ، هو يأتي واحداً حشاشاً في الشارع يقول له : أعطني حرزاً ؟! للشيخ، وهؤلاء بعض المشايخ متنفعون بدين الله ويتاجرون به .

عند أئمة علماء العقيدة ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أوائل الرسائل النجدية قال : إن الجهل عذر في الأصول وفي الفروع، ما هي الأصول ؟ العقائد ، والفروع الفقه .

وقلت لكم : ابن تيمية يقول للجهمية : «لو قلت بقولكم لكفرت، ولكني لا أكفركم لأنكم جُهال»، ويتكلم عن الحكم بغير ما أنزل الله، قال: وهؤلاء الذين يحكمون بسواليف البادية -يعني قوانين القبائل- إن عرفوا أنه يجب عليهم أن يحكموا بما أنزل الله ثم تركوه واختاروا غيره فهؤلاء يخرجون من الملة ، اشترط ماذا ؟ إن عرفوا، العلم ، إقامة الحجة عليهم.

كذلك ابن القيم قال: والذي لا يرى أنه يجب عليه أن يحكم بما أنزل الله، أو أنه مخير بينه وبين حكم آخر، فهذا كفر ينقل عن الملة، ولكن من كان جاهلاً أو مخطئاً فحكمه حكم المخطئين، ما حكم المخطئين؟ **(رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما إستكرهوا عليه)**[1] .

وقلت لكم في الصباح حديث البخاري؛ الرجل الذي قال: **(إذا مت فاسحقوني وذروني في البحر، لئن قدر الله عليَّ ليعذبنني عذابا شديدا، فسأله رب العزة أو قال الله عز وجل «عبدي علم أن له ربا يعذبه، اشهدوا أني غفرت له)**[2] قدرة الله عز وجل ليست في قلبه أو في ذهنه، يظن أن الله عز وجل عاجز أن يجمع ذراته من البحر ، ومع ذلك غفر الله له.

قضية خطيرة

يا أيها الإخوة : قصة التكفير تحتاج إلى علماء حتى يحكموا فيها ، لجنة علماء تجتمع حتى يكفروا فرداً واحداً ، أنت بنفسك تكفر شعباً كاملاً .

يجب أن تجتمع لجنة علماء لتحكم على شخص أنه كافر، فتريثوا كثيرا ، أما أن تقرأ في كتاب سطراً ثم تنقله وتطبق ... لا ... انتبه! انتبه كثيراً .

ولأن تخطيء مائة مرة بالحكم بالإسلام لشخص خير من أن تخطيء مرة واحدة بالحكم على شخص بالكفر، والأصل الإسلام، قال ابن قدامة : وتجوز الصلاة وراء من شك بكفره -في المغني أنظر الي-، وليس عليه أن يسأله ما عقيدتك حتى يصلي وراءه ... لا، ما لم تتيقن من كفره فصلِّ وراءه مادام ظاهر الإسلام .

يقول : أنت تسأله ما دينك؟ يقول لك الإسلام، تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بالقدر خيره وشره؟ كله يؤمن به، لكن قضية عامة، قضية قد أبهمت عليه ، قضايا التشريع وقضايا الاستغاثه هذه قضايا تحتاج إلى توضيح ، ولذلك انتبهوا وتريثوا قبل أن تتهموا إنساناً بالكفر .

ثم ما رأيت واحداً يتكلم على الأفغان تقريبا إلا وحرمه الله بركة الجهاد، لأنه طبيعياً أصلاً إذا كنت تنظر إليهم أنهم كفار نفسك ستعاف البقاء في هذه الأرض، والجهاد بطبيعته شاق، فلماذا تتحمل هذه المشاق من أجل الوقوف بجانب شعب كافر، شيء طبيعي.

ووالله ما رأى هذا القرن جهاداً أنظف ولا أضخم ولا أبرك ولا أجسم بهذه الصفات من هذا الجهاد الذي يخوضه هذا الشعب

---

(١) حديث صحيح رواه الطبراني في الكبير، أنظر الإرواء ص (٨٢).

(٢) جزء من حديث رواه البخاري في صحيحه.

الوحول ، وحول هذه الأرض وطين هذه المادة ، كسروا القيود، حطموا الأغلال ، انطلقوا بأرواحهم إلى الملأ الأعلى ، أجسامهم أشباح تعيش على هذه الأرض، أرواحهم هناك في السماء، عيونهم ترنو إلى الجنة، نفوسهم تهفو إلى الفردوس ، ألسنتهم لا تكاد تردد إلا

(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (البقرة: ٢٠١)

لا يكاد الناظر إليهم يدرك من أعمالهم إلاّ لسان حالهم قائلا :

(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) (القصص: ٨٣)

زهد سعيد بن عامر

ومن هنا ليس عجيبا أن نرى أحدهم يملك الدنيا، أو يؤمّر على قطر بكامله، ومع ذلك يطلب عمر رضي الله عنه أسماء الفقراء في ولاية حمص أن يكتبوها، فيكتب الناس أول ما يكتبون أميرهم سعيد بن عامر، فيقول عمر رضي الله عنه: ويحكم ماذا يصنع بأعطياته التي نعطيه إياها من بيت المال ؟! يقولون: هو كذلك، هو أفقرنا حالا، رث الهيئة، بالي الأسمال، البذاذة تبدو عليه في كل وقت - البذاذة عدم التجمل بزينة الدنيا -، ويرسل إليه عمر رضي الله عنه كمية من النقود في صرة ، ويأتي رسول أمير المؤمنين ويقرع بابه ويناوله إياها، قال: هذه من أمير المؤمنين عمر -رضي الله عنه -، ويفتحها فيرى الدراهم والدنانير، فيصيح باكيا ويشهق تخنقه العبرة، قالت زوجه: ماذا أصاب المسلمين؟ هل أصيب أمير المؤمنين؟ قال:لا، بل أعظم ، قالت: أفتق عليهم فتق ودخل على ثغر من الثغور من قبل أعداء الإسلام؟ قال: بل أعظم ، قالت: أي مصيبة أعظم من هاتين ؟ قال: فتحت على زوجك الدنيا، والله لقد صاحبت رسول الله ﷺ وما فتحت علينا الدنيا، وصاحبت أبابكر وما فتحت علينا الدنيا، وصاحبت عمر ففتحت علينا الدنيا، وإن شر الأيام التي أعيشها أيام عمر .

بشر بطهارة الملائكة

كانوا بشرا بلحومهم ودمائهم، ولكنهم أشرف من الملائكة بأرواحهم ونفوسهم .

وقد اتفق أو يكاد يتفق أهل السنة والجماعة أن خيار أهل السنة والجماعة هم خير من الملائكة، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة.

ولذلك كانوا بهم يستمطر الغمام، ويتنزل النصر ، ويطلب الرزق ، هؤلاء كانوا كالعملة الصعبة في المجتمع المسلم **(يغزو فئام من الناس فيقال : أفيكم من صحب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم تغزو فئام من الناس، فيقولون: أفيكم من صحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح لهم، ثم تغزو فئام، فيقال: أفيكم من صحب الذي صحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم فيفتح لهم) .**

(خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب، ويظهر السمن، ويشهد الناس ولا يستشهدون)[1] .

كرامات للصحابة

هؤلاء الذين حملوا دين الله إلى الناس، حملوه بين جوانحهم، وأقروه تحت جوانحهم، وعاشوا به أملا يضحون من أجله بالنفس والنفيس، عاشوا به حدثا يدفعون من أجله الغالي والرخيص، ففتح الله عليهم، فتح لهم القلوب، وفتح لهم البلدان، قلوبهم فتحت لدين رب العالمين، ففتح الله بها قلوب العالمين، وفتح بها أراضي العالمين، ومشوا فوق الماء هادئين مطمئنين.

عندما وقف العلاء بن الحضرميّ على شاطيء الخليج الإسلامي هناك قرب البحرين وليس معهم سفينة، قال: انتظروا حتى أصلي ركعتين، فصلى ركعتين، فقال: يا عليم، يا عظيم، يا حليم ، يا كريم أجزنا ، فمشوا فوق الماء ، وفي رواية الحاكم عن أبي هريرة: فوالله ما ابتل لنا قدم ولاخف ولا حافر وكنا آنذاك أربعة آلاف .

مشت خيولهم على الماء ، ومشت جمالهم فوق الخليج ، ومشت حميرهم فوق هذا البحر الذي لم يخض من قبل كما قال العلاء بن الحضرمي : ولم تبتل هذه جميعا بدعوة ، بدعوة قائدهم الصالح العلاء .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه بلفظ: (خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﴿ﷺ﴾ بعد قرنين أم ثلاثة، قال النبي ﴿ﷺ﴾ : (إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون ، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السمن)، أنظر فتح الباري رقم الحديث (٢٦٥١).

ويقف سلمان مع سعد على شاطيء دجلة وقد فاض دجلة وقذف بالزبد ، واربد واسود، ولا تستطيع صغار السفن اجتيازه ، نظر سلمان ؛ وعبّر عن العقيدة التى يطويها فى أعماقه وتجري فى مسارب نفسه ، قال : نهر من أنهار الله هل يحجز جند الله ؟ نهر من أنهار الله هل يمنع جند الله ؟ فأخذ بيدْ سعد قائد القادسية ثم ألقى بنفسه مع سعد فى النهر ومشيا فوق الماء، وتبعتهم الجموع، ومشى ثلاثون ألفا فوق الماء ، ولم يفقدوا من الثلاثين ألفا سوى كوب صغير سقط من أحد الجنود ، والفرس من بعيد ينظرون وعن كثب يرقبون، نهرب الفرس يقولون : ديوانه آمدند ، ديوانه آمدند، جاءت الجن ، جاءت العفاريت ، فربوا، كانت هذه من أغرب الحوادث التى يسجلها ابن الأثير وابن كثير فى تاريخيهما.

ولكن هناك قضية أعظم، مسأله أخطر من اجتياز دجلة ومن خوض مائه أنهم فتحوا أكبر إمبراطوريتين فى المنطقة فارس و الروم وخاضوا بحار مدنيتهما ولم تتغير نفوسهم ولا أرواحهم شيئا، لم يفقدوا من تلك النفوس التى تربت على يد رسول الله ﷺ، ولم يخسروا من تلك الأرواح التى صنعت على يد أصحاب رسول الله ﷺ شيئا ، هذه قضية أخطر من اجتياز دجلة دون أن يفقدوا من أنفسهم ولا من متاعهم شيئا.

وقف عقبة بن نافع وقد أراد أن يشيد القيروان فى وسط غابة أجمة مكتظة غيل دونه غيل ، أشجار ملتفة الأغصان ، متشابكة الفروع ، تمتلئ بالأسود، وتزخر فيها الضراغم والوحوش الكاسرة والهوام ، فيقول : هنا ستكون مدينتنا ، فيسأله الصحابة كيف تفعل -أو أصحابه وهم من الصحابة و التابعين- ماذا تفعل بهذه الأسود التي تعيش في هذه الغابة ؟ وبالنمور التي تفترس الأناسي؟ قال: مهلا ، وصلى ركعتين ونادى بأعلى صوته : أيتها الوحوش الكاسرة ، والسباع الضارية ، والهوام السامة، نحن جند محمد نريد أن نحل فى هذا المكان فارتحلى ، وما هي إلا دقائق حتى خرجت هذه الأسود ، تحمل أبناءها في أفواهها ، والأفاعي والهوام وتخلي الغابة بالأمر الذي انطلق من صاحب رسول الله ﷺ.

أقول : هؤلاء حفظوا الله أولا في أنفسهم فحفظ الله بهم دينه .

تكلموا مع الفرس ، يتكلمون كلاما كأنه صادر من مشكاة النبوة ، أعراب ليس لهم بالحضارة عهد ، وليس لهم من العلم نصيب

(هو الذي بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (الجمعة: ٢)

كيف فاوضوا رستم؟ كيف كسروا كسرى؟ قال أحدهم: سأله الفرس ماذا تريدون؟ فانطلق لسانه بالفارسية وهو لا يعرف من الفارسية حرفا واحدا، وهرب الفرس عندما سمعوا كلام هذا الصحابي، فسأل الصحابة، -هذا المتكلم- ماذا قلت؟ قال: والله لا أدرى.

لا يدري ماذا تكلم، وبعد أن أخذ بعض الفرس أسرى ، أو جاءوا مسلمين سألوهم : لماذا هربتم دون قتال أو نزال ؟ وإذا بهم يقولون : لقد سمعنا صاحبكم يقول : جئنا لنأكلكم ، بالفارسية التى لا يعرف منها حرفا واحدا.

كانت السكينة تتكلم على ألسنتهم ، وإن الملائكة لتتكلم على ألسنة بعض البشر، وكنا نتحدث أن السكينة تتحدث على لسان عمر **(وإن من أمتي محدَّثون فإن يكن فمنهم عمر)**(١)، كانت السكينة الملائكة تتكلم على ألسنتهم ولا يتكلمون، حفظوا الله فحفظهم، صانوا دينهم فصانهم ، فتحوا نفوسهم ففتحت الأرض لهم ، وبقي هذا الدين محمولا من قبل أناس سيماهم الصدق ، عنوانهم الإخلاص ، خلصت نفوسهم من حظ نفوسهم ، فلما أن ابتلاهم الله فصبروا، وعلم الله أنهم لا يريدون شيئا فى هذه الأرض كائنا ما كان، حتى انتصار هذا الدين على أيديهم ، علم الله أنهم أصبحوا أمناء على شريعته، أمناء على دينه، فمكن لهم فى الأرض:

(الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) (الحج: ٢٧)

لا مقارنة

سلمان يجلس مكان كسرى فى الإيوان حاكما على بلاد فارس

(كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين).

---

(١) رواه مسلم بلفظ: (قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم أناس محدثون فإن يك في أمتي أحد منهم فهو عمر بن الخطاب).

كان كسرى بعد هزيمته لا يكف عن البكاء، ولا ينقطع دمعه عن الانهمال والانهطال، فسأله بعض أصحابه بعض حاشيته: ما بالك أيها الملك لا تكف عن الدمع؟ قال: لم يبق لي سوى ألف طباخ، سوى ألف طباخ وألف مرب للصقور، فكيف أستطيع أن أعيش بألف طباخ وألف مرب للصقور؟! والذي جلس مكانه كانت نفقته في اليوم درهما واحدا، درهما واحدا ، هو حاكم الأرض، نفس الأرض، والحكم نفس الحكم، الأراضي دخلها منتصرا، لم يرثها كابرا عن كابر، وجلس فوق عرش كسرى، ولكن الذي جلس ملاك من الملائكة بثياب بشر، من الأبرار الأطهار، الذين يتزيون بألبسة البشر، ويأكلون كما يأكلون ويشربون كما يشربون.

درهم واحد ، وذاك ألف طباخ وألف مرب للصقور ، يتعجب كيف يمكن أن يعيش بهؤلاء ؟

وتمضي القافلة تحمل هذا الدين إلى ربوع العالمين ، يغرس الله في هذا الدين غراسا يتعلم فيه بطاعتهم إلى يوم القيامة ، كما يروى الإمام احمد في الحديث الحسن (مضت الغراس الربانية تحمل الثمار إلى الناس الذين فتحوا قلوبهم لهذا الدين وتقبلوه بانشراح صدر وطيب خاطر، يحملونه للبشرية ويقدمونه للناس (**ولاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون من ناوأهم أو من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**)[1].

فهذا الدين ماض، والله يسخر له المخلصين ، يسخر له الصادقين ، يشرفهم بحمل رسالته، ويرفع رايته ، ولن تنزل هذه الراية حتى ينفخ إسرافيل بالبوق ، حتى ينفخ صاحب القرن في قرنه ،هذا الدين محفوظ ، محفوظ بأناس اختارهم رب العزة له ، انتقاهم لحمله، إن لم يكونوا من العرب فهم من العجم ، وإن لم يكونوا من هذه الأرض فهم من تلك ، وإن اخمدوه في مكان برز في أمكنة، ولا يمكن أن ينطفئ نور هذا الدين ، ولا يمكن أن يقضى عليه مادام على الأرض يدب الأحياء ويعيش البشر

(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرن) (الصف: ٨)

(يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (التوبة: ٣٢ - ٣٣)

عندما ضعف الأمر في العرب ، ضعف أمر الخلافة في العرب ، حملها الأتراك ، وبقيت نبراساً منارة سامقة خمسة قرون تهتدي بها الأجيال وتسير على نورها ، ويسير على نورها المدلجون على طريق هذا الدين .

وفي داخل الجموع أناس اختصهم الله عز وجل بالصدق وبالعلم ، هؤلاء نواة تتجمع حولها الجموع، وهؤلاء بؤرة صالحة يلتف حولها الناس أو المؤمنون الصادقون الذين يسيرون على هدى هذا الدين، هذه النواة بها تسير الجموع ، وهذه النواة على نور علمها يسير السائرون، ويدلج المدلجون في كل زمان ، من هؤلاء سابقون ، وفي كل قرن من أمتي سابقون ، وفيهم من أهل اليمين، وهؤلاء

(ثلّة من الأولين وثلّة من الآخرين) (الواقعة: ٣٩ - ٤٠)

أما السابقون فهم (ثلة من الأولين وقليل من الآخرين) الواقعة (١٣ - ١٤)

هؤلاء يحاولون كلّما اجتالت الشياطين هذه الجموع عن الجادة جروها مرة أخرى على طريق هذا الدين ، والأمثلة كثيرة في الماضي، ولا نستطيع حصرها ولا عدها وفي هذا القرن .

نماذج فذة

وفي هذا الزمان أمثلة كثيرة، ويكفي مثالا على هؤلاء الشيخ عبد العزيز البدري- صاحب كتاب الإسلام بين العلماء والحكام - الذي وقف وحيدا حينما خمدت الأنفاس، والذي صرخ عاليا حينما سكت كل الناس في وجه طغمة البعث الظالمة التي أعلنت كفرها وفجورها ، ومن فوق المنابر كان يهاجم حزب البعث في بغداد ، وعندما ضاقوا به ذرعا، وتتطاول ، تكلم عليهم ، أنزلوه عن المنبر وقطعوه إربا إربا ووضعوه في كيس، ثم قرعوا باب زوجته وقالوا: هذا زوجك فاستلميه .

من هؤلاء الذين وقفوا أمام الطاغوت في عنفوانه ، وأمام الظلم في قمة مجده الأستاذ سيد قطب رحمه الله، الذي عرضت عليه

---

(١) رواه مسلم بلفظ: (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم، لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك) انظر مختصر المسلم رقم (١٠٩٦).

الوزارة من وراء القضبان ، وكان يردد كلمته الخالدة : «إن إصبع السبابه الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفا واحدا يقر به حكم طاغية »، وعند ما حكم عليه بالإعدام وجاءوا يطلبون منه الاسترحام ، قال كلمته : لماذا أسترحم؟ إن كنت محكوما بحق فأنا أرتضي حكم الحق ، وإن كنت محكوما بباطل فأنا اكبر من أن أسترحم الباطل! .

أي نفوس هذه ، أي قلوب هذه التى رباها هذا الدين، والتي انبثقت من بين طيات القرآن الكريم ؟ تمثل هذا الدين سلوكا وأخلاقا ورفعة وسموا ، وإن كانوا من بشر من طين ، أناسي من لحم ودم يدبون فوق هذه الأرض ويعيشون فوق هذه الغبراء .

تحدثني شقيقته حميدة قالت : عندما جاءت الموافقة بالحكم عليه بالأعدام أرسلني مدير السجن الحربى بعد أن أطلعني على الكتاب الذي وقعه عبد الناصر بتنفيذ حكم الإعدام بسيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف هواش ، قالت : قال لي حمزة البسيوني مدير السجن الحربي: فرصة وحيدة أمامنا لإنقاذ الأستاذ ، لأنه خسارة ليس لمصر وحدها بل للعالم كله ؛ أن يعتذر على التلفاز ، ثم يخفف حكم الإعدام ، ثم يخرج بعد ستة أشهر بعفو صحي ، هيا أسرعي إليه ، قالت : فذهبت إليه وقلت : إنهم يقولون: إن اعتذرت فأنهم يخففون عنك حكم الإعدام، فنظر إلى معبرا ، نظرة عميقة ، وقال : عن أي شيء أعتذر يا حميدة ؟! - أخته حميدة وكانت مسجونة عشر سنوات - عن أي شيء أعتذر ياحميدة ؟! عن العمل مع رب العالمين ، والله لو عملت مع جهة أخرى غير الله لا عتذرت، ولكني لن أعتذر عن العمل مع الله!، واطمئني ياحميدة، إن كان العمر قد انتهى فسينفذ حكم الإعدام ، وإن لم يكن العمر قد انتهى لن ينفذ حكم الإعدام ، ولن يغني الاعتذار شيئا في تقديم الأجل أو تأخيره .

نفوس صاغها الله عز وجل على عينه ، واصطفاها لحفظ دينه، وحفظها لتبليغ شريعته ، فنرجو الله عز وجل أن نكون على طريق السائرين على هذا المنهاج القويم لتبليغه للناس أجمعين في ربوع العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد، الله والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

إن مهمة الإنسان في هذا الكون هي عبادة الله ، وأشرف عمل يقوم به العبد هو تبليغ رسالة ربه :

(ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين) (فصلت: ٣٣)

وذروة الإسلام هو الجهاد الذي به تبليغ دعوة الله عز وجل بالسيف والجلاد ، والمخاطرة بالنفس والمال والأولاد. هذه النماذج التى تدب فوق أرض أفغانستان التى صبرت ما لم يصبره بشر ، واحتملت ما لم يحتمله إنسان من أجل حماية هذ الدين، ومن أجل تبليغه الناس في هذه الأرض، حتى لا يجتث من جذوره .

نماذج مجاهدة

يحدثني الشيخ سياف عن إنجنير حبيب الرحمن : هذا الشهيد الذي كان أمينا عاما للحركة الإسلاميه في أفغانستان، وهو أول من أعدم في داخل أفغانستان في زمن داوود ، والذي سمينا هذا المسجد باسمه ، يقول : جاء حبيب الرحمن يشكو قسوة قلبه لأصحابه ، فقالوا له : ما علامة قسوة قلبك ؟ قال : منذ أن دخلت الجامعة صرت لا أسمع تسبيح الشجر والحجر ، وكنت أسمعها قبل أن أدخل هذه الجامعة، أختلط مع البنات .

نماذج من إخواننا العرب:

أسر عبد الرحيم رشيد العرجاء، وفي محكمة كابل يسأله الروس: لماذا دخلت إلى أفغانستان؟ فيقول: بل أنتم لماذا دخلتم في أفغانستان ؟ أنا مسلم جئت أجاهد، وأنتم لماذا دخلتم ؟ قالوا: نريد أن نعفو عنك ، فإن عفونا عنك وأفلتناك وأطلقنا سراحك ماذا يمكن أن تصنع؟ قال: أعود لأحمل سلاحي وأقاتلكم، فحكموا عليه بالإعدام، ووضع في الزنزانة ينتظر التنفيذ، يقول لي الذي كان معه في الزنزانة - الأفغاني وقد أطلق سراحه بعد حين - وددت أن أفتديه بنفسي، كان السجناء يعجبون لطول قيامه ولكثرة صيامه ، ويود كل

واحد أن يفتديه بروحه ودمه .

فالنماذج كثيرة : أحد إخواننا معنا في الجهاد مات أبوه وخلف له مليون درهم حصته من الإرث ، وأرسلوا إليه أن تعال لأخذ حصتك، من الأرث ؟ فرفض أن يستلمها، قال : إن أبي كان يتعامل بالربا، ولن تمس يدى مالا حراما .

نماذج كلما رأيتها تذكرت أولئك السلف الذين علمونا هذا الدين ، ونقلوا إلينا شريعة خاتم المرسلين ﷺ .

من سفيان إلى هارون الرشيد

وقد أحببت أن أقرأ عليكم رسالة من العلماء السابقين موجهة إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد من سفيان الثوري، الرسالة أخرجها ابن بليان والغزالي: أن الرشيد لما ولي الخلافة زاره العلماء بأسرهم ألا سفيان الثورى، فإنه لم يأته، وكان بينهما صحبة، فشق عليه ذلك، فكتب إليه الرشيد كتابا يقول فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هارون أمير المؤمنين الى أخيه في الله سفيان بن سعيد الثورى.

أما بعد، يا أخي فقد علمت أن الله آخى بين المؤمنين، وقد آخيتك في الله مؤاخاة لم أصرم فيها حبلك، ولم أقطع منها ودك ، وإني منطو لك على أفضل المحبة وأتم الإرادة، ولولا هذه القلادة التي قلدنيها الله تعالى لأتيتك ولو حبوا لما أجد لك في قلبي من المحبة، وإنه لم يبق أحد من إخواني وإخوانك إلا زارني وهنأني بما صرت إليه ، وقد فتحت بيوت الأموال وأعطيتهم المواهب السنية ، مافرحت به نفسي وقرت به عيني، وقد استبطأتك، وقد كتبت كتابا مني إليك أعلمك بالشوق الشديد إليك ، وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل زيارة المؤمن ومواصلته، فإذا ورد عليك كتابي هذا فالعجل العجل»، ثم أعطى الكتاب لعباد الطالقاني وأمره بإيصاله إليه ، وأن يحصي عليه بسمعه وقلبه دقيق أمره وجليله ليخبره به).

قال عباد : فانطلقت إلى الكوفة، فوجدت سفيان في مسجده، فلمّا رآني على بُعد قام وقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وأعوذ بك اللهم من طارق يطرق إلا بخير ، قال : فنزلت عن فرسي بباب المسجد ، فقام يصلي ولم يكن وقت صلاة، فدخلت وسلمت ، فما رفع أحد من جلسائه رأسه إليّ ، قال : فبقيت واقفا وما منهم أحد يعرض عليّ الجلوس، وقد علتني من هيبتهم الرعدة ، فرميت بالكتاب إليه ، فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حيّة عرضت له في محرابه، فركع وسجد وسلّم وأدخل يده في كمه، وأخذه وقلبه بيده ورماه إلى من كان خلفه، وقال : ليقرأه بعضكم ، فإني استغفر الله أن أمس شيئا مسه ظالم بيده ، قال عباد : فمد بعضهم يده إليه وهو يرتعد كأنه حيّة تنهشه ، ثم قرأه، فجعل سفيان يتبسم تبسم المعجب فلما فرغ من قراءته قال : اقلبوه واكتبوا للظالم علي ظهره ، قيل له : يا أبا عبد الله إنه الخليفة، فلو كتبت إليه في بياض نقي لكان أحسن ، قال اكتبوا للظالم في ظهر كتابه، فإن كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به ، وإن كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ، ولا يبقى شيء مسه ظالم بيده عندنا، فيفسد علينا ديننا ، فقيل له : ما نكتب إليه ؟ قال : اكتبوا له : بسم الله الرحمن الرحيم، من العبد الميت سفيان إلى العبد المغرور بالآمال هارون الذي سلب حلاوة الإيمان ولذة قراءة القرآن، أما بعد:

فإني كتبت إليك أعلمك أني قد صرمت حبلك ، وقطعت ودك ، وإنك قد جعلتني شاهدا عليك بإقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت على بيت مال المسلمين ، فأنفقته في غير حقه ، وأنفذته بغير حكمه ، ولم ترض بما فعلته وأنت نائم عني حتى كتبت إلي تشهدني على نفسك ، أما أنا فإني قد شهدت عليك أنا وإخواني الذين حضروا قراءة كتابك، وسنؤدي الشهادة غدا بين يدي الله الحكم العدل .

يا هارون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم ، هل رضي بفعلك المؤلفة قلوبهم، والعاملون عليها في أرض الله، والمجاهدون في سبيل الله، وابن السبيل ؟ أم رضى بذلك حملة القرآن وأهل العلم -يعني : العاملين- ؟ أم رضي بفعلك الأيتام والأرامل ؟ أم رضى بذلك خلق من رعيتك ؟ فشد يا هارون مئزرك، وأعد للمسألة جوابا وللبلاء جلبابا ، اعلم أنك ستقف بين يدى الحكم العدل ، فاتق الله في نفسك إذ سلبت حلاوة العلم والزهد ، ولذة قراءة القرآن ومجالسة الأخيار ، ورضيت لنفسك أن تكون ظالما، وللظالمين إماما ، يا هارون قعدت على السرير، ولبست الحرير، و أسبلت ستوراً دون بابك، وتشبهت بالحجبة برب العالمين. ثم اقعدت أجنادك الظلمة دون بابك وسترك ، يظلمون الناس ولا ينصفون، ويشربون الخمر ويحدون الشارب ، ويزنون ويحدون الزاني، ويسرقون ويقطعون السارق، ويقتلون

ويقتلون القاتل ، أفلا كانت هذه الأحكام عليك وعليهم قبل أن يحكموا بها على الناس ، كيف بك يا هارون غدا إذا نادى المنادي من قبل الله ، أحشروا الظلمة و أعوانهم، فتقدمت بين يدي الله ويداك مغلولتان إلى عنقك لا يفكها إلا عدلك وانصافك ، والظالمون حولك وأنت لهم إمام أو سائق إلى النار ، وكأني بك يا هارون وقد أخذت بضيق الخناق، ووردت المساق، وأنت ترى حسناتك في ميزان غيرك، وسيئات غيرك في ميزانك على سيئاتك، بلاء على بلاء، و ظلمة فوق ظلمة ، فاتق الله يا هارون في رعيتك ، واحفظ محمداً ﷺ في أمته ، واعلم أن الأمر لم يصر إليك إلا وهو صائر على غيرك ، وكذلك الدنيا تفعل بأهلها واحدا بعد واحد ، فمنهم من تزود زادا نفعه ، ومنهم من خسر دنياه وآخرته، وإياك إياك أن تكتب إليَّ بعد هذا، فإني لا أجيبك. والسلام.

وألقى الكتاب منشورا من غير طي ولا ختم، فأخذته وأقبلت به إلى سوق الكوفه، وقد وقعت الموعظة بقلبي، فناديت: يا أهل الكوفه من يشتري رجلا هرب إلى الله، فأقبلوا إليَّ بالدراهم والدنانير ، قلت لا حاجة لي بالمال ، ولكن جبة صوف وعباءة قطوانية ، أتيت بذلك فنزعت ما كان عليَّ من الثياب التي كنت أجالس بها أمير المؤمنين ، وأقبلت أقود الفرس الذي كان معي إلى أن أتيت باب الرشيد حافيا راجلا فهزيء بي من كان على الباب ، ثم استأذن لي، فلما رآني على تلك الحالة قام وقعد يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحرب ويقول : انتفع الرسول وخاب المرسل ، ما لي وللدنيا والملك يزول عني سريعا ، فألقيت الكتاب إليه مثل ما دفع إليَّ ، فأقبل يقرأه ودموعه تتحدر على وجهه وهو يشهق.

قال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين قد اجترأ عليك سفيان ؟ فلو وجهت إليه فأثقلته بالحديد وضيقت عليه بالسجن فجعلته عبرة لغيره ، قال هارون : أتركوا سفيان وشأنه يا عبيد الدنيا ، المغرور من غررتموه، والشقي والله حقا من جالستموه ، إن سفيان أمة وحده، ولم يزل كتاب سفيان عند الرشيد يقرؤه دبر كل صلاة ويبكي حتى توفي رحمه الله .

معـــالم في الطـــريق

الحمد لله ثم الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (آل عمران : ١٠٢)

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) (الاحزاب : ٧٠-٧١)

(ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) (النساء : ١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فيا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، ورسولاً.

اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) (المجادلة : ٢١)

وقال عزّ من قائل :

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (المؤمن : ٥١)

وفي المقابل يقول رب العزة عن المشركين:

(ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم) (البقرة :٢١٧-٢١٨)

ويقول في المقابل عن اليهود والنصارى :

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتّبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير) (البقرة : ١٢٠)

قوانين ربانية ثابتة

قانونان متناسقان لا يتعارضان، وناموسان متوافقان لا يتضادان، قانون نصرة الله لعباده، وتأييده لأوليائه، ومعيته للمحسنين من خلقه.

والقانون المقابل أن المعركة مستمرة من أعدائهم عليهم منذ أن غادرت قدما آدم عليه السلام الجنة حتى يرث الله الأرض ومن عليها: فالمشركون يسنون حرابهم، واليهود والنصارى يشرعون أسنتهم ، والملحدون يوصلون مكر الليل بمكر النهار حتى يجتثوا الإسلام ونبتته من الوجود، ويستأصلوا شأفته من الأرض، هذان قانونان ربانيان نضعهما أمام الدولة القادمة لتستلم حكم أفغانستان، قانون نصرة الله لأوليائه ، وقانون المعركة المستمرة من الكيد والأحابيل والمصائب والعقابيل التي سيواجهونها عند قيامهم، ومادامواً قائمين ستتكالب الدنيا عليهم كلها ، لن يقف بجانبهم صديق مداج ولا عدو ظاهر : لأن هذا القانون لا يتوقف، وهذا

الناموس لا يتخلف مادام هنالك الإسلام ، فالمعركة قائمة مستمرة ضده ، وليس للمسلمين إلا انتهاج النهج المبين، واتباع الصراط المستقيم، وتوثيق الصلة بالرحمن الرحيم، حتى ينزل عليهم النصر المبين ، ليس للمسلم أي منجى ولا محيص ولا ملجأ ولا مهرب من الله إلا إليه ، وزاد المسلمين على الطريق :

قوانين ثابتة

(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين، ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ، ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (البقرة : ١٥٣-١٥٧)

قانون الصبر والصلاة والجهاد الذي لابد أن تكون نتيجته الشهداء على الطريق، وقانون الصبر على البلاء الذي هو من مستلزمات جادة الدعوة الإسلامية منذ أن تتفتح أعين المسلم على النور حتى يلقى الله عز وجل.

ولذلك فقانون مقاتلة المشركين المسلمين **{ولايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا}** عقبه رب العزة مباشرة بذكر الإيمان والهجرة والجهاد ، أن هذا هو الطريق الذي يمكن أن يصد كيد أعدائكم ويبطل أحابيلهم ويردّ كيدهم في نحورهم.

وقانون الصبر والصلاة الذي هو زاد الجادة القويمة عقّب عليه رب العزة قائلاً **(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون)** .

نعدّتنا على طريق مكافحة الباطل ومنازلة الضلال ومواجهة الإلحاد والشرك وأهل الكتاب هو الصبر ، الصبر على الابتلاء وغصص اللأواء وتجرّع مرارة الطريق ، احتساب العمل لرب العالمين ، قيام الليل ، صيام النافلة ..

(قم الليل إلا قليلاً) .. (المزمل : ٢)

لماذا ؟

(إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً) (المزمل : ٥)

قيام الليل ، صيام النافلة ، حب المسلمين، موادتهم وتراحمهم فيما بينهم ، عدم خذلانهم ، عدم تتبع عوراتهم حتى تظهر الأمة الإسلامية يداً واحدة وكتلة واحدة حتى ترهب أعداء الله عز وجل ، والظهور بمظهر الوحدة أمر مقصود من الشارع الحكيم حتى يهابه الكفار، وتكثير سواد المسلمين أمر نص عليه ﷺ حتى أمر الحيّض أن يخرجن إلى صلاة العيد من أجل تكثير سواد المسلمين، وأمر الذين لا يستطيعون أن يقاتلوا أن يخرجوا مقابل الكفار من أجل تكثير سواد المسلمين ، ولذلك هذا هو زادنا على الطريق، نشعر أننا أمة واحدة ، لها منهاج واحد رسمه رب العزة في كتابه العزيز، أو على لسان نبيه الرؤوف الرحيم ، وتقوية الصلة بالله عز وجل ، وإكثار النوافل **(ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن استعاذني لأعيذنه، ولئن سألني لأعطينه)**[1] [البخاري] فالطريق واضح، والمنهاج بيّن، والله يريد أن ينصر عباده، وإنما فقط من هم المتبعون؟.

وكما قال ﷺ وهو يتكلم عن الجهاد في سبيل الله وأشار بأصابعه أو بيده هكذا - ويدي أقصر من يد رسول الله ﷺ - قال : وأين المجاهدون في سبيل الله؟ فإذا توفرت هذه الصفات في فئة مؤمنة وانتهجت هذا النهج وسارت على هذه الجادة فالله متكفل بنصرها، ومتكفل بخذلان أعدائها، وإن كانت المعركة مستمرة ..

(وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) (آل عمران : ١٢٠)

تكفل لنا رب العزة بقوانين :

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري، أنظر مختصر صحيح البخاري المجلد الثاني صفحة (١٨٣) رقم (٢١١٧).

قصة القرآن إلا قصة

القانون الأول :

{ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله} (فاطر : ٤٣)

قال رجل لابن عباس رضى الله عنهما : إنا لنجد في التوراة: من حفر حفرة لأخيه وقع فيها ، قال ابن عباس رضي الله عنهما وهي في القرآن الكريم {ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله} هذا قانون.

والقانون الثاني الذي يؤيدنا على الطريق :

{إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور} (الحج : ٣٨)

والقانون الثالث : تكفّل الله بالنصر ..

{إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم} (محمد : ٧)

فالله تكفل بنصرنا، وتكفل بكف أعدائنا ، أما اليهود فقال الله عز وجل عنهم :

{وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله} (المائدة : ٦٤)

وقال عن النصارى كذلك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

{فبما نقضهم ميثاقهم}

هذه طبعاً لليهود ..

{لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرّفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة} (المائدة : ١٣-١٤)

والله تكفل بتمزيق صفوف أعدائنا من النصارى، وتكفل بإطفاء نار الحرب التى يوقدها اليهود {كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله} .

وتكفل أن أتباع الشيطان يوهن الله كيدهم من الكافرين..

{ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين} (الانفال : ١٨)

هذا من ناحية القوانين النصيّة التي وردت في الكتاب العزيز ، وهذه الأمور قد أسهب فيها القرآن تفصيلاً وبياناً لأنها أمور عقدية تجري عليها الحياة كلها ، وأهم وأعظم قضية وهي قضية المعركة بين الإسلام والجاهلية تجد القرآن قد استطرد فيها، ولا تستطيع أن تفصل بين القرآن المكيّ و القرآن المدنيّ في هذا البيان والتفصيل والإسهاب الذي يقوم عليه الإسلام نفسه، معركة الإسلام والجاهلية، والذين لا يدركون هذه المعركة ولا قوانينها ولا أبعادها لا يمكنهم أن يفهموا عقيدة الإسلام ، ولا يمكنهم أن يدركوا طبيعة هذا الدين، ولا يمكنهم أن يسهموا بقسط وافر في رفع شريعته فوق العالمين ، لن يستطيع أحد أن يفهم طبيعة هذا الدين إلا إذا فهم معركة الإسلام مع الجاهلية .

المعركة بين الإسلام والجاهلية

والإسلام في مكة كله قد تمثل في هذه القضية ، قضية المعركة بين الإسلام والجاهلية، لم يكن هنالك صيام ولا زكاة ولا حج ولا ميراث ولا غير ذلك من الآداب الشرعية من الشرب باليمين، ولا تفصيل الصلاة ولا غير ذلك كل ذلك، قد أرجأه رب العزة حتى تتربى الفئة المؤمنة ذات العقيدة التي تستقر في أعماقها! وتسري في مساربها! أنه لا لقاء بين الجاهلية والإسلام، وأنه لن تنطفيء أوار معركته ما دام هنالك حق قائم، وما دام هنالك باطل موجود ، وهذان لا يمكن أن يخلو منهما الوجود.

هذه المعركة، من أراد أن يفهمها واضحة كما هي وكأنه يتلقى القرآن الآن كما أنزل ويخوض به معركته الحالية، معركته التي

خاضها أول مرة نعليه بظلال القرآن ، والذي لا يقرأ كتاب أو تفسير سيد قطب في ظلال القرآن لا يستطيع أن يدرك أبعاد هذه المعركة لأسباب كثيرة ، منها : أن الرجل الذي كتب هذا الكتاب أو فسّر هذا التفسير كان ينقل إلى الناس أحداثاً من واقع المعركة من داخل أرض النزال، وكان يكتب الكلمات وهو يرى حبل المشنقة يلوح أمام ناظريه، فكتبها وهو مجرد من كل الخوف، من كل العلائق في الدنيا ، لا وظيفة ولا زوجة ولا أولاد، ولا أية رابطة من الروابط التي تشده على الأرض، كتبه وهو يودع الدنيا، وكل من يقرأ تفسير سورة البقرة، وآل عمران ، والنساء، والمائدة، والأعراف، وامش معها، الطبعة الثانية فما بعدها يشعر بأن الذي كتب هذه الكلمات ليس من أهل الدنيا، إنما يودع الدنيا بهذه الكلمات، ويشير إليها بإشارة السلام المودع بهذه العبارات.

ولذلك كثير من الناس يقرأون في الكتب ، في التفاسير ، في تفسير ابن كثير والطبري وغيرهم، لن يستطيعوا أبداً، وأنا أتكلم لكم كأستاذ في الشريعة الإسلامية، أعلم أكثر مما تعلمون، وأدرك في هذه القضية، اطلعت أكثر مما تطلعون، لن يستطيع أن يفهم القرآن كما أنزل ولا أن يخوض به معركته التي أنزله الله من أجلها ليس في فترة الرسول ﷺ بل في كل فترة وفي كل زمان وفي كل حين وفي كل بقعة.

هذا القرآن كتاب الله نزل ليخوض معركة ضد أعداء الله..

(وجاهدهم به جهاداً كبيرا) (الفرقان : ٥٢)

ولابد للناس أن يفهموا كتاب الله ولماذا أنزل ، ومع من تتعامل هذه النصوص ، ويظن بعض الناس أن هذه النصوص قد خاضت معركتها، وأدّت دورها، ولم يعد يستطع أن يأخذ بهذه المقاييس، ولا أن ينتقل بهذه القوانين ليخوض بها معركته الحاضرة التي كأنها الآن هي المعركة التي خاضها رسول الله ﷺ .

فأوصيكم ونفسي بقراءة (في ظلال القرآن)، ولذلك عندما ساقوا سيد قطب إلى الإعدام، يحدثني من نقل عن من شهد مراسم الإعدام، من مراسم الإعدام أن يتقدم شيخ أزهري يقول للمعدوم أو المحكوم عليه قل (لاإله إلا الله)، فتقدم الشيخ الأزهري لسيد وقال له: قل (لا إله إلا الله) يا سيد، فقال: حتى أنت جئت تتم المسرحية...نحن نعدم لأننا نقول:(لا إله إلا الله) وأنتم تأكلون خبزاً بلا إله إلا الله.

إذاً : هنالك (لا إله إلا الله) تطعم الخبز، وتملأ الجيوب، وتنفخ البطون ، وهنالك (لا إله إلا الله) تميط الرقاب من فوق أجسادها وتطيح بالأعناق من فوق نفوسها.

إذاً : أعداء الله يدركون ، مَن الذين يفهمون (لا إله إلا الله) ومن الذين لا يفهمون (لا إله إلا الله) ، والذين يفهمون (لا إله إلا الله) إسمهم عند أعداء الله المتعصبون ، والذين لا يفهمون (لا إله إلا الله) اسمهم عند أعداء الله المعتدلون، وهم يطلقونها صريحة : نحن لن نرضى عن الإسلام المتطرف، إنما نرضى عن الإسلام المعتدل، نحن لن نرضى عن الإسلام الأصولي ، إنما نرضى عن الإسلام المرن، إنما نريد إسلاماً مرناً على الطريقة الأمريكية، يقال لهم الشيوعية فيقاتلونها، ويقال لهم الأمريكان فيقولون :

(ولتجدن أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) (المائدة : ٨٢)

فهذه المعركة مستمرة، لا يتوقف كيرها عن الإحماء ، ولا يخبو ضرامها، ولا تنطفيء نارها؛ لأنه قانون من قوانين الله عز وجل، لا يتخلف ولا يتغير ولا يتبدل .

أما *الواقع التاريخي* ، فلا أريد أن أسرد لكم الواقع الطويل التاريخي منذ رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا ، فهذا يحتاج إلى كتب ومجلدات للتفصيل ، أنا أورد لكم بعض ما نطقت به ألسنة الكفار الذين يعبّرون عن حقدهم ضد هذا الدين ... والكفار بطبيعتهم يدارون أعداءهم ، ويخفون عداءهم ، ولا يظهرون غيظهم على قسمات وجوههم إلا إذا اشتد الغيظ ولم يستطيعوا أن يخفوه ، إن كيدهم للإسلام وغيظهم ضده أعظم مما يدارون ، وأكبر مما يخفونه ، ولذلك تظهر على فلتات ألسنتهم وعلى قسمات وجوههم .

سيد قطب والإخوان

يقول سيد قطب : كنت أكره دعوة الإخوان المسلمين ، وابتعثتني الحكومة المصرية إلى أمريكا سنة <١٩٤٩> في أواخر <٤٨> من أجل دراسة المناهج – وكان مفتشاً في وزارة المعارف –، قال وهناك حدثت لي قضيتان شدتا ناظري ولفتتا انتباهي .

القضية الأولى : أنني في الثالث عشر من فبراير سنة < ١٩٤٩> كنت في مستشفى من المستشفيات الأمريكية، فظهرت معالم

الزينة والأفراح في المستشفى، فسألت أحد المرضين: أي عيد هذا الذي تحتفلون فيه ؟ قال المرض وببساطة وبدون تفكير: اليوم قتل عدو النصرانية في الشرق ، اليوم قتل حسن البنا.

قال سيد: هذه الكلمة هزت السرير تحتي وجعلتني أنتبه ، لا يمكن لإنسان يكيد له العالم هذا الكيد إلا أن يكون على حق .

أمريكا تحتفل بمقتل رجل لا نأبه له ولا نعطي له بالا، ولا نحضر خطبه في باب اللوق ، أو في الحلمية ، عندما يأتي حسن البنا يذهب أمثال سيد قطب إلى المقاهي، ويجلسون، لأنهم يربأون بأنفسهم أن يشهدوا خطبة لحسن البنا.

قال : والقضية الثانية أن رجالات المخابرات العالمية كانت تتسابق على اصطياد الشباب الشرقي لإدخالهم في سلكهم ، ليعودوا موظفين في بلادهم لهم ، حيث يتكفلون لهم بتسليمهم المناصب العليا من أجل أن يؤدوا لهم المهمة العليا ؛ وهي أن يكونوا خدما أمناء في بلادهم لهذا الكافر الذي نظمهم في سلكه وأدخلهم في محافله.

وسيد من الشخصيات التي كانت تكتب في الرسالة وغيرها، من الشخصيات البارزة ، كانت شباك المخابرات تلقى بسرعة وبكثرة لعل واحدة منها تصطاده ، قال ودعاني مدير الإستخبارات في السفارة البريطانية في أمريكا إلى بيته إلى حفلة عشاء، ولبيت نداءه ... دعوته ، قال ودخلت بيته ، وعندما دخلت بيته هالني شيئان:

الشيء الأول: سمى أبناءه بأسماء الصحابة: عمر، وعثمان ، وعلي ، وأحمد وغير ذلك ، حتى يؤدون دورهم الذي يمكن أن يؤدوه للأم بريطانيا، دون أن يكتشفوا أنهم ليسوا من المسلمين .

والأمر الثاني : أني وجدت كتاب العدالة الاجتماعية ، وقد خلفته مسودة وراء ظهري في مصر ليطبعه أخي محمد ، وطبع الكتاب ، وأرسلت نسخة واحدة لي في أمريكا ، ووجدت النسخة الثانية عند مدير الاستخبارات البريطاني ، وقد بدأ يترجمها ليعرف اتجاه سيد قطب في هذا الوقت.

قال : وبدأنا الحديث ، واستطرد مدير الاستخبارات بالحديث عن مصر وأحوالها، والحركات التي ستردي الحكم الملكي الآيل إلى السقوط ، وأخرج لي مذكراته الكبيرة -دوسيات كبيرة- وبدأ يطلعني على وثائق دقيقة جداً ، أو على أعمال صغيرة جداً كانت تسجلها الاستخبارات البريطانية ، خطب البنا في مسجد كذا ، نام في قرية كذا ، فلان دخل الدعوة يوم كذا ، فلان أطلق لحيته ، قال: أمور لا نأبه لها ، لا نعطي لها بالاً ، مسجلة عند الاستخبارات.

ثم قال كلمته الأخيرة : هنالك حزبان مرشحان، وجوادان متباريان لوراثة الحكم الملكي: إما الشيوعيين، وإما الإخوان المسلمين، ونحن نرجح أن الإخوان سيستلمون الحكم؛ لأن التيار الشعبي العام معهم ، وإذا استلموا الحكم فستدخل مصر مرة ثانية في عهود الظلام، ونحن نهيب بأمثالك من المثقفين أن لا يتركوا المجال لهؤلاء أن يصلوا إلى الحكم، حتى لا تتجمد الحالة، وحتى لا تتوقف مصر عن النمو .

قال سيد : وفي بيت مدير الاستخبارات البريطانية قررت أن أدخل جماعة الإخوان المسلمين ، لأنه لا يمكن أن يكون لدعوة أو حركة يكيد لها العالم هذا الكيد ، ويرصدونها هذا الرصد ، ويخافونها هذا الخوف ، إلا أن تكون على الحق ، وفعلا عندما رجع اتصل بالأستاذ الهضيبي ، وقال : أريد أن أدخل الجماعة ، ورحّب الأستاذ الهضيبي به ، ودخل الجماعة، ولم ير يوم فرحة منذ أن دخل الجماعة حتى لقي الله معلقاً على الأعواد ، إنهم يعضون أصابعهم أن سمحوا لسيد قطب أن يظهر قبل أن يعتنق الإسلام الجاد المتحرك ، ولو كانوا يعلمون أن سيداً سيصل إلى هذه النهاية ، وسيقف هذا الموقف ، لا يمكن أن يسمحوا لا لجريدة ولا لمجلة رسمية ولا لكتاب أن ينشر له ! إنهم يدركون أخطار الإسلام وأبعاده التي يرمي إليها، وأعماقه التي يمكن أن يسبر غورها من تذوق هذا الدين ومن عرف حلاوته.

الرهبة من قوة الإسلام

إنهم يدركون أن الإسلام أقوى ثورة اجتماعية في العالم، ولذلك هم يخافونه ، إنهم يدركون قوة الإسلام وقدرته على تجميع الناس وعلى تحريكهم ضد أعداء الله، وهذا الذي يرهبون.

ولذا لم يكن بعيداً -كما قالت لي الحاجة زينب الغزالي- : أن تطلب أمريكا نفسها من عبد الناصر أن يقتل سيد قطب، وأن يقتل زينب الغزالي ، فردّ عليهم عبد الناصر : هذان شخصان لهما وزنهما في البلد ، وهذه امرأة ستثير المشاعر، إن إعدامها سيثير الاشمئزاز والتقزز منّا في كل مكان ، فانا أتكفل لكم بأن ألقي هذه المرأة في السجن حكماً بالأشغال الشاقة المؤبدة ، أما ذاك فأعدمه

كما تأمرون ، ولن أستطيع أن أخالف لكم البتة، ولا أن أعارض لكم همسة ..

سنة «١٩٧٨» تبعها طبعاً الضربات المتوالية لصالح سرية ، شكري مصطفى ، كارم الأناضولي ، حركات الجهاد كل يوم متتالية ، وهم لا يتركون فرصة من بث الإشاعات ضد الشباب المسلم وخاصة ضد قياداتهم، حتى جاءني من يتحدث: أولاً أعلنت أجهزة الأمن في مصر أنها ألقت القبض على الشباب الثلاثة الهاربين من السجن من شباب الجهاد ، ثم تبين لنا بطرقنا الخاصة أن هذا كذب محض.

ثانياً : تصلني إشاعة عن هؤلاء الشباب الطيب -كما نظنه- أنهم وجدوا مع واحد منهم نصف مليون دولار ، جاءت من دولة من الدول التي هي بدورها مرتبطة بأمريكا ، وكل ذلك من أجل إطفاء نور الحق الذي بدأ يشع في قلوب الشباب نتيجة لرؤية هذه النماذج التي تدب على الطريق .

سنة «١٩٧٨» قامت الثورة الإيرانية ، وخشي الغرب ابتداء منها ، وظنوا أن هذه سيكون لها ما بعدها ، وبدأت أجهزة الرصد تكتب في كل مكان ، وبدأت معاهد البحوث تعيد النظر في الإسلام مرة أخرى.

وأنا أقرأ عليكم بعض مقالاتهم التي ظهرت في الصحف اليهودية خاصة، لأن اليهود وجودهم مرتبط بانطفاء جذوة الجهاد في المنطقة وفي العالم الإسلامي، وهم يعلمون أن قيام الجهاد هو نهاية إسرائيل ، ويعلمون كما قالوا هم على ألسنة زعمائهم: أن بإمكاننا أن ننتصر عشرات المرات على العرب، ولكننا لن نعيش إذا هزمنا مرة واحدة، يدركون هذا، ويدركون أن عدوهم الحقيقي هو الإسلام، على لسان دايان، على لسان هرتزوغ، وكان مندوباً لإسرائيل في الأمم المتحدة من سنة «١٩٧٨» - «٧٩»، يحذرون من أفغانستان على ألسنتهم ، يحذرون من الثورة المرتقبة بعد إيران ، أفغانستان أو تركيا، وأنا أقرأ لكم بالنص الحرفي لا تأويل ولا تبديل:-

نشرت جريدة (يدعوت أحرنوت) - جريدة إسرائيلية - بعد دخول اليهود إلى لبنان عمل التلفاز الإسرائيلي مقابلة مع سعد حداد الرجل العميل الماروني ، وأبدى فرحته وفرحة النصارى الموارنة بدخول اليهود إلى لبنان ، ماذا تقول الصحيفة بالحرف الواحد؟ تقول الصحيفة : إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة - هي انتقدت ... انتقدت كثيراً ، وارتجفت أوصالها عندما رأت النصارى يظهرون فرحتهم بدخول اليهود لأن هذا سيثير مشاعر المسلمين ، ويوقظ الحركات الإسلامية المتعصبة كما تقول الصحيفة - إن على وسائل إعلامنا أن لا تنسى حقيقة هامة هي جزء - هذا في «١٨/٣/١٩٧٨» - من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة هي أننا قد نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب - جهود أصدقائهم يعني : حكام الدول العربية والإسلامية - طوال ثلاثين عاما، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة إلى الأبد ، ولهذا يجب أن لا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع استيقاظ الروح الإسلامية بأي شكل وبأي أسلوب ، ولو اقتضى الأمر الاستعانة بأصدقائنا -الحكام- لاستعمال العنف والبطش لإخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية في المنطقة المحيطة بنا.

ولكن تلفزيوننا الإسرائيلي وقع في خطأ أرعن كاد أن ينسف كل خططنا ، فقد تسبب هذا التصرف في إيقاظ الروح الإسلامية ولو على نطاق ضيق ، ونخشى أن تستغل الجماعات الإسلامية المعروفة بعدائها لإسرائيل هذه الفرصة لتحريك المشاعر ضدنا ، وإذا نجحت في تحريك المشاعر ضدنا ، وإذا فشلنا في المقابل في إقناع أصدقائنا بتوجيه ضربة قاضية إليها في الوقت المناسب ، إذا فشلنا في إقناع الحكام بضرب الحركات الإسلامية، ونجحت الحركات الإسلامية في جمع الجماهير بالروح الإسلامية ضدنا ، فإن على إسرائيل حينذاك أن تواجه عدواً حقيقياً لا وهمياً ، وهو عدو حرصنا أن يبقى بعيداً عن المعركة ، وستجد إسرائيل نفسها في وضع حرج إذا نجح المتعصبون ؛ أولئك الذين يعتقدون أن أحدهم يدخل الجنة إذا قتل يهودياً أو إذا قتله يهودي.

وفي صحيفة (الصندي تلكراف) البريطانية ، وبقلم (بيركرين دورستون) يقول : إن الغربيين يقعون في خطأ كبير حين يظنون أن الخطر الذي يتهدد مصالحهم في الشرق الأوسط هو خطر الشيوعيين ؛ لأن الخطر الحقيقي الذي يتهدد مصالح الغربيين وأصدقائهم في المنطقة هو خطر الإسلاميين المتطرفين، الذين تعاظم نشاطهم بشكل مذهل رغم كل ما أوقعته بهم النظم الصديقة للغرب في المنطقة من محن وتنكيل. ويؤكد كاتب المقال أن الأحداث الجارية في منطقة الشرق الأوسط تشير إلى أن التيار الإسلامي المتطرف أصبح قائما في جميع بلدان المنطقة بدون استثناء ، ويقول الكاتب : إن أكبر خطأ يرتكبه الغربيون هو عدم تفكيرهم بجدية بضرورة التدخل العسكري المباشر في المنطقة في حالة عجز الأنظمة الصديقة عن كبح جماح المتطرفين المسلمين ، ويؤكد أن شعور الغربيين بالندم وتأنيب الضمير إزاء تورطهم في الحرب الفيتنامية يجب أن لا يكون سبباً في إقناعهم بعدم استعمال القوة العسكرية ضد المتطرفين المسلمين ، لأن خطر هؤلاء المتطرفين المسلمين لا يقارن بأي خطر آخر مهما كان ، وينهي (بيركرين دورستون) مقاله قائلا : إن مجرد الاكتفاء بمراقبة الانتفاضة الإسلامية في الشرق الأوسط - أنظروا كلمة الانتفاضة يستعملها قبل عشر سنوات - لن

يفيدنا بشيء، وإن لم نبادر إلى مقابلة هذه الانتفاضة بعُنف عسكري يفوق عنفها الديني ، فإننا نكون قد حكمنا على العالم النصراني بمصير مهين ، يجلبه على نفسه إذا استمر تهاوننا في مواجهة المسلمين المتطرفين .

وذكرت صحيفة القبس الكويتية في <١٩٧٩/١/٢٦> عن موشي دايان وهو يتكلم أمام وفد من الأمريكيين يقول : إن على الولايات المتحدة والدول الغربية أن تأخذ العبرة في أحداث إيران الأخيرة التي تمخضت عن اندلاع ثورة إسلامية بشكل لم يكن متوقعاً أبدا .

وقال دايان : إن على الغرب – وعلى رأسه الولايات المتحدة – أن يعطي اهتماماً أكبر لإسرائيل باعتبارها خط الدفاع عن الحضارة الغربية في وجه أعاصير الثورة الإسلامية التي بدأت من إيران ، والتي من الممكن أن تهب بشكل مفاجيء وسريع ومذهل في أية منطقة أخرى في العالم العربي ، وربما في تركيا وأفغانستان أيضاً ، وبنظرة حاقدة أكد موشي دايان أن عدوه الأول هو (الإخوان المسلمون) ، وأنه لن يطمئن على مستقبل إسرائيل إلا إذا تم القضاء عليهم ، إن عليهم أن يدركوا أن إسرائيل –يتكلم عن العرب الذين تحت حكمهم – لن تسمح بانجرافهم نحو الاتجاهات الإسلامية المتعصبة ، وأنه في الوقت الذي تشعر فيه إسرائيل، أن العرب الذين بقوا في فلسطين قد بدأوا في التمسك بالاتجاهات الإسلامية المتعصبة، فإنها لن تتردد في القذف بهم بعيداً لينضموا إلى إخوانهم اللاجئين

وتقول جريدة في (كولونيا) في ألمانيا الغربية اسمها (كمشلر إز فايدلر): إن الأحداث الأخيرة في تركيا وإيران أحداث حزب السلامة في تركيا وإيران، وعودة نشاط الاتجاه الإسلامي في مصر وغيرها من الدول العربية، تعطي الدليل على أن الإسلام وحده وليست الدول الكبرى أو الأنظمة الموالية لها هو الذي يلعب الدور الرئيسي في منطقة الشرق الأوسط.

وقالت الصحيفة : إن على الغرب أن يدرك الآن أن المستقبل القريب سيشهد تحولاً جذرياً في منطقة الشرق الأوسط لمصلحة الاتجاهات الإسلامية ، وعلى الغرب إذا أراد المحافظة على الحد الأدنى من مصالحه في الشرق الأوسط أن يبدي مرونة في تفهم مقاصد الاتجاهات الإسلامية التي تسعى للحصول على كيان جديد قوي يتلاءم مع الإسلام .

ويقول (هوردسك) في مقال نشرته الجروزليم بوست في <١٩٧٨/٩/٢٥>: إن ظهور حركة اليقظة الإسلامية بهذه الصورة المفاجئة المذهلة قد أظهر بوضوح أن جميع البعثات الدبلوماسية وقبل هؤلاء جميعاً وكالة الاستخبارات الأمريكية كانت تغط في سبات عميق.

وقال (هورد سوك) : إن معلومات كثيرة عن طبيعة الإسلام وعن القوة الإسلامية الفعالة النشيطة كانت متوفرة لدى زعماء الغرب ، وخاصة أولئك المسؤولين عن الأمن في واشنطن ، وأن جهودا كثيرة لكبت نشاط الحركات الإسلامية المتعصبة ، ولكن الأحداث الأخيرة في المنطقة الإسلامية، وعودة الإتجاه الإسلامي يمارس نشاطه على نطاق واسع في مصر، وأفغانستان ، وسوريا، وتركيا، وإيران وغيرها ، قد أظهرت أن جمّيع الأساليب التي اتبعت لكبتِ نشاط الحركات الإسلامية كانت أساليب فاشلة على المدى البعيد، رغم ما حققته من نجاح لفترات قصيرة.

والكلام يطول ولا يتسع له هذا المقام.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية

الحمدلله ثم الحمدلله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

معالم على الطريق، ومنارات على الجادة، نضعها أمام الدولة الإسلامية أو دولة المجاهدين المقبلة التي ستستلم أفغانستان، وأظنهم لن ينسوا أبداً أن أمريكا ترتجف منذ سنوات من نهاية حربها، ويعلمون أنها أوفدت هنا نكسون الرئيس الأمريكي السابق ليدرس بنفسه القضية، ويطلع على أحداثها في منطقتها وعلى أرضها، ورجع نكسون وعلى التلفاز الأمريكي عقد مؤتمراً صحفياً يسألونه عن المشاكل، المشكلة تلو الأخرى، وهو يقول: (This is easy, easy) يعني هذه سهلة، وأخيراً قالوا: ما هي المشكلة؟ قال: الإسلام، الإسلام هو المشكلة، لقد آن الأوان لأمريكا أن تتناسى خلافاتها مع روسيا لكي تقف أمام الزحف الإسلامي الذي بدأ يتحرك.

وأوفدت بعد نكسون كارتر نفسه ، ولم أطلع على نتائج تقارير كارتر ونكسون ، ظهر لأن هذا تكلم به على التلفاز دون موارية ولا مداراة ، وكارتر أكد الحقيقة نفسها ، لقد هالهم شعب بكامله صغيره وكبيره ، شيبه وشبانه ، أرامله وأيتامه كلهم تحركهم كلمة (الله اكبر) ، ولذلك عادوا ينصحون قومهم أن يخمدوا هذا الجهاد قبل أن ينطلق إلى سائر البلاد ، ونشر في الأسواق الأمريكية كتاب

يحذر: أن الجهاد في أفغانستان سيحتل أوروبا فيما بعد ، وستعود أوروبا تدفع الجزية مرة أخرى للمسلمين .

وقبل معاهدة جنيف قدم إلى مجلس الأمن القومي الأمريكي تقرير يقول : إن استمرار الجهاد في أفغانستان خطر على مصالح أمريكا في العالم ، ولذلك كتب من كتب ، وكتب شخترمان :

What we have done? We have awaken the Gaint.

ماذا فعلنا ؟ لقد أيقظنا العملاق.

ثم خصصوا رجلاً يهودياً لكي يرتب معالم مؤتمر جنيف أو مؤامرة جنيف (أرنولد همر) اليهودي الروسي الأمريكي، وهو الذي رتبها بحيث يبدأ الانسحاب في اليوم الذي قامت فيه دولة إسرائيل في ‹١٥› أيار.

يجب أن يعلموا أن هنالك مشاكل عالية ضخمة تنتظرهم، وأنهم لن يكفوا عن حربهم لحظة، ويجب أن يدركوا كذلك أن هنالك مشاكل داخلية ضخمة تنتظرهم ، سيثيرها عليهم أعداؤهم ، حتى يحاولوا أن يقوضوا بيوتهم من داخلها ، سيثيرون الفتن من كل مكان، فتناً طائفية وعرقية وجغرافية، سيثيرون عليهم كثيرا من المشاكل، ولكن الذي نصرهم عشر سنوات متواصلة ينصرهم بإذن الله بعد أن يمسكوا بأيديهم القياد ، ويسلس لهم المقاد ، وقد تكفل الله بالنصر بشرط أن ناخذ بأسبابه .

واعلموا أن الله صلى وسلم على نبيه قديما ، فقال تعالى ولم يزل قائلا عليما وآمرا حكيما، تنبيها وتعليما، وتشريفا لقدر نبيه وتعظيما. (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

لبيك اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد . وارض اللهم عن الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

اللهم مكن للمؤمنين في الأرض ، اللهم مكن للمؤمنين في الأرض ، اللهم مكن المؤمنين في الأرض ، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى ، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ .

اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان ، اللهم انصر المجاهدين في فلسطين وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وأهدهم سبل السلام ، اللهم ارفع راية الإسلام فوق المسجد الأقصى ، اللهم حرر الأرض المباركة ، اللهم افتح لنا الطريق إلى المسجد الأقصى يا رب العالمين ، اللهم انصرنا في أفغانستان ولا تمتنا إلا شهداء في ساحة الأقصى يا رب العالمين ، اللهم انصر المجاهدين في لبنان ، اللهم انصر المجاهدين في الفلبين وفي الصومال وفي تشاد وفي إريتيريا وفي اليمن وفي برما وفي كردستان وفي كل مكان ، اللهم ارفع راية الإسلام وحكم دولة القرآن ، واجعلنا من جنود القرآن .

عباد الله

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) (سورة النحل : ٩٠)

- أذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم .

ولايـــة الكافـــرين

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه وسلم .. اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم :

- (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم .وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ

منه إن إبراهيم لأواه حليم ، وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم ، إن الله له ملك السموات والأرض ، يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير، لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم، وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) (التوبة : ١١٣-١١٨)

{والذين آمنوا} ما قال معه، يعني المؤمنون في كل زمان ومكان {ما كان للنبي والذين آمنوا}.

{ما كان} تأتي في القرآن للنفي، وتأتي في القرآن للنهي ، تأتي في القرآن للنفي مثل :

(ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) (النمل : ٦٠)

أو .... (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله) (آل عمران : ١٤٥)

هذا للنفي، يعني لم ، بمعنى لم ، وتأتي بمعنى النهي مثل هذه الآية (**ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين**) ينهاهم أن يستغفروا للمشركين ، أو مثل :

(ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) (الأحزاب : ٥٣)

كذلك نهي للتحريم ، فهذا نهي للتحريم ، تحريم موالاة الكافر حيا وميتا {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم}.

قلنا لكم أن سبب النزول كما روي في الصحيحين أنه بعد وفاة أبي طالب قال رسول الله ﷺ : (لأستغفرن لك حتى ينهاني ربي أو ما لم ينهاني ربي) فأنزل الله هذه الآية .

وقد روى الإمام أحمد -رحمه الله- أن رسول الله ﷺ كان في ركب قرابة ألف فنزل وصلى ركعتين ، ثم جاء وعيناه تذرفان، وقال عمر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما بالك تبكي؟ قال : (**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي ، فبكيت رحمة لها من النار أو جزعا عليها من النار**)[1] فلم يأذن له ربه أن يستغفر لأمه ، ولم يأذن له ربه أن يستغفر لعمه أبي طالب ، مع أنه من أحب الناس إليه.

أبوطالب حمى الدعوة الإسلامية عشر سنوات ، وكان سيف أبي طالب يستظل به رسول الله ﷺ والمؤمنون ، هيبته ومكانته في قومه كانت تكوّن ظلا يستظل به رسول الله ﷺ ، ولذلك قال : (**ما نال مني قومي إلا بعد وفاة أبي طالب**)[2] اشتد أذى قريش عليه بعد وفاة أبي طالب، أما من قبل كانوا يهابونه ، كانوا يهابون أن يؤذوه هيبة لعمه أبي طالب بن عبد المطلب ، زعماء قريش وأصحاب سقاية الحجيج والرفادة {من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم}، فإذا تبين أن الرجل كافر خارج من الملة لا يجوز الاستغفار له.

ولاية الكفار ضياع للبلاد والعباد

والحقيقة قد رأيت كما قلت لكم بالأمس : أن معظم أحكام الإسلام يعني الولاية تكوّن عمودا من أعمدة هذا الدين، وإذا نكس عمود الولاية أو انهار انهار معظم الإسلام ، أنا رأيت أن ضياع البلاد وفساد العباد معظمه من الولاية ، من ولاية الكفار، يأتي الأمريكان لواحد مثل ظاهرشاه يقولون له : إما أن تخرج المرأه عارية وسافرة أو يغير حكمك ، فيأتي ويضع حجاب المرأة تحت قدمه ويقول له : انتهى عهد الظلام ، ويبدأ يفسد المرأة، ويأمر المرأة الأفغانية أن تكشف حجابها ، وعندما رفضت نساء قندهار -معروف أهل قندهار بشدتهم والتزامهم وتمسكهم بدينهم - عندما رفض أهل قندهار أن يعرّوا نساءهم أو أن يُسفروا عن وجوههن سيّر الملك

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم بلفظ «استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يأذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكر الموت» أنظر مختصر صحيح مسلم صفحة رقم (١٣٢) رقم الحديث (٤٩٥).

(٢) ورد الحديث في "البداية والنهاية" بلفظ «ما نالتني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب» أنظر البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ / ص ١٢٠.

إليهم جيشا وقاتلهم – كان يقوده عمه شاه ولي –، وقامت معركة بين جيش الملك وبين أهل قندهار، اسمها معركة الخمار، وسقط حوالى ألف شهيد من أهل قندهار.

كل ذلك محافظة على الكرسي ، ولاية الكفار ، الحركات الإسلامية ذبحت ، كانت تذبح بأوامر من الكفار ، يقدم الكفار لعبد الناصر أو غيره تقريرا أن الحركة الإسلامية خطيرة، وبدأت تتحرك، يعني أنا قبل أن يضرب عبد الناصر الحركة الإسلامية سنة١٩٦٥ قرأت في الصحف الألمانية –ترجمات– إن عبد الناصر سنة ‹٦٤› – قبل أن يضربهم بسنة – إن عبد الناصر الذي ظن أنه قضى على الإخوان المسلمين قد وهم ، إن الإخوان المسلمين قد بدأوا يجددون نشاطهم في السعودية وفي غيرها من خلال الذين هربوا منه ، ومن خلال المنفيين هناك الهاربين منه، ثم تقول الجريدة الألمانية أخيرا : ولن يجد عبد الناصر مفرا من أن ينازل الإخوان المسلمين مرة أخرى في معركة .

وفعلا بعد سنة بدأ بضرب الإخوان المسلمين، وأعلن من فوق قبر لينين أنه قد اعتقل في يوم واحد سبعة عشر ألفا منهم ، ولئن عفونا المرة الأولى فلن نعفو المرة الثانية ، وكان التعذيب الذي لم تشهد له البشرية نظيرا.

يقول محمد قطب : راجعت تاريخ التعذيب في البشرية فلم أجد مجموعة عُذبت أكثر من الإخوان المسلمين في مصر إلا المسلمين في الأندلس على يد محاكم التفتيش ، لماذا ؟ الولاية؛ ولاية الكفار.

اليهود، كيف أقيمت دولتهم ؟ بولاية الكفار ، يأتي الأمريكان ، الإنجليز ، يقولون للحكام (حكام العرب) : إما أن توافقوا على إقامة حكم لليهود في فلسطين ، أو نبعدكم عن الحكم وقّعوا، فيوقعون، نعم هم مستعدون للتوقيع للأمريكان والإنجليز وللروس على أي شيء يريدون !!.

يحدث الشيخ سياف عن حفيظ الله أمين ، عندما دخل الروس –وأصوات المدفعية ، وبدأت الرشاشات تضرب قصره– قال لحرسه انظروا هل وصل الأشرار؟ –كانوا يسمون المجاهدين الأشرار– هل وصل الأشرار هنا؟ لأن المجاهدين كانوا على أبواب كابل، فخرج ، قال: لا ، هؤلاء أصحابك ، الروس؟ قال : نعم ، وصل الروس ، قال : قل لهم ماذا يريدون ؟! أوقع لهم على ما يريدون، فقتلوا الرجل والرشاشات تشتغل ، الروس قالوا : جئنا نقتل حفيظ الله أمين ، لأنهم جاءوا ببابراك كارمل، فجرح المسكين هذا ، فجروه من جله كالكلب إلى المطبخ، وخبئوه تحت تربيزة (تحت طاولة) في داخل المطبخ.

المهم ... دخلوا على درج القصر ووصلوا على باب الغرفة ، فتصدى لهم ابنه قال: إن كنتم تريدون قتل أبي فاقتلوني ، قتلوه، عنيه وقتلوه كالكلب تحت الكرسي فوق جلي الصحون ، ثم قتلوه وجروه برجليه من فوق مع الدرج ، وربطوه بسيارة، وبالشارع ن كلبهم الذي حرسهم مدة عشر سنوات أو أكثر.

حفيظ الله أمين الذي أقام الانقلاب لداوود ، وأقام الانقلاب لتراقي ، والذي خدم الحزب الشيوعي خدمة لا نظير لها، كانت على يد الحزب الشيوعي، على يد الروس، ويجرجرونه كالكلب في الشوارع .

ية !! وكلما ازدادت مرتبة الإنسان –غير المؤمن– كلما خاف على كرسيه ، وكلما تنازل عن أي شيء ، عن أي شيء ، حتى ستعد أن يتنازل عن زوجته ، نعم ، وكم من الناس قدموا زوجاتهم لحكامهم حتى يعطوهم مشروعا!! يعطوهم تعهداً ، ضاً من العروض ، يعطوهم دراهم معدودة ، أزواجهم !! .

ولاية الكافرين أساس البلاء

نعم، فالولاية هي أسّ البلاء ، أس البلاء ، الآن في أفغانستان من أسس بلاء الجهاد؟ أكبر مصيبة هي ولاية الكفار الروس والشيوعيين ، هؤلاء المنافقون الذين يعملون مع الدولة ، ولايتهم للكفار ، فهم يهدمون دينهم وجهاد أمتهم، ويعرضون نساءهم ونساء أمتهم ، ويعرضون بلادهم للدمار والهلاك والخراب والانتهاك ، من أجل دراهم معدودة.

الولاية!! بل يعرضون على بعضهم –ويكون قائدا– يعرضون عليه مبلغا من المال فينضم هو وجبهته للدولة، مقابل ماذا ؟ مائة ألف أفغاني ، مائة ألف أفغاني ، عشرة آلاف روبية باكستانية ، ألفي ريال سعودي ، يبيع جبهة بكاملها ، منطقة بكاملها للروس وللشيوعية وللكفر مقابل ألفي ريال سعودي.

ولذلك الولاية مهمة جدا جدا في هذا الدين ، مهمة ، هي أسٌ من أسس الإيمان في هذا الدين ، ركن من أركانه ، ولذلك الإسلام حرص على مخالفة الكفار بأي طريقة ، بالعبادة ، باللباس، حتى بالصباغ حتى لا يتشبه المسلمون بالكفار.

(نهى رسول الله ﷺ عن لبس ثياب الكفار)[1] **(ومن تشبه بقوم فهو منهم)**[2]

رأى واحدا يلبس ثوبا معصفرا فنهاه ؛ لأنه هكذا يفعل الكفار **(أصبغوا فإن اليهود والنصارى لا يصبغون)**[3] **(أصبغوا لحاكم خالفوا اليهود)** ، (صلّوا في نعالكم فإن اليهود والنصارى لا يصلون)[4] **(إفطروا بكروا في الإفطار لأن النصارى يؤخرون الإفطار حتى تتشابك النجوم)**[5] **(تسحروا لأن أهل الكتاب لا يتسحرون)**[6] **(لئن حييت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر)**[7] مخالفة لليهود ، هكذا يريد أن يبني أمة متميزة ، ليس لها أي صلة بالكفار أبدا حتى في اللباس ، حتى في شكل اللباس ، حتى في لون اللباس ، حتى في لون صباغ اللحية ، حتى في شكل اللحية ، حتى في الشارب ، حفوه لأن المجوس يطلقون شاربهم **(أعفوا اللحى وحفوا الشوارب)**[8] أمة متميزة في المركب ، في الملبس ، في المسكن **(أنا بريء ممن أقام بين المشركين)**[9] بريء ؛ لأنه يتشرب أخلاقهم تدريجيا ، **(من أقام مع المشرك ومات معه فهو مثله)**[10] أحاديث صحيحة كثيرة ، قطع الولاية نهائيا **(لا يتراءى ناراهما)**[11] المشرك لا يرى نار المسلم ، والمسلم لا يرى نار المشرك إذا أنار في الليل ، لماذا؟ لقطع الولاية ، ولذلك الولاية والبراء ركن ركين في هذا الدين، مهم جدا جدا في بناء الشخصية الإسلامية ، وفي بناء الأسرة الإسلامية ، وفي بناء الأمة المسلمة.

ولذلك :-

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم) (المجادلة : ٢٢)

قطع الولاية مع الآباء **(وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه)**.

(قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه، إذ قالوا لقومهم إنا بُرءآؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) (الممتحنة : ٤)

قد يسأل سائل : يا أخي هذا اللباس شكل ، والإسلام لا يهتم بالشكليات، لقد علم الله سبحانه أن التشبه دليل الحب الباطني وأنت لا تقلد أحدا إلا إذا كنت تحبه ، فإذا أحببت أحدا أحببت أن تقلده في صوته ، أحببت أن تقلده في حركاته ، أحببت أن تقلده في لباسه، في طعامه ، في شرابه ، في منامه ، في كل شيء ، ولذلك منع التشبه بالكفار **(ومن تشبه بقوم فهو منهم)**[12] قال : **(لا تصوموا يوم السبت -يعني منفردا- ولو لم يجد أحدكم إلا لحاء شجرة فليمضغه حتى يفطر)**[13] مخالفة لليهود ، فالرسول ﷺ أو هذا القرآن حرص على أن تكون الأمة متميزة في كل شيء ؛ في عبادتها ، لباسها ، هيئتها ، مركبها إلى آخره ، نهى عن افتراش جلود السباع ، ونهى عن التختم بالذهب ، نهى عن استعمال آنية الذهب والفضة قال : **(فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة)**[14].

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم بلفظ «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها» انظر مختصر مسلم (١٢٤٥).

(٢) حديث صحيح رواه أبو داوود ، انظر الإرواء رقم (١٢٦٩).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم بلفظ «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم» انظر مختصر مسلم / ١٣٤٨.

(٤) حديث صحيح رواه الطبراني في الكبير، انظر صحيح الجامع الصغير رقم (٣٧٠).

(٥) حديث صحيح، انظر صحيح الجامع الصغير رقم (٢٨٣٥).

(٦) حديث صحيح رواه أحمد ومسلم والأئمة الأربعة بلفظ «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر» انظر صحيح الجامع الصغير رقم (٤٢٠٧).

(٧) رواه مسلم في صحيحه بدون ذكر العلة والحكمة.

(٨) رواه البخاري ومسلم بلفظ «خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب» انظر مختصر مسلم رقم (١٨٤).

(٩) حديث حسن رواه أبو داوود والترمذي بلفظ «أنا بريء من كل مسلم / ١٤٦١.

(١٠) رواه أبو داوود بلفظ «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله» انظر الإرواء مجلد ٥/صفحة ٣٢.

(١١) جزء من حديث رقم ٩.

(١٢) سبق تخريجه في رقم (٤).

(١٣) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داوود بلفظ «لا تصوموا يوم السبت إلا في فريضة وإن لم يجد أحدكم إلا عود كرم أو لحاء شجرة فليفطر عليه» انظر صحيح الجامع الصغير رقم (٧٣٥٨).

(١٤) حديث صحيح رواه مسلم.

إليهم جيشا وقاتلهم – كان يقوده عمه شاه ولي –، وقامت معركة بين جيش الملك وبين أهل قندهار، اسمها معركة الخمار، وسقط حوالي ألف شهيد من أهل قندهار.

كل ذلك محافظة على الكرسي ، ولاية الكفار ، الحركات الإسلامية ذبحت ، كانت تذبح بأوامر من الكفار ، يقدم الكفار لعبد الناصر أو غيره تقريرا أن الحركة الإسلامية خطيرة، وبدأت تتحرك، يعني أنا قبل أن يضرب عبد الناصر الحركة الإسلامية سنة١٩٦٥ قرأت في الصحف الألمانية –ترجمات– إن عبد الناصر سنة <٦٤> – قبل أن يضربهم بسنة – إن عبد الناصر الذي ظن أنه قضى على الإخوان المسلمين قد وهم ، إن الإخوان المسلمين قد بدأوا يجددون نشاطهم في السعودية وفي غيرها من خلال الذين هربوا منه ، ومن خلال المنفيين هناك الهاربين منه، ثم تقول الجريدة الألمانية أخيرا : ولن يجد عبد الناصر مفرا من أن ينازل الإخوان المسلمين مرة أخرى في معركة .

وفعلا بعد سنة بدأ بضرب الإخوان المسلمين، وأعلن من فوق قبر لينين أنه قد اعتقل في يوم واحد سبعة عشر ألفا منهم ، ولئن عفونا المرة الأولى فلن نعفو المرة الثانية ، وكان التعذيب الذي لم تشهد له البشرية نظيرا.

يقول محمد قطب : راجعت تاريخ التعذيب في البشرية فلم أجد مجموعة عُذبت أكثر من الإخوان المسلمين في مصر إلا المسلمين في الأندلس على يد محاكم التفتيش ، لماذا ؟ الولاية؛ ولاية الكفار.

اليهود، كيف أقيمت دولتهم ؟ بولاية الكفار ، يأتي الأمريكان ، الإنجليز ، يقولون للحكام (حكام العرب) : إما أن توافقوا على إقامة حكم لليهود في فلسطين ، أو نبعدكم عن الحكم وقّعوا، فيوقعون، نعم هم مستعدون للتوقيع للأمريكان وللإنجليز وللروس على أي شيء يريدون !!.

يحدث الشيخ سياف عن حفيظ الله أمين ، عندما دخل الروس –وأصوات المدفعية ، وبدأت الرشاشات تضرب قصره– قال لحرسه انظروا هل وصل الأشرار؟ –كانوا يسمون المجاهدين الأشرار– هل وصل الأشرار هنا؟ لأن المجاهدين كانوا على أبواب كابل، فخرج ، قال: لا ، هؤلاء أصحابك ، الروس؟ قال: نعم ، وصل الروس ، قال : قل لهم ماذا يريدون ؟! أوقع لهم على ما يريدون، فقتلوا الرجل والرشاشات تشتغل ، الروس قالوا : جئنا نقتل حفيظ الله أمين ، لأنهم جاءوا ببابراك كارمل، فجرح المسكين هذا ، فجروه من رجله كالكلب إلى المطبخ، وخبئوه تحت تربيزة (تحت طاولة) في داخل المطبخ.

المهم ... دخلوا على درج القصر ووصلوا على باب الغرفة ، فتصدى لهم ابنه قال: إن كنتم تريدون قتل أبي فاقتلوني ، قتلوه، ودخلوا عليه وقتلوه كالكلب تحت الكرسي فوق جلي الصحون ، ثم قتلوه وجروه برجليه من فوق مع الدرج ، وربطوه بسيارة، وبالشارع ، يجرون كلبهم الذي حرسهم مدة عشر سنوات أو أكثر.

حفيظ الله أمين الذي أقام الانقلاب لداود ، وأقام الانقلاب لتراقي ، والذي خدم الحزب الشيوعي خدمة لا نظير لها، كانت نتيجته على يد الحزب الشيوعي، على يد الروس، ويجرجرونه كالكلب في الشوارع .

الولاية !! وكلما ازدادت مرتبة الإنسان –غير المؤمن– كلما خاف على كرسيه ، وكلما تنازل عن أي شيء ، عن أي شيء ، حتى عن زوجته، مستعد أن يتنازل عن زوجته ، نعم ، وكم من الناس قدموا زوجاتهم لحكامهم حتى يعطوهم مشروعا!! يعطوهم تعهداً ، يعطوهم عرضاً من العروض ، يعطوهم دراهم معدودة ، أزواجهم !! .

ولاية الكافرين أساس البلاء

نعم، فالولاية هي أسّ البلاء ، أس البلاء ، الآن في أفغانستان من أسس بلاء الجهاد؟ أكبر مصيبة هي ولاية الكفار الروس والشيوعيين ، هؤلاء المنافقون الذين يعملون مع الدولة ، ولايتهم للكفار ، فهم يهدمون دينهم وجهاد أمتهم، ويعرضون نساءهم ونساء أمتهم ، ويعرضون بلادهم للدمار والهلاك والخراب والانتهاك ، من أجل دراهم معدودة.

الولاية!! بل يعرضون على بعضهم –ويكون قائدا– يعرضون عليه مبلغا من المال فينضم هو وجبهته للدولة، مقابل ماذا ؟ مائة ألف أفغاني ، مائة ألف أفغاني ، عشرة الآف روبية باكستانية ، ألفي ريال سعودي ، يبيع جبهة بكاملها ، منطقة بكاملها للروس وللشيوعية وللكفر مقابل ألفي ريال سعودي.

ولذلك الولاية مهمة جدا جدا في هذا الدين ، مهمة ، هي أسٌ من أسس الإيمان في هذا الدين ، ركن من أركانه ، ولذلك الإسلام حرص على مخالفة الكفار بأي طريقة ، بالعبادة ، باللباس، حتى بالصباغ حتى لا يتشبه المسلمون بالكفار.

(نهى رسول الله ﷺ عن لبس ثياب الكفار)[1]. **(ومن تشبه بقوم فهو منهم)**[2]

رأى واحدا يلبس ثوبا معصفرا فنهاه ؛ لأنه هكذا يفعل الكفار **(أصبغوا فإن اليهود والنصارى لا يصبغون)**[3] **(أصبغوا خالفوا اليهود)** ، **(صلّوا في نعالكم فإن اليهود والنصارى لا يصلون)**[4] **(إفطروا بكروا في الإفطار لأن النصارى يؤخرون الإفطار حتى تتشابك النجوم)**[5]. **(تسحروا لأن أهل الكتاب لا يتسحرون)**[6]. **(لئن حييت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر)**[7] مخالفة لليهود ، هكذا يريد أن يبني أمة متميزة ، ليس لها أي صلة بالكفار أبدا حتى في اللباس ، حتى في شكل اللباس ، حتى في لون اللباس ، حتى في لون صباغ اللحية ، حتى في شكل اللحية ، حتى في الشارب ، حفوه لأن المجوس يطلقون شاربهم **(أعفوا اللحى واحفوا الشوارب)**[8] أمة متميزة في المركب ، في الملبس ، في المسكن **(أنا بريء ممن أقام بين المشركين)**[9] بريء ؛ لأنه يتشرب أخلاقهم تدريجيا ، **(من أقام مع المشرك ومات معه فهو مثله)**[10] أحاديث صحيحة كثيرة ، قطع الولاية نهائيا **(لا يتراءى ناراهما)**[11] المشرك لا يرى نار المسلم ، والمسلم لا يرى نار المشرك إذا أنار في الليل ، لماذا؟ لقطع الولاية ، ولذلك الولاية والبراء ركن ركين في هذا الدين، مهم جدا جدا في بناء الشخصية الإسلامية ، وفي بناء الأسرة الإسلامية ، وفي بناء الأمة المسلمة.

ولذلك :-

(لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله وسوله ولو كانوا آباءهم) (المجادلة : ٢٢)

قطع الولاية مع الآباء {وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه}.

(قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه، إذ قالوا لقومهم إنا بُرءآؤ منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) (الممتحنة : ٤)

قد يسأل سائل : يا أخي هذا اللباس شكل ، والإسلام لا يهتم بالشكليات، لقد علم الله سبحانه أن التشبه دليل الحب الباطني، وأنت لا تقلد أحدا إلا إذا كنت تحبه ، فإذا أحببت أحدا أحببت أن تقلده في صوته ، أحببت أن تقلده في حركاته ، أحببت أن تقلده في لباسه، في طعامه ، في شرابه ، في منامه ، في كل شيء ، ولذلك منع التشبه بالكفار **(ومن تشبه بقوم فهو منهم)**[12] قال : **(لا تصوموا يوم السبت -يعني منفردا- ولو لم يجد أحدكم إلا لحاء شجرة فليمضغه حتى يفطر)**[13]. مخالفة لليهود ، فالرسول ﷺ أو هذا القرآن حرص على أن تكون الأمة متميزة في كل شيء ؛ في عبادتها ، لباسها ، هيئتها ، مركبها إلى آخره ، نهى عن افتراش جلود السباع ، ونهى عن التختم بالذهب ، نهى عن استعمال آنية الذهب والفضة قال : **(فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة)**[14].

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم بلفظ «إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها» أنظر مختصر مسلم (١٣٤٥).

(٢) حديث صحيح رواه أبو داود . أنظر الإرواء رقم (١٢٦٩).

(٣) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم بلفظ «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم» أنظر مختصر مسلم / ١٢١٨.

(٤) حديث صحيح رواه الطبراني في الكبير، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٣٧٠).

(٥) حديث صحيح، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٥٢٨٣).

(٦) حديث صحيح رواه أحمد ومسلم والأئمة الأربعة بلفظ «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر» أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٤٢٠٧).

(٧) رواه مسلم في صحيحه بدون ذكر العلة والحكمة.

(٨) رواه البخاري ومسلم بلفظ «خالفوا المشركين وفروا اللحى واحفوا الشوارب» أنظر مختصر مسلم رقم (١٨٤).

(٩) حديث حسن رواه أبو داود والترمذي بلفظ «أنا بريء من كل مسلم / ١٤٦٦.

(١٠) رواه أبو داود بلفظ «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله» أنظر الإرواء مجلد ٥/صفحة ٣٢.

(١١) جزء من حديث رقم ٩.

(١٢) سبق تخريجه في رقم (٤).

(١٣) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود بلفظ «لا تصوموا يوم السبت إلا في فريضة وإن لم يجد أحدكم إلا عود كرم أو لحاء شجرة فليفطر عليه» أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٧٣٥٨).

(١٤) حديث صحيح رواه مسلم.

ولذلك إذا دعيت عند واحد غني وقدم ملاعق فضة انتبه!! لا تأكل بها **(إن الذي يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم)**[1] تمين، أبوك كافر، تبرأ منه، أبوعبيدة قتل أباه يوم بدر فنزلت [لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر...].

سيدنا نوح ..(يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) (هود : ٤٦)

(إن ابني من أهلي) (قال إنه ليس من أهلك)

(ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين) (التحريم : ١٠)

زوجة نوح وزوجة لوط ، لا ولاية ، ولذلك شفاعة النبي لا تحل لكافر أبدا.

ولذلك قال السيوطي : إن الله عز وجل قد أحيا أبوي رسول الله ﷺ حتى أسلما ثم أماتهما مرة أخرى ، هذا حديث باطل موضوع لا أصل له ، وإن كان السيوطي ألف رسالة سماها نزول المنة في أن أبوي الرسول ﷺ في الجنة.

قال ابن ضحية : هذا حديث باطل موضوع لا أصل له ، فلا ولاية **(يا فاطمة بنت محمد اعملي فلن أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله اعملي فلن أغني عنك من الله شيئا)**[2]، ولذلك أغنى فقط عن أبي طالب ، ما أنقذه من النار ، قال إنه في ضحضاح من نار يغلي منهما دماغه ، خفف عنه العذاب ، وإلا لكان في الدرك الأسفل ، قالوا : هل أغنيت عن أبي طالب شيئا ؟ قال : **'نعم إنهم وضعوه في ضحضاح من نار أو أليس نعلين من نار يغلي منهما دماغه)**[3] هذا أقل أهل النار عذابا.

وإلا ليس لك فرار إلا بالفرار إلى الله ، طلقة واحدة تذهب إلى الجنة وتستريح ، لا يوجد نار ولا عذاب أبدا ، يغفر لك كل شيء، وحتى إن كنت مدينا لأنك متزوج كذلك يغفر لك الدين ، خذ مني : الدين الذي لا يغفر كما قرر العلماء هو الدين الذي لم يسد مع اليسر، أما الدين الذي لم يسد مع العسر فالله عز وجل يرضي الغرماء يوم القيامة ، يقول الله عز وجل للدائن انظر -خلفك وهو يحاج المدين- فيرى قصرا، فيقول : لمن هذا القصر يا رب ؟ فيقول لك إن عفوت عن أخيك ، فيقول : عفوت عنه ، ألف ريال ، عشرة مليون ريال ماذا أفعل بها؟ أشتري فلافل أو حمص هناك ، قال : إني عفوت عنه ، فالدين الذي لا يغفر دينه هو الدين الموسر ، وكان سبب عدم السداد هو المماطلة **(ومطل الغني ظلم)**[4] هكذا يقرر النووي.

فالمهم طلقة واحدة هنا رأسا تدخل الجنة على يد روسي ، إيش تريد أحسن من هذه المكافأة ؟ ولذلك مقاطعة تامة مع الزوجة، مع الأم ، مع الأب ، مع الإبن ، لا علاقة أبدا.

الولاية في العقيدة والدين لا في النسب والطين

أبوسفيان ، سيد مكة ، زعيم مكة ، ملك مكة ، يعني أمير مكة، دخل على ابنته أم حبيبة ، فأراد أن يجلس على فرشة موضوعة ، فطوتها من تحته ، قال: يا بنية ، أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ أستكثرتيه عليّ أم استكثرتني عليه ؟ قالت: لا، ولكنك مشرك نجس، وهذا فراش رسول الله ﷺ.

زعيم مكة، والبنت عادة تعتز بأبيها وأخيها أمام زوجها ، تحب أن تفخر بهما خاصة إذا أبوها راتبه فوق الخمسة آلاف درهم ، الله يعين زوجها عليها!! فتحب أن تفخر بإخوتها ، تحب أن تفخر بأبيها أمام زوجها وأمام الناس ، أنا بنت فلان ، بنت فلان ، لكن : إنك مشرك نجس ، وأبوها ليس واحدا من عرض الشارع، أمير مكة ... زعيم مكة.

لا ولاية أبدا ، قطع الولاية نهائيا حتى بعد الموت ، ممنوع أن تصلي عليهم ..

(ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره) (التوبة : ٨٤)

يعني لا تستغفر لهم ، ولا تصل صلاة الجنازة عليهم ، أستغفر لأمي؟ .. لا !! .. ممنوع ، خلاص ماتت مشركة ، انتهت (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى) إذاً لم يعد للقبيلة ولا القوم أية قيمة في هذا الدين ، قطع الولاية.

---

١) حديث صحيح رواه مسلم.
٢) رواه البخاري.
٣) رواه مسلم في صحيحه.
٤) رواه البخاري ومسلم.

الولاية قائمة على صلة واحدة : العقيدة والدين ، وليس النسب والطين ، العشيرة : **(لينتهين أقوام يفخرون بآبائهم الذين هم فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل)**[1] الجعل يعني الصرصور ، الذي جلده ليس يابسا، الجعل أقل من صرصور ، (الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه) يدهده يعني : يدفع.

(من تعزى بعزاء الجاهلية)[2] قال : أنا ابن فلان أو أنا أو أنا من عشيرة فلان (فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا) تعرف تفسيرها؟ قل لهم : فأعضوه بهن أبيه يعني – قولوها صراحة – عض أير أبيك ، هكذا قال الرسول ﷺ ، فأعضوه على هن ، هن يعني ذكر أبيه ولا تكنوا.

يقول الألباني في تفسيرها : أي قولوا له عض أير أبيك ، فلا مواربة ، ولا مداراة ولا مداهنة ، خلاص انتهى ، عشيرة ، قبيلة ما إلى ذلك، إسلام أو لا إسلام هذه هي الصلة ، إيمان أو لا إيمان **(الناس اثنان ، بر تقي كريم على الله تعالى ، وفاجر شقي هين على الله تعالى)**[3] **(كلكم لآدم وآدم من تراب)**[4].

ولذلك إذا رأيت بعثيا أو قوميا أو ما إلى ذلك فقل له : يا صرصور دهده الخرء بأنفك ، لأنه ينبش ، الصرصور إنما يعبث بمزبلة الجاهلية **(أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه)**[5] فهذا البعثي يأتي يظل ينبش.

وأما شقيقي الذي ليس مسلما : بعثيا أو قوميا أو شيوعيا – أعوذ بالله من الشيطان الرجيم – هذا كافر لا صلة بيني وبينه أبدا ، انتهى ، لا عشيرة، لا قوم ، لا زوجة ، قطعت كل الصلات ..

(ولا تمسكوا بعصم الكوافر).   (الممتحنة : ١٠)

واعلموا أن البعثي لا يجوز أن تزوجه ابنتك ، وإذا زوجته ابنتك أو أختك فهو زنا ، والنكاح زنا، والأولاد أولاد زنا ، لا يرثون من أبيهم ، وكل جلسة وكل نظرة إنما ينظرها إلى ابنتك وأختك إنما هي حرام ، مفهوم ؟ ذبيحة البعثي لا تحل ، لا يجوز الصلاة على البعثي ، ولا تغسيله ، ولا تكفينه ، ولا الاستغفار له ، ولا الصلاة عليه ، ولا دفنه في مقبرة المسلمين ، وكذلك القومي والشيوعي ، ألحق بهم من شاء (بزر كر وطن بزر كر) هذا كله تابع ، مفهوم ؟ و(ستمي وشتمي) * وغيره كله، كله من هذا الصنف ، كافر خارج من الملة. لا ولاية بين المسلم وبين هؤلاء **(المسلم أخو المسلم)**[6] ما قال العربي أخو العربي ، وانتهت القصة

وما أنا إلا من غزية إن غوت   غويت وإن ترشد غزية أرشد

لا ، القرآن يقول: (فأصبحتم بنعمته إخوانا)   (آل عمران : ١٠٣)

خلاص ، ولذلك قتل الأب ، وقـتل الأخ ، والأم قتلت ابنها في أفغانستان ، واحد سب رسول الله ﷺ ، إبنها تعبان ، فذهبت للمجاهدين قالت :هذا ابني منافق مع الدولة ، وهو موجود في مكان كذا ، جاءوا به ، قالوا لها : ماذا نفعل به ؟ قالت : أعطوني سكينا، فحملتها وتقدمت إليه ، قالت أتذكر يوم أن شتمت رسول الله ﷺ ، سأنتقم الآن لرسولي، وذبحته بيدها ، هذه عقيدتها فيها بدع؟!! – وضحك الشيخ والحضور – .

فالولاية جزء من هذا الدين، وإلا تذهب الأوطان ، تذهب الأموال ، تذهب النفوس ، تذهب الأعراض كلها بسبب ولاية الكفار.

ولاية الكفار تؤدي إلى بيع الأوطان

فلسطين باعوها هكذا جهاراً نهاراً ، وإلا والله لو تركوها للفلسطينين لحرروها وذبحوا اليهود ، لكن قالوا لهم : نحن نحميها لكم ، وعندما يصلون إلى مركز اليهود يحتلون، عندما يقع اليهود في داخل ...(انقطع الحديث لطارىء ثم تابع الشيخ)...

الولاية لرسوله وللمؤمنين، والبراء من الكافرين ، وعليكم –أنا أنصحكم– أن تقرأوا كتابا قدم فيه رسالة ماجستير –لأحد الشباب السعوديين– اسمه (البراء والولاء) ، محمد سعيد القحطاني ، أنصحكم أن تقرأوا هذا الكتاب ، نعم ، هذا الكتاب ممتاز، حتى تتضح عقيدتك.

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه البزار، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٤٥٦٨) ورواه الترمذي، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٤٥٨٢).

(٢) حديث صحيح ورد في مشكاة المصابيح بلفظ «من تعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن أبيه ولا تكنوا» أنظر مشكاة رقم (٤٩٠٢).

(٣) رواه أبو داود بلفظ «المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم» وهذا صحيح أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩٣٥) .

(٤) حديث صحيح رواه البزار بلفظ «كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب لينتهين أقوام يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان» أنظر غاية المرام (٣٠٩).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) جزء من حديث صحيح رواه الترمذي وأبو داود ، أنظر صحيح الجامع الصغير رقم (٦٧٠٦).

ولذلك انظروا، بيعت أوطاننا ، وديننا وكل شيء ، وأعراضنا، بيعت بمناصب وأوسمة ، عندما تعلن الواشنطن بوست أن مجموعة من الرؤساء والحكام العرب عبارة عن موظفين في المخابرات الأمريكية ، وفلان قبض منا ، حافظ الأسد اثني عشر مليون دولار من المخابرات الإمريكية ، فلان قبض كذا، وفلان قبض كذا ، عندما يكون الحاكم ضابطاً بنجمة في المخابرات الأمريكية، حاكم البلد كلها -ثم يفضحونه يقولون : قبض منا كذا وكذا ، ويعترف بعض الحكام ، يقول : نعم أنا قبضت ، لكن أنا قبضته لشعبي، ما قبضته لنفسي ، هيا اقبض ، وإن شاء الله غداً في جهنم ..

(يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم) (التوبة : ٣٥)

حكم العمل مع المخابرات

إعلم يا أخي الكريم : أن الذي يعمل مع المخابرات الكافرة كافر خارج من الملة ..

(ومن يتولهم منكم فإنه منهم) (المائدة : ٥١)

فالذي يعمل مع المخابرات الأمريكية كافر ، والذي يعمل مع المخابرات الروسيه كافر ، والذي يعمل مع المخابرات البعثية كافر، والذي يعمل مع المخابرات الشيوعية كافر ، فهو منهم ولو كان يصلي ويصوم ويقوم ويحج البيت الحرام ، فانظر كم اشتروا من بلادنا من الكفار ، ثم لا تتهاون بعدها تقول فلان عميل للمخابرات الأمريكية ، وفلان أظن.. يعني، عندما تقول عميل للمخابرات الأمريكية، وعميل للمخابرات الروسية ، وعميل للمخابرات الإنجليزية ، معنى ذلك أنه كافر خارج من الملة **(وإذا قلت لأخيك يا كافر فقد باء بها أحدكما)**[1] فإن كان فعلا مخابرات فهو باء بها وإلا فأنت تكفر كفراً عمليا.. فانتبه ، كذلك نحن لا إفراط ولا تفريط ، يجب أن تعرف الحكم أن الذي يوالي الأمريكان كافر، والذي يوالي اليهود يهودي ، والذي يوالي النصراني نصراني {ومن يتولهم منكم فإنه منهم} وبعدها بآيتين قال :

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود النصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (المائدة : ٥١)

وبعدها بآيتين :

(يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) (المائدة : ٥٤)

أي أن ولاية اليهودي والنصارى كفر يخرج من الملة وردة عن هذا الدين.

الولاية مهمة جدا ، فنحن لا إفراط ولا تفريط ، لا نصير مخابرات ، وفي المقابل كل واحد لا يعجبنا نسميه مخابرات ، هذه كذلك مصيبة ، قبل كانوا إذا غضبوا من واحد يقولون: ساحر أو كاهن -من النبي - ساحر أو كاهن أو شاعر ، ولو كانت قبل قصة المخابرات الأمريكية و الروسية والإنجليزية والفرنسية يقولون كذلك، الآن أسهل طريقة يقول : هذا مخابرات، هو لو كان عنده عقل -السامع- يقول البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، أليس كذلك؟؟ الشعوب ما عندها عقل ، عقلها في أذنيها، الذي تسمعه تصدقه.

أهمية الولاية لله ولرسوله وللمؤمنين

فكذلك لا إفراط ولا تفريط ، والولاية جاءت بعد الجهاد ؛ لأن الولاية جزء لا يتجزأ من الجهاد ، لا يتجزأ ..

(ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (المائدة : ٥٦)

{يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، و الله واسع عليم إنما وليكم الله} {ومن يتول الله ورسوله}.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم بلفظ «إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه» انظر جامع الصغير رقم (٧٠٩).

الولاية جزء من الجهاد لا تتجزأ منه ، وإلا نحن كلنا نجاهد معك ، بالتالي تبيعنا كلنا إذا كنت مخابرات فعلا ، تبيعنا كلنا وجهادنا ودماءنا وأموالنا للكفار ، كما حصل في فلسطين : باعوا دماء الفلسطينيين وأعراضهم ، وما إلى ذلك ، مقابل ماذا؟ لأن إنجلترا أعطت وعداً لإسرائيل أن تعطيهم فلسطين فخلاص سكت ، وعد بلفور في ٢/١١/ ١٩١٧.

فالمهم : الولاية لله ولرسوله والمؤمنين ، قريبي ابن عمي ، ما إلى ذلك ، هذا هو الذي يخرب الدنيا ابن عمك ، لانك تأتي به، تسلمه وزير مالية يسرق كل الأموال ، وهو لا يصلي ، أو فاسق فاجر ، ابن عمك ، ابن خالك ، ابن هذا الذين أمنوا هؤلاء أقاربك.

قد يحتج واحد يقول : إذن لماذا كان إبراهيم يستغفر لأبيه (عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، إن إبراهيم لأواه حليم) أي كثير الاستغفار ، وعفوٌ عمن يسيء إليه (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم).

هنا ضلال المعصية ؛ الذي هو الاستغفار للمشركين ، أي أن الله عز وجل لا يؤثمكم بسبب استغفاركم لأقاربكم المشركين قبل أن تنزل هذه الآية، وقبل أن تبين لكم هذا الحكم.

وقيل : نزلت في بعض الصحابه الذين استشهدوا قبل نزول بعض الأحكام ، فسألوا عنهم ؛ سأل بعض الصحابه عندما نزلت آية تحريم الخمر ، إذن : ما هو مصير مصعب وحمزة الذين لقوا الله والخمر في بطونهم؟ فالله عز وجل قال : (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون) لأنه:(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (الاسراء : ١٥)

والعذاب بعد البيان.

(إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت) هذه الآيات كلها مرتبطة ببعضها البعض ، مرتبطة بالجهاد ، ما خرجت عن الجهاد (إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) (التائبون العابدون) ، (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) لأن الجهاد قائم على ركن ركين وهو الولاية ، ولأنه عبادة جماعية لابد فيه من ولاية المؤمنين ، ومعاداة الكافرين ، ثم قال الله لهم (إن الله له ملك السموات والأرض ، يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) ، هذا حث على قتال الكفار، لأن الله مالك السموات والأرض ، هو الذي يحيي ويميت وهو الذي بيده الولاية وبيده النصرة، فهو قادر على نصرتكم مع كثرة أعدائكم وقلة عددكم.

(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) ، من هم ؟ أهل تبوك ، كم كان عددهم؟ ثلاثون ألفاً ، تبوك كانت في رجب سنة تسع للهجرة ، وهي أكثر غزوة غزا فيها من المسلمين.

التربية الجهادية للأمة

الرسول ﷺ غزا ببدر بثلاثمائة وأربعة عشر رجلا أو بضعة عشر رجلا ، وبأحد بسبع مائة . وبالخندق بثلاثة آلاف ، وبالحديبية بألف وأربعمائة ، وخيبر نفس الذين اشتركوا في الحديبية هم الذين سمح لهم رسول الله ﷺ بالاشتراك في خيبر ، لأنه كان يعلم أنها ستفتح ، فسيقسمها عليهم ، فالذين اشتركوا في الحديبية قال فقط هؤلاء هم الذين يذهبون إلى خيبر ، فاشترك ألف وأربعمائة فقط في خيبر سنة سبع هجرية، مؤتة كانوا ثلاثة آلاف، تبوك كانوا ثلاثين ألفا، ولم يتخلف من الثلاثين ألفا إلا ثلاثة، وهذا يدلك على التربية الجهادية التي رباها رسول الله ﷺ للمجتمع المسلم ، المجتمع المسلم بدأ يتدرج ، يتدرج حتى وصل القمة في الجهاد ، في بدر ..

(يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) (الانفال : ٦)

في أحد يقولون :

(لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان) (آل عمران : ١٦٧)

رجع ثلث الجيش ..

في الخندق ..

(ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة) (الاحزاب : ١٣)

في تبوك ثلاثون ألفا تخلف منهم ثلاثة فقط ، من كل عشرة الاف تخلف واحد ، وهذا دليل على نجاح التربية النبوية الكريمة. التربية للأمة الإسلامية تربية جهادية على دفع التكاليف من أجل معركة هذا الدين ، وإلا كيف وصل إلى هذا؟ في مدة سبع سنوات يصل بالأمة إلى هذا المستوى أن لا يتخلف من ثلاثين ألفا إلا ثلاثة !.

- أي قمة هذه؟! أي قمة للتربية التي بلغها رسول الله ﷺ؟! رغم أنف الشيعة الذين يقولون إن أبابكر وعمر وعثمان زنادقة! وأبو هريرة وفلان وفلان ، نعم ، صدّقوا أنا قرأت في كتاب اسمه (كشف الأسرار) للخميني يقول : إن هؤلاء زنادقة -عن أبي بكر وعمر وعثمان- ، ويورد الأدلة على فسق عمر وعلى زندقته ، وأنه خالف القرآن في مواضع شتى ، وأبوبكر ماذا فعل بفاطمة عندما أكل إرثها، وعمر عندما علم أن فاطمة وراءالباب ضغط الباب حتى أجهضت فألقت محسنا، ولذلك ، عند الشيعة : حسن وحسين ومحسن، ومحسن هذا جنين ألقته فاطمة من بطنها بسبب ظلم عمر ، وهو يعلم أنها وراء الباب ، ويعلم أنها حامل ، لكنه انتقاما من فاطمة زوجة علي ضرب الباب بشدة حتى أجهضت .

نعم ...إن الناظر في تفكير الشيعة يقول : طعن في النبوة ذاتها، كل الذين حول الرسول ﷺ أشرار منافقون، وزنادقة وسراقون ولصوص وقطاع طريق، وما نجح إلا بتربية علي ، إلا علي وأبي ذر وسلمان وعمار والمقداد، هؤلاء الخمسة، ما نجح إلا تربية خمسة ، وزيرا رسول الله ﷺ (**سيدا كهول أهل الجنة** – في الحديث الصحيح- **أبو بكر وعمر لا تخبرهما يا علي**)[1] حديث صحيح.

(**أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة**) أين يذهب بها الشيعة ، الرسول ﷺ معنى ذلك لا يعرف شيئا ، ما كان يعرف أنهم لصوص كذابون و نصابون! ما كان جبريل ينزل عليه كان يقول له : أبعد عنك هؤلاء ، دخل ودخل معه أبوبكر وعمر ، خرج و خرج معه أبوبكر وعمر ، (**أثبت أحد إنما عليك نبي وصديق وشهيدان**) ، أين يذهب الشيعة بهذه النصوص؟ (**لوكان نبي بعدي لكان عمر**)[2].

(**كنا نرى أن السكينة تتحدث على لسان عمر**) (**إن الملائكة كانت تتحدث -ملك- على لسان عمر**) أين يذهبون بهذا الشيعة؟ (**قاتلهم الله أنى يؤفكون**)! ولو كان النبي ﷺ فاشلا بالتربية ، معنى ذلك أي واحد من الدعاة ناجح أكثر من الرسول ﷺ !!

(**لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار**) معهم أبوبكر وعمر أم لا ؟ اشتركوا في غزوة تبوك أم لا؟

- (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) (الفتح : ١٨)

معهم أبوبكر وعمر أم لا ؟ أين يذهب الشيعة بهذه الآيات (قاتلهم الله أنى يؤفكون)؟ أين يذهبون بهذه الآيات؟

(الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات)! (النور : ٢٦)

عائشه.. عشر آيات نزلت لتبرئتها من السماء، ومع ذلك يتهمونها، تكذيب لنص القرآن ، ولذلك الشيعة يذهبون إلى أن الآيات ما نزلت في عائشه ، نزلت في مارية القبطية ، حتى لا ينطبق عليها وصف الطيبات للطيبين.

وآيات الإفك وتبرئتها هذه ليست في عائشه ، في مارية القبطية !!

(لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) لأنها كانت وقت شدة القيظ وشدة الحر ، وعندما طابت الثمار ونزلت ، كان تمر المدينة نازلاً ، قال لهم تفضلوا على تبوك ، حر ، شدة ، عطش ، وخرجوا لم يتخلف إلا ثلاثة ، تركوا الظلال والثمار وخرجوا ، يتعاقب الثلاثة منهم على بعير واحد ، الثلاثة منهم على بعير واحد! و من أين ؟ يمشون من المدينة المنورة إلى تبوك، ستمائة وخمسون كيلو متراً ، الآن عندما نقطعها في السيارة ونحن ذاهبون أرواحنا تخرج من العطش ، لا شجر ، لا حجر نستظل فيه ، وسيارات الأردن ليس فيها مكيفات ، ففعلا كانت أكثر منطقة الإنسان يحسب حسابها في عمرة رمضان، منطقة مابين تبوك إلى المدينة المنورة ، متعبة جداجدا ، ستمائة وخمسون كيلو متراً مشوها ، وخرج رسول الله ﷺ في رجب ، وأقام هناك شعبان وجزءا من رمضان ، ثم رجع رسول الله ﷺ بعد ما دانت له العقبة ودومة الجندل ، والإمارات التي حولها ، أرسل خالدا وعقد صلحا مع العقبة الأردنية ، ومع دومة الجندل ومعان الأردنية ..الآن أردنية ، هي من زمان الحقيقة تابعة للشام ، لا تطالبوا فيها يا سعوديين !! هي اسمها معان الشامية من زمان -أكرمكم الله-، لكن .... لا أردن ولا سعودية ولا سورية ولا هذه ..

الغرب لنا والصين لنا — و الهند لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا دينا — وجميع الكون لنا وطنا
دستور الله لنـــا ديـــناً — أعددنا القلب له سكنــا

---

(١) حديث صحيح رواه الترمذي بلفظ «هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين لا تخبرهما يا علي» أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٨٢٤) وجامع الصغير (٧٠٠٥). (٢) حديث حسن رواه الترمذي بلفظ «لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب» أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٣٢٧).

القومية دين جديد

إيش الأردن؟ إيش سوريا؟ ولماذا هذا؟ الحدود من جددها؟ سايكس وبيكو وزير خارجية بريطانيا ووزير خارجية فرنسا ، نعم، قال : هنا حدودكم (ديروا بالكم) يا أردنيين على الحدود ، إذا تقطع كيلو متراً بعدها ما لك هذه ، هذه ليست دين الأردني، دين جديد، والرمثا هنا آخر شيء ، انتبه! بعدين تبدأ سورية.

ولذلك صار الإنسان يحس بدين جديد فعلا، الدين القومي الإسلامي الذي رسخ حتى في أذهان الدعاة. فصار الدعاة يذبحون في سوريا ، المسلم العراقي لا يتأثر، لماذا ؟ لأنه في الخط الذي رسمه سايكس وبيكو وزير خارجية بريطانيا ووزير خارجية فرنسا.

في إحدى الإمارات ، الإمارات العربية المتحدة ، سقطت طائرة ، فاختلف الشرطة أنها للشارقة وإلا لدبي ، من الذي يحقق فيها ، قالوا : هذه في أرضنا وهذه في أرضنا ، اختلفوا .. نعم اختلفوا ، وكيف الحل ؟ لا حل ، ذهبوا أتوا بالذي خطط من لندن حتى يقول هذه في أرض الشارقة أو في أرض دبي.

أي عقليات هذه يا أبناء الإسلام ، هكذا وصل التفكير، نحصر ديننا وتفكيرنا وآمالنا في بقعة ، الفارق بينهما شارع ، الفارق بين عجمان وبين الشارقة دوار ، ليس شارعاً ، بين الشارقة وبين عجمان دوار ، نعم .

فمصيبة والله ، مصيبة! أين ولاء الإسلام؟ ولاء المؤمنين؟ أخوة الإسلام أخوة الإيمان؟ (الذين اتبعوه في ساعة العسرة) الشدة (من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم) إما بعدم الذهاب ، أو بالرجوع من الطريق (ثم تاب عليهم) سبحانه.

ترى هو من الله عز وجل ، ثباتنا من الله عز وجل ، طبعا، والله طيلة وجودك في الجهاد من الله وإلى الله عز وجل ، وإلا الواحد يرى أشياء تنغص عليه ، وأحيانا الشيطان يلبس عليه، ويقول له لو ذهبت إلى مكان كذا يكون أفضل للإسلام والمسلمين ، من هنا يدخل الشيطان ، فهو من الله وإلى الله، تثبيت.

الطغمة الناصرية وتعذيب الدعاة

يقول بعض الإخوة في مصر، هؤلاء الذين كانوا يعذبون حتى يقدموا أسماء إخوانهم الذين معهم ، قالوا : ظلوا في الليل، نقول : غدا سنقول لهم الأسماء ونرتاح من التعذيب ، قال عندما يأتي موعد التعذيب ، الله عز وجل يثبتنا.

الحاجة زينب الغزالي هذه ضربت ست آلاف وثمانمائة سوط ، كانت الجروح من كل مكان تنزو دما وصديدا، كان رأسها بهذا الشكل، عيناها غائرتان في الورم، نعم ، فقالت : عندما دخلت السجن جاءوا بي حتى يروني المجازر ، على المعلقين على العروسة الروسية في التعذيب وهذا، فقلت: «صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»[1] قالت: وإذا بواحد يضربني كفاً من وراء، التفت ارتج بدني، قالت أول مرة أضرب في حياتي ، لم أضرب في حياتي أبدا ، قال لها : امش، قالت : أخذوني على الزنزانة ، فكانت نفسيتي تعبانة، فجلست في الزنزانة ، قالت : غفوت أو سهوت دقائق ، فرأيت رسول الله ﷺ ، فقال لها رسول الله ﷺ : يا زينب أنا رسول الله، وأنت على حق، يا زينب أنا رسول الله وأنت على حق ، يازينب أنا رسول الله وأنت على حق .. وأنت على حق ، ثم ذهب، قالت : بعد هذه الرؤيا والله لو قطعوني إربا إربا ما أعطيتهم اسم واحد من الإخوان ، وهي تعرف كل أسماء الإخوان ، لأنهم كانوا يجتمعون في بيتها، كانوا يجتمعون في بيتها ، ولذلك جن جنون عبد الناصر ، صار يلطم هكذا ، ويضرب رأسه في الحائط ، كاد يجن وأخذوه على (تسخال طوبو)! ، هذه الحمامات المائية الساخنة في الإتحاد السوفياتي ؛ حتى يهدئ أعصابه ويعيد له عقله ، كان يقول : إزاي مرة، ‹مرة شتيمة في مصر›، مرة يعني بنت شارع– ، مرة وقباني –قباني عبد الفتاح إسماعيل– يسرقوا مني جيل الثورة، إنتو فين ؟ أنتم بتعملوا إيه ؟ –للمخابرات– ، قباني ومرة يسرقوا مني جيل الثورة؟ فبدأوا يعذبونها، ثمانية أشهر تعذيب ، وكان أربعة أطباء يشرفون على تعذيبها ، حتى لا تموت تحت التعذيب ، حتى تبقى تعذب ، فبعض الأطباء ؛ طبيب شيوعي أسلم عندما رآها، خمس سنوات ما نامت خمس دقائق، وصحتها كما هي، وعقلها كما هو، قال: (إذن في إله ، الطب تبعنا يقول : عشرين يوم بينجن أو بيموت ، هذا طبنا غلطان ، معناه في إله وراء هذه المرأة).

مرة عذبوها قالت : يا رب ، عشرة أيام وضعوها في داخل بركة ماء ، في الليل يضعونها في بركة ماء إلى هنا ، في النهار تتردد على غرف التعذيب ، ثلاثين غرفة للتعذيب ، وكل غرفة فيها من أدوات التعذيب ما ليس في الأخرى ، من الصباح للمساء في غرف التعذيب ، في الليل في جراحها يأخذونها ويضعونها بثيابها بالماء البارد ، إلى هنا الماء (وأشار الشيخ إلى صدره)، قالت:

---

(١) حديث مشهور في كتب السيرة وقد رواه أحمد والحاكم، أنظر الإصابة لابن حجر ٦١٠/٢.

كانت تأخذني سنة من النوم ، فيخفق رأسي هكذا ، فأريد أن أقوم يضربني الشرطي ، الشرطي واقف فوق رأسي ، إذا أردت أن أقف ، في أثناء هذا لا وقت ولا لحظة للأكل أو شرب أو نوم ، مائتان وأربعون ساعة متواصلة ، عشرة أيام ، قالت : أحيانا كان يخفق رأسي ففي هذه الإخفاقة كان يمد إليّ صحن من ذهب عليه طعام ، قالت : أخذ حبة عنب ، لكن عنب ليس مثل عنب الدنيا ، الحبة طول الإصبع ، والله هكذا أشارتها ، (العتباية أد كده) كانت تحدثني، الله يذكرها بالخير ، هيّ حية لازالت ، لكن والله أحسن من ألف رجل مجاهد ، نعم ....

فالمهم قالت : (العنباية أد كد) ، قرن الموز ليس مثل الموز في الدنيا ، الدجاج محمّر ، أقول لها : يعني سورة الواقعة مجسمة على الطبق ، قالت : آخذ قطعة دجاج ، أقوم وطعم الدجاج في فمي ، طعم العنب في فمي.

المهم قالت : يا رب! هل يمكن أن عبد الناصر يعلم عن تعذيبنا ، اللهم إن كان يعلم –استخرت – فأرني ذلك قالت : بعدها بيومين جاءوا بي للتعذيب ، قال : هاتها ياصفوت ، إرفعها خمسمائة كرباج ، يعني عن خمس حدود زنا ، قالت : كانوا يربطون يدي ورجلي ، ويعلقونني هكذا ويضربون.

فالمهم قالت : كنت أربط ثوبي بخيطان حتى عندما يتمزق الثوب ما يبين اللحم ، قالت : نزلوني شبه ذبيحة ورأسي ورجْلي ويدي -كانت تقول- : (يدي أد كده) .

فقال هاتها ياصفوت ، ضعها على الكنبة ، ووضعها على الكنبه.

الأثر الحضاري للجهاد (١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين، وما كان قولهم إلا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) (آل عمران : ١٤٦-١٤٨)

ذكريات

من أين أبدأ؟ وكيف أنتهي؟ فالحديث كله عذب ، والروح تعلقت به ، تعلقت بالجهاد ، استعذبت عذابه، واستحلت مرارته، أشواك الطريق كانت حريرا ، وأشلاؤه ودماؤه كانت رواء لشجرة العقيدة في جذور أعماق النفس البشرية ، وفي واقع الأرض الإسلامية ، والنفس مع الجهاد كما قال الشاعر:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي — متأخر عنك ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة — حبا بذكرك فليلمني اللوم

ومن أكبر نعم الله عز وجل التي أحس بها في قرارة نفسي عليّ .. -بعد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)-، أن منّ عليّ بالحياة مع الجهاد في أفغانستان، ما أجد نعمة أنعم الله عليّ بعد التوحيد من الجهاد، لأن الجهاد كما قال ﷺ: **(ذروة سنام الإسلام)**[1].

(١) جزء من حديث صحيح أخرجه الترمذي وابن ماجة وأحمد (أنظر إرواء الغليل ١٣٨/٢).

وقصتي مع الجهاد قصة يطول ذكرها ، إنما هي فضل من الله ونعمة ، والحمد لله أولاً وآخراً ، ومن قبل ومن بعد ، فلقد منّ ربي عليّ أن تذوقت الجهاد في فلسطين سنة تسع وستين إلى سبعين ، وبقينا مع الجهاد حتى ضرب العمل الفدائي سنة ١٩٧٠ ، ثم عدنا إلى الحياة المدنية بأجسادنا ، ولكن أرواحنا بقيت معلقة بالجهاد ، عدنا إلى الحياة ودرسنا وأخذنا الدكتوراه ، وعدت أستاذاً في الجامعة الأردنية ، ولكنني لا أحس السعادة التي كنت أرفرف بها فوق سماء فلسطين ، وعدنا ، وكما قال الشاعر *:

أنظر إلى أولئك القادمين في عين الخيال ، أحلم هل يمكن أن يمن ربي علي مرة أخرى فأستعذب تلك الفترة ، وأعيدها واقعا فوق الأرض أجسادا وحركات ، ليالي وأياما ، أقول عدت كما يعيش الناس ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

(وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) (التوبة : ٨٦-٨٧)

{يعلمون} آية أخرى .

كتب القتل والقتال علينا — وعلى الغانيات جر الذيول

عدنا كالنساء والأطفال ، نعيش كما يعيشون، ونأكل كما يأكلون ، وكتب عليها : أن الرصاصة جريمة يؤخذ بجريرتها وجريمتها صاحبها ، يؤخذ علينا بالنواصي والأقدام ، ونظرت في واقع الأرض بعد فترة فوجدت وسمعت أن هنالك جهادا في ذرى الهندوكوش ، وجهادا تتردد أنباؤه في أرض اليمن ، فأزمعت ويممت إحدى المنطقتين ، وكتب الله لنا التيسير والتوفيق إلى أفغانستان ، وصلت أفغانستان وما صدقت ما رأيت ، رأيت بعيني فوق ما كنت أسمع ، وأنا الفلسطيني المنتقل من هزيمة إلى هزيمة ، الذي شهد نكبتين لشعبه خلال عقدين من الزمان، وكنت أثناء الإحتلال سنة سبع وستين في بيتي في الضفة الغربية أثناء الإحتلال ، ورأيت الدبابات الإسرائيلية تدخل وتجتاح المنطقة دون أن يطلق عليها طلقة ، كنت أعيش هذه المآسي جراحا تنزف ، وآلاما تعتمل في الأعماق ، وأرى الانهيارات العسكرية والسياسية والاجتماعية، وأرى الإستسلام الذليل الذي يبحث عنه في المنطقة ، وفجأة وإذا أنا بين شعب أسد وكل واحد منهم أسد .

أسد دم الأسد الهزبر خضابه — موت فريص الموت منه ترعد

قلت الحياة حياتكم ، والممات مماتكم ، هنا وجدت نفسي، وأنذر نفسي لهذا الجهاد ، حتى يظهره الله عز وجل أو تنفرد هذه السالفة ، ومضيت مع الجهاد في أفغانستان ، وأخذت على نفسي عهدا أن لا أتكلم إلا في قضية أفغانستان ، وحيثما دعيت في أي مؤتمر في العالم ، وفي أية محاضرة لابد أن تحظى قضية أفغانستان بسهم وافر من كلامي ، حتى قلت ذات مرة لأصحاب المؤتمر الشباب المسلم في أمريكا – رابطة الشباب المسلم العربي – قلت : لو وضعتم لي محاضرة في الكومبيوتر أو في الرياضيات لأدخلت بها قضية أفغانستان ، ولامني قومي، وكثرت الأقاويل ، وأنا أعذرهم، لأنهم لا يعيشون في الجو الذي أعيش فيه ، وأقول : يا قوم والله أنتم في واد ونحن في واد ، أرواحنا ليست عندكم ، تعلقت بأولئك القوم الذين خطوا دين الله من جديد بنجيعهم ، والذين رووا نبتته ومبادئه ، وغذوها بعظامهم ولحومهم .

سننقل الحركة إلى فلسطين

قالوا : عبد الله عزام ترك فلسطين، ولا يتكلم عن فلسطين ، وانشغل بقضية أفغانستان ، وهواه وقلبه في هوى الغرباء ، مدمن منشغل ، فكنت أردد بيني و بين نفسي : لايعلم قومي الذين ولدت بينهم أني أعيش جراحات القدس حول كابل ، وأني أحس بآلام عكا وسيلة الحارثية – قريتي – وجنين هناك في بكتيا وبروان وبدخشان وبنجشير وغيرها ، وكنت أردد أبيات متمم ابن نويرة :

لقد لامني بين القبور على البكا — صديقي لتذراف الدموع السوافك

فقال أتبكي كل قبر رأيته — لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

فقلت له إن الشجى يبعث الشجى — فدعني فهذا كله قبر مالك

إن شجى أفغانستان يبعث شجى فلسطين ، وما علم قومي وأنا فوق ذرى الهندوكوش أول صورة كانت تتردد في ذهني : كيف أنقل هذه الصفحات المشرقة وهذه التضحيات العزيزة إلى ربوع القدس ، وإلى ضواحي نابلس ، وإلى الكرمل ، وإلى صفد ، وإلى

---

* الشيخ روى الشعر بالمعنى.

حطين مرة أخرى ، هم لا يعلمون، يعيشون سواء في الأردن أو في الخليج أو في السعودية أو في الكويت ، ويوهمون أنفسهم أنهم يخدمون فلسطين أكثر مني ، يكفي أني حافظت على جذوة الجهاد في أعماقي فلم تنطفيء ، ويكفي أن نفسي لم تمت من خلال ركام العادات والتقاليد وزيادة تكاليف الأسرة والعيال والأولاد ، أثقال وقيود تشدني إلى الأرض ، كنت أتمنى أن يفهم بنو قومي أين أنا، وكنت والله أتمنى أن أنقل الكثير من بني فلسطين ومن الأردن ومن المناطق المحيطة بإسرائيل ليتربوا على العزة ، ليتقوى التوكل في أعماقهم ، ليرتبطوا بربهم ، ليعيدوا الثقة بالجبار القهار ، لينسوا هناك في أرض الأبطال ومكرّ النزال ، لينسوا القوى العظمى ، أنه ليست هنالك في الأرض قوى عظمى ، إنما قوة رب العالمين هي القوة العظمى فقط ، لقد تعلمنا من أفغانستان الكثير ، وما خسرت فلسطين بنا والله ، فأذهاننا مشدودة إليها، وسنتقل المعركة إليها إن شاءالله.

التوحيد العملي

عشت في أفغانستان فأدركت أن التوحيد في النفس البشرية لا يتعمق ولا يتقوى في ميدان مثل ميدان القتال ، التوحيد الذي يقول عنه رسول الله صلى الله عليه : **(بعثت بين يدي الساعة بالسيف- لماذا؟- حتى يعبد الله وحده لا شريك له)**(١).

إذن : إقرار التوحيد في الأرض بالسيف ، ليس بقراءة الكتب، ولا بدراسة كتب العقيدة ، إن رسول الله ﷺ علمنا أن توحيد الألوهية الذي بعث من أجل إقراره في النفوس وفي واقع الأرض لا يتعلم تعليما ، إنما يُربي في النفوس من خلال المواجهات والأحداث ، من خلال المواقف في وجه الطواغيت ، من خلال التضحيات التي تقدمها النفس البشرية ، وكلما قدمت النفس البشرية لهذا الدين كلما فتح لها هذا الدين أسراره ، وكشف لها عن كنوزه ؛ وفي المناسبة كان بعض الناس ممن لا يفهمون طبيعة التوحيد يصمون هؤلاء القوم الذين شرف الله بهم المسلمين ، والذين رفع الله بهم هامة كل مسلم في الأرض ، والذين حملوا الإسلام من الهوة الهابطة إلى أن وضعوه على منصة الموائد الدولية ، يزاحم القوى التي يسميها الناس القوى الكبرى في واقع الأرض ، الذين أعادوا هيبة الإسلام التي كانت قد غابت بسبب غياب الجهاد **(ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، قالوا: وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت)**(٢).

والهيبة منا لن تعود إلا بالسيف وبالقتال ، أقول : بعض الناس الذين لا يفهمون طبيعة التوحيد نفسه ، إنما قرأوا بعض كلمات كانوا يقولون : إن في عقائد الأفغان شيء من الشركيات والبدع وغير ذلك.

ومنــــا مـن يقول لــــهم	*عقيـدتكـــم بهـا خـــــلل*
معــاذ الله هـــذا الإفــك	*ممــــا ليس يحتمــــل*
لهيب الشـــرك لا يطفيــــه	*إلا الأحمـــر الهـــطل*
وهل سندت خطى التوحيـــد	*إلا البـــيض والإســـل*
خـــوالف أمتــي مهـــلا	*بصيـــرتكـم بهـــا حـــول*

الذين يدركون ما هو التوحيد ، ما هو التوحيد العملي : توحيد الألوهية ، التوكل على الله وحده ، والخشية من الله وحده ، والعبادة لله وحده ، هذه لا تفهم من خلال قراءة كلمات في الكتب ، توحيد الربوبية يمكن أن يفهم خلال المحاضرة أو المحاضرتين ، نفهمهم : إن لله يداً ليست كأيدينا ، ونفهمهم قانون وقاعدة الأسماء والصفات ، نثبت لله عز وجل الأسماء الحسنى والصفات العليا التي أثبتها رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة ، أو ثبتت في الكتاب العزيز، من غير تأويل ، ولا تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تشبيه ، ولا تمثيل ، ونقول الاستواء ليس الاستيلاء ، الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، هذا كلنا يحفظه، أحفظتموها أم لا ؟ هذه سهلة ، لماذا ؟ الإيمان النظري ، إيمان المعرفة والإثبات ، ولم يبعث الأنبياء من أجل هذا أبدا ، إنما بعثوا لإقرار توحيد الألوهية ، التوحيد العملي ، الإيمان أن الله – يعني التوكل على الله – أنه خالق ، رازق ، محي ، مميت ، ليس هي المعرفة النظرية التي هي توحيد الربوبية ، إنما إثبات ذلك من خلال مواقف في واقع الحياة ، ولا يبني عقيدة توحيد الألوهية في النفس البشرية خاصة التوكل على الله في قضايا الرزق ، في قضايا الأجل ، في قضايا المناصب ، في قضايا الجاه ، هذه لا تستقر في النفس البشرية إلا من خلال أحداث طوال ، ومسيرة طويلة ، وتضحيات جسام تستقر يوما بعد يوم ، ولبنة بعد لبنة ، يرتفع بناء التوحيد في النفس البشرية ، أنا أقول لكم أيهم يفهم التوحيد أكثر ؟ ذاك الرجل رجل كبير في السن قالوا لي : أغارت علينا الطائرات

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه أحمد (أنظر الإرواء ١٢٦٩).

(٢) جزء من حديث صحيح رواه أحمد وأبي داود (أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٩٥٦).

فاختبأنا إلا رجلاً كبيراً في السن اسمه محمد عُمر ، نظر إلى الطائرة وهي تقصف على المجاهدين ، قال: يارب من أكبر أنت أم هذه الطائرة ؟ من أعظم أنت أم هذه الطائرة ؟ أنت تترك هؤلاء العباد لهذه الطائرات ، رفع يديه هكذا إلى السماء ، ويخاطب الله عز وجل بالفطرة من خلال توحيد الألوهية ، ما أتم كلماته إلا والطائرة تسقط ولم يطلق عليها أي طلقة ، وأذاعت محطة كابل أن طائرة سقطت فيها جنرال روسي ، عقيدة تحرير النفس البشرية من الخوف ، من الخوف على الرزق ، الخوف على الأجل ، الخوف على الوظيفة، هذا الشيخ تميم بيننا ، الشيخ تميم العدناني يوم الثلاثين من رمضان ١٤٠٦هـ هجم الروس ، ثلاث فرق شيوعية ، يعني ثلاثون ألفا تدعمهم الدبابات ، الطائرات ، راجمات الصواريخ ، راجمة يوضع فيها واحد وأربعون صاروخا، يضغطون يخرج واحد وأربعون صاروخا عليك ، تزلزل الجبال تحت أقدامك ، الهاون ، الرشاشات ، المدافع ، مدفعية الميدان ، خمس كتائب روسية ، منها كتيبة سبك ناز – فرقة التقدم السريع– الصاعقه الروسية ، والشيخ تميم في المعركة ، والشيخ تميم وزنه مائة وأربعون كيلوغراما – ولذلك الشيخ تميم إذا غضب على واحد يقول : أنا سأجلس عليك ، خلاص ، معناه الحكم عليه بالإعدام – جالس تحت الشجرة ، يارب ميتة ، شهادة في آخر يوم في رمضان ، الثلاثون من رمضان ، آخر يوم في رمضان ، وبدأ يقرأ القرآن ، أنهى الجزء الأول ، الرصاص من أمام وجهه ومن جانب أذنه ، لا يصدق أحد أنه بقي أحياء تحت الشجرة التي كان يجلس تحتها الشيخ تميم ، والطائرات تقصف ، الهاون يضرب ، الصواريخ ، الشجر كله احترق ، احترق احتراقا ، لا تستطيع أن تقول لجارك جملة كاملة ، قل له معك رصاص ؟ عندما تقول له معك يفصل عن الكلمة الثانية قذيفة هاون أو صاروخ ، أنهى الجزء الأول ، كلما مر بآية من ذكر الجنة **{أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون}** يعيدها يعيدها ، قال : لعل الرصاصة تأتيني مع الجنة **{أصحاب الجنة هم فيها خالدون}** انتهى من الجزء الأول ، الجزء الثاني، إذا مر بآية بذكر النار أسرع لئلا تأتي الرصاصة مع ذكر النار ، أنهى الجزء الثالث ، الجزء الرابع ، الجزء الخامس – والأهوال تنسيك اسمك ، والله يا إخوة إن أصعب شيء كان علينا وقت الاستنجاء ؛ لأنه لا يظن ظان أنه يذهب للاستنجاء ويبقى حيا ، ويخشى أن يستشهد في وقت الاستنجاء ، هذا الذي كان يثقل علينا بالتالي قال : يا رب لا شهادة على الأقل جرح ، خلص السادس ، خلص السابع ، أربع ساعات متواصلة وهو يعيش تحت القصف النازل كالمطر ، قال الشيخ تميم : بعد ذلك اليوم أنا أدركت أنه لا موت ، ما في موت إلا في الساعة التي يريدها رب العالمين ... خلاص ، ما في موت الخطر لا يقرب من الأجل ، والسلامة لا تبعد من الموت ، هذا ما قرأه في فتاوى الشيخ ابن تيمية ، ولا قرأه في كتاب المجموع للنووي ، ولا قرأه في حاشية بن عابدين ، ولا قرأه في كتاب بن القيم ، هذا قرأه من خلال أعصاب تُحرق ، من خلال نفس تُطحن تحت القذائف ، عقيدة التوحيد ، عدم الخوف على الأجل ، الخوف على الرزق ، تجد الإنسان في الحياة العادية إذا قيل له مر مخابرات من باب دارك يصيبه – والله أعلم – شلل نصفي ، أو تقول له : يوجد مخابرات رأيته واقف على باب دارك ، خلاص ، يبقى أسبوعا كاملا لا يستريح في النوم ولو ضاعت عليه صلاة الصبح ، سبعة أيام ما خاف من الله عز وجل كخوفه أن يقال له : إني رأيت واحدا من المخابرات واقف أمام باب بيتك ، هو لماذا يخاف من المخابرات؟ يخاف على الرزق أو الأجل، أيوجد غيره؟ كلا ، إما الخوف على الأجل، أو الخوف على الرزق ، وصارت هذه العقدة في نفوس الناس الشبح الرهيب الذي يقضّ عليهم مضاجعهم ، ويؤرق أجفانهم ، أما لو لم تخف على رزقك ولا أجلك ، لا تخاف ، لو قالوا لك الآن : المخابرات في سوريا زعلانة عليك ، هل يؤثر فيك ساكنا؟ ولا في إفريقيا! إذا هنالك روابط تشدك إلى الأرض هي التي تجعلك تخاف ، فالجهاد حل عندنا هذا المرض ، عقدة الخوف من المخابرات ، عقدة الخوف على الأجل ، عقدة الخوف على الرزق، لأن أغلى ما عند الإنسان الروح ، والروح قد وضعها على كفه يعرضها صباح مساء على رب العالمين ، لبتتقيها إن تقبلها ، وهو يحزن إن لم يخترها رب العالمين ، فعلى أي شيء بعد ذلك يخاف؟

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا — فأهون ما يمر به الوحول

وأحد يتعرض للموت كل يوم ، الوحل يؤثر عليه ؟! أهون ما يمر به الوحول ، فالتوحيد وإقراره في النفس البشرية علمت أنه لا يتربى في النفس –يعني يتعمق في النفس البشرية– إلا من خلال الجهاد.

أصلا كثير من معاني هذا الدين لا تفهم إلا بالجهاد ، ولذا يقول الله عز وجل :

{فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين} (التوبة : ١٢٢)

اللام لام التعليل ، النفير للتفقة في الدين ، فبعض العلماء ذهبوا وقالوا : لا .. الطائفة التي تقعد هي التي تتفقه في الدين، والرأي الذي رجحه ابن عباس – رضي الله عنهما– والطبري وسيد قطب أن الفرقة التي تنفر في سبيل الله هي التي تتفقه في الدين وهي التي تعرف أسراره، ويكشف لها كنوزه، وكما قال الأستاذ سيد رحمه الله : «إن هذا الدين لا يكشف أسراره لفقيه قاعد بارد لا يتحرك لإقامته في هذه الأرض ، إن هذا الدين ليس قوالب تخزّن في داخل الدماغ باردة ، إنما فقه هذا الدين يتأتى من خلال الحركة

لإعادته في الحياة ولبناء مجتمعه مرة أخرى».

نعم! هذا الدين لا تفهم منه إلا بقدر ما تعطيه .. أعطه يعطيك ، قانون البذل وقانون الجزاء ؛ ضح ، رب العالمين يفتح عليك، قدم لهذا الدين يعلمك الله عز وجل آياته وأحاديثه ، أصلا كثير من الآيات لا تفهم إلا من خلال الواقع ، من خلال الواقع الجهادي، طيب سورة التوبة ، سورة الأنفال ، سورة آل عمران هذه كيف تفهمها إن لم تتحرك بهذا الجهاد؟ كيف تفهمها؟ كيف تُفهم؟ ومن هنا أول فائدة من فوائد الجهاد : تحرير النفس البشرية ، إقرار توحيد الألوهية ، -يعني توحيد العبودية ، يعني التوحيد العملي، في القلب، في النفس حتى يصبح الإنسان يتعامل مع رب العالمين كأنه يراه ، يتعامل مع صفاته أنه قريب .

تحيط بأرسلان دبابات من كل مكان، كانوا مجموعة بسيطة، نفدت الذخيرة، تقترب الدبابات، يريدون أن يقبضوا عليهم أحياء، لم يبق إلا الله عز وجل : اللهم لا تجعل لكافر عليّ سبيلا ، وفجأة وإذا بالمعركة تدور على الدبابات يسمع أصواتا و لا يرى أحدا في المنطقة، و ليس في المنطقة أحد غيرهم، تحترق دبابات، يهزم الجيش، ولم يطلقوا طلقة عليهم ، كيف لا يثقون برب العالمين بعدها ؟

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان) (البقرة : ١٨٦)

الشيخ سياف يقول لي : أحيانا آخذ ورقة وقلما حتى أحسب تدبير الطعام للجبهات، أحسبها للجبهة الأولى دبرنا لها ، فيها ألف مجاهد ، في اليوم كل واحد عشر روبيات يعني درهمين ، كل واحد درهمين ألفي درهم في اليوم في الشهر ستون ألف درهم في السنة سبعمائة وعشرين ألف درهم ، طيب خلّصنا هذه الجبهة ، الجبهة الثانية ، الجبهة الثالثة ، بعدما أنهي ثلاث ، أربع جبهات أدرك أن كل الميزانية التي بين أيدينا لا تستطيع أن تسد حاجة أربع جبهات، ألقي القلم وأنظر إلى السماء : الجهاد جهادك فافعل كما تشاء ودبر كما تريد.

الشيخ جلال الدين حقاني قال: في السنة الأولى من الجهاد كان الناس لا يستطيعون أن يصلونا ، كنا أقلة، مجموعة في رأس جبل ، لا يستطيع أحد أن يقترب منا، لا يستطيع أحد أن يقدم إلينا المساعدة ، لا نستطيع أن نوقد النار للشاي حتى الدخان لا يخرج، حتى لا تعرف الدولة أين نحن فتدك علينا الأرض، انتهى الطعام ، قال المرض تصبر عليه ، البرد تصبر عليه، لكن الجوع من أين؟ كيف تصبر ؟ كيف تعيش بلا طعام؟ صليت الفجر، و جلست مهموما فوق سجادتي، وأخذتني سنة من النوم، قال وإذا بشيء يهزني من كتفي من الخلف، هكذا هو جالس على السجادة جلسة الصلاة ، يا جلال الدين ، لقد بقي ربك يطعمك ثلاثين عاما وأنت لا تجاهد في سبيله ، أفينساك وأنت تجاهد في سبيله ؟! .

ولذلك كان معنا أخ مصري زوجته تسأله : أنت أين تشتغل؟ قال أنا في مؤسسة رب العالمين مباشرة ، قال لها فلان يشتغل في مؤسسة التاجر الفلاني ، فلان يشتغل عند الحاكم الفلاني ، وأنا مباشرة أشتغل عند رب العالمين ، من أحسن مني ؟ من أرفع مني ؟ أي حياة أعز من هذه الحياة ؟ ولذلك صدق رسول الله ﷺ وهو يقول : **(من خير معاش الناس -يعني أفضل حياة- رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها ، يبتغي الموت مظانه)**(١).

إذاً : أول أمر هو التوحيد توحيد الله عز وجل توحيد العبودية ، توحيد الألوهية ، التعامل مع الله عز وجل بأسمائه وصفاته ، التعامل مع اللطيف بلطفه، والتعامل مع القريب بقربه، و التعامل مع السميع بسمعه، وهكذا.

ثانياً ، تربية العزة في نفوس الناس، لأن الذل ناتج عن الخوف ، والشجاعة تعطي العزة ، الخوف على المال ، الخوف على الجاه، الخوف على الحياة ينتج الذل ، والتحرر من هذا ينتج العز

والعز في صهوات الخيل مـركبـه ... والمجـد ينتجه الإسـراء والسهـر

عزة المجاهدين الأفغان

والحقيقة ما رأيت أعز من المجاهدين رغم فقرهم ، أحمد شاه رئيس الدولة السابق ذهب يشتري صفقة سلاح من إحدى الدول الأوروبية ، تمت صفقة السلاح ، الثمن موجود ، الصفقة موجودة، تاجر السلاح جاء له بورقة، قال أريد منك توقيعا ألا تستعملوا هذا السلاح ضد إسرائيل ، قال له : نلغي العقد ، قال له لماذا؟ أأنتم ستستعملونه؟ قال لا ، أنت تعرف أننا لن نستعمله ضد إسرائيل، لأن المسافة بيننا وبين إسرائيل آلاف الأميال ، لكنك تريدني أن أوقع على وثيقة إنهاء الحرب التي شنها رب العزة قبل ألف وأربعمائة سنة على اليهود ، تريدني أن أوقع ضد هذا الأمر الرباني ، فأنا لا أريد السلاح ، وألغى الصفقة ، وعاد ولم يأخذ رصاصة واحدة رغم

(١) حديث صحيح رواه مسلم، أنظر صحيح مسلم شرح النووي مجلد ٣٤/١٣.

أنهم بحاجة شديدة إلى السلاح.

إذاً قضية فلسطين عند الأفغان قضية عقيدة ودين ، قضية المسجد الأقصى عند الأفغانيين قضية إيمان و حنين مزروع في أعماق القلب ، نعم هذه مواقف تجاه فلسطين ، هذه مواقف.

سياف دائماً يحدث : قضية فلسطين هي قضيتنا الأولى ، الأفغانيون الأميون ، رجل أمي تجده يقول : اللهم حرر على أيدينا أفغانستان ولا تمتنا إلا في بيت المقدس ، رجل كبير في السن لحب الجنبان واحدودب ظهره ، جاء نكسون الرئيس الأمريكي السابق زار بيشاور ، قالوا له : ترى مخيمات اللاجئين ، دخل في مخيمات اللاجئين، اقترب منه رجل كبير في السن قال له: أنتم لماذا أعطيتم أرض فلسطين لليهود؟ إذاً القضية ليست قضية سياسة عندهم ، القضية قضية دين وعقيدة.

فالمهم تاجرالسلاح عندما رأى أحمد شاه يرفض صفقة السلاح مع أنه لن يستعملها ضد اليهود قال ما رأيت أعزّ منكم أبداً!!.

لو رأيتم المهاجرين القادمين من أفغانستان حفاة يرتجفون برداً ، جياعاً لا يملكون من الدنيا شيئاً ، أحد الإخوة من الجزيرة قادم ويوزع عليهم طحيناً وخياماً ، رجل كبير في السن هو بين القادمين، حالته مزرية عجيبة يرثى لها، فأعطاه كمية من الطحين بخيمة ، قال : أخذني الوقت ، كادت تغرب الشمس ، وقفت بين الخيام التي أوزعها وصليت العصر ، وإذا بالرجل يرجع الطحين والخيمة ويرميها في وجهي ؛ قال : أنا لا أريد مساعدتك، أنت لا تجل رب العالمين ، قال له : كيف ؟ قال: أنت صليت بالحذاء ، معنى ذلك أنت لا تحترم الله عز وجل .. لا تجله ، قال : فجئت بواحد وترجم له : أن رسول الله ﷺ كان يصلي بالحذاء قال : كذلك ، قال: نعم ، قال : إذن ، أنا آخذ المساعدة ، ميت من الجوع ... ميت !!.

ومن هنا العزة التي بناها الإسلام في أعماقهم هي التي جعلتهم يقفون أمام الدنيا كلها ، والمؤامرة العالمية عليهم تريد أن تختلس ثمار جهادهم، وهم وقفوا أمام العالم كله ، والله يا إخوة : لو كان عندي وقت لحدثتكم عن المؤامرات العالمية التي جرت عليهم خلال الأربع سنوات الأخيرة، وخاصة في السنة الأخيرة، لا يمكن لهذه المواقف أن تكون إلا من مجاهد أبداً ، روسيا ضربت ضربة شديدة ، ولذلك الشيوعيون في العالم العربي مساكين والله ، لم يسلموا العزة لروسيا ، خلاص انكبوا مزعوا الدفاتر انتهت الشيوعية في الأرض ، نفس غورباتشوف رجع عن الشيوعية قتل الأفغان دماغه ، انتهت الشيوعية، تكتب الصحف العربية وغيرها انسحب الروس ، هل الروس انسحبوا ؟ الروس اندحروا هزموا ، مزقوا شر ممزق في أفغانستان.

يا إخوان : أنتم لا تعرفون حال الروس في داخل أفغانستان، والله التقيت مع أسير روسي -مع مجموعة أسرى لكن واحداً منهم- أقول له ممن تخاف كثيراً ؟ أي شيء يخيفكم كثيراً ؟ قال والله أكثر شيء نخاف منه في المطار المحمي بالصواريخ ، بالطائرات بالدبابات ، بحقول الألغام ، بالأسلاك الشائكة ، قال: والله لا ننام ليلة نضع رؤوسنا على الوسائد إلا ونظن أنها الليلة الأخيرة في حياتنا ، لأي شيء ؟ قال نخشى من مير محمد .. مَن مير محمد ؟ قائد مجموعة ، شيخ مسجد عنده مجموعة من حول المطار ، يخافون أن يأتوا ويذبحوهم بالسكاكين ، في المطار ، يا سلام!! ... يا سلام!! ... يا سلام!! هذا محمي بكل الوسائل ويخاف من مير محمد يذبحه بالسكين، لأن بعضهم يحب الذبح بالسكاكين ، لا يحب إطلاق النار، نعم ، واحد اسمه عبد الصبور ، شاب في كابل، قلت له : يا عبد الصبور ، كم واحداً قتلت من الشيوعيين ؟ قال : الذين ذبحتهم بالسكين في كابل تسعة وعشرون ، نعم ، يا سلام ..!!

إن المنيـــة لـــو لاقتهـــم جفلت رعنـــاء تتهـــم الإقـــدام والهـــربا

شجاعة المجاهدين الأفغان

المنية تخاف منهم – حامل السكين الكندرجي هذا الحذاء هذا الرقيق الناعم ، موجود في جيبه ماش يمر بالشارع، يلقى -مثلاً- شيوعياً ، شاب حالق لحيته ، مطول شواربه ، هذا الشاب المجاهد لابس (جينزكابوي) حتى يظنونه من أولاد الشوارع ، أولاد البسكوت، يأخذه على جنب ، يقول له : يا أخي تعال اقرأ لي هذه الرسالة معي، ويمد يده على جيبه على الرسالة ، ويأخذه على طرف الشارع بسم الله الله أكبر ذبح شرعي ويمشي، ليس لحماً بلغارياً ولا رومانيا ، ذبح بالطريقة الإسلامية.

شاب عمره إحدى وعشرين سنة، أمام وزارة الداخلية، واقفة سيارة محافظ هرات وبجانبه مستشار روسي، يرى السيارة، يميل عليهم يقتل اثنين ويركب في السيارة، ويأتي بها من باب وزارة الداخلية إلى بيشاور حتى يسلمها لحكمتيار، هم الحقيقة جن جنونهم، الروس صاروا يفكرون أن الأفغان جن وليسوا بشراً، صدقوا أنهم لشدة رعبهم بعضهم كانوا يظنون أن الأفغان لايموتون، نعم.

حدثني الشيخ أرسلان – وهو من القادة الثقات – قال : جاءت الطائرات قصفت مركزنا ، اتصلت الطائرات بالدبابات الشيوعية والروسية قالوا : تقدموا دككناهم وذبحناهم، قالوا : ما ذبحتوهم ، الأفغان شياطين ينزلون تحت الأرض لا يموتون ، قالوا:

تقدموا دككنا المركز وانتهى ، قال : تقدمت الدبابات وطلعنا لهم وخرجنا، وبـ (R.B.J) وحرقنا مجموعة من الدبابات وهربت البقية ، قالوا لهم : ما قلنا لكم أن الأفغان لا يموتون ، صدقوا لشدة رعبهم -أنا لا أتكلم خيالا ولا مجازا- من شدة رعبهم من "الله أكبر" يظنون أن الله أكبر نوع من القذائف ؟ يبحثون عن أسلحة مضادة لقذائف الله أكبر ، على التلفاز الروسي يسألون جنديا راجعا من كابل ، قالوا له : كيف حالكم ؟ كيف حال الجيش الروسي في كابل ؟ قال عندما نسمع صوت (الله أكبر) نبول على ثيابنا ، لا تظنوا الروس انسحبوا من خاطرهم ، لقد حاولوا المستحيل أن يبقوا في داخل أفغانستان، فلم يستطيعوا ، لا يمكن أن يظلوا ، لا يمكنهم أبدا إلا إذا زرعوا أسدا في جوف قلب كل روسي ، الحالة منهارة جدا ، معنويات متهاوية ، قائد الجيش الروسي عندما انسحب أقام مؤتمرا صحفيا في ترمذ على حدود النهر - بلد الترمذي - قال: هذا اليوم الذي كنا نتمناه منذ سنوات ، هذه حالة قائد جيش منسحب ، هل هذه حالة قائد جيش غاز؟ وغورباتشوف قال : لقد كان دخولنا إلى أفغانستان خطيئة .

ضياء الحق والجهاد الأفغاني

ضياء الحق رحمه الله - ادعو لهذا الرجل كثيرا كثيرا ؛ فما أكتحلت عيناي بحاكم أفضل منه ، وما رأيت رجلا يتكلم بقلبه أو بجبينه بدمعته مثل هذا الرجل ، تشعر أن الرجل يتكلم من أعماقه عندما يتكلم ، وعندما يتكلم ينسى أنه رئيس دولة، وأن التلفاز يبث إلى العالم ، كأنه خطيب مسجد ويخطب والله إن خطباء المسجد في بلادكم يحتاطون ويتوّعون ويحسبون حسابا أكثر من ضياء الحق وهو يتكلم على شاشة التلفاز للعالم، -قال : التقيت بالسفير الروسي ، قلت له : أنتم وصلتم الفضاء بأقماركم الصناعية وبمراكبكم الهوائية ، ولكن يبدو أنكم ما درستم التاريخ ، قالوا : كيف ؟ قال لو درستم التاريخ ما دخلتم أفغانستان ، أما علمتم أن الأفغان قد قهروا كل البلدان، الذين دخلوا بلادهم.

سقوط الشيوعية في الأرض :

لكن ورطة يا جماعة ، إلى متى ستبقي الشيوعية تنخر في أعماق العالم الإسلامي ، وتدمر العالم ، يكفي ما هي الآن مر عليهم سبعة عقود سبعون سنة ما دمرت فكرة من الفكر في العالم كما دمرت الشيوعية .. ما دمرت ، تدمير ، خراب ، إجرام ، كله قائم على الإلحاد ، الدين أفيون الشعوب ، صراع الطبقات ، الحقد يصوغ ، كل الفكرة قائمة على الحقد ، فالله أراد أن يهزم الشيوعية ، الآن خلاص الحمد لله ، انتهت الشيوعية .

كارلوتشي وزير الدفاع الأمريكي يلتقي بوزراء دفاع حلف الناتو ، قال وزراء دفاع حلف الأطلسي لكارلوتشي : يبدو أن غورباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب ، قال : أو تظنون ذلك ؟ لقد أجبر الأفغان غورباتشوف أن يغير سياسته تجاه العالم كله ، وجدوا أن عقيدة الشيوعية عبارة عن أوهام ، يمشى الناس وراء السراب منذ سبعة عقود ، ما فتح عيناه غورباتشوف إلا ووجد روسيا قاعا صفصفا ، روسيا التي كانت تمد العالم الغربي بالقمح ، مقاطعات أكرانيا وليتوانيا الآن تنتظر شاحنات القمح الأمريكية شهرا شهرا ، ما عندهم الفلوس ليدفعوا ثمن القمح ، ستة عشر مليون طن قمح تستورد سنويا من أمريكا ، و تتكفل بثمنها ليبيا ، هذا تاجرالقمح هو نفسه تاجر سلاح بترول هذا (اونولد همر) اليهودي العالمي المعروف، وهو الذي بقيت شركته الوحيدة تعمل في ليبيا، شركة (اكسدنتل)، يأخذ القمح من أمريكا ويعطيه لروسيا، ويأخذ السلاح من روسيا ويعطيه لليبيا ويأخذ الفلوس من ليبيا ويعطيها لأمريكا ، الآن قطع في الاتحاد السوفياتي مرهونة على ثمن القمح لأمريكا ، يعني سقطت ، ثم وجد أن الشيوعية لا يمكن أن تقف أمام الأديان ، وأن الدين أفيون الشعوب ، وجد أن الشيوعية هي أفيون الشعوب ، وأن الشيوعية مخدر، وأنها علقة تمتص دماء الشعوب ، وأن الدين وقف بشعب قليل، فقير ، أعزل ، حافي القدمين ، خاوي البطن ، خالي الجيب ، وقف أمام روسيا العظمى والإتحاد السوفياتي وحلف وارسو ، حتى اليمن الجنوبية أرسلت لهم أناسا يقاتلون معهم ، نعم! وبعض اليساريين من المنظمة كذلك، لقد وجدنا في الفتوحات الأخيرة على بوابه خيبر مجلة المنظمة باللغة العربية في داخل قواعد الشيوعيين الأفغان ، كيف يفهون العربية ؟ معنى ذلك بينهم من اليساريين الذين يقاتلون معهم ، أقول كل العالم الشرقي وحلف وارسو وقف ضد المجاهدين الأفغان، وكلها انهزمت : كوبا ، حتى بلغاريا ، ورومانيا ، اشتركت كل الدنيا معهم ، ولكن هل يهزمون رب العالمين ؟ كما قال محمد عمر هذا : من أقوى أنت أم روسيا ؟ هو أقوى ، قالوا لسياف -أول جلسة لمجلس الوزراء جاء صحفيون أمريكان وبريطانيون من كل العالم في داخل أفغانستان- قالوا : كيف انتصرتم : قال انتصرنا لأنكم تقولون بأن هنالك قوة عظمى اسمها أمريكا وقوة عظمى اسمها روسيا، ونحن نقول إن هنالك قوة عظمى هي قوة رب العالمين ، وتمسكنا بها ، فانتصرت قوة رب العالمين على قوة روسيا ، قال : تمسكنا بالقوة

العظمى نهزمت قواتكم العظمى ، وجاء بها التلفزيون الأمريكي كما قال ، نفس العقيدة الشيوعية تراجعوا عنها ، بدأت أذربيجان تطلب حكما ذاتيا ، مظاهرات مئات الألوف في أذربيجان ، غورباتشوف ماذا يفعل ؟ يعرف أن الشيوعية لا تستطيع أن تقف أمام الإسلام، خلاص علمه الأفغان، انتهى ، فلجأ الآن إلى إحياء عقيدة النصرانية لتقف أمام العقيدة الإسلامية ، صار يوزع الأناجيل في أرمينيا حتى يقف الأرمن أمام الأذربيجانيين ، وبدأت الإذاعات تقول هنالك اختلاف على الحدود.

ورب العالمين علم أن أذربيجان الآن ما عندهم سلاح يستطيعون أن يقفوا به أمام روسيا ، هو سبحانه أدار المعركة بنفسه، زلزال في يوم واحد قتل مائة ألف من الروس وانتهت القضية ، الأفغان عشر سنوات قتلوا خمسين ألف روسي، رب العالمين قتل في يوم واحد مائة ألف روسي ، أقول : الجهاد الأفغاني أثّر في كل العالم ، الغرب - الأمريكان ، أنظروا إلى أمريكا ، للغرب - الغرب فرح كثيراً عندما زلت أقدام الجندي الروسي على سفوح الهندوكوش ، قالوا هذه فرصة نشفي صدورنا وننفس أحقادنا لأيام فيتنام ، كما كانوا يتفرجون علينا أمام الفيتناميين الآن جاء دورنا لنتفرج عليهم وهم يذبحون بيد الأفغان ، والأفغاني ما شاء الله مستريح نعم! الطائرات تضرب، يا سلام ..!! عقيدة التوحيد طيارات تضرب وهو على مضاد الطيارات ، هذا الزيكويك يسمونه رشاشا لا يؤثر لكن على الأقل الطيارة تهرب ، تضرب من بعيد ، وفي قاعدة الزيكويك هذه (الحفرة) واضع إبريق الشاي ويغلي الشاي، والطيران نازل فيهم ، كل ساعة تقتل مجموعة ، فإذا انتهى الطاقم يبدل بطاقم آخر، والطيارة تضرب، ويقول له انظر إلى الشاي هل انتهى أم لا ، لو مائة سنة الروس يقاتلون ماد رجله، ما دام الشاي موجوداً ، والخبز موجوداً خلاص كل شيء على الدنيا السلام ، نعم فالأمريكان فرحوا، الغربيين فرحوا بهزائم روسيا، قالوا نشغل روسيا بهؤلاء الأفغان والفخار يكسر بعضه ، إن ذبح الأفغان فنحن رابحون ، وإن ذبح الروس فنحن رابحون ، وإن ذبح الإسلام فنحن رابحون ، لا أحد يضايقهم أبدا ، دعهم يشتغلون ، كانوا يظنون أن جهاد أفغانستان عبارة عن جرح بسيط ، ينزف قطرات من جسد روسيا ، وكانوا يظنون أنها ستشغل روسيا وتستنزفها اقتصاديا ، وتدمر لها بعض آلياتها وطائراتها عسكريا ، وتقتل آلافا من جنودها في ساحة الميدان ، ولكن رب العزة الذي يريد بهذه الأمة خيرا أخلف كل الظنون ، لقد حطم الجهاد الأفغاني بفضل الله كل الموازين الدولية ، وقلب كل المعادلات السياسية ، ولم تستطع أي ظنون أو طروح أن تصدق على الجهاد الأفغاني ، ما رأوا الجهاد الأفغاني إلا وهو بانتصارات ساحقة ، وروسيا تنهزم وتفقد الموقع تلو الموقع ، وتئن من جراحها، وتشكو من آلامها ، وأنا رأيت مثل الجهاد الافغاني مثل الولد الحامل خنجرا و أمامه رجل ما شاء الله كبير ونازل فيه بالخنجر في بطنه ، وهو يستحيي أن يئن أو يرفع صوته بالبكاء أو الصراخ ، اليهود قالوا لهم -الأمريكان:- أنتم فرحون بما يجري في أفغانستان ، أنتم مساكين ، الأفغان هؤلاء أنتم لا تعرفونهم، لقد جرى تغيير العالم عدد مرات من البقعة التي منها أفغانستان ، هؤلاء سيسقطون روسيا، وسيحتلون أوروبا، و ستضطرين يا أمريكا أن تنازلي المسلمين ، وأين ؟ في أواسط أوروبا ، فخذوا على أيديهم قبل أن يشتد عودهم وينطلقوا .

أحد كبار كتابهم شاخترمان كتب بحثا عسكريا سياسيا قدمه للأمريكان ، ماذا فعلنا ؟ نحن أيقظنا العملاق ، «ميتران» قال لهم إن أفغانستان سرطان يأكل جسد الأمبراطورية الروسية ، رجل أمريكي اسمه شاليزي - كان يعمل أفلاما في بيشاور - كان يقول : إن أفغانستان هي المسمار في نعش الإمبراطورية الروسية ، صحيح ؟! راجعوا حساباتكم ، أنتم الآن تفركون أيديكم فرحا بهزيمة روسيا ، أرسلوا رجالاتكم ، انظروا ماذا في أفغانستان؟.

أمريكا والجهاد الأفغاني

أرسلوا نكسون ، جاء نكسون بنفسه ، أروه المخيمات حول بيشاور، قال : لا .. أريد أن أصل أرض أفغانستان ، دخل نيكسون الحدود ورأى. ماذا رأى نيكسون ؟ شعبا بكامله بخيله ورجله ، بطفله وشيبه وشبانه ، بأرملته وعجوزه ، كلهم تحركهم "الله أكبر" ، رجع إلى أمريكا، عمل مؤتمراً صحفيا على التلفاز الأمريكي ، الصحفي الأول قال له : أي شيء عملتم للمشكلة الفلانية ؟ قال هذه مسألة سهلة .. المشكلة الفلانية قال له : هذه سهلة ... سهلة قال له : إذن ما هي المشكلة ؟ قال : المشكلة هي الإسلام ، يجب على أمريكا أن تتناسى خلافاتها مع روسيا ليوقفوا الزحف الإسلامي الذي بدأ ينمو ويمتد ، قالوا لعلك غلطان يا نيكسون ، نرسل الرئيس الأمريكي ، أرسلوا كارتر بنفسه ..

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) (البقرة : ١٤٦)

يحاربون هذا الدين عن معرفة، وليس عندنا عشر معشار اهتمامهم بقضية الجهاد في أفغانستان .. عشر معشار!! نعم يا

إخوة، لا يمر أسبوع على أمريكا إلا ويعقدون في كبرى الجامعات ندوة موضوعها واحد : أفغانستان وأثرها على العالم، يدعى إليها كبار السياسيين والإداريين والدبلوماسيين وعلماء الاجتماع ، ماذا عن أفغانستان الآن ؟ وماذا سيكون نتائجها فيما بعد ؟.

بريطانيا والجهاد الأفغاني

واحد كبير من التلفزيون البريطاني جاء مرتين ودخل إلى داخل أفغانستان اسمه (ديزول) قال : لا ينام الشعب البريطاني ليلة إلا وثلثه يعرف ماذا جرى في أفغانستان هذا اليوم ، لازم قبل أن ينام كل ليلة الشعب البريطاني - كل ليلة - إلا ويعرف ماذا جرى في أفغانستان؟ يتابع أخبار التلفزيون .

المسلمون والجهاد الأفغاني

ونحن ماذا؟ قلت لواحد من المسلمين اسمع مني -لكن معه فلوسا كثيرة، وأنا فقير، ولكنني أغنى منه، الحمد الله- قلت له: اسمع مني ألخص لك قضية أفغانستان ، قال لي : أنا مستعجل ، ما عنده وقت يسمع قضية أفغانستان، قلت : خذ مني خمس دقائق فقط ألخص لك القضية ، قال خمس دقائق فقط؟ قلت له : خمس دقائق فقط ، قال طيب انتظر أبحث عن الطاقية - طاقية يلبسها تحت الغترة - ظل خمس دقائق وهو يبحث عن الطاقية ، قلت له : خمس دقائق للطاقية وخمس دقائق لعرض القضية ، خمس دقائق لطاقيتك وخمس دقائق لأعظم قضية في الأرض ، هذا اهتمامنا نحن في أعظم قضية في الأرض.

عودة إلى التآمر الأمريكي ضد الجهاد الأفغاني

المهم كارتر وصل بيشاور ، أرسلوا كارتر مرة ثانية ، قال كارتر لا أريد بيشاور، أريد أن أرى أفغانستان، حملوه بطائرة هليكوبتر إلى لندى كوتل - آخر مدينة باكستانية -، قال : لا ، أنا أريد أن أدخل لأرى أفغانستان بنفسي .. يا سلام!! كارتر رئيس الولايات الأمريكية تهمه هذه القضية!! فيمشي إلى داخل أفغانستان ليرى رجع ، يبدو أنه رجع نفس التقرير ، أمريكا قالت لروسيا خلاص قالت روسيا : وافقت على الإنسحاب ، أنا عندي شرط واحد ؛ إبحثوا عن واحد ترتضونه أنتم يكون بديلا عند ما أنسحب، خلاص يعني إيش واحد ، قالوا : إسلام على الطريقة الأمريكية ، إسلام أمريكاني ، يعني مرن دينه مطاط يمط حسب الأهواء الغربية، إيش يعني على الأهواء الأمريكية ؟ يعني الفتاوى جاهزة بجيبه ، كيف جاهزة؟ نريد أن نحدد النسل.. يحضرون مشايخ ليقفوا على التلفاز ، يقولون «كنا نعزل والقرآن ينزل، ولو كان شيئا مما نهانا عنه القرآن لنهانا» نريد الاشتراكية يأتي الشيخ ويعلن أن الاشتراكية دين الله ، والاشتراكيون أنت إمامهم ، نريد القومية ، يأتي شيخ ويفتي حب الوطن من الإيمان ، وهكذا، أصدرت فتاوى على الجاهز بالجنب ، مثل مايسمون في أمريكا الشباب المسلم يعني آلة الفتوى إضغط على زر تطلع بيبسي كولا، إضغط الزر تطلع ميرندا، إضغط على الزر تطلع فتوى جاهزة (فتوى ماشين)، دينه (فتوى ماشين)، والآلة يجب أن تكون غربية، نعم تشتغل على النظام الغربي.

قالوا لهم : يا أفغان، قالوا نعم .. يا مجاهدين نرجع ظاهرشاه ، سياف قال : نعم ، نرحب بظاهرشاه بشرط واحد : أن نقتله في المطار ، لما كانوا يقولون لظاهر شاه : ترجع؟ يقول : عندما يوافق سياف وحكمتيار ، في الليل الله أعلم يبقى يرجف من سياف ومن حكمتيار ، غول اسمه سياف يأتيه في المنام يتلبسه .. كابوس .. طيب .

طبعا الكلام الطويل ، الذي عايشناه بأنفسنا ساعة ساعة ، لحظة لحظة ، ونحن نرى المؤمراة العالمية على هذا الدين ، نعم ليل نهار نعيش القضية، قالوا طيب نعمل معاهدة اسمها معاهدة جنيف ، إيش معاهدة جنيف؟ الذي رتبها (أرنولد همر) اليهودي الذي يرسل القمح للاتحاد السوفياتي والسلاح لليبيا، فالمهم رتبها ، جاءوا للمجاهدين ، قالوا لهم : روسيا ستنسحب لكن يريدون منكم بعض التنازل ، إيش التنازل ؟ يرجع المهاجرون إلى أوطانهم، وأنتم تعيشون في أوطانكم معززين مكرمين ، ويصدر عفو عن مجرمي الحرب سياف وحكمتيار وخالص ورباني -وشر المصائب ما يضحك- قالوا: روسيا ستنهزم ، روسيا منهزمة ، روسيا ليس لها طريق إلا الهزيمة، قالوا ما نفع ، راح الثاني ، صار غورباتشوف مسلما يرسل وراء المعروفين في العالم الإسلامي ويقول لهم اذهبوا وتوسطوا عند المجاهدين ، ويأتي حامل حقيبة ويظن أنه حامل الدنيا كلها في هذه الحقيبة ، يأتي إلى المجاهدين يقول لهم لقد وسطني غورباتشوف لكم يقول لكم نريد أن تشكلوا حكومة مشتركة مع نجيب، نصف الوزارة منكم ونصف الوزارة منهم ، وقد تستلمون رئاسة الدولة ، وأنا أنصحكم أن ترضوا بنصف الحلول، يا جماعة، السياسة لها خندق والحرب لها خندق ، لابد من التنازل قليلا حتى تنسحب روسيا، قالوا: ارجع من حيث أتيت ، ستنهزم روسيا ، عقدوا مؤتمرا ، رتبوا مؤتمر جنيف ، وقالوا للمسلمين في العالم : هذا

مؤتمر جنيف، هذه معاهدة جنيف عبارة عن الانفراج الدولي، إيش الإنفراج الدولي ؟ نحن نريد أن نوقف لكم حرب الخليج ، ونعمل لكم مؤتمرا دوليا في فلسطين ، ماذا تريدون أكثر؟ أعينونا على أفغانستان نعينكم على حل قضية فلسطين وحرب الخليج .. خلاص.

مواقف مشرفة لضياء الحق

وبدأت الوفود تأتي لضياء الحق حتى تقنعه أن يوقع معاهدة جينف، وذهب واحد من الحكام العرب مندوبا عن المؤتمر الإسلامي، وجاء لضياء الحق قال له : والله التوقيع ، ونريد أن ننهي الحرب، ونريد أن نحل قضية فلسطين ، قال له ضياء الحق : أنت تفكر أن الجهاد في أفغانستان طلقات عبر الحدود كم طلقة ، أو واحد يدخل يضع لغما ويهرب ، قال له : والإحصائيات التي بين يدي من خلال الأقمار الصناعية التي تصور الدبابات والطائرات ومن خلال أجهزة التصنت الباكستانية تقول لي : إنه سقط حتى بداية «١٩٨٨» ، ألفان وثمانون طائرة، واستهلك لروسيا مثلها ، يعني روسيا فقدت أربعة آلاف ومائة وخمسين طائرة في أفغانستان ، قال له: ها!، قال له ماها، قال له: اسمع ، لقد دُمر لروسيا سبعة عشر ألف دبابة ومجنزرة في أفغانستان ، قال له : نعم إحصائيات ، الصور، وغيره إحدى وعشرون ألف ناقلة لروسيا دمرت في أفغانستان ، فغر الرجل فاه ، وقال له : أنا والله لا أعلم ، هو يفكرها لغمين وضعا تحت الدبابة الروسية وانتهت القضية ويهربون إلى باكستان، ولا يدرى أن روسياً ما استطاعت منذ أن دخلت إلى أن خرجت أن تخرج من السجون ، الأقفال الحديدية التى تسمّى بالمستعمرات والقلاع الروسية أبدا، لقد بقيت روسيا سجينة في أفغانستان تسع سنوات متواصلة .

طيب رجع الرجل وقال لهم : يا جماعة أنا سمعت من ضياء الحق شيئا غريبا عجيبا ، يقول ضياء الحق : كذا وكذا، قالوا : لكن الحل المؤتمر الدولي حتى نحل قضية فلسطين ، ولو الدول رضيت أن تجتمع من أجل فلسطين أن نحلها ، سيرجعون لنا المسجد الأقصى ، سيوقفون لنا حرب الخليج التى أكلت الأخضر واليابس ، عقدوا مؤتمرا للسلام في كراتشي، وجاء المسلمون والدعاة يمدحون غورباتشوف وروسيا أنها تحب السلام وتريد الانسحاب ، وقف ضياء الحق، وإذا تكلم نسي أنه رجل دولة، وأنه يحكم دولة ، وأن العالم كله يحصي عليه كلماته ، كأنه داعية فوق منبر من المنابر ، قال: أنا لا أدرى على أيّ شيء تثني على روسيا وتثني عليها وتمدحها ، روسيا لص ، القوة العظمى !! روسيا لص دخل بيتا وأحرق متاعه وقتل أهله ، فهل يستحق اللص ثناء ؟ هذا كلام ضياء الحق.

يا إخوة : نحن خير أمة ، بعث الله لنا خير نبي ﷺ رفع راية الجهاد ، فقدنا العالم بهذه الراية ، أسقطنا راية الجهاد ، تركنا ديننا ، صرنا بعثية ، وشيوعية ، وقومية واشتراكية ، عُدنا إلى ذيل القافلة ، رب العزة أراد أن ينقذ الأمة من غفلتها ، ويضرب لها مثالا عمليا واقعيا، فجاء لنا بقضية أفغانستان، واختار أضعف شعب ، وأكثره أمية ، وأكثره فقرا، مقابل أقوى قوة في الأرض، وهزم الله القوة هذه أمام هذا الشعب ، هذا كلام من؟ ليس كلامي والله، كلام ضياء الحق ، هذا يصدر من سياسي؟ رأيته عدة مرات، كنت أحس أنه يتكلم من قلبه، وطبعا إلى الذين يتفلسفون والقاعدون على الكراسي هنا بعد ما يأكلون المنسف والكبسة أو التفاح ومن هنا القطايف والكنايف وما إلى ذلك وهو يتجشأ ، يبدأ يحلل في السياسة ، يقول لك :ما هي الحرب في أفغانستان ، معقول أن روسيا ليست قادرة على الشعب الأفغاني ، هذه لعبة النجوم CIA مع KGB ، يفهم ، الله يفتح عليه ، الله يفتح عليه يفهم.

الأثر الحضاري للجهاد (٢)

ضياء الحق وقادة الجهاد

... جمع المجاهدين ، قادة الجهاد ، قال لهم : لقد تلفتُّ حولي فلم أجد عدواً ولا صديقاً يقف بجانبي ، واستنفدت جميع السهام في كنانتي ، ولا أملك إلا التوقيع على المعاهدة ؛ لأن رئيس وزرائي «جونيجو»(جن إيجو !!) ووزير الخارجية «نوراني» يضغطون عليّ ، وكذلك ثلاثة عشر حزبا سياسيا من خمسة عشر يضغطون عليّ ، ويعملون المتفجرات في المدن ؛ حتى يضغطوا على ضياء الحق بقتل الأبرياء ، ولابد من طرد المهاجرين الأفغان لأنهم هم الذين يقطعون حبل الأمن في البلد، قال : أنا لا أملك إلا التوقيع على المعاهدة ، فقال له سياف : يا ضياء الحق أنت سرت معنا مسيرة المسلم والرجال ، وهذه المسيرة المشرفة مدة ثماني سنوات ، إن كان هنالك ضغوط عليك من العالم فنحن نعذرك ، وقل لنا اخرجوا من بلادي لا أستطيع ، إن وجودكم في بلادي يشكل لي مشكلة لا قبل لي

بحلها ، فضلا عن أن توقع وثيقة بيع أفغانستان وأعراضها ودمائها وجهادها. وتلصق في تاريخك ، قل لنا نخرج ، وخلاص تعتذر أمام العالم ، نحن نرجع إلى بلادنا .

أطرق ضياء الحق[1]، وكان رجلا وقّافا عند الحق.

يحدث ابنه قال : رجع والدي مهموما مغموما ، ولعله لم يكتحل بالنوم قط ، وفي الصباح قدمنا له فطوره فأبى ، واقتحمنا عليه وحشته : ما الذي يقلقك يا أبي؟ قال : لأول مرة أضطر أن أخذل إخواني المجاهدين ، ولا أملك ... ، وذهب ضياء ووقع معاهدة جنيف، واستدرك عليها استدراكا ، قال : لا يمكن أبدا أن أطرد مهاجرا أفغانياً من البلاد ، إذا رضي «المهاجر» أن يرجع برضائه يرجع.

الشيء الثاني : لا أملك، لا أضمن لكم أن يقف إطلاق النار في أفغانستان ، وقّع ورجع.

كان – هذا جونيجو – (جون إيجو !!) مسرورا أن أمريكا والغرب والأمم المتحدة وعدته بمدالية اسمها مدالية –نوبل– اليهودية للسلام ؛ لأنها جائزة يهودية، ولا تعطى إلا لمن يخدمون اليهود ، ولذلك نجيب محفوظ ما أعطيت له إلا لأنه خدم قضية تطبيع العلاقات بين اليهود وبين مصر ، وأعطوه على أي فعل جائزة نوبل ؟ على قصة مليئة بالطعن في الدين ويمحاربة الأسلام اسمها (أولاد حارتنا)، ليس أولاد بلدنا ، أولاد حارتنا ، جادون ، وضياء الحق يريد أن لا ينفذ معاهدة جنيف ، أخيرا جونيجو قال له : سأقدم بك تقريرا للأمم المتحدة و أمريكا وروسيا : أنك لا تريد تنفيذ المعاهدة.

قال لي مستشار ضياء الحق : قال لي ضياء : أنا لا أستطيع أن أعيش بقية عمري ذليلا ، ثم فكر طويلا ، لا طريق إلا أن يطيح بالحكومة المدنية، جمع مجلس الشورى في ليلة من الليالي، قال : لقد قررت حل الحكومة ومجلس الشورى ، وأعلن نقطتين :

أولا : قال سأطبق الإسلام وإن كلفني أهلي وعرشي ونفسي.

ثانياً : سأقف مع الجهاد الأفغاني حتى أودع آخر واحد منهم معززاً مكرماً منتصراً على باب خيبر ، قال له «أسلم ختك» وزير داخليته : سيقتلك الغرب يا ضياء ، قال : يا ختك إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض. قال لي مستشاره : كذلك قال لي ضياء قبل أن يقتل بشهرين أو ثلاثة : لقد وقّع الغرب أوراق قتلي ، وجمع قادة الجهاد ، قال : المرحلة هذه مرحلة تصفيتنا أنا وإياكم جسديا ، ولا أدري من السابق إلى الله ، وسبق إلى الله.

لكن قتل ضياء جاء متأخراً جداً ، ولو قتل ضياء قبل سنة ؛ لاستطاع الغرب أن يسرقوا ثمار الجهاد الأفغاني ، أو يسرقوا بعضها، ولكن القدر بيد رب البشر ، وليس بيد البشر ، تأخر كثيرا.

مابعد معاهدة جنيف

قُتل ضياء وقد تجاوز الجهاد الأفغاني مرحلة الخطر ، بعد هذه الانتصارات العظيمة التي حققها الجهاد في هذا العام ، في هذا العام المجاهدون انتصروا انتصارات أكثر من الانتصارات التي حققوها خلال ست سنوات سابقة ، بعد معاهدة جنيف كل العالم أطبق عليهم ، وأغفل حقهم ، ولكن رب العزة يقول : (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمّرناهم وقومهم أجمعين. فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) (النمل : ٥٠–٥٣)

هنالك إله .. هنالك رب ، هنالك رب أقوى من أمريكا والغرب ، أتصدقون ؟ والله أقوى من روسيا ، وأقوى من الدنيا كلها، ويريد من يتوكل عليه فقط ..

(ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) (الطلاق :٣)

ماذا ... من رجوع المهاجرين ، إلى دولة مشتركة ، إلى نزول نجيب عن الحكم ، لكن إيش؟ إشراك بعض الوزراء من الشيوعيين ، إلى دولة محايدة ، يعني حكومة محايدة لا هي من المجاهدين ، ولا هي من الشيوعيين، ما فيه فائدة، إلى حكومة قال له : فرنتسوف أخيرا – فرنتسوف وكيل وزارة الخارجية الروسية – أخيرا قال : يا جماعة : أدخلوا ثلاثة وزراء من الطيبين من حكومة نجيب ؛ حتى نخرج ببقية ماء وجهنا من داخل أفغانستان ، قالوا : إن الشيوعي لا يعطيه الإسلام حق الحياة «من بدل دينه

(١) حديث صحيح رواه البخاري، انظر الإرواء (٢٤٧١).

فاتتلوه»[1] فكيف نعطيه حق الحكم؟!.

أخيرا هذا شفرنادزه وزير الخارجية جاء إلى إسلام أباد ، قال : فقط أدخلوا مجموعة بين خمسمائة في مجلس الشورى الذين اجتمعوا في مدينة إسلام أباد - في مدينة الحجاج - قالوا لن يدخل واحد معنا من الشيوعيين ، سبٌ على باكستان ، وعلى الأفغان ، والمجاهدين ورجع.

يا سلام!! أي عزة هذه ؟! أي صلابة هذه ؟! أناس لا يملكون شيئا من الدنيا وقفوا أمام الدنيا كلها.

أيُمْسِكُ الملك والأسياف ظامئة — والطير جائعة لحم على وضم

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي — المجد للسيف ليس المجد للقلم

والآن أفغانستان على أبواب النصر ..حكم الشيوعي هذا ، حكم نجيب ..

سحابة صيف عن قليل تقشّع — وشمس شتاء عن قليل تقنّع

احسب عيد الأضحى بإذن رب العالمين، الواحد القهار في كابل نلتقي جميعا ، نصلي العيد بإذن رب العالمين ، أقصى شيء عيد الأضحى بإذن رب العالمين، نجيب الآن يستنجد ، أنا قبل أن آتي بيومين أرسل لنا نجيب قال : أريد أن أتنازل عن الحكم بشرطين:

أن تؤمِّنوا على حياتي لا تذبحوني ذبحاً شرعياً.

والشيء الثاني : أن تسمحوا لي أن أدخل الانتخابات، قال لي أحدهم : تحب أن تلتقي بمبعوث نجيب ، قلت : لا أريد أن ألتقي بمبعوث نجيب ، اذهب وقل للشيخ سياف أو إلى رباني أو حكمتيار ، في كل يوم يرسل رسالة مسكين ، لا ينام طول الليل ، هو يكتب رسائل ، نجيب البقر هو اسمه نجيب البقر ، مسكين والله !! نعم.

ولذلك الجهاد ذروة سنام الإسلام ، فوق الصلاة ، وفوق الصيام ، الصلاة عمود الدين ، كيف ذروة سنام الإسلام!! ، لولا الجهاد لا يوجد صلاة ولا صيام ولا لحى ولا سواك ولا جلباب ، ما فيه .. لا يمكن!!

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) (الحج : ٤٠)

قبل أن يحمل السيف الأفغان ويقفوا أمام الشيوعيين ، كان نجيب مديرا للمخابرات ، إذا أرسل رجلا من رجاله ترتج له البلدة، أين نجيب الآن ؟!

من أساليب الطغاة

الآن نجيب أسلم!! أسلم!! ما ترونه يصلي ، أصدر قرارا : من تأخر عن الصلاة ثلاثة أيام يفصل من وظيفته ، نعم! وظّف مطاوعة من الشيوعيين حاملين عصا يسوقون الناس بالعصا إلى المسجد عند الأذان ، إذا فعلا ذروة سنام الإسلام الجهاد ، من الذي أذل هؤلاء ؟ رمضان الماضي ، أو عيد الأضحى ، أرسل مجموعة من الشيوخ بالمصاحف- إذا أراد الأفغاني أن يستنجد أو يستجير أو يتوسل بشيء يرسل واحدا بالمصحف- أرسلهم بالمصاحف للمجاهدين : من أجل هذا المصحف لا تضربونا ... في رمضان.

مغبة ترك الجهاد

يا سلام...!! إذاً: صحيح ذروة سنام الإسلام الجهاد ، وبدون جهاد لن تبقى لحية ، ولن يبقى جلباب ، ولن تبقى مآذن ، ولن تبقى مساجد ، وإن كنتم في شك مما أقول ، فاسألوا مساجد بخارى التي تعد سبعة عشر ألفا هل بقي منها مسجد واحد ؟! اسألوا بخارى أين لحاها ؟ اسألوا طاشقند أين علماؤها ؟! اسألوا سمرقند أين جلبابها ونساؤها ؟! اسألوا أذربيجان أين محاريبها ومساجدها ؟! إسألوها ؟ لقد كانت خطة الروس عندما دخلوا - هم دخلوا في آخر أربعة أيام من‹١٩٧٩› - خطتهم في سنة ‹١٩٨٠› إخضاع أفغانستان، سنة ‹١٩٨١› احتلال باكستان وبلوشستان والوقوف على الخليج العربي ' هذه الخطة التي اكتشفها المجاهدون ، لكن الله ساق إليهم جنده ، وكم يحلو لي أن أنشد لهم مع أبي الطيب في ختام هذه المحاضرة على لسان كل أفغاني :

لئن عَمَرْتُ جعلت الحرب والدة — والسمهري أخا والمشرفي أبا

بحلها ، فضلا عن أن توقع وثيقة بيع أفغانستان وأعراضها ودمائها وجهادها. وتلصق في تاريخك ، قل لنا نخرج ، وخلاص تعتذر أمام العالم ، نحن نرجع إلى بلادنا .

أطرق ضياء الحق ، وكان رجلا وقّافا عند الحق.

يحدث ابنه قال : رجع والدي مهموما مغموما ، ولعله لم يكتحل بالنوم قط ، وفي الصباح قدمنا له فطوره فأبى ، واقتحمنا عليه وحشته : ما الذي يقلقك يا أبي؟ قال : لأول مرة أضطر أن أخذل إخواني المجاهدين ، ولا أملك ... ، وذهب ضياء ووقع معاهدة جنيف، واستدرك عليها استدراكا ، قال : لا يمكن أبدا أن أطرد مهاجرا أفغانياً من البلاد ، إذا رضي «المهاجر» أن يرجع برضائه يرجع.

الشيء الثاني : لا أملك، لا أضمن لكم أن يقف إطلاق النار في أفغانستان ، ووقّع ورجع.

كان – هذا جونيجو – (جون إيجو !!) مسرورا أن أمريكا والغرب والأمم المتحدة وعدته بمدالية اسمها مدالية –نوبل– اليهودية للسلام ؛ لأنها جائزة يهودية، ولا تعطى إلا لمن يخدمون اليهود ، ولذلك نجيب محفوظ ما أعطيت له إلا لأنه خدم قضية تطبيع العلاقات بين اليهود وبين مصر ، وأعطوه على أي فعل جائزة نوبل ؟ على قصة مليئة بالطعن في الدين وبمحاربة الأسلام اسمها (أولاد حارتنا)، ليس أولاد بلدنا ، أولاد حارتنا ، جادون ، وضياء الحق يريد أن لا ينفذ معاهدة جنيف ، أخيرا جونيجو قال له : سأقدم بك تقريرا للأمم المتحدة و أمريكا وروسيا : أنك لا تريد تنفيذ المعاهدة.

قال لي مستشار ضياء الحق : قال لي ضياء : أنا لا أستطيع أن أعيش بقية عمري ذليلا ، ثم فكر طويلا ، لا طريق إلا أن يطيح بالحكومة المدنية، جمع مجلس الشورى في ليلة من الليالي، قال : لقد قررت حل الحكومة ومجلس الشورى ، وأعلن نقطتين :

أولا : قال سأطبق الإسلام وإن كلفني أهلي وعرشي ونفسي.

ثانياً : سأقف مع الجهاد الأفغاني حتى أودع آخر واحد منهم معززاً مكرماً منتصراً على باب خيبر ، قال له «أسلم ختك» وزير داخليته : سيقتلك الغرب يا ضياء ، قال : يا ختك إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض، قال لي مستشاره : كذلك قال لي ضياء قبل أن يقتل بشهرين أو ثلاثة : لقد وقّع الغرب أوراق قتلي ، وجمع قادة الجهاد ، قال : المرحلة هذه مرحلة تصفيتنا أنا وإياكم جسديا ، ولا أدري من السابق إلى الله ، وسبق إلى الله.

لكن قتل ضياء جاء متأخراً جداً ، ولو قتل ضياء قبل سنة ؛ لاستطاع الغرب أن يسرقوا ثمار الجهاد الأفغاني ، أو يسرقوا بعضها، ولكن القدر بيد رب البشر ، وليس بيد البشر ، تأخر كثيرا.

مابعد معاهدة جنيف

قُتل ضياء وقد تجاوز الجهاد الأفغاني مرحلة الخطر ، بعد هذه الانتصارات العظيمة التي حققها الجهاد في هذا العام ، في هذا العام المجاهدون انتصروا انتصارات أكثر من الانتصارات التي حققوها خلال ست سنوات سابقة ، بعد معاهدة جنيف كل العالم أطبق عليهم ، وأغلل حقهم ، ولكن رب العزة يقول : (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمّرناهم وقومهم أجمعين. فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) (النمل : ٥٠-٥٣)

هنالك إله .. هنالك رب ، هنالك رب أقوى من أمريكا والغرب ، أتصدقون ؟ والله أقوى من روسيا ، وأقوى من الدنيا كلها، ويريد من يتوكل عليه فقط ..

(ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا) (الطلاق :٣)

ماذا ... من رجوع المهاجرين ، إلى دولة مشتركة ، إلى نزول نجيب عن الحكم ، لكن إيش؟ إشراك بعض الوزراء من الشيوعيين ، إلى دولة محايدة ، يعني حكومة محايدة لا هي من المجاهدين ، ولا هي من الشيوعيين، ما فيه فائدة، إلى حكومة قال له : فرنتسوف أخيرا – فرنتسوف وكيل وزارة الخارجية الروسية – أخيرا قال : يا جماعة : أدخلوا ثلاثة وزراء من الطيبين من حكومة نجيب : حتى نخرج ببقية ماء وجهنا من داخل أفغانستان ، قالوا : إن الشيوعي لا يعطيه الإسلام حق الحياة «من بدل دينه

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري، أنظر الإرواء (٢٤٧١).

فاتقلوه[1] فكيف نعطيه حق الحكم؟!.

أخيرا هذا شفرنادزه وزير الخارجية جاء إلى إسلام آباد ، قال : فقط أدخلوا مجموعة بين خمسمائة في مجلس الشورى الذين اجتمعوا في مدينة إسلام آباد – في مدينة الحجاج – قالوا لن يدخل واحد معنا من الشيوعيين ، سبّ على باكستان ، وعلى الأفغان ، والمجاهدين ورجع.

يا سلام!! أي عزة هذه ؟! أي صلابة هذه ؟! أناس لا يملكون شيئا من الدنيا وقفوا أمام الدنيا كلها.

أَيُّـــلك الملك والأسيـــاف ظامئـــة ... والطير جائعـــة لحـم علــى وضـــم

حتى رجعت وأقلامـــي قوائـــل لي ... المجـد للسيف ليس المجـد للقلـم

والآن أفغانستان على أبواب النصر ..حكم الشيوعي هذا ، حكم نجيب ..

سحابة صيف عن قليـــل تقشّـــع ... وشمس شتـــاء عـن قليـل تقنّـــع

احسب عيد الأضحى بإذن رب العالمين، الواحد القهار في كابل نلتقي جميعا ، نصلي العيد بإذن رب العالمين ، أقصى شيء عيد الأضحى بإذن رب العالمين، نجيب الآن يستنجد ، أنا قبل أن آتي بيومين أرسل لنا نجيب قال : أريد أن أتنازل عن الحكم بشرطين:

أن تؤمّنوا على حياتي لا تذبحوني ذبحاً شرعياً.

والشيء الثاني : أن تسمحوا لي أن أدخل الانتخابات، قال لي أحدهم : تحب أن تلتقي بمبعوث نجيب ، قلت : لا أريد أن التقي بمبعوث نجيب ، اذهب وقل للشيخ سياف أو إلى رباني أو حكمتيار ، في كل يوم يرسل رسالة مسكين ، لا ينام طول الليل ، هو يكتب رسائل ، نجيب البقر هو اسمه نجيب البقر ، مسكين والله !! نعم.

ولذلك الجهاد ذروة سنام الإسلام ، فوق الصلاة ، وفوق الصيام ، الصلاة عمود الدين ، كيف ذروة سنام الإسلام!! ، لولا الجهاد لا يوجد صلاة ولا صيام ولا لحى ولا سواك ولا جلباب ، ما فيه .. لا يمكن!!

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) (الحج : ٤٠)

قبل أن يحمل السيف الأفغان ويقفوا أمام الشيوعيين ، كان نجيب مديرا للمخابرات ، إذا أرسل رجلا من رجاله ترتج له البلدة، أين نجيب الآن ؟!

من أساليب الطغاة

الآن نجيب أسلم!! أسلم!! ما ترونه يصلي ، أصدر قرارا : من تأخر عن الصلاة ثلاثة أيام يفصل من وظيفته ، نعم! وظّف مطاوعة من الشيوعيين حاملين عصا يسوقون الناس بالعصا إلى المسجد عند الأذان ، إذا فعلا ذروة سنام الإسلام الجهاد ، من الذي أذل هؤلاء ؟ رمضان الماضي ، أو عيد الأضحى ، أرسل مجموعة من الشيوخ بالمصاحف– إذا أراد الأفغاني أن يستنجد أو يستجير أو يتوسل بشيء يرسل واحدا بالمصحف– أرسلهم بالمصاحف للمجاهدين : من أجل هذا المصحف لا تضربونا ... في رمضان.

مغبة ترك الجهاد

يا سلام...!! إذاً: صحيح ذروة سنام الإسلام الجهاد ، وبدون جهاد لن تبقى لحية ، ولن يبقى جلباب ، ولن تبقى مآذن ، ولن تبقى مساجد ، وإن كنتم في شك مما أقول ، فاسألوا مساجد بخارى التي تعد سبعة عشر ألفا هل بقي منها مسجد واحد ؟! اسألوا بخارى أين لحاها ؟ اسألوا طاشقند أين علماؤها ؟! اسألوا سمرقند أين جلبابها ونساؤها ؟! اسألوا أذربيجان أين محاريبها ومساجدها ؟! إسألوها ؟ لقد كانت خطة الروس عندما دخلوا – هم دخلوا في آخر أربعة أيام من‹١٩٧٩› – خطتهم في سنة ‹١٩٨٠› إخضاع أفغانستان، سنة ‹١٩٨١› احتلال باكستان وبلوشستان والوقوف على الخليج العربي ! هذه الخطة التي اكتشفها المجاهدون ، لكن الله ساق إليهم جنده ، وكم يحلو لي أن أنشد لهم مع أبي الطيب في ختام هذه المحاضرة على لسان كل أفغاني :

لئـن عَمَرْتُ جعلت الحـرب والـدة ... والسمهري أخا والمشـرفـــي أبـــا

بكل أشعث يلقى الموت مبتسما — حتى كأن له في موته إربا
فج يكاد صهيل الخيل يقذفه — عن سرجه فرحا بالغزو أو طربا
مرقعي خيلهم بالبيض متخذي — هام الكماة على أرماحهم عذبا
إن المنية لو لاقتهم جفلت — رعناء تتهم الإقدام والهربا

السمهري : الرمح ، والمشرفي : السيف .

حتى كأن له في موته إربا : كان له غرض في موت نفسه .

فضائل الجهاد

يا أيها الإخوة : إن رب العزة لم يجعل ثواب الجهاد في هذه المنزلة ، وبهذه الجزالة ، ورسول الله ﷺ وهو يقول : **(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)**[1].

(لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود)[2]. **(قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة)**[3].

(قيام ساعة خير من قيام ستين سنة)[4] هذا الثواب العظيم لم يجعله رب العزة عبثا ، إنما لما يعلم الله من أن من فائدة الجهاد للنفس البشرية ، وصقل الأرواح ، وعلو الاهتمامات، وإفراز النماذج ، وإبراز القيادات ، وإقرار التوحيد في أعماق النفس البشرية، وحماية هذا الدين : ولأنه سبحانه يعلم أن السيف والسلاح حصنه الحصين ، وركنه الركين.

يا أيها الإخوة : بالجهاد عزتنا ، وبالجهاد نحمي بيضتنا، وبالجهاد نأخذ حقوقنا ، وبدون الجهاد لا قيمة لنا في الدنيا ، ولا وجود لنا في الآخرة ..

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جنهم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفوَ عنهم وكان الله عفواً غفورا) (النساء : ٩٧-٩٩)

وختاما لا يسعني إلا أن أوجه قلبي ونفسي بالدعاء لمركز الدعوة والإرشاد؛ الذي كان سببا للقاء بهذه الوجوه الكريمة، ولا يسعني إلا أن أبلغكم شكر إخوانكم المجاهدين الأفغان لما قدم هذا القطر الكريم لهم، ولما ينتظره كذلك من تقديم، وكذلك لا يسعني إلا أن أعبر عن راحتي بالصفحات المشرقة التي قدمها نماذج من شباب هذا البلد، والذين خط بعضهم بدمائه صفحات التاريخ الإسلامي من جديد.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأسئلة :

السؤال الأول : ما هي حقيقة الإشاعة عن المساعدات العسكرية والمالية الأمريكية للمجاهدين؟! وفي نفس الورقة سؤال آخر : ما سبب الزيارة التي قام بها أبوعمار ياسرعرفات لباكستان واجتماعه مع قادة المجاهدين ؟!

الشيخ :

أما بالنسبة لأمريكا ؛ سئل حكمتيار في أمريكا نفسها من قبل الصحفيين: كم قدمت لكم أمريكا ؟ قال : لم نستلم دولارا

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه البخاري، انظر جامع الصغير (٣٤٨٢).
(٢) رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ «موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود» انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٦٨).
(٣) حديث صحيح رواه أحمد والترمذي، انظر صحيح الجامع الصغير رقم (٤٤٢٩).
د الحديث بلفظ «لقيام رجل في الصف في سبيل الله ساعة أفضل من عبادة ستين سنة» انظر صحيح الجامع الصغير (٥٠٦٧).

ويثنى بين يدي كالنائم، والميت معروف أنه خشبة ، متصلب ، فتحت الكفن عن وجهه ؛ حتى أوجه وجهه إلى القبلة ، وإذا بإشراقة نور عجيبة بعد العشاء!! قلت : سبحان الله!!

يا إخوة : ماذا أحدث ، قصصهم تذكرنا بمصعب، وبالقعقاع ، وبعاصم ، وبحمزه ، وهكذا قصص السلف الأوائل شباب ماذا أقول؟! أبوه وزير، والله عندنا أبناء وزراء ، يتركوا النعيم ، والفراش الوثير ، ويأتي هناك في الجبال ؛ يعيش على الخبز والشاي بلا سكر، كأن لسان كل واحد يقول لنفسه ولقلبه وهو يخاطب ربه:

عذابه فيك عذب ... وبعده فيك قرب

حسبي من الحب ... أني لما تحب أحب

أسامة بن لادن –أكرمه الله وحفظه– أخذوا عطاء توسعة الحرم المدني ثمانية آلاف مليون ريال، ترك العطاء وهو يعيش الآن بين الشباب في جلال آباد ، وكل لحظة ممكن أن يموت ، إخوانه ، شركة بن لادن أكبر شركه في العالم الإسلامي ، أكبر شركة خاصة في الشرق الأوسط وفي العالم الإسلامي شركة ابن لادن ، ترك الدنيا كلها ، نحيف ، نبضه ، ضغطه منخفض، واضع (شوية) ملح في جيبه هذه ، ويجيبه هذه قنينة ماء ، ويبلع ملحا، ويشرب ماء! حتى يرفع ضغطه (شويه) ، ويستطيع أن يواصل القتال مع الشباب.

الحقيقة كما قلت لكم: الوقت يطول بنا لو أردت أن أحدث لكل واحد منهم قصته، كل واحد منهم يحيي الأمل ، وكلما استشهد شهيد منهم يستصغر الإنسان نفسه، ويرى أن هؤلاء لولا أنهم أفضل عند رب العالمين ما اختارهم في سنة ، ونحن منذ ثماني سنوات ونحن نبحث عن الشهادة ، ولم نرزقها بعد ، الأفغان يقولون : اللهم انصرنا في كابل و لا تمتنا إلا في بيت المقدس، قالوا: إيش رأيك يا شيخ عبدالله ؟ قلت : اللهم ارزقني الشهادة عاجلا يا رب العالمين، لأن القلوب بيد الرحمن ، لا تدري، يقلبها كيف يشاء، **(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**(١) ، فنرجو الله عز وجل أن يرزقنا الشهادة ، فإن كان لنا قدر أن نرجع إلى فلسطين ونجاهد نرجو الله أن يفتح لنا ثغرة في فلسطين ، إن شاء الله.

في المناسبة أحدثكم ، والدي عمره تسعون سنة معي هناك ، نأخذه إلى معسكر التدريب ، دربناه على كلاشنكوف ورمى عليه، قلت له : نعطيك كلاشنكوف ، قال : لا ... بندقية إنجليزية التي حاربت بها سنة ثمان وأربعين ... بندقية إنجليزية ، قال له سياف : هذه على حسابي ... هدية مني ، وكلما رأى سياف وحكمتيار وغيره يونس خالص يمسك .. مد يدك ، يقول أبي: مد يدك، عاهد، أعاهد ، أعاهد أني أذهب إلى المسجد الأقصى وأقاتل، يقول له : أعاهدك بعد القتال –إن شاء الله– في أفغانستان نروح إلى المسجد الأقصى نقاتل، وكلما نذهب عندهم يقول لهم : العهد يا سياف ... العهد ، يقول له : خلاص .. بإذن الله سننتقل إلى المسجد الأقصى، فمرة – تسعون سنة عمره – ودعته ، وذهبت إلى الجبهة ، فاغرورقت عيناه بالدموع ، قال : ما الفائدة يا بني ؟ مضى عهد الشباب الذي يمكن أن تنالنا هذه الشهادة، والآن فتح المجال وقد وهن العظم ، واحدودب الظهر .

الناس هناك – العرب .. العرب – قالوا : الفرق بين نسائنا هناك ونساؤكم هنا: أنا في المعسكر ، قالوا : *ابتدأت* معركة جلال آباد قبل أسبوعين ، جاءني واحد قال : أولادك تركوا المدرسة ، وركبوا بالسيارة إلى جلال آباد ، رجعنا نرى ، وإلا المرأة ليست في البيت كذلك ، وأين الزوجة ؟ قالوا : والله أخ استشهد ، أبو حسام السوري ، وذهبت لتعزي أهله ، وتجبر خاطرهم ، وما إلى ذلك ، وترتب أمور مواساتها بين النساء العرب ، يعني الزيارة ، وصنع الطعام لها ، وما إلى ذلك ، المعركة قائمة ، تجد النساء يعجن العجين، يصنعن الكعك ، يرسلنه إلى المجاهدين ، قاعدات النساء مع بعضهن ، اليوم جرح فلان ، استشهد فلان ، فلان خرجت لدمه رائحة ، فلان أشرق وجهه ، فلان طلع النور من قبره ، فلان ، فلان ، وهذه أظن أحاديث نسائكم هنا والله أعلم.

المقدم :

على ذكر أسرة سعد الرشود – عليه رحمة الله – نحن نعرفها ، لأمه ثلاثة أولاد ، هذا الذي استشهد واثنان غيره ، قالت للأوسط منهم : اذهب والحق بأخيك فيكفيني منكم واحد، جاءتها بعض النساء للتعزية ، فقالت لهن : إن كنتن جئتن لتباركن لي بشهادة فلان فمرحبا ، وإلا فلست بحاجة إلى التعزية ، هذه تذكرنا بموقف الخنساء رضي الله عنها حينما أخبرت بشهادة أولادها الأربعة ، قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، تعالوا إلى نسائنا اليوم اللاتي يتصلن بمندوب المجاهدين في بيشاور ، ويبكين على أولادهن الذين سافروا إلى هناك ، بل الآباء يذهبون إليهم هناك ليعيدوهم من الجهاد .

أذكر أن شابا ... (الشيخ مقاطعا)

---

(١) كلام الشيخ مقتبس من حديث الرسول ﷺ الذي يرويه الترمذي، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩١).

بكل أشعث يلقى الموت مبتسما حتى كأن له في موته إربا
فج يكاد صهيل الخيل يقذفه عن سرجه فرحا بالغزو أو طربا
مرقعي خيلهم بالبيض متخذي هام الكماة على أرماحهم عذبا
إن المنية لو لاقتهم جفلت رعناء تتهم الإقدام والهربا

السمهري : الرمح ، والمشرفي : السيف .

حتى كأن له في موته إربا : كان له غرض في موت نفسه .

فضائل الجهاد

يا أيها الإخوة : إن رب العزة لم يجعل ثواب الجهاد في هذه المنزلة ، وبهذه الجزالة ، ورسول الله ﷺ وهو يقول : **(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)**[1].

(لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود)[2]. **(قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة)**[3].

(قيام ساعة خير من قيام ستين سنة)[4] هذا الثواب العظيم لم يجعله رب العزة عبثا ، إنما لما يعلم الله من أن من فائدة الجهاد للنفس البشرية ، وصقل الأرواح ، وعلو الاهتمامات، وإفراز النماذج ، وإبراز القيادات ، وإقرار التوحيد في أعماق النفس البشرية، وحماية هذا الدين ؛ ولأنه سبحانه يعلم أن السيف والسلاح حصنه الحصين ، وركنه الركين.

يا أيها الإخوة : بالجهاد عزتنا ، وبالجهاد نحمي بيضتنا، وبالجهاد نأخذ حقوقنا ، وبدون الجهاد لا قيمة لنا في الدنيا ، ولا وجود لنا في الآخرة ..

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفوَ عنهم وكان الله عفواً غفورا) (النساء : ٩٧-٩٩)

وختاما لا يسعني إلا أن أوجه قلبي ونفسي بالدعاء لمركز الدعوة والإرشاد؛ الذي كان سببا للقاء بهذه الوجوه الكريمة، ولا يسعنى إلا أن أبلغكم شكر إخوانكم المجاهدين الأفغان لما قدم هذا القطر الكريم لهم، ولما ينتظره كذلك من تقديم، وكذلك لا يسعني إلا أن أعبر عن راحتي بالصفحات المشرقة التي قدمها نماذج من شباب هذا البلد، والذين خط بعضهم بدمائه صفحات التاريخ الإسلامي من جديد.

أقول قولي هذا واستغفرالله لي ولكم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأسئلة :

السؤال الأول : ما هي حقيقة الإشاعة عن المساعدات العسكرية والمالية الأمريكية للمجاهدين؟! وفي نفس الورقة سؤال آخر : ما سبب الزيارة التي قام بها أبوعمار ياسرعرفات لباكستان واجتماعه مع قادة المجاهدين ؟!

الشيخ :

أما بالنسبة لأمريكا ؛ سئل حكمتيار في أمريكا نفسها من قبل الصحفيين: كم قدمت لكم أمريكا ؟ قال : لم نستلم دولارا

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه البخاري، انظر جامع الصغير (٣٤٨٢).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ «موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود» انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٠٦٨).

(٣) حديث صحيح رواه أحمد والترمذي، انظر صحيح الجامع الصغير رقم (٤٤٢٩).

د الحديث بلفظ «لقيام رجل في الصف في سبيل الله ساعة أفضل من عبادة ستين سنة» ، انظر صحيح الجامع الصغير (٥٠٢٧).

ويثنى بين يدي كالنائم، والميت معروف أنه خشبة ، متصلب ، فتحت الكفن عن وجهه ؛ حتى أوجه وجهه إلى القبلة ، وإذا باشراقة نور عجيبة بعد العشاء!! قلت : سبحان الله!!

يا إخوة : ماذا أحدث ، قصصهم تذكرنا بمصعب، وبالقعقاع ، وبعاصم ، وبحمزه ، وهكذا قصص السلف الأوائل شباب ماذا أقول؟! أبوه وزير، والله عندنا أبناء وزراء ، يتركوا النعيم ، والفراش الوثير ، ويأتي هناك في الجبال ؛ يعيش على الخبز والشاي بلا سكر، كان لسان كل واحد يقول لنفسه ولقلبه وهو يخاطب ربه:

عذابه فيك عذب *وبعده فيك قـرب*

حسبي مـن الحب *أني لما تحب أحب*

أسامة بن لادن -أكرمه الله وحفظه- أخذوا عطاء توسعة الحرم المدني ثمانية آلاف مليون ريال، ترك العطاء وهو يعيش الآن بين الشباب في جلال أباد ، وكل لحظة ممكن أن يموت ، إخوانه ، شركة بن لادن أكبر شركه في العالم الإسلامي ، أكبر شركة خاصة في الشرق الأوسط وفي العالم الإسلامي شركة ابن لادن ، ترك الدنيا كلها ، نحيف ، نبضه ، ضغطه منخفض، واضع (شوية) ملح في جيبه هذه ، وبجيبه هذه قنينة ماء ، ويبلع ملحا، ويشرب ماءا؛ حتى يرفع ضغطه (شويه) ، ويستطيع أن يواصل القتال مع الشباب.

الحقيقة كما قلت لكم: الوقت يطول بنا لو أردت أن أحدث لكل واحد منهم قصته، كل واحد منهم يحيي الأمل ، وكلما استشهد شهيد منهم يستصغر الإنسان نفسه، ويرى أن هؤلاء لولا أنهم أفضل عند رب العالمين ما اختارهم في سنة ، ونحن منذ ثماني سنوات ونحن نبحث عن الشهادة ، ولم نرزقها بعد ، الأفغان يقولون : اللهم انصرنا في كابل و لا تمتنا إلا في بيت المقدس، قالوا: إيش رأيك يا شيخ عبدالله ؟ قلت : اللهم ارزقني الشهادة عاجلا يا رب العالمين، لأن القلوب بيد الرحمن ، لا تدري، يقلبها كيف يشاء، **(اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك)**[1] ، فنرجو الله عز وجل أن يرزقنا الشهادة ، فإن كان لنا قدر أن نرجع إلى فلسطين ونجاهد نرجو الله أن يفتح لنا ثغرة في فلسطين ، إن شاء الله.

في المناسبة أحدثكم ، والذي عمره تسعون سنة معي هناك ، نأخذه إلى معسكر التدريب ، دربناه على كلاشنكوف ورمى عليه، قلت له : نعطيك كلاشنكوف ، قال : لا ... بندقية إنجليزية التي حاربت بها سنة ثمان وأربعين ... بندقية إنجليزية ، قال له سياف : هذه على حسابي ... هدية مني ، وكلما راى سياف وحكمتيار وغيره يونس خالص يمسك .. مد يدك ، يقول أبي: مد يدك، عاهد، أعاهد ، أعاهد أني أذهب إلى المسجد الأقصى وأقاتل ، يقول له : أعاهدك بعد القتال -إن شاء الله- في أفغانستان نروح إلى المسجد الأقصى نقاتل، وكلما نذهب عندهم يقول لهم : العهد يا سياف ... العهد ، يقول له : خلاص .. بإذن الله سننتقل إلى المسجد الأقصى، فمرة - تسعون سنة عمره - ودعته ، وذهبت إلى الجبهة ، فاغرورقت عيناه بالدموع ، قال : ما الفائدة يا بني ؟ مضى عهد الشباب الذي يمكن أن تنالنا هذه الشهادة، والآن فتح المجال وقد وهن العظم ، واحدودب الظهر .

الناس هناك - العرب .. العرب - قالوا : الفرق بين نسائنا هناك ونساؤكم هنا: أنا في المعسكر ، قالوا : *ابتدأت* معركة جلال أباد قبل أسبوعين ، جاءني واحد قال : أولادك تركوا المدرسة ، وركبوا بالسيارة إلى جلال أباد ، رجعنا نرى ، وإلا المرأة ليست في البيت كذلك ، وأين الزوجة ؟ قالوا : والله أخ استشهد ، أبو حسام السوري ، وذهبت لتعزي أهله ، وتجبر خاطرهم ، وما إلى ذلك ، وترتب أمور مواساتها بين النساء العرب ، يعني الزيارة ، وصنع الطعام لها ، وما إلى ذلك ، المعركة قائمة ، تجد النساء يعجن العجين، يصنعن الكعك ، يرسلنه إلى المجاهدين ، قاعدات النساء مع بعضهن ، اليوم جرح فلان ، استشهد فلان ، فلان خرجت لدمه رائحة ، فلان أشرق وجهه ، فلان طلع النور من قبره ، فلان ، فلان ، فلان ، وهذه أظن أحاديث نسائكم هنا والله أعلم.

المقدم :

على ذكر أسرة سعد الرشود - عليه رحمة الله - نحن نعرفها ، لأمه ثلاثة أولاد ، هذا الذي استشهد واثنان غيره ، قالت للأوسط منهم : *اذهب والحق بأخيك فيكفيني منكم واحد*، جاءتها بعض النساء للتعزية ، فقالت لهن : إن كنتن جئتن لتباركن لي بشهادة فلان فمرحبا ، وإلا فلست بحاجة إلى التعزية ، هذه تذكرنا بموقف الخنساء رضي الله عنها حينما أخبرت بشهادة أولادها الأربعة ، قالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، تعالوا إلى نسائنا اليوم اللائي يتصلن بمندوب المجاهدين في بيشاور ، ويبكين على أولادهن الذين سافروا إلى هناك ، بل الآباء يذهبون إليهم هناك ليعيدوهم من الجهاد .

أذكر أن شابا ... (الشيخ مقاطعا)

---

(١) كلام الشيخ مقتبس من حديث الرسول ﷺ الذي يرويه الترمذي، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٩١).

الشيخ : شبابا ليس شابا ...

المقدم : أنا أذكر واحدا ..

الشيخ : لا .. عشرات ، التلفون دائما شغال ...

المقدم : أنت أدرى بذلك ، وأما أنا أعرف شابا ذهب أبوه فأحضره ، وسحب منه جوازه ، وأصدر له جوازا ليس فيه إلا أن يزور بلدا واحدا في الخليج .

الشيخ : ما تركوا سفارة في إسلام أباد ولا حكومة إلا واشتكوا عليّ ، عبدالله عزام أخذ أولادنا ، عبدالله عزام يريد أن يقتل أولادنا ، وكل يوم تأتيني الشرطة يتساءلون : أين فلان ، وأين فلان عشرات، عشرات، والقصص تطول، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

المقدم :

هذا سائل: يقول أنا شاب سائق دبابة هل تقبلوني بينكم؟

الشيخ :

إسمعوا ! نحن نرحب بكل أخ عربي يريد أن يأتي إلى الجهاد ، لكن كان الأخ أسامة بن لادن – ربنا يكرمه إن شاء الله، ويبارك له في دينه وماله وأهله – قد تكفل بتذكرة وطعام وسكن وكفالة أسرة كل أخ عربي يأتي إلى الجهاد ، كل عربي ، لكن ثقل حملنا، كنا في الأول عدداً قليلاً، خمسين ، ستين ، سبعين ، الحمد لله الآن أكثر من ألف الآن لا نستطيع لا ندفع تذاكر ، ولا أن نكفل القادم المتزوج ، إذا كنتم تحبون الجهاد خاصة الفلسطينين ، يا إخوة : سوق عقد ثم انفض ، ربح فيه من ربح ، وخسر فيه من خسر، أعدوا أبنائكم– أبناء فلسطين الذين يتحرقون على فلسطين– أعدوهم ، لأن الشباب الذين جاءوا من فلسطين ، من الأردن ، هناك كل واحد في ذهنه: متى أنقل المعركة إلى المسجد الأقصى، انكسر حاجز الخوف ، تحرروا، ارتفعت أرواحهم ، صاروا يفكرون في مصير أمة ، الفلسطيني الذي يريد (الجاد في إعادة فلسطين) كل عشرة فلسطينين يكفلون واحدا ويرسلونه ، يكفلون أسرته، يكفلون تذكرته ذهابا وإيابا ، ثم هناك يخوض بعض المعارك ، يتدرب ، والآن معركة المدن ، يعني: معارك مثل التي تنتظر فلسطين، حرب المدن، ولا يوجد أرض لبناء النفس المجاهدة على واقع حي إلا في أفغانستان، فهي تدفع... والله لوكنت مسؤولا في الدول العربية لأرسلت من كل بلد ألف ضابط حتى يتدربوا في أفغانستان، مناورات حية ، والله لو انتبهوا ، لو انتبهت الجيوش العربية ، وأرسلت إلى أفغانستان ضباطها لخرجوا بتجارب لا نظيرلها أبدا ، ولا يمكن أن تتوفر في أي مكان في العالم ، ومجانا ! المرقة ببلاش عند الأفغان، نصفها سمنة واغرق في هذا السمن ، فقط مرق وخبز وشاي بدون سكر ، وكُل حتى تشبع، لا يكلفهم شيئا ، يعني الضابط الذي يرسلونه إلى أمريكا إلى أوروبا يكلفهم عشرات الألوف من الدولارات، بإمكانهم أن يدربوه بدون أن يكلفهم مائة دولار ، فالجادون من الفلسطينين، الجادون في تحرير العالم الإسلامي من الكفار، لابد لهم أن يعدوا لذلك العدة، والله عز وجل جعل العدة علامة الصدق ..

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ..) (التوبة : ٤٦)

المقدم :

نختم بهذا السؤال ؛ لأن الوقت قد طال، ولله الحمد في طاعته، نسأل الله أن تكون في موازين حسناتكم جميعا ، ما هي حقيقة الخلافات بين المجاهدين التي يروج لها الإعلام العالمي ؟

الشيخ :

طيب ... أبشركم أن دولة الإسلام ستقوم في أفغانستان –بإذن الله–، وأبشركم أن ذلك إن شاءالله قريباً بإذن الله ، كما نرى، وأبشركم أن ما أظن أن يزيد على عيد الأضحى على أقصى حد أن تقوم أول دولة إسلامية على رؤوس الرماح والسيوف، وأبشركم أن هذه أول دولة في الأرض تفلت من قبضة العالم كله، وقرارها يصنع في رأسها ، على هدي من كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، وأبشركم أكثر من ذلك أن الجهاد في أفغانستان هو بداية تحويل خط العالم كله ، سيتحول التاريخ بإذن الله بداية من أفغانستان...

(ولتعلمن نبأه بعد حين) (ص : ٨٨)

وستذكرون ما أقول لكم ، وسترون بإذن الله أن كثيرا من أوضاع المسلمين في العالم كله ستتغير نحو الخير ، ونحو الأمثل ، وسترون بإذن الله عز وجل أن الجهاد في أفغانستان سيغير وضع الأرض المقدسة المباركة ، وستشهدون بإذن الله كثيرا من التغيرات في واقع الأرض بعد هذا النور الذي انبعث من أرض أفغانستان ، وستدركون يومها أنكم ما قدرتم الجهاد الأفغاني حق قدره ، وأنكم

فرطتم فيه ، ماذا على المسلمين لو أقاموا في كل مسجد احتفالا بيوم النصر الذي ما رأته الأمة الإسلامية منذ ثلاثة قرون؟ ماذا على المسلمين لو أرسلت كل بلدة وفدا لتهنئة الأفغان بنصر أعز الله به دينه ، ورفع الله رايته ، ورفع كل مسلم به رأسه؟! ماذا على المسلمين لو خصصوا (٥٪) من رواتبهم في هذه الأشهر القادمة من أجل بناء دولة الإسلام في الأرض؟ .

ماذا على المسلمين لو خصصوا يوميا برنامجاً في تلفازهم لمدة ربع ساعة عن قصص البطولة – بدل أفلام الكرتون – يعلمونهم قصصاً واقعية يبنون ويعلمون بها الأطفال ، بناء جهادياً إسلامياً؟

ماذا على المسلمين لو زاروا أرض أفغانستان مثل ما زارها كارتر ونيكسون؟

ماذا على المسلمين لو دفعوا أبناءهم وشبابهم : حتى يستروحوا أوج العزة في الآفاق العليا ، ويستحلوا ويستعذبوا طعم العزة فوق أرض الهندكوش؟ أرجو الله عز وجل أن يفتح أبصارنا وبصائرنا إنه سميع قريب مجيب.

المقدم :

تعيد مرة أخرى، بالنسبة للمحاضرات القادمة بناء على الطلب:

الأربعاء غدا – إن شاء الله – بعد العشاء في مسجد أبي بكر الصديق ... معروف .

والخميس بعد صلاة العشاء في نادي قطر الرياضي .

والجمعة هنا – إن شاء الله – خطبة الجمعة ، وبعد العصر في جامع الوترة .

الشيخ :

وكذلك لا تنسوا أن المجاهد الذي استشهد فوق أرض أفغانستان شقيق الشهيد هاشم العوضي من أبناء العوضي الذي عمره في العشرين أو دون ذلك .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الحاكمية المطلقة لله

فيا من رضيتم بالله ربا ، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم :

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (النساء : ٦٥)

ويقول عز شأنه :

(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين، وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) (المائدة :٤٤-٤٧).

آيات كريمات منزلات من لدن عزيز حكيم تتكلم عن أخطر قضية في العصر الحاضر، وما ابتليت الأمة الإسلامية بقضية عقدية أخطر من هذه القضية التي تتكلم عنها الآيات ، وقد تكلمت الآيات بوضوح حاسم وقطع جازم، لأن القضية ليست من القضايا الفرعية الفقهية التي يفسق فاعلها، إنما هي قضية عقدية تتصل بهذا الدين وبمفهوم (لا إله إلا الله)، القضية التي تتكلم عنها هذه الآيات الكريمات: قضية الحاكمية في حياة البشر، وأما الحكم بما أنزل الله عز وجل، إنما هو المدلول العملي الواقعي لـ(لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ولو شبهنا هذا الدين بقطعة معدن أو بورقة عملة لكان الوجه الأول مكتوب عليه: (لا إله إلا الله)، والوجه الثاني مكتوب عليه: (الحكم بما أنزل الله)، فهما وجهان لعملة واحدة لا تنفصل عراها أبدا، لا ينفصلان ولا يفترقان أبدا. (لا إله إلا الله) تعني الحكم بما أنزل الله ، وعدم الحكم بما أنزل الله يعني نفي الألوهية في حياة البشر، وادعاء بعض البشر الربوبية على البشر دون أن يعلم .

وقد فسّر هذا رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم وقد دخل عليه وهو يلبس الصليب إذ كان نصرانيا ، فقال له :**(ألق هذا الوثن)**[1] - فالصليب وثن - وقرأ عليه - رسول الله ﷺ - :

(إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) (التوبة : ٣١)

فتعجب عدي بن حاتم محتارا ، هذا كلام رب العزة ، ولكنه يخالف صورة العبودية التي نسجت في ذهنه .

إن صورة العبودية في ذهن عدي الركوع والسجود، وتقديم الشعائر والطقوس ، والنذور والقرابين ، قال : يا رسول الله ما عبدوهم!، قال : **بلى ، أحلوا لهم الحرام ، وحرموا عليهم الحلال ، فاتبعوهم ، فتلك عبادتهم إياهم** .

إذاً على لسان رسول الله ﷺ العبودية تعني إطاعة الشرائع ، طاعة القوانين ، فإذا كانت هذه الشرائع من عند رب العالمين ، فالعبودية تقع لرب العالمين ، وإن كانت هذه الشرائع من عند البشر ، فالعبودية تقع للبشر ، ولو أدى بعدها الناس الشعائر حسب ما أنزل الله ، وأقاموا الصلاة ، وأدوا الزكاة ، وصاموا له في رمضان ، وحجّوا إلى البيت الحرام .

بلى أحلّوا لهم الحرام وحرّموا عليهم الحلال فأطاعوهم ، فتلك عبادتهم إياهم .

وقد اتفق الفقهاء جميعا على أن من أحل الحرام فقد كفر ، ومن حرم الحلال فقد كفر .

يقول ابن تيمية : "إنعقد الإجماع على أن من أحل النظرة فقد كفر بالإجماع ، ومن حرم الخبز فقد كفر بالإجماع" من قال إن النظرة حلال فإنه يخرج من الإسلام ، ومن قال إن الخبز حرام فإنه يخرج من الإسلام ..

(قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آللّه أذن لكم أم على الله تفترون)

(يونس : ٥٩)

هل أذن لكم رب العزة بالتشريع للناس ؟!.

ولذا فالآية الكريمة (**إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**) ، اختتمت بالتوحيد (**وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا**) ، إذاً طاعة الشرائع تتنافى مع الألوهية الواحدة ، وطاعة الشرائع البشرية تتنافى مع توحيد الألوهية والربوبية ، وتتنافى مع توحيد الأسماء والصفات ، (**وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو**) ، هو المشرع وحده ، الذي يطاع شرعه ، وهو الواحد الحكم ، (**لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**) ، يشركون به عباده ؛ بأن يطيعوا قوانينهم وينفذوا شرائعهم .

وقد عرّف رب العزة مرتين في سورة يوسف أن العبادة هي الحكم بما أنزل الله فقال :

(إن الحكم إلا لله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه) (يوسف : ٤٠)

وإلا إذا سبقها نفي فإنها تصبح للحصر والقصر، يعني : ما الحكم إلا لله ، أي أن الحكم مقصور ومحصور بيد رب العالمين.

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن جرير بنحوه، انظر القصة في تفسير ابن كثير مجلد ٢ / صفحة (٥٤٤) تحت تفسير آية (٣١) من سورة التوبة.
وهذا الحديث روي من طرق لا تخلو من مقال إلا أن مجموعها يصل بها إلى درجة القبول والله تعالى أعلم.

وهذا هو الدين ، وهذه هي العبادة ..

(أمر أن لاتعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف : ٤٠)

وقد فهم الصحابة هذه المعاني ، وما كان يدور بخلدهم أن إنسانا يعترف بالله ربا ، وبمحمد نبيا ورسولا ، وبالقرآن حكما وإماما، يضعه جانبا ، ثم يرتضي بعد ذلك حكم البشر ويقدمه عليه .

وعندما كان الفقهاء والعلماء والصحابة يمرون على آية (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)، ما كان يدور بخلدهم أن مسلما يدّعي الإسلام ويقرّ لله عز وجل بالوحدانية ثم بعد ذلك ينفي شريعة الله من الحياة، ويرضى ويستبدل بها شرائع أخرى.

إن الذي يقدّم أمر رجل من الناس على أمر رب العالمين سواء كان لمصلحة أو لأمر من الأمور فإنه يقدّم عبادة هذا الإنسان الفاني ، على الله الأزلي الأبدى -سبحانه- على الأول والآخر ، ولا يُشرّع أحد قانونا من القوانين ، -يستبدل به قانون الله عز وجل- إلا ويمّر في خاطره : أن هذا القانون أفضل من قانون رب العالمين لهذه المرحلة ، وهذا كفر بواح ، وشرك صُراح لا يشك به أحد من أهل هذه الملة ، أما الصحابة فكانت القضية واضحة في أذهانهم .

وقد روى الحاكم في مستدركه أن سبب نزول الآية (فلا وربك لايؤمنون) ... نزلت في يهودي ومنافق اختلفا على قضية ، فقالا نحتكم إلى محمد - ﷺ -، ورضي اليهودي لأن الحق معه ، ويعلم أن الرسول ﷺ سيحكم بالحق ، فذهبا إلى رسول الله ﷺ ورفعا إليه الأمر ، فحكم لليهودي ، وبعد أن خرج قال المنافق : لا ، بل نحتكم إلى أبي بكر ، فذهبا إلى أبي بكر ، فحكم أبو بكر لليهودي، قال المنافق : لا ، بل نحتكم إلى عمر ، فذهبا إلى عمر رضي الله عنه ، وقال اليهودي : قد احتكمنا إلى محمد فحكم لي ، واحتكمنا إلى أبي بكر فحكم لي ، ولم يرض هذا الرجل إلا أن نحتكم إليك ، قال عمر رضي الله عنه : بين يدي حاجة أريد أن أنجزها وأخرج لكما ، فدخل عمر ، وأشام سيفه ، ثم قطع رأس هذا الرجل ، وهرب اليهودي ، وأهدر رسول الله - ﷺ - دم هذا الرجل ، لأن الذي لا يرضى حكم الرسول ﷺ ليس مسلما ودمه هدر .

والقضية كانت واضحة في أذهان السلف ، وكما قلنا عندما نفتح التفاسير نجد كلام ابن عباس أو ابن مسعود -رضي الله عنهم- أو حذيفة أو غيرهم يريدون أن يصرفونها للقاضي الذي يجور في الحكم، وهم يستثقلونها؛ أن القاضي الذي يجور بقضية من القضايا، ويحكم بها بغير العدل يخرج من يصرقوها هذه الملة ، ويصبح كافرا بها.

قوانين ما أنزل الله بها من سلطان

ولذلك كانوا يظنون أن القضية تتكلم عن القضاة الظالمين الجائرين؛ الذين يرتشون ويغيّرون الحكم من أجل المنفعة، ما كان يظن هؤلاء الصحب الكرام، وما كان يدور بخلدهم؛ أنه سيأتي يوم من الأيام أناس ممن يتبعون رسول الله ﷺ يرفضون شرع الله، ويرفضون شرع رسوله ﷺ، ثم يحكّمون في دمائهم وأعراضهم وأرواحهم وحياتهم قول جون وأنطون وكبتيان وجسران ونابليون وغيرهم.

القضية بقيت واضحة في أذهان السلف والصحب الكرام والتابعين ومن تبعهم بإحسان، إلى أن وقعت الأمة الإسلامية أول مرة بهذه القضية العقديّة المهمة ، هذه القضية الخطيرة في حياة البشر، فعندما جاء هولاكو ، واجتاح بغداد، وقتل ثمانمائة ألف منها ..

ومازالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

عندما دخل هولاكو بغداد ، ثم اجتاح الأردن وفلسطين، وتوجه نحو الشام ، والله عز وجل ساق له قطز والظاهر بيبرس، وقطز من أفغانستان كما تروي الروايات التاريخية، ونازل قطز التتار في عين جالوت سنة ٦٥٨هـ، وهزمهم شر هزيمة ، ومزق شملهم ، وخر قطز ساجدا لله عز وجل .

هولاكو أراد أن يطبق قانون جده جنكيز خان المسمى «بالياسق» أو الياسا أو السياسات الملكية ، وهذا الياسق مأخوذ من اليهودية والنصرانية والإسلام .

وحكم العلماء قولا فصلا في القضية ، وعندما صار التتار يصلـّون ويصومون ، ومع ذلك إلى الياسق يحتكمون ، وتحرّج الناس في قتالهم ، قال شيخ الإسلام بن تيمية : إذا رأيتموني بينهم والمصحف فوق رأسي فاقتلوني ، إذا رأيتموني بينهم والمصحف فوق رأسي فاقتلوني.

وقال ابن كثير - بعد أن ساق كثيرا من سخافات الياسق- ، قال في البداية والنهاية -ومن أراد أن يرجع إليها في المجلد

الثالث عشر صفحة (١١٨) –، ويتكلم كثيرا عن الياسق يقول: «من ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبدالله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة فقد كفر، فكيف بمن تحاكم إلى (الياسا) وقدمها عليه، لاشك أن هذا يكفر بأجماع المسلمين».

وحمل عالم ثالث الياسق بيده ، وأمام الناس قال ما هذا ؟ –ولعله العز بن عبدالسلام –، قالوا هذا الياسق ، قال من حكم بهذا الكتاب فقد كفر، ومن تحاكم إليه فقد كفر.

وحسمت القضية ، وكان هولاكو* وقازان –وريثه– أعقل من حكامنا في العصر الحاضر ، فجعل قازان محكمة للياسق ومحكمة للقرآن والإسلام والسنة ، محكمة المسلمين ، ومحكمة الياسق ، من ذهب إلى محكمة الياسق يحكمون عليه بالكفر ، ومن ذهب إلى محكمة الإسلام يحكمون له بالاسلام ، ويتعاملون معه كمسلم له ما لهم وعليه ما عليهم ، يأكلون ذبيحته، ويتزوجون ابنته ، و يصلون معه، ويصلون وراءه، ويصلي وراءهم ، (من أكل ذبيحتنا ، واستقبل قبلتنا ، وصلى صلاتنا، فهو مسلم)(١) .

معاول الهدم لهذا الدين

ودار الزمن، وجاء العصر الحديث، ووطئت سنابك جيوش نابليون الأزهر الشريف، ووعى نابليون أن هذا المعقل الحصين لهذا الدين ، وهذه القلعة المنيعة التي مضى عليها قرابة ثمانمائة عام ؛ رغم أنها دارسة ، والغبار يكسوها من كل مكان ، وحجارتها تكاد تتداعى، إلا أنها حية تحرك الشعوب ، وتدفع الجموع ، والجياد العتاق ، والمذاكي ، تخرج بصيحة من داخل هذا الرواق الكريم ، في داخل هذا المعهد ، في الأزهر الشريف ، تخرج وتهزم نابليون ، وتجعله يذل ، ويتظاهر بلبس العمامة والجبة ، ويحضر مرتين في الأسبوع درس العلماء في الأزهر.

وانتهت حملة نابليون بقتل كليبر على يد سليمان الحلبي ، أحد أبناء سورية الذين كانوا في الأزهر ، وقد أغمد الخنجر في أعماق كليبر ، وانتهت فرنسا وانتهت حملتها . إلا أن نابليون قال : لابد أن يقتلع هذا الدين من جذوره ، من أعماق هذا الشعب، حتى نستطيع حكمهم ، ولا يمكن لشعب يجري بدمه (لا إله الا إله) ، وتجري عقيدة الإيمان في عروقه ، وتتخلل كلمة التوحيد مساربه أن يذل لبشر كائنا من كان ، فبدأ ينظم دورات – لمصر – من الجيش المصري ، وولى على مصر رجلاً غريباً لصيقاً لايدرى ما نسبه، وكيف تولى حكم مصر محمد علي باشا الذي حكم مصر مائة وخمسين عاما –هو وسلالته ، بقوا يحكمون من (١٨٠٤) إلى (١٩٥٢)– حيث خلع فاروق إلى مصيره الذي ينتظره ، وذهب ممن ذهب رفاعة الطهطاوي وكان شيخا أزهريا، وهناك غسلوا دماغه وقلبه، وعلموه الرقصة الفرنسية ، والأكل بالشوكة بالشمال، وعاد ليمجد بالاء باريس** وليكتب كتابا سماه تلخيص الإبريز في مناقب باريس (يعني: الذهب المصفى في فضائل باريس) ، وقد تولى بنفسه تبديل دين الله عز وجل.

وقد بدأوا يغيّرون دين الله شيئا فشيئا ، ولكنهم لا يمسون الشعائر أبدا، بقيت المآذن مرتفعة ، والمحاريب شاخصة ، والمنابر قائمة ، والقوافل إلى بيت الله الحرام تسير كل عام ، ولم تمس صلاة ولا صيام ، كأنهم أخذوا هذا الدين كساعة ثمينة وفتحوها من أسفلها ، وبدأوا ينتزعون قطعة قطعة ، ويركبون بدل قطع دين الله هذه قطعا من ساعات غريبة عجيبة ، ودين الله ظاهراً لم تتغير شعائره ، ولم تمس أركانه الخمسة، لم يقتربوا منها ، لكنهم غيّروا دين الله نهائيا ، وبقيت لهم الساعة كما هي ، وميناؤها كما هو، وعقاربها كما هي ، لأنهم لا يريدون أن يثيروا مشاعر الذين يدينون بالولاء الغامض لهذا الدين .

إن مساس المنابر والشعائر هذا لا يفعله إلا الأحمق ، مثل حافظ الاسد والقذافي، أما الإنجليز والفرنسيون فهم أدهى من أن يثيروا عليهم الشعوب .

وغيرّ دين الله تدريجيا ، قانون العقوبات غيّر، والقانون التجاري، والقانون المدني ، وكل القوانين إلا الأحوال الشخصية المختصة بالزواج والطلاق ، لأنهم لا يريدون أن يثيروا النصارى الذين يرفضون أن يحتكموا إلى قوانين غير القوانين التي يدينون لها في عقد الزواج والطلاق ، ولذا قالوا نترك الأحوال الشخصية ، والأحوال الشخصية تعني الزواج والطلاق ، أما الميراث فقد عبثت به كذلك أيدي البشر، وندرس في الجامعات القانون المدني السوري ، مأخوذ ، عن القانون المصري ذي الأصل الفرنسي .

ويريد القضاة في عمّان أن يعملوا قانونا مدنيا أوروبيا بدل مجلة الأحكام الشرعية التي كانت تطبق في أيام تركيا ، فترجموا القانون المدني السوري حرفا بحرف ، ولكن أخيرا خانتهم ذاكرتهم في آخر كلمة ... صدر في دمشق في كذا وكذا ، لم يكتبوا صدر

---

(١) كلام الشيخ (رحمه الله) مقتبس من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يرويه الإمام بلفظ «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذاكم المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته» انظر صحيح الجامع الصغير رقم (٦٣٥٠).

* يقصد بها التمر.

في عمّان ، نسوا أن يستبدلوا كلمة دمشق بعمان ، قانون العقوبات ، الزنا ، القذف ، الخمر ، القصاص ، كل ذلك غُيّر ، الربا سموه فائدة ، وأصبح القانون يحميه ، والله عز وجل يقول :

(يأيها الذين آمنوا اتقو الله وذروا مابقي من الربا إن كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) (البقرة : ٢٧٨-٢٧٩)

وتدخل على كل عاصمة من عواصم البلدان الإسلامية ، فتجد هذه القلاع المحصنة ، المليئة بالذخائر ، التي تحارب الله ورسوله من الثامنة صباحا حتى الثالثة بعد الظهر المسماة بالبنوك ، وسموا المحق (فائدة) .

الفهم الحقيقي لهذا الدين

والناس للانفصام في فهم الإسلام يظنون أن العبادة إنما تعني تطبيق هذه الأركان الخمسة التي سماها الفقهاء تقسيما فنيا، بقسم العبادات ، ثم بعد ذلك قسم المعاملات ، ثم قسم الأحوال الشخصية ، فظنوا أن العبادات إنما هي هذه الأركان الخمسة، فمن أقامها فهو مسلم مهما عمل بعد ذلك من أعمال.. والناس لا يدركون .

أما الذي يقول : إن السارق يسجن شهرين لا يفترق أبدا عن الذي يقول إن صلاة المغرب أربع ركعات ، هذا تغيير لشرع الله، وهذا تغيير لشرع الله، والذي قال من فوق السبع الطباق..

(فاقيموا الصلاة) (البقرة : ٤٣)

هو الذي قال : (فاقطعوا أيديهما) (المائدة : ٣٨)

وهذه آية قرآنية ، وهذه آية قرآنية ..

(أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) (البقرة : ٨٥)

ليس هنالك فرق بين الذي يقول : إن صلاة الصبح ثلاث ركعات، وبين الذي يقول : إن حكم القاتل سجن سنة. ليس هنالك فرق بين الذي يقول إن عقوبة الزاني ستة أشهر ، وبين الذي يقول : إن الصيام ليس في رمضان إنما الصيام الآن في محرم ..

(إنما النسيء زيادة في الكفر يُضلُ به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين) (التوبة : ٣٧)

فتاوى العلماء

وقد أفتى العلماء المعاصرون بشأن هذه القوانين الوضعية ، وممن أفتى بهذا بوضوح ، العالم المحدّث أحمد شاكر وأخوه محمود شاكر، قال : إن الأمر في شأن هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس، إنه كفر بواح لا خفاء فيه ولا مواربة ، فليعرف كل امرىء مكانه من هذا الدين.، وكل امرىء حسيب نفسه .

ويقول: إن ولاية القضاء في ظل هذه القوانين الوضعية باطلة بطلاناً أصليا لا تلحقه إجازة ولا تصحيح.

ويقول سيد قطب -رحمه الله- عند التشريع ، عند قضية التحليل والتحريم بالنسبة للأطعمة:

(وما لكم أن لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) (الانعام : ١١٩)

ثم قال آخر الآية:

(ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم

(وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) (الانعام : ١٢١)

يقول معقبا على هذه الآية (إن الذي يحكم على عابد الوثن بالشرك ولا يحكم على الذي يتحاكم إلى الطاغوت بالشرك ويتحرج من هذه ولا يتحرج من تلك، إن هؤلاء لا يقرأون القرآن، فليقرأوا القرآن كما أُنزل، وليأخذوا قول الله بجد (وإن أطعتموهم إنكم لمشركون).

إذاً ما حكم هؤلاء الذين يُشرِّعون بغير ما أنزل الله؟ أما الحاكم الأول الذي في البلد ، الذي يُشرع بغير ما أنزل الله ، فأية مادة قانونية يشرعها خارجة عن الكتاب والسنة ومصادمة له، هذا يخرج بها من الإسلام ويكفر بدين الله عز وجل ، لا يمكن لأحد أن يحل الحرام ويحرم الحلال ويبقى في دين الله لحظة .

ما دام بن تيمية يقول : إن الذي يحل النظرة فقد كفر بالإجماع ، فكيف الذي يشرع قوانين يحكم بها جون وأنطون وبطرس وغيرهم في أعراض المسلمين ودمائهم؟

الحاكم الأول الذي يُشرِّع بغير ما أنزل الله ، هذا خارج من الملة ولو كانت مادة قانونية واحدة ، هذه واحدة .

مجلس الشورى أو النواب الذي يصادق على القوانين ، كل مادة قانونية مصادمة للكتاب والسنة يوافق عليها أي واحد من النواب يخرج من دين الله ويرتد ، مادة قانونية واحدة يوافق على تحريمها للحلال ، أو تحليلها للحرام يخرج بها من الإسلام، المشرعون الذين يصوغون القوانين الموجودة في رأس الحاكم ويخرجونها على شكل قوانين ، يخرجون من دين الله .

فالحاكم الأول الذي يُشرِّع بغير ما أنزل الله يخرج من دين الله ، يُشرِّع ، يعني : يضع القوانين الجديدة ، هو رب للبشر، يشرع لكم بغير ما أنزل الله، كما قال الله عز وجل :

(أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (الشورى : ٢١)

فهم شركاء لله .

مجلس النواب ، أي مجلس يوافق على مادة تشريعية واحدة تصادم دين الله يخرجون جميعا من دين الله ، فإذا دخل أحد مجلس النواب يجب أن يعارض كل مادة قانونية تخالف دين الله طيلة وجوده في هذا المجلس، وإلا فهو خارج من هذا الدين.

الوزراء ليسوا مشرعين ، وإنما هم تنفيذيون فهم فاسقون ، رواتبهم حرام ، لا يجوز لهم أن يعملوا هذا العمل ، لكن لا أظنهم يخرجون من هذا الدين لأنهم ليسوا مشرعين.

القضاة كذلك ، عملهم حرام ، رواتبهم حرام، لا يجوز الأكل من بيوتهم لقمة واحدة إذا كانوا يعتمدون على رواتبهم في القضاء فقط في الطعام والشراب واللباس .

عامة الشعب ، المحامون : فيهم تفصيل، فمنهم الفاسق ومنهم الكافر ، والأولى أن يتركوا هذا العمل مهما كان .

الشعب الذي يتحاكم إلى هذه المحاكم، لأن قازان وهولاكو كانا أعقل من حكامنا : جعلا محكمة الياسق ومحكمة للكتاب والسنة ، فالمسلمون كانوا يذهبون إلى محكمة الإسلام، وغيرهم الذين يذهبون الى محكمة الياسق يُكفّرون بذهابهم إليها ، كذلك ابن تيمية يحكم على الذين يحكمون بقوانين القبائل بالخروج من الإسلام ، قوانين القبائل هذه : وسواليف البادية كما ينص عليها (من حكم بها أو تحاكم إليها وهو راض فإنه يخرج من الملة).

الشعب .. كل من تحاكم إلى القوانين الوضعية التي هي تغيير لما أنزل الله ، يعني الشعب عندما يقبل راضيا أن يكون حكم السارق سجن شهرين ، فهو كمن يصلي وراء إمام يصلي بهم الفجر ثلاث ركعات ، لكن الشعب مُكرهون : غالبا ساخطون لهذه الأحكام ، غير راضين عن تشريعها ، ولذلك لا يخرجون من هذا الدين ، وحكمهم حكم المضطر في التحاكم إلى هذه القوانين ، وإن كان الأستاذ المودودي يقول: لأن تذهب حقوقنا وتهدر أموالنا خير من أن نصل إلى هذه المحاكم ونرفع إليها شكوانا.

كل هذا حتى تعرفوا ضخامة القضية التي نحن نعيش فيها.

الناس وقفوا مع بي نظير متساهلين بالقضية ، وهي لا تريد أن تشرِّع بما أنزل الله ، ولا أن تحكم بما أنزل الله، هذا كفر يخرج من الملة - إن كان عالما بالحكم وراضيا به - وإن كان العامة ، قد يكونون جهلة فيعذروا بجهالتهم ، ولكن العلماء لا عذر لهم عند الله ، ويخرجون بهذا من دين رب العالمين .

كل من عرف أن هذه الفتاة لا تريد أن تُشرِّع بما أنزل الله ، ومع ذلك وقف بجانبها لمصلحة أو لهوى أو لدنيا يخرج من

وختمة القرآن في اليوم سهلة إذا علمنا أن القرآن المرتل انما يأخذ أربعة وعشرين ساعة أو قريبا منها، وقراءة الحدر التي هي أسرع من قراءة الترتيل يمكن أن يختم القرآن الكريم فيها في عشر ساعات، يمكن للقارئ الحافظ أن يختم جزءاً في كل ثلث ساعة، فيختم الثلاثين جزءا في عشر ساعات ، لقد كان -يحدثنا الأستاذ أبو الحسن الندوي- قال : أدركت مشايخي وكان بعضهم لا يتكلم في رمضان، إنما هي العبادة والقرآن والقيام، وإذا كلمه أحد إنما يعدّ عليه الكلمات، ويضن عليه بالدقائق والثواني .

فرمضان هو الصيام والقيام، ولذا قال ﷺ: **(من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه)**(1).

ولذلك كان السلف رضوان الله عليهم إذا أقبل رمضان -كالإمام مالك وغيره- يعتزل حتى الدرس ، ويقول : إنما رمضان القيام والقرآن، وبعضهم يقول إنما رمضان القيام والإحسان والقرآن، الإحسان يعني الصدقات، **(وكان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان)**، فكان إذا لاقاه جبريل تراه كالريح المرسله . وقيامكم وصيامكم في أرض الجهاد يتضاعف، وفي الحديث **(من صام يوما في سبيل الله** – أي في الجهاد، لأن كلمة في سبيل الله كما يقول ابن حجر في الفتح : إذا أطلقت كلمة في سبيل الله فانها تعني ، أوالمتبادر منها هو الجهاد–، **(من صام يوما في سبيل الله باعد الله بينه وبين النار سبعين خريفا)**(2) وحديث آخر صحيح **(من صام يوما في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقا عرضه كما بين السماء والأرض)**(3).

وكان ﷺ يتعجب من إنسان يدرك رمضان ولا يغفر له ، ففي الحديث الذي يجب أن نتلوه بنصه في الحديث الصحيح **(أتاني جبريل وقال يا محمد من أدرك أحد والديه فمات فدخل النار فأبعده الله، قل آمين، فقلت آمين ، قال يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله، قل آمين، فقلت آمين، فقال ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله، قل آمين، فقلت آمين)**(4).

نصوص في فضائل رمضان

والأحاديث في شهر رمضان وفضله كثيرة، أقرأ عليكم حديثا أو حديثين **(إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد كل ليلة يا باغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة)**(5) ، وحديث يحيى بن زكريا **(إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن ... ثم قال وآمركم بالصيام، ومثل ذلك كمثل رجل معه صرة مسك في عصابة – جماعة – كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)**(6)، وحديث آخر، **(رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة)**(7).

والكلام يطول في فضائل رمضان، ولكن أنتم عليكم أن تستغلوا هذا الشهر الكريم لغسيل ذنوب العام كله، وكل عبادة لها آداب .. فالحج ..

(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) (البقرة : ١٩٧)

ورمضان ... **(إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق، وإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم)**(8)، والجهاد كذلك ... إذا سابه أحد أو شاتمه فليقل إني مجاهد، فالعبادات وقد وضح ذلك رسول الله ﷺ في الحديث، أو كما قال ﷺ **(الغزو غزوان : فمن خرج ابتغاء مرضات الله وأطاعة الإمام** – الأمير – **وأنفق الكريمة** – ماله – **وياسر الشريك** – أي كان خلقه طيبا مع إخوانه الذين يجاهد معهم – **واجتنب الفساد** – القيل والقال والنميمة والمحارم ، من الغلول والزنا والعصيان وما إلى ذلك – **من فعل هذه الخمسة كان نومه ونبهه أجرا كله، ومن خرج رئاء وسمعة ولم يطع الإمام ولم يجتنب الفساد لم يرجع بالكفاف)**(9) أي رجع مأزورا غير مأجور.

وأما بالنسبة لرمضان : أنه تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وتصفد الشياطين، فإن هذا واقع فعلا، حدثني أحد الثقات الذين كان لهم صلة بالجن ثم تاب بعد ذلك قال : كنت إذا طلبت من الجن الذين يعملون معي أن ينقلوا لي الأخبار قالوا نحن لا

---

(1) جزء من قصة رواها البخاري (2) متفق عليه. (3) رواه الترمذي، أنظر المشكاة رقم (٢٠٦٤).

(4) حديث صحيح رواه الطبراني في الكبير (أنظر صحيح الجامع الصغير رقم ٧٥). (5) حديث صحيح رواه الترمذي، أنظر المشكاة رقم ١٩٦٠.

(6) جزء من حديث صحيح رواه أحمد والنسائي (أنظر المشكاة رقم / ٣٦٩٤). (7) حديث صحيح رواه الترمذي، أنظر المشكاة رقم (٩٢٧). (8) حديث صحيح رواه البخاري لم معه. (9) رواه أبو داوود ، أنظر المشكاة رقم (٣٨٤٦).

تتحرك في رمضان، قال فأدركت من جوابهم - وكانوا يظهرون لي أنهم من الجن المؤمن إذ يصلون معي ويصومون وغير ذلك - فعندما أجابوني أننا لا نتحرك في رمضان أدركت أنهم من الشياطين أي الجن الكافر، قال ثم اكتشفت بعد ذلك من خلال التجربة العملية أنهم فعلا من الجن الكافر إذ طلبت منهم ذات يوم أن يشفوا بنت عمي أو عمتي، فقالوا: هذه لا تشفى إلا إذا لبست الصليب فقلت لهم: إذاً أنتم من الشياطين، أنتم من الجن الكافر، قالوا: نحن من الجن المؤمن قال: هذا فراق بيني وبينكم، قالوا: سنؤذيك قلت: أتحداكم أن تؤذوني ولقاؤنا هذه الليلة الساعة الثانية عشرة في المقبرة أكثر الأماكن وحشة وخوفا، قال وفي الساعة الثانية عشرة توضأت وصليت ركعتين، ثم ذهبت إلى المقبرة، وليال ثلاث وأنا أتحدى الجن فلم يستطيعوا أن يقتربوا مني، فهو فعلا ماديا ليس معنويا، تصفد الشياطين أي لا تتحرك بالإفساد بين الناس، تصفد مردة الجن أي كبار الشياطين ، أما الشياطين الصغيرة فإنها تبقى تتحرك ولذلك كان صاحبنا على صلة بمردة الجن، واكتشف هذا من خلال العلم، من خلال هذا الحديث، بينما لبّسوا عليه عدة سنوات أنهم من الجن المؤمن، وهكذا بالنسبة لكثير من الناس، دخل عليه الجن من طريق الإيمان والصلاة والصيام ثم بعد ذلك قادوه إلى الكفر والغواية والضلال ، ورأيت بعضهم وكان من كبار العباد الصالحين، ثم وجدتهم قد خرجوا من دين الله نهائيا ، وصاروا لا يصلون ولا يصومون لشدة ما عذبهم الجن ، وقد بدأوا معهم بداية طيبه، فكانوا يظهرون لهم على شكل أياد من نور فكلما توضأ أخونا كتبوا بأحرف من نور، لم يتم وضوءك، ويبقى في الحمام من طلوع الفجر إلى بعد طلوع الشمس حتى تضيع عليه الصلاة وكلما أراد أن يخرج من الحمام ، امتدت اليد من نور تكتب بأحرف من نور: لم يتم الوضوء، وكان الأخ هذا أولا في أوروبا ، فكانوا يكتبون له بالإنجليزية، ثم عاد إلى البلاد العربية فبدأوا يكتبون له بالعربية ، وهكذا حتى ترك الصلاة نهائيا .

قيمة رمضان في الجهاد

وأنتم الآن في أرض الثواب فيها يتضاعف، وأقبل رمضان، ورمضان الفريضة فيه بسبعين، والنافلة فيه بفريضة ، وأيام الجهاد يومها بألف يوم **(رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل يصام نهارها ويقام ليلها)**[1]. **(ولأن أرابط يوما في سبيل الله** - يعني لأن أرابط ليله في رجب أو ليلة في ربيع - **أحب إلي من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود)**[2] أحاديث صحيحة فكيف قيام ليلة القدر في أرض الجهاد والمعركة، والساعة في أرض المعركة بقيام ستين سنة في الأيام العادية **(قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة)**[3]، **(ولمقام أحدكم في الصف خير من مقامه في بيته سبعين سنة)**[4]، ورمضان هو رمضان الجهاد، فأنصح كل واحد منكم أن لايفرط بيوم واحد في رمضان.

كنت في قطر أو في الامارات ، قالوا : اتصل فيك الاخوة من أمريكا حتى تقضي معهم العشر الأواخر، قلت : سبحان الله أقضي العشر الأواخر في أمريكا وأترك جلال أباد وقندهار وكابل مشتعله ، الساعة فيها خير من قيام ستين سنة، وأذهب وأدخل إلى أمريكا حتى في رمضان ؟! ولذلك كنت طيلة وجودي -خاصة في السنوات الخمس الأخيرة- أحب أن أقضي كل رمضان خارج بيشاور، ولا أدخل بيشاور إلا مضطرا ، فكنت أقضيها إما في المعسكر في صدا أو في جاجي أو في أي مكان آخر، حتى يكتب لي رمضان الرباط، ورمضان الرباط بألف رمضان فيما سواه في غير أرض الرباط .

فيا أيها الإخوة: من كان منكم مرتبطا يعمل في بيشاور فليجعل جزءا من أيامه في أرض المعركة إن استطاع ذلك، وإن استطاع أن يتفلت من العمل ما لم يكن طبيبا مرتبطا بمستشفى أو مرتبطا بعمل ضروري لا يستطيع أن يتركه في رمضان، لأن هناك بعض الأعمال كذلك ينتظرها الجهاد وينتظرها العالم الإسلامي كالإعلام مثلا، العالم الإسلامي متعطش لكل كلمة من أرض الجهاد، تجدهم يحفظون كل كلمة تأتيهم من أرض الجهاد، هذه مجلة الجهاد، ومجلة البنيان المرصوص، ولهيب المعركة، هذه لهيب المعركة تصور النسخة خمسين ومائه وتوزع حتى كل الناس يعرفون ماذا يجري فوق أرض أفغانستان، لأن العيون كلها ترنو إلى معركة جلال أباد، وإلى فتح كابل، والقلوب كلها متوثبه متهيئه لفتح كابل لتشارك المجاهدين فرحة الانتصار النهائي بإقامة حكم الله في الأرض

(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) (الروم : ٤-٥)

---

(١) رواه النسائي والترمذي وحسنه.

(٢) حديث صحيح رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ «موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود » (أنظر ص ٦٠/رقم ٦٦٣٦).

(٣) حديث صحيح رواه الترمذي، أنظر السلسلة الصحيحة رقم (٩٠٢) .

(٤) هذا الحديث سبق تخريجه برقم ١٣ بنحوه.

الناس كأنهم بالنسبة لهذا الجهاد يرددون :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر عنك ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة حبا بذكرك فليلمني اللوم

الإعلام العربي ضد الجهاد

لكن اليسار في العالم العربي وصحفه يكاد يقضي أسى وغيظا، يتمزقون حقدا ويريدون أن ينقذوا نجيب، ولكنه هالك -جريدة الخليج في الإمارات، والسياسة والوطن في الكويت، وحدث عن صحف الكويت من سوئها، ومن بذاءتها، ومن .. ومن .. وحدث ولاحرج، كأنه ليس أمام صحف الكويت بالذات عدو في الأرض إلا المجاهدين. فلا تجد فرية إلا وتطلقها على المجاهدين، ولا تنقل إلا من أخبار كابل حرفا حرفا ، وتردد كلام نجيب صباح مساء ، بل هي متحمسة أكثر من نجيب، لأن نجيب يعيش حالة يائسة ممزقة ، ويعد أيامه الاخيرة قبل أن يسقط أسيرا بيد المجاهدين ، وكما بشرتهم أن نجيب لن يخلو من ثلاث ؛ إما القتل وإما الهرب وإما الاستسلام قبل أن يصل إليه جند الحق وليوث العرين ، وأما إذا أسر فالحكم أصدره الشيخ سياف بأن يجلس عليه الشيخ تميم -والشيخ تميم مائة وخمسون كيلوجرام- !! فروحه ستخرج رأسا إن شاء الله .

أما النساء -والله- رسائلهن مع حليهن، عندما يقرؤها - كان الشيخ تميم يبكي والشيخ تميم جوابه عادة ليس بلسانه جوابه عادة بدموعه - البنت تقول ليس عندي إلا هذه الحلي ، وليتني أستطيع أن أشارك بنفسي ، وأتمنى الشهادة فوق أرض أفغانستان، وفي محاضرة في دبي نساء قليلات، بعد المحاضرة في المساء يقول لي الأخ المسؤول عن المحاضرة : إن الأخوات دفعن حوالي ثلاثة كيلو جرامات من الذهب، وفي قطر كذلك بعد محاضرة أو محاضرتين الذي حمله الشيخ تميم ثم لحقه بعد ذلك اثنين كيلو وستمائة غرام من الذهب، وحملها الشيخ تميم بيده - وقطر فيها خير كثير ، والجزيرة والسعودية فيها خير كثير كثير، لكن بقعة قطر لأنها صغيره يبدو النظافة عليها في كل مكان-، وحمل الشيخ تميم حقيبة الذهب ومر في المطار ، فعندما رأوا الذهب قال أحد الشرطة لابد من استئذان الضابط، فقال الشيخ تميم : ألا تعرفنا؟ ألا تعرف الشيخ عبدالله ؟ قال : لابد ، وكان الضابط من اليساريين الذين يعيشون تكاد أرواحهم تقضي مع سقوط الشيوعية في العالم كله .

المهم ... حجز حقيبة الذهب وأرجعها الشيخ تميم بيد أحد الشباب، وأخرجوا لها إذنا من المحاكم الشرعيه ولحقتنا على دبي.

أقول : اليساريون الآن في العالم العربي يعيشون حالة من الضياع والغثيان والدوار، خرجوا عن أطوارهم، وبدت العداوة من أفواهم وما تخفي صدروهم أكبر، لكن قلت ليت اليسار في العالم العربي قد شهدوا معنا تمزيق هيبة أمهم، وتشتيت جمعها، وتفريق شملها، وضياعها بين جبال الهندوكوش، وعلى حوض الهلمند ، وفي شواطيء هري رود، حيث قد مزقت شر ممزق، أمهم الكبرى روسيا، وطاغوتهم الاكبر غورباتشوف يتراجع عن الشيوعية من أصلها ، وأكثر من عشرين شيوعياً من كبار الشيوعيين في العالم خلال الشهر الأخير يعلنون أن الشيوعية قد انتهت ، وأنه لا طريق لروسيا للخلاص من دمارها الاقتصادي إلا بالرجوع إلى الرأسماليه والسير في خطوطها .

والليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب

وسترون في الأيام القادمة ، أو في السنوات القادمة ما هو مصير الشيوعية، لقد انتهت الشيوعية بعد ضربة أفغانستان، وكما قال كارلوتشي قال له وزراء دفاع الناتو -لكارلوتشي وزير الدفاع السابق- في دورة الأمم المتحدة، هذه قبل خمسة أشهر، قالوا له: يبدو أن غورباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب، إذ قرر سحب مليوني جندي من أوروبا الشرقية. قال كارلوتشي: لا تظنوا ذلك، لقد أجبر الأفغان غورباتشوف أن يغير سياسته تجاه العالم كله، الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي لكم .

الخطبة الثانية

الحمد لله، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد، وعلى تابعي سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا .

أيها الإخوة :

لقد كان لله آيات في هذا الجهاد، ونرجو الله عز وجل أن يتمم بالإسراع بالنصر النهائي إن شاء الله ، وهنيئا لمن سار قبلنا الى الله وأخذ شهادته التي يدخل بها جنة عرضها السموات والأرض ، ولا أستطيع في هذا المقام أن أغفل أخا حبيبا من خيرة إخواننا ، ومن النماذج ، ومن أبناء الدعوات المعروفين في اليمن ، الأخ عبد الله النهمي أبا مسلم الصنعاني الذي ودعناه في الأسبوع الماضي ، ولقد كان له أثر كبير في الجهاد، ولقد كان أول رائد من رواد الجهاد، ولقد جاء هو ورجل كبير في السن قبل خمس أو قبل ست سنوات ، قبل أن نبدأ بمكتب الخدمات ، وجاهدوا فترة طويلة ، ثم عادوا وتفرغوا للجهاد ، ولجمع الأموال ، ولكن روحه بقيت مرتبطه بهذا الجهاد، رجع إلى الجامعة ، ولكنه شعر أن جسده فقط في داخل كلية الشريعة، وروحه ترفرف فوق جاجي وفوق بكتيا وفوق قندهار، ولذلك حضل أن ألقيت محاضرة في جده قبل سنتين، وسمع مني كلمة أن أفغانستان سوق عقد ثم كاد ينفض ، ربح فيه من ربح وخسر من خسر ، وطلق الكتب وترك الأوراق ، ثم يمم شطر أفغانستان تاركا وراءه زوجة وأولادا كثيرين ، ولقد جاءته الشهادة وهو يقرأ القرآن الكريم حول أشرف مجال ، حول مطار جلال آباد، وبقذيفة طائرة، وإخوان عبد الله النهمي كثيرون، والوقت يضيق عن الكلام عنهم ، ولكن كل واحد منهم إنما يأخذ جزءا من نفوسنا أو من قلوبنا أو من أكبادنا ثم يمضي إلى الله .

واعلموا أن الله صلى وسلم على نبيه قديما ، فقال تعالى ولم يزل قائلا عليما وآمرا حكيما ، تنبيها لكم وتعليما ، وتشريفا لقدر نبيه وتعظيما :

(إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) .

لبيك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد .

وارض اللهم عن الصحابة والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين .

اللهم مكن للمؤمنين في الأرض ، اللهم مكن للمؤمنين في الأرض، اللهم مكن للمؤمنين في الأرض ، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى ، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ .

اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان ، اللهم انصر المجاهدين في فلسطين، وألف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، وأهدهم سبل السلام ، اللهم ارفع راية الإسلام فوق المسجد الأقصى ، اللهم حرر الأرض المباركة ، اللهم افتح لنا الطريق إلى المسجد الأقصى يا رب العالمين ، اللهم انصرنا في أفغانستان ولا تمتنا إلا شهداء في ساحة الأقصى يا رب العالمين ، اللهم انصر المجاهدين في لبنان، اللهم انصر المجاهدين في الفلبين وفي الصومال وفي تشاد وفي إريتيريا وفي اليمن وفي بورما وفي كردستان وفي كل مكان ، اللهم ارفع راية الإسلام وحكم دولة القرآن ، واجعلنا من جنود القرآن .

عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكرون ، أذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم .

كرامات

(أ)... دعونا الله عز وجل وبكيت، ثم تذكرت أن رسول الله ﷺ قد حمل حفنة من الحصى يوم بدر ويوم حنين، وضربها على المشركين فلم تدع مشركا إلا وامتلأت عيناه منها، قال: فأخذت حفنة من الحصى وقرأت عليها..

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (الأنفال: ١٧)

ورميتها نحو الدبابات، ولو رآه بعضنا لسخر منه، وملأ شدقيه ضحكا، فتقدمت الدبابة الأولى، وكانت الطريق ضيقة، وكان هنالك جسر فنزلت من فوق الجسر وتدمرت، وتقدمت الدبابة الثانية، فرمينا عليها زجاجة ملتوف - بنزين -، فانفجرت بجانب الدبابة، فظن سائق الدبابة أن هنالك لغما تحت الدبابة، فابتعد عن منتصف الطريق، فلم يحتمل التراب الدبابة، فتعرضت الدبابة بالعرض، ومنعت الطريق عن باقي الدبابات، وإذا بالجنود من داخل الدبابات يرفعون أيديهم مستسلمين، وغنمنا كل القافلة (ب).

في العاشر من نوفمبر قبل أربعين يوما أغارت الطائرات على منطقة جكري، وعندما أغارت اختبأ المجاهدون، إلا رجلا أميا اسمه الحاج محمد عمر، نظر إلى الطائرة وإلى أعلى، قال: يا رب.. أنت أقوى من هذه الطائرات، أنت تدع هؤلاء الكفار يذبحوننا بطائراتهم وصواريخهم، يا رب.. أيهم أكبر وأقوى.. أنت أم هؤلاء؟ ما أتم دعاءه إلا وانفجرت الطائرة ونزلت، وكان فيها جنرال روسي، وأذاعتها الإذاعات... القصص كثيرة في هذا.

يحدثني نصر الله منصور: كان جل محمد شابا مجاهدا راجعا إلى كتيبته ليلا، فضلَّ الطريق، ودخل معسكر الروس، يحمل سلاحه.. ما الذي جاء بك يا فلان؟ ما الذي جاء بك؟ قال: أنا مقاتل، أقاتلكم، قالوا: سنقتلك، قال: اقتلوني، فقال له الضابط الروسي: قبل أن نقتلك أريد أن نسألك سؤالا: كيف يخترق رصاصكم أحيانا دباباتنا، فقال الرجل في نفسه: أنا ميت ميت، سألقي الرعب في قلبه، قال له: ليس رصاصنا الذي يدخل فقط! لو رمينا حجرا سيدخل الدبابة، قال له الضابط الروسي: هذه دبابة، واحمل حجراً لأرى كيف يخترق الحجر الدبابة! قال: دعني أصلي ركعتين، قال: فصلي، وفي السجود قال: يا رب لا تفضحني، أنت تعلم أن حجارتنا لا تفعل شيئا، وأطال الدعاء، وبعد الصلاة قربوا له دبابة، فأخذ حفنة من الحصى ورماها على الدبابة، فاشتعلت... فاشتعلت الدبابة نارا، فأمر القائد الروسي أن تبعد بقية الدبابات(ج) حتى لا تحترق، فسلمه الضابط الروسي سلاحه، وقال له: خذ واذهب لا نريد أن نقتلك.

والشعور بمعية الملائكة معهم، قصة الملائكة واشتراكها مع المجاهدين الآن متواترة، وقد رويت في الكتاب عن عدد التواتر.. من هؤلاء؟ على أنهم يرون الطيور تحت الطائرات تدافع عن المجاهدين، بل أكثر من ذلك، لقد أصبح الأطفال يميزون بين الطائرات التي تريد أن تقصف أو لا تقصف، إذا مرت الطائرات المحاربة ومعها طيور معنى ذلك هنالك قصف، فيختبيء الأطفال الصغار، وإذا لم يكن معها طيور معنى ذلك لا قصف، وأصبح من المتواتر أن الطيور تأتي قبل الطائرات فيعرف المجاهدون بقدوم الطائرة، وإذا جاءت الطائرات تكون الطيور تحت الطائرات، ومن المعلوم أن الطائرة سرعتها ضعفي سرعة الصوت، أو ثلاثة أضعاف سرعة الصوت، يعني ألف متر في الثانية، أي طير هذا الذي يطير كيلو متراً في الثانية؟! يسابق طائرة الميغ ٢١ - ٢٣.. هذا مستحيل!! طائر يطير في الثانية عشرة أمتار، هذا خيال، أما أن يطير ثلاث أضعاف سرعة الصوت، وسرعة الصوت (٣٦٥متراً في الثانية) ضعف سرعة الصوت ٧٣٠ مترا في الثانية! فأي طير هو الذي يطير ٧٣٠ م/ث، ويجمع المجاهدون أنه إذا اشتركت الطيور تكون الخسائر قليلة أو معدومة.

وممن حدثني ممن رأى الطيور كثيرا جدا محمد كريم: رأيتها أكثر من عشرين مرة، جلال الدين حقاني: رأيتها كثيرا جدا، أرسلان: رأيتها كثيرا جدا، وممن رأى الطيور كثيرا -بدون جدا- محمد شبرين، مولوي عبد الحميد، علم جل، فضل محمد، جان محمد، خيال محمد، وزير باد شاه، سيد أحمد شاه، علي جان، والأسماء كثيرة... الذين رأوا الطيور ونقلت عنهم.

إن شعور هؤلاء بقرب الملائكة... قرب الملائكة منهم، وأن الملائكة تشترك في المعارك، هذه المعية.. معية الملائكة تترك في النفس راحة عميقة، وسعادة كبيرة.

حدثني أرسلان قال: كنا حوالي خمسة وثلاثين شخصا، وحاصرتنا الدبابات، وبقينا نقاوم حتى نفدت جميع ذخيرتنا، وعندها تمنيت أن أقتل بأي طريقة، حتى لا يمسكني الروس حيا، ثم توجهنا في اللحظة الأخيرة نحو رب العالمين، ودعونا الله أن لا يجعل

أ- الشريط الأصلي ممسوح أربع دقائق من بدايته. ب- الحضور يرتمون مئات التكبير. ج- مئات التكبير تتعالى من الحضور.

للكافرين علينا سبيلا، قال: ورحمة الله قريب من المحسنين، وإذا بمعركة تدور على الدبابات من كل ناحية، نسمع أصواتا ولا نرى أحدا وهزم الروس، فقلت لأرسلان - وهو معروف (شيخ كبير) حرر أو اشترك في تحرير منطقة كبيرة اسمها بكتيكا، ويطبق فيها الإسلام - أقول: قلت لأرسلان: كيف تفسر هذا.. الملائكة؟ قال: إن لم يكونوا الملائكة فمن إذن؟! ..وأقسم لي القاضي البادغيسي أني اشتركت في معركة ليس معنا أي مضاد للدبابات، وتحطمت الدبابات أمامنا.. كيف يكون هذا؟.

كثير من الأحيان يسأل الروس، يحملون رصاصا: من أين لكم هذا الرصاص؟ ليس هو أمريكيا، وليس هو روسيا، الملائكة تستعمل سلاحا جديدا.. القصص كثيرة.

قرب الله، المعية مع الملائكة، التعامل مع القدير، التعامل مع الله القدير، قلنا التعامل مع الله السميع القريب، التعامل مع الله القدير، أضرب لكم مثالا:

وجوب الإيمان بالكرامات

في يوم عرفة هذا، يوم عرفة ٩ ذي الحجة ١٤٠٣، هجم الروس على قرية اسمها (دراسو)، فيها ستون مجاهدا، الروس معهم مائة وثمانون دبابة، والذين دخلوا اثنا عشر ألف روسي و أربعة آلاف شيوعي أفغاني، ستة عشر ألفا مقابل ستين، تقلهم أربع عشرة طائرة، وتحميهم مائة وثمانون دبابة ومصفحة، ودارت المعركة بين ستين مجاهدا.. ستين !! اسمع! ستون مقابل ستة عشر ألفا؟! وهزم الروس، وقتل منهم سبعمائة وستون شخصا، واستسلم منهم وأسر مائتين وسبعون شخصا بسلاحهم، وقتل من المجاهدين شهيد واحد اسمه محمد أسلم، هل يصدق العقل البشري هذا؟! إن هذا لا يدخل العقل البشري ؛ لأن هذه قدرة الله عز وجل ، خارجة عن السنن وتوقف السنن والقوانين التي رآها العقل، واعتاد عليها، وإن كنتم في شك من هذه القصص، فراجعوا - إن شئتم - هذا الدين، راجعوا مرة أخرى، واعلموا أن تصف هذا الدين إيمان بالغيب.. {الذين يؤمنون بالغيب}، إن لك أن تكذب قصة، وقصتين، وثلاثاً، وعشراً، أما أن تنفي القصص كلها فهذا خطر على عقيدتك، لأن عقيدة أهل الكتاب والسنة..

وأثبتن للأوليـــا كـــرامــــة   ومن نفاهـــا فـــانبـــذن كلامـــه

اسألوا السلف.. اسألوا ابن تيمية.. واسألوا أحمد بن حنبل.

ابن تيمية يقول: كنت في السجن، وكنت خارج السجن اتفقد بعض الأسر، وبعد أن دخلت في السجن كانوا يخبرونني: أنك لا زلت تاتينا وتتفقدنا بنفس المبالغ، يقول ابن تيمية: لعل هؤلاء إخواننا من الجن يتمثلون بصورتي ويقومون بعملي.

وأنا كتبت على ظهر الكتيب الصغير* هذه الكلمات: هذا الكتاب يتكلم عن أكبر كرامة وقعت في القرون الأخيرة، ما هي الكرامة؟ الكرامة الكبرى وهي الانتصارات التي حققها الشعب الأفغاني - لا نريد القصص - الشعب الأفغاني الأعزل على أشرس قوى الأرض والتي جعلت ذوي البصائر يتنبهون إلى الكرامات التي غابت عن واقع المسلمين منذ زمن بعيد، بل عادت بعض الألسنة المسلمة تمزق لحوم الذين يصدقونها، هذه الكرامات جعلت الصحفي الفرنسي النصراني يكتب في الصحف بالخط العريض: رأيت الله في أفغانستان، ودفعت الصحفي الشيوعي الإيطالي لإعلان إسلامه على التلفاز، ويصرح على التلفاز الإيطالي قائلا: رأيت الطيور تدافع عن المجاهدين تحت قذائف الطائرات في أفغانستان، ولقد حدثني أحد الشباب في إيطاليا أن هذا الصحفي يصلي معهم الجمعة، وقد تكلمت بلفظ حدثني على طريقة أهل الحديث، ولم أكتب قصة إلا ممن وقعت معه أو رآها بنفسه.

ولقد صرحت بحقيقة كبيرة: إن الكرامات التي تنزلت على الأفغانيين - اسمعوا جيدا - إن الكرامات التي تنزلت على الأفغانيين أكثر من الكرامات التي تنزلت على صحابة رسول الله ﷺ ، ورضوان الله عليهم، وهذا ما حيرني، حيرني قلت: يا ترى هل الأفغانيون أفضل من الصحابة؟! ثم وجدت الحل في كتب العقيدة، فوجدت ابن تيمية، وأحمد بن حنبل يقرون أن الكرامات التي تنزلت على التابعين أكثر من الكرامات التي تنزلت على الصحابة، وهم أفضل البشر بعد رسول الله ﷺ، وذلك لأن الكرامات لتثبيت الناس على طريق الله إذا ضعف إيمانهم، فليت شعري، متى يزن المسلمون بالموازين الربانية؟ وهل يصدقون؟! ألا ليت قومي يعلمون.

ومن نتائج الجهاد كذلك: بناء الشجاعة وغرسها في أعماق النفوس، الآن تجري الشجاعة في دماء الأفغانيين جريانا، ما رأيت اشجع من هؤلاء.. الأطفال، الأطفال الصغار.   انتهى الوقت، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سؤال: هل المجاهدون في أفغانستان يحتاجون إلى مجاهدين؟ وإذا أراد أحد أن يذهب إلى الجهاد هل من الممكن أن يحضر

* كتاب آيات الرحمن في جهاد الأفغان.

معه كمية من العدة والعتاد للحرب؟

جواب:

إن لم يكونوا بحاجة – وهم بحاجة – إن لم يكونوا بحاجة إليك، فأنت بحاجة إليهم، أنت بحاجة إلى عبادة الجهاد، كما أنك بحاجة إلى عبادة الصلاة، وكثير من الكفاءات بحاجة إليها، هم بحاجة إلى الدعاة ليعيشوا بين المجاهدين، إذ أن صفوة الناس وعلماءهم قد سقطوا على الطريق عبر هذه المدة التي امتدت ثماني سنوات في قتال، الآن المعركة مضى عليها ثماني سنوات.

يقول سياف: إن معظم أبناء الحركة الإسلامية الذين قادوا المعركة من البداية قد سقطوا على الطريق، فكنا حوالي مائتين وسبعين شخصا –يعني الناضجين من أبناء الحركة الإسلامية– لم يبق منهم سوى ثمانية، وهم بحاجة إلى الدعاة، وهم بحاجة إلى المهندسين، وهم بحاجة إلى الأطباء، وهم بحاجة إلى الإعلاميين، وهم بحاجة إلى الصحفيين، بحاجة إلى كثير من الكفاءات، وأي عربي يأتي يكون دفعا قويا لهم.

يقول سياف: يا عبدالله أدع لنور الدين الجزائري، –شاب كان في المدينة المنورة يدرس، ثم جاء في عطلة الصيف هناك واستشهد–، يقول لي: إن مليون شهيد أفغاني في كفة، ونور الدين في كفة أخرى في نظري.

فوجود أي عربي يدفع.. يدفعهم دفعة قوية إلى الأمام، ويؤرخ الأفغانيون بها يقولون: يوم أن جاء فلان، وغادر فلان، تدخل التاريخ.

ولذلك الحقيقة يا إخوة – كما قلت أنا – النفوس لا تصقل إلا في المعارك، الرسول ﷺ يا ترى، هل قسم المجتمع قسمين؟ قال: يا عبدالرحمن بن عوف، ويا أبا بكر أنتم تجار تزودون المعركة، وأنت يا بلال ويا عمار فقراء لا يهم أن تموتوا!، الجميع كانوا في خضم المعركة، حتى تصقل نفوسهم تحت بوارق السيوف، يسألون رسول الله ﷺ: يا رسول الله لم لا يفتن الشهيد في قبره؟ قال: **(كفى ببارقة السيوف فوق رأسه فتنة)**[1] تزيل غبشه، وتذيب غشه، وتصقله، وتتركه كتلة صافية من الصدق.

أنتم بحاجة إلى الجهاد ؛ ولا يمكن لواحد أن يفهم الإسلام إلا داخل المعركة، لا يمكن، وكما قلت: الذين يريدون أن يتنزل عليهم النصر من وراء الطاولات، ونحن نكتب... إن شاء الله فلينتظروا مائدة من السماء عليها دولة إسلامية! إن شاء الله قادمة!.

سؤال:

هناك من يتهم الجهاد الأفغاني المسلم بأنه دفاع عن الأرض وليس لرفع راية الإسلام، فما رأيكم في ذلك؟ وهناك أيضا من يتهم المجاهدين المسلمين في أفغانستان بأن لديهم انحراف في العقيدة، فما صحة ذلك؟

الجواب:

أنا لا أبرىء الأفغانيين، أن لا أقول أنهم شعب طاهر مطهر نزل من السماء، هم من الأرض، وجاءتهم هذه المعركة، عندهم بعض العيوب، لكن بالمقارنة يأتي الشعب الأفغاني أفضل شعب في الأرض من ناحية دينه، من ناحية عزته، من ناحية الثقافة حول العلماء، نعم عندهم جهل، فلماذا لا يأتي الفاهمون يعلمونهم العقيدة؟ إذا كان عندهم غبش في العقيدة، تعالوا وصفّوها لهم وهم يتقبلون هذا، وأنتم أساتذتهم، أما من بعيد...

الشيخ ذبب أنيس الله يجزيه الخير، دائما يحدثنا قصة – نكته – يقول: كان واحد قليل خير، يعني بطيء الحركة، لا يحب أن يتحرك، فيريد أن يسكن في الخيمة، يريدون أن ينتقلوا من مكان إلى مكان، وقالت زوجته: تعال ننقل، قال: لا بل انقلي أنت، هدمت زوجته الخيمة، ونقلتها، نقلت الأواني، نقلت كل شيء، قم، قال: لا، ثم قال لها: أركبيني على الحمار، قالت: لا أقدر، قال لها: ضعيني في كيس، ثم استعيني بواحد مار حتى تضعوني على الحمار، فالمهم مرّ واحد مستعجل، قالت له: يا أخي قال: نعم، قالت: بالله أن تعينني على رفع هذا الكيس على الحمار، قال لها: يا أختي أنا مستعجل، إسألي عن غيري، فأخرج رأسه من الكيس وقال: ما أقل خيرك، إرفع معها.

ونحن كذلك.. قاعدون من بعيد، وفلان أعور، وفلان أعمى... تعال صحح عقيدته... هذا يؤول، هذا يشبه، هذا عنده توسل، وهذا.. تفضل يا أخي، تفضل، نحن نقبل يديك ورجليك لتأتي هناك، هذا مثل الذي داخل الكيس يقول للأفغانيين ما أقل خيركم.

سؤال:

هل يجب على من رغب الخروج للجهاد أن يستشير والديه؟ فإن لم يوافقا فما الحكم؟ وماذا عن الزوجة والأبناء، أهناك حقوق

---

(١) حديث صحيح رواه النسائي، (أنظر صحيح الجامع الصغير رقم/ ٤٤٨٣).

يجب أن تراعى قبل السفر للجهاد؟

بالنسبة للوالدين، أنا الذي أظنه من خلال النصوص: أن الجهاد الآن فرض عين في كل مكان، فإذا منعت في فلسطين تنتقل إلى سوريا، منعت في سوريا تنتقل إلى مكان آخر، فتح لك باب في أفغانستان، في أي مكان تؤدي فرض العين، ومعلوم باتفاق: أن فرض العين لا يحتاج إلى إذن الوالدين – هذا ظني –، وإن كان بعض الناس قد يخالفني، أنا أقول: لا حاجة لإذن الوالدين، إن كان غيره يستطيع إعالتهما والقيام بشأنهما، إن كان غيره يستطيع إعالتهما، أما إذا كانت أمه لها أربعة أولاد أو خمسة يأذن والديه؟ والله ما يأذن بين كل مليون واحد، لا يأذن نصف واحد، من التي تقول لابنها: اذهب إلى المعركة، لا أحد، قليل جدا جدا، أنا أرى أن لا إذن للوالدين، أما الزوجة، فيجب أن يكفلها، ويجب أن يؤمن لها قوتها وضروراتها قبل أن يغادر، ولا يغيب عنها كثيرا، والذي يريد أن يجاهد ويتفرغ للجهاد، هناك دور طين، يجب أن يستعد للطين، لأنهم يسكنون في بيوت من طين، فالشيخ سياف، وأحمد شاه، وأمثالهم في بيوت طين وتراب، أما أن تنتقل من أمريكا الشيراتون إلى هناك....

سؤال:

هناك ناس كثيرون يحاولون أن يغيروا معاني أحاديث الجهاد، إلى معنى أن الجهاد يعني الدعوة إلى الله فقط، مثلا كأن يقول: يقول حديث النبي ﷺ: **(لروحة أو غدوة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها)**(١)، فيقولون: أن القصد من هذا الحديث: هو أنه الذي يذهب ويزور الناس ويهديهم فإن هذا ينطبق عليهم معنى الحديث؟

جواب:

إن جمهور العلماء – إن لم يكونوا شبه إجماع – قالوا: إن كلمة (في سبيل الله) إذا أطلقت تعني الجهاد، الجهاد...نبع[أ].

سؤال: هل توافق مع من يقسمون العالم إلى مجتمعات مكية ومدنية؟

جواب:

لا أوافق..

سؤال:

ما هو الدور الذي تلعبه إيران في القضية الأفغانية؟ أهو إيجابي أم سلبي؟ ولماذا؟ أفيدونا جزاكم الله خيرا.

جواب:

تريدون الصحيح أو ابن عمه؟[ب] الصحيح أن إيران ليس لها أي دور في المعركة – صفر –، أي دور، لم يقدموا حتى الآن درهما واحدا للمعركة، بل يضيقون على المهاجرين عندهم، نعم هم استقبلوا مليون مهاجر أفغاني جزاهم الله خيرا، لكن الآن بدأت بعض الأسر تهاجر من إيران إلى باكستان بسبب التشديدات في الأموال، إذا أراد الأفغاني أن يرسل إلى أهله من إيران إلى أهله الذين يسكنون في الداخل أو غيرها، يمنعونه أن يرسل إلا بنسبة معينة، ولذلك يضطرون إلى حيل كثيرة حتى يستطيعوا أن يرسلوا إلى أهلهم بعض النقود، بالإضافة إلى أنه في الداخل، مناطق الشيعة معظمها – معظمها ليس كلها – لم يشترك في القتال حتى الآن، ومعظمها لم يضرب بالدبابات الروسية ولا بالطائرات، رغم أن كل أفغانستان حرثت حراثة، وأحرقت حرقا، بالإضافة إلى بعض المواقف السلبية في الداخل: أنهم أحيانا يأخذون أسلحة المجاهدين إذا دخلوا وهم في الطرقات.. أحيانا، لكن هم كما قلت حتى الآن فاتحون الحدود مع بعض التضييقات، هم أبعدوا المهاجرين على الحدود، فاتحون الحدود في مناطق (هرات وفراه ونيمروز) وما إلى ذلك، فاتحون الحدود أمام المجاهدين، لم يمنعوهم حتى الآن، أما مال وأما سلاح فلا، وإن أعطوهم سلاحا فبشرط: أن يحملوا مقابل قطعة السلاح خمس قطع إلى الشيعة في الداخل، الأحزاب الشيعية التي تقاتل: شورای اتفاق، ونصر وغير ذلك.

سؤال:

نسمع اليوم كثيرا، ونقرأ بأن ما يدور في سوريا ليس جهادا، بل حرب أهلية، وأن ما يدور في أفغانستان ليس جهادا، بل هو ثورة شعبية، فهل هذا صحيح؟

جواب: ما أقل خيرك [ج].. الجواب ما أقل خيرك[د].

---

(١) قطعة من حديث صحيح رواه الإمام البخاري ومسلم بلفظ «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها» (أنظر صحيح الجامع الصغير رقم / ١٥١٦).

(أ) هتاف تكبير. (ب) ضحك.

(ج) ضحك. (د) يشير الشيخ إلى قصة صاحب الكيس مع زوجته.

سؤال:

هل من حرج على المسلم أن يشترك في القتال مع منظمة التحرير الفلسطينية، حيث لا يوجد حتى الآن منظمة إسلامية تقاتل هناك – وخاصة فتح فهي علمانية –؟ وما جزاؤه إذا مات في قتال مع العدو الصيهوني؟

جواب:

ليس من أجل الثورة الفلسطينية القتال، القتال دفاعا عن النفس والعرض والأرض، وهذا واجب.. **(من مات دون ماله فهو شهيد، ومن مات دون عرضه فهو شهيد، ومن مات دون نفسه فهو شهيد)**[1]. والناس في فتح وفي الثورة طبعا إن كانوا يعلنون الكفر، خلاص انتهى خالدين في جهنم أبدا، أما إن كانوا أناس عاديين وطيبين، فيبعثون على نياتهم، يصيبهم ما أصاب الناس، ثم يبعثون على نياتهم، وأنا لا أنكر أن هناك بعض الشباب الطيبين، بعض الشباب الطيبين.

حدثني شاب قال: كنا ثمانية نفر حللنا محل الجيش السوري ستة آلاف، ستة آلاف هربوا، فمكثنا محلهم ثمانية، قالوا: السيارة السورية كانت تتسع عشرين، لمن سرعة هربهم كانوا يركبون مائة وعشرين في السيارات، ففي أول منحنى في الطريق تسقط السيارة فيموت نصفهم، قال: أنزل علينا اليهود ستة وأربعين إنزال طائرات، وصددناها، وصمدنا أمام اليهود تسعة وأربعين يوما، ونفد الماء منا، والدنيا رمضان، وعطشنا كثيرا، وإذا بالله عز وجل يرسل إلينا الطائرات تقذفنا بقذائف ثقيلة، أخرجت النبع من الأرض، فتوضأنا وشربنا.

ففيهم أناس، لكنهم قلة جدا جدا بالقياس مع الأفغانيين، أنا سألت عدة قادة جبهات: هل عندك واحد لا يصلي؟ قال: لا يوجد واحد لا يصلي، عند واحد عنده ثلاثة آلاف ومائتين، اسمه محمد جل ناصري، واحد عنده خمسة آلاف، واحد عنده ثمانية آلاف، يمكن واحد لا يصلي، قال: لا، عندك أناس يقومون الليل؟ قال: حوالي الربع، هل تقرأون القرآن؟ قال: كل يوم كل مكان يجب أن يختم القرآن عندنا، يقسمون القرآن من الصباح بعد صلاة الفجر عليهم ثلاثين جزءا، ثلاثين شخصا، كل واحد يقرأ جزءاً، بحيث يختمون كل يوم ختمة قبل أن يعملوا أي شيء في النهار.

هذا محمد جل ناصري، قبل أيام هجم عليهم الروس بقوات ضخمة جدا، واستمرت المعركة ستة عشر يوما عليهم، بالطائرات والدبابات والصواريخ، وانتصر هؤلاء، انتصر المجاهدون ؛ القرآن.. الإسلام.. الصدق.. الصلة بالله عز وجل.. البساطة، ترى الأفغانيين ما يعرفون فلسفة، ما تعلموا الفلسفة، ناس بسطاء على الفطرة، ليس عندهم ثقافة كثيرة، لكن إذا تكلموا تكلموا بالحكمة، تحسبهم من حكمتهم أولياء.

وصدّقوا أيها الإخوة –ليست مبالغة – أني عندما أرى مجالسهم أتذكر مجالس السلف الصالح، مجالس الصحابة، أناس بسطاء، كيف طبقوا هذا الدين؟ كيف أقام الله على أيديهم هذا المنهاج؟ كيف هزموا العالم؟ كيف أصبحوا سادة وقادة؟ كيف كان عمر في المدينة المنورة يدير نصف الأرض.. ثلث الأرض؟ كيف كان يدير وهو إنسان بسيط؟ لكنها قدرة رب العالمين وإلهامه، إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

هذا السؤال عن الكرامات كما قلت.. أنت لك أن تنفي قصة أو قصتين أو ثلاثاً، أما أن تنفي القصص كلها، فهذا جرح في عقيدتك، وخطر على دينك، نحن نقرأ القرآن، ونعلم أن الملائكة قد تنزلوا في بدر، وفي أحد، وفي حنين، نعلمهم.. نسمع قول الله عز وجل يقول:

(بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوّمين)

(آل عمران: ١٢٥)

قال القرطبي والحسن والبصري: هؤلاء الخمسة آلاف عدة ورده لكل عسكر صبر واحتسب إلى يوم القيامة، الملائكة جاهزون، في صحيح مسلم: **أحد الصحابة** –وهو في رواية ابن عباس – **أحد الصحابة كان في أثر أحد المشركين، قال: سمعت ضربة سوط، وسمعت واحدا يقول: أقبل حيزوم.. أقبل حيزوم – من فوقي – فسقط المشرك أمامي** – دون أن يضربه – **فنزلت، قال: فرأيت أثر السوط، وقد خطم أنفه ووجهه، واسودّ ذلك كله، فجاء وقال لرسول الله ﷺ، فقال: صدقت، ذلك مدد السماء الثالثة**[2].

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه ابن عساكر عن علي (انظر صحيح الجامع رقم / ٦١٧٢).

(٢) رواه مسلم.

وكتبت عن الملائكة - هنا في هذا الكتاب - لأنني قبل أن أذكر كرامات الأفغانيين، تتبعتها من كرامات الصحابة، إلى كرامات التابعين، وعلى الطريق حتى وصلنا كرامات الأفغانيين، عدة أحاديث.. يقول سعد بن أبي وقاص في الحديث الصحيح قال: **رأيت يوم أحد اثنين يلبسان البياض، يقاتلان عن رسول الله ﷺ أشد القتال، ما رأيتهما من قبل ولا من بعد، من هم هؤلاء!.. من هم هؤلاء؟**(١).

في الحديث الحسن كذلك أن عباس بن عبد المطلب كان رجلا بدينا، فأسره رجل صغير ضعيف من الصحابة، فعندما جاء به يجره، ضحك الصحابة، **قالوا:** يا عباس، كيف يأسرك هذا الصغير الضعيف؟ قال: يا رسول الله، والله ما أسرني هذا، أسرني رجل طويل، يلبس البياض، فقال الصحابي: والله يا رسول الله كذب، إني أنا الذي أسرته، قال: صدقتما، أعانك عليه ملك.

هذا في السنة وفي القرآن، في السنة وفي القرآن، وقصص الصحابة والتابعين التي رواها ابن تيمية في كتابه "الفرقان بين أولياء الشيطان وأولياء الرحمن"، قصص عجيبة جدا وكثيرة، فهل تشكون في عقيدة ابن تيمية؟ ثم قبل أن أكتب هذا الكتاب، أرسلت رسالة للشيخ ابن باز، فهل أحد يشك في عقيدة شيخنا الكبير ابن باز، الذي يمثل الفكر السلفي، والعقيدة السلفية الواضحة؟ قلت له: ما رأي فضيلتكم بهذه القصص؟ وقصصت عليه بعض القصص، ثم قابلته، قلت: لقد أرسلت إليك قصصا ماذا ترى فيه؟ فقال: بشرى خير، تبشر بنصرهم إن شاء الله.

فإذا كان ابن باز قد أقرّ بها فماذا يريد هؤلاء الأفراخ الصغار؟!

سؤال:

يقال إن هناك بعض الحكومات العربية تدعم المجاهدين، فما رأيكم في ذلك؟

جواب:

نحن لا نعلم حكومة رسمية قدمت للمجاهدين، إنهم يساعدون المهاجرين، الذي رأيناه: الهلال الأحمر السعودي، والهلال الأحمر والهلال الأحمر الكويتي حتى معظمه شعبي، فهو هيئة شعبية قامت بأموال الشعب، والهلال السعودي رسمي، نعم، لكن لا نعلم أنهم قدموا شيئا رسميا للمجاهدين، عدا مساعدات المهاجرين.

سؤال: هل يجوز استخدام السلاح في إقامة دولة الخلافة، مع أن رسول الله ﷺ لم يستخدم السلاح في إقامة الدولة إلا بعد أن أقام في المدينة المنورة، وهل عندك دليل شرعي؟

جواب: الدليل الشرعي:

{أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير} (الحج: ٣٩)

وإذا كان رسول الله ﷺ آمن به أناس بايعوه، عند البيعة قبل إقامة الدولة **(قالوا له: على أي شيء نبايعك؟ قال: على أن تحموني مما تحموا منه نساءكم وأبناءكم، قال أحدهم: أن تعضكم السيوف: هناك قتال وقتل، قالوا: ماذا لنا يا رسول الله؟ قال: لكم الجنة، قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل)**(٢)، أما الصحابة رضوان عليهم كان السلاح جزءا من حياتهم، وكل واحد منهم كان فارسا مدربا، المجتمع كان مسموحا فيه استعمال السلاح وحمل السلاح، ولا يخلو واحد من حمل السلاح، والرسول ﷺ، هل أقام الدولة منذ أن وطئت قدماه المدينة؟ أو مكث مدة حتى يركز أركانها بالقتل والقتال، وبالدماء وبالأرواح؟

الرسول ﷺ في رواية - رواها أحد أصحاب السنن - رأى سكة محراث بباب أحد الأنصار، فقال: **(ما دخلت هذه بيتا إلا دخله الذل)**(٣) معنى ذلك أن الإسلام يمنع الزراعة؟ إن الإسلام يعتبر الاشتغال بالزراعة جريمة في وقت معركة تتعرض الأمة بكاملها للزوال.

ولذلك كانت كل طاقات الأمة منصبة كلها للقتل.. للقتال، والرسول ﷺ قال لهم: **(بعثت بالسيف بين يدي الساعة)** في الحديث الذي رواه أحمد وهو صحيح: **(بعثت بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)**(٤) روى ابن رجب في شرحه لهذا الحديث يقول: لقد سمع عمر بن الخطاب أن المجاهدين في فلسطين بعد أن فتحوا فلسطين، زرعوا سهل الحولة بحنطة الشام أو سمراء الشام، فأرسل

---

(١) حديث صحيح رواه الشيخان (أنظر الرحيق المختوم صفحة / ٢٠١). (٢) حديث صحيح، (أنظر الرحيق المختوم صفحة / ١٦٧-١٦٨). (٣) رواه البخاري.

(٤) جزء من حديث صحيح رواه أحمد وغيره بلفظ «بعثت بين يدي الساعة بالسيف...» (أنظر الإرواء رقم / ١٢٦٩).

رجلا إليهم، وأمره بحرق زروعهم، وقال بلغهم رسالتي بعد حرق الزرع، فبعد أن وصل رسول عمر، وأحرق الزرع، بلغهم رسالته: "إن تركتم الجهاد واشتغلتم بالزرع، فرضت الجزية، وعاملتكم معاملة أهل الكتاب، إن أقواتكم مما تستخلصونه من أفواه أعدائكم".

رواية قريبة من عمر إلى عنبسة بن الأسد العنسي، عندما كان حاكما في حمص أميرا، وقد عمل زرعه، فأرسل إليه مثل هذه الرسالة.

ولذلك يا إخوة:

كل طاقات الأمة كانت معبأة للجهاد، ورسول الله ﷺ: (**بعثت بالسيف بين يدي الساعة - بالسيف - وجعل رزقي تحت ظل رمحي**).

ولذلك من نتائج الجهاد: الرزق، الرزق، وإن كنتم غير مصدقين فكل المشاريع الإنتاجية في العالم العربي، في الأردن، في سوريا، والخطط الخمسية والعشرية وغيرها، هل تساوي مجموع الأموال التي استولى عليها اليهود في يوم واحد من حيفا أو يافا أو نابلس؟ أجيبوا وأنتم تعلمون!.

سؤال:

هل ترى أن للجهاد دوراً في صقل الجيل الرباني، وكشف الزيف عنه...؟

جواب:

يا سلام.. يا سلام.. يا سلام! إن لم يكن الجهاد يصقل الأرواح فماذا يصقلها؟! إن لم يكن الجهاد هو الذي يبني النفوس فمن يبنيها؟!

(الم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين، أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون، من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم، ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين) (العنكبوت: ١-٦)

وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

يا إخوة اسمعوا:

هنالك فرصة لمن شاء أن يتبرع، من فاته فرصة التبرع، فلا تنسوا هؤلاء السابقين من الأفغان، لا تنسوهم، فالله سائلكم عنهم.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الرابطة الإيمانية

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.. وبعد.

فيا من رضيتم بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) (آل عمران: ١٠٣)

والآية تذكر المسلمين بعقد الأخوة بينهم ؛ أن الرابطة التي تجمع بين الناس هي: رابطة العقيدة والدين، لا رابطة التراب والطين.

هذه العقيدة هي التي جمعتهم أول مرة، وصنعت منهم أمة قال الله عز وجل عنها:

(كنتم خير أمة أخرجت للناس)

فهي أول أمة في تاريخ البشرية تنبثق من بين دفتي كتاب، وتصاغ من خلال آيات، وكلمات قالها رب العزة والسماوات، أو قالها رسول الكائنات ﷺ.

أول أمة في تاريخ العرب

أول أمة في تاريخ العرب على الأقل تنشأ من خلال توجيهات ربانية، ومن خلال إرشادات نبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

كانوا ممزقين، وأكبر دليل على تمزقهم: أن أبرهة الحبشة أو الأشرم أراد أن يغزو أقدس مقدساتهم في الجاهلية وفي الإسلام، هذا البيت العتيق الذي اتفق الناس على حرمته، وهذه الأرض المباركة المقدسة التي ما كان أصحابها يطيقون فراقها حتى في الحج، ما كان أهل مكة يقفون على جبل عرفة أثناء الحج، لأن جبل عرفة من الحل والمزدلفة من الحرم، فكانوا يأنفون ويأبون أن يخرجوا من مزدلفة، ويقفوا على عرفة، ويقولون: كيف نخرج من الحرم ونقف في الحل؟ حتى نزلت الآية:

(ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) (البقرة: ١٩٩)

أبرهة متوجه لهدم الكعبة بعد أن برّز أحد العرب في الكنيسة التي بناها أبرهة، وهي كنيسة القليس، ورأى أن يحوّل حج الناس إليها، فبرّز له على منبرها، فأقسم ليهدمن البيت الذي يقدسه العرب، وقد سأل أبرهة: من هذا الذي فعل هذا؟ قالوا: رجل من الحمس، وكانوا يسمون أهل مكة من الحمس، فأقسم ليهدمن كعبتهم، لم يجد أحدا يقف في طريقه أبدا، واخترقهم.. اخترق الجزيرة من أقصى الجنوب من اليمن حتى وصل مكة، لم يقف في وجهه واقف أبدا، ثم مر بالطائف، وتبرع أهل الطائف بتقديم رجل له يدله على طريق البيت الحرام وهو (أبو رغال) الذي مات بالمغمد، وما زالت العرب ترجم قبره بعد ذلك.

فلم يكن هنالك أمة اسمها العرب، كانوا ممزقين، وأكبر مثال على هذا: حرب داحس والغبراء، وحرب البسوس، إذ تقوم حروب طاحنة شعواء بين أكبر قبائل العرب على أمر تافه حقير ؛ مثل ناقة البسوس التي قتلت، أومثل سباق داحس لفرس الغبراء، وقال زهير بن أبي سلمى:

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منسم

وكل ذلك بسبب: أن الغبراء سبقت في ميدان السباق حصان داحس، فقامت بين عبس وذبيان حروب طاحنة، ما أنهاها إلا تدخل هَرِم بن سنان، ودفع ديات القتلى حتى يوقف هذه الحرب الضروس، التي طحنت هاتين القبيلتين الكبيرتين.

شروط الخيرية في أمة الإسلام

ثم جاء رسول الله ﷺ، وشكل منهم أمة.. أمة أخرجت للناس، فهي أخرجت إخراجا، لم تخرج بنفسها، أخرجت من خلال القتال، أخرجت، قدمت للناس من خلال السنة النبوية الشريفة، من خلال التربية النبوية الكريمة التي رعت هذه الأمة حتى أثنى عليها رب العزة وقال: {كنتم خير أمة أخرجت للناس} ولكن بشروطها:

(تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران: ١١٠)

بهذه المبررات تقدمت الأمة المسلمة وسادت البشرية، بالأمر بالمعروف، وبالنهي عن المنكر، وبالإيمان بالله، بهذه الروابط أصبحت أمة، وبهذه المؤهلات تقدمت للبشرية فأنقذتها.

الله – كما قال ربعي – الله ابتعثنا – لم يقل جئنا –... الله ابتعثنا ؛ لنخرج من شاء الله من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وبقيت الأمة – بهذه المؤهلات، وبهذه الأسباب – سيدة الأرض كلها، ردحا كبيرا من الزمن، وقرونا تصل إلى ثلاثة عشر قرنا، حتى قال الله عز وجل عنهم:

(لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) (الأنبياء: ١٠)

أي بذكر من هذا القرآن تذكرون بين الأمم، وبتمسككم بهذا الكتاب تتمسك بكم الأمم، وإذا نُسي هذا الكتاب، نُسيتم في المعمورة بين الناس أجمعين.

الأعداء يدركون

ويقينا نحكم الدنيا قرونا بهذا الدين، رابطتنا هي العقيدة : ملاكها المحبة في الله، وشاجها الأخوة في الله، عنوانها لتكون كلمة الله هي العليا، أهدافها الموت في سبيل الله أسمى أمانينا، هذه الروابط وهذه الأماني هي التي قدمت هذه الأمة للبشرية، وقد أدرك أعداؤنا منا هذا، ولذلك أرادوا عن بكرة أبيهم، وتواصوا فيما بينهم منذ أن غُلِب لويس التاسع في المنصورة، وأسره شعب أمي بسيط، في قرية في مصر اسمها المنصورة، هزم... وأسر... وهو مدجج بالسلاح، في سور من الحراس تحميه، ولكن الشعب الذي حركه الإيمان، ودفعته الغيرة الدينية، هزم أبناء فرنسا المدججين في الحروب الصليبية، وأسر ملكهم لويس التاسع، وألقي رهين السجن في دار لقمان بالمنصورة، وعندما فكر طويلا كيف يمكننا أن نهزم مثل هذا الشعب؟ كيف يمكننا أن نتغلب على هذه الشعوب الإسلامية؟ وأوصى بعد إطلاقه وعودته إلى أوروبا: أنه لابد لكم أن تسحبوا هذه الروح التي تسري في أوصالهم، وهذه الحياة التي تحيا بها قلوبهم، وتنبض بها أفئدتهم وهو هذا الدين، وتضعوا مكانه روابط جديدة ووشائج جديدة عليه.

ثم جاء بعدها نابليون، وجاء بعده كلادستون رئيس وزراء بريطانيا الذي وقف في مجلس العموم البريطاني، ورفع الكتاب ويقول: ما دام هذا الكتاب بين يدي المسلمين فلن تستطيعوا أن تستقروا بأقدامكم بين المسلمين، وأوصى كلادستون أن يسحب القرآن من بين يدي المسلمين عملا لا علما، وواقعا لا كلمات، يجب أن تغيب آثار معاني القرآن في حياة المسلمين.

وجاء قبله نابليون، وعندما هزم نابليون، وقتل كليبر على يد سليمان الحلبي أحد جنود الأزهر، بعد أن داست سنابك خيل نابليون بسط الأزهر، ووقف الشعب المصري المسلم يحركه الأزهر، وقفات تغنى الدهر بأشعارها، وسارت الركبان بذكر أبطالها، أدرك أن هذا المسجد القديم بالحجارة البالية، والملاط المتناثر ؛ أنه له قوة وروح تسري في أوصال هذا الشعب، كما يفعل بهم فعل السحر.

وهكذا أساليب الطغاة

ولذلك اضطر نابليون في آخر وجوده، آخر فترة وجوده في مصر، أن يلبس العمامة والجبة، وأن يتظاهر بالإسلام، وأن يجلس مع مجلس الأزهر يومين في الأسبوع، وتظاهر بالإسلام، وأعلن إسلامه، طبعا نفاقا لا حبا، وخضوعا لا رغبة وانبثاقا ذاتيا، كما يفعل الآن نجيب، نجيب كان يقول: لا تقولوا لي نجيب الله، أنا نجيب، لأنه يرأس الحزب الشيوعي في جامعة كابل، وكان يرفض أن يقال له نجيب الله، وتحت ضربات مطارق المجاهدين، وبسبب الهزائم المتوالية على رأسه، اضطر أن يعود مرة أخرى، وعلى شاشة التلفاز يقول: لا تقولوا لي نجيب، أنا نجيب الله، واضطر أن يصدر مرسوما يعلن فيه: من تأخر عن الصلاة ثلاثة أيام يفصل من وظيفته، ولو رأيتهم وهم يحملون العصي كالمطوعين، الشيوعيون يحملون العصي، يسوقون الناس بالعصا كل صلاة إلى المسجد، كل ذلك خضوعا وذلا بعد أن أيقظته ضربات المجاهدين على رأسه ؛ أنّ هذا الشعب.. شعب مسلم، لا يفهم لغة لينين ولا ستالين، لا يفهم إلا لغة القرآن الكريم، ولا يفهم إلا لغة الرسول العربي المبين ﷺ.

ولذا فعندما يشتد بهؤلاء الطغاة، يشتد الحال، ينظرون إلى الأحوال من حولهم ؛ ليخاطبوا الشعب باللغة التي يفهمها، ولذا ليس عجيبا أن أواجه في العالم العربي بأسئلة: هل يجوز لكم أن تقاتلوا نجيبا وقد أعلن الشهادتين، وهو يصلي، وهو يحض الناس على الصلاة؟ نعم.. استطاع أن يخدع بعض المغفلين وهم لا يعلمون أنه لا زال رئيسا للحزب الشيوعي، ولا زال رئيسا للجنة التنفيذية في هذا الحزب، ولا زال الأمين العام للحزب، ولا زال يقود كتائب الحزب ؛ ليجتث هذا الدين من جذوره في داخل أفغانستان.

ومن هنا تجمعت جحافل الصليبيين علينا، الصليبيون الجدد باسم القومية، وباسم الاشتراكية، وباسم الشيوعية.

وهكذا الأعداء في كل عصر

لورنس يقول في مذكراته (أعمدة الحكم السبعة) قال: الذي يدور في ذهني وأنا متوجه من بريطانيا إلى الشرق: هل يمكن لنا أن نستبدل هذا الشعب روابطه القومية بالروابط الإسلامية؟ هل يمكننا أن نزيل من صدره أخوة الإسلام بالنسبة للمسلمين، وأن نزرع مكانها قيما جديدة؟ أنه عربي يربطه بالعرب روابط اللغة والنسب، ووشائج اللغة، والتاريخ وغيرها.

كانت أحلاما تراود مخيلة لورانس وهو متجه إلى الشرق ليقود فيما بعد الثورة العربية، وليقول عنه العرب: ملك الصحراء العربية، وملك الصحراء غير المتوج، هو الذي دفع العرب ليعلنوها عربية قومية ضد الأتراك، ونجحت أماني لورانس، وأصبحت أحلامه واقعة، ووقف المسلمون أمام المسلمين، وقف المسلمون العرب أمام المسلمين الأتراك؛ يذبّحونهم بجانب بريطانيا، إرضاء لشهواتها، وطمعا لأماني

معسولة كتبوها للشريف حسين ؛ أنه سيصبح ملك الأمة العربية، وبعد أن هزمت تركيا، وانتصرت بريطانيا، ودخل اللنبي القدس في شهر سبتمبر أو أكتوبر ١٩١٧، وقال: الآن انتهت الحروب الصليبية. الآن دخل اللنبي القائد الإنجليزي القدس، وقال: انتهت الحروب الصليبية.

ماذا فعلوا؟ أمسكوا بالشريف ونفوه إلى قبرص، ثم إلى خيمة مسجوناً وحيدا على شاطيء العقبة حتى انتهى.. حتى مات، ومزقوا هذه الأمة شذر مذر، وتفرق الناس أيدي سبأ، لا يجمعهم عقيدة، ولا يربطهم دين، ولا يلمهم وشيجة، تفرقوا بعد أن غابت تلك المنارة، بعد أن تقطعت تلك الأواصر، بعد أن ضاعت تلك الروابط.. روابط الدين، روابط العقيدة، حتى حزن نصراني على ما أصاب المسلمين وقال – بشارة الخوري –:

سائل العلياء عنا والـزمـــانـــا	*هل خفرنا ذمـــة مـــذ عـــرفـــانـــا*
قـــل لجنبـــول إذا عـــاتبتـــه	*سوف تدعـونا ولكـن لا تـــرانـا*
يوم نـــادانـــا فلبينـــا النـــدا	*وتـــركنا نُهيـة الـــدين ورانـــا*

تركنا نهية الدين – بشارة الخوري!! – أي تركنا عدم الولاء للكافر، وتركنا الولاء للمسلم الذي هو عقيدة في الدين، تركناه، واتبعنا بريطانيا، وفعلت بريطانياً ما فعلت، ولذلك قال:

قل لجنبول –البريطاني– إذا عاتبته	*ســوف تدعـــونا ولكـن لا تـــرانـا*
يـــوم نـــادانـــا فلبينـــا النـــدا	*وتـــركنـــا نُهيـة الـــدين ورانـــا*

رواد القومية العربية

أقول: من الذين مزقوا روابطنا؟ من الذين فكروا بهذا؟ أعداؤنا يوم أن اقتلعوا هذه الجذور العميقة في تاريخنا، يوم أن قطّعوا حبال المودة والأخوة والمحبة التي تلف الدنيا بأسرها، مجموعة من النصارى يعيشون في لبنان، فكروا بهذا – بالقومية العربية – ليضعوها روابط جديدة مكان روابط الإسلام، وكان يرأس هؤلاء إبراهيم اليازجي، وأبوه ناصيف اليازجي، وشاهين مكاريوس وغيرهم، إلياس حبالين، ونمت فكرة القومية العربية في داخل الجامعة الأمريكية، يرعاها خمسة من الشباب النصارى، ويوزعون المنشورات السرية ضد تركيا المسلمة، وضد الخلافة الإسلامية، وكان (الشيخ!!... الشيخ ناصيف اليازجي) و(الشيخ!! إبراهيم اليازجي)، والله وأنا صغير، –وكانوا يعلموننا في المدارس الشيخ إبراهيم اليازجي– ظننته أحد علماء الإسلام الكبار، وما عرفت أنه نصراني إلا بعد أن درست في كلية الشريعة، كنت أظن أن إبراهيم اليازجي أحد علماء الأزهر المرموقين، ولم أعلم أنه من رهبان النصارى الحاقدين، كان يقول إبراهيم:

تنبهـــوا واستفيقـــوا أيهـا العـــرب	*لقد طمى السيل حتى غاصت الـــركب*
أقداركم في عيـــون التـــرك نازلـــة	*وحقكـــم بين أيـــدي التـــرك منتهب*

فهم يثيرون الناس على الأتراك، والأتراك هم الذين يمثلون الإسلام، وفيهم الخلافة، ومنهم الخليفة والسلطان، فبدأت القومية تنمو من خلال كراهية العرب للأتراك، وواجههم الأتراك برد الفعل، فأنشئت في تركيا جمعيات تركيا الفتاة، وجمعيات الاتحاد والتّرقي، أن هذه الدولة تركية، ولابد من التتريك، والعرب هؤلاء خونة، إنهم يحاربوننا ؛ لأننا أتراك، والذين قتلهم جمال باشا – رغم أن جمال باشا من الماسونيين – إلا أن الذين قتلهم، وقيل لهم ما قيل في جمال باشا السفاح وما إلى ذلك، كل الذين قتلهم من سوريا، وفلسطين وغيرهم، كلهم وجدهم يتعاملون مع السفارة الفرنسية والسفارة البريطانية وبوثائق، يتعاونون مع البريطانيين والفرنسيين ضد الأتراك المسلمين.

وتقطع الناس، وتفرقوا أيدي سبأ بهذه القومية، وجاءت الانقلابات العسكرية، ونادت باسم القومية، والدنيا كلها تشير إليهم من بعيد : أن لا تقربوا من الإسلام ؛ لأنكم إن اقتربتم من الإسلام سنمزقكم، ونطيح بكم، ونثل عروشكم، وجودكم مرهون بالحرب على الإسلام، وجودكم مرهون وموقوف برفع شعائر غير شعائر الإسلام، ومن هنا كان كل الذين يحاربون الإسلام في المنطقة يُرفعون ويُبجلون، ويضخمون، وكل الذين يدعون إلى الإسلام أو به يتمسكون يغمرون، ويطمسون، ويطحنون فوق أي بقعة وتحت أي سماء.

النميري كأسلافه من الطغاة

انظر النميري ؛ النميري وجد الوضع متهاويا، والاقتصاد منهارا، والمجتمع متمزقا، والشيوعيين يسعون لاقتلاعه، وللإطاحة به،

فنكر، أو فكر له بعض الناس، ما النجاة من هذا؟ قالوا: لا نجاة لك إلا بأن تنادي بالإسلام، وبدأ النميري ينادي بالإسلام كتجربة للإنقاذ، وكوسيلة للخلاص تحت هذا الشعار، ثم بدأ الناس المسلمون المخلصون يتجمعون حوله، واستعان ببعض المسلمين، وأعلن أننا نريد أن نحكم بالشريعة، وإذا بالأرض غير الأرض، تنكرت له الدنيا بأسرها، وأوقف الصندوق الدولي دعمه له، وجمع اليهود الجنيه السوداني واشتروه بثمنه، وأنزلوه في السوق بأرخص الأثمان، حتى تحطم الاقتصاد نهائيا، فبعد أن كان الجنيه بعدة ريالات، في فترة قليلة وإذا بالجنيه أقل من نصف ريال... وقطعت العلاقات بينه وبين الدنيا عربا وعجما، مسلمين وكفارا، وكشرت الخطوب في وجهه، أغلقت عليه المنافذ، وأحصن عليه الحصار، ولم يعد أحد يستطيع يتبسم في وجهه، وعندما مد يده إلى الصندوق الدولي، فجاء بوش بنفسه – هذا الرئيس الأمريكي كان نائبا سابقا – وجاء، قال: نعطيك بشروط:

ـــ الشرط الأول: أن توقف قضية تطبيق الشريعة.

ـــ الشرط الثاني: أن تبعد الجماعة الإسلامية التي يرأسها الترابي.

ـــ الشرط الثالث: أنك تعطينا قطعة ندفن بها نفايات التجارب النووية.

ـــ الشرط الرابع: أن تفتح السودان لهجرة يهود الفلاشا من الحبشة ؛ حتى ينسابوا إلى فلسطين.

وأصبحت الصحف العربية لا تتكلم في الدنيا إلا عن المجاعة في الحبشة، وأصبح الناس في كل مكان يتباكون، إن كانوا مسلمين يتباكون على الذين يموتون جوعا في شوارع أديس أبابا، وإذا كانوا كفارا يبكون على النصارى الذين يموتون إملاقا وفاقة... وفجاة، وبعد أن تباكى الناس، ورسمت الطريق، وإذا بيهود الفلاشا ينسابون من خلال السودان ليصلوا إلى فلسطين.

وعندما وافق معهم النميري، وأبعد الجماعة الإسلامية، وأوقف تطبيق الشريعة، ووافق على ما افترضوه عليه، ذهب إلى مصر، أنهى مهمته، وأبقوه هناك، ذهب بذل الدنيا والآخرة، وخزي الدنيا والآخرة، وجاء نظام جديد، نظام سوار الذهب ؛ الذي أطاح بنميري، وهو الشخص الوحيد الذي رأيناه في العصر الحديث يتنازل عن عرشه برضاه ليسلمه للشعب إذا أخرجوا حكومة جديدة.

العداء الأمريكي للإسلام

وأمدوا جنوب السودان، أمدوا قرنق، وقرنق نصراني عدو لله ولرسوله، يمده كل العالم لمحاربة المسلمين في السودان، وعندما بلغ السيل الزبى، وازدادت الخطوب، واهتزت أرض السودان، وارتفعت الحاجات في كل مكان، قام انقلاب عسكري جديد، واعترفت به كثير من الدول العالمية، والسبب ؛ أنه بدأ بالترابي ووضعه في السجن، ووضع صادق المهدي في السجن، ووضع بعض الإسلاميين في السجن، فقال الناس: إذا هذا عدو لله ورسوله، بدأوا يساعدونه.

عندما بدأت بعض الأخبار تصلهم :أن هذا الرجل خدعكم –هذا حسن بشير–، هذا خدعكم، وهذا شاب ميوله إسلامية، وعاطفته إسلامية، وحوله شباب يقيمون الصلاة، لم نجد أناسا منهم يشربون الخمر أو يزنون، وهذه من علامات التجريح عند الغرب، إذ بدأوا الآن يتريثون بالأمر، وجاء كارتر بنفسه إلى الحبشة ؛ ليرعى مرة أخرى عوامل التنصير في الحبشة، وعوامل دعم قرنق وجنوب السودان، ليواصل معركته ضد النظام القائم.

كارتر بنفسه الان في الحبشة، يقود معركة التنصير والتكفير والتدمير لهذا الدين، فهي معركة واحدة في كل مكان على هذا الدين، حيثما كانت الرابطة رابطة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وحيثما كانت الوشيجة هي هذا الكتاب، وهذه السنة النبوية الشريفة، وهذا هو الأمر الذي يحصل الآن تماما في داخل أفغانستان، بعد أن تداعت عليهم الأمم من كل جانب، وقارنوا بين الشيوعية وبين الإسلام.

تقول جريدة شيكاغو صندي تايمز: إن الشيوعية فكرة غربية، وبإمكاننا أن نتفاهم معها، أما الإسلام فلا تفاهم معه إلا بالحديد والنار.

ومن هنا قارنوا بين نجيب وبين المجاهدين، بين هؤلاء الشباب الذي يقودون مسيرة الجهاد، ممن يسمونهم بالأصوليين – أي الذين يريدون الرجوع إلى الكتاب والسنة – وبين الشيوعيين، فوجدوا أن نجيبا يمكن أن يشترى، ويمكن أن يُتفاهم معه، ويمكن أن يُقايَض عليه مع الاتحاد السوفيتي، ويمكن أن يباع، أما هؤلاء بعد أن نثروا كنانتهم وغمزوا عودهم، وجدوا أنهم لا يباعون ولا يُشترون.

ولذلك أحكمت الأرض كلها خناقها عليهم، وأطبقت الكروب كلها تخنقهم، وتحاصرهم من كل جانب، أثاروا لهم مشاكل في الداخل، مشاكل في الخارج، ألبّوا عليهم الدول الصديقة التي تحيط بهم، حركوا الدول التي كذلك تحيط بهم ولم تقدم لهم خيرا طيلة الوقت، وأصبح الإعلام لا يتكلم إلا عن تشويه هؤلاء القادة، ولو ذهبت تنظر في الصحف الغربية قلما يمر يوم دون مهاجمة هؤلاء القادة، وبالذات حكمتيار، كل الصحف الغربية باستمرار تحرق شخصياتهم، تحطمها، تريد أن تنهيها، وكذلك قالوا: هذه محاولات عامة، أما التصفية الجسدية فلابد منها، فالمؤامرة العالمية الآن هي التصفية الجسدية لهؤلاء القادة، لأنهم وجدوا أن الذي في أدمغتهم لا يزول إلا بإزالة رؤوسهم، وكل يوم البوليس الباكستاني -بعض المخلصين منهم- يكتشفون مؤامرات غربية وشرقية، يقولون لهم: انتبهوا!! هنالك مؤامرة الآن لاغتيالكم، لقتلكم، انقلوا أماكنكم، غيروا سياراتكم، غيروا عمائمكم، غيروا لباسكم، غيروا أماكن تواجدكم، لا تعطوا موعدا ثابتا، لا تحضروا المهرجانات العامة، لا تخطبوا في الجماهير، ولذلك عجبت كيف غاب الشيخ حكمتيار ورباني عن جنازة الشيخ تميم، فما وجدت جوابا إلا هذا، أنهم لم يستطيعوا أن يحضروا الجنازة ؛ لأن المنبثين الآن من الغربيين ذوي الوجوه الأفغانية كثيرون في الساحة ؛ وظيفتهم قتل هؤلاء القادة، والمطلوب هو تشويه الجهاد الآن، حرق قادته، الطعن في أفذاذه، لأسباب ثلاثة:

السبب الأول: مسح آثار هذا الجهاد في أعماق الأمة المسلمة، حتى لا يبقى قدوة يقتدى بها، وأسوة تترسم خطاها، ويحتذى أثرها، لابد من مسح عقيدة التوكل التي صنعها هذا الجهاد عبر السنين بالجماجم والأشلاء، وبالأرواح وبالدماء.

الهدف الثاني: أن تعود قضية أفغانستان قضية محلية قومية، يمكن أن تبتلع دون أن تثير مشاعر المسلمين، ولا أن تحرك جماهيرهم ممن يتعاطفون معها، بعد أن تقطع الروابط من خلال تشويه الجهاد بالإعلام بين هذه الجماهير وبين هذا الجهاد، فبعد أن تنطفيء روح المحبة في نفوس الناس لهذا الجهاد، وبعد أن يصبح القادة مضغة يلوكها المتشدقون والمتفكهون في داخل المجالس، إذا قتل رباني أو حكمتيار أو سياف أو خالص، ماذا هم؟ أناس يتصارعون على الكراسي، وتحركهم الأهواء، وانتهى القتال، والحرب أهلية، فلا بأس فقد قتل حكمتيار ! هذا الذي سيدور في أذهان الأمة المسلمة بعد أن ينجح الغرب فيما يرمي إليه من خلال إعلامه، ومن خلال الصحف العربية التي تردد ما يردده الغرب، ووكالات أنبائه.. ماذا؟ قتل حكمتيار هذا جزاؤه، لقد قتل مئات المسلمين في داخل أفغانستان، قتل سياف، قتل خالص، رباني، لا بأس، هؤلاء قوم لا يريدون وجه الله، ولعل قتلهم يكون خيرا للمسلمين، ويتحد الأفغان بعد أن يقتل هؤلاء.

نعم.. هذا يدور الآن في أذهان الذين في الساحة العربية، والصحف اليسارية في الدول العربية تركز على هذا المعنى، وتزيده قرارا في الأعماق، وبعض الناس من الجهلة أو الغافلين – بصدق، وبحسن نية، أو بجهل، أو بغير ذلك – أو حاقد، هؤلاء يزيدون النار اشتعالا، ويؤدون نفس الغرض الذي تريده أمريكا والغرب ؛ حرق القادة، تشويه الأفذاذ، تحطيم هذا الجهاد.

ومن هنا الناس لم يعودوا يتفاعلون بهذا الجهاد كما كانوا يتفاعلون، الصحف اليسارية رأيتها في العالم العربي، تكره الإسلام قطعا، لكنها تريد أن تشكك بالإسلام من خلال التجربة الإسلامية الأفغانية، تريد أن تدمر آمال هذه الأمة من خلال تدمير هذه الشخصيات التي أصبحت حديث السامر، وحداء الركبان على الطريق الطويل.

القضية الثالثة: يريدون أن يكفوا أيدي المحسنين المسلمين من التجار السعوديين والكويتيين والخليجيين، يريدون أن يكفوا أيديهم عن البذل لهذا الجهاد ؛ حتى تكتمل حلقات هذه الخطة، وحتى يخنق هذا الجهاد، ويصبح رهن أيديهم، وحتى يضعوه بين فكي الكماشه.

قلت لبعض اليساريين أو لبعض المسؤولين من الصحفيين في العالم العربي، قلت لهم: ليتكم تقفون مع قضية أفغانستان كما وقفتم مع قضية فيتنام، هل الشعب الفيتنامي أقرب لكم من الشعب الأفغاني؟ لماذا كنتم متحمسين؟ لا يمر يوم إلا وتطالعونا بعجائب البطولات التي تجري من قبل جيش (فيتكونج) و(هوشي منه)، والآن أنتم لا تتبعون إلا السوءات، لا تتبعون ولا تنشرون إلا العورات!! أين أخوّة الإسلام إن كنا مسلمين؟ قلت لهم: كل من يحارب الجهاد الأفغاني أحد اثنين: إما جاهل فيعلـّم، وإما حاقد فهو خارج عن الإسلام..

(وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) (الزمر: ٤٥)

إذا ذكر نجيب يستبشرون ويفرحون، وإذا ذكر المجاهدون الذين تعتز السماء بهم، إنهم يناطحون السحاب عزة، هؤلاء الذين هم يقفون أمام الدنيا، يخنقون كابل هكذا، ويحيطون بها إحاطة السوار بالمعصم، ويمنعون القوافل منذ أواسط أغسطس حتى الآن، أن

تمر شاحنة عبر طريق حيرتان/سالانج/كابل، أن تصل إلى كابل، ودماؤهم، وجماجهم سد حمى الأمة المسلمة من الطوفان الأحمر الذي كاد يغرق الأرض بأسرها، وحمى أرض البترول، وحمى المياه الدافئة، وحمى المسلمين في كل مكان، هؤلاء أرخص عليكم، وأقل من شعب فيتنام الذين لا زلتم تتغنون ببطولاته، وتتحدثون بقصصه؟ لكن هو {إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون} أولئك..

{وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر} (القلم: ٥١)

يرمونك بنظرات شزرة، ويثيرون عليك.

عجيب أن بعض الصحف في الكويت قبل أيام لا زالت تحيي مقابلات مع آباء شباب من العرب أسروا قبل سنوات، فقط حتى تندد بنا، وتنبه أن هذا الشعب الفلسطيني، يا أهالي الرجال، يا آباء هؤلاء الشباب، لماذا يذهب الشاب الفلسطيني إلى كابل، وهذه المعركة مشتعلة في بيت المقدس، لولا التغرير بهؤلاء الجهلة، الذين يصحبهم بعض تجار الموت، ليلقوا بهم بين فكي الردى في ساحات جلال آباد، وفي معركة كابل:

يا أيها الإخوة:

انتبهوا!! القضية كبيرة، والمعركة لا زالت منتصرة، وبجانب المجاهدين، لكن الإعلام لكثرة ما نشر نكاد نحن نصدق الإعلام، نحن الذين نعيش مع الجهاد نكاد نشك بمعلوماتنا، وبالحقائق التي بين جوانحنا، ولذلك قلت لكم، وأقول لكم: إسألوا كثيرا عن هؤلاء القادة، ما من قائد إلا وله عيوب، فأقول لهم: أمّا تريدون إحساسي الداخلي، فهؤلاء القادة الذين في داخل أفغانستان أو خارج أفغانستان، وتعيبون عليهم، وتتهمونهم، ما أحس به من خلال معايشتي لهم: أني أشعر بالشرف العظيم عندما يسمح لي أحد هؤلاء أن أجلس بجانبه وأحدثه، وما من ملك ولا حاكم في الأرض – والله – يستحق أن يجلس بجانبه، فأنتم تنظرون إلى الهالات التي في بلدانكم، ولم يبق إلا أن تقدسوهم، أمّا أولئك الذين صنعوا التاريخ بدمائهم، وخطوه بنجيعهم، هؤلاء أرخص عليكم من حكام بلادكم الذين تمدحونهم، وتذكرون محاسنهم، وتبجلونهم في حضورهم وغيابهم، وهؤلاء أقل من هؤلاء الذين يعيشون حكاما، ولم يصنعوا واحدا بالمائة.. بالألف مما صنع هؤلاء.

فاتقوا الله في أنفسكم، وأذكر هنا كلمة سعيد بن المسيب سيد التابعين: «إنه ما من شريف، ولا عالم، ولا صاحب فضل، إلا وعنده نقص، فإذا كثرت حسناته على نقائصه فإن نقصهم يوهب لحسناتهم»، وكلمة ابن القيم وهو يقول: «وإذا كان للإنسان أثر ظاهر في الإسلام، وكثرت حسناته، فإنه يغتفر له ما لا يغتفر لغيره، ويغضى عن عيوبه ما لا يغضى عن عيوب غيره، فإن النقص خبث، وإن الذنب خبث، وإذا بلغ الماء القلتين لم يحمل الخبث.

في الحديث الشريف الصحيح: **(إذا بلغ الماء القلتين لم يحمل الخبث)** أي لم يحمل النجس، فإذا بلغ الماء برميلا – أي عشر تنكات من الماء مائتي لتر – ونزلت فيه يد طفل منجسة، أو بال فيه طفل صغير، فإنه لا ينجسه، لأن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث.

وهؤلاء بلغت حسناتهم ليس القلتين بلغت حسناتهم ما يسير به الراكب ما بين المشرقين وما بين المغربين، فيغتفر لهم ما لا يغتفر لغيرهم، ويغضى عنهم من الهفوات ما لا يغضى عن هفوات وزلات القاعدين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروا الله.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

الأفغان قوم مسلمون باتفاق جميع العلماء الذين يعتد برأيهم، ولم يتجرأ عالم من العلماء في الأرض من المعاصرين ممن يؤخذ رأيهم، ويستفتون، أنه قال أن هذا شعب كافر، فهو شعب مسلم، يربطنا به أخوة الإسلام، فعقد الأخوة قائم بيننا وبينهم، ولنفرض أنه لم يخض هذا الجهاد المشرف، ولم يصل إلى هذه النتيجة التي تعتز بها الجوزاء، وتطاول بها فخرا عنان السماء، لنفرض أنه لم يصل إلى هذه النتيجة، لنفرض أنه هزم... أنه هزم أمام الروس، ولم يستطع أن يصمد بضعة عشر عاما أمام هذه القوى المدججة بالسلاح، بل سقط، عقد الأخوة الإيمانية القائمة بيننا وبينه يوجب علينا نصرته، ويوجب علينا مساعدته، ويوجب علينا محبته، ويوجب علينا كراهية مضرته، ويوجب علينا حب نصرته، ويوجب علينا أن نعيش بمشاعر الأمل بالنصر له، لا يجوز لنا أن نخذله، ولا يجوز لنا أن نتركه لأعدائه، ولا يجوز لنا أن نقطع مساعداته مهما كان الظرف، ومهما كان الإعلام... **(المسلم أخو المسلم لا يسلمه** -يخذله **– ولا**

يخذله – عند شدته– لا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره، وحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله وأن يظن به إلا خيرا، وأحب الناس إلى الله أنفعهم إلى الناس، وأحب عمل تقدمه إلى الله – حديث صحيح – سرور تدخله على قلب مسلم)، (من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة.. يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته)، كما قال عيسى للحواريين من حوله، قال لهم: أرأيتم أخا لكم نائما وانكشفت ثيابه عن عورته، ماذا تصنعون به؟ أتزيدون كشفها، أم تسترون عورته؟ قالوا: بل نستر عورته، ونغطي عليه ثيابه، قال: لا، إنكم تزيدون كشف سوأته وتبيين عورته ! لأنكم وجدتم من أخيكم زللا زدتموه وفضحتموه، وما سترتموه.

والشافعي يقول: «أخوك الذي يسد خللك، ويستر زللك».. أخوك الذي يسد خللك، ويستر زللك.

ونحن قوم شرفنا الله أن سمحوا لنا بالجهاد معهم، شرفنا الله بخدمة هؤلاء، وما من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا وله من النقص، والنقص يوهب للإنسان، وهب للمسيئين المحسنين، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وحسناتهم بحر طام، فهو اللؤلؤ في سيئاتهم التي تبدو لصغار العقول، أو لمن ينظرون نظرة قريبة صغيرة، فيهولونها ويعظمونها ولا يدرون أنهم لأعدائنا خادمون، ولهدف الكفار مؤدون دون أن يعلموا، ويحسبون أنهم يحسنون ما يصنعون .

حديث للشباب المسلم *

موقعك من الجهاد

الجهاد يحتاج أن تتذكر أنك أنت ومالك ونفسك وعزتك وجاهك وصحتك منّة من رب العالمين، فلابد أن تقدم شيئا لرب العالمين، فإن جاهدت فأنت سعيد في حالة الجهاد، وفي النتيجة أنت سعيد لأنه إما النصر أو الشهادة.

الجهاد لا يحتاج إلى أن تنظر إلى البشر، ولا إلى أن تنظر إلى الدنيا..

(يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم..) (المائدة: ٥٤)

(فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا...) (المائدة: ٤٤)

فتحتاج أن تبحث عن المؤمنين وتواليهم وتقف معهم، وخير الناس من الأولياء والمؤمنين هم الذين في المعركة، هؤلاء هم أولياء الله..

ولذلك، كانوا إذا وقعت بهم مشكلة يقولون اسألوا أهل الثغور فإنهم يُفتح عليهم، هؤلاء الذين يفهمون الإجابة، إذا.. المعركة مفتوحة، ولا عذر لأحد، لا عذر لأحد أن يتخلف عن مساعدتهم بما يستطيع، ولو بكلمة، ولو أن أجلس معهم أراهم في الأسبوع مرة يشعرون أني بجانبهم، ولو أن أحضهم بكلمة، أن أقدم شيئا، لا المال يسد، ولا الكلام يسد، ولا الخطاب يسد، لا يسد مسدك إلا أنت، فالثغر مفتوح، وأنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قبلك، ولا يضيع عليك شيء، والدنيا تقبل عليك بالجهاد، حتى الدنيا، الفلوس تقبل عليك بالجهاد...

فضل الهجرة

(والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) (النحل: ٤١)

(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة) (النساء: ١٠٠)

* نشر الجزء الأول من هذا الشريط في كتاب التربية الجزء (٤) وذلك بطريقة عفوية وهذا للعلم.

التراب كثير، والسعة والفلوس كثيرة..

(ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) (النساء: ١٠٠)

إذا مت في بيشاور وقع أجرك على الله، لأنك خرجت من بيتك مهاجرا إلى الله ورسوله {ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله} ثم يزيد رب العالمين {وكان الله غفورا رحيما} مغفرة ورحمة، لأنك خرجت مهاجرا إلى الله ورسوله، مت على الطريق فأنت مع نيتك، مت في بيشاور أنت محبوس للجهاد، فأنت مرابط، مت في ترمنكل، مت في طريق إسلام أباد، في الطائرة، في أي مكان، فقد وقع أجره على الله، لأنك خرجت من بيتك مهاجرا إلى الله ورسوله فأدركك الموت..

(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا) (الحج: ٥٨)

ماتوا في بيشاور أو في إسلام أباد، أو قتلوا {الذين هاجروا في سبيل ثم قتلوا أو ماتوا} ليس {قتلوا} فقط..

(أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حليم) (الحج:٥٨-٥٩)

سيدخلهم الجنة إن شاء الله، سيدخله الله الجنة {ليدخلنهم مدخلا يرضونه} والمدخل الذي يرضونه هو الجنة.

قيمة الوقت في الرباط

فاثبتوا ولا تضيعوا أوقاتكم، ولا تَدَعوا الشيطان يتسلل إلى قلوبكم، فأنت مهاجر، ومرابط، وخرجت في سبيل الله من بيتك مهاجرا في سبيل الله، فإن أدركك الموت فأنت على ما خرجت عليه، ويبعثك الله على نيتك وخاتمتك التي ختمت عليه، فنومه ونبهه أجر كله، المجاهد نومه ونبهه وهو مستيقظ الأجر يجري، وهو نائم الأجر يجري، نومه ونبهه أجر كله، و**(رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم في ما سواه من المنازل)**[1]، كل يوم هنا بألف يوم في بلادك، اليوم بألف، حديث حسن رواه عثمان رضي الله عنه: **(رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه)** كل يوم بشهر، إحسب، الشهر بثلاثين شهرا، مائة يوم بمائة شهر، فكلما ربطت نفسك فإنما تربطها في بحر من الحسنات، فاجمع ما شئت، إجمع...! استبقوا الخيرات، ربنا فاتح (أوكزيون) هنا... سوق، تعالوا استبقوا الخيرات، أين تذهبون؟ فاستبقوا الخيرات! أبواب الجنة مفترحة، مفتوحة هنا على حدود أفغانستان، ما لكم؟

(ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض) (التوبة: ٣٨)

(يا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار) (المؤمن: ٤١)

أين تذهبون؟ أين ذهبت عقولكم؟ الله يناديكم، يناديكم، يدعوكم..

(والله يدعو إلى دار السلام) (يونس: ٢٥)

يوزع بطاقات دعوة، أين تتركون مائدة الله؟ وأين تتركون حبل الله؟ وأين تتركون كلمة الله عز وجل؟ وتغركم الدنيا.

فيا أيها الإخوة:

اشتغلوا بالطاعة، فتدخل الطاعة على الطاعة، ويزيد الثواب على الثواب، القرآن الكريم، كل يوم جزء، قيام الليل إذا استطعت، صلاة الجماعة، الذكر، عدم الكلام إلا بالخير، الصحبة الطيبة باستمرار، المطالعة في دين الله، تربية الروح بالعبادة، تربية الجسد بالرياضة، وتربية العقل بالثقافة، واجعلوا نياتكم خالصة لله ؛ أنها هجرة لله وفي الله وفي سبيل الله، ولعل الله عز وجل يرزقنا وإياكم الشهادة في سبيله، إنه كريم جواد حليم.

ذكريات

.... في نيسان ١٩٧٠ كان العيد المائة لميلاد لينين،، كل الجبهات الفدائية الفلسطينية أقامت احتفالا بعيد لينين، استمر الاحتفال

---

(١) جزء من حديث صحيح رواه مسلم، (أنظر مختصر مسلم رقم/ ١٠٧٥).

سبعة أيام في أمانة العاصمة في عمان، والدولة لم تستطع أن تفعل شيئا ؛ لأن المنظمات كانت تسيطر على البلد، وجاءوا بمئات الألوف من صور لينين، وما تركوا مفرق شارع ولا باب حانوت إلا ولوثوه بصورة لينين، ومن الرجل الذي يجرؤ أن يعترض لأنه يموت، الذي يلصق (صور لينين) في كتفه كلاشنكوف، إذا قال له أحد: لا تلصق هذا، قد يقتل.

أنا يومها تألمت كثيرا، فذهبت إلى المسجد، كنت في الأردن عائدا من القاعدة، فقالوا: أخطب، كانوا يحبون أن أخطب، فكنت عادة إذا خطبت خارج المدينة أخطب وأنا حامل كلاشنكوفاً، أتكيء على كلاشنكوف، لأنه لا تشعر أن هنالك أحد أعز منك، سلاحك بجنبك، مسدسك على جنبك، لابس (الكاكي)، غير سائل عن شيء في الدنيا، تقول ما شئت متى شئت، لا يعترضك معترض.. من الذي يعترض، نعم، متى شئت كيف شئت، ملك، فأنا أعيش هذه الآلام. قالوا: أخطب، قلت: طيب، فتكلمت عن هذه، قلت لهم: أنا ما كنت أعلم شجاعة سيدنا محمد ﷺ واقعيا فعليا إلا في هذه الأيام، ما فهمت كيف الرسول ﷺ بهذه الشجاعة، يوم أن كان القرآن ينزل عليه يقول له عن الوليد بن المغيرة:

(همازٍ مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم) (القلم: ١١-١٣)

ثماني صفات من أقبح الصفات، وعلى رأسها زنيم، وزنيم ابن زنا، ويجب أن يبلّغ، يبلّغها مسامع الوليد، وحول الوليد ثلاثة عشر رجلا منهم خالد، فهمت شجاعة سيدنا محمد ﷺ عندما عشت هذه الأيام، عندما أرى صعاليك جورج ونايف يلطخون أبوابكم بصور لينين صانع دولة الإلحاد في الأرض، ولا يجرؤ واحد أن ينبس ببنت شفة، فهمت شجاعة رسول الله ﷺ.

تكلمت عن جورج وعن نايف، وجورج.. كان جورج! جورج حبش لا أحد يجرؤ أن يتكلم عليه كلمة، الناس الحاضرون خافوا أن أقتل وأنا على المنبر، لأنه كان بجانبي حول مسجد المدرسة الإسلامية قاعدة للجبهة الشعبية لجورج حبش، والجبهة الديمقراطية، الناس الذين يحبونني خافوا أن أقتل على المنبر، فبعد أن أنهيت، بعض الإخوة كانوا يعملون معنا، فرأسا جاءوا بسيارتهم و هم مسلحون وأخذوني، خلاص، و انتهت القضية، المهم أن أحد الحاضرين كان محافظا أو متصرفا في ذلك الوقت، وأصبح وزيرا فيما بعد، حدثني شخص أن هذا الرجل قال: سمعتم خطبة أبي محمد البارحة؟ قالوا: والله تكلم كلاما لا يستطيع الشريف ناصر أن يقوله (الشريف ناصر كان قائد الجيش، وكل الجيش يرهبه ويرتجف منه)، وفعلا لا يستطيع الشريف ناصر أن يتكلم هذا الكلام، من يجرؤ أن يتكلم على جورج حبش ونايف حواتمة في الأردن في ذلك الوقت؟ من؟ لكن أيام عز، أيام كان سلاحك في جنبك، وغير مكترث بأحد، كنا نمرُّ والرشاش فوق السيارة، الرشاش فوق السيارة ونحن راكبون، ثم تبدلت الأيام، وأصبح من يقتني رصاصة أو مسدسا يحاكم محكمة عسكرية، وقد تؤدي به قطعة السلاح إلى المشنقة، الآن في القانون: من اقتنى قطعة سلاح، مسدساً حكمه كذا، كلاشنكوفاً كذا، قنابل كذا، هذا في الحكم موجود عندنا، فصرنا نتحسر على تلك الأيام، أيام العزة، ثم أصبح الإنسان ليس بينه وبين المرأة التي يجلس معها فارق، وأي لص يدخل عليك بسكين يأخذ زوجتك ويمشي، اليوم نحن نتجرع آلاما، هذه الآلام التي نبديها أحيانا بكلمات نتذكر تلك الفرصة التي فاتت المسلمين في الأردن، أيام أن كانت الدنيا مفتوحة كلها وهم نائمون، ونقول لهم:

(تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) (آل عمران: ١٦٧)

كنا نقول لهم: تعالوا قاتلوا، يقولون: أين القاعدة الصلبة التي نقف عليها؟ نريد أن نربي القاعدة الصلبة، رب يا سيدي!! نعم... كيف نقاتل تحت راية جاهلية؟! يجب أولا أن نقيم الدولة الإسلامية، ثم بعدها ننطلق للجهاد، قلت: اللهم أنزل علينا دولة إسلامية من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا على طبق من ذهب، ستنزل عليكم الدولة الإسلامية، مساكين الناس..

أذكر ؛ مرة قتل قسم من الشباب في قاعدة بجانبنا، فأرادوا واحدا يخطب - طبعا هم يعرفونني - فجاءوا إليَّ قالوا: نريد أن تؤبن مجموعة من الشهداء في القاعدة، قلنا تفضلوا، جاء المثقف السياسي لفتح ومسؤولون في القطاع وأخذوني، ذهبت ودخلت القاعدة، قلت لولد عمره أربع عشرة سنة: ما اسمك؟ قال لي: جيفارا، والذي بجانبه: قال لي: ماو، والذي بجانبه: كاسترو، والذي بجانبه: موشي منه، الذي بجانبه: كذا، ما سمعت اسما إسلاميا، أما أبو جهل فكان سائق السيارة التي تحضر لنا الطعام، صدقوا..! كان الذي يحضر لنا الطعام يسمي نفسه أبا جهل.

ندخل كلمة في هذا الكلام، في تلك الأيام جاءوا بوزير صحة بعثي أو قومي عندنا في الأردن كنيته أبو لهب، لأنهم يعتزون بقوميتهم، أبو جهل وأبو لهب.. نعم كنيته أبو لهب، واسمه دكتور طراد سعود القاضي... فواحد يقول - زجل شعبي -:

والله ما قصدي شغب — *شغلة غاية العجب*

الملك ابن الرسول — *والوزير أبو لهب؟!*

بالفعل شغلة غاية في العجب، فالمهم ذهبت وسألتهم، فتكلمت وقلت لهم: من جيفارا؟ من ماو؟ ألا يوجد في تاريخنا أسماء إسلامية؟ أين أبو عبيدة؟ أين خالد؟ أين المثنى؟ أين؟ أين؟ جيفارا قاطع طريق في غابات بوليفيا تجعلونه بطلا ومثالا لحياتكم، المثقف الثوري قرونه طوال، فذهب واشتكى لقائد القطاع، طلبوني للمحكمة العسكرية، جاء المسؤول عني وقال لي: أنت مطلوب لقائد القطاع، ذهبت أنا وإياه، ووجدنا قائد القطاع غائبا، ووجدنا المثقف الثوري قاعدا عند المدعي العام، قلت: ما القضية؟ قال: أنت تكلمت على جيفارا، فعجبت والله، قلت لهم: من هو جيفارا؟ قال: مناضل شريف، قلت له: أنا أريد أن أسألكم سؤالا: ما هو دين فتح؟ قال: فتح لا دين لها، والله... هو قالها: لا دين لها: نصرانية واشتراكية، وشيوعية، وإخوان المسلمين وكله.. قال: فتح لا دين لها، فقلت له: أما أنا فديني الإسلام وأنا جئت إليكم لأؤدي فريضة إسمها فريضة الجهاد، وجيفارا تحت قدمي هذه.. والسلام عليكم، ثم تركتهم ومشيت، طبعا الكلاشينكوف على كتفي، لا أحد يتجرأ أن يتكلم معي، لا أحد له سلطة على أحد، معه كلاشنكوف ومعي كلاشنكوف، لكن اليوم التربية الحديثة هذه، إذا يمر واحد غريب من باب بيتك يسأل، تقول: هذا مخابرات جاء يتنصت عليّ، وتبقى أسبوعا وأنت لا تأكل ولا تشرب، تصاب بالأرق، نعم.. حتى صاروا لا يتكلمون الكلام إلا بالإشارة، التربية بالإشارة، التربية الحديثة، تخويف، غرس الجبن في القلوب، حتى كنت مرة في المسجد النبوي، واحد من تلاميذي رآني فأرسل إليّ: يا شيخ عبد الله أنا لا أستطيع أن أسلم عليك، أرجو أن تزورني في بيتي حتى أسلم عليك، قلت: الله يعوض عليك، لا يستطيع أن يسلم عليّ في مسجد رسول الله ﷺ الذي فيه الآلاف.

الحقيقة يا إخوة: لا تتربى العزة ولا الشجاعة ولا الرجولة ولا... إلا في هذه الميادين، الله أكبر، قاعد في هذا القمقم في العالم العربي لا يكفي راتبك لشقة، راتب خريج الجامعة الأردنية (ثلاثة وتسعون أو خمسة وتسعون) دينارا، الشقة في عمان بثمانين دينار، فأكل لا يستطيع أن يأكل الإنسان.. أكلا! لا يستطيع الواحد في بعض الدول العربية والعالم الإسلامي أن يتكلم كلمة، ولا أن يجلس، ولا أن يصلي في مسجد واحد، ولا أن يربي لحيته، ولا أن يسلم على واحد معروف في الشارع، ماذا تصنع؟ ربنا فتح *لك هذا الباب*، هذه أبواب هنا، تتكلم كما تشاء، وتتحرك كما تشاء، وتقبل العيش هناك، كيف تقبل العيش في ذلك الوضع وتترك هذه الحرية؟!، أبواب مفتوحة، أسواق مفتوحة، إذهب إلى (بارا)، واذهب إلى دارا، واذهب إلى الدنيا... انظر كيف الناس يعيشون، لا يخضعون لقانون في الأرض أبدا، كيف تترك هذه المنطقة أو هذه الديار؟ كيف تتنفس؟ أم ألفت الحياة؟!.

وجد الأطباء أن الذين يعملون - أجلكم الله - في تنظيف المداخن، وفي تنظيف المراحيض باستمرار، وفي القمامة (عمّال القمامة)، أنهم إذا نقلوا إلى مكان فيه زهور يصيبهم الزكام، نعم.. تؤذيهم الرائحة الطيبة، نعم... الجعلان (الصراصير) التي اعتادت أن تعيش في القُمامة لا تستطيع أن تعيش في أماكن نظيفة، البعوض، الذباب الذي لا يعيش إلا في الأماكن القذرة لا يستطيع أن يعيش في الأماكن النظيفة.

الوطواط (الخفاش) الذي لا يعيش إلا في الظلام لا يستطيع أن يعيش في النور.

فيبدو أن نفوس الشعوب مع طول الظلم والاستبداد والدكتاتورية وما إلى ذلك تأنف نفوسهم هذا الجو، فلا تطيق أن ترى الحرية.

أذكر لما أعلنوا إنهاء العبودية في السعودية وتحرير العبيد في أيام الملك فيصل رحمه الله، قالوا: أمر الملك فيصل الأمراء أن يحرر كل واحد منهم ما عنده من العبيد، فبدأ العبيد يبكون لأنهم سيحررونهم، يبكون! يقولون: نحن لا نريد أن نتحرر، بل نريد أن نبقى عندكم عبيدا، لا يطيقون الحرية، العبودية، إذا ألفت النفس العبودية فإنه يؤذيها معاني الحرية وتستغربها، ولذلك إذا رأوا واحدا شجاعا يقولون هذا متهور، لأن الجبن حكمة، نعم الجبن أصبح حكمة:

يـــرى الجبنــــاء أن الجبن حــزم   *وتلك خــديعــة الطبـــع اللئيــم*

تجده إذا تكلم في حياته مرة واحدة مع المسؤول عنه كلمة فيها شيء لله عز وجل، يبقى طول حياته مسرورا أنه أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

وهؤلاء الأفغانيون تجد الواحد منهم قُتل أخوه وأبوه وأخته، وهدم بيته عدة مرات، الآن يا إخوان أنتم لا تعرفون ما هي المصيبة في أفغانستان، الناس يعيشون في أنصاف بيوت، البيت مهدم، نصفه مهدوم وباق قليل منه، يعيش تحت هذا القسم وتحت الشجرة، ومع ذلك عندما تكلمه، يقول: نحن ما قدمنا شيئا.

هذا محمد صديق تشكري أنا جالس وهو يحدثني فقال: اليوم جاء خبر أنه قتل اثنان وعشرون شخصا من أقاربنا، ثم انتقل كأنه حدث قصة من التاريخ القديم وانتقل.

يقول لي عمر حنيف: والله سقط أمامي ألف شهيد، منهم ابني وأخي ما نزلت لي دمعة واحدة. وذهبت إلى سفارة من السفارات لآخذ فيزا فعاملني الموظف بعنجهية كأني متسول، هذا الموقف حفر في قلبي من الآلام والأحزان أكثر من رؤية الألف شهيد.

امرأة هنا تسألها أهلي: أنتم لماذا لا تزوجون غيركم؟ قالت: لم يعد في النفس أي ميل للحياة، أي ميل! قالت: والله ما تزوجت إلا ليكون معي واحد يرافقني في الذهاب والإياب، وليس للجنس أو للشهوة أي مكان في نفوسنا، ذهب كل شيء، قتل الأب، وقتل الأخ، وقتل العم، وهدم البيت، وأخذت الدار، كيف تميل النفس أن تلتذ بشهوات الدنيا؟ ثم بعد ذلك يأتي بعض الناس في العالم الإسلامي تقول له: يا أخي ساعد الجهاد الأفغاني، يقول: هؤلاء مختلفون، وهؤلاء ناس.. وما إلى ذلك، والله أنا سمعتها من داعية كبير يقول لي: هؤلاء كذا وكذا، لماذا؟ لأنهم مختلفون، وهم قد يكونون مائة في بلد مثل الكويت أو قطر تجد المائة لهم عشرين تنظيما، عشرين تنظيما المائة!!، هؤلاء جماعة فلان، وهؤلاء جماعة فلان، وهؤلاء أتباع فلان، هذا انشق عن فلان، وهذا عمل طلائع البعث، وهذا عمل طلائع الإسلام، مائة لم يستطيعوا أن يلتقوا على قراءة كتاب؟! وتريدون من شعب بكامله أن يتوحد في مهجره، وكل أيادي العالم تشتغل فيه، وتريد أن تمزقه وتوقف هذا الجهاد، أو تحطمه، أو تمنع انتصاره، تريدون منهم وهم قبائل، مئات القبائل أن تلتقي على رجل واحد، ومائة منكم لم يستطيعوا أن يلتقوا على كتاب يقرأون فيه، يقولون: نعم.. هؤلاء مختلفون، أما أنتم متفقون؟!، الله يبارك فيكم!! الله يوفقكم، ما شاء الله!!.

كما قال الرسول ﷺ: **(يرى أحدكم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه)**[1] الجذع في عينه لا يراه، القذى صغيرة في طرف عين أخيه يقول انظروا، انظروا إلى عينه وسخة قذرة، **(طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس)**.

والكلام طويل، والقلب والصدر مليء بالآلام، لو بقينا نبث من آلامنا ساعات وساعات لا تنتهي، ونرجو الله عز وجل أن يحيينا بالإسلام، ويميتنا على الإسلام، ويميتنا شهداء في سبيله، إنه سميع قريب مجيب.

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

العلماء بين الابتلاء والسقوط

هذا سيد قطب أسمه عالم أو مفكر، وبعضهم (العلماء) كان يشترك في عملية غسل الأدمغة، وإقناع الشباب أن يتركوا الدعوة التي هم عليها بالأدلة، تأتي بهم الدولة، يعني ناس كانوا مع الدعوة الإسلامية، عندما اشتدت المعركة وطال المسير، واشتدت السياط على الجلود، سقطوا على الطريق، فانتقت الدولة منهم المشايخ الذين يحفظون من القرآن ومن السنة وقالت لهم: وظيفتكم الآن أن تقنعوا هؤلاء المخدوعين الذين غرر بهم، وغرر بهم حسن الهضيبي وحسن البنا، وغيره، أن تقنعوهم أن يقلعوا عن هذا الطريق، فكانوا يأتون لسيد قطب ليقنعوه، فيقول: إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفا واحدا تقر فيه حكم طاغية، يرى حوله الكبار الذي سقطوا على الطريق، كانوا في أيام أعياد الثورة في تموز وفي أيام أعياد النصر يكتبون التهنئة والتأييد لعبد الناصر بدمائهم، يجرح الواحد نفسه، ويمسك ريشة، ومن دمه يكتب تأييدا لعبد الناصر، من الساقطين على طريق الدعوة، بل أكثر من ذلك، كانوا يَصُفّونَ هؤلاء الساقطون صفوفا يهتفون: إلى الجحيم يا بنّا، إلى الجحيم يا قطب، إلى الجحيم يا بنّا، يهتفون!، هؤلاء تربية الاحتفالات، وتربية المهرجانات، ليس تربية المعركة الحية، تربية الشدة، محك الرجال، فهؤلاء فكّروا الدعوة الإسلامية أن يحضر أحدهم الاحتفال، ويصفق، ويستمع لخطبة البنا، والسلام عليكم، ويسلم عليه، ويبدأ.. أخوك في الله فلان، أخوك في الله فلان، أخوك في الله فلان، ويقبل لحية البنا أو كتف البنا ويرجع، لما كشّرت المصيبة عن أنيابها، وظهرت مخالب الطاغوت بارزة، قالوا: لا.. نحن ما اتفقنا على هذا، نحن ما جئنا لهذا، المسألة هكذا؟! نحن جئنا للاحتفالات، فالله غايتنا، الجهاد سبيلنا، نحن نفكر الجهاد سبيلنا يعني: في دار الإخوان، كلام عربي على باب دار الحلمية، كانت الشوارع تسد لما يخطب البنا – رحمه الله –، كان المسجلون في الإخوان أكثر من نصف مليون، نصف مليون مسجلون ويدفعون الاشتراكات، عندما أصبحت المسألة فيها مخالب وفيها أنياب، وفيها تمزيق، وفيها سياط لا.. لا، نحن فقط شغلنا احتفالات، شغل مهرجانات، أقصى شيء اشتراكات، نصف مليم، ثلاثة ملاليم أكثر شيء، ولذلك عندما سجن سيد قطب –رحمه الله – أخذوا كل الرجال والنساء من بيته، لم يبق إلا بنت أخته، أخرجوها بعد عدة أشهر، رجل كبير في السن من أصهارهم، قالت (ابنة أخته): كنا نذهب ونحاول أن نقترض الفلوس لنأخذ لهم زيارة (لسيد ولمحمد) في السجن، فعندما ندخل البيت لا يتعرفون علينا، يردوننا من الباب، يقولون: نحن لا صلة بيننا وبينكم، تبرأوا من معرفتنا.

فالأزمات تحتاج إلى رجال ذوي همة عالية، الذي يدخل الدعوة الإسلامية يجب أن يعرف أن المسألة فيها موت، هؤلاء جماعة

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحة بلفظ «يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه وينسى الجذع في عينه» (انظر الرغيب والترغيب مجلد ٣/٢٣٦).

الأربعة وخمسين (الذين عاصروا محنة سنة ١٩٥٤)، أما جماعة الخمس وستين، فهؤلاء دخلوا على أساس أن هناك موت وهناك سجون، وهذا التنظيم الذي كان يشرف عليه سيد قطب تنظيم شباب مثقف وجامعي... جاء تربى في المحنة، في الستينات كان الأستاذ سيد يكتب لهم في السجن ويرسل لهم مع أخته كتاب المعالم (معالم في الطريق) للأسر، كان يكتب في داخل السجن للأسَر ويرسله مع أخته فتقرأه الأسَر، ثم جُمع هذا، وتناقشته الأسر ثم أعيد له ونقحه، وأصبح كتاب المعالم، فلما واجهوهم سنة خمس وستين نموذجا آخر غير نماذج سنة أربع وخمسين، سنة أربع وخمسين صاروا يشهدون على بعضهم هؤلاء الكبار.

سنة ١٩٦٥ بعد التربية في المحنة وعلى المحك، على محك الشدة جاء عبد الناصر بعلماء أمريكا حتى يدرسوا هذه الظاهرة، ما القضية؟ هذا جيل تربى وعاش في وقت كنا نذبح فيه الإخوان المسلمين، كيف نشأ هذا الجيل؟ قادتهم في السجن، فجاء علماء النفس الأمريكان ودرسوا... جاءوا إلى الشباب في السجن وأعطوهم استمارات لعلم النفس: كم عمرك؟ متى دخلت الدعوة؟ هل تصر على العمل الإسلامي؟ فبعد أن فرّغوا الاستمارات وجدوا أن كل الشباب يقولون: كنت ضائعا فهداني الله لهذه الدعوة أو لهذا الدين أو لهذا الطريق، العلماء الأمريكان قالوا له: هؤلاء لا يمكن أن تُغسل أدمغتهم ولا نغيرهم، لا يزول ما في الرأس حتى يزول الرأس، لابد أن تقتلهم، وكانوا قد جمعوهم على أساس علقات ساخنة (تعذيب)، وبعد ذلك يفلتونهم، ولكن عندما قرر علماء النفس هذا بدأوا الإعدام.

طلبت أمريكا إعدام زينب الغزالي وسيد قطب بالذات، فقال لهم: هؤلاء اثنان لهما ثقل في البلد، فأنا أعدم واحدا، فحكم على زينب الغزالي بالأشغال الشاقة المؤبدة، وحكم على سيد قطب بالإعدام، وزار في تلك الفترة روسيا وأعلن أن الإخوان يريدون القيام بانقلاب عليه – من فوق قبر لينين – قال: اكتشفنا مؤامرة، ولئن عفونا في المرة الأولى فلن نعفو في المرة الثانية، واعتقلنا سبعة عشر ألفا خلال يوم واحد، أنا سمعت خطابه من موسكو (عبد الناصر).

طلب منه خرتشوف أن يقتل خمسمائة أو خمسة آلاف من الإخوان، فقال: أنا لا أستطيع أن أقتل – نسيت الرقم خمسمائة أو خمسة آلاف –، فعندما قال له: لا أستطيع، أمر خرتشوف بنقله من قصر الضيافة إلى المحلات الشعبية، فلما رأى الكباب والتفاح وما إلى ذلك قد ذهبت، ورجع إلى العدس وما إلى ذلك، وتغيرت من ضيافة القصر الجمهوري إلى المنازل الشعبية.. فكر يومين... ثلاثة وقال: خلاص، أنا أقتل خمسمائة أو خمسة آلاف – نسيت الرقم – فرجع...

هو في الحقيقة صدم صدمة عنيفة، وعندما اكتشفوا أن هناك تنظيما للدعوة الإسلامية جن، يعني: أصيب بلوثة عقلية، كان يضرب رأسه بالحائط، يهلوس ويقول: "إزاي، إيه اللي جرى، إزاي مرة – عن زينب الغزالي مرة في مصر شتيمة – إزاي مرة وأباني –أباني يعني عبد الفتاح اسماعيل بياع خضرة – مرة وأباني يسرقوا مني جيل الثورة، إتتوا فين، –يقول للمخابرات–، بتعملوا إيه" وزاد جنونه عندما اكتشف أن حارسه الخاص من الإخوان، اسماعيل الفيومي هذا يصيب الهدف الطائر، فو ق رأسه دائما، فوق رأس عبدالناصر يحميه، بيده دائما المسدس، وكان في ترتيبه أن يغتال عبدالناصر إذا حدثت مواجهة، فلما اكتشف عبد الناصر أن الإخوان وصلوا حتى لحرسه أمسكت المخابرات برجلي إسماعيل الفيومي وضربوا رأسه بتمثال عبدالناصر فمات، وكانوا يوزعون تماثيل برونز كبيرة في الشوارع كان في وزارة الداخلية تمثال برونز أو في السجن، أحداثا كانت رهيبة.

يقول أحمد رائف في كتابه البوابة السوداء: كنت ذات ليلة في غرفة، وكانوا يعذبوننا في الليل حتى آخره، يرجعون الواحد نصف ميت، يحتضر، فأرجعوا واحدا ظل يصيح حتى مات من شدة الألم، وفي الصباح عندما فتح الشرطي الباب قلنا له: أفندم ده واحد مات، قال لهم: "يا أولاد الكلب بس واحد مات، حنودي وشنا فين من الريس، نخبره انو ما متش إلا واحد، حنودي وشنا فين من الريس"

يقول: لما نقلونا من سجن أبي زعبل إلى السجن الحربي وعلمنا أننا ذاهبون إلى السجن الحربي كنت أدعو الله في قلبي أن تنقلب بنا السيارة فنموت، لأن السجن الحربي كل يوم يرى فيه الموت، قال: ولشدة ما كانت دهشتي عندما علمت أن هذه كانت أمنية كل واحد في السيارة، كل واحد كان يتمنى أن تنقلب السيارة، المهم حاجة غريبة عجيبة جدا!!.

كتابات سيد تعري الضعفاء

فالحقيقة أن الأستاذ سيد عاش هذا كله، ورأى النماذج في السجون، وكيف تميزت أقدار الرجال، فكان يكتب وهو ينظر إلى هؤلاء، عندما يقول لك أن وراء حب الدعة وإيثار السلامة سقوط الهمة، وذلة النفس، وانحناء الهامة، كان يراه ويسجل تسجيلا فقط لا يحتاج أن يفكر، كانت النماذج أمامه.

سؤال من أحد الشباب المسلم: بعضهم يقول أن هذه الكتابات كتبها وهو في السجن فلا تصلح للنشر في الخارج، نعم كتبها

وهو في السجن، وحبل المشنقة يلوح أمام ناظريه، لأنه كان يكتب وهو يودع الدنيا، والداعية يجب أن يعلم أن دخوله الدعوة وداع للدنيا، نسيد كتبها وحبل المشنقة يلوح أمام ناظريه، فالموت أمامك إذا تكلمت، والعذاب الشديد، كان متجردا من كل ضغوط الأرض.

فأمثال هؤلاء الذين يتكلمون على سيد رحمه الله، هؤلاء لا يعتبرون سيد قطب من مفكري الإخوان المسلمين، ولذلك هم يكرهون أ يُمدح سيد قطب... صدِّق! ويوم أن رددت على الشيخ الألباني يوم أن كتب أن سيد قطب يقول بوحده الوجود، احمرّت كثيرمن أنوا الذين يدعون إلى الإسلام لأنني دافعت عن سيد قطب، ليس لأنني تكلمت على الألباني، هم على خلاف طويل عريض مع الألباني، لماذا لأن كتابات سيد قطب تعري الضعفاء، تعريهم!.

والله سألت واحدا من أكبر الكبراء في القوم، أقول له: سيد قطب.. يقول: مفكر مفكر، بل قال: ليس مفكرا.. أديبا، بل كاتبا، زاد، أعدت عليه، وقلت: سيد قطب؟ قال: هو أديب محترف.

مثل هذا كمثل الذي قال لي: إن مروان حديد ليس من الدعوة الإسلامية، قلت له: إذن أنت من الدعوة الاسلامية! عندنا مثل يقو «إسمُكَ ذَكَر والمطعمُ الله» المرأة التي يكون لها ولد ضعيف مريض تقول له: إسمكُ ذَكرٌ والمطعمُ الله، المطعم ربنا، قلت له: ماذا تساو الدعوة الاسلامية في سورية بدون مروان؟ هؤلاء خطر، والله، كانوا يقولون عن مروان حديد هذا مجنون، فعلا.. الحقيقة أن الشجا التي كان عليها تعتبر جنونا بالنسبة لهؤلاء الذين يتهاوون على الطريق، كانوا يقولون مجنون، أحدهم لقيني أيام أن كان مروان حد مطاردا في داخل دمشق، يحمل السلاح حيثما ذهب في داخل دمشق، مطارد، قال لي: يا أخي هذا مادّ يده لكل منَ يلقاه، يقول بايعني على الموت. ولذلك انظروا: هذه كلمات تخرج من قلب دام يرى المأساة أمامه.

ولذلك لما جاء بعد المآسي التي عملها عبدالناصر في الإخوان وفي نسائهم في أبنائهم وفي دعوتهم، يوم موته يقف هؤلاء الذ في قطر أو في غيرها في السفارة المصرية يتقبلون التعازي بموت عبدالناصر، أنا أعتبر هذا جريمة ليس بعدها جريمة، ماذا؟ أبعد ه يتقبل التعازي في موت عبدالناصر؟ يقفون صفا حتى يأتيَ الناس ليعزوهم، لأنه من أولاد العشيرة، مات ابنهم، أهؤلاء تعدهم دعا هؤلاء هم الذين يهاجمون الآن سيد قطب، لأن فكر سيد قطب خطير عليهم يا أخي، خطير على أوضاعهم، خطير على منازلهم ورواتبه ولذلك عندما يواجههم الشباب... شاب مثلك نفسه طيبة، قلبه متفتح، ما عرف اللف والدوران في الحياة، عندما يواجههم بحقيقة الأ يقولون: اكتَشفْنا، فيبدأون يشككون في الفكر نفسه، وإلا صدّق كما أظن لولا دفع الله عز وجل ثم تثبيته لسيد قطب ووقفته في ١٩٦٥ لكانت الدعوة انتهت، خلاص، على أبواب الموت، فدفعها من جديد، أحياها، كانت تحتضر، لكن الوقفة الصامدة التي ثبته ا بها، أمر ليس منه، إنما هو من الله.

فالشباب الذين حوله – كما كتبت عنهم الجرائد – يلتفون حوله كأنه نبي، وفعلا لو تكلم كلمة واحدة في أي قائد من قادة الد الاسلامية سنة ١٩٦٥ لو تكلم سيد عليه يسقط القائد، عندما كانوا يسألون الشباب – شاب مثلك – يسألون: أنت اتصلت في سيد قط قال: أبداً، أبداً ما اتصلت، فيعذبونه، فيقول لهم: أنا لم أتصل. فذهبوا إلى سيد قطب، قالوا: فلان ثبت أنه اتصل بك وجاء عندك، لهم: نعم اتصل، فرجعوا كأنهم سجلوا كلام سيد، قالوا له: أنت اتصلت به؟ قال: أبدا، قالوا: لكن سيد قطب قال انك اتصلت به، ة إن قالها فقد صدق، إن قالها فقد صدق.

زينب الغزالي نموذجا للتحدي

وعندما كانوا في شدة المحنة يسألون عن سيد قطب في المحكمة، زينب الغزالي تقول: أن الإمام المجدد سيد قطب، تو المحكمة بها، قالوا لها: سيد قطب كذب عليك، قالت حاشا لله أن يكذب سيد – في المحكمة –، حاشا لله أن يكذب سيد، قالوا لها: سميت عبدالناصر أبا جهل؟ قالت نعم أنا سميته أبا الجهل، وسعيد رمضان سماه أبا الجاهلين،لكن أنا متأسفة لأنه ليس أبا الجهل أبا الأجهال كلها، قالوا لها أسماء ثانية؟ قالت: سميته ذبابة،– عبدالناصر أيام أن كان يذكر في تلك الأيام الملوك والرؤساء ؛ يرتجفون – ثم وجدت حديثا صحيحا أن في أحد جناحيها داء وفي الآخر دواء، وهذا لا دواء فيه، قالوا لها: آخر تسمية؟ قالت لهم: تسمية خيال المآتة، خيال المآتة يعني: حارس البستان، العصا التي توضع عليها الثياب، حارس البستان رجل من القش يحمي ال ويحرس الزروع، وصاح المدعي العام لأن التسجيل يؤخذ لعبدالناصر، قال لها: يا كذا ياكذا من كلمات أبناء الشوارع، أربعون ما يدارون بعصا؟ قالت اربعون مليونا يدارون بعصا؟ والعصا تدار من الخارج، يا أخي مواقف عجيبة!!.. جاء زوجها بمحام يدافع ع فقال: إن هذه المرأة الطيبة والسيدة الفاضلة المسكينة التي لا تحمل في حقيبتها سوى الروج (أحمر الشفاه) لا يمكن أن تضع حقيبتها القنابل والمسدسات، وصاحت: إخرس! زينب الغزالي تضع قلم الروج في حقيبتها؟! أخرجوه، أخرجوه.. أنا لا أريد أن ي

عني، أخرجوه.

جاء عبد الناصر، أشياء عجيبة يا أخي، والله أشياء عجيبة جدا، هذا تعده، وتعد الذين كانوا يؤيدون بالدم، يجرح نفسه ويضع رأس الريشة بدمه، ويكتب تأييدا في أعياد الثورة لعبد الناصر، هذا صنف من الدعوة وهذا صنف، هذان صنف واحدا!! أنتم ما قرأتم كتابها " أيام من حياتي "؟ هذا كله سمعته منها فما لأذن قبل أن يخرج الكتاب، كنا نجلس معها إلى الصبح، في أيام عصيبة ولا أحد يستطيع أن يصل إليها، لكن قلت لهم: اسمحوا لي أن أذهب إليها، أنا مهدد بالطرد، وكانوا يعتبرونني في قائمة المبعدين، قالوا: هذا لن يحصل على الدكتوراه، فقلت لهم: أنا أحضر لكم أخبار القوم، إسمحوا لي بالذهاب لمحمد قطب وزينب الغزالي، خلاص شطّبوا عليّ، وكانوا قد سمحوا لي، هم يعلمون أنهم إن لم يسمحوا لي فلن أقبل، قالوا: لنسمح له، فكنت دائما مع محمد قطب وزينب الغزالي، ولذلك بعض الشباب لم يكونوا يتجرأون على زيارة دارنا، يعني: يعتبرون دارنا مراقبة – لا حول ولا قوة إلا بالله تكلمنا عن أنفسنا كثيرا –، فجاء شمس بدران، قالت: اللهم إن كان عبد الناصر يعلم بهذا التعذيب فأرني ذلك، قالت: بعد يومين أو ثلاثة جاءوا بي إلى التعذيب، قال شمس بدران: يا صفوت – شمس بدران كان وزيرا للحربية – حربية يعني: على المسلمين، قال له: يا صفوت – صفوت الروبي كان صول، الصول أجلّكم الله يعني: روث الإبل والبقر كما نسميه، أما المصريين فيسمون الصول العسكري الذي بثلاث شرايط – قال له: إرفعها يا صفوت خمسمائة، خمسمائة كرباج، قالت: كانوا يربطون يديّ ورجليّ ويضعونني كالذبيحة ويجلدونني، فقالت: كنت قبل التعذيب دائما أربط ثيابي بخيوط حتى إذا تمزقت لا تبين عورتي، قال له: يا صفوت إرفعها، رفعني، أنزلها، فأنزلني، ثم أمر بإحضاري إلى الغرفة، قالت كانت يداي وعيني منتفخات، وكذلك رأسي، طبعا الجروح تنزو دما وقيحا، قالت: ضربوني ستة آلاف وثمانمائة سوط، مجموعها نعم.. ستة آلاف وثمانمائة، أي ثمانية وستين حد زنا، فقالت: كانت غرف التعذيب ثلاثين، وكل غرفة فيها ما ليس في الأخرى من أدوات التعذيب، أشياء عجيبة، المهم... قال: اسقها كأس ليمون، قالت: كأس ليمون في السجن الحربي، عجيب!، قالت: أسقاني كأس ليمون، قال: هاتها أجلسها هنا، قالت: ما كنت أستطيع أن أجلس، فأجلسوني على طاولة الطعام، فنظرت وإذا بعبد الناصر قاعدا على صُفّة وراء شمس بدران خلف شبك، ممسكا نظارته السوداء، وبجانبه عبد الحكيم عامر، وشمس بدران أمامه، قال لها: يا زينب، قالت له: إيه؟ قال لها: تكلمي جيدا، قالت له: نعم.. ماذا تريد؟ قال لها: لو استلمت هذا الكرسي الذي أنا فيه ماذا تصنعين بنا؟ قالت له: لسنا طلاب كراسي، قال لها: لو استلم الإخوان المسلمون الكرسي الذي أجلس عليه، ماذا يفعلون بنا؟ قالت:

أولا أنا أقول لك الإخوان المسلمون ليسوا طلاب كراسي، هم يريدون أن يرفعوا راية لا إله إلا الله فوق المجتمع، ثم بعد ذلك يحكم تحت هذه الراية من يحكم.

ثانيا: لو حكم الإخوان المسلمون أنا لا أكون في هذا الكرسي لأني امرأة، والمرأة لا تحكم.

ثالثا: لو حكم الإخوان المسلمون وأرادوا استعمال هذا الكرسي الذي تجلس عليه لطهروه، لأنه كرسي نجس أجلسك عليه الطاغوت الكافر الفاجر.

قال له (شمس بدران): يا صفوت، قال: نعم، قال: إرفعها مائتين وخمسين قالت: فرفعوني مائتين وخمسين، ثم أنزلتُ بين الموت والحياة، هنالك أربعة أطباء يشرفون على تعذيبي حتى لا أموت، هم يريدونني أن أبقى حية حتى أعذب، وسمعت طبيبا يقول لهم: أتريدونها أن تبقى حية؟ قال له عبد الناصر: نعم نريد أن تبقى حية للمحاكمة، وهكذا ثمانية أشهر من التعذيب، قال لهم: إذا يلزمها حقنة بخمسة عشر جنيها في العمود الفقري، فقال: نعم هي موجودة في صيدلية عبد الحكيم، اذهب يا فلان واحضرها، قالت: فأعطوني بسبعة وعشرين جنيها أدوية، واستيقظت بعد أربع وعشرين أو ست وثلاثين ساعة بعد أن كنت في حالة غيبوبة، قالت: عندما استيقظت وجدت الطبيب فوق رأسي، لأنه يخشى عليّ الموت، كان الأطباء الذين يشرفون على تعذيبي شيوعيين ونصارى حتى لا ترق قلوبهم، قالت: فتحت عينيّ فوجدت الطبيب فوق رأسي، قلت له: يا دكتور، قال: نعم.. قلت له: أنت لا تملك أن تزيد من عمري لحظة واحدة – لأنه قال لهم: أتريدون أن تبقى حية – قالت له: لن تزيد من عمري ساعة واحدة..

{إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون} (يونس: ٤٩)

قال لها: أريد أن أسلم، قالت له: أنت الآن مسلم – هو بالإسم مسلم – قال لها أنا أريد إسلاما مثل إسلامكم، قالت له: قل أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قالت له: إذهب لسيد قطب حتى يعلمك الإسلام، قال لها: يا حاجة، قالت: نعم، قال لها: حسن الشرطي الذي يأخذك للتعذيب يريد أن يسلم مثل إسلامك، قالت له: هاته، فجاء به، قل: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قالت له: إذهب لسيد قطب حتى يعلمك الإسلام، قالت: بعد هذا أصبح حسن الشرطي ينقل بيننا وبين سيد الأخبار.

كانت (زينب الغزالي) تحب سيدا حبا عجيبا، وقد كانت مسجونة هي وحميدة أخت سيد، وكانت زينب الغزالي غنية وزوجها مليونير، ولشدة حبه لها عندما صادروا ممتلكاته بسبب زوجته لم يؤثر هذا عليه، وعندما صدر عليها الحكم بالأشغال الشاقة المؤبدة سقط مشلولا شللا نصفيا، هم في بداية المحاكمة قالوا له: طلقها، قال: انها امرأة بريئة، وليس عليها شيء، إذا حكم عليها أنا أطلقها، فعندما صدر الحكم جاءوه وقالوا له: طلقها، قال: اتركوني – وهو مشلول – قال لهم: قد أعيش ثلاثة أسابيع وأموت، أسبوعان.. ثلاثة.. وأموت، قالوا: أتطلقها الآن أم تنقل السرير للسجن الحربي؟ قال لهم: أكتبوا، فكتبوا: أطلق هذه المرأة لأن أخلاقها سيئة – وهو على فراش المرض وقع –، ثم أرسل وراء أحد أقاربه، وقال له: اكتب: أشهد أن زينب الغزالي الجبيلي هي زوجتي في الدنيا والآخرة، ووقع، قال له: إذا مت أعط هذه للقاضي، وبالفعل مات بعد ثلاثة أسابيع.

كان يحبها حبا عجيبا، وهي شخصية أنا ما رأيت نظيرا لها، ما رأيت مثلها، معظم الناس تسمع عنهم فعندما تراهم تقل الصورة عن السماع إلا هي فزادت، زادت الصورة عن السماع، فبعد أن مات جاء ابن عمه أو قريبه وأعطى الورقة للقاضي، جاءت المخابرات – هو ترك حوالي خمسين ألف جنيه – وكانوا قد صادروا ممتلكاته وبعض شركاته، شركات سالم سالم في أكبر شوارع القاهرة شارع فؤاد و...، ممتلكاته الباقية وضعوا عليها مسؤولا يديرها، وسرق الأموال وأرسلها للكويت، المهم... بقي له خمسون ألف جنيه، يكون نصيبها الربع أو الثمن، لا أدري هل جاءها أولاد أم لا؟ غالبا ما جاءها أولاد، يخرج لها ستة آلاف جنيه من الإرث، فقالوا: هو طلقها لا إرث لها، فالقاضي ابن بلد كما يقول المثل، يعني: رجل، فقال لهم: هذا الطلاق غير واضح، لأنه طلاق في مرض الموت، والطلاق في مرض الموت لا يقع (طلاق إكراه) والمرأة ترث منه؟ وهذا طلاق مكره ولذلك هي ترث.

عندما وجدوا أنه يخرج لها ستة آلاف جنيه، أصدروا قائمة جديدة حسابات على زوجها ؛ أن زوجها عليه اثنان وسبعون ألف جنيه ضرائب، ومائة ألف بدل الاسم (الاسم التجاري)، وثلاثة وأربعون ألفا تامينات، المهم (٧٢) ألفا و(٤٣) ألفا ومائة ألف (٢١٥) ألفا، وهو لم يترك إلا خمسين ألفا، كم يبقي للدولة؟ يبقى للدولة مائة وخمسة وستون ألفا، لا يوجد معها مال، فختموا بيتها بالشمع الأحمر وصادروه.

الحقيقة أنها قصص أغرب من الخيال، ولكنها وقائع، تجد هذه المرأة نموذجا للتحدي أمام هؤلاء الضعفاء، إن هؤلاء لهم نموذج لضعف الهمة وطراوة الإرادة، وكثير هم الذين يشفقون من المتاعب، وينفرون من الجهد، ويؤثرون الراحة الرخيصة على الكدح الكريم، ويفضلون السلامة الذليلة على الخطر العزيز، وهم يتساقطون إعياء خلف الصفوف الجادة الزاحفة، العارفة بتكاليف الدعوات، ولكن هذه الصفوف في طريقها المملوء بالعقبات والأشواك، لأنها تدرك بفطرتها ؛ أن كفاح العقبات والأشواك فطرة في الإنسان، وأنه ألذ وأجمل من القعود والتخلف، هؤلاء لا تعجبهم الحاجة زينب الغزالي... لا تحيا الدعوات إلا بأمثال هذه المرأة.

الدعوة الإسلامية وكفاحها

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم... وبعد،

ماذا نريد؟

فيا أيها الإخوة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

أرجو الله عز وجل أن يتقبل منا ومنكم الهجرة والرباط والإعداد والجهاد.

وأرجو الله عز وجل أن لا يترنا وإياكم أعمالنا، وأن يثبتنا على الطريق، وأن يسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، إنه سميع قريب مجيب.

ماذا نريد؟ نريد في الدنيا المجتمع المسلم الذي ترفرف فوقه راية لا إله إلا الله، ونريد في الآخرة الجنة، ونرجو الله عز وجل أن يعطينا الاثنتين، وأن لا يحرمنا، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن يسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة.

نريد المجتمع المسلم، المجتمع المسلم له خطوات ؛ الخطوة الأولى: قيام دعوة تدعو إلى : (لا إله إلا الله)، وتقر التوحيد في أعماق

أتباعها، وتربيهم على الإسلام، حتى يصبح الواحد منهم نموذجا حيا للإسلام يمشي على الأرض، فإذا رأينا الواحد منهم نرى مصحفا يتحرك فوق المعمورة، إنهم من لحم ودم، ولكن القرآن قد تحول في داخلهم إلى حركات وأخلاق وكلمات وسلوك ومعاملات، وما لم يكن هنالك نماذج بهذا الشكل، تحمل دين الله عز وجل فإن أي مجتمع مسلم يقام فوق عناصر هشة، وفوق أساس غير متين، فإنه سينهار.

هذه المجموعة التي تـُربى على دين الله عز وجل، وكما جاء في الحديث (**الذين إذا رُؤوا ذكر الله**) **إذا رأيتهم تذكر الله**، حاله يذكرك بدين الله عز وجل، مظهره يذكرك بالله عز وجل، هذه المجموعة لا بد أن تتعرض لكيد الكفار في كل مكان، لأنهم...

{ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا} (البقرة: ٢١٧)

هذه المجموعة.. لابد أن تحرص على أن يلتف حولها الشعب المسلم، وهي تكوّن الصاعق الذي يفجر طاقات هذا الشعب المسلم، ثم تعلن الجهاد في سبيل الله، وتستمر المعركة مع الطواغيت الذين يُعبِّدون الناس لأنفسهم من دون الله، حتى يُظهر الله دينه.

تجربة واقعية

والآن قد سنحت الفرصة، وفُتحت الأبواب، وقضى الله أن يحصل الانقلاب الشيوعي، وانقلاب داود قبل الانقلاب الشيوعي، وهو عبارة عن جسر للشيوعية دخلت عليه.

إنقلاب داود (محمد داود) في يوليو سنة ١٩٧٣ كان بتدبير روسيا مع الحزب الشيوعي في داخل أفغانستان، وجاءوا بداود قريب الملك وزوج أخته حتى لا تكون معركة دموية، هذا رجل من الأسرة المالكة، حلّ محلّ رجل من الأسرة المالكة، وجيء بداود لتصفية أبناء الحركة الإسلامية أو أبناء الدعوة الإسلامية، أبناء الدعوة الإسلامية كانوا نماذج فريدة، فقرروا أن يدخلوا في معركة مع داود، وكانوا في البداية ثلاثين شابا، اجتمعوا في بيشاور حول حكمتيار ورباني، وقرروا الجهاد.

المصطلحات الشرعية توقيفية

والجهاد معناه (القتال المسلح).. هذا معنى الجهاد، ولا يجوز أبدا - كما قلت - أن نميّع النصوص، مصطلحات ربانية ونبوية ؛ أن الجهاد يطلق على عبادة من العبادات، فلا يطلق على قيام الليل جهاد، وإن كان مجاهدة نفس، ولا يطلق على الصوم جهاد مع أنه مجاهدة نفس.

الجهاد مصطلح شرعي كالصيام، الصيام لا يستطيع أحد أن يقول: إن الصيام هو الإمساك عن الكلام، أو الإمساك عن الطعام عدة ساعات، الصيام مصطلح شرعي هو: الإمساك عن الطعام والشراب والنكاح من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، فإذا جرح هذا الاصطلاح لم يعد صياما شرعيا، فإذا جاء واحد وصام من طلوع الشمس إلى العشاء، هل يعد هذا صياما شرعيا؟ طبعا بإجماع الفقهاء لا يعد صياما شرعيا، وإن كان صام نفس الساعات التي يصومها المسلمون.

الصلاة مصطلح شرعي: عبارة عن حركات وكلمات تُبتدأ بالتكبير وتنتهي بالتسليم، لكن الصلاة لغة: هي الدعاء ، فلا يجوز أن نطلق على من يدعو أنه يصلي.. نعم يصلي لغة، لكنه لا يصلي شرعا، ولا يُطبَّق المصطلح الشرعيّ.

والجهاد مصطلح شرعي في القرآن الكريم، بالنظم الرباني العظيم، وعلى لسان النبوة الشريف.. (**يا رسول الله: ماذا يعدل أجر المجاهد؟ قال: لا تستطيعونه، قالوا: ماذا يعدله؟ قال: هل يستطيع أحدكم أن يدخل مسجده ليقوم فلا يفتر، ويصوم فلا يفطر، قال: من يستطيع؟ قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت، لا يفتر عن صلاة أو صيام أو قيام حتى يرجع المجاهد**).

إذاً الجهاد عبادة، غير الصلاة، وغير الصيام، مع أن مكابدة القيام هو جهاد نفس، ومع أن مكابدة لأواء الصيام كذلك هو جهاد نفس، لكن الجهاد - قال لهم غير ذلك -: (**مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت**).

إذاً ما هو الجهاد؟ هو: القتال، وأنا كتبت هذا في كتابي (عبر وبصائر)، وأوردت تعريف الأئمة الأربعة للجهاد : الجهاد في اللغة: بذل الجهد.

(عبر وبصائر) هذا طبعته دار المجتمع في جدة جديدا، نحن طبعناه في العام الماضي، أو قبل العام الماضي هنا في باكستان، والحمد لله طبع جديدا، وخرج في هذا الشهر في دار المجتمع في جدة.

الحنفية:

جاء في فتح القدير لابن الهمام: الجهاد دعوة الكفار إلى الدين الحق وقتالهم إن لم يقبلوا.

وقال الكاساني في بدائع الصانع: {بذل الوسع والطاقة بالقتال}، بذل الوسع والطاقة بالقتال، ليس بالدعوة في سبيل الله ع
وجل، بالنفس والمال واللسان، وغير ذلك، بالقتال، تقاتل بلسانك، وتقاتل بمالك، وتقاتل بنفسك.

والمالكية:

قالوا: الجهاد قتال المسلم كافرا غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله، أو حضوره له، أو دخوله أرضه له (أرض القتال).

والشافعية:

قال الباجوري: الجهاد: أي القتال في سبيل الله.

وكذلك قال ابن حجر في فتح الباري في شرح صحيح البخاري المجلد السادس الصفحة الثالثة :– والجهاد شرعاً بذل الجهد في
قتال الكفار.. بذل الجهد في قتال الكفار.

والحنبلية:

قالوا – كما جاء في مطالب أولي النهى وغيره، والعمدة، ومنتهى الإرادات:– الجهاد قتال الكفار، الجهاد القتل، القتال، وبذل
الوسع منه لإعلاء كلمة الله تعالى.

إذاً (كلمة الجهاد) إذا أطلقت إنما تعني (القتال في سبيل الله)، ولا يجوز أن نغيّر المصطلح الشرعي، وأما قصة رجعنا من
الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، وينسبونه إلى الرسول ﷺ، فهذا حديث موضوع لا أصل له، وإنما هو قول لأحد التابعين اسمه
إبراهيم بن عبلة، وهو مخالف للواقع، يقولون: الجهاد الأصغر قتال الكفار، والجهاد الأكبر جهاد النفس، هذا مصادم للشرع، ومصادم
للواقع.

وكلمة (في سبيل الله) إذا أطلقت – كما يقول ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري –: والمتبادر من كلمة (في سبيل
الله) هو الجهاد، أي قتال الكفار، إذاً كلمة الجهاد إذا أطلقت تعني: القتال، وكلمة (في سبيل الله) إذا أطلقت تعني: القتال.

أما أن نسمي اجتماع ثلاثة أو أربعة على كتاب جهادا في سبيل الله، هذا ليس صحيحا، سموه ما شئتم إلا أن تسموه جهادا
فليس صحيحا، سموه دعوة إلى الله، سموه علماً شرعياً، سموه ما شئتم، أما الجهاد، فلا تميّعوا المصطلحات الشرعية، وكلمة (في
سبيل الله) أطلقت في القرآن الكريم على أساس أنها فئة معينة من المجتمع..

{إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل
الله وابن السبيل}. (التوبة: ٦٠)

(في سبيل الله) إذاً... مصطلح شرعي هو: القتال والجهاد باتفاق الأئمة الأربعة، أما لو لم يكن مصطلحا شرعيا، فإعطاء
الفقراء في سبيل الله، وإعطاء المساكين في سبيل الله، وسد دين الغارمين في سبيل الله، لكن ... العطف يقتضي التغاير، في اللغة
العطف يقتضي التغاير، إذاً... إعطاء المساكين، وإعطاء الغارمين، وإعطاء المؤلفة قلوبهم غير إعطاء في سبيل الله، في سبيل الله هو
القتال، أما أن نميع النص ونقول: في سبيل الله بناء الجسور، بناء المستشفيات، وبناء المدارس، وبناء ما إلى ذلك، إذاً... اجمع الزكاة
حتى تعمل كوبرى في بلد من البلدان لأجل الذين يريدون أن يُفحّطوا بالسيارات يسيرون عليها.

في سبيل الله: القتال، أما أن نسمي خروج ثلاثة أو أربعة إلى مسجد، وكلام ربع ساعة أو عشر دقائق نفسر به حديث رسول الله
ﷺ: (الغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها)، لعمر الحق إن هذا لظلم عظيم، وهذا تمييع للنصوص
الشرعية، الغدوة في سبيل الله تعني: الخروج إلى القتال في أول النهار، والروحة في سبيل الله: الخروج في سبيل الله في آخر النهار.

فانتبه!! لا يسمى الكلام على المنابر جهادا، لأن الجهاد قتال، ذبح، هذا الجهاد، ولا تسمى الكتابة في الجرائد جهادا، ولا يسمى
تأليف الكتب جهادا، إلا إذا كان في القتال وللقتال، يجب أن يكون هذا معلوما.

وبدأ تخطيط التجربة

فقررت المجموعة الجهاد في سبيل الله (أي القتال)، وتقسمت مجموعات، ونزلت إلى بنجشير، وإلى بدخشان، وإلى لغمان، وإلى

هذه المذبحة صارت في بل شرخي ؛ سجن كبير في داخل كابل، وسياف كان في (دهمزنك) في سجن آخر في كابل، وبقي سياف حيا في الواقع، ومعدوما في أوراق الحكومة، لكن هو معروف من قبل الشيوعيين، معروف، حفيظ الله أمين رئيس الجمهورية يعرفه، وكان رئيس الوزراء ثم صار رئيس الجمهورية، بابرك كارمل يعرفه، كل الشيوعيون يعرفونه من خلال الصراع في داخل جامعة كابل.

فصار كلما جاءت مجموعة من الناس تفتش على السجون، المكان الذي لا يدخلونه هو مكان الوضوء، فكان يدخل ويغلق على نفسه الباب حتى تذهب اللجنة.

قبل أن يدخل الروس بسبعة أيام تماما علم حفيظ الله أمين أن سيافا حي، فاتصل بمدير الأمن العام، أظن كان اسمه بيمان، قال: خذ سياف إلى المقصلة، أو يهاجم الأشرار، -الأشرار يعني المجاهدين، كان المجاهدون تابعين لحكمتيار ورباني قد وصلوا مشارف كابل ويريدون أن يدخلوها- إن لم يهاجم المجاهدين فخذه إلى المقصلة، فقال له مدير الأمن العام: معك إلى يوم السبت، إن لم تهاجم المجاهدين سنقتلك، فأرسل يستشير إخوانه في كابل المختفين، ويستشير أمه، إخوانه قالوا: قف على التلفزيون أو غيره حيثما شئت وهاجمنا حتى لا يقتلوك، وأمه قالت: لا تهاجمهم وإن قتلوك.

يوم الجمعة قتل أحد وزراء حفيظ الله أمين، وجرح ابن أخته، ثم انشغلوا به يومين... ثلاثة، أمر حفيظ الله أمين أن يغادر قصره إلى دار الأمان إلى مكان آخر، الروس بدأوا يستعدون للدخول، يوم الخميس دخل الروس وقتلوا حفيظ الله أمين، عندما دخل الروس بدأت الطائرات تضرب، والرشاشات، وما إلى ذلك، بدأت الرشاشات تضرب في داخل كابل والمدفعية، حفيظ الله أمين، بدأت الرشاشات تضرب مكانه، وقال لحارسه: أخرج لعل الأشرار وصلوا – الأشرار الذين هم المجاهدون – خرج قال: أصحابك الذين وصلوا – الروس– قال: قل لهم ماذا يريدون أن أوقع لهم عليه؟ لكن الرصاص لم يمهله، وجرح، وسحبه ابنه والطباخون من رجله مثل الكلب، للمطبخ، ووضعوه تحت التربيزة (طاولة) في المطبخ، دخل الجنود، قصره له درج، دخلوا عليه، وقف ابنه يتلقى عن أبيه فقتل، جروه من تحت التربيزه وقتلوه، إلى جهنم وبئس المصير.

هذا خدم روسيا، هذا الذي نفذ انقلاب داود، وهذا رئيس الجهاز العسكري للحزب الشيوعي، وهذا الذي رتب انقلاب تراقي، وهذا الذي حفظ الشيوعية وأقامها في داخل أفغانستان، ماذا فعل له الروس؟ قتلوه، وربطوه في جنزير إحدى الدبابات تطوف به في شوارع كابل.

ونجا بأعجوبة

سياف حي، لا زال حيا، الحزب الشيوعي اجتمع، أرادوا أن يخرجوا كل المساجين، إلا السجناء الخطرين عليهم، فقالوا: سجلوا لنا – لمدراء السجون – أسماء المساجين الذين عندكم، جاءوا إلى السجن، السجن الذي فيه الشيخ سياف، وهذه المرة أكثر مرة تأخر في مكان الوضوء – الشيخ سياف – حوالي ربع ساعة، بعد أن خرج – كان مدير السجن من تلاميذه – قال له: ماذا يريد هؤلاء؟ قال: أخذوا أسماء المساجين، قال: أريد أن أخلص من هذه الحياة، تعطيهم الاسم يقضي الله أمره فيّ، قال له: ما أعطيتهم اسمك، قال له: إلحق بهم، فلحق بهم ولم يدركهم، كتبت الأسماء، الأسماء حوالي اثنا عشر ألف سجين، جاء الحزب الشيوعي وقرأوا الأسماء كلها، ووضعوا علامات حمراء (دوائر حمراء) حول الخطرين، حول ثمانين واحدا، ثم جاءوا والناس قد اجتمعوا كلهم في بل شرخي، اثنا عشر ألفا، والطائرات تصور، ومدير الأمن العام ينفخ في بوقه على أساس نحن جئنا نحرر الشعوب، ونحرر المساجين، وما إلى ذلك، قالوا: فلان وفلان وفلان، الثمانين، عدوا الثمانين، قالوا: أنتم ابقوا، والبقية يخرجون، فلو كان اسم سياف مسجلا لبقي ؛ مدير الأمن العام يعرفه، قال: لكن هو مشغول بالنظر إلى الطائرات التي تصور حتى تظهر صورته في التلفزيون هكذا، الشيخ سياف كانت لحيته إلى وسطه في ذلك الوقت تقريبا، فلف لحيته بالبتو – هذه القطيفة، تعرفون القطيفة الأفغانية؟ – لفها به وخرج، ووصل إلى قريته، كأن صاعقة نزلت عليهم من السماء، قالوا هذا لا زال حيا؟ هذه الدبابات والطائرات ستهدم القرية، ذهب أهل قريته، ذهبوا وتبرعوا بإخبار الحكومة أن سيافا حي وهو في البلد.

حركوا له اثنتي عشرة دبابة، الطريق إلى بيته ضيقة، وكان قد غادر البيت، لكن من الذي يجرؤ أن يؤوي سيافا؟ روسيا دخلت الآن، ليس الشيوعيين فقط، وكان ذلك في السابع والثامن والعشرين من ديسمبر، دخلوا في السابع والعشرين من ديسمبر، الثلوج تغطي كابل ويغمان وشاوى خيل وكل المنطقة، فأخذ أولاده وزوجته، وهام على وجهه لا يدري من الذي يؤويه، الدبابات وصلت قرب بيته، قبل أن تصل البيت كانت الدبابات تريد أن تحرث البيت، قبل أن تصل البيت خربت الدبابة الأولى، الطريق ضيقة، لا تستطيع أن

تتجاوزها التي بعدها، نزلوا، حاولوا تشغيلها، من هدير الدبابة وهم يحاولون تشغيلها، خرج أهل الدار إخوانه.. أمه وما إلى ذلك، وجد أن الدبابات متوجهة إليهم، هربوا من البيت، بقيت أمه، ترجل الجنود، ودخلوا البيت وفتشوا: أين سيافا؟ تحت التخت، تحت الفراش، إلى ذلك، قالت: سياف خرج، فأخذوها حافية ووضعوها على الثلج حافية مدة ساعتين، ثم عادوا خائبين، أحد أقارب سياف اسمه دوست محمد الآن رئيس حرس عنده، له سيارة، قال: تعال يا شيخ، وضعه في السيارة، ومن كابل إلى بيشاور، رجولة يا شيخ، المسألة تحتا إلى رجولة، وضعه في السيارة وسار به حتى وصل بيشاور، بمجرد أن وصل بيشاور، ذهب إليه يونس خالص، ومجددي، وجيلاني ومحمد نبي، ورباني، وقالوا: نريد أن تصير رئيسا للاتحاد، قال سياف: أتركوني، أنا مريض الآن وما إلى ذلك، إذا أردتم أن تشغلوني شغلوني عمل عسكري، سلموني جبهات كابل أديرها، قالوا: أنت إن شاء الله، أنت تستلم الاتحاد، وحملوه حملا وسلموه الاتحا الإسلامي لتحرير أفغانستان.

فلا نامت أعين الجبناء

المهم (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا).

فقولوا لأمهاتكم اللواتي يخفن عليكم:

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) (آل عمران : ١٤٥)

وقولوا لهن: إن خالد بن الوليد مات على فراشه، وقال على فراش الموت: لقد شهدت زهاء مائة زحف وما في جسدي شبر إلا وفيه رمية بسهم، أو طعنة برمح، أو ضربة بسيف، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء... لا نامت أعين الجبناء.

طمئنوا الذين يخافون عليكم إن جئتم للجهاد، أي للقتال، على أنه..

أيّ يوميّ من الموت أفر يوم لا قُدّر أم يوم قُدر
يوم لا قُدّر لا أرهبه ومن المقدور لا ينجو الحذر

طمئنوهم... على أن القدر لا ينتظر الأسباب، وإذا أراد الله إنفاذ أمر سلب من ذوي العقول عقولا، طمئنوهم... على أنه كم من قائد من القادة دخل مئات المعارك... والله، سألت إنجنير ضياء، قلت له: حضرت حوالي مائة معركة - هذا قائد محل صفي الله أفضلي في هرات - فيها؟ قال: مائة معركة! أظن حوالي ألف معركة، ولا زال حيا في هرات في أفغانستان.

هذا أحمد شاه مسعود، كم محاولة ومحاولة حاولتها روسيا أن تغتاله، والله عز وجل يُنَجّيه، وحتى الآن ما جرح ولا قتل.

فلذلك، إن الذين يريدون مجتمعا إسلاميا ترفرف عليه راية التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ويسعد الناس فيا بالاستظلال بفيء شريعة الله، لابد أن يجاهدوا، ولا يمكن أن يقوم دين الله أو ينتصر بدون جهاد طويل كجهاد أفغانستان، والآن فرصا أفغانستان مفتوحة، ليس لأحد عذر بعد مرور أربعة عشر عاما من الآن عن بداية الجهاد، وبعد مرور عشر سنوات من اشتداد القتال في أيام تراقي، ومرور ثماني سنوات من دخول الروس، ليس لأحد بعد ذلك عذر.

إذا غامرتَ في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

كم روحاً للإنسان؟ واحدة، وتخرج مرة واحدة..

يرى الجبناء أن الجبن عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم

كلها ميتة، فلتكن في سبيل الله، كلها ميتة، فلتكن محاولة للشهادة في سبيل الله، الآن بعض الناس ينظرون إلى هؤلاء الشباب، فيشفقون عليهم، يقولون: مساكين هؤلاء الشباب، تركوا جامعاتهم، وتركوا وظائفهم، وتركوا آهاليهم، وجاءوا إلى أفغانستان، هؤلاء متهورون، طائشون، لا يقدرون المسؤولية، ولا يفكرون بالعواقب، لابد أن يكون عندهم اتزان وعقل.

يرى الجبناء أن الجبن عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم

شبهات

موظف كبير في بلادي يسأل دكتورا من أصدقائنا، قال له: صحيح أن الشيخ عبد الله يقول للطلاب أن يتركوا جامعاتهم ويذهبوا لأفغانستان؟ قلت: والله لو سألني هذا السؤال لقلت له: يجب عليك أن تترك الكرسي الذي أنت فيه وتأتي إلى أفغانستان.

والله، فرض عين ! استئذان الوالدين؟ لا يوجد استئذان، لا استئذان للوالدين، ولا لأحد من العالمين.. **(ففيهما فجاهد)** هذا يعارضه حديث آخر رواه ابن حبان وأورده ابن حجر في شرح هذا الحديث: **(والذي بعثك بالحق لأتركنهما وأجاهد)**، قال ابن حجر: والتوفيق بين الحديثين، أن الحديث الأول في فرض الكفاية **(ففيهما فجاهد)** في شرح البخاري، والحديث الثاني في فرض العين.

الشبهة الثانية الآن التي تقول: كيف نقاتل وليس لنا أمير، لا أدري والله، لا يقرأون الفقه؟! يقول ابن قدامة: فإذا عدم الإمام لم يؤخر الجهاد لتفويت مصلحته بتأخيره، يبقى منتظرا حتى متى؟! أخذوا فلسطين سنة ثمان وأربعين ونحن ننظر، أخذوا الضفة الغربية والجولان وسيناء سنة سبع وستين ونحن ننظر، دخلوا أفغانستان ونحن ننظر، متى يصبح الجهاد فرض عين؟! ليت شعري متى يصبح الجهاد فرض عين؟!.

أعداء الله يدقون أبوابنا من كل جانب، كل بقعة من بقاع الإسلام الآن مهددة، وأين؟ لا ملجأ من الله إلا إليه، فنحن الآن نلجأ إلى أمريكا حتى تحمينا من الشيعة.. أليس كذلك؟ بلى، ولو! ألا يوجد رجال! لماذ؟ لماذا؟ لماذا أمريكا؟! لماذا لا يكون كل واحد منا قنبلة.. لماذا؟.

إنما الإسلام فـي الصحرا امتهد　　　ليكـــون كل مســـلم أســـد

الهند ثمانمائة مليون، عندما هجمت على باكستان في الستينات وجهت سبعمائة دبابة أو ثمانمائة دبابة إلى لاهور، ووصلت قرب لاهور، الدبابات الهندية تقدم لها سبعمائة باكستاني، كل واحد على صدره حزام ناسف، ورمى نفسه تحت الدبابة، انفجر بالدبابة، وهزمت الهند.. انتهى.. انتهت المعركة بسبعمائة شخص، نريد سبعمائة واحد، قالوا: أليس هذا انتحارا؟ قلت لهم: هذا كما يقول ابن تيمية والجصاص وغيرهم:

(ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد) (البقرة: ٢٠٧)

وهل أكثر من أن يجود بنفسه لله؟! يقول ابن تيمية: ويجوز قتل النفس إن كان في ذلك مصلحة للدين كما فعل الغلام، قال للملك: أعرفك كيف تقتلني، خذ سهما، وقل: بسم رب الغلام، أقتل هذا الغلام، فقتل الغلام، فقالوا: آمنا برب الغلام.

الشبهة الثالثة: يقولون: كيف نجاهد مع الأفغانيين وكلهم بدع، وكلهم شركيات؟ أنا أقول لهم ما يقوله ابن تيمية رحمه الله، تعرفون ابن تيمية، شيخ الإسلام، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – في الجزء الثامن والعشرين، صفحة خمسمائة وست، إحفظوا ! في المجلد الثامن والعشرين صفحة خمسمائة وست –: "ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل برّ وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار، أو مع معسكر كثير الفجور، فإنه لابد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم، فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين، وإقامة أكثر شعائر الإسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه، وثبت عن النبي ﷺ **(الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم)** فهذا يدل على أن الجهاد مستمر إلى يوم القيامة".

ثم يقول في نهاية الكلام هذا.. يقول: وعدم الغزو مع الفجار إنما هو فعل الحرورية – يعني الخوارج – ذوي الورع الكاذب الناشيء عن الجهل... عدم الغزو مع الفجار إنما هو فعل الحرورية – الخوارج – ذوي الورع الكاذب الناشيء عن الجهل.

الشبهة التي بعدها: بلادنا بحاجة... طيب، بحاجة إلى متى؟ نحن نقول: الجهاد الآن فرض عين.. فرض عين، كل بلد فيها على الأقل مائة ألف طالب في الجامعات تقريبا... خمسون ألفاً، هل تخرب البلد لو جاء ألف من الخمسين ألفاً؟! لو جاءنا ألف من كل بلد عربي لتجمع عندنا اثنان وعشرون ألفا، اثنان وعشرون ألفا يغيرون فرض العين إلى فرض كفاية، ويكفون لإخراج روسيا من داخل أفغانستان، أتخرب البلاد إذا جاء ألف منه؟ الشيوعيون سيستلمونها إذا غبنا عنها، ثم هؤلاء الذين يأتون يكونون حصنا حصينا لأمتهم، الآن عندما يأتي ألف من بلد من البلدان يقدمون أرواحهم ودماءهم من أجل المحافظة على أرض إسلامية، على بعد آلاف الأميال من مسقط رؤوسهم، هؤلاء هل يضنون بأرواحهم ودمائهم إذا تعرض الحرمان لغزو كافر أو ضال؟ هؤلاء هم الذين يحمون، لأنهم هنا جاءوا وتدربوا وواجهوا روسيا، فيسهل عليهم أن يواجهوا اليهود في المسجد الأقصى، وأن يواجهوا أعداء الله في أي مكان آخر.

والله، لو كان حكامنا متعقلين – حكام البلاد العربية – متعقلين لأرسلوا الجيل كله يتلمذون في مدرسة التربية الجهادية الأفغانية، لو كانوا منتبهين لأرسلوا ضباطهم هنا دورات يتعلمون البطولة والرجولة من هؤلاء الحفاة العراة الجياع.

ماذا بقي من شبهات؟ كيف نقاتل مع الأفغان وهم متفرقون؟ أنا لا أدري عندما قاتل صلاح الدين الصليبيين كان المسلمو مجتمعين أم متفرقين؟ أمير دمشق يطلب مساعدة الصليبيين ضد أمير حلب!! ضرغام، شاور، شاور في القاهرة يختلف مع آخر اسمه ضرغام، يطلب حماية الصليبيين له ضده، في حلب أمير، في دمشق أمير، في القدس أمير، في القاهرة أمير..

وتفرقـــوا شيعـــا فكل محلـــة فيهـــا أمـــير المؤمنين ومنبـــر

ولذلك لو اختلفت الأمة هذا لا يوقف الجهاد أبدا، والإمامة العامة إنما تأتي من خلال الإمامة الخاصة، والولاية العامة تأتي م خلال الولاية الخاصة، فقائد الجهاد هذا خلال سنوات يبرز -الذي بايعناه على الجهاد-، ثم يصبح أميرا عاما، يصبح خليفة، يصبح أمير مؤمنين، أما إذا أردتم أمير مؤمنين بدون جهاد انتظروا... اللهم أنزل علينا خليفة من السماء يكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا... ' يمكن... مستحيل!! (١).

نريد دولة الإسلام

يا من رضيتم بالله، ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا.

إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

(الم، غلبت الروم، في أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبِهم سَيَغْلِبُون، في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون، بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) (الروم: ١-٥)

آيات كريمات مكيات، تنزلت على قلب رسول الله ﷺ في أم القرى : حيث المسلمون يطحنون، يضطهدون ويحاربون ويشردون وتفرض عليهم مجاعة لثلاث سنين متواصلة حتى أكلوا العهلن، والعهلن: الشعر والدم المختلط ببعضه البعض.

وأكل سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – جلد بعير، سمع صوت بوله ينزل عليه ذات ليلة، فأخذه وطهره وغسله وقضم م استطاع أن يقضم منه.

يقول سعد: كنت سابع سبعة حول رسول الله ﷺ، ليس لنا طعام إلا ورق الشجر، حتى تقرحت أشداقنا، وإن أحدنا ليضع كم تضع الشاة، كالبعر ليس له خلط، في هذا الجو الكئيب، حيث الظلام مدلهم، ولا يرى المسلمون بصيص نور من أفق قريب أو بعيد، تتنزل هذه الآيات، وما للمسلمين الموحدين في مكة ولانتصار الروم الذين يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، ما لهم ولهم حتى يفرحوا بهذا النصر الذي يسميه رب العزة من فوق السبع الطباق نصر الله، (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم)، وقد تمحّل بعض المفسرين فجاءوا بتفسير بعيد عن سياق الآيات، قالوا: إن انتصار الروم على الفرس حدث يوم بدر، فالنصر الذي يشار إليه في الآيات هو نصر المؤمنين في بدر على الكافرين، وهو تفسير بعيد عن سياق الآيات القرآنية.

لماذا يفرح المؤمنون بنصر الروم؟ أليسوا هم الذين أنزل الله فيهم بعد سنوات قليلة:

(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة)؟ (المائدة: ٧٣)

ألم يقل فيهم:

(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم) (المائدة: ٧٢)

(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)؟ (التوبة: ٣١)

لأن المؤمنين في حالة الاستضعاف لابد لهم من أمل على الطريق...

يقول الترمذي: لقد كان المؤمنون في مكة – في حديث بسنده – يحبون أن ينتصر الروم على الفرس لأنهم مثلهم أهل كتاب لشبهة الكتاب، أو أصل الكتاب الذي تنزل على عيسى عليه الصلاة والسلام، وهو الانجيل، وقد تحرف خلال هذه القرون الستة، وعملت عليه أيدي بولس وغيره والمجامع الكنسية حتى أصبح شيئا غير الشيء الذي أنزله رب العالمين، ومع ذلك كان المؤمنون يحبون أن ينتصر الروم على الفرس، لأن الفرس عبدة النار، والروم يعبدون ثالث ثلاثة، وهذه السيرة النبوية الشريفة تدل على أن المؤمنين كانوا يحبون أن

(١) لا يمكن إقامة دولة إسلامية بدون جهاد.

ينتصر أي واحد يلتقي معهم من قريب أو بعيد.

في الحديث الحسن قالت أم سلمة: ما حل بنا بعد أن نزلنا في جوار النجاشي يوما أشد من اليوم الذي قام فيه ملك آخر ينازعه الحكم، فاجتمعنا وبدأنا ندعو الله عز وجل أن ينصر الله النجاشي على عدوه، ثم أوفدنا الزبير ليرقب المعركة، واخترق الزبير النهر وراقب المعركة، حتى إذا بدا النصر لجانب النجاشي شمّر عن ساقيه واخترق النهر مرة أخرى وصار يلوح لهم إشارة للنصر، قالت: ففرحنا كثيرا بهذا. ورواية أخرى لم أتحقق من صحتها ؛ أن الزبير قد اشترك مع النجاشي ضد هذا الملك العدو.

بوارق أمل

لماذا؟ المسلمون مخنوقون في الأرض، لا يكادون يتنفسون، يريدون حليفا يبادلهم ولو المشاعر، ولو في بقعة من البقاع، حتى يبقى الأمل قائما في النفوس، وتستمر المسيرة، لأن أشد النكبات التي يمكن أن تلم بالدعوات هو اليأس وانطفاء الأمل من أعماق القلوب، واستمر هذا..

خزاعة، وبعد أن قام لرسول الله ﷺ كيان تشريعي ودولة قائمة في المدينة يحالفها، وكانوا نصحة عيب له في الجاهلية وفي الإسلام ؛ أن يأتمنهم على أسراره، وكذلك بعض الأحابيش الذين يسكنون حول مكة.

الآن: الأمل بوارقه عظيمة بانتصار الأفغان المسلمين على أكبر قوة في الأرض وأشرسها، هي قضية المسلمين الأولى الآن، والأمل بالله أولا ثم معلق بها، والذين في رأسهم مسكة من عقل أو في قلبهم ذرة من إيمان يتابعون هذه القضية على أساس أن الانتصار في أفغانستان هو انتصار الأمة الإسلامية جميعا، والذين لا يدركون سنن الله في تغيير المجتمعات، ولا يعرفون كيف تدول الأمم وتحيا المبادىء، وكيف تنتصر الدعوات، لا يدركون هذا، ولا يهمهم كثيرا أن يتابعوا قضية أفغانستان يوما بيوم، باعتبارها القضية الإسلامية الأولى في الأرض.

ميلاد جديد

لقد تمخضت الأمة الإسلامية عبر قرنين من الزمان فولدت الجهاد الأفغاني، وتمخض الجهاد الأفغاني عبر سنوات عشر عجاف لم ير التاريخ مثيلا لها في الإبادة و الطحن والسحق، فأبرز إلى السطح قيادات نراها تتحرك على الساحة. هذه القيادات إنما هي زبدة عمل إسلامي مستمر، زبدة الأمة الإسلامية التي برزت من خلال هذه المعاناة الطويلة، ومن خلال هذين القرنين الأخيرين، المحافظة على هذه القيادة، واحترامها، والوقوف بجانبها، وتأييدها بالنفس والنفيس والدم والمال والأهل، إنما هو فرض شرعي يأمره رب العالمين من فوق سبع سموات، وأي تشويه لهذه القيادات التي برزت على السطح في داخل أفغانستان أو في الساحة السياسية هنا، إنما هو تشويه للإسلام ذاته، وتحطيم لآمال المسلمين المتعلقة بهذه القضية، وبعض الناس يتساهلون في تشويه رباني أو حكمتيار أو سياف أو خالص، أو في الطعن في أحمد شاه مسعود وبشير وفريد وجلال الدين وما إلى ذلك..هكذا بسهولة، ولا يدرون أنهم يطعنون آمال المسلمين في الأعماق، ويوجهون الطعنة النجلاء لهذه القلوب التي تعلقت بهذه القضية، وتتابعها بنبضاتها ودقاتها وأنفاسها.

قضية أفغانستان ليس بأمانينا ولا أماني المسلمين، بقدر من الله فرضت وجودها، وبرزت على الساحة، وللأسف العميق أن الكفار يدركون أثر هذا الجهاد وخطره على الكفر في الأرض أكثر بكثير من أبناء المسلمين الذين يعيشون بين صفحات الكتب.

الأمريكان، الإنجليز، الغربيون، الروس، كلهم يدركون خطر الجهاد الأفغاني وآثاره القريبة والبعيدة، ولذا يريدون أن يزيحوا من الساحة هذه القيادات النظيفة التي عرفت بنظافتها منذ نعومة أظفارها، لم يأت سياف لقيادة الجهاد أو حكمتيار أو رباني أو أحمد شاه أو غيرهم، لم يأتوا من الشوارع، ولم يظهروا بين يوم وليلة قادة أخرجهم البيان الأول في ليلة مظلمة في داخل غرفة من الغرف بانقلاب عسكري، هؤلاء قادة الحركة الإسلامية منذ أن كانوا شبابا في الجامعة، بل من أيام الدراسة في الثانوية، وحياتهم نضجت عبر هذه المسيرة المريرة التي تجرعوا فيها الغصص ما لا يستطيعه إنسان، وما لم يتحمله بشر، حتى وصلوا إلى هذا المدى، فأي إصبع يشير إلى هؤلاء بالاتهام أو التشويه أو غير ذلك لا يدري أنه إنما يطعن في عين الإسلام ذاته، وإنما هو خنجر مسموم يطعن في أعماق المسلمين الذين يحملون بين جوانحهم أملا عريضا، وهدفا عظيما بانتصار المسلمين بعد أن ذاقوا خلال قرنين متتاليين من الويلات والهزائم، وعلى جميع المستويات العسكرية والاجتماعية و الاقتصادية وغير ذلك.

إلتقيت ببعضهم ممن يُعرفون بالعلم أو الفضل أو ما إلى ذلك.. كنت أتمنى أن يكون السؤال مبتدئا من أفواههم أن يسألوني ماذا

في داخل أفغانستان الآن؟ الدنيا كلها مشغولة بأخبار الانتصارات التي فرضت نفسها بعد معاهدة جنيف ومؤامرته على الجهاد، يستطيعوا أن يتجاوزوا القضية، من أعظم القضايا في الأرض، أعظم قضية في الأرض الآن تشغل ذهن الأمريكان والروس والغربيين في قضية أفغانستان، الكفر متخوف، والمسلمون متأملون، المسلمون الصادقون الذين يدركون أبعاد المؤامرة العالمية على الإسلا والهزائم التي مني بها، وتجرعوا مرارة هذا التاريخ، وخاصة منذ بداية هذا القرن أن كل مسؤول -إلا من رحم الله- عبارة عن ألعوبة ب الغرب أو الشرق، لا يستطيع أن ينقل خطوة، ولا أن ينبس ببنت شفه إلا و يستأذن من البيت الأبيض أو البيت الأحمر..

قيادة من نوع جديد

الآن برزت قيادة فلتت من أيدي الشرق والغرب، تصنع قراراتها على هدي من كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ، هذه القضية يجب أ تستحوذ على اهتمامنا أربعا وعشرين ساعة حتى في منامنا، يجب أن تكون أحلامنا ورؤانا تتعلق بالجهاد الأفغاني، كان لابد للمسلم في الأرض أن ينتبهوا لهذه القضية، ويعطوها حق حجمها، وأنت تقطع المسافات الطويلة وآلاف الأميال حتى تحدثهم عن تاريخ حدي تصنع سطوره بالدماء، و تبنى أمجاده بالجماجم والأشلاء، هم يجب أن يسعوا إليك حتى يسألوا، لا أن تسعى إليهم حتى تتحدث إليه المسلمون في الأرض وفي مقدمتهم العلماء مطلوب منهم أن يكونوا في ساحة بيشاور، لماذا تركوا هذه القضية للشباب الصغار؛ الذين يعرفون قراءة القرآن جيدا إلا القليل منهم؟ لماذا تترك للذين ليس لهم تجربة، ولا محك في هذه الحياة؟ وليس لهم من الصيت والذ الحسن الذي تقبل فيه آراؤهم في الاصلاح في ذات البين، لماذا تترك القضية؟ يترك الإصلاح بين فلان وفلان في داخل الجبهة ف تخار أو في بدخشان أو في الأورجون أو في غيرها، لشاب في السابعة عشرة وشاب في العشرين لا يعرفون أحكام القرآن جيدا، يعرفون الأحكام الشرعية جيدا، متحمسون مخلصون، نرجو الله أن يتقبل منا ومنهم أجمعين، ونرجو الله أن يختم لنا ولهم بالشهادة، لك هذه القضية قضية الإسلام الأولى الآن.

نعم؛ قضية فلسطين هي قضية الإسلام الأولى، ولكننا لم نتجاوز حتى الآن تقطيع اللحم وإحضار الرز من داخل الشارع حت نضعها في داخل الإناء الذي نريد أن نطبخ فيه الطعام، طبخة أفغانستان طبخة جاهزة، لم يبق إلا دقائق قليلة حتى تنضج، فما ب المسلمين يعرضون عنها؟! كل يشتغل في دنياه، يشتغل في مسائل خاصة، وإن اشتغل بالإسلام فهو اشتغال بالمهم عن الأهم، ؛ يشتغل في تعليم الناس، قد يشتغل في إرشادهم في بلاده، لكن قضية المسلمين الآن هي إيجاد بقعة من الأرض يقام عليها حكم يتبن مصالح المسلمين في الدنيا جميعا.

ماذا نريد؟

نحن نريد دولة تتبنى المسلمين في الأرض كما تتبنى دولة إيران مصالح الشيعة في كل الأرض، نريد دولة تتبنى مصالح الس في كل الدنيا، نريد دولة تجرؤ أن تعطيك جواز سفر إن كنت هاربا بدينك وعقيدتك، نريد دولة تحمي عرضك ودمك إذا التجأت إليها، تسلمك إلى السلطات التي تريد أن تنتهك عرضك، وتجتث الإسلام في أرضها، نريد دولة تتبنى فعلا الإسلام، وتكون منطلقا وقاء صلبة للجهاد في الأرض، نريد دولة تشن الحرب على من يحارب الإسلام، وتسالم من يسالم الإسلام، هذا الذي ينقص المسلمين ف الأرض، أما البيع بالإقراض أو بالأقساط أهو جائز أو غير جائز؟ نحن نريد أن يلتزم المسلمون بكل صغيرة وكبيرة، لكن هنالك قض الإسلام الأولى وهي غياب القرآن عن الحكم، غياب المسلمين عن التوجيه، غياب الناس الذين يصنعون قراراتهم بهدي من وحي ربهم و سنة نبيهم ﷺ، نريد الناس الذين يُخشى جانبهم، فلا يضرب الإسلام رهبة من هؤلاء الذين يتبنون الإسلام عقيدة وشريعة ونظام حيا لو تتبعنا الذين في الساحة الآن كم عالما نجد في الساحة؟ كم مفكرا نجد في الساحة؟ كم أستاذا جامعيا نجد في الساحة؟!!

أين المسلمون؟

قلت لأحمد شاه مسعود: هل فعلا قبلت أطباء فرنسيين في جبهتك؟ قال: نعم، قبلت أطباء فرنسيين في جبهتي، هل أرسلتم طبيبا واحدا حتى لا أقبل طبيبا غربيا ولا كافرا؟ قال: لم يأتني طيلة العشر سنوات متواصلة والشباب يموتون نزفا، نزفا، أرجل تقطع فلا يستطيع أحد أن يضمد الجراح حتى يوقف نزيف الدم، لم يصلني إلا شاب سعودي هو الأخ أبو بشار، لم يأتني إلا وا خلال هذه السنوات العشر، والفرنسيون سبقوكم، أيجوز أكل الميتة؟ نعم يجوز أكل الميتة.

أي دين وأي شرع يمنع من استعمال الفرنسيين في تضميد أنظف الأرجل في الأرض حتى لا يموت نزفا؟ أي دين وأي شر

يمنع أكل لحم الخنزير أو شرب الخمر إذا غص الإنسان بلقمة؟ لقد أفتى العلماء وعلى رأسهم أحمد بن حنبل ؛ أنه إذا غصصت بلقمة وكان عندك خمر، وامتنعت عن شرب الخمر حتى تجيز اللقمة فإنك تموت آثما.

قال: أين المسلمون؟ سؤال كبير يطرحه عليّ، فبدأت أدافع عن المسلمين، قال: أمة إسلامية عظيمة، وحركات إسلامية منتشرة في الأرض، ودعوات مبثوثة في كل المعمورة، هل عجزت أن ترسل خمسة أطباء، أو عشرة دعاة عندي؟ فهنا رفعت يدي مستسلما، قلت: إن المسلمين مقصرون، ثم استدركت قلت له: يا أخي إن الصورة في أذهاننا عنك مشوهة،كنا نعتبرك رجلا غربيا متصلا بفرنسا وبريطانيا، قال: وهل هذا لكم عذر عند رب العالمين؟ لماذا لا ترسلون أحدا يتحقق عن هويتي، ويعرف مسيرتي، ويتعرف على شخصيتي؟ هذه النتيجة التي وصلها الجهاد الأفغاني ليس بجهدنا، ليس بجهدنا، ولذلك سألوه في المؤتمر الخامس لشورى نظار....

قال: أما أنا فأجيب عن جبهتي وعن نفسي، أول شاب عربي مسلم أراه هو أبو عاصم العراقي قبل ثلاث سنوات فقط، ثم جاءنا قبله بقليل أو بعده بقليل الأخ نور الدين، ثم جاءنا بعده عبد الله أنس، إذن أي أثر لهم في واقعنا، وهو يتكلم عن واقع فعلا يعيش مرارته.

لقد تقدم هذا الجهاد وانتصر، ليس اعتباطا ولا صدفة، وليس كما يحلل المحللون من خلال لعبة (C .I.A) مع (K.J.B)، ومن خلال المقايضات الأمريكية والروسية، لقد دفعوا من الجهود ما لا يستطيعه البشر العاديون، إن أكثر من تسعة وتسعين في المائة من البشر في الأرض الآن لا يستطيعون أن يقدموا عُشر ما قدمه الأفغان أنفسهم، والذين عاشوا معهم وتنقلوا وصعدوا الجبال ونزلوا يدركون ما قدمه الأفغان.

كيف تسلطنا الألسنة على هؤلاء؟

قبل أيام كان عندي محاضرة بسيطة مع لجنة البر الإسلامية في جدة، وهذه اللجنة من أكثر اللجان التي لهامشاريع في داخل أفغانستان – وجزاهم الله خيرا –، وفعلا قدموا الملايين من الدولارات إلى داخل أفغانستان نفسها، عن طريق الشباب المسلم الذي يدخل داخل أفغانستان، فأتوا بي لإلقاء محاضرة، قلت لهم: يا معشر أصحاب هيئة البر، مع احترامي لكم إن جهودكم جميعا والله لا تساوي الجهد الذي يبذله صاحب الحمار الذي ينقل الأسلحة أو الذخائر أو الأمتعة أو الطعام إلى داخل أفغانستان ، لا يستطيعون ، نعم ، تصور معي جبلاً مرتفعا أربعة آلاف متر فوق سطح البحر، وأحيانا درجة الميل تصل زاويتها إلى درجة سبعين، ومطلوب منك أن تتسلق هذا الجبل مع حصانك الذي يحمل الذخائر والأطعمة، ثم مطلوب منك أن تنزل من فوق هذه القمة مع الحصان المحمل إلى أسفل الوادي، كنت أسير وبجانبي الحصان الذي استأجرته، لا أستطيع أن أحمل معطفي بيدي، كنت أضع (الجاكيت) على الحصان. والأفغاني وراء حصانه أو وراء حماره يدفع في الصعود أربعة آلاف متر حتى يوصله القمة، والثلج قد تجمد حتى أصبح جليداً، وما أن يضع يده أو رجله ــ الحمار أو الحصان ــ حتى ينزلق بما عليه، فيدفعه أو يستعين بمن يمر عليه، إدفع معي من أجل الإسلام، وإذا مر أحد ولم يساعده يقول له: ألم تقل الكلمة؟ يعني: ألم تقل كلمة التوحيد؟ كيف تمر عليّ وأنا في هذه الحالة، ويصعد ست ساعات متواصلة حتى تصل قمة الجبل، ولا تضع قدما إلا وأنت تتوقع أن تأتي على ظهرك منسدحا، لأن الثلج قد تجمد فأصبح كالزجاج، وفي قمة الجبل أنت صاعد ومئات بل عدة مئات من البغال والحمير نازلة هكذا.. وأنت صاعد، وأي حمار ينزلق يأخذك معه إلى الهاوية فتتحطم، كنت على بعد مائة متر من القمة وأفكر وأنا أمشي على أربع كيف يمكنني أن أصل إلى القمة ودونها خرط القتاد، والقلب بلغ الحنجرة، وقد استنفدت ما في أعماقي من طاقة، وبلغ مني الإعياء مبلغه، وفي هذه الحال وإذا بمنظر حمار ينزلق من فوق الجبل بما عليه، يهوي ويلحقه صاحبه يريد أن ينقذه بما استطاع من قوة، يتدحرج معه حتى إذا أعياه ذلك ترك حماره إلى مصيره بما عليه يتحطم ويموت، وفي آخر القمة يأتي هذا الرجل الأفغاني صاحب الحصان الذي استأجرته، ولا أستطيع أن أركبه لا في الصعود ولا في النزول، لأنه من الخطر أن تركبه، لأن إنزلاقه سيهوي بك إلى الهاوية، جاءني الأفغاني وأشار إليّ هكذا، أي بختم وقال: شيخ: (أسپ مرد) مات الحصان، سبحان ربك رب العزة عما يصفون!

وفي الطريق هذا واضع يديه على رأسه، وهذا يمسك كليته التي بدأت تتلوى، وذاك ينتفض من البرد، وثالث يدعوك حتى تقرأ على رأسه، ورابع يقول لك: أعندك شيء من الحبوب لأني أعاني من آلام المغص في أعماقي؟ وهكذا...

فتابع معي كيف يقطع سبعة جبال متوالية وهو معلق بهذه الحالة بين السماء والأرض؟ هل تستطيع أي هيئة إسلامية في العالم الإسلامي أن تقوم بجهد صاحب الحمار أو الحصان؟ لا تستطيع، لا تستطيع، كل الذي كان يدور في ذهني وأنا ألتقط أنفاسي ؛ كيف يمكن للناس أن يتكلموا على هؤلاء البشر؟! الذين ما كان يدور في ذهني إلا بيت الشعر:

جن، إن طاقة البشر محدودة، يكاد يحسبهم الإنسان ضربا من الجن لما يقدمونه من طاقات، فقلت ويل للذين يتكلمون على هؤلاء! إن أي إنسان في قلبه إيمان يمنعه أن يتكلم على هؤلاء الذين يصنعون التاريخ بدمائهم، ويبنون مجده بجماجمهم، كم من الناس ماتوا تحت الثلوج؟ قبل أن نصل بيوم قالوا: مات بالأمس خمسة بسبب البرد، وواحد قطعت رجلاه، ومجموعة غابت تحت الثلج لا ندري أين هم؟ وتابعت المسيرة إلى جبل آخر، وفي قمة الجبل والساعة الواحدة ظهرا يبدأ الثلج ينزل علينا، ونزول الثلج يعني قتل مجموعة من المجاهدين لا محالة، لأن معالم الطريق تضيع، فإذا أقبل الظلام ضاع الإنسان، فيسقط من فوق جبل، أو يغرق في نهر، أو تغوص رجلاه في الوحل.

وما كنت وحدي، كان معي ابنان صغيران، و بدأ الثلج يزيد، وأنا أدعو: اللهم إنا نعوذ بك من شر الثلج والمطر، وبدأ صدري تجول فيه الوساوس، إن منيتنا قد أحضرتنا إلى هذا الطريق، ولكن الحرص على الحياة يناديني من الأعماق ! ليتك لم تأت بابنيك حتى يلاقوا هذا المصير، وأسرعنا، نزلت عن الحصان لأني لا أستطيع أن أبقى راكبا على الحصان، لأن الثلج يتنزل فتتجمد الأرجل، نزلت لأسير بين الثلوج، واقترب المغرب ونحن نحاول جاهدين أن نصل الى الحدود أو إلى أي مأوى حتى لا نموت في تلك الليلة تحت الثلوج، لأن الثلوج إذا تراكمت مات الناس تحتها، وبقدر من الله، وأربع ساعات والثلوج تتنزل علينا، إلا أن المنطقة القريبة من باكستان كان الثلج قليلا فلم تغط معالم الطريق، وبقينا نتابع بقايا من آثار الطريق، وساق الله إلينا أفغانيا في هذا الطريق، فسار أمامنا وسرنا وراءه، ووصلنا حدود باكستان عند الغروب، والذي كان يؤلمني زيادة أولئك الذين يصعدون الآن (مجاهد كوتل) الذي يرتفع أربعة آلاف متر، هؤلاء قطعا قسم غير قليل قد مات تحت الثلوج، والثلج لازال في بدايته – هذا قبل شهر –، فكم غاب تحت الثلوج من جثث، ماتت ما عرفوا بموتها إلا بعد ستة أشهر عندما تذوب الثلوج وتبين الجثث؟.

(سحركل) يحدثني: كانت امرأة شاقة طريقها صاعدة على الجبل الأبيض، ثم جاءت إلينا بعد ثمانية أيام وقد تركت ابنها بين الثلوج يموت، لأنها إما أن تموت مع ابنها، وإما أن تتركه وتنجو بنفسها:

﴿يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه﴾ (عبس: ٣٤-٣٦)

فعلا لا تستطيع أن تقدم لأخيك أن تحمل عنه قميصا، لا تستطيع، قالت: لو أنقذتم هذه الجثة، جثة الطفل حتى ندفنها، قال: ذهبنا وحفرنا تحت الثلوج، وبقدر من الله، ولا أدري كيف ذلك، وجدنا الطفل لا زال حيا، بعد ثمانية أيام!!

فالذين يظنون أن لهم يدا طولى في الجهاد الأفغاني هؤلاء واهمون، إن أهل أفغانستان قد أعدمم الله عز وجل، ودفعوا الثمن غاليا، ونحن قدمنا القليل القليل القليل بجانب هذا الجهاد، فإياكم إياكم أن تشتغلوا بتشويه هذه الصورة المشرقة التي تمخضت الأمة الإسلامية قرنين من الزمان حتى أخرجتها.

أيها الإخوة: الانتصارات متوالية، ويجب أن نفرح بها، وموقع الأفغاني منا لا أظنه أقل من موقع الروم من نفوس الصحابة في مكة، فكما فرح الصحابة بانتصار الروم على الفرس، يجب أن نفرح بانتصار الأفغان المسلمين على الروس، وبعد أن أحدثوا دويا هائلا، وانقلابا عظيما في عالم الأرض، لا يستطيع أحد أن يدرك الانقلاب الهائل الذي أحدثه الجهاد الأفغاني في واقع الأرض كما يعرفه الكفار..

﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ (البقرة: ١٤٦)

ولذلك يُقدرون له حق القدر، ويحسبون له ألف حساب، والناس، وكثير من المسلمين مع حياتهم مع دنياهم، مع كتبهم، مع مجلاتهم، سادرون ويظنون أنهم يمكن أن ينصروا الإسلام في الأرض بهذه الطريقة، ويتركون أعظم قضية في الأرض، حتى إذا جئت تحدثهم أعطوك خمس دقائق أو عشر دقائق لأخطر قضية وأعظمها وأهمها في الأرض.

(الأرغون) تدخلها الآن – والحمد لله رب العالمين – أربع وعشرون دبابة ومدرعة الغنائم الصالحة مما تركه العدو، الغنائم التي لا تعد ولا تحصى، والروس وأجهزة الإعلام الغربي، وأجهزة الإعلام العربي تريد أن تلفت أنظار الناس عن هذه الانتصارات، وتخوف المجاهدين وغيرهم أن الروس قد أدخلوا ثلاثين طائرة «ميغ ٢٩ »، أدخلوا (إيزفورس بمبوردنك)، طائرات متطورة أكثر من (F16) في آخر شهرين أو ثلاثة، بعد أن جرَّب الروس كل الاسلحة التي بين أيديهم، ونفدت كل مخزونات الذخائر القديمة، وصاروا يصنعون الذخائر للمعارك، لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا، والله لو أدخلوا كل أساطيلهم، لا يستطيعون أن يبقوا ويستمروا في أفغانستان، لو وضعوا في قلب كل روسي أسدا ما استطاع أن يقف أمام الأفغان.

صدقكم وهو كذوب

ويسأل أحد الصحفيين ريجان الكافر الذي لا يريد ان تقوم للإسلام قائمة: هل يستطيع الروس أن يستمروا في أفغانستان؟ قال نعم، بشرط واحد، أن يدخلوا لكل مجاهد أفغاني مائة روسي!! أقل من مائة روسي لا يستطيعون أن يقفوا أمام المجاهد الأفغاني، هذه الحالة، حالة من الانهيار والدمار التي قلبت النظرية الشيوعية نفسها، جعلت غوربتشوف الآن يفكر في قلب الدولة نفسها، وفي إعادتها إلى النصرانية والرأسمالية، وذلك تحت ضربات المجاهدين، التي أيقظت وعيه وأعادته إلى رأسه، هذا ألا يستحق منا اهتماما؟ وبعد ذلك، أناس لا يدركون هذه الأبعاد، لا يعرفون الأعماق التي وصلت إليها هذه الانتفاضة المباركة في بيت المقدس، اليهود كانوا يتوقعونها قبل أربع سنوات، وأنا أحس بهذا.

الضغوط اليهودية

من خلال الضغوط اليهودية علينا هنا، من خلال الضغوط اليهودية على الأمريكان والغرب لكي يخرجونا من داخل باكستان، من خلال الضغوط اليهودية والغربية لمنع إعطاء التأشيرات للعرب، وخاصة الفلسطينيين، كانوا يدركون أن الزلزال الذي حدث في جبال الهندكوش لابد أن يتردد فوق المكبر في القدس، وهؤلاء الذين يقومون بالانتفاضة الآن كنت أسمعهم قبل سنوات من خلال أشرطتهم يقولون بالنشيد الشعبي:

بدنا رجال...... تعد أجيال تقوم الليل ... تهد جبال........ زي سياف الصامـــد

أخي يا حكمتيـــار على العـدا مثل النـار ... أخــــي يـــا سياف... الروس منك تخاف

أناشيدهم العذبة التي يتسلون بها في حالة سفرهم وفي حلهم وترحالهم، فكان هذا الصدى المبارك، وكانت هذه الانتفاضة التي زلزلت اليهود من أعماقهم، فهل ينتبه المسلمون؟! وهل يفرحون كما فرحنا؟ كما فرح الصحابة ورسول الله، رسول الله ﷺ فرح بانتصار الروم على الفرس لأنهم مثلهم أهل الكتاب، هل نفرح بانتصارات الافغان؟ هل نفرح ونحن نرى ذلك الجند الإيماني الذي يتقدم بالأمس ويستلم المدخل بين أفغانستان وباكستان من جنود الرحمن بعد ان احتلوا طورخم واحتلوا الآن بوابة أفغانستان؟، هل تفرح؟ والذي لا يفرح ليراجع إيمانه، أو ليراجع علمه من هذا الدين فهو في خطأ مبين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، الحمد لله، لا إله إلا الله، صدق وعده ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الاحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

الانتصارات متوالية والمدن تسقط الواحدة تلو الأخرى، وبإذن الله إذا بقي الأمر جاريا كما نرى وصدق الله ظننا فإننا إن شاء الله سنصوم رمضان في كابل، بإذن الله، بإذن الله، إذا صدق الله ظننا وبقيت الأمور تجري كما نظن فإن كابل لن تستطيع أن تستمر أكثر من رمضان، والآن هم يبحثون عن طريق للخلاص.

امرأة نجيب تأخذ جواز السفر لتخرج خارج أفغانستان، كبار الشيوعيين يأخذون جوازات السفر، ولاول مرة دولة شيوعية تصدر جوازات السفر لكي يفر الوزراء وكبار رجالات الدولة إلى مأوى بعيد يقضون فيه بقية حياتهم الخبيثة النتنة، و لذلك يجب أن نصب جهودنا الآن على هذه القضية، وأن نركز عليها، وأن نقف بجانب هؤلاء الذين أعز الله بهم دينه، ورفع رايته، وأعز الله بهم كل مسلم في الأرض، وأذل الله بهم الكفر، هؤلاء كما قلت في بداية الخطبة هم زبدة مخاض استمر قرنين من الزمان، حتى أفرز عندنا هذه القيادات، والذين يريدون تشويهها، أو التسلي والتفكه بالكلام عليها، هؤلاء يلعبون الأوراق بأوراق المصحف، كالطفل الذي يمزق أوراق المصحف ليلعب بها كما يلعبون بأوراق البلوج وغيرها، انتبهوا!

والقضية كما قلت لكم إسلامية خالصة والحمد لله رب العالمين، يقودها أناس نظيفون منذ نعومة أظفارهم، ولكن الإنسان عبر مسيرة طويلة لابد أن تكون له عثرات، ولابد أن تكون له سقطات، وأنتم تعلمون من الفقه كما يقول ابن القيم: إن الرجل إذا كثرت

حسنات فإنها تعفي على سيئاته، ويعذر ما لا يعذر غيره، ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال: **(إذا بلغ الماء القلتين لم يحمل الخبث)**[1] نجس لو وضع في ماء كثير فإنه لا يؤثر فيه، ألم يقل الرسول ﷺ **(أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم، فإنه والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر ويده في يد الرحمن)**؟[2] أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم، فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر ويده بيد الرحمن.

ولذلك، خاصة أنتم الذين جئتم إلى الجهاد، حافظوا على حسناتكم، حافظوا على ثوابكم، واعلموا أن الغيبة والنميمة وغير ذلك إنما هن من الكبائر.

والإمام مالك يفتي: أن الأشرار الذين يرفعون دعايا للمحكمة المعروفين بالخير والطيب هؤلاء يسجنون ليعزروا.

ولذلك، الله عز وجل نصر هذا الدين من خلال هذا الجهاد، ليعز هذه الأمة، ولا سمح الله.. ولا سمح الله ولا قدّر، لو هزم هذا الجهاد، يحتاج المسلمون نصف قرن أو قرن آخر حتى يحصلوا على قضية بهذه العظمة، وانتصارات بهذه الضخامة، والآثار التي خلفها الجهاد الأفغاني في واقع المسلمين تكفي لتربية أجيالهم إلى يوم الدين، تكفي لتربية الأجيال قرونا طويلة من خلال هذه القصص التي بعضها غاب تحت رمال الهلمند، أو فوق ذرى الهندوكوش، لم تجد من يسجلها، وبعضها نقل ولكنه باختصار شديد وإيجاز كبير.

أيها الإخوة: نحن جئنا للجهاد، يجب أن نقف بجهودنا وقلوبنا ومالنا وأعصابنا ونفوسنا بجانب هذا الجهاد.

والحمد لله، والمنّ له، منذ أن رأيت عظم قضية أفغانستان، يوم أن وطئت قدمي أول مرة قبل سبع سنوات أرض أفغانستان، ووجدت انهزام الروس أمام هؤلاء الجنود، وأنا أعرف حال المسلمين في العالم العربي، وأنا دخلت الجهاد في فلسطين، وأعرف ما هي حالة الجهاد، وأعرف أن تجميع الناس على الجهاد أمر من أشق النفوس، عندما رأيت هؤلاء نذرت على نفسي أن لا أتكلم في قضية إلا في هذه القضية، حيثما ذهبت، و أينما حللت، قلت هنا طابت الحياة، وطاب الممات، الحياة حياتكم، والممات مماتكم، هنا، هذه الأرض التي كنت أبحث عنها قبل ثلاثين سنة وأنا أعمل في الدعوة الإسلامية، فوجدتها واقعا شاخصا أمام ناظريّ، ووجدت الذين كنت أراهم في عين الخيال قادمين قائمين في عالم الحياة يجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وما تزيدني الأيام إلا ثقة بهذا الشعب، واطمئناناً لهذه المسيرة، وإعجابا بهذه التضحيات التي فاقت الأساطير أو تجاوزت الخيال.

توجيهات جهادية

هذه من السنة نتركها فترة من الزمن حتى يثقوا بنا، ثم بعد ذلك نعلمهم العقيدة، والسنة، والهيئات وكل شيء، شيخ الإسلام ابن تيمية يقول في رسالة «اختلاف الأمة في العبادة»: وترك المندوبات والمستحبات لمعارض راجح أولى وأحسن، لأن ائتلاف القلوب أولى من هذه المندوبات، ألم تر أن رسول الله ﷺ قد ترك هدم الكعبة وإعادتها على أسس إبراهيم خوفاً من نفرة قلوب الناس فقال: **(يا عائشة لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لهدمت الكعبة وأعدتها على أسس إبراهيم وجعلت لها باباً يدخل الناس منه وباباً يخرج الناس منه)**؟ يبوّب البخاري باباً عند هذا الحديث يقول: (باب ترك الإمام للمختار الراجح خوفاً من نفرة القلوب)، وفضيلة الشيخ الألباني يقول - والشريط عندي -: قلت لكم هذا **(إنما جعل الإمام ليؤتم به، فإذا كبر فكبروا -الحديث- فإذا ركع فاركعوا، فإذا صلى قاعداً فصلوا قعوداً أجمعين)**.

يقول الشيخ الألباني: إذا كان رسول الله ﷺ يأمرنا أن نترك ركناً من الأركان من أجل متابعة الأمام، لأن القيام في الصلاة الفرض ركن، فأمرنا بتركه والصلاة قاعدين وراء الإمام القاعد متابعة له... فيسألونه: معنى ذلك ألاّ نرفع أيدينا، ألاّ نجلس جلسة الاستراحة؟ قال الشيخ: نعم، إذا الإمام لا يجلس جلسة الاستراحة فلا تجلسوا، وإذا كان لا يرفع فلا ترفعوا، وهكذا.. فقال: **(فصلوا قعوداً أجمعين)**، صلوا فعل أمر، والأمر للوجوب، وينصرف للندب بقرينة، أقل حالات هذا الأمر هو الندب، فإذا أردت متابعة رسول الله ﷺ، وإذا أردت الثواب، وإذا أردتُ السنة فصلّ كما يصلي إمامك والله أعلم.

والتعليق للشيخ، لكن كما قلت لكم، هنا (في المعسكر) أنتم ترفعون أيديكم، وأنتم تقولون أمين، وتحركون أصابعكم كما تشاءون، وتعقدون أيديكم بعد الرفع من الركوع، ما أحد سألكم لماذا؟ لأنا لا نخشى فتنة من هذا، بل اتباع السنة علينا واجب، يعني يجب علينا

---

(١) حديث صحيح رواه الإمام أحمد (أنظر صحيح الجامع الصغير رقم / ١٤١٦).

(٢) رواه الإمام أحمد وأبي داود بلفظ «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود» وهذا صحيح، (أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم / ٦٣٨).

طاعة رسول الله ﷺ.

فمتابعة رسول الله ﷺ في هذه الهيئات أقل حالتها سنة، أننا مثابون عليها، هل تظنون ديننا بهذا الشكل، يعني؛ لا نخشى الله عز وجل؟! ونحن لا نحب اتباع سنة الرسول ﷺ!! فنقول لكم: اتركوا هذه السنن!! نقول لكم: اختيار لأهون الشرين، واحد من اثنين، إما تطبيق هذه السنة ونترك الأفغان يقولون: هذا وهابي فلا جهاد، وترجع إلى بلادك تقول: هؤلاء الناس لا يعرفون السنة، أو تتركها شهراً شهرين حتى يحبك هؤلاء الناس، ثم ترجع تعلمهم العقيدة بعد أن يحبوك، الأفغان إذا أحبوا إنساناً أعطوه قلوبهم ونفوسهم وأرواحهم، وبذلوا دماءهم فداءً له... هذا معروف عن الأفغان وكثير من الإخوة العرب تركوا هذا في البداية، ثم أصبحوا أئمة، وأصبحوا مرشدين، وأصبحوا قادة وموجهين، وأصبحوا لا يأخذون إلا من هذا الشاب، لكن في البداية هم يراقبونكم شهراً إلى شهرين .. والله، مراقبة دقيقة، أين يضع يديه؟ على الصدر!! شطِّب عليه... وهابي الله يرحمه، انتهى... نعم، فهم يراقبونك... هم يضعون على السرَّة، ضع يا سيدي فوق السرة.

كان أحمد بن حنبل -في الرواية الصحيحة- يضع يده بين الصدر والسرة، تبطل الصلاة؟! لا تبطل الصلاة، ولا تنقص من أجرك.

خذ مني، والله سيزيد أجرك... ترك سنة -أنا أظن- في مثل هذه الحالة من أجل أداء الفرض لك أجرها عند الله، لأنك أنت حريص على أداء السنة، ولكن لا تفعلها في فترة من الفترات حتى تصل إلى مقصود أعظم، ألم تر أن عبد الله بن أنيس الذي ذهب لاغتيال خالد بن سفيان الهذلي مكث شهراً لا يصلي، لا يصلي أبداً!! سمع رسول الله ﷺ أن خالد بن سفيان يجمع عند عرفة ليغزو المدينة، ويضرب الدعوة الإسلامية، فأرسل إليه عبد الله بن أنيس، فأظهر له أنه من جماعته، وصار يتقرب إليه ويستشيره وما إلى ذلك، وحتى في يوم من الأيام كان نائماً معه قطع رأسه، ثم جاء إلى رسول الله ﷺ وحمى المسلمين من شر عظيم، فقال له رسول الله ﷺ: كيف كنت تصلي؟ قال كنت أشير بعيني!!

يا إخوة فقه الدعوة إلى الله عز وجل، فقه العمل الإسلامي، الدين الآن يجتث من الجذور، أنت تحاسبني أن نرفع أيدينا أم لا نرفع؟! - لا ترفع - أنت آثم إن رفعت، أنا أفتي بها أمام الشيخ وأمام الناس أجمعين، لأنهم بحاجة إليك، بحاجة إلى أن تصلح عقائدهم، بحاجة أن تعلمهم السنة، بحاجة أن تساعدهم في الجهاد، فاتركها شهرين ماذا يحصل؟ العقيدة إن شاء الله لا نتهاون بها، وندخل إليهم -إن شاء الله-، فقط كما قلت لكم أعطوهم فرصة شهراً، شهراً ونصف حتى يثقوا بك.

لا تسكت عن العقيدة، وإن رأيت تميمة فاقطعها بالحكمة والموعظة الحسنة.

يا أيها الإخوة: جئنا لنجاهد مع الجهاد الإسلامي، نحن وإياكم متفقون على أن هذه البدع موجودة يجب إزالتها، لكن كيف يجب إزالتها؟ نحن نعطيكم خلاصة تجربتنا معهم سبع سنوات، تحب أن تأخذ هذه التجربة؟ هيا خذها، لا تحب! جرب بنفسك، نحن متفقون معكم على أن هذه السنن يجب أن تحيا، يجب أن تطبق، على أن هذه البدع يجب أن تزال، العقائد المنحرفة يجب أن تصحح، لكن كيف نصل إلى هذا؟ نحن نقول لك بهذه الطريقة، تحب أن تأخذ منا أهلاً وسهلاً ، لا تحب جرِّب، والشقي من وعظ بنفسه، والسعيد من وعظ بغيره، هذا خلاصة ما عندي، فلا تفرض نفسك أنك حريص على السنة أكثر منا، افرض نفسك مثلنا، ولا تفرض نفسك أنك أغير على دين الله منا، افرض أننا مثلك، لا تفرض نفسك أنك أعلم بالسنة أو بالعقيدة منا، افرض أننا مثلنا مثلك..

(لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) (النور: ١٢)

لماذا تفرض في نفسك أنك أغير على دين الله، وأنك أغير على السنة، أو أغير على العقيدة من غيرك؟ نحن نقول: نحن جئنا للجهاد، وجئنا إن شاء الله محاولة منا أن نساعد هؤلاء لعلّ الله يقيم دولة إسلامية في داخل أفغانستان، فنسعد بإقامة دين الله كله... وكل البشرية تسعد بالرجوع إلى شريعة الله عز وجل،كما قلنا الطريقة أن تمشي الهوينا وتأخذ الأمور بالحكمة والموعظة، لأن هذا الشعب من خلال تجربتنا معه لا يأتي بالعنف؛ روسيا صار لها معه عشر سنوات، رافض أن يطاطيء رأسه، رافض أن يخضع لها... ويقول لها: كلنا نموت دفاعاً عن ديننا المتمثل في المذهب الذي نعرفه، قدمنا مليونا و مائتي ألف شهيد من أجل الدفاع عن المذهب الحنفي، أنت تأتي بيومين تريد أن تغير مذهبنا؟ لا نريدك، ولا نريد مساعدتك، هكذا يقولون لك باختصار العبارة.

فانت ادخل إلى قلوبهم، وأعنهم، ثم بعد ذلك - هذه خلاصة تجربتنا - إذا أحبوك سيأخذون منك كل شيء، سيأخذون منك العقيدة، وسيأخذون منك السنة، وستصبح مرشدهم وإمامهم وواعظهم، خلال تجربتنا عبر سبع سنوات معهم نقدمها لك في خلال بضعة أيام تقضيها معنا في صدى، تحب أن تأخذ حياك الله، لا نريد منك جزاءً ولاشكوراً ، تحب أن تجرب بنفسك، وتزيل المنكر بالطريقة التي

تريدها، وتصلح العقيدة في يومين أو ثلاثة أيام كما تظن؟ تفضل، والله نحن نحب هذا؛ أن الإنسان يغمض عينيه ويفتحها فيجد شعباً كأنه شعب الصحابة في عقيدته، وفي دينه، وفي سنته وشريعته، لكن تغيير الأمة والمجتمعات لا يتم تغييرها في يوم ولا يومين ولا أسبوع ولا شهر ولا بالسنة ولا بالسنوات، المجتمع الذي أقامه الرسول ﷺ عشر سنوات حتى استطاع أن يطبق السنة عليه، مرّ عليه عشر سنوات، لأن دين الله يطبق بالتدريج، والبشرية والنفوس... تنتقل إلى دين الله عز وجل هكذا بالتدريج، لا يمكن أخذ الأمور اعتباطاً، كلنا متفقون على أن العقيدة يجب أن تصحح، كلنا متفقون على أن البدع يجب أن تزال، كلنا متفقون على أن السنن يجب أن تطبق، والله كنت أرفع اليدين قبل أن تلدك أمك، وما تركت رفع اليدين إلا بين الأفغان، وما رأيت أفغانياً يحمل حرزاً إلا حاولت أن آخذه، لكن هم يعرفونني ويحترمونني ويسكتون، أما أنت تحتاج فترة، فإذا عرفوك احترموك وأحبوك، ثم بإمكانك أن تجمع الحروز كلها في يوم واحد، إن شاءالله يمكن كل هذا أن يتم بعد أن تجلس معهم في الجبهات، عش معهم في الجبهة، دعهم يحبونك من خلال أعمالك، لا من خلال أقوالك، من خلال صبرك معهم، من خلال مسحك على جراحاتهم؛ من خلال رفعك لعزائمهم، من خلال مواساتك لهم، أناس جراحهم تنزف دماً، فقد أباه وفقد أمه، وفقد عمه، وابنته مشوهة، وأخوه مقطوع اليد، وأخته مشلولة الرجل، يحتاج لكلمة طيبة، ثم بعدها تقدم المساعدة، عندها يمكن أن يتقبل منك، وكما قلت لكم: نحن جئنا إن شاء الله ما جئنا إلا إرضاءً لله عز وجل كيف لا نطبق السنة؟ هذه جريمة، كيف نقول لك لا تطبق السنة؟! أحارب السنة؟ أعوذ بالله، هذه جريمة لا يكفرها شيء، لكن أنا أقول لك: هنالك أمور أعظم تنتظرك، فإذا انتظرت في تطبيق بعض الهيئات -هذه الهيئات- قد ينفع الله بك بأمور أعظم، أمور عقيدية، أمور الجهاد، ثم بعد ذلك إن شاء الله رب العالمين يعينك على تطبيق كل السنن، ليس على نفسك، بل على غيرك، بل على الجبهة، وقد يحيي الله بك جبهة تعدادها ألف مجاهد، قد يرد الله بك الروح، قد يقيم الله بك دولة الإسلام... خلاصة الأمر تحبون أن تأخذوا خلاصة التجربة أهلاً وسهلاً، لا تحب أنت حرّ كما تشاء... لا نستطيع أن نتعبك في ذلك، ولا نكون معك في هذه الطريقة فافعل ما تشاء -والله أعلم-.

وأقول قولي وأستغفر الله لي ولكم.

طبيعة العمل لهذا الدين (١)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا.

الحمد لله رب العالمين عزّ ونصر، عظيم يرينا آياته في كل حين، جبار..

(وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديرا) (فاطر: ٤٤)

حكيم..

(يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه) (يونس: ٣)

(وإليه يرجع الأمر كله) (هود: ١٢٣)

(بيده ملكوت كل شيء) أبى إلا أن يعز دينه، وينصر عبده، ويهزم الأحزاب وحده، كم حاول الكفار أن يطفئوا نوره ففشلوا ...

(يريدون أن يطفئوا نورالله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) (التوبة: ٣٢)

سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، كلنا عاجز إلا من أقدره الله عز وجل، وكلنا فقير إلا من أغناه الله، وكلنا ذليل إلا من أعزه الله، وكلنا مهزوم إلا من نصره الله، سبحانه لا يخذل عبده، ولا يخلف ظن عبده به، وهو كما قال: **(أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، ولئن أتاني ماشيا أتيته هرولة، وما تقرب إليّ عبدي شبراً إلا تقربت إليه ذراعا، ولئن أتاني ماشيا أتيته هرولة)** سبحانه كفى من يتوكل عليه، وهو حسيب من يكل الأمر إليه..

(ولله غيب السماوات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون) (هود: ١٢٣)

رب العزة سبحانه رأى الأمة الإسلامية تسير من ضياع إلى ضياع، ومن هزيمة إلى هزيمة ومن انهيار إلى انهيار، تسلط على الأمة الإسلامية بذنوبها أناس منها كانوا نقمة من الله عليها..

(ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) (الروم: ٤١)

سلط عليهم بذنوبهم أناساً لا يخشون الله ولا يرحمونهم..

(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) (الشورى: ٣٠)

والراعي أحد الرعية، فكلما ازداد فسقها أخرج الله من بينها فاسقا سلطه عليها، وكلما ازداد ظلمها لنفسها أخرج الله من بينهم ظالما يسلطه بظلمه وبطشه وجبروته وطغيانه عليها، والجزاء الرباني جزاء المثل بالمثل، هكذا علمتنا القوانين القرآنية، والسنن النبوية..

(فاذكروني أذكركم) (البقرة: ١٥٢)

(ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (الحشر: ١٩)

الجزاء من جنس العمل، وإذا صلحت الرعية ساق الله إليهم من بينهم رجلا صالحا يزيد من صلاحهم، ويرحمهم برحمة من الله عز وجل، وإذا زاد ظلمها أخرج الله لهم من بينهم جبارا طاغية لا يعرف الله و لا يعرف حقوقه.

الله عز وجل سبحانه وتعالى رحيم بعباده، يحب لهم الخير، يحب أن ينصرهم، لكنه يريد أناسا يسلمهم هذا الخير، ويسلمهم هذا النصر، أنت إذا جئت ووضعت بين يدي ابنك الذي تحبه كثيرا – ولكنه لا يعقل – وضعت بين يديه كمية من الذهب، بإمكان أي بائع

الحلوى أن يأخذ كمية الذهب التي بين يديه بقطعة حلوى.. لماذا؟ لأن ابنك قد أخذها بسهولة فيفرط بها بسهولة ولا يعرف قيمتها، ولو وضع الله عز وجل النصر بين يدي أمة دون أن تجاهد فإنها من السهل أن تفرط فيه..

ومن أخذ البلاد بغير حرب　　　يهون عليه تسليم البلاد

ومن هنا سنة الله عز وجل في الخلق أن لا يعطيهم النصر إلا بعد البأساء والضراء والزلزلة، وبعد المصائب والمحن، وبعد النكبات والضربات وبعد عمليات الإبادة والسحق التي تعمل فيهم، وتبقى مجموعة مؤمنة تحافظ على هذا الطريق، فينزل الله عليهم النصر ويمكنّ لها في الأرض، ويجعلها ستاراً لقدره، بدون هذا لا يمكن أن تنتصر أمة، -سنة من سنن الله عز وجل في الحياة-.

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) (البقرة: ٢١٤)

الطريقة الربانية لتربية النفس البشرية:

ولابد للناس الذين يريدون أن يعيدوا دين الله في الحياة من شيئين:

الشيء الأول: معرفة دين الله عز وجل.

والشيء الثاني: العمل بهذا الدين حتى يمكن لهم هذا الدين في الأرض.

ولذلك لابد أن نعرف ديننا أولا، ولابد أن نعمل بهذا الدين، والعمل لله عز وجل بدون علم ضار، والعلم بدون عمل أشد ضرراً، ولذا أخطر الناس على الإسلام نفسه العلماء؛ الذين لا يعملون، لأنهم يعرفون الثغرات وأماكن الخروج من هذا الدين، والتفلت من النصوص القرآنية والأحكام الشرعية، فيفتون الناس بالترخيص لأنهم هم يعيشون في حياة الرخص، يعيشون في حياة التساهل، لا يريدون أن يبذلوا لهذا الدين، فيؤولوا النصوص القرآنية كما يريدون، ومن هنا كان أكثر الناس الذين وقفوا حجر عثرة أمام هذا الدين يوم أن جاء علماء أهل الكتاب، لأنهم لا يريدون أن يعتنقوه، ويعلمون ظاهرا من الكتاب، وعندهم شيء من الكتاب..

(الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) (البقرة: ١٤٦)

ولذلك حاربوه عن معرفة، حاربوا هذا الدين عن معرفة، فكان الشعب من اليهود والنصارى إذا سمعوا شيئا من رسول الله ﷺ يذهبون إلى الرهبان والأحبار، يقولون لهم ما رأيكم؟ يقولون: لا، إن نبي آخر الزمان منا وليس منهم، فهم يصدقون رهبانهم وأحبارهم.

(يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله) (التوبة: ٣٤)

العلماء، أو ليس العلماء، الذين يحفظون المتون والنصوص والشروح والحواشي دون عمل، هؤلاء خطيرون على الإسلام، وسبب كبير في انحراف الناس عن الطريق، هؤلاء الذين يعلمون ولا يعملون، هم لا يعلمون، أعمى الله بصائرهم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم..

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين) (التوبة: ٤٦)

الله لا يحبهم ولذلك ما ألهمهم العمل بهذا الدين، فعلامة غضب الله وعدم التوفيق أن الإنسان الذي يعلم لا يعمل بما علم.

الناحية الأخرى الذين يريدون أن يعملوا لهذا الدين بدون علم كذلك قد يطعنونه وهم لا يعلمون، الذي يعبد الله على جهل هذا كذلك خطير، ولذلك قال سيدنا علي رضي الله عنه: «قصم ظهري رجلان، عالم فاجر وعابد جاهل» عالم فاجر يعني عالم لا يعمل، وعابد جاهل يعني عابد لا يعلم هذا الدين، فيعبد الله على جهل ومن هنا كانت طريقة بناء رب العالمين للنفس البشرية تربيتها تدريجيا، كالبناء طابق طابق، حجر فوق حجر ما إلى ذلك حتى تكتمل بناء النفس البشرية، والنفس البشرية ليست بين يوم وليلة تبنى، النفس البشرية تبنى بين يوم وليلة، تحتاج إلى فترة طويلة لبنائها، التدرج في البناء، تماما كالجسد، الإنسان يولد طوله مثلا نصف متر، يوم يصير عمره ٧ سنين، يوم يصير ٧٥ سم لما يصل العشرين يصل طوله ١٧٠-١٧٥ سم.

النفس البشرية كذلك بهذا الدين تتدرج فيه، ومن هنا رب العزة كان ينزل القرآن آية آيتين ثلاث، وطلب منهم العمل بها، كان أصحاب رسول الله ﷺ يأخذون الآية والآيتين والثلاث ولا يزيدون على العشر، ثم يذهبون ويعملون بها ثم يعودون ويتعلمون ويعملون، قال: فتعلمنا العلم والعمل بالقرآن معا- كما قال ابن مسعود - ومن هنا خطير جدا أن تعلم كثيرا من العلم وأنت مستواك العملي بسيط، الذي يستمع إليك ما شاء الله، الآية القرآنية كذا، والحديث كذا، الحديث الصحيح، الحديث الضعيف، العقيدة، التاريخ الإسلامي، الخلفاء، قال عمر، قال أبو بكر رضي الله عنهم أجمعين، لكن في العمل طوله عشر سنتمرات، وفي العلم طوله ثلاثة امتار لايوجد توازن، هذا مرض، زيادة العلم بدون عمل مرض كزيادة العمل بدون علم، هناك مرض في الطب يسمونه (هيدروكيفلس) رأس الواحد ينتفخ كثيرا بحيث جسده لا يحمله، أنا رأيت رأسه هكذا، وجسده بسيط، رقبته لا تحمل الرأس /لا تستطيع، هذا شكل كثير من الناس، يعلمون علما، يحفظون ليس علماً، يحفظون لكن رأسه مرمي هكذا، جسده أعضاؤه لا تحتمله ولابد أن يكون الرأس متناسبا مع الجسد، وإلا يكون مرضاً، إن نمو أي جزء من أجزاء الجسم وحده، لو كان الغذاء كله يصب في ناحية واحدة، مثلا يصب في الأنف، يصير أنفه هكذا أكبر من رأسه، فهذا تشويه، فدين الله عز وجل منهاج رباني لتربية النفس البشرية هكذا بالقطارة آية اثنتين، حديث اثنان، يذهبون يعملون وهكذا.

(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) (آل عمران: ٩٢)

يقول: إن أحب أموالي إلي بيرحاء، هي لله عز وجل فيها ألف نخلة، وبدون هذا سيصبح دين الله لهواً ولعبا لمن علمه..

(وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا) (الأنعام: ٧٠)

ومن هنا الذين يحفظون النصوص ولايعملون هولاء عبارة عن عكازة يتخذها الحكام لإضلال الشعوب، الفتاوى.. تعال يا شيخ إفت على التلفزيون أن تحديد النسل جائز، خلاص، يفتي، ويأتي بحديث ويأتي بآية، تعال يا شيخ إفت أن الجهاد الآن غير واجب، يأتي ويأتيك بأمثلة: (ألك أبوان ففيهما فجاهد) وجاهد في بزورتك (أولادك) يا بني، وخلاص.. نعم.. من السهل جدا جدا، هؤلاء الذين يحفظون المتون أن يؤتى بهم في كل وقت من أجل إضلال الشعوب، ولذلك قال عبدالله ابن المبارك رحمه الله :-

رأيت الذنوب تميت القلوب	*وقد يورث الذل إدمانها*
وترك الذنوب حياة القلوب	*وخير لنفسك عصيانها*
وهل أفسد الدين إلا الملوك	*وأحبار سوء ورهبانها*
لقد رتع القوم في جيفة	*يبين لذي اللب إنتانها*

نعم، ومن هنا حرص الطواغيت في كل حين أن يكون حولهم مجموعة من الذين يوقدون البخور، ويمسحون الجوخ والحرير، وظيفتهم إخراج الفتاوى التي تسكت الشعوب، بماذا؟ لقاء زيادة سنوية، أو وسام، إيش وسام يعني؟ وسام الشرف، وسام العلم إيش وسام العلم؟ مدالية العلم، الجائزة السنوية مدالية العلم، يعني حديدة مكتوب عليها جائزة العلم للشيخ الفلاني، نعم يبيع دين الله، ودين الناس، ويضيع الأمة من أجل ماذا؟ مدالية، هذا جونيجو كان يريد أن يحل القضية الأفغانية، ويرجع المهاجرين الأفغان ويطرد المجاهدين، ويغلق الحدود، كان يطمع في مدالية السلام العالمية، يأخذ قطعة ذهب مكتوب عليها جائزة السلام الدولية، قلت: لو جاء عندي أعطيه قطعتين! ولازم يأخذها من الكفار! أنا مسلم أعطيه قطعتين من الذهب! كان يريد أن يضيع شعبا وأعظم قضية في الأرض من أجل ماذا؟! من أجل قطعة ذهب مكتوب عليها مدالية السلام العالمية، ولذلك قال الله عز وجل:

(إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) (آل عمران: ٧٧)

لا نصيب لهم في الاخرة..

(ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم) (آل عمران: ٧٧)

(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) (البقرة: ١٥٩)

يكتمون البينات ويكتمون الهدى يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون..

{إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم} (البقرة: ١٦٠)

يقول الرسول ﷺ عند هذه الآية {أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون} (قال: أتدرون ما اللاعنون؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: دواب الأرض يصيبها الجدب بسبب علماء السوء، بقل المطر) أو كما قال ﷺ ، الحديث حسن رواه ابن ماجة، ولذلك يروي القرطبي عند هذه الآية: أن سليمان عليه السلام خرج يستسقي بالناس، فوجد نملة نائمة على ظهرها رافعا أرجلها إلى السماء تقول: اللهم لا تأخذنا بذنوب بني آدم، فقال سيدنا سليمان: إرجعوا فقد أمطرتم بدعاء غيركم، قال مجاهد: إن دواب الأرض تلعن الذين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، ويكتب عن الأوزاعي أثراً -لا أدري من أين جاء به- قال: شكت النواويس إلى الله عز وجل من نتن جثث الكفار -النواويس المقابر- اشتكت من رائحة جثث الكفار، الأرض لا تطيقهم، فأوحى الله لها: هل أنبئك بأنتن من هذه الجثث؟ قالت: بلى يا رب، قال: بطون علماء السوء، نعم ومن هنا لابد من العلم مع العمل، الطريقة الربانية لتربية النفس البشرية يأتون للرسول ﷺ الأعرابي: علمني يا محمد، يقول له: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، قال له: وغير ذلك، صلاة، صوم، زكاة، قال له غير ذلك، عدّ له الأركان الخمسة، قال: والله لا أزيد عليها ولا أنقص، خلاص... بس، قال: أفلح الأعرابي إن صدق، جلسة واحدة يعلمه الإسلام كله، يأخذ الأعرابي و يعطيه الإسلام، فالرسول ﷺ يعطي الإنسان على قدر ما يفهم يعلم الصحابة الذين حوله الآية والآيتين، الحديث والحديثين، ثم يتركهم لا يعطيهم دروساً أياما، كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة - يعني يتفقدنا بالموعظة مخافة السآمة علينا، فلا بد من العلم ولا بد من العمل

وعـــالـــم بعلمـــه لـــم يعملـــن ... معـــذب قبـــل عبـــاد الوثـــن

والذين يعبدون الله على جهل كذلك مصيبة، مثل بعض الصوفية تجده يقوم الليل حتى تذهب عليه صلاة الفجر، يصلي النافلة ويترك الفريضة، وهذا جهل، وذاك الرجل الذي من بني إسرائيل المتعبد، قام في الليل يتوضأ ليصلي فوطيء على فأر فوجد أنه قد مات، فندم ندما شديداً أنه قتل نفسا، فوضعه في كيس وعلقه في عنقه طويلا كفارة لنفسه التي قتلت هذه النفس، فيوم من الأيام عالم قال له: ما هذا الخيط الذي في رقبتك؟ قال له القصة كذا وكذا، قال له: صلاتك منذ أن وضعته في عنقك باطلة لأنك تحمل ميتة، نجاسة فلابد من العلم مع العمل، ولابد من العمل مع العلم.

ومن هنا طريق تربية الدعوات للشباب طريقة ناجحة جداً، وهي إعطاؤه كمية قليلة من العلم كل أسبوع، ثم يسألونه : هل عملت يسألون في هذا الأسبوع، في الثاني، وهكذا وهكذا تنمو نفسه تدريجيا، وكلما ارتفعت نفسه يكلفونه بتكاليف أكبر حتى إذا نضجت روحه ونفسه يقولون له : الآن جاء الجهاد، تحب أن تجاهد؟ لابد لك أن تجاهد، الطريق مفتوح تفضل إحمل حسامك، وامتشق سلاحك وامض.

هذه الطريقة هي الطريقة الربانية لتربية النفس البشرية.

فقه الدعوة:

فالشاب يعيش في جاهلية ويرجع إلى الله عز وجل بسبب حادث من الحوادث، انقلبت به السيارة ونجاه الله، أمه ماتت فتاب، الله عز وجل أراه رؤيا في منامه، المهم رجع إلى الله عز وجل، يقرأ عن أبي بكر رضي الله عنه كان يفعل كذا، ينظر هذا يكذب أحيانا وهذا جرب عليه سرقة، وهذا، يريد أن يبيد الناس كلهم، المسلمين الذين حوله لماذا؟ لأنهم ليسوا مثل أبي بكر لايوجد إلا أبي بكر واحد من كل أصحاب النبي ﷺ، أنت تريد أن كل الناس يكونوا مثل أبي بكر؟ لن يكونوا مثل أبي بكر، أفضل الناس بعد الرسول هو أبو بكر رضي الله عنه، الصحابة أنفسهم قالوا: كنا لا نعدل بأبي بكر أحدا ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم ندع سائر الصحابة لا نفاضل بينهم، أما أنت من أول يوم تريد من البشر كلهم أن يصبحوا مثل زهد عمر، لا يوجد مثل زهد عمر، واحد ممكن.. خمسة.. عشرة في الأمة، أما كلهم مثل زهد عمر ليس معقول، تريد كلهم مثل سخاء عثمان، لا... مجموعة قليلة جدا من الناس، كلهم مثل تقشف عليّ وشجاعته؟ لا كلهم مثل حزم أبي بكر؟ لا، لكن قليلا قليلا..

{كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا} (النساء: ٩٤)

أمس كنت تفحط بالسيارة في الشوارع، وتلاحق البنات، أولا؟ هكذا كنت، فأنت كما رحمك الله عز وجل ورجعت، الله قد يرحم هذا ويتوب عن المعاصي، هذا الشاب الذي يريد أن يضرب هذا، ويؤدب هذا، ويستغيب هذا، ويسب هذا.. لماذا؟ من الحرقة التي في قلبه على الإسلام، راجع إلى الله عز وجل يغلي، لكن لو كان عنده علم ما فعل هذا كله... ما فعل هذا، لانزوى في زاوية من بيته قال : اللهم

اغفر لأخي فلان وتب عليه واهده كما هديتني، لو كان يعلم العلم الشرعي لا يأتي أمام الناس يستغيبه، يأتي إليه بينه وبينه يقول له: والله يا أخي أنا كنت عاصيا فاسقا فاجراً، والله عز وجل منّ عليّ، وأنا رأيت منك انحرافا، أو هفوة صغيرة أو كبيرة في القضية الفلانية،وأنا أحببت أن ألفت نظرك إليها لأني أحبك حتى لا تعذب عليها يوم القيامة، هذا أفضل من أن تأتي أمام الناس تقول: إن فلانا هذا فاسق، وهذا كذا وهذا كذا، هذه طريقة الجهلة، ولو فعلها رسول الله ﷺ ما أسلم عمر ولا أسلم غيره، كان قال: اقتلوا عمر ونستريح – يوم أن كان يقاومه، لكن مع أنهم كانوا يعادونه ويؤذونه ويعذبونه كلما اشتد عليه الإيذاء يرفع يديه: **(اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)**.

إذن لابد أن يعلم الداعية هذا الدين، وطريقة العمل بهذا الدين،كما هو يعمل يجب أن يعلم، وإذا كان لا يعلم يجب أن يسأل الذين يعلمون، لكن هو لا أحد يعجبه في الدنيا أبدا، خلاص، حفظ نصف القرآن، وحافظ للأربعين النووية وخمسمائة حديث، خلاص هو وصل القمة، تقول له اسأل فلانا الشيخ، الشيخ الفلاني هذا فاجر، الشيخ الفلاني فاسق، وهذا الشيخ الفلاني هذا من عبدة الطاغوت.. وهذا!! طيب من في الدنيا..؟! لا يوجد غيرك؟! أمس كنت تفحط في الشوارع، قبل سنة كنت هكذا ضائعا فهذا لايمكن أن يتعلم – قم أذن لهم يا أخي، أين المؤذن؟ لا نترك الأذان، هم قاموا إليه، قلت لهم: الأذان للصلاة، فلا بأس أن يؤذن، في بعض العلماء يقولون: الأذان للوقت، وبعض العلماء يقولون: الأذان للصلاة، فأذن للوقت؛ حتى يفطر الصائمون –.

النفوس العظيمة:

والنفوس كلما كبرت كلما اتسعت للنفوس الصغيرة، وكلما تربت على هذا الدين كلما ازدادت رأفتها ببقية المسلمين، وقد ضربت لكم مثلا؛ الرسول ﷺ تسأله السيدة عائشة: يا رسول الله هل مر عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: عرضت نفسي على أبناء عبد يا ليل فردوني أو صدوني، فطفقت هائما على وجهي حتى وصلت قرن الثعالب، قال: وإذا بجبريل يناديني: يا محمد، هذا ملك الجبال قد أنزله الله ليفعل ما تأمره، فناداه ملك الجبال: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين أطبقت – الجبل الأحمر وجبل أبي قبيس –على أهل مكة، أطحنهم طحنا – فرفع يديه، قال: **(إني لآمل أن يخرج الله من أصلابهم من يحمل هذا الدين)**، النفوس كلما ارتفعت كلما اتسعت، أحمد بن حنبل كان المأمون والمعتصم يعذبونه بسبب عدم قوله بخلق القرآن، كان يدعو لأمير المؤمنين يدعو له، نقارن بين موقفين، عبدالناصر أعدم محمد فرغلي وعبدالقادر عودة، عبد القادر عودة أستاذ التشريع الجنائي في الإسلام، ومحمد فرغلي الذي كان يقود جهاد الحركة الإسلامية في فلسطين، وفي قناة السويس، محمد فرغلي هذا كان إذا دخل الإسماعيلية – البلدة التي فيها المعسكرات الإنجليزية – الإنجليز يعلنون الطوارئ، يقولون: دخل الفرغلي، معنى ذلك أن الليلة هناك عملية، عند الإعدام دعي محمد فرغلي بعد التعذيب الشديد، طبعا وجريمته إنه قاتل في فلسطين ضد اليهود وقاتل في قناة السويس ضد الإنجليز، عبد القادر عودة عندما أعدم، هما الإثنين في وقت واحد، واحد بعد الآخر، عبد القادر عودة قال: سيكون دمي لعنة على رجال الثورة، وأما محمد فرغلي فقال: اللهم اغفر لي ولجميع من أساء إليّ، يعني ارتفاع النفس البشرية إلى درجة أن تتجرد من ذاتها نفسها، يعني هذه قمة عجيبة في التربية أن ترتفع النفس، ترتفع، طبعا من كل من أساء إليه من المسلمين في نظره، اللهم اغفر لي ولجميع من أساءوا إليّ.

– الحقيقة – المدخل الذي استفضنا فيه كنت أريد أن يكون مقدمة بسيطة للجهاد في أفغانستان.

كيف تفجر الجهاد؟

عندما قام الجهاد أيام داود ضد داود، الذي فجر الجهاد شاب من أبناء الحركة الإسلامية عمره خمسة وعشرون عاما اسمه حكمتيار، خمس وعشرون سنة! وقرر أن يواجه داود بهيله وهيلمانه، وسلطانه وصولجانه، قرر مع مجموعة من الشباب في بيشاور لا يصلون الثلاثين، ومعروف محمد داود صاحب القبضة الحديدية في أفغانستان، أفغانستان ترتجف، فشاب من أبناء الحركة الله عز وجل غرس التوكل في قلبه فأعلن الجهاد عليه، وصار يرسل هؤلاء الشباب مجموعات إلى داخل أفغانستان، ويهجمون على مراكز داود، ومعظمهم أمسك أو قتل، كانت محاولات بسيطة بدائية ساذجة، لكن الله بارك فيها فعندما دخلوا بنجشير، أحمد شاه مسعود هذا أرسله حكمتيار إلى بنجشير، وهوالوحيد من أبناء الحركة الإسلامية الذي كان يعرف على آر. بي. جي، وتسلل أحمد شاه مسعود إلى رخا مركز بنجشير وضرب دبابة لداوود، وأحرق الدبابة التي في مركز بنجشير، واستولى على بنجشير ٢٤ ساعه، حكم بنجشير ثلاثة أربعة... ثم جاءت دبابات الدولة وجيشها واحتلتها، المهم شابان معه جرحا، فزحفا حتى جانب النهر وجلسا بجانب النهر، كان العلماء قد أفتوا في التلفزيون على أن هؤلاء بغاة، وخارجون على الحكم – ما قلنا بصحن رز عليه قطعة لحمه يفتي بذبحهم!! – فجاء راع، فوجد

اثنين جريحين، واحد أستاذ في كلية الهندسة، والثاني طالب في الجامعة أظن، دماؤهم تنزف، قال: ما شأنكما، قالوا: نحن الذين نقاو مذا الحاكم الطاغية، الظالم المجرم، هذا داوود، ماذا تريدون؟ قالوا: نحن عطشون نريد أن نشرب، لا يستطيعون طبعاً أن يقتربوا من النهر، فقال لهم الراعي انتظروا حتى أحضرلكما ماء، فاحضر لهم حجراً كبيراً ورمى على رأس الأول وقتله، وعلى الثاني وقتله لأنهم بغاة خارجون على الحكم، على حكم امير المؤمنين! وذهب لشيخ المسجد وبشره، قال له أنا قتلت اثنين من المفسدين، قال من هم هؤلاء المفسدون؟ قال هؤلاء الذين ظهروا في بنجشير وأحرقوا الدبابة، وجرحوا بعض الناس، وقتلوا بعض الناس، فشيخ المسجد، قال له: هؤلاء أولياء الله، فأنت قتلت وليين من أولياء الله، إذهب وكفّر عن سيئاتك، أغرب عن وجهي! فجن الراعي وانتهى إلى هذه الحالة.

رأيتم؟ هذا الراعي يريد أن يطيع الله فقتل اثنين وجاء يبشر إمام المسجد، كل ذلك اعتماداً على فتوى الشيخ على التلفزيون أو في الراديو أن هؤلاء بغاة خارجون على الحكم!! المشايخ حفظة النصوص والحواشي والمتون، ما بدأوا هذا الجهاد، الذي بدأه شباب في الحركه الاسلاميه يعلمون عن الدين قليلاً ويعملون بما علموا، تربوا يوما بعد يوم، وأسبوع بعد أسبوع وأخذوا أن الظلم يجب أن يقاوم، و الذي يحكم بغير ما أنزل الله يجب أن يقاوم، فوقفوا وقاوموا، والذي فجر الجهاد شاب لا يحفظ المتون ولا النصوص ولا الشروح، ولكنه تربى سنتين.. ثلاث في داخل الدعوة الاسلاميه نموا تدريجياً نماء، ولولا الله ثم هذا الشاب حكمتيار من خلال ما أعتقد بينه وبين رب العالمين، أفغانستان الآن عبارة عن ولايه من ولايات الإتحاد السوفياتي مثل بخارى.

فلا بد من التربيه على هذا الدين والنمو التدريجي والعمل مع هذا، كان يعرف مقاومه الظلم -حكمتيار- يدخل على ساحة الجامعة يرى الشيوعيين يختصم هو وإياهم، يتقاتلون، هذا يحمل حجر و هذا يحمل حجر، هذا يحمل عصاه وهذا يحمل عصاه، هكذا أبناء الحركة الإسلامية مع الشيوعيين في داخل الجامعة، يرونهم يفتحون المطعم، في رمضان، يهجمون على المطعم يكسرون، تجمعهم الجامعه، تفصل احمد شاه، تفصل سيافا هكذا، هذا أحمد شاه رئيس الحكومة فصل في السنة الاخيرة من الجامعة، وصارت ضغوط كثيرة من المسلمين حتى رجع إلى الجامعة، سياف أصدروا قراراً من رئاسة الدولة حتى لا يعين في كلية الشريعة معيداً، لأنه الأول والأول في الكلية دائما يكون معيدا، فأصدروا قرار يجب على كل خريج من الجامعة أن يجند تجنيداً إجبارياً حتى يبعدوه عن دخول الجامعه

لا تحسب المجـد تمـراً أنت آكلـــه   *لن تبلـغ المجـد حتى تلعق الصبرا*

والذين يتكلمون الآن على حكمتيار وعلى سياف وعلى خالص وعلى رباني يظنون أن هؤلاء شباباً جاءوا من الشارع، بليلة واحدة صاروا قادة، هؤلاء قادة العمل الإسلامي منذسنة ١٩٦٧ إلى اليوم، يعني قائد الحركة الاسلاميه كان رباني، مساعده سياف، المسؤ العسكري حكمتيار، يونس خالص من أبناء الحركة، فلا تظنو أن هؤلاء جاءوا من الشارع وصاروا بقرار من أمريكا أو من أوربا أو من غيرها، هذا قائد للإتحاد وهذا قائد للحزب الاسلامي، لقد بنى تنظيمه من نور عينيه، ومن أعصابه، ونسج نسيج الحزب أو الجمع بلحمه ودمه وأعصابه.

فالله عز وجل بارك بالعمل، بدأت التربية، اصطدموا مع داوود، ثم قام انقلاب شيوعي، أفتى العلماء أن هذا كافر يجب قتاله الشعب أطاع فتوى العلماء، قامت هذه البلدة وراء شيخها، وهذه البلده وراء عمدتها، نظروا في الساحة فلم يجدوا سوى رباني وحكمتيار فإما أن ينضموا وراء حكمتيار، وإما أن ينضموا وراء رباني، ولذلك صار العمل بهذا الشكل، والله عز وجل كتب لهم النصر على أكبر دولة في الأرض، أكبر طاغوت في القرن العشرين هو طاغوت روسيا، والله عزوجل أثخنه بالجراح، وحطم كبرياءه ومرغ كرامته بالاوحا على يد شباب، كلهم شباب ليسوا من حفظة المتون والحواشي والنصوص وغيرها، ولقد كان هذا الجهاد نعمة من الله عز وجل على الشعب الأفغاني، لماذا نعمة؟ لأنه غير القيادات، جاء وأمسك المجتمع هذا كله وقلبه -الجهاد-، فأبرز هؤلاء الشباب المغمورين في الجامعة، لا دكاترة في الجامعة، ولا أساتذة معروفين أصبحوا قادة الأمة، والله عز وجل بقدره ساق هؤلاء بفكرهم الواضح وعقيدتهم الصحيحه النيرة والذين وراءهم بدأت تتغير نظرتهم للعقيده وللتوكل على الله وما إلى ذلك، بينما كانت القيادة من قبل لشيوخ الطر الصوفيه ولغيرهم، الآن هؤلاء لا يؤمنون بالخرافة، لا يؤمنون بالصوفية المخرفة والمبتدعة، فانقلبت الموازين، اتضحت العقيدة، ظهر قيادات جديدة، هي دفعت ثمن حمل الرايه، والله عز وجل كتب أن تبقى هذه القيادات حية حتى اليوم، حتى تحافظ على ثمار الجهاد والله عزوجل وهوالعليم الحكيم أبقاهم أحياء حتى يتمتع هذا الشعب بثمار النصر المبارك الإسلامي، وحتى -إن شاء الله- تقوم على أيديهم حكومة الإسلام.

الأصولية والرعب العالمي:

إن الضغوط التي رأيتها ولمستها واطلعت عليها من كل الدنيا بأسرها عليهم، لو وضعت على الجبال قد تلين، ولكن ما لانت لم

قناة، وما ذل الاباء بهم وما بهم احتفى الفشل، صدقوا يا اخوان، في الأيام الأخيرة التي شكلت فيها الحكومة منذ أسبوعين كل العالم، يريد أن لا تنجح، كل الدنيا لاتريد أن يقرب الأصوليون من الحكم، الدنيا كلها لا تريد هذا، حكمتيار، الصحف الأمريكية والغربية منذ أشهر، هي ترسم وتكتب (ايكستريم فاند منت لست) يعني الأصولي المتشدد، أصولي يعني معناها متطرف، وسبحان الله، ألهمهم أن يسمونا أصوليين، يعني سلفيين، أصوليين! يعني راجعين للكتاب والسنة، من أهل السنة والجماعة يعني أهل الكتاب والسنة أهل الأصول، وحكمتيار وسياف وخالص ورباني، هؤلاء (فاندمندلست) أصوليون، يعني أهل السنة والجماعة، يعني يريدون أن يرجعوا إلى القرآن والسنة، الله عز وجل حتى على ألسنة الكفار يلهمهم أسماء طيبة لنا، وهم يريدون أن يذمونا بهذا الإسم، فنحن أصوليون كلنا والحمدلله، كلنا أصوليون، استطاعوا أن يصلوا إلى قرار؛ أن يكون محمد نبي رئيساً للدولة، وأحمد شاه رئيساً للوزراء وعقد سياف مؤتمراً صحفياً وقال : غداً تطرح حكومه احمد شاه للثقه على مجلس الشورى ورئيس الدولة هو محمد نبي، سمع العالم بهذا النبأ فصعق كأنما حصل طوفان وزلازل في داخل الأرض كلها، براكين كأنها قامت في كل الأرض، طيارات تحركت، تليفونات، فاكسات ما إلى ذلك، أمريكا، الصين، إيران إلى آخره، قالوا لا نرضى عن هذا، لماذا؟ لا نقبل أحمد شاه رئيس الوزراء لأنه من أهل السنة والجماعة -أصولي- فجمعوا، جمعوا أصدقاءهم قالوا لهم اجتمعتم؟ قالوا : اجتمعنا قالوا كيف اتفقتم؟ قالوا: الله وفقنا، أنت راض؟ قال: أنا راض، وأنت راض؟ قال: أنا راض، حتى أنتم يا معتدلون (مدريت) أنتم تقبلون؟ قالوا: قبلنا، أنت يا جيلاني قابل؟ قال: أنا موافق، أنت يا مجددي قال نزولا على رغبة الجماعة أنا موافق، دلو حتى المعتدلين "المدريت" قالوا: لكن أمريكا وإيران والصين والعالم كله غير راض، وأنتم بحاجه إلى أن يعترف بكم العالم، فقال لهم سياف أمريكا غير راضيه؟ قالوا: نعم، قال: هذه الحكومة لأفغانستان ليست لأمريكا، أنتم تظنون أن هذه الحكومة ستحكم أمريكا؟ لا هذه لأفغانستان هكذا نحن، قالوا: لكن أنتم تريدون أن يعترف بكم العالم، قالوا: لا نريد أن يعترف بنا العالم، رفع حكمتيار يده قال له: نعم، قال له: نريد أن نعرف ماذا تريد أمريكا حتى نتصرف بناءاً على رأي أمريكا؟ نرضيها؟ قالوا: أمريكا تريد ان يكون رئيس الدولة من القادة السبعة، ورئيس الوزراء من القادة السبعة، قال هذا محمد نبي رئيس دولة من القاده السبعة وانتم تريدون رئيس وزراء من القادة السبعة انا ارشح لكم سيافاً، يعني كانوا بشوكه جاءهم مسمار كبير فبهت الذي ظلم نفسه قال: ها ها مثل الذي يسأله منكر ونكير، قال له نعم هذا رئيس الوزراء ..

[1].. طيب، من هنا ضغوط، حاولوا أن يضغطوا على هذا، ويسحبوا هذا، المهم يريدون أن يمزقوهم قبل اجتماع اليوم الثاني، وأخذ الثقة للوزارة.

انظروا يا إخوة حال المسلمين! الشيء عندما لا يوافق أهواء أمريكا، ليس له وجود شرعي ولا قانوني في الأرض، وإذا كان على أهواء أمريكا وبرغبتها ورأيها، فهو الشيء الشرعي والقانوني والأصولي وكل شيء.

انظروا دولة أحمد شاه؛ ستة أشهر وهي معلنة، لم تعترف بها دولة في الأرض، تحكم ٩٠٪ من أراضي أفغانستان، منتصرة في المعركة على أكبر طاغوت في الأرض، تنظر من عل من موقف مشرف ومرتفع رائع، مع ذلك ما اعترفت بها لا دولة عربية ولا دولة كافرة، ولا دولة إسلامية، ولا دولة في الأرض، ولا دولة من دول الشعوب المسلمة، أم اعترفوا فيها بإذاعاتهم؟ أنا ما سمعت أبدا حتى الآن، بينما الحكومة الفلسطينية مولودة في تونس، فقط.. جنين أجهضته أمه، ثم أنزلته ميتا، من غير بلاده، ليس له أرض، ليس بيده سلاح، ليس منتصرا في أي بقعة، لا يسيطر على شبر من الأرض، في مدة ثلاثة أو أربعة أيام ستة وأربعون دولة اعترفت بها اعترفوا، أمريكا من اليوم الأول اعترفت بها، اعترفوا لماذا؟ لأنهم لا يريدون (Fundimintalist) الأصوليين، لا يريدون أهل السنة والجماعة أن يصلوا إلى الحكم، يريدون (الموديريت) الذين دينهم مطاط حسب المطاط المطاط، يفتون حسب الأهواء الأمريكية، طنجرة فتاوى جاهزة على جنبه، كلما طلبت منه أمريكا أن يفتي، يفتي؛ الصلح مع إسرائيل جائز! قال الله عز وجل:

(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله).. (الأنفال: ٦١)

الحرب العراقية الإيرانية، إذا كان عراقيا، إذا كان عالما عراقيا، الحرب العراقية الإيرانية، لابد أن يقف ويفتي بكفر الخميني، وبكفر الشيعة، ويكفر ويكفر،... أما بعد أن اصطلحوا ما سمعنا واحداً يتكلم عن الخميني، ولا عن الشيعة، انقطعت.. بطلوا يصيروا لا أصوليين، ولا عقيدة صحيحة، ولا شيعي، هل هناك أحد يتكلم عن الشيعة في الجزيرة.. في العراق.. في اليمن؟ خلاص، هكذا الفتاوى جاهزة.. مفهوم؟ أثناء الحرب، الخميني كافر، إذا انتهت الحرب، خلاص؛ الخميني من المؤمنين، نعم أسلم، أسلم في الليل!

والله، مرة علماء في مؤتمر – وأنا كنت في المؤتمر – وتعرفون أن أكثر الناس مجاهرة بعدائهم للإسلام، وتصرفاتهم واضحة في

---

(١) طبيعة العمل لهذا الدين «٢»

حربهم على الإسلام، القذافي وحافظ الأسد، فالخطباء دائما يتكلمون عن كفر حافظ الأسد، عن القذافي أو عن فسقهم، أو ع انحرافاتهم، فجاء المسؤولون عن المؤتمر، وقرأوا علينا قائمة المحرمات، قائمة المحرمات: لا تتدخل في السياسة، أن لا تتكلم عن الحكا، أن لا تتكلم بالذات عن القذافي وحافظ الأسد، مفهوم؟ لأنهم معروفون للناس، طيب، انتهى، خلاص! ونحن في المؤتمر نفسه القذاف عمل عملا ضد الدولة التي نحن فيها، ضد الدولة التي المؤتمر منعقد فيها، وإذا بمشايخ الدولة نفسها قد كتبوا لائحة طويلة: الأسباب ف تكفير القذافي؛ أنه محارب للسنة، ومن جحد السنة فقد كفر، و... و... إلى آخره، وجاءوا إلى علماء المؤتمر، قالوا: وقعوا، قالوا: ! نحن مكتوب عندنا: ممنوع التدخل في السياسة، وممنوع التكلم عن الحكام، خاصة القذافي، هكذا أنتم قلتم لنا.

نعم حسب أهواء المسؤولين، نعم، وفي طبقة (المطبلين والمزمرين) من حفظة الحواشي والمتون، ومن لعقة الطناجر والصحون، هؤ الذين لا يعيشون إلا على لعق صحون الطواغيت، جاهزون لكل فتوى، تخالف هوى المسؤول، يكفر الجماعة كلها، إذا كان المسؤول غ راض عنهم.

فالله عز وجل جعل هؤلاء الشباب شوكة في حلق أمريكا والغرب، والكفر كله، شوكة، وخططوا لاغتيالهم ما استطاعوا، ضي الحق قبل أن يقتل - رحمه الله - قال لهم: الخطة الآن التصفية الجسدية لي و لكم، ولا أدري من السابق إلى الله، قال لقادة الجها وحدثني مستشار ضياء الحق، قال لي: قبل أن يقتل ضياء الحق بشهرين أو ثلاثة، قال لي ضياء : إن الأمريكان قد وقعوا أوراق قتلم ولكنني لا أستطيع أن أعيش ذليلا بقية عمري!!.

لما طرد جونيجو هذا الذي يبحث عن الحديدة المكتوب عليها السلام العالمي، جونيجو أو(جن إيجو)!! ميدالية..!! هذا طرده، و مجلس الشورى، وقال: أنا حللت مجلس الشورى، وطردت الوزارة لقضيتين: القضية الأولى: حتى أبقى مع المجاهدين الأفغان، حت أعيدهم إلى بلادهم أعزة كراما منتصرين، ثانيا: حتى أحكم بالإسلام، ولو كلفني روحي وأولادي وأهلي وعرشي، جاءه رجل عاقل ، وزارته، وزير الداخلية، اسمه ختك، قال له: سيقتلك الغرب والأمريكان، قال: يا ختك إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء ولي في الأرض.

أقول: هؤلاء الشباب كم خططوا لقتلهم؟ كم وضعوا متفجرات بجانب مكاتبهم، سيارة.. عرفوا من أين يمر حكمتيار، ملأوا سيا بالمتفجرات، ولا يفجرونها إلا إذا مرت سيارته، على الريموت كنترول، على الأرقام، جلس هذا الشيوعي أو القومي الباكستاني، الأفغاني، هنا في بيشاور، وضعوا سيارة خربانة ملأوها بالمتفجرات، لما مرت سيارة حكمتيار - هو عادة سيارة الحرس قبله، ثم بعدها، في ذلك اليوم، سيارته هي الأولى، وسيارة الحرس هي الثانية - لما مرت السيارة الأولى تركوها، مرت السيارة الثانية، ضغط على الزر، تفجرت سيارة المتفجرات، في نفس الوقت الذي ضغطوا فيه على الزر جاء أتوبيس باكستاني دخل بين سيارة حر حكمتيار وبين سيارة المتفجرات، فقتل سبعة عشر باكستانيا، ونجا حكمتيار.

فهم يحاولون قتلهم، حكمتيار ساكن بجانبنا، يوماً فقدته فقلت له: مالك؟ قال: والله جاءني تحذير من المخابرات: بيتك سينفج فغيرته، ذهب مسكين بحث، بحث، سكن في حيات آباد، الخطر أكثر، والطريق أكثر خطرا، نحن أخذنا بيته وعملناه مكاتب وما إلى ذا بعد شهر ونصف رجع و قال: أنا أريد البيت، مابك؟ قال:والله أنا ما وجدت بيتا آمنا أكثر من هذا البيت، فقلنا له: خذ البيت بما فيه.

فالمهم.. حاولوا يذبحونهم حتى لا يحكم الإسلام، يا جماعة، الإسلام غول (بعبع) كل العالم يخافه.. يا سلام! خاصة الأمريك يرتجفون، أرأيتم الولد الصغير، الولد الصغير الذي في السرير؟ إذالم ينم؟ أمه تقول له: نم وإلا يأتيك الغول، يأتيك (البعبع) ينام، يخ الأمريكان كذلك، قل له: الشيوعية لا يخمد، هزه ينام، قل له: جاءك حكمتيار خلاص يغط في النوم، نعم، أو سياف.

وأخيراً شكلت الحكومة:

جاء جلال الدين حقاني إلى القادة، بعد ما مزقوهم حتى يخرجوا بحل، كل حزب اختار عشرة، صاروا سبعين، اختاروا ج الدين حقاني - القائد المعروف، تعرفون جلال الدين؟ - قالوا له: أنت أميرنا، إذهب تكلم مع هؤلاء القادة، قرع عليهم الباب، من بالبا أدخل، (Fandimintalist) تفضل، الشيخ جلال الدين، قالوا له: ما بك؟ القادة السبعة مجتمعين وحدهم، قال: أنا ، سبعين واحدا من مجلس الشورى المختار من الأربع مائة وخمس وخمسين، إما أن تحلوا الآن قضيتنا أو نحلها نحن، إن كنتم عاج قولوا لنا نحن نحلها؟ وقف سياف قال: أنا عاجز عن حلها، وأنا أوقع لك، على أي حل ترتضيه، أنا باصم عليه، حكمتيار قال: عاجز وأنا أوقع لك، السبعة قالوا: نوقع لك، قال: خلاص، خرج إليهم، قال: وكلونا بالحل، قال: اكتبوا، وقعوا، وقعوا، ذهب إلى مج الشورى، قال: وكلونا بالقضية، قال: لكن نحن سبعين، كل حزب ستون نفرا يختار اثنين، اختاروا من كل حزب اثنين، فصاروا أر

عشر نفرا، أخذ الثلاثة عشر وهو الرابع عشر، وذهب، واختفى في بيت من البيوت، ومنع أي واحد أن يتصل بهم بالتلفون، أو يعرف أين مكانهم، لم يذهب إلى فندق، لم يذهب إلى مكان معروف جاء واحد من الجنرالات الكبار دق عليهم الباب، من أصدقائهم، خرج إليه محمد ياسر – مساعد سياف – قال: ما بالك؟ قال: والله إن سمحتم أن أشارككم بالرأي، قال: لا نسمح لأحد أن يدخل علينا، مع السلامة، إرجع، أرجعه، أغلقوا عليهم الباب ثلاثة أيام، خرجوا بحل: هذا الحل: أنه يجري إنتخابات، الأول يأخذ رئاسة الدولة، يصبح رئيسا للدولة مع وزير للصحة، الثاني رئيس الوزراء مع وزارة البرق والبريد والإتصالات، الثالث وزارة الدفاع ووزارة المالية وكذا، الرابع وزارة الخارجية والحدود وكذا، إلى آخره، رؤساء الأحزاب السبعة قالوا – عندما اجتمعنا مع الأربعة عشر-: إلى أين وصلتم؟ قالوا: لا نتكلم إلا أمام مجلس الشورى، دخلوا مجلس الشورى ، دخلوا، أغلقوا الأبواب، الصندوق حاضر كبير، وضعوا الصندوق، قال: اتفقنا على كذا وكذا وكذا، تعال يا مجددي موافق؟ قال له: نعم، قال له: صوِّت أمامنا، صوّت، ضع الورقة، واخرج، سياف، رباني، خالص، السبعة صوّتوا وخرجوا، واحد واحد صوتوا وخرجوا، وفرزوا الأصوات.

من نعمة الله عز وجل، الله عزوجل اختار أن يكون مجددي هو أكثر الأصوات، والثاني هو سياف، رئيس الدولة مجددي، ورئيس الوزراء سياف، وإذا بمحطة من المحطات الدول العربية، ساعة كاملة تعلق على النتائج بعد خروجها بقليل: إن مجددي رجل معتدل، وأما سياف فهو أصولي متطرف متشدد، أما محطة لندن قالت: كان أحمد شاه أصوليا، فجاءهم أصولي أكثر تشددا من أحمد شاه، بعض الدول قالت لهم: -وأنا أعرف- أخرجوا برأي ونحن نعترف، أعلن مجددي – بنجاح مجددي وسياف، الله حل كثيرا من المشاكل، حل مشكلة أصولي ومعتدل، حل مشكلة مولوي وحركي، حل مشكلة وهابي وصوفي أو غير وهابي، لأن الشيخ سياف وهابي أصولي حركي متشدد إلخ.. مقابلها هذه الأسماء التي يسمون المسلمون بها، فحلت كثير من المشاكل، وحلت مشكلة الشمال والجنوب، مجددي من الشمال من الطاجك، سياف بشتوني من الجنوب، فحلت كثير من المشاكل بهذا، مجددي قد لا تمتعض منه الدول الغربية، ولا تحقد عليه، ولا تخاف إذا قالوا لها: نامي ومجددي عندك، وذاك تخاف منه -الشيخ سياف- فحلت كثير من المشاكل، سياف صمام أمان في داخل أفغانستان؛ لأنه رئيس وزراء يسير البلد، ورب العالمين أعطى وزارة الخارجية لحكمتيار، فالخارج بيد واحد صمام أمان، والداخل بيد سياف صمام أمان، ووزارة الداخلية بيد يونس خالص، فمن كل الجهات حبكت سبحان الله، وأكثر شيء كنا نطمع فيه: أن يكون رئيس الوزراء أحمد شاه، ورئيس الدولة محمد بني أو أحد هؤلاء الثلاثة، فخرج سياف الذي لحيته إلى نصف صدره، وهابي، ومتشدد، وحركي، وما إلى ذلك، وصار رئيس الوزراء بالتصويت، وبالثقة، وبينه وبين مجددي صوت واحد، سبحان الله! ، كان سياف يأخذ الأول، هو دائما في الإنتخابات من السبعة يأخذ الأول، ما أحد سبقه بالإنتخابات من السبعة سابقاً، إلا هذه المرة بصوت واحد، مجددي ١٧٤ سياف ١٧٣، لعل الدول الغربية تنظر إلى لين مجددي، ويخفف من التركيز على سياف وشدته في نظرهم، يمكن أن يعترفوا بهم، ومع هذا كله حتى الآن لم يعترف بهم أحد في الأرض، لماذا يا أمريكان؟ أنتم تقولون أن كابل ستسقط وستسقط إن شاء الله خلال شهرين بإذن الله، عيد الفطر في كابل نحن وإياكم، إن شاء الله، إن شاء الله فتح كابل بإذن الله بنهاية رمضان [1] لماذا لا يعترفون بهم؟ مائة دولة تعترف بالدولة الفلسطينية، لماذا؟ أين الدولة الفلسطينية؟ في الهواء، أين هي؟ في المحيط الهادي؟!! أو في المحيط الأطلسي؟!! كراسيهم وعروشهم ليس لها أرض تقف عليها، أنظروا المسرحية الأمريكية: أمريكا اعترفت من أول يوم بالدولة الفلسطينية، بعد ذلك كان واحد من شياطين اليهود قال: أنتم مجانين أسرعتم بهذه السرعة، واعترفتم بالدولة الفلسطينية حتى تكشف اللعبة، قالوا: طيب، سنكفر عن سيئاتنا، هذا ياسر عرفات أراد أن يدخل أمريكا، أمريكا قالت: لا نعطيه فيزا، اعترفت به ولا يريدون أن يعطوه فيزا، وصارت لعبة، شد واخذ، وما إلى ذلك، وبالتالي ما أعطوه، اليهود يلعبون بعقول البشرية.. مثل كتاب سلمان رشدي، منذ أربعين سنة تقريبا ما يمر اسبوع إلا ويخرج كتاب من الغرب أو أمريكا يهاجم الإسلام، ويحارب القرآن والرسول ﷺ، ما قام أحد بضجة، لماذا الضجة؟ الضجة حتى يغطوا على الضجة التي هزت البشرية وهي: انتصار الشعب الأفغاني، أنا جالس في إسلام آباد، مجلس الشورى مجتمع، بعد أكبر انتصار في التاريخ الحديث، يجب أن تخرج الشعوب العربية في العواصم العربية والإسلامية تعبر عن فرحتها بانتصار شعب مسلم فقير أمي، على أكبر قوة في الأرض التي خرجت ذليلة مهينة تجر ذيولها بين سيقانها، وإذا بمظاهرة في الشارع ماذا؟ تأييد للجهاد الأفغاني؟ تعبير عن فرحتكم؟ يسألون؟ قالوا: هناك كتاب خرج في لندن يتكلم عن القرآن، المؤلف سلمان رشدي، لا حول ولا قوة إلا بالله، أنا ظننتكم تحتفلون بأعظم انتصار في التاريخ، ظننتكم خرجتم تؤيدون هذا الجمع من المجاهدين، الخمسمائة الذين اجتمعوا في إسلام آباد، بعد هذا النصر الكبير المبارك، خارجون ويحرقون (دمية سلمان رشدي) والسيارات ويهتفون ضد سلمان رشدي الذي في لندن.

---

(١) كان المراقبين اجمعوا على هذا عند انسحاب القوات الروسية من افغانستان.

اتصلت بأحمد زكي، رئيس M.S.A اتحاد الطلبة المسلمين، قلت له: يا أحمد زكي، اعملوا في كل الجمعيات الإسلامية احتفالات بانتصار الجهاد الأفغاني على الروس، قال: الناس مشغولون، قلت: بماذا مشغولون قال: بالثورة ضد سلمان رشدي، فرثيت لحال المسلمين، ويكيت، يحولون أنظار الناس كلهم عن قضية كبرى إلى قضية صغيرة جدا، قضية كتاب.. ماذا؟ واشتركت إيران في المسرحية، مجلس الشورى مجتمع في إسلام آباد، وإذا بإيران تعلن: ثلاثة ملايين لمن يأتي برأس سلمان رشدي حيا أو ميتا، وإذ بأمريكا، وبريطانيا، ودول الكومنولث، وما إلى ذلك كلها تحتج، قاطعت كل هذه الدول إيران، لماذا؟ كيف تهددون مواطنا بريطانيا؟ حتى الضجة تعلو لابد من دول تعلن، إيران تحتج،الغرب يقطع الصلة بإيران، ثلاثة ملايين تدفعها إيران لمن يتكلم عن سلمان رشدي!! ماذا كانت النتيجة؟ أنهم صرفوا مشاعر الناس الملتهبة بانتصار الجهاد الإسلامي في أفغانستان بالإستسلامات، في داخل كابل وخارجها آلاف مؤلفة في الإسبوع الماضي استسلمت لأحمد شاه مسعود في رستاق ستة عشر ألف كلاشنكوف غنيمة، ١٢٠ سيارة، ١٥ دبابة ٣٠٠ رشاش، ٤٠ هاون، ذخائر لا تعد ولا تحصى، لم يحصل في تاريخ حرب العصابات غنائم أكثر من هذه الغنائم، والناس مشغولون بسلمان رشدي، ثم استسلام شهر بزرك كذلك في بدخشان، وفي شكردرة انضمت ٣٥ دبابة للمجاهدين قبل ثلاثة أيام، وفي ننجرهار ٣٥ دبابة وآلية، أما هناك دبابات في شكردرة، بجانب كابل تماما، هذه كلها طغت عليها قضية سلمان رشدي، وكانت نتيجة أننا عملنا دعاية لكتاب سلمان رشدي، فعملوا استفتاء في فرنسا فقرر ٦٠٪ من الشعب الفرنسي أن يقتني الكتاب، وفي أمريكا أكثر، وفي بريطانيا أكثر، وهكذا.

أقول يا أيها الإخوة:

خلاصة الكلام: لابد من تربية الجيل على الإسلام، هذه واحدة، التربية الربانية تكون بالعلم والعمل معا.

ثانيا: الذين يتربون على العلم والعمل معا هم صمام الأمان في المجتمع، وهم الذين يحافظون على أعراض الناس وأموالهم ودمائهم، وانتصاراتهم، بدون الشباب الذين يربون على الإسلام يمكن أن يضيع أي نصر، ويهرق أي دم، ويضيع كل مال على جلسة واحدة، على طاولة خضراء، على مائدة مستديرة، بفنجان قهوة، وابتسامة أمريكية، السفير الأمريكي، أو الرئيس الأمريكي يطلب من الرئيس أن يتخلى عن القضية الفلانية، أو يتهاون في القضية الفلانية، أو يدفع المبلغ الفلاني، أو يدعم الرئيس الفلاني، أو يخذل الشعب الفلاني، بفنجان قهوة يحل كل الأمور، بكأس ويسكي، أو برقصة من غانية، أو بأغنية من ساقطة، يباع الوطن، وتضيع الأعراض، وتداس القيم، وتسبى الأموال، وتضيع المقدسات، فلابد من العلم مع العمل، التربية الربانية، والتربية تدريجية، والذين يعلمون ويعملون، ويتربون على الإسلام بهذه الطريقة، هم بعد الله عز وجل الذين يمكن أن يحموا أعراض المسلمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

غربة الدين

ما رأيت معلمة في حياتي الإعدادية والثانوية تلبس اللباس الشرعي!! كنا نعيش غربة شديدة والله يا إخوان، غربة شديدة جدا جدا، والقابض على دينه كالقابض على الجمر، يعني هذه زوجتي التي تزوجتها وجدت أنها طالبة تدرس ونحن نعرف والدها وكانت تغطي نصف شعرها ونصف شعرها ظاهر، وكانت تلبس الجوارب وثياب المدرسة إلى الركبة، أو تحت الركبة، ففرحت كثيرا بها أني وجدت فتاة في المدرسة تغطي نصف شعرها وتغطي سيقانها، تلبس جواربها، لا يمكن أن تجد فتاة واحدة في فلسطين تلبس اللباس الشرعي من المتعلمات، ما رأيت إلا واحدة أستاذي ورباني رحمه الله وقال لها: لا بد أن تلبسي اللباس الشرعي، وبدأت معركة بين الفتاة وبين مديرة المدرسة، كانت تخرجها يوميا من المدرسة لأنها تلبس الطويل، وتوقفها في الشمس من الصباح حتى ينتهي الدوام، لتكون عبرة لمن اعتبر، كنت تخرجت من كلية الشريعة من جامعة دمشق، وعملت في عمان وهذا في سنة ١٩٦٨، بدأنا نتكلم أن هنالك لباس فرضه الله عز وجل غير اللباس الذي تلبسه النساء المسلمات، وصرنا نحرض نساء الدعاة، قلنا: حفظا لماء وجه الدعوة إلبسنه، فبدأ نساء بعض الدعاة يلبسنه، وبدأ الحجاب الشرعي ينتشر في عمان سنة ١٩٦٨، كان في الجامعة الأردنية أربع بنات يلبسن اللباس الشرعي، أربع بنات، وكن مضربا للمثل.

ثم ذهبت بعثة إلى الأزهر للدكتوراة، كانت جامعة القاهرة التي فيها خمسين ألف فتاة، بنت واحدة تلبس اللباس الشرعي خمسين الف!! وهي بنت أخت الأستاذ سيد قطب رحمه الله، نحن ذهبنا إلى القاهرة، ونساؤنا يلبسن الطويل، ويغطين وجوههن، ذهبنا مجموعة مع بعضنا لنكمل الدكتوراة في القاهرة، فبعض إخواني الذين معي قالوا لنسائهم: قصروا ثيابكن قليلا حتى لا تلفتن النظر حتى يطردنا عبد الناصر من مصر، لأنه لا يوجد في القاهرة امرأة واحدة تلبس اللباس الطويل، هذا سنة ١٩٧١، فأنا قلت: نحن نتوكل على

الله عز وجل، إن طردونا طردونا.

الفتاة هذه بنت أخت سيد قطب، استطاعت خلال حياتها الجامعية أن تقنع فتاة واحدة أخرى أن تلبس اللباس الطويل، فوقع أهلها في حيرة، هذه البنت الجديدة، (حتودينا في داهية، حتودينا السجن، من فين جبتيلنا المصيبة هذه؟) يوم الإمتحان الصباح يأخذون ثوبها الطويل ويضعونه في الماء؛ حتى يجبروها أن تذهب إلى الجامعة بالثوب القصير، لأنه لا يمكنها أن تتخلف عن الإمتحان، وهي ليس عندها إلا ثوب واحد طويل، فتتصل بالتلفون ببنت أخت سيد قطب، أحضري معك جلبابك الثاني حتى ألبسه وأذهب معك إلى الإمتحان.

كانت غربة شديدة، مطاردة الإسلام في كل مكان، فعلا هذه اللحية يعني شبه محرمة على الشباب، لأن اللحية تجلب الشبهة... تؤدي إلى السجن، كذلك لم يكن في فلسطين من أبناء الدعوة الإسلامية -لا أتكلم عن الناس العاديين- لم يكن إلا شاب واحد يطلق لحيته، وكان مضرب المثل؛ يقال: فلان، الأخ حمدي أطلق لحيته، كان الإسلام مصادرا مؤمما، ممنوع، تعرفون تأميم الشركات، الحكام أمموا الإسلام، صادروه، التأميم الإشتراكي، يأتون إلى المالك الكبير الذي عنده عشرة آلاف دُنم بقرار واحد يقولون: انتزعنا ملكيتك.. خلاص هذه لم تعد لك، هذه للدولة بقرار واحد هم انتزعوا ملكية الإسلام من قلوب الناس.

طواغيت وصور من جرائمهم:

قالوا الإسلام لنا، ووضعوه في السجن، الإسلام مصادر، وطبعا بلغ بهم الأمر أن يتجبروا، طغوا، هل تصدقون أن عبد الحكيم عامر – كان قائد الجيوش المصرية، ووزير الحربية، القائد الأعلى للقوات المسلحة، وصهر عبد الناصر – بلغت به الجرأة أن يرسل إلى أئمة المساجد يمنع الكلام عن فرعون، ممنوع الكلام عن فرعون، نعم كما بلغت الجرأة الآن ببعض الناس أن يكتبوا إلى أئمة المساجد يمنع الكلام عن اليهود والنصارى في مصر، عادوا الآن إلى مناهج التعليم، ورفعوا منها كل آية تمس اليهود، ضربت الدعوة الإسلامية، وسلط عليهم أناس كانوا يأتون بهم من النوبة؛ هذه الصحراء التي بين مصر والسودان، وهؤلاء لا يقرأون حرفا ولا يفهمون دينا ولا شيء، لا يعرفون شيئا يقول له: السلام عليكم، يضربه بكرباج، وسلطوهم على خيارالناس، وأعلن عبد الناصر في يوم: أننا في مصر قد اعتقلنا سبعة عشر ألفا من أبناء الحركة الإسلامية في يوم واحد، ولئن عفونا المرة الأولى فلن نعفو المرة الثانية.

أستاذ من الأساتذة كان يعلم في كلية أصول الدين، وربى عبد الناصر وأنور السادات، هؤلاء الثوار يسمونه الأب الروحي للثورة، اسمه (محمد الأودن)، أخذوه ووضعوه في الزنزانة، أعطى مشايخنا الدكتوراه، كان يعطي الدكتوراه لأساتذتنا، أستاذ في قسم الحديث والتفسير في كلية أصول الدين، وضعوه في زنزانة مع ستة وعشرين كلبا بوليسيا، تصور زنزانة صغيرة يضعون بها شيخا في الثامنة والسبعين من عمره مع ستة وعشرين كلبا بوليسيا، ويغلقون عليه الباب، أين تكون الكلاب هذه؟ كلب على رأسه، وكلب على ظهره، وكلب على وجهه، فتبول وتبرز، على وجه الشيخ، وعلى لحيته، وعلى.. تأتي لجنة التحقيق لتحقق معه، ويفتحون الزنزانة، وتبدأ الكلاب البوليسية تخرج، يقول (عبد الله رشوان) المستشار القانوني -الذي تولى عملية الدفاع عن شباب الجهاد وعن قتلة السادات- يقول: الذي يقابله بدأ يعد، عد ستة وعشرين كلبا بوليسيا تخرج من زنزانته، ولم تستطع لجنة التحقيق أن تقترب منه من رائحة بول وبراز الكلاب الذي على وجهه وملابسه وثيابه – هذا في محاضرة في جامعة القاهرة، يتكلم الدكتور (عبدالله رشوان) يعني محاضرة علمية – قال: ولم يستطيعوا أن يقتربوا منه، فجاءوا بخراطيم المياه، وسلطوها عليه من بعيد حتى يغسلوا عنه بول وبراز الكلاب، واقترب الشرطة منه، ونزعوا ثيابه، وألبسوه ثيابا أخرى حتى جلست معه لجنة التحقيق، بعد الغسيل بخراطيم المياه.

الإيذاء هذا للإسلام والمسلمين، والمطاردة للمسلمين أثمر، مات عبدالناصر، جاء السادات ورفع فكي الكماشة عن الشعب قليلا حتى يمسح آثار عبد الناصر، واستشار مجلس الوزراء، واستشار المخابرات، ماذا نفعل بهؤلاء، أبناء الحركة الإسلامية؟ الوزراء نصحوه أن يخرجهم حتى يقفوا أمام الشيوعيين، لأنه بدأ السادات يحول وجهته من روسيا إلى أمريكا، أما المخابرات فعيشهم على إيذاء المسلمين، كل الجهاز هذا تضخم ورواتبهم على إيذاء هؤلاء، فإذا أخرجهم وعفى عنهم فإنه سيفصل عدداً كبير من المخابرات، فنصحوه أن يبقيهم في السجن، حتى تبقى الرواتب، لأن رواتب المخابرات بقدر إيذائهم للناس، علقة تمتص دماء الناس، بقدر ما يمتص بقدر ما يقبض، بقدر إيذائه وتتبعه لعيوب الناس، يتهم هذا أنه سب الدولة، ويلقونه في السجن عشرين عاما من أجل أن يأخذ جنيه في السنة زيادة، عشرين سنة تمزق أسرة، ويضيع أبناء، وتضيع بنات من أجل ورقة يأخذ مقابلها في السنة جنيه زيادة، وتريث السادات حتى رأى أن الشيوعيين -علي صبري وجماعته وكان نائبا لرئيس الجمهورية، علي صبري زعيم الحزب الشيوعي المصري- يريدون أن يعملوا عليه انقلابا، فجاء في يوم واحد وضربهم، وعمل حركة التصحيح، ومن أجل ضرب الشيوعية أخرج الدعاة من السجن، لأنه عرف أنه لا يقف أمام الفكر إلا الفكر، ولا يقف أمام الشيوعية إلا الإسلام، فأخرجهم، رحم الله الملك فيصل؛ توسط رحمه الله،

وكان السادات يستحي منه، وأعفى بسبب الملك فيصل عن مجموعة من أبناء الحركة الإسلامية، يعني كانت أول مجموعة خرجت بوساطة فيصل رحمه الله، وبضغطه على السادات، وفيصل في أوائل أيامه كان ضائعا كالضائعين، ولكن في أواخر أيامه كان من خيار الناس الصالحين، هكذا بلغنا من بعض مستشاريه الأمناء، وهم يشهدون له في النهاية، يعني واحد قال لي[1]: أشهد أن هذا الرجل في نهاية حياته كان مستعدا أن يضحي بنفسه وعرشه لله ولأمة الرسول، قلت: شهادة تقف بها بين يدي الله عز وجل؟ قال: شهادة أقف بها بين يدي الله عز وجل، والكلام بيني وبينه في بيتي، ليس من أجل أن ترضى عنه السعودية، أو غير ذلك... لا، يعني الرجل قالها من قلبه ومن أعماقه، في بداية حياته كان إنسانا مثل بقية الحكام، لكن يبدو أن الرجل في نهاية حياته تغير كثيرا كثيرا، ولذلك قتله الأمريكان، مثل ضياء الحق، ضياء الحق في الحقيقة في فترته كلها كان في نفسه ملتزماً بالصلاة والصيام وعدم السكر، فمه نظيف، وفرجه نظيف، لكن في نهاية حياته وقف موقفا مشرفا جدا، فقتله الأمريكان كذلك.

عندما خرج أبناء الدعوة من داخل السجن، وبدأ الناس يسمعون عن الإسلام، في خلال سنتين أو ثلاث، تغيرت الأرض غير الأرض، تخرجت من الأزهر سنة ١٩٧٣، وغادرتها، ولم يكن في جامعة القاهرة إلا بنت واحدة تلبس اللباس الشرعي، ودعيت سنة ١٩٧٧ إلى المعسكر الصيفي في جامعة الاسكندرية وجامعة القاهرة، دعاني الطلاب، ووجدت أن الدنيا كلها قد تغيرت، عشرات الألوف من البنات يلبسن اللباس الشرعي، الشباب أطلقوا لحاهم، بدأوا يتعرفون على دينهم، هكذا بقدر من الله عزوجل، رجع هذا الجيل إلى الله، فعندما رأى أعداء الله عز وجل رجعة الشباب إلى الله عز وجل، بدأوا يخططون لضرب الشباب في كل مكان، ومن الذي يخطط؟ اليهود، اليهود يرقبون المنطقة، وهم يقولون: إن استراتيجيتنا في حربنا مع العرب أن نبقي الإسلام بعيدا عن معركتنا معهم، ولقد كان الإسلام بعيدا طيلة الثلاثين عاما الماضية – هذا سنة ١٩٧٨ – ١٩٧٩، ولابد أن نبقيه بعيدا عن المعركة، لأن الإسلام إذا دخل المعركة، فإننا سنواجه عدوا حقيقيا ليس وهميا.

فاليهود يرقبون ثم يقدمون التقريرات للأمريكان، والأمريكان يقدمون التقريرات للعالم العربي والإسلامي، فقالوا لهم: انتبهوا بدأ الإسلام يرجع، وقالوا للسادات: أنت عفوت عن المسلمين سيأكلونك غدا، فلا بد أن تضربهم مرة أخرى، والكرسي عزيز... عزيز جدا، فبدأت المؤامرات، كانت أول مؤامرة على صالح سرية، وكارم الاناضولي وإخوانهم، وأعدموا صالح سرية وكارم الأناضولي باسم الفنية العسكرية، ثم كانت الضربة الثانية على جماعة المسلمين التي سموها جماعة التكفير والهجرة، شكري مصطفى، ثم ضربات متتالية، ضربة وراء ضربة، وكل شهرين ثلاثة يبدأ تجميع الشباب إلى السجن، ماذا؟ تنظيم الجهاد، تنظيم كذا، اكتشفنا تنظيم، وهكذا.

وبدأ التفكر خاصة في مصر، مصر يخافها اليهود كثيرا، ومن هنا كانت أكبر جريمة معاهدة كامب ديفيد، وفتح مصر لليهود، ومحاولة تمييع عقيدة البراء من الكفار واليهود، وتطبيع العلاقات، وقد اشتغل نجيب محفوظ وتوفيق الحكيم، وغيرهم كثيرا من أجل تمييع هذه العقيدة، وإقامة العلاقة بين اليهود وبين المصريين، ولذلك أعطى اليهود جائزة نوبل لنجيب محفوظ، وكانت جائزة نوبل لنجيب محفوظ هذا العام، أول أديب عربي يأخذها بسبب قصته (أولاد حارتنا) و (أولاد حارتنا) هذه مليئة بالطعن بالإسلام، وبالدين، وبالغمز واللمز بكتاب الله، وبسنة نبيه ﷺ ، وبدأت الصحف العربية تهلل وتكبر بجائزة نوبل التي أخذها الأديب العربي نجيب محفوظ، ولا يدرون أنه أخذها لأنه أنزل عدة سهام في قلب الأسلام، العام الماضي كان هناك مؤتمر للقمة في عمان، مؤتمر قمة إسلامي!! قال شامير أو رابين علق عليه قال: النقطة الوحيدة التي التقوا عليها محاربة التطرف الديني في المنطقة، محاربة التطرف الديني يعني: محاربة الشباب الملتزم، هم لا يقولون: إننا نريد أن نحارب الإسلام، يقولوا: نريد أن نحارب التطرف، نحن الإسلام المعتدل نحبه، راضون عنه، ماذا نحارب؟ نحارب حزبيات، نحارب التعصب، نحارب التطرف، نحارب المنغلقين، نريد منفتحين، نحارب المتقوقعين، نريد المرنين، ثم وجدوا أنهم كلما ضربوا الشباب كلما ازداد الإسلام بين الشباب، يعدمون واحدا يدخل عشرة في الدعوة، ماذا يفعلون؟ وجدوا الشباب الذي يضرب في مصر ويضغط عليه يخرج أين؟ يخرج إلى الأردن، إلى اليمن، إلى العراق، العراق نصفها من المصريين من الشباب المسلم، قالوا: أحسن شيء من أجل تنظيم محاربة الشباب المسلم نعمل وحدة بين مصر والأردن والعراق واليمن، ونسميه التعاون العربي، لماذا؟ لمطاردة الشباب –خاصة المصريين– أمنيا في كل هذه البلاد.. لا تخف.. لا تخف والله، نحن نريد أن نعبد ربنا، نريد أن نؤدي فريضة اسمها فريضة الجهاد، منعونا في بلادنا، منعونا أن نؤدي عبادة القتال في بلادنا، قالوا: من حمل مسدسا سجناه، ومن حمل رصاصة سجناه، تعتبر الرصاصة والمسدس جريمة من الجرائم التي يقدم صحابها إلى محكمة عسكرية!! إلى أمن الدولة!!.

نعم، بلادنا ضاعت، أنا من فلسطين، والله سلموا أرضنا وهي مزروعة، والذي زرع واليهود حصدوا، نعم حتى ما انتظروا حتى نحصد، أخذوا كل الأرض وسلموها لليهود بفنجان قهوة في ليلة من الليالي، أنا قلت لكم في الأمس، في يوم من الأيام، في معاهدة

(١) الشيخ محمد محمود الصواف.

رودس، جلسوا فكان أحمد صدقي الجندي، قائد الجيش الأردني هو ممثل الأردن في معاهدة رودس، بنات جميلات يهوديات، عيونهن زرق، وشعرهن أشقر، وما إلى ذلك، قدمن له قهوة طيبة، وكأس شاي.. سكر خفيف.. سكر ثقيل ما إلى ذلك، وقالوا له: نحن لا نريد شيئا..!!

خيانة الدول العربية لفلسطين:

[1]... ذهب لقريتنا ٣٨ ألف دونم ـ أرض هكذا مثل الكف –مرج بن عامر– بتصحيح الحدود بفنجان قهوة من بنت يهودية ٣٨ ألف دونم، حدثني أبي... الله عز وجل يقول:

(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة)

(البقرة: ٢٦١)

يعني الحبة تنتج سبعمائه حبة، قال: والله إننا زرعنا أرضنا فانتجت أكثر من سبعمائه ضعف، زرعت صاعاً فانتجت ألف صاع، المعروف مرج بن عامر في التاريخ حنطة سمراء الشام معروفة، القمح يضرب به المثل (يقال يواري الخيال) يغطي الذي يركب الفرس –فنزل بعض الشباب، عز عليهم ان يحصد اليهود زرعهم فمسكوا اليهود الشباب وبقروا بطونهم وفتحوا بطونهم و ملأوها شعيراً وقمحاً سنابل الشعير والقمح من الشعير المزروع وضعوه في بطونهم ثم نصبوهم على أعمدة من الحديد حتى يكونوا عبرة لمن اعتبر، كان بيتنا قريباً من الحدود، والله يا إخوة: يأتي اليهود قرب البيت في الخمسينات والستينات يصلون في الليل –الدوريات الكاشفة– قرب البيت جارنا استيقظ في الليل، بيتنا فيه حديقة وبيته فيه حديقة، جارنا استيقظ فوجد اليهود في الساحه يتكلمون بالعبرية، تعرفون دوريه الاستكشاف لا تقتل، وظيفتها أن تأخذ معلومات وترجع ليكون الهجوم، فنزل في اليوم الثاني يشكو في المركز الحدودي للشرطة الأردنية قال: لهم بالأمس دخل اليهود في حديقتنا وتكلموا كذا وكذا.. امسك انت عميل لليهود، ضعوه في السجن، كنس تحت الخيل في اسطبل الفرسان –خيل الشرطة– وقدموه إلى محكمة عسكرية، قدموه إلى محكمة عسكرية لماذا؟ لأنه أخبرهم قالوا له: أنت عميل!! انت تتعامل مع اليهود، واحد من المحكمة العسكرية، ضابط رجل فيه خير قال له: تعال أنت قل لهم كنت أحلم في المنام، ماكنت مستقيظ ودخل عليهم قالوا له: ماذا قلت؟ وماذا قالوا؟ قال أنا من عادتي في الليل أخرج وامشي وأنا نايم اتكلم فيبدو أنه يوم أن جئتكم كنت في هذه الحالة كنت خارج ونايم فكنت اسمع وأرى في المنام ناس يتكلمون بالعبريه فجئت ظننتها حقيقه قالوا مادام هكذا.. اذهب.

يا أخوان.. فلسطين ٢٦ ألف كيلو متراً مربعاً، ١٩٤٧ بدأت آخر معركه بين اليهود وبين الشعب الفلسطيني، الأمريكان والغربيون وجدوا على أنه لا يمكن لليهود في المعركة أن يحتلوا فلسطين، وأنه إذا تركت المعركه بين اليهود وبين أبناء فلسطين، ابناء فلسطين سينتصرون، قالوا للجيوش العربيه ادخلوا عدة اشهر وسلموا لليهود البلد واخرجوا، دخلت الجيوش العربيه والدبابات العراقية، والجيش المصري والجيش الأردني، الجيوش السبعة قائدهم جلوب باشا الانجليزي وهو قائد الجيش الأردني، الجيوش السبعه العربيه قائدهم –جلوب باشا– من هو جلوب باشا؟! انجليزي.

فكان اليهود يملكون حتى دخول الجيوش العربية ثلاث آلاف كيلومترا مربعاً فقط، ما خرجت الجيوش العربية إلاوهم يملكون عشرين ألف كيلومترا مربعا، وظلت خمسة آلاف كيلومتر مربعاً بيد العرب التي سميت الضفة الغربية وضمت للملك عبدالله باسم المملكة الاردنية الهاشمية، فكر أبناء فلسطين بالمقاومه، سنة ١٩٤٨ جاءت كتائب اسلاميه شعبيه من أبناء الحركه الاسلاميه في مصر أرسلهم البنا– ومحمد محمود الصواف قاد كتيبه اسلاميه من العراق وجاء إلى فلسطين والشيخ مصطفى السباعي عميد كليتنا في جامعة دمشق قاد كتيبة وعبداللطيف أبو قوره مراقب الأخوان في الأردن قاد كتيبه، واشتركوا، كانت نتيجة للشباب الذين جاؤا من مصر أن وضعوا في دبابات الجيش المصري، اعتقلوا ونقلوا من أرض فلسطين بعد المعارك المشرفه و وضعوا في داخل السجون، وبعدها بثلاث سنوات أقاموا انقلاب عبد الناصر –الامريكان– وجاء بهؤلاء الشباب الذين اشتركوا في فلسطين وكانوا يسألونهم –كان جمال سالم وأنور السادات عضو أيسر وحسين الشافعي عضو أيمن يسألهم سؤلا واحداً: هل اشتركتم في فلسطين ؟! نعم إذا كان الجواب نعم، الحكم إما اعدام أو أشغال شاقه مؤبدة.

١٩٥٨ مجموعه شباب يشتغلون في الكويت وفي السعوديه وفي الخليج فكروا نريد انقاذ فلسطين فاجتمع هذا ياسر عرفات مع مجموعه من هؤلاء الشباب وذهبوا على دمشق وبدأوا يتدربون وكان الواحد منهم يحمل اللغم من دمشق يضعه تحت ثيابه ويمشي من

---

(١) طبيعة العمل لهذا الدين (٣).

دمشق حتى يصل إلى حدود الأردن، يمشي في الليل وينام في النهار، ثم يخترق شرق الأردن -كذلك- ثم يخترق الضفه الغربيه واللغم تحت ثيابه ينام في النهار ويمشي في الليل، ثم يدخل اسرائيل ويدخل المنطقة المحتله ١٩٤٨ ويضع اللغم لعله يفجر سيارة أو يقتل واحد من المارة ومع ذلك المخابرات العربية أذاقتهم في زنازينها من العذاب ما لا يعلمه إلارب العالمين، أي واحد تمسكه منهم ذبح، يقيدونهم -خاصة المخابرات الأردنية- يقيدون يديه ورجليه هكذا عدة أشهر فبعد عدة أشهر يصبح ظهره على شكل قوس، يخرج هكذا ظهره لا يستطيع أن يرفعه -جاءت سنة ١٩٦٧ ويبقى حالهم هكذا، شباب بدافع وطني، دافع طيب يريدون أن يحرروا فلسطين، رأوا الناس نائمين فهم تحركوا، والحقيقه أنهم قاموا بأعمال، وصبروا صبراً عجيباً هؤلاء الذين بدأوا فتح، هذا ياسر عرفات تعب كثيراً كثيراً في البداية، ١٩٦٧ هزمت الدول العربيه فقالوا: نحن مستعدون أن نقاوم معكم يا أيها الناس تعالوا قاتلوا فتحوا كوادرهم، هذه فتح فيه كانوا اسمهم في الأول [حتف] .. حركه تحرير فلسطين وبعد ذلك سميت فتح، تفضلوا يا جماعة قاتلوا تفضلوا قاوموا اليهود لم يأت أحد.. المسلمون نائمون وكل واحد يشتغل بنفسه وأولاده وزوجته والعلماء نائمون، والدنيا نائمة ووظيفة العالم أن يفتي للسلطان أما أن يحرك الشباب والشعوب وما إلى ذلك.. فلا، جاء الذين لا يجدون عمل، أولاد الشوارع الذين يدللون على مكان السيارات في الكراجات وهؤلاء الذين يعملون بالحرف البسيطة فوجدوا أنها فرصة ليحملوا السلاح وليلبسوا المبرقع « ألبسة الفدائيين» ويطلقوا النار ويظهروا، وجاءوا، الكوادر مفتوحة فاستلم كل واحد منهم استلموا القطاعات واستلموا الإدارات واستلموا القيادات والناس نائمون فكثر الغثاء، الهاربون من التجنيد الإجباري يهربون إلى أين؟ إلى المقاومة، الساقطون في الثالث إعدادي كان عندنا في الأردن امتحان الثالث إعدادي إجباري ـ الساقطون في الثالث إعدادي يهربون إلى أين؟ إلى المقاومة، فكثر الغثاء والذي كبر المصيبه جداً أن الدول العربيه، كل دولة قد تبنت منظمة من المنظمات لتتاجر بها، فسوريا عملت منظمة الصاعقة البعثية السورية، والعراق عملت الصاعقة البعثية العراقية، وأبو نضال جاء من هنا، و أحمد جبريل جاء من هنا، وفلان أتى من هنا، جورج حبش نصراني قومي عربي على شيوعي على اشتراكي، نايف حواتمه نصراني من شرق الأردن كذلك، لكل واحد دفعت له دولة من الدول مبلغ إعمل منظمة حتى تخرّب على فتح، فصار كل واحد يرفع شعاراً، وصاروا يجمعون الشباب من المدارس ومن الهاربين المساكين ويعلمونهم عن (ماو)، عن (جيفارا)، عن (كاسترو) عن (هوشيمنه) وعن صفات جيفارا أنه كان يجوع ويسقي الجنود الذين معه الحليب وهو جائع، ويأتون بصورة (الثوار) وصورة (ماو) فمعظم الشباب الفلسطيني دخل الشيوعية دون أن يعلم، نعم.. سنة ١٩٧٠ في ٤ نيسان كان ذكرى ميلاد لينين المئوي مرور مائه سنة على ميلاد لينين الذي غرس دولة الالحاد في الأرض، اقامت له كل المنظمات أسبوعاً كاملاً في أمانة العاصمة في عمان أسبوعاً كاملاً للاحتفال بعيد ميلاد لينين المئوي، يعني بذكرى صانع دولة الإلحاد في الأرض ومن ذا الذي يستطيع، يجرؤ أن يتكلم عن لينين، ولا واحد، حاملين سلاح، يأتون بصورة لينين على الدكان، يدخلون الدكان، خذ هذه الصورة، هات دينار أردني، ولا يستطيع، يفتح الجرار، وإذا لم يفتح هم يفتحون ويأخذون ما يريدون ويمشون وقد يقتلونه، لا أحد يجرؤ أن يتكلم معهم.

أذكر يومها لما رأيت هذا وتوزيع المنشورات أنا كنت في فتح، كانت لنا قواعد لأبناء الحركه الاسلامية إسمها قواعد الشيوخ لكنها قليلة، لكنهم كانوا يهابونها كلهم، يرهبون المسلمين، الشيوخ الأخوان أذكر يومها حزنت كثيراً على باب كل دكان صورة لينين، على الشوارع ومفارق الطرق والمدارس... إلى آخره، فكانت خطبة الجمعة فخطبت الجمعة، كانت قواعدنا في الغور الشمالي في منطقة اربد قالوا لي أخطب، فتكلمت عن لينين وعن جيفارا وعن جورج حبش وعن نايف حواتمه، الناس الذي يحبونني الطيبون الذين يصلون معي بدأوا يرتجفون في المسجد و أنا أخطب، والله خافوا أن يطلقوا عليّ النار وأنا على المنبر.. المهم كانت المبررات كثيرة والحكومة الأردنية قامت بذبح الفدائيين وقتلهم وما إلى ذلك ومنعت الرصاصة ومنع المسدس ومنع كل شيء اسمه عسكري، منع أي تنظيم على أساس أنك تفكر في إرجاع فلسطين، نعم كانت هنالك مبررات كثيرة لدى الحكومة الأردنية، كثيرة كثيرة كثيرة ونحن كنا نعيش مع الفدائيين في غربة شديدة جداً، والله أنا كنت أمر قاعدة سميناها بيت المقدس في منطقة من مناطق اربد ، فصار اجتماع للوحدة التي نحن منها في فتح جاءوا لنا بثلاثمائه من فتح من الوحدة الشمالية التي أنا فيها، ثلاثمائه.. والله ولا واحد يصلي منهم.. ولا واحد من الثلاثمائه يصلي!! فماذا حدث؟ صارت المنظمه كلها عبارة عن كومة من الأشياء البالية وعلى رأسها قطع طيبة نقية أو قطع ذهبية مثل هؤلاء، بعض القادة الذين فيهم بقية خير مثل هذا ياسر عرفات أنا لا أظن أنه عميل وأظن أنه يحاول أن يضحك على أمريكا ويضحك على اليهود لكنهم أوقعوه في حبائلهم واعترف باليهود وضاع وضيع القضية وسقط، أما في بداية أمره كان طيباً ومرّة جاءنا إلى القاعدة التي نحن فيها وصلى معنا، صلى معنا لكن يجمع هو لكن جمع فوري.. يقول أنا أصلي خمسة أوقات دفعة واحدة، نعم.. هكذا ـ جمع ثوري. فسمع كلمة أمير ـ أمير القاعدة ـ قال ما شاء الله والله هذا إسم طيب لو استعملنا هذا اللفظ عندنا، نحن نسمي رؤساء القواعد أمراء، أمير القاعدة، كان فيه خير، وهو أقلّهم سوء مازال ياسر، اما ابو نضال و ابو اياد وأبو... لا تسأل عن مصائبهم نعوذ بالله منهم، نعوذ بالله من شر الشياطين، شيوعيين، بعثيين، تعبانين، نعوذ بالله هذه فتح فهو أقلهم سوءً، أما (جورج حبش) و (نايف حواتمه) نعوذ بالله، نعوذ

بالله من أحوالهم ـ من حال أهل النار ـ كيف جمعوهم؟

ضربوا الفدائيين، التقى عبدالناصر مع الملك حسين على ضرب الفدائيين، والقصة طويلة ولكن أنا أختصر لكم، صدقوا الصواريخ التي تعد لضرب اليهود، استعملت كلها ضد عمان، وضد أربد، وضد المدن، ما بقي تقريباً مكان، فما نجت دار من ضربة صاروخ أو ضربة هاون أو ما إلى ذلك. الناس في دورهم والقذائف نازلة، رأيتم الهجوم الجوي، لما يصير هجوم جوي هنا وتضرب هنا وتضرب هنا، هنا صاروخ وهنا قنبلة وهنا قذيفة، هناك كذلك الدور كلها تدمرت، قتل الناس ما إلى ذلك تدخلت الدول العربية، ويا ليتها لم تتدخل، قالوا لرئيس الوزراء الأردني تصلح ما نصلح إلى أخره، ارفع يدك عن الفلسطينيين، قال أنا أرفع يدي عن الفلسطينيين بشرط واحد، وكلها خطط محاكة، ما هو الشرط؟ قال أن يخرجوا من المدن إلى الجبال إلى الغابات ـ غابات جرش ـ وإلا ستبقى المعركة قائمة. طيب يا زعماء الفدائيين أعطوا اتفاقية على أن تخرجوا من المدن حتى يعود الهدوء إلى البلد. اخرجوهم؟ جمعوهم من المدن أخذوهم على الغابات، بعد أن تجمعوا في الغابات وجهوا إليهم الدبابات الأردنية والطائرات وما إلى ذلك وحصدوهم حصداً وقد كذبوا فلو صدقوا القول لصدقوا العمل.

ضياء الحق ومعركة أيلول:

إنه ظلم لضياء الحق واتهام له، الدبابات أردنية والقادة أردنيون وما إلى ذلك، انما ضياء الحق كان رئيس البعثة العسكريه الباكستانية في الأردن لتدريب الطيارين الأردنيين على الطائرات من أجل دعم جبهة الصمود في سوريا والأردن ومصر، قررت الدول العربية أن تدعمهم بالأموال، قالوا يا سعودية، يا كويت ادعموهم بالأموال ونبحث عن مدربين عسكريين لجيوشهم ونبحث لهم عن بعض السلاح لعلهم يستطيعون أن يقفوا أمام اسرائيل، هذه قصة ضياء الحق، وضياء الحق ذهب ليدرّب، رئيس البعثة العسكريه الباكستانيه لتدريب الجيش الأردني خاصة على أمور الطيران، لأنه معروف أن الطيارين الباكستانين من أشهر الطيارين في العالم، هذا فقط، والرجل معروف بالتدين من قبل، يعني كان يقوم الليل، كانوا يسمونه ضياء الحق وهو في الجيش كانوا يسمونه (جنرال چينك) يعني الجنرال ابريق لأن إبريقه للوضوء دائماً معه؛ فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم عاملوهم معاملة أهل الكتاب، الإعلام العربي كله هكذا يجب أن يعامل، لا تصدقوهم ولا تكذبوهم، لأنه قديكون حقيقة وتكذب حقاً، لكن معظمه كذب.

الرعب من هذا التجمع:

ونجرّ الذيول كالغانيات، كالنساء، قاعدون في البيت..

(رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) (التوبة: ٨٧)

لا يستطيع أحدنا أن يحمل مسدساً بينما كنت في أيام الجهاد أخطب الجمعة وانا أتكئ على الكلاشنكوف، أطلع على المنبر وأنا حامل الكلاشنكوف وأتكي عليه بدل أن أتكئ على المنبر أتكئ على الكلاشنكوف، سمعنا أن هنا جهاداً فقلنا لعل الله عزوجل يسقط عنا الفريضة، نذهب هناك ولعل الله يرزقنا الشهادة فجئنا هنا على بعد آلاف الأميال، تركنا لهم الاردن، وتركنا لهم الدول العربية وجئنا على بعد آلاف الأميال بعيداً عنهم حتى نؤدي هذه العبادة ، ما تركونا، ما تركونا... المخابرات اليهودية الاسرائيلية قالت للأمريكان والغربيين انتبهوا.. قاعدين الآن ـ يجمعوا لكم، هناك في أرض أفغانستان، سيرجعون إليكم ويخلعوا هذه الكراسي من تحتكم، وصار بعض الذين يأكلون دماء الناس، ويقتاتون بأعراضهم صاروا يفتون، يأتي هنا الواحد منهم يقعد يومين في صدى أو في جاجي أو في المأسدة، يومين ينظر هل هناك أحد يتنفس، في ماذا يتكلمون؟ ما هذا؟ فيزيد على الحبة قبة. ويرجع إلى دولته، يقدم تقريراً.. انتبهوا.. هؤلاء فيهم تكفير وهجرة، فيهم جهاد، فيهم كذا.. غداً سيرجعون إليكم يقتلونكم، يقوموا - انقلاب مسلح، يتسلطوا على الحكم بالقوة. يا أخي انتم ما سمحتم لنا حتى أن ندافع عن أعراضنا في بلادنا، ما سمحتم لنا أن ندافع عن أراضينا، ما سمحتم لنا أن نحمل رصاصة واحدة، اعتبرتم الإعداد الذي فرضه رب العباد جريمة يؤخذ عليها بالنواصي والأقدام، ثم تركناكم لحالكم وجئنا على بعد آلاف الأميال نعيش بجانب شعب يباد تحت عجلات الدبابات وتحت قذائف الطائرات حتى نقدم له رغيفاً أو نقدم له حذاءً أو ندفع عن صدره شيئاً من الرصاص.. لحقتمونا ماذا تريدون؟

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (البقرة: ٢١٧)

لماذا؟ يعني الكلب، ضع يدك على عنقه يمضك، القط.. احشره في غرفه مثل هذه الغرفة وأغلقها ثم اسحب عليه أقسام البندقيه

ينقلب إلى أسد يهجم على وجهك يأكلك، طيب نحن تركنا لكم دنياكم، تركنا لكم ظلمكم، تركنا لكم تعذيبكم للشعوب وجئنا هنا ما بالكم تطاردوننا؟ ما بالكم تلاحقوننا؟ طبعاً كله بتوجيه اليهود ولو حدثتكم ماذا فعل اليهود بالنسبه للقضية الافغانية وكيف أنهم يوجهون السياسه العالمية من أجل إيقاف الجهاد بأي طريقة، ومن أجل حرمان المجاهدين من الوصول للحكم لاحتجت عدة محاضرات، الآن يبحثون عن كل شاب في بعض الدول العربية وخاصة مصر. أي شاب على جوازه فيزة باكستان يبدأوا التحقيق معه، عدة دول أنا مطلوب فيها، مطلوب فيها دول حاكمة عليّ بالإعدام غيابياً، ليبيا سوريا، العراق، محكوم عليّ فيها بالإعدام، الثلاثة!!.

مصر لو دخلتها ما خرجت منها، لماذا؟ مالكم؟ ! تنظيم مسلح، هؤلاء يتدربون هؤلاء يؤدون فريضة اسمها فريضة الإعداد التي حرمناها على الشعوب، لن نخضع إلا لرب العالمين ولن نركع إلا لخالق الناس أجمعين، لا نريد دنياكم إن أبيتم إلا ان تلاحقونا حتى هنا فاعلموا أننا قد انسلخنا من دينكم ودنياكم والأولى أن تتركونا، تتركونا نعبد ربنا كما أمرنا. شباب خرجوا لله عز وجل ينصرون شعباً مسلماً ولعلهم يتنفسون نسيم الحرية والعزة ويشعرون بأنهم بشر.

واحد سألني قال : هذه الصحيفه الفلانية أو النشرة الفلانية؟ قلت له هذه يصدرها المجاهدون نعم بدون إذن قال : بدون إذن، قلت نعم بدون إذن، هذه حق طبيعي، الأصل هي حق طبيعي، لكننا نحن في العالم الإسلامي لكثرة ما أخذوا من حقوقنا نظن أنهم إن أرجعوا إلينا حقاً شيء كبير، هذه حق. أن تتكلم بالخير حيثما تكون، وأن تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر حيث تكون تحتاج رخصة من الدول أن تتكلم، قارن بين هذا وبين أخ من الإخوة كان يدرس في جامعة (هار فر) فقدم طلباً لرئاسة الجامعة أنني أريد أن أصدر صحيفة باسم اتحاد الطلبة المسلمين. فقالوا له ما هذا الطلب؟ أنت لك الحق أن تصدر أصلا. هذا يمكن أن نحاكمك عليه ـ الطلب ـ لأنك تتهمنا أننا لسنا ديمقراطيين، أنت لك أن تصدر أي صحيفة تريد، ضحكوا، قالوا الصحيفه تحتاج ترخيص من الجامعة؟ ! فهو في ذهنه - جاء من الأردن، عربي الواحد إذا يريد أن يتكلم في الجامعة ويحتاج رخصة؟! حقوق طبيعة.

فأنتم يا أيها الإخوة.. الله عز وجل منّ عليكم ووصلتم وهذا اختيار من رب العالمين فحافظوا عليه، حافظوا على هذه النعمه..

(فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)

(البقرة: ٢١٣)

هذه نعمة عظيمة كم من المشايخ حولك أعلم منك ولكن الله اختارك من بينهم وجئت لتؤدي هذه الفريضه، كم من الشباب أكثر منك تدينا ولكنهم قعدوا وجئت، هذا اختيار من الله وتفضيل واصطفاء (ويتخذ منكم شهداء) ليس بأمانيكم ولا باجتهادكم إنما هو فضل من الله عز وجل عليك أن اختارك من بين مليون واحد وجاء بك. نحن هنا ألف والأمة الاسلاميه ألف مليون، يعني من كل مليون مسلم جاء واحد فأيّ تكريم من رب العالمين أعظم لك من هذا التكريم، انك الأول على مليون، لا بدّ من أن تحافظ. كيف الحفاظ على هذه النعمة :

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم

انتبهوا..

(اعملوا آل داود شكرا) (سبأ: ١٣)

إذا أرت أن تشكر الله يجب أن تعمل، فأنا رأيت الشهداء، ورأيت الذين ثبتوا في هذه الأرض رأيت أن معظمهم من الأخفياء، والذين اغتروا بأنفسهم وبدأوا ينتقدون ويغتابون وينمون، الله حرمهم من هذه الأرض، حرمهم لأن أرض الجهاد، الله عزوجل لا يسهلها لكلّ واحد، وعبادة الجهاد لا يحببها الله عز وجل لكل واحد، كم من العلماء في بلادك، وكم من الدعاة في قطرك الذي جئت منه قد حوروا آيات الجهاد وأخرجوه أن الجهاد الآن ليس مطلوباً بل مكروه.. نعم.. هم يعتبرون أن الذي يجلس في قطره أفضل من الذي يأتي للجهاد!! معنى ذلك أن الجهاد حكمه خلاف الأولى. آيات قرآنية سلطوا عليها الرأي البشري والهوى الانساني فإذا بها خرجت خلاف الأصل، محاضرات تلقى في المساجد وأشرطة تسجل وتوزع على أن الجهاد ليس فرض لا تذهبوا إلى أفغانستان.. نعم وأنا رأيت بعض الأجهزة الآن في الفتره الأخيرة نشطت كثيراً لمحاربتنا ولمحاربتي أنا بالذات. والله لا أقولها فخراً، وإنما ألمس من خلال المضايقات والضغوطات وغيرها التي نواجهها وكلما ضغطوا علينا كلما وسع رب العالمين علينا، وكلما أغلقوا باباً، فتح الله لنا سبعين باباً، وكلما حاولوا أن يمنعوا الشباب أن يأتوا ازداد عدد الشباب، هم الآن يبحثون عن أي عيب فينا والانسان كله عيوب، ليس هناك انسان خالٍ من العيوب، لا يوجد انسان خالٍ من الهفوات، خالٍ من النقائص، خالٍ من الذنوب، لكن يجعلون الحبة قبة، ويكبرونها ويفخمونها في أذهان الشباب حتى لا يأتون، لأن الإتيان هنا هو المصيبة العظمى بالنسبة لهم، لماذا؟ أيهم أولى لكم يامساكين؟ والله مساكين هؤلاء المسئولون. أيهم أولى لكم. أن يكون أبناء شعبكم رجالاً يموتون في ميادين القتال ويحمون أمتهم في ساعة الشدة والكرب

لماذا فلان يعمل كذا؟ ولماذا فلان يصرف كذا ـ؟

(ولوردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) (النساء: ٨٣)

علمنا الله عز وجل كيف نقاوم الأراجيف في الحرب، أن نرجع للمسئولين نسألهم ماهي القصه الفلانية؟ فأصلحوا مابينكم وبين الله حتى تحافظوا على ثوابكم.

عظم الأجر في الجهاد:

لا يوجد أعظم من ثواب الجهاد أبداً. **(قيام ساعه في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة)** و**(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)** و **(رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل يقام ليلها ويصام نهارها)** وقيل **(رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه)** و **(من مات مرابطاً لا يختم على عمله ويأمن الفتان)** لا يسأل في القبر، ويبقى عمله ينمو إلى يوم القيامة، كل يوم الملك يضيف إلى صحيفة أعماله صحيفة جديدة أخرى، أحسن عمل يأخذ منها نسخة ويبدأ كل يوم الصبح ينسخ على (PHOTO STATe) نسخة ويضع على صحيفة أعماله هكذا إلى يوم القيامة، أي عمل أعظم من هذا العمل؟

يعني إذا بقي للقيامة مثلاً مليون سنة كأنك عشت مليون سنة وفي أرض الرباط أيّ نعمة أكبر من هذا؟ فلا تضيعها بإطلاق لسانك.. أربطه.. أربطه، أربط اللسان هذا.. ولقد رأيت الشهداء هم الصامتون.. معظم الصامتين الله اجتباهم.. ومعظم المخبتين الله اختارهم، يصطفيهم ويتخذهم شهداء، فأصلح ما بينك وبين الله حتى يفتح لك باباً من أبواب الجنة، لأنك أنت مقبل على الله، لا بد وتتنظف وتتعطر، أنت إذا أردت أن تقابل زعيماً من زعماء الدنيا تغتسل وتلبس أحسن ثيابك وتتعطر وتصحح ملابسك. كيف الملابس؟ كيف النظرة، وكيف المقال؟ كيف هذا! كيف وأنت تريد أن تقابل ربك؟! فاصلح من نفسك، قوّ العبادة، قوّ صلتك بالقرآن، قوّ صلتك بالذكر، احفظ لسانك، احفظ اعضاءك عن الآفات، انتبه.. انتبهوا حتى لا تحبط أعمالكم بالغرور فإن من عصى الله بغرور يخشى ألا يتوب عليه، ومن عصى الله بمعصية يمكن أن يتوب الله عليه، لأن آدم عصى الله بشهوة فتاب الله عليه، وإبليس عصى الله بغرور فلم يتب الله عليه.

فيا أخي الكريم : كم من الناس حولك لا تأبه لهم ولا تقيم لهم وزناً، بهم يحفظنا الله عز وجل، وهل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم وفقرائكم فلا تغتر.. أهم شيء انتبه لنفسك، الغرور لا يدخلك.

ثانياً تحفظ لسانك، ثالثاً : تحفظ أعضاءك من الآثام. و أهم عضوين : اللسان والفرج. **(من يكفل لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)** طهّر فمك من الداخل بالمأكولات، ومن الخارج بالكلام، وطهر فرجك، الرسول ﷺ يكفل لك الجنة، فانتبهوا إلى أنفسكم، ونرجوا الله عز وجل أن لا يحرمكم، نرجوا الله أن لا يحرمنا من هذه النعمة، نحن ذقنا مرارة حرماننا من هذه النعمة، بعد أن ضرب الجهاد أو العمل الفدائي في الأردن، وفتح الله علينا ونرجوا الله عز وجل أن لا يحرمنا.

الأفغان والتوحيد

أيها الاخوة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لابد للمسلمين من أرض يقيمون عليها دين الله عز وجل، لابد للمسلمين من دار يأوون إليها، وإلا سيبقون مقطعين ضائعين كالايتام على مأدبة اللئام.

لابد للمسلمين من أرض صلبة، يقيمون عليها القاعدة الاولى لهذا الدين، ثم تصبح منطلقا الى ربوع العالمين، لابد للمسلمين من مجتمع اسلامي، يتفيأون فيه وتحته، تحت ظلال هذه الشريعة، وتنطلق جيوشهم لتفتح الفتوح وتخلص المستضعفين، وتنقذ المسلمين وتنشر دعوة رب العالمين.

توحيد الألوهية هو المحك العملي:

هذه الدولة، وهذا المجتمع لن يقوم إلا بأن تقوم دعوة اسلامية تدعو إلى الله عز وجل، إلى التوحيد، إلى لا إله إلا الله، توحيد

الربوبية وتوحيد الالوهية وتوحيد الاسماء والصفات، ويتحول التوحيد في نفسه الى سلوك وخلق وقيم ومنهج حياة، لابد لهذه الجماعة -التي تعلن عن نفسها، تدعو إلى الله في الأرض -لابد لها.. أن تتجاوز توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية.

إن توحيد الربوبية أمر سهل، لأنه توحيد معرفة، توحيد ثقافة، توحيد دراسة، تجلس عدة ساعات أمام استاذ يعلمك توحيد الربوبية أن تقر وتعترف أن الله خالق، رازق، محيي، مميت، بيده الأمر، إليه يرجع الأمر كله، هذا كل المسلمين تقريبا يعرفونه، ما من مسلم على وجه الأرض يقول إن أحداً يخلق غير الله، اويرزق غير الله، او يتصرف في هذا الكون غير الله، هكذا عامة المسلمين في الارض الآن، لكن تحويل توحيد الربوبية إلى توحيد عملي،... قلنا التوحيد النظري، أو توحيد المعرفة والاثبات تحويله إلى توحيد الوهية، توحيد سلوك وخلق، وتعامل ومغامرة بالنفس والروح، هذا أمر دونه خرط القتاد، ومن أجله جاءت الرسل لاقرار التوحيد في الارض، صلوات الله وسلامه عليهم.

الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، ماجاءوا لإقرار توحيد الربوبية لأن المشركين كانوا يعرفون توحيد الربوبية (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله).

(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله) (العنكبوت: ٦١)

(قل من يرزقكم من السماء والارض،أمن يملك السمع والأبصار، ومن يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الامر، فسيقولون الله، فقل أفلا تتقون) (يونس: ٣١)

من الذين يقولون الله؟! الكفار.. المشركون.. فهم يعتقدون أن الله خالق رازق، لكن الذي يعتقد أن الله خالق رازق وطيلة حياته منحني الظهر أمام الطاغوت، مطأطيء الهامة امامه، ما رفع رأسه في يوم من الايام وقال لظالم: قف مكانك ياظالم.. أين التوحيد في قلبه؟! لماذا؟! لأنه يخاف على رزقه أو يخاف على أجله إذاً ليست القضية قضية توحيد الربوبية، القضية قضية توحيد الالوهية، إن الذي يقر بتوحيد الربوبية ويقر بتوحيد الأسماء والصفات، يثبت لله عزوجل ما أثبت لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة من الاسماءوالصفات، من الأسماء الحسنى والصفات العليا دون تشبيه ولاتمثيل، ولاتعطيل ولاتأويل، هذه القاعدة التي نؤمن بها، وهي القاعدة التي اتفق عليها السلف، نثبت لله يداً ليست كايدينا..

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا	*إن المشبه عابد الأوثان*
كلا ولانخليه من اوصافه	*إن المعطل عابد البهتان*

ونؤمن أن (الرحمن على العرش استوى) بالكيفية لانعلم، والاستواء معلوم، والكيف مجهول، والايمان به واجب، والسؤال عنه بدعه، ولانقول إن الاستواء هو الاستيلاء والهيمنة، ولانقول إن يد الله قدرته، له يد ليست كأيدينا وعين ليست كأعيننا، ونعلم ونعتقد أن الله مستو على عرشه بائن عن خلقه فوق السماء السابعة، سبحانه وتعالى..لكن توحيد الألوهية، التوحيد العملي في الحياة، لان توحيد الالوهية هذا الذي يكلف الثمن، أما توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الربوبية لاتكلف ثمنا، ليس فيها مخاطرة بالدماء ولا بالأرواح، وليس فيها مخاطرة على مستقبل الأولاد والعائلة، الخطر بتوحيد الألوهية،توحيد الألوهية، توحيد الله بافعال خلقه، أو التوحيد العملي، أن نعبد الله وحده نتوكل على الله وحده، نخشى من الله وحده ننذر له وحده، نصوم له وحده، نتحاكم إلى الله وحده ، هذا توحيد الألوهية، فإذا تحاكمنا إلى الله وحده فنحن موحدون، أما إذا كنا نعتقد بتوحيد الربوبية بتوحيد الاسماء والصفات، ونتحاكم إلى شريعة الطاغوت، أين التوحيد في حياتنا؟

(وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) (الأنعام: ١٢١)

فالتوكل على الله بالرزق في الأجل، هذا الذي يظهر عقيدة المسلم وتوحيده، إن الذي يوحد توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات ولكنه يخشى أن يرسل ابنه إلى المعركة، وإذا جاء ابنه إلى أفغانستان يلحقه إلى افغانستان، أين توحيد الألوهية في حياته؟ أين..؟؟

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) (آل عمران: ١٤٥)

لماذا تلحقه؟ أنت تقول أنا موحد، لكن هذا التوحيد توحيد عملي، يكلفك تعبا في حياتك وأعصابك وقلقا، إذا لم تكن مطمئنا إلى التوحيد الذي يسري مع دمائك ويستقر في أعماقك.

وكلهم والحمد لله استجابوا -ما اذكر واحداً ما استجاب الا واحداً، لماذا؟ هذا الحرز دفع ثمنه ثمانية الاف روبية افغاني، ثمانية الاف افغاني يمكث سنة وهو يشتغل حتى يوفرها، أنت تأتي تريد أن تصلح الدنيا كلها بيوم واحد، تركض تريد أن تقطعها، انت كأنك تقطع رقبته، لأنه اشتغل سنة حتى اشترى هذا الحرز، ادفع له ثمانية آلاف وخذ الحرز وافتحه ومزقه وما عندهم مانع، هو لا يفهم، حدثني دكتور عبدالرحمن قال جاء شاب من الشباب العرب، ما أعرفه من قبل في عنقه حرز أراد أن يقطعه عن كتفه.. مسك يده قال له ماذا؟، قال هذا شرك قال له أنت مشرك.. هذا قرآن.. أنا أحمل القرآن، وأنت تريد أن تقطع القرآن، من المشرك..؟! هذا الذي يفهمه الأفغاني قال له: انا احمل القرآن وأنت تريد أن تقطع القرآن؟ من المشرك؟! هم يفهمون أن هذا قرآن و كثير من الجبهات ليس فيها حرز واح، ومع أننا نكره أن يعلقوا سواءً من القرآن -ومن غير القرآن - نكره ان يعلقوه حرزاً كما قالوا دفعا للفساد وسداً للذرائع، أنا أحاربه.

شاب عربي مرة كان في الجبهة قالوا وجد في الجبهة حرزين (جبهة كنر) فيها أسد الله، قائد من قادة سياف، قال: وجدنا حرزين جاء شاب عربي، معلوماته بسيطة.. لكن متحمس، هم كل هؤلاء الشباب متحمسون جزاهم الله خيراً، جاء يريد أن يقطعها فرفض، الله أعلم كم دفع ثمنها فسحب الأقسام، فهجم الأخ العربي المسؤول.. لأن كل مجموعة نرسلها نضع عليهم أميرا.. والدخول على أفغانستان ليس على رأسك.. نحن نوزعكم مجموعات.. ونرسل معكم كتب حتى يحترمونك ويحبونك ويقدروكم.. أما إذا ذهبت على رأسك ما أحد يحترمك، فالأمير تقدم مسكه وأخذ الكلاشنكوف، فسأل لماذا سحبت الأقسام؟ قال هذا مشرك، قال دمه هدر؟ قال دمه هدر، خلاص يعني مثل دم الشيوعي،

قلت لهم: يا أيها الأخوة ليس هكذا والله دين الله، وما قال أحد من العلماء أن هذا شرك أكبر.. مهما كان، ما رأيت عالماً من العلماء في الارض حتى الآن قال إن تعليق الحرز شرك أكبر حتى الآن، ما رأيت!! فإن كان واحد يعرف عالماً من العلماء عنده مسكة من علم.. أو بقية من لب.. قال هذا شرك أكبر.. فليقل لي من هو، ما قال أحد من العلماء، الشيخ عبدالعزيز بن باز - اكرمه الله.. وبارك في عمره أرسل لي رسالة قال سمعنا أن بعض الشرك الأصغر قد انتشر مثل تعليق الأحراز والتمائم، كما قلت أنا أكره هذا كله.. لكن العلماء اختلفوا منهم من يجيز ومنهم من لا يجيز، والصحابة اختلفوا، والحديث حسن، حسنه الأرناؤوط، حسنه عبدالقادر الأرناؤوط في تخريج الاذكار وفي تخريج الكلم الطيب..

ننتقل إلى التوسل: التوسل ما هو التوسل؟ التوسل اللهم اغفر لي بجاه النبي ﷺ ، هل يقول أحد من العلماء إن هذا شرك.. الامام أحمد أجاز هذا الكلام.. أجاز قول: اللهم اغفر لي بجاه النبي ﷺ، وكرهه أبو حنيفة، لأن عقيدة أبا حنيفة في هذه المسائل متشددة كثيراً.. واقرأوا كتاب التوسل والوسيلة للألباني، ناصر الدين الألباني، أليس كلكم تعرفون أنه من أصحاب العقيدة الصحيحة؟ إقرأوا كتاب التوسل، لمحمد ناصر الدين الألباني، التوسل أنواعه وأحكامه، فاذا كان الفقهاء مختلفون بهذه القضية، نحن نحكم بالشرك عليه؟!! إنه يخرج من الاسلام إذا قال اللهم إغفر لي بجاه النبي ﷺ ، هذا ما قال بها أحد من العلماء في الأمة أبداً، أبداً..

مرة كنا ذاهبين إلى الشيخ عبدالعزيز، فكنت أنا ماشي مع واحد قلت: ما هو الرأي في التوسل هذا، اللهم اغفرلي بجاه النبي ﷺ ؟ هل يعتبرها الشيخ شركا قالوا يعتبرها شركا.. قلت لهم لايمكن..لايمكن، كيف؟! أنا ما أكاد اصدق أن هذا من الدين، وصلنا للشيخ قلت له: ياشيخ أنت تعتبر التوسل بجاه النبي ﷺ شركا؟ قال:لا.. لا أعتبره شركا -الشيخ عبدالعزيز بن باز - إذا أطلقت الشيخ عبدالعزيز فهو الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز مفتي المملكة العربية السعودية، رجل نقر له بالعلم وبالفضل وعلى الرأس والعينين.

إذا كان التوسل ليس شركا ننتقل إلى الاستغاثة بالأموات، لأن بعض الناس يعتبرون التوسل هو الاستغاثة بالأموات، يا فلان انصرني أو ارحمني أو ارزقني أو.....الخ أو يا فلان اشفع لي عند ربك هذا شرك اكبر، الاستغاثة بالأموات شرك أكبر.

صور من حياة الأبطال

... ولا زالت حتى الآن لم تخط الخطوة الأولى في هذا الطريق اللاحب المليء بالدماء.. المفروش بالأشلاء، الذي يحفه من بينه على سماطيه الشهداء ، ويتوّجه، يسبح في سمائه أرواح الأبرياء.

يا أيها الإخوة لا تنظروا أنكم قدمتم شيئا، ومهما قدمنا، ومهما سرنا، فنحن مقصرون إزاء هذا الدين، ونحن عاجزون بجانب المجاهدين الذين حملوا اللواء طويلا، ولا زالت أيديهم رافعة لهذه الراية التي نُسجت بحبات القلوب..

جاءوا بحبات القلوب فوّشعوا   *لك من سواد القلب فضل لثام*

يا أيها الإخوة: المسيرة طويلة، وهذا الدين عزيز، ومهره عزيز، لأنه تنزل من عند العزيز، مهره الدماء، مهره الأشلاء، فإن كنت يا

هذا مشوقاً للقاء الحور فواصل الطريق حتى تصل إلى تلك الحور، فإن كنت راغباً زاعماً أنك تريد وصل تلك الخيّرات الحسان في الجنان فلن تصلها بأيام قليلة تقضيها هنا ثم تعود أدراجك، تلفك الدنيا، تفتح لك أبوابها، وكلما أغلقت باباً فتحت لك مائة باب، والدنيا حاضرة يتزوجها العشاق، وما تزوجها أحد إلا وقتلته في ليلة زفافه، فإياك إياك.. إياك أن تبتلعك الدنيا، وأن يستحوذ عليك الشيطان، وأن تفلت من هذا الطريق بعد أن عرّفك الله إياه، وبعد أن وقفت على أول معالمه.. يا راغب الجنان، ويا طالب الحور الحسان، لابد من دفع المهر الغالي..

فحي على جنات عدن فإنها	منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى	نعود إلى أوطاننا ونسلم
فيا بائعاً هذا ببخس معجل	كأنك لا تدري ولا أنت تعلم
فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة	وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

فتح حصن كبير

... نبشركم أولاً: أنه جاءنا في هذا اليوم خبر يَسُرّ -والحمد لله- فتحٌ عظيم بين تخار وبدخشان في منطقة أسمها (كلفغان) أنت قلت كالأفغان، يعني مثل الأفغان هي اسمها (كلفغان) هذه منطقة حصن كبير جداً للشيوعيين والروس، والقائد أحمد شاه مسعود يخطط لهذه العملية منذ فترة، وفتح الله عليه هذا المكان، وهو مكان حصين، وكبير وقوي بين كابل وبدخشان، في الطريق العام، وأحمد شاه مسعود -الحمد لله رب العالمين فتح عليه- منذ ثلاث سنوات لا يضرب إلا الضربات الكبيرة -الحمد لله- لا يدخل في عمليات صغيرة.

كيف كانت عملية بشغور؟

ففي رمضان ليس هذا، قبل الماضي، أي قبل سنتين تماماً، فتح مركز بشغور، هذا المركز عندما فتحه أولاً كان فيه جنرال كبير إنتحر عندما دخل عليه، أسر منه خمسمائة أسير منهم سبعة وثمانون ضابطاً، والذين اشتركوا في العملية مائة من المجاهدين، وبقي أحمد شاه مسعود ينقل الغنائم ثلاث أيام، ومن الذي ينقلها؟ الأسرى.. على أكتاف الأسرى، فأخذ السبعة وثمانين ضابطاً ووضعهم في سجن، في مغارة في الجبل تحت الأرض، أي في سفح جبل، ووضع عليهم حرساً منهم اثنان من إخواننا العرب، أبو عاصم وأبو بكر السوري، أما أبو عاصم فقد استشهد، وعندما أسر سبعة وثمانين ضابطاً وفتح بشغور، ثلاثة أيام وهو ينقل الغنائم، ذهل الضباط الأمريكان، فجنرال أمريكي جاء خصيصاً من أمريكا ليدرس الخطة التي اتخذها أحمد شاه مسعود في فتح بشغور، قال له: أريد الدخول إلى بنجشير، والدخول إلى بنجشير صعب جداً، تصوروا، بعد فتح بشغور بأسبوع، وإذا بهذا الأمريكي يصعد الجبال متسللاً، وهذه الجبال (جبال نورستان) كثيراً ما يغمى على الإنسان فيها، أثناء دخوله إلى بنجشير، ووصله، قال: أريد أن أفهم منك الخطة التي استعملتها لدخول بشغور حتى يستفيد منها الجنرالات الأمريكان، تصوروا.. تصوروا عندما يكون هذا الشاب أحمد شاه مسعود، الآن عمره خمس وثلاثون سنة، هذا الرجل منذ عام ١٩٧٨ حتى الآن - تسع سنوات - لم يخرج أبداً من داخل المعركة، الحقيقة أنا أضعه أعظم وأرفع قائد في أفغانستان، وأضع صفيّ الله الذي استشهد قبل أسبوع في المرتبة الثانية، حقيقة كان استشهاد الأخ صفيّ الله خسارة كبيرة، نرجو الله أن يعوضنا عنه خيراً إن شاء الله، ونرجو الله أن يحفظ أحمد شاه مسعود، إن شاء الله.

فماذا فعل بالضباط هؤلاء؟ وضعهم في سفح جبل في مغارة، فخرجت نساء الضباط في كابل مظاهرة ضد بابرك كارمل، وضد رجال الحكم، أنتم هنا تتنعمون بالحكم في كابل وأزواجنا مأسورون، خلّصوا أزواجنا إن كنتم رجالاً، فأرسل بابرك كارمل إلى أحمد شاه مسعود قال له: نريد أن نستبدل الأسرى ، نعطيك ما شئت، وأعطنا الضباط، قال: نعم.. لا بأس، واتفقوا على الشروط، طلب ما يريد أحمد شاه مسعود مقابل أن يفلت لهم الضباط، واتفقوا على مكان اسمه (مكنى) واد في بنجشير يسلمون فيه الضباط، ويسلمونه كذلك مقابل أولئك المجاهدين الأسرى، ورأت روسيا أن هذه عظيمة على نفسها، هكذا يذلها شاب لا هو خريج أكاديمية عسكرية، ولا هو جنرال كبير، ويفرض عليها من الشروط ما يريد، فأعدت فرقة من الكوماندوز لاقتحام الموقع الذي فيه الضباط، وفي اليوم المحدد، وإذا بعشرين طائرة، أو أكثر من عشرين طائرة، المهم... ألف وخمسمائة من الكوماندوز اشتركوا، حطت الطائرات دفعة واحدة في المكان الذي فيه أحمد شاه مسعود ينتظر تسليم الأسرى، وأحمد شاه مسعود دائماً آخذ احتياطه -نرجو الله أن يحميه- لأنه في الحقيقة أي قائد من هؤلاء القادة يسقط خسارة كبيرة للجهاد، تتضعضع الجبهات التي تتبع له، ويختل توازنها - فنزلت هذه الطائرات، ونزل الكماندوز، وبدأوا يرشون في المكان، هو فوجيء، كان أول أمر ألقاه اقتلوا الضباط جميعاً، فقتلوهم جميعاً، ثم دارت معركة بين

الكوماندوز الذين على رؤوس الجبال، وهؤلاء في السفح، وكانت النتيجة أن قتل عدد كبير من الروس، ولم يستشهد من المجاهدين واحد. وبقي الوادي - منطقة الوادي - منتنة لفترة طويلة من جثث أولئك الكفار.

العملية الثانية:

عملية أندراب في رمضان الماضي التي استشهد فيها الأخ أبو عاصم، والتي كانت فتحا كبيرا. واستشهاد الأخ أبي عاصم كان عجيبة من العجائب، هذا الأخ أبو عاصم شاب عراقي معه توجيهي، لكنه يحفظ القرآن، وقال لي: أريد أن أذهب إلى بنجشير، وسار إلى بنجشير، وأحبه أحمد شاه مسعود، وقال له: لا أريد أن تفارقني، أريد أن تصلي بنا، وأريد أن تعلمنا القرآن، وفعلا بقي مع أحمد شاه مسعود، ثم قال له أبو عاصم: أنا أريد أن أتفرغ لتعليم القطاعات التي تربيها - أحمد شاه يربي قطاعات خاصة، القطاع الخاص، ينتقي مائة مجاهد يعمل لهم دورة لمدة ثلاثة أشهر مركزة يعني مثل هذه الدورة، لكن ثلاثة أشهر، برنامج تربوي، روحي، عسكري، رياضي، فكان أبو عاصم يشترك في تربية هذه القطاعات، فأحبوه كثيرا، وبقي من رمضان إلى رمضان، وكان ينتظر رمضان ويقول: أمِ على شهادة في رمضان، وفي رمضان كانت هذه العملية الكبيرة، فجاء إلى عبدالله أنس - الأخ العربي الذي يعتبر مستشارا لأحمد شاه مسعود - وقال له: قل للأخ أحمد شاه: أنا أريد أن أشترك في العملية، فقال لأحمد شاه: أبو عاصم يريد أن يشترك في العملية فائذن له، فأذن له على مضض، هم لا يفرطون بالأخ العربي الذي يعرف التجويد، يعرف القرآن، يجدونه هدية نزلت عليهم من السماء، يعضون عليه بالنواجد، ويمسكون بتلابيبه، ويحجُزه حتى لا يفلت منهم، فقال أبو عاصم: أنا أريد أن أنسف باب القلعة، قال مسعود: لا بأس، فسجلوا الأسماء، كانت الأسماء حوالي مائة وسبعة عشر أو مائة وعشرين، شخصا - كان فيهم أبو عاصم - كل واحد وضعوا بجانبه اسم بلده، أبو عاصم بدل أن يكتبوا بلده، كُتب شهيد بجانبه، فعبدالله أنس اطلع على ورقة الأسماء قال لهم: نحن اثنان عربيان تستكثرنا عليكم، تريد أن تأخذ عربي، هذا الذي يسجل اسمه صفي الله - غير صفي الله أفضلي شهيدنا الذي استشهد في هرات كذلك صفي الله استشهد وهو من قادة أحمد شاه مسعود - قال له صفي الله: والله إنه شهيد، قال: تقسم على الله؟ قال له: والله لن يرجع اليوم، والله سيستشهد اليوم، والله، والله، أربعة أيمان أنك يا أبا عاصم ستُستشهد اليوم، أنت لا ترى، لا ترى نور الشهادة في وجهه، أنظر يا أخي.. أعمى أنت؟ يقسم له أربعة أيمان: أنه لن يرجع أبو عاصم اليوم، وأفطر الجميع بأمر أحمد شاه، ورفض أبو عاصم وأخ ثاني (شاه قلندر) أن يفطرا، وعندما وصلوا قرب باب القلعة، تقدم الأخ أبو عاصم ووضع الألغام تحت باب القلعة، والرشاشات مفتوحة عليه - رشاشات الكفار - ثم رجع إلى خندقه، ثم تفجر باب القلعة وهوى، وسقط جزء من جدار القلعة، وسقطت معنويات العدو، فلشدة الحماس أبو عاصم لم يمسك نفسه، وهجم مرة أخرى، فكان من مخطط العملية أن تضرب الرشاشات الثقيلة بعد نسف باب القلعة بالزيكويك والدوشكا وما إلى ذلك، لابد أن تضرب هذه المدافع والهاون حتى تضعضعهم نهائيا، ثم يتقدم المجاهدون، أبو عاصم لشدة الحماس ما أمسك نفسه، وهجم بعد انهيار باب القلعة، أمر أحمد شاه بإيقاف الرشاشات عندما رأى أبو عاصم تقدم، أمر بإيقاف الرشاشات الثقيلة، وكانت فعلا المنية تنتظره.. أصابته رصاصة ووقع، ولم يُستشهد في تلك العملية إلا الصائمان: (شاه قلندر وأبو عاصم)، إلا الصائمان فقط، نعم، وحملوا أبا عاصم ونقلوه، طبعا المجاهدون ينتظرون النتيجة، النتيجة النصر، لكن يريدون أن يعرفوا من الشهداء - نقلوه، واستشهد على الطريق - فالمجاهد يأتي ويكشف فيرى أبا عاصم قاري محمد - هم يسمونه قاري محمد هو اسمه محمد - فيضع يده على قلبه ويرجع لا يحتمل رؤية القاري المعلم الذي علمهم شهيدا، أحمد شاه علم بالخبر بقي فترة حائرا كيف يخبر المجاهدين باستشهاد أبي عاصم، ونُقل أبو عاصم، وحمله أحمد شاه، يبكون ويقومون، إن جلس على الطعام: هذا صحن قاري سيب، يبكون ويقومون، إن ناموا: هذا سرير قاري سيب - سيب يعني: قاري المحترم، قاري محمد، لكنهم يسمونه: قاري سيب محمد - فكاد أن يصيبهم هلوسة، واضطُر أحمد شاه أن ينقل القطاع بكامله من مكانهم حتى ينسيهم آثار أبي عاصم.. نقل القطاع على بعد ثلاثين كيلو مترا.

قلت للقاضي معصوم أحد أركان أحمد شاه: حدثنا عن أبي عاصم؟ قال: لم أر رجلا مهيبا أكثر منه، كنا جميعا - هؤلاء القادة الكبار الذين زلزلوا روسيا - لا يتجرأ أحد أمامه أن يبتسم ولا يسأل، ولا يمد رجله، ولا يتكيء، ولا يضحك، كانت مكانته في النفوس لا يمكن أن تداني، إحتراما، وتقديرا، وإجلالا.

كم عمره؟ عمره ثلاث وعشرون سنة أو اثنتان وعشرون سنة، وكلهم أكبر منه، وكلهم قدموا للجهاد أكثر منه بكثير، لكنهم إجلالا للقرآن الذي يحمله، وتقديرا للمعلومات التي قدمها لهم، تعليمهم كتاب الله عز وجل، مع تعليمهم صيام الإثنين والخميس، وقيام الليل، حفرت هذه الأعمال آثارها عميقة في النفس.

العملية الثالثة:

العملية الثالثة التي قام بها أحمد شاه: عملية فرخار، كذلك ثلاث قلاع بجانب بعضها البعض في قرية الشيوعين، وخطط لها، وعادته أن يخطط للعملية شهرين أو ثلاثة، نعم ولا يتعجل، وينتقي لها شبابا، ويرسم العملية على مخطط رملي بعد أن يأتوه برصد جيد، والحمد لله هو على صلة بضباط الجيش الأفغاني، يحترمونه.. يحبونه، له عيون في داخل المخابرات الروسية، في داخل المخابرات الأفغانية، في داخل الجيش، أبناء الجامعات كلهم يدينون له، الذي يتخرج يذهب إلى أحمد شاه مسعود، يحبونه، الطبيب، المهندس ما إلى ذلك، أول ما يفكر به عندما يتخرج من جامعة كابل أن يتجه إلى أحمد شاه مسعود، ينضوي تحت لوائه جنديا مخلصا، وخطط للعملية، وكان فيها كذلك مجموعة من الإخوة العرب، واحتلها، وفتحها، وغنم غنائم كثيرة جدا، حدثنا إخواننا العرب آنذاك – هذا في عيد الأضحى، عيد الأضحى الماضي، يعني قبل أقل من سنة –.

ثم عملية نهرين: التي اشترك فيها أحد عشر عربيا، واستشهد فيها أبو دجانة، وعبد الجبار من مصر، وسبحان الله! غالبا الذي يستشهد تُرى آثار الشهادة عليه، ويراه بعض إخوانه في المنام أنه شهيد، أو يراه مع حورية أو غير ذلك، كان معهم زوج ابنتي، فرآه في المنام، رأى أبو دجانة في المنام مع حورية أو كذا، فقال له: أنت شهيد يا أبا دجانة – وأبو دجانة سبحان الله!! شاب نرجو الله أن يرزقنا الصدق والإخلاص، نرجو الله أن يجمعنا مع هؤلاء في الجنة إن شاء الله.

فعلا عجيب هذا أبو دجانة، لا يوجد –تقريبا– شاب في الإسكندرية، ولا رجل من المخابرات، ولا رجل من الشرطة، إلا ويعرف أبا دجانة! أعداء الله يهابونه، وأولياء الله يحبونه، فإذا قيل أبو دجانة هو علم في رأسه نار.. نعم، معروف في كل الإسكندرية، وجاءنا هنا –والحمد لله– وكان في الجبهة عند الشيخ جلال الدين حقاني، ومكث فترة حوالي سبعة أشهر تقريبا عند الشيخ جلال الدين، وكان هنالك واد اسمه وادي سرانة طوله سبعون كيلومترا، لا يجرؤ أحد من الأفغان أن يدخن هيبة وخوفا من أبي دجانة، لا يستطيع أبدا، لم يبق في الوادي حرز واحد أبدا، شاب متمسك، سلفي العقيدة، ولكن سبحان الله! استطاع أن يصل إلى قلوب الأفغان، بالدعابة، وبالمزاح، وغير ذلك، إذا أراد أن يأخذ تميمة –طبعا بعد أن عرفوه– يأتي يقول:يا الله، دعاء.. دعاء.. دعاء، ويجمع الأفغان، دعاء ويرفع التميمة، أو واحد حالق لحيته، دعاء.. دعاء على أساس عهد أن يطلق لحيته، معنى دعاء إذا رفع الأفغاني يديه بالدعاء، يعني عهد أن يمشي كما دعا له، نجح والحمد لله نجاحا كبيرا، وأخيرا اشترك في عملية نهرين هذه، وكانت مقاطعة كبيرة، فالله عز وجل كتب له الشهادة.

كان في الطريق، رفض أن يمشي بلا سلاح – قال له عبدالله أنس: أنت يا أخي في أمان، قال: لا يمكن أن أمشي بدون سلاح، فجاءوا له ببيكا، وبقي يحملها فترة طويلة، وهناك الإنسان لو استطاع أن يتخلص من قميصه، يتخلص لشدة الضنك والتعب والمشقة في المشي، وأبو دجانة حامل الذخيرة، وحامل البيكا على ظهره، ويمشي، واشترك والبيكا معه، ثم جاءته الشظية، فخرّ ساجدا على البيكا التي حملها طويلا وأحبها.

نعم، وعبد الجبار المصري هذا، شاب.. سبحان الخالق! سبحان الله! كان صائما في يوم المعركة، ورفض أن يفطر، وعندما أصيب – كان قبل الغروب – بشظية واحدة، قذيفة هاون، أظن أصابت الإثنين معا، أصابت أبا دجانة وأصابت عبد الجبار، وانحنى أبو خالد على جبين عبد الجبار ليلثمه قبل أن تفضي روحه إلى ربه، وطلب عبد الجبار شربة ماء قبل أن يصل إلى العزيز الغفار، ورفض أن يناوله لأن الجريح لا يعطى ماء، ولقي الله صائما، وكانت هذه العملية الكبيرة التي منّ الله بها على المسلمين وعلينا خلال هذا الأسبوع، وهي عملية (كلفغان)، وفيها غنائم كثيرة جدا، وكان نصرا من الله مؤزرا عظيما، كانت الغنائم ثلاثمائة كلاشنكوف، وثلاثمائة كلاشنكوف هذه لا تظنوها مسألة سهلة، وطبعا هم لا يحملون إلا الروسي، ولذلك (أحمد شاه) كل جنوده يحملون الكلاشنكوف والكلاكوف الروسي من الغنائم، وإذا رأى أحد مجاهديه لا زال يحمل كلاشنكوفا صينيا، ينظر إليه ويقول له: ما عندك نخوة؟! ما عندك رجولة؟ هذه الأسلحة الروسية أمامك في البوسطات ولا زلت تحمل كلاشنكوف صيني؟ أليس عيبا عليك؟!..نعم.

ولذلك مرة أتوه، وقالوا له: نريد أحذية – هو عادته عندما يأتي أحدهم ويطلب منه الحذاء ينظر إلى أسفل الحذاء، ينظر إليه إذا ليس ماسحا تماما، يقول له: أنظر إلى حذائي أنا، حذائي أقدم من حذائك، إذهب – فمرة جاءته مجموعة، قالوا: نريد أحذية، قال: أنا ليس عندي أحذية، أنا فقير، هذه الأحذية هنالك في البوسطة أمامكم، إذهبوا وخذوها، هل يمنعكم أحد؟ الطريق مفتوحة إليها، وفعلا هجموا على البوسطة، واحتلوها، وأخذوا الأحذية التي فيها، فالحمد لله رب العالمين، ونرجو الله عز وجل أن يحفظه.

الآن الحمد لله وحّد بين قيادات الجمعية تقريبا في ثماني ولايات، وكثير من قادة الأحزاب الأخرى ينساقون معه، ويشتركون معه والحمد لله في المعارك الكبرى، هذه المعارك الآن هو يريد أن يجنّ الدولة، نعم، جُن جنون الدولة بخروج أحمد شاه مسعود من بنجشير

تنزلت هاتان الآيتان الكريمتان على قلب رسول الله ﷺ، ولم يكن يحكم من الأرض سوى مدينة واحدة هي المدينة المنورة، تبشره؛ أن هذا الدين سيحكم البشرية كلها، وأنه سيمتد، سيمتد رواقه حتى يظلل كل الغبراء (**ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**) ولقد فهمها الصحابة رضوان الله عليهم...

وسقط الأباطرة، وهزم القياصرة، ووقف هرقل يودع سوريا ملوحا بيديه: وداعا لك يا سوريا وداعا لا لقاء بعده، كانوا يفهمون أن تفسير الآية لم يتم بعد، رغم هذه الفتوحات وإزاء هذه الإنتصارات، ولقد مضى هذا الدين برعاية رب العالمين، يحكم بشرعة سيد المرسلين أجزاء متفرقة قد تصل إلى نصف الأرض أحيانا أو ثلثها، وكان يمر عليها فترات لا تغيب الشمس عن هذه الدولة الإسلامية التي تُحكم بنور القرآن، والتي تُظلل بشريعة الرحمن، ويحكم سيدي المصطفى ﷺ، كانوا يعلمون أن هذا الدين سيأتي عليه يوم لا يقف أمامه دين {**ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**}.

وعند هذه الآية يقول رسول الله ﷺ مفسرا معناها بأحاديث كثيرة، وإن لم تكن عند هذه الآية بالذات، فأحاديث كثيرة تفسر عموم نصوص القرآن التي تبشر المؤمنين أنهم سيحكمون الأرض في يوم من الأيام، يقول رسول الله ﷺ: - في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم (**إن الله زوى لي الأرض شرقها وغربها وإن ملك أمتي سيصل إلى ما زوى لي منها**)، وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد والحاكم وصححه الذهبي والدارمي وغيرهم (**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر إلا ويدخله الله هذا الدين** - من مدر أي: من طين أو حجر، ومن وبر أي: من شعر وخيام وغير ذلك -**ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر إلا ويدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز به دين الإسلام، وذلا يذل به الكفر**).

وفي الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص **وسئل أي المدينتين تفتح أولا: قسطنطينية أم رومية؟ فدعا عبد الله ابن عمرو بصندوق عنده ثم فتحه وقال: بينما نحن جلوس حول رسول الله ﷺ إذ سئل أي المدينتين تفتح أولا؟ أقسطنطينية أم رومية؟ قال: بل مدينة هرقل تفتح أولا**»، أي القسطنطينية التي كان يحكمها هرقل ستفتح أولا، وفتحت القسطنطينية سنة ٨٥٧ للهجرة بعد ثمانية قرون من بشرى رسول الله ﷺ، وستفتح روما بإذن الله.

والحديث الرابع الصحيح كذلك: (**أول هذا الأمر نبوة ورحمة تكون فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، تكون فيكم ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم يكون ملكا عاضا** - أي يعض عليه بالنواجذ - **يكون فيكم ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه، ثم يكون ملكا جبريا يكون فيكم ماشاء الله أن يكون ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت**)، فآخر مراحلها مراحل هذه البشرية أنها تفيء إلى الخلافة الراشدة التي تقتفي إثر نبيها ﷺ، وتتظلل بظلال شريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

ظلمة ووحشة:

ولقد مر علينا أربعة عشر قرنا، وهذا الدين بين مد وانحسار، بين مد وجزر، بين انتصارات أحيانا وهزائم أخرى، ولكن شمسه ما غابت لحظة من اللحظات إلا بعد أن أسقط آخر صرح يمثل هذه المنارة السامقة، على يد الذئب الأغبر أتاتورك، في الثالث من مارس سنة ١٩٢٤، وما أطبق الظلام داج على هذه الغبراء، وما أعتمت الدنيا بظلمتها كهذا القرن الذي عشنا فيه، هذا القرن العشرين الذي مضى علينا فيه سبعون عاما لم نر فيه بريق أمل ولا بصيص نور، بقينا منذ أن سقطت الخلافة، والحق أن بإمكاننا أن نقول إن سقوط الخلافة كان سنة ١٩٠٩ للميلاد يوم أن أسقط السلطان عبد الحميد عن سدة الحكم، وفي هذه الليلة الظلماء التي غادر فيها السلطان عبد الحميد منصة الحكم بإمكاننا أن نسجل حدثين عظيمين: زوال الإسلام الفعلي من الوجود، وسقوط فلسطين بيد اليهود، فبإمكانك أن تقول إن هذا القرن كله يمثل هزائم متواصلة، وانحسر الإسلام عن كل الكرة الأرضية، واستبد الطغاة، وأنشب الكفر بمخالبه في أعماق

هذا الدين يمزق أمعاءه، ويقطع أشلاءه، ويتابع أبناءه حيثما وجدهم، ولقد اقتضت الخطة أن يحكم بلاد الإسلام أناس ممن يسمون بأسماء المسلمين، ويعرفون ببشرتهم، ويتميزون بسماتهم، وهم الحارس الأمين الذي يطبق تعاليم السادة الذين يقبعون في داخل المحافل الماسونية في بروكلين، وفي نيويورك، أو في جنيف، يخططون لهذه البشرية ثم يلقون هذه المخططات للرويبضات كما سماهم رسول الله ﷺ، يغمدون الخناجر المسمومة في أعماق هذا الدين، وهم باسمه يهللون، وتحت رايته يكبرون

قال ﷺ: **(إن بين يدي الدجال سنين خداعة، يخوّن فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، ويصدّق فيها الكاذب، ويكذّب فيها الصادق، ويتكلم الرويبضة، قالوا: وما الرويبضة يا رسول الله؟ قال: الرجل التافه يتكلم في أمر العامة)** يمسك زمام التلفاز أو جهاز البث ساعتين أو ثلاثة وهو يخطب، والجماهير تنظر مبهورة، وأحيانا تصفق وكم صفقت هذه الجماهير لجزاريها وكم هتفت لذابحيها، الذين يسوقونها سوق القطعان لتذبح على مذابح شهواتهم التي تنفذ مآرب ساداتهم، الذين يقبعون في الغرب في قصر أبيض أو أحمر أو غير ذلك.

وأقيمت الرويبضات في المنطقة الإسلامية من أجل أن تتم المسرحية دون أن يتبصرها أولئك الذين يدينون بالولاء الغامض لهذا الدين، بشعور عاطفي غامض لهذا الدين، لا يعرفون كنهه ولا يدركون حقيقته، ولا يعرفون كيف يجتث الإسلام من الجذور، وكيف تقتلع نبتته من الوجود في الوقت الذي يعمل القاطع - قاطع الشجرة - يحسبه الناس بستانيا قد عني بهذه الشجرة ريا وتسميدا وعناية وتقليما.

ولقد كتبت كتب في بداية هذا القرن، ١٩٣٢ كتب (جب) كتابا سماه (Weather Islam)، (جهة الإسلام) أين يتجه الإسلام، وقال: لقد ألقينا القبض على زمام التعليم وزمام الإعلام، فالصحف اليومية والإعلام بأيدينا نحن الغربيين، والتعليم نوجهه بمناهجنا كما نشاء، وإذا بقي الشرق سائرا على هذا الطريق فعما قريب سيصبح الشرق علمانيا لا دينيا، ولكن الذي يخيفنا كما يقول جب: الذي يخيفنا شيئان: المعاهد الدينية، والحركات الإسلامية، والحركات الإسلامية تستعصي على المراقبة، لأنها تنفجر انفجارا، ثم يقول: إن الشرق لا ينقصه إلا صلاح دين جديد، كتب جب في هامش كتابه سنة ١٩٣٢: ظهرت حركة جديدة اسمها حركة الإخوان المسلمين، مؤسسها حسن البنا، لا ندري هل يستطيع أن يواجه التيار ويقف أمام الأحداث، أم تكون الأحداث أكبر منه، ثم تجرفه وتجرف حركته كما جرفت غيره؟.

كيف قامت باكستان؟

وفي نهاية الأربعينات وجد أن هنالك جماهير ضخمة من المسلمين في القارة الهندية تطالب بإنشاء دولة تحكم بالإسلام، وفكروا طويلا، كيف يمكننا أن نواجه مائة وعشرين مليون مسلما يتجمعون في منطقة واحدة؟ وأخيرا وجدوا المخرج بالبحث عن رجل يعيش في أوروبا، لا يعرف لغة هذه البلاد، ثم بدأ الإعلام الإنجليزي يضخمه ويلمعه ويقدمه، وعندما أذنت بريطانيا بفصل باكستان عن الهند، كان هذا الرجل حاضرا ليستلم البلد ويملأها [illegible] على عقليته التي تربى عليها في الغرب، عقلية علمانية، وملئت البلد بالقاديانية والعلمانية والشيعة والإسماعيلية وغير ذلك، وسلم لهم الاقتصاد والإعلام والخارجية وغير ذلك، وكان الإقتصاد في هذا البلد بيد شيعة هذا الرجل الإسماعيلية، وأنشيء (حبيب بانك) بيد رجل إسماعيلي.

أقرأ لكاندل سميث كتابه (Islam in modern history) لكن أنا قرأت بعض مقتطفات منه يقول: لا يمكننا بالنسبة لباكستان إلا أن ننشيء شخصية مثل شخصية أتاتورك، نصنع منها بطلا يعتبر المساس بها مساس بكيان الوطن نفسه، ثم قال أخيرا: وهل بإمكاننا أن نصنع في هذا البلد أتاتوركا جديدا؟ نحن لابد لنا أن نقنع الشعب نفسه أنه ليس هنالك في الإسلام حكم، ولذا فقبل أن يعلنوا قيام دولة باكستان كانت عشرات الألوف من نسخ كتاب علي عبد الرازق (الإسلام وأصول الحكم)، جاهزة بالأردية توزع على هذا الشعب أنه ليس هنالك في الإسلام حكم إنما هي نبوة وليس حكما، وأنشئت باكستان على قطعتين من الأرض البعد بينهما ١٧٠٠ كيلومتر، بين البنغال وبين باكستان الغربية، ليبقى أمنها متزعزعا، واختير لها أفقر المناطق خصوبة وإنتاجا في القارة الهندية وسلمت للمسلمين، ومع هذا كله كانوا يخشون من هذه البلدة القائمة، نعم سميت باكستان (الأرض الطاهرة)، وإن كانت العلمانية هي ظلالها

وسداها ولحمتها منذ اليوم الأول الذي قامت فيه، حتى تكاد تقول إلى أواخر السبعينات يوم أن بدأ ضياء الحق رحمه الله -يحاول وربه أعلم به -أن يعلن أن الشريعة هي منهاج هذا البلد، وهي حكمه الإسلام، معزولة عن دين الله ليس لله فيها إلا المساجد، والمساجد فقط، ولقد فهم الكثير من أبناء هذا الشعب أن دين الله إنما هو متمثل بالصلاة بالطاقية، وأن لا تدخل إلى ساحة المسجد بالحذاء، فإذا رآك تصلي دون طاقية، نهض وأسرع إلى مجموعة الطواقي الموضوعة في مقدمة المسجد واختار لك طاقية وألبسك إياها، في الوقت الذي تكون زوجته بشعرها عارية في الشوارع، يظن أن صلاة الرجل حاسر الرأس أشد إثما عند رب العالمين من خروج المرأة حاسرة الرأس بدون خمار وبدون إشار.

دور الأزهر:

كانوا يخشون كثيرا من مصر، بسبب الثقل السكاني، وبسبب القيادة العلمية بقدر الله الذي جعل الأزهر فيها لمدة ألف عام تخرج القيادات الإسلامية للعالم كله، للعالم الإسلامي كله، وهي محل احترام الجميع، جميع المسلمين في الأرض الذين أطبقوا على تسميته بالأزهر الشريف، ولذا كان خريج الأزهر إنما هو محط أنظار الناس، ومحل احترامهم، وتوقيرهم، ولا زلت أذكر يوم أن جاء شيخ البلدة وهو لم يحمل الشهادة الأزهرية بعد، درس سنوات ولم يأخذ الشهادة، جاء يخطب شقيقتي من والدي ورده والدي، فقالت له أمي: أترد شيخ الأزهر، أترد العالم الأزهري! كان كجبل وقع على صدر أمي -رحمها الله- بسبب أن والدي لم يقبل وساطة إمام المسجد الذي درس في الأزهر الشريف.

ولذلك كنت وأنا أحمل شهادة الليسانس أرى أمي أحيانا تخالف في بعض قضايا السنن أو الهيئات في الصلاة فأقول لها: يا والدتي الصلاة بهذه الطريقة، فتقول: لكن الشيخ أفتى بغير ذلك، تظن شيخ المسجد الذي درس سنتين في الأزهر أعلم مني، ولذلك لا تقبل إلا من شيخ المسجد الذي درس سنتين أو ثلاث في الأزهر الشريف.

ولذلك عملوا كثيرا على حد النسل بالنسبة لمصر، وكان يذهلهم الزيادة السكانية للمسلمين في مصر، فاستوردت آلاف الأطنان من حبوب منع الحمل، ووزعت على الشعب المصري مجانا، وأقيمت البرامج المتسلسلة في التلفاز، لتثبت لهم أن منع النسل إنما هو دين الله، ولا تخالف شرعته ولا منهاجه، ولابد من الفتاوى التي تقر هذا النظام الذي يقطع نسل المسلمين الذين يشكل مجموعهم وثقلهم وكثرتهم خطرا يؤرق على الغرب أجفانه، ويقض عليه مضاجعه، ومثلها عمل في باكستان، آلاف الأطنان من حبوب منع الحمل وزعت مجانا على الشعب الباكستاني، حتى يمنعوا نسله ويقللوا أجياله، ومثلها الآن يصنع في داخل أفغانستان وما صنع الـ(أي. آر. سي) وغيرها.. قد اجتثت أرحام كثير من النساء تحت أثر التخدير حتى لا تنجب من هذه الأجيال المجاهدة، وعندما أرسلنا طبيبا إلى (مزار شريف) الدكتور صالح الليبي، مما أذهله وأوقف شعر رأسه أنه وجد أن الحبوب التي بقيت في المستشفى الفرنسي بعد أن غادر الفرنسيون بفتوى من القاضي عبدالله قاضي جبهات مزار شريف أن معظم الحبوب الباقية وراءهم هي حبوب منع الحمل، تأتي المرأة رأسها يؤلمها فتعرض نفسها على الفرنسيين، فيعطونها ورقة حبوب منع الحمل، ويقولون لها تناولي كل يوم في الصباح حبة فإنك بعد شهر قد يتعالج مرضك وتنتهي آلامك.

أطبق الظلام، لم يعد هناك بصيص نور، حتى بداية السبعينات، وعندما رأوا بصيص نور في مصر بسبب الحركة الإسلامية، كانت هناك المؤامرات العالمية، والإنقلابات العسكرية، الملك الجبري، حتى يسبقوا إلى الحكم، حتى لا يصل إلى سدة الحكم أناس مسلمون، ويعيدون نور الخلافة الراشدة إلى الأرض مرة أخرى.

كان أول انقلاب أمريكي في المنطقة سنة ١٩٤٩ على يد السفير الأمريكي (ستيفن مت) في سوريا ليأتوا بحسني الزعيم زعيما، ويعرض بعد شهرين قضية الصلح مع إسرائيل، وقبل الإتيان بحسني الزعيم بشهر واحد كان قُتِلَ حسن البنا، قتل في الثاني عشر مِنْ فبراير سنة ١٩٤٩، وبعد قتله بيومين عقدت مصر معاهدة رودس مع إسرائيل، وجاء انقلاب (ستيفن مت) ولم يجدوا حسني الزعيم هذا الحصان الرابح الذي يمكن أن يراهنوا عليه في الميدان، فتطلعت أنظارهم إلى القاهرة حيث الثقل العلمي والسكاني، فانتقل (ستيفن مت) نفسه (مايلزكوبلاند) مع (جيفرسون كافري) ليتموا المؤامرة، وليأتوا بضباط الثورة الذين أوكل إليهم ضرب الحركة الإسلامية وسحق

الأزهر، وحفظ سلامة إسرائيل.

وتوالت الضربات على الإسلام والمسلمين، كلما نبتت نابتة انقضت عليهم تلك اللكمات الوحشية التي لا زلنا نطالع آثارها على شاشة التلفاز بين الحين والآخر، القبض على مجموعات من جماعات الجهاد ومحاكمتهم، قتلهم، وجريمتهم: هي الجهاد في سبيل الله!! قتل حسن البنا، ثم قتل عبد القادر عودة ورفاقه سنة ١٩٥٤، ومحمد فرغلي ويوسف طلعت وهنداوي دوير، ثم قُتل سيد قطب سنة ١٩٦٦ مع محمد يوسف هواش وعبد الفتاح إسماعيل، ثم قتل صالح سرية وكارم الأناضولي، ثم قتل شكري مصطفى ومن معه، ثم مواصلة القمع والإبادة لكل مجموعة من الشبيبة تنادي بالإسلام، أو تحاول إعادته إلى واقع الحياة.

سحابة صيف:

قامت الثورة الإيرانية وظنناها المخرج، وفرحنا بها أيما فرح، وأقمنا لها الإحتفالات شكرا لله عز وجل، وقلنا إن موقفنا مع هؤلاء الشيعة لا يجوز أن يكون أقل من موقف الصحابة تجاه الروم، الذين قال الله فيهم:

(الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) (الروم: ١-٥)

وكنا نظن أن هذا الجيل الجديد الذي قامت على أيديه هذه الثورة قد تجاوز العقدة التي عمرها أربعة عشر قرنا من الحقد الشديد على السنة النبوية وعلى أعلام هذا الدين الذين نقلوه لنا من لدن سيد المرسلين ﷺ ، ثم تناقلته الأجيال من بعدهم: ورثه العلما جيلا بعد جيل، أمناء ثقات، يسلمون الراية من يد إلى يد، حتى وصلت إلى أيدينا هذه، وإذا بها (سحابة صيف عن قليل تَقَشَّعُ)، ووجد أننا أمام الأجيال نفسها التي حملت في طياتها هذا الحقد الأسود على أعلامنا، وعلى ساداتنا، وعلى صحابة نبينا ﷺ.

تجـربـة:

وقام الجهاد في سوريا على يد الإخوان، وظننا أنه المخرج، ولقد أدى هؤلاء الشباب من البذل والتضحية، لم ير القرن مثله صفاء ولا إقداما ولا تضحية ولا برا ولا إحسانا، شباب - رغم صغر سنهم -كان الإنسان يعتز بذكر أسمائهم، وقف شاب صغير م حماة أمام التلفاز يحاكمه، قال: أنتم ماذا تريدون؟ قال: نريد أن نقتل الطواغيت، ونبيد هذا الحزب الكافر الذي يحكم هذا البلد، قال من تريد؟ قال: من رئيس الجمهورية إلى أدنى واحد، نحن هدفنا أن نقضي عليهم، هذا في المحكمة والتلفاز ينقل إلى الناس، قمة م القمم شمخت بهذا الدين، وبكتاب ربه، وبسنة نبيه، يقف الإنسان أمامها قزما لا يستطيع أن يدرك قمتها التي رُفعت بهذه العزة الت جعلها الله خاصة لله ولرسوله وللمؤمنين، ولكن وللأسف أن الشعب لم يلتف حولها، وترك هذه الفئة الصافية الراشدة -الفتية الذين آمن بربهم وزادهم الله هدى -تركهم يواجهون الطغمة الحاكمة وحدهم وبمفردهم، وسرعان ما استطاع الطاغية أن يقضي عليهم بعد إباد مدينة حماة بكاملها، وقتل حوالي ثلاثين ألفا من أبنائها ونسائها

بصيص نور:

وتطلعنا إلى الأرض، فوقعت أنظارنا إلى نور بعيد من المشرق، هناك في أرض خراسان، قلنا: لعل الإنفراج يكون من جهد خراسان، وقد ورد حديثان حسنان في خرسان ورايابها، وأقبلنا على هذا النور نسير فيه، ليس لنا بصيص أمل ولا نور على ا الطريق إلا ذاك النور البعيد على نوره نسير في هذا الليل الداجي الساجي ووصلنا خراسان، ووصلنا أفغانستان، فوجدنا القض أضخم من الخيال، وأبعد من الأساطير، و لأول مرة عندما رأيت الجهاد في أفغانستان ما صَدّقتُ أنني أعيش في واقع الحياة، وإ هي أحلام اليقظة تراءت لي، فتية كنت أراهم في عين الخيال قادمين، فوجدتهم في عالم الحياة قائمين، يجاهدون بأموالهم وأنفس ومن يواجهون؟ إنهم يواجهون روسيا والإتحاد السوفيتي وحلف وارسو، إنهم يواجههون نصف الكرة الأرضية، إنها حرب عالمية، جهة يقف شعب فقير أمي أعزل لا يملك إلا ثقته بربه، وتوكله على خالقه، وفي الجهة الأخرى ذاك الطاغوت الأكبر الشرس، المد

بالأساطيل البرية والجوية، لا يراعي في مؤمن ولا إنسان إلاً ولا ذمة، ولا يترك وسيلة من وسائل الفتك والإبادة إلا ويستعملها، فعدت إلى قومي منذرا ومبشرا، قد رأيت الذي كنتم به تحلمون، ووجدت الذي كنتم إليه تتطلعون، جهاد واضح الراية بين إسلام وكفر، بين إيمان وإلحاد، يقوده مجموعة من الشباب معروفون منذ نعومة أظفارهم بطهارة الذيل وبنظافة السلوك، وبحسن السمت، وبربانية المسير، ما تطرق إليهم عين شك ولا ريب في مسيرتهم منذ أن رأوا هذه الحياة، ومنذ أن بلغوا الحلم.

طفت في العالم أبشر، ما أكاد أصدق ما رأيت، وقلت لهم: إن الرائد لا يكذب أهله..

(قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) (سبأ: ٤٦)

قلت لهم: والله ما بي من جنون ولا خبل، ولا أعيش في حلم ولا خيال، إنما هي حقائق أكبر من الخيال، ووقائع أكبر من الأساطير في عالم المثال، والناس في العالم بين مصدق ومكذب، والمعركة جارية، ورحى الطاحون يطحن، يطحن البشر وأعصابهم وأنفسهم، ويقدم هذا الشعب يوما بعد يوم المزيد من التضحيات، شلالات الدماء، تلال الأشلاء، جثث الشهداء، يبني مجده فوق ذلك كله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ما صدّق العالم العربي، وما صدق حتى الشباب المسلم في العالم كله المتجه إلى الله، ما صدق، وبدأوا يفسرون ويخمنون ويخمسون ويسدسون، ما هي حقيقة المعركة وما سرها؟ وهل تعجز روسيا أن تلقي قنبلة ذرية على أفغانستان فتبيد خضراءها وتهلك حرثها ونسلها؟، لعلها لعبة الـ (C.I.A) مع الـ K.G.B ، لعلها اللعبة العالمية، لعلها حرب النجوم.

ورأس الشــعب مرتفـــع — *وموج البـــذل متصـــل*

فـتلك ربـــوعهم بالـدافق — *الـــوار يغتســـل*

وتلك جماجم الأطفـــال — *تُسحـــق وهـــي تبتهل*

وأعراض النســـاء بهـــا — *يعيث الملحد الثمـــل*

ومضت المعركة، وبدأ الناس يصدقون، وبدأ الإعلام العربي يستفيق -ليس مني- إنما يستفيق على أصداء التايم والتايمز، وعلى أنباء الكرستين ميرور وشيكاغو إكسبرس إيطاليان! وعلى إكسبريس، إنما هم يصدقون تلك المصادر لأنه (يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق).

ووقع في نفسي أنه لا بأس إن الناس تعجبهم المظاهر، وأبو سفيان ما صدّق أن رسول ﷺ ذو شأن، وأنه سيكون لأمره -في يوم من الأيام- وجود وواقع إلا بعد أن قابل هرقل، وسأله هرقل، ثم قال له بعد ذلك: لئن صدقتني يا هذا ليأخذن الأرض التي تحت قدمي هاتين، ولو استطعت أن أصل إليه لغسلت على قدميه، خرج أبو سفيان مذهولا من كلمة القيصر، وهو يقول: أَمِرَ أمر ابن أبي كبشة، لم يقل محمد بن عبدالله، استعظمها عليه، قال: ابن أبي كبشة، يعني ابن زوج حليمة السعدية، أَمِرَ أمره، أي عظم أمره، يخشاه ملك بني الأصفر.

عزة ورفعة:

والآن وقبل أيام يعلن غورباتشوف أننا سننسحب من أوروبا الشرقية مليونين من الجنود ونبقي نصف مليون، وبعد انفتاحه على الغرب، واجتمع كارلوتشي وزير الدفاع الأمريكي بوزراء الدفاع الناتو، فقال وزراء دفاع حلف الأطلسي لكارلوتشي: يبدو أن غورباتشوف بدأ يغير سياسته تجاه الغرب، قال: أو تظنون هذا؟ قالوا: بلى، قال: لا... إن الأفغان قد أجبروه على تغيير سياسته تجاه العالم كله، وزير الدفاع الأمريكي - أكبر وزير دفاع في الأرض، تحته البيض، الأساطيل والصواريخ العابرة القارات، الأقمار الصناعية، المراكب الفضائية، السفن النفاثة، ما إلى ذلك، يقول - وقد أشار إلى الأفغان - هؤلاء هم الذين أجبروه على تغيير سياسته، والله حدثني بها أحد المسلمين الثقات في أمريكا، قال: سمعته وهو يقول لهم هذا.

ومرة أخرى كان رباني جالسا وأقبل إليه مساعد كارلوتشي، (أرموكوست وكيل وزارة الدفاع الأمريكي) فقام رباني ليصافحه، فقال له أرموكوست: يا سيدي - بهذا اللفظ - يا سيدي لا تقم، أنت يقام لك ولا تقوم... أي رفعة رفع الله بها هذا الشعب بهذا الجهاد،

أي عزة عادت للإسلام والمسلمين في الأرض، في المقابل المثلون لدولة إسلامية أخرى -لفلسطين -يعترفون باليهود، قالوا: لابد أ تعترفوا باليهود، فاعترفوا باليهود، قالوا: لا، أنت لم تنطق بالكلمات، التي نريدها، وكتبت الكلمات والقيت الكلمة عن الورقة التي كتبوها ومع ذلك قال: ماذا تريدون مني بعد ذلك؟ وبعد هذا كله يرفض اليهود الجلوس معه، في نفس الوقت فورونتسوف يبحث في كل مكان ع الأفغان، يريد أن يجلس معهم، يوسط الأمم المتحدة، يحاول أن يتصل أولا بالقادة في داخل أفغانستان، وأرسل إلى أحمد شاه مسعو وألح واستمات أن يقابل أحمد شاه، فأرسل أحمد شاه إلى الشيخ رباني هنا: إن الروس يلحون على مقابلتهم، قال: إن شاءوا أن يقابلو فليقابلونا نحن، فاعتذر إليهم أحمد شاه، وقال لهم: نحن عسكريون في ميدان المعركة، إن شئتم أن تقابلوا فذاك أمراؤنا وساستنا ف بيشاور فقابلوهم، وحاول كولر، واشترطوا عليه أن لا يعرض قضية الحكم المقبل النقاش، وأن لا يعرض قضية الحزب الشيوعي للنقاش وقال: أوافق، قال: أريد أن أقابلكم في فينا، قالوا: لا... تقابلنا فوق أرض إسلامية: إما في السعودية، وإما في باكستان، وتركه رباني وذهب إلى السعودية، واتصلوا به في السعودية: نعم وافقنا أن نقابلك، وجاءوا إليه هناك في السعودية، ورفض الوفد الأفغاني أر يدخل أولا، لابد أن يدخل الروس أولا حتى يقوموا للأفغان إذا دخلوا إلى صالة النقاش.

عزة، وأي عزة أرفع منها؟ إنه السيف...

والمجد في صهوات الخيل مـــركبه *والعـــز ينتجــه الإســراء والسهــر*

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد ابن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

إن الغبار الذي يطير في أرض الجهاد هو ضرورة من ضرورات المعركة، وإن بعض الهفوات أو المشاكل التي تحدث فوق أرضها هي طبيعة الجهاد نفسه ومن مستلزمات الطريق، والذين يخشون على مصير أفغانستان بسبب بعض الخلافات بين بعض القادة، أنا أطمئنهم بإذن الله المستقبل للإسلام.. **(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون).**

منذ ثماني سنوات كتبت رسالة سميتها: "الإسلام ومستقبل البشرية" وكنت أتوقع أن يكون التغيير إما يبدأ من سوريا في واقع الأرض، وإما من أفغانستان، وكنت أظن أن خطين متوازيين سيبدأن بتغيير الأرض كلها: أحدهما يظهر من الأراضي الشامية حيث البشريات النبوية، والثاني يبدأ من أرض خراسان حيث البشريات النبوية كذلك، وأنا لا زلت مطمئنا: أن أفغانستان ستكون بإذن الله بداية التغيير للتاريخ كله.

إنّ بعض الناس يظنون أنّ قضية أفغانستان ستنتهي عند حدود نهر جيحون، هؤلاء واهمون، هذا الشعب المسلم عنده من الطاقة المدخرة، وعنده من الأصالة والصفات ما يمكّنه أن يعيد مرة أخرى حكم الإسلام لثلث الكرة الأرضية كما فعل الأتراك في يوم من الأيام، وهذه الأرض -أرض توران -هي التي خرج منها الفاتحون عبر التاريخ، ومعظم الحملات التي حكمت في الكرة الأرضية، وحكمت أجزاء كثيرة لا تغيب عنها الشمس في هذه الأرض خرجت من أرض توران، توران هي تركستان الشرقية والغربية فيدخل فيها منطقة خراسان.

والآن الإسلام هو المؤهل الذي يحمله هذا الشعب ليتقدم به إلى البشرية، ما كنت أظن وما رأيت أفغانستان يوم أن كتبت ذلك الكتاب، وأعدت طباعته، ولم أزد كلمة واحدة في هذه الأيام، وكنت أقرأ فيه في هذا اليوم فوجدت كأني أعيش سنة ١٩٧٩ عندما كتبته، ورحم الله (سيدا) عندما كتب "المستقبل لهذا الدين"، كنت أظن في الستينات، والليل مطبق أزل داج لاترى فيه بصيص نور، كنت أظن أن الأستاذ سيد يعيش في الأحلام، ورحمه الله كان ينظر بنور الله، كان أبعد نظرا مني، وجاءت الأيام مصداقا لما كتبه في هذا الكتيب الصغير "المستقبل لهذا الدين"، وأنا أقول لكم: المستقبل لهذا الدين، والجهاد هو الذي سيغير واقع الأرض، وأنا أظن ظنا راجحا – والله أعلم – أن أفغانستان هي البقعة التي ستبدأ منها نقطة التحول التاريخي في هذا العصر الحديث...

(ولتعلمن نبأه بعد حين) (ص: ٨٨)

تعريف بالجهاد الأفغاني

أيها الإخوة: يقول الله عزوجل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

(وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) (النساء: ٧٥-٧٦)

ضرورة الجهاد:

ماذا نحدثكم عن أفغانستان، ملحمة البطولة والإيمان، شعب صنع من الحقائق ما يفوق الأساطير، وحققوا في دنيا الناس أهدافاً ضخاماً يظنها الناس أنها قمم لا ترتقي إليها أفعال البشر، ولكن تدركها الأشواق وتقصر دونها الأفعال، مع أنها وقائع صنعت التاريخ من جديد وخطت دين الله بالنجيع القاني في داخل افغانستان؟ جبال من الجماجم بني فوقها مجد الاسلام، تلال من الأشلاء والشهداء بني عليها صرح العزة لهذا الدين، بحور من الدماء تجري عليها سفن النجاة، وفي داخلها القوم يرددون مع أنهم يتجرعون غصص الطريق و مرارة المعاناة ومكابدة الأهوال، رغم أنّات الثكالى وآهات اليتامى وزفرات الحيارى وصرخات المكلومين، هم يسمعونها ومع ذلك يرددون نشيدهم الجميل وحداءهم العذب:

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (آل عمران: ١٤٦)

وعلى طول الطريق لا يملون أن يرددوا:

(وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) (آل عمران: ١٤٧)

أمنيتهم العزيزة التي يستعذبونها وهم يحتملون العذابات، ويستحلونها وهم يتذوقون المرارات **(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)** يستحلون الحياة مع مرارتها، ويستعذبون العذاب مع شدته، لأن قائدهم المصطفى علّمهم **(من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه، يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)**، يعني خير الناس حالا، وأفضل حياة، وأرغد عيشاً، أولئك الذين يمتطون صهوات الجياد...

والعز في صهوات الخيل مركبه   *والمجد ينتجه الاسراء والسهر*

ومتى كان لنا وجود، ومتى كان للتوحيد قيام، ومتى كان للاسلام أي نبتة بدون السيف **(بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له)** بدون السيف لا يمكن أن يكون توحيد، لا يمكن أن يكون دين، ولا يمكن أن يهنأ إنسان، ولا يشعر بهناءة الضمير ولا استقرار القلب ولاراحة الأعصاب إلا في ظلال هذا الدين، الذي يتظلل كله تحت ظلال السيوف، وما الجنة إلا تحت ظلال السيوف.

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) (البقرة: ٢٥١)

بدون الجهاد تفسد الأرض..

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا) (الحج: ٤٠)

بدون الجهاد لا يمكن أن يبقى مساجد، ولا شعائر ولا منابر ولا منائر، كلها تنتهي، وإن كنتم في شك مما أقول، فاسألوا بخار والأندلس وطشقند أين دين الله؟ بعد أن سقط السيف من أيدي المسلمين، سبعة عشر ألف مسجد في بخارى تحولت إلى مكاتب للحز الشيوعي، واصطبلات للخيول، ومخازن للحبوب، عندما دخل أبناء بخارى قادمين مع الجيش الأحمر ليقاتلوا في افغانستان سـ (١٩٧٩م-١٩٨٠م) كانوا يسألون، المصحف كم مجلد؟! لم يروا المصاحف في حياتهم، كان أحدهم -وتشده إلى دينه تلك العاطفة الغامضة التي ورثها عن آبائه- كان يسمع من آبائه أن لهم دين اسمه الإسلام، كان بدافع هذه العاطفة الغامضة لهذا الدين يدا سلاحه لأفغاني ويأخذ مصحفاً مقابله... دين الله، الأمة، النفس الإنسانية، لا وجود لها بدون جهاد، ولذلك شُرِع الجهاد حتى تزال الفتـ في الأرض..

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (الأنفال: ٣٩)

والفتنة هي الشرك، بدون الجهاد تذهب تلك الهالة، الهيبة التي تنصر بها **(نصرت بالرعب مسيرة شهر)** **(تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها)** قالوا أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: **(لا، إنكم كثير ولكنكم غثاء - زبد - كغثاء السيل ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، ولينزعن الله من قلوب أعدائك المهابة منكم)**، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: **(حب الدنيا وكراهية الموت)** وفي رواية للامام أحمد **(حب الدنيـ وكراهية القتال)**.

لن يهابنا أعداؤنا، ولن تتكسر لهم شوكة بدون السيوف والرماح، بدون العدة والسلاح، ولذلك رب العزة قال لرسوله ﷺ:

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك، وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والل أشد بأساً وأشد تنكيلا) (النساء: ٨٤)

قاتل، عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا، فعلينا فرضان، فرض القتال وفرض التحريض للقتال، فالتحريض فرض، والقتا فرض، والكلام في الجهاد طويل وفي فضائله وفضائل الرباط وفضائل الشهادة والهجرة طويل طويل، ويحلو للنفس وتستعذب به أ تتحدث عنه، ولكن الوقت قصير لأننا مضطرون أن نذهب إلى (بريدة)[1] ولكن أنا سأحدثكم باختصار، كيف اعتز هذا الشعب بربه؟ وكيـ اعتصم بخالقه وداس الدنيا بقدمه؟ فأتت الدنيا كلّها تقبل قدمه.

الآن الأمريكان، الغرب، الروس، كلهم، قضية افغانستان، لماذا؟ فرض احترامه بسيفه الذي رفعه، عندما احترم مبدأه الذي أعز الله به دينه، احترمه الناس جميعاً، والناس لا يحترمون إلا القوي، وأما الضعيف فلا وجود له تحت الشمس، بل الضعف جريمة يستحـ صاحبها جهنم!!

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا: فيم كنتم؟ قالوا: كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) (النساء: ٩٧)

الضعف ليس عذرا عند الله، الضعف جريمة يستحق صاحبها جهنم، وأعذر رب العزة ثلاثة أصناف **(إلا المستضعفين مـ الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة)** يعني لا يثبتون على الدابه - **(ولا يهتدون سبيلا)**- لا يعرفون الطريـ إلى الهجرة وإلى الجهاد **(فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا)**

التوحيد والأفغان:

شعب داهمه الاتحاد السوفيتي، أولاً هو رفض أن يعطي الدنية في دينه، بعض الناس يقولون: الأفغان عندهم صغائر وعنده كبائر وعندهم شركيات، فقلت: صحيح، لكن أي شعب من الشعوب يخلو من هذا، هذا جهاد شعب، أحسن بلد في التوحيد هي الجزير في مكة والمدينة موجود صوفية، وموجود سلبية، وموجود خرافية، أم لا؟! في عاصمة التوحيد في الأرض موجود!! موجود!! لكن الفر بيننا وبينهم أنهم شعب رفضوا أن يعطوا الدنية في دينهم، ونحن قبلنا ذل العبيد على رقابنا؟ اليهود استحلوا ثلاثة أجزاء من ثلاث دو في مدة ثلاث ساعات، وهؤلاء وقفوا، وقفوا معتزين بخالقهم، تسأل الأفغان كيف وقفتم؟ بدأوا قتالهم للحكم الشيوعي الأفغاني بالعصـ

[1] مدينة سعودية

والحجارة، تسألهم كيف وقفتم أمام الدبابات؟ قالوا: يقول الله عز وجل:

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (الانفال: ٦٠)

الذي استطعناه هو العصي والحجارة، هذا الذي استطعناه، هكذا يفهمون الاسلام، تسأل أي أفغاني هذا الذي عقيدته ليست واضحة وليست صحيحة!! كيف الجهاد؟ يقول سننتصر على روسيا، لماذا؟ كيف تنتصرون على روسيا، لماذا؟ يقول بمعادلة بسيطة، أيهم أقوى الله أم روسيا؟ فتقول له: الله، يقول: نحن مع الله، إذن الله سيهزم روسيا، هذا توحيد أم شرك؟! هذا التوكل، نقل توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية في عالم الأرض، نقل الآيات من العقل والقلب، من التوحيد النظري إلى التوحيد العملي في واقع الناس، توكل، يدفع ثمن هذا التوكل جماجم وأشلاء ودماء وشهداء، هذا التوحيد، هذا توحيد الألوهية، نقل الكلمات من القول إلى سلوك وأخلاق وحركات وواقع ينبض، وهذا التوحيد الذي جاءت به الأنبياء، توحيد الألوهية، توحيد الربوبية ما كان محل خلاف بين الرسول ﷺ وبين المشركين، الكل معترف بتوحيد الربوبية..

(ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) (الزخرف: ٨٧)

(ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) (الزمر: ٣٨)

(قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبرالأمرفسيقولون الله) (يونس: ٣١)

من هم الذين يقولون الله؟ المشركون: إذاً توحيد الربوبية ما كان محل خلاف، الرسالات كلها جاءت لتحويل الربوبية إلى توحيد الألوهية في عالم الأرض، واقع حياتي، سلوك، توكل على الله عز وجل، ما فائدة توحيد الربوبية في قلبي أن أعلم أن الله رازق خالق ولم أقف موقفاً لله في حياتي يوماً ما أخاطر فيه على وظيفتي أو على حياتي، أين توحيد الربوبية هذا؟ أين توحيد الألوهية؟ إذا كنت أرتجف إذا مرّ واحد من المخابرات بباب بيتي، أين توحيد الألوهية؟! هذا توحيد ألوهيه؟ ! توحيد الألوهية سلوك، توكل، عمل، توحيد الله بأفعال خلقه، أن أتوكل على الله وحده، ونخشى الله وحده، وننذر له وحده، ونحلف بالله وحده، ونتحاكم إلى الله وحده، هذا توحيد الألوهية، أين توحيد الألوهية في واقع الناس؟ أين هو؟ أين السلوك الذي يدل على توحيد الألوهية في واقعنا؟ توحيد الربوبية موجود، توحيد الربوبية نظري في العقل والقلب، ثقافة ممكن نتعلم في جلسة أو جلستين توحيد الربوبية، لكن تحويل الآيات التي في القلب إلى واقع حياتي بينهما مسافة شاسعة دونه خرط القتاد، دماء، عرق، جماجم، أشلاء، أعراض تنتهك، أسر تفتت، مجتمعات تدمر، من أجل تحويل توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهيه، وأنا رأيت أن توحيد الألوهية لا يتمثل حياً واقعاً إلا في مثل ساحات الجهاد، التحرر من الخوف، التحرر من الخوف على الرزق والأجل؟ العقد، عقدة الخوف من العباد، الخوف من العباد الذين يقطعون أرزاقنا أو يحبسوننا أو يسجنوننا أو يميتوننا، هذه كلها تنحل، هذه العقدة، فتنحل بعدها كل العقد، على أي شيء يخاف المجاهد، يخاف على حياته، وقد وضع روحه على كفه يعرضها على ربه صباح مساء ليتقبلها منه حتى يدخل جنته، على أي شيء يخاف، على رزقه، لم يبق له شيء في الأرض يخاف عليه، كما قلت لواحد من الإخوة، قلت له: أحب لباس إليّ هذا اللباس، هذا اللباس اشتريه بـ ١٤ ريال، آكل فيه وأشرب فيه وأتدرب فيه وأقاتل فيه، الأخ الذي جاء معي، الأخ سالم، قال: أنت جئت في هذا؟ قلت له نعم، قال: ما عندك غيره، قلت: مافي عندي غيره، الحمدلله لا يتسخ أبداً، لا يتسخ، ولما رحت، قال: ما عندك ثوب للنوم؟ قلت له: هذا ثوب النوم، ثوب المقابلات!! قلت: هذا ثوب المقابلات، على أي شيء أخاف في الأرض؟ على أي شيء؟ !! إذا سجنوني هل يلبسونني واحداً أحسن من هذا؟ إذا قتلوني أدفن في هذا، على أي شيء أخاف؟ تحررنا، تحررنا، توحيد الألوهية الذي مثله الجهاد واقعاً حياً في ساحة الجهاد، والتحرر من الخوف هو بداية السير إلى الله، هو محور توحيد الألوهيه، الشعب الأفغاني كذلك على أي شيء يخاف؟! على رزقه؟ قد ضحى بكل شيء، على بيته؟ دمر بيته، على أمه؟ غابت تحت الركام، على أبيه؟ قتل منذ زمن، على مدرسته؟ دفنت بقذائف الطائرات، على مسجده؟ دمر منذ زمن، أي شيء يخاف عليه؟ لم يبق شيء يخاف عليه، فانطلقوا إلى الله...

ركضـــاً إلـــى الله بغيــر زاد *إلا التقـــى وحـــب العـــاد*

تنازل الروس وهزيمتهم:

نعم منطلقين إلى الله، ولذلك الروس هكذا يرتجفون هلعاً، ترتعد فرائصهم منهم، والله، قابلت أسيراً روسيا أسره المجاهدون، قلت

له: من أي شيء أكثر تخافون؟ قال من مير محمد، الروس في داخل المطار، المطار محاط بشبكة صواريخ ومحاط بشبكه دبابات ومحاط بشبكة الغام ومحاط بطائرات كثيره، ومع ذلك يخافون من (مير محمد) - عنده أربعين أو خمسين مجاهد- أن يدخل عبر كل هذه الحواجز الأمنية ويذبحهم في الليل.

قال: لا نضع رؤوسنا كل ليلة على الوسادة ونطمئن أن الصباح سيطلع علينا، أكثر شيء يخافون منه الذبح، يدخل عليهم المجاهدين ويذبحونهم ذبحاً كالنعاج، وفعلاً الروس متضايقون جداً جداً، الروس، روسيا العظمى، يا إخوان: فعلاً أنا مرة سألت الطلاب في الجامعه، كنت أسألهم من أقوى الله أم أمريكا؟ ! فيقولون طبعاً الله، من يشك في هذا؟ أقول لهم: أنتم مطمئنون أن الله أقوى من أمريكا؟ يقولون نعم، قلت: والله لو كان حالنا أننا مطمئنون أن الله أقوى من اليهود ما أصابنا الذي أصابنا، لكن غير مطمئنين تماماً في واقع الحياة ومن خلال السلوك أن الله يستطيع أن يهزم اليهود، هؤلاء الناس مطمئنون إلى قدرة الله، مطمئنون أن الله أقوى من روسيا، روسيا الآن كل يوم يسقط لها طائرتان، ويدمر لها خمس إلى عشر آليات (دبابة ومصفحه) ويقتل ويأسر ويستسلم إلى المجاهدين كل يوم خمسين -بين الشيوعيين والروس- كل طالع شمس، طائرتان، عشر آليات، خمسين جندي، ٣٦ مليون دولار، فكيف تطيق روسيا أن تستمر على هذا الحال، روسيا في أول الصيف جورباتشوف أرسل واحداً من التجار الكبار محسوب على الروس والأمريكان أسمه (همر) قالوا له: اذهب وفاوض المجاهدين، الله أكبر، جورباتشوف يقبل أن يتنازل من عليائه، (السوبر بور) ـ روسيا العظمى، حلف وارسو- تجلس مع المجاهدين الحفاة العراة، قبل سنتين فقط كان جورباتشوف يرفض أن يجلس مع باكستان، يقول كيف روسيا العظمى تجلس مع دولة من العالم الثالث مثل باكستان، لكن ضربات المجاهدين أيقظته وقالت له: إنك أمام قوة الايمان، فقبل أن يتنازل في العام الماضي، ويجلس مع باكستان، هذا العام تنازل درجة ثالثة، قال: أنا مستعد أن أجلس مع المجاهدين، لماذا؟ ضربات أهل الايمان، ضربات توحيد الالوهيه، لا إله إلا الله، شاب مثل أحمد شاه مسعود، عمره ٣٢ سنه، دوخ روسيا تدويخاً، معسكر ضخم جداً فيه أربعمائة من الشيوعيين، هجم عليه بمائة مجاهد وفتحه، وأسر الأربعمائه، أسر الاربعمائة وبينهم سبعة وثمانون ضابطاً، وفيهم جنرال، انتحر الجنرال، قامت مظاهرة في كابل ضد النظام من نسائهم، أزواجنا عند أحمد شاه مسعود وأنتم هنا جالسون على الكراسي، خلصوهم، فأرسلوا لأحمد شاه مستعدون لأي شروط تفرضها مقابل تسليمنا الضباط، أملي شروطك، عين المكان، عين الزمن، قال: هذه شروطي، قالوا نحن قبلنا، حدد وادي (مكني) في بنجشير لمبادلة الأسرى، روسيا رأت على نفسها كبيرة أن تخضع لأحمد شاه مسعود، أعدت قوات كوماندوز ـ تدخل سريع ـ من قواتها التي تعدها منذ زمن- وضعوهم في طائرات هليكوبتر، في الوقت المحدد لتبادل الأسرى نزلت الطائرات فوق رؤوس الجبال وفتحت الرشاشات، اثنان من الاخوة العرب أبو بكر وأبو عاصم كانا مسئولين عن حراسة هؤلاء الضباط، ألقى لهم أول أمر اقتلوا السبعة وثمانين، قال: قتلناهم، سبعة وثمانين ضابطاً، ودارت معركة بين المجاهدين الذين هم في أسفل الجبل وبين الكوماندوز الذين أخذوا المجاهدين على حين غرة، وانتهت المعركة وأسفرت عن مقتل كثير من الروس، يحدثني الشيخ رباني أمير الجمعية الاسلامية قال: بقي وادي مكني عدة أسابيع منتناً من رائحة جثث الروس، ولم يقتل مجاهدٌ واحدٌ، ناس يعدون، يأخذون بالأسباب، قدموا التضحيات فتأتي رحمة الله وكراماته في الوقت حيث تأخذ الكروب بالخناق..

(وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه) (التوبة: ١١٨)

فأرسل أحد التجار الكبار اسمه (همر) ليجلس مع المجاهدين، الغرب راض عن همر، والشرق راض عن همر -تجار القمح والبترول الكبار - جلس معهم، قال لهم: جورباتشوف جاد في الخروج لأسباب داخلية وأسباب خارجية لا مجال للتفصيل فيها، لكنا يريد أن يحفظ ماء وجهه أمام شعبه وأمام جيشه، يريد بعض التنازلات، كأن يشرف على الخروج طرف ثالث ليس من المجاهدين وليس من الحكومة الشيوعيه، ويريد جدولاً زمنياً ينسحب فيه أقله سبعة أشهر، المجاهدون قالوا: لو التقت السماء على الأرض لن يشرف على خروج الروس إلا المجاهدون، جورباتشوف قال لهم -للجنرالات، جنرالات الروس- ما رأيكم؟ قال جنرالات الجيش الذين في أفغانستان إن أخرجتنا بهذه الطريقة المهينة الذليلة من داخل افغانستان لن نعود في يدك كالعصى السحرية التي تهزها في وجه حلف الاطلسي وفي وجه العالم، أعطنا فرصة لننهي لك مشكلة أفغانستان؟ طبعاً كل واحد يأتي من قادة الاتحاد السوفيتي ـ من رؤساء الاتحاد السوفيتي ـ أول ما يأتي يقول: سأنهي مهزلة افغانستان، وصاروا الآن ثلاثة ميتون بالجلطة الأفغانيه، أول واحد (برجنيف) فطس بالجلطة الأفغانية، والثاني (أندروبوف)، والثالث: (تشرنينكو)، وآخر واحد هذا على الطريق -إن شاء الله- فجاء سنه ١٩٨٥، قال سأنهي مهزلة افغانستان، وحاول للسنه الثالثة أن يسد المنافذ، منافذ دخول المجاهدين، ولم يستطع أن يسد منفذاً واحداً على الحدود فقالوا -الجنرالات- اترك لنا الأمر، أعطنا فرصة للخريف، يعني لشهر عشرة؟ من شهر خمسة الى شهر عشرة ميلادي هذا، من شهر مايو إلى شهر اكتوبر نحن نغلق الحدود ونخنق الجهاد في أفغانستان، قال: خذوا ولكم ما شئتم من السلطات والقوات، وبعض الناس

يظنون أن روسيا تتسلى في داخل أفغانستان، روسيا تذوق الأمرين والموت كل يوم في داخل أفغانستان، مرغت روسيا في داخل أفغانستان، ولذلك عندما تقول أمام الأفغاني روسيا العظمى، يضحك لك، أين روسيا العظمى؟ هؤلاء الروس؟ عندما يجدونهم يركضون أمامهم، الجنرالات صبوا جام غضبهم على الحدود، هجوم مكثف على بكتيا، قندهار، ننجرهار..

معركة مأسدة الأنصار:

كنت أنا أحد شهود معركة بكتيا، استمرت المعركه من ٢٦ رمضان إلى ١٧ شوال، ما تركت السماء شيئاً من حممها إلا صبته، ولا الأرض شيئاً من براكينها إلا فجرته، أنت تصور معي عندما تغير الطائرات تلقي القذائف، القذيفة وزنها طن كامل، رأيت الماء يخرج من أثر دخولها في الأرض، بعيني هاتين، والله يا اخوة، إن الجبال تهتز تحت أقدامنا، جبال سليمان تهتز من القذائف، تصور أن روسيا معها في المعركه هذه، ست وعشرون راجمة صواريخ يسمونها (BM41) يعني تضغط هكذا ينطلق ٤١ صاروخاً دفعة واحده على مكان واحد، تصور!!..

(إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) (الأحزاب:١٠-١١)

تحرق الأخضر واليابس، راجمات صواريخ نازلة، قصف الطائرات، مدافع ميدان، دبابات، من كل ما يمر بذهنك، رشاشات كل شيء يمرّ في ذهنك مستعمل في المعركه، والله تقول للأخ الذي بجانبك كيف حالك؟ لا يستطيع أن يرد مباشرة لأن القذيفة تقطع الرد، إن أحدنا لا يستطيع أن يقضي حاجته، فعلاً كان أشد شيء عليّ وقت قضاء الحاجه، لأن الانسان يخشى إذا خرج ثانية من خندقه أن يلقى منيته، فكان صعباً على أنفسنا أن نلقى الله ونحن نقضي حاجتنا، أحد الأخوة أبوعبيدة المصري وهو يقضي حاجته أنزلت الطائرة عليه قذيفتين، فدعى الله، اللهم لا تمتني على هذا الحال، وقعت القذيفتان، كل منهما طن كامل، ما انفجرت واحدة منهما، ولو انفجرت واحدة لقتله هواءها، ليس شظاياها، هواءها يكفي لقتله، استمرت المعركه، كان في مكان للعرب سميناه مأسدة الأنصار، ونحن ننشد كلام حسان رضي الله عنه...

من سره ضرباً يمعمع بعضه	*بعضاً كمعمعة الأباء المحرق*
فليأت مأسدة تسل سيوفها	*بين المزاد وبين جذع الخندق*

فسميناها مأسده، يعني محل الأسود ونحن أنصار لهذا الشعب فهي مأسدة الأنصار، عندما اشتد القصف يوم ٣٠ رمضان، الأخ أسامة بن لادن جزاه الله خيراً، الذي طلق الدنيا كلها و ترك الأموال ونسي نفسه، ويعيش بين الثلوج في الجبال هناك، قال: نخشى على إخواننا العرب هؤلاء أن يبادوا بقذائف الطائرات، فقال: نتراجع قليلاً، فرفضوا الأمر، رفض قسم منهم الأمر، نحن نريد أن نستشهد، قال: هذا أمر من أميركم فيجب الطاعة، فجاءوا الخط الثاني قريب ليلة العيد، ما أظن إلا القليل قد ناموا، منهم الباكي والواضع يده على ذقنه حائراً، كيف ننسحب أمام هؤلاء؟ وجاءوا يبكون يراجعونني، وبعد الفجر يوم عيد الفطر تحرك ٢٤ واحداً منهم ورجعوا إلى المأسدة، روسيا تقدمت بثلاث فرق، فرقة كابل وفرقة غزني وفرقة جارديز، والفرقة ثلاثة ألويه، واللواء ثلاث كتائب وأمامهم ٢٤ شاب عربي، وخمس كتائب روسية خاصة، هؤلاء شيوعيون افغان، أما من روسيا خمس كتائب خاصة ومنهم فرقة صاعقة خاصة إسمها (سبتناز)، هؤلاء (السبتناز) الواحد منهم يحمل حقيبة على كتفه إسمها حقيبة الاقامة الدائمة، ستين كيلو جراماً يتسلق الجبال كانه يحمل قلماً، جسم البغال وأحلام العصافير، داخلين المأسدة مستهترين، هؤلاء (سبتناز) مثل فرقة الساز البريطانية وفرقة المارينز الأمريكيه، مستهترين، واضعين أسلحتهم على أكتافهم، فيتصدى لهم سبعة من الشباب العرب ويردونهم، رجع هؤلاء العرب السبعة، كانوا موزعين، لكن سبعة واجهوهم، عملوا صاعقة على الصاعقة الروسيه، شباب ما تدرب الواحد منهم إلا خمسة عشر يوماً أو عشرين يوماً ، شاب من هذا البلد من المنطقة الشرقية إسمه مختار، بصلية واحدة، هكذا ضغط على الرشاش قتل ستة دفعة واحده، عمره ٢٢ سنه، هربوا، غنم الشباب العرب أسلحتهم، رجعوا مرة ثالثة ورابعة ومرة خامسة ويهزمون في كل مره، ولأول مرة يجدون مثل هذه المقاومه، ووقف جند الايمان أربعة وعشرون شاباً عربياً معهم، لكن الضغط كان على مكان العرب يريدون أن يحتلوا المأسدة، جاءوا على أساس يحتلوها، واستمرت المعركه ٢٢ يوماً لا تهدأ، واهتزاز الجبال لا يتوقف، والصدى، صدى القذائف في المنطقة وحيثما تحركت، المنطقة كلها، الأرض تقذف حمم براكينها، والسماء تلقي بقذائف نيرانها، وبعد اثنين وعشرين يوماً هزمت روسيا، روسيا هزمت، ثلاثة فرق، سبعة وعشرون كتيبه، وخمس كتائب روسيه، وتأتي النتائج بالأعداد والأرقام، ليس منا ولا من المجاهدين، من الأمريكان الذين يصورون

بالاقمار الصناعية الأمريكية فوق المعركه، وينقلون بالصور واعدادها إلى السفير الأمريكي في اسلام آباد، ويجتمع بالصحفيين ليعطيهم النتائج، يقول الأمريكان: -طبعاً الروس لا يستطيعون أن ينكروا ويجحدوا صور وحقائق وأرقام، هذه الطائرة، هذه الدبابة، نوع الطائرة، نوع الدبابة، ومتى سقطت؟ في أي مكان؟ -مائة واثنتان وعشرون دبابة دمرت وآليه، ١٢٢ دبابة، ٩ طائرات سقطت، ألف وخمسمائة قتيل، الجرحى لا يعدون، في يوم واحد من هذه المعركة وصل لمستشفى واحد في كابل اسمه (علي آباد) مائة وسبعون جريحاً، مقابل ماذا كل هذا؟ كنا نقابل هذه الأساطيل البرية والجوية بأربع سيارات (بيك أب) تيوتا، مانجد والله عندما نريد أن نبعث سيارة للخبز، لا نجد سيارة حتى تنقل الجرحى، مقابل ذلك ستين شهيداً، ستين شهيداً، والسيارات الأربعة، نظر الله إلى المجاهدين فوجدهم فقراء لا يملكون شيئاً فابقاها لهم، ما دمرت ولا سياره، ١٢٢ دبابة دمرت ناداهم هذا الجنرال، الجنرال قتل الذي يقود المعركه، في داخل المعركة ناداهم، لماذا تصيب قذائفهم ولا تصيب قذائفنا؟ قالوا له: معهم عرب مصريين وغير مصريين مدربين، يعني خريجي كليات عسكرية وأكاديميات، يتقنون هذا، وكلهم خريجين المدارس، مثل هذه المدرسة، في قندهار - طبعاً نحن التعليل معروف عندنا -

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (الأنفال: ١٧)

الشهداء العرب وكراماتهم:

الشباب، استشهد ثلاثة عشر شاباً عربياً، سبعة منهم دماؤهم اللون لون الدم والريح ريح المسك، سبعة دماؤهم ما جفت، علي الليبي، حسين الليبي، نور الحق المغربي، سبع الليل اليمني، أبو خالد الجزائري، سبعة دماؤهم كالمسك أبو حفص الأردني، يحدثني شاكر الزنداني، نحن كنا بعيدين في الخط الثاني والشباب هؤلاء في الخط الأول، يحدثني لما أصيب أبو حفص الاردني سقط على وجهه ، قال فظهر التراب الأبيض على وجهه فاقتربنا لنمسح التراب الأبيض ونحمله، وإذا بالتراب الأبيض نور، قد استنار وجهه كالبدر، حملناه في (الباتو) الباتو الشال الأفغاني (القطيفة) هذا الذي يضعوه على أكتافهم، انهال عليهم الرصاص من كل مكان، رمينا أبا حفص فجاء ساجداً، تركناه، رجعنا إليه في اليوم الثاني وجدناه ساجداً كما هو، والإنسان عندما يموت يتخشب، يتصلب، -لكن وجدناه- يتثنى كالنائم مدوا رجليه، مدوا يده، دفنوه، النور يخرج من مكان دمه، قصة النور هذه في المأسدة، في المأسدة الآن، عندنا خمسة يخرج النور من قبورهم، ولاحظنا أن النور يخرج في أيام الاثنين والخميس، هشام إبن الدكتور عبد الوهاب الديلمي، أبوه أستاذ في جامعة صنعاء، استشهد قبل شهر، قبل أربعة عشر يوماً تقريباً أربعة من الحراس العرب يرون النور يخرج من قبره -هو وزكريا الفلسطيني بجانبه- إلى السماء ثم يعود على شكل قوس إلى قبره، لوحدثتكم عن كرامات العرب التي رأيناها.. أما قصة الافغان وكراماتهم فهي متواترة تفوق حد التواتر و عبد الوهاب الغامدي وسعد الرشود من نجد، النور يخرج من قبورهم كذلك، عبدالله الغامدي التكبير يخرج من قبره، عمره حوالي ١٨ سنه، العرب لأن معظمهم قادمون بنية صادقة وإخلاص مندفع إلى الله، يحب الشهادة متربي غالباً، عنده شيء من التربية الاسلامية، والله عزوجل نظر إلى غربتهم والى هجرتهم وإلى رباطهم وإلى العقبات التي تخطوها حتى وصلوا هناك، فاكرمهم الله، هذا يحيى سنيور من جدة، سنه أولى في جامعة الملك عبدالعزيز، ترك الجامعة وجاء إلى هناك، استشهد وقضى الله أن تنقل جثته إلى بيشاور، استشهد على الحدود، لم يبق افغاني ولا عربي إلا وشم رائحته، بقي المستشفى أسبوعاً كاملاً رغم العقاقير الطبية (الديتول) أنتم تعرفون رائحة المستشفيات، كلما فتحت الغرفة التي كان فيها يحيي سنيور، يفيح الطيب في كل المستشفى، زوج ابنتي معنا يعمل في الجهاد، قال أنا راكب في السيارة ويحيى في سيارة الاسعاف على بعد نصف كيلو إلى كيلو ورائحة المسك في أنفي تعبق من سيارة يحيى، دفنوا يحيى، وتكمل القصة ابنتي، قالت لي: رجع زوجي فخرجنا نزور جيراناً لنا في بيشاور، وكانتْ معنا زوجة أحد الجيران، مجرد ما جلسنا في السيارة بدأت رائحة العطر تملأ السيارة، فأخذ قلبي يغلي على جارتنا هذه التي لا ترعوي ولا تنزجر من دين ولا من حديث ومسكت نفسي حتى نزلنا وبدأت أقرعها وأأنبها، الم تعلمي (**أيما امرأة تعطرت وخرجت ليجد الناس ريحها فهي زانيه**) قالت: رويدك لا تؤنبي ولا تقرعي، والله ما مسست عطراً، قالت: وأنا ما مسست عطراً، أنت يا محمد ـ لزوجها ـ مسست عطراً؟ قال: والله ما رأيت العطر ولا مسسته، قالت: إذن من أين هذا العطر الذي يفوح في هذه السيارة؟ قال: لقد عدنا من تشييع جنازة يحيى،

العرب لهم دور كبير في داخل افغانستان، وهم حديث الساعة الآن في داخل افغانستان لحب الأفغان لهم، وللدور الذي ينتظرهم، أما حب الأفغان لهم، بمجرد أن يروك ويعرفون أنك عربي يطوقك أحد بذراعه، يا حفيد رسول الله جئت تدافع عن بلادي، العربي له احترام في قلوبهم، حتى في قلوب الشيوعيين منهم، المليشيا التي تعمل مع الدوله، أكثر من مرة، أحد اخواننا في هرات قال كنت مع المجاهدين، فصارت معركة بين المجاهدين وبين المليشيا الأفغانيه -أي الذين يتبعون الدوله- اتصل المجاهدون بهم، قالوا: عندنا ضيف

نخشى أن يقتل وهذا عيب عليكم، قالوا: إذا عندكم ضيف نحن نرسل له سيارة نبعده عن محل الخطر، أرسل الشيوعيون سيارة وأبعدوني عن محل الخطر وعادت المعركة بينهم.

أصالة، أحد إخواننا بعد المعركه -إسمه أحمد المبارك- تاه (أخطأ) في الطريق، دخل بستاناً، جاء صاحب البستان، قال: أنت عربي؟ قال: نعم أنا عربي، قال له: هنا شيوعيون والقرية كلها شيوعية وهنا المطار وهنا القاعدة الروسية وهنا القاعدة الشيوعية ما الذي جاء بك؟ قال:أنا تهت ودخلت، قال:أنت في أمان، شيوعي أفغاني، لكن لما رآه عربي قال:حق الضيف يوجب علينا أن نرعاه، أكرموه، شاي وزبيب، ثم جاءه بسيارة ومسلحين ثلاثة، قال: أين تريد أن تذهب، قال: أريد أن أرجع إلى قاعدتي، حملوه في السيارة وعلى الطريق أخرجوا له كمية من المال، قالوا: خذها تستعين بها على قضاء حاجتك لأنك غريب، قال لا أريد المال، لا أريد المال، أوصلوه إلى قاعدته ثم عادوا إلى القرية الشيوعيه، محل احترام عجيب للعربي.

فقط العربي الذي يعرف كيف يدعو إلى الله، ونحن نوصي إخواننا على أنهم في بداية الأمر.. هؤلاء القوم أميون لا يعرفون الصلاة إلا على المذهب الحنفي، فإذا خالفت طريقتهم في المذهب الحنفي في الصلاة يظنون أنك جئت بدين جديد، وعندهم تشويش من الاذاعات العالمية ومن المخرفين ومن الصوفيين على أن العرب جاءوا يهدمون مذهبكم فانتبهوا، فنوصي العرب لا تضع يدك هنا على الصدر، نزلها قليل، وإذا في عليك إثم ضعه في رقبتي ورقبة ابن تيمية، لان ابن تيمية أفتى بهذا، ولا تحرك أصبعك هكذا، خلاص يا أخي أترك هذا الكلام، أتركها قليلاً، وما ترفع يديك عند الركوع وعند الرفع فيه، وتعالوا هذه فتوى ابن تيمية في اختلاف الأمة في العبادة: أنه من المستحسن والمفضل إذا أدت المستحبات والمندوبات إلى نفور القلوب أن نتركها، ثم استشهد ابن تيمية بحديث الكعبة **(لولا أن قومك حديثو عهد بكفر لهدمت الكعبة وجعلتها على أسس إسماعيل)**، إلى آخر الحديث، ثم قال: ولذلك قال الامام أحمد: يستحب الجهر بالبسملة في المدينة لأنهم كانوا يجهرون بالبسمله، لماذا؟ وحدة القلوب وحب الناس فرض، وهذه هيئات الصلاة مستحبات، أحسن أحوالها أنها مندوبات مؤكدة، والفرض مقدم على السنة باتفاق العلماء، فقط صلّوا مثلهم شهر شهرين، فعندما يحبونكم يعطونكم قلوبهم ونفوسهم وكل شيء، مرهم بما تشاء، وجههم بما تشاء تصبح إمامهم ومرشدهم رغم صغر سنك وقلة تجربتك، لا يفعلون فعلاً إلا ويرجعون إليك أنت إبن العشرين، يرجع القادة الكبار الذين هزّوا الأرض تحت روسيا في كل صغيرة وكبيرة، قال لي أحد الشباب المتحمسين الراجعين إلى الله جديداً، المخلصين، كيف نترك السنة؟ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قلت له: تعال أنا وإياك وابن تيمية، تقبل ابن تيمية: قال: أقبل، قلت له: خذ هذه الفتوى، ثم قلت له: أقربها إليك، أنت عندك فرض وعندك سنه، الجهاد فرض وهذه سنن، إذا تعارض الفرض مع السنه، أيهما يقدم؟ أنت استيقظت قبل طلوع الشمس بدقيقتين، ليس عندك خيار إما أن تصلي السنه أو الفرض، أتصلي الفرض أم تصلي السنة، قال: أصلي الفرض، قلت له صل الفرض في أفغانستان واترك السنة قليلاً، إعمل في الجهاد، أصلح هذه الأمة، أزل كثيراً من البدع.

الجهاد الأفغاني إلى أين؟

يا أيها الإخوة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لو سألنا أنفسنا لماذا خلقنا؟ الله عز وجل يجيب على هذا السؤال..

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إنّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (الذاريات: ٥٦-٥٨)

مهمتنا في الحياة:

إذن، مهمتنا في الحياة تحقيق العبودية لله عز وجل : لتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات ثم أداء الشعائر من العبادات وتطبيق ما أمر الله عز وجل به من المعاملات، إذا استطعنا أن نطبق دين الله عز وجل في أية بقعة، فعلينا أن لا ننسى في أية لحظة أن المهمة الأولى لحياتنا هي عبادة الله عز وجل، فإذا ولدنا في بقعة من البقاع، ثم تسلط عليها الأقزام والرويبضات ولم نستطع أن نغير، ولم نستطع أن نعبد الله كما أمر فعلينا أن نبحث عن قطعة أخرى نعبد فيها الله عز وجل كما أمرنا:

(يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون

والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) (العنكبوت:٥٦-٥٩)

إذن المهم ؛ تحقيق العبودية في الأرض، إذا لم نستطع في هذه الأرض فأرض الله واسعة فإياي فاعبدون، وإذا كنتم تخافون على حياتكم وعلى أرزاقكم فإن الله تكفل بذلك..

(وكأين من دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) (العنكبوت: ٦٠)

هذه الآية تابعة رأساً للآيات (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون).

إذن المهم ؛ أن نحقق عبودية الله، عبوديتنا لله في الأرض، في أية بقعة من البقاع، فإذا تعذر علينا أن نقيم العبادات وأن نطبق ما أمر به رب الأرض والسموات في هذه الأرض فربنا سبحانه يفرض علينا أن ننتقل إلى بقعة أخرى، وإذا بقينا في هذه البقعة التي لا نستطيع فيها أن نقيم عبودية الله في أنفسنا وأن نزاول الشعائر كما أمرنا، فإننا نموت مستضعفين وقد تكون نهايتنا جهنم -والعياذ بالله-...

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفوراً) (النساء:٩٧-٩٩)

أورد البخاري ؛ أن هذه الآية نزلت في المؤمنين في مكة، الذين بقوا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر حياء بجانب أبي جهل، فعندما قتل بعضهم في بدر قال الصحابة رضوان الله عليهم: لقد قتلنا إخواننا المؤمنين الذين خرجوا خوفا وحياء فأنزل الله هذه الآية (**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة** -أي لا يثبتون على الدابة ولا يستطيعون أن يركبوا في السيارة أو الطائرة- **ولا يهتدون سبيلا** -أي لا يعرفون الطريق إلى المجاهدين وأرض الهجرة- **فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا**).

الخوف على الرزق:

وإن كنتم تخافون على أرزاقكم في الهجرة وترك أوطانكم فإن الله عز وجل تكفل لكم بالرزق بالهجرة (**ومن يهاجر في سبيل الله**) بعدها بآية رأسا..

(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيما) (النساء: ١٠٠)

هذه الآيات كلها تجيب على السؤال الذي يقفز إلى أذهانكم ويتبادر إلى خاطر كل واحد منكم ؛ لماذا عبد الله عزام يقاتل في أفغانستان ولا يقاتل في فلسطين؟ أنا مسلم، أمرني ربي أن أقيم الشعائر وأمرني ربي أن أؤدي من الشعائر شعيرة الجهاد، وعبادة القتال، وعبادة الجهاد الفرض السادس في الإسلام، بل إذا اعتدى الكفار على شبر من أراضي المسلمين يتقدم فرض القتال وتتأخر الأركان الخمسة إلا الشهادتان فإنها تتقدم على عبادة الجهاد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه. يعني أولا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وبعد ذلك تأتي فريضة الجهاد، وفريضة الجهاد لم يتركها الفقهاء ولا رسول الله ﷺ إلى تأويل المتأولين أو تفسير من أراد أن يفسرها على هواه أو على حسب حالته ووظيفته..

معنى الجهاد:

قال ابن رشد: وكلمة الجهاد إذا أطلقت إنما تعني قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وهذا التعريف هو المصطلح الأصولي الشرعي لكلمة الجهاد إذا أطلقت، وكذلك كلمة في سبيل الله إذا أطلقت في الشرع كما يقول ابن حجر في فتح الباري: وكلمة في سبيل الله إذا أطلقت فالمتبادر منها الجهاد، والجهاد هو القتال هكذا عرف الحنفية الجهاد، والشافعية والمالكية والحنبلية : أنه قتال الكفار بالسلاح، والذين يريدون أن يميعوا المصطلح الشرعي لكلمة الجهاد، فالفقهاء لا يقبلون هذا، لأنه يخرج عن المصطلح الذي اتفق عليه الفقهاء، إذن فريضة القتال واجبة على كل مسلم يستطيع أن يحمل السلاح، والقضية لا يجوز أن تناقش من وجهة سياسية أو وجهة مجتمعات تعيش تحت الضغوط، لتعد على الناس الأنفاس ونبضات القلوب، لا.. الإسلام له مصطلحاته الشرعية، فإذا لم نستطع أن نعبد الله في هذه الأرض فلنهاجر إلى أرض أخرى نستطيع أن نعبد الله، وإلا فإننا نموت مستضعفين في الأرض وتقول لنا الملائكة **(فيم كنتم)**؟ فنقول لها: **(كنا مستضعفين في الأرض)** فأرجو أن لا يكون الجواب **(فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)**، يجب أن ننظر إلى القضية نظرة شرعية كمسلمين، لا أن ننظر لها من خلال تحليلات سياسية ولا من خلال نظرات قومية ضيقة، أنا مسلم وظيفتي عبادة الله في الأرض، يجب أن أقيم دينه حيث استطعت، فكما أنني أبحث عن عمل في الكويت، فإذا فقدته أبحث عن عمل في السعودية ،ثم أبحث عن عمل في الأردن فإذا وجدت عملا في أقصى الأرض أشتغل به، فوظيفتي كمسلم أن أقاتل في أرض الأردن، في أرض فلسطين، فإذا فقدت وظيفتي، يجب أن أبحث عن وظيفة أخرى في باكستان، في أفغانستان، في الفلبين.. المهم أن أجد وظيفة أعمل بها عند رب العالمين ، فأنا كنت موظفا في مؤسسة ربانية في فلسطين في الجهاد، ثم سحق العمل الفدائي في الأردن وأغلقت الحدود، ووضعت في الأيدي القيود، وقتلت الأنفاس ومنع التفكير الجهادي بين الناس، عندها فكرت، أين يوجد جهاد في الأرض؟ فوجدت بقعة إسمها أفغانستان فحاولت أن أصل إليها، وأرجو الله أن أكون صادقا، فيسر الله السبيل لي للوصول إليها.

إذن...

أنا ما خنت عهد الله	*لما خانت الدول*
وفي ساحاتها جاهدت	*إذ جل الورى خذلوا*

فعندما غل كف البذل، وانقطعت بنا الحيل، بحثت في الأرض أين أستطيع أن أقيم هذه العبادة؟ فما وجدت طريقاً، بقعة أستطيع أن أقيم بها هذه العبادة إلا في أفغانستان، والله عز وجل منّ عليّ بتذوق حلاوة الجهاد في فلسطين سنة (١٩٦٩م - ١٩٧٠م) ثم حيل بيننا وبين الجهاد، وأصبحت الرصاصة جريمة يؤخذ بصاحبها بالنواصي والأعناق، عندها لا يجوز أن يبقى الإنسان مستضعفا في الأرض فليبحث عن مكان يستطيع أن يحقق به عبوديته لربه، ولو كان فريدا..

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا) (النساء: ٨٤)

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم، وقبلهم رسول الله ﷺ هذه الآية على ظاهرها، في الحديث الصحيح «**عجب ربنا لرجل انخذلت فئته فعلم ما عليه فرجع فقاتل حتى قتل**».

وعندما سئل أبو إسحاق البراء: الرجل يهاجم على القوم وحده أيكون تهلكة؟ قال: لا، إنما هذه في النفقة..

(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (البقرة: ١٩٥)

هذه في ترك النفقة في سبيل الله، فالتهلكة هي ترك الجهاد في سبيل الله وترك النفقة في سبيل الله، لقد أنزل الله على نبيه ﷺ فقال: **(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك)**، يسر الله لي السبيل، وأنا أشعر بمنة ربانية عظمى ونعمة إلهية كبرى عليّ إذ أوصلني إلى أرض الجهاد، وما أشعر بنعمة إلهية بعد التوحيد أكبر على قلبي من نعمة تيسير الجهاد الأفغاني لي، لأني وجدت نفسي، اكتشفت نفسي كمسلم، وأدركت أنني أعز إنسان على الأرض إذا حملت السلاح وسرت فوق البقاع، عندها...

هاتف والصعاب تحدق فيه	*وهو في ساح الزمان وحيد*
مسلم يا صعاب لن تقهريني	*صارمي قاطع وعزمي حديد*

لا يوجد أقوى من المسلم فوق الأرض جميعا، لا يوجد أعز من المسلم بشرط واحد : أن يجاهد، عندها تهون الحياة بما أصغر

الحياة، وفعلا أدركنا معنى قوله ﷺ **«رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها»**.

ولذلك: أعيش في أفغانستان، فأشعر أنني سمكة دخلت ماءها، ونفسي ضائقة وجدت روحها وريحانها، فإذا خرجت من أفغانستان لزيارة أهلي في بيشاور على الحدود الأفغانية ضاقت نفسي، فإذا زادت الشقة زادت المشقة على نفسي، فإذا وصلت الحرم انكتمت أنفاسي وأنا أطوف بالحرم، أشعر بالضيق الشديد لأني بعيد عن أرض الجنة أرض الجهاد والجلاد، رغم أني والله أطوف بالبيت العتيق، لكني أعلم أن الرباط كما قال رسول الله ﷺ **«لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود»** فرباط ليلة في ربيع الأول أو شعبان في أفغانستان خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود، أما المعارك فتلك منزلتها لا تدانى **«لقيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة»** كلها أحاديث صحيحة صححها الألباني في صحيح الجامع.

إذن بعد ذلك ليلمني من يلوم، وليعتب من يعتب، وليرمني بعينه شزراً من أراد، وليحلل الناس كما يحلوا لهم أن يحللوا، ليعتبروني مخطئا، متهورا، متحمسا، ما إلى ذلك، عاطفيا، قولوا ما تشاءون، أنا ربي قال لي:

(لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما) (النساء: ٩٥-٩٦)

ماهي الدرجات؟ فسرها حديث البخاري **«إنّ في الجنة لمائة درجة، فرق ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله»**.

إذن رتبوا في قوائمكم كما تشاءون، وقولوا هذا فلسطيني عاق لقضيته خارج من أرضه وهو متيم في هوى الغرباء، فقولوا ما شئتم، أما أنا فبالنسبة للجهاد أردد:

وقف الهـوى بـي حيث أنـت	*فليس لي متأخر عنك ولا متقـدم*
أجد الملامـة فـي هـواك لذيـذة	*حبـا بذكـرك فليلمنـي اللـوم*

أنا متيم بحب الجهاد الأفغاني، لأني وجدت الإسلام حقا هناك، لا أريد أن أكذب على نفسي، ولا أريد أن أربّت على شهواتكم ولا أن أدهدهكم، ولا أن أربّت على أكتافكم، ولا أن أداري عواطفكم، **دين الله لن يقوم إلا بالجهاد، والجهاد هو القتال**، لا قانون في نصرة عباده، يبدأ بالمصلحين في الأرض، فتتجمع حولهم فئة، تقوم معركة بينها وبين الجاهلية، تبدأ بالكلام، ثم تتولى الحركة الإسلامية أو الجماعة هذه.. أن تكون الصاعق الذي يقود المعركة، ويفجر طاقات الأمة، يلتف الشعب حولها، تسير مسيرتها يسقط على الطريق من يسقط، ويتراخى من يتراخى، ويتراجع من يتراجع، ويثبت من يثبت، والثابتون في نهاية الطريق يجعلهم الله ستارا لقدره ويمكن لهم في الأرض..

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) (النور: ٥٥)

قولوا عن الجهاد الأفغاني ما تريدون، أما أنا فأدرك ما هو الجهاد الأفغاني وما أثره في حياة الأمة المسلمة شرق الأرض وغربها، أدرك أنه لم يهزّ الأمة الإسلامية من منامها، ولم يقلقلها من سباتها، بل هزّ المعمورة بأسرها، وللأسف إن أعداءنا يدركون أبعاد وخطورته أكثر منا، يدركون ما هو الجهاد الأفغاني، أما الذين يريدون أن يأخذوا دينهم وعقائدهم من أقوال الصحفيين الحاقدين على ديننا وعلى الجهاد الأفغاني بالذات، فليأخذوا عقائدهم من حيث شاءوا، أما عقيدتنا وديننا فنأخذها من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ.

خسائر بالأرقام:

يقول بُبُوف: إن خسائرنا في داغستان أمام الشيخ شامل قد أفقدنا من المعدات والأرواح ما يكفينا لأخذ الأقطار ما بين مصر واليابان، فإذا كانت خسائر الروس في داغستان تكفيه لغزو المنطقة ما بين اليابان ومصر، فليت شعري ماذا كلفتهم الخسائر في أفغانستان؟! إن خسائرهم في أفغانستان تكفيهم لأن يقبضوا بيد حديدية على كل الأقطار في العالم الإسلامي، لقد فقدت روسيا في

داخل أفغانستان حسب إحصائية الأقمار الصناعية وأجهزة التنصت الباكستانية ثلاثة أضعاف ما يملكه حلف وارسو من الدبابات ؛ سبعة عشر ألف دبابة دمرت في أودية أفغانستان، واستهلك وسقط وخرب للروس في أفغانستان حتى بداية سنة ١٩٨٩م ما يساوي أربعة آلاف ومائة وستين طائرة، وخرب لها ودمر واحد وعشرين ألف سيارة، وقتل لها – باعترافهم – خمسين ألفا بين قتيل وجريح، زيادة عن خمسة وأربعين مليونا من الدولارات كانت تدفعها كل طالع شمس في أفغانستان؛ أما الحزب الشيوعي والجيش الشيوعي في أفغانستان فقتل منهم مائة ألف، وأسر مائة ألف، فماذا أمام روسيا إلا الهزيمة النكراء التي ستتحدث بعدها للأجيال، أن النزال مع أهل العقيدة والإيمان مغبة لا تحمد عواقبها.

ولذلك؛ جورباتشوف قال بنفسه: إن أفغانستان جرحنا النازف ، وهو يعترف الآن هو ووزير خارجيته (شيفر نادزه) إن الدخول في أفغانستان كان انتهاكا للحرمات الإنسانية، الآن بعد ماذا؟ بعد أن دوخت أفغانستان جورباتشوف، لقد مات ثلاثة من رؤساء الإتحاد السوفياتي في أربع سنوات، وجاء الرابع وكل واحد منهم يقول: سأنهي مهزلة أفغانستان ويقتله الله عز وجل، ثم يمض إلى ربه ملعونا وإلى جهنم وبئس المصير مصابا بالجلطة الأفغانية، ثلاثة يموتون في أربع سنوات، أنتم فكروا، استالين حكم ثلاثين عاما، خرتشوف عشر سنوات، بريجنيف خمسة عشر عاما، أندروبوف تشرننكو في أربع سنوات يموتون، كيف يموتون؟ التقى الدعاء مع القدر.

بغى وللبغـــي سهـــام تنتظـــر	*أتته في أيدي المنـايـا والقـــدر*
سهام أيدي القانتات في السـحـر	*يرمين عن قوس لها الليل وتـــر*

محاولة أخيرة من غورباتشوف:

جاء جورباتشوف وقال كما قال السابقون: سأنهي مهزلة أفغانستان، كيف تنهيها؟ تفضل صول وجول، لم يكن لك عبرة في مصارع الغابرين، ولعلكم لم تتعلموا من سالف دهركم أن نزال الأفغان قضية تنتهي بمقبرة الغزاة.

ضياء الحق –رحمه الله– من عدة سنوات، من سنة (١٩٨٣م) كنا في ندوة جاء افتتحها قال: التقيت مع السفير الروسي، فقلت له: أنتم غزوتم الفضاء، وجاوزتم الجوزاء، ولكن يبدوا أنكم لم تدرسوا التاريخ؟! قال: كيف؟ قال: لو درستم التاريخ ما دخلتم أفغانستان، ألا تدرون أن أفغانستان صخرة تحطمت عليها كل قوى الغزاة؟! من سنة (١٩٨٣م) قالها ضياء الحق، وكان يدرك أن روسيا ستنهزم كما انهزمت من قبلها بريطانيا التي كانت عظمى ، وكان بداية تحطيمها في أفغانستان.

بداية أفول بريطانيا في أفغانستان (١٨٤٢م) فقدت بريطانيا جيشا كاملا عداده سبعة عشر ألفا، لم ينج منه إلا دكتور برايدين، (١٨٨٠م) فقدت جيشا بكامله في خورد كابل، و(١٩١٩) هزمت في داخل أفغانستان، ولحقها الأفغان إلى الهند وخشي تشرتشل أن تحتل أفغانستان الهند فأعلن استقلال أفغانستان من لندن، كل مرة يريد أعداء الله أن يفرضوا على أفغانستان حاكما لا يرضونه يدفعون الثمن غاليا، والضرائب فادحة والخسائر عالية من الأرواح والأموال، حاولت بريطانيا أن تفرض عليهم حكاما لا يرضونهم فتحطمت، حاولت روسيا الآن أن تفرض عليهم حكاما لا يرضونهم فتحطمت ولأول مرة يهزم الجيش الأحمر في معركة من المعارك، وماهي المعركة؟ حرب عالمية ثالثة، حرب عالمية ثالثة، من طرف شعب فقير أعزل أمي، لا تكتيك، لا تصميم، لا بترول، لا أموال، ولا شيء، الله انتقاها لتكون عبرة واضحة للأمة المسلمة، هذا شعب وأمامه أقوى قوى الأرض البرية جميعا، وأشرس وحش في هذا القرن، أشرس وحش دخل المعركة في هذا القرن ؛ الاتحاد السوفياتي، مقابل شعب أعزل، هزمت روسيا، والذين يقولون: أن روسيا قد انسحبت بلعبة دولية، ومقايضات عالمية، بمعاهدة جنيف، هؤلاء حاقدون على الإسلام، لا يريدون أن يعترفوا بالحق، فليسألوا سيدهم الذي في الكرملن جورباتشوف كيف انهزم في أفغانستان؟ لقد استمات جورباتشوف أن يحصل على ورقة يوقع عليها المجاهدون حتى يحفظ بقية ماء وجهه أنه انسحب بمعاهدة مع المجاهدين ولم يستطع، ويظلم الناس الجهاد الأفغاني عندما يضعون بجانبه قتال فيتنام، أي قتال هذا بجانب هذا الجهاد المبارك العظيم؟ أمريكا كانت تنقل معداتها من وراء البحار على بعد آلاف الأميال، وروسيا كانت تصنع الدبابات والطائرات فقط لا يلزمها إلا أن تقطع الجسر، ثم تجربها في داخل أفغانستان، والذي أخرج أمريكا من فيتنام شعب حي يضغط على رئيسه، ويخضع لقراراته من خلال الكونجرس وغيره، أما الشعب الروسي فهو كما قالوا عندنا في المثل العامي الفلسطيني (قلة وذلة وكحل أسود) لماذا؟ شعب لا يستطيع أن يتنفس، جورباتشوف قال للجنرالات: – بعد سنتين من تجربته في أفغانستان، في سنة (١٩٨٧م) – لقد قررت الانسحاب من أفغانستان، قال له الجنرالات: إن سحبتنا بهذه الطريقة المهينة الذليلة لن نعود بيدك تلك العصى السحرية التي تهزها في وجه حلف الأطلسي، ماذا تريدون؟ دعنا هذا الصيف، سنضرب الحدود ونحتل القواعد الحدودية ثم نغلق

الحدود ونخنق الجهاد في داخل أفغانستان، قال لكم ذلك، وشن الجنرالات هجومات شرسة وقاموا بمعارك ضارية كان لي شرف شهود معركة واحدة، والله يا إخوان: إن الجبال كانت تميد تحت أقدامنا، الجبال العالية تهتز تحت أرجلنا، تصوروا .. كان هنالك ألف مجاهد في منطقة اسمها جاجيً في بكتيا، ألف واحد، وكان معهم مجموعة من العرب حوالي ثلاثين واحداً، شنوا عليهم حملة مكونة من ثلاث فرق: فرقة غزني وجرديز وكابل، بالإضافة إلى خمسة كتائب روسية، بالاضافة إلى كتيبة أو اثنتين من اسبت ناز، هذه كتائب التدخل السريع، كل واحد مفروض به أن يحمل فوق ظهره حقيبة وزنها ستين كيلو جراماً وهو يتسلق الجبال، يربونهم لقطاء من الصغر على حب رؤية الدماء، على الغلظة والشدة وما إلى ذلك.. يدربونهم من الصغر.. ودارت المعركة، معهم الطائرات (سيخوي ٢٥ وميج ٢٧)، الطائرات لا تسمعها إلا بعد أن تمر، لأنها أسبق من الصوت، معهم ستة وعشرون راجمة صواريخ، كل راجمة تقذف واحدا وأربعين صاروخا دفعة واحدة، واستمرت المعركة بهذا الشكل، مدفعية الميدان، راجمات الصواريخ، الطائرات القاذفة، الهاون، الدبابات الآليات، المدرعات، ومقابل ذلك ألف من المجاهدين، كان الشيخ سياف وحكمتيار في المعركة والأستاذ رباني جاء كذلك، كنت أنا والشيخ سياف في نفق من الأنفاق، وكان يدير المعركة، قال لي: أنظر يا شيخ عبدالله هذه الأساطيل كلها الجوية والبرية، وانظر إلى أسطولنا المكون من أربع سيارات تيوتا (بك أب) إذا أرسلنا واحدة للخبز لا نجد ثانية لنقل الجرحى، أو ثالثة لنقل الشهداء.

استمرت المعركة اثنين وعشرين يوما بهذا الشكل، لا يأمن أحدنا والله أن يقضي حاجته، كنا إذا خرجنا لقضاء الحاجة نجدها من أشد الأوقات علينا، ليس خوفا من الموت بل خوفا من أن تأتينا الشهادة ونحن على هذا الحال، أحد إخواننا خرج لقضاء حاجته، القذائف التي تلقيها الطائرات طن كامل، تنزل في الأرض تخرج النبع، رأيت النبع بعيني هاتين إثر قذيفة من القذائف خارجة من الأرض، فالروس صاروا يستعملونها بالمظلات حتى لا تدخل في الأرض كثيرا، حتى يكون مفعولها على وجه الأرض، صاروا ينزلونها في المظلات، وبينما كان يقضي حاجته نزلت قذيفتان في مظلتين، قال: اللهم لا تمتني على هذا الحال، نزلت القذيفتان حوله ولم تنفجر أي منهما، ولو انفجرت واحدة لطار في الهواء، ولقتل بهوائها، لا بشظاياها.

وانسحب الروس وهزموا وكانت النتيجة كما جاءتنا بأجهزة التنصت والأقمار الصناعية، ولذلك أدق المعلومات كنت تجدها عند هؤلاء، أصحاب أجهزة التنصت الذين ليسوا من المجاهدين، من الأمريكان الذين تنقل أقمارهم الصناعية وترسل مع الصور أرقام الطائرات والدبابات : هزمت روسيا، تدمير ١٢٢ دبابة وآلية، إسقاط ٩ طائرات، قتل ألف وخمسمائة، الجرحى لا يعدون، مقابل ذلك سبعة وخمسون شهيدا، بعد أن انتهى الصيف جاء الجنرالات رافعي أيديهم إلى جورباتشوف، خلاص، وعندما أدرك جورباتشوف والجنرالات أنه لا يمكن الإستمرار في المعركة أبدا، وكانت القضية قضية وقت، وقال للأمريكان ابحثوا عن البديل لنا في أفغانستان. وكان الأمريكان خائفين أن يسقط الدب الروسي تحت أقدام الشعب الفقير الأعزل، حافي القدمين، وتصبح ظاهرة فريدة.

مواقف الرجال :

الأمريكان والدول التي تسمى نفسها خبيرة، بحثوا عن مخرج، بمؤامرة جنيف ضغطوا على ضياء الحق رحمه الله، رفض أن يخضع، سلطوا عليه رئيس وزراءه جونيجو، رفض أن ينفذ المعاهدة، قال: سأقدم بك تقريرا للأمم المتحدة وللأمريكان وروسيا، فأطاح به ثم بعد ذلك قال له -بعد أن أطاح به-: إعلم أنني سأطبق الإسلام وإن كلفني ذلك عرشي ونفسي وأهلي، وسأقف مع المجاهدين الأفغان حتى أودع آخر واحد منهم على بوابة خيبر معززا منتصرا مكرما. أمسك به وزير داخليته أسلم خنك قال: يا ضياء الحق سيقتلك الأمريكان، قال له: إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض، والرصاصة التي كتب عليها أن تقتل ضياء الحق لن تخطئه أبدا، وكان يدرك أن الأمريكان سيقتلوه، جمع قادة الجهاد وقال لهم: الآن دور تصفيتي وتصفيتكم جسديا، ولا أدري من السابق إلى الله منا، ثم قتل ضياء، ولكن القتل كان متأخرا جدا، لأن القدر ليس بيد البشر، إنما هو بيد رب البشر، كان الجهاد الأفغاني قد تجاوز المخاض، قد تجاوز المرحلة الصعبة عندما قتل ضياء الحق، وخرج الجهاد من عنق الزجاجة، ولذا أدرك الغرب الآن أن قضية أفغانستان فلتت من أيديهم، حاولوا كثيرا مع القادة فوجدوهم كما يسمونهم منذ زمن بعيد -الأنجليز يسمون الأفغان (التيس الجبلي) - فوجدوهم تيوسا جبلية في عالم السياسة، لا تلين ولا تستلين، خشبة! لا يمكن أبدا أن تعتصر أو تكسر أبدا، جلسوا معهم حاولوا أن يجلسوا معهم، من رؤسائهم إلى سفرائهم وهم أحيانا يرفضون، أحيانا يؤجلون، أحيانا يماطلون، وأحيانا يجلسون ويسمعونهم ما يبغضون ويكرهون.

حكمتيار أحد عشر ساعة في نيويورك والسفير الباكستاني يريد أن يقنعه أن يلتقي بريغان، قال: لن ألتقي بريغان، ريغان يريد أن يجلسني بجانبه ليتصور معي ليقول لجورباتشوف في اجتماعه المقبل بعد شهر أن الأفغان تحت إبطي، لن أجلس مع ريغان، السفير

الباكستاني ما صدق أن بشراً يرفض أن يجلس مع ريغان، نعم من أجل البركة على الأقل!! قال له: أنت مجنون!! ستون ملكا ورئيسا على قائمة ريغان -كانت دورة الأمم المتحدة- ستون ملكا ورئيسا على قائمة ريغان يرفض مقابلتهم وهو يطلب مقابلتك وترفض؟! قال: نعم، وإذا أصررتم سأغادر أمريكا الآن، ثم ريغان أرسل له رسالة بيد ابنته بعد ذلك بنته اسمها (مورين ريغان) ناولته الرسالة، قرأها قالت له: والدي ينتظرك هذه الليلة في البيت الأبيض.. بيت أبيض، وانهارك أبيض، ورافض تدخل في بيت أبيض؟! لتقابل الجنس الأبيض!! قال: أنا متأسف عندي موعداً في أنديانا مع المهاجرين الافغان، رأيت دعوة الكونجرس له، «لقد ضربتم المثل الحي للشعوب التي تريد أن تتحرر من العبودية، فيشرفنا أن ندعوكم لحفلة شاي مع رجالات الكونجرس لتشرحوا قضيتكم لنا»، قال: ريغان والكونجرس وجهان لعملة واحدة، لن أجلس معهم.

الشيخ رباني ذهب بعده إلى الأمم المتحدة، طلب ريغان مقابلته، قابل ريغان، بعد أن خرج من عند ريغان كتبت الصحف الأمريكية، لأول مرة في تاريخ ريغان وفد يقول في وجهه لا، قال له ريغان: أرسلنا لكم الأسلحة هل وصلت؟ فأجابه الأستاذ رباني إجابة ساخرة لاذعة، قال له: نحن ننقل ذخائرنا وسلاحنا على الحمير والبغال تبقى شهرا من جنوب أفغانستان حتى تصل إلى شمال أفغانستان، الحمير الأمريكية التي تحمل أسلحتكم يبدو أنها لم تصل بعد.

يونس خالص قابل ريجان قال له الشباب: لماذا تقابل ريغان؟ قال: خشيت إن سألني ربي كيف تفلت فرصة تعرض بها الإسلام على رجل كافر فلا أستطيع أن أجيبه؟! قال لهم: أكتبوا لي بالانجليزي لماذا يجب أن يعتنق الإسلام؟ قبل أن أدخل عليه -الشيخ يونس عمره فوق السبعين، لحيته محنية- فدخل على ريغان، قال له: أنا أنصحك أن تعتنق الإسلام، ريغان بدل ما كان في موقف الهجوم صار يدافع، قال: أنا مثلي مثلك أنا مؤمن بالله، صار يدافع عن نفسه، والله مبعوث الأمم المتحدة يجري وراء يونس خالص من مكان إلى مكان - كان رئيسا للإتحاد في ذلك الوقت - أريد أن أقابلك، قال: لا أريد أن أقابلك، ذهب إلى ضياء الحق، قال له: هذا الشيخ يونس رافض أن يقابلني، فاتصل ضياء الحق بالشيخ يونس في بيشاور، قال له: إن لم تأتني آتيك أنا ومندوب الأمم المتحدة، قال: سآتيه من أجلك، ذهب إلى مندوب الأمم المتحدة، قال له: أنا أتيت من أجل ضياء الحق لأنهم يحبون ضياء الحق حبا شديدا، لأنه وقف وقفة الرجال والإباء، فقوبلت من الأفغان بالحياء والوفاء.

مؤامرات وتشويه:

ولذلك عندما قتل ضياء الحق فكأنما ذبح أمام كل قائد وحيده في حجره، نعم، وأنا والله أحد الذين طعنوا بقتل ضياء الحق، أحببت لو اختاروا أعز أبنائي وذبحوه أمامي وما سقطت طائرة ضياء الحق، والناس هنا خاصة الذين يحللون ويفسرون، يفهموا السياسة، الحمد لله أنا ما أفهم السياسة الحمد لله!! سياستهم هذه ما نفهمها، هنا يقول لك: هذا عميل لـ (سي آي إي) للمخابرات الأمريكية، للأمريكان وما إلى ذلك، هم يلقون ربهم كما يشاءون بالشهادة التي يريدون، قال له: أنا جئت من أجل ضياء لأقابلك وأنا أنصحك أن تعتنق الإسلام، الشيخ سياف كان يرفض أن يقابل أبدا، أخيرا قالوا له: تقابل وكيل الخارجية الأمريكية (أرماكوست)؟ قال لهم: بشرط أن تترجموا ما أقول له، قالوا له: نترجم، جلس الجنرال الباكستاني يترجم وجلس (أرماكوست) أمام حكمتيار وسياف ورباني وخالص بدأ الشيخ سياف قال له عندما رأى تكالب الأمريكان على سرقة دماء الأفغان، وأنهم يصرون أن لا يقوم الإسلام وأن لا تقوم دولة الإسلام، كانت هكذا نفوسهم تغلي عليهم، قال له: أنتم أخبث أمة في الأرض، هذا الجنرال الباكستاني إصفر واربد واحمر، دهنها بزيت دهنها بشحمة، تبتلع فلم تنزل، كيف يترجم أنتم أخبث أمة في الأرض، أنتم مصاصو دماء، أنتم قتلة، أنتم تكرهون الإسلام، هذا الجنرال صار يلف ويدور، يلف ويدور، يلفلفها بمائة لفة (ما بتمشيش)، قال له: لا تترجم أنا سأتكلم معه بالانجليزية، هذا (أرماكوست) صار يتطلع على لحية الشيخ سياف إلى نصف صدره، بني آدم هذا أم وحش الذي أمامه، صحيح لا يدري أني أدير الكرة الأرضية بإصبعي، يقول لي هكذا؟!! هذا تغير، إحمر وجهه قال: إسمع أنا أحب الإسلام وأحب قيام دولة إسلامية!! سكت سياف ثم بدأ حكمتيار صواريخ أرض أرض، ثم بعده الثالث صواريخ جو أرض، وهكذا أدركوا أن الناس هؤلاء لا يمكن التعامل معهم أبدا - خلاص - معنى ذلك: مصالح أمريكا في الشرق كلها مهددة إن وصلوا إلى الحكم، إذن لا بد أن يصفوا جسديا، قصة أنك تغسل أدمغتهم لا تغسل، عناصر غير قابلة للذوبان، وضعناهم في كل الحوامض الأمريكية ما ذابوا، لا يتفاعلون، سخنا حامض الكبريتيك ما ذابوا فيه، زدنا التركيز ماذابوا، إذن لا بد من تغيير هذه الرؤوس، يجب إزالتها، الآن دور قتلهم جسديا، تصفيتهم، كل واحد، المؤامرات يوميا، بعض المخلصين من البوليس الباكستاني يخبرونهم، هذا الأسبوع في فرقة لاغتيالكم، انتبهوا، لاتنتقل من بيتك، لا تركب سيارتك، أدخل في الداخل، إعمل كذا، غير عمامتك، غير لباسك، مؤامرات مستمرة، يجب أن تزال هذه العناصر الأصولية لأنها خطر عليهم، (واشنطن

بوست، هيرتريبيون، شيكاغواكسبرس، نيويورك تايمز) إنتبهوا يجب أن نحطم هؤلاء، ابحثوا عن كل السيئات في الأرض، ماذا نفعل بهم؟ شوهوهم، هؤلاء أصبحوا رموز الآن، أبناء فلسطين يهزجون في الأعراس : أخي يا سياف الروس منك تخاف، أخي يا حكمتيار على العدى ،ثل النار، أخي يا فلان، أصبح يسير بذكرهم الركبان، أصبحوا سمر السامرين وفاكهة الناس الصادقين وأنس مجالس الصالحين، كيف نفعل؟ قولوا مختلفين، ركزوا على الإختلاف، ركزوا على الحرب الأهلية، لا يوجد قتال في أفغانستان، هنالك قتال بين المسلمين والمسلمين، بين الأفغان والأفغان، أنت يا كويتي لماذا تدفع أموالك للأفغان؟ هؤلاء يقتلوا بعضهم بعضا، أنت آثم إن دفعت لهم أموالك، لماذا؟ لأن حكمتيار يشتري بها سلاح يذبح بها جماعة رباني، ورباني يشتري بها سلاح يرسلهم لمسعود حتى يذبح جماعة حكمتيار!! أنت لست مصدقا أنظر ماذا فعل حكمتيار في جماعة رباني في تخار!! أنظر ماذا فعل مسعود بجماعة حكمتيار في تخار قتل سيد جمال القائد لحكمتيار ثمانية وثلاثين قائدا لمسعود التابع لرباني، أي جريمة هذه؟! وعندما انتقم مسعود ،لم يقتل ثمانية وثلاثين قتل ثلاث مائة من جماعة حكمتيار!! وفر سيد جمال الجاني، ومسكته الدولة الشيوعية وسلمته لمسعود لأنه عميل للدولة الشيوعية!! إختاروا ثلاثة رموز من رموز الجهاد وأحرقوهم في حادثة واحدة، إذا أحرق حكمتيار ورباني، ولهم ذلك الثقل الجهادي ،يكونون العمود الفقري للجهاد في أفغانستان ، وهما اللذان بدءا بالجهاد، لهم ٥٥٪ أو زيادة من الجهاد الأفغاني، ومسعود أقوى قائد في داخل أفغانستان، الظاهرة الفريدة المتميزة المرتبة المنظمة، يحرقون كلهم في حادثة واحدة، ماذا بقي في الجهاد الأفغاني؟ ولم يقتل من قادة مسعود سوى خمسة، أنا حققت بها، وكنت في داخل أفغانستان، عندما حصلت الحادثة كنت ماضيا مع حكمتيار على أبواب بنجشير، كنت في (جلبهار – كوهستان) وعندما سمع النبأ والله يا إخوان رأيته غير الرجل الذي عهدته؛ إسود وجهه وانقبض صدره ،وكتب استنكارا مباشرا وأرسل باللاسلكي إلى مكتبه في بيشاور ليوزع على الصحفيين في العالم استنكار حادثة قائده هذا، ومسعود والله ما قتل ثلاث مائة ولا عشر الثلاثمائة ولا نصف العشر لكن ثلاثة أشهر متواصلة والصحف الغربية والـ (بي بي سي) وصوت أمريكا وهم يعزفون على نغم تخار وفرخار، هذه الخلافات ما كانت في أيام الروس، لماذا لم يظهرها الأمريكان؟ الأمريكان كانوا يفرحون، يفركون أيديهم فرحا بدخول الدب الروسي حتى يمرمغ بأوحال الهلمند وكابل تحت أقدام المجاهدين وحتى يثخن بالجراح، كان الأمريكان خائفين على آبار البترول لأن الدب الروسي عطش للبترول بعد أن أصبح بتروله لا يكفي الاتحاد السوفياتي، وكان هذا مخططه أن يصل الخليج سنة ‹١٩٨١م›، يحمل مخططا أن يقضي على الجهاد الأفغاني سنة ‹١٩٨٠م› وأن يصل الخليج سنة ‹١٩٨١م›، لكن جماجم الشهداء وأجساد الأبرياء في أرض العزة والفخار، والحديد والنار، أقامت سدا أمام الطوفان الأحمر دون أن يغرق الخليج والبلاد العربية، فرد الله كيدهم في نحورهم ومضت السنون وهم يتجرعون مرارة الخيبة ويبلعون خذلان الهزيمة، الناس كما يحلو لهم يقول لك: هذه أمريكا التي تقاتل، أنا ما رأيت أمريكيا واحدا يقاتل في داخل أفغانستان في الثماني سنوات، قالوا: الاسلحة الأمريكية هي التي تقاتل، وما رأيت سلاحا أمريكيا واحدا في أرض أفغانستان سوى ستنجر، وأمريكا كانت تأخذ سبعين ألف دولار ثمن كل صاروخ من السعودية، ماذا قدم الأمريكان؟ الأمريكان يريدون أن يظهروا أمام الشعب الأمريكي أمام الناس أن هذا الجهاد ملطخ بأموالنا وبمساعدتنا ونحن نقف وراءه وهو في قبضتنا، ولذلك في نيويورك حكمتيار قالوا له: -في مؤتمر صحفي- كم أعطتكم أمريكا؟ قال: لم تعطنا دولارا واحدا، ونحن نرفض أن نأخذ أي شيء من أمريكا، أنا قائم وأعيش القضية، وجاءت أمريكا بمائة مليون دولار للصحة و ‹٦٠› مليوناً للتعليم ، وجاءوا وعرضوا على المجاهدين أن نعمل لكم مستشفيات ومدراس في داخل أفغانستان، ولو أخذها المجاهدون وعملوا مستشفيات ولو سمحوا للأمريكان أن يقيموا مستشفيات لأعذرهم رب الأرض والسموات، لأن إخواننا في داخل أفغانستان ومن فارياب وغيرها يصورون الجريح الذي ضرب برجله، يأتون بمنشار الخشب وينشرون رجله بدون بنج، لو سمحوا للأمريكان لكانوا معذورين، ولكنهم رفضوا، فذهبوا للهلال الأحمر السعودي قالوا له: نفذ مشروعنا من خلالكم، مدير الهلال الأحمر السعودي شاب طيب قال: لا يمكن أن أتعاون معكم، ذهبوا للسفارات العربية في إسلام آباد حتى يقنعوا القادة أن يقبلوا ؛ أن الأمريكان يعملوا لهم مستشفيات، رفضوا، بعد عشرة أشهر كان المسؤول الأمريكي هذا يصيح من يعذرني بهؤلاء المجانين الأفغان، مائة مليون دولار أخرجناها من فم الأسد من الخزينة الأمريكية بشق الأنفس و‹٦٠› مليوناً للتعليم ستعود بعد شهرين للخزينة الأمريكية لأننا لم نستطع أن ننفقها، بعض الشباب المتحمسين، الله عز وجل فاتح عليهم، درسوا كتب العقيدة والحديث والتفسير، جاءوا إليّ، قالوا: هل يجوز لنا أن نقاتل مع هذه الدولة، دولة المجاهدين؟ قلت لهم: لماذا؟ قالوا: عقيدتهم غير واضحه، قلت لهم: كيف عقيدتهم غير واضحة؟ قالوا: عقيدة الولاء والبراء غير واضحة، كنت مع حكمتيار في ميدان قرب كابل قلت: يا حكمتيار تعال رد عليهم.. عقيدتكم غير واضحة، لماذا عقيدته غير واضحة؟ قالوا: كيف يروح يطلب من الدول العربية -بعض الدول الثورية أن يطلبوا- الاعتراف بدولة المجاهدين؟ قلت له: رد عليهم يا شيخ حكمتيار، قال لهم: نحن ما هي مصيبتنا إلا أن عقيدة البراء والولاء واضحة عندنا وإلا حرب الأمريكان والغرب علينا، كله بسببه أننا بريئون منهم، ولو قبلنا أن نلين لهم قليلا لانتهت القضية، إذا كانت الدولة الفلسطينية ليس لها شبر أرض تقيم عليها، واعترفت بها

مائة دولة، ونحن عندنا ستمائة ألف كيلو متر مربع محررة بأيدينا، فيها المحاكم الشرعية، وفيها الإفتاء، وفيها نصف مليون مجاهد مسلحين، ونحن منتصرون ومن قمة النصر نتكلم، لم تعترف بنا إلا أربع دول بعد شق الأنفس، نحن ما مصيبتنا إلا أن – مصيبتنا في نظر هؤلاء – عقيدة البراء والولاء؛ أننا نرفض أن نلين لهم أو نستلين أو نستكين، الآن ما هو الدور المطلوب؟ تشويه الجهاد الأفغاني، حرق قادته، تحطيم أفذاذه، تصفية البارزين فيه جسديا إن استطاعوا، فرض حكومة محايدة، ما معنى محايدة؟ يعني: دينها لين هين مقبول مطاط يمط حسب الأهواء الأمريكية، مثل ما قالوا: يكون الحاكم لين، ليس منغلقا متقوقعاً أصوليا جامدا، يجب أن يكون مرن، وعنده (فتوى مشين) فتوى مشين يعني آلة الفتوى، يضغط عليها تطلع الفتوى عن تحديد النسل، وفتوى عن الربا وهكذا، مثل ما يضغطوا تطلع بيبسي وميرندا وما إلى ذلك، تضغط تطلع فتاوي جاهزة، عزل القضية الأفغانية، إعادتها قضية قومية محلية، قطع الصلة بين قلوب المسلمين وبين القضية، منع مساعدات المحسنين، إحكام الطوق حول أفغانستان، خنق الجهاد، منع الدول المحيطة أن تسمح لهم بأي شيء، الآن الدول المحيطة بأفغانستان كلها تمشي في المخطط الغربي، حتى جابوا لهم حاكم تركيا ليقنعهم ليلينوا ويستلينوا فجلسوا معه، قال لهم: كيف حالكم – هذا الحاكم التركي – قال له يونس خالص: الحمد لله نحن بخير، نحن عندنا الكتاب والسنة وليس عندنا كتاب أخضر نحكم فيه، هذه واحدة، والمرأة لا يجوز لها أن تحكم عندنا، هذه اثنتين ضرب دولتين،[1] الثالث نحن لا نحرم دخول البنات الجامعات ولا المدارس لابسات، لا نحرم الفتيات أن يدخلن لابسات كما تفعل بعض الدول، لذلك فهو يعنيه، هذا الرجل جاء يريد أن يعطيهم صار يدافع عن نفسه، قال له: لا تسمح لأحد أن يتدخل فينا، قالوا: صحيح ونحن لا نسمح لأحد أن يتدخل فينا، فهم نموذج جديد في عالم السياسة، غرباء.

لماذا التشويه؟؟

وأنا والله متعجب أن بعض الصحف في العالم العربي هكذا، تشوه..

(ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) (آل عمران: ١١٨)

لا ينقلون عن الجهاد إلا كل سيئة، مآثر الجهاد لا ينقلونها، خلافات، الحرب الأهلية، دماء، حكمتيار وسياف ورباني إلى آخره، والله يا إخوان: لا أدري هؤلاء لماذا يكرهون الأفغان؟ أنا أعلم أنهم يكرهون الإسلام، ولا يستطيعون أن يصرحوا بكراهيتهم للإسلام، وبكراهيتهم لانتصار الإسلام، فيريدون أن يحاربوا الإسلام من خلال الرموز القوية البارزة، وكراهية انتصار الأفغان المجاهدين على الشيوعيين الأفغان كفر يخرج من الملة، الذي يحب أن ينتصر نجيب على المجاهدين ليس مسلما أبدا، لأنه يكره أن ينتصر الإسلام، ويحب أن ينتصر الكفر، ويحب أن يسود الشرك وهذا ليس مسلما وليس داخلا في دين الله.

لماذا لا نكتب عن سلبيات الجهاد؟؟

والناس الذين يكتبون عن سلبيات وسيئات الجهاد الأفغاني ويركزون عليها، هؤلاء واحد من اثنين: إما أن يكونوا حاقدين وهم عالمون...

(وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) (النمل: ١٤)

هؤلاء ينتظرون نقمة رب العالمين منهم بأنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، لينتظروا ...

يغـي وللبغـي سهـام تنتظـر *أتته في أيدي المنـايـا والقـدر*

سهام أيدي القانتات في السحر *يرمين عن قوس لها الليل وتـر*

لينتظر هؤلاء دعوات الثكالى الأفغانيات اللواتي فقدن أبناءهن في داخل المعركة، أكثر من ثلاثمائة ألف أرملة خلف الجهاد، أكثر من مليون ونصف من الشهداء، أكثر من مليون يتيم، أكثر من مائتي ألف معوق ومشوه، ليأتي هؤلاء الصحفيون الذين يتسلون بآنات الثكالى وآهات الأيامى وكلوم المكلومين، ليأتوا إلى بيشاور، وليدخلوا الخيام ليروا أن كل خيمة هي عبارة عن ميتم ومأتم في وقت واحد، أدخلوا الخيام لتجدوا مجموعة من الأرامل واليتامى والمعوقين والمشوهين، الآن كل واحد، كل أفغاني يدخل بيته مدمر، إنتهى، هاجر، وضع أهله في خيمة، الخيمة هذه فيها عشرون طفلا، هؤلاء أولاد أخيه، وهؤلاء إخوانه الصغار، وهؤلاء أولاد أخته، وهذه أخته التي طارت

---

(١) يشير إلى ليبيا وكتابها الأخضر وكذلك إلى تركيا.

بوست، هيرتريبيون، شيكاغواكسبرس، نيويورك تايمز) إنتبهوا يجب أن نحطم هؤلاء، ابحثوا عن كل السيئات في الأرض، ماذا نفعل بهم؟ شوهوهم، هؤلاء أصبحوا رموز الآن، أبناء فلسطين يهزجون في الأعراس : أخي يا سياف الروس منك تخاف، أخي يا حكمتيار على العدى ،ثل النار، أخي يا فلان، أصبح يسير بذكرهم الركبان، أصبحوا سمر السامرين وفاكهة الناس الصادقين وأنس مجالس الصالحين، كيف نفعل؟ قولوا مختلفين، ركزوا على الإختلاف، ركزوا على الحرب الأهلية، لا يوجد قتال في أفغانستان، هنالك قتال بين المسلمين والمسلمين، بين الأفغان والأفغان، أنت يا كويتي لماذا تدفع أموالك للأفغان؟ هؤلاء يقتلوا بعضهم بعضا، أنت آثم إن دفعت لهم أموالك، لماذا؟ لأن حكمتيار يشتري بها سلاح يذبح بها جماعة رباني، ورباني يشتري بها سلاح يرسلهم لمسعود حتى يذبح جماعة حكمتيار!! أنت لست مصدقا أنظر ماذا فعل حكمتيار في جماعة رباني في تخار!! أنظر ماذا فعل مسعود بجماعة حكمتيار في تخار بقتل سيد جمال القائد لحكمتيار ثمانية وثلاثين قائدا لمسعود التابع لرباني، أي جريمة هذه؟! وعندما انتقم مسعود ،لم يقتل ثمانية وثلاثين قتل ثلاث مائة من جماعة حكمتيار!! وفر سيد جمال الجاني، ومسكته الدولة الشيوعية وسلمته لمسعود لأنه عميل للدولة الشيوعية!! إختاروا ثلاثة رموز من رموز الجهاد وأحرقوهم في حادثة واحدة، إذا أحرق حكمتيار ورباني، ولهم ذلك الثقل الجهادي ،يكونون العمود الفقري للجهاد في أفغانستان ، وهما اللذان بدءا بالجهاد، لهم ٥٥٪ أو زيادة من الجهاد الأفغاني، ومسعود أقوى قائد في داخل أفغانستان، الظاهرة الفريدة المتميزة المرتبة المنظمة، يحرقون كلهم في حادثة واحدة، ماذا بقي في الجهاد الأفغاني؟ ولم يقتل من قادة مسعود سوى خمسة، أنا حققت بها، وكنت في داخل أفغانستان، عندما حصلت الحادثة كنت ماضيا مع حكمتيار على أبواب بنجشير، كنت في (جلبهار – كوهستان) وعندما سمع النبأ والله يا إخوان رأيته غير الرجل الذي عهدته؛ إسود وجهه وانقبض صدره ،وكتب استنكارا مباشرا وأرسل باللاسلكي إلى مكتبه في بيشاور ليوزع على الصحفيين في العالم استنكار حادثة قائده هذا، ومسعود والله ما قتل ثلاث مائة ولا عشر الثلاثمائة ولا نصف العشر لكن ثلاثة أشهر متواصلة والصحف الغربية وال (بي بي سي) وصوت أمريكا وهم يعزفون على نغم تخار وفرخار، هذه الخلافات ما كانت في أيام الروس، لماذا لم يظهرها الأمريكان؟ الأمريكان كانوا يفرحون، يفركون أيديهم فرحا بدخول الدب الروسي حتى يمرمغ بأوحال الهلمند وكابل تحت أقدام المجاهدين وحتى يثخن بالجراح، كان الأمريكان خائفين على آبار البترول لأن الدب الروسي عطش للبترول بعد أن أصبح بتروله لا يكفي الاتحاد السوفياتي، وكان هذا مخططه أن يصل الخليج سنة ‹١٩٨١م›، يحمل مخططا أن يقضي على الجهاد الأفغاني سنة ‹١٩٨٠م› وأن يصل الخليج سنة ‹١٩٨١م›، لكن جماجم الشهداء وأجساد الأبرياء في أرض العزة والفخار، والحديد والنار، أقامت سدا أمام الطوفان الأحمر دون أن يغرق الخليج والبلاد العربية، فرد الله كيدهم في نحورهم ومضت السنون وهم يتجرعون مرارة الخيبة ويبلعون خذلان الهزيمة، الناس كما يحلو لهم يقول لك: هذه أمريكا التي تقاتل، أنا ما رأيت أمريكيا واحدا يقاتل في داخل أفغانستان في الثماني سنوات، قالوا: الاسلحة الأمريكية هي التي تقاتل، وما رأيت سلاحا أمريكيا واحدا في أرض أفغانستان سوى ستنجر، وأمريكا كانت تأخذ سبعين ألف دولار ثمن كل صاروخ من السعودية، ماذا قدم الأمريكان؟ الأمريكان يريدون أن يظهروا أمام الشعب الأمريكي أمام الناس أن هذا الجهاد ملطخ بأموالنا وبمساعدتنا ونحن نقف وراءه وهو في قبضتنا، ولذلك في نيويورك حكمتيار قالوا له: –في مؤتمر صحفي– كم أعطتكم أمريكا؟ قال: لم تعطنا دولارا واحدا، ونحن نرفض أن نأخذ أي شيء من أمريكا، أنا قائم وأعيش القضية، وجاءت أمريكا بمائة مليون دولار للصحة و ‹٦٠› مليوناً للتعليم ، وجاءوا وعرضوا على المجاهدين أن نعمل لكم مستشفيات ومدراس في داخل أفغانستان، ولو أخذها المجاهدون وعملوا مستشفيات ولو سمحوا للأمريكان أن يقيموا مستشفيات لأعذرهم رب الأرض والسموات، لأن إخواننا في داخل أفغانستان ومن فارياب وغيرها يصورون الجريح الذي ضرب برجله، يأتون بمنشار الخشب وينشرون رجله بدون بنج، لو سمحوا للأمريكان لكانوا معذورين، ولكنهم رفضوا، فذهبوا للهلال الأحمر السعودي قالوا له: نفذ مشروعنا من خلالكم، مدير الهلال الأحمر السعودي شاب طيب قال: لا يمكن أن أتعاون معكم، ذهبوا للسفارات العربية في إسلام أباد حتى يقنعوا القادة أن يقبلوا ؛ أن الأمريكان يعملوا لهم مستشفيات، رفضوا، بعد عشرة أشهر كان المسؤول الأمريكي هذا يصيح من يعذرني بهؤلاء المجانين الأفغان، مائة مليون دولار أخرجناها من فم الأسد من الخزينة الأمريكية بشق الأنفس و‹٦٠› مليوناً للتعليم ستعود بعد شهرين للخزينة الأمريكية لأننا لم نستطع أن ننفقها، بعض الشباب المتحمسين، الله عز وجل فاتح عليهم، درسوا كتب العقيدة والحديث والتفسير، جاءوا إلي، قالوا: هل يجوز لنا أن نقاتل مع هذه الدولة، دولة المجاهدين؟ قلت لهم: لماذا؟ قالوا: عقيدتهم غير واضحه، قلت لهم: كيف عقيدتهم غير واضحة؟ قالوا: عقيدة الولاء والبراء غير واضحة، كنت مع حكمتيار في ميدان قرب كابل قلت: يا حكمتيار تعال رد عليهم،، عقيدتكم غير واضحة، لماذا عقيدته غير واضحة؟ قالوا: كيف يروح يطلب من الدول العربية –بعض الدول الثورية أن يطلبوا– الاعتراف بدولة المجاهدين؟ قلت له: رد عليهم يا شيخ حكمتيار، قال لهم: نحن ما هي مصيبتنا إلا أن عقيدة البراء والولاء واضحة عندنا وإلا حرب الأمريكان والغرب علينا، كله بسببه أننا بريئون منهم، ولو قبلنا أن نلين لهم قليلا لانتهت القضية، إذا كانت الدولة الفلسطينية ليس لها شبر أرض تقيم عليها، واعترفت بها

مائة دولة، ونحن عندنا ستمائة ألف كيلو متر مربع محررة بأيدينا، فيها المحاكم الشرعية، وفيها الإفتاء، وفيها نصف مليون مجاهد مسلحين، ونحن منتصرون ومن نعمة النصر نتكلم، لم تعترف بنا إلا أربع دول بعد شق الأنفس، نحن ما مصيبتنا إلا أن – مصيبتنا في نظر هؤلاء – عقيدة البراء والولاء؛ أننا نرفض أن نلين لهم أو نستلين أو نستكين، الآن ما هو الدور المطلوب؟ تشويه الجهاد الأفغاني، حرق قادته، تحطيم أفذاذه، تصفية البارزين فيه جسديا إن استطاعوا، فرض حكومة محايدة، ما معنى محايدة؟ يعني: دينها لين هين مقبول مطاط يمط حسب الأهواء الأمريكية، مثل ما قالوا: يكون الحاكم لين، ليس منغلقا متقوقعاً أصوليا جامدا، يجب أن يكون مرن، وعنده (فتوى مشين) فتوى مشين يعني آلة الفتوى، يضغط عليها تطلع الفتوى عن تحديد النسل، وفتوى عن الربا وهكذا، مثل ما يضغطوا تطلع بيبسي وميرندا وما إلى ذلك، تضغط تطلع فتاوي جاهزة، عزل القضية الأفغانية، إعادتها قضية قومية محلية، قطع الصلة بين قلوب المسلمين وبين القضية، منع مساعدات المحسنين، إحكام الطوق حول أفغانستان، خنق الجهاد، منع الدول المحيطة أن تسمح لهم بأي شيء، الآن الدول المحيطة بأفغانستان كلها تمشي في المخطط الغربي، حتى جابوا لهم حاكم تركيا ليقنعهم ليلينوا ويستلينوا فجلسوا معه، قال لهم: كيف حالكم – هذا الحاكم التركي – قال له يونس خالص: الحمد لله نحن بخير، نحن عندنا الكتاب والسنة وليس عندنا كتاب أخضر نحكم فيه، هذه واحدة، والمرأة لا يجوز لها أن تحكم عندنا، هذه اثنتين ضرب دولتين،[1] الثالث نحن لا نحرم دخول البنات الجامعات ولا المدارس لابسات، لا نحرم الفتيات أن يدخلن لابسات كما تفعل بعض الدول، لذلك فهو يعنيه، هذا الرجل جاء يريد أن يعطيهم صار يدافع عن نفسه، قال له: لا نسمح لأحد أن يتدخل فينا، قالوا: صحيح ونحن لا نسمح لأحد أن يتدخل فينا، فهم نموذج جديد في عالم السياسة، غرباء.

لماذا التشويه؟؟

وأنا والله متعجب أن بعض الصحف في العالم العربي هكذا، تشوه..

(ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر) (آل عمران: ١١٨)

لا ينقلون عن الجهاد إلا كل سيئة، مآثر الجهاد لا ينقلونها، خلافات، الحرب الأهلية، دماء، حكمتيار وسياف ورباني إلى آخره، والله يا إخوان: لا أدري هؤلاء لماذا يكرهون الأفغان؟ أنا أعلم أنهم يكرهون الإسلام، ولا يستطيعون أن يصرحوا بكراهيتهم للإسلام، وبكراهيتهم لانتصار الإسلام، فيريدون أن يحاربوا الإسلام من خلال الرموز القوية البارزة، وكراهية انتصار الأفغان المجاهدين على الشيوعيين الأفغان كفر يخرج من الملة، الذي يحب أن ينتصر نجيب على المجاهدين ليس مسلما أبدا، لأنه يكره أن ينتصر الإسلام، ويحب أن ينتصر الكفر، ويحب أن يسود الشرك وهذا ليس مسلما وليس داخلا في دين الله.

لماذا لا نكتب عن سلبيات الجهاد؟؟

والناس الذين يكتبون عن سلبيات وسيئات الجهاد الأفغاني ويركزون عليها، هؤلاء واحد من اثنين: إما أن يكونوا حاقدين وهم عالمون...

(وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) (النمل: ١٤)

هؤلاء ينتظرون نقمة رب العالمين منهم بأنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، لينتظروا ...

بغـي وللبغـي سهـام تنتظـر	*أتته في أيدي المنـايا والقـدر*
سهام أيدي القانتات في السـحر	*يرمين عن قوس لها الليل وتـر*

لينتظر هؤلاء دعوات الثكالى الأفغانيات اللواتي فقدن أبناءهن في داخل المعركة، أكثر من ثلاثمائة ألف أرملة خلف الجهاد، أكثر من مليون ونصف من الشهداء، أكثر من مليون يتيم، أكثر من مائتي ألف معوق ومشوه، ليأتي هؤلاء الصحفيون الذين يتسلون بأنات الثكالى وآهات الأيامى وكلوم المكلومين، ليأتوا إلى بيشاور، وليدخلوا الخيام ليروا أن كل خيمة هي عبارة عن ميتم ومأتم في وقت واحد، أدخلوا الخيام لتجدوا مجموعة من الأرامل واليتامى والمعوقين والمشوهين، الآن كل واحد، كل أفغاني يدخل بيته مدمر، إنتهى، هاجر، وضع أهله في خيمة، الخيمة هذه فيها عشرون طفلا، هؤلاء أولاد أخيه، وهؤلاء إخوانه الصغار، وهؤلاء أولاد أخته، وهذه أخته التي طارت

(١) يشير إلى ليبيا وكتابها الأخضر وكذلك إلى تركيا.

عينها، وهذه أمه المشلولة، وهذه بنته التي احترقت بالنابالم، وبعد ذلك اليساريون يتسلون بعذاب هؤلاء، ليتهم وقفوا كما كانوا واقفين مع فيتنام الشيوعية، كانت صحفنا يوميا تدافع عن فيتنام وتهاجم الأمريكان، هل الفيتناميون الشيوعيون أقرب إلى قلوبكم يا من تسمون بأسماء أحمد ومحمد وعمر وعثمان؟ الشيوعيون الفيتناميون أقرب إلى قلوبكم من عمر وبكر وعلي الذين من أفغانستان؟ أي دين أنتم الذي تتعبدون الله فيه؟ في أي دين أنتم؟ أفصحوا عن دينكم، هل أنتم في دين لينين أم في دين محمد بن عبد الله ﷺ؟ يتسلون، الأمريكان، والخطة الأمريكية، والسياسة الأمريكية، وهكذا تريد الـ (سي آي إي) وما إلى ذلك.

شجاعة وصبر:

تعالوا وانظروا، بعيني هاتين دخلت وادي بنجشير، واد من الأودية بعد أن مشطه الروس مرتين، مشطه الروس مرتين من الآليات المدمرة والسيارات المحطمة والمدرعات التي طارت أجزاؤها، لقد رأيت بعيني هاتين خمسمائة إلى ألف آلية مدمرة على جانبي الطريق بعد أن نظف الوادي مرتين، حرب عالمية وشباب والله تستحي أن تنظر في وجوههم، رجولة وعزة وإباء ولكن لسان كل واحد منهم يقول:

وحيد مـن الخلان فـي كل بلـدة ... إذا عظم المقصود قلّ المساعـد

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتـي على قدر الكـرام المكارم

ويعظم في عين الصغير صغيرها ... ويصغر في عين العظيم العظائـم

شباب، والله مسعود هذا قالوا لي: ما رأيك في مسعود وفي حكمتيار؟ قلت لهم: ما لهم؟ قالوا: حكمتيار سفاك دماء وما إلى ذلك ومسعود مرتبط بالفرنسيين وبالغرب، قلت لهم: والله عبد الله عزام أقل من أن يحكم على حكمتيار ومسعود!! أنتم تريدون ما أحسه في أعماقي، أنا أشعر بالشرف العظيم عندما يسمح لي مسعود أو حكمتيار أن أجلس بجانبهم، لأنهم صنعوا التاريخ، وأنا كتبت ما صنعو من التاريخ، تعالوا انظروا ماذا فعلوا في داخل أفغانستان (وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه).

عندما ترى المعاقل التي كانوا يعيشون فيها في قمم الجبال تعجب، هل يستطيع بشر أن يعيش فيها؟! ستة أشهر متتالي والطائرات تخرج يوميا من (ترمذ) أي: الاتحاد السوفياتي من (بجرام) من (خواجه رواش) يعني مطار كابل، من بغلان (كلاجي) تقصف بنجشير، ستة أشهر، عندما كانت الطائرات تمر فوق (بروان) و(كابيسا) أهل بروان وكابيسا يبكون على أهل بنجشير، ستة أشهر وهـ يحملون لا يستطيعون أن يقروا في أي مكان، يحملون كيس اللوبيا على ظهورهم ويضعونه في طنجرة – وعاء – لا يجدون إلا ما يسلقو به اللوبيا ويأكلونها مسلوقة فقط، وهم ماذا يفعلون؟ معارك الكوماندوز مستمرة، يطلعون فوق الجبل ينزل عليهم الكوماندوز، تدور المعركة ينزلون أسفل الوادي تنزل عليهم فرق الكوماندوز، ثم يتحركون إلى الجبل الآخر، الكوماندوز تلاحقهم، هكذا، في قمم الجبال الثلو تكسو المنطقة، لا يجدون ولا طير ولا إنسان ولا حيوان إلا الكوماندوز والمجاهدون، ومع ذلك كل واحد منهم يردد:

أأطرح المجد عن كتفي وأطلبـه ... وأترك الغيث في غمدي وأنتـجع

والمشرفيـة لا زالت مشـرفـة ... دواء كل كـريم أو هـي الوجـع

والله لما رأيت قلت أين عايشين هؤلاء، سنتين ثلاث بين الثلوج في غرف – الله أعلم – الإنس لا يأتيها، طبعا لا يمكن أن يأتيه الجن ممكن يمر من تلك المنطقة، والله قطاع الطرق يخافون من تلك المناطق، هكذا قابعون وروسيا تبحث عنهم، أين هم؟ أين هـ وتحصل الإنزالات عليهم، ومرة مسعود في غرفة والله تعجبت كيف هذا يعيش فيها سنتين، ليس معقول انسان عادي يستطيع أن يعيش في هذا العيش سنتين، والروس يبحثون أين ذهب مسعود، وحوله سريتان صغيرتان مكونتان من <٤٥> شخصاً على بعد ثلاثة كيلو مترا، حوله وهو في غرفة في سفح جبل وتحته منحدر وتحته نهر لا يسكنها ساكن، بحث الروس طويلا طويلا طويلا، وأخيرا حددوا المعركة ستة عشر يوما والطائرات تضرب، قال للسريتين: لاتضربوا طلقة واحدة، بعد ستة عشر يوما أيقنوا أن المنطقة ما فيها مقاومات جوي اليوم السادس عشر أو السابع عشر جاءت طائرتان، الصباح خمس أو عشر دقائق، حامتا هكذا طائرتا الهيلكوبتر، قال مسعود لشا بجانبه جزائري يلازمه إسمه عبد الله أنس: اليوم الهجوم ونزول الكماندوز، والهجوم سيكون بعد نصف ساعة إلى ساعة، بعد أربع دقيقة جاءت خمس وأربعون طائرة، هم خمسة وأربعون شخصاً، كل طائرة مقابل إنسان، اتصلوا به في قمة الجبل، وصلت الطائرا نرمي؟ قال: لا، نزلت الطائرات، نرمي؟ لا، فتحت الطائرات أبوابها بدأ الجنود ينزلون نرمي؟ قال: بسم الله، إرموا، بسم الله والله أك وبالـ (آر بي جي) يفاجئون، أول دقيقتين نزلت طائرتان، إتصل به شاب من المجاهدين هناك -المجاهدون يشرحون الصدر، يقولو التربية لا تتم هناك، إنما تتم من خلال قراءة الكتب، هناك التربية، هناك تعري الفطرة إلى الله عز وجل، أقرب ما يكون العبد هناك إ ربه، والدنيا كلها تهون عليه – إتصل به شاب قال: أمامي واحد مقطوع الرجل منهم بجانبه حقيبة، قال: إزحف إليه وخذ الحقي

نتحوا الحقيبة وإذا به قائد المعركة، وإذا بالحقيبة خطة المعركة، فخسروا نصف المعركة لأن الخطة كشفت وقائدها قتل، عادت الخمس وأربعون طائرة، قالوا: ماذا نصنع؟ قال: إلزموا أماكنكم، لم تنتهي المعركة بعد - شاب ما شاء الله نرجو الله عز وجل أن يحفظه ذخرا لافغانستان وللأمة الإسلامية نرجو الله - إلزموا أماكنكم سيرجعون، رجعت ستون طائرة، حامت حامت ثم ذهبت، ما ضربت، ماذا نفعل؟ إلزموا أماكنكم لن تنته المعركة، رجعت خمس وأربعون طائرة وبدأت المعركة مواجهة، الطائرة مقابلها الشاب، هو حامل الرشاش وهي رشاشاتها ومدافعها وقاذفاتها، إستمرت المعركة، اسقطوا ثماني طائرات، قتلوا مائة وستين إلى مائتي روسي، كلهم روس، لا يوجد فيهم أفغان، أسقطوا ثلاث طائرات جيت، يعني: إحدى عشرة طائرة، والله ما سقطت شعرة من وجه مجاهد، أي كرامة هذه؟! أي معجزة، والمعجزة الكبرى هي انتصار الافغان على الروس، أكبر معجزة في القرون الثلاثة رغم أنوف الحاقدين، هي قضية أفغانستان. وأكثر ما يحزنني أن هذه البطولات لم تجد أقلاما صادقة تسطرها، ولم تجد أفواها صادقة تنقلها، حتى تكون غذاء للأجيال عبر القرون القادمة تربى عليها، لماذا نصر فقط أن نضرب أمثلة البطولة من ساداتنا الصحابة رضوان الله عليهم؟ هل عقمت الأمة الإسلامية من أن تبرز نماذج جديدة تسير على إثر أولئك السلف؟ هل أجدبت الأرض الإسلامية من أن تخرج أفذاذا يصبحون نماذج على الطريق؟ والنماذج كلما كانت حية كلما كان تأثيرها في النفوس أعمق، ودفعها للأجيال أشد وأفيد، الآن ما هو وضع أفغانستان؟ الصحافة العربية التي تنقل عن الصحافة الغربية - طبعا ليست الصحافة كلها إلا من رحم الله وقليل ما هم - تريد أن تركز أن المجاهدين أضعف من حكومة نجيب، والدليل على ذلك وهم يسلطون الأضواء على أبواب جلال أباد أو غيرها من المدن.

الصـــدق والتقـــوى

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولايرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولانصب ولا مخمصة في سبيل الله ولايطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولاينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لايضيع أجر المحسنين ولاينفقون نفقة صغيرة ولاكبيرة ولايقطعون واديا إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ماكانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) (التوبة:١١٩-١٢٢)

المجتمع المتماسك:

الآيات تحرض المؤمنين على القتال ولكن بطريق فيه تأنيب، بشيء من التقريع والتوبيخ الخفي، الآيات تبدأ بالكلام عن التقوى والصدق وهذا مناسب ومتناسق مع الآيات التي تكلمت قبلها عن التوبة عن التوابين الثلاثة: مرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك، وقصة كعب التي كنا تحدثنا عنها قصة رائعة في الصدق والصبر قصة الثلاثة الذين قاطعهم المجتمع المسلم خمسين ليلة وصبروا قال كعب: فكنت أقترب من الرسول ﷺ وأنوي في الصلاة فأسارقه النظر فإذا نظر إليّ ووقعت عيني في عينه صرف نظره وكنت أمر فأرد عليه السلام فأنظر هل تحركت شفتا رسول الله ﷺ، يعيش على أمل كلمة من الرسول ﷺ، يعيش على أمل الإبتسامة يعيش على أمل التوبة يعيش على أمل أن يرجعه هذا المجتمع الذي نبذه وفي هذه الأثناء يأتيه رسالة من ملك غسان ينصحه أن يلحق به: قد سمعنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله في دار هوان فالحق بنا نواسك.

صور من مجتمعنا غير متماسكة:

عرض من ريغان ليكون لاجئاً سياسياً عنده.. بسيارة.. بحرس.. وبسائق.. وبفيلا، قال: فتيممت بها نحو التنور واحرقتها قلت: والله هذه هي البلية، تصوروا عندما يفشل ملك غسان أن يأخذ شخصاً منبوذاً في المجتمع كل المجتمع يقاطعه، بينما الجيوش الجرارة من مجتمعاتنا تعمل «سي أي، إي» المخابرات المركزية الأمريكية، ومع الظالمين ومع أعداء هذا الدين ومع المجرمين ومع الانجليز ومع

الروس وهم آمنون مطمئنون ليسوا منبوذين في المجتمع بل ذوي مكانة مرموقة بل ذوي مكانة، لهم شأن كبير في المجتمع، ومع ذلك هم يتبرعون، هم يتبرعون أن يضعوا النير في أعناقهم، مقابل ماذا؟! على أمل أن يصبحوا في المستقبل مدراء دوائر أو وكلاء وزراء أو وزير هكذا يبيع دينه بثمن العنز، يبيع دينه على أمل، واحد ديبلوماسي في إحدى الدول العربية يحدثني قال: كنت مسؤولاً في دائرة، فجاءني مندوب من السفارة الامريكية يراجع في قضية، قضية استئجار بيوت في البلد، ولا بد أن يحدد الأجرة هكذا، أو فرض ضرائب، المهم قال: هذه العمارة لنا نحن استأجرناها، -إن لم تخني الذاكرة- القصة حول هذا، المهم جاء يراجعه بشأن السفارة الأمريكية، مسألة اقتصادية حتى يخفف عنه، قال له: لا، أنت يجري عليك ما يجري على غيرك، قال: لكن أنا مندوب السفارة الأمريكية قال: وإن كنت مندوب أمريكا نفسها ليس السفارة الأمريكية القضية تحل بهذه الطريقة التي قلتها لكم قبل أن نراكم ،هذه العمارة أجرتها كذا، وهذه القضية: الحل العادل لها كما يأمرنا الاسلام هكذا فقال له: السفير يغضب قال: ليغضب السفير خير من أن يغضب رب السفير، فرجع فنقل الصورة فقال السفير الامريكي أنا أريد أن أقابله، أرسل بطاقة له قال: أنت مدعو عن طريق رئيسه طبعاً- فقال له – ناداه، فراح هذا رئيسه قال له: السفير الأمريكي أعجب بشخصيتك وبقوتها ويريد أن يراك في حفل عندهم يوم الخميس ليلة الجمعة -ليلة الجمعة هناك- قيام ليل في السفارة الأمريكية!! فأنت مدعو عليه قال: أنا لا أذهب فهذا المسؤول عنه جن جنونه قال له: أنت مجنون؟! الناس يتمنون أن يتعرفوا على كاتب في السفارة، السفير يريد أن يتعرف عليك قال: ماذا في حفلة السفارة، النساء، الخمر، الرقص؟ ماذا؟ أنا رجل مسلم صاحب لحية لا يروق لي أن أراهم ولا يروق لهم أن يروني قال له: أنت لا بد أن تذهب قال له: لن أذهب قال: يغضب السفير، قال: ليغضب السفير، أنا مسلم مالي وللسفير الأمريكي قال له أخيراً: أنت ليس لك مستقبل في هذا البلد، قال أنت لا تفكر في مستقبلك، كلمة واحدة للمسؤول الأول في هذا البلد للحاكم الأول في هذا البلد من السفير الأمريكي تصبح وزيراً، فليتعرف عليك قال له: أنا -هو يقول له هو رئيس دائرة في البلد- قال: أنا خلال ثماني أشهر سأصبح وزيراً للداخلية وفلان يصبح وزيراً وفلان.. ناس مغمورين لكن يبدو هنالك توصيات من السفير الامريكي قال: إهنأوا بمراكزكم وأنا لا أطمع أن أكون وزيراً في هذا البلد، إذهب وقابله، تصوروا هكذا يعيشون، على أمل ابتسامة من السفير الأمريكي حتى يوصي بهم حتى يصبحوا وزراء في وزارات قادمة أو في مستقبل الأيام ولايدري أنه يبيع دينه من أجل هذه الابتسامة على أمل أن يرقى في المستقبل بعد سنة أو سنتين يصير تغيير وزاري هو قد يكون أحد المرشحين في الوزارة الجديدة ولا يدري هل المنية تنتظره إلى تلك الوزارة القادمة أو لا تنتظر لا يدري هل تختطفه يد المنون هذه الليلة أو الليلة التي بعدها لايدري أنه يفسد دينه باصلاح دنيا غيره، وأنه يبيع حاضراً بدين يبيع حاضراً وهو دينه وأمانته وخلقه وشرفه بدين، ما هو الدين؟ أمل أن يكون في المستقبل وزيراً أو رئيسا للدائرة التي هو فيها..

(يعدهم ويمنيهم ومايعدهم الشيطان إلا غرورا) (النساء: ١٢٠)

تصوروا هذا عندما يتحكم السفير الأمريكي في وزراء في داخل بلادنا بل يتحكم في أساتذة الجامعة بل يتحكم في مناصب أقل، اعزل فلان من وزارة التربية والتعليم وارفع فلان من قسم المناهج وفلان أبعده من قسم البعثات لماذا؟ لأنه مسلم متعصب، السفير الأمريكي في إحدى الدول العربية يلتقي مع وزير التربية والتعليم، في مكتبه هو يأتي يزوره، يجيء يزور وزير التربية في المكتب بينما هـ السفير الأمريكي يعتبر نفسه أعلى من رئيس البلد نفسها لكن هنالك قضايا مهمة لا بد أن تتم يأتي ويأتي بعده السفير الروسي في نفس اليوم يزور وزير التربية والتعليم في نفس البلد، نفس الوزير وبعدها حملة تطهير الإسلاميين من وزارة التربية والتعليم أي مسلم أي متمسك خلال أيام عزلوا عن مناصبهم في الوزارة واقصوا وجمدوا وأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم موظف في وزارة التربية هذا ممنوع أن يبقى، تجد مجموعة من أساتذة الجامعة يقصون من الجامعة بقرار واحد فيسأل ما السبب؟ الأساتذة هؤلاء ناجحون، محبوبون من الطلاب، أثرهم كبير في داخل الجامعة من بنات الجامعة ما السبب؟ هكذا الأوامر رئيس الجامعة يقول: هكذا الأوامر ليس عنده أي علة ونقولها للعبرة وليس للفخر ولا للمنة، قرار عزلي من الجامعة الاردنية جاء بأمر رئيس الوزراء والحاكم العسكري في البلد إعتماداً على المادة الثالثة عشرة التي تخولني السلطات ولقناعاتي الخاصة أمر بعزل عبدالله عزام من الجامعة، لقناعتي الخاصة هكذا، هؤلاء الناس بلاد يبكي عليها عندما لا يستطيع الواحد منهم، بل والله أحيانا يؤمرون أن يتزوجوا فلانة، هذه تزوجها تأتي الأوامر من الخارج تزوج فلانة، وفلانة ماذا تكون؟ يهودية نصرانية مجوسية ما إلى ذلك، وتكون نجمة أو نجمتين في المخابرات الأمريكية نعم تزوج فلانة لماذا؟ لأن لها دور في افساد البلد في المستقبل وتصبح البلد تدار من خلال هذه الفتاة، واليهود غالباً من وراء ذلك كله، أمريكا مسكينة!! مثل جسم البغال وأحلام العصافير، مفهوم، بغل كبير بدون عقل، وتجد هؤلاء اليهود هم الذين يحركون هذا البغل الكبير نعم، الأمريكان أنفسهم الآن يعرفون أنهم ساقطون في قبضة اليهود ولا يستطيعون أن يتخلصوا منهم مجموعة من أرباب الأموال، أصحاب بيوتات المال وأصحاب أجهزة الاعلام يمسكون العالم الغربي ويوجهونه حيث يريدون باسم أمريكا وبريطانيا، وفرنسا لكن وراء ذلك، المقو

القطار الكبير قطار كبير يسع ألف شخص ولكن يقوده واحد، الذي يقود المجتمع الغربي واحد يهودي ولكن الذين في داخله إسمهم إنكليز وفرنسيين، وآلمان الخ، أمريكان هم لا يستطيعون أن يتخلصوا من قبضتهم ومن الذي يجرؤ أن يعارض اليهود في المجتمعات الغربية؟ رأساً يصفى، نكسون غضبوا منه، بدأت الجرائد تفضح به قالوا فضيحة وتركيت، ماهي وتركيت هذه؟ كان في الانتخابات، أيام الانتخابات حزبه يتجسس على الحزب الآخر، وانتهى نكسون واختفى وراء المسرح السياسي، كندي عندما رأوا أنه يريد أن يقترب مع خرتشوف ويوقف سباق التسلح النووي والحد من الأسلحة النووية ومصانع السلاح لليهود رأساً أرسلوا واحداً وقتلوه وبالتالي قالوا عنه: مجنون وتابعوه في السجن ولا بأس أن يقتل إنسان عادي قتل كندي ويقتل أو يسجن فإنهم لو جئت للرئيس الأمريكي في بلده لا يستطيع أن يعزل أستاذاً من الجامعة لا يستطيع الرئيس الأمريكي ليس له صلاحية عزل أستاذ مدرسة في ولاية من الولايات وليس له أن يتدخل في ١٠٪ من التربية والتعليم، أما في بلادنا يقول: إعزلوا فلان وفلان وفلان القائمة وإذا نسوا واحداً يضعوا إثنين -للاخذ بالحيطة- نعم إحتياطاً يضعوا إثنين لأنه بدون تشبيه الذي يختلط عليه الأمر صلى ثلاث ركعات أو أربعة يزيد ركعة حتى يطمئن، وهؤلاء إذا اختلط عليهم الأمر أن الأمريكان طلبوا عشرين هذا وارد منهم أو غير وارد يضعوا أيضاً واحداً لأجل ماذا؟ يجعلوهم واحداً وعشرين. ما استطاع ملك غسان أن يأخذ رجلاً واحداً منبوذاً في داخل المجتمع المسلم أي مجتمع هذا؟، مجتمع متماسك له قيادة موثوق بها وله جنود مستعدون أن يضحوا بأرواحهم ودمهم من أجل هذا القائد، ولذلك تاب الله عليهم بعد خمسين يوماً بسبب صدقهم فقال: يارسول الله لقد نجاني الله بصدقي عندما نزلت توبة كعب ابن مالك - وله عليّ أن انخلع من مالي مقابل توبتي قال: لا، قال: (**إبق عليك بعض مالك**)، قال: فو الله ماكذبت كذبة بعد التوبة علي، ولقد رأيت أثر الصدق في حياتي *أو كما قال* رضي الله عنه ولذلك يناسب بعدها هذه الآيات: «**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**» لماذا؟ البراء والولاء الحقيقة يحتاج إلى صفتين، التقوى والصدق، البراء من الكافرين، يا أخي عروض، عروض كبيرة إغراءات ضخمة من هؤلاء الكافرين نحن نمكنك نحن نرفعك نحن نسلمك الحكم...... الخ

صورة من مصر:

قالوا لعبدالناصر وعبدالحكيم عامر: نحن نسلمكم الحكم في مصر، قبل الثورة، هذا كلام السفير الأمريكي باعتراف أنور السادات، وباعتراف محمد نجيب، هذا في بداية العام الذي أقيم فيه الانقلاب، قال: كانوا يلتقون بالسفير الأمريكي والسفير الأمريكي كان أول شخص يحضر إجتماع مجلس الثورة، السفير الامريكي يحضر إجتماع مجلس الثورة، كما يقول أنور السادات في كتابه «يا ولدي هذا عمك جمال» قال: كنا في فندق انتركونتننتال، في الطابق الرابع، أو الطابق الثاني -نسيت - والسفير البريطاني في الطابق الرابع، نحن في الثاني وهو في الرابع، أو نحن في الرابع وهو في الثاني، مستعد أن يدفع آلاف الجنيهات ليعرف من وراء الانقلاب، كان السفير الأمريكي يحتسي معنا الشاي «من أجل البركة»!! لأنه عندما يولد المولود يأتون بالشيخ يؤذن في أذنه اليمنى ويقيم بالأذن اليسرى فهو جاء يؤذن بأذن المولود في الاذن اليمن ويقيم بالاذن اليسرى!!.

أول اجتماع لمجلس الثورة، ولا يعرف أحد من وراء الثورة، لم يعلن أحد من وراء الثورة، يحضره السفير الأمريكي، كيف هذا؟! هو قال لهم من البداية: نحن نساعدكم في استلام الحكم بشروط ثلاث: تضربون الحركة الاسلامية في مصر، قالوا: نعم -يعني الاخوان المسلمون- تحفظون سلامة إسرائيل قالوا نعم، تهدمون الأزهر، قالوا نعم، ثلاثة شروط مقابل تسليمهم حكم مصر، إنهاء الأزهر ومسخ شخصيته، ولذلك عبدالناصر كان يريد أن يهدم الأزهر بـ(البلدوزر) فقال له واحد أعقل منه - لأن عقلية عبدالناصر ربع على نصف- نعم أنور المفتي كان طبيبه الخاص، وكان يسجل ملاحظاته الخاصة عن صحة الرئيس، كان قد كتب في ملاحظاته أن عقليته متوسطة أو دون المتوسط، فالمخابرات كانوا يفتشون في «الجوارير» وجدوا هذه الجملة نقلوا الأمر لعبدالناصر فقال: أقتلوه، فقتلوه وبعد أن قتلوه عملوا له جنازة ضخمة وعملوا مستشفى باسمه (مستشفى أنور المفتي)، هو أصلاً لا يصلح للحكم إلا المجانين أو الساقطين في المدارس أو الهبل عندنا، من حافظ الأسد، للقذافي لعبد الناصر وأنور السادات، كان أنور السادات يقول: (دنا اشتغلت شيال، يعني عتال)، وعبدالفتاح إسماعيل الذي كان رئيساً لليمن الجنوبي كان يشتغل شيال في مطار عدن في البداية وبعد ذلك في الميناء، ثم صار استاذاً للمدرسة ثم صار فيلسوفاً شيوعياً ثم رئيساً لليمن الجنوبي ثم قتل، وعندما قتل كتبت جرائد اليمن الجنوبي لن نؤبن عبدالفتاح لأن الآلهه لا تؤبن فهو إله لا يؤبن!! ولذلك أحياناً كنت أقول لهم في الجامعة من أراد منكم أن يصبح رئيساً للجمهورية فليشتغل بالعتالة، من اليوم يتدرب!!! فقالوا لهم ثلاثة، إضربوا الحركة الاسلامية، أنهوا الازهر، فعبدالناصر يفكر أن يهدم الأزهر بالبلدوزر، فواحد بجنبه شيطان أكثر منه قال: لماذا أنت تهدم الأزهر فتثير عليك الناس؟! أنت إمسخ الأزهر من الداخل ينتهي الأمر

فانهاء، نحن في كلية الشريعة والقانون، كان هناك قسم البعوث وقسم المصريين، المصريون كانوا يدرسونهم أربع مواد شرعية في كلية الشريعة وتسع مواد قانونية، من قانون نابليون، الطلاب عملوا مظاهرة قالوا: لانريد أن نسميها كلية الشريعة والقانون فسكتوا!! صدقوا قالوا: نؤخر القانون قالوا خلاص، شريعة وقانون ليس قانون وشريعة قالوا: خلاص شريعة وقانون، فالصمود أمام الاغراءات الدنيوية يحتاج إلى تقوى ويحتاج إلى صدق.

الصدق والجهاد:

الصمود في أرض الجهاد يحتاج إلى تقوى وإلى صبر لأن التقوى تدفعه أن يأتي إلى الجهاد ويمتنع عن ترك هذا الفرض الذي تركه حرام، فهو لا يمكن وهو يتقي الله عز وجل أن يفضل الدنيا على الآخرة وأن يفضل وظيفته كضابط في الجيش أو تاجر أو مدير لشركة على ساعة من ساعات جاجي أو صدى، والتقوى تجعله يتصور النار أمامه ،يخاف من النار، هو جرّب في المعارك عندما تفتح عليه الرشاشات وتنزل القذائف إذا كانت هذه نار الدنيا فكيف نار الآخرة؟ إذا كان لا يستطيع أن يحتمل رصاصة، يعني جمرة من نار من صنع الإنسان فكيف يحتمل ناراً؟

(ترمي بشرر كالقصر كأنه جِمالت صفر) (المرسلات: ٣٢-٣٣)

ولذلك لا يمكن لواحد موظف مفتوحة أمامه الدنيا ،أو طالب جامعة نبيه ذكي أو صاحب شركة ،أو صاحب مال ،أو موظف كبير أو غير ذلك أن يقدم هذه الأيام على أيام وظيفته لايمكن، لايمكن أن يضحي بوظيفته، إذا كانت الدنيا مفتوحة أمامه فكيف يضحي بوزارة، أو بوكالة وزارة، أو بمؤسسة ، أو بإدارة شركة أو بوظيفة كاتب بألفي درهم في الشهر مقابل أن يعيش هنا على الخبز الجاف وعلى المرق وعلى الشاي والخبز ويتحمل اللأواء والتعب والمشقة والعطش والجوع، لايمكن، دنيا مغرية والدنيا مثل عروس متجملة لخطابها ماتركت مسحوقاً من مساحيق (مكس فكتر) إلا وضعته على وجهها، ولا ثوباً جميلاً إلا لبسته، ولا عطراً ذا أريج طيب إلا رشته على نفسها، وهي تتزين لخطابها حتى تقتنص الواحد ومن أول ليلة تقتله، تقتل كل من يخطبها ولكن الناس لايتعظون ويمن سلفهم لايعتبرون، فالدنيا تحتاج مقاومتها واغراءاتها تحتاج تقوى تذكر بالآخرة، وصدق يدفع إلى الجهاد لأن الجهاد أول علامات الصدق، المجاهد صادق، الجهاد يعلن المجاهد كأنه مكتوب على وجهه أو على صدره: هذا رجل صادق مع دينه، هذا رجل وفيٌ لمبادئه، هذا رجل مخلص لدينه ولعقيدته، خلاص رأس ماله، أعزّ ما عنده هي الروح، هو يغامر بها ويخاطر بها ،إذن هذا دليل الصدق، ترك تجارته وجاء، لماذا؟ ضحى بوظيفته وجاء، لماذا؟ هذا علامة الصدق، أما الناس في المجتمع العادي كيف تعرف الصادق من الكاذب، تجد الخطيب يخطب عن الربا..

(اتقوا الله وذروا مابقي من الربا) (البقرة: ٢٧٨)

ومع ذلك تجده في حياته اليومية أخذ قروضاً من أجل أن يبني عمارة لابنه، تجد الشيخ - وزير الأوقاف - يزور موسكو ويضع إكليلاً من الزهور على قبر لينين الذي غرس دولة الالحاد في الأرض تحية له بعد موته، تجدون واحداً كان ضالاً، الآن نرجو الله أن يكون قد تاب، مثال خالد محمد خالد، عندما مات ستالين قال له نفس الكلمة التي قالها أبوبكر لرسول الله ﷺ: طبت حياً وميتاً يا رفيق، خالد محمد خالد خريج الأزهر، لكن التقوى والصدق، التقوى تحجزه عن محارم الله والتقوى تحتاج إلى تربية طويلة، **«كيف أصبحت ياحارث؟»** قال: أصبحت مؤمناً حقاً قال: **«إن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك؟»** قال: أظمأت نهاري، وأسهرت ليلي وأصبحت وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وكأني أرى أهل النار يتضاغون فيها وأهل الجنة يتزاورون فيها قال: **(قد عرفت فالزم)**.

واحد يرى النار أمامه ويرى الجنة أمامه فهل يمكن أن يبيع الجنة ويشتري النار مقابل متاع رخيص ووعد من السفير الأمريكي القضية تحتاج إلى تقوى، تقوى، والتقوى تحجزه عن محارم الله **(إتق المحارم تكن أعبد الناس) (اللهم ارزقنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك)** الخوف من الله، تقوى، خشية، خوف، رقابة لله رب العالمين، ولذلك هذه التقوى تحجزه أن يرتشي من أعداء الله عز وجل مقابل إفساد هذا الدين أو مقابل محاربة المسلمين أو مقابل التلاعب بأمن البلد.

صورة من سوريا:

رجل اسمه كامل أمين ثابت (ايلي كوهين) يهودي، جاء من الأرجنتين، أرسلته إسرائيل إلى الأرجنتين ليصاحب أمين الحافظ

الملحق العسكري في السفارة السورية هناك -وأمين الحافظ بعثي ثوري متقدم، ثوري يعني نسبة إلى ثور قرونه طوال- فأرسلته هناك ليصاحبه فصاحبه ثم دخل إيلي كوهين إلى سوريا وعمل انقلاباً في البلد وسلم البلد لأمين الحافظ، يقول هو عن نفسه في مذكرات إيلي كوهين وفي كتاب إسمه «إيلي كوهين من جديد» يقول عن نفسه: إن الأجهزة التي أدخلتها إلى سوريا أدخلتها بمائة ليرة سورية أعطيتها لعامل الجمارك فلم يفتش سيارتنا، هذه الأجهزة التي كنت أتصل بها بإسرائيل يومياً دخلت بمائة ورقة سورية، (مائة ليرة سوري) يعني كم ريالا؟ عشرين، لا بارك الله له فيها، كم أفسد البلد هذا الرجل؟ وكم أضر بها؟ كم أضرّ بها مقابل ماذا؟ رشوة بمائة ورقة سورية، يقول هو عن نفسه :كنت أذهب من سورية إلى أوربا أقول لهم أنا ذاهب لقضاء إجازة في أوربا وأذهب لاسرائيل لزيارة زوجتي التي تنتظرني، قال: كنت آخذ لعباً لبنتي ،فكانوا في مطار اللد يأخذون جمارك على هذه اللعب، يفتحون حقائبي الخاصة ويأخذون على اللعبة الصغيرة جمارك فكنت أقول في نفسي ألا يعلم هؤلاء أنني أخدم إسرائيل بقدرهم جميعاً ،ثم أقارن بين الأجهزة التي دخلت من لبنان إلى سورية بمائة ورقة سوري وبين هذه اللعب التي يؤخذ عليها جمارك.

التقوى أمام الإغراءات:

الآن موظفون، موظفون عندك رواتبهم بسيطة، راتب وزير المالية، كم يكون راتبه؟ خمسمائة دينار، عشرة آلاف ريال، عشرون ألف ريال، عشرون ألف درهم في الشهر، ولكن هو يبني قصراً يكلف عشرين مليون، من أين العشرين مليون هذه؟! كلها رشاوى من الشركات الكبرى، شركة اللحوم عندما أرشته لأنه وزيراً للاقتصاد على أن تدخل شركة اللحوم البلغارية وأن لا يقبل في الأردن إلا لحم بلغاري مثلاً ،فيأتي الأتراك باللحوم المذبوحة ذبحاً شرعياً وأنظف وأفضل بكثير من اللحوم البلغارية فيرفض مقابلتهم، لماذا؟ بينما اللحم المذبوح على الطريقة الشيوعية مخنوق على طريقة لينين ومكتوب عليه من الخارج مذبوح على الطريقة الاسلامية تحت إشراف وزارة الأوقاف، تأكل البلد كلها لحم ميتة، من أجل الرشوة التي أخذها من شركة اللحوم ،وهكذا البلد تضيع.

بابراك كارمل باع روسيا (واخان)، هذا الاصبع الذي يخرج من خارطة أفغانستان، خارطة أفغانستان بهذا الشكل، هذا الاصبع الذي يتصل بالصين باعه لروسيا بيعاً.

حافظ الأسد باع الجولان بثلاث وتسعين مليون ليرة باعها بيعاً، لماذا؟ لا يوجد تقوى، بينما تجد شاباً صغيراً مربى تربية إسلامية، هناك وزير من الوزراء عندنا في الأردن كان قد تربى في الدعوة الاسلامية، جاء المستشار الثقافي الأمريكي وغيره -المستشار لأن عقولهم ما شاءالله منفتحة أذكياء المعيين، لا يدانيهم أحد في التفكير والفن لماذا؟ لأن عقله قد ذهب مع الخمر!! هم يقبلون مستشارين أمريكان وانكليز، وعقلية ليس عنده عقل، نصفه ذهب مع الخمر أو ثلاثة أرباعه، ولا يعطي الاستشارات إلا وهو سكران لماذا؟ حتى تطلع الاسستشارات -ماشاء الله- وكل كلمة يأخذ عليها من ميزانية البلد، من دماء الناس، لأن كله جمارك، في سورية وفي الأردن وفي مصر، كل الدولة جمارك، كله ضرائب- فجاء ليشرح له عن الآثار الايجابية على خلط البنات بالأولاد في المدارس، شرح له نوفر معلمين نوفر أبنية، أنتم في ضائقه ما إلى ذلك ويشرح، ويشرح، وعنده رسوم وعنده كشوف وعنده استمارات وعنده احصائيات ،وبعدما انتهى، هذا الوزير ينظر إليه قال له: أنهيت قال: نعم قال: كل الأموال عندنا في البلاد - هو في الأردن - كل الاموال في الأردن لا تساوي عندي عرض بنت واحدة، لف أوراقه وأصبح رأسه يلف، قال: مش معقول هذا وزير، إيش العرض؟ ماهو ثمنه في السوق؟ كم دولاراً يساوي -العرض-؟ قال: هذه عقلية وزير؟ عقلية إنسان يخطط لمستقبل وزارة؟ ولذلك ما مضى عليه قليل حتى غيروا الوزارة من أجل إقصائه من الوزارة، فهذا الوزير نفسه كان وزيراً للأوقاف ،وأموال الأيتام مسؤولة عنها وزارة الأوقاف وأموال الأيتام تعطى بقروض ربا ،والمشرف على القروض القضاة، القاضي، ياكل يأتي الضابط الذي يريد قرضاً من أموال الأيتام ليبني ڤيلا عمارة - فيأتي للشيخ يقول يا سيدي الشيخ نريد قرضاً من أموال الأيتام، فيقول إسمع يا بني:

(واحل الله البيع وحرم الربا) (البقرة: ٢٧٨)

ويبدأ يجود:

(فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى) (آل عمران: ٢٨٧)

المهم حرام الربا، حرام، لكن البيع حلال، يقول له طيب: يا سيدي أنا أريد قرض، وهل الضابط يعرف بيع، يعرف ربا؟ يريد أن يبني بيت ليتزوج، وضابط عقله بعضلاته إلا من رحم ربك وقليل ما هم، لأنهم لا يتركون المسلمين في الجيوش، اليوم هكذا رصاص عمهم سام فيقول له: هذه ساعة بعتك هذه الساعة، بمائة وعشرة دنانير ديناً، فيقول قبلت يا سيدي الشيخ ، فيأخذ الساعة ويخرج ثم

(ليس بأمانيكم ولا أمانيّ أهل الكتاب) (النساء: ١٢٣)

وليس باجتهادك إنما هو توفيق من الله أولاً وآخراً، و أنت عندما تنظر من حولك في مجتمعك، في قريتك، في جامعتك، في مدرستك، في حارتك التي تعيش فيها، تجد الكثيرين في الحياة الإجتماعية سبقوك، وخير منك علماً، وخير منك عبادةً فاختارك الله عز وجل من بينهم لهذه العبادة التي غابت عن الناس وغاب عنها الناس..

(فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) (البقرة: ٢١٣)

هداية من الله:

كثير من المشايخ أو المتدينين أو الدعاة في منطقتك لازالوا يناقشون أن مجيئك هنا خير أم شر؟ بعضهم يظن أن مجيئك هنا ليس من الخير، أو ليس من الحكمة على الأقل، و أن قعودهم هو الحكمة وهذه مصيبة من المصائب ،وهذا دليل التباس الأمر على القلوب وعلى النفوس، صارت النفوس لا تستطيع أن تفرق بين الحق و الباطل وبين الخير والشر، **(كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا، والنكر معروفاً)** وما ذلك إلا لموات القلوب، وما ذاك إلا لتعتيمها وظلمتها، صارت حقائق الأشياء وأحكامها لا تنطبع على القلب أو لا تتضح على القلب، لأن القلب زجاجة صافية، فإذا أذنب الإنسان تظلم هذه الزجاجة، فتصير صور الأشياء لا تبين، لا تظهر عليه، أما الرجل المتقي الصادق الذي قلبه صاف، زجاجة صافية، رأساً صور الأشياء تبين عليه، هل يستطيع أحدكم أن يرى صورته في مرآة عليها الطين؟ لا يستطيع، فلابد أن يجلو المرآة أولاً ويصقلها ثانياً ثم ينظر إلى صورته لتبدو صورته واضحة، كذلك القلب حقائق الأشياء لا تظهر عليه إلا إذا كان صافيا كالمرآة، فإذاً أظلم القلب لكثرة الذنوب لا تبين عليه صورة الأشياء أحياناً، يلبس عليه، الصورة غير ظاهرة، الطين غطى مرآة القلب، طين الذنوب ووحل الآثام قد غطى القلب فصار الإنسان لا يرى صورة الأشياء عليه، النفير إلى الجهاد ينظر إليه فلا تبدو صورته، صورة مقلوبة مسودّة لا ترتد فيه حقائق الأشياء ولذلك ينظر.. النفير إلى الجهاد غير ظاهر، غير واضح عنده ولذلك يبدأ يقيس بعقله لأن قلبه مظلم وعقله لا يستطيع أن يحكم على الأشياء، لأن الدين بصائر، فلابد لها من بصيرة تراه، آيات لابد من أن تزول الغشاوة عن العين حتى تبصرها..

(قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ) (الانعام: ١٠٤)

فتحتاج إلى نظر، أما الأعمى هل يرى صورته؟ لا يرى **(قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه)** ولذلك ألم يكن الرسول ﷺ بين قوم شجعان أبطال كرماء، وقسم كبير من قومه ومن أهله الذين كانوا يسمونه بالصادق الأمين وكان أحدهم يتفاءل عندما يرى الرسول ﷺ ،كانوا في الجاهلية قبل أن يبعث الرسول ﷺ إذا استصبح أحدهم بالرسول ﷺ -بمحمد قبل أن يكون رسولاً- يتفاءل طيلة اليوم، يتفاءل أنه رأى الأمين، هذا اليوم كان اسمه محمد الصادق الأمين، فعندما بعث صار الكذاب الخائن عندهم، صاروا يقولون:

(أجعل الآلهة إله واحدا، إن هذا لشئ عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا إلا اختلاق، أأُنزل عليه الذكر من بيننا، بل هم في شك من ذكري، بل لما يذقوا عذاب) (ص: ٤-٨)

(وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) (ص: ٤)

الذي كان الأمين صار كذابا و ساحرا وأبتر مقطوع ومجنون، الذي حكموه قبل خمس سنوات في أخطر قضية مرت في تاريخ مكة وهي وضع الحجر الأسود ،ارتضته قبيلة قريش كلها بطونها وأفخاذها، ارتضته أن يكون حكما في أخطر قضية ،وأن يضع الحجر بيده الكريمة، بعدها بخمس سنوات عندما جاءهم بالحق إذا بهم يقولون: هو ساحر كذاب مجنون، ما في بصائر، البطارية غير شغالة ما في نور، لايبصر، قلبه موجود ولكنه مظلم، فكنت أتحسر كثيراً وقلبي ينزف دماً لأولئك الذين عاشوا مع الرسول ﷺ نعمة الله إلى البشرية، ورحمته المهداة ويعرقلون دعوته، أيّ مصيبة أكبر من هذه؟ لا يوجد مصيبة أكبر من هذه.

الآن مصيبة الذين يسمعون بهذا الجهاد منذ عشر سنوات وبعضهم يأتي إلى هذا الجهاد ولا يتذوق حلاوته، هذه مصيبة من المصائب، مصيبة كبرى أن يعيش في أرض أو قريبا من أرض المعركة سنوات ولا يطلق طلقة في سبيل الله بحجة أنه غير اسلامي أو غير واضح أو فيه بدع أو ما إلى ذلك، هذه كلما أذكر هؤلاء الناس الذين لم يتذوقوا حلاوة الجهاد، أذكر أولئك الذين لم يستطيعوا أن يحبوا رسول الله ﷺ ويهتدوا بنوره ويسيروا على طريقه، هذه مصيبة كبرى في ذلك العصر، فأنت ما جئت هنا باجتهادك أو لأنك ذكي أو لأنك شجاع، أو لأنك عالم، أولأنك داعية، بل الله اختارك ليشرفك بحمل راية الجهاد، تشريف من الله، الله كيف أتى بك سبحانه وتعالى، بحر متلاطم من الفتن والجاهلية وغير ذلك في العالم العربي والناس غارقون في أهوائهم وشهواتهم، وأمثالك الآن يفحطون في السيارات في شوارع جدة والرياض وعمان والقاهره وأنت يختارك الله ليكون كل يوم من أيامك بألف يوم، أي نعمة أكبر من هذه؟ أيّ نعمة أكبر من هذه؟ **{فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم}.**

الأجر العظيم:

فدائما أشكر الله على هذه النعمة ،ماجاء من مدرستك إلا أنت أو من جامعتك، أو من شركتك، أو من محلك، أو من بلدك إلا واحد أو اثنين فقط وبقية الناس مشغولون بتجاراتهم، مشغولون بدنياهم، مشغولون بوظائفهم، هذا وظيفته كبيرة عند الدولة ،وهذا في الدرجة الثالثة عشرة ؛ وهذا يعمل مدير شركة، وهذا صاحب تجارة ، أنت تاجرت مع الرحمن ،هذا يشتغل بتجارة فلان، يشتغل عند فلان، يشتغل في مصنع فلان، في دولة فلان وأنت تشتغل مباشرة مع رب فلان وفلان، أي نعمة أكبر من هذا؟ رأسا أنت في الشركة الربانية، اشتغلت في الشركة الربانية، الأجرة التي تأخذها كل يوم خير من مال الشركة التى تركتها كلها ،هل تصدقون؟ لا... خير من البلد التي أنت فيها كل يوم تأخذ ميزانية أكثر من ميزانية أغنى دولة فى العالم كل يوم، أجرك من الله، ليس مائة درهم في اليوم أو خمسمائة أو ألف درهم.

تقبض أجرتك من الله عز وجل على اشتغالك بالشركة الربانية **(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)**.. خير من الدنيا وما عليها، أي نعمة اكبر من هذه؟ أي فضل من الله عليك أعظم من هذا؟ أي منة من الله أرفع من هذه المنة؟ فلان أين؟ والله دعسته سيارة، وفلان مات بالجلطة، وفلان مات فجأه، وفلان غرق فى البحر، وفلان مات في بانكوك، مات مع الساقطات ، وأنت، أين فلان؟ قتل في سبيل الله، أين قتل؟ في أفغانستان، أمّن، خلاص تأمين دائم.. الجنة خلاص أمّنها، أمّن ‹٧٠› واحد من أهاليه في الجنة ،أقل واحد منهم له في الجنة بقدر ضعف الأرض، أقل واحد له ملك في الجنة -في الحديث الصحيح في رواية مسلم- آخر واحد يخرج من النار له بقدر الأرض مرتين فكيف الشهيد؟!

أين فلان؟ لمن هذا البيت؟ لفلان أنظر إلى هذا القصر العظيم ،الدرج الموزايكو، الكرميد إلى آخره أنظر درجه، أبوابه، حرسه إلى آخره (فيله) جميلة أنظر إليها، تصوّر الباب يفتح بمجرد أن تقف أمامه هكذا.

وأنت كل قصر من قصورك إذا قتلت شهيداً صابراً محتسباً القصر فيه من لؤلؤه مجوفة طوله في الجنة سبعون ميلاً، القصر الواحد!! سبعون ميلا!! فهل يوجد قصر في الدنيا سبعون ميلا؟ ومن لؤلؤة؟! بابه من زمرد أخضر، وفيه الحور العين يرى الماء من حلقها أثناء الشرب ومخ عظامها يبدو لصفائها، وهؤلاء الحور العين كلهن خدم لزوجتك إن دخلت معك الجنة، ماذا تريد؟ تريد وظيفة أربعة آلاف ريال، كم كنت تأخذ ثلاث آلاف وخمسمائة ‹٣٥٠٠› ؟ماذا تشترى فيها، تفاح؟، كبسات؟ تاكل توفر منها؟ تتزوج واحدة سمراء، عمشاء رمصاء إلى آخره؟ إثنين وسبعين من الحور العين، أنت مجنون؟! تترك هذا النعيم وتذهب إلى ذلك الطين؟ والله ما فيك عقل إن تركت هذا وذهبت إلى ذاك!!

فيا بائعــــا هذا ببخس معجــــل	*كأنك لاتـــدرى ولا أنت تعلــم*
فإن كنت لاتـــدرى فتلك مصيبــــة	*وإن كنت تـدرى فالمصيبــة أعظم*

ولذلك اشكر ربك أنه أتى بك إلىّ هذا المكان، و اشكر ربك أنك تشتغل في شركة الرحمن، واشكر ربك أنك حملت الراية في آخر الزمان، القابض على دينه كالقابض على الجمر، والعامل لدينه له أجر خمسين من الصحابة رضوان الله عليهم.

قالوا: منا يارسول الله أو منهم؟ قال: منكم، أجر الواحد في هذا الزمان بقدر أجر خمسين صحابياً، لا يعني هذا أنك أحسن منهم، لأن الصحابة رضوان الله عليهم يلحقهم مثل أجورنا، لأنهم هم السبب في دخولنا الإسلام.

فمنذ أن آمنوا على يدي رسول الله ﷺ وإلى يوم القيامة كل ثواب الأجيال تلحقهم في قبورهم، دون أن ينقص من ثواب الأجيال شيئا، فأنت لك أجر خمسين من الصحابة، لكن الصحابة أجرهم لا يتوقف إلى يوم القيامة، اشكر الله، أنتم كم واحد؟ ثلاثمائة من ألف

مليون؟ كل ثلاثة ملايين جاء منهم واحد، أنت الواحد اختارك الله من ثلاثة ملايين، أي نعمة أكبر من هذه؟، اختيار حامل رسالة الملك، الملك عندما يريد أن يرسل رسالة إلى ملك أخر يختار رجلاً أمينا ثقة عنده فالله اختارك لحمل رسالته، ليس إلى ملك بل إلى العالمين، أي نعمة أكبر من هذه؟ فلا تندم، ماذا تركت يا أخي؟ والله ما تركت شيئا، تظن أنك فقدت شيئا عندما تركت جامعتك أو خرجت من الثالث ثانوي أو خرجت من دار الحديث أو من كراتشي، ماذا نقص عليك؟ ما نقصت شيئاً.

(رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم في ما سواه من المنازل يقام ليلها ويصام نهارها) -حديث صحيح- يوم بألف يوم!! واليوم خير من ميزانيات الأرض جميعا، خير من الدنيا وما عليها كل يوم يسجل لك، اليوم بألف يوم، واليوم أعظم عند الله من ملك الدنيا بأموالها، فلا تندم بومن وجد الله فقد وجد كل شيء، ومن فقد الله فقد فقد كل شيء، ولو كانت الدنيا بحذافيرها حيزت له.

قد يأتي إليك الشيطان في بداية الطريق خاصة في هذه الفترة يهجم الشيطان هجوما شديداً عليك، لأن الشيطان كما جاء في الحديث الصحيح يجلس على طريق الإسلام، على طريق الهجرة، على طريق الجهاد (إن الشيطان قد قعد لابن أدم على طريق الإسلام، فقال له: أين؟ تترك دين أبائك وتدخل دينا جديدا، إذا هاجر أين؟ تترك الأولاد والأوطان، إذا جاهد قعد له الشيطان أين؟ تقتل وتذهب الزوجة والأولاد) حديث صحيح.

فالشيطان يشتد كلبه عليك في هذه الفترة، تستوحش، لا تأنس بسرعة لأنك تركت أصدقاءك، تركت جيرانك، تركت وظيفتك، تركت أمك وأباك، تركت الطعام اللذيذ والفراش الوثير، والأخ الأثير لك -يعني الحبيب إلى قلبك- تركت أباك وأمك، تركت جيرانك وخلانك وجئت إلى جو جديد كل من فيه غريب عنك، كل ما فيه من طعام أو شراب مخالف للحياة التي عشتها فتستوحش، ماذا فعلت أنا؟ كيف استقلت من وظيفتي؟ كيف تركت جامعتي؟ والذي لم يستقل يقول: الحمد الله أني ما استقلت قبل أن اتي، ولذلك الذي يريد الله به خيراً يكون قد استقال وقطع عنه الدنيا، سد عليه أبواب الدنيا، سد عليه أبواب الرجوع ،فأنت الآن ماذا تركت؟ ماذا تركت؟ أفضلكم من ترك وظيفة بأربعة آلاف درهم، خمسة آلاف درهم أكثرمن هذا؟ هذا أفضلكم حالا، خمسة آلاف درهم في الشهر ، ستة آلاف، نفرض أنك تأخذ في اليوم مئتي درهم!! مئتي درهم!! يا مسكين تحزن على ترك مئتي درهم وتفرط بمكان اليوم فيه خير من الدنيا وما فيها!! مائتي درهم!! كيف ضحك الشيطان عليك؟! كيف يجرك الشيطان؟! كيف يوسوس لك؟!

الحق لا يتغير بتغير العلماء:

بل أكثر من ذلك، يقول لك الشيطان ويدخل الآن من مداخل، من قال إن الجهاد فرض عين؟ واحد أو اثنين أو ثلاثة، هنالك كثير من العلماء، إذاً مادام فرض عين لماذا لم يأت الشيخ الفلاني؟! يبدأ الشيطان يقول لك: يعني نحن أفضل من الشيخ الفلاني؟ يعني نحن أفضل من الداعية الفلاني؟ أفضل من الخطيب الفلاني؟ لو كان فرض عين لأتى الشيخ الفلاني، الحق لا يقاس بالرجال، الرجال يقاسون بالحق بقدر قرب الإنسان من الحق، بقدر ما يكون عظيما عند الله، وبقدر ما يكون حبيبا إلى قلوبنا، نحن لا نريد أن نعكس الآية نأتي نطبق الحق على الرجال، مسطرة الحق لا تختل فنضعه ،كم طوله وقف بجنب المسطرة، قف بجانب المسطرة كم طولك عشرة سانتي، عشرين، خمسين، مائة، هذه المسطرة لا تختل، أما أطوال الناس هي التي تختلف، فإذا قزُمت البشرية، وانمسخت وصار طول الواحد منهم عشرة سانتي، الحق مسطرته واضحة لا تختل ولا تتغير، فلا نريد أن نمسخ الحق حتى ينطبق على البشرية التي انمسخت، لا.. نقول للبشرية أنت انمسخت، يجب أن ترتفعي إلى العلو الذي يريده الله والعلو الذين يريده الحق.

يعني الإسلام دون تشبيه مثل ثوب مفصل على إنسان كامل طوله <١٧٥> سانتي، وزنه <٧٥> كيلو غرام.

فالبشرية صارت ترجع، تنزل، تنمسخ، تقصر، صارت من <١٧٥> إلى مائة ،قصرنا من تحت ثوب الإسلام باسم المصالح المرسلة، وباسم الضرورات تبيح المحظورات، وباسم صحة الأبدان، إن لبدنك عليك حقا وباسم عدم التشدد، طيب نقصت البشرية رجعت إلى طول خمسين سانتي متر، تصقصنا الثوب من هنا، ومن هنا حتى صار طوله خمسين سانتي، طيب صارت البشرية والأجيال طولها عشرة سانتي كيف تريد تلبس هذا الثواب المفصل على واحد <١٧٥> سم على هذا الفار الصغير؟ هذا كيف؟ لا يمكن إلا إذا غيرت الإسلام نفسه، فالإسلام تقصقص في الأذهان، كيف هذا؟ ليس هذا هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه سلم، فأنت لا تقل هكذا، قل العكس، الله يقول كذا وفلان لم يستجب لنداء الله الذي يقول: {انفروا} ففلان مقصر في هذه القضية وهو تارك لواجب وإن كان داعية كبيرا وعالما نحريراً، وإن كان خريدة دهره وفريد عصره، ضعه بجنب المسطرة كم طوله؟ عشرة سانتي، تريد أن تصقص الإسلام حتى يصير على طوله؟!! لا... هو لازم يرتفع حتى يصبح طوله <١٧٥> سانتي متر، ولذلك إعرف الحق، تعرف أهله،

مفهوم؟ لا يقاس الحق بالرجال ولكن يقاس الرجال بالحق. المسطرة موجودة ضع أي واحد بجانبها أي أمر رباني أطاع، الذي يطيع خير من الذي لا يطيع قطعاً، أليس كذلك؟ بلى، واحد يحفظ البخارى ومسلم عن غيب ويأكل الربا نقول يبدو أن الربا مباح، لأن فلان يأكل الربا، هل يصبح الربا حلالا لأن فلان يأكله، وإذا كانت ابنة فلان تخرج كاشفة الوجه أو عارية الرأس، وإن كان من العلماء الكبار، هل هذا يعني أن كشف الرأس جائز لأن العالم الفلاني أباح لإبنته أو سكت عن إبنته وهي تكشف رأسها؟! يبقى غطاء الرأس واجب ويبقى كشف الرأس حرام وإن فعله العالم الفلاني وطبقه العالم الفلاني، عامل في شركة زوجته تغطي وجهها ورأسها وفلان الكبير في قومه زوجته تكشف وجهها، فلا يصبح كشف الرأس حلالاً لأن فلان يفعله، ولا يمكن أن يصبح الربا حلالا لأن العالم الفلاني يأكله، وكذلك الجهاد لايمكن أن يصبح مكروها لأن العالم الفلاني لا يفعله. الجهاد فرض من الله عز وجل في كل الأزمان إما فرض عين كما هو الحال الآن منذ أن سقطت الأندلس (١٤٩٢) م إلى يومنا هذا، والجهاد فرض عين على كل الأمة المسلمة، وكل الأمة المسلمة آثمة لأنها لم ترجع الأندلس، ولم ترجع بخارى، ولم ترجع فلسطين، ولم ترجع أفغانستان ،ويبقى الجهاد فرض عين حتى ترجع كل بقعة كانت إسلامية إلى يد المسلمين، ليس بتحرير أفغانستان ولا بتحرير فلسطين فقط بل بتحرير كل جزء في يوم من الأيام خضع تحت راية الإسلام، فالجهاد ليس اليوم فرض عين، وليس فرض عين في أفغانستان، بل منذ أن سقطت أول بقعة من الأراضي الإسلامية في يد الكفار، هذه قاعدة مسلّمة بين العلماء جميعا، وقد يأتي إليك الشيطان مرة أخرى يقول لك: أنت ما استأذنت الوالدين، و استئذان الوالدين واجب [ففيهما فجاهد] وأنت ما أطعت العالم الفلاني، الشيخ الفلاني الكبير أفتى على أن استئذان الوالدين واجب وأنت جئت بدون استئذان الوالدين لازم ترجع وتستأذنهم، الآن فطن الأخ الكريم يستأذنهم!! لماذا؟! نفسه تعبت، كان الشوق يحدوه، الروح قوية تدفعه، *الطاقة* ضخمة تمده هنا، إنشغل عن قراءة القرآن، إنشغل عن الذكر، هجم عليه الشيطان، قال له: أنت لابد أن تستأذن أمك- مرة في جاجي بجنب [جاوني] بدأت الطائرات تقصف، وإذا بواحد يبكي، مالك يا فلان؟ لماذا تبكي؟ لما بدأت الطائرات تقصف صار يبكي قال: والله أنا خائف أموت وجئت ما استأذنت أمي، خائف أموت عاصيا بما فطن إلا لما نزلت القذيفة، قال: أنا خائف أموت عاصي لماذا؟ لأنه ما استأذن أمه، هو الخور الداخلي والجبن في الداخل، ذكّره الشيطان، دخل قال له: أمك!! هي أمه غير واردة في الموضوع أبدا إنما القضية إيه؟ القضية جبن وقلة إيمان.

لا يفتي في الجهاد إلا العالم المجاهد:

فالمهم في هذه الفترة قعد الشيطان على الطريق، يا أخي إذهب إستأذن والديك، يا أخي أنت كنت مسئولا عن عشرة تلاميذ صغار، تعلمهم القرآن الكريم الآن ماذا يستفيد منك الأفغان؟ أنت واحد بين الأفغان، والأفغان كثيرون، وكما يقول المثل (عندي من الخروب سلة ملآنه)، أنت جئت تبيع الماء في حارة السقائين، لا!! [(١)]

كثير من المجاهدين القاعدين في فرنسا أو في غيرها، قبل أيام وصلني شريط من فرنسا يسألون شيخا وداعيه كبير، وفي مؤتمر كبير يسألونه ما رأيك بكتاب الشيخ عبد الله عزام: [الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان] وقد وقع عليه ابن عثيمين وفلان وفلان ومحمد نجيب المطيعي وسعيد حوى فماذا كان الجواب؟ إن خطأ الشيخ عبد الله عزام وهؤلاء العلماء أنهم ما عرفوا أن فرض العين يحتاج إلى إمام، إمام يستنفر الناس، هذا جوابه!! لازال يجيب الأستاذ من فرنسا عن الجهاد الأفغاني، مثل ما تسأل أمي عن اللغة الصينيه أو جدتي!! تطلب منها أن تتكلم معك باللغة الصينية، أو تطلب من الجالسين أن يتكلموا معك بالبشتو، فيجيب الأخ الكريم عن دين الله، عن أخطر قضية في الأرض يقول: طيب الآن الشيخ عبد الله عزام يريد أن يجمع الدعاة في أفغانستان، هذا جواب الداعية الكبير والعالم النحرير في المؤتمر وفي فرنسا، فرنسا!! فيقول: الآن أمريكا تمد الجهاد بالسلاح والمال، فترسل الدعاة غداً، لو أن أمريكا غيّرت نظرتها للجهاد الأفغاني وامتنعت عن مده بالسلاح والمال، فماذا يصيب هؤلاء الدعاة وماذا يصير للمسلمين وماذا يصير للجهاد، هذا في مؤتمر كبير من داعية كبير ترون صوره على مجلة المجتمع وغيرها.

فالمهم، يا ابن الحلال ما كلفت خاطرك تسأل هل أمريكا تمد الجهاد أو لا تمد؟ اتق الله أولاً تتهم الجهاد الأفغاني أنه يمد من قبل أمريكا بالمال والسلاح، أمريكا جاءت بستين مليون دولار للتعليم وطلبت من كل قادة الأحزاب الأربعة البارزين أن تدخل في أفغانستان تعمل بعض الوحدات الصحية فرفضوا الأربعة، ذهبوا إلى وزير الخارجية السعودي والسفارات في إسلام أباد هنا والعلماء البارزين ورابطة العالم الإسلامي، يرجونهم أن يتدخلوا لدى قادة المنظمات يقنعوهم أن يسمحوا لهم بعمل وحدات صحية فرفض الجميع ذلك،

---

(١) أمثال فلسطينية تعني إذا أردت أن تتاجر بشيء فلا تتاجر بشيء يكثر من نوعه داخل البلد أو اذا أردت ان تهدي شخصاً شيئاً فلا تهديه شيئاً يكثر في بيته والخروب ثمر في فلسطين شبيه بقرون الموز لكنه رقيق.

وجاءوا بمائة مليون للصحة، ستون مليون للتعليم ومائة مليون للصحة، وطلبوا من المنظمات الأربع الكبرى أن يدخلوا في أفغانستان يعملوا مدارس، لا يوجد مدارس، المدارس هدمت لا يوجد طلاب، لا يوجد كتب، نحن مستعدون أن ندفع رواتب المدرسين، أن نعمل لكم مدارس في الجبال، أن ندفع للطلاب، فرفض الجميع، جاءوا إلى مدير الهلال قالوا له: مارأيك أن تأخذوا هذه الأموال نحن نشتغل بالتعاون معكم لأن الناس يقبلونكم لأنكم مسلمون وأما نحن لا يقبلوننا لأننا لسنا على دينهم فرفضها.

فكيف تقول: يا أيها العالم الكبير، والعلامة النحرير يا عالم عصره وخطيب دهره وفريد عصره، كيف تقول إن أمريكا تمد الجهاد بالسلاح والمال رجما بالغيب واتباعا للظن..

(إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئا) (النجم: ٢٨)

يكفيك إثما أمام الله أنك غيرت نظرة كل من كان في المؤتمر عن الجهاد الأفغاني، أي إثم أكبر من هذا؟ ثم يا أيها العالم الكبير ما كلفت خاطرك أن ترجع إلى كتاب فقهي فيقول لك إن الجهاد لايتوقف إذا لم يكن في الأمة أمير، وغياب الأمير لا يؤخر الجهاد لأن مصلحته تفوت بتأخيره، كما يقول ابن قدامة، بل الدنيا، كل العلماء، كل عاقل يقول: كيف نؤخر الجهاد حتى يأتي الخليفة؟! إنتظروا حتى ينزل الخليفة على طبق من ذهب، ربنا أنزل علينا مائدة من السماء عليها خليفة مثل عمر بن عبد العزيز وعمر بن الخطاب، مجانين أنتم؟! كيف؟ من أين يأتي الخليفة؟! الخليفة ينزل من السماء أم ينبت من الأرض، الخليفة لا يأتي إلا بعد بحور الدماء وتلال الأشلاء ،فيأتي من بين المجاهدين خليفة من الخلفاء، أمّا تريد وأنت قاعد في فرنسا وأمريكا على الـ (كنباية) هذه التي تلف، ربنا يغفر له -هو صاحبنا والله - وللأسف للأسف -ربنا يغفر له- تفتي بهذه الفتوى، أي كلام هذا الذي تقول؟

وعالم آخر يسألونه ما رأيك بالجهاد في أفغانستان؟ فيقول: فرض عين لكن كيف تذهبون إلى أفغانستان؟ أين تتدربون بعيدا عن عيون الحكومات، والله هكذا في الشريط، أين يقام المعسكر؟ وهل تستطيعون أن تدخلوا أفغانستان، أم تعملون مثل الفسطينين يطلقون عن الحدود ويرجعون؟ هل يستطيع المجاهدون العرب والأفغان أن يدخلوا في صلب أفغانستان، أم يبقوا على الحواشي؟ هو يفكر قاعدين في باكستان ومن (ترمنكل) يرمون بعض القنابل ويرجعون، ثم سؤال ثالث هو يقول: فرض عين لكن كيف يقابل المجاهدون الدبابات؟ بالسكاكين والمدى؟ هكذا!! ثم يقول :يكون هؤلاء الشباب العرب ثقلاً على الجيش الأفغاني، يفكر أن الجيش الأفغاني هو الذي يقاتل روسيا، وهو عالم كبير مشهور في العالم، كذلك وحوله جمهور كبير من الشباب والضجه قائمة، فقط يريدون أن يلتقطوا كلمة من فتوى الشيخ الكبير، والعالم النحرير، والله من أشهر العلماء والدعاة في العالم الإسلامي، وتجد هذا الشريط في تسجيلات فلان وفلان الإسلامية وهكذا يطبعون عنه ويوزعون في العالم الإسلامي والمسكين الشاب الجالس في الأردن أو القاهرة، شريط للشيخ فلان عن الجهاد الأفغاني، ماذا يقول؟ يقول: الجهاد فرض عين لكن كيف تذهبون؟ وهو كذا كذا وكذا.

وأخيراً بعد أن أورد هذه المبررات قال له أحد الجالسين: أنا طبيب أريد أن أذهب إلى أفغانستان، هل أذهب؟ قال الذي سمع كلامي وتابعه يعرف الجواب قال: أنا فهمت أني لا أذهب، أريد أن أفهمها منك صراحة قال: لا تذهب، صدقوا!! شريط مسجل وأنا سمعته بأذني، في إثنين شوال سنة ‹١٤٠٥› هجري، أليس هذا مصيبة يا إخوان؟ كيف يفتي العلماء في قضية لا يعرفونها.

ابن تيمية قال: في الجهاد لا يُسئل إلا الناس الذين في الجهاد، في الفتاوى الكبرى الجزء الرابع، قال: وإن كان الرجل متبحرا في العلوم الدينية لا يسأل عن أمر الجهاد، لا يسأل لأنه لا يعرفه لا يستطيع أن يقدر، لا يستطيع أن يعرف حجم المشكلة.

فيا أخي: الكريم إعلم -رحمك الله- أن الله قد اختارك اختياراً وهذه نعمة ما منّ الله بها عليك بعد الإسلام أكبر منها، نعم، فلا تندم ولا تتحسر ولا تتلعثم ولا تتعرقل بخطواتك، إمش ثابت الخطو، إمش ثابت الجنان.. على الطريق الذي دلك الله عليه ولاتتراجع ولا تتقهقر ولا ترتد على عقبك خاسراً فقد عرفت الطريق فالزم (ياحارثة عرفت فالزم).

فالله عز وجل اختارك، واختارك للخير، فلا تتحسر على دنيا تركتها، والله إن الدنيا هنا أفضل من الدنيا هناك، وبعد قليل عندما يفتح الله عليك، عندما تتذوق حلاوة الجهاد، تتذوق حلاوة هذه العبادة، تدرك صغر الدنيا التي كنت متاجرا فيها.

نعم يا إخوة: معظم الدول الحارّة خاصة البترولية في مثل هذه الأيام يبحثون عن مكان يصطافون فيه، أي مكان للاصطياف أفضل من هذا؟ حتى للدنيا، أي مكان يفيد جسدك وروحك وفكرك أكثر من هذا؟ أي مكان تستغل فيه وقتك من الخامسة صباحا حتى العاشرة ليلا؟ أي مكان لا ترى فيه منكرات ونساء؟ أي مكان تصلي فيه صلوات الجماعة خمس مرات يومياً لا تفوتك مدة شهر أو شهرين صلاة جماعة واحدة؟ أي مكان يجمع صفوة من العالم الإسلامي كلها جاءت في سبيل الله وتركت دنياها، فلا تتحسر ولا تتندم ولا تتفكر ولا تقف لتراجع حساباتك، أنت على الطريق امض قدما، فالله عز وجل اختارك للخير، أنت يجب أن تعلم أن الجهاد عبادة وهي أعظ

العبادات في الإسلام أجرا.

ولذلك قال رسول الله ﷺ : (وذروة سنامه الجهاد) ولاتكون بهذه المنزلة إلا لانك تتحمل مشاقا في طريقها، إنما أجرك على قدر نصبك، على قدر التعب.

لا تحسب المجد تمراً أنت آكلـــه ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

على قدر أهل العزم تأتي العـزائم ... وتأتي على قــدر الكرام المكارم

ويعظم في عين الصغير صغيـرها ... ويصغر في عين العظيم العظائـم

وأنت تحيي عبادة قد نسيها الناس.

فتح الفتوح

يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، إعلموا ان الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ومالنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا، وعلى الله فليتوكل المتوكلون) (إبراهيم: ١١-١٢)

وجوب التوكل على الله عز وجل:

والقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة قد استفاض فيهما الكلام عن التوكل على الله عز وجل، والتوكل نصف الإيمان لأن التوكل هو الدليل العمليّ الواقعي، وهو الصورة العملية في واقع الحياة ومستقر هذه العقيدة في أعماق النفوس،، فالعقيدة إنما تنعكس فوق الأرض أحداثاً وكلمات وسلوكاً وحركات، فيبدو من خلالها التوكل ظاهراً جلياً، وإلا فالايمان والعقيدة أمر مستكن في أعماق النفوس، مستقر في مسارب القلوب ولا بد له من دليل واقعي في عالم الحياة، وسلوك وأخلاق يدل على أنه مستكن في أعماق الأفئدة.

والعلماء يقولون في التوكل إنه كلةُ الأمر إلى الخالق وأن تكون بما في يد الله عز وجل أوثق مما في يدك فالأسباب هي من خلق الله عز وجل، ولكن النتائج كذلك من خلق الله والأسباب لاتؤدي إلى النتائج حتماً ،فالذي خلق الأسباب هو الذي خلق النتائج، ومن هنا فالأخذ بالأسباب إنما هو فرض علينا لأن الله أمرنا به، ولكن الأسباب لا تعطي النتائج قطعاً.

فالله عز وجل قد دلنا أن طريق الإنجاب وإكثار النسل هو الزواج، فقد يتزوج المرء ويتخذ الأسباب للإنجاب، ولكن رب الأرباب يأبى أن يعطيه الأولاد، وقد يعد الإنسان للدرس وللإمتحان كثيراً ويجدّ ويكدّ ولكن الأسئلة تأتي من خلاف الصفحات التي ركز عليها وأكدّ أثناء دراسته باهتمامه بها، فستكون نتيجته غير النتيجة التي يتوقع، وغيره قد لا يتخذ الأسباب وقد أعدّ بعض الصفحات فتأتي الأسئلة منها وتأتي نتيجته خير من الذي أعد.... لكن الأول الذي إتخذ للأمر أهبته وأعد له عدته لا يحاسب أمام الله وإن فشل في الإمتحان لأنه قد أدّى ما طلبه الله منه، والثاني وإن نجح في الإمتحان فإن الله يحاسبه على ترك الأسباب والأخذ بها، والله عزوجل أمرنا بالإعداد والإستعداد.

لكن المستقر في يقين المؤمن أن الذي خلق هذه الأسباب هو الذي خلق النتائج وقد تؤدي الأسباب إلى النتائج وقد لا تعطي الأسباب نتائجها ولا تثمر ثمراً، إنما الذي يعطي الثمار هو العلي الغفار.

ونحن إذ نعيش قضية أفغانستان، قضية المسلمين الأولى في هذا العصر وفي هذه الأيام، ليس في الأرض قضية تستحوذ على إهتمام العالم كله قدر إهتمامه بهذه القضية، الشرق والغرب، الكافر والمسلم، القلوب كلها مشدودة نحو هذه القضية تنتظر نتائجها وتستعجل ثمارها، أمريكا، روسيا، الغرب، كل يلتقط أنفاسه لاهثاً يضع يده على قلبه يخشى أن تكون النتائج منفلتة من يده، خارجة عن حدود طاقته، المسلمون يريدونها دولة إسلامية تطبق دين الله في الأرض وتقيمه كما أنزل، عقيدة وشريعة ونظام حياة، والكفر يأبى ذلك، ويواصل كيد الليل بالنهار، حتى يحول بين الفرسان وبين الوصول إلى آخر الميدان.

أمريكا تخشى أن تنقض هذه العقبان على فريستها في كابل قبل أن يُعدّوا البديل عن نجيب، والروس كذلك، يريدون أن يقتسموا هذه الثمار وأن يحرموا فرسانها الأبرار من أن يحصدوها ويقطفوها، والله عودنا منذ أول خطوة من خطوات الجهاد أن التوكل عليه هو

رمز المعركة وعنوان نتائجها، وقد عايش هؤلاء المجاهدون أوائل الجهاد وواكبوا مسيرته حتى وصلوا إلى هذه الايام وكلما ضاق عليهم الخناق واشتدت عليهم الكروب وأخذتهم ببراثنها الخطوب يتذكرون تلك الأيام الأولى، أيام أن بدأو الجهاد بالعصي والحجارة وأدّت إلى هزيمة الدبّ الأكبر (روسيا) ذليلاً حسيراً بل قصمت ظهر الشيوعية في الأرض كلها.

ولذا قال لي جلال الدين ذات يوم، أهمني أمر المجاهدين في الجبهة وقد نفذ طعامهم، ولايستطيع أحد أن يصل إلينا في أيام تراقي، بل لايستطيع أحد أن يتظاهر أنه يقترب منا، لأن أهله سيذبحون، وأولاده سيقتلون، ونساءه وداره سيصيبها من الدمار ما أصاب، قال فأهمني الأمر، وصليت الصبح، ودعوت الله عز وجل، وأخذتني سنة من النوم، وأنا جالس على هيئة الصلاة، وإذا بشيء يهزني من كتفي، المرة الأولى، ياجلال الدين كان الله يرزقك وأنت لا تجاهد أفينساك وأنت تجاهد في سبيله، وعاد الثانية وهزني وناداني ذاك الهاتف، وعاد الثالثة وهتف في أذني بهذه الكلمات ثم قال قم فالذبائح معلقة على تلك الشجرة، وفعلاً وفي ذلك اليوم كانت ذبيحتان قد ذبحتا وعلقتا على الشجرة التي رآها في منامه، أثناء سنة النوم.

قلت لحكمت يار قد تضيق عليكم مصادر الإمداد فيجب أن تتخذوا للأمر عدته، فرد حكمت يار أنا لايهمني هذا الأمر إن الله تكفل، أو بكلمات قريبة من هذا.

سياف قال لي ذات مرة: آخذ قلمي وأبدأ أحسب الطعام للجبهات، فأحسب للجبهة الأولى، ثم الثانية، ثم الثالثة وإذا بي أقف أمام حائط مسدود، وأني لا أستطيع أن أحل معضلة مستعصية فأترك القلم من يدي وأنظر إلى السماء وأقول هو الجهاد لك فدبر كما تشاء. بهذه النفسية دخل الأفغان الجهاد وعودهم رب العزة أنه لو التقى العالم كله عليكم وأغلق أبوابه وأغلقت الدنيا كلها بابها فإن أبوابي لاتغلق أبداً، وإذا قبض الناس أيديهم وأغلقت بالمفاتح فإن لله مقاليد السموات والأرض..

(هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، ولله خزائن السموات والأرض، ولكن المنافقين لا يفقهون) (المنافقون: ٧)

لاتنفقوا على من عند رسول الله.

والأميركان الآن، والدول الصديقة والودودة، وغير ذلك كلها تردد (لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) لا تنفقوا على المجاهدين ولا تمدوهم بشيء، إقبضوا أيديكم وفروا ذخائركم، حتى لا تحسم القضية عسكرياً، لأننا نخشى أن يصل الأصوليون إلى سدّة الحكم ويفلت من أيدينا أول حكم في الأرض بعد أن أسقطنا ذلك الصرح الشامخ وتلك المنارة السامقة على يد عميلنا أتاتورك، نخشى أن تعود مرة ثانية سيادة المسلمين علينا، ونخشى أن يتمرد ذلك العملاق الجبار الذي نام طويلاً وحبسناه في داخل القمقم وانطلق في داخل أفغانستان ولكن..

(إن الله بما يعملون محيط) (آل عمران: ١٢٠)

(إنهم يكيدون كيداً، وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً.) (الطارق: ١٥-١٧)

لايدري هؤلاء أنهم يحاربون الله عز وجل، قال لي صاحبي: ماذا أعد الأفغان من أنظمة، ومن أسباب، ومن إستراتيجيات، وغيرها لمواجهة أعداء الله عز وجل؟ فهناك الدنيا كلها تخطط حتى تسرق ثمار جهادهم وهم لم يخططوا لكي يواجهوا هذا الكيد العالمي، قلت له من خلال تجربتي أن الذين يتعمقون في النظر في المخططات الدولية، والإستراتيجيات العالمية، والسياسات في كل الأرض، ويرون هول الخطر الذي تدبره أيدي هؤلاء العابثون بدينه المحاربون لأوليائه، هذا يوصلنا إلى حافة اليأس، ويكاد يوصل المرء إلى أن يقعد مشلولاً، يقول، نحن أنىّ لنا بهؤلاء بخيلهم ورجلهم وتخطيطهم وإعدادهم، ولذا فلا فائدة من أن نقف أمام هؤلاء.

الصحابة، كنت أطالع فتح العراق فوجدت أن الفتح الإسلامي قد مر بمرحلة كر وفر، وهزيمة ونصر كما يعيشه الجهاد الأفغاني اليوم وإن كان الجهاد الأفغاني لم يعش حتى الآن قضية الفرّ، بل هو في كرّ ونصر وتقدم مستمر ؛ مامن يوم يمر على أفغانستان إلا ويحقق المجاهدون نصراً، وتقدماً مهما كان ضئيلاً ومهما كان جزئياً، والحق أن الذي يقف أمام المخططات العالمية، يهوله الأمر ويقف مكروباً ، ضائق الصدر أمام هذه المؤسسات العالمية التي تخطط لإبادة المسلمين واجتثاثهم من جذورهم ومقابل ذلك لايجد التخطيط ولا التنظيم ولا الإعداد بجانب المسلمين.

وحدة المجاهدين:

قال لي أحد الإخوة المجاهدين: نحن هذا الذي نستطيعه، فيرد عليه الناس ألا تستطيعون أن تتحدوا وتواجهوا عدوكم الذي تتصبب عليه الذخائر والأموال من كل مكان، وأنتم أغلقت دونكم الخزائن وقبضت الأيدي وأوصدت الأبواب؟ فأنا أقول عنهم لن تقوم وحدة أبداً بدون أن تكون هنالك حكومة مركزية قوية بيدها من الأموال وبيدها من السلطة ماتعاقب المسيء، وتمنع الطامع وتقمع المفسد وتردع الذين يعيثون بدين الأمة وبأموالها ودمائها وأعراضها.

هل استطاع رسول الله ﷺ أن ينهي المنافقين في المدينة، عشر سنوات متواصلة والرسول ﷺ يوصل ليله بنهاره ينظم مدينة واحدة ومع ذلك بقيت المؤامرات عليه حتى آخر سنة من سنين حياته الشريفة المباركة، كانت آخر غزوة من غزوات الرسول ﷺ هي غزوة تبوك، والمنافقون يرجفون قبل الذهاب، المنافقون يخططون لقتل رسول الله ﷺ في الإياب، ومسجد الضرار يقام حتى يهدم على رأس رسول الله ﷺ عندما يعود، يقولون: يارسول الله! قد بنينا مسجداً للضيف، والغريب في الليلة الشاتية، فهلاً باركته بأن تصلي به! فأخر رسول الله ﷺ صلاته حتى يرجع من تبوك فينزل الوحي..

(لاتقم فيه أبداً، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا) (التوبة: ١٠٨)

مدينة واحدة يقودها النبي الأمين الذي يتنزل عليه الروح الأمين باللسان العربي المبين، ما استطاع أن ينظف المدينة من أوبارها وأقذارها وأوساخها وحسادها وطمّاعها.

أتريدون من ساحة مثل أفغانستان أن تكون نظيفة؟ وتريدون من شعب عنده مائة مدينة، وعشرات الألوف من القرى أن لا يكون بينهم جواسيس وعملاء ومنتفعون ومفسدون وأصحاب ضمائر ميتة تُشترى بالمال، ودواب تُستقرب إليهم بحزمة برسيم أو بحفنة شعير وتبن، تريدون من ساحة مثل بشاور أن تكون نقية نظيفة؟ إنكم تعيشون في أحلام إن كنتم تظنون أن الأنام يصلون إلى هذه النتيجة، لن يتحد الأفغان، لن يتحد الأفغان أبداً، قبل أن تقوم لهم دولة لا يمكن هذا، هذا خلاف السنن، خلاف سيرة رسول الله ﷺ، خلاف هدي صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. لا بد من حكومة مركزية قوية تردع الطامع وتقمع المفسد.

أتريدون من آلاف القادة في داخل أفغانستان وخارجها أن يستجيبوا كلهم بالنصيحة والموعظة الحسنة وبأن يسمعوا كلمة:

(واعتصموا بحبل الله جميعاً) (آل عمران: ١٠٢)

ثم يقفوا صفاً واحداً، هذا مستحيل وعبث ضد طبائع الأشياء، والذين يريدون هذا لم يدركوا بعد مسيرة هذا الدين ولا طبيعة عمله بين العالمين.

الرسول ﷺ -كما قلت لكم- مدينة واحدة، ولم يكن هنالك أيدي الروم والفرس تعبث في المدينة إنما هي أيدي بعض الطامعين بالملك من أمثال عبد الله بن أبيٍّ، ممن كانوا ينظمون لهم الخرز فجاء رسول الله ﷺ ووحد الله على يديه بين الأوس والخزرج فنفسوا عليه هذه القيادة وحسبوها زعامة وملكاً وناصبوه العداء إلى أن لقوا الله على البلاء والشقاء.

لن يتحد الأفغان. لكن الذي يريحنا أولا دراسة السيرة النبوية الشريفة الكريمة، ماذا عانى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مدينة واحدة، مدينة واحدة، ليس مائة مدينة وليس عشرات الألوف من القرى، في أفغانستان (٢٦٨) مديرية ومقاطعة، أتريدون أن تكون هذه كلها على قلب رجل واحد؟، وهنا قد اختلط الغث بالسمين والحابل بالنابل في بشاور، فهنا الشيوعيون وهنا طلقاء الفتح، وهنا عملاء الأمريكان وهنا الخاد وهنا مخابرات الشيوعيين، وهنا الذين يبيعون دينهم بثمن العنز، تريدون بكلمة موعظة فوق منبر أن يترك هؤلاء الأمريكان والسويديين والألمان وغير ذلك، يتركوهم ويتركوا العطاء ووراءهم عشرات ينتظرون لقمة الخبز، وينتظرون ثمن المروحة التي تخفف عن أطفالهم في داخل المخيم الذي يموت منه أحياناً يومياً مئة طفل من الحر. تريدون من الجائع فضيلة ؟ هو لو وجد عند سياف وعند حكمتيار أموالاً أقل من أموال الأمريكان لرضي بها ولكنه لايجد لقمة الخبز في داخل خيمته البائسة التي تحولت إلى دار للأيتام، إلى ميتم ومأتم. فكم من يتيم يؤوي إلى هذه الخيمة وذا ابنه المشوه، وتلك ابنته المحروقة وهذه أمه المشلولة، بعد أن ثوى معظم أقاربه تحت التراب بسبب الطيران أو الدبابات.

تريدون من هؤلاء جميعاً أن يتركوا الأموال التي تبذر بينهم صباح مساء لشراء ضمائرهم، هم قسم كبير منهم بحاجة إلى لقمة الخبز التي تسد جوعه، أو تسد رمقه، الدنيا كلها تشتغل ليل نهار، وتدفع الأموال التي أعدت وأرصدت، ألفي مليون، محدودة مرصودة

للمرحلة الأولى والثانية لإعمار أفغانستان، ولم تجد الأمم المتحدة مسلماً واحداً سوى ذاك الإسماعيلي الذي سلمته إياها صدر الدين أغا خان لكي يتصرف في أفغانستان كما يريد ويوجه هذه الأموال في إفساد من يريد.

ولذا الآن الناس يرجعون من الداخل، المناطق المحررة، فيها فراغ كبير، مدارسهم كان المعلمون يقبضون رواتبهم من الدولة، موظفوهم كانوا يتناولون أعطياتهم من نجيب، مستشفياتهم لها أطباؤها ولها موظفوها ،مصانعهم فيها عمالها الذين تتكفل الدولة بدفع رواتبهم، حررت المنطقة فمن يدفع رواتب المعلمين؟ ومن يعمر المستشفيات؟ ومن يأتي بالأطباء؟ ومن يدفع رواتب الموظفين؟ بل من الذي يستطيع أن يسد رمق الجائعين في المناطق المحررة؟ فراغ كبير، فراغ كبير في المدن المحررة، نواجهه نحن.

وقد جاءني أحد العقلاء بالأمس قال لي الحقوا أفغانستان التي حررت فإنها في فراغ عجيب. طيلة النهار، كان هذا المجاهد يقاتل الروس وأخرج الروس ثم قاتل الشيوعيين، وطهر الأرض من الشيوعين طيلة النهار وجهه في وجه أخيه أو جاره يتحدثون، فراغ مطبق، ليس بين أيديهم لا مال، ولا مصنع، ولا مدرسة، ولا مسجد، ولا غير ذلك، ماذا يفعلون؟ سيقتتلون بسبب هذا الفراغ الكبير.

قلت له: أنا لا أستطيع أن أسدّ هذه الحاجة، لأن الذي بين أيدينا من أموال قليلة نريد أن نمد به الجبهات الساخنة حتى تجهز على الحكم الشيوعي ولعلنا نرى دين الله قائماً في أفغانستان يُحكم به بشريعته وترتفع فيه رايته.

والناس من بعيد يسمعون بمشكلة حصلت هنا أو هناك فيبدأون يثيرون القلاقل ويتعجبون، مجاهدون مسلمون، هزموا الروس، هزموا الشيوعين، لم يبق أمامهم إلا القليل كيف يختصمون. فراغ هائل، ضيق شديد، وكاد الفقر أن يكون كفراً، هذا في داخل افغانستان، أضف إلى هذا هناك مئات الملايين الموظفة لإشغال الناس ببعضهم ولإفساد ذات بينهم، وإرسال عملائهم، ليطلقوا لحاهم ويحملوا مسابحهم ويُظهروا ورعهم وتبتلهم ويكون وظيفته نشر الفساد بين الناس والترتيب لرجوع ظاهر شاه أو لغير ظاهر شاه.

عبرة من سيرة الصحابة:

في الشرق في فتح العراق كما قلت لكم، وقفت على سيرة السلف رضوان الله عليهم أجمعين وهم يفتحون هذه المدينة ثم يأخذها الفرس مرة أخرى منهم، وبين الواقعة الكبرى التي قصمت ظهر كسرى في القادسية في الرابع عشر من محرم سنة (١٤) للهجرة وبين نهاوند (فتح الفتوح) التي هزم فيها كسرى، من أقدم مدن العراق – نهاوند – كان سبع سنوات، نهاوند حصلت سنة (٢١) للهجرة كما روى ابن إسحاق والواقدي وإن كان سيف بن عمر يروي أنها قد وقعت في التاسع عشر للهجرة، سبع سنوات، ماذا يصنع المسلمون فيها؟ أبيد الكثيرون، بين القادسية ونهاوند حصل فتح (تستر) التي إتخذها الهرمزان عاصمة له بعد أن فتحت المدائن وحاصرها المسلمون وكم تظنون؟ مثل حصار جلال آباد أو قندهار؟ شهرين ونحن نستطيل هذا الفتح ونعتبره مدة خيالية! نظن أن فتح المدن إنما يتم برمشة نظر أو بومضة برق، سنتان متواصلتان وخيار الصحابة، خيار الصحابة والتابعين واقفون أمام أسوار تُستر لا يستطيعون لها منفذاً.

دخلوا، كم تظنون؟ دخلوا ثمانين زحفاً مع الفرس، ثمانين معركة ضخمة مع الفرس ولم يستطيعوا أن يقتحموا تُستر وأخيرا لجئوا إلى الله ثم إلى البراء بن مالك، يا براء أنت الذي قال عنك رسول الله ﷺ، **(رب أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبرّه)**، فاقسم على ربك ليهزمنهم فرفع البراء يديه وقال: اللهم اهزمهم، اللهم أهزمهم واجعل البراء شهيداً.

وأوى الفرس واندحروا في داخل جحورهم ومع ذلك ساق الله لهم أحد أشراف القوم فخرج واسمه سمينة قال أعطوني الأمان حتى أدلكم على مدخل المدينة، وليدخل معي عشرون أومئتان منكم، ودلهم على الداخل والمخارج وعلى أماكن الحراس فقتلوا الحراس، وفتحوا باب المدينة واقتحم الجيش المسلم بعد سنتين من حصار شديد قُتل فيه خيرة الصحابة وصفوتهم كالبراء ابن مالك ومجزأة بن ثور وأبو تميمة وغيرهم.

وبعد فتح تستر والقبض على الهرمزان ذهب كسرى يجّمع الفرس وتجمعوا في نهاوند وكم جمع؟ جمع كسرى (١٥٠) ألفاً بينما كان عدادهم في القادسية (٨٠) ألفاً، كان عداد الكفار ثمانين ألفاً، وأراد النعمان بن مقرن الذي اختاره عمر ليكون قائداً لهذا الغزوة أن يعرف الطريق ويستكشف العدو مابين تستر ونهاوند وأرسل خيرة أبطال المسلمين ولهول الرعب والخوف الشديد المطبق على النفوس لم يستطع أحد منهم أن يصل نهاوند سوى طليحة الأسدي ذاك الذي تنبأ ثم رده سيف خالد إلى الإسلام ثم وجهه أبو بكر إلى فتح العراق مع خالد، لم يستطع أحد، رجعوا من الطريق لأن الرعب من الفرس يجري في العروق، سبع سنوات إنها مقصلة، مجزرة لهؤلاء السلف، صفوة الأنام في تلك الأيام، ورجع طليحة الأسدي وأخبر النعمان بن مقرن أن الطريق آمنة إلى نهاوند، وسار بعد أن تجمّع بأمر عمر ورسائله فسار حذيفة بن اليمان من الكوفة بجيش، وسار أبو موسى الأشعري من البصرة بجيش والتقوا بالنعمان بن مقرن فوصل

الجيش ثلاثين ألفاً، ووقفوا حول نهاوند وطال الحصار، واستحرّ بهم القتال وأخذت السهام عيونهم وقتلت قسماً منهم فقام عمرو بن معدي كرب يشجع المسلمين والجيش، قالوا: ماذا تقول؟ إننا نناطح جدرانا والجدران تقاتلنا معهم.

والنعمان بن مقرن كان أميراً للجيش، وعلى المقدمة أخوه نُعيم وعلى المجنبة اليمنى أو اليسرى أخوه سُويد بن مقرن، والقعقاع على المجردة، خيار الصحابة على هذا الجيش ورفع النعمان يديه إلى السماء وقال اللهم انصرنا وخذ النعمان أوّل شهيد في المعركة، ولم يستطيعوا أن يقتحموا عليهم الأسوار إننا نناطح الجدران، هذا قول الصحابة والتابعين إننا نناطح الجدران، والجدران تقاتلنا معهم.

فقام طليحة الأسدي المتنبيء، الذي كان قبل سنوات نبياً كاذباً ثم رجع إلى الله، أعلن الإسلام، وهؤلاء لايسجنون ولا يعدمون إنما يسيّرون ليُضرب بهم الفرس والروم.

قال طليحة: أرى أن نخدعهم وأن نستدرجهم فليتقدم القعقاع بكتيبة من الكتائب وليشتبك معهم ثم ليظهر انهزامه حتى يخرج الفرس ويتبعونا وننازلهم في ميدان مكشوف وفعلاً فعل القعقاع وانهزم القعقاع ظاهراً، وتبعه الفرس وخرجوا عن بكرة أبيهم وتصاف الجيشان وتقابل الخميسان والناس ينتظرون كلمة النعمان الذي أعلن لهؤلاء أن لا يتقدم أحد حتى أكبر ثلاث تكبيرات، فإذا كبرت الأولى فخذوا بأعنتكم، وإذا كبرت الثانية فاستعدوا للمعركة، وإذا كبرت الثالثة فانقضوا على أعدائكم، وكبّر الأولى، وكبّر الثانية، وكبّر الثالثة وتلاحم الجيشان وتصافحت السيوف وأخذت الأسل والبيض تنهل من دماء الطرفين حتى يروي ابن كثير في البداية والنهاية أنه قتل في ذلك اليوم مالم تشهد البشرية له نظيراً من الفرس فقتل مابين الزوال وبين الغروب وكان يوم جمعة يستجيب الله به لدعاء المكروب ولدعاء الصادقين المخلصين قال مابين الزوال وما بين غروب الشمس سقط حوالي مئة ألف من القتلى..

هؤلاء صفوة البشر الذين رباهم رسول الله ﷺ على يده وسبع سنوات حتى وصلوا إلى نهاوند.

فإذا طال الحصار حول جلال آباد أو حول قندهار أو حول كابل، فلانستكن ولا نذل ولا نخضع ولانيأس، ولقد تكفل الله بالنصر..

(وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا إن الله بما يعملون محيط) (آل عمران: ١٢٠)

(إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين) (يوسف: ٩٠)

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران: ٢٠٠)

لو أخذنا من البداية بالموازين الدولية ونظرنا إلى المؤامرات العالمية والله ما أطلق الأفغان رصاصة واحدة نحو داود والشيوعيين، الدنيا كلها تقول لهم لا، لا يمكن أن تواجهوا هتلر أفغانستان محمد داود أوغيره لا يمكنكم أن تواجهوا ذا القبضة العسكرية ببضع مئات من الشباب بأيديهم مسدسات من صنع دره ومنطقة القبائل الأفغانية أو الباكستانية ولكن التوكل على الله هوالذي دفعهم، والتوكل على الله هو الذي أعطاهم هذا الإعداد والتوكل على الله هو الذي صبّرهم هذا الصبر، والتوكل على الله هو الذي أعطاهم بفضل من الله ونعمته هذا النصر وهذا الظفر، إطمئنوا..

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (غافر: ٥١)

كانت الدنيا كلها، المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها وخاصة أمير المؤمنين عمر لايكاد يغض له جفن، لقد أقضه شغله بنهاوند عن طول المنام وعن استقرار الجفون واستراحة النفس كان يجأر إلى الله جأر الثكلى ويدعو إلى الله دعاء المكروب، كان يخرج من المدينة يتلفت يميناً وشمالاً ينتظر قادماً من العراق لعله يبشره بشيء من العراق وذات يوم وإذا براكب يمرّ على أحد أهل المدينة قال له من أين جئت؟ قال من العراق قال: ماذا فعل الله بالمسلمين؟ قال لقد انتصر المسلمون وقتل قائدهم وكانت الغنائم كثيرة حتى نال الراجل ألفا درهم ونال الراكب ستة آلاف درهم، كانت الغنائم من نهاوند ضخمة جداً وانتشر الخبر في المدينة ووصل الخبر أذن عمر، قال: ائتوني بالراكب، بحثوا عنه فلم يجدوه، قال إنه عُشيم، إنه عُشيم أحد الجن الذين حضروا نهاوند وجاء مسرعاً ليخبر قومه بانتصار المسلمين، الجن كما يروي ابن كثير، الجن، الانس، المسلمون كلهم تشغلهم المعركة تماماً كما تتلفت الأنظار وتتسمر الأبصار وتتوقف الأفئدة حول جلال آباد، تريد أن تسمع خبر إنتصار أو أثراً من ظفر أو غير ذلك.

الجن يشتركون في معركة نهاوند وقد اشتركوا في أكثر من معركة كما يروي هؤلاء، أهل الحديث والتفسير من العلماء الثقاة، أمثال إبن كثير وابن الأثير.

لقد قالوا للمسلمين ماذا تريدون؟ فانطلق لسانه بالفارسية يتكلم بطلاقة وهو لم يعرف كلمة أوجملة من الفارسية، وإذا بالفرس

يفرون وبعد أن انتصر المسلمون في وقعة أخرى يسألهم المسلمون مابالكم فررتم بمجرد أن تكلم صاحبنا لكم؟ قالوا إنه قال لنا لقد جئنا لناكلكم! بالفارسية، وهو لايعرف كلمة واحدة أوجملة واحدة من الفارسية. لقد تكلم الجن أو الملائكة على لسانه. فقضية التوكل، والثقة بالله، يجب أن تكون أمام أنظارنا وقبال أبصارنا ونحن نسير في أرض مزروعة بالألغام مليئة بالأشواك مفروشة بالأشلاء، مروية بالدماء وقد أطبق علينا كل أهل الأرض حتى يحولوا بيننا وبين قطف الثمار وحصد النتائج، إطمئنوا، الله ناصر عبده، لن يخذل الله عبده، لن يهزم الله جنده، وهذه كلمة سعد وهو يرى نهر دجلة يقذف بالزبد وقد فاض ولا تكاد المراكب تخترقه، يأخذ بيد سلمان، وهو يلقي بنفسه وبسلمان في النهر، وهم يرددون لن يهزم الله جنده ولن يخذل الله عبده.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن ولاه.

والذي حدث من الفتوح في الشرق في العراق على أيدي الصحابة، هذه الفتوح خراسان، ايران، سجستان، نمروز، غور، فراه، هيرات، فارياب، لأن يزدجرد الثالث الملك كسرى قد قتل في فارياب على نهر مرغاب، فهم يواجهون نفس الأقوام، والمعركة بين شيوعيين أفغان، مئتان وخمسة الآف أخذهم الشيوعيون إلى موسكو، قد اجتثوا الاسلام من قلوبهم، وغسلوا الثقافة الدينية من عقولهم وعادوا يلحدون بالخالق ويكفرون بكل دين.

هؤلاء هم الذين يقفون الآن أمام المجاهدين الأفغان، عرق واحد اشتهر بشدة المراس، وبصلابة الشكيمة وبالصبر الطويل، وبالإباء وبالشمم، هذه صفات الشعب الأفغاني عامة، كافرهم ومسلمهم، ولكن الفرق هائل بين الطرفين الآن، أن أولئك كل الدنيا تقف معهم حتى لايسقط الحكم الشيوعي ويصل المجاهدون إلى الحكم وهؤلاء قد وقفت الدنيا كلها تريد أن تخنقهم وتغلق الحدود دونهم ويتنكرلهم الصديق والعدو، فيا أيها الأخوة: **(وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) (ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون)**. وما سمعناه من قتال الجن مع الصحابة، لقد قاتلوا مع الأفغان، وقصص كثيرة صحيحة سمعتها من أفواه أصحابها الذين حدثت معهم تثبت أن الجن المؤمن أو الملائكة يقاتلون معهم، ولا مجال لذكرها الآن، **(وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)** ونحن على الطريق سائرون وبجانب الأفغان حتى يرفعوا الراية فوق كابل وحتى تصلّى صلاة الجمعة في المسجد الكبير، مسجد الشهيد ضياء الحق، مسجد (بلخشتي) الذي سماه الأفغان بعد استشهاد ضياء الحق، مسجد ضياء الحق، بإذن الله النصر قادم وانما هو الزمن، قد يقصر وقد يطول والله عز وجل صاحب الحول والطول والقوة، لاتدري قد تستسلم فرقة من كابل فتنتهي الحكم جميعاً بين عشية وضحاها، **(وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين)**.

الزهد وأثره في النفس البشرية[1]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران: ٢٠٠)

دعائم الرباط:

الله عز وجل ربط الفلاح في الدنيا والآخرة بعوامل ثلاث: الصبر، والرباط، والتقوى.

والصبر والتقوى دعامتان أساسيتان من دعائم الرباط، لأنه ما من عبادة أصعب من الرباط أبدا، لأنها فراغ وانتظار، وتبقى شهر، شهرين، ثلاثة، ستة أشهر، جالساً في رؤوس الجبال أو في قعر واد لا ترى إلا هؤلاء الأربعة أو الخمسة الذين معك في الخيمة،

---

(١) العنوان كان في الأصل سهم الشهداء إلا أنه لم يتناسب مع الموضوع فاستبدلناه بهذا العنوان.

الحقيقة صعبة على الإنسان، يستوحش والنفس بطبيعتها تحب الخلطة مع الناس، نعم تحب رؤية الناس، تأنس برؤية الناس الذين عرفتهم، تستوحش إذا غابت عن الأمهات والآباء والأصدقاء والخلان، وعن المدن والعمارة وعن السيارة وغير ذلك، تستوحش إلا إذا أنساها الله عز وجل، وإلا إذا شرح صدورها للعبادة التي هي فيها، ولذلك الله عز وجل كان يشرح صدور الصالحين للعزلة ،فيحبون أن يكونوا بعيدين عن الناس للعبادة لطلب العلم للذكر، فكيف إذا اجتمع الذكر والعبادة والرباط والجهاد والخلوة؟ هذه نعمة لا نظير لها أبداً، الرباط أو الجهاد مع الخلوة أفضل طريقين دل عليهما الرسول ﷺ : قالوا: يا رسول الله من أفضل الناس؟ **قال: (رجل مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله)** قالوا: ثم أيّ؟ قال: **(رجل معتزل بشعب من الشعاب يعبد الله ويتقي الناس من شره)** فأنتم جمعتم الإثنتين، جمعتم الجهاد في سبيل الله، وجمعتم عبادة الله عز وجل في شعب، مكانكم هو شعب هو انفراج بين جبلين، يعبد الله ويدع الناس ويتقي الناس من شره، فالرباط قائم على الصبر، والنفس التي ليس لها صبر لا تستطيع أن تزاول العبادات، والنفس التي ليس لها صبر ليس لها إيمان كامل، وإنما الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ،فكما أنه لا جسد بلا رأس فإنه لا إيمان بلا صبر لأن كل العبادات تحتاج إلى صبر، مكابدة الليل وقيام الليل تحتاج إلى صبر، القيام لصلاة الصبح تحتاج إلى صبر، الصوم يحتاج إلى صبر، الحج يحتاج إلى صبر، الإعداد يحتاج إلى صبر، فلابد من الصبر، والشيء الذي يضاد الصبر هو قضاء الشهوة، الشهوة كلما اشتهت النفس تعطيها، إذا جاعت تأكل، إذا اشتهت الحلوى تشتري لها الحلوى، إذا اشتهت النوم تنام، إذا اشتهت مخالطة الناس تذهب إلى أمريكا، إلى أوروبا إلى بانكوك وإلى المباراة الرياضية وغيرها، ولذلك إذا فطمت الشهوات؛ النفس تصبر، وإذا تركت الشبهات تتيقن ،ومعظم الضلال من الشبهات والشهوات، الشهوات، قضاؤها ولو بالحلال يؤدي إلى ترف النفس والإستكثار من الطيبات وإلى التمتع بالحياة وإلى الترهل والنعيم والترف وهذا الذي يحاربه الإسلام؛ لأنه ضد التقشف وضد الصبر الذي يبنى عليه الجهاد، والجهاد هو عماد حياة الأمم، ولذلك (وخالف النفس والشيطان واعصهما)، النفس تحب تتبع الشبهات وتتبع الشهوات، فإذا خالفت النفس بترك الشهوات فقد صبرت، وإذا خالفت النفس بترك الشبهات فقد تيقنت، وهنا تكون قد بدأت تسير على طريق الإمامة في الدين..

(وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (السجدة: ٢٤)

وكما قال ابن القيم: والإمامة بالدين لا تعطى إلا بالصبر واليقين ثم تلى الآية **(وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون)**.

ووالله يا إخوة ما أذل الناس ولا أضاع الشعوب ولا ديست المقدسات ولا سلبت الأموال ولا انتهكت الحرمات إلا بسبب عدم صبرنا على الشهوات، ولذلك الرسول ﷺ كان له فدك، فدك هذه منطقة نخيل كثيرة جاءته فيئاً وكان له خمس خيبر، خمس نصف خيبر..

(واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول) (الأنفال: ٤١)

كان له الخمس ومع ذلك تقول عائشة: **(ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتاليين)** لماذا هذا الزهد؟ لماذا هذا التجويع؟ وضعت شاة مصلية (مشوية) أمام أنس فبكى قال: لقد فارق رسول الله ﷺ الدنيا ومارأى شاة مصلية ولاذاق خبزا مرققا، لماذا؟ مقصود، هذا الأمر مقصود، ما المقصود؟ محاربة الترف في النفس البشرية، محاربة الشهوات، تصبير النفس على الطاعات.

زهد السلف:

عمر، عندما أخذ نفسه بالعزائم وعام الرمادة؛ عام أصاب الجزيرة المجاعة فاقسم أن لايذوق لحما ولاسمنا حتى يرى الخير في شوارع المدينة، ماذا يأكل؟ لايجد الخبز الجاف، أصابه الباصور امعاؤه جفت، وصارت تقرحات عنده في أواخر الامعاء، صار الدم ينزل، وأسودّ جلده قالوا: من يجرؤ أن يكلم عمر؟ قالوا: لايجرؤ عليه إلا أم المؤمنين ابنته حفصة، دخلت عليه، وذكرته بنفسه وقالت له إن لنفسك عليك حقاً، وأنت بهذه الطريقة تتعب نفسك أو كما قالت، قال ياحفصة ألم تخبريني أن رسول الله ﷺ كان عنده قطيفة، قطيفة واحدة، يطوي نصفها تحته، والنصف الآخر فوقه في الشتاء ،وفي الصيف يطويها تحته؟ يا حفصة ألم أخبر أن رسول الله ﷺ ما شبع من خبز الشعير يومين متتاليين؟ يا حفصة ألم تعلمي أن رسول ﷺ كان يضع حجرين على بطنه يا حفصة.. حتى سكتت، أفحمها وخرجت، فمحاربة الشهوات في وقت يستطيع الانسان أن يأكل، النفس لا تشبع، هذه شهوات، والشهوات إشباعها كالعطشان الذي

يذهب الى البحر ليشرب، كلما شرب العطشان من ماء البحر كلما ازداد عطشاً لأنه ماء مالح، هؤلاء الرومان كانوا قد توسعوا بالمتاع (بانواع الطعام وألوان الفواكه وألوان الحلوى) حتى صاروا لايستطيعون الطعام فصاروا يصومون حتى يجدوا لذة الطعام، غرقوا في الجنس حتى كرهوا النساء، فصاروا يبتعدون عن المدن حتى يشتهوا النساء، الأوروبيون فتحوا باب الجنس على مصراعيه واصبح الجنس مثل الطعام والشراب والهواء مباح في الأسواق، ومع ذلك حوادث الاغتصاب وحوادث الجنس وأمراض الجنس وما إلى ذلك لاتنتهي، لأن الشهوات لا تشبع كلما اغويتها رغبتها كلما ازدادت نهما.

والنفس راغبة إذا رغبتهـا   وإذا ترد إلـى قليل تقنـع

سيدنا جابر كان ذاهبا إلى السوق فسأله عمر: أين يا جابر؟ قال: قرمت، يعني اشتهت قرمت نفسي إلى اللحم، فاريد أن اشتري لحما بدرهم .قال ياجابر أكلما اشتهيت اشتريت؟! أكلما اشتهيت اشتريت! فعمر مرة وضع أمامه طعام فبكى وقام .ما بالك يا أمير المؤمنين؟ قال: أخشى أن يقال لنا يوم القيامة:

(اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون) (الاحقاف: ٢٠)

ولذلك كان الزهد ومحاربة الشهوات في النفس البشرية كان مقصودا لأن النفس لايمكن أن تعلو ولاترتفع إلا إذا استعلت على شهواتها وعلى أهوائها والنفس التي تقع أسيرة الشهوات لايمكن أن تنازل الأعداء في ساحة اللقاء ولذلك اذا أردت أن تبقى سائرا على الطريق إلى الله عز وجل فأمسك زمام نفسك، وللأسف هذا العلم لايدرس في الجامعات ولا في المدارس، علم السلوك، علم مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، هذا العلم سقط لماذا؟ لأنه لا يوجد مربين ولايدَّرس لا في الأزهر ولافي كليات الشريعة، علم السلوك علم الاخلاق، علم ترويض النفوس، علم التربية، فتجد أحيانا الشاب حافظا ما شاء الله من الكتب الكثيرة وأحاديث ماشاء الله ورياض الصالحين قرأه من زمان وروضة الناظر درس ونيل الأوطار وسبل السلام وفتح الباري وما إلى ذلك تجده لايصوم تطوع، لا يقوم الليل، نفسه ميته لاتصلي النوافل يتبع الرخص حيثما وجدها، ما روض النفس، ما تربت، نعم، والنفس والشهوات أعوذ بالله.

مقارنــــــــــة :

حدثنا الاستاذ كمال السنانيري (رحمه الله) كمال السنانيري -كان الإخوان في السجن قد وضعوه مسئولاً عن الإخوان فتعلموا التكافل الاجتماعي في السجن، كل الإخوان يجب أن ياكلوا مع بعض مثل بعض وينفقوا مثل بعض ويشربوا مثل بعض، فأي واحد يأتيه فلوس تسلم لمن؟ لكمال السنانيري وهو ينفقه عليهم- قال: والله حبة الشكولاته تاتي للاخ، حبة الشكولاته في داخل السجن لها قيمتها، تطوف على سبعة من الاخوان وترجع إلى من أعطاها أولاً كل يا أخي، هذه لها قيمتها وكاسة الشاي قيمتها في السجن كثيرة قيمتها كبيرة أيضا يعطيها لأخيه وهكذا، قال: كنت أقارن بين الاخوان وبين الشيوعيين، قادة الحزب الشيوعي اكتشفهم عبد الناصر في مؤامرة يريدون أن يعملوا انقلابا عليه ووضعهم في السجن، لو نجح الانقلاب لكان رئيس الجمهورية منهم ورئيس الوزراء منهم والوزراء منهم هؤلاء وضعوا في السجن قال: والله اساتذة جامعات كبار، زوجته تأتيه بدجاجة يضعها في عبه في داخل عبّه او يخبئها في عبّه ويأتي في عنبر الاخوان ياكلها بعيداً عن الشيوعيين ويرجع للشيوعيين، قال: أخذتهم الغيرة من الاخوان أرادوا أن يعملوا التكافل الاجتماعي، وهناك شيوعيون يدخنون وهناك شيوعيون لايدخنون، قالوا ماذا نفعل؟ نحن نريد أن نعمل مساواة واشتراكية، اختلفوا كيف نعمل بالذين يدخنون فرفع الامر إليّ أحكم في قضية الدخان، قلت لهم: أنا أحكم بما يلي:

أنا أحكم مقابل كل سيجارة كاسة شاي، الذي لايدخن يعطى كاسة شاي مقابل سيجارة رفض المدخنون، قلت لهم: كيف تحكمون أنتم؟ قالوا: الذين لا يدخنون يدخنون!! هذه الشلل التي تحكم العالم العربي، والله عندما يكون بهذه التفاهة وبهذا المستوى النفسي أنه لا يسمح لأخيه أن يشرب كاس من الشاي، أخوه في الكفر، مقابل السيجارة، هؤلاء غداً لو ملكوا ناصية الشعوب ولو كانت الأموال بين أيديهم ماذا يفعلون، هل فعلا سيطبقون الاشتراكية أم سيسرقون كل أموال الشعب لتلبية شهواتهم؟!!.

الخطبة الثانية:

يا أيها الإخوة المسلمون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الفضل لله أولاً وآخراً، والحمد لله من قبل ومن بعد..

(هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم، ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما) (الفتح: ٤)

• رب العزة بجلاله ومن عليائه سبحانه تفضل على المؤمنين فأنزل السكينة عليهم وثبت أقدامهم، كنا ندعو في المعركة:

اللهم لولاك ما اهتدينـــا ولا تصدقنا ولا صلينـــا

فأنزلن سكينة علينـــــا وثبت الأقدام إن لاقينـــا

إن العدا قد بغوا علينا

إن العرب أيها الإخوة خدم لكم وإن العرب أيها الإخوة ليعرفون مقامهم، يعرفون أنكم قد شققتم لهم الطريق فلا ينسوا الفضل لله أولا ثم لكم، ويدركون أن الأرض أرض الإسلام، ولكنكم أنتم أهلها، الدماء دماؤكم، والأعراض أعراضكم، والأموال أموالكم، والأشلاء أشلاؤكم، والعرب جاءوا ليؤدوا فريضة افترضها الله عليهم لم يستطيعوا أن يؤدوها في بلادهم، ونشكر الله أولاً وآخراً أنه وفق قلوب القادة للتوفيق والتمكين، ما طلبنا من أحد القادة أي مطلب إلا وسارع للتطبيق، أما الشيخ سياف -جزاه الله خيراً- لم يغادر أرض المعركة لحظة واحدة وكان لهذا أثر والحمد لله في النصر بعد فضل الله العظيم، وفي أثناء المعركة أرسلنا رسالتين للأستاذ رباني والمهندس حكمتيار أن المعركة تقتضي أن تلقوا بثقلكم في المعركة، وفي اليوم الثاني جاء حكمتيار بنفسه إلى المعركة، وأما الأستاذ رباني فقد أرسل رسالة: افتحوا للعرب المخازن وأعطوهم ما طلبوا منكم، قلما كان القادة العسكريون للإتحاد وللجمعية وللحزب، (حزب الشيخ يونس) قلما كانوا يفترقون، ووحدة الكلمة كان لها أثر في النفس بعد فضل الله وقدره، وكلمة كن فيكون، وأنا لا أطيل عليكم أحدثكم ما رأيناه من فضل الله العظيم علينا، والكرامات التي تنزلت في أثناء المعركة كان أخطر ما يواجهنا في المعركة هو جبل الرماة المتغري، المتعرض لضربات راجمات الصواريخ والطيران وكان عليه مائة مجاهد تحت قيادة القائد سيد محمد -حفظه الله ورعاه- كانت قلوبنا معلقة بهؤلاء المائة شاب الذين هم معرضون لكل أنواع القذائف لم يستطيعوا أن يعملوا الخنادق لكن وجودهم فوق هذا الجبل ضرورة بالغة لتوجيه المعركة، ما كانت أية قذيفة تطلق إلا بتوجيه جهاز اللاسلكي الذي يأتينا من الجبل الذي عليه سيد محمد فالحمد لله رب العالمين إن كثيراً من قذائف الهاون التي نزلت على هذا المكان لم تنفجر فهذه كرامة من الله عز وجل أكرم بها عباده المجاهدين، كثير من الإخوة الشهداء خرجت لعمائهم رائحة كالمسك وشمها كثير من الإخوة، بعض الشهداء -كما حدثني بعض الإخوة الذين رأوهم عند الشهادة- استنارت وجوههم كالبدر بعد الشهادة مع أنهم سمر الوجوه.

يا أيها الإخوة احمدوا الله أولاً وآخراً ونحن ندعو الله عز وجل أن يبارك في هذا الجهاد وأن يحفظ له قادته وأن يديم علينا نعمته وأن يتوفنا شهداء إنه سميع قريب مجيب.

الشهـــــــداء

فيا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً.

إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

(ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، ألا خوف عليهم ولاهم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لايضيع أجر المؤمنين، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجرعظيم) (آل عمران: ١٦٩-١٧٢)

كرامات الشهداء:

هذه الآيات الكريمات نزلت في شهداء أحد - كما جاء في الحديث الصحيح - جاء في مسند أحمد وسنن أبي داود وصححه

• ميثاق الجهاد التاريخي سابقاً.

الحاكم ووافقه الذهبي على تصحيحه (لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيور خضر، ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا: يا ليت إخواننا علموا ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولاينكلوا عن الحرب. فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله على رسوله هذه الآيات، {ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون}.

ففي هذا الحديث الصحيح الذي يفسر الآية الكريمة أن أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر، تسرح في الجنة، تمضي حيث شاءت ثم إذا أرادت أن تستريح رجعت إلى قناديل من ذهب معلقة بعرش الرحمن فأوت إليها فهم أحياء عند ربهم.

وقد رأينا من كرامات الشهداء الأفغان ما يثبت أن الشهداء أحياء.

لقد حدثني عمر حنيف وهو رجل ثقة صادق ثبت على أنني فتحت اثني عشر قبراً بيدي بعد سنتين وثلاث- لأن الأفغان كانوا يدفنون شهداءهم في أرض المعركة حتى إذا حرروا الأرض نقلوهم إلى المقابر العادية- قال: فتحت اثني عشر قبراً بيدي فوالله ما وجدت واحداً متغيراً ،ووجدت بعضهم وقدكان حليقا في الدنيا نبتت لحيته في القبر، وطالت أظافرهم في القبر، ولأجسادهم روائح طيبة ما رأيت مثلها في الدنيا، ورأيت على بعضهم - على سيدشاه- عباءة سوداء لينة الملمس ناعمة الملمس، مارأيت أنعم منها ملمسا، ولا أطيب منها ريحا، وقد دفنت سيدشاه بيدي قبل سنتين بثيابه المضمخة بدمه، فمن أين جاءت هذه العباءة التي ليس في الدنيا مثلها؟ (أحياء عند ربهم يرزقون) فهم حتى أجسادهم تكرم، أجسادهم لا تمسها الدود، ولا تنتفخ ولا تتعفن، و قد رأينا جثة أخينا عبدالله المصري وقد فقدناه في واحد شوال، قتل في واحد شوال (١٤٠٦هـ) وعثرنا عليه في الثاني من ذى القعدة فما وجدناه قد تغير أو تبدل، لم تتعفن جثته، لم تنتفخ،بينما جثث الكفار تنتفخ بعد ساعتين أو ثلاث، ثم بعد يوم يخرج الدود من عينه وأنفه ويسيل الصديد والقيح من فمه، ولا أراك الله منظره ولا جمعك به في الآخرة، الشهداء على وجوههم نور وقبورهم تشع نورا.

وأبو حفص الفلسطيني، أو الأردني الذي استشهد في جاجي شهد لي اثنان من إخواننا العرب أننا رأينا وجهه عندما سقط شهيدا مجندلا في دمه أنه استنار كالبدر وكان أسمر اللون، وشهد لي إخوان لنا - نقلا عن الأفغان - أنهم يرون النور يخرج من أثر الدم الذي سقط من أبي حفص الأردني.

وقبر عبد الوهاب الغامدي وسعد الرشود لازال النور يخرج منهما ليلة الإثنين والخميس.

حدثني أبو داود وهو مسؤول المكتب عندنا، أنه حُدث من الأفغان أن النور يخرج من قبريهما وهما متجاوران، قال: فذهبت لأتأكد بنفسي وفي الساعة الحادية عشرة إلا الربع بدأ النور يخرج إلى السماء من قبريهما ثم ينثني على شكل قوس ويعود إلى قبريهما.

عبد الله الغامدي عمره دون العشرين ،مكث في أرض الجهاد أسبوعين وأصابته قذيفة فكان فيها مقتله وشهادته، يشهد لي نظرمحمد ومجموعة القادة في جمكني وقبره هنا قريب علينا في جمكني في أول حدود أفغانستان أن عبد الله الغامدي لا زال يكبر في قبره.

مياكل الشهيد كان طبيباً وقائداً في بغلان ،وقد أقض مضاجع الشيوعيين وأرّق أجفانهم ،وقتل في المعركة، فجاء زعيم الشيوعيين ليُشفي غليله من مياكل وهو شهيد ،فرفع قدمه ليركل رأس مياكل فشلت قدمه، وأراد الشيوعيون أن يطوفوا بمياكل في ربوع بغلان و في أرجاء كندز، ليروا الشعب أنهم قتلوا مياكل.

حدثني محمد نعيم أحد ضباط الفصائل عنده قال: كلما اقترب منه مجموعة من الشيوعيين صاح بهم كالأسد وهو شهيد أعطوني سلاحي أريد أن أذبحهم فيفرون هاربين، وما زالوا يرسلون الفئة بعد الفئة وهو ينهرهم ويزجرهم ويطردهم بصوته الذي يزأر، وأخيراً استسلموا على أن هذه القضية ليست قضية بشر، إنما هى قضية رب البشر، فجاءوا بكفن جميل ثمين وأعطوه للعلماء الكبار في تلك المنطقة وقالوا: كفنوا به شهيدكم لن تغلبوا ما دام فيكم أمثال هؤلاء، ودفن مياكل وبقي التكبير يخرج من قبره، ووقف أخوه بين أخواته اللواتي عز عليهن هذا الشهيد ففاضت دموعهن تسفح على وجوههن حزنا على البطل القائد والزعيم الكمي والشجاع الندي، ووقف في منتصف الليل يدعو ربه في صلاته أن يريه آية أن أخاه شهيداً حتى يسكت أخواته ،وإذا بباقة من الزهور ليس لها نظير في الأرض قد نزلت من السقف على أخيه في الساعة الثانية ليلاً، وأيقظ أخواته من فراشهن وقال: أنظرن هذه علامة شهادة أخينا، فهم أحياء، رأينا علامات حياتهم في الجهاد الأفغاني.

دكتور ببرك استشهد في وردك وجاءوا به إلى بيشاور، ووضع حتى يرجع أبناؤه من المدرسة، وعندما رجع أبناؤه ووقفوا فوق

رأسه سالت دموعه جارية على وجهه **(أحياء عندربهم برزقون)** يرينا الله علاماتهم في الدنيا حتى لا ننكل عن الجهاد، كما قال شهداء أحد لو أن إخواننا اطلعوا على ما نحن فيه حتى لا يزهدوا في الجهاد، ولاينكلوا عن الحرب والشهداء لهم منازل ودرجات، ولهم مآثر ومناقب وفضائل عند ربهم كثيرة، فدماؤهم لونها لون الدم وريحها ريح المسك **(والذي نفسي بيده لايكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة، اللون لون الدم والريح ريح المسك)**، رواه مسلم وأحمد .

وأما رائحة المسك من دماء الشهداء فحدث عنها ولا حرج، وستة من إخواننا الذين استشهدوا في عيد الفطر في جاجي قد شمت رائحة دمهم تعبق عطرا وتفوح مسكا .

يحيى، يحيى، وأنتم تعرفون من يحيى؟ الشهيد الذي من جدة ،عندما استشهد بقي المستشفى يتضوع مسكاً كلماً فتحت الغرفة التي وضع فيها جثمان يحيى، وسُجّي فيها جسده، قال لي صهري: وهو رجل ثقة أبو الحسن المقدسي يقول لي: كنت راكباً في سيارة، والسيارة التي تقل جسد يحيى على بعد خمسمائة إلى الف متر مني ورائحة المسك تعبق في أنفي، ووصلوا، وواروا جسده بالتراب، وعادوا وهنا تكمل القصة ابنتي تقول لي: خرجنا نزور عائلة من العائلات مع جارتنا ويسوق بنا زوجي، ورائحة العطر لاتكاد تطاق لشدتها تملأ أرجاء السيارة فتذمرت في نفسي وقلت: إن جارتنا لا تستحي على نفسها، قالت: وانتظرت حتى نزلنا من السيارة، وبدأت أوبخها واقرعها وأقول لها: ألم تعلمي أنه **(أيما امرأة تعطرت فخرجت ليجد الناس ريحها فهي زانية)**، فقال: والله ما مسست عطراً ولا مسكت طيباً هذا اليوم، قالت: وأنا كذلك ،فأنت يا محمد ما هذا العطر الذي يفوح في أرجاء السيارة، من أين لك هذا العطر؟ قال: مامسست عطراً، ولكني مسست جنازة الشهيد يحيى، المسك أصبحت قضية مسلمة والأفغان يعرفون علامة الشهيد أحياناً، المغمى عليه بجرح واصل إلى الأعماق يعرفون أن روحه قد خرجت من رائحة المسك إذا فاحت، عندما تخرج الروح يبدء المسك يفوح ، وأحب القطرات إلى الله دم الشهيد، **(ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين، أو أثرين: قطرة دمعة من خشية الله وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران نأثر في سبيل الله** -أي في الجهاد- **وأثر في فريضة من فرائض الله)** حديث حسن رواه الترمذي.

ولا يحب أحد أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد، **(ما من عبد يموت، له عند الله خير، لايسره أن يرجع إلى الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى** -وفي لفظ- **فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة)** متفق عليه بين البخاري ومسلم.

وبعض الشهداء يردون الفردوس أعلى الجنة ،لقد سألت أم حارثة رسول الله ﷺ أين ابني؟ فقال **(إنه في الفردوس الأعلى)** رواه البخاري.

وأرواحهم كما قلنا في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة **(إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر لها تناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعا، فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا: أي شي نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل بهم ذلك ثلاث مرات أي يسألهم فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا، حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا)** رواه مسلم.

وهنالك حديث آخر **(الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا)** فأحاديث تقول **(إن أرواحهم في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش)**، وأحاديث يقول **(إنهم على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء)** والله أعلم، والتوفيق بين الحديثين أن الذين أرواحهم في حواصل طيورخضر إما أن تكون خاصة بأهل أحد أو أنها منازل عليا لنفر أو لنموذج من الشهداء كانوا على مستوى رفيع في الدنيا وأما بقية الشهداء فهم على بارق نهر، أي نهر له بريق من صفائه وحسنه يلمع كالنور على بارق نهر، يعني على نهر بارق لامع بباب الجنة وفي داخل قبة خضراء، يأتيهم رزقهم بكرة وعشيا، فنرجو الله عزوجل أن نكون في أحد المكانين، وقد حدثني أحد إخوانكم وقد غادر بالإمس قال: رأيت رؤيا أن لي زجاجة خضراء في ثلاجة، قال: ففتحت الثلاجة، وإذا بالزجاجة الخضراء و مكتوب عليها الشهادة، قلت له: روحك إن شاء الله في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت والزجاجة الخضراء هي حواصل الطيور الخضر، ثم الثلاجة دليل أن الشهادة محفوظة لك ولو بعد حين.

خصال الشهيد عند الله:

والشهداء لهم خصال كثيرة عند ربهم (إن للشهيد عند الله خصالاً وفي رواية سبع خصال أن يغفر له من أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلية الايمان، ويزوج من الحورالعين -وفي رواية أخرى- باثنتين وسبعين من الحورالعين ويجار من عذاب القبر).

لايعذب الشهيد في قبره، لقد سُئل رسول الله ﷺ أيفتن الشهيد في قبره؟ قال: (كفى ببارقة السيوف فوق رأسه فتنة) لا تلتقيان فتنتان على المؤمن، يكفيه فتنة الدنيا القذائف التي تتصبب فوق رأسه والطيران الذي ينزل القذائف التي تصل طنا، والمدفعية والهاون، والهاوزر وراجمات الصواريخ تكفيه هذه فتنة، فلايفتن في قبره مرة أخرى (ويأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج إثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه) حديث صحيح رواه أحمد والترمذي وابن حبان.

فالشهيد له إثنتان وسبعون من الحورالعين، يحدث ابن مبارك عن رجل وهم مرابطون في طرطوس أو المصيصة على حدود الروم في تركيا يقول كان معنا مرابطا عن، عن إلى آخره بسنده كان معنا مرابطا وذات يوم قال قبل الظهر والقيلولة قبل الظهر أفضل، ولا بأس بها بعد الظهر، ثم قام وهو يبكي ويبقي يبكى حتى خشينا أنه أصابه مس من الجنون، قال: وعندما رأى حيرتنا، وندمنا، وحزننا عليه قال: والله ما بي مس من جنون، ولا شئ إنما رأيت فيما يرى النائم رجلاً يلبس البياض يأخذني بيدي، وقال: تعال معي إلى العيناء، قال: فدخلنا قصراً فرأيت فيه عشرين من أجمل النساء اللواتي ما رأيت مثلهن قلت: أفيكن العيناء؟ قلن: لا، نحن خدمها، قال: ثم أخذ الرجل بيدي وانتقلنا إلى قصر أعظم وأجمل، ودخلناه وفيه ثلاثون من أجمل من رأيت وهن أجمل من ذي قبل من اللواتي قبلهن، قلت: أفيكن العيناء؟ قلن: لا نحن خدمها، قال: ثم أخذني إلى قصر من ياقوتة حمراء كل ما فيه مضيء ودخلت وإذا بإمرأة نور الياقوتة لايساوى شيئا ولايقاس بنورها، قلت: ءأنت العيناء؟ قالت: أنا العيناء، قال: فجلست أتحدث معها، ثم قال الرجل: قم، قال: ولا أستطيع مخالفته، قال: فامسكت بي، قالت إبق عندنا، أفطر عندنا هذه الليلة -وكان صائما- قال: ولكني لم أستطع أن أخالف هذا الرجل الذي أخذ بيدي وعندما إستيقظت وجدت أن هذه مجرد رؤية، وما أن صلينا العصر حتى نادى المنادي يا خيل الله اركبي قال: فركبنا وركب الغلام وما هي حتى دنت الشمس إلى المغيب وجاء فطورالصائم، سقط الشاب عن جواده شهيدا، وأفطر مع العيناء ويحدث قصة أخرى، إبن المبارك، قصصا كثيرة في كتابه الجهاد، كان ثلاثة في الغزو قالوا: فأرسلنا أحدنا ليجنى لنا عنبا، قال: فدخل بستان عنب وعندما وصل ليقطف، وإذا بإمرأة ما رأيت مثلها على الأرض جمالا، قال: فأشحت بوجهي قالت له: أنظر إلينا، فإنه يحل لك أن تنظر إلينا، لأننا حلال لك، قال: فإنتقلت، ثم أشارت هذه المرأة الجميلة التي ليست من أهل الأرض أبدا، قالت: إن لي هناك ضرة كذلك لك بإمكانك أن تنظر إليها، قال: فذهبت ونظرت إليها ومددت يدى، قالت: لا تمد يدك، فطورك عندنا هذه الليلة وقتل في ذلك اليوم بعد أن رجع وحدث إخوانه ولقى زوجتيه الظئرين تنتظرانه تحملان المسوح الحريرية لتحملا روحه معهما إلى هناك إلى بارق نهر بباب الجنة تحت قبة خضراء.

والشهادة خير من المدن والقرى (لأن أقتل في سبيل الله أحب إلي من أن يكون لي أهل المدر والوبر) المدر اللبنات أى أهل المدن والقرى، والوبر أهل الجمال أهل البوادى، والشهيد لا يحس بالألم، (ما يجد الشهيد من القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة) وكان أخونا عثمان الذي استشهد في الثالث عشر من ذى الحجة قبل شهر فقط مثالا حيا لهذا، لقد أصيب عثمان، خالد الكردى من المدينة المنورة ،والأول من جدة يحيى سنيور ،والثالث من غامد من منطقة زهران وغامد والباحة والظفير عبد الله الغامدي ،هذا من المدينة خالد الكردي من طيبة الطيبة أصيب بلغم نطارت قدمه وانبعجت بطنه واندلقت أقتابه، وكان معهم الدكتور صالح ،فأقبل الدكتور صالح يلملم بيديه أقتابه ويضم أحشاءه ويدخلها بطنه ويلفها ببطانية معهم، فقال وهو يبكي أصيب خالد بجروح بيده ،فنظر إلى الدكتور صالح قال: يا دكتور آلام بسيطة وجروح طفيفة إنها في يدي، لماذا تبكي؟: لايدري أن قدمه قد طارت وأن بطنه قد شق وأن أمعاءه قد خرجت، ويبقي يسليه ويحدثه يقول: والله إن الشهادة حبيبة إلى قلبي، طيبة على نفسي ولكن بعد أن تشيب هذه اللحية ويشيب شعر رأسي في الجهاد، ويبقي ثلاث ساعات يحدثهم وهو بكامل قواه العقلية ولقي الله وفاضت روحه وفاح المسك وهو لا يعلم أن قدمه قد طارت و أن بطنه قد شق، لا يجد الشهيد من القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة.

والشهداء منازل عند ربهم (**أفضل الشهداء الذين إن يلقوا في الصف لا يلفتون وجوههم حتى يقتلوا، أولئك يتلبطون في الغرف العلى من الجنة ويضحك إليهم ربك وإذا ضحك ربك إلى عبد في الدنيا فلا حساب عليه**)، أخرجه أحمد بسند صحيح وفي الحديث الصحيح الآخر الذي يبين منازل الشهداء، (**القتلى ثلاثة، رجل مؤمن جاهد بماله ونفسه في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل فذاك الشهيد الممتحن في خيمة الله تحت عرشه لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة** – الله اكبر- هو بعد منزلة النبي، لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة، **ورجل فرق على نفسه** أي خاف عليها من الذنوب **والخطايا جاهد بنفسه وماله في سبيل الله** أي كانه كانت عليه ذنوب كثيرة فخاف على نفسه فذهب للجهاد **حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قتل فتلك ممصمصة،** ممصمصة أي مغسلة ومطهرة تمص الذنوب فتلك ممصمصة محت ذنوبه وخطاياه، **إن السيف محاء الخطايا، وأدخل من أي أبواب الجنة شاء فإن لها ثمانية أبواب ولجهنم سبعة أبواب وبعضها أفضل من بعض،** ورجل -أعوذ بالله- **منافق جاهد بنفسه وماله حتى إذا لقي العدو قاتل في سبيل الله حتى يقتل فإن ذاك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق**) حديث حسن رواه أحمد وصححه ابن حبان (**وأفضل القتلى في سبيل الله الذي أهريق دمه وعقر جواده،** سئل رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود ورجاله ثقاة، أي القتل أفضل؟ قال: **من أهريق دمه** أي أهريق أريق أو نزل، **أهريق دمه وعقر جواده في سبيل الله،** وأما سيد الشهداء وهو حمزة بن عبد المطلب **ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**) حديث حسن، رواه الحاكم والضياء في المختارة.

والشهداء عظيم أثرهم في التاريخ الإنساني ،كبيرة منزلتهم في قلوب قومهم، بصماتهم ظاهرة في نفوس الإجيال، وفي قلوب الأبطال، الشهداء يخطون بدمهم تاريخ الإسلام.

أخونا أبو حامد السوري، ذبيح الله الشهيد هناك فوق قمة تلة في مزارشريف بعد الهندوكوش في بلخ يستشهد بصاروخ من الطائرة ويكتب بدمه أنا شهيد تحت الزيكويك.

أقول، هؤلاء شهداء، لأن الله عز وجل يشهد لهم بأنهم من أهل الجنة، أو لأن الملائكة والحور العين تشهد قتلهم، وخروج أرواحهم أو لأنهم يشهدون منازلهم في الجنة، عند خروج أرواحهم.

صفي الله الشهيد يدخل سيارته يقول إني لأشم رائحة عجيبة، رائحة مسك وطيب في هذه السيارة، هل تشمونها؟. قالوا: لا، قال: أشم رائحة طيبة وأظنها رائحة الجنة، وأظنها الشهادة، وما ان ركب صفي الله لم ينزل من السيارة إلا شهيداً، إنهم يحسون بأعماقهم ويريهم الله عز وجل منازلهم، يريهم، يستنسمون رائحة الجنة.

البراء بن مالك يقول لسعد بن معاذ يوم أحد، واها يا أبا عمرو، الجنة إني لأجد ريحها من دون أحد، واها يا أباعمرو الجنة إني لأجد ريحها من دون أحد.

وقرأت في جهاد الإخوان المسلمين سنة (١٩٤٨م) عن أحد الشباب عندما أطلقت عليه رصاصة، صاح الجنة ورب الكعبة، إني أراها أمامي، ها هي الجنة، إني أراها أمامي، ثم فاضت روحه.

هؤلاء الشهداء صناع التاريخ، بناة الأمم، صانعو المجد، شادة العزة، هؤلاء يبنون للأمم كيانها يخطون للأمة عزتها، جماجمهم صرح العزة، أجسادهم بنيان الكرامة، دماؤهم ماء الحياة لهذا الدين وإلى يوم الدين، هم شهداء يشهدون أن المبادئ أغلى من الحياة وأن القيم أثمن من الأرواح، وأن الشرائع التي يعيش الإنسان لتطبيقها أغلى من الأجساد، وأمم لاتقدم الدماء لا تستحق الحياة، ولن تعيش..

(إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا، والله على كل شيء قدير).

(التوبة:٣٩)

ولا يبني الممالك كالضحايا	*ولايدني الحقوق ولا يحق*
وللحرية الحمراء باب	*بكل يد مضرجة تدق*

وإخواننا الذين استشهدوا في أفغانستان سواء من الأفغانيين أو من العرب، يهزون الأرض تحت الأمة التي تغط في منامها، إنهم يدقون أجراس الخطر في آذان الذين يسدرون في غيهم ويغطون في منامهم ويتعمقون في سباتهم، هؤلاء أحيوا اجيالا بعضها وفد إلينا، هؤلاء أحيوا آلافا بل عشرات الألوف تعيش على ذكراهم وتحاول أن تنسج على منوالهم وتقتفي أثرهم وتتبع خطاهم.

أقرأ إليكم رسالتين: رسالة جاءتني من والد الشهيد أحمد الزهراني ورسالة جاءتني من أم الشهيد أبي حفص الأردني.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته!

ويمضي ركب الأبطال، ويمضي معهم الشهداء تباعا..

(رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)

(الأحزاب: ٢٣)

مضيت يا هشام (أبوحفص إسمه هشام هاني منصور)، مضيت يا هشام، يا أبا حفص، يا فارسا على طريق الخلود، طريقك الذي اخترته بمحض إرادتك لأنك كنت كبيراً في نفسك، كبيراً في طموحك، لترسم مع إخوان لك طريق التحرير، تحرير النفس أولا ثم الأرض، ترفعت عن الإلتصاق بطين الأرض وزخرفها، واخترت العلو في آفاق السماء، الطريق التي رسمها الله لعباده الذين أحبهم وأحبوه

وإذا كانت النفوس كبـاراً تعبت في حملها الأجسام

لقد كنت ترسم طريق التحرير، وأنت لم تتجاوز عامك الثالث من العمر، عندما احتل الصهاينة بيت المقدس وراعك ما سمعت وما رأيت، فكنت تدمرهم وتقضي على جحافلهم وتسقط طائراتهم بخيالك الطفولي البريء لتنتقم من الذين دنسوا المقدسات وانتهكوا الحرمات في الأرض المقدسة التي بارك الله حولها وعندما صرت في سن تمكنك من ذلك وجدت طريقها مسدودا مليئا بالحراس بل حريصين عليها ووجدت بابا للجهاد قد فتح وإن كان بعيدا فيممت شطره لعلك تجد فيه ما يطفئ نار الشوق للتحرير والجهاد فاخترته، فإلى جنات الخلد مع رفاق لك مضوا ورفاق ينتظرون وندعو الله لهم بالنصر، ليفوزوا بإحدى الحسنيين، التي وعدهم الله بها.

والدتك أم هيثم

وأما الرسالة الأخرى فهي رسالة من والد الشهيد أحمد بن يحيى الزهراني

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى أخي في الله الشيخ المجاهد عبد الله بن عزام!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلتني كلماتك الطيبة التي نعيت إليّ فيها ابني أحمد رحمه الله، وهنأتني فيها باستشهاده، فالحمد لله وإنا لله وإنا إليه راجعون وجزاك الله عني وعن المسلمين خيرا وبارك في جهودك الطيبة التي تسعى فيها إلى انتشال الأمة من وهدتها و إيقاظها من رقدتها.

أخي في الله: أنا ضابط قديم شاركت في حروب العرب ضد اليهود منذ ثمان وأربعين ومع ما كان في بعض تلك الحروب من أمثلة بطولة لكنها لا تعدو أن تكون حالات فردية قليلة، أما هذا الجهاد المبارك فإنه بالنسبة إلى تلك الحروب جملة كالعملة الصحيحة والمزيفة، فالهدف هنا واضح والراية واضحة، لا أحتاج هنا إلى مزيد، إلى مزيد تفصيل فلعلك عايشت في بعض فترات حياتك بعض تلك الحروب، إن الله عز وجل قدر أن يكون هذا الجهاد كالغيث الطيب في زمن أسنت فيه المشارب فتلقفته أفئدة آمنت بالله ربا ورضيت به سبحانه ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا وبالجهاد طريقا وبالقرآن منهاج حياة، فهنيئا لكل من وفق للجهاد في سبيل الله فإنها والله التجارة الرابحة وهي عز الدنيا و كرامة الآخرة وهي التخفف من جذب الطين وثقلة اللحم وهي الطمأنينة والثقة وذروة سنام الإسلام.

قال الله تعالى: (إنه من يتق ويصبر فإن الله لايضيع أجر المحسنين) (يوسف: ٩٠)

فأوصيك يا أخي ونفسي بتقوى الله والصبر. والسلام عليك....

أخوك عبد الله بن يحيى الزهراني

الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) (الحج: ٤٠-٤١)

ونحن اليوم مع شعب جسد الآيات حركات، وحول الكلمات إلى أخلاق وقيم في عالم الواقع ولكنهم دفعوا الضريبة غالية: ومن يخطب الحسناء لا يغله المهر.

والعز في صهوات الخيل مركبـــه والمجد ينتجه الإسراء والسهـــــر

شعب حقق في عالم الواقع أساطير سارت بها الركبان في الآفاق يحسبها المرء ضربا من الخيال، تدركها الأشواق وتقصر دونها الأفعال..

قعد الناس كلهم عن مساعيـــــك وقامت بهـــا القنا والنصـــــــول

ليس مـــن عنده تدور المنايــــــا كالذي عنـــده تـــدق الطبـــول

فما هي قصة أفغانستان؟ قصة شعب صمم أن يموت فأحياه الله ودفع الضرائب غالية فأعزه الله، وانطلق من بين آيات:

(إنفروا خفافا وثقالا) (التوبة: ٤١)

نسمع الهاتف يقول له:

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) (العنكبوت: ٦٩)

قصة شعب آمن أن الله أقوى من الأرض جميعا، ففتح الله عليه، وتوحيد الألوهية عنده قد تعدى توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية ومن توحيد الأسماء والصفات إلى توحيد الألوهية توحيد العبودية أي تحويل الإيمان النظري والتوحيد النظري في القلب والعقل إلى واقع حياتي يُدفع ثمنه نجيعا وأشلاء وجماجم وشهداء، بدأ الشعب الأفغاني يواجه روسيا بالحجارة والعصي وعندما بدأوا يقاومون روسيا سمعت بعض المراقبين في المنطقة يقول: إن مواجهة الشعب الأفغاني لروسيا يعتبر ضربا من الإنتحار، وهو في تقدير البشر وفي العمليات المادية وفي أرقام الكمبيوتر فعلا ضرب من الإنتحار، ولكنه سهل وهين أمام الواحد القهار.. بدأ مسيرته، بدأوا معاركهم كما قال لي قادتهم سياف وحكمتيار وغيرهم قالوا: والله بدأنا المعارك بالهجوم على معسكرات الدولة بفئات ليس معها إلا مسدس وقنبلتين، وسار الركب ترعاه عين رب العالمين،نعم، الضرائب فادحة، والأثمان باهظة، دفعوا كل غال ورخيص ولكن النفيس لا ينال إلا بهذا الطريق.

أحداث مابعد ١٩٨٧م:

يا أيها الإخوة: الوقت قصير -الذي حدد لي- ولكن لا أستطيع أن أفصل لكم في مسيرة هذا الشعب، الشعب الذي أعتز بربه وآمن به وحول هذا الإيمان إلى واقع حياتي ،أنا لن أرجع بكم إلى أيام بريجنيف يوم أن دخلت روسيا في (٢٧) ديسمبر (١٩٧٩م)، ولا إلى أيام تراقي يوم أن قام بثورته الشيوعية في (٢٧) إبريل (١٩٧٨م) لأن القصة لا تملها القلوب، قصة معجزات قد تحققت على يد هذا الإنسان الفاني القصير العمر بقدرة رب العالمين، سأنتقل بكم رأسا إلى هذا العام عام (١٩٨٧م)،غورباتشوف عندما جاء واستلم الحكم بعد ثلاثة قد ماتوا قبله بالجلطة الأفغانية، بريجنيف واندروبوف وتشيرننكو ثم جاء هذا الرجل غورباتشوف، عندما جاء قال: سأنهي مهزلة أفغانستان، وكل واحد منهم عندما يأتي يقول: سأنهي مهزلة أفغانستان، (١٩٨٥م) قال: سأغلق الحدود، سأحرق المزارع، سأهجر هذا الشعب تهجيرا جماعيا، سأشغل أموالا طائلة لبث الفرقة بين المجاهدين عن طريق الجاسوسية، نفذها جميعا إلا واحدة، قال سأغلق المنافذ إلى أفغانستان، طريق المجاهدين وحاول وألقى بثقله؛ بأساطيله البرية والجوية في شعبان ورمضان سنة (١٤٠٥هـ) شهدت المعارك التي هدد فيها غورباتشوف ولكن الله عز وجل رد كيده في نحره، منذ (١٤٠٥هـ) حتى الآن غورباتشوف يحاول أن يسد منفذاً واحداً من الحدود ولكنه فشل.

والله يا أيها الإخوة: إن القذائف التي تلقيها الطائرات تكاد تشيب منها النواصي، نواصي الولدان، الطائرات توبليف (٢٢) سوخوي (٢٥) القنبلة التي تلقيها طنا كامل، والله لقد رأيت بعيني هاتين الماء يخرج من الأرض على إثر القذائف، والأخ وائل رأى مثل هذا، عندما تبدأ المعركة الجبال تهتز من تحت أقدامنا، عندهم الآن راجمات صواريخ (٤١ و٦١ B.M)، (٦١ B.M) بضغطة هكذا بأصبع تطلق واحداً وستين صاروخاً دفعة واحدة، صاروخ أرض أرض كلها تنزل في مكان واحد فماذا تتصورون؟ والله أنا ما فهمت آيات الأحزاب:

(وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا)

(الأحزاب: ١٠-١١)

إلا عندما شهدت بعض هذه المعارك، وكان كما قال أحدهم في أيام الأحزاب كان أحدنا لا يستطيع أن يخرج يقضي حاجته، وكذلك نحن، ما كان أحد يستطيع أن يغادر خندقه يقضي حاجته، لأن مغادرته للخندق تعني أنها قد تكون آخر ثانية في حياته، وكان أكثر ما يعز علينا أن نلقى الله ونحن نقضي حاجتنا، الجو يرمي حمما، الأرض براكين تتفجر قذائف ونيرانا والقوم صابرون، تميد الجبال ولا يميدون، وتهتز الرواسي ولا يهتزون وهم يدعون:

إن الألى قد بغـوا علينـا	*إذا أرادوا فتنــة أبينـا*
فأنزلن سكينـة علينـا	*وثبت الأقدام إن لاقينـا*

هذا العام جاء تاجر من تجار القمح والبترول من رجالات ستالين إسمه همر مرضي عنه ومعه الجنسية الأمريكية مرضي عنه لدى الغرب ولدى روسيا واجتمع بالمجاهدين وقال لهم إن غورباتشوف جاد في الخروج من أفغانستان لمشاكل داخلية وخارجية ونحن نعرف المشاكل الداخلية التي يعاني منها الإتحاد السوفياتي لأن الشعب الأفغاني سرطان يأكل في جسد الإتحاد السوفياتي، وكلما طال الزمن كما قال ميتران: سيؤكل هذا الجسد ولذلك قال شاليزي أحد الصحفيين الغربيين الذي كان يصنع فلماً عن الجهاد الأفغاني ستكون أفغانستان الخطوة الأولى في سقوط الإتحاد السوفياتي، نحن نعلم هذا وندرك هذا من خلال تنازلات روسيا يوماً بعد يوم، عندما جاء غورباتشوف كان رافضاً رفضاً قاطعاً أن يجلس مع باكستان، العملاق العظيم يجلس مع دولة من العالم الثالث؟؟ بعد سنة نزل درجة، قال أجلس مع باكستان، السنة هذه نزل درجة قال أجلس مع المجاهدين، هو أعلن لن نستطيع أن نحمي كياناً غير قائم بذاته طويلا، دولة لا تستيطع أن تقوم بذاتها يعني دولته الشيوعية في أفغانستان، لا نستطيع أن نحميها طويلاً، بدأت الصحف في داخل الإتحاد السوفياتي تتكلم سُمح لها أن تتكلم عن التدخل في أفغانستان، متى هذا كان في الإتحاد السوفياتي؟ من كان يستطيع أن يتنفس نفسا في داخل الإتحاد السوفياتي؟ قال همر: إلا أن غورباتشوف يريد منكم بعض التنازلات ليحفظ ماء وجهه أمام جيشه وأمام شعبه، ماذا تريدون؟ قالوا: نريد طرفا ثالثا يشرف على الإنسحاب وأن تعطونا جدولا زمنيا أقل من سبعة أشهر حتى تنسحب هذه القوات قال له أحد القادة، وقال للمندوب الغربي قال: بأي دين وأي منطق وأي عقل وأي قانون وأي عرف دولي أو محلي، شعب مجاهد بذل دمه ونفسه من أجل أن ينال حريته، من أجل أن يتحاكم إلى القانون الذي يريد، من أجل أن يبني المجتمع الذي يشاء بإذن ربه، أنتم تريدون أن تسرقوا بهذه الكلمات المنمقة ثمرة دماء مليون ومئتي ألف شهيد، عندنا طرفان الطرف الأول المجاهدون والطرف الثاني روسيا، وليس هنالك طرف ثالث، المجاهدون هم الذي يشرفون، روسيا دخلت في (٢٤) ساعة نعطيها ثمان وأربعين ساعة تخرج، طرف ثالث رجل علماني يعيش هانيء البال وادع النفس فوق الفرش الحريرية يتقلب بين اللذات والشهوات بعد هذه الدماء التي بذلت من المجاهدين تحضرونه من الغرب أو من الشرق لأنه من مواليد أفغانستان أصلا تسلمونه هذا الشعب ودينه وأعراضه، هذا لا يمكن أبدا.

عرض غورباتشوف الأمر على الجنرالات قال: ما رأيكم؟ قالوا: إن أخرجتنا بهذه الطريقة المهينة الذليلة لن نبقى في يدك تلك العصى السحرية التي تهزها في وجه الأحلاف الغربية وفي وجه العالم، أعطنا فرصة، في بداية هذا الصيف كان هذا الكلام، أعطنا فرصة أربعة أو خمسة أشهر للخريف، نحن سننهي لك مهزلة أفغانستان، قال: خذوا ما شئتم من قوة واستلموا ما شئتم من صلاحيات وأنهوني من هذه القضية، وشنوا هجوما كاسحا في رمضان في أواخر رمضان على قندهار، ننجرهار، بكتيا، حتى يسدوا منافذ الحدود التي يدخل منها المجاهدون ويظن بعض الناس عندما أقول يدخل منها المجاهدون، المجاهدون يقبضون بيد إيمانية قوية على ٨٥٪ على الأقل من أراضي أفغانستان، يحكمونها، وإن كنتم في شك مما أقول فليأت من كان في قلبه ريب أو شك في هذه القضية لآخذ بيده وأسير معه من حدود باكستان جنوبا إلى نهر جيحون شمالا، أخترق به أفغانستان نذرعها معاً سبعمائة كيلومتر إن لقينا معترض في الطريق فليراجعني.

يا أيها الإخوة: أمتعة المجاهدين، أسلحتهم، تنقل على البغال والحمير من حدود باكستان حتى تصل إلى نهر جيحون وفي كل يوم في الصيف يدخل ما لا يقل عن عشرين أو ثلاثين قافلة يوميا، والقافلة قد تصل إلى ثلاثمائة جمل وحصان محملة بكل ما يمر بالذهن من أمتعة وغذاء ومعها المجاهدون تخترق أفغانستان من الجنوب إلى الشمال وتصل بأمن وسلام، فأين الدولة الشيوعية، وأين روسيا؟.

المهم قرر الجنرالات إغلاق المنافذ الحدودية في بكتيا، ننجرهار، قندهار، وكنت أحد شهود معركة بكتيا، بدأت المعركة في (٢٦) رمضان يوم يذكرنا بيوم الحشر الأكبر، أهواله، الحرب، يقول بعض الناس وهم يتسلون، وهم يشربون الشاي ويضعون رجلا على رجل

بعضهم يقولون: روسيا لو أرادت أن تنهي القضية في يوم أو يومين أو في أسبوع أو أسبوعين..؟!، لم تدع روسيا أي وسيلة من الوسائل التي أنتجها الفكر البشري من وسائل الإبادة والتدمير إلا استعملتها في أفغانستان، عدا القنبلة الذرية كل ما دونها من أسلحة استعملتها.

في (٢٦) رمضان بدأت المعركة، كان مع روسيا ثلاث فرق، وأنتم تعلمون الفرقة ثلاث ألوية، واللواء ثلاثة كتائب، ومعهم خمس كتائب خاصة روسية، ومن بينها كتيبة صاعقة تعتز بها روسيا اسمها (سبت ناز)، هذه تعتز بها كما تعتز أمريكا بالمرينز وغيره، وتقدموا.. الدبابات، الطائرات – والله يا إخوة – لو تكلمت مع أخيك لا يستطيع أن يجيبك، لو قلت له كيف حالك لا يستطيع أن يجيبك لأن القذيفة تفصل بين الكلمات، نعم (٢٦) راجمة صواريخ (B.M ٤١) يعني تطلق واحداً وأربعين صاروخ دفعة واحدة كل راجمة، مدافع الميدان الهاون، الصواريخ، الطائرات التي تغير في الليل، في النهار، كله استعملته وبعض الناس يقول لك هي روسيا تستعمل الأسلحة القديمة الفاسدة التي تريد أن ترميها، فهي تجربها في أفغانستان، القذائف التي كانت تستعملها سنة ١٩٨٥ مكتوب عليها ١٩٨٥، مخزون الأسلحة القديم قد انتهى، صناعات حديثة، تصنع قذائف وتلقي بها عبر الجسور وليس بينهم إلا نهر جيحون، الدبابات تحملها وتدخل إلى داخل أفغانستان وطريق الهاي وي واصل بين كابل وبين طشقند.

معركة المأسدة:

كان هنالك موقع فيه أربعة وعشرون عربياً اسمه مأسدة الأنصار نحن سميناه مأسدة الأنصار، كنا نردد مع حسان:

من سره ضرباً يمعمع بعضه بعضا	*كمعمعة الإباء المحرق*
فليأت مأسدة تسن سيوفها	*بين المزاد وبين جذع الخندق*

فأخذنا من شعر حسان إسم المأسدة أي مكان الأسود وأطلقناه على ذلك المكان، تقدمت الصاعقة، الروس مستهترين يحمل كل واحد منهم حقيبة الإقامة الدائمة على كتفه وزنها ستون كيلو جرام كأنما يحمل كأس الماء بيده، وهو يتسلق الجبال..(جسم البغال وأحلام العصافير) عُتُل الواحد منهم، ضخم الجثة، تقدموا مستهترين بمن أمامهم، هؤلاء لقطاء؛ تمسكهم روسيا وهم صغار يربونهم على حب الذبح والدم والنار، ولا تطيب نفسه إلا إذا رأى الدماء أمامه، لا يعرفون إنسانية، ممزقون ليس لهم أب ولا أم، لا يعرفون الرحمة ولا إنسانية ولا شفقة، تقدموا مستهترين كما قلت لكم أسلحتهم فوق أكتافهم، في المأسدة كان (٢٤) شاباً عربياً تصدى لهم في البداية سبعة من الشباب العرب، وهزموهم، هزموهم بإذن ربهم، وأعادوا الكرة هجوما ثانيا، وفي هذه المرة وكان الأخ وائل حاضراً في هذه المعركة ويكابد أهوالها، في هذه المرة (٧) من الشباب العرب عملوا صاعقة على الصاعقة، والتفاف، هؤلاء الشباب أين تدربوا؟ أين كلياتهم التي تخرجوا منها؟ أين الأكاديميات العسكرية التي دخلوها؟ فقط جاءوا بقلوب مؤمنة ونفوس متشوقة للجنة والشهادة.

التفاف، وواحد من هذا البلد شاب عمره عشرون عاما، وبصلية واحدة يقتل ستة من هؤلاء، ستة، وهجم الشباب يأخذون غنائم الصاعقة الروسية وتهزم للمرة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة، وعندما كسرت شوكة روسيا لم تعد تستطيع أن تتقدم نحو هذا المكان ولا إلى أي مكان آخر، وبدأت الطائرات والقذائف والصواريخ وما إلى ذلك واستمر هول هذه الأيام إلى السابع عشر من شوال كنا نعيشها لحظة لحظة، ساعة ساعة، وفي السابع عشر من شوال اضطرت روسيا أن تنسحب مهزومة ذليلة، خاسرة كليلة تحدث لأجيالها أن مواجهة رجال الإيمان لا يمكن في ميدان النزال ولا في ساح القتال.

وتأتي الأقمار الصناعية الأمريكية وترسل إلى السفير الأمريكي في إسلام آباد بالصور والحقائق والأرقام، ويعلن السفير الأمريكي في إسلام آباد نتائج هذه المعركة التي اشتركت فيها ثلاث فرق شيوعية من أفغانستان مع خمس كتائب روسية خاصة، يعلن النتائج، هذا أقل النتائج بالحقائق والأرقام والصور إنزال تسع طائرات، تدمير مائة واثنين وعشرين آلية ودبابة، مقتل ألف وخمس مائة، الجرحى لا يعدون، ويكفي أن نأخذ فكرة عن عدد الجرحى انه في يوم واحد وصل إلى مستشفى في كابل (١٧٠) من هؤلاء الذين إن شاء الله إلى جهنم وبئس المصير.

انهزمت روسيا في هذه المعركة، بعد أن قتل الجنرال الذي كان يقود المعركة.

حملة قندهار:

وننتقل إلى قندهار، كانت الحملة كذلك شديدة جداً على المجاهدين، وألقت الطائرات بقنابل الغاز، وتقدم الجيش الشيوعي الأفغاني ظانين أن المجاهدين قد ماتوا أو خدروا من قنابل الغاز التي ألقيت من الطائرات، طائرة تقف تحتها تضرب بمضاد الطائرات

-الزكويك أو الدوشكا- كأنك تضرب ماء ينزلق عن حافة صخرة ملساء، ضد الرصاص، طائرات.. الرصاص ينزلق عنها ولا يؤثر فيها، ألقت القذائف، تقدم الجيش الأفغاني على أساس أن يأخذ المجاهدين أسرى لأنهم خدروا أو ماتوا، والله عز وجل وفي نفس الوقت الذي أنزلت فيه الطائرات الغازات السامة والشيء الوحيد الذي يمكن أن يزيل آثار الغاز المطر ليمسح آثاره، نزل المطر مسح آثار الغاز، لم يؤثر في المجاهدين تقدموا ظانين أنهم سيمسكون المجاهدين أحياء، فانقضوا عليهم وأسروا دفعة واحدة ألفين وست مائة من الجيش الشيوعي، ورأساً خلعوا ألبستهم، -المجاهدون يلبسون لباساً مثل هذا اللباس الذي ألبسه وأعتز به، هذه الألبسة خلعوها- ولبسوا لباس الجيش الأفغاني، حلقوا لحاهم، ولبسوا قلنسوات الجيش الأفغاني، وتقدموا نحو الكتائب الروسية، لأن الكتائب الروسية عادة تكون وراء لأنه دم عزيز لا بد أن يراق أمامه الدم الذليل على مذابح شهوات الجيش الأحمر، تقدموا إلى الجيش الروسي، والجيش الروسي يظنون أن هذا الجيش القادم إليهم جيشهم، الجيش الذي طهر قواعد المجاهدين وعاد غانماً فاتحاً، فدخلوا عليهم وأخذوا يذبحون بهم ويقتلون، فقتلوا منهم (٢٠٠ - ٣٠٠) وهرب البقية بدباباتهم وطائراتهم وغير ذلك.

واستمرت المعركة، في بكتيا، المعركة التي حضرتها كانت إثنين وعشرين يوماً، أما في قندهار استمرت خمسين يوماً وأنتم لا تتصورون معي أهوال الحرب، في بكتيا يوجد جبال يمكن أن يختفي الإنسان وراء الحجارة، وراء الصخور لكن في قندهار أرض صحراوية سهلة، ومواجهة بين المجاهدين وبين الروس، الروس يركبون في دبابات وزنها (٤٦) طن ونصف، والمجاهد يمشي على رجليه، وانهزمت روسيا بعد خمسين يوماً، وجاءت الأرقام بإسقاط اثنتين وعشرين طائرة، وأما أرقام الدبابات والقتلى فليس في ذهني الآن لها حصر.

معركة ننجرهار:

وفي ننجرهار تقدمت روسيا واحتلت قواعد المجاهدين وأنشئت ثمان قواعد جديدة، وأعاد المجاهدون الكرة وافتتحوا الثمان الجديدة وغنموا ما فيها وهرب الباقي، بعدها روسيا والجنرالات فتَّ الله في عضدهم ووهن عزمهم، فبدأوا يحاولون أن يحركوا الشيوعيين في داخل أفغانستان لإقامة تفجيرات في داخل باكستان ثم إثارة الصحف التي تسير في ركب اليسار على أساس أن هذا الإختلال الأمني في داخل باكستان إنما وراءه الأفغان فلابد من إرجاعهم إلى بلادهم ولابد من الضغط عليهم ولابد من إغلاق الحدود أمامهم، ويضعون تنكة من الكاز فيها متفجرات بجانب مدرسة فيقتل عشرون أو ثلاثون من أطفال الباكستانيين، فتقوم الضجة الإعلامية أخرجوا المجاهدين، أعيدوا المهاجرين، أربكوا الأمن في البلد، ولكن الله عز وجل مع هذا، مع أن الضغوط في داخل باكستان شديدة إلا أننا ندعو الله أن يحفظ هذا الرجل زعيم باكستان ،لأننا نظن أن به خيراً، وهو يقول سأبقى مع الجهاد الأفغاني إلى نهاية الطريق ولو بقيت وحدي، فالضغوط الآن شديدة عليه، من اليساريين من الأحزاب العلمانية من القوميين ،ومعظم باكستان تموج بهذه الفتنة ،ولكنه بقي صامداً، ونرجوا الله أن يثبته مع هذا الجهاد، كُثفت الضغوط السياسية ،ابحثوا لنا عن مخرج، روسيا: نحن متفقون معكم أيها الغرب للخروج لكن نريد بديلاً، لا يمكن أن نخرج ونسمح للمسلمين (للمجاهدين) أن يقيموا دولة ومجتمعاً مكاننا لأنهم سيهددون أمتنا في داخل روسيا، وسيؤرقون أجفاننا ويقضون مضاجعنا، والحمد لله بمقارنة عسكرية كل من كان عنده معلومات عسكرية يدرك أن روسيا مهزومة في الميدان، بعض الناس يقولون روسيا أليس بإمكانها أن تضاعف القوات توصلها نصف مليون جندي؟ ليس بإمكانها أن تضاعف القوات إلى نصف مليون جندي ،لأن هذا يعني أن نفقاتها ستتضاعف إلى (٢٥٠) مليون دولار يومياً وهذا رقم لا تطيقه ميزانية روسيا ،وهذا يعني أنهم سيسحبون الإحتياط في وسط آسيا ويزجون به في داخل أفغانستان ،ولا يمكن أن يدعوا حدود الصين وحدود إيران وغيرها دون احتياطي، لا يمكن أن يسحبوا الإحتياطي كله ويزجوا به في داخل أفغانستان، الآن روسيا كل يوم يسقط لها طائرتان، كل يوم يدمر لها (٥ - ١٠) آليات، يُقتل منهم ومن الشيوعيين (٢٠ - ٢٥) ويهرب من الجيش (٢٠ - ٢٥) ويستسلمون للمجاهدين ،هذه أرقام مذهلة، واحد قال لي: في كل كم يوم تحدث معركة؟ قلت له: إعكس السؤال في كل يوم كم معركة تحدث في داخل أفغانستان؟ قلت: أنا أشبه الجهاد الأفغاني دون تشبيه بطوافي الكعبة، كما أن الكعبة بيت الله الحرام لايخلوا من الزائرين المعتمرين والطائفين ليلاً أو نهاراً صيفاً أو شتاءً في أي ساعة،لا يمكن تمر ساعة من ليل أو نهار في أفغانستان كلها دون إطلاق نار ،لا يمكن، سواءً كان على مستوى معركة أفراد قليلين أو على مستوى معركة ضخمة شرسة.

مقارنة في الخسائر:

مقارنة عسكرية بين خسائر روسيا التي خسرتها في داخل أفغانستان وبين قوات دولتها الربيبة الشيوعية.

عندما دخلت، كانت الدولة الشيوعية أيام حفيظ الله أمين عندها متنا طائرة وأحسنها حالا ميغ (١٧) الآن صار ساقط ومستهلك من العمليات ألفان وخمسمائة طائرة، يعني ثلاثة عشر ضعفاً من قواتها، والطائرات التي تسقط ماذا؟ سيخوي (ت ٢١)،أضعاف القوات البرية.

القوات البشرية، كان عدد الجيش الأفغاني الشيوعي ثمانين ألفاً قتل (١٠٠) ألف عبر السنوات من المليشيا ومن الجنود، وهرب (١٠٠) ألف، وقتل من الروس خاصة حوالي (٥٠) ألفا، أي ثلاثة أضعاف القوة البشرية، فروسيا لا مناص لها ولا محالة من أن تبحث عن مخرج ولو فَصلْتُ لكم بعض معاناتها ومراراتها التي تكابدها في الدنيا قبل الآخرة {ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون}.

(فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) (الزمر: ٢٦)

أضرب لكم مثالاً عن شاب عمره أربعة وثلاثون عاماً إسمه أحمد شاه مسعود، هذا الشاب في السنة الثانية من كلية الهندسة في (البوليتكنك) معهد البوليتكنك، خرج من البوليتكنك ودخل في المعركة، منذ أن دخل المعركة ١٩٧٨ حتى الان وهو يخوض غمارها..

أسد دم الأسد الهزبر خضابـــه موت فريص الموت منه ترعـــد

رب العالمين سبحان الله!! فتح عليه، يا إخوان عندنا الآن جنرالات في داخل أفغانستان من هؤلاء المجاهدين، أحد مجاهديه اسمه (بانا) من أركانه، الروس يطلقون عليه جنرال (بانا) هذا بانا بمجموعته التي لا تصل إلى ثلاثين شخصاً قد دمر أكثر من خمسمائة دبابة وآلية، هذا بانا يسميه أحمد شاه مسعود (ديوانه) يعني مجنون من كثرة شجاعته هذا الرجل يركب في السيارات العامة وعلى الطريق العام والذي للروس نقاط عليه، نقاط تفتيش، صورته مع الجنود الروس جنرال (بانا)، راكب مرة في سيارة، فأطل جندي روسي بانا؟! ورجع إلى الخلف والله حدثني شاب عربي قال: أن الجنود الروس قد سقطت الأسلحة من أيديهم من إسم (بانا) رعبا وخوفا، دفعه بيده وقفز من السيارة ليس معه سلاح (بانا)، فتحت عليه رشاشات الجنود الروس احترقت ثيابه ولم يجرح جرحاً واحداً، هذا بانا قرأ الحديث **«من قال حين يصبح بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات حين يصبح وحين يمسي لا يضره شيء»** يؤمن بهذا، يقول لك لا يمكن لا رصاص ولا غيره، لا يؤثر فيّ ما دمت قرأت هذا الحديث -إلا إذا كان موت هكذا يؤمن- لا يضره شيء، وشيء نكرة في سياق النفي ونحن تخصصنا أصول، والنكرة في سياق النفي تعم للعموم، أي لا يضره أي شيء، ولذلك أراد أن يتزوج -هذا بانا- اختار بيتا على بعد (١٥) متراً من الهاي وي من الطريق العام ،هذا الأتوستراد الواصل بين كابل وروسيا، يا بانا الروس الجواسيس كثيرون سيخبرون عنك، قال سأتزوج هنا، هنا، فعلاً تزوج في بيت على بعد (١٥) متراً، الروس علموا، انهالوا عليه من كل حدب وصوب وأحاطوا بالبيت، الصبح معه ستة من المجاهدين ومعه زوجته في الغرفة والمجاهدين في غرفة أخرى، ستة من جنوده، أطل واحد في الصباح قام لصلاة الصبح رجع ،قرع الباب، يا بانا الروس حول البيت من كل مكان، قال بسيطة: **«بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء»** أخرج اثنين ليشقا له طريقاً قتلا على الباب، اثنين آخرين قتلا على الباب إثنين آخرين قتلا، الستة قتلوا، ظل هو أخذ الكلاكوف -الكلاكوف هذا غنائم من الجيش الروسي لأن المجاهدين ليس معهم كلاكوف رشاش فردي- أخذ الكلاكوف وصوب على جهة من جهات الروس وفتح الكلاكوف عليهم واخترقهم ولم يجرح ونجى، الحكومة بحثت عن واحد ساحر قالوا: ما في طريق إلا أن نسحره، قالوا إذهب ولعلك تسحر هذا بانا، بانا نائم وهذا الرجل هو عميل للدولة ومتظاهر أنه مع المجاهدين ،جلس بجانب بانا وبدأ ينفث في العقد، فسمع هاتفاً في المنام يقول يا بانا بجانبك ساحر يريد أن يسحرك قم وقل **«بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء»** هو لا يحفظ إلا نصف الحديث النصف الثاني لا يحفظه، بسم الله الذي لا يضر مع إسمه شيء فأكمل له الهاتف في المنام **«في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»** فقام من المنام وهو يردد الحديث: **«بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم»** ثلاث مرات فجن الساحر الذي أمامه.

كرامات للمجاهدين:

يا إخوة: الله عز وجل نظر إليهم.. ناس ضعاف إلا من إيمانهم، أياديهم عزلاء إلا من سلاح قديم يواجهون أعتى قوى الأرض، مع أن هالة الإتحاد السوفيتي الآن سقطت وأصبح العملاق الكبير قزما، وتمخض الجبل فولد فأرا في داخل أفغانستان ،صدقوا ما رأينا روسيا ذليلة مهينة حقيرة حسيرة مثلها في أفغانستان، ولذلك عندما تقول سوبر بور وقوى عظمى عن روسيا أمام الأفغان يضحك، يضحك الأفغاني، ولذلك أحيانا يقع الإنسان منهم في شدة وكل حياتهم شدة في الثماني سنوات التي خاضها، الله عز وجل يجري على يديه خارقاً للعادة، كرامة يكرمه بها فينجيه منها حتى تثبته على الطريق، هزم الروس، خاض المجاهدون ضدهم معركة أصيب اثنان في

أرجلهم، كسرت أرجلهم، لا يستطيعون أن يتحركوا تقدم الروس ليأخذوهم، لم يروهم، هم على ضفة نهر بنجشير وقاعدتهم قاعدة المجاهدين في الضفة الأخرى، فكيف ينتقلون إلى الضفة الأخرى ؟وكيف يصلون إلى القاعدة البعيدة؟ قالوا نمنا فوجدنا أنفسنا في الصباح في الضفة الأخرى للنهر، الآن كيف يصلون إلى قواعدهم، بدأوا يزحفون على بطونهم ومكثوا (١٥) يوماً يزحفون على بطونهم، وصلوا قاعدتهم لا طعام ولا شراب، لعندما وصلوا فرح إخوانهم كثيرا قالوا حدثونا كيف انتقلتم إلى الضفة الثانية، وكيف وصلتم؟ قالوا: لا ندري كيف انتقلنا إلى الضفة الثانية، كيف وصلتم إلينا ، قالوا: كنا نزحف على بطوننا ، ماذا كنتم تأكلون وتشربون؟ قالوا: كنا ننام فإذا قمنا وجدنا آثار الطعام في أفواهنا.

معركة بيشغور:

المهم أحمد شاه مسعود في هذه السنة بدأ يخطط لقصم ظهر روسيا في الشمال فالله عز وجل جمع على يديه خمس ولايات تأتمر بأمره، فبدأ لا يخوض معارك فردية ولا صغيرة ضدهم، يختار أكبر قاعدة للروس والشيوعيين في المنطقة ويضربها، فإذا فتحها سكتت وخضعت كل المنطقة وخنس الجواسيس في المنطقة، أول ما بدأ في بيشغور، هذا افتتحه في رمضان (١٤٠٥هـ) هجم بمائة مجاهد، فافتتح هذا المركز الكبير الشيوعي، وهو مفتاح وبوابة بنجشير وأسر (٤٠٠) أسر أربعمائة وبقي الأسرى ينقلون ثلاثة أيام الغنائم على أكتافهم إلى قواعد المجاهدين، كان من بين الذين في قاعدة بيشغور جنرال اسمه أحمدي انتحر، نكست الأعلام في كابل عدة أيام عليه، (٨٧) ضابطاً أسرهم أحمد شاه مسعود، وضعهم في مغارة ووضع عليهم حرساً من بينهم اثنين من العرب، والحديث من أخ عربي من إخواننا يحدثني قال: كنا حراساً على المغارة التي فيها هؤلاء الضباط، قامت مظاهرة في كابل تندد بالحكم من زوجاتهم في كابل نحن أزواجنا يأسرهم أحمد شاه مسعود وأنتم تأكلون وتقعدون على الكراسي، إن كنتم رجالا فانقذوا رجالنا ،أرسلوا إلى أحمد شاه مسعود كتابا يرجونه أن يبادلهم بالأسرى، خذ ما شئت، أشترط ما شئت مقابل تسليم (٨٧) ضابطاً، أملى شروطه، قالوا: حدد مكاناً، حدد مكاناً، وساعةً ويوماً، روسيا رأت على نفسها كبيرة، الحكومة الشيوعية هذه لا يهم بابرك كارمل ولا نجيب، نجيب هذا قبل تسعة أشهر أرسل رسالة إلى أحمد بابا، يا أحمد بابا خذ ما شئت وخفف ضرباتك علينا من دخول سالانج، رئيس الدولة يخاطب هذا الشاب الذي كان يبيع بندوره وباذنجان ولكنه جنرال بهذا الجهاد الإسلامي، خذ ما شئت يا بابا واتركنا من رئيس الدولة نجيب، روسيا رأت على نفسها كبيرة كيف تخضع لأحمد شاه، مع أنها خضعت من قبل، وأرسلت له الدولة وزراءها الشيوعيين ليعقد هدنة مع الحكومة لمدة ستة أشهر، قال: أنتم كلاب أرسلوا سادتكم، فجاء الجنرالات الروس خاضعين، وعقدوا قبل أربع سنوات المعاهدة لمدة ستة أشهر بعدم الضرب بينهم حتى يستعيد قوته، وفي نفس الساعة التي فيها يتم تبادل الأسرى وإذا بالطائرات تخرج من روسيا وتحط في مكني الذي هو الوادي الذي فيه تبادل الأسرى، وأحمد شاه ينتظر مقدم الأسرى المجاهدين الذين مع الدولة، وإذا بالرشاشات الروسية تفتح عليه من الجبال ،كان أول أمر أمره قال: اقتلوا الضباط، قال: أبو بكر وأبو عاصم- أبو عاصم قارىء للقرآن ربى حوالي (٣٠) قائداً لأحمد شاه مسعود، شاب طيب عربي لا زالوا يفخرون به- قال: قتلنا (٨٧) ضابطاً أول شيء، دارت المعركة وانتهت، وقتل من الروس عدد كبير ،والله حدثني الأستاذ رباني قائد الجمعية الإسلامية قال: إن وادي مكني مكث أسابيع رائحته منتنة من جثث الروس ولم يقتل مجاهد واحد.

جنرال أمريكي قطع لأحمد شاه مسعود جبال نورستان هذه جبال نورستان سبعة جبال الإنسان يموت، يموت وهو يخترقها، على طول الطريق، البغال والحمير ميتة من شدة الإرهاق ،في رؤوس الجبال الإنسان يغمى عليه، أكسجين قليل وفي قمم يتسلق و(٧) جبال يقطعها، قطعها الجنرال الأمريكي وصل إلى أحمد شاه مسعود، قال له: هل تسمح أن تعطيني الخطة التي افتتحت بها بيشغور، أعطاه إياها ورجع الأمريكي ،بات عنده ليلة واحدة ورجع إلى أمريكا، يطور الأمريكان معلوماتهم العسكرية بخطط أحمد شاه مسعود الآن، أين تعلم هذا الشاب؟

فتوحات أخرى:

هذا العام أولاً فتح أندراب التي استشهد فيها -هي في العام الماضي- أبو عاصم، قاري أبو عاصم، ثم فتح فرخار، قواعد كبرى، ثم فتح فرقة نهرين التي استشهد فيها أبو دجانة وعبدالجبار من العرب، عندما فتح فرقة نهرين مكث ثلاثة أيام وذلك قال لخلل تأخرنا في فتحها، والذين يفتحونها كم؟ مائة مائتين يفتحون فرقة، أرسل لهم نجيب أثبتوا اثبتوا أمام أحمد شاه، وأنا أرسل لكم قوة، قالوا لا نستطيع، أرسل قوة ما استطاعوا أن يثبتوا، قبل شهرين افتتح مركزاً كبيراً تحميه تسعة مراكز صغرى في خمس وأربعين

دقيقة اسمه كلفغان، قبل اسبوعين بالضبط في (٢٨) اكتوبر افتتح مركزاً كبيراً على الطريق العام اسمه كران ومنجان غنم فيه غنائم كثيرة: (٣٥٠) كلاشنكوف، (٦) هاون صغير، (٢) هاون وسط، (٢) هاون كبير، (٣) دشكا، مليون طلقة من طلقات الرشاشات، ثلاثة آلاف قذيفة بين صواريخ وبين قذائف ثقيلة، مواد غذائية كثيرة، والمواد الغذائية عندهم أهم من الرصاص، ثم واصل وأسر (٢٦٦)، وافتتح منغولي وأسر (٣٠٠) وواصل إلى توبخانة وكم كانت البشرى أن جاءنا تليفون في هذه الليلة أن أحمد شاه افتتح توبخانه وأسر (٦٠٠) روسي ليس شيوعي؟ هذه كم كنت أحلم بفتحها ليلاً أو نهاراً وكلما التقيت بالمجاهدين أقول لهم يا جماعة حاولوا أن تفتتحوا توبخانه لأن الطريق الآن بدل أسبوعين في رؤوس سبعة جبال الآن يومان في سهل، الآن تصل من چترال الباكستانية إلى بدخشان الافغانية في يومين، جاءت البشرى وما أعظم الفرحة التي غمرت نفوسنا بفتحها وكان فتحا عظيما من الله، ولذلك الآن الروس، الشيوعيون الأفغان يقولون نحن لا نقاوم أحمد شاه لأنه مهما قاومناه سيفتح المركز، فإذا قاومناه سيقتلنا، فنحن لا نقاتله حتى إذا أمسكنا يمكن أن يعفو عنا، مركز كبير في بنجشير قبل شهر أحمد شاه أشاع سأدخل بنجشير وأنهي روسيا أو تنهيني، إما أن أنهي روسيا في داخل بنجشير أو يذهب بنجشير نهائيا إلى الروس، بمجرد أن بدأ يطلق عليهم قذائف ثقيلة وإذا بالروس يلمون أسلحتهم ويهربون ولم يخسروا مجاهداً واحداً في المعركة، الآن تغير مجرى المعركة لصالح المجاهدين إن شاء الله، ونرجو الله أن يتم بالنصر العاجل القريب.

وقبل أن ننهي أنا أحدثكم كرامة عن الشيخ وائل جليدان نفسه، وائل جزاه الله خيرا مدير الهلال الأحمر في بيشاور، وفي كويته يعني مسؤول عن الهلال في باكستان كلها، فيقوم بدور كبير الحمد لله ونرجو الله عز وجل أن يكون في ميزانه، ولو لم يكن موجوداً لتكلمنا أكثر من هذا، وائل إذا سمع أن هناك أي معركة على الحدود يملأ سيارة الهلال بالأدوية، بالأحذية وبالطعام وما إلى ذلك، ثم يذهب بالسيارة ويدخل في المعركة، معركة كان فيها الشيخ جلال الدين حقاني، طائرة أنزلت قذيفة هواءها أطار الشيخ جلال الدين حقاني في الهواء، (هواء القذيفة) ونزل الشيخ جلال الدين على القذيفة وبدأت النار تأكل جسده، ما استطاع أن يتحرك، تقدم ضابطان وجرا الشيخ جلال الدين برجليه – من ضباط الشيخ جلال الدين – قذيفة ثانية نزلت قتلت ضابطاً وجرحت آخر وائل هو وخمسة واقفون بجانب الشيخ جلال الدين أووا إلى مغارة، الطائرة ضربتها هدمت الجبل عليهما، ما زال الهدم ينزل وهم يتراجعون حتى التصقت ظهورهم بحائط المغارة، وبدأوا يعدون الدقائق حتى يلفظوا أنفاسهم وهم يرددون:

(لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين) (الأنبياء: ٨٧)

آخر قذيفة في ذلك اليوم من آخر طائرة عند المغرب نزلت وفتحت لهم المغارة وخرجوا، أيضا في كابل قالوا هذا مدير الهلال الأحمر السعودي يتعبنا في بيشاور، مساعدات وقوافل وما إلى ذلك، وأدوية في كل أفغانستان، أدوية من أين؟ من وائل جليدان ماذا يشتغل؟مدير الهلال إجتمعوا قرروا قتله في بيشاور، أرسلوا له فئة لقتله في بيشاور، المتخصص لقتله جاء عن طريق أحد الأحزاب على أساس ماذا؟ على أساس أنه مجاهد أو تخلل قال لهم: أريد أن أرى مدير الهلال الأحمر السعودي، هم الذي تعاملوا معه عرفوا أن هذا عميل لكابل، فقالوا له نحن مثلك رفقاء شيوعيون على الطريق وما إلى ذلك فبدأوا حتى يأخذوا ما عنده قال: أريد أن أقتل مدير الهلال، أنا جئت من أجل قتل مدير الهلال، قالوا له: سهل تحب أن ترى مدير الهلال تفضل نذهب إلى مكتب الهلال، هو ما صدق عندما جلس أمام أبو الحسن أنه يرى مدير الهلال بهذه السهولة، وبدأوا يأخذون منه معلومات ويحدثون وائل أولاً بأول ثم بعد أن عرفوا فعلا أنه شيوعي يلحد بالله عز وجل قالوا له، جاءوا لوائل قالوا: نحن قررنا قتل هذا الذي جاء لقتلك، تحب أن تحضر قتله، المهم جاءوا بهذا الشيوعي وقالوا له نحن قررنا قتلك، لأنك شيوعي لا تؤمن بالله ونحن مؤمنون مجاهدون وكل ما أعطيناك إنما كان من أجل استدراجك، وضعوا الحبل في عنقه، والله حدثني هذا الرجل المجاهد –هاشمي– فقال: قلنا له: إشهد أن لا إله إلا الله نطلقك، قال: لا يمكن.. لا يمكن، إنني عشت من أجل محاربتها، قال: شددنا الحبل على عنقه، فنزل الدم من فمه وعينه وأنفه، ثم أرخينا الحبل، فاستيقظ قلنا له قل أشهد أن لا إله إلا الله ونحن نفلتك، قال: لا يمكن، قال: وعندها شددنا الحبل عليه وأخرجنا روحه إلى جهنم وبئس المصير.

يا أيها الإخوة: كما قال الأخ وائل لا تنسوا إخوانكم هناك ولا تنسوا أن رغيف الخبز يعوزهم، نعم، وكل شيء تقدمونه إنما هو كبير عندهم، يا إخوة: الآن الدولة تستأجر بعض الناس لقتل قادة قريبين من أحمد شاه يعني ظاهرين بارزين مضى عليهم سنوات وهم يزلزلون الأرض تحت روسيا، ويدخلون في داخل المجاهدين ويقتلونه وتعطيهم الدولة جائزة كبرى ألفين ريال بعد أن يقتل قائدا قد زلزل الأرض تحت أقدام روسيا، وما ذلك إلا للحاجة تشتري بها ضمائر الناس، فالحقيقة الشيء القليل كثير هناك، وأي شيء تقتطعه عن نفسك إنما يكون في ميزانك يوم القيامة، إن شاء الله، وأنا قلت ذات مرة في هذا البلد في محاضرة في منى في الحج، قلت: نحن نقترح يوم نسميه يوم البيبسي الأفغاني، لو كل خميس كل أربعاء واحد يصوم هو وعائلته عن البيبسي، يس، في البلد سبعة مليون يشرب على الأقل كل واحد علبة في اليوم بسبعة مليون علبه، سبع مليون ريال معنى ذلك لو صمنا يوماً عن البيبسي نوفر كل اسبوع

سبعة مليون ريال للمجاهدين الأفغان، في الشهر ثمانية وعشرين مليون ريال بس يوم واحد ما نشرب بيبسي، فلو انتبهنا، قليل، القليل كثير، كثير عند هؤلاء وكثير في ميزان الله عز وجل.

يا إخوة: الخبز هم يحتاجون في الداخل إلى حوالي عشرة ملايين ريال خبز شهريا، عشرة ملايين ريال خبز شهريا فهل نوفر هذا للمجاهدين؟ نرجوا الله أن يعيننا على أنفسنا، ونرجوا الله عز وجل أن ييسر لنا باب الجهاد والإستشهاد ولا يسعني ختاماً كذلك إلا أن أقول جزى الله الأخ ظافر عنا خير الجزاء لأنه مكننا من رؤية هذه الوجوه، وجزى الله الأخوة الذين أعدوا وحضّروا وحضروا في هذا اللقاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نفحات من الجهـــاد

- إفرض أن الجهاد فرض كفاية أليس التحريض فرض عين؟ أليست مساعدة المسلمين فرض عين؟ لقد افتى الفقهاء على أن الأعمى لايسقط عنه الإثم إذا كان يستطيع أن يقف فيكثر سواد المسلمين، ثم يخلص شيخنا[1] على أن مقاومة البدع أهم من مقاومة الكفار، ثم يقول الواجب غير الفرض!! ولا أدري من أين جاء بهذه النتيجة أن الواجب غير الفرض؟! ما فرق أحد بين الواجب والفرض في الامور كلها سوى الحج، إلا الحنفية جعلوا الفرض أعلى منزلة من الواجب، وما سوى ذلك الفرض والواجب سواء، ثم يخلط شيئا بشيء، أول ما يبدأ يقول أنا والله رغم أني ما قرأت الكتاب يالله!! إتركونا نرد عليه، كيف ترد على كتاب لم تقرأه؟! هكذا من أول ما بدأ قال: بالرغم أني لم أقرأ الكتاب أنا سمعته، فتح الصفحة قال: بالرغم أني لم أقرأ الكتاب - يا الله خلونا نرد عليه- وأخيراً يقول شيخنا أو أخونا الحبيب وأنا أظن فيه خيراً، أنا أتكلم هل يجوز الجهاد مع أناس ليسوا على مستوى من التربية؟ هذه لفتة حسنة، وهل يجوز قبول مساعدة المشركين؟ هل يجوز الاستعانة بالمشركين؟ هذه قضية أخرى فخلط بينها، ظن أنهما عنوان واحد - لأنه فعلاً ما قرأ فخلط بين مسألتين، الجهاد مع أناس تربيتهم ليست على مستوى إسلامي مقبول مع قضية أخرى منفصلة تماما، هل يجوزالاستعانة بالمشركين؟ ويقول ابن تيمية لايقول بهذا، وعنوان الكتاب كله أخذته من كتاب ابن تيمية «والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الايمان من دفعه» أولا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم بعد ذلك الجهاد، والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الايمان من دفعه، بل إبن تيمية يذهب إلى أكثر من هذا يقول: فإذا دخل الكفار العقرة فقد وجب الخروج، سواء للراكب أو الماشي، سواء للقادر أو لغير القادر، للذي يقدر على النفقة أو لايقدر، يعني إبن تيمية يوجب على المصري أن يأتي ماشيا من مصر ليجاهد في أفغانستان.

ثم ينشر الشريط ويسر الذين لا يحبون الجهاد بهذا، والناس الذين لايروق لهم أن يأتي.

الشباب يتعلمون الرجولة ويتعلمون العزة يطبقون فروضا كثيرة، فرض الهجرة وفرض المساعدة وفرض الرباط وفرض الاعداد وفرض القتال، هذه الفروض الكثيرة كلها برأينا، بالرأي البشري محصلة كل هذه النصوص، بعد أن سمعت الشريط عدت إلى الكتاب وقرأته مرة أخرى فقلت: كل من في قلبه إنصاف لايستطيع أن يتفلت من هذه النصوص التي جمعتها من هذا الكتاب، كل منصف لا يسعه إلا أن يسلّم بما جاء في هذا الكتاب، وليت شعري كما قلت: لو أن هذا الشيخ جاء وزار أرض الجهاد وبعد أن رجع أخرج الفتوى لأعذره الناس باجتهاده.

والجهاد ليس فرض عين فقط في أفغانستان كما قلت بل فرض عين في كل البلدان التي كانت في يوم من الأيام دارا للإسلام ثم استولى عليها الكفار، وليس الجهاد فرضاً في هذا العام وفي العام الثاني راحة، الجهاد فرض طول العمر كما أن الصلاة لا تسقط على الانسان إلا إذا مات، والصيام لايسقط عن الانسان إلا إذا مات ولا يجوز لقائل أن يقول أنا صمت هذا العام وفي العام القادم أنا أستريح، كذلك فلا يجوز للانسان أن يقول أنا جاهدت في أفغانستان فيكفيني ثم يجلس في بيته يجتر ذكريات الماضي في أفغانستان، الجهاد ماض إلى يوم القيامة، فريضة على كل مسلم، فرض عين الآن، والفريضة ليست في الكلام، وليس في التدريس في المدارس وليس بالكتابة في الجرائد وليس في الخطابة على المنابر، إنما هو المعركة.

قال الفقهاء: -كل الفقهاء الأربعة- عرّفوا الجهاد هو قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، -كل الفقهاء، رجعت إلى تعريفات الفقهاء للجهاد فكلهم قالوا: أن الجهاد قتال الكفار.

مرة اختلفنا مع شيخ، فقال كيف قتال الكفار؟ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، يقاتلون من ناوأهم، فقلت له يقاتلون،

---

(١) المقصود بالشيخ الذي رد على كتاب «الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان».

في قتال باللسان؟ فالشيخ تميم كان حاضراً فقال له كيف يقاتل باللسان، والشيخ تميم أخرج له لسانه، يعني يريد أن يضرب بلسانه والقتال بالسلاح، ليس هناك أحد من أهل لسان العربية قال: القتال بغيره، يعني في قتله قتال، والقتل لايحصل إلا بآلة قاتلة، إلا إذا كانت الكلمة تقتل فهذا شيء آخر، وإلا الجريدة حرفها يضرب العنق فيسقط العنق هذا شيء آخر.

يا أيها الاخوة، والله لن يكون لنا حق ولن يكون لنا وزن، ولن يكون لهذه الأمة ثقل ووجود إلا إذا حملت السلاح.

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا)

(النساء: ٨٤)

فلا يكف بأس الذين كفروا إلا بالقتال، ولو كنت وحيدا في المعركة في أرض النزال، حتى الصحابة فهموا هذا.

يا جماعة، من نعم الله عز وجل علينا أن فتح لنا الباب في افغانستان، هذه نعمة كبرى وإلا لو لم يكن هنالك قتال في أفغانستان يجب عليك أن تنشيء قتالا، لا بد أن تقاتل، ومن نعم الله عز وجل هؤلاء الناس هم الذين فتحوا لنا الباب ومهدوا لنا الطريق، أنا أراهم كمثل إنسان بنى له مسجداً بجانب بيته، هذا المسجد هدم، الناس الذين حول المسجد قالوا نحن لا نصلي في غير مسجدنا حتى يبنى مرة أخرى، طيب أبني ليس معنا فلوس، ابنوه بانفسكم، لا نستطيع ليس عندنا بنّاء، ليس عندكم بنّاء وليس عندكم فلوس تبنون، هل تعطلون الجمعة والجماعة لان المسجد الذي بجواركم هدم؟ من قال هذا؟ الأفغان جاءوا ورأوا مسجدنا قد هدم فبنوا لنا مسجداً، والعرب قالوا لا... مسجدنا هدم لا يمكن أن نصلي إلا في مسجدنا، لا بد أن يبنيه عرب لأنه لا تجوز الصلاة في مسجد لم يبنه العرب، فريضة القتال عطلت في بلادنا، هل يستطيع أحد أن يقاتل في البلاد العربية إلا في فلسطين؟ الله عز وجل ساق لنا حماس حتى بدأت تتحرك بالحجر، بدأ المسلمون، فإذا كنت أنت لا تستطيع القتال في بلدك وهذا فرض، فريضة، فيجب أن تبحث عن أرض تؤدي فيه هذه الفريضة، الافغان قالوا تفضلوا يا جماعة، تعالوا وأدوا فريضة القتال، حتى يبنى مسجدكم فترجعوا وتصلوا فيه، فتعالوا عندنا وصلوا الجمعة والجماعة واخطبوا وإموا وأرشدوا، المسجد مفتوح لكم فجاء العرب، بعضهم قد شرح الله صدره لصلاة الجمعة والجماعة وبعضهم قال: هؤلاء الافغان لا يستطيعون الخطبة فأنا لا أصلي معهم لأن لسانهم ليس عربيا مبينا وعندهم بعض اللكنات في الخطبة، ولا بد أن تكون في الخطبة فصاحة عربية، ورجعوا ينتقدون، بعضهم يقولون: أنا رحت إلى الجهاد، هؤلاء أناس لا يجوز أن نجاهد معهم، لأن فيهم كذا وفيهم كذا، فيبوؤن بإثمهم وإثم الذين يضلونهم بغير علم.

من أكبر النعم على الأمة الاسلامية أن ساق الله لها الجهاد الأفغاني، لا يوجد في هذا العصر نعمة أكبر من هذه النعمة على المسلمين، وافرضوا أن الجهاد الأفغاني ما انتصر على روسيا، هذه الكرامة التي ما مرت في القرون الثلاثة الأخيرة نصراً أعظم منها، ما في أعظم من الكرامة التي تنزلت على أفغانستان، كرامة انتصار شعب فقير أعزل حافي القدمين على أكبر طاغوت في البشرية وهو الطاغوت المجرم الشرس، طاغوت روسيا.

إفرض أنهم ما انتصروا، لقد كانت آثاره على الأمة الاسلامية لا تعد ولا تحصى، قلت لفضيلة الشيخ عبدالعزيز، كنت أحدثه قبل سنتين عن الجهاد، فقال: الحمد لله نحن والله ما كنا نظن أن الافغان سيقفون سبعة أيام أمام روسيا، وقد مضى عليهم سبع سنوات وهم واقفون أمام روسيا، قال هذه كرامة عظيمة، نعم، على كل حال جاءني بعض الشباب، وقال إن بعض أهل العلم في البلاد العربية يفتون بغير ما أفتيت، فقلت له: لقد سار النهر وأصبح التيار جارفا، والله لو أفتوا بحرمة الجهاد في أفغانستان لجاء الشباب، يفتون مهما يفتون، لن يصدوا الشباب عن دين الله عز وجل.

ذكريات فلسطين:

والذي تذوق الجهاد يعرف قيمته، والذي استعذب حلاوة الجهاد وعاش فترة تحت كنف الرحمن وفي ظل رعايته الصمدانية لا يستطيع أن يعيش في غير هذه الأرض أو أمثالها، وكما قلت لكم نحن ذقنا حلاوة الجهاد في فلسطين سنة (١٩٦٩ – ١٩٧٠) كانت الحركة الاسلامية قد قدمت مجموعة من الشباب في هذه القواعد، كانوا يسمونها قواعد الشيوخ، ثم ضرب العمل الفدائي ورجعنا إلى الحياة المدنية، إلى التعليم، لكن لم تذق حلاوة ولا أياما أسعد ولا أجمل ولا أكمل ولا أكثر استقراراً من تلك الأيام التي عشناها في الجهاد، كانوا يعطونني خمسة وعشرين دينارا أي بما يعادل في ذلك الوقت حوالي ٧٥ دولارا، وكانوا يعطوننا في فتح ١٥دينارا أي بما يعادل ٤٥ دولاراً ولأنني متزوج ولا يكفيني هذا لاستئجار بيت، كانت الحركة الاسلامية تعطيني ١٠دنانير زيادة على الراتب، فكنت آخذ ٧٥ دولاراً أو ٢٥ ديناراً، قلت: بسيطة، أنا عندي زوجة وابنتان ممكن أن يعيشوا في غرفة واحدة، واستأجرنا غرفة من الطين –مثل

هذا الطين- في بيت أحد الاخوة مترين في ثلاثة، ليس لها مطبخ ولا شيء، فالذي يرضى يستطيع أن يعيش.

المهم ضرب العمل الفدائي وأكملت الدكتوراه في القاهرة ورجعت أستاذاً في الجامعة الاردنية، وأصبح راتبي ٣٢٥ ديناراً إلى آخره، ذات مرة وأنا جالس مع أهلي قالت: والله ما مرت علينا حياة أصعب من تلك الحياة التي كنا نعيش فيها بـ ٢٥ ديناراً، وكنا نأكل ما نريد وليس علينا دين والآن أنت تأخذ ٣٢٥ دينارا ومديون ولا نأكل الذي نريده، فقلت بركة الجهاد عجيبة، والسبب قالت ما كنا نتمتع بالكماليات، كنت إذا أردت أن أشترى خزانة أو ثوب أتوقع لو جاء زوجي اليوم مستشهداً كيف أقابل جنازته؟ أبثوب جديد؟ كيف تدخل جنازته بجانب خزانة جديدة، فكانت الحياة ميسرة طبيعية، فالجو هو جو طبيعي، فالفلوس التي معنا متوفرة وزائدة عن الحاجة ٢٥ دينارا، المهم بركة الحياة بركة العمر بركة النقود وليست الكثرة، وفعلاً لما حرمنا من الجهاد ورجعنا الى المجتمع، الدكتور فلان، جاء الدكتور فلان، ورجع الدكتور فلان وما الى ذلك، فقدنا ذلك الاستقرار والهدوء والسعادة التي كانت تغمرنا أيام كنا في رؤوس الجبال، ولذلك عندما علمت أن في اليمن جهادا وفي افغانستان جهادا قلت أين أذهب؟ لابد من الجهاد، في منطقة فيها جهاد حتى نستعيد تلك الذكريات ونؤدي بعض الواجبات تجاه الجهاد، فجئت إلى باكستان طمعا في أن أشارك في هذا الجهاد والله عز وجل أكرمنا والله كرمه لا نظير له وبعد ذلك أصبح المرجفون في المدينة والمخذولون، والمثبطون وغير ذلك ممن لايحبون أن يروا الخير للامة الاسلامية، ولايحبون أن يروا شبابها يلتقطون من وهلة الجنس ومن وحله ومن مستنقعه، هؤلاء لايدعون شيئاً يمر ببالهم إلا ويحاولون أن يتكلموا فيها علينا، أنه يسرق أموال الجهاد، وأن له عمارات وأن له كذا وأن له كذا مساكين، بئس حامل القرآن أنا إن كنت أريد أن تنزل نفسي الى حضيض دريهمات تكوى بها جنبي يوم القيامة.

الإشاعات ضدنا:

جاءني شاب قال لي: بالله عليك أنت تأكل من أموال الجهاد؟ قلت: والله يا أخي أني أنظر اليه كالميتة والدم ولحم الخنزير بالنسبة لي ولأهلي هل أستطيع أن آكل لحم الخنزير؟ وحتى الآن والحمد لله رب العالمين ما أكلت درهماً وأنا أعلم، إن لم أقدم من جيبي الخاص، والحمد لله رب العالمين أقدم من جيبي للجهاد، مساكين... اليوم أحد الاخوة بينكم، الشاب الذي تكلم معي بعد العصر، أخوة قال: نحن نتكلم في المسجد عن كتاب "آيات الرحمن" وعن الكرامات في افغانستان، فإذا برجل يدخل علينا، وأنا مجتمعين فالقى السمع واسترق السمع وتجسس، فوجد أننا نتكلم عن الجهاد الافغاني، قال: أنت تتكلم عن عبد الله عزام، هذا سجنني ثلاثة أيام، من الذي سجنته ثلاثة أيام؟! ولم أسجن واحدا في حياتي!! قال كذا وكذا، قلت له: إن أعداء الجهاد منتشرون في كل مكان، وأعداء الحق والخير الذين لا يحبون الخير لأمتهم ولا لشعوبهم هؤلاء كثيرون في كل مكان، ولذلك هم مستعدون أن يفتروا كل فريه حتى يمنعو الشباب أن يأتو إلى الجهاد، قال له: -هو يقول - جئت أنصحه في الكلام، جئت الشيخ عبد الله عزام أنصحه في كلامه فقال لي: اتركني م السلفنجية، فقلت: والله ما سمعت بهذه الكلمة إلا الآن في حياتي!! سماع!! ما سمعتها من أحد إلا الآن، كلمة السلفنجية هذه، لكن أ كلما اشتد تكالب الدعايات ضدنا كلما فرحت، يعني هذا أننا على الحق، ويعني أننا نعمل، ويعني أننا قد حققنا خطوات كبيرة ال الامام، لأن الناس لايهتمون بالقاعدين، الناس لايحاربون الا الماشي، وإلا الذي يعمل، وإذا عد الناس عثراتنا فعثراتنا أكثر مما يعلمو وأخطاؤنا أكثر وذنوبنا أعظم، والله يعلم بها، لكن الذي يخطيء هو الذي يتحمل، الناس يلعبون في ملعب كرة القدم والمتفرجون ينظرو يقولون: هذا أخطأ وهذا أصاب وهم جالسون وذاك يقع وهم يجلسون على الدرج وينظرون، هل يمكن أن يقع واحد جالس على الكرسي فالجالسين والقاعدين لايقعون، والذي يتحرك كلما تحرك بسرعة يقع ويقوم ويخطيء ويصيب، وهكذا أقول: الحمد لله، الحمد لله يبدو حسناتنا الله عز وجل يريد أن يضاعفها فيأتي لنا، يضاعف الله لنا الاجر مرتين، الأول بكلام الناس علينا، والآخر برباطنا، والا بتجميع هؤلاء الشباب اللذين نرجو الله عز وجل أن يثيبنا من وراءهم حسنات، فهذه نعمة من الله عز وجل، نعمة كبيرة، كان الحس البصري رحمه الله يعرف أن أناسا يغتابونه فكان لا يمر من تلك الطريق، فقالوا له لماذا لا تمر من هذه الطريق، قال: لأني أعلم بعض المسلمين يغتابونني في هذا الطريق وأنا لا أريد أن أحملهم آثاما بمروري، فأمر من طريق آخر.

فنحن ندعو الله عز وجل لهم، ولو كان عندي عنبا أو تينا لفعلت كما فعل الحسن أو بعض السلف رضوان الله عليهم، عندما أن بعض القوم يغتابونه، فأرسل له سلة عنب أو سلة تين، قال له ما هذه؟ قال: علمت أنك أهديتني شيئا من حسناتك فأحب أن أهد شيئا من دنياي، أنت أهديتني شيئا من أخراك فاحب أن أهديك شيئا من دنياي، سلة العنب لا تساوي الحسنات التي جاءتني من غيبتك لي، فتصوروا عندما يصل الجراءة ببعض الناس أن يفتري الكذب على المؤمنين والمسلمين وفي بيت رب العالمين، وبسبب الجر يقولون للشيخ عبد العزيز: يا شيخ عبد العزيز، الشيخ عبد الله يحارب السلفية ويحارب العقيدة الصحيحة ويهزأ من أهل العا

الصحيحة وما إلى ذلك، وكنت مع الشيخ عبد العزيز -وبيني وبينه مودة ومحبة- فقال يا شيخ عبد الله: كثر فيك المادحون وكثر فيك القادحون، فقلت له تعال يا شيخ عبد العزيز نجلس في غرفة مجاورة، فجلسنا وإياه، قلت له في جلستين قلت: يا شيخ عبد العزيز أنا أسألك هل أخذت شيئا من دنياك؟ قال: لا، قلت والله لا أطمع في دنياك شيئاً قط، هل أخذت منك فلوساً في حياتي؟ قال: لا، وأنا ذاهب إلى الشيخ عبد العزيز دار في ذهني، ماذا يفيدني إذا رضي الشيخ عبد العزيز أو غضب؟ ماذا ينفعني وماذا يهمني إن غضبت الدنيا عليّ كلها؟ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي:

فليتك تحلو والحياة مــــريـــــــرة وليتك ترضى والأنـــام غضـــاب

وليت الذي بيني وبينــك عامــــر وبينــي وبين العالمين خــــراب

فعلا ماذا يهمني، والله أكثر شيء أخافه أني لست على الطريق أو أخاف على إسلامي، بعد ذلك رضيت الدنيا أم غضبت، رضي العلماء أم غضبوا ،لا يزيدون أو ينقصوا في ميزاني شيئاً، المهم أن أرضي رب العالمين، لكن وقع في قلبي شيء، قلت: الشيخ عبد العزيز رجل صالح، والذي يؤلمني أن أحرم دعوة رجل صالح مثل هذا الرجل، وإلا أنا لا أطمع أن أكون عنده فقلت للشيخ: ولا أطمع أن أكون مفتي بالسعودية ولا أطمع بفلوس الدنيا كلها، الحمد لله رب العالمين، أقبلت أو أدبرت كل الذي ينزل من عندك نحن راضون عنه، ولا أطمع في دنياك شيئاً، لكن والله أنا أحبك أكثر من أبي وأمي يا شيخ عبد العزيز والعقيدة هذه، هل هو حزب العقيدة السلفية؟ قلت: والله إن العقيدة السلفية التي تحملها أنت أحملها قبل أن أعرفك بعشر سنوات، ونرجو الله أن نموت عليها ونلقاه عليها.

العقيدة ليست حزباً سياسياً:

هل العقيدة أصبحت تجارة؟ الذي يدخل بحزبنا سلفي والذي لا يدخل بحزبنا صار ليس سلفياً، هذه العقيدة يعتنقها من يشاء، لان هذا أمر من الله عز وجل علينا، سواء عرفناك يا شيخ عبدالعزيز أو لم نعرفك، الآن صارت العقيدة حزب سياسي، الذي يدخل في الحزب السياسي خلص يأخذ شهادة أن عقيدته صحيحة، والذي لا يدخل في هذا الحزب السياسي عقيدته ليست صحيحة، هذه عقيدة المسلمين في الأرض كلها، العقيدة الذي يحاسب الله عليها المسلمين يوم القيامة، فقالوا تحارب السلفية، قلت: إن الذي يحارب السلفية كافر خارج من الاسلام، كيف نحارب السلفية محاربة السلفية كفر، السلفية الرجوع الى الكتاب والسنة، كيف أحارب العقيدة الصحيحة وأحارب الكتاب والسنة؟ لكن أحيانا قد ننتقد تصرف بعض الاخوة المخلصين المتحمسين الذين لا يعرفون كيفية التعامل مع الشعب الافغاني ،فيخربون أو يؤذون الاخوة العرب الذين قبلهم، نعم نقول: هذا يا أخي غلط من خلال فهمنا لهذا الدين، ومن خلال تجربتنا مع هؤلاء المجاهدين ننصحك بكذا وكذا، فإن رضيت به أهلا وسهلا، ما رضيت به جزاك الله خيراً، أنا سلفي والله مثلي مثلك في عقيدتي وفي بحثي عن النص الصحيح، وأستاذي الشيخ الالباني وأخذت عنه العقيدة وأخذت عنه علم الحديث، اللهم إلا إذا كانت مطبعته التي تطبع شهادات أنك سلفي وخلفي تختلف عن مطبعتك!! فجاءني واحد وجلس بجانبي، شاب ممن كانوا عندنا وتأثر بالجهاد الأفغاني، ثم ذهب إلى بلد فجاءني، عرف أني أتكلم عن الجهاد وجلس بجانبي يختبرني، قال: سألني هل ذهبت الى الجهاد، قال له: نعم، قال: أنا شعرت أن الرجل من أصحاب الأوراق، من الدبابيس الصغيرة والكبيرة[1] فقال لي: أنت كيف؟ ما رأيك بالشيخ عبدالله عزام؟ قال حتى أغيظه به، قلت له: هو قطعة من كبدي، فسكت ثم قال له: لكن مشايخنا يقولون إن في عقيدته شيئا، أحسن شيء تقول عقيدته فيها شيء!!، فقط، قال له: أنا على عقيدة عبد الله عزام..

(وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين) (هود: ٤٤)

تصور يعني يريد أن يفرق بين الاحبة ، وشر الناس المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاحبة، الباغون للبرءاء العيب.

لماذا جئنا؟

على كل حال يا أيها الاخوة، نحن جئنا إلى أفغانستان حتى نؤدي فريضة اسمها فريضة القتال، وهي ليست موجودة في بلادنا، فمن استطاع أن يؤدي هذه الفريضة -فريضة القتال- حتى لا يحورها الذين يلعبون بدين الله أو يلعبون بالنصوص على أهوائهم نقول فريضة القتال، والجهاد هو القتال، الذي يستطيع أن يؤدي فريضه القتال في أي مكان فيه كفار غيروا شرع الله عز وجل فليؤدها في أي شبر احتل من قبل الكفار، إن استطعت أن تقاتل فقاتل، أنا لا أقول لك أن الجهاد فرض عين في افغانستان

(١)المخابرات.

فقط، فرض عين في فلسطين فرض عين في لبنان، فرض عين في الفلبين، فرض عين في أي مكان غيرت فيه شريعة الله عز وجل واحتل من قبل الكفر، لكن نحن قلنا تعالوا إلى افغانستان لأنها أرض خصبة، لأنه قيل لعمر رضي الله عنه عندما فرّ من الطاعون، لم يدخل بلداً فيها الطاعون، قالوا تفر من قدر الله، قال: أفر من قدر الله الى قدر الله، أرأيت لو كان عندك عدوتان -عدوتان يعني كلّتان- أحدهما خصبة والاخرى مجدبة، أين ترعى غنمك؟ في الخصبة أم في المجدبة، قال: أسمتها في الخصبة، قال: فإنك أسمتها بقدر الله وتركت المجدبة بقدر الله، فهنالك عدوة خصبة وهي أفغانستان، وهنا عدوة فيها قحط أو فيها جفاف، فنحن جئنا إلى العدوة الخصبة، فرأينا المعركة، سلاح موجود والحدود مفتوحة، قيادات إسلامية واضحة بارزة، شعب كله يقاتل في سبيل الله، قلنا نقف معه في سبيل الله، لماذا؟ أدينا الفريضة ساعدناه خدمناه رفعنا معنوياته ثم بعد ذلك، نأتي إلى قضية مهمة جداً وهي إعادة الخلافة الراشدة إلى الارض إن شاء الله، ولا يوجد بقعة في الارض مرشحة لقيام الخلافة الراشدة ولوجود حكومة إسلامية تتبنى مصالح المسلمين وتصبح دار هجرة للذين يشردون من أوطانهم ويخرجون من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، تتبنى مصالحهم وتؤوي مستضعفهم، تضم شتاتهم، تعطيهم جوازات سفر، تجاهد من أجلهم، وتعادي من أجلهم وتصادق من أجلهم، ما رأينا في الارض بقعة مرشحة أكثر من أفغانستان، فنحن نطمع أن تكون أرض افغانستان أرض الهجرة وأرض النصرة وأرض القيادة لخلافة إسلامية وأرض الجهاد في الارض إن شاء الله.

لن يغلبوا القدر:

ونحن اقتربنا وإن كان أعداء الله الآن متكالبون حتى يحولوا بين قيام الاسلام في داخل افغانستان بعد أن انتصر هذا الجهاد المشرّف..

(والله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف: ٢١)

هم لا يستطيعون أن يقاوموا القدر، ولا يستطيعون أن يواجهوا رب العالمين ولا يستطيعون أن يغلبوا سنة سيد الارض والسماء الواحد القهار، لا يستطيعون إلا إذا استطاع الولد الصغير أن يرد الدبابة بعضلاته، لا يستطيعون، لا يستطيعون إن شاء الله، نحن مقتربون من النهاية، فاذا أقمنا دين الله في افغانستان وحكم هؤلاء الاخوة الذين نظن بهم خيراً، والذين عهدنا عليهم الخير، والذين ذاقوا المر وتجرعوا الغصص حتى وصلوا إلى هذه الايام، خاصة القادة الاربعة البارزين سياف وحكمتيار ورباني وخالص، إذا حكم أي واحد منهم فنحن مستعدون أن نبايعهم، وأن نكون جنوداً صغاراً من جنودهم، بل والله أنا أعجبني أحد الاساتذة الطيبين الفضلاء، جاء لتهنئتهم وكان ذا مكانة مرموقة بين أبناء بلده واستاذ جامعة وكان رئيساً للجامعة، يقول له حتى تأتي نسلمك رئاسة جامعة كابل وما الى ذلك، قال: أنا والله يشرفني أن أكون كناسا تحت أقدامكم التي اغبرت في سبيل الله، نعم، فنحن والله يشرفنا أن نخدمهم في أي شيء إذا وصلوا إلى الحكم الإسلامي، وإن شاء الله هو قريب، وبعد أن نوصلهم الى كابل ويمكن الله لهم في كابل ويعينهم المسلمون في إقامة دولتهم إن شاء الله نفتح ثغراً آخر، والثغر الثاني إن شاء الله يكون فلسطين، لنقف بجانب إخواننا في حماس ندعمهم ونعضدهم ونرجو الله أن يفتح علينا خيراً كثيراً في فلسطين، ونرجو الله عز وجل أن يرزقنا الشهادة ويختم لنا فيها وأن يجمعنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، نحن لا نقول كما قال الافغان: اللهم حرر على أيدينا كابل ولا تمتنا إلا في بيت المقدس، نحن نقول اللهم ارزقنا الشهادة في سبيلك حيث ما أردت أن ترزقنا، ونحن مستعجلون على الشهادة فإن كتبت لنا عمراً، اللهم لاتمتنا حتى تقر أعيننا من اليهود ونقتلهم شر قتلة ونطردهم من أرض الاقصى إنك سميع مجيب، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

سؤال: شيخنا العزيز السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بعدما علمنا منك عن وجوب الجهاد هل تكرمت وأخبرتنا بعد تحرير أفغانستان، فإنني أريد أن يكون طريقنا واضحاً أمام أعيننا حتى لو ثبطنا الشيطان؟

الجواب: أنا قلت لكم نحن إن شاء الله رب العالمين بعد تحرير افغانستان تكون دولة إسلاميه فيها إن شاء الله وتكون داراً للهجرة ومنطلقاً للمسلمين الذين يريدون أن يحرروا بقية بقاع الارض التي حكمها الكفار إن شاء الله هذا قريب.

ولكن إذا طالت مدة الجهاد ونحن شباب، هل نستطيع الزواج من مسلمة أثناء جهادنا؟ طبعاً يجوز الزواج من مسلمة أثناء الجهاد، وأثناء القصور من الجهاد وجزاك الله خير الجزاء.

وهل طلب علم الدنيا لمحاربة الكفار به يعتبر نوعا من الجهاد ويكفي عن حمل السلاح؟ لا بد من حمل السلاح، لا بد من حمل السلاح حتى تصقل النفس البشرية وتصقل الروح، قلما يفهم أحد دين الله إذا لم يصل أرض الجهاد والقتال بنفسه، قلما يفهم دين

الله عز وجل إلا من خلال الجهاد، وكثير من المعاني القرآنية والنصوص النبوية الشريفة لا تفهم إلا في أرض المعركة، ولان النفس البشريه كأنها مغطاة بغطاء، غطاؤها التقاليد والعادات وركام الواقع وما الى ذلك، غطاء طنجرة، تفتح هذه الطنجرة حتى تضع فيها ما تريد من الماء واللحم والطماطم حتى تصبح أي شيء، ولذلك النفس البشرية الجهاد يرفع عنها هذا الغطاء، يكشف الاجهزة التي تستقبل معاني النصوص الربانيه ومعاني النصوص الشرعية لان الزر ليس مفتوحاً، كهرباء مغلق، لا بد أن تشغل زر الكهرباء حتى يصبح هناك حراره، وحتى يظهر الضوء وحتى ترى الطريق، الجهاد هوالذي يشغل الكهرباء، وينير القلب، ويضيء الطريق لتفهم وتقرأ على النور الذي أضاءته حرارة الجهاز ويسهل له الطريق..

(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا) (التوبة: ١٢٢)

قال ابن عباس والطبري: الذين يتفقهون في الدين هم الذين ينفرون في سبيل الله، وليس الذين يقعدون في بيوتهم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين.

جئنا إلى أفغانستان لمساعدة المسلمين، وجئنا إلى أفغانستان حتى لا نكون مستضعفين في الارض، تتوفانا الملائكة -المستضعفين- وتقول لنا متى كنتم تقولوا كنا مستضعفين في الارض.

وجئنا الى افغانستان، من اجل المساعدة في إقامة الحكم الاسلامي، يا أيها الاخوة، إقامة حد من حدود الله كما جاء في الحديث الصحيح،.... فنحن منذ أن سقطت الخلافة الاسلامية التقى العالم على قضيتين، أما القضية الاولى وهي المهمة أن لا نسمح أن تقوم للإسلام قائمة في أي مكان في الارض، لانسمح بوجود حكم اسلامي في أي مكان في الارض، وأما القضية الثانية وهي خاصة بمنطقة الشرق الأوسط أننا لا نسمح بزوال اسرائيل من المنطقة لان اسرائيل وجدت لتبقى، وإقامة حكم إسلامي في الارض فرض على الامة الاسلامية، والامة الاسلامية تبقى آثمة ما دام لم يكن هنالك خلافة تطبق شريعة الله عز وجل، ويكون أن تقوم على أرض تعتبر داراً للهجرة ويقوم عليها الامام يسيّر الجيوش للجهاد ويقسم الغنائم ويحمي الثغور ويدافع عن المسلمين، ويحمي حقوق المستضعفين ويؤوي المشردين ويعطيهم نفس حقوق أهل البلد التي هو منها، من جواز السفر حقوق المواطنة من الحقوق المدنية الأخرى حق الوظيفة الى أخره، فما لم تكن هذه الدولة موجودة في الارض الامة الاسلامية آثمة، لأنه لابد من أناس وإمام يحمي حدودهم ويشحن ثغورهم بالجنود ويسير جيوشهم الى أرض الكفار مرة واحدة في السنة على الاقل، ويعقد العقود ويقسم الغنائم ويحفظ الثغور الى أخره، نحن رأينا افغانستان ووجدنا أنها يمكن أن تكون هذه الارض التي نحلم بها بعد أن أسقط السلطان عبد الحميد رحمه الله سنه (١٩٠٩م) أصبحت الخلافة ضعيفة ،لكن لم تسقط الخلافة ولم تسقط الشريعة الاسلامية حتى جاء الغرب والانجليز على رأسهم مصطفى كمال أتاتورك وأسقط الخلافة في ٣ / مايو / ١٩٢٤م، بعد أن عقد مصطفى كمال معاهدة لوزان، ومعاهدة لوزان كانت في سويسرا بين سنة (١٩٢٢م- ١٩٢٣م) من اكتوبر ١٩٢٢م - فبراير ١٩٢٣م، اتفقوا مع مصطفى كمال على أربع قضايا.

القضية الاولى: أن يهدم الخلافة الاسلامية.

والقضية الثانية: أن لا يسمح بقيام حكم إسلامي وأن يسحق كل محاولة لإعادة الخلافة.

وثالثا: أن يحارب الشعائر الاسلامية الظاهرة.

رابعا: أن يتخذ قانوناً أوروبياً بدل الشريعة الاسلامية.

وقالوا لعصمت إينينو ممثل مصطفى كمال أتاتورك: إذا وافقتم على هذه الشروط نحن نسلمكم تركيا من الصباح وننسحب وكان الذي يشرف على المعاهدة ناحوم حايين (حاخام اليهود في القسطنطينية) فوافق مصطفى كمال أتاتورك وعندما تعقدت المفاوضات بين عصمت إينينو وبين كرزون وزير خارجية بريطانيا أرسلت بريطانيا الى ناحوم حايين في أمريكا أو في مكان أخر في أوروبا، فأرسلوا إليه برقيه، فأرسل برقية لكرزون: أمكثوا فأنا قادم لأن عصمت طوع بناني ورهن إشارتي -عصمت هو ممثل مصطفى كمال أتاتورك ونائبه والذي استلم رئاسة الجمهورية في تركيا بعد مصطفى كمال أتاتورك- أنا رأيت الاحداث التي تجري في افغانستان، شبهتها بتلك الفترة التي كان كمال أتاتورك يخوض معارك ضد الحلفاء، فصنعوا الحلفاء -عملوا له مسرحيات- وانتصر في معركة أنقرة وأزمير وصقارية وأفيون، هذه المعارك بعد أن انتصر وانسحبت دول الحلفاء، اتفقت معه نحن ننسحب ومصطفى كمال بعد كل معركة يعلن عن بطولاته وعن بطولات جيشه، فالشعب التركي كله يطير فرحا لكمال أتاتورك، وإذا تأزم الموقف وإذا تأخر النصر في معركة من المعارك أظن معركة أفيون أو غيرها، تفقد حبيبته اليهودية خالدة أديب التي سلمها فيما بعد وزارة التربية والتعليم في تركيا، فتفقدها فلم يجدها، أرسل برقية أرسلوا خالدة أديب، فعندما وصلت خالدة أديب انتصر!!، قال مصطفى كمال أتاتورك: بمجرد أن وصلتني جاء

النصر، مصطفى كمال كان الغرب يمهد له بهذه المسرحيات، مسرحيات الانتصارات، والمفاوضات السرية جارية، معارك ماشية في قندهار وفي ننكرهار وفي هلمند وفي غيرهما، مفاوضات سرية ماشية، الأمريكان يتصلون، الغرب يتصلون، الدنيا كلها تتصل بالزعماء قادة الجهاد في افغانستان والمعارك في الداخل ماشية، انتصارات حقيقية وقتلى وشهداء واحتفالات ما الى ذلك، لكن الفرق الوحيد بين ذاك وبين هذا أن الله عز وجل سخّر للجهاد الافغاني قيادات صالحة ما باع دينها ولا عرضها ولا أرضها وإلا كان يمكن خلال هذه السنة أن يضيع كل ثمار دماء جهاد شعب بكامله لمدة عشر سنوات، يعني لولا الله ثم وجود سياف وحكمتيار وخالص ورباني هؤلاء لانتهت قضية افغانستان، بأن يرجع ظاهر شاه ويعود الأمر كاليوم الذي بداء فيه الجهاد، يعود حاكم افغانستان الملك ظاهر شاه مرة أخرى، ويعود تطبيق شريعة القوانين الغربية وتضيع الشريعة الاسلامية ويعمل احتفال بيوم الشهداء ويوم الدماء ويوم استقرار افغانستان، ويضيع كل شيء، ولذلك القيادة الصالحة هي أهم عنصر في الجهاد، وأن في أي وقت وفي أي ليلة من الليالي يوقع على ورقة يبيع فيها الارض والعرض، ويبيع فيها الناس والدماء والاشلاء، وخلاص ينادى به زعيما لافغانستان مقابل ماذا؟ مقابل أن لا تحكم بالشريعة الاسلامية، أنت نادي بالشريعة الاسلامية علناً لكن تحتها إبق الأحكام جارية كما هي، نحن نريد شريعة وقوانين سكر خفيف، شيء مرتب ليس فيه تطرف وليس فيه تشدد وليس فيه انزلاق، نحن نريد دين مرن مطاط حسب أهواء أمريكا والناس منفتحين من كل الشبابيك المفتوحة للجاهلية والرياح والعواصف وما الى ذلك، وبعد ذلك وزير خارجيتك لا بأس أن يشرب الخمر حتى يعرف يجلس مع الأمريكان، كيف يجلس مع الأمريكان على طاولة الخمر، ومدير مخابراتك أتريد أن تأتي به ملتحياً بلحية؟ لا يمكن أن يسجن ولا يحاكم أي شخص، هذا رحيم، قلبه رقيق، أنت تريد أن تأتي بجلاد يذبح الناس حتى يستقر حكمك، وهكذا المعركة الساسية التي قامت في هاتين السنتين وخاصة من معركة جنيف (من مؤامرات جنيف) الى الآن لا تقل خطورة عن المعركة العسكرية التي في داخل افغانستان بل هي أشد، والذين وقفوا أمام هذه المؤامرة ثلاثة إلى أربعة وحول كل واحد منهم مجموعة من أبناء الحركة الإسلامية الذين تربوا تربية إسلامية.

من ثمرات الجهاد

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنه لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً، إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) (التوبة: ١١٩-١٢١)

الصدق والتقوى من أعمدة الجهاد:

ذكرنا بالأمس أن الجهاد أساسه التقوى، وعنوانه الصدق، لأن الجهاد بدون صدق، بدون أن يكون ابتغاء مرضاة الله عز وجل وبال على صاحبه **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) (قالوا: يا رسول الله الرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليرى مكانه من الحرب أيهم في سبيل الله، قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)** يعني كان الجواب لا أحد من هؤلاء في سبيل الله، لا الذي يقاتل للمغنم، ولا الذي يقاتل حمية، ولا الذي يقاتل ليرى مكانه من الحرب، لأن «من خرج رياءً وسمعةً ولم يطع الإمام ولم يجتنب الفساد لم يرجع بالكفاف»، في الحديث الصحيح (أي رجع مأزوراً غير مأجور) يعني يا ليته رجع بالحسنات التي جاء بها من بلاده وفي الحديث الصحيح **(أول ما تسعر النار يوم القيامة بثلاث: مقاتل وعالم ومنفق، أما العالم فيقول له رب العزة: ماذا عملت في الدنيا؟ فيقول له: تعلمت العلم فيك ونشرته، فيقال له: - أو كما قال ﷺ - كذبت، تعلمت ليقال عنك عالم وقد قيل، فأخذت أجرك في الدنيا ثم يؤمر به فيلقى في النار، ثم يؤتى بالمنفق**

ماذا فعلت؟ اكتسبت المال في الحلال وأنفقته في سبيلك، كذبت، أنفقت ليقال عنك جواد، وقد قيل، فأخذت أجرك في الدنيا. فيؤمر به فيلقى في النار. المقاتل ماذا فعلت؟ قاتلت في سبيلك حتى قتلت، كذبت قاتلت ليقال عنك جريئاً وقد قيل وأخذت أجرك في الدنيا فيؤمر به فيلقى في النار) قرأ هذا الحديث أبو هريرة أمام معاوية رضي الله عنه، فبكى معاوية حتى اخضلت لحيته، ثم أغمي عليه، وبعد أن أفاق قال معاوية رضي الله عنه: صدق رسول الله ﷺ، يقول الله عز وجل:

(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) (هود: ١٥-١٦)

فتحتاج إلى صدق، والجهاد الحقيقة عنوانه الصدق، لأن الجهاد خروج من الدنيا، خروج عن الروح التي تملك، خروج عن المال خروج عن الشركة خروج عن الجامعة، خروج من الأهل، خروج من الأسرة، فهو عنوان الصدق، عنوان بارز من عناوين الصدق، إذا كان الجهاد في سبيل الله، وأما التقوى فهي ضرورية جداً سواء في مرحلة القتال أو بعد مرحلة القتال، أما في مرحلة القتال فإن لم يكن هنالك تقوى فأخطر شيء أن يكون بيد غير المتقي سلاح، لأنه يعتدي به القوي على الآمنين، يقطع به السبيل، ينتهك به الأعراض، يسلب به الأموال، يذل الناس، يهابه الناس، لا يستطيعون أن يفعلون شيئاً إلاّ بإذنه، يستطيع أن يحضر أي إمرأة جميلة ويغتصبها لأن بيده سلاحا، يستطيع أن يبتز أي مال يريده لأن بيده سلاحا، والضابط الأمين وصمام الأمان الذي يحمي أعراض الناس وأموالهم ودمائهم هو التقوى، التقوى، ولذلك الآن الطواغيت لماذا يذلون الناس؟ لأن بيدهم سلاحا بدون تقوى، فسلاح بدون تقوى مصيبة على الأمة، وتقوى بدون سلاح مصيبة على الأمة، لأن الأمة ستذل من أعدائها وسلاح بدون تقوى تُذل الأمة على يد أحد أبنائها الذين يتكلمون بلغتها وهم من جلدتها، ولذلك ما استطاع أعداء الله عز وجل أن يذلونا كما أذلنا الذين سموا بالذين حرروا الشعوب، يعني ما استطاعت إيطاليا على جبروتها وطغيانها، رغم أن عمر المختار خاض حوالي ألف معركة ضدها، وكبدها خسائر ضخمة جداً، ما قتلته إلاّ بعد محاكمات طويلة، وبعد أن حسبت حسابات طويلة، لأنه واحد من العلماء، فضج الناس وثاروا بينما القذافي في يوم واحد يقتل ثلاثين أربعين خمسين من الخيار، من الصالحين، لا يهم، لماذا؟ لأنهم أعداء الشعب وهو حبيب الشعب، وهو يحمي الشعب، يدخل عبد السلام جلود على الجامعة فيطلق طلقات نارية في داخل الجامعة إيذاناً – يعني إعلاناً – ببداية الثورة الثقافية فيثور هؤلاء الرعاع، الأوباش، هؤلاء الغوغاء، أبناء الجامعة الذين يسمون الإشتراكيين وأبناء الثورة وما إلى ذلك، فيجرون العمداء والأساتذة في داخل الجامعة، ويسقط بين ثلاثين وأربعين شهيد وجريحا في داخل الجامعة في ابتداء الثورة الثقافية، لا يمكن ايطاليا مهما بلغت سطوتها الغاشمة وعنفوان ظلمها أن تنزل الى هذا المستوى وتغلط هذه الغلطة ،كم عالماً قتل الإنجليز في مصر؟ نحن لا نعرف عالماً واحداً قتله الإنجليز في مصر علناً أو شنقوه، أوعلقوه، لكن عبد الناصر في يوم واحد علق ستة من خيار أهل الأرض من قادة الأخوان المسلمين، في لحظة واحدة عبد القادر عودة صاحب التشريع الجنائي في الإسلام، ومحمد فرغلي الذي كان يقود كتائب الإخوان في فلسطين وفي قناة السويس، هذا دفع الإنجليز خمسة آلاف جنيه أيام كان الجنيه يساوي، خمسة آلاف جنيه لمن يأتي بخبره حياً أو ميتاً، يوسف طلعت الذي كان يسمى جزار الإنجليز، هنداوي دوير، ابراهيم الطيب، محمود عبد اللطيف في لحظة واحدة!! سيد قطب أعدم وباسم العمالة للأمريكان أو الانكليز أو غيرهم، ما كان الإنكليز ليغلطوا هذه الغلطة، فسلاح بدون تقوى مصيبة عظيمة على الشعب، نعم، هل كان الفرنسي يستطيع أن يهجم على الفتاة في داخل شوارع دمشق وينزع خمارها عن رأسها أو يمزق ثيابها الطويلة، لقد تجرأ رجالات حافظ أسد أن يفعلوها، ما استطاع فرنسي من خلال الإذاعة، ولا من خلال الصحف أن يقول: أن الدين النصراني خير من الدين الإسلامي. في أي بقعة من البقاع التي حكمتها فرنسا كانوا يعملون في التبشير هكذا سراً، أما هؤلاء ومن خلال اذاعة دمشق:!

آمنت بالبعث ربـــاً لا شريك لــه ... وبالعروبة دينـــاً ما لــه ثانـــي

دخلوا حماة وهم يرددون (هات سلاح وخذ سلاح، دين محمد ولى وراح) هؤلاء الجنود الوطنيون الثوريون، البعث العراقي عندما دخل مشيل عفلق إلى العراق في الإنقلاب البعثي الأول أيام صالح السعدي وغيره كتبت الجريدة عن ميشيل عفلق الاله العائد بالخط الاحمر، فوجود سلاح بدون تقوى جعل أبناء امتنا وجلدتنا ينتهكون الأعراض ويسفكون الدماء حتى جرت أنهاراً، الآن لو قارنا حالة مصر حالة الاردن حالة سوريا، خاصة حالة الاماكن التي حصلت فيها الانقلابات الثورية: سوريا، العراق، مصر، ليبيا، السودان، الجزائر، لو قارنا حالها بأيام الانكليز والفرنسيين وأيامها اليوم نجد أن حالها في ذلك الوقت، لو عاد إلى الناس، لقالوا:

طلع البـــدر علينـــا ... من ثنيـــات الـــوداع

النصر، مصطفى كمال كان الغرب يمهد له بهذه المسرحيات، مسرحيات الانتصارات، والمفاوضات السرية جارية، معارك ماشية في قندهار وفي ننكرهار وفي هلمند وفي غيرهما، مفاوضات سرية ماشية، الأمريكان يتصلون، الغرب يتصلون، الدنيا كلها تتصل بالزعماء قادة الجهاد في افغانستان والمعارك في الداخل ماشية، انتصارات حقيقية وقتلى وشهداء واحتفالات ما إلى ذلك، لكن الفرق الوحيد بين ذاك وبين هذا أن الله عز وجل سخّر للجهاد الافغاني قيادات صالحة ما باع دينها ولا عرضها ولا أرضها وإلا كان يمكن خلال هذه السنة أن يضيع كل ثمار دماء جهاد شعب بكامله لمدة عشر سنوات، يعني لولا الله ثم وجود سياف وحكمتيار وخالص ورباني هؤلاء لانتهت قضية افغانستان، بأن يرجع ظاهر شاه ويعود الأمر كاليوم الذي بداء فيه الجهاد، يعود حاكم افغانستان الملك ظاهر شاه مرة أخرى، ويعود تطبيق شريعة القوانين الغربية وتضيع الشريعة الاسلامية ويعمل احتفال بيوم الشهداء ويوم الدماء ويوم استقرار افغانستان، ويضيع كل شيء، ولذلك القيادة الصالحة هي أهم عنصر في الجهاد، وأن في أي وقت وفي أي ليلة من الليالي يوقع على ورقة يبيع فيها الارض والعرض، ويبيع فيها الناس والدماء والاشلاء، وخلاص ينادى به زعيما لافغانستان مقابل ماذا؟ مقابل أن لا تحكم بالشريعة الاسلامية، أنت نادي بالشريعة الاسلامية علناً لكن تحتها إبق الأحكام جارية كما هي، نحن نريد شريعة وقوانين سكر خفيف، شيء مرتب ليس فيه تطرف وليس فيه تشدد وليس فيه انزلاق، نحن نريد دين مرن مطاط حسب أهواء أمريكا والناس منفتحين من كل الشبابيك المفتوحة للجاهلية والرياح والعواصف وما الى ذلك، وبعد ذلك وزير خارجيتك لا بأس أن يشرب الخمر حتى يعرف يجلس مع الأمريكان، كيف يجلس مع الأمريكان على طاولة الخمر، ومدير مخابراتك أتريد أن تأتي به ملتحياً بلحية؟ لا يمكن أن يسجن ولا يحاكم أي شخص، هذا رحيم، قلبه رقيق، أنت تريد أن تأتي بجلاد يذبح الناس حتى يستقر حكمك، وهكذا المعركة الساسية التي قامت في هاتين السنتين وخاصة من معركة جنيف (من مؤامرات جنيف) الى الآن لا تقل خطورة عن المعركة العسكرية التي في داخل افغانستان بل هي أشد، والذين وقفوا أمام هذه المؤامرة ثلاثة إلى أربعة وحول كل واحد منهم مجموعة من أبناء الحركة الإسلامية الذين تربوا تربية إسلامية.

من ثمرات الجهاد

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنه لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا، إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون) (التوبة: ١١٩-١٢١)

الصدق والتقوى من أعمدة الجهاد:

ذكرنا بالأمس أن الجهاد أساسه التقوى، وعنوانه الصدق، لأن الجهاد بدون صدق، بدون أن يكون ابتغاء مرضاة الله عز وجل وبال على صاحبه **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) (قالوا: يا رسول الله الرجل يقاتل حمية، والرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليرى مكانه من الحرب أيهم في سبيل الله، قال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)** يعني كان الجواب لا أحد من هؤلاء في سبيل الله، لا الذي يقاتل للمغنم، ولا الذي يقاتل حمية، ولا الذي يقاتل ليرى مكانه من الحرب، لأن «من خرج رياءً وسمعةً ولم يطع الإمام ولم يجتنب الفساد لم يرجع بالكفاف»، في الحديث الصحيح (أي رجع مأزوراً غير مأجور) يعني يا ليته رجع بالحسنات التي جاء بها من بلاده وفي الحديث الصحيح **(أول ما تسعر النار يوم القيامة بثلاث: مقاتل وعالم ومنفق، أما العالم فيقول له رب العزة: ماذا عملت في الدنيا؟ فيقول له: تعلمت العلم فيك ونشرته، فيقال له:** - أو كما قال ﷺ - **كذبت، تعلمت ليقال عنك عالم وقد قيل، فأخذت أجرك في الدنيا ثم يؤمر به فيلقي في النار، ثم يؤتى بالمنفق**

ماذا فعلت؟ اكتسبت المال في الحلال وأنفقته في سبيلك، كذبت، أنفقت ليقال عنك جواد، وقد قيل، فأخذت أجرك في الدنيا، فيؤمر به فيلقى في النار، المقاتل ماذا فعلت؟ قاتلت في سبيلك حتى قتلت، كذبت قاتلت ليقال عنك جريئاً وقد قيل وأخذت أجرك في الدنيا فيؤمر به فيلقى في النار) قرأ هذا الحديث أبو هريرة أمام معاوية رضي الله عنه، فبكى معاوية حتى اخضلت لحيته، ثم أغمي عليه، وبعد أن أفاق قال معاوية رضي الله عنه: صدق رسول الله ﷺ، يقول الله عز وجل:

(من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفِ إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) (هود: ١٥-١٦)

فتحتاج إلى صدق، والجهاد الحقيقة عنوانه الصدق، لأن الجهاد خروج من الدنيا، خروج عن الروح التي تملك، خروج عن المال خروج عن الشركة خروج عن الجامعة، خروج من الأهل، خروج من الأسرة، فهو عنوان الصدق، عنوان بارز من عناوين الصدق، إذا كان الجهاد في سبيل الله، وأما التقوى فهي ضرورية جداً سواء في مرحلة القتال أو بعد مرحلة القتال، أما في مرحلة القتال فإن لم يكن هنالك تقوى فأخطر شيء أن يكون بيد غير المتقي سلاح، لأنه يعتدي به القوي على الآمنين، يقطع به السبيل، ينتهك به الأعراض، يسلب به الأموال، يذل الناس، يهابه الناس، لا يستطيعون أن يفعلون شيئاً إلاّ بإذنه، يستطيع أن يحضر أي إمرأة جميلة ويغتصبها لأن بيده سلاحا، يستطيع أن يبتزّ أي مال يريده لأن بيده سلاحا، والضابط الأمين وصمام الأمان الذي يحمي أعراض الناس وأموالهم ودمائهم هو التقوى، التقوى، ولذلك الآن الطواغيت لماذا يذلون الناس؟ لأن بيدهم سلاحا بدون تقوى، فسلاح بدون تقوى مصيبة على الأمة، وتقوى بدون سلاح مصيبة على الأمة، لأن الأمة ستذل من أعدائها وسلاح بدون تقوى تُذل الأمة على يد أحد أبنائها الذين يتكلمون بلغتها وهم من جلدتها، ولذلك ما استطاع أعداء الله عز وجل أن يذلونا كما أذلنا الذين سموا بالذين حرروا الشعوب، يعني ما استطاعت إيطاليا على جبروتها وطغيانها، رغم أن عمر المختار خاض حوالي ألف معركة ضدها، وكبدها خسائر ضخمة جداً، ما قتلته إلاّ بعد محاكمات طويلة، وبعد أن حسبت حسابات طويلة، لأنه واحد من العلماء، فضج الناس وثاروا .بينما القذافي في يوم واحد يقتل ثلاثين أربعين خمسين من الخيار، من الصالحين، لا يهم، لماذا؟ لأنهم أعداء الشعب وهو حبيب الشعب، وهو يحمي الشعب، يدخل عبد السلام جلود على الجامعة فيطلق طلقات نارية في داخل الجامعة إيذاناً – يعني إعلاناً – ببداية الثورة الثقافية فيثور هؤلاء الرعاع، الأوباش، هؤلاء الغوغاء، أبناء الجامعة الذين يسمون الإشتراكيين وأبناء الثورة وما إلى ذلك، فيجرون العمداء والأساتذة في داخل الجامعة، ويسقط بين ثلاثين وأربعين شهيد وجريحا في داخل الجامعة في ابتداء الثورة الثقافية، لا يمكن ايطاليا مهما بلغت سطوتها الغاشمة وعنفوان ظلمها أن تنزل الى هذا المستوى وتغلط هذه الغلطة .كم عالماً قتل الإنجليز في مصر؟ نحن لا نعرف عالماً واحداً قتله الإنجليز في مصر علناً أو شنقوه، أوعلقوه، لكن عبد الناصر في يوم واحد علق ستة من خيار أهل الأرض من قادة الأخوان المسلمين، في لحظة واحدة عبد القادر عودة صاحب التشريع الجنائي في الإسلام، ومحمد فرغلي الذي كان يقود كتائب الإخوان في فلسطين وفي قناة السويس، هذا دفع الإنجليز خمسة آلاف جنيه أيام كان الجنيه يساوي، خمسة آلاف جنيه لمن يأتي بخبره حياً أو ميتاً، يوسف طلعت الذي كان يسمى جزار الإنجليز، هنداوي دوير، ابراهيم الطيب، محمود عبد اللطيف في لحظة واحدة!! سيد قطب أعدم وباسم العمالة للأمريكان أو الانكليز أو غيرهم، ما كان الإنكليز ليغلطوا هذه الغلطة، فسلاح بدون تقوى مصيبة عظيمة على الشعب، نعم، هل كان الفرنسي يستطيع أن يهجم على الفتاة في داخل شوارع دمشق وينزع خمارها عن رأسها أو يمزق ثيابها الطويلة، لقد تجرأ رجالات حافظ أسد أن يفعلوها، ما استطاع فرنسي من خلال الإذاعة، ولا من خلال الصحف أن يقول: أن الدين النصراني خير من الدين الإسلامي، في أي بقعة من البقاع التي حكمتها فرنسا كانوا يعملون في التبشير هكذا سراً، أما هؤلاء ومن خلال اذاعة دمشق!!

آمنت بالبعث ربـــــاً لا شريك لـــــه   وبالعروبة دينـــــاً ما لـــــه ثانـــي

دخلوا حماة وهم يرددون (هات سلاح وخذ سلاح، دين محمد ولى وراح) هؤلاء الجنود الوطنيين الثوريون، البعث العراقي عندما دخل مشيل عفلق إلى العراق في الإنقلاب البعثي الأول أيام صالح السعدي وغيره كتبت الجريدة عن ميشيل عفلق الاله العائد بالخط الاحمر، فوجود سلاح بدون تقوى جعل أبناء امتنا وجلدتنا ينتهكون الاعراض ويسفكون الدماء حتى جرت أنهاراً، الآن لو قارنا حالة مصر حالة الاردن حالة سوريا، خاصة حالة الاماكن التي حصلت فيها الانقلابات الثورية: سوريا، العراق، مصر، ليبيا، السودان، الجزائر، لو قارنا حالها بأيام الانكليز والفرنسيين وأيامها اليوم نجد أن حالها في ذلك الوقت، لو عاد إلى الناس، لقالوا:

طلع البــــدر علينـــــا   من ثنيـــات الــــوداع

ما هذا؟ مصر كانت تمول العالم العربي، السعودية، الجزيرة وما إلى ذلك، هذه مصر تعطيها مساعدات، الجنيه المصري كان أغلى من الجنيه الانكليزي، كان أغلى من الدينار الأردني، كان يساوي حوالي عشرة ريال وكذا، الآن أين الجنيه المصري؟!!! كما يقول الإخوة المصريون، طنجرة الفول كانت أد كده، والان أد كده، كانت الطعمية موجودة، كانوا الخير موجوداً، كان الرغيف كبيراً كانت مصر دائنة لبريطانيا وللعالم، خرج الملك فاروق من مصر سنة ٥٢ ومصر دائنة ولها ديون على العالم، أين الآن؟ الآن مصر لو باعت أراضيها لا تستطيع ان تسد ديونها، لا تستطيع أن تسد الربا (ربا القروض) عليها خمسة وثلاثين إلى أربعين مليار دولار، يعني خمسة وثلاثين ألف مليون دولار، الربا إفرض أنه عشرة في المائة، إفرض سبعة في المائة، رباه حوالي اثنين ونصف مليار، الفين وخمسمائة مليون دولار في السنة الربا، من أين تدفع هذا مصر؟ ولذلك سلاح بدون تقوى مصيبة على الأمة، مصيبة عظمى، كانت بريطانيا اذا وضعت عالماً في السجن، قامت المظاهرات في كل البلد، أغلقت البلد مسكت بريطانيا ثلاثة من الفلسطينيين (عطا الزير، وجمجوم، وغيرهم)[1] كل فلسطين صارت تردد:

يا ظلام السجن خيّـــم	*إننـــا نهـــوى الظلام*
ليس بعـــــد الليل إلاّ	*نـــور فجــــر يتسامـــى*

النساء في البيوت يرددنها ويعلمنها للأولاد، فما كان الاستعمار يجرؤ أبداً أن يفعل عشر معشار ما فعله أبطالنا الثوريون!!!، أين الإسلام في العراق الآن؟! في سوريا؟! في ليبيا؟! هل يمكن أن تجد لحية في داخل دمشق أو العراق في بغداد أو في طرابلس أو في بنغازي؟! لا تجد، لايمكن، إلا المستعد للموت، لا يمكن أن يستطيع أو يجرؤ ثلاثة من الشباب أن يجلسوا في المسجد ويقرأوا القرآن، خمسة من الشباب وجدوا أنهم يجمعون الاموال لأفغانستان في العراق، أعدموهم، الخمسة في الثانوية، هل كانت بريطانيا تجرؤ ان تفعل عشر معشار هذا؟ لا تستطيع، ولذلك نحن لا نريد سلاحاً بدون تقوى، ولا نريد تقوى بدون سلاح، لا بدّ من التقوى والسلاح، يسأل بعض الاخوة يقول موجود في داخل أفغانستان بعض الخلافات وبعض المرات يُقتل، قلت، نعم أنت تريد شعب كاملا يحمل السلاح أن لا يحصل مثل هذا؟ نعم موجود يقتل بعض الناس في داخل أفغانستان، لأن روسيا توظف أموالاً ضخمة وتشتري ضمائر بعض الناس الفقراء، وسهل أن تشتري ضمير الفقير ببعض الأموال، وتدس في هذه الجبهة عشرة وفي هذه الجبهة عشرة، يأخذون رواتب، وظيفته أن يقتل قائد الجبهة، ويبقى يقاتل معه سنة وسنتين، حتى إذا خلا به بعد سنة أو سنتين يقتله ويرجع يأخذ مائة ألف أفغاني، مائة ألف أفغاني يعني ألفين ريال سعودي (٢٠٠٠)، قائد تجده دمر خمسمائة دبابة لروسيا والدبابة بإثنين مليون دولار ألف مليون دولار قتله بالفين ريال، فشراء الضمائر سهل وناس بيدهم سلاح، فكثير من القادة قتلوا بهذه الطريقة على يد أناس اسمهم مجاهدون، لكنهم عملاء للدولة، عملاء، فالآن المليشيا الذين يقاتلون مع روسيا أليسوا من أفغانستان، أليس اسمه محمد وأحمد وعلي هكذا، لكن من أجل دراهم معدودة، فبدون تقوى وجود سلاح يخرب في البلد ويفسد، فلا نريد سلاحاً بدون تقوى، ومن هنا لا بد من التربية للمجاهد لأن المجاهد إذا حمل السلاح بدون تربية يصبح قاطع طريق، قاطع طريق يقف هنا على الطريق، إدفع على كل جمل يمر مائة روبية، على كل سيارة تمر ثلاثمائة روبية وهكذا، قطاع طرق، الآن الشيعة في "باميان" وفي غيرها لا يمكن أن تمر قافلة من قوافل المجاهدين إلاّ ويأخذوا عليها ضرائب، قطاع طرق، كل عشر قطع سلاح يأخذون قطعة، كل عشرة صناديق يأخذون صندوقاً هذا اذا كانت قافلة قوية، أما إذا كانوا ضعاف قد يأخذون كل أموالهم وأسلحتهم، فسلاح بدون تقوى مصيبة ولو كان أخوك وابن عمك، لان السلطة في شهوة البطن وشهوة الفرج وشهوة العظمة، أو السلطة شهوة الفرج أشد من شهوة البطن وشهوة السلطة أعظمها وأشدها داءً على النفس، يعني يمكن معالجة شهوة البطن بالطعام، وشهوة الفرج بالزواج، ولكن شهوة العظمة لا تنتهي، إذا أخذ هذا البلد، يريد جيرانها، وإذا أخذ أفغانستان يريد باكستان، وإذا أخذ باكستان يريد......إلخ، وهكذا شهوة العظمة، شهوة حب الظهور.

ذات مرة عبد القادر عودة جالس مع عبد الناصر عندما بدأت الخلافات، بداية الخلافات بينه وبين عبد الناصر، بين الحركة الإسلامية وبين عبد الناصر- عبد القادر عودة كان صديقه الحميم يستشيره عبد الناصر في أموره، وهو رئيس الوزراء يمر على مكتب عبد القادر عودة وهو عائد إلى بيته بعد الدوام، رئيس الوزراء كان عبد الناصر، ويتغدى في مكتب عبد القادر عودة، يطلب له كباب، كان يحب الكباب عبد الناصر- فقال له وهو يعاتبه يقول له يا عبد الناصر: هذه حركة، ونحن نخشى شاباً جاهلا من شباب الأخوان أن يفلت منا، فنخشى عليك، قال: تخشى علي! كم هم الأخوان؟ هذا جواب عبد الناصر، ثلاثة ملايين، خمسة ملايين، سبعة ملايين أنا أقتلهم، ذهل عبد القادر عودة، قال له: تقتل سبعة ملايين من أجل شخصك، سبعة مليون، كان عدد سكان مصر في ذلك الوقت حوالي اثنين وعشرين مليون، ثلث سكان مصر، قال له: تقتلهم من أجل شخصك، فعرف عبد الناصر أن هناك سراً فلت من فمه فبدأ يقول: أنا أهزر

---

(١) الثالث هو: فؤاد حجازي.

وأمزح، نعم هو مستعد أي واحد أن يقتل الشعب كله، ويبقى الكرسي الذي تحته، ولذلك دائماً الأمريكان بالذات يقولون له: سلمنا هذه القطعة من الأرض أو نأخذ الكرسي؟ إذبح المسلمين أو نأخذ الكرسي؟ نذبح، إسكت عن اليهود أو نأخذ الكرسي؟ نسكت، أخرج المرأة وأفسدها، انشر التلفزيون، أنشر السينما، أنشر الفساد أنشر المسارح، السينمات أو نأخذ الكرسي؟ لا لا لا... الكرسي خليه وأنا أذبحهم، أبيد الامة كلها، أهم شيء الكرسي، المهم الكرسي، فالكرسي هذه تلف، فتلف رأسه معها، هذا الكرسي الذي يجلس عليه الحكام بتلف فهم يلفون دماغه مع السلطة، فسلاح بدون تقوى مصيبة، مصيبة عظمى، انظروا إلى حال الجزائر بعد أن استلمها أبو مدين وقد جازاه الله بما يستحق، ما أذل أحد شعبه المجاهد مثلما أذل أبو مدين الشعب العزيز الذي دفع مليون شهيد، اذله ابو مدين، نشر *الخمر*، أخرج المرأة، أفسد المجتمع، وبالتالي قال: نحن لا نريد أن نصنع البارود مرة أخرى، الاشتراكية واحدة هي الاشتراكية اللينينية الماركسية، هناك الاشتراكية العلمية التي هي الاشتراكية اللينينية الماركسية، والاشتراكية العربية والاسلامية، من هذه الاسماء، قال: لا نحن لا نريد ان نصنع البارود مرة أخرى، الاشتراكية واحدة هي الاشتراكية العلمية اشتراكية ماركس ولينين، ولذلك ربنا جازاه، تعد في النزاع حوالي أربعة أشهر..

(ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) (الأنفال: ٥٠)

(ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون، ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون) (الانعام: ٩٣-٩٤)

الشرطة والجيش وما إلى ذلك، ما دخلوا القبر معه هل يوجد حراس داخل القبر؟ الحراس خارج، خائفين أن يطلع مرة ثانية.

التقوى هي التي تجعل الحاكم يعيش أبسط الناس، نعم يعني الان تدخل بابي، ترى أولاد سياف يلبسون مثلهم مثل بقية الشعب المهاجر، بيته نفس البيت، طين أرضه تراب لايوجد في بيته مكيف، الحب على وجوه أولاده من الحر أهداه أمامي أحد السعوديين مكيفاً وسجاجيد، قال له: حتى تضعها في مضافتك وحتى لاولادك هذا المكيف، قال: والله لا أسمح لنفسي أن يعيش أبنائي تحت المكيف، والناس في الخيام يموتون من الحر، ولذلك هذا الحاكم الذي تأمنه على عرضك، على مالك، على دمك، على نفسك، أنا اطلعت على مصروف حكمتيار، والله رأيت الدفتر، قلت له: كم تنفق في الشهر، قال: ألف وخمسمائة إلى ألفين روبيه، إذا وصل ألفين روبية في الشهر، هو وعائلته نعاتب الأهل أننا أنفقنا كثيراً، ألفين روبية، ألفين روبية كم؟ أربعمائة ريال سعودي!! زعيم عنده مائة ألف مسلح في داخل أفغانستان!! أربعمائة ريال!! وأنت عندنا تنفق ألفين ريال تخلص من (١٨) الشهر، قبل أن يأتي آخر الشهر بـ (١٢) يوم تستقرض، بعض الشباب ينفقون في الجبهة أكثر من ألفين روبية في الشهر يريد أن يأكل المقلطح والمندي، المندي اللحم المشوي بالتراب، الحنيذ.

هؤلاء القادة الفرش الذي عندهم ربما لا يفرش كل المكتب، والأرائك التي يجلسون عليها، الكراسي تغرق فيها لانه لا عليها قماش ولا غيره، أنت تنزل بين الحديد، كأنه مشتريها من السوق الواحدة بعشرين روبية والا بثلاثين روبيه، نعم أي واحد منهم لا يمكن تجد في بيته مكيف، أنا دخلت بيوتهم -الاربعة خاصة هؤلاء- وأكلت عندهم يعني أقل واحد عربي ينفق مثلهم على مرتين أو ثلاث، من المجاهدين العرب فهؤلاء الذين يؤتمنون.

هذا يونس خالص عمره سبعون عاماً، عالم واحد من الأمريكان قال لهم: يا جماعة اقبلوا بدولة محايدة، تكون طرفاً ثالثاً تشرف على انسحاب الروس من داخل أفغانستان، قال للأمريكي: اسمع والله لو التقت السماء على الأرض ما قبلنا بهذا، من الذي يستطيع من حكامنا أن يجرؤ يتكلم مع شرطي أمريكي، فضلاً أن يتكلم مع وكيل وزارة الخارجية الامريكية بهذا؟ قال له: إسمع والله لو إلتقت السماء على الأرض ما قبلنا بهذا، عزة، ومع ذلك ليس عندهم طعام اليوم، فنحن نريد التقوى قبل السلاح لأن السلاح قبل التقوى مصيبة، مصيبة مصيبة، من المصائب العظيمة أن يحمل الشعب السلاح دون أن يكون متربياً على الإسلام، لانه يقتل بعضه بعضاً، ويحيل المجتمع إلى غابة من الأسود المفترسة، أو الوحوش الضارية، القوي يأكل الضعيف، لقد رأيتهم، رأينا هؤلاء الذين يحملون السلاح دون تقوى، مصيبة على الأمة، مصيبة طامة كبرى:

{يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن

يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه] يعني هذا توبيخ بصورة غير مباشرة، يعني كان القرآن يقول لهم أليس عيباً عليكم أن تقعدوا والرسول ﷺيقاتل؟! هل أنتم أفضل منه؟! ما كان لكم، يعني لا يليق بكم يا أهل المدينة أن تتخلفوا عن رسول الله، كما قال أبو خيثمة، -الرسول ﷺذهب إلى تبوك-، كان متزوجاً اثنتين، زوجتين وكل واحدة منهن قد أعدت عريشاً ورشت بالماء المبرد، وقد طابت الثمار، فوقف على باب العريش، قال: والله أبو خيثمة في ظل ظليل، وماء بارد، ورسول الله ﷺ في الحر والضح (الشمس) في الضح والحر والشمس، ما هذا بالعدل، والله لا أدخل عريشاً حتى ألحق برسول الله ﷺأعدوا لي راحلتي ناقتي ولحق برسول الله ﷺ (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) وأنتم أيها المسلمون ما كان لكم أن تتخلفوا عن رسول الله ﷺولا ترغبوا بانفسكم عن نفسه، يرغب بنفسه عن نفسه (أي يفضلها عليه أو ينصرف عن المكان الذي اختاره رسول ﷺ) لستم خيراً منه، ولستم أفضل منه فهو خير من وطيء الثرى ﷺ، فإذا كان رسول الله ﷺيمشي من المدينة إلى تبوك ستمائة وخمسين كيلو متراً، ويواجه الرومان، فأنتم لستم أفضل منه إذا واجهتم الروس، بل عيب عليكم أن تتخلفوا عن المكان الذي اختاره رسول الله ﷺلنفسه ولاتباعه من بعده، (والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل) لماذا؟ أولاً لستم أفضل منه، والعرب ليسوا أفضل من الأفغان، فتأتي للعربي تقول له: مجاهد في سبيل الله، فيدخل يده في جيبه فيقول هاه يحسبها عدة مرات هل هي خمس ريالات وإلا عشرة مرة اثنتين، يتطلع عليها ينظر إليها لئلا يكون غلط، دفع عشرة ريال يقول: خذ، دفع بلاء عن الأولاد، خمس ريالات!! هل مالكم كله، هل ثروة دول البترول كلها تساوي دم شهيد أفغاني واحد؟! هل مالكم أغلى من دمائهم ؟ أم دماؤكم أفضل من دمائهم؟ أم نسلكم أشرف من نسلهم؟! أم عرقكم أطيب من عرقهم؟! أم أنتم شعب الله المختار وهؤلاء قد خلقهم الله ليخدموا شعب الله المختار؟! لو دفعتم كل أموالكم أنتم مقصرون، لأن هؤلاء يدفعون الدم، وأنتم تدفعون المال، والدم أغلى من المال، ولا يقوّم بمال، إنّ كل أموال الجزيرة وبترولها لا يساوي دم صفي الله أفضلي، ولا يساوي دم عبد الودود، ولا يساوي دم قيمت خان ولا يساوي دم عبد الواحد، ولا يساوي دم ذبيح الله في بلخ لا يساوي (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل إمرىء مسلم) الدنيا كلها، (ولا يرغبون بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنه) فوق هذا، فوق أنكم لستم أفضل من الرسول ﷺ[ذلك بأنه لا يصيبهم ظمأ -عطش- ولا نصب -تعب- ولا مخمصة -جوع- في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح] هولاء الإخوة الذين يذهبون للشمال ويقطعون جبال نورستان، هذه جبال نورستان لا يستطيعون أن يقطعوها في النهار، يقطعوها قبل طلوع الشمس، لانها عالية والاكسجين فيها قليل جداً، فلا يستطيعون مع وجود شمس أن يقطعوها، والله واحد من إخواننا أرسلناه كان يتمنى الموت وهو في رؤوس الجبال من شدة التعب يتمنى أن يموت، نعم، لو رأيت هؤلاء الواحد منهم، شاب منعم سعودي دكتور نظاراته نازلات على أنفه لشدة الهزال والتعب، الذي أعياه وأصابه أثناء الطريق، فالجهاد تعب، الجهاد مشقة، وفوق ذلك التعب النفسي أحياناً أعظم بكثير من التعب الجسدي، الملل القلق، السأم، الزهق الذي يصيب الإنسان مع طول الرباط،الحنين للأهل، الشوق الى الوظيفة، هذا تعب نفسي، الحنين إلى جيرانك، الحنين إلى المسجد، الحنين لسماع صوت الحذيفي وغيره في الحرم والسديسي أو من صالح بن حميد، يحن لصوت الحرم، الآن تجد أبناء الجزيرة، تجدهم يفتحون وقت آذان المغرب يسمعون صوت الآذان، يسمعون صوت الخليفي وهو يؤم صلاة المغرب، ونور على الدرب، لكن لا يدري أن النور على الدرب الذي مشى فيه، النور هنا يا محترم، هنا الدرب، هنا النور، هناك كنت ترى نور على الدرب؟ الله أعلم..

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	*لعلمت أنك بالعبادة تلعب*
من كان يخضب خده بدموعه	*فنحورنا بدمائنا تتخضب*
أو كان يتعب خيله في باطل	*فخيولنا يوم الكريهة تتعب*
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	*رهج السنابل والغبار الأطيب*

أخطر ما يعانيه الإنسان في هذه المرحلة هي مرحلة السأم، الملل، لذلك تجده يمكث يوماً يومين في بيشاور عندما يصل، متى أذهب إلى التدريب، متى أذهب إلى الجبهة؟ أريد أن أذهب، طيب تفضل هذه السيارة، يصل صدا ،ثلاثة أيام وإذا به يقول: والله أريد أن أتصل بالأهل، خرجت دون أن أودعهم، أهلاً وسهلاً ما فطنت للأهل إلا هنا، واحد يأتي ما استأذنت أمي، ليس لها إذن خذ مني، لا إذن لا للوالد ولا للوالدة عليك، أمي دعت عليّ، وقالت: أنا غاضبة عليك، غضبها مردود لأن غضبها في رضا الرحمن، خرجت لإرضاء الرحمن فاغضبت الإنسان، هل الدعوات تستجاب من الأرض أم من السماء؟ من الرحمن، والرحمن راض عليك، فليدع من يدع، أمك أبوك كله

(١) صدا: اسم مخيم مشهور في مدينة بيشاور ثم تغير اسمه فيما بعد إلى اسم «العثمانية».

يدعوا، ما لهما؟! أصلاً دعواتهم تستجاب إذا كان رب العزة راضياً، وإذا كان رب العزة غاضباً عليهم، بسبب منعهم للجهاد لابنهم فكيف يستجيب دعاهم على ابنهم، لأنه خرج يؤدي عبادة فريضة من الفرائض الكبرى التي فرضها الله على ابنهم؟ واحد جاء قال لي: أمي دعت عليّ وأبي دعا عليّ في التلفون، قلت له: يدعو، كلما دعا يزداد الأجر لك، فالسأم خطير، الملل، هوى النفس، تريد أن تمكث في بيشاور فترة، ترجع إلى بيشاور تمكث فيها أسبوع، لماذا العيشة أطرى، تنام كثيراً، تأكل كما تشاء في العثمانية وفي طباق[1] وفي مطاعم وما إلى ذلك، فكل هذا موجود هنا، مافي بطاطا وعدس، أعماكم (أبو عمر) منها، فالنفس تركت المألوفات تركت الترف، تركت النعيم، تركت الفراش الوثير وهنا على الحصير، فالنفس تمل، خاصة إذا لم يجد من بلده أناس يثبتونه، ويزداد الملل، ويزداد القلق إذا وجد واحداً يثبطه، واحداً يعوقه، يقول له: يا أخي المشاكل كثيرة في داخل أفغانستان، نحن لا نستطيع أن نقول كل هذا أمام الناس، ربنا أمر بالستر، وماذا؟ أمر بالستر، يا أخي يقتلون بعضهم بعضاً، يا أخي فقط أنت لأنك عاقل نقول لك هذا، نعم لا تقل، خليها مستورة، نعم مع من تذهب، تذهب عند أحمد شاه مسعود هذا الذي يذبح الناس بالعشرات والمئات، وهذا مع الفرنسيين والإنكليز والأمريكان، وهذه القصص التي يشيعها أعداء الله، ضد القادة الذين ساقهم الله لإذلال روسيا، صدقوا - كما أظن - أن روسيا مستعدة أن تدفع آلاف الملايين وتقتل أحمد شاه مسعود، آلاف الملايين، ويأتي واحد يقول: أحمد شاه مسعود هذا عميل للفرنسيين والأمريكان والانكليز والألمان ويعدد، لا يتقون الله عز وجل، ولذلك الجهاد يحتاج إلى تقوى، تقوى، وإلا سهلة الإشاعات، طيب كيف تعرف أن أحمد شاه مسعود عميل للأمريكان أو ليس عميلاً؟ والناس غوغاء ودهماء، الشرع قال:

﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (البقرة: ١١١)

عندك وثائق يا أخي؟ واحد عايش في رؤوس الجبال منذ ثماني سنوات - كما يقولون هم - يعيشون مع الذئاب في رؤوس الجبال هذا عميل للأمريكا وهو ينتظر الموت كل لحظة؟! وروسيا تتابعه في كل مكان، أي مكان تظن أنه فيه تضربه، خمس وأربعون طائرة دفعة واحدة ترسلها على المكان الذي هو فيه، لماذا؟ لأنه عميل للأمريكان؟ ما رأينا لباسه ولا حياته ولا حذاءه، لكن رأينا خلاف ذلك، رأينا أن الله أعز به الإسلام داخل أفغانستان، وأذل به أعداء الإسلام، وأذل به الكفر، وزلزل به أقدام روسيا وهزمهم، فالله عز وجل سبحان الله يعني ألقى محبته في قلوب الناس هذا الرجل، في داخل أفغانستان في بيشاور على الركشات، صاحب الركشة واضع صورة أحمد شاه مسعود على الركشة، الباصات تجد ما في الباص شيء وكله وسخ وطين وما إلى ذلك، وصورة أحمد شاه مسعود عليه، فيأتي هؤلاء ينبشون من تحت،المثبطون والمرجفون في المدينة، المخذلون، يا أخي الجهاد الأفغاني كذا وهذه القبائل ويذبحون بعضهم بعضاً واعتداءات بينهم وقتال بين البعض و....إلخ، فالحمد لله رب العالمين يعني معروف أن القوة إذا جاءت القوة يعني تتحرك ثلاث فرق دبابات مع بعضها مع طائرات، المجاهدون يُرعبون ويهربون من المنطقة لأنهم لا يستطيعون أن يواجهوا، الآن بالعكس الدولة إذا علمت أن أحمد شاه مسعود يريد أن يهجم على المنطقة، في منطقة بشغور هربوا قبل أن يأتي، فعلموا أنه سيهجم هربوا قبل أن يأتي، نعم قبل ثلاث أسابيع تقريباً علموا أن أحمد شاه مسعود يريد أن يهجم على بشغور، هربوا قبل أن يطلق طلقة واحدة..

﴿فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون﴾ (الأنفال: ٥٧)

(نصرت بالرعب) رعب أحمد شاه وصل، هم يسمونه الطاعون، وصل الطاعون، وصل الشيطان، يسمونه الشيطان والطاعون وصل، لكن بعض الناس لا يستطيعون أن يعملوا عشر معشاره، فتجدهم ينبزون به ويقدحون به وغير ذلك، لا بأس، الذي يريد أن يعمل كلما برز كلما ازداد أعداؤه **(ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار)** هذا إن شاء الله موطناً نغيظ به الكفار، طبعاً الكفار يعلمون أن هنا معسكر، ويغتاظون منه، وجاءت الطائرات مرتين، والحمد لله في المرتين بعد أن تمر الطائرة تلحقها طائرة باكستانية وتسقطها، في المرتين، صدقوا هذا المعسكر ربنا حماه، رغم أنّ كل المنطقة التي حولنا تقريباً كل المعسكرات المحيطة بنا ضربت، إلاّ هذا المعسكر، مرت الطائرة قلت: سبحان الله فوقنا، بعد قليل سقطت، لحقتها طائرة باكستانية وأسقطتها، ترى باكستان تعجبك في الطيران، فيها طيارين ما شاء الله، والله الحمد لله يعني الجيش الباكستاني جيش قوي، وإلا الباكستان ضدها كل العالم، وتسعين مليون، وحولها الهند حوالي ثمانمائة مليون، يعدون دائماً لضربهم، أنظر قطعوا عنها بنجلادش مائة مليون.

أنظر أعداء الله ينشئون لها الفتن والقلاقل في داخل باكستان، يقولون للبلوشيين قوموا، وللشيوعيين قوموا، واعملوا مظاهرات وللشيعة قوموا، وللسندا إنفصلوا، ولأهل بيشاور انفصلوا، هذا ضياء الحق هذا بنجابي وأنتم كيف يحكمكم وأنتم بشتون، البنجابيين يحكموكم يا بشتون إنكم باتان، أنتم عرق مجاهد، عرق مقاتل، كيف هذا يحكمكم صار له عشر سنوات يحكم فيكم، ولذلك تجد عبد الولي خان هذا زعيم البشتون هذا زعيم بيشاور، دائماً يهدد بانفصال بيشاور والمنطقة الحدودية، وأهل السند يهددون بانفصال السند، وأهل بلوشستان يهددون بانفصال بلوشستان، قلاقل ربنا يعينه عليها.

ضياء الحق والجهاد:

الظاهر من هذا الرجل، والله أعلم نحن لا ندري أصحاب العقول الكبيرة يقولون هذا عميل لأمريكا، فكيف يقف مع الجهاد الأفغاني، إذاً الجهاد الأفغاني كله لأمريكا، لكن نحن نقول -والله أعلم- إنّ الله ساق ضياء الحق ليكون دعامة كبيرة، وسنداً عظيماً من أسناد الجهاد الأفغاني، يقول هو: لو لم يبق إلا أنا من باكستان مع الجهاد الأفغاني لأعنتهم، يقول هذا، نعم، والله عندنا يقول، أنا حضرت له عدّة خطب، عندما يتكلم عن الجهاد الأفغاني كأنه قائد من قادة الجهاد الأفغاني، يتكلم كلام المسلم، كلام المجاهد، يقول: هؤلاء إخواننا لن نتخلى عنهم، ويواجه الروس بهذا، الذين عقولهم كبيرة ما شاء الله، رؤوسهم ماشاء الله، يقولون: هذا عميل لأمريكا، والجهاد لأمريكا، إذاً أمريكا تقول له: ادعم الجهاد الأفغاني، والدليل على ذلك (استنجر)!! أنه أرسلت أمريكا (استنجر) لكي تحطم الطائرات الروسية، هم لا يدرون أنّ أمريكا تأخذ ثمن كل صاروخ (استنجر) سبعين ألف دولار من أموال المسلمين، لا يعلمون هذا، قاعد ما شاء الله مبسط والقهوة قدامه، ويشرب رشفة القهوة، يقول لك: هذه حرب النجوم بين أمريكا وبين روسيا، نعم حرب الكواكب، وإلاّ الشعب الأفغاني هذا يستطيع، مثل ما قال الشيخ سياف قال: قابلت أحد الزعماء العرب، فبدأت أشرح له عن انتصارات المجاهدين، وعن ما أيدهم به الله من كرامات وما إلى ذلك، قال: وهو يبتسم ابتسامة صفراوية بالتالي قال له: أنتم تستطيعون، طبعاً بلغته المحلية، أنتم تستطيعون أن تقاوموا روسيا، فقال الشيخ سياف: والله ما دام هكذا آن لأبي حنيفة أن يمد رجله، قال له سياف: إسمع: أبوك مات، قال له:نعم، قال له: سيدك مات، قال له نعم، قال له طيلة حياتك وأنت تشتغل لدنياك، اشتغل يوماً واحداً لآخرتك، قدم **{ولا يرغبون بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنه لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئاً يغيظ الكفار}** طبعاً وكلما اقتربت إلى أفغانستان، كلما أغظت الكفار أكثر، يغيظ يعني يغضب **{ولا ينالون من عدو نيلاً}** يعني لا تحطم سيارة ولا دبابة ولا تسقط طائرة، ولا تقتل شيوعياً، ولا تأسر جندياً إلاّ تغيظهم **{ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين، ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً}** يا سلام! كل خطوة مكتوبة، كل كلمة مكتوبة، كل دقيقة مكتوبة، كله عمل صالح، ما دام الذي له فرس **(من احتبس فرساً في سبيل الله فشبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة)**، من نقى شعيراً لفرسه فله بكل حبة شعير حسنة، شعير **(إنّ فرسه ليستن بطوله)** يعني يلعب بحبله والأجر يجري عليه، دائم الأجر، يجري عليه، وإذا مت في الرباط خاصة اذا كنت سلمان فإن الأجر لا ينقطع إلى يوم القيامة **(كل ميت يختم على عمله إلا من مات مرابطاً فإن عمله ينمى له إلى يوم القيامة)**.

ماذا تريد أكثر من ذلك؟! وكل يوم بألف يوم. وهنا قال لي بعضهم: أيهم أكثر أجراً هنا أو في جاجي قلت له: هنا لغير المتدرب أكثر أجراً، لأننا نقوم بفريضة الإعداد ونقوم كذلك بشبه فريضة الرباط، نحن لسنا مرابطين تماماً، شبه مرابطين، لأن المرابط هو الذي على الثغور (يعني على الحدود) يخيف العدو ويخافونه فنحن نخيف العدو ونخاف منهم، نخاف ان تهجم علينا الطائرات، ونخاف أن يهجم علينا أعداء الله، لكن لسنا على الحدود تماماً فنحن شبه مرابطين فقل: نحن نقوم بفريضة الإعداد وبثلاث أرباع فريضة الرباط، نحن آخذون واحداً وثلاثة أرباع، الذي في جاجي بدون إعداد يأخذ ماذا؟ واحد صحيح التي هي أجرة المرابط، فأجركم إن شاء الله أعظم من أجر الذي يرابط في الداخل بدون إعداد، وكلما مكثت في هذا المكان كلما ازددت فائدة، سواء روحياً، فكرياً جسدياً ، سلاح، ثقافياً ، هذا غير موجود في مكان آخر، فكلما جلست في هذا المكان كلما استفدت أكثر، وعلامة تصميمك وعزمك على الإستمرار في الجهاد مكوثك هنا فترة أطول، لأنك تريد أن تتقن السلاح تريد أن تتقن الإعداد، تريد أن تتقن هذا من أجل أن تستمر في الجهاد إلى أن تلقى الله، والجهاد هنا في أفغانستان في فلسطين، في معظم الأرض الآن كل مسلم على الأرض الآن فرض عين عليه أن يحمل السلاح ويقاتل كل مسلم في الأرض إلا الأعمى، والأعرج والمريض..

{المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً} (النساء: ٩٨)

هؤلاء فقط الذين رفع الله عنهم الحرج، والبقية كل من لقي الله وهو لا يقاتل أولا يعد للقتال فإنه يلقى الله آثماً.

أسئلة عن الكرامات

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا.

نحن نجعل هذه الليلة للأسئلة عن أحوال الجهاد، عن أي شيء تريده مما يتعلق بالجهاد الأفغاني، بحالة المجاهدين ما إلى ذلك،

نحن إن شاء الله نجيبك عليه:

السؤال الأول: كان رجل قد قتل في صدا أثناء التدريب برصاصة خطأ من أخيه أو من نفسه هل هو شهيد؟

الجواب: نعم إن شاء الله شهيد وإن له الجنة على لسان رسول الله ﷺ، شهيد وله الجنة ونعامله في الدنيا معاملة الشهيد ولا نغسله ولا نكفنه ولا نصلي عليه، لأنه وصل إلى أرض الرباط وإن شاء الله نأمل من الله عز وجل أن يعطى خصال الشهيد التي ذكرها رسول الله ﷺ السبعة {**إن للشهيد عند ربه سبع خصال يغفر له مع أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن الفزع الأكبر ويلبس تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويشفع بسبعين من أهل بيته ويزوج باثنين وسبعين من الحور العين**} الحديث صحيح إن شاء الله.

السؤال الثاني طاعة الأمير:

طاعة الأمير واجبة في كل أمر مباح أو مندوب أو مفروض وإذا أمر الأمير بأمر مباح يصبح فرضاً ويصبح تطبيقه فيه ثواب، وعصيانه فيه عقاب أو إثم لأن أمر الأمير فرض، ولو كان الأمر مباحاً تكلم أولا تتكلم هذا الكلام وعدم الكلام أمر مباح لكن إذا جاء من الأمير، من أمير السرية يصبح طاعته فرض ونحن هنا عبارة عن سرية مجاهدة، أمراء السرايا هم أولوا الأمر منكم الذين عناهم الله عز وجل بالآية.

{يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} (النساء: ٥٩)

فأمير السرية أمره فرض أي يجب تنفيذه وتركه حرام وعصيان لله عز وجل لأنه {**من أطاع أميري فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله ومن عصا أميري فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله**} ولو تركت السنن ونفذت أمر الأمير يكون عند ربك خير من صلاة السنن وقيام الليل وصلاة الضحى وصوم النافلة، يعني لو تركت صيام النافلة فانت غير آثم، أما إن تركت أمر الأمير أو عصيته فانت آثم وتحاسب عليه.

ولذلك الأمر يجب أن يكون واضحاً في ذهنك لأن الجهاد عبادة جماعية لا يمكن أن تتم إلا بأمير وبجنود مجاهدين، ولا يمكن أن تكون جماعة بدون إمارة، وبدون طاعة، وبدون تنفيذ أوامر، لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بلا أمير ولا أمير بلا طاعة، كما روى عن سيدنا عمر رضى الله عنه:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سـراة إذا جهالهـم سـادوا

ولا يمكن أن يستريح أحد إلا إذا كان الجميع يطيعون الأمير، وإذا كان يطبق نظام على المكان وإلا يصبح الأمر فوضى ولا يستقر أحد، بل لا تستطيعون أن تؤدوا عباداتكم ما لم يكن هنالك إمارة وهيبة للأمير وطاعة من قبل المجاهدين، فلا بد من طاعة الأمير، إن قال أطفئوا الأنوار الساعة التاسعة فمعنى ذلك لا أنوار بعد التاسعة، لا تنيروا الأنوار في الكشافات في داخل المعسكر معناه يحرم عليك أن تنير الكشاف في داخل المعسكر، يقول عقوبة عليك أن تحرس ساعتين في هذه الليلة تنفيذه فرض وعصيانه إثم وحرام فإن نفذته فانت مثاب من الله عز وجل لأنك تنفذ أمر الأمير، وإن عصيته فانت آثم إن شاء ربك عاقبك وإن شاء غفر لك. لأن الأمر للوجوب، والواجب ما يثاب فاعله ويأثم تاركه، وهذه القضية يجب أن تكون واضحة تماماً على أنك لو تركت السنن وتركت صيام النافلة وتركت صلاة الضحى بل لو تركت سنة الظهر وسنة المغرب وما إلى ذلك هذه لا تساوي ثواب طاعة الأمير، ولو عصيت الأمير تكون آثماً إثماً لا ينالك إذا تركت السنن والنوافل {**وما تقرب إليّ عبدي بمثل ما افترضته عليه**} وطاعة الأمير فرض بنص الكتاب وبنص السنة، فانتبهوا، في أي مكان في الجبهة، هنا في صدا، في جاجي ما إلى ذلك أميرك يجب طاعته، كان الصحابة رضوان الله عليهم يخشون كثيراً أن يعصوا الأمير -الصحابة رضوان الله عليهم-.

فأبو ذر رضي الله عنه عندما اختلف مع سيدنا عثمان، لأن -أبا ذر- كان لا يطيق أن يرى واحداً من المجتمع يخرج عن السنة، فكان إذا رأى واحد يخرج عن السنة بيده عصا يضربه، دائماً بيده العصا يضرب، فوجد سيدنا عثمان أن أبا ذر لا يستطيع أن يعيش في جيل التابعين في المدينة المنورة، فأمره أن يخرج من المدينة إلى الربذة، فخرج إلى الربذة وبقي فيها حتى مات.

ولذلك طاعة الأمير، قال وإن أخذ مالك وضرب جلدك، قالوا يا رسول الله أفلا ننابذهم العداء، قال ما لم تروا كفراً بواحاً لكم فيه من الله.

برهان ابن عابدين ينص على أن الأمير (الإمام) لو أمر بصيام يوم نافلة مثلاً من أجل الإستسقاء قال صوموا يوم الإثنين فإن صيام اليوم ينقلب حكمه فريضة، هذا نص إبن عابدين في حاشيته.

طبعاً هو المسؤول عنكم أمام الله عز وجل مسؤول أن يرأف بكم، مسؤول أن يعمل ما يصلحكم، مسؤول أن لا يظلمكم مسؤول أن لا يفاضل بينكم إلا بالتقوى والعمل، مسؤول، والله عز وجل، يحاسبه يوم القيامة عنكم ويحاسبكم يوم القيامة عنه.

ولذلك أبو ذر، قال {**يا أبا ذر إنك رجل ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أعطاها حقها**} أو كما قال ﷺ.

وأمير الخيمة أمير ويجب طاعته، وأمير الخيمة يتلقى الأوامر من الأمير العام.

سؤال عن الكرامات:

يعني الحقيقة الكرامات في الجهاد الأفغاني أصبحت متواترة لا مجال لإنكارها، والذي ينكرها إنما ينكر الشمس في رابعة النهار، وأسألوا إخوانكم العرب، ليس أنا فقط يعني أنا رأيت الطيور تحت الطائرات، ورأيت الطائرات كانت تضربنا في جاجي فقلت للإخوة إبعدوا نزلت علينا قذيفة، قالوا لا ليست هذه قذيفة هذا طير تحتها، والطير يسابق الطائرة كيف هذه؟ ألف كيلومتر تقطع في الساعة.

الشهيد عبدالواحد، هذا قائد بغمان الذي قلت لكم هو شبه أمي،أظن مستواه رابع إبتدائي، جاء أخذ سلاحا ومساعدات من الشيخ سياف، هو من الإتحاد الإسلامي، فالروس دخلوا بغمان على حدود كابل تماماً، على بعد أربع، خمس كيلومتر من حدود كابل، فجاء الروس إلى بغمان وطافوا بها، قالوا أين عبد الواحد؟ أين المجاهدون؟ عبد الواحد عندما وصل بغمان نزل إلى السوق، قال وصل عبد الواحد أين الروس؟

فالمهم استشهد، كان معي رسالة أخذت من جيبه وعليها بعض قطرات من دمه بقيت حوالي شهرين ورائحة المسك يخرج منها.

إستشهد معنا في فلسطين سنة السبعين واحد اسمه محمد سعيد با عباس من اليمن الجنوبي قائد من القادة استشهد في الغور في الصيف في آب أو في تموز، وفي ذلك الوقت كان الغور حاراً جداً جداً ويعتبر الغور أكثر مناطق العالم حرارة، لأن أخفض منطقة في العالم الغور، اللحمة خلال ساعتين أو ساعات تتعفن، ذهبت إليه، ذهبنا إليه في اليوم الثاني من استشهاده في العصر، هو استشهد المغرب فأخذناه العصر فحملته كان يتثنى كالنائم، ومددت يدي على جيوبه فوجدت محرمة -منديلا- فبقيت فترة طويلة وهي تفوح مسكاً وعطراً.

كذلك هنا في جاجي كرامات الإخوة العرب ،هذا هشام الديلمي ابن الدكتور عبدالوهاب الديلمي الذي استشهد قبل أقل من شهر هو وأبو مصعب الفلسطيني الطائفي، أولاً دماؤهم شهد الإخوة العرب على أنها كانت تفوح كالمسك، ثانياً دفنوا قبل أيام رأوا النور يخرج من قبور أربعة من إخواننا، النور يخرج من قبورهم.

أخونا أبو حفص الأردني استشهد، حدثني شاكر الزنداني وأبو معاذ اليمني قالا عندما استشهد رأينا على وجهه غبره بيضاء فجئنا ظنناها تراباً أبيض وإذا بوجهه -هو كان أسمر- قد استنار كالبدر، استنار كالبدر، والأفغان يشهدون على أن النور يخرج من مكان دمه ،استشهد في معركة شوال ثلاثة عشر أخاً عربياً، سبع منهم شهد الكثيرون أن الدم له رائحة كالمسك، ضلت عنا أو ضاعت عنا جثة الأخ عبدالله المصري استشهد في واحد شوال وجدناه في اثنين ذي القعدة لم يتغير، بينما جثث الشيوعيين تتغير في خلال ثلاث ساعات، في خلال ثلاث ساعات أو أربع ساعات ينتفخ، أنا رأيتهم -الشيوعيون- أعوذ بالله من حالهم ورأيت القيح والدم يخرج من أفواههم ورؤوسهم منتفخة هكذا وبطونهم ثم تنفجر ويخرج منها الدود، أنا رأيتهم في جوار، معسكر الشيخ جلال الدين في خوست (جوار) في خوست، بينما أخونا شهر كامل أولاً: لازال دمه لزجاً دم ينقط، لزج ما جف.

ثانياً: يتثنى كالنائم والمعروف أن الميت مثل الخشبة ثالثاً: لم يتغير إلا طرف أنفه وعينه وفمه تغيراً بسيطاً، كما قال جابر فحفرت على أبي فوجدت طرف أنفه قد تغير وهو كاليوم الذي دفنته فيه، هذا بعد ست وأربعين سنة سيدنا جابر ابن عبدالله.

لما فاضت العين في زمن معاوية جاءوا إلى جابر قالوا الحق لقد فاضت عين معاوية، فقال حفرت عليه فوجدته كأنه الساعة قد دفن ولم يتغير إلا طرف أنفه أو طرف أذنه... نسيت الرواية.

وفي رواية للبيهقي أن حمزة بن عبدالمطلب قد أصابت المسحاة رضي الله عنه قدمه لما أرادوا أن يخرجوا جثثهم من الماء حتى لا تسحبها المياه، قال فنزل الدم منها، نعم نزل الدم، القصص أصبحت متواترة، تواتراً معنوياً ولا مجال للشك فيها، طبعاً يعني إخواننا رأوا الكثير، أبو أسيد أبو حفص الأردني الذي استشهد عندما رجع السنة الماضية من مزار شريف من بلخ قلت له: حدثنا عما رأيت هو أبو سيد من *الكرامات قالوا:* لو حدثناك يا شيخ عبدالله يا راوي الكرامات ما تصدق الكرامات، قلت لهم: هاتوا حدثونا، قالوا: قذيفة

(آر بي جي) أصابت مجاهداً -قذيفة الـ (آربي جي) تحرق دبابة ست وأربعين طناً ونصف- قال: طار حزام الرصاص عن صدره ولم يجرح، قذيفة آربي جي ليس رصاص.

قائد من تندهار حدث هنا أحاديث عجيبة ومعه مساعده أمام الجميع قال: أظن واحد إسمه يار محمد، الطائرة مرت، كانت تريد أن تقصف فخبأ الكلاشنكوف تحت صدره وانبطح على الأرض وضربته الطائرة بصاروخ، جاء الصاروخ بظهره، إنكسر الكلاشنكوف ولم يجرح ظهره، الكلاشنكوف تحت بطنه، إنكسر الكلاشنكوف تحت بطنه ولم يجرح ظهره.

الحقيقة القصص كثيرة، قصص إخواننا العرب، يعني سعود البحري الذي هو سعد الرشود وعبدالوهاب الغامدي، فسعد الرشود شهد لي عبد المتين وهو القائد الأفغاني قال بعد ثمانية عشر ساعة من استشهاده جاء مولوي يقرأ القرآن فوق رأسه فبدأ ينتفض خوفاً من القرآن، الشهيد صار ينتفض من الخشية بعد ثمانية عشر ساعة من استشهاده، ودفنوهم ،فالنور كان يخرج من قبورهم وقد رآهم كثير من الأفغان ،أما العرب رآهم الأخ أبو داوود قال: ذهبت وراقبت النور الساعة الحادية عشر إلا الربع بدأ النور يخرج من الأرض إلى السماء ثم ينزل ،فقلت له يعني مثل هذه الشعلة -كان أمامي سراج أو شمعة- قال والله مثل النيون، عبد الله الغامدي هنا في چمكني عند (نظر محمد) جاء (نظر محمد) مع مجموعة من قادته وأنا سألته هنا في هذا المكان هنا في صدا، قلت له ماذا عن عبد الله الغامدي سمعنا أن التكبير يخرج من قبره؟ قال: نعم، قلت لهم سمعتموه! قالوا إن شئت أن تسمعه فتعال معنا في چمكني.

الحقيقة كل واحد له كرامة، كثير منهم كانوا يودعون إخوانهم على أساس أنهم اليوم سيستشهدون، لأنهم يرون في المنام الحور العين، وأنتم سمعتم الشيخ تميم يحدث عن خير محمد أو خير الله، حدثه قال له: لقد جرح أمامي -من قادة جلال الدين خير الله- أحد المجاهدين وبدء يلفظ أنفاسه قال يا خير الله: تعال أنظر الحور العين، وصلت الحور العين نعم رأى الحور العين، كثير منهم يودعون، يرون الحور العين في المنام، أو إخوانهم يرون لهم الشهادة.

وأنا ذكرت لكم قصصاً كثيرة حتى الجن المؤمن يجاهد معهم.

وحدثتكم قصة صفي الله مع قومانداں مسلم، الإثنان قائدان لأحمد شاه مسعود، واتفقوا على ليلة من الليالي يعملون فيها عملية أو يوم من الأيام يعملون عملية، فقال له يا مسلم: أنت عليك أن تقصف المعسكر من جهتك بالأسلحة الثقيلة ونحن نهجم.

فالمهم هجم صفي الله وكانت الأسلحة الثقيلة في داخل المركز (في الهدف)، وبعد أسبوعين التقى صفي الله بمسلم قال له: جزاك الله خيراً يعني كان لضرباتك أثر كبير في نصرنا أو في نجاحنا ،فقد كانت تسقط القذائف كأنك تلقيها بيدك على المركز، قال له متى؟ قال له ليلة أن اتفقنا، قال والله ما ألقينا ولا قذيفة، قال إذاً من أين القذائف التي كانت تأتي؟ قال يومها جاءت الطائرات وأذهلتنا عن أنفسنا، فقال له كانت أسلحة ثقيلة ترمى في نفس الوقت الذي اتفقنا عليه.

المهم بعدها بعدة أيام أحد المجاهدين أصابه مس من الجن، فجاء واحد من العلماء وصار يقرأ عليه، فقال له الجن اتركني معه، قال له أخرج إتق الله عز وجل لماذا تؤذي هذا المجاهد؟ قال: من قال لك أنا أؤذيه، أنا أساعده في الجهاد، قال له: كيف تساعده في الجهاد؟ قال: ليلة صفي الله من الذي كان يقصف على المعسكر.

إثنان جرحوا في بنجشير، والدبابات تقدمت لتأخذهم، قدم الروس ليأخذوهم فوصلوا إليهم الروس ولم يأخذوهم، فالله عز وجل عمى أبصارهم وقفوا عندهم ولم يروهم.

المهم ليس هذا، كيف يصلون إلى معسكرهم؟ نهر بنجشير ضخم، فايض ويريدون أن ينتقلوا إلى معسكرهم، ومعسكرهم في الجهة الأخرى ولا يمكن للصحيح أن يقطعه فكيف واحد لا يستطيع أن يتحرك إلا زحفاً على بطنه.

فالمهم قالوا نعنا فوجدنا أنفسنا عندما استيقظنا في الضفة الأخرى للنهر، لكن المعسكر بعيد، فبدأوا يزحفون على بطونهم مكثوا يزحفون على بطونهم خمسة عشر يوماً، أرجلهم مكسرة من القذائف خمسة عشر يوماً كيف بقوا أحياء، قالوا كانت تأخذنا سنة من النوم فنستيقظ فنرى في المنام عنباً، تفاحاً، لحماً، دجاجاً إلى آخره، فنأكل ونقوم وبقاياه في أسناننا وطعمه في حلوقنا، فظلوا هكذا حتى وصلوا، أولئك خلاص يئسوا قالوا أسروهم الروس، إنتهى أصيبوا، جرحوا، ولا يستطيعون أن يقطعوا النهر، والدبابات قريبة والروس تقدموا، فقالوا كيف انتقلتم إلى الجهة هذه؟ قالوا: والله لا ندري نحن ما وجدنا أنفسنا إلا هنا، كيف وصلتم؟ قالوا زحفاً، ماذا كنتم تأكلون؟ يطعمني ربي ويسقيني.

فماذا نحدث؟ نحدثكم عن مياجل وهو عديل محمد ياسر الذي هو مسؤول اللجنة السياسية عند الشيخ سياف، فمياجل هذا -وهي من القصص التي كتبتها في عبر وبصائر- كان قائداً عاماً لبغلان ودكتور فقتل، استشهد فجاء الروس، فرح الشيوعيون في

المنطقة لأنه استشهد، فجاء قائد الشيوعيين في المنطقة و أراد أن ينتقم منه وهو ميت فرفع رجله لضرب رأس مياجل فشلت قدمه، وجاء الشيوعيين ليربطوه بالسيارة ويطوفوا به في بغلان ليقنعوا أهل المنطقة أننا قتلنا مياجل: فكلما اقتربوا منه صاح بهم -مياجل- اعطوني رشاشي سأقتلهم، سأذبحهم، يهربون من ميت يتكلم كلما اقتربوا صاح بهم ونهرهم وزجرهم. فذهب الشيوعيون، اشتروا كفناً وقالوا للعلماء للمشايخ الكبار في البلد: خذوا هذا الكفن لقائدكم هذا ولن تغلبوا ما دام فيكم أمثال هؤلاء.

المهم دفنوه وبقي التسبيح والتكبير يخرج من قبره، نعم هو أفغاني.

فأهله في بيشاور حزنوا عليه كثيراً اخواته يسكنون في بابي، يوماً كنت ذاهباً إلى بابي قال لي محمد ياسر الليلة حصلت كرامة عجيبة في بابي، حزنت عليه أخواته وأهله فقام أخوه في الليل يدعو الله أن يريهم كرامة له حتى يطمئنوا أنه شهيد، قال وبينما كان يصلي في الليل سقط من السقف شئ وإذا بها باقة زهور ليس لها نظير، فدعى أخواته وقال لهن -بابي في ذلك الوقت لا نبات ولا زهر ولا شيء فيها- الطريق فيها يحتاج إلى غواصة أو باخرة حتى يقطع من حارة لحارة، أيقظ أخواته هذه علامة أن أخانا شهيد، أنا دعوت الله عز وجل فانظرن هذا الزهر الذي لا نظير له، المهم قالوا نوقظ محمد ياسر ونريه هذه الكرامة، الساعة الثانية في الليل قالوا لا، دعوه نائماً في الصباح نوقظه ونريه إياها فوضعوها في المصحف لكثرة عزتها عليهم وفي الصباح فتحوا المصحف ولم يجدوا شيئا.

نعم الحقيقة الكرامات يقول بعضهم: إن الكرامات هذه أكثر من كرامات الصحابة، نعم أكثر من كرامات الصحابة، لأن الكرامات تنزل على الناس ضعاف الإيمان.

ولذلك سئل الإمام أحمد، لماذا كرامات التابعين أكثر من كرامات الصحابة؟ قال: لأن الصحابة أكثر إيماناً يتنزل عليهم الوحي، بينهم الرسول ﷺ، ليسوا بحاجة إلى كرامات لتثبيتهم، هؤلاء مساكين ضعاف الأفغان عزل، فالله عز وجل أنزل هذه الكرامات عليهم ليريهم أنهم على الحق وحتى يثبتوا على هذه الطريق، والكرامات كان لها أثر كبير جداً على ثبات الأفغان، نعم أثر كبير، فالكرامات التي تنزلت على الأفغان أكثر من الكرامات التي تنزلت على الصحابة رضوان الله عليهم.

ولذلك قال ابن تيمية: ولذلك كثرت الكرامات في أيام التابعين، والكرامة كما يقول ابن تيمية: إنما تنزل لحجة أو لحاجة، لحجة في الدين أو لحاجة من إنزال رزق أو نصر.

أظن العرب الآن الذين جاهدوا ولا واحد يسأل عن هذه القضايا لأنها أصبحت عندهم مسلمات، يعني واحد عربي إسمه أبو خباب في قندهار، قال أنا رأيت رصاصة، رصاصة دوشكة أصابت ظهر مجاهد وانزلقت عنه كأنه فولاذ وقفزت أمامه.

أحد إخواننا القادمين من بنجشير من تخار كانت قد أصيبت رجله، كسرت، وجاء عليها بعد شهر تقريباً من تخار إلى بيشاور، فقال أذهب أصور رجلي أرى ماذا فيها؟ جاء عليها فعندما صورها قال له الطبيب: رجلك مكسورة إجلس على الكرسي، هذا يضرها لا تقف، قال له مشيت عليها ستمائة كيلو، الطبيب في المستشفى الكويتي قال له هذا يضرها لا تقف عليها، قال جئت عليها على بعد ستمائة كيلومتر من تخار.

الأمراض التي شفى منها العرب: أبو برهان كان فيه مرض شديد جداً وهو مغص معدة لا يفارقه، منذ أن جاء هنا للجهاد إنتهى المرض، كثير منهم عندهم روماتيزم ربو هذا قاري سعيد الجزائري قال لي: طيلة الشتاء في المدينة المنورة والتصف الخلفي من المخ والمخيخ والنخاع المستطيل الذي هو المخيخ هذا مع النخاع المستطيل، كأنك تضع فيه شطه، فلفل، يؤلمني ثم ذهب إلى تخار في الثلوج، هناك ثمانية أشهر الثلوج تبقى ولم يحس بألم، عاش في الثلوج وعمل الدورة في داخل الثلوج ثلاثة أشهر لم يشعر بأي ألم.

كثير من الإخوة بعضهم رجله تؤله وبعضهم غضاريف وبعضهم روماتيزم وبعضهم ربو، وكلهم يقولون لي ما شفي إلا في الجهاد، لا يشفى إلا في الجهاد، وكتبتها تحت عنوان البلسم الشافي، قصص هؤلاء، فيعني قصصهم أصبحت الآن متواترة ولا مجال لمنكر أن ينكر، أما الذي يعيش بعد الدراهم هذا صعب جداً عليه أن يصدق كثير من هذه الكرامات ويعتبر هذه من الخرافات أو من الصوفية أو من غير ذلك، كما يحلو له أن يفسر ،ولكن الله عز وجل حرمه من المجيء للجهاد حتى من تصديق قصص أهل الجهاد، ماذا نصنع له؟

قصة العراقي علي نعم حدثتكم إياها لما تركوه في جبال نورستان، قال: اتركوني أموت لأني لا أستطيع أن أتحرك ،وبقي بين الثلوج يومين، قال وفي الليل بين الثلوج لا إنس ولا وحش، سمعت هاتفاً يقول لي إصبر إن الله معك، هذا قبل ثلاثة أسابيع، قال فنزلت السكينة على قلبي، وهو إنسان عادي ،ونمت كأني نائم على الحرير وساق الله إليه قافلة راجعة وحملوه على حصان وأوصلوه إلى چترال وصل إلى بيشاور، بدأت الغرغرينة تظهر في ماذا؟ في مشط رجله، فقرر الطبيب قطع مشط رجله، قال له علي، لا تقطع قال له الطبيب اقطعها أو تخرج من المستشفى، قال أخرج من المستشفى ولا تقطعها.

والعجيب أن رجله بدأت تتعافى من الغرغرينة، نعم وهو شاهد على هذا. كل واحد منهم له قصة أو قصص من الإخوة العرب مما رأى.

أما الأفغان فحدث عنهم ولا حرج، ويقول بعضهم إن هذه الكرامات كانت في أول الجهاد ثم انقطعت وأنا أقول لا، لا زالت كل يوم تحدث، كل يوم تحدث وواحد يحمل دين الله عز وجل ويناقح عنه ويدافع ويقدم دمه ابتغاء مرضاة الله، سبع سنوات، عشر سنوات، هل هذا كثير على رب العالمين أن يكرمه مرة، أن يخرجه من مأزق أو من ضيق؟.

ألم نحدثكم أن الأسد لقي سفينة في جزيرة من الجزر، بعد أن حطمت سفينتهم، سفينة مولى رسول الله ﷺ، فأخذ بإذن الأسد، قال يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله ﷺفطأطأ الأسد ظهره حتى ركب السفينة وأوصله إلى شاطيء الأمان ثم همهم مودعاً وعاد.

الآن في داخل أفغانستان ما ثبت أن مجاهداً مات بلدغة أفعى رغم أنها تلدغ الشيوعيين، ما ثبت، لقد قتلت العقارب مجموعة من الشيوعيين، حدثني أحد المجاهدين إسمه عمر حنيف قال أن أحد المجاهدين رأى أفعى جاءت وربضت بقربهم، فسكت فانتبه إليها مجاهد آخر، قال يا إخوة الأفعى الأفعى أقتلوها، فقال له الأول الذي كان يراها، يا إخوة اتركوها جاءت تستمع الذكر، كثير منهم يجد الأفعى في داخل فراشه ولم تلدغه.

فهذه القصص كثيرة بل كثيرة جداً جداً، نعم ولا تأكل جثث الشهداء نعم وكثير من الجثث ضاعت، ضاعت جثث الشهداء ولم تظهر إلا برؤيا، أمه تراه أخوه يراه في المنام،قائد يراه في المنام يقول له أنا بقيت ثلاث أشهر في العراء في مكان كذا تعالوا خذوني وادفنوني، فيذهبون بعد شهرين أوثلاثة يجدون جثته كما هي فيدفنونها، كما هي، بينما الشيوعيون جثثهم تخرج رائحتها من أول يوم، واحد اسمه مير آغا حدثني قال رؤيا العين أنا رأيت الأرض تلفظ جثة شيوعي ثلاث مرات، ثلاث مرات هو من لوكر ترميه وتلفظه، أولاً حفروا حفرة فوجدوا فيها أفعى، قال احفروا غيرها، هذه القضايا أصبحت عند الأفغان من المسلمات، قالوا لو حفرتم الأرض كلها ستجدون هذه الأفعى، ضعوه عليها، فوضعوه ودفنوه، فالأرض رمته، ثم دفنوه فالأرض رمته مرة ثانية وثالثة.

فالقصص لا يتسع لها مثل هذا الدرس كثيرة كثيرة جداً.

كان الشيخ قد سئل وهل هناك جهاد الآن غير الجهاد الأفغاني تذهب إليه؟ فأجاب:

الحقيقة لا يوجد جهاد الآن في الأرض بمثل هذا الشكل، بمثل هذا الزخم، مثل الجهاد الأفغاني، وكل الجهاد في الأرض لو جمعته لا يصل كله بمجموعه، لا يصل إلى جهاد جبهة كبيرة مثل جبهة بنجشير أو جبهة جاجي، نعم لا يصل، وأنا متأكد من هذا، أما إذا فتح الله على المسلمين وانتصروا في أفغانستان فانتقل حيث تشاء لأن الجهاد فريضة العمر مثلها مثل الصلاة والصوم يعني لا ينتهي بفتح أفغانستان أو تحريرها وإقامة الدولة الإسلامية فيها، تذهب إلى بيت المقدس إن شاء الله نحرره، تذهب إلى الفلبين، تذهب إلى اليمن الجنوبي -الشعب الديمقراطي الحر- حتى نحرره من أرجاس الشيوعيين يعني هذه الفريضة، فريضة الجهاد، فريضة الأبد، فريضة دائمة على المسلم، فريضة الحياة مثلها مثل الصلاة كما أن الصلاة لا تسقط عن الإنسان إلا إذا مات، فالجهاد لا يسقط عنه إلا إذا مات، لا يسقط عنه أبداً لا بتحرير فلسطين وبتحرير أفغانستان و.... إلخ، فريضة دائمة، وترك الجهاد -القتال- ترك القتال إنما يعني أو يماثل ترك الصلاة أو الصيام. بل سئل الإمام أحمد قالوا له: رجل يريد أن يغزو وهناك برد في الكانونين ويخشى أن البرد يجعله يُقَصِر في بعض الصلوات؟ قال يغزو، رغم أن الجهاد هناك فرض كفاية وهو يخشى أن تفوته بعض الصلوات.

قالوا له رجل يريد أن يغزو ولم يحج؟ قال يغزو ثم يحج، بينما كان الجهاد في أيام أحمد بن حنبل فرض كفاية لأن فيه جيش للمسلمين، وأرض المسلمين ليست متعرضة للخطر، لم يؤخذ منها أراضي ،أما إذا وطئ الكفار أرض المسلمين كالحالة التي نحن فيها فالجهاد فرض عين كالصلاة والصوم لا يسع أحدٌ تركه، حتى يطرد الكفار، فافرضوا أننا حررنا أفغانستان ننتقل إلى فلسطين، إفرضوا حررنا فلسطين الفلبين، لبنان إلى آخره يبقى الجهاد، فرض عين حتى نحّرر بخارى وسمرقند وطشقند وقفقاسيا وشيشنة و داغستان ونحرر الأندلس، حتى نحرر كل بقعة كان عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله. والذين يثبطون عن الجهاد هؤلاء كالذين يقولون للشاب القوى ذي المرة (يعني ذي القوة) في رمضان إفطر وإثمك في رقبتي. فالذي يقول للناس لا تذهبوا لأفغانستان وإثمكم في رقبتي كأنه يقول له أترك الصلاة وإثمك في رقبتي أو أترك الصيام وإثمك في رقبتي.

والجهاد: هو القتال، لابد أن نقاتل بالسلاح، هو قتال الكفار بالسلاح حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون أو يسلمون.

وكلمة في سبيل الله هو كذلك القتال أو الجهاد. الجهاد فريضة العمر مستمرة لا إذن لأحد أبدا في مثل هذه الأحوال لا لوالدين ولا لحاكم بلدك ولا لأحد في الدنيا أبدا لا إذن لأحد، قالوا والإمام يُستأذن (يعني أمير المؤمنين) في الجهاد إلا في حالات.

الحالة الأولى: إذا فوت الإستئذان المقصود.

ثانياً: إذا منع الإمام الجهاد.

ثالثاً: إذا علمنا أنه لا يأذن لنا، في هذه الحالات لا يستأذن أما في غيرها يكره أو يحرم الغزو بدون إذن الإمام إلا في مثل هذه الحالات.

الإمام ليس شرطاً :

الإمام ليس شرطاً من أجل الجهاد. قال ابن قدامة: وإذا غاب الإمام أو إذا فات الإمام لم يؤخر الجهاد لفوات مصلحته بتأخيره فوجود الإمام ليس شرطا.

إختلاف الناس وأحزابهم وما إلى ذلك هكذا قاتلوا أيام صلاح الدين وأيام نور الدين زنكي وأيام التتار وأيام الصليبيين كلهم كانوا أمراء، أمير لحلب، أمير للشام، أمير لمصر، أمير لهذا ومع ذلك قاموا وجاهدوا وما قال أحد إنه يجب أن يتحدوا قبل أن يجاهدوا، وقصة أبو بصير: أبو بصير قاتل وحده ذهب إلى العيق على ساحل البحر وعمل قاعدة وصار يهاجم قوافل قريش حتى الغت الشرط أن من جاء من الكفار -من قريش- إلى رسول الله ﷺ يرده فاضطرت قريش أن ترجو رسول ﷺ أن يلغي هذا الشرط. والقتال ولو وحدك:

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا).

(النساء: ٨٤)

عن أبي إسحاق قلت للبراء بن عازب الرجل يهجم على مجموعة من الكفار أيلقي بنفسه في التهلكة؟ قال يا ابن أخي إنما ذاك في النفقة لقد أنزل الله على رسوله كتابه وقال له (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) فلو كنت وحدك يجب أن تقاتل إذا استطعت.

قيل لأبي بكر بن العربي صاحب كتاب أحكام القرآن أبو بكر بن العربي هذا غير بن عربي، بن عربي من الشام ذاك المخرف الصوفي محي الدين بن عربي، هذا أبو بكر بن العربي، بن العربي من فقهاء الأندلس المشهورين وله أحكام القرآن.

قيل له: فإذا قعد الناس جميعاً؟ قال إن إستطعت أن تغزو بنفسك يجب عليك الغزو، وإلا فاعمد إلى أسير فافتديه ونرجو الله عز وجل أن يسقط عنك الإثم.

فالمهم وهذا الأخ يقول أبيات بن المبارك للفضيل بن عياض، الفضيل بن عياض كان من العلماء المحدثين الزهاد العباد الذين يردون أمير المؤمنين عن أبوابه.

الخليفة هارون الرشيد أرق ذات ليلة قال للربيع خذني إلى رجل يذكرني بالله! قال فذهبنا إلى باب الفضيل فدققنا الباب فوجدناه يصلي وبعد أن اختتم الركعتين. قال: من بالباب؟ قلت أمير المؤمنين معه الربيع، قال مالي ولأمير المؤمنين دعوني وربي في هذا الليل! قال وافتتح ركعتين أخريين وهارون على الباب وبعد أن أنهى الركعتين، ركعتين عنده كم؟ ساعتين. بعد أن أنهى الركعتين قرعنا الباب، من بالباب؟ أمير المؤمنين هارون، قال مالي ولهارون ولأمير المؤمنين! دعوني وربي في هذا الليل.

المهم كان عبدالله بن المبارك صديقاً للفضيل بن عياض وكان عبدالله بن المبارك من التجار الكبار والعلماء الأفذاذ وكان ينفق كل سنة مائة الف درهم على العلماء وكان يخصص شهرين للرباط على حدود الشام تركية بين الروم وبين المسلمين وكان في طرطوس والمصيصة هذه وقصصه هذه كلها نقلها كما نقلت أنا مثل آيات الرحمن في جهاد الأفغان.. الجهاد لإبن المبارك. كلها نقلها عن الذين حوله في المعارك فالمهم أرسل رسالة للفضيل بن عياض، قال له أبياتاً من الشعر:

يا عابد الحرمين لـو أبصرتنـا	*لعلمت أنـك بالعبـادة تلعـب*
من كان يخضب خـده بدمـوعـه	*فنحورنـا بـدمائنـا تتخضب*
أو كان يتعب خيلـه فـي باطل	*فخيولنا يوم الكريهـة تتـعـب*
ريح العبير لكـم ونحن عبيرنـا	*رهج السنابـك والغبـار الأطيب*

أنا في نظري الآن الذي يجاور في الحرم يتعبد ويعتكف هذا آثم لأنه لم يأت إلى الجهاد، وأنا عندي المجاهد في داخل أفغانستان. المجاهد في داخل أفغانستان مهما كان حاله إذا كان يصلي فهو أفضل من عابد الحرمين الذي يعتكف في الحرم، أفضل بكثير، لماذا؟! لأن هذا قائم بفريضة الجهاد وذاك تارك لفريضة الجهاد .وتارك الفرض إن لم يكن له عذر عند الله فهو فاسق وآثم.

عن أبي عمران قال: كان الروم ملصقي ظهورهم بحائط القسطنطينية ،وكنا هناك تحت إمرة عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فهجم بعض المسلمين على الروم، فقلنا سبحان الله سبحان الله يلقون بأنفسهم إلى التهلكة ! فقال أبو أيوب فينا معشر الأنصار نزلت هذه الآية عندما نصر الله دينه وأعز نبيه ﷺقلنا لو رجعنا إلى أموالنا فأصلحناها فأنزل الله:

(وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (البقرة: ١٩٥)

فكانت التهلكة ترك الجهاد والرجوع إلى الأموال والأولاد. التهلكة ترك الجهاد ،ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أي لا تتركوا الجهاد.

سئل الشيخ: ما حكم النساء والصبيان إن وجدوا بين أسرى الكفار؟

لا نقتلهم إلا إذا قاتلت المرأة فتقتل، إلا إذا ثبت أنها قتلت فتقتل يمكن قتلها.

الأطفال والنساء، إذا كانوا مختلطين مع الكفار، يجوز ضرب الجميع. أما إذا كانوا منعزلين وحدهم ولا يقاتلون فلا يجوز ضربهم، تذائف الهاون والصواريخ والآربي جي لا يجوز أن نضرب بها منزلاً نعلم أن هذا المنزل هو عبارة عن مدرسة أولاد! أو هذا محل خياطة للنساء،إذا كنا مطمئنين أن النساء لا يقاتلن في أفغانستان، أما بيوت الشيوعيين الأفغان فيها الأطفال وفيها نساؤهم هذه يجوز ضربها وتدميرها بالهاون، كما جاء عن الصعب ابن جثامة قالوا يارسول الله القوم يبيتون وفيهم ذراريهم؟ قال **(هم منهم)** يعني حكمهم حكمهم، نعم إذا كن يشاركن، إذا كن في الجيش أو يساعدن في الجيش يجوز قتلهن.

سئل الشيخ عن الإمام وكيف يبرز ويخرج؟ فأجاب الشيخ: الإمام إن شاء الله يطلع بعد ما ننتصر في أفغانستان يبرزه الجهاد، الجهاد يبرز القادة، ولا يمكن أن تقوم دولة إسلامية إلا عن طريق جهاد طويل، طويل المدى، هذا الجهاد الطويل المدى هو الذي يبرز القيادات، هذه القيادات التي تبرز، الناس يلتفون حولها وهي التي تستلم الإمارة بعد النصر ،وهذه لا يمكن القيام بانقلاب عليه لماذا؟ لأن الناس يحبونه، ما جاء عن طريق الإنقلاب مثل حافظ والقذافي!! لا هؤلاء برزوا من خلال أعمالهم، أبرزهم جهادهم فالناس يضحون بأنفسهم من أجلهم، ولذلك هؤلاء لا يحدث عليهم إنقلاب لأن الشعب كله مسلح مدرب، ليس السلاح فقط مع الجيش حتى يقوم بانقلاب حفنة من الضباط الضائعين أصحاب البصاطير ،تعرف الاحذية الثقيلة ورأسه ثقيل بقدر حذائه، نعم يكون ساقط غالباً، معظم الثوريين في بلادنا يكون ساقط في المدرسة فيلتجيء إلى الكلية العسكرية وما شاء الله طول الحيط ١٨٥ سم ووزنه الله أعلم كم؟ تسعون أو خمس وتسعون وما يفهم، دائماً عمره ما أخذ خمسين في الرياضيات إلا ساقط أقل من خمسين ،وبعد ذلك يستلم البلد ويذل كل واحد فيها، العالم لازم يأتي على قدر عقله الصغير، والمفكر على قدر عقله، وأستاذ الجامعة والفيلسوف والمربي والكيميائي والفيزيائي والمخترع كلهم لازم يمروا من خلال هذا الحلقة الصغيرة التي إسمها عقل حافظ الأسد.

ولذلك تخرب البلد كلها. أما هذا فقد برز من خلال جهاده، يعني الآن لو سألت أي واحد في داخل أفغانستان كيف أحمد شاه مسعود؟ يقول الله يحفظه، مجاهد، أذل الروس، لا يختلف اثنان على هذه الحقيقة.

والله عبدالله أنس قال لي أنا راجع من تخار بنجشير، لما وصلت وردك على بعد ثلاثمائة كيلومتر وجدتهم يبكون، ما بالكم تبكون؟ أهل ولاية وردك، قالوا سمعنا من الإذاعة أنهم أمسكوا بأحمد شاه مسعود! صائمين عن الزاد، قال لهم أبشروا لقد جئت من عنده، ففرحوا فرحاً شديداً. ما رأيتم كيف كانوا يحبون أبا بكر وعمر ،والخلفاء كيف كان يحبون رسول الله ﷺإذا كان شجاعاً زاهداً مضحياً من الذي لا يحبه إلا الذي في قلبه مرض ؟ولذلك لا يمكن. كل الجماعات الإسلامية والحركات الإسلامية أنا أبشرها لن تستطيع أن تقيم دولة أبداً، لن تستطيع أي حركة أن تقيم دولة إسلامية إلا إذا دخلت الحركة وحركت الجهاد وتحرك الشعب وراءها، إنقادوا وراءها، فإذا كل الأمة اشتركت في الجهاد ودفعوا الثمن وصار النصر غالياً عليهم وأقاموا دولة الإسلام عندها، عزيز عليهم أن يفرطوا بهذا، لأنهم ضحوا بدمائهم يوم أن لم يكن لهم دولة فكيف وقد قطفوا الثمر بأيديهم ؟كيف يفرطون بهذه الثمرة، أما الآن يطلبون من الحاكم، نريد غزة خذوها، الضفة الغربية خذوها، الجولان خذوها لماذا؟

ومن أخذ البلاد بغيـــر حـــــرب يهـــون عليــــه تسليـــم البلاد

هم تعبوا بهذا؟ مال آبائهم مال أمهاتهم ورثوها كابراً عن كابر هذه الأراضي للمسلمين.

جاءوا بها أبو عبيدة وعمرو بن عاص وخالد وهم سلموها فلا يمكن لحركة إسلامية أن تقيم دولة إسلامية وحدها، لا بد أن تستعين بالشعب، أي حركة إسلامية تعيش بعيداً عن الشعب لا يمكنها أن تقيم دولة إسلامية.

الأفغان والسلفية *

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

توضيحاً لما قيل اليوم في خطبة الجمعة حتى تكون واضحة للأذهان والمعنى المقصود.

أولاً: السلفية وهي الرجوع إلى نهج السلف الصالح، الرجوع إلى الكتاب والسنة، التحاكم إلى النصوص الصحيحة، هذا نهج إن شاء الله، وهذه عقيدتنا التي ندين الله بها جميعاً فنحن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، ونؤمن بأ التوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية أو توحيد المعرفة والإثبات، نثبت لله عز وجل ما أثبته لنفسه من صفات ونؤمن بالله عز وجل خالق رازقاً، محيياً مميتاً يرجع الأمر كله إليه يدبر الأمر، إلى الله ترجع الأمور، هذا توحيد الربوبية.

ونؤمن بتوحيد الألوهية يعني التوحيد العملي أو توحيد الله بأفعال خلقه، والأول توحيد الله بأفعاله، فنحن نصلي لله وحده، وننذ لله وحده ونحج لله وحده ونذبح لله وحده ونتحاكم إلى الله وحده لا شريك له.

ونؤمن كذلك بتوحيد الأسماء والصفات.

النوع الثالث من التوحيد، فنحن قاعدتنا في الأسماء والصفات هي القاعدة التي سار عليها السلف الصالح نثبت لله عز وجا الأسماء الحسنى والصفات العليا التي ثبتت في الكتاب أو في السنة الصحيحة من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

لسنا نشبه وصفه بصفـاتنـا　　　　إن المشبـه عابـد الأوثـان

كلا ولا نخليه من أوصـافـه　　　　إن المعطـل عابـد البهتـان

هذه عقيدتنا بالنسبة للتوحيد.

ونحن نؤمن أن السلف رضوان الله عليهم كانوا يعلمون معنى هذه الصفات ولا يفوضون، فنحن لسنا مفوضين، فنحن نثبت هذ الصفات ولكن كانوا يفوضون الكنه إلى الله عز وجل وهي كما قال مالك:[الاستواء معلوم والكيف مجهول] كيف؟.... لا نعلم.

فهم كانوا يفوضون الكيف، أما معنى الإستواء ومعنى اليد ومعنى هذه المعاني كانت واضحة في أذهانهم فهم كانوا يعلمون معنى هذه الصفات ولكن يفوضون معنى الكنه أو الكيف إلى الله عز وجل، ونحن نؤمن أن الله عز وجل مستوٍ على عرش بائن عن خلقه فوق السماء السابعة كما يقول ابن المبارك والسلف. ونؤمن أن الله عز وجل له يد ولا نقول يده قدرته، ونؤمن بالإستواء، ولا نقول الإستواء الإستيلاء، وإذا سئلنا عن الإستواء نقول كما قال مالك:[الإستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب] نحن نؤمن بهذا كله، عقيدتنا بهذا الشكل إن شاء الله، هذه العقيدة التي ندين الله بها ونلقى الله عليها إن شاء الله وهي العقيدة الأسلم والأحكم والأعلم، وليس كما يقول بعض الناس عقيدة السلف أسلم وعقيدة الخلف أحكم، لا..بل عقيدة السلف أسلم وأعلم وأحكم.

تـوضيـح:

ثم نقول توضيحاً لما ورد في خطبة الجمعة على لسان الشيخ أقول: خلاصة الخطبة أن الله عز وجل منّ على البشرية في هذا القرن بإحياء الجهاد على يد هذا الشعب الذي أثبت من المواقف ما لا يمكن للعقل البشري أن يحل لغزه إلا بالإحالة إلى قوة الله عز وجل وتأييده ووقوفه سبحانه وتعالى بجانب هؤلاء أو معيته سبحانه معهم وإلا ليس هنالك لا تفسير عسكري ولا عقلي ولا علمي يحلل ما يجري في داخل أفغانستان، ليس هذا قولنا وإنما هذا قول الكفار قول البلجيكيين والفرنسيين وغير ذلك الذين يرون المعارك ثم بعد المعارك يقولون: إنها حقائق ولكننا لا نستطيع تفسيرها، هذا الشعب الأعزل الفقير العاري، هذا الشعب كما يقول رسول الله ﷺ عن أهل بدر **«اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأطعمهم»** وأنا أشهد بين يدي الله عز وجل كما قرأت السيرة ورأيت حالة الأفغان، أن حالة الأفغان أشدّ من حالة أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر، فهم أشدّ منهم فقراً، وهم أكثر منهم حفاءً، وهم أكثر منهم جوعاً، هذا الشعب بحاجة إلى من يأخذ بيده لا بحاجة إلى من يزيد آلامه آلماً، ولا أن يزيد مشاكله مشكلة، وأنا قلت لكم عدة مرات، يا أبناء العرب قلت لكم دعوا مشاكلكم وتمزقاتكم واختلافاتكم فوق ساحة بلادكم، لا تنقلوها من ساحة بلادكم إلى هذه الساحة، كفاهم تمزقاً وكفاهم مشاكل ولا تضيفوا فوق أثقالهم ثقلاً ولا تضيفوا فوق أحمالهم حملاً، خلافاتكم في بلادكم وفي مساجدكم بين فلان في هذه الحركة الفلانية وهذه الحركة الفلانية نحن جئنا هنا نخدم قضية الجهاد، فكل ما يخدم قضية الجهاد نحن نريد أن نفعله، خلافاتنا الفقهية وغير ذلك نتركها في بلادنا، الخلافات السياسية، الخلافات العقائدية، الخلافات الفكرية، الخلافات الفقهية، هذا ليس محلها أبداً، ليس محلها، هنا ما هو إلا السيف والطعان.

---

* كان هذا الشريط بعنوان «دعوة الأفغان إلى التوحيد» واستبدلناه بعنوان يناسبه «الأفغان والسلفية».

الجهل عند الأفغان:

نحن لا ننكر أن الأفغان عندهم بعض المشاكل بل مشاكل كبيرة، ومن هذه المشاكل الكبرى الجهل، والسبب أن الجيل الذي يقاتل الآن هو الجيل الذي تربى تحت الثورة الشيوعية، هذا لم يسمع كلمة واحدة في مسجد، المساجد مهدمة، علماؤهم معظمهم إما استشهدوا، وإما أنهم هربوا بنسائهم وأعراضهم إلى خارج الحدود، من أجل أن يؤووهم فهؤلاء إن رأينا منهم جهلا فلا نضع اللوم عليهم، هؤلاء مساكين فتّحت أعينهم الذي عمره الآن خمسة وعشرين سنة مضى عليه الآن ثلاثة عشر عاما تحت الحكم الشيوعي، حكم داود كان في تموز سنة (١٩٧٣) والآن نحن في تموز(١٩٨٥) إثني عشر عاماً فمعنى ذلك إن الذي عمره خمسة وعشرين عاش اثني عشرعاماً تحت الحكم الشيوعي عمل عمليات إبادة وحرق واجتثاث، ما استيقظ إلا على دوي المدافع، ما جعلوه يتنفس ولا يلتقط لهاثه، ضربات متواصلة، أمه تقتل في يوم، أسرته تمزق في يوم آخر، هو يطارد في يوم ثالث، بيته يهدم في يوم رابع ومن منطقة إلى منطقة ومن ولاية إلى ولاية ومن الجبال إلى الأدغال ومن الادغال إلى التلال، ومن التلال إلى السهول، وهكذا، لا طعام، لا شراب، لا علم، ليس عنده وقت أن يتنفس ليس عنده وقت أن يأكل، وبعضكم من الجالسين حدثني قال: اسبوعين كاملين لا نستطيع أن نحضر الخبز ،فكنا نأكل هذا الدوم الصغير الذي عجمته أكبر من لحمته، اسبوعين في رمضان على هذا والماء، فكنا نفطر لا نستطيع كيف يمكن أن نصوم وليس لنا من طعام إلا هذا؟ يعيشون في قمم الجبال وحتى في قمم الجبال يلحقوهم ينامون وفي اليوم التالي تصبح الدبابات، ينزلون من الطائرات الدبابات على قمم الجبال، فإن كان عندهم جهل أو جهل مطبق فالإثم عند الله عز وجل على رقابنا يتضاعف، نحن مسؤولون أمام الله عن جهلهم عن إحدى الجهات التي تسأل أمام الله عز وجل عن إزالة جهلهم، وعن تعليمهم، ولا تقولوا اللغة، فاللغة ليست حاجزاً، هنالك كثير من الشباب يفهمون العربية يستطيعون أن يترجموا لك ما تريد، وإذا كانت اللغة حاجزاً فكيف بلّغ الصحابة الذين لم يكن عندهم لا ترجمان ولا دليل ولا مواصلات ولا اتصالات بقيادة المدينة المنورة، كيف فتحوها في أيام عثمان بن عفان وأيام عمر بن الخطاب وفي سنن أبي داوود عن عبد الرحمن بن سمرة أو حدثني عبد الرحمن بن سمرة في كابل -عبد الرحمن بن سمرة كان في كابل أيام عمر- ولذلك هؤلاء الناس، كيف وصلوا؟ كيف بلغوا؟ كيف أوصلوا إليهم الإسلام؟

الشرك وأحكامه:

هنالك جهل، هنالك بعض القضايا، هنالك تمسح بالقبور، موجود صحيح، ولا تنسوا أنه موجود في مصر وفي سوريا وفي الأردن على درجات متفاوتة، هذا موجود فالسيدة زينب والحسين بن علي رضي الله عنهم وفلان بن فلان ومحي الدين بن عربي في دمشق وغير ذلك تعرفون قبورهم ومزاراتهم وغير ذلك، فاذا استطعت أن تغير ذلك في بلادك أولاً فتعال هنا وغير هذا أو حاول ونحن سنحاول إن شاء الله. التمسح بالقبور، تعليق التمائم، التوسل، وهذه الثلاثة شرك، لكن شرك بالنسبة للجهلة، لايخرج أيّ واحد من الثلاثة بنص ابن القيم وابن تيمية من الإسلام حتى الذين يستغيثون بالقبور وقد قلت هذا في أكثر من موضع وفي خطبة لي أن ابن القيم نص أن الذين يستغيثون بالقبور لا نستطيع إخراجهم من الإسلام لانهم جهال، وابن تيمية أنا قرأت له عدة نصوص يقول وهو يجادل الجهمية (أنا لا أكفركم لأنكم جهال، ولو قلت بقولكم لكفرت بالله العظيم) هذا كلام ابن تيمية فنحن لا نستطيع ان نكفر باي واحدة من الثلاث أي أفغاني؟ لا تستطيع أن تكفر أي جاهل بهذا، حتى الإستغاثة بالأموات والقبور وإن كانت شركاً أكبر، الاستغاثة بالقبور هذه شرك أكبر بالنسبه لمن يعلم؟ إذن هي شرك عملي وليس شركاً نظرياً عقائدياً بالنسبة للجهال، نأتي إليها الثلاثة.

حكم التمائم والرقى:

أولا: بالنسبة للتمائم، الرسول ﷺقال: بالنسبة للتعاويذ أو الرقى بعضهم يستدل بالتمائم [**من علق تميمة فلا أتم الله له**] والحديث الثاني [**إن التمائم والتولة شرك**] أولا التمائم ليست كالحجب أريد أن اطمئن الذين يقولون بهذا، التميمة خرزات كان يعلقها العرب من أجل الأمراض، وعظمات وكفوف وغير ذلك، ليس كلاماً يكتب في داخل ورق ويغلف فالرقية شيء والتميمة شيء آخر، إذن لا يستطيع أحد أن يستدل بهذين الحديثين على شرك الذين يعلقون الرقى،هذه واحدة.

ثانيا: من علق تميمة فقد أشرك، أي فقد فعل فعل المشركين كما قال رسول الله ﷺلأبي ذر:(**إنك امرؤ فيك جاهلية**) عندما عيّر بلالاً بأمه وقال رضي الله عنهم أجمعين: يا ابن السوداء ثم الرقى تحتاج إلى تفصيل قبل أن تعيّره وتضربه وتقاتله على هذا مع أننا مع كل هذا نرى أنه من البدع التي يجب محاربتها، هذه عقيدتنا كذلك، نرى الرقى والتمسح بالقبور.

والثالث وهو التوسل من البدع التي يجب محاربتها.

بالنسبة للرقى قبل أن تتكلم عليه افتح رقيته فإن كانت كتابا وسنة فإياك أن تتكلم عليه لأن هذه جمهور العلماء بل أنا قرأت نص في شرح الحديث هذه التولة والتمائم والرقى وغير ذلك «إعرضوا عليَّ رقاكم» أجمع العلماء على جواز -بلفظ أجمع- أجمع العلما على جواز الرقى إن كانت بالكتاب والسنة، هو بعض الناس خالف في هذا والأولى تركها ونحن ممن يقول بتركها ولو كانت بالكتاب والسنة، نقول الأولى تركها وإن كانت بالكتاب والسنة، هذه عقيدتنا لكن لا تستطيع أن تعير أي أنسان ولا أن تجادله في قضية معه فيه جمهور العلماء، جمهور العلماء يقول لك: لا فرق بين حمل الرقية بالقرآن والسنة ووضعها على أكتافك وبين شرب الماء البارد، لا فرق بينه كما أنك لا يجوز لك أن تقول للذي يشرب الماء البارد حرام، لا يجوز لك أن تقول لمن يحمل الرقية بالقرآن حرام؟ جمهور العلماء يقول بهذا، بل - كما قلت لكم: أنا انقل لكم بالنص أجمع العلماء على جواز الرقية إن كانت بالكتاب والسنة، وإذا كانت بغير الكتاب والسنة إذا كانت بالأعجمية بأشياء غيرمعلومة بالنسبة للعرب فهذه لا يجوز حملها لانها قد يكون فيها سحر وما إلى ذلك هذا العلماء ردوه؟ أم إذا كانت بأحرف أخرى مثلا طاء في مربع، سين في مربع، ميم في مربع كاف في مربع، هو يستطيع أن يجادلك، يناقشك يقول لك هذه احرف من القرآن الكريم ونحن قطّعناها لأننا لا نريد أن تلتقي مع بعضها لأني أدخل فيها دورة المياه أحياناً، فكذلك ليست شرك ولا ينطبق عليها الحديث لأن الرسول ﷺ قال: [إعرضوا عليَّ رقاكم] لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك، هذا النص [لابأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك] منصوص على شرك يقول: يا ابليس أو يا فلان اشف فلان هذا شرك صحيح، أما والله كلمات عربية لكن أحرف مقطعة هذه نحن لا نستطيع أن نقول إنها شرك ولا نستطيع أن نقول إنها حرام.

حكم التوسل بالقرآن والسنة:

أولا: التوسل بجاه الأنبياء أو بجاه النبي ﷺأن تقول رب اغفر لي ولوالدي بجاه القرآن العظيم وبجاه النبي ﷺهذا توسل، هذ معظم الفقهاء نصوا على جوازه وإن كنت لا أفعله؟ فإذا رأيت واحداً يقول كذلك فلا تعترض عليه، بل نص آخر عند حديث -في الصحيحين- [وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون] نص: أجمع العلماء على جواز التوسل بجاه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ويردون هنا حديث الأعمى (يا محمد إني أتوسّل بك أو أتوجه بك إلى ربك) والحديث وإن كان فيه خلاف إلا أني ما رأيد واحداً استطاع أن يضعفه من الذين يحملون العقيدة الصحيحة، يعني حتى الشيخ ابن تيمية وهو يناقش الحديث ما استطاع أن يقو إنه ضعيف، ما استطاع ان يضعفه، لكن هو أوله بتأويلات، فاللهم اغفر لي بجاه أو بحق القرآن العظيم أو بحق نبينا محمد ﷺ، الذ يقول لك إن هذا شرك هذا لايفهم من الإسلام حرفا واحدا، هذا ليس شركاً إن قال واحد من العلماء إن هذا شرك فإن <٩٩٩> في الأل قالوا: هذا ليس شرك بل قال معظم العلماء بجوازه وكما قلت لكم: أنا أنقل نصا أجمع العلماء على جواز التوسل بجاه الأنبياء عليه الصلاةوالسلام.

حكم التوسل بالصالحين:

التوسل بالصالحين، أن تقول اللهم اغفر لي بجاه فلان الصالح عندك، هذا في الحقيقة معظم الفقهاء قالوا على عدم جوازه لأ لا تعلم أنه صالح أو غير صالح لكن كذلك ما قالوا بالشرك؟ ما قالوا: أن الذي يقول اللهم اغفر لي بحق فلان الصالح عندك -ليس لفلا حق لا تعلم أنت- هذا تألٍ على الله عز وجل، وإن كان ابن عرفه وفلان الآخر من المالكية نصوا على جواز ذلك، لكن نحن نقول هـ نتركه، نتركه لأن معظم الفقهاء لا يرونه، والتوسل بجاه النبي ﷺكذلك نتركه لأن فيه بعض الخلاف، الأسلم نتركه، لكن إن رأينا واح يتوسل بجاه النبي ﷺلا نعترض عليه إن رأيناه يتوسل بجاه رجل صالح حيّ كذلك نفهمه، الأولى أن تترك هذا، لا نقول إنك مشرك، ول بجانبك مسدس تسحبه!! لأن بعض الشباب الآن يكفر الذي يحمل تعويذة، مشرك ولا فرق بين قتله وقتل المشرك.

أنا أُدرِّس في جامعة الدعوة والجهاد، وأنا ادرسهم العقيدة الطحاوية، وهي عقيدة السلف التي اتفق عليها الأئمة الأربعة وأ أتابع لهم بعض البدع العملية المنتشرة بينهم مثل الرقى وغيرها أركز عليها فقلت له: أنت تعلق رقية، أنا دائما أسألهم، ما أظن ولا طال في الجامعة يعلق رقية نعم وكل هذا الذي قلته لكم في عقيدتنا أولاً وفيما أعتقده أنا، إنه لا نتوسل لا بجاه النبي ﷺولا بالصالحين و ما شابه ذلك، فوقف لي طالب وأنا أقول لهم: أنت تحمل رقية قال يا استاذ أنتم تعتبروننا مشركين؟ قلت: معاذ الله إن هذا لقول عظي والله، كيف نعتبركم مشركين وأنتم تقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله ولا نرى منكم شركاً واضحاً؟ كيف؟ الشرك يبيح رقبتك، الشر معنى ذلك أنه يجوز قتلك، لا فرق بين قتل المشرك الأفغاني وبين قتل الروسي؟ هل هنالك فرق في نظر الشريعه؟ هل هنالك فرق في نظ الشريعه بين قتل الشيوعي الأفغاني وبين قتل الشيوعي الروسي؟ لا، ليس هنالك فرق فانت عندما تصدر حكماً بالشرك على واحد أي أ

حلال الدم كالروسي تماماً، قلت معاذ الله إنها كلمة كبيرة، قال بلى أنتم تقولون، هذا يقول: أنا كنت اتعلم في دورة جاء بها بعض الإخوة من الجزيرة العربية هو يقول لي بالنص الواحد: ليس هنالك جهاد في أفغانستان، بل هو قتال بين مشركين وبين ملحدين، مشركين أفغان وملحدين روس قلت: أنت سمعت هذا بإذنك؟ قال: والله لقد سمعته بأذني هذه.

هذه جريمة، والله لا علم يقرها، ولا دين يقرها، ولا أسلوب دعوة يقرها، ثم هنالك بعض الشباب الصغار المتحمسين، الذين لانشك في دينهم، وفي إخلاصهم، بعضهم قبل أيام يقول لي الحرب بين وثنيين وبين ملحدين، كل كلام الشيخ عمر[1] يتركز على هؤلاء النفر البسيط الثلاثة الأربعة والخمسة الستة الذين يشوهون صورة السلفية هؤلاء والله لا يمثلون السلفيه ولا يمثلون العلم وقتل العلم أنصاف المتعلمين، أكثر ما يؤذي العلم أنصاف المتعلمين، لا هم يعتبرون أنفسهم جهالاً فيسألون، ولا تعلموا فيعرفون آراء الأئمة في القضية فيسكتون.

جاءني شاب بعد صلاة الجمعة ذات مرة قال: يا أستاذ قلت له: نعم، من هؤلاء الشباب يعني السلفية عنده مئة واثنين بالمئة لكن يطعن السلفيه في الصميم، قال لي: أنت ثوبك طويل، قلت: هذا الثوب استعرته لأصلي به الجمعه عارية ليس لي، والرجل الذي استعرته منه أطول مني بكثير قال: لكن نص ابن تيميه على بطلان الصلاة بالثوب الطويل قلت له: هذه آخر موضه الصلاة باطله بالثوب الطويل؟! قال من جر ثوبه قلت: نحن لا نجر ثيابنا خيلاء إن شاء الله وما هو علاقة بطلان الصلاة بالثوب الطويل؟ قلت له: أنا سألت ابن حميد -ابن حميد الذي هو رئيس مجلس القضاء الأعلى في السعودية- قلت: ما رأيك بالثوب الطويل قال: إن لم يكن للخيلاء فلا بأس. قال ابن حميد كان يفتي على المذهب الحنبلي، قلت له: اعتبرنا حنابلة، ومشيها على المذهب الحنبلي، ومع ذلك فهو غير راضٍ على ابن حميد، قال: آخر شهرين رجع ابن حميد من الحنبلية إلى السلفية!!

الجهل، يدرس كتاباً واحداً كل ما فيه هو الحق المبين وغير ذلك من فعل الشياطين!! نعم... وهذا الجهل الذي نحن نواجهه ،وكل ما قاله الشيخ عمر إنما يعني هذا النوع الذي لا يتعدى أصابع اليد الواحدة، وأما السلفيون فهم دفعوا أكثر من ٩٩٪ من الأموال التي دفعت للجهاد الأفغاني فهي من السلفيين الحقيقيين، تأتي منهم زكاة أموالهم، أصحاب العقيدة الواضحة، بعضهم قد ساهم في الجهاد الأفغاني هؤلاء أناس يرون الأفغان ويقدمون لهم ويعرفون عقائدهم، نحن لانستطيع أن نُحمل السلفية كلها فعل هؤلاء ،فهؤلاء الخمسة أو العشرة هؤلاء لا يمثلون السلفية، بل السلفيين أنا سمعتهم، سمعتهم متضايقون منهم، والله واحد يحدثني من هؤلاء السلفيين الناضجين الكبار قال: لو أرى واحداً من هؤلاء الذين يفعلون ذلك لضربته كفاً بيدي، لأنه يؤذي.

موقفنا: نحن سلفيون :

فإياكم أن تظنوا أننا نهاجم السلفية أو نحاربها لا سمح الله، نحن سلفيون إن شاء الله، وعقيدتنا سلفية، والسلفية طريقة في التفكير وليس حزباً سياسياً؟ السلفية طريقة في التفكير والاعتقاد وليس تجمعاً سياسياً؟ نحن نعلم، معظم الإخوان المسلمين عقيدتهم سلفية، وهذا الذي نص عليه الإمام البنا في رسالة العقائد بعد أن عرف مذهب السلف والخلف قال: وعقيدة السلف أسلم ولكننا لا نكفر الذين يؤولون وهذه عقيدتنا، عقيدتنا هي: عقيدة الأستاذ حسن البنا نحن لا نكفر الذين يؤولون، وعقيدتنا هي عقيدة السلف ونعتبرها العقيدة الأسلم والأعلم والأحكم، وكثير من الحركات الأخرى الآن -الحمد لله- كلها رائدها النص الصحيح، لا تقبل حديثاً إلا إذا كان صحيحاً، معظم الكتب التي يرجعون إليها هي الكتب التي ينهل منها هؤلاء الإخوة كتب ابن تيمية وابن القيم وغيرها، وأنا في الحقيقة أكثر من تأثرت بهم في حياتي، في تفكيري، ثلاثة (ابن القيم، وابن تيمية، وسيد قطب)، سيد قطب في تفكيره الحركي وابن تيمية في عقيدته وابن القيم في شفافيته وروحانيته، هؤلاء الثلاثة أكثر من تأثرت بهم، وكتبهم الآن هي المتداولة في أيدي الحركة الإسلامية في العالم، ولذلك إياكم أن تذهب بكم الظنون بعيداً، الحمد لله شباب العرب الذين يأتون إلى الجهاد معظمهم هذه عقيدتهم، وهذا تفكيرهم، وهذا اتجاههم، لكن كما قلت لشاب جاء يناقشني قبل أسبوع، قال: ألا تعتبر ان فلاناً السلفي على حق؟ قلت له: على حق، قال: كيف ترى عقيدته؟ قلت له: على الحق المبين إن شاء الله وهذه عقيدتنا، تكلم عن العقيدة قلت نعم نحن نتفق معكم ١٠٠٪ في كل كلمة تقولونها في العقيدة ونختلف معكم ١٠٠٪ في أسلوبكم الذي تتبعونه في تبليغ هذه العقيدة، أنتم تنفرون الناس من عقيدة السلف، ونحن نرى أن الأمم لا تتغير في يوم وليلة، الأمم تحتاج إلى أيام وليالي وسنوات من أجل أن تتغير عقائدها، ونحن نرى أن الجهاد الأفغاني كان في صالح العقيدة الصحيحة، ولو قارنت بين الشعب الأفغاني والشعب الباكستاني في العقيدة لوجدت أن هنالك بوناً شاسعاً في الوضوح والتوحيد فعقيدة الشعب الأفغاني أحسن بكثير، الشعب الأفغاني قبل الجهاد كان كالشعب الباكستاني تماما غارق في صوفيته،

---

(١) يقصد الشيخ عمر سيف أحد علماء اليمن.

لايتحاكم إلا إلى زعماء الطرق الصوفية، لكن من نعمة الله الواحد القهار ان يقود الجهاد أبناء الحركة الإسلامية الذين قادوا الجهاد كانوا يُرمون بالوهابيه ويرمون بالسلفيه ويهاجمون بسبب هذا، ويضيق عليهم بسبب هذا، والله عز وجل ساق الظروف بأن يقودوا الجهاد فغيروا، أصبحت الأمة كلها وراءهم فغيروا كثيراً كثيراً كثيراً، وسقطت الهالة الكبرى التي كانت تكلل الصوفية وتجعلها في القمة.

الجهاد وضع الصوفية في مقامها، ورفع أصحاب العقائد وأصحاب التفكير الصحيح وأصحاب الحركة الإسلامية الصحيحة، رفعهم إلى مصاف القادة، وإذا استمر الجهاد إن شاء الله مع وجود الدعاة العرب، أقول: الدعاة ليس الذين يريدون من أول يوم أن يمزقوا الرقى، كما جاء أحدهم إلى الشيخ سياف، قبل أن يدخل على الشيخ سياف، فتش الأكتاف والصدور والنحور على الحراس، فجمع خمسة من الرقى، قطعها ثم دخل بأربعة أو خمسة على الشيخ قال: أنظر عقائد حراسك!! هذا لو لم يكن الذي فعل هذا عربياً لحصلت مشكلة كبيرة جداً لكن بإمكانك أن تجمع هذه الرقى بالحسنى، والأفغان قوم إذا أحبوا أعطوا أنفسهم لك إذا أحبوك، ألقوا أنفسهم بين يديك كالميت بين يدي الغاسل كما قالوا: فأعطهم فرصه أن يحبوك ولا تتعرض للخلافات الفقهية.

تصلي في مسجد بابي، ألفي مصلي صامتين لا يقولون أمين وأنت من بينهم تخرج وتقول أمين، كيف يحبوك، والله لو جئت لهم بمائة آية ومئتين حديث من البخاري ومسلم لن ينظروا إليك، ما سمعوا هذا من آبائهم، ما درسوا أبداً هذا، أمين من أين أمين هذه!! من أين خرجوا لنا بأمين وبرفع الأيادي وتحريك الإصبع، فالاصبع لا يتحرك عندهم إلا على الزناد، أما أن تحركه في الصلاة أنا قرأت في بعض نصوص الحنفية من حرك إصبعه يقطع، صدقوا يا إخوة أنني قرأت في بعض نصوص الحنفية من حرك إصبعه كثيراً في الصلاة يقطع!! فلذلك أعطهم فرصة أن يحبوك وبعد أن يحبوك إن شاء الله تغير ما شئت، نحن الآن عقدنا مخيمين للتربية الإسلامية، في الأخير كنت والله لأنهم يحبونني أو أظن أنهم يحبونني أمَّر عليهم فما يكون على صدرهم هكذا في الأخير صاروا يأتوا إلينا في قيامنا يسلموننا النسوار الذي هو مثل الدخان، يسلموننا العلبة، ويعاهدوننا أن لا يفعلوها أبداً..........

الشهيد سبع الليل اليمني*

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا و أنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، وبعد:

الحق أن الأخ أحمد الأحمدي على ثقافته البسيطة كان أنساً لمجالسنا وعطراً يؤانسنا، أول مرة عرفته كان في رمضان سنة ألف وأربعمائة وخمسة هجرياً، كنا مُعسكِرين في داخل أرض أفغانستان، وكان هو يشرفنا بحضور هذا المعسكر، وكانت على بعد عشرين كيلو متراً منا أو ثمانية عشر كيلو متراً منا قلعة للشيوعيين، فكان يصرّ أن يذهب إليها، كان يشاركه أفغان يحملون مكبرات الصوت، ويصلون إلى أسوار القلعة ثم ينادون بالأبواق بالمكبرات (اخرجوا أيها الخنازير، اخرجوا أيها الجبناء، أطلوا برؤوسكم، لماذا تختفون كالفئران)، فلا يطل أحداً من داخل القلعة، فيطلقون بعض قذائفهم ثم يعودون، هذا جعل الأحبة والإخوة يستحبون هذا الاسم له سبع الليل، كان حاضر البديهة ذكي الفؤاد، شجاعاً، يقول ما يعتقد أنه حق مهما كلفه ذلك الحق، يواجه الناس بأجوبه على قدر أسئلتهم وإن كان السؤال هازلاً كان الجواب لاذعاً مضحكاً، يتناقش مع أحد الشباب ذات مرة فيقول له سبع الليل: الجهاد فرض عين، قال ذلك الشاب: ليس فرض عين، قال يا أخي: لقد أفتى العلماء بهذا، أفتى الشيخ عبد الله عزام وغيره على أن الجهاد فرض عين فلا إذن فيه لوالدين، قال: أنا لا آخذ برأي الشيخ عبدالله عزام، فقال له أحمد رحمه الله -أحمد الاحمدي- إذاً نسأل لك أحمد عدوية، أنا ما كنت أعرف عن أحمد عدوية، قال هذا مغني مصري!!!

فكان رحمه الله كثير التلاوة للقرآن في رمضان، وقليل النوم، ما كنت أرى أحداً في المعسكر ينام أقل منه، وأحياناً يسهر الليل كله، حتى يطمئن على سحور إخوانه وعلى إيقاظهم، وكم كانت تعجبني كلمته التي كان يرددها وهو يتجول بين الخيام، لا يترك خيمة إلا وقف ببابها ينادي، يا صايم وحد الدايم، وحد الدايم، فكان يوقظ إخوانه كل ليلة، كنا نكل إليه أحياناً أن يوقظنا من أجل قيام الليل، فنقول له: أيقظنا على الثانية، فيوقظنا على الواحدة، فيسأله الاخوة، فيقول حتى تكسبوا زيادة أجر.

كان يختم القرآن في رمضان سبع مرات أو أكثر أحياناً، شهد معي ثلاث رمضانات متتالية، وسعدت به وسعد الاخوة به، في النهار لا يتكلم مع أحد، غالباً طيلة النهار يفتح قرآنه ويقرأ، وفي الليل وحده، إما أن يصلي أو يحرس أو غير ذلك، كان كما قلنا حاضر البديهة.

---

* الكلمة كانت في بيت أبي داود في بيشاور بحضور الشيخ عمر سيف اليمني بعد استشهاد سبع الليل بخمسة أيام تقريباً.

زواجـــــــه:

حدثني شاكر الزنداني، قال: ذهبنا نخطب له زوجة ،فسأله إخوانها ما هي شهادتك؟ قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قالوا له: ما هو عملك؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قالوا: أين دارك؟ قال: الجنة خير دار وأنا لا أريد زوجة تسأل عن الدار، أنا أريد زوجة أحملها معي إلى الجبهة، وإن شئتم أن تزوجوني فحيا هلا.

كانت أمنيته العزيزة أن يأخذ زوجته الى المعركة، وكان لا يطيق أن يستمع كلمه واحدة ينتقد فيها الجهاد الافغاني، ولا ينتقد فيها أي قائد من القادة، لأنه كان يرى أن هذا يضر بالجهاد، وكان يتردد على فضيلة شيخنا ووالدنا الشيخ عبدالعزيز بن باز، وعلى فضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني أخينا الكبير، فكان كلما جاء إلى أفغانستان أو رجع منها ينقل الصورة التي تبين أعماق القضية الافغانية، ووجوب الوقوف بجانبها من قبل المسلمين.

المعركة الأخيرة:

وفي رمضان الأخير هذا كنت معه، ثم حصلت معركة جاجي وبدأت في السادس والعشرين من رمضان، وغادرت المعسكر وتركته في المعسكر، ثم رأيته قد قدم إلى الجبهة وقال: أنا ذهبت الى بيشاور ولم أطق الجلوس فيها فجئت، وطلب أن يرسل إلى الجبهة، إلى المعركة مباشرة، وعندما تأخر الأخ المسؤول قليلاً، قال له: أنا لم آتي لآكل الرز هنا -مع أنه لا يوجد رز- أنا أريد أن ترسلوني إلى المعركة، وكانت هناك راجمة صغيرة للصواريخ بيد أحد قادة الجمعية الاسلامية، وكان اللواء (پاينده محمد) يشرف على هذه الراجمة، وكان القائد عبد الرحمن المسؤول الثاني عنها فاشتغل معه.

وعندما احتدمت المعركة واشتد ضرامها وزاد أوارها كتبنا رسالة إلى القادة المجاهدين المغاور، قادة الجهاد الافغاني، وكان بعضهم في بيشاور تذكرهم بأعماق المعركة وبثقلها وبضرورة القائد في قلبها، حمل الرسائل سبع الليل وتحرك مساءاً، من داخل أفغانستان، أنا لا زالت الآن الصورة في ذهني، عند أذان المغرب أو قبل المغرب بقليل، والطريق يستغرق ثمانية ساعات إلى بيشاور والطريق خطرة، وركب مع إحدى السيارات وسار، واضطر للنوم في الطريق، وفي اليوم التالي وكان يوم الجمعة وصل بيشاور، وأوصل الرسالة للمهندس حكمتيار والرسالة الثانية إلى الاستاذ برهان الدين رباني، فعندما قرأها حكمتيار، قال: أنا إن شاء الله غداً أتحرك إلى الجبهة، وعندما قرأها الشيخ رباني، كنا طلبنا منه بعض الاسلحة وطلبنا منه راجمة صواريخ «بي أم ١٢» لأن الراجمة التي عندنا قد تلفت مواسيرها بسبب كثرة الضرب وغيرناها وتلفت مرة ثانية واضطررنا إلى إلقائها لأنها لم تعد تفيد، وطلبنا منه راجمة وطلبنا منه كذلك صواريخ لها أو قذائف، فأمرالشيخ رباني بألف قذيفة -الف صاروخ - وبراجمة مباشرة، وحمل سبع الليل الاجوبة من القائدين وتوجه إلينا مسروراً ووصل الاحد مساءً، وعندما وصل، قال: غداً إن شاء الله من الصباح أنا راجع إلى الراجمة أشتغل عليها عند (پاينده محمد) والقائد عبدالرحمن، ثم قال له الأخ أبو عبدالله: -الامير- غداً إن شاء الله عندنا عملية تعرض، فنريدك لها، قال: متى عملية التعرض؟ قال له: بعد العصر، قال: أنا أعمل من الصباح إلى الظهر مع الراجمة، وبعد العصر أنا أكون جاهزاً حتى أذهب مع عملية التعرض في اليوم التالي.

قبل الشهادة:

من الصباح بدأت الراجمة التي يعمل عليها سبع الليل تضرب، كان نشيطاً يحمل الصوايخ على كتفه وينقلها للراجمة، ومن السهولة أن تكتشف هذه الراجمة لكثرة الغبار الذي تخرجه من فوهتها الخلفية، فاكتشفها الروس وبدأوا يرجمونها براجمة الصواريخ (بي ام ٤١)، وبعد ساعة أو ساعتين وقع صاروخ بجانبه وأصابت شظية رأسه وصلت إلى دماغه، وجرح أحد الاخوة المجاهدين كان بجانبه ونقلته سيارة الاسعاف مباشرة إلى مستشفى قريب في براشنار، وقبل أن يصل براشنار أسلم الروح إلى الواحد القهار، وعندما أصيب الأخ أحمد رحمه الله أرسلته سيارة الإسعاف إلى المدينة القريبة -براشنار- وقبل أن يصل إلى المستشفى أسلم الروح إلى الواحد القهار -كما ذكرنا- فاتصل مدير المستشفى الدكتور سعد بالشيخ سياف أن الاخ سبع الليل قد استشهد، فأين ترى دفنه؟ فقال الشيخ سياف أرسلوه إلى بابي حتى يدفن بجانب إخوانه العرب، فهذا كذلك لرفع معنوياتهم ولشد عزائمهم، كان الاستشهاد الساعة الحادية عشرة صباحاً، ووصل بيشاور في الليل وبقي في الليل، وفي اليوم التالي بعد الفجر نقل إلى بابي ودفن هناك بعد طلوع الشمس.

لايتحاكم إلا إلى زعماء الطرق الصوفية، لكن من نعمة الله الواحد القهار ان يقود الجهاد أبناء الحركة الإسلامية الذين قادوا الجهاد كانوا يُرمون بالوهابيه ويرمون بالسلفيه ويهاجمون بسبب هذا، ويضيق عليهم بسبب هذا، والله عز وجل ساق الظروف بأن يقودوا الجهاد فغيروا، أصبحت الأمة كلها وراءهم فغيروا كثيراً كثيراً كثيراً، وسقطت الهالة الكبرى التي كانت تكلل الصوفية وتجعلها في القمة.

الجهاد وضع الصوفية في مقامها، ورفع أصحاب العقائد وأصحاب التفكير الصحيح وأصحاب الحركة الإسلامية الصحيحة، رفعهم إلى مصاف القادة، وإذا استمر الجهاد إن شاء الله مع وجود الدعاة العرب، أقول: الدعاة ليس الذين يريدون من أول يوم أن يمزقوا الرقى، كما جاء أحدهم إلى الشيخ سياف، قبل أن يدخل على الشيخ سياف، فتش الأكتاف والصدور والنحور على الحراس، فجمع خمسة من الرقى، قطعها ثم دخل بأربعة أو خمسة على الشيخ قال: أنظر عقائد حراسك!! هذا لو لم يكن الذي فعل هذا عربياً لحصلت مشكلة كبيرة جداً لكن بإمكانك أن تجمع هذه الرقى بالحسنى، والأفغان قوم إذا أحبوا أعطوا أنفسهم لك إذا أحبوك، ألقوا أنفسهم بين يديك كالميت بين يدي الغاسل كما قالوا: فأعطهم فرصه أن يحبوك ولا تتعرض للخلافات الفقهية.

تصلي في مسجد بابي، ألفي مصلي صامتين لا يقولون آمين وأنت من بينهم تخرج وتقول آمين، كيف يحبوك، والله لو جئت لهم بمائة آية ومئتين حديث من البخاري ومسلم لن ينظروا إليك، ما سمعوا هذا من آبائهم، ما درسوا أبداً هذا، آمين من أين آمين هذه!! من أين خرجوا لنا بآمين ويرفع الأيادي وتحريك الإصبع، فالاصبع لا يتحرك عندهم إلا على الزناد، أما أن تحركه في الصلاة أنا قرأت في بعض نصوص الحنفية من حرك إصبعه يقطع، صدقوا يا إخوة أنني قرأت في بعض نصوص الحنفية من حرك إصبعه كثيراً في الصلاة يقطع!! فلذلك أعطهم فرصة أن يحبوك وبعد أن يحبوك إن شاء الله تغير ما شئت، نحن الآن عقدنا مخيمين للتربية الإسلامية، في الأخير كنت والله لأنهم يحبونني أو أظن أنهم يحبونني أمّر عليهم فما يكون على صدرهم هكذا في الأخير صاروا يأتوا إلينا في قيامنا يسلموننا النسوار الذي هو مثل الدخان، يسلموننا العلبة، ويعاهدوننا أن لا يفعلوها أبداً.........

الشهيد سبع الليل اليمني*

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا و أنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا، وبعد:

الحق أن الأخ أحمد الأحمدي على ثقافته البسيطة كان أنساً لمجالسنا وعطراً يؤانسنا، أول مرة عرفته كان في رمضان سنة ألف وأربعمائة وخمسة هجرياً، كنا مُعسكرين في داخل أرض أفغانستان، وكان هو يشرفنا بحضور هذا المعسكر، وكانت على بعد عشرين كيلو متراً منا أو ثمانية عشر كيلو متراً منا قلعة للشيوعيين، فكان يصرّ أن يذهب إليها، كان يشاركه أفغان يحملون مكبرات الصوت، ويصلون إلى أسوار القلعة ثم ينادون بالأبواق بالمكبرات (اخرجوا أيها الخنازير، أخرجوا أيها الجبناء، أطلوا برؤوسكم، لماذا تختفون كالفئران)، فلا يطل أحداً من داخل القلعة، فيطلقون بعض قذائفهم ثم يعودون، هذا جعل الأحبة والإخوة يستحبون هذا الاسم له سبع الليل، كان حاضر البديهة ذكي الفؤاد، شجاعاً، يقول ما يعتقد أنه حق مهما كلفه ذلك الحق، يواجه الناس بأجوبه على قدر أسئلتهم وإن كان السؤال هازلاً كان الجواب لاذعاً مضحكاً، يتناقش مع أحد الشباب ذات مرة فيقول له سبع الليل: الجهاد فرض عين، قال ذلك الشاب: ليس فرض عين، قال يا أخي: لقد أفتى العلماء بهذا، أفتى الشيخ عبد الله عزام وغيره على أن الجهاد فرض عين فلا إذن فيه للوالدين، قال: أنا لا آخذ برأي الشيخ عبدالله عزام، فقال له أحمد رحمه الله -أحمد الاحمدي- إذاً نسأل لك أحمد عدوية، أنا ما كنت أعرف عن أحمد عدوية، قال هذا مغني مصري!!!

فكان رحمه الله كثير التلاوة للقرآن في رمضان، وقليل النوم، ما كنت أرى أحداً في المعسكر ينام أقل منه، وأحياناً يسهر الليل كله، حتى يطمئن على سحور إخوانه وعلى إيقاظهم، وكم كانت تعجبني كلمته التي كان يرددها وهو يتجول بين الخيام، لا يترك خيمة إلا وقف ببابها ينادي، يا صايم وحد الدايم، وحد الدايم، فكان يوقظ إخوانه كل ليلة، كنا نكل إليه أحياناً أن يوقظنا من أجل قيام الليل، فنقول له: أيقظنا على الثانية، فيوقظنا على الواحدة، فيسأله الاخوة، فيقول حتى تكسبوا زيادة أجر.

كان يختم القرآن في رمضان سبع مرات أو أكثر أحياناً، شهد معي ثلاث رمضانات متتالية، وسعدت به وسعد الاخوة به، في النهار لا يتكلم مع أحد، غالباً طيلة النهار يفتح قرآنه ويقرأ، وفي الليل وحده، إما أن يصلي أو يحرس أو غير ذلك، كان كما قلنا حاضر البديهة.

---

* الكلمة كانت في بيت أبي داود في بيشاور بحضور الشيخ عمر سيف اليمني بعد استشهاد سبع الليل بخمسة أيام تقريباً.

زواجــــــه:

حدثني شاكر الزنداني، قال: ذهبنا نخطب له زوجة ،فسأله إخوانها ما هي شهادتك؟ قال شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قالوا له: ما هو عملك؟ قال: الجهاد في سبيل الله، قالوا: أين دارك؟ قال: الجنة خير دار وأنا لا أريد زوجة تسأل عن الدار، أنا أريد زوجة أحملها معي إلى الجبهة، وإن شئتم أن تزوجوني فحيا هلا.

كانت أمنيته العزيزة أن يأخذ زوجته الى المعركة، وكان لا يطيق أن يستمع كلمه واحدة ينتقد فيها الجهاد الافغاني، ولا ينتقد فيها أي قائد من القادة، لأنه كان يرى أن هذا يضر بالجهاد، وكان يتردد على فضيلة شيخنا ووالدنا الشيخ عبدالعزيز بن باز، وعلى فضيلة الشيخ عبد المجيد الزنداني أخينا الكبير، فكان كلما جاء إلى أفغانستان أو رجع منها ينقل الصورة التي تبين أعماق القضية الافغانية، ووجوب الوقوف بجانبها من قبل المسلمين.

المعركة الأخيرة:

وفي رمضان الأخير هذا كنت معه، ثم حصلت معركة جاجي وبدأت في السادس والعشرين من رمضان، وغادرت المعسكر وتركته في المعسكر، ثم رأيته قد قدم إلى الجبهة وقال: أنا ذهبت الى بيشاور ولم أطق الجلوس فيها فجئت، وطلب أن يرسل إلى الجبهة، إلى المعركة مباشرة، وعندما تأخر الأخ المسؤول قليلاً، قال له: إنا لم آتي لآكل الرز هنا -مع أنه لا يوجد رز- أنا أريد أن ترسلوني إلى المعركة، وكانت هناك راجمة صغيرة للصواريخ بيد أحد قادة الجمعية الاسلامية، وكان اللواء (پاينده محمد) يشرف على هذه الراجمة، وكان القائد عبد الرحمن المسؤول الثاني عنها فاشتغل معه.

وعندما احتدمت المعركة واشتد ضرامها وزاد أوارها كتبنا رسالة إلى القادة المجاهدين المغاوير، قادة الجهاد الافغاني، وكان بعضهم في بيشاور نذكرهم بأعماق المعركة وبثقلها وبضرورة القائد في قلبها، حمل الرسائل سبع الليل وتحرك مساءاً، من داخل أفغانستان، أنا لا زالت الآن الصورة في ذهني، عند أذان المغرب أو قبل المغرب بقليل، والطريق يستغرق ثمانية ساعات إلى بيشاور والطريق خطرة، وركب مع إحدى السيارات وسار، واضطر للنوم في الطريق، وفي اليوم التالي وكان يوم الجمعة وصل بيشاور، وأوصل الرسالة للمهندس حكمتيار والرسالة الثانية إلى الاستاذ برهان الدين رباني، فعندما قرأها حكمتيار، قال: أنا إن شاء الله غداً أتحرك إلى الجبهة، وعندما قرأها الشيخ رباني، كنا طلبنا منه بعض الاسلحة وطلبنا منه راجمة صواريخ «بي أم ١٢» لأن الراجمة التي عندنا قد تلفت مواسيرها بسبب كثرة الضرب وغيرناها وتلفت مرة ثانية واضطررنا إلى إلقائها لأنها لم تعد تفيد، وطلبنا منه راجمة وطلبنا منه كذلك صواريخ لها أو قذائف، فأمرالشيخ رباني بألف قذيفة -الف صاروخ - وبراجمة مباشرة، وحمل سبع الليل الاجوبة من القائدين وتوجه إلينا مسروراً ووصل الاحد مساءً، وعندما وصل، قال: غداً إن شاء الله من الصباح أنا راجع إلى الراجمة أشتغل عليها عند (پاينده محمد) والقائد عبدالرحمن، ثم قال له الأخ أبو عبدالله: -الامير- غداً إن شاء الله عندنا عملية تعرض، فنريدك لها، قال: متى عملية التعرض؟ قال له: بعد العصر، قال: أنا أعمل من الصباح إلى الظهر مع الراجمة، وبعد العصر أنا أكون جاهزاً حتى أذهب مع عملية التعرض في اليوم التالي.

قبيل الشهادة:

من الصباح بدأت الراجمة التي يعمل عليها سبع الليل تضرب، كان نشيطاً يحمل الصوايخ على كتفه وينقلها للراجمة، ومن السهولة أن تكتشف هذه الراجمة لكثرة الغبار الذي تخرجه من فوهتها الخلفية، فاكتشفها الروس وبدأوا يرجمونها براجمة الصواريخ (بي ام ٤١)، وبعد ساعة أو ساعتين وقع صاروخ بجانبه وأصابت شظية رأسه وصلت إلى دماغه، وجرح أحد الاخوة المجاهدين كان بجانبه ونقلته سيارة الاسعاف مباشرة إلى مستشفى قريب في براشنار، وقبل أن يصل براشنار أسلم الروح إلى الواحد القهار، وعندما أصيب الأخ أحمد رحمه الله أرسلته سيارة الإسعاف إلى المدينة القريبة -براشنار- وقبل أن يصل إلى المستشفى أسلم الروح إلى الواحد القهار -كما ذكرنا- فاتصل مدير المستشفى الدكتور سعد بالشيخ سياف أن الاخ سبع الليل قد استشهد، فأين ترى دفنه؟ فقال الشيخ سياف أرسلوه إلى بابي حتى يدفن بجانب إخوانه العرب، فهذا كذلك لرفع معنوياتهم ولشد عزائمهم، كان الاستشهاد الساعة الحادية عشرة صباحاً، ووصل بيشاور في الليل وبقي في الليل، وفي اليوم التالي بعد الفجر نقل إلى بابي ودفن هناك بعد طلوع الشمس.

كراماته:

يشهد لي أولاً طبيب مختص يتعجب يرى دمه يقطر بعد هذه الفترة، وقال هذا علمياً لا يمكن يبقى دمه يسيل وينقطر بعد حوالي أربعة وعشرين ساعة أو بعد حوالي عشرين ساعة، هذا لا يمكن لان الدم يتجمد. شمّ كثير من الاخوة منه رائحة المسك، شهد لي حوالي أربعة أو خمسة من الاخوة أنهم شموا رائحة دمه كالمسك، منهم الاخ أبو أحمد والاخ صالح اليماني عدو الطواغيت فيما أذكر في هذا الوقت، وقد خرج لأخينا كرامات منها.

أولاً: بقي دمه سائلا يتقطر.

ثانياً: خرج لدمه رائحة تفوح كالمسك، ويقول الاخ أبو أحمد: أنا ما شممت من قبل رائحة دم شهيد، فأول مرة أشم الرائحة العطرية من الدم.

والكرامة الثالثة: أنه رغم شدة الحر في هذه الايام، حيث تصل درجة الحرارة في بيشاور خمسة وأربعين مئوية، تقريباً من أربعين إلى خمسة وأربعين مئوية، يقول لي الاخوة أنه كالنائم، ومبتسماً، كان مبتسماً، فرحم الله أخانا سبع الليل، والحق أنه سبع ويطيب لي في هذا المقام أن أذكر فيه أبيات أبي الطيب:

أسد دم الأسد الهزبر خضابه — *موت فريص الموت منه ترعد*

يخاف منه الموت والحناء أو الصباغ الذي يصبغ به يديه هو دم الاسود، هو أسد ولكن صباغ يديه من دم الاسود.

وصن الحسام ولا تذله فإنه — *يشكو يمينك والجماجم تشهد*

جف النجيع عليه وهو مجرد — *من غمده فكأنما هو مغمد*

كان لا يطيق الجلوس عن القتال، يتعب إذا وجد نفسه بعيداً عن أرض المعركة وعن أصواتها.

يقول لي الطبيب: أكلت شيئاً — *وداؤك في شرابك والطعام*

وما في طبه أني جواد — *أضر بجسمه طول الجمام [1]*

تعود أن يغبر في السرايا — *ويخرج من قتام في قتام*

فنرجو الله عز وجل ونبتهل إليه أن يجمعنا بأخينا سبع الليل في الفردوس الاعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

حزن الأفغان عليه:

فاتتني كلمة، لقد كان حزن الافغان عليه عظيما، جاءني اللواء (پاينده محمد) بعد استشهاده هو والقائد عبدالرحمن وكان مع كل فترة يهز رأسه ويقول يماني يماني يماني، وهو يهز رأسه حسرة وألماً (بسيار دلاور بسيار بهلوان) يعني شجاع كبير بطل عظيم، يقول كنا إذا جاءت القذيفة تأخذ الارض، ولكن هو لا يخشى الموت، والحق أنك يا أخانا سبع الليل سرت من بيننا وقد أخذت قلوبنا.

تعلية لأهله:

والحق يا أهل الأحمدي يا أهل سبع الليل، يا أم أحمد الأحمدي، يا والد أحمد يا شقيقات أحمد يا أشقاء أحمد، الناس كلهم يموتون والشهداء هم الذين ينفردون بالذكر والثناء الجميل في الدنيا وبالفوز بالملأ الأعلى. لقد ضاقت نفس أحمد عندما رأى نفسه يعيش بين القاعدين وأخواته في داخل أفغانستان تنتهك أعراضهن وإخوانه تمزق لحومهم تحت جنازير الدبابات، مقدسات تداس، ومصاحف تحرق، وأموال تسلب، وأراض تنهب، ودين يجتث من الجذور، والناس نيام لا ترى فيهم ولا تسمع لهم ركزاً ولا تحس لهم حياة، والنفس الكبيرة لا يمكن أن تطيق الضّيم على الاخرين، فهبّ كالضرام، وانطلق ضيغماً إلى أرض أفغانستان، وتوجه نحو جبال الهندوكوش حيث ملاحم البطولة وآيات الفخر والشرف تسطر بالدماء، وعظمة هذا الدين تقام فوق جماجم الشهداء وفوق تلال الأشلاء، الناس هنا في أفغانستان باعوا كل شيء إلا دينهم، تخلوا عن كل شيء إلا شرفهم وعزتهم، رفعوا رؤوسهم ولم يذلوا لأحد إلا بين يدي رب العالمين، أحدهم هدم بيته وقتل أطفاله وأسرت زوجته، نهبت أمواله والحوادث لا تلين لها نفوس الكبار..

مسلم يا صعاب لن تقهريني — *صارمي قاطع وعزمي حديد*

---

(١) يعني طول الراحة.

هذا المسلم، والنفس الكبيرة أتعب لها الجسم.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الاجسام

مآسي تنتظر، وملاحم تدون، والدماء لا تجف، واليراع الذي يكتب بالنجيع لا يتوقف، وكان من بين الذين سطروا صفحة خالدة في تاريخ هذه الامة ورسموا صورة مشرقة عبر تاريخ هذا الدين أخونا أحمد، لقد كانت صفحة مشرقة في هذا الوقت الذي نام فيه الناس جميعا، لقد كان قمة شامخة في الوقت الذي ذلت فيه كثير من الرقاب تحت أقدام الطغاة واستناموا لنير الظالمين، لقد أبى الضيم فانطلق كالسهم، إن النفس الابية لا تطيق الذل ولا تحتمل الهوان، الموت أشرف من الهوان، كأن لسان حاله يردد:

ردي حياض الردى يا نفس واتركي حياض خوف الردى للشاء والنعم
إن لم أذرك على الأرماح سائلة فلا دعيت ابن أم المجد والكرم

كان سبعاً هصوراً، وكان رجلاً جسوراً، وكان صادق اللهجة فطرته طيبة، جريء الكلمة، صدق الله فصدقه كما نحسبه ولا نزكي على الله أحداً، نرجو الله عز وجل أن يصدق ظننا فيه وأن يكون من الصادقين، وممن تقبلهم رب العالمين، إنّ كثيراً من أقران أحمد ومن أنداده يقتلون أوقاتهم بالتسكع بالشوارع وبالتردد على المقاهي، يقتلون حياتهم بالحياة الفارغة المملة، بينما أحمد وقليل من أمثاله نفروا عندما سمعوا النداء ولبوا دعوة رب الأرض والسماء:

(انفروا خفافاً وثقالاً) (التوبة: ٤١)

فيا أهل أحمد لا تحزنوا، فهو إن تقبله رب العزة شهيداً -نرجو الله عز وجل أن يكون كذلك- فقد ضمن لسبعين منكم أن يدخلوا الجنة، وفي الحديث الحسن وفي الحديث الصحيح **«إن للشهيد عند ربه سبعة خصال، يغفر له مع أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الاكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما عليها ويشفّع بسبعين من أهل بيته، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين»** فأيّ كرامة أعظم من هذه، وصدق الله:

(ويتخذ منكم شهداء) (آل عمران: ١٤٠)

ونرجو الله عز وجل أن يرزقنا الشهادة وأن يلحقنا به في الصالحين.

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) (آل عمران: ١٦٩-١٧٢)

يا أهل أحمد نحن لا نعرفكم فهو الذي عرفنا بكم، وكثير من الاسر -بل الكثير من القبائل- يحييها رجل شهم ويدخلها في التاريخ، ذكر رجل همام يأبى الدنية ويرفض أن يعطي الدنية في دينه، فسلام عليك يا أحمد ونرجو الله عز وجل أن يتقبلك في الصالحين، ونرجو الله عز وجل أن يلهمكم الصبر والسلوان، وأن يجعله لديكم مفخرة لا سبب ألم وحزن، بل عليك يا أم أحمد أن تعتزي بأمثاله، ويجب عليك ونحن نطلب منك أن تدفعي بأخ آخر له في أرض المعركة حتى يزيد في شرف هذه العائلة ويرفع مقامها ويعلي ذكرها ويترك لها أثراً حسناً في اللاحقين، يا شقيقات أحمد إصبرن بل إفخرن به، وإن كنتن تندبن فاندبن على إخوانه الذين ماتوا على فراشهم، فلا نامت أعين الجبناء، وأنتم جميعاً تعلمون كلمة خالد رضي الله عنه عندما قال: "لقد شهدت زهاء مائة زحف وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء" إننا بحاجة إلى رجال، في عهد قل فيه الرجال، وقد صدق ﷺ عندما قال: **«تجدون الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة»** ونحن وجدنا راحلة، وأحمد إن شاء الله كان من هذه الرواحل التي حملت ثقل هذا الدين والتي تكفلت بأعباء الأمانة وبلغت، ونرجو الله أن يكون قد صدقها في الصالحين، وسبحانك اللهم وبحمدك وأقول أخيراً: إن المعركة التي شهدها أحمد كانت مفخرة كما شهد بذلك مسؤول باكستاني كبير، وهو رجل رسمي صرح بأن الروس لم يتلقوا ضربة أشد منها في هذه الضربة، لقد كانت خسائرهم في المعركة هذه والتي استمرت من السادس والعشرين من رمضان إلى السابع عشر من شوال، لقد كانت خسائرهم تحطيم وتدمير مئتين وخمسين دبابة

وناقلة وآلية، وأصيبت اثنتين وعشرين طائرة بعضها إصابات خفيفة وبعضها تحطيم كامل، وقتل ألف وخمسمائة من الكفار، وكذلك الجرحى الذين لا يعدّون، ويكفي أن نأخذ فكرة عن الجرحى الذين سقطوا من هؤلاء الكفار أنه في يوم واحد وفي إحدى المستشفيات في كابل واسمه (علي أباد) دخله مائة وسبعون جريحاً. كانت المعركة غير متكافئة في العدد ولا في العُدة، هجمت ثلاث فرق، فرقة غزني، وفرقة جارديز الفرقة الثامنة والثانية عشرة والرابعة عشرة ومعها خمس كتائب من الروس منها كتيبة من الكوماندوز. كل هذه مع الآليات التي تحميها الطائرات والتي تدك الأرض في الليل والنهار تسندها راجمات صواريخ الـ (بي أم ٤١)، تسندها مدافع الميدان ومدافع الهاون وأنواع الرشاشات وكل ما ابتكره العقل البشري من وسائل الإبادة والفتك. كل هذا يقابلهم أقل من ألف مجاهد، ولقد كان نصر الله عظيماً للمجاهدين، وكان كل الشهداء مقابل هذه ستون شهيداً .فنرجو الله أن يتقبل الشهداء في الصالحين، وأن ينصر هذا الدين، إنه على كل شيء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ونرجو الله عز وجل أن يغفر لأخينا وأن يرفعنا وإياه في الفردوس الأعلى وأن يحيينا سعداء ويميتنا شهداء ويحشرنا مع زمرة المصطفى ﷺإنه سميع قريب جواد كريم، ونرجو الله عز وجل أن يجمعنا بك في الصالحين.

ومن الكرامات التي ظهرت في هذه المعركة كذلك، أنه شهد لي الأخ شاكر أنه شم رائحة المسك من أربع شهداء آخرين، من الأخ نور الحق، ومن الأخ حسين، ومن الأخ علي، ومن أبو خالد الجزائري، وكذلك من الكرامات التي حصلت مع الأخوة العرب واسمه أبو عبيدة أنه ألقت الطائرة عليه قذيفتين كبيرتين وكانتا نازلتان عليه، فدعا الله عز وجل أن ينجيه من شرهما، فنزلت القذيفتان حوله ولم تنفجر واحدة منهما، ولو انفجرت واحدة لتطايرت قطع لحمه في الهواء، ومن الكرامات أن جبل الرماة الذي كان معرضاً لمعظم قذائف العدو، ومعظم قذائف طائراته وراجمات الصواريخ ومدفعية الميدان، ولم يستطع الاخوة أن يحفروا خنادق في هذا الجبل، فكانوا معرضين للقذائف، إن كثيراً من القذائف التي نزلت عليه بالذات لم تكن تنفجر، ومن الكرامات كذلك من لطف الله عز وجل بعباده المؤمنين ما حصل بأخينا الشيخ تميم، وقد قرأ الشيخ تميم العدناني سبعة أجزاء متتالية من القرآن والقذائف تتساقط من حوله ولم تصبه شظية واحدة.

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

عبـــر من الأيــــام

يا من رضيتم بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا. إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل، بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) (إبراهيم: ٢٤-٢٧)

وقال ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» وقال ﷺ «كفى بالمرء إثما أو كذبا أن يحدث بكل ما سمع» وقال ﷺ «أعظم الناس فرية من هجا قبيلة بأسرها».

واقع المسلمين قبل الجهاد الأفغاني:

أنا أعلم أن كل واحد منكم الآن متلهف متشوف يريد أن يسمع ما نتيجة رحلتي في داخل أفغانستان؟ القلوب متحرقة لمعرفة النتيجة، والأعصاب متوفزة تريد أن تستقر، والنفوس مضطربة تريد أن تهدأ، وأنا أقدر – من أعماقي – أن معظمكم مخلص في هذا، يريد أن يطمئن ويستريح، لكنني قبل أن أجيب على تساؤل نظراتكم الحائرة، وقلوبكم المضطربة المنتظرة، أنا أريد أن أطرح سؤالين وأجيب عليهما، ثم أجيب على تساؤلاتكم التي تعتمل في أعماقكم وتتحرك بين جوانبكم وتحت جوانحكم. السؤالان: من نحن؟ ومع من نعمل؟ من نحن؟ ومن القوم الذين نعمل معهم؟ وأنا أجيب على هذا، ثم أجيبكم على نتيجة رحلتي في داخل أفغانستان، نحن مجموعة من

العرب سمعنا أن هنالك جهاداً إسلامياً في داخل أفغانستان، وعلمنا بما يوجب علينا الرحمن والديان، فانطلقنا وتركنا دنيانا ووظائفنا وجامعاتنا وشركاتنا، وجئنا طمعاً في الثواب وحباً في دخول الجنة.ومن أي قوم جئنا؟:

نحن العرب، وأنا كفلسطيني شهدت بنفسي هزيمة الـ ‹٦٧› وكنت في خضمها وإن لم يكن فيها أمواج، كنت في بحر الحرب، ولكنه بحر هادىء ساكن رأيت الدبابات الإسرائيلية تدخل بلدتنا، ثم تصل المدينة القريبة منا، ثم تتجاوزها إلى ما بعدها، لم تحطم لهم آلية واحدة، عشت هزيمة الـ ‹٦٧› ورأيت الدول العربية جميعاً، تتصدرها كراس حربية، الدول الثلاثة المحيطة بإسرائيل، ما أظن أنهم قتلوا في هذه المعركة من الجيش الإسرائيلي ألف أو خمسمائة، وما أظن أنه قتل بالرصاص من العرب بيد اليهود خمسمائة ولا ثلاثمائة إلا أن يكونوا ماتوا جوعاً وعطشاً فوق رمال الصحراء وتحت شمسها المحرقة، ورأيت المعركة تنتهي في ثلاث ساعات، وإن كان اليهود قد تفضلوا وقالوا: معركة الأيام الست، وعشت فترة غربة الإسلام في هذا القرن، وكنت وأنا إبن فلسطين ما رأيت في فلسطين والأردن إبان العمل الإسلامي – قبل أن تأتي هذه النهضة الإسلامية والصحوة المباركة – ما كنت أعرف إلا شاباً واحداً يطلق لحيته في فلسطين والأردن من أبناء الحركة الإسلامية – ودرست عن الإسلام في هذا القرن، وكيف سقطت الخلافة؟ وكيف تراجع المسلمون من ميدان إلى ميدان؟ ومن هزيمة إلى هزيمة؟ وقد سقط المسجد الأقصى سنة ‹١٩٦٧› بيد اليهود دون أن يسقط حوله عشرة من الجنود أو الشعب الفلسطيني أو الأردني دفاعاً عن أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وعشنا تهافت حكامنا، على أقدام اليهود ليقبلوا منهم سلماً ذليلاً رخيصاً يوقعوا لهم على: أن فلسطين هي ملك لكم ولا يمكن أن ننازعكم فيها، ورأيت بنفسي، السادات – حاكم أكبر دولة عربية – يذهب بنفسه إلى مجلس النواب الإسرائيلي (الكنيست) خاضعاً راكعاً ذليلاً مهيناً هذا نحن، هذا نحن، سقطت الخلافة، ابتلعت أراضي المسلمين قطعة قطعة، لم يتحرك فينا عرق ينبض، ولم نتحرق على فلسطين أو على غيرها من الجولان أو سيناء تحرق قلب على ضياع قلم حبر من جيب أحدنا، ضاعت الخلافة، أعداؤنا يتسلطون علينا في كل مكان، وفي أذهاننا إذا ذكرت أمريكا أو روسيا أنها القوة التي لا تقهر والاسطورة التي لا تهزم، بل الدول كلها، إما أن تدور في فلك هذه، أو تدور في فلك هذه، وإذا زار البلاد رجل غربي أوشرقي، وزيرخارجية أو ضابط صغير من إحدى الدولتين، تهتز له الأوصال وترتجف له الأطراف، وترتعد له النفوس، ورأينا حكامنا وهم يقفون على سلم الطائرة تحت أقدام وزراء خارجيتهم وهم نازلون فوق رؤوسهم، وهذا عيب كبير حتى في السياسة: أن يستقبل رئيس دولة، وكيل وزارة الخارجية، أو وزير الخارجية، ورأينا تركيا قد تدمرت فيها الخلافة وسقطت، ورأينا مصر –مركز الثقل في العالم الإسلامي– وقد أعمل فيه الغرب معاوله فدمر أسرته، وحطم نفسياته ومزق جيشه بالانقلابات العسكرية التي تطهر الأبرار ولا تأتي إلا بالاشرار، هذا نحن، بنفسية منهزمة، تراجعت من ميدان، إلى ميدان، بل فقدت كل ميدان ولم يعد لأحدنا أي مكانة أن يتفوه بكلمة، أمام شرطي في منطقته، أو أمام رجل قتات شهد له الرسول بعدم دخول الجنة «لا يدخل الجنة قتات»، أي مخابرات، لا نستطيع أن ننبس ببنت شفه، ولا أن نعلوا أمامه نفساً، ها نحن، (ومن كان منكم بلا خطيئة فليرجمها) ومن كان منكم يعارضني في هذا الكلام، فليقل لا.. نحن في البلد الفلاني غير هذا، سمعنا أن هنالك شعباً مسلماً دخلت عليه قوة كبرى – بل أكبر قوة برية في الأرض – وهي قوة روسيا، وقف، وصمد، وما انتظر من العرب ولا من غير العرب مساعدة، كلكم إلا القليل، القليل، واحد في الألف ما جاء، ما رأى بيشاور إلا بعد ‹١٩٨٤›، يعني قبل خمس سنوات، لا يتعدى الذين قدموا قبل ‹١٩٨٤› منكم لا يتعدون قطعاً ٢ ٪. وكلكم جئتم قبل سنة، أو سنتين، أو ثلاث، على الأكثر، الشعب الأفغاني ما أنتظركم حتى تأتوا إليه، وما عمل دعاية إعلامية يوم أن وقف في وجه تراقي وحطمه، وأمام حفيظ الله فدمره، وأمام روسيا فمرغ كرامتها بالأوحال.

بداية الجهاد الأفغاني:

قاموا بالعصي والحجارة، تماما كأبناء الضفة الغربية الآن، بالحجارة والعصي أمام الدبابات والجيش المدجج بالأسلحة، أثبتوا مكانهم، وقفوا أمام عدوهم، هزموهم في كثير من الميادين، ونحن لم يترام إلى أسماعنا بعد ما هي أفغانستان؟ وما هو القتال الدائر فيها؟ قاموا، شعب كامل تحركهم صيحة الله أكبر، شعب أمي، جاهل نعم شعب معظمه تركيبة قبلية نعم، شعب الحياة المدنية فيه غريبة وبعيدة، هذا حقٌ صحيح، شعب كثير منه حتى الآن لم يركب بالسيارة، وبعضهم لم يرَ سيارة حتى الآن، هذا كله صحيح، ولكنه شعب أبي، غيور، حييٌ، وفيٌ، على أصالته وفطرته، كم تعجبت أن أحد القادة في هذه الرحلة، قال لي أحد القادة: ما ركب في السيارة إلا هذه المرة قبل أسبوع، أثبتوا وجودهم، العالم كله يتفرج عليهم، الغرب ما صدق أن هنالك شعبٌ، بدائيٌ، أميٌ، يقف أمام روسيا، التي تهتز لها أوصال جنرالات حلف الأطلسي، روسيا التي يحسب لها ألف حساب، وتقض مضاجع البنتاجون وضباط وجنرالات أوروبا وأمريكا، وقف شعب أمامها ثلاث سنوات أو أربع سنوات، ما صدق الصحفيون الغربيون، جاء الصحفيون الغربيون، شهدوا بأنفسهم معارك،

صوروا الدبابات المدمرة والسيارات المحطمة وبعض الطائرات الساقطة، ورجعوا إلى الغرب يقولون: فعلا إن هنالك معركة حقيقية في داخل أفغانستان، فالأولى بالغرب، والأولى بالشرق أن يقفوا مع هذا الشعب حتى يواصل تدميره لروسيا لعلنا ننفس لأحقادنا أيام فيتنام، ولعلنا نخضد هذا الدب جراحا فينشغل بجراحاته التي تنزو، ويغض طرفه عنّا بآلامه التي تعمل في أعماقه.

فالغرب والشرق رحبوا بهذا، والمسلمون نائمون حتى الآن، وكنت - ولا فخر - أول من بدأ ينبه بأن هنالك قضية إسلامية، في داخل أفغانستان ولابد للمسلمين أن يقفوا بجانبها، جئت سنة ‹١٩٨١›، ونحن الآن بعد ثماني سنوات في ‹٨٩› لكنني أقول لكم: لا تزيدني الأيام إلا إعجابا بهذا الشعب، لأني أعرف أكثر منكم حالة الشعوب، وحالة المسلمين، ولي تجارب، بحكم السن، وبحكم العمل في الدعوة الإسلامية، أكثر منكم، ولذلك فرؤياي أوضح ونظرتي أبعد - كما أظن - بحكم السن والتجربة.

هزيمـــة روسيــــــا:

الجهاد في أفغانستان، جهاد رفع به كل مسلم رأسه في الأرض، وانتهى بخروج روسيا ذليلة مدمرة حسيرة كليلة تجر أذيالها من داخل أفغانستان، ولم تنته نتيجة التجربة الروسية في داخل أفغانستان على حدود نهر جيحون، بل آلت روسيا -بقرار من مجلس السوفيات الأعلى- على نفسها: ألا ترسل الجيش الأحمر إلى أي مكان في الأرض بعد تجربة أفغانستان، والاحصائيات التي نقلتها الأقمار الصناعية، وأجهزة التنصت الباكستانية، حتى بداية ‹١٩٨٩› تقول: إنه دمر في داخل أفغانستان سبعة عشر ألف دبابة ومصفحة حتى بداية ‹١٩٨٩›، وتحطم لها واحد وعشرون ألف سيارة وناقلة، وسقط لها حوالي ألفين وثمانين طائرة ومثلها قد استهلك، أرقام خيالية عندما كنا نعرضها على بعض من يعرفون العسكرية، يخرجون عن طورهم ولا يكادون يصدقون، أيعيشون عالم الأوهام والأحلام؟! أم يعيشون في حقائق ووقائع ثابتة بالأرقام؟ خرجت روسيا والكل رآها، وخرجت روسيا ولم تأخذ ورقة واحدة من داخل أفغانستان من يد المجاهدين، الشعب واصل جهاده، بقيت الحكومة الشيوعية، والشعب قد واصل، الشعب بطبيعته كله قد هب من داخل أفغانستان يقاوم العدو المحتل - روسيا الكافر الشيوعي - فهم كانوا يقاتلون روسيا لأنها شيوعية وكافرة وملحدة، وليس لأنها جاءت من خارج أفغانستان، وما دامت الشيوعية موجودة فالمعركة مستمرة.

بعض مشاكل الجبهات:

وعندما قام الشعب في داخل أفغانستان، قام الولي، والتقي، والصالح الذي يباري بطهارته ماء مزن السماء، وقام الفاجر والطالح والفاسد، والكل قد امتشق حسامه ووقف في وجه روسيا، وقام قاطع الطريق الذي كان يقطع الطريق ليسرق بقرة، أو لينهب عنزا، أو ليأخذ شاة، فبدل أن يأخذ شاة أو عنزا يأخذ سيارة محملة بالأسلحة والذخائر يساوي ثمنها آلاف البقر، خرجت روسيا وقد طهر كل واحد من هؤلاء منطقته، طهر الولي منطقته وأقام نفسه قائدا أميرا، وطهر الفاسق منطقته وقاطع الطريق، وسارق البقر منطقته، وأقام نفسه قائدا أميرا، هذا الفاسق لابد له من نفقة، لابد له من أموال حتى ينفق على نفسه وجبهته، خرجت روسيا، قلت الغنائم، قلت السيارات التي يأخذها، فإذاً، تلفت حوله، لابد أن ينتقل النهب من روسيا إلى القرى المجاورة حوله، فصار بعضهم يغير على هذه القرية، فيأخذ بقرها، أو يأخذ شاتها، أو يأخذ عنزها، ليبيعها وينفق على جبهته وعلى نفسه، الصالحون، الأتقياء، المفكرون من أبناء الدعوة، يرون هذا، يرون أن أمامهم عدوا وطاغوتا يجثم على صدور المسلمين في كابل، لابد أن نفرغ كل همنا للإطاحة به، ويرون هؤلاء وهم يقضون مضاجع الناس، وينهبون أغنامهم ويسرقون بقرهم، وعندما يغير على القرية لابد أن يقتل طفل، أو تموت إمرأة، أو يسرق أو يؤخذ واحد منها أسيراً مقابل رهينة مالية يشترطها السارق، فكانوا أمام قضيتين: قضية مواصلة الجهاد في داخل أفغانستان للإطاحة بهذا الطاغوت، وقضية أخرى تنغز جوانبهم بالخناجر وتنغزها بالرماح والسهام، فكانوا قد آثروا أن يجتروا آلامهم، ويكظموا غيظهم، ويبتلعوا غصصهم، ويواصلوا معركتهم، هؤلاء الذين يسقطون في داخل أفغانستان معظمهم بهذه الطريقة، وبعضهم إنما له ثارات قديمة، قبل مئة سنة، وعندما دخل الروس اتفق الناس على تأخير الأخذ بثأرهم ريثما تخرج روسيا، وبعدها نتحاسب، فالآن خرجت روسيا وتحررت كثير من المناطق، فعاد بعض الموتورين - يريدون باسم الجهاد، وباسم الأحزاب، - وبالسلاح الذي أخذوه من قادة الأحزاب يشفون غليلهم وينفسون عن غيظهم ويروون موتور قلوبهم، تسعين إلى خمس وتسعين بالمائة من الحوادث في داخل أفغانستان تحدث بمثل هذه الطريقة، والأحزاب منها براء، أو على الأقل قادة الأحزاب، يعيشون حالة من تلوي قلوبهم، وكظم غيظهم، وابتلاع حسرتهم، وغصصهم، ما لا يمكنك أنت ولا غيرك لو عشت سنوات في داخل أفغانستان أن تبلغ المرارة التي يعيشونها في أنفسهم.

اضرب بها الحزب. وعلم الله أنني مارضيت يوماً واحداً وأقسم لي على هذا **(ومن أقسم لكم بالله فصدقوا)** ثم الذي يحاسب القلوب هو علام الغيوب رب العباد الذي يعلم السر واخفى – وعلم الله أني مارضيت عن الخلاف لحظة واحدة أبداً، أقول لكم: رغم كل هذا والله اني مرتاح النفس مطمئن القلب، قرير العين، أن هؤلاء القادة الكبار، هذا الذي تطمئن اليه نفسي وادين به بيني وبين ربي، إلا أن يثبت لي شيء آخر أن هؤلاء القادة الكبار بعيدون أو لا يحبون هذه الخلافات، ولا يدخلون فيها إلا كما يدخل أحدهم في النار وهو يعلم، هذه واحدة.

الشيء الثاني الذي طمأن نفسي أن هؤلاء القادة الكبار، محبون للصلح كل واحد منهم متلهف له، وينتظر الوقت الذي تنتهي به هذه المشاكل.

القضية الثالثة التي تجعلني أطمئن أن كل واحد منهم نصب عينيه وشغله الشاغل وذهنه بالتفكير ليل نهار كيف يطيحون بالحكم الشيوعي؟ قال لي حكمتيار: نحن نريد أن نغلق الطريق الموصل من كابل إلى حيرتان فوجدت نفس التفكير، بنفس الوقت يرتب له مسعود، قال لي حكمتيار: نريد بإذن الله أن نعمل عملية عسكرية كبيرة، لعل المسلمين ترتفع معنوياتهم ولعل المجاهدين تعود اليهم روحهم المعنوية التي كانت أثناء خروج الروس في شهر يناير لهذا العام فوجدت مسعود يرتب كذلك لهذا ليس لمطار بجرام قال لي: وأنا أسأله عن كابل قال لي: أنا لا أعدك بكابل في هذا الصيف لكن أعدك بشيئين: أن أشعلها ناراً بإذن الله بعد أن تنتهي هذه المشكلة، من حيرتان إلى كابل وأن اهجم على بعض المدن، لعل الله يفتح علينا بعضها، فالكل يرتب للطاغوت الأكبر، أو للطاغوت الكبير نجيب، ولذا وأنا ارجع من الداخل، وإن كانت نفوسكم تتقطر أسىً وألماً، لمايدور هنا فانا والله الذي اقوله لكم: مرتاح القلب، مطمئن النفس، قرير العين، هادىء الأعصاب، أن النتيجة بإذن الله لصالح هذا الدين، ثم لصالح المجاهدين. هذا الذي أطمئن اليه، وأنا بيني وبين نفسي لن أغادر هذه الساحة بإذن الله، مادمت أظن أني اقدم شيئاً في هذه الساحة، ومادمت أظن أنني أستطيع أن أواصل جهادي، ولن أخرج إلا مكبلاً من فوق الأرض، أو أدخل في داخل الأرض مقتولاً. هذا الذي تطمئن إليه نفسي، وماحدثتني نفسي لحظة عبر هذه الأعوام، وأنا أرى مشاكل تشيب لها نواصي الولدان، مافكرت لحظة أن أغادر هذه الساحة لأني أظن أن راية الجهاد مرفوعة، وأن في الأمر متسعا، وأن النهاية للإسلام، وأن دولة الإسلام ستقوم ولو بعد أعوام من انتصار المجاهدين. اما النصر فبإذن الله تطمئن إليه نفسي أنه قادم، أما إقامة دين الله وتطبيق الشرع فانا أعلم أنه قضية تحتاج أعواماً، لتثقيف الشعب من خلال الاذاعة والتلفاز ومن خلال الصحيفة والدوريات، ومن خلال الجامعة والمدارس، وبقي أنتم **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً او ليصمت)** فمن كان منكم مطمئنا أن هذا جهاد اسلامي، وأن هذا الشعب مسلم فيجب عليه أن يواصل معه ومن توصل منكم إلى قرار قلبي أن هذا القتال ليس جهاداً اسلاميا، وأن هذا الشعب لايمكن أن يصل إلى خير، فرحم الله امرءً خفف وترك مكانه وعاد إلى بلاده، لاتزيدوا جراحات الافغان، ولاترشوا على جروحهم ملحاً، ولاتزيدوا فتنتهم، ولاتنقلوا عيوبهم، ولا تتوسوسوا ولاتتهامسوا فيما بينكم عنهم، فاني أعلم مالاتعلمون، وأوقن أنكم إذا كنتم تشكون في اسلامية هذا الجهاد، أنكم مخطئون. كل واحد منكم قد عجز عن الصلح بين الناس أو وصل إلى حد يدرك أنه لايستطيع أن يواصل المعركة معهم، فهو آثم إن بقي على هذه الساحة، يجب أن يرجع إلى بلده، لأنه يعيش في فراغ، والفراغ لايأتي إلا بإنسان يائس أو محطم بالآلام والتأوهات التي تنقلب رضى أم غضب إلى تثبيط أو تعويق وارجاف وغير ذلك، رضيت أو غضبت أخلصت أم لم تخلص، إن كنتم تظنون أنكم تقومون بالاصلاح فحي هلا وواصلوا بشرط أن توقنوا ابتداءً أن هذا جهاد اسلامي وأن الشعب هذا مسلم. يقول لي الشيخ رباني بالأمس والله بقي الخبر عندي خمسة ايام ما أخرجته خوفاً من تشويه سمعة الجهاد، وخوفاً من التأثير عليه ولأني أعلم أن تشويه حكمتيار إنما هو تشويه لي وتشويه للجهاد نفسه، وتحطيمي لأخي انما هو تحطيم لي وتحطيم للجهاد، فالناس يعرفون بعضهم أكثر منكم فمن كان منكم يعتقد أن هذا الجهاد اسلامي فليعرف مقامه، أنت في بلدك يا أخي ماكنت تستطيع أن تتكلم على شرطي ولاتستطيع أن تواجه ضابطاً من ضباط المخابرات، أنت الآن تقفز دفعة واحدة لتقوم فلانا وتحطم فلانا وتخطيء فلانا وتؤيد فلانا، اتقوا الله في أنفسكم ورحم الله إمرءً عرف قدره فوقف عنده.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

يا أيها الأخوة أقول لكم باختصار الجهاد على خير، أنا مطمئن إليه، القادة يريدون الصلح، وجادون فيه، هم أعلم بأقوامهم وأنفسهم وبعضهم منكم، دورنا الاصلاح، فإن استطعنا أن نؤدي كلمة خير في الاصلاح فلندل بها، وإلا إذا وصلنا إلى حد اليأس فلنغادر الساحة فوراً، ويأثم الذي يبقى في الساحة وهو يدرك أن هذا الجهاد ليس إسلامياً وأنه لايؤدي دوراً في الاصلاح والخير لانه يأكل من الأموال التي تأتي للجهاد، وهو يؤذي الجهاد رضي أم غضب، أخلص أم مكر كل واحد منكم اعيدها لايطمئن إلى اسلامية هذا الجهاد وإلى اسلامية هذا الشعب، حرام عليه أن يبقى في الساحة عودوا إلى بلادكم فبلادكم أوسع لكم اما الذي هدى الله قلبه واطمأنت نفسه إلى أن هذا الجهاد جهاد اسلامي، فليمض على بركة الله وليواصل الطريق واظنها باذن الله توصل إلى دين الله وإلى النصر.

الأوضاع في الداخل مختلفة جداً مما في بيشاور أفضل بكثير من بيشاور، فالمعركة لازالت منتصرة لجانب المجاهدين، والميزان راجح لصالحهم، والعمليات يوميا يحصل نصر، ولكن اخبار الفساق أو الفجار التي تحدث هذا الانفجار، بين الحين والآخر يغطي دويها على كل خير، ونحن قادمون من خلال طريق (طوبخانه)، فتحت مديرية كاملة، مديرية زيباك، في يومين فقط، -في بدخشان- وقد غنموا دبابات وسيارات وازبعمائة وخمسين كلاشنكوفا، واسرى كثيرين وما إلى ذلك. سقطت كذلك مديرية (مير بجه كوت) خلال هذه الفترة وكذلك « قره باغ »، هذه الاخبار لانقف عندها، إنما نقف على قضية صغيرة، نعم، أحدثت دوياً هائلا على يد أحد البسطاء أو الفجار أو الفساق أو الاشرار أو السراق، أحدثت هذا الدوي فلاتسمع في أرجاء بيشاور إلا أصداء هذا الدوي يتناقله لسان عن لسان وفم عن فم. فاتقوا الله..

(وإذاجاءهم أمر من الأمن أوالخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً) (النساء: ٨٣)

فارجعوا الأمر لأهله وأرجعوا الكلام للمسؤولين، وإلى أولي الأمر منهم حتى يستنبطه اولي الأمر فيعلمونكم القضية وإذا كنت لاتستطيع أن تدركها، ووالله يا إخوة هناك بعض المشاكل التي نظنها بسيطة وسببها بسيط لها جذور عميقة من عشرات السنين، أو من عشر سنين ثم جاء وانفجر باسم الحزب تارة وباسم الجمعية أخرى، والجمعية منه براء، والحزب منه طاهر كطهارة الذئب من ابن يعقوب، اوبريء كبراءة الذئب من دم ابن يعقوب، اتقوا الله لاتتكلموا الا بخير، ولا تنشروا الا خيراً، ولاتخبروا اقوامكم ولا الناس في بيشاور إلا اخبار الانتصارات. وإذا جاءكم أمر من هذا فقولوا كما قال خالد بن الوليد عندما جاء الرسول في منتصف معركة اليرموك جاءه جذيمة ابن زنيم، يحمل رسالة من عمر يخبره بوفاة أبي بكر ويعزله عن القيادة، وقد خاضوا اليوم الأول من اليرموك، وحتى يفرح القوم ويظنوا أنه جاء ببشارة قال له: أحسنت وابق بجانبي حتى لاينتشرخبر وفاة الصديق وعزل خالد، حتى لا يفتّ في عضد الجيش، قال بملء صوته وبأعلاه: أحسنت حتى يظن الجنود المجاهدون أبناء الاسلام إنه قد جاء بخبر مفرح من مدينة رسول الله ﷺ..

****

****

****

**

نقطة الإنطلاق

.... وحكمتيار بثلاثين شاباً بدأ المعركة ضد داود، وكان رأي الأستاذ رباني أن نتريث قليلا بالإغتيالات أو غير ذلك ، قال: لا، لا بد من المقاومة المسلحة، فالمهم يدخل ثلاثون شابا لا يملكون مسدساً في ذلك الوقت ضد داوود الطاغية، وداوود رجل عسكري حكم أفغانستان عشر سنوات كرئيس للوزراء، يعني ترتعد فرائص الأفغانيين عندما يذكر إسم داوود، رجل عسكري جبار طاغية.. وبدأ في المحاولات، والله عز وجل بارك، ثم جاء الإنقلاب الشيوعي لتراقي وازداد القتال، ثم جاء حفيظ الله أمين وزاد القتال ، واضطرت روسيا أن تدخل لأنها خشيت أن أبناء الحركة الأسلامية مع العلماء سيستلمون الحكم في أفغانستان ،واستمرت الحرب عشر سنوات، ووقف العالم كله متفرجاً لم تقدم لهم أي جهة رصاصة إلا بعد أن أثبتوا وجودهم ، بعد أن وقفوا على أقدامهم، وقف العالم كله باحترام أمامهم ، وقدم لهم بعض المساعدات من بعض الأفراد، واستمرت المعركة عشر سنوات، الآن مضى عليها عشر سنوات وشهر، ومع ذلك ينتقلون من نصر إلى نصر، وروسيا تنتقل من هزيمة إلى هزيمة، وما كان هذا بسهولة، يسقط كل أربع دقائق شهيد فوق أرض أفغانستان، كل أربع دقائق، ويهاجر كل دقيقة مهاجر، ويسجن كل اثنتي عشرة دقيقة واحداً من الشعب الأفغاني، ومع ذلك ما وهنت له عزيمة ، ولا لانت له عريكة ، ولا طأطأ رأسه.

هزيمة روسيا على رؤوس الأشهاد:

روسيا اضطرت أن تعترف، غورباتشوف قال: إن أفغانستان جرحنا النازف الدامي. ميتران يقول: -رئيس فرنسا- إن أفغانستان سرطان يأكل جسد الإتحاد السوفياتي يوماً يوماً، الصحفيون الغربيون ما صدقوا أن الشعب الأفغاني يقف أمام روسيا، روسيا التي ترتعد لها جوارح أوروبا كلها، أمريكا تخاف منها، الشعب الأفغاني واقف أمامها، لما جاء الصحفيون هنا ما صدقوا، أصحيح تدمر دبابات في داخل أفغانستان؟ أصحيح أن روسيا تهزم في بعض المعارك؟ عندما رأوا بأعينهم.. أحد الصحفيين الفرنسيين كتب في صحيفة فرنسية (**رأيت الله في أفغانستان!!**) وقال آخر كان يعمل أفلاماً إسمه شاليزي ـ كندي ـ قال: ستكون أفغانستان مسماراً في نعش الإتحاد السوفياتي، وبعضهم أسلم. التقيت بصحفي فرنسي هنا عند جاور[1] على حدود أفغانستان، فقلت له: أنت تؤمن بالله؟ قال: والله أنا ما كنت أؤمن ولا أعرف إلا بالإشارة أن هنالك إله. لكن الشعب الأفغاني أجبرني على الإعتراف بالله. قلت له كيف؟ قال: عندما رأيت البنادق تهزم الدبابات والطائرات معنى ذلك هنالك قوة أقوى لا نراها وهي القوة التي تسمونها الله هي التي في المعركة، وهي التي تديرها ، قلت له: هل تظن أن الأفغان سينتصرون؟ قال: سينتصر الشعب الأفغاني ولو بعد حين.

الله عز وجل ضرب لنا مثلاً بشعب فقير أمام أعظم قوة في الأرض، هنا عندما تسلّح وحمل السلاح وتوكل على الله عز وجل ما وقفت أمامه أعظم قوة في الأرض، والله عز وجل اختار الشعب الأفغاني لأن فيه صفات ليست موجودة في بقية الشعوب، الشعب الأفغاني بطبيعته متقشف، الشعب الأفغاني حياته العادية كل يوم في الصباح يفطر خبزاً وشاياً، الغني والفقير يفطر على الخبز والشاي، فالحروب وقلة الطعام لا تؤثر فيهم كثيراً، الشعب الأفغاني شعب جبلي، في معظم أجزاء أفغانستان جبال، الشعب الأفغاني ما أفسدت فطرته بحضارة، ولم يستعمر من قبل، وما أذل وما تروض الأسد فأصبح غزالا، بقي الأسد أسدا،، وكما قال محمد إقبال:

إنما الإسلام في الصحراء امتهد يعني نزل الإسلام في الصحراء، ليكون كل مسلم أسد لماذا؟ لأن الصحراء لا تدخلها الجيوش ولا تذل أصحابها، ولذلك الغربيون كتبوا: لقد خضع كل العالم لثقافتنا إلا الأعراب في الصحراء، والتيس الجبلي في أفغانستان، وهم يسمون الأفغان التيس الجبلي، لماذا؟ لا يفهم عليهم ولا هم يفهمون عليه، لأنه هو يفكر بواد وهم يفكرون بواد، ولذلك فعلا بالنسبة لهم عقله خشبي ونحن نريد العقول الخشبية التي لاتفهم لغة الأمريكان ولا لغة الإنجليز ولا لغة الروس، لا يفهمون إلا على لغة رب العالمين وكلام سيد المرسلين ﷺ .

وانتصر الشعب الأفغاني، وعلى التلفزيون الروسي قابلوا جندياً راجعاً من أفغانستان نقله التلفزيون الأمريكي، قال له: كيف حالكم في داخل أفغانستان؟ قال: عندما نسمع صيحة «الله أكبر» نبول على ثيابنا. هذا على التلفزيون الأمريكي نقلا عن التلفزيون الروسي، فالله عز وجل أعطانا مثلاً: أن أي شعب يعتمد على ربه ويتوكل على خالقه مهما كان فقيرا ومهما كان أعزل سينتصر ولو بعد

(١) جاور: منطقة قريبة من مدينة خوست/ باكتيا في أفغانستان.

حين، وضرب لنا مثلا أنكم أيها المسلمون بإمكانكم أن تستعيدوا قيادتكم للبشرية مرة أخرى إذا حملتم السلاح ودافعتم عن كرامتكم، وضرب لنا مثلا أن أروقة الأمم المتحدة ومجالس الأمن لا تقدم لكم إلا ذلا، ولا تضمن لكم إلا خزياً وهزيمة، ولغة السلاح هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العالم وتجبرون العالم على سماعكم، ولذلك بدأت الشعوب تنتفض.

الأمريكان ومواقف قادة الأفغان:

رأوا أفغانستان واقفة أمام روسيا، الذين في فلسطين تحركوا أمام اليهود، الذين في أذربيجان تحركوا، في أرمينيا تحركوا، في بولندا تحركوا، وستتبعها ثورات في كل العالم، الشعوب الآن رأوا نموذجاً أمامهم، لسنا بحاجة إلى تكنلوجيا، لسنا بحاجة إلى السلاح، لسنا بحاجة بقدر ما نحن بحاجة إلى شيء واحد وهو التوكل على رب العالمين والإيمان به والإعتصام بحبله، وبعد ذلك يأتي النصر، غنائم، سلاح يأتي من أيدي أعدائنا، طعام يأتي من أفواه أعدائنا، عالم نجبره على الإستماع لنا إذا نحن وقفنا، الأمريكان الآن، الروس، الإنجليز، كبير المذيعين في التلفزيون البريطاني -واحد كان يعمل في وزارة الخارجية- زار هنا، قال: ثلث الشعب البريطاني لا ينام كل ليلة حتى يسمع شيئا عن أفغانستان، متابع هذه القضية.

الأمريكان، ريجان يطلب بنفسه أن يقابل واحداً من قادة المجاهدين، كان حكمتيار ومعروفة القصة عندما ذهب إلى الأمم المتحدة سنة (١٩٨٥م) في أكتوبر وكانت دورة الأمم المتحدة، والزعماء والملوك والحكام كلهم مجتمعون في الأمم المتحدة، فذهب السفير الباكستاني، قال له ريجان: أنا أنتظر حكمتيار الساعة الحادية عشرة في مكتبي، وحكمتيار قال: أنا لا أريد مقابلة ريجان، السفير الباكستاني يظن أن حكمتيار فقد عقله، قال: مجنون أنت؟ ولم يصدق السفير الباكستاني -لأنه ينظر إلى حكمتيار بأنه مهاجر أفغاني قاعد في باكستان لا يقدر الأمور كما تقدره دول الكفر، قال: أنت مجنون؟ ريجان على قائمته ستون ملكاً ورئيساً ويرفض مقابلتهم وأخّر مقابلتهم وأنت ترفض مقابلته؟ قال: نعم، وإذا أصررتم على هذا اللقاء سأغادر أمريكا الآن، وما يئس ريجان، كتب رسالة وأعطاها لابنته وقال لها: إذهبي إلى حكمتيار -إسمها مورين -وناولها الرسالة، فذهبت وقالت له: والدي ينتظرك هذه الليلة في البيت الأبيض، قال: لكني أعطيت موعداً مسبقاً للمهاجرين الأفغان في إنديانا ولا بد أن أفي بالعهد، وأنا أتأسف لا أستطيع أن أخلف موعدي، ريجان عدة حكام من حكام المسلمين والعرب ذهبوا ومكثوا أسبوعاً يترددون من عتبة هذا إلى عتبة هذا لعله يمنّ عليهم بربع ساعة ورفض مقابلتهم، قال: لا يوجد وقت، ليس عندي الوقت، ورجعوا من أمريكا، رفض مقابلتهم، لماذا طلب مقابلة يونس خالص؟ لماذا؟ يونس خالص إمام مسجد كان راتبه مائة ريال في الشهر، خمسمائة روبية، في بيشاور في باره، لحيته بيضاء فحناها، لا يعرف الإنجليزية، ولا يعرف الفرنسية، ماذا يريد بيونس خالص؟

احترام العالم للمجاهدين الأفغان:

لكن فرض هؤلاء احترامهم على العالم كله عندما احترموا دينهم، واحترموا القيم التي يحملونها، وقدموا التضحيات من أجل حماية دينهم، فوقف العالم كله احتراماً لهم وإجلالاً، الآن كل العالم عندما يذكر الأفغاني يقف احتراماً أمامه، أنت أفغاني؟ بمجرد أن يكون اسمه أفغاني يقدم، بعثات في السعودية وفي الدول العربية، في أمريكا والله أنا كنت أمشي في مطار في أمريكا وكنت ألبس القبعة الأفغانية واللباس الأفغاني يقول أحد الأمريكان وهو يشير إليّ:

It seems that he is from Afghanistan

هذا مجاهد!!!

اليهود أنظر أعادوا بعد ثلاثة الاف سنة كلمات في العبرية انتهت (الكنيست، الهستدروت، أورشليم)، هذه أعادوها لقاموس البشرية، كلها يستعملونها، لماذا؟ وقفوا أصحاب قوة، الأفغان أعادوا فرض كلمة الجهاد على قاموس التعامل في العالم، ريجان يقول: روسيا إذا أرادت أن تنتصر على الأفغان يجب أن تدخل لكل أفغاني مائة جندي روسي، يجب أن تقابل كل مجاهد أفغاني بمائة روسي، وهو يقول: المجاهدون الأفغان.

المصطلحات الشرعية تعود من جديد:

كلمة مهاجرين ، قالوا لهم: أنتم لاجئون Rfugees قالوا: لا، نحن لسنا Refugees ، نحن مهاجرون، والهجرة كلمة ربانية،

كلمة ربانية للفقراء المهاجرين، فهي رتبة عند رب العالمين، وسام، مصطلح، قالوا لهم: أنتم ثوار، قالوا: لسنا ثواراً نحن مجاهدون ،أعادوا كلمة الأمين، أعادوا كلمة الغنائم، الأمة الإسلامية عادت تحس بالعزة في كل مكان ،وكل واحد صار يردد:

مسلم يا صعاب لـــــن تقهــــريـنـــــي ... صارمي قاطع وعزمـــي حـــديـــد

كل بــــذل إذا العقيـــــدة ريعـــت ... دون بـــذل النفـــوس نزر زهـيـــد

الجهاد الأفغاني أحيا الأمة الإسلامية :

نعم .. لم تكن هنالك قضية يشتغل بها العالم الإسلامي كله، كان الناس منشغلين بقضايا فرعية، فماالذي كانوا يتكلمون عنه؟ عن العدل بين الزوجات، عن تعدد الزوجات، عن ترك الدخان، هذا الذي يتكلمون عنه، الآن هنالك قضايا كبرى، قضية أمة مسلمة، قضية الجهاد، قضية التخلص من عبودية العباد إلى عبودية الله، هذه المعاني ما كانت مطروحة قبل سنوات ،وطبعا بعض الناس ما قدروها حق قدرها، وينظرون إليها نظرة ضيقة جداً، ما قدروا هذا، ما عرفوا أن قضية الجهاد الأفغاني أعادت الحياة إلى الأمة الإسلامية الميتة، وأن الجهاد الأفغاني أعاد ضخ الدم في العروق الجافة، عروق الأمة الإسلامية ماتت، انتهت، الجبن .. الخور سيطر على النفوس ،والله كان لنا جار ــ أعوذ بالله ــ سكير. ولما صارت فتنة أيلول وصارت القذائف والصواريخ تنزل على الدور، فوضعنا النساء في ملجأ تحت الدار، ونحن الرجال جلسنا فوق، فجاءنا هذا، جاء والقى بنفسه بين النساء..

(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) (البقرة: ٩٦)

فالنساء يبصقن في وجهه ويشتمنه.. أخرج .جالس بين النساء ؟!ألا تستحي على نفسك؟! والله من شدة الخوف مات، مات بين النساء، وصليت عليه، الخور، الخوف، الجبن عندما يصل إلى حد يموت وهو يتطلع على نفسه، تتقطع نياط قلبه لشدة الخوف ويموت. كان لنا جار مهندس ومن كبار المهندسين في البلد، زرته، لا يصلي، المهم أقنعناه أن يصلي، صار يأتي إلى الجامع، صار يصلي، ثم افتقدته من المسجد فزرته، قلت له: يا فلان فقدناكم من المسجد، مالك؟ قال: أنا جئت صليت الجمعة عندك مرتين، ثلاثاً، وحمستني، قلت: نعم هذا حمسني حتى أقول كلمة ثم يضعوا القيود في يدي ويضعونني في السجن، أقصر طريق للنجاة أن أترك الصلاة عند هذا الشيخ، تصوروا عندما يبلغ الإنحطاط بالنفس البشرية أنه يخاف أن يسمع، قال: نعم هذا يريد أن يحمسني حتى أتكلم كلمة وبالتالي تضع الحكومة القيود في يدي، والله يشير بيده هكذا ومن كبار المهندسين في البلد، وشريك لرئيس الوزراء، يضعوا القيد هكذا ويرموني في السجن ،أفضل شيء لا أذهب إلى المسجد! الناس ماتت! ماتت!

خيانة البلاد ورب العباد :

عبدالناصر زعيم الأمة العربية!! يتحدث عن الفدائيين يقول: بلغني أنهم بقطعة كلاشنكوف يقابلون اليهود، يظن أن اليهود أسطورة لا يمكن أن تقاوم، والله في خطاب عام، قال: بلغني أن الفدائيين بقطعة كلاشنكوف يقابلون اليهود، والهزائم التي ذقناها والمرارة والإنهيارات العسكرية في كل مكان، وصمة العار التاريخية التي لا يمكن أحد أن يصدقها أن ثلاث دول تسقط في أقل من ثلاث ساعات، أما اليهود مددوها ستة أيام وصدقوا، قالوا: ستة أيام، حرب الأيام الستة، والمسجد الأقصى سقط سنة <١٩٦٧م> ولم يسقط حوله خمس جنود أردنيين، أي عار في تاريخ البشر أن قبلة أقدس المقدسات، القبلة الأولى لا يقتل حولها عشرة آلاف رجل، والله خمس رجال ما قتلوا حول الأقصى، والله كان جارنا مسؤولاً عن مستودع للسلاح في الضفة الغربية، لما بدأت الطائرات تضرب في المنطقة وقف على باب المستودع وقال لهم ــ هو إسمه حسن ــ قال لهم حسن هارب .وترك مستودع السلاح مليئا ولم يفجره حتى يأخذه اليهود، الأردن ابتدأت الحرب الساعة الحادية عشرة من يوم الإثنين، ثاني يوم العصر كان اليهود في المسجد الأقصى، وأعلن الأردن أننا اضطررنا أن ننسحب لخط الدفاع الثاني، أنا ظننت والله أن خط الدفاع الثاني من القدس إلى بيت حنينا، يعني على بعد ١٠كم أو ٥كم، وإذا بخط الدفاع الثاني جبال السلط في الضفة الشرقية، تشرشل يكتب في حرب الأيام الستة، قال: بينما كانت جرافات البلدوزر تشق طريقها أمام الدبابات الصاعدة إلى قمة الجولان كانت المدفعية السورية مشغولة بإلقاء آلاف الأطنان من المتفجرات على الأعشاب اليابسة في المستعمرات القريبة، قال: ولم تطلق الدبابات قذيفة واحدة، وحدث أن إحدى الدبابات قد تعطل جنزيرها أثناء الحرب، فحول قائد الدبابة مدفعه نحو الدبابات الإسرائيلية المتقدمة في ذلك المحور وأطلق عدة طلقات فعطل ست دبابات، أوقف تقدم الإسرائيليين ثماني ساعات، ثمان ساعات، والله تقدمت الدبابات الإسرائيلية، أنا كنت في الضفة الغربية وتحمسنا، وكان في البلد بنادق إنجليزية،

والبنادق الإنجليزية (الجاغوري) التي حضرت الحرب العالمية الأولى، التي تتسع لعشر طلقات، حملناها ونزلت أنا وشابين أو ثلاثة، ومرت الدبابات، فجئنا وأطلقنا بعض الطلقات بالبندقية على الدبابات المارة بعيداً، جاء الشاويش الأردني وقال يا جماعه: بالله عليكم أن تتركوا أماكنكم وإلا ستمر عليكم الدبابة فتقضي عليكم، ماذا ستفعل طلقتك أمام دبابة؟ حفاظاً على أنفسكم ارجعوا، فكان ناصحاً لنا، وفعلاً لو مرت دبابة لخرجت علينا ومشت، يا جماعة: كم كان مخزياً أمام العالم، مندوب سوريا في الأمم المتحدة يعلن عن سقوط القنيطرة ومندوب إسرائيل يقول: لا، لم نصل إلى القنيطرة.

فكانت الأمة الإسلامية على حافة الإنتهاء، على حافة النهاية، فالله عز وجل ساق لنا هذا الجهاد، أما الجبهة المصرية فلا تسأل عنها!! حدث عنها ولا حرج، ولولا أن إسرائيل سمحت للأمم المتحدة وسمحت لطائرات الصليب الأحمر الدولي وسمحت للجيش المصري في الصحراء أن يرجع لمات معظمه جوعاً وعطشاً، يقول عبدالناصر في خطاب الإستقالة: -أنا سمعته وكل واحد سمعه- يقول: كنا نعلم مائة بالمائة أن الهجوم يوم الإثنين، اتصل بي السفير الأمريكي الساعة السابعة مساءً ليلة الإثنين ليلة ٥ يونيو، واتصل بي السفير الروسي الساعة الثالثة صباحاً، أيقظه من النوم حتى يتهجد بقية الليل!! أيقظه من النوم الساعة الثالثة صباحا قبل المعركة بساعتين وقال: لا تضرب، ونحن نعلم مائة في المائة أن الهجوم يوم الإثنين، وأين الطيارون؟ يقول جنرال هود: كانت هناك الساعة الخامسة إلا خمس دقائق طائرة استكشاف مصرية واحدة في الجو، ونزلت الساعة الخامسة ، وبدأنا الضربات الساعة الخامسة، وبثلاث ساعات حددنا المعركة، أين كان الطيارون؟! كانوا نائمين، القصة يحدثها باروخ نادل، باروخ نادل يهودي مستشار قيادة الأركان الجوية المصرية ثلاثة عشرة سنة من ‹١٩٥٤م -١٩٦٧م› في كتاب منشور كان يباع في الدول العربية، بعض الدول منعته، إسمه (تحطمت الطائرات عند *الفجر*)، قال: أربعمائة طيار عملت لهم حفلة ليلة الإثنين، أربعمائة طيار! وكانت ترقص بنت من البنات، الله تاب عليها من جديد، قال: وبقيت السهرة حتى الثانية صباحا، وخشيت إن رجع الضباط أن يستيقظوا الساعة الخامسة، ففكرت بسرعة لأمدد الحفلة، وقسمت الضباط إلى قسمين الرجال إلى جهة والنساء إلى جهة، وقلت للرجال: أنتم الميج المصري وأنتن الميراج الإسرائيلي والآن سنرى كيف ينقض الميج المصري على الميراج الإسرائيلي، وانقض الميج المصري على الميراج الإسرائيلي وبقوا حتى بعد الرابعة، وعادوا إلى بيوتهم ، ووضعوا رؤوسهم على الوسادة، هو يقول: واختلفت مع قائد الأركان الجوي (صدقي محمود) على البنت التي كانت ترقص -لا مجال لذكرها لأن الله تاب عليها- ووضعوا رؤوسهم الساعة الرابعة أو بعد الرابعة لم يستيقظوا إلا بعد العصر، يقول: وركبت طائرتي وعلوت فوق سماء القاهرة وما غادرت القاهرة إلا وأنا أرى الدخان المتصاعد من طائراتها المحترقة ومن مطاراتها الملتهبة، وماذا كان الأمر من القائد العام؟ لأن عبدالناصر كان القائد العام، سلاح الطيران تحطم، الق سلاحك وانسحب (مش إرجع بسلاحك) ولذلك إخواننا المصريون يعبرون عن آلامهم بالنكتة اللاذعة، فكان الضباط في الجهة الغربية من القناة وكان الجنود يدخلون من الجهة الشرقية من الصحراء وكل واحد حامل حذاءه بيده ويجتاز القناة، وكان أحدهم يحمل حذاءين، فسألوه هذا الحذاء من أين؟ قال: هذا الذي نسيته سنة ‹١٩٥٦م› لأنهم سنة ١٩٥٦م هزموا نفس الشيء.

وأنا كنت في الضفة الغربية والطائرات تضرب والدنيا قائمة واحتلنا وتجاوزتنا الدبابات الساعة الحادية عشرة من يوم الإثنين، اتصل الملك حسين بعبدالناصر قال: هل ندخل المعركة أم لا؟ كيف الأخبار؟ قال له: أسقطنا ثلثي طائرات العدو، طائراتنا فوق تل أبيب شد حيلك يا جلالة الملك، التوقيع سلمى، إلتقطتها إسرائيل وكانت كل ساعة تعيدها، كان اسم عبد الناصر بالشيفرة سلمى، اسم بنت ليس إسم رجل، فالمهم كانت هذه حالة الأمة الإسلامية، إستسلام كامل لأعداء الله عز وجل، ويأس مطبق من أننا نستطيع أن نقف أمام أعداء الله عز وجل، فالله عز وجل ساق لنا هذا الجهاد حتى يثبت للمسلمين أن بإمكانكم أن تعودوا مرة ثانية تقودوا العالم.

ولايبني الممـــالك كالضحـــايـــا	ولا يـــدنـــي *الحقـــوق ولا* يحـــق
وللحـــرية الحمـــراء بـــاب	بكل يـــد مضرجـــة يـــدق

أغلى الممالك ما يبنى على الأسل، على رؤوس الرماح تبنى الممالك،لا تبنى في الأمم المتحدة أو في مجلس الأمن، أكبر قضية أكثر قضية شغلت الأمم المتحدة هي فلسطين، ما من قضية فيها مجلدات في الأمم المتحدة أكثر من قضية فلسطين، وماذا أنتجنا وماذا نلنا؟

شباب نموذجي في الصبر والتحمل:

- يا أيها الإخوة: الله عز وجل اختاركم من شعوب كثيرة حتى تكونوا شهودا لمعركة العز والفخار، لستم بأعلم من غيركم، ولستم بأتقى، ولكن الله عز وجل اختاركم، والله عز وجل أعلم لأنه يحبكم، لأن الله يعطي الدنيا لمن أحب ولمن لا يحب ولا يعطي الدين إلا لمن

أحب، والله عز وجل بقدر حبه للإنسان يسلمه عملا، وبقدر رفعته عنده يسلمه أرفع الأعمال وأشرفها وأنقاها وأعزها، فقمة سنام الإسلام سلمكم إياها، دليل على أنه يحبكم إن شاءالله، فلا تحبطوا أعمالكم، ولا تنس هذا الخير الكبير الذي قدمه الشعب الأفغاني للأمة الإسلامية، ثم تنظر إلى أمور صغيرة ،لماذا؟ لأن الماء إذا بلغ القلتين لايحمل الخبث، والإنسان إذا كثرت حسناته يتغاضى عن هفواته، ألم تر أن البحر لا ينجس، ألم تر أن النهر العظيم لا يؤثر فيه نجاسة قليلة، ولا تؤثر فيه نجاسة، ألا ترى أن رسول الله ﷺ قال: **(أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم فوالذي نفسي بيده إن أحدهم ليعثر ويده بيد الرحمن)** فاحفظوا لهم مكانتهم ،ووالله ما قدم أحد للأمة الإسلامية في القرون الثلاثة الأخيرة خيرا أكثر من هذا الشعب، وما استفادت الأمة الإسلامية أبدا من حوادث ضخمة أكثر من هذه الحادثة التي زلزلت الأرض كلها، حادثة الجهاد الأفغاني على يد الشعب المسلم الفقير، فلا تنظروا إلى الأمور الصغيرة .

يا إخوة: أنا أشبه الشعب الأفغاني بالنسبة للأمة الإسلامية كرجل تزوج امرأة عقيمة ،وبعد أن نيف على الخمسين ويئس أن تلد مولوداً ولدت زوجته وهي في سن الثانية والخمسين بعد أن يأس الأهل من أن تحمل، وهي في سن العشرين والثلاثين ما حملت، وفي سن الخمسين ولدت ووضعت ولداً، فجاءت النساء يهنئنها، فنظرن، يا خالتي: الولد عيناه صغيرتان، يا خالتي: ولدك أسمر ليس أبيضاً، والأم ترى عينيه الصغيرتين كأنها عيون المها، وترى سماره هذا قمراً منيراً، وترى ولدها شمساً لأنها حياتها ،كلها عاشتها حتى رأت هذا الولد، هكذا نحن، نحن عشنا مصائب لا تعد، وهزائم لا تعد، وتاريخنا في هذا القرن تاريخ مصائب متوالية ،فالله عز وجل ساق لنا هذا الولد بعد خمسين سنة، تأتي وتنظر وتقول عيناه صغيرتان أو أنفه ما جاء على القياس ، لقد قدّم لنا نموذجاً حياً فلا تنتبهوا إلى الأمور الصغيرة **(يرى أحدكم القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عينه)** بعينه جذع لا يراه ،وقليل من القذى في عين أخيه يراها من بعيد، إحفظوا لهم مقامهم ووالله لا نستطيع أن نفعل ما فعلوه، ولا يستطيع أي شعب أن يصبر كما صبروا أبدا، لا يستطيع ،وأنا حتى الآن متعجب كيف صبروا عشر سنوات، كل بيت عبارة عن دار للأيتام ودار معوقين ومشوهين، هذا بنته محروقة ،وهذا ابنه مقطوع، وهذه أمه قد كسر ظهرها وشلت، وهذا، أين أبوك؟ قتل، وهذا أين أمك؟ تحت الركام، فآلامهم لا يحتملها إلا أفذاذ البشر، وما وجدت أي تفسير لصبرهم إلا الحديث **[إن الله ينزل الصبر على قدر المصيبة وينزل المعونة على قدر المؤونة]** حديث صحيح.

فيا أيها الإخوة:

إحفظوا لهم تضحيتهم ،واحفظوا لهم سابقتهم ،واحفظوا لهم أياديهم البيضاء، وهم شعب كبقية الشعوب فيهم عيوب، لكن لو قارنا يبقى الشعب بمجمله أفضل من بقية الشعوب في الجهاد في معظم النواحي، نساؤه .. أكثر النساء احتشاما في الدنيا نساء أفغانستان، ورجاله شجاعةً ووفاءً وحياءً ووقارا وكرما، فطرته أفضل من بقية الشعوب، نعم عنده جهل وعنده أمية، هذه يمكن أن تستدرك إن شاءالله، تجد في بعض الأفغان يشربون الحشيش، أنا أقول لك: أنت عندك في مكة أناس يشربون الخمر، وفي القدس يشربون الخمر والأفيون، ماذا تقول لي؟ ماذا عندك من عيوبهم، وجدت عندهم بدعا، أي دولة في الأرض تخلو من البدع؟! ماذا وجدتهم، يدخنون؟ أي بلد ما فيه دخان؟ يدخل ويكلف الدول أكثر من مائة مليون أو مائتين أو خمسمائة مليون دولار في السنة، ماذا تقول عنهم؟ عندك شيء عنهم، كل شيء موجود تراه عيبا في هذا الشعب تجده في شعبك، تجده في شعبك مهما كان شعبك.

ولذلك يا أيها الإخوة: إعلموا أنكم أنتم قدمتم -جزاكم الله خيرا- وهاجرتم في سبيل الله، فاحفظوا هجرتكم، واحفظوا جهادكم، ولا تحبطوا أعمالكم ،ولا تقللوا من قيمة هذا الجهاد، وعلم الله كما أظن ليس هنالك فوق الأرض جهاد أسلم منه ولا أنظف منه ولا أزخم منه ولا أضخم منه ، لا يوجد، أنتم ما رأيتم الجهاد في فلسطين، والله كنا عندما نختلط بهم نفوسنا تتقزز من الداخل، ذات مرة كان عندنا اجتماع مع الوحدة ،كنا في وحدة اسمها الوحدة الشمالية ،وكنت آمر قاعدة، وكانت قواعدنا قواعد الشباب المسلمين وأبناء الحركة الإسلامية كانت لوحدها، وكنا تحت مظلة فتح، كنت آمر قاعدة، عملوا اجتماعاً ثلاثمائة شاب في قاعدتنا، وصدقوا يا إخوان أذن المؤذن وأقمنا وتقدمنا للصلاة ما تقدم من (٣٠٠) واحد يصلي معنا، هذا من الثلاثمائة، صدقوا كنا نقف نؤذن ومقابلنا يقف الناس من *الجبهة الديمقراطية* والشعبية ومن فتح ومن غيرهم، كلما قمنا وقلنا الله أكبر يقولون بصوت واحد:

إن تســـل عني فهذه قيمـي   *أنا مـــاركسي لينيني أممي*

ماذا تريد؟ صدقوا بجانبنا قاعدة للجبهة الديمقراطية، كان سر الليل -كلمة التعارف- في الليل سبّ الدين والرب، فأنتم ما عشتم، ما جربتم واطلعتم، الواحد منكم من المدرسة، من الكتاب، كان أبوبكر رضي الله عنه يجوع ويطعم الفقراء ،وكان رسول الله ﷺ يربط الحجر على بطنه، ما ذقتم للبين لوعة، ولا رأيتم المجتمعات، (ما شفتم) أنتم عشتم ،خياركم الذين جربوا في الحياة عاشوا مع

طيبين، ما اختلطوا بغير الطيبين، وأبناء المدارس خرجوا من المدرسة نفوسهم طيبة، شباب ما عندهم أحابيل، وما عندهم كيد وما عندهم مكر، ما خرجوا للحياة العملية، ما رأوا كيف المجتمع، ما دخلوا في داخل المجتمع وزكمت أنوفهم من نتن المستنقع التي يعيش فيه قسم كبير من الشعوب الإسلامية، ماذا نحدثكم عن أحوال المسلمين؟ صدقوا كنا نازلين إلى المعركة على الموت والشباب بجنبك يسبّون الدين والرب والعياذ بالله، فأنتم ما رأيتم، ما رأيتم شعباً حاملاً للسلاح من قبل، الشعب الأفغاني يكفيه فخراً وهو شعب يموت جوعا في مخيماته في كويتا أو غيرّها قلّما يسجل البوليس الباكستاني عليه سرقة واحدة، هذا التجمع ثلاثة ملايين ونصف لو كان حول الكعبة لمات بعض الناس من السرقة، الا يقدّون بطون بعض الناس وجيوبهم حول الكعبة؟! ولذلك لا تستطيع مهما بحثت وأينما بحثتم أن تجدوا تجربة مثل هذه التجربة حتى الآن قد يأتي الله عز وجل في .المستقبل بتجارب أفضل، أما تجربة الجهاد الأفغاني حتى الآن ما رأينا أفضل منها على الأقل في هذا القرن، فتمسكوا بها واستفيدوا منها، ولقد أعادت العزة للمسلمين والتوكل على الله والثقة به، نحن يا إخوة ضيوف، هم أهل هذه المنطقة عاشوا في هذه الأرض وهم الذين ضحوا، نعم نحن ضحينا، ولكن ماذا ضحينا؟ قدمنا ستين شهيداً حتى الآن وهم قدموا مليوناً ونصف المليون الشهيد، أعراضهم انتهكت، في بعض القرى في لوجر وفي غيرها تحط الطائرات وتنتقي بعض النساء من القرية، ثم تنزع ثيابهن فوق القرية في الجو وتنتهك أعراضهن وتلقيهن عاريات فوق رؤوس آبائهن أو رؤوس أبنائهن، كم من النساء ألقين بأنفسهن في نهر كنر وفي غيره، في لغمان في كنر فرارا بأعراضهن وحفاظا على أعراضهن، فهم دفعوا، دفعوا الثمن غالياً، غالياً، ونحن حتى الآن ما دخلنا في الشعب الأفغاني وعشنا حياته.

وصايا للشباب المجاهد:

يا أيها الإخوة: إذا أردتم أن تخدموا هذا الشعب، وأن تقدموا لهم خيرا كثيرا ،نوصيكم أولاً: هيئات الصلاة التي تخالفهم لا تفعلوها حتى يطمئنوا إليكم ويحبوكم، فإذا اطمأنوا إليكم وأحبوكم يأخذوا منكم كل شيء ويضحون بأنفسهم من أجل أن لايجرح عربي واحد، لكن إذا خالفتهم في هيئة الصلاة خلاص..

(ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون) (فصلت: ٥)

كنا نوصي إخواننا، يا إخوان: لا ترفعوا أيديكم عندما تنزلون إلى الجبهات، فجاء واحد إلى قندهار وهو من الشباب المتحمسين من عندنا من الأردن، مع أنه ناضج إلا أن هذه السنة رفض أن يتركها، فجاء وصار يرفع يديه، كان بجانبه رجل ،بعد ما انتهينا من الصلاة قال: اللهم انصرنا على الشورويين والبرچميين والخلقيين والوهابيين، وقرب فمه إليه وظن أنه ما سمع، فأعادها ثانية وقال: اللهم انصرنا على البرچميين والشورويين والخلقيين والوهابيين حتى يسمعه، شعب أمي لا يدري ما هي الوهابية؟ لا يدري أن هؤلاء العرب بعضهم لا يعرف الوهابية، والصورة قاتمة جدا، والله ذات مرة في الجامعة الإسلامية يسألني شاب من أهل الحديث –أحبه لأن عقليته متفتحة – وما شاء الله يحفظ أحاديث، قلت: أنت يا سلفي أجبني، قالوا: يا أستاذ هذا ليس سلفياً، قلت لهم: ما به وإلا إيه؟ قالوا: هذا وهابي، فأردت أن أعرف، قلت لهم: ما هو الوهابي؟ـ في الجامعة الإسلامية ـ قالوا: الوهابي هو الذي عنده الشجر والحجر والنبي والولي سواء، لا فرق بينه وبين النبي وبين الحجر، قلت لهم: أهكذا تفهمون عن الوهابية؟ قالوا: نعم، فتكلمت عن دور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، محمد بن عبد الوهاب ما جاء بدين جديد، مذهبه حنبلي، وما هو دوره ،لقي الناس يعبدون الشجر في نجد فأنقذهم الله به.

اللهم هذه فكرتهم عن الوهابية، والإنجليز والفرنسيون، الآن في داخل قندهار في داخل أفغانستان إذا رأوا عربياً يقولون: هذا وهابي حتى يزيدوا الشقة بين الشعب الأفغاني وبين العرب.

فيا أيها الإخوة: هذه الهيئات فقط اتركوها فترة حتى يطمئنوا إليكم، بعض الجبهات المتعلمة مثل جبهات بنجشير وغيرها إخواننا يرفعون أيديهم، يأتون بكل هيئات الصلاة، لماذا؟ لأن الشباب متعلم هناك، ذات مرة قال لي عبد الله أنس، قال: جئت لأحمد شاه مسعود، قلت له: يا أحمد شاه لماذا لا نبدأ بالتوحيد؟ قال له:ما هو التوحيد؟ قال له: هذه القبور التي يزورها الناس وعليها الأعلام، لماذا لا نزيلها؟ قال له: لو أزلناها الآن هذه القرى تنضم للشيوعية، فبدل ما يكون عندها نصف دين يصبحون كفاراً بالمرة، فقال له: إنتظر، إن شاءالله إذا نصرنا الله هذه القبور لن تهدم بالفأس بل ستهدم (BM12)

ولذلك يا أيها الإخوة: إصبروا عليهم، شبابهم المتعلم يفهم هذه القضايا ويشاركك الشعور، لكن شعب أمي سيتعلم وستزول الحواجز، وباختلاطة بغيره لن تصبح هذه القضايا وهذه الحركات غريبة عليهم، ثم نوصيكم كذلك بإخلاص النية، وحفظ اللسان والقيام والصيام والذكر، فهذه زاد طريقكم.

(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة، إن الله مع الصابرين) (البقرة:١٥٣)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الإيمان يربي الأبطال*

...... أين؟ لا يوجد أحد، ثم رجع هزني ثلاث مرات، قال: قم.. قم ستجد اللحوم معلقة على الشجرة الفلانية، قال: الله عز وجل في ذلك اليوم يسوق لنا واحداً ويقدم لنا ذبائح ويذبحها الإخوة المجاهدون ويعلقونها على الشجرة التي رأيتها في المنام، قال: كنا نخاف أن يستشهد معنا واحداً من أهل القرية التي نحن فيها أو النقطة، إن استشهد فهو معروف ستأتي الدولة يسألون من هذا؟ يقولون فلان، يأتون بأهله وزوجته وأولاده ويقتلونهم، كنا نحب أن يستشهد الغرباء الذين جاءوا من مناطق أخرى غير المعروفين في المنطقة، قال: ويقدر من الله في ذلك العام لم يستشهد واحد من المنطقة، كل الذين استشهدوا من الغرباء، طبعاً الكرامات، من قرأ منكم **(آيات الرحمن)** ولم يكن فيلسوفاً يصدق!!

كرامات في البداية:

الحقيقة الكرامات التي حصلت في أرض المعركة كثيرة كثيرة جداً، وكانت الكرامات في الأول أكثر من الكرامات في الأخير، بقدر ضيق الحال بقدر ما تتنزل الكرامات من الله العزيز الحكيم.

هذا الشيخ جلال الدين عجيب، قال كنا في الأول ليس معنا R.P.G مضاد للدبابات، فكنا عندما نتضايق أحياناً، أكثر من مرة ندعو الله عز وجل، جلال الدين وأرسلان، قال أكثر من مرة نتضايق والدبابات تتقدم لتأخذنا أحياءً -فندعو الله عز وجل- يريدون فتح معركة علينا، لا يوجد في المنطقة أحد غيرنا، دبابات تمر، وتهرب الدبابات ولم يطلق عليها طلقة واحدة، أكثر من مرة قال: نريد أن نحل قضية الدبابات، الرصاص لا يؤثر في الدبابة، والدبابة تمشي حتى تصلنا، قال: يوم من الأيام هجمت الدبابات، جاءت، يقول: حوالي ثمانين دبابة وآلية، فهرب الناس أهل القرى خوفاً أن تمسكهم الدبابات أحياء، وبقينا أربعين واحداً، هذا يحدثني الشيخ جلال الدين صهر سيد محمد، بنته مع جلال الدين، قال دعوت الله عز وجل وقلنا اللهم لا تسلط علينا الكفار ولا تجعل لهم علينا سبيلاً، الدبابات قادمة على أساس تأخذنا أحياء، بسرعة دعونا الله عز وجل أن يوقفهم، وحملت حفنة تراب وقرأت عليها شاهت الوجوه شاهت الوجوه شاهت الوجوه ورميتها نحو الدبابات..

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) (الأنفال: ١٧)

قال: الطريق ترابية وضيقة ويوجد جسر، أول دبابة انقلبت من فوق السفح، كيف انقلبت؟! لا أدري أبداً هؤلاء صاروا يرتجفون، قالوا: هناك R.P.G مع المجاهدين، يبدو ضربوها حرقوها، الدبابة الثانية معنا زجاجة ملتوف فيها بترول وخِرَقٌ وألقيناها ورميناها بجانب الدبابة، ماذا تؤثر بالدبابة؟ دبابة سمك الحديد عشرين سنتمترا، هكذا سمك الحديد شبراً، ماذا تؤثر بها؟! من الأمام عشرين سنتمتراً، من الجنب عشرة سنتمتراً سُمْك الحديد، سائق الدبابة فكر أن هناك لغماً تحت الدبابة، ابتعد عن منتصف الطريق، التراب ما احتمله، حاول أن يلف الدبابة ووقفت في العرض فسدت الطريق، معنا رشاشات فتحناها على الدبابات ما يؤثر فيها، وإذا بالناس في داخل الدبابات رافعين أيديهم مُسلّمين، قالوا المفاجأة الكبرى ليست هنا، إننا وجدنا في إحدى الدبابات ثلاثين مضاد الدروع، ثلاثين R.P.G ، وهل نحن عندنا دروع أو سيارات حتى تأتوا بالـ R.P.G؟!! قال: هذا من الله ساقها حتى يسلحنا بها، وألف قذيفة R.P.G قال: بعد هذه الغنيمة تطورت المعركة، صرنا مرتاحين أن عندنا R.P.G مضاد للدروع لا يهمنا، تقدمت الدبابات أو لم تتقدم، القصص في هذا المجال كثيرة، كثيرة كثيرة، حدثت بعض الإخوة قصة حصلت مع واحد اسمه فايز بيك أحمد من بنجشير جرح، وعندما جرح جاء أهله ليحملوه -هم يحضرون عادة سريراً من القش ويربطونه عليه، لانهم يرفعون به على علو الجدار، حتى لا يسقط يربطونه- قال فربطوه بالحبال فرآهم -بعد أن حملوه- رآهم الروس ففتحوا عليهم الرشاشات، أصابوهم وسقط السرير، وسقط الأربعة، سقط الجريح خامسهم، جاء الروس وأكملوا عليهم فتحوا الكلاكوف أو الكلاشنكوف وفي بطونهم فرغوا الذخيرة، كلهم ماتوا إلا

---

* رقم الشريط ٢٣٣.

الجريح الذي ضرب مرتين لم يمت، قال: بعد ساعة ساعتين فتحت عيني – هو مكسر، عظامه مكسرة لكن مريط – فقال: يارب كيف الخلاص؟ الآن سيأتي الروس ويأخذوني، قال: نمت، استيقظت فوجدت نفسي محلولاً الأحبال محلولة، قلنا هذه أول عقدة، نمت، كنت على ضفة النهر وقاعدتنا من المنطقة الأخرى، استيقظت فوجدت نفسي على الضفة الاخرى للنهر، لكن القاعدة بعيدة، بدأت أزحف على بطني، لا أستطيع أمشي ولا أحبو، ثلاثة عشر يوماً وأنا أزحف على بطني لا أكل ولا شرب، قال: كنت كلما نمت واستيقظت وجدت آثار الطعام في فمي، إما بقايا لحم أو بقايا فاكهة أو بقايا الجلوكوز الذي تقدمه الملائكة من فمه ليس من الوريد، قال: قابلني نهر آخر، نمت استيقظت على الضفة الأخرى، لا شيء معي، بعد ثلاثة عشر يوماً وصلت بيتاً مهجوراً، فزحفت ودخلت، ليس فيه أحد، لا أثاث، لا سكان، مهجور من زمان، قال إلا أن هنالك كيساً من اللبن ينتظرني، قال: فشربت منه في الليل، جاء المجاهدون، دخلوا البيت، وجدوا إنساناً ملطخاً بالدماء والأوحال وحالته من ثلاثة عشر يوماً وهو يزحف على بطنه، ناديت عليهم تعالوا تعالوا أنا فلان أنا فلان، عندما جاءوا وعرفوني فرحوا فرحاً كثيراً، والآن أحمد فايز –ليس فايز أحمد، أحمد فايز بيك– مع المجاهدين، يقول أحمد فايز: كلما حدثت بالقصة جاءني هاتف في المنام يقول لا تحدث فهذا سر بيني وبينك، المهم أقول لكم:

(و من يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدرا) (الطلاق: ٣)

ضرورة التربية:

فالمهم نحن بحاجة إلى أناس لا يباعون ولا يشترون، شركة توشيبا موجود فيها؟ باعشن وباخشب وبادعاء من الذين لا يباعون ولا يشترون؟ الشربتلي؟ هؤلاء لا يأتون إلا عن طريق التربية الطويلة المريرة، ومن هنا التربية للناس الذين نريد أن نقدمهم ليتصدروا مسيرة الأمة ولقيادة الشعب والناس، هؤلاء يجب أن يكونوا قد مروا خلال مرحلة طويلة من التجارب والمحن ومن تجرع الغصص والمرارة على طول طريق لاحب نضجت نفوسهم عبْره، ولذا أكبر نعمة يمنّ الله بها على الناس بعد دينهم بعد إسلامهم بعد التوحيد أن يجدوا جماعة يربونهم، والتربية لا تتم فردياً، لابد من الحياة في جماعة يتربى الإنسان من خلالها، وهذه الجماعة تواجه الجاهلية وتذوق الآلام وتسجن وتفصل من الوظيفة وتشرد هنا وتضرب وتعذب و يعذب بعضها ويقتل بعضها، مع المحنة، الذهب يذوب ويزول غشه ويبقى صافيه وعنصره الطيب..

(ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (العنكبوت: ١-٣)

لا يُعرف صدق الإنسان من كذبه من خلال حفظ الكتب والمتون والحواشي، لا بد من الدخول في الفرن.... حرارة، لا بد من محنة، لا بد من الإبتلاء، المحن، والمحن إما أن تفرض عليك أنت أو أنت تختارها، أنت تختارها بالحياة في أرض الجهاد، وبمقدار ثباتك وصبرك في أرض الجهاد نفسك تصقل وروحك تشع وتشرق وتنبت النفسية، وبعد مرحلة طويلة تصبح من الذين لا يباعون ولا يشترون، وأي أمة تسلس مقادها أو تسلم قيادها لأناس غير ناضجين موثوقين في دينهم من خلال الإبتلاء والصبر على المحن ومن خلال جهاد طويل أو من خلال مواجهة الطواغيت فترة طويلة، هؤلاء لا يؤتمنون على دين الأمة ولا على أعراضها ولا على أموالها، لأنهم تسلموا القيادة بدون ثمن، وسيسلمون الأمة بدون ثمن...

ومن أخذ البلاد بغير حرب   يهون عليه تسليم البلاد

الحقيقة هذه المعاني تزداد عمقاً في نفسي يوماً بعد يوم وأنا أرى معركة الجهاد الأفغاني السياسة والعسكرية، وكما قلت لكم أقول: لولا الله ثم وجود هؤلاء الشباب الذين يقودون الجهاد والذي تسميهم أجهزة الإعلام المتطرفين والاصوليين والمتشددين لولا الله ثم هؤلاء لضاعت قضية أفغانستان منذ زمن، ومن هنا أقصر الطرق عند أعداء الله تحطيم الرموز، أقصر الطرق لتحطيم الإسلام هو تحطيم الرموز، القيادات التي يمكن أن يُخْشى منها، تحطيم القيادات بأساليب كثيرة، بالإعلام، بالرغبة، بالرهبة، بالاشاعات، بتسليط الطواغيت عليهم بالسجن، بالضرب، ما إلى ذلك، ومنهم من يلين، ومنهم من يستقيم على الطريق، هذه أهم قضية أو أكبر قضية تشغلني، كيف يمكن أن نبني دعاة لا يباعون ولا يشترون، نعم، لأن هؤلاء صمام الأمان، صمام الأمان للأمة كلها، وهؤلاء حرز لكل الأمة، الأمة نائمة وعليها حارس يحمي دماءها وأعراضها وأموالها من أعدائها، وإذا لم يكن من الدعاة الناضجين أو العلماء الصادقين وهي نائمة يبيعها راعيها....

لا يلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنم

أمتي كم صنم مجدته لم يكن يحمل طهر الصنم

نعم، لا بد من الفتنة حتى يتبين الصادق من الكاذب، حتى تنضج النفوس، حتى نقول له: خذ إستلم أنت وزارة المالية، واستلم أنت وزارة الدفاع، واستلم أنت رئاسة الدولة، ونحن ننام الليل الطويل، لأننا وضعنا مفاتيح الحصن بيد أناس أمناء، أما إذا كان خازن القلعة -مالك مفاتيحها- عميل لأعدائنا سيفتح علينا ونحن نائمون ويقتحمها أعداؤنا ويقتلوننا..

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) (البقرة: ٢١٤)

تسلط الطواغيت:

ولن تستطيع في ظل الأنظمه هذه أن تقول: على الحاكم أن يكون على قدر من العلم والتقوى يبايعه الأئمة والعلماء أهل الحل والعقد، هذا لا تستطيع أن تقوله، ولا تستطيع أن تقول للدول التي تتقارب مع اليهود الآن: تلعنوا اليهود، هم يوزعون عليك منشورات ممنوع تتكلم على اليهود والنصارى، عبد الحكيم عامر مرة وزع منشوراً على أئمة المساجد ممنوع أن تتكلموا على فرعون، في ظل أنظمة جاهلية لا تستطيع أن تطبق الاسلام، لا تستطيع أن تربي، لا تستطيع، الجامعة محصية عليك أنفاسك، ورؤساؤها يجب أن يكونوا علمانيين يحاربون الإسلام، فإذا كان رجلاً صالحاً مخلصاً يكون سنة ثم ينحونه عن الجامعة، الشباب لا تستطيع أن تعلمهم في الجامعة كما يريد الله عز وجل، هذا الفصل فيه خمسون فيه خمسة مخابرات، نعم كل كلمة يسجلونها ويقدمونها، لأن عيشتهم وحياتهم على تقديم هذه التقارير، وقفت التقارير يقف عن الشغل، تقول له عن الجهاد يقول لك الجهاد بالنفس، الجهاد هو جهاد النفس ومصارعة الهوى والشيطان، والجهاد بالقلم يتكلم عن الاسلام، أي إسلام الذي أتكلم عنه؟

أي إسلام تسمحون لي أن أتكلم عنه؟ مرة كان عندنا خطيب من كبار الذين تربوا في الدعوة، فأنشأوا مدينة للملاهي والمسابح يسمونها المدينه الرياضية، فتكلم عنها عن البرك والإختلاط في البرك والسباحة المختلطة والعري، فأرسلوا وقالوا له: أنت تكلمت عن البرك ممنوع تتكلم عن البرك! قال هل بقي شيء غير البرك نتكلم عنه؟ ! ما بقي شيء إلا إذا اسبوع نتكلم عن السواك والأسبوع الثاني عن الطهارة والأسبوع الثالث عن عدد ركعات الصلاة والأسبوع الرابع وهكذا، يعني يبقى في قسم الطهارة والصلاة وصلاة الجماعة والسواك والثوب وغير ذلك، هذه الحدود المطلوبة ممنوع أن تتعداها، جماعة التبليغ - تعرفون جماعة التبليغ لا يتدخلون في السياسة ولا الجهاد، لا يتدخلون في السياسة، أمور الدين والإيمان، حديث الدين والإيمان يا أحباب، أناس طيبون لا يمسون أحداً لا حاكماً ولا محكوماً، ومع ذلك ممنوع في بعض الدول أن يتحركوا، ممنوع أن يتكلموا، وطبعاً يأتي - أحياناً- المنع شرعياً، يأتي بعض الناس يقولون أن هؤلاء يتكلمون عن جهل فامنعوهم أن يتكلموا، هؤلاء عقيدتهم غير واضحة وغير صحيحة فامنعوهم أن يتكلموا، فالحكام يعتمدون على فتوى شرعية حتى يمنعوا هؤلاء من الدعوة إلى الله عز وجل، ما رأيت مثل جماعة التبليغ نقاءً وصفاءً وطيباً وأدباً، ومع ذلك في روسيا سمحوا لهم، في روسيا!! فكيف بعض الدول العربية تمنعهم؟ فكيف يمكن أن تدعو إلى الله في مثل هذه البلاد وتطبق الإسلام؟ لا يمكن للإنسان أن يطبق دينه في ظل حكم جاهلي، لأن أوامر الإسلام قسمين: القسم الأول قسم فردي مثل الصلاة ومثل الصيام ومثل الزكاة، وقسم جماعي مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، هذه عبادات جماعية لا تستطيع أن تؤديها إلا بجماعة، فكيف يسمحون لك أن تؤدي هذه العبادات؟ إفرض أنك دعوت الناس وقلت لهم: جاهدوا، أولاً سيمنعونك، وإفرض أنهم سمحوا لك سيسلطون عليك علماء كلما أخرجت ضدهم فتوى يخرجون عشر فتاوى بتخطيئك وتغليطك والرد عليك،أليس كذلك؟ بلى! جاهزون!

ضرورة الدولة الإسلامية:

فلا بد للناس من دول إسلامية يعيشون في ظلها حتى يعبدوا الله كما أراد، والدولة الإسلامية للناس ضرورة كالطعام والشراب والدواء، والناس كلهم آثمون ما لم تقم دولة إسلام في الأرض، وصفات الدولة الإسلامية أنها تتبنى الإسلام نظاماً وشريعة وعقيدة وقانون حياة، الدولة الإسلاميه هي التي تتبنى الجهاد،وهي التي تحمي الثغور، وهي التي تقسم الغنائم والأنفال، وتقيم الحدود، وتشحن الثغور بالجنود وتعادي أعداء الله، وتوالي أولياء الله،وتؤوي المستضعفين،وتتبنى الدعاة المشردين، أي داعي.

.... بل هو مقدم على كثير من الناس والعلماء، وإن كانوا من الدعاة، وإن كانوا من الناضجين الذين ضحوا في سبيل الله.

صفات الدولة الإسلامية:

أولاً: أن تكون دولة مجاهدة.

ثانياً: نظامها قائم على البراء من أعداء الله وعلى الولاء لأولياء الله.

ثالثاً: تتبنى المصالح الإسلامية في الأرض ودعم المسلمين والدعوات والحركات حيث ما كانوا.

رابعاً: تسيير الغزاة وإرسال الجيوش،على الأقل إرسال جيش مرة في السنة للغزو حتى يقوموا بسد فرض الكفاية، لأن أقل فرض الكفاية أن يرسل الإمام مرة واحدة الجيش، إما أن يقوده بنفسه أو يرسله مع قيادة من أمرائه إلى بلاد العدو،ثم تطبيق الشريعة في داخل البلاد، وتساوي الحاكم والمحكوم أمام شريعة الله عز وجل.

هذه صفات الدولة الإسلامية فنحن لا بد لنا منها، هذا مشرد وهذا مقطع وهذا محكوم عليه بالإعدام وهذا وهذا، كل كافر دولته تتبناه، المشرد هذا ونحوه، هذا رأساً يأخذ جواز سفر ويعتبر واحد من الرعية، بل يعطى حقوقاً أكثر لأنه خدم الإسلام أكثر من أبناء البلد، فنحن بحاجة إلى دولة إسلاميه، وما لم تقم دولة إسلامية سنبقى كالغنم في الليلة الشاتية، تتناوشها الذئاب، وتنهشها الكلاب، ويتسلط عليها أعداء الله، الآن الأمريكان والروس، أعداء الله عز وجل إذا أرادوا أن ينهبوا أموالا فلا ينهبوا إلا أموال المسلمين،وإذا أرادوا أن يقتلوا فلا يقتلون إلا المسلمين، إسأل عن المصائب في الأرض من الذين تنتهك أعراضهم؟ المسلمون، من الذين تسبى أموالهم؟ المسلمون، من الذين تداس مقدساتهم؟ المسلمون، شعوب بكاملها تداس وتباد ولا تجد واحداً يتنهد، لها ولو فقدت عجوز إنكليزية أو أمريكية في أقصى الأرض لقامت الدنيا وما قعدت،أذكر أنه يوم مذابح أوغندا لما أطاحوا بعيدي أمين وبدأوا الذبح بالمسلمين فقدت عجوز إنكليزية في أوغندا وبدأت الصحف الغربية والبريطانية بالذات تكتب عن العجوز التي ضاعت، وآلاف مؤلفة تذبح يومياً في شوارع كمبالا عاصمة أوغندا، هل تعرفون كيف أطيح بعيدي أمين؟

الولاء والبراء:

ضروري أن تكون الدولة تتبنى عقيدة البراء والولاء، البراء من أعداء الله والولاء لأولياء الله، عيدي أمين رجل بسيط عنده بطولة في الجيش، استلم أوغندا وصار يحكمها، عنده إحساس وطني وإحساس إسلامي لكن عن جهل، وجد أن أوغندا يمتص دماءها الإنكليز، الإنكليز يعيشون فوق السحاب، وبقية شعب أوغندا يعيشون تحت التراب، الإنكليز والمبشرون يعيشون سادة، والبقية عبيد، فمن الشعور الإسلامي قام أولاً وطرد المبشرين من أوغندا، ولنفرته ولشدة حقده على الإنكليز طردهم وصادر أحياءهم، أجمل أحياء في كمبالا للإنجليز، وحتى يشفي غليله جاء بمجموعة من الإنكليز قال لهم: لازم تحملوني على أكتافكم، وجاء بالميكرفون وصار يصرخ وهو راكب على الإنكليز، وبعد ذلك منع اليهود أن يدخلوا أوغندا فالتقى الماء على أمر قد قدر، الغرب والشرق واليهود كلهم ضد عيدي أمين، أولاً بدأوا يكتبون عنه في الصحف الغربية أنه مجنون، وصارت الصحف العربية طبعاً تردد، الآن الصحف العربية طبعاً تردد نقلاً عن وكالة (الاسشيتدبرس) وكالة تاس ونقلاً عن التايمز ونقلاً عن (كريستون ميرور) ونيويورك تايمز، وهكذا نفخوا في أذهان الناس أن هذا رجل مجنون، هم حركوا له هذا جوليوس نيريري، جوليوس نيريري حاكم تنزانيا، تنزانيا تعرفون ما هي تنزانيا، كانت بلداً (تنجنيقا) فيها نصارى وفيها مسلمون، و(زنجبار) إسلامية، بكاملها عربية إسلامية، ماذا فعلوا؟ أرادوا أن يمسحوا إسم زنجبار عن الخارطة، فأقاموا انقلاباً ثورياً في داخل زنجبار، ذبحوا المسلمين وضمت البلاد إلى تنجنيقا، وصار إسمها تنزانيا، وسلموها إلى هذا جوليوس نيريري جوليوس نيريري مسلم مسكه المبشرون ونصروه وربوه على النصرانية ثم سلموه تنجنيقا، وبعد ذلك سلموه زنجبار وسموها تنزانيا، قالو لجوليوس نيريري تحرك ضد عيدي أمين، بدأ يعد العدة لاحتلال كمبالا، لاحتلال أوغندا، عيدي أمين قائد الجيش، قائد الثورة البطل يده والضرب، (ما فيش عنده مزح،) رأى هؤلاء يعدون رأساً حرك الجيش واحتل قسماً كبيراً من تنزانيا، وصل مشارف دار السلام التي هي عاصمة تنزانيا، الدنيا كلها قامت، ذهب جوليوس نيريري ماذا نفعل؟ لا يستطيعون أن يدخلوا الأمريكان حتى لا يذبحوا، أو الانكليز حتى لا يداسوا تحت الأقدام، أو اليهود، لا بد أن يكون الضحايا مصريين سودانيين الخ، يعني من هؤلاء الناس الهمل الذين لا قيمة لهم في الحياة؟

ظلم ذوي القربى:

قالوا للسادات: تحرك أنقذ تنزانيا، أنقذ جوليوس نيريري، أنور السادات قال لهم: أتركوه لي، أرسل إلى النميري قال له: أنت رئيس الوحدة الإفريقية، قال: نعم، قال له تحرك لإرجاع عيدي أمين إلى أوغندا، ذهب النميري بوصفه رئيساً للوحدة الإفريقيه واجتمع

وكانت سجينة معه، قال لها: إن إعدام الاستاذ خسارة للعالم الاسلامي كله ليس أمامنا إلا طريق واحد لإنقاذ حياة الاستاذ، وهي أن يعتذر في التلفزيون، ثم يخرج بعد ستة أشهر، يخفف عنه الحكم، ثم يخرج بعفو صحي بعد ستة أشهر، هيا، إذهبي إليه، قالت ذهبت إليه، قالت له: هم يقولون إذا اعتذرت فسيخفف عنك حكم الاعدام، قالت: نظر إليّ عميقاً ثم ربت على كتفي، قال عن أي شيء أعتذر يا حميدة؟ عن العمل مع الله؟! والله لو عملت مع جهة أخرى غير الله لاعتذرت، ولكني لن أعتذر عن العمل مع الله، واطمئني ياحميدة، إن كان العمر قد انتهى فسينفذ حكم الاعدام، وإن لم يكن العمر قد انتهى لم ينفذ حكم الاعدام ولن يغني الاعتذار شيئاً في تقديم الاجل أو تأخيره، وعندما كانوا يسوقونه الى حبل المشنقة -هم شنقوه في داخل السجن، سجن الاستئناف، استئناف القاهرة ليس في السوق، يوجد مشانق داخل السجن- من مراسيم الشنق أن يأتي شيخ أزهري ويقول له قل: أشهد أن لا إله إلا الله، فجاء الشيخ وقال له يا سيد، قال نعم، قال له: قل أشهد أن لا إله إلا الله، قال سيد حتى أنت جئت تتم المسرحية، نحن يا أخي نعدم لأننا نقول لا إله إلا الله وأنتم تأكلون خبزاً بلا إله إلا الله.

طلاق إجباري:

ترجع إلى زينب الغزالي، زينب الغزالي الجبيلي، حكم عليها بالاشغال الشاقة المؤبدة طيلة الحياة، فقالت الله أكبر من أجل رفع راية الاسلام، الله أكبر من أجل خدمة لا إله إلا الله، الله أكبر والجهاد سبيلنا، عدة هتافات قالت في المحكمة، المهم كانت العدسات التلفزيونية والمصورون ينتظرون، قالت دون أن أشعر هجمت أحطم هنا وهنا وهنا، يأكلون تحت كل مائدة، يا عبيد كل طاغوت، يا من تعيشون على الفتات، المهم مسكوها الشرطة ورموها في داخل السيارة وأخذوها، كانت المخابرات قد ذهبت إلى زوجها بعد أن سجنتها، وقالوا له طلقها، قال لا أطلقها هي امرأة بريئة، إذا حكم عليها أنا أطلقها، فعندما صدر الحكم ذهبت المخابرات إليه حتى يطلقها، حتى تحرم من الارث، وحتى... إلى آخره، رفض أن يطلقها، صادروا ممتلكاته وهو مليونير، ثم عينوا على البقية واحد من جماعة الاتحاد الاشتراكي ويسرق الأموال بإذن المخابرات وهرب إلى الكويت، وقالوا له: الله يعوض عليك يا حج سالم!! الرجل هرب إلى الكويت، سنريك ماذا سنفعل فيه عندما نمسكه!! لما صدر الحكم عليها بالاشغال الشاقة المؤبدة جاءوا إليه قالوا: أنت قلت ستطلقها، لما سمع الحكم سقط مشلولاً، شل شللاً نصفياً لحبه لها، في السرير قال لهم: أنتم تروني في السرير أنا سأموت خلال عشرين يوماً أو شهر، أتركوني وحالي، قالوا إما أن تطلقها وإما أن ننقل السرير إلى السجن الحربي، وهو في السرير لا يقدر يتحرك، شلل نصفي، قالوا له طلق زينب الغزالي الجبيلي لأنها فاسقة، لأنها كانت تتعامل مع الرجال ولها علاقات مشبوهة، وقّع، وقّع، ثم بعد أن خرجت المخابرات نادى أحد أقاربه وقال له أنا سأموت قريباً أكتب، أشهد أن زينب الغزالي الجبيلي هي زوجتي في الدنيا وإن شاء الله في الاخرة، ووقّع، قال له: إذا مت تعطي الورقة للقاضي، لما مات فعلا مات بعد عشرين يوم، نعم، جاءت المخابرات إلى زينب الغزالي وقالت لا يخرج لها من إرثه، لأنها مطلقة ليس لها من إرثه شيء، جاء هذا الرجل للقاضي وسلمه الورقة على حد تعبير الحاجة زينب، قالت خرج القاضي ابن بلد، أي صاحب فتوة وصاحب نخوة، صاحب رجولة، فقال: هذه المرأة ترث من زوجها لانه مات وزوجته في العدة فترث، ولأن الطلاق في مرض الموت فلا يقع، لأنه طلاق الفرار، هذه إثنين ولأنه طلاق إكراه، ولأنه هنا ورقتان مختلفتان.

فكم ترك الحاج سالم؟ ترك خمسين ألف جنيه من الملايين التي كانت، قالوا إذاً -في أنفسهم- هي سترث من زوجها، وإذا بهم يرسلون للورثة ورقة أن هذا عليه مائتان وثلاثة عشر ألف جنيه للدولة، والتي تركها كم؟ خمسون ألف جنيه، إذاً من أين؟ قالوا مائة ألف ثمن الاسم،الذي هو شركة سالم، قالوا لهم خذوه مبارك عليكم وبدون مال، قالوا: لا بد أن تدفعوا ثمنه للدولة مائة ألف جنيه، وثلاثة وسبعون ألفا ضرائب، واثنان وأربعون ألفا تأمينات إجتماعية، يصبح المجموع مائتان وخمسة عشر ألفا يكون قد أخذوا الخمسين ألفا أين البقية؟ فذهبوا وأخذوا بيتها وشمعوه بالشمع الاحمر للدولة، الحقيقة يعني مأساة، هذا عذاب امرأة واحدة.

مع الملك فيصل:

المرأة ظلت في السجن حتى فطس عبدالناصر وجاء أنور السادات، فبعض الطيبين قالوا للملك فيصل يكفي أن الرجال في السجون، توسط للنساء، فقال لأنور السادات، يكفيكم أخرجوا هؤلاء الناس من السجن، على الاقل أخرج زينب الغزالي وحميدة قطب امرأتان، فالسادات ما كان يستطيع أن يخالف الملك فيصل، كان الكل يحترمه وهو محل احترام رحمه الله، أنا سمعت أحد الدعاة الصادقين -وليس سعودياً- وفي بيتي كنت داعيه على العشاء رجل فاضل عالم من العلماء، وكان الملك فيصل يستشيره، قال أشهد أن هذا الرجل في أواخر حياته كان مستعداً أن يفدي الاسلام بعرشه ونفسه، قلت له شهادة تقف بها بين يدي الله؟ قال: شهادة أقف بها

بين يدي الله عز وجل، قال الرجل كان غير الناس، مودع، قال: كان أي مشروع إسلامي لإفريقيا لاي مكان في العالم يقول: قدموا لي أي مشروع إسلامي وهو يوقع وهو مغمض العينين، وعند قطع البترول سنة «١٩٧٣م» وهددت أمريكا باحتلال آبار البترول يقول لي مستشاره دعا القادة وقال لهم: لغموا آبار البترول وإذا صار إنزال أمريكي إنسفوها، نريد أن نرجع إلى حياة التمر والابل، فطلب كيسنجر -كيسنجر كان الملوك يستقبلونه على سلم الطائرة، وزير خارجية أمريكا- طلب زيارته، قال لا يمكن أن تزوروني حتى تعتذر عن البيان الذي أصدرتموه، سنحتل آبار البترول، قال حتى أرجع الى أمريكا، قال: لا يمكن إلا من هنا واعتذرت أمريكا عن تصريحها، أقول لكم الملوك، ملوك الدول العربية كانوا يستقبلون وزير الخارجية الامريكية في المطار وعلى سلم الطائرة، قال لي أحدهم: دخل عليه القصر، ودخل الغرفة التي هو فيها ما وقف الملك فيصل، وعندما وصل عنده وقف ومد طرف يده هكذا، ثم بعدما بشهر شهرين جاء نكسون رئيس الولايات المتحدة الامريكية وزار مصر وإسرائيل والاردن ثم السعودية، قال لي أحد المسؤولين، مدير رابطة العالم الاسلامي في الأردن، قال: مسك بيد نيكسون وكان يوجد نخلة في ساحة القصر، قال له ترى هذه النخلة، قال نعم، قال على مثلها عشت وأبي، ونحن الآن مستعدون أن نرجع إلى هذه الحياة، نيكسون راح والتقى مع كيسنجر وقال اقتلوه، جاءوا بولد من أولاد العائلة، إبن أخيه ومن الاولاد الداعرين الضائعين في أمريكا، من عملاء المخابرات الأمريكية، وأنا رأيت صورته راكبة عليه واحدة من المخابرات الامريكية ومدلية رجليها على صدره، هذا فيصل إبن مساعد، قالوا له: إذهب واقتل عمك وقتل عمه.

المهم الملك فيصل توسط وخرجت الحاجة زينب، وخرجت حميدة، وخرج محمد قطب وبعض الناس من السجن، لكن أول من خرج حميدة والحاجة زينب.

إهلاك الظالمين بالظالمين:

الان نريد أن نرى كيف أن الله عز وجل يفعل بالظالمين:

(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم) (ابراهيم: ٤٢)

محمد قطب في نفس السنة كان مسجوناً مع أخته حميدة في سجن القناطر الخيرية، طلب إذناً أن يزور أخته بعد سبع سنوات، وهي معه في السجن، قال له مدير السجن ده (هذا) لا أستطيع عليه، نستشير مدير السجون العامة، لا أستطيع، نستشير وزير الداخلية، وزير الداخلية كان شعراوي جمعة، شعراوي جمعة هذا كان إذا ذكر اسمه في مصر ترتجف الاوصال، بعابونه، ظلم... موت... رعب، فقال شعراوي له: قل لمحمد قطب لن يرى أخته حية ولا ميتة، يقول: أظن محمد أو أخته تحدث، قالت: ما مضى على هذا الكلام سنة إلا ونحن في البيت، وشعراوي جمعة في السجن، وزير الداخلية شعراوي جمعة (فين)؟ في السجن، كان شعراوي جمعه نكاية بالإخوان مانعاً زيارتهم، مانع زيارتهم، ممنوع إدخال الفاكهة عليهم، فجاءت زوجته بكمية من الفاكهة تزوره، الشرطة على باب السجن قالوا لها: ما هذا؟ هذا تفاح، لمن؟ لشعراوي جمعة بيك، قال لها شعراوي زوجك؟ قالت له: أيوه (نعم)، قال لها زوجك أخرج قانوناً، ممنوع إدخال الفواكه للسجناء، وأنا أطيعه في الداخل وفي الخارج، والله لن يذوق حبة واحدة، تصور!!. فالمهم شمس بدران أيضاً بحركة التصحيح، السادات بحركة واحدة فإذا هو جامع كل مجموعة عبد الناصر ورامهم في السجن، علي صبري، شعراوي جمعة، شمس بدران كان قد سجن أيام عبد الناصر من سنة ١٩٦٧م هو وصلاح نصر وغيرهم وجماعة المخابرات على أساس أنهم سبب الهزيمة، يالله (فخار يكسر بعضه) دعهم ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم الله منهم جميعا، فأدخل السجن.

شمس بدران ليلة أن أدخل السجن بدأ الاخوان يكبرون طيلة الليل الله أكبر والسجن يدوي بالتكبير، كاد شمس بدران يموت ينفجر غماً، فأصبح شمس بدران سجيناً، والشرطة بدأوا يضربونه يقولون له(دون مؤاخذة يا بيك) أنت الذي علمتنا التعذيب، نعم دون مؤاخذة! كان يقول رحمك الله ياسيد قطب فلعل هذه هي الزنزانة التي كنا سجناك فيها.

يا إخوان ... ظلم صب على هؤلاء الناس، على هذه المجموعة، على هذه الحركة ما صب على أحد أبداً، كما قال محمد قطب إلا في إسبانيا في محاكم التفتيش على المسلمين، لأنهم كانوا يريدون أن يبيدوهم.

صورة بشعة:

أحد الأساتذة في جامعة الازهر اسمه محمد الأودن يعطي الدكتوراه!! وهو الذي تربى في بيته عبد الناصر وأنور السادات والشلة هذه، ولذلك كانوا يسمونه الأب الروحي للثورة في بداية الثورة، محمد الأودن «٧٨» عاماً محدودب الظهر، جاءوا به إلى السجن، وقال لحمزة البسيوني أقنع مجموعة من السجناء أن يقولوا انه يريد أن يعمل انقلاباً حتى أعدم محمد الاودن «٧٨» سنة!! فرفضوا،

رفض السجناء يقول عبدالله رشوان المستشار القانوني والذي تولى الدفاع في محاكمة جماعة الجهاد في قضية السادات هو محام مسلم مشهور عالميا، يقول عبدالله رشوان -عبدالله رشوان المستشار- يقول: ضابط من الضباط هذه شهادته أمامي، يقول كنت مسجوناً مقابل الزنزانة التي فيها محمد الأودن، وسبب سجني أني عندما دخلت الجيش في سنة «١٩٥٥م» كانوا يوزعون علينا استمارات هل أنت متدين فكتبت(أنا فكري الدنيا قمرة والأرض ربيع) كتبت نعم متدين، سؤال ثاني هل تصر على التدين؟ كتبت نعم، هذا سنة «١٩٥٥م»، سنة «١٩٦٥م» راجعوا كل ملفات الجيش فوجدوا هذين الجوابين أنه يصر على التدين، قالوا هاتوه ووضعوه في السجن، قال فوضعوني في السجن بناءً على الاستمارة التي قدمت قبل عشر سنوات، ففتحوا زنزانة محمد الأودن وبدأت أعد الكلاب البوليسية التي تخرج من زنزانة الشيخ محمد الأودن، فعددت ستا وعشرين كلباً بوليسياً الواحد منها طول الحمار الصغير، وأين؟ في زنزانة، في زنزانة!!! وأين تبول هذه وأين تبرز وأين تعيش؟ على رأس الشيخ وعلى لحيته ، فعندما أخرج الأودن ما استطاعت لجنة التحقيق ولا الشرطة أن يقتربوا منه من بول وبراز الكلاب الذي على رأسه ولحيته وثيابه، قال فجاءت الشرطة وسلطوا عليه خراطيم المياه من بعيد حتى يستطيعوا أن يقتربوا منه وينزعوا ثيابه، وبعد أن غسلوه بخراطيم المياه من بعيد اقتربوا منه ونزعوا ثيابه ووضعوا عليه ثياباً جديدة لتستطيع لجنة التحيق أن تراه.

الأخ جابر عبدالله -جزاه الله خيراً- دعانا في بيته في جدة، وكان معنا الشيخ حسن أيوب، والشيخ محمد نجيب المطيعي، -رحمه الله- أنا أسمي هذا الرجل من فقهاء القرن، وهذا لم يعرفه لا إخواننا في الجزيرة ولا غيره، مات في جدة لا يعلم عنه إلا القليل القليل، وكان الأولى بالجيل أن يتربى على فقهه، لقد أكمل كتاب المجموع بعد سبعة قرون، أكمله إلى عشرين مجلداً، كان فقيهاً، رجلاً عالماً، محدثاً، فقيهاً أستاذاً كبيراً، من الأساتذة الكبار، لكن للأسف ما سُلطت الأضواء عليه كما سلطت على غيره، فضاع في الحجاز كما ضاع غيره ،(محمد نجيب المطيعي) لا يسمع به الكثير، وهو الذي أكمل كتاب المجموع الذي قال عنه ابن كثير من القرن السابع: ما ألف على غراره قط كتاب فقهي، لا يوجد كتاب فقهي أبداً مثل المجموع، فقه مقارن لا المغني ولا غير المغني -لا تنظر ولا على بالك- لا يوجد مثل المجموع أبداً، يورد أقوال الفقهاء ثم الأدلة ثم يناقشها ثم يشرح المفردات باللغة العربية بالشعر ثم يورد الاحاديث ثم يرجح، ما رأيت مثله أبداً، ومن أراد الفقه فعليه بهذا الكتاب، من قرأه يخرج فقيهاً.

عتريس أنجس من إبليس:

المهم المطيعي هو الذي أكمله يقول في بيت الأخ جابر بن عبدالله وفي حضور مجموعة من الناس الطيبين، يقول أنا سجنت في زمن عبدالناصر، وعبدالناصر لم يكن اسمه عبد الناصر كان اسمه عتريس، وأنا من قرية قرب قريته، ولذلك كان جزائي أن أسجن، قال فعندما كبر ودخل الكلية العسكرية والناس كانوا يقولون الله يخرب بيتك يا عتريس، روح يا عتريس تعال يا عتريس، قال غيروا إسمي، غيروه إلى عبدالناصر، عتريس أنجس من إبليس، فيقول كيف دخل الكلية؟ يحدث المتحدث، الشيخ محمد نجيب المطيعي مصري وهو صعيدي، قريته قرب قرية عبدالناصر ومعروف الرجل عالم المنطقة كلها في مصر.. كلها، معروف في السودان، كان من الذين أخذوا من أجل وضع التشريع الاسلامي في السودان، فالمهم قال دخل الكلية -عبدالناصر- وكان(مش لاقي شغل) وساقط، سقط في كلية الحقوق أول سنه أو ثاني سنة، ثلاث سنوات وأبوه من أجل أن يتخلص من شره، وكان أبوه فقيراً يعمل ساعي بريد، فقال:يا بني ما فيك خير للدراسة تعال لكلية الحقوق -لا يسقط فيها إلا البغل القبرصي- فجاءوا به وذهب إلى عبدالمجيد باشا، قالوا يا عبدالمجيد باشا، عبد المجيد كان عمدة، عمدة المنطقة، غني كبير من الاقطاعيين وله مكانة كبيرة في الدولة، أدخل لنا هذا في الكلية، هذا في زمن الملك فاروق، قال له: تعال يا بني، عبدالمجيد ركب وراء وقالوا له إركب قُدَّام عند السائق، ذهب إلى الكلية، قال لهم: أدخلوا هذا خلاص أدخلوه.

دارت الأيام وصار عبدالناصر رئيس جمهورية، وبدأ التأميم وأمم ممتلكات عبدالمجيد باشا، المهم ليس هنا، طبق عليه القانون مثل غيره، كانوا يسمحون للواحد أن يأخذ خمسين فداناً أومائتي فدان، المهم خمسون فدان كان له أربعة أولاد، فأخذ مائتي فدان، كانوا يسمحون له أن يختار اى قطعة من الارض له ثم بعدها الدوله تأخذ، الا عبدالمجيد باشا أخذوا قطع الحمضيات والبرتقال وغيرها وأعطوه أراضي بور لا تصلح لشيء، عبدالمجيد باشا أرسل وراء أبوه (عبدالناصر) هو إسمه جمال وأبوه عبد الناصر وجده إسمه حسين، المهم أرسل وراء عبدالناصر وقال له: يا عبدالناصر هذا إبنك جمال عمل فينا..

﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ (الرحمن: ٦٠)

خلينا مثل الناس على الأقل نختار الأراضي التي تسمح بها الدولة، فقال نعم، ذهب قال له: يا بني، قال: نعم، قال له: هذا

عبدالمجيد باشا الذي دخلك الكلية ألا تذكره؟! قال له والله أذكر يوم أن وضعني جنب السائق -ولذلك الأن ينتقم منه-, قال أذكر يوم أن وضعني جنب السائق وكان هو في الخلف، نعم، فعبدالمجيد باشا لما سمع الجواب مات!!!

واحد ثان كان معه في المدرسة، وعبدالناصر كان رجلاً فقيراً، فيوم من الأيام جاء إلى المدرسة بحذاء قديم ممزق، وتعرفون الأولاد المصريين الصغار الواحد منهم مسحوب من لسانه، (الجزمة ديه من فين اشتريتها؟) من «باتا»، أو من «عمر أفندي »؟، وإلا(إيا ديه)؟ ما هذا ؟ (ده يعني بيسحر العقل) المهم صار يبكي عبدالناصر، هذا شفق عليه، ولد من مدرسته وهو راجع من المدرسة، أخذ عبدالناصر بيده إلى محل أحذية واشترى له حذاء وقال له مع السلامة، ودارت الايام وصار عبدالناصر رئيساً، يوم من الايام وإذا بجرس التلفون يضرب في بيت صاحبه الذي كان معه في المدرسة، ماذا؟ قالوا له غداً عندك مقابلة مع سيادة الرئيس، هذا مسكين ما كاد يصدق، قال إيش! ماهذا الوفاء الموجود عند الرئيس؟ لازال يذكرني! لازال يذكر ذلك المعروف البسيط الذي عملته له! طول الليل وهو يكوي بالبدلة و(بالكرافة)، مقابلة مع سيادة الرئيس، ثاني يوم ذهب لمقابلة الرئيس، الحرس قالوا له انتظر الرئيس، قالو له مشغول ساعة ساعتين ثلاث ساعات، وعندما دخل على الرئيس وإذا بعبد الناصر قاعد على الكرسي ليس عنده أحد، واضع رجل على رجل -وإنما أراد إذلاله فقط- قال له: الجزمة ديه بسبعة وثلاثين جنيها من إيطاليا، انتهت المقابلة، بعد ذلك مسكه الشرطة ورموه من فوق الدرج.

فأقول هؤلاء الذين كانت تهتف باسمهم الملايين من المحيط الهادر الى الخليج الثائر لبيك عبدالناصر، ولكن سبحان الله، سبحان الله كان لعنة على التاريخ، وبقي وصمة في جبين هذه الامة وفي تاريخها.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

تاريخ الشيوعية الأسود

يا من رضيتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً

اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون) (التوبة: ٣٢-٣٣)

إعلان عام:

دين الله عز وجل أنزله ليحكم البشرية، والبشرية كلها، لينتظم الأرض، المعمورة بأسرها، **(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق)**...

(وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) (النساء: ٦٤)

وهذا الدين كخاتمة الرسالات وطي سجل الوحي وإنقطاع الروح الأمين عن الأرض، إعلان عام على أن البشرية لا ينقذها ولا يصلحها إلا دين رب العالمين، وإيذان من الله على أنه لا يشبع النفس البشرية ولا يروي غليلها ولا يسد فراغها ولا يشبع جوعتها ولا يروي ظمأها إلا هذا الدين، وما استقامت البشرية على نهج هذا الدين إلا واستراحت وسعدت، وما تنكبت الجادة القويمة التي رسمها رب العالمين إلا تعست وشقيت.

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فلنحيينه حياةً طيبةً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (النحل: ٩٧)

وبقدر التزام النفس الإنسانية والمجتمعات البشرية بالطريق القويم والنهج المستقيم والصراط المستقيم الذي أمرنا رب العزة أن نتلوه في كل ركعة نقف فيها بين يديه (اهدنا الصراط المستقيم) بقدر التزامها بهذا الصراط المستقيم بقدر ما تستريح : وتنبسط أساريرها، وتقرّ عينها، وينشرح صدرها، ويعم الرخاء والسعادة كل الأرجاء التي تتظلل في أفيائه، وتعيش في ظلاله، ولما جرّب الإنسان ترك هذا النهج : أولاً تخطفته الشياطين واجتالته تشبعه شقاءً، وتذيقه مرّ التجربة، ويتكبد غصص البعد عن نهج الله عز وجل..

(ومن يضلل الله فماله من هاد) (الزمر: ٢٣)

(لهم عذاب في الحياة الدينا ولعذاب الآخرة أشق ومالهم من الله من واق) (الرعد: ٣٤)

هذا إعلان عام منذ أن غادرت خطى هذا الإنسان الجنة لتدب فوق هذه الأرض، ودعه رب العزة بهذه الكلمات (**إهبطا منها** جميعا) وفي البقرة إهبطوا..

(قال اهبطا منها جميعا، بعضكم لبعض عدو، فإما يأتينكم مني هدى، فمن اتبع هداي فلايضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى) (طه: ١٢٣-١٢٤)

وكلمة الضنك بما تحتويه من القلق، وتضمه من الحيرة والشرود، وتحويه من الضياع والتمزق كلها تجمعها الكلمة الربانية الضنك (**فإن له معشيةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة اعمى**).

طمأنينة وسعادة:

ولذا وعندما جرب الإنسان أن يعيش في ظلال هذا الدين، ويسير على هذا النهج القويم، كان يعيش حياة من السعادة والعزة والرفعة والثناء ما يعبّر عنها بعضهم، (إنا لتمرّ بنا حالات من السعادة، إن كان أهل الجنة في مثلها فهم في نعيم عظيم)، يعبرون عن سعادتهم، وعن راحتهم بصلتهم برب العالمين بهذه الكلمات: (**إن في الدنيا جنة من لا يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، هي جنة الأنس بالله وتطبيق منهجه على النفس**).

عاش الجيل الأول والجيل الذي بعده: القرون الثلاثة المشهودة لها بالخير «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» عاشوا هذه المعاني، وهم يشعرون أنهم فوق الأرض قد تسلقوا إلى القمة السامقة من سفح الجاهلية، وتخلصوا من أوحالها، ونظفوا أنفسهم من أوبارها، ومن تلك القمة كانوا يفكرون وينظرون إلى أهل الجاهلية، وإلى أهل الأرض.

وبعد ذلك فإن بحثت عنهم في ظل الاستراحة النفسية والاستقرار، تجدهم كما يعبر ابن تيمية رحمه الله مع أنه في القرن السابع والثامن الهجري يقول: ماذا يصنع أعدائي بي؟! إن سجني خلوة وإن نفيي سياحة، وإن قتلي شهادة، أي سعادة وأي طمأنينة يغمرها هذا النهج الرباني لهذه النفس البشرية التي تتحرر من كل أوهاق الأرض ومن كل قيودها وتنطلق بأشواقها المجنحة من كل أغلالها التي يرسف فيها أهل الجاهلية، وفي دياجيرهم يتضورون، وفي حيرتهم يعمهون؟!

هذه السعادة يعبر عنها حسن البنا رحمه الله عندما جاء إليه البشير الإبراهيمي يقول له: إن الملأ -ملأ فاروق- يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين، قال له: أهذا أنت؟ يعني أهذا تفكيرك، أهذا أنت؟

(إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا) (الطلاق: ٣)

أيّ يومَيّ من الموت أفـــر *يوم لا قدر أو يوم قــــدر*

يوم لا قــــدر لا أرهـــــبه *ومن المقدور لا ينجو الحذر*

يُعبرّ عنها سيد قطب -رحمه الله- وتحدثني قصته أخته حميدة فماً لأذن، تقول لي: في اليوم الثامن والعشرين من أغسطس سنة ‹١٩٦٦› جاء التصديق على قرار إعدام الأستاذ سيد من عبدالناصر، و ألقي القرار إلى حمزة البسيوني لينفذه في الليلة القادمة التي تليها، قالت: ولعل الدولة قد أوحت إليه إن إعتذر سيد فسنخفف عنه حكم الإعدام، قالت: فدعاني وقال: إن فقد الأستاذ خسارة للعالم أجمع وليس لمصر وحدها، فهيّا وأسرعي لعله يعتذر فسنخفف حكم الإعدام ويخرج بعد ستة أشهر بعفو صحي، قالت: فذهبت إليه ولا تكاد رجلاي تحتمل بدني ؛ لأن سيد كان يملأ عليّ حياتي، ما كنت أظن أنني أستطيع العيش بعده، قالت: فذهبت إليه وقلت له: إنهم يقولون إن اعتذرت فسنخفف عنك حكم الإعدام، فقال سيد رحمه الله: عن أي شيء أعتذر يا حميدة؟! عن العمل مع رب العالمين؟! والله لو عملت مع أحد غير الله لاعتذرت، ولكني لن أعتذر عن العمل مع الله، ثم قال: -المشنوق يطمئن الأحياء، حبل المشنقة يلوح بين ناظريه- يقول لها مطمئنا: إطمئني يا حميدة، إن كان العمر قد انتهى فسينفذ حكم الإعدام، وإن لم يكن العمر قد انتهى لن ينفذ حكم الإعدام، ولن يغني الإعتذار شيئا في تقديم الأجل أو تأخيره.

أي قمة بلغها الفرد الثاني بهذا المنهج الرباني؟ أي ذروة تسلق إليها الإنسان الفقير الضعيف الذي تهزه أية لكمة أو نسمة ريح من ريح الدنيا، كيف يتخلص كيف يصل هذه الذروة؟ وكيف حطم القيود؟ وكيف تحرر من الأغلال؟ وكيف عاش في الظلال؟ في ظلال القرآن وفي ظلال هذا الدين؟

تجارب بشرية :

والبشرية جربت أن تنطلق بعيدا عن هذا المنهج الرباني، لقد هربت أوروبا من الله عز وجل أثناء هروبها من الكنيسة، يوم أن تسلطت الكنيسة باسم هذا الدين ؛ وأصبح الأحبار والرهبان أربابا من دون الله، يشرعون للبشر بغير ما أنزل الله، ويفرضون أتاوات على الشعوب، ويعبدونهم للطواغيت من الملوك والأمراء باسم الدين، وباسم جهنم، وباسم الجنة، وباسم القيامة، ويوم أن نَصبت الكنيسة نفسها محكمة عسكرية، وطغمة مجرمة تشكل المحاكم الكنسية، ومحاكم التفتيش تبحث عن الذين يتكلمون بالآراء العلمية، وقتلت ثلاثمائة ألف، أحرقت منهم ثلاثة وثلاثين ألفا وهم أحياء، ويوم أن حكمت على برونو بالأعدام لأنه قال بكروية الأرض، وسجنت جاليليو وعذبت كوبرنيكس، أصبحت أوروبا وهي التي تدفع الاتاوات الغالية والضرائب الفادحة لرجال الكنيسة من أنفسهم، ومن أعصابهم، ومن عزتهم، ومن نفوسهم ومن دمائهم، ومع هذا شبح البابا ومن حوله من تلك الطغمة التي تعبد الناس لنواتهم من دون الله، وحتى كان شخص البابا غولاً رهيباً يقض مضاجع الملوك في منامهم، ويرعب الأمراء ويرهبهم ويؤرق عليهم أجفانهم، يوم أن قطع واخترق هنري الرابع جبال الألب أثناءالثلوج، وسجد ثلاثة أيام أمام القلعة (التي كان يسكن بها البابا) لعل البابا يعفو عنه ويزيل عنه قرار الحرمان، حتى عفا عنه البابا، وملك فرنسا يلبس الصوف الخشن تذللاً، يسجد على الثلج حافياً عاري الرأس لعل البابا يمنّ عليه بكلمة عفو.

هذا الغول البشع الرهيب أصبحت أوروبا تفكر في كيفية الخلاص منه، فهربت من الله حتى تسقط الكنيسة، وتحطمها، وقال: إن الكنيسة تستطيل علينا بخالقها، وترهبنا بجنة ونار، فإذا أنكرنا الغيب كله سقطت الكنيسة وتحررنا من أغلالها، ولذا هربت أوروبا من الله للتخلص من أغلال الكنيسة، و ردّ فعل لأصحابها، وجاءت أكبر ثورتين في العالم الأوروبي ثورة ‹١٧٨٩› الثورة الفرنسية، وثورة ‹١٩١٧› الثورة البلشيفية أكبر حدثين شهدتهما أوروبا بعد التخلص من الكنيسة، جاءت ردّ فعل وشعاراتها تعلن الإلحاد والعلمانية، أما شعار الثورة الفرنسية فهو كلمة ميرابو اليهودى التى أطلقها، وبدأت الجماهير الغوغاء والدهماء ترددها دون وعي: اشنقوا آخر ملك بأمعاءآخر قسيس، أي ابقروا بطن آخر قسيس واشنقوا بها آخر ملك، أي أنهوا الملكيات والأديان في الأرض، في أوروبا.

ثم جاءت الثورة البلشفية وأعلنت لا إله والحياة مادة، ونشرت وعلى أوسع نطاق قصة راسبوتين، ذلك الكاردينال الذي كان يعمل في أيام القياصرة، وعلاقاته الجنسية الفاضحة مع أميرات القصور وملكاته حتى تثبت للناس كما أعلن لينين: أن الدين مخدر وأن الدين أفيون الشعوب .

جاء لينين واستلم الحكم سنة ألف وتسعمائة وسبعة عشر‹١٩١٧›، وظن الناس أنهم تخلصوا من الثقل الذي ناءت به روسيا طويلا : ثقل القياصرة الجبار، وأنها تخلصت من طغمة الملوك والقياصرة التي طالما ابتزت أموالهم وامتصت دماءهم.

حكم لينين ستة أعوام، ثم مضى إلى جهنم وبئس المصير، بعد أن حاول ستالين اغتياله وأصابته الرصاصة في حنجرته، ولذلك كان في أواخر أيام لينين لا يسمع الذين حوله، وجاء ستالين وحكم ورفع شعاره: (من كل طاقته، ولكل حاجته) وأعلن الإشتراكية، وصمّم أن يطبق أقوال ماركس وانجلز ولينين، يطبق أقوال ماركس ولينين وغيرها بحذافيرها حتى يصنع المجتمع الإشتراكي، الجنة الموعودة، والفردوس المفقود الذي يحلم بها الشيوعيون وهم يعيشون في أوروبا، وسارت الثورة الإشتراكية، وحكم ستالين مدة ثلاثين عاماً متواصلة.

ستالين حكم ثلاثين عاما متواصلة من (١٩٢٤ –١٩٥٣) ثلاثين عاما متواصلة.

ومنذ الأيام الأولى أعلن لينين للجمهوريات الإسلامية: أيها المسلمون أعيادكم، دينكم، شعائركم كلها محفوظة قفوا مع الثورة التي حطمت القياصرة حتى تتحرروا من الأغلال والقيود، وفرح الناس، ووقفت الولايات الإسلامية في جنوب روسيا مع لينين، ثم كان الذي كان، لقد كان الهنود أيام لينين، الهنود المسلمون يهنئون بعضهم بعضا بقدوم لينين، والتخلص من أغلال القياصرة ومن روابطها و من قيودها، ثم كشّر عن أنيابه وفكر وقدر وعبس وكلح وبصر، ثم ابتلع الولايات الإسلامية واحدة تلو الآخرى، وكان ابتلاع قفقاسيا بخديعة من الذئب الأغبر، لأن أهل قفقاسيا معروفون منذ أيام القياصرة بصلابتهم وشدتهم، معروفون منذ أيام شامل، الإمام شامل الذي وقف في داغستان مدة ستين عاما يقاتل القياصرة، فعرفت روسيا وعرف لينين و ستالين أنهم لن يستطيعوا أن يواجهوا الشعب القفقاسي مواجهة في ميدان النزال وأرض القتال، فلابد من خديعة، واستغل مصطفى كمال أتاتورك –الذئب الأغبر– من أجل أن يقتح

الطريق للجيش الروسي الأحمر لاحتلال داغستان وقفقاسيا، فاتصل مصطفى كمال بالشعب القفقاسي وقال: نحن الآن في أزمة وضائقة ونريد الجيش الروسي أن يمر من بلادكم ليقف بجانبنا في وجه الحلفاء، فاسمحوا له أن يمر ؛ لأنه يريد أن يقف بجانب إخوانكم المسلمين الأتراك.. وعندما فتحت لهم قفقاسيا أذرعها وطرقها، ودخلها الجيش الروسي بهذه الحيلة، دخل بقوات كبيرة، بأساطيله الجوية والبرية، وهكذا ابتلعت قفقاسيا بدون أن تطلق طلقة، وبخديعة من مصطفى كمال الذي لم يبع تركية وحدها للغرب بل وباع كذلك -جيرانه- قفقاسيا للجيش الأحمر.

بدأ ستالين يطبق سياسة التجويع على الشعوب الإسلامية، ولقد حدثني أهل قفقاسيا ممن شهدوا المجاعات وعاشوها أياما مُرّة وساعات حليكة، أنه كان يضع عشرات الألوف من المسلمين في السجون ويتركهم جياعاً حتى يموتوا جوعا، فيموت الإبن قبل أبيه، فيأكل الأب إبنه حتى يمد في حياته يوما أو يومين أو ثلاثة، قالوا لقد أكلنا الطلاء -الدهان- الذي تغطى به جدران السجون التى كنا نرسف في داخلها، لقد أخذ الملايين وألقاهم في منافي سيبريا بدون طعام أو كساء أو غطاء حتى ماتوا جوعا وبردا.

ولذا تشير الإحصائيات إلى أن عدد المسلمين عندما استلم ستالين كانوا اثنين وأربعين مليونا، وخلال ربع قرن تناقص عددهم إلى سبعة عشر مليونا، أى قتل أكثر من خمسة وعشرين مليوناً من البشر على يد ستالين، لأنهم كانوا يتناسلون ومع ذلك نقص عددهم خمسة وعشرين مليونا.

وظنت روسيا أنها لن تستريح من هذا الغول الذي يربض على مشارف حدودها الجنوبية إلا بتحويل الدين إلى تفكير قومي، ومزقتها بينها وبين الصين إلى تركستان الشرقية وتركستان الغربية، قسموها إلى القوميات الخمسة، قرغيزستان، أزبكستان، تركمنستان خمس قوميات، تركمان، أزبك، طاجك، قرغيزيا، قرغيز هذه المقاطعات الخمس أحيوا فيها الروح القومية، لكن كيف يمكن أن يسد الفراغ الروحي، أعلنت روسيا في عهد ستالين ولينين أنه لا إله ومنع المصحف، وفي قانون الروس أن من قبض عليه متلبسا بجريمة اقتناء المصحف ؛ يسجن أربع سنوات وغابت المصاحف، ومنعت الكتب الدينية، وبدأوا يحاولون أن يرفّهوا عن الناس بالسينما والمسارح وبالمتاحف التى حلت محل المساجد، وقد هدموا في بخارى سبعة عشر ألف مسجد، وحولوا التى لم يهدموها إلى متاحف ومخازن لحكومة روسيا وإلى مكاتب للحزب الشيوعي ولجانه المركزية.

وظنت روسيا أنها تستطيع التغلب على الفطرة الإنسانية، ظنت أنها تستطيع أن تجتث من الفطرة الإنسانية التى فطر الله الناس عليها، حب التدين وغريزة العبادة، ولكن كل هذه البدائل لم تكن لتملأ الجوعة الروحية التى يعيشها الناس في داخل روسيا، سواء النصارى منهم أو المسلمين.

نتيجة مذهلة :

حوّل الناس في الإتحاد السوفياتي إلى قطعان من السوائم والدواب، يأخذون من كل طاقته ولا يعطون أحدا حاجته، وعمت المساواة كل الشعب ولكن في الفقر وحده، ستة ملايين من الحزب الشيوعي يعيشون عيش البذخ والترف كل واحد منهم يكاد يفوق العامة في أوروبا من ناحية التأمينات والضمانات وغيرها التى ضمنتها له فئة اللصوص مما تسمى اللجان المركزية للحزب الشيوعي و مائتان وأربعون مليوناً يعيشون مجردين من الجاه والمال جميعا، طيلة يومه في حقله أو في مصنعه، وعند الظهيرة تصب له مغرفة من المرق يحتاج إلى غواصة ليبحث عن حبة الرز في قعرها، فلابد أن يشغلوا العمال عن حالهم وعن أنفسهم، فرخص الإتحاد السوفياتي الخمر، وأباح الخمر والفودكا، وأصبحت البيرة بسعر الماء المقطر، وانطلق الناس يغيبون عن آلامهم وعن واقعهم الأسيف المؤلم بالعبِّ من حياض البيرة وغيرها، حتى نقلت الإحصائيات الغربية أن معدل تناول العامل للبيرة في روسيا يوميا و الكحول المخففة عشرون لتراً -سطل كاز- لايشربها البغل، ولكن يشربه العامل في داخل الإتحاد السوفياتي، لأنه لا يطيق لحظة أن يفكر في واقعه ولا في مصيره، كل موظف في الدولة لا يمكن أن يعمل، تحولوا إلى طبقة من المرتشين، وإلى سلبية منفّرة عجيبة شلت الحركة وأوقفت العمل، وبدأ الأنتاج الزراعي يقل تدريجيا يوما فيوما، أكرانيا، لتوانيا، سهولها تكفي لكي تمد نصف الأرض بالقمح، أين قمح هذه المقاطعات، أين قمح روسيا؟ قمح القياصرة، ولقد باتت روسيا لاتستطيع أن تعيش شهرا واحدا بدون القمح الأمريكي، مع أن مساحة روسيا ثلاثة أضعاف مساحة أمريكا، لأن الله عز وجل أودع في أعماق النفس البشرية حُب التملك. أما أن يعيش الإنسان دابة لا يضع في جيبه قرشا ولا يملك زوجة ولا بيتاً ولا غير ذلك، هذا لمن يعمل؟ لقد ذكروا أننا نعمل وعرقنا ودماؤنا كلها تصب في يد الطغمة الحاكمة ممن يسمونهم من منتقذي العمال يوم أن رفعوا شعار «يا عمال العالم إتحدوا»، وعندما زار خريتشوف أوروبا والتقى بكنيدي وجاء عمال سويسرا ليقابلوا زعيم العمال فى العالم سنة (١٩٦٢) ذهل خريتشوف، أن أقل عامل في أوروبا يملك سيارته، تأمينه الإجتماعي وضمانه الصحي وبيته

الذي يعيش فيه، وأسرته تعيش عيشا لا يعيشها المنقنون من أبناء الإتحاد السوفياتي، ولذا بدأ خريتشوف يحاول أن يهزّ المجتمع الروسي من جديد، وينطلق بعض الإنطلاق من قبضة الحزب الشيوعي الجبار، ولكن فاجاه بريجنيف بالانقلاب وأخذ زمام الحكم وواصل التجربة المرة.

روسيا الآن، الاتحاد السوفياتي يستورد سنويا ستة عشر مليون طن قمح من أمريكا، وإذا أرادت أمريكا أن تحدث انقلاباً في داخل روسيا فإنها تؤخر شحنة القمح شهرين أو ثلاثة، ويكفي هذا لهز المجتمع السوفياتي بأسره، صار الناس لا يجدون الرغيف، إختفى الرغيف من كثير من الأنحاء من روسيا، من ذا الذي يجرؤ أن يفتح فمه، من ذا الذي يجرؤ أن يتكلم ويسأل أين الرغيف؟ إن المشنقة تنتظر لمن سأل عن الخبز أو غيره من المواد الغذائية، البطاطا حلت محل الرغيف في كثير من المقاطعات، أصبح الناس في الإتحاد السوفياتي وللحرمان الذي يعيشونه يتمنون أن يسمعوا أو يروا إشارة للعلم الأمريكي، ولذا تجد الشبيبة من أبناء العشرين والثلاثين جيل الثورة هذه يحمل في داخل جيبه الداخلي صورة قطعة من صندوق الدخان الأمريكي، حتى يراها فقط ويتلذذ برؤيتها، أو تراه يقص العلم الأمريكي عن أية قطعة قماش يراها ثم يضعها يرقع بها ثوبه من الداخل ليراها دون أن يراه الحزب الشيوعي، في خلسة يتلذذ برؤيتها ويستشفي بمرآها، أصبح الناس يتمنون بنطلون الكابوي الجينز.

حدثني أحد الشباب من الزرقاء من عندنا من الأردن عن زميل له، قالت له معلمته و أستاذته في الجامعة أحضر لي بنطالاً من الكابوي وأنا أعطيك ابنتي.

ويحدثني الأستاذ المشرف على رسالة الدكتوراه، الدكتور عبد الغني عبد الخالق رحمه الله وكان رئيسا لقسم الأصول في الأزهر ابان الحكم الناصري قال لي: ذهب ضابط من أقاربنا وأرحامنا بعثة إلى الإتحاد السوفياتي، وعندما أخذ إجازة من رئيس الاكاديمية قال: في ظلام الليل وإذا بشبح يظلله الغسق الدامس في وسط الليل يشير إليه من خلف النافذة، قال: فخرجت وإذا به رئيس الاكاديمية، قال لي أنت ذاهب لإجازة في مصر، فلعلك تحضر لي هدية من مصر قميصاً أو بنطالاً، وأحضرت له قميصاً وبنطالاً، وأخذها بيده في حقيبة ملفوفة بلفات كثيرة حتى لايراها زملاء البريجدير أو اللواء، وذهب في الليل إلى بيته وفتح الحقيبة وأخرج البنطال والقميص، فبدأ اللواء يرقص ويقفز إلى أعلى وأسفل لا تستطيع الدنيا أن تحتمله فرحاً وسروراً وغبطة وحبورا لأنه رأى قميصاً وبنطالاً من الخارج ومن الصناعة المصرية، فقال له: أنا لا أستطيع أن أكافئك، إن شئت أن تستنكح بزوجتي فلك وإن كانت كبيرة فهذه ابنتي!!

هذا حال الاتحاد السوفياتي من خلال الإشتراكية الجافة التي صنعتها العقلية الإنسانية المادية.

ولذلك وبعد دخول روسيا وبعد الضربات الموجعة لغوربتشوف، وبعد أن قصم ظهر الجيش الأحمر، وبعد أن رأى غوربتشوف أبناء الولايات الإسلامية الجنوبية يأتون؛ أبناء بدخشان وبخارى وكندز بأسلحتهم ليأخذوا المصحف مقابل الكلاشنكوف، عندما رأى أن هذه الرواتب الضئيلة التي تعبد هؤلاء لشخص غوربتشوف ومن حوله من اللجان المركزية، عندما رأى أن الضابط يبيع سلاحه من أجل أن يأخذ ثمن جرعة الحشيش أو الهيروين، عندما رأى أن الجيش الأحمر بهيله وهيلمانه وأساطيله وسلطانه لم يستطع أن يقف أمام شعب حاسر حافي القدمين لا يملك ملء بطنه من الطعام، ولا يملك ملء جيبه من النقود، بثياب بالية و بطون خاوية وأقدام حافية، ينهزم الجيش الأحمر ولا يغني عنه لا شيوعية أفغانستان البائرة الخاسرة، ولا شيوعية روسيا وصواريخها ودباباتها وطائراتها، عندها بدأ يفكر من جديد.

محاولة يائسة:

كان غورباتشوف قبل ثلاث سنوات يقول: لأنهينّ معضلة أفغانستان، وتجرع المرارة في أعماق أفغانستان، وذاق الويلات، ورأى جنوده يرجعون من داخل أفغانستان وقد فقدوا أعصابهم هلعا وخوفا ؛ أدرك أنه لا يقف أمام قوة الدين شيء، فبدأ يوزع الأناجيل على أرمينيا، وبدأت أذربيجان تتحرك، وأرجعوا الخلافات بين أذربيجان وأرمينيا إلى خلافات على بقعة أرض وكمية من التراب، ولكنها الفطرة التي تبعث الجماهير أن تحطم قيودها وتنطلق من إسارها، وعقد المؤتمر التاسع عشر الذي انتهى في أوائل هذا الشهر، المؤتمر التاسع عشر بعد غياب سبعة وأربعين عاما، لقد كان آخر مؤتمر يعقد للحزب الشيوعي والمؤتمر الثامن عشر سنة ‹١٩٤١›، ومن سنة ‹١٩٤١› إلى سنة ‹١٩٨٧› لم تشهد روسيا أي مؤتمر شيوعي علني، كانت مؤتمرات تعقد في داخل الغرف المظلمة وفي أزقة الدهاليز... ومن وراء الأسوار، ولا تعلم الجماهير عنها شيئا، ولأول مرة يعلن غوربتشوف وفي نهاية المؤتمر: أن بلادنا ستشهد في السنوات القليلة القادمة تغييرات تحدّد مصيرها ؛ لأن البيروقراطية، وحكم الطغمة الفردية، وحكم الفرد قد أوصلنا إلى حافة الهاوية، أيّ اعتراف هذا؟ وأيّ نقض للنظرية الشيوعية من أساسها؟ ولذا بدأ غوربتشوف بالإنفتاح على الغرب بعد أن رأى ما رأى في أفغانستان،

وأدرك أن الفطرة الدينية لا يمكن أن تجتث من الأعماق، ولا يمكن أن تزول من داخل الإنسان، ولذلك سمح للناس أن ينتقدوا، لأن غورباتشوف لا يعتبر من جيل الثورة، يعتبر من الجيل الجديد، من الجيل الثاني، وكل ما ينصب من الإنتقادات و يوجّه من اللّوم اللاذع إنما يوجه للطغمة السابقة، وبدأت الصحف تكتب عن السابقين، الطغمة الحاكمة، وبدأوا ينتقدون، حتى (زيكو شلكن) الكاتب السوفياتي كتب أين السكر؟ السكر قد إختفى، قال: لقد تنازلنا كثيرا، تختفي المواد الكمالية، ثم الحاجية، ثم ابتدأت الضروريات تختفي من المجتمع، حتى اختفى السكر من داخل الاتحاد السوفياتي، وماذا أنشأت الإشتراكية؟ السوق السوداء، التهريب، التسلط، شيوع الرشوة، انحطاط العمل، إن عمل العامل في داخل الاتحاد السوفياتي يساوي ثلث العامل في إيطاليا وفي سويسرا، لماذا؟ ليس هنالك دافع وليس هنالك رادع ولا وازع.

ومن هنا فقد كانت ضربة أفغانستان للجيش الأحمر إيذانا بتغيير الأيدلوجيات في واقع العالم الإسلامي، بأن يركب القذافي بالبلدوزر ويهدم بنفسه السجون حتى لا تنبعث ثورة الجماهير الحاقدة وتبتلعه حيًا، فقام بالثورة قبل أن تقوم عليه، وسيلحقه حافظ الأسد، وصدام، وغيرهم من الحاكمين في العالم العربي، حكم الفرد الواحد.

أقول: ليس تغيرا في بنية العالم الإسلامي ؛ إنما هو تغيير في عقائد العالم وفي إتجاهاته وفي إيديولوجياته، وصدق الله **(هوالذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره الكافرون).**

صدق رسول الله ﷺ إذ يقول: **(إن الله زوى لي الأرض شرقها وغربها وإن ملك أمتي سيصل إلى ما زوى لي منها)** وصدق ﷺ والأحاديث الصحيحة **(ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر إلا ويدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل)** وليس حال أمريكا بأقل سوء من حال روسيا.

فارق السوء:

يعني الفارق، فارق السوء ليس كبيرا بين أمريكا وبين روسيا ؛ لأنها تعيش في داخلها خواءً روحيا، وتمزقاً ذاتياً، وتشققا في حياة الأسر، وضياعا في حياة الإنسان، ولذلك لجأ الإنسان في أمريكا كذلك إلى الخمور والمخدرات والإنتحار، فهل أنتم متعظون ومعتبرون ؟! إن في ذلك لعبرة..

(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهوشهيد) (ق: ٣٧)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمدلله ثم الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله و على آله وصحبه ومن ولاه.

يا أيها الإخوة: إن هذا الدين، دين الله، وإن هذا الإنسان خلق الله، ولا يسعده ولا يشبعه ولا يملأ حياته إلا هذا الدين، و بقدر التزامه بهذا الدين، وبقدر التزامه على النهج القويم، وبقدر طاعته لرب العالمين يشعر بالسعادة في أعماقه، وبالغبطة في أرجائه، وبالإنشراح في أعضائه.

يا أيها الإخوة: لقد حاولنا في العالم الشرقي، في العالم الإسلامي كله أن نسير إثر خطوات الغرب أو الشرق، إثر روسيا وأمريكا، سواء الديمقراطية الغربية أو الدكتاتورية الفردية، وجنينا المر، ولا زلنا نجني وباله، وتمزق العالم الإسلامي شذر مذر، ودحر في كل الجوانب العسكرية والاقتصادية والسياسية وغير ذلك، وأضحى الناس حيارى.

فلا الصدّيق يرعاها بحزم ... ولا الفاروق يورثها فعاله
ولا عثمان يبعث في السرايا ... فيرخص في سبيل الله ماله
ولا القعقاع يقرع في السرايا ... فتشهد ساحة الهيجا نزاله
سرى صوت المؤذن في حمانا ... وقد فقدت مآذننا بلاله
وأقصانا يدنسه يهود ... ويرتع في مرابعه حثاله
مضغنا كبد حمزة وانثنينا ... نذوق المرّ أو نجني وباله

ولكن أيها الإخوة: نرجو الله عز وجل أن تكون افغانستان فاتحة الخير للعالم الإسلامي وللعالم أجمع، ونرجو الله عز وجل أن تكون بداية تغير التاريخ الإسلامي وارتفاع الخط البياني لهذا الدين من خلال هؤلاء، الذين كأن أبوالطيب يتكلم فيهم فيقول:

إذا كانت الدولات قسماً نائبها — لمن شهد الموت الزؤام تدول
لمن مرن الدنيا على النفس ساعة — وللبيض في هام الكماة صليل

يا أيها الإخوة: لقد وصلنا إلى الكثير من خلال تجربة افغانستان، فعلينا أن ندعمها حتى النهاية، ولعلنا نتفيأ في ظلال الإسلام وفي ظل هذا الدين.

تبعات الجهاد

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لا يهدي القوم الظالمين، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده، فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين. ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم، حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين) (المائدة: ٥١-٥٣)

الولاء والبراء:

قصة الولاء والبراء هي قصة هذا الدين، لأنها قصة البذل والتضحية والفداء، وقد تكلمنا طويلا وكثيرا عن هذه المسألة العقدية المهمة، ومن أراد أن يستفصل في الموضوع ويسترسل فعليه بكتاب البراء والولاء لمحمّد سعيد القحطاني، فليرجع إليه فإنه سفر نفيس في هذا الأمر.

وقصة اليهود والنصارى وعدائهم لهذا الدين قصة تتجدد ما بقي الليل والنهار، وما بقي فوق هذه الأرض إنسان حتى يرث الله الأرض ومن عليها، قصة العداء لهذه العقيدة، ونحن كذلك قد تكلمنا طويلا عن عداء أهل الكتاب لهذا الدين ووقفنا وقفات طويله أمام آيات البراء من أعداء الله ورسوله من أهل الكتاب، ولقد كان أحد الصحابة رضوان الله عليه يقول:ليخش أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يعلم ثم تلا هذه الآية (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**) وكلما طالت المعركة بالنسبة لحملة هذا الدين كلّما تكشفت أمامهم معالم التفصيل العملي لهذا القرآن الكريم ولسنة نبيّه الكريم، حتى لا يبقى في أذهانهم لبس ولا في قلبهم غبش ولا أمام نواظرهم غواش تخُفي جزءاً من الحقيقة، والذين لا يتحركون لهذا الدين ولا يعملون لإقامته معالم واضحة في دنيا العالمين لا يمكن أن يفهموه، لأن هذا الدين لا يعطي أسراره لفقيه قاعد بارد قد خزّن المعلومات الفقهية جامدة كأنها مخزنة في ثلاجة، هذا الدّين لا يفتح كنوزه إلا للعاملين، وأما القاعدون فمهما حفظوا من الحواشي والمتون فهم لم يدخلوا بعد في صلب هذا الدين ولا يعرفون ركنه القويم ولا حصنه الحصين، إنه الحبّ في الله والبغض في الله، **(ومن أحب في الله وأبغض في الله وأعطى لله ومنع لله فبذلك تنال ولاية الله، ولا تنال ولاية الله إلا بذلك).**

لابدّ للمسلم أن يعلن نفسه بارزا ظاهراً أنه من حزب الله، وأنه يعمل لإقامة دين الله، وأن هذا الجسد والدّم واللحم إنما قد بيع إلى الله عز وجل منذ اعلن شهادة أن لا إله إلا الله..

(يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوارة والانجيل والقرآن) (التوبة: ١١١)

وقد طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أبي موسى الأشعري أن يكتب له في أدم ما دخل عليه وما خرج، فجاء أبو موسى ومعه رجل فقرأ على عمر ما كتب، فعجب عمر وقال: إن هذا الرجل لحفيظ، فهل له أن يقرأ لنا كتابا في المسجد على الناس قد جاءنا من الشام؟ قال إنه لا يستطيع، لا يستطيع دخول المسجد، قال أو جنب هو؟ قال لا، ولكنه نصراني، فقال أخرجوه، وضرب عمر على فخذ أبي موسى وقرأ هذه الآية: (**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**) وفي رواية أخرى قال أبو موسى مناقشا عمر: لنا كتابته وله دينه، قال: مات النصراني والسلام، هب أن النصراني مات فدبّر نفسك على أساس أنه لا يوجد نصراني.

أقول هذا والمعركة تشتد علينا من كل جانب، وتأخذ بخناقنا، والمؤامرة العالمية تتكالب ويزداد كيدها وتحكم مكائدها يوما بعد يوم.

مؤامرات مستمرة:

في جلال أباد قلت لحكمتيار: أوراجع أنت بعد أن أعددت جندك واستثرت هممهم وشحذت عزائمهم؟! أراجع أنت لتشرف على المعركة بنفسك، وحضورك المعركة ضروري، قال: إن لم أذهب إلى قندهار فسأرجع لأشرف بنفسي على المعركة، إن أمر قندهار يؤرق جسمي ويقض مضاجعي، والأمر جد وليس بالهزل، فإن كان حضوري إلى قندهار ضروري فسأذهب هناك لأرتب الأمر، ثم أعود إلى هنا...

ولو كان سهماً واحــداً لاتقيتــه	*ولكنــّـه سهــم وثانٍ وثـــالث*
رمـــاني القوم بالأرزاء حتـــّى	*فؤادي في غشاء من نبـــال*
فصرت إذا أصابتني سهـــام	*تكسّرت النصال على النصـــال*
فهان وما أبالي بالــرزايـــا	*لأني ما انتفعت بأن أبالـــي*

وماذا في قندهار؟ نحن تكلّمنا أكثر من مرّة أن مؤامرة إرجاع المومياء المحنطة في روما قد أصبحت شغل الغرب والشرق الشاغل، والأموال توزّع صباحا ومساءً على القبائل التي تحيط بقندهار لتحف بملك الأشرار إذا جاء وتحمله وتتقدّم إلى كابل.

من الثقاة وفي أرض المعركة هناك بلغنا أن هنالك بعض الرجال رجل إسمه حاجي مغيث وآخر إسمه حاجي لطيف وثالث يسمّى ناصر ضياء، هذا يأتي بالأموال ويوزعها على القادة بشرط أن لا يقاتلوا في قندهار، يدفع المال بشرط أن لا يقاتلوا، فيعجب القادة له ويقولون له الأموال تدفع للقتال وأنت تطلب منّا أن لا نقاتل، وكل هؤلاء محسوبون على الذين في قلوبهم مرض **(فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة)** يعني نخشى أن ينتصر الكفّار، فلتكن لنا يدٌ مسبقة عندهم وحتى يكون لنا خطٌ رجعة فيما لو انهزم الصادقون لاسمح الله.

نوابي من قبيلة ظاهر شاه محمد زاي سيد إسماعيل أغا يأتي من إسلام آباد ومن بيشاور يوزع الأموال على المجاهدين هناك، أستاذ عبد العليم من القادة الذين يقاتلون، وفجأة قطع الطريق على المجاهدين واستولى على أموالهم وذخائرهم وسلاحهم، يقول القائد الذي حدثّني من أرض المعركة عشرون شخصا من كبار القوم قد التقوا بجنرال علومي وهذا يسمى في قندهار قولي اردو أي المسئول عن الفرق الثلاثة الحكومية هناك، وذهب العشرون مع علومي إلى نجيب، وعندما ذهبوا قال لي أحد الضباط المخلصين ممن يعملون مع الجيش الأفغاني: لقد ذهب عشرون من المجاهدين منكم إلى كابل ليلتقوا بنجيب، وعندما عادوا -يقول هذا القائد- قابلتهم متلثمين ثم قلت لهم أعدتم من كابل؟ قالوا لا كنا هنا ولم نتحرك.

في عيد الفطر سمح محافظ قندهار لمن أراد أن يقضي عيد الفطر مع أهله أنْ يدخل إلى قندهار، ودخلت مجموعة من المجاهدين وأغدقت عليهم الاموال وبعد عيد الفطر عادوا إلى جبهاتهم يقولون الأولى أن نتريث الآن في المعركة.

باركزي، أچك زاي، بوبل زاي، القبائل التي تحيط بقندهار أغدقت عليهم الأموال ووزّعت ليكونوا الخشب المسنّدة التي تحمل المومياء المحنطة، العالم كلّه متآمر على الجهاد، ومن يقود الجهاد على هذه الحفنة الصافية التي أبت أن تلين أو تذل أو تخضع أو تستكين..

(وكأين من نبيٍّ قاتل معه ربّيون كثير، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (آل عمران: ١٤٦)

مسيرة طويلة مريرة ولكنّ العاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين..

(استعينوا بالله واصبروا، إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين) (الأعراف: ١٢٨)

يعلمون من الرّجال الذين لا يُشترون نتُشنّ عليهم المعركة، هؤلاء الذين لايباعون في سوق النخاسة الدولية، ولا يتاجر بهم تجارة الرقيق الأبيض، هم الآن غرض السهام العالمية من كل مكان، وهم ماضون في طريقهم يتجرّعون الغصص، يدوسون على قلوبهم، يمشون على جراحاتهم، ولسان حالهم يقول:

أأطرح المجد عن كتفي وأطلبــه	*وأترك الغيث في غمدي وأنتجــع*
والشرفية لا زالت مشــرّفـــة	*دواء كل كريم أو هــي الوجـــع*

ماضون مهما كانت التكاليف، سائرون مهما جلّت التضحيات، ينظرون أمامهم وحولهم والجراحات لا تنتهي، والمؤامرات لا تتوقف،

والأصدقاء قد وقفوا جانباً يرددون في الصحف العالمية والإذاعات الدولية أنه لا حل لقضية أفغانستان إلا بالسلام، نحن هكذا من الناس الذين كنا نتوقع أن يبقوا سائرين معنا إلى نهاية المطاف حتى يقضي الله أمره، وحتى ينفذ الله وعده، وحتى يمكّن للمؤمنين في الأرض..

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (المؤمن: ٥١)

استمرار المسيرة:

فالله وعدنا.... أما نحن كعرب فنحن صمّمنا وأقسمنا اليمين- وأنا أتكلم باسمي- أن نبقى سائرين حتى نقضي نحبنا على هذا الطريق أو نتفيأ ظلال هذا الدين، لا مناص... لارجوع... لاتردّد أبدا... قد بعنا- إن شاء الله- لله أنفسنا، ولن تنتهي معركتنا- إن شاء الله- في أفغانستان، بل معركتنا هي العمر كلّه مع أعداء هذا الدين، ننازلهم في كل حين، وننتزع حقنا بحدّ الحسام، مادام الله عز وجل يثبتنا على هذا الطريق، والروح جارية في عروقنا، والدمّاء سارية في أوردتنا، فماذا نقول؟:

سأطلب حقّي بالقنـــا ومشـــايخ كأنهم من طول ما التثموا مـــــرد

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعـــوا قليل إذا عدوا كثير إذا شـــــدوا

والمعركة حول جلال آباد تبشر بالخير، والمسلمون في تقدم، والكفر في إدبار، رغم أن روسيا قد ألقت بثقلها ودفعت بخيلها ورجلها حتى لا يسقط آخر سهم في كنانتها، آخر ورقة خاسرة تلعب بها، وقد بلغني في هذا اليوم أن روسيا قد أدخلت خلال الفترة القليلة الماضية (٨٠٠) دبابة إلى كيلكي في بغلان، ووصلت مائة وثلاثون منها إلى كابل، ونحن نقول: إزرعوا الأرض قنابل، إملأوا الأرض جيوشا، أمطروا من السماء شهبا، لا توقفوا الزحف، لن تقفوا أمام المارد الإسلامي، لقد استيقظ وبدأ يسير، وانطلق من القمقم، لن يقف أمام هذا الزحف شيء، بإذن الله وبرعايته وعنايته. وأما أمر جلال آباد- فإن شاء الله- ليس ببعيد، وأمر سقوطها بإذن الله العزيز قريب، إن كثيراً ممن يعيشون في المعركة نفسها لا يدركون أن الولاية التي مركزها جلال آباد تقارب مساحة فلسطين بكاملها، وحتى العرب الذين يجاهدون لايعرفون أن المجاهدين قد حرروا وافتتحوا في هذين الشهرين ما يزيد على مساحة الضفة الغربية بكاملها، لم يبق أمام المجاهدين من جلال آباد سوى البوابة الغربية (سرخ رود) وسوى مركز البوابة الجنوبية (بهسود) وهي تعتبر (علاقة داري) من جلال آباد، قد افتتحت معظم مناطقها، فافتتح (كاريز كبير) و(خوش كنبد) و(أده) (وشمرخيل) ولم يبق منها إلا المركز نفسه.

والمجاهدون الآن يعدّون العدّة للقيام بهجوم كبير، نرجو الله عز وجل العلي الكبير أن يكلّل مسعاهم بالنّجاح، وأن لا يخيب ظنهم، وأن يصدق فألهم، وأن يجيب دعوتهم.

يا أيها الإخوة:

لكننا نحن العرب على كواهلنا أمانة غالية وثقل كبير، لأننا قد نفرنا من كل حدب وصوب للاشتراك في إقامة أول دولة إسلامية في الأرض تصنع قرارها بإذن ربها على هدي من كتابه وسنة نبيه ﷺ ،كما قلت لكم الآن الدول الصديقة متفرجة، بل تصرح تصريحات سياسية توافق أهواء الذين لا يعلمون من الأمريكان والإنكليز ومن الروس ومن أعداء الدين أجمعين، هم يقولون بأن المجاهدين قد توقفوا أمام جلال آباد هذا التوقف، فماذا يكون مصيرهم أمام كابل التي تزيد في صعوبة فتحها وفي عدد سكانها وفي مساحة بقعتها أضعاف أضعاف جلال آباد؟

تكاليف الطريق:

إن الذين بدأوا المعركة بالعصي والحجارة رغم جراحاتهم، ووالله إنها لجراح عميقة على طول الطريق، لا نمر تقريبا بمكان إلا وهم يقولون هنا استشهد فلان وهنا صارت مقتلة عظيمة، وهذا الرجل أمه قد قطعت رجلاها، وأخته قد قطعت يداها، والمجاهدون بشر من لحم ودم وقد كان لديهم الفرصة في الفترة السابقة أيام أن كان القتال حرب عصابات، كان بإمكانهم أن يشتغلوا بعض الشيء في باكستان فيدبروا أمر عائلاتهم ثم يعودوا إلى مواقعهم يرابطون، أما الآن فلا يستطيعون أن يدعوا أي مكان يفتحون، ولا يستطيعون أن يشتغلوا بغير الذي هم به منشغلون، تركوا أولادهم فمن يعيل عائلاتهم؟ وقف أحد المجاهدين قال يا أخي لا تنسوا عائلات هؤلاء المجاهدين، لو خصصتم لهم رواتب من أجل أن لا ينكلوا عن المكان الذي يفتحون ويرجعوا حتى يؤمنوا العائلات التي يتكفلون هنا في بشاور، عائلاتهم من يتفقدهم؟ من يدخل عليهم مروحة؟ ونحن نعيش تحت هواء الكنديشن؟ من يُدخل عليهم رغيف الخبز؟ والفواكه تترى

أمامنا، من يتكفل لمرضاهم بالدواء؟ ومن يتكفل لأولادهم بالغذاء؟ إن الذين يعملون الآن في بشاور من هؤلاء الأفغان راتبهم بالمعدل لا يزيد عن (٨٠٠) روبية أو ألف روبية، يجب أن تضع في ذهنك أنهم يحتاجون إلى (٥٠٠) روبية خبزا كل شهر، على الأقل (٥٠٠) روبية، وتبقى (٤٠٠) روبية للإدام والدواء والسفر والطبيب وغير ذلك، للأسرة كلها، وأنت إذا دخلت مطعما من المطاعم أو دعوت دعوة من الدعوات فلا تكفيك هذه ولا أضعافها. والناس البعيدون عن أرض المعركة لا يدركون أهوالها، ونحن العرب وقد قدمنا أمام جلال آباد حوالي خمسين شهيدا بدأت نفوسنا تعتصر ألماً من أعماقها.

في(بهسود) الحزب الإسلامي في يوم واحد قدم خمسين شهيدا، ونحن خلال شهرين ما قدمنا خمسين شهيدا، الجراحات عميقة، والآلام تعتصر القلوب، والناس في ضائقة، والقادة يشكون، لا يملكون، لقد كان عذرهم لحكمتيار أننا لا نملك الذخيرة التي نستمر بها فترة بسيطة في معركة شاملة فانقلوا لنا الذخيرة، والذخائر تحتاج بغالها وخيلها التي تأخذ أمولاً في كل مرّة يشابه نصف ثمنها تقريباً، والاموال تتقطّر عليهم بالقطّارة، والأيادي تقبض من الأصدقاء، والبعيدون إذا دفعوا لإطعام صائم أو كفالة يتيم فهم يمسحون وجوههم وصدورهم حمدا لرب العالمين أنهم كفلوا غازيا قد استشهد منذ سنين في أهله، وأما الغزاة الذين هم على دين الله قائمون ولسلاح المعركة حاملون وهم مصممون أن يتجرعوا الموت أو يصلوا إلى هدفهم هؤلاء قد طال الدفع لهم من الخليج، والصحف اليسارية تحاول أن تقبض صدور الناس وأيديهم وتصدهم عن المعركة وعلى رأسها كما ذكرنا الوطن والخليج والسياسة والأنباء وغير ذلك. تكالبوا من كل مكان ليصدوا عن سبيل الله، والله عز وجل يقرن الكفر بالصد عن الجهاد:

(الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم) (محمد: ١)

باب الرحمن:

الأوراق تأتينا تترى خاصة من الولايات الشمالية والغربية، المجاعة قائمة والقحط قد عضهم بنيابه، والمطر قد قلّ في العام الماضي، وأجدبت السماء، وأقفرت الأرض، فكيف بإمكانهم أن يواصلوا معركتهم إن لم يجدوا رغيف الخبز الذي يملأ بطونهم ؟ ثم يخرج قرار من الدول الصديقة بمنع تصدير الحبوب خارجها، من كل مكان أتلفت حولي فأجد براثن العداوة لهذا الجهاد ناشبة، وأجد الشراك قد نصبت، والأحابيل قد أعدت، ولكني أرى بابا واحدا لاينغلق أبدا ولا يسد دون المؤمنين، إنه باب رب العالمين..

(وإذا سئلك عبادي عني فإني قريب، أجيب دعوة الداع إذا دعان، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون) (البقرة: ١٨٦)

نحن ماضون على الطريق مهما طال، وندعو الله الثبات والرشد في الأمر،لا يهمنا مانراه من إرجاف المرجفين، ولا ما نراه من عملاء اليهود والنصارى،لا يهمنا، المعركة أكبر، والقضية أعظم في أذهاننا، إنه رضا رب العالمين، إنها جنة الفردوس، إنه التمكين للمؤمنين في الأرض، ألا هانت الحياة في سبيل هذا الهدف الكبير، وفي سبيل لحظة رضا من الرحمن الرحيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

ضمانات تطمئننا مهما ادلهم الظلام، بوارق أمل وتباشير نصر تساعد في تثبيتنا مهما طال الطريق وزادت المرارة، وعلى رأسها هذه الصفوة التي تقود الجهاد، وأنا أقول وأنا مطمئن من أعماقي أقول لكم إن الذين يعيشون في الأحلام الرومانسية ليجدوا دولة الإسلام نازلة على طبق من ذهب من السماء لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ولا تبذل من أجلها قدما ولا ساقا ولا ترى ما يغصّ قلبك ويذيب أعماقك حزنا، هؤلاء لا يعرفون طبيعة هذا الدين، ولا يدركون سبل المرسلين وعلى رأسهم خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، إن الذين يسقطون لأول عثرة ولا يقومون ويريدون أن يروا الأمر أمامهم ممهدا سهلا، لا يغصون بشيء، هؤلاء لا يعرفون طبيعة المعركة مع أعداء هذا الدين، سترون الكثير الكثير، ونحن رأينا وأنا من أقدمكم في هذا الطريق قد رأيت الكثير الكثير، وفي كل يوم أرى الكثير، وكلما اشتدت علينا المصائب وتكالبت علينا النوائب أدرك أن النصر قريب، وأدرك أننا على الطريق، ورحم الله البنّا إذ استُقبل في إحدى القرى استقبالاً رائعا وإذا بهم يتفقدونه في دار الإخوان فلا يجدونه، فقال أحد أصحابه: تفقدته وإذا به منزو وراء باب من الأبواب يبكي، قلت يا أستاذنا: هذا يوم فتح عظيم يستقبلنا المسلمون بهذا الترحاب والتهليل، قال: ليست هذه طريق المرسلين، أخشى أن لا نكون على الطريق..

(ألم، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (العنكبوت: ١-٣)

صبر ومصابرة:

أقول: الطريق مفروش بالأشلاء، مرويّ بالدماء، محفوف بالبلاء، ومن أراد أن يسلك هذا الطريق فليتوقع المصائب من كل جانب من الصديق والعدو، من البعيد والقريب، وابتلاءات وفتن تواجهك على الطريق، ولكن مادمت تعرف هدفك والطريق واضح أمام ناظريك واصل الطريق مهما كان الأمر، ولو سلكت وحدك، ولو سرت على الطريق فريدا...

وإذا كنت في الزمان وحيـداً   فأنـــا الدر والجمان الفريد

تعيـــرني أنا قليل عدادنــا   فقلت لهــا إن الكرام قليـــل

والذين يثبتون قليل، ولا يثبت على هذا الطريق إلا الذين أهّلهم رب العالمين لجنته، وأعدّهم لحمل أمانته، وكلّفهم بحمل رسالته، فأعدوا لهذا الأمر عدته، واتخذوا له أهبته، فالطريق طويل، والزاد قليل، والحمل ثقيل، والأمانة غالية، والتبعة ثقيلة، ولكن الأجر الذي ينتظركم عظيم، والنهاية تقول:

(وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) (البقرة: ١٥٥-١٥٧)

النتيجة تقول:

(يا أيها الذين آمنوا إصبروا وصابروا ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون) (آل عمران: ٢٠٠)

النتيجة تقول: (إنه من يتق ويصبر، فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) (يوسف: ٩٠)

النتيجة تقول (استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين)، فعونك اللهم فإن البيعة رهيبة، والحمل ثقيل، فالثبات يارب والسداد والرّشاد.

بشائر المستقبل:

وفي هذا اليوم وبعد الفجر وإذا بأحد الإخوة يبشرني أن المعركة القادمة فلسطين بالرؤيا التي رآها قبل صلاة الفجر، قال: قبل صلاة الفجر بدقيقتين رأيتك بعد أن تعهدت هذه القضية بتعبها وأثقالها ووعثائها تلمّ متاعك وتشدّ رحالك وصوت المؤذن يؤذن، فقلت إن هذا صوت المسجد الأقصى، قال رأيتك والشيخ تميم تعدّان العدة وتجهزان الرحال بعد أن انكشف الغبار في هذه الأرض، وصوت المؤذن يدوّي، فقال أحد الحاضرين إنه أذان المسجد الاقصى، فتقدّم الأخ وهو أبو الحسن المقدسي قال فتقدّمت إليك قلت لك دعني أنظر أنا أعرف صوت أذان المسجد الأقصى. قال فاستمعت وإذا بالمسجد الأقصى نفسه يتبدى لي، وصوت عبد الله نمر درويش يدوّي من فوق المسجد الأقصى، وهذا الشاب عبد الله نمر درويش هو الذي أحيا المنطقة المحتلة سنة (٤٨) وحوّل المنطقة بكاملها قرى المثلث، وكان عضوا في الحزب الشيوعي، رجع إلى الإسلام وحمل الدعوة الإسلامية وحوّل قرى المثلث إلى قرى إسلامية، وحوّل قرية أم الفحم إلى قرية إسلامية، وحوّلوها إلى قرية أم النور، وقد تحدّى كاهانا زعيم العصابات الإسرائيلية الذي كان يقول سأدخل المسجد الأقصى، تحدّاه في المسجد الاقصى وقال إن اليهود ليسوا شعب الله المختار، نحن شعب الله المختار، نحن الذين اختارنا الله، وهو أحد قطبين ممّن حركوا الأرض في فلسطين كلّها، عبد الله نمر درويش وأحمد ياسين، والإثنان مشلولان، والله عز وجل صنع بهذه الأجسام المشلولة ما لم يصنعه بالجيوش الكثيرة.

ودار الزمان دورته "١"

فضل العلم: (١)

في الحديث الصحيح *(فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم)*، ومنزلة العلماء والعلم عظيمة عند رب العالمين، ولذلك قرن الله شهادة أهل العلم بشهادته، فقال عز من قائل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم)
(آل عمران: ١٨)

إذاً: شهادة العلماء مقبولة كشهادة الملائكة، وشهادة العلماء مقرونة بشهادة الملائكة، وقرنها رب العزة تفضلاً بشهادته، فمنزلة العلم والعلماء عظيمة عند الله عز وجل **(وإن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم) (وإن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير).**

والعالم... الفرق بينه وبين النبي ﷺأن النبي يوحى إليه، وختم بالنبي ﷺ سجل الوحي، والعالم ورث هذا العلم -يعني ورث الوحي-، الوحي الذي تنزل على رسول الله ﷺورثه العلماء، ولذلك منزلتهم عظيمة عند الله عز وجل ، وحسابهم كبير عند الله عز وجل إذا قصروا.

(وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا فبئس ما يشترون) (آل عمران: ١٨٧)

علماء بحق:

والعلماء في التاريخ الإسلامي كانوا محل احترام للخلفاء والأمراء – أمراء المؤمنين-، عندما جاء الشافعي ليدرس العلم عند مالك ذهب إلى والي المدينة لعله يتوسط لدى الإمام مالك حتى يقبله في حلقته، فأخذه والي المدينة بيده وقرع باب مالك ، وخرج الخادم أو الخادمة فرجع وقال يا سيدي: والي المدينة بالباب ،فقال: قل له إن كان يريد زيارة فليس الوقت وقت زيارة، وإن أراد علماً فقد علم موعد الدرس، فرجع الخادم إلى والي المدينة وقال له ما قال مالك، فقال لا، ولكن معي طالب علم أريد أن أقدمه للإمام، فأذن له الإمام مالك من أجل طالب العلم.

وعندما حجَّ سليمان بن عبد الملك قال: هل بقي ممن رأى أصحاب رسول الله ﷺ أحد في المدينة؟ قالوا: بقي سلمة بن دينار، أبو حازم، فقال إيتوني به، فذهبوا إليه قالوا أمير المؤمنين يريدك، قال: العلم يؤتى إليه ولا يأتي. فجاء سليمان بن عبد الملك الخليفة وزاره، قال ما بالك يا أبا حازم لا تزورنا؟ قال أعاذك الله من الكذب يا أمير المؤمنين، ليس لي بك سابق معرفة حتى أزورك، قال يا أبا حازم، ما بالنا نكره الموت؟ قال لأنكم أعمرتم دنياكم وأخربتم أخراكم، فتكرهون الإنتقال من العمار إلى الخراب، قال يا أبا حازم، ما رأيك في هذا الأمر الذي نحن فيه؟ قال: لقد أخذ آباؤك هذا الملك بدماء المسلين وأخذ يعظه طويلاً.

المهم أن العلماء دورهم عظيم، ولذلك كان العلماء كثيراً ما يحذرون أبواب الأمراء، وكانوا يقولون إذا رأيتم العلماء على أبواب الأمراء فاتهموهم على دينكم ،فوالله ما أخذوا من دنياهم شيئاً إلا أخذوا من دينهم ضعفيه، لأن العلماء إنما يقربهم الأمراء حتى يسكتوا على ظلمهم وعلى انحرافهم، وعلى أكل أموال الناس، وعلى نهب بيت المال، لان العلماء إن لم يكونوا قريبين من السلاطين فإنهم سيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولكن إذا كانوا قريبين منهم وغارقين بعطاياهم فإنهم يستحيون منهم باسم خوف الفتنة، وباسم المصلحة وغير ذلك، وتعلمون أن الإمام الأعظم أبا حنيفة قد عرض عليه أبو جعفر المنصور الخليفة القضاء فرفض، وجيء بأبي حنيفة رحمهم الله أجمعين وجلد ووضع في السجن من أجل أن يقبل القضاء، قال لن أقبل القضاء، وكان يعلل للمنصور أنه إما أن أقضي على هواك فأغضب ربي، أو أرضي ربي فتغضب أنت، وبقي أبو حنيفة في السجن، في سجن المنصور حتى مات.

---

(١) ملاحظة: ألقيت هذه المحاضرة أمام طلبة معهد الأنصار العالي في الـ بورد (بيشاور) في أواسط عام ١٩٨٩م وفي صباح اليوم الثاني رافق الشيخ عبدالله المهندس حكمتيار في رحلة قصيرة إلى ننجرهار.

قضاء عادل:

والحقيقة أن دور أبي حنيفة ومحمد بن الحسن وأبي يوسف كان دوراً عظيماً في حماية الدولة العباسية من الإنحراف كثيراً، فكانوا يقفون لهم، ورغم أن أبا يوسف قد قبل أن يكون رئيساً للقضاة في عهد الرشيد، إلا أن الرشيد كان يحتكم إليه في أموره الخاصة، وقد حصلت عدة قضايا حكم فيها أبو يوسف على الرشيد،إختصم رجل مع الرشيد على بستان، فطلب أبو يوسف شهادة مع أمير المؤمنين، قال أمعك شاهد أن هذا البستان لك؟ قال نعم، معي جعفر البرمكي، قال لا أقبل شهادته، فعاتب الرشيد بعد أن حكم أبو يوسف بالبستان للرجل، فقال: كيف لا تقبل شهادة جعفر البرمكي -جعفر البرمكي كان رئيساً للوزراء- قال: سمعته يقول لك، أنت سيدي وأنا عبدك، فإن كنت سيده حقاً، فشهادة العبد لسيده لا تجوز، وإن كان كاذباً فشهادة الكاذب لا تجوز.

وقد كان أبو يوسف يأتي إلى أبي حنيفة وكان ذا فقر مدقع يتيماً، فكانت أمه تأتي إلى أبي حنيفة وتشكو عليه، تقول هذا الغلام -أبو يوسف- لا نجد ما نقتات به ثم جاء وانقطع إلى العلم عندك، قال أبو حنيفة: دعيه، أتركيه، فإنه سيأكل الفالوذج بدهن الفستق، الفالوذج أكلة حلوى لا يأكلها إلا الملوك، وذات يوم اختصمت زبيدة زوجة هارون الرشيد مع زوجها حول قضية شرعية، فرفع الأمر إلى أبي يوسف فحكم لها، فصنعت له الفالوذج، ووضعته في إناء وحمله الأمين ولي العهد على رأسه وجلس أمام أبي يوسف، وأبو يوسف يأكل من الوعاء فوق رأس الأمين، فابتسم وهو يأكل، فقالوا: أضحك الله سنك، ما الذي يضحكك؟ قال: رحم الله أبا حنيفة، كان يقول لأمي عندما تشكوني لأني لا أشتغل دعيه فإنه سيأكل الفالوذج بدهن الفستق، وها أنا آكل الفالوذج بدهن الفستق، وعلى رأس ولي عهد أمير المؤمنين.

انتشار المذهب الحنفي:

أبو يوسف قبل القضاء عند الرشيد، لكنه نظم موارد بيت المال، وكتب كتاب الخراج، وكان لا يوظف إلا قاضياً حنفياً في الدولة، وبقي القضاء في الدولة الإسلامية حنفياً، حتى سقطت الدولة العثمانية الإسلامية في عام (١٩٢٤م)، أي بقي المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة مدة ألف سنة ونيف، (١٢٠٠) سنة، ومن هنا انتشر المذهب الحنفي، فعم نصف الأرض تقريباً العراق والهند وباكستان وأفغانستان وتركيا، يعني نصف المسلمين في الأرض إنما يتبعون المذهب الحنفي.

أبو يوسف حفظ المذهب في واقع الحياة سياسياً بوظيفته، فنما المذهب الحنفي في واقع الحياة، ومحمد بن الحسن حفظ الله به المذهب نظرياً وفكرياً وفقهياً، فقد جمع فقه أبي حنيفة كله، معظم ما جمع من فقه أبي حنيفة إنما هو عن طريق محمد بن الحسن، كُتُب ظاهر الرواية والسير الكبير والسير الصغير والمبسوط والزيادات و... إلخ، فالمذهب حفظ وجمع نظرياً عن طريق محمد بن الحسن، وعملياً عن طريق أبي يوسف، فبقي المذهب الحنفي حياً في الأرض كلها إلى يومنا هذا من خلال هذين الشخصين، من خلال محمد بن الحسن، ومن خلال أبي يوسف، الآن حوالي (٥٠٠) مليون مسلم يتبعون هذا المذهب؟ وهل تعلمون من أين أخذوا هذا المذهب، أخذوه عن أبي حنيفة وأبو حنيفة، أخذه عن حماد بن سليمان أستاذه، وحماد أخذه عن ابراهيم النخعي، وابراهيم النخعي أخذه عن علقمة والأسود، وعلقمة والأسود تتلمذا على يد ابن أم عبد -عبد الله بن مسعود- وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، **{من أراد أن يقرأ القران غضاً طرياً كما نزل فليستمع إلى ابن أم عبد}** فهو معلم الشرق، معلم هذه المنطقة كلها، والمدرسة الحنفية كلها إنما أخذت عن هذا الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود، الذي كان لا يصل وزنه إلى خمسين كيلو جراماً، أي واحد منكم أثقل من عبد الله بن مسعود -في الوزن-، وعندما صعد ذات مرة على شجرة رأى الصحابة دقة ساقه، كان نحيل، فقال الرسول ﷺ: **«أتسخرون من دقة ساقه؟ أو من نحافة ساقه؟ لساقه هذه أثقل عند الله من جبل أحد».**

ولذلك عمر عندما نظر في الخارطة، خارطة الصحابة الذين أمامه، أراد أن يختار للعراق كقطر كبير يتبع الدولة الإسلامية، أراد أن يختار أميراً ومعلماً، فاختار عمار بن ياسر أميراً، واختار عبدالله بن مسعود معلماً ووزيراً، وكتب إلى أهل العراق: إني قد اخترت لكم عمار بن ياسر أميراً وعبدالله بن مسعود معلماً ووزيراً، وإنهما من خيرة أصحاب رسول الله ﷺ، ولقد آثرتكم بهما عن نفسي، وكان يقول عمر عنه كُنَيف ملئ علماً، (كيس مملوء علماً)، ولذلك عندما جاء وفد أهل الشام ووفد من أهل العراق وزاروا عمر فاكثر بالعطاء لأهل الشام، فوجد أهل العراق في أنفسهم، عتبوا على عمر، قال أوجدتم أو كما قال يا أهل العراق أني فضلت عليكم أهل الشام، ولقد بعدت بهم الشقة، يعني المسافة أكثر، ولقد آثرتكم بابن أم عبد، أنا فضلتكم بعبد الله بن مسعود، ماذا يساوي المال بالنسبة لبقاء عبد الله بن مسعود عندكم؟ وعبد الله بن مسعود إنما هو نقل ما رآه من رسول الله ﷺ فنقل عنه علقمة والأسود وابراهيم النخعي وحماد وحمل أبو حنيفة عن هؤلاء جميعاً، ومعلوم أن أصحاب رسول الله ﷺ تفرقوا في البلدان، وبعضهم أخذ أحاديث غير الأحاديث التي أخذها البعض الاخر.

تتفق على شيء واحد، ألا تقوم دولة إسلامية في داخل أفغانستان، لا بأس أن يذهب نجيب، ولا بأس أن يطرد الروس، لكن الشيء الذي لا يمكن أن نقبله أن يقوم للإسلام قائمة، هكذا يقول الغرب كله، قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله لكن نظن أن الشباب المثقف أمثالكم والذين عرفوا خدع هؤلاء

(ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) (آل عمران: ١١٨)

أنا أريد أن أسألكم: ماذا تريد بريطانيا عندما تبث يومياً تسع ساعات - أربع ساعات ونصف بالفارسي وأربع ساعات ونصف بالبشتو- للشعب الأفغاني؟! كم تنفق من ملايين الباوندات الإنجليزية يومياً من أجل هذا؟ تريد أن تعلمكم دينكم؟ تريد أن تثقفكم؟ تريد أن تمسح الإسلام من عقولكم وتضع ما شاءت من السموم في عقولكم، ولذلك أنظروا إذاعتها، عند الصباح على الفطور تجد الأخ الأفغاني لقمة في فمه والأذنين في أذنه (BBC) الآن موعد الـ (BBC)، وإلا بيبسي كله واحد، فأصبحت الـ (BBC) بيبسي للشعب الأفغاني، أظن كذلك.

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) (البقره ١٢٠)

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم، إن الله لايهدي القوم الظالمين) (المائده ٥١).

الأفغان المستغربين:

أحد إخواننا في قندهار، راجع من قندهار إسمه الاخ عبد السلام جالس بجنبه واحد أفغاني ما شاء الله ناصح سمين، ولابس نظارات، ويفهم الإنجليزية والألمانية قال له من أنت؟ قال أنا عربي، ماذا تصنع هنا؟ قال أنا أخدم كنت في قندهار أعد الأيتام حتى نرسل لهم كفالة، قال له لماذا أنت هنا؟ لماذا لا ترجع إلى بلادك؟ تقاتل في بلادك أو تخدم في بلادك؟ لماذا ما تذهب إلى فلسطين؟ قال له: من أنت؟ قال له أنا أفغاني قال: أين تعيش؟ قال له في ألمانيا، قال له: كم صار لك في ألمانيا؟ قال له ثماني سنوات، قال له: أنا جئت من أمريكا، أنا ولدت في بلاد العرب لكن أحمل الجواز الأمريكي، كل شهر يدخل علي عشرون ألف دولار، وتركت هذا كله لأخدم هذا الجهاد، لأن ديني يأمرني، من أحق بهذه القضية، أنا أم أنت؟ أنت تركت بلادك وأمك وأرضك وذهبت تعيش في ألمانيا خوفاً، وذهبت مع شهواتك وأنا تركت الدنيا كلها وجئت أخدمهم، إذن من أولى بهم، من أولى؟ أنا أم أنت؟ قال فنكس رأسه، وبهت الذي ظلم نفسه، قال له: أنا أفغاني، ماذا يعني أفغاني؟ أي تنتسب، ولدت في أفغانستان، فقط!!؟ ماذا قدمت لقضية أفغانستان؟ فقط شكلك أسمر أو طويل أو وجهك أبيض من بدخشان أو من بروان، أو وجهك أسمر من بكتيا أو من لوكر، هذه أفغانيتك؟! أين أفغانيتك؟ أين انتسابك لهؤلاء القوم؟ أين دفاعك عن أمك وعرضك؟ أين دفاعك عن أرضك؟ كم قدمت لقضيتك؟ من هو الذي يستحق الإحترام؟ هذا الذي ترك الدنيا كلها وجاء يعيش على الخبز الجاف، أمريكا عاصمة الإغراء في الارض، كل الدنيا كل المغريات كل التسهيلات موجودة في أمريكا تركها وجاء مع زوجته وأولاده يعيشون في بيشاور، ويذهب إلى قندهار يتعرض للموت، يجمع الفلوس ويدخلها بنفسه إلى الأيتام ليدخل السرور على قلوبهم في قندهار وبروان، وبدخشان وتخار، من هو الذي يستحق الإحترام؟ أنت الذي هربت وتركت أمك وأختك؟ أم أنا الذي جئت أخدمك؟ أخدم قومك، وأدحر عدوك لتبقى أرض أفغانستان إسلامية فوقها لا إله إلا الله؟ بعدها أنا إسمي وهابي يجب أن أطرد؟! وأنت أفغاني وأنت محترم؟! رغم أنك تعيش بين الخمارات والشهوات في داخل أمريكا ولوس أنجلوس وسان فرانسيسكو.

كنت في أمريكا هذه السنة، في مدينة واحدة في سان فرانسيسكو ستون ألف أفغاني، ويوم عيد النيروز رأس السنة (واحد حَمل) إجتمع هؤلاء الذين معظمهم خلاص أصبحوا مثل النصارى، ونساؤهم مثل النصارى، كلهم يشتغلون مع الأمريكان مختلطين، يشربون الخمر، يتبعون البنات، نسوا قضية أفغانستان، ونسوا أفغانستان، وأنا التقيت بهم في أمريكا، وعاتبتهم، قلت لهم إرجعوا إلى بلادكم إن كنتم أفغانيين، إرجعوا إلى بلادكم وإلا فأفغانستان بريئة منكم، أنتم أعداء أفغانستان الآن، هؤلاء أعداء أفغانستان، والآن يربونهم الأمريكان، غسلوا الإسلام من أذهانهم ليرجعوهم هنا، إجتمعوا في رأس السنة، إشتروا الخمرة حتى يفرحوا برأس عيد النيروز، عيد

المجوس، هو عيد النيروز عيد المجوس أليس كذلك؟ عيد النيروز عيد المجوس، إيران تحتفل به سبعة أيام عيد النيروز، ولذلك قال العلماء إذا أهديت لجارك المجوسي في يوم النيروز بيضة فقد كفرت لأنه عيد معروف عيد كفار عيد مجوس.

المهم اجتمعوا، جاءوا بالالآت الموسيقية، العود، القيثار، البيانو، فرقة موسيقية، ورقص وخمر، يوجد فيه بقية من الشباب الذين فيهم خير بعدما اجتمعوا، الخمر موجود، وسكي، كونياك، ما إلى ذلك كله موجود، فرقة موسيقية موجودة، السافرات العاريات موجودات الراقصات الساقطات موجودات، بعض الشباب منهم أمثالكم، بقية خير فيهم بسم الله الله أكبر هجموا على الآلات الموسيقية كسروها وعلى الخمر كسروها، وعليهم ضربوهم، واتصلوا بالبوليس، إلحق يا بوليس هؤلاء جاءوا وضربونا، جاء البوليس قال من أنتم، قالوا نحن أفغان، قالوا من هؤلاء المضروبون، قالوا أفغان لماذا ضربتموهم، قالوا: نحن آباؤنا وأبناؤنا يذبحون في أفغانستان، الدماء جارية الأطفال لا يجدون الخبز، الأيتام يبكون لايجدون الخيمة، وهؤلاء يرقصون ويشربون الخمر، وأمهاتهم في أفغانستان يُنحرن من قبل الروس، قال لهم البوليس الأمريكي أنا معكم إضربوهم، هيا، من أولى بأفغانستان إذن؟!

من أنصار الجهاد:

الشيخ تميم الذي لا يجلس في بيشاور بقدر ما يطوف في الدنيا يجمع بالدرهم بالريال من هنا إلى هنا إلى هنا، في رمضان جئت أنا وإياه في واحد رمضان، بعد أسبوع قال لي يا شيخ عبد الله، أنا وزني (١٥٠) كيلو غرام، والله عز وجل أعطاني هذا الوزن حتى أجلس على نجيب إن شاء الله، قال لي يا شيخ عبد الله أنا لا أستطيع أن أقاتل بجسدي، فأريد أن أجاهد بجهدي بجمع المال فذهب وترك أهله، وطار من قطر إلى الإمارات ذهبت إلى الإمارات هذه المرة، إلى السعودية العيد جاء وما جاء عند أهله يقضي العيد قضاه في مكة في الحرم، الشباب عندما يرون الشيخ تميم يلتفون حوله، يا شيخ تميم ما هي أخبار الجهاد؟ كيف حال سياف؟ كيف أخبار الجهاد الأفغاني؟ كيف فلان؟، يأتي بهم، يأتي واحد يقول لهم الشيخ تميم موجود، بعد دقائق وإلا حلقة حوله ويبدأ يدرس وممنوع التدريس في الحرم، جاء الشرطة وقالوا يا شيخ تميم ممنوع، ممنوع أن تدرس، قال: أنا لا أدرس، هؤلاء يستفتوني، يسألون عن الجهاد، ماذا أقول لهم؟ قالوا: لا تجاوبهم، طيب خلاص، قال أنا ما أقدر أن لا أجاوبهم، ثاني يوم كذلك تجمعت حلقة كبيرة، واحد ثم واحد صارت حلقة كبيرة يسألونه، جاء الشرطة يا شيخ تميم أنت مطلوب لقائد الحرس في الحرم، أخذوه أنت الشيخ تميم العدناني أنا أعرفك وأحبك وأسمع أشرطتك لكن يا شيخ تميم ممنوع، المهم لما يكثر الجمع حول الشيخ تميم يأتون بكرسي يضعونها تحته و الشيخ تميم يحدث، يصبح درساً كبيراً في الحرم، قال والله أنا لا أستطيع أن يسألني أحد عن الجهاد الأفغاني ولا أجيب، هناك طريقة واحدة أن يقف بجانبي إثنين من الشرطة، كلما اقترب مني واحد يضربه بوكس من هنا وواحد من هنا يطرده ما في طريقة إلا هذا.

فيجمع من هنا بالريال، ومن هنا بالدرهم، ومن هنا بقطعة الذهب، ونبيعها حتى نوفر الطعام الذين حول جلال أباد، حتى الطعام للذين حول قندهار، للأيتام للأرامل، للمعوقين للمستشفيات، لإقامة المستشفيات في داخل أفغانستان، لإقامة المعاهد التي تدرسهم دينهم، ويعد ذلك الشيخ تميم وهابي؟!! أي ظلم أكثر من هذا، هو حنفي، هو أصله حنفي، كذلك أنا شافعي المذهب، لكن مذهبه من الأصل حنفي وهو عمره سنتين، وتتلمذ على يد الشيخ عبد الفتاح أبو غدة شيخ الحنفية في الشام وسوريا، أستاذه الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ولذلك إذا أفتاكم الشيخ تميم أي فتوى ثقوا أنها تماماً على المذهب الحنفي.

أقول لكم إنتبهوا إلى المؤامرة، والله عز وجل أراد بكم الخير إن شاء الله، أنا فرح جداً بكل واحد منكم، وأنا عندي الواحد يساوي جبهة ليس فيها متعلم، والمتعلم في جبهة إنما هو كالملح للطعام، الخبز إذا لم يكن فيه ملح هل له طعم، الرز، اللحم، إذا لم يكن ملح فلا طعم له، فأنتم ملح الجبهات.

يا علماء الدين يا ملـــح البلــــد ... مـــا يصلح الملح إذا الملـــح فســـد

فأنتم ملح، وأنتم تدخلون إلى أفغانستان، وأنتم تحيون الجبهات، يعني هذا المعهد كم نجمع له من هنا ومن هنا؟ وننشر (الجهاد) حتى يأتينا من هنا دولار ومن هنا درهم ومن هنا روبية... إلخ حتى نعلمكم ونؤمنكم هنا، نؤمن لكم السكن والطعام والكتاب وكل شيء، ونأتي لكم بالأساتذة من خريجي الجامعات من أجل أن يدرسوكم دينكم، حتى تعودوا تدرسوا دينكم إلى قومكم وقومكم فيهم خير كثير، عندهم أصالة وعندهم شجاعة وعندهم مروءة وعندهم حياء وعندهم كرم وعندهم غيرة، فقط الذي ينقصهم لأنهم أميون، فعلموهم دينهم، ولعل الله عز وجل يصنع بهذا الشعب الأعاجيب في الأرض، ولعل أفغانستان تكون بداية تغيير الكرة الأرضية، والأطلس الجغرافي في العالم كله.

(وما ذلك على الله بعزيز) (إبراهيم: ٢٠)

(ولتعلمن نبأه بعد حين) (ص: ٨٨)

(ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبا) (الأسرى: ٥١)

وصية للطلاب:

أوصيكم وأنتم تدخلون إلى أفغانستان بتقوى الله والإخلاص، الإخلاص، حب الله، أن تنظر إلى الله في كل عمل وفي كل قول، وفي كل كلمة، الله الله، ولا تنظر إلى الناس، ولا ترضي الناس **{من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرض الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس}** فأرض الله ولا ترض الناس، إياك أن ترضي الناس وتسخط الله، وإذا أغضبت ربك فإنه يغضب عليك، ويغضب عليك عبيده.

وعليكم بالقرآن، إقرأوا كل يوم جزءً حتى تختموا في كل شهر مرة، واقرأوا حديث رسول الله ﷺ، وليكن عندك كتاب رياض الصالحين على الأقل، وليكن عندك كتاب تفسير مثل تفسير الجلالين تقرأ تفسيره، أو أي كتاب تفسير بسيط تفسير الجلالين التفسير الواضح تفسير كابلي، المهم كتاب تفسير واضح صغير.

واقرأوا الأذكار، أذكار الصباح والمساء واحفظوها، واحفظوا المأثورات، أحاديث الطعام والشراب والمنام والقيام، وأحاديث الزواج والسهر، وأحاديث الأرق، وأحاديث رؤية الهلال إلى آخره، والمطر، والرعد والبرق إحفظوها كلها غيباً.

واقرأوا سيرة رسول الله ﷺ وتمعنوا فيها وتدبروها، واقرأوا سيرة أصحابه ﷺ وعليكم بكتاب (حياة الصحابة) لمحمد يوسف الكاندهلوي، واقرأوا العقيدة، وعليكم بكتاب العقيدة الطحاوية، أو الكتاب الذي درستموه هنا الإيمان أركانه ونواقضه للدكتور محمد نعيم، كتب الشيخ يونس خالص كتاباً في العقيدة، شرح العقيدة الطحاوية أرجو الله عز وجل أن يعيننا فنترجمه إلى الفارسية والبشتو وتنشره في أفغانستان، وعليكم كذلك بقراءة التاريخ الإسلامي، كتاب في التاريخ الإسلامي يكون موثوقاً، والفقه، إقرأوا كتاب فقه، أي كتاب من كتب الفقه الحنفي، مثلاً الهداية، الإختيار، إقرأوا الإختيار من أوله حتى آخره، ونحن لا نوصيكم بترك المذهب الحنفي، بل نقول لكم تمسكوا في مذهبكم حتى يرضى عنكم قومكم وحتى لا تثيروا ضغائنهم، لكن علموهم أن هنالك مذاهب أخرى تخالف هذا المذهب، والمذاهب الأربعة كلها محترمة من قبل الأمة، وعليكم بحفظ اللسان، والصحبة الطيبة والبعد عن المحارم، وحفظ الفم والفرج **(من يكفل لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة)** وإياكم والقرب من النساء المحرمات، من النظر والمصافحة وغير ذلك، ولا تقل هذه ابنة عمي وهذه من قبيلتي، كله محرم عليك أن تنظر أو تقترب أو تجلس أو تعايش أو غير ذلك، ما لم يكن بينك وبينها حرمة مؤبدة بسبب النسب أو المصاهرة أو الرضاعة، أو بينك وبينها صلة محللة بالزواج، وأكثروا من الذكر، ولا يزال لسانك رطباً بذكر الله، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين، وفقكم الله إلى كل خير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

انتهى الجزء السادس عشر

أضواء على القضية الأفغانية "١"

[1] إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد: -

إقليمية جديدة على الإسلام:

فيا من أكرمكم الله بالإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

منذ أن رأى الغرب أن دين الله عز وجل يتقدم، ورايته مرتفعة، وجنده منتشرون في أرجاء أوروبا، وعماله يجوبونها شرقاً وغرباً يجمعون الجزية من (لينين غراد) حتى ڤينا والصرب والمجر واليونان وإيطاليا وصقليه ، ثارت في أنفسهم أحقاد على حملة هذا الدين، وأجلبوا بخيلهم ورجلهم ليشتتوا جمعه، ويفرقوا شمله، ويبددوا أهل هذا الدين حيثما وجدوهم، فكان لابد من الإطاحة بالمنارة التي تجمع المسلمين، وبالحصن الحصين الذي يؤوي جموعهم، وهي الخلافة الراشدة أو الخلافة الإسلامية التي يقيم حكامها في اسلامبول، ولذلك تكالب العالم كله على إسقاط هذا الصرح الشامخ وتداعت المعاول من كل مكان حتى يفلوا هذا الحصن المجيد ثلاثة قرون متتالية والعمل في أوروبا متواصل لإسقاط هذه القلعة الصامدة في وجه الكنيسة الغربية والشرقية، حتى نجحوا سنة (١٩٢٤م) في إسقاط الخلافة الإسلامية، وتفرق المسلمون شذر مذر لا يلوون على شيء ولا يجمعهم جامع في الأرض كلها، وأشغل أعداء الله عز وجل المسلمين بأنفسهم، ومزقوا الأراضي، كل قطعة من الأرض سموها إسماً جديداً وربطوا الناس بهذه الأرض، وأنسوهم رباطهم بخالق السموات والأرض، فأصبحت أنظار الناس لا تتعدى رأس جبل ولا نهاية وادي، يحصرون أنفسهم بين شعبين في قطعة صغيرة تسمى كذا وكذا وكذا باسم البلدان التي سموها، التي سمتها لنا بريطانيا وفرنسا حسب معاهدة (سايكس بيكو).

كانت منطقة بلاد الشام كلها ولاية واحدة، إسمها ولاية بيروت ، يحكمها والٍ واحد من قبل الخليفة الذي يقيم في القسطنطينية وما يعرف الناس أن إسم سوريا كان يطلق على هذه البقعة الآن التي تحصر ما بين لبنان وفلسطين، إنما كانت سوريا عندما تطلق إنما تعني كل بلاد الشام من سوريا والأردن وفلسطين ولبنان وغير ذلك.

ويوماً بعد يوم إرتبط الناس بأحجار وبتراب ونسوا أنهم موجودون في هذه الأرض لعبادة رب السموات والأرض وأنهم منوط بهم الخلافة..

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) (الذاريات: ٥٦-٥٧)

فأنا كعبد، مطلوب مني أن أعبد الله وأن أؤدي شعائره وأن ألبي ندائه وأن أطبق فرائضه حيثما كنت، فإذا لم أستطع أن أعبد الله في هذه الأرض، أتركها إلى بقعة أخرى حتى يتسنى لي من القوة التي تمكنني من تخليص هذه الأرض ، مما ران عليها من أثقال ثم أعبد الله وأجعل الناس الذين يسكنون هذه البقعة التي تركتها يعبدون الله كما أمر:

(ياعبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون، كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها نعم أجر العاملين، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) (العنكبوت: ٥٦-٥٩)

ولا يشك شاك، ولايرتاب أحد، ولا يجادلك إنسان ، أن أفضل بقعة في الكرة الأرضية هي البقعة التي تحوي الكعبة المشرفة والبيت الحرام، حتى إذا ضاقت هذه البقعة بالدعوة الإسلامية وأجدبت من أن تنبت نباتات جديدة، وأن تخرج زهرات تعبق بشذاها أرجاء مكة، إذاً ليترك البيت الحرام ولتُترك مكة، ومن هو التارك؟ رسول الله ﷺ سيد البشرية، وهو يعبر عن الأمة إذ يودع مكة يقول (والله إنك لأحب أرض الله إلى الله، وأحب أرض الله إلي، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت) وهي م... لماذا؟ لماذا يؤمر رسول الله ﷺ في الهجرة، لأنه لم يستطع أن يعبد الله عز وجل كما أمر، لماذا يأمر أصحابه أن يتركوا مكة ويهاجروا

---

(١) محاضرة ألقيت في الكويت قبل استشهاد الشيخ بشهر تقريباً عام ١٩٨٩م.

إلى الحبشة، ويبقون في الحبشة عند ملك نصراني بعيداً عن أرض الله الحرام، عن بيت الله العتيق ، بعيداً عن الأرض التي ما كانوا يطيقون فراقها حتى في الحج، في الحج ما كان أهل مكة يخرجون من أرض الحرم إلى عرفة، لأن عرفة في الحل، ومزدلفة آخر المزدلفة في الحرم، فما كانوا يتعدون حدود مزدلفة لأنهم كانوا يتحرجون أن يتركوا أرض الحرم إلى أرض الحل، ولو كان ذلك الوقوف بعرفة.

ثم بعد ذلك تجمع المهاجرون من الحبشة ومن المدينة المنورة ثم كونوا جيشاً واحداً ودخلوا مكة، وأخذ رسول الله ﷺ يحطم بيديه الشريفتين الأصنام وهو يردد:

(وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) (الإسراء: ٨١)

والناس، إذ يستمعون إلينا، كل واحد منهم يعاني في أعماقه مشاكل بسبب الأرض التي نبت فيها أو القرية التي كانت مسقط رأسه، فهذه جراحات لبنان وتلك آلام فلسطين وهذا ابن الفلبين وذاك ابن بنجلاديش وهذا ابن مصر وذاك ابن ليبيا وما إلى ذلك، كل واحد منهم إنما ينزو في أعماقه جرح عميق، ويجب أن يتكلم الخطيب عن جرحه حتى يدهده آلامه ويواسي أحزانه، وكل ذلك بسبب أن أعداء الله عز وجل خدروا الجسم الإسلامي وأخذوا يقطعونه -جسم الأمة المسلمة- قطعة قطعة، ولا يحس أحد بما يجري في بتر الجزء الآخر، وما الفرق عند الله عز وجل بين مصر ولبنان وفلسطين وأفغانستان والفلبين، الأرض أرض الله، والعباد عباد الله، ويجب أن تخلص الأرض لعبادة الله، فإذا لم أستطع أن أعبد الله في هذه الأرض، أنتقل إلى هذه الأرض أعبده ، حتى إذا استطعت أن أعبده في القطعة التي ولدت فيها رجعت إليها لأن هناك حنيناً خاصاً يعزف على أوتار قلبي أن أسكن فيها وآوي إليها.

ماذا أعددت ؟!:

والناس يريدون منا أن نتكلم عن فلسطين ويعيبون علينا لأننا أبناء فلسطين، فكيف أنت تعيش في أفغانستان وتجاهد في أفغانستان وأرض أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، أرض الإسراء والمعراج رهن القيود، أسيرة أحط خلق الله في الدنيا فنقول لهم : ليست الثكلى كالمستأجرة، فأنا إبن فلسطين والجراح التي في أعماق أبناء فلسطين في الكويت هي في أعماقي، ولكن الفرق بيني وبينهم أني جاهدت في فلسطين، حتى إذا سحق العمل الجهادي في أرض الأردن سنة (١٩٧٠م) وأغلقت الحدود ووضعت في الأيادي القيود، ما قبلت أن أجلس في أرض... لأن القلب استعذب الحياة في الجهاد، ولا يطيق قلب قد تذوق حلاوة الجهاد أن يعيش بلا جلاد وبلا اجتهاد، فبحثت في الأرض عن قطعة أخرى أواصل فيها هذه العبادة حتى تبقى جذوة الجهاد مشتعلة في أعماقي، وأعد نفسي وتبقى روحي متعلقة بهذه الفريضة الربانية، فإذا فتح الله علي وفتح لنا ثغر رجعنا إلى فلسطين، وكنا قد أعددنا أنفسنا قبل الذين ينوحون على فلسطين من بعيد، ولا يقدمون لها شيئاً سوى الكلام الذي لا يختلف عن كلام الإذاعات العربية والصحف المحلية.

ماذا يقدم الذين يشتاقون لفلسطين ويحنون لها ويعيبون علينا أن نتكلم عن أفغانستان أكثر منا؟، إذا كان اليهود وقد أرادوا أن يحتلوا فلسطين ويكونوا لهم دولة، قد مكث بعضهم خمسين عاماً وهو يدرب نفسه على السلاح وتكوين العصابات، هؤلاء إبن غورين، بيغن، دايان، شامير، هؤلاء كلهم قد نشأوا في عصابات مسلحة وهم أبناء العشرين، وذهبوا وطوفوا في الأرض، واشتركوا في الحرب العالمية الثانية، شكلوا فيلقاً اشترك بجانب الحلفاء ضد ألمانيا، حتى يأخذوا الدراية والحنكة ثم عادوا واستعملوا هذه الأساليب في فلسطين وطردوا أهلها، وغرسوا أقدامهم فيها.

نحن في أعماقنا جرح فلسطين، والشجي يبعث الشجي، لكن إن كان البعض ينظر إلى فلسطين نظرة برتقال يافا، وزيتون نابلس، فنحن ننظر أن الجهاد في فلسطين جزء من ديننا، جزء من عبادتنا لربنا، طريق إلى الجنة، القضية في نظرنا ليست قضية سياسية، ليست قضية إقليم، فحبة برتقال يافا آكلها وأنا في الكويت، وزيتون نابلس آكله وأنا في السعودية، لكن أداء العبادة، عبادة الجهاد وفريضة القتال هذه لا يمكن أن تؤدى إلا فوق أرض بيت المقدس.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: ويحك، ماذا أعددت لها؟ فالذين يقولون فلسطين ماذا أعدوا لفلسطين؟ أيام تمر علينا، ويرين على قلوبنا الركام ونتزوج ويزداد الأولاد ويزداد تعلقنا بالأرض، ويثقل الحمل، ثم يوماً بعد يوم نجد أنفسنا مقعدين لا نستطيع حراكاً ولا نقدم لأنفسنا ولا لديننا ولا لربنا شيئاً.

والذين ينظرون أن قضية أفغانستان أضرّت بفلسطين هؤلاء واهمون، هؤلاء لا يدركون كيف تنجح الدعوات وكيف تنتصر الأمم، إذا أجدبت مكة فلننتقل إلى المدينة، ونعد أنفسنا في المدينة ولنجاهد يوماً بعد يوم من بدر إلى أحد، إلى الخندق، إلى خيبر، ما بال

رسول الله ﷺ يذهب إلى خيبر ويترك مكة، يذهب إلى الشمال ويترك الجنوب، مسقط رأسه البيت الحرام، الأرض التي فيها الركعة بمائة ألف، يطوف في الأرض هنا وهنا، من غزوة إلى غزوة، ومن سرية إلى سرية وهو يدع البيت العتيق، إنما هو إعداد والله عز وجل **(لا يكلف نفساً إلا وسعها)**، ونحن مطلوب منا فرائض لا أن نعيش في أحلام ولا أن نحلق في أوهام ولا أن نطير مع رؤى مجنحة في الفضاء، يجب أن نسير على الأرض، بخطانا البشرية بواقعنا البشري من إعداد إلى هجرة إلى رباط إلى جهاد، ثم بعد ذلك إذا علم الله منا صدقاً **(إذا جاء نصر الله والفتح، ودخل الناس في دين الله أفواجا)**، لا يمكن أن ترجع فلسطين بالكلام، ولو راجعنا ما كتبته الصحف العربية وما قالته الإذاعات العربية من (١٩٤٨م) إلى الآن، لضاقت الأسفار الضخمة بما ناحوا به على فلسطين وبما رثوا به أهل فلسطين، لكن هل استطاعوا أن يرجعوا شبراً من الأرض؟!

ولا يبني الممالك كالضحايـا	*ولا يدني الحقوق ولا يحــق*
فللقتلى لأجيال حيـــــاة	*وللأسرى فدىً لهم وعتــق*
وللحرية الحمراء بـــــاب	بكل يد مضرجة تــــدق

إن دين الله لا يمكن أن ينصر بالكلام، وإن الأراضي الإسلامية لا تحمى كذلك بالرثاء وبالندب وبالشعر وغير ذلك، لا بد من فرائض، فرائض نطبقها على أنفسنا، فريضة الإعداد..

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل...) (الأنفال: ٦٠)

(ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي) فإذا سألك ربك يوم القيامة ماذا أعددت لفلسطين من القوة يا ابن فلسطين؟ أين الهجرة في سبيلي؟ أين الرباط؟ و **(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)**، و**(لأن أحرس ليلةً في سبيل الله أحب إلي من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود)**، أين القتال؟ كم معركة شهدت في حياتك، كانوا إذا كتبوا عن الصحابة أو التابعين أو غيرهم، ماذا يكتبون؟ أول ما يكتبون شهد الغزوات كلها،، كانوا يعيبون على الإنسان أنه يغيب عن غزوة، وعندما يكتبون عن خيارنا الآن، ماذا يُكتب عن علمائنا؟ عن دعاتنا؟ عن مصلحينا؟ عن خيارنا؟ عندما يموت، قضى حياته بالبر والإحسان، وأقام المسجد الفلاني، فعندما تخلوا صفحة الإنسان من فريضة من الفرائض، فريضة القتال التي إفترضها رب العزة من فوق سبع سماوات، كما قال بشير إبن الخصاصية: يا رسول الله أنا أبايعك على كل شيء ، الصلاة والصيام والحج وغير ذلك، لكن اثنتان الصدقة والجهاد لا أستطيعهما فقبض يده رسول الله ﷺ، قال: **« يا بشير لا جهاد ولا صدقة، فبم تدخل الجنة؟ »** يا بشير لا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة؟ يا بشير لا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة؟

هؤلاء الناس الذين يقاتلون في أفغانستان كيف وصلوا إلى هذا؟ تركوا بلادهم، هاجروا، أعدوا، تدربوا في داخل باكستان ثم دخلوا وبدأوا بأعداد قليلة ثم فتح الله عليهم وزادت الإنتصارات حتى وصل بهم الأمر أن يمرغوا كرامة الدب الأحمر تحت أقدامهم.

معجزة القرون ....!! من ذا الذي يمكنه أن يناقشني أن أكبر معجزة في القرون الثلاثة الماضية إنتصار الشعب الأفغاني على الإتحاد السوفياتي، أي نصر للأمة الإسلامية حصل أعظم من هذا النصر؟، أليس نصر أفغانستان نصرٌ لي كمسلم؟ ألست من هذا الجسد؟ أليس قلبي يحس بالمحبة للمسلمين حيثما كانوا؟ ويحزن لآلامهم حيثما أقاموا؟ إن كنت لا أحس بالمحبة للمسلمين في أفغانستان فلأتفقد إيماني لعله قد ترك قلبي **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)** .

والآن دعونا ننظر نأخذ (١٥٠) شاباً فلسطينياً من الكويت و(١٥٠) شاباً فلسطينياً وصلوا إلى أفغانستان، أيهم أحب لفلسطين ذاك أم هذا؟ من الذي يعتبر الآن ذخراً لفلسطين وكنزاً لها؟؟ إن أول ما يمر بخواطر الشاب الفلسطيني وهو يتسلق جبال الهندوكوش يرى هزيمة الجيش الأحمر أمام جند الله، أول ما يمر في ذهنه من خواطر وما يدور بخلده من آمال كيف أنقل هذه الصورة المشرقة المشرقة إلى أرض فلسطين، فوق جبل المكبر وفوق أرض الخليل وفي أرض بيت المقدس؟ نحن لا نريد أن نفخر، لكن الشباب الذي حولي من أبناء فلسطين كلهم يواجهونني، متى يمكننا أن نصل أرض بيت المقدس ونشعل هذه المعركة كما أشعلناها هنا في هذه الأرض؟! أيهم يستطيع أن يواجه اليهود أكثر؛ الشباب الذين عاشوا هنا وهم يحبون فلسطين ولا يتكلمون إلا بإسمها، أم أولئك الصامتون الذين لا يتكلمون كلمة ولكنهم يحيون ليلهم قياماً ونهارهم أسوداً بل أشجع من الأسود؟! كم من الشباب عادوا إلى بلادهم إلى الأردن ممن تدربوا هناك ثم أمسكت بهم دوائر الأمن، ومنعتهم من العودة ولكن الجهاد يحرق قلوبهم، ويؤرق أجفانهم ويقض عليهم منامهم، وقد تذوقوا حلاوته فلم يجد أحدهم بداً ولو أن يقاتل وحده فيخترق الحدود ويقوم بعملية فريداً

أسد دم الأسد الهزبر خضابه	موت فريص الموت منه ترعـد
ومن طلب العلى من غير جـد	أضاع العمر في طلب المحال

نواميس.. قوانين.. أنت تريد أن تكون استاذاً في الجامعة دون أن تمر في المرحلة الإبتدائية والإعدادية والثانوية وتدخل الجامعة ودون أن تأخذ شهادة، إبدأ أعد يا أخي، أدّ الفرائض التي عليك، الجهاد والقتال، الجهاد عندما نعني به باتفاق الأمة هو القتال بالسلاح، قال إبن رشد وإذا أطلقت كلمة الجهاد فإنما تعني قتال الكفار بالسيف -يعني بالسلاح- حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

هذا نجيب الله مدير الإستخبارات الشيوعية في حكومة تراقي وبابرك كارمل وحفيظ الله أمين، هذا كان يقول لا تقل لي نجيب الله أنا نجيب، في أيام تراقي وحفيظ الله أمين ما كان أحد يستطيع أن يصوم في دائرته من أهل كابل، ما كان أحد يصلي إلا سراً، الآن وتحت مطارق ضربات المجاهدين ماذا حصل؟ الآن نجيب، الأمين العام للحزب الشيوعي، رئيس اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي، مدير الإستخبارات الشيوعي، يقول: لا تقل لي نجيب، أنا نجيب الله!! يخرج قراراً -رئيس الحزب الشيوعي- من تخلف عن الصلاة ثلاثة أيام يفصل من الوظيفة!! نعم... ضربات المجاهدين على رأسه!! الآن هنالك مطوعون من الشيوعيين إذا أذن المؤذن يسوقون الناس بالعصى إلى المسجد، ما الذي أذل هذا الرجل؟ يرسل رسائل للقادة الصغار، لبعض القادة الصغار والكبار، للشيخ جلال الدين، يا شيخ جلال الدين والله أنا لست شيوعياً، أنا مسلم لكن لا أستطيع أن أعمل مع اللجنة التنفيذية الشيوعية شيئاً خففوا قتالكم علينا ،أنا فقط وواحد آخر من اللجنة التنفيذية لسنا شيوعيين نحن مسلمين مثلكم!!. فرد عليه جلال الدين حقاني:

(لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) (الصف: ٢-٣)

يا أيها الإخوة:

إنّ إنتصار الجهاد في أفغانستان هو نصر لقضية المسلمين في كل مكان، وكل إنسان عاش في أفغانستان لا يمكن أن يطيق المنام فوق الفراش دون جهاد ودون قتال، فبيت المقدس، في أعماقنا وجراحه تجري سعيراً في دمائنا، لكن لنفرض أن المسجد الذي بجانب بيتك قد أغلق لسبب من الأسباب ،هل تسقط عنك صلاة الجمعة ؟! ألا يجب عليك أن تبحث عن مسجد آخر بعيداً عن بيتك فتصلي فيه الجمعة حتى إذا عمر المسجد الذي بجانبك رجعت وصليت الجمعة فيه إن شئت.

ونحن الآن ما هي مشكلتنا؟ مشكلتنا أنه ليس هنالك داراً للإسلام تأوي المسلمين في الأرض، ليس هنالك دار يأوي إليها أولئك المشردون والدعاة، ليس هنالك دار تنطق باسم المسلمين في الأرض، ليس هنالك دار تعتبر منطلقاً وقاعدة صلبة للمسلمين إلى كل مكان ، يبلغون دينهم ويحمونه بالسنان وباللسان، نحن نبحث عن هذه الدار التي تأوي هؤلاء الأيتام، ونظن أن أفغانستان الآن أقرب أرض يمكن أن تكون داراً تأوي هؤلاء المشردين في الأرض.

رعب عالمي:

يا إخوان: لو رأيتم التكالب العالمي وأدركتموه على هذا الشعب المسلم لعرفتم قيمة الجهاد وقيمة هذا الشعب، الآن بعد أن هزم الروس، هزموا هزيمة نكراء، وكما قلت بالأمس في خطبة الجمعة ،أدرك الغرب أنه أخطأ كثيراً إذ سمح للجهاد بهذه الفرص التي أتاحها الله له، كيف سمح لضياء الحق أن يفتح ذراعيه ويحتضن هذا الجهاد؟ كيف سمح لثلاثة آلاف كيلوا متراً أن تبقى مفتوحة أمام المجاهدين بضعة عشر عاماً حتى وصل الجهاد إلى ما وصل إليه.

أحد اليهود الأمريكان يكتب تقريراً سياسياً، هذا أحد التقريرات للأمريكان إسمه شختزمان (What We have done?)(ما الذي فعلناها) (We have awaken the Gaient) (نحن أيقظنا العملاق).

لو علمتم أن الجامعات الأمريكية الآن هنالك أقسام متخصصة لدراسة قضية أفغانستان، أكاديميات للبحث العلمي وظيفتها تتبع القضية يوماً ،لماذا؟ بدأوا يحسون أن القضية الأفغانية أصبحت عالمية، هزت الكرة الأرضية بأسرها.

أحد الأمريكان الكبار كتب كتاباً أنزله في السوق، قال لن ينتهي الجهاد الأفغاني عند حدود نهر جيحون، سيسقط الإتحاد السوفياتي، إن الجهاد الأفغاني مسمار في نعش الإتحاد السوفياتي، ستتحرك الولايات الإسلامية التي ترزح تحت نير الإستعمار السوفياتي منذ سبعين عاماً، وسيتقوض الإتحاد السوفياتي ثم ينطلق المسلمون إلى أوروبا، سيخترقون الرون ويخترقون جبال الألب، وتعود مرة أخرى النمسا وفرنسا وإيطاليا وغيرها تدفع الجزية لهم. ياأيها الأمريكان: إنتبهوا قبل فوات الأوان، قبل أن تدفعوا الجزية للمسلمين،هذا يوزع في الأسواق الأمريكية!!.

لو تعلمون هلع اليهود وجزعهم من تجمع هذا الشباب المسلم العربي في أفغانستان، والله يرتجفون إرتجافاً، يرتجفون!! بكل طريقة حاولوا أن يوقفوا هذا الطوفان.

الأمريكان عندما بدأوا يُحذِّرون ،أرسلوا رسلهم، أرسلوا نيكسون الرئيس الأمريكي السابق، وجاء ودخل مخيم ناصر باغ وبدأ يسلم على المهاجرين، مد يده إلى رجل بلغ من العمر عتياً، مد يده، فقبض ذاك الأفغاني يده، قالوا هذا الرئيس الأمريكي السابق نيكسون، قال أنا أعرف ولكني لا أصافح كافراً!! واحد آخر احدودب ظهره ولحب جنباه، يتقدم إليه يقول: لماذا أعطيتم فلسطين لليهود؟!! ذاك -نيكسون- أصاب رأسه الدوار، هذا الشعب الذي زلزلته الدواهي ولسان حاله يقول:

رماني الدهر بالأرزاء حتـــى	*فؤادي في غشاء من نبـــال*
فصرت إذا أصابتني سهـــام	*تكسرت النصال على النصال*
فهان وما أبالي بالرزايـــا	*لأني ما انتفعت بأن أبالـــي*

ما أنسته الدواهي هذه والبلايا والرزايا، مصائبه ما أنسته، يسألني عن فلسطين؟!، وجد شعباً بكامله تحركه كلمة الله أكبر، رجع على التلفزيون الأمريكي وعقد مؤتمراً صحفياً سأله الصحفي الأول ماذا أعددتم للمشكلة الفلانية (What's the problem) (It's easy) الثانية، (It's easy)

ما هي المشكلة، قال: (The problem is Islam!) يجب على أمريكا أن تتناسى خلافاتها مع الإتحاد السوفياتي حتى يتفقا جميعاً لإيقاف الزحف الإسلامي.

كارتر بنفسه أرسلته أمريكا مرة كذلك، وجاء ووصل إلى بيشاور، قال: أريد أن أقف على الحدود الأفغانية، أخذوه بطائرة الهيلوكوبتر على "لندي كوتل" قرب الحدود، قال: أريد أن أصل إلى الحدود، ومشى داخل حدود أفغانستان ورأى بأم عينه، فرجع مذعوراً هلعاً، وكارتر مبشرٌ نصرانيٌ الآن في الحبشة يتولى عملية الهجوم والحرب في جنوب السودان، كارتر يتولى ذلك بنفسه.

يا أيها الإخوة:

كل أعداء الله يرموننا عن قوس واحده كل الأرض الآن ترمي أفغانستان، لماذا؟ لأنها قضية إسلامية ويُخشى أن تتكرر هذه التجربة في واقع الأرض، اليهود يخططون كيف ينهون وجود الشباب العربي في داخل أفغانستان، طائرة بوينغ في كراتشي دمرها لا أدري اليهود أو حقيقة دمرت من قبل الشباب ودُمرت في كراتشي، اليهود يريدون أن يلقوا التبعة عليّ، قالوا الذي فجرها عبد الله عزام.

حتى قيل لهم: الناس لا يصدقونكم، لأن هذا فعل يساريين، أما هذا مسلم لا يمكن أن يضع في عنقه قتل عشرين مسلم من أجل خبر في جريدة من الجرائد على اختطاف طائرة، وسبق صحفي وغير ذلك.

معاهدة جنيف اشترط اليهود أن تغلق معسكرات التدريب في باكستان حتى يبعد الشباب العرب من أرض باكستان، أعطى الأوامر -طبعاً بواسطة الأمريكان- لكل السفارات الباكستانية في الأرض ألا تعطوا تأشيرات للذين يذهبون إلى باكستان من الشباب المسلم، كنا قبل أربع سنوات ندخل باكستان بدون تأشيره، في المطار كل واحد مهما كان دينه وجنسه وأرضه يأخذ تأشيرة إسمها تأشيرة سائح لمدة شهر في أي مطار من مطارات باكستان، الآن صار الدخول إلى باكستان أصعب من الدخول إلى الدول البترولية لماذا؟ ألقوا أوامر لكل شركات الطيران في العالم، ممنوع أن تقل أي طائرة شاباً إلى باكستان إلا إذا كان يحمل التأشيرة الباكستانية ولو رأيت الموظفة الألمانية أوالموظفة الأمريكية وهي تبحث بجد في صفحات الجوازات لتتأكد من وجود التأشيرة الباكستانية، لماذا؟ شاب في مطار فرانكفورت مكث حوالي سنتين يحاول أن يأتي، ثم غامر وجاء إلى المطار وإذا بالبنت المسؤولة في (الكاونتر) تبحث، قالت تأشيرة باكستان؟ أنت ممنوع أن تصعد على سلم الطائرة، وإذا بالشاب لفرط حماسة وتعلقه بالجهاد يغمى عليه في داخل المطار!.

هذه معاهدة جنيف لسرقة ثمار الجهاد الأفغاني، ولإيقاف الجهاد، من الذي رتبها؟ يهودي إسمه (ارنولد همر) من أكبر تجار القمح والزيت في العالم، صديق ستالين وهو يحمل الجنسية الأمريكية، وجعل برنامج خروج الروس ذكرى قيام دولة إسرائيل ١٥/٥ كل واحد من أبناء فلسطين يعلم التشديدات على الشاب الذي يحمل تأشيرة باكستان في جوازه إذا وصل الجسر بين الضفة الشرقية والضفة الغربية، يعلمون، لأن اليهود يعلمون خطر هؤلاء أكثر منا، يدركون أن هؤلاء هم الخطر الماحق هُم الرعب المحقق لأن نفوسهم تشربت بالجهاد.

والحمد لله، الحمد لله أن الأقدار بيد الواحد القهار وليست بيد البشر.

(واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم، ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم، وكرّه إليم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون) (الحجرات: ٧)

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) (التوبة: ١٢٨-١٢٩)

(قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق) (الإسراء: ١٠٠)

الحمد لله أن النصر من الله وإلا لو كان بأيدي الكثيرين من الناس لأمسكوه عن الأفغان.

الحمد لله أن الرزق من الله. وإلا لو استطاع أحد أن يحبس الشمس عن هؤلاء الذين تتفاخر بهم الشمس وتعتز بهم الأرض والسماء، لو أستطاعوا أن يحبسوا عنهم كل خير، ويظنون أن قضية أفغانستان هي ضرة لقضية فلسطين. هي والله إحياء لقضية فلسطين.

تجربة ثمينة :

هذه التجربة التي أخذناها في أفغانستان كم تكلف لو دفعنا عليها نقوداً؟، حاجز الخوف هذا الذي انكسر في داخل أفغانستان من قلوب الذين خاضوا المعارك ،أين يمكن أن يكسر هذا الحاجز دون أرض القتال ومكر الرجال وميدان النزال؟ شباب..!! الذين اشتركوا في داخل أفغانستان بعض الناس، بعض الطيبين ينقلون أن بعض الدوائر الأمنية خائفة من هؤلاء الشباب الذين يذهبون إلى أفغانستان. فأقول لهم: لو علم أولئك قيمة هؤلاء الشباب لقطعة الأرض التي جاءوا منها لوضعوهم فوق رؤوسهم، هؤلاء ذخر لبلادهم، هؤلاء عملة صعبة، مدخر، كنز للبلد التي يأتوا منها، شباب يتسابقون على الموت.

الروس، الإذاعة الشيوعية، الصحف الغربية تعلق ليل نهار على هؤلاء الشباب، خائفين..!! إذاعة الـ (بي بي سي)، صوت أمريكا، واشنطن بوست، هيلردتريبيون، تحذر من خطر هؤلاء الشباب العرب الموجودين في أفغانستان، لماذا؟ خائفين أن ينقلوا الجهاد إلى قطع أخرى غير أفغانستان، أفغانستان فلتت من أيديهم، يخشون أن تشتعل النار بمصالحهم في الشرق والغرب، نحن نربي الشباب العرب وندربهم في معسكرات التدريب ثم بعد ذلك نوزعهم مع قوافل الجهاد، ندخلهم في داخل أفغانستان، فعندما يدخلون داخل أفغانستان، يدخلون المعارك، الأفغان أولاً ترتفع معنوياتهم بهؤلاء الشباب، بعض الأفغان يمشون أياماً فوق الثلوج، على الثلج!! عمره ثمانون عاماً يتكيء على العصا، ويمسك بيده الأخرى إبنه الصغير ،أربع أيام على الثلوج حتى يرى العربي الذي يقرأ عنه في التاريخ، حتى يضع العربي يده على رأس إبنه من أجل البركة والخير، يحتضنون هؤلاء العرب، يبكون، أهلاً بأحفاد رسول الله ﷺ، وعندما يرونهم يتسابقون على الموت أمامهم يكبرون في أعينهم.

نماذج على الطريق :

شاب فلسطيني إسمه هشام بن هاني منصور قرر الروس اقتحام البقعة التي كان فيها العرب ، جاءوا بثلاثة فرق، جاءوا بفرقة جارديز وفرقة غزني وفرقة كابل، خمس كتائب روسية خاصة. إثنتان من الصاعقة (اسبتناز) أي الإقتحام السريع من أجل أن يزيلوا هؤلاء العرب عن الوجود، يمسحوهم مسحاً، كان في البقعة -قطعة الأرض التي أسميناها مأسدة الأنصار- ثلاثون شاباً عربياً وكان في المنطقة ألف أخ من المجاهدين الأفغان، فبدأوا في قاعدة العرب مأسدة الأنصار، حدث الاقتحام الأول، الطائرات تضرب، معهم (٢٦) راجمة صواريخ بعض الراجمات ترمي (٤١) صاروخ دفعة واحدة على الزر، يضغط على الزر، يسموها (BM41) ترمي (٤١) صاروخ دفعة واحدة، بعضها يرمي (٦١) صاروخاً دفعة واحدة، دبابات، طائرات، القذيفة تنزل، لقد رأيت النبع خارج من الأرض إثر قذيفة من القذائف، مدفعية الميدان.

يا إخوان: الأرض كانت تتزلزل تحت أقدامنا، تتزلزل !! الطائرات تقصف، مدفعية الميدان تضرب، راجمات الصواريخ تضرب، الهاون، ثم بعد ذلك يتقدم، تتقدم فرقة الكمندوز في هذا الجو المدلهم ثلاثين شابا عربياً!! الشيخ تميم العدناني رحمه الله يجلس تحت شجرة هو وزنه ثقيل حوالي (١٤٠-١٥٠) كغم، طلب من الأخ أسامة بن لادن أن يتقدم في الصف الأول، قال: لا أنت ثقيل تبقى

في غرفة اللاسلكي ،السماء تمطر حمماً والأرض تفجر براكيناً، جلس الشيخ تميم العدناني تحت شجرة من الأشجار (كزودينه) في هذا الجو المدلهم وفتح القرآن وبدأ يقرأ في ثلاثين رمضان سنة (١٤٠٧هـ)، ختم الجزء الأول، والرصاص كوابل من المطر، الشجرة تتحطم بأغصانها فوق رأسه، أوراق الشجرة تتنازل، لحاؤها يتناثر، وهو جالس على سرير خشبي تحت شجرة وهو يدعو: اللهم شهادة في آخر يوم من رمضان، وختم الجزء الأول والجزء الثاني والجزء الثالث والجزء الرابع والجزء الخامس، ولا يستطيع أحد أن يكمل جملة تامة مع أخيه، إذا قال له يا أخي أين قذائف الهاون؟ يا أخي ، تنزل عليهم القذيفة تقطع عليهم الجملة التامة، وبعد إنتهاء القذيفة يقول له أين؟ القذيفة تقطع كلامه قذائف الهاون وهكذا، بعد أن انتهت خمسة أجزاء كلما مر بآية من ذكر الجنة أعادها مرة، إثنتين وثلاثة حتى تأتي الرصاصة مع ذكر الجنة، وإذا مر بآية من ذكر النار أسرع حتى لا تصيبه المنية وقت ذكر النار، وبعد الخمسة أجزاء وجد أنه لا يوجد شهادة رفع يديه وقال: يا رب لا يوجد شهادة؛ جرح على الأقل في سبيلك، جرح!! وانتهى الجزء السادس، وانتهى الجزء السابع.. أربع ساعات وهو بين فكي الموت!!!

وقفت وما في الموت شك لـــواقف كأنك في جفن الردى وهو نـــــائم

تمر بك الأبطال جرحـــى كليمـــة ووجهك وضاح وثغـــــرك باســــم

وأغارت الطائرات بعد الجزء السابع والقت القذائف وادلهم الجو وطار الغبار واختلط الدخان، خرج المسؤول عن اللاسلكي شاب سوري إسمه أبو محمودوقال: يا شيخ تميم، يا شيخ تميم، من اجل الله تدخل غرفة اللاسلكي ـ غرفة اللاسلكي تحت الأرض ـ ثم يأتي الأخ أسامة بن لادن ـ الذي ترك العطاء، عطاء توسيع الحرم المدني، ثمانية آلاف مليون ريال تركه ويعيش في خط النار الأول ـ قال: يا شيخ تميم ننسحب إلى الخط الخلفي، وأخذ الشيخ تميم يشد بلحيته ويبكي ويصيح، قال لي أسامة ظننت أنه أصيب بمس من الجن يبكي!! الشيخ تميم عمره (٤٦) عاماً يشد لحيته، يقلع لحيته كيف ننسحب ونترك مواقعنا.. نرجع للخطوط الخلفية؟!، الشيخ تميم إمام القدس، كيف لنفس تبحث عن الشهادة أن تنسى القدس وتنسى الشهادة في بيت المقدس، هذا الذي يربيه الجهاد الأفغاني في نفوسهم.

شاب كما قلت فلسطيني، هشام هاني منصور يجرح في نفس المعركة ويسقط، يقول لي أبو معاذ اليمني [١] عندما جرح هجم عليه فوجدت وجهه مغبراً بالتراب الأبيض ثم دققت النظر وإذا بوجهه قد استدار كالبدر، ليس على وجهه غبار -هو أسمر الشاب-، قال: حملناه في البتو الأفغاني

(القطيفة الأفغانية)، ثم انهالت علينا قذائف الموت، فالقيناه فجاء على هيئة السجود ثم تركناه، في اليوم الثاني رجعنا إليه لنأخذه وندفنه، وتعرفون أن الميت يتجمد ويتصلب، يصبح كالعصى، وكأنه نائم ظل على هيئة السجود، ومدوا يديه ورجليه وحملوه ولا زال دمه ينزف، وأما دمه الذي روى التراب، هذا التراب الطاهر قد أصبح -من بعد- يخرج نوراً في الليل، الناس يرون النور من المكان الذي أستشهد فيه هشام منصور.

شباب من المدينة من جدة، من المدينة المنورة، وأنتم تعرفون الترف ماذا فعل بالأمة، شاب اسمه خالد الكردي ينفجر به لغم تطير قدمه، ينفتح بطنه، تندلق أقتابه "أمعاءه"، ويجرح جروحاً بسيطة في ظهر يده، يأتي الدكتور صالح الليبي يرد أمعاءه ويلف بالبطانية فيرى هذه الحالة الخطيرة فتذرف عيناه، يقول خالد الكردي إبن المدينة: يا دكتور صالح: لماذا تبكي هي جروح بسيطة في ظهر يدي !! لا يعلم أن قدمه طارت، لا يعلم أن بطنه مفتوح، لا يعلم أن أمعاءه قد اندلقت، لا يدري بألم، فقط يحس بألم بسبب بعض الجروح البسيطة في ظهر يده، ثم يبدأ يخطب بإخوانه يثبتهم ، وهذا الجهاد ونرجو الله عز وجل أن يختم لنا بالشهادة ـ ولقي الله لا يعلم أن رجله قد طارت وأن بطنه قد فتح، وعندما توفي وخرجت روحه فاحت الرائحة الطيبة كالمسك، وهذا شهدناه من كثير من الشباب العرب الذين استشهدوا في أفغانستان.

تضحيات :

هذا الجهاد لو حدثتكم عن آثاره في الحياة، عن آثاره في نفوس الشباب الذين اشتركوا فيه، عن آثاره في الشعب الذي فتح الله بهم البشرية، عن آثاره في شعوب الأمة الإسلامية، وللأسف إن أعداء الله يدركون خطر هذا الجهاد عليهم بسبب إيقاظ الأمة الإسلامية وإنقاذها من وهدة العدم أكثر بكثير منا، "سان ديكول" المذيع والمصور التلفزيوني البريطاني، يقول لا ينام ثلث الليل

---

(١) لعله شاكر الزنداني وليس أبو معاذ كما ذكر الشيخ في مواضع أخرى من كتبه أو لعل الاثنين حدثوه

الإنجليزي حتى يعلم شيئاً جديداً عن قضية أفغانستان. لماذا؟ الخطر، الخطر من الإسلام، الذي يحمل السلاح، الخطر من الإسلام القوي ومن هنا عندما أدرك الغرب أن هذا الجهاد منتصر لا محالة، حاول أن ينقذ الدب الروسي من أن يسقط تحت أقدام المجاهدين بمعاهدة جنيف، حاولوا مع ضياء الحق كي ينفذ معاهدة جنيف، وعندما رأوا أن ضياء الحق يرفض أن ينفذ حرفاً واحداً من هذه المعاهدة سلطوا عليه رئيس وزرائه (جنيجو) وجد أن ضياء الحق رافض أن ينفذ هذه المعاهدة، قال له سأقدم بك تقريراً إلى الأمم المتحدة ولأمريكا ولروسيا أنك لا تريد تنفيذ بنود المعاهدة الدولية.

فكر طويلاً، كان (جنيجو) وعد بميدالية السلام، جائزة نوبل للسلام إذا نفذ هذه المعاهدة، ولكن ضياء كان يقف موقف المسلم بجانب هذا الجهاد طيلة السنوات الماضية الطويلة التي امتد معها عمره وواكب هذه القضية، فكر ضيا الحق- رئيس وزرائه بدأت الصحف الغربية والباكستانية تلمعه أكثر منه، جادّ في تنفيذ المعاهدة، يهدده أنه سيقدم به تقريراً لأمريكا ولروسيا- لم يجد بداً من الإطاحة بالحكومة، جمع مجلس الوزراء، مجلس الشورى، قال: لقد قررت أن أحل الحكومة وأحلّ مجلس الشورى. ثم أعلن في تلك الجلسة سأطبق الشريعة وإن كلفني ذلك عرشي ونفسي، ثانياً: سأقف بجانب الجهاد الأفغاني حتى أودع آخر مجاهد فيهم معززاً مكرماً راجعاً إلى بلاده، مسكه وزير الداخلية (أسلم ختك) قال يا ضياء: سيقتلك الأمريكان، فقال له ضياء: يا ختك: إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض، والرصاصة المكتوب عليها أنها ستقتل ضياء الحق لن تخطئه أبداً، ولذا قال لي مستشار ضياء، قال لي الرئيس ضياء الحق قبل أن يقتل بأشهر لقد وقع الأمريكان أوراق قتلي، وإنما هو زمن، جمع ضياء قادة المجاهدين وقال لهم: إن الدور الآن دور التصفية الجسدية لي ولكم، ولا أدري من السابق إلى الله، ولذلك كان في نهاية حياته - رحمه الله - حريصاً على أن يصطحب السفير الأمريكي معه حيثما حلّ وحيثما سار، لأنه يدرك بيقين أن الأمريكان سيقتلونه، ولذا حتى يقتل السفير الأمريكي معه، آخر لحظات من حياته في مطار بهاولبور يعتذر إليه السفير الأمريكي ويستأذنه أن يرجع، قبل إستشهاده ببضعة عشر دقيقة، قال له: لا... تصعد معنا الطائرة. وبعد عشرة دقائق سقطت الطائرة، وجاءت لجنة أمريكية في نفس اليوم لتبحث في القضية ولفت الملفات وطويت القضية وأعلن الأمريكان أن السبب عطلاً ليس متعمداً في داخل الطائرة، وإنما هو سبب خارجي، بينما لجنة التحقيق الباكستانية أثبتت أن السبب في سقوط الطائرة عطل متعمد في جهاز الطائرة، وقد قال بعضهم إنها مادة كيماوية لا تصنع إلا في الدول الكبرى.

كان الغرب يخشون أن يبقى ضياء الحق حياً فتحسم المعركة عسكرياً وعندها تقوم دولة إسلامية في داخل أفغانستان، وتحفظ هذا الود الجميل لضياء الحق ، فيقيم إتحاداً فدرالياً أو كنفدرالياً مع باكستان، وهم يعلمون أن في باكستان القنبلة الذرية، وهناك القنبلة الذرية البشرية الأفغانية، وعندما تصبح قوة في الأرض لا تقاوم أبداً.

لقد كانت أسباب قتل ضياء الحق ثلاثة أو أربعة:

أولها: أنه وقف وقفة إسلامية مشرفة بجانب هذا الجهاد، كان ضياء يتعامل مع القضية كمسلم وليس كسياسي، وعندما كنت أجلس إليه في بعض الندوات أو الجلسات ، كنت أدرك أن الرجل يتكلم من أعماقه كمسلم وليس كرجل سياسي.

ثانياً : إغلاق المفاعل النووي دون أن يدخله الغربيون أبداً، استماتت الأمريكان أن يصلوا إليه أو يعرفوا أين هو، ولكنه حال بينهم وبينه.

والثالث: كانوا يريدون أن يسحبوا الهند إلى جانب المعسكر الغربي ولكن الهند كانت تشترط أن تكون شرطي المنطقة في أواسط آسيا، ولكن ضياء رفض أن يطأطئ هامته أو يذل عنقه أمام الهنود، ومضى ضياء مظلوماً من أهل الأرض ولكن الله عز وجل لا ينساه في قبره ولا يوم يلقاه، وجيء بأناس ليلعبوا أدواراً جديدة في خنق هذا الجهاد، إن الذي يخشاه أعداء الله في الأرض الآن حسم المعركة عسكرياً، والمجاهدون الآن يحيطون بالمدن إحاطة السوار بالمعصم.

كابل محاصرة ضرب المجاهدون الحزام الأمني الأول، الحزام الأمني الثاني، قطعوا طريق روسيا-كابل، كابل مقطوعة عن غزني، عن قندهار، عن المدن الأخرى، لا تستطيع روسيا أن ترسل كيساً من القمح إلى كابل إلا بواسطة الطائرات، والمطار يضرب، القصر الجمهوري يضرب يومياً، وزارة الدفاع، دار الأمان، المراكز الحساسة تضرب في كابل يومياً، وذاك رئيس الجمهورية يستجدي الناس الذين حول كابل، والقادة في كل مكان، والصور عن المجاهدين أنهم يقتتلون فيما بينهم، وأنها حرب أهلية، وأن الجهاد قد انتهى وذلك من أجل ثلاثة أشياء:

أولاً: أن يحجموا قضية أفغانستان الإسلامية ويعيدوها داخل حدود أفغانستان، قضية قومية بعد أن أصبحت قضية إسلامية عالمية.

ثانياً: مسح آثار الجهاد من أعماق الأمة المسلمة حتى لا تصبح هذه تجربة فريدة تحتذى، وأسوة يُترسَّم خطاها، لا بد من حرق هذه النماذج التي ظهرت سياف، حكمتيار، رباني، مسعود، إلى آخره، هؤلاء يجب أن تحرق صورتهم وأن تشوه، ويبين الجهاد على أساس أنه تنازع، أهواء، أنه نزاع على كرسي، على أنه أطماع، أطماع محلية وانتهى الجهاد.

ثالثاً: حتى تقطع المساعدات التي تساعد هذا الجهاد، ويخنق هذا الجهاد من قبل الدول المحيطة به، تمنع عنه المساعدات من العالم الإسلامي، ويخنق من قبل الدول المحيطة به ويبتلع من قبل المؤامرات الدولية والمؤامرات العالمية، ولكن الذي رعى هذا الجهاد هذه السنوات الطويلة يرعاه إن شاء الله بقية الطريق..

(هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، ولله خزائن السماوات الأرض ولكن المنافقين لا يفقهون) (المنافقون: ٧)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ونقوم إلى صلاتنا وإن كان هنالك أسئلة بعد الصلاة فتفضلوا مشكورين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأسئلة

سؤال: فضيلة الشيخ، كيف السبيل للوصول إلى أفغانستان والإنضمام إلى المجاهدين، وما واجبنا كشباب إن لم نستطع الوصول إلى أفغانستان وما عملنا؟

الطريق إلى أفغانستان فقط الصعوبة أن تحصل على الفيزا، فإذا حصلت على الفيزا تحجز إلى إسلام أباد أو كراتشي ومن كراتشي إلى بيشاور، عندما تصل بيشاور تسأل عني، عن مكتب الخدمات يدلونك عليّ فقط تعال عندي ونحن لا نفلتك إلا في الجنة إن شاء الله.

سؤال: حكام أفغانستان يعلنون أنهم مسلمون فلماذا لا تتم المصالحة بين الثوار والحكومة بدل اقتتال المسلمين مع بعضهم بعضاً!!

حكام كابل شيوعيون كفار، ونجيب هو زعيم الحزب الشيوعي، إلا إذا كان الشيوعيون مسلمين هذا شيء آخر!!! الشيوعيون كفار باتفاق الأمة، ما أفتى عالم من العلماء في الأرض أن شيوعياً مسلم، فالشيوعيون كفار، فالحزب الشيوعي الحاكم كافر، فالقتال بين مجاهدين أفغان مسلمين وبين كفار أفغان شيوعيين، وهؤلاء الشيوعيون الأفغان هم الذين أدخلوا روسيا، وروسيا أخيراً هُزِمت وتركتهم، وقامت المعركة أولاً بين هؤلاء الشيوعيين الكفار تراقي ونجيب وحفيظ الله أمين وبابرك وبين المجاهدين... الروس ما دخلوا أو واستمرت المعركة سنة ونصف دون أن يدخل الروس وقتل من الشعب الأفغاني (٢٠٠) ألف على يد هؤلاء الشيوعيين قبل أن يدخل روسي واحداً داخل أفغانستان، فإذا كان القتال بين المجاهدين المسلمين الأفغان وبين الشيوعيين الكفار الأفغان فهل هذه حرب أهلية؟! إن القتال بين الرسول الله ﷺ وبين أبي جهل في بدر هو حرب أهلية!! القتال يوم بدر بين قريش وقريش، بين مكة والمدينة، إذاً حرب أهليه!! ويوم أحد كذلك بين قريش وبين قريش والأنصار بين مكة والمدينة إذاً حرب أهلية والخندق وهكذا دواليك، إذاً كانت حرب الرسول ﷺ حرام وحرب أهلية!!

فالقتال في أفغانستان حرام وحرب أهلية!! لكن هذا فرض علينا إذا كان الشيوعيون يحكموننا أن نتخلص منهم وأن نذبحهم وأن نزيلهم باتفاق العلماء، فالقتال في أفغانستان فرض على الأفغان وفرض على غير الأفغان، لإزاله الطائفة الكافرة التي صالت على الحكم واستولت عليه.

سؤال: ألا يوجد مسلمون يتضررون من الناس الموجودين في كابل؟

موجودون.. يتضررون، لكن يوجد حكومة كافرة تتترس بهؤلاء، تتترس يعني تختبيء بهؤلاء، واتفق العلماء بالإجماع على الكفار إذا كان عندهم أسرى مسلمون ووضعوهم أمام الصف وتقدموا نحو الأمة الإسلامية ، يجب مقاتلة الكفار ولو قتلنا كل المسلمين الذين أمامهم، لأن الأمة الإسلامية بكاملها أولى من قتل بعض الأشخاص . وهؤلاء حسابهم على الله عز وجل، وحياكم الله. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١) تعالوا معي لتنظروا هذا نجيب الذي تريدون أن تثبتوا أنه لا زال حياً، الرجل المريض الذي يعيش فوق سريره، لماذا؟ الأضواء مسلطة على المجاهدين، لا تسلط على الرجل الذي يعيش بالحقن ريثما يجدوا البديل، بالله عليكم كيف يمكن لحكومة أن تعيش بلا طرق برية ولا جوية، كيف يمكن لعاصمة أن تعيش تحت رحمة النيران صباح مساء؟، المجاهدون يحيطون بكل المدن على الإطلاق في داخل أفغانستان، إحاطة السوار بالمعصم، كابل... وشريان حياتها الذي يربطها بروسيا مغلق منذ أواسط أغسطس حتى الآن وهم يحاولون أن يوصلوا سيارة غذاء من خلال طريق سالانك -الطريق البري- من خلال طريق حيرتان، سالانك، كابل، حيرتان على حدود روسيا، يريدون أن يوصلوا الغذاء وهم يفشلون الآن، المعارك على أشدها، تحاول ألف ناقلة أن تمشي في الطريق لا تستطيع، أنتم لا تستطيعون أن تستوعبوا وتدركوا ما أدركه من المتاعب والمشقة التي يتحملها المجاهدون في إغلاق الطريق، هل تعلم ما معنى إغلاق الطريق؟ إغلاق الطريق أن يقف المجاهدون على جانبي الطريق يحمل كل واحد منهم مدفع (RBG) ينتظر الدبابة حتى تقترب منه على بعد (١٠٠) متر ويحطمها والطائرات تمشط ليل نهار صباحاً ومساءً تحرق الأخضر واليابس، كابل تقذف من داخلها صواريخ سكود، الصاروخ وزنه (٥.٥)طن، يحرق ويدمر دائرة قطرها كيلومتر واحد، طوله(١١) متر ووزنه (٥.٥) طن، الصواريخ تتنزل عليهم، الطائرات ترمي، مدفعية الميدان ترمي، وبعد أن يدركوا أنه لم يبقَ في المنطقة إنس ولا جان، ربما الجن يهربون والله أعلم، الحيوانات....

يا إخوان الخيل تجدها محتمية بجوار شجرة، بجوار جذع تبكي من هول المعركة، الكلاب تبكي في هذا الجو كله يثبت المجاهدون، وينتظرون الدبابات، والدبابات وهي ماشية ترش من كل الجهات، ومع ذلك يقطعون الطريق، أي صنف من البشر هؤلاء؟!

لا أبعد الله عن عيني غطارفة *إنساً إذا نزلوا جناً إذا ركبوا*

جن هؤلاء، فعلاً الروس وصل بهم الحد أن يعتقدوا أن هؤلاء ليسوا بشراً، أحياناً يقصفون المنطقة يدمرونها تدمرها الطائرات، تقول للدبابات تقدموا، تقدموا احتلوا، يقولون: إن الأفغان لا يموتون، الأفغان شياطين ينزلون تحت الأرض، وفعلاً عندما تتقدم الدبابات يخرج لهم هؤلاء من خنادقهم ويحطمون الدبابات، يعودون للطائرات، يقولون ما قلنا لكم إن هؤلاء لا يموتون، ألم نقل لكم أن الأفغان لا يموتون!!

أناس طلبوا الموت فوهبت لهم الحياة، ويظن بعض الناس أن نصرة الإسلام وأن إقامة دين الله في الأرض أمر هكذا، بالدراسة وبالخطابة وبغير ذلك..

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله، ألا إن نصر الله قريب) (البقرة: ٢١٤)

ولا يبني الممالك كالضحايـــا *ولا يدني الحقوق ولا يحـــــق*
وللحرية الحمراء بــــــــاب *بكل يد مضرجة تــــــــدق*
فللقتلى لأجيال حيـــــــاة *وللأسرى فدىً لهم وعتـــــقُ*

لا يمكن أن ينتصر الإسلام بدون جهاد طويل، بدون أجساد وطحن عظام ولحوم،الأفغان طحنوا طحناً، طحنوا طحناً !! -يا إخوة- حالهم يعجب الإنسان له كيف صبروا على هذا الحال ومع ذلك الآن على أبواب كابل، الثلوج تنزل عليهم وليس عندهم أكياس نوم، ليس عندهم أكياس طحين، إن نجيب يرسل الرسالة تلو الرسالة لقائد بدوي شبه أمي، شير علم في بغمان، الرسالة تلو الرسالة، صدقوا يا إخوان قبل فترة رأيته في بيشاور، يا شير علم: كيف تركت جبهة بغمان، ألم تعلم أن الدولة تعد العدة لإقتحامها؟ قال يا شيخ عبد الله: هات طحين وأنا أجلس هناك، فقط أمِّن لنا الطحين، خبز، ليس عندهم خبز ومع ذلك، مع كل التضحيات....

وتلك ربوعهم بالـــــــدا *فق الموار تغتســـــــــل*
وتلك جماجم الأطفـــــال *تسحق وهي تبتهـــــــل*
وأعراض النساء بهــــــا *يعيث الملحد الثمـــــــل*
فما ذلّ الإباء بهـــــــم *وما احتفى بهم فشــــلُ*
ورأس الشعب مرتفـــــع *وموج البذل متصـــــــل*

مستمرون، مستمرون لن نقف، لن نلقي السلاح وإن تكالبت علينا الدنيا حتى ينتصر هذا الجهاد وتقوم الدولة الإسلامية، هكذا

---

(١) ألقـ[illegible]

يقولون ،أما ماذا يريدون؟ فهم يريدون كل شيء، عار على الأمة الإسلامية أن لا تزود بالطعام من صنع تاريخها. كل الأمة الإسلامية الآن آثمة بسبب حاجة المجاهدين، فرض على الأمة المسلمة أن تسد حاجة المجاهدين خاصة في الأماكن التي يستطيعون إيصال المساعدات لهم في فلسطين، في أفغانستان، سئل إبن تيمية قوم جياع إن اطعموا تضرر الجهاد، وإن أعطي الجهاد مات الجياع، قال أعطوا الجهاد وليمت الجياع.

على أبواب كابل نتركهم؟ لأنها حرب أهلية!! لأن سيد جمال قتل خمسة من جماعة مسعود!! أنت تريد من شعب يحمل مليون واحد السلاح أن لا يحدث بينهم خلافات، فيهم المنتفع وفيهم المرتشي وفيهم السارق وفيهم قاطع الطريق وفيهم وفيهم، تريد أن لا يحدث مشاكل، إذا كنت تريد هذا فابحث عن هذا المجتمع في السماء وليس في الأرض، سيحصل مشاكل وستبقى المشاكل مستمرة، ليس هنالك حكومة مركزية تمسك البلد بقبضتها، ليس هنالك سلطة الآن تضم هذه الولايات كلها بيدها، ستحصل مشاكل، ستحدث خلافات لكن الراية واضحة، الجهاد مستمر وكل واحد منهم يقول لا نريد إلا الإسلام، نريد أن نقيم دين الله في الأرض، رايتنا لا إله إلا الله، نعتبر الغرب كالشرق، لا نريد أن تخرج روسيا وتبقى أمريكا، هذا كله واضح في أذهانهم وبعد ذلك خلافات بسيطة في داخل العائلة، بين أبنائها تحصل خلافات.

لا بد أن تزودهم بالغذاء، بالكساء وهذا سهل، كل واحد منكم يحسب واحد مجاهد زاره في البيت في الأسبوع مرة، عمل له غداء، ثمن الغداء يدفعه للجهاد، يحسب أن زوجته ولدت إبناً صغيراً، بنتاً صغيرة، بقدر ما تنفق على ابنتك التي في الصف الأول الابتدائي، بقدر فستان العيد لابنتك ، أرسل ثمنه طعاماً للمجاهدين ، لمن صنعوا التاريخ في الأرض، صنعوا تاريخ الإسلام من جديد، أما أهل فلسطين فليسمعوا: أفغانستان ليست ضرة لفلسطين، أفغانستان وأهلها يقولون، يدعون في خنادقهم ، هذا الشاب العربي في الخندق، هذا شاب في الخندق حول كابل، الأخ أبو عبد الله قال اللهم ارزقنا الشهادة، القصف مستمر وإذا بالأفغاني يلكزه بجانبه: قل اللهم انصرنا هنا، وارزقنا شهادة في بيت المقدس.! الأفغاني يذكر العربي، كثير منهم يقولون: اللهم حرر على أيدينا كابل ولا تمتنا إلا في بيت المقدس، يقولون قضيتنا الأولى هي قضية فلسطين، لكن دهتنا الدواهي ونزلت بنا الرزايا والبلايا فاشغلتنا عن قضية فلسطين قضيتنا الأولى.

عندما حصل اعتداء على لبنان سياف كان في العمرة سنة (١٩٨٢م) ،أرسل وراء مندوب المنظمة، قال له يا أخي: أنا أريد أن أرسل كتيبة أفغانية لتدافع عن المسلمين الفلسطينيين في لبنان، لكن لي شرط واحد، إما أن ترفع راية لا إله إلا الله فوق كتيبه الأفغان أو تفردوا لهم قطعة صغيرة في أرض لبنان يقاتلون منها.

قال كيف إذا قعدوا جنب بعض العلمانيين واليساريين وما إلى ذلك يسمعوا سبّ الدين، يقتلوهم قبل أن يقتلوا اليهود أو! الأفغاني إذا يسمع أحد يسب الدين لا يوجد عنده إلا يده والضرب فقال لي مندوب المنظمة إن شاء الله أنا أستشير القيادة وأرد لا الجواب!! لا زال سياف حتى الان ينتظر منه الجواب، نعم ...كم وقفوا ضد القضية الأفغانية، في كل المحافل الدولية ما وقف إخوانن الفلسطينيون مرة واحدة طيلة إحدى عشر عاماً بجانب القضية الأفغانية، وما خذل الأفغان قضية فلسطين مرة واحدة، يوم مؤتمر الطائف عندما قرر الجميع أن يلقي سياف كلمة أفغانستان، المعترض الوحيد هو مندوب المنظمة، قال كلمة أفغانستان يلقيها رجل من الدو الأفغانية، وأرجو أن لا نتسرع في إغضاب الإتحاد السوفياتي الشقيق، فسياف ألقى كلمته وعندما تكلم عن قضية فلسطين، ضرب عل الطاولة، وقال لهم اشهدوا جميعاً أننا إن شاء الله بعد تحرير كابل سنتجه إلى بيت المقدس، ولا يهمنا بعض المواقف المتخاذلة م إخواننا الفلسطينيين، بعد المؤتمر أرسل له نريد أن نراك، قال -سياف-: لا أريد أن أراك. قال: نريد أن نراك حتى نزيل سوء التفاهم قال لا أريد أن أراك، ليس بيننا سوء تفاهم، عندكم سوء فهم، صححوا فهمكم نلتقي على الطريق.

ولذلك في آخر الزمان بعد أن هزمت روسيا وبعد أن وقف نجيب الآن يرجو الدنيا كلها أن تتوسط لتنقذه، جاءوا ليتوسطوا بي المجاهدين الأفغان وبين نجيب، قال المجاهدون الأفغان، للأسف أنتم لا تصلحون للوساطه لأنكم طرف منذ البداية مع الشيوعيين.

والدي عمره تسعون عاماً، هناك آخذه لمعسكرات التدريب، إلى الحدود تدرب على الكلاشنكوف، على البيكا، الديكتريوف، قلنا ياوالدي نعطيك كلاشنكوف، قال لا أريد إلا بندقية إنجليزية التي حاربت فيها في الحرب العالمية الأولى مع تركيا، حاربت فيها سـ (٣٦)، قال والدي لسياف تعاهدني ، قال على ماذا، قال: أن تنتقل إلى البيت المقدس، قال أعاهدك أن أنتقل إلى بيت المقدس، راح إل حكمتيار ، قال تعاهدني،قال على ماذا، قال أن تنتقل إلى فلسطين، قال: أعاهدك أن أنتقل إلى فلسطين، إلى رباني، إلى يونس خالد إلى حقاني كلما لقي واحد من هؤلاء القادة يأخذ عليه العهد أن ينتقل إلى بيت المقدس، مرة كنا في معسكر التدريب، وصارت معركة ف داخل أفغانستان قال يا بني أنا أريد أن أذهب إلى المعركة لأراها ثم بكى، قال ما الفائدة جئت بي هنا، بعد أن خارت القوى ووه

العظم نيّ؟ فمن أين نرزق الشهادة؟!

فأبناء فلسطين هناك ، والدي عمره (٩٠) سنة، عقله في فلسطين ـ هو الآن في فلسطين، راح يزور أقاربه، الشباب كيف ينسون فلسطين ؟!، أبناء فلسطين الذين جاءوا هناك كيف ينسون فلسطين، ماذكرنا الله إن لم نذكر فلسطين، وهل الثكلى كالمستأجرة؟، والناس يعيبون علينا، لماذا تأخذ الشباب إلى أفغانستان؟ ولا أدري ماذا فعل الناس الجالسون هنا أو هناك لفلسطين. يكفي أننا أخذنا الشباب الفلسطيني ربيناه وصقلنا أرواحهم، وأشرقت نفوسهم، وتدربوا ودخلوا معارك، وزال حاجز الخوف وبنيت عقيدة التوكل، وتحرروا من الخوف على الحياة وعلى الرزق، يكفي أننا أوصلناهم إلى هذه المرحلة. هؤلاء عملة صعبة، وكنز مدخر لفلسطين. هؤلاء نواة إرجاع فلسطين إن شاء الله رب العالمين، أما الذين يلوموننا لأننا ذهبنا هناك فليتهم يقولون لي ماذا يفعلون هم لفلسطين؟ وماذا قدموا لفلسطين؟ وأنا قادم قال لي أحد الشباب: قلت لوالدي: أريد أن أذهب إلى أفغانستان؟ قال لي: يا ولدي أنت فلسطيني ما الذي يذهبك إلى أفغانستان؟ قال له أبوه: إذهب إلى فلسطين. بعدما بفترة جئت لوالدي قلت له: قررت أن أذهب إلى فلسطين. قال له: يا بني إجلس هو لا يريده أن يذهب إلى فلسطين ولا يريده أن يذهب إلى أفغانستان. لكن إذا أراد أن يذهب إلى أفغانستان يضرب له مثلاً بفلسطين، هذه فلسطين أقرب، وهو يعلم أن ابنه لا يستطيع أن يدخل الأردن فضلاً عن أن يدخل فلسطين، فقط للإعتراض، وهكذا.

كرامات

وهؤلاء الشباب في أفغانستان، كم من الشباب تنير قبورهم في الليل، ممن استشهدوا في أفغانستان، كم من الشباب دماؤهم أزكى من رائحة المسك، أكثر من نصف الشباب الذين نقلناهم من الأرض داخل أفغانستان إلى بيشاور، رائحة دماءهم كالمسك، يا أيها الإخوان شاب إسمه سعد الرشود من منطقة الرياض والقصيم، شاب صغير كان في الجيش السعودي، وأخذ إجازة وجاء ودخل أفغانستان، كنت عندما أجلس معه رغم أنه صغير، أستصغر نفسي أمام همته وأمام عزمه، متزوج، قلنا له يا سعد الرشود: نرسل مبلغاً لأهلك؟ قال: عندهم ما يكفيهم ولا نريد أن يتوسعوا في الدنيا. نرسل لأهلك أن يأتوا؟ قال: دعهم يجاهدوا بالصبر على فراقنا.. يدخلون معركة في رابعة النهار، عبد الوهاب بن صالح الردّي الغامدي وسعد الرشود، واحد من غامد وسعد الرشود، وواحد إسمه عبد الصمد الجزائري.

كثير من الشهداء يرون أنفسهم مع الحور العين قبل أن يستشهدوا بليلة، أو يراهم غيرهم معها، ولذلك بعضهم يغتسل ويلبس أحسن ثيابه استقبالاً للموت، حصلت المعركة، نزلت قذيفة هاون على عبد الوهاب وعلى سعد الرشود، استشهدوا، بعد ١٨ ساعة استطاع الأفغان أن يدخلوا الخندق الذي هم فيه، لأنهم قريبون جداً من العدو، ويحملوه، هذا عبد المتين القائد الأفغاني قال لي: والله عندما حملنا سعد الرشود اهتزت الأرض تحت أقدامنا، وجئنا به ووضعناه، وجاء شيخ أفغاني يقرأ القرآن فوق رؤوسنا، وإذا بسعد الرشود يرتجف من خشية القرآن كأنما هو حي ينتفض خوفاً من الله عز وجل، ودفن سعد وعبد الوهاب بجانب بعضهم البعض، وبدأ النور يخرج من قبورهم، ليلة الإثنين وليلة الخميس أيام الصيام، التي ترتفع فيها الأعمال إلى الله، وبدأ الأفغان يحدثون ولم يصدق العرب حتى ذهبوا ورأوا بأنفسهم النور الذي يصعد إلى السماء من قبورهم. كم من الشباب !!!

هشام الديلمي، يمني، عمره (١٨) عاماً ابن الدكتور عبد الوهاب الديلمي يستشهد، دمه كالمسك. يستشهد هو وزكريا أبو هنود الفلسطيني مع بعضهم في قذيفة واحدة في مأسدة الأنصار ، ويدفنان مكانهما والنور يصعد من قبورهم إلى السماء، وأكثر ما يلاحظ أن النور يخرج يومي الإثنين والخميس، عبد الله الغامدي التكبير بقي سنة ونصف يخرج من قبره، عمره (١٨) عاماً، خالد الكردي قطعت رجله وانبعج بطنه، واندلقت أمعاؤه، جاء الدكتور صالح الليبي يلف أمعاءه ويدخلها إلى بطنه، يلفها بالبطانية، فذرفت عيناه. قال: ما بالك يا دكتور صالح؟ إصابة بسيطة! هي جروح بسيطة في ظهر يدي!!. لقي الله ولم يدر أن رجله طارت وأن بطنه مفتوح وأن أمعاءه مندلقة، لا يحس بآلام إلا بالجروح البسيطة في ظهر يده، وهكذا دواليك.

هذا يحيى سنيور يستشهد، نأتي به إلى بيشاور، يشهد جنازته مصور من فنزويلا، بعثة إعلامية من وزارة الإعلام الفنزويلية النصرانية، يرجع إلى فنزويلا يقول: لقد شممت رائحة المسك من دم شهيد من العرب. بقيت الغرفة التي سُجي فيها في مدخل المستشفى، كلما فتحت -أسبوع كامل- يفوح المسك في كل المستشفى. يحدثني زوج ابنتي قال: كانت سيارة الأمبلانس -الإسعاف- تحمل جثة يحيى على بعد نصف إلى كيلو متر وأنا في سيارتي ورائحة العطر تعبق في أنفي، ودخل محمد ياسر مساعد سياف إلى القبر ليوجه وجهه إلى القبلة ولشدة رائحة العطر، وتأثيره على دماغه كاد يدوخ ويسقط، وتكمل ابنتي القصة، قالت: رجع محمد وقلت له نريد أن نزور عائلة من العائلات العربية في بيشاور، وخرجت أنا وجارتي. فرأيت العطر يملأ جو السيارة فقلت في نفسي: هذه جارتي

لا تستحي من الله، وكتمت غيظي ريثما نزلنا، ثم انطلقت في وجهها مبكتة مؤنبة معاتبة، ألا تعلمين أنه **(أيما امرأة تعطرت وخرجت فهي زانية.)** قالت: رويدك، والله ما مسست هذا اليوم عطراً !! قالت: وأنا ما مسست العطر، يا محمد من أين هذا العطر الذي يملأ جو السيارة؟ قال: والله ما مسست العطر ولكني شيّعت جنازة يحيى.

نُثر شيئاً من دم يحيى على كتاب، بعد أسبوعين زارمدير الهلال السعودي وائل جليدان جدة ليشمم أهله رائحة دم ابنهم، فيرتاحوا ويطمئنوا إلى الشهادة.

بعد ثلاثة أسابيع من استشهاد فوزي الجزائري في شكردرة، يأتوني بقطعة قماش قد أصابتها بعض دمائه لأشمها، وأخذتها إلى العائلة لتشمها ثم أخذتها إلى الجزائر لأهله ليشموا رائحة دم ابنهم.

أبو بدر الحربي من السعودية، جئنا به من جلال آباد ووضعناه في غرفة - في بيت الضيافة - نافذة من نوافذها مفتوحة، العطر يعبق منها، والشباب يقفون على الشباك حتى يشموا رائحة العطر. **(شباب مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، كليلة عن الباطل أرجلهم، أنضاء عبادة وأطلاح سهر، وقد نظر الله إليهم في جوف الليل، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مر أحدهم بذكر الجنة بكى شوقاً إليها، وكلما مر أحدهم بذكر النار زفر زفرة كأنما جحيم جهنم بين أذنيه، موصول كلالُهم بكلالِهم، كلال الليل بكلال النهار، وكم من عين في منقار طير طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خشية الله.)**

سيد عبد الله المصري، فقدناه يوم عيد الفطر سنة ١٤٠٧هـ واحد شوال، وظننا أنه أسر، وجدنا جثته في ٢/ذي القعدة -بعد شهر- معرضة للهواء وللشمس ولكل شيء، لم يتغير.

والأفغان لا تسأل عن الكرامات التي حصلت معهم وأنا أحدثكم كرامة واحدة، من الكرامات التي حصلت مع الدكتور مياجل، كان قائداً في بغلان، من أبناء الحركة الأوائل، طبيب، ولشدة غيظ الشيوعيين عليه جاء زعيم الشيوعيين مع المليشيا، مع كتائبه لينتقم منه ويشفي غليله منه وهو ميت، فجاء ليركله بقدمه، عندما رفع قدمه ليركله شُلت قدمه. قال: جاء الشيوعيون -وهو عديل محمد ياسر مساعد سياف-حدثني بهذا سائق محمد ياسر، وكان أحد جنود الدكتور مياجل - ليربطوه بالسيارة وليطوفوا ولاية بغلان به، ليثبتوا لهم أنه مات مياجل وأنه قتل.. عندما جاءوا ليأخذوه وليربطوه بالسيارة، كلما اقتربوا منه صاح بهم -هو مستشهد- و ليس ميتا...

(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ولكن لا تشعرون) (البقرة: ١٥٤)

هو مستشهد، كلما اقترب منه الشيوعيون صاح بهم أعطوني السلاح، يفر الشيوعيون عنه، مرة و مرتين، ثلاث، عندها وقف الشيوعيون مبهورين وذهبوا واشتروا كفناً ثميناً جميلاً، وقالوا لكبار أهل القرية: خذوا هذا وكفنوا به مياجل، لن تُغلبوا ما دام فيكم أمثال هؤلاء، ودفن مياجل، وبدأ التكبير يخرج من قبره، وبكته نساء القبيلة، وماذا على نساء القبيلة أن يسفحن دموعهن على أمثال مياجل، زعيم قومه، قائد ولايته، قائد محافظة بكاملها من أبناء الحركة الإسلامية الأوائل، أطهر من ماء المُزن النازل من السماء، وهكذا غاب فجأة عن أنظارنا، قام أخوه من الليل يدعو الله وجل، وقال: إن كان أخي شهيداً فأرني علامة، الدنيا ليل، وإذا بنقيض من فوق يسقط شيء أمامه، ويضيء المصباح، وإذا بها باقة ورد، لا نظير لها في الأرض، ذات رائحة عبقة، قالوا: أيقظوا محمد ياسر حتى يشم الرائحة، وأيقظ أخواته، وقال: انظرن هذه كرامة، ودليل أن أخانا شهيد، قال: الساعة الثانية ليلاً، ضعوها في القرآن إلى الصباح حتى يستيقظ محمد ياسر ويشمها، وفي الصباح فتحوا المصحف فلم يجدوا الباقة، في نفس اليوم، زرتهم منطقة محْل ليس فيها عرق عشب فضلاً عن أن يكون فيها أزهار، دخلت، قال محمد ياسر: تعال أحدثك ما جرى من الكرامة هذه الليلة الماضية.

يا أيها الإخوة:

لا تغضبوا من الشباب الذين يذهبون إلى أفغانستان، إنما أفغانستان مصانع للرجال، يذهبون بأحلام الأطفال، ويعودون إليكم بعقول الرجال، ناضجة نفوسهم، كبيرة آمالهم، قوية عزائمهم، صافية أرواحهم، مشرقة نفوسهم، وأرجو الله أن يتقبل منا أجمعين أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأسئلة

سؤال: هل بدأ المجاهدون بإعداد جيش يقاوم الشيوعيين ويكون على مستوى المرحلة الآن لفتح المدن وإدارة البلاد؟

جواب: مسعود بدأ يعد جيشاً منذ سنة ونصف، نرجو الله أن يبارك، وهو يريد أن يعد جيشاً من إثني عشر ألفاً (ولن تغلب اثنا

عشر ألفاً من قلة)، إلى الآن أعدّ حوالي عشرة كتائب، لكن هو في طور البناء، يعني كتائب بداية، نرجو الله أن يعينه.

الحقيقة هذا الشاب تفرد في داخل أفغانستان، مسعود يعتبر أول مدرسة متكاملة إسلامية لحرب العصابات في التاريخ الإسلامي، ليس لنا في التاريخ الإسلامي كله مدرسة متكاملة لحرب العصابات سوى هذا الشاب ومن حوله، شاب كان يدرس هندسة، منظم، عقله منظم، درس التجارب البشرية، فيتنام، كاسترو، جيفارا، ماو، هوشي منه، كيف فعلوا كيف عملوا حرب التحرير، وكان يطبق، ونجح.. الله عز وجل وفقه توفيقاً لا نظير له، طبّق ما قرأه على الوادي الذي هو فيه وادي بنجشير، نجح، انتقل إلى الشمال، صار يطبق شيئاً فشيئاً، الحمد لله الآن بيده عشر ولايات في الشمال، عنده أكثر من (٢٠٠) قائد يتبعون له، جميعاً تابعين للشيخ رباني، حكمتيار كذلك بدأ يكون كتائب جيش أرجو الله عز وجل كذلك له التوفيق، وهي بداية، أرجو الله عز وجل لهم التوفيق.

سؤال: ما آخر تطورات مذبحة تخار، وبما أنكم أحد أعضاء المحكمة التي كونتها حكومة المجاهدين فماذا صدر بخصوص سيد جمال؟

جواب: سيد جمال هو من السادة، قرشي، والعرب في داخل أفغانستان، أو القرشيون والسادة كثيرون، هناك قبائل عربية الآن في شمال أفغانستان تتكلم اللغة العربية، لأن العرب استقروا هناك في بلخ وفارياب، فبقوا هناك، فأنا قلت مسعود حاصر المنطقة، أرسل لقادة سيد جمال: أنا لا أريد أن أقاتلكم، أنا أريد أن أمسك سيد جمال، تفرق الناس من حوله، أمسك سيد جمال، وصلت المحكمة، قدم سيد جمال وخمس قادة للمحكمة، فقال أعضاء المحكمة، نحن جئنا لنصلح ما جئنا للقضاء، فالآن يقدمهم لمحكمة له، كل منطقة فيها محكمة شرعية، الآن يحاكمون من محكمة شرعية أصلية في المنطقة، كانت تحكم منذ سنوات بالأحكام الشرعية، لم يقتل لا (٢٠٠) ولا (٣٠) ولا (١٥)، أنا كنت مع حكمتيار وذهبت إلى مسعود بعد الحادثة مباشرة، وجلست مع مسعود يومين، وحققت في القضية، يعني صار تهويل إعلامي كبير، وحتى البيانات التي خرجت من الأحزاب من اللجان التي في الأحزاب -وللأسف- هولوا القضية، ويتكلمون على بعضهم، وهم ليسوا صادقين في بياناتهم، لا هؤلاء ولا هؤلاء، وحكمتيار ورباني ومسعود برءاء كما أظن من هذه القضية، بل يعتصرون ألماً، إنما هي خلاف بين قائد وقائد، وحسبنا الله ونعم الوكيل..

سؤال: ما تقول في أن حكمتيار يريد الزعامة، ولذلك خرج من الحكومة، وماذا بين الشيخ رباني والمهندس حكمتيار من خلاف بعد المذبحة الأخيرة؟

جواب: هم يصرون أنها مذبحة، الذين قتلوا هم خمسة، لا بد أن تسموها مذبحة؟ ما دام حكومات عندكم قائمة وتقتل قاطع الطريق، كما قلت لكم أنتم تريدون من شعب بكامله يحمل السلاح، أنتم شعوبكم لا تحمل السلاح، وكل يوم البدو يقتل واحداً أو خمسة أو ثلاثة من أولاد عمومته الذين حول الرياض، حول الكويت، هؤلاء على الطريق العام الذي يصل بين مكة والرياض ومكة والمدينة، ويقطعون الطريق ويسلبون الناس، ويقتلونهم رغم أنهم يدركون أن جزاءهم القتل، قبل كم يوم نفذوا حكم القتل في سبعة من قطاع الطريق في الرياض، فإذا كانت حكومات قائمة وفيها السجون وفيها السيوف، فيها سلطة مركزية قوية، وتقتل قاطع الطريق، ويحصل هذا.. تريدون من شعب بكامله يحمل السلاح، ليس هنالك سلطة مركزية أن لا يحصل شيء، شعب ملائكي هم؟ أما رباني وحكمتيار ما شأنهم؟ مساكين،كل شيء يُمسح بحكمتيار ورباني، يكون واحد تابع للحزب واحد ثاني تابع للجمعية، واحد تابع لحكمتيار وواحد تابع للجمعية، الذي في الجمعية قاتل والد الذي في الحزب، قبل ثلاثين سنة، يجده في الطريق يقتله ثأراً لأبيه،هذه العملية تدهن في حكمتيار ورباني، الحزب هجم على الجمعية و...الخ.

سؤال: أريد أن أسأل عن الذي قابل ديكويلار هل لك أن تتكلم عن هذا اللقاء وعن سببه، وهل الأفغان موافقون على دخول هيئة الأمم المتحدة إلى أفغانستان؟

جواب: لا دخل للأمم المتحدة قال الأفغان: إذا دخلت هيئة الأمم داخل أفغانستان سنقتلهم، هكذا قالوا، الأفغان لا يخضعون أبداً لأحد.

مدير الهلال قال لي: سألت المسئول عن إغاثة المهاجرين، -هذا مسؤول الأمم المتحدة الذي يرسل الطحين، طبعاً المهاجرين تقدم لهم الأمم المتحدة عن طريق أمريكا وبريطانيا واليابان وفرنسا وألمانيا الخبز والطحين، لأن هؤلاء يحتاجون كل يوم نصف مليون دولار ثمن خبز، ثلاثة ملايين ونصف كل واحد يحتاج ثلاثة أرغفة جافة ثمنها نصف مليون دولار- فقال له: كيف معاملتكم مع الأفغان؟ قال: كل الشعوب استطعنا أن نتعامل معها إلا الأفغان! عجّزونا، تستطيع الأمة أو الناس الذين يعطون أن يفرضوا عليهم تعاليمهم إلا الأفغان، هم الذين يفرضوا تعاليمهم على الذين يساعدونهم!! العرب يدخلون لمساعدتهم، هم يفرضون علينا أن نصلي على المذهب الحنفي، وإذا لم نصلِّ على المذهب الحنفي لا يأخذون المساعدة منا، خلاص.. معناه جاءوا لهدم المذهب الحنفي، وهم شعب أمي، الذي

يرفع يديه على صدره، الذي يحرك إصبعه هكذا، أل (بي بي سي) تقول انتبهوا العرب جاءوا يهدمون مذهبكم، وينشروا مذهباً خارجاً عن المذاهب الأربعة، إسمه المذهب الوهابي، هذا علامته تحريك الإصبع هكذا، وضع اليدين على الصدر، فتح الرجلين عند الصلاة، الجهر بآمين، جلسة الإستراحة، انتبهوا.. وهم يراقبون العرب شهراً كاملاً حتى تثبت براءتهم تماماً من الوهابية أو المذهب الجديد، فإذا نجح خلاص أحبوه، وإذا أحبوه يحبون أن يموت مائة ولا يُجرح العربي، فقط يطمئنون أنه ما جاء لهدم مذهبهم.

أهم شيئين عند الأفغان: العرض والمذهب، وتمسكهم بالمذهب الحنفي هو الذي منع المد الشيعي أن يدخل أفغانستان، ما استطاع الشيعة أن يدخلوا داخل أفغانستان أبداً، حنفي، خلاص حنفي، ولذلك نفس الشباب العرب فهموا هذا جيداً.

ابن تيمية، مالك، أحمد بن حنبل رحمهم الله، الجزء الثامن والعشرين، راجع صفحة (٣٦٧)، الجزء الرابع والعشرين، راجع صفحة (٤٩٥)، حافظين الأرقام والأجزاء، راجعوا الفتاوى، يقولون: هيئات الصلاة تُترك إذا سببت الإختلاف بين القلوب، وعليه أن يترك هيئات الصلاة التي تسبب نفور المأمومين، هكذا نص الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية يقول كذا.

بعضهم يصر:يقولون يا شيخ عبد الله أنت تريد أن نترك السنة، -فقلت لهم- نحن جئنا نحيي السنة .فهل جئت لمحاربة السنة.. يا ابن الحلال؟!! نحن نوصيكم،هل تريدون أن تؤدوا فرض الجهاد مع هذا الشعب؟، هذا الشعب أمي لا يعرف الصلاة والدين إلا من خلال إمام المسجد، إمام المسجد أربعين سنة ما رأوه يرفع يديه.

معظمهم الحمد لله يطيع، بعضهم يصر أن يطبق السنة [1] حيثما كان وينصرها.!!!

في «خوش كمبند » على حدود قندهار دخلوا يصلون في غرفة والقبائل كلها، المنطقة مزدحمة، دخلوا يصلوا، قدم واحد منهم، قال: ولا الضالين، بعض العرب قالوا: آمين، الأفغان بدأوا يلتفتون حولهم وجدوا باب المسجد مغلق، حملوا أحذيتهم ومن الشباك خرجوا.

فأقول: إذا الأفغان أدركوا أنك أنت لا تُريد أن تمس أعراضهم ولا مذهبهم يضعونك في قلوبهم، وهم يقولون: نحن نعتبر حب العرب جزء من ديننا، لكن بالشرط هذا، ولذلك الآن منذ ستة أشهر وإذاعة ال (بي بي سي) والصحف الغربية تعزف على هذين النغمين، انتبهوا من العرب.. جاءوا ليهدموا المذهب وينشرون الوهابية، الأفغان ما يعرفون الوهابية، يفكرون الوهابية فرقة ضالة مثل الدروز والنصارى والنصيرية، نعم.. هكذا ينظرون وحتى الآن في باكستان كتب توزع وفي داخل أفغانستان توزع من المخربين والشيعة أن الوهابي يبيح نكاح الأم والأخت.

في باكستان ٤٠٪ يقرأون كتب -البريلوية- الكتب موجودة وأنا قرأتها أن الوهابيين شر من اليهود والنصارى، شر من الكلاب.

عبد الله بن سبيل جاء وصلى في إسلام آباد بالناس، وقف واحد كبير في المحكمة الكبرى في إسلام آباد اسمه شجاعة علم قادري أعلن وكتب في الجريدة من صلى وراء عبد الله بن سبيل إمام الحرم فصلاته باطلة وزوجته طالق -المهم زوجته طالق-!!.

سؤال: لقد توقع المجاهدون سقوط الحكم في أفغانستان بخروج الروس بشهور قلائل غير أن توقعاتهم كانت غير واقعة فه يعود ذلك لأسباب داخلية؟

جواب: أسباب كثيرة منها: الصحف الغربية، يعني الصحف الغربية كما قلت الآن يريدون إبعاد العرب حتى يحجموا القضـ ويعيدوها، قضية قومية محلية، حتى تبتلع بصمت في المحافل الدولية، ولذلك منذ ستة أشهر والـ (بي بي سي) وصوت أمريكا والصحـ الغربية تعلق علينا ، العرب جاءوا ينشرون الوهابية، وجاءوا يتزوجون فتياتكم وأرامكم انتبهوا.

قرأت في (Sunday Times) اللندنية في ٢٤/ سبتمبر الماضي أن (١٨) ألف امرأة أفغانية في مخيم ناصر باغ أصبـ محطاً للطامعين من العرب، أصحاب الشهوات ليروون شهواتهم!!

قلت العرب جاءوا يجاهدون. قال: يتزوجونهن أياماً ثم يطلقونهن. وجاءوا بامرأة أفغانية -الله أعلم هي أفغانية أو غير أفغانـ رأوها في لندن ، قالوا: صرحت فلانة أن خمساً من العرب عملوا كذا وكذا.. وعلى حد علمي وأنا مسؤول العرب هناك أن هذا ما حـ أبداً، ما تزوج واحد من ناصر باغ وطلق.

الصحف الإنجليزية تكتب أن العرب يعتقدون جواز أخذ النساء الشيوعيين والمليشيا سبايا ويدخلون بهن دون عقد نكاح. مليشيا، عميل للدولة، لكنه من القبيلة الفلانية، القبيلة الفلانية ثلاث أرباعها مجاهدون، وربعها من الشيوعيين والمليشيا وكل وا ينظر على عرض كل بنت من القبيلة، يريدون أن يثيروا الأفغان علينا.

اضطررنا أن نطوف على القادة هناك ونأخذ فتاوى من القادة مصورة ومسجلة أن العرب إخواننا أنصارنا هؤلاء من الأئمـ

(١) يعني الحركات التي تخالف المذهب الحنفي والتي تؤدي إلى الصدام بالعوام من الناس.

هؤلاء حبهم جزء من ديننا، وأدخلناها إلى داخل أفغانستان، حتى يسكتوا عنا الأمين الذين تثيرهم الـ (بي بي سي) التي تذيع يومياً تسع ساعات لشعب الأفغاني، على الفطور ثلاث ساعات، على الغذاء ثلاث ساعات، على العشاء ثلاث ساعات، ساعة ونصف بالفارسي وساعة ونصف بالبشتو، على الفطور والغذاء والعشاء، ولذلك معظم ثقافتهم من الـ (بي بي سي) ونحن ماذا سنؤثر فيهم؟ الذين يعرفوننا يعرفوننا ويقولون هؤلاء كاذبون.

ويعلقون على بعض الأسماء البارزة بين العرب، فلان وفلان انتبهوا منهم.

الـ (بي بي سي) ليلتين متتاليتين عبد الله عزام من المتطرفين، دكتور فلسطيني جاء ليجمع الشباب المتطرف من العالم العربي، ويريد أن ينشر الوهابية من خلال سياف وحكمتيار ورباني، هؤلاء الثلاثة -ضربة واحدة يذبحهم- لأن الشعب الأفغاني سيكره القادة الذين هم وهابيون.

واحد من المنحرفين في الداخل عنده مجموعة ،قال اسمعوا.. أي عربي يمر في المنطقة اقتلوه، لا تحضروه عندي، ومن جاءني منكم بعربي حياً سجنته ! إثنين من إخواننا مارّين واحد مهندس حافظ لكتاب الله عز وجل وواحد ثاني راجع من أمريكا، كان يدرس، يعني ينشرح الصدر عندما تراهم، مسكوهم سألوهم أنتم عرب؟ جاءوا بهم عند القائد، أدخلوهم عند القائد،قالوا: أنتم عرب؟ قالوا: نعم عرب، قال: كيف وصلتم أحياء؟ أنا أوصيتهم أن يقتلوكم ولا يأتوا بكم. قال: وصلنا لك. قال له: أنت من أين؟ قال: من العراق. قال أنت من أين: قال: من سوريا . قال لهم: الذين ينشرون الوهابية فلسطينيون، وقاموا للصلاة ووقفوا إثنين وراءهم حاملين السلاح ليروا كيف يصلون ويضعون أيديهم على صدورهم ويفتحون أرجلهم كثيراً، انظروا عليهم، هذا واحد من إخواننا صار يرتجف، كم المسافة بين الرجلين؟ أقل من سنتيمتر أو أكثر من سنتيمتر حتى لا يقتلوهم من الخلف !!

هم يضعون أيديهم تحت السرة ، واليدين لا يرفعون، تأمين لا يوجد تأمين..المهم نظروا إليهم في الصلاة كلها، نجحوا.. نجّت حياتهم !!.

الـ (بي بي سي) مجرمون، صوت أمريكا، الصحف، الصحف تكتب ضدنا ، فقبل عشرة أيام كنا داخلين على المسجد الذي أخطب فيه في بيشاور،فإذا هم واضعين لي لغم دبابات تحت درجات المنبر مركب، ولم يكتفوا بلغم الدبابات الذي يدمر دبابة وزنها (٤٦.٥) طن، لا.. بل وضعوا فوقه ٢ كغم (تي أن تي) وشركوها على أساس يفجرونه من بعد بالريموت كنترول، وقبل الخطبة بنصف ساعة، الله عز وجل سبحانه وتعالى عرفنا بالمؤامرة، بقي لنا حياة نرى أهل الكويت ونقرأ في الصحف الكويتية أن عبد الله عزام من تجار الموت، ويجمع الفلسطينيين ويدخلهم داخل أفغانستان!!!

فجاء المؤذن يكنس وينظف المنبر، ثلاث خشبات مركبات مع بعضها البعض، زاح المنبر وجده ثقيل، طيب هذا خفيف، قلبه فوجد في أسفله لغم مركب.. اتصل بالبوليس الباكستاني وقالوا تعالوا.. أخذوا اللغم. اللغم يكفي لتدمير المسجد لأن هذا المسجد للشباب العرب، يصلون فيه، ويعرفون أنني أخطب فيه، قالوا: حتى نتخلص من العرب، لسنا قادرين أن نتخلص من العرب، أثرنا الشعب الأفغاني عليهم ما نفع، قلنا وهابية ما نفع، قلنا جاءوا للاستمتاع بأعراضكم ما نفع، ما في طريقة إلا أن نبيدهم...

سؤال: كيف تم تقديم مجددي رئيساً للدولة الأفغانية وهو الذي يقبل برجوع ظاهر شاه وما موقف حكمتيار من إعطاء وزارة للشيعة؟؟

جواب: الشيعة ٨٪ من أهل أفغانستان، والشيعة الآن مليون ونصف مليون تقريباً، ولهم دول تفرغت من أجل التدخل في أفغانستان وهل تظنوا أنهم أوقفوا حرب الخليج من أجل عيونكم؟،أوقفوا الحرب حتى يتفرغوا لأفغانستان قبل أن يصل المجاهدون للحكم ويعكروا الجو عليهم، وبدأوا يتدخلون في داخل أفغانستان من الداخل ومن الخارج، وباكستان تتعاطف مع إيران، والكل يضغط على المجاهدين وحتى الآن الحمد لله المجاهدون واقفون ، ما أدخلوا شيعياً واحداً في وزاراتهم ولا في مجلس الشورى، الخلاف ليس في دخولهم ولا في العدد، الكل موافق على دخول الشيعة في مجلس الوزراء، وفي مجلس النواب، لكن الخلاف على العدد، هم يطالبون بـ (١٠٠) مقعد من (٥٠٠)، فلما صارت المفاوضات اختاروا أصلب رؤوس إثنين من مجلس الشورى من القيادة وأرسلوهم إلى إيران ليفاوضوهم ،حكمتيار رأسه معروف بشتوني وياسر رأسه أقسى من حكمتيار، وذهبوا ليفاوضوا قالوا لهم: نريد (١٠٠) مقعد في مجلس الشورى، قالوا: لماذا؟ قالوا: نحن ثلث السكان، قالوا من أين؟ إحصائية الأمم المتحدة في أيام داوود ٨٪ من السكان ن(٨ × ٥ = ٤٠) مقعد لكم، قالوا: لا ..نحن ثلث السكان. قالوا نعاملكم حسب تواجدكم في أيام ظاهر شاه، مجلس الشورى الذي كان عند ظاهر شاه عنده (٢٥٠) وكان به (١٤) مقعداً لكم، ونحن (٥٠٠) نعطيكم (٢٨) مقعداً. قالوا: لا.. قالوا: إذا نعاملكم كما تعاملون أهل السنة عندكم ، بقدر الوزراء عندكم ندخل وزراء عندنا، بقدر السنة الذين في مجلس الشورى عندكم ندخل عندنا، فاختلفوا حتى الآن مختلفين، وما

أدخلوا ولا واحد.

سؤال: ما تأثير مجيء بنازير بوتو رئيسة للوزراء على الجهاد الأفغاني؟

جواب: أنا قلت لكم مقتل ضياء الحق كان طعنة في صميم الجهاد الأفغاني رحمه الله، ونرجوا الله عز وجل أن يتقبله، وإن كانت هناك دعاية من بعضنا أن ضياء الحق كان مسؤولاً عن إبادة الشعب الفلسطيني في مذبحة أيلول، ولا أدري من أين جاءوا بهذا؟ من أين جاءوا أن ضياء الحق هو مسؤول عن مذبحة أيلول، مذبحة أيلول أعدت في القاهرة ثم نفذت في عمان، والحاكم العسكري مع رئيس الوزراء، ضياء الحق ماذا كان وما شأنه؟ كان أحد أعضاء البعثة العسكرية في الأردن، جاء بعد (١٩٦٧م) من أجل تدريب الجيش الأردني، حتى يقف أمام اليهود.

ضياء الحق مات مظلوماً، لم يعرف الناس من هو ضياء الحق؟ لكن ربه يعلم من هو. طبعاً منذ أن جاءت هذه الحكومة ما أعطت قادة الجهاد شيئاً، كان ضياء الحق واقف وقفة ليست وقفة سياسية، كان واقفاً وقفة إسلامية، يمليها عليه دينه وعقيدته، وقتل من أجل أفغانستان، قتل ضياء من أجل أفغانستان، عندما أدرك الأمريكان أنه لا يمكن لضياء أن يتزحزح عن موقفه، لا بد من تصفيته جسدياً، فمنذ أن جاءت الحكومة هذه لم تساعد المجاهدين إلا قليلاً، ليس عن طريق الأمراء، عن طريق بعض القادة في الداخل يعطونهم، ولكن قطرة من بحر ضياء، أنا لا أنكر أن الأمريكان الآن يضغطون على باكستان كثيراً ويلعبون بها، هذا صحيح لكن ضياء الحق كان الأمريكان يضغطون عليه ولكنه رفض أن يخضع.

سؤال: هل يمكن لك أن تعطينا نبذة صغيرة عن كتابك (حماس الجذور التاريخية والميثاق)؟

جواب: تتبعت حركة الجهاد في فلسطين، وأثبت أن حركة الجهاد في فلسطين إنما هي حركة إسلامية من أساسها ابتداءً من عبد الشهيد سنة ١٩، ٢٩، ٣٦ ثم موقف الإخوان حسن البنا (٤٨-٤٩) ثم موقف الحركة الإسلامية (٦٩، ٧٠) يعني أن جذورها إسلامية، وأن الحركة الإسلامية أدت دوراً عظيماً. ثم جاءت بعد (٦٧) العلمانية دخلت مع الأحزاب التي إدعت أنها تريد أن تنقذ فلسطين، وقد سرقت أبناء فلسطين منا وهم سبقونا في هذا الميدان، لكن حماس بدأت الآن الحمد لله تستعيد الساحة الفلسطينية شيئاً فشيئاً، ونرجو الله أن يقويهم ويحفظهم ويبارك فيهم.

سؤال: أنا والد عبد الرحيم رشيد أبو عرجة الذي ذهب إلى الجهاد سنة ١٩٨٥م وإلى الآن لم نعلم عنه شيئاً، مرة يقال أنه أسر ومرة يقال أنه قتيل فهل هذا صحيح أم لا؟؟

جواب: والله أنا عاتب على والد عبد الرحيم أبو عرجة، بعد خمس سنوات يأتون يضحكون عليك الصحفيون، يقولون لك: عبد الله عزام أخذ ابنك وباعه، لأنه من تجار الموت، كم واحد عندك يا والد عبد الرحيم؟! عندك ستة أولاد!! إفرض أنك قدمت واحداً لله عز وجل، ارتفعت عائلتكم باسمه، من الذي يعرفكم بدون هذا الشاب الصغير، لك أبناء مهندسون من كبار الموظفين، من الذي يعرفه ويعرفك، يكفيك فخراً أن ابنك وقف أمام المحكمة الشيوعية في كابل، قالوا له: لماذا جئت أمام الروس والشيوعيين؟ قال: لأن ربي أمرني قالوا له: كيف دخلت؟ قال لهم: بل أنتم لماذا دخلتم؟ أنا دخلت لأني مسلم أقاتل وأنتم لماذا دخلتم أيها الروس؟ قالوا له: لو أفلتناك ماذا تصنع؟ قال لهم: سأحمل سلاحي وأقاتلكم مرة أخرى، يكفي هذا شرف لكم، بعد خمس سنوات يجرجروك على الصحف حتى يشوهوا علينا وعلى الجهاد الأفغاني، والله الذين كانوا مع ابنه،أحدهم قال لي أنني أحببت أن أفتديه بنفسي، في داخل الزنزانة كانوا الذين في داخل السجن يأتون في الليل ليترنموا بسماع صوت القرآن من ابنك، ولو بقي ابنك في الكويت، ماذا يعمل لك؟ ماذا؟ وجوده في الكويت ماذا كان في الكويت؟ رجل صنع التاريخ، أخذناه ولداً وصنعنا منه رجلاً، وبعد ذلك هو رجل بالغ عاقل، أنا جئت أخذته من بيتك؟ لا عقل يفكر فيه، هو جاءني إلى بيشاور أنا ما ذهبت إليه، قال لي: أريد أن أجاهد، الجهاد مفتوح، تفضل، كل الذي عملته أنني سهلت له أن يؤدي فريضة الجهاد، ثم بعد ذلك الصحف هنا تتسلى بعد خمس سنين من مجيئه، أربع سنين، سنة ١٩٨٥م لماذا فكرتم سنة ١٩٨٩ بعد أربع سنوات تأتون تكتبون عبد الله عزام من تجار الموت!!! يسرق أبناءكم أيها الفلسطينيون ويرسلهم إلى الموت!! نعم أنا من تجار الموت، أنا أطلب الموت لأصنع الحياة لأمتي، أنا أطلب الموت حتى توهب الحياة لنا، لتحيى بدمائنا المبادئ، نعم أنا تاجر موت، جئتك بقوم يحبون الموت على الحياة، وأنا أقول:

لئن عمرت جعلت الحرب والـــــــدة	*والسمهري أخاً والمشرفــــي أبـــا*
بكل أشعث يلقى الموت مبتسمـــــاً	*حتى كأن له في قتلــــــه إربـــــا*
فج يكاد صهيل الخيل يقذفــــــه	*عن سرجه فرحاً بالغزو أو طـــــربا*
إن المنية لو لاقتهــــــــم جفلـــت	*رعناء تتهم الإقدام والهـــــــــربا*

أنا من تجار الموت، امنعوا أبناءكم أن يأتوا إلي إذا استطعتم، ربهم سيخرجهم، لأنهم يعلمون أني أناديهم إلى الحق، أناديهم إلى مصانع الرجال، إلى مصانع العزة، إلى مصانع التاريخ، وإذا استطعتم خلّوا ابناءكم مثل الخيار والباذنجان!!!

سؤال: الدكتور المجاهد عبد الله عزام أعزه الله بالإسلام وشرفه بالجهاد وأكرمه بالشهادة، والله إني لأشتاق وأشعر بالفخر والزهو لأنني أسمع صوت إنسان جاهد في سبيل الله. نحن فتيات........ من بين أظهرنا بحثاً عن الجهاد وشوقاً إلى الشهادة في سبيل الله، مهورهن الجهاد والجهاد دونه السفر إلى أراضي الجهاد، هل يجوز لنا السفر إلى أراضي الجهاد دون محارم، فمحارمنا أشباه رجال وليسوا برجال!! وليس لنا أزواج يأخذوننا إلى هناك. إذا كان الجهاد في أفغانستان فرض عين هل التصدق على المجاهدين أمر واجب، وهل وجوب الصدقة على المجاهدين أولى من بر الوالدين، حيث أن والدي قد منعني من التصدق بجميع مالي في سبيل الله. أناشدك أن تسأل الله لنا بإخلاص عند التحام الصفوف أن لا يحرمنا لذة الجهاد في سبيل الله والشهادة على أرض الجهاد، حفظكم الله وثبت أقدامكم وربط على قلوبكم ونصركم على أعدائكم. -فتيات الجهاد-؟

جواب: لا يجوز للمرأة أن تخرج بدون محرم، لا بد أن تخرج بمحرمها، الأب، الأخ، الزوج، المهم أن يكون معها محرم.. أما الصدقة بمالها فيجوز لها أن تتصدق دون إذن أحد، دون إذن، وفرض على المرأة أن تجاهد بمالها، وفرض أن يُجاهد بمال الطفل الذي دون الحاجة -فرض- وفرض على الأمة المسلمة أن تسد حاجة المجاهدين من لباس وطعام وغذاء وغير ذلك، أما المالكية يشددون كثيراً في القضية، المالكية يقولون: إذا مررت على حائط يكاد يهوي ولم تعدله، أو لم تصلح حجارته ومر بعدك رجل أو طفل أو امرأة وانهار عليه هذا الحائط فإنك تدفع ديته، المالكية يقولون: إذا مررت على حيوان شاة لواحد وتستطيع أن تذبحه وأنت تراها تكاد تموت وتركت ذبحها فإنك تضمن قيمتها لصاحبها، لأنك أتلفت مالاً يمكن أن يُنقذ بسببك، فالآن حسب رأي المالكية كل واحد رجله تُقطع بالثلج في أفغانستان لأنه ليس له حذاء، الأمة الإسلامية يجب أن تدفع ديته، لأنها تسببت في قطع رجله، وهي تستطيع أن تشتري الحذاء له، كل واحد يموت من البرد بسبب عدم وجود كيس النوم (Sleeping Bag) بسبب عدم وجود الطعام إلى آخره، الناس مسؤولون عن ديته، الأطباء الذين لا يجدون عملاً في بعض البلدان. سمعت في الأردن ستة آلاف طبيب لا يجدون عملاً، (٨) آلاف مهندس لا يجدون عملاً، لا أدري ماذا يصنعون والجرحى تنشر أقدامهم بالمنشار، منشار الخشب، فهؤلاء يدفعون دية كل جريح يمكن أن ينقذ، وإذا غابوا يموت يدفعون ديته الأطباء الذين يعلمون ويستطيعون أن يصلوا إلى أفغانستان،فرض على الأمة أن تسد حاجات المجاهدين جميعاً.

سؤال: ما حقيقة الوساطة الفلسطينية في القضية الأفغانية؟

جواب: هم جاءوا يتوسطون، فقالوا لهم أنتم لا تصلحون للوساطة، أنتم طرف مع الروس طيلة السنوات، أين كنتم في السنوات الماضية، بل قال سياف كلمة ثقيلة، قيل له: لماذا لم تقبل مقابلتهم؟ هو رفض مقابلتهم، لماذا؟ قال: والله نحن في دور تحرير بقية أرضنا، وبعضهم متخصص في بيع الأراضي فلا يصلح أن نقابلهم.

سؤال: ما دور لجنة الدعوة الإسلامية في ساحة الجهاد الأفغاني، نرجو إعطائنا صورة واضحة مفصلة؟

لجنة الدعوة قامت بجهود مشكورة في ميدان الطب، ووقفت أمام الزحف الصليبي، ووضعت على الحدود نقاطاً طبية، صارت تلتقط الجرحى بعد أن كان الصليب الأحمر الدولي هو الذي يلتقطهم، صارت لجنة الدعوة هي التي تزاحمهم وتلتقطهم تنقلهم إلى المستشفيات المركزية، يعني قامت بدور مشكور، وعليها شباب ما شاء الله، ربنا يحفظهم ويبارك فيهم فإن شاء الله دورهم طيب مبارك.

سؤال: ما رأيكم في الإنتفاضة الفلسطينية وثورة أطفال الحجارة، وهل جاء دورك الآن للجهاد والتوجيه حيث أن الجهاد في فلسطين بحاجة للمخلصين والموجهين المجاهدين، بأنفسهم وأموالهم وكلمة الحق الحرة أمثالكم؟

جواب: نحن إن شاء الله قلوبنا في المسجد الأقصى، هل تظنون أنكم تفكرون في فلسطين أكثر منا؟ لكن انتظروا علينا قليلاً فقط نخلص الطبخة التي بين أيدينا إن شاء الله، لعل الله عز وجل ينصر الإسلام هناك في أفغانستان، ونصر الإسلام في أفغانستان حل لكثير من قضايا المسلمين في الأرض، هم لا يعلمون -الفلسطينيون- أن انتصار المجاهدين في أفغانستان هو جزء من حل قضيتهم، لا يدركون هذا، فقط يريدون أن نصيح عاشت فلسطين حرة إسلامية، عاشت فلسطين حرة إسلامية،وهل الكلام يرجعها؟ تريدون إعداداً، توجيهاً، تريدون تربية، تريدون أناساً يتعلمون على السلاح، أناس يعرفون كيف يعملوا الأنغام، كيف يضعوا ألغاماً لليهود، كيف يقتالوا، كيف يزحفوا، كيف ينسحبوا، أما بالكلام، الكلام لا يرجع فلسطين؟ مضى أربعين سنة نتكلم ماذا صنعنا لفلسطين.

ونحن إن شاء الله ربنا يفتح لنا ثغرة بعد أن نحرر أفغانستان إن شاء الله، قال لي حكمتيار: ماذا تفكر أن تعمل؟ قلت له: أنا

فلسطين، أنت الآن عامل لنا مكتب خدمات للجهاد الأفغاني، أنا أعمل لك مكتب خدمات للجهاد الفلسطيني، أنا هنا أمير وأنت عاما مكتب خدمات، لما تروح هناك أنت أمير وأنا اعمل لك مكتب خدمات للجهاد الفلسطيني، إن شاء الله، والقادة كلهم يفكرون في فلسطين يعني هم رغم هذا العداء العالمي، اليهود هكذا ينتفضون منهم هلعاً وخوفاً، نصوا في دستور الحكومة على أن هذه الدولة جهادية، وأن مخططاتها إعادة المسجد الأقصى.

سؤال: ما مصلحة المملكة العربية السعودية في تأييد قضية المجاهدين الأفغان سياسياً وشراء أسلحة استنجر للمجاهدين؟

جواب: لأنهم مسلمون، يعني إذا الحكومات الأخرى مقصرة، نحن نلوم الحكومة التي تدفع، ونتهم نيتها، جزاهم الله خيراً، فق ليس ستنجر، أنا أقول لكم السعودية تدفع كل سنة (٣٠٠) مليون دولاراً للجهاد الأفغاني، من ميزانية الحكومة، هذا عدا عن الشعب أكثر شعب قدم من الأموال هو الشعب السعودي، وأكثر بلد جاء منه شباب الجزيرة العربية، بلاد الحرمين، أكثر من أربعة آلاف شاب سعودي وصلوا إلى أرض الجهاد، أكثر من نصف العرب باستمرار من السعودية، أكثر من نصف الشهداء باستمرار من السعودية، أكثر من نصف التجار الذين يصلون إلى أفغانستان من السعودية، الحكومة الوحيدة التي تدعم الجهاد بالمال هي السعودية، بعد ذلك فسر كما تشاء، تفسر ،تتهمها، تقول عميلة إلى أمريكا، عميلة للشيطان، بنية مخلصة، بنية فاسدة هذاالله أعلم به.

أما أنا أقول لك الظاهر لنا أنها واقفة ،أما النيات يعلمها رب الأرض والسماوات، هنالك أناس يدفع للمجاهدين، وأناس آخرو يدفعون لروسيا، أول حكومة اعترفت بالمجاهدين، وكان هذا له وقع عظيم، الآن الأفغان يكنون المحبة للملكة العربية السعودية م أعماقهم، أما أن تقول إن ضياء الحق بأمر من الأمريكان ساعدهم، السعودية بأمر من الأمريكان، أنا والله لا أدري بأمر الأمريكان أ بأمر الشيطان، أنا الذي أعرفه أنني ميت من الجوع مشرف على موت، جاء واحد قدم لي صحن طعام، قال أنقذ حياتك، أقول له: أن سكران أو أنت فاسد أو أنت زاني، أنا لا أقبل منك، أنا سآخذ منه ولو كان يسكر صباحاً ومساءً، وإذا ما أخذت من يده الصحن وأكل منه ومت جائعاً أموت آثماً، قال أحمد: رجل غص بلقمة ورفض أن يشرب الخمر ليستسيغها، قال: يموت آثماً، أناس يحق لهم أكل الم جاءت السعودية قدمت لهم صحن أرز، رغيف خبز، يخلف عليهم، والناس البعيدين الذين يضعون (رجلاً على رجل)[1] ماذا يهمهم، أ الذي تحت القصف ويرى الناس يموتون جوعاً، يدرك ما هي قيمة وقفة السعودية بجانب هؤلاء، قالوا: هل يمكن أن السعودية تعتر بدون إذن أمريكا تسمح لها؟ ولماذا لم يعترف غير السعودية، إذا أمريكا سمحت للسعودية لماذا ما سمحت للكويت وغيرها أن يعترف لماذا لم تعترف الدول الأخرى؟

سؤال: شيخنا عبد الله عزام، يا من أحببناك في الله، حياك الله في الكويت، كيف يمكننا الإتصال بكم لتسلمكم تبرعات تصلك وتوصلها بيديك الكريمتين إلى إخواننا هناك؟

جواب: من إئتمنني أهلاً وسهلاً أوصل لهم إلى داخل أفغانستان مساعدات، من إئتمن لجنة الدعوة الإسلامية يدفع للجنة الدع وهم أناس على الرأس والعين، ومن إئتمن بيت التمويل فهم على الرأس والعين يأتون بها، ومن أحب أن يرسلها بيدي أنا أخذها، و أحب أن يرسلها إلي هناك، أنا إن شاء الله أدخلها إلى داخل أفغانستان، أنا عنواني في بيشاور (ص ب ٩٧٧)، من أحب أن يرس إلينا ولي رقم الحساب (٤٤) بنك الإمارات – بيشاور، وبإسمي، ومن أحب أن يرسل إليّ أهلاً وسهلاً، ومن أحب أن يرسل للجنة الدع أهلاً وسهلاً، ومن أحب أن يدفع إلى مندوبي المجاهدين أهلاً وسهلاً، من أحب أن يدفع إلى بيت التمويل، للهيئة الخيرية، لغيرها كثي المؤسسات، ونحن ندرك أن الشعب السعودي أكثر شعب قدم، ثم الشعب اليمني، الشعب السعودي أكثر شعب قدّم رجالاً وأموالاً اليمن، ثم الكويت أكثر الناس مالاً، لكن رجالاً ما جاءنا من الكويت يعني إثنين ، ثلاثة موجودون من الكويت، استشهد، أول شهيد م الكويت، وبعد ذلك خلاص لم نعد نرى أحداً، نرجو من الإتحاد الوطني أن يرسل لنا مجموعة من الشباب جزاهم الله خيراً، فالكو يعتبر البلد الثالث من ناحية الأموال التي قدمت لأفغانستان، كل الشعوب ساهمت، الشعوب، أما الحكومات لا يوجد إلا حكومتان قد قدمتا للجهاد –كحكومات–: السعودية وباكستان.

أولاً جزى الله الإتحاد الوطني خير الجزاء وبارك الله بكم ونرجو الله أن يحفظ هؤلاء الفتية وأن يزيدهم هدىً وأن يقيم ب الإسلام في الأرض، ومعذرة للإطالة، وإذا مسسنا بعض الناس بكلمات أو غير ذلك أرجو أن تسامحوا والله أعلم هل نراكم بعد الآن لا نراكم؟

وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) كناية عن الراحة والإسترخاء.

الشباب والتضحية

كتاب قيم لابن القيم:

كتاب (الفوائد) لابن القيم ، هذا من خيرة ما كتب ابن القيم كانه رجل في الثمانين من عمره جالس يحدثك عن تجاربه في الحياة، وهو كما سماه الفوائد كل ما كتبه ابن القيم من خيرة ما كتب في الاسلام والحقيقة ابن القيم ثمرة ناضجة لابن تيمية فابن تيمية يتميز بسعة الأفق وكثرة الإطلاع ولقد قضى فترة غير قليلة من حياته مجاهدا ما بين المعارك فمرة ابن تيمية خاض المعركة بنفسه، تخلى أمراء الشام عن مواجهة التتار وقالوا لانستطيع مواجهتهم، قال نحن نواجههم معركة شقحب ونصرهم الله، أقول: ابن تيمية أثمر ثمرة جنية ناضجة هو وابن القيم فابن القيم يتميز بعمق الروح وشفافية النفس وكثرة العبادة ولقد جاور ذات مرة في مكة فكان أهل مكة يتعجبون لكثرة عبادته واشتغاله بالذكر.

من كتبه التي كتبها الفوائد وكتب كتباً في التربية مثل [مدارج السالكين شرح منازل السائرين إلى رب العالمين] وكتب (أعلام الموقعين عن رب العالمين) وهو كتاب بين الفقة و الأصول وكتب (زاد المعاد في سيرة خيرالعباد عن دقائق حياة الرسول ﷺ) في صلاته وصومه وحجه وغزواته وطبه واستشفائه إلى غير ذلك وكتب عن (الروح) وكتب (بدائع الفوائد) له كتاب (الفوائد) وكتاب (بدائع الفوائد)الفوائد كتاب صغير وكتب (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي).

المهم يقول في كتابه الفوائد «عشرة أشياء ضائعة لاينتفع بها علم لايعمل به، وعمل لا إخلاص فيه ولا اقتداء ،ومال لا ينفق منه فلا يستمتع به جامعة في الدنيا ولا يقدمه أمامه إلى الآخرة، وقلب فارغ من محبة الله والشوق إليه والإنس به، وبدن معطل من طاعته وخدمته، ومحبة لاتتقيد برضاء المحبوب وامتثال أوامره، ووقت معطل عن استدراك فارط أو اغتنام بر وقربة، وفكر يجول فيما لا ينفع وخدمة من لا تقربك خد.ته إلى الله سبحانه ولا تعود عليك بصلاح دنياك وخوفك ورجاءك لمن ناصيته بيد الله وهو أسير في قبضته ولا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.

وأعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة إضاعة القلب وإضاعة الوقت، فإضاعة القلب من إيثار الدنيا على الأخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل والصلاح كله في اتباع الهدى والأستعداد للقاء الله والله المستعان».

هو لخص الفساد في أهم قضيتين إضاعة القلب وإضاعة الوقت، إضاعة القلب من إيثار الدنيا على الأخرة، وإضاعة الوقت من طول الأمل، وطول الأمل واتباع الهوى هما رمز الفساد ورأسه، واتباع الهدى والاستعداد للقاء الله هو أساس الصلاح كله..

(فأما من طغى وأثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) (النازعات: ٣٧-٤١)

الهوى منبع الفساد:

(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) إيثار الدنيا على الأخرة تفسد القلب (وأما من خاف مقام ربه) والذي يخاف يستعد الإستعداد الذي لايضيع الوقت (ونهى النفس عن الهوى) فهذان رمزالصلاح، خاف مقام ربه فاستعد للقائه ولم يضع وقته (نهى النفس عن الهوى) فأحيا قلبه لأن القلوب إنما تحيا باجتناب الهوى واتباع الهدى.

(يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) (ص: ٢٦)

والهوى هو أساس الظلم وأساس الإسراف وأساس الفواحش وأساس كل المفاسد، لأن من اتبع الهوى فقد جانب الهدى، فنحن وظيفتنا كما قال الله عز وجل:

(واتبع مايوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) (يونس: ١٠٩)

(قل يأيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن أهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين) (يونس: ١٠٨-١٠٩)

واتباع الهوى من الإستعجال، والصبر هو مخالفة الهوى، الذي يكف لسانه إنما يُصبّر لسانه عن أن يتتبع عورات الناس، والذي يكف بصره إنما يصبر على الإغراء الذي يقول للعين انظري، والذي يصبر عن الزنى إنما هو يقاوم الهوى الذي يستحثه بإغراءه بفعل الفاحشه، والذي يفطر في رمضان إنما هو يتبع الهوى، والصبر هو مقاومة هذا الهوى والذي يثبت في المعركة إنما هو يقاوم الهوى الذي يقول له اهرب بحياتك، والذي يصبر في سجون الطواغيت إنما يقابل الهوى ،الدنيا المفتوحة في خارج القضبان والذي يصبر على الفقر إنما يقاوم الهوى الذي يغريه بأخذ المال الحرام أو بالعمل في أعمال الحرام من أجل كسب المال بأي طريقة، ولذلك أسس الفساد كما قال طول الأمل فيضيع الوقت وأنت لاتدري متى يأتيك النذير، داعي رب العالمين أن هلم إلى الله عز وجل.

إغتنام فرصة الشباب:

(اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)، اغتنم الصحة، اغتنم خمسا قبل خمس، شبابك: لأنك تستطيع اليوم أن تصوم تطوعا وغدا عندما تقبل الشيخوخة لتاكل عظامك ولحمك وتقض مضجعك ،لاتستطيع أن تتحمل الآم الصوم،والآن أنت شاب تستطيع أن تقم الليل وتغالب السهر بركيعات، تقدمها لرب العالمين تشهد لك أو تؤنس قبرك وتؤنس غربتك يوما أن تقبل الوحشة، اليوم أنت في مقتبل العمر فتره الشباب وفترة الشباب يا إخوة هي فترة الجهاد، وفترة البذل والتضحية وفترة حب المعالي، فترة ليس وراءك إرتباطات كثيره فأنت وحدك أو معك واحده أو إمرأة وولد، لكن غدا كلما تقدمت بك السنين وكثرت عليك الواجبات، واقبلت عليك مشاكل الدنيا تريد أن تحل مشاكل أسرتك وأولادك وأقاربك وهكذا،هذه ستأخذ كثيرا من وقتك، فالآن أنت في فترة الشباب فترة الجلاد والجهاد والتضحية، كثيرا ماكنت أقول :أعجب للشاب الذي يخاف !! على أي شيء يخاف؟! وإذا كان في هذا السن يخاف فكيف يكون غدا؟! هذه الفترة مقتبل العمر،الشاب مستعد أن يقدم روحه رخيصة جدا في سبيل الله عز وجل ، ولذلك لو نظرنا إلى الناس الذين نصروا دين الله أول مرة لوجدناهم كلهم شباب، بل أكثرمن ثلاثة أرباعهم أو أربعة أخماسهم تجدهم دون العشرين ، لان هذه فترة البذل والتضحية ،يقول عبد الرحمن بن عوف في الصحيحين إني لفي الصف يوم بدر – فتقدم إلي شاب–حول الإحتلام أو تعدى الإحتلام فقال: أي عم أين أبو جهل؟ فقلت له: ما شأنك به– هو تعجب–، هذ الغلام يسأل عن أبي جهل ـ الفارس ، قائد الجاهلية ـ-قال: سمعت أنه يسب رسول الله ﷺ فوالله لإن رأيته لا يفارق ظلي ظله حتى أقتله أو يقتلني، قال ثم تقدم إلي شاب آخر في عمر الشاب السابق، فقال لي: أي عم أين أبو جهل ،قال ماشأنك به؟ فرد بنفس القول قال ; سمعنا أنه يسب رسول الله ﷺ والله لإن رأيته لن يفارق ظلي ظله حتى أقتله أويقتلني،قال وبعد قليل بدى أبوجهل من بعيد فقلت: هذا صاحبكم ــ هوعبد الرحمن بن عوف يحدث عن نفسه ــ قال تمنيت أن أكون بين أضلع هذا الشاب، يعني تمنيت أن أكون في صدرهذا الشاب، أن يكون قلبي مثل قلبه متحمسا متوقداً، يعني ; مقبلا على الموت قال فانطلقا إليه، وبعد قليل عادا فقالا يارسول الله قد قتلناه، قال: من قتله؟ قال معاذ بن عمرو بن الجموح أناوقال معاذ بن عفراء أنا، قال هل مسحتما سيفيكما؟ قالا: لا، قال أرياني أو كما قال ﷺ فوجد الدم، قال:كلاكما قتله فقضى لهما بسلبه ، يعني أعطاهما درعه وسيفه.

رسول الله ﷺ عندما تأكد فعلا أن أبا جهل قد قتل، وعبد الله بن مسعود جاء برأسه،عبد الله مسعود أقبل بين القتلى فوجد أبا جهل يسوق بنفسه في سياق الموت فجلس على صدره، ففتح أبوجهل عينيه فرأى عبد الله بن مسعود على صدره، فقال :ألست رويعينا في مكة؟! استكثر عليه كلمة راعي ،ألست رويعينا في مكة؟! قال: بلى يا عدو الله، قال: إرتقيت مرتقا صعبا يا راعي الغنم أو ياروبعي الغنم جلست على صدري؟ لم يجلس على هذه القمة، أحد ،قال لمن الدائرة اليوم– من المنتصر–؟ قال: لله ولرسوله، طبعا هنالك روايات أخرى لاندري مقدار صحتها أنه قال: بلغ محمدا إني عدوك حتى آخر نفس، وقد جاء في رواية أن عبد الله بن مسعود كان في مكة فضربه أبوجهل فجرح أذنه ، ثقب أذنه ، فعندما جلس على صدر أبي جهل قطع رأسه،وروي أن عبد الله بن مسعود ثقب أذنه وربط بها حبلا يبدوا أن رأسه كبير وجره، كان عبدالله بن مسعود نحيف ضعيف، فعندما رأى رسول الله صلى الله عليه رأس أبي جهل خر ساجدا شكر الله عز وجل وقال **(والله الذي لا إله غيره إن لكل أمة فرعون وهذا فرعون هذه الأمة)**، هذه الرواية في الصحيحين، وقيل أن رسول الله ﷺ بعد أن رأى الحبل في أذنه تذكر يوم أن ثقب أذن عبد الله في مكة فقال ﷺ لعبد الله بن مسعود

أذن بأذن والرأس زياده.

أقول: هذا أبوجهل الذي خلص الناس منه شابان في مقتبل العمر، في السابع عشرة أي الثالث الإعدادى أوفي الأول ثانوي كل واحد منهم يقابل صنديد وهو فارس -أبو جهل- ويقتلانه ويبشران رسول الله ﷺ بالخلاص منه، وأنتم لو رأيتم في معركة بدر أو معركة الخندق أو معركة مؤته أوغير ذلك مارأيت إلا الشباب.

في الحروب العالمية كانت بريطانيا وغيرها من الدول الكبرى تعتمد في تنفيذ العمليات الخطيرة على الشباب الذين هم في أسنان السابع عشرة والثامن عشرة أو التاسع عشرة لأنهم مستعدون أن يفعلوا كل شيء ..لا يقف طويلا للتفكير وكان الصينيون وهم يدربون الفدائيين يوصونهم أن يعتمدوا في العمليات على أناس بمثل هذه الأسنان وقالوا: العمليات التي تحتاج إلى مخاطرة كثيرة لا تدخل فيها *الكبار*، لأنهم قد يعطلون العملية كلها لأنه سيفكر ماهي نتيجتها، ماهي فائدتها؟وماهي الفلسفة والمنطق، ثم ما إلى ذلك سيمنعهم من البذل والتضحية، والدعوات لاتنتصر في بداية أمرها بالذين يفكرون كثيراً، إنما تنتصر بأصحاب العاطفة والقلوب،فالعواطف وحرارتها والقلوب واشتعالها هي التي تبذل التضحية ،أما العقول فهي التي تقول للإنسان لا تبذل ولاتضحي،العقل دائما بارد لا يميل إلى التضحية يميل للتدبير فإذا كانت العاطفة تقول له: ابذل والله يعوض فالعقل غالباً يقول: لا تنقص أموالك، إذا قالت العاطفة له: ضحي بنفسك،العقل يقول له: لو بقيت لنفعت الإسلام أكثر وهكذا فالعواطف هي التي تنصر الدعوات في بداية الأمر وأما العقول فهي لا تستطيع أن تغير السلوك الإنساني.

ولذلك نجد المفكرين والفلاسفه كلامهم في السماء وحياتهم الواقعية في حضيض أسن ،هنالك فرق شاسع بين مايدعون إليه والواقع الذي يعشون فيه، فيجب أن ننتبه إلى فترة سن الشباب قال أنس لقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه إلى المدنية وما فيهم أشحط -يعني رجل فيه شيب- اختلط سواد رأسه بالشيب إلا أبو بكر فقد غلف لحيته بالحناء والكتم، ما في ولا أحد فيه شيب سوى أبي بكر وأبو بكر في ذلك الوقت كان عمره في الحادي والخمسين من عمره، وعمر في الحادي والأربعين من عمره وهذا بعد البعثة بثلاثة عشرة عاما أما عندما بعث الرسول ﷺ والناس آمنوا به فأبو بكر كان في الثامنه والثلاثين من عمره والناس كلهم الذين أسلموا بين الخامسه عشرة والخامسه والعشرين ، بالأضافة إلى الأطفال.

فترة الشباب الله عز وجل يسأل عنها يوم القيامة سؤالا خاصا **(لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع :عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين إكتسبه وفيما أنفقه)** الله عز وجل سيسأل عن عمره ثم سيسأل السؤال الثاني عن الشباب مع أن الشباب فترة من العمر إلا أن الله عز وجل خصصها بسؤال خاص..

(الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعفٍ قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبه يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) (الروم: ٥٤)

طبعا أنت في هذا السن الشيطان يدخل لك من مدخل الدراسة ومن مدخل طول الأمل ،إذا قيل لك أدعوا إلى الله عز وجل و ابذل من وقتك شيئا لله، سيدخل لك الشيطان ويقول لك أنت الآن في فترة الدراسة غدا عندما تأخذ شهادتك سلاحك في المجتمع تعمل لله عز وجل.

أولا: أنت لا تدري متى ستتخرج ولاتدري متى ستموت، ولاتدري كيف ستقابل ربك فإياك وطول الأمل.

ثانيا: إذا كنت في هذا السن وتبخل على الله بجزء من وقتك فانت في الأيام القادمة ستكون أشد بخلا ولذلك شتان شتان، بين الذين ينصهر في الإسلام من صغره وبين الذي يكبر ثم يدخل الإسلام في الكبر شتان لماذا؟.

أولا:- لأن التربية أو الإستيعاب في الصغر أسهل بكثير، الإسلام يصبح جزءً من حياتك إذا كنت صغيرا فاعضاؤك ونفسك وحياتك تتحول قطعة من الإسلام بل أنت تصبح قطعة مجسمه للاسلام، كالشجرة الصغيرة والشجرة الكبيرة، الشجرة الكبيرة صلب عودها وخشن خشبها وليس من السهل أن تغير اتجاه فروعها، بينما الصغيرة توجهها حيثما شئت لأنها لازالت غضة تتلوى بين يديك كيف ما تشاء ولذلك رب العالمين يظل هذا الشاب الذي ينشأ في طاعة الله يوم لاظل إلا ظله **(سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: شاب نشأ في طاعة الله)** .

الإيمان في الصغر:

الحقيقة أنا لاحظت على أن الذين يدخلون الدعوات في صغرهم ، يكونون مختلفين كثيرا عن الذين يدخلون الدعوات في الكبر، يعني الدعوة الإسلامية عندما تمسك طالبا في الأول الأعدادي ثم يعيش في داخلها من الأول الإعدادي حتى آخر عمره هذا كله ينصهر ويصبح قطعة مجسمة من الإسلام .

أما الكبير ذو المنصب الاجتماعي أو الثراء أو ذو العيال أوغير ذلك ، خاصة عندما تقبل الدنيا عليه وجاء ليتوب ، هو يريد أن يدخل الإسلام بحجمة، فإذا كان وزيراً يريد أن يحترم وأن يدخل الاسلام بنفس الحجم الذي يعيش فيه بالمجتمع فلا يستطيع أن ينصهر، فتدخل معه في الإسلام كثيرا من عاداته الجاهلية وحبه للدنيا وحبه للمدح، يريد أن يحترمه الناس ليس من السهل أن يجلس بأدب ويتعلم هذا الدين كما أنزله الله عز وجل بالأضافة إلى أنه هنالك جذورا كثيرة قد اشتبكت مع الجاهلية ، فهذه زوجته قد تعودت الرقص في الحفلات، وهذه إبنته قد تعودت المشي مع الأولاد ،وهذا قريبه قد إعتاد أن يسكر أمامه وهذه إبنته تعودت أن تصافح الناس القادمين ، وهذه أخته قد تعودت أن تستقبل الناس وتجلس معهم رجلاً على رجل وتشرب القهوة والشاي ،وهذا كله سيتغير يجب أن يتغير إذا أراد أن يعيش الاسلام فهو سيجد صعوبة بالغة في محاولة صهر هذه الحياة كلها وموائمتها وموافقتها لهذا الدين، بينما لوكان هذا صغير في الدعوة الإسلام ويعرف الإسلامية يكون قد خاض معركة طويلة مع بيته،وما تزوج إلا البنت المسلمة لأنه مسلم وهو يبحث عن الإسلام الشرط الأول في زواجه ،أما الذي مضى عليه الوقت فإنه يبحث عن ذات الجاه أبنت الأمير الفلاني أو إبنة الوزير الفلاني،أو إبن الثري الفلاني لأنه تزوج لكي يعلو، ويصعد على ظهر زوجته في الحياة الإجتماعية ، لكي يذكر إذا ذكرت أو إذا ذكر أهلها ،أو لكي يتصدر المجالس ويقول:أنا صهر الوزير الفلاني،أو أنا صهر العشيرة الفلانية ، ولذلك إذا أراد أن يشد هذا كله ويعيده إلى بوتقة الإسلام سيجد عنتاً شديدا،ماذا يفعل بشركته التي قامت على الربا؟ ماذا يفعل بأرضه التي استدان ثمنها من البنوك؟ ماذا يفعل بأصدقاءه من أهل الدنيا وهم يمسكون زمام البلد، ماذا يصنع بهذا كله؟ سينقطع عن هؤلاء، سينقطع عن أصدقائه، سينقطع عن اصحابه، ستنتهي تلك الحفلات الليلية والرقصات الخالعة والسهرات الماجنه والموائد الخضراء ستنتهي، ليس من السهل على المرأ أن يضرب بهذا كله بقدمه ويعود إلى الله عز وجل.

فترة الشباب من أهم فترات العمر، صدقوا يا إخوة: رأيت بعضهم ممن هداه الله عز وجل على كبره إلى التعرف على الصلاة والمداومة عليها والزكاة، كان يقول لي أنا: أشعر أني منافق لأن شركتي لا أستطيع أن أتعامل بها إلا بالربا، لأن المطلوبات مني في الشهر مئات الالوف، و عندما أقوم أصلي ،أشعر بألم داخلي لا أستطيع أن أصفي وأنهي ، وفي نفس الوقت أنا أريد أن أتجه إلى الله سبحانه،هنالك صعوبة شديدة في العودة إلى الله عز وجل في هذا السن الكبير.

أذكر كنا نعقد جلسة في عمان مع أناس لهم مناصبهم الإجتماعية وثرائهم وشركاتهم وغير ذلك ، فمرة سألني أحد الجالسين: ما رأيك في رجل لم يصم في حياته، وعمره أربعون أو خمسون سنة؟ فقلت له: هنالك فتوى عند الحنفية على أن كفارة واحدة تسد عن الكفارات جميعا، فإذا صام شهرين متتابعين تسد عن جميع ما عليه ،كان أحد الجالسين عمره في الأربعينات من عمره لم يصلي من قبل ولم يصم من قبل –ليس هو السائل– فأعجبته هذه الفتوى وقرر أن يتوب إلى الله عز وجل، وأنا أعطيت ذلك الدرس وغبت عنهم، وبعد فترة زرت البيت الذي أعطيت فيه الدرس ،وإذا بالرجل الذي عمره بين الأربعين والخمسين – الذي يصوم جالساً– قال لي صهره: ألم تعلم، قلت ماذا؟ قال أن فلان المشهور منذ أن سمع تلك الفتوى في اليوم الثاني بدأ الصيام والصلاة –وهو تاجر– في وسط الصيف في تموز،يصوم فتألم أهله لحاله لأنه بدأ يصوم، فذهبوا وسألوا شيخاً آخر فقال هو إذا تاب يصوم حسب استطاعته ، قلت لا.

يقول لي هذا الرجل التائب كان الناس يأتونني في شدة الحر في ذلك الشهر، يعني ما شهدت عمان في ثلاثة أيام أو أربعة أيا، في تموز ما شهد الناس مثله،هو يعمل تاجر يفتح ثلاث محلات (للنفوتيه) في جبل عمان واحد ، في جبل الحسين واحد وفي جبل الويبدة، قال . كان الناس يأتوني ليأخذوا من الثلاجه ماء وأنا صائم ، وطيلة النهار لعابي يصب في داخل جوفي كأنه السوس – السوس هذه مادة تروي العطشان بسرعة، الصائمون عندنا يستطعمون مادة السوس لأنها تروي الظمآن – العطشان – قال طيلة النها ينقط في حلقي كأنه السوس وأنا صائم.

أنهى صيامه – هو جاد في أمر دينه – (النوفوتيه) محلات ملابس النساء ،وتأتي النساء لتقيس على أجسادهن ، تقيس اللباس الخارجي واللباس غير الخارجي وما إلى ذلك، فهو شعر أن هذا العمل لم يعد يوافق حياته الإسلامية الجديدة ، فصمم أن ينهي ك تجارته وبسرعة ،صفّى محلاته الثلاثة وجاءني بكمية من هذه الملابس وقال تصدق بها على الفقراء، يريد أن ينهي هذه التجارة الت تجمعه بالنساء ، وحول المحلات لبيع السجاد، قال محل السجاد هذا ليس هنالك مجال للنساء فيه.

غيرها دكتور محمد عمر رحمه الله حمل قنبلتين ومسدس وذهب إلى بدخشان على بعد ٩٠٠ كيلو متر من بيشاور، مشاها يحمل قنبلتين ومسدس وهجم على معسكر كبير لداوود، وكانت أجهزة داوود تبث الدعايات، هؤلاء خارجون على الإمام، خارجون على الحاكم الشرعي، هؤلاء بغاة يجب قتالهم، وإن كنت أنسى فلا أنسى قصة الشابين اللذين جرحا في بنجشير هجموا على بنجشير وجرح إثنان شابان من كلية الهندسة من أبناء الدعوة الإسلامية وواحد منهم أستاذاً في الكلية، فخرجا وزحفا إلى مكان فجلسا، فمر عليهم راع ورأى دماءهم تنزف قال من أنتم؟ قالوا نحن نجاهد في سبيل الله جرحنا هنا فتذكر الراعي أن الإذاعة قالت: أن هؤلاء بغاة وخارجون على الإمام، قال ماذا تريدون؟ قالوا نريد أن نشرب ماء قال انتظروا فذهب الراعي وجاء بحجر كبير وضرب رأسيهما وقتلهما لأنهم خارجون على الإمام، بغاة هؤلاء!!!، ثم ذهب فرحاً هذا الراعي يخبر إمام المسجد قال: لقد قتلت إثنين من البغاة هؤلاء الذين تتكلم عنهم الإذاعة، قال من؟ قال له اثنين هنا جنب بنجشير قال له: هؤلاء من خيرة أهل العصر، أنت قتلت مسلمين صادقين مجاهدين وكيف يمكن أن يغفر لك الله هذا؟ ولذلك عندما سمع الراعي قول إمام المسجد جن الراعي، طبعا وتجد من المشايخ من يفتي أن هؤلاء بغاة يجب قتالهم والآية حاضرة..!!

(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض) (المائدة: ٣٣)

وهذه الآية وأمثالها طبقت على الأستاذ سيد قطب رحمه الله، وخرج كتاب من الأزهر الشريف كتاب بأكمله يكفر سيد قطب، بدأت بفتوى من شيخ الأزهر- هو عند ربه الآن ثم- تلاه كبار علماء الأزهر يكفرون هذه الفئة ويعتبرونها خارجة على الإمام يجب قتالها وقتلها، المهم يوضع على صدر الواحد منهم قماش أبيض تكتب عليه هذه الآية وتحتها:

(ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) (البقرة: ١٧٩)

هؤلاء المشايخ في كل زمان ومكان الذين يعبدون الطواغيت من دون الله عز وجل..

(اشتروا بآيات الله ثمنا قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون) (التوبة:٩)

يبيعون دين الله بثمن العنز كما قال الحسن وغيره «يغدوا أحدهم في سخط الله ويروح في غضبه، يبيع أحدهم دينه بثمن العنز، بأكله بل بأقل من ذلك ، بابتسامة من الطاغوت والله عزوجل يأبى إلا أن يسلط الطاغوت نفسه عليهم ورأينا هؤلاء الذين كانوا يحاربون أولياء الله ودين الله من أجل الطاغوت ، قبل أن يموت الطاغوت ينتقم منهم، من الذي قتل عبد الحكيم عامر؟ أليس عبد الناصر؟! يقول عبد الناصر لقد أخذ فنجان القهوة الذي فيه السم أمامي!!!، شعراوي جمعه الذي كان وزيراً للداخلية ، ومنع إدخال الفواكه إلى السجون نكاية بشباب الدعوة الإسلامية في مصر، ودارت الأيام وسجن الأستاذ محمد قطب مع أخته حميدة في القناطر الخيرية وطلب محمد قطب بعد سبع سنوات أن يرى أخته –وهي في نفس السجن– فقال: مدير السجن أنا ما أقدرش عليها، إرفعها إلى مدير السجون العامة حتى ينظر من بعيد إلى أخته في نفس السجن!!، مدير السجون العامة قال: أنا ما أقدرش عليها ثم إلى وزير الداخلية ، وزير الداخلية كان شعراوي جمعه، قال : قولوا لمحمد قطب لن يرى أخته لا حية ولا ميتة، ومنع إدخال الفواكه على السجناء جميعاً نكاية بهؤلاء الدعاة !!وما مضى سنة واحدة على كلام شعراوي جمعه هذا حتى كان شعراوي جمعه نفسه في السجن ومحمد قطب وأخته في الدار..!!

(ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم...) (إبراهيم: ٤٢)

وجاءت زوجة شعراوي جمعه ومعها الفاكهة لتزوره، الشرطي فتح.. قال هذه فاكهة؟ قالت (دول لشعراوي بيك) قال شعرواي زوجك؟ قالت له أيوه، قال لها زوجك أدى أمر ممنوع إدخال الفاكهة للمساجين وأنا شرطي تابع لوزارة الداخلية كنت أطيعه طاعة تامة ، وسأطيعه وهو في داخل السجن والله لن يذوق حبة واحدة.

ليس بيدك، القدر بين رب البشر يجريه كما يشاء والقلوب ليس بأيدي أصحابها..

(واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) (الأنفال: ٢٤)

وقلب هذا الطاغوت الذي حارب الإسلام من أجله، ليس بيده إنما هو بيد خالق القلوب « ومن أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » وكتب معاوية رضي الله عنه إلى عائشة رضي الله عنهما، أوصيني ولا تطيلي عليّ قالت

بسم الله الرحمن الرحيم (من أرض الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرض عنه الناس، ومن أسخط الله برضو الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس) الحديث صحيح أو حسن على الأقل، وأعلم على أن رضى الله لا يجره حرص حريص ولا ترده كراهية كاره.

نماذج واجهوا المحنة:

الشباب هؤلاء بقوا يشتغلون ،لكن معظمهم استشهد في سبيل الله، وكانوا نماذج فريدة يحدثني الشيخ سياف عن هذه الصفو التي فجرت الجهاد في أفغانستان منهم إنجنير حبيب الرحمن الذي سمينا هذا المسجد باسمه ،كان أميناً عاماً للحركة الاسلامية في أفغانستان كان يدرس في كلية الهندسة هذا الشاب يقول لي الشيخ سياف: بدأ يشكو في الجامعة قسوة قلبه لإخوانه فقالوا ماعلام قسوة قلبك؟ قال والله يا إخوه قبل أن أدخل هذه الجامعة المختلطة كنت أسمع تسبيح الحجر والشجر، منذ أن دخلت الجامعة صرت ' أسمع شيئاً، كانوا نماذج فريدة.!!

أرسل داوود وراء مولوي حبيب الرحمن ـ خريج كلية الشريعة ـ وتكلم معه، قال لا رجوع عن هذا الطريق (إن الحكم إلا لله) شباب وُضعوا في السجون، كبار المجرمين من الحشاشين داخل السجون كانوا لا يصلون، لكن ينتظرونهم بباب مسجد السجن حت ينهوا فإذا أنهوا رتبوا لهم الأحذية حتى يأخذوا أجراً -الحشاشين!!- الناس يحترمونهم احتراماً عجيباً، حكم على الشيخ سياف بالإعدام ،أحد كبار الحشاشين علم أن سياف سيعدم قال لسياف قل لمدير السجن عندي عشرين مليون روبيه أفغانية خارج السجن، إ قبل أن يفلتك سراً أنا أكتب له ورقة ويستلم المبلغ، حشاش!!، احترامهم عجيب لهم – الحقيقة كانوا محط أنظار الناس ويوم أن أراد في السجن تنفيذ حكم الإعدام بمئة وسبعة عشر شاباً من خيار أبناء الحركة........

هذه قصة نجاة الشيخ سياف قرروا في ليلة واحدة إعدام مئة وسبعة عشر من أبناء الحركة الاسلامية ، منهم الشيخ سياف،كا ما عندهم وقت يعلقوا مشانق، فيقتلون بالرشاش وكان عندهم مثل البلدوزر، هذا يحفر خندق ويصفُّوهم على باب الخندق ، ثم يرشو الرشاش فيسقطون في داخل الخندق ويأتي البلدوزر ويدفنهم مرة أخرى، هم كانوا في عنبرين أخرجوا الشباب الذين من العنبر الأو وبدأوا يوثقون أيديهم ويزجونهم في داخل السيارات ،فعلموا على أنهم يذهبون إلى المقصلة وعندها قاموا إلى الشرطة وهجموا عل الشرطة ،أخذوا البنادق ، وجدوا البنادق فارغة من الرصاص، وصاروا يضربون بأكعاب البنادق، بالحجارة بالخشب، أعزة -حتى آخ لحظة- الرشاشات التي فوق السجن من الدبابات التي تحرس السجن ، أمرت بفتح الرشاشات عليهم، فتحت الرشاشات على السيارة اللتين تحملان الأخوة، فتمزقت لحومهم في داخل السيارات، الرجلان اللذان أطلقا النار جنّا، إنطلقوا إلى العنبر الثاني العنبر الثا فيه الإخوة ،لم يخرجوا أغلق الأخوة باب السجن، باب السجن حديد كثيف لا يخترقه الرصاص فصاروا يلقون من نوافذ العنبر الصغير يطلقون عليهم قنابل وبقوا يطلقون عليهم قنابل حتى الرابعة صباحاً، من الحادية عشر ليلاً حتى الرابعة صباحاً حيث سقط آخر شم من السيارتين، حملوهما ووضعوهما باب السجن قد تخرقت جميعاً، صارت أصوات التكبير تخرج من هذه السيارات ،صار الحرا عندما يقفون بجانبهما يهربون، فأخذوهما بعيداً عن السجن وأحرقوهما.

الشيخ سياف كان في سجن آخر، إسمه معهم، في الصباح جاء مندوب الداخلية ووجد الجثث المترامية والأعضاء المتنا والجماجم المتحطمة فوقع على الورقة (نفذ حكم الإعدام في الجميع) وكان الشيخ سياف وواحد آخر في سجن آخر، هذه المذبحة صا في بولي چرخي، سجن كبير في داخل كابل، وسياف كان في دهمزنك، سجن آخر في كابل، فبقي سياف حياً في الواقع ،ومعدوماً أوراق الحكومة ،لكنه من قبل الشيوعيين معروف حفيظ الله أمين رئيس الجمهورية يعرفه ،كان رئيس وزراء ثم صار رئيس جمهور بابرك كارمل يعرفه ، كل الشيوعيين يعرفونه من خلال الصراع في داخل جامعة كابل.

فصار كلما جاء مجموعة من الناس تفتش على السجون- المكان الذي لا يدخلونه هو مكان الوضوء- فكان يدخل ويغلق على نف الباب حتى تذهب اللجنة، قبل أن يدخل الروس بسبعة أيام تماما علم حفيظ الله أمين أن سياف حي، فاتصل بمدير الأمن العام- أ كان إسمه بيمان -قال خذ سياف إلى المقصله أو يهاجم الأشرار، كان المجاهدون تابعون لحكمتيار ورباني وقد وصلوا إلى مشارف ك ويريدون أن يدخلوها – إن لم يهاجم المجاهدين فخذه إلى المقصله ، فقال له مدير الأمن العام معك إلى يوم السبت، إن لم تها المجاهدين سنقتلك، فأرسل يستشير إخوانه في كابل -المختفين - ويستشير أمه، إخوانه قالوا قف على التلفزيون أو حيثما ش وهاجمنا حتى لا يقتلوك وأمه قالت لا تهاجمهم وإن قتلوك.

يوم الجمعه قتل أحد وزراء حفيظ الله أمين وجرح إبن أخته ثم انشغلوا به يومين ثلاث ،ثم أمر حفيظ الله أمين أن يغادر قص

من القادة دخل مئات المعارك، والله سألت انجير ضياء قتل له حضرت حوالي مئة معركة؟ هذا قائد مكان صفي الله أفضلي في هرات، قال: أظن حوالي ألف معركة ولازال حيا في هرات في أفغانستان، هذا أحمد شاه مسعود كم محاولة حاولتها روسيا لتغتاله، والله عز وجل ينجيه وحتى الآن ما جرح ولا قتل،

فلذلك إن الذين يريدون مجتمعا اسلاميا ترفرف عليه راية التوحيد راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويسعد الناس فيه بالاستظلال بفيء شريعة الله ،لابد أن يجاهدوا ولايمكن أن يقوم دين الله أو ينتصر بدون جهاد طويل كجهاد أفغانستان والآن فرصة أفغانستان مفتوحة ليس لأحد عذر بعد مرور أربعة عشر عاما، الآن عن بداية الجهاد وبعد مرور عشر سنوات من اشتداد القتال في أيام تراقي، مرور ثمان سنوات من دخول الروس ليس لأحد بعد ذلك عذر.

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجــوم

فطعم الموت في أمر حقيـر كطعم الموت في أمر عظيـم

كلها، ميتة فلتكن في سبيل الله، كلها ميتة ،فلتكن محاولة للشهادة في سبيل الله، كم روح للإنسان؟ واحدة، وتخرج مرة واحدة..

يرى الجبناء أن الجبن عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم

الآن بعض الناس ينظرون إلى هؤلاء الشباب فيُشفقون عليهم، يقولون مساكين هؤلاء الشباب تركوا جامعاتهم وتركوا وظائفهم وتركوا أهاليهم وجاءوا إلى أفغانستان ،هؤلاء متهورون طائشون لا يقدرون المسئولية ولا يفكرون بالعواقب، لا بد أن يكون عندهم اتزان وعقل.....

يرى الجبناء أن الجبن عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم

في واحد موظف كبير في بلاده يسأل دكتور من أصدقائنا قال له صحيح الشيخ عبد الله يقول للطلاب يتركوا جامعاتهم ويذهبوا لأفغانستان؟ قلت والله لو سألني هذا السؤال لقلت له يجب عليك أن تترك الكرسي الذي أنت فيه وتأتي لأفغانستان، وهل الفرض عليه استئذان الوالدين؟ لا استئذان للوالدين ولا لأحد من العالمين ،وقوله ﷺ (ففيهما فجاهد)، هذا يعارضه حديث آخر رواه بن حبان واورده ابن حجر في شرح هذا الحديث والذي بعثك بالحق لاتركنهما وأجاهد.

قال ابن حجر والتوفيق بين الحديثين أن الحديث الأول في فرض الكفاية ففيهما فجاهد -في شرح البخاري هذا- والحديث الثاني في فرض العين،

الشبهة الثانية الآن التي تقول: كيف نقاتل وليس لنا أمير،

لا أدري والله لا يقرأون الفقه؟! يقول ابن قدامة: فإذا عدم الإمام لم يؤخر الجهاد، لتفويت مصلحته بتأخيره نبقى ننتظر حتى متى؟ اخذوا فلسطين سنة (٤٨) ونحن ننتظر، اخذوا الضفة الغربية والجولان وسيناء سنة (٦٧) ونحن ننتظر، دخلوا أفغانستان ونحن ننتظر، متى يصبح الجهاد فرض عين؟! ليت شعري متى يصبح الجهاد فرض عين؟! أعداء الله يدقون أبوابنا من كل جانب كل بقعة من بقاع الإسلام الآن مهددة فأين؟ لا ملجأ من الله إلا إليه، نحن الآن نلجأ لأمريكا حتى تحمينا من الشيعة أليس كذلك؟ ولو..!! مات الرجال لماذا؟ لماذا أمريكا؟ لماذا ما يكون كل واحد منا قنبله، لماذا؟،

إنما الاسلام في الصحرا انتفض ليكون كل مسلم أســـــــد

الهند ٨٠٠ مليون لما هجمت على باكستان في الستينات وجهت ٧٠٠ دبابه، أو ٨٠٠ دبابه للاهور ووصلت قرب لاهور -الدبابات الهندية- توجه لها ٧٠٠ باكستاني كل واحد على صدره حزام ناسف، ورمى نفسه تحت الدبابه ،انفجر بالدبابة وهزمت الهند، وهزمت الهند بسبعمائة واحد انتهت المعركة بسبعمائة واحد، تريد سبعمائة واحد ، قالوا هذا أليس انتحاراً؟ قلت لهم هذا كما يقولون ابن تيمية والجصاص وغيره..

(ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد) (البقرة: ٢٠٧)

وهل أكثر من أن يجود بنفسه لله، يقول ابن تيمية ويجوز قتل النفس إن كان في ذلك مصلحة للدين ،كما فعل الغلام ،قال للملك أعرفك كيف تقتلني ،خذ سهما وقل بسم رب الغلام أقتل هذا الغلام فقتل الغلام فقالوا: آمنا برب الغلام.

الشبهة الثالثة: يقولون كيف نقاتل مع الافغان وكلهم بدع وكلهم شركيات؟

أنا أقول لهم ما يقوله ابن تيمية رحمه الله ، تعرفوه ابن تيمية؟! شيخ الاسلام، يقول شيخ الاسلام ابن تيمية في الجزء الثامن والعشرين صفحة (٥٠٦) احفظوه ،ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل

إلى مكان آخر، الروس بدأوا يستعدون للدخول، يوم الخميس دخل الروس وقتلوا حفيظ الله أمين عندما دخل الروس بدأت الطا
تضرب والرشاشات تضرب في داخل كابل والمدفعيه، حفيظ الله أمين ، بدأت الرشاشات تضرب مكانه ، قال لحارسه أخرج لعل الأ
وصلوا، الأشرار يعني (المجاهدون)، طلع قال له: أصحابك الذين وصلوا -الروس- قال له: قل لهم ماذا يريدون أن أوقع لهم عليه؟
الرصاص لم يمهله وجرح، سحبوه من رجله مثل الكلب -إبنه والطباخين- للمطبخ وضعوه تحت طربيزه في المطبخ دخل الجنود ، قد
عليه درج دخلوا عليه وقف إبنه يتلقى عن أبيه قتل، جروه من تحت الطربيزه وقتلوه إلى جهنم وبئس المصير، هذا الذي نفذ انقلاب د
وهذا رئيس الجهاز العسكري للحزب الشيوعي، وهذا الذي نفذ الانقلاب لتراقي، وهذا الذي حفظ الشيوعية وأقامها في د
أفغانستان ،ماذا فعل به الروس؟ قتلوه وربطوه في جنزير إحدى الدبابات تطوف به في شوارع كابل.

سياف لا زال حياً، الحزب الشيوعي اجتمعوا أرادوا أن يخرجوا كل المساجين إلا السجناء الخطيرين عليهم، فقالوا سجلو
-لمدراء السجون- سجلوا لنا أسماء المساجين الذين عندكم ،جاءوا على السجن الذي فيه الشيخ سياف وهذه المرة خرج مدير ال
من تلاميذه ،قال له ماذا يريدون هؤلاء؟ قال أخذوا أسماء المساجين قال أريد أن أخلص من هذه الحياة، تعطيهم الإسم ويقضي
أمره، قال له ما اعطيتهم إسمك قال له أركض لم يلحقهم كتبت الأسماء، الأسماء حوالي ١٢ ألف سجين، جاء الحزب الشيوعي
الأسماء ووضعوا دوائر حمراء حول الخطيرين حول ثمانين واحد ثم جاءوا والناس قد اجتمعوا كلهم في بولي چرخي ١٢
والطائرات تصور ومدير الأمن العام ينفخ في بوقه على أساس أننا نحن جئنا لكي نحرر الشعوب ونحرر المساجين وما إلى ذلك
فلان وفلان وفلان الثمانين عدوا الثمانين بيقوا والبقية قالوا اطلعوا، فلو كان اسم سياف مسجل لبقي.

مدير الأمن العام يعرفه، قال لكن هومشغول بالنظر الى الطائرات التي تصور، حتى تطلع صورته بالتلفزيون ،الشيخ
كانت لحيته إلى وسطه في ذلك الوقت تقريباً فلف لحيته بالبتو -القطيفه- تعرفون القطيفه الأفغانيه ،لفها بها وخرج ،وصل إلى
كأن صاعقه نزلت عليهم من السماء ، قالوا ولي...!! [1] هذا بعده حي؟ الدبابات والطائرات ستهدم قريتنا، ذهب أهل قريته و
بإخبار الحكومه أن سياف حي وهو في البلد، حركوا له اثنتي عشرة دبابة، الطريق الى بيته ضيقه هو كان قد غادر البيت، لكن من
كان يجرؤ أن يؤوي سيافاً، روسيا دخلت الآن، ليس الشيوعيين فقط والدنيا- ثمان وعشرين ديسمبر دخلوا في ٢٧ ديسمبر-
تغطي كابل ويغمان وشاول خيل وكل المنطقه، فأخذ أولاده وزوجته وهام على وجهه لايدري من الذي يؤويه، الدبابات وصلت، قرب بي
أن تصل البيت كانت الدبابات تريد أن تحرث البيت ،قبل أن تصل البيت خربت الدبابه الأولى، الطريق ضيقه لا تستطيع أن تتح
التي بعدها، نزلوا، حاولوا تشغيلها، من هدير الدبابه وهم يحاولون تشغيلها خرج أهل الدار، إخوانه ،أمه ما إلى ذلك ، وجد
الدبابات متوجهه إليهم ، هربوا من البيت وبقيت أمه، ترجل الجنود ودخلوا البيت وفتشوه أين سياف؟ يفتشون تحت التخت
الفراش ما إلى ذلك ،قالت سيّاف خرج فأخذوها حافية ووضعوها على الثلج حافيه مدة ساعتين ثم عادوا خائبين.

أحد أقارب سياف اسمه دوست محمد- الآن رئيس الحرس عنده -له سياره قال: تعال ياشيخ ووضعه في السياره ومن كا
بيشاور، رجولة !! المسأله تحتاج رجولة، وضعه في السياره وسار به حتى وصل إلى بيشاور، بمجرد أن وصل إلى بيشاو
المجاهدون إليه يونس خالص ومجددي ومحمد نبي ورباني وجيلاني وقالوا له نريد أن تصير رئيسا للاتحاد، قال اتركوني أنا
الآن وما إلى ذلك ، إذا أردتم أن تشغلوني شغلوني عمل عسكري ، سلموني جبهات كابل أديرها ، قالوا لا... أنت الآن إن شاء الله
الاتحاد، حملوه حملا وسلموه الاتحاد وسموه الاتحاد الاسلامي لتحرير افغانستان.

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) (آل عمران: ١٤٥)

قولوا لأمهاتكم اللواتي يخفن عليكم (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) وقولوا لهن إن خالد بن
مات على فراشه، وقال على فراش الموت (لقد شهدت زهاء مئة زحف وما في جسدي شبر إلا وفيه رمية بسهم
طعنة برمح أو ضربة بسيف وها أنا أموت على فراشي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء) لا نام
الجبناء طمأنوا الذي يخافون عليكم إنْ جئتم للجهاد أي للقتال على أنه:

أي يومي من الموت أفـــر	يوم لا قدر أم يوم قـــدر
يوم لا قدر لا أرهبـــه	ومن المقدور لا ينجو الحـذر

طمأنوهم على أن القدر لاينتظر الأسباب، وإذا أراد الله انفاذ أمر سلب من ذوي العقول عقولهم، طمأنوهم على أنه كم

(١) كلمة ولي!! يستعملها الشيخ دائماً في جميع كلامه للتعجب.

الفاجر وبأقوام لاخلاق لهم ، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع معسكر كثير الفجور، فإنه لا بد من أحد أمرين: إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك إستيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضرراً في الدين والدنيا وإما الغزو مع الامير الفاجر وبذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شعائر الاسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل مع الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه وثبت عن النبي ﷺ **(الخيل معترد في نواصيها الخير إلى يوم القامة الأجر والمغنم)** فهذا يدل على أن الجهاد مستمر إلى يوم القيامة.

ثم يقول في نهاية الكلام هذا: وعدم الغزو مع الفجار إنما هو فعل الحرورية -الخوارج- ذوي الورع الكاذب الناشيء عن الجهل، عدم الغزو مع الفجار إنما هو فعل الحرورية -الخوارج- وهذا من الورع الكاذب الناشيء عن الجهل.

الشبهة الرابعة: بلادنا بحاجه طبيب بحاجه إلى متي؟

نحن نقول: الجهاد الآن فرض عين ،كل بلد فيها على الأقل مئة ألف طالب في الجامعات تقريباً، خمسين ألف هل تخرب البلد لو جاء ألف من الخمسين ألف؟ لو جائنا ألف من كل بلد عربي لتجمع عندنا أثنان وعشرون ألفا يغيرون فرض العين إلى فرض كفايه، ويكفون لإخراج روسيا من داخل أفغانستان، تخرب البلاد إذا جاء ألفا منهم؟الشيوعيون سيستلمونها إذا غبنا عنها، ثم هؤلاء الذين يأتون يكونون حصنا حصينا لأمتهم -.

الآن عندما يأتي ألف من بلد من البلدان يقدمون أرواحهم ودماءهم من أجل المحافظة على أرض اسلاميه على بعد آلاف الأميال من مسقط رؤوسهم ،هؤلاء هل يضنون بأرواحهم ودماءهم إذا تعرض الحرمان لغزو كافر أوضال؟! هؤلاء هم الذين يحمونه ، لأنهم هنا جاءوا وتدربوا وواجهوا روسيا ،فيسهل عليهم أن يواجهوا اليهود في المسجد الأقصى وأن يواجهوا أعداء الله في أي مكان آخر، والله لو كان حكامنا -حكام البلاد العربية- متعقلين لأرسلوا الجيل كله يتتلمذ في مدرسة التربية الجهادية الأفغانية، لو كانوا متنبهين لأرسلوا ضباطهم هنا دورات يتعلمون البطولة والرجولة من هؤلاء الحفاة العراة الجياع.

ماذا بقي من شبهات؟

الشبهة الخامسة :كيف نقاتل مع الأفغان وهم متفرقون؟ أنا لا أدري عندما قاتل صلاح الدين الصليبيين كان المسلمون مجتمعين أو متفرقين؟

أمير دمشق يطلب مساعدة الصليبيين ضد أمير حلب، شاور في القاهرة يختلف مع آخر اسمه ضرغام ،يطلب حماية الصليبيين له ضده، في حلب أمير في دمشق، أمير في القدس أمير في القاهرة أمير..الخ.

وتفرقوا شيعاً فكل محلة فيها أمير المؤمنين ومنبر

ولذلك لو اختلفت الأمة هذا لايوقف الجهاد أبداً، والإمامة العامة إنما تأتي من خلال الإمامة الخاصة، والولاية العامة تأتي من خلال الولاية الخاصة، فقائد الجهاد هذا خلال سنوات يبرز، الذي بايعناه على الجهاد، سوف يصبح أمير عامة، يصبح خليفة، يصبح أمير المؤمنين، أما إذا أردتم أمير مؤمنين بدون جهاد انتظروا ....! اللهم أنزل علينا خليفة من السماء يكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا!! مستحيل، مستحيل ثم تريد أن تقيم دولة اسلامية ترفع راية الجهاد ضد أعداء الله عز وجل وتريد الأمريكان أن يقولوا لك الله يصبحك بالخير، والله يعطيك العافية !!! سيقاتلونك.

محاضرة للإخوة الإريتيريين *

بداية العمل الجهادي:

نحن نبحث عن وجود حفنة من الشباب مستعدة أن تضحي لهدف تظنه أو تعتقد أنه يرضى الله عز وجل، فوجدت أن مصيبة العالم الإسلامي الآن ومشاكله متمثلة بها.

إذا بدأ أصحاب القضية بقضيتهم، فالله عز وجل يعينهم، لأن الجهاد يعين الله عز وجل عليه..

(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) (العنكبوت: ٦٩)

والقضية التي تبدأ بفئة مخلصة يبارك الله فيها وينميها ويزكيها، وعندما تنمو وتزكو، الناس يأتونك إلى مكانك، ولست بحاجة إلى أن تذهب إلى الناس في أماكنهم، أثبت وجودك في أي مكان يحترمك الناس في كل مكان.

والعمل الإسلامي، أو إقامة مجتمع إسلامي، أو إقامة حكم إسلامي، لابد له من حركة إسلامية في البداية، والحركة الإسلامية هذه تقوم بالجهاد أو تفجر الجهاد، ثم الشعب يلتف حولها والله عز وجل بعد طول التضحيات يمن عليها، فلا بد من حركة إسلامية ولابد من جهاد لهذه الحركة، ولابد من شعب يلتف حوله، أي قضية إسلامية تفصل عن الشعب يُحكم عليها بالموت، ولو كان الذين قاموا بها من أبناء الحركة الإسلامية، والناس فيهم خيرا فإذا رأوا منك خير، يلتفون حولك ويرتضون قيادتك، فلابد من أن يبدأ العمل الجهادي بحركة إسلامية ونواة صلبة قوية، تستطيع أن تحمل تكاليف الطريق، وتواجه الأعاصير والمؤامرات، وتدفع التضحيات.

والشعب هو الوقود الدائم للمعركة التي يخوضها أبناء الحركة الإسلامية، وأخيرا بعد طول التضحيات وبذل الدماء، وتناثر الأشلاء ينزل النصر من السماء.

القيادة التي يجب أن يبدأ بها العمل الإسلامي، يجب أن تكون قيادة غيرعادية، قيادة تتفجر حماسا، مستعدة للموت في كل لحظة والعمل الجهادي لابد أن يكون ميدانيا، والقيادة الحقيقية هي القيادة الميدانية التي في أرض المعركة. والقيادة السياسية غالبا لا يكتب لها البقاء ؛ إنما البقاء لأهل البذل والتضحيات بالنفس والنفيس.. ولذلك انظروا الثورة الجزائرية كان لها ممثلون وسياسيون وخطباء ورئيس دولة مؤقتة وغير ذلك كل هؤلاء غابوا وبرزت من داخل الجبال القيادة التي بيدها الجبهات ومسكت البلد بيد من حديد وفرضت ما أرادت من الإشتراكية أو غير ذلك.

(بومدين) كان عنده جبهات في الجبال، هي القيادة التي زحفت ومسكت البلد، وأزاحت إبن بلة واستلمت البلد.

الشاذلي بن جديد كذلك من القيادات العسكرية، وليس من القيادات السياسية، أما القيادات السياسية فقد غابت، واندثرت أسماءها وانقضت.

في أفغانستان التجربة مماثلة، الحركة الإسلامية تعرضت للضرب، الحركة الإسلامية كان إسمها في الأول (جوانان مسلمان) يعني: الشباب المسلم، ثم تحول إسمها إلى الجمعية الإسلامية، كان أميرها رباني ومساعده سياف، ومسؤول الجناح العسكري حكمتيار، حكمتيار رتب ثلاثة إنقلابات داخل صفوف الجيش ضد حكم داوود الطاغية، وكتب الله عز وجل لهذه الإنقلابات الفشل، لأن الله عز وجل بحكمته – والله أعلم – يريد أن يفجر هذا الجهاد المبارك، الذي أحيا الله به الأمة الإسلامية كلها، ولو نجح الانقلاب في أفغانستان لحرمت الأمة الأسلامية من هذا الجهاد، الذي أثار قلوب الأمة الإسلامية وأحياها بعد الموت وانتشلها من وهدة العدم.

بعد فشل الانقلابات الثلاثة، سجن سياف وغلام محمد نيازي ؛ مؤسس الحركة ومربي هؤلاء الشباب جميعا، وهرب حكمتيار ورباني ووصلوا بيشاور، هاجروا، ولحق بهم حوالي ثلاثين شاباً. لما وصلوا إلى بيشاور هؤلاء الشباب جلسوا... ماذا يمكننا أن نصنع إزاء حكم داوود؟.

حكمتيار عمره (٢٥) سنة في ذلك الوقت، ويتفجر حماسا، ويغلو كالمرجل صدره، ورباني استاذاً جامعياً يعني: يغلب عليه التفكير والاتزان والعقلانية وغيرها. قال رباني: أنا أرى أن نقاوم حكم داوود بالإعلام بتعريف الناس بداوود، ونحذر العرب خاصة بنتائج حكم داوود الذي نعتبره جسراً للشيوعيين.

حكمتيار قال: لابد من المقاومة المسلحة، رباني قال: لانستطيع في هذه الفترة أن نواجه دولة، أن نواجه داوود، لأن داوود شخصية عسكرية قوية، كل أفغانستان ترتجف من ذكر إسمه، قال حكمتيار: لابد من القتال، وعُرض الأمر على الشباب الذين يشكلون مجلس الشورى (٣٠) شاب طبعا معظمهم من الشباب، فالشباب كلهم مالوا مع حكمتيار لأن الشباب نفوسهم أرواحهم متوثبة يناطحون السحاب، لا يقبل بالشيء السهل والهين، فمالوا مع حكمتيار وبدأوا المعارك، كانت في نظر العاقل محاولاتهم الآن عندما تنظر إليها محاولات بسيطة، محاولات كأنها تعتبرعبث إلا أن الله عز وجل علم صدقهم وإخلاصهم ففجر هذا الجهاد في شعب بكامله، يعني الواحد منهم دكتور محمد عمر أرسله حكمتيار إلى بدخشان، حكمتيار بماذا؟ بقنبلتين وبمسدس، بدخشان منطقة يعني: نصف منطقة الحجاز أو قدر منطقة الحجاز تقريبا، بقنبلتين ومسدس.

مولوي حبيب الرحمن كذلك أرسله إلى لغمان ولاية بكاملها بمثل هذا، أحمد شاه مسعود كذلك بدأت المحاولات هذه البسيطة التي يضحك عليها من بعيد الرجل العاقل المجرب، الذي يعرف العلوم العسكرية، ولكن الله عز وجل بارك بهذه الجهود، بارك وبقيت هذه الدماء تنبت أزهاراً وأشجاراً، واخضرت أرض أفغانستان بزكاة هذه الدماء الزكية، بقي حكمتيار يغتال بعض الشخصيات على طول الفترة.

وعندما جاء إنقلاب تراقي الشيوعي وأعلن العلماء أن هذا كافر، وشيوعي ولابد من مقاتلته ولا تجوز إمارته ولا إمامته، فق

العلماء في وجه الدولة، وصار العالم يقوم مع قريته في وجه الدولة. فنظروا في الساحة لم يجدوا أمامهم إلا حكمتيار وربانى، وصاروا يتضمنون لحكمتيار أو لرباني ومن هنا إنتزعت الحركة الإسلامية قيادة الأمة بكاملها، والشعب بكامله، والشعب بكامله التف وراء الحركة الإسلامية.

سبقتوا وتأخرتم:

ومنا يختلف العمل تماما في أفغانستان عن العمل في فلسطين ، لأن العمل في فلسطين قد سبقت إليه قيادات غير إسلامية أو إسلامية عادية لم تتشرب بالإسلام ولم يصلب عودها من خلال محنه وإبتلاءاته.

ولذلك ما استطاع الإسلاميون حتى الآن أن يثبتوا وجودهم فعلا في القضية الفلسطينية، يعني سنة (٤٨) اثبتوا وجودهم لأنه لم يكن في الساحة غير الحركة الإسلامية، الأستاذ البنا أرسل أربع كتائب - رحمه الله - والاستاذ السباعي خرج من سوريا بكتيبة، والشيخ الصواف خرج من العراق بكتيبة، ومن الأردن مراقب الإخوان عبد اللطيف أبو قوره خرج بكتيبة، لم يكن في الساحة الفلسطينية سوى أبناء الحركة الإسلامية، لكن نسجل هنا زيادة كذلك أن الحركة الإسلامية سنة (٤٨) رغم أنها هي الوحيدة في الساحة إلا أنها لم تلق بثقلها يعني: ما كان الأستاذ البناء في البداية يسمح أن يذهب شاب إلى فلسطين إلا إذا كان بدون وظيفة، وإلا إذا كان أعزب، ما كان يسمح للمتزوج وما كان يسمح للموظف أن يترك وظيفته ويذهب إلى فلسطين، وأضيف هنا - والله أعلم - أن الحركة الإسلامية سنة (٤٨، ٤٩) لو ألقت بثقلها في فلسطين لاكتسحت الساحة، وانتصرت على اليهود، وسقطت الأنظمة طبيعا في الساحة وقامت الدولة الإسلامية، وفي ذلك الوقت كان سهلا أن يقوم حكم إسلامي سهل جداً، ما كانت الأمور قد تعقدت بهذا الشكل، وما وصلت الأنظمة الطاغوتية العربية إلى هذه الديكتاتورية الطاغية التي لا يستطيع فيها الإنسان أن يتنفس وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة وهم يذبحونه.

ومن هنا لو الاستاذ البنا - رحمه الله - فطن من البداية سنة (٤٨) وسمح للناضجين من أبناء الحركة الإسلامية أن يذهبوا إلى فلسطين وألقى بثقله هناك ، لتغيرت الموازين في تاريخ العالم كله - والله أعلم - لكن الاستاذ البنا داهمته الأحداث، وكان في البداية يريد أن يرسل مجموعات من الشباب حتى تعذر إلى الله، وتقدم الحركة الإسلامية نماذج من أبنائها ثم أخيراً عندما بدا أن فلسطين ستفلت، ستنتهي إلى يد اليهود، أرسل برقية إلى مؤتمر القمة المنعقد في عاليه في نوفمبر (٤٨) «إن شئتم أن تخلصوا فلسطين، فاسمحوا لي أن أدخل بعشرة آلاف مسلح، وعندها قامت قيامة الدنيا، وقرر السفير البريطاني والفرنسي والأمريكي حل جماعة الاخوان المسلمين، وشمعت دورهم بالشمع الأحمر وتُرك البنا خارج السجن ليقتل خارج السجن، وفعلا بعد شهرين وفي يوم عيد الملك فاروق في (١٢) فبراير (١٩٤٩) ضُرب البنا في شارع الملكة نازلي في ميدان رمسيس، ونقل إلى غرفة العمليات وكانت جراحة بسيطة، ثم أرسل الملك الضابط محمد وصفي وأجهز على حسن البنا في داخل غرفة العمليات وانتهت قضية فلسطين يوم أن قتل البنا، بعد قتل البنا بيومين اثنين عقدت مصر معاهدة رودس مع إسرائيل واعترف لإسرائيل بحكومة قائمة ذات حدود معروفة وكذلك الأردن عقدت معاهدة رودس ثم تبعتها سوريا خلال شهر واحد.

سنة (٦٧-٦٨- ٦٩) كانت فتح قد سبقت الحركة الإسلامية، و الحقيقة فتح قدمت تضحيات في البداية، تضحيات جليلة جدا وباهظة، وكانوا يتعبون كثيرا، هم عبارة عن مجموعة اساتذة فلسطينيين، تاثروا لفلسطين،قالوا: ماذا نعمل لفلسطين؟ قالوا: نريد أن نقاتل في فلسطين، كيف نقاتل في فلسطين؟ قالوا: نذهب إلى سوريا - وسوريا كان الحكم فيها لا بأس به - ونتدرب في سوريا ثم نذهب إلى فلسطين بعد تدريبنا في سوريا، واستقال أبو عمار وفلان وفلان وفلان... بعضهم استاذاً بعضهم مهندساً والتقوا في (الهام) في دمشق وبدأوا يتدربون في سوريا، وكانوا يتدربون في سوريا، ثم بعد ذلك يحمل الواحد منهم اللغم تحت ثيابه، تحت قميصه ويمشي من دمشق إلى الضفة الشرقية يمشي طيلة الليل وينام طيلة النهار، ثم يخترق الضفة الشرقية حتى يصل الضفة الغربية، ثم يخترق الضفة الغربية حتى يصل المنطقة المحتلة في إسرائيل ، حتى يضع الواحد منهم اللغم أمام سيارة لعله يفجرها أو لغم تحت قدم واحد يهودي.. المهم أن يزعج اليهود بأي شيء، وبقي عمل فتح بهذا الشكل، وكانت المخابرات الأردنية تتابعه، ومن مسكته منهم تضعه في الزنازين، حتى تنقع الدم تحته، وكم لاقوا من عذاب على يد المخابرات الأردنية قبل (٦٧)، عندما صارت فضيحة أو هزيمة نكبة (١٩٦٧م) نكبة حزيران وسقطت الأنظمة كلها وانكشف العرى، تعرت الأنظمة القومية وغير القومية وعبد الناصر وتبين أن الكل عبارة عن مهرّج وممثل تقدمت فتح وقالت للدول العربية: أنا أريد أن أقاتل، أنا أريد أن أواصل القتال ما كان بإمكان الدول العربية وهي مهزومة في ذلك الوقت أن تقول لفتح لا تقاتلي، فدخلت فتح الميدان، ونادت بالناس بالمسلمين بالعرب وغير العرب، من في قلبه ذرة

لفلسطين، ياناس تعالوا قاتلوا اسرائيل، نادت سنة سنتين ثلاث سنوات ما تقدم إليها إلا الشباب الذين لايجدون وظيفة، ولا يجدون العمل، الشاب الساقط في الثالث الإعدادي، الهارب من التجنيد الإجباري هو الذي يأتي.

ولذلك : ما جاءها إلا الشاب الأمي أو القريب من الأمية الذين لا يستطيعون المواصلة في المدارس، ولا يجدون عملا في المجتمع، واضطرت أن توسع كوادرها لأنها تريد أن تواجه حرب مع إسرائيل، حرب.

وللأسف ومن نكد الطالع أن تملء الكوادر الفارغة هذه النفوس الفار... فبرزت على الساحة قيادات فارغة، فارغة علميا فارغة سياسيا، فارغة عقديا، فبدأ الإسلاميون يندون ويعيرون ويقولون: انظروا.. انظروا قادة فتح ؛ هؤلاء علمانيون.. وهذا صرح بكذا.. وهذا مشى مع الفتاة الفلانية، وهذا أنفق كذا.. وهذا سرق كذا..(فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) لماذا تتكلمون؟ أنتم تأخرتم، وهؤلاء تقدموا ما تقدم إلا هؤلاء، فتأخر الإسلاميون عن ملء الكوادر، أبرز قيادات فلسطينية علمانية لادينية بعثية شيوعية اشتراكية، احتوتهم الأنظمة المحيطة أو الأفكار المطروحة في الساحة، والإسلام وللأسف ما استطاع أن يحتويهم ،لأن الإسلام ليس قويا في الساحة، والناس لا يتبنون عقائد الضعفاء ؛ إنما يتبنون عقائد الأقوياء، يتبنون عقيدة الاتحاد السوفياتي القوي، يتبنون عقيدة الصين التي تصنع السلاح، يتبنون عقيدة الجزائريين الذين يفتحون معسكراتهم لتدريبهم ويرسلون لهم السلاح ؛ فتبنوا الاشتراكية والعلمانية والشيوعية وغير ذلك ، والطير الوحيد الغائب هو الطير الإسلامي في الساحة..!!

أحرام على بلابله الدوح *حلال للطير من كل جنس*

بعدما مضت فتح وتقوت ، وأصبحت ملء سمع الدنيا وبصرها، وأصبحت تعمل عمليات، والصحف العالمية كلها تنقل عن فتح، وعن بطولاتها بعد هزائم الدول العربية، أصبحت فتح هي الممثل للشعب الفلسطيني.

فظن الإسلاميون سنة (٦٩) أن يدخلوا الساحة ودخلوا وبقوات قليلة، نعم... هي نماذج، لكن القوة قليلة، واضطروا أن يطلبوا من فتح معسكرات للتدريب، وراية فتح، ليتغطوا تحتها حتى لا تذبحهم الأحزاب الأخرى فظلوا في المؤخرة، ما استطاعوا أن يتقدموا للقيادة لأن القيادة قد سبقهم إليها أناس غير إسلاميين أو إسلاميين كانوا معهم في يوم من الأيام، ولكن تركوا الحركة الإسلامية، لأن الحركة الإسلامية قالت: نحن لا نستطيع أن نقاتل في هذا الوقت، وهؤلاء الشباب تقدموا وقدموا وضحوا وتركوا الحركة الإسلامية، وصغرت في أعينهم الحركة الإسلامية.

هذا أبو جهاد كان من أبناء الحركة الإسلامية، هذا أبو عمار قد تدرب في معسكرات الإخوان في القاهرة سنة (١٩٥١) ممن قاتلوا في قناة السويس.

هذا النجار، محمد يوسف النجار من قيادات الإخوان.. لكن تركوهم لأنهم وجدوا أنفسهم في القمة يضحون... وانتفخوا، أو على الأقل يعني: بدا في أعينهم ؛ أن الحركة الإسلامية غير قادرة أن تقدم ما قدموا، فتركوها خلفهم، وصاروا أمامها.

ولذلك : الآن قتل أبو جهاد، فسألت بعض الإخوة كيف أبو جهاد؟ قالوا: كان يؤيد الحركة الإسلامية، وكان في آخر أيامه لا يصلي، لكن كان في البداية عندما كان طالبا في بداية العمل، كان من الإخوان وكان من أبناء الحركة الإسلامية، هم لا يدركون أن أبا جهاد قد أثر في اليهود أضعاف أضعافهم، ولذلك قتلوه، ولذلك رتبوا عمليات له، هم لا يدركون ؛ على أن أبو جهاد نفسه قد استصغر الحركة الإسلامية عندما لم تقاتل لطرف أو لآخر، بسبب خنق الحركة الإسلامية، وبسبب محاربتها وبسبب وضعها في السجون، هذا شيء آخر، أما هو إستطاع أن يتقدم، وبقيت الحركة الإسلامية في مكانها، فصغرت في عينه.

ولذلك إذا تكلم على الحركة الإسلامية، فيعني: إنما يتكلم من باب أنه ينظر إليها من علٍ ومن باب أنه ينظر أنه فعل ما لم تفعله الحركة الإسلامية.

أما الشباب الذين بدأوا حركة فتح ،قسم منهم خاصة الذين من غزة -هذا أبو جهاد من الرملة، والذين من غزة وغيره كثيرمنهم- تربوا في الحركة الإسلامية، أو كانوا على صلة بالحركة الإسلامية، وفي البداية عرضوا العمل على الحركة الإسلامية ، لكن الحركة الإسلامية كانت في ذلك الوقت في السجون وتعاني من آلامها وتثخن بجراحها، ما استطاعوا، لكن قدموا؟ قدموا وكما قال أبو سفيان - أبو سفيان وقف هو وبلال وسهيل بن عمرو على باب عمر فأذن عمر لبلال وترك أبا سفيان في الباب ، فاحمر وجه أبي سفيان غضبا وقال : ما رأيت مثل هذا اليوم ؛ يؤذن لهؤلاء الأعبد ؛ بلال وعمار وصهيب، ونترك بباب عمر ؛ فسهيل ابن عمرو عاقل قال: لا تغضب دعوا ودعينا، فتقدموا وتأخرنا .

أبو بكر الصديق رضي الله عنه في مرض الموت في اليوم الأخير قال لعمر: إن مت في يوم هذا فلا تبيتن حتى تندب الناس للذهاب لقتال كسرى، وإذا مت من غدٍ فلا تبيتن حتى تندب الناس للذهاب إلى كسرى، ندب عمر الناس من يتقدم لقتال كسرى، فجاءه

أبوعبيد الثقفي، فعقد عمر اللواء لأبي عبيد الثقفي، وبعدما تكاثرت الصحابة حوله والتابعون، فجاء الصحابة يقولون: يعاتبون عمر : كيف تعقد اللواء لأبي عبيد الثقفي؟ ووراءه خيرة صحابة رسول الله ﷺ، فرد عليهم عمر ردا جميلا : **قال: أين كانوا حين ندبنا الناس؟ أين كانوا حين جاء أبو عبيد؟ هذا تقدم نعقدنا له اللواء، فالذي يتقدم هو الذي عقدنا له اللواء.**

الآن أنتم في إريتريا تقدم غيركم وأنتم تأخرتم، فالعلمانيون مسكوها، قادوا الشعب، وأنتم أصبحتم على الهامش.

لا يزن أحد بميزانكم، ولا يكيل أحد بكيلكم ،لقد أصبح البعثيون العراقيون والسوريون هم الموجهون، وهم المثقفون وهم القادة.

ولو تقدم أبناء الحركة الإسلامية أولا، والشعب شعب مسلم يحب الخير ويحب الإسلام[1].

كيف .. ومن يبدأ؟:

أن تكون القيادة الحقيقية هي القيادة الميدانية، نفس الناس الذين يقومون بعملية التربية والتوجيه، هم الذين يجب أن يبدأوا، يجب أن يبدأوا بأنفسهم التدريب، متزوج غير متزوج ما الى ذلك. الصحابة كلهم متزوجون، تركوا أزواجهم، تركوا أولادهم وهاجروا، أبو بكر كان متزوج إثنتين تركهم في مكة وهاجر، عمر كذلك متزوج إثنتين، وعلى الأقل ما نعرف أحدا من الصحابة إلا متزوج إثنتين أو أكثر، ما نعرف إلا واحد، أظن واحد من الصحابة بقي متزوجاً واحدة، كلهم متزوجين وعندهم أعداد كثيرة من الأولاد تركوا الدنيا وتركوا مكة وتركوا الحرم، ولحقوا برسول الله ﷺ ؛ من أجل نصرة المبدأ الذي يحملونه والدعوة التي بها يطلعون.

لك أولاد أنت تدبر أمرهم ، ونحن إن كنا جادين نقسم أنفسنا نصفين، أناس يكفلون أسر الغزاة وأناس يغزون.

وتبدأون بالأخف فالأخف حملا هو الذي يبدأ، والأولى أن تبدأ مع حفنة خفيفة من الشباب العزاب: أن يبدأ معهم إثنان من القيادة أو واحد من القيادة الكبار المشهورين المعروفين الذي يمكنه أن يحل الخلافات ويمكن أن ترضى بحكمه القلوب، وإذا أرسلتم الشباب ولم ترسلوا معهم رجلا كبيرا عاقلا يحل أمورهم ويلتفون حوله، الشباب يصطرعون فيما بينهم بالخلافات، فلابد أن يكون واحد أو أكثر مجموعة ،يعني ثلاث من القيادة ولو كان عندهم عيال يفرغون للعمل الجهادي، ويتركون أولادهم في مكان أمين، وبكفالة أناس موثوقين، والحركة تكفل أسرهم، ثم يكونون في المعسكر، في الجبهة، في المعركة معهم باستمرار، وهؤلاء يمثلون أم الفراخ ـ الدجاجة التي تطوي تحت جوانحها فراخهاـ وما لم يكن مجموعة من القيادة الكبيرة العاقلة التي تفهم المجتمعات، وتفهم الدعوات، وتعرف تكاليف الطريق، ومرارتها وغصصها، لا يستطيع الشباب أن يواصلوا ، وسيتمرد الشباب على القيادة، لو تركتم الشباب يذهبون وحدهم ، هناك سيصيبهم ما أصاب الشباب هؤلاء الذين بدأوا في فتح، ثم انتفخت نفوسهم وأوداجهم وعروقهم، ورأوا أنفسهم أكبر من الحركة الإسلامية، ثم خلفوا الحركة الإسلامية، وانطلقوا أمامها، الشباب كذلك عندما يرون أنفسهم يضحون ويبذلون، ويستشهد منهم شهداء، ويرون قيادتهم مرتاحة تحت المكيفات، وغارقة في قليل من الدنيا التي هي فيها، يستصغرون قيادتهم ولا يطيعونها، لا يطيعونها، ويتمردون عليها يتمردون على قيادتهم، ولذلك إن شئتم أن يستمر هذا العمل، فلابد أن تبدأ به مجموعة من القيادة تذهب إلى أفغانستان تتدرب، تحضر مجموعة من المعارك، ترابط كم شهر، ثم ترجع بعد أن تدرس قضية الجهاد الأفغاني، تحاول أن تنقل الصورة إلى بلادها تحفر المغاور في الجبال، تضع مجموعات من هؤلاء الشباب الذين ربتهم في داخل أفغانستان في جبل أو جبلين، ثم تبدأ بعض المعارك أو بعض الضربات أو بعض الإغتيالات، ثم بعد أن تغتال مجموعة من الشخصيات من الوزراء، رئيس وزراء، رئيس دولة، رئيس جمهورية، وتعلن عن أعمالها أنها أنا الذي قمت بها، الحركة الإسلامية الموجودة في رؤوس الجبال، عندما ستنهال عليك المساعدات، سيقف بجانبك المسلمون، ستكسب مشاعرهم، سيتعاطف معك الجمهور، إبدأوا بإثنين أو ثلاثة وليكونوا ثلاثة، ويؤمروا أحدهم من القيادة، ويُرسلون مع مجموعات من الشباب، الشباب الذين ينهون تعليمهم الجامعي الأول الليسانس، ممنوع تبقى ، هناك إلحق على أفغانستان، أو إلحق إذا كانوا في داخل البلاد، وهكذا، بهذه الطريقة إن شاء الله تنموا حركتكم، ويبدأ جهادكم، والله عز وجل يبارك، عندما يرى القيادة محل للإخلاص فعلا تجردت للعمل، وفعلا صدقت مع عقيدتها ومع دينها، الله عز وجل يعينها **(ثلاث حق على الله عونهم الغازي في سبيل الله) {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين} (وأنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملاء ذكرته في ملأ خير منه، ولئن آتاني ماشيا أتيته هرولة، وإن تقرب إليَّ شبرا تقربت إليه ذراعا)** وهكذا....

فاخطوا.. فقط الخطوات الأولى والله يعين، والله يبارك ويزكي العمل وينميه، ويوصله إلى قلوب المخلصين، ويجعل المخ

---

[1] انقطاع في الشريط

يتعاطفون معكم، وبعد أن تعملوا لا تحملوا هموم المال، لأنكم ستجدون المخلصين يسوقهم الله لكم من باطن الأرض، من حيث لا تحتسبون..

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) (الطلاق: ٢-٣)

والتقوى هي سمة الجهاد، والجهاد هو سمة التقوى، والعلامة الأولى للتقوى أو من العلامات البارزة للتقوى الجهاد، ومن العلامات البارزة للصدق الجهاد.

ولذلك..

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنه لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا، إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين) (التوبة: ١١٩-١٢٠)

وعلى الطريق سيسقط منكم شهداء، ودماء الشهداء ستفجر الخير في أعماق الشباب، عندما يستشهد واحد أو اثنين من أبناء الجامعة طلبة الجامعة، كلهم سينهالون إلى المعركة، عندما يستشهد واحد من القيادة، يستحي الإخوة الجالسون هنا من أنفسهم، ومهما كانت العقبات يتركون ما هم يقومون به من أعمال التربية، ومن أعمال التوجيه، ومن الأعمال المكلفين بها في الدعوة، يتركونها، ثم يأتون.

نصائح :

الشباب ربوهم على القرآن الكريم، لا تربوهم تربية سياسية، أو صحفية، ربوهم تربية قرآنية، على القرآن والسنة، ربوهم على قصص الصحابة، ربوهم على سير الصالحين، وأنا أنصح بالإضافة إلى تلاوة القرآن الكريم يوميا جزء، وبالإضافة إلى أنك لو وضعت لنفسك آية كل يوم تحفظها غيبا ففي سنة تحفظ سبع القرآن الكريم، تحفظ (٣٦٥) آية يعني البقرة ونصف آل عمران، لو حفظت كل يوم آية، اقرأوا المعاني الإجمالية للقرآن، وحبذا لو كان عندكم مختصر ابن كثير، وتفسير الظلال لا تستغنوا عنه أبداً، لا يستغني عنه مسلم يعمل في حركة إسلامية لإحياء دين الله في الأرض، لأنه ينقلك إلى جو القرآن، كأنما يتنزل الساعة، ويتعامل مع الأحداث اليومية الواقعة، في ظلال القرآن إقرأوا فيه، خاصة الذين عندهم تذوق للغة العربية، يفيد، الله عز وجل ينفع به كثيرا، ويبدو أن الرجل كتبه بإخلاص فأفاد والله أعلم.

نوصيكم كذلك بقراءة السيرة النبوية، واقرأوا كتاب منير الغضبان التفسير الحركي للسيرة النبوية، واقرأوا كتاب محمد الغزالي (فقه السيرة) واقرأوا حياة الصحابة، وحياة الصحابة لمحمد يوسف الكاندهلوي من خيرة الكتب التربوية التي كتبت، جمّع فيها الأحاديث وأقوال الصحابة والسلف، ومواقفهم، مواقف الصحابة من الإيذاء، من الإضطهاد، من تحمل الدعوة، من الهجرة، من البيعة، من الجهاد من القتال، والحقيقة هو، كتاب رائع جداً جداً جداً في موضوعه، وكتاب تربوي عميق، ويبدو أن الرجل كتبه بإخلاص، فمبارك، فتشعر بالبركة في قراءته، واقرءوا كتاباً في العقيدة، طبعا لابد أن يكون في أسركم كتاب في العقيدة مثل كتاب الدكتور محمد نعيم ياسين الإيمان نواقضه وأحكامه وأركانه) اقروا كتابا في الفقه مثل (فقه السنة) وركزوا على سورتي الأنفال والتوبة، وركزوا على قراءة أحكام الجهاد، وركزوا على كتب الجهاد واقرأوها، واقرأوا ما كتبناه عن الجهاد الأفغاني، الكتب التي كتبناها عن الجهاد الأفغاني، اقرأوه اقرأوا أحكام الجهاد الفقهية من المغني ومن غيرها، المغني كتاب ممتاز، وواضح وموسع، وعليكم بطاعة الأمير، وعليكم بالإلتفاف حول إياكم أن يظن واحد منكم أنه أعلم وأحلم، أو أعمق من الأمير، فيدخل في نفسه الغرور فلا يطيع، ضروري جدا تماسككم والتفافكم حول إمارتكم، وضروري جدا أن الإمارة تبدأ بنفسها في أرض المعركة وضروري جدا أن تكون التربية في الميدان، وضروري جدا أن تبنوا قضيتكم كحركة إسلامية فيقف الناس وراءكم إن شاء الله، وإن شاء الله ينصركم الله، إنه سميع قريب مجيب.

س: قد يعترض الجهاد الأمور القبيلة؟

ج: في الحقيقة في ميدان العمل تذوب الخلافات، واثبتت الحركة الإسلامية في أفغانستان أنه ممكن للحركة الإسلامية أن تق

القبائل إذا كانت في الميدان، وسابقة للناس، الآن كل القبائل تتبع الحركة الإسلامية .الآن أبناء الحركة الإسلامية سياف وحكمتيار ورباني وخالص، كان معهم من أبناء الحركة الإسلامية، لكن القيادة كان سياف وحكمتيار ورباني .فهؤلاء الثلاثة قادوا كل الشعب الأفغاني، ٨٥٪ الآن من المجاهدين في داخل أفغانستان معهم، أبناء العائلات المعروفة، لأنهم لم يدخلوا الميدان ما استطاعوا أن يكوّنوا حركة، ما استطاعوا أن يكوّنوا جبهات قوية، ما استطاعوا أن يكوّنوا تنظيمات جهادية قوية، جيلاني ومجددي من أعرق الناس المعروفين في داخل أفغانستان، وعائلاتهم مشهورة، وهؤلاء: سياف وحكمتيار ورباني كما يقول هو هذا مجددي يقول: والد سياف كان يشتغل عندنا في الأرض، لكن الآن أين مجددي، وأين سياف؟ سياف سبقهم، ومجددي ابن العائلة الكبيرة، وابن القبيلة، ما استطاع أن يثبت قدمه في الساحة، لأنه يريد أن يشتغل بنسبه ولا يريد أن يعمل، والنسب قصُر، **(من بطء به عمله لم يسرع به نسبه)**. فالذي يقدمك هو عملك، والقبائل فيها خير، نعم في الحقيقة، في البداية صعب أن تدين أو تلين لك القبائل، لكن عندما تقوى القبائل كلها تخضع لك، لأنك مسلح، قوي في الساحة، وأنت أقوى منها، بعد فترة ستصبح أقوى منها، ولذلك الآن ما في قبيلة تستطيع أن تواجه الحزب الإسلامي في داخل أفغانستان التابع لحكمتيار، أو تستطيع أن تواجه الجمعية الإسلامية التابعة لرباني، لا تستطيع قبيلة، لأن القبائل أضعف من الأحزاب الجهادية، ثم أنتم ركزوا على أبناء القبائل، ليكن بينكم بعض أبناء القبائل، وكل ابن قبيلة سلموه قيادة القبيلة.

س: هناك بعض الجهات الصليبية أو نحوها موجودة على الساحة؟

ج: جبهة شعبية سورية أو عراقية أو صليبية، نعم كذلك يمكن أن يركز على هذه الناحية، ويستدر عطف بعض المحسنين والتجار من هذه الناحية، من ناحية التنصير والصليبية، نحن نريد أن نوقف التنصير ونحن في الساحة، وفلان وفلان وفلان من إخواننا نثق بهم، إذا أحببت أن تساعدهم من أجل أن يجاهدوا حتى يبرز، حتى يسبق الجبهة الشعبية، وحتى ينتهي وجود المنظمات الصليبية يمكن أن تستدر به عطف بعض الناس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هذا الجهاد وهذه آثاره "١"[1]

يا أيها الإخوة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أيها الإخوة:

الحديث عن الجهاد عذب تستعذبه النفوس، وإن كان الجهاد في طبيعته فيه عذاب، إلا أنه:

عذابه فيك عذب	بعده فيك قرب
حسبي من الحب أني	لما تحب أحب

والحديث عن الجهاد يستهوي النفس البشرية خاصة التي ذاقت حلاوته، واستعذبت مرارته، على طول الطريق المروي بالدماء، المفروش بالجماجم والأشلاء:

وقف الهوى بي حيث أنت	فليس لي متأخر عنك ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة	حبا بذكرك فليلمني اللوم

والجهاد عبادة يصطفيها الله عزوجل لمن اصطفاه من خلقه، وإني إذ أعبر عن نفسي وأرجو الله أن يرزقنا الإخلاص والإستقامة والصدق والقوامة، وإخلاص النية، وصدق الطوية، أحس من أعماقي أني إذا إبتعدت عن أرض الجهاد، أن هذه بعض عقوبة من رب العالمين لي، وحتى في زيارتي للحرمين أشعر بضيق كلما ابتعدت عن أرض أفغانستان. كلما ابتعدت عن أرض النار، أرض الرجال، مصانع الأبطال، التي تعلقت الروح بها.

صدقوا أيها الإخوة أني أرجع من الجبهة إلى بيشاور حيث أهلي وأولادي، فأجد ضيقا في نفسي عندما أقبل إلى بيشاور، فإذا ازداد البعد إلى إسلام آباد تزداد الوحشة ويزداد الضيق، حتى إذا فارقت أرض باكستان ـ ولو كان لحج بيت الله الحرام ـ فإني أشعر بالضيق حتى وأنا أطوف حول الكعبة، وصدق الله:

---

(١) هذه المحاضرة ألقيت في السعودية

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم) (التوبة: ١٩-٢٢)

وقد أجمع الفقهاء على أن الجهاد وإن كان فرض كفاية فهو أفضل من جوار المسجد الحرام، بدليل هذه الآيات، وبدليل سبب نزولها ؛ أن ثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا، فقال أحدهم: لا أعدل بعد الإسلام من عمارة المسجد الحرام، وقال الآخر: بل سقاية الحجيج، وقال الثالث: بل الجهاد في سبيل الله، فانزل الله عزوجل هذه الآيات (**أجعلتم سقاية الحاج....**) إلى آخر الآيات.

- **ياأيها الإخوة:**

الجهاد ينبوع العزة ومعين الكرامة ومورد الصفاء، وموطن صقل النفس البشرية، وإرتفاعها عن أوهاقها، وتحطيم قيودها وأثقالها، الجهاد كما شبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروة سنام الإسلام، قمة هذا الدين، هو الجهاد في سبيل الله، وقلما يتيسر لنفس بشرية أن تفهم كتاب الله عزوجل والنصوص النبوية الشريفة ما لم تخض الجهاد بنفسها، وإذا لم تتعرض هذه النفس البشرية للأهوال، فينزل الركام، وينهال الران، ويتعرض القلب بأجهزة الإستقبال للأوامر الربانية ،التى استودعها الله كتابه أو نطق بها نبيه الكريم ﷺ.

تعريف الجهـــاد:

والجهاد كما يعرّفه الفقهاء جميعاً: هو قتال الكفار بالسيف، أجمع الفقهاء على أن المصطلح الشرعي للجهاد هو قتال الكفار بالسلاح، حتى لا يدع مجالاً لأي متأول أن يخرج كلمة الجهاد عن مصطلحها الشرعي.

يقول ابن رشد: وحيثما أطلقت كلمة الجهاد فإنما تعني قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

وكلمة في سبيل الله كذلك مصطلح شرعي، كما يقول ابن حجر العسقلاني: وكلمة في سبيل الله المتبادر منها هو جهاد الكفار.

ولذلك لا يبقى مجال للمؤول أن يخرج مصطلح الجهاد عن معناه الشرعي، فالجهاد كالصلاة وكالصيام ،مصطلح شرعي، عرّفه الشرع، فكما أن الصيام هو الإمتناع عن الطعام والشراب والنكاح من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس، فكذلك كلمة الجهاد حيثما أطلقت، ـ ما لم تقيد ـ إذا قيدت بجهاد النفس ،جهاد القلم هذا شيء آخر - أما حيثما يطلق الجهاد في الكتاب والسنة فتعني قتال الكفار بالسلاح حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

حكم الجهـــاد:

وحكم الجهاد فرض كفاية إذا كان المسلمون آمنين في أوطانهم، ولكنه يتعين في حالات:

– إذا وطيء الكفار شبراً من أراضي المسلمين؛ سهله، أو قفاره، أو جباله، أو نجاده، أو نهاده، فإنه يتعين على أهل تلك المنطقة، فإذا لم يكف أهل تلك المنطقة بأن قصروا أو تكاسلوا أو قعدوا أو تخاذلوا يتوسع فرض العين على شكل دائرة على من يليهم، فإن قصروا أو تكاسلوا أو قعدوا يتوسع فرض العين على شكل دائرة، إلى أن يعم فرض العين الأرض كلها، فرضاً لا يسعهم تركه، كالصلاة والصيام، بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دائنه.

- فهو فرض عين إذا وطئت أراضي المسلمين.
- وهو فرض عين كذلك إذا استنفر المسلمون وأعلن الجهاد.
- وهو فرض عين إذا انتدب الإمام مجموعة من الناس فإنه يصبح فرض عين بالنسبة لهم.
- وكذلك يصبح فرض عين إذا سبيت امرأة من المسلمين في الأرض كلها.

ولقد أفتى الفقهاء واتفقوا على أنه إذا سبيت امرأة في المشرق، وجب على أهل المغرب أن يستنقذوها، ويفتدوها بأموالهم، ولو استنفذت جميع أموالهم، فإن لم يرضَ الكفار إفتداءها بالمال وجب على أهل المغرب أن يتحركوا حتى يستنقذوا المرأة التي سبيت في المشرق.

والحق أن بعض الناس لا زالوا يتكلمون في قضية الإذن وغير ذلك، والمصطلح الشرعي أنه لا استئذان في فروض الأعيان، فروض الأعيان لا تحتاج إلى استئذان، صلاة الفجر إذا دخل وقتها ليس لأحد عليك إذن أن تستأذنه للقيام لصلاة الفجر، وكذلك صيام رمضان، وكذلك الحج إذا تعين، وكذلك إذا كان الحج فريضة، وكذلك الجهاد إذا تعين، فالجهاد إذا تعين وأصبح فرض عين فإنه من أولى الواجبات في هذا الدين، ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية إذ يقول: **والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه.**

التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم بعد ذلك دفع العدو الصائل، لأن إستيلاء العدو الصائل على الأمة إنما يعني ذهاب صلاتها وصيامها وحجها وقيامها وغير ذلك، وأما الجهاد بالمال فهو من باب أولى فرض عين، إذا كان الجهاد بحاجة إلى مال، وقد استفتي شيخ الإسلام ابن تيمية: إذا ضاق المال عن الجهاد وإطعام الجياع فإذا أطعمنا الجياع تضرر الجهاد وإذا أعطينا الجهاد مات الجياع، قال: أعطوا الجهاد وليمت الجياع، لأن الله عزوجل أباح لنا في حالة التترس بالمسلمين أن نقتل المسلمين حماية للأمة الإسلامية، ففي حالة الفقر والجوع يقتلون بفعل الله عزوجل، وفي حالة التترس يقتلون بفعلنا، وإذا كان أبيح لنا قتلهم في حالة التترس فيباح لنا أن نتركهم في حالة الجوع، حتى لا تتضرر الأمة بترك الجهاد، فيستولي عليها عدوها، ويستبيح ذمارها، ويستبيح بيضتها.

ولذا فلا دَيْن يمنع من الجهاد، ولا أحد يمنع من الجهاد، ولا إذن لأحد إذا تعين الجهاد، ومن هنا ليس الجهاد فرض عين في أفغانستان، أو فلسطين فقط، ولا تتعين ولا تتقيد فرضية الجهاد العينية بفلسطين أو بأفغانستان بل فرضية العين قائمة حتى تحرر آخر بقعة كانت في يوم من الأيام تظلل بظلال الإسلام.

فالجهاد فرض عين حتى نحرر أفغانستان وفلسطين وبخارى وطشقند والأندلس وسيبيريا ونصف فرنسا، وهكذا كل بقعة حكمت في يوم من الأيام بالإسلام يبقى الجهاد فرض عين حتى نستنقذها مرة أخرى، فإذا كنا نعلم أن الإتحاد السوفيتي مثلا مساحته ١٤ مليون كيلومتر مربع، روسيا منه أقل من نصف مليون كيلو متر مربع، (٤٠٠) ألف كيلومتر مربع، ٨٠٪ من ١٤ مليون كيلومتر مربع أي حوالي ١٢ مليون كيلومتر مربع، هذه كانت أراضي إسلامية، وتحكم بالإسلام، وبقيت موسكو تحكم بالإسلام وتدفع الجزية للمسلمين مدة (٢٠٠) عاما، ومن هنا تقصير الأمة بجهادها وتفريطها بفريضة ربها أدى بها إلى هذا الهوان، وأودى بها إلى هذا المستنقع مستنقع الذل، ومهاوية الردى...

أهونا وعندي تهـــون الحيـــاة	*وذلا وإنـــي لـــرب الإبـــي*
ونفس الشـريف لهـــا غايتـــان	*ورود المنايـــا ونيـــل المنـــى*
ومـــا العيـــش لا عشـت إن لم أكـــن	*مهيب الجناب مصـــون الحمـــى*

فالجهاد ضرورة حياتية للنفس البشرية، وبعض الناس يظنون وهم يسألون عن الجهاد في أفغانستان أو في فلسطين، ثم يؤولون ويحورون معاني الجهاد ويعطلون مئات النصوص القرآنية والأحاديث النبوية القطعية الدلالة، يقولون لك: **هل الجهاد بحاجة إلينا؟ أنتم** بحاجة إلى الجهاد، قبل أن يكون الجهاد بحاجة إليكم!!.

يا أيها الإخوة:

لقد أفتى فقهاء المالكية وهذا نأتي به للرد على فرضية الكفاية وفرضية العين، وبعض الناس لا زالوا حتى الآن يقولون بفرضية الكفاية، يقولون: هل الجهاد في فلسطين وفي أفغانستان فرض كفاية أم فرض عين؟ أقول لهم: هبوا أنه فرض كفاية، وما الفرق بين فرض الكفاية وفرض العين الآن بالنسبة لأفغانستان أو بالنسبة لفلسطين؟ هل تم فرض الكفاية؟ فرض الكفاية هو الفرض الذي تأثم الأمة كلها إن لم يُقم به.. فهل قام الناس بفرض الكفاية في أفغانستان؟ مرور ثلاثة عشر عاماً متتالية في أفغانستان وبقاء الشيوعيون والروس فيها ،دليل على أنهم بحاجة إلى الناس، لأن فرض الكفاية لم يتم والقاعدة الأصولية : إن فرض الكفاية يتحول إلى فرض العين مباشرة إن لم يقم أحد بفرض الكفاية.

جنازة موضوعة هنا، لم يتقدم أحداً ليصلي عليها، والصلاة على الجنازة فرض كفاية، فالأمة آثمة كلها، لأنها لم تصلِّ على هذه الجنازة وتتحول الصلاة على الجنازة هذه من فرض الكفاية إلى فرض العين..

أقول: أفتى فقهاء المالكية ؛ أنه إذا كان مجموعة من الرجال واقفين على حافة نهر ورأوا طفلا يكاد يغرق وباستطاعتهم أن ينقذوه ولم ينقذوه...

قال قسم منهم: على أنه يقتص منهم لأنهم قاتلون عمداً، لأنهم تركوا هذا الطفل يموت وبإمكانهم أن ينقذوه، والقسم الثاني من الفقهاء قال: يدفعون الدية مغلظة لأنه قتل شبه عمد، فلا يظننّ ظانّ أنه ناج من الإثم وهو يرى الملايين تسحق تحت عجلات الدبابات أو تحت قذائف الطائرات أو تحت وابل الرصاص الذي يتصبب عليه من السماء، عشر سنوات متواصلة من الروس، وأحد عشرة عاما متواصلة من الشيوعيين، وثلاثة عشر عاماً متواصلة منذ انطلق الجهاد، وبعد ذلك لم يكلف نفسه أن يزور ملاجيء الأيتام، ولا مستشفيات الجرحى، ولا أن يقف بنفسه على الحدود ليرى كيف يصنع هذا الشعب المسلم تاريخ الإسلام من جديد ويخطه بالدماء، ويحول تاريخ البشرية ويرفع خطه البياني؟.

يا إخوة : والله إن الكفار مهتمون أكثر بكثير منا في الجهاد، ومن هنا كانت حملات المستشرقين -الهجوم الإستشراقي الماكر- كل سهامه موجهة إلى عبادة الجهاد، لأنهم يعلمون أن عبادة الجهاد هي حصن هذه الأمة الحصين، وركنها الركين، وشنوا عليه غارات طويلة، حتى صرنا نستحيي من ديننا، فإذا قالوا: دينكم قام بالسيف، قلنا: لا .ديننا دين محبة وسلام.. وإذا قالوا لنا: دينكم دين هجومي، نقول: لا.. ديننا دين دفاعي!! ذراري المسلمين اليائسة تحت الواقع المرير الحاضر، وأمام الهجوم الإستشرقي الماكر، نعم... ديننا دين سيف ورسولنا ﷺ **«بعث بالرحمة، وبعث بالسيف «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له»**، لا يمكن أن يقر التوحيد في النفس البشرية إلا من خلال الجهاد **«بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم»**.

فوائد الجهــــــاد:

وأول فوائد الجهاد ؛ هو تعميق التوحيد، توحيد الألوهية في قرارة النفس البشرية، والتوحيد لا يعلم تعليما من خلال قراءة الصحف ولا من خلال قراءة المجلدات، إنما التوحيد الذي بعث من أجله الرسل، توحيد عملي، توحيد الله بالألوهية، إفراده بالتوكل والخشية والخوف وغير ذلك.. هذا يتم في ميدان الحياة، توحيد الألوهية هو عبارة عن تحويل الكلمات في القرآن إلى حركات في واقع الأرض، تحويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى أحداث فوق هذه الأرض، يراها الناس فيرون دين الله عزوجل مجسداً من خلال الشخوص بلحم ودم، والذين يظنون أن التوحيد إنما يفهم من خلال القراءة ،هؤلاء لا يدركون طبيعة هذا الدين، ولا يعرفون نهج سيد المرسلين ﷺ، إقرأوا.. عودوا إن شئتم إلى السيرة النبوية وكيف بنى رسول الله ﷺ هذه النفوس لبنة لبنة، يوماً بعد يوم، من خلال الأحداث، ومن خلال مواجهة الجاهلية، ومن خلال عمليات النفي والإبادة والتجويع والتشريد والهجرة، نمى التوحيد في أعماق النفس البشرية، توحيد الألوهية، أما توحيد الربوبية فهو أمر سهل وهو التوحيد النظري ؛ أن نعتقد أن الله خالق، رزاق، محيي، ومميت، هذه المعرفة، أو هذا التوحيد النظري يمكن أن نعلمه في محاضرتين فقط، يعرف الناس توحيد الربوبية، لكن نقل توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية، والتوحيد النظري إلى التوحيد العملي، فهذا الذي دونه خرط القتاد، ومن أجله بعث الرسل وجاءت الكتب، وبذلت الدماء، ودفعت المهج، وصنعت هذه التلال على طريق هذا الدين من الجماجم والأشلاء..

- أنا أقول لكم: من ذا الذي يفهم عمليا بواقع حركي..

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً) (آل عمران: ١٤٥)

ذاك الذي تتصبب عليه القذائف عشر سنوات متواصلة ومع ذلك لم يمت ،أم هذا الذي قرأها في المجلد الفلاني أو في الكتاب الفلاني...؟!!

يا أيها الإخوة: التوحيد العملي عقيدة القدر، الإيمان بعقيدة القدر خاصة في قضايا الرزق والأجل هذه لا تتبين واضحة للنفس البشرية إلا من خلال الجهاد، قد يفهم ذهنيا هذا، لكن النفس عندما تكون في ميدان القتال وهي تزج بنفسها إلى الموت، وترغب فيه..

لئن عمرت جعلت الحــــرب والـــــدة — *والسمهري أخاً والمشرفـــــي أبــــاً*
بكل أشعث يلقى المــوت مبتسمــــــا — *حتى كأن له فـــي قتلـــــه إربـــا*
يستعذبــــون منايا هــــم كأنهــم — *لا يخرجون من الدنيا إذا قتلـــــوا*

كرامات للمجاهدين :

هناك مجموعات من إخواننا الشباب العرب، شاب غض جاء من بلاده، نضجت نفسيته بحرارة هذا الدين وحرارة المعركة، أحيانا ! تأتي القذيفة بينه وبين أخيه هي أقرب إليه، لكنها تأخذ أخاه ولا تأخذه، أحد إخواننا (أبو عبيدة) كان يقضي حاجته في أثناء المعركة فتُنزل عليه الطائرة قذيفتين، فيرى قذيفتين نازلتين، والقذيفة وزنها (١٠٠٠) كيلو غرام، فقال اللهم لا تمتني على هذه الحالة، وتنزل القذيفتين حوله ولم تنفجر واحد منهما، بعد ذلك كيف لا يعتقد هذا أنه: **(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا)** عندما يُفتح على محمد يانا ! أحد قادة أحمد شاه مسعود، أحد عشر رشاشاً من نوع كلكوف من مكان قريب سهل، تحترق كل ثيابه ومع ذلك لا يجرح جرحاً واحداً، هذا كيف لا تستقر قضية القدر، قضية **(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا)**..

(إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (يونس: ٤٩)

أما الرزق، أولاً: النفس البشرية عندما ترتفع تصغر في عينها الدنيا...

على قدر أهل العزم تأتي العزائم	*وتأتي على قدر الكـرام المكارم*
ويعظم في عين الصغير صغيرها	*ويصغر في عين العظيم العظائم*

ترتفع قمة سنام الإسلام، كإنسان يركب في طائرة، أولاً يغيب عنه أرض المطار ثم المدينة ثم الأرض كلها، تصغر تصغر تصغر حتى لا تبدوا في ناظريه شيئا، وكذلك الذي يصعد إلى تلك القمة السامقة يستروح الأرج الطيب في ذروة هذا الدين في ظلال الجهاد، قضية الرزق لا يعود لها في حياته أي شيء، يقول الشيخ سياف – أجلس وإياه أحياناً– قال: أخذ قلماً لأحسب كيف نطعم الجبهات؟ فأقول هذه الجبهة نخصص لها كذا، وهذه الجبهة نخصص لها كذا، فبعد أن أحسب جبهتين أو ثلاثة تنفد كل ميزانيتي، ويبقى مائة جبهة أخرى لا أستطيع أن أقدم لها شيئا، قال: فألقي القلم، ثم أنظر إلى السماء فأقول: هو الجهاد لك فدبر كما تشاء.

الشيخ جلال الدين حقاني يقول: في السنة الأولى للجهاد كان لا يستطيع أحد من الناس أن يقترب منا، حتى ماكنا نستطيع أن نوقد النار، حتى لا يخرج الدخان فتأتي الدولة وتلقي القبض علينا، في قمة جبل من الجبال، قال: ونفد الطعام، وصليت الفجر مهموماً كيف يمكننا أن نؤمن الطعام لهؤلاء المجاهدين؟ لا يستطيعون أن يغادروا أماكنهم، ولا يستطيع أحد أن يصل إليهم، صليت الفجر ساهماً واجماً مهموماً حزيناً على هؤلاء الناس الذين معي، وعلى سجادة الصلاة أخذتني سنة من النوم، قال: وإذا بشيء يهزني ويمسك كتفي، ويهزني ويقول : يا جلال الدين لقد بقي ربك يطعمك ثلاثين عاماً وأنت لا تجاهد في سبيله، أفينساك وأنت تجاهد؟!! قم، قال والله هزني ثلاث مرات وهتف بي الهاتف، قم فاللحوم معلقة على تلك الشجرة، قال: وقدّر الله أنه في ذلك اليوم جاءنا ذبيحتان وذبحا دون معرفتي وعلقتا في نفس الشجرة التي رأيتها وأنا على سجادة الصلاة.

تحرير الإنسان من الخوف، يا سلام!! لا تستطيع عبادة أن تحرر الإنسان من الخوف إلا عبادة الجهاد، على أي شيء يخاف؟ الروح على كفه يعرضها صباح مساء على خالقه لعله يتقبلها **(ويتخذ منكم شهداء)** ولذلك والله بالنسبة لنفسي لم أعد أبه بشيء في الدنيا إلا بشيء واحد، هي نفسي التي بين جنبي،أخشى ألاّ تكن مخلصة مع ربها، أما دون ذلك....

إذا اعتاد الفتى خـوض المنـــايـــا	*فأهـــون مــــا يمــــر بــــه الوحــــول*

يقولون فلان راضٍ عنك، وفلان غاضب عليك، وفلان متبرم بك، مالي وللدنيا، مالي وللدنيا، فعلاً هذا حال المجاهد **«ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم قام وتركها»** وخاصة التحرر من عقدة الخوف، عقدة المراقبة، عقدة الأجهزة الأمنية التي أصبحت شبحاً يطارد الناس في كل مكان، هذه قضية تحرر منها المجاهدون تماماً، ولذلك إذا قيل لي أنا مثلاً: أن هنالك رجل يكتب عنك تقريراً فكأنما يقول لي: لقد كان هارون الرشيد يحج عاماً ويجاهد عاماً، قصة مضت، لم تعد النفس البشرية ترتبط بواقع الأرض أبداً، تحرير النفس من الخوف، لأن الذي يربط الناس بالحياة هو القيود ! الخوف على المال، الخوف على الوظيفة، الخوف على الرزق، الخوف على الحياة، وكل هذه معروضة على الرحمن في كل وقت حتى يفعل ما يشاء، وكثيراً ما تردد النفس تلك العبارة النبوية الكريمة **«إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي»**، ما دون ذلك فهو أمر سهل، أهمُّ ما يعتمل في النفس هل هي صادقة مع ربها، إن كانت صادقة مع ربها فالقوانين القرآنية التي أودعها الله عزوجل في كتابه تتكفل لنا بالحماية..

قوانين ربانية :

﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾ (فاطر: ٤٣)

﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾ (الحج: ٣٨)

«من عادى لي ولياً فقد بارزته بالحرب».

هذه القوانين هي التي تسير الإنسان في أرض المعركة، وأخشى ما يخشاه الإنسان على نفسه هو نفسه التي بين جنبيه فقط، ولذلك نرجو الله أن نتحرر من الخوف، تحرير النفس البشرية من الخوف على الرزق، من الخوف على الأجل، عقيدة التوكل على الله عزوجل، القرب من الله عزوجل، والأهوال تكشف عن النفس البشرية غواشيها وتزيل عن القلب لبسه، ويتعرى لخالقه، حتى الكافر..

﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين﴾ (يونس: ٢٢)

الشيوعيون الآن.. الأسرى الذين يأسرهم المجاهدون يجدون في جيوبهم (سورة يس)، يظنون أن (سورة يس) تحميهم، الروس أنفسهم، طياران روسيان يحقق معهم المجاهدون، يقولون لهم: أي شيء تخافون منه أكثر؟ قالوا: نخاف من صواريخ ستينجر، لكن علّمنا الأفغان بعض نصوص من كتابكم نقرأها قبل أن تقلع الطائرة حتى تحمينا من صواريخ ستينجر وهي (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس)، الروس يقولون هذا!!!

النفس البشرية أمام الأهوال تهتز وتتعرى لخالقها..

ستالين صانع دولة الإلحاد في الأرض، الذي قتل حوالي (٢٥) مليون مسلم، مرتين أرسل وراء القسيس في الحرب العالمية الثانية، وأهوالها أخرج الرهبان من داخل السجون ليدعون له في الحرب، وعندما مرض مرض الموت أرسل وراء القسيس ليدعو له...!!

ولذلك! أهوال الحرب، شدتها تقرب الانسان من الله عزوجل، وفعلاً كما قلت لكم: عقيدة التوحيد، توحيد الألوهية لا تبنى في أعماق النفس البشرية إلا من خلال المعاناة الحقيقية لإعادة هذا الدين في الأرض، قائماً شاخصاً مرة أخرى.

وأقول مرة أخرى ليس من السهل على الإنسان أن يفهم توحيد الألوهية إذا لم يجاهد بنفسه، ومن هنا أدركت معنى الآية الكريمة الذي رجحه الطبري وابن عباس رضي الله عنهما:

﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم..﴾ (التوبة: ١٢٢)

يرجح الطبري، وهذا الذي رجحه الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - يرجح على أن النفس التي تنفر في سبيل الله هي التي تتفقه في دين الله عزوجل، وهي التي تنذر قومها إذا رجعت، لماذا؟ كما قال الأستاذ سيد - رحمه الله - إن هذا الدين لا يفهمه فقيه قاعد قد خزن المعلومات قوالب في ذهنه باردة، إن هذا الدين لا يفتح أسراره إلا لمن تحرك به في واقع الحياة ودفع ثمنه، فيفتح له أسراره ويكشف له عن كنوزه، والجهاد فيه تربية النفس على العزة، لأن الجهاد قمة سنام الإسلام.

والحقيقة وأنا أعيش الجهاد الأفغاني للسنة الثامنة قد نضجت نفسي، وأقارن بين حالتي يوم أن دخلت أرض أفغانستان سنة ١٩٨١م وبين نفسي الآن هنالك بون شاسع وبعد واسع، بين تلك النفسية وهذه النفسية التي أنضجتها محن الحروب، واستوت النفس البشرية ونضجت بحرارة القتال، قالوا لي: نراك شبت، قلت: شيبتني أفغانستان وبيشاور ومشاكلها وأهوالها... أقول:

والعز في صهوات الخيل مركبـــه ... والمجد ينتجه الاسراء والسهـــر

مواقف صلبة:

هذه المواقف التي يقفها الآن القادة الأفغان مواقف ما شهدها العالم خلال القرون الأخيرة، الوقوف في وجه العالم كله، وهم يحافظون على نتائج هذا الجهاد، وعلى ثماره، رغم أنهم لا يملكون من الدنيا شيئاً، هذه المواقف ما كانت لتأتي بالدراسة النظرية أبداً، لقد نضجت نفوسهم، وارتفعت من خلال تسلقهم صعداً إلى قمة هذا الدين.

قال (أرمكوست) وكيل وزارة الخارجية الأمريكية اقبلوا دولة محايدة، قال له يونس خالص -وهو في السبعين من عمره - والله لو انطبقت السماء على الأرض لن نقبل بدولة محايدة.

يا إخوة: بعض الصحف تكتب عن انسحاب الروس، أي انسحاب للروس؟ إنما هو اندحار الروس وهزيمتهم، من الذي يصدق

أن روسيا تخرج من داخل أفغانستان؟ ليس في يدها ورقة واحدة من المجاهدين، في العام الماضي مثل هذه الأيام في شهر مارس، وقف العالم كله يريد أن يسرق ثمار هذا الجهاد من المجاهدين، مؤامرة جنيف لم تكتب أي سهم للمجاهدين من *هذا الجهاد* بل من المضحك المبكي أنها كتبت العفو العام عن مجرمي الحرب سياف وحكمتيار وما إلى ذلك، تعتبرهم مجرمي حرب، قيل لضياء الحق وقع هذه المعاهدة، رفض وأصر ودافع، وأخيراً إجتمع بقيادة الجهاد، رحم الله ضياء الحق بوقفته المشرفة، كان هذا الرجل هدية من الله إلى المجاهدين وإلى المسلمين، إجتمع بهم وقال لهم : أنا مضطر أن أوقع معاهدة جنيف وأريد أن تساعدوني وتعذروني، قال له سياف: أنت مقتنع بهذا؟ الأولى لك يا ضياء الحق وقد سرت معنا مسيرة الرجال هذه الأعوام التسع أن تقول لنا أخرجوا من بلدي، ولا أن توقع وثيقة فيها بيع أفغانستان ودماء مليون ونصف شهيد، أن يحفظ التاريخ عنك أنك وقعت وثيقة، واطرق ضياء الحق وكان وقافاً عند النص، ورجع إلى بيته، ويحدث إبنه يقول: رجع والدي واجماً حزيناً، لم يذق الطعام، ولعله في تلك الليلة لم يغمض له جفن ولم يكتحل بنوم، وفي الصباح كان أمره كذلك، واقتحمنا عليه وحشته وخلوته وقلنا له ما الذي يقلقك؟ قال: لأول مرة أضطر أن أخذل إخواني المجاهدين، ووقع ضياء معاهدة جنيف، لكنه وضع إستدراكين على المعاهدة، قال: لا أجبر المهاجرين أن يرجعوا ولا أضمن وقف إطلاق النار من خلال حدودي.

رئيس وزراءه جونيجو ووزير خارجيته نوراني كانا موعودين من العالم بقطعة ذهبية مكتوب عليها ميدالية السلام، -جائزة نوبل- فكانا يريدان بيع الشعب الأفغاني ودينه وعرضه ودمائه بقطعة ذهبية، قلت: لو مرّوا علي لأعطيتهم قطعتين مكتوب عليهما جائزة نوبل -ميدالية السلام- قطعتين ذهبيتين أو أكثر!!! وكان ضياء الحق لا يريد أن ينفذ المعاهدة، وهدده رئيس وزراءه أنك إن لم تنفذ سأقدم بك تقريراً للأمم المتحدة ولأمريكا ولروسيا، وفكر هذا الرجل طويلا لم يجد بداً إلا أن يطيح بالحكومة المدنية، قال له (أسلم ختك) وزير داخليته عندما أعلن بعد أن أطاح بالحكومة المدنية وأني سأطبق الإسلام وإن كلفني ذلك مالي وأهلي وعرشي وسأقف مع المجاهدين حتى أودّع آخر واحد معززاً مكرماً راجعاً إلى بلده رافع الرأس، قال له أسلم ختك: سيقتلك الغرب، قال له: يا (ختك) إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض.

هؤلاء الناس لولا معايشتهم الأحداث، أحداث الجهاد وكم تحمل هذا الرجل؟ لقد تحمل الكثير الكثير الكثير، الدنيا كلها كانت تقف أمام ضياء الحق وتقول له: إخرج المجاهدين، خمسة عشر حزباً سياسيا في باكستان، ثلاثة عشر ضد الجهاد، من الأحزاب السياسية، البلد تموج، بالشيوعيين واليساريين يفجرون هنا تفجيرات حتى يثبتوا لضياء الحق أن وجود الأفغان هو الذي يقطع حبل الأمن، يقف والدنيا كلها تتزلزل تحت قدميه يقول: افعلوا ما شئتم، لن أترك هذا الكرسي حتى أودع آخرهم معززاً مكرماً إلى بلدهم، أنتم لا تعرفون معنى الهجرة والجهاد، وأنا الذي أعرفه، لقد مشيت على قدمي ثمانين ميلاً مع أمي مهاجراً من الهند إلى باكستان.

الدنيا كلها حاولت أن تنفذ مؤامرة جنيف، الغرب، الشرق، الروس، كانت مؤامرة جنيف تقول: على أن الروس ينسحبون من المناطق الشرقية والجنوبية وتغلق الحدود، ينسحب الروس ثم يعود المهاجرون، يبقى كيان كابل ويبقى نجيب رئيساً للدولة، ما الذي حصل؟ إن الذي بيده ملكوت السموات والأرض يأبى ذلك..

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) (التوبة: ٣٢)

بدأت تنسحب، كلما انسحبت روسيا من مكان انقض عليه جنود الله عزوجل واحتلوه، انسحبت من بكتيا، بكتيكا وما إلى ذلك، بدأ المجاهدون يحتلون هذه المناطق ؛ كونر، قندهار، اضطرت روسيا -خافت أن تسقط كابل قبل أن يتم الانسحاب- اضطرت أن تعود إلى الأماكن التي انسحبت منها، واضطرت أن تضرب القرى الباكستانية التي على الحدود، قامت الضجة ضد روسيا، أنت أخلفت ونكثت معاهدة جنيف، قالت لهم: قولوا لهؤلاء أن يوقفوا اطلاق النار، قالوا للمجاهدين: أوقفوا إطلاق النار، قالوا: نحن ما وقعنا على معاهدة جنيف، قولوا للذي وقع على معاهدة جنيف أن ينفذ لكم ما وعد، أما نحن فلم نلتزم لكم بشيء، روسيا تنازلت... تنازل تنازل.. حتى أخيراً - الله أكبر - يقول المجاهدون لن نقبل أن نجلس مع روسيا، أي عزة هذه؟ أنا أعيش الأحداث، كان الناصحون من المسلمين ومن الدعاة ومن غيرهم ممن لم يرتفعوا إلى هذه الآفاق، يأتون خلال هذه السنة يترددون في رحلات مكوكية ينصحونهم: اقبلوا بأنصاف الحلول، تنازلوا ولو ظاهراً!! يقولون: لن نتنازل، هذا الجهاد قام لإقامة دين الله في الأرض، ولإقامة الدولة الإسلامية، لن يقف القتال حتى تقوم الدولة الإسلامية، كيف تصنع هذه الشخصيات، هذه العزة، هذا الاعتماد على الله عزوجل، كيف يمكن أن يصنع؛ لا يمكن أن يصنع هذا إلا من خلال البناء، بناء النفس الجهادية.

كردوفيز مندوب الأمم المتحدة عدة مرات يأتي إلى إسلام آباد، يطلب مقابلة رئيس الاتحاد الإسلامي وكان آنذاك الشيخ يونس خالص

أن تأتينا وإما أن آتيك مع كردوفيز إلى بيشاور، قال: آتي من أجلك، وجاء وقابل كردوفيز، قال له: أنا ما جئت من أجلك، أنا جئت من أجل ضياء الحق، وأنا أنصحك أن تعتنق الإسلام، هذه العزة أين؟ أين؟ رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يطلب مقابلة شاب من شباب الجهاد وهو حكمتيار ويصرون ويرفض، أين هذا؟ السفير الباكستاني الذي كان واسطة يقول: أنت مجنون، ستون حاكماً على قائمة ريجان ويؤخر مقابلتهم وأنت ترفض مقابلته، قال: نعم وإذا أصررتم سأغادر أمريكا الآن. كتب رسالة بنفسه وسلمها لابنه، وذهبت بها إلى حكمتيار، قالت: والدي ينتظرك هذه الليلة في البيت الأبيض، قال: أنا آسف لأني أعطيت موعداً للمهاجرين الأفغان في إنديانا، ولا بد أن أوفي بعهدي، وذهب ومضّى الليل مع المهاجرين الأفغان في إنديانا، هذه المواقف لا يمكن أن تأتي من خلال الدراسة، لا يمكن أن تأتي من خلال الأوراق، هذه هي العقيدة، توحيد الألوهية، هذا هو التوكل على الله عزوجل، هذه هي العقيدة..

(وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض) (فاطر: ٤٤)

هذه عقيدة..

إرهاب بالجهـــاد:

(قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله) (المؤمنون: ٨٨-٨٩)

ولذلك الجهاد يبني التوحيد، يبني العزة، يخيف أعداء الله عز وجل، لا يمكن أن يخافنا أعداء الله إلا بالقتال، ليس بالكلام..

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك، وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا) (النساء: ٨٤)

إذن بأس الذين كفروا يكف متى؟ في القتال، ولو وحدك، إذن هنالك فريضتان: **(فقاتل في سبيل الله)** **(وحرض المؤمنين)** فريضة القتال وفريضة التحريض هي التي تخيف أعداء الله عز وجل.

جندي سوفياتي على التلفاز السوفياتي راجع من كابل، يقولون له: كيف حالكم في أفغانستان؟ قال: عندما نسمع صيحة الله أكبر نبول على ثيابنا، جندي سوفياتي، الجيش الأحمر الذي ما خرج من بلد بعد الحرب العالمية الثانية إلا من أفغانستان.

كارلوتشي وزير الدفاع الأمريكي اجتمع بوزراء الناتو -حلف الأطلسي- وزراء دفاع الناتو، قالوا له: يبدو أن جورباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب، فقرر سحب مليوني جندي من أوروبا الشرقية، قال: أو تظنون ذلك أن جورباتشوف غير سياسته؟ قالوا: نعم، قال: لا... لقد أجبره الأفغان أن يغير سياسته تجاه العالم.

الأفغان قلبوا كل الموازين، الجهاد في سبيل الله عطل كل الموازين البشرية، توقفت الكمبيوترات السياسية، كل التوقعات السياسية التي توقعها العالم وقفت، نعم حتى الطب، طبيب يشتغل في أفغانستان اسمه دكتور عمر قال لي: الجهاد الأفغاني وقف نظرياتنا الطبية، يحصل معنا قضايا تناقض كل ما أخذناه في الطب، لأن قضايا تحصل لبعض المجاهدين الذين لا بد أن يموتوا ويعيشون.

محمد عمر دكتور عربي في الشمال جاءوا إليه في المعركة، أصيب القائد عباس بشظية في بطنه، إندلقت أمعاءه، ودمه ينزف، الدنيا ليل، ماذا يصنع ليس معه لا سمّاعة ولا ميزان حرارة، قال: أوقدوا السراج، على ضوء السراج بدأ يطهِّر الإبرة، أرجع أمعاءه، خيّط بطنه وعاد عباس إلى الجهاد يقود المعارك بعد شهر واحد.

الدكتور صالح الليبي يصل مزار شريف، يعرضون عليه شاب من المجاهدين أصيب بشظية في العمود الفقري بالنخاع الشوكي وشلُ، وقد انحطت معنوياته، يحتاج من يعينه حتى في البول، لا يستطيع أن يتحرك، كان هناك مجموعة من الأطباء الفرنسيين جاءوا بهم، فكفروا بالله العظيم أعوذ بالله، قالوا لهم: عالجوا هذا، قالوا -- أستغفر الله - لو جاء رب العزة ما شفاه. **(تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً)** فوصل الدكتور صالح، فجاءوا وعرضوه عليه، قال: إن شاء الله بسيطه، إن شاء الله بسيطه - وهذا في الطب لا شفاء ولا علاج له - قال وبدأت معه وبعد شهر واحد عاد المجاهد يجاهد مع المجاهدين، ولا زال يجاهد.

فأقول: الجهاد يخيف أعداء الله عز وجل..

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (الأنفال: ٣٩)

---

(١) في اللهجة الفلسطينية وتعني البساتين.

اليهود من سنة ١٩٧٩م وأنا أقرأ لهم الخوف من أفغانستان الضغوط اليهودية على العالم لمحاولة إيقاف الجهاد الأفغاني، عجيبة.

في مؤامرة جنيف اشترطوا أن تغلق المعسكرات في داخل أفغانستان، كلما سمعوا شاباً عربياً ذاهب إلى أفغانستان يطير صوابهم، الذي رتب لمؤامرة جنيف اليهودي (همر) وجعل بداية الإنسحاب في مؤتمر جنيف، في مؤامرة جنيف ١٥ أيار ذكرى قيام دولة إسرائيل.

ولذلك يعني الأحداث على أن هذه الدنيا لا تهاب إلا القوي، ولا يحترم الناس إلا القوي، وأما الضعفاء والمستضعفون فهم تحت الأقدام في الدنيا، وفي جهنم في الآخرة..

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم؟ قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها؟ فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) (النساء: ٩٧)

الآن خوف اليهود من حجارة الأطفال في بيت المقدس، الرعب العالمي، اليهودي من هؤلاء الشباب الذين لا يحملون إلا حجارة يهزون دولة مدججة بالأساطيل البرية والجوية والبحرية.

يا إخوان سنة ١٩٦٩م / ١٩٧٠م شرّفنا الله عزوجل بالقتال في فلسطين، الحدود ليل نهار، ليل نهار، لا يستطيعون أن يتركوها لحظة، بياراتهم[1] ومصانعهم وما إلى ذلك، لا يستطيعون أن يعملوا فيها، أخذوا إليها العرب يعملون فيها وهم متفرغون لحماية الحدود، رغم أن العمليات كانت

قليلة، فتْح في بداية أمرها كان اليهود يهابونها، رعب عجيب!!.

إمرأة تبيع البيض ليهودي، فقال لها هذا بيض صغير، قالت له: هذا بيض فتْح، يعني - بيض فراخ أول فتح - فرمى البيض، قال:فشتم دين فتح وقال: حتى البيض فتح؟!، يرتجفون، يرتجفون ممن يحمل رصاصة، ممن يؤمن بعقيدة الجهاد، ممن يؤمن بفريضة الإعداد والإستعداد، أما الكلام ما قيمته؟ كل قضية إذا أردت أن تنهي وجودها فأحلها إلى المحافل السياسية، وضعها وراء الكواليس لتدخل الملفات، وإلى ملف النسيان الذي سيعلوها طبقات من الغبار، قارنوا الآن بين القضية الأفغانية وأي قضية في الدنيا، لماذا قضية الجهاد الأفغاني منتصرة مشرقة؟ الدماء...!!

أغلى الممالك ما يبنى على الأسـل	*والطعن عند محبيهـن كالعسـل*
أيملك الملك والأسيـاف ظامئـة	*والطير جائعة لحم علـى وضـم*
حتى رجعت وأقلامي قوائل لـي	*المجد للسيف ليس المجد للقلـم*

أروني فيلسوفاً أو عالماً يحكم أي بلد في العالم، أروني مفكراً يحكم أي بلد في العالم، السيف هو الذي يحكم، القوة هي التي تحكم، المجد للسيف، فإذا كان المجد مصوناً بالحق، ومدججاً بالسيف، فتلك غاية المنى، والجهاد يوظف طاقات الأمة جميعاً، ويرفع إهتماماتها:

وإذا كانت النفـوس كبـاراً	*تعبت فـي مرادهـا الأجسـام*

مجتمع المجاهدين:

النساء، نساؤنا في بيشاور ما هو حديثهن ليس عن الطعام وعن الشراب، لا..بل اليوم جاء شهيد عربي، اليوم جاء فلان، خرجت رائحة دمه كالمسك، سمعنا جرح خمسة في جلال آباد،علمت دخلوا المنطقة الشرقية من المطار، ضربت الطائرات كذا، أحمد شاه مسعود جاء منه لاسلكي على أنه قد احتل المنطقة، فيها ١٢ دبابة صالحة و٢٥ سيارة، وكذا ذخائر، هذا حديث النساء (أو من ينشأ في الحلية) وحديث النساء في أي مكان، إسألوا النساء أنتم تعرفون أكثر مني.

أما نحن فعلاً، هذا حديثنا، الشهادة، الشهداء، القافلة الفلانية، المعركة الفلانية، كيف جبهة قندهار؟ كيف فريد؟ كيف كابل؟ وأين الشيخ سياف؟ أين رباني؟ هذه حياتنا وبذلك ترتفع اهتمامات الأمة جميعا، والمعركة تشغل كل الطاقات، كل الطاقات .

أنا أرجع من المعسكر أسأل في البيت: أين أنا؟! في المعسكر!! جاءوني قالوا لي أولادك ذهبوا إلى الجبهة، خلاص.. وقّع الشيخ تميم على اغلاق المدرسة، الأولادُ ركبوا السيارة وذهبت إلى جلال آباد، رجعت إلى الدار أمهم ليست في البيت أين هي؟ قالوا: ذهبت

عند زوجة الشهيد فلان تواسيهم وتصنع لهم الطعام، فتجد المجتمع كله يعيش قضية تملأ حياته، هذا يدبر السيارات، وهذا يبحث عن الطعام، والنساء يصنعن الكعك، ويرسلن للمجاهدين، التمر يأتي من هنا، مجموعة تخرج البذر، النساء يعجن ويخبزن، السيارات تأخذ، كل المجتمع في حركة دائبة، القضية تشغلهم وتشدهم ضد أعداء الله عزوجل.

ولذلك مجتمع الجهاد، المجتمع المتحرك يصنع القيادات ويبرز النماذج، ويظهر الأفذاذ، ومن هنا في مجتمع مثل أفغانستان ليس الناس بحاجة أن يقال انتخبوا فلان أو لا تنتخبوا فلان، عشر سنوات من الحركة الدائبة والحرب تطحنهم، قد برزت شهادته من خلال السنوات التي قضاها في معارك الجهاد، وهكذا في المجتمع المسلم الأول، والمجتمعات الحية.

الآن ..افتح كتاب الإصابة في حياة الصحابة أو أسد الغابة، فلان ما هي مؤهلاته؟ شهد الغزوات كلها، شهد الغزوات كلها، ومن هنا عندما تلفتت الأمة كلها بعد وفاة رسول الله ﷺ لم تجد إلا أبا بكر، لماذا؟ ليس بحاجة أن ينزل قائمة إنتخابية، انتخبوا مرشحكم الحر، وهذا البرنامج الإنتخابي، لا.. أبرزته الأحداث، يقول أصحاب رسول الله ﷺ كنا لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر ثم عثمان ثم علي، ثم ندع بقية الصحابة لا نفاضل بينهم، الآن في أفغانستان معروف القائد، معروف الصابر، معروف الصادق، معروف المنافق، معروف الذي قدم، ومن هنا عندما شكّلوا، كوّنوا مجلس الشورى، بعض الناس من القادة جاءوا بأناس يعيشون في أمريكا من حليقي الذقون والشوارب، وما شاء الله، (ماكس فاكتر) جاء منعم ومعطر، وأسد الغاب والمجاهدون قادمون وغبار المعارك عليهم، القادة، هذا الأمريكي نظر كيف أعيش مع هذا؟ فعلاً فيأتي القائد يسلم عليه يجده مثل البسكويت، نعم، فيقول له : الأخ من أين؟ قال: والله من بدخشان، أهلاً وسهلاً!! أين كنت في العشر سنوات؟ والله كنت في أمريكا، وهذا يغض حياءً ويطرق رأسه، الناس (٥٠٠) واحد من مجلس الشورى يبيتون على البلاط[1] في البطانيات، لا يوجد أنتركنتننتل ولا يوجد تلفون في الدورة، فيومين ثلاثة بنظراتهم، لما ينظر المجاهد لهؤلاء، يغضون حياءاً، يطرقون، قالوا: لا يمكن أن نعيش مع هؤلاء، نعم، بعد ذلك وقف أحدهم حتى يلقي محاضرة عن كيفية حل قضية أفغانستان السياسية، الذي لم ينزل قطرة عرق ولم تخرج منه قطرة دم، وكأنه يريد أن يصل إلى نتيجة: أنه لا حل إلا بمؤتمر عالمي حتى يرجع ظاهر شاه الذي نصفه في القبر ونصفه خارج القبر } فيكاد يصل إلى النتيجة، وإذا بالمجلس يضج (مردباد ظاهر شاه- الموت لظاهر شاه) فكأنما سكب عليه ذنوبا من ماء، وأغضى ورجع مكانه، وقف أحد علماء المجاهدين:

أسد دم الأسد الهزبر خضابه ... موت فريص الموت منه ترعد

الموت يخاف منه، طلع على المنصة، قال: يا جماعة هذا مجلس شورى للجهاد، وليس مجلس شورى للحليقين، أطرقوا حياءً ثم تفقدوهم، ما وجدوا أحداً منهم، هربوا إلى أمريكا وإلى أوروبا.

ولذلك أقول: الجهاد يبرز القيادات، المجتمعات المتحركة، إنظروا لأمريكا، القتال هو الذي أبرز أيزنهاور، أبرز كندي قادة الحرب العالمية، أبرزت فرنسا ديغول قائد الحرب العالمية، بريطانيا أبرزت تشرتشل، القادة أنفسهم، عندما عمل كندي دعاية إنتخابية ماذا صنع؟ بحث عن القارب الذي كان يقاتل فيه في اليابان القديم ورممه وحمله وطاف به الولايات المتحدة ففاز برئاسة الولايات المتحدة. فالأمم تعظم أبطالها، والمجتمعات الراكدة يعيش على وجهها الأشنات، أما المجتمعات المتحركة تبرز الأفذاذ، وتخرج القمم والنماذج، والآن فعلاً إذا أجروا في داخل أفغانستان أي انتخابات، معروفة، الناس معروفون من خلال جهادهم.

يا أيها الإخوة:

لا مكان لنا تحت الشمس إلا بالجهاد، الذي يعني القتال في سبيل الله، والجهاد عبادة فرضها الله عزوجل على عباده لأنه يعلم أثرها في النفس البشرية، وما جعل الله عزوجل هذا الأجر العظيم للجهاد عبثاً، إنما هو يقدر المشاق التي تلاقيها النفس، فتصقلوا من خلالها، وتصقل أثناء مسيرتها: **(إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله)، (رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل) (لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود).**

(*) "قالوا:ماذا يعدل أجر المجاهد؟ قال: لا تستطيعونه. ماذا يعدل أجر المجاهد؟ لا تستطيعونه. أيستطيع أحدكم أن يدخل مسجده فيقوم فلا يفتر، ويصوم فلا يفطر؟ قالوا: من يستطيع ذلك!! قال: ذاك أجر المجاهد، مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت، لا يفتر عن صيام أو قيام حتى يرجع المجاهد" . إذا كان الذي يحتبس فرساً في سبيل الله فإن ريّه وشبعه وبوله وروثه في ميزان حسناته يوم القيامة، فكيف بالذي

(١) يعني على الأرض المجردة.   * هذا الجهاد وهذه آثاره جزء ٢ .

يحتبس نفسه في سبيل الله، لم يجعل الله عز وجل هذا الأجر عبثاً، إنما لما يعلم الله من حكمته سبحانه من أثر لهذا الجهاد في النفس البشرية، ومن أثره في البلاد وفي العباد، ولا يمكن أن يستقر دين أو يقوم توحيد أو يطمئن الناس إلى دمائهم وأموالهم وأعراضهم إلا بالقتال:

فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنـــــا — *وتضرب بالبيض الرقاق الجماجـــــمُ*

فلن أصالحـــكم ما دام لـــي فـــرس — *واشتدّ قبضاً على الصمصام إبهـــام*

ولا يستطيع الناس أن يقيموا الشعائر بدون جهاد..

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيعٌ وصلواتٌ ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيراً) (الحج: ٣٩-٤٠)

فالشعائر مهددة بدون جهاد، والفتنة قادمة بدون جهاد..

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (الأنفال: ٣٩)

والفتنة هي الشرك، والرزق كذلك تحت ظلال الرمح، ومن كان في شك من هذا، واعتنى بغير الجهاد للرزق فليقارن ماذا أخذ اليهود في يومين فقط من الضفة الغربية من أموال ومصانع وغير ذلك في يومين فقط، فلو بقيت الخطط الخمسية في الأغوار مائة سنة لا يمكن أن تصل إلى نصف أموال أهل نابلس التي استولى عليها اليهود.

يا أيها الإخوة: الجهاد عزتنا، وفي الجهاد حياتنا، وفي الجهاد جنتنا، وفي الجهاد رضى ربنا، **أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.**

الأسئلـــــــــــة:

س: هل في رأيك ستستمر عجلة الجهاد على أرض الأفغان وبنفس الروح الشجاعة التي بدأت بها بعد السيطرة الكاملة على نظام كابل وأراضيه، أم أنهم سيركنون إلى الكراسي والمناصب وحطام الدنيا؟ أخبرونا عن الروح التي سوف يكون عليها المجاهدون؟

ج: أولاً القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، لكن الذي نراه أن النفوس التي تربت على الجهاد لا تستطيع أن تتركه، فكما يقول الأفغان هم عن أنفسهم (نحن الجهاد لنا كالبحر للسمك، فكما أن السمك لا يستطيع أن يعيش بلا ماء كذلك نحن لا نستطيع أن نعيش بلا جهاد)، الأخ عبد الله أنس يقول لي -شاب جزائري من أوائل من دخل في الجهاد-: كنت جالساً مع مسعود -أحمد شاه مسعود وهو أشهر قائد في داخل أفغانستان نرجو الله أن يحفظه ويبارك فيه-أحمد شاه مسعود مع آريئبور -مساعد أحمد شاه-، يقول آريئبور: أنا والله لا أعرف كيف نعيش بعد أن ننتصر ونقيم الدولة، الآن طيلة النهار ونحن نشتغل من الصباح إلى منتصف الليل، الطيران يقصفنا ونحن تحت صخرة نكتب كيف نحل المسألة الفلانية؟ كيف ندبر التموين؟ كيف...؟ غداً عندما تستقر الأمور وننتصر على الشيوعيين ماذا سنفعل؟ من الآن فعلاً هم متألمون: لأن الجهاد سينتصر وينتهي، قال له أحمد شاه مسعود: أنا أدعو الله عز وجل أن يرزقني واحدة من ثلاث بعد النصر في كابل: أن تأتيني طلقة دوشكا هنا وتذهب بالشهادة، ويبقى الأجر والذخر في الدنيا والآخرة، أو يفتح الله لنا جبهة من الجبهات نحارب بها كفاراً في قطعة إسلامية أخرى، أو أذهب إلى الجامعة الإسلامية وأدرس الشريعة الإسلامية.

فأقول إن النفوس التي اعتادت الجهاد لا تستطيع أن تتركه، وهم قالوا جاهدنا لنقيم دولة إسلامية قائمة على عقيدة البراء والولاء، فلن ينسوا إخوانهم المجاهدين في أي مكان في الأرض.

كنت على الفطور مع الشيخ سياف في ٢/٢٣ جئنا بذكر فلسطين، فقال: والله أنا أحببت أن أتخفف من أعباء الحكم حتى أتفرغ -لعل الله يعينني- لقضية فلسطين. أما حكمتيار قال لي: ماذا ستصنع؟ قلت له: أوصلكم إلى كابل -إن شاء الله- ونرجع لعل الله يفتح لنا ثغرة في فلسطين. قال: لا، تشترك معنا في بناء الدولة ثم تذهب وإياك إلى فلسطين.

الشعب الأفغاني يقول: اللهم حرّر على أيدينا كابل ولا تمتنا إلا في بيت المقدس. قال لي الشيخ رباني قصةً لا أنساها، قال:

كنت في اجتماع، فجاءني الولد من الداخل قال: امرأة تريدك ضروري، قال له: عندي اجتماع، قال: ضروري امرأة تريدك...
قال:وقطعت الإجتماع ودخلت وإذا بها تفتح صندوقاً فيه كل حليّها، قالت له: جهّز بهذه غازياً إلى فلسطين.. وهذا الذي يتعب اليهود من
- الشعب الأفغاني، قضية بيت المقدس قضية تجري في دمائهم، وقضية الجهاد جزء من حياتهم، ونرجو الله عز وجل أن يفتح لنا ثغوراً أخرى نجاهد فيها إن شاء الله حتى نلقاه شهداء في سبيله...

س: نريد أن نجاهد ولكن لا يمكننا الجهاد لأن إسرائيل لا تسمح لنا بالدخول إلى فلسطين، فهل الجهاد هنا واجب علينا ونحن لا نستطيع الدخول إلى موقع الجهاد؟

ج: إذا كان هذا السؤال من فلسطيني فهذا عيب، لأن على الفلسطينيين خاصة أن يعدّوا أنفسهم للمعركة حتى يفتح الله لنا ولهم ثغرة، وأفغانستان أبوابها مفتوحة منذ عشر سنوات، ماذا تصنع هنا؟ ماذا تفيد فلسطين وأنت في هذه البلاد؟ أنت تخدع نفسك وتمنيها بفلسطين، فلسطين،فلسطين، فلسطين، الجرائد أفصح منك في الكلام والإذاعة أمهر منك في الكلام، لكن فعلاً هل تقدمت خطوة عملية واحدة نحو فلسطين؟ لا... نفسك تذبل يوماً بعد يوم، مثل السيارة التي تضعها في المطر والشمس، تصدأ وتكتّ وهي واقفة، يزداد الأولاد، وتزداد متطلبات الحياة، تزداد القيود إلى الأرض، تشدك جواذبها، ثم بعد ذلك:

أفنيت يا مسكيـــــــن	*عمرك بالتـــأوه والحـــزن*
وقعدت مكتـوف اليــدين	*تقول حاربني الزمـــن*
إن لم يقم بالعبء أنــت	*فمـــن يقـوم به إذن؟*

لماذا لم تأت إلى أفغانستان؟ لماذا لم تذهب إلى الفلبين؟ لماذا لم تُربِّ نفسك؟ فإذا علم الله منك صدقاً سيفتح لك الأبواب، سيفتح لك ثغرة..

﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ (الطلاق: ٢-٣)

كنا عندما ذهبنا إلى أفغانستان يعيبون علينا، أنت نسيت فلسطين، أنت يا شيخ عبد الله تركت فلسطين وانشغلت بأفغانستان..
- هل خسرنا؟ أدينا الفرض، وكل شاب فلسطيني وكل شاب يحب المسجد الأقصى وجاء إلى أفغانستان وهو يقف في ذرى الهندوكوش أول ما يطرق ذهنه ويدور في مخيلته، كيف أنقل هذه الصورة المشرقة إلى أرض المسجد الأقصى؟ على كل حال: الطريق لا زال مفتوح والإمكانيات موجودة، والإنتفاضة قائمة، ولا بد من تطوير الإنتفاضة ـ جهاد الإنتفاضة هي جهاد وليست إنتفاضة ـ أن نطورها وتمتد حتى لا تخبو، والذي يمدها الدماء:

ولا يبني الممالك كالضحايـــا	*ولا يدني الحقوق ولا يـــحق*
ففي القتلى لأجيـــال حيـــاة	*وفي الأسرى فدىً لهم وعتـــقُ*
وللحريـــة الحمــراء بـــابٌ	*بكـــل يـــد مضـــرجة يُدَقُّ*

والذي يريد يفتح الله له، أطرق باب الرحمن لن يخيبك، لكن إعمل وأعدّ واستعد...

يا إخوة: في سنة ١٩٤٨م الحركة الإسلامية في مصر، منعهم فاروق، سحبوا منهم جوازات السفر، مشوا مشياً، اخترقوا سيناء حتى وصلوا النقب وبدأوا جهادهم، فالأمر سهل، أنا واثق -والله- بأن الله عزوجل لن يخيبنا و (**أنا عند حسن ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني**) وأنا أعتقد تماماً الذي قاله الله عز وجل في كتابه..

﴿إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ (الطلاق: ٣)

﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (يوسف: ٢١)

وهكذا.. أعدّ واستعدّ واترك البقية لرب العالمين، سيفتح عليك إن شاء الله...

س: قد يدفع الحنين إلى الجهاد البعض إلى أن يفكر في طريقة يقدم بها ما لديه، وأحد الإخوة يسأل يقول: إن بعض الناس يقولون بأن المجاهدين في هذه الأيام محتاجون إلى المال أكثر منهم إلى الرجال، ففي رأي فضيلتكم هل الأفضل إرسال المال؟

ج: أنا في رأيي أن الإنسان الناضج، الداعية أو الذي تربى منذ نعومة أظفاره على الإسلام، أحب إلى الأفغان وأفيد لهم من مليون دولار، كما هم يقولون، عربي واحد ناضج أحب إلينا من مليون دولار، لكن يكون ناضج، يفهم رسالته، يفهم طبيعة المعركة، وضخامتها وأبعادها ومهمته، ويختار أهون الشرين، لا يراقب سقطاتهم فيلتقطها،هذا شعب من الشعوب عنده كثير من العيوب، في

شعبك الذي جئت منه عيوب أكثر، إذا كنت تفهم أهل زمانك والأرض التي تقف عليها، والمعركة التي تخوضها، فأنت أحبّ إليّ وأحبّ إليهم من المال، لكن إن كنت تريد أن تصر على بعض السنن وتعطل الفرائض، أنصحك أن لا تأتي،، لأنهم شعب أمي يفهمون الإسلام من خلال المذهب الحنفي، ما رأوا غير المذهب في واقعهم، فإذا أصررت أن تصلي كما تصلي في بلادك فأنصحك أن لا تأتي، لأنك لن تدخل قلوبهم، ونحن نأتي بك حتى يكون لك دور في توجيههم وبنائهم وتعليمهم وإرشادهم ورفع هممهم والله أعلم، وهذا الذي أفتى به ابن تيمية في أكثر من عشر مواضع أو عشرين موضع من الفتاوى، أن الهيئات إن كانت تؤدي إلى تفرقة الناس وخلافهم تُترك، لأن وحدة القلوب، تأليف القلوب فرض، وهذه الهيئات مندوبات والفرض مقدم قطعاً على الهيئات والسنن. طبعاً المال هم بحاجة شديدة جداً

والآن هنالك شائعات تقول انتهى الجهاد في أفغانستان، وبعض الناس يقولون أن الحرب أهلية، أي حرب أهلية هذه؟ الجهاد قام قبل أن يدخل الروس من أجل الإطاحة بالشيوعيين هؤلاء، خرج الروس، طرد الروس واندحروا، فاستمر الجهاد ضد هؤلاء، الآن المعارك على أشدها في قندهار، وفي جلال آباد، في كل مكان في داخل أفغانستان، وهم بحاجة إلى الطعام.

كنت مع أخ من الإخوة اليوم، قال: ماذا يريد المجاهدون؟ قلت له: نريد فقط طعاماً للمجاهدين في معركة جلال آباد، كابل، قندهار فقط. قال: وغير ذلك؟ قلت له: لا نريد شيئاً!!! فهم ليس عندهم طعام، وانقبضت أيدي الناس، أولئك منذ ١٤ عاماً متواصلة وهم في القتال

يعني عندما أطلق الطلقة الأولى حكمتيار سنة ١٩٧٥م بدأ القتال عام ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م أي مضى أربعة عشر عاماً وهم يطحنون طحناً، ودم واحد من الأفغان يساوي مال الأرض كلها، فليست أموالكم أعزّ -لا عند الله ولا عند الناس- من دمائهم، فلا تتركوهم على أبواب كابل وتنكاوا في آخر خطوة، وإن شاء الله شهرين على الأكثر بإذن الله نكون في كابل، بإذن الله، كما نتوقع، أنا أتوقع بإذن الله أن نعيّد عيد الفطر في كابل، إذا زادت في شوال، إذا زادت كثيراً عيد الأضحى، فلا تقبضوا أيديكم في آخر مرحلة خاصة هذا الشعب الكريم الطيب، الذي له تحت جوانح كل أفغاني محبة وتقدير لوقفته المشرفة بجانبهم في هذه السنين العشر العجاف.

س: سمعنا أن للجهاد أثرٌ كبير على الجمهوريات الإسلامية المحتلة في اتحاد الجمهوريات السوفيتية، فهل لفضيلتكم التكرم بإلقاء الضوء حول هذا الموضوع؟

ج: الآن والحمد لله رب العالمين اخترق المجاهدون مرات عديدة نهر جيحون، ووصلوا بخارى وحدثني أحدهم، قال: وجدتنا امرأة مسلمة في بستانها، فعرفتنا أننا من أفغانستان، قالت: إئتوني بمصحف معكم. قال: في المرة الثانية أخذنا لها مصحفاً، فجاءت إلى البستان وأعطينا لها المصحف وإذا بها تخلع حليها، وتعطينا إياها، قلنا لا... هو هدية لك. فألقت الحلي ثم ولت ظهرها ومضت.. الآن روسيا لما رأت التململ في طاجكستان، اضطرت أن تسمح للقرآن الكريم -بعد سبعين عاماً- أن يُقرأ من محطة طاجكستان، وأن يؤذن فيها باللغة العربية، فالحمد لله يعني أثر كثيراً هذا، أثر الجهاد على نفسياتهم كثيراً، وكل ولاية الآن تعيد النظر، ألا يمكننا أن نقف كما وقف إخواننا الأفغان، وهذا السبب هو قيام المشاكل بين أرمينيا وأذربيجان، أذربيجان قامت فيها مظاهرات يطالبون بالحكم الذاتي الإسلامي، وطبعاً الجهاد الأفغاني غيّر عقلية غورباتشوف، حيث وجد أن الدين ضرورة من الضرورات الحياتية، لا يمكن للنفس البشرية أن تعيش بلا دين، ولا يقف أمام الدين إلا الدين، ولا يقف أمام الفكر إلا الفكر، ووجد أن العقيدة الشيوعية فارغة، فبدأ يوزع الأناجيل على أرمينيا ويحرضهم ضد أذربيجان حتى تظهر القضية أنها حرب على قطعة أرض بين أرمينيا وأذربيجان، وإنما القضية تحريك الاتحاد السوفياتي لأرمينيا النصرانية ضد أذربيجان. ، الله عز وجل رأى أن المجاهدين لا يصلون إلى أرمينيا، الآن هو الذي يدير المعركة، فزلزل زلزالها، وفي يوم واحد قتل مائة ألف روسي، في الجهاد الأفغاني - على أكثر الإحصائيات- قتل خمسين ألف روسي، الله قتل في يوم واحد مائة ألف روسي..

س: سمعنا عن وجود بعض الروس في كابل وفي الأراضي السهلية، وسمعنا بأن الروس قد استقدموا حوالي ستة آلاف جندي من كوبا لحرب المدن والشوارع، فهل هذا صحيح؟ علماً بأن التصريحات تقول بالانسحاب الروسي من أفغانستان؟

ج: نعم صحيح، اشترك من دول أوروبا الشرقية، من كوبا، من بلغاريا، واليمن الجنوبية الشعبية الديمقراطية، أرسلت ثمانمائة واحد حتى يقاتلوا في أفغانستان،.واليمنيون صوتهم جميل، فكانوا يقفون بجانب قواعد المجاهدين يأخذون السماعات يؤذنون، فيقولون لهم (المجاهدون): من أنتم؟ فيقولون: نحن عرب. وما الذي جاء بكم؟ قالوا: نحن مسلمون جئنا لمساعدة ولي الأمر عندكم، وكيف جئتم وهذا كافر شيوعي؟ قالوا: لا. الذين خرجوا عليه بغاة، ونحن نفهم الإسلام أكثر منكم، نحن عرب نفهم الإسلام أكثر منكم، ولذلك جئنا نحن نصلي ونصوم لنقف بجانب ولي الأمر ضد البغاة عليه.. ووجدنا عند فتح طورخم مجلة الثورة، بعض اليساريين من الثورة الفلسطينية يقاتلون مع الشيوعيين ضد المجاهدين الأفغان، والمجلة باللغة العربية، وأحد الجالسين أخذ واحدة منها، طبعاً من اليساريين، وعندما أبرمت مؤامرة جنيف تبرعت بعض الدول العربية أن يكون منها البوليس الدولي وحماية الحدود حتى لا يتسرب من خلالها المرتزقة

الذين يتسللون من حدود أفغانستان، يعنون المجاهدين!!! كل روسيا وحلف وارسو والذين يدورون في فلك روسيا اشتركوا، ليس لحاجة روسيا لثمانمائة واحد يعني، بل لإثبات أن العقيدة الشيوعية العالمية هي التي تخوض المعركة، فالقضية قضية إسلام وكفر وقضية الشيوعية والقرآن، وقضية إيمان وإلحاد، هذه المعركة التي كانت في داخل أفغانستان.

أحمد شاه مسعود يقول لي: والله يا أخي، لو قاتلنا من أجل تحرير أفغانستان ما استطعنا أن نثبت هذا الثبات وأن نصبر هذا الصبر، ما قاتلنا منذ أول يوم إلا لإقامة دين الله في الأرض، ولئن هُزمنا في أفغانستان فالواجب الرباني علينا أن نبحث عن بقعة أخرى، نقاتل لننصر الإسلام فيها، وبعض الناس حقيقةً لا يدركون هذه المعاني، لا يدركون هذا، ومن هنا القضية واضحة تماماً، إسلام أو لا إسلام.

أحمد شاه وزير المواصلات أو الإتصالات في الحكومة وهو مساعد الشيخ سياف، عقد صفقة سلاح في إسبانيا واتفقوا، قال له تاجر السلاح: لكن أنا أريد أن توقع لي على ورقة، أن لا تستعملوها ضد اليهود، هو عارف أنهم لن يستعملوها ضد اليهود، فلسطين بعيدة آلاف الأميال عن أفغانستان، قال له أحمد شاه: نلغي صفقة السلاح. قال له التاجر: لماذا؟ هل تستعملونها ضد اسرائيل؟ قال: لا. لكن أنت تريد مني أن أوقع على ورقة إيقاف قتال شنه الله عز وجل على اليهود منذ أربعة عشر قرناً وهذا يصطدم مع عقيدتي، قال له تاجر السلاح: ما رأيت فقراء في الأرض أعزّ منكم أبداً... ورجع أحمد شاه ولم يأخذ رصاصة، ألغى العقد ورجع.

فليعرف أبناء فلسطين قيمة فلسطين في أعماق أبناء أفغانستان حتى يقابلوهم بالإحسان والوفاء، والمنظمة للأسف طيلة عشر سنوات متواصلة ما وقفت مرة واحدة بجانب الجهاد الأفغاني، مرة واحدةً ما وقفت، وللأسف!!

س: إحدى الأخوات تقول: كم أتمنى أن نعيش هذه الحياة المؤمنة نحن النساء، ولكننا في الحقيقة نتمنى هذا النوع من الحياة ونحن هنا نحاول أن نربي أولادنا على حب القرآن فماذا تنصح المرأة المسلمة الموجودة بعيدة عن المعركة في البلاد الإسلامية، أرجو أن تنصحنا ولك جزيل الشكر؟

ج: كنا في أمريكا فالنساء سألن هذا السؤال، فكان الشيخ تميم بجانبي -الشيخ تميم العدناني- ذكره الله بالخير.. فقال أنا أنصح أن تحضّي زوجك على الجهاد، وإذا زوجك لا يذهب للجهاد أو لا يريد أن يذهب للجهاد أخبريني عنه حتى أجلس فوقه، وزنه مائة وأربعين كيلوغرام!!! فنحن ننصح المرأة أن تنصح زوجها أن يذهب فقط يرى رؤيةً، مثل كارتر ونيكسون، كارتر ونيكسون زاروا أرض بيشاور، قالوا هذه بيشاور، تعالوا على مخيمات ناصر باغ قال لهم : لا ..أريد أن أصل إلى الحدود، أخذوا كارتر بطائرة الهليكوبتر إلى (لاندي كوتل) آخر مدينة باكستانية،قال:لا..أريد أن أقف بنفسي في أرض أفغانستان!! ومشى كارتر ودخل ووقف على الأرض الأفغانية، فقط يرى رؤية، يشم ريح الحرية والعزة، أولئك الذين صنعوا أمجاد هذا الدين على بحور الدماء وقمم الأشلاء، إذا لم تقدر إقناعه تتبرع بمالها وتحضّ زوجها أن يتبرع بماله، ونرجو الله أن يأجرها بنيتها، أما أن تأتي وحدها بدون محرم فلا يجوز لها، وليس للمرأة الآن دور في القتال نفسه، إنما دورها في التعليم، تعليم الأيتام واليتيمات، دورها في مساعدات للنساء الأرامل، إلى آخره، النساء الأفغانيات حتى الآن لم يشتركن في القتال بأنفسهن، لكن المرأة الأفغانية قلعة عجيبة ، قلعة صامدة، يعني أنا أعجب من صبرهن، كان لهن دور كبير في صمود أزواجهن، يضعها زوجها في داخل غرفة ويغلق عليها سنة، لا تفتح الباب، نعم أقول لا تفتح الباب مستعدة أن لا تصل الباب، سنة كاملة!!!

- كان معنا واحد خريج الجامعة الإسلامية، فقال لي: أستأذنك -كنا في المعسكر- أن أذهب لأشتري حاجات البيت. قلت له: أنا زرتك في البيت وقلت أم زوجتي عندي، والدكان رأيته باب بيتك، لماذا لا تخرج أم زوجتك إلى الباب وإلى الدكان وتشتري. قال: لا يمكن، ولو ماتوا جوعاً.. أم زوجته !!!

فالحقيقة المرأة الأفغانية صبرها عجيب عجيب، فهي دفعت الحقيقة دفعت تكاليف ضخمة ضخمة ضخمة واحتملت، لا تظنوا هذا النصر جاء هكذا، يعني كثير من الأطفال لا يعرف لهم أهل، أرسلت أهلي لتخطب بنت أفغانية لواحد -شاب عربي- فأختها الكبيرة مدرسة، فاعتذرت لزوجتي، قالت لها: نحن عاداتنا أن لا تخرج من القبيلة وما إلى ذلك، ثم قالت لها: يا أم محمد هل تظنين أنه بقي في نفوسنا ميلٌ لجنس!! قالت لها: الصباح يأتينا بخبر قتل أخوك، ثاني يوم قتل إبنك، ثالث يوم أسر أبوك، إلى آخره، أسرت أختك دمر بيتكم.. يعني كما قال أبو الطيب:

تعرست بالآفات حتى تــركتهـــا تقول أمات الموت أم ذعر الذعــر

- نفس الآفات والآلام والمصائب التي حلت بهم تركته، وقالت الآفات هذا لماذا ما مات؟ ما يوجد موت؟ أمات الموت أم ذعر الذعر؟، قالت لها: والله تزوجت، ما تزوجت إلا ليكون معي محرم في الذهاب والإياب، وشهران ما رأيت منه ولا رأى مني.

س: ما هي حالة التترس التي ذكرتم أنه يجوز قتل المسلمين فيها؟

ج: حالة التترس يعني إذا أسر الكفار مجموعة من الأسرى ثم تقدم الجيش الكافر ووضع أسرى المسلمين أمامه كترس متترساً بهم، ظاناً أنه سيصل إلى المسلمين لأن المسلمين لا يطلقون عليهم ناراً بسبب وجود إخوانهم الأسرى أمامه، هنا أجاز الشرع قتل هؤلاء الأسرى المسلمين، وإن كانوا صائمين قائمين إن خشينا على الأمة الإسلامية وعلى الجيش الإسلامي أن يؤسر.

س: ما موقف الحكومة الباكستانية الحالية من الجهاد في أفغانستان؟

ج: لم يحدث أي تغير، الحقيقة ..الله عز وجل هو الذي رعى هذا الجهاد، وقتل ضياء الحق كان متأخراً جداً، متأخراً كثيراً، لأن الله عز وجل هو الذي يجري القدر، والقدر ليس بأيدي البشر، فجاء متأخراً بعد أن فلت الجهاد الأفغاني وخرج من عنق الزجاجة وتعدى مرحلة الخطر، الآن كل العالم لو يلتقي على الجهاد الأفغاني لا يستطيع أن يفعل به شيئاً، لماذا؟ الذخائر موجوده روسيا قبل ما تخرج -الله لا يكثر لها خير- فوضعت مخزون خمسة سنوات من الأسلحة، هذا كله غنائم للمجاهدين يوماً يوماً يأخذونه، فالآن الغنائم لا تُعدّ ولا تُحصى بين أيديهم، ليسوا بحاجة إلى شيء من هذا، إنما هم حاجتهم الآن للطعام، الطعام فقط.

فجاء قتل ضياء الحق متأخراً وجاء وضع جديد بعد أن وصل الجهاد الأفغاني إلى حافة النصر، والباكستان وقفت موقفاً مشرفاً طيلة السنوات العشر الماضية، ولا يمكن لأي حكومة مهما كانت إلا أن تحافظ على هذا الموقف المشرف لتقطف الثمار عند الحصاد وقد آن أوانه، فما تغير شيء والحمد لله رب العالمين، من الناحية السياسية حاولوا ولكن المجاهدين واقفون أمام العالم كله، واقفون ....!! يا إخوان..

ومن أخذ البلاد بغير حرب   يهون عليه تسليم البلاد

لكن الذي دفع الدماء والثمن لهذا النصر كما قال الشيخ سياف وحكمتيار، قالوا: لن نسمح لأحد أن يمس عزة هذا الجهاد، وأي إنسان يريد أن يمس عزته فسنواصل القتال معه عشر سنوات أخرى كما قاتلنا الروس عشر سنوات.

س: سمعنا أن أمريكا تعطي المجاهدين أسلحة، هل هذا صحيح؟

ج: السلاح الوحيد الأمريكي هو سلاح ستنجر، وستنجر كما أعلم دفع ثمنه هذا البلد، كانوا يدفعون ثمن كل صاروخ سبعين ألف دولار، فأمريكا ما قدمت صاروخاً واحداً مجاناً، والمساعدات كانت تأتي للحكومة الباكستانية، والحكومة الباكستانية هي التي تساعد المجاهدين، أما أن أمريكا تساعد المجاهدين؟ ما ساعدتهم يداً بيد.

س: ذكرتم في أثناء الحديث أن كل بلد حكم بالإسلام يوماً فإنه يجب إرجاعه اليوم إلى الحكم الإسلامي، ما الدليل الشرعي على ذلك؟

ج: ما هي الأدلة؟ الكتاب والسنة والإجماع والقياس.. فأجمعت الأمة من مفسريها ومحدثيها وفقهائها وغير ذلك على أن أي بقعة من بقاع الإسلام تعرضت للغزو الكافر يجب على الأمة كلها أن تنقذها وتعيدها إلى ظلال الإسلام، ما من كتاب فقهي ولا حديث ولا كتاب تفسير ولا أصول إلا وتجده ينص على هذه القاعدة الشرعية، فهو إجماع الأمة منذ أن بدأت كتابة الفقه إلى يومنا هذا، ومنذ أن بدأت كتابة تفسير الحديث وتفسير القرآن إلى يومنا هذا، هذا هو نص العلماء.

س: يقول سبحانه وتعالى (وجادلهم بالتي هي أحسن) فنعتقد أننا نبدأ بالدعوة للإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وأن دور السيف يأتي في مرحلة متأخرة فما رأيكم؟

ج: هذا إذا تركنا الكفار في أرضنا آمنين، أما إذا دخلوا أرضنا فماذا نصنع تجاههم؟ لا بد أن نقابل السيف بالسيف ولا بد أن نقابل القوة بالقوة، ولا بد أن ندافع عن أعراضنا، ودمائنا وديننا، أما في حالة استقرار المسلمين في أرضهم فالجهاد فرض كفاية، وما معنى فرض الكفاية؟ أقل فرض الكفاية أن يرسل الإمام كل عام جيشاً إلى بلاد الكفار ويغزو، هذا أقل فرض الكفاية.

س: نأمل إفادتنا عن الموقف الحقيقي للشيعة الأفغان؟

ج: الشيعة الأفغان ليس لهم شوكة -والحمد لله- مخضضة شوكتهم، وأبشركم، الشيعة الأفغان ٨٪ من الشعب الأفغاني، ولذلك عندما حاولت إيران أن تضغط من أجل أن يقبلوا مائة مقعد ذهب إليهم حكمتيار ومحمد ياسر -أشد إثنين في مجلس الشورى- نعم، أشد إثنين في مجلس الشورى ، قالوا لهم: الشيعة ثلث سكان أفغانستان ونحن نريد ثلث المقاعد، قالوا لهم: من أين لكم هذه الإحصائيات، إحصائيات الأمم المتحدة، أنه ثمانية في المائة، الشيعة قالوا: لا... آخر شيء تنازلوا لمائة مقعد، فقال لهم: نحن سنقيس بأحد المقاييس الصحيحة إما نعطيكم على نسبتكم من الشعب ؛ فهم ثمانية في المائة ونحن خمسمائة في مجلس الشورى، يكون لكم أربعين مقعداً، وإما أن نعطيكم حسب نسبتكم في أيام ظاهر شاه، وكان لكم في أيام ظاهر شاه أربعة عشر مقعداً من مائتين وخمسين

مقعداً فنحن خمسمائة نعطيكم ثمانية وعشرين مقعداً، أو نزن بميزانكم أنتم سنعطيكم وزراء بقدر وزراء السنة في دولتكم، -قطعاً لا يوجد ولا وزير سني- فاشتد الأمر، قالوا لهم: سنفتح الحدود بيننا ولا حاجة إلى تاشيرة، فقال لهم محمد ياسر: ألغوا التأشير بين المخيمات الأفغانية في بلادكم، لأنه ممنوع الذي في مخيم ويريد أن يزور أخته في مخيم آخر، إلا برخصة من الدولة تحتاج أربعة أو ثلاثة أشهر حتى تطلع!! قد يكون بينهما عشرة كيلومترات، بين المخيم هذا والمخيم هذا!! وحتى الآن زعلانين.

إن شاء الله، فاطمئنوا، الحمد لله رب العالمين، قالوا لهم: نحن لا نعطيكم باسم شيعة، نحن نعطيكم باسم مهاجرين أفغان في إيران، أما إذا فتحنا هذا الباب شيعي وسني غداً يأتي باب تاجك وبشتون، شمالي وجنوبي، ستتمزق أفغانستان.

س: أسمع كثيراً وصفاً لبعض قادة الجهاد بأنهم متشددون مثل الشيخ عبد رب الرسول سياف وفي بعض الأحيان يوصف المعتدلون مثل مجددي لماذا الإختلاف في هذين الوصفين مع أن الجميع يعتبرون قادة الجهاد؟

ج: الصحف الغربية دأبت منذ ثلاث سنوات أو أربع على تقسيمهم فعلاً قسمين: (Fundemandlests) و(Modorades)، (Fundemandlest) يعني أصولي، سبحان الله، الله يلهمهم حتى يسمونهم أسماء طيبة، أصولي يعني يرجع إلى الكتاب والسنة، وأولئك (Modorades) يعني معتدلين، يعني الأصولي والمتشدد، والمتطرف في نظر الغرب يعني الذي يرفض أن يسلم على النساء ويرقص معهن، الذي يرفض أن يشرب بيرا نسبة الحكول ٣٪ ما تسكر، الذي يرفض أن يجلس على طاولة الخمر وبجانبه عارية ومقابله واحد يشرب الخمر، هذا إسمه متطرف، هم يريدون واحد دينه على الطريقة الأمريكية، إسلام أمريكاني، يعني دينه مطاط، يعني منفتح، شبابيكه مكسرات، يدخل منها كل الأوبئة والجراثيم وطوفان الحضارة الغربية الفاسد، يريدون واحد معتدل، واحد مرن، مرن يعني مطاط على الطريقة الغربية، يمط الفتوى تطلع حسب الطول الذي يراه الغرب، ولذلك الغرب كانوا يريدون أن تكون الحكومة من المعتدلين -فلما اتفقوا على محمد نبي وعلى أحمد شاه رئيس وزراء ومحمد نبي رئيساً للدولة، قالوا لهم: الأمريكان والغرب والدنيا كلها غير موافقة، قال لهم سياف وحكمتيار: لماذا؟ قالوا: أحمد شاه متشدد وأصولي، قالوا لهم: هذه الحكومة نحن شكلناها لأفغانستان وليست لأمريكا فقالوا:غيروا وبدلوا، قال لهم حكمتيار: إعلموا على أننا لن نقبل أية دولة تملي علينا من غير أنفسنا، وأية دولة تملى علينا من الخارج من غير إرادتنا فسنحاربها كما حاربنا روسيا، لكن الله عز وجل اختار خير حسن، اختار مجلس الشورى، مجددي رئيساً للدولة، واختاروا سيافاً رئيساً للوزراء، كانوا بواحد لحيته خمسة سم، جيء بواحد لحيته خمسة عشر سم !! وبشكلة يخوف، نعم وكما قالوها!!!

هذه إذاعة (بي بي سي) أعوذ بالله، سم زعاف، لا زالت تحارب الإسلام،يعني أكثر بلد دمرت العالم الإسلامي بريطانيا، ولا زالت تتابعها، ثلاث مرات ساعة ونصف يذيعون- في اليوم -، بالبشتو وبالفارسي، على موعد الفطور يذيعون وموعد الغذاء يذيعون، وموعد العشاء يذيعون، وتجد الأفغاني واضع اللقمة في فمه والأذنين في أذنه، الـ (بي بي سي) قالت الـ(بي بي سي) يعني عجيبين في بذلهم من أجل أن يبثوا ما يريدون، فقالت على أن أحمد شاه متشدد أو أصولي، جاءنا أصولي أشدّ وهو سياف، لما اعترفت هذه البلد -جزاهم الله خيراً- بالحكومة، قالت: لقد اعترفت السعودية بالحكومة الحالية بسبب رئيس الوزراء سياف حامي حمى الوهابية في داخل أفغانستان!!! ومنذ أن قامت الحكومة حتى الآن وهي تدندن على نغمة الوهابية، وتعرفون أن الوهابية قد شوهت من قبل بريطانيا كثيراً كثيراً في العالم الإسلامي، ولا زالت الكتب توزع في داخل أفغانستان وباكستان وما إلى ذلك بين الأميين من قبل الشيعة، الشيعة حاربت الوهابية، والصوفية حاربت الوهابية، وبريطانيا حاربت الوهابية، لا زالت الكتب توزع في باكستان، وأنا قرأت بعض النصوص على أن الوهابي يجيز نكاح أمه وأخته، على أن الكلاب أفضل من الوهابيين، على أن الوهابيين شر من اليهود والنصارى.

ولما جاء الشيخ ابن السبيل وصلى في باكستان، خطب الجمعة وصلى، واحد من إسلام آباد أفتى -في المحكمة العليا- اسمه شجاعت علي قادري "من صلى وراء بن سبيل فصلاته باطلة وزوجته طالقة!! المهم زوجته طالقة!! ولذلك معظمهم أميون لا يعرفون إيش الوهابية، لا يعرفون أبداً.

فبريطانيا تضرب على هذه النغمة، وأن سياف فتح جامعة بأموال السعودية لتنشر الوهابية في داخل أفغانستان، قلت: مسكين سياف (لا هو مع سيده بخير ولا مع سته بخير)[1] ، في داخل أفغانستان بريطانيا تقول عنه وهابي، حتى تنفر منه الشعب الأفغاني، وبعض إخواننا يأتوا هنا ويقولوا عنه أنه أشعري، قلت مسكين سياف، مثل ما قال الشاعر:

رماني القوم بالأرزاء حتى	*فؤادي في غشاء من نبال*
فصرت إذا أصابتني سهام	*تكسرت النصال على النصال*
فهان وما أبالي بالرزايا	*لأني ما انتفعت بأن أبالي*

(١) سيده في اللهجه الفلسطينيه يعني (جده) وسته تعني (جدته).

اتقوا الله حق تقاته*

[1] فيا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم .

(انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) **(التوبة:٤١)**

هذه الآية الكريمة من سورة التوبة أمر من الأوامر الربانية المحكمة في هذا الكتاب العزيز.

وانفروا في اللغة العربية فعل أمر، والأمر للوجوب، والذي قال (انفروا) هو الذي قال (وأقيموا الصلاة) سبحانه وتعالى، والذي قال (و آتوا الزكاة) هو الذي قال (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) فهي أوامر، والأوامر واجبات إن كانت من رب العزة أو من رسوله ﷺ، حتى من العبد إلى العبد فالأمر للوجوب إلا أن تصرفه عن ذلك قرينة.

والجهاد منذ أن أوجبه الله عزوجل بسورة محكمة

(ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت...) (محمد: ٢٠)

فالجهاد أمره محكم، والمحكم في الأصول غير قابل للنسخ، أبداً لا ينسخ أمر المحكم أبدا، فالجهاد واجب رباني محكم لم يأته نسخ ولا يرد عليه تغيير ولا تبديل، وهنالك قواعد فرضية نقعدها في هذا المجال حول الجهاد، وهذه القواعد كثيراً ما كتبنا عنها في مجلة الجهاد، وكثيراً ما نشر عنها في النشرات التي تتكلم عن القتال، لكن أعيدها إلى أذهانكم

(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) (ق: ٣٧)

القاعدة الأولى: أن الجهاد فرض عين الآن على كل المسلمين في الأرض، وكل مسلم في الأرض الآن يجب أن يمتشق حسامه وينتضل سلاحه... فإذا لم يكفوا أو قصروا أو تكاسلوا أو قعدوا توسع فرض العين على من يليهم وثم وثم إلى أن يعم فرض العين الأرض كلها كالصلاة والصوم، لا يسع أي إنسان تركه، ولذلك على كل مسلم الآن فريضة كالصلاة والصيام والزكاة هي فريضة الجهاد.

إذا أطلقت كلمة الجهاد إنما تعني القتال في سبيل الله، فكل كلمة جهاد في كتاب الله أو سنة نبيه ﷺ إنما تعني فريضة القتال، وليس الجهاد بالكلام، وليس الجهاد بالدعوة، وليس الجهاد بنشر الكتب، ولا بالخطابة ولا بالكتابة في الصحف، هذه كلها إنما لا تنطبق على كلمة جهاد إذا أطلقت في الكتاب والسنة.

فعندما يسأل رسول الله ﷺ : ماذا يعدل أجر المجاهد في سبيل الله؟ قال (لا تستطيعونه)، فيعيدون عليه ثلاثاً فيقول (لا تستطيعونه، أيستطيع أحدكم أن يدخل مسجده فيصوم ولا يفطر ويقوم ولا يفتر؟) قالوا من يستطيع يا رسول الله؟ أربعة وعشرين ساعة متواصلة صياماً وقياماً، قال [ذلك أجر المجاهد، مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت لا يفتر عن صلاة أو صيام أو قيام حتى يرجع المجاهد] وفي رواية حنظلة رواها بعض أصحاب السنن [لا يعدل عشر أجر المجاهد] ولذلك كلمة المجاهد هنا لا يعنون بها صلاة ولا صياماً ولا كتابة ولا دعوة إنما يعنون بها المقاتلة في سبيل الله، وإلا فقيام الليل جهاد نفس، وصيام النافلة جهاد نفس، لا يطلق رسول الله ﷺ كلمة الجهاد على قيام الليل وعلى الصيام، مثل المجاهد كمثل الصائم القائم لا يفطر عن صيام أو قيام حتى يرجع المجاهد. فيجب أن ننتبه للمصطلحات القرآنية والأحاديث النبوية، ان الجهاد معنى خاصاً عندنا يطلق في الكتاب أو في السنة معناه القتال.

كما قال ابن رشد: وكلمة الجهاد إذا أطلقت إنما تعني قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، ومع الأيام ومع ضعف النفوس ومع هبوط الأجيال ومع الإنهزام النفسي أمام الهجوم الإستشراقي الماكر وتحت ضغط الواقع الحاضر تأولت كلمة الجهاد، فأصبح الشغل في الشركة جهاداً، وأصبح العدل جهاداً، وأصبحت النفقة على الأولاد جهاداً، وهذا كله تمييع للنصوص القرآنية وللمصطلحات الربانية لكلمة الجهاد، فكلمة الجهاد تعني القتال في سبيل الله، فقط القتال بالسلاح، فلا يجوز تمييع

---

* رقم الشريط ٣٢٩.

(١) ألقيت هذه الخطبة في ديسمبر عام (١٩٨٨م) في الولايات المتحدة الأمريكية.

النصوص ولا زحزحتها عن موضعها، ولا تغييرها عن أماكنها التي أرادها الله ورسوله ﷺ ، هذه واحدة، الجهاد: هو القتال.

والثانية: الجهاد عبادة كالصلاة والصيام والزكاة، وكما أن تارك الفرض كما يقول الأصوليون أو الواجب ما يثاب فاعله ويعاقب أو يأثم، فتارك الجهاد آثم يعاقب عند رب العالمين، إلا أن يمن عليه بعفو، ومن فعله كان مثاباً، ولا يعذر أي أحد بترك الجهاد، كما لا يعذر أحد بترك الصلاة والصيام إلا بالأعذار الشرعية التي حددها رب العالمين.

(ليس على الأعمى حرج، ولا على الأعرج حرج، ولا على المريض حرج) (الفتح: ١٧)

هؤلاء الثلاثة والثلاثة الآخرون: **(إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم).**

الرجال الذين طعنوا في السن، والأطفال الذين لم يبلغوا سن التمييز والنساء هؤلاء الثلاثة معفون بشرطين:

الشرط الأول: لا يهتدون سبيلا.

الشرط الثاني: لا يستطيعون حيلة.

أعفاهم رب العزة من الإثم لأنهم لا يستطيعون حيلة أي لا يثبتون على الدابة إذا ركبوا عليها، ولا يطيقون أن يركبوا في الطائرة لأن نفوسهم لا تستطيع أن تحتمل سفراً طويلاً، ولا يهتدون سبيلا أي لا يعرفون الطريق إلى الجهاد، أما وقد بان الطريق إلى الجهاد، أما والصحة متوافرة، والعافية موجودة، فليس هنالك عذر عند أحد من العالمين أمام رب العالمين، والذي يلقى الله عزوجل وهو تارك للجهاد فكأنما لقيه وهو يفطر في رمضان طيلة حياته لم يصم يوماً واحداً، والذي يلقى الله عزوجل وهو لم يزاول عبادة القتال كالذي يلقاه وهو مضيع للصلاة لم يتعبد الله عزوجل بالصلاة، وقد يتساءل البعض ويقولون: إذن نترك الصلاة ما دام لا فائدة لأننا لا نقاتل الآن، فنقول: أنت إن تركت الصلاة فإنك ستحاكم أمام رب العزة عن ترك فريضة الصلاة، فإن تركت الصلاة والصيام فستحاكم أمام الله عن ترك فريضتين فإن لقيت الله وأنت تارك للجهاد فإنك ستحاسب عن ترك فريضة، فريضة الجهاد كأنك تارك للصلاة والصيام.

القضية الثالثة: أما الجهاد عبادة عمر وليس عبادة مختصة بمكان ولا محصورة بزمان، والذين يظنون أن الجهاد محصور في أفغانستان أو في فلسطين أو في لبنان أو في الفلبين هؤلاء لا يدركون الحكمة التشريعية من الأوامر الربانية، ليس الجهاد محصوراً بأفغانستان، أنت مفروض عليك أن تجاهد، والجهاد هو القتال، فإذا استطعت أن تجاهد في أي مكان فقد أوقعت الفرض من عنقك، وقد نجوت أمام خالقك، عليك أن تقاتل، أين تقاتل؟ في المكان الذي تستطيع أن تصل إليه، والله عزوجل لا يكلفنا إلا بما وسعته طاقاتنا وبما أطاقته نفوسنا:

(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) (البقرة: ٢٨٦)

(لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها)

والذين يظنون أن الجهاد محصور في البلد التي ولد فيها فإن لم يستطع الوصول إلى البلد التي ولد فيها فقد سقط عنه الفرض فهذا هو الذي يقول: إن الصلاة واجبة في فلسطين وليست واجبة في أمريكا تماماً بتمام وسواء بسواء، إن الذين يظنون أن صيام رمضان إنما هو محصور في أفغانستان أو في باكستان هؤلاء لا يعرفون شرع رب العالمين ولا يدركون شرعة خاتم المرسلين ﷺ، الصيام واجب سواء كنت في أفغانستان أو في فلسطين أو في مصر أو في الجزائر أو في أي مكان، كذلك الجهاد -القتال- واجب عليك حيث ما استطعت أن تؤدي هذه العبادة، فإذا كنت في أمريكا تستطيع أن تصوم يجب عليك الصيام و مرفوع عنك الإثم إذا كنت مريضاً أو على سفر، وكذلك الجهاد، استطعت أن تجاهد في فلسطين يجب عليك أن تجاهد في فلسطين، فإذا لم تستطع الخروج إلى الأرض المباركة والجهاد حول ساحة الأقصى يجب عليك أن تبحث عن قطعة أخرى تؤدي فيها هذه الفريضة وتقدم فيها هذه العبادة أمام رب العالمين، ولكننا ومع الأيام ومع العوامل الإقليمية التي غرسها في أذهاننا أعداء الله عزوجل والذين قسموا عقولنا وقلوبنا أنك من منطقة كذا، فكأن عبادة الجهاد محصورة في هذه المنطقة وليس عليك أن تفكر في غيرها، وهذا تحطيم للأمة الإسلامية وتمزيق لجمعها وتشتيت لوحدتها التي قال الله عزوجل عنها **(وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس...... فأصبحتم بنعمته إخوانا).**

فكل فلسطيني يستطيع الوصول إلى أرض فلسطين أنا أنصحه... لست أنصحه أنا، رب العزة يأمره أن يؤدي فريضة القتال في فلسطين، أمر من رب العالمين.

(انفروا خفافاً وثقالاً) متزوجين وعزبا، أغنياء وفقراء، مثقلين، مدينين أو غير مدينين، شيوخاً وشباناً، عدة معان لمعنى خفافاً وثقالاً، لن يعذر الله أحد عن القتال في سبيل الله إلا هؤلاء: الأعمى والأعرج والمريض والطفل الصغير والشيخ الكبير والمرأة، هؤلاء الستة الذين يعذرهم رب العالمين، أما غيرهم فلا يعذر الله أحداً ممن يملك صحة ويملك مالاً يستطيع أن يصل فيه أرض الجهاد، فهي عبادة عمر وليست مختصة بزمان ولا محصورة بمكان.

واعلموا أيها الأخوة أن هذه العبادة غابت طويلاً عن واقع المسلمين، وأصبح الناس يظنون أنهم غير مخاطبين بالقتال، بل أصبح القتال غائباً عن أذهان المسلمين غريباً، بل أصبح القتال عند بعض المسلمين الذين لم يفتح الله على بصائرهم في هذه القضية أصبح وكأنه عمل منكر (كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً)، الجهاد الذي هو قمة سنام الإسلام تجد الآن من المسلمين من ينصح غيره أن لا يأتي إلى أرض الجهاد ولا ينفر إليها، بأي شرع أنت تتكلم؟ وليت شعري من أي دين استقيت هذه المعلومات؟ أي نص قد اعتمدت عليه؟ أي حديث قد اطلعت عليه؟ ألا تعلم أن الذي يقول للإنسان لا تذهب إلى القتال فكأنما يقول له إفطر في رمضان -وهو صحيح مقيم- وإثمك في رقبتي؟ إن الذي يمنع الناس عن الجهاد إنما يمنع الناس عن الصلاة والصيام سواء بسواء.

(قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا، أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا).

(سورة الاحزاب١٨-١٩)

ألا يخشى الذين يثبطون عن الجهاد أن تنطبق عليهم هذه الآية؟ ألا يخشى أولئك الذين يثبطون ويعوقون أن ينطبق عليهم قول الله عز وجل

(فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين)؟ (التوبة ، ٨٣)

آيات تتنزل من رب العزة وهو يهزأ بهم ويبكتهم يقول:

(وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) (التوبة : ٨٦)

الأغنياء استأذنوا بالجلوس فقالوا ذرنا نكن مع القاعدين.

(رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) (التوبة ،٨٧)

أعوذ بالله.

القضية الرابعة: أننا كلنا نعتقد أن الله هو الخالق الرازق (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة) وكلنا نعتقد (أن الله لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديرا) وكلنا نعلم أن السماوات له والأرض له

(ولله جنود السماوات والأرض وكان الله عزيزاً حكيما) (الفتح : ٧)

(ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره، ثم دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون، وله من في السماوات والأرض كل له قانتون) (الروم: ٢٥-٢٦)

رب العزة الذي يأمرنا هو أقوى من أمريكا وروسيا، أقوى من الدنيا كلها، والله عزوجل أمرنا بأمر واحد، أن نعد لهم ما استطعنا من قوة، والبقية على رب العالمين، والنتائج بيد خالق الناس أجمعين، والأمثلة العملية التي قامت في أذهاننا شاخصة لا زالت أمام نواظرنا أن أي مجموعة من الناس تقوم في سبيل الله وتقاتل ابتغاء مرضاته ينصرها الله عزوجل ولو بعد حين.

هذا الجهاد الأفغاني الذي ترونه بدأ بثلاثين شاباً، ثلاثون شاباً لم يكن بأيديهم أي شيء، كانوا يشترون القنبلة أو المسدس من صنع القبائل على حدود أفغانستان ويدخلون بها العمليات، وعندما بدأ الشعب جهاده سمعت بعض الناس يقول: إن الشعب الأفغاني

ينتحر، إنه يدخل أمام روسيا وحلف وارسو، أمام المعسكر الشرقي الشيوعي، إنه يعرض نفسه للإبادة والهلاك، إنه يريد أن يقابل المخرز والمسمار بكف، كانوا يقولون: يقابلون روسيا ذات الصواريخ النووية، صواريخ عابرة لقارات، القنابل الذرية، الطائرات النفاثة، الميج (٢٧) الميج (٢٥) السوخوي (٢٥) كيف يمكن لشعب لا يملك شيئاً أن يقابل دولة عندها مليونين ونصف المليون من الجنود في أوروبا الشرقية فقط؟ كيف يمكنه أن يقابل روسيا التي تصنع الدبابات ثم يدخلوها عبر نهر جيحون ليس عليها إلا أن تقطع جسر حيرتان؟!

ودخل المعركة، ومضى عشر سنوات يباد ويقتل، وماذا كانت النتيجة؟ لقد ركعت روسيا على أقدامها لتقبل أيادي المجاهدين حتى يفلتوا جنودها الذين وقعوا أسارى في أيادي المجاهدين، لقد طلبت روسيا من الأمم المتحدة أن تتوسط للمجاهدين حتى تجلس معهم، لماذا؟ قال من أجل البحث في قضية الأسرى، وكم...؟ كم من الأسرى لك يا روسيا؟ لك مائة أسير عند المجاهدين؟ أتريدون اجتماعاً شبه دولي من أجل هؤلاء الأسرى؟ أم أنه حاجة في نفس يعقوب ! إنهم يريدون أن يجلسوا مع المجاهدين حتى يؤمنوا إنسحاب جنودهم المحصورين في داخل كابل، لا يأكلون رغيفاً من الخبز إلا بعد إذن المجاهدين، لا يدخل كابل الآن أي سيارة من القمح إلا بعد رخصة المجاهدين، سالنج بأيديهم، ممر خيبر طورخم بأيديهم، كابل محصورة تماماً، لا يدخلها دواء ولا غذاء ولا كساء، وأن الناس في داخل كابل أصبحوا يصيحون من الجوع، فسمح أحمد شاه مسعود لبعض القوافل الروسية أن تدخل بشرط أن تنزل علم روسيا وترفع فوقها علم الأمم المتحدة.

أي عزة هذه؟ وزير التمويل للدولة الشيوعية في كابل يتصل بالقوافل القادمة من روسيا أنزلوا شحناتكم في بغلان ولا توصلوها إلى كابل، لأن المجاهدين في شهر واحد قد حطموا أربعمائة ناقلة، ثمن كيلو الطحين ارتفع إلى مائتي روبية أفغانية، الآن في داخل كابل خرج الحزب الشيوعي نفسه، حزب برشم، أتباع بابرك خرجوا في شوارع كابل مظاهرات ضد الحزب الشيوعي، نحن نريد الطعام، نريد الغذاء، نريد أن توفروا الأمن، لا تستطيع الحكومة أن توفر لا غذاء ولا كساء ولا دواء ولا أمناً ولا شيء، فقدت كل شيء، وروسيا لم تعد تستطيع أن تحمي الحزب الشيوعي في داخل كابل.

بل كما حدثكم الشيخ تميم وكتبت في مجلة الجهاد الروس يبيعون الشيوعيين، والبغل ثمنه مائة شيوعي، البغل يبيعون المائة شيوعي بمائتين وخمسين دولاراً للمجاهدين، فروسيا باعت الحزب الشيوعي، وروسيا الآن تريد أن تجد لها مخرجاً، ويريد جورباتشوف أمام الأمم المتحدة أن يحفظ بقية ماء وجهه، فيقول نطلب أن يوقف إطلاق النار ابتداءً من رأس العام الميلادي الجديد.

ابتداء من أول يناير، لماذا؟ ضربات السيوف على رؤوس الروس قد أعادت الصواب إلى الروس، أعادت رشدهم الضائع أن هنا شعباً يؤمن بإله واحد قهار، وأنه انطلق بـ (الله أكبر) فأذلهم الله بالله أكبر.

روسيا الآن بدأت تتراجع عن العقيدة الشيوعية بسبب قتالها في داخل أفغانستان، المجاهدين نقلوا المعركة من داخل أفغانستان إلى داخل روسيا، في داخل روسيا الآن تقوم عمليات المجاهدين، في بخارى في طاجكستان في طاشقند هنالك عمليات يعبر المجاهدون من أفغانستان ويقومون بها، هنالك بعض القرى قرب النهر في داخل الحدود الروسية احتلها المجاهدون، كيف حصل هذا؟ كما يقول المغفلون؟ ال (CIA) أمريكا ... ؟إنه الله **(لا إله إلا هو له الحكم في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون)** له الحكم، له الأمر إليه يرجع الأمر كله، فمن توكل على الله كان حقاً على الله أن يكون حسبيه **(ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا)**. والله عزوجل ما نصرهم بأشياء غامضة... نصرهم بعد أن سحق الشعب سحقاً، بعد أن تحول كل بيت إلى مأتم وميتم، لم يبق بيت في أفغانستان تقريباً إلا ودخلته مصيبة، كم من الشباب...؟ والله مر علي شاب اسمه شاه سليمان من بنجشير أسقط خمس طائرات في يوم واحد، خمس طائرات في يوم واحد، وأصابته شظية القنبلة، والله مر علي لا يجد ثمن التذكرة ليصل الطبيب [1]، ولا ثمن الدواء ليعالج جراحه.

لا تظنوا أن الكرامات هي التي نصرت الشعب الأفغاني، الكرامات أنزلها رب العزة بعد أن بلغت القلوب الحناجر، وبعد أن طحن الشعب بأعصابه ونفسه، وبعد أن بلغ الجهد منه كل مبلغ، عندها رب العزة ..أحياناً كان ينزل على بعض الأفراد كرامة من الكرامات تنجيهم من مأزق من المآزق، كل واحد من الأفغان كأنه يردد:

لئن عمرت جعلت الحرب والدة	*والسمهري أخاً والمشرفي أبـــا*
بكل أشعث يلقى الموت مبتسماً	*حتى كأن له في قتله إربـــــا*
فج يكاد صهيل الخيل يقـذفه	*عن سرجه فرحاً بالغزو أو طربا*
إن المنية لـو لاقتهـم جلســت	*رعناء تتهم الأقدام والهربــــا*

(١) للعلاج في الخارج.

كل واحد منهم يردد:

أسد دم الأسد الهزبر خضابـــه	*موت فريص الموت منه ترعـــد*
يستعذبون منايا هم كأنهـــمو	*لا يخرجون من الدنيا إذا قتلوا*

وكما قال ﷺ: **[من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغ الموت مظانه].**

رب العزة عندما رأى الأمة المسلمة قد استيأست، وظنوا أنهم لا وجود لهم جاء على قدر منه بقضية أفغانستان، جاء شعب من أكثر الشعوب أمية في العالم، ليس عندهم تكنولوجيا، ليس عندهم ثقل سكاني، ليس عندهم مصانع، ليس عندهم بترول، ليس عندهم تعليم، أفضل الشعوب، أجهلها، لكنه عنده رصيد من الإيمان يوصله برب العزة.

دخل هذا الشعب المعركة مع أقوى دولة في العالم، وأذلها الله على يديه ليثبت للناس عملياً أن الأمر بيده، وأنه هو صاحب الأمر والشأن، وأنه لا راد لمشيئته، ولا معقب لحكمه.

الآن مثال آخر: وقبل أن ننتقل عن أفغانستان التقديرات حتى بداية عام (١٩٨٨م) أن المجاهدين الأفغان قد أسقطوا للروس حوالي ألفين وثمانين طائرة، ومثلها استهلك تقريباً أي أربعة آلاف ومائة وستين طائرة هلكت في داخل أفغانستان لروسيا، ضعفي ما عند اليهود من قوة الطيران، ودمر لهم واحد وعشرون ألفاً من السيارات، وسبعة عشر ألفاً من الدبابات والمدرعات، أما قتلى الروس فلا يمكن إحصاؤهم بدقة، لكن لا يقل عن خمسين ألف روسي ومائة ألف من الدولة الشيوعية الأفغانية، أي حوالي مائة وخمسين ألفاً من الميليشيا الأفغانية ومن الروس قد قتلوا في داخل المعركة، لكن مقابل ذلك كم دفع الأفغان؟ عشرة أضعاف من هذا، دفعوا مليوناً ونصف المليون من الشهداء، مقابل هذا نصرهم الله عز وجل.

في الصفحة المقابلة الآن فلسطين... شباب صغار حملوا الحجارة بعد أربعين عاماً من عمليات التمويه والتمييع والإغراق في مستنقع جنسي، بعد أن دوخوا الشباب باسم حزب راكاح وباسم القومية وباسم الإشتراكية وباسم الناصرية وباسم وباسم.... وغير ذلك من الأحزاب، وتشتت الشباب، وتبلبلت أفكارهم، وصاروا لا يعرفون دين الله، وحدثني أحدهم زار الضفة المحتلة، المنطقة المحتلة سنة (١٩٤٨م) دخلت مع صديق لي من الشباب إلى مسجد الجزّار في عكا، فجئت نحو المحراب والمنبر، فقال لي الشاب: يا عم ما هذا الشيء الداخل في داخل الجدار؟ وما هذه الدرجات في داخل المسجد؟ لا يعرف أن المسجد فيه محراب ومنبر، لا يعرف... آلاف من الشباب قد أصبحوا مجندين داخل الحزب الشيوعي، داخل الحزب الشيوعي باسم حزب راكاح الشيوعي الذي كان أحد المؤسسين للدولة اليهودية في داخل فلسطين، وعندما تحرك المسلمون سنة (١٩٤٨م) كان الشيوعيون يكتبون تحركت الوحشية ضد المدنية اليهودية، هؤلاء أصبحوا سادة لشباب فلسطين، وأصبحوا مجندين لهم جنوداً مخلصين، وما من حزب شيوعي في داخل العالم العربي إلا ومؤسسه يهودي، وقد أحصيت هذا عداً في داخل كتيب صغير كتبته سميته (السرطان الأحمر)، الشيوعية، وأثبت فيه أن الحزب الشيوعي في لبنان والأردن ومصر والعراق كلها بدأها اليهود وقادتها اليهود، ثم وإذا بالحزب الشيوعي يبرزوا زعماء لنا في فلسطين من توفيق زيادة إلى محمود درويش إلى سميح القاسم، محمود درويش الذي أصبح وبقدرة لا أعرف كيف خرج محمود درويش وإذا به شاعر المقاومة، أي مقاومة هذه؟ وهو منتسب للحزب الشيوعي الإسرائيلي، يقول له في المحكمة الحاكم ما اسمك؟ يقول له أكتب: أنا من قرية عزلاء منسية وكل رجالها في الحقل والمعمل يحبون الشيوعية، عندما ذهب إلى بيروت ماذا كتب عن الله عزوجل؟ كم هاجم ذات الجلالة سبحانه وتعالى؟ وتعرض له بألفاظ قبيحة مفزعة يستحي الولد الصغير أن يطلقها على زميله، من أين أصبح هؤلاء شعراء مقاومة وهم يحملون بأيديهم العلم الاسرائيلي، سميح القاسم ومحمود درويش العلم الشيوعي في مؤتمر أياصوفيا الدولي... العلم الإسرائيلي! يحملون منذ عشر سنوات العلم الإسرائيلي ممثلين لإسرائيل وهم شعراء المقاومة، عندما ضاعت هويتنا سهل أن تضيع بلادنا، عندما أضعنا ديننا وأضعنا قيادتنا أين نسير؟ من نتبع؟ تبلبلت أفكارنا، أصبح ماركس، لينين، جورج حبش، دوير سعاده، وغيرهم هؤلاء قادتنا، جورج، ميشيل، أنطون، وعفلق، هل يريدون أمة تتوحد؟ هل يريدون للورى خير أو غير ذلك يمجد؟ القومية العربية... القوميون العرب، كل المؤسسين لهم نصارى، والجامعة الأمريكية في بيروت هي المحضن التي فرخت فيه القومية العربية على يد خمسة من الشباب النصارى: إبراهيم اليازجي، وشاهين مكاريوس، ويعقوب طهبوب، وولد إبراهيم اليازجي... يازجي، وبطرس البستاني.

هؤلاء هم الذين أسسوا القومية العربية، أي خير يمكن أن يقدمه هؤلاء النصارى لدين محمد بن عبد الله ﷺ والذين يرسم لنا رب العزة فيهم قانوناً يقول:

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى) (البقرة ١٢٠)

قسطنطين زريق هو أستاذ جورج حبش في الجامعة الأمريكية، ثم بعد ذلك وفجاة وإذا بجورج أصبح قائداً من القيادات الفلسطينية البارزين يأخذ أبنائنا ويقتلون على النهر لينين فوق جماجمهم أمجاداً وعروش عزة.

والله يا إخوة لا أكذبكم، والرائد لا يكذب أهله، لقد كنت سنة (١٩٦٧م) في معسكر من المعسكرات الفلسطينية في قواعد اسمها قواعد الشيوخ، كانت لنا قاعدة، وكنت فيها في قرية من قرى العبيدات في الشمال، قرب وادي الأردن اسمها الرفيد، وبجانبنا قاعدة للجبهة *الديمقراطية*، علم الله أيها الأخوة أن كلمة التعارف في الليل -سر الليل- كانت سب رب العالمين أو سب رسوله الكريم، كلمة التعارف، والله أيها الأخوة كنا نقف لنؤذن لصلاة الظهر أو لصلاة العصر فتقف أمامنا مجموعة أخرى، كلما قلنا الله أكبر يرددون مقابلنا:

إن تسل عني فهذه قيمي   *أنا ماركسي لينيني أممي*

وإذا سمعوا

(وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزواً ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) (المائدة: ٥٨)

فكيف بعد ذلك يتنزل علينا نصر؟ لا نطلب من رب العزة نصر، ولا نتوكل عليه ولا نتبع دينه....

(إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) (آل عمران ١٦٠)

الآن في فلسطين حركة، حركة المقاومة على اختلاف أبنائها، هذه الحركة مضى عليها عام، ورفعت رأس كل مسلم في الأرض، ونقلوا الشعب الفلسطيني من حالة اليأس إلى حالة العزة والإنتصار المبارك، لكن لم يستعملوا حتى الآن سوى الحجارة، ولم يشترك في المعركة سوى الشباب الصغار الذين لم يبلغوا العشرين بعد، أو الأطفال الذين لم يصلوا إلى مبلغ الحنث، هذه الحجارة قد هزت العالم كله، وإسرائيل وقفت تصيح أنا أدفع شهرياً مائة وخمسين مليوناً من الدولارات لكي أقف أمام هذه الإنتفاضة، فكيف لو طورنا هذه؟ كيف لو استعمل الشباب هؤلاء السلاح؟ ماذا يحصل لإسرائيل، أنا أرى إن كان الشعب الفلسطيني جاداً في مواصلة مسيرته ومواصلة جهاده أن يبحث عن السلاح في أي مكان، قد لا يجده في الدول العربية لأن الأيادي مقيدة، والحدود مقيدة ومحددة، والعصافير لا تستطيع اختراق حدودهم للوصول إلى اليهود، لكن المصدر الذي أخذ منه الأفغان يأخذ الفلسطينيون منه السلاح.

يقول صفي الله أفضلي أنا لا يهمني شيء، لا أريد المساعدة من أي أحد، لأن سلاحي من يد عدوي... سلاحي من يد عدوي، وبإمكان الشباب .. عشرة من الشباب أن يهجموا على خمسة من اليهود ويستطيعون أن ينتزعوا مسدساً واحداً أو عوزي [1] واحداً أو رشاشاً أو غير ذلك، ولو تكررت هذه العملية لتطور الجهاد كما هو الحال في أفغانستان، ولبدأ اليهود يعرفون أن وجودهم في هذه البلاد قد بات مهدداً بخطر وقد ينتهي وإلى الأبد.

المجاهدون الأفغان بدأوا بالحجارة والعصي كما بدأ الشعب الفلسطيني، ولكن خلال عام واحد كان الشعب الأفغاني قد سقط منه مائتا ألف شهيد في خلال السنة الأولى من الجهاد، ولكنهم استطاعوا أن يهزموا الدولة الشيوعية، ووقفوا على مشارف كابل، وكادوا ينقضون على الحكم ويمسكون به بقبضتهم، ومن هنا خشيت روسيا ذلك، فدخلت بأساطيلها الجوية والبرية.

الآن لا بد من تطوير الإنتفاضة، وانتهى عهد الخوف، وأعلنت المواجهة، والذين يثبطون أو يرجفون أو يقولون إن اليهود لا يغلبون هؤلاء بعزة ربهم وقدرته لا يؤمنون.

والله يا إخوة:

لو طور الشعب الفلسطيني الآن جهاده من الحجارة إلى أخذ السلاح من يد اليهود لتغير وجه الأرض المباركة كلها، لتغير مجرى المعركة... ولكن يسمعون كلام العقلاء من هنا والذين يقولون

إنكم لا تستطيعون أن تواجهوا هذه الأساطيل وأن تواجهوا هذه الأسلحة فيفت هذا في عضدهم، وبعضهم يعتبرونه حكمة شيوخهم، ولذلك لا يطورون جهادهم ولا يريدون أن ينتقلوا إلى مرحلة أخرى.

نحن ندعو الشعب الفلسطيني الآن أن يحذو حذو الشعب الأفغاني المسلم، نطلب منه أن لا يضع الحجارة وأن لا يوقف القتال، نطلب منه أن يرمي الحجر ويمسك بالعوزي والمسدس، ويمسك بالخنجر ويطعن، ولتسل الدماء، ليس بالحجارة، لتسل برشاش اليهود

---

[1] نوع من السلاح الاسرائيلي.

أنفسهم! ولو رأوا اليهود هذا فإنهم سيكبون على أقدام هؤلاء الأطفال خوفاً وذعراً ورعباً، أما الذين ينظرون إلى العفو العالمي، وإلى الضمير الإنساني، وأننا نريد أن تبقى عواطف الناس معنا، لا نريد أن نفقد ثقة الغرب والأمم المتحدة وأمريكا وغيرها وروسيا التي تعطف على أبنائنا الذين تكسر أيديهم تحت أقدام اليهود ويكعوب بنادقهم، هؤلا لا يسمعون قول الله عزوجل :

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين)

(العمران ١٠٠)

أي ضمير إنساني؟ وأي صوت عالمي هذا؟ أين هي الأمم المتحدة؟ صنعها اليهود... مجلس الأمن، الذي عمله اليهود... كل ذلك من أجل هضم حقوق البشر باسم قرارات عالمية، وإلا فالدول الخمسة كل واحدة منها إذا تعرضت مصلحتها فحق الفيتو حاضر يبطل به أي قرار وينهي به أي أمر.

نحن لا نريد الضمير العالمي، ولا نريد العفو الإنساني، نحن نريد أن نثبت وجودنا، نريد أن نرفع الظلم عن أنفسنا بأنفسنا، لن يأتي الضمير العالمي ليرجع لنا الأقصى، لن يتقدم العفو الإنساني ليسلمنا ثغرة، لن يتخلى اليهود عن القدس، ولا عن فلسطين، والذين يظنون غير ذلك مساكين، وبالتاريخ هم جاهلون أو غافلون، أو يعرفون ولكنهم يماطلون ويراؤون، فانتبهوا أيها الناس واستيقظوا.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فيا فوز المستغفرين استغفروا الله.

الحمد لله، ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أيها الإخوة:

رب العزة طلب منا طلباً واحداً (**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**) فإن استطعنا العصا فالله يعذرنا ويتكفل بالبقية، وإن استطعنا الحجر فالله عزوجل يعذرنا وهو سبحانه ينصرنا، وإذا استطعنا أن نحصل على المسدس أو السلاح فالله لا يعذرنا بالحجر ولا بالخشبة، فالذي يستطيع أن يستعمل السلاح عليه أن يستعمله، بعد مايستطيع من قوة وبعد ذلك دعوا لله النتائج واتركوا له المقادير، لأن القدر بيده وليس بأيديكم.

أيها الإخوة:

قلت لكم إن الشعب الأفغاني لم ينتصر بالكرامات، ولكن الكرامات تنزلت عليهم بعد أن بذلوا النفس والنفيس والغالي والرخيص.

والله حدثني أكثر من واحد عن شاب اسمه أحمد فايز جرح في داخل المعركة، فجاء أهله ليحملوه ليضمدوا جراحه، فوضعوه على سرير ووثقوه، ثم بعد ذلك حملوه فرآهم الروس فرشوا عليهم، فسقط الجريح... الأربعة والجريح، ثم جاء الروس وأجهزوا عليهم برشاشاتهم وتركوهم، أحمد أصيب مرتين المرة الأولى والمرة الثانية فرغوا فيه شاجوراً أو غير ذلك -أي مخزناً من مخازن سلاحهم قتل أهله جميعاً واستفاق هو ببقية من حياة بعد قليل قال: وجدت نفسي مربطاً فوق سرير كيف يمكن أن أحل نفسي؟ وكيف يمكن أن أسير والرصاص يملأ أمعائي وعظامي مكسرة أصلاً، لا أستطيع حراكاً، قال: ويئست من الخلق إلا بقي الأمل برب العالمين، فدعا الله، ثم أخذته سنة من النوم، قال استيقظت وإذا بالحبال قد حلت، قال: هذه أول عقدة قد حلت، لكن أمامي نهر بنجشير، قال: كيف يمكنني أن أقطعه أن أخترقه إلى الناحية الأخرى وأنا لا أستطيع أكثر من الزحف البطيء، قال: ونمت وبعد نومي استيقظت وإذا بي على الشاطئ الآخر من النهر، لكن كيف أصل إلى قاعدتي البعيدة، وبدأت أزحف على بطني كزحف السلحفاء وبقيت ثلاثة عشر يوماً... أحد عشر يوماً لم أذق فيها طعاماً ولا شراباً لم أذق شيئاً وأنا أزحف كالنملة أو السلحفاة، وفي اليوم الحادي عشر وجدت ثلاث حبات من الزبيب وأكلتها، لكن كنت إذا نمت وقمت وجدت في فمي بقية من طعام، وفي اليوم الثالث عشر أويت إلى بيت خرب ليس فيه أحد قد تركه أهله منذ زمن، وإذا بكيس من اللبن ينتظرني طازجاً حتى كأنه ينتظرني حتى أشربه، وشربت من كيس اللبن، وبقيت في هذا البيت وفي المساء ولج البيت مجموعة من المجاهدين فرأوا إنساناً ملطخاً بالدماء والأوحال فهربوا، فناداهم قال لهم: تعالوا أنا مجاهد، وعندما دخلوا عرفهم بقصته وعرفهم بنفسه، وعاد أحمد فايز إلى المجاهدين وهو الآن لا زال يجاهد مع المجاهدين.

يقول أحمد فايز: فكنت كلما حدثت بالقصة لأحد الناس يأتيني هاتف في المنام يقول لي: لا تحدث بما حصل لك فهو سر بيني وبينك، وكثير من هذه القصص حصلت، ولكن كما قال المثل العامي (ما حصلت إلا بعد أن نصلت) [1] بعد أن نصل اللحم والعظم وما إلى ذلك، تدخلت قوة رب العالمين ببعض الكرامات لتؤنس السالكين على طريق هذا الدين.

والشعب الفلسطيني الآن قد حقق بجهود ضخمة حقق نصراً عظيماً وقطع مضماراً كبيراً، لكنه لا زال في بداية الطريق. والذين ينادون الآن بوقف الجهاد أو وضع الحجارة أو بانتهاء استعمال العنف ضد إسرائيل هؤلاء لا يدركون سنة الله، ولا يعرفون خبث هؤلاء الذين يريدون أن يجهضوا هذا المولد المبارك الذي ولد بعد أن وصلت أمه سن اليأس بعد أربعين عاما. انقطع الحمل وكانت عاقراً، وولدت هذا المولود بعد أربعين عاماً، إن المناداة الآن بوقف هذه الحجارة أو بوقف استعمال القوة ضد اليهود كالذين يقولون اقطعوا الاكسجين عن هذا المولود الذي في داخل العمليات المركزة..إن إيقاف الحجارة هو إجهاض لعملية مباركة ساقها الله على قدر منه وليس برغبتنا ولا أمانينا ولا إرادتنا، قام بها الأطفال فبارك فيها العزيز المتعال.

يا أيها الإخوة:

المؤامرة خطيرة، والعالم كله مشترك بها حتى يجهضوا هذا المولود المبارك، وحتى يخنقوا هذه الشجرة النابتة الصغيرة ويجتثوها من جذورها...

وداوني بالتي كانت هي الداء

والسلام هو استمرار الحرب فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا(تعثر الخيل بالرماح)والدول لا تقوم إلا على رؤوس الرماح وعلى رؤوس البيض والأسل

إذا كانت الدولات قسماً فإنه	*لمن ورد الموت الزؤام تدول*
لمن هون الدنيا على النفس ساعة	*وللبيض[1] في هام الكماة صليل*
فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا	*وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم*
حتى رجعت وأقلامي قوائل لي	*المجد للسيف ليس المجد للقلم*

(ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم)

إن السلام هو استمرار انتضال الحسام، إن الحسم للحسام، وإن الأرض للأسد والضرغام، والذليل ليس له أي وجود تحت الشمس، وإن يستطيع أن يأخذ حقه...

ومن اقتضى بسوى الهندي[2] حاجته	*أجاب كل سؤال عن هل بلم*

كل سؤال... هل يجاب عليه بلم بانه اقتضاه أي طلبه بغير السيف، والسيف هو الحل.

لنطلبن بحد السيف مأربنا	*فلن يخيب لنا في جنبه إرب*

والله علمنا ذلك قال

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (الانفال ٣٩)

لماذا؟ (عسى الله) أي

(أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا) (النساء ٨٤)

وأما الصلح فهو مرفوض تماماً الآن، مرفوض تماماً أصلاً وشرعاً ومصلحة، لا يجوز الصلح أبداً باتفاق الفقهاء على اقتطاع أراضي المسلمين وإبقائها تحت يد الكافرين، كل صلح تضمن شرطاً باطلاً فهو باطل باتفاق الفقهاء، وأجمع الفقهاء كلهم على لا يجوز الصلح مع الكفاربشرط أن يبقى جزء واحد ولو كان موطأ قدم بين أيديهم أو تحت قبضتهم، والعقد الباطل ليست آثار لا في واقع ولا في الشرع أبداً، ولذلك هذا هو الحكم الشرعي، الحكم الشرعي وقاتلوهم **(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك)** ولو ت وحيداً **(وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا) (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض)** أي حتى يكثر القتل في الأرض **(تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) لولا كتاب** -أي قدر- **(من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)** هذا ينزله رب العزة على رسوله محمد ﷺ لأنه افتداء أسرى بدر بعد انتصاره عليهم قال: **(حتى يثخن في الأرض)** أي حتى يكثر القتل فيهم، فلا بد من الإثخان، لا بد من إكثار ل، وعندها سيكب الكفر على أقدامك صاغراً والكفر لا يأتيك إلا إذا كان ذليلاً مهيناً مهزوما حقيراً مدحورا. أما في ميادين السياسة الإخوان فنحن مهزومون لأنهم أقدر منا، والمؤسسات بأيديهم، ودول الكفر بأيديهم، والقرارات بأيديهم، وأية قضية خرجت من ميدان

---

(١) سيوف (٢) السيف

السلاح في فلسطين، فجئنا نحمل السلاح وراء قيادتكم، وفوق الأرض الإسلامية التي ولدتم فيها، وإلا فأفغانستان ومصر وفلسطين كلها أرض إسلامية واحدة، وعلى المسلمين جميعاً أن يحموها بالدم والمال والروح.

والحمد لله رب العالمين أصبح الجهاد الأفغاني مدرسة يتتلمذ عليها المسلمون في العالم ويعتبرونها نموذجاً رائداً في طريق الجهاد وفي عالم الحياة، وأن الشعوب التي تصمم أن تعيش بدينها لا يمكن أن تقهر، والنفوس التي تعتز بخالقها لا يمكن أن تهزم، والأقوام الذين يعيشون بدينهم لا يمكن أن يموتوا، فنحن معكم جئنا لخدمتكم، فنأمل من الله عزوجل أن تعينونا على هذه الخدمة، ونرجو الله عز وجل أن يرزقنا إخلاص النية وصدق الطوية، وأن يثيبنا وأن يتقبل منا، وأن يرزقنا الإستقامة والرشاد، إنه سميع قريب مجيب، فأهلاً وسهلاً بكم، أهلا بالأخ بشير، ونحن سعداء جداً به وبإخوانه كذلك الذين جاءوا معه والذين من حوله، وإخوانه العرب هؤلاء هم عبارة عن مثال فقط، وإلا كان بودنا أن يكون كل الإخوة العرب في مثل هذا المكان لو كان يتسع لاستقباله، وقليل بأمثالك أن يستقبله كل العرب الموجودين في هذه البلدة، جزاكم الله خيراً، وجزاكم الله خيراً، مرة أخرى أن شرّفتم هذا المكان، وأجبتم هذه الدعوة، وأكرمكم الله وحفظكم ونصركم إنه سميع قريب مجيب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

صورة مشرقة للجهاد!

(1) إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فيا أيها الأخوة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أولاً: جزى الله الأخوة الذين حضروا وحضّروا لهذه المحاضرة خيراً، وجزى الله عز وجل القائمين على هذا البيت كذلك خير الجزاء، ومن أراد أن يجزل في العطاء فليقل جزاك الله خيراً، فجزاكم الله خيراً أجمعين.

أيها الأخوة:

نحن الآن نعيش آخر مراحل الجهاد الأفغاني، ونحن لا زلنا مطمئنين بإذن الله أن هذا الجهاد سينتصر بإذن الله، وأن الكفة لا زالت راجحة لصالح المجاهدين بإذن الله رغم كل المؤامرات العالمية، الصورة إذا أردت أن تنظر إليها يجب أن تنظر إليها من جميع جوانبها، لا أن تنظر إليها من زاوية واحدة وبعين واحدة، الجهاد الأفغاني من الناحية الإعلامية السياسة تُيئس القلوب، وتثبط الهمم، وتوهن العزائم، وتفت في عضد المسلمين، فالناس الذين ينظرون إلى الجهاد من بعيد لا يشكون أن هذا الجهاد خاسر إلا من رحم الله ممن يتابع كتابات الجهاد والبنيان المرصوص واللهيب وغيرها، والذين يعيشون القضية ويتقلبون على شاطئ اللظى، ويصطلون بنار المحنة، ويسيرون على جمر المرارة في هذا الطريق أملهم بالله عظيم، لماذا هذا التباين بين الناس الذين في داخل أفغانستان والذين يدركون حقائق الأمور وبين الناس الذين في الخارج؟

أنتم تعلمون أن روسيا قد خرجت مهزومة ذليلة حسيرة كليلة، وهذا هو الذي اعترفت به، وجورباتشوف بقي سنتين كاملتين يبرر لخروجه من أفغانستان، ويريد أن يقنع الشعب الروسي أنه لا بد لنا أن ننسحب، حتى وعلى التلفاز الروسي يأتون بجندي راجع من كابل يسألونه كيف حالكم في داخل أفغانستان؟ قال: عندما نسمع صيحة الله أكبر نبول على ثيابنا، هذا على التلفزيون الروسي، قائد الجيش الروسي عندما انسحب وفي (ترمذ)(2)

عندما عبر نهر جيحون عقد مؤتمراً صحفياً وقال: هذا اليوم الذي كنا ننتظره منذ سبع سنوات ونيف، قائد الجيش!! أنت تقول منذ سبع سنوات نتمنى هذا اليوم أن ننسحب؟! ولذلك هم الجنود الروسيون كانوا ينفسون عن أحقادهم بالتسلي بتعذيب الشيوعيين الأفغان قبل أن ينسحبوا، كانوا يعتبرون أن الحزب الشيوعي الأفغاني قد خدعهم واستدرجهم، وكانت فعلاً روسيا قد وضعت في منهاجها أن (١٩٨٠م) لأفغانستان، و(١٩٨١م) لباكستان، و(١٩٨٢م) للخليج العربي، روسيا وضعت هكذا برنامج سنة واحدة أفغانستان،

سنة واحدة باكستان، ثم ننزل على الخليج ونأخذ آبار البترول، ولكن خاب فألهم وخيب الله ظنهم، ولئن قال بلبوف الجنرال الروسي عن حرب الشيخ شامل في داغستان: لقد كبدتنا الحرب مع الشيخ شامل من الخسائر ما يكفي لفتح الأراضي بين اليابان ومصر، من مصر إلى اليابان!! إن قالها بلبوف فجورباتشوف يجب أن يقول: لقد كبدنا الأفغان من الخسائر ما يكفينا لاجتياح العالم الثالث كله.

نعم روسيا تدمرت سياسياً، خسرت عالمياً، نزلت منزلتها في الحضيض، تمرغت في الأوحال، أصبحت روسيا لا تستطيع أن تواجه الدول الغربية، ولذلك بمجرد أن انسحبوا من أفغانستان بدأوا ينسحبون من أوروبا الشرقية، سحب جورباتشوف مليونين من جنوده من أوروبا الشرقية، فاجتمع وزراء الدفاع (حلف الناتو، يعني حلف الأطلسي) وقالوا لكارلوتشي [1] قالوا له: يبدو أن جورباتشوف قد غير سياسته تجاه أوروبا والغرب؟ قال: أوتظنون ذلك؟[2] قالوا: نعم، قال: لا، لقد أجبر الأفغان جورباتشوف أن يغير سياسته تجاه العالم أجمع، الشهادة ممن؟ من وزارة الدفاع الأمريكية.

ريجان أثناء انسحاب روسيا يسأله الصحفيون هل تظن أن روسيا بإمكانها أن تواصل القتال في أفغانستان؟ قال: نعم، إذا أدخلت روسيا مقابل كل أفغاني مائة روسي، إذا أدخلت مائة روسي مقابل الأفغاني يمكن أن تواصل، بدون ذلك لا يمكن أن تواصل.

فالحقيقة العالم الغربي أعجب بالشعب الأفغاني، كنت في أمريكا ألبس هذه القبعة وألبس اللباس الأفغاني في المطارينظرون إليّ يبدو أن هذا مجاهد[3]

الناس عندما يرون هذه القبعة -الأمريكان- يبتسمون لها، نعم هذه القبعة أشفت غليل المسلمين والكافرين من روسيا، صحيح! ولذلك الآن في فرنسا هنالك موضة جديدة يلبسون هذه القبعة بهذا الشكل، نعم! افتخار بالأفغان يلبسونها بالشوارع إعجاباً بالأفغان، فالعالم كله فرح بانتصار الأفغان على الروس، والذين يظنون أن انسحاب روسيا كان موازين سياسية ومعادلات دولية هؤلاء قوم لا يفقهون، مساكين، ليس أمام روسيا إلا الإنسحاب، هكذا حكمتيار منذ سنتين ثلاث وهو يقول لي ليس أمام روسيا إلا الإنسحاب، أمام روسيا بقي إما أن الهند تقتحم باكستان وإما أن تنسحب روسيا، ليس أمامها أي حل ثالث، والهند دفعتها روسيا فعلاً في أيام أنديرا غاندي حتى تقتحم باكستان، فبدأت تطوف الولايات والمحافظات تؤلبهم وتجمعهم من أجل استنقاذ لاهور ومناطق البنجاب للهند والرجوع إلى الأم الأصلية، ستة أيام طافت في الولايات، في اليوم السابع قتلها حارسها، وانشغلوا في معركة داخلية السيخ مع الهندوس.

مرة ثانية دفعت روسيا الهند في أيام الولد هذا ابنها راجيف غاندي، -راجيف من الأراجيف[4]

يعني- فتجمعت الدبابات، صفت مقابل لاهور وأرادت أن تهجم، فالله عزوجل ساق صحفياً لأستاذ القنبلة الذرية، هذا العالم الباكستاني قال له: هل صنعتم القنبلة الذرية؟ قالوا: صنعنا مئات القنابل الذرية ليس قنبلة واحدة، مئات... إذن هناك قنبلة ذرية في داخل باكستان؟ إذن لا بد من حسن الجوار مع باكستان، لا بد من التفاهم، الدبابات مصطفة لكنها لم تنسحب، الأفغان هنا أصدروا منشوراً قالوا إن دخلت الهند باكستان لن نقف مكتوفي الأيدي، هنا قرروا الإنسحاب، خلاص لأن عمامة الأفغاني يرتجف لها الهنود ارتجافاً، يخافون كثيراً من الأفغان، نعم! لأنهم يعلمون أن الأفغان سبع مرات وقفوا في داخل دلهي وعلى حدودها، سحبها أحمد شاه بابا سبع مرات، كان ينزل إلى قندهار، أحمد شاه بابا حاكم أفغانستان، ينزل إلى قندهار يا خيل الله اركبي، وأهل قندهار لا يستطيعون أن يعيشوا إلا بالقتل والقتال...

يقول لي الطبيب أكلت شيئـــاً	*وداؤك في شرابك والطــــعام*
وما فـــي طبه أني جــــواد	*أضر بجسمه طــول الجمام*[5]
تعود أن يغبر في الســــرايا	*ويخرج من قتام فــي قــتام*
فإن أبقى فما أبقى لعيــش	*ولكن من حمام في حمـــــام*

لا يستطيعون أن يجلسوا إلا بالقتل والقتال، الآن لو رجع الشيخ صالح إلى اليمن، رجع ثلاث أربع مرات لا يعرف أن يجلس، به معلق هنا، خلاص.... لا يعرف أن يتغدى كل يوم إلا على الفتة الأفغانية، قلبه معلق في جاجي وميدان ووردك وكابل وقندهار يرها، أنت الآن هل تستطيع أن تعيش بدون قتال؟ لا تستطيع... أنا لا أعرف... يعني أقول اللهم أمتنا قبل أن نرجع للحياة المدنية لا تطيع بعد الآن أن أعيش في الحياة المدنية، كيف يستطيع الواحد أن يعيش هكذا بلا قتل ولا قتال، وبدون كلاشنكوف وبدون قنابل

... من اللغة الانجليزية إلى العربية. (٢) كارلوتشي يرد على وزراء دفاع حلف الناتو، دول أوروبا الغربية لها حلف لحماية أوروبا اسمه حلف الأطلسي. الشيخ هنا يتندر (٤) كان وزير الدفاع الأمريكي كارلوتشي. (٥) طول الراحة.

حتى أصل معهم مسجد بل خشتي -أكبر مسجد في كابل- وأصلي معهم ركعتين. ولذلك الأفغان سموا مسجد بل خشتي مسجد ضياء الحق بعد شهادته، بعد استشهاد ضياء الحق -أم لا يجوز أن نقول استشهاد ضياء الحق- أنا أحسبه شهيداً والله هو العليم طبعاً. نظن ذلك، لأن الرجل كانت خاتمته على خير ما شاء الله، ولم يأتنا في هذا القرن حاكم أبداً مثل ضياء الحق، أبداً، ما حلمنا برجل مثله أبداً، ولذلك:

لقد كان مصابنا بضياء الحق عظيماً والله، ولقد انتقم الله من الشعب الباكستاني فصنع بهم ما صنع بعد أن ذهب ضياء الحق.

قال: سأودعهم حتى نصل معهم إلى مسجد بل خشتي ونصلي معهم الجمعة الأولى، قال له أسلم ختك وزير داخليته: يا ضياء الحق، سيقتلك الأمريكان، قال: إن قرار الحياة والموت يتخذ في السماء ولا يخرج من الأرض، وإن الرصاصة المكتوب عليها ضياء الحق لن تخطئه أبداً، هذا موحد أم ليس موحداً ؟ هذا التوحيد الحقيقي أمَّا أن يكون التوحيد أن نحفظ فقط توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات عن ظهر قلب ونتقدم فيها في يوم الإمتحان ونأخذ (٩٠٪) في كلية أصول الدين **(وإليه يرجع الأمر كله بيده مقاليد كل شيء)** هذه نحفظها، لكن توحيد الألوهية هو نقل عقيدة توحيد الربوبية إلى واقع الحياة سلوكاً وعملاً وأخلاقاً وتضحيات، أن نقر أن الله خالق رزاق، هذا شيء بسيط، لكن طيلة حياتك وأنت تعيد وتبدئ أن الله خالق رزاق وإذا قالوا لك هناك مخابرات في الجلسة ترتجف ويصيبك إسهال مزمن، هذا كيف يلتقي مع التوحيد؟ أي توحيد هذا الذي تقول عنه؟! إذن من الموحد الحقيقي ضياء الحق أو أنت؟ أين يقولها ضياء الحق؟ يقولها لوزير الداخلية الذي يحذره من قتل أمريكا له، يقول له: إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض، هذا التوحيد، وبعد ذلك إثبات العلو لله عزوجل أن الله عزوجل في السماء هكذا يقول ضياء الحق، ونحن نعتقد هذا، أن الله مستو على عرشه بائن عن خلقه فوق السماء السابعة، هذه عقيدتنا وعقيدة أهل السنة والجماعة، فقط هذا ماذا؟ توحيد ربوبية، توحيد الألوهية هو الذي يكلف، فيه سجون، فيه رقاب، فيه دماء، فيه قطع أرزاق، فيه مخابرات، فيه طرد من الوظيفة، انتبهوا! وللأسف الشيخ تميم بلغنا أنه يخفف من وزنه ونحن كنا قد ادخرناه للجلوس على الطواغيت والمخابرات.

فضياء الحق مضى إلى الله بعد أن وقف تلك الوقفة المشرفة عبر السنين الثماني أو التسع التي سار فيها مع الركب العزيز الكريم، موكب الجهاد الأفغاني .. الآن جاء طور محاربة الجهاد الأفغاني، وعلى كل المستويات، الدول الصديقة كفت يدها فقط، الدول المحيطة بدأت تغير سياستها، إيران تعقد معاهدة صداقة الآن مع روسيا، ويصرح رفسنجاني: لا مانع عندنا أن يبقى نجيب رئيساً للحكومة إذا أراده الشعب، هذا من؟ رئيس الدولة الإسلامية! نعم! الأب الروحي للمسلمين... للشيعة في كل مكان، كانوا يقدمون لهم التسهيلات عبر الحدود، كانوا يقدمون لهم المساعدات، ليس إيران... عبر باكستان الناس الذين أحبوا أن يتعاونوا مع هذا الجهاد، صدر قرار بمنع تصدير المواد الغذائية خارج باكستان، ما معنى ذلك؟ معنى ذلك ممنوع إدخال الطحين من باكستان إلى أفغانستان، الآن لا تستطيع أي سيارة تحمل الطحين أو السكر أن تخرج من باكستان إلى طورخم أو إلى جاجي إلا تهريباً أو خفية.

بالنسبة لأمريكا قالوا نريد دولة ذات قاعدة عريضة، فجاءت دولة ذات قاعدة عريضة أربعمائة وأربعة وخمسون من أهل أفغانستان اجتمعوا مدة ثلاثة أسابيع وانتقوا هذه الحكومة، لم تعترف أمريكا، ومنعت الدول أن تعترف بهذه الحكومة، وأخيراً أرسلوا بيترتومسون -هذا- ليكون المندوب الأمريكي أو السفير الأمريكي لدى الحكومة، قال أي حكومة هذه؟! أنتم حكومة لا تعترفون بها، كيف يكون سفير من دولة عندها وهي لا تعترف بها؟!

فجاء حتى يقابل وزير الخارجية حكمتيار، فحكمتيار قال: أنا أرفض أن أقابله حتى تعترف أمريكا بنا كدولة.

الإعلام العربي والعالمي بدأ يركز على الحرب الأهلية، وصاروا يقولون للمسلمين... والآن التجار في السعودية وفي الخليج يقول بعض الناس غير المطلعين: يا أخي أنت لماذا تدفع مالك؟ لسفك دماء المسلمين وزيادة ضحاياهم؟! المال الذي تدفعه إنما هو يزيد القتال بين المسلمين، لأن القتال في أفغانستان بين مسلم ومسلم **(وإذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار)**، مدير الشؤون الإسلامية في الجزائر -في منطقة اسمها جلفه في الجزائر- يزور والد شهيد، فيقول لوالد الشهيد إن ابنك ليس شهيداً، لماذا؟ - مدير شؤون إسلامية !! يفهم ما شاء الله عنه !! قال له لماذا؟ قال لأنها حرب أهلية بين مسلم ومسلم، وابنك قتل في قتال داخلي فهو ليس شهيداً، الشاب الشهيد اسمه عبد القادر بالحواجب.

أنا لا أدري، حتى الشؤون الإسلامية تتدخل في الجنة، الأوقاف تمنع الناس من دخول الجنة، تدخل الناس الجنة وتدخلهم النار، لو كان هذا الرجل عنده أدنى اطلاع على العلم لعرف حديث **(يغزو جيش الكعبة حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بهم -فتسأل عائشة رضي الله عنها الرسول ﷺ كيف يخسف بهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم قال**

أضعت دينك بعد أن أضعت عقلك، هؤلاء الذين دماؤهم... دم أحمد الشهيد في شكردرة، جاءوا به بعد اسبوعين منا وشم الناس العطر من دمه، حتى الجنة تريدون أن تغلقوا أبوابها دون الذين يذهبون إلى أفغانستان حتى لا يعملوا لكم مشاكل عندما يرجعون؟ قولوا إن المخابرات غير راضية؟ صحيح، قولوا إن هذا يقض مضاجع قوات الأمن؟ صحيح، لأنهم لا يريدون إنساناً يجاهد في سبيل الله، أما أن تقولوا إن الشهادة مشكوك فيها...؟!!

المؤامرة على العرب:

العرب جزء من أهداف المؤامرة، روسيا، أمريكا، الدول الغربية، بعض أجهزة المخابرات العربية، كلها تخطط لإبعاد العرب عن هذه الأرض، لماذا؟

أولاً: لأن العرب حيث حلوا يؤججون نار المعركة ضد الشيوعيين، والشيوعيون يريدون أن تهدأ عيونهم وتقر جنوبهم في المضاجع، فحيثما دخل عربي، تحركت الجبهة وبدأت المعركة تشتغل والميدان يلتهب، هذه واحدة، والغرب والشيوعيون في داخل أفغانستان وأجهزة الأمن في الدول التي يأتي منها أناس لا تريد هذا.

ثانياً: العرب يبقون المعركة عالمية، لأن في أرض الجهاد والعزة والنزال أكثر من عشرين جنسية عربية تقريباً، هذه الجنسيات لا يمكن أن يقضوا عليها كلها، فإذا شهدت مأساة الإبادة سيبقى منهم أناس يرجعون إلى بلادهم ليؤججوا نار العداوة ضد أعداء الله عزوجل وضد عملائهم في كل مكان، فالمعركة بوجود العرب تبقى إسلامية عالمية، فإذا أبعد العرب عنها وعزلت القضية عادت قضية أفغانية فيبتلعونها بصمت ويقتلونها خفية، وهذا الآن أهم مقصود أن يعزلوا القضية الأفغانية عن العالم، ولذلك أثار الشيوعيون قضية (الوهابيون) في داخل أفغانستان حتى يجعلوا الناس يأنفون أو يكرهون أن يختلطوا بالعرب خوفاً على مذهبهم الحنفي، والوهابيون جاءوا لهدم المذهب الحنفي!! العرب لا زالوا يرجعون إلى بلادهم ويحركون عواطف الناس تجاه هذه القضية فتدر أيديهم بالخير لهؤلاء المجاهدين، أما إذا عزل العرب عن القضية وخنق الأفغان وكتمت الأصوات فمن ذا الذي يحرك مشاعر الناس ويستثير عواطفهم تجاه هذه القضية المشرفة؟

والعرب كذلك الآن يحيون فريضة الجهاد الإسلامية عالمياً وهم لا يريدون هذا، لأن المصري والسعودي والفلسطيني والسوري الآن صادقون الذين صدقوا بهذه القضية في بلادهم يسهرون في البيوت مع أزواجهم وأولادهم على قراءة البنيان المرصوص والجهاد واللهيب[1] وغيرها، نحن نطبع خمسة وثلاثين ألف نسخة من الجهاد شهرياً، هنالك أكثر من شاب يقولون بعض المواضيع نحفظها كلمة كلمة، وبعضهم يقولون نحاول أن نحفظها من الجلدة إلى الجلدة وتحفظها نساءنا وأبناءنا، اللهيب نطبع في كل اسبوع خمسة آلاف نشرة من اللهيب، توزعها بالفاكس أولاً، ثم نرسلها بالبريد، والنسخة قد تصور خمسين نسخة ومائة نسخة وتوزع على الناس، فهذه هي ارتباط المسلمين بالقضية، وهذا الذي لا يريده الغرب ولا الشرق.

والعرب يصلحون بين الأفغان ويكونون حاجزاً أو عازلاً بين الجبهات إذا احتكت ببعضها.

والعرب يعلمون الأفغان عقيدة الولاء والبراء أن ظاهر شاه في نظر الشرع مثل نجيب، وأن ظاهر شاه يعتبر خارجاً من الملة لأنه حكم بغير ما أنزل الله، وهو الذي زرع الشيوعية، فعندما يفقه الشعب الأفغاني ويذكره أن ظاهر شاه هو غارس الشيوعية، وهو الذي جيشه إلى قندهار، وقتل ألفي رجل من أهل قندهار من أجل أن ينزع النقاب عن وجوه نسائه الحرائر العفيفات، ويذكره بمواقف ظاهر شاه، هذا يعطل مخططات الغرب الذين يريدون إرجاع ظاهر شاه.

ووجود العرب كذلك يظهر الخط الإسلامي الأصيل في هذا الجهاد ويبرز قادته الذين يرتبطون بهذا الدين بعمق وبهذا الخط موخلق.

إذن لا بد أن تدور المعركة على العرب، والعرب مستهدفون الآن أكثر من غيرهم، والعرب الآن يقفون دون مخططات استعمار أفغانستان التي تسمى مخططات إعمار أفغانستان، الآن صدر الدين آغا خان لم يستطع أن يدخل في المناطق التي فيها العرب، دخلوا مناطق الشيعة، إلى مناطق سيد كيان في دوشي بغلان الإسماعيلي -لأن صدر الدين آغا خان إسماعيلي وسيد كيان إسماعيلي- إذا دخل طبيب فرنسي أو ألماني الشعب الأفغاني بطبيعته يكره العيون الزرقاء والشعر الأشقر، فكيف إذا ذكره العربي أن هذا يفسدك ويدمر عليك عقيدتك ودينك؟ فهنالك أسباب كثيرة تستدعي أن تكون هناك معركة على العرب، فانتبهوا...

---

[1] باللهيب هنا: نشرة لهيب المعركة التي كانت تصدر عن مكتب الشيخ عبدالله عزام رحمه الله.

وهم يريدون أن يستدرجوا بعض الشباب المتحمسين فيعملوا مشاكل في ساحة باكستان حتى يجدوها مبرراً لإخراج العرب، فانتبهوا... عملنا ليس هنا، عملنا في داخل أفغانستان، ونحن نحفظ لباكستان وقفتها الكريمة الشريفة بجانب هذا الجهاد، فإياكم أن تستدرجكم أجهزة المخابرات فتسببوا كثيراً من الخسائر لمن بعدكم، وللجهاد نفسه، فالشباب المتفلت أو المتحمس أو المندفع لا بد أن يفهم أنه ما جاء هنا إلا من أجل الجهاد، فإن كان عنده طاقة وحماس فليتفضل في داخل أفغانستان، وإياكم أن تفتعلوا مشاكل مع أجهزة البوليس والأمن هنا، لأن العيون كلها الآن مسلطة عليكم، وهم يريدون أن يحصوا عليكم أخطاءكم وهفواتكم حتى تكون مبرراً لإبعادكم، فانتبهوا... أنت راكب سيارة، البوليس قال لك قف، تقف، أين رخصتك؟ هذه رخصتي، تعتذر إليه بأدب إن لم يكن معك رخصة، أما تنظر إليه كأنك المارشال أو الجنرال أو الفاتح العظيم، وهو كأنه نملة أو ضفدع، لا! هذا يملأ قلوبهم حقداً عليكم، بدل أن يكونوا عوناً لكم إذا اشتدت الظروف وكشرت الخطوب عن أنيابها، باكستان نحن نحافظ على أمنها، لا نمسها بشيء، بل نشكر لهم أنهم فتحوا الحدود ولا زالوا أمامنا حتى ندخل في أفغانستان.

حادثة تخار:

الآن اتخذوا من حادث تخار مادة دسمة ومعيناً ثراً للإثبات للعالم العربي أن القتال في أفغانستان بين المسلمين والمسلمين، وإن كنتم غير مصدقين فهذا رباني وهذا حكمتيار، هذا رئيس الجمعية وهذا رئيس الحزب، وكل واحد منهم يتهم الآخر أنه يقتل جماعته، هذه فعلاً الآن مضى عليها شهران تقريباً، مضى عليها الآن تسعة وستون يوماً... شهران وعشرة أيام مضى عليها، ولا زال الإعلام الغربي يتابع المكاتب في بيشاور ماذا حصل في قضية أفغانستان؟ ماذا حصل في سيد جمال؟ ماذا حصل مع مسعود؟ كم قتل؟ والواشنطن بوست والتايمز وغيرها تعيد وتبدئ وتدندن وتطنطن حول هذه القضية، واللجان الإعلامية والسياسية هنا في بيشاور من حيث تدري أو لا تدري، أخربت بعض بيوتها بأيديها، قتلوا منا ثلاثمائة وقتلنا منهم كذا، هذا للأسف عمل جهلة، وأحزننا هذا والله من إخواننا لأنهم ما أشفوا إلا قلوب أعدائنا، وأساءوا إلى الجهاد، واستعملت سلاحاً رهيباً من أجل ذبح سمعة هذا الجهاد المشرف الكريم، وتشويه صورته وتلطيخ معالمه، وتعتيم ما أشرق من صفحات، ولذلك الناس الآن بعد حادثة تخار، قلت تبرعاتهم، انقبضت نفوسهم، قلت زياراتهم لأرض الجهاد، خاصة التجار الكبار.

وكما قلت في خطبة الجمعة: كان أحد المحسنين من التجار الطيبين في الجزيرة سألنا، قلنا نحن بحاجة أن نزود الجبهات التي حول كابل بالمواد الغذائية، فسأل كم تكلف المواد الغذائية؟ قلنا له: كذا وكذا من الرز والطحين والسكر والشاي، قال احسبوها قلنا له عشرين مليون روبية، قال كم عشرين مليون روبية؟ قلنا له مليون دولار، قال هذه مليون دولار على حسابي، تزويد كل جبهات كابل على حسابي، فعندما جاء لينظر المواد الغذائية التي اشتريت لتدخل الجبهات وليرى هذا الخير الذي ساقه الله إليه عن طريقنا لإيصاله إلى الجبهات ، فحصلت حادثة تخار وهو في بيشاور، فقال فقط أنا أدفع لكم ما دفعتم، كم دفعتم؟ تسعة ملايين روبية، هذه أربعمائة ألف دولار، والسلام عليكم، أنا لا ألتزم بالبقية.

فأقول يا أيها الأخوة :الجهاد لا زالت صورته مشرقة، والجهاد الآن أظلمت صورته في نظر الناس، أما في داخل أفغانستان فلا زالت الكفة راجحة لصالح المجاهدين، ولا زال المجاهدون كل يوم يحققون انتصارات، ولقد أغلقت معظم الطرق البرية الموصلة إلى كابل، ولقد أغلق شريان الأوردة أو.... شريان الحياة الذي يمد كابل بالإستمرار والعيش، طريق سالانج، والآن منذ أواسط شهر أوغسطس أغلق الحزب الإسلامي الطريق الموصل إلى كابل، والآن هنالك معارك شديدة تدور في سالانج وبجرام وقلعي سرخ وحول چريكار، يقودها القائد أحمد شاه مسعود، هنالك كتيبة في سالانج هجموا عليها واحتلوها، إثني عشر مدفعاً أو إحدى وعشرين مدفعاً نسيت العدد غنموها DC و BM21 إثنتان، غنموا دبابات، ثم أحرقوها لأنهم لم يستطيعوا أن يسحبوها من أرض المعركة، لأن المعركة اشتدت ولا زالت الآن مشتدة، الآن إذا كانت طريق سالانج مغلقة، طريق قندهار مغلقة تقريباً، طريق هرات -قندهار منذ فترة طويلة مغلقة، وتحاول القافلة فيها ألف آلية أن تصل إلى قندهار، ألف آلية ودمروا منها أعداداً كبيرة، يقال أنها اليوم وصلت قندهار، سمعنا بالتلفزيون الباكستاني قالوا أنها أكبر قافلة منذ أحد عشر عاماً خرجت من روسيا إلى قندهار، الدولة لا تستطيع أن تحافظ على كابل، الصواريخ تتنزل عليها من كل جهة، وقد ذكرنا أكثر من مرة أن نجيب لكثرة الصواريخ التي نزلت عليه وعلى الوفد الروسي الزائر بقيادة شيفارنادزة وزير الخارجية -أو وزير الدفاع- ونزلت عليه في الإنتركونتننتل مباشرة خرج على التلفزيون قال: يا جماعة انظروا كيف يقابل المجاهدون ضيوفنا؟

واقف في مطار كابل حطم زجاجها داخل مطار كابل، التقطها التلفاز الباكستاني طبعاً نقلاً عن الأقمار الصناعية

دولة لا تستطيع أن تحافظ على عاصمتها في الليل ولا في النهار، لا تستطيع أن تؤمن طرق الإمداد لنفسها، لا تستطيع أن تحافظ على مطاراتها، الآن مطار بجرام معطل، مسعود دخل معركة في سالانج، ضرب بجرام حتى لا تتحرك الطائرات فتضرب في سالانج، مطار قندهار شبه معطل، أكثر من (٨٠٪) منه قد دمر، المجاهدون على بعد مائة متر فقط ، بجرام على بعد مائة متر أو مائتي متر فقط، جريكار المجاهدون فيه على بعد مائة متر أو مائتي متر -عاصمة مركز بروان-، فتيح محمد قائد الحزب الإسلامي قال: تعال أريك فقط في النهار، خرجت وإياهم على الشارع العام الموصل بين جريكار وكابل... قرب جريكار هذا عطلوه، ففتحت الدولة طريقاً جديداً قرب بجرام توصل إلى كابل، بلغنا أن الحزب الإسلامي قد أغلق الطريق، يبدو أنه أغلق الطريق الجديد.

دولة ليس لها عمق استراتيجي، دولة أسمعوا رئيسها، كل يوم -الحاج شير علم لما ضرب كابل ثلاث رسائل، ثلاث أيام كل يوم يرسل نجيب له رسالة أوقف عنا الضرب وخذ ما شئت، فأرسل إليه (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين) هذه الدولة التي يستسلم منها كل يوم مجموعات، دولة تخور، تعيش تفرقات داخلية، في داخل جيشها، في داخل أجهزة أمنها، في داخل تنظيماتها الحزبية خلق وبرشم، الصراعات، التطهيرات كل يوم من نجيب، كيف يمكن لدولة مقطوعة -الطرق البرية، معطلة المطارات تقريباً، مطار شندند في الأسبوع الماضي عطلوه أكبر قاعدة جوية للشيوعيين في المنطقة، هذا في فراه، كانوا يعدونه الشيوعيون والروس لغزو الخليج، الطائرة خمسة عشرة دقيقة من شندند إلى الخليج، فكيف يمكن ؟؟

الأسبوع الماضي افتتحوا مديرية شندند ضربوا برج المراقبة، عطلوا نزول الطائرات فيه، اليوم جاءنا من مزار شريف أنهم احتلوا مركزاً شيوعياً مشرفاً على المثلث الموصل إلى حيرتان، مزار شريف وسمنجان، اسمه (CR) حيرتان، يعني مثلث الطرق الثلاثة الموصلة إلى حيرتان، هذا يشرف على الطريق التي تأتي عن طريقها القوافل الروسية، واحتلوا خمسة وعشرين قرية كذلك من مناطق الشيوعيين في مزار شريف يعني في بلخ، فالدولة بهذا الحال كيف يمكنها أن تعيش؟ كيف يمكن لها أن تتنفس؟ كيف تواصل حياتها؟ هذا من الصعب، ولكن هذا لا يدركه البعيدون عن هذا الجهاد

(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف ٢١)

ونحن إن شاء الله نظن أن الدولة ستهتز كثيراً في هذين الشهرين سبتمبر وأكتوبر، لا ندري... غالباً لا تسقط هذا العام، ونأمل غالب الظن أن تسقط في الربيع أو الصيف القادم إن شاء الله وما ذلك على الله بعزيز.

(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) (الروم٤-٥)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم،

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأسئلة:

المعلق [1]: جزى الله كل خير شيخنا الفاضل الشيخ عبد الله عزام على ما أفادنا وما سمعنا به، فحقيقة أنه يتكلم بلغة الأرقام، ويستدل من الواقع، وليست المعلومات مدبلجة من الخيال، وهنالك أسئلة، وثقتي أن صدر الشيخ متسع لهذه الأسئلة، وهو كما سمعته من مستعد للإجابة على أي سؤال يلقى عليه بما عنده من المعلومات حتى لا يبقى هناك غبش، وحتى تزيل الشبهة، فأنا سألقي بقدر ما يتسع وقته، فنبدأ بالسؤال الأول:

سؤال، أخي الحبيب الكريم:

قرأت لك قبل سنوات خاطرة إيمانية روحانية عن حرب (١٩٦٧م) كيف يسخرون من إسلامكم وحرقوا الكتب الإسلامية في زمن طاغية، ما أدري هل هذا يريد توضيح عن شحنة الشيخ التي مر بها أو نبذة عن حياته عام (١٩٦٧م)؟ فقط هكذا كتب، فلو تفضل شيخ بنبذة بسيطة عما مر عليه في تلك الفترة؟

جواب: الحقيقة نحن تعبنا مع الناصرية مع عبد الناصر وطغمته، لأن عبد الناصر طارد الحركة الإسلامية في كل مكان، ستهوى الشعب الفلسطيني فيمن استهوى، وأنا كنت كلما أقرأ (كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب سعير) يأتي في ذهني عبد الناصر ، فهو الحقيقة حارب المسلمين والإسلام في كل مكان، ونحن كأبناء حركة إسلامية كنا يضيق علينا

[1] الأخ المعلق أخ يمني استشهد في معارك تحرير جنوب اليمن.

من قبل أبناء قومنا وبني جلدتنا من الفلسطينيين، فأنا فلسطيني، وطبعاً من الإخوان المسلمين، وعبد الناصر متخصص لحرب الإخوان المسلمين، ونحن على الأقل كنا نقول للناس عبد الناصر يخدعكم، فكانوا يقولون عندما يخطب.... عندما يعلن من إذاعة صوت العرب أن عبد الناصر سيخطب الليلة، أهل نابلس أكبر مدينة في الضفة الغربية يقولون الليلة ينزل جبريل، ما كانوا يقبلون أبداً أن يسوى عبد الناصر بعمر بن الخطاب، نعم! والله أحد الزعماء من عائلة كبيرة يقول لي وأنا أناقشه زوجته قالت ـ زوجته تحررية وبيننا وبينهم رحم، هي تعرف أنا من الإخوان المسلمين، فناقشوني يعني عبد الناصر فعل كذا.. ـ قالت والله إن عمر بن الخطاب لم يعمل مثلما عمل عبد الناصر، زوجها ما ارتضى هذا قال: والله محمد لم يعمل مثل ما عمل عبد الناصر ﷺ.

أنتم تعرفون في فترة (كما قالوا) فترة الصحوة الإسلامية، ونحن كنا نعاني في فترة الغربة الإسلامية، أنا بحثت في منطقتي كلها حتى أجد فتاة متعلمة تلبس على رأسها ما وجدت، لا يمكن أن تجد فتاة في المدرسة الثانوية لابسة على رأسها، أما الجلباب الشرعي هذا فهو شبه مستحيل، لا يوجد أبداً، فنحن كنا نعاني... حدث أن اليهود اعتدوا على قرية السموع قرب الخليل، فخرجت مظاهرة من مدرسة جنين الثانوية ـ المدينة التي أنا منها ـ وكيف تعبر عن وطنيتها وحبها للشعب وحبيبه؟ ما وجدت إلا دار الإخوان المسلمين هجمت عليها واقتحمتها وأخرجت كتاب الظلال وكتب سيد قطب والقرآن الكريم ومزقتها على طبلة الشوارع! فكان حالنا الحقيقة يعبر مفصحاً أن اليهود لو دخلوا لن يجدوا مقاومة، أناس يحاربون الله ورسوله...

(١) الجيش الأردني ليس عنده إمكانية أن يقف يوماً واحداً أمام الجيش الإسرائيلي، وهذا الذي حصل في اليوم الخامس من حزيران، اتصل الملك حسين بجمال عبد الناصر الساعة الحادية عشرة صباحاً، يعني بعد أن دُمر الطيران المصري كله، قال له: كيف الحال عندكم؟ قال: أسقطنا ثلثي طائرات العدو -هذا صوت جمال عبد الناصر- طائراتنا فوق تل أبيب، شد حيلك يا جلالة الملك، التوقيع سلمى، -اسم جمال عبد الناصر في الشيفرة، سلمى اسم امرأة ليس اسم رجل- فالتقطتها إسرائيل وصارت تذيعها كل ساعة.. ساعتين، هذه الإلتقاطة اللاسلكية.. وأنا طبعاً كنت في الضفة الغربية، الملك حسين قال لعبد الناصر ندخل؟ قال له: ادخل، هو عارف كل الطيران تحطم فأرسلوا... بدأت المدفعية والدبابات .. أقل من يوم واحتل اليهود المسجد الأقصى، أنا كنت في قريتنا فدخلت الدبابات اليهودية أو الإسرائيلية [٢] قريتنا، لم يطلق عليها أية طلقة ضد الدبابات... أبداً.

نحن لم نكن نعرف الحرب ولا الـ (RBG)، كان عندنا بندقية إنجليزية حملتها وبعض الشباب في الثانوية أخذتهم معي ونزلت حتى نقف أمام الدبابات، فجاءنا الشاويش الأردني وقال: ارجعوا... ارجعوا، الآن دبابة واحدة تمر تدوسكم وتموتون، أنتم ماذا عندكم ضد الدبابات؟ وكان ناصحاً لنا فعلاً، فأنا عشت هذه القضية...

وثاني يوم، ثالث يوم، اليوم الثامن من حزيران استقال عبد الناصر من الحكم وقال: أنا أتحمل النتيجة، قال: كنا نعلم مائة بالمائة أن الهجوم يوم الخامس من حزيران، يوم الإثنين، وكنا نعلم -لا أدري قال الضربة الأولى موجهة للطيران أم لا- واتصل فيّ السفير الأمريكي الساعة السابعة مساءاً وقال لي: لا تضرب، واتصل فيّ السفير الروسي الساعة الثالثة صباحاً *قبل الضربة* بساعتين قال: لا تضرب، ومع هذا كله أعلم أن الهجوم يوم الإثنين مائة بالمائة، واتصل به السفير الأمريكي في الليل، واتصل به السفير الروسي الساعة الثالثة -أيقظه من النوم في الليل، أيقظ عبد الناصر- ومع هذا كله أربعمائة طيار في حفلة يديرها باروخ نادل المستشار اليهودي في قيادة الأركان الجوية المصرية، أربعمائة طيار في حفلة ليلة الخامس من حزيران.

قال باروخ نادل: الساعة الثانية انتهت الحفلة فخشيت[٣] إن رجعوا الساعة الثانية أن يستيقظوا الساعة الخامسة، ففكرت ماذا أصنع؟ قال فابتكرت رأساً وسيلة لإمداد الحفلة، فقسمت الضباط إلى جهة والضابطات ـ البنات ـ إلى الجهة الأخرى، وقلت للضباط أنتم الميج المصري وأنتن الميراج الإسرائيلي، والآن نرى كيف ينقض الميج المصري على الميراج الإسرائيلي، وبقوا حتى بعد الرابعة غارقون في المستنقع الجنسي، ثم عادوا بعد الرابعة وناموا.

يقول باروخ نادل: ثم حلقت بطائرتي فوق سماء القاهرة الساعة الخامسة لأرى كيف تحترق المطارات، وما غادرتها إلا وأنا أرى الدخان يتصاعد من المطارات المحروقة والطائرات المحطمة.

سؤال: تومسون الأمريكي الذي رفض حكمتيار مقابلته، ولكن سمعنا أن بقية الوزراء ورئيس الدولة قابلوه، ما صحة الخبر؟

سؤال آخر: لماذا جمد حكمتيار وحزبه؟.

• رقم الشريط ٣١٢ (١) صورة مشرقة للجهاد (٢) (٢) سبله الحارثي (٣) يحدث في كتاب تحطمت الطائرات عند الفجر (باروخ نادل المستشار اليهودي في قيادة

جواب: حكمتيار رفض لأنه قال أنه لا بد أن تعترف بنا أمريكا حتى نقابل سفيرها ونستقبله، أما أن نستقبل سفير دولة لا تعترف بنا فأنا أرفض ذلك، فرئيس الدولة مجددي قابله، يعني كل له وجهة نظر، لكن موقف حكمتيار طبعاً موقف يعتز به الشباب، وموقف مجددي موقف الهدوء الذي يرضي الكبار الحكماء.

حكمتيار قال: أنا أوقفت انتسابي أو عضويتي في الدولة... جمدتها مؤقتاً، لأن الأخوة في الدولة اتفقت معهم واتفقنا جميعاً في إسلام أباد أن يبدأوا الإنتخابات خلال ستة أشهر، وأن تدخل الحكومة خلال شهر إلى داخل أفغانستان، فقال: الدولة ما دخلت خلال شهر، وما بدأت الإنتخابات خلال ستة أشهر، إذا بدأوا الإنتخابات غداً أنا أرجع إلى الدولة.

سؤال: بعض الأسئلة الشيخ أجاب عليها في أثناء المحاضرة، مثل التصريحات التي نسمعها من أحد التنظيمين ، الشيخ قال أنها تصب في مصلحة الأعداء؟

الشيخ يتدخل ليجيب:

وكلها والله مفخمة وفيها كذب، لأن الخبر يخرج من تخار شبراً فيصلنا ميلاً؟ كما كان مالك يقول: -رحمه الله- إن الحديث يخرج من المدينة شبراً فيرجع إلينا ذراعاً، لكن الآن يخرج الخبر من تخار شبراً فيصل إلى بيشاور ميلاً، هذا إذا لم يفلفل ويبهر وغير ذلك، فمعظم الأخبار والمؤتمرات الصحفية التي أتيحت في بيشاور فيها كذب صريح، وفيها تهويلات كثيرة كلها.

تتمة كلام المعلق: غير أن السائل يقول: قرأنا في لهيب المعركة أن رباني قال إن الهجوم على الحزب كالهجوم على المجاهدين ألا ترون تناقضاً في هذا الخبر؟

أجاب الشيخ: الحقيقة أن القادة الكبار... يعني حكمتيار ورباني عقلاء، لكن اللجان التي تحتهم هي التي توقد النار، وكل واحد له مبررات، فحكمتيار بمجرد ما سمع الخبر كتب تصريحاً يشجب هذا الحادث ويستنكره، لجنة من اللجان هنا في بيشاور عقدت مؤتمراً صحفياً وهو في الداخل قالت: إن مسعود هو سبب الحادث، فحكمتيار... الرجل يرى أبعاد القضية، ويرى أن الدخول في المهاترات الصحفية هذا يؤذي الحزب ويؤذي الجمعية.

رباني قال لي: الخبر جاءني وبقيت أكتمه خمسة أيام، ثم أول ما ظهر نقله مراسل من مراسلي الدول الغربية -الصحف الغربية- فاضطررنا... لأني أعرف أن إيذاء أخي حكمتيار هو إيذاء لي، وإيذاء للجهاد، وبعد ذلك الناس بدأوابالكلام على بعض وكل واحد يحكي من جهته.

سؤال: ما زال الشباب يسألون عن الفائض من أموالهم في ساحة الجهاد، هل يصح منه الزواج وسداد الديون وتذكرة العودة في زيارة أهلي وذوي في بلدي؟ وإذا كانت المؤسسة التي يتعاقد مع المجاهدين التي تحدد ما يحتاج إليه فما ذنب المجاهد؟

الجواب: خلاصة الخطبة لا يحق لك أن توفر مالاً من المال الذي تأخذه من أرض الجهاد وتعود به إلى بلدك ؟ لا يجوز لك أن تدخر وترجع إلى بلدك بمال، هنا تنفق على نفسك بالمعروف، العثمانية[1] لا تذهب إليها؟ تأكل بالمعروف وتقتصد في المصروف، تشتري لباساً، حذاء، هذا إذا لم يكن معك مال، يعطيكم الحمد لله لا مال له، فإذا لم يكن معك مال تأخذ ما يكفي لشراء لباسين وشراء حذاء وأجرة طريقك إلى أفغانستان، ومصروف الطريق الذي يعطيكه قسم الترحيل -عندنا- أو غيره، قسم الترحيل يخصص خمسمائة روبية لك في كل شهر -في أفغانستان-، إذاً لا يجوز لك أن تشتري حصاناً لأن شراء الحصان بطر ورئاء الناس، أنت تريد أن تتعلم الفروسية على حساب الجهاد؟ لا، في داخل أفغانستان يوجد خيول للمجاهدين تركبها، وكما قلت: الحصان ينفق يومياً نفقة مجاهدين، ثمن الشعير وثمن التبن حوالي نفقة مجاهدين، تربطه وتركه كل شهر أو كل شهرين مرة هذا لا يجوز، الحصان لا يستعمل للحرب بل يستعمل للنقل الآن، هل تخوضون عليه معارك ضد الدبابات؟ فلا تشتري حصاناً ولا تبطر، ولا تأكل زيادة على الأفغاني أمامه، إذا أردت أن تأكل زيادة فكل بعيداً عنه، لا تؤذيه بقتار قدرك، أما المؤسسات تجمع للجهاد، والمال الذي تعطيكه من الجهاد، فهي وإن أعطتك هذا المال ولعلهم هم لا يعرفون هم أنفسهم الحكم الشرعي، لعلهم ينظرون أن بإمكانهم أن يقدروا للإنسان ما يمكن أن يجذبوه إلى مؤسستهم وهذا لا يجوز، وإن أعطوك أنت لا يجوز لك أن تأخذ إلا حاجتك كما قال عمر رضي الله عنه: إني أنزلت نفسي من هذا المال من مال بيت المال بمنزلة مال اليتيم، إن استغنيت استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، فإن استغنيت أعدت ما أخذته من قبل.

ولذلك عمر عندما طعن قال لابنه عبد الله: انظر كم علينا من بيت المال؟ فحسبوها فوجدوها ستة وثمانين ألف درهم، ولعله كان يصلح بين الناس، وكان يضيف الوفود -أمير المؤمنين-، وكان كل يوم يأخذ راتباً درهمان فقال: انظر في بني عدي فاجمع من أموالهم

---

(١) أحد المطاعم المشهورة بطعامها في مدينة بيشاور.

ما تسد هذا المال وأعيدوه لبيت المال، فإن لم يكفي مال آل عدي -الذي هي فخذ عمر- فمن مال قريش، ولا تخرجوا عن قريش فهذا مال جهاد.

وإذا كان الرسول ﷺ في خيبر... فمات أحد الصحابة، فالرسول ﷺ يريد أن يصلي عليه، فلما تقدم إليه قال صلوا على صاحبكم، فتغيرت وجوه القوم، فصلوا عليه، قال ففتشنا متاعه فوجدنا في متاعه خرزاً من خرز يهود يساوي درهمان، درهمان فقط، منعت الرسول ﷺ أن يصلي عليه، لأنه غلّ خرزاً بمقدار درهمين -خرزات-، وعندما كان مدعم مع الرسول ﷺ وكان على ثقل رسول الله ﷺ كذلك[1].

وكان مرة أخرى على ثقله ـ أي على أمتعته ـ رجل يقال له كركرة، مدعم قال حتى إذا كنا بوادي القرى أصابه سهم فقتل، فقال الصحابة هنيئاً له الجنة، فقال ﷺ: وما يدريكم؟ إن الشملة التي غلها يوم خيبر لتشتعل عليه ناراً، ما هي الشملة التي غلها يوم خيبر؟ -الشملة: الوزرة اليمنية والسعودية- هذه تشتعل عليه ناراً وهو شهيد، وهي من مال الغنائم التي حصلها المجاهدون بعرقهم ودمائهم، فكيف بالمال الذي جمع للأيتام والأرامل؟ كيف؟ هل يحق لك أن تأخذ منه دولارات وتخزنها؟ ربك زيادة على أنه يسر لك أن تؤدي فريضة الجهاد وعبادة القتال تريد أن تستغني فوقها، تريد أن تحج وتستغني بسنة؟ تريد أن تدخل الجنة وتملأ جيوبك فلوساً؟ هذا لا يمكن... واحدة من اثنتين: إما الدنيا وإما الآخرة، إذا حصلت شيئاً في الغنائم خذ حلالاً زلالاً هنيئاً مريئاً، أما أن تأتي تشارك الأيتام طعامهم ولباسهم هذا لا يجوز، أنت لك حق أن تأكل وتشرب وتلبس وتركب فقط كمجاهد، ما دمت تحمل اسم مجاهد، فإذا رجعت إلى بلدك خلاص ... يعود كل شيء إلى مكانه.

والذي يريد أن يتزوج، أنت مكثت تسعة وعشرين عاماً... ثلاثين عاماً... خمسة وعشرين عاماً ولم تتزوج، جئت سنة... تريد أن تتزوج من مال الجهاد؟ دعها بدل التسعة وعشرين عاماً ثلاثين عاماً بدون زواج.

فلا يحق لإنسان أن يأخذ إلا كفايته، ولا يجوز له التوفير، ولا يجوز له التبذير، وإن كان راتبك من المؤسسة أربعمائة دولاراً وأنت أعزب ولا تنفق إلا مائة دولاراً لا يجوز لك أن تأخذ إلا مائة دولاراً وإن أعطتك المؤسسة، لأنه ليس مال المؤسسة، هذا مال الله، مال الأيتام والأرامل والجهاد.

سؤال: فيما يتعلق بمشاريع إعمار أفغانستان، نرجو توضيح كيفية إمكانية الانسحاب من مشاريع التحدي التي تضطلع بها الحكومة المؤقتة؟ وما هي التخصصات المطلوبة بشدة في المرحلة الراهنة؟

جواب: عندنا الآن الهيئة الاستشارية لإعمار أفغانستان التابعة لمجلس التنسيق الذي ينسق بين الهيئات الإسلامية للإغاثة في الساحة، وهي ست عشرة مؤسسة تقريباً، هذه المؤسسة أو الهيئة الاستشارية التي يرأسها الدكتور أحمد فريد أحد الأساتذة الكبار في الهندسة... في جامعة من الجامعات السعودية أسس كلية الهندسة وأصبح عميداً لها -عميداً للكلية-، ثم تركها وأصبح له مكتب استشاري هندسي، ثم ترك ذلك كله وجاء ليعمل مع المجاهدين على الكفاف، فهذا هو رئيس الهيئة الاستشارية لإعمار أفغانستان، وفيه وزير التعمير لأفغانستان الشيخ رباني، فأنت راجع هذه الهيئة وانظر ماذا تحتاج، وحسبنا الله ونعم الوكيل... *المسلمون يضنون كثيراً* بأموالهم.

سؤال: معلوماتك عن تصريحات ضياء الحق مثل الرصاصة التي عليها اسمه وغيرها من المعلومات والأقمار الصناعية الأمريكية وأجهزة التنصت عن خسائر الروس ما هي مصادرها بالنسبة لك؟

جواب: أما المعلومات عن ضياء الحق من مستشاره، هو حدثني -مستشار ضياء الحق- رجل فاضل.

أما الأقمار الصناعية الأمريكية وأجهزة التنصت الباكستانية هذا طبعاً معروف... السفير الأمريكي كان كل أسبوع يعقد مؤتمراً صحفياً في إسلام أباد ويعطي الأرقام التي حدثت في الأسبوع الماضي، فتجد أدق التقارير هو تقرير السفير الأمريكي التي تلقاها من الأقمار الصناعية ومن *الحكومة الأمريكية*.

سؤال: لماذا لا يكون للمجاهدين جيش موحد لفتح المدن؟

جواب: إن شاء الله... يعني الآن هناك محاولات حول المدن، مجلس تنسيق، شورى، جبهات موحدة، موجود حول قندهار، حول جلال أباد تنسيق، حول كابل موجود هذا، ونرجو أن يعم كل أنحاء أفغانستان إن شاء الله.

سؤال: حادثة تخار -سؤالين متشابهين- ما هي آخر الأخبار عنها؟ وما هو سبب تأخرك عن الذهاب للصلح مع أنك عضو في

نة الإصلاح؟

_ جواب: أنا لست عضواً في لجنة الإصلاح، أنا عضو في المحكمة التي تحكم، وأنا لست قاضياً ولا حاكماً، إذا حكمت على زب مائة ألف فم سيفتح عليّ، وإذا حكمنا على الجمعية مائة ألف مسلح سيقفون ضدي، فقلت: أنا عربي جئت للإصلاح ما جئت ماء، إذا أرسلتموني للإصلاح والسعي بينكم أنا أذهب، أما أقضي لا أقضي، ولو كنت في عدل عمر بن الخطاب ما نجوت من كما.

الشطر الثاني من السؤال: ما هي آخر الأخبار؟

الشيخ: انتهت الحمد لله، هم مسكوا سيد جمال، وأعلن مسعود أنا سأقدمه للمحكمة، حاصروا سيد جمال، والناس انفضوا من حتى بقي حوله حوالي خمسة فقط، هو وأخوه نور آغا، فحاصروه فقال: أنا لا أستسلم لكم، لا أسلم نفسي إلا لمسعود... كان في ي طالقان... وكان مسعود في ورسج، فجاء مسعود واستلمه وعاد إلى ورسج، وقال سنقدمه إلى المحكمة الشرعية.

سؤال: أجرت إذاعة الـ (BBC) مقابلة مع آغا وليد فقال بالمقابلة أن المسؤول عن قتل قادة الجمعية الكبار هو حكمتيار وإنجنير ما صحة هذا الخبر؟

جواب: ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، أسمعتموه أنتم؟ هل سمعه أحد منكم؟ أنا ما سمعته...[1]

سؤال: هل في نظركم أنه سيحصل جهاد قريب في بقعة غير أفغانستان؟ وإن كان كذلك فهل هناك خطة لتلافي العيوب التي في الساحة الأفغانية؟

جواب: الذين يظنون أنه يمكن أن يحصل جهاد أحسن من الجهاد الأفغاني فليبحثوا عن بقعة في السماء وليس في الأرض، لا تحصل نتائج أحسن من الجهاد الأفغاني إلا أن يشاء الله.

نا عشت قضية الجهاد في فلسطين، عندما أعيش مع المجاهدين الأفغان وأتذكر الثورة الفلسطينية فأظن أنني في الجنة هنا، قوا... نحن ما كنا في الثورة الفلسطينية نستطيع أن نقول آية قرآنية ولا حديثاً شريفاً إلا إذا أحببنا أن نصطدم معهم! فلا حت أمر قاعدة... كانت الحركة الإسلامية لها بعض القواعد مع فتح، فكنت أمر قاعدة، فمرة صار اجتماع.. جاؤا لنا بوحدة ات إلى قاعدتنا التي أنا أميرها، فأذنا الظهر وتقدمت للصلاة، وتقدم أبناء القاعدة الذين عندي، لم يتقدم من الثلاثمائة الذين واحد للصلاة، ولا واحد من الثلاثمائة، فأنتم ماذا تظنون؟ كيف تحكمون؟ كيف تظنون قتال الشعوب؟ الآن تحسن الحال في ثيراً، لكن يبقى الشعب الأفغاني بمجموعه الآن أفضل بكثير من الناحية الإسلامية والتزام النساء من الشعب الفلسطيني الذي ، أنتم ألا ترون النساء اللواتي يقمن بمظاهرات في القدس وغيرها؟ ألا ترون كاشفات الرؤوس وغيرهن؟ نعم، هل ترون امرأة س في أفغانستان؟ هل ترون امرأة كاشفة الوجه في أفغانستان؟ أين تجد أصلاً مثل الشعب الأفغاني؟ أين تجد؟ لا يوجد

أعرف والله، لأني أعرف مثلكم أو أكثر بسبب تجربتي، ما أظن شعباً يحتمل ما احتمله الشعب الأفغاني، ويواصل على ة عشر عاماً وهو يضحي وثابت وصلب، ويقولون له أن تقبل واحد من بلدك نرجعه إليك وننهي الشيوعية، يقولون: لا، جهادنا مية، والجهاد مستمر حتى تقوم الدولة الإسلامية، أين تجد مثل هذا الشعب؟

بعض الإخوة الشباب واشتكوا على مسعود، وقالوا مسعود كذا ومسعود كذا، والله يا إخوة لا تستطيع أبداً أن تقارن . بأي قائد من قادة الثورات في العالم، والله قدمه يعدل هؤلاء جميعاً، لا تستطيع أبداً، لكن الشباب يقرأون عن عصر أبي كرون أننا الآن في عصر، أبي بكر وعمر، افرض أننا في عصر أبي بكر وعمر من الذين فتحوا العراق؟ من الذين فتحوا ؛ فتح جوزجان الأقرع بن حابس الذي بقي رسول الله ﷺ حتى توفي يدفع له من مال المؤلفة قلوبهم حتى يقربه إلى

لذي برز في معركة القادسية وفي فتح نهاوند وغيرها طليحة الأسدي الذي ادعى النبوة ثم تاب وأرسلوه.
التي ارتدت في الجزيرة العربية أرجعها سيف خالد ثم قال أبو بكر سيرهم لقتال كسرى والروم.
لذين فتحوا... فأنتم ماذا تريدون من القادة في أفغانستان؟ هل ترونهم يسكرون؟ هل ترونهم يزنون؟ يتأبطون ذراع

سين أشفق على الشيخ لطول وقوفه فطلب منه أن يجلس فأجابهم الشيخ: نحن سنستريحون برؤية أمثالكم، أنا أستحي أن أكلم عن الجهاد وأنا جالس.

العاريات ويمشون؟ هل ترونهم يتركون الصلاة؟ هل ترونهم يفطرون في رمضان؟

ولذلك لما قالوا لي مسعود... مسعود، قلت لهم: شاب من شباب الإسلام أعز الله به دينه في منطقة من المناطق، وزلزل أقدام الروس. قلت لهم أنا مشاعري الداخلية أني عندما أجلس مع واحد من هؤلاء أشعر بالشرف العظيم، والله أشعر بالشرف عندما أجلس بجانب شاب من هؤلاء الشباب الذين أعز الله بهم دينه، قلت لهم تريدون أن أحكم على مسعود؟ أنا أتشرف إذا سمح لي مسعود أن أجلس بجانبه وأعطاني ساعة من وقته (فما لكم كيف تحكمون؟) أين ذهبت عقولكم؟ شباب ...الله عز وجل أعز بهم دينه، أخذتم عليه هفوة هفوتين، غلطة غلطتين، كبوة كبوتين، وبعد ذلك **(إذا بلغ الماء القلتين لم يحمل الخبث) (وما يدريك يا عمر؟ إنه شهد بدراً ولعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اصنعوا ما شئتم فإن لكم الجنة)**. هؤلاء حضروا معارك[1].

يكفيهم هذا عند الله عز وجل، أما أن تقول لي مر طبيب فرنسي من منطقته، أو مرت بنت فرنسية من منطقته، مسكين أنت والله، أنت لا تدري كيف تجري الثورات في العالم! وكيف تعيش الشعوب! وكيف يتغطرس القادة! أنت لا تعرف... فمن أنا حتى أحكم على واحد مثل مسعود أو حكمتيار أو جلال الدين حقاني أو ذبيح الله أو فلان أو فلان...؟! من أنا؟! ماذا قدمت أنا للإسلام بجانب هؤلاء؟![2]

السائل يقول: شيخنا، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، إني أحبكم في الله.

الشيخ يرد عليه: وأنا أحبكم في الله.

السؤال: سمعت من أحد الدعاة أن القضية المركزية بالنسبة للحركة الإسلامية هي قضية فلسطين، لكن الشيخ فتحي يكن يقول: أن القضية المركزية هي قضية تطبيق شرع الله، فما تعليقكم على ذلك جزاكم الله خيرا؟

ثانياً: ما هو الموقف العملي لحركة الجهاد الأفغاني من المثبطين العرب؟

جواب: القضية المركزية هي قضية فلسطين، طيب صحيح، وفتحي يكن يقول القضية المركزية تطبيق شرع الله ما في خلاف، ونحن نقول يجب أن نشتغل بقضية أفغانستان أولاً، لا يوجد خلاف، أهم قضية في الأرض هي قضية فلسطين، لكن ماذا بإمكاننا الآن أن نفعل لها؟ وكم بينها وبين إقامة حكم الله في الأرض التي هي القضية المركزية التي قامت الحركة الإسلامية من أجلها؟ يعني الحركات الإسلامية كلها لماذا قامت؟ كلها قامت من أجل إقامة دولة إسلامية، الدولة الإسلامية كيف تقوم؟ لها سنن وقوانين كما كان الرسول ﷺ، يقوم واحد بشكل دعوة إسلامية حركية، يدعو الناس إلى التوحيد الخالص، يضمهم إليه، يربيهم على شرع الله، هذه الجماعة ستقوم في وجهها الجاهلية، الدولة التي حولها ستحاربها، المخابرات، ستحاربها كل الدنيا، تفتح لها السجون، وما إلى ذلك، فيشوهونها، ويسجلون الأشرطة وينشرونها عنها، فهذه تقوم المعركة بالكلام أولاً، ثم ينتهي الأمر إلى أن تستعمل الحركة الإسلامية السلاح بعد أن تبدأ الجاهلية حولها تحاول إبادتها، عندما تستعمل السلاح الناس ينظرون إليها، فكلما تقدمت خطوة كلما انضم إليها مجموعة من الناس، وتبقى المعركة قائمة بينها وبين الجاهلية من حولها حتى ينصر الله دينه، فهذه الحركة الإسلامية التي بدأت وقامت عليها المعركة الكلامية، ثم قامت عليها المعركة المسلحة، سيبقى منها مجموعات، هذه المجموعات تكون قد نضجت روحياً ونفسياً وعقلياً وغير ذلك من طول المعركة، صفت نفوسها، وهناك فرق كبير بين القادة في داخل أفغانستان وبين الناس الذين يعيشون في بيشاور، وفرق كبير بين الناس الذين يعيشون في بيشاور وبين الناس الذين يعيشون في العالم العربي من حيث التوكل على الله، من حيث الإيمان بأن الله خالق رازق، من حيث أن الدنيا كلها لا تهمهم، لا تغير مواقفهم، فهذه المجموعة هي التي يمكن الله لها في الأرض، وتحكم شرعه في الحياة، فنرجو الله عز وجل أن نراها، ونحن ما سبب تمسكنا بقضية أفغانستان؟ لأنها أقرب قضية للنصر، وأقرب قضية لإقامة المجتمع الإسلامي، وأقرب قضية لتحكيم شرع الله في الأرض، ولذلك نحن كيف نترك قضية أفغانستان ونحن نظن أنه بقي عليها سنة مثلاً لتنتصر بعد أن واجهت الدنيا بأسرها؟

الآن قضية فلسطين في بدايتها، افرض بدأت معركة مسلحة الآن، كم سنة ستخوض معركة مسلحة حتى تصل إلى ما وصلت إليه القضية الأفغانية إن وصلت؟ كم؟ ستحتاج بضعة عشر عاماً على الأقل، فنحن نترك طبخة كادت تستوي ناضجة شهية تحترق

---

(١) الشيخ تكلم السنوات التي حضروها بالفارسية حسب سنواتهم ، سنة سنتين، واحد وستين، اثنين وستين، ثلاثة وستين، أربعة وستين.

(٢) عريف الحفل: أيها الأخوة كثير من الأسئلة متشابهة، نختتم بهذا السؤال، وحقيقة نامل أن يتمخض من هذا الجهاد حركة جهادية إسلامية صافية إن شاء الله في كل مكان لوجه الله تعالى، لتعيد لهذه الأمة كرامتها بعدما حطمت كرامتها، وقد جئنا من مجتمعات عفنة كل منا يعلم ما عليه حكام العالم الإسلامي برمته، أقول ونحن نامل أن يتمخض من هذا الجهاد جهاد [illegible]

ونبحث عن البصل، ونشتري الطماطم، ونشتري الرز من السوق، ونجمع، ونبدأ نطبخ من جديد، هذه الطبخة بقي لها خمس دقائق ننتظر عليها حتى ننزلها ونأكلها، ثم نعمل طبخة جديدة في فلسطين، وطبخة جديدة في اليمن، وطبخة جديدة في غيرها، فنرجو الله عز وجل أن يفتح علينا، وأن يهيء لنا إن شاء الله، وأن يقيم دينه في الأرض إنه سميع مجيب[1]

ونحن إذ أفتيناك أنه لا يجوز لك أن تدخر مالاً لا تقل خلاص أنا أرجع إلى بلادي، لا، نحن نقول لك لا تجمع المال على حساب الجهاد، واصل الجهاد حتى تنال الشهادة في سبيله، هذه واحدة. إخلاص النية أن النية فقط لتكون كلمة الله هي العليا **{من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله}** ، وقرأنا لكم بالأمس أحاديث النية في خطبة الجمعة، وأما الذين ينتقلون من مؤسسة إلى مؤسسة طمعاً في الراتب وغيرها فالرسولﷺ يقول عنهم... تماماً الحديث كأنه عليهم... أنا كتبت حديث الانتقال من المؤسسات طمعاً بالمال عن أبي أيوب رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **{إنها ستفتح عليكم الأمصار -البلدان يعني- وسيضربون عليكم بعوثاً -يعني الدولة تطلب من كل قوم مجموعة حتى يخرجوا في القتال- ينكر الرجل منكم البعث -يتهرب بأي طريقة أنا مريض ما إلى ذلك- فيتخلص من قومه، ثم يعرض نفسه على القبائل يقول: من أكفيه بعث كذا وكذا!! -من أجل المال- ألا وذلك الأجير إلى آخر قطرة من دمه}** يعني هو يبقى حكمه حكم الأجير حتى ينتهي دمه وهو ينزف إذا قتل في أرض المعركة ليس له ثواب ولا أجر.

فأقول إخلاص النية لله.

ثانياً: إكثار الذكر وخاصة القرآن الكريم، ولذكر الله أكبر، اقرأوا كل يوم جزءاً من القرآن، اختموا في كل شهر مرة على الأقل.

ثالثاً: أذكار الصباح والمساء.

رابعاً: قيام الليل.

خامساً: صوم الاثنين والخميس.

سادساً: صحبة الصالحين.

سابعاً: حفظ اللسان عن إخوانك وعن الأفغان وعن الجهاد حتى لا تحبطوا أعمالكم وأنتم لا تشعرون.

ثامناً: أن تحفظ أذنك من اللغو **(والذين هم عن اللغو معرضون)** لا يجوز لك استماع الغيبة عن إخوانك المجاهدين، ويجب عليك إذا جلست في مجلس يستغاب فيه إخوانك المجاهدون أن ترد عليهم، على الذين يتكلمون، وإلا فأنت شريك معهم في الإثم

(وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم) (النساء ١٤٠)

وقد جيء لعمر بن عبد العزيز برجل صائم مع قوم سكارى، قالوا هؤلاء وجدناهم يسمرون وهذا صائم جالس معهم، فقال: اجلدوه معهم ثمانين (إنكم إذاً مثلهم).

فلا تستمعوا القيل والقال، وأكثروا من بقائكم في أرض الجبهات، ولا تبقوا في بيشاور إلا للضرورة، إلا من أجل اتصالك بأهلك، تغيير ثيابك، الاستحمام، ثم العودة إلى أرض القتال، فهناك أرض تجمع فيها الحسنات، وهنا محرقة الحسنات والثواب.

فانتبهوا لأنفسكم، وفقكم الله وقواكم، واحفظوا للأفغان مقامهم وجهادهم وصبرهم، وأنكم لم تقدموا عشر معشارهم {رحم الله امرأ عرف حده فوقف عنده}.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

---

(١) هنا كلام ناقص في الشريط.

مقومات الوحدة الإسلامية(١)*

[1] إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

الجهاد فيه الحياة:

فيا أيها الإخوة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.[2]

الجهاد فريضة ربانية أحيا الله بها الأمم، وعمق بها جذور التوحيد في الأرض، وأعز بها هامة هذا الدين، وجعلها ذروة سنامه، جعلها سياحة هذه الأمة، وجعل السيف محّاء الخطايا، وجعل الشهادة قمة، قمة الإخلاص والصدق والتقوى التي تدفع بصاحبها إلى الفردوس الأعلى بدون الجهاد لا يمكن أن يكون في الأرض مبدأ من المبادئ، لا يمكن أن يقام الدين ولا أن تنتصر شريعة ولا أن ترفرف راية ولا أن تحيا أمة بدون السيف، {بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله} فالسيف من أجل إقرار التوحيد في الأرض.

{بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي}.

والرسول ﷺ وهو مبعوث بالسيف –مع أنه الرحمة المهداة للعالمين– إلا أن السيف لا بد له من أن يحمي القرآن.

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) (الحديد ٢٥)

فالحديد أنزله الله للسلاح، فيه بأس شديد، من أجل أن يصنع منه السلاح، مضادات الطائرات، يصنع منه الدوشكه، والزيكويك والكلاشنكوف، والدكتريوف، والجرينوف.... يصنع منه (الآر بي جي)، يصنع منه البنادق، تصنع منه القذائف.

(أنزلنا الحديد فيه بأس شديد) وبالتالي تعمل به جسوراً حتى تعبر عليها السيارات الفارهة والعربات الأنيقة!! أما الحديد أنزله الله ليس من أجل ناطحات السحاب، وليس من أجل السقوف، وليس من أجل الجسور، (فيه بأس شديد و منافع للناس) لماذا؟ (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز) والجهاد صلاح البشرية مبني عليه

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين) (البقرة ٢٥١)

والشعائر والمنائر واللحى والجلابيب والعبادات كلها مبنية على الجهاد.

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله

---

* رقم الشريط ٣٢٦.

(١) ألقيت هذه المحاضرة في أمريكا في مدينة توسان عام (١٩٨٨م).

(٢) قال الشيخ في مقدمه هذه المحاضرة (أبدأ حديثي بالدعاء لرابطة الشباب المسلم العربي خيراً لأنهم مكنوني من هذا اللقاء بهذه الوجوه النيرة، وأرجو الله عز وجل أن يجزي خير الجزاء من حضر ومن حضر لهذه المحاضرة خيراً.

نحن في توسان، وتوسان لها في قلوبنا حنين وحب خاص، ونحن نحب الشباب المسلم الراجع إلى ربه خاصة في هذه القارة المستقبلين في واحة الإسلام من هاجرة الجاهلية، ولكن لتوسان منزلة خاصة ومذاقاً حبيباً للنفوس ، هذه توسان التي قدمت لنا وائل جليدان، وقدمت لنا زيداً ولؤياً وعادل باحمدين، وقدمت قبل هؤلاء جميعاً محمد صديقي، وجاءنا منها شباب خلال السنوات المنصرمة، كما ذكروا اسم توسان أغاريدا في نفوسنا لواعج وأشجاناً، هؤلاء الشباب صنع الله بهم في واقع الجهاد الأفغاني ما صنع، لا أكون مبالغاً إن قلت لكم إني أحب أن تنهار جبهة بكاملها خير عندي من أن يغادر وائل جليدان الميدان، أناس نذروا أنفسهم لله فجمع الله عليهم القلوب، مسحوا على جراح شعب غائرة، طحنوا تحت حمم الطائرات، ومزقوا من براكين المتفجرات، خاضوا خضم المعارك وعاشوا أهوالها نثبت الله بهم من ثبت، وكم منعوا من الهجرة أناساً، وكم ثبتوا في داخل الخنادق مجاهدين، تراهم كالنحلة دائبين في عملهم لا يتوقفون ليل نهار، هم وبيوتهم وأسرهم وأعمالهم وأموالهم كلها وضعت من أجل المعركة وابتغاء نصرة دين الله في هذه الأرض

فجزى الله أهل توسان عنا خير الجزاء، ثم جزى الله أهل شيكاغو عنا خير الجزاء.. لأنهم كذلك قدموا لنا مجموعة لا زالت في أرض الميدان تتحمل ما تتحمل من مصاعب الطريق، وتتجرع الغصص على طول هذه الجادة اللاحبة الطويلة، ونحن نطلب إن شاء الله المزيد من توسان، ونظن إن شاء الله أنها لم تبخل علينا، والقلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء، وكم من لحظات مجنحة مع [illegible]

كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) (الحج ٤٠)

وإن كنتم في شك مما أقول فاسألوا بخارى أين مساجدها؟ وأين عُبادها وعلماؤها؟ وأين قُوامها وصُوامها؟ وأين أجيالها رتّبها؟ إن القرآن في بخارى جريمة يسجن عليها صاحبها أربع سنوات.

سبعة عشر ألف مسجد في بخارى كلها دمرها الحزب الشيوعي، أو حولوها إلى اسطبلات للخيول أو مخازن لحبوبهم، عندما نل البخاريون أفغانستان كانوا يسألون -أهل بخارى- المجندين بالجيش الروسي- كانوا يسألون عن القرآن: كم مجلداً؟ لم يروا رآن في حياتهم.

بدون الجهاد تنتهي الأمم، تنتهي شخصيتها، تذوب ذاتيتها، تعدم هويتها، تفقد هويتها.

(إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليما) (التوبة ٤١)

بالهزائم والخزي والخسران وغير ذلك.

اليهود أخذوا الضفة الغربية، ثم بدأوا يشغلونهم عمالاً عندهم، أخذوا الأموال والبنوك وما إلى ذلك في يوم واحد، ثم أصبح أبناء ة الغربية خدماً لإسرائيل يشتغلون عندهم في بساتينهم، ليتفرغ أبناء اليهود لحراسة الحدود أيام أن كانت هنالك حرب فدائية ، وتزداد الحالة سوءاً يوماً بعد يوم، ويضطر الشباب للبحث عن الهجرة، ويعطونهم فلوساً، ثم يجمعون الفلوس بتنزيل العملة، لم يأخذوا شيئاً.

(إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم) والاستبدال إما بمسخ الشخصية وفقدان الذاتية والهوية وإما ، بالتصفية الجسدية كما حصل لسكان أمريكا الأصليين الهنود الحمر، اسأل عنهم أين هم؟ والإسبانيون أين هم؟ لقد أبادوهم بقيتهم تلك بقاياهم في إنديانا وما إلى ذلك يعيشون على السرج في مناطق تسمى ليسرك إيريا.

د جاء الإسلام فأعز الله بجنده هذا الدين، وأقاموا دولة، وبقيت هذه المنارة الشامخة بضعة عشر قرناً، حافظ عليها خلال هذه المتطاولة أجيال من المسلمين، كان آخرهم الأتراك الذين حافظوا على الإسلام ستة قرون متتالية، كانت أوروبا ترتجف عندما الترك، وعندما يتكلم الخليفة في إسلامبول تهتز أوصال البشرية كلها، وهم لعدم إطاقتهم ذكر الإسلام حولوا إسلامبول إلى ، فسموها إستامبول، وتكالبوا ثلاثة قرون حتى أسقطوا السلطان عبد الحميد، ومعروف أن السلطان عبد الحميد قد ضحى نسه من أجل الله ثم من أجل فلسطين المسلمة، وأنتم تعلمون أن السلطان عبد الحميد قد عرض عليه مائة وخمسون مليون ، لجيبه الخاص، وبناء أسطول عثماني، وبناء جامعة عثمانية، وسد ديون الدولة التركية، والدفاع عن سياسته في أوروبا، فقال ورة: إن إعمال المبضع في جسدي وقطع عضو من أعضائي أحب إلي من أن تقتطع فلسطين من أراض المسلمين، إن أرض .ها المسلمون بالدم ولن تؤخذ منهم مرة أخرى إلا بالدم، ثم نظر إلى هرتزل صاحب الأموال التي يعرضها عليه، قال له: وقرّ تزل، إذا ذهب عبد الحميد فستأخذون فلسطين مجاناً، وتكالبت اليهودية العالمية عليه حتى أسقطوه في (٢٧ نيسان-ابريل)، وفي الليلة التي سقط فيها عبد الحميد أسجل حادثين ضخمين في حياة البشرية جمعاء: غياب الإسلام الفعلي عن ود، وسقوط فلسطين في يد اليهود.

"حميد الذي تعلمنا ونحن صغار أنه ظالم جبار، وأنه جاهل وغشوم، كانت تقدمه الصحف اليهودية وصراخها في العالم .لسلطان الأحمر غارقاً بالدم، وقد ثبت أن السلطان عبد الحميد لم يقتل واحداً أبداً، ثم جاءوا بهذا النكد المنحوس وكان قائداً للجبهة في فلسطين، واتفق معه اللنبي إذا سمحت لنا أن نضرب مؤخرة الجيوش التركية الأربعة فسنسلمك بل، وتقدمت الجيوش الإنجليزية بقيادة اللنبي: وضربت مؤخرة الجيوش التركية الأربعة، وسقط مائة ألف تركي أسرى ووصل اللنبي في شهر ديسمبر سنة (١٩١٧م) إلى المسجد الأقصى، وقال في القدس كلمته المشهورة (الآن انتهت)، ثم استولوا على إسلامبول وعملوا مسرحيات بهذا الطاغية ذي الأصل اليهودي، مسرحيات أزمير، وأفيون، وسقارية، الحلفاء الرابضة في مضيق البسفور، ولم تطلق عليه -وهو يتقدم- طلقة واحدة، لأنهم يضيعون ضيعتهم ليؤدي مهمة ; يضربوا أو يقتلوا فيه بعض الأتراك، ثم عقدت معاهدة لوزان سنة (١٩٢٢م) بين كرزون وبين عصمت اينونو ممثل تورك أن يسقط الخلافة، وأن يمنع أي محاولة للخلافة مرة أخرى، وأن يحارب الشعائر الإسلامية، وأن يتخذ قانوناً من القانون الإسلامي، ثم أسقط مصطفى كمال الخلافة في (١٩٢٤/٣/٣م).

واتفق العالم كله على قضيتين:

على أنه لا يجوز أن يقوم للإسلام كيان متجمع حول ما يسمى بأمير أو خليفة، ويجب أن تبنى إسرائيل ويحافظ على كيانها، وكل التغيرات في المنطقة، وكل ما أصاب الحركات الإسلامية من إبادة وعمليات قمع وحشية ما شهد لها التاريخ مثيلاً، كانت كلها من أجل هذه القضية، ذاك العملة ذات الوجهين: الحفاظ على إسرائيل ومنع قيام دولة إسلامية في الأرض.

وكانت الانقلابات العسكرية في العالم العربي، الطبخات الأمريكية، كلها جاءت تؤدي هذا الغرض، كلما رأوا تجمعاً إسلامياً زاحفاً وبمسرحية عجيبة يقدمون شخصية تمثل دورها ثم تمضي لعنة على التاريخ وعلى الأمم.

كان انقلاب حسني الزعيم في آذار سنة (١٩٤٩م) بعد أن ضربت الحركة الإسلامية في مصر.... ديان سنة (١٩٤٨م) في ديسمبر وفي مقابلة في نيويورك يقول: نحن لا نطلب سلاحاً لمواجهة الدول العربية، نحن نطلبها لمواجهة عصابات الإخوان المسلمين المتوحشة التي وصلت إلى فلسطين.

وفي (٦ ديسمبر) بعد أن رأت اليهودية أربع كتائب من هؤلاء الشباب الذين يعيدون إلى الأذهان قصص القعقاع وعمرو وقصص خالد ومصعب... وأرسل البنا برقية إلى مؤتمر القمة المجتمع في عاليه في نوفمبر سنة (١٩٤٧م) أو (١٩٤٨م) قال : إذا أردتم أن تحرروا فلسطين من اليهود فاسمحوا لي أن أدخلها بعشرة آلاف مسلح، وقامت قيامة الدنيا وما قعدت، واجتمع السفير الأمريكي والفرنسي والبريطاني في فايد وقرروا حل الجماعة، وألقوا بالقرار للنقراشي لينفذه، وفي (٦ ديسمبر) وضع الشباب في السجن، وشمعت الدور بالشمع الأحمر، وبقي البنا خارج السجن ليقتل بعد قليل.

أرسل البنا إلى الشباب في فلسطين [أيها الإخوان -بعد ضرب الجماعة- لا يهمنكم ما يجري من الأحداث في مصر، إن مهمتكم لا تنتهي في فلسطين ما دام في فلسطين يهودي واحد]، وبعد شهرين فقط من حل الجماعة قتل البنا في أكبر شوارع القاهرة -شارع الملكة نازلي في ميدان رمسيس-، ونقل إلى المستشفى وجرحه خفيف، والذي قتله محمود عبد المجيد مدير المخابرات في مصر، وأنفذ الملك رجلاً من ضباط القصر اسمه محمد وصفي ليجهز على البنا في داخل غرفة العمليات، ثم أعلنت وفاة البنا، وصلت عليه أربع نساء!!، وبعد يومين من قتل البنا في (١٢ فبراير سنة ١٩٤٩م) عقدت مصر معاهدة رودس مع اليهود.

ثم حصلت الانقلابات الأمريكية، انقلاب حسني الزعيم، وانقلاب عبد الناصر، ثم الانقلابات التي ظاهرها أحيانا لونه أحمر شيوعي أو اشتراكي ولكنها مبطنة بالثوب المخطط الأمريكي.

كانت الأسئلة التي توجه للشباب سنة (١٩٥٤م) في محكمة الشعب التي يرأسها جمال سالم بعضوية السادات وحسين الشافعي... سؤال: هل شهدت الحرب في فلسطين؟ فإن كان الجواب نعم يكون الحكم إما الإعدام وإما بالأشغال الشاقة المؤبدة، وعلق قادة الجهاد الذين حضروا في فلسطين محمد فرغلي ويوسف طلعت وهنداوي دوير وإبراهيم الطيب، علقوا على الأعواد في الشوارع العامة في شهر ديسمبر في سنة (١٩٥٤م)، وجريمتهم أنهم اشتركوا في الحرب في فلسطين ضد اليهود وفي القناة ضد الإنجليز...

على الأعواد أعنـــــاق　　　إليها الحور تشـــــتاق
تغني وهي تستـــــاق　　　لمصرعها أشفـــــاق
وملء الأرض إشـــــراق
على الأعواد فرســـــان　　　همو في الليل رهبـــان
وملء الـــــــيل قرآن　　　إذا هتفوا به لانـــــوا
فدمع العـــين رقـــراق
سقوا إنجلتــــرا ذلاً　　　وداسوا جندها قتلـــى
وسل صهيون كم أبلى　　　كتائبها فمـــــا أغلى
دماً في الله يهـــــراق

القصة واحدة، عملة واحدة، لا يجوز أن يقوم للإسلام قائمة، دولة الإسلام محرمة دولياً، الوجه الثاني للعملة يجب أن نحفظ سلامة إسرائيل.

يقول أكرم الحوراني متعجباً، قال: عندما كنت نائباً لرئيس الجمهورية في الوحدة بين (١٩٥٨-١٩٦١م) خلا بي الرئيس ذات

غزة والضفة الغربية لإسرائيل حتى نحفظ سلامة حدودنا !!، ونحن نعلم أنه ما أقيمت الوحدة بين مصر وسوريا إلا لسببين اثنين: أن عفيف البزري قائد الجيش وهو شيوعي خافت أمريكا أن يعمل انقلاباً ويسلم سوريا لروسيا، والسبب الثاني أن هنالك شباباً متحمسين في الجيش السوري من الضباط، وكان اليهود يريدون أن يحولوا نهر الأردن من منابعه إلى النقب، فكلما قدموا لتحويله ضربتهم المدفعية من جبال الجولان فتراجعوا وتأخروا، وعندها عملت الوحدة، وضرب هؤلاء الضباط، وحول اليهود نهر الأردن إلى النقب، ثم قمعت الحركة الشيوعية في داخل سوريا، وأخيراً حصل الانفصال، وقال لها وداعاً لك يا سوريا وداعاً لا لقاء بعده.

ونحن مطمئنون أن كل الحركات الثورية التي أقيمت في العالم العربي والعالم الإسلامي التي طبخت في داخل أروقة البيت الأبيض قد أخذ عليها العهد والميثاق قبل أن تأتي أن تقمع الإسلام في المنطقة، وطلائع البعث الإسلامي أن تبيدها بوحشية، وأن تذبح التيار الإسلامي من الوريد إلى الوريد، وقد أخذ على هؤلاء الضباط الأحرار كما جاء في تصريحات محمد نجيب فيما بعد، وأنور السادات وغيرهم أن السفير الأمريكي كان على صلة بهم قبل الثورة، وأن السفير الأمريكي كان يحضر أول اجتماع لمجلس الثورة في فندق الإنتركونتيننتل على النيل، السفير الأمريكي هذا في كتاب أنور السادات -يا ولدي هذا عمك جمال- نحن نعلم أن الاتفاق قد أخذ أن يهدم الأزهر إلى غير رجعة، وأن تضرب الحركة الإسلامية ضرب إبادة، وأن يحافظ على سلامة إسرائيل، ولذلك ليس عجيباً أن تكون هذه الهزائم أمام إسرائيل هزائم يندى لها جبين التاريخ، ولم يحفظ التاريخ بين صفحاته هزيمة كوصمة عار في جبين البشرية أشد منها في هزيمة سنة(١٩٦٧م).

معلوم أن الدول الثلاث المحيطة بإسرائيل لم تقف ثلاث ساعات أمام إسرائيل، ومعلوم أنه في ليلة الهجوم في (٥ حزيران) كما يقول باروخ نادل في كتابه تحطمت الطائرات عند الفجر قال: ليلة (٥ حزيران) -هذا يهودي وهو مستشار قيادة الأركان الجوية المصرية لثلاثة عشر عاماً، من (١٩٥٤- ١٩٦٧م)- يقول: وفي ليلة الخامس من حزيران أقمت حفلاً ساهراً تحييه سهير زكي، وجمعت أربعمائة ضابط من الرجال والنساء، وبقيت الحفلة حتى الثانية صباحاً، ولعبت الخمر بالرؤوس، وخشيت إن عاد ضباط الطيران أن يستيقظوا الساعة الخامسة حيث التوقيت للضربة الأولى للمطارات المصرية، تذكرت أن أمدد الحفلة، وعندها هداه الشيطان إلى تمديدها بأن يضع الرجال في جهة والنساء في جهة، وقال أنتن الميراج الإسرائيلي وأنتم الميج المصري، وسنرى كيف ينقض الميج على الميراج، انقض الميج على الميراج، وبقيت الخمر تلعب بالرؤوس، والناس غارقون في المستنقع الآسن الجنسي حتى بعد الرابعة، وعادوا ووضعوا رؤوسهم على وسائدهم فما استيقظوا إلا بعد الظهر، حيث تحولت مطارات القاهرة وما عليها من طائرات إلى حطام وركام.

يقول باروخ نادل: ولقد طرت الساعة الخامسة فوق سماء القاهرة وما غادرتها إلا وأنا أرى دخان الطائرات يتصاعد من فوق مطاراتها، وبعد ثلاث ساعات حدثت المعركة، والساعة الحادية عشرة -كما يحدث رئيس الوزراء الأردني سعد جمعة الذي كفّر عن خطاياه بأن فضح الأنظمة العربية كلها في عدة كتب، منها المؤامرة ومعركة المصير، الله أو الدمار، أبناء الأفاعي، إقرأ له، فقد فضح كل الأنظمة-، وقال: اتصل الملك حسين الساعة الحادية عشرة بعبد الناصر يوم الخامس من حزيران: ماذا جرى؟ قال أسقطنا ثلثي طائرات العدو، طائراتنا فوق تل أبيب، شد حيلك يا جلالة الملك، التوقيع سلمي، هذه البرقية أنا كنت في الضفة الغربية التقطها اللاسلكي الإسرائيلي وكان يعيدها كل ساعة أو ساعتين بصوت عبد الناصر، طائراتنا فوق تل أبيب، أسقطنا ثلثي طائرات العدو، شد حيلك يا جلالة الملك... التوقيع سلمي.

وبعد يوم واحد الساعة الحادية عشرة دخلت الأردن يوم الإثنين المعركة ولم تفعل شيئاً، وفي اليوم التالي كان اليهود في المسجد الأقصى، بل في اليوم الأول، ولم يسقط حول المسجد الأقصى عشرة رجال دفاعاً عن أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، أي عار وخزي وأي شنار يسجله التاريخ على أمة سقطت قبلتها دون أن يسقط حولها خمسة رجال قتلى؟!

وأما سوريا فحدث عنها ولا حرج، سحبت الدبابات من الجولان -كما يحدث تشرتشل في حرب الأيام الستة- قال: وأثناء انسحابها تعطل محرك إحدى الدبابات، فحول قائد الدبابة فوهة المدفع نحو الدبابات اليهودية الصاعدة للجولان، وضرب ست دبابات، وأوقف الدبابات في ذلك المحور ثماني ساعات، ثماني ساعات...!!! دبابة خربت -يا ليتها خربت عشر دبابات- ثم طلع علينا حزب البعث يقول: لن نهزم، لأن مهمة إسرائيل هي إسقاط حزب البعث، وقد فشل في إسقاط الحزب، فلم تنتصر إسرائيل !!! هكذا بكل تبجح وصلافة، خزي، عار، أناس سلطهم الله علينا لهواننا على الله.

الذي جرى في أفغانستان صفحة مقابلة تماماً، ولكنه منبعث من نفس القضية، الملك ظاهر شاه عمل انقلاباً ثقافياً كما سولت له ثورة ثقافية، يعني ثورة على القيم والأخلاق والدين وعلى الحجاب، حرر المرأة من أخلاقها ولباسها، حمل حجاب امرأة مسلمة تحت قدمه وقال: انتهى عهد الظلام إلى الأبد، امتنع أهل قندهار أن يكشف النقاب عن وجوه نسائهم، سير لهم جيشاً، دارت

معركة، سقط إزاءها ألف شهيد وهم يدافعون عن النقاب على وجوه نسائهم، وسلم ابن عمه محمد داوود رئاسة الوزراء ليحارب التيار الإسلامي، وليتربى على موائده وفتات طعامه كبار الحزب الشيوعي، تراقي وبابرك، وحفيظ الله أمين، وحسر الإسلام، وبدأ المد الشيوعي ينتشر، وفي هذا الظلام المدلهم انتبه أستاذ في كلية الشريعة اسمه غلام محمد نيازي لهذه المصيبة، وبصر الشباب بالعاقبة الوخيمة التي تنتظرها أفغانستان من الزحف الشيوعي، وبدأ التيار الإسلامي في الجامعة، واستلموا مقاعد اتحاد الطلبة في الجامعة، وعلق السفير الروسي (إن مستقبل هذه البلاد بيد هؤلاء الشباب) الشباب اسمهم (جوانان مسلمان)، لكن الروس يطلقون عليهم الإخوان المسلمين، الآن يطلق الروس على كل الجهاد في داخل أفغانستان إخوان مسلمون.

الخوف العالمي، الرعب، الرعب من الحركات الإسلامية، وبعد ثلاثة أشهر من هذا، أربعة أشهر بالضبط من هذه الانتخابات أطيح بالملك وجيء بمحمد داوود حتى يمسح الحركة الإسلامية، فبدأ بغلام محمد نيازي وسياف ووضعهم في السجن، وهاجر رباني وحكمتيار إلى بيشاور، واجتمعوا ثلاثون شاباً حولهم، وقرروا المعركة المسلحة ضد نظام داوود بالثلاثين شاباً، بدأوا معركتهم كل واحد بمسدس وقنبلتين، كل واحد يهجم على معسكر من معسكرات داوود... كانت محاولات ساذجة ولكنها خالصة، كانت عمليات جريئة بسيطة ولكنها فجرت ينابيع الخير في أعماق هذا الشعب المسلم.

سنة (١٩٧٨م) أقام الشيوعيون انقلاباً على محمد داوود وجاء تراقي، وتراقي معروف أنه مؤسس الحزب الشيوعي، فأفتى العلماء أنه كافر يجب جهاده، وقام العلماء وقامت القرى وراء هؤلاء العلماء، ولم يجدوا في الساحة سوى أبناء الحركة الإسلامية، سوى رباني وحكمتيار، وبدأ الحزب الإسلامي والجمعية الإسلامية يتقويان، وتقدم المجاهدون حتى وصلوا مشارف كابل، وقتل تراقي، واستلم حفيظ الله أمين ثلاثة أشهر، ثم خشيت روسيا أن يستلم المجاهدون الحكم في كابل فدخلت بأساطيلها الجوية والبرية.

ظنت روسيا أن القضية عملية مريحة، لكن

(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) (الأنفال: ٣٠)

(فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون، وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) (النمل:٥١-٥٣)

كانت معادلة صعبة جداً، كيف يقف الشعب الأفغاني الأعزل الفقير أمام دولته وأمام روسيا والاتحاد السوفياتي؟ ودول حلف وارسو، ومن يدور في فلكها من الدول المبهورة بالأم(روسيا) كسوريا واليمن الجنوبية الشعبية وليبيا وغيرها، معادلة صعبة جداً.

قال لي بعضهم في بداية الأمر: إن الشعب الأفغاني ينتحر، وعندما بدأنا نستحث الشباب للذهاب إلى الجهاد في أفغانستان قال بعضهم: إن عبد الله عزام يستدرج الشباب للانتحار في أفغانستان، انتحار في نظر الذين لا يعرفون قوة الواحد القهار، انتحار في نظر الذين لا يقدرون قوة الإله الجبار، انتحار في نظر الذين لا يعرفون قوة الذي يدبر الليل والنهار، انتحار في نظر الذين يشتغلون على الكمبيوتر، دبابات يجب أن يكون مقابلها الدبابات، طائرات مقابلها طائرات، أعداد أعداد ما إلى ذلك، لكن قوة الله لا تدخل في الكمبيوتر، القوة العظمى في الميزان. قوة الله

(وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديرا) (فاطر :٤٤)

قلت لبعضهم: أيهم أقوى الله أو أمريكا؟ كنت أسأل الطلاب في الجامعة، أيهم أقوى الله أم أمريكا؟ قالوا الله طبعاً، من شك في هذا كفر، قلت لهم أنتم مطمئنون أن الله أقوى من أمريكا ومن صواريخها ومن سفنها الفضائية والهوائية وغير ذلك؟ قالوا: نعم.. والصواريخ عابرت القارات؟ قالوا: نعم، قلت: والله لو كانت دولنا مطمئنة أن الله أقوى من أمريكا و إسرائيل ما أصابنا الذي أصابنا.

الأفغان بالعكس، قلت لهم: كيف بدأتم المعركة؟ قالوا بالعصي والحجارة، قلت هل هذا يجوز؟ بالعصي والحجارة تهجمون على الدبابات؟ قالوا: نعم، لأن الله عز وجل قال: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وهذه أقصى قوتنا، وجدنا الحجارة والعصي، وفعلاً في البداية كانوا يهجمون على الدبابات، تبقى الدبابات ترش بهم حتى يعلو أحدهم فوهة الدبابة فيقتل الذي في داخلها بالحجارة ثم يحرقون الدبابات.

نظر الله إليهم: اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأطعمهم أو فأشبعهم، اللهم إنهم حفاة فاحملهم، جياع، عراة، حفاة ولكنهم وقفوا دفاعاً عن دينهم، وقفوا يروون الأرض بالدماء...

وقفوا رغم أن المسألة ليس هنالك أي تكافؤ أبداً أبداً، ولكن الله نصرهم.

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنون منه بلاء حسنا) (الانفال ١٧)

عندما جاء داوود رتب حكمتيار عدة انقلابات وكلها فشلت والحمد لله، فكنت أقول يا رب لو نجح واحد من الانقلابات واسترحنا، ولكن

(وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) (الانفال ٧)

نريد أن نحصل على حكم إسلامي عن طريق أربعة أو خمسة من الحفنة العسكرية، من خلال البيان الأول تعلن الدولة الإسلامية

(ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون) (الانفال ٧-٨)

حتى يأتي هذا الجهاد المشرف الطويل الذي رفع به كل مسلم هامته، والذي أعز الله به دينه، والذي عاد به كل مؤمن أعاد ثقته بالله وتوكله عليه، معركة شديدة جداً.

قال لي بعضهم: في كل كم يوم تحصل معركة؟ قلت له: أعد السؤال، إسألني كم معركة تحصل في اليوم في أفغانستان؟ في أفغانستان حرب عالمية ثالثة تدور رحاها فوق رأس شعب واحد اسمه الشعب الأفغاني، والجهاد في أفغانستان كالطواف في الكعبة تماماً، لا ينقطع الطواف ليلاً أو نهاراً أو صيفاً أو شتاء، كذلك الجهاد في أفغانستان لا يتوقف ليلاً أو نهاراً، صيفاً أو شتاء، لا يمكن كما أظن تمر ليلة في أفغانستان بدون معارك ولا نهار دون معارك، دفعوا كثيراً، ضحوا كثيراً، يسقط الآن فوق أرض أفغانستان في كل أربع دقائق شهيد، وفي كل دقيقة يهاجر مهاجر من النساء والشيوخ الكبار وغيرهم من القرى إلى الأدغال والجبال، وفي كل اثنتي عشرة دقيقة يسجن سجين، دماء سالت .. سالت الدماء بحوراً، تلال من الأشلاء، جبال من الجماجم والشهداء، صنعوا بها سداً منيعاً أمام الطوفان الأحمر الذي يريد أن يغرق العالم الإسلامي والعربي، لكن روسيا مع هذا مهزومة، وروسيا تتمنى أن تجد مخرجاً من غلطتها، غلطة العمر.

كانت ندوة وحاضر فيها ضياء الحق قال: اجتمعت بالسفير الروسي فقلت له: أنتم وصلتم الفلك والقمر، لكن يبدو أنكم ما درستم التاريخ! قال له السفير الروسي: كيف؟ قال: لو درستم التاريخ ما دخلتم أفغانستان، ألم تعلموا أن الشعب الأفغاني أباد جيوش بريطانية بكاملها، مرة جيش بريطاني دخل إلى كابل سبعة عشر ألفاً، ذبح (١٦٩٩٩) ونجا واحد... واحد أفلتوه حتى يخبر ماذا جرى لقومه!!!

ليفنكستون الذي هزم نابليون في معركة واترلو مات سجيناً في أفغانستان (١٨٤٢م)، كذلك في عام (١٨٨٠م) أبيد جيش بكامله، (١٩١٩م) هزمت بريطانيا أمامهم، لاحقوهم في داخل الهند، عندما أعلن تشرتشل من لندن استقلال أفغانستان، خشي أن يصلوا دلهي كما وصلوها عدة مرات.

الآن روسيا تتجرع الويلات وتتكبد الخسائر المدمرة، كل يوم يسقط لها طائرتان، ويدمر لها عشر دبابات، ويقتل ويؤسر ويسجن يهرب خمسون منهم، وستة وثلاثون مليون دولار تدفعها نفقات على جيشها.

يقول المحللون العسكريون أن روسيا مضطرة للخروج لا محالة، لأنها عندما دخلت أفغانستان كان لدولتها الربيبة الشيوعية مائتا طائرة أفضلها ميج سبعة عشر، الآن دمر وسقط واستهلك لروسيا ألفان وستمائة طائرة، ثلاثة عشر ضعفاً من القوات الجوية تدمرت، ن عندها ألفا دبابة من الدبابات القديمة، والطائرات التي سقطت من أي نوع ؟ ميج (٢٣)، ميج (٢٥)، سوخوي (٢٥)، (TU22) من دث الطائرات في العالم، الدبابات ألفا دبابة ، دمرت لها ثلاثة عشر ألف دبابة، سبعة أضعاف، كان الجيش الأفغاني الشيوعي ثمانين أ، قتل مائة ألف من المليشيا والشيوعيين وغيرهم... هرب مائة ألف، قتل وجرح من الروس على أقل الإحصائيات خمسون ألفاً.

إذن روسيا مضطرة للخروج لا محالة، وهي تبحث عن مخرج منذ زمن، ولكن أمريكا كانت تريد أن تستمر الحرب إلى نهاية ـن، لأنها فرصة العمر لأمريكا أن تنفس عن أحقاد فيتنام، وأن تحطم في آن واحد شعبين من ألد الشعوب لها عداء، الشعب ـهي الصلب في أرض أفغانستان، وروسيا عدوتها التقليدية، ولكن برز في القضية عامل جديد جعل أمريكا تراجع حساباتها، ـد الجهاد الأفغاني إلى مدرسة تربوية أصبحت تعيد الروح الجهادية إلى العالم الإسلامي مرة أخرى، وأصبح الشاب في الرياض أو

في مصر أو في عمان أو في دمشق أو في الكويت يتلمذ على مجلة الجهاد وينتظر صدورها شهراً شهراً، حتى في أمريكا، ينتظر شريطاً من الأشرطة عن أفغانستان، وكم أذهلها وهي ترى التحول الإسلامي، تحول الشباب نحو الجهاد، حتى أبناء الدول البترولية التي ظنت أنها قد أنهتهم نهائياً بإغراقهم بالترف الذي ينخر في عظام الشعوب، وإذا بها ترى فلذات أكباد الجزيرة العربية فوق جبال الهندوكوش تروي بدمائها هذا التربة الطاهرة تعلن أن دين الله واحد، وأن أمة الإسلام واحدة.

أذهلها وهي ترى أن مئات الشباب يقبلون من الحجاز، ثم يسقط في أفغانستان ستة عشر شهيداً من أبناء الحجاز ونجد، كان آخرهم سقوطاً في معركة خوست شاكر حسين قرشي من الطائف، شباب يعيدون إلى ذهنك تلك السيرة الأولى لسلفنا الصالح، سعد الرشود، عبد الوهاب الغامدي، يحيى سنيور، خالد الكردي، عبد الله الغامدي، وعد ما شئت أن تعد، عبد الله الجمال، تركي الهذلي، كل واحد منهم له قصة، كل واحد منهم له كرامة، كل واحد يعد مفخرة في جبين الزمن في هذا الأيام.

عبد الوهاب الغامدي وسعد الرشود.يخرج النور من قبريهما من الأرض إلى السماء ثم يعود إلى قبورهم ليلة الإثنين والخميس لأنهما كانا من صوامي الإثنين والخميس.

عبد الله الغامدي عمره ثمانية عشرة عاماً، التكبير لا زال يخرج من قبره.

خالد الكردي يتفجر تحت قدمه لغم فتطير قدمه ويفتح بطنه وتندلق أقتابه، فيأتي الدكتور صالح يلم أمعاءه عن الأرض ثم يجمعها ويعيدها إلى بطنه ويبكي الدكتور صالح الليبي، قال: ما يبكيك؟ إنها جراح بسيطة في ظهر يدي، لا يعلم أن قدمه طارت، وبطنه فتح، ويبقى ساعتين يطمئن إخوانه ويثبتهم على الطريق، ولقي الله ولا يعلم أن قدمه قد ذهبت وبطنه قد فتح.!!!

شباب هؤلاء وقف التاريخ حائراً كيف خرجوا من تحت ذلك الركام من المتاع والترف والدعة والراحة، أذهلها وهي ترى الشاب المصري يجمع بالقرش والقرشين سنة وسنتين وثلاثا حتى يجمع ثمن التذكرة ليأتي إلى أفغانستان، لأنه علم أن الجهاد فرض عين فجاء يؤدي هذه الفريضة.

أبو دجانة الذي تعرفه الإسكندرية، (عادل فارس) وكذلك أيمن صبري، وكذلك عبد الجبار وكذلك... وكل واحد له قصة، وهم فلذات أكبادنا، كل واحد يمضي إلى ربه ويأخذ جزءاً من قلوبنا ويمضي.

أمريكا بدأت تعيد الحسابات، ثلاثة قرون وهم يشتغلون حتى نستولي... وأحالوا الجهاد أشباحاً لا روح فيها، وميعوا النصوص، وأضاعوا المصطلحات، وأصبح الجهاد كلمة في جلسة هادئة ناعمة أولها البيبسي وآخرها الرز والكبسات واللحم، هذا الجهاد!!! أصبح الجهاد لقاء ثلاثة من الشباب يقرأون كتاباً في مكان من الأمكنة، أو في مسجد من المساجد، أو مقالة ينمق بها الصحف دراهمها أكثر من كلماتها، أو كتاباً يكتبه عن الجهاد، ولم يطلق طلقة واحدة في سبيل الله، أو لم يبت ليلة واحدة مرابطاً في سبيل الله، وأصبح حمل السيف جريمة، أصبح عيباً نستحيي منه، حمل السلاح أصبح وحشية وهمجية.!!!

نعم ... هم الغربيون والأمريكان كرجل يلبس ثوباً أبيضاً ويذبح شاة، فإذا انتفضت رجلها وهي تلفظ أنفاسها ونزلت نقطة على ثوبه الأبيض فإن هذه الشاة ليست مؤدبة ولا مهذبة، نحن كذلك!!! يريدون أن يذبحونا وهم يلبسون الثياب البيضاء، فإذا انتفضت فرائسنا ونحن نخرج أرواحنا فنحن متوحشون... أنظروا.... انظروا... إنهم همجيون .. إنهم إرهابيون... إنهم متوحشون... إنهم من جماعة الجهاد.!!!

أصبح الدفاع عن الأعراض همجية ووحشية، لا بد أن تنتهك أعراضنا ونحن نبتسم في وجوه الذين ينتهكون أعراضنا، يجب أن تسلب أموالنا ونحن منحنين إليهم (YES SIR YES SIR)، يجب أن تؤخذ مقدساتنا فإذا حملنا رصاصة فنحن إرهابيون، إن كان الإهاب هكذا فنحن إرهابيون... نحن إرهابيون، والإرهاب فريضة في الكتاب والسنة، ليعلم الغرب والشرق أننا إرهابيون وأننا مرعبون.

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) (الانفال ٦٠)

فالإرهاب فريضة في دين الله، والرعب فريضة، ورسول الله ﷺ أول مرعب، [نصرت بالرعب مسيرة شهر] إذا قالوا نحن إرهابيون فنحن إرهابيون... نحن إرهابيون، كل مسلم إرهابي، وإن لم يرهبه عدوه فليس على الطريق، إن عدم رهبة أعدائنا منا دليل على غثائية الأمة التي حدث عنها رسول الله ﷺ : [تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قالوا أمن قلة نحن يا رسول الله؟ قال: لا إنكم يومئذ كثير -ألف مليون- ولكنكم غثاء -زبد- كغثاء السيل، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، ولينزعن من قلوب أعدائكم المهابة منكم، قالوا وما الوهن يا رسول الله؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت] وفي رواية أحمد [حب الدنيا وكراهية القتال].

إرهابيون... نحن همجيون... نحن متوحشون في نظرهم، وكلما توحشنا كلما اقتربنا من الصراط المستقيم، أما الناعمون الموديريت، المعتدلون المرنون المنفتحون هؤلاء هم في واد ودين الله في واد آخر.

قتال النصارى واليهود فريضة في دين الله.

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (التوبة ٢٩)

ولذلك نص بعض الفقهاء على أنه يجب أن يدفع الجزية وهو منحن لنا، لا يقبل أن يدفعها وهو واقف (**وهم صاغرون**).

قالوا لابن حجر الهيثمي: أيجوز للمسلم أن يمد يده ليقبلها الكافر؟ قال: لا، حتى لا تأنس قلب الكافر به، فيظن أن المسلم راض عنه، يجب أن يبقى خائفاً منه.

رعب، نحن مرعبون... نحن إرهابيون، والإرهاب فريضة في الكتاب والسنة.

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله) (التوبة: ٢٩)

(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) (التوبة: ١٢٣)

حرفان مفخمان، غلظة، هكذا، أما النعومة مع الكفار والعزة على المسلمين، التكبر على المسلمين لكن:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر

الأفغاني فعلاً غلظة، شكله مخيف، لحيته ما شاء الله إلى هنا، أحد إخواننا كان مديراً لمدرسة في عمان لحيته هكذا، يعني شكله مخيف، جاءت امرأة نصرانية تراجع بابنها مرضت اسبوعاً عندما رأته، شكله مخيف، واحد منهم لحيته من هنا إلى هنا، ولافف العمامة... هذه العمامة جننت العالم الغربي، جننته وأخرجت عقله من رأسه، عمامة الأفغان ولحيته أطارت لبهم من رؤوسهم واحد اسمه [illegible]ين... في كابل ضابطة شيوعية تفتش كثيراً عن المجاهدين، أخذ سيارة وقال للسائق إذا أشرت هذه الضابطة لا تقف عندما ابتعد خمسة عشر متراً، فابتعد هذا السائق، فجاءت مزمجرة غاضبة، فتحت الباب لتؤنبه وتقرعه وتأخذه للمحاكمة، فمد يده وحملها وأخذها لى الجبل وذبحها بسم الله الله أكبر، لحم حلال... ذبح شرعي... لحم حلال.!!!

شاب اسمه عبد الصبور، قلت يا عبد الصبور- عمره اثنتان وعشرون سنة، في كابل يجاهد، شكله شكل شباب من شباب بسكوت هذا جيل الزبدة، فلابس الجينز... يعني شعره يدل على أنه شاب ضائع - قلت يا عبد الصبور كم قتلت؟ قال الذين ذبحتهم لسكين تسعة وعشرين في كابل، أما الذين قتلتهم فلا أدري !! يا سلام!!.

الشيخ جلال الدين حقاني قائد المعركة الأخيرة، قائد خوست، الآن جرح نرجو الله أن يعافيه، ثمانمائة يقابل أربعين ألف روسي نغاني مع أربعمائة دبابة وآلية وحوالي ثمانين طائرة واقف بثمانمائة مجاهد يواجه هذه القوات.

أحمد شاه مسعود فتح فتوحاً في السنتين الأخيرتين عجيبة، معسكر بيشغور فتحه بمائة مجاهد، أسر أربعمائة، منهم سبعة [illegible]ن ضابطاً، خرجت نساؤهم في كابل مظاهرة: أيها الحكام الجالسون على كراسيكم خلصوا رجالنا إن كنتم رجالاً، أحمد شاه [illegible]عود يسجنهم في المغاور في مكثي وأنتم هنا تاكلون وتشربون، أرسلت الدولة يا أحمد شاه مسعود نعطيك ما شئت مقابل أن تفلت [illegible]، ضع شروطك، وضع شروطه والمكان والزمان، أعدت روسيا غارة مفاجئة على أحمد شاه مسعود، يحدثني أحد الشباب العرب كنت حارساً عليهم... سبعة وثمانون ضابطاً... وإذا بالطائرات الروسية تاتي من روسيا مباشرة تحط فوق الجبل، وإذا بالرشاشات على أحمد شاه مسعود الذي ينتظر الحكومة أن تسلمه الأسرى مقابل أن تسلمهم أسراهم، كان أول أمر أمر به أحمد شاه قال لنا [illegible]ا السبعة وثمانين ضابطاً، فقتلناهم دفعة واحدة، ثم دارت معركة بين الروس الذين في رؤوس الجبال الكوماندوز (سبك ناز) وبين شاه مسعود وجنده القليل مستعدين للمعركة، وانسحبت روسيا وتركت قتلاها لينتن الوادي عدة أسابيع، ولم يقتل ولا شهيد من [illegible]دين.

جنرال أمريكي قطع جبال نورستان يمشي أسبوعين، يقطع سبع جبال معلقاً بين السماء والأرض، هذه الجبال لشدة تعب البغال تحمل أمتعة المجاهدين أحياناً البغل ينتحر، هل سمعتم أن البغل ينتحر؟! نعم ينتحر! يقف على سفح الجبل ثم يرمي بنفسه في [illegible] ليتخلص من التعب، مشى الجنرال الأمريكي حوالي أسبوعين معلقاً بين السماء والأرض حتى يصل إلى أحمد شاه ليلة واحدة [illegible]: أعطني الخطة التي نفذتها في فتح بيشغور، قال أحمد شاه كنت أتمنى أن ياتيني عسكري من البلاد العربية يسألني ماذا

تصنع؟ الجنرالات الأمريكان يأتون يسألون عن الخطط ليطوروا معلوماتهم العسكرية بخطة أحمد شاه مسعود، سيف الله في أفغانستان، وفتح بعدها أندراب، وفتح فرخار، وفتح فرقة نهرين، وفتح قبل شهرين كلفغان في خمسة وأربعين دقيقة، قلاع حصينة تسع قلاع، قلعة حصينة تحيط بها تسع مراكز فتحها في خمس وأربعين دقيقة، وقبل شهر فتح كران ومنجان وكانت غنائمه كثيرة وبجانبها مطار، وفي هذه الأيام التي أنا فيها في أمريكا جاءنا هاتف أنه فتح موقعين حصينين عظيمين وغنم غنائم كثيرة ومنها أخذ ثلاث دبابات صالحة.

الروس الآن عندما يسمعون أحمد شاه في مكان يقولون جاء الطاعون، يهربون من المركز قبل أن يطلق عليهم طلقة واحدة، شاب عمره كم؟ أربعة وثلاثون عاماً، حتى الآن لم يتزوج بعد، جندي وعلى التلفاز الروسي الذي ينقله التلفاز الأمريكي عنه يسألونه كيف حالكم في أفغانستان؟ قال عندما نسمع صيحة الله أكبر نبول على ثيابنا، نبول على ثيابنا نعم، رعب شديد، كم قابلت أسرى روس؟ مجموعة أسرى روس، الذي يخيفهم... يرعبهم، واحد يقول لي ما وضعت رأسي على الوسادة ليلة إلا وأنا أقول هذه آخر ليلة أعيشها، سيأتي القائد الأفغاني هذه الليلة ويذبحني بالسكين، أكثر شيء يخاف منه الروس هو الذبح بالسكين، والأفغان يحملون سكاكين الحذائين في جيوبهم، وخلاص بسم الله، الودجين والبلعوم والمريء، يقطع الأربعة، طياران روسيان ينزلان بطائرتيهما في مطار چترال الباكستاني، يسألونه ما الذي يخيفكم؟ قالوا: يخيفنا الأسلحة هذه... المضادة للطائرات، لكن الأفغان علمونا نصوصاً من كتابكم المقدس نقرأها عندما نخرج إلى الطائرة حتى لا تصيبنا الصواريخ... حفظوهم (قل هو الله أحد) (قل أعوذ برب الفلق) قل أعوذ برب الناس) يقرأونها حتى لا تصيبهم الصواريخ... روس!! يا سلام! يا سلام!

الصحفيون كم أسلم من الصحفيين؟ مجموعة من الصحفيين جاءوا ينقلون الأخبار ثم أسلموا.

التقيت مع صحفي فرنسي على الحدود -كان الشيخ عصام معنا- لكن هو ما رأى الصحفي الفرنسي، التقيت به على الحدود، فقلت له: أنت تؤمن بالله؟ قال:كنت أؤمن بالإشارة، لكن هؤلاء أجبروني على الإيمان بالله، قلت له: كيف؟ قال: عندما أرى البنادق البسيطة تهزم الدبابات والطائرات معنى ذلك أن هنالك قوة أخرى في المعركة هي قوة غير مرئية، وهي قوة الله التي تقولون عنها، قلت له:كيف عشت داخل أفغانستان؟ قال (BRAKFAST TEA AND BREAD LANCH BREAD AND TEA) (IT,S EASY)

قلت له: وهل ينتصر الشعب الأفغاني؟ قال: سينتصر، شعب مؤمن متدين، شجاع يدافع عن عقيدة وعن دين وعن بلاد، وهؤلاء الروس عن أي شيء يدافع ؟

الأمريكان أرسلوا نيكسون قالوا انظر لنا المعركة كيف؟ رجع نيكسون وعلى التلفاز الأمريكي سألوه

(WHAT YOU HAVE BREPER FOR THIS PROBLEM?

Its easy, anther problem, its easy, whatis the problem?

قال: (THE PROBLEM IS ISLAM)

لقد آن الأوان لأمريكا أن تتناسى خلافاتها مع روسيا لتوقف الزحف الإسلامي الذي بدأ في أفغانستان.!!!

نيكسون جاء يسلم على واحد أفغاني في معسكر ناصر باغ، رجل كبير في السن، قبض يده، قالوا له هذا رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، قال أعلم ولكنه كافر وأنا لا أصافح كافراً.

هذا يونس خالص عمره سبعون سنة، كان في الأمم المتحدة زار ريجان، يا شيخ يونس لماذا زرت ريجان؟ قال خشيت أن يسألني الله عز وجل أن أتيحت لي الفرصة أن أعرض عليه الإسلام فلم أعرض عليه، ولذلك أنا ذهبت وقلت له: أسلم للأسباب التالية.....

سبعون سنة، ويقول لريجان أسلم حتى تنجو من النار!!! أي عزة هذه؟ إمام مسجد راتبه خمسة وعشرون دولاراً في الشهر، ليس في اليوم، لا يشرب لا بيبسي كولا ولا غيره، خمسة وعشرون دولاراً في الشهر يعرض على ريجان الإسلام.

حكمتيار عدة مرات يرسل له السفير الباكستاني لمقابلة ريجان، قال له: لا أقابله، قال له السفير الباكستاني: أنت مجنون؟ ستون حاكماً على قائمة ريجان يرفض مقابلتهم وأنت ترفض مقابلته وهو يطلبها، قال: نعم، وإذا أصررتم سأغادر أمريكا الآن.

رباني قابل ريجان، قال له أرسلنا لكم سلاحاً هل وصلت الأسلحة؟ قال نحن ننقل سلاحنا على الحمير والبغال وتمكث شهرين حتى تصل إلى شمال أفغانستان... من جنوبها إلى شمالها.... الحمير والبغال الأمريكية التي تحمل السلاح ما وصلت.

عندما رأوا هذا ووجدوا أن الجهاد الأفغاني بدأ يعيد عقيدة التوكل على الله، يعيد الثقة في الشعوب، وجن جنون اليهود عندما

داخل أفغانستان وفي معسكرات المجاهدين، وأنا قرأت أكثر من مقال في الصحف اليهودية، بدأوا يراجعون، لا بد من تشويه اد الأفغاني، يعرض الجهاد الأفغاني على أنه مجموعة من قطاع الطرق والحشاشين يأكلون الحشيش! ويدخنون! ثم يهجمون على ،والجهاد الأفغاني هو عبارة عن ستينجر، عبارة عن استينجر! استينجر، وراح استينجر وجاء استينجر، وأخذت إيران ولت...!!! وطبعاً عندنا الببغاوات الذين يكتبون عن الجهاد الأفغاني أولاد اليهود، عندنا الفراخ الذين تربوا في هاردفرد وفي ج وفي غيرها تلاميذ كيسنجر وصفروني وغيرهم، طبعاً يكتبون عن الجهاد الأفغاني جاءنا من مراسلنا في نيويورك، لأن المعركة ويورك...!!! جاءنا من مراسلنا في نيويورك ما يلي في أفغانستان حصل كذا وكذا

يا أيها الإخوة:

الجهاد الأفغاني هو خارقة العصر، الجهاد الأفغاني حقق من الخوارق ما يفوق الخيال وما يشبه الأساطير، ولكنها كتبت بالدماء ع، كتبت بالعرق والنجيع، قصة شعب آمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، سار هذه المسيرة الطويلة يتجرع الطريق، ويتكبد آلامها، ولكن وعلى طول الطريق الحادي ينشد له ويردد:

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا يحب الصابرين، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا نا على القوم الكافرين، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين).

(العمران١٤٦)

أمسكت الأفغاني وعصرته لا يخرج منه إلا الدموع والآلام، كل خيمة في داخلها من المآسي ما تشيب منه النواصي، قصص تملأ بها الأسفار الضخام، ولكنهم سائرون على الطريق، كل واحد منهم يردد لسان حاله كلام أبي الطيب:

لئن عمرت جعلت الحرب والـــــدة	*والسمهري[1] أخاً والمشرفي[2] أبا*
لكل أشعث يلقى الموت مبتسمـــــاً	*حـــتى كأن له في قتله إربــــــا*
فج يكاد صهـــيل الخيل يقذفـــه	*عن سرجه فرحاً بالغزو أو طربـــا*
إن المنية لو لاقتهـــــو جفلــــت	*رعناء تتهم الإقـــدام والهربـــا*

ظروا طويلاً إخوانهم، كانوا يظنون أن النداء الرباني العلوي الجميل سيحرك هذا الجموع الإسلامية لتقف بجانبهم في هذه مركة العالمية الثالثة التي تدور رحاها فوق رؤوسهم، كانوا يظنون أن إخوانهم وهم يسمعون فتاوى العلماء والمفسرين والفقهاء ني جميع العصور بإجماع أنه إذا اعتدي على شبر من أراضي المسلمين أصبح الجهاد بالنفس والمال فرض عين على كل تخرج المرأة بدون إذن زوجها- ولكن مع محرم-، والولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دائنه. فإن قصروا أو تكاسلوا أو يكفوا توسع فرض العين على من يليهم على شكل دائرة، وثم وثم إلى أن يعم فرض العين الأرض كلها فرضاً لا يسعهم تركه لصوم.

قلت نصوص الفقهاء والمحدثين والمفسرين في القضية، وعرضت الفتوى تحت عنوان (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم ان) عرضته على فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز، وابن عثيمين، وعمر سيف، وسعيد حوى، وعبد الله علوان، وحسن أيوب، المطيعي، ثم وافق عليها الشيخ الألباني، كلهم اتفقوا على أن الجهاد الآن فرض عين في أفغانستان، ولم يخالف في هذا لشيخ عبد العزيز قال: إن الجهاد فرض عين مع استئذان الوالدين، فقلت: يا شيخ عبد العزيز ما سبقك بهذا أحد من ن: [ففيهما فجاهد]، قلت: الحديث الآخر [والذي بعثك بالحق لأتركنهما وأجاهد] قال: الحديث الأول أقوى، حجر جمع بين الحديثين بأن الحديث الأول في فروض الكفاية [ففيهما فجاهد]، والحديث الثاني في فروض الأعيان، فرض عين، وأخيراً قال: يا شيخ عبد الله أنت تبقى على فتواك وأنا أبقى على فتواي.

شيخ ابن عثيمين والألباني فأفتوا بأنه فرض عين ولا استئذان للوالدين إلا إذا كان وحيدهما وكانا بحاجة إليه، وأما بقية فرض عين، قلت لحسن أيوب فرض عين كالصوم؟ قال أشد، لأن تارك الصوم يضر نفسه وتارك الجهاد يضر أمة.

---

(٢) السيف.

يا أيها الإخوة: مهمتكم ثقيلة، وواجبكم كبير، والطبخة الأفغانية لقيام الدولة الإسلامية على النار، كادت تنضج، لم يبق عليها إلا القليل، فهل يضع كل واحد منكم عوداً تحت هذه الطبخة ليأكل العالم الإسلامي طبخة لم يذق أشهى ولا ألذ منها عبر قرنين؟

يا أيها الإخوة: المهمة ثقيلة، والأمر صعب، والأمانة غالية، ولا بد من تأدية الأمانة، لا عذر لأحد أبداً، لا لدعاة الإسلام، ولا لغيرهم، كنا نقول: نريد شبراً من الأرض نقيم عليه دولة الإسلام، الآن أمامنا ستمائة وخمسون ألف كيلو متر مربع مساحة أفغانستان نقيم عليها دولة إسلامية.

كنا نقول ليت واحداً في المائة من الشعب يلتفون حول أبناء الدعوة الإسلامية وقيادتها حتى نقف أمام الطواغيت، الآن شعب بكامله يلتف حول أبناء الدعوة الإسلامية، سياف وحكمتيار ورباني وخالص.

كنا نقول: ليت عندنا بعض السلاح حتى نقف أمام هؤلاء الكفار، الآن عشرة ملايين منهم حوالي مليون مسلح، يحمل السلاح في أرض المعركة ووراء أربعة من أبناء الدعوة الإسلامية.

فماذا تريدون؟ ماذا تريدون؟ تريدون فعلاً قيام دولة إسلامية في الأرض، تريدون أن تبنوا داراً لهؤلاء الأيتام المشردين في الأرض؟ المسلمين الضائعين الذين هم أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام، المشتتين كالغنم في الليلة الشاتية، نريد أن نرى هذه الدار، دار الإسلام، أرض الإسلام، التي تؤوي المسلمين في كل مكان، فهل أنتم جادون في قضيتكم؟ إن كنتم جادين فحي هلا إن كنت ذا همة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

[1]**سؤال:** فضيلة الشيخ كيف يتسنى لبعض العلماء الذين أفتوا بأن فريضة الجهاد متعينة في أفغانستان على المسلمين جميعاً، كيف يتسنى لهم هذا وهم جالسون في أماكنهم لا يجاهدون؟ فهل هذا يعقل أن تكون فتواهم منطبقة على كل المسلمين، أم أنها على أهل أفغانستان؟ فكل هذه الأسئلة تدور حول هذا المعنى؟

الشيخ: هم يقولون فريضة عين على العرب، ونحن عندما نقول فريضة عين... فرض عين يعني كالصلاة والصوم، تارك الجهاد كتارك الصوم كالمفطر في رمضان وهو صحيح مقيم، هذا يجب أن يكون معلوماً، لكن فريضة عين ليست في أفغانستان وحدها، فريضة عين في فلسطين، في الفلبين في لبنان في اليمن الجنوبي في الدول التي حاربت الإسلام جهاراً نهاراً.

فأنت كفلسطيني إذا استطعت أن تجاهد في فلسطين والجهاد هو القتال هكذا عرفه جميع العلماء، الجهاد هو القتال، ذبح، هذا هو الجهاد، فإذا استطعت أن تحمل السلاح في فلسطين فاحمل، وإذا استطعت أن تحمل السلاح في أفغانستان فاحمل، لا بد أن تؤدي فريضة القتال.

أما بالنسبة للعلماء والحمد لله، معظمهم ساقط عنهم فرض العين الذي أفتوا، لأنهم أعذرهم الله عز وجل

(ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) (الفتح ١٧)

فمعظمهم كبار في السن قد طعنوا، قد بلغوا من العمر عتيا، أو في جسده عدة أمراض، معظم الذين أفتوا بهذا هم بهذا الشكل، وإذا أفتوا وقعدوا فأفضل من الذين يقعدون ولا يفتون، هؤلاء أفتوا واعترفوا بالفريضة ولكنهم قصروا بالجهاد، هنالك أناس يحرفون الكلم عن مواضعه من أجل أن يبرروا قعودهم عن الجهاد، فهاتان جريمتان.

سؤال آخر عن موقف الشيعة الأفغان والإيرانيين من مساندة المجاهدين.

جواب: الإيرانيون للأسف موقفهم ليس طيباً، يعني لا يرضي صالح المؤمنين، أولاً ما ساعدوا المهاجرين، ما سمحوا للمنظمات لا صليبية ولا إسلامية أن تدخل لمساعدة المهاجرين، المهاجرون في إيران -الحقيقة- يعاملون معاملة أقل من معاملة الحيوانات، تطاردهم الدعايات، يقولون : لا تدخل الأفغاني لا في مطعمك ولا في متجرك أو فندقك أو دكانك، لأنهم قذرون، لأنهم مصابون بالأمراض السارية، إذا أراد أحد أن يرسل مساعدات عن طريقهم يمنعونها ويوقفونها على الحدود، لماذا؟ طبعاً الجواب حاضر: صناعة أمريكية وهي مصنوعة في باكستان !!!، فإن قيل لهم صناعات باكستانية، يقولون هؤلاء عملاء أمريكا، كثيراً ما تطوف السيارات بالشوارع تجمع الأفغانيين الذين ليس معهم بطاقات من الثورة، من الدولة الإيرانية، وترميهم في داخل أفغانستان ويقتل بعضهم!! الإذلال الذي يتعرض له المهاجرون الأفغان على الحدود، لأن هنالك ثمانمائة كيلو متر حدود بين إيران وأفغانستان، والولايات الثلاثة(نيمروز وفراه

---

(١) قال عريف الحفل على حرارة هذه الكلمات وصدقها والتي نرجو الله أن تكون باعثة للهمم، موقظة للأرواح، متفجرة للطاقات، وأن تكون سبيلاً لشباب الإسلام ودعاة الخير، ينطلقون من ورائه لنصرة هذا الدين في واقع الحياة، وليس لكلمته من مزيد أو تعقيب، فإن الوقت قد حاصرنا، وهنالك جمع من الأسئلة حاشد ينتظر إجابة فضيلته عليها، لا يتسع لشرحها كلها، ونتناول

ومرات) هذه على حدود أفغانستان، هؤلاء مضطرون أن يهربوا بالنساء والشيوخ إلى إيران، يعني يذلونهم كثيراً على الحدود، تصوروا في مدينة كبيرة عندما يقولون في هذه المدينة ممنوع أن يباع الخبز للمهاجرين الأفغان أو المجاهدين إلا من فرنين، مدينة كبيرة، ولذلك تجد المرأة الأفغانية تصلي الفجر وتذهب إلى باب الفرن حتى يصلها الدور بعد ثلاث ساعات، أربع ساعات حتى تشتري ثلاثة أرغفة وتعود إلى بيتها، يمنعوهم أن يشتروا من المحلات العامة، بالإضافة إلى منعهم إقامة مساجد، إقامة مدارس وهذا بخلاف الوضع تماماً في داخل باكستان، في داخل باكستان يعاملون معاملة الباكستانيين، أما في إيران أنت تكون في هذا المخيم وبجانبك أختك في مخيم قريب ، إذا أردت زيارة أختك فلا بد لك من تصريح من الدولة قد تستغرق إخراجه إن وافقوا ثلاثة أشهر، في يوم واحد هاجرت أربعة آلاف أسرة من إيران إلى باكستان، في باكستان حرية التنقل، حرية البناء، حرية التجارة، حرية المعاملة، الحدود مفتوحة ألفين ومائة كيلو متر.

لله نقول: إن ضياء الحق يقف موقفاً مشرفاً حتى الآن، ونرجو الله أن يثبته إلى النهاية، لا ندري تزيد الضغوط الأمريكية في المستقبل عليه فيخضع للحلول السياسية الأمريكية أو غيرها، أما الآن حتى الآن فهو واقف موقفاً مشرفاً، ودائماً يعتز أنه واقف بجانب الجهاد الأفغاني، التسهيلات على الحدود، سيارات المجاهدين، الحقيقة موقف باكستان مختلف تماماً عن موقف إيران.

ولو كان موقف إيران تجاه جميع المهاجرين واحد لكان مقبولاً، كنا نعذرهم في بداية الأمر أن هنالك حرباً قائمة قد أكلت الأخضر واليابس في إيران، لكن معاملتهم للشيعة غير معاملتهم لأهل السنة، معاملتهم لأهل الشيعة بالتكريم والإحترام، أما لأهل السنة فبالإحتقار والإزدراء والإهانة.

الآن سائق التكسي في طهران في مشهد إذا عرف أنك أفغاني لا يقف لك مع أنك ستدفع له الأجرة، سيارات الأجرة لا تقف لك أبداً، فنرجو الله عزوجل أن يهديهم.

الشيعة في داخل أفغانستان يشكلون حوالي (٧٪) حوالي مليون وربع في داخل أفغانستان، والشيعة في داخل أفغانستان ثلاثة أقسام، قسم مع الدولة الشيوعية يقاتل المجاهدين، وقسم ملتزم الحياد وهؤلاء نجت دورهم وقراهم من الضرب بالطائرات والدبابات، وقسم يقاتل ضد الدولة وهؤلاء أربعة عشر حزباً تقريباً، قسم مع إيران وقسم ضد إيران والخلافات قائمة بينهم.

سؤال: ألا ترى أن زيارة يونس خالص إلى أمريكا تعتبر هزيمة سياسية ومعصية كبيرة؟

الشيخ: إن شاء الله ليست.... يمكن أن تكون من الناحية السياسية ليست ناجحة، أما معصية ليست معصية، هذا رئيس دولة يحق له أن يقابل أي واحد في العالم.

الرسول ﷺ كان يقابل الكفار، ويقابل المنافقين، ويقابل المشركين، ويقابل المسلمين، فهذا رئيس دولة الآن، ودولة المجاهدين أكبر من أي دولة عربية، جيشها حوالي ثلاثمائة ألف، أي دولة عربية عندها ثلاثمائة ألف مسلح مجاهد في داخل المعركة، فهذا يمثل دولة قائمة، لكن ماذا دار في اللقاء؟ هذا الذي يحدد أنها ناجحة أو ترضي الله أولا ترضي الله.

سؤال: ما هو سبب تبديل سياف بالنسبة لرئاسة قيادات المجاهدين؟

جواب: الحقيقة هنالك أسباب وظروف كثيرة بالنسبة إلى الشيخ سياف، الشيخ سياف انتهت إمارته للإتحاد الإسلامي لجهادي أفغانستان منذ سنة (١٩٨٥م)، وبعد هذا العام قام هذا الإتحاد وصار ناطق رسمي باسم هذا الإتحاد كل ثلاثة أشهر، هذا العام مددوا مدة يونس خالص خمسة عشر شهراً، الآن هو الناطق الرسمي باسم الإتحاد الإسلامي لمدة خمسة عشر شهراً قادمة.

سؤال: (من جهز غازياً لقد غزا) هل يعفي هذا من الجهاد بالبدن؟

الشيخ: يعني إذا كان لا يستطيع أن يأتي للجهاد بنفسه فيجهز غازياً، وإن جهز غازياً وهو جالس وصحيح مقيم ، هذا يخفف عنه الحساب يوم القيامة إن شاء الله، تجهيز الغازي لمن أراد أن يجهز غازياً ألف دولار ثمن الكلاشنكوف، وألف وخمسمائة دولار طعامه وشرابه ولباسه وذخيرته طيلة سنة كاملة، ألفين وخمسمائة دولار لمن أراد أن يجهز غازياً.

سؤال: بالنسبة لدوائر الإعلام الأمريكي أفادت أن روسيا سوف تغادر أفغانستان كما يقول السائل في مايو عام (١٩٨٨م)، ما مدى صحة هذه الأخبار؟ وما موقف المجاهدين؟ هل يتوقف الجهاد بخروج روسيا؟

جواب: المجاهدون الآن... كما أن روسيا في موقف صعب جداً، المجاهدون كذلك في موقف صعب من الناحية السياسية، روسيا جادة في الخروج والله أعلم لأنها مضطرة، وجورباتشوف كما يقول(همر) مبعوثه يقول أن جورباتشوف جاد في الخروج لأسباب داخلية وخارجية، وهم يخشون كما يقول الأمريكان أن يخترق الإسلام روسيا ويسقط الإمبراطورية الروسية ويدخل أوروبا مرة أخرى،

وقد نزلت في الأسواق الأمريكية كتب تقول بهذا أن الأفغان سيهزمون روسيا، وستتحرك الولايات الإسلامية الواقعة تحت حكم روسيا وتسقط الإمبراطورية الروسية، وسيدخل الإسلام أوروبا مرة أخرى، والرسول ﷺ بشرنا. (**سئل أي المدينتين تفتح أولاً أقسطنطينية أم رومية؟ قال: بل مدينة هرقل أولاً**)، يعني أولاً القسطنطينية، وفتحت القسطنطينية سنة (٨٥٧هـ) بعد الحديث بثمانية قرون ونصف، وستفتح روما، ولا تستغربوا أن أحداً منكم سيكون محافظاً لروما إن شاء الله... يضحك غير مصدق!(1) سيكون أحدكم أو أحد أبنائكم إن شاء الله محافظاً لروما، لن يطول الأمر، الآن هذا الخوف العالمي والرعب العالمي من أن ينطلق الإسلام، والعالم الغربي خاو، لا أظن أن روسيا تستمر أكثر من قرن، ما أظن... منهارة من الداخل، فكيف إذا كان في داخلها قوة مجاهدة تتوكل على الله وتحمل السلاح؟ ستنهيها إن شاء الله.

والرسول ﷺ قال: {**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر إلا ويدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل**} حديث صحيح أخرجه أحمد وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، لا يبقى بيت إلا ويدخله الله هذا الإسلام.

والحضارة الغربية منهارة من داخلها، البيت ممزق، الإنسان ضائع، الانتحارات، الأمراض، لكن رنين الحديد وأزيز الطائرات لا زال يغطي على عيوب الحضارة الغربية ويمد في حياتها قليلاً، لكن روسيا ما أظن أنها ستستمر خمسة وعشرين سنة، أكثر من خمسة وعشرين سنة ما أظن أن تستمر، وقد تنهار الحضارة الغربية خلال نصف قرن، والله أعلم هذه توقعاتي (**إنهم يرونه بعيداً ونراه قريبا**)، أنا أحس أن هذا قادم إن شاء الله لكن شدوا حيلكم وتعالوا إلى أفغانستان.

سؤال أخير:

يقول أرجو أن توضح أن سقوط الأقصى إنما كان بسبب خيانة الحكومات وليس من الشعب الفلسطيني، وأرجو إعطاء الفلسطينيين حقهم، فهم الآن يحاربون بالحجارة كما بدأ الإخوة الأفغان، وما هو دورنا هنا مما يحدث هذه الأيام في قطاع غزة؟

جواب: أنا قلت أن الحكام نحن أعطيناهم نصيبهم الوافر، لكن لا تنس أن الشعوب كذلك قصرت كثيراً، ألم يفتح الجهاد سنة (١٩٦٧-١٩٧٠م) في الأردن؟ من الذي جاء للجهاد؟ من الذي جاء للجهاد سنة (١٩٦٩-١٩٧٠م)؟ ما جاء من أصحاب الوظائف ومن أصحاب المستويات الإجتماعية إلا القليل القليل، ما جاء إلا الذين ليس لهم عمل إلى المنظمات الفدائية، يجب أن نكون منصفين، يجب أن نكون صادقين، أما الشعب الفلسطيني فكل ما أتمناه إن شاء الله أن يسقط الله على يديه إسرائيل وينتهون من إسرائيل، أنا الآن مطمئن بعد أن رأيت أفغانستان وشعرت بالعزة وشعرت أني أعز إنسان على الأرض، لأني أحمل هوية الإسلام وجنسية هذا الشعب، شعرت أن أمر فلسطين أمر سهل جداً، وألف شاب مستعدون للموت ينهون وجود إسرائيل، ألف شاب مستعدون للموت، يبايعون على الموت.

قال لي أحدهم: القنبلة الذرية عند إسرائيل ماذا نصنع؟ قلت له: القنبلة الذرية هل تفرق بين الفلسطيني واليهودي، اتركوهم يحرقون اليهود والفلسطينيون وأنتم الساكنون في أمريكا من الفلسطينين إن شاء الله تعمروها.

أنتم أيها الفلسطينيون إن كنتم جادين فعلاً في الجهاد إرجعوا إلى فلسطين، إرجعوا إلى فلسطين، جاهدوا، تقول أنا لا أستطيع أن أجاهد في فلسطين تعال تدرب، تعلم عندنا حتى ينكسر حاجز الخوف، تدرب كيف تضع قطعة متفجرات تحت سيارة الحاكم الإسرائيلي في نابلس وتفجره وتفجر سيارته، كيف تغتال جندياً إسرائيلياً من بعيد، كيف تفجر مبنى منْ مباني الحكومة الإسرائيلية بمتفجرات بالريموت كونترول، تعال حتى ترتفع همتك وتنضج شخصيتك وترتفع اهتماماتك ويصبح الموت والحياة عندك سيان، أي شاب عربي وصل إلى أفغانستان... الآن الذي يمر في ذهنه كيف أنقل هذه الصورة إلى أرض المسجد الأقصى إلى الساحة المباركة، لأنه هان في نظره روسيا، ماتت روسيا فكيف لا يهون اليهود... الآن تقول للأفغان روسيا العظمى... الكبرى... الاتحاد السوفياتي يبتسم إبتسامة عريضة... يضحك ويقول: هذه روسيا العظمى المهزومة أمامنا كالفئران والأرانب، تعال اكسر حاجز الخوف.

صدقوا أيها الإخوة بالنسبة لي الآن الموت والحياة كلها سيان، في كل لحظة أنا مستعد أن ألقى الله... أن ألقى الموت... برصاصة في أمريكا، في بيشاور، في أفغانستان، في الأردن، في أي مكان، مستعد ما دامت النية منعقدة أني أستمر في الجهاد حيث كنت، والله سيأخذني شهيداً ما دامت النية منعقدة.

{**من وضع رجله في الركاب فاصلاً فرقصته دابته فمات -رمته دابته-، أو لدغته هامة -أفعى- فمات، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد**} وفي رواية {**وأن له الجنة**} .

(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين، ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم) (الحج ٥٨-٥٩)

الشعب الأفغاني الآن تقول له: أنت تحب الشهادة؟ يقول الآن لا أحب الشهادة، لا أحب الموت، اللهم حرر على أيدينا كابل ولا تمتنا إلا في ساحة المسجد الأقصى.

مقومات الوحدة الإسلامية <ب>*

.... [1] وانطبق الظلام على الأفق، ولم يعد يرى أي بصيص أمل ولا بارقة نور في كل الأرجاء، أراد رب العزة بحكمته أن يثبت لهم أنه هو الله الواحد القهار، وأنه بيده الأمر، وأن أي مجموعة صادقة من الأمة تتمسك بدينها وتضحي له فإنه ينصرها ولو بعد حين.

أيها الإخوة: من كان يظن أن روسيا بنفسها الآن تطلب من الأمم المتحدة أن تتوسط لها حتى يجلس معها المجاهدون، روسيا تجثو على الركب، فيطلب الأمين العام للأمم المتحدة من الأستاذ رباني يقول له: الروس يريدون أن يلتقوا معك. قال: بشروط:

الشرط الأول: لا نقاش حول مستقبل الحكومة القادمة، شكل الحكومة القادمة ليس في موضع النقاش ولا يطرح للبحث.

ثانياً: الحزب الشيوعي في أفغانستان غير قابل للنقاش، أمر مضى التاريخ، وسيخلفه تحت عجلاته إلى مزابل التاريخ، فقط إذا كان الروس يريدون أن يناقشونا، يناقشوا فقط عن تأمين الإنسحاب لقواتهم التي تعيش كالفئران في داخل كابل.

والله ما كنا نظن على المستوى البشري وفي الأفق الإنساني الضيق أن الله عز وجل سيمن على أفقر الشعوب وأكثرها أمية وأكثرها تخلفاً في الصناعة والسلاح وكل شيء، هذا الشعب أنه سيفرض احترامه على العالم كله... لكنه الجهاد الذي فيه الحياة.

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)

قال بعض المفسرين: الحياة هنا هو الجهاد، لأن الأمة التي لا تغزو تغزى فتموت، والتي تغزو إما أن تنتصر فتحيا وإما أن تقتل فتحيا.

ولا يبني الممالك كالضحايا	*ولا يدني الحقوق ولا يحق*
ففي القتلى لأجيال حياة	*وللأسرى فدى لهمو وعتق*
وللحرية الحمراء باب	*بكل يد مضرجة يدق*

ماذا خسر الأفغان؟ والله ما خسروا شيئاً، نعم فقدوا مليوناً ونصف المليون من الشهداء، لكن هذه البقعة فرضت احترامها على الأرض كلها.

أمريكي اليوم وأنا قادم بالطائرة يسأل من أين أنت؟ قلت له أنا من أفغانستان، وإذا به يبتسم، يعرف أن هذه القبعة هي قبعة الأفغان التي أذل الله على يديها ألد أعدائهم روسيا، كيف يمكن لشعب مسلم فقير متخلف أن يصل إلى هذا المستوى لولا أن الله أعزه بالجهاد.

- والآن في بيت المقدس أطفال بالحجارة رفع كل مسلم بهم رأسه عالياً، وهامته شامخة تناطح السحاب وتجاوز العباب، حجارة حتى الآن ما أطلقوا الرصاص، لكنه استعمال القوة وإن كان حجراً، وسيكون لهذه الانتفاضة المباركة... انتفاضة الجهاد المبارك نبأ (ولتعلمن نبأه بعد حين).

أول الغيث قطرة ثم ينهمر، ومعظم النار من مستصغر الشرر، والشعوب فقط تحتاج والله إلى من يقودها، الأمة فيها خير، فيها قوة، فيها قوة كامنة، وبالإمكان أن تفجر هذه الطاقات بشرط واحد: أن تستعد مجموعة صادقة للموت، فهل نحن مستعدون للموت؟ لما توهب لنا الحياة، {اطلب الموت توهب لك الحياة}.

والندوة موضوعها أثر الجهاد في توحيد أبناء الأمة الإسلامية، القلوب بيد الرحمن وهو الذي يوجهها كما يشاء، فإذا صدقت ألف حولها الأفئدة، والتفت حولها القلوب، (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) أي محبة في قلوب الناس،

---

* شريط: ٢٢٦.

(1) لم نعثر على بداية الشريط، محاضرة ألقيت في الولايات المتحدة عام (١٩٨٨م).

وما رأيت محبة ولا ألفة بين الإخوة ولا صلة أوشج ولا أوثق من تلك التي تقوم فوق أرض الجهاد، بين البراكين الثائرة وتحت نيران القصف والحمم المتناثرة من فوقهم من السماء. إنسان يعيش معك على طريق الموت، ويعطيك عهداً أن يسير معك حتى يموت، أي بذل وأي عطاء وأية مودة يمكن أن تقوم أعظم من هذا؟!

الآن في أفغانستان دعونا الناس، وعندما أخرجت هذا الفتوى البسيطة (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) وعرضتها على فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز، وعلى ابن عثيمين، وعلى الشيخ عمر سيف، وعلى عبد المجيد الزنداني، وسعيد حوى وغيرهم، وكلهم استطابوها ولم يعقبوا عليها، وطالبنا ودعونا الشباب في العالم الإسلامي أن يقف بجانب القضية الحية الساخنة في الأرض، الآن معركة حق وباطل، معركة كفر وإيمان، معركة القرآن ورأس المال، معركة ماركس مع رسول الله ﷺ، فبدأ بعض الشباب يأتون، وتعرفون أن الجهاد مكروه إلى الحكام في الأرض جميعاً، لأن الجهاد تنظيم مسلح، اجتماع تنظيمي مسلح، والاجتماعات حتى في بيت الله بعد الصلاة ممنوعة، والتنظيمات محرمة وليست مشروعة، والسلاح من الموبقات الثلاثة عند كل الحكام في الأرض.

والله لا أدري حتى الآن كيف بارك الله عز وجل بهذا التجمع! وكيف أفلت من الأيدي التي تآمرت عليه منذ أربع سنوات تقريباً لتجهضه وتخنقه! لكن أرض أفغانستان واسعة، والله عز وجل تكفل بالدفاع عن الذين آمنوا، جاء المصري والسعودي والأردني والفلسطيني ومن كل العالم، كان بعض إخواننا من العالم العربي ومن فلسطين بالذات يلومونني يقولون: أنت مشغول بغير القضية الفلسطينية، وقضية فلسطين هي قضيتنا الأولى، فكنت أقول لهم أبيات متمم بن نويرة:

لقد لامني بين القبور على البكا صديقي	*لتذراف الــــدموع الســوافــك*
فقــال أتبــكي كل قبر رأيتـــه	*لقبر ثــوى بـين اللوى فالدكـــادك*
فقلت له إن الشــجا يبعث الشجــا	*فدعنــي فهــذا كــله قبــر مــالك*

كل القضايا الإسلامية هي قضية فلسطين، وكل القبور هي قبر مالك، لأنه يثير الأشجان، وينكأ الجراح، ويحيي الحنين، ويجدد اللوعة والحزن، ومضت الأيام وبنو قومي يكادون يزلقونني بأبصارهم وأنا أتكلم عن قضية ساخنة طاحنة، ووصلنا إلى هذا اليوم، فمن الذي نفع فلسطين أكثر؟ أنا الذي في أفغانستان أم الذين كانوا يلومونني؟ لقد جاءنا الشباب الفلسطيني إلى هناك وغير الفلسطيني وتدربوا، وصفت نفوسهم، وأشرقت أرواحهم، وانكسر حاجز الخوف، وأخذوا الدربة والحنكة، وأصبح كل واحد منهم يتقلب على شوك الغضا، يؤرق الحنين إلى الأقصى أجفانه، ويقلب الحب إلى الأرض المباركة جوانبه بعد أن أصبح الآن جندياً مستعداً أن يموت، إذاً العمل مع أية قضية إسلامية في الأرض هو عمل لقضيتك إن كانت إسلامية، والذين ظلوا يدورون في داخل الوحل والطين ويذكرون وشائج الترب والنسب ما أفادوا فلسطين ولا أفادوا غيرها من القضايا الإسلامية، نحن الآن على أبواب النصر في أفغانستان إن شاء الله، وإن شاء الله لن يطول العهد حتى تزورونا في كابل إن شاء الله، ولعل عيد الفطر القادم يكون الملتقى في حدائق بغمان أو في خير خانه في داخل كابل.

كيف هذا؟ كيف وصلوا إلى هذا المستوى؟

إذا كانت الدولات قسماً فإنهـــا	*لــن ورد المــوت الزؤام تــدول*
لمن هون الدنيا على النفس ساعة	*وللبيض في هام الكماة صلـــيل*
فلا صلح حتى تعثر الخيل بالقنا	*وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم*

عندها صلح، أما الصلح بمستوى الذل بين أروقة الأمم المتحدة، نرجو هذا اليهودي وهذا النصراني نترقرق على أبوابهم ونقبل أعتابهم

ذل من يغبط الذليل بعيش	*رب عيش أخف منه الحمام*

في الطائف اجتمع رباني مع هؤلاء، رفض رباني أن يدخل أولاً، قال: يجب أن تدخلوا أولاً أنتم الروس حتى يقوم الروس للمسلمين ولا يقوم المسلمون للروس.

جنرالات، قادات كبار يطلبون من أحمد شاه مسعود أن يلتقوا به، فقبل، قالوا نلتقي في مكان وسط، قال: لا نضع رهائن وتضعوا رهائن، قال: لا، أنتم تأتونني، وجاءوا إليه، وكتبوا شروطهم وكتب شروطه، والقصة طويلة، لكن أنا أقطع مقطعاً منها، كتب شروطه، هذا بعد تمهيد طويل، فعندما رأى شروطهم مجحفة به أولاً عقد هدنة معهم لمدة ستة أشهر، ثم تغيرت، مات أندروبوف وجاء چرينينكو، وقال: جاءت لجنة جديدة وقالت: إنك خدعت اللجنة القديمة وسجنت اللجنة القديمة وأرسلوا له شروطاً جديدة، هذه الشروط

اجمعوا زروعكم فإنني أريد أن أخوض معركة ضد الروس، قال: وبعد أسبوعين لبس لباسه وحمل الكلاكوف، -الكلاكوف غنيمة من الروس- وذهب إليهم، وضع إكس، شطب على ورقتهم وشروطهم هذه ووضع شروطاً لا يمكن للروس أن يقبلوها، فعندما رأوا قدم إليهم ورقتهم هكذا بالخط الأحمر العريض قد ألغاها وقدم شروطه القاسية الشديدة، ليست مثل الشروط السابقة، تزيدها صعوبة وقسوة على رؤوس الروس وعلى رقابهم، فعندما رأوها بدأت وجوههم تحمر وتربد وتصفر، لم يطيقوا جلوساً، قالوا له: تأذن لنا أن نخرج خارج الغرفة دقائق؟ قال: اخرجوا، خرجوا خارج الغرفة ودخنوا السيجارة والسجائر ثم رجعوا وقرأوها، فعندما قرأها أحدهم لشدة الغيظ الذي يغتلي صدره رمى ورقة أحمد شاه مسعود هكذا بغير أدب، فجمعها بيده ثم رمى بها في وجهه وقال أخرج من هنا لأنك قليل أدب، بدأ الجنرالات الروس يرجون أحمد شاه مسعود: هذا يعني تعجل واسمح له ويعني نطلب أن تعفو عنه، قال لا يمكن إلا أن يطرد خارج الغرفة، وأصر وأخرج الروس، هؤلاء الجنرالات الذين يخططون لحرب حلف الأطلسي ولحرب أمريكا يذلهم جندي من جنود محمد ﷺ.

أي عزة هذه؟ أي رفعة؟ استعلاء الإيمان (**وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**)، عندما صدق الناس اشتركت معهم الأرض والسماء، وأحبهم رب الأرض والسماء، ووقفت معهم بمشاعرها كل القلوب التقية وكل النفوس الزكية التقية، تخلى الناس عنهم أجمعين.

ـ الحقيقة أن الأمة الإسلامية لم تقدم كثيراً في قضية أفغانستان، لم تقدم الأمة الإسلامية لقضية أفغانستان ثمن الخبز، لأنهم يحتاجون يومياً... المهاجرون في باكستان يحتاجون يومياً عشرة ملايين رغيف، أي عشرة ملايين روبية، نصف مليون دولار خبزاً يومياً، وهذا المقدار لم يقدم من الأمة الإسلامية كلها، ما قدموا كثيراً... نحن نلتقي بكم من العام إلى العام، يدفع الواحد منكم مائة دولار يرجع مسروراً أنه قدم للقضية، لكن الذين قدموا هم الذين في الساحة، صدقوا أيها الإخوة إن الذي قدمه الشعب الأفغاني لا يستطيع أي شعب من الشعوب في الأرض أن يقدم عشره.

قبل شهرين أنا كنت في رحلة للشمال، وصلنا قرب الولايات التي على حدود روسيا، الجبال التي تعترضنا ترتفع أربعة آلاف متر فوق سطح البحر، ويطلب منك أن تتسلقها، وزاوية الميل قد تصل في بعض المناطق إلى سبعين درجة، واقف هكذا، وقد تحول الثلج إلى جليد، ومطلوب منك أن تتسلق الجبل، ولا تضع قدماً إلا وتنزلق أو تتوقع الانزلاق، ومن فوق قمة الجبل التي لا تبلغها إلا بشق الأنفس بعد أن تبلغ القلوب الحناجر، تجد الأفغاني الذي يحمل حماره أو بغله بمتاعه وذخيرته ينزلق الحمار من فوق قمة الجبل ثم يهوي ويلحق صاحبه يحاول أن ينقذه من الموت، ثم يدركه اليأس ويتركه إلى مصيره إلى الهاوية حيث يموت، لا تقل الأمر سهل... الدرب صعب... صعب.... درب الجهاد شاق.... شاق.. شاق.. لكن الله تكفل بالعون وتكفل بالمعية (**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**).

تصور عندما يستغرق صعود جبل ونزوله عشر ساعات متواصلة، وأي حمار أو بغل ينزلق من فوق هوة الجبل قد يأخذك بطريقه يهوي معه *إلى القعر* حيث لا قرار ولا استقرار.

كنت أصعد الجبل لا أستطيع أن أحمل الجاكيت -هذا- بيدي، أضعه على الحصان الذي أستأجره، وكان صاحب الحصان أفغاني اسمه دين محمد... الجاكيت لا أستطيع أن أحمله... أضعه على الحصان وأمشي على أربع، على أربع! لا أستطيع أن أمشي على قدمين، وأتمنى أن أجد كمية من الطين حتى تنغرس بها رجلي، أو حماراً ميتاً حتى أتكئ عليه، أو حجراً يمكن أن يمسك أصابعي، عند قمة الجبل وقلبي مشغول كيف يمكن أن أصل الجبل، مائة متر بقيت... لكن أنّى لي أن أتسلقها ومنظر لم أستطع أن أتمالك فيه نفسي وانفرطت ضاحكاً بقهقهة، رأيت حماراً يهوي من قمة الجبل وصاحبه يحاول أن ينقذه من الموت، ثم يدركه اليأس ويتركه لمصيره الهاوية، وعند قمة الجبل يأتيني صاحب الحصان وأشار لي هكذا بعلامة نهاية الدعاء، قال: شيخ (أسب مرد) مات الحصان.

هل علمتم أن البغال تنتحر؟ البغل ينتحر... يصل به الإعياء إلى حد أن يقف على رأس الجبل ويلقي بنفسه للهاوية حتى يتخلص من التعب والمشقة والضنك الذي وصل إليه.

وما كان يتردد في ذهني في تلك المسيرة إلا بيت شعر للشاعر:

لا أبعد الله عن عيني غطارفة   *جناً إذا ركبوا إنساً إذا نزلوا*

وكان أكثر ما يؤثر في نفسي وأنا أفكر السمْك وعلو الكعب والمنزلة الرفيعة التي وصل إليها الصحب الكرام الذين فتحوا هذه البلاد دون سابق معرفة، وبدون أن يعدوا لها هذا الإعداد، وكنت أقول في نفسي لا يوجد فئة في الأرض يمكن أن تكون قد أثابها الله أكثر من الفئة التي فتحت مثل هذه البلاد، ومن أيام عمر ومن أيام عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

يمرّ بهذا التعب بعض الناس عندما يقرأون آيات الرحمن يظنونه ضرباً من الأوهام اخترعه الشيخ عبد الله عزام، ويظنون أن النصر جاء بالكرامات، النصر جاء بالعرق وبالدماء وبالأشلاء وبالجماجم، وهذا الطريق، مروي بالدم، مفروش بالأشلاء، محفوف مزكى

داخل حصونهم في الدبابات أو في القلاع، لكن لا أظن أنه يقل عن خمسين ألف روسي، وأما المليشيا الأفغانية التابعة للدولة الشيوعية فأكثر من مائة ألف.

هذه الإحصائية يعني دمر في داخل أفغانستان أكثر من ضعفي ما يملكه اليهود من طائرات ودبابات، وماذا عند الأفغان؟ عندهم لا إله إلا الله، عندهم (ومن يتوكل على الله فهو حسبه)، عندهم (أليس الله بكاف عبده) ما رأيت شعباً يتوكل على الله في قضية الموت والرزق مثل هؤلاء، ببطون خاوية وجيوب خالية وأقدام حافية ساروا هذه المسيرة المريرة، وتجرعوا الغصص، وتكبدوا الآلام على طول الطريق، وكأن الواحد منهم يقول:

إني لمن قوم كأن نفوسهم بها — *أنف أن تسكن اللحم والعظما*

وختاماً نهدي إلى الشعب الأفغاني وإلى الشعب الفلسطيني الذي نقل فلسطين نقلة واسعة بعد أربعين عاماً بعد أن ظننا أنهم قد وصلوا حافة الموت وغرقوا في مستنقع اليأس الذين انتقلوا هذه النقلة البعيدة تحية لهم ننشد مع أبي الطيب:

وصن الحســـام ولا تذله فإنه — *يشكو يمينك والجماجم تشهد*

جف النجيع عليه وهو مـــجرد — *من غمده فكأنما هو مغمـــد*

ريان لو قذف الذي أسقيـــته — *لجرى من المهجات بحر مزبـد*

يلقاك مرتديـاً بأحمر مــن دم — *ذهبت بخضرته الطلا والأكبـد*

ونرجو الله عز وجل أن يتقبل منا ومنكم....

ونظنه قريباً، **(ويسألونك متى هو قل عسى أن يكون قريبا)**.

الآن كابل تترنح لتسقط بعد أن جفف المجاهدون مواردها، موارد الدم إليها، خنقوا أوردتها، وقطعوا شرايينها، الطريق من روسيا إلى كابل من حيرتان إلى خير خانه في كابل وعبر ممر سالانج بيد المجاهدين، لا يمر للروس ولا لنجيب الآن رغيف خبز إلا بعد إذن المجاهدين، والطريق الباكستاني كابل طريق ممر خيبر طورخم كذلك بيد المجاهدين، ولذلك ارتفع كيلو الطحين إلى عشرين روبية، انقطع الدواء، قل الغذاء، قلت المواد في داخل كابل، خرج الشيوعيون مظاهرات ضد بعضهم البعض، أتباع بابرك كارمل وأناهيتا راتب زاد وغيرهم الآن خرجوا في مظاهرات ضد نجيب، نجيب سفّر زوجته إلى مزار شريف إلى شمال أفغانستان قرب روسيا حتى تهرب إلى روسيا، حاول أن يهرب عائلته إلى الهند أنزلها الروس من داخل الطائرة، الآن الحزب الشيوعي الأفغاني يأخذ جوازات سفر ويهرب إلى الدول الشرقية، نجيب، الوزراء، يرسلون يومياً إلى القادة، يرسلون رسائل يلتمسون منهم أن يخففوا عنهم الضربات، كبار رجالات الجيش، قادة المخابرات يرسلون إلى قادة الجهاد نريد أن نستسلم هل تعفون عنا؟ الروس تخلوا عن عملائهم، بل هنالك بعض المجاهدين الصغار الآن يشترون الشيوعيين من الروس، الروس يبيعون الشيوعيين، الشيوعي بدولارين ونصف، البغل بثمانمائة شيوعي قيمته بدولارين ونصف! نعم! الروس يبيعون لبعض المجاهدين الصغار، لأن المجاهدين الكبار والقادة يأنفون أن يتصلوا بالروس، الروس هم يتصلون بصغار المجاهدين يبيعون الطريق العام الموصل من روسيا إلى كابل، يبيعون الساعة بمائة وخمسين دولاراً، لك كل سيارة تمر بالشارع العام خذها وحمولتها إن كانت لدولة نجيب، فيدفع مائة وخمسين دولاراً وأنت ونصيبك، كم سيارة تمر تأخذها بمائة وخمسين دولاراً.

فأنا أحدث أمام مدير الجامعة الإسلامية، فقال هذا بيع باطل لأنه بيع غرر....

فالحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين، ولو كره الكافرون، والحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأسئلة[1]

سؤال: شيخنا المجاهد جزاكم الله خيراً، يوجد كثير من المسلمين يقولون أن المجاهدين انتصروا بفضل الأسلحة الأمريكية التي يشترونها بمبالغ باهظة، أرجو إعطاءنا فكرة عن حقيقة الأسلحة الأمريكية التي تروج لها وسائل الإعلام الروسية والأمريكية والعربية؟ جزاكم الله خيراً.

حقيقة الأسلحة الأمريكية؟

الشيخ: ليس هنالك سلاح أمريكي في الساحة أبداً، سوى صاروخ ستينجر، وقد جاء قبل سنة، تصوروا أحمد شاه مسعود عنده -كما قلت لكم- حوالي أربعمائة قائد ليس عنده إلا سبعة صواريخ ستينجر، وأمريكا أخذت ثمن كل صاروخ من أموال المسلمين سبعين ألف دولار وأنا متأكد من هذا.

سؤال آخر يقول: أليست الانتفاضة الإسلامية في فلسطين فرصة جيدة لعبد الله عزام لمزاولة الجهاد وتنظيمه داخل فلسطين، مع العلم أن هناك طرق كثيرة لدخول أرض فلسطين ولو كانت صعبة؟

الشيخ: بإذن الله، فقط انتظروا علينا قليلاً، يعني ثلاثة أربعة أشهر إن شاء الله تسقط كابل بإذن الله، إن شاء الله، إن شاء الله عز وجل سيفتح علينا ثغرة، وليست الثكلى كالمستأجرة، ونحن من هناك وجراحنا تنزو، وقلوبنا تهفو، ونرجو الله عز وجل أن يفتح ولا نقول أكثر من هذا.

سؤال يقول: حالياً ما هي الدول التي اعترفت بالحكومة الأفغانية؟ وكيف تم تشكيلها؟

الشيخ: ولا دولة اعترفت حتى الآن.

سؤال: هل من الممكن أن توضح لنا أن أسلحة ستينجر الأمريكية من دفع سعرها؟ لأن بعض الإخوة لا يزال لديهم هذه الفكرة غير واضحة تماماً وجزاكم الله خيراً؟ من دفع ثمن أسلحة ستينجر؟

الشيخ: من أين تدفع يا شيخ تميم؟

الشيخ تميم: أجب يا شيخ عبد الله.

الشيخ: نحن بلغنا -الحقيقة- أن السعودية هي التي دفعت ثمنها لباكستان، وباكستان دفعت ثمنها لأمريكا.

سؤال: ما هي نتائج اجتماعات الطائف؟ وهل صحيح أن الروس قد عدلوا عن العودة مرة أخرى أي سيبدأون الانسحاب مرة أخرى في شهر يناير المقبل؟ هل صحيح هذا الكلام؟

الشيخ: الروس يستحيل أن يبقوا في داخل أفغانستان، لا يستطيعون أبداً، جيش منهزم، منهار معنوياً، مدمر نفسياً، سألوا جندياً روسياً على التلفزيون الروسي، ونقل هذا المقطع التلفزيون الأمريكي، راجع من أفغانستان قالوا: كيف حالكم في داخل أفغانستان؟ قال: عندما نسمع الله أكبر نبول في ثيابنا، يعني جيش بهذا الحال هل يمكن أن يقاتل؟ يستحيل! يستحيل أن تستمر روسيا في داخل أفغانستان إلا إذا أرادت أن تدفن بقية جنودها في تربة الهلمند وفي جبال الهندوكوش، لا يمكنها أن تبقى، لا يمكن، كل الذي تطمع فيه روسيا أن تخرج ببقية ماء وجهها إن بقي في وجهها ماء.

سؤال: السؤال هنا تكرر من عدد من الإخوة، عدة أسئلة ويبدو أنه يحتاج للتوضيح منكم، عدة أوراق بنفس المعنى، أنت تقول أنه يمكن لأي أمة -المعنى- أن تقوم لها قائمة حتى يحيا الجهاد فيها، وتقول أن الجهاد هو أعظم نعمة للإنسان المسلم، فما بالك في الجماعات الإسلامية ومنها جماعة الإخوان المسلمين في العالم أين الجهاد في هذه المسائل؟ ولماذا لا يجاهدون؟ وشكراً[1].

الشيخ: الإخوان يجاهدون، كيف؟ أنا من الإخوان المسلمين[2]. نحن لله عز وجل نقول: الإخوان مقصرون، وكل الجماعات الإسلامية قصرت في قضية أفغانستان، لكن الإخوان قدموا، الحقيقة لهم رجال، ولهم في الداخل شباب والحمد لله رب العالمين، لكن نحن غير راضين عما قدموا حتى الآن، مع أني أنا منهم، لكن أنا غير راض عما قدموا.

سؤال: ما تأثير الانتخابات في باكستان على الجهاد الأفغاني؟

الشيخ: أفلت الجهاد من أيدي العالم كله، الآن خلاص تجاوز مرحلة الخطر، الحمد لله، ولا تستطيع الآن الدول الكبرى وروسيا وأمريكا... أن القضية أفلتت من يدها، لا بينظير ولا غير بينظير تستطيع الآن أن تخنق الجهاد، ولا يستطيع أحد، والأفغان الآن لا يستطيع أحد أن يقترب منهم أبداً، حاولت أمريكا محاولات شديدة، إرجاع ظاهر شاه، تكوين حكومة ائتلافية خليط من الشيوعيين والمسلمين، حاولت تكوين حكومة حيادية يعني حيادية عن الإسلام والشيوعية، لا هي مسلمة ولا شيوعية، دين ثالث، وحاولت وحاولت، ولكن المجاهدين كانوا في الحقيقة وقفوا موقفاً مشرفاً، يعني أعادوا إلى أذهاننا صور الصحابة الأوائل والله، والله مواقف كنا نقرأها بالسيرة ونظنها ذهبت ولن تعود، عادت على أيدي سياف وحكمتيار ورباني وخالص.

---

[1] الشيخ تميم يقول للشيخ: هذا سؤال محرج.

[2] الشيخ تميم يقول: وأنا من الإخوان المسلمين، ثم يقول: أنا أعتبر أخ ونصف لأن وزني مائة وخمسين كيلو، المائة أخ والخمسين نصف.

تعرفون أن حكمتيار رفض أن يقابل ريجان، وهو الشخص الوحيد في البشر الذي رفض أن يقابل ريجان.

أرمكوست وكيل وزارة الخارجية الأمريكية قابل سياف، فقال له أنتم أخبث أمة في الأرض، الأمريكان مجرمون سفاكون... مصاصو دماء، أنتم تكرهوننا وتكرهون الإسلام وتريدون أن تمنعونا.... هذا أرمكوست صار يفكر، هذا الذي أمامي بشر أم تيس جبلي كما يسمون الأفغان، صار يرتجف، واحمر وجهه، قال: لا، لا، نحن نحب الإسلام، ونحب تكوين دولة إسلامية.

يونس خالص: المبعوث الدولي كوردفيس -هذا وجه القرد- حاول كثيراً أن يقابل يونس خالص أيام أن كان رئيساً للاتحاد، فرفض، فذهب كوردوفيس إلى ضياء الحق، والمجاهدون يحبون ضياء الحق، نرجو الله أن يتغمده برحمته، وأن يجزيه خير الجزاء عما قدم لهذه القضية الإسلامية التي أعزت كل مسلم في الأرض[1]، والحقيقة يعني نحن فقدنا هذا الرجل وكأن قطعة من قلوبنا قد قطعت، أنا أتكلم عن نفسي، أما الذين يفهمون منكم كثيراً يقول (سي آي إيه) وأمريكا... إلخ، إن شاء الله يوم القيامة يلاقون الله بما يظنون، فهم يحبون ضياء الحق، راح كوردوفيس قال لضياء الحق إن يونس خالص رفض أن يقابلني، فاتصل ضياء الحق بيونس خالص وقال: يا يونس خالص إما أن تقابله وإما أن آتي معه إلى بيتك في بيشاور، قال: لا، أقابله من أجلك، فقابل كوردفيس، فقال له: أنا ما قابلتك من أجلك، أنا قابلتك من أجل ضياء الحق، وأنا أنصحك أن تعتنق الإسلام. شيخ عمره ثلاث وسبعون سنة.

وكذلك الأستاذ رباني نرجو الله أن يبارك فيهم أجمعين.

الشيخ تميم: أيها الإخوة نأسف لعدم التمكن من الإجابة على الأسئلة الكثيرة المتبقية بسبب ضيق الوقت، وإن شاء الله سيكون لنا لقاء غداً إن شاء الله في الرابعة والنصف، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نظرات في التربية الحركية

.......[2] هذا القرآن كلام الرحمن... به تحيا الأمم، ويبقى القرآن روح ونور يحيي القلوب، ونور يبدد ظلمتها، وحياة تخرجها من الموات، أسراره لا تنقضي، عجائبه لا تنتهي... نور، تؤجر على كل حرف عشر حسنات **(أما إني لا أقول لكم الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)**، والإنسان الذي ليس في قلبه شيء من القرآن كالبيت الخرب، والداعية الذي ليس في قلبه قرآن فارغ مهما كان يعرف عن العالم وعن السياسة... فارغ، لأن هذا القرآن هو الذي أنقذ الناس أول مرة من الجاهلية إلى هذا الدين، وهو السبب في هداية الكثيرين من الكفار، وهو الحُزم أو النار والنور التي كانت النفوس تنضج على حرارته... فالنفوس في الجاهلية نضجت على حرارة القرآن، وعلى إشعاعات القرآن.... الأمراض المتأصلة أو المزمنة مثل السرطان وما إلى ذلك يعالجونها بالإشعاعات فيقتلونها، إشعاعات القرآن كانت تقتل الجراثيم المتأصلة في أعماق النفس البشرية من العادات السيئة...

الآن وصلوا إلى معالجة الذي في كليته رمل يسلطون عليها الأشعة فتفتت الحصى وتنتهي... أسمعتم بهذا؟ يعالجونها بالأشعة دون عملية جراحية، فرب العالمين يوجه إشعاعات القرآن على الأمراض التي في النفس البشرية ليفتتها ويخرجها، لا يوجد علم أعظم من علم القرآن **(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)**.

تصور كل حرف عشر حسنات، لو جلست نصف ساعة تقرأ جزءاً من القرآن، الجزء تقريباً أحد عشر ألف حرف، إضربه بعشر حسنات، يعني مائة وعشرة آلاف حسنة في نصف ساعة، فإذا قرأت ساعة مائتين وعشرين ألف حسنة، إفرض الحسنة تباع بريال في السوق تحصل على مائتين وعشرين ألف ريال، لو قال لك شخص تعال واشتغل عندي ليس في اليوم مائتين وعشرين ألف ريال وإنما بمائتين وعشرين ألف ريال في الشهر تبيع الدنيا كلها من أجل هذا المبلغ، بل في الشهر اثنان وعشرون ألف ريال تترك صدا وتذهب، فكيف مائتين وعشرين ألف ريال في الساعة؟ مع أن الحسنة تعدل السماوات والأرض.

فالقرآن عليكم به، وطريقة التربية عندنا تعتمد على القرآن الكريم، والنفس البشرية.... والصحابة رضوان الله عليهم اعتمدوا في التربية على القرآن والسنة، فتكون ذلك الجيل الفريد الذي يسميه الأستاذ سيد قطب جيل قرآني فريد في كتابه معالم على الطريق، هل قرأتم معالم على الطريق؟ الفصل الأول منه جيل قرآني فريد، فقال: السبب في تفرد هذا الجيل أنه ما مر على البشرية جيل مثل جيل الصحابة الذين تربوا على مصدرين أساسيين الكتاب والسنة.

---

(١) الشيخ تميم يقول: يا ليت حكامنا يقدمون لفلسطين كما قدم ضياء الحق لأفغانستان.

نحن كيف نتربى على القرآن؟ لا بد أن نسلك السبيل الذي سلكه الصحابة رضوان الله عليهم، كيف؟ كانوا يحفظون آية آيتين ثلاثاً ثم يطبقونها ثم يرجعون، فنمت نفوسهم مع علومهم، ونضجت أرواحهم مع ثقافتهم، فكان العلم في خط والعمل في خط، متوازيين، الروح تنمو... ترتفع، والعلم يرتفع معها، فكلما بنوا لبنة في العلم مقابلها لبنة في العمل، فبقي البناء متوازناً، فلما وضع السقف الذي هو سقف الدولة الإسلامية وضع على جدران متوازية العلم والعمل معاً، والله عز وجل وهو العليم الحكيم بإمكانه أن ينزل القرآن كله جملة واحدة، ويترك حفظه للصحابة، فمنهم من يحفظه بأربعة أشهر، ومنهم من يحفظه بستة أشهر، ومنهم من يحفظه بسنة، لماذا فرق القرآن؟ لأن نمو الروح والنفس وتغيير الأحداث لفترة طويلة، فلا بد أن يكون التنزيل موازياً لمستوى الجماعة... الروح والنفس (**وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً**)، ففرق القرآن مقصود، والمكث مقصود من رب العالمين لحكمة منه[1]. هذا القرآن نزله الله عز وجل على مدى ثلاثة وعشرين عاماً حتى يبني به الجماعة الإسلامية الأولى، فكان الصحابة منهاجهم أن يأخذوا الآية والآيتين ولا يزيدون عن العشر، ثم يطبقونها، وتعلموا العلم والعمل بالقرآن معاً، والثقافة دون عمل قاتلة، والعمل دون علم كذلك مصيبة، فلا بد من لعلم، ولكن لا بد من العمل الذي يوازي العلم، ونحن مصيبتنا أننا نتعلم الإسلام من خلال الدراسة الجامعية، والدراسة الجامعية لا تبني ... الإنسانية، يحفظ... يحفظ الفقه، ويحفظ باب الجهاد، ويحفظ... ويحفظ، ولا شيء من هذا في الحياة، فتجده يأخذ شهادة دكتوراه في الشريعة الإسلامية ولم يقف في حياته موقفاً قط أمام طاغية يقول له: مكانك قف، ولذلك هذه النفوس المنفوخة متورمة ورماً، علمها تورم، علمها ليس طبيعياً، متورمة، يعتمد عليها السلطان لتنفيذ آرائه وشهواته ومآربه على حساب الأمة، الذي يضللها هؤلاء المنفوخون لقاء ثمن قليل من الدنيا وشهوة من شهواتها، ولذلك خاصة الثوريون يعتمدون كثيراً على الفتاوى حتى يرضوا الجماهير الناقمة عليهم، والفتاوى هناك أناس من المنفوخين علماً -منفوخين نفخاً- تورم ... المتورمين.

أعيذها نظرات منك صادقة — أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

تورم، أمام الدنيا كلها الدكتور فلان والدكتور فلان.... ويقف على التلفاز ويتكلم ساعة أو نصف ساعة ويعيشو الناس سكارى.... لكن الناس.

-بينما ابن الدعوة الذي ليس معه لسانس يحفظ بعض الآيات من القرآن وبعض الأحاديث وبعض المواقف من مواقف الصحابة رضوان الله عليهم لا يستطيع الحاكم أن يأخذ واحداً منهم، لا يستطيع أن يبتز فتاوى من هؤلاء الشباب كما يأخذها سهلة من هؤلاء المنفوخين، لماذا؟

النموذج غير الطبيعي، البناء غير صحيح، يدخل كلية الشريعة السنة الأولى (٩٥٪) السنة الثانية (٩٢٪) السنة الرابعة امتياز مع مرتبة الشرف الأول -تخرج، دخل وظيفة، سجل ماجستير، أصبح معيداً في كلية .... ماجستير... ودكتوراه... ناقش الدكتوراه... امتياز مرتبة الشرف الأولى، مع تبادل الجامعات، ويعيش في وسط الكلية طيلة حياته الإسلامية، ورق، طاولة، ملخص حياته للإسلام درس على الطاولة، وجلوسه على الطاولة كثيراً .... خزن في الكمبيوتر وأصبح يفرغ...

مثل .... هناك مرض في الطب يسمونه هيدروكيفلس، وهذا من عوارضه يصبح تورم في الرأس حيث يكبر... يكبر... يكبر رأسه جسمه لا يحمله... أنا رأيت واحداً مصاباً بهذا المرض رقبته لا تحمل رأسه، هكذا معظم الناس الذين يعرفون العلم، معظمهم إلا من رحم الله، ولذلك الاحتجاج على الظلم كان في القاهرة عندما كانوا يريدون أن يحتجوا على ظلم الحاكم وعلى طغيان الطاغية وعلى ... عبد الناصر والملك فاروق وما إلى ذلك تخرج المظاهرات من جامعة القاهرة ومن جامعة عين شمس من كلية الطب والهندسة والصيدلة، أما الأزهر لا يخرج مظاهرة، لماذا؟ قتلوه، وهذا سنأتي إليه في محاضرة الظهر أو المساء إن شاء الله حتى نكمل كيف قتلوا ... الرموز، لماذا؟ وطبعاً هذا خلل كذلك في التربية عندنا.

المجتمع اختلت تربيته، لماذا؟ لأن دراسة هذا الدين ما جاءت من أجل رب العالمين... ما جاءت خالصة لله عز وجل، ذهب الناس إلى الشريعة من أجل ورقة يأكلون بها الخبز، وما ذهب هذا إلى الشريعة إلا لأن كلية الطب رفضته، وكلية الهندسة نبذته، وكلية الصيدلة صدته، فآخر الدواء الكي... آخر باب من أبواب الدنيا عنده الشريعة، فندخل الشريعة.

ولذلك خيرة عقليات الناس في المجتمع في الطب والهندسة والصيدلة، العقليات الفذة من أبناء الجيل... خيرة أبناء الجيل التي ... تفهم النصوص ماذا يدرسون؟ مهندس مدني، مهندس كهربائي، مهندس... إلخ، طيلة النهار مع الأسلاك ومع محطات الكهرباء

---

[1] ... مرتفع من قبل أحد الإخوة خارج المسجد شوش على درس العلم، فوقف الشيخ باب المسجد وقال: ولا واحد يرفع صوته -وهو غاضب- ثم قال في درس العلم: ما في بدأ يمزح مع الإخوة الجالسين لتغيير الجو الذي خيم على درس العلم، كانت عائشة تنظر إلى الحبشة وهم يلعبون الحراب في المسجد يلعبون الحراب... هناك لعبة عند الحبشة بالسيوف والحراب، وهذا المسجد مكان بناء الأمة، علمها وقضاؤها وتسيير جيوشها وسياستها ورياضتها وكل شيء.

ومع الإسمنت ومع الباطون، كم نسبة الحديد للسقف، هذا إن كان مهندساً مدنياً، وإن كان مهندساً معمارياً طيلة النهار وهو يرسم كيف تكون هذه العمارة، وإن كان مهندساً كهربائياً طيلة النهار قاعد عند الشيخ فلان والأمير فلان حتى يرسم له كيف يبني له قصره وكيف يمدد له أسلاك الكهرباء.

الناس ضاعوا! لماذا؟ لأن الشريعة تركت للمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة، نعم..! وما أكل السبع، هذا صحيح! تركت للضعاف الذين لا يستطيعون أن يفهموا النصوص... لا يستطيع أن يقرأ... يقرأ وينسى... عقليات المجتمع كلها أين؟

زوج ابنتي الكبرى مهندس وهو عندنا هنا، سلمناه المطبعة لأننا -الحمد لله رب العالمين- نادينا الناس اتصلنا ما جاء أحد، مكثت سنة سنتين ثلاثاً مع الجهاد الأفغاني ما جاء أحد، فأصبحنا نجمع أقرباءنا والذين نعرفهم والذين ربيناهم منذ زمان، فأصبحنا نراجع في الدفاتر القديمة... أزواج بناتي جئت بهم، أولاد إخواني جئت بهم، أولاد أختي جئت بهم، قلنا لهم تعالوا حتى نجاهد نحن هنا، ولذلك المرجفون في المدينة يقولون انظروا إلى الذين حوله... ابن أخته وابن أخيه... أين كنتم عندما استنفرنا هذه الأمة؟ أين كنتم؟ هؤلاء سبقوكم، ماذا نفعل لكم؟ والحمد لله ليس هؤلاء من الشوارع جئنا بهم، كلهم خريجو جامعات، والله كلهم خريجو كليات شرعية، هم يقولون: انظروا من الذي يمسك المكتب الفلاني؟ ابن أخته، من الذي يمسك المعهد الفلاني؟ ابن أخته والذي يمسك كذا ابن أخيه، وكلهم فلسطينيون وأردنيون، طبعاً يمسكون علينا مماسك يحاربوننا بها، لكن هؤلاء لا نريد... هذا زوج ابنتي، كل بناتي زوجتاهن إلى مجاهدين، فقلت لهم تعالوا... أهاليهم قالوا زوجهم بناته وأخذهم منا، أهاليهم... آباؤهم يقولون أخذهم إلى الموت... هذا أشرف على بناء مدينة سكنية في الأردن... هذا الذي سلمناه المطبعة، وأول ما جاء وسنتين وهو بين الأفغان يذهب يومياً من بيشاور إلى بابي بالباص، روبية ذاهب وروبية أيب، ويأتي الأخ قبل أن يكمل الشهر يأكل نصف لحمنا.

بدأت مسيرة المكتب والعمل الجهادي والتجمع العربي بهم، وهم شكلوا النواة، وصار الناس يأتون... ولولا الله ثم هؤلاء ما كان هذا التجمع... هاجروا مع عائلاتهم، وعرف العرب أن هناك عائلات أمامهم، وصار الواحد يأتي مع عائلته يأنس أن هناك عائلات أمامه، كذلك زوج ابنتي الثاني خريج قسم هندسة الكمبيوتر من جامعة الملك عبد العزيز، كان بإمكانه أن يتوظف في السعودية، وكان عنده عرض مغر، قلت له: تعال هنا وجاهد، هل ستبقى داخل السعودية على الكبسات؟ والله النفس تقرف...، قلت له: تعال هنا، طبعاً هم يدخلون... دخل حوالي سنة داخل أفغانستان... عند أحمد شاه مسعود، والحمد لله جرح وتعرض للموت، وبعد ذلك سلمناه قسم الأيتام للداخل، واضع أمامه كمبيوتراً ويرتب أسماء الأيتام في داخل الكمبيوتر، وهو يرجوني بين الحين والآخر يقول لي أتركني حتى أدخل للداخل، فبعض الناس يفكر جلوسهم في المكتب للدنيا وللراتب رغم أني ماسكهم رغم أنوفهم، ما جلسوا لأن الجبهة أكثر راحة لهم بكثير... هو كان متوقع أن يأخذ الأول في فلسطين في الامتحان العام، وحزن كثيراً عندما خرج السابع والعشرين على أبناء فلسطين في الضفة الغربية... ماذا نفيد دين الله؟ ماذا نفيد الشريعة؟ ماذا نفيد بناء الجيل؟ الطبيب طيلة النهار يشق بطوناً ويغلق بطوناً، هذا المريض الذي سيموت هل عنده وقت كي يتعلم؟ لا يوجد، من الذي يؤم الناس؟ الذي معه شهادة توجيهي...... (1)

من الذي يستنبط النصوص؟ لا يوجد عقليات تفهم مشاكل العصر وتستخرج لها حلولاً، يحفظ... يحفظ، ومن هنا ومن هنا آية، لكن هذا الدين ... أخذنا خيرة أبناء المجتمع وقلنا أنتم لغير الدين، وأما شرع الله فتركناه للناس الذين ليس لهم قدرة على مواجهة المجتمع وعلى قيادة الأمة وعلى توجيهها، وهذا كذلك خلل في التربية، حتى في الدعوات طريقة تربيتها غلط، صاروا يرسلوا أبناءهم... واحد في الطب... واحد في الهندسة... يدرس صيدلي... نريد الطبيب المسلم، نريد المهندس المسلم والصيدلي المسلم... لكن لا نريد الفقيه المسلم! أنظر إلى الشباب في الجامعة الأردنية كلهم عقليات فذة في كلية الهندسة والطب، طول النهار ومعك سكيناً تفتح بطناً وتغلق بطناً، واحد آخر قلت له: ماذا تخصصت؟ قال تخصصت في التوليد، قلت له: لا حول ولا قوة إلا بالله، تعمي بصرك وأنت تنظر في الفروج طول النهار وأنت تولد النساء.

قلت لآخر ماذا تخصصت؟ قال: تخصصت في المسالك البولية، قلت لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، نعم ضروري طول حياتك تقضيها في الضرورة والضرورات، من الذي ينظر في كتاب الله؟ من الذي يستنبط أحكاماً ليحل بها مشاكل الواقع؟ فتجد قيادة الدعوات الإسلامية ليسوا من العلماء، لماذا؟ لأن عقلياتهم ليست قيادية!! فتجد قيادة الدعوة الإسلامية إما طبيب أو مهندس أو صيدلي أو غير ذلك، وهؤلاء ليس عندهم علم شرعي كثير، فتجدهم يخطئون... هم عندهم إخلاص، لكن ما اطلعوا على علم السابقين... السابقون من خلافنا، خيرة أبناء المجتمع كانت تجلس في المسجد تتعلم دين الله، عشر سنوات من الصبح حتى الغروب جالس أمام الشيخ ويتلقى ويصدق ويرى شيخه أمامه، واقف أمام الخليفة... واقف أمام الأمير الفلاني... بين السجن والاعتقال، وبين المواجهة،

ق في هذه المعركة، سيتعلم العلم والعمل بالقرآن معاً، ويعرف أن العلماء ورثة الأنبياء.

لذلك انظروا إلى البعثيين... انظروا إلى الشيوعيين، انظروا إلى القوميين أفهم منا، انتبهوا، وجهوا الأولاد الذين اختاروهم من من البعثيين والشيوعيين الصغار وجهوهم... ما وجهوهم ليدرسوا هندسة أو صيدلة ولا رياضيات ولا علوم، لأن أستاذ العلوم جامعة يتكلم عن الكيمياء، المعادلات الكيماوية تقول: ($Zn+2HCL=Zn2HCL$) خارصين مع حامض كلوريك الخارصين يدروجين.

يف يدخل التربية النبوية للجيل الأول في (معادلة) الخارصين؟ أنت ادرس التاريخ حتى تستطيع تكوين تركيبة المجتمع، وأنت سفة... وأنت ادرس اقتصاداً أو سياسة، وأنت أدرس علم اجتماع، فهذه الكليات هي التي تستطيع أن تغير العقول... كلية كلية الإقتصاد، كلية التربية، كلية الفلسفة، كلية علم الاجتماع... إلخ، هذه الكليات، كلية الشريعة هي الكليات التي تغير بناء

يشيل عفلق استلم وزارة التربية والتعليم ستة أشهر، أخذ خيرة أبناء سوريا وربطهم بحزب البعث وأرسلهم إلى فرنسا (إلى) أنت اقتصاد وسياسة، وأنت اجتماع، وأنت آداب، وأنت فلسفة، وأنت كذا ثم ارجعوا... أخذوا دكتوراه ورجعوا وأمسكوا في سوريا، أمسكوا عقليات أبناء سوريا، وأنت تاريخ -التاريخ يهتمون كثيراً بالتاريخ- الفلسفة لأنه بإمكانهم أن يواجهوا ، خلالها ينسخوا الدين من العقل- أمسك عقليات.

نت أقارن بين إخواني في الجامعة الأردنية... عندنا في كلية الطب أساتذة من أبناء الدعوة الإسلامية من أشهر الأطباء في ن أثرهم في الجامعة قليل، أكثر شيء متأثر عاطفة بسلوكهم التلاميذ الذين حولهم، لأنه طبيب سيعالج النصراني وسيعالج سيعالج البعثي، أليس كذلك؟ أم يسأل عن هويته قبل أن يعالجه؟ هو سيعالج الجميع، فنحن لمعالجة الجميع.

، أقارن بين عملهم وبين عمل أخ من إخواننا مثل أحمد نوفل ربنا يحفظه، أحمد نوفل أثر على الجامعة كلها -شريعة-، باء كانت الجامعة الأمريكية في بيروت تطلبهم لإلقاء بعض المحاضرات، لا يوجد متخصصون فيها مثل هؤلاء، لكن هذا - أحمد نوفل- كل كلامه تغيير عقول وبناء عقول وأرواح، ماذا يُدرس؟ فقط إسلاميات، فقه سيرة، حديث، تفسير، كله م الذي يتكلمه مطلوب الامتحان فيه، لازم أن يحفظوه كله عن غيب، لماذا أحمد نوفل غير أكثر من غيره؟... لأن أحمد نوفل ، كان الأول في الكلية، وعقلية جيدة مع دين ينتج شخصية قيادية ينتفع بها المجتمع.

ـ تجد أحمد نوفل إذا ألقى محاضرة في الجامعة الأردنية المدرج يكون ممتلئاً.

ات، ثم دخل الشريعة... الروح عندما تجتمع مع العقل مع التوجيه تنتج شخصيات لا تهزم في المجتمع، وهذا الذي يخافه ز وجل، لكن أن تعمل غلطاً واقف على رأسه... المجتمع يمشي على رأسه، رجلاه إلى أعلى ورأسه إلى أسفل، أقل معدلات ة[1] يذهب إلى كلية الهندسة غير مقبول... طبعاً هو لا يريد شريعة... الطب والصيدلة والهندسة مقدمة عنده على الشريعة.

ب إلى كلية الاقتصاد والتجارة -حتى يصبح مدير بنك لعله ينزل الربا من (١٠٪) إلى (٨٪)!!- وكلية الآداب... تجده شاب تتوهج نوراً... أريد (أدب إنجليزي)..[2] وتارك أبا حنيفة والشافعي لا يدرس عنهم... لا يدرس القرآن والسنة، يقول لك أ-سها وحدي حتى يتخبط فيها كما يشاء، ما الذي حصل؟... أن دين الله صار يدرسه الإنسان وحده فيدخل في لجج بح تضربه موجة من هنا وموجة من هناك وتقذفه ويصبح يتخبط... يحفظ حديثين وبعض الآيات، لا يقبل من علم العلماء ولا لا من أحد، هو أصبح شيخ المشايخ وعالم العلماء وفقيه الفقهاء، تقول له يا أخي أبو حنيفة قال كذا، يقول لك أبوحنيفة؟! ده والله، أبو حنيفة عنده ابن الشارع، ولا يدري من هو أبو حنيفة!. أبو حنيفة من التابعين، أقرب الفقهاء إلى رسول الله ، أن أبا حنيفة يتبعه نصف الكرة الأرضية من المسلمين، خمسمائة مليون يتبعون أبا حنيفة، هل كلهم على ضلال وأنت ابن .أنت لا تحفظ حديثاً أو حديثين، لا تعرف قراءة القرآن بعد، أبو حنيفة لا يعجبك؟ طيب الشافعي... الشافعي؟!... نحن نريد ؟ من منعك من الكتاب والسنة؟ لكن لا تريد واحداً يستنبط النصوص، ماذا تريد هذه الآية؟ ماذا يريد ربنا من هذا النص؟ نت؟ الله عز وجل ما أمرنا أن نسألك، قال (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)، بالله عليك حاضرة الدولة اد وكل العلماء في بغداد، والفقهاء في بغداد، والمفكرون في بغداد، والمحدثون في بغداد، وكلهم ارتضوا إمامة هذا الرجل أنت؟

---

[1] كذا -المعدل المرتفع يدخل الطب، والذي أقل منه الصيدلة وتأتي الهندسة في المرتبة الثالثة.

[2] إنجليزية غير مفهومة بسبب ضعف الصوت.

ففعلاً نحن وقعنا في ورطة أن الذين يحفظون النصوص لا يعرفون كيف يتصرفون بالنصوص مع الواقع، والقضية ليست بالاستخفاف بعلمائنا الأوائل من أهل الذكر.. تقول له يا أخي أدرس الكتاب والسنة، يقول لك: لا، الحديث، النص، على رأسي النص، من الذي يقول لك رد النص، رد النص كفر (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم)، لكن ألا تريد من يفهم هذا النص ويقول لنا ماذا يريد الله منا من هذا النص؟ نسألك أنت الذي لا تعرف المفعول به من التمييز؟ لا تستطيع أن تفرق بين عطف البيان والمفعول معه والمفعول لأجله والمفعول به ثاني، ماذا درست أنت من اللغة؟ درست البديع؟ درست البيان؟ درست الإعجاز؟ درست الكناية؟ درست الاستعارة؟ درست التفسير؟ ماذا تعرف؟ فقط درست بعض الأحاديث وحفظت بعض الآيات خلاص وجلست تفتي.

فنحن وقعنا في ثلاثة مشاكل، مواجهة العالم الإسلامي.

أولاً: أن الذين يحفظون بعض النصوص ليس عندهم دراية في هذا الدين، وليس عندهم عقلية النظر والاستنباط، لأن النظر والاستنباط يحتاج إلى دراسة أصول الفقه، ويحتاج أن تدرس الناس والمنسوخ، ويحتاج أن تدرس محلات الإجماع، ويحتاج أن تكون اللغة العربية جزءاً من كيانك، والبلاغة وغير ذلك، تعبر بلسانك العربي، وتحتاج أن تحفظ مئات الألوف من الأحاديث، قالوا لأحمد بن حنبل فلان يحفظ مائة ألف حديث، أيفتي؟ قال: لا، مائتي ألف حديث؟ قال: لا، ثلاثمائة ألف؟ قال: لا، خمسمائة ألف حديث؟ قال: أرجو.

فعندما تقول له يا أخي لماذا تضع يديك على النحر تحت عنقك -في الصلاة-؟ يقول لك كان رسول الله ﷺ يضع يده على الصدر، طيب ما رأيك أن نأخذ برأي أحمد بن حنبل؟ أم شيخ مسجدك أفهم من أحمد بن حنبل؟ أم سلفي أكثر؟ أم محدث أكثر؟ أم عالم أكثر؟

أحمد بن حنبل.. يقول يحيى بن معين لعبد الله بن أحمد: راجعت أباك فوجدته يحفظ ألف ألف حديث، مليون حديث، أحمد بن حنبل كان يضع يده بين الصدر والسرة، ما رأيك أن تقبل برأي أحمد؟ لا، لا يقبل، لماذا تحرك اصبعك هكذا؟ السنة كان يحركها بشدة هكذا، طيب أحمد بن حنبل عرف هذا أم لم يعرفه؟ اتركنا نأخذ برأي أحمد يا أخي، رأي أحمد بن حنبل، عرف هذا الحديث أم لم يعرفه؟ كيف طبق أحمد هذا الحديث؟ ما كان يقول هكذا، وهكذا دواليك، تأتي تقول لهم يا إخوان.. ماذا نريد؟ نريد أناساً يفهمون هذا الدين ويعملون به ويطبقونه على الواقع، يدركون الواقع، يدركون النصوص، عندهم عقليات تستطيع أن تحمل النصوص وتطبقه على الواقع... وبهذا نعرف المعركة العالمية علناً، ضروري هذا وإلا نضيع (ينقض عرى الإسلام عروة عروة من نشأ في الإسلام ولم يعرف الجاهلية) فتجد أقل الناس أفذاذ وما إلى ذلك لكن لا يدرسون مخططات أمريكا وأوروبا وكيف يصطادون المسلمين! وكيف يضيعون الأمم! وكيف تباع الشعوب! وتجدهم وظيفتهم أحياناً يخدعهم الإمام يدعوهم على حفلة إفطار في رمضان ويصلي أمامهم ويكون قد وضع والله أعلم غاز الأمونيا في أنفه قبل أن يأتي إليهم وطيلة الوقت وهو يبكي دموعه تنزل... يكون قد أخذ غازاً مسيلاً للدموع قبل أن يصلي عندهم، فيخرج من بينهم عالم فذ مجاهد، يقول لك والله هذا من كبار الأولياء طيلة الوقت وهو يبكي!! نعم رأيناه، فلا بد أن نعرف المعركة علينا، المعركة العالمية، المؤامرة الدولية، الجاهلية... فنعرف النصوص، ونعمل بالنصوص ونطبقها على أنفسنا ويكون عندنا عقلية تستطيع أن تنقل النصوص وتطبقها على الواقع... كيف كان يطبق هذا الدين عملياً عندهم؟ كيف تطبق هذه الآية عندهم؟ كيف طبق العلماء هذه الآية على المجتمع الأموي والمجتمع العباسي؟

تأتي تقول له: يا أخي الحبيب أنصحك إذا أردت أن تؤدي فريضة الجهاد في أفغانستان لا تحرك إصبعك هكذا ولا تضع يدك تحت العنق... يقول لك أعوذ بالله... أنا أترك السنة؟! أنت تدعو إلى ترك السنة؟! يذهبون إلى ابن باز يقولون له الشيخ عبد الله عزام يحارب السنة، يحارب السلفية، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، قال لي هل صحيح أنت تحارب السلفية؟ قلت له من حارب السلفية فقد كفر، لأن السلفية تدعو للرجوع للكتاب والسنة، هل أنا أحارب الرجوع للكتاب والسنة، أعوذ بالله.

والله أنا سلفي قبل أن يولد هذا الولد الذي نقل عني أنني أحارب السلفية، لكن ما درسوا فقه الفقهاء، حتى علم العلماء الذين عقيدتهم واضحة ما درسوه... ادرسوا فتاوى بن تيمية وانظر كيف هذه الأمور التي درست عليها يقول: (اتركوها إن كانت تؤدي إلى اختلاف القلوب، لأن اتفاق القلوب فرض وهذه مستحبات، والفرض مقدم على المستحبات... أترك.. أكثر من عشرات المواضع ينص على هذا ابن تيمية، رسالة خاصة سماها اختلاف الأمة في العبادة... خذ من تجربتي أنا منذ سبع أو ثماني سنوات وأنا هنا بين الأفغان، وخذ خلاصة تجربتي، كنت أرفع يدي قبل أن آتي إلى هنا، وكنت أقول آمين، وكنت أفعل ما تفعله أنت، لكن وجدت أن هذه المستحبات تنفر الناس الذين نريد أن ننقذهم، ونريد أن تنتصر معركتهم حتى لا يصبحوا شيوعيين، وحتى لا تضيع هذه البقعة

تتبع أحمد ابن حنبل في هذه القضية، اتبع الشافعي، اتبع أبو حنيفة، الشافعي محدث وفقيه، وأحمد بن حنبل محدث وفقيه، اتبعهم؟ أنت مُصر أن تتبع شيخ مسجدك، الشافعي كان يفهم؟! أو تظن أن إمام مسجدك يفهم أكثر منه؟! يعرف حديثاً أكثر منه؟! الشافعي محدث ألف كتاب السنن، ألف كتاب بدائع الملل في جمع... له مسند اسمه (مسند الشافعي)، وله سنن اسمها سنن الشافعي، أحمد بن حنبل له مسند، أربعين ألف حديث انتقاها من مليون حديث.... قضايا أهم يجب أن نشتغل بها، قضايا العقيدة، قضايا التوحيد، قضايا البدع، كنت ذات مرة أتكلم عن هذه القضايا وأنا حزين أن الشاب العربي الذي من أجل آمين هو نابغ مخلص بإمكانه أن يؤدي دوراً كبيراً في داخل أفغانستان، يضيع كل هذا الجهد، يضيع من أجل حركة الإصبع أو من أجل قول آمين، فينتهي كل دوره من أجل مين، قلنا لهم يا إخوة اتركوها إلى حين ريثما تعيشوا مع الأفغان ويثقوا بكم، وتجارب سبقتكم أن العرب وهابيون جاءوا ينشرون لمذهب الوهابي، فلا ترسخ هذه الفكرة عندهم، وهذه من خلال تجربة طويلة، ما استفدناه إلا من بعد معايشة طويلة ودفعنا ثمن هذا، قلت لهم هناك شخص في مسجد بابي من بين ألفي مصلي الإمام يقول ولا الضالين كل الناس صامتون ويخرج من بينهم يقول آمين ثل الشيطان، أنا قلت مثل الشيطان مسكوها وقالوا انظروا ماذا يقول الشيخ عبد الله عزام، يقول عن الذين يقولون آمين مثل شيطان، الذي يطبق السنة مثل الشيطان؟! هذا استهزاء بالسنة، إذن هذا خارج من الإسلام، اعتمدوا على هذا وأفتوا بتكفيري خراجي من الملة، أنت عندما تقول آمين يكرهونك، وإلا فأنا أقول آمين إن لم أكن بينهم، إذا قال آمين وهي السنة مثل الشيطان؟ هذا ستهزاء بالسنة! الاستهزاء بالسنة باتفاق العلماء كفر، إذا هذا كافر خارج من الملة، ما شاء الله حامل بطاقات يخرج بها الناس من ة.

فنحن واقعون في مصائب، مصائب التربية الإسلامية، بعض الناس أغرقوا في السياسة وليس عندهم شيء من القرآن والسنة، لاء وقعوا في خطة، وناس آخرون عندهم نصوص لكن ما تلقوها على أيدي العلماء، ما تربوا تربية هرمية على يد العلماء، بل أخذوا لم عن طريقة القراءة في الكتب... [1]

---

[1] قطع الشريط بشكل غير طبيعي.

الجماعة الإسلاميه ووجهة الصراع (أ)

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سؤال من أحد الحاضرين: الجماعات الإسلامية في الساحة الآن كثيرة، يقول الرسول ﷺ في الحديث ما معناه: ستتشعب الفرق في آخر أمتي إلى بضع وسبعين فرقة، كلها في النار إلا ما كان على الكتاب والسنة، ولعله من فهمي البسيط أستطيع أن أحدد بعض هذه الفرق التي يتطبق عليها هذا الشرط (الكتاب والسنة)، ومن فهمي البسيط أعتبر أن هذه الفرق المقصودة هي فئة الإخوان المسلمين وأنصار السنة وجماعة التبليغ وكلها صحيحة العقيدة متحدة المقصد وإن اختلفت في الوسائل وأساليب الدعوة، السؤال هل هناك إتجاه لاتحاد هذه الجماعات أم أن هناك فروق لا أعرفها، فروق كبيرة تحول بين اتحاد هذه الجماعات...؟.

بسم الله الرحمن الرحيم، بالنسبة للجماعات الإسلامية، الرسول ﷺ حدد ما أنا عليه وأصحابي، يعني ليس شرطاً أن تحصرها في الإخوان المسلمين أنصار السنة وجماعة التبليغ والبقية في النار هناك جماعات إسلامية كثيرة داخلة في النص وهي عدة فرق، يعني طوائف المسلمين التي يشير إليها الحديث يعني ليست هي الحركات التي تعمل للإسلام، إنما الفرق الضالة النصيرية، الإسماعيلية، الشيعة، الدروز إلى آخره، أما كل الحركات الإسلامية تقريباً بإذن الله ما دام الإخلاص رائدها فهي داخلة في الكتاب، داخلة تحت النص، أنها ليست في النار لأنها هي تحاول أن تكون ما عليه الرسول ﷺ وأصحابه، واختلاف الحركات الإسلامية ليس عيباً، هي طريقة للعمل ما دام كل جماعة من الجماعات تعتقد أنها ليست هي جماعة المسلمين الذين يتحتم على كل مسلم أن يدخل معهم، ومن خرج منهم فهو في النار لأنه شذ، ومن شذ شذ في النار، ولم تدع حتى الآن أي جماعة من الجماعات أنها هي الجماعة الإسلامية أو جماعة المسلمين الذين يجب على كل مسلم أن يعطيهم البيعة، ومن خلع بيعتم فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه والتي يقول عنها الحديث (التارك لدينه المفارق للجماعة) الجماعة الإسلامية أو جماعة المسلمين هذه غير موجوده حتى الآن، جماعة المسلمين التي لها إمام التقى الناس عليه وبايعوه، تتوفر فيه صفات الإمام، هذه الجماعة فيها صفات: معاداة أعداء الله، ومحبة أوليائه، تضم الجهاد، والحكم بما أنزل الله، لها أرض تقوم عليها، لها قوة وسلطة تنفذ بها الأحكام، تحمي الثغور، توزع الغنائم، تقسم الفيء، لها بيت مال، فهذا غير موجود حتى الآن عند أي جماعة إسلامية، ما سمعنا حتى الآن أن أية جماعة تدعي أن الخروج منها كفر والدخول بها شرط للإيمان إلا الجماعة التي اسمها جماعة المسلمين أو الجماعة التي أطلقوا عليها جماعة التكفير والهجرة، وهذا فهم أعوج خاطئ أدخلهم في متاهات حتى صار فكرهم كالخوارج، فتجدهم يستحلون دماء المسلمين، ويقتلون الشيخ الذهبي، ويختطفون الشباب الذين يدعون إلى الله عز وجل ويضربونهم بالسكاكين وغير ذلك باعتبار أن هؤلاء يصدون عن سبيل الله ويمنعون قيام الدولة الإسلامية و لا يمكن أن تقوم الدولة الإسلامية إلا عن طريق هذه الجماعة، ولذلك شكري مصطفى رئيس الجماعة -رحمه الله- رغم أنهم اعتقلوه، كان يقول لهم في المحكمة لن تمسوا مني شعرة وسأرث الأرض ومن عليها، هكذا كان يعتقد في ذهنه أن الجماعة هذه هي الجماعة الصحيحة، لن يموت قائدها حتى يُمكّن لها في الأرض، ولذلك لما اعتقلوه ما كان يعتقد أنه سيقتل، فعندما قتل تبين أن فكر الجماعة غلط، فتشققت الجماعة بعده جماعات وتشتت أحزاباً، كان هناك شاب من عندنا اسمه عبد المنعم محمد ياسين شقيق الدكتور محمد نعيم ياسين، وكان -ما شاء الله- متعبداً زاهداً، وكان يدرس الصيدلة في مصر وأنا في القاهرة أحضِّر الدكتوراه، فكان يتردد عليّ يحبني، وأنا وأخوه كنت أحضّر الدكتوراه -فكان حتى يترك أخاه ويأتيني إلى البيت، فالتقى بشكري مصطفى، وشكري مصطفى أثبت له أن الناس كلهم كفار إلا من دخل هذه الجماعة، فرجع وكان شكري مصطفى خارج من السجن جديداً زاهداً عابداً وما إلى ذلك، لكن زهد الخوارج وعبادتهم.. فرجع إليّ، في وقت الصلاة لمست أنه يتحرج من الصلاة ورائي، فإذا قدمناه أمّ بنا، إن لم نقدمه يعتذر بحجة أنه مسافر ويجمع الصلاة، ففاتحته، قلت له: ما قصتك؟ قال: أنت تريد الصراحة؟ قال: -أعوذ بالله- أنا أعتبرك كافراً، على أي أساس يُخرجني من الإسلام؟ قال: أنت من الإخوان المسلمين؟ قلت له: طيب كل الإخوان المسلمين كفّار؟ قال: نعم، كل الإخوان المسلمين كفار، لماذا؟ قال: لأن زعيمهم الهضيبي كافر، لماذا الهضيبي كافر؟ قال: لأنه لم يكفر عبد الناصر، سألناه في السجن ما كفّر عبد الناصر، ومن لم يكفر الكافر فهو كافر.

الهضيبي كافر لأنه لم يكفر عبد الناصر، وكل أخ من الإخوان المسلمين كافر لأنه لا يكفر الهضيبي، ولذلك يخرج المجتمع كله

بهاتين الكلمتين خارج الإسلام، فهم كانوا يأتون للشاب يقولون له: ما رأيك بعبد الناصر؟ يقول لهم: كافر، يقولون له: ما رأيك في الهضيبي؟ وما رأيك في العالم الفلاني، يقول لهم هذا رجل محترم على الرأس والعين، يقول لك لكن هو لا يُكفّر عبدالناصر ولا يكفر حكم الفلاني -كل له تأويله- يقول لك تكفره أم لا تكفره واحدة من اثنتين خلاص، عندهم قاعدة من لم يكفر الكافر فقد كفر، سواءً متأولاً أو غير متأول.

بعدما دخلوا السجن -وقتل شكري رحمه الله، وهو اعتقل معهم- تمزقوا، صاروا يكفرونه وهو يكفرهم -هذا عبد المنعم- يكفر جماعته وجماعته يكفرونه، وبالتالي أرادوا قتله في السجن فنقلوه إلى سجن آخر، ونفس الشيء فهو أي غلطة صارت تخرجك من الإسلام عندهم، فما رأيت جماعةً غير هذه الجماعة تدعي أنها جماعة المسلمين ويجب أن يدخلها الإنسان وإن لم يدخلها فهو كافر.

كل الجماعات عبارة عن جداول تصب في نهر الإسلام العظيم.

الإخوان المسلمون جدول، والسلفية جدول، والتبليغ جدول، والجهاد جدول، الأحزاب الإسلامية جدول، كلها جداول، لكن هنالك جدول كبير وجدول صغير، لكن كلها تصب في نهر الإسلام العظيم، والحق الأصل أن يقبل الإنسان الحق من أي جهة جاء، مثلاً أنا من الإخوان وأنا أظن أن فكر الإخوان أقرب المناهج إلى الكتاب والسنة وأقربها إلى السيرة الصحيحة، هذا الذي أعتقد به بيني وبين الله.

لكن أحب الجماعات الأخرى، أحب السلفية، وأخذ منهم النصوص، أتعلم على أيديهم وقد أفادوا الإسلام كثيراً الشيخ الألباني الشيخ ابن باز... مع أن المشايخ لا يعتبرون أنفسهم في أحزاب، لكن طريقتهم أفادت نفس الحركة الإسلامية بتقديم العقيدة الصحيحة، بتقديم النصوص الصحيحة، بالدراسات العلمية، هذا خير كبير للحركة الإسلامية نفسها وللإسلام نفسه، أنا أحب جماعة الجهاد لأنهم شجعان، وقفوا أمام الطاغوت يضحون بأنفسهم، هؤلاء يجب أن يحبهم المسلم، جماعة التبليغ تحب منهم أدبهم وتواضعهم وتضحياتهم بوقتهم وبمالهم من أجل محاولة إنقاذ الناس، وتحمّلهم كثيراً في سبيل نشر الدعوة وفي سبيل هداية الناس، ويؤثرون كثيراً في الطبقات الأمية خاصة الطبقات غير المثقفة، يعني التبليغ يؤثرون كثيراً عليها، طبعاً أنا لا أغالي كذلك في الحركات التي اسمها صوفية وأخرج فتوى مثل فتوى شكري مصطفى: كل واحد صوفي تعطيه كرت ويمشي كافر، هنالك ناس قريبون من السنة وصوفيتهم حد ويلتزمون بالنص، ويلتزمون بالكتاب والسنة، وعقيدتهم واضحة يقومون الليل يصومون النهار، لكن هم يسمون أنفسهم صوفية، لديهم بعض المبتدعات، هذه البدع لا تخرجهم عن أن يكونوا من أهل السنة والجماعة ، يعني هذه المبتدعات بسيطة يمكن أن تزال بسهولة، طبعاً هنالك بعض الصوفية مغالون، فهؤلاء أحياناً يخرجون من الإسلام بمغالاتهم، الذين يقولون بالحلول -طبعاً لا يوجد أحد الآن يقول بالحلول- والحلول والاتحاد يعني أن الله عز وجل حلّ في كل شيء....

الرب عبد والعـــبد رب فليت شعري من المكلّف

هذا شعر الحلاّج وشعر ابن عربي، هؤلاء حكم فيهم الإسلام حكماً، وحكمت الدولة الإسلامية حكماً، كفّروهم بأقوالهم وقتلوهم، لكن هناك بعض البدع لا تدخل في العقيدة نفسها، إنما بدعهم برفع الصوت بحلقات الذكر، بهزّ الرأس، أحياناً الدف، أحياناً استعمال السيخ -هذا- الذي يضربون به أنفسهم هنا ويخرج من هنا، فهذه لو قرأت لابن تيمية وقرأت لابن القيم هؤلاء يقولون لك: إنه يصل الصوفية أحياناً إلى درجة الفناء بحيث يغيب عن وعيه فنحن في هذه الحالة نعذرهم لأنهم لا يكونون بوعيهم الصحيح، تكلم ابن القيم وابن تيمية في هذا كثيراً.

فأقول: الجماعات إذا كان عندها فراغ لا بد أن تختلف، إذا كان عندها عمل وعندها منهاج لا تختلف ولا تدخل في متاهات هذا الأمر، فإذا جاء الجهاد سيشغل الأمة، وكلهم متفقون أن يقفوا في صف واحد، فإذا تعرضت الأمة لغزو خارجي، أو لعدو من الأعداء فهذه الجماعات كلها في الصف الأول، إذا قام الجهاد هم سيقفون معك، إن كان فيهم خير وإخلاص سيقفون معك، والذي لا يقف معك في الجهاد ضد أعداء الله عز وجل لا خير فيه، فطبيعة المعركة ستوحد الجهود.

نحن هنا مكتب الخدمات عندما وصلنا هنا قلنا: نريد أن ننشئ مكتباً لخدمة الجهاد الأفغاني، أي واحد يأتي للجهاد على الرأس من سلفي، إخوان، تبليغ، جهاد، ما إلى ذلك على الرأس والعينين، نأخذه ونتقبله وله ما لنا وعليه ما علينا، ومشى المكتب على هذا الشكل، لذلك عندنا الإخوان، والتبليغ والجهاد والسلفي، وفعلاً أنا أحب كل واحد أراه شجاعاً، أراه تقياً، أراه حافظاً للقرآن، يحبه قلبي دون أن أعرف أن هذا من الإخوان أو من السلفية، وكذلك تسليم المسئوليات غالباً يكون مبنياً على الشجاعة وعلى القدم وعلى البلاء، بلاء الإنسان وبلائه، الإنسان وشجاعته، الإنسان وأمانته، الإنسان وقدمه وسابقته، وحتى الآن قلنا لهم يا إخوان اتركوا الخلافات جانباً إلى جانب وتعالوا نلتقي على كلمة سواء بيننا وبينكم لخدمة الجهاد الأفغاني، خلافاتكم في العالم العربي اتركوها، وليس هنا مجال للاختلاف، والقاعدة المشتركة بيننا أن نخدم الجهاد الأفغاني، فالحمد لله مضت الأمور، المعسكرات، وبيوت الضيافة وما إلى ذلك،

جماعة التكفير، تقول: نحن نحمل فكر سيد قطب! أين هو فكر سيد قطب؟ قالوا: في الآية الفلانية كذا وفي الآية الفلانية كذا جاء عبد الناصر سنة ١٩٦٧م وقال للإخوان هل تحبون أن تقاتلوا اليهود؟ قالوا: نحن مستعدون، أخرجونا لكم، (شكري) وجماعته حاضرون، قالوا: هذا قتال في سبيل الطاغوت وهذا كفر، إذاً ماذا يترتب عليه، ما دام الهضيبي القتال تحت راية عبد الناصر ولو ضد اليهود هذا كفر!!! عملوا جماعة وحدهم، وصاروا لا يصلون وراء الكافر الذي الهضيبي -رحمه الله-

(كبرت كلمةً تخرج من أفواههم) (الكهف: ٥)

واعتزلوا ووضعوهم في غرفة وحدهم: سبعة عشر، بدأ النقاش حول فهم ما يقوله سيد قطب، قالوا: إن كان سيد ما تقولون فهو كفر، والدليل كذا والدليل كذا والدليل كذا، فهو خلاف حول فهم النصوص التي قالها سيد قطب، وطبعاً القضايا نحن لا نوافق فيها سيد قطب، نحن نحبه كثيراً، لكن ما من إنسان إلا ويخطئ، من القديم حتى الآن ما نجا من الرسول ﷺ، فهناك أخطاء في الظلال لا نوافق عليها، ولذلك أحياناً وأنا أقرأ في الظلال أضع علامات إستفهام على بعض تعجبني ولا أقبلها.

سؤال آخر: هل نحن محتاجون إلى الفصل في الكتاب...؟.

الجواب: الحكم على الحكام، هل نحن دعاة أو قضاة؟ والله هذا تحدده مصلحة الجماعة، كثير من الأمور الآن يحدد الجماعة نفسه، وقوتها في البلد، ماذا تريد؟ منهاجها؟ فالرسول ﷺ في وقت من الأوقات قيل له: "**كفوا أيديكم وأقيموا**" حرام عليكم الجهاد، فكان الجهاد في مكة "محرّماً"! يعني لو قالت لي الحركة الإسلامية الآن: نقاتل الملك حسين؟ نقول لهم: لا لماذا؟ الرسول ﷺ في عمله حدّد وجهة الصراع، رتب الأولويات، من أولى الناس الآن أن نقاتلهم؟ فالرسول ﷺ حدّد قريش الأفعى قريش، إذا حطمنا الرأس، الأذناب هذه لا قيمة لها، فالآن عندك جبهة مفتوحة، كل الناس يلتقون معك ويساعدونك حماس التي تمثل الإخوان المسلمين في داخل فلسطين، أيهما أولى الآن أن تفتح الآن معركة غير متكافئة مع الملك حسين أم تفتح مع اليهود أو تدعم حماس بكل ما أوتيت من قوة؟ هم لن يقبلوا أن تدعم حماس، لن يقبلوا، لكن أنا سأدعم، فإن فتحوا عليّ المعر يكونون البادئين، والناس كلهم ضدهم،، أما لو الآن فتحت معركة معهم ضيعت الجبهتين.

يا أخي الحبيب.... لمّا كان إخواننا في سوريا يقاتلون حافظ الأسد وكان إخواننا يهربون إلى الأردن طُلب منا: لا تتكلمو عن الدوله ولا كلمة، لماذا؟ لأنه الآن توجد عندنا معركة، والدولة هذه تجير إخوانك الهاربين، وبالإمكان أن تمسكهم وتسلمهم لحافظ ا وإذا أغلقت حدود الأردن وأغلقت حدود العراق، خُنقوا وذُبحوا، فوضع الجماعة هو الذي يُحدّد من الذي يُبدأ معه الصراع، الأولويات، الرسول ﷺ، قال - لما قتل أبو جهل- إن لكل أمة فرعون وهذا فرعون هذه الأمة، لكن في نفس الوقت قال: لو كان المط عدي حياً وسألني في هؤلاء النتنى -الأسرى- لوهبته إياهم، إذاً، الكفار طبقات، وقال عن عتبة بن ربيعة: إن كان فيهم خيراً صاحب الجمل الأحمر، ولذلك لا بد أن تعرف الجماعة ماذا تريد، أما يدك والعصا، وأي واحد يحكي معك تدخل معه في المعركة الجماعة، تتمزق، تذهب طاقتها ولم تؤدِّ إلى نتيجة، حدّد وجهة الصراع -مفهوم- حدّد ماذا تريد، ألست تريد أن تقيم دولة إسلا أدخل في جبهة، الأفغان كم تعرضوا لضغوط أيام هجرتهم؟ كم آذتهم الشرطة -خاصة في أيام جونيجو؟ ما سمعنا حادثاً واحداً اعتداء أفغاني على باكستاني، لماذا؟ القوميون ضدك، الشيوعيون ضدك، اليساريون ضدك، كل الناس ضدك (people party)[1] يوجد واحد واقف معك في داخل باكستان إلا الجماعة الإسلامية وحزب آخر، حتى بعض العلماء ضدك، بعض أهل الحديث ضدك، كم جبهة عندك؟ توجد لك جبهة ساخنة في أفغانستان وجبهة يمكن أن تفتحها مع باكستان، ومع المجاهدين سلاح بإمكانهم أن يطوّ أي مركز ويضربون هؤلاء الباكستانيين على الأقل يكسروا رؤوسهم، لكن هذه ستؤدي إلى مصيبة أعظم منها، أننا ننقل المعركة أفغانستان إلى باكستان، وهذا لا يفعله إلا البلهاء والأغبياء، ولذلك حدّدوا وجهة صراعهم، وجهة الصراع روسيا، الكفار يحدّدون وج الصراع محترم، الإسلام دين قائم على العقل، النصوص أمامك، لكن النص له كيف تطبقه في كل ظرف، في كل أرض، يختل تطبيقه في الأرض عن هذه الأرض، يختلف تطبيقه في هذا الوضع عن هذا الوضع، ولذلك لا يُنكر تغير الأحكام بتغير الأزمان الحنفية كانوا في البداية- يمنعون إعطاء الأجرة للمؤذنين وللأئمة ولخطيب الجمعة، ولمعلّم القرآن، وغيرهم، هذا رأي أبي حنيفة، عاش أبو حنيفة أيام الدولة العباسية والأموية، أيام الدولة العباسية وهارون الرشيد وجد أن عدم إعطاء الأجرة للمؤذنين يؤدي إلى

(١) حزب الشعب الباكستاني (غير إسلامي).

طيل هذه الشعيرة، وذلك لأن كل واحد مشغول بحاله، يريد أن يبحث عن رزق أولاده، أنا ليس عندي وقت أن أبقى خمس أوقات في سجد، فقال: إذاً ستخصص رواتب للمؤذنين، رواتب للأئمة، لأننا لو لم نخصص ستتعطل هذه الشعائر، ستتعطل صلوات الجماعة، يتعطل الأذان، وهكذا كثير من الأمور من الأحكام الفقهية فهمها أبو حنيفة، فهم النص فيها في العصر الأول شيء، ثم جاء بالواقع عملي وتغير الناس، فهم أصحابه شيئاً آخر. ولذلك حدّدوا وجهة الصراع إن كنتم تريدون أن تقيموا دولة الإسلام، أما إذا أردنا أن تقم لأنفسنا، وكل شرطي يحكي معنا فالسكينة حاضرة فإن الدعوة الإسلامية لن تصل في يوم من الأيام إلى النهاية...

سؤال من أحد الحاضرين: يعني هذا الأمر -الذي سبق- ليس فيه غبش في العقيدة؟

الجواب: أي قضية؟ يعني عدم الفصل مع الحكام.

يا أخي الكريم: يأتي يقول لك عمر التلمساني قال كذا، قال: إن السادات قُتل مظلوماً. أخي الكريم هذا الكلام ليس كفراً، كفر؟ س كفراً، أكثر شيء كذب، أليس كذلك؟ اعتبره كذباً، إذا قال بغير ما نعتقد، كذب، عمر التلمساني لو كانت القضية مختصة به، شرين سنة في السجن رفض أن يقول كلمة واحدة لعبد الناصر، لكن عمر التلمساني يعرف أن هذه الكلمة ستجر آلافاً من الشباب إلى سجون، ولم يلتقطوا أنفاسهم بعد، عشرين سنة مزقت الدعوة تمزيقاً، أسرهم، نساؤهم، انتهكت أعراضهم، أولادهم نساؤهم أصيبوا مراض نفسية، بناتهم أصبحن في الشوارع، نساء الأطباء والمهندسين وأساتذة الجامعات تحولن إلى خادمات في البيوت حتى يأكلن ـة الخبز، أسر من أسر الإخوان تنصرت، دخلوا النصرانية حتى تكف عنهم المخابرات.

حدثني واحد قصة أخ قال: عندما أعلن عبد الناصر الأحكام -كان محكوماً عليه بالسجن المؤبد أو الإعدام، كان اشترك في سنة ١٩٤) في القتال، المهم غاب، ذهب إلى الصعيد من القاهرة، سافر إلى الصعيد، اشتغل فلاحاً، يقول: المخابرات في منتصف الليل، لهر، أي وقت يداهمون البيت، يقتحمون البيت، لا يستأذنون، تحت التخت، يرفعوا البطانيات، الولد الصغير نائم، هذا يصرخ في ـف الليل، المرأة عارية، صبر، شهر، شهرين، ثلاثة، والمخابرات بهذه الحالة، أين فلان؟ لا ندري أين فلان، أخيراً فكّر أبوه، أبو الرجل ـاب، والد الأولاد اختفى، المتزوج، أبوهم العجوز فكر بعد ذلك، كيف نخلص؟ ذهب اتفق مع كنيسة قال لهم: أريد أن أنصّر عائلتي ـر قالوا: هاتهم، فجاء إليهم في اليوم الثاني قال: يا أولاد تفضلوا اركبوا، أين؟ قال لهم: نذهب نزهة اليوم، فركبوا في السيارة بت المرأة مع أولادها أدخلوا أين؟ قال لهم: نحن مدعوون هنا، جاء الراهب من الداخل، قال له: أين هم الذين يريدون أن يتنصّروا، أحضر الماء لأجل أن يعمّدهم، المرأة لما رأت هكذا صرخت، الأولاد صاروا يبكون، الراهب فهم أن في المسألة شيء، قال: ما هو ر؟ قال: أنا أريد أن أعتنق النصرانية حتى تكفّ عنا المخابرات! قال: هذا الهارب، بعد عشر سنوات اشتقت أن أرى أمي فلبست س شحّاذ وجئت على الباب، قرعته.. طلعت.. أمّه ماذا تريد؟ قال: يا خالتي أنا ميّت من الجوع لو تعطيني قطعة خبز، ذهبت جاءت نطعة خبز، قال لها: ممكن كأس شاي وقطعة جبنه أقعد هنا على هذه العتبة وآكلها، ذهبت جاءت له بكأس شاي، وقعد يأكل جبنة لر إلى أمه ويعد ذلك وضع الكأس ومضى، عشرون سنة، بعد العشرين سنة رجع عندما عفا السادات عنهم، دق الباب، خرج أولاده ـه صاروا رجالاً، الذي تركه عمره سنة، الآن عمره واحد وعشرون سنة، قال له: ماذا تريد يا عمّ؟ ماذا تريد يا حاج؟ -صار كبيراً ـه بيضاء-، قال له: أمك هنا؟ قال: أمي لا ترى الرجال، قال له: أنا أحب أن أراها، قال: لن تراها، قال له: هناك حاجة ماسة أتكلم ، ويقال زوجته ما عرفته!!!

في موت السادات وقف وقال: لقد مات مظلوماً، لأنه ينقذ بهذه الكلمة ثلاثين ألفاً أو أربعين ألفاً من أن يُزّجوا بالسجون مرة حدثني واحد قال: أخذت -ما أدري هو أو غيره- رسالة أو قليلاً من الفلوس لأولاد حسن البنا من السعودية، قرعت الباب فتحت حسن البنا أو بنته، عندما رأت رجلاً غريباً في الباب وإذا بها تسقط على الأرض مغمى عليها، قالت: رجال مخابرات.

هؤلاء الإخوان مثلهم مثل والد كان مجاهداً ملء سمع الدنيا وبصرها، ربى أولاده، كبروا في السن وهو كبر، وهكذا لما كبر في جاءته بعض الأمراض، هذا الرجل الكبير أولاده يحترمونه أم يقتلونه؟ يقولون له: أنت فقط تأكل ولا تجاهد وما تفيد الإسلام، هذه لدعوة الإسلامية الآن، الإخوان بالنسبة لبقية الحركات بدل أن تقول لهم جزاكم الله خيراً أنتم مهدتم لنا الطريق وأنتم علمتمونا ، وأنتم وقفتم أمام الظالمين، إبن الجيران يقول: أنظروا إلى هذا الرجل فقط يأكل ويشرب وينام، طيب هو مشغول، لماذا لا تقيس ـع أولاده؟ أولاده مثلك مثلهم يجاهدون، لماذا تأتي إلى عمر التلمساني؟ لأنه عمره خمس وسبعون؟ وإلى محمد حامد أبو النصر ـمره ثمانون سنة، المهم بين السبعين والثمانين وتقيس حالك، أمس كان يخدم الإسلام، هذا محمد حامد أبو النصر كان يأنف أن ـع عبد الناصر عزة، عشرين سنة والدولة توسط لهم فقط أكتبوا سطراً واحداً استرحاماً فيرفضون، لكن القضية لما تكون قضية ير، الرسول ﷺ يوم الحديبية عمر لا يريد صلح الحديبية -رضي الله عنه- (أولسنا على الحق)؟ بلى (أوليسوا على الباطل)؟ بلى

(فلمَ نعطِ الدنية في ديننا)؟ قال: إنه أمر ربي ولن يضيعني، منطق عمر قوي، منطق الشباب (بيّن رأسك جاء السيف)، ذهب إلى أبي بكر قال له: يا أبا بكر أولسنا على الحق؟ قال: بلى، أوليسوا على الباطل؟ قال: بلى، قال له: فلمَ نُعطِ الدنية في ديننا؟ أبو بكر قال له: إنه على الحق فالزم غرزك، ثقة بالقيادة، ما دمت تثق أن القائد صادق ولا يريد دنيا الحكام إقبله، لأنه يرى ما لا ترى، من فوق ينظر[1] أمور واضحة أمامه.

كامل الشريف يحدث عن الجهاد سنة (١٩٤٩م) قال: بعد أن اعتقلتنا الحكومة المصرية- هو من العريش- قال: أخذت السلاح الذي كان يجاهد به الإخوان وذهبت إلى عشيرة من عشائر البدو ودفنت السلاح عندهم، سنة (١٩٤٩م) رجعنا إلى القاهرة، بدأ العمل للإخوان بعد سنة من السجن، قالوا له: يا كامل الشريف أين السلاح- خاصة المتحمسين هؤلاء-، أين السلاح؟ وكل واحد يريد أن يعرف أين السلاح، كامل الشريف قال أنا لا أعرف، الإخوان قالوا هذا كامل الشريف باع السلاح وأكل فيه رز ولحمة... إلخ، وكامل الشريف صامت، سنتين وهم يتهمونه بالخيانة وبيع السلاح، قال: سنة (١٩٥٣م) قرّر الإخوان دخول معركة قناة السويس، قالوا: أين السلاح؟ نريد سلاحاً من أين نأتي بالسلاح، كامل الشريف خلاص باع السلاح من أين يأتي بالسلاح؟ قال لهم: السلاح موجود، ذهب أخرج السلاح من عند البدو وسلّمه للإخوان، لو أراد أن يطمئن واحداً من الإخوان ويقول له اصبر علينا قليلاً السلاح موجود ولا تخبر أحداً، وهذا الأخ المحترم لكن لا تقول لأحد يرجع لأخيه الثاني ويقول له: يا أخي هو أمنني أن لا أقول لأحد فقط أقول لك وحدك وهكذا.....

الجماعات الإسلامية ووجهة الصراع <ب>

انتصار المظلوم:

..... [٢] إخواننا في مصر أعذرهم أقول هم أعرف بواقعهم، أعرف بحالهم، فجماعة الجهاد حينما نسمع أحياناً أن فلان ضرب ضابطاً، وفلان كسر أسنانه نفرح ويشفي صدورنا، لأن هؤلاء مجرمون امتصوا دماء المسلمين واستطالوا وانتهكوا الأعراض، فعند ذلك مثل ماذا؟ يقول الأستاذ سيد قطب في الطبعة الأولى

(وأصبح في المدينة خائفاً يترقب فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس)

(القصص:١٩)

قال أنا في الطبعة الأولى قلت إنما الذي استنصره الفرعوني (**أتريد أن تقتلني**) هذا الفرعون (**كما قتلت نفساً بالأمس**) في الطبعة الأولى قلت هذا هو القبطي الذي قال له (**أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس**) في الطبعة الثانية قال: لا (**أتريد أن تقتلني**) هذا من بني إسرائيل قال: طيب كيف وصل الخبر قال: أن الشعب المظلوم يسمع حادثة عزة واحدة يتناقلها كل أبناء الشعب، فبسرعة انتشر الخبر بين بني إسرائيل أن واحداً من بني إسرائيل ضرب قبطياً ففرحوا بها، ولذلك سمع بها الناس أجمعين (**أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس**) هذا القبطي : (**قال يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس**) (**فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه قال له موسى إنك لغوي مبين فلما ان أراد أن يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد أن تقتلني**) من هو الذي عدو لهما؟ يبطش به، المهم أنه قال الخبر ينتشر بسرعة، انتشر بين بني إسرائيل بسرعة، رأيت أنهم مظلومون .... فنحن نسر عندما نجد موقف عزة من أي داعية من الدعاة رجل مخلص يقف أمام طاغية من الطغاة[٣] موجود إن شاء الله.

التشريع والحكم :

لا يوجد أسئلة فقهية كله فقه حنفي[٤]

يا أخي الكريم الذي نعتقده أن الذي يحلل الحرام ويحرم الحلال كافر خارج من الملة، والذي يشرع أي تشريع ولو مادة واحدة

---

(١) يقصد الشيخ هنا أنه يرى أكثر منك وعنده سعة اطلاع أكثر منك. - رقم الشريط: ٢٤٢ (٢) انقطاع في الشريط.

رجة عن الإسلام وعن القرآن والسنة الصحيحة الثابتة خارج من الملة، ولو مادة قانونية واحدة، هذا الذي نعتقده ثم خذ القاعدة بقها كما تريد، أنا أعطيك القاعدة.

أحد الجالسين يناقش الشيخ ويقول له لو كان مكرهاً؟

الشيخ يجيب: لا... هنا ليس عذراً الإكراه، ليس عذراً.

وهذا أمر معلوم من الدين بالضرورة، تحليل الحرام وتحريم الحلال هذا أمر لا يعذر الناس به بالجهل، ولا يعذرون بالإكراه، يعني حاكم كل يوم يذهبون به إلى الكنيسة ويلبسوه الصليب ويسجد لعيسى ولمريم كل أسبوع، نقول له لماذا فعلت هذا؟ يقول والله هذا ير، أو حاكم يرمي مصحفا أمام الأمريكي من أجل أن يقول لهم أنا والله لست متزمتاً، رمي المصحف في مكان قذر أو باستهانة ، الصليب والسجود لصنم... إلخ، هذه الأعمال لا تحتمل إلا الكفر، الأعمال لا تكفر مفهوم؟ الأعمال لا تكفر، لا أحد يعمل عملاً ج فيه من الإسلام إلا الأعمال التي لا تحتمل إلا الكفر، نص الفقهاء على مجموعة منها: رمي المصحف في مكان قذر، منها أن د لصنم، منها أن تدوس على المصحف، منها أن تستهزئ بالسنة وأنت تعلم أنها ثابتة، قال هذه الأعمال لا تحتمل إلا الكفر، إلا ' الأمر غير واضح بالنسبة له لهذا الإنسان الذي عمله، لجهل أو لغبش، مفهوم؟

سؤال: [1] لكن هذا الحق على الجماعة الإسلامية لازم توضح، خلاص بعد أن يبلغ أنا طالب متفق على أن تحليل الحرام وتحريم ، فأي واحد يقول لك يسجن السارق شهرين هذا كفر يخرج من الملة، مفهوم؟ أو الزاني لا يجلد، بل إذا كان يسجن بدل الجلد كفر يعني هذا متفق عليه، قال ابن تيمية: [من أحل النظرة- من قال أن النظرة حلال فقد كفر- ومن حرم الخبز فقد كفر اع]، الذي يقول الخبز حرام هذا كافر بالإجماع، والذي يقول النظرة حلال كافر بالإجماع، أو النظر إلى المرأة الأجنبية إذا واحد لى المرأة الأجنبية هذا ذنب، أما واحد تقول له لماذا تنظر يقول لك هو حرام النظر؟ هذا حلال، الذي يقول النظرة إلى المرأة ة حلال يخرج من الإسلام، مفهوم؟.

سائل يسأل: والذي لا يصلي يعني حكامنا لا يصلون؟

الشيخ: لا يكفر.

السائل: الذي لا يصلي لا يكفر؟

الشيخ: عند المذاهب الثلاثة عند الشافعي وأبي حنيفة ومالك لا يكفر، فقط عند الحنابلة، المهم مرة هذا تحليل الحرام وتحريم مهم جداً، تارك الصلاة لا يكفر عند مالك والشافعي وأبي حنيفة، لكن يكفر عند أحمد بن حنبل، وكلٌ يفهم الحديث **(من ترك فقد كفر)** وكلهم رووا الحديث، ولكن هل كفر معنى ذلك خرج من الملة؟ أو كفر كفراً عملياً، كفر دون كفر؟ أما القتل يقتل، الشافعي لكن بعد ما نقتله، تارك الصلاة نأتي به لماذا لا تصلي؟ إذا قال لك الصلاة عادة قديمة خلاص هذا اذبحوه وعلى ذمة الأربعة كلها، مفهوم؟ يقتل ويدفن في مقابر النصارى واليهود، أما إذا أحضرت واحداً لا يصلي من جماعتك الذين في أمريكا لا تصلي؟ يقول لك والله مقصر، والله شهوة، والله كسل، هذا الشافعي ومالك وأحمد يضعونه أمامهم يأمرون بسجنه يسجنونه ، كل يوم يعطى رغيفاً يأكل ويسأل: تصلي؟ يقول: لا، بعد ثلاثة أيام إذا أصر على ترك الصلاة أنت لا تنكر أن الصلاة فرض؟ فرض، لماذا لا تصلي؟ يقول لك والله كسل لا أريد أن أصلي كسلان، هذا يقتل بعد ثلاثة أيام، يقتل بالسيف أو بأي طريقة عند وأحمد بن جنبل ومالك، لكن بعد القتل، الشافعي ومالك قالوا نصلي عليه نغسله ونكفنه ونصلي عليه ونقبره في مقابر المسلمين، لا كفراً، يعني الذي يزني وهو متزوج هذا ما حكمه في الإسلام؟ يقتل برجم، واحد قتل واحداً؟ يقتل، صحيح؟ الذي يقتل عمداً ما يقتل نصلي عليه أو لا نصلي عليه؟ يقبر في مقابر المسلمين أو عند النصارى؟ يقبر في مقابر المسلمين، هذا تارك الصلاة، ومالك قالوا نقتله حداً ولكن نصلي عليه ونغسله ونكفنه ونصلي عليه ونقبره في مقابر المسلمين، أحمد قال: لا، قتل كفراً لا يكفن ولا يصلى عليه ولا يقبر في مقابر المسلمين، في المناسبة هذا عبد المنعم أبو ياسين عبد المنعم عبد السلام ياسين الذي ر جاءني قال: من لم يكفر الكافر فقد كفر، قلت تعال خلينا نتفاهم حسب النصوص، الرسول ﷺ قال: **[من ترك الصلاة] [من ترك الصلاة ثلاثة أيام فقد كفر بالإجماع][ليس بين الرجل والكفر إلا ترك الصلاة]** قال طيب، أحمد تناقشوا حول القضية فخرج الشافعي قال: لا يكفر، وأحمد قال: يكفر، الشافعي ما كفر أحمد، وأحمد ما كفر لكن هو يتفجر حماساً قال لي: لو كنت حاضراً وناقشت الشافعي ولم يقتنع الشافعي لكفرت الشافعي، فأحياناً الحماس لا

---

[1] لجالسين يسأل سؤالاً لم نفهم نصه بسبب ضعف الصوت فأجاب الشيخ:

حول ولا قوة إلا بالله. [1]

سؤال:[2]

هو هل أحد يبقى حياً، برشاش تصدك وإلا بالحجارة أسأل إذا جلد ومات [3]

أعوذ بالله كيف ربك حدد حدوداً

﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ (الطلاق: ١)

كيف هي الذنوب كلها بمستوى واحد؟ واحد حلق لحيته مثل الذي يكفر بالله؟ واحد استغاب مثله مثل الذي يترك الجهاد؟ واحد نظر إلى امرأة مثل الذي يزني؟ الذنوب درجات والعقوبات درجات؟ لا يجوز أبداً، أما واحد جاء على واحد يزني بمحرم من محارمه أخته أو زوجته أو أمه وجد عندها رجل غريباً يزني بها وغضب فأخرج المسدس وقتله هذا لا يجوز له أن يقتله، لكن ما استطاع أن يمسك أعصابه وغضب وخرج عن الغضب الشديد فأدخله في الإغلاق، هنا القاضي يدرس حالته، فإن فعل هذا فعلاً ما تمالك نفسه وما إلى ذلك هذا قد يخفف عنه القتل، لأن هذا قاتل عمداً، فيقتل عمداً، لذلك عندما قتل أبو لؤلؤة سيدنا عمر وجاءوا بالخنجر وعرفوا أنه هذا خنجر الهرمزان ذهب عبيد الله بن عمر وقتل الهرمزان، فقال الصحابة لا بد من تنفيذ القصاص عمداً في عبيد الله بن عمر، [4] لكن لأنه قتله قبل أن يتثبت، قتل عمر وقتل بن عمر وبعدها الصحابة... هل هذا مالك أعصابه ونفسه؟ هل فعلاً تأكد أن هذا السيف أو الخنجر فعلاً للهرمزان؟ وأخيراً قالوا لعثمان نفذ الحد على عبيد الله بن عمر.

سأقول لكم أسئلة فقهية:

يسألون عن المسح على الخفين، المسح على الجرابين المسح على الخفين مدتها عندنا هنا أربع وعشرون ساعة، متى تبدأ المدة؟ من الحدث بعد اللبس يعني أنت توضأت الصبح ولبست الخف مفهوم؟ وخرجت رياضة وبقيت على وضوء وأفطرت المهم الساعة العاشرة ذهبت ونقضت وضوءك الأربع والعشرين ساعة تبدأ من الساعة العاشرة عندما نقضت الوضوء فيحق لك أن تمسح على الخف من الساعة العاشرة حتى الساعة العاشرة في اليوم التالي مفهوم؟

أنت مسحت على الجوارب أنت حر، أنا ما أمسح على الجورب، هذا الذي تتفق عليه المذاهب الأربعة الذي يلبسه أبو حمزة الفلسطيني، أبو حمزة الفلسطيني الذي يلبسه هذا متفق عليه في المذاهب الأربعة، مفهوم؟ تحب أن تمسح على الجوارب امسح، هنالك علماء خير مني وأعلم مني يمسحون على الجوارب مثل الشيخ ابن باز والألباني وهم على الرأس والعينين علماً وديناً ونظنهم مخلصين والله أعلم نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً.

طيب أنت مسحت على الجوارب الظهر، واليوم نزلت الصبح الساعة العاشرة ونقضت وضوءك ومسحت على الجوارب، المغرب الدنيا برد ولبست جورباً ثاني تمسح عليه أو لا تمسح عليه؟ لا تمسح عليه، لأنك لبست الجورب الثاني ورجليك على غير وضوء أصلاً لأنه لازم تلبس الخف على وضوء رجليك وما تنزعه، لأن الخف يصبح رجلك، إذا نزعته ذهب وضوءك ، يجب أن تنزع الجورب وتغسل رجليك أو تتوضأ من جديد، إختلاف بين الفقهاء إما أن تتوضأ من جديد أو تغسل رجليك فقط ثم تلبس الجورب الثاني إذا كانوا اثنين ثم[5] إذا لبست جوربين فوق بعضهما ومسحت على الأعلى وأصبح الجو حاراً ونزعت الجورب العلوي وبقي السفلي ذهب وضوؤك مع العلوي، بعدما ينقض وضوؤك، يعني لبسته الظهر.

الشيخ يسأل السائل:متى غسلت رجليك ؟في الظهر، لبسته متى؟ في الظهر بعد الوضوء، متى انتقض وضوؤك؟ هو يجيب المغرب، فيبدأ المسح من المغرب، يجوز لك أن تمسح أربعاً وعشرين ساعة من المغرب للمغرب، ليس من الظهر، حتى معك خمس ساعات زيادة.

السائل: أربع وعشرين ساعة هنا؟

الشيخ: هنا أربع وعشرون ساعة، في داخل أفغانستان ثلاثة أيام، يعني عندما تكون في المعركة عندما تكون في مكان خوف، عندما تكون تقصر الصلاة يعني تكون مسافراً في خلدن يقصرون الصلاة فمدة المسح ثلاثة أيام، لماذا هناك يقصرون الصلاة؟ لأنه

---

(١) الشيخ سها فلحد الجالسين ذكره أن أبو حنيفة الذي قال يقتل وليس الشافعي، فعدل الشيخ كلامه فقال: أبوحنيفة الذي يقتله يقول يبقى مسجوناً حتى يصلي طيلة حياته وكل يوم رغيف خبز بدون شيء.

(٢) أحد الإخوة الجالسين يسأل سؤالاً لم نفهم نصه بسبب ضعف الصوت فأجاب الشيخ: (٣) هناك نقاش دار بين الشيخ والسائل كي يحدد الشيخ السؤال فأجاب الشيخ:

(٤) واحد يسأل كان الهرمزان كافر أجاب الشيخ مشرك إسلام ظاهري طبعاً، السائل: أبو لؤلؤة؟ الشيخ: أبو لؤلؤة...

مناك مكان خوف ممكن أن يضرب بالطائرات ممكن تأتي الدبابات، يعني مكان ليس مستقراً مثل هذا، فهناك أفتيناهم بالقصر، وه أفتيناكم بالإتمام، فهناك المسح ثلاثة أيام، وهنا المسح يوم واحد، وهنا نصلي الجمعة، وهناك لا يصلون الجمعة باعتبارهم مسافرين.

- **سؤال:** إذا كان الجراب خفيفاً جداً قالوا لا يجوز المسح؟

الشيخ: يظهر اللحم تحته؟

السائل: نعم.

الشيخ: مثل هذا؟

السائل: لا، أخف.

الشيخ: لا يجوز المسح عليه، لا يجوز المسح عليه إذا كان يشف أو إذا كان مثقباً ثقوباً أكثر من ثلاثة أصابع أو مقدار الدرهم فهم؟ يعني الثقب الذي في الجراب إذا كان بسيطاً لا بأس، الثقوب إذا كان مقدار ثلاثة أصابع لا يجوز المسح عليه، إذا كان هنا ثب وهنا ثقب وهنا ثقب إجمعهم، هذا إصبع وهذا إصبع وهذا إصبع معنى ذلك ممنوع.[1]

- الحقيقة عتبت عليك في نفسي لأنك لم تأت لدرس العلم متكئاً على ذراع، فقلت له: هذا ليس مقام العلم ولا التعلم ونحن لا نطلب ك أن تجلس جلسة المتعلم، جلسة المتعلم مثل جلسة جبريل مع الرسول ﷺ، فوضع ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه كيف؟ ل جلسة الصلاة ،نحن كلامنا كثير وعملنا قليل نعوذ بالله، اللهم ارزقنا الإخلاص، فإذا طال الدرس نسمح لكم أن تتربعوا، أما أن كئوا يعني زدتوها قليلاً، أما نحن عندما عرفنا أنك مريض سامحناك.[2]

السجدة سنة، رجع الإمام خلص ترجع وراءه، بالنسبة لسجدة التلاوة هو سمع في الصف الثالث لا يدري أنه سجد أو ركع فهو ع والإمام سجد ثم قام الإمام أنا ماذا أفعل؟ خلاص تقوم والسجدة تسقط عنك.

أنا أسأل سؤالاً آخر: أنا وقفت أدعو للقنوت واحد سجد، مفهوم؟ عندما أقول اللهم اهدنا فيمن هديت الذي في الصف الثالث أو ابع يفكر أنني قلت الله أكبر وهو مستعجل نزل سجد ماذا يفعل ؟

- هل الدعاء قبل القنوت أو بعد القنوت؟ إذا كان مثلي بعد القنوت يبقى ساجداً ينتظر الإمام لا يرجع، أما إذا كان القنوت قبل كوع لا بد أن يرجع ويتابع الإمام في الأركان، أما إذا كان القنوت بعد الركوع وقال الإمام اللهم اهدنا فيمن هديت وأنت ظننت أنني الله أكبر وسجدت تبقى ساجداً حتى يلحقك الإمام في السجود.

طيب أنا أسألكم سؤالاً آخر: افرض أنك دخلت المسجد وكنتم في بيت وأنتم مسافرون والإمام يصلي في البيت لا تدري يصلي ب أو يصلي *العشاء* ولا تدري أن الإمام يقصر أو يتم؛ كيف؟ أنت جئت إلى صدى ولا تدري أهل صدى يتمون أو يقصرون، أنت تنوي كان هذا الإمام يتم أنا أتم، وإن كان يقصر أنا أقصر، هذا جائز فإن أتم تتابع وإن قصر تتابع وتقبل الله منك، مفهوم؟ وتنوي في أنا مثل هذا الإمام لكن عارف أن الصلاة صلاة ظهر أما أنا لا أعرف هل هي صلاة ظهر، أو عصر، أو مغرب أو عشاء، مجموعة لناس مسافرون وفي البيت ساكنون -هذا يحدث كثيراً في الحج- وجئت على ناس يصلون لا تدري يجمعون جمع تأخير ويصلون ا، فأنت تصلي *المغرب*، أنت ما صليت المغرب ، تنوي المغرب وراءهم ما يصح أن تقول أنا صلاتي مثل صلاة الإمام إن كان مغرب أ، وإن كان عشاء عشاء لا يصح، لازم تحديد نوع الصلاة، لكن عدد الركعات هذا يمكن أن تقول أنا مثل الإمام ، فالمهم هو يصلي ي مغرب أو عشاء تنوي خلفه المغرب والركعة الرابعة وقف أنت لا يجوز لك أن تتابعه، تجلس تقرأ التحيات والصلاة الإبراهيمية وأنت حر إما أن تنتظر إمامك حتى ينهي الركعة الرابعة وتسلم بعده أو تنوي المفارقة وتسلم وحدك يعني يجوز صلاة المغرب وراء اء وصلاة العشاء وراء المغرب أنت تصلي... [3] (*) بعضهم يكون مخطئاً وبعضهم يكون مصيباً، عندهم أخطاء وعندهم صحيح.

السائل: يعني عملهم الذي يقومون فيه هو خطأ، هل هو خطأ أم صحيح؟

الشيخ: هذا يحدده جماعتهم أو قيادتهم، يعني أنا لو قيل لي لا... أفغانستان وتقيم دولة إسلامية في مكان في الأماكن.... لو ارني الإخوان نقاتل حسني مبارك أم عندك شيء؟ أقول لهم لا تقاتلوا حسني مبارك لا نريد مائة معركة، خلنا في معركة واحدة، وجهة الصراع، تعالوا حتى نقيم دولة إسلامية في أحد الأمكنة وبعد ذلك ننطلق في الأرض، أما كل أربعة خمسة في بلد يفتحون

لمرضي حضر للدرس فدعا الشيخ له بالدعاء التالي: عافاك الله يا شيخ لا بأس عليك اللهم اشف عبدك هذا يمشي إلى طريق.... عدواً يا رب العالمين يا رب يقتل لنا كم شيوعي.

لآخر الجالسين يسأل سؤالاً لم نفهم نصه بسبب ضعف الصوت فأجاب الشيخ:

الشريط. (*) أحد الأخوة الجالسين يسأل سؤالاً لم نفهم نصه بسبب ضعف الصوت فأجاب الشيخ.

معركة مع الحاكم يذبحهم ويضعهم في السجن متى نحقق أهدافنا؟ متى؟ متى نحقق أهدافنا؟ لذلك الإخوان في سوريا أعلنوا الجهاد الجماعة تبنتها. خلاص الإخوان العراقيون يسكتون عن صدام، الإخوان الذين في الأردن يسكتون عن الملك، الإخوان الذين في مصر، نحن الآن بحاجة إلى أي نفس يقف بجانبنا، وأي شوط، وبالإمكان نقف ونهاجم صداماً، ونقف ونهاجم الملك حسين وكل واحد، وتغلق الحدود وتخنق الحركة في سوريا، ما دام عندكم جبهة مفتوحة لا تفتحوا جبهات أخرى يا جماعة، الروس، الروس كم هم؟ أما يعرفون أن باكستان واقفة مع الجهاد الأفغاني؟ يعرفون، لماذا لم يدخلوا باكستان؟ لا يريدون أن يوسعوا الجبهات، لأنه لو دخلوا في حرب مع باكستان لأجلت عليهم بسرعة، فكانوا يكتفون بضرب الحدود بالمدفعية بالطائرات وبإمكانهم أن يضربوا بيشاور مركز المجاهدين وبإمكانهم أن يدخلوا بالدبابات ويصلوا بيشاور لكن معنى ذلك سيجهز عليهم، هم المجاهدون الأفغان لا يستطيعون أن يقفوا أمامهم، يفتحون جبهة جديدة؟ تحديد وجهة الصراع، وتحديد مهمة الجماعات، ماذا تريدون أنتم؟ ماذا تريدون؟ تريدون هدفاً؟ ما هو الهدف؟ إقامة دولة إسلامية؟ إذاً تريد أن تجمع قواتك وتلتزم جنودك برأي قيادتك، بدون هذا يبقى كل عملنا ضائع، كله ضائع! نعم! شيء جيد أن نضرب هذا ونقتل هذا ونقف أمام الملك فلان ونهاجم فلان، لماذا ساكتين على الدولة الفلانية؟ ولماذا ساكتين على الحاكم الفلاني؟ ولماذا ساكتين على الحكومة الفلانية؟ كلهم أصلاً بدون هذه الواسطة متفقون ليذبحوك، مؤامرة عالمية عليك، كيف لما تريد فعلاً تحول هذا الوهم عندهم إلى واقع ملموس؟

أخي الحبيب: جماعة جهيمان جماعة مخلصة صادقون، لكن ما عرفوا الهدي النبوي لإقامة حكم الله في الأرض، جمعوا أنفسهم وظنوا أنه هذا الذي بيننا المهدي وخلاص رايح يخرج جيش من المشرق يأتي من المنطقة الشرقية أو غيرها حتى إذا وصل حدود مكة سيخسف به الأرض، هكذا كانوا يعتقدون، وأن هذا محمد بن عبد الله هو المهدي الذي سيحكم البشرية..... على أيديهم الدنيا إلى .... ومسكوا السلاح وضربوا، إخلاص، من الذي يقول لك غير مخلصين؟! من قال؟! ماذا حصل الآن؟ كان أي واحد يريد أن يتكلم عن الحق عن الخير عن الإسلام يتكلم، بعدها كتموا أنفاس الناس جميعاً، من يستطيع الآن أن يتكلم إلا برخصة من وزارة الأوقاف، يعني أدت إلى رد فعل عكسي لدى الدولة، وبالنسبة للحركة، للعمل الإسلامي في داخل البلد والدعوة وما إلى ذلك خنق خنقاً، خنق خنقاً، الغرباء ممنوع أن يتكلموا أبداً، المساجد تغلق بعد الصلوات، هذا ما كان هكذا، السعودية قبل عشر سنين كان الواحد يتنفس، يتكلم بحرية، قال لهم الأمريكان انظروا سمحتم لهؤلاء أصحاب اللحى أن يعملوا فيكم حملوا السلاح ودخلوا داخل الحرم وبدأوا يطلقون، وما صدقوا أنهم على خطأ إلا عندما قتل هذا المهدي الذي بينهم محمد بن عبد الله، وكانوا يعتقدون أنه لن يقتل لأنه سيمكن له في الأرض، والجهل لعب دوراً كبيراً، تصور دعوة كلها قائمة على الرؤى، يأتي واحد من الكويت يرى في المنام، يأتي واحد هاجس يقول له ظهر المهدي في منطقة النخيل قرب المدينة المنورة، إلحق: يبيع ممتلكاته، مخلصون!! واحد من الإسكندرية، وواحد من كذا، وفعلاً اسمه كاسمه واسم أبيه كاسم أبيه هكذا الأنف وهكذا الجبهة صفات المهدي فيه، قالوا خلاص هذا المهدي، فأحياناً قد يلبس على الإنسان، يعني لا بد للقضية من علم، ولا بد لأناس عاقلين يقودون الجماعات، وإلا والله بالإمكان نأخذكم ونضعكم في تعرض في قندهار ونحصدكم حصيدة، وخلاص نكتب استشهدوا في سبيل الله وفي سبيل عزة هذا الدين وما إلى ذلك، لكن الرسول ﷺ انظر إلى غزوة بدر، ماذا حدث في غزوة بدر؟ **(اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض)**.... كم واحداً؟! تريد أن تذبحهم؟ لن يعبدك أحد، فلا بد من قيادة ناضجة تعلم، عندها علم وعندها تقوى وعندها شجاعة، كذلك إذا قالوا لهم لا نريد أن نجاهد هؤلاء غلطانين.

وكيف أنتم على خطى حسن البنا، وحسن البنا يقول الجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا والقرآن دستورنا؟ أنتم معنى ذلك إخوان جدد غير إخوان حسن البنا، نعم! لكن يقولون لك نحن نريد أن نجاهد، ولكن نريد أن نركز على منطقة من المناطق، نتبنى قضية من القضايا، وبدون هذا كيف تريد أن تنجح؟ إذا كان كل ثلاثة أربعة في بلد يريدون أن يعملوا مشكلة مع الحكومة، أولاً لا الدعوة تنجو، طبعاً نحن تجاربنا طويلة، إخواننا في سوريا ما كانوا يرضون أن يقعدوا معنا، لماذا؟ لأننا ساكتين على الملك حسين، وبقوا ضائعين هنا وهنا حتى استلمهم حافظ الأسد، وحتى مسح الإسلام مسحاً من البلد، الآن يقولون أنتم أبعد نظراً منا، هو الملك حسين أعطانا وزارات أو أعطانا رئاسة الوزراء؟؟!! وظيفة آذن في وزارة الأوقاف ما يسمح للإخوان أن يدخلوها، آذن، كناس، لكن كم ربحنا بسبب ضبط الأنفاس في الأردن؟ الآن أقوى حركة في الأردن هي حركة الإخوان، ولا تيار آخر يقف أمامهم، واليوم نفس الأمريكان والإنجليز كانوا يقدمون تقارير هؤلاء الإخوان أنتم لا تعرفونهم، عبد الناصر يقول لهم هكذا كلهم، يقولون هؤلاء يتمسكنون حتى يتمكنوا، يتمسكنون حتى يتمكنوا، اضربوهم، اضربوهم قبل أن يكونوا أجنحة وهم فراخ صغار، فبقوا الآن جيل، جيل في الأردن يفقه الإسلام، تربى انضبط، لو قارنت بين حركة الإخوان المسلمين في الأردن وحركة الإخوان في العراق أو حركة الإخوان في سوريا أو

عركة الإخوان في ليبيا أو الأنظمة هذه الثورية التي جاءت، كنا في سنة (١٩٥٦م) أمام خيارين، البلد إما يستلمها الملك حسين أو ستمها الثوريون يعقوب زيادين زعيم الحزب الشيوعي وفائق ورّاد كذلك الشيوعي النصراني كلهم مسكوا البلد هكذا، والجيش بده أيديهم، علي أبو نوار، وعلي أبو نوار أوقف الجيش، قال كل الفئات الوطنية معنا إلا الإخوان المسلمين، أنا ما عندي خبز مثل عبد ناصر(١)، هاتوا لي قوائم -هذا قبل الانقلاب- وأعدوا لكل فرد طلقة. فالإخوان قاموا بمظاهرات ضد الشيوعيين وضد القوميين .... نا أمام خيار صعب، إما أن يبقى هذا الحكم الملكي الذي ظلمه ليس مثل ظلم الثوريين وما في مشارب في داخل الأسواق مثل حافظ لأسد وصدام، وهذا المجنون القذافي وإما أن يستلمها الشيوعيون، أو يبقى هذا الحكم في ظلم دون ظلم، أنتم قيادة الجماعة تقدر نسمها، زمنها، ماذا تريد، ما هي الخطوات التي مشت فيها حتى تصل الهدف الذي تريده، الله أكبر، يعني أنا هذا رأيي، نحن كما قلت حب والله كل الجبهات الإسلامية، لكن يعني إذا الحكومة أنت تدخل في معركة مسلحة معها، القيادة تحدد نقاوم أولا نقاوم، مفهوم؟ ركة مسلحة تتبع فقط أخبار فترة من الفترات كما أخبار البنا أخبار البنا أن يقتل الملك فاروق... ما كانت مكشرة عن أنيابها لهذا حد... يسمع فاروق ويعرف البنا أنهم يعدون لقتله وضرب الجماعة، مرة أرسل كشافة الإخوان ليستقبلوا الملك فاروق، لو حصلت الآن نفرونه ويخرجونه من الملة، الإخوان أصدروا تقويماً في أواخر سنة (١٩٤٨م) تقويم الذي هو رزنامة مفهوم التقويم هذا؟ عليه صورة ـ البنا، المخابرات قالوا نزلوا صورتك الإخوان ووضعوا صورة حسن البنا على الرزنامة ملك جديد، يقول يوسف رشاد: دخلت عليه، وسف رشاد رئيس الديوان الملكي- فتح لي الكراس وقال لي: هل رأيت صورة الملك الجديد؟ قلت أي ملك غيرك يا فلان..... قال هذه ورة الملك الجديد حسن البنا يتقلد عرشي ولا بد من قتله، ما مضى على هذا شهر قتله، كان يعرف، لكن حسن البنا لا يريد أن يبدأ مركة، لا يريد، وبعد سنتين الجماعة استطاعت أن تنهي حربها، وفاروق كتب هذا في مذكراته أن جماعة الإخوان المسلمين هي التي ت عرشي، لأن الذي أجبره على التنازل عن العرش فريق طيار عبد المنعم عبد الرؤوف، ويعرف أنه من الإخوان، وما كان فاروق يوقع بهولة عن التنازل عن العرش لولا أن الإخوان وراء الثورة، قال إن الإخوان المسلمين هم الذي قلبوا عرشي، ولم يكن رجال الثورة إلا وبة بأيديهم، ولقد أراد الإخوان المسلمين ضربي في عرض البحر، لولا أنني أمرت ربان السفينة أن يغيروا اتجاهها، وفعلاً.... لكن . الناصر مجرم كان متصل بالإخوان ويحضر أسراً، وكانت أسرته في بيت زينب الغزالي، ويحترم الإخوان وما إلى ذلك، ومن جهة ي متصل بالسفارة الأمريكية.

يعني النفس تحب هذه الأعمال الذي يضرب شرطياً يقتل ضابطاً، ينفسُ الإنسان عن مشاعره نعم، الواحد يفرح بهذه المواقف، ، النتيجة التي بعدها ليست لصالح الحركة الإسلامية المنظمة التي عندها هدف لإقامة الدولة الإسلامية، ضربة واحدة، أعد، خطط، رب، أليس هكذا تعلمتم؟ أما علموكم دورية الاستكشاف، ورسم والكروكي، وطاولة الرمل وما إلى ذلك؟ أما أن نذهب على رؤوسنا، جم على قلعة الألغام يذهب نصفنا، والرشاشات تأخذ نصفنا، ومعركة (مسكيرديرون) قرب دير البلح مستعمرة، واحد من الإخوة أخطأ أ بسيطاً، حصد حوالي سبعين شاباً من الكتيبة الأولى من خيرة أبناء هذا القرن، ما هو هذا الخطأ؟ تأخروا في عمل المليم والتام، د عبد العزيز لماذا تأخر؟ كان يجب أن يضربوا في آخر الليل المدفعية ويتقدموا في الليل ويضربوا في الليل وينسحبوا قبل أن يطلع ار، تأخر عبد المنعم عبد الرؤوف، تقدمت الكتيبة التي مع المجموعة التي ستقتحم، الساعة الثالثة إلا ربعاً يجب أن تضرب المدفعية، ت الساعة الثالثة، الثالثة والنصف، الرابعة، بدأ النهار يظهر، قال لهم إرجعوا يبدوا أن.... قال ونحن راجعون بدأت المدفعية سف.... انتظر، تقدم، المهم اليهود بدأوا يحصدون، قالوا للأخ الموكل بقنابل الدخان إضرب، ضرب ولم يحضر معه إلا صندوقاً ..ـ الأخ، خلص الصندوق، كشفوا، النهار طلع، الشمس كادت تطلع، سبعون واحداً قتلوا تقريباً، أربعين قتيلاً وثلاثون جريحاً، لم إلا القليل القليل في المعركة.

خاصة قضايا القتال تحتاج إلى تغطية، تحتاج إلى ارتباط بالقيادة، أنت لا تدري ماذا في ذهن القيادة، هذا إذا كنا نثق يادة ونظن أنها تخطط للعمل الإسلامي، ولإقامة المجتمع الإسلامي، أما إذا هم يلعبون تلعب معهم كما يريدون.(٢)

قيادة عالمية ومجلس شورى واحد، وقيادة واحدة، وهذا أخاف الدنيا، أخاف العالم كله هذه القيادة العالمية، واحد يسأل سياقاً متيار هل أنتم على اتصال بالحركة العالمية؟ خوف العالم متصل بالحركة العالمية، يعني مصيبة فوق مصيبة، أفغاني متصل خوان بالحركة العالمية، يعني إذا أفغاني ليس متصل بالحركة ألطف، أصولي ومتصل بالأصوليين هكذا أعداء الله عز وجل الأمريكان هم يقولون، نحن نتمنى من يعرف يستخرج لنا السر هذا أنه لهم صلة بالقيادة العالمية أو ليس لهم صلة بالقيادة العالمية؟ نعم!

---

(١) يعني أشبعهم في السجن وأطعمهم

(٢) شيخ يسأل أحد الجالسين هل أنت مريض؟ ويدعو له بالشفاء.

فواحد أمامي قال لسياف قال له: أنت جزء من الحركة العالمية؟ قال له: اتركنا من هذا السؤال، قال لحكمتيار قال له: أنت جزء من الحركة العالمية؟ قال له: (DON'T ASK LIKE THESE DANGERAS QUASTION)سؤال بسيط هذه أسئلة ثقيلة.[1]

عندما أقول لا يعني أن الإخوان ما عندهم تقصير، والإخوان ما عندهم هذا، الإخوان عندهم تقصير وننتقدهم بهذا، لكن الحقيقة الخط هو أوضح الخطوط..... الشمولية، إذا رأيت واحداً من الإخوان يمنع عن الجهاد أو يثبط عنه فاعلم أنه ليس من الإخوان، وليس على خط الإخوان، هناك ناس صغار نقيب أسرة مسؤول شعبة هو يريد أن يعمل نفسه امبراطوراً، جمع حوله ثلاثة أربعة، نفذ ثم ناقش، مصلحة الدعوة نذهب إلى أفغانستان؟ لا، مصلحة الدعوة أن تبقى، أنت على ثغرة، هؤلاء ليسوا من الإخوان الحقيقيين، وليسوا على خط الإخوان، وليس هذا رأي الإخوان.

سؤال: [2]

يا أخي الإخوان المسلمون مثل ما قال البنا، قال لماذا سمينا أنفسنا (الإخوان المسلمون)؟

اجتمعنا ستة في الإسماعيلية، قال فكرنا طويلاً، قال: علم الله أننا كنا نسهر الليالي حتى يصل بنا الأمر إلى أن تفيض بنا الدموع، وكم من الليالي سهرناها والخليون هجع، واتفقنا -نحن ستة في الإسماعيلية- على تكوين دعوة للعمل الإسلامي، فقلنا ماذا نسمي أنفسنا؟ حزب كذا وحزب كذا؟ فواحد قال إنا إخوان ونحن مسلمون، فلماذا لا نسمي أنفسنا (الإخوان المسلمون)؟!

سؤال: [3]

لا، إسم (الإخوان المسلمون) هذا نص لا يغير فيه ولا يبدلونه، مفهوم؟ أي حركة في أي مكان لازم يكون اسمها (الإخوان المسلمون)، ولذلك يعني هم فيما بينهم يعرفون أنهم إخوان مسلمون، لكن يمكن أنهم يرفعون لافتة ثانية، مفهوم؟ يعني الأستاذ الهضيبي ما كان... طويلاً يراودونه على التنازل على الإسم يقولون له: فقط أنت غير إسم الإخوان إلى أي إسم آخر، يأتون له بالإستمارة في السجن يقولون له: اسمك؟ عملك؟ يكتب عملي المرشد العام للإخوان المسلمين، يقولون له: ما هو عملك؟ يقول هذا هو عملي، عملي المرشد العام للإخوان المسلمين، حاولوا كثيراً أن يغيروا هذا الإسم، -الدول- فرفض تلبية ما يريدون.

سؤال: [4]

لا مساعدات إلا الدعاء، نرجو الله عز وجل أن يمكننا إن شاء الله، إن شاء الله، يعني يمكن بعض الإخوة تدربوا نعم فنرجو الله أن يمكننا إن شاء الله من دعم حماس، شهرين إن شاء الله سنرى الثلج يذوب، ثم إن شاء الله ربنا يفتح لنا ثغرة في فلسطين، إن شاء الله تكون أخذت الجواب.

سؤال: [5]

قالوا لي أنا لا.... عن هذا أنا ما فهمت أنه يعني لا أدري أنهم قالوا له بهذه الشروط أن تحكم بالإسلام، أنا ما قرأت البيان وما عرفت التفصيل.

سؤال: [6]

أنا أحب الجهاد كثيراً من قبل، وأحب السلفية، زعيم السلفية صاحبي، وبعدين الإخوان أنا من الإخوان، وعندما نشعر أن هنالك ظلماً وقع على الجهاد نتمنى أن نساعدهم بكل ما نستطيع، فنحن بيننا وبينهم الحمد لله المحبة وصلات طيبة، خاصة جماعة الجهاد، فنرجو الله أن يؤيدهم، إذا قامت الدولة عن طريقهم فنحن جنود منهم سنبايعهم إن شاء الله، نعم، نحن نريد أن ينتصر الإسلام (نحن نريد عنباً أم نريد أن نقاتل الناطور؟)[7]، تعرفون الناطور (حارس البستان)، أنت تريد عنباً، لا تريد أن تقاتل حارس البستان، نريد عنباً، العنب جاء عن طريق هذا أم عن طريق هذا يكون خيراً، ونحن نريد دولة إسلامية، قامت عن طريق الجهاد نحن أول جنود لهم، نشتغل عندهم أدنى عمل لخدمة المسلمين والإسلام، ونحن مكتب خدمات ننقله على مصر، نعم، ونرجو الله أن ينصرهم وندعو الله لهم.... [8]

---

(١) أحد الإخوة الجالسين يسأل سؤالاً لم نفهم نصه بسبب ضعف الصوت فأجاب الشيخ.

(٢) أحد الإخوة الجالسين يسأل سؤالاً لم نفهم نصه بسبب ضعف الصوت فأجاب الشيخ:

(٣) أحد الإخوة الجالسين يسأل سؤالاً لم نفهم نصه بسبب ضعف الصوت فأجاب الشيخ:

(٤) أحد الإخوة الجالسين يسأل سؤالاً لم نفهم نصه بسبب ضعف الصوت فأجاب الشيخ:

(٥) أحد الإخوة الجالسين يسأل سؤالاً لم نفهم نصه بسبب ضعف الصوت فأجاب الشيخ:

(٦) أحد الأخوة الجالسين يسأل سؤالاً لم نفهم نصه بسبب ضعف الصوت فأجاب الشيخ:

(٧) مثل شائع في فلسطين والأردن. (٨) انقطع الشريط.

الحركة المظلومة*[1]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، ى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

لعل بعضكم في نفسه سؤال يريد أن يسأله، تسأل ما تريد ونحن نجيب، أحد الإخوة الجالسين يسأل عن آخر الأخبار، فيجيب خ على ذلك:

الحمد لله رب العالمين، المجاهدون قطعوا الطريق بين كابل وجلال آباد، فالدولة الآن لا تستطيع أن ترسل شيئاً إلى جلال أباد.

وثانياً: بالأمس أسقطوا أربع طائرات، وأنضمت ثماني دبابات، وقبلها بيومين انضم خمسمائة من الجنود، وإن شاء الله الحلوان إن شاء الله.

أولاً: النصر والتمكين من الله عز وجل خالق كل شيء.

الشيء الثاني: المدة ليست طويلة في حياة الأمم، يعني سيدنا نوح بقي في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما، وفي الأخير

{وما آمن معه إلا قليل} (هود:٤٠)

والرواية أنه دخل معه في السفينة اثنا عشر شخصاً، وتسعمائة وخمسون سنة، يعني كل ثمانين سنة كان يسلم معه واحد.

الشيء الثالث: لو تعرضت أية دعوة للضربات التي تعرض لها الإخوان المسلمون لا يمكن أن تبقى على الأرض أبداً، الكيد العالمي ب على هذه الدعوة لم يصب على أية حركة أبداً منذ الرسول ﷺ إلى يومنا هذا.

يقول الأستاذ محمد قطب -كان يتحدث معي، كنا نتردد عنده في البيت أيام القاهرة، لا أدري أنا سمعته بنفسي أو أحد الإخوة معه حدثني- قال: راجعت تاريخ التعذيب في البشرية فما وجدت جماعة عذبت أكثر من الإخوان المسلمين، اللهم إلا محاكم في إسبانيا فتلك عملية إبادة نهائية.

أخي، الآن انظر الدول.. كل العالم مجمع على محاربة الإخوان المسلمين، سواء كانت دولاً إسلامية أو عربية أو كافرة مشركة ما ، كلها تهاجم الإخوان المسلمين، أو تضغط عليهم، أعطوني دولة واحدة في الأرض، دولة واحدة، أحد الإخوة هو محمد قطب قال: أحد الوزراء المصريين حديثاً قال: زرت قسم المخابرات في ألمانيا فوجدت طابقاً مخصصاً للإخوان المسلمين، في ألمانيا طابق ت.. الطابق الرابع مخصص لتتبع حركات الإخوان المسلمين في مصر في الأردن في العراق في سوريا إلى آخره.

لأن عمليات تنظيف كل أجهزة الدولة في كل الدول العربية من الإخوان المسلمين، تجريدهم من المراكز الحساسة، وإبعادهم عن في الدول العربية والإسلامية، في الأردن عندنا في يوم واحد يخرج قرار بإخراج عشرين أستاذاً جامعياً وموظفاً كبيراً! بابات تجدها، وهذه الأردن التي يعتبرونها متساهلة مع الإخوان المسلمين. لم يتوقف في الأردن منذ (١٩٨٠م) إلى يومنا هذا الإخوان المسلمين أبداً.

رت فصلي من الجامعة الأردنية بقرار من الحاكم العسكري العام[2] أنا الحاكم العسكري العام هكذا النص.. بموجب المادة كذا ل الدكتور عبد الله عزام لقناعاتي الخاصة، هكذا النص لقناعاتي الخاصة.

ي الإمارات العربية المتحدة المحترمة في يوم واحد رئيس الجامعة -ابن أخ زايد- فلان وفلان وفلان يفصلون من الجامعة، لس الأمناء ابن أخ زايد، فيسأله مدير الجامعة: هؤلاء الأساتذة أجدر الأساتذة في الجامعة وأنجحهم، يسألونه ما السبب؟ قال: الشيخ زايد! والشيخ زايد عمره ما رآهم، لماذا؟ لا يريدون إسلاميين ملتزمين في الجامعات!! لأن هؤلاء لا يباعون ولا يشترون.

دما يصدر قرار في مصر يمنع توظيف أي واحد من الإخوان المسلمين.. واحد قريبه من الإخوان المسلمين من الدرجة الثالثة،

٢٢٨:

الشريط مكررة في شريط رقم (١٦٢) لذا فقد اقتصرنا على نشر هذا الشريط فقط.

امل لقرار فصل الشهيد عبدالله عزام نشر في نشرة لهيب المعركة العدد ١٧٩ صفحة (٣) بتاريخ ٣٠/ نوفمبر ١٩٩١ ونص القرار هو.

— قرار صادر عن الحاكم العسكري العام

الثة من تعليمات الإدارة العرفيه لموظفي الحكومة في المملكة الاردنيه الهاشميه رقم (٤) لسنة (١٩٧٠) ولقناعتي بالأسباب الوجيهة الواردة فيها أقرر عزل الدكتور عبدالله عزام شريعة في الجامعة الأردنيه من الخدمة اعتباراً من ٤/١١/ ١٩٨٠م ——— الحاكم العسكري العام مضر بدران

إذا أبوك من الدرجة الأولى ممنوع يتوظف، أخوك من الدرجة الثانية.. ابن أخيك من الدرجة الثالثة، إذا أنت من الإخوان لا أبوك ولا أخوك ولا ابن أخيك ممكن أن يتوظف في الدولة!!

محطة إسرائيل بعد هزيمة (١٩٦٧م)، أولاً حدثتكم عن نكبة (١٩٤٩م) أنهم ما استطاعوا أن يقروا الحدود ولا أن يفاوضوا إسرائيل إلا بعد أن ضربوا الإخوان المسلمين وقتلوا حسن البنا، وكلما أرادت أمريكا أو إسرائيل أن تتقدم أو تعمل شيئاً في المنطقة أول شيء انظروا كيف حال الإخوان المسلمين، في أي بلد حالهم قوي اضربوهم، ضيقوا عليهم، فبعد أن يطمئنوا أن الحركة الإسلامية لانه يعرفون أنه لا يقف أمامهم إلا هذه الحركة وإلا أبناؤها، الآن جماعة الجهاد في مصر من أين جاءت؟ من الإخوان المسلمين، كل الحركات الإسلامية في الساحة إنما هي وليدة الحركة الإسلامية الأم، إن لم تكن وليدة فهي مدينة لها، يا أخي لما كنا قبل أن تظهر حركة الإخوان المسلمين وتثبت وجودها في الساحة، الإسلام ضائع نهائياً، ولا أحد يتكلم بالإسلام، ولا أحد، الناس يستحيون بإسلامهم، وأنا حدثتكم أنه لم يكن في أبناء فلسطين كلهم إلا واحد يربي لحيته، وكنت لا تجد معلمة واحدة تلبس اللباس الشرعي!! لا يمكن أن تجد بنتاً متعلمة في المدارس الثانوية تلبس اللباس الشرعي!! وفي جامعة القاهرة قلت لكم خمسون ألف فتاة ما فيهن إلا واحدة تلبس اللباس الشرعي!! بنت أخت سيد قطب، كان الإسلام ضائعاً نهائياً، كان الإنسان الذي يريد أن يفتخر يقول: أنا سلمت على حاكم الصلح، أو أنا أعرف القاضي أو أعرف الشرطي، وإذا بالحركة تقلب الموازين، من القاضي؟ القاضي هذا فاسق أكله حرام، لا يجوز أصلاً الجلوس معه، ولا يجوز الأكل من بيته، من الحاكم هذا الذين تتقربون له بمعرفة شرطي من شرطته؟ هذا الحاكم الذي يمتص دماءكم، وهذا ظالم، وهذا فاجر، وأنت خير منه وإن كنت لا تملك شيئاً، قلبت الموازين كلها، صار المسلم يعتز بالإسلام.

اقرأ عن الذين كتبوا عن الإسلام، كانوا عندما يكتبون عن الإسلام قبل أن تبرز حركة الإخوان المسلمين، كأن الإسلام في داخل قفص الاتهام وهم يدافعون عنه، أنتم أخذتم العالم بالسيف، يأتي العلماء لا، لا، ديننا دين السلام والمحبة، نحن ديننا دين دفاعي، نحن

(فإن قاتلوكم فاقتلوهم) (البقرة: ١٩١)

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) (البقرة: ١٩٠)

أنتم تأخذون الناس عبيداً، أنتم تتزوجون أربع نساء، أنتم كذا، فيقول العلماء : لا، لا (وإن خفتم أن لا تعدلوا فواحدة)، والعبيد تعتبر مسألة طارئة، والإمامة مسألة طارئة على حياة الأمة الإسلامية، والسيف لا يستعمل إلا عند الضرورة، وإسلامنا دفاعي!! جاء الإخوان وقلبوا كل الموازين، قالوا: لا، ديننا هجومي، ديننا جاء لينقذ الإنسان جنس الإنسان في الأرض كل الأرض، نحن أصحاب رسالة، يجب أن ننقذ أمريكا نفسها، وأن تخضع لديننا، وأن نخضع روسيا، وأن نخضع العالم كله.

ورأيت كيف عمال قناة السويس حدثتكم بالأمس كيف صاروا يقفون أمام الضباط الإنجليز، نحن أعز منكم وأنتم دخلاء على هذا البلد، نحن أصحاب البلد ونحن المسلمون، الإنجليز رغم أنوفهم سيحاربونهم، الأمريكان، الغرب....

حدثني أحد الأخوة :كان مؤتمر إسلامي في القدس، ولا بد أن يأتي لحضوره، فمر من ليبيا، في ليبيا...في المطار، أنت فلان؟ نعم أنا فلان، أنت ممنوع تمر، طيب أتركوني أمر، قالوا: لا، أنت محجوز في المطار! حجزوه اثني عشر يوماً، فاته المؤتمر، أرسل رسالة يحدث ماذا جرى معه، قال: ولم يضعوا عليَّ جنوداً بسطاء، بل لا بد من كبار الضباط لكي يحرسوني، فبدأت أتكلم لهم عن الإسلام، وعظمة الإسلام، وعزة الإسلام، وعزة المسلمين، وتاريخنا، وحالتنا الحاضرة، قال: بعد اثني عشر يوماً قالوا: سفروه، كانت الباخرة ذاهبة إلى فرنسا، فقالوا: أخرجوه، خذوه على الباخرة، قال: فجاء الضابط معي لحراستي، وعندما صعدت سلم الباخرة بدأ الضباط يبكون قالوا: ليتنا لم نعرفك، ظنني ركاب الباخرة أني أمير أودعهم، ولا يعلمون أني أسير! قال: ركبت في الباخرة فركب بجانبي رجل، فسألته ماذا تعمل الآن؟ قال: أنا أعمل في محكمة العدل الدولية في لاهاي، قال: فبدأت معه بين القوانين العالمية وبين قوانين الإسلام، القانون الفرنسي والقانون الألماني والقانون الإنجليزي والقانون الإسلامي، قال: مكثت أربعة وعشرين ساعة، الباخرة تمشي وأنا أتكلم له، بالتالي قال له: أنت مطول -هذا الغربي- لو كان سفراء الدول العربية في أوروبا مثلك لانقلبت أوروبا في أربعة وعشرين ساعة مسلمة!!

قال: في الطريق نزل وذهب إلى لاهاي، وجاءت بجواري بنت ركبت -الأخ عيونه واسعة، ولحيته سوداء ما شاء الله، هي تفكره خنفساً من الخنافس-، البنت الفرنسية بدأت تتغزل به، فقال: فقلت لها: من أنت؟ قالت: أنا فرنسية باحثة اجتماعية، كنت في الشرق أبحث أحوال الشرق، قال لها: هل ذهبت إلى مصر؟ قالت له: نعم ذهبت، قال لها: كيف أحوالهم؟ فذكرت له عن أحوالهم، قال لها: كيف

خوان المسلمون هناك؟ قالت: نحن نشكر الله[1] أن عبد الناصر سحقهم، قال لها: كلهم؟ قالت: كلهم، قال لها: لكن أنا من الإخوان سلمين، قال: وإذا بها تقفز من جانبي وتبتعد من جانبي وتصيح، مسلم بربري مسلم بربري.. تهرب من جانبي.

أخي الكريم: موشي دايان عدة مقابلات صحفية له في أمريكا، في إسرائيل يقول: -بما معناه- عدونا الأول في المنطقة هم خوان المسلمون، لن نستريح حتى يقضى عليهم، وفعلاً هم يعرفون، لأن فكرة الإخوان المسلمين قائمة على الجهاد، ومن هنا الدول اربهم بلا هوادة.

هذا محمد حامد أبو النصر مرشد الإخوان المسلمين الآن، عمر التلمساني الذي قبله رحمه الله، عبد الناصر وضعهم في السجن رين عاماً، عشرين سنة كان يطلب منهم طيلة الوقت أن يقدموا سطراً واحداً -اعتذار-، فقط سطر استرحام (نأمل إخراجنا من سجن) عشرون سنة وعبد الناصر يحاول، وقد فشل أن يأخذ منهم سطراً واحداً!!

أين تجد هذا في المجتمعات الإسلامية والعربية ، هؤلاء الذين يتطاولون عليهم نجدهم دائماً منحنين أمام الزعماء وأمام الحكام من لعاعات من لعاعات الدنيا، من الذي صبر كصبر هؤلاء؟ الصبر، العرق، الدم، الضحايا، هذه تثمر، لكن الابن قد يكون عاقاً وقد لا اقاً، فبعض الناس الآن يأتي يقول لك ماذا الإخوان؟ الإخوان كذا والإخوان كذا، لقد كانوا يجاهدون قبل أن تولد أنت، قبل أن ، قبل أن تعرف السلاح كانوا يجاهدون، أنت ماذا عملت؟ ماذا عملت لهذا الدين؟ ماذا قدمت؟ وأقل كلمة وفاء أن يقال جزاهم الله اً على صبرهم أمام هؤلاء الطواغيت، الآن كل الذين في مصر، تكفير وهجرة، جهاد، سلفي إلى آخره من أين جاءوا؟ من أين؟ لولا الله صبر الإخوان هذه الفترة الطويلة كيف يخرج هذا الجيل، ثم بعد ذلك شاب صغير عمره تسع عشرة سنة، عشرين سنة، يقول : هو عمر التلمساني؟ عمر التلمساني قال كذا، يا أخي (رحم الله امرءاً عرف حده فوقف عنده) والذين جاءوا من بعدهم يقولون:

(ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) (الحشر: ١٠)

نحن لسنا مثل الأمم الأخرى

(كلما دخلت أمة لعنت أختها) (الأعراف: ٣٨)

نحن نعتبر أن كل واحد قدم أي شيء في سبيل هذا الدين له منة في أعناقنا، والإخوان، والسلفي، والخلفي، والتبليغ، والجهاد، أنهر صغيرة جداول تصب في نهر الإسلام العظيم، أنت عندما تحارب الإخوان أنت تجفف جدولاً كبيراً من جداول نهر الإسلام ليم، وعندما تحارب السلفية إنما تحارب جدولاً ثانياً، وتحارب التبليغ جدولاً ثالثاً، معنى ذلك أنت تريد أن تجفف نهر الإسلام نفسه.

ولذلك منهج المسلمين أن يحترموا بعضهم البعض مع الاختلاف في الرأي، وأن يحبوا بعضهم بعضاً رغم الاختلاف في الطريق، اتفق العلماء كلهم على أنه لا يجوز لك أن تترك الصلاة وراء الحنفي أو وراء الشافعي أو وراء المالكي أو وراء الحنبلي لأنه في مذهب ، والكل يفيد هذا الدين، والحرب ليست عليك وحدك، ولذلك الناس بعض المغفلين فرحوا عندما ضرب الإخوان المسلمون، فالله عاقبهم سلط الظالمين الذين ضربوا الإخوان عليهم، لأن الله يجازي بنفس العمل، الجزاء من جنس العمل **(ما من مسلم يخذل أخاه لم في موطن ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه حرمته إلا خذله الله في موطن يحب النصرة فيه، وما مسلم ينصر مسلماً في موطن تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا نصره الله في موطن يحب نصر فيه)** فهم خذلوا الإخوان، عبد الناصر كان يعلق سيد قطب والناس يصفقون، والفلسطينيون الذين هم أعلم منهم في ذلك ن -الله هداهم الآن ورجعوا- وزعوا الكنافة النابلسية (الحلوى النابلسية) المشهورة في الشرق تهنئة بقتل سيد قطب!! وسيد قطب نعم يعمل له، لكن كان يدافع عنكم أيها القطعان أمام الظالمين، كانت ما هي الشعوب بالله..؟ لما رأيت الشعب المصري أيام ما كنت صر، قلت إذا نسحب منه الإخوان.. البقية ماذا؟ قلما تجد في البقية خيراً، كل واحد يبحث عن الرغيف من أجل أن يعيش، أنا أعيش، عايز أولادي ماذا... أنج سعد فقد هلك سعيد.

لقد وصل عبد الناصر إلى حد أن الأزهر كل مشايخه داخلون في الاتحاد الإشتراكي!! علماء الأزهر، رئيس الكلية، شيخ الجامع ، المفتي الأكبر، كلهم أعضاء في الاتحاد الإشتراكي لا يتمرد عليه إلا الإخوان!!

ومجلس النواب هذا أو النوائب جمع نائبة وهي مصيبة، كما قال هاشم الرفاعي قال عن عبد الناصر -لكن سري هذا لأنه لو ذبحه- هم قتلوه في الأخير، قال:

---

[1] هذا الكلام باللغة الإنجليزية فاقتصرنا على الترجمة باللغة العربية .

ما هم كما تهوى تحركهم دمى[1]	لا يفتحون بما تهوى فمـــــا
إنا لنعلم أنهم قد جمــــــعوا	ليصفقوا إن شئت أن تتكلمـا
فالظلم قبلك كان كما مهمــــلا	والآن صار على يديك منظمـا

أين هم؟ من الذي يدافع عنهم إلا هؤلاء الشباب.

في سوريا يقف شاب اسمه قدري علواني- أظن عمره تسع عشرة سنة- على التلفاز يحاكم، قالوا له: أنتم لماذا قمتم؟ قال: قمنا لنقتل حزب البعث كله والنصيريين قال له: من تريد؟ قال له: من رئيس الجمهورية إلى أصغر واحد!! على التلفاز! قارن بين هذا وبين كفتارو مفتي سوريا، قالوا له: ما الفرق بيننا وبين النصارى؟ قال: لا فرق، قالوا: إنهم يقولون ثالث ثلاثة!! قال: هم يقولون رز وبصل وعدس ونحن نقول: مجدرة -تعرفون المجدرة؟ المجدرة طبخة مكونة من هذه الثلاثة رز وعدس وبصل كوشري مصرية، حتى العقيدة يميعونها ويضيعون الشعوب، كنت اقرأ لواحد (شيخ من المشايخ) كتب عن السيدات المسلمات في التاريخ، أهدى الكتاب -هذا قبل حسن البنا ويظهر الإخوان الذين يعتزون بدينهم- أهدى الكتاب للملكة زوجة الملك فاروق، وبالتالي التوقيع عبدك الخاضع فلان!! لقد تأخر الشرق أكثر من مائتي سنة بسبب ضربة الإخوان المسلمين في مصر، الإخوان كانوا قاب قوسين أو أدنى من الحكم، فالعالم كله تآمر ليحول بينهم وبين الحكم.

لو قام الحكم الإسلامي في مصر سنة (١٩٥٢م) لزالت إسرائيل من المنطقة، لكانت كل الدول العربية تحت حكم واحد، ولتحول مركز العالم من الغرب إلى الشرق، وما كان هذا الضياع في مستنقع الجنس والانهيار الخلقي والإنهيارات العسكرية والإقتصادية والضياع للثروات الإقتصادية، ولكان كله بأيدينا، أمريكا وروسيا وما إلى ذلك كانت كلها بحاجة إلينا، ولأصبحنا نحن القوة الأولى في العالم، شخص واحد دمر كل هذه الآمال، بقي الشرق فقيراً، انهارت أخلاق الشباب، لم يعد يفكر إلا في الجنس، خلطوا البنات مع الشباب في الجامعات، وصار أقصى غاية للشاب أن يرى الثوب الأحمر أو الثوب الأزرق على حبيبته، وأنه أي منديل أجمل على رأسها، إذا كتب الكتاب فعن حبيبتهم، وإذا أنشد المنشدون فعن الغزل، وإذا فتحت الجامعات فمن أجل الجنس، في جامعة القاهرة كلية تدرس خمس سنوات اسمها كلية الفنون الجميلة، ترسم النساء عاريات، هذه الكلية تدرس خمس سنوات بقدر الهندسة، قالوا أربع سنوات لا تكفي مثل الآداب!! لازم خمس سنوات مثل الهندسة، يستأجرون بنات من أجل الرسم التجريبي والرسم المجرد، أجرة البنت في الساعة إن بقيت عليها ملابسها الداخلية سبعة قروش مصرية، وإن تجردت من كل الملابس حتى الداخلية خمسة عشر قرشاً مصرياً، تبقى ساعة أمام الطلاب على المسرح لا تتحرك، لأنه إن تحركت تخرب الصورة، لا تتحرك، ولذلك كل ربع ساعة يعطونها استراحة حتى تتحرك، لأنهم يقولون لها قفي هكذا تقف ربع ساعة لا تتحرك، لأن الرسمة تختل، ثم تنشر هذه الصورة في الأخبار اليومية في الأهرام، إبداع العقل المصري!!!

ما هو الشعب المصري بدون الإخوان بالله عليكم؟! ماذا كان أصلاً قبل أن تأتي هذه الحركة، عشنا فترة الغربة، وعشنا فترة الصحوة، كنا نستحي بديننا، لا أحد يستطيع أن يظهر أنه يصلي، عبد الناصر كان يتابعنا في فلسطين، أنا أستاذ في المدرسة يأتيني كتب تهديد سنقتلك، سنقطع لسانك ما إلى ذلك، أنت تتكلم على عبد الناصر، عن زعيم العروبة عن ما إلى ذلك، في فلسطين في أعماق فلسطين، أنا في مدينة اسمها جنين، يوم أن اعتدى اليهود على قرية السموع في الخليل قبل هجوم (١٩٦٧م) بثلاثة أشهر تقريباً خرجت مدرسة جنين الثانوية مظاهرة، فكيف يعبرون عن وطنيتهم وحبهم لفلسطين؟ لا بد أن يضربوا أعداء الشعب، من هم أعداء الشعب؟ الإخوان المسلمون، فدخلوا دار الإخوان وأخرجوا الظلال، وأخرجوا المصاحف ومزقوها على طول الشوارع العامة.

هل كنت تجد في المدرسة الثانوية.. المدرسة الثانوية التي تعد ألفاً، هل تجد فيها خمسة يصلون؟ من الصعب أن تجد خمسة في الألف، من الصعب أن تجد واحداً في المائة،... غربة،... غربة قاتلة.

الآن أنتم تعيشون في صحوة -ما شاء الله-، وتتدربون على السلاح، والواحد لحيته فوق القبضة، وإذا طول ثوبه إلى كعبيه الناس يقولون له: أنت مخالف للسنة، والسواك.. هذه النعم التي تنعمون بها هذه أين كانت؟ من الذي كان يعتمر أو يحج قبل أن يرجع هؤلاء الشباب إلى الله؟ ثم كان السبب المباشر بعد الله هم الإخوان، لا يمكن يحج أو يعتمر دون الأربعين، واحد يفكر بحج أو عمرة؟!.. الآن شاب يضرب شرطياً يقول لك أنا سيد الأرض ومن عليها، من فلان ومن فلان، ومن فلان؟ الإخوان، وعمر التلمساني قال كذا وكذا، أنت.. من أنت حتى تتكلم على عمر التلمساني؟! عمر التلمساني من يستطيع أن يقف أمام السادات ويواجهه ويجابهه؟

ي»، نريد أن تأتي تقابل الملك، قال له: الآن تأخذني عندهم ويسلمني لعبيده ينقع الدم تحتي والله تقوم الدنيا ولا تقعد، قال له: أنا
نك أن لا يمسك أحد، خرج معه إلى القصر الملكي، كان له قصر واحد، اليوم الله يعين.[3] الدنيا رمضان وهذا بعد صلاة العصر،
ارت الدنيا قرب الغروب، لما وصل باب القصر الملكي قال له: لن أدخل القصر، دخل مدير الشرطة قال للملك: يا سيدي هذا رافض أن
فل، خرج الملك على شرفة القصر وملك غاضب ويمشي وشيخ من المشايخ أصبح فيما بعد وزيراً للأوقاف ورئيساً للوزراء.. بالوكالة
كض بالكرسي خلفه من أجل أن يجلس عليها الملك، قال له: يا منافق -الملك يقول لأبي ماجد- حتى ترفض أن تدخل القصر؟ قتلني
ه إن لم أقتلك، كان الملك عبد الله يتكلم بالفصحى قال له: المنافقون الذين حولك، -والشيخ لا زال يركض بالكرسي- قال: قعدت في
ساحة الخارجية وتحوط حولي ثلاثة عشر جندياً، قال: هيا خذوه إلى المنفى الصحراوي باير، قال بعد قليل جاءني أخ معه صرة قال
يا أبا ماجد، لا يهمك، رمى عليه الصرة فيها مائة دينار أردني، قال له: اسمع: الفطور لي ولهؤلاء المساكين الذين حولي يحرسونني؟
ل: ذهبت إلى أول مطعم بجانب المسجد الحسيني الكبير الذي تبث الإذاعة منه الآن خطبة الجمعة، لا يوجد مطاعم كثيرة في عمان في
ك الوقت، دخل قال له: إعمل لي فطور لثلاثة عشر، فهم منه أنه لأبي ماجد، قال له: هذا الذي خطب في الجامع؟ قال له: نعم، قال له:
له لا آخذ ثمن الفطور، وصار ينادي الناس من الشارع احملوا هذا للذي خطب في الجامع والناس يحملون.. أخذوا الفطور عند
صر، قال: حملتني السيارة بعد أن أفطرنا نزلت في السوق، قلت له: أريد أن آخذ بجامة -ثوبا حتى أنام فيه-، دخلت على محل..
-له: أنت الذي خطبت في الجامع؟ قال له: نعم، قال: هذه بدون مقابل (البيجامة)، أخذوني إلى المنطقة الصحراوية، في اليوم الثاني
ك كان على رأسه الطير ولا أحد يجرؤ أن يتكلم معه، وأنفه ووجهه محمر، ثم أنطقه الحق بالحق، قال: شاب غار على مصلحة وطنه
كلم بما تكلم، أما كان الأولى بكم أن تسمعوني هذا الكلام حتى لا أسمعه في المسجد منه؟ أحد الأمراء يحبه ويعرفه عن كثب -لأبي
جد-، قال له: والله يا جلالة الملك شاب أعرفه في قمة النزاهة والنظافة والعدالة، قال: هيا اذهبوا إليه فإن اعتذر فأخرجوه من
سجن، تحرك هذا الأمير -وقبل كان الأمراء فقراء -اليوم الله يعوض علينا-[4] فكانوا طيبين- ذهب إليه وقال: الملك يقول لك إذا اعتذرت
يعفو عنك! قال: والله لن أعتذر، لن أعتذر، وبقي عدة أشهر، بالتالي أرسل له الملك جاءه، قال له: أنا قررت أن تكون مدير ناحية، مدير
حية يعني مسؤول عن مديرية كذا!! يعني مسؤول مقاطعة، قال له: أنا لا أستلم مدير ناحية! قال له: لماذا؟ قال له: أنا لا أحسن
ستقبال لأن مدير الناحية للاستقبال، قال له: طيب قاضي، إما أن تقبل أن تكون قاضياً أو ترجع إلى السجن؟ قال له: قبلت، فقبل أن
ون قاضياً.

يقال لمن يظهر نفسه في المثل العامي. (٢) اي جزار (٣) يعني اليوم هناك قصور كثيرة للملك. (٤) يعني كان حال الامراء في السابق أفضل من امراء اليوم.

أخي الكريم: أعرف عنه مواقف بينه وبين الملك حسين هذا الموجود الآن لا يستطيع أن يقفها إلا هو في البلد كله، مرّ عليه أيام كان يمسك الملك هكذا من هنا بيده يقول له: إلى متى؟! ألا تريد أن تصلي؟ يقول الملك يا أخ أبو ماجد أنا أصلي، جاءه رجل قال له: يا محمد خليفة نطلب منك طلباً واحداً وتصبح الرجل الأول في البلد، قال له: ما هو؟ قال: أن تكف عن مهاجمة الإنجليز، كف عن مهاجمة الإنجليز وتكون الرجل الأول في البلد، قال: فنظرت إليه قلت له: أنا أعرف أنك تمزح، قال: أنا لا أريد أن أقطع بيني وبينهم الصلة، لأنه لما أعرف أنه خائن وأرفض هذه الخيانة خلاص معنى ذلك انقطعت بيني وبينهم الصلة، والمهم الذي جاءه شيخ، قال له: أنا أعرف أن سماحتك تمزح معي، أرجو أن لا أسمع هذه النكتة بعد ذلك أو المزاح، لما صار حلف بغداد، الأردن ستدخل فيه، خرجت مظاهرات ضد رئيس الوزراء هزاع المجالي، أسقطوا الوزارة وأوقفوا حلف بغداد بالنسبة للأردن، قتل ابن عم الملك الذي هو عبد الإله في بغداد بالإنقلاب الشيوعي، عبد الكريم قاسم ونوري السعيد، عندما قتل عبد الإله والملك فيصل الثاني ابن عمه كان ملك العراق، وعبد الإله رئيس الوزراء وهو ونوري السعيد، الملك في الأردن طلب حماية من الإنجليز، رجال الإنجليز.

(ماكسن) كتب مذكرة وحملها وخرج، قالوا: إن الحكومة التي نفعتك باستدعاء الإنجليز حكومة خائنة نطالب بمحاكمتها، خرجوا له، هو يسميها.. قال: أنا ملك دستوري، سموها رئيس الديوان الملكي، فجاء بهم رئيس الديوان الملكي كان .... قال لهم: تريدون الإصلاح تعالوا تفضلوا هاتوا ثلاثة وزراء، فالذي مع أبي ماجد قال له أبوه، أبوه، رياالته [1] نزلت على الريالات، قال له: هل أمانع أنا عند الإخوان المسلمين؟ الإخوان المسلمين.. قال له: لهم مجالس، مجلس الشورى، مكتب تنفيذي، وأنا لو أخرج عن خطهم يطردونني، هؤلاء الذين يقررون، قال: حتى تفلتُ منهم ورجعت، عرضت عليه رئاسة الوزراء، عرض عليه الوزارة عدة مرات، وكانوا يدوسونها بأقدامهم، وكل الذين استلموا الوزارات في البلد كلهم أولاد صغار أيام أن كان ملء سمع الدنيا وبصرها.

ولذلك هذا زيد الرفاعي يعني رئيس الوزراء الآن في الأردن كان ولداً صغيراً، وكان أبو ماجد يواجه والده الذي هو سمير الرفاعي وكان رئيساً للوزراء، لكن الذين لا يعرفون لا يدركون، بعض الشباب لا يعرف التاريخ، لا يعرف.. ماذا قدمت هذه الجماعة للأمة، لا يدرون أنهم كانوا يُذبحون في داخل السجن الحربي لأنهم يرفضون الظلم الذي يفرض عليهم وعلى غيرهم، ويريدون أن يدافعوا عن هذه الأمة التي تأكل بلحومهم الآن، الآن يقول لك الإخوان لا يجاهدون، طيب يا أخي الكريم أنت كم جاهدت في حياتك؟ أنت الآن ما مشيت أربع خطوات، نَفَسُكَ قويّ؟ أنت تريد أن تدخل في مسابقة، في سباق واحد ركض الآن سبعة أميال أو سبعة أميال ونصف وبقي نصف ميل عن انتهاء الضاحية؟! أنت الآن جئت، نفسك لا زالت، قوتك لا زالت، طاقتك لا زالت، وجئت تقارن نفسك بأولئك الذين مضى عليهم أربعون وخمسون سنة وهم يضحون في هذا السبيل.

ولذلك لا يعادي الجماعة الإسلامية أو الجماعات الإسلامية كلها إلا جاهل أو حاقد أو مدفوع، إما مدفوع من قبل المخابرات، الآن المخابرات راجعت سجلاتها ووضعوا على صفحاتهم من الرجال والعلماء والمفكرين الذين يؤثرون في الجيل؟ وجدوا أن سيد قطب من الشخصيات التي تؤثر، معظم الشباب الراجع إلى الله تأثر بأقوال سيد، فقالوا: ابحثوا في كتبه لعلنا نجد في كتبه عيباً من العيوب، نعم بحثوا... بحثوا... ماذا يريدون؟! ماذا يقولون عن سيد قطب؟ عميل؟ قتل في سبيل الله، مداهن؟ مضى إلى الله رافع الرأس، والآن لا يستطيعون أن يلصقوا به عيباً لأنه مضى إلى الله وختم له بالشهادة، ونرجو الله أن يتقبله شهيداً.

باب لا يقال لفلان شهيد، هذا قال ابن حجر على سبيل القطع، أما على سبيل الظن الغالب فجائز، ومن هنا أطلق السلف على إطلاق كلمة شهداء على شهداء بدر وأحد وغيرها، بناء على الظن الغالب وإجراء للأحكام الظاهرة ولذلك سيد قطب شهيد، وحسن البنا شهيد، يعني نقول شهيد لكن لا نحكم له لا بجنة ولا بنار، الله يتولاه، نحن لا نعرف نيته، لكن ظننا الغالب أن الله يتقبله إن شاء الله، هكذا ظننا الغالب، لا نحكم له بجنة، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة لا نقطع لأحد لا بجنة ولا بنار.

ألصقوا بسيد ماذا؟ بحثوا بحثوا وجدوا كلمة خارجة من سطر ملم، قالوا يبدو عقيدته هذه ليست مضبوطة، نعم لماذا؟ قالوا: أنتم اقرأوا (قل هو الله أحد) لأن هذا مثل ما يقوله أهل وحدة الوجود، فجاءني شباب اثنان، قالوا: أنتم لماذا تدرسون من كتب سيد قطب؟ قلت ماذا فيها؟ قالوا سيد قطب يقول بوحدة الوجود، ووحدة الوجود كفر! قلت له: أنت فاهم يا بني ما معنى وحدة الوجود؟ -كنت أشرب الشاي- حملت كأساً وقلت له: معنى وحدة الوجود أن الله هو هذا الكأس، ولا فرق بين الذي يعبد كأس الشاي وبين الذي يعبد الله، أهكذا عقيدة سيد قطب؟ سيد قطب كان يعتقد أن حمزة البسيوني هو الله؟ مدير السجن الحربي، والذي يعبد حمزة البسيوني مثله مثل الذي يعبد الله، أين ذهبت عقولكم؟ قال: يعني كلامه... قلت له: إذا الرجل صرح بمهاجمة وحدة الوجود -كفاكم يرحمكم الله-

افتح يا أخي ،افتح المجلد الأول من الظلال صفحة (١٠٦) تجد أنه يهاجمها نصاً -وحدة الوجود-، فتجد المخابرات يضحكون على الأولاد الصغار، الشباب الصغار وشباب متحمس، وفعلاً قضية العقيدة قضية مصيرية، فواحد يأتي يهمس في أذنه، هذا سيد تقرأون له؟ خرج شاب صغير ثان قال ماذا؟ (تنقية الظلال من الضلال) لا أعرف خرج هذا الكتاب للوجود أم لم يخرج بعد!!!

شاب ثالث جاء هنا إلى الجهاد فسمع بعض الكلمات واحد يتكلم عن الجهاد ... أين عبد الله عزام؟ -هو يحدث-، قال جاء بجانبي واحد ظننته من الدبابيس[1]، فقال لي: ما رأيك بعبد الله عزام؟ -قال: أنا أريد أن أتكلم كلاماً أوجعه- قال له: قطعة من قلبي، فقال له: لكن مشايخنا يقولون عقيدته فيها شيء، قال له: أنا على عقيدة عبد الله عزام.

حفل افتتاح المركز الإسلامي*

[2] إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فبيشاور ستبقى ظلالها في النفس ما حييت، ما حييت هذه النفس، المشاعر، الأحاسيس، الظلال، الاسم، ستبقى لها في التاريخ صدى، وفي النفس عمقا، وفي القلب بصمات، كيف لا وقد أصبحت منطلقاً لجهاد شرف الله به البشرية؟ من يعرف بيشاور قبل هذا الجهاد؟ لقد تخرج ابن أخي مهندساً من كلية الهندسة في جامعة بيشاور وما دخلت باكستان، وما لي ولباكستان؟ ماذا تساوي باكستان لولا هذا الجهاد العظيم؟ من الذي يدخل باكستان لولا أفغانستان؟ لماذا يتهافت الناس على السفارات الباكستانية في كل العالم يريدون أن يأخذوا تأشيرة الدخول إليها؟ أطمع في رؤية مسجد بادشاه في لاهور؟ أم رؤية حدائق السمك ومصايدها في كراتشي؟ أم رؤية مسجد فيصل في إسلام أباد؟ هذه كلها صغيرة، صغيرة ضئيلة قزمة أمام الجهاد التي انتفضت به الأمة الإسلامية، الذي حرك مشاعر الجيل في كل مكان، الذي أيقظ أمة كادت تهوي إلى العدم...

أتيت والناس فوضى لا تمر بهم — *إلا على صنم قد هام في صنم*

وإذا بهذا الجهاد يغير روح الاستهتار عند الأمة إلى روح جادة شاعرة، الأمة التي كان جيلها يغط ميتاً باللهو الفارغ، ويخبئ استهتاره وخواءه بالمزاح الذي يدل على تفاهته وخوائه وعلى ضياعه.

في بيشاور يفتتح المركز الإسلامي، أرض الجهاد، أرض المنطلق إلى جبال الهندوكوش، وإلى ذرى سليمان، وإلى هضبة بامير، لو لم يكن لهذا المركز إلا الاسم لكفاه أنه أنشيء في بيشاور أرض النار والنور، وأرض الانطلاقة الخيرة، أرض المسيرة المباركة، أرض الشعب الحي، أرض غرست في كل رابية جماجم، أرض انطلق منها أناس فنثروا فوق كل رابية أشلاء، أرض دخلت التاريخ، بل صنعت التاريخ، وصناعة التاريخ لن تكون إلا بالدم، وبناء الأمم لا يكون إلا بالجماجم، وإشادة الأمجاد لن تكون إلا على تلال الأجساد

ولا يبني الممالك كالضحايا — *ولا يدني الحقوق ولا يحق*

وللحرية الحمراء باب — *بكل يد مضرجة يدق*

إن ألفي قذيفة من كلام — *لا تساوي قذيفة من حديد*

المسيرة سائرة ببركة ربها، والتضحيات مستمرة بتوفيق من خالق هذه النفوس وفاطرها، والشباب هم الوقود، والشباب هم الأمل بعد الله عز وجل، والشباب هي فترة البذل والعطاء، وإن لم تبذل الآن فلعمر الحق متى تبذل؟

إن لم يقم بالعبء أنت — *فمن يقوم به إذن*

هؤلاء التائهون، الضائعون في كل مكان، الخابطون على التخوم...

أعشى خطى أبصارهم رهج الزوابع والغيوم — *فإذا غفوا فعلى مواطئ كل جبار غشوم*

وإذا صحوا فعلى خطى للذل خاشعة الرسوم — *من هؤلاء التائهون؟ أفهؤلاء المسلمون؟!*

أبداً تكذبني وترجمني الحقائق والظنون

---

(١) الدبابيس كلمة تطلق في الجزيرة العربية على المخابرات.

* رقم الشريط: ٤٢ والمركز الإسلامي هو عبارة عن اتحاد الطلبة المسلمين الذي يجمع جنسيات مختلفة ومن الاخوة الذين يدرسون في الجامعات والكلمة التي ألقاها الشيخ في مقر الاتحاد في بيشاور الواقع في منطقة أرباب رود.

(٢) كلمة المقدم: الآن مع كلمة الأستاذ الفاضل الشيخ عبدالله عزام جزاه الله عنا كل خير، فهو لم يقصر أبداً في أي نشاطات للإتحاد، وجزاه الله عنا وعنكم كل خير فليتفضل.

من كان للإسلام فليضرب بمعوله الفساد، ليقف أمام الطغاة وينادي في كل ناد أنا هنا، أنا مستيقظ إن ظننت أني نائم، أنا مستوفز إن ظننت أني مستهتر، أنا لن أنام، وكيف ينام من في قلبه حرقة أو ذرة إيمان أو حسرة على هذا الإسلام؟ ونحن نفتتح هذا المركز لا بد أن نذكر الخيرين بخيرهم، أنتم تذكرون المراكز الإسلامية في لاهور وفي كراتشي وفي إسلام أباد وفي بيشاور، هل تدرون من الذي بدأ بالمراكز الإسلامية في كل باكستان؟ هل تعلمون من هو الشاب الذي بنى بجهده وجهيده وبعرقه وبسهره وبنشاطه وحركته هذه حتى أنشأها من العدم؟ إنه شاب يعمل بيننا، إنه أبو حذيفة، الدكتور مشهور مصطفى الذي بدأها من لا شيء، لم يكن في باكستان أي طالب، لم يكن هناك أي مركز، وكان يتصل بنا وهو هنا يستشيرنا ونحن في الأردن ماذا نفعل؟ يقيم المخيمات، يديرها، ثلاثة أو أربعة أو اثنين، ويتحرك ما بين كراتشي ولاهور، حتى عمل شيئاً اسمه المركز الإسلامي، وقف أمام التجمعات اليسارية في عنفوانها وجبروتها هو والحفنة القليلة، حفنة قليلة لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، فأصبحنا بعد سنتين أو ثلاث نسمع أن هنالك مركزاً إسلامياً أو مراكز إسلامية أو اتحاد طلبة مسلمين في باكستان، وإلا لم يكن قبل أبي حذيفة شيء اسمه المركز الإسلامي، لم يكن هناك شيء اسمه اتحاد الطلبة المسلمين، وحيثما سرت في الأرض طوفت الأرض شرقها وغربها فوجدت أن دفة التوجيه نحو هذا الدين بدأه حفنة قليلة من الشباب المسلمين.

في أمريكا حضرت المؤتمر الأول لاتحاد الطلبة المسلمين يسمونها الـ (MSA) أو رابطة الشباب المسلم العربي، مسلم عرب أسسيشن.. يسمونها (Maya) حضرته في أكلوهوما سنة (١٩٧٧م)، مجموعة من الشباب بدأوه سنة (١٩٦٥م)، ثلاثة عشر طالباً من الشباب المسلم الهارب من جحيم الناصرية، فارون بدينهم، وبدأوا يتجمعون على هذا الدين، ويجمعون الشباب على هذا النهج القويم، ثم نشأت في داخل هذا الإتحاد رابطة صغيرة اسمها رابطة الشباب المسلم العربي، وعملت مؤتمرها الأول في أكلوهوما سنة (١٩٧٧م)، وكنت أحد ضيوف المؤتمر، كان فيه ثلاثمائة شاب ومئتا فتاة وامرأة، عندما علم صاحب الفندق الذي نزلنا فيه وحللنا فيه...[١]

دعم الجهاد الأفغاني إنقاذ للبشرية[٢]

[٢] فيا من رضيتم بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

فطرة الله :

(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (الروم: ٣٠)

إن الذي يتبادر إلى ذهني من مفهوم هذه الآية ومن منطوقها أن فطرة الإنسان قد جبلت لكي توافق وتتناسق مع هذا الدين، فهي فطرة واحدة، فطرة الإنسان التي جبلت بيد الرحمن، موافقة للقرآن الذي هو وحيُ الرحمن، وموافقه لقوانين الكون، فالكون والإنسان والدين كلها مخلوقة بقوانين تناسق بعضها بعضاً، وتتفق مع بعضها، وأي خروج عن هذا الدين إنما هو اصطدام بقانون فطرة الإنسان، وبقانون هذا الكون الذي أبدعه خالق الإنسان ومنزل القرآن.

وأي اعتساف لدين الله عز وجل، وأيّ تنكب لجادته، وأيّ تخط لشرعته، وأيّ تجاف لنهجه القويم الذي أمرنا أن ندعوه بضع عشره مرة كل يوم سبحانه أن يهدينا إياه (**اهدنا الصراط المستقيم**) كل بُعد عن هذا الصراط إنما هو اصطدام بالقانون الذي فطر الله الناس عليه، وعندما طبق هذا النظام في يوم من الأيام، أو في حقبات طويلة من التاريخ الاسلامي كانت الفطرة البشرية والقانون الرباني والقانون الكوني كلها تواكب بعضها بعضاً، وتتفق مع بعضها، فأبدعت في الإنتاج في هذا العالم، وأسبغت على هذا الانسان السعادة والطمأنينة والسكينة والراحة، وعندما حاول الإنسان أن يخرج عن قانون هذا الدين ظاناً وهو لا يعلم (**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) أن في تخطيه سعادته، وأن في تحطيم قيود الدين سكينته، ذاق من الويلات والمرارة والنكد والحرمان والقلق ما يعلمه

---

(١) انقطع الشريط وهناك تكمله للقصه تجدها أخي القارئ في تفسير سورة التوبه

• رقم الشريط ٢٦٥

(٢) هذه خطبة جمعة في مسجد سبع الليل، وكل خطب الجمعة ألقيت في مسجد سبع الليل وضيافة مكتب الخدمات إلا بعض الخطب القليلة في مسجد الهلال الكويتي وعيادة الطب الطبيعي

الذين تذوقوا مرارة الحضارة عبر التاريخ الإنساني، إذا كانت بعيدة عن منهج الله.

تعالوا معي لنقلب معكم صفحات التاريخ ونرى كيف كانت حالة البشرية عندما كانت تتفيأ ظلال هذا الدين، وكيف كانت حالتها عندما تنكبت جادته القويمة، يوم أن طبق هذا الدين في نظام يحميه شرعة وسلطان، ويحميه الملك والصولجان. كان الناس يعيشون في بحبوحة من العيش، في راحة وطمأنينة وسكينة وسعادة، فتحت عليهم الأرض بركاتها، وصبت عليهم السماء خيراتها، وأفاض رب العزة على القلوب سكينته، حتى روي عن معاذ بن جبل أنه أرسله -هذا في باب واحد، باب الرزق- أرسله عمر بن الخطاب إلى اليمن، فأرسل له في السنة الأولى ثلث صدقاتها، فأرسل إليه عمر: أنا ما أرسلتك جابياً لتجمع الأموال وترسلها إليّ، أرسلتك لتأخذ أموال الأغنياء فتردها على الفقراء، فكتب إليه معاذ: أوتظن أني أرسلت إليك درهماً إلا بعد أن كفت حاجة الفقراء، وما فاض من المال أرسلته الى المدينة المنورة، وفي السنة الثانية أرسل معاذ نصف صدقات اليمن، وفي السنة الثالثة أرسل معاذ كل صدقات اليمن، لم يبق فقير في اليمن.

وهذا يحيى بن سعيد يجمع صدقات إفريقيا ثم ينادي شهراً كاملاً في أيام عمر بن عبدالعزيز: من كان بحاجة إلى هذا المال فليأتنا، فلم يتقدم إليه أحد، أغنى عمر بن عبدالعزيز بهذا الدين الناس، وقد رأينا في خزائن عمر بن عبد العزيز حبة القمح كنواة التمر مكتوب بجانبها هذا لقاء العدل في الأرض.

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) (الاعراف: ٩٦)

والأمثلة والتاريخ حافل بانتصارات المسلمين في الميدان العسكري، وبالراحة النفسية التي كان يعبر عنها ابن تيمية:(ماذا يصنع فيّ أعدائي؟! إن سجني خلوة، وقتلي شهادة، ونفيي سياحة)، ويعبر عنها الآخر:(إني أمر في ساعات من السعادة أقول فيها: لو كان أهل الجنة في مثل هذه السعادة فهم في نعمة عظيمة).

نماذج من التيه :

(فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) ولكن الذين لا يعلمون هم الذين يعتسفون الطريق، ويتنكبون الجادة، ويأتون بالمناهج من صنع البشر الناقصة القاصرة الجاهلة، فتتلقى الفطرة البشرية من المرارة والحرمان ومن الضنك والعذاب ما تشهد به حالة أوروبا وروسيا وأمريكا وغيرها عبر التاريخ، الجاهليات كلها.

تعالوا معي لندخل أوروبا ونسير معها قليلاً في مسيرتها التاريخية بعد أن دخلتها النصرانية، بعد أن اعتنق قسطنطين النصرانية سنة (٣٢٥م) دخل الوزراء والحاشية وكبراء القوم كلهم النصرانية محافظة على مناصبهم، والدين الذي اجتاز البحار فعبر إلى أوروبا ليس هو دين المسيح عليه الصلاة والسلام

(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) (المائدة: ٧٢)

الدين الذي تنزل على سيدنا المسيح عليه السلام لم يدخل أوروبا ولم يجتز البحار، إنما الدين الذي اجتاز البحار هو الديانة المحرفة الثالوثية التي لطخ بها بولس النصرانية، دخلت الديانة النصرانية المحرفة إلى أوروبا واعتنقها قسطنطين، ثم دخل كبار القوم وسدنتهم وعظماؤهم ورؤساؤهم هذه النصرانية، كل واحد يريد أن يحافظ على منصبه، ويأخذ بعض الأسهم والمنافع من ثمرته، غرقت النصرانية في الشهوات، لأنه لا يمكن تغيير الناس في يوم وليلة، والوزراء الذين غرقوا في شهواتهم وفي ملاذهم في انتهاب أموال الناس وسلبها وفي الزنا والسرقة والرشوة وغير ذلك لا يمكنهم بإعلان النصرانية أن يكفوا عن هذا بين يوم وليلة، رأى بعض المخلصين لهذا الدين المحرف أن النصرانية قد استنفذت أغراضها ولم يعد لها مبرر لوجودها في هذا المجتمع فاعتزلوا روما واعتزلوا إيطاليا، وانزووا في الجبال:

(رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) (الحديد: ٢٧)

صبرت فئات قلية على ترك هذه الفطرة البشرية التي فطر الله الناس عليها، امتنعوا عن الزواج، امتنعوا عن كثير من الطيبات،

وقالوا إن المرأة مدخل الشيطان الى النفس، وإنها رزء مطلي مموّه، وإنها وسوسة جبلية، وإنها... إلخ، انزوت فئات في هذه الأديرة والصوامع، ولبست الفتيات الخواتم وأعلن أنهن لن يتزوجن لأنهن قد خطبن المسيح، والخواتم التي في معاصمهن إنما هي إيذان أنه لا زواج في هذه الدنيا، إنما هي خطبة المسيح في الجنة. ماذا حصل للأديرة ولدورالعبادة النصرانية في أوروبا؟ حاولت نصرانية الرهبنة أن تمشي قطار الإنسان على حافة واحدة، وهي حافة الروح، وأهملت تماماً حافة الجسد، ماذا حصل؟ لم يستطع النظام البشري الذي ابتدعته النصرانية باسم الدين أن يصبر أمام مطارق الفطرة البشرية، فسقط صريع شهواته مرة أخرى، ولكن ليس في المجتمع، في دار العبادة نفسها. وتحولت دور العبادة إلى أماكن للرذيلة، ومستنقع آسن للشهوات، ومن الذي يزاولها؟ رجال الدين والراهبات!! وليس أدل على ذلك مما عرض على التلفاز الأمريكي في السنوات الثلاث الأخيرة في سنة (١٩٨٦م) تقريباً، فضحوا رجلاً من أكبر رجال النصرانية على التلفاز وهو بيكر، والذي تولى نشر فضيحته هو سويجارت، وبعدها بسنة وإذا بسويجارت الذي يقدم لكنسيته سنوياً «٧٠» مليون دولار هو نفسه يُمسك متلبساً بجرائم الزنا مع سكرتيرته وأمينة سره!!

فقدت النصرانية مبرر وجودها وعطائها، ولكنها متسلطة على الناس باسم الكنيسة، وباسم جهنم، وباسم رب العالمين، وكلما حاول أحد أن يرفع رأسه توالت عليه سياط الكنيسة تلهب ظهره وتتابعه بقرارت الحرمان، وتحرمه من حق الوجود كإنسان، وليس أدل على ذلك من محاكم التفتيش التي أقامتها الكنيسة تتابع العلماء وتحاكمهم محاكمة عسكرية، حتى قتلوا برونو لأنه قال: إن الأرض كروية، وسجن كوبرنيكس وعذب في سجنه لأنه قال: إن الأرض تدور، وكذلك جاليلو لأنه اخترع التلسكوب الذي هو عبارة عن تقريبه لملكوت السموات كما تقول الكنيسة!! والكنيسة تريد أن يبقى السر الإلهي مصونا كما تدعي، لأنها وريثة الرومانية التي تحمل أسطورة برومثيوس حامل النار المقدسة، لأن الإنسان عندما حاول أن يتعلم ويعرف سر هذه النار المقدسة عاقبه جوبتر زعيم الآلهة وكبيرها فنكسه في واد من الأودية تنهش الطيور لحومه في النهار، ثم يعيد الإله جوبيتر لحومه في الليل لتعود الطيور في اليوم الثاني تنهش لحومه، وهو يخادن خليلته يخادن عشيقته فوق عرش الألومب -هذا كبير الآلهة-!!!

فالنصرانية فقدت مبرر وجودها، حاربت العلم، غرقت في الشهوات، تسلطت وتجبرت، حتى قطع هنري الرابع ملك فرنسا جبال الألب حافياً والثلوج تغمرها وتغطيها حتى سجد أمام قلعة البابا ثلاثة أيام حافياً يلبس الخيش حتى يعفو عنه البابا، لأنه علم أن البابا يريد أن يعلن في حقه قرار الحرمان، وقرار الحرمان يعني حرمانه من الملك، من المبايعة والشراء، ويحرمه كإنسان أن يزاول حقوقه كحي.

فكرت أوروبا كيف يمكن أن أتخلص من هذا؟ إن السيف الذي تبتر به الكنيسة، والسوط الذي تلهب به ظهورنا هو سوط الله أن الله سيعذبنا، فإذا أنكرنا وجود الله وأعلنا الإلحاد فإن الكنيسة ستسقط طبيعياً، ومن هنا أعلنت أوروبا الإلحاد كرد فعل أثناء هروبها من الكنيسة، فقد هربت أوروبا من الله يوم أن هربت من الكنيسة، لأن الهروب من الله أقصر طريق لإسقاط الكنيسة، وجاءت أكبر ثورة في أوروبا الثورة الديمقراطية اللبرالية، الثورة على الباستيل، الثورة الفرنسية سنة (١٧٨٩م)، وأعلن فيلسوفها (ميرابو) -اليهودي طبعاً- أعلن الشعار لهذه الثورة (أشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس) أي أنهوا الأديان وأنهوا الملكيات في الأرض، لأن الكنيسة إنما تنفذ تعاليمها من خلال الملوك، والملوك يستعملون الدين كمخدر حتى تتخدر مشاعر الجماهير كي تطيع الملوك، ولذلك (أشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس) أي أشنقوا آخر قسيس وابقروا بطنه وأخرجوا أقتابه وأمعاءه وعلقوا آخر ملك، فأنهوا الملكيات وأنهوا القساوسة.

وانطلقت أوروبا لا تلوي على شيء، لا تريد أن تسمع الدين، ولا تريد أن يتردد في أذنها اسم إله، لأنه كلما نطق واحد بالدين إنما تقفز إلى أذهانهم تلك الصور المرعبة التي كان يزاولها رجال الكنيسة، ومستنقعات الشهوات وأكداس الأموال التي كانت تجمعها الكنيسة باسم الله والدين والجنة والنار.

أعلنت الثورة الفرنسية (اتركه حراً، دعه يمر، دعه يعمل، نريد مجتمعاً ديمقراطياً حراً ينطلق فيه الإنسان كما يشاء)، المهم أن يكون ضمن القانون، والزنا والربا وغير ذلك الذي يقرر حرمتها وحلها ليست الكنيسة وليس الله إنما هو الشعب، فنحن نعرض الزنا على الشعب، فإن وافق خمسون في المائة على الزنا، فإن الزنا يعتبر حلالاً، ونعرض الربا على الناس، فإن وافق أكثر من نصف الناس فالربا يصبح حلالاً، أما الله، الكنيسة، رجال الدين، فنحن لا نريد أن يزاولوا مرة ثانية تلك السلطة الغاشمة التي كانت تتجبر بها من خلال سيفها البتار باسم الله والدين.

صراع بين الفطرة والواقع :

وانطلق الناس، وتكدست الأموال بيد الرأسماليين، وأصبح المجتمع معظمه إنما يعمل ليل نهار تُصب جهوده في جيوب هؤلاء الرأسماليين، وبدأت الأمراض النفسية والعصبية والعقلية تظهر تدريجياً في المجتمع، لقد كان النصراني قبل الثورة الفرنسية إذا أصابته أزمة نفسية أو ضائقة أو مشكلة يقوم في الليل ويدعو الله، أو يذهب إلى رجل الكنيسة ليرفع أكفه إلى السماء فتطمئن نفس هذا النصراني وتزيل بعض ما في صدره من ضيق أو حرج، والآن إلى من يلجأ؟ إلى البنوك، إلى الرأسماليين، فزادت قضية الإنسان تعقيداً، وزادت مشكلته مشاكل، وبدأ القلق والحرمان والضيق عبارة عن علامات بارزة تبرز على سمات كل إنسان في المجتمع، واليهود وراء هذا كله، ولا نريد أن نضرب أمثلة.

هربت أوربا مرة أخرى من الرأسمالية أو من الديمقراطية اللبرالية أو من الفردية الحرة إلى الجماعية الاشتراكية، وجاء لينين بـ (٢٢٤) من البُلشفيك ومع ترتُسكي بعد أن أنهك الجيش الأحمر في الحرب العالمية وقاموا بثورتهم، ومن خلال المائتين وأربعة وعشرين فرداً كان مائة وثمانون يهودياً، وأقام لينين ثورته الشيوعية اليهودية الاشتراكية لعله ينقذ الإنسان المحطم بين براثن الرأسماليين، جاءت الاشتراكية أو الشيوعية في (٦ أكتوبر عام ١٩١٧م)، وانطلقت بدكتاتورية البروليتارية لتحطم طبقات البرجوازيين، وتناقص عدد المسلمين في الاتحاد السوفياتي عبر خمسة وعشرين عاماً ستة وعشرين مليوناً من البشر، منافي سيبريا، أذربيجان، المشانق، أخذ المزروعات وإبقاؤهم يموتون جوعاً في مجاهل سيبريا التي تنزل حرارتها في الشتاء إلى خمسين تحت الصفر، ماتت الجموع، وسحقت بين المطرقة والسندان، بين مطرقة الحزب الشيوعي الحاكم أو بين اللجان التنفيذية وبين قواعد الحزب الشيوعي.

كان الإنسان في أوروبا يملك المال فجاءت الشيوعية تملك السلطة والمال معاً، وأصبحت القطعان كلها متساوية تماما ليس في الغنى وليس في الكفاية ولا في التأميم، إنما المجتمع كله متساو في الفقر، فهي اشتراكية حقاً لأنها حولت كل الناس إلى فقراء، العامل لا يجد طعامه، المهندس راتبه عشرة روبلات في الشهر، لقد رأيت ضباطاً من الروس أسرى، فسألت جندياً: كم راتبك في الشهر؟ قال راتبي في الشهر خمسة روبلات، خمسة روبلات يعني خمسة دراهم، وأما الضابط فراتبه في الشهر أحد عشر روبل، أي أحد عشر درهماً، وهذه لا تكفيه للدخان ولا للحشيش ولا للمخدرات حتى يهرب من آلامه التي صبتها عليه الشيوعية صباً، مضى على الشيوعية حتى الآن سبعة عقود، وتحطمت الشيوعية، تحطمت على صخرة الفطرة الانسانية، (فطرة الله التي فطر الناس عليها) قوانين إنسانية بشرية تصطدم مع القوانين الإلهية الموجودة والمودعة في أعماق هذا الإنسان.

ويبدأ الصراع بين فطرة الإنسان وبين القانون الذي يطبق عليه، ولا يمكن للفطرة أن تنهزم، فلا بد أن تتحطم قوانين الإنسان ولو بعد حين، فإذا كانت الرأسمالية قد استطاعت أن تعيش حتى الآن قرنين من الزمان -لأنه مضى على الثورة الفرنسية حتى الآن قرنان من الزمان-، واستطاعت أمريكا أن تعيش قرنين من الزمان، وذلك بسبب بعض الحرية التي يجدها الإنسان في نفسه ويجدها في حركته، وبسبب بعض الفسح التي يتركها هذا القانون لهذا الإنسان، تحطم الإنسان، تحطمت الأسرة، تمزق المجتمع في الغرب، لكن بقي النظام وشيء من عدالة التوزيع في نظرهم، أو المساواة بين الناس حسب قانونهم، هي التي بقيت تدفع الرأسمالية وتحافظ عليها من الانهيار، أما الشيوعية لم تستطع أن تعيش سبعين سنة، بل ما استمرت الشيوعية حتى الآن إلا لأنها خالفت النظرية الماركسية اللينينية، فبقدر ما خالفت النظرية بقدر ما استطاعت أن تواصل في الاستمرار، لكن معظم النظرية أو جلها مطبق على يد الطغمة الحاكمة الديكتاتورية، فالآن تواجه الشيوعية حالة من الاحتضار في كل العالم.

- كتبت جريدة (المسلمون) نقلا عن مراسل رويتر مقالاً طويلاً سمته: ماتت الشيوعية، كتب (أرثر سبيجل مان) من وكالة رويتر التحليل التالي: تتعرض الشيوعية عام (١٩٨٩) لحصار، حيث ترتفع أصوات العديد في الغرب بأن هذه الشيوعية التي أثارت الملايين في يوم من الأيام ستموت تدريجياً، وقد دمرت تماماً ومنيت بالفشل.

في الصين يطلق الجيش الرصاص لقتل الطلاب في ميدان (تينان من).

في موسكو ارتفعت الأصوات في البرلمان بأن الاتحاد السوفياتي ينحدر إلى هاوية اقتصادية متزامناً ذلك مع اشتعال الجمهوريات السوفياتية بالاضطرابات العرقية.

في رومانيا يعيد الدكتاتور صياغة نظام بلاده، ويأمر بتدمير وسط بخارست واقتلاع الكرة.

في يوغسلافيا تهدد الاضطرابات العرقية بنية البلاد.

في بولندا هزم المرشحون الحزبيون جميعا هزيمة منكرة في أول انتخابات حرة.

في بودابست (المجر) أعيد الاعتبار للزعيم البولندي عمر ناجي الذي قاوم الشيوعية وأعدمه الشيوعيون.

في براغ (عاصمة تشيكوسلوفاكيا) حيث يحاول النظام أن يضع على وجهه قناعاً إنسانياً تستخدم الهراوات لتفريق تجمعات الاحتجاج.

(بابزس) الخبير في الشؤون السوفياتية في جامعة هارفرد يقول: لو أن كارل ماركس كان حياً اليوم لانضم لطلاب الصين في ميدان (تينان من) ليقذف الجنود الشيوعيين بالحجارة، برجنسكي المستشار السابق للأمن القومي الأمريكي في عهد كارتر من أصل بولندي يقول: إن الشيوعية في تقهقر تاريخي.

(ميلوفان جيلاسي) زعيم شيوعي يوغسلافي سابق يقول: إننا نشهد الآن نهاية الاشتراكية الكلاسيكية الحقيقية، وكان جيلاسي قد تعرض للعقوبات في يوغسلافيا لسنوات لأنه قال: إن الشيوعية أوجدت طبقة جديدة من البويرقراطية تخنق المجتمع.

أما (آدم ميشنك) من زعماء منظمة تضامن بولندا فيقول: إذا كانت الشيوعية البولندية أصبحت الآن أقل فظاظة من السابق، فما ذلك لأنها أصبحت اشتراكية بوجه إنساني، بل إن سبب ذلك أنها أصبحت شيوعية فقدت بعض أسنانها. إن أكبر بلدين في العالم الشيوعي الصين والاتحاد السوفياتي تواجهان مشاكل لا مثيل لها.

الصين وجدت حل مشكلاتها في استخدام الدبابات والجيش والمدافع والاعتقالات.

الاتحاد السوفياتي يحاول مواجهة مشكلاته بمبادرات ديمقراطية من القمة، تاركاً للحزب الشيوعي السيطرة، الخبراء يقولون كلا الأسلوبين أعلاه لن يحمي النظام الشيوعي من الانهيار، القمع في الصين سيقود إلى حرب عصابات، وإلى تفكك البلاد، والأسلوب السوفياتي سيقود البلاد إلى جمود جديد.

رأينا الحزب الشيوعي الصيني يتجرع الانتحار منذ أواخر الخمسينات، كما كانت هناك حركة ضد اليمين في الخمسينات، ثم الثورة الثقافية، والآن تشهد الصين شكلاً من أشكال الثورة المجنونة.

بالنسبة لجورباتشوف الـ KGB، البوليسي السري قد يقوم بانقلاب على السلطة الحالية، قد تقوم الحكومة الشيوعية باعتقال أو قتل الآلاف في الصين، ولكن ذلك القمع على المدى البعيد سيمنى بالفشل، ستشهد البلاد فوضى، خاصة أن الصين شهدت في الأربعينات توجهاً قومياً، واليوم هناك توجه مماثل مع فارق، في الأربعينات كان هنالك بديل وهو الشيوعية، واليوم ما هو البديل؟ لا شيء.

ما يحدث الآن شبيه بأواخر الحقبة النازية، (إحرق نفسك أو استمر في المقاومة).

(جيلاس) يوافق على أن الشيوعية في أزمة، هنغاريا ستصبح بالتأكيد دولة ديمقراطية، وكذا حال بولندا، هاتان الدولتان مع يوغسلافيا تقفان على مفترق طريق، لم تعد هناك دولة شيوعية تقليدية، إنهم يتحولون إلى شيء آخر، الخبير الأمريكي (بابيس) يلاحظ تغييراً في الموقف بين الرسميين السوفياتيين والصحفيين والأكاديميين، إنهم يطلبون النصح، يعتبرون الحقبة الشيوعية طوال السبعين عاماً خطأ كبيراً، الشيوعية في هنغاريا تترنح بسبب المشاكل الاقتصادية الخانقة، القيادة المهترئة بدأت تعاني أزمة ثقافية في الأيام الخوالي، كان الشيوعيون على قناعة بأن هناك أزمة مستفحلة ودائمة في الرأسمالية، ولكن قبل أن يحدث ذلك للرأسمالية حدثت أزمة الشيوعية.

من جرائم حكامنا :

ولو نظرنا إلى بلادنا التي حاولت أن تطبق الشيوعية نأخذ مثالاً على ذلك ليبيا ومصر وسوريا، انظروا الفرق الكبير بين حالة مصر يوم أن غادرت قدما فاروق ميناء الإسكندرية وبين هذا اليوم، خرج فاروق والجنيه المصري أغلى من الجنيه الانجليزي، يساوي ديناراً ذهباً، أغلى عملة في العالم هي الجنيه المصري، يساوي أربعة دولارت، أين الجنيه المصري الآن في العملة العالمية؟ لقد وصلت قيمة الجنيه المصري سنة (١٩٦٧م) في السوق الدولية صفراً، لا تشتريه باي شيء، لا تستطيع أن تشتري من الأسواق الدولية بالجنيه المصري شفرة حلاقة، لقد خرج فاروق يوم خرج ومصر دائنة لأوروبا، دائنة لبريطانيا، لقد كان ثوب الكعبة يعمل في مصر ويؤخذ مع المحمل مع ثوب الكعبة صرر الذهب والأموال لتوزع على سكان الحرمين لأنهم جيران رسول الله ﷺ أو من عمار البيت الحرام، الآن أين مصر؟.. مدينة بتسعة وسبعين بليوناً من الجنيهات الاسترلينية، أي مدينة بمائة وعشرين ألف مليون دولار، لا تستطيع مصر أن تدفع فقط رباها للبنك الدولي، ولولا أن حكام مصر وزعماءها متفقون مع الأمريكان على أننا نصبر في مطالبتكم ونمد لكم الأجل مقابل ضرب التيار الاسلامي في مصر لأعلن البنك الدولي أو صندوق البنك الدولي إفلاس مصر، لكنها واحدة بواحدة، إضربوا التيار الإسلامي في

مصر، اخنقوا الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية التي يقودها عمر عبد الرحمن ونحن هنا في الغرب نتكفل بأن نستدر عطف الجماهير الغربية حتى نؤجل المطالبة بهذه الأموال التي تثقل عواتقكم.

خرج فاروق من مصر يوم خرج والأسرة المصرية متماسكة بأخلاقها، تحافظ على دينها، ما تجرأ فاروق ولا الإنجليز عبر سبعين عاماً جثموا فيها على صدر مصر أن يعلقوا عالماً واحداً على الأعواد، ولكن عبد الناصر والثورة الاشتراكية تجرأت على العلماء، وعلقت عبد القادر عودة وسيد قطب وصالح سرية وكارم الأناضولي وغيرهم. علقتهم على الأعواد جهاراً نهاراً باسم الاشتركية وباسم الشعب ومن أجل الشعب.

لقد خرب عبد الناصر ومن بعده عبر هذه الفترة الزمنية القصيرة ما لم تستطع جحافل المستعمرين أن تخربه خلال قرون، ولو أمسك المسلمون الآن مصر وأرادوا أن يعيدوها إلى الحالة التي كانت عليها يوم أن غادرها فاروق لاحتاجوا ثلاثين عاماً حتى يعيدوا الحالة إلى الحالة الاقتصادية يوم أن خرج فاروق من مصر، وكما يقول المصريون كانت حلة الفول (أدّ كده)، كان الرغيف بفلس يوم أن خرج فاروق، والآن الرغيف بخمسة قروش ونيف، ولا يستطيع الناس أن يجدوا الرغيف.

وأما القذافي الرئيس الذي رفع نفسه نجمتين بعد الانقلاب، فأصبح عقيداً وهو يظن أن العقيد أعلى من رئيس الجمهورية، فهو دمر في بنية ليبيا الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والسياسية والعسكرية ما لا تحتمله خطبة ولا خطبتان، دمرها تدميراً، لم تعهد البشرية أحداً يعلق الناس على المشانق الساعة العاشرة ويعلق في داخل دائرته.

لقد حكم على مجموعة من الشباب الفلسطيني بالإعدام كانوا قد اكتشفوهم أنهم منتظمين في حزب التحرير فحكم عليهم بالاعدام، ولابد للقذافي في كل عام في السابع من إبريل أن يقدم وجبة من الإعدامات، فإن لم يجد أحداً يفتش عن الذين في السجن محكومين بأحكام مختلفة ويعلقهم على المشانق، فجيء بالشباب الفلسطيني وكانوا أساتذة في مدارس ليبيا ليقتلوا ويعلقوا على الأعواد في الساعة العاشرة أو التاسعة في المدرسة، ومن الذي يعدمهم؟ طلاب مدرستهم، ووقف أستاذ فلسطيني في مدرسته، وقُرِع الجرس واصطف الطلاب، وكان ابن الاستاذ الفلسطيني من بين المصطفين، وعندما رأى والده يساق من الطلاب الثوريين إلى المشنقة ليشدوا الأنشوطة فوق عنقه هجم يبكي، ولكن لا حياة لمن تنادي.

ما تجرأ أحد على هذا الدين بمثل ما تجرأ عليه القذافي، رجل مشبوه في نسبه يشك أنه يهودي، لأنه يكره الرسول ﷺ كراهية لا يمكن أن تصدر من مسلم، أو مَن من أجداده مسلمون، والكلام على ليبيا يطول، لكن اسألوا أهل الغنى والثراء، اسألوا ليبيا التي تعد ثلاثة ملايين فقط من البشر يغمرهم ثراء البترول غمراً، لو أرادوا يعيشون ملوكاً لو وجدوا رجلاً فيه قليلٌ من الخير، يعمل هذه الثروة من أجل إسعاد شعبه. وسوريا حدثوا عن النصيرية فيها ولا حرج.

انتهت الاشتراكية، انتهت الشيوعية، تموت المبادئ الآن، الإنسان الغربي ممزق حائر يهرب من قلقه إلى الخمر فلا يشبعه، ثم إلى المخدرات فتزيده قلقاً، ولا يجد طريقاً في النهاية إلا الانتحار، إن أربعة وخمسين مليوناً من البشر من أهل أمريكا يعانون من أزمات نفسية وعقلية وعصبية، ربع سكان الولايات المتحدة يعانون من أزمات عقلية عصبية ونفسية، ثلث ميزانية السويد تخصص لمستشفيات الأمراض النفسية والعقلية والعصبية، العالم كله في انهيار، فما الخلاص من هذا الدمار؟

الجهاد الأفغاني إنقاذ للإنسانية :

لا خلاص له إلا بالاسلام، ونحن نرى أن الجهاد الأفغاني أحد بوراق إنقاذ الإنسانية، إن الذين ينظرون إلى الجهاد الأفغاني أنه إنقاذ لأرض أفغانستان أو حماية لآبار البترول في الخليج، هؤلاء لا تتعدى نظرتهم رؤوس أصابع أقدامهم، إن الإنسانية كلها، الإنسانية المعذبة، البشرية الضنكة الحائرة تنتظر الدواء، ومن يقدم الدواء؟! ليس هنالك دواء إلا الاسلام أبداً، يهربون من أنفسهم، من قوانينهم، من مجتمعهم، إنهم لا يلوون على شيء، حيرة، عذاب، أرق، ضنك، تعب نفسي، قلق، وحدث عن عذاب النفس البشرية التي أنهكت بسبب الحرب القائمة بينها وبين الأنظمة التي تطبق عليها، وتريد المخرج ولكن التيار جارف. لا يستطيع الإنسان الغربي أن يقف للتفكير، ولم يفلت من هذا التيار العارم الذي يجرف كل شيء من القيم والإنسانية والمثل والأخلاق العليا، ما أفلت من هذا إلا القليل القليل، الذين وقفوا على الشط يشيرون إلى أقوامهم بالدمار المقبل المحقق، ويكتبون كتبهم، ولكن أين الذين يقرأون؟ إنهم مجروفون مع التيار، سائرون مع الآلة، الإنسان وقود الآلة بعصبه ونفسه، بقلبه وراحته، بسعادته كلها، ذهبت وقود الآلة.

الآن نحن في أفغانستان، وأوربا وأمريكا هي وريثة الحضارة الرومانية، والحضارة الرومانية تؤمن بالقوة، ولا احترام للضعيف تحت سماء أوروبا وأمريكا، ولذا أحب الأفلام الأمريكية للشعب الأمريكي هي أفلام الكابوي، أفلام الضرب والسحق.. الآن الشعب

الأفغاني نال بعض الثقة لدى شعوب العالم لأنه أثبت بالقوة أنه يستحق الحياة. قليل من الصبر بجانب هذا الشعب ينتصر إن شاء الله، وإذا قامت دولة إسلامية أو قام نظام على أثر الشيوعية المتهاوية في كابل خلال أشهر، خلال سنة، خلال سنتين النظام الشيوعي ساقط لا محالة بإذن الله، القادمون إلى الحكم نحن نظن ظنا راجحاً أنهم الأصوليون الذين ترتجف منهم فرائص أوروبا، وعلى رأسهم حكمتيار وسياف، هؤلاء الاصوليون إن أمسكوا الحكم خلال خمس سنوات إلى عشر يستطيعون أن يطبقوا الإسلام ويربوا الشعب على الإسلام من خلال أجهزة الإعلام، والمنابر، والفيديو، والتلفاز، والمذياع، والصحيفة الدورية، والمجلة الأسبوعية، والدروس التي تعطى، والمناهج التعليمية والجامعات، والمدارس، من خلال هذه سينشأ خلال خمس سنوات إلى عشر سنوات جيل إسلامي يعرف الإسلام حق المعرفة، هذا المجتمع سيصبح نموذجاً للبشرية التي تريد أن ترجع إلى الله.

والبشرية المعذبة إذا رأت مجتمعاً إسلامياً، ورأت فيه سعادة الإنسان وطمأنينته، ورأت الكفاية والعدالة، ورأت الراحة والطمأنينة، فإنها راجعة لا محالة، خاصة وأن الشعب الأفغاني ما وصل إلى هذا من خلال انقلاب عسكري بين يوم وليلة، ما وصل إلى هذا إلا على بحور الدماء وجبال الأشلاء، فهو قوي، والغرب يحترمون الأقوياء، ويقبلون أن يأخذوا المبادئ من الأقوياء، وأما الضعفاء فهم ضائعون في الدنيا معذبون في الآخرة.

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً) (النساء: ٩٧-٩٩)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

لا حل لأزمة البشرية إلا بالإسلام، والعالم لا يؤمنون بالكلام، إنما يؤمنون بالعمل وبالأنظمة والمجتمعات القائمة، العالم لا يحترم إلا القوي والمجتمع القوي، الأفغانيون الآن قاب قوسين أو أدنى من هذا المجتمع، خلال خمس إلى عشر سنوات يعودون إلى الله تماماً، ويطبقون دين الله بتفاصيله، وهذه فترة قصيرة جداً في حياة الشعوب، والرسول ﷺ لم يطبق الإسلام في المدينة إلا خلال عشر سنوات، لأن الذي فطر فطرة الإنسان يعلم أن النفس لا تتغير بين يوم وليلة، يعلم أنها لا بد لها من زمن حتى تتحول وتتشرب تعاليم هذا الدين، المجاهدون على أبواب كابل.

المعركة القادمة حول كابل ستكون شرسة وعنيفة، وهي في هذا الشهر -الشهر السابع- ستشهد روابي كابل ويغمان ولغمان وشكردرة وستالف وغيرها معارك طاحنة ستأكل كثيراً من البشر، سواءً من الحزب الشيوعي أو من المجاهدين إلا أن يشاء الله، هذه المعركة قد تنتهي بسقوط كابل وقد لا تنتهي، وكما يتوقع (إدوارد بنهم) وكيل الدفاع الأمريكي أن كابل ستسقط قبل نوفمبر، فاذا سقطت الثلوج قبل أن يجهز على نظام كابل فإنه لا بد من الانتظار خمسة أشهر أخرى حتى تشن معركة شديدة بعد ذوبان الثلوج، الصحف العربية، الشعوب العربية الآن بدأت تضلل عن معركتها الحقيقية -معركة كابل-، وبدأت الصحف اليسارية والإعلام في العالم كله وترديد الببغاوات في الشرق، يوحي للناس في المنطقة أن الحرب أهلية، وأنه نزيف دموي، وأنه قتال بين أفغان وأفغان، وأن الروس قد خرجوا ولا بد من كف الأيدي عن البذل حتى لا نزيد الدماء تصبباً ونزولاً، لا بد أن يكون كل واحد منكم- أنتم الذين تعيشون القضية- لسان خير لهذا الجهاد، ليس لإنقاذ أفغانستان فحسب، وليس لتحرير الهندكوش فقط، وليس لحماية آبار البترول في الخليج، وليس لحماية الحرمين فقط، وليس فقط للوقوف سداً أمام الطوفان الأحمر الجارف، بل إنقاذ للإنسانية جميعاً، فارفعوا شعار: إدفع ريالاً لتنقذ البشرية...[١]

---

(١) انقطع الشريط.

في مسجد أبي بكر <أ>*

[1] إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم، وبعد:

عذابه عذب:

فيا أيها الأخوة: السلام عليكم ورحمة الله،

أثارت تلاوة القرآن في صلاة العشاء أشجاني، وبدأ الخيال يطوف، يلاحق تلك الأطياف التي سبقتنا إلى الملأ الأعلى

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم) (التوبة: ١٩-٢٢)

فما تمالكت عبراتي، وقد أثارتها ذكرياتي مع تلك الصفوة التي مضت إلى الله عز وجل قبلنا، ونحن نظن أن أرواحهم الآن في حواصل طيور خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش.

والجهاد الأفغاني على أبواب النصر، ونرجو الله عز وجل أن يشرح صدور المؤمنين برؤية دولة الإسلام والمجاهدين في كابل قريباً قائمة شاخصة، تمثل المنارة السامقة لكل مسلم في الأرض.

أقول: الجهاد الأفغاني الآن على أبواب النصر، وسوقها عقد عشر سنوات أو بضعة عشر عاماً ثم أشرف على الانفضاض، وأبواب الجنة مفتوحة، ونحن نتسابق، ولكن يبدو أننا لم نصل إلى القَدْر الذي يختارنا ربنا إليه، وإذا أغلق باب الجهاد في أفغانستان نحن ندعو الله عز وجل أن يفتح لنا باب فلسطين، والقلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، ولا يدري الإنسان ما المصير وكيف تكون الخاتمة، والمحروم من وصل إلى باب الجنة ثم عاد.

والله يا إخوة: ما من نعمة أعظم من نعمة الجهاد أبداً، وما من محبة تقوم فوق أرض أعمق من المودة التي تقوم بين قلوب المجاهدين، وما من ذكريات أعز من ذكريات الذين واكبوا الطريق المرير سنوات عديدة، ثم أخذوا شهاداتهم وتخرجوا، ودخلوا جنة رب العالمين، وأنت لا زلت تطرق الأبواب ولم يفتح لك بعد باب.

يا أيها الإخوة:

هذه القلوب بيد رب العالمين، وهي مفطورة ومجبولة على موافقة سننه عز وجل، وقوانينه في الحياة، وكلما انتهجت هذه السبل كلما وجدت سعادتها واستروحت راحتها، وإذا تنكبت الطريق وخالفت السنن

(فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى) (طه:١٢٤)

ما من أرض يشعر الإنسان فيها براحة الضمير وهدوء الأعصاب وطمأنينة الوجدان واستقرار النفس البشرية مثل أرض الجهاد.**(عليكم بالجهاد، فإنه باب من أبواب الجنة يكشف الله به الهم والغم).**

تعيش فوق أرض الجهاد بعيداً عن أهلك، ولكن الراحة التي تغمر جوانحك وتضمك بين عطفيها غامرة، كما عبر أحد السلف عن هذه السعادة (إننا لنمر بلحظات من السعادة نقول إن كان أهل الجنة بمثل هذا النعيم فهم في خير عميم، وإنّ في الدنيا جنة من لا يدخلها لا يدخل جنة الآخرة) جنة الأنس بالله واستعذاب عبادته، وذوق حلاوة الصلة به، وما من عبادة يشعر الإنسان بها بالراحة مثل عبادة الجهاد، والنفس البشرية مجبولة، والروح الإنسانية وقد خلقت بيد رب العالمين تحتاج إلى غذاء، كما تحتاج المعدة إلى غذاء من

* رقم الشريط: ٣٥٢ (١) ألقيت هذه المحاضرة في دولة قطر.

الطعام تحتاج الروح والنفس الإنسانية إلى غذاء من العبادة، وأفضل أنواع الغذاء للروح البشرية هو غذاء الجهاد، ولذا فالروح عندما تتغذى بعبادة الجهاد تنقى وتصفو، والروح تصقل، والقلب يقوى، والجهاد كالكير بالنسبة للنفس البشرية ينفي عنها خبثها وغبشها ورانها كما ينفي الكير خبث الحديد، حتى تخرج النفس البشرية من المعركة وقد صفت ونقت وسمت وارتفعت إلى ذلك الأفق الذي رسمه سيد المرسلين ﷺ وهو يعبر عن عبادة القتال فيقول: (وذروة سنامه الجهاد)، ومن هنا الجهاد سياحة، وفي الصحيح **«سياحة أمتي الجهاد»**.

والجهاد خير حياة **(من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)** من خير معاش الناس، يعني أفضل حياة، وسئل أي الناس أفضل؟ فقال ﷺ بهذا الجواب: **(رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)**، وعبادة القتال باب من أبواب الجنة يكشف الله به الهم والغم، وعجبت كيف تكون العبادة المكروه

(كتب عليكم القتال وهو كره لكم) (البقرة: ٢١٦)

كيف تكون سبباً لكشف الهم والغم! حتى تذوقناه، عشنا في أرض الجهاد نرفرف بأجنحة الشوق، أرجلنا على الأرض وأرواحنا معلقة هناك، يتمنى كل واحد منا أن يلقى ربه في كل لحظة إن كانت المعركة قائمة مع الدعاء أن يتقبل الله عز وجل الأرواح والخاتمة والشهادة.

أعيش في أرض أفغانستان أو في أرض المعسكرات التي على الحدود معظم وقتي، حتى إذا ذهبت لأهلي في مدينة بيشاور ضاقت نفسي، فإذا ذهبت إلى إسلام أباد أحس أن هنالك ذنباً صنعته واقترفته فعاقبني الله بإبعادي عن أرض الجهاد، علم الله أني آتي لحج بيت الله الحرام ونفسي ضائقة وأنا أطوف بالبيت، لأني بعيد عن أرض الجهاد، وأنا أدرك أن يوماً من أيام أفغانستان خير عند رب العالمين من جوار البيت الحرام ومن حجة ومن عمرة بنص القرآن الكريم

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله) (التوبه:١٩)

كنت أسكن في مكة مدرساً في جامعة الملك عبد العزيز، وأنا اخترت فراق مكة لأجاور أرض الجنة والشهداء، لأعيش في الجنة التي هي تحت ظلال السيوف، ولست بنادم، وقد علم الله أن يوماً في أفغانستان أحب إليّ من السكن في البيت الحرام عشر سنوات.

يا أيها الأخوه:

هذا الدين الذي تنزل من عند رب العالمين، الذي جبل بيديه سبحانه جبلة هذا الإنسان وصنعه بيديه، جعل سننه متوافقة مع هذه الجبلة، وقوانينه متناسقة مع هذه الخلقة، وما أحس به في أعماقي لا أستطيع أن أنقله لكم عبر كلماتي، لأني لو وصفت لكم ذوق العسل عشر سنوات لا تعدل أن تغمس إصبعك في عسل وتتذوقه في طرف لسانك، الله عز وجل وهو يفرض هذه الفريضة على الناس يعلم ثقلها على النفس البشرية، ولكن يعلم فائدتها العظيمة لهذه النفس، ولذلك سبحانه وهو يتكلم عن الشهداء، قال سبحانه

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين)

(العمران:١٣٩-١٤١)

يعني الله عز وجل لا يحب الظالمين، فكيف يظلم، فلا تظنوا أن فرض الجهاد عليكم إنما هو ظلم لكم، إنما هو من أجل مصلحتكم ومن أجل نفوسكم، لأن نفوسكم تنقى وتصفو، وأرواحكم تصقل في هذه الميادين، ولا يمكن أن تصقل في ميدان مثل هذا الميدان، ومن هنا عندما نقرأ في كتاب مثل كتاب (الإصابة في حياة الصحابة) أو كتاب (أسد الغابه) لابن الأثير نجد عندما يريد أن يبرز مؤهلات الصحابي -أو (كتب الرجال)-، يقولون شهد الغزوات كلها، شهد المواقع كلها، وعندما نظرت الأمة بعد رسول الله ﷺ فلم يبرز بجانب أبي بكر أحد، لماذا؟ شهد الغزوات كلها، لم يتلعثم، بذل ماله ونفسه في سبيل الله، لم ينهزم في معركة أبداً، ما تخلى عن رسول الله ﷺ في موقعة، حنين، أحد، ما إلى ذلك، قد ينفض القوم كلهم لكن أبا بكر وعمر بجانب رسول الله ﷺ، ولذلك الجهاد هو الذي أبرز القيادات في العصور الإسلامية كلها، يعني الجهاد أبرز أبا بكر، عمر، عثمان، علي، ورسول الله ﷺ يدرك أهمية هذه الفريضة للنفس البشرية،

ولذلك لم يعف عثمان ولا عبد الرحمن بن عوف من الجهاد بالنفس، ما قال لهم يوم تبوك: أنت يا عبد الرحمن وأنت يا عثمان قد جهزتما جيش العسرة فأنتما تاجرا للجيش، وإذا قتل بلال وعمار فلا بأس لأنهم فقراء ونحن بحاجة لأموالكم لهذا الجيش!!! لا، يدفع ماله -ويتقدم أمام الصفوف، وقد بقي المنافقون يلمزون سيدنا عثمان حتى نهاية حياته لأنه تخلف عن بدر، مع أن رسول الله ﷺ هو الذي خلفه وراءه ليطبب زوجته رقية -ابنة رسول الله ﷺ-، فالمجتمع المسلم ليس فيه صنفان، صنف التجار الذين يقعدون ويمدون، وصنف الفقراء الذين يقاتلون ويقتلون، لا.

المال لا يصفي النفس البشرية كما يصفيها السيف وتصفيها أهوال القتال، ولذلك قيل لرسول الله ﷺ **(أيفتن الشهيد في قبره -يفتن يعني يسأل، يسأله منكر ونكير- قال كفى ببارقة السيوف فوق رأسه فتنه)** يكفي السيوف التي فوق رأسه، مرة ثانية يفتن؟! لا، خلاص... لا يفتن الشهيد، والذي يموت مرابطاً كذلك لا يُفتن في قبره ولا يسأله الملكان، ويبقى عمله جارياً إلى يوم القيامة **(وما من ميت يموت إلا ويختم على عمله إلا من مات مرابطاً فإنه يبقى ينمى عمله إلى يوم القيامة)**، فالذي يموت في أرض الرباط الآن، افرضوا أن القيامة قامت بعد مليون سنة كأنما عاش مليون سنة، وكل يوم في كل صباح يأخذ الملك نسخة من خيرة أعماله ويضيفها إلى صحائفه إلى أن تقوم الساعة، لماذا؟ كما قلنا القتال به تصفو النفوس، تتجرد، أهوال الحرب تهز النفس البشرية، تسقط الركام -ركام التقاليد، ركام الفوارق في المجتمع، هذا رئيس وهذا مرؤوس، وهذا غني وهذا فقير- هذه كلها تنتهي في ميدان القتال، وميدان القتال عندما تبدأ الحرب تهز أهوال، يعني صدقوا يا إخوة: كما قلت إن الجبال كانت تميد تحت أقدامنا، الجبال تهتز تحت أقدامنا، والقذائف فوق رؤوسنا، هنا النفس البشرية ماذا تريد في هذا الجو، خلاص... يتعرى القلب والفطرة إلى خالقها، أجهزة الفاكس خلاص مفتوحة للتلقي، أجهزة استقبال القلب تبدأ تستقبل اشعاعات هذا الدين، معانيه، القرب من رب العالمين، التضرع إليه، أي دنيا هذه التي يبحث عنها؟ وأي سلطان الذي يتشبث به في هذه المآزق والميادين؟! أي خبث يبقى في القلب البشري أمام هذه الأهوال وفي ضرام هذا الأتون المتأجج؟ تزول كلها، ولذلك يقول الله عز وجل:

(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (العنكبوت: ٢-٣)

ميزان التفاضل:

الآن ميزان التفاضل في أفغانستان ما هو؟ ميزان التفاضل في أفغانستان مقدار بقائه في أرض المعركة، الآن لو سألت الناس في أفغانستان كلها- ما عدا الحاقدين وما عدا الحاسدين- تقول لهم! من أحمد شاه مسعود؟ يقولون لك: أحد عشر عاماً لم يخرج من أرض المعركة، وأذل الله به الروس، أنا سرت من قرب كابل إلى قرب نهر جيحون كل المناطق إذا ذكرت كلمة الأمير فإنما تعني أحمد شاه مسعود، لماذا؟ حوله الآلاف المؤلفة من الشباب كنقاء أزهار، وضراغم وأسود في طهر ماء السماء، وفي شجاعة ليوث بيشة، لماذا؟ لماذا يحبونه؟ يفتدونه بأنفسهم، لماذا؟ أحد عشر عاماً وهو أمامهم في المعركة، يتعرض للموت كما يتعرضون، ويجوع كما يجوعون، ويعرى كما يعرون، ويجرح كما يجرحون، فكيف لا تفتديه المهج بحشاشاتها، والقلوب بسويداء أعماقها؟

- هكذا كان رسول الله ﷺ، إنما فرض محبته على القلوب فرضاً، وانتزع إعجابه من النفوس انتزاعاً، لماذا؟ **(كنا إذا اشتد الوطيس نتقي برسول الله ﷺ)** كان أجود الناس، أشجع الناس، إذا جاع الناس يأتي الصحابة يكشفون عن بطونهم وقد ربط كل واحد منهم حجراً على بطنه من الجوع، فلم يلق له رسول الله ﷺ محاضرة في الزهد، كشف عن بطنه فوجدوه قد ربط على بطنه حجرين، انتهت القصة، انتهت القضية، لماذا هذا البون الشاسع الآن بين المسئولين في العالم الإسلامي وبين الشعوب؟ لماذا اللوم من الناس؟ ما هذا التململ؟ ما سره؟ يجدون المسئول يعيش فوق السحاب، في أبراج عاجية، والناس يعيشون تحت التراب، ولذلك لا معبر بينهما ولا لقاء ولا جسور، لو كان هذا القائد أو الحاكم أو المسئول يعيش عيشهم، ويقودهم في محنهم، ويتصدى لنائبات الزمان دونهم، ويشرع هامته للسهام دونهم، عندها سيجد الملايين تموت دون أن يمس بأذى.

لماذا يحب الناس القادة المجاهدين في أفغانستان؟ رغم أن أبناءهم قتلوا حولهم، ونساءهم قد طمرت بالتراب، وإخوانهم في السجون، وأبناءهم حرقوا، وبناتهم مشلولات، ومع ذلك كما يقول الشاعر عن أفغانستان:

فتلك ربوعهم بالدافــق[1]	المـــــوار تغتســـــل
وتلك جماجم الأطفــال	تسحـــــق وهي تبتهل
وأعراض النساء بهـا	يعيث الملحد الثمـــل
فما ذل الإباء بهـــم	وما احتفى بهم فشل
ورأس الشعب مرتفـع	وموج البذل متصـــل

لماذا؟ قادتهم أمامهم في الميدان، لماذا؟ تسألهم عن فريد، عن صفي الله أفضلي، عن أحمد شاه مسعود، عن محمد علم، عن جلال الدين حقاني، عن فلان،... كل واحد صادق، إذا لم يكن متحزباً،يعني مثلاً نحن العرب نفتديهم بأنفسنا وبقلوبنا، في أعماق قلوبنا، لماذا؟

يا إخوة: القلوب ليست بيدك إنما هي بيد صانع القلوب وخالقها، والقلوب رب العالمين يوجهها لمن يحب، والقلوب تحب الصدق، والنفس البشرية تحب الصدق، وتعشق القوة، تعشق الشجاعة عشقاً، وتحب الصدق، وعنوان الصدق هو الجهاد، ولذلك رب العزة ربط الصدق بالجهاد

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) (التوبه: ١١٩-١٢٠)

(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) (الحجرات: ١٥)

فالناس يحبون المجاهد، لأن الجهاد رمز الصدق.

هذه الجموع التي تجتمع لتستمع إلي ولست مثل بقية المفكرين والمحاضرين وما إلى ذلك، إنما هي تعبر عن النفس الإنسانية بفطرتها وجبلتها التي تحب الصدق، وهي تظن أني في الجهاد، فأحبتني حباً بهذا الجهاد الذي هو رمز الصدق وعنوان الإستقامة، فالناس يحبون الصادقين، يحبون الرجولة، يحبون الشجاعة، يكرهون الجبن. يكرهون البخل، يكرهون الكذب، طبيعة النفس، والله الكذابين يكرهون بعضهم بعضا.

مرة أحد العلماء أو الدعاة فاتح أحد الملوك، قال له -والإثنان أحياء-، الملك حي والداعية حي، قال له اسمع: نحن والله لا نريد أن نغشك، نحن أقدر على الكلام من هؤلاء الذين حولك، قال له: والله يا أبا ماجد إني لأكره هؤلاء الذين حولي! نعم! النفس البشرية تكره الكذابين، تكره المنافقين، ولو كانوا يكذبون من أجلك، ويمدحونك ويتملقون إليك، وتحب الصدق والصادقين، وإن كان فيه أحياناً جرح له، لكن الجرح يجدون فيه عذوبة، لأنه خارج من قلب صادق، ويعذرونه، حتى الطغاة أحياناً يعذرون الصادقين.

الآن صدقوا مرة أذاعت الـ (B.B.C) -صوت الشيطان، ألد إذاعة ضد الإسلام والمسلمين هذه الإذاعه-، فأذاعت عن أسر أحمد شاه مسعود، أحد الإخوه راجع من عند أحمد شاه مسعود، على بعد حوالي مائتي كيلو متر، ولاية وردك وميدان على بعد مائة وخمسين إلى مائتي كيلو متر من بنجشير يبكون، صائمون عن الزاد، ما شأنكم؟ قالوا سمعنا أن أحمد شاه مسعود أسر، قال لهم أبشروا لقد جئتكم من عنده.... لماذا؟ الآن أحياناً يأتي زعماء القبائل إلى الشيخ سياف، يا شيخ سياف أكتب لنا أننا جاهدنا معك، فأقول له ماذا يستفيدون؟ قال: يستحيون أن لا يعرف الناس عنهم أنهم قاتلوا أو جاهدوا، وحتى الآن يستحي الناس، القبيلة التي ما قدمت شهداء كثيرين يستحيون من أنفسهم، يستحيون، فتجد واحداً منهم -عندهم الملايين- يأتي بملايينه ويجاهد، لأنه يستحي على نفسه أن يمتد قتال في أفغانستان عشر سنوات ولا يشارك في ميدان الرجال، هذا عيب عظيم، عيب كبير، الآن في الضفة الغربية، في غزة، الناس الذين لا يجرح أبناؤهم أو لا يضرب أبناؤهم من قبل اليهود يستحيون من أنفسهم، بينما كان قبل سنتين قبل هذا الجهاد المبارك الذي سموه ظلماً انتفاضة، هو جهاد لكن لا يريدون أن تذكر كلمة جهاد، لا يريدون المصطلح الشرعي، ولذلك نجد اليساريين هنا في العالم العربي يأبون أن يطلقوا كلمة جهاد على الأفغان، يسمونهم ثواراً، حتى الـ (BBC) مرات تسميهم المجاهدين، ريجان سماهم المجاهدين، الدنيا كلها تعتبرهم مجاهدين، الكل يعتبرهم مجاهدون إلا الصحف التي في الكويت وفي غيرها، تأبى على نفسها أن تطلق

كلمة جهاد على المجاهدين وللأسف، وللأسف العميق، خاصة صحيفتي السياسه والوطن، وفي أفغانستان أخبار أفضل مما تأتينا _ بالسياسه وبالوطن وبغيرها، بالنسبة للمجاهدين يرفضون، ثوار، مرات متمردين، يكتبون عنهم متمردون، ومرة واحد في جريدة يرسل في زاوية -ضباب- هذه، لأن ربهم غطى على عيونهم (ضباب)، قال يسأل عن عنوان المجاهدين حتى يرسل لهم التبرعات، فقالوا: يا أخ فلان -والله قرأتها بنفسي- يا أخ فلان أرح نفسك فلقد استسلم المجاهدون للدولة وألقوا السلاح وليسوا بحاجة إلى التبرعات، نعم! الانتصار تلو الانتصار، وانتصار توج الله به جبين البشرية، ورفع الله به هامة كل مسلم، وهم يقولون: نبشرك يعني نطمئنك أن المجاهدين ألقوا السلاح واستسلموا وليسوا بحاجة إلى التبرعات، الآن في الضفة الغربية، الجهاد الذي في الضفة هذا الذي زلزل الأرض تحت أقدام اليهود والحمد لله، ثم أبرز العناصر الإسلامية في الساحة الفلسطينية، واجتذب مرة أخرى الشارع الفلسطيني وأعاده على طريق الله عز وجل، وهذه نعمة كبرى من الله عز وجل.

ضالون مضلون:

ما كنا نظن في سنة واحدة أن الذين اجتالتهم الشياطين عن الطريق المستقيم يستطيع المسلمون بفضل الله أن يعيدوهم على الخط مرة أخرى، الناطق بلسان الثوار الفلسطينيين أو الثورة الفلسطينية عبر عشرين عاماً أو ربع قرن محمود درويش، الذي وضع حتى الأنشودة التي تفتتح بها، يتغنى بها كل فلسطيني

أنا يا أخي أنا يـا أخـــي *آمنت بالشعب المضيع والمكبل*

وحمـلـت رشاشـي لتحمـل *بعدنا الأجيـال منــــجل!!*

يعني كل القتال من أجل أن يحملوا المنجل والشاكوش -الشعب الفلسطيني- شعار الشيوعية، هذا الناطق باسم الثورة وشاعرها المبجل المفضل!! وأخرجوه ليصبح ماذا؟ نقيب الكتاب العرب والشعراء العرب، وغير ذلك، وينقلونه من هنا وهناك، هو والبياتي وفلان وفلان من اليساريين والشيوعيين وغيرهم، طبعاً محمود درويش الناطق باسم الثورة الفلسطينية الذي كان يحمل العلم الإسرائيلي في مؤتمر صوفيا الدولي -علم إسرائيل-، قالوا ما اسمك؟ قال له اكتب:

أنا من قرية عـــزلاء منسيـــة *وكل رجالها في الحقل والعمل*

يحـبون الشـــيوعيــــــــة

بيروت، يصور محمود درويش رب العالمين بأنه بياع في خمارة في بيروت، يصور رب العالمين سبحانه وتعالى في قصيدته الطويلة عند سقوط بيروت، ويلقيها في مؤتمر المنظمة الفلسطينية، وتنشرها مجلة (الثورة) المباركة المحترمة المبجلة!!! وسميح القاسم وتوفيق زياد وغداً يوم الأرض الذي أعلنه توفيق زياد ثلاثين آذار، غداً ثلاثين مارس، اليوم الذي أعلنه توفيق زياد الذي كان يلم الفلوس من أمريكا بالعلم الإسرائيلي، وكل ذلك باسم فلسطين وباسم الثورة والثوار، أنا شبهت فلسطين في الفترة السابقة كعذراء مصونة في خدرها سبيت، وعندما سبيت هذه العذراء المصونة بدأ بعض الناس يقولون: هذه أختي، وآخر يقول هذه أمي، فيقول لهم الذين سبوها أمكم ما دينها؟ ما دين أمكم؟ يقولون لهم قولوا، إذا قلتم إن دينها كما نقول لكم قد نرجعها لكم، قولو لا دين لها، علمانية، قال: لهم لا، فريق ثاني قولوا إنها ماركسيه، ملحدة شيوعية، والصنف الثالث قولوا إنها قومية، لا تؤمن بدين، فجورج سيدها ونايف هو ابنها الحقيقي، هم غيروا دينها، وبدأوا يطرزون ثوبها، ووضعوا على ثوبها الصليب، ووضعوا من الخلف المنجل والشاكوش، ووضعوا على الجوانب أعلام وشعارات هانوي وجيفارا وماو وهوشي منه وكاسترو وما إلى ذلك!!!!

كل ذلك زخرف به الثوب الذي سيلبس للبنت المصون المخدرة المسبية، التي لن ترجع إليهم ما داموا ضائعين في هذا التيه، يضحكون عليهم، أنا جد مسرور والحمد لله أن حماس -والحمد لله- استطاعت أن تعيد الشارع الفلسطيني الذي غاب تحت ضجيج الإعلام باسم الثورة والثوار بعيداً عن دينه وعن ملته، أنا جد مسرور، ونعمة تفضل بها رب العزة من فوق سبع سماوات أن تعود الأسماء الحقيقة لهذه العذراء المخدرة المصون، أنها مسلمة وعفيفة ودينها الإسلام، وستبقى كذلك إلى أن تلقى الله:

ومن هنا ذكريات عشناها سنتي تسع وستين وسبعين (٦٩-٧٠) مع هذه الفئات إلا من رحم الله، وقليل جداً ما هم، كنا مع الجبهة الديمقراطية بجانبنا كانت قاعدتنا نسميها قاعدة (غزة) في الرفيد- إحدى قرى العبيدات، وبجانبنا قاعدة للجبهة الديمقراطية -يعني الجبهة الشيوعية- التي يقودها نايف حواتمة، صدقوا يا إخوه أن سر الليل -كلمة سر الليل- عندهم إما سب الدين أو الرب أو الرسول ﷺ، صدقوا يا إخوه أننا كنا نحرس قاعدتنا منهم أكثر من اليهود، وصدقوا يا إخوه أننا كنا نقف للأذان نؤذن الله أكبر الله أكبر فيصطفون مقابلنا كلما قلنا الله أكبر يقولون:

إن تسأل عني فهذه قيمي   أنا ماركسي لينيني أممي

كم فرحت وأنا أسمع أبناء فلسطين يرددون الشعارات الإسلامية الله أكبر، وإن كنت أنسى فلن أنسى يوم أخذت لمحاكمة عسكرية لقائد القطاع الذي كان يحكمنا -الثائر- وكانت الجريمة أني تكلمت على جيفارا، تكلمت على من؟ على جيفارا!! جريمة!! قدمت لمحاكمة عسكرية لأني تكلمت على جيفارا!! قلت للمدعي العام الذي يمثل لسان الثورة قلت: ما الجريمة؟ قال: أنت تكلمت على جيفارا، قلت له: من هو جيفارا؟ قال مناضل شريف- هو بعثي طبعاً هذا المدعي العام، المثقف الثوري، والإثنين كنا تحت ظلال فتح- وفي هذه المناسبة جزى الله أبا عمار خيراً -بس ياسر لوحده- خيراً لأنه هو الذي قبلنا في منظمة فتح، جزاه الله خيراً، أما غيره فلا ساق الله لهم خيراً، جزاه الله خيراً عن هذه، أما غيرها فالله أعلم.

فأقول قلت للمثقف الثوري: ما دين فتح؟ قال: فتح لا دين لها، وفعلاً صحيح لا دين لها، علمانية فيها النصراني وفيها الشيوعي وفيها البعثي وفيها الإخوان المسلمون، وفيها كل الملل، صحيح لا دين لها، علمانية، هم يقولون علمانية، صحيح! هو صادق، قلت له: أما أنا فديني الإسلام، وجئت لأؤدي فريضة اسمها فريضة القتال، وجيفارا تحت قدمي هذه، ولكن أنا حامل الكلاشنكوف بكتفي، لا أحد يجرؤ يحكي معي، كما قال المثل العامي (ما في حدا له جميله على حدا)[1] وخرجت، عاد الشارع، عاد الشارع إلى الله، كنا نتمنى والله أن نجد واحداً يصلي، ولماذا؟ يأخذهم جورج حبش، جورج اسمه ليس عربي، إسمه جورج، ويريد أن يرجع المسجد الأقصى!! عجيب والله!! جورج، ميشيل، أنطون، عنلق، هل يريدون أمة تتوحد، معقول هذه!! الأب (كبوجي) سيرجع لك المسجد الأقصى!! عجيب عجيب!! ضيعوا فلسطين، وضيعوا هويتها، ومسخوا شخصيتها، وضللوا أجيالها، وأضاعوا أبناءها، وأخروا تحريرها، كله باسم الثورة والثوار.

اعتراف ذليل:

فالحمد لله رجع الشارع الفلسطيني، رجع إلى الله، ونحن نحب كل واحد يلقي حجراً على إسرائيل، نحب أن يلقي الناس أحجاراً، ولكن الحجارة توقفت، يبدو تنتظر اليهود حتى يرجعوا لنا المسجد الأقصى، نعم!!! الآن محاولات عديدة من أجل أن يجلسوا مع اليهود، قالوا لليهود: اعترفوا بنا، اعترفنا بكم ، أيكفيكم هذا؟ لا، أنت ما قلت بالنص الذي قلناه، قالوا لليهود: اكتبوا ما شئتم، ونحن نقرأها بالكلمة، اعتراف اعتراف، وأما اليهود، فقالوا: نفكر هل نجلس أو لا؟ ممكن أن نجلس في مؤتمر دولي يحلها لنا؟ نعم، ممكن، (**يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا**) مساكين مساكين! والله مساكين، ألا يعرفون أن اليهود قتلوا سبعين نبياً في يوم واحد، ألا يعرفون اليهود وقد رقصت سلومي الراقصة أمام هريدوتس اليهودي، فقالوا لسلومي تمني واطلبي، قالت لا أريد إلا شيئاً واحداً، رأس النبي يحيى، فقطع رأس النبي يحيى وقدم لها على طبق، رأس يحيى من أجل رقصة، !!! هؤلاء الذين نكثوا عهودهم مع الله، مع الأنبياء

(ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بماعصوا وكانوا يعتدون)

(آل عمران: ١١٢)

بعد مخادعات استمرت اثنين وأربعين عاماً نعود ونؤمن بوعود اليهود وبخداعهم وبمكرهم..عجيب! عجيب!! ونعترف باليهود، وأقارن هنا بين الاعتراف باليهود الذي يأباه كل دين، ويرفضه كل مذهب، ويرفضه كل فقيه، وبين المجاهدين الأفغان.

أحمد شاه زي نائب سياف يعقد صفقة سلاح مع تاجر إسباني، وبعد أن تتم صفقة السلاح مع التاجر الإسباني والشيك موجود والسلاح موجود، قال يا أحمد شاه فقط وقع لي على ورقة أن لا تستعملوا هذا السلاح ضد اليهود، قال نلغي الصفقة، قال لماذا؟ قال: أنت تريد أن أوقع على ورقة إلغاء حرب ضد اليهود أعلنه رب العزة في كتابه قبل بضعة عشر قرناً، ورجع ولم يأخذ رصاصة واحدة!! قال له: أنتم ستستعملونه ضد اليهود؟ قال: لا، لن نستعمله ضد اليهود، قال التاجر الإسباني تاجر السلاح: ما رأيت شعباً أعز منكم مع فقره!!

رباني يقول: أنا في اجتماع وإذا بولد من أولادي يأتي من الداخل، قال: كلّم امرأة تلح أن تأتيها، قال له: قل لها إنه في اجتماع، قالت المرأة: أريد أن أراه، ويدخل رباني في الداخل، وإذا بامرأة تفتح صندوقاً فيه قد جمّعت حليها، قالت: أريد أن تجهز غازياً في فلسطين بهذه الحلي، أفغانية! امرأة أفغانية!! تريد أن تجهز غازياً في فلسطين بهذا، عندما تُكلم الأفغان عن فلسطين يبكون، دموعهم تتحدر، تتحدر! أنا في طلتان في الشمال فرخار في ورسج، وبجانبي شيخ كبير وهو شيخ الحديث في المنطقة لكن بصير

-يعني لا يرى- فجلست بجانبه، فضرب على ركبتي وأشار إلي أن أرجع، بجانبي رباني، قال له: هذا مجاهد من فلسطين، وإذا به يحتضنني ويبكي.

يا إخوة: قضية فلسطين قضية دينية، قضية دين، قضية عقيده، لن تحل سياسياً ولا بالسياسه، لا نريد أن نمسخها، حولناها من قضية إسلامية إلى قضية عربية، ثم من قضية عربية إلى قضية فلسطينية، ثم من قضية فلسطينية إلى قضية شرق أوسط، حتى تضيع بالمرة، الآن قضية الشرق الأوسط، لا، قضية دين، وعندما نرفع شعار الدين سنجد قلوب الصادقين تلتف حولنا، قد يقول الثوار: نحن رفعنا الشعار وتادينا الأبرار والأشرار، فلم يتقدم الأبرار وتقدم الأشرار، ونحن نريد أن نضع -هم يقولون- نريد أن نضع أيدينا بأيدي الشيطان ونرجع بلدنا، الشيطان لا يرجع بلدكم، لا يرجعها إلا الإسلام، والكلام إن شاء الله سنتكلم عنه طويلاً غداً في محاضرتنا من كابل إلى القدس.

يا أيها الإخوة: الجهاد الأفغاني ساقه الله عز وجل على قدر، الله عز وجل سبحانه حكيم يحب أن ينصر دينه، رأى الأمة الإسلامية تتراجع من جبهة إلى جبهة، وتنهزم من مكان إلى مكان، انهيارات عسكرية، اقتصادية، احتماعية، ضياع، من هؤلاء:

من هؤلاء التائــــــهون؟!	*الخابطون على التخــــوم*
أعشى خطى أبصارهـــم	*رهج الزوابع والغــــيوم*
فإذا غفوا فعلى مواطــئ	*كـل جبـــار غشــــــوم*
وإذا صحوا فعلى خـــطا	*للذل خاشـعة الرســـوم*
من هؤلاء التائــــــهون؟!	*أفهؤلاء المسلمـــــــون؟!*
أبداً تكذبني وترجمـــــني	*الحقائـــق والظنـــون*

رأى المسلمين في ضياع، ورأى الذل الذي يلبس الأمة الإسلامية حتى تجرأ زعيم أكبر دولة عربية أن يركع على أبواب الكنيست، يتجرأ أمام العالم الإسلامي كله ويذهب بنفسه على ماخور اليهود -الكنيست-، ولم يجد واحداً من شعبه يقول: لا، حتى ساق الله إليه خالد الإسلامبولي -نرجو الله أن يتقبله في الفردوس الأعلى-، لقد كان ذهاب السادات إلى فلسطين آخر درك من دركات الانحطاط والذل، وقد عم الظلام المنطقة كلها، ولم يبق أي بصيص من نور، فساق الله إلينا الجهاد الأفغاني، واختار أضعف شعب وأكثره أمية وفقراً مقابل أعظم قوة في الأرض، إختيار!! لا عندها تكنلوجيا ولا تقدم علمي، أكثر من (٩٠٪) من الشعب الأفغاني أمي، عدد السكان عشرون مليوناً مقابل مئتين وسبعين مليوناً -الاتحاد السوفيتي- لا أقمار صناعية، ولا صواريخ ذرية، لا زالوا يقاتلون بالبندقية الإنجليزية، لأن رب العزة يريد أن يثبت للناس أن قوتي هي أعظم من قوة البشر، وأن إرادتي لا معقب لها، وأن مشيئتي نافذة

(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف: ٢١)

تحول في أفغانستان:

بعض العقلاء الطيبين السياسيين حدثني عندما دخل الروس أفغانستان قال لي: نخشى أن تصبح أفغانستان مثل بخارى وطشقند، كان دخول الروس خوفاً من قيام دولة إسلامية في أفغانستان، والسبب؟ سبب كل هذه المعركة ملك مغفل أوحت له أمريكا أن لا تدع حولك هؤلاء المشايخ -المولوية- (مولوي يعني عالم)، العلماء بعقلية القرون الوسطى متجمعون حولك، أمامك خياران لا ثالث لهما، إما أن يقام عليك بانقلاب، وإما أن تقوم بانقلاب، قال لهم: لا، أنا أقوم بانقلاب، الكرسي يذهب إذا قاموا عليّ انقلاب، قالوا إذاً إيران بجانبك وفيها الإمبراطور شاه بهلوي قد نقلها، انظر المرأة فيها، انظر المسارح والمواخير الليلية وحانات الخمر، وانظر، وانظر المرأة الحفلات الدبلوماسية، و(الريسبشن) وغير ذلك، أنظر الرقصات، انظر المرأة المهندسة والطبيبة والمعلمة والتي تقود السيارة، أنت أين تعيش؟ وانظر الباكستان وأين المرأة فيها، وانظر الهند وأين المرأة فيها، وأنت لا زلت تحجب المرأة وتغلق عليها الأبواب، أنت أين؟ أنت في جزيرة حولها بحر متلاطم، البحر سيغرقك، أو سينبع النبع من تحتك، قال إذاً ماذا أفعل؟ قالوا: إعمل ثورة ثقافية، ما معنى الثورة الثقافية؟ يعني إسلخ الناس عن دينهم، أكثر من المسارح، السينمات، زوجتك هذه بدل أن تبقى محجبة إظهر أنت وإياها، إلبس لباساً أوروبياً، ستبقى تحمل هذه الخيمة أكفان الموتى -أحياء في أكفان الموتى-، فصدق المسكين!! فراح وأحضر زوجته، وبدأ الملك على الأعراف الغربية، أن الملك في الحفلات الدبلوماسية أو الحاكم يرقص مع زوجة أقدم سفير في البلد!!: وبدأ يرقص، وقدم زوجته نصف عارية أو كاسية عارية، وسلمها لواحد يرقص معها، ورقص مع زوجة أقدم سفير، أظن كان السفير الفرنسي، والفرنسيات عيونهن زرق، وشعرهن أشقر، وأسنانهن فرق!!![1] فرقص الملك، قالوا ما شاء الله بدأت عقليتك تتفتح، إيش هذا؟! ورأى هؤلاء الأمريكان يبتسمون له،

---

[1] يريد الشيخ إن يبين أنه الملك يجمال الفرنسيات.

والصحفيين يصورون، والتلفزيون ينقل والأمريكان يضحكون له، ظهر أول سن أمريكاني، قال:ماذا تريدون حتى تبين أسنانكم كلها عند الضحك؟! قالوا: هذا قليل، اعمل مؤتمر صحفياً وقل نريد أن نحرر المرأة، كيف نحرر المرأة؟ إمسك حجاب امرأة وضعه تحت قدمك، بالفعل المسكين جمع الناس، عمل مؤتمراً صحفياً، وضع حجاب المرأة المسلمة تحت قدمه، وقال: انتهى عهد الظلام إلى الأبد، ظهرت الثنايا العليا للأمريكان، طيب وغيرها، قالوا: هذا لا يكفي، لا بد أن تكشف وجه المرأة كله في أفغانستان، أمر: ممنوع النقاب في أفغانستان، طيب ممنوع النقاب؟ نعم ممنوع، أهل قندهار من الذي يقنعهم أنه ممنوع النقاب؟ أهل قندهار حتى الآن -فقط قبل كان كثيراً- حتى الآن أناس لا يلبسون الأحذية، نعم، اسمهم العيارين أو الفتوة، يأتي بحذوة فرس ويدقها في رجله بالمسامير، يدق المسامير بالحذوة ويبقى ماشياً، ويتحدى أن يسبقه أحد، ويريد المسكين يكشف عن وجوه نساء، أهل قندهار !!

قالوا: لا يا جلالة الملك، قال لهم: لا.. أمر ملكي، وأرسل لهم جيشاً، جيش بكامله غزا قندهار حتى يكشف وجه المرأة، وقامت معركة، وقتل أكثر من ألف في قندهار، وهم يحاولون أن يكشفوا وجه المرأة هناك، لكن أين؟ أهل قندهار، أهل قندهار فتحوا الهند سبع مرات،هذا مسكين، لا حول ولا قوة إلا بالله، الله يجبره، قال للأمريكان ماذا تريدون زيادة؟ قالوا المشايخ أبعدهم عنك، طيب أبعدناهم..ماذا؟ قالوا قرب هؤلاء الأفكار الأخرى حولك، هات ابن عمك محمد داوود، اجعله رئيساً للوزراء، هذا رجل عسكري يستطيع أن تنجح الثورة الثقافية على يديه، تفضل يا محمد داوود، استلم البلد عشر سنوات، على بلاط محمد داوود تربى تراقي وحفيظ الله أمين وبابرك كارمل، وكونوا الحزب الشيوعي، وبدأ التيار الإسلامي ينحسر، وبدأت الشيوعية تنمو، أمريكا تحب أن الشيوعية تنمو، حتى تبعد الناس عن الإسلام، لأن الشيوعية يمكن أن تصطلح وإياها، تصبح هناك مقايضات، تصير مصالح، يصير بيع، أما الإسلام هؤلاء لا يبيعون ولا يشترون.[1]

ومشى الأمر، وظهر أستاذ في كلية الشريعة اسمه غلام محمد نيازي عميد كلية الشريعة انتبه، وإذا بالتيار الشيوعي يزحف، العلمانيون استلموا الجامعة، الشيوعيون استلموا المناصب، في مجلس الملك ستة وثلاثون شيوعياً كانوا في مجلس الشورى الذي الملك، ستة وثلاثون شيوعياً!!، بدأ يربي أبناء كلية الشريعة على الإسلام، وينبههم من الشيوعية التي تزحف، بدأ التيار الإسلامي ينمو في داخل الجامعة، صار اصطدام بين التيار الإسلامي والشيوعي، انتخب اتحاد الطلبة المسلمين، اتحاد الطلبة للجامعة سنة (١٩٧٢م) نجح التيار الإسلامي، وسقط الشيوعيون، أخذ الشيوعيون النتيجة للسفير الروسي، قال: إن هذه البلد سيستلمها هؤلاء الشباب المسلم، والملك لا يستطيع أن يوقف هذا التيار، فلا بد من رجل عسكري، هؤلاء أصحاب الأحذية الثقيلة الذين رؤوسهم ثقيلة وأحذيتهم ثقيلة، الانقلابات العسكرية!!! فعملوا انقلاباً عسكرياً، قالوا له: نحن نريد أن نقدم لك أفغانستان مقابل شيء واحد، أن تسحق الحركة الإسلامية، جاء محمد داوود وعمل انقلاباً عسكرياً على ابن عمه وزوج أخته، على ابن عمه الملك وعلى صهره، لأن أخت الملك مع محمد داوود، الملك ظل في إيطاليا يشم الهواء، واستلم البلد محمد داوود.

محمد داوود جاء متحمساً، أول قرار طرد غلام محمد نيازي عن عمادة كلية الشريعة، بدأ يضيق على التيار الإسلامي، الشباب المسلمون، هذا سياف، رباني، حكمتيار، أحمد شاه زي، وكل هؤلاء الشباب الآن البارزين في الجهاد كانوا طلاباً في الجامعة، كان سياف في ذلك الوقت معيداً في كلية الشريعة أو محاضراً في كلية الشريعة، بدأوا ينظرون إلى محمد داوود وقد جاء لذبحهم، فالجيش الأفغاني جيش طيب، بدأوا يتصلون به وينبهونه، أن الشيوعية جاءت انتبهوا، البلد راحت، حاول الجيش أن يعمل انقلابا عسكرياً على محمد داوود حتى يحفظوا إسلام البلد، فشل أول إنقلاب، ثاني إنقلاب، ثالث انقلاب، اكتشف أن حكمتيار ورباني وسياف وما إلى ذلك على صلة بهؤلاء الضباط، هاجر حكمتيار ورباني، ومسك غلام محمد نيازي وسياف ووضعا في السجن.

حكمتيار نعمة لأفغانستان:

لما وصلوا بيشاور، فكروا ماذا نصنع؟ قال حكمتيار: لا بد من القتال، شاب عمره (٢٥) سنة ومتحمس مثل حبة الملح بالمقلاة، تعرفون الملح لما يوضع في المقلاة فوق النار،[2] وما شاء الله، هنا أسجل كلمة أقولها من قرارة نفسي ومن صميم قلبي: أن هذا الشاب ساقه الله نعمة لأفغانستان، فحفظ بها أفغانستان من أن تصبح قطعة مثل بخاري تابعة للاتحاد السوفييتي، حفظه الله.

هذا الشاب حكمتيار، وكلهم على خير، لكن هذا الشاب بعزمه وتصميمه وجهاده وتنظيمه، بفضل الله ونعمته، حفظ أفغانستان

---

(١) أي لا يستطيعوا التفاهم معهم.

الإسلامية مسلمة.

أرسلوا رباني إلى السعودية، حتى يتصل بالشباب الأفغان ليعودوا إلى بيشاور ليشاركوا في المعركة، رباني عمل موعداً مع الملك فيصل رحمه الله، وقدم للملك فيصل تقريراً: أن روسيا قادمة إلى أفغانستان، وأن أفغانستان تسير نحو الشيوعية فانقذوها، الملك فيصل أخذ بالتقرير رحمه الله، وحوله إلى السفير السعودي في كابل، السفير السعودي في كابل في ذلك الوقت طبعاً من أصحاب المناصب، لا تهمه الأخوة ولا يهمه الجهاد، كتب على التقرير: إن محمد داوود رجل وطني وليس شيوعياً، وليست هنالك خطورة على أفغانستان من الشيوعية، أرجعه ثم طوي التقرير في ملف النسيان.

كان رباني يعرف -أستاذ في الجامعة-، هو بعيد النظر، رجع وقرر الشباب وكانوا ثلاثين واحداً، قرروا القتال ضد محمد داوود، لقد كان القرار يعني يدل على شجاعة أبناء الحركة الإسلامية أو التيار الإسلامي، إن إعلان حرب أمام داوود -الذي يسمى صاحب القبضة الحديدية العسكرية- وقوف هؤلاء الشباب أمام داوود يعتبر خارقة من خوارق العصر الحديث، وصاروا يقسموا أنفسهم، ومن أين لهم السلاح؟ يأخذون من الحدود، صناعة درى -مصنوعات القبائل- قنبلة مسدساً يشترونه بكم روبيه، وكم رصاصة ويحمل الواحد منهم قنبلة يهجم بها على ماذا؟ على مراكز داوود.

بدايه المواجهه :

وماذا؟ ومشايخ السلطان مشغولون ببغلة السلطان التي يجب أن تكرم إكراماً للسلطان، فتاوى (مشين) موجودة، مفهوم فتاوى مشين -يعني ماكنة الفتاوى- أو آله الفتاوى موجودة، إضغط عليها تخرج لك بيبسي، إضغط عليها أنه تحديد النسل حلال، إضغط على الفتوى المشين، خرج وإذا بهؤلاء الشباب ماذا؟ بغاة خارجون على الحاكم الشرعي، وبدأت الإذاعة، يأتي هؤلاء -مشايخ السلطان المشغولون ببغلة السلطان-، جاءوا إلى الإذاعة يحذرون من هؤلاء الأشرار، البغاة على الإمام الشرعي، أحمد شاه مسعود هذا -أكرمه الله وحفظه- نرجو الله أن يحفظه ذخراً ليس لأفغانستان فحسب، بل للأمة الإسلامية جميعاً، لأن أحمد شاه مسعود الآن يعتبر مدرسة متكاملة لحرب العصابات الإسلامية، ليس عندنا في تاريخ المسلمين مدرسة متكاملة إلا هذا الرجل، فقلت له يا أخي أكتب تجربتك قبل أن تقتل أو تموت فيخسر الناس هذه التجربة العظيمة، أحمد شاه مسعود نزل إلى بنجشير ومعه بضعة شباب، احتل بنجشير، هو كان الوحيد من أبناء الدعوة الإسلامية أو الحركة الإسلامية يعرف على الـ (R.B.G)، أطلق قذيفة الـ (R.B.G) على الدبابة التي في رخا عاصمة بنجشير أحرقها، وأعلن الله أكبر، انتصار، وحكم بنجشير بالإسلام، ظل حاكماً ليوم واحد، هجمت الدبابات والطائرات وتفرقوا -مجموعة- تفرقوا في الجبال، جرح معه اثنان على حافة النهر، ما استطاعوا أن يهربوا ، فجاء راع يسأل -هذان واحد منهم أستاذ في كلية الهندسة- قال: ما شأنكما؟ قالا نحن الذين نقاوم هذا الظالم محمد داوود وقد جرحنا، قال: ماذا تريدون؟ قالا: نريد ماءاً تسقينا، المجروح يحتاج إلى الماء، يعطش، قال: انتظروا، فذهب الرجل -هذا الراعي-، وجاء بحجر كبير ودق رأس الأول وقتله، ودق رأس الثاني وقتله، لأنهم أشرار، خارجون على الإمام!!! وذهب يبشر إمام المسجد أنه قتل اثنين من الأشرار، فعندما قال لإمام المسجد أنني قتلت اثنين من الأشرار بحجر قال له: لقد بؤت بعذاب الله عز وجل، إذهب، قتلت اثنين من أولياء الله، فجن الراعي، وإثم الإثنين أين؟ في رقاب فتوى مشين (ماكنة الفتاوى).

استمر القتال ضد داوود، لكن بسيط وبطيء، وجدوا أن داوود ما استطاع أن يسحق الحركة الإسلامية، وكانت روسيا في بلاء فوق بلائهم، كانت في بلاء التيار الإسلامي، الآن التيار الإسلامي مسلح، الشيوعيين بدأوا يخططون لقتل داوود، داوود أحس أن الشيوعيين سيقتلونه، أين المهرب؟ إلى السعودية..... [1]

في مسجد أبي بكر <ب>

.... قال داود للملك فيصل: سيأخذون أفغانستان، وروسيا ستدخل، إلحق. قال له: أأنت راضٍ أن تترك الشيوعية؟ قال له: نعم، قال له: إذا صدقت نحن سنتكفل بميزانية أفغانستان، فقط أترك الشيوعية وروسيا، كان معه وزير التجارة اسمه (جلالر) شيوعي، رجع داود، قدم تقريراً –هذا جلالر– لروسيا (اتفق داوود مع السعودية أن يترك الشيوعية)، بعدها بعدة أيام عملوا عليه الانقلاب الشيوعي، ذبحوه هو وأولاده على سجاد القصر وجاءوا بالشعب، ذبحوه وجاء تراقي ، هذا زعيم الحزب الشيوعي ومؤسسه.

احتدام المعركة :

العلماء اجتمعوا وقالوا هذا كافر يجب قتاله، فتوى العلماء كانت طيبة جداً. صار العالم في هذه القرية يخرج إمام المسجد يخرج تلحقه القرية كلها، من في الساحة؟ حكمتيار ورباني، فإما ينضم لحكمتيار أو لرباني، وفجأة في سنة وإذا بحكمتيار ورباني يقودان معظم الشعب الأفغاني ضد الشيوعية.

اقترب المجاهدون من كابل، كاد الحكم أن يسقط بأيديهم، طبعاً كرامات عجيبة، الشعب الأفغاني حقيقة ضحى تضحيات في السنة الأولى بعد مجيء تراقي عجيبة، هم بدأوا كما بدأ الشعب الفلسطيني بالحجارة والعصي، لكن كل الشعب مشترك، كل الشعب!!

ولذلك نحن –إن شاء الله– نأمل أن الجهاد في فلسطين يتطور ويصبح كالجهاد في داخل أفغانستان إن شاء الله، لكن:

ولا يبني الممالك كالضحـــايـا	*ولا يدني الحقوق ولا يحـــق*
ففي القتلى لأجيــال حيـــاة	*وفي الأسرى فدى لهم وعـــتق*
وللحرية الحمـــــراء بـــاب	*بكل يد مضـــرجة يـــــدق*

في السنة الأولى قدم الشعب الأفغاني مائتي ألف شهيد في أيام تراقي، في يوم واحد في هرات قدموا أربعة وعشرين ألف شهيد ، ولذلك نحن نأمل أن شعبنا المسلم –ليس شعبنا الفلسطيني– أنا من فلسطين، لكن أنا شعبي هو الشعب المسلم، شعبنا المسلم في فلسطين أن يزيدوا حركتهم ويطوروا معركتهم من الحجر إلى القنبلة –إن شاء الله–، وعندها تزلزل الأرض زلزالها. أقول: اقترب المجاهدون من كابل، وتراقي لا يستطيع أن يرد، جماهير تتسابق على الموت، يريدون الجنة، الإسلام، والحقيقة تنزل في السنة الأولى من الكرامات على هذا الشعب الصابر ما لم يتنزل عليه في السنوات الأخرى، لأنه لا يحمل إلا الحجارة والعصي، يهجمون على الدبابة والدبابة ترش حتى يصعدوا إلى فوهتها، ويلقون الحجر على من في داخلها فيقتلون الذين في داخلها. هذا جلال الدين حقاني قال: كنا نمسك بفوهة الزيكويك والدوشكا المفتوحة علينا نمسكه، نمسكه فأيدينا من سخونة الحديد لا تستطيع أن تواصل مسكه فتقلت اليد، نمسك بالأخرى وهكذا، رشاش الدبابة ممسكين بالفوهة بالسبطانة وهم تحت السبطانة، يعني أقرب إلى الدبابة من فوهة الرشاش، يا سلام! يا سلام!!

شعب فريد زمانه :

أنا معجب الحقيقة بالشعب الأفغاني، الإنسان قد يعجب أول مقابلة أو أول شهر ثم المعاملة تزيل الإعجاب تدريجياً، التعامل يزيل الانشداه، ويزيل الانبهار تدريجياً، أما أنا فكلما زادت بي الأيام مواكبة لهذا الشعب الكريم الأصيل كلما ازددت به إعجاباً وانبهاراً وحباً وملئ ثقة، يا جماعة، ربنا اختاره لينقذ الأمة الإسلامية –هذا الشعب– حتى يكون نموذجاً للأمة الإسلامية، حتى يقول للأمة الإسلامية: هذا شعب فقير أعزل خاض معركة مع أكبر قوى في العالم، ثم نصرته عليهم

(فعليه الله توكلوا إن كنتم مسلمين) (يونس: ٨٤)

من كل ناحية، عنده رجولة، عنده إباء، عنده وفاء، عنده نخوة، عنده حياء، عنده كرم، كل الصفات الفطرية، والسبب أنه ما توسخ بالحضارة الغربية، ما انغمس بالحضارة الغربية التي أفسدت فطرته.

نحن الحمد لله الجيل الراجع من مصر ومن الأردن ومن الإمارات ومن السعودية وما إلى ذلك، معظم أنحاء العالم العربي، هذا شيء يشرح الصدر ويبهج النفس ويطمئن القلب، لكن نحن مثل ثوب أبيض انسكب عليه حبر من هنا وانسكب عليه دواء أحمر ويود، ومن

هنا زيت ومن هنا سمن وغسلناه وبالكلور، لكن ظلت بقع، الشعب الأفغاني بقي ثوباً أبيضاً ما فيه ولا بقعة حبر عليه، ولا زيت انسكب عليه، ولا سمن ولا دهن ولا غيره.. أبيض.. خام، خامة طيبة، أصالة، تجد عنده الأصالة، والكلام عنه يطول:

أهيم به حباً وعشقاً وألفة   هيام شجيرات الحدائق بالطير

الحقيقة أحبه كثيراً، وأكبره، معجب به، رغم أن الواحد عرف عيوباً كثيرة منه، لكن بقيت صفات الأصالة صافية على كل عيب آخر، فالشعب بذل ودفع، تنزلت كرامات كثيرة، نعم.

وقال جلال الدين حقاني : ربنا ينظر إلينا، والناقص يسُدّه، قال: في السنة الأولى والسنة الثانية ما كان عندنا مضادات للدبابات (R.B.G)، فحصل أكثر من مرة أن تقترب الدبابات منا ولا يبقى إلا الله، فتدور معركة على الدبابات، تحرق دبابات ويهرب الجيش الأفغاني، فالله عز وجل كان يسد هذه الناحية، ثم ساق الله إلينا (R.B.G) مضاد الدبابات، صرنا نفقد هذه من المعارك، بقيت الطائرات، ما عندنا مضادات لها، فصار رب العالمين يسوق إلينا الطيور التي تدافع عنا، تأتي الطائرات وتحتها الطيور، تقصف، تقصف، تقصف، والطيور تحتها، أطلق رصاصة في هذه المنطقة تهرب كل الطيور من المنطقة، ما هذا الطير الملتصق بالطائرة، والقذيفة طن كامل، فالمهم إذا حضرت الطيور لا يحصل ضرر، قال: جلال الدين ثمانية أشهر -جلال الدين- والطيران يقصفنا كل يوم، مرتين أو ثلاثاً ولم يستشهد منا واحد، حتى الأولاد الصغار، الأولاد الصغار صاروا يفهمون هذه القضية، إذا مرت الطائرات إذا لم يكن معها طيور معناه لا يوجد قصف، لا يهربون، يلعبون، إذا مرت الطيور معها فمعنى ذلك يوجد قصف فيهربون ويختبئون، وهذه الطيور الحقيقة جعلت صحفياً كاثوليكياً شيوعياً إيطالياً -يعني جمع السوء من كل النواحي، إيطالي شيوعي كاثوليكي- جاء ينقل أخبار المعركة وشهد معركة من هذه المعارك ورأى الطيور، وظن أن المجاهدين انتهوا، لم يبق منهم أحد، رجع على التلفزيون الإيطالي وأعلن إسلامه، قال له: ما السبب؟ قال: أنا رأيت الطيور تدافع عنهم، قال له: التلفزيون الإيطالي -يفهم هذا المذيع التلفزيوني[1]- قال له: أنت تصدق هذه الخرافات، قال له: لن أكذب عيني، إما أن تصدق أو تكذب كله واحد، وأسلم، وقال لي الطلاب في روما: أنه يصلي معنا الجمعة في المركز الإسلامي، المهم الله عز وجل ساق لهم الصواريخ فاختفت الطيور، من يوم ما جاءت صواريخ (استينجر) خلاص صارت الطيور قلما تأتي، لماذا؟ لأنهم صاروا يعتمدون على الوسائل المادية، وكلما كثرت الوسائل المادية يقل التجرد والتوكل على الله عز وجل، فالله عز وجل يعطيهم الوسائل المادية فيقلل الكرامات الربانية عليهم.

واحد قادم من كندا ما صدق، قال: ما هذا كلام الشيخ عبد الله الخراريف؟ ما هذه العصافير التي تدافع عن المجاهدين، جاء يحمل (الكاميرا) وقال أنا سأصور هذه الطيور وآخذها إلى مختبر البيولوجيا والأحياء عندنا في كندا حتى أرى لعلّها طيور كانت في عصر من العصور وانقرضت!!! طيب، جاء الأخ الكريم يفهم من كندا!! فصور وأخذ صوَر الطائرات وصور الرصاص النازل والقذائف وأوراق الشجر والطيور وما إلى ذلك، ورجع إلى كندا وحمض الأفلام وأخرج الصور حتى الذرات الصغيرة خرجت إلا صور الطيور لم يخرج منها شيء، والله حدثني بها بنفسه هذه.

صدقوا الكرامات، صدّقوها، لكن الكرامات ليست هي التي نصرت المجاهدين الأفغان، الذي نصر المجاهدين الافغان توكلهم على الله عز وجل، وصبرهم في ميدان القتال، سحقوا سحقاً، لكن مجاهداً أمضى عشر سنوات في داخل أفغانستان يحصل معه مرة في العشر سنوات أن يكون في مأزق فينجيه رب العزة بكرامة من الكرامات، فنحن كتبنا كرامة هذا وكرامة هذا وكرامة هذا وجمعناها، والكرامات كثيرة، وليس هنا مجال لذكرها، وإذا بقي عندنا إن شاء الله مجال نحدثكم عن بعض الكرامات.

دخلت روسيا لما وجدت أن تراقي ما استطاع، ذبح حفيظ الله أمين تراقي، قتله، وكيف قتله؟ اعتقله ووضع مخدة على وجهه وقعد عليه حتى مات، هذه مكافأة مؤسس الحزب الشيوعي من نائبه الأول ورئيس وزرائه حفيظ الله أمين، حفيظ الله أمين جاء إلى الحكم، حكم ثلاثة أشهر، وجدوا أن المجاهدين اقتربوا من كابل وسيأخذونها، دخلت روسيا، أول ما توجهت إلى حفيظ الله أمين، حفيظ الله أمين في مكتبه، بدأ الرصاص يطلق على المكتب والمدفعية وغير ذلك، قال لحارسه إطلع لعل الأشرار وصلوا -، الأشرار يعني المجاهدين- قال له: لا...هؤلاء أصحابك الذين وصلوا، روسيا!! قال له روسيا؟!! قال: قل لهم ماذا يريدون أن أوقع لهم عليه؟ قال له: لا يوجد شيء، الرصاص الرصاص هو الذي يتفاهم معهم، جرح حفيظ الله أمين، وجروه من رجله مثل الكلب تحت طاولة من طاولات المطبخ، اقتحموا عليه المطبخ، ابنه تصدى لهم قتلوه ثم قتلوا حفيظ الله أمين، ومن رأس الدرج جروه، وربطوه بدبابة وطافوا به في شوارع كابل، وأعلنوا بابرك كارمل رئيساً لدولة أفغانستان وإعلان تحرير أفغانستان، وفتحوا السجون، وخرج سياف من السجن ليقود هذا الجهاد المبارك،

---

(١) يسخر من فهمه.

هم لا يدرون أن سيافاً حي، والله عز وجل أعدّه حتى هذه الأيام، وقصة نجاته عجيبة تحتاج محاضرة ثانية، وامتد القتال.

كان المخطط سنة (١٩٨٠م) إنهاء أفغانستان، سنة (١٩٨١م) احتلال باكستان وبلوشتان والوقوف على الخليج العربي وبحر العرب - كنتم ذهبتم أنتم منذ زمن و تفكرون أننا نمزح، بدل أن تأكلوا كبسات تأكلوا كبسات على رؤوسكم من الشيوعيين- فالمهم أول سنة، ثاني سنة، ثالث سنة، رابع سنة والخسائر والهزائم متواصلة والشعب الأفغاني يواصل جهاده، الشيخ سياف، المجاهدون يأتون يشرحون للعالم الإسلامي، يا جماعة نحن مجاهدون منتصرون على الروس، يقولون لهم أنتم مجانين! أنتم تريدون أن تقاوموا روسيا؟

خروج ذليل:

أول سنة (١٩٨١م) أنا جئت للشيخ عبد المجيد الزنداني، قلت له: يا شيخ عبد المجيد، قال لي: نعم، قلت له: ميزان القوى كفته راجحة، قال نعم !! كفته راجحة لصالح الشيوعيون الروس، قلت له: لا... لصالح المجاهدين، قال لي: لا... أنت يا شيخ عبد الله عزام متيم في هوى الأفغان، قلت له: يا شيخ عبد المجيد المجاهدون منتصرون، جند الله منتصرون، تعال وانظر، ما صدق أول سنه، ثاني سنة، بعد ذلك سحبناه، سحبنا الشيخ عبد المجيد حتى وقف بنفسه على الجهاد، قال: أشهد أن لا إله إلا الله.

وحاولت روسيا خلال الثلاث سنوات الأخيرة -كما تحدثنا بالأمس- أن تخرج بماء وجهها وبورقة يمضي عليها المجاهدون، وعملوا ورقة جنيف، وحاولوا بالطروح طرح بعد طرح، ورقة بعد ورقة والمجاهدون يقولون لا، لا، لقد قام هذا الجهاد من أجل قيام الدولة الإسلامية، لن يلقى السلاح حتى تقوم الدولة الإسلامية في كابل، يا سلام! أين تربى هؤلاء؟

السنة الأخيرة هذه، الناس المشفقون أمثالكم الطيبون، والطيبون مخلصون يحبون هذا الجهاد ويحبون المجاهدين، كل أسبوع يأتينا وفد منهم، ماذا؟ يقولون: يا جماعة اقبلوا بأنصاف الحلول! يا جماعة تنازلوا قليلاً حتى ينسحب الروس، يا جماعة لينوا، يا جماعة للجهاد خندق القتال بجانبه خندق السياسة، يجب أن تتقن دورنا في خندق القتال وفي خندق السياسة، والله طلعت السياسة تياسة، والله لو أطعناهم لضاعت أفغانستان، همْ مشفقون علينا -رحمة بنا - ولكن أين؟ من الآفاق يطل عليهم سياف وحكمتيار ويونس خالص وهم هناك في السفح في قمة الجهاد التي انضجت نفوسهم وأصبحت هاماتهم تناطح السحاب، وقد نطحوا المشمخر الجوزاء، وطاولوا عنان السماء، هؤلاء كيف يقبلون بحلول روسية أمريكية؟ وكل واحد منهم كأن لسان حاله يقول:

أأطرح المجد(١) عن كتفي وأطلـــبه (٢)	*وأترك الغيث(٣) في غمدي(٤) وأنتجـــع(٥)*
والمشـــرفية(٦) لا زالت مشرّفـــــة	*دواء كل كريم أو هـــــي الوجـــــع*

الحمد لله أنهم ما أطاعوا الناصحين من العالم العربي، والحمد لله أنهم ما أطاعوا السياسيين الطيبين من العالم العربي، لماذا؟ لأنهم في قمة لم تصعد إليها نفوس الطيبين الذين لم يتذوقوا الجهاد ولم يصطلوا بناره، ولم ينضجوا على حرارته، ولم يبرزوا من خلال أتونه المضطرم، النفوس ترتفع في ميدان الجهاد بحيث تتحرر كما قلنا بالأمس من كل الأرض.

فالمهم خرجت روسيا من داخل أفغانستان هاربة مولية ممزقة تاركة وراءها خزيها وعارها وذلها، لم تحمل ورقة صغيرة واحدة تحفظ بها ماء وجهها على العالم، ولا ورقه، يا سلام! يا سلام!

إن حاجة الأمة لأبناء الدعوات الذين ينضجون عبر مرارة الطريق وحرارة المعركة أشد من حاجتها إلى الطعام والشراب والهواء، لأن هؤلاء هم الصمام الأمني لأرضها وعرضها ودينها وأموالها وأبنائها. وكل أمة خلت من هذه القيادات الأمينة الناضجة التي دفعت التكاليف على الطريق ونضجت عبر المحن المتتالية، ومن خلال مرارة المعارك المتواصلة، إنها أمة محرومة تباع بين عشية وضحاها بمالها وعرضها وأرضها على مائدة من الموائد الخضراء، أو في ليلة من الليالي بكأس راح أو برقصة غانية.

والحقيقة أنا أكبر هؤلاء الذين قادوا هذه المسيرة، وأخص بالذكر القادة في داخل أفغانستان، وأخص بالذكر كذلك القادة الأربعة الذين قادوا هذه المسيرة سياف، حكمتيار، رباني، خالص، أرجو الله عز وجل أن يبارك في حياتهم وفي جهودهم، وأن يجدوا نتيجة* أعمالهم في صحائفهم يوم تضع كل مثقلة حملها أمام الميزان.

أيها الإخوة:

هذا الجهاد المشرف الكريم الذي زلزل الأرض كلها وأيقظ الأمة الإسلامية بقضها وتضيضها وهز الأرض المباركة وأيقظ أبناءها،

(الشيخ يشرح الكلمات وهو يلقي بالأبيات) (١) مجد الجهاد. (٢) ابحث عنه في مكان آخر وهو موجود على كتفي. (٣) الرزق. (٤) غمد السيف.
(٥) [illegible] (٦) [illegible]

لا تظنوا أن فلسطين بعيدة عن أفغانستان، لقد كانت فلسطين صدى من أصداء القذائف التي تلقى فوق ذرى الهندكوش، وأنا أعرف أن أبناء فلسطين المسلمين، كانت أسماء سياف وحكمتيار أناشيد تستعذبها ألسنتهم وتستهويها أفئدتهم، كنت أسمعهم وهم يرددون منذ سنوات..

أخي يا سياف الروس منك تســـخاف	*أخي يا حكمتيار على العدى مثل النار*
بــــدنا رجــــال تعـــد اجيـــال	*تقوم الليل تهد جبال كسياف الصامد*

هذه أناشيد أم الفحم وأناشيد الأرض المحتلة وأناشيد الضفة الغربية منذ سنوات، نرجو الله عز وجل أن يقر عين المؤمنين بنصرة المجاهدين في أفغانستان .... [1]

أيها الإخوة:

أخيراً أوصيكم بتقوى الله عز وجل، وتلاوة القرآن، وحفظ اللسان، وحب الصالحين، وأوصيكم كذلك بعدم نسيان المجاهدين خاصة من أموالكم، وأنا أرى أولاً مجلة الجهاد ومجلة البنيان المرصوص ولهيب المعركة هذه يجب أن تتابعوها وتقرأوها حرفاً حرفاً، والله إن الدماء التي كتبت بها هذه الكلمات أكثر من كلماتها، والأرواح التي سقطت، والشباب الذين قتلوا غالباً أكثر من كلماتها أو أكثر من جملها، فتاريخ يكتب بالدماء فاقرأوه، كلفوا أنفسكم عشر دقائق، ربع ساعة، اقرأوا لهيب المعركة وهي نصدرها أسبوعياً، واقرأوا مجلة الجهاد وهي شهريه، وكذلك تابعوا أخبار الانتصارات والمعارك في داخل أفغانستان، وتابعوا أخبار المعركة في فلسطين.

سألني أخ من الإخوة قبل أيام، ماذا تريد للمجاهدين؟ قلت: أريد أن توفروا الطعام فقط للمجاهدين الذين يحاصرون كابل وقندهار وننجرهار التي هي جلال أباد، هل تستطيعون أن تدفعوا ثمن الخبز؟ نريد منكم ثمن الخبز للمجاهدين الذين حول جلال آباد وحول قندهار وحول كابل. وأنا بالنسبه لأخواتنا إن شاء الله سأخصص ساعه من ساعات السحر لكل من تبرعت بحليها للجهاد في سبيل الله أن يحفظها الله في نفسها ومالها وعرضها ودينها في الدنيا والآخرة، وكذلك بالنسبه لإخواننا الذي يتبرعون إن شاء الله سأخصص ساعة في السحر أن يبارك الله لهم في أموالهم. ومن نعم الله عز وجل على الإنسان كرم النفس.

{وما من داء يطلب الفقر الذي منه هرب ويهرب من الغنى الذي إياه طلب، يعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخره حساب الأغنياء}

ومن نعم الله كرم النفس، لأن الذي تبذله سيعوضه الله في الدنيا قبل الآخره، ثلاثة أقسم عليها وأنا صادق كما قال ﷺ **(ما نقص مال من صدقة)** ومنها قال الله عز وجل

(وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) (سبا: ٣٩)

يا أيها الإخوة: خصصوا (٥٪) من رواتبكم في كل شهر للجهاد في أفغانستان، شهرين أو ثلاثة حتى ينتصر، فقط (٥٪).

قلت لهم في أمريكا قسموا شهركم أربعة أسابيع:

الأسبوع الأول: لا مرطبات، ووفروا ثمن المرطبات للجهاد.

الأسبوع الثاني: لا لحم فيه، ووفروا ثمن اللحم لصندوق الجهاد المعلق في كل بيت، يجب أن يعلق في كل بيت صندوق يسمى صندوق الجهاد.

والأسبوع الثالث: لا فواكه فيه، ووفروا ثمن الفواكه لصندوق الجهاد.

والأسبوع الرابع: كلوا كما شئتم، تستطيعون أن تعيشوا أسبوعاً بلا مرطبات؟ أم تموتون؟ تستطيعون، وأسبوع بلا لحم؟ تستطيعون، وأسبوع بلا فواكه؟ تستطيعون، وقلت لشباب فلسطين ولتجار فلسطين تخففوا يا أبناء فلسطين، اجعلوا -سنة (١٩٨٩م)- اجعلوا لكم شعاراً: لا جديد هذا العام للبيت، ولا جديد في اللباس، ولا جديد في السيارة، ولا جديد في الكنبات، ولا جديد في الفراش، ولا جديد في الأثاث، كلما قالت لك زوجتك نريد ثوباً جديداً قل لها كم ثمن الثوب؟ ثمن الثوب أربعين ريالاً، فاربعين ريالاً في صندوق الجهاد، يكفي عندك تسعاً وعشرين ثوب، يكفي لا حاجة لك بالثلاثين، أنت كلما فكرت بتفصيل ثوب جديد، كم ثمن الثوب؟ أربعين ريالاً، ثلاثين ريالاً، في صندوق الجهاد، السيارة تريد أن تبدلها، إصبر على نفسك سنة (١٩٨٩م) لا جديد، كم الفرق بين السيارة الجديدة والقديمة؟ خمسة آلاف ريال، عشرة آلاف ريال إدفعها لصندوق الجهاد، ولا تعطيها لأفغانستان، يا ابن فلسطين لا تعطها لأفغانستان،

---

(١) انقطع الشريط.

لكن فقط أعطها لأبناء فلسطين، أنت تقول نريد أن نحرر فلسطين، أليس كذلك؟ يا ابن فلسطين صندوق الجهاد الذي يعلق في صدر البيت يجب أن يكون لفلسطين، ويجب أن تضغطوا على أنفسكم وتتخففوا إن كنتم جادين، إن كنتم صادقين مع الله أنكم تريدون فعلاً أن تحرروا فلسطين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

بالمناسبة، لجنة الدعوة جاءتني، شباب من لجنة الدعوة قبل أن آتي إلى المحاضرة، وقالوا إن عندهم حصالات وعندهم بطاقات كم تدفع شهرياً؟ وبالمناسبة لجنة الدعوة أنا أثق بهم وأزكيهم، لجنة الدعوة الكويتيه، ولقد قامت بجهود كبيرة في ميدان الصحة أوقفت الزحف الصليبي وهزمته والحمد لله رب العالمين، لجنة الدعوة الكويتية اتفقت مع نقابة الأطباء في القاهرة وجاءت بأطباء من القاهرة، وفتحوا مستشفيات، ووزعوا مستشفيات متنقلة على الحدود، صالح كامل حفظه الله -صالح كامل التاجر السعودي من جدة- جاء بثمان غرف عمليات متنقلة وضعوها على الحدود مجهزة بأحدث الأجهزة، فلجنة الدعوة تلتقطهم من الحدود وتتلقاهم هذه غرف العمليات على الحدود ثم ينقلونهم إلى مستشفيات مركزية، وقد أنشأوا مستشفى الفوزان في بيشاور للرجال ومستشفى للنساء وجزاهم الله خيراً، فإن تبرعتم لهم فأنتم كذلك تضعون أموالكم في أيادي أمينة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سؤال: فضيلة الشيخ، ألا تعتقد بأن الجهاد في أفغانستان أوجد صحوة إسلامية بين الشباب العربي الشباب المسلم، وبانتهاء الجهاد قد تتأثر هذه الصحوة؟

الجواب: لا إن شاء الله، نحن نظن أن انتصار الجهاد في أفغانستان سيزيد الصحوة وسيخدم الجهاد في الأرض كلها إن شاء الله، وأول ما يخدم إن شاء الله الجهاد في فلسطين، لأن هنالك عهوداً أخذها قادة الجهاد على أنفسهم أن يحرروا الأقصى، على الأقل يساعدونا في تحريره.

يا إخوان: نصوا في دستورهم على أن هذه الدولة دولة جهادية وبرنامجها تحرير المسجد الأقصى بعد تحرير كابل، في الدستور!!! ولذلك الدول العالمية كلها قالت من أين هذه المصيبة؟ يريدون أن يحرروا المسجد الأقصى!!

سؤال: إذا كان أحد الشباب يريد أن يجاهد ولكن أهله غير موافقين على الجهاد ماذا يفعل؟

الجواب: لا استئذان في فروض الأعيان، القاعدة الأصولية الفقهيه (لا استئذان في فروض الأعيان) الجهاد فرض عين ولا استئذان عندما يتعين الجهاد باتفاق الفقهاء جميعاً والأصوليين والمفسرين والمحدثين (إذا وطئ شبر من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على أهل تلك المنطقة حتى يخرج الولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دائنه)، الدين لا يمنع، وعدم رضا الوالدين لا يمنع، ولذلك جاءني بعض الشباب هناك، قال لي اتصلت أمي بالتلفون تبكي وتقول أنا غاضبة عليك، ووالدي يقول الله لا يرضى عليك، قلت له: كلما غضبوا كلما رضي الرحمن، لأنك أغضبتهم في رضا الرحمن، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وعدم الجهاد إنما هو طاعة للمخلوق في معصية الخالق، وإنما الطاعة في المعروف، فلا طاعة للوالدين بنص الفقهاء إذا أصبح الجهاد فرض عين.

سؤال: هل المجاهدون يحتاجون إلى مجاهدين أكثر؟

الجواب: طبعاً يحتاجون إلى مجاهدين فقط يكونون ناضجين، شاباً ناضجاً يعرف الأرضية التي يقف عليها، والشعب الذي يتعامل معه، والمعركة التي يخوضها، يعرف ضخامة المعركة على الإسلام، لا يأتي ينظر إلى مسألة صغيرة فيقول: الأفغان يصلون بسرعة، وألا تقول له لا تضع يدك على صدرك، يقول لك: أنا ما أترك السنة، يا أخي مشيها على مذهب أحمد، أحمد بن حنبل شيخ السنة وشيخ السلف وصاحب العقيدة السليمة كان يضع يديه بين الصدر والسرة، مشيها على مذهب أحمد، هو شيخ مسجدك أفهم من الإمام أحمد، مشيها على مذهب الشافعي، مشيها على مذهب أبي حنيفة، هو كل الناس لا يفهمون إلا شيخ مسجدك الذي علمك أن تضع يدك هناك !!! نزل يدك قليلاً.

سؤال: ما هي نصيحتكم يا شيخ للشباب المتقاعس عن الجهاد؟

الجواب: نرجو الله أن يهديهم، وكما قال أبو الطيب:

عجبت لمن له قدٌ[1] وحـــــــدٌ[2]	وينبو نبوة القضم[3] الكهامـي
ومن يجد السبيل إلى المعالي	ولا يذر المطيّ بــــــلا سنام

ولم أر في عيوب الناس عيباً — كنقص القادرين على التمام

شاب أنت، ميت،.....

أفنيت يا مسكين عمـــرك — بـالتـأوه والحـــــزن
وقعدت مكتوف اليـديـن — تقـول حـــاربني الزمـن
إن لم يقم بالـعبء أنـت — فمـن يقـــوم به إذاً؟

شاب، أين ما تذهب آكل شارب نائم، والله كنت أقول لهم عجبت لشاب أعزب كيف يخاف؟ كما قال الجزائريون في مثلهم (لا دار ولا دوار ولا عائشة في الدار).

على أي شيء تخاف؟ أين ما ذهبت آكل شارب نائم، كما قال الشافعي:

أنا إن عشت فلست أعدم قوتاً — ولئن مت فلست أعدم قبـــراً
همتي همة الملـــوك ونفسـي — نفس حـــر ترى المذلة كفـراً

أنت شاب جالس، المعارك مضطرمة وقاعد تناقش، واضعاً رجلاً على رجل وتقول: حرب النجوم هذه أفغانستان!!! يا أخي لماذا نذهب إلى أفغانستان ولا نذهب إلى فلسطين؟

وهل هناك أحد منعك أن تذهب إلى فلسطين؟ تفضل إلى فلسطين، الذي يستطيع أن يذهب لفلسطين الأولى له أن يذهب إلى فلسطين، ليس لا يجوز، الأولى أن يذهب إلى فلسطين، وأنا أمنع كل فلسطيني أن يأتي إلى أفغانستان إذا استطاع أن يقاتل في فلسطين، لكن لا أنت هنا ولا هناك،!!! أم أنت تريد وأنت هنا ترجع فلسطين بالريموت كونترول؟ تعرفون الريموت كونترول؟ السيارات الحديثة هذه يفتحونها بالريموت كونترول، يكون عنده جهاز صغير فيه أزرار، يدوس على الأزرار وهو في داخل غرفة النوم تشتغل السيارة، نريد أن نحرر فلسطين بالريموت كونترول، معركة محتدمة، ضرام... كما قال ابن المبارك:

كيف القرار وكيف يهدأ مسلـــم — والمسلمات مع العدو المعتــــدي
القائلات إذا خشين فضيــــحة — جهد المقالة ليتنا لم نولــــــد
أتسبى المسلمات بكل ثغـــــر — وعيش المسلمين إذاً يطيــــب
أمـــا لله والإســـلام حــــق — يدافع عنه شبان وشيـــــب
فقل لذوي البصائر حيث كانوا — أجيبوا الله ويحكم أجيبـــــوا

أما علمتم أن الفقهاء أفتوا أنه: إذا سبيت امرأة في المشرق وجب على أهل المغرب أن يفتدوها ولو استنفذت جميع أموالهم، وإن لم يقبل الكفار أن يفتدوها يجب على أهل المغرب، أهل طنجة أن يتحركوا إلى إندونيسيا لإنقاذ المرأة المسلمة من أيدي الكفار، لقد أفتى الفقهاء أنه إذا سبيت امرأة يتعين الجهاد على الأمة الإسلامية كلها حتى تنقذ.

الآن تعالوا معي وانظروا في أفغانستان كم من النساء ألقين بأنفسهن في نهر كونر أو نهر كابل فراراً بأعراضهن من الروس؟ كم من الطائرات كانت تحط فتنتقي العواتق من خدورهن (حصان رزان لن تزن بريبة) يأخذونها من خدرها ويأخذونها بالطائرات ثم ينزعون ثيابها ويعرونها ويفتكون بعرضها ثم يلقونها وتتمزق أشلاء عارية فوق بيتها، أين همة الإسلام؟ أين رجولة المسلمين؟ أين أخوة الإسلام؟ أين العزة الإسلامية؟ أين (المسلم أخو المسلم) **(وما من مسلم يخذل أخاه في موطن ينتهك فيه من عرضه أو تنتقص فيه حرمته إلا خذله الله في موطن يحب أن ينصر فيه، وما من مسلم ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته).**

واحدة بواحده، إذا خذلتم هؤلاء ليس هؤلاء سيخذلونكم، الله سيخذلكم في موطن تحبون أن تنتصروا فيه، فالشباب يأتي، ثم هذا ميدان الرجال، وإذا افتقدناك في هذا الميدان أين ستكون؟ بالله أين ستقضي إجازتك؟ أربعة أشهر إجازة الصيف، أربعة أشهر أين تقضيها؟ في تركيا؟ في أوروبا؟ في بانكوك؟ أين تذهب؟ ألا تستحي من رب العالمين؟ عشر سنوات ما صك سمعك أنات الأيامى ولا صيحات الثكالى ولا آهات المكلومين ولا زفرات المكروبين؟!

سؤال: هل التبرعات التي تجمع في الصناديق ستحول مباشرة مع السيد عبد الله عزام إلى أفغانستان، أم هل عبر أي منظمات، وهل الأفضل وضع المبلغ المراد التبرع به في الصناديق أم عمل شيك باسم السيد عبد الله عزام، وشكراً؟

— الجواب: أنت أجب عليه يا شيخ.

الشيخ تميم: التبرعات التي ستجمع ستحول معنا إن شاء الله، مع فضيلة الشيخ عبد الله عزام، ونعمل بها شيكات بالدولار،

ونجمع المبالغ هذه بالشيكات، وأما من أراد أن يعمل شيكاً باسم الشيخ عبد الله عزام فلا بأس، ولكن الأفضل أن يضع نقداً لأنه هنا يحولها الأخ هاشم.

الشيخ عزام: لا... نفس الشيء.

الشيخ تميم: نفس الشيء، ممكن الشيخ عزام يوقعه ويسلمه.

الشيخ عزام: لا... نفس الشيء، لا فرق بين الشيك والورق، لا فرق، بالريال القطري بأي شيء يحول إلى الدولار بالريال، هذا هاشم العوضي قاعد ويحوله.

الشيخ تميم: الأخ هاشم جزاه الله خيراً شقيق الشهيد حسن العوضي، وما شاء الله قطر قدمت ثلاثة شهداء بارك الله فيهم، أكثر بلد خليجي من دول الخليج قدم شهداء هي قطر.

الشيخ عزام: وأكثر بلد خليجي جاءنا منه مجاهدون هي قطر، أكثر بلد خليجي جاءنا منه مجاهدون هي قطر، ونحن راضون عن شباب قطر الحقيقة، الكويت للأسف ما جاء منها مجاهدون، جاء منها أموال، الشعب قدم أموالاً جزاه الله خيراً، لكن كلما أرسلوا فلساً تتسلط علينا جريدة السياسة والوطن وتنزل في المجاهدين، كل قرش مقابله مقال ذم وتأنيب وتقبيح للمجاهدين، الكويت ما جاءنا منها إلا القليل القليل القليل، مر علينا فترات كان عندنا واحد كويتي، فكنت أقول لهم: يا إخوة، حافظوا على هذا الكويتي ودعوه سفيراً للكويت عندنا، لا تبعثوه إلى المعارك !!! ونحن عاتبون على شباب الكويت وخاصة أن فيها تياراً إسلامياً قوياً، أين إذا ما ذهب لأرض الجهاد؟ نحن فقط نريد أن نقرأ كتباً؟! لا! نحن عاتبون على شباب الكويت وراضون عن شباب قطر، وراضون أكثر من شباب قطر عن شباب السعودية، شباب السعودية جاء منهم الثابتون في المعارك حوالي خمسمائة شاب، استشهد من السعودية حتى الآن أربعون شهيداً، أكثر بلد عربي قدم شهداء هي السعودية فجزاهم الله خيراً، أسود، ونحن ما كنا نظن أن هذا الخير موجود في هذا البلد، تجارها وأبناؤها وكذلك حكومتها وقفت موقفاً مشرفاً بجانب المجاهدين، وجزاهم الله خيراً عن وقفتهم واعترافهم بحكومة المجاهدين، هذه خطوة ليست قليلة، أمريكا ما اعترفت، هي اعترفت وعوتبت من أمريكا، وعوتبت حتى من بعض الدول الخليجية، عاتبوها، وقالوا: أنتم تفهمون يا جماعه؟ تعقلون؟ تسبقون على الخير؟ لماذا هكذا تعملون خيراً؟ لازم تكونوا متعقلين، يجب أن لا يتمعر وجهكم غضباً لله، يجب أن تكونوا حكماء، جزاهم الله خيراً عن هذا الموقف، -طبعاًالسعوديه لهم سيئاتهم، غفر الله لهم سيئاتهم- أما الحكومة الوحيدة تقريباً التي أمدت الجهاد بأكثر من ألف مليون دولار هي الحكومة السعودية، أكثر، دفعت السعودية للجهاد عبر السنوات الثمان ألفين ومائتي مليون دولار، ثم بهذا الموقف المشرف- دعك عن التبرعات الشعبية، ودعك عن الشباب، ودعك عن الشهداء-نرجو الله أن يجزيهم خير الجزاء من هذا الموقف ويغفر لهم ذنوبهم الكثيرة.

سؤال: ما رأيك في المرأة التي في فلسطين وهي تجاهد عن بلدها وهي غير محجبة وكاشفة الرأس ولابسة الملابس القصيرة؟

الجواب: المرأة في فلسطين التي تدافع عن أرضها تقوم بفريضة وتترك فريضة، فريضة اللباس تتركها وفريضة الجهاد تقوم بها!! فنرجو الله عز وجل أن يتوب عليها ويسترها.

سؤال: ماذا عن الإشاعات التي تقال: أن المجاهدين تأتيهم طيور، تبلغهم عن الغارة الجوية؟

الجواب: أنا رأيتها بعيني هذه، أنا رأيت الطيور نعم.

سؤال: ماذا عن الموقف العربي من أفغانستان ومساعدات العرب لهم؟

الجواب: أنا قلت نحن لا نعرف حكومة عربية أو إسلامية أمدت الجهاد إلا السعودية، وبمبالغ ضخمة -كما قلت- ألفين ومائتي مليون دولار.

أما التبرعات الشعبية هذه كثيرة جداً، لكن لا تبلغ هذا المبلغ، لكن ما دفعتها للمجاهدين، دفعتها لحكومة باكستان، ومعظم الذخائر التي أطلقت في داخل أفغانستان دفعت ثمنها السعودية، صاروخ استنجر كانت تدفع ثمن كل صاروخ سبعين ألف دولار، كل قذيفة (أر بي جي) كانت تدفع ثمنها خمسمائة دولار، كل طلقة زيكويك تدفع ثمنها ثلاثة دولارات ونصف، الزيكويك هذا في دقيقة واحدة يصرف حوالي خمسة وعشرين ألف دولار، مضاد الطائرات، فأنا ما أعرف حكومة أمدت الجهاد بالمال مثلها.

الموقف السياسي: ما رأينا أحداً وقف بجانب المجاهدين، ما هو الاعتراف بالمجاهدين؟ أن يعترفوا أنهم بشر، فقط يقولون هناك بشر اسمهم الأفغان، فقط أن يقولوا أنتم بشر، ما هو الاعتراف؟ حكومة فلسطين معلقة بالهواء، ليست واقفة على أرض، مائة دولة! كل

وبأكليل الغار، ما بعد ذلك؟ وكلمة خير أنه أنتم صحيح اسمكم أفغان، وواقفون فوق أرضكم، ما نعترف! باللأسف! على كل حال الدول العربية والإسلامية يعني الحمد لله وافقوا على أن يعطوهم مقعداً في وزارة الخارجية في المؤتمر الإسلامي، وهناك دول عارضت، ثلاث دول عارضت !!! يعني سوريا ليس معقولاً أن تقف بجانب المسلمين في أي موقف أبداً، واليمن الجنوبي والشمالي وقفا ضد القرار، المنظمة هذه المرة والعراق وليبيا استحيوا قليلاً وسكتوا لا مؤيدين ولا معارضين، المنظمة أحسن موقف لها هذا الموقف أنهم سكتوا، نعم، وإلا دائماً معارضين للمجاهدين حتى في الأمم المتحدة وغيرها، فللأسف بقية الدول العربية وافقت، وعندما تقدم حكمتيار ليحتل مقعد وزير الخارجية في المؤتمر الإسلامي دوّى التكبير في قاعة المؤتمر.

نحن والله نذرنا أنفسنا للجهاد، وكل من يقف بجانب هذا الجهاد مهما كان سيئاً يجب أن نذكر خيره، فالحمد لله رب العالمين ما لوثت لساني في حياتي بمدح طاغية ولا بمدح حاكم، ووالله ما مددت يدي في حياتي لحاكم، ولقد رفضت الجلوس مع كثير من أمراء السعودية، والله سنح لي، لكن أنا ما قبلت، ما أريد، لكن موقف حق يجب أن يذكر **(ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله)**.

سؤال: كيف نستطيع أن نقدم المساعدة للمجاهدين في فلسطين دون وسيط مشكوك في أمره؟

الجواب: عندكمَ ناس فلسطينيون لهم صلات بحماس، أعطوهم يوصلونها، أنتم عندكم ناس فلسطينيون ثقات منا في هذا البلد، معروفون ودعاة أتقياء، واضحون تعطونهم بأيديهم يوصلونها إلى المجاهدين في الأرض المحتلة.

سؤال: هل سيتم تحرير الدول الإسلامية التي تقع تحت الإحتلال السوفيتي مثل سمرقند وبخارى وغيرها بعد أفغانستان؟

الجواب: أبشر، أبشر، بدأ التململ، وقُتلوا، خمسة وعشرين سنة سيسقط الاتحاد السوفيتي على الأكثر، إن شاء الله سيتحول تاريخ العالم كله بإذن الله ابتداءً من أفغانستان المسلمة، فقط أنتم توكلوا على الله، أنا مطمئن، أرى هذا، أراه كما أراكم، أن الإسلام قادم ليأخذ بزمام البشرية، وأن أفغانستان هي بداية النور الذي سيعم الأرض إن شاء الله، لأن الرسول ﷺ بشرنا بأننا سنحكم روما، **(سئل رسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً أقسطنطينية أم رومية؟ قال: مدينة هرقل)** -يعني القسطنطينية- أولاً، وفتحت سنة (٨٥٧ هـ) بعد الحديث بثمانية قرون ونصف، ستفتح روما إن شاء الله، ولعل ولداً من أولادكم يكون حاكماً لروما إن شاء الله، ويجوز أنتم، الجيل هذا الذي عمره عشرين سنة، قد يشهد فتح روما إن شاء الله.

أنا أرى هذا لكن أنتم لستم مصدقين، أنا مصدق، أنا عارف، وعدنا به ربنا

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (غافر: ٥١)

على خاطركم، من كان يصدق أنه قبل عشر سنوات أن أفغانستان ستنتصر على روسيا؟! من الذي كان يصدق؟!...... [(١)]

صمّام الأمان *

حمداً لك يا رب، نصرت عبدك، وعززت جندك، وهزمت الأحزاب وحدك، لا إله إلا أنت سبحانك لا نحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، أنعمت فأفضلت ومننت، فألهمنا شكرك، ألهمنا شكرك عملاً، وألهمنا حمدك ذكراً، ما كنا نحلم بهذا النصر بالخيال، فجعلته واقعاً في عالم المثال، ما كان يدور بخلدنا يوماً من الأيام أن يولي الجيش الأحمر هارباً منهزماً أمام فئات من المؤمنين حافية الأقدام، خاوية البطون، خالية الجيوب، ليس بين يديها ولا في قلبها إلا التوكل على الله عز وجل، والاعتصام بكيانه، والالتياذ بحماه، وهو تكفل، فنعم المولى ونعم النصير، نعم: قبل عام فقط ما كنا نظن أن هذه النتائج سنصل إليها على الأوراق، وإذا بها حقائق تطبق الآفاق.

بين ملفات كردفيز الأمريكي ونصائح كردفيز الإسلامي:

كنت بالأمس أراجع ملفات جولات كردفيز خلال السنوات الست العجاف من سنة ١٩٨٢م إلى سنة ١٩٨٨م إلى الرابع عشر من إبريل سنة ١٩٨٨م، في جولاته الاثنتي عشرة، لم أجد ذكر كلمة واحدة للمجاهدين، لم أر شيئاً من خلال الاتفاقيات الأربعة التي عقدت عليها معاهدة جنيف أي سهم من سهام هذا الجهاد المبارك، وما لهؤلاء الأباة بعد ما ضحوا وقدموا، ذهلت وأنا أقلب الأوراق، وتذكرت قول الشاعر:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ... ولا يستشهدون وهم حضـــور

وقول أحمد شوقي:

أحرام على بلابله الـــدوح ... حلال للطير من كل جـــنس

الدولة الأفغانية، الباكستانية، أمريكا، الاتحاد السوفياتي، هؤلاء الأربعة هم الذين يديرون الأمر، والمجاهدون ليس لهم أي ذكر سوى شذرة من الشذرات، ويمنع المتسللون عبر حدود الباكستان إلى أفغانستان، يمنع المرتزقة المتسللون، يسمون المجاهدين متسللين مرتزقة، والاعتراف بالحكم الشرعي في كابل الذي يرأسه نجيب، وكم نصح الناصحون من العالم الإسلامي المشفقون على هؤلاء القوم كأن أبا الطيب يتصدهم وهو يقول:

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبـدي ... شيئاً تطيفـــــه عين ولا جيـــــد

تمرست بالآفـــــات حتى تركتها ... تقول أمات الموت أم ذعر الذعـــر

لم يبق سهم في كنانتهم إلا وألقوا به في المعركة، لم يبق بيت في أفغانستان إلا وتحول إلى ميتم ومأتم، والطيبون في العالم الإسلامي مشفقون على نهاية هذا الجهاد، ويخشون أن لا تنسحب روسيا، فيغتنم أحدهم فرصة اللقاء بسفير روسي ثم يأتينا هنا إلى بيشاور وكأنه يملك الدنيا في حقيبته وبين يديه، وكأنه يريد أن يضع تاج الجهاد فوق مفرقي هؤلاء المجاهدين، يقول لهم لقد وسّطتني روسيا -روسيا بضخامتها وعظمتها- إليكم حتى تدخلوا إلى أفغانستان وتشتركوا في حكومة نجيب وتجرون مصالحة وطنية وينسحب الروس.

وهؤلاء المجاهدون تعجب لهم، وهم كما قلت قد طحنتهم الأحداث، وأتعبت نفوسهم وأعصابهم الحمم التي تتناثر من السماء، والأرض تتفجر من تحت أقدامهم براكين، ومع ذلك يصرون، قمنا لأجل إقامة دولة إسلامية، ولن يوضع السلاح إلا بإقامة دولة إسلامية، كنت أرى القادمين والذاهبين والآيبين كما أقول من المخلصين الطيبين من العالم الإسلامي وهم ينصحون، مشفقين ينصحون هؤلاء المجاهدين أن يقبلوا بنصف الحلول، بثلاثة أرباعها، بأن يحفظوا أهدافهم، يقللوا عيار إسلاميتهم بأن يظهروا اعتدالهم، ولكن كما قال سعد بن ناشد....

إذا همّ ألقى بين عينيـــه عزمـــــه ... ونكب عن ذكر العـــــواقب جانبـــــا

ولم يستشر في رأيه غير نفســـــه ... ولم يرض إلا قائم السيف جانبـــاً

سأغسل عني العار بالسيف جالباً ... علي قضاء الله ما كان جالبـــــا

تهون على هؤلاء بلادهم وأولادهم ونفوسهم إذا انثنت نياتهم بأن يصلوا إلى مطالبهم.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكـــارم
ويعظم في عين الصغير صغيرها ويصغر في عين العظيـم العظائم

نعمة الله:

أدرك الآن نعمة الله أن الأفغان لم يقبلوا نصائح المسلمين في العالم الإسلامي، وأدرك الآن أهمية نضج القيادة وصلتها برب العالمين، وأدرك الآن وقد طحنتنا الأحداث بأثقالها ومرّستها التجارب برحاها، أدرك أهمية التربية في دعوة إسلامية، لا بد للناس من دعوة إسلامية يتربون بها حتى يتعلموا التوكل على الله والاعتصام به والالتياذ بذاته وحماه، لا بد للناس أن يتربوا تربية طويلة، وأن تطحنهم الأحداث وهم يواجهون طواغيت بلادهم قبل أن يمتشقوا السلاح سواء في وجه الطواغيت في بلادهم أو طواغيت الكفر أجمع، لا بد من تربية القاعدة الصلبة التي تكون صمام الأمان إذا دارت رحى الزمان، وكشّرت النوائب عن أنيابها، وأخذت الكروب بالخناق، لا بد من أناس يُفزع إليهم، يُفزع لله عز وجل، ولكن وهم يدركون والناس يدركون أن هؤلاء الناس الذين ولّوهم أمورهم مؤتمنون على الدماء، على الأعراض، على الأموال، وعلى البلاد، وأي إنسان يصل إلى الحكم دون تربية طويلة، وبدون معركة شديدة، وبدون سجن، وبدون نفي، وبدون جهاد، هذا يبيع البلاد في جلسة على الموائد الخضراء

ومن أخذ البلاد بغير حرب يهون عليه تسليم البـــلاد

ضياع القضايا الإسلامية بين الأعداء البارزين والأصدقاء المستغلين:

في هذه المحنة التي مرت بنا في أفغانستان والتي كان لنا شرف مواكبتها، السنة الثامنة حتى الآن تعلمنا الكثير الكثير، كنت أقرأ في الكتب الكيد العالمي والهلع الدولي من الإسلام، كنت أدرس نظرياً أن فرائص الدنيا كلها ترتعد كلما ذكر الخليفة، أو مر بخاطرهم ذكر الخلافة، أو دار بخلدهم مجيء دولة إسلامية تحكم بدين الله، لكنني ما فهمت هذا عملياً إلا من خلال الأحداث، وفي العامين الأخيرين هذين عندما رأيت بأم عيني تكالب العالم أجمع على أن لا تقوم للإسلام قائمة، وكان يمكن أن يمر الأمر بسهولة، من خلال المصلحة، ومن خلال لطف المعاملة، وتضيع القضية والبلاد، ويفسد الدين والعباد لولا أن الله سخر لهذه القضية شباباً من الدعوة الإسلامية، وقفوا أمام العالم كله يقولون لا، الضغوط الدولية، المؤامرات العالمية، المكر والمكائد من وراء الكواليس، الترغيب والترهيب، التلويح والتصريح، ولعبة الأصوليين والمعتدلين، كل هذه أسلحة يستعملها أعداؤنا البارزون، أو أصدقاؤنا الذين قد يمثلون دورهم من دون أن يعلموا، ويُستغلون بصورة مباشرة أو غير مباشرة حتى يصلوا إلى النتيجة أن لا يقوم كيان للإسلام في الأرض.

المسؤولية والأمانة في أعناق الدعاة:

أدركت ثقل المسؤولية على المسلمين، وعظم الأمانة على أعناق الدعاة المخلصين، وأدركت عندما لماذا يشترط الفقهاء أن لا تنعقد البيعة لفاسق، أجمع الفقهاء على أن البيعة لا تنعقد لفاسق، ولا بد أن يكون إمام المسلمين وأميرهم رجلاً عالماً صالحاً تقياً، مجتهداً، ويكون من المجتهدين، فإذا خلا الزمان من المجتهدين فيُختار الأعلم والأصلح قياساً على أهل زمانهم، أدرك الآن أكثر من ذي قبل

الضغوط الدولية والمؤامرات العالمية:

لم تعد المعركة خافية، لقد انجاب الغبش، وانقشع الغمام، وتبينت المعركة أنها شرسة ضارية ضد كل من قال نريد أن نُحكّم الإسلام في الأرض، كلما حاول هؤلاء المجاهدون أن يلتقوا على رأي وأن يصلوا إلى حل بدأت الضغوط الدولية والتحركات العالمية، وكل الآن مسلطة على إسلام أباد، فالعيون الراصدة، والأقلام الكاتبة، والأقمار الصناعية، والمجلات الدورية، والجرائد اليومية، كلها طاغية وأعين مسمرة على مكان الإجتماع، وماذا يمكن أن ينبثق عن هذا الاجتماع؟! إنهم يفرقون من الإسلام كفرق الأطفال من الجن، وكما تخوّف الأم طفلها في سريره من الجن والعفاريت، هؤلاء إذا أردت أن تخرجهم عن طورهم وأن تشل تفكيرهم وأن تملأ جنبات صدورهم فقل لهم الإسلام قادم، أي تقسيم هذا الأصوليين والمعتدلين؟! نعم الأصوليين، وقد أنطق الله أعداءنا بالحق، الذين يريدون أن يرجعوا إلى الكتاب والسنة، يريدون أن يرجعوا إلى أصول دينهم، والمعتدلون الذين يمكنهم أن يقبلوا إسلاماً

: تذل، ولأن أعناقهم لا تخضع، ومن هنا أجمعت الدنيا بأسرها على محاربة الدعوات والتجمعات الإسلامية، خاصة تلك التي تنادي بإعادة الخلافة إلى ربوع العالمين، وأدركت وظيفة النماذج ومهمة الأفذاذ في الأمم، فكم من فرد بأمة، (إن إبراهيم كان أمة)، وكم من فرد نراره يحمي الأمة بأموالها وأعراضها ودينها، وكم من فرد باع دينه وأمته لقاء كأس راح، أو من أجل ابتسامة من أولئك الطغاة عمالقة لكفر في الأرض، (فاعتبروا يا أولي الأبصار)، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه..

الإجابة المسددة لأهل الثغور:

أيها الإخوة: إن الذي يعيش في جو المعركة يفتح الله عليه التوفيق للإجابة، ويسدد الله مسيرته، ويزيد خطاه، ويلهم الإجابة، كثيراً وأنا أعيد شريط الذكريات أقول الحمد لله أن المجاهدين لم يطيعوا نصح السياسيين الطيبين في العالم الإسلامي، لأن السياسيين الطيبين في العالم الإسلامي لا يستطيعون أن يدركوا الآفاق التي يعيش بها المجاهدون، ومهما حاولوا أن يقفزوا فهم داخل القفص سرعان ما تصطدم رؤوسهم بسقفه، فينزلون ويعودون في الأقفاص، وهؤلاء تحرروا، تحرروا من كل العلائق، وقطعوا كل الوشائج والوثائق إلا وشيجة واحدة بقيت متصلة برب العالمين...

تعود أن لا تقضم الحب خيلــــه	*إذ الهام لم تصمد جيوب العــلائق*
ولا ترد الغدران إلا وماؤهــــــا	*من الدم كالريحان تحت الشقــائق*

تعودوا على الموت، وألفوا الصعوبات، وأصبحت المشقات جزءاً من حياتهم، وتجاوز العقبات شيء أساسي في مسيرتهم، ولذا يهون عليهم كل شيء، يهون عليهم.

رماني القوم بالأرزاء حتــــــى	*فؤادي في غشاء من نبـــــال*
فصرت إذا أصابتني سهـــــام	*تكسرت النصال على النصـــال*
فهان وما أبالي بالرزايــــــا	*لأني ما انتفعت بأن أبالــــــي*

هؤلاء مسيرتهم المباركة لم يتركها رب العالمين، وظننا بالله وحسّن ظننا به سبحانه أن يحقق هدفهم بعد هذه المسيرة الطويلة، الذين ينتظرون من شعب بكامله فيه تجار الدماء، وفيه باعة الأشلاء، وفيه تجار الحروب، وفيه المنتفعون والعيون والجواسيس، سواء للدوائر المحلية أو الدولية، الذين يريدون من شعب بكامله أن يلتقي على قلب رجل واحد وأن يأتلفوا على كلمة واحد منهم هؤلاء لا يعرفون لتاريخ، ولا يدركون طبيعة البشر، ويريدون من الناس محالاً، ما دام موجود المنتفع والعميل وغير ذلك لا يمكن أن تلتقي كلمة الأمة، التقاء والتقاء كلمة الأمة بعد أن يملك الزمام وتصبح قيادة مركزية، عندها بالترغيب والترهيب يسلس مقاد الناس ويعودون إلى القيادة، فالسجون موجودة، والإغراء موجود، الإسلام بحقه الواضح الناصع موجود، ومن لم يرد أن يتبع فهنالك العقوبات تنتظره، ولو استطاع أحد أن يوحد الناس بالنصائح والإرشاد لاستطاعه سيد البشر محمد ﷺ، ولم يذعن الناس له، ولم يستطع أن يملك ناصية الجزيرة لعربية إلا بعد أن خضد شوكة الشرك في مكة، وأمسك بالمقاد، وعندها جاء عام الوفود، ودخل الناس في دين الله أفواجا، فلا تنتظروا وحدة كاملة لشعب بكامله، إنما هي في هذه الفترة ترقيعات ومحاولات حتى نصل إلى الأرض الحقيقية، وحتى تقوم الدولة التي يقوم عليها الأمناء على الدين والأعراض والدماء.

التربية والجهاد*

يا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبيا ورسولا.

اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) (التوبة: ٤٤-٤٥)

لا استئذان في فروض الأعيان:

الجهاد.. الجهاد في سبيل الله الذي هو عنوان الإيمان وعلامة الصدق والفارق بين النفاق وبين الإيمان لا حاجة فيه -بنص القرآن- لاستئذان الرسول ﷺ [لايستأذنك الذين يؤمنون بالله]، الجهاد الذي تحيا به النفوس، كيف يمكن لنفس تفاعل الإيمان مع قلبها وخالط الصدق بشاشة فؤادها كيف يمكن لها أن تعتذر بالمعاذير؟ وكما يقول القرآن (وجاء المعذرون من الأعراب) كأنهم يختلقون المعاذير اختلاقا، فأصبح اسمه معذراً لكثرة ما يعتذر من أداء هذا الفرض والقيام بهذا الواجب، وهذه قضية لا خلاف فيها بين الفقهاء على أنه إذا اعتدي على شبر من أراضي المسلمين يخرج كل مسلم من بيته، فلا إذن لزوج على زوجته، ولا إذن لوالد على ولده، ولا لدائن على مدينه، ولا لسيد على عبده، ولا لأمير المؤمنين، حتى أمير المؤمنين لا يستأذن إن لم يكن في المعركة ذاتها، إنما يستأذن الأمير عند ما يكون قائدا في الخضم يقود الركب حتى تؤتي المعركة ثمارها، وتنتج الوطيس نتاجها، أما إذا تخلف أمير المؤمنين نفسه عن المعركة فلا يستأذن، حتى قالوا ولا يستأذن أمير المؤمنين إذا كنت تعلم أنه يمنعك من الجهاد، لا يستأذن أمير المؤمنين في حالات منها:

إذا قعد الأمير عن الجهاد.

ومنها: إذا فوت الاستئذان المصلحة، وضاعت الديار، وانتهكت الأعراض، وديست الحرمات، واستئذان الأمير يحتاج إلى وقت تفوت به هذه الحرمات وهذه المقاصد، واتفق الفقهاء جميعا كذلك على أنه إذا خرج أحد بدون إذن أمير المؤمنين -أبي بكر وعمر رضي الله عنهما- واستشهد في المعركة فهو شهيد، لم يشك أحد في شهادته أو في معاملته معاملة الشهيد، قيل لعمر إن كثيرا يستشهدون ولا تعرف أسماؤهم يا أمير المؤمنين، قال: وما يضيرهم ألا يعرفهم عمر، إن رب عمر يعرفهم، لا يضيرهم أن لا يعرفهم عمر، ونحن نعلم من خلال السيرة للخلفاء أن الذين كانوا يخرجون للمعارك ما كانوا يأخذون رخصا لا من أبي بكر ولا من عمر ولا من عثمان، وهل يحتاج فرض الصبح إلى استئذان عمر رضي الله عنه في أدائه؟ هل يحتاج من يؤدي الصيام أن يستأذن في أداء الفريضة عمر أو أبا بكر؟

هل يحتاج من يؤدي فريضة الحج أن يستأذن أبابكر رضي الله عنه أوعمر؟

وهل استأذنوا رسول الله ﷺ عندما خرجوا للحج؟ من من المؤمنين كان يستأذن رسول الله ﷺ إذا خرج للحج إلا من كانوا حوله؟ أداء الفرائض لا يحتاج إلى إذن أحد، إذا كان أمر رب العزة من فوق السبع الطباق. فكيف يمكن لنا أن نستأذن البشر في أداء فريضة من رب العالمين.

أي عقول نفكر بها؟

أي ألباب هذه التي تتخيل بها أن نستأذن في فريضة فرضها رب العالمين أحداً من خلقه الضعاف نقول له أتأذن لنا أن نصلي لرب العالمين.

أتأذن لنا أن نتعبد رب العزة بفريضة الجهاد؟ أتأذن لنا أن نصوم رمضان؟ إن هذ الاستئذان دليل أن لإيمان لم يركز بعد في أعماق القلب، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إني لأخشى أن تمطركم السماء بالحجارة، أقول لكم قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبوبكر وعمر، يخشى ابن عباس أن تمطر السماء الأرض حجارة لعنة وغضبا لأنهم يقرنون قول أبي بكر بقول رسول الله ﷺ: والله يقول:

(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (النور: ٦٣)

وقد اتفق الفقهاء كما قلنا على أنه إذا اعتدى على شبر من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة، حتى تخرج المرأة دون إذن زوجها، والولد -دون الحنث ليس الولد البالغ- والولد دون إذن والده، والعبد دون إذن سيده، والمدين دون إذن دائنه، ولا إذن لأحد على أحد إذا تعينت فرضية الجهاد وإنما يكون أمر الشورى في الجهاد من أجل التنسيق والتنظيم، لأن الجهاد عملية جماعية لا تتم إلا من خلال مجموعة من الناس، لها أمير ولها أفراد يطيعون، ولا يمكن أن يؤتي الجهاد ثماره إلا بأن يستأذن الأمير إذا انطلق للمعركة، وإذا ذهب إلى خضم الحرب، وهذا الكلام كما قلت لكم: هو إجماع من السلف والخلف، ويكفينا نص القرآن الكريم **[لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر]** لايستأذنك يا محمد **[لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا]** لأن الاستئذان علامة من علامات ضعف الإيمان، وإنما الاستئذان كما قلنا فوق أرض المعركة، حتى يتم من خلال التنظيم إتيان ثمار الجهاد ناضجة شهية.

الجهاد عبادة جماعية تحتاج
إلى طول تربية وزهد:

والجهاد أيها الإخوة كما قلت لكم عملية جماعية بناءة، ولا يمكن أن يصبر على الجهاد إلا من تربى تربية إسلامية صادقة خالصة، فلابد من التربية، ولابد من طول التمحيص، ولابد من الاختبار لأن القضية شاقة جدا حتى على نفوس صفوة البشر الصحابة رضوان الله عليهم، قال القرآن الكريم:

(ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) (النساء: ٧٧)

كخشية الله ،هذا في الصحابة رضوان الله عليهم، ويقول في أهل بدر الذين يقول رسول الله ﷺ عنهم **(لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم)** يقول عنهم:

(كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) (الأنفال: ٦)

فعملية الجهاد عملية شاقة، وأصعب من القتال الصبر على انتظار القتال، وأصعب من القتال الرباط الطويل في انتظار المعركة، هذه عملية شاقة لا تحتملها إلا العلية من نفوس البشر، ولذلك لم يكن الإسلام بعيدا عن منطقه إذ فرض الجهاد، وقد بقيت الفترة المكية فترة ممنوعة من الجهاد حتى ربى رسول الله ﷺ صفوة البشر من خلقه بعده ﷺ ثلاثة عشر عاما وهو يربيهم على المحن وعلى الشدائد وعلى الصبر وعلى الزهد حتى تكونت هذه الصفوة، حتى تربت هذه المجموعة الفريدة من البشر، ثم نزل عليه قوله تعالى:

(أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) (الحج: ٣٩)

فلابد من عملية التربية، ولابد من عملية التمحيص، ولابد من أن نربي النفوس على الشدائد في أيام الرخاء حتى تحتمل الشدائد في أيام البلاء إذا وقعت من السماء، وأوضح الصفات التي يقام عليها الجهاد ويبنى هي صفة العزة، والنفوس والشعوب التي لا تتربى على العزة لا يمكن أن تهزم أعداءها في ميدان القتال، إن النفوس الذليلة المحطمة لا تستطيع أن تخوض معركة مع أعداء الإسلام وهم كثر وفي كل مكان، فلابد للنفوس أن تكون عزيزة حتى تستطيع أن تخوض معركة الجهاد، حتى تستطيع أن تثبت إذا اشتد الوطيس وحمي الحدق، والعزة مبنية على الزهد، ومن هنا حرص الإسلام كثيرا أن يربي نفوسا بعيدة عن سفساف الدنيا، بعيدة عن التعلق بمتاعها، بعيدة عن السير وراء حطامها..

(لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة) (التوبة: ٤٢)

حرص الإسلام أن يجعل الزهد طابعا... رب العالمين ربى رسوله ﷺ على الزهد، وربى رسول الله ﷺ صحابته على الزهد، وكان الزهد طابعا عاما مقصودا للمجتمع الإسلامي المجاهد، ويوم أن تترك الشعوب، ويوم أن تترك الأمم زهدها تقع فريسة لشهواتها وأهوائها وأعدائها، رسول الله ﷺ كان يربي أصحابه رضوان الله عليهم على الزهد، وعلى الترفع عن الدنيا، فكم من الصحابة ولكنهم أفذاذ، كم من الصحابة قد أخذ عليهم رسول الله ﷺ العهد أن لا يسألوا الناس شيئا.

نماذج في الزهد والتربية:

هذا أبوذر وأبوبكر وعوف بن مالك الأشجعي وثوبان وغيرهم يأخذ عليهم رسول الله ﷺ العهد أن لا يسألوا الناس شيئا، وفي الصحاح والأحاديث كثيرة أن أحدهم كان يسقط سوطه منه وهو فوق جواده فلا يسأل الناس أن يناولوه، ولو ناولوه لرفض إلا أن يكون هو الذي يأخذه عن الأرض، الأحاديث كثيرة في هذا الموضوع **(أخرج مسلم عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال: (ألا تبايعون رسول الله ﷺ؟ فرددها ثلاث مرات، فقدمنا أيدينا فبايعنا رسول الله ﷺ البيعة، ثم بعد ذلك سألوا على ما نبايع؟ فقلنا يا رسول الله قد بايعناك فعلى أي شيء نبايعك؟ قال: على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وأسر كلمة خفية أن لا تسألوا الناس شيئا، قال: ولقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوطه فلا يقول لأحد يناوله إياه)**

وقع على عاتق رجل فيأخذه الرجل فيناوله فما يأخذه حتى يكون هو ينزل ويأخذه)، وبيعة أبي ذر قال: بايعت رسول الله ﷺ أن لا أسأل الناس شيئا، قلت نعم، قال ولا سوطك إن سقط من يدك حتى تنزل فتأخذه...

أقول هؤلاء الذين لا يقبلون من الدنيا كلها أن يناولوهم شيئا حتى السوط إذا سقط، لقد ارتفعوا من فوق الأرض فلم يكن لهم بها حاجة، ولم يعودوا أسرى لشهواتهم ولا لأموالهم ولا للناس جميعا، لأن السلف كانوا يرددون **(استغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج من شئت تكن أسيره، وأعط من شئت تكن أميره)** استغن عمن شئت تكن أسيره وأعط من شئت تكن أميره، هكذا كان السلف يفهمون، يفهمون من خلال التربية الربانية المقصودة، لأنه جيل يعد لأمر جلل عظيم ضخم وهو أن يواجه البشرية كلها، والصفوة الذين رباهم رسول الله ﷺ كانوا يقلون عن خمسمائة.

الذين رباهم في مكة كانوا حول المائة شخص فقط ، كانوا يحملون الأرض كلها على أكتافهم، وعندما اهتزت الجزيرة العربية وارتدت تحرك هؤلاء، تحرك هؤلاء وأعادوا الجزيرة كلها إلى قبضة الإسلام والمسلمين، لقد ربى الزهد أبابكر، فصنع الله عز وجل في قلبه عزة من خلال هذه التربية، حتى إذا اهتزت ومادت أرض الجزيرة ولم يبق -كما في البخاري- إلا مسجدان يعبد الله فيهما، مسجد المدينة ومسجد البحرين مسجد جواثا رجا الصحابة رضوان الله عليهم حتى عمر رضي الله عنه رجا أبابكر أن لا يشنّ حملة على أهل الجزيرة، وكيف لأهل المدينة وحدهم مدينة وحدها أن تشن حربا شعواء طاحنة على أهل الجزيرة كلها، وإذا بأبي بكر تتحرك العزة التي صنعت من خلال الزهد، فتتحرك العزة في أرجائه، وسرت في أوصاله، ويمسك عمرَ بتلابيبه، يقول له: أخوار في الإسلام وجبار في الجاهلية **(أخوار في الإسلام وجبار في الجاهلية ؟!والله لومنعوني عناقا** -أي ماعزاً جديا- **أو عقالا** -رباط ناقة- **كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم فيه أو أهلك دونه)**، وعندما رجاه الصحابة أن يؤخر بعث أسامه بعد وفاة رسول الله ﷺ وإذا به ينتفض من مكانه ويقول: والله لو دخلت الكلاب حجر أزواج النبي ﷺ، حجر أمهات المؤمنين واجتررنهن من أرجلهن ما وقفت بعث إسامة، لو خلت المدينة كلها من الرجال حتى أعز شيء لدى المسلمين وأصونه و أثمنه، أمهات المؤمنين يجترون بأرجلهن من الكلاب ما أوقفت بعث أسامة، عزة صنعت من خلال تربية طويلة، أبو بكر تقول عنه عائشة رضي الله عنها: لقد مات أبوبكر ولم يخلف درهما ولا دينارا، وأبوبكر عندما دخل الإسلام كان من أغنى أهل مكة، كان عنده أربعون ألف درهم وأنفقها كلها في سبيل الله، ولم يبق له شيئا ومصحفا وبردة، لم يبق إلا مصحفاً وسيفاً وبردة، انظروا إلى الصحابة رضوان الله عليهم، ولقد كان رسول الله ﷺ إمامهم في الزهد، ورائدهم في هذا الميدان، لأنه وهو يعلم من لدن عليم حكيم يعلم أثر الترف في نفوس الشعوب، ويعلم كيف أن الترف ينخر في عظام الأمم كما تنخر السوس في الخشب القائم، يعلم أثر الترف، والقرآن يتنزل عليه ﷺ، يشن حملة شعواء على المترفين:

(وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال، في سموم وحميم، وظل من يحموم، لا بارد ولا كريم، إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) (الواقعة: ٤١-٤٥)

ويعلم رسول الله ﷺ أن عدو الجهاد الأول هو الترف والغرق في الشهوة، كيف لا، والقرآن يتنزل عليهم من فوق السبع الطباق يقول لهم:

- أصحاب الغنى منهم -

(وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف و طبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) (التوبة: ٨٦-٨٧)

استأذنك أولو الطول..

(وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون) (سبأ: ٣٤)

(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (الإسراء: ١٦)

الزهد كان مقصودا طيلة العصور الإسلامية، طيلة المشي على التربية النبوية الشريفة.

٤ و الأمراء:

إذا كان العلماء طيلة العصور الإسلامية يترفعون عن أبواب الأمراء، وكانت الشعوب تتهم العالم إذا وجدته في باب الأمير، لأنها

تعلم أنه ليس زاهداً وأنه يتقرب منه من أجل حطام الدنيا، والأمراء يعلمون أنهم لا يشترون العلماء إلا بحزم البرسيم والحنطة والحشيش.

يقول المنصور: دخلت على سفيان الثوري أو رواية عن المنصور فقلت له ياسفيان سلنا حاجتك، قال أو تجيبني؟ قال: نعم، قال: لا تأتني حتى أرسل إليك، ولا تعطني حتى أسألك. فلمّ المنصور أذياله وولى مدبرا وهويدمدهم ويتمتم: كل الطيور علفناها- هكذا ينظر الحكام إلى العلماء- كل الطيور علفناها فالتقطت إلا سفيان فقد أبى أن يلتقط، ولذا كان سفيان ملكا على أبي جعفر المنصور كان هو أمير أبي جعفر المنصور، هو أميره الفعلي، وليس أبو جعفر المنصور هو أمير سفيان، تدخل أم هارون الرشيد فترى الناس زرافات ووحداناً، يتجمعون حول شخص، قالت من هذا الذين تقبل عليه هذه الجماهير، هذه الوفود؟ قالوا: هذا عالم خراسان، هذا عبد الله بن المبارك، فقالت: هؤلاء هم الملوك ليس مثل هارون الذي لاياتيه الناس إلا بالشرط، هؤلاء هم الملوك، فهم عبدالله بن المبارك هذه الحقيقة، ولذلك كان يردد:

وهل أفسد الدين إلا الملوك	*وأحبار سوء ورهبانهــــــا*
لقد رتــع القوم في جيفـة	*يبين لذي اللب إنتانهــــــا*

إبن المبارك قيل له: من الملوك؟ قال: هم الزهاد، قالوا: من السفلة؟ قال: الذين يأكلون بدينهم، قالوا: من سفلة السفلة؟ قال: الذين يصلحون دنيا غيرهم بإفساد دينهم.

الملوك هم الزهاد، والسفلة هم الذين يأكلون بدينهم، ويشترون بآيات الله ثمنا قليلا، ورحم الله الشافعي إذ كان يردد بيتين من الشعر له:

وما هي -عن الدنيا- إلا جيفة مستحيلة	*عليهـــا كـــلاب همّهن اجتذابهـــا*
فإن تجتنبها كنت سلما لأهلهــــــا	*وإن تجتذبها نازعتـك كـــلابهـــا*

صدق رسول الله ﷺإذ يقول: **(إزهد في الدنيا يحبك الله، وازهد بما في أيدي الناس يحبك الناس)، هذا** رسول الله ﷺ وقد راودته الجبال الشم عن ذهب في بعض الروايات، أخرج ابن ماجه بإسناد صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني عمر رضي الله عنه: دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير قال: فجلست فإذا عليه إزاره وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر في جنبه، وإذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع، صاع شعيرــون اثنين كيلوغرام) وقرضي الذي يدبغ فيه الجلد في ناحية من الغرفة وإذا إهاب جلد غير مدبوغ معلق، قال: فاغرورقت عيناي، فقال ﷺ: **(ما يبكيك يا ابن الخطاب؟ فقال: يا نبي الله ومالي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانتك لا أرى فيها إلا ما أرى؟ ثم تكلم عن كسرى وقيصر، وكسرى وقيصر على الأسرة قال: يا ابن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا؟)**، وأما عمر رضي الله عنه فقد أخرج عبد الرزاق أن حفصة وابن عمر قالوا لعمر لو أكلت طعاما طيبا كان أقوى لك على الحق، فقال قد علمت أنه ليس منكم إلا ناصح، ولكني تركت صاحبي على جادة، رسول الله ﷺ وأبابكر فإن تركت جادتهما لن أدركها في المنزل، -الجادة هي الطريق-، وروى مالك عن إنس قال: رأيت عمر رضي الله عنه وهو يومئذ أمير المؤمنين وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث لبّد بعضها فوق بعض. وحسنه عن علي في زهد مصعب: طلع علينا مصعب بن عمير، والرواية اطلع علينا مصعب بن عمير رضي الله عنه في بردة له مرقوعة فلما رآه رسول الله ﷺ ذكر ما كان فيه من النعيم ورأى حاله التي هو عليها فذرفت عيناه وبكى، ثم قال ﷺ: **(كيف أنتم إذا غدى أحدكم في حلة وراح في أخرى، وسترت بيوتكم كما تستر الكعبة؟ قلنا نحن يومئذ خير نُكفى المؤنة ونتفرغ للعبادة، قال: بل أنتم اليوم خير منكم من يومئذ، والله لا الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تفتح عليكم الدنيا فتنافسون وتحاسدون، فتهلككم كما أهلكتهم). (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)** كنت وأنا حدث وفي مقتبل عمري أقبل على شاب من أبناء الدعوة الإسلامية يعلمني الإسلام ويربيني وكان كثيرا ما كان ينهاني والدي عن الذهاب وهو رجل طيب صالح كما نحسب والدي- ولكنه لا يعرف قيمة التربية، يقول لي: يابني هؤلاء الإخوان غدا يسجنون وغدا يتعبون وغدا إلى آخره، فأنت يا بني صل وصم واذهب إلى المسجد، لكن مالك ولهذا الرجل، كنت كثيرا ما أتمثل بمصعب بن عمير، وكان أسوتي في حياتي رسول الله ﷺ ثم مصعب بن عمير، كم أثر في حياتي مصعب؟ وكم غيرها؟ وكم أثر في سلوكي وحياتي كلها؟ كنت كثيرا ما أسأل نفسي: لماذا لا أكون مثل مصعب بن عمير؟ ابن النعيم، ابن الدلال الذي كانت فتيات مكة تتسابق أو تطمع في كلمة يتفتر عنها ثغر مصعب، ابن الدلال والنعيم الذي كانت أذياله تجر ترفا من ورائه يراه رسول الله ﷺ يوم أحد

مكة وما في مكة شاب أرق حلة منك، وها أنت الآن أشعث في بردة).

ثم صرت أقرأ عن أبناء الدعوة في القرن العشرين، فسمعت عن حسن البنا، وسمعت عن سيد قطب، حسن البنا الذي يحدثني أمين سره أنه كثيرا ما كان ينزل إلى السوق من دار الإخوان ثم يرجع لأنه يفقد جيبه فلا يجد قرشاً أجرة الترام ولقي الله وليس عند أهله سوى ثلاثة وأربعين قرشا مصريا.

هذه القصص كانت تفعل الأعاجيب في نفسي، ثم أكملت الدكتوراه في القاهرة وزرت بيت سيد قطب الذي كان يقطنه، وعلمت أنه كان بالأجرة، هذا الرجل الذي طبق ذكره الآفاق ومامن مجموعة من البشر إلا وبين أيديها كتب لهذا الرجل، مجموعة من البشر المؤمنة الصادقة إلا وفي أعناقها منة لله أولا ثم لكلام سيد قطب من قريب أو بعيد، قلت: دار يلقى الله وهو يسكنها بالأجرة؟ ولذلك عندما اعتقل كل أهله: أخواته وأصهاره وأخوه محمد عند ما اعتقلوا هجم أصحاب الدار وأخذوها ونهبوها.

هذه قصص الزهد التي تربى عليها الأجيال، ولو كانت على بعد أربعة عشر قرنا من أيام مصعب، ولكن كلما كانت القصص حية والنماذج حية فإن أثرها في النفوس يزداد سحرا، ويزداد تأثيراً، والأجيال ما ضلت ولا ضاعت إلا يوم أن فقدت النماذج، فقدت الأسوة أمامها، لم تعد تثق بأحد، لم تعد تجد نماذج رفيعة تتقلد سلوكها، وتتقيد بخطواتها، وتتبع آثارها، ترك العلماء هذه الأجيال الحائرة، حائرة لا تدري أين تقف، وهم يترددون على أبواب الأمراء يلهثون وراء حطامها، ويبيعون دين الله كما باع إخوة يوسف يوسف..

(وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين) (يوسف: ٢٠)

وإنهم والله كما قال حذيفة عن هؤلاء العلماء الذين اسمهم علماء، الذين يتربعون وليس لهم مكان يتربعون به، ليتهم يجدون مكانا يتربعون به عند السلطان، إنهم يقفون على أبوابهم ينتظرون الصحون ليلعقوها والطناجر ليأخذوا بقية ما فيها، إنهم والله لا يأخذون من دنياهم شيئا إلا أخذوا من دينكم ضعفيه، ومن هنا كان حذيفة وغيرهم رضي الله عنهم يقولون إنها الفتنة، إن على إبوابهم فتن كمبارك الإبل، على أبواب السلاطين فتن كمبارك الإبل، أرأيت مبارك الإبل ببوله وبرازه واتساخه؟! هكذا الفتن تغمر أبواب السلاطين، وفي الصحيح عن أحمد (من اتبع الصيد غفل، ومن سكن البادية جفا، ومن أتى السلطان افتتن، وما ازداد احد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً) هذا فيمن؟ في السلاطين الذين كانوا يحكمون بشريعة الله، وفي السلاطين الذين يعيشون في مجتمع يهيمن عليها منهاج الله..

(وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحيوة الدنيا) (الأنعام: ٧٠)

(وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإما يُنسيَنّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) (الأنعام: ٦٨)

(ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) (الكهف: ٢٨)

سبب ضياع الأجيال:

ولذلك سبب ضياع هذه الأجيال هم الأمراء والعلماء، سكتوا أولا عن السلطان طمعا أن يسكت عن دنياهم التي بين أيديهم، ثم أوغلوا في مدحه والثناء عليه حتى أصبح يظن نفسه لا يخطئ وهو معصوم، ولقد كان أهل مدينة من مدن الضفة يقولون عندما يخطب الطاغية عبد الناصر يقولون: اليوم ينزل جبريل، وعندما كنت أحضر شهادة الدكتوراه كانت صورة عبد الناصر مثل نصف هذا الباب وتحتها آية في رسول الله ﷺ

(فتوكل على الله إنك على الحق المبين) (النمل: ٧٩)

أي جريمة يرتكبها هؤلاء أكبر من هذه، ضياع الأجيال وضلالها وحيرتها، عندما تذكرهم بالإسلام يقولون أين الإسلام؟ نحن نريد شخصا مسلما نتبعه، أرني مسلما نقتفي أثره؟ أرني داعية نتبع خطاه؟ فلا تكاد تعثر على نموذج تقدمه للجماهير، تقدمه للأجيال الحائرة التي ضاعت بسبب لعاعة من لعاعات الدنيا، بسبب أمر تافه يلهثون وراءه، كما قال رب العزة..

(فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) (الأعراف: ١٧٦)

(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعهُ الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب) (الأعراف: ١٧٥-١٧٦)

أقذع صورة يضربها رب العزة للبشر (فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) لهاث لا ينقطع وراء الدنيا، لهاث وراء السراب، لهاث وراء المطامع، أرى صورة هؤلاء ثم أنظر من بعيد إلى الصورة المشرقة التي ضربها صاحب الظلال للأجيال، وبقيت صفحة مضيئة لمن أراد أن يسير، وهم يراودونه أن يقبل الوزارة أو دنياهم ويشير بإصبعه:

(إن أصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة خمس مرات في اليوم على الأقل لترفض أن تكتب حرفاً واحداً تقر به حكم طاغية)

ويلقى ربه رافع الرأس ناصع الجبين، والذين كانوا يسجنونه ومدير السجن نفسه مدير سجن (أبي زعبل) الذي كان فيه سيد في معظم وقته ومزرعة طرة، كان يقول -واسمه الحلواني- كان يقول إذا حصلت أي مشكلة في السجن يقول: إسألوا سيداً، فلست مدير السجن، إن مدير السجن سيد، السياط فوق ظهورهم تلذع أبشارهم وتأكل جلودهم، ومع ذلك هم أعزة فوق الحكام، هم أعزة فوق أهل الأرض، ولماذا أسترحم- كما قالوا له استرحم بعد صدور الإعدام- قال: ماذا أسترحم؟ إن كنت مسجوناً بحق فأنا أرتضي حكم الحق، وإن كنت مسجوناً بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل! . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله الله، سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

انتصار هذا الدين بدون جهاد
خلاف لسنة الله في الكون:

إن هذا الدين لا يمكن أن يقوم إلا بالجهاد، إن انتصار هذا الدين بدون جهاد هو خلاف سنة الله في الكون، هو خلاف قانون الله في الحياة..

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) (البقرة: ٢٥١)

لا يمكن أن ينتصر دين بدون جهاد وبدون جلاد وسلاح، لا يمكن.. حتى قيل للشافعي: أيهم أفضل أيمكن للرجل أم يبتلى؟ قال: لن يمكن له حتى يبتلى..

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (آل عمران: ١٤٢)

فلابد من الجهاد لعزة هذا الدين، والذين يميتون الجهاد إنما يميتون هذا الدين، والصحابة كما ذكرت من قبل عددهم مائة وأربعة وعشرون ألفاً الذين حجوا حجة الوداع، لم يدفن منهم في بقيع الغرقد سوى مائتين وخمسين أو أقل قليلا، بقيتهم طافوا في الأرض ينشرون دين الله بالسنان، فلابد من الجهاد لعزة هذا الدين، والجهاد لابد له من نفوس مرباة على العزة، والعزة لا يمكن أن تكون إلا بالزهد، ولا يمكن أن نتخلص من دنيانا لا يمكن أن ندخل ساحة الجهاد إلا إذا دسنا الدنيا بأقدامنا كما داس الصحابة رضوان الله عليهم على الدنيا بأقدامهم، وركلوها بأرجلهم، فأكبت على أقدامهم تقبلها، كما قال علي رضي الله عنه **(صحبوا الدنيا بأبدان عيونها معلقة بالمحل الأعلى)**، هناك في الجنة لا تنزل أنظارهم، ولا تسقط هممهم، ولا ينشغلون بسفاسف الأمور ولا بتوافهها، وإن الله يحب معالي الأمور ويكره سفسافها، وعند ما يترك الإنسان الجهاد يشتغل بالأمور الصغيرة ويراها كبيرة، ويرى أنه يقوم بعمل عظيم..

على قدر أهل العزم تأتي العزائم *وتأتي على قدر الكرام المكارم*
ويعظم في عين الصغير صغيرها *وتصغر في عين العظيم العظائم*

لابد من الزهد والترفع عن الدنيا، والأفغان لا يمكن أن يكونوا قد خاضوا هذه الحرب التي ما شهدت البشرية عبر القرون الأخيرة - بقعة - كما شهدت في أفغانستان، ولم تر عزة ولا أنفة ولا إباء كما رأت من الشعب الأفغاني، حتى بات الجهاد الأفغاني يدرس في الكليات العسكرية في باكستان وغيرها على أساس أنه معجزة من معجزات القرون، لا يستطيع شعب مترف أن يخوض حرباً

مثل هذه، كيف إذا انقطع الرز واللحم عنه؟ كيف إذا انقطعت السيارة؟ كيف إذا خف المتاع؟ كيف إذا قل الزاد؟ كيف إذا اشتد البرد؟ وقد أخبرني أنه قدم بالأمس من بينكم قادم من (جاجي) وكان الثلج إلى الركب يعيشون في مغاور مغطاة بالثلوج. وإذا هجم الروس هم بين اثنين، إما أن يبادوا في داخل مغاورهم، أو يخرجوا إلى الثلوج فيموتوا بردا متجمدين، لا يمكن لشعب مترف مترهل يغدو في النعيم وربي في النعيم ويتقلب بين أعطاف النعيم لا يستطيع أن يصبر على حرب مثل هذه ست سنوات، بل الآن مضى على قدوم تراقي نيفا وست سنوات، يحاربون من؟ يحاربون المعسكر الشيوعي في العالم كله، وهم قلة في عددهم، لا يملكون بين أيديهم شيئا من المال، ولا السلاح، ولكنها عزة رباها هذا الدين ومنهاج رسوله القويم رسول رب العالمين ﷺ، لابد من الزهد حتى تتربى العزة **(استغن عمن شئت تكن نظيره، واحتج من شئت تكن أسيره، وأعط من شئت تكن أميره)** هذه فطرة فطر الله الناس عليها، وجبلت النفوس على حب من أحسن إليها، ولذلك كان الإمام أحمد رحمه الله يقول: **(اللهم لا تجعل لظالم عليَّ يدا فيحبه قلبي)**، وقيل له: يا إمام، رجل معه مائة ألف درهم أو يكون زاهدا؟ قال: نعم، إذا لم يفرح إذا زادت، ولم يحزن إذا قلت، كانت الدنيا في أيديهم ولم تكن في قلوبهم، ولذلك عندما اختلط أبناؤه بالسلطان امتنع عن طعامهم، وعندما مرض أحمد وصف له الطبيب رأس شاة، اشترى رأس شاة وقال: اشووها لي، ولكن أين تشووها؟ قالوا: في فرن عمك صالح، قال: لا، إنه خالط السلطان. قال: لا إنه خالط السلطان.

صلة العبد بربه (*)

زهد العلماء[1]:

.... وكلما ازددت بالله صلة كلما ازددت راحة، ولذلك قالوا لابن المبارك: من الملوك؟ قال: الزهاد، قالوا: من السفلة؟ قال الذين يأكلون بدينهم، يعني ينافق للناس، وهكذا من أجل لقمة طعام أو من أجل وسام أو غير ذلك من المفارقات الدنيوية، قالوا: من سفلة السفلة؟ قال: الذين يصلحون دنيا غيرهم بإفساد دينهم.

واحد منهم كان يعبر عن نفسه يقول: نحن في سعادة لو علمها الملوك وأبناء الملوك لقاتلونا عليها بالسيوف، فسعادتنا أكثر من سعادة الملوك، ولو عرفوا أن هذه السعادة عندنا لقاتلونا عليها بالسيوف! لما اختلف ابن تيمية مع الحاكم فقال له الحاكم: أنا أعلم أنك رأيت الناس يلتفون حولك تطمعت في ملكي، قال له: يا هذا، والله لا أشتري ملكك بدرهم، وفي رواية بفلس.. درهم واحد، ولكن الحاكم مسكين خائف على كرسيه، وابن تيمية يطمئنه والله بشلن لا أشتري ملكك.

النووي محيي الدين النووي في أيام الظاهر بيبرس كان حاكم الشام، وأقبل التتار ووصلوا مشارف الشام، فطلب الظاهربيبرس فتوى من العلماء حتى يجمع الأموال من الناس، فأفتاه العلماء إلا محيي الدين النووي، قال له: لماذا لم تفتني بجمع المال لحماية الأمة؟ قال: لقد جئت إلينا مملوكا لا تملك شيئا، والآن لك القصور والغلمان والجواري والذهبان والضياع والبساتين، فإذا بعت هذا كله واشتريت به سلاحا ثم احتجت أنا أفتيك، قال: اخرج من الشام، فخرج من الشام إلى نوى- بلد في حوران في منطقه درعا -، فذهب العلماء قالوا: لا غنى لنا عن محيي الدين، لابد أن ترجعه إلى الشام، قال: ارجعوه، اذهبوا إليه، فذهبوا إليه فقالوا: لقد سمح لك الظاهر أن تعود، قال: والله لا أدخلها والظاهر فيها.... وبرّ الله بقسمه، فمات الظاهر بعد شهر، ورجع النووي إلى الشام.

زيادة عن السعاده النفسيه والعزة التي تغمرهم، طبعا أهل الدنيا لا يفهمون هذه المعاني، يفهمون نوع الدار التي يسكن فيها، الجمل الذي يركب عليه، والمال الذي بين يديه، وهكذا.

العز بن عبد السلام عندما اختلف مع الحاكم -كان قاضياً من القضاة- أقصاه عن الحكم، فكذلك الناس قالوا: لابد أن يرجع العز، فقال الحاكم: إذا قبل يدي يرجع، وكانت عادة تقبيل أيدي الأمراء ليس عيبا، بل كانوا يعتبرونها للتبرك، لأنهم ناس معظمهم بالحرن، فذهبوا إلى العز بن عبد السلام فقالوا: قد وافق على إرجاعك بشرط تقبيل يده، فقال لهم: يا قوم أنتم في واد ونحن في واد، والله لو قبل يدي ما قبلت، لو قبل الحاكم يدي ما قبلت.

ثم بالإضافه إلى السعادة التي تغمر الإنسان.. هو لماذا يرتاح الإنسان؟! يرتاح الإنسان بالعبادة، لإنه يملأ الفراغ الموجود في

(*) كان عنوان هذا الشريط (محاضرة في المركز) فاستبدلناه بعنوان مناسب تحت اسم (صلة العبد بربه).

(1) رقم الشريط: ٢٢١

الداخل، المنطقة الفارغة المخصصة للعبادة تمتلئ بالعبادة، فيرتاح الإنسان، -(الماتور) امتلأ بالبنزين- بالإضافة إلى هذا العبادة توثق صلته بالله، وتيقنه بوعد الله، ومعظم الخوف في هذه الحياة على الرزق والأجل، نعم، لماذا ينحرف فلان؟! لماذا ينافق فلان؟! لأنه خائف على وظيفته، خائف على بعثته، خائف على جوازه، خائف على نجاحه، خائف على شهادته إلى آخره، ولذلك يضطر أن يسلك سبلا ملتوية من أجل أن يصل إلى هدفه، والله عز وجل تكفل للإنسان بهذين الأمرين: الرزق والأجل، قال:

(وفي السماء رزقكم وما توعدون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون)

(الذاريات:٢٢-٢٣)

فيتيقن أن الرزق من الله، وعندها لا يذل للبشر، لأن الذل غالبا ناشيء من الخوف على الرزق، على الحاجة، وكما قلنا أمس (استغن عمن شئت تكن نظيره -فإذا استغنيت عن الحاكم تكن نظير الحاكم، مثله- واعط من شئت تكن أميره، واحتج من شئت تكن أسيره) فأنت عندما تعتقد فعلا أن الله هو الرازق لا تخاف على رزقك، وعندما تعتقد أن الله هو المحيي والمميت لا تخاف على حياتك، فإذا خوفوك بالإعدام وقالوا لك: اعتذر إلينا لا تعتذر، لأنك تعتقد أنه:

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا) **(آل عمران: ١٤٥)**

لكن هذه أين تكون؟! بعد ما تكون قد قطعت درجا طويلا بالعبادة، وأنت ماش إلى أعلى لا تستطيع أن تحمل ثقل الأرض وإغراءاتها إلا إذا كنت مرنت جسدك على حمل الأثقال.

فإذا أعطيت ولدا صغيرا خمسين كيلو غراماً قلت له: تمرن ارفعها ستقطع ظهره، فلابد أن يتدرب طويلا حتى يحمل خمسين وسبعين ومائة، فأنت تكون قد قطعت مع الدرج صاعداً إلى الله عز وجل على مدارج السالكين ومنازل السائرين إلى رب العالمين، قد قطعت مشوارا طويلا، ومن هنا صغرت الدنيا في عينيك، وأصبحت تنظر إلى إغراءاتها.. تافهة حقيرة لا تساوي شيئا..

(قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير) **(سبأ: ٢٢)**

التعامل مع الله:

مرات كنت أسأل الطلاب أقول لهم: من أقوى الله أو أمريكا؟ فيستغربون السؤال فيقولون: قطعا الله، قلت لهم: أنتم تعتقدون أن الله أقوى من أمريكا؟ قالوا: نعم، قلت لهم: والله لو كانت الحكومات أو الدول العربية تعتقد أن الله أقوى من إسرائيل التي هي أضعف من أمريكا ما هجرت دينه هذا الهجر، وما خافت هذا الخوف.. الناس سبب ضياعهم وتعبهم أنهم لا يتعاملون مع الله على أنه إله، يتعاملون مع الله على أساس أنه صاحب هذا الكون، ثم كأنه ليس له أي تدخل فيه، ولذلك لا يغير فيهم رغبا ولا رهبا، أما لو كنا نتعامل مع الله، نخاف من الله في جلساتنا كما نخاف من واحد من المخابرات، عندما نعد كل كلمة ونحصيها، فنحن نخاف من جندي -هذا المخابرات- أكثر من الله، لأن الملائكة تسجل علينا كل كلمة، هذه لا ننظر إليها ولا نخاف عندما نتكلم، لكن إذا قيل لنا في هذه الجلسة واحد من المخابرات نحسب كل كلمة تخرج من أفواهنا، فأصبحت الخشية من واحد من المخابرات أكثر من الله.

لو كنا نتعامل مع الله أنه في قوة رئيس الجامعة، باستطاعته أن ينجح، وباستطاعته أن يطرد، وباستطاعته أن يدخل ويقبل، كذلك يكون سلوكنا غير ذلك، فإذا ارتقينا إلى هذا، لو نتعامل مع الله على أساس أن مثله مثل حاكم البلاد يعطي الجوازات ويعطي الأموال ويعطي الوظائف ويوزع، لو كنا نتعامل مع الله مثل هذا التعامل لصغر في عيننا البشر، لكننا نتعامل مع (إن الله على كل شيء قدير) بأقل من قانون ممنوع فعل كذا واحد من الحكام، لو تعاملنا مع الله عز وجل على أساس أنه (لا إله إلا الله) لارتحنا كثيراً، فكان السلف يتعاملون مع الله عز وجل على أساس أنه القوي، على أساس أنه الغني، على أساس أنه ستار، على أساس أنه القادر، على أساس أنه المنتقم الجبار القهار إلى آخره، الآية أو الحديث في حياتهم يفعل الأعاجيب..

الأدوية الشافية من الأمراض الطارية:

(وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير)

(الأنعام:١٧)

فالله عز وجل هو الذي يكشف الضر، وهو الذي يمسك الخير، الله عز وجل هو الرزاق **(لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)**، في المرض مثلاً الرسول ﷺ كما قال: **(ما أصاب عبدا مرض)** كما قال: لوضع يده على مكان الألم وقال: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعافيك (أو يعافيني) إلا أذهب الله مرضه ما لم يكن الموت، يجب أن يشفى، إذا دعى سبع مرات **(أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعافيني)**، فنحن عندما نمرض يمكن أن نطوف البلد كلها على المستشفيات وعلى الأطباء والصيادلة وغير ذلك ولا نفطن أن نضع أيدينا على الألم ونقول:

(أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يعافيني)

ولا يكلفنا دقيقة واحدة، عندما نخرج نقول (بسم الله توكلت على الله لا قوة إلا بالله) يجيبنا الملك، هديت ووقيت وكفيت، فالشياطين واقفة، فيقول أحدهما للآخر: ماذا تصنع مع رجل هدي وكفي ووقي، فتبقى في حماية حتى ترجع.

مرة جاءوا لأبي الدرداء كان في المسجد، قالوا: يا أبا الدرداء حرق بيتك، قال: والله ما حرق، قالوا له: حرق قال: والله ما حرق، ذهبوا وجدوا أن النار قد التهمت كل المنطقة التي حوله ووقفت عند بيته، وهو ما تحرك، قالوا: ما الذي دفعك أن تقول: والله ما حرق؟ قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات إذا قلتهن لا يصيبيني ضرر أو أذى، - مطمئن- معنى ذلك لن يضر، تجد الواحد منهم يسمع حديثاً من الرسول ﷺ يقول: يا رسول الله عليّ دين (يقول له قل: **اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال)** خلاص انتهى.

قال: فدعوت بها، عن أبي أمامة قال: كنت جالسا في المسجد قال: ما بالك يا أبا أمامة؟ أو كما قال ﷺ قال: ركبني غم بسبب دين عليّ، فقال: ادع بهذه الكلمات، قل هذه الكلمات قال: فدعوت بها فأذهب الله غمي وقضى ديني، انتهى، علمه كلمات، في الحديث كذلك ما أصاب عبدا هم أو غم فقال: **(اللهم أنا عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض فيّ حكمك عدل فيّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي، إلا أذهب الله همه وغمه وأبدله فرحاً)** فكان الواحد عندما يصيبه غم يدعو بهذه الكلمات.

فكانوا يتعاملون مع الله على أساس أنه إله..

(الذي خلقني فهو يهدين، والذي هو يطعمني ويسقين، وإذا مرضت فهو يشفين، والذي يميتني ثم يحيين، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) (الشعراء: ٧٨-٨٢)

لذلك لما مرض عبد الله بن مسعود زاره عثمان بن عفان رضى الله عنهم أجمعين، قال: ماذا تشكو؟ قال: ذنوبي، قال: ماذا ترجو؟ قال: رحمة ربي، قال: هل آمر لك بطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال هل آمر لك بهبة؟ قال: لا حاجة لي، قال: تكون لبناتك من بعدك، قال: وهل تخاف عليهن الفقر وقد أوصيتهن أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة؟ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لن تصيبه فاقة أبدا)!!**

فكانوا يتعاملون مع الله على أساس أنه فعلاً إله، وأنه هو الغني، وأنه هو القوي، وأنه هو اللطيف، وأنه هو العزيز، وأنه هو الحكيم، وأنه هو العليم، فإذا طلبوا العلم يطلبونه من الله، وإذا طلبوا النجاح يطلبونه من الله، وإذا طلبوا النصر يطلبونه من الله، وهكذا مع الله، وهذا لايتأتى إلا بالصعود الدائم إلى الله عز وجل، الصعود على الدرج إلى الله على مدارج السالكين إلى رب العالمين.

ولذلك أنتم إن شئتم السعادة فليس لكم إلا أن تبحثوا عن الله عز وجل **(إذا سألت فاسأل الله، و إذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، اعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)** انتهت المسألة، والحديث صحيح، وما دام الحديث صحيحاً خلاص.

عجبا لأربع كيف يغفلون عن أربع؟

إذا تعاملنا مع الله عز وجل بقلب سليم، بيقين، نتعامل مع الحديث ومع الآية، ولذلك كانوا يقولون: عجبا لأربع كيف يغفلون عن أربع؟ جعفر الصادق قال: عجبا لمن أصابه الحزن كيف يغفل عن قول الله عز وجل: (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين).

والله عز وجل يقول عن يونس عليه الصلاة والسلام:

(وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) (الأنبياء: ٨٧)

وبهذه الطريقة، باستغفار لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ينجي الناس من الغم، وعجبا لمن يمكر به الناس كيف يغفل عن قول الله عز وجل:

(وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد) (غافر: ٤٤)

والله يقول:

(فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب) (غافر: ٤٥)

وعجبا لمن يخاف من جمع الناس له وإعدادهم له كيف يغفل عن حسبنا الله ونعم الوكيل والله يقول:

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)
(آل عمران: ١٧٣-١٧٤)

وعجبا لمن أصابه الضر كيف يغفل عن قول الله عز وجل:

(وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) (الأنبياء: ٨٣)

والله يقول:

(فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم) (الأنبياء: ٨٤)

الضر دواؤه (**فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ......**)، الحزن دواؤه (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)، الخوف من الناس دواؤه (حسبنا الله ونعم الوكيل)، مكر الناس به دواؤه (وأفوض أمري إلى الله) ما ابسطها، أدويه مجربة، والله الصادق يقول هذه وصفة طبية مني ليس طبيباً يتعلم، الله أعلم كيف نجح؟! إنما رب العالمين هو الذي يتكلم، ويتكلم بوصفة طبية منه، هذا دواء المرض الفلاني، وهذا دواء المرض الفلاني، وهذا دواء المرض الفلاني، وقد طبقناها على ناس مرضى وشفوا، هذا يونس طبقنا عليه هذه الوصفة، وأيوب طبقنا عليه هذه الوصفة، ومؤمن آل فرعون طبقنا عليه هذه الوصفة، ومحمد ﷺ وإبراهيم طبقنا عليه حسبنا الله ونعم الوكيل فنجحت تماماً، هذا قول الله الذي لا يتخلف، وقد طبقت في واقع الحياة.

ولذلك لما ألقي إبراهيم في النار تبدى له جبريل عليهم الصلاة والسلام جميعا قال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا؟ قال: أنا ما احتاج منك شيئا -لجبريل-، يريدون أن يلقوه في النار قال: أما إليك فلا؟ وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل، يكفيني الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم عند ما ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ عندما.....[1]

المأثــــورات:

..... يوجد كتاب اسمه المأثورات، يوجد مأثورات صغير، هذا فيه أدعية يومية تدعوها حتى تحميك طيلة النهار، إذا دعوت في الليل تحميك طيلة الليل، إذا دعوت في النهار تحميك طيلة النهار، وهنالك أدعية للأعمال اليومية، إذا دخلت المسجد، إذا خرجت من المسجد، إذا دخلت الخلاء، إذا نمت، إذا قمت، إلى غير ذلك، وصفات طبية من الرسول ﷺ، وهذه المؤثورات ضرورية جدا للأستاذ حسن البنا، يعني المنقولات عن الرسول الله صلى الله عليه سلم في مثل هذه القضايا أعمال اليوم والليلة، يعني اختصر عدة كتب مثل الأذكار للنووي، وأعمال اليوم والليلة لابن السني وغيرها، اختصر هذا الكتيب الصغير حتى تعيش مع الرسول الله ﷺ في أعمالك اليومية،

والأدعية لا تفيد الرسول ﷺ إنما تفيدك أنت وتحميك أنت، في الدنيا، وكثير من الأمور نحن نغفلها وهي ضرورية، لماذا؟ للوقاية اليومية، مثلا من صلى الصبح فهو في ذمة الله طيلة اليوم، في حماية الله وأمان الله.

ذات مرة ذهب اثنان إلى الحمّة كل واحد بسيارته، فواحد تدهور، فشباب مؤمنون قدموا على الذي تدهور، سألوا أنت صليت الصبح؟ قال: لا، قالوا: أنت صليت الصبح؟ قال: نعم، قالوا: أنت في ذمة الله فما تدهورت، وأنت لم تكن في ذمة الله فتدهورت.

الحديث **(من صلى الفجر فهو في ذمة الله)** ولذلك بعض الحكام السابقين عندما يحكم على إنسان بالإعدام يسأله: صليت الفجر؟ فإذا قال: نعم، لا يستطيع أن يطبق عليه حكم الإعدام، لأنه في ذمة الله عز وجل، مثلا إذا قلت الصبح: **(أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق)** -ثلاث مرات- تحمى.

مرة واحد من الصالحين قال: نسيت أن أقولها الصبح، فتذكرت وأنا في المرحاض أني ما قلتها، فأسرعت حتى أقولها حتى أحمى بقية اليوم، وما قالها بالمرحاض لأنه يكره الدعاء في المرحاض، قال: وأنا خارج زلقت رجلي فانفكت، وهو مستعجل يريد أن يقولها حتى يحمى، وهكذا نتعامل مع هذه الوصفات على أساس أنها فعلا تؤثر في الحياة اليومية.

وصايا للشباب المسلم:

فأنتم يا أيها الإخوة: أنا أوصيكم: أن تحسّن صلتك بالله، وتحسن نيتك بينك وبين الله، وتعتقد بالله أنه قدير، وأنه ينجيك ويرزقك ويحميك وييسر أمرك، قل إن الأمر كله لله، فأنت ماذا تريد؟! أطلب من الله، إذا سألت فاسأل الله، ودائما تحر الصدق والإخلاص في عملك، لا يهمنك البشر، حتى يكون العمل خالصا لله عز وجل، فهذه مهمة جدا تخلص النية، تنوي لكل عمل نية، وأن تكون لله، و أن تتعامل مع الله على أساس أنه إله، فإذا وجدت حديثا صحيحا خلاص معنى ذلك انتهى.

المهم أن أجد نصاً صحيحاً، إما من القرآن فكل القرآن صحيح، أو حديثا صحيحا وأستدل وأتعامل معه في مرضي، في صحتي، من أجل رزقي، من أجل سعادتي، أنت لا تستطيع أن تعيش وحدك فلا تسكن وحدك، لأن الذئب يأكل من الغنم القاصية، الشيطان مع الواحد، وهو من الإثنين أبعد، ولذلك إذا سكنت لا تسكن إلا مع واحد على الأقل، والواحد يجب أن يكون صالحا، لأن الأصدقاء مثل الأواني المستطرقة، المنخفض أو المتدني يأخذ من العالي حتى يتساوى معه، فإذا عشت مع أناس فاسدين فإنهم يأخذون كثيرا من حسناتك، وأنت تنزل تنزل تنزل حتى توازي مستواهم، لأنه لابد أن تصبح مثل الأواني المستطرقة، تعرفون ما هي الأواني المستطرقة؟ هذه الأنابيب المتصلة مع بعضها، الماء فيها باستواء واحد، فالأصدقاء متساوون، كلما طالت الصحبة كلما صارت الأخلاق متساوية، ولا تصدق أن واحداً صالحا يستطيع أن يعيش مع واحد فاسق طويلا، إلا إذا تحسن الفاسق وأصبح يقتدي به، ولذلك ابحث عن الصالح، والصاحب ساحب، إما أن يسحبك إلى الجنة، أو يسحبك إلى النار، هذا زيادة عن ماذا؟ إما مشاكل الدنيا، أو حل مشاكل الدنيا، لأنه سوف يورطك في أمور لا قبل لك بها إذا كان فاسدا، ثم تحفظ لسانك، لأن معظم العذاب من اللسان **(وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم؟!)** ثم تستفيد من وقتك، لا تضع وقتك سدى، والجلسات دائما حاولوا أن تستفيدوا منها، فإذا رأيت الناس يتحدثون عن الطعام والشراب ويمزحون وينكتون وغير ذلك، فقل لهم: يا جماعة اليوم قرأت لكم قصة أنا سمعت في سورية حصل كذا، الأفغانيون عملوا كذا، أو ما رأيكم بهذا الحديث؟! قرأت لكم تفسير هذه الآية، تفيدهم في هذه الجلسة، اشغلهم بما ينفعهم، وأقرأوا القرآن والسيرة وحياة الصحابة وتفسير قرآن بسيط مثل تفسير الجلالين، يعني معاني كلمات عامة، واقرأوا في كتاب بسيط فقهي خاصة الصلاة تقرأها كلها، كيف تصلي، مثل فقه السنة، كيف تتوضأ، لا أن تبقى ثلاثين سنة لا تعرف لا وضوءاً ولا صلاة، تصلي ولا تعرف لا أساس الصلاة ولا أساس الوضوء، ولا تعرف صوم التطوع كيف، مع الصحبة الطيبة، النية الطيبة الصادقة، والبعد عن النساء، وهو أسس البلاء في مثل أسنانكم، بل في كل الحياة، البعد عن النساء المحرمات عليك، يجب تبتعد عنهن، طبعا وكل النساء الآن في هذه البلد محرم عليك، محرم أن تنظر إليهن، محرم أن تجلس معهن، محرم أن تتكلم معهن، محرم أن تخلو بهن، والقلب لا يتحمل، لأن النظرة سهم من سهام إبليس المسمومة، من غض بصره عن محارم الله أبدله الله حلاوة يجدها قلبه، أما أن تنظر وتديم النظر فيغرس في قلبك سهم، ليس سهما، سهم مسموم يسمم قلبك، فإذا كل يوم سهم وسهم وسهم، القلب ضعف لا يستطيع أن يجابه مشاكل الحياة، ولذلك تجد الإنسان الغارق في ملذاته قلبه ضعيف، أفئدتهم هواء، يرتجف، أما قلب المؤمن لا يهمه شيء، لأن القلب بالعبادة يقوى فلا يجبن ولا يضعف ولا يخور، أما قلب الفاسق تجده يرتجف، مضطرب، لماذا؟ لأن السهام مثل واحد في معدته قرحة معدية لا يستطيع أن يأكل، واعملوا واتفقوا على بعضكم، وكلما عملتم لله كلما روحكم صقلت وارتفعت، تمشون بسرعة على درج الصاعدين إلى الله عز وجل، وأوصيكم أن تقرؤوا القرآن كل يوم، لأن القرآن مثل الماء للشجر، حياة القلوب

بالنسبة للروح، وبالنسبة للقلب ماء القلوب حياة القلوب هو القرآن.

(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا)
(الشورى:٥٢)

فهو نور للقلب، شفاء للصدر، شفاء لما في الصدور، حياة للنفس، روح تسرى فيك فتحييها.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، وفقكم الله وقواكم وأعانكم وبارك فيكم.

اللهم مكن للمؤمنين في الأرض.

اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى.

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ.

اللهم انصر المجاهدين في سوريا وفي أفغانستان وفي كل مكان، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الأسئلــــــــــــــــة:

كنت تريد أن تسأل سؤالا، تفضل يا شيخ.

سؤال: بالنسبة لزوجة الأخ؟

الجواب: مثلها مثل أي واحدة من بيشاور، أنتم طبعا تعيشون في بيت واحد، هذا لاشك فيه، فلاحون وغيرهم يعيشون في بيت واحد ويقولون: زوجة الأخ مثل أختك، لكن الرسول ﷺ قالوا: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟! يعني أخو الزوج وابن عم الزوج **(قال الحمو الموت)**.

سؤال: رجل لم يصل ولم يصوم منذ ست سنوات وكان بالغاً، فماذا يعمل؟

الجواب: بالنسبة للصلاة يقضي مع كل وقت وقته، أما الصوم فهو عند الفقهاء كفارة يوم هي كفارة لجميع الأيام، فأنت إذا أستطعت أن تصوم شهرين متتابعين تغفر لك كل السابق، وقد فعلها أناس كانوا ضائعين، يعني أذكر في هذه المناسبة أحد التجار في عمان كان لا يصلي ولا يصوم ويعيش في ألمانيا.

مرة أنا جالس في جلسة مثل هذه فسألوني -هم رجال كبار-: ما رأيك في واحد عمره فوق الأربعين سنة لا صام ولا صلى؟ فقلت لهم: هذه الفتوى: يصوم شهرين متتابعين يغفر له ما قد سلف، فالرجل هذا وهو تاجر في عمان، فبالفعل أصبح صائما، وأهله شفقوا عليه وهم من الطبقة الراقية، بعد ما صام ثمانية وعشرين يوما متتالياً جاءوا فقالوا له: نحن سألنا لك الشيخ الفلاني والشيخ الفلاني فلا مانع أن تصوم قدر طاقتك، لا مانع أن تصوم كل أسبوع يوماً يومين.

اللهم أفطر بعد ثمانية وعشرين يوما وندم، وبدأ صيام ستين يوما جديدة -أفطر يوماً واحد- وصام ستين يوما جديدة، أفطر يوما واحدا وبالتالي -سبحان الله- انقلبت حياته كلها، وكان يعمل في (نوفتيهات) في عمان، في جبل الحسين وجبل اللويبدة، فلا يريد أن يرى النساء، فقام وغير (النوفتيهات) وأصبح يعمل في السجاد، يعني سبحان الله انقلب انقلابا عجيبا.

سؤال: صوم التطوع هل يفسده الأكل ناسياً؟

جواب: صوم التطوع لا يفسده النسيان مثل صوم الفرض **(أتم على صومك فإنما أطعمك الله وسقاك)**.

سؤال: صوم يوم عرفة؟

جواب: (صوم يوم عرفة يكفر عامين السنة السابقه واللاحقه).

وعاشوراء يكفر سنة، التاسع من ذي الحجة.

سؤال: بعض الناس يقول: إن الإسلام لا يصلح لهذه الظروف ولأوقاتنا، ومنهم من يدافع عن الحكومات العربية، ويقول إن الإسلام لا يصلح لأوقاتنا هذه لأن....

جواب: إن الذين يقولون أن الإسلام لا يصلح كفر خارجون من الإسلام.

المسلمين، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يصلى عليه، ولا يغسل، ولا يكفن، لكن بعد ما يفهم، خلاص كفار.

سؤال: عن الشيوعيين والبعثيين:

- **جواب:** الشيوعيون والبعثيون، البعثيون والشيوعيون كفار، أرح نفسك باختصار، لكن لا تكفر أحداً إلا بعد أن تفهمه، فإذا أصر يخرج من الملة.

سؤال: هل يجوز أن نقول في الصلاة الإبراهيمية: اللهم صل على إبراهيم وعلى آل إبراهيم أم نقول: اللهم صل على آل إبراهيم فقط؟

الجواب: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

ومن الناس من يحذف كلمة سيدنا.

سؤال: بالنسبة لحلي المرأة هل تجب عليه الزكاة؟

- **الجواب:** عند الشافعية لا تجب، وعند الحنفية تجب، والرأي الأصح أن الحلي إن كانت تتحلى به لا تزكي، وإذا كانت تخزنها من أجل أن يكون ذخرا لها في المستقبل فتزكي، فإن كان بقصد الزينة ما عليه زكاة.

سؤال: صوم الحامل هل تصوم أم تفطر؟

الجواب: يجوز لها أن تفطر إذا خافت على نفسها أو على حملها، فإذا خافت على نفسها تقضي، وإذا خافت على حملها تقضي وتفدي، تقضي عن نفسها وتفدي عن ابنها، والفدية عن ابنها بمقدار صدقة الفطر، وصدقة الفطر تختلف باختلاف البلدان، لكن هي تقريباً كيلوين ونصف من القمح، عشرة أواق ونصف من القمح، الفلوس تختلف باختلاف البلدان.

سؤال: عن الذي يهزأ بالإسلام.

الجواب: إن كانوا يقولون قولاً يكفرون فيه، يكفرون، يعني إذا كانوا يهزأون بالإسلام يهزأون بأشياء في القرآن، إذا كانوا يرون أن القرآن غير صالح إن كانوا يقدمون المسيحي العربي على المسلم الباكستاني هذا يكفر، ما سوى ذلك يعني لا تستطيع أن تكفرهم.

سؤال: لكن بعض الناس يقدم دراسته على دينه، أو يقول لك عندما أتزوج أبدأ بالصلاة، وعندما أذهب لأهلي أرتاح وأبدأ أصلي.

جواب: حكمه عاص ليس كافراً مادام أنه يعترف بالصلاة، أما إذا كان يهزأ بالصلاة أو بالمصلين، أو تقول له صل يقول لك: هذه حاجة قديمة، والصلاة ماذا تفيد في فلسطين؟! وهل الصلاة سترجع فلسطين؟! هذا يكفر، لكن لا يُكفَّر، احفظ لا يكفر أي انسان إلا بعد أن يفهم، بعد أن يناقش، بالنسبة له يعني هؤلاء الناس معظمهم جهلة، وهؤلاء لا يفهمون بنقاش واحد ولا بجلسة واحدة، إنما يفهمون بحسن المعاملة وبالمصاحبة وبحسن المعاشرة، فمرة هدية منك، كتاب بسيط تهديه له، تحدثه قصة، تقدم له قلم حبر، تقدم له طاقية، حذاء، بنطلون... وغير ذلك، تحببه إليك، لأن الهدايا تحبب الناس بعضهم ببعض، فإذا أحبك عندما يحب أن يأخذ منك ويجلس معك، ومع الأيام يصلح.

- **سؤال:** بالنسبة للأغاني؟

الجواب: الأغاني لا يجوز سماعها، في صحيح البخاري (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر -الزنا- والحرير والمعازف والخمر) والمعازف معناها الآلات الموسيقية، فالمعازف حرام سماعها، فكل أغنية معها آلة موسيقية حرام، وكل أغنية ليس بها آلات موسيقية لكن بصوت بنت تغنج أو بما شابه ذلك هذا كذلك حرام، الأغاني المباحة هي الأناشيد، مثل أناشيد أبو الجود وهذه الأناشيد... فأنتم تسمعون أن الغناء مباح، هذا هوالغناء المباح، أناشيد أبو الجود وأبو دجانة.

وأنتم لا تواجهون الناس، الأمر يأتي بالتدريج، ولذلك الإسلام ما حرم ولا حلل في مكة، كانت قضية بناء عقيدة، بناء عقيدة، صراع مع الجاهلية، وبعدما استقر الإيمان واطمأن في نفوسهم نزل هذا حرام وهذا حلال، ونزلت الصلاة في آخر العهد المكي، ونزل الصوم في المدينة، والحج في المدينة إلى آخره.

الضجة الإعلامية*

وبعد أن دخل الإخوة العرب وجدنا أن لهم أدواراً عظيمة بين المجاهدين الأفغان، وجدنا أنهم حوّلوا المعركة من معركة قوم ضد الاتحاد السوفياتي وضد حلف وارسو إلى معركة إسلامية عالمية، معركة إيمان وكفر، معركة إسلام وشيوعية، ولم يعد الشعب الأفغاني وحده كشعب من الشعوب يقف أمام حلف وارسو، جاءت الشعوب الإسلامية تشاركه، واختلطت الدماء، دم الأفغاني مع دم السعودي مع دم المصري مع دم الباكستاني مع دم الأردني مع دم الفلسطيني، كلها روّت أرض أفغانستان، وعلى طول الطريق تجد القبور تشهد أن هذه المعركة ليست معركة قوم اسمهم البشتون أو الطاجك، ليست معركة أفغانستان، إنما هي معركة الإسلام.

وعندما بدأ هذا الجهاد يجتذب الشباب من كل مكان قامت قيامة الدنيا، وبدأت أجهزة الرصد ترصد وترقب حركات هؤلاء الشباب، وبدأ التخوف العالمي، وبدأ الغرب يحسب ألف حساب، لأن هذا الجهاد الأفغاني ثم الإسلامي بدأ يوقظ مشاعر المسلمين في كل الأرض، وتحول إلى مدرسة تربوية، وبدأ يجتذب الجيل والشباب من كل مكان، وبدأت انعكاساته وأصداؤه تتردد في بيت المقدس بصيحات الله أكبر حول المسجد الأقصى وفي أذربيجان وفي أرمينيا وفي بولندا وفي كل مكان، أصبح هذا الجهاد نموذجاً، وبدأ العالم يتكالب كيف يطفيء ناره وكيف يخمد أواره.

وجدنا أن قدوم الشباب العرب ضرورة لأداء مهمة لا يستطيع أن يؤديها إلا هم : وهي التوحيد بين الإخوة، وجمع الشتات، وإزالة الخلافات، مع أن الشاب العربي تجده صغيراً ذا تجربة قليلة إلا أن الله بارك بهذه الجهود، وكم من الجبهات قد نسّقوا بينها، وكم من الوحدات قد ألفوا بينها بفضل الله عز وجل ثم بإخلاصهم؟! ووجدنا أن الشباب العرب قد حركوا المعركة وزادوها التهاباً وسعيراً، لأن الشاب العربي يأتي متعطشاً للقتال، يأتي متشوقاً لإطلاق النار، والمجاهدون الأفغان قد شهدوا معارك كثيرة، ومضت عليهم عشر سنوات وهم تحت القصف وتحت دوي المدافع ولظى الطائرات، والأراضي كلها تتفجر براكين من تحت أقدامهم، فلو كانت أعصابهم حديداً لذابت، فجاء هؤلاء الشباب يرفعون المعنويات ويوقفون الهجرة، لأن الأفغاني عندما يجد العربي في خندقه فإنه يستحي أن يترك خندقه ويتركه ثم يذهب إلى السعودية ليعمل في نفس الشركة التي يملكها والد هذا الشاب.

لقد أدوا بفضل الله عز وجل جهوداً رغم قلة عددهم إلا أنها جهود بارك الله فيها، جهود عظيمة من الإصلاح، من رفع المعنويات، من وقف سيل الهجرة، من زيادة اضطرام المعركة، من صب جهودهم في داخل بوتقة هذا الجهاد العظيم، من تحويل المعركة من معركة قومية إلى معركة إسلامية عالمية، كانوا على قدر من الله عز وجل، لم نكن نعلم أن لهؤلاء الشباب الصغار دوراً -بل أدواراً- عظيمة تنتظرهم أنّوها، ونرجو الله أن يجزيهم خير الجزاء على ما قدموا، وأن يتقبل منهم، وأن يثبتهم كما ثبت إخوانهم المجاهدين الأفغان على هذا الطريق.

إياكم والقومية . . .

يا أيها الإخوة: نرجو الله أن يتقبل منكم جهادكم، ونرجو الله أن يثبتكم على الطريق، نحن جئنا إليكم لأن معركتكم إسلامية، ولأن رايتكم واضحة (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، لأنكم تقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا، ولأنكم تعلنون أننا نريد أن نقيم دولة إسلامية يحكمنا فيها مسلم صادق مجاهد، ما جئنا إليكم لأنكم قوم تقاتلون، بل لأنكم مسلمون تقاتلون، ولتكون كلمة الله هي العليا، لإقامة دولة الإسلام في الأرض، فإذا لم تنتبهوا إلى هذه الغاية فأنا فلسطيني، وهنالك قتال منذ عشرين عاماً يقاتله قومنا، ولكن لأن الراية ليست إسلامية جئنا إليكم، فإذا تغيرت الراية التي بأيديكم فنرجع إلى قومنا أفضل، وإلى بلادنا التي ولدنا فيها أكثر راحةً لنا، نحن ما قاتلنا معكم لترجعوا ظاهر شاه، إن حكامنا أفضل من ظاهر شاه، فالأولى إذا أنتم تأخذون هذه الدماء دماء المليون ونصف المليون شهيد ليرجع ظاهر شاه على بحور الدماء ويستلم رقابكم مرةً أخرى، وظاهر شاه نفسه هو الذي سيّر لكم جيشاً بقيادة خان محمد وقتل منكم حوالي ألف رجل لينزع الحجاب.. لينزع النقاب عن وجوه نسائكم، وأهل قندهار يعرفون المعركة، ظاهر شاه مجرم، عدو لله ولرسوله، وهو أول من سنّ -من ملوك أفغانستان- الرقص مع نساء السفراء، وهو الذي زرع الشيوعية في أفغانستان، وهو الذي جاء ببابرك كارمل وجاء بداوود وجاء بتراقي، وجاء بحفيظ الله أمين، هؤلاء كلهم تربوا على موائد محمد داوود، فإذا تحولت العقلية من عقلية إسلامية إلى عقلية قومية أننا نريد واحداً من قومنا ولو كان ظاهر شاه فقد خسرتم الدنيا والآخرة، وخسرتم حب المسلمين لكم، وخسرتم تأييد العالم الإسلامي لكم.

• [illegible] ١٧٧

ما قتل عبد الوهاب الغامدي ليرجع ظاهر شاه على دمه، وما قتل يحيى سنيور ولا عبد الله الغامدي ولا عبد الحميد البحريني ولا أبو الحسين السوري ولا حذيفة المدني، ما قتل هؤلاء، ما قدموا أرواحهم ولا دماءهم ليرجع ظاهر شاه يتربع على صدوركم، ويجثم على ...ونكم، ويطبق عليكم شرعة الشيطان مرة أخرى، قدموا أرواحهم لتكون كلمة الله هي العليا، وليحكم المسلمون بالإسلام أرض أفغانستان المسلمة.. انتبهوا أيها الإخوة فهذه قضية مهمة..

المعركة لم تنته بعد:

بعض الإخوة يظنون أن المعركة قد انتهت، الآن جاء دور القتال، الآن بدأ القتال..

(فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) (محمد: ٣٥)

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله) (آل عمران: ١٣٩-١٤٠)

وهذه السنة أشد المعارك ستشهدها أفغانستان والله أعلم، فلا بد من مواصلة المعركة، ولا بد من الثبات على الطريق، وأنتم بحاجة بعد أن أذلّ الله روسيا إلى الاستمرار في المعركة، والاستمرار في المعركة يحتاج إلى وقود..

(يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) (البقرة: ١٥٣)

صبر.. صلاة.. ذكر.. **(واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون).**

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئةً فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) (الأنفال: ٤٥)

قرآن كريم، تلاوة القرآن، وتعلم القرآن من المقرئين وخاصة من الإخوة العرب، استفيدوا من وجودهم بينكم، قيام الليل، صوم النافلة، حفظ اللسان عن المسلمين، حب المسلمين، تبييت النية على الشهادة، الدعاء بأن يختم الله لك بالشهادة، هذه أمور ضرورية حتى يثبتك الله عز وجل على الطريق، والطريق طويل وشاق، ولا بد لك من وقود، ووقودك الصبر والصلاة، والذكر والقرآن، والاستغفار والقيام، وصيام الإثنين والخميس، وهكذا..

يا أيها الإخوة:

أوصيكم بوحدة الكلمة، والحمد لله نحن نسمع خيراً كثيراً عن قندهار، وكأنهم على قلب رجل واحد منهم، وكأنهم جبهة واحدة، هذا خير كبير منّ الله به على هذه المنطقة، وأظنه بسبب وجود العلماء فيهم.

التحذير من سفك دماء المسلمين:

يا أيها الإخوة: قمتم لله جهاداً في سبيله، وابتغاء مرضاته، فإياكم أن تحبطوا جهادكم بأن تقترفوا جريمة سفك دم امرىء مسلم، إحذروا.. احذروا.. احذروا.. ففي الحديث الصحيح **"لو اجتمع أهل الأرض على قتل امرىء مسلم لكبّهم الله جميعاً في النار"** وفي الحديث الصحيح الآخر **(يأتي المقتول يوم القيامة آخذاً رأسه بيد وماسكاً بيده الأخرى قاتله وأوداجه تشخب دماً حيال عرش الرحمن، يقول: يا رب اسأل عبدك هذا علام قتلني؟)** فانتبهوا! وإذا كان الله عز وجل يبعث الشاة الجماء لتقتص من الشاة القرناء، يأخذ القصاص من الشاة لأنها آذت شاة أخرى فكيف الذي يؤذي مسلماً؟ لا بل يؤذيه، ويسفك دمه، **(ولزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرىء مسلم)** والله لا ينفعك إلا عملك يوم القيامة، لن ينفعك ...دك ولا زعيم تنظيمك، لن ينفعك إلا جهادك وإخلاصك وصدقك مع رب العالمين، وما من جريمة أعظم بعد الشرك بالله من قتل امرىء مسلم.

فضل الرباط والقتال في سبيل الله:

يا أيها الإخوة: أجر الجهاد عظيم فلا تبطلوه ولا تحبطوه **(رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل يُقام ليلها ويُصام نهارها)، (ما اغبرّت قدما عبد في سبيل الله وتمسه النار)، (من قاتل في**

سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة)، (لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إليَّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود)، (قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة) فحافظوا على هذه العبادة، ولا تحبطوها بالرياء، ولا تبطلوها باقتراف الآثام.

الجهاد لا ينتهي عند حدود أفغانستان:

يا أيها الإخوة: إن جهادكم لا ينتهي عند حدود أفغانستان، إن الجهاد فريضة العمر، فقلسطين تنتظركم، وبخارى تنتظركم، وطشقند تنتظركم، فالسلاح لا يوضع بمجرد إخراج الروس وقيام دولة إسلامية في أفغانستان، بل هذه هي بداية الطريق، وطريق الجهاد يبقى مستمراً حتى تلقوا ربكم.. "والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس بعد الإيمان أوجب من دفعه" العدو الذي يسطو على الناس يريد أن يفسد دينهم ودنياهم كاليهود والروس.... أولاً: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، ثم بعدها دفع هذا العدو، وقد روي عن ابن المبارك أنه زار المجاهدين في الشام، فعندما رأى حالتهم من العبادة وما يتحملونه من المشقة في مواجهة العدو بكى، قالوا: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أبكي لأيام قضيناها وليالٍ قطعناها في علم الخلية والبرية وتركنا أبواب الجنة مفتوحة هنا، يعني أبكي على ليالي العلم التي قضيتها أبحث عن كنايات الطلاق (الخلية والبرية) لو قال لزوجته أنت خلية، هل تطلق زوجته أم لا بد من نية؟ قال أبكي على تلك الليالي التي قضيناها هناك وتركنا أبواب الجنة مفتوحة هنا.

ثواب عبادة القتال:

والرسول ﷺ قال: إنه ذروة سنام الإسلام، يعني قمة الإسلام هو الجهاد، وأعظم ثواب على عبادة هو ثواب الجهاد "يا رسول الله ماذا يعدل أجر المجاهد؟ قال: لا تستطيعونه. ماذا يعدل أجر المجاهد؟ لا تستطيعونه، أيستطيع أحدكم أن يدخل محرابه أو مسجده فيقوم ولا يفتر، ويصوم ولا يفطر؟، قالوا: من يستطيع ذلك -أربعة وعشرون ساعة صائم مصل، أربعة وعشرون ساعة ولا لحظة؟!- قال: **(مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت لا يفتر عن صيام أو قيام حتى يرجع المجاهد)**

وسئل رسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «**رجل يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله**) ولذلك أنتم في عبادة ليس في الإسلام أعظم منها، وقال ابن تيمية: أجمع العلماء على أن الجهاد أفضل من عمارة البيت وجواره، وهذا بنص القرآن الكريم، كما روى الإمام مسلم عن النعمان بن بشير أن ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا عند منبره، فقال الأول: لا أعدل بعد الإسلام شيئاً من أن أسقي الحجيج، وقال الآخر: لا بل أعمر البيت، وقال الثالث: الجهاد أفضل مما قلتم، قال عمر: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ، -وكان اليوم يوم جمعة- فإذا صلى رسول الله ﷺ الجمعة دخلت عليه وسألته، فدخل عمر عليه وسأله، فنزلت الآية:

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجةً عند الله وأولئك هم الفائزون، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) (التوبة: ١٩-٢٢)

قال ابن رشد: أجمع الفقهاء على أن الجهاد مقدم على حج الفريضة، فالجهاد مقدم على حج الفريضة، ومقدم على جوار البيت الحرام الذي الركعة فيه بمائة ألف، الجهاد مقدم عليه، والرسول ﷺ قال: "**رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل يُقام ليلها ويُصام نهارها**" وقال في صحيح مسلم "**رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه**" و "**من مات مرابطاً لم يختم على عمله وأمن الفتّان**" -يعني منكر ونكير فتنة سؤال القبر-، وفي رواية أخرى "**ما من ميت إلا ويُختم على عمله إلا من مات مرابطاً فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة**، يعني يبقى كل يوم يُضاف إلى سجل أعماله صفحة جديدة من خير أعمالك في أواخر أيامك، والذي يموت مرابطاً أو مهاجراً يموت شهيداً "**من وضع رجله في الركاب فاصلاً فوقصته دابته** -أي رمته دابته- **فمات أو لدغته هامة** -أفعى أو عقرب- **فمات، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد وإن له الجنة**" حديث صحيح. فبمجرد أن تخرج من بيتك مهاجراً إلى الله أي ذاهباً إلى الجهاد فإنك حيث مت وكيف مت بإسهال، بانقلاب سيارة، بسقوط طائرة ما إلى ذلك فأنت شهيد ولك الجنة، والله عز وجل سوّى بين الذي يموت وبين

الذي يقتل في الهجرة.

- (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم) (الحج: ٥٨-٥٩)

(والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا) و "أو" للتخيير أو للتسوية، ولذلك كان فضالة بن عبيد وهو من الصحابة وكان أميراً في الجهاد، وكانوا في غزوة في البحر فمات أحد المجاهدين وقتل آخر بضربة منجنيق من العدو، ثم وصلوا الشاطئ، وقبروهم فجلس فوق رأس الميت، فقالوا: تترك الشهيد وتقعد فوق رأس الميت؟قال: والله ما أبالي – لا أهتم– من أي الحفرتين بُعثت، من حفرة الشهيد أو حفرة الميت، من هذه أو من هذه، لأن الله عز وجل يقول: "والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقاً حسناً وإن الله لهو خير الرازقين ليدخلنهم مدخلاً يرضونه وإن الله لعليم حليم" فإذا كان الله سيرزقني رزقاً حسناً ويدخلني مدخلاً أرضاه فماذا أريد بعد ذلك؟

- فالحقيقة الكلام في فضائل الجهاد يطول، ما من عبادة ركز عليها القرآن الكريم وركز عليها رسول الله ﷺ أكثر من عبادة الجهاد، يعني يكفي أنه **"رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها"**، بل أقل **"لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها.**

معنى كلمة في سبيل الله:

وكلمة " في سبيل الله" هنا المتبادر منها إذا أطلقت كما يقول ابن حجر هو الجهاد، والجهاد باتفاق الأئمة الأربعة هو القتال، الجهاد باتفاق الأئمة الأربعة عندما تُطلق كلمة " الجهاد " تعني القتال، يقول ابن رشد: وكلمة الجهاد إذا أطلقت فإنما تعني قتال الكفار بالسيف -يعني بالسلاح– حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

- وكلمة الجهاد -الحقيقة– اعترى معناها تمييعات كثيرة وتأويلات كثيرة حتى بَعُدت عن المعنى الحقيقي، والقرآن الكريم غالباً عندما يطلق كلمة الجهاد أو الرسول الكريم ﷺ عندما يطلق كلمة الجهاد إنما يعني القتال بالسلاح، كتابة في كتاب، الكتابة في جريدة، خطبة منبرية، موعظة، أصبح هذا جهاداً في سبيل الله، ونُسيت كلمة الجهاد التي تعني القتال، وصار المسلمون بعد طول زمن يستحيون من كلمة الجهاد التي هي استعمال السلاح، وشنَّ المستشرقون والمنصرون -المبشرون– والاستعمار، الثلاثة، هذه أجنحة المكر الثلاثة، شنوا حملة كبيرة على كلمة الجهاد حتى ميعوها، وصار المسلمون يستحيون من ذكر الجهاد، وصاروا يتكلموا في القضية وأعادوا، تفننوا في إخراجها في أشوه صورة، حتى صار المسلمون يصوروبنهم بأنهم عبارة عن مجموعة من الهمج كل واحد حامل سيفه بيده حتى يقتل الناس وتسيل الدماء، ويأخذوا نساءهم ويستحلون أبضاعهن، وصار المسلمون إذا ذكرت كلمة جهاد يستحيون منها، يقولون لهم: دينكم قام بالسيف؟ فيقولون: لا، لا ديننا قام بـ

(أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (النحل: ١٢٥)

- طيب صحيح "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" مع الشعوب، أما مع رؤوس الكفر وطواغيتهم، هذا الرسول ﷺ يقول عنهم: **"بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله وحده لا شريك له"**. يعني أنا جئت بالسيف حتى أزرع التوحيد في الأرض وأقر التوحيد في الأرض، وبدون سيف لا يوجد توحيد، ومعروف أن الأمم الغالبة تدخل الأمم المغلوبة في دينها أفواجاً، وانظر رسول الله ﷺ في صلح الحديبية الذين ذهبوا معه ألف وأربعمائة، عندما صار بينه وبين قريش عهد والعرب عرفوا أن رسول الله ﷺ قيمة ومكانة كرئيس دولة بعدها بسنتين فقط غزا مكة بعشرة آلاف، في سنتين دخل ثمانية آلاف تقريباً في الإسلام، لما فتح مكة وانكسرت شوكة قريش حج حجة الوداع -بعدها بسنتين– حج معه مائة وأربعة عشر ألفاً.

ولذلك الناس بطبيعتهم ينظرون إلى القوى الموجودة في الساحة، ويقفون مع الواقف، ويدخلون في دين الغالب، والضعيف لا قيمة تحت الشمس، الضعيف في هذه الدنيا، المستضعف ليس له قيمة، وفي الآخرة في جهنم..

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً إلا المستضعفين من الرجال

والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) (النساء: ٩٧-٩٩)

هذه الآية نزلت كما يقول البخاري في المسلمين في مكة، المؤمنين الذين كانوا في مكة ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر حياءً أو خشيةً من أبي جهل، واشتركوا في المعركة بجانب أبي جهل وقتل بعضهم، وحزن الصحابة رضوان الله عليهم وقالوا: قتلنا إخواننا المؤمنين في مكة، فأنزل الله هذه الآية "إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً".

معنى الجهاد ميِّع، أخرجوا أدياناً جديدة من أجل أن تقول انتهى الجهاد، انتهى القتال، القاديانية، البهائية، البابية، هذا ميرزا غلام أحمد النبي الكذاب أخرجته بريطانيا وله أتباع -مليون أو أكثر من مليون في داخل باكستان - يقول: لقد بعثت من أجل وضع الجهاد، انتهى الجهاد، البهاء هذا الذي ادعى الألوهية وابنه عباس والباب، البابية والبهائية جاءت لتوقف قضية القتال بالسيف، قضية القتال بالسلاح، انتهى القتال بالسلاح، والأمريكان والإنكليز خاصة وهم ألدّ أعداء البشرية - الإنجليز - وأكثر أمة وأكثر جنس حارب المسلمين هي بريطانيا، البريطانيون شنوا حملة شديدة على الجهاد، وقالوا أنتم تريدون أن تعيدوا عصر الناقة والسيف ورمال الصحراء، الآن البشرية تطورت وانتهى استعمال السلاح، الآن القضية قضية حضارة وفكر ليست قضية سلاح، ولذلك قالوا لهم أنتم دينكم يتعدى على الناس، ودينكم هجومي، فيقولون: لا... لا ديننا دفاعي، نحن ماذا؟

(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (البقرة: ١٩٠)

كان البريطانيون وهم يشنون هذه الحملة على الدين الإسلامي وعلى الجهاد بالذات كانوا إذا أرادوا أن يتعلموا الرماية بدل أن يضعوا حجراً يرمون عليه يأتون بشاب فلسطيني ويقولون من يستطيع أن يصيب عينه؟ من يستطيع أن يصيب أنفه؟ من يستطيع أن يصيب جبهته؟ فيجعلون الشاب الفلسطيني بدل الحجر حتى يتعلموا عليه الرماية، كانوا وهم يشنون حرباً إعلامية رهيبة على كلمة الجهاد يقيمون حرباً هنا، حرب شركة الهند البريطانية على الأفيون، يريدون أن يزرعوا الأفيون والحشيش في الصين، وعندما رفض امبراطور الصين تشن عليه حرباً، يعني لا بد من زراعة هذا الأفيون لأنه يربح شركة الهند الشرقية البريطانية، كان الإنجليزي بدل أن يضع رجله في الركاب حتى يعلو صهوة جواده كان يأتي يركع له الهندي ويطأ على ظهر الهندي ويركب جواده، كانوا إذا أرادوا أن يتقدموا -الجيش الإنجليزي- إذا أرادوا أن يتقدموا، لما انسحب الألمان من مالطا، طبعاً الجيش المنسحب يضع ألغاماً بعده حتى تتفجر بالجيش المتقدم، فبريطانيا تقدمت، وعادة الجيش المتقدم بعد الجيش المنسحب أن يأتي بقطعان من الحمير أو الغنم يسوقها أمامه فتتفجر في الحيوانات ثم يدخل الجيش، وبدل أن يشتروا حميراً من الهند أو غيرها جاءوا بفيلق هندي، لواء هندي تقدم أمامهم، تفجرت فيه الألغام، ثم تقدم الجيش البريطاني، وفي اليوم التالي كتبوا في التايمز أو في جريدة بريطانية هكذا خبر صغير مثل فقد جواز سفر: دخلنا مالطا، خسائرنا لا شيء، هلك الفيلق الهندي بكامله.

هؤلاء الذين كانوا يفنون الشعوب إفناءً هم الذين كانوا يشنون الحملة على استعمال السلاح من المسلمين هنا في باكستان، عندما علموا أن باكستان تريد أن تصنع القنبلة الذرية وأنهم جادون كانت المحاولات لسنوات كثيرة تريد إقصاء ضياء الحق عن الحكم، الأمريكان، الإنجليز، الغربيون كلهم قالوا: لن نسمح بوجود قنبلة ذرية في باكستان، لماذا؟ الكاثوليكيه فرنسا عندها قنبلة ذرية، البروتستانية أمريكا عندها قنبلة ذرية، اليهودية عندها قنبلة ذرية، الهندوس عندهم قنبلة ذرية، فقط الإسلام محرم عليه، ولهذا ما سكتوا عليه -ضياء الحق- إلا بعد أن وصلت روسيا على حدود باكستان، عندها اضطروا أن يسكتوا، لأنه لا بد من رجل قوي في المنطقة يقف أمام الزحف الروسي.

أقول الحملة العالمية على كلمة الجهاد لأنهم يدركون خطر الجهاد عليهم، ويدركون أن عزة هذه الأمة وينبوع سعادتها ومعين مجدها هو السلاح، فلا بد أن ينزع السلاح من أيديهم، فلسطين وهم يحكمونها أي واحد يُمسك معه رصاصة أو مسدس يحكم عليه بالإعدام، الإنجليز، الأمريكان وهم يشنون حرباً على كلمة الجهاد يفنون شعباً بكامله في هيروشيما ونكزاكي حتى الآن تخرج الأجيال مشوهة بسبب القنبلة الذرية، إبادة، ولذلك هؤلاء الأعداء وهم يميعون كلمة الجهاد، الجهاد هو جهاد النفس، ورجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، الجهاد الأصغر ما هو؟ استعمال السلاح والعيش في رؤوس الجبال بين الثلوج وتحت المطر وفي الجوع وتحت الحمم والقذائف، هذا جهاد أصغر، أما الجهاد الأكبر ما هو؟ اقعد في دارك وعلى الرز وعلى اللحمة وعلى القهوة وعلى غيره هذا هو الجهاد الأكبر، وقالوا هذا حديث عن رسول الله ﷺ، وهو حديث موضوع كذب على رسول الله ﷺ، قاله أحد التابعين اسمه ابراهيم بن عبلة،

...إذاً لا بد من استعمال السلاح حتى تصل إلى الجهاد الأكبر الذي هو تهذيب النفس ورعاية الروح، أقول: ثلاثة قرون وهم ...فلون على كلمة الجهاد، والله شاب مسلم خريج أمريكا وداعية -المهم داعية- أتناقش وإياه قال لي: أنتم تريدون أن تقاتلوا ...سارى، تريدون أن تستعملوا السلاح ضد أمريكا، ضد النصارى؟ قال لي: انتهى هذا الكلام ! قلت:

(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين ...حق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) (التوبة: ٢٩)

قال لي: يا أخي بماذا تفكر؟ والمهم كلمة "قاتلوا" لأنه ما فيها تأويل "قاتلوا" لأن القتال لا يكون إلا بالسلاح.

والحمد لله!! نحن وصلنا الحضيض، أطبق الظلام على الأمة الإسلامية إلى درجة أن يخرج أكبر حاكم لأكبر دولة عربية ويركع ... الكنيست أمام اليهود ويطلب التوقيع على بيع فلسطين لليهود، هذا يعني درجة من الذل ما بلغتها الأمة الإسلامية أبداً، أن الواحد ...هب إلى أعداء الإنسانية والإسلام والمسلمين المغتصبين لأرضهم ولمقدساتهم ولقبلتهم يقول لهم: نريد أن نوقع معكم صلحاً على أن ...قوا في فلسطين. فالله عز وجل وهو الذي نزل هذا الدين يريد أن يعيد الثقة للمسلمين بهذا الدين ويريد أن يعيد عقيدة التوكل على الله ...ة أخرى في قلوب الأمة المسلمة فساق هذا الجهاد، والله عز وجل اختار سبحانه أعظم قوة في الأرض روسيا من ناحية القوة البرية ...وى من أمريكا، يعني أمريكا متفوقة في الجو، افرضها مثل أمريكا، افرضها بعد أمريكا، ثاني قوة في الأرض مع أفقر شعب، ومع ...عب أمي نسبة الأمية فيه أكثر من ٩٠٪، ومع شعب لا يملك تكتيكا، لا صناعة، لا سلاحاً ولا شيئا، والشعب ما خاض المعركة ضد ...روسيا فقط، بل خاضها ضد دولته التي تحكمه، وضد روسيا من بعدها، وضد حلف وارسو والاتحاد السوفياتي وأربع عشرة دولة ...شتركة مع روسيا، اليمنيون الجنوبيون اشتركوا بعدد قليل أو كثير اشتركوا، الفلسطينيون قد يكون هناك عدد قليل جداً ولو عشرة أو ...خمسة اشتركوا، جماعة جورج حبش ونايف حواتمة على اللاسلكي مرة يتكلم أحد إخواننا دخل عليه على الخط واحد عربي وصار يرد ...ـه يتكلم معه بالعربية..

فأقول: الله عز وجل ضرب لنا مثلاً شعب فقير، أعزل، خاوي البطن، خالي الجيب، حافي القدمين، وأين؟ أمام دولة وأمام ثاني قوة في الأرض وبدأ المعركة، وبدأ المعركة بماذا؟ بالعصي والحجارة. قال لنا الإخوة الأفغان كنا لا نجد سلاحاً نحرس فيه مخيماتنا، كنا نحرسها بالعصي، وبدأوها، والذي بدأ المعركة بدأها بثلاثين شاباً.

بعد الزيارة الأولى لبنجشير *

فيا من رضيتم بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا ورسولاً.

إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

- (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض، فينظر كيف تعملون) (الأعراف: ١٢٨-١٢٩)

وقال عزّ من قائل:

(وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون)

(الأعراف: ١٣٧)

- مصداق هذه الآية الكريمة، تفسيرها العملي، معناها الواقعي، تراه الآن مجسداً فوق أرض أفغانستان (**استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين**)

---

* رقم الشريط: ٢٠٥

لقد ظن الروس وهم يدخلون أفغانستان، وظن عملاؤهم من المنافقين الذين كفروا بعد إيمانهم من الشيوعيين الأفغان أن الشعب الأفغاني المسلم يمكن أن ينسلخ من عقيدته، ويخرج من دينه، ويلبس لباساً جديداً هو: لباس الشيوعية التي تدهورت في أوروبا، وتحطمت في عقر دارها، فباءوا بالفشل وعادوا بالخسران.

سنة ثمان وسبعين في السابع و العشرين من إبريل سنة ‹١٩٧٨› قام تراقي بانقلابه، وبدأ بتطبيق البرامج الشيوعية على هذا الشعب، وإذا بهذا الشعب ينتفض انتفاضة الليث، ويقف منافحاً عن دينه، ويدفع الغالي والرخيص من أجل أن يحافظ على هذه المبادئ التي تنزلت من فوق السبع الطباق، لقد كانوا كما قال ضياءالحق ذات مرّة، كنت في ندوة، وتكلم فيها ضياءالحق، فقال للسفير الروسي: إنكم قد غزوتم الفضاء وجاوزتم الجوزاء، ولكن يبدو أنكم جهلاء بالتاريخ، ولو كنتم تعرفون التاريخ ما غلطتم هذه الغلطة، واصطدمتم بهذا الشعب المسلم، ألم تعلموا أن الشعب الأفغاني لن يذل رأسه لغاز، ولم يحن هامته لداخل إلى بلده، وما انتهت أية غزوة لهذا الشعب إلا أن تتحطم على صخرة بطولته، وفعلاً لقد كان الروس غافلين.

معركة رخي وأعنابة:

يحدثني أحمد شاه مسعود يقول: في سنة ‹١٩٨٢› بعد أن حط الروس في مركز بنجشير في [رخي وأعنابة] وضعوا فرقه كامله، ووضعوا على رؤوس الجبال مراكزهم، وعلى التلال الصغيرة مراكز أخرى، وفي السهل الذى فيه مدينة –السهل الضيق –مركز الفرقة وجنرالها، قال: فجاء المجاهدون وفكروا ماذا يمكن أن نصنع إزاء خمسة آلاف روسي، خمسة آلاف من الروس معهم الدبابات، والطائرات، والمدافع، وما إلى ذلك، ولكنهم بايعوا على الموت، صمموا أن يعيشوا بين فكي الموت.

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

قال: ومن بين المراكز الروسية تسلّل هؤلاء المجاهدون، والثلوج تكسو الجبال، ووضعوا مراكزهم بين القمة التي يعلوها الثلوج، وبين التلال التي يكسوها الروس، وبين الفرقة التي تحتل المدينة، ووضعوا دوشكة عليها بانا، وهاون عليه بابا، وهذان من أشهر قادة أحمد شاه مسعود، وهما مائلان إلى الأمية، ولعلّهما لا يستطيعان أن يخطا أسميهما، وبدأوا يطلقون كل ساعة طلقة، كل ساعة، وجمّدوا الفرقة بكاملها، من أين تأتينا هذه الطلقة؟ لا يتحرك متحرك إلا وتأتيه الطلقة لتنبهه، وليأخذ على نفسه عهداً أن لا ينتقل أثناء النهار بين مركز وآخر في داخل الفرقة التي تحميها الأساطيل البرية و الجوية، تطلق الطلقة، وتفتح النيران من كل مكان على الجبال تريد أن تطهرها، من أين خرجت هذه الطلقة؟! ومن الذي أطلقها؟! رجل خندقه مجموعة من الحجارة بحث عنها تحت الثلوج، ويعيش بين الثلوج، لا يأكل في الوجبة الواحدة إلا حبّة من البطاطا توزّع عليه يومياً بالعدد؛ ثلاث حبات، لكل وجبة حبة.

والذين يوصلون له هذا الطعام يلبسون الأحذية يستعيرونها من إخوانهم الذين يبقون حفاة في أسفل الجبل حتى يخوضوا ثلوج بهذه الأحذية، ثم يعودوا ويعيدوا أحذيتهم لأصحابها، وما رضي المجاهدون بهذا بعد أن جمدوا حركة الفرقة بكاملها، قالوا: لابد ن نقتحم الفرقة ذاتها، وأن ندخل على الجنرال خيمته في داخل المدينة، وكان لابد لهم والثلوج تكسو الجبال والنهر جار– لابد لهم – أن ترقوا النهر في الليل، ولابد أن يخوضوا في الثلوج، يقول القادة: والله عندما دخلنا الفرقة نقتحم على الروس خيامهم كانت أيدينا س الدبابات في الليل ونتكئ عليها، ودخلنا، وفي لحظة كالبرق الخاطف فتحنا رشاشاتنا على الفرقة، ثم انطلقنا راجعين إلى كزنا.

يقول أحمد شاه: طلبت ثلاثين لاقتحام الفرقة،فنظرت حولي فإذا بمائة من المجاهدين يريدون أن يدخلوا في الفرقة الإنتحارية، نا من قتلنا، ولم يستشهد منّا إلا شهيد واحد، وارتفعت معنويات المجاهدين، وقررّنا أن نقتحم المركز الآخر للفرقة في أعنابة، ودخلنا م، ولجرّنا مخزن الذخيرة في داخل الفرقة، وقتلنا منهم من قتلنا، ولم يجرح منّا مجاهد واحد.

[illegible]:

قال: عندما رأى الروس أنهم لايستطيعون حراكا حتى في داخل خنادقهم، في داخل فرقتهم، بين دباباتهم، وعندما رأوا أن المجاهدين قد اقتحموا عليهم مراكزهم في داخل خيامهم سقط في أيديهم، ورأوا أن لا نجاة لهم، وإذا برسالة تأتيني من الجنرال أن استشار قادته و سادته طبعاً – لكي يعقد معي هدنة لكي يوقف القتال عليهم فترة من الزمان، وعرضوا عليَّ أن التقي بهم ن وسط بين مركزي، ومراكزهم، فرفضت، قالوا: تضع رهائن ونضع رهائن، فرفضت، [illegible]

ن تعقدوا معـ هدنة [illegible]

يخططون لمواجهة أمريكا وحلف الأطلسي يخرون صاغرين أمام جند من جنود الإسلام، أمام مجموعة لم تتخرج من جامعة، ولم تحمل شهادات عليا، إنما صنعوا على عين الله عز وجل، ومن خلال أتون القتال الذي أنضج نفوسهم وأشرقت أرواحهم وسمت به كذلك نفوسهم.

قال: واجتمعنا، وبدأ رئيس الوفد الروسي يتكلم، وفي الليلة الثالثة انطلق على سجيته ينفس عما في داخل صدره من آلام، يقول: أنت لا تعلم الآلام التي نتكبدها، والغصص التي نتجرّعها، إن هذا الأحمق قد ألقانا – يعني "بريجينف" – قد ألقانا في هذه المحرقة القاتلة، ونحن الآن مقيدون في داخل أفغانستان، ونحاول أن نفك أرجلنا من هذه الحبائل، قال: فهممت أن أسجل ما يقول لي هذا الروسي، ولكن علوّ نفسي أبت عليّ أن أسجل عليه، لأني اعتبرتها من الخِسّة أن أخون مجلساً من المجالس، والمجالس بالأمانة، قال: وعقدنا الهدنة لستة أشهر على أن نوقف القتال في داخل بنجشير، فاستفتيت العلماء فأفتوني أن هذا يعتبر نصراً عظيماً أن روسيا بنفسها تأتي لتعقد مع جبهتك صلحاً، قال: ثم أرسلت رسالة إلى الأستاذ رباني في بيشاور أستفتيه في الأمر، وأجازني الأستاذ رباني، وعقدت معهم الهدنة على أن نوقف القتال في داخل بنجشير فقط، قلت لهم: أما جبهاتنا في خارج بنجشير فلا تجرى عليها المعاهدة، سالانج المعر الوحيد الذي يصل بين روسيا وكابل، بينه وبين بنجشير جبل واحد، فكان المجاهدون ينزلون إلى سالانج أثناء الهدنة ويضربون الروس، ثم يعودون إلى بنشير فلا تضربهم طائرات ولادبابات، لأن الهدنة جارية في بنجشير، لهم أن يضربوا خارج بنجشير، قال: ووجد الروس أنهم بهذه الهدنة قد خسروا.

ومات أندروبوف وجاء تشيرننكو، وجاءت هيئة جديدة لتعيد المعاهدة أو لتلغيها، وألقوا بالذين عقدوا معي هدنة – كلهم – في غياهب السجون، قالوا: أنتم عملاء تعاملتم مع هذا وفرضوا عليكم هذه المعاهدة، وأرسل لي الروس بنوداً جديدة وشروطاً قاسية قالوا: إنك قد خدعت الهيئة القديمة، هذه شروطنا، لابد أن نعرف أماكن السلاح وعدده وغير ذلك، ونريد أن نلتقي بك من أجل المعاهدة الجديدة، قلت لهم: لا أستطيع أن أراكم قبل أسبوعين، وألقيت أوامري لأهل بنجشير أن يجمعوا زروعهم في خلال أسبوعين لأني صممت على القتال، وبعدها توجهت إليهم مرتديا الزّيّ العسكري، وحاملاً الكلاكوف الذي غنمته منهم، ثم دخلت عليهم، و كنت من قبل ألقاهم بملابسي المدنية، وكتبت شروطاً قاسية لا يمكن أن يوقعوا عليها، أريد أن تنسحبوا، وأريد أن تعملوا كذا وتعملوا كذا، ثم شطبت على شروطهم التي أرسلوها لي وناولتهم الورقتين، فعندما رأوا الورقتين بدأوا ينفخون كالأفعى التي ابتلعت شيئا كبيرا، قالوا: أتسمح لنا أن نخرج خارج الغرفة نفكر، وخرجوا ووجوههم محمرّة، لا يعلمون ماذا يقولون، وبدأوا يدخنون لفائفهم، وبعدها رجعوا إلي وقالوا: هذه شروط قاسية لا نحتملها، قلت: هذه هي الشروط، إما أن توقعوا، وإما أن نبدأ القتال، قال: ووقعوا بعد أن أدركنا الهزيع الأخير من الليل وعادوا.

وفي اليوم التالي وإذا بي أتلقى رسالة منهم يقولون: لقد وقعنا تحت رهبة الكلاكوف، وهذه الشروط نحن لا نستطيع أن ننفذها، عاد إلي رئيسهم بسيارته، وجلست وإياه، ومكث ساعات برجوني، وقبل أن ينفضوا في النيل عندما رأوا الورقتين مسك أحدهم الورقة التي شطبت عليها ومسك شروطي، ولشدة غيظه رمى الورقة عليّ – ولكن بسوء أدب –، فمسكتها وجمعتها ثم ضربت بها وجهه وقلت: يجب أن يخرج هذا من المجلس، فبدأ الجنرالات يعتذرون: إنه تسرع ونحن نعتذر عنه، قال: لا يمكن أن يبقى بالمجلس، ياالله! جندي صغير من جنود محمد ﷺ يفرض على الجنرالات الروس أن يخرجوا من بينهم رجلا مفاوضاً لأنه لم يلق الورقة بأدب! وأصر ورفض أن تستمر المفاوضات إلا بعد أن يطرد هذا الجنرال أو هذا القائد خارج المجلس، وطرد هذا القائد خارج المجلس!.

وبدأ برجوني في اليوم الثاني – رئيسهم – أن أحذف له بعض البنود، وبعد نقاش طويل حذفت له جزءاً قليلا حتى يعودوا وقد غنوا شيئا من الأشياء، ما كنت أنا أظن أن روسيا أو هذه الهيئة يمكن أن توافق على هذه الشروط، ورأت روسيا أنها قد أهينت، قائد في جبهة من الجبهات يفرض علينا ما يريد! ويملي علينا ما يشاء! ونوقع وهو يحمل سلاحه! فأرسل إلي جنرال روسي، قال لي: نحن نعلمك كيف الحرب، فأرسلت إليه: إن معيَ ربي، وأنا الذي سأعلمك كيف الحرب، وبدأت روسيا تستعد لمعركة كاسحة تمسح فيها من الوجود أربعة آلاف مجاهد قد أقضوا مضاجعها، وتحول كل واحد منهم إلى غول رهيب وشبح رعيب يطاردهم في حلمهم وترحالهم، وفي يقظتهم ومنامهم، وكان لابد أن يأتي وكيل وزارة الدفاع الروسي بنفسه ليشرف على الخطة التي يمسح بها هؤلاء، وجاء زخروف ومعه مارشال وجنرالان لكي يخططوا الخطة التي تضرب بها هذه الجبهة، جبهة في وادي، واد لم تعبد طرقه حتى الآن، نصفه لا تدخله السيارات، قسم من أهله لم يروا السيارات حتى الآن، لم يروا السيارات إلا بعد هجرتهم يوم أن أمرهم بكلمة واحدة أن يهاجروا حتى لا يمسهم أذى الدبابات والأساطيل الجوية، يوم أن هاجروا بنصيحة قائدهم، وقبلها بعضهم لم يروا السيارات حتى الآن، حتى ذلك الوقت.

وبدأت تعد، وكان لابد أن تكون الضربة ساحقة، والهجمة ماحقة، وكان له عيون في داخل الدولة، له عيون من الروس أنفسهم، وله

عيون من الخاد أنفسهم، وله عيون كذلك من الجيش أنفسهم، وجاءت التقارير أن الروس قد قرروا قتلك، وقرروا أن يضربوك ضربة ساحقة. قال: واجتمعت بمجلس الشورى، ماذا نصنع إزاء هذا الشعب الذي يعاني بجانبنا ما يعاني بسبب إصرارنا على استمرار المعركة؟ لابد أن يخرج حتى يسلم بدمه وأطفاله، ونصحتهم نصيحة أن يغادروا، ولأول مرّة في التاريخ الحديث شعب بكامله عداده مائة وخمسون ألفا يهجرون مساكنهم وبساتينهم وأراضيهم وكل شيء لمجرد نصيحة بكلمة واحدة من قائدهم، كل الوادي، وكان الوقت شتاء، والثلوج تكسو المنطقة بكاملها، وأين يذهبون؟! وكيف يمكن أن يخترقوا هذه الثلوج؟! وبدأوا يرحلون، ماذا يحملون من أطعمة؟! ماذا يمكن أن ينقلوا من أمتعة و هذه الثلوج التي لا تدع سائرا إلا عرقلته ولا حيوانا إلا أزلقت رجليه؟! وشعب بنجشير معروف عنه أنه من أكثر شعب أفغانستان ثقافة، وقسم منهم من التجار الأغنياء، تركوا المتاع والفراش وهاجروا، وعندما علم أهل السيارات من مزار، ومن هرات، ومن بلخمري، ومن بغلان، أقبلوا ينقلون هذا الشعب إكراما لهذا القائد الذي يقودهم ولم يأخذوا منه شيئا واحدا ولا ثمناً ولا أجرة، وأفردت بعض الغرف في داخل كابل من أجل استقبال هؤلاء المهاجرين الجدد الذين خرجوا بدينهم..

(الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) (الحشر: ٨)

وجمعهم نجيب وكان رئيسا للمخابرات آنذاك وقال: إن سبب بلائكم، ودماركم هو هذا الرجل ذو الرأس القاسي الصلب، الذي حاولنا أن نعقد معه صلحا وأبى إلا أن يفرض شروطه، فوقف رجل عجوز قد بلغ من العمر عتيا، قال: هل الطيارات التي تضربنا له أم لكم؟ فحاول نجيب أن يرد، قال له: أنتم الذين تضربوننا وهو الذي يحمينا – بإذن الله –، وهو أمرنا بالهجرة، فإذا أمرنا بالعودة عدنا،

الهجوم التاسع:

وبدأت روسيا تعد للمعركة، معركة (١٩٨٤) التي يسميها الروس الهجوم التاسع، لأن بنجشير قد تعرضت لعشر هجومات كاسحة ماحقة، كان هذا الهجوم التاسع، وجاء التقرير أن روسيا قد قررت الاغتيال، وقررت ضرب الجبهة ضربة لا تقوم بعدها، قال: ومسكت أربع محاولات بيدي لاغتيالي، فتشوا سجلاتي عندما كنت طالبا، وتعرفوا على جار من جيراننا كان يدرس معي، وقالوا: أنت بإمكانك أن تقوم بهذه المهمة وتحقن دماء شعب بنجشير بكامله، فإذا قتل هذا وقفت الحرب وحقنت الدماء وحفظنا الأرواح.

..... كاميران كان من أصدقائه، قال له: إن الروس والشيوعيين قد كلفوني بقتلك، ورجع وأمسكوا به وألقوه في غياهب السجون، لأنهم عرفوا أنه قد خدعهم، وذات يوم يمر الدكتور بهاء على كاميران وهو في أعماق السجن، قال له: ما الذي جاء بك؟ قال: لقد ألقوني في السجن لأنهم اتهموني أني لم أنفذ مخططهم في اغتيال أحمد شاه، قال: وأخذني بهاء بيدي ودعاني إلى منزله،

ومازال يفتل لي بين الحبل والغارب ويقنعني أن هذه الشخصية دمار على أهل بنجشير، ودمار علينا، ودمار على المنطقة، ولابد من إراحة الناس منه، قال: حتى اقتنعت، قال: وعندنا سُمٌ إذا وضعته في طعام له يموت بعد أربع ساعات وتكون قد رجعت إلى كابل، وهذا مسدس طلقته كبيرة وحجمه صغير لا يسمع له صوت ولا ركز، بإمكانك أن تقتله به وتخرج من القاعدة دون أن يسمع أحد إطلاق الرصاص، قال: واقتنعت، وحملت السم والمسدس وعدت إلى بيتي، ولكن عقدة الشعور بالذنب من الداخل تؤنبني وتوخزني، وما استطعت أن أخفي هذا السر عن زوجتي، وفاتحتها بما يجول في صدري وبما اقتنعت به، وإذا بها تنتفض غاضبة، تقول له: أتقتل هذا الأسد البطل الذي حمى الله به أعراض الناس ودماءهم؟! والله لن تقبل على هذا، ولن أطمئن لك حتى أخذ السم والمسدس، وأخذتها وألقتها في داخل الخزانة وأغلقت عليها ووضعت المفتاح في جيبها، وفي اليوم التالي ذهب إلى أحمد شاه و فتح حقيبته التي فيها بعض الحلويات، وناول أحمد شاه وأكل منها، وإذا بكاميران يضحك، قال ما بالك؟ قال لو فعلنا لجازت الخطة ونجحت، قال: ما الأمر؟ قال: حملت سما ومسدسا، ولكن هي التي أقنعتني أن لا أنفذ الخطة، ولكن زوجتي الآن ماذا يمكنني أن أقول للدكتور بهاء ولنجيب الذين ينتظرونني في كابل؟ قال: تعال معي، وخذ معك صورة وأرهم هذه الصورة الجديدة أني قد وصلت إلى أعماق قلبه، ودفنت المسدس والسم في مكان كذا، وسأنفذه في يوم كذا، وأخرج الصورة لبهاء، وفرح بهاء أنه خلال أسبوع سيرتاح من عدو كبير في المنطقة، وسيرتاح من شر مستطير طالما أقضّ مضاجعهم وأرّق أجفانهم.

وفي الليلة الموعودة التي يكون غدها السفر اجتمع كارمل ونجيب وبهاء مع هذا الرجل على حفل ساهر، وودعوه في داخل بيت ببلهداعل جادأ، لأنهم يعلمون أنه في اليوم التالي سيودي بحياة هذا الرجل البطل، قال لهم: وهو يودّعهم لابد لنا أن نأخذ له بعض

الهدايا في سيارة كالأحذية والجاكيتات وما إلى ذلك، قالوا: لك ما تريد، أعطوه الأحذية والجاكيتات، وحملها في داخل سيارته في اليوم التالي، وذهب وسلّمها لأحمد شاه وقال: لن أستطيع أن أرجع بعد اليوم إلى كابل.

وبدأت الأيام تقترب من هجوم (١٩٨٤)، وجاءت الخطة من المخابرات، من عيونه التي في داخل المخابرات الروسية نفسها، أن روسيا قرّرت في الأيام الثلاثة الأولى أن تضرب بنجشير في كل يوم ستمائة غارة، وأن تدخل واحدا وخمسين ألف جندي: عشرة آلاف من الكوماندوز الذين تلقيهم الطائرات فوق رءوس الجبال، وثمانية عشر ألفا فرقتان في الدبابات، ويرافقون الدبابات كذلك، وسينثرون الألغام في رءوس الجبال وفي مداخل الطرق حتى لايسمح لأيّ مجاهد أن ينجو بحياته حيا، قال: واجتمعنا، وكان لابد لنا أن نواجه هذا الهجوم، أن نواجهه بمجموعنا، وقد يقتل معظمنا ويباد، أو إبقاء بعض سرايا صغيرة تضرب ضربات موجعة لهذا الجيش الزاحف ونحن ننجو بمعظم المجاهدين من خارج بنجشير، قال: واستقرّ رأينا أن نخرج بمعظمنا من داخل بنجشير، ونبقي بعض الفئات الصغيرة التي قد عاهدت أن تموت، لأنه موت في النظر البشري لا محالة قادم، وكيف يخرج أربعة آلاف من بنجشير؟! من أين لهم الطعام؟! كيف يوزعون؟! من الذي يستقبلهم؟! كيف يمكن أن يخرجوا من بين كتائب الروس؟! كيف يمكن أن يحملوا أسلحتهم؟! كيف يمكن لهم أن يخترقوا هذه الثلوج؟! وقد أحيطت بنجشير من جهاتها الاربع بالأعداء من كل مكان، وليس لنا إلا مخرج واحد هو طريق خاواك الذي يوصل إلى أندرآب، ووقفت في أحد المساجد، وجمعت الناس لأعمي على الناس وعلى الروس، وقلت لهم: لقد قررنا مقاتلة الروس في داخل بنجشير، وسنضربهم في أندرآب وفي جلبهار وفي سالانج وفي كوهستان وفي مزار شريف، حتى أجعل غطاء تحت هذه الضجة الإعلامية لكي ينسحب تحته المجاهدون، وانسحب هؤلاء في الثلوج في أواخر شهر مارس (١٩٨٤)، وقررنا نسف أكبر جسرين يوصلان إلى كابل.

ويحدث عن شجاعة هؤلاء الشباب.

— *أسد دم الأسد الهزبر خضابه* *موت فريص الموت منه ترعد*

قال: لقد ذهب الشباب الذين نسفوا الجسور وقاسوها – والدبابات الروسية تمر فوق الجسر والحرس عليه من الجانبين – قاسوها وقدر العبوة الناسفة، ووضعوها، ولم تطمئن نفوسهم، لابد أن يرتقي أحدهم فوق الجسر حتى يرى هل وضعت العبوة جيدا أم لا، وفي أثناء هذه الفترة المتأزمة الخانقة العصيبة يمزح أحدهم مع الآخر وقد تسلق فوق الجسر، فوق سلّم حملوه ووضعوه على الجسر، فمزح معه وأخذ السلّم وترك أخاه فوق الجسر، وبدأ أخاه يصرخ ويصيح: إتق الله فينا، تمزح والدبابات الروسية ذاهبة آيبة ! والحرس على الطرفين من كل جانب!! ونسف الجسران، وخرج هؤلاء، ولم نترك باباً من الأبواب ولا ساحة من الساحات إلا وملأناها من الألغام والشراك الخداعية، خاصة الأبواب التي كنا نظن أنها ستطرق، ووضعنا تحت بعض الألغام الفردية ألغاماً ضد الدبابات حتى لا تبقى قطعة على قطعة – للروسي – إذا انفجرت به، و لازالت يد الروسي التي اقتحمت بيت أحمدشاه في جندلك، لازال كفه مع قطعة الأخمص (الكلكوف) لازالت حتى الآن في داخل البيت.

بداية المعركة :

يدخل الروس بخيلهم ورجلهم وأساطيلهم البرية والجوية يظنون أنهم سينهون هؤلاء من الوجود، وعندما دخلوا وزخروف أو وكيل وزارة الدفاع الروسية الذي يخطط ضد أمريكا وضد حلف الأطلسي جاء ليخطط للمعركة نفسها، والجنرالان و المارشال في غرفة العمليات ينتظرون النتائج الأولى لدخول الجيش الروسي الذي يكوّن (٢٨) ألفا و (٢٣) ألفا من الشيوعيين الأفغان، فكان عداد الداخلين (٥١) ألفا، ووصلت النتائج الأولية، ولهول الصدمة وهو يقرأ الأخبار أن المتفجرات قد مزّقت كثيرا من أجساد الروس ودمرت كثيرا من باباتهم، لم يشعر، سقط القلم من يده، قالوا: ما الخبر؟ قال: لقد هزمنا، لقد خدعنا المجاهدون، لقد دخلنا بنجشير فلم نجد إلا الألغام...

– وفي تلك الليلة كانت هنالك حفلة للسفراء في كابل للدبلوماسيين، وإذا بأحد الدبلوماسيين ينكت على السفير الروسي، يقول له: لماذا أسحرتم المجاهدين في بنجشير؟ فلم يستطع له جواباً، وخرج السفير الروسي من الحفل غاضبا، وتركها غير مأسوف على فراقها.

أقول أيها الإخوة: ودخل الروس، يحدثني بعضهم ــ شاب صغير إسمه قوماندان معلم من قرية أحمدشاه مسعود ــ يحدثني قال: ما كنت أعلم أين أذهب! إذ أنني كنت في المجموعات التي تركت في بنجشير لكي تستقبل الدبابات بروحها، عشرون يوما وأنا في رؤوس الجبال، الطائرات تضربنا، الكوماندوز يلاحقنا، ليس عندنا طعام، ليس عندنا مأوى، أين نذهب؟ أين نروح؟ أين نجد ملجأ؟ دخلت الدبابات وبعض الكمائن لها في هذا الجو الرهيب الرعيب.

وعبد الغني رئيس مجموعة من المجموعات.. ودخل الروس عليه في دري هزاره، وتركهم يدخلون حتى دخلوا كلهم في داخل طوق المجاهدين الذين يعدون على الأصابع، و عندما دخلوا اقتحم عليهم برشاشاته المفتوحة، وقتل وجرح خلال فترة بسيطة (٣٨٠) روسيا، وغنم ثلاثين كلكوفاً وخمسين من الكلاشينكوف، ولشدة حرصه أخرج الورقة من جيبه وأخذ يأخذ أرقام الكلكوفات التي منّ الله بها عليهم غنيمة، واستشهد أثناء المعركة، ثم جاء قائد آخر واستشهد أثناء المعركة، ولم يستشهد في المعركة إلا هذان.

الروس يحتفلون ذات يوم في بنجشير، وليس فيها إلا هذه المجموعات، وخافوا وقالوا: نخشى أن يهجم علينا المجاهدون، قالوا: لقد رحلوا من بنجشير نهائيا، وليس بينهم وبين المجاهدين إلا النهر، هم في رحمان خيل، والمجاهدون بعددهم البسيط (ستون) في داخل قرية إسمها (والة)، وتركوهم يقيمون احتفالهم، وبدأت الخمرة تلعب برؤوسهم، وإذا بالإنس الجني أو بالجن الإنسي يقتحم عليهم فاتحا رشاشاته، وقتلوا من قتلوا، ولهول المصيبة ولشدة الفزع وإذا بجنرال من الروس يلقى نفسه في الماء فيغرق، خمسة أشهر وتصف وهؤلاء الصابرون يعيشون هذا العيش، تخرج الطائرات يوميا من روسيا، من بجرام، من كيلكي، من كابل، وتتوجه إلى بنجشير، ويستمر الضرب من الصباح إلى المساء، حتى أن أهل بروان وكابيسا عندما كانت تمر عليها طائرات الروس القادمة من روسيا يكون حزنا وجزعا على إخوانهم في بنجشير، حيث تتساقط هذه القذائف فوق رؤوسهم..

(وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا) (الأعراف: ١٣٧)

(وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها) (الأعراف: ١٣٧)

وبمجرد أن أمر غورباتشوف بانسحاب الروس كان أول من انسحبوا من بنجشير، لأنهم يخافون على أرواحهم.

قلت لسارنوال محمود (قائد بنجشير من قبل أحمد شاه) قلت له: لماذا خرجت روسيا بدون قتال من بنجشير؟ قال: ومن قال لك خرجت دون قتال؟! لقد اقتحمنا الفرقة، وغنمنا منها -مركز الفرقة في الأشهر الأخيرة - وغنمنا منها ألفاً قطعة منها كلاشينكوف وكلاكوف، ألف ومائتان، وسبعون هاون، وثلاثون زيكويك، ولم ننشر هذا لأنا قلنا إن الناس لا يصدقوننا -وهو رجل فاضل نظنه صالحا، ولا نظن أنه يبالغ، ومشهود له بالورع والتقوى وبالإخلاص كما يحسبونه ولا يزكون على الله أحدا - قال: اقتحمنا مركز الفرقة، وغنمنا منها هذه الغنائم، واقتحمنا تنبرة، وبعد ذلك وجد الروس أنهم لا مناص لهم إلا أن يهربوا، و أما الشيوعيون فما انسحب الروس من مكان إلا ودخل الشيوعيون المحليون مكانهم إلا من بنجشير، فلم يجرؤ الشيوعيون الأفغان أن يدخلوا بنجشير ليحلوا محل الروس، لأنهم رأوا بأم أعينهم كم دفعوا من الضحايا، وكم تكبدوا من خسائر، وكم جرى لهم من هزائم **[وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها]**.

والآن: وبهذا الصبر وبهذا الصدق - كما نحسب - وبهذا الاستمرار عشر سنوات في المعركة، تدخل الشمال من أوله إلى آخره، ومن كابل إلى جيحون إذا أطلقت كلمة الأمير لا تنصرف إلا إلى أحمد شاه مسعود.

كنا نمر على القرى فلا نسأل عن أحمد شاه، نقول هل مر الأمير؟ فيقولون نعم الأمير مر، دون أن يذكر اسم أحمد شاه، الوادي طوله مائة كيلو متر، الشمال بجبهاته العريضة كلها من الجمعية دانت لهذا الشاب، لأنها وجدت أنه لابد من احترامه، اقتناعا منها أنها لا يمكنها أن تفعل كما فعل، وأن تحدث في عالم الأرض بإذن الله وفضله ما أحدث، ولذلك لا ينافسه أحد في الميدان من كابل حتى نهر جيحون اقتناعا ورغبة وهيبة، لا يدخل مجلساً إلا ويقوم الجميع، ومع هذا كله تجد التواضع الجم، فكنت أنا الذي -والله جنديا من جنود قادته - كنت إذا دخلت المجلس قام لي - يقوم الناس له جميعا، لكن إذا دخلت أنا لأنه يعتبرني عالما كان يقوم لي مع أني كنت جالسا معه، فأخرج على الباب لأبصق أو أمخط أو غير ذلك وأرجع إلى المجلس فيقف حتى أجلس ثم يجلس بعدي.

قلنا له: ... أنا أحدثه عن المساعدات الغربية التي نسمعها تنهال عليه، وعن الأسلحة الأمريكية التي تنصب عليه، قال: ماذا

يقولون؟ قلت: يقولون: إن فرنسا تمدك، قال: والله هذه الضجة الإعلامية التي تسمعها، والله ما وصلني من الفرنسيين إلا (٢٥٠) الف ...ية باكستانية، وكانوا قد أخذوا مني – جاءوا صحفيون إلى الوادي – وأخذوا مني رسالة ليوجهوها للشعب الفرنسي ليجمعوا عليها تبرعات، وجمعوا تبرعات وأكلوها ولم يرسلوا لي إلا (٢٥٠) ألف روبية خلال العشر سنوات، هذه الضجة الإعلامية التي تسمعها!

قلت له: والأسلحة الأمريكية التي تنهال عليك؟! قال خذ مثالا: كم رأيت من ستنجر في الجبهات التي تحاذي الحدود؟ قلت له: الكثير، قال: والله لم يصل إلى جبهاتي حتى الآن سوى سبعة! من صواريخ ستنجر من الحكومة الباكستانية، سبعة! فعجبت وما كدت أصدق، قال لي: وأنا أرى ذلك بأم عيني، أراهم وقد خرج الوادي عن بكرة أبيه،عشرات الألوف يستقبلون الأستاذ رباني وأنا معه، ولا يتقدم علينا أحمد شاه، يقدم رباني ثم يقدمني، وهو وراءنا، وسبعة آلاف من المسلحين بزيهم العسكري، بالتحية العسكرية ينتظرون حتى يحيّيهم قائد الجمعية، وكذلك الشعب من الطرف الثاني، حتى عندما دخلنا [فرخار] أظن أن طول صف الشعب الذي ينتظرنا أقل من كيلو متر واحد، وكلهم أو كثير منهم يردّدون:

جهاد ما إسلامـــــي رهبر ما رباتـــــــي [1]

فأشار إليّ عبد الله أنس قال لي: إنهم يستقبلون رباني بهذا الاستقبال لأنه عالم، فأنّى لكوردوفيز ولأمريكا أن تنتزع هذه الصبغة الدينية وهذه الفطرة التي فطر الله عليها الشعب الأفغاني من أعماقه؟! يريدون أن يحلوا قضية أفغانستان على أوراق في جنيف! مجانين هؤلاء! قلت له: إنهم مجانين فعلا، لا يمكن للشعب الأفغاني أن تحل قضيته في المحافل الدولية، لا يمكن أن تحل قضيته لا حلا دينيا يرتضيه، ولن يرتضي بعد هؤلاء القادة – الذين رآهم بين فكي الموت عشر سنوات متواصلة – بديلاً أبداً.

والكلام طويل، وإن كنت أنسى فلا أنسىَ ذلكَ الرجل (آرينبور) المتواضع الذي فتح كشم (مركزا من المراكز) ويظنه الظان أنه خادم من الخدم يجلس في طرف المجلس، ومكثت معه شهراً كاملاً أمشي وأتمنى أن يتكلم أمامي، أقول له: يا آرينبور تكلم، فيرد علي ...: ما كان لي أن أتكلم أمام عالم مثل عبدالله عزام، هؤلاء القادة الذين يصنعون التاريخ من جديد، ويعيدون دين الله في حياة الناس جديرون أن نقف بجانبهم، والأمر قريب، والنصر بإذن الله بدت بشائره، ولعله لا تمضي سنة على الأكثر بإذن الله كما أظن ومن خلال ما رأيت من تساقط المدن الواحدة تلو الأخرى، ما أظن كابل ستستمر أكثر من سنة على أكثر حد والله أعلم {ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز}.

أقول قولي هذا واستغفروا الله لي ولكم ويا فوز المستغفرين، إستغفروا الله.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

قلت لأحد قادة الشمال اسمه سيدجمال آغا وليد –حول طالقان–، قلت له: ما أعظم معجزة رأيتها في الجهاد؟ قال: أعظم معجزة رأيتها فتح طالقان بشهيد واحد، فتح مدينة طالقان بشهيد واحد، ثم عقب قائلا: إني اعتبر أن الفاتح الحقيقي لطالقان هو أبو إبراهيم العراقي، لقد بقي أبو إبراهيم عدة أشهر وهو يطبع الرسائل والملصقات وأوزعها على الجيش، وكان طابعه بسام –وهو الآن عندنا في المكتب– يمضي اسم بسام على الرسائل التي يطبعها، فكان الجيش يسألون: هل ظهرت منظمة جديدة اسمها بسام؟ فيقول لهم: هذا هو الطابع الذي يطبع الرسائل، وكان الضباط يأتون الوفد تلو الآخر، حتى الوفود النسائية التي تشتغل مع الشيوعيين، كانت تأتي في أعماق الليالي لتبايع هذا الرجل على أننا نريد أن نخلص من الشيوعيين ونريد أن نسلّمكم المدينة، ولذلك لم يأت اليوم الموعود حتى تحرك القادة كلهم من الأحزاب جميعاً– وهذا يثبت أن الأحزاب يمكن أن تعمل متعاونة منسقة فيما بينها في أيّ وقت– واجتمعت حول طالقان، وأرسل سيد مرزا لأخيه سيدجمال: أنني حول طالقان وأريد الأسلحة، قال: وجهزت الأسلحة، وبعد أن جهزتها اتصلت به باللا سلكي، قلت له: لقد جهزت الأسلحة لإرسالها إليك، في أي موقع أنت؟ قال: أتكلم معك من داخل المدينة وقد فتحناها.

فالحمد لله مدن الشمال تسقط تباعا، ومدن الجنوب تسقط تباعا والنصر قريب وآت بإذن الله.

---

[1] نشيد بالفارسية معناه: جهادنا إسلامي قائدنا رباني

غرباء في عالم السياسة(*)

يا أيها الإخوة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

لماذا هذه الحملة المسعورة على الجهاد الأفغاني؟ لماذا هذه السهام المصوبة نحو قلب هذا الجهاد؟ ماذا وراء حرق القادة في داخل أفغانستان؟ ماذا وراء إثارة الفتن أمام المجاهدين؟ أنظروا الآن ماذا فعل الغرب! كان ظنهم أن هذا الجهاد سيستنزف طاقات روسيا الاقتصادية والعسكرية، يمرغ كرامتها بالتراب، يثخن الدب الروسي بالجراح، يوقف الدب الروسي عن الوصول إلى المياه الدافئة والخليج، ما كانوا يظنون أن الجهاد الأفغاني سينتصر هذه الانتصارات، وسيحقق هذه النتائج في الأرض، الحقيقة أن الغرب ذهلوا، فعلاً ذهلوا بالنتائج.

هذه الطاقة الأفغانية، الشعوب الغربية عندما تراها تقف احتراماً لها، الآن هنالك موضة في الغرب في أوروبا يلبسون الطاقية هذه مثل مسعود، تقليداً لمسعود في الغرب ! إعجاباً به، الآن روسيا نفسها تتراجع عن الشيوعية، الولايات الإسلامية وجدت متنفساً، حتى سمحوا لإذاعة تاجكستان أن تذيع القرآن ! أن تؤذن باللغة العربية، سمحوا لرابطة العالم الإسلامي أن ترسل مليون مصحف توزع في روسيا ! بينما المصحف عقوبته في الاتحاد السوفياتي أربع سنوات، الناس الذين دخلوا أفغانستان في البداية من ذراري المسلمين يسألون كم مجلداً المصحف؟ لم يروا المصحف في حياتهم ! المجاهدون دخلوا بخارى ، تاشقند، سمرقند.

امرأة رأت في بستانها أناساً غرباء في منطقة بخارى، فسألتهم من أنتم؟ عرفت أنهم مجاهدون، قالوا لها: تريدين شيئاً؟ قالت: في المرة القادمة تأتون لي بمصحف، ففعلاً في السرية الأخرى التي دخلت لاقتهم المرأة وأعطوها المصحف، فخلعت حليها ورمتها عليهم، فأبوا أن يأخذوها، فألقتها وولت وعادت إلى بيتها !!!

الجهاد الأفغاني غير عقلية غورباتشوف نفسه أو نفسه - توكيد للمجرور -، كارلوتشي يقول لوزراء دفاع الأطلسي: (لقد غير الجهاد الأفغاني غورباتشوف وسياسته تجاه العالم كله)، وكيل وزارة الدفاع الأمريكي (أرمكوست) يأتي ليسلم على رباني - كان جالساً في الأمم المتحدة -فوقف رباني ليسلم عليه، قال يا سيدي:- وكيل وزارة الخارجية الأمريكية الذي يدير الدنيا بإصبعه - يا سيدي لا تقم! أنت يقام لك ولا تقوم للناس، وكيل وزارة الخارجية الأمريكية يقول لرباني: يا سيدي لا تقم، عندما التقى الوفد في الطائف وفد المجاهدين مع الوفد الروسي اشترط المجاهدون أن يدخل الوفد الروسي أمامهم حتى يقوم عندما يدخل الوفد الأفغاني، من كان يحلم أن روسيا تتنازل من عظمائها ومن عليائها ومن عظمتها وتتكلم مع دولة من العالم الثالث؟! نعم.

نوعيات جديدة في عالم السياسة:

والرئيس الأمريكي يسعى بنفسه أن يلتقي بقادة الأفغان، وبعضهم يرفض وبعضهم يقبل ليعرض عليه الإسلام، يونس خالص قبل، حكمتيار ثماني ساعات والسفير الباكستاني يحاول إقناعه أن يلتقي بريجان ورفض، فقال له السفير الباكستاني أنت مجنون ! ستون ملكاً ورئيساً على قائمة ريجان وهو يرفض مقابلتهم وأنت ترفض مقابلته؟! قال نعم، السفير الأمريكي يطلب مقابلة سياف يرفض مرة اثنتين، بالتالي أعطاه موعداً بعد شهر !! بعد شهر نعم !!

هذه -الحقيقة- النماذج التي أظهرها الجهاد الأفغاني أذهلت الدنيا كلها، أرمكوست طلب مقابلة القادة السبعة، سياف عادة لا يقابله، لا يقابل الأمريكان ولا الغربيين، أحياناً الصحفيون الغربيون إذا طلبوا مقابلته يقول: بشرط أن تسلم قبل أن تأتي !! فالمهم قال له - للجنرال الباكستاني - قال له: أنا أقابله مع السبعة بشرط واحد : أن أفعل ما أريد، قال له: ماذا تريد أن تفعل؟ قال:بشرط أن أضربه (كم بكس)[1] !! فالجنرال الباكستاني جن جنونه، قال له: أنت مجنون؟! هذا وكيل الخارجية الأمريكية، كاتب صغير في السفارة الأمريكية إذا مس الدنيا تقوم ولا تقعد، قال له: إذاً ترجم ما أقول لك، قال طيب، جلسوا، ارماكوست مقابل سياف، والشيخ سياف لحيته ما شاء الله !

قال له: أنتم أخبث أمة في الأرض، هذه أول كلمة !! هذا الجنرال الباكستاني أصبح يتلفت حوله كيف يترجم، دهنها بالزيت

---

* رقم الشريط: ٢٧٦

دهنها بهذا ما بلعها، ما استطاع أن يترجمها.. قال لهم: أنتم قتلة - الأمريكان - سفاكو دماء، أعداء للمسلمين، أنتم تكرهون الإسلام والمسلمين، هذا الجنرال الباكستاني صار يصفر ويحمر ويربد. فقال له لا تترجم أنا سأتكلم معه بالإنجليزي، نعم، وبدأ يرمي بقذائف الجراني، الهاون، هذا أرمكوست أول مرة يقابل بني آدم مثل هذا !!! نعم متعجبين من البشر، صار يفكر وحش هذا أم بني آدم، لا يدري أنني وكيل الخارجية الأمريكية؟! أنهى سياف كلامه، جاء حكمتيار صواريخ أرض أرض !!! ثم بعده يونس خالص، يونس خالص قذائف.. وخالص قبل أن يدخل على ريجان معه ورقة بجيبة - هو لا يفهم الإنجليزي - معه ورقة بجيبه يعرض عليه الإسلام، يجب أن تعتنق الإسلام ! فبدل أن ريجان يملي عليه بعض الأشياء هو صار يدافع عن نفسه يقول له أنا مؤمن مثلك بالله، أنا مؤمن بالله، وبدأ يدافع عن نفسه ! أمام يونس خالص ! أسلم تسلم ! فهي نوعيات جديدة في عالم السياسة.

جاءوا لهم برئيس تركيا كنعان أفرين، على أساس أن يطوعهم بعض الشيء، فهم قالوا: الآن نتغدى به قبل أن يتعشى بنا، قال لهم كيف حالكم؟ - القادة السبعة - يونس خالص قال له: الحمد لله نحن بخير، مصدرنا الكتاب والسنة وليس الكتاب الأخضر !! مصدرنا من التشريع: ما عندنا كتاب أخضر، عندنا كتاب وسنة، هذه أول ضربة ضربها، ثانياً: لا نسمح أن تعتلي المرأة لتحكمنا -هذه اثنتين أن تعتلي المرأة الحكم-.

ثالثاً: البنات اللواتي يدرسن عندنا لا نأمرهن بخلع الخمار عن رؤوسهن ((هو يعني تركيا)).

ذاك بدأ يدافع عن نفسه، نحن لا نسمح لأحد أن يتدخل فينا وما إلى ذلك.. هو جاء يتدخل فيهم الآن هم تدخلوا به !! الحقيقة نماذج جديدة فعلاً على عالم السياسة.

لا بد من تشويه الجهاد:

فالأمريكان قالوا: هؤلاء إذا كانوا هم بحاجتنا ويفعلون بنا هذه الأفاعيل، فكيف غداً إذا وصلوا إلى الحكم؟ ماذا سيفعلون بنا؟ ومن هنا فالدنيا كلها تواصت أن تحاربهم، الأمريكان، الروس، الصين، إيران.. كلها الآن ملتقية عليهم، أجمعت أمرها أن تأخذ بخناق هذا الجهاد، لا بد من تشويهه حتى لا تبقى صورته مشرقة في أذهان الناس، بدأوا يصورون أن الجهاد الأفغاني عميل لأمريكا، وأنه يعيش تحت رحمة المخابرات الأمريكية ! يقف ريجان على التلفزيون أو C.I.A يسألونه كم تقدمون لأفغانستان؟ فيقولون: ستمائة مليون دولار سنوياً (**والله يشهد إنهم لكاذبون**)، قالوا: نحن أعطينا ستنجر للجهاد الأفغاني، واستنجر السعودية تدفع ثمن كل صاروخ سبعين ألف دولار، والأمريكان يتبجحون أننا نحن الذين نقدم هذا !

ضياء الحق والجهاد الأفغاني:

كان ضياء الحق قد أتعبهم، مكث ثماني سنوات وهو يضحك على الأمريكان، فوجدوا فعلاً.. ظنوه أنه بأيديهم متى شاءوا فعلوا ما يريدون وأمروا بما يشاؤون.. وجدوا أخيراً أن الرجل خارج من قبضتهم، قالوا له: وقع معاهدة جنيف، امتنع، ضغطوا عليه، ضغط عليه العالم الإسلامي، قالوا للعالم الإسلامي: نحن نريد معاهدة جنيف من أجل أن ننهي لكم الحرب العراقية الإيرانية، ومن أجل أن نحل المشكلة الفلسطينية، وتحل قضية أفغانستان، وكلها في المعاهدة، فاضغطوا على ضياء الحق، عقدوا مؤتمراً إسلامياً في عمان، أرسلوا الملك حسين حتى يقنعه أن يوقع المعاهدة، ومكث ثلاث ساعات وهو يتكلم معه عن ضرورة توقيع المعاهدة، قال له: أنت جئت في آخر الزمان، الآن جئتني تقول: وقع معاهدة جنيف؟! تفكر الآن القتال في أفغانستان مثل القتال في فلسطين أو في لبنان؟! الآن المجاهدون منتصرون بالأرقام والإحصائيات، روسيا مخنوقة مضطرة للهزيمة، مضطرة للانسحاب، فنحن لماذا نضيع القضية؟ الأرقام عندنا تقول حتى بداية عام ٨٧ أنه سقط ألفان وثمانون طائرة، ودمر سبعة عشر ألف دبابة، وأحرق واحد وعشرون ألف سيارة، وقتل مائة ألف من الجيش الأفغاني، وأسر مائة ألف، والروس اعترفوا بخمسين ألف من القتلى والجرحى، مضطرة للانسحاب لا محالة، قال له: ها، قال له: ما، تظنون أن المسألة كل شهر يعملون عملية المجاهدون الأفغان؟ حرب عالمية هذه.

وأخيراً ضغط عليه، ضغطت الدنيا كلها، ووقع ضياء الحق معاهدة جنيف، ولكنه وقع وفي نفسه أن لا ينفذ شيئاً منها، وفرضت أمريكا عليه رئيس وزرائه جونيجو، وقالت لجونيجو: إذا استطعت أنت ووزير خارجيتك أن تنفذوا معاهدة جنيف نعطيكم جائزة نوبل للسلام، قطعة ذهب مكتوب عليها جائزة نوبل للسلام، فأخذ جونيجو وذرع الأرض شرقاً وغرباً طمعاً في قطعة الذهب هذه ليضيع أفغانستان ودماءها وأعراضها مقابل قطعة الذهب !! أخيراً وجد أن ضياء الحق لا يريد تنفيذ المعاهدة، قال له: سأتقدم بك تقريراً للأمم المتحدة ولأمريكا ولروسيا والصين أنك لا تريد تنفيذ المعاهدة، فكر ضياء الحق قال: لا طريق إلا أن أطيح بالحكومة المدنية، جمع الوزراء

وجمع مجلس الشورى -وكان جونيجو في الصين- قال لهم: لقد قررت أن أحل الحكومة المدنية وأعيد البلد إلى حكومة عسكرية، ثم قال في نفس الخطاب: سأقف بجانب الجهاد الأفغاني حتى أودع آخر مجاهد أفغاني عند بوابة خيبر معززاً مكرماً منتصراً.

ثانياً: سأطبق الشريعة وإن كلفني ذلك نفسي وأهلي وعرشي.

وزير الداخلية اسمه أسلم ختك مسكه على جنب قال له: يا ضياء سيقتلك الأمريكان، فقال له: إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض، والرصاصة المكتوب عليها ضياء الحق لن تخطئه أبداً.

قال لي أحد مستشاريه - في الأيام الأخيرة، في الأشهر الأخيرة - قال لي ضياء الحق: إن الأمريكان قد وقعوا أوراق قتلي، والقضية قضية زمن، جمع قادة الجهاد وقال لهم: الدور الآن مطلوب تصفيتي وإياكم جسدياً، ولا ندري من السابق إلى الله، فهو كان حريصاً في آخر عمره أن يصطحب السفير الأمريكي حيثما ذهب وأينما سار، حتى إذا فكروا بقتله يقتلوا معه سفيرهم، حيثما ذهب يقول له: تفضل معي، حتى آخر نصف ساعة في حياته في مطار (بهاولبور) قبل أن تقلع الطائرة بقليل قبل أن سقطت «ربع ساعة السفير الأمريكي اعتذر وقال له: أريد أن أرجع؟ قال له: لا، تعال حتى نموت نحن وإياك -نموت نحن وإياك ما قالها - قال له: لا، يجب أن تصعد معي إلى الطائرة، بعد عشر دقائق سقطت الطائرة، قتل ضياء الحق بيد الأمريكان، والمادة التي استعملتها C.I.A تصوروا سقطت الطائرة الآن كانت بعثة أمريكية مباشرة وصلت من أمريكا لتحقق في القضية وتلفها وشفنها ! أعلنت البعثة الأمريكية، اللجنة الأمريكية أن سبب سقوط الطائرة عامل خارجي، بينما اللجنة الباكستانية التي حققت قالت ! إن سبب سقوط الطائرة خراب متعمد في جهاز الطائرة، المادة التي استعملتها الكيماوية لجهاز الطائرة لا تصنع إلا في الدول الكبرى، قتل ضياء الحق لأنهم كانوا خائفين جداً أن يصل الجهاد الأفغاني إلى الحكم وضياءالحق حي، وعندها تتحد باكستان مع أفغانستان، فأفغانستان سكانها قنبلة ذرية، وباكستان فيها قنبلة ذرية، وعندها لا يمكن أن تقاوم هذه القوة، قتل ضياء الحق لأسباب ثلاثة:

السبب الأول: وقفته المشرفة مع الجهاد الأفغاني.

السبب الثاني: أنه كان يمنع الأمريكان أن يدخلوا المفاعل النووي ابداً، حرمهم، لأنه يعرف أن دخول الأمريكان يعني تصوير المفاعل واعطائه للمخابرات الإسرائيلية الموساد لتأتي لتنصفها.

والشيء الثالث: أن الأمريكان كانوا يريدون أن يسحبوا الهند للمعسكر الغربي، والهند تشترط أن تكون شرطي المنطقة، فكان ضياء يرفض ذلك، كانوا يقولون له: أن يخضع للهند -لسياستها- كان يرفض، وكان -رحمه الله- معتزاً بالإسلام، متوكلاً على الله.

وأنا الحقيقة شهدت له جلسات كثيرة، كان عندما يتكلم تشعر أن الرجل لا يتكلم عن ورق، كأنه داعية فوق منبر، ينسى أنه رئيس جمهورية، وينسى أن التلفزيون يبث على العالم، يتكلم كرجل مسلم داعية يوجب عليه خالقه أن يطبق هذا الدين وأن يدعو له، وصدقوا أحياناً أن كلامه ما يستطيع كبار الدعاة أن يتكلموه فوق المنبر.

تشويه الجهاد الأفغاني:

مضى ضياء الحق في الوقت الذي كان الجهاد الأفغاني قد تجاوز عنق الزجاجة، وجاوز المرحلة الخطيرة، وبدأ الضيق عليه، كانت الذخائر والأطعمه وما إلى ذلك هكذا تتصبب تصبباً على المجاهدين، منذ أن مضى إلى الله وقفت هذه، بدأت التضييقات على الجهاد، المساومات عليه، بدأت إيران تتدخل في داخل أفغانستان، بدأ الشيعة يتحركون، أقيمت المؤتمرات الكبرى في ايران، أخرجت أحزاب جهادية إيرانية في إيران، وبدأت المساومات على مقاعد مجلس الشورى، مقاعد الوزارة، الشيعة طالبوا بربع المقاعد في مجلس الوزراء، ومجلس الشورى الآن، وهم حوالي مائة مقعد، مجلس الشورى الواسعة، رفض المجاهدون، الضغوط تزداد عليهم، تشويه الإعلامي.

تحرك الشيوعية، التحرك العنصري، تحريك رجال المخابرات، تشترى بعض النفوس من القادة، تبث الفتن، تنشر مخابراتها لنشر الأراجيف ضد الجهاد، صارت ترسل رجالاتها ليستسلموا للمجاهدين، ثم بعد ستة أشهر يقتلون القادة الذين يضيقون على الدولة أو يقاتلونها، ثم يتقدم واحد من الناس الذين سكتوا عن الدولة يستلم المنطقة، أعلن الغرب أنها حرب أهلية، العرب بدأوا يفكرون كيف يفرقونهم، أثاروا فتنة الوهابية لأنهم يعلمون أن القضية حساسة لدى شعب الأفغان، وأن العرب قدموا لإرواء نزواتهم وشهواتهم من نسائك.

ثانياً لهدم المذهب الحنفي.

ثالثاً: لنشر الوهابية.

- رابعاً: أرى هذه عزيزة جداً على الشعب الأفغاني الصحف العربية تنقل صدقوا يا إخوان الصحف الكويتية كالأنباء والسياسة والوطن متحمسة للشيوعية أكثر من نجيب، لأن نجيب أسلم رثاء الناس وخوفاً من المجاهدين صار يظهر على التلفزيون يصلي بدون وضوء.. نعم نعم.. أقاربه قالوا أنه يصلي بدون وضوء.. يصلي بدون وضوء، يقف على التلفاز... حكمتيار يقول لابد أن نقاتل حتى نقيم دين الله في الأرض، هو حكمتيار الذي يقيم أم ربنا يقيمها، هو حكمتيار الذي يحمي دينه أم ربنا الذي قال:

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون) (الحجر: ٩)

هذا من نجيب، وعندما يتكلم لا يقول حكمتيار، يقول انجنير صاحب، يعني المهندس المحترم، أما الصحف المنفوخة بالديزل في الكويت المتورمة بالبترول مثل الوطن والسياسة والأنباء والخليج كذلك هذه تتكلم من رأس أنفها، وتهاجم المجاهدين هجوماً والله لا يهاجمهم نجيب مثلهم، في مجلة السياسة الكويتية أقرأ سؤالاً من شاب أظن اسمه طارق يسأل أين أدفع التبرعات للمجاهدين الأفغان؟ -طب نبشرك يا أخ طارق أن المجاهدين ألقوا سلاحهم واستسلموا للدولة ولا حاجة لهم بتبرعاتك، كم فرحوا وهللوا وكبروا وطبلوا عندما دخلت الدولة سمرخيل -الشيوعيين -، وقد أعلنوا أنهم في طريقهم إلى طورخام - من أين؟ من الكويت، من محطة الكويت، إسمع محطة الكويت واسمع محطة كابل نفس الإذاعة تعيد نفس الأخبار عن الجهاد الأفغاني نعم [١] - الذي صار في الكويت عدد السكان اثنين وسبعين مليون، فلذلك حتى يستطيعوا أن يتابعوا عمل السفارة، وعلمت الكويت دول الخليج كلها كيف تتودد إلى روسيا، فأدخلت السفارات إلى قطر إلى البحرين إلى عمان إلى أبو ظبي، لم يبق في دول البترول إلا السعودية لم تدخلها سفارة روسيا.

فأقول الدولة تعمل أعمالها، توزع أموالاً ضخمة على الناس حتى يطالبوا بظاهرشاه، يطالبوا بإيقاف القتال، على الأقل أن لا تقاتلوا الدولة، يوقفوا قتال الدولة، لا تصرف عليهم أن يقفوا بجانبها، فقط أن تحيدهم، يعني أن لا يقاتلوها، مقابل ذلك قلة ذخيرة، قلة طعام، قلة لباس، لا خيام، الآن المجاهدون الذي يمنعهم من قصف كابل بشدة أنهم يخافون أن يخرج أهل كابل منها، أهل كابل مستعدون أن يخرجوا منها، لكن ليس عند المجاهدين خيام ولا طعام للمهاجرين الجدد، عندما شدد الحصار على قندهار خرج أهل قندهار إلى حكمتيار قالوا له هل هذا يجوز لكم أن نموت جوعاً؟ قال لهم اخرجوا، قالوا نحن مستعدون أن نخرج هل عندكم خيام وطعام لنا؟ واصرفوا لنا خيمة لكل عائلة منا وطعاماً فقط خبز ونحن نخرج، ليس عندهم.

تذهب إلى السعودية، إلى دول الخليج، بدل أن يسألوك عن الانتصارات يسألونك ماذا صار بين حكمتيار ورباني؟! المذابح توقفت؟ لماذا خرج حكمتيار من الحكومة؟ صحيح أن المجاهدين عندهم بدع وشركيات؟! هذا الذي يسألونه، إمام مسجد كنت نزلت في الرياض ضيفاً عند أحد الإخوة هناك أمامنا مسجد فصلينا هناك، صلينا الصبح، الإمام لحيته ما شاء الله إلى هنا، رجل طيب لكنه جاهل، يقول هذا الذي نزلت عنده قبل يومين قال لي هذا لواء متقاعد من الجيش وإمام مسجد ويعلمنا، قال قبل يومين مسك بلحيته هكذا وقال إن انتصر الجهاد الأفغاني فاحلقوا لحيتي، ويوزع - غفر الله له رهداه-، قال مسكته على جنب وقلت له هذه القضايا تتدخل فيها لماذا؟ أن تنصح بدل أن تذهب إليهم وتفيدهم من معلوماتك العسكرية تهاجمهم وتقول احلقوا لحيتي إن انتصر الجهاد الأفغاني، وتوزعوا أشياء كثير عن الجهاد ضد قادة الجهاد وضد بعض رموز الجهاد، قال يصور ويوزع حسبةً لله عز وجل يظن أن عمله خيراً، المهم عرفه بأن هذا الشيخ عبدالله عزام، أعطى درساً في العصر يقرأ من الكتاب، وفجأة يقول: يا إخوان: هناك مصائب في العالم الإسلامي، مصائب! ناس يحاربون التوحيد ! ناس عندهم شركيات! ناس عندهم كذا...- إياك أعني واسمعي يا جارة، هو يعنيني، يتكلم عن الجهاد الأفغاني، لكن أنا مقابله، فأنا سكت ومضيت.

هذه الصورة الآن في العالم الإسلامي عن الجهاد، الجهاد الذي تعتز به الدنيا كلها، الجهاد الذي خصص في كثير من الجامعات الأمريكية أكاديميات للبحث في هذه القضية، في الجهاد الأفغاني أين وصل ما هي نتائجه؟ الآن أكاديميات متخصصة كيف نحارب الجهاد الأفغاني؟ كيف نقضي على قادته؟ كيف نشوه رموزه؟ يرسمون حكمتيار ورباني أظن في الواشنطن بوست يسلمون على بعضهم قبل أشهر..

Today they are friends tomorrow they are enemys اليوم أصدقاء وغداً أعداء.

ولذلك عندما حصلت قضية مثل قضية فرخار كل الدنيا هاجت وماجت لتثبت أن الجهاد الأفغاني أصبح قتالاً قومياً بين المسلمين داخل أفغانستان، بعض الناس كفوا أيديهم عن البذل، وبعض الناس ملوا البقاء في أفغانستان، واليوم الخطباء في جدة قالوا لي:

---

(١) لقم الشريط حوالي دقيقة.

نحن مستحون أن نتكلم عن الجهاد الأفغاني، خجلون !! قلت لهم: سبحان الله ! أنتم خجلون أن تتكلموا عن قضية شرف الله بها الأرض كلها؟! ماذا فعلتم أنتم؟ ولو تعملون مائتي سنة هل تصلون إلى عشر ما وصله الأفغان؟ وكما قال محمد أسد - محمد أسد هو كان من كبار المستشرقين وأسلم وحسن إسلامه - يحدثني أحد الدبلوسيين العرب قال: قابلت محمد أسد فقال: إن العرب يعبثون بأقدس قضية في الأرض، إنهم يلعبون بقضية الجهاد الأفغاني، إن هذا الشعب فريد من نوعه في الأرض، ولو استفاد منه العرب لفتحوا به العالم كله، لا يوجد نظير للشعب الأفغاني أبداً، صلابته، إباؤه، حياؤه، غيرته، فطرته، حماسه، صبره، زهده، إلى آخره، هذه لا نظير لها في الأرض، هذه الصفات الآن تصبح تشويهاً لهذا الشعب ! نعم، ولذلك كلما أتكلم عن الجهاد أقول لهم:

أقلـــوا عليهم لا أباً لأبيكمـــــو — من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

(لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة) (النساء: ٩٥-٩٦).

والدرجات مائة درجة كما قال الرسول ﷺ ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض.

الله أعلم أن هذا التاجر الذي يتكلم عن المجاهدين الأفغان - الله أعلم - غداً يقبلونه على أبواب قصورهم في الجنة أم لا يقبلونه، الله أعلم، يستطيع أن يراهم أو لا يستطيع؟ ! **(إن أهل الجنة ليتراأون أهل الغرف كما يتراءى أهل الأرض النجوم في السماء)**.

ماذا يريد المسلمون في العالم الإسلامي؟

المسلمون في العالم الإسلامي ماذا يريدون؟ الحركات الإسلامية الآن في العالم ماذا تريد؟ الدعوات الإسلامية، التيارات الإسلامية، المدارس الاسلامية، ماذا تريد؟ كلها تقول نريد إقامة حكم الله في الأرض، وإقامة دين الله في الحياة، إقامة المجتمع الإسلامي، أي بقعة مرشحة لقيام مجتمع إسلامي أكثر من أفغانستان؟ أي شعب مرشح لنصرة هذا الدين أكثر من الشعب الأفغاني؟ أي قضية هيأ الله لها من الظروف أحسن من القضية الأفغانية؟ والله لو فقه الذين يعملون لهذا الدين لتركوا البلاد التي ولدوا فيها وجاءوا إلى أفغانستان ليقيموا دين الله في الأرض إن كانوا جادين حقاً، شعب يحمل السلاح، حدود مفتوحة، تسهيلات الله عز وجل يسرها، معسكرات تقيمها تدرب من تشاء، وتوجه كيف تشاء، وتعبد الله كما تشاء، وتتكلم كما تشاء، أين تجد في الأرض مكاناً مثل هذا المكان؟

والذين يظنون القضية الأفغانية أنها قضية غير إسلامية فليبحثوا لهم عن مكان في السماء، ليس في الأرض أفضل من هذه القضية وأنجح منها وأقرب لإقامة دين الله ولنصرة شرعه في الأرض، لن تجد قضية أقرب إلى الإسلام وأقرب إلى النصر من هذه القضية

(ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يتحدث الشاب يقول: أنا أريد أن أتدرب في أفغانستان وأرجع لأنصر الإسلام في بلدي، من أي بلد أنت؟ بلدك التي يمكن أن يقام فيها دين الله، وشعبك هو الشعب الذي يعبد الله أكثر، أما إذا كنت تعد البلد التي ولدت فيها هي بلدك ولو كانت عدن الشيوعية فأنت لا زلت تفكر تفكيراً جاهلياً، رواسب الجاهلية هي التي تشدك إلى المكان الذي فيه أبوك وأمك، وهل بلد الرسول ﷺ مكة أم المدينة المنورة؟ عندما تطلق كلمة مدينة الرسول ﷺ تطلق على من؟ على مكه أم المدينة المنورة؟ المدينة المنورة يعني مدينة الرسول ﷺ التي نصرت دينه، وأقام فيها شرعه والمجتمع الاسلامي، حتى بعد أن انتصر هذا الدين وأراد المهاجرين في حجة الوداع أن يرجعوا إلى مكة[1].

أقول: رواسب الجاهلية تقول لك ارجع إلى بلدك، أين بلدك؟ بلدك التي يمكن أن تقيم فيها دين الله، وأن تعبد الله كما يشاء، وكما يريد، بلدك كما قال الرسول ﷺ للمهاجرين: قالوا: نرجع إلى بيوتنا نزور أهلنا على الأقل، قال: لا يحل للحاج أن يبقى بعد نسكه أكثر من ثلاثة أيام، معكم زيارة ثلاثة أيام ثم تغادرون مكة..... ابن جحش هو قال: يا رسول الله أتنزل في دارك؟ قال هل ترك لنا من دار؟

---

(١) أحد الإخوة الجالسين عطس نشمته بعض الحاضرين لعلق الشيخ على هذا الموضوع فقال: تشميت العاطس فرض كفاية وفي داخل الدرس مختلف فيه ، داخل درس العلم مختلف في هل يشمت العاطس أو لا يشمت؛ فإذا أراد أن يشمت فقط الذي بجانبه حق على كل مسلم أن يشمته؟ قال النووي في شرحه. الواحد من الجماعة يكفي وهذا رأي جمهور العلماء لأنه فرض

خلاص ما لنا دور، الدور لمن أخذها، نحن دورنا في المدينة هناك، ولذلك عندما مرض سعد بن أبي وقاص في مكة خاف أن يموت في مكة، فزاره الرسول ﷺ فشكا له سعد قال: أخشى أن أموت في مكة، قال: لعل الله يطيل عمرك فينفع بك أقواماً -كانه ينظر إلى القادسية وإلى العراق وإلى- ولكن البائس سعد بن خولة كان قد مات في مكة، انتم تبحثون عن دار الإسلام، عن المجتمع الإسلامي؟ تريدون أن تقيموا دولة إسلامية؟ تريدون أن تحملوا السلاح؟ تريدون أن تتدربوا؟ كنتم في بلادكم تتمنون أن تروا السلاح رؤيا، من كان منكم في بلاده يعرف الزيكويك والدوشكة، الهفتادوينج والهاشتادودو[1] ؟ من كان يعرف هذا كلها؟ أين تجد في مسجد في العالم فيه هاون ودوشكة وزيكويك ومضاد للطائرات؟ لعل مسجدك الذي كنت فيه، الذي جئت منه!! ولذلك لن تجدوا بقعة في الأرض الآن أفضل من هذه البقعة، ومن رجع من أفغانستان الآن مهما كانت الظروف فهو فار من الزحف وارتكب موبقة التولي من الزحف، أما بعد أن ينصرنا الله عز وجل في أفغانستان، نقيم القاعدة الصلبة، الله عز وجل يفتح علينا فتوحاً كثيرةً بواسطة هذه الدولة التي ستقوم، سيسهل لنا الكثير من الأمور، ستصبح دار إسلام، مأوى للمستضعفين، مأوى للهاربين من بلادهم، تعطيهم جوازات، تزويهم، تتبنى مصالحهم، تتكلم باسمهم، فأين تذهبون؟ بعد أن ننتصر هنا في أفغانستان نبحث عن بقعة أخرى ننصر فيها هذا الدين، فحيثما فتح الله علينا وفلسطين إن شاء الله مرشحة لهذا، فإن استطعنا فنرجو الله عز وجل أن يفتح لنا بعد أفغانستان فلسطين أو أي مكان، نحن عبّاد ليس لنا أن نشترط على رب العباد، فرض علينا عبادة، عبادة القتال حيثما استطعنا أن نطبقها ونقيمها نقيمها، ولا يجوز تأخيرها، لأنه ليس في بلد مكان نقيمها فيه، مسجد لصلاة الجمعة موجود عندك في أفغانستان وليس في بلدك مسجد لا يجوز لك أن تعطل الجمعة حتى تبني مسجداً في بلدك، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وقوموا إلى طعامكم يرحمكم الله.

الجهاد المظلوم إعلامياً

- ... أول مرة في هذا العصر يقف شعب مسلمٌ أمام قوة عظمى ويقهرها، نعم وقف الشعب الجزائري أمام فرنسا، ووقف شعب فيتنام أمام أمريكا ودحرها، واضطرت فرنسا وأمريكا للخروج، لكن الفرق شاسع بين خروج روسيا مدمرة مقهورة ذليلة وبين خروج فرنسا وخروج أمريكا.

أولا: لأن الحكم في روسيا حكم استبدادي مطلق، حكم الفرد الديكتاتوري الذي ليس وراءه شعب يضغط عليه، أما فرنسا وأمريكا فهنالك شعوب لها برلمانات ومجالس كونجرس يضغط على رئيس الدولة، ويجبره أن يفعل ما يريده البرلمان، أما بالنسبة لروسيا فما من أحد يستطيع أن يتنفس إلا عند شهقة الموت، في منافي سيبيريا وأذربيجان يمكن أن يسمحوا له أن يشهق شهقة الموت، لأن فكي كماشة تضغط على الناس حتى لا يسمحوا للإنسان أن يحرك رجله وهو يلفظ أنفاسه كما يسمح للشاة عند الموت.

الفرق بين هزيمة فرنسا في الجزائر وروسيا في أفغانستان:

وهنالك فرق بين هزيمة فرنسا في الجزائر وبين هزيمة روسيا في داخل أفغانستان، فلقد كانت خسائر الدب الروسي كبيرة جداً بعد أن أثخن بالجراح، يعني سقط ودمر لروسيا في أفغانستان حوالي [٢٧٠٠] طائرة، مع استهلاك مثل هذا العدد -أثناء الاستعمال، بسبب الاستعمال- يعني خسرت روسيا حوالي [٥٤٠٠] طائرة في داخل أفغانستان، وهذا يساوي أضعاف ما تملكه إسرائيل في قواتها الجوية، وخسرت روسيا حوالي [١٩٠٠٠] دبابة ومدرعة، وحوالي [٢٥٠٠٠] سيارة، واعترفوا أنه قتل وجرح [٥٠٠٠٠] روسي، وقتل من الجيش الأفغاني [١٠٠ ألف] وأسر منه مائة ألف، وكانت روسيا تدفع كل طلعة شمس ٤٥ مليون دولار نفقات على قواتها وقوات الحكومة الشيوعية العميلة لها، هذه خسائر لم تعهدها الحرب العالمية الثانية في أي قطر من الأقطار، فالجهاد الذي كان يخوضه الشعب الأفغاني يمثل حرب عالمية ثالثة، إلا أن الفرق بين الحرب العالمية الثانية والثالثة أن الحرب العالمية الثانية كانت أدواتها وآلاتها وطائراتها ودباباتها غير متطورة ذات التطور الذي شهدته أفغانستان، من الآليات الروسية، ميج ٢٧، ميج ٢٩، سوخوي ٢٥، سوخوي ٢٢، هذه الطائرات لم تكن مخترعة في الحرب العالمية الثانية، الطائرات التي تسبق الصوت هذه ما كانت في الحرب العالمية الثانية بهذا الشكل.

---

[1] كلها أسماء أسلحة ثقيلة. • رقم الشريط: ٢٧٧

إذاً مزيمة روسيا وهي أكبر قوة مدرعة في الأرض، أكبر قوة برية في الأرض هي قوة روسيا، هي أقوى من أمريكا من ناحيه القوات البرية، بالإضافه إلى أن هزيمة أمريكا في فيتنام زيادة عن ضغط الشعب الأمريكي أن فيتنام كانت متبناة من الاتحاد السوفيتي الذي ألقى بخيله ورجله مع الشعب الفيتنامي، وتبنى المعركة تبنياً كاملاً، بينما في أفغانستان إنما يصل إليهم صدقات المحسنين وتبرعات المشفقين، أضف إلى هذا أن أمريكا قد خرجت من فيتنام بعد معاهدات وجلسات مع الشعب الفيتنامي، فخرجت بميثاق ومعاهدة، أما روسيا فقد خرجت من داخل أفغانستان دون أن تحصل على ورقة واحدة من الجهاد الأفغاني أنهم -قد اعترفوا- قد خرجوا بمعاهدة أو ميثاق، وقد استماتت روسيا للحصول على هذه الورقة حتى تحفظ بقية ماء وجهها أثناء انسحابها، ولكن المجاهدين رفضوا، قارن بين خروج روسيا وبين دولة المجاهدين التي قامت على أثر هذا الجهاد المشرف:

أغلى الممالك ما يبنى على الأسل[1] *والطعن عند محبيهن كالعسل*

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي *المجد للسيف ليس المجد للقلم*

الدول إذا كانت الدول تقوم على فئة من الضباط يجتمعون في ليلة من الليالي بعد سكرة أو جلسة أنسة يعصون الله عز وجل فيها أو لا يعصون، ويخرج البيان الأول، وتقوم دولة حديثة اسمها الجمهورية المصرية أو السورية أو الليبية أو السوادنية أو العراقية، كل هذه الجمهوريات قامت على ثلة من الضباط معظمهم -أحيانا- منبوذون شعبيا، مكروهون اجتماعيا، ممزقون خلقيا، من الطبقة السفلى من الناحية الأخلاقيه والقيم، ومع ذلك تقوم دولة تعترف بها كل دول العالم، ودولة المجاهدين قامت على جماجم مليون ونصف المليون شهيد، ويزيدها أكثر من ٩٥ ٪ من الشعب، ومع ذلك دول العالم لم تعترف بها، أي دولة تمثل شعبها أكثر من الجهاد الأفغاني؟! من؟! حافظ الأسد؟ أم صدام؟ أم العقيد؟ أم فلان؟ أم فلان؟

يعني هؤلاء لو يعملون استفتاء حراً كل واحد يدلي بصوته الذي يريد، كم يأخذون؟ كم صوتاً؟ ٩٩,٩٩٩٪، لو كان هنالك دولة غير إسلامية، دولة فقط ديمقراطيه غربية وهؤلاء اشتركوا بالانتخابات في دولة عندها شيء من القيم وحدثت انتخابات كم صوتاً يأخذ هؤلاء؟ هؤلاء لا يأخذون أصواتهم، لأنه في بعض الدول تشترط أن لا يكون المشترك في الانتخابات قد أصاب جرائم خلقية من قبل، فهم لا يحق لهم أن يترشحوا، لا يحق لهم الترشيح أبداً، أن يرشحوا أنفسهم ابتداءً لا يحق لهم.

المهم هزم الله روسيا، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصرعبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، والحقيقة هؤلاء القادة الذين خاضوا هذه المعارك، يعني الناس أو الشباب أو الجيل الذي قرأ عن نابليون وعن ديجول وعن تشرشل وعن إيزن هاور وكندي وغيرهم، هؤلاء يعني الحقيقة من الظلم أن نقارنهم بهؤلاء حربيا وقتاليا، ليس من ناحية الخلق، من ناحية الخلق والدين قطعاً بالنسبة لهؤلاء..

(أفنجعل المسلمين كالمجرمين، ما لكم كيف تحكمون) الكفار (ن: ٣٥-٣٦)

(إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) (الفرقان: ٤٤)

أما هؤلاء المسلمون يباهي الله بهم ملائكته، من الظلم أن نقارنهم حتى قتالا، إن أناسا في داخل أفغانستان خاضوا معارك وحققوا انتصارات أكثر من نابليون بونبرت، لأن الروس الذين هزموا نابليون في معركة واترلو نفسهم تقريبا هزموا في بنجشير أمام مسعود، نفس الروس، ولعل بعض القادة الذين اشتركوا في معركة واترلو اشتركوا في المعارك في داخل أفغانستان وهزموا أمام جند الله، يعني لو سألنا جلال الدين حقاني، أنا سألت واحداً مغموراً غير معروف اسمه انجنير ضياء من القادة في هرات قلت له: -رجل شاب طيب من أبناء الحركة الإسلامية الأوائل ومن أوائل القتال من سنة ٧٨ وهو مشترك بل قبل ذلك من ١٩٧٥- قلت له: كم معركة دخلت؟ قال: إحزر؟ فقلت له مائة؟ قال: أكثر، مائتين؟ قال أكثر، [٥٠٠]؟ قال أكثر، قال أنا أظن ما دخلت أقل من ألف معركة، نابليون ما دخل الف معركة، ونابليون كان تحت يديه دولة وجيش وأموال يتصرف بها كما يشاء، بينما هؤلاء لا يجدون خبزاً ولا حذاءً ولا كساءً ولا غير ذلك.

ولذلك لو أطلق على الشيخ جلال الدين حقاني الجنرال جلال الدين هو قليل في حقه، لأنه دخل فعلا مثل هذه المعارك، وإذا أطلقنا على أي قائد مشهور الآن في داخل أفغانستان جنرال فهو يستحق، لأن الجنرالات في العالم العربي كم معركة خاضوا؟ لا يوجد معارك خاضوها إلا ضد المظاهرات، ضد مظاهرات المسلمين والشعب، لكن هؤلاء خاضوا معارك تؤهلهم أن يكونوا فعلا جنرالات، وما

ـو الجنرال؟ لقد أصبح عندهم من العبقرية العسكرية ما يكفيهم أن يواجهوا بها روسيا، وتهزم روسيا أمامهم، كانت نعمة عظيمة، عظيمة، عظيمة، عظيمة للمسلمين الجهاد الأفغاني نعم هو تحمل التكاليف، الشعب الأفغاني يحمل التكاليف، تحملاً كبيراً، سحق حتاً، والحقيقة الجهاد في الجزائر لقي من الإعلام العربي ما يكفي لتغطيته، أما الآن ليس معك أحد، كان عبد الناصر في أواخر لجهاد متبنياً قضية الجهاد في الجزائر، كنا في الأردن نعمل الاحتفال تلو الاحتفال من أجل الجزائر، كثير من الناس سموا بناتهم لى بعض البنات اللواتي اشتركن في الجهاد في الجزائر مع أنهن لسن على المستوى الإسلامي المطلوب، كانت القصة تحصل في جزائر خلال يوم، يومين تنتشر في العالم العربي كله، لكن حمزة لا بواكي له، الجهاد الأفغاني لا بواكي له، لأنه ليس عربياً.

أنا من فلسطين، هناك بدأت الانتفاضة قبل سنتين، وكانت ظاهرة مباركة في الأرض المباركة، وظهور حماس كان نعمة من الله وجل، لكن لو كنا منصفين وقارنا بين الجهاد الأفغاني في أول سنة ١٩٧٨ في أيام تراقي، تراقي جاء في ٢٧ إبريل ١٩٧٨ الذي هو يم الحزب الشيوعي، حكم خمسة عشر شهراً، ومساعده ورئيس وزرائه حفيظ الله أمين قتله وحكم مكانه ثلاثة أشهر، ثمانية عشر هراً كم قتل من الشعب الأفغاني؟ قتل مائتي ألف، مائتا ألف من الشعب الأفغاني قتلوا في سنة ونصف، الآن مضى على الانتفاضة تان، وهي نعمة من الله عز وجل ساقها للشعب الفلسطيني، وفرح المسلمون في كل أنحاء الأرض بها، لكن كم قتل من الشعب سطيني في خلال السنتين؟ هل وصل القتلى إلى ألف؟ ما وصل، لكن لو قارنت يوميا في الصحف الكويتية والسعودية والأردنية صريه والسورية مع أنها تعادي الشعب الفلسطيني وتعادي الانتفاضة، لو قارنت ما يكتب عن الانتفاضة يوميا في هذه الصحف وما ب عن الجهاد الأفغاني هل هناك مقارنة؟ هناك الصفحات أحياناً عن الانتفاضة، بينما الجهاد الأفغاني لا تجد أحيانا سطرا واحدا

فالحقيقة الجهاد الأفغاني ظلم إعلاميا كثيراً كثيراً، ولو غطي الجهاد الأفغاني تغطية أي حدث في الدنيا لضاقت عنه الأسفار خمة، يوميا في داخل أفغانستان يقتل كما تظنون كم؟ كل دقيقة يقتل أربعة في داخل أفغانستان، يسقط في كل دقيقة أربعة اء أو أكثر، ومع ذلك لا تجد له ذكراً، يحطم يوميا من الدبابات العشرات، يسقط يوميا بمعدل طائرتين في داخل أفغانستان، لكن لا قلاما صادقة تنقلها، ولا أبواق مخلصة تذيعها.

يقولون لي أنت هولت الجهاد الأفغاني في أذهان الناس، مهما نقلت فإنني لا أنقل عشر الحقيقة، ولا ربع الحقائق، أنا ماذا ماذا كتبت؟ كم كتب عن الجهاد الأفغاني؟ كم كتاب بالعربية؟ عشرة كتب؟! الله أكبر !! والله من الظلم العظيم أن يكتب عن هذا أقل من ألف كتاب، لأن كل واحد يمكن أن تكتب عنه كتابا، كل واحد من المجاهدين عنده من القصص ما يغذي خيال الأدباء يكتبون مسرحيات حماسية طويلة عن قصة هذا الرجل، فالحقيقة أن الجهاد الأفغاني أعاد إلى أذهان العقلاء سيرة السلف ع من ناحية الاستبسال والصبر والزهد والتصميم والعزم لا نظير له في الأرض أبدا:

هاتف والصعاب تحدق فيـــه ... وهو في ساح الزمان فريـد

مسلم يا صعاب لن تقهريني ... صارمي قاطع وعزمي حديد

هكذا لسان كل أفغاني، والله يا إخوان صبت عليهم مآس تشيب النواصي، هذا لازم يكون كله شايب عندهم، شعب..

صبت عليّ مصائب لو أنها ... صبت على الأيام صرن لياليا

ـذا لسان حال الشعب الأفغاني، وكل واحد منهم لو ردد مع المتنبي:

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي ... شيئاً تتيمه عيـن ولا جيـــد

رماني الـدهر بالأرزاء حتـــى ... فؤادي فـي غشـاء مـن نبـــال

فصرت إذا أصابتنـي سهـــام ... تكسرت النصال على النصـــال

فهـان ومــا أبالـي بـالرزايـا ... لأني مـا انتفعت بأن أبـالـــي

رسلت أهلي لتخطب فتاة أفغانية لشاب عربي، الأخت الكبيرة متزوجة وهي تتقن العربية، فتاة مثقفة، وأختها كذلك تتقن العربية ة، فأهلي قالت للأخت الكبيرة نريد أختك لشاب عربي صفته كذا وكذا، قالت لها: أنت تعرفين عقلية الأفغان، لا يخرجون رج قبائلهم، هذا عيب عندهم، ثم هل تظنين أنه بقي عندنا نفس في الزواج أو في الدنيا، قالت: الصباح يأتي خبر قتل أبوك، بين دمر بيتكم، بعدها بفترة طمرت أمك تحت الركام، بعدها بفترة قتل زوجك، بعدها بفترة شوه ابنك، كيف نحن نلتذ بجنس أو ملذات الحياة الدنيا؟! قالت لها : والله يا أم محمد -هذه البنت تقول لها:- أنا تزوجت، والله ما تزوجت إلا ليكون معي محرم في لإياب، ولقد تزوجت زوجي وبقيت شهرين ما رأيت منه وما رأى مني، شعب طحن طحنا، حقيقة يعني قدم تكاليف باهظة، ومع هذا..

ورأس الشعب مـرتفـــع ... وموج البذل متصـــــل

فتلك جماجم الأطفـــال ... تسحق وهـــي تبتهـــل

ومنـــا من يقـول لهـــم ... عقيدتكـم بها خـلـــل

معـاذ الله هـذا الإفـــك ... ممـــا ليس يحتمـــل

فتلك ربوعهم بالدانـــق ... المـــوار تنتبـــل

وأعراض النساء بهـــا ... يعيث الملحد الثمـــل

صبروا كثيراً، ومع ذلك واقفون صامدون أمام الدنيا، ما كانوا يظنون أن هذا الجهاد سيتطور إلى هذا الأمر، وإلا لضغطت على الدول التي تساعد الجهاد مثل السعودية والباكستان، هاتان الدولتان الوحيدتان اللتان ساعدتا الجهاد الأفغاني من دون دول العالم الإسلامي.

الغرب ما كان يظن أن الجهاد الأفغاني سيهز العالم الإسلامي ويوقظه، وما كان الغرب يظن أن الأمة الإسلامية سيعود قلبها إلى النبض مرة أخرى بهذا الجهاد، وما كان يظن أن الجهاد في أفغانستان سيحرك الشعب في فلسطين، وما كان يظن أن العروق التي توقف الدم عن النبض فيها سيعود مرة أخرى للنبض، كان رجلاً عاديا ومن أنصار طه حسين، كان الرجل الوحيد الذي يتكلم عن الإسلام هو الرافعي، وكان عباس العقاد وسيد قطب وطه حسين وكل الكتّاب ضده، فإذا نسمح لسيد قطب أن يبرز كما برز طه حسين يبرز هذا، فيكتب في افتتاحية الرسالة، ويكتب في المجلدات، ويخرج صحفاً فلا بأس، إنسان جاهلي، يروح على المقهى يصلي صلاة ويقطع اثنتين، وهكذا، لا بأس، هذا لا خطر علينا منه، فعندما التزم بدينه حزنوا كثير، أنه أفلت من أيديهم، واحد أسلم في آخر عمره، أو التزم بالإسلام -حتى لا يأخذوها الذين يكفرون، أهل التكفير والهجرة يأخذونها نصاً من الشيخ عبد الله عزام أن سيد قطب كان كافراً، وأسلم-، لا، إلتزم بإسلامه متأخرا، لأن الآن يوجد موضة التكفير، موضة، موضة التكفير، والناس هؤلاء الذين يكفرون ولابسين واسكات يعني الصدريات، مثل هذه فيها جيوب كثيرة عباوها (كافر)، كافر وبطاقات، أي واحد يلاقون يناولون كلمة كافر، (كرت كافر)، نعم جاءني شاب قال لي فلان يريد أن يجمع دلائل لتكفير الشيخ عبد الحميد بن باديس، ولو، قلت له: عبد الحميد بن باديس الذي حرك العلماء وحرك الجهاد الجزائري، وصل له الدور، قال: مارأيك بهذا؟ فقلت والله خلصوا على الأحياء ما ظل إلا الأموات، كفروا كل الأحياء ما بقي إلا الأموات .

كرامات المجاهدين*

...لعلي حدثتكم عن قائد أسمه (محمد بانا) من قادة أحمد شاه مسعود، هذا أبو روضة يعرفه، ونور الدين يعرفه كذلك، هذا يسميه الروس جنرال، هذا مختص بتدمير الدبابات التي تمر من ممر سالنج، وقد دمرّ هو ومجموعته أكثر من خمسمائة دبابة وناقلة خلال هذه السنوات السبع!! هو يعرف أنه من قرأ في كل صباح (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء) لا يضره شيء، فكل يوم الصبح يقرأها ثلاثة مرات والمغرب ثلاث مرات، عجيب في شجاعته، يمشي على الشارع العام وهم يعرفونه، يسميه الروس جنرال، على الشارع العام (HIGH WAY) الذي يصل بين كابل وبين روسيا، يركب في السيارات العادية، وهنالك نقاط تفتيش على الطريق للروس والشيوعيين، أوقف الروس السيارة التي هو فيها، أطل أحد الروس رأى بانا، قال بانا: الروس الآخرون عندما سمعوا كلمة (بانا) سقطت الأسلحة من أيديهم!! هو دفع الجندي الروسي بيده وقفز -هذا الكلام حدثني إياه عبد الله أنس، وهو يعيش بينهم منذ أكثر من سنة حفظه الله- دفعه وقفز من السيارة، ثمانية رشاشات للروس تابعته إحترقت ملابسه ولم يجرح جرحاً واحداً!!.

أما أبو روضة فيحدثني حديثاً، هذا حصل أمامه، قال؟ الحديث حدثوه إياه بوجود محمد بانا، قال الشيوعيون حائرون ماذا يعملون ببانا، فارسلوا إليه أحد السحرة حتى يسحره وهو نائم -محمد بانا-، فجلس بجانبه وبدأ ينفث في العقد ويتمتم بالتعاويذ السحرية، رأى محمد بانا واحداً في المنام هاتف يقول له: بجانبك واحد يريد أن يسحرك قل (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء) هو لا يحفظ إلا هذا فكمل له الحديث (في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) في المنام، فقام من نومه يقول: (بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) ثلاث مرات فجُنّ الساحر.

مرة ثالثة أراد أن يتزوج -هذا الكلام من عبد الله أنس كذلك- أين يتزوج؟ قال تحدياً للروس سوف أستأجر بيتاً على بعد عشر إلى خمسة عشر متراً بجانب الشارع العام، علم الروس أن بانا سيتزوج في هذا المكان، ففي الليل تقدمت قوات وأحاطت بالبيت، لأن قتل بانا فيه نصر كبير لهم، -أكثر من خمسمائة ناقلة ودبابة دمر لهم- فإنهم أحاطوا به، هو كان مع ستة من المجاهدين يحمونه يبيتون معه في الغرفة الثانية، وهو وعروسه في غرفة، في الصباح استيقظ أحد المجاهدين نظر وإذا بالبيت محاطاً بقوات كثيرة، قرع الباب على محمد بانا، نعم، قال له؟ البيت محاط بقوات كثيرة (**بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**) ثلاث مرات، فقال لاثنين اخرجا وشقا لنا ثغرة، خرج الاثنان على الباب قتل الاثنان، اثنان آخران قتلا على الباب، اثنان آخران قتل الستة، بقي هو، حمل رشاشه (**بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**) بدأ يرش، ومن داخل جموع الروس شق ثغرة ونجا، حرقت ثيابه ولم يجرحه شيء، أظن قتلت زوجته لم ينج إلا هو!! فهذا من اعتقادهم بالأدعية.

الشيخ تميم: أيضاً من الأشياء التي حصلت معي في تلك الزيارة الأولى أني كنت من سمن جسمي كنت أتعب من المشي، لو أمشي عشر دقائق وأنا أحمل حزام الذخيرة والرشاش كنت أتعب، فكان معي بعض الإخوة الأفغان يجب أن يتعبوا، خصوصاً أنه طريق جبلي وصعود ونزول، يقولون لي: أجر -يعني يأخذ الرشاش ويطلب الأجر- فأنا كنت أفرح، فأقول خذ الرشاش عني وخذ الأجر جزاك الله خيراً، كنت أجد أنه يريحني، يوم العملية عندما صعدنا كان في رمضان طبعاً فبعد العشاء صلينا العشاء والتراويح ومشينا وما رجعنا إلا عند السحور، يعني يا دوب أكلنا لقمة، وإذا بأذان الفجر يعني العملية استغرقت طول الليل العملية التي قلت لكم عنها في ليلة الحادي والعشرين من رمضان، فكان وقت العملية حوالي ست ساعات ونصف في الذهاب والإياب وفي الاشتراك في العملية، لما كنت أمشي وأصعد الجبال وأنزل معهم طبعاً كنت أتوقع أني أتعب، لكن لأنها كانت عملية كان توفيقاً من الله عز وجل، فكنت والله والله والله يا جماعة أضع يدي على كتفي لأرى هل الرشاش موجود أم لا؟ أظنه وقع مني ما أشعر بشيء على كتفي، والله أمد يدي أين هو؟ هذا موجود، طيب لماذا لا أشعر بثقله؟ كنت عندما أمشي عشر دقائق أشعر بثقل، وهذا ليس من كراماتي بل من كرامات الجهاد، لأني أظن أنا لا أستحق الكرامات، لكن هذا ببركة الجهاد، والله كأن أحداً يحمل الرشاش عني، حامله على كتفي فلماذا لا أشعر بثقله؟ ذهبت ...جعت حتى أنهم استغربوا، أمشي معهم وأسرع معهم، لا أدري من أين جاءتني هذه السرعة، هذا كان بتوفيق من الله عز وجل.

قال لنا محمد حسن بعض الكرامات التي حصلت أمامهم، وكان معه بعض الإخوة الذين رأوها فحدثني بها، من هذه الكرامات أنه كان هناك أخ من المجاهدين من حفظة كتاب الله وكان رجلاً صالحاً، وقد أتى إلينا في هذه الولاية إلى الأرغون في هذه المنطقة في ولاية بكتيا وبكتيكا، ولأول مرة وكان لا يعرف الطريق وكان معه رسالة يبلغنا بها، في طريقه ضل الطريق جاء إلى قلعة أمام قلعة الأعداء قلعة الشيوعيين اسمه جل محمد، فهذا الرجل الذي جاء وصل أمام القلعة أوقفوه، قالوا له (دريش)[1] وقف الرجل وكان مكشوفاً أمام القلعة بحيث أنه لا يستطيع أن يهرب، المهم أسروه، وجاء قائد القلعة وكانت رتبته كبيرة ممكن عقيد روسي، وترجم له المترجم باللغة الأفغانية طبعاً، الضباط لا يعرفون إلا اللغة الروسية وقال له: إني أعدك بشرفي العسكري.. لأنه لا يعرف الله عز وجل لأنهم كفار، ولكن أمام هؤلاء كلهم أن أطلق سراحك إذا صدقتني القول، أسألك سؤالاً وتجيب عليه، قال له: اسأل فنحن لا نكذب، قال له: أنا أريد أن أسأل كيف -هذا بكلام محمد حسن ومسجل عندي بالشريط بالحرف- قال أريد أن أعرف كيف أنتم أيها المجاهدون تضربون رصاص الكلاشنكوف والبنادق العادية فيخترق الدبابة ويقتل من فيها، والدبابة لا تخرق عادة إلا بالـ (آر بي جي) كما تعرفون وكما تعلمتم هنا أن دبابة يخرقها الـ (آر بي جي)، كيف الرصاص العادي يخرق الدبابة الذي جدارها سميك -هذه طبعاً من الكرامات- ويقتل من فيها؟! لا نجد حتى خرقاً في الدبابة، الذي في داخل الدبابة مقتول ومجروح فكيف هذا؟ هذه من الكرامات، فالرجل عندما رأى العقيد الروسي خائف ويعرف أن الرسول ﷺ يقول (**الحرب خدعة**) ويجوز الكذب في الحرب كما تعرفون، الكذب يجوز في ثلاثة أماكن: في الحرب، في إصلاح ذات البين، وكذب الرجل على زوجته أو المرأة على زوجها من أجل أن تدوم العشرة المرأة تعرف زوجها عصبي وحالته لي يمكن أن يطلقها إذا وجدها لم تطبخ، جاء يوماً من الأيام عليها نائمة ما طبخت يعني سألها لماذا ما طبختي؟ تقول له: زوجة رئيس حقك أو زوجة المدير جاءت وزارتني، إن شاء الله أكرمتيها وأفرحتيها، تقول له: نعم يقول: خلص جزاك الله خيراً، انبسط الأخ، ...كت، ما دام الرئيس راضي عليه حلت مشكلة، لا تقول له نمت، لأنه لو قالت له نمت قد يطلقها الرجل يعني هناك أحياناً أو رجل زوجته ... أن يشتري لها مثلاً قماش غالي طبعاً ليس عنده مال ليشتري لها مثل زوجة الضابط وهو جندي بسيط فقال لها بدلاً من المتر ...ثين ريال قال لها هذا بثلاثمائة ريال أو أحضر لها فاتورة ووضع لها صفر فأصبحت ثلاثمائة طبعاً لو قال لها بثلاثمائة طبعاً تنبسط

[1] ...ريش: كلمة عسكرية بلغة البشتو والفارسي بمعنى قف.

ويكون الرجل مبسوط والكل في آخر حلاوة، لكن لو لم يكذب عليها قد تقع مشكلة، فهذا جائز، غير هذه الحالات لا يجوز، فالرجل قال الحرب خدعة أراد أن يخيف العقيد الروسي، فقال نحن الأفغان مجاهدون مسلمون متوكلون على الله ولا نحتاج حتى إلى الرصاص، يكفي أن نمسك كوماً من الرمل وهكذا ونلقي به على الدبابة فيحرق الدبابة ويقتل من فيها، فأراد أن يخيفه- يعني هو طبعاً هذا ليس صحيحاً لكن هو قال هذا- فهنا القائد الروسي العقيد، عقيد ضابط عنده ذكاء، هو الحقيقة ما عنده ذكاء لو كان عنده ذكاء كان أسلم عرف أن النجاة في الإسلام لكن بعلمه وقدرته العسكرية وضعه أمام الأمر الواقع، هؤلاء أناس ماديون لا يؤمنون بالغيبيات فقال له: إفعل هذا الآن أمامي هذا طابور من الدبابات في داخل القلعة، وهذه الدبابة الأولى شغلوها، شغلوا الدبابة فقال افعل هذا الأمر فإن فعلته تركتك وإن لم تفعله قتلتك، أصبح الآن أمام الأمر الواقع، فلمن يلجأ يا شباب؟ إلى الله رب العالمين يجب أن يكون في يقين قال ائتوني بماء..

(أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض) (النمل: ٦٢)

من يجيب المضطر؟ الله، يجب أن يكون عندنا يقين تدعو وأنت موقن بالدعاء، والله يا أخي تدعو وأنت على يقين ربنا ما يخيبك، والله هي خمس سنوات كل سنة أمر من نقاط التفتيش والله عمري ما نزلت ولا-عمري تفتشت ولا عمري مسكت، والآن الحمد لله أدعو دائماً بالدعاء الذي يدعو به محمد حسن..

(وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) (يس: ٧)

مع أنني شكلي ليس أفغاني وباين عليّ، لكن من فضل الله دائماً حتى المرة الماضية أنزل كل من في السيارة وسيارة أجرة هذه اسمها (الفلانكوش) أنزلوا الجميع للتفتيش يفتشونهم تعرفون وهو الواحد راجع من بيشاور يفتشونهم من أجل الحشيش والمخدرات والأشياء هذه، والله جميع من في السيارة أنزل إلا أنا، أنا فقط نظر إليّ هكذا فقال: بابا، خليك يا بابا، قلت بابا جدي المهم خليني، وما أنزلوني، ما أدري ماذا قال لي، وما رددت عليه، عملت حالي هكذا بابا بابا، جلست والحمد لله، أنزلوهم كلهم فتشوهم حتى أنا لم أفتش، الحمد لله ربك يسترها ويتوكل على الله ويتركها..

(قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) (التوبة: ٥١)

فالرجل عندما قال له هكذا قال أحضروا لي ماء، فأحضروا له ماء وتوضأ وصلى ركعتين وتركوه يصلي، قال: دعوت الله وأنا ساجد، والإنسان أقرب ما يكون إلى ربه وهو ساجد قال: {يا رب أنا لست أهلاً لهذه الكرامة، ولكنك أهل لها يا رب العالمين، يا ربي لا تفضحني فإنها ليست فضيحة لي، وإنما فضيحة للمسلمين} أصبح تحدي الآن، تحدي بين الإسلام وبين الشيوعيين، لمن يلجأ؟ إلى الله، فالرجل كما قال لي محمد حسن شعرت باطمئنان عجيب سلم الرجل وأمسك بكوم من الرمل وقال {بسم الله الله أكبر لا إله إلا الله محمد رسول الله} ونفخ عليها {بسم الله والله أكبر}، وألقى بكومة الرمل على الدبابة قال والله فإذا بالدبابة تشتعل ناراً، الدبابة بدل أن يخرقها أحرقها، فإذا بها تشتعل ناراً، فتنفجر الدبابة بكاملها أمام أعينهم كلهم فذهل العقيد الروسي وأمر بإبعاد الدبابات، وضرب له التحية وهو يرتجف، قال أحسن ما يرمي علينا كومة رمل أخرى من الخوف وتركه ينصرف آمناً وقص لهم هذه القصة قال لي محمد حسن ثلاثة موجودين هناك من الجنود واحد منهم ضابط واثنين جنود هربوا إلى القلعة ورأوا هذا بأم أعينهم، وهم موجودون كانوا في الأرغوان وكانوا ما زالوا في حالة الخدمة، لأنه عندما يأتون بأسير يجعلونه في الخدمة حتى يطمئنوا إلى إخلاصه، وسألهم وشهدوا بهذا الكلام، ورأوا هذا بأم أعينهم، كانت هذه كرامة لهذا الأخ.

وكرامة أخرى قال لي عنها الشيخ عبد الله في كتاب (آيات الرحمن) وعنوانها الشهيد يصافح أباه، قال لي محمد حسن وهو رآها بنفسه، قال لي أنا رأيت هذا بنفسي، قال والله كان معنا شهيد بقي في المعركة ثلاثة أيام كاملة، وكان ممن يحفظون كتاب الله هذا الشهيد كان وحيد والديه، والده ما عنده غيره، فجئنا به وسألنا الشيخ جلال الدين هل ندفنه؟ وكان ريح المسك يخرج منه بعد ثلاثة أيام، قال والله ريح المسك ريح طيبة تخرج منه فقال الشيخ جلال الدين ادفنوه ووالده بعيد يأخذ وقتاً حتى نحضره فادفنوه فدفناه وقال أرسلنا خبر لوالده باستشهاده، والده جاء بعد خمسة أيام من دفنه، كم بلغ عليه من الشهادة؟ ثمانية أيام ثمانية أيام كاملة بعد استشهاده والده أصر ويبكي وقال أريد أن أرى ولدي، يا أبونا يا جد ولدك شهيد، ونحن نشهد على هذا، وشممنا ريح منه، وأمور تظهر على الشهيد أصر على أن يرى ولده، وأنتم تعرفون الأفغان يقدرون هذه العواطف، فالشيخ جلال الدين قال أخرجوه والله محمد حسن يقول لي بالحرف، قال: والله يا شيخ تميم ونحن نحفر القبر نضع أيدينا على أنوفنا هكذا حتى لا يشموا ريحاً، نحن كنا نظن أنه تعفن

المسك تخرج منه وأخرجناه ووضعناه على السرير ليراه أبوه، وكان يعني ضعيف النظر، فقلنا له انظر ريح المسك يخرج منه، أيضاً ما اطمأن لهذا، دعا الله عز وجل وهو يبكي ثم خاطب ولده وقال: يا بني إن كنت شهيداً فأرني آية علامة أنك شهيد قال والله فإذا بالشهيد أمامنا يرفع يده ويصافح والده شهيد منذ ثمانية أيام (إن الله على كل شيء قدير)، رفع يده وصافح والده، قال بقي ربع ساعة وهو يصافح والده، والوالد يبكي فرحان لأن ابنه شهيد، وأسأل الله أن يجمعهم به في مستقر رحمته ثم قال يا بني اترك يدي فإن يدي تؤلمني فتركها ووضعها على الجرح أعادها مرة ثانية قال محمد حسن رأيت هذا بأم عيني يصافح والده بعد ثمانية أيام من استشهاده، آيات عجيبة، احضر أكبر دكتور وبرفيسور طبي وقل له كيف يحدث هذا؟ أحضره وقل له كيف جثة هذا الشهيد؟ مع أن الذي قتل بجانبه كافر هذا جسد بشري وهذا جسد بشري، حسب المفاهيم الطبية يتعفن الإنسان بعد ساعة تجد الواحد والعياذ بالله متعفن أزرق، وريح العفن يخرج منه بعد خمس ساعات من موته، والآخر ريح المسك يخرج منه ولا زال غضاً طرياً ودمه طري يخرج ويتدفق كيف هذا؟ أليس هذا جسد وهذا جسد؟ هذه كرامة من الله عز وجل.

الشهيد يحيى كلنا بالإجماع ليس واحد أو اثنين كل الشباب كنت أتمنى أن أراه، ولكن ما كنت موجوداً هنا، ولكن المئات رأوا الشهيد يحيى سنيور رحمه الله وريح المسك يخرج منه، بل بعد استشهاده بشهرين في نفس السيارة التي كان موجوداً فيها كان كتاب مع أبي الحسن المدني، الكتاب هذا أخذوه ووجدوا عليه دماً من أثر الشهيد وريح المسك يخرج منه بعد شهرين من استشهاده ما زال ريح المسك يخرج منه.

أخبرني أحد الأطباء في مستشفى بدر في بيشاور بعد أن نقل من المستشفى بيوم كامل.

الشيخ عبد الله عزام: ليس يوماً كاملاً بل أكثر من أسبوع.

الشيخ تميم: قال والله دخلت الغرفة بعد يوم من ذهابه وريح المسك يفوح من نفس الغرفة، أي نوع من العطر تضعه يجلس أسبوعا، يعني هذا ترتيب إلهي من عند رب العالمين، كرامة لهذا الشهيد، وكان يحيى رحمه الله أنا أعرفه رأيته ثلاث مرات يعني في ثلاث مرات رأيته في ثلاث مرات مختلفة، كان أول ما جاء كان أسمن مني، ومع الحركة نقص جسمه، وكان يحب خدمة المجاهدين بشكل عجيب ودائماً يسأل يا شيخ تميم تريد كذا ويأتي بالماء والشاي وكذا وأستريح، وكنت عندما أنام يأتي ويغطيني، وجزاه الله خيراً ورحمه الله وجعل الجنة مثواه، وكان خدوما، صحيح يا شيخ عبد الله كان يحب الخدمة بشكل عجيب.

الشيخ عبد الله عزام: وسعود البحري الذي هو سعد الرشود [1] ليس هنالك نص صحيح يدل على أن جسد الشهيد لا يتحلل، لكن بالأمور المحسوسة كثير منهم جسده لا يصيبه شيء، نعم كثير منهم، فليست هذه علامة أن هذا شهيد وهذا ليس شهيد، لا بل هذه كرامة يكرم الله بها بعض الشهداء، لأن الكرامة كما يقول ابن تيمية: {**إما لحجة في الدين أو لحاجة، إما لحجة لإقامة حجة في الدين، أو لحاجة كرزق أو نصر أو غير ذلك، أو لحجة في الدين حتى تطمئن القلوب أنه سائر على الطريق**}.

والكرامات تزيد كلما ضعف الإيمان حتى يثبت الله الناس بهذه الكرامات، ولذلك عندما سئل أحمد بن حنبل لماذا كانت كرامات التابعين أكثر من كرامات الصحابة؟ قال: لأن الصحابة أقوى إيماناً، ولذلك الأفغان طبعاً أضعف إيماناً من التابعين وتابعي التابعين، الله عز وجل أمام هذا الهول الذي تشيب له نواصي الولدان جعل هذه الكرامات حتى يطمئن الأفغان أن جهادهم هو جهاد إسلامي، كثير من المجاهدين أهاليهم لا يطمئنون إلا إذا رأوا كرامة، يعني كثير منهم، والوقت قصير ولا نستطيع أن نحدث كثيراً، لكن سعود بحري الذي هو سعد الرشود النور رآه الأفغان والعرب يخرج من قبره هو وعبد الوهاب الغامدي دفنا بجانب بعضهما، النور يخرج من قبريهما حتى السماء ثم يعود على شكل قوس، وقد رآه الأخ أبو داوود الذي كان مسؤولاً عن مكتب الخدمات وحدثني بنفسه.

عبد الصمد كان جريحاً في المعركة، هو جرح مع سعد الرشود وعبد الوهاب الغامدي، نقل، على الطريق هو مغمى عليه لا يدرون ت، يعني فاضت روحه أو لا، فعلى الطريق واحد من الأفغان قال: مات الآن فاضت روحه، قال له كيف؟ قال: الآن خرجت رائحة سك! الآن خرجت الرائحة الطيبة منه، فعندما خرجت الرائحة الطيبة قالوا له إنه قد توفي، عبد الله الكعبي هذا رأيته أصابته رصاصة ا فخرجت من هنا، خرجت من داخل الكعب، كأنه حجر زلق عنه.

أبو أسيد الأخ العربي هو وأبو حفص الذين رجعوا من مزار شريف، قالوا قذيفة (RPG) نحن حاضرون المعركة أصابت واحداً مة الرصاص طارت كلها ليس لها أثر، مكان دخول قذيفة الـ (RPG) هكذا في ثيابه ولم يجرح!! قذيفة (RPG) تحرق الدبابة، قالوا في خندق نزل علينا -عرضه أربعين سم- حوالي عشرين قذيفة هاون لم يستشهد واحد، ولم يجرح جرحاً بالغاً جروح بسيطة وخدش بسيط.

[1] أحد الجالسين يسأل هل يتحلل جسد الشهيد؟

الكرامات التي حدثوا عنها في المعركة الأخيرة، في معركة أول أمس (١٩ شعبان).[1] أنت سمعت هذا؟ كنت فوق الجبل؟ رأيت هذا بنفسك؟ [2]سمعت منهم ضربت القذيفة بالشجرة ولم تنفجر.

قذيفة (RPG) انطلقت من داخل المدفع بالخطأ، وهو بيننا ونحن عشرة ولم يصب منا أحد، وهذا في المعركة الأخيرة أول أمس (١٩ شعبان ١٤٠٧هـ) كنا نمر من جنب البوسطة على بعد مائتي متر ولم يطلقوا علينا، الله عز وجل أعمى أبصارهم.

الشيخ تميم: أيضاً من ضمن الكرامات التي حدثت بها في الزيارة الثانية كان هناك قومندان اسمه قومندان عبد الله، وهو الآن في كويتا، وكنت أسميه أنا وزير الدفاع، وزير دفاع الشيخ سياف، لأنه هو متين طويل عريض، جسمه ضخم، فقلت له أنت تصلح أن تكون وزيراً للدفاع، لأنه معظم وزراء الدفاع عندنا ما شاء الله عنهم بالطول والعرض، فقلت له أنت تصلح للدفاع، سميته وزير الدفاع، فهو حدثنا كرامة حصلت معه في رمضان الذي قبل هذا، قال: في رمضان الماضي كنا في معركة في بغمان، وبغمان هذه قريبة من كابل كما تعرفون، قال كنا مائة مجاهد في الجبل وجاءنا ستمائة من الروس والشيوعيين، فبدأت المعركة بيننا وبينهم، وهم يريدون مهاجمتنا والقضاء علينا، فبدأوا يتقدمون ثم أوقفناهم واستمرت المعركة بيننا وبينهم سجالاً نحن نضرب وهم يضربون، استمرت المعركة يومين كاملين، يومين، ونحن نطلق عليهم وهم يطلقون علينا وبعد يومين انتهت الذخيرة التي عندنا ولم يبق إلا طلقات رصاص خفيفة جداً فقلت للإخوة في الليل تراجعوا في الجبل انسحبوا قليلاً حتى تأخذوا أماكن جيدة وكل واحد لا يطلق أية طلقة إلا في المليان فقط للدفاع عن نفسه لأنه لم يبق عندنا رصاص يعني نريد نحاول أن ندافع عن أنفسنا فلا تطلقوا، كل واحد عنده طلقات بسيطة فلا يطلق إلا إذا كان يضمن الإصابة، قال ثالث يوم نحن لم نطلق أي شيء وإذا بنا في الصباح نفاجأ بصوت إطلاق رصاص، تبادل إطلاق رصاص، نحن ما أطلقنا شيئاً، وبعد ساعات قليلة وإذا بنا نجد الراية البيضاء قد رفعت، والروس والأفغان كلهم يرفعون أيديهم بالتسليم فناديناهم تعالوا واستغربنا ونحن لا نعرف السبب فالمهم خشينا أن تكون خدعة، لكن الأمر لم يكن خدعة، استسلموا كلهم، ناديناهم واحداً واحداً يأتي يلقي السلاح ويرفع يديه نأسره ونأخذه على طرف ونأخذ سلاحه، وبعد أن أسرناهم جميعاً عدا عمن قتل منهم فقلنا لبعض الأفغان لماذا استسلمتم اليوم ولم تستسلموا بالأمس؟ قال لأن ضربكم علينا اليوم كان أشد من اليومين السابقين، قال والله ما أطلقنا طلقة واحدة خلال هذا اليوم، قلنا من الذي كان يضرب عليكم، قال مجاهدون منكم يلبسون الملابس الخضراء الجديدة، قال والله ما كان أحد فينا يلبس الملابس الخضراء، من هم؟ قلت هذه القصة للشيخ عبد العزيز بن باز جزاه الله خيراً وأمد في عمره فقال لي وهو يبكي..

(وما يعلم جنود ربك إلا هو) (المدثر: ٣١)

جنود من جنود الله عز وجل الملائكة تقاتل (إذ يوحي ربك إلى الملائكة).

الشيخ عبد الله عزام: يعني الآن الذي يريد أن يثبت أن عقيدته صحيحه ينكر الكرامات؟!! لا حول ولا قوة إلا بالله.

الشيخ عبد العزيز وهو شيخ السلفية الآن، الذي يوجه أصحاب العقائد الصحيحة، أنا عرضت عليه كثيراً من هذه الكرامات، فقال هذا من فضل الله عز وجل، وراحوا كتبوا، حدثني سكرتير الشيخ عبد العزيز قال لي: جاء كتب من بعض المشايخ أن هذا الكتاب (آيات الرحمن) للشيخ عبد الله عزام هذا مليء بالخرافات، هذا خطر على العقيدة، نرجو عدم تداوله في المملكة، الصفحة الفلانية فيه القصة الفلانية، قال هات الكتاب فأحضر الكتاب، اقرأ علي، الصفحة الفلانية، قال هذا ليس خطر على العقيدة ولا خرافات، الصفحة الفلانية، قال أترك هذا صحيح، نعم.

الشيخ تميم: (إن الله على كل شيء قدير) فاستسلموا لهم وكان هؤلاء الجنود الذين يلبسون الملابس الخضراء ملائكة من عند الله..

(إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا) (الأنفال: ١٢)

تثبيت من عند رب العالمين، وهذه الملائكة كما قال بعض المفسرين تبقى إلى قيام الساعة، الخمسة آلاف ملائكة هذه يؤيد الله بها عباده المؤمنين.

الشيخ عبد الله عزام: محمد صديق چكري يعتبر حاكم كابل الليلي وكان يقول: والله أني لأحكم من أرض كابل أكثر مما يحكم بابرك كارمل!! حدثني بنفسه قال: والله هجم الروس بمائة وواحد وخمسين طائرة، والدبابات لا أعلم عددها كثيرة جداً، المهم دخلت

[illegible] (٢) [illegible] عبد الله عزام يطلب من المناقش أن يحدث القصة كما رآها ثم يكمل الشيخ فيقول:

الأماكن، فهو قائد بدأ يتفقد أماكنهم رجع إلى قاعدته أحد الأماكن أراد أن يدخله، على بعد مائة متر فتحت عليه الرشاشات، قال لهم أنا چكري أنا قائدكم، فزادت، زادت عليه الرشاشات، قال ثمانين إلى مائة واحد ثلاث ساعات ونصف وأنا في سهل على بعد مائة متر، حوالي ساعتين ونصف إلى ثلاث ساعات وهم فاتحون عليّ الرشاشات، حوالي ثلاثين طلقة دخلت في ثيابي وأحرقتها، ولم يجرح جرحاً واحداً، هذا محمد صديق چكري.

الشيخ تميم: وأخ الشيخ جلال الدين حقاني الذي قميصه عند الشيخ عبد الله عزام، قميصه مثقوب فيه عدة رصاصات جاءت فيه ثقبت القميص ولم تصب جسمه بشيء.

الشيخ عبد الله عزام: واحد اسمه كذايار رأيته في ليجة، الصاروخ مر أخذ عمامته ولم يصبه شيء!! ليجه كان في صحفي فرنسي أنا ذهبت رأيته في المعسكر هذا كذا يار قصف المعسكر لم يُصب في المعسكر إلا الفرنسي!! إلا الفرنسي جرح، الأشياء الطبية هنا الدكتور بلال قائد جبهة في خوست قال خمسة أشهر وأنا أتردد على المستشفيات في بيشاور والصديد ينزل من رجلي وما استطاعوا أن يعالجوني، قال سأرجع إلى الجبهة ومهما كان.. قال خمسة أيام قد شفيت في الجبهة، خمسة أشهر في بيشاور وأنا في المستشفيات ما عملوا لي شيئاً ما استطاعوا وقفوا عاجزين!! خمسة أيام في الجبهة شفيت تماماً!!.

الشيخ تميم: محمد ياسر الذي كان معه مغص في معدته شديد قال ما شفيت إلا عندما دخلت الجبهة، دخل الجبهة نزل المعركة قال والله كل الأطباء أعطوني أدوية، وما تركت دواء إلا أخذته والألم في معدتي مستمر، قال عندما دخلت الجهاد بدون أي دواء شفيت.

الشيخ عبد الله عزام: كان طبيب من الإخوة الأطباء واحد أراه مكان الطلقة، أنا رأيت خروج الطلقة، نظر هذا الطبيب قال لا يمكن، هذا يستحيل، قال هذه داخله من القلب، قال له: ماذا عملت؟ قال له: والله مسحته بالأحمر،هذا -المايكروكروم- ومشيت، دخلت من هنا وخرجت من ظهره، فعبر الطبيب قال هذا لا يمكن لأنه لازم أن تكون داخله من القلب مكانها، فالحقيقة يعني القصص لا تعد ولا تحصى.

واحد اسمه مياجل -عديل محمد ياسر- حدثني ضابط من ضباطه، عندما استشهد كان واحداً من أبناء الدعوة، وكان دكتوراً، وكان معروفاً، وبغلان كان أشد القتال في بغلان، فالمهم كان الشيوعيون هكذا يتحرقون عليه غيظاً، قتل مياجل فجاء أحد القادة الشيوعيين وأراد أن يشفي غيظه من مياجل الشهيد الدكتور، فقرب منه ليضربه بقدمه، فشلت قدمه!! هذه واحدة.

الشيء الثاني: الشيوعيون قرروا أن يربطوه بالسيارة ويطوفوا به في بغلان حتى يقولوا لقد قتلنا مياجل، كلما اقتربوا منه يصيح هاتوا رشاشي.. هاتوا الكلاشن سأذبحهم، يهربون!! يهرب الشيوعيون، لما تكرر ذلك منه جاءوا بكفن ونادوا العلماء قالوا خذوا كفنوه بهذا ولن تغلبوا ما دام فيكم مثل هذا، ودفن مياجل وصار التكبير والتهليل يخرج من قبره.

سائق محمد ياسر حدثني هو كان ضابطاً عنده أقسم لي بالله، قلت له أقسم بالله فاقسم لي بالله أن هذا حصل، أهله في بشاور النساء بكوا عليه كثيراً، زعيم قبيلتهم، وهو قائد، وبعد ذلك متدين ومجاهد، بكوا كثيراً، قام أخوه في الليل وهو يبكي قال: اللهم [ا]نا علامة تطمئننا أن أخانا شهيد، في الليل قال وإذا بباقة من الزهور تسقط -في بابي أخوه- تسقط من السقف عليه، أضاء [ا]لصباح وإذا بباقة مثل النرجس رائحة طيبة جداً، وبابي ما فيها إلا الوحل في ذلك الوقت في نصف الشتاء زهرة واحدة لا تجدها في [...]ي باقة من الزهور، قالوا نوقظ محمد ياسر حتى يشم الباقة ويرى العلامة، جمع أخواته وقال لهن أنظرن هذه علامة أن أخانا شهيد، [أيقـ]ظوا محمد ياسر، قالوا الآن الساعة الواحدة في الليل لا، نوقظه في الصباح وضعوها في المصحف، وفي الصباح فتحوا المصحف [فلـ]م يجدوا الباقة!!

فالقصص الحقيقة يعني البعيد أنا لا ألومه، أما الآن كل واحد منكم ممن حضر المعارك يعرف أن هذه القصص أصبحت أشياء [عاد]ية جداً، حتى أبو أسيد يقول لي: إذا حدثتك الكرامات أنت لا تصدقها يا شيخ عبد الله، أبو أسيد نفسه جاءت عليه قذيفة هاون وهو [يقـ]ضي حاجته، والأصل أن قذيفة الهاون بمجرد ما تصل الأرض تنفجر، بعد ما خلص قضاء الحاجة وذهب مشى قليلاً انفجرت [القذ]يفة!! انتظرت عليه حتى خلص واستنجى ثم انفجرت القذيفة!!

قذائف، صواريخ نازلة من الطائره نزلت إخترقت غرفة ولا يدرون ما أثرها، اخترقت الغرفة لم يصب أحد منهم وهم داخل الغرفة، من الناس قال لك إن الغرفة... آخر واحد خرج منها ثم بعد ذلك تنهدم!! الحقيقة القصص هذه أصبحت من فضول القول، شيئاً [...] أ[فغ]ان الأفغان الآن أصبحت هذه الكرامات تذكي روح الجهاد فيهم، ومعظم الكرامات أنا رأيتها تحصل مع طلبة العلم أو الشباب [المتد]ينين المعروفين بصلاحهم في داخل الجبهة.

حدثنا واحد هنا، قال حوصرنا، كان معي عدد كبير من المجاهدين، كنا في چرخ في لوجر، حوصرنا، نفد كل شيء من الطعام، بقينا يومين أو ثلاثة بدون طعام، قال: وإذا بنا نجد على صخرة ثلاثين رغيفاً، ثم سارت القافلة ليس معها شيء من الطعام، قال: مررنا على قرية مهجورة، ونحن مارون على غرفة مهجورة فوجدنا كيساً من الطحين، وصرنا نأكل منه.. ما في أثر.

واحد عند يونس خالص اسمه عبد الجبار قال لي: عطشنا وجعنا كثيراً، كنت قرب كابل، ونحن هناك في صحراء، وجدنا عنباً، وشماماً موضوعاً أمامنا، مقطوف.. موضوع!! صحراء ليس فيها شيء.. عنب وشمام.

فهذه القصص أصبحت لكثرتها ولتواترها إعادتها الآن أصبح الواحد يراه من تكرار القول، القصص كثيرة جداً جداً، وبعض الناس يجادل يقول: هل يمكن هذه الكرامات كثرتها؟ يا أخي مائة ألف مجاهد له سبع سنوات إفرض حصلت معه قصة واحدة وأنت إذا جمعت *هذا تطلع* مائة ألف قصة، في سبع سنوات الله عز وجل ينظر إليه في شدة وفي ضيق ويجاهد من أجل رفع رايته والدفاع عن دينه وعن عرضه، مرة واحدة رب العالمين يكرمه بكرامة.

الدكتور عمر قال: أنا أريكم هذا اسمه رحمت يار، ناداه قال يوم أن ضربوا (متى سنكر) هنا قبل شهر المخيم الذي بجانب باره چنار قال نبضه وضغطه طبيعي ويمشي، لكن أنا غير مطمئن يقول يوجد ألم في بطنه، قال والله لأفتحن بطنه، فوجدت ثلاث كيلو دم في بطنه، نزيف مستمر منذ ثلاثة أيام ولازم يكون ميتاً، أولاً الكبد متفتت -قسم منه- ومقطوع قسم منه، والطحال مقطوع قسم منه، والأمعاء ممزقة قال جئت لكبده أردت أن أخيطه ما استطعت لففته بالشاش وقلت له: الله يعوّض عليك الله، يشفيك، ماذا أعمل لك؟!

جئت إلى الطحال قلت حرام أقطع طحاله، النزيف فيه والطحال كله دم، لا ينقطع النزيف منه، قال وضعت عليه قطعة شاش قلت له: الله يشفيك وقرأت عليه الدعاء، جئت إلى أمعائه قصصناها، قلت الأمعاء استطعنا أن نخيطها، قال بعد يومين فتحنا وأخذت الشاش عن كبده، لكن الطحال كله دم، الطحال بعد خمسة دقائق توقف الدم وضعت الشاش عليه وقف الدم، الكبد بعد يومين رفعنا الشاش والحمد لله -شايفين هذا الشاب- قلنا نذهب لزيارته، قال: لا هو يأتيكم، تعال يا رحمت خان، جاء رحمت خان ما فيه شيء.

الدكتور عمر قال: القواعد الطبية التي أخذناها بالجامعة كل الذي رأيناه في أفغانستان يكذب القواعد الطبية التي أخذناها، فصرت ما أتعامل بالقواعد الطبية، على البركة!!

الشيخ تميم: من ضمن الكرامات التي ذكرها لنا مولوي أرسلان في الزيارة الأولى قال: مرة في إحدى المعارك كان هناك طابور طويل من الدبابات والسيارات المصفحة، ولم يكن معهم إلا طلقة واحدة فقط، قال صلينا ودعونا الله أن يبارك فيها، وأطلقنا هذه الطلقة فجاءت في سيارة الذخيرة فتفجرت الذخيرة تفجيراً هائلاً، وحطمت ما أمامها وما خلفها، خمس وثمانون آلية حطمت بقذيفة واحدة، كيف ذلك؟ بفضل الله عز وجل، وكلما تنفجر تصيب غيرها، وهرب الروس والأفغان، وأسرنا منهم من أسرنا، وغنمنا غنائم ما يكفينا لمدة طويلة جداً، بطلقة واحدة ،من الذي سددها؟ الله رب العالمين..

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (الأنفال: ١٧)

يجب أن تكون عندنا هذه العقيدة، ويجب أن نكون موقنين يقيناً كاملاً أنه:

(وما النصر إلا من عند الله) (آل عمران: ١٢٦)

مهما كان عند الروس من أسلحة وصواريخ ومن قوة، أقوى دولة في العالم، لكن هل هم أقوى أم الله؟ إن الله أقوى منهم، يجب أن تكون هذه العقيدة أننا مهما كنا ضعفاء ربنا ما طلب منا إلا أن قال:

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (الأنفال: ٦٠)

هذه استطاعتنا أقل بكثير من استطاعتهم لكن مع هذا يبارك الله في رمينا ولقد رأيت كثيراً من المعارك والله الذي شهدتها رمي المجاهدين يصيب كله ورمي الشيوعيين يضربون عشوائياً ضرب جنوني لكنه لا يصيب أبداً ورمي المجاهدين قذيفة واحدة يبارك الله فيها فتكون خير من ألف قذيفة يطلقها الأعداء فلا تصيب لأنه من الذي وجهها؟ رب العالمين.

الشيخ عبد الله: قاضي مظلوم أحد قادة أحمد شاه مسعود، حدثنا قبل شهر أو أقل قال: اثنان جرحا في المعركة ما استطعنا أن نسحبهم، قلنا عندما تقف القذائف نرجع نسحبهم، رجعنا وفتشنا..فتشنا في المنطقة ما وجدناهم، رجعنا للقاعدة وجدناهم في القاعدة!! من الذي جاء بكم إلى القاعدة؟ مجروحين جراحات شديدة، قالوا والله نحن هنا عندما جاء الروس وقفوا فوق

حملوهم إلى مكان ثان ثم حملوهم من المكان الثاني وأوصلوهم إلى القاعدة، نعم هم لا يرونهم، قالوا رأينا أنفسنا هنا، ثم رأينا أنفسنا فجأة هنا، قالوا ما رأينا أنفسنا إلا ونحن هنا!!(وما يعلم جنود ربك إلا هو) ثم نحن عقيدة أهل السنة والجماعة أن....

وأثبتن لولي كـــــرامة ومن نفاها فانبذن كلامه

الذين ينكرون الكرامات هم المعتزلة، ونحن الحمد لله من أهل السنة والجماعة، فالذين ينكرون الكرامات أو يجادلون فيها قولوا لهم أنتم من المعتزلة وسلام عليكم لا نبتغي الجاهلين.

الشيخ تميم: حصلت كرامة معي مع أحد الإخوة وهو الآن شيخ في المدينة المنورة في المعهد العالي للدعوة اسمه الشيخ محمد أبو الفتح البيانوني، هذا جاءني مرة زائراً هو دكتور في المعهد العالي في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في المدينة المنورة، أهل المدينة ممكناً رأوه رجل صالح فاضل فيه خير كثير نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا جاءني زائراً في الثقبة في المنطقة الشرقية كنت ساكن هناك قبل سكني في المطار وجاءني زائراً محبة في الله وكان قد جاء من الرياض فقابلته في المطار وظننت أن عنده عمل فسألته هل عندك عمل في الشرقية قال أبداً والله جئت فقط زيارة في الله محبة في الله فقلت جزاك الله خيراً أنا من فرحتي بحسن نية ومن أجل أن أعبر عن فرحتي في البيت ذهبت وعندي كاميرة تصوير بلورايد وأردت أن آخذ له صورة يعني ترحيباً بزيارته فقلت له: أريد أن آخذ لك صورة لأني فرحان بهذه الزيارة وكان هو جزاه الله خيراً، لا يحب التصوير فرفع يده هكذا وقال لا تصور، فقلت: لا.. أريد أن أصور فقال الكاميرا غير مأذونة والله يا شيخ حصلت معي واسألوا الرجل، فقلت كيف غير مأذونة، الكاميرا موجودة والفلاش موجود والفلم موجود ماذا مأذونة وغير مأذونة!! ضغطت على الزر فخرجت الصورة سوداء كالفحم والثانية والثالثة، والله ثلاث صور مع بعض ولكنها لم تصور كاميرا جديدة حولت الكاميرا على الثلاجة كانت الثلاجة موضوعة عندي في المكان، كانت الثلاجة خضراء، صورتها خرجت من أجمل ما يمكن ثلاث مرات صورته لم تظهر خرجت سوداء، لأنه قال غير مأذونة، فأنا اعتبرت هذه كرامة.

هناك شيخ اسمه أحمد الحارون، الذين من سوريا يعرفونه، وهو توفي إلى رحمة الله، وهو رجل صالح ووجهه فيه نور، ويقولون عنه أن له كرامات عجيبة، يعني فأنا كنت في الدراسة الثانوية أخذت الشهادة الثانوية من حلب، وذهبت إلى دمشق ولأول مرة أريد أن أسافر منها إلى مصر للدراسة، وكان أيامها الجمهورية العربية المتحدة كما تذكرون عام (١٩٦٠م)، كان هناك وحدة بين مصر وسوريا، ذهبت ولأول مرة ونزلت في فندق، وكان والدي زعلاناً مني لأني أطلقت لحيتي رحمه الله وغفر له، فكنت أطلقت لحيتي فكان الوالد مصمم على أن أحلق لحيتي، أنتم تعرفون زمان كان الذي يربي لحيته يقولون له إخوان مسلمين وكانت كلمة (إخوان مسلمون) ترعب في ذلك الوقت، فالوالد كان يصر على حلقها، وأنا قلت له لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وذهبت وأعطاني فلوساً وكان لا يريد أن يودعني كان زعلان من أجل إطلاق لحيتي، هذا الكلام في مدينة حلب في سوريا أنا سافرت إلى دمشق والله يا جماعة نمت في الفندق وسألت صاحب الفندق في الصباح هل يوجد مسجد قريب هنا، قال نعم يوجد مسجد قريب من عندنا هنا وفيه الشيخ أحمد الحاروني رجل صالح، ذهبت وصليت، وبعد انتهاء الصلاة يجلسون يصلون على رسول الله ﷺ ويجمعون كل واحد معه مسبحة، المهم عندما انتهوا من الصلاة على الرسول ﷺ وقف الناس يسلمون على هذا الشيخ وأنا معهم، والله يا جماعة حصلت معي أول ما وصلت، نظر إليّ الشيخ نظرة غريبة ومعه عصا هو كبير في السن، رفع العصا وضربني ضربة غير مؤلمة، ضربة تأديبية خفيفة، فضربني كذا فقال لي: يا ولد لماذا أنت أزعلت والدك؟ لماذا تغضب والدك؟ أنا ذهلت، أنا أزعلت أبي في حلب على بعد ثلاثمائة وستون كيلو، وهذا في دمشق، كيف عرف أني أزعلت والدي، وليس هذا فقط، وأمسك بلحيتي هذه....

مؤتمر الطلبة في بريطانيا

أيها الإخوة:[1]

أولاً جزاكم الله خيراً عن هذا الحضور، وجزى الله المشرفين على هذا المؤتمر خيراً لأنهم مكنوني من هذه الفرصة، أما أنني يقت فوالله إنّي أستحي أن أتكلم عن الجهاد وأنا جالس، وكنت وأنا أسمع الآيات القرآنية كان يدور في خاطرتي إخوان لكم من هنا جاءوا ومن أمريكا ومن البلاد العربية تركوا دراستهم وقطعوا أحبال الدنيا، وأنا أجيل في مخيلتي هؤلاء الفتية الذين يمشون الآن حفاة وق الجليد متجهين إلى حدود روسيا.

أيها الإخوة: إن الجهاد قمّة سنام الإسلام، ويجب أن تضعوا في مخيلتكم قضية: قطعية أنه لن يقوم للإسلام قائمة في

رقم الشريط ٢١٩ (١) بداية الشريط مقطوع.

الأرض بدون جهاد، وما جعل الله عز وجل هذا الثواب الجزيل والأجر العظيم لعبادة مثل هذه العبادة إلا لأنها أشق عبادة في الإسلام، لن يقوم مجتمع إسلامي إلا بالجهاد، يستحيل أن يكون للمسلمين كيان فوق هذه الأرض بدون جماجم وأشلاء، وبدون أرواح، وبدون دماء، إن الذين يفكرون أن يخدموا الإسلام من خلال المكاتب ومن فوق الكراسي هؤلاء لا يدركون طبيعة التنزيل، ولا يعرفون طبيعة هذا الدين، إن دين الله قام أول مرة فوق الجماجم والأشلاء، ولن يقوم مرة أخرى فوق هذه الأرض إلا على تلال من الهامات والأشلاء، يستحيل أن يرهبنا عدو، أو يخشانا أي مستعمر إلا إذا حملنا السلاح، ومن هنا أعلن رسول الله ﷺ أنه بُعث بالسيف [**بعثت بين يدي الساعة بالسيف، وجعل رزقي تحت ظل رمحي**] رزقه تحت ظل رمحه [**وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**]، يستحيل أن نجلس على مائدة البشرية أو أن نساهم في صنع تاريخ الإنسانية بدون سنان وسيف ورماح وسلاح.

واسمعوا قول الله عز وجل إن كنتم في شك مما أقول:

(فقاتل في سبيل الله لا تكلّف إلا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا) (النساء: ٨٤)

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (البقرة: ١٩٣)

بدون قتال ستكون الفتنة، ولن يكون الدين كله لله بدون قتال، ولذلك عندما علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن المجاهدين الذين افتتحوا فلسطين وغرسوا سهل الحولة بسمراء الشام «بالحنطه» أرسل رسولاً يحرق قمحهم، ثم بلغه رسالة ينقلها إليهم، بعد أن جاء رسول عمر وأحرق زرع المجاهدين الذين افتتحوا فلسطين بلغهم رسالة عمر، وهي سطر واحد [**إن تركتم الجهاد واشتغلتم بالزرع عاملتكم معاملة أهل الكتاب، وضربت عليكم الجزية، إنما أقواتكم مما تستخلصونه من أفواه أعدائكم**] لقد كان قول عمر تفسيراً لكلام رسول الله ﷺ (**وجُعل رزقي تحت ظل رُمحي**).

أعود فأقول: يستحيل أن تقوم للإسلام قائمة بدون دماء، يستحيل أن نرى مجتمعاً إسلامياً بدون تلال الأشلاء، يستحيل أن نرى للإسلام وجوداً فعلياً بدون سنوات من التضحيات تهدم فيها البيوت، وتُحول فيها المساكن إلى مياتم ومآتم، وبدون هذا نحن نتعلل بالأماني ونعيش على الخيال، إن الذين يريدون أن يعرفوا قيمة الجهاد لهذه الأمة وأثره على النفوس فلينظروا كيف ينظر العالم إلى الأفغانيين، كيف يقفون إجلالاً واحتراماً كافرهم ومسلمهم لأولئك الذين امتشقوا أسلحتهم وامتطوا قمم الجبال يتحدّون أقوى قوة في الأرض، ويقابلونها بصدور عزلاء وأيدٍ خالية وبطون خاوية.

لقد كانت صفعة كبيرة موجهة إلى ريجان أن يرفض واحد من المسلمين مقابلته، لقد طلب ريجان بنفسه من محمد ياسر وحكمتيار، ومحمد ياسر لعله وصل إليكم الآن أو يصل، طلب في الشهر الماضي -وكانوا في زيارة لإلقاء كلمة في الأمم المتحدة-، طلب بنفسه مقابلتهم، فأبوا مقابلته استعلاءً واعتزازاً، قال لهم السفير الذي يتوسط لهم[1] أنتم مجانين! ستون من الرؤساء والزعماء على قائمة ريجان ينتظرون مقابلته وأنتم ترفضون مقابلته! قالوا: نعم! من هؤلاء؟! الفقراء الذين لا يجدون لقمة العيش يسدون بها رمقهم، ما الذي رفعهم إلى هذا المقام؟! ما الذي رفعهم إلى هذه السُّدة التي يتمنى فيها أول رجل في الأرض أن يقابلهم فيرفضون؟!

قرأت الرسالة الموجهة لهم من الكونغرس يطلبون منهم يقولون لهم [لنا الشرف العظيم أن ندعوكم لحفلة شاي، لأنكم شعب يؤمن بالله، وعلمتم الشعوب كيف تضحي وكيف تسترد حريتها، فهل لكم أن تشرفونا في هذا الحفل] فكذلك رفضوا هذه الحفلة.

يا أيها الإخوة: أين نحن من مائدة الإنسانية بدون قوة؟ أين نحن في مجتمع كمجتمع الغاب لا يؤمن إلا بالقوة، ولا يحترم إلا القوي، وكل ضعيف مداس تحت الأقدام، هل تظنون أن دين الله عز وجل ينتصر بأوراق نكتبها، أو بكلمات نرددها، أو بخطب رنانة نلقنها؟! لن ينتصر بهذا، وإلا فما أسهل مهمة الأنبياء! وإلا فما أهون مهمة الدّعاة!

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) (آل عمران: ١٤٢)

تظنون أنكم تدخلون الجنة بدون جهاد وبدون صبر؟! أنتم واهمون مخطئون!!

ومن هنا كانت هذه الآيات الكثيرة في القرآن الكريم تحث على الجهاد وتحض على الجلاد، لم يكن عبثاً عندما يفتي كل العلماء

في الأرض ويجمع عليه كل الفقهاء في الحقبات التاريخية المتوالية أنه إذا اعتدى على شبر من أراضي المسلمين فإن الجهاد يصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة، حتى يخرج الولد دون إذن والده، والعبد دون إذن سيده، والمدين دون إذن دائنه، والزوجة دون إذن زوجها، لم أجد كتاباً فقهياً أبداً إلا ونص على هذه القضية باتفاق وعبر القرون التاريخية الإسلامية المتطاولة طيلة حقبات التاريخ.

ومن هنا عندما أعلنا ونعلن أن الجهاد فرض عين فيجب أن لا يستعظم المسلمون هذا، إن هذه قضية بدهية مسلمة لدى كل من له أدنى صلة بهذا الدين، ولكن الواقع الحاضر هذا الذي نعيشه، والدرك الذي وصلنا إليه، لا نستطيع أن نتطاول حتى بأفكارنا لندرك هذه القمم العالية من المبادئ والأصول، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: **{وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين وهو واجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يُفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه}** العدو الذي يصول ويهجم على المسلمين، لا شيء بعد لا إله إلا الله محمد رسول الله واجب أكثر من دفعه.

ويقول في مجموع الفتاوى: **{فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين فإنه اعتبر دفعه واجباً على المقصودين كلهم وعلى غير المقصودين، وهذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله، مع القلة والكثرة، والمشي والركوب، كما كان المسلمون لما قصدهم المشركون يوم الخندق لم يُعذر الله أحداً}** هذا هو الحكم الشرعي الجلي الواضح في كل أرض وطئها الكفار، كما يقول القرطبي **{كل من علم بضعف المسلمين عن عدوهم وعلم أنه يُدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضاً الخروج إليهم}**.

معركة عقيدة:

فإذا كان الاتحاد السوفياتي لم يخض المعركة وحده، وأراد أن يشرك كل الدول التي تدور في فلكه، والآن تشترك أربع عشرة دولة مع روسيا في المعركة ضد هؤلاء المجاهدين، إن بلغاريا تشارك بالطعام، وألمانيا الشرقية تشارك بالتدريبات، وكوبا تشارك برجال الصاعقة، واليمن الشعبية الجنوبية تشارك، والهند تشارك، وحلف وارسو يشارك، والمسلمون أين هم في المعركة؟ إن معركة أفغانستان ليست معركة بين روسيا وبين الأفغانيين، ليست معركة بين الاتحاد السوفياتي وبين قوم يسمون الأفغان، إنها معركة عقيدة، معركة دخلت فيها الشيوعية، العقيدة الشيوعية بكل ثقلها، ويقابلها قوم واحد اسمهم الأفغان، ووقف القوم سبع سنوات ونصف، وقدّموا مليوناً ونصف المليون شهيد حتى الآن سقطوا فوق جبال الهندكوش، وفوق أرض الرازي وابن حبان، وفوق أرض بلخ وبكتيا وبروان، ماذا تنتظرون من هؤلاء؟ ماذا تريدون أكثر من هذا؟

لقد حدثناكم في هذا الكتيب (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) عن قصص يظنها الإنسان ضرباً من الخيال، أو نوعاً من الأساطير، وإن كنت لا أقبل قصة إلا من صاحبها، وأستحلف عليها صاحبها فكذّب القوم، لكنّ معجزة واحدة لا تستطيعون ولا يستطيع أحد أن ينكرها، معجزة وقوف شعب فقير أعزل أمام أعتى قوى الأرض وأشرسها مدة سبع سنوات ونصف، هذه كرامة لا يستطيع أحد أن يتجاهلها، ولا يستطيع الكفار ولا المسلمون أن يغمضوا أعينهم عنها، مرثاة حزينة، وملحمة أسيفة ما شهدت البشرية في العصر الحديث أضخم منها، ولا أرزاء أفدح منها.

مرثاة حزينة وملحمة أسيفة:

قصتها تتلخص أن أمريكا في بداية الخمسينات أوحت إلى الملك ظاهر شاه أن يحدث ثورة ثقافية لمحو الشعائر الإسلامية العريقة في الشعب الإسلامي الأفغاني، فبدأ بالهجوم على حجاب المرأة، وداس حجاب المرأة تحت قدمه، وقال انتهى عهد الظلام إلى الأبد، وجاء بابن عمه محمد داوود وسلّمه رئاسة الوزراء ليتولّى بنفسه فرض السفور على الشعب الأفغاني الملتزم بدينه، العريق والأصيل تمسكه بمبادئه، وسيّر جيشاً إلى قندهار ليفرض السفور، وقامت معركة سقط فيها مئات بل آلاف القتلى دفاعاً عن حجاب المرأة المسلمة، ونمت الشيوعية في هذا الجو، وانحسر التيار الإسلامي.

وفطن رجل في داخل كلية الشريعة اسمه غلام محمد نيازي لتربية جيل يقف أمام هذا التيار، وتنامى التيار الإسلامي ببطء، حتى إذا انفجر في داخل جامعة كابل علق السفير الروسي قائلاً : إن مستقبل هذه البلد بيد الإخوان المسلمين، وبعد أن نال إتحاد طلبة المسلمين الذين تمثلهم جمعية الشباب المسلم (جوانان مسلمان) بعد أن نال أكثر الأصوات في الجامعة بعدة أشهر أطيح بالملك بمجيء محمد داود ليستلم البلد، وبدأ محمد داوود يصفي الحركة الإسلامية، واعتقل سيافاً وغلام محمد نيازي، وهرب حكمتيار ورباني إلى بيشاور مع ثلاثين شاباً، وقرّروا خوض المعركة ضد دولة بكاملها وعددهم لا يزيد على الثلاثين ولا يملكون مسدساً واحداً، وبدأت

المعركة بهذه الأعداد القليلة البسيطة المباركة، ولكن الإخلاص يفجر طاقات الأمم، ويبعث أصوات الضمائر من الأعماق، وتنامى هذا التيار البسيط الهادئ يوماً بعد يوم، حتى إذا قام الإنقلاب الشيوعي الأحمر في (٢٧) نيسان سنة (١٩٧٨م) (انقلاب تراقي) هبت القبائل بإسلامها تدافع عن دينها وتلحق بهذا الركب البسيط الصغير الذي بدأه أبناء الحركة الإسلامية، وقادت الحركة الاسلامية كل الشعب الأفغاني ضد الشيوعية.

لقد حدثني كثيرون وأقسموا أننا بدأنا معركتنا بالحجارة والعصيّ ضد الدبابات الروسية، واستمر القتال يتنامى حتى وصلوا إلى مشارف كابل، ولم تجد روسيا بداً من الدخول بأساطيلها البرية والبحرية، ودخلت تظلنها مهزلة تشيكسلوفاكيا يوماً واحداً وتنهيها، وإذا بها ينزلق قدم الدب الروسي فوق ذرى الهندوكوش، مرّ أسبوع وشهر وسنة وسنوات وروسيا تدعي أنها تريد أن تنهي هذه المهزلة، ولكنها ساقت نفسها إلى حتفها بظلفها.

يا أيها الإخوة: أنا لا أستطيع أن أواصل التفصيلات عن القصة التاريخية، لكن هذه خلاصتها، لكن ما هو الوضع العسكري الآن في داخل أفغانستان؟

نحن قلنا ولا زلنا نقول إن تسعين في المائة من أرض أفغانستان بيد المجاهدين، تسعين في المائة! وأنا أتكلم كلام الواثق العارف الذي يعيش القضية لحظة لحظة، والذي دخل وخرج إلى داخل أفغانستان، أنا لا أتكلم عن كتب، من كان منكم في شك مما أقول فليأتني آخذ بيده لأسير معه من حدود باكستان في الجنوب وأمشي معه ستمائة ميل حتى نصل نهر جيحون، فإن رأينا روسياً واحداً في الطريق فليراجعني، هل تعلمون كيف ينقل المجاهدون أسلحتهم؟ كيف ينقلون ذخائرهم؟ إنهم يحملونها على البغال والحمير، يحملون الذخائر من الحدود الجنوبية وتسير القافلة بمائة رجل أو مائتي رجل، معها مائة بغل أو مائتي بغل محملة بأنواع الأسلحة تسير أربعين يوماً ثم تصل سالمة إلى بدخشان وتخار وجوزجان ومزار شريف وبادغيس على نقاط الحدود الشمالية على نهر جيحون، كيف هذا؟ لو لم تكن الطرق مفتوحة أمامهم كيف يمكن لهذا العدد الضخم ولهذا الجمع الكثير أن يخترق هذه المسافة الشاسعة الطويلة وأن يسير هذه الأيام المتوالية؟! إن كنتم في شك من أمري فتعالوا لنسير في داخل أفغانستان لأريكم كيف يعيش الروس في داخل معسكراتهم كالفئران في المصيدة مرعوبة تنتظر مصيرها، يعيشون في داخل قلاعهم، تحيط بالقلاع أسوار الإسمنت، ثم الأسلاك الشائكة، ثم حقول الألغام، كلّ هذه ومع ذلك لا يستطيعون التنقل في داخل معسكراتهم وقلاعهم نهاراً، يعيشون طيلة النهار في داخل جحورهم مختبئين، والمجاهدون فوقهم كالصقور، وينزلون بمكبّرات الصوت ويصلون إلى سور القلعة يقولون لهم أيها الكلاب! أيها الخنازير! أيها الروس! أيها الشيوعيون! أخرجوا، أخرجوا أيتها الفئران أخرجوا، ولكن لا يستطيع أحد أن يطل برأسه، ثم يعود المجاهدون إلى قواعدهم، تعال بنا نزر مزار شريف على الحدود الشماليه، أو تخار أو بادغيس لنرى كيف يخترق المجاهدون أمنهم، ويدخلون في داخل روسيا يعملون عملياتهم في داخل الاتحاد السوفياتي.

إن المهندس بشير يجري كثيراً من العمليات في تخار يخترق نهر جيحون ويعملها في داخل أفغانستان، إن كثيراً من الفستق الذي يباع في أرض أفغانستان معظمه من غابات الفستق التي يدخل إليها المجاهدون عبر بادغيس، لقد خلت بعض المدن على الحدود لعمليات المجاهدين عليها.

لقد دخل مولوي عبد الجبار أزبكستان مرات، وقد خلت مدينة أقينا وكُته قشلاق من سكانهما داخل الاتحاد السوفياتي بسبب غارات المجاهدين، وقد أغار المجاهدون على مطار قلعي خمر ودمروا طائرة هيلوكبتر وثلاث طائرات نقل وأحرقوا محطة بانزين، لقد سقط للشيوعيين ثمان وأربعين طائرة في شهر أغسطس الماضي، وسقط لهم في شهر سبتمبر حوالي ستون طائرة، ويقابل كل طائرة ساقطة عادة خمس إلى عشر آليات محطمة.

لقد قتل في هرات في نفس الشهر من عشرين أكتوبر إلى ست من نوفمبر حوالي تسعمائة روسي وشيوعي في هرات وحدها، ودمّر لهم خمسون دبابة تقريباً، وقتل من الروس في يوم واحد في مزار شريف خمسمائة جندي في هذا الشهر الماضي (في شهر نوفمبر).

وفي بنجشير احتل المجاهدون معسكراً اسمه معسكر بيشغور، ودخل مائة من المجاهدين معسكر بيشغور، وأسروا خمسمائة من الشيوعيين والروس، خمسمائة! وبقوا أياماً ينقلون الذخائر على ظهور الأسرى، ينقلونها على ظهور الأسرى، وكانت الصور عندنا، وأنا نسيت أن أحضر صور الأسرى وهم يحملون قذائف الهاون والصواريخ فوق أظهرهم، وعادة -من عادة بعض المجاهدين- أنه إذا أسر أسيراً -أن يأمره- أن يركبه على ظهره فيركبه على ظهره حتى يوصلهم إلى معسكر المجاهدين، ثم يقتله بعد أن يوصله، احتلوا المعسكر، وأسروا سبعة وثمانين ضابطاً وأربعمائة جندي، وقامت مظاهرة في داخل كابل على الشيوعيين وعلى الحكم القائم في كابل

وعلى الروس، أنقذوا أزواجنا إن كنتم رجالاً، فطلبوا من أحمد شاه مسعود أن يبادلهم بالأسرى، شاب لم يصل الثلاثين بعد، بدأ المعركة وعمره عشرون عاماً، ولكنه عجز روسيا أن تقهر عزيمة هذا الشاب الصغير. هجموا عليه اثنتي عشرة مرّة وهزموا فيها جميعاً إلا في واحدة.

فاقول أرسلوا إليه أننا نريد أن تبادلنا بالأسرى كل ضابط بثلاثة من المجاهدين الأسرى عندنا، وقبل، وحددوا موعداً، واستعظمت روسيا على نفسها أن تذلّ نفسها لهذا لشاب الصغير، وأعدّت قوة للتدخل السريع عدادها ألف وخمسمائة من قوات التدخل السريع المعدة ضد حلف الناتو، وجاءت مباشرة من موسكو أو من روسيا إلى مكان تبادل الأسرى، وفجأة وهم ينتظرون تبادل الأسرى، وإذا عشرون طائرة هليكوبتر تحط وتخرج ألفاً وخمسمائة من رجال الصاعقة، وفوجيء المجاهدون، وأمر الشاب القائد بإعدام سبعة وثمانين ضباطاً، وأعدموا جميعاً، وكان المسؤول عن حراستهم اثنين من العرب، وأعدموهم جميعاً بالرشاشات، ثم دارت معركة بين هذه القوة وبين المجاهدين الذين أخذوا على حين غرة، وهل تعلمون أنه لم يُقتل مجاهد واحد، كيف تسمون هذا؟ أليست هذه كرامة؟ إن لم تكن هذه كرامة فما هي الكرامة؟

ولقد حدثني رباني المسؤول عن أحمد شاه مسعود قال: إن وادي مكني المكان الذي فيه هؤلاء الضباط بقي لعدة أيام بل عدة أسابيع منتناً لرائحة الجثث التي قتلت من الروس.

أقول: حال المجاهدين العسكرية جيدة بل ممتازة، ولكن لا بد من الاعتراف، لا بد من الاعتراف أن المجاهدين قد خسروا كثيراً من زهرة أبنائهم ومن خيرة قادتهم خاصة في سنة (١٩٨٥م) حيث راهن غورباتشوف على إنهاء المهزلة ولكنه هُزم.

وقد قتل ذبيح الله في بلخ، ومولوي شفيع الله في كابل، وغوث الله في هرات، ونيازي في بروان، ودكتور عبد الولي في لوجر، وعبد الواحد في بغمان، ومولوي أحمد جل وفتح الله في خوست، وخياط في لوجر، وجل آغا في جاجي وغيرهم كثير.

ويجب الاعتراف أن الروس قد حاولوا أن يرفعوا من معنوياتهم المنهارة، فكثفوا حملاتهم وقواتهم، وحاولوا أن يضربوا المجاهدين ضربات قاسمة، دخلوا كثيراً من القواعد، ولكنهم لا يستطيعون أن يبقوا أكثر من يومين ثم ينسحبون، ولا بد من الاعتراف أن الهجرة قد زادت من داخل أفغانستان، ولا بد من الاعتراف أن الملل قد بدأ يتسرب إلى نفوس المجاهدين، وكذلك علينا أن نقول إن كثيراً من العلماء قد هاجروا من خنادقهم وتركوا أماكنهم الريادية القيادية في وسط الجبهة واستقروا في بيشاور فراراً بأعراضهم وطلباً للقمة العيش التي يسدون بها رمقهم.

لماذا الهجرة؟ لو تقصينا الأسباب الحقيقية للهجرة لوجدنا أن وراءها دوافع قوية ومبررات كثيرة منها:

أولاً: المذابح الجماعية التي يقوم بها الروس تنفيساً عن أحقادهم وتعويضاً عن خسائرهم في أرض المعركة، فينتقمون من الأهالي، فمذبحة مديرية إيجين في ننكرهار، ومذبحة قصارتلي، وعيسى خيل في كنذز ومذبحة خان آباد، ومذبحة شمنكل في لغمان، وندغون شهر في لوكر، وفي هرات زنده جان، وكذلك في مسجد هرات، هذه بعض الأمثلة من المذابح التي استعملها الروس ضد المواطنين تنفيساً عن أحقادهم وهزائمهم في أرض حامية الوطيس، فإذا هزم الروس عادوا ينتقمون من الأهالي والمدنيين.

ثانياً: الاعتداء على أعراض النساء، لقد عرف الروس أن مقتل الأفغانيين هي عزتهم ومحافظتهم على أعراضهم، ومن هنا فكروا في الاعتداء على أعراض النساء، وقد حطت عدة طائرات في أماكن مختلفة في لوكر وكنر ولغمان وغيرها وسط بعض القرى العزلاء من قوة المجاهدين وحملت بعض النساء في داخلها ووقفت طائرات الهلوكوبتر فوق القرية ثم ألقوا بثياب النساء بعد أن جردوهن فوق القرية، حتى ألقت بعض النساء بأنفسهن في نهر كنر، وتكررت العملية في بغوزكن وفي قلعة زال، وفي كثير من الأماكن، ومن هنا ثارت مشكلة في داخل مجلس الوزراء الأفغاني، لقد ثار بعض الشيوعين الأفغان بعض الوزراء أمثال رفيع يقول: إن هذا سيسقط قيمتنا عند الشعب الأفغاني، فانبرت (أناهيتا راتب زاد) المرأة الداعرة الشيوعية المعروفة وهي تتسلم رئاسة الصداقة السوفياتية الأفغانية ولها قيمة أكبر من الوزراء، قامت إليه تقول إن الروس ليسوا خدماً لك ولأمثالك، ثم أطلقت من مسدسها الرصاصة على هذا الوزير ولكنها أخطأته، وكانت جائزة (أناهيتا راتب زاد) أن يتولى الأزهر الشريف بنفسه استقبالها في أرض الكنانة في مصر.

ثالثاً: الجوع والقحط الذي تعاني منه أفغانستان، لقد أحرق الروس المزارع، وأصيبت هرات وبادغيس والغرب والجنوب قندهار بالمجاعة لأن الروس ضربوا السدود الذي تعتمد عليه الأراضي الزراعية، فعم القحط، وصبر أهل هرات وبادغيس عاماً كاملاً يعيشون على الأقط على -اللبن الجامد- سنة كاملة لا يجدون خبزاً، فأصابتهم القرح المعدية، وجاءوا إلينا في بيشاور يتعالجون من القرح [illegible] لأنهم لا يجدون خبزاً تحت اللبن الجامد.

جاءنا أهل بادغيس قالوا: إما أن نترك مواقعنا ويسقط الجهاد في بادغيس أو تتكفلوا لنا بثمن الخبز، ثمن الخبز! وأنا ألقيت

محاضرة في منى في هذا العام في رابطة العالم الإسلامي قلت: أيها المسلمون، أيتها الشعوب الإسلامية: نحن نريد منكم ثمن الخبز للمجاهدين، هل تتكفلون بهذا؟ كل مجاهد يحتاج إلى ثلاث روبيات من الخبز يومياً، مع أن ثمن الرغيف الذي وزنه مائة غرام قد وصل إلى ريال وربع في داخل هرات، وهذا مبلغ ضخم لا يستطيع بيت من البيوت أن يوفره، لقد حدثني «كرياب» طبيب من هرات أننا زرنا محمد إسماعيل قائد المناطق الغربية والجنوبية الثمانية زرناه فجأة فارتبك واضطرب وقتها لأنه لا يجد خبزاً يضيفنا، وأرسل أربعة إلى أربع من القرى وعادوا في المساء يحمل كل واحد منهم رغيفاً واحداً.

لقد حدثني بعض العرب أننا عشنا أربعة عشر يوماً في مناطق لا نجد إلا الدوم نأكله، هذا الدوم الذي نواته أكبر من لحمته وفي رمضان!

فالمنطقة الغربية قلت لهم يا أيها المسلمون كل مجاهد يحتاج إلى ثلاث روبيات باكستانية على الأقل يومياً خبزاً، ففي الشهر يحتاج المجاهد تسعين روبية، أي أن نصف مليون مسلح في داخل أفغانستان يحتاجون إلى خمسة وأربعين مليون روبية، أي حوالي ثلاثة ملايين دولار، فهل يستطيع المسلمون أن يقدموا الخبز للجهاد الأفغاني أم يتركونها تتلقى مصيرها بنفسها كحالة أية بقعة إسلامية أخرى يبتلعها التنين كما ابتلع غيرها ثم بعد ذلك نؤبنها بخطب رنانة ودموع حرى وأقوال ودموع هتانة؟!

هذه حال أفغانستان الآن، نحن لم يصلنا منكم يا أيها الإخوة خلال عام واحد شيئاً، أنتم هنا يا أيها المسلمون لم يصلنا! فهل لكم أن تتكفلوا بثمن الخبز لبعض الجبهات، إن كنتم جادين في عواطفكم، صادقين في مشاعركم؟!

لقد أرسل إليّ محمد إسماعيل رسالة يقول لي فيها: لقد بعنا ثياب نسائنا لشراء الطعام للمجاهدين، لقد أعلن أحمد شاه مسعود، لقد أرسل إلي قبل شهرين أن أدركنا حتى نستطيع تخزين بعض القمح والطحين قبل أن تسد الطرق بالثلوج، وكان قد أعلن قبلها من شاء منكم أن يواصل الجهاد معي فليوطن نفسه أن يأكل حبة من البطاطا كل أربع وعشرين ساعة.

أليس عيباً أن تتولى الدول الكافرة، أن تتولى أمريكا وبريطانيا وألمانيا والدنمارك إغاثة المهاجرين الأفغان والمسلمون لا نجد لهم منظمة إغاثة رسمية واحدة سوى الهلال السعودي؟! ليس هنالك إلا منظمة رسمية واحدة وهي الهلال السعودي، وبقية المنظمات لا تكاد تذكر شعبية وميزانيتها أقل من أن نذكرها.

إن الملل الذي بدأ يتسرب إلى النفوس نتيجة كذلك للتضحيات، فلا تدخل بيتاً من بيوت الأفغان إلا وتجده مأتماً، وقلما تدخل بيتاً إلا وتجد فيه مجموعة من الأرامل يرعاها رجل واحد، هذه زوجة أخيه الشهيد، وهذه زوجة أبيه الذي في السجن، وهذه زوجة جاره التي فقدت كل أبنائها وزوجها، وهذه زوجة من أرحامه فقدت كل ما تملك في الحياة من أوصياء وأولياء فلم يجد بداً إلا أن يضمها إلى بيته، تجد مجموعة من المشوهين، ورتلاً من المعوقين في داخل البيت الواحد، هذا قد قطعت يده، وذاك طارت عينه، وهذه البنت شوه وجهها بالنابالم، وهذه قد أكلها الرصاص، حطمت عظامها، أو كسر عمودها الفقري، أو شوهت عظام صدرها.

كيف نوقف سيل الهجرة؟

لا بد أولاً من كفالة الطعام، وكفالة سريعة حتى لا يسقط هذا الجهاد المشرّف الذي رفع الله به اسم الإسلام والمسلمين في الأرض، والذي جعل من المسلمين قوة عظمى ثالثة يحسب لها الغرب والشرق ألف حساب، لقد بدأت أوروبا وأمريكا بالإضافة إلى روسيا تتنبه إلى الخطر الاسلامي المتمثل في الجهاد الذي أيقظه الجهاد الأفغاني، ومن هنا إن وجدنا المنظمات التبشيرية في بيشاور، أو المنظمات الصليبية الغربية الأمريكية وغيرهم في بيشاور وكويتا لا يعني هذا أنها تريد الجهاد، إنها تفزع منه فزع الأطفال من الغيلان والجن، لا تريد أن يتمرد أو ينطلق هذا المارد الجبار الذي طالما سجنته في هذا القمقم الحديدي، لا تريد أن يعود الجهاد عقيدة في نفوس أبناء الأمة، ويرون نماذج حية في هؤلاء الذين شرف الله بهم الأرض، والله كما قلت لو كان الشعب الأفغاني شعباً غربياً لصنعت له التماثيل تعبد من دون الله، وأقيمت لأبطالهم تماثيل تحتفظ في اللوفر وفي متحف الشمع وغيرها، ولا يدعون مفرقاً لطريق أو ملتقى لشوارع إلا وأقاموا عليه نصباً لقائد أو تمثالاً لزعيم، إن تشرشل أو إيزنهاور أو ديغول أو كندي هؤلاء الذين خاضوا الحرب العالمية الثانية يقفون أقزاماً صاغرين أمام هؤلاء المولوية أو العلماء الذين دوخوا روسيا ولطخوا كرامتها بالتراب وأغرقوها في داخل الأوحال.

لا بد إذاً من كفالة الطعام، وأنا قلت لهم في منى في هذا العام نحن نريد يوماً اسمه يوم المرطبات الأفغاني، كل واحد في الجزيرة العربية يشرب على الأقل علبتين من البيبسي كولا أو الميرندا يومياً، فهل لكم أن تصوموا يوماً واحداً في الأسبوع عن مرطباتكم وتقدموها للجهاد الأفغاني؟ فإن فعلتم ذلك فهذا يعني أن في الجزيرة حوالى ثمانية ملايين أو عشرة ملايين، هذا يعني توفير

يوم المرطبات الأفغاني الأسبوعي، هل لنا أن نصوم عن شهوتنا للمرطبات يوماً واحداً في الأسبوع إن كان عندنا بقية من إيمان أو حرارة من إحساس؟

- ثانياً: لا بد من محاولة جادة لإعادة العلماء إلى داخل أفغانستان، والعالم الذي ترك موقعه وخندقه ولجأ هل تعلمون لماذا لجأ؟ لأنه لا يجد الطعام له ولعائلته، فإذا كفلنا له مائة ريال سعودي في الشهر، مائة درهم أي حوالي أربعمائة روبية في الشهر، فإنه يقبل أن يعيش في خندقه إذا كفلت عائلته من الطعام، وهذا مبلغ زهيد جداً، ماذا يساوي مائة درهم في وجود عالم في أرض المعركة يجمع حوله من يربيهم ويزرع فيهم عقيدة الجهاد والاستشهاد، وإذا استطعنا أن نغرس ألف عالم في داخل أفغانستان فهذا يعني أننا نثبت حوالي خمسين ألفاً من المجاهدين في داخل أفغانستان، حول كل عالم لا يقل عن خمسين مجاهداً وطفلاً يتربون على عقيدة الجهاد، وتتفتح أعينهم على القذائف ودوي الرصاص، لا بد من دفع رواتب القادة في الجبهات، هل تعلمون أن قائد الجبهة لا يأخذ روبية واحدة، أسرته مضيعة، كثير منهم لم ير عائلته منذ سنوات، بل لا يستطيع مقابلة عائلته لأنه لا يملك شيئاً يقدمه لهم.

دور العرب في الجهاد الأفغاني:

كذلك من الأسباب الرئيسية التي ندعو إليها السماح للشباب المتحمس من الغيورين من العرب ممن يستعدون للتضحية ويطمعون في الشهادة أن يصلوا إلى أرض المعركة، والشاب العربي الملتزم بدينه له دور كبير في أفغانستان، إن أهم دور للشباب العرب أن ينقلوا المعركة من المستوى القومي إلى المستوى الإسلامي العالمي، وإن كانت هذه الأعداد نادرة وقليلة، مهما قل، مهما قل العرب فإنهم ينقلون المعركة من إطارها القومي إلى الإطار الإسلامي العالمي.

واعلموا أن معركة يتولاها قوم واحد لا تستطيع طويلاً أن تقابل أيديولوجية عالمية كالعقيدة الشيوعية، فلا بد من عقيدة تقابل عقيدة، لا بد من أيديولوجية، تقابل أيديولوجية، لأن المعركة ليست على مستوى أقوام، وليست على مستوى الحدود الجغرافية، إنما هي معركة عقائد ومبادئ وأيديولوجيات، والعربي يقوم بدور كبير في داخل الجبهات، إذ أن الأفغان يعظمون العرب ويبجلونهم ويحترمونهم، لقد أرسلنا بعض الشباب إلى الداخل فعملوا عملاً ضخماً، على ضعف إمكانياتهم، وعلى قلة مستوياتهم، قاموا بعمل التوحيد بين المجاهدين، قاموا بعمل إحياء روح الجهاد التي بدأ الملل يتسرب إليها، لقد بدأوا يعيدون قضية التثبيت للمجاهدين، بأن المجاهد يستحي أن يترك موقعه وعنده عربي قد ترك شركته أو مدرسته أو جامعته أو غير ذلك، يعيش معه ويدافع عن دينه وأرضه وعرضه، كذلك لا بد أن يدخل العرب من أجل أن يعيشوا القضية حية في مشاعرهم ونفوسهم، ولا يمكن للبعيد أن يتفاعل مع قضية كمن يعايشها آناً آناً ودقيقة دقيقة، إن الذي يبيت فوق الثلوج ويتقلب فوق الأشواك ويتذوق مرارة الجوع وضنك وتعب الجبال هذا لا يمكن أن ينسى حلاوة هذه الأيام، تصبح قضية أفغانستان حية في نفسه، قضية هي جزء من دمه وكيانه، يدافع عنها ويعيش من أجلها، ويعود إلى بلده يجمع ما يستطيع من أجل أن يعود بهذه المساعدات لمن تركهم يتلوى من الجوع ويعيشون الفاقة والحرمان.

ولذلك أقول: وإن كان الشباب العرب قلّة إلا أنهم أدوا دوراً كبيراً، ونحن نريد من هؤلاء الشباب العرب ونريد من الجمعيات الإسلامية، والحركات الإصلاحية، والدّعوات أن تتكفل بعض أفرادها وترسلهم لتحيي شعيرة الجهاد في نفوسهم أولاً، وتصوغهم صياغة جديدة تصقل أرواحهم وتصفي نفوسهم، ثم يؤدون ويساهمون شيئاً من الواجب الرباني على أعناقهم، ويقللون من الإثم على عواتقهم.

- ولقد أدّى هؤلاء الشباب كما قلت دوراً كبيراً، كان الأفغانيون يقولون للعرب لو جاز لنا أن نذبح أبناءنا تحية لكم لذبحناهم، لقد حدثني عبد الله أنس الذي عاش تسعة أشهر في مزار شريف قال لقد وصلنا في منتصف الليل إلى قرية، وإذا بدوي البارود وصوت الرشاشات، فظننا أننا وقعنا في كمين روسي، وإذا بنا ندخل فجأة بين صفّين من المستقبلين، قام كل أهل القرية الساعة الثانية ليلاً اصطفوا صفين ليحظوا بالسلام على العرب، لقد كان الكبار، العجائز، الشيوخ يمشون أربعة أيام فوق الثلوج كل واحد يقود بيده طفله صغير من أجل أن يحظى بيد عربي توضع فوق رأسه بركة وتبجيلاً واحتراماً من أجل البركة، أنتم مسؤولون عن هذه المنزلة في نفوس هؤلاء، هؤلاء الشباب الصغار الذين ليس لهم مستوى اجتماعي في مجتمعاتهم خلال شهرين أو ثلاثة أو أربعة يصبح كل واحد منهم مستشاراً للقائد العام في الجبهة يقود آلافاً لا يقطعون صغيرة ولا كبيرة إلا بأمره، هذه المنزلة أنتم مسؤولون عنها أمام الله، (وقفوهم إنهم مسؤولون).

ثم أقول: إنه من العيب أن أرى البنت الفرنسية التي عاشت في مواخير باريس لا تعرف إلا الجنس والشراب تمتطي ذرى الهندوكوش تؤدي رسالة الصليب، تمشي شهراً أو شهرين فوق الجليد ولا أجد مسلماً عربياً واحداً فوق هذه الجبال، إنه من العار علينا أنه أن نجد الآلاف أو المئات -لأكون دقيقاً- من الغربيين بين صحفي وطبيب ومدرس وغير ذلك في داخل أفغانستان ولا أجد عربياً واحداً .....

أحرام على بلابله الدوح *حلال للطير من كل جنس*

نعم إن أجهزة الأمن في بلادنا ترتعد من تنبه شبابنا إلى الجهاد، صحيح، وأجهزة الأمن في بلادنا لا تقبل أن يتنبه أي شاب فيها أن تتفتح عينه على الجهاد، يريدون أن يبقوا غارقين في وحل الجنس:

ولكن إذا لم يكن من الموت بـد *فمن العجز أن تموت جـبـاناً*

إذا لم يكن إلا الأسنة مركبـــا *فما حيلة المضطر إلا ركوبها*

بالله عليك كيف تقابل الله عز وجل غداً؟ تقول له كنت أخشى أن أجهزة الأمن في بلادي ستطّلع على تأشيرة باكستان على جوازي بعد سنة أو سنتين وقد أتعرّض لسؤال أجهزة الأمن؟ كيف تقابل وجه الله عز وجل؟ أناس يموتون على فراش الموت وهم يقولون لكم ناولونا كأساً من الماء وأنت تقف متفرجاً من بعيد تقول والله أخشى أن تسألني أجهزة الأمن بعد سنة أو سنتين، أي عقيدة هذه التي نحملها بين جوارحنا؟! أي مبدأ هذا الذي ننادي لنصرته وندعي أننا نريد أن نقيم للإسلام كياناً ونقيم لهذا الدين منارة وخلافة ودولة ومجتمعاً؟!

إن الأفغان مستعدون أن يفتحوا صدورهم ويضعوكم بين جوانحهم ويطووا عليكم قلوبهم، وستخترقون الشغاف، شغاف الأفئدة إلى داخلها، بشرط واحد: أن تعامل الأفغان كأناسي أو كبشر، لا تتعاملون معهم باستعلاء وكبرياء وغير ذلك كما فعل بعض الجهلة الذين زاروا الجبهة.

هؤلاء الذين شرّفوا الأرض، والله شرّفوا الأرض هؤلاء الأفغان الذين يخطّون الآن تاريخ الإسلام، لقد توقف تاريخ الإسلام عن المسير، وليس هنالك إلا قلم واحد يكتب خطّ الإسلام الآن بالدّم هو فوق ذرى سليمان وفوق جبال الهندوكوش، فإذا قمنا بزيارة بسيطة لا ننظر إلا لبعض التمائم على عواتقهم، أو ببعض الأحراز في أعناقهم، ثم نعود ندّعي أنهم مشركون وأن المعركة، بل لا أدري كيف تسمح أنفس هؤلاء لألسنتهم أن يقولوا إن المعركة في داخل أفغانستان هي حربٌ بين المشركين الأفغان وبين الملحدين الرّوس، والله لقد قالوها، أناس جيوبهم منتفخة وبطونهم منتفخة لم يصلوا الحدود يدّعون هذا الادّعاء وينشرونه في أرض الجزيرة، ممّا جعل القلوب تنقبض من الجهاد الأفغاني، والأيادي تكفّ عن البذل والسخاء، إن عاملتموهم كبشر هم يضعونكم فوق رؤوسهم، وإن استعليتم عليهم فلقد استعلوا على أقوى قوى الأرض، لقد استعلوا على روسيا، لقد قدموا هذه التضحيات كلها حفاظاً على عزّتهم، أنتم تريدون بدراهم بخسة وبأموال نجسة تريدون أن تذلوا أعناقهم وأن تلصقوا أنوفهم بالتراب، إن عاملتموهم كبشر فإنهم سيضعونكم فوق أعناقهم، فوق رؤوسهم، أنتم أئمتهم، وأنتم قادتهم، وكما قال لي بعضهم، لقد قال لي أحد الشباب وهو بينكم عائد من المعركة قبل أيام وأحب أن يأتي لهذا المؤتمر قال لي يقولون لنا آباؤكم نشروا الإسلام في بلادنا وأنتم جئتم تحافظون على الإسلام في بلادنا.

لا بد من تفريغ بعض الدّعاة ليعيشوا في أرض المعركة، إن الذين يقولون إن الجهاد الأفغاني ليس بحاجة إلى رجال هؤلاء لا يدركون طبيعة الجهاد الأفغاني، وأنا أقول من موقف العارف، من موقف الذي يعيش ليل نهار مع الجهاد الأفغاني منذ خمس سنوات أو أربع سنوات ونيّف بالدقة أقولها إن حاجة الأفغان للرّجال أشد من حاجتهم إلى المال، إن حاجة الأفغان للدعاة الذين يعلمونهم دينهم أشد من حاجتهم إلى المال والمختصين من الأطباء والجراحين والمهندسين.

لقد صليت ذات يوم بكتيبة من كتائب المجاهدين صلاة الفجر يوم الجمعة وقرأت في الركعة الأولى سورة السجدة وسجدت، فانسحب خمسة وسبعون من الصلاة يضحكون علينا يقولون إنهم يصلّون الفجر ثلاث ركعات، من الذين سيسألون أمام الله عز وجل عن هؤلاء؟ هؤلاء كل ما لديهم قدموه، ذبّحت أطفالهم، هدّمت بيوتهم، دمّرت مزارعهم، سفكت دماؤهم، جيل قد استيقظ على دويّ المدافع والرّصاص، لم تتح له الفرصة أن يتلقى الثقافة الإسلامية وأن يعرف الإسلام على يد عالم في مسجد، لقد هدمت المساجد، ولا مدرسة يدخلها لأنه لا يوجد مدارس في أرض المعركة، فمن الذي يقوم بهذا الدور؟ أليس لكم أنتم الدور الكبير؟ أليس عليكم واجب كبير؟ أو تقعون في شر مستطير، وأرجو الله عز وجل أن يحميكم من نار السعير.

المشاكل التي تعترض الجهاد:

هنالك مشاكل كثيرة تعترض الجهاد الأفغاني، منها المشاكل الداخلية والمشاكل الخارجية.

أمّا المشاكل الداخلية: فقد تعرّضنا لمشكلة الجوع والهجرة، ونتعرّض لمشكلة التعليم ومشكلة الصحة.

بالنسبة للصحّة لم يدخل أرض أفغانستان إلا طبيبان عربيان عاشا بين المجاهدين، طبيبان عامّان فقط، ولكن ماذا للدول الغربية

منذ أربع سنوات هنالك بعثة طبية فرنسية في داخل مزار شريف -بلخ- من الفتيات الفرنسيات والرجال الفرنسيون، وماذا يفعل هؤلاء؟ يقول أحدهم بصراحة بعد أن شدد عليه أحد إخواننا العرب ماذا تصنعون؟ قال كما أنتم بنيتم مسجداً في باريس، نحن نريد أن نبني كنيسة في مزار شريف.

في بنجشير ثماني وحدات صحية للفرنسيين، هنالك مائة وستة عشر طبيباً في داخل أفغانستان يعملون مع الفرنسيين، هنالك تسعون عيادة سويدية في داخل أفغانستان، وأنت تعجب من إصرار هؤلاء على تبليغ رسالة الصليب عن خلال الحقنة التي يعطونها للمجاهد، الأمصال الواقية، التطعيم ضد الجدري والحصبه والتتنس، يحملون الأمصال على ظهر حمار في ناحية من الخُرج الأمصال الواقية ولكنها قد تموت، وفي الناحية الأخرى ماتور صغير يولد الكهرباء لثلاجة صغيرة في داخلها الأمصال الواقية وعلى الحمار، والفرنسي وراء الحمار حتى يبلّغ الأمصال إلى المجاهدين.

يحدّثني جلال الدين حقاني قال: دخل عندي طبيب فرنسي وطبيبة فرنسية، قلت لهم: من أنتما؟ قالوا: نحن زوجان نريد أن نخدمكم، تفضلوا في داخل أفغانستان، قال: بعد فترة وجدت أنهما غير متزوجين ففرقتهما، قال: وجدت أنهما يتسلّلان إلى بعضهما في الليل، وضعت حارساً على هذه الخيمة وحراساً على هذه الخيمة، وأخيراً لشدة الجوع ذبحوا قطاً وأكلوه، ثم بدأت البنت تغري المجاهدين وتراودهم عن أنفسهم، فسجنتهما وطردتهما، ولا زالا يراسلانه حتى الآن نحن مستعدون أن نعمل بأي شرط تريد، وبأي بيئة تحدّد، فقط نريد أن تسمح لنا أن نعود إلى أفغانستان، أي إصرار على تبليغ المبادئ هذه، لقد أسلمت على يدي -ليس يدي أمامي- بنت فرنسية اسمها (إدلين غوي)، قبل ستة أشهر أعلنت إسلامها، جاءت لتخدم رسالة الصليب وتعبّر عن هواية شخصية عن نفسها، فأسلم صاحبها (Boy Frind) عندما وجد أن البندقية واقفة أمام الدبابات (T55-T54)، قال في نفسه إن هذه ليست طاقة البشر، إن هنالك قوة وراء هذا الجهاد، وأيقن أن الله هو الذي يؤيد هذا الجهاد.

بنت والله عجيبت، الفرنسية ناعمة لها مستقبل في حياتها جاءت تعيش على الفاقة والحرمان والجوع، ماذا وراءها؟ ما هي الدوافع التي وراءها، ثلاث وعشرون منظمة صليبية في داخل بيشاور تخدم الصليب باسم الإنسانية والتطبيب والمستشفيات، وليس هنالك كما قلت إلا منظمة إسلامية واحدة اسمها الهلال السعودي، منظمة رسمية واحدة مقابل ثلاث وعشرين منظمة، في مركز واحد في داخل بيشاور قطّعت ثلاثة آلاف وخمسمائة قدم للمجاهدين في سنة واحدة، فيسألهم أحد إخواننا الأطباء يقول لهم: لماذا تقطعون هذه الأرجل وبهذه الأعداد الكثيرة؟ قالوا ليس عندنا أسرة حتى تحتويهم وتعالجهم عدة أشهر، ثلاثة آلاف وخمسمائة قدم، إن الغرب حاقد على عقيدة الجهاد، ولذلك لا يريد هؤلاء أن يعودوا لأرض المعركة، ومن هنا يبادرونهم فور استلامهم عن الحدود يقولون لهم أنتم مجانين؟! أنتم تريدون أن تقابلوا روسيا؟! ها أنت قد قطعت رجلك أو قطعت يدك، سوف تعيش عاطلاً طيلة حياتك، فيثبطون عزيمته، ويثبطون همّته، وأنا كتبت في المجلة التي نصدرها (الجهاد) رسالة عاجلة إلى أطباء المسلمين، أين المسلمون؟

لقد فتحت عدة مستشفيات بأيد إسلامية، هل تصدّقون أننا حتى الآن لم نجد طبيباً واحداً ماهراً مختصاً بالعظام، أو الجراحة العامة، دفعنا لهم مبالغ، يا أيها المتفرغون في الغرب، يا من تعيشون وتريدون خدمة الإسلام نريد منكم طبيبن مختصين بالعظام وطبيبين مختصين بالجراحة العامة، ونحن نعطيهم ألفي دولار شهرياً من الأموال التي نجمعها من جيوب المحسنين، ماذا عليكم لو تكفلتم بإرسال طبيب واحد من بريطانيا مختص بالعظام، جاءنا الدكتور حسن غالي من (تيس) ومكث عندنا شهراً ونصف، ثم عرضنا عليه قلنا له أنت ترى أن كل الإصابات في العظام وحاجتنا إليك، كل المستشفى قائم على أمثالك، قال: أنا مستعد، لكن ارتبطت بعقد مع السعودية، إن اعتذرتم لهم فأنا مستعد أن آتي وأستلم المستشفى، ولم نستطع أن نعتذر للمستشفى في السعودية.....

كلمة الشيخ عبد الله عزام في لاهور*

رسالة شفوية لقادة الحركات الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) (الأنفال: ٣٩)

حدد لنا الشيخ خمس دقائق جزاه الله خيراً، أنا أقول يا أيها الإخوة أولاً: جزى الله الجماعة الاسلامية خير الجزاء على هذا

---

* الكلمة مسجلة على شريط فيديو، آخر كلمة ألقاها الشهيد عبدالله عزام أمام جمع كبير حضره قادة الحركات الإسلامية في العالم وذلك بدعوة من الجماعة الإسلامية الباكستانية، وقد ألقيت هذه الكلمة بعد عودته مباشرة من الزيارة الأخيرة للكويت وقبل استشهاده بأسبوعين -تقريباً-.

اللقاء. ثانياً: لا بد من ترتيب الأولويات في العمل الإسلامي، فنحن كرجال للدعوة الإسلامية وضعنا في منهاجنا إقامة دين الله في الأرض، وإشادة مجتمع، إقامة دين الله عز وجل في الأرض، لا يمكن أن يكون إلا في التركيز على بقعة في الأرض يقام فيها دين الله كما قام أول مرة، إن توحيد الأمة الإسلامية لا يمكن أبداً إلا إذا كان للمسلمين دار تؤوي ضعفاءهم، وتتكلم باسمهم، وتجاهد من أجلهم، فلا بد أن نتبع المنهاج الذي اتبعه رسول الله ﷺ أول مرة، بحث عن بقعة أرض، أقام فيها دين الله، ربى فيها جماعته، انطلق يتوسع حتى كون دولة مركزية قوية دانت له الجزيرة العربية، بعدها دخل الناس في دين الله أفواجاً.

لا يمكن أبداً توحيد الأمة الإسلامية بدون جهاد وبدون قتال، لا يوجد الآن بقعة إسلامية في الأرض مرشحه لأن يقوم عليها دين الله أكثر من أفغانستان، أكبر معجزة في هذا القرن بل في القرون الثلاثة الأخيرة أن ينتصر شعب مسلم أعزل على أكبر وحش في هذه المعمورة، فالروس هزموا شر هزيمة، وضربت الشيوعية بقاصمة الظهر إثر هزيمتها في أفغانستان.

نقل أخونا أن النيويورك تايمز قالت أن الرأسمالية الأمريكية قد ضربت الشيوعية ضربتها القاصمة، ولكن ليست الرأسمالية الأمريكية هي التي ضربت الشيوعية، يقول وزراء دفاع الناتو (الأطلسي) لكارلوتشي وزير الدفاع الأمريكي السابق يبدو أن غورباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب، قال لهم كارلوتشي: إن الجهاد الأفغاني قد أجبر غورباتشوف أن يغير سياسته تجاه العالم أجمع[1].

يا أيها الإخوة:

الجهاد الأفغاني منتصر، التشويش الإعلامي والتشويه الصحفي والحملة الشعواء التي تشن الآن عليه لحرق قادته وتحطيم أفذاذه وتلويث سمعته يقصد منها ثلاثة أشياء:

القضية الأولى: إعادة الجهاد الأفغاني من قضية إسلاميه عالمية إلى قضية قومية محلية حتى يمكن ابتلاعها من خلال المؤتمرات الدولية.

الهدف الثاني: مسح آثار الجهاد الأفغاني في أعماق الأمة الإسلامية بعد أن بنى هذا الجهاد عقيدة التوكل على الله في أعماقها من خلال الجماجم والدماء، ومن خلال الأعضاء والأشلاء.

الهدف الثالث: أن تكف أيدي المحسنين عن هذا الجهاد حتى يخنق بعد أن تنكر له الصديق والعدو، وتجهم له القريب والبعيد.

أنتم ماذا تريدون؟ ماذا تريدون يا قادة الحركات الإسلامية؟ تريدون دولة إسلامية؟ بقعة أرض؟ كنا نقول نريد بقعة أرض مهما صغرت لنقيم عليها حكم الله في الأرض، أمامك أفغانستان مساحتها ستمائة وخمسون ألف كيلو متر مربع، كنا نقول لو استطعنا أن نجمع كمية قليلة من الأسلحة ندافع عن الدعوة وعن الحركة؟ هذا شعب بكامله يحمل السلاح ويقوده أبناء الحركة الإسلامية الراشدة الأم، فماذا تريدون؟! فرص لم تتوفر لكم عبر نصف قرن أبداً، إن فاتتكم قضية أفغانستان ابحثوا خلال نصف قرن حتى تجدوا فرصة أخرى مثل قضية أفغانستان يكف الغرب فيها فترة طويلة عن حربه حتى أخرجه الله عز وجل من بين أيديهم وتمرد على العالم أجمع، ماذا تريدون؟

الآن المجاهدون على أبواب كابل، الحملة الإعلامية الشعواء تريد أن تبين ضعف الجهاد الأفغاني، كابل معزولة عن روسيا، معزولة عن المدن الأفغانية، معزولة عن العالم، طريق كابل قندهار مغلقة، كابل جلال آباد مغلقة، كابل روسيا مغلق، ممر سالانج مغلق، كابل هرات مغلق، كابل شريكار مغلق، كابل بغلان مغلق، هل يمكن لدولة عاصمتها مخنوقة أن تستمر في هذا الوضع ؟! هل يمكن لنجيب بوضع مثل هذا كل يوم يرسل رسائله لقادة الجهاد هل يمكن أن يستمر مثل هذا الحكم.

يا أيها الإخوة:

المجاهدون الآن على أبواب كابل، على بعد مائة متر من مطار قندهار، على بعد مائة متر من مطار بكرام، مطار خوجه رواش كابل مغلق، الشيوعية تعاني من أزمات، الصراع بين أجنحة الحزب الحاكم، فماذا تريدون فرصة أحسن من هذه الفرصة إن كنا جادين أن نقم دين الله في الأرض ونطبق شرعه فوق بقعة من البقاع ؟!

يا أيها الإخوة:

ابدأوا الآن بعمل جاد في أي مكان تريدون، لو بدأنا الآن بعمل جاد في أي صقع من الأصقاع أو أية بقعة من البقاع هل يمكن خلال عشرين سنة متواصلة أن نصل إلى عشر ما وصله الجهاد الأفغاني ؟! لا يمكن !

يا أيها الإخوة:

المجاهدون منتصرون، موقفهم قوي، يا أيها الإخوة: أسقط المجاهدون من شهر فبراير إلى بداية سبتمبر مئتين وخمس عشرة طائرة، ودمروا مئتين وستين دبابة، وأحرقوا ألفين ومائة وتسعاً وخمسين سيارة، و ألفاً وأربعمائة وخمسة وثمانين مدفع، وقتلوا من جيش الدولة خمسة وعشرين ألف جندي، فماذا تريدون بعد هذا؟ نعم هنالك بعض الخلافات، لكن هذه الخلافات ما اكتشفتها أمريكا إلا بعد ما خرجت روسيا؟! ما عرفتها أمريكا إلا الآن من خلال حادثة تخار التي قتل فيها خمسة من القادة؟! الخلافات موجودة، فهذه تستدعي منكم كقادة للحركات الإسلامية أن تفرغوا لجنه مستمرة الدوام في بيشاور تواصل إصلاح ذات البين، المجاهدون بدأوا يرجعون منذ أيام من حول كابل، نسألهم ما بالكم؟! يقولون: خلص الطحين وليس عندنا سليبنك باك - بسترات، أكياس نوم-، نحن نريد من المسلمين فقط أن يؤمنوا الطحين، ليس لكل أفغانستان، فهم لا يستطيعون، نريد أن نؤمن الطحين والرز للجبهات الساخنة التي تحيط بالمدن إحاطة السوار بالمعصم، نريد أن نوفر لكل مجاهد حول المدن في المعارك الساخنة كيس نوم، نريد منهم أن يقدموا بعض الدعاة الناضجين ليقوموا بعملية الإصلاح التي هي كذلك من ضرورات الساعة، نريد منهم أن لا يغضوا طرفهم عن أخطر قضية في الأرض وأنجح قضية في الأرض وأقرب قضية إلى إقامة دين الله في الأرض، لن تصلوا مهما بحثتم في أي بقعة أخرى إلى نتيجة مثل نتيجة أفغانستان، فلا تضيعوا الثمار بعد أن اقتربت من القطاف، ولا تسقطوا اللقمة بعد أن وصلت إلى الفم، والشعب الأفغاني طال جهاده، وطحن طحناً، ...م الكثير الكثير، ومع ذلك هو يقول:

هـاتف والصعاب تحدق فيـــه	*وهو في ســاح الزمان وحيـــد*
مسلم يا صعاب لن تقهرينـــي	*صارمي قاطع وعزمي حديـــد*
سأبقى في جبين الصبـــــر	*وشمـــاً ليمـس ينفصـــــل*
أشرع عهامتـــي للنـــار	*لـــلأشــواك أنتعــــل*
أراقب هيـــة الإيمـــان	*يحدوها الشــذا الخضــــل*

نريد مجموعات من الدعاة، ماذا على كل قطر إسلامي لو قدم مائة شاب ناضج لقضية أفغانستان؟ مائة شاب، ماذا على المسلمين لو قدموا لمن صنعوا المجد بالدماء الأحذية والكساء والغذاء؟ ماذا عليهم؟! والآن لا يجدون بعد أن شح العطاء لا يجدون القذائف، لا يقذفون التي بين أيديهم يقولون نريد أن نوفر بعضها حتى ندافع عن أنفسنا إذا هجمت الدولة.

فيا أيها الإخوة: انتبهوا لأفغانستان، انتبهوا لأفغانستان، فكل ما تعملونه مهم، ولكنه دون الأهم، دون القضية التي جاءت على ...در من الله، وانتصرت في الأرض انتصاراً يشرف هام الزمان، وسطرت بدمائها وبأحرف من نور على جبين الزمن وفي صفحات التاريخ الحديث أن الإسلام لن يموت، وأن أمة الإسلام لن تقهر، قدموا مجموعة من الإعلاميين والمهندسين الكهربائيين والأطباء الجراحين والدعاة الناضجين، ولا تنسوا المجاهدين من الطحين، والله سائلكم يوم الدين[1]، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة للعلماء[*]

[2] إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن ... فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، صلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله، وعلى من اتبعك بإحسان إلى يوم الدين، وبعد :

فيا أيها الإخوة :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

في مثل هذا المقام ماذا يتكلم ؟! وخاصة أمام مثل هذه الزمرة وأمام شيخنا أكرمه الله وحفظه ، لكن نرجو الله عز وجل أن يفتح ...نا، وأن ينفعنا وينفع بنا، ويجعل كلامنا خالصاً لوجهه :

يقول الله عز وجل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم :

...يبدو أن الشيخ ألقى هذه الكلمة وكأنه يودع قادة الحركات الإسلامية بهذه الوصايا.

...يط رقم: (٤٠) كان إسم الشريط دروس فقهية سابقاً فاستبدلناه بـ (كلمة العلماء)، وقد ألقيت هذه الكلمة في الحج أمام حشد كبير من العلماء.

...الوجه الأول سجلت عليه كلمات لبعض المشايخ ولم نجد عليه من كلام الشيخ عبدالله إلا صفحتين، أما الوجه الثاني لهذا الشريط فهو مشوش وغير مفهوم وتختلط فيه أصوات مختلفة ...نستطع تفريغه.

(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)

(آل عمران: ١٠٤)

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)

(آل عمران: ١١٠)

والآيات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة . فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو عمل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، واختتم بكل الرسل الرسول ﷺ ، جاء ورثة الرسل الذين يحمون دين الله عز وجل، وورثة الأنبياء هم العلماء.ففي الحديث الحسن جاء بروايات كثيرة : -

(إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وإنما ورثوا العلم).

(وإن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى الحيتان في البحر لتستغفر إلى معلم الناس الخير) .

فالمعلم الذي يعلم الناس الخير، السموات والأرض بمن فيهن والله وملائكته يستغفرون له ، وفي المقابل الذين يكتمون الخير والعلم عن الناس .

(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) (البقرة: ١٥٩-١٦٠)

وجاء في تفسيرها عن مجاهد وعن غيره: قال أتدرون ما (اللاعنون) ؟ دواب الأرض تلعن علماء السوء الذين يكتمون الخير ، فمعك صفحتان متقابلتان، الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى الحيتان في البحر تستغفر لمعلم الناس الخير .

وفي المقابل الله وملائكته والدواب في الأرض تلعن الذي يكتم الخير عن الناس.

وقف رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في حضرة أبي هريرة، فقام رجل من الجالسين وقال له : أسكت ما عليك إلا نفسك ، فقال أبو هريرة -للذي اعترض -: كذبت والله إن الحبارى لتموت هزالاً في وكرها بسبب كتمان الخير . (الحبارى: العصفور الصغير) تموت ضعفاً في وكرها بسبب كتمان الخير.

ولذلك مهمة العلماء مهمة جليلة ، مهمة عظيمة عند الله عز وجل، وهم مسئولون أمام الله عز وجل بعد الأنبياء .

كما يقول ابن القيم : إذا كان منصب التوقيع عن الملوك من المناصب السامية، فكيف بمن يوقع عن رب الأرض والسموات؟! فليعلم المسلم عمن يوقع فتواه ، وأنه غداً موقوف ومسئول بين يدي الله.

ورب العالمين أناط مهمة حفظ الدين بالعلماء:

(إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والنبيين والربانيين والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون) (المائدة: ٤٤)

................[1]

---

(١) الشريط فيه تشويش لم نستطع تفريغه.

رحلــــة الشمال *

......(وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين)

(آل عمران: ١٤٠-١٤٢)

إيه يا أفغانستان الحبيبة! أية مكانة حللت من القلوب الصادقة، وأي رواء وصفاء أضفيت على أمواج الحياة الدافقة؟! كيف فتنت الأفئدة بحبك؟! وأنى تسللت إلى شغاف القلوب بودك؟! حتى سارت بذكرك الركبان، وأصبحت نشيداً عذباً على كل لسان، وروضاً نضيراً يتفيأ ظلاله الخلان، ولحن البسالة والعنفوان، وغدوت مرآة لتضحيات أهل الزمان، على القمم والذرى في الهندكوش وبنشير وبدخشان !!

يا أرض أبي حنيفة! يا قمراً أطل في ظلام الدياجي! ويا صارماً انتضل بأطهر الأيادي! ويا رمحاً أغمد في أكباد الأيادي.

يا بلاد ابن حبان، كيف أصبح لك في كثير من البيوت عاشق؟! و كيف انسابت عباراتك كلجين الماء الرائق؟! وكيف اقترنت مع الأرواح اقتران الواله الوامق؟!

يا مسقط البدخشي والرازي والجوزجاني! لقد برح الشوق إليك بالقلوب المدنفه، وأصبحت شمساً كشف الأيادي المرجفه، وغدوت طيفاً جميلاً يداعب النفوس الملهفه، فكنت بلسماً للجراح النازفة.

يا أرض عبد الرحمن بن سمرة وسهل بن حنيف.. ما بالك تفخرين بالروابي والقفار، لتنقلي إلى الدنا روائع الأخبار؟! ومالك لا تسامين التضحية بأفذاذ الأبرار، ولا يملُّك السمَّار حتى مطلع الأسحار؟!

أيتها المعشوقه الألوف، ساحرة أنت وإن لم تلبسي الشفوف، حسبك ما أضرمت من نار الشوق في قلوب الألوف، وكفاك ما أرقت من أجفان المحبين في الصفوف.

أيتها الحبيبة العفيفة، كم أذابت مرارة عزمتك من أغلال وقيود؟! وكم أيقظت صرخاتك من السادرين في الركود؟! وكم رددت نغماتك فيالق الجنود؟!

أيها اللحن العذب الجميل.. كم أسلت من العبرات في المدامع؟! كم نكأت كلماتك من الجراح فأحيت به المواجع؟! رقراق أنت مع أنك صدى دوي المدافع، نسيم صبا، ولكنك زفرات وَجْد نافع.

يا حساماً لم تصبه الكهامه، ويا جليساً لم تشمت به السآمة، ويا جواداً لا يطيقه لجامه، سقياً لأيامك وحفظاً لعثرات أعلامك.

يا رب احفظ هذه القمة الشماء، وارعَ بعينك هذه الروضة الخضراء، حتى يرضى عنها ساكن الأرض والسماء، وجنب -اللهم- بناءها من الفخر والرياء، وارزقهم النقاء والصفاء والسناء، واسألك اللهم لنا ولهم العفو والعافية من البلاء، يا أرحم الراحمين.

سارت المسيرة، مسيرة الدم والمرارة، وأشرعت السفينة فوق أبحر الدماء، لترى هؤلاء الذين صنعوا بأمجادهم حصوناً تطاول عنان السماء، وتناطح السحاب في الجوزاء، جبال قطعناها، وأياماً أمضيناها لا تكاد تنسخ من الذاكرة مهما مر كرُّ الدهر وطالت أيامه.

الشيخ رباني يقود المسيرة على رؤوس الجموع:-

يفدي بنيك أبا شيخي بحاسدهم	*بجبهة العير يفدى حافر الفرس*
أبا الغطارفة الحامين جارهـم	*وتارك الليث كلبـاً غير مفتـرس*
من كل أبيض وضـاح عمامتـه	*كأنمـا اشتملت نوراً عاقبـس*

وسار الموكب بين ديوانه بابا ومجاهد كوتل، وديوانه بابا جبل يستغرق صعوده ونزوله نصف يوم، أما مجاهد كوتل فقد كان اسمه كافر كوتل، فأطلق عليه الأستاذ رباني مجاهد كوتل، وهو يستغرق من النفس كل جهد، ويبذل به الجسد كل طاقة حتى يدرك قمته الشماء التي تطاول عنان السماء.

ومن ذروة سنام مجاهد كوتل يوجه الأستاذ رباني كلمته التاريخية إلى العالم الإسلامي وإلى المجاهدين في أفغانستان، جبل كنا في ذروته التي ترتفع أربعة آلاف متر فوق سطح البحر، بعد أن أجهدنا العرق وبلغ منا العناء كل مبلغ، تكلم الأستاذ، وتكلمت بعده، وما

---

* هذه المادة من تعليق الإمام الشهيد عبدالله عزام على شريط الفيديو بعنوان (رحلة الشمال) الذي رافق الإمام من خلالها الشيخ رباني إلى شمال أفغانستان عام ١٩٨٨م.

أجملها أن تطل على بدخشان بعد أن ودعت الصفحة الأولى من مجاهد كوتل لنبدأ بالنزول إلى بدخشان، الأستاذ يتكلم عن تاريخ سطر بالدماء، وبنيت أمجاد حصونه بالجماجم والأشلاء، لقد كان القوم وكنت بينهم مغتبطين كل الاغتباط، إذ أننا ودعنا هذه العقبة الصلداء الكئود لندخل في بدخشان.

سرنا أولاً، سرنا من چترال إلى كرم چشمه ومن كرم چشمه، إلى ديوانه بابا، وقطعناه بنصف يوم، وتغدينا عند الحاج متين، ثم إلى مجاهد كوتل حيث وجه كلمته، والآن بدأت زرقة السماء والقمم الشماء.

والحق وأنا أمتطي صهوة هذا الجبل الأشم أدركت كم يلحق المجاهدين من عناء وهم يحاولون نقل أمتعتهم إلى داخل أفغانستان، ما كنت أظن أنني أبلغ القمة، كيف والثلوج تكسوه وتجمد الثلج إلى جليد، وبدأت الانزلاقات، انزلاقات الخيول والحمير وهي محملة بالأمتعة والذخيرة، كل يدفع حماره، والآن يبدو أحمد شاه مسعود ليث بنشير في تخار فرخار وهو يعد لخروجه للقاء قائده وأستاذه الذي طال إليه شرقه، ولم يكحل عينيه برؤيته منذ سنوات، وبدأت سيارة كانت إحدى غنائم المجاهدين من أيدى أعداء الله، وكل ما في أيدي المجاهدين من سيارات وناقلات ودبابات إنما هي من أيدى أعداء الله، لحاهم في وجوههم نور، شباب والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أرجلهم، كليلة عن الباطل أعينهم، أنضاء عبادة وأطلاح سهر، وقد نظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، موصول كلالهم بكلالهم، كلال الليل بكلال النهار، وبدا الغبار، وهؤلاء الجنود الذين يلبسون بزتهم العسكرية، وقد أقبل أحمد شاه على فرسه متحركاً من فرخار نحو الغابة، نحو كران ومنجان ليواجه قائده:

ليث بنشير غير خاف بسلاؤه	*تزدهي أرضه به وسماؤه*
رق حتى قد قيل نفحة روض	*كلك وشي زهره أنداؤه*
وسطا فالحمام أحمر لا يؤ	*من بالليل والنهار لقاؤه*
فاتاهم تحت العقاب حسام	*ليس يخزيه في مضاؤه الهياج*
عاث فيهم فهارب وأسير	*وقتيل تناثرت أشلاؤه*

هؤلاء يتقحمون الأهوال، وكم خاضوا من غمار المعارك في أرض الرجال ومكر النزال، شباب بدأوا مسيرة الشرف والفخار وعمرهم لما يتجاوز السادسة عشرة.

نيرانهم من حطب الغابات، هي دفئهم ولطهي طعامهم، وطعامهم أحياناً لا يتعدى الشاي الذي ليس فيه السكر، والخبز الذي جف حتى أصبح جلفا.

إنهم في الغابة، ها هي الخيول..

ترد الجياد الجرد فوق جبالها	*وقد ندف العنبر في طرقها العضبا*

أي ندف الغمام – الثلج الأبيض – في الطريق وفوق رؤوس الجبال، وهذه الجرد لعتقها ولجودتها قد نزل شعرها فهي جرداء.

هؤلاء الشباب تظهر صورتهم بالبزة العسكرية وهم الآن يصطفون في كران ومنجان في لهف شديد وشوق بالغ للقاء القافلة التي طالما هفت لرؤيتها القلوب، يبدو أحمد شاه في بزته العسكرية والتي يلبسها كل جنوده الذين يصلون عشرة آلاف على الأقل يلبسونها من الصباح حتى بعد صلاة العصر لا يسمح لأحد منهم أن ينزعها، ها هو يصف جند الله وليوث الغاب مستعدة للقاء من غاب بعد عشر حجج أو نيف، وأقبلت الخيول، وبدا أحمد شاه مرة أخرى على جواده، وأقبل الأستاذ رباني، أقبل وها هي الخيول والجياد.

وترجل الفرسان عنها، وأقبلوا ليعانق بعد قليل عناق الواله الوامق تلميذ لأستاذه وجندي لقائده، ها هو أحمد شاه بارز في الصورة، والأستاذ رباني كذلك يتقدم ليحيي الليوث المصطفة والأسود التي برزت تنتظر هذا القائد، كأني أقف لأول مرة أمام مشهد من مشاهد الجهاد رغم أنني أعيش بين هؤلاء المجاهدين منذ سبع حجج ونيف، ها هو الشيخ رباني، بدأ آرينبور يوجه كلمة ترحيب لحضورنا، فحيا الأستاذ رباني وحياني، وآرينبور هو نائب أحمد شاه مسعود وقائد كشم، ومن أنضج أبناء الدعوة الاسلامية وأصفاهم، ولم يخرج من أفغانستان لحظة، إذ هو بين أحجار الرحى وتحت الحمم المتساقطة منذ الطلقة الأولى التي أطلقت ١٩٧٥م حتى الآن، لم يخرج من حدود أفغانستان، ويعتبر آرينبور الرجل الثاني بعد أحمد شاه في الجمعية في شمال أفغانستان، وإنه لبقية من السلف صفاءً ونقاءً– كما نحسبه ولا نزكي على الله أحداً–.

وقد ألقى الأستاذ رباني كلمة حيا بها الجنود، جند الله، حيا فيها البطل أحمد شاه مسعود أمير شوراي نظار الذي كونه من قادة الجمعية في الشمال، ويصلون إلى أربعمائة قائد بين صغير وكبير، ووراء الأستاذ رباني يبدو لبيب وهو أحد طلابي في جامعة الجهاد والدعوة ومن درواز، يبدو وكأنه رجل غربي لأن أهل درواز يعيشون بين الثلوج طيلة العام، ويحيي رباني كذلك آرينبور، كذلك

يحيي نجم الدين، وأريتبور هو نائب أحمد شاه مسعود وأمير الولايات الأربع الشمالية بدخشان وتخار وقندز وبغلان، وأما نجم الدين فهو القائد العسكري المغمور، إذ تحت يده من ليوث الغاب ما يربو على الثلاثة آلاف، ومن ميزات هذا القائد أنه يخوض غمار المعارك بنفسه، ويقتحم الأهوال في مقدمة الصفوف.

وتلفت الميدان مــــل مـــن	*طارق هل مـــــن صـــــلاح*
أنـــا صحت أطلب عـــونهم	*أتراهموا سمعوا صياحـــي*
القدس في أســــر اليـــهود	*وهــــم علـــــى ودن وراح*
والمسجد الاقصى غدا فـــي	*الأرض مغلـــول الســـــراح*
ومـــن القفــــار الجـــرد	*تبزغ نبعة الماء القــــــراح*
لتدفقت جند العقيــــــدة	*أنهراً فــــي كل ســـاح*
زهواً بالوية الكفـــــــاح	*وبالبطولات الضحــــــــاح*
وحداؤهم قرآن عنـــــوان	*الهدايـــــة والفــــلاح*
قالوا لئن شـح العـــطاء	*فنحـن للـــدين الأضـــاح*
وعلى الطريق شدا الرجـــال	*بالســـن البـــذل الفصـــاح*
والنصر يأتي بالدمــــاء	*وبالعنـــــاء وبالصفـــاح*

نعم، إنها لحظات تاريخية ووقفه عز مشرقة، شامة في جبين الزمن لا تنفصل عنه، وما يمكننا أن نقف هذا الموقف ونسير أياماً وليالي فوق العناق المذاكي أو في داخل السيارات لا يقابلنا شيوعي ولا روسي، وما وصلنا هذا المبلغ ولا قطعنا هذا المدى إلا بأنهر الدماء التي سالت، وبحمامات الدم التي غسلت ربوع أفغانستان..

فتلك ربوعهم بالدافق المــــوار تغتسل	*وتلك جماجم الاطفال تهنو وهي تبتهل*
وكل قذيفة يشدو على أنغامها الأمـــل	*ومن بوابة الأفغان للتاريخ قد دخلـــوا*

- ما هو الشيخ رباني لا زال يوجه الكلمة لهؤلاء الجند بعد عشر سنوات من كفاح عز على التاريخ أن يضم بين صفحاته مثله، أو أن يكتب في صفحاته المشرقه أياماً أو آيات من التضحيات ورموزاً من الفداء ما حفظت البشرية لها مثيلاً، وما عهدت الانسانية لها نظيراً.

يا أفغانستان، كم نزل فوقك من القذائف؟ وكم أودعت في باطن الأرض من خيار أبنائك؟! وكم غاب بين الثلوج من أفذاذك؟! وكم تردت من الصخور فوق جماجم أطهارك؟!

يا أفغانستان، ليس مثلك أرضاً عزيزة ولا تربة حبيبة، لكثرة ما ضمخ تربك من الدماء الطاهره، إن تحت كل حجر من أحجارك قصة، وعلى جبين كل ابن من أبنائك قصة، وتخفي تجاعيد وجوههم مراثي عميقة

(وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على لقوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) (آل عمران: ١٤٧)

يا أيها الاخوة:

معجزة القرون الثلاثة قضى الله أن تحدث في هذه البلاد بعد ثلاثة قرون من تراجع الأمة الإسلامية، وبعد ستين عاماً من سقوط خلافة الإسلامية، أراد الله أن ينقذها على يد هذا الشعب المسلم المجاهد، أراد الله عز وجل أن يعيد الدماء إلى عروق الأمة الإسلامية ي جفت، ويعيد النبض إلى القلوب التي توقفت عن الحياة، فقدر الله عز وجل أن يكون هذا الجهاد المبارك.

قال -ﷺ- (رباط ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود).

وقال -ﷺ- (رباط ليلة في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل يقام ليلها ويصام ارها).

وعلم الله أنه أحب إلى نفسي مثل هذه الزياره من عمرات وحجات كثيرة، وأنا فلسطيني وأجاهد في أفغانستان، لأن مشكلة لسطين الآن هي إقامة حكم إسلامي فوق بقعة من الأرض، ونحن نظن أن هذه الأرض هي أصلح الاراضي الآن لقيام دولة إسلامية، فلا نقاتل في فلسطين، لأننا نظن الآن أن الجهاد في أفغانستان أقرب لقيام الدولة الإسلامية من القتال في فلسطين، وفلسطين قلب

الأمة الإسلامية، وفيها المسجد الأقصى، وفيها مسقط رأسنا، ولكننا نبحث عن الأرض التي نقيم فيها شريعة الله في الحياة، نبحث عن مكان نتظلل فيه تحت راية الإسلام.

يا أيها الإخوة:-

أنا كنت أستاذاً في الجامعة وأسكن بجانب الحرم بمكه، ولكن علم الله أن أمثال هذه الوقفات أحب إلي من الحياة بمكة سنوات.

يا أيها الإخوة:

أنتم منتصرون، واسم الأفغان الآن على كل لسان في العالم، والناس يقفون أمام صورة الأفغاني احتراماً وإجلالاً لهذه الشخصية المسلمة التي رفعت رأس المسلمين في الأرض كلها.

فيا أيها الإخوة: عيون العالم كلهم ترنو إليكم، وقلوبهم تهفو إليكم، والله إن النساء يرسلن بحليهن وبذهبهن وبمهورهن ويقلن هذه مهور الدوله الاسلامية في أفغانستان.

يا أيها الإخوة:-

كونوا عند حسن الظن بكم، وأبشركم أن اسم أفغانستان أولاً ثم اسم قادتكم الذين في بيشاور ثانياً يتردد في العالم كله، وتقريباً معظم المسلمين يحملون لهم في قلوبهم وفي صدورهم أشرف صورة وأضوأ منظر.

فيا أيها الإخوة:- أبشروا، والله لن يضيعكم الله إن شاءالله، وسينصركم إن شاء الله، وأنا أظن إن شاء الله قريبا نرى دولة الاسلام قائمة، ونرى أبناء الدعوة الاسلامية الذين بدأوا هذا الجهاد وبقيت بقيتهم نراهم وقد استلموا منصة الحكم، ووجهوا القرآن يحكم أفغانستان، بل عندما يفيء المسلمون كلهم إلى أفغانستان، ويقفون وراءكم حتى تنتشر هذه التجربة في كل مكان في العالم الإسلامي.

يا أيها الإخوة:-

انتصرتم حتى الآن، فنرجو الله أن ينصركم على أنفسكم وعلى أهوائكم، والله ما انتصرتم لا بعدد ولا بعدة، إنما انتصرتم باسم هذا الدين الذي تكفل رب العالمين بحفظه، فنوصيكم بتقوى الله عز وجل، ونوصيكم بتلاوة القرآن، ونوصيكم بطاعة أمرائكم.

وإني أخيراً أشكر أستاذنا الأستاذ برهان الدين رباني قائد الحركة الإسلامية في أفغانستان وقائد الجمعية في أفغانستان إذ شرفني بمرافقته في هذه الرحلة، وأما احمد شاه مسعود والأخ أرينبور والأخ نجم الدين.هذه القادة أسماؤهم في قلوبنا، ونحن خدم لكم، ونحن سمينا عملنا العربي في أفغانستان مكتب الخدمات، لأننا خدم لكل من جاهد في سبيل الله، وهذا شرف عظيم لنا أن نكون خدماً للمجاهدين، ونرجو الله عز وجل أن ينصركم، وأن يثبتكم، وأن يقيم دولة الإسلام على أيديكم، وأن يشرح صدور قوم مؤمنين برؤية هذا الدين منتصراً:

(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم) (الروم: ٣)

أقول قولي هذا واستغفر الله لي لكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مسيرة الدهماء *

(١) إن الحمد الله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد.

فيا أيها الإخوة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم:

(ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً) (النساء: ١٠٤)

---

* استبدل هذا العنوان بدلاً من العنوان القديم (محاضرة في المختبر المركزي).

(ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) (آل عمران: ١٣٩-١٤٠)

خطوة هائله بين عيدين، عيد الفطر عام ١٤٠٧هـ وعيد الفطر عام ١٤٠٨هـ، مسافة شاسعة وبون كبير ما كنا ندركه بالأحلام لولا أنه قدر من الله عز وجل أن يمنّ على الذين استضعفوا في الأرض..

(وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها) (الأعراف: ١٣٧)

جموع أعداء الله تفر من كل مكان، انتصارات تتوالى علينا في كل حدب وصوب، الرسائل تترى، الاتصالات لا تنقطع من أعداء الله الذين أذلهم الله وأخزاهم وهزمهم واستكانوا وأهينوا تحت ضربات جند الله عز وجل، رسائل تطلب من المجاهدين أن يقبلوهم مستسلمين من قندهار، من ننجرهار، من باكتيا في تشاوني، في تشمكني، في لوجر، في بنشير، في كل مكان، أخبار عزائم، رسائل لا تنقطع من كبار ضباط الجيش ورجالات الشيوعيه وعملاء الحكومة وأذنابها تطلب من المجاهدين المؤمنين أن يقبلوهم تائبين مستسلمين صاغرين أذلاء خاضعين، الأملاك تباع، الأموال تحول إلى الخارج، النفوس مستعدة متأهبه في كل لحظة من قبل هؤلاء الذين نصبوا أنفسهم جسراً للشيوعيه وحميراً للجيش الأحمر الآن عادوا وقد تخلت عنهم شياطينهم، عادوا يطلبون في الأرض ملجأ، ويبحثون عن حصن يأوون إليه، في قندهار حامية بكاملها تستسلم بما لديها من دبابات وآليات وذخائر وأسلحة، ست دبابات ومصفحات من هذه الحاميه سلمت لقادة الجهاد في قندهار، أربع قلاع قد انهارت حول قندهار، ولم تبق إلا قلعتان، ورفعت أعلام الجهاد فوق أحياء من قندهار، جلال أباد عاصمة ننجرهار تستعد للاستسلام إن شاء الله، وخلال فترة قصيره لكي تسلم نفسها للمجاهدين حتى تبقي على حياة البقيه الباقيه من أذناب الدوله الذين أعدوا الأعلام البيضاء ليعلنوا ولاءهم واستسلامهم لدين الله، والمجاهدون يعدون الخطط لا قندهار ولا لجلال أباد فقط، بل لكي يستلموا المدن الكبرى، ونرجو الله عز وجل أن لا يمر ستة أشهر إلا وتكون أفغانستان كلها بيد المجاهدين إن شاء الله، طلقان بغلان بل كابل نفسها إن شاء الله لن تسلم من ضربات المجاهدين، وستستسلم في النهاية لصولاتهم وجولاتهم.

ما كنا نحلم بهذا، كان قدراً من الله عظيما يفوقه الخيال، ولكنه أصبح أحداثاً واقعه ترسمها حركة الرجال ودماء النساء والأطفال، قدراً من الله عظيماً، كم أرجف المرجفون؟ وكم تشكك المتشككون على أنه لا يمكن لشعب مثل هذا الشعب أعزل لا يملك قوت يومه خاوي البطن، خالي الجيب أن يستمر بضعة أشهر أمام الجيش الأحمر الذي ما عرف انسحاباً من بلد قد دخلها من قبل؟ ولكن إرادة الله الواحد القهار كانت ولا زالت أعظم من تفكير هؤلاء الأبطال، إن قدر الله عز وجل الذي يجريه من خلال البشر لا يرده راد ولا يعقب عليه معقب..

(إنّ الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) (الطلاق: ٣)

(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف: ٢١)

إن تجربة الجهاد في أفغانستان نموذج حي جعله الله للشعوب المستضعفة المكبلة أنه بإمكان أي شعب إذا توكل على الله تنصر خالقه واستعان بفاطره أنه منتصر لا محالة إن شاء الله..

(وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً) (فاطر: ٤٤)

قدر تجريه يد الله العزيز الحكيم، وهي فرحة عظيمة للمسلمين في كل أنحاء الأرض تتردد أصداؤها وتتجاوب صيحاتها في كل مكان، في أعماق الأرض المقدسة وفي رحاب المسجد الأقصى من خلال صيحات الله أكبر، أطفال ورجال ونساء بعد أربعين عاماً من نام ران فوق النيام نفضوا الغبار ونهضوا إلى الله ركضاً إلى الله بغير زاد.

لقد نظر الله العزيز الحكيم إلى الأمة الإسلامية بعد أن كادت عروقها تجف، ونبضاتها تتوقف، وحياتها تنقطع، نظر إليها فكان لابد من إيقاظها وإحيائها، والأمم لا تستيقظ بالكلام، لا بد لها من قعقعه سلاح وصليل سيوف ودوي قذائف وأزيز طائرات، لا بد لها من دم ساخن يحيي مواتها، وينقذ أجيالها من رقادها، فتهب إلى الله عز وجل تقوم إليه وهي تردد:

أهونا وعندي تهون الحياة ... وذلاً وإنـــــــــي لرب الإبا

لقد امتطى الشعب الأفغاني المسلم جواداً لا يكبو، ومذاكي لا تنقطع لطول المسيرة:

لنـا فرس لم تنجب الخيل مثـله — فتحنا به الدنيا يسمونه الـردى

على ظهره القاني أقمنا سروجنا — نطير إلى الرحمن في إثر أحمدا

عرفوا أن الأمم التي تحسن صناعة الموت توهب لها الحياة، والشعوب التي تطأ الدنيا بأعقابها تكب الدنيا تقبل أبناءها وتلثم كلومها، وبالدماء والكلوم والأشلاء والجسوم تستيقظ الأمم، وتبنى الأجيال، وتحيا المرابع، وتصان البلاد، وتحمى الأعراض.

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى — حتى يـراق على جوانبه الـدم

ونحن فقد شرفنا الله عز وجل أن نكون خدماً في هذه المسيرة لمن صنعوا التاريخ من جديد، وخطوا الإسلام بعزم الحديد وبالنجيع الأحمر وبالخط القاني، رسموا أروع صورة في العصر الحديث وفي القرون الأخيرة لمن أراد أن يتذكر أو أراد شكوراً، لمن أراد أن يسير أو أراد أن يحطم القيود ويسير على إثر الجدود ولا يعرف أمامه جبالاً ولا قيوداً. (١)

أيها الإخوة:

سرنا مسيرة الدماء والأشلاء على هذا الطريق اللاحب الطويل، مروي بالدماء، مفروش بالأشواك، على جوانبه الأشلاء والجماجم، ترفرف فوقهم أرواح الشهداء بدأنا بكوكبة صغيرة من الشباب، ما كنا نظن أننا ونحن نبدأ بهذه الحفنة البسطية من الشباب الذين قدموا على الله عز وجل أن يبارك الله في هذا الجمع لخدمة هذا الجهاد المبارك العظيم .

ما كنا نظن أن تصبح هذه الحشود مئات يخشاها أعداء الله من اليهود والصليبين والشيوعيين في كل أنحاء البشرية وفي كل أرجاء المعمورة.

ما كنا نحسب أن يبارك الله عز وجل هذه البركة بهذه المسيرة التي نرجو الله أن يكون قد بارك الله فيها وتقبلها، أقبل الشباب الذين يقول عنهم ابن القيم رحمه الله (تَشَمَّح القوم الوجوه ففهم المقصود، فأجمعوا الرحيل قبل الرحيل، وشمروا للسير في سواء السبيل، فالناس مشتغلون بالفضلات، وهم مشتغلون في قطع الفلوات، وعصافير الهوى في وفاق الشبكة ينتظرون الذبيح)

سار الشباب وكأن لسان حالهم كما يقول أبو الطيب:

وإني لمن قوم كأن نفوسهم بها — أنف أن تسكن اللحم والعظما

أسدٌ فرائسها الأسود يقودها — أسد تصير له الأسود ثعاليا

وكلٌ واحد منهم بل معظمهم يجسد الحديث الشريف **(من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)**، أفرادهم كأنه فتى الشعراء الذي يتغنون به هم.

همام إذا ما فارق الغمد سيفه — وعاينته لم تدر أيهما النصـل

ومنا من قضى نحبه ولم ير هذه الانتصارات، ساروا إلى الله بإخلاصهم، فسعد الرشود:

فدت نفسي ومـا ملكت يمينـي — فـوارس صدقت فيهم ظنونـي

فوارس لا يخافـون المنايـا — إذا دارت رحى الحرب الزبـون

سعد الرشود، وعبد الوهاب الغامدي، ويحي سنيور، وأحمد الزهراني، وأبو حفص الأردني، وهشام الديلمي، وآخرهم أبو محمد اليماني، كثير في هذه العجالة لا أستطيع عدهم، أحيوا في أعماقنا الأمال، وغرسوا في عروقنا ثباتاً وعزماً ومضاءً وسناءً، ونحن إن شاء الله على آثرهم سائرون، وعلى طريقهم نتأسى، وعلى خُطى القوم نقتفي هؤلاء الشباب، دماؤهم رسمت لنا الطريق، فلا وقوف ولا تراجع ولا تلعثم ولا تزعزع إن شاء الله، فالجهاد فريضة العمر، ليست فريضة في أفغانستان فحسب، فإذا حررنا أفغانستان وأقمنا دولة الإسلام فيها فإلى فلسطين، نفتح الثغور، ونقيم الجسور، لتصل الأجيال إلى الأرض المباركة، نحن لا نطلب من الدول العربية الآن بالنسبة لفلسطين لا جيوشاً ولا أموالاً ولا إعلاما ولا عساكر، نطلب حقاً طبيعياً لنا أن يفتحوا لنا الطريق، فنحن نعلم أنهم ينتفضون هلعا من أولئك الذين يحملون الحجارة، يهزون حصون آل صهيون، فهم وعلى بعد منهم مذعورون خائفون، وأمامهم طريقان لا ثالث لهما: إما

---

(١) الشيخ عبدالله يقول: يا أيها الإخوة: جئنا نقدم لكم فضيلة شيخنا وأستاذنا الشيخ عمر سيف الذين تعرفه وهاد اليمن وجبالها وشعوبها ونجودها، وقد شرفه الله بالاشتراك في هذا الجهاد، وأبا إلا وأن يدخل أكثر من مرة داخل الحدود رغم أنه نيف على الستين، نجئت مقدماً لشيخنا العزيز فليتفضل مشكوراً.

أن يفتحوا الطريق ويحملوا الراية، وينصروا المظلومين، أو ستطويهم عجلة التاريخ بغير رحمة فلا تبكي عليهم السماء..

- ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ﴾[1] (الدخان: ٢٩)

ليس هنالك مصير ثالث أمامهم.

لقد قرر الشباب أن يسيروا ويحطموا القيود، ويقدموا جماجمهم ثمناً للعزة وعنواناً للنصر، ونحن بعد اليوم لن نذل ولن نهون ولا نستكين، عرفنا الطريق طريق عزتنا إلى الله، وعرفنا الحكم الشرعي أن الجهاد (فريضة ربانية كفريضة الصلاة والصوم وهي فرض عين على كل مسلم في الأرض حيث يستطيع أن يقيمها فليقمها، وأينما يستطيع أن يزاولها فليزاولها). ونحن لا نقول أن الجهاد فرض عين في أفغانستان فحسب، بل في فلسطين والفلبين ولبنان والصومال وإريتيريا والحبشة واليمن وغير ذلك، ونحن نأمل أن تُرفع للجهاد رايات في كل هذه الأراضي، ونحن جند حاضرون إن شاء الله لكي نقف بجانب المسلمين في كل مكان، ولقد علمنا صبر الأفغان على نصرة دينهم دروساً لن تمحى من الأذهان ما دامت الدماء تجري في العروق، وكل أفغاني كأن لسان حاله يقول:

تمرست بالآفات حتى تركتهـــا ... تقول أمات الموت أو ذعر الذعر

وهؤلاء يا أيها الشباب هؤلاء القوم إعرفوا لهم قدرهم، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه، فهم فتحوا لنا الطريق لإقامة دين الله، وفتحوا لنا الطريق لمزاولة عبادة الجهاد، ونحن وإياهم كمن تنجس بيته ولم يبق مكان فيه يصلي، ففتح له جاره بيته وقال تفضل وصل في بيتي ريثما تطهر بيتك وترجع إليه، وبعض الأغبياء والجهلاء قبعوا في بيوتهم وآلوا أن لا يركعوا ركعة حتى يزيلوا النجاسة، وطال الوقت في انقطاع الصلاة وفي استمرار النجاسات، وبعض القوم فطنوا هذه عبادة يقبلها الله في أي مكان، فأنا أؤديها وأقيم شعائرها ريثما أستطيع أن أطهر بيتي وأرجع إليه وأصلي، هذا حالنا وحالهم، فاعرفوا لهم فضلهم، وقدروا لهم مكانتهم، وإنما نحن خدم لهذا الجهاد الذي رفعوه، ولهذه الراية التي شرعوها وأعلوها، وأقل الوفاء أن تقطع لسانك عن العيوب، ووالله ليس من الوفاء أن ترضع من ثدي طويلاً ثم تقطعه بيدك، وليس من الوفاء أن تستكن تحت ظل في حر الهاجرة وفي لفح الصحراء ثم تقوم تحرق بنيانه بيدك، اعرفوا لهم مكانتهم، وقدروا لهم فضلهم، وجدوا في خدمتهم وفي تنبيه قومكم على خدمتهم، لأن هذه السنين - هذه السنة- من السنين التي تمر على الجهاد الأفغاني، وبعدها نحن بإذن الله، بعد إقامة دين الله عز وجل إن شاء الله في أفغانستان لا ينفض هذا الجمع، نرجو الله عز وجل أن يبارك فيه ويزداد ويصبح نواة خير وبذرة بر تنبت أوراقها وتؤتي أكلها في كل أنحاء الأرض، وتسير هي وتعلم أن جهاد الشعوب غير جهاد الدعوات، لأن الشعوب فيها كثير من العيوب، ولا يجوز أن تقيس شريحة صافية صادقة ربيت شرات السنين من المجتمع على المجتمع كله، فإذا أردت إن تقيس الأفغان فقسهم بأهل حارتك جميعاً، بأهل بلدك، وانظر كم خمارة مر فيها في أسواق بلدك، وأعلم أن بيتك الذي تركت لا زال بين مرقص وحانة خمر، وأنك لم تحرك ساكناً في بلدك، ولم تنبس ببنت شفة، ولم تقف أمام طاغوت تقول له قف مكانك نحن هنا، أجئت على هؤلاء ولأنهم فقراء تمارس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تفتي فتاوى العلماء، وتظهر نفسك أنك وصي على الشعوب والأجيال والأبناء.

هناك فلسطين تنتظرنا، ومن استطاع من أبناء فلسطين أن يدخل إليها فليدخل إليها وأن يفجر الأرض قنابل تحت أقدام يهود، وليرتد مع إخوانه في فلسطين.

فأنا اليوم مارد يرفض الظلـــم ... ويهوى الردى ويأبى الدنيــــــة
ومن الظلم ينبت الثائر الصـــلب ... وتدوي مدافع الحـــــــــرية
رغم أنف الطغاة تحيا فلسطين ... وعاش الـــرشاش والبندقيـــة

يا أيها الإخوة طريقنا طويل فلا تسأموا..

﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ (آل عمران: ١٣٩)

نحن بإذن الله ستكون دعاة الخير لإنقاذ البشرية.

نحن بإذن الله سنهز النائمين في أرجاء المعمورة، نحن بإذن الله سنكون ناراً تحرق الظالمين في كل مكان.

نحن بإذن الله سنهدد مصالح الكفر في الأرض كلها.

نحن بإذن الله سنقض مضاجع أمريكا، وسنؤرق أجفان روسيا، وسنهز الأرض تحت أقدام الجنس الأصفر والأحمر وغيرهم.

---

[1] تعلو صيحات التكبير من الشباب.

نحن جند الله، ونرجو الله عز وجل أن يثبتنا على هذا الطريق، وأن يرزقنا الصدق والاستقامة، وأن يرزقنا الإخلاص، إخلاص النية وصدق الطوية، وأن يقوى صلتنا بكتابه العزيز، وأن يحبب إلينا ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يحبب إلينا قيام الليل وصيام النهار، وأن يشرح صدورنا للذكر والاستغفار، وأن يجعل أحب الأعمال إلى قلوبنا ما يحبه الله ورسوله، وما يقربنا إلى جنته إنه سميع قريب مجيب.

وصية أبو محمد اليماني

أيها الإخوة: فى ختام كلمتي هذه أسمعكم وصية أخينا الشهيد الأخير الذي لفظ أنفاسه الأخيره في صدى الحبيبة، هناك ثوى ذلك الضرغام وذلك البطل الهمام أبو محمد اليماني، وكان آخر كلماته التي ودع بها الوجود، وصلت.وصلت.

يقول أبو محمد، خالد بن علي محمد الكرجبي (إن الحمد لله، أحمده وأستعينه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

أرسل صرختي هذه من ربى أفغانستان الأبية، من الأرض الذي وقف أهلها حاملين السيف بيد والمصحف باليد الأخرى، رافعين أصواتهم بالكلمة التي أرعبت الكفر وأهله، فكان أن ثبتهم الله ونصرهم على عدوهم في كثير من المواقع.

فيا شباب الأمة الإسلامية: إن ثبات إخوانكم في أفغانستان هو حجة عليكم، فهلا تحركت فيكم الغيرة على دينكم وعلى نساء المسلمات التي تنتهك أعراضهن ثم يقتلن بأبشع الطرق، ماذا أنتم قائلون عندما يسألكم الله عن ذلك؟ نعم ماذا ستقولون؟ هل ستقولون شغلتنا أموالنا وأهلونا؟ أم ستقولون شغلتنا وظائفنا؟ فإن قلتم ذلك فلعمر الحق أين أنتم من قوله تعالى:

(قل إن كان آباؤُكم وأبناؤُكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين) (التوبة ٢١)

أحبتي في الله: اعلموا أن الطريق الوحيد الذي يعيد العزة إلى الأمة الإسلامية هو طريق الجهاد، فالمتأمل في التاريخ يلاحظ بجلاء أن عصور العزة لهذه الأمة مقترنة بالجهاد، وكلما كان هنالك جهاد كلما كانت هنالك عزة، وكلما تعطل الجهاد كلما تسرب الذل إلى الأمة، والواقع المعاصر خير شاهد على ذلك، وفي الأخير إخوتي الأحبه لا يسعني إلا أن أقول لكم إن المعركة قائمة بين الكفر والإيمان، فراية لا إله إلا الله قد رفعت، وما بقى إلا أن تلبوا، فشمروا عن ساعد الجد ولا تخشو الموت، فإن الله قد أعد لكم منزلة رفيعة في الجنة إن لبيتم النداء:

إعلموا أن الموت في طعم حقير	*كطعم الموت في أمــر عظيــم*

فهلا أقبلتم على الله:

طال المنام على الهوان	*فأيــن زمجرة الأسود*

أخوكم أبو محمد اليماني

وأخيراً ندعو الله عز وجل وأنتم تلبون: اللهم مكن للمؤمنين في الأرض، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم افتح علينا فتوح العارفين، اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ، اللهم أنصر المجاهدين في أفغانستان وفي فلسطين وفي الفلبين وفي لبنان وفي كل مكان وفي الصومال وفي إرتيريا وفي اليمن وفي إثيوبيا وفي بورما وفي كل مكان، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الولاء والبراء:

أيها الإخوة: أخيراً لا بد أن ننبه إلى قضية مهمة وهي قضية الولاء في الله والبراء في الله، الولاء في الله بأن نقف مع المسلمين في أي مكان في الأرض ولو بمشاعرنا وقلوبنا، ولو بأموالنا البسيطة، وأن نعادي من يعادي الإسلام والمسلمين ونقف ضده في كل مكان

وأمريكا الآن وهي تعلي عقيرتها وتقف جهاراً نهاراً مع اليهود ضد إخواننا الذين يذبحون في داخل الأرض المحتلة.

لا بد أن ننشر فكرة مقاطعة أمريكا في كل مكان.

لا بد من مقاطعة البضائع الأمريكية، ولقد انتصرت الهند بقيادة غاندي الهندوسي يوم أن أعلنت مقاطعة البضائع البريطانية.

لا بد أن يكون العداء الباطني في كل بيت ضد البضائع الأمريكية.

لا بد أن تنظر المرأة إلى حبة التفاح الأمريكي في داخل البيت في الجزيرة في أي مكان كأنه رأس أفعى تريد أن تلدغها.

لا بد أن ينظر الشاب إلى السيارة الأمريكية كأنها دبابة تريد أن تهرسه تحت جنازيرها.

لا بد أن يلقي الأطفال باللعب القادمة من أمريكا ويلقوها في أماكن القمامة والمزابل.

لا بد أن تقاطع الثلاجات الأمريكية والغسالات والبضائع والسيارات وكل ما يتصل بأمريكا حتى تهتز أمريكا، وحتى يسقط إلهها، لأن إله أمريكيا التي تعبده هو الإقتصاد والدولار، فإذا وقفنا واعتبرنا أن كل دولار ندفعه ثمناً للعبة طفل إنما ندفع ثمن عشر رصاصات تطلق على الأطفال داخل فلسطين، عندما ندرك أنه يجب علينا مقاطعتها، عندما نعلم أن أمريكا..[1] شولتز يزور الأردن ويعلن بكل وقاحة ويتبجح أن إسرائيل دولة ضرورية للمنطقة لأنها دولة متمدنه متحضرة فيها تقدم المنطقة وفيها بقاؤها، يعلن هذا في الأردن.

ويقول له أحد الحكام مستسراً وموغراً صدره إن انتظرتم طويلاً على الانتفاضة فإنكم سترجعون إلينا في المرة القادمة وقد لبسنا الجلابيب القصيرة وحملنا المسابح الطويلة وأطلقنا لحانا وسرنا مع هؤلاء الشباب الذين يهددون وجودكم، فأسرعوا في القضاء على الانتفاضة، يا أيها الإخوة: لا بد أن نعمل شيئاً، ونحن وقد وضع في أيدينا القيود، وسد في وجوهنا الحدود، لا أقل من أن نقاطع اليهود وأعوان اليهود وأذناب اليهود، وعملاء اليهود، لا بد أن يعلن أن الماسونية كفر، وأن الوقوف بجانب اليهود كفر، وولاء اليهود كفر، وولاء الأمريكان كفر، وولاء أولياء اليهود الكفر، لا بد أن يعلن هذا ويعلم هذا..

(ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (المائدة: ٥١)

– (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (المائدة: ٥١)

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم، ونرجو الله عز وجل أن يثبتنا على هذه المسيرة المباركة، وأن يجعل لقاءنا في الدنيا على محبته، وفي الآخرة في فردوسه وفي مستقر رحمته، إنه سميع قريب مجيب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[2]

ميزان الله وميزان الناس

فيا من رضيتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، اعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(ولكل درجاتٌ مما عملوا وما ربك بغافلٍ عمّا يعملون) (الأنعام: ١٣٢)

هذه موازين رب العالمين، أو ميزان الله عز وجل في تقدير البشر، أن كل إنسان وعمله، كل إنسان وعمله، درجته، قيمته، وزنه إنما رتبط بعمله الصالح، ولذلك فلله عز وجل موازين وللبشر موازين.

أما موازين البشر فإنها موازين دنيا مختلة، لأنها تتبع الهوى، متأرجحة لأنها مرتبطة بالمال، والمال يغدو ويروح، ناقصة لأنها قترنة بالأحساب والأنساب، وهذه كلها تتبدل مع الأيام..

(وتلك الأيام نداولها بين الناس) (آل عمران: ١٤٠)

أما ميزان رب العالمين فهو لا يتأرجح، ثابت كامل لا يمسه هوى ولا يشوبه جهل، ميزان العمل الصالح، ميزان التقوى التي ترفع

الشيخ هنا عنده استدراك. (٢) الشيخ يقول: هنا بعض الأسئلة أظن أنه طال بكم الوقت. الجمهور يقولون لا، يصرون على المواصلة. الشيخ: نصلي العشاء أولاً.
ق. لم تقرأ الأسئلة ولم يجب عليها.

أناساً وتضع آخرين.

ميزان يقول:

(إن اكرمكم عند الله أتقاكم) (الحجرات: ١٣)

ميزان يقول عنه رسوله ﷺ: **(من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه -أو حسبه-)**، فالعمل هو الذي يميز مقادير الناس، وهو الذي يبين قيمهم، وهو الذي يرفع درجاتهم سواء في الدنيا أو في الآخرة، ومجتمع الآخرة حيث تبين الخلائق لرب العالمين أمام موازين قسط لا تخسر شعيرة ولا تنتقص خردلة..

(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) (الأنبياء: ٤٧)

فهناك الدرجات العلى، وهناك أهل الغرفات، وهناك السابقون السابقون..

(وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) (الواقعة: ٢٧)

ثم:

(وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) (الواقعة: ٤١)

والمجتمعات في الدنيا مبنية على ميزانهم الذي يعملون، وعباراتهم التي يتخذون، فكلما كانت الموازين ربانية أو إلهية كلما كان المجتمع صورة مصغرة عن الآخرة، كلما كان المجتمع المسلم الذي يبين مقادير الناس في هذه الأرض هو صورة مصغرة أو تعكس صورة الآخرة، بقدر ما يطلع الخلق على أعمال الناس وبقدر ما يعرفون من مقاديرهم وصلتهم برب العالمين.

ولذا فشرف أهل الدنيا إنما هو المال والعشيرة والوظيفة والشهادة الدنيوية، وأما رسول الله ﷺ فهو يقول في الحديث الصحيح: **(شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس)**، وأما عز أهل الدنيا فبقدر ما حولهم من جنود، وبقدر ما تعد قبائلهم أو عشائرهم من أفراد، أو بقدر ما ينتظم في حساباتهم في البنوك، وقد يرتفع في المجتمع المسلم أفقر إنسان، ولكن المجتمع الجاهلي لا يمكن أن يبرز فيه إلا أصحاب الغنى والأموال، وتأخذ صورة عن المجتمعات الجاهليه الرئاسة الأمريكية التي لا ينجح فيها إلا أصحاب البلايين، لأن الذي يميز الناس في المجتمعات هي أموالهم.

أما المجتمع المسلم فيقول رب العزة عنه:

(وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) (سبأ: ٣٧)

والمجتمع المسلم مجتمع شرفه وحسبه ونسبه وكرمه إنما مقام على شيء واحد هو الصلة برب العالمين، هي التقوى **(الناس اثنان** - كما قال رسول الله ﷺ - **رجل بر تقي كريم على الله تعالى، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى)**..

(إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين، كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) (المجادلة: ٢٠-٢٢)

استحوذ عليهم الشيطان، في المقابل المجتمع الجاهلي..

(استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) (المجادلة: ١٩)

ثم (**إن الذين يحادون الله ورسوله**) - من حزب الشيطان - (**أولئك في الأذلين**) أما حزب الله، حزب التقوى، حزب العمل الصالح (**فأولئك هم الغالبون**)،(**فإن حزب الله هم الغالبون**)، (**ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون**).

والناس في المجتمع المسلم لا يحتاجون لكي يعرفهم الناس أن يعلنوا عن أعمالهم، بل ظواهرهم خير، وبواطنهم خير من ظواهرهم، ويدعون (اللهم اجعل باطننا خيراً من ظاهرنا واجعل ظاهرنا خيرا)، المجتمع المسلم مجتمع طاهر، والمجتمع الجاهلي مجتمع ساكن جامد متعفن، والمجتمع المسلم إنما تميز الناس بمقاديريهم، حركاتهم، وبقدر الحركة وبقدر الإعطاء وبقدر الجهد والجهاد تتبين مقادير الناس، ومن هنا لا يبرز في المجتمع المسلم إلا قائد مجاهد متحرك، ولذا المجتمع المسلم كالنهر الجاري، لا يمكن أن يطفو فوقه عفن، ولا أن تتكاثر فوقه الأشنات والفطريات.

أما المجتمع الجاهلي فهو مجتمع آسن متعفن لأنه ساكن، والمياه الراكدة إنما يطفو على وجهها أنواع الطحالب والفطريات والأشنات، ومن أيسبوجيرا وغيرها، فلا تجد فوقه ولا يبرز على السطح فيه ولا تعلو مقامات الناس إلا أعفنهم غالباً.

أما المجتمع المسلم فإنه لا يقبل العفن، لأنه تيار متحرك، لأنه نهر يسحب ويبعد ويلفظ كل خبث في داخله، فالأنهار تلفظ أعفانها بعيداً عن مائها، وأما مياه البرك الراكدة فقلما تجدها خالية من الأعفان، تطفو على سطحها، ولذا فلم يكن أبو بكر رضي الله عنه وعمر وعثمان وعلي عندما بويعوا للخلافة بحاجة أن ينزلوا قوائم انتخابيه للمجتمع، وليسوا بحاجة ليعلنوا عن أسمائهم وأفعالهم وخططهم المستقبلية وبرامجهم التوسعيه، إنما كان الجهاد هو الذي أبرز مقدار أبي بكر، وهو الذي أظهر عمر، وهو الذي بين عثمان، وهو الذي لنا بسعد بن معاذ ومصعب وحمزه، لقد بينتهم في المجتمع حركتهم، ومن هنا عندما أراد الناس أن ينتخبوا خليفة بعد رسول الله ﷺ، م تتحول أنظارهم عن أبي بكر، وكانوا يرددون كلمتهم (**اصطفاه رسول الله ﷺ لديننا، لإمامتنا في الدين، أفلا نرضاه دنيانا؟**)، إذا كان رسول الله ﷺ أثناء مرضه قد اختار أبا بكر أن يكون إماماً للصلاة، وعندما أحست عائشة أن قلوب الناس ستكره والدها لأن القلوب لا تطيق أن ترى أحداً يقف مكان رسول الله ﷺ عندما شعرت بهذا حاولت أن تثني رسول الله ﷺ عن هذا ... فغضب ﷺ وهي تحاول أن يتراجع عن قراره أن يكون أبو بكر إمام الناس، تقول له: إن أبا بكر رجل أسيف، -أي يبكي كثيراً ...ين- فخذ غيره لإمامة الناس، فقال ﷺ (**إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس**).

وتأخر أبو بكر ذات يوم لأنه كان يقيم بالسنح على بعد أميال من المدينة المنورة، تأخر عن الصلاة فقال أحد لبلال أقم الصلاة تقدم عمر، وعندما تقدم عمر وسمع رسول الله ﷺ صوت عمر يرن في المحراب قال: (**يأبى ذلك الله ورسوله، يأبى ذلك الله ورسوله، يأبى ذلك الله ورسوله. مروا أبا بكر فليصل بالناس**)، وعندما أمر ﷺ أن تغلق جميع الأبواب إلى المسجد قال: (**لا تبقى إلا خوخة أبي بكر - لا يبقى باب إلا أبواب أبي بكر - ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا، وما من أحد له منة عليّ إلا أبو بكر**).

ولذا فجهاد أبي بكر وصب كل جهده وكل طاقاته منذ اليوم الأول الذي أعلن فيه الشهادتين على يدي المصطفى ﷺ، واستمراره في هذا الطريق هو الذي أبرز مقداره في هذه الأمة، حتى إذا وارت الأمة رسول الله ﷺ في التراب لم تفطن إلا لأبي بكر يأخذ بيدها في الاتي ويقود مسيرتها في الخطوات.

ومن هنا عندما وقف أبو موسى الأشعري ذات يوم وخطب الناس ودعا لرسول الله ﷺ ثم دعا لأمير المؤمنين عمر، وقف رجل أين ذهبت بصاحبك؟ لماذا لا تدعو لأبي بكر؟ فسكت أبو موسى، وفي الجمعة القابلة صلى على النبي وسلم ثم دعا لعمر ونسي أبا بكر فوقف له الرجل وقال له: أين ذهبت بصاحبك؟ فاشتكاه لعمر، وأرسله لعمر، قال ما شأنك وأبا موسى؟ قال لقد دعا لك مرتين في الجمعة ونسي أبا بكر، فبكى عمر طويلاً وقال: والله لليلة من ليالي أبي بكر أو يوم من أيامه خير من عمر وآله، قل لأبي موسى أن ... لأبي بكر.

ولذلك لم يكن هناك تنافس على الزعامة وعلى الرئاسة، أو التطاحن في الدعايات الانتخابية في المجتمع المسلم، لأن الناس ... مقادير بعضهم البعض، وعندما حاول أبو بكر أن يبايع عمر قال فلتمدد يدك نبايعك، وبايع أبا بكر، يقول عمر: لأن تمتد عنقي ... معصية إلى سيف فيقطعها خير لي من أن أتأمر على أناس فيهم أبو بكر، لأن تقطع عنق عمر خير له من أن يتأمر على أناس ... بو بكر، وعندما عضت الكروب المدينة، وتزلزل المجتمع المسلم، وارتدت الأرض بأسرها، ولم يبق في الأرض إلا مساجد ثلاثة تذكر ... وجل، المسجد الحرام ومسجد المدينة، ومسجد بني عبد القيس في البحرين، من كان لهذه الملمات؟ ومن ظهر في هذه الخطوب؟ ... الرجل القوي الذي جعله ﷺ إماماً للصلاة بالناس، لقد جاء الصحابة يرجون أبا بكر أن يثني عزمه عن بعث أسامة لمقابلة

الروم، وعن تأخير حرب الردة، وإذا به يقول كلمته المشهورة (**أينتقص الدين وأنا حي؟!**)، ثم يقول كلماته (**والله لو دخلت الكلاب على غرفات النبي ﷺ واجتررن أمهات المؤمنين من اندامهن** - أي لم يبق رجال في المدينة حتى تأخذ الكلاب أمهات المؤمنين- **ما أوقفت بعث أسامة**)، ثم نظر إلى عمر وأخذ بخناقه وهزه وقال: (**أجبار في الجاهلية وخوار** - أي تضعف همم الناس -**وخوار في الاسلام؟! والله لو منعوني عناقاً**- أي جدياً صغيراً وفي رواية عقالاً أي حبلاً يربطون به الناقة - **لو منعوني عناقا أو عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم فيه أو أهلك دونه**)، وفي رواية (**حتى تنفرد هذه السالفة**).

إذن المجتمع المسلم مجتمع متحرك، مجتمع جاد عامل، تبرز مقادير الناس وقيمهم أعمالهم في داخل هذا المجتمع، وعندما التحق أبو بكر بالرفيق الأعلى وكان على فراش الموت لم يجد إلا عمر يوصي به خليفة على المسلمين، وعندما كان عمر بعد أن أصبح جرحه يشخب دماً بعد طعنه في المسجد قال لم يبق إلا الستة الذين توفي رسول ﷺ وهو عنهم راض، وسمى الستة: عبد الرحمن وسعداً وطلحة والزبير وعثمان وعلي، وقال فليختاروا أحدهم، وأما ابن عمر فإنه يَنتخب، ولا يُنتخب، فقيل له إن ابنك عبد الله يصلح لإمارة المؤمنين، فقال عمر (**كفى بآل عمر أن يحاسب واحد منهم عن جميع المسلمين**).

ومن هنا ليس هنالك تنافس على الظهور والبروز لسببين:

السبب الأول: أنهم يعتبرونها أمانه، وإنها حسرة وندامة يوم القيامة، وإنها نعمت المرضعة وبئست الفاطمة.

والشيء الثاني: لا حاجة لإظهار الأعمال والبرامج المستقبلية للمجتمع، لأنهم قد برزوا على طول الطريق أثناء جهادهم للمعارك، وأيام قيادتهم في الملمات ووقوفهم في الخطوب والكربات.

أما المجتمع الجاهلي فهو مجتمع على عكس ذلك.

المجتمع المسلم مجتمع يبرز فيه بلال على أبي سفيان، ويبرز فيه عمار على سهيل بن عمر، ويبرز فيه صهيب على الحارث بن هشام، زعماء مكة وهؤلاء أعبدها، ولقد كان هؤلاء الأعبد بلال وعمار قبل سنوات كانت قريش تطلب من رسول الله ﷺ أن يفرد لهم مجلساً حتى لا تراهم العرب جالسين مع هؤلاء العبيد ثم يعيرونهم، فقالوا: يا محمد افرد لنا مجلساً لأننا نخشى أن تعيرنا العرب لجلوسنا مع هؤلاء الأعبد، وعندما همّ رسول الله ﷺ أن يفرد لهم مجلساً نزل جبريل بالوحي يحذره ويقول له:

(ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) (الانعام: ٥٢)

فتكون يا محمد من الظالمين!! -صلى الله عليك يا حبيبي يا رسول الله، صلى الله على رسول الله، صلى الله على أبي القاسم - فتكون من الظالمين !! فتطردهم فتكون من الظالمين!!

(وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا) (الأنعام: ٥٣)

ما كان أبو سفيان وأبو جهل والحارث بن هشام وسهيل بن عمر يصدقون أن هؤلاء العبيد خير منهم، ما كانوا يصدقون، ولا يمكن أن يدخل في ألبابهم أو يتيقن في قلوبهم أن هؤلاء خير منهم، لو كان خيراً ما سبقونا إليه..

(وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم) (الأحقاف: ١١)

(وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين، وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) (الأنعام: ٥٣-٥٤)

- بلال وعمار وصهيب وغيرهم من العبيد -

وفي بعض الآثار (**الحمد لله الذي جعل من أمتي من أمرني ربي أن أرد عليهم السلام**) . (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة)

على الأبواب، أنظروا حاكم قريش وسيدها ورئيسها والذي يتولى المفاوضات معه ﷺ هو واقف بباب عمر هو وسهيل بن عمر، وعندما احمرّ أنف أبي سفيان غضباً قال سهيل بن عمر لا تغضب، دعوا ودعينا، فتقدموا وتأخرنا، وعندما انفض المجلس دخل الحارث بن هشام وسهيل بن عمر وأبو سفيان، يا أمير المؤمنين: قد رأينا ما صنعت بنا فهل لنا من شيء نتدارك به ما فاتنا؟ قال: والله ما أعلم شيئاً تتداركون فيه ما فاتكم إلا أن تذهبوا إلى تلك الجهة، وأشار إلى الشام حيث جيوش خالد في اليرموك، وأعد الحارث بن هشام راحلته وخرج من مكة، وتبعته مكة بصغارها وكبارها ورجالها تبكي وتقول: إلى من تتركنا يا سيد الحي؟ قال والله لقد فاتنا هؤلاء بمقادير وأيام ما أحب أن لي الدنيا بأسرها وأنفقتها في سبيل الله وأكون قد فاتني يوم من أيامهم، أريد أن أتدارك ما فاتني، وينطلق لى اليرموك، ويصدق الله كما صدقه هو وسهيل وأبو سفيان، ويستشهد سهيل والحارث بن هشام في معركة اليرموك.

يقول العدوي: انطلقت أبحث عن ابن عم لي في اليرموك، فوجدته بين الجرحى في الرمق الأخير، فقال اسقني، فهممت أن أناوله ربة من الماء، وإذا برجل آخر بجانبه، فقال اسقه، فذهبت لأسقيه، وإذا به الحارث بن هشام، فأردت أن أسقيه، وإذا بثالث يقول سقني، فانطلقت إليه وإذا به عكرمة بن أبي جهل، قال اسقه، فوصلت عكرمة فوجدته فارق الحياة، وعدت إلى الحارث بن هشام ،ـته قد فارق الحياة، وعدت إلى ابن عمي فوجدته قد فارق الحياة.

هذا المجتمع المسلم، أعمال الناس (**ولكل درجات مما عملوا**)، ولذا يوم فتح مكه رسول الله ﷺ يأمر بلالاً أن يؤذن فوق كعبة، وكان الحارث وأبوسفيان جالسين مع زعيم ثالث، فقال الحارث: الحمد الله الذي أمات هشاماً قبل أن يرى هذا اليوم، قبل أن ى هذا الغراب الأسود فوق الكعبة، ثم قال الآخر كلاماً وقال أبو سفيان: أنا لا أتكلم، لأني لو تكلمت لأنبأ عني هذا الحصى، إن هذا حصى ينبئ محمداً عني، وبعد قليل مر رسول الله ﷺ وقال: أنت قلت كذا وأنت قلت كذا وأنت قلت كذا، فقال أبو سفيان: أما قلت إن الحصى ينبئ محمداً عنا، ثم مر بلال بزعامة قريش، فنظر إلى أبي سفيان، كان بلال وعمار مارين هما وصهيب فقال: والله ما ، سيوف الله من أعداء الله شيئاً، نهانا رسول الله ﷺ أن نقتلكم، قال من أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، دخل الكعبة فهو آمن، ما نالت سيوفنا من أعداء الله شيئاً، فغضب أبو سفيان وشكا لأبي بكر، فجاء أبو بكر رضي الله عنه وعنف وعماراً، قال :أتقولون لسيد قريش هكذا؟ فذهب أبو بكر وشكا بلالاً وعماراً لرسول الله ﷺ، وإذا برسول الله ﷺ يقول له: هل بتهم؟ هل أغضبتهم؟ إن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك، الله أكبر! يا لله! يغضب رب العزة لغضب بلال، أهل الدنيا بموازينهم ىن إلى هذا يقولون الحمد الله الذي أمات أبي قبل أن يرى هذا الغراب الأسود، وأما الموازين الربانية التي يرجح فيها بلال على الأرض كلهم وأحسابهم عدا من سبقة بإيمانه وعمله، يقول (**إن كنت أغضبته فقد أغضبت ربك**)، وينتفض أبو بكر هلعا ، إلى بلال وعمار يسألهم يا إخوتاه هل أغضبتكم؟ خشي أن يكون أغضبهم فيغضب ربه، وإذا بهم يقولون غفر الله لك يا أخانا، لت أساريره واطمأنت سريرته.

يا أيها الإخوة:

أقول لكم في المقابل، في مقابل المجتمع المسلم ذلك المجتمع الجاهلي الراكد الذي لا تبرز على سطحه إلا الأعفان، ولذا (**يخون لأمين ،ويؤتمن فيه الخائن ،ويصدق فيه الكاذب، ويكذب فيه الصادق**) كما قال ﷺ (**إن بين يدي الساعة خداعات يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب** – والحديث صحيح– **ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها ، ويتكلم فيها الرويبضة، قالوا وما الرويبضة يا رسول الله ؟**– والرويبضة كما عرفها الرسول ﷺ – الرجل تكلم في أمر العامه) السفيه.. رجل سفيه من أبناء الشارع قذفت به الانقلابات العسكرية إلى القمة فاصبح فخامة، أو أصبح أصبح يخطب ساعتين وثلاثاً والتلفاز ينقل، والإذاعة تبث، والأثير يوصل إلى العالم كله، وماذا يتكلم؟ يتكلم الهذاء والفحشاء مما تقشعر منه أبدان كل ذي مسكة من عقل.

ندما يريدون شهادة حسن سلوك لرجل صالح يريد أن يذهب إلى الحج من يستفتون في حسن السلوك؟، إنهم يخرجون حسن ع القتاتين، من المخابرات، المخابرات تقدم شهادة حسن سلوك لعالم العلماء أو مفتي الاسلام أو كبير القضاة، لا بد أن يأخذ . أنه حسن السلوك، أليست هذه انقلاب الموازين؟ أليس هذا تخوين الأمين وتأمين الخائن؟ القتات الذي ينقل عيوب الناس ودمه تنتفخ على حساب إضرار الناس وهتك أعراضهم وتتبع عوراتهم وتمزيق لحومهم،إنه يعيش وينتفخ بطنه أو ينتفخ جيبه بقدر ما ضرار ومن تقارير للذين فوق القمة، وهم لولا أنهم من عينة هؤلاء ما قربوا هؤلاء، إنهم مثلهم، والطيور على أشكالها تقع ، حنود مجندة، **ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**)، ولذلك كم نقلوا لنا عن هؤلاء الذين انقلب ع فأصبح الذين في القعر هم في القمة، وأصبح الذين في القمة هم في القعر، تماماً كما تقلب خزانة على ظهرها فيصبح

أعلاها وباطنها أسفله، يصبح سطحها في الأسفل، وتماماً كإنسان يقف على يديه ويرفع رجليه إلى السماء، هؤلاء لا يعرفون الناس، ولذلك مهما حاول هذا الذي ينقلب على رأسه ويرفع رجليه نحو السماء هذا مهما حاول أن يعرف لون السماء وأين العلو لا ع، لأن عينيه إنما تنظر في الحضيض وتنخر في الأسافل.

لو قلت له صف لي لون السماء لقال لونها أخضر، لأنه ينظر إلى عشب الأرض، لأن عينيه لا تنظر إلا الأماكن السفليه، ونعوذ كالشياطين لا تجدها إلا في الحشوش، وكما قال ﷺ (**إن هذه الحشوش** - أي دورات المياه- **محتضرة، فإذا دخل أحدكم ل أعوذ بالله من الخبث والخبائث**)، أي من ذكور الشياطين وإناثهم.

المجتمع الجاهلي مجتمع تضيع فيه الكرامات، وتسفك فيه الدماء، وتخرس فيه الألسنه، وتكمم فيه الأفواه، وتعدد فيه النبضات، ؟ لأن الذين يستلمون مقاليد الأمور هم من أولياء الشياطين:

(وإن الشياطين لَيُوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) (الأنعام: ١٢١)

هذا المجتمع، المجتمع الجاهلي المتعفن لا تبرز فيه مقادير الناس، لا تبرز فيه قيم صاحب القرآن، يتكفف الناس على أبواب ساجد، وأما أولئك الذين يحسنون النفاق إنما هم في الدرجات العلى، يتحكمون في أقوات الناس و مقاديرهم وأكسيتهم وألبستهم، ماحب القرآن الذي هو أفضل الناس في الأرض، والذي كان هو الميزان الذي يظهر مقادير الناس في المجتمع المسلم ويبرز علوهم، سبح صاحب القرآن أكثر ما يكون إماماً في مسجد لا يكفيه راتبه بضعة أيام، ويعيش بقيه الشهر على صدقات الفطر وعلى الزكاة.

العالم الذي لو اعتصرته ما نزل منه إلا علم تجده منبوذاً ضائعاً مردوداً على الابواب (**ورب أشعث أغبر ذي طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**)، هذا المجتمع لا يبرز فيه بلال وعمار، ولا يستشار فيه صهيب ولا سلمان، إنما لمستشار فيه جون وانطون، هؤلاء أو الفسقه الفجرة الذين كالذباب لا يحطون إلا على القاذورات، وكالبعوض لا يفقسون إلا في داخل المستنقعات، أما النحل فإنك لا تراه يحوم فوق القاذورات أو حول المستنقعات، إنه طيب ولا يجمع إلا طيبا ولا يثمر إلا طيبا، وإن الله طيب ولا يقبل إلا طيبا.

ولذا فكلما كانت الجماعة قريبة من الله كلما كانت موازينها دقيقه تبرز الناس بمقاديرهم، ومن هنا برز الموالي في الدولة الإسلامية، برزوا بعلومهم وقرآنهم، وعندما سأل عمر بن الخطاب سأل والي مكة من وليّت على مكه - عندما التقى به في الحج - قال وليت عليهم ابن أوبزة رجل من موالينا، قال وليت عليهم رجلاً من الموالي؟ قال إنه حامل للقرآن، قال عمر: لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول (**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**).

وعندما رتب القرآن الكريم مقادير الناس، إنما رتبهم حسب جهدهم وجهادهم، فرتبهم أولاً المهاجرين (السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) رتبهم كذلك رسول الله ﷺ، رتبهم أهل بدر وقال (**لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فإني قد غفرت لكم**) ثم أهل أحد، ثم أهل الخندق، ثم أهل بيعة الرضوان التي يقول عنها رب العزة:

(لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلاً وعدالله الحسنى) (الحديد: ١٠)

ومن هنا كان الجيش إذا اشتدت به الظروف واذا احمر الحدق وحمي الوطيس ينظرون من منا من أهل بدر؟ يلجأون إليه، أفيكم البراء بن مالك الذي قال عنه ﷺ (**رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره**)؟، ثم يلجأ الجيش بكليته إلى البرأ بن مالك ليرفع إصبعه إلى السماء تشير يقسم على الله أن يوليه أكتاف الكافرين وأن ينصر المؤمنين، فلا يرد إصبعه إلى أسفل إلا والمجرمون الكافرون يولون أدبارهم.

كان عمر يقول لإصبع محمد بن واسع تشير إلى السماء في المعركة أحب إليّ من ثلاثة آلاف سيف في سبيل الله، وعندما أبطأ عمرو بن العاص بفتح مصر وطلب مدداً أربعة آلاف قال نحن ثمانية آلاف ونريد أربعة آلاف، لأنه لن يغلب اثنا عشر ألف من قلة أرسل له أربعة، قال عمر هؤلاء أربعة عهدتهم أنهم ظلوا على الحال الذين فارقهم ﷺ عليه، فهؤلاء أربعة بأربعة آلاف، وأنتم ثمانية آلاف فتصبحون اثني عشر ألفاً، فإن فتح الله بهم فذاك ظني بهم، وإن لم يفتح الله بهم فلأنهم غيروا كما غيرتم.

قتيبة بن مسلم في معركة مع الترك في القاطعات التي تحكمها روسيا الآن في شمال نهر جيحون -في معركة مع الترك- أرسل [illegible] يدعو لنا؟ قال فذهبت، فرجع إليه قال لم أجد إلا محمد بن واسع يشير بإصبعه إلى السماء،

قال (**هذه الإصبع خير لي من ثلاثين ألف عنان أي ثلاثين ألف فرس**) هذه الإصبع ! ومن هنا كانوا حريصين كل الحرص على هذه العملة الصعبة التي تحفظ المجتمع كله من الانهيار، هل بقي من أهل بدر أحد؟ هل بقي من أهل أُحد أحد؟ هل بقي من أصحاب رسول الله أحد؟ ثم جاء الخلفاء من بعدهم وكانوا يسألون: هل بقي أحد ممن رأى رسول الله ﷺ؟ ولذا (**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**) هؤلاء الناس، أحمد بن حنبل، الشافعي، العز بن عبدالسلام، النووي، سيد قطب، حسن البنا، عبد العزيز البدري، صالح سريه، ما الذي خلدهم؟ ما الذي أظهر ذكرهم؟ كيف كتبت أسماؤهم في الكتب؟ إن التاريخ صفحاته قليلة لا تكتب فيها إلا أسماء العظماء، كيف برزت هذه الأسماء إلا بأعمالها، إلا بجهادها، إلا بتضحيتها، إلا بتمسكها؟ فبرزت قيمهم رغم الظلماء التي تحيط بالمجتمع وتلفه من كل جانب.

أقول لكم: إذا أردتم أن يرفعكم في الآخرة فانظروا إلى الآخرة، وإذا أردتم أن يقربكم ربكم إليه فتمسكوا بحبله المتين، واصدقوا الله يصدقكم، واحفظوه في السر يحفظكم في العلن، وبقدر ما تعبد الله في الرخاء يحفظك في الشدة، تعرفْ إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وكما قلت وضربت مثالاً لرجال حرقت كتبهم في الشوارع ومنعوا وأوذوا وماتوا في السجون.

وأضرب مثالاً دائماً لابن تيمية ولسيد قطب: فابن تيمية مات في داخل سجن القلعة لم يعلم به أحد عند موته، مات وحيداً، ولكن الله عز وجل وبعد ستة قرون من موته، بعد ستة قرون متطاولة تامة من موته يبرز الله قدره وتطبع كتبه وتوزع على العالم، ويصبح ابن تيمية من أبرز الشخصيات والعلماء في التاريخ الإسلامي، من أبرزهم.

وكذلك سيد قطب أحرقوا في يوم واحد ثمانية آلاف من تفسير القرآن -في ظلال القرآن-، ثمانية آلاف نسخه في الشوارع لعامه، وأخليت المكتبات من كتبه، وكان كل واحد يمسك عنده كتاب من كتبه يسجن على الأقل عشر سنوات، ثم في السنة التي استشهد بها في سجن مظلم لا يعلم الناس حتى الآن أين قبره في نفس السنة أقبل الناس على كتبه يقرأون، ومن علمه ينهلون، وإذا به يطبع في سنة واحده ثماني طبعات من الظلال تنتشر في كل العالم، حتى النصارى كانو يتهالكون على طباعة كتب سيد قطب حتى لا تفلس مطابعهم، لأن كتبه رائجه في الأسواق.

أيها الإخوة: إن لله ميزاناً وللبشر موازين، وإن لله قيماً وللناس قيم، وميزان الله هو الثابت الذي لا يتأرجح، وميزان الناس يشوبه الهوى والنقص والجهل والتأرجح، وهو متغير، والمجتمعات قسمان: مجتمع مسلم يزن بموازين الله فتبرز مقادير الناس حسب أعمالهم، ومجتمع جاهلي يزن بموازين الجاهليه فهؤلاء تنقلب فيهم القيم ويصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

يا أيها الإخوة:

علينا أن نزن بميزان الله، حتى يرفع الله قدرنا في الدنيا والآخرة، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد الله ثم الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أيها الإخوة:

كنت أرى الناس في الحج إذا علموا أنك أفغاني يقفون لك احتراماً وإجلالاً، وأما غيرها من الجنسيات فضائعة غير محترمة، إذا عرفوا أنك أفغاني يقدمونك ويحترمونك ويتنازلون عن بعض حقوقهم في ثمن الطعام والشراب، ويودون لو يزورك ضيفاً عليهم في بيتهم، وأما غيرهم فالناس لا يولونهم احتراماً، ولا يعيرونهم اهتماما، فقلت في نفسي إن الجهاد هو الذي رفع قدر هؤلاء، وأسأل الناس اليوم ماذا يتحدثون الناس في العالم كله؟ يسألون ماذا جرى في بنشير؟ كيف حال أحمد شاه مسعود؟ كيف قتل ذبيح الله: كيف جهاد في بكتيا؟ كيف خوست؟ كيف فلان؟ هل جاء سياف؟ هل جاء جلال الدين؟ هل جاء القادة؟ هل جاء رباني؟ هل جاء حكمتيار؟ يسألون؟ لقد أبرز هؤلاء جهادهم أو جهاد قومهم، وأعزهم الله لانه يعز المجاهدين، وأبرز مقاديرهم عند الناس، وأما لو تركوا الجهاد وعادوا إلى موازين الدنيا ماذا يساوي أحمد شاه مسعود؟ إنه شاب لا يحمل إلا سنة أولى في معهد صناعي، ليس عنده علم الشرعيين، ولا فقه الخريجين من الكليات الشرعية، إنه شاب عادي، لكن العمل أبرز مقداره وأظهر قيمته، فلان وفلان من هؤلاء القادة الذين تتردد أسماؤهم على ألسنة الناس، من هؤلاء؟ أعلاهم من يحمل الماجستر، وكم من الدكتوراه والأساتذه ضائعون في الجزيرة العربيه وفي الجامعات السعوديه والكويتيه لا يعرف الناس لهم أسماء ولا يحسون لهم ركزا؟ كم من الأساتذة والعمالقه في العلم؟ ولكن العمل أبرز مقادير هؤلاء وأبطأ عمل هؤلاء بمكانتهم التي يستحقون.

يا أيها الإخوة:

إن العمل هو الذي يبرز قيمة الإنسان ويظهر مقداره ويعليه في الدنيا والآخرة، وقد اتفق الكفار من غير أبناء المجتمع والمؤمنون على احترام الذين يصدقون مبادئهم ويضحون من أجلها، والناس قد اتفقوا على ذم الذين يدعون شيئاً ولا يعملون من أجله، وقد ضرب

الله عز وجل مثالاً من أبشع ما صور به الإنسان وهو يصور العالم الذي يتخلى عن علمه..

(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث)

(الأعراف: ١٧٥-١٧٦)

فالكلب يلهث في الحالتين، في حالتي الراحة والتعب، وهذا فقط من الحيوانات في الكلب(إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث).

وفي الآخرة يلقى هؤلاء في النار تندلق أقتابهم يدورون بها كما يدور الحمار بالرحى، يمر عليه أهل الجنه فيقولون يا فلان أليس بعلمك قد دخلنا الجنه؟ فيقول لقد كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه. إذا أردت أن تكون لك الدنيا والآخرة فعليك بالله، وإذا أردت أن تكون لك الدنيا فعليك بالله، وإذا أردت أن تكون لك الآخرة فعليك بالله، ليس لك من الله ملجأ إلا إليه، أقبل عليه يقبل عليك، وأسرع إليه يسرع إليك، وتقرب إليه شبراً يتقرب إليك ذراعاً، وائته ماشياً يأتيك هرولة، وأطعه وأدم طاعته حتى يحبك، فإذا أحبك كان سمعك الذي تسمع به، وبصرك الذي تبصر به، ويدك التي تبطش بها، ورجلك التي تمشي بها، ولئن سألته ليعطينك، ولئن استعذته ليعيذنك.

إعمل وأقبل على الله، وصحح عقيدتك، ونرجو الله جميعاً أن يرزقنا الإخلاص والاستقامة، أن يرزقنا الصدق والصواب، لأن الله عز وجل لا يقبل عملاً إلا إذا كان صادقاً صوابا، أو خالصاً صوابا، خالصاً من الرياء والنفاق، صواباً أي موافقاً لما جاء به الرسول ﷺ.

يا أيها الإخوة:

أقبلوا على الله وأكثروا من تلاوة القران، واعرفوا للناس مقاديرهم، وقدروا بعضكم بقدر صلاحكم، وإياكم أن تزنوا بموازين الدنيا فتضيعوا وتتفرق بكم السبل فتتيهوا.

يا أيها الإخوة:

أنظروا إلى الله في أعمالكم، وراقبوه في حركاتكم وسكناتكم، وانووا النية الصالحة في كل ما تعملون وتتكلمون وتتحركون، وإياكم أن يمر عليكم يوم دون أن تفتحو كتاب الله وتقرأوا، أن يمر عليكم دون أن تضيفوا إلى صفحاتكم أعمالاً صالحة ترفعكم عند ربكم، لأن هذه الأعمال كما يقول الملك **(ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وينادي مناد يا ابن آدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد، فاعمل فيّ تراه غداً، ولن أعود إليك إلى يوم القيامة.)**

أهمية فلسطين *

بمؤتمر رابطة الشباب المسلم في أمريكا (ديسمبر ١٩٨٨م)

[١] إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين)

(آل عمران: ١٤٦-١٤٨)

---

* كلمة المقدم: مع رمز الجهاد، مع صوت القتال، مع الصمود الشامخ، مع الثبات على الحق.. ومع فضيلة الشيخ عبدالله عزام فليتفضل (ارتفعت أصوات الجماهير بالتكبير داخل قاعة المحاضرات..)

(١) الكلمة مسجلة على شريط فيديو، كنا نلاحظ عريف الحفل يقترب من الشيخ مرتين أو ثلاثة يحث الشيخ على الإسراع في الانتهاء من كلمته.

كان قدراً من الله أن يخرج هؤلاء الفتية فينقلوا هذا الشعب بعد أن كاد أن يصل إلى حافة الهاوية، نقلوه من مرحلة الاستيئاس إلى قمة العزة والمجد، ولا زال صاعداً إلى القمة السامقة حيث الذروة التي قال عنها ﷺ(وذروة سنامه الجهاد).

يا أبناء فلسطين:

لقد آن لكم أن تعلموا أن كل الأحداث التي دارت في الساحة في هذا القرن إنما كانت لسلب حقوقكم، وسحق أبنائكم، ومطاردة دعاتكم، وامتصاص دمائكم.

لقد أسقط السلطان عبد الحميد وهو يدافع عنكم سنة ١٩٠٩م بعد أن قال كلمته الشهيرة (إن إعمال المبضع في جسدي واقتطاع شلو من أعضائي أحب إليّ من أن تقتطع فلسطين من أرض المسلمين)، وأسقطت الخلافة من أجل فلسطين سنة ١٩٢٤م، وقتل البنا من أجل فلسطين في الثاني عشر من فبراير سنة ١٩٤٩ م، وعقدت معاهدة رودس بعد قتل البنا بيومين اثنين، وقامت ثورة عام ١٩٥٢ م من أجل إجهاض الحركة الإسلامية التي يمكن أن تكون المؤمل بعد الله لإرجاع فلسطين، وكانت الشروط الثلاثة التي اتفق عليها جيفرسن كافري السفير الأمريكي مع الضباط التي سموا ظلماً وبهتاناً بالضباط الأحرار الشروط الثلاثة:

(١) أن تسحق الحركة الإسلامية.

(٢) وأن يدمر الأزهر من أساسه.

(٣) وأن تحفظ سلامة إسرائيل.

والذي كان يخطط ويدير وينبه ويشير هو ذلك الرجل الذي عقد معاهدة لوزان وأشرف عليها ناحوم حايم سنة ١٩٢٢م من إسقاط لخلافة، حاخام اليهودية في القسطنطينية، وبعد أن أسقط الخلافة هناك انتقل إلى مصر ليوجه الثورة وليحفظ سلامة اليهود.

آن لكم أن تعرفوا أن الحركة الإسلامية سحقت سنة ١٩٤٨ م من أجل إقرار كيان لإسرائيل، وعلق عبد القادر عودة ومحمد رغلي ويوسف طلعت على الأعواد من أجل أن تحفظ حدود إسرئيل، ولقد كانت جريمة محمد فرغلي ويوسف طلعت وهنداوي دوير إبراهيم الطيب سنة ١٩٥٤م أنهم شهدوا الحرب في فلسطين، كان السؤال الذي يلقى في محكمة الثورة: أشهدت حرب فلسطين؟ فإن ن الجواب نعم يكون الحكم قد أعد، إما التعليق على الأعواد، وإما الإلقاء في غياهب السجون طيلة الحياة بالأشغال الشاقة، وما علق يد كذلك وإخوانه سنة ١٩٦٦م إلا لتتقدم إسرائيل بعدها بتسعة أشهر.

يا أبناء فلسطين: آن لكم أن تبايعوا على الموت:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريـــم	*بين طعن القنا وخفق البنـــود*
فرؤوس الرماح أذهب للكيـــد	*وأشفى لكيد صدر الحســـود*
وما العيش لا عشت إن لـــم أكن	*مخوف الجناب حرام الحمـــى*
أهوناً وعندي تهـــون الحيـــاة	*وذلاً وإنـــي لـــرب الإبـــا*
ونفس الشريف لـــها غايتـــان	*ورود المنايـــا ونيل المنـــى*

إن عمليات السحق والإبادة التي لا زالت تجري في أرض الكنانة وحول المنطقة المحيطة بإسرائيل إنما تجري على عين أعداء الله له، وأعدوا لكي يكونوا مخالب تمزق أحشاء هذه الأمة، وكفوفاً حادة يضرب بها أولئك الذين يحركون المنطقة من وراء ستار وبأيدي ء.

يا أبناء فلسطين: لا تراجع بعد اليوم، الموت الموت أو الحياة والعزة، سيروا وقد فتح لكم الطريق.

آن لكم أن ترتقوا إلى مرتبة الإعداد والاستشهاد والجد، ووالله لا يزيدكم الجد والحرص على الموت إلا حياة وعزة..

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء به وأنه إليه تحشرون) (الأنفال: ٢٤)

والحياة التي أشار إليها رب العزة كما قال بعض المفسرين هو الجهاد.

كانت نعمة كبرى من رب العزة منَّ بها على هذا الشعب في هذا الوقت بأن عادت القيادة تدريجياً إلى أرض المسلمين، ولقد عانينا نا يعم أن خالطنا.. إذ كانت القيادة بيد أناس لا يخافون الله، وأذكرها مرارة لا زلنا نتجرع ذكراها وغصصاً لا زلنا نتكبد مرارتها أن حاولنا أن نعمل مع أولئك الذين كانوا بجانبنا، وكان سر الليل عندهم.. كلمة التعارف عندهم في القواعد سب رب العالمين أو سب

رسوله الكريم، وكنا نقف من أجل أن نعلن لصلاة الظهر أو العصر أو المغرب وأمامنا بعض أهل اليسار ممن إذا سمعوا الله أكبر يقولون:

إن تسل عني فهذي قيمي   *أنا ماركسي لينيني أممي*

لقد أخذت للمحاكمة العسكرية بسبب أني تكلمت على جيفارا، والحمد لله ما كنت أتصور أن الشباب المؤمن أن يستعيد بعض الشيء ويمسك بالزمام أن يحاول مرة أخرى، لقد ظننت أن القيادة قد أفلتت، وأن المقاد قد ضاع، وإذا بجيل الإسلام يعيد إلينا المقاد، ويسلس له الشعب القياد

من هنا أدعو إلى ذاك الرجل الأشل الذي ربى الجيل، الذي وقف أمام اليهود بهذه الحجارة التي تعيد إلى ذاكرتنا حجارة حنين وبدر.. أحمد ياسين، تحية له من فوق هذا المنبر، الرجل الذي يحرك جيلاً وهو لا يستطيع الحركه، وتحية للرجل الأشل الآخر عبدالله نمر درويش الذي ربى جيلاً في الأرض المحتلة سنة ١٩٤٨م[١] وحول المنطقة بإذن الله.. هذا الرجل ذي اليد المشلولة حولها إلى جند مصطفين ينتظرون النداء، وينصبون آذاناً مهللة كلما تقع الصريخ إلى مكان.

يا أبناء فلسطين:

لقد آن لكم أن تعدوا أنفسكم للمعركة فريضة من عند رب العالمين، وليست نافلة ولا تطوعاً..

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) (الأنفال: ٦٠)

لا تدعوا فرصة إلا واغتنمتموها من أجل الإعداد البدني والفكري والروحي، قووا صلتكم بالله فهذه عدتكم وهذا خير زادكم.

يا أبناء فلسطين:

إن الفرصة للتدرب على جميع أنواع الأسلحة مفتوحة وذهبية، فلا تضيعوها، والله أيها الإخوة: إن قذيفة (R-B-G) التي تدمر الدبابة نشتريها من منطقة القبائل في باكستان بخمس دولارات، بمائة روبية، ثمنها في مصنع السلاح بخمسمائة دولار.

إن طلقة الرشاش الزيكوزيك التي تساوي سنتاً واحداً ثمنها في المصنع عشر دولارات، إن القنبلة التي نشتريها من السوق الحرة، سوق مفتوح للجميع ثمنها دولار إلى خمس دولارات، ثمنها خمسون دولاراً من مصنعها، أي فرصة نضيع؟ وأي مغنم يفلت من أيدينا؟! والفرص لا تتكرر، والله عز وجل حكيم عليم لا يعطي الفرص باستمرار، يعطيها على التعاقب بين حين وآخر، والله سائلنا عن هذا، ثم الجهاد بالنفس والجهاد بالمال وهما فرضان، فرض عين على كل مسلم الآن أن يجاهد بنفسه وماله، وهذه قاعدة شرعية اتفق عليها جميع المفسرين والمحدثين والفقهاء والأصوليين أنه إذا اغتصب أو وطئ شبر من أراضي المسلمين، سهوله أو قفاره صحاريه أو هضابه، شبر! أصبح الجهاد فرض عين على تلك المنطقة حتى يخرج الولد دون إذن والده، والمدين دون إذن دائنه، فإن لم يكف أهل تلك المنطقة أو قصروا أو تكاسلوا أو قعدوا توسع فرض العين على من يليهم، وثم وثم إلى أن يعم فرض العين الأرض كلها فرضاً لا يسعهم تركه كالصلاة والصوم، هذه نصوص الفقهاء ونصوص المفسرين ونصوص المحدثين منذ أن تنزل هذا الدين وإلى يوم الدين، لم يرد عليه ناسخ ولا مؤول.

يا أيها الإخوة:

قال الأخ الكريم إن التبرع بالمال سنة المصطفى ﷺ، إنها فريضة منزلة من فوق السبع الطباق..

(انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) (التوبة: ٤١)

أي عار على شعب أبناؤه يخطون التاريخ بالدماء ولا يقدم لهم ثمن الضمادات؟

أي إثم على أمة أبطالها يبنون أمجادها بجماجمهم وهي لا تقدم ثمن طعامهم؟

أي عار على جيل الشباب الصغار يبنون من أجسادهم جسوراً ليعبروا عليها ثم لايتكفلون لهم بقطعة الكساء أو بلقمة الغذاء؟

لنصم أسبوعاً عن المرطبات، هكذا نقسم شهرنا، نصوم أسبوعاً عن المرطبات، والأسبوع الثاني عن الفواكه، والأسبوع الثالث عن اللحوم، والأسبوع الرابع نتصرف به كما نعيش به الآن، والله لو سلكنا هذا ووضعنا صندوقاً في البيت نسميه صندوق الجهاد

لفسطيني..

نحن نريد أن ندخل كلمة الجهاد، كلمة الجهاد على الانتفاضة، مصطلح رباني تكلم به رب العزة، ومصطلح نبوي تفترت عنه شفاه النبوة، لا محيد عنه ولا بعد أبداً، جهاد... إنه جهاد، إنها شهادة، إنه قتال في سبيل الله، ومن هنا ندعو لأولئك الذين سبقونا على الطريق في فلسطين، هؤلاء الشهداء الذين نحيا الآن بذكرهم، ونرفع رؤوسنا عالياً بتذكرهم، هؤلاء الذين مضوا إلى الله وكل واحد منهم كأنه يقول:

سأثـــــأر لكن لرب وديــن وأمضي على سنتي في يقين
فإما إلى النصر فوق الأنام وإما إلى الله في الخالــدين

يا أيها الإخوة:

ليس بعد قضية أفغانستان أي مستحيل في واقع الأرض، وليس هنالك قوى كبرى ولا قوى صغرى، إنما هي الإرادة التي تنبثق من الإيمان بهذا الدين، وتتوكل على رب العالمين، وتنطلق وهي ترتل بالترتيل القرآني.

(أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد، ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام، ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) (الزمر: ٣٦-٣٨)

يا أيها الإخوة:

ــ جدوا واصدقوا الله، واصدقوا أنفسكم، واصدقوا شعبكم، واصدقوا جيلكم، فإن عجلة التاريخ دائرة، والتاريخ لايرحم، وأقلام كتبه الكرام إنما تسطر وتسجل.

يا أيها الإخوة: أتعلمون أنه في أفغانستان قد دمر المجاهدون ألفين وثمانين طائره، واستهلك مثلها لروسيا، أي فقدت روسيا حوالي أربعة آلاف ومائة وستين طائره من أنواع الطائرات كلها، ودمروا سبعة عشر ألف دبابة ومدرعة، واحداً وعشرين ألف ناقله، وقتلوا خمسين ألفاً من الروس تقريباً، وقتلوا حوالي مائة ألف من الميليشيا، ومقابل ذلك سارت سفينتهم مشرعة على بحور الدماء، وقامت أمجادهم فوق تلال الأشلاء وفوق جبال الشهداء، ووالله ما خسروا ولا خابوا، ولقد ركعت روسيا أمامهم حتى طلبت من الأمم المتحدة أن تتوسط لدى المجاهدين حتى يجلسوا معها.

يا أيها الإخوة:

يا أبناء فلسطين: لا تراجع، من الحجر إلى المسدس إلى العوزي إلى المدفع إلى (R.P.G)، وبعد ذلك ترقبوا من رب العزة

(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) (الحج: ٤٠-٤١)

يا تجار فلسطين: ادفعوا زكاة أموالكم فقط للجهاد كل شهره ٢٪ في صندوق فلسطين، صندوق الجهاد الفلسطيني الذي لا بد أن يغادر أي بيت، كونوا صادقين مع قضيتكم، كونوا صادقين مع ربكم، كونوا صادقين مع أنفسكم..

(ولا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم) (محمد: ٣٥)

يا أبناء فلسطين:

لئن عمرت جعلت الحرب والـــدة والسمهري أخاً والمشرفي أبـــا
بكل أشعث يلقـــى الموت مبتسماً حتى كأن لـه في قتلـه إربـا
فج يكاد صهيل الخيل يقذفـــه عن سرجه فرحاً بالغزو أو طرباً
إن المنية لو لاقتهمـــو جفـــلت رعنـاء تتهم الإقدام والهربـا

السياسة مبنية على أن كثيراً من النّاس لا يفهم أن المعركة هي معركة إسلام أو لا إسلام، معركة كفر وإيمان، معركة إلحاد وقرآن، الأفغان شعب عزيز قاتل وأخرج الروس شجاع، الآن يقول لهم نجيب نحن أفغان نرسل لقبيلة من القبائل، قبيلة بجك زي كذا كذا أنتم لماذا تقاتلوننا؟ تقاتلون بعضكم بعضاً، هذه القبيلة فيها المجاهدون وفيها المليشيا، أنتم يا أبناء القبيلة كيف يقاتل بعضكم بعضاً؟ الحافظ منكم، وقائد المليشيا منكم، والجنود معظمهم منكم، أنتم عندما تضربون بوستة من البوستات أنتم تقتلون أبناءكم، لأن الذي في داخل البوستة هذا قد يكون أخاك وابن عمك وزوج إختك، قد يكون ابنك أو أباك، إذاً لماذا تضربون على بعضكم البعض؟ نحن لا نريد منكم شيئاً يرسل بواسطة ابن عمه من اقربائه ابن عمه قائد من هنا أو هنا فقط تأخذ الحكومة واحداً من عائلته الكبار، خذ هذا مليون أفغاني وأعطه للقائد، ونحن لا نريد أن يقف معنا، ولا يقاتل بجانبنا، نحن نريد فقط أن لا يقاتلنا، فقط حقناً لدماء المسلمين، فبدأ يسكت القادة القائد تلو الآخر، وهذا قائد يحب أن لا يقاتل، لماذا؟ لأنه يقاتل بني قومه أبناء عمه أبناء خالته، والرابطة القومية قوية بين الأفغان، القائد الذي يفهم دينه يفهم..

(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كان أباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم).. (المجادلة: ٢٢)

يفهم هذا؟ ويفهم أن الرسول ﷺ قاتل عمه وأبناء عمومته وأخواله، فقريش، قبيلة قريش جاءت لمقاتلة الرسول ﷺ يوم بدر فعتبة بن ربيعه، شيبه بن ربيعه، الوليد بن عبه مقابلة علي، حمزة، عبيدة بن الحارث قرشيون مع قرشين وقتل القرشيون الثلاثة بيد الثلاثة القرشين.

(لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل) (المتحنة: ١)

وأبو عبيدة قتل أباه، وعندما قال سيدنا نوح:

(رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) (هود: ٤٥)

قال:

(يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح) (هود: ٤٦)

فولدك إذاً عمل غير صالح، فهو ليس ولدك، ألا إن آل فلان ليسوا بأوليائي إنما وليي الله ورسوله وصالح المؤمنين.

هذه القضية يجب أن تكون واضحة في أذهان المجاهدين.

أبو عزيز أخو سيدنا مصعب بن عمير مسكه أحد الصحابة يوم بدر أسراً، فمرَّ مصعب على أخيه وهو أسير، فقال للصحابي الذي يمسكه شدَّ على أسيرك إن أمه غنية -تعطيك فلوساً كثيرة- هو أخوه من أمه وأبيه، فقال له يا أخي هذا جوابك لي، قال إنه أخي من دونك، أنت لست أخي، أنت يا أبا عزيز لست أخي، هذا الصحابي الذي يمسكك هو أخي « قل يا ايها الكافرون لا أعبد ما تعبدون».

« قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العدواة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله شيئاً») (المتحنة: ٤)

ثم قال رب العزة:

(وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعده إياه فلما تبين له أنه عدوٌ لله تبرأ منه إن

إبراهيم تبرأ من أبيه، سيدنا نوح تبرأ من ابنه، أبو عبيدة قتل أباه، لما أخذوا أسرى بدر استشارهم الرسول ﷺ في الأسرى، ل يا رسول الله أرى أن تمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، -يقطع رأسه- عقيل من هو؟ أخو علي ، وأن تمكن أبا بكر من ابنه فيقطع نقه، وأبو بكر لما رأى ابنه قال يا أبت -كان ابنه أسيراً من الكفار، ابنه كان من مليشيا نجيب ابن ابي بكر- فقال يا أبت والله لقد ـعت تحت سيفي عدة مرات وكنت أرد السيف عنك حياءاً منك، فقال يا بني والله لو وقعت تحت سيفي مرة واحدة ما نجوت، خلاص..

(إنما المؤمنون إخوة) (الحجرات: ١٠)

ليس إنما الشيوعي والمسلم إخوة إذا كانوا في بيت واحد أو من قبيلة واحدة، قبيلة أحمد زي،أجك زي، منجل إلى آخره، لا..

(فأصبحتم بنعمته إخواناً) (آل عمران: ١٠٣)

ليس أصبحت من قبيلتي إخواناً، لا! شيخ القبيلة إن كان مع نجيب أنا أقتله تقرباً إلى الله عز وجل، نعم..

-(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) (المجادلة: ٢٢)

(لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) هذا عدو لله، وعدو لرسول الله، وعدو للمسلمين، وعدو للوطن، وهو الذي جاء بالشيوعيين، وهو الذي ل مع الشيوعيين، وهو الذي انتهك أعراض المسلمات في أفغانستان، هذا كيف تسكت عنه؟ ألأنه ابن عمك؟! هو عدو لله، كيف تحب ي يعادي الله عز وجل؟! أنت كاذب في حبك لله ولرسوله! لماذا؟ لأنك تحب الذي يحاربه:

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمرك في القياس شنيع

كيف؟ أنتم الآن اعتبرتم روسيا عدواً، الهند إذا وقفت مع روسيا هل تحبونها؟ ألا تعتبرونها عدوة لأنها وقفت مع عدوكم؟ فكيف ـترى رجلاً يعادي الله ومع ذلك تحبه، لماذا؟ لأنه من قبيلتك، وزوج أختك، وابن عمك ومن أقاربك، وفي جيش نجيب ويأخذ راتباً، قبيلة: سلام لا يعرف قبائل، يعرف أن الرابطة بينك وبين أخيك هي الإسلام، فإذا لم يكن الإسلام موجوداً خلاص انقطعت الصلة.

_هذه أهم قضية الآن في أفغانستان، قضية عقيدة، الحب في الله والبغض في الله، قضية البراء من الكافرين والشيوعين رتدين والمليشيا، لأن هؤلاء أعداء لله ولرسوله، فيجب أن تعاديهم، إذا رأيت واحداً منهم في بيشاور يجب أن نحاول قتله، إذا رأيت ، عمي الشيوعي في داخل بيشاور يجب أن أقتله بنفسي، وإذا دخل بيتنا،إذا دعاه أبي على الطعام وأنا أعرف أنه شيوعي ويحب ب نجيب أو يحب الشيوعية أو يحب أعداء المجاهدين هذا في داخل بيتي أنا يجب أن أذبحه ولو كان ابن عمي أو زوج أختي، يجب تعلنوا براءتكم من الكافرين ومحبتكم للمؤمنين، أما أن يأتي ابن عمك أو زوج أختك ويعطيك مبلغاً ويقول لك اذهب واقتل القائد ذني، هذ القائد الفلاني ليس من تنظيمك، أنت من أي تنظيم؟ من الجمعية!! ذاك من الحزب اقتله، فتقتله، أنت تقتل رجلاً يدافع عن ورسوله، ويدافع عن عرضك وعرض أخيك، من أجل مصلحة كافر من أجل بعض دريهمات، دراهم معدودة.

الآن كثير من القادة يقتلون في داخل أفغانستان، لا يقتلون على يد الدولة، معظم القادة، كثير من القادة المخلصين الذين قتلوا العام في داخل أرض المعركة قتلوا على يد أناس من جبهاتهم، ماذا وراء ذلك؟ أرسل ابن عمه وراءه، ابن عمه يشتغل في الجيش، في الجيش، أو محافظ، أو زعيم قبيلة، أرسل وراءه قال له: هذا الرجل مفسد وهذا يضر بنا وبعائلتنا، نحن إن تخلصنا منه تصير ـامة لنا، إذهب أنت واقتله حتى نصبح نحن الزعماء في بغمان في شكردرة في بل خمري في كشم في روستاق في الخ..... اقتله أنا كنت الزعيم قبله، الآن هو الزعيم، إذا قتلته أصبح أنا الزعيم، فأنت تقتل رجلاً يدفع عن دين الله عز وجل من أجل والدك الذي ـاري كأس شاي، هذه خير منه، فأنت تبوء بإثمه وإثم المسلمين الذين كان يقودهم هؤلاء ويتفرقون من بعده، إنتبهو قضية دين، الآن ؛ وفتنة فتن كثيرة معظمها من العصبية القبلية التي قال عنها رسول الله ﷺ « دعوها فإنها منتنة » أنا من القبيلة الفلانية، أو من الحزب الفلاني، أو أنا من الجماعة الفلانية « دعوها فإنها منتنة »، « ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ـنن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه » الجعل الصرصور الصغير، الخنفسة الصغيرة، التي تنبش لقاذورات فتخرج الرائحة، فلا تكونن كالخنفساء:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

نحن ندعو لنصرة دين الله عز وجل هذا الذي يربطنا، والله نصرنا لأننا تمسكنا بدينه، ما انتصرنا لأننا من القبائل، ولم ننتصر ـالزعيم، ولم ننتصر لأن عداد عشيرتنا كبير، لا، عندما قلنا الله أكبر نزّل النصر ربنا العظيم الأكبر، إنتبهوا لهذا، إنتبهوا الآن نجيب في الضحك على الأفغانيين، الآن يظهر على التلفزيون يصلي، هو يصلي على التلفزيون لا يصلي على الارض،نعم، هو

يصلي بدون وضوء، صدقوا، أقاربه أقارب نجيب حدثني قائد من منطقته من منطقة –سيد كرم، سيد كرم في بكتيا –قالوا يصلي بدون وضوء، واحد لا يؤمن بالله كيف يصلي لإله لا يؤمن به؟ هذه العصبية بدأ نجيب يحركها في نفوس الأفغان.

إخوانكم الأنصار العرب جاءوا يخدمونكم وينشرون الدين الذي تريدون نصره، دين الله، ضربوا كابل عدة مرات، اللاسلكي يلتقط من الدولة، أبوحمزة، أبوعاصم، أبومعاذ، أبوصهيب، أبو أبو... وجدوهم عرباً، بعد أن ضربوا كابل عدة مرات لخدمة إخوانهم المجاهدين الأفغان، خرج نجيب نجيب جاء على القصر الملكي عنده ماذا؟ مصالحة ملية أو مصالحة غير ملية لأن الملية خارجين عن الملة، خارجين عن ملة الإسلام، فهي مصالحة غير ملية، جمّعهم وجمّع الصحفيين، جاء رجال التشريفات نزل صاروخ بينهم في ساحة القصر قتل تسعاً منهم، تناثرت أشلاؤهم وجثثهم وجماجمهم بعد القصف بباب القصر، بعد خمس دقائق وصل نجيب الدماء الأشلاء والكلكاني ينتظر في الداخل، هذا كلكاني من ميربشكوت من مشايخ كابل الذين استسلموا، هذا مفتي الشيوعية يفتي على الطريقة الشيوعية –إذا واحد منكم قريب لكلكاني لا تأخذه العصبية القبلية، وبعدما أخرج يسب علي– فجمّع عملاء الدولة الذين اسمهم علماء، هم ليسوا علماء عملاء، أخرت الميم خطأ، فسموهم علماء، أما هي أصلاً عملاء، فأخطأوا في الكتابة فصاروا علماء، جمّعهم وكان كلكاني جالساً، والمشايخ ما شاء الله عمائمهم، قدم لهم كيكاً أكلوا « يشترون بآيات الله ثمن قليلاً »

(إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً) (النساء: ١٠)

(إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك لا يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار) (البقرة: ١٧٤–١٧٥)

«يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى يُمر عليه في الجنة يا فلان ألبس بعلمك دخلنا الجنة؟ قال بلى ولكني كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وكنت أنهاكم عن المنكر وآتيه» يدور في جهنم قال الأوزاعي: شكت النواويس « المقابر » إلى الله عز وجل من نتن جثث الكفار »، النواويس يعني المقابر اشتكت من رائحة جثث الكفار، المليشيا، والشيوعين، والمرتدين والملحدين إلخ.. فأوحى الله إليها إن بطون علماء السوء أشد نتناً من هذه الجيف، بطونهم مليئة رز وكشمش[1] ولحم ويضيعون دين الله ودين أفغانستان وأعراضها ودماءها ودولتها ونصرها من أجل ثمن قليل، المهم جاءوا له بعمامة ميربتشاكوت لأن كلكاني من مير بتشاكوت، عمامة وصحن كبير هناك يعمل جيد تفضل قال: لا لا، لماذا؟ حتى تأتوني بالمصالحة المليّة (أو الغير مليّة المصالحة الخارجة عن الملة الإسلامية) موقعة، المهم جاءوا بالمصالحة ورجال التشريفات موجودون، نجيب قبل أن يصل نزل صاروخ مزّق قسماً منهم إلى جهنّم وبئس المصير، دخل نجيب والدماء والأشلاء متناثرة ووجل، صمت، ذهل! وجلس دون أن يتكلّم، ثمّ تكلّم، قال: انظروا، نحن نريد أن نصلح معهم وهم يفعلون بنا هكذا، ثمّ قال أبو فلان وأبو فلان وأبو فلان (درهر سنكر)* أبوفلان أبوفلان أبوفلان في بغمان في شكردرا.

ماذا يفعل هؤلاء العرب هنا؟! العرب جاءوا ليخرجوا الروس خرج الروس، الآن القضيّة محليّة، نحن أسرة واحدة نحنُ... نعم.

لأن أبا لهب عمّ الرسول ﷺ، وعم علي، هل هم أسرة واحدة؟ قال نحنُ أُسرة واحدة، الأفغان كلّهم أُسرة واحدة، لماذا لا يذهبون يحررون المسجد الأقصى حتى نصلي ركعتين فيه بدون وضوء؟! نعم لأنّ نجيباً طلب من السعوديّة أن تسمح لهُ أّن يلتقي بالمجاهدين بداخل الكعبة، يدخل الكعبة وهو جنب، قال لهم نصلي ركعتين ثم قعد، ثمّ قال إنّي أهيب بغيرتكم الأفغانيّة وبدمائكم القوميّة أن يأتي يوم تذُبحون فيه هؤلاء العرب.[2]

الهندُ لنا والصين لنـــــا — *والأرض لنا والكل لنـــــا*

أضحى الإسلام لنا ديناً — *وجميع الكون لنا وطنـــا*

دستـــور الله لنـــــا دين — *أعددنا القلب لهُ سكنـــا*

---

(١) كشمش، كلمة فارسية تعني الزبيب.

(٢) وقف أحد الحضور من الأفغان وقال:

يا أخي في الهند او في المغرب — *أنا منك أنت مني أنت بـــي*

لا تسل عن عنصري عن نسبي — *إنه الإسلام امي وأبـــي*

ولذلك بدأ نجيب يحرِّك بعض هؤلاء الناس على العرب الذين في داخل أفغانستان، وبعض الناس الذين نظرتهم ضيقة بدأوا ـح على العرب.

وصار العرب يسمعون أحياناً من بعض عملاء الدولة ولكن في الظاهر مجاهدين، أنت ماذا تصنع هنا إذهب إلى بلدك؟ فهم يأتون رب الذين يريدون أن يطلقوا على الكفار يقولون لهم إن أطلقتم عليهم نحنُ نطلق عليكم النار.

يأتون إليهم يجردونهم من السلاح يأخذون سلاحهم، ويأخذون سياراتهم، يسجنونهم، لماذا؟ تحريك النزعة القبليّة حتى يضرب جاهدون بعضهم بعضاً، نعم، ولذلك الآن أقوى سلاح يقاتل به نجيب هي النزعة القوميّة، ويسلِّط زعيم القبيلة الأرباب، الوكيل.إذهب ا قائد الجبهة الذي عندك قل لهُ يسكت وخذ عشرين مليون أفغاني، فيسكت، لا نريد يقاتل معنا، ولا نريد أن يقاتل المجاهدين، فقط ـ عنّا الضرب.

فانتبهوا لهذا، الناس الذين ليس عندهم وضوح في عقيدتهم وفي تصورُهم في داخل أفغانستان الآن أخطر على الجهاد من ـيمون غورباتشوف، لأنه صار يحرك المجاهدين ضدّ بعضهم البعض، الناس الذين في القرى الآن هذا العام صلّحوا بساتينهم أو ـوا أراضيهم، فالمزارع يريد أن يحصد، وصاحب البستان يريد أن يقطف الثمر، والثمر متى ينزل؟ في الصيف، التفاح والدراق ـوخ والكمّثرى.. والخ هذا في الصيف، ومتى الجهاد؟ في الصيف، هذا المجاهد يريد أن يقاتل الدولة في الصيف قبل أن ينزل الثلج، ـاحب البستان يريد أن يقطف الثمرة، وإذا ضرب من جانب سبتانه تأتي طائرات الدولة وتضرب البستان ويسقط الثمر، فيمنع ـاهد أن يقاتل، لا تقاتل من جانبي، لا تقاتلوا من جانب قريتنا ستهدم القرية، ونحنُ هذه السنة أعدنا بناء القرية، لا تضربوا من ـب البستان، لأنّ الطائرات ستخرج وتضر البستان لا تضرب من جانب الحقل، لأن الطائرات ستصعد وتضرب الحقل وتحرق القمح، متى سنقاتل؟ القمح يحصد في أول الصيف، الشمام يبقى طيلة الصيف، البناء موجود طيلة السنة، لا تريدني أن أُقاتل من جانب ـك، ولا من جانب بستانك، ولا من جانب حقلك، كيف يمكننا أن نضرب الدولة ونسقطها وندمرها؟

الآن نجيب مثلهُ مع هؤلاء النّاس مثل رجل عدو لشاب عندهُ إمتحان، ليلة الإمتحان يقول له مالك ومال الإمتحان، تعال عندنا حفلة ـكِّ على حلوى، تعال.. لحم وأرز، فيأخذه ليلة الإمتحان ويطعمهُ اللحم والرز والحلوى وما إلى ذلك، ويسقط في الإمتحان، يلهيه عن ـيّة الكبرى قضيّة الإمتحان والشهادة التي يتوقف عليها حياته ونجاحه، هكذا يأتي إلى هؤلاء يلهيهم بشي بسيط، مليون أفغاني، كمْ ـي مليون أفغاني؟، ستين ألف باكستاني، ستين ألف باكستاني يقول لمجاهد يقلق نجيب وحكومته ليل نهار قائد الجهاد في المنطقة هذا المبلغ ولا تقاتل، فكم يكلّف هذا؟ هذا مليوناً وهذا مليوناً وهذا مليوناً لا يكلّفه شيئاً، كل الملايين التي يوزّعها لا تساوي ثمن ـوخ واحد، كل ماوزعتهُ حكومة نجيب بأفغانستان على المنتسبين للجهاد لا يساوي ثمن طائرة واحدة تسقط لهم، الطائرة التي تسقط ا خمسمائة مليون باكستاني أي عشر الآف مليون افغاني -الطائرة الواحدة- فلو جاء نجيب وأخذ من منطقة كابل ألف و أعطى كل مليون و منطقة بغلان خمسمائة كل واحد مليون و منطقة قندهار وما إلى ذلك كل هذا لا يساوي ثمن طائرة واحدة ساقطة، ثمن ـوخ سكود مليون دولار يعني (٢٠) مليون روبية باكستاني يعنيْ (٣٥٠) مليون أفغاني فكل الذي تخسره كابل على رشوة هؤلاء الذين ـون لن يساوي ثمن صاروخ واحد حول كابل ولكل الذي يوزع داخل افغانستان لا يساوي ثمن طائرة واحدة، كل الذي وزعته الدولة ـلية إلى الآن لا يصل إلى ثمن طائرة واحدة.

إذاً من الخسران؟ المجاهدون .. هو يأخذ قطعة حلوى -مليون أفغاني- من الرابح؟ نجيب .. و نجيب ذكي، قال: أنا لا تسموني .. أنا نجيب الله بينما في الجامعه كان حكمتيار مسؤول اتحاد الطلبة من جهة المسلمين – جوانان مسلمان- نجيب اسمه رئيس من جهة الشيوعين ممثل الشيوعين في الاتحاد كان نجيباً، و ممثل المسلمين في الاتحاد كان حكمتيار، كان نجيب يقول لا تقولوا ـيب الله، أنا نجيب ليس نجيب الله، الآن رجع للإسم القديم قال أنا نجيب الله وجده في الدفاتر القديمة، نحن نريد أن ننهي نعرة ـ، التعصب القبلي، القومي، كل واحد منك يجب أن يعاهدني منكم أنه إن وجد قريب له في بيشاور شيوعياً أن يقتله بنفسه بسكين ـين أنا أشتريه لكم، كل واحد منكم نسلمه سكين على حسابي بشرط واحد أن تقتل قريباً لك من الشيوعيين هؤلاء الذين يأتون هنا ـن لم تقتله اقطع أذنه أو أنفه. (١)

قال من المؤذن منكم قالوا قاري أسد الله فقال الشيخ أين قاري أسد الله قال الشيخ: أنت أسد الله قال له نعم قال له الشيخ ـ واحد من أقاربك الشيوعين إذا كنت لا تريد أن تذبح لاتؤذن فضحك الجميع، فخجل قاري أسد الله وجلس فقال له الشيخ أنت

ـنت الصلاة فالشيخ قال: الآن نقوم للصلاة إن شاء الله ثم قال ترد مع الآذان سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب اليك.

من جماعة كلكاني وكل هذا على سبيل الدعابة مع الشباب فضحك الشيخ وقال له تعال أذن يا شيخ قاري لا نردك

الآن أخطر قضية تواجه قضية أفغانستان هي قضيةالبراء، والولاء البراء من الكافر والولاء للمؤمنين، هذه قضية الايمان (من أحب لله والبغض لله واعطى لله ومنع لله فبذلك تنال ولاية الله ولا تنال ولاية الله الا بذلك) (وهل الايمان إلا الحب في الله والبغض في الله) ما هو موقفكم من هذا أولاً يجب أن تعرفوا أن الذي يقف مع الحكومة الشيوعية كافر خارج من الإسلام عقيدة يجب أن تعلموا أن الذي يعين الكافر على المسلم كافر ومن يتولهم منكم فإنه منهم، يجب أن يكون واضحاً في ذهنك أن الذي يقف مع نجيب ليس مسلماً أولاً يجب أن تعتقدوا أن نجيب كافر هذا لا شك فيها وأن الشيوعين مرتدون، لا شك فيه، وأن المرتدين لابد لهم من قتل حكمه (من بدل دينه فاقتلوه) أو زنادقة لا تقبل لهم توبة، نجيب زنديق آمن ثم كفر ثم آمن ثم كفر ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون) جمهور العلماء قالوا الزنديق لا تقبل توبته يقتل رأساً والرسول صلى الله عليه وسلم قال عن بعض الاعداء للإسلام البارزين (اقتلوهم ولو وجدتموهم معلقين باستار الكعبة)، وقتل بن خطل وهو معلق باستار الكعبة فقصه صلاة نجيب وما إلى ذلك إياكم أن تغركم وتخدعكم.

الشيوعيون كفّار، مرتدون، زنادقة، هذا يجب أن يكون واضحاً ولو صلوا كذباً أمام الناس وصاموا.

ثانياً : الذي يقف مع نجيب ضد المجاهدين ليس مسلماً والذي يخطط مع الأمريكان ضد المجاهدين ليس مسلماً كافر (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم، والذي يخطط مع نجيب يقاتل مع نجيب راضياً كافر أما يوجد ناس تجنيد اجباري رغم أنه منهم فهؤلاء فجرة فسقة ما إلى ذلك يجب أن يهربوا الذين يأخذونهم إلى الجيش يجب أن يهربوا من الجيش ما هو موقف المسلمين من المليشيا، المليشيا كافر خارج من الإسلام، نعم مليشيامعناه ولي لأعداء الله ضد أولياء الله مفهوم معنى مليشيا؟ مليشيا يعني عدو للمسلمين ولي للكافرين، يجب أن يكون هذا واضحاً، ما هو موقف المسلمين من المرتدين الشيوعين ومن أولياء المرتدين الذين هم المليشيا وإن كان أخاك ما هو موقفك؟ أولاً المقاطعة، أقل شيء المقاطعة، ألا تكلمه ولا تسلم عليه، لا يجوز أن ترد السلام عليه، و لا تاكل ذبيحته إذا ذبح دجاجة ودعاك هذا لاتؤكل ذبيحته، لاتكلمه، ولا تصافحه ولا تبتسم في وجهه ولا تدعوه إلى بيتك وأعرض عنه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم **(ولا تطيع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا) (وأعرض عن الجاهلين)**.

إذا أبوك دعى قريبك المليشيا أو الشيوعي أقل شيء، أن لا تجلس في البيت وهو موجود فيه وان كان أخاك وإن كان ابن عمك و إن كان زعيم قبيلتك وإن كان من اللوي جركه لا تجلس معه، لوي جركه، ظاهرشاه، مصالحة مليّة أو غير مليّة، كل هذه تعبيرات ضد الإسلام لا الجهاد قام من اجل الإسلام يجب أن ينتصر الإسلام، لا تكلمه، ولا تزوجه اختك إذا كان ابن عم لك مسؤول في الخاد أو مسؤول في المليشيا أو مسؤول كبير ولكنه يؤيد الخنزير الكبير نجيب ضد الإسلام، هذا لا يزوج ولا تؤكل ذبيحته ولا يرد عليه السلام ولا يجلس معه، أقل شيء أن تدخل البيت الذي فيه هؤلاء، تقاطعه التقي معه في الشارع لاترد عليه السلام لا يجوز لأن السلام للمسلم وهذا ليس مسلماً، الذي يقف مع الكافرين ضد المؤمنين هذا ليس مسلماً (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم).

إذا دعا أبوك رجلاً من هؤلاء ولو كان ابن عمك ولو كان زعيم قبيلتك ولو كان مسؤلاً في الدولة إذا دعاك وتعرف أن هذا مسؤول يحب نجيباً أو يحب الشيوعين أو يتعاون معهم ضد المجاهدين هذا أقل شيء أن لا تدخل البيت وهو فيه فإن استطعت أن تقول لابيك اتق الله ولا تذق طعامنا هذا المجرم فافعل إذا استطعت، إذا استطعت أن تاتي بالمرق الساخن وتلقيه على رأس المليشيا هذا يكون أفضل أو تكسر الصحن الذي يؤخذ له فيه الطعام، لا يجوز يا اخوان هذا دمه تقوى من أجل قتال المسلمين، الاكل الذي سيأكله سيستعمله من أجل قتال المسلمين، لحمه الذي يتربى من طعامك ودمه الذي يسري في عروقه وأوصاله هذا يستعمله في قتال المؤمنين وفي محاربة هذا الدين، وأن تنبهوا إلى هذا ونحن ترجمنا رسالة صغير في البراء والولاء فليت مدير المعهد يطلبها من أبي عبد الله البلخي حتى يعطيكم عدداً منها لتقرؤا عن البراء من الكافرين وولاية المؤمنين، ويجب أن تفهموا اخوانكم، اعمامكم، مجاهديكم، أقاربكم على أن معركتنا من أجل الإسلام ليس من أجل القبيلة الفلانية أو الأرض الفلانية أو الحزب الفلاني.

ثانياً: اعلموا أن الأحزاب الجهادية كلها تقاتل ونحن نريد تخليص أفغانستان نصر الإسلام في أفغانستان ولا نريد نصر حزب بعينه سواء جاء النصر عن طريق الجمعية أو عن طريق الحزب أو عن طريق الإتحاد أو عن طريق يونس خالص أو عن طريق غيره أو محمد نبي أنا أريد أن ينتصر الإسلام في داخل أفغانستان ولذلك إذاء أي قائد أو الدعاية ضده أو الكلام عليه هذا ايذاء للجهاد وتعويق

وإياكم والتعصب لاحزابكم فانها تقضي عليكم وتؤخر نصركم نحن نريد أن ينتصر الإسلام فإذا اتحد هؤلاء مع بعضهم فالحمد لله،الظالم يتحدواعلى الأقل نحن لا نزيد العداوة بينهم، لا نعادي مسلماً، أنت من الحزب الإسلامي وهذا من الجمعية يبقى مسلماً لا يجوز لك إيذا ءه أو الكلام عليه أو تقف ضده أو نشر الدعايات ضده .

ثالثاً: أنت آثم لأنك تؤذي مؤمن أو مسلماً يريد أن يقاتل الكفار.

رابعاً: يجب أن تعتقدوا على أن الأمريكان و غيرهم كلهم أعداء لكم أعداء للإسلام ولايريدون نصر الاسلام و الإسلام لم يبقى منتصراً في داخل أفغانستان إلا بانتصار المعركة فيها أما الكلام في بيشاور والسياسة وما إلى ذلك لا قيمة له، القمية للسلاح ، القيمة ـمعارك.

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي المجد للسيف ليس المجد للقلمي

فبقدر القتال، بقدر ما تكون المعركة ساخنة بقدر ما يكون الناس يحترموننا .

رابعاً: الكلام ضد بعضكم البعض هذا أحرق قضيتكم في العالم الإسلامي.

الآن تذهب إلى السعودية أو الكويت تقول له تبرع في سبيل الله يقول لك ماذا؟ أنا أتبرع للجمعية حتى تقتل الحزب أو الحزب ـتى يقتل الجمعية، أنا آثم إن تبرعت لأني أزيد في سفك دماء المسلمين فأنتم هنا .. أنتم من هذا التنظيم وهذا من ذاك التنظيم وهذا ـتكلم على هذا وهذا يتكلم على هذا ويتصل بالـ B.B.C. هلو عندكم أخبار ،، نعم، تعال القائد الفلاني قتل مائة يأخذها يفرح بها ـانك أعطيته مائة مليون دولار يذهب إلى الصحف الغربية ينشرها الصحف العربية تنقل عن الصحف الغربية أنه صرح فلان من الحزب ـإسلامي من الجمعية من الاتحاد أنه قتل من تنظيمه أربعون، خمسون، من الذي قتلهم؟ جماعة فلان، جماعة فلان، هذا أحرق قضيتكم ـآن في العالم العربي، الآن الخطباء الذين كانوا يفخرون بالقضية الأفغانية، المتحميس الآن في جده، في الرياض، صاروا يقولون نحن ـنتحي والله، قالوا لي نحن نستحي أن نتكلم عن القضية الأفغانية، لماذا؟ ماذا نتكلم للناس؟

نتكلم عن خلافات المجاهدين، ومن اين تنقل الأخبار؟ من فلان من الحزب، فلان من الجمعية وفلان من كذا وفلان من كذا .. وإذا ـم رجل يصلح بينكم تقولون هذا وقف مع الحزب الثاني ضدنا وهذا وقف مع التنظيم الآخر ضدنا، ولذلك اتقوا الله، اتقوا الله، لا ـربوا بيوتكم بأيديكم، لا تتكلموا إلا عن الانتصارات وأخبار المعارك.

هذا الكلام الذي تنشرونه في بيشاور كل الدنيا تنشره الآن، إن معاداتك لأي حزب من الأحزاب الجهادية في الساحة يعني أنك ـق نصر الله على أفغانستان، لأن هذا يقاتل تجيب على الأقل، فالناس في العالم العربي صاروا لا يدفعون، لماذا من الأخبار التي ـم تنشرونها، متحمسين ... الجمعية هذه لابد من ذبحها والعرب لابد أن ننهيه وننبحه وما إلى ذلك .. فالذي من الجمعية يقول ليس ـك فوق الأرض إلا الجمعية والذي من الاتحاد يقول ليس هناك حلاً إلا أن ننجح الاتحاد وينتصر وهكذا كل حزب بما لديهم فرحون، ـا الله، لا تحرقوا جهادكم بأيديكم، كلهم مسلمون، كلهم يجاهدون على الرأس والعينين، فقالوا لي أنت تمدح حكمتيار و تمدح رباني و ـح مسعود وهذا عمل كذا و هذا العمل كذا، قلت لهم نحن لانكتب للأفغان نحن نكتب للعالم الإسلامي أنتم ابقوا مختلفين أما نحن ـ أن نطمئن نفوس العالم الإسلامي أن هؤلاء القادة لا زالوا يقاتلون في سبيل الله و فيهم الأمل -إن شاء الله- بعد الله في النصر، ـ شخص من الحزب يقول لي أنت مدحت مسعود وقد فعل كذا وكذا ويأتي واحد من الجمعية أنت تمدح حكمتيار وقد فعل كذا وكذا، أقول لهم أنتم مساكين، إبعدوا عني أنا لا أريد أن أكلمكم، أنا أكلم العالم الإسلامي عن قضية إسلامية أما أنتم ابقوا مختلفين كما ـنن، هؤلاء القادة عشر سنوات مضى عليهم أو أحد عشر عاماً أو ثلاثة عشر عاماً وهم يقاتلون في سبيل الله، أخطاؤا خطأ اثنين ـة هذا يغفر له وقوفه في سبيل الله هذه الفترة الطويلة، فلا تتعصبوا لأحزابكم ولذلك أنا قلت لهم لا ترسلوا مجلة الجهاد إلى ـزاب، لماذا؟ لأننا نريد أن نكتب للعالم الإسلامي، للعالم العربي الذي صار يكره القضية الأفغانية بسبب كلامكم فيأتوا ها ... أنظر ـظر .. إرمي .. هذا عدو للحزب أو للجمعية أو للإتحاد أو كذا، من بقي معكم في العالم، الأمريكان ضدكم ، الروس ضدكم، الغرب ـم، والآن صاروا يملون من قضيتكم بسبب الأخبار التي تخرج من أفواهكم، قل العطاء، قل البذل تقول الله عز وجل (خير الرازقين) ـب العالمين خير الرازقين لكن رب العالمين قال (ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) الرسول صلى الله عليه قال (لن تموت نفس حتى ـمل رزقها وأجلها) نعم لكن قال (دعوها فإنها ممتنة) لا تتعصب لقبيلتك ولا لحزبك ولا لقومك، هناك أناس طيبون كثيرون في خارج ـ أو خارج تنظيمك فلا تكره المؤمنين لأنهم ليسوا داخلين في تنظيمك، فلا تفسدوا عملكم، ولا تبطلوا أعمالكم، واتقوا الله في ـكم، اتقو الله في هذا الجهاد الذي تنظر إليه الأمة الإسلامية كلها، النساء خلعن حليهن رمينها من أجل ما ذا؟ من أجل هذه ـاب أو من أجل نصرة الإسلام داخل أفغانستان، المرأة تخلع أساورها، قروطها،عقدها، قلادتها، مهرها، تضعها في صندوق

ترسلها وتقول هذه للمجاهدين في أفغانستان وأنتم تستعملونها في طباعة الأوراق ضد بعضكم البعض منشورات فاتقوا الله، اتقوا الله في أنفسكم، في جهادكم، الآن تدخل الرياض، تدخل المدينة، تدخل اليمن تدخل الأردن تجد هذا أعور وهذا مقطوعة رجله وهذا يده، أين ذهبت؟ في أفغانستان، هذا أضاع يده وأضاع عينه وأضاع أذنه من أجل أن تختلفوا أنتم؟ أم من أجل أن ينتصر الإسلام ويرى الدولة الإسلامية التي كان يحلم بها ويقرأ عنها وقلنا له تعال انصر الإسلام قال تعال يا أخي أنصر كابل حتى يقم دولة إسلامية في كابل المشوهون، المعوقون، الأرامل، الأرامل، الأيتام، الآن ادخل (٣٠٠) ألف مشوه ومعوق في أفغانستان -أفغانيون- حسب إحصاء الأمم المتحدة الآن وصلوا إلى أربعمائة ألف تقريباً، أين أنتم من هؤلاء الذي سيسألكم الله عنهم يوم القيامة؟ هؤلاء الأرامل اللواتي في ناصر باغ وغيرها (١٨) ألف أرملة في ناصر باغ اللواتي لا يجدن الخبز ألا يسألكم الله عنهم؟ الأيتام الذين بلغوا أكثر من نصف مليون، الشهداء الذين وصلوا مليون وثلاثمائة ألف، دماؤهم هذه في أعناقكم أنتم، وبعضكم مثل الأولاد الصغار عندهم كنز، الأشرار يشغلونكم بحبة حلوى حتى يقتلون مع بعضهم البعض ثم يسرقون كنزهم، الأمريكان يريدون أن يسرقوا كنزكم، الروس، أعداء الله، الهنود، الشيعة، وما إلى ذلك كلهم يريدون أن يسرقوا هذا الكنز وأنتم مختلفون على حبة كاتو -حبة كيك أو حبة حلوى- فانتبهوا، والمعركة خطير والمرحلة حاسمة .. خطيرة جداً هذه المرحلة مرحلة، قطف الثمار، وإذا انشغلتم ببعضكم خلص أعداكم سيقطفون الثمرة وتضيع كل هذا الجهود فانتبهواإلى عقيدة الولاء والبراء، أنا أعيد الله عز وجل (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (فالناس إثنان، بر تقي كريم على الله تعالى وفاجر شقي هين على الله تعالى)

فكن باراً تقياً، فهنالك ابرار في حزبك أو غير حزبك فأحبهم وهؤلاء حزبك فكل بر تقي فهو في حزبي حزبي سواء داخل في تنظيمي أو غير داخل لأن هالك حزبان: حزب الله وحزب الشيطان فالبر التقي في حزب الله والفاجر الشقي في حزب الشيطان فإذا كان أي واحد تقي صالح في الجمعية في الحزب في الاتحاد في محمد نبي مع الحركة مع الاتحاد فهذا في حزبي لأني في حزب الله، فانتبهوا، ولا تنشروا السوء عن بعضكم ولا تنشروا الدعايات عن بعضكم وأحبوا لله وابغضو الله لا تحبوا للحزب وتكرهوا للحزب .. لله، ولا تنقلوا عبادة الأصنام إلى عبادة الأحزاب اتقوا الله، شيوعيون، مليشيا، مرتدون ما إلى ذلك هؤلاء أعدائي وأعداؤك وأعداء الله، نقاطعهم، لانكلمهم، لا نساكنهم، لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فواكلوهم وشاربوهم فضرب قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ثم تلى صلى الله عليه وسلم (لعن الذين كفروا من بني اسرائل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصواوكانوا يعتدون، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) لا زالت معركتكم منتصره، لازالت الكفه راجعه لحسابكم، لا زالت حكومة نجيب مهزوزه وضعيفه ولا تعيش إلا على المساعدات لكن إن طال بكم الزمن نخشى أن تضيع الثمار، ويقطفها الأشرار، ويحرم منها الأبرار.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

الأسئلة :

المقدم :

الأسئلة كثير، نحاول أن نجمع الأسئلة المتشابه ويجيب عليها ان شاء الله فضيلة الشيخ.

هناك مجموعة من الأسئلة تدور حول موضوع المحاضرة خاصة بالبراء وقتل الشيوعين وعدم محبتهم ومودتهم نجمع المتشابه منها تقول مجموعة من هذه الأسئلة ما حكم الذين وقفوا مع حكومة نجيب ومع الشيوعين سنوات طويلة ثم هربوا خوفاً من بطش المجاهدين أو انتهازاً لفرصة العفو التي أعلنتها حكومة المجاهدين المؤقتة وجاءوا إلى باكستان وقالوا إننا إخوانكم في الله وأننا كنا مستضعفين وأننا إخوانكم في الإسلام هل يجوز قتلهم أو نصحهم أو دعوتهم إلى الإسلام أو ماذا تقول فضيلتكم في هذا؟

جواب : إذا جاءوا تائبين كانوا في كابل وكانوا موظفين هؤلاء نحن نقبل توبتهم ولا نؤذيهم لكن نراقبهم ولا نخلطهم بالمجاهدين فإذا كانوا يفسدون بين الناس معنى ذلك أنهم لم يتوبوا، هم يريدون أن يفتتوا الصف ويشتتوا الجمع، الآن حكومة نجيب ترسل كثيراً من الشيوعين يعلنون توبتهم، المجاهدون قبل فترة في هذا الشهر قبل اسبوعين أحاطوا بقندوز وأرادوا أن يهجموا عليها كل الأحزاب، الحزب الإسلامي، الجمعية، الاتحاد، محمد نبي، الجيلاني، يونس خالص كلهم أحاطوا بقندوز وكانت هنالك خطة وكان لهم قيادة واحدة اتفقوا كلهم وقالوا لمسعود أنت تدير المعركة، الذي أفشل خطة فتح قندوز أولاً أغلق المجاهدون تنكي تاج قرغان، جاب خل، دمروا حوالي مائة ناقلة، الحزب الإسلامي -حكمتيار- تولى الدفاع لمواجهة القوة التي تأتي من سمنجان الجمعية -محمد علم مزار شريف يعني جماعة مسعود- تولوا مواجهة القوة التي تأتي من مزار فالحمد لله كانوا متعاونين مع بعض، الذي أفشل الخطة واحد كان دجروال

لدولة وقال لهم المجاهدون سيفتحون قندوز في هذا الأسبوع، فجاءت فرقتان ودخلت قندوز وعطلت فتح قندوز.

ـ فانتبهوا من هؤلاء نقبل توبتهم، لا نقتلهم لكن نبعد هم عن الاختلاط بصف المؤمنين، نراقب تحركاتهم لأنهم قد يأتون جواسيس جيب.

س: سؤال أيضاً خاص بالشيوعين يقول كيف يا شيخنا نقتلهم وهم جاءوا والتحقوا بالتنظيمات وأصبحوا في مرتبة عليا فلا نستطيع أن نقوم في وجوههم لأن التنظيمات تحميهم؟

جواب: إذا جاءوا وأصبحوا في مقامات عليا في التنظيمات فهذه من الدواهي والبليات، من المصائب الكبار أن هؤلاء شيوعين نوا بالامس شيوعين أعداء للإسلام والمسلمين ويأتون ويحتلون مراكز في داخل المنظمة هؤلاء يجب أن يبقوا بعيدين مؤلفة قلوبهم .نا بدريين، أهل أحد، أهل الخندق أهل الحديبية، الناس منازل وهؤلاء أقل منزلة، أبو سفيان أسلم، الحارث بن هشام أسلم، أخو أبو ل زعيم مكة في الجاهلية وفي الإسلام لكن بقيوا بعيدين ليس لهم منازل في الدولة الإسلامية، أبو سفيان كذلك، ليس لهم منزلة وإن با زعماء مكة وأسلموا فعلاً صاروا من الصحابة لكن ليس لهم منزلة فهؤلاء ولو أسلموا ولو أعلنوا توبتهم ولو أخلصوا هم يبقون في ـصف **(لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ل وعد الله الحسنى)** هذا إذا كانوا صالحين تائبين صادقين أما أن يحتلوا مراكز فهذا خطر على التنظيمات نفسها.

س: هنا سؤال، أخ يسأل حول أسرة شيوعية هو يعرفها هل يجوز قتلهم أعتقد أن الشيخ رد على هذا لكن هو يقول: وهل يجوز ، نساءهم اللواتي يؤخذن في الحرب؟

جواب: يعني سبايا أم نكاح؟!! يعني عقد زواج أو سبايا؟ سبايا لا يجوز، لماذا لا يجوز؟ لأنك لو أخذت زوجة الشيوعي ذتها سبية الدولة قد تدخل قريتك وتأخذ المسلمات وينتهكوا أعراضهن مقابل ذلك، والأفغان يغارون على أعراضهم، وهذه من هذه ة وإن كان زوجها شيوعي فكل رجال القبيلة غالباً يغارون على عرض هذه المرأة وإذا كانت شيوعية لا يجوز نكاحها لأنها شيوعية ، وز نكاحها، لو كانت روسيه والروس خارجون .. أماوالروس في داخل أفغانستان كذلك لا يجوز اتخاذها سبية، لأنك تأخذ روسية :ـتخذون مائة أفغانية مسلمة وينتهكون أعراضهن فخوفاً على أعراض المسلمات لا نتخذ نساءهم سبايا مفهوم؟!! أما هو جائز الشيوعين في حكم الإسلام سبايا لكن هذا يسمونه في الإسلام باب سد الذرائع، هل سمعتم به؟ باب سد الذرائع (ولا تسبوا يدعون من دون الله فيسبوا الله بغير علم) يعني لا تسبوا الأصنام حتى لا يسب الله، وكذلك لا تتخذوا هؤلاء النساء سبايا حتى لا أعراض المسلمات، أما إن شاء الله غداً إذا قاتلتم الهند وأستوليتم عليها الهنديات سبايا يجوز لك أن تأخذ عشر ة منهن ويكون عشرة سبايا مفهوم؟؟! من المجوسيات والهندوسيات أو البوذيات تأخذ .. الهنود يعني كم ؟ (٨٠٠) مليون ارفع (٢٠٠) مليون مسلم ٦٠٠) مليون هندوسي مائة مليون إمرأة هندوسيه والشعب الأفغاني عشرين مليون، عشر ملايين رجل يخرج كل واحد ثلاثين. لكن نوا مع بعضكم البعض؟!!

س: آخر سؤال يتعلق بالشيوعية أحد الزملاء يقول: اليوم في كل العالم الإسلامي موجود العلماء وموجود كتاب الله وموجود سنة الله لما ذا لا ننتصر على الشيوعين وليس أحد يحكم بكتاب الله وسنة رسول الله بينما نحن عندنا العلماء وعند الكتاب وعندنا خرج الروس فلماذا لم ننتصر على الشيوعين، وأيضاً أسئلة مثلها تقول لماذا تأخر النصر في جلال آباد حتى الآن؟؟

ـواب: تأخر النصر بسبب (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم).

أخر النصر بسبب الخلاف.

ـخر النصربسبب الأهواء.

ـخر النصر لأننا لا نحكم كتاب الله وسنة نبينا في حياتنا.

ـخر النصرلأنه كل واحد منا يريد أن يكون زعيماً.

ـخر النصر لأننا لا نريد أن نختلط مع بعضنا ونتخذ قائداً واحداً.

ـخر النصر لأن الكفار لهم قائد واحد.. جلال آباد لها قائد كافر واحد والمسلمون لهم عشرون أو ثلاثون قائداً.

م الإسباب هي من أنفسنا (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنا هذا) لماذا لم ننتصر؟ كيف هزمنا في جلال أباد ـند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير).

ي نصركم على الروس يستطيع أن ينصركم على نجيب لكن (أنفسكم..!!) كم نفس مهزومة بالهوى والشهوة وحب الذات وحب

العلم وما إلى ذلك وبغض الآخرين، بغض التنظيمات الأخرى، عدم الانتفاع، طبعاً هنالك عوامل أخرى باكستان أصبحت لا تنفع، المسلمون قل دفعهم، قلت الذخائر، قلت المواد الغذائيه، لكن هذه عوامل ثانوية، الله عز وجل نصركم وأنتم أذلة **(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون)**.

فلابد من التقوى، النصر يتبعه تقوى، النصر لا يجوز أن يتبعه بطر ورئاء الناس وحب الظهور وحب الذات وأنا إن لم يكن أنا أو حزبي فعلى الدنيا السلام، لا أريد أحد، فإذا رجعنا إلى الله عز وجل فينصرنا مهما كان، نصرنا بالعصي والحجارة فينصرنا الآن عندنا استنجر.

س: سؤالين من بعض الاخوة يتحدثان عن شيء واحد هو آخر أخبار الجهاد في فلسطين؟

جواب: مازال الجهاد في فلسطين معتمداً على الحجر، الحجر لا يؤدي إلى نتيجة، إذا تطور الحجر وأصبح قنبلة وصار رصاصة .. يعني مثل الأفغان بدؤا بالحجارة والعصي لكن صار عندهم سلاح، صار عندهم ذخائر، صار عندهم مدفع، صار عندهم مشتاد بو صار عندهم R.PG. صار عندهم استنجر وصقر بيست وصقر سي، فلا بد أن يتطور الحجر ويصبح سلاح، أما الحمد لله يزعجون اليهود لكن لا يؤدي إلى شيء، النتيجة الذي نريدها لا يمكن تحصل فقط هو ازعاج لليهود.

س: مجموعة كبيرة من الأسئلة تسأل حول اختلاف القادة ولماذا قال حكمتيار نحن لا نشارك في الحكومة ولماذا قال رباني كذا وكلام كثر حول أحمد شاه مسعود وأعتقد يعني ...؟

جواب: يعني عندنا مثل في العربي هؤلاء وجه الصندوق، صندوق العنب، أو صندوق التفاح الفلاحون الذين يأخذون التفاح إلى السوق ينتقون أحسن تفاح ويضعونه على وجه الصندوق فحكمتيار ومسعود و رباني و سياف وخالص هؤلاء وجه الصندوق، حبات التفاح الذي على وجه الصندوق، إذا كانت هذه الحبات خربة معنى ذلك الذي أسفل الصندوق أكثر خراباً.

معنى ذلك : إذا نحن نريد أن نقول مسعود خائن، حكمتيار قاتل، رباني منافق ويونس خالص تعبان هل بقي أحد؟ وجه الصندوق ذهب، حبات التفاح المعروضة على الناس معفنة .. فهؤلاء خيرة أبناء أفغانستان والذي احتملوه لم يحتمله أحد، والذي قدموه لم يقدمه أحد وأنا والله أشعر أن هؤلاء يعني خيرة المسلمين في الأرض مع أخطائهم، أخطاء كثيره، قالوا مسعود فعل كذا و كذا وحكمتيار فعل كذا وكذا يسألوني في العالم العربي قلت لهم والله أنا أقل من أن أحكم على حكمتيار وعلى مسعود، مسعود مضى عليه أحد عشر عاماً وهو في المعركة دمر على الأقل آلاف الآليات لروسيا، أسقط عشرات الطائرات لروسيا، فمن أنا حتى أحكم عليه، دخل أكثر من ثلاثمائة إلى خمسمائة معركة هل يجوز لواحد يكتب على الطاولة أن يحكم على مجاهد قائد أذل الله به الروس، فأنا شعوري عندما أجلس مع حكمتيار أومع سياف أو مع مسعود أنا أشعر بالشرف العظيم عندما يسمح لي هؤلاء أنا أجلس معهم، لأنهم صنعوا لتاريخ، كتبوا التاريخ بدمائهم وعرقهم، فأي واحد منهم .. ماذا تريد من مسعود،مسعود مسلم أم كافر؟ مسلم، لا أحد قال عنه كافر خارج من الإسلام، فإما أن يكون مسعود مسلم طيب أو مسلم فاجر، واحدة من اثنتين وعلى كلتا الناحيتين يجب مساعدته لأنه يقاتل كافراً ويجب مساعدة الفاجر ضد الكافر أليس كذلك؟ بلى، نحن الآن عندنا كافر كبير .. طاغوت كبير اسمه نجيب يقاتلون ضده مجموعة منهم البر ومنهم الفاجر لكن كلهم مسلمون لا تستطيع أن نقول عنهم كافرين هل تستطيع أن تكفر حكمتيار أو مسعود أو رباني أو خالص أو محمد نبي هل تستطيع؟ لا تستطيع مسلمون، فأنت حسب رأيك أن مسعود أو حكمتيار فاجر وحسب رأي الآخر مؤمن تقي بر صالح من أولياء الله، لو أخذنا المثال السيء أن هؤلاء مسلمون فجار يجب مساعدتهم والوقوف بجانبهم حتى نسقط نجيب فعندما يأتي انتخاب رئيس الدولة لي أن انتخب الصالح أما الآن الصالح والفاسق يجب أن أساعده حتى أنهي الدولة فهمتم؟!

س: جاء سؤال آخر عن الشيوعين: يقول إذا كان أحدهم أو بعضهم التحق مع الشيوعين وتركوا نساءهم عند المجاهدين ما حكم هؤلاء النساء؟ وما رأيكم في طلاقهن هل يقع طلاقهن أم لا يقع؟

جواب: لم أفهم السؤال.

توضيح السؤال: بعض الأفغان ذهبوا والتحقوا بصفوف الشيوعين ونساءهم لا زالت موجوده في صفوف المجاهدين ما حكم هؤلاء النساء هل يطلقوا منهم ويفصلوا عنهم؟

جواب: ذهبوا إلى الشيوعين؟ انفسخ عقد النكاح خلاص، طبيعياً انفصل عقد النكاح، إذا ذهب إلى الشيوعين ودخل في صف الكفار ضد المسلمين خلاص فهو كافر منهم، فينفسخ عقد النكاح طبيعياً لا يحتاج إلى طلاق، خلاص، حتى احتياطاً نطلقها، لكن لاحظ الوضع الاجتماعي، القبيلة ماذا ستصنع اذا طلقت هذه؟ مفيدة؟! (لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن) هي تستشار أو يستشار أبوها أو

س: هناك ثلاثة أسئلة تسأل عن حكم الانتخابات في الإسلام وما رأي فضيلتكم فيما يصرح فيه بعض القادة وتصميمهم على الانتخابات وهل تنفع في الدولة الإسلامية أو لا؟؟

جواب: عثمان بن عفان انتخب انتخاباً، أليس انتخابات؟ اختار سيدنا عمر ستة من الصالحين وسابعهم عبد الله بن عمر وقال لهم اختاروا واحد. إلا عبد الله بن عمر لا تختاروه، يختار ولا يختار فالانتخابات هذه جائزة في الإسلام لكن أهل الحل والعقد، يعني الناس يرشحون أفضل رجالات هذه المنطقة، الناس الطيبون أو القادة الآن أصحاب الشوكة هم الآن أهل الحل والعقد، وأهل الحل والعقد هم أولو الأمر المتبوعون في أوامرهم ونواهيهم فأي واحد له سلطة هذا من أهل الحل والعقد سواء كان قائد أو عالم أو غير ذلك نكل متبوع مطاع هو من أهل الحل والعقد ، العالم الذي لا يطاع أمره هذا ليس من أهل الحل والعقد أهل الحل والعقد يشترط أن يكونوا مطاعين في الناس الذين حولهم، كل متبوع مطاع، النقباء الذين في الأنصار ليلة بيعة العقبة اختاروهم اختيار، فالانتخاب من لذي يقول أنه غير جائز في الإسلام، الانتخاب جائز لكن بحيث يكون من أهل الحل والعقد كما قلت وأهل الحل والعقد من هم؟ فمثلاً ناتي على ولاية ولسوالي چهار دهي أو بجرام كم قائد فيها؟ عشرين، كم عالم لهم رأي يطاع ثلاثين، كم رجل في القبائل مطاعون في ...؟ عشرين، يصبح عددهم سبعين، نقول لهم أنتم يا جماعة اختاروا لنا اثنين منكم ونأخذهم إلى مجلس الشورى العالي ثم مجلس لشورى العالي يلتقي ويختار رئيس دولة أفغانستان يعني كما جرى في إسلام آباد، التقى زعماء (٤٥٠) وأنتم اختاروا هذه الدولة، هذا ائز شرعاً وعقلاً وإلا كيف نختار رئيس الدولة، واحدة من اثنتين إما أن نختار، إما أن القوي هو الذي يأخذ الدولة أو أن الناس لأقوياء يختارون واحداً منهم، إما ورقة وإما رصاصة واحد من اثنتين، الورقة أفضل أليس كذلك؟

سؤال: سؤالين .. يسألان عن حكم الجهاد في أفغانستان هل هو فرض عين على كافة المسلمين الذين يعيشون في دول مختلفة غير أفغانستان وهل يجوز لهم الخروج إلى الجهاد بلا إذن أبيهم وأمهم وترك أزواجهم وسؤال آخر يقول ما حكم الفرار إلى دار سلام في أفغانستان؟

جواب: أفغانستان ليست دار اسلام حتى الآن يعني ما صارت الدار بعد أن تنتصروا إن شاء الله على نجيب وتقيموا حكم لامي وتعلنوا أننا نقبل أي مسلم نعطيه جواز ونؤمنه عندنا لا فرق بين عربي وأفغاني أما تأتي إلى الأمي الأفغاني وتضعو مسؤلاً المنطقة وتترك العربي الذي لو كان شيخ الأزهر .. لا، هذه دولة اسلامية، دولة إسلامية يعني حسب الكفاءات، ليس حسب القوميات ن كذلك؟ بلى، فإذا فتحتم البلاد وأعلنتموها إسلامية ... يا جماعة حزب البعث لما صدام حسين عمل دولة قومية بعثية عربية أخذ ء من الأردن وأخذ وزراء من سوريا على أساس أنه فعلاً دولة قومية، فالدولة الإسلامية أولى أن يشترك فيها مسلمون، ليس حباً في اسة نحن نريد أن ننصركم حتى تصلوا إلى إقامة دين الله في الأرض وتقوم دولة الإسلام لكن اشترك معكم ألفين عربي لو وضعتم م اثنين في مجلس الشورى من الـ ٤٥٠ فقط على أعين العالم الإسلامي على أننا مجلس شورى اسلامي ودولة إسلامية، العرب لا ن أن يكونوا عندكم مسؤولين فقط هكذا أمام الناس لو اختير من كل ألف عربي واحد من الذين جاهدوا معكم فقط هكذا، العرب وا أكثر من بعض الأحزاب الذي قدمت ٦٠ واحد، إجعلوا من الحزب العربي اثنين لماذا؟ ليس حباً بذلك ونحن أزهد ما نكون في مثل الأماكن لكن حتى نثبت أن دولتنا إسلامية تعتمد على التقوى لا تعتمد على القومية، إن شاء الله عندما تقوم دولة إسلامية على الأقل ن الباب للمسلمين أن يأتوا حتى يساعدوا في إقامة الدولة الإسلامية في بناءها في اعمار أفغانستان الإسلامية في الدعوة إلى ي التعليم في الجامعة في بناء الاقتصاد وهكذا.

أما الجهاد فهو فرض عين في أفغانستان للقادر عليه لا تستأذن لا زوجة ولا أب ولا شيخ ولا أم إذاً الجهاد فرض عين.

الآن الجهاد في فلسطين في أفغانستان فرض عين لكن أين المشكلة؟

المشكلة أنه لايوجد عندنا قدرة على استيعاب الذين يأتون وعدم دفع تذاكرهم وعلى تدريبهم وعلى توجيههم والآن أصبح العرب ين بعض المشاكل في داخل أفغانستان من عملاء نجيب يقولون أنتم ماذاتعملون عندنا هنا؟ لماذا لا ترجعون إلى فلسطين ؟ لكن هذا لا يسقط فرضية الجهاد عن العرب يجب أن نبحث عن منطقة ليس فيها مشاكل ويجاهدوا فيها لكن إذا كان له أب أو أولاد وليس لهم من يعيلهم لا يجوز له أن يأتي إلى الجهاد لأنه لابد أن يعيل أولاده وزوجته (وكفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول) عين فرض عين، لا إذن للوالدين، لكن يجب أن يكون كل واحد مستعد من ناحية التدريب من ناحية المال .. نماذج كثيرة جاءت إلى تان تركوا وظائفهم، تركوا دنياهم، تركوا جامعاتهم تركوا .. مهندسين كبار تركوا بلادهم جاءوا من أجل الشهادة في سبيل الله، ...العدناني رحمه الله ترك الدنيا .. ترك قطر عرضوا عليه تعال استلم منصب قال لهم أنا عندي اليوم في أفغانستان أفضل والبحرين والسعودية والدنيا كلها كما قال صلى الله عليه وسلم (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها) كان راتبه

(١٢٥) ألف روبية باكستانية في الشهر (يك لك كلدار وبيست بنج هزار كلدار)[١] في الشهر قلت له لورجعت يا شيخ تميم وتأخذ راتبك هذا ٢٥ ألف ريال سعودي قال والله لو أعطوني مليون ريال في الشهر ما رجعت أبداً، لأنه اليوم خير من الدنيا وما عليها، والله عز وجل رزقه أنه مات في سبيل الله على هذا الطريق نرجو الله أن يتقبله إن شاء الله.

سؤال: السؤال الأخير يقول أن هناك كثيرمن المؤسسات الإسلامية والمعاهد العلمية في بيشاور ولكن في الداخل الغالبية من المؤسسات الصليبية فلو كان بعض هذه المؤسسات في الداخل يكون الأثر أكبر؟

جواب: هذا صحيح نرجوا الله أن يعين المناطق التي فيها تنظيم واحد قوي لا يوجد أشرار ولا قطاع طرق لا يستطيعوا أن يتحركوا أما المناطق التي فيها تنظيمات كثيرة هذه الأشرار يتحركون فيها فالمناطق التي فيها تنظيم واحد قوي تستطيع أن تعمل فيها مؤسسات معهد، مدرسة، مستشفى أما إذا كانت منطقة فيها أحزاب كثيرة فانت تتعب إذا عملت فيها أي مؤسسة ونرجو الله عز وجل أن يعين

فعلاً يجب أن تكثر المؤسسات في داخل أفغانستان ونحن ندرسكم هنا في معهد أبي حنيفة أو في معهد الأنصار حتى ترجعوا وكل واحد منكم يعمل معهداً في داخل أفغانستان يشرف عليه إن شاء الله، أم تريدون أن تكملوا في الأكاديمية .. طبعاً حب الدنيا، نحن نعلمكم حتى ترجعوا تجاهدوا بجانب إخوانكم المجاهدين وكل واحد منكم يربي المجاهدين الذين لا يعرفون الصلاة أما الذي يطمع أن يكمل في الأكاديمية البكلورس ثم الماجستر ثم يبحث في السعودية عن دكتوراه وهكذا لا تخلص الدنيا، تتحرر أفغانستان وتتحرر بخارى وهو جالس على الرز البخاري في مكة، هوياكل أرز بخاري في مكة والمسلمون يحررون بخارى قبل أن يرجع.

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وجزى الله مدير معهد أبي حنيفه وكذلك مديرمعهد الأنصار وكذلك الاخوة الذين حضروا كلهم وجزى الله أساتذة معهد أبي حنيفة خير الجزاء وأكرمونا هذا اليوم بالغداء الطيب مع هذه الوجوه الطيبة وأن شاء الله هذا الكلام يفيدكم أقل شيء المرق أن تهرقه على رأس الشيوعي الذي يأتي إلى بيتك والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المقدم: شكر الله لشيخنا الكريم هذا الوقت الطويل الذي قضاه بيننا وأجاب على معظم أسالتكم وما يدور في خلدكم وجزاه الله خيراً على قبوله دعوتنا هذه نسأل الله تبارك وتعالى أن ينفعنا بما سمعناوأن يعلمنا بما ينفعنا وشكر الله لكم حسن استماعكم وحضوركم وجزاكم الله خيراً.

تعقيب من الشيخ: سبحان الله يعني الطاقة والقدرة من الله، بعد أن تغديت قلت ليتهم يعفونني من أن أجلس أو أتكلم كنت أريد أن أذهب إلى البيت لأنني متعب جداً ومريض وما كنت أعلم أنني سأستطيع لكن أحرجوني وقالوا الطلاب ينتظرونك وأخرجوا هذه اللوحة نرحب بالمحاضر الكريم فاستحينا من اللوحة!! فسبحان الله يعني عافني الله أثناء الكلام وهذه من كراماتكم.

ملامح تلوح في الأفق*

[٢]كم يشرح صدري أن ألتقي بمثل هذه الوجوه، وعلى بعد من العالم العربي، ومع ذلك وباللغة العربية أسمع هذه الهتافات، وأرى هذه الوجوه في وسط بعيد عن بلادها، ولكنها تتمسك بدينها في غربتها، ولا يفوتني أن أعاتب الأخ الذي قدمني، ولو كنت أعلم أنه سيقول فيّ ما قاله وهماً ما سمحت له أن يقول عني هذا، فأنا والله دون ما يقول، نخشى أيها الإخوة أن تحبط أعمالنا، لأن عملنا مع

---

(١) هذه الجملة بالفارسية تعني المبلغ المذكور.

* كان عنوان هذا الشريط (محاضرة في جامعة بيشاور) فاستبدلناه بعنوان مناسب وهو (ملامح تلوح في الأفق).

(٢) المقدم.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أيها الإخوة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

باسم اتحاد الطلبة المسلمين فرع بيشاور نرحب بفضيلة الشيخ الدكتورعبدالله عزام الأستاذ (سابقاً) في الجامعة الأردنية، والدكتور عبدالله عزام كما تعلمون هو أحد الدعاة المعروفين في العالم الإسلامي، وهو رجل قدم في سبيل الدعوة الكثير، ضحى وعمل من أجل إعلاء كلمة الله، والدكتور عبدالله عزام من الذين لم يفوتهم الجهاد في فلسطين، ومن الذين عرف ربه ورضي الإسلام دينا .... والدكتور عبدالله عزام كما تعرفون جميعاً لاقى ما لاقى في سبيل هذه الدعوة.

وكان أخيراً المبعد عن الجيل المسلم المتعطش لهذا الدين، أبعد عن الجامعة الأردنية فقط لأنه يعلم لا إله إلا الله.

نرحب بالأخ الدكتور عبدالله عزام باسم اتحاد الطلاب المسلمين في بيشاور، نرحب به جميعاً في هذا اللقاء الخير الذي نجلس فيه نتعرف على ديننا وننهل من منهج رسول الله ﷺ سوف يتكلم لنا فضيلة الدكتور عبدالله عزام عن الشباب المسلم والقضايا المعاصرة.

الله عز وجل، وما لم يكن العمل خالصا بعيدا عن الضجيج قلما يبارك الله فيه ؛ جزاه الله خيرا عن حسن ظنه ؛ ونرجو الله أن يجعلنا خيرا مما يقولون، وأن يغفر لنا ما لا يعلمون.

يا أيها الإخوة:

هنالك ملامح كثيرة في الأفق، وبشائر تلوح في الجو أن الإسلام قادم مرة أخرى ليتسلم قيادة البشرية، رضي الناس أو غضبوا، قاوم أعداء الله دينه أو لم يقاوموه، الإسلام مرة أخرى سيأخذ بزمام قيادة ركب الإنسانية إلى الله، لا تستغربوا ما أقول، أنا أحس به كما أحس بهذا القرآن الكريم أحمله، الذي أحس أن دين الله سينتصر إن شاء الله، ليس في البلاد الإسلامية ولا في البلاد العربية فحسب، سينتصر في الأرض جميعا، سيعود الإنسان إلى الله، هذا ما أحس به في أعماقي، ولي المبررات الكثيرة، وعلى رأس هذه المبررات والأسباب أربع مبرارت:

المبرر الأول: أن هذه الدين دين الله، والخلق صنع الله، فلن يوافق الخلق إلا منهاج الله، أو لن يسعد الإنسان إلا منهاج ربه، هذا هو المبرر الأول.

المبرر الثاني: انهيار الحضارة الغربية.

المبرر الثالث: المبشرات النصية في الكتاب والسنة.

المبرر الرابع: المبشرات الواقعية في عالم الحياة.

إذا هي أربعة مبررات رئيسية:

واحد: هذا الدين دين الإنسان، يعني هو الذي ينقذ الإنسان، ولن يوافقه إلا هذا الدين.

والثاني: انهيار الحضارة الغربية.

والثالث: المبشرات من الكتاب والسنة التي تبشر أن هذا الدين سيستلم مرة أخرى الأرض.

المبرر الرابع: المبشرات الواقعية في عالم الحياة.

أما المبرر الأول: وهو أن هذا الدين دين الله، وهذا الخلق خلق الله، ولن يوافق خلق الله إلا منهج الله..

(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (الملك: ١٤)

هذا الدين حمله جبريل الروح الأمين، وبلغه المصطفى ﷺ فقط ليسعد الإنسان، وبعض الناس يظنون أن اتباع دين الله عز وجل سيمهد لهم إلى الآخرة وتضيع عليهم الدنيا، هؤلاء واهمون، دين الله جاء ليسعد الإنسان في الدنيا قبل الآخرة، والله عز وجل قرر هذا في كتابه العزيز، قال عز من قائل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:

(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشه ضنكا، ونحشره يوم القيامة أعمى) (طه: ١٢٣- ١٢٤)

هذه قاعدة: ناموس من نواميس الله في الحياة، يعني كما أن العين ترى الشمس تطلع من مشرقها وتغرب في مغربها، ويوميا القانون يتكرر، هذه الآيه قانون من قوانين الله في الحياة الاجتماعية، والقوانين واحدة، لكن هذا الكون كتاب الله المنظور، وهذا القرآن كتاب الله المقرؤ، والقوانين كما تسير حسبها ووفق ناموسها الكواكب والنجوم والدورة الدموية والتنفسية وغير ذلك كذلك الحياة الاجتماعية تدور وفق النواميس التي قررها الله في كتابه.

ولقد تتبعت القرآن الكريم وهذا الدين فوجدته يدور حول هذه القضيه أو حول هذه الآية، وخرجت منها بقاعدة، القاعدة تقول: طاعة الله تساوي أو تعطي السعادة في الدارين، عصيان الله يعطي الشقاء في الدارين، والآيات كثيرة حول هذه القاعدة في الكتاب العزيز، والأحاديث الشريفة الصحيحة كثيرة كذلك..

(من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما انوا يعملون) (النحل: ٩٧)

كما قال ابن تيمية: إن في الدنيا جنة من لا يدخلها لا يدخل جنة الآخرة، جنة الأنس بالله ومعرفته. الذين يظنون أن الذي يعيش

لدينه يعيش مكبوتاً ومحروماً هؤلاء هم المحرومون، لأنهم لم يتذوقوا حلاوة العزة والكرامة التي يفيضها هذا الدين على **النفس البشرية،** أي إنسان يتعدى منهج الله عز وجل سيعيش ذليلا بقانون..

(إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين) (المجادلة: ٢٠)

الذي يتعدى حدود الله يعيش مكبوتاً، لأن الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم، **الذين يتعدون منهاج الله عز** وجل سيعيشون مهينين..

(ومن يهن الله فما له من مكرم) (الحج: ١٨)

هذه قوانين، نواميس لا يمكن للإنسان أن يتخطاها، لا يستطيع، سيعيش خائفا طيلة حياته مرعوباً:

(سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) (آل عمران: ١٥١)

الضائعون التائهون الخابطون على التخوم.

ينظرون إلى المتدين والملتحي والتي تلبس الجلباب يقولون هذه مسكينه مكبوته، مسكين هذا مكبوت !! **أي كبت عند الذي ينظر إلى** الحياة بأجمعها أنها أصغر من جناح البعوضة؟! كما قال سعيد بن المسيب لرسول أمير المؤمنين عبد الملك وقد جاء **يخطب ابنته لولي** عهد أمير المؤمنين قال له: أنت تعلم أن الخليفة عنده من القصور كذا ومن الضياع كذا، ومن الذهب كذا، وبعد أن أكمل قال: **لقد أخبرنا** الصادق المصدوق ﷺ: **(أن الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة)**، فأين قصور الخليفة من جناح البعوضة؟! **ورفض أن** يزوجها لولي عهده أمير المؤمنين، وزوجها لرجل لا يملك ثلاثة دراهم من تلاميذه في الحلقة ماتت زوجته فجاء متأخرا، **فعلم سعيد بن** المسيب بذلك فقال: قد زوجتك ابنتي، ابنته التي رفض أن يزوجها الوليد بن عبد الملك الذي كان والده **وهو يحكمان نصف الأرض!!**

أي كبت؟! أي خوف؟! ينظر الواحد منهم إلى أعلى ويخاطب ربه:

فليتك تحلو والحياة مريـــــرة	*وليتك ترضى والأنام غضـاب*
وليت الذي بيني وبينك عـامر	*وبيني وبين العالمين خـــــراب*
إذ صح منك الود فالكل هين	*وكل الذي فوق التراب تـراب*

كيف يذل هذا للبشر؟! أحمد بن حنبل، ابن تيمية، العز بن عبدالسلام، سيد قطب وما إلى ذلك، **نماذج زخر بها التاريخ** الإسلامي أن المسلم هو فقط الذي يعيش، وغير المسلم لا يعيش.

ابن تيمية وقد سجن قال: ماذا يصنع فيَّ أعدائي؟! -كان في الثامنه والستين تقريباً من عمره **في ذلك الوقت- ماذا** يصنع فيَّ أعدائي؟! إن قتلي شهادة! وإن نفيي سياحة! وإن سجني خلوة! كل قوى الأرض ماذا تملك غير هذا **السجن، القتل، الطرد؟!** النفي سياحة، والقتل شهادة، والسجن خلوة مع رب العالمين، كل قوى الأرض هل تستطيع أن تزعزع هذا **الشيخ عن موقفه قيد أنملة** واحدة؟ يمكنك أن تتصور الجبل الراسي يتحرك وهو لا يتحرك، النفس البشرية مكونة من قسمين: الروح، والجسد.

الجسد لابد له من متطلبات وإلا سيبدأ الاضطراب والقلق فيه، إذا جاعت المعدة لابد أن تشبع، **منهاج الله أنها لا تشبع إلا** بالطعام، فلو جاع إنسان -ملك- ومرت أمامه الدبابات والماتورات، وحيته الجماهير، وصفقت الأيادي، وهتفت الحناجر بحياته، وبين يديه قناطير الذهب والفضة، كل هذا هل يسكت معدته الجائعة عن التلوي؟ هل يغني عن قطعة خبز صغيرة تدخل معدته **فتسكتها فيستريح؟!**

الروح كذلك لابد أن تُشبع، وإلا يبدأ القلق في الروح، فإذا تلفت الروح ولم تشبع ينعكس قلق الروح على الجسد، **والروح لابد من** معرفتها حتى تتعامل معها، ولا يعرف الروح إلا خالقها..

(يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) (الإسراء: ٨٥)

فالروح إذا قلقت وتعبت يحاول الإنسان أن يشبعها عن طريق آخر، يشبعها عن طريق الجنس، وعن **طريق المال والسيارات** الفارهة، والبنايات الشاهقة، وهذه كلها لا تزيد الروح إلا قلقاً، يتعب يقلق، شدة الهوى تمزق نفسه من الداخل، **الفراغ، السأم، الملل، فهو** يريد أن يعبر عن هذا القلق الذي تشكو منه الروح... فينطلق يشبع سعاره، سعار شهوات الفرج، شهوات البطن، **وهو كالملك يريد أن** يشبع شهواته، معدته الجائعة بهتاف الجماهير، بأزيز الطائرات، وبهدير الدبابات، عبث، فتبقى الروح شقية، **ويزداد الشقاء، وينعكس**

جائعة تريد الإشباع، ومن الذي يستطيع إشباعها إلا منهاج ربها؟! لابد من الرجوع إلى القانون، القانون الإلهي، ربنا خلق الروح وجعل لها منهاجا تشبع فيه وهو اتباع منهج الله وطاعته، ويحاول الإنسان ما يحاول، ابتعد عن الله ما شئت، وستجد من الشقاء ما شئت ستلقى ذلك، على مستوى الذنوب سبب من هزيمة المعارك..

(إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ماكسبوا) (آل عمران: ١٥٥)

(ظهرالفساد في البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا) (الروم: ٤١)

كلما عملوا.... كل ما تعاني منه من انهيار وضياع وما إلى ذلك، ليذيقهم بعض الذي عملوا، الضياع، وهذا شيء معروف، ذلك بالنسبة للمعركة، النفس تثبت في المعركة إن علمت أن التضحية بحياتها وراءها شيء، الذي لا يعتقد بجنة ولا بنار ما الذي يثبته في المعركة.

لكن شهد التاريخ أن أشجع الناس هم المسلمون، وما الأفغان منكم ببعيد، شعب أعزل يتحدى أقوى قوى الأرض (حلف وارسو)، ويتحطم أمام معنوياته، وتشل حركة المدافع والدبابات والرشاشات، وصل الأفغان إلى حد أن يعتقدوا أن أسلحة الروس لا تهزمهم، يكفي هذا، الروس قبل شهر أو شهر ونصف على بعد سبعة عشر كيلومتراً من القصر الجمهوري في كابل، حي من أحياء كابل، دارت معركة اشترك فيها ثلاثمائة وخمسون مجاهداً، ويقابلهم ستة آلاف، وأربعون طائرة، وأكثر من ألف دبابة وناقلة، ماذا كانت النتيجة؟ ثلاثمائة وخمسون مقابل هذا العدد الكبير، قتل ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون من الروس والشيوعيين، أسر ستمائة، ثلاثمائة وخمسون أسروا ستمائة، غنيمة أربع مضادات للطائرات، وأسلحة كثيرة من الرشاشات الخفيفة (الكلاشنكوفات)، نصر، العقل البشري في حساب البشر يجب أن يباد هؤلاء الثلاثمائة وخمسون برشاش دبابة واحدة، لكن هو جاء ليموت، والشيوعي جاء ليعيش، الشيوعي من أجل أي شئ جاء؟ للحزب الشيوعي؟ جاء من أجل المنافع، منصب، بعثة، رئيس جامعة و رئيس وزراء، وزير، هل يوجد غير ذلك؟ يكذب عليكم من يقول من أصحاب الأحزاب الأرضية أن هنالك عقائد يضحى من أجلها، لا يضحي إلا من أجل الشهوات، هم يعبدون شهواتهم، فجاءوا للحياة، ولذلك هم لا يستطيعون أن يدخلوا في المعركة إلا سكارى حتى يغيبوا عن الوجود، فيتقدمون، قالوا: والله إننا نأتي إليهم ينظرون إلينا ونحن نأخذهم، سكارى، إن هذا المجاهد جاء ليموت، واطلب الموت توهب لك الحياة، وهذا طبعا القضية أو القانون، قانون السعادة التي تنتج عن طاعة الله عز وجل، يضم كل جوانب الحياة الإنسانية، حتى حفظ مسائل العلم قضية تتصل بالتقوى

شكوت إلى وكيع سوء حفظي	فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور	ونور الله لا يهدى لعاصي

ولذلك أنت عندما تنظر في كتب الأقدمين تعجب كيف ألفوا هذه التأليفات؟! رجل مثل النووي قسموا مؤلفاته على مدة حياته فخرج له تأليف كل يوم ملزمه، ونحن إذا أردنا أن نكتب كل يوم ثماني رسائل لا نستطيع، وأولئك يكتبون في العلم، والآن قد تكون ثماني صفحات الملزمة التي ألفها في يوم واحد هي مقرر سنة كاملة على أبناء الجيل الهابط، فالحياة لا يمكن أن تدخلها الطمأنينة والراحة والاستقرار إلا إذا أطاع الإنسان ربه.

فيا أيها الإخوة: شيء واحد يجب ألا يفوتكم، أن الاستقرار والراحة في القلب منة من الله، فكيف يمكن أن يمن الله على رجل يعاديه بالراحة والطمأنينة؟! وأنت قارن بين أهل الدنيا جميعاً، أهل المناصب، السلطان والجاه والهيلمان، الواحد منهم لا يستطيع أن يذهب إلى دورة المياه إلا وأمامهم حراس وخلفهم حراس، لا يشرب إلا بعد أن يختبر الماء كثيراً، ولا يأكل إلا بعد أن يأكل الناس أمامه كثيراً، يعيشون في ضنك (فإن له معيشة ضنكا) ضياع وأما المؤمن فهو يعيش في راحة واطمئنان واستقرار..

(هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما) (الفتح: ٤)

طيب (هو الذي أنزل السكينة) وآخرها (ولله جنود السموات والأرض) رب العالمين يتكلم عن معركة، السكينة جندي من جنود الله عز وجل، رحمة، والطمأنينة جندي، والريح جندي، والحشرة جندي، والمطر جندي، وكل ما في الكون جنود (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عليما حكيما).

(ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال

والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب) (الحج: ١٨)

الله يسجد له من في السموت ومن في الأرض والشمس والقمر..

(تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إن الله كان حليما غفورا) (الإسراء: ٤٤)

ولذلك كانت تشترك في المعارك الرياح، المعارك الإسلامية، ولازالت، لازالت الرياح تشترك في المعارك الإسلامية، أحيانا المجاهدون يتعرضون لغارات طائرات فتهب رياح تثير غبار الأرض تمنع الرؤيا، المطر..

(وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) (الأنفال: ١١)

النوم..

(إذ يغشيكم النعاس أمنة منه) (الأنفال: ١١)

في داخل المعركة ينام حتى يرتاح، القضيه أولا وآخرا..

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) (الأنفال: ١٧)

شاب أفغاني رمى طلقة واحدة تصيب مستودعاً للبنزين يحترق كل المعسكر بكامله والدبابات، ولذلك فرق كبير بين إنسان يعيش في هذا الاستقرار والراحة، وبين إنسان ليس له منهاج، ضائع، ريشة في مهب الريح (وأفئدتهم هواء)، كل يوم فيه شك، كل يوم فيه رعب، حسب تلون الدولة التي يتبعها، مرة كان بعثياً كان يدافع عن البعثيين في العراق ويسب البعثيين السوريين، فبعد ستة أشهر من السب والشتم وغير ذلك رجع يسب العكس، يسب بعثيي سوريا ويمدح بعثيي العراق، فقال له أصحابه ما شأنك؟ قال: اكتشفت أن الجماعة التي أنا فيها تابعة للعراق لا لسورية! تصور ! تصور ضياع الإنسان بهذا الشكل ! الضياع ! عندما يكون بهذا الشكل إنسان، رب العالمين خلق له عقلاً وقلباً، أول يوم يسب على جماعة ثاني يوم يقول اكتشفت أن الجماعة... السب جاء منعكس، لازم ينعكس على الجهة الثانية، المؤمن منهاجه واضح أمامك....... منذ أن يكون: كذلك حتى يموت معروف عنده قائمة الحلال وقائمة الحرام، قائمة أعداء الله وقائمة أحزاب الله عز وجل، الولاء لمن؟ والعداء لمن؟ كيف يستقر؟ كيف يمشي؟ ما هي الواجبات؟ معروف يربى عليها وعمره عشر سنوات، لكنا لو قلنا للقومي للبعثي والشيوعي واليساري:

ما هي قائمة المحرمات عندكم؟

وما هي قائمة المحللات بسكت؟

ما هو طريقك؟

إلى أين تسير؟

أين تذهب؟

ما هو هدفك في الحياة؟

سيردد لك الكلمات التي يسمعها، ضد الإمبريالية والاستعمار، ونحن مع البروليتاريا والكادحين، ولا يوجد غير هذه الكلمات، تسأله ما معنى إمبريالية؟ يظنها طبخه أمريكية، ضياع! ضياع عجيب، فراغ سيملأه الهوان، لكن المؤمن عارف، من أخوك؟ كل مسلم قال لا إله الا الله، ما هو ميزانك؟ التقوى، بقدر ما تكون قريبا من الله بقدر ما أحبك، وبقدر ما تتعدى منهج الله بقدر ما أبغضك، من هو عدوك؟ الشيطان وأولياؤه، من هم أولياء الشيطان؟ الذين يعادون الله، من هم الذين يعادون الله؟ الذين يعادون الإسلام، أجوبة، تسأل كل المسلمين، الآن في الجبهة مليون؟ الأفغان تسألهم سؤلا واحداً: ما هو هدفك الآن؟ يقول لك: الشهادة وإعلاء كلمة الله، لا يختلف اثنان على هذا، الآن أسأل كل الشيوعيين القادمين إلى المعركة في أفغانستان، ما هو هدفك من الحرب؟ يقول: لك أرسلني الحزب الشيوعي مقهوراً مغلوباً على أمري.

الأمريكي - البريطاني - الفرنسي اسأله ما هو هدفكم في الحياة؟ أعط سؤالا، وجه لمجموعة من الشعب الأمريكي ما هو هدفك في الحياة؟ ٨٠٪ قالوا: لا أدري، ٢٠٪ قالوا: من أجل جمع المال، بالله عليك هذا الذي يعيش في الحياة بلا غاية كيف يمكن أن يستقر

لحظة واحدة؟ ولذلك تتزعزع الأرض من حول الإنسان المؤمن وتتزلزل، وتتغير الاجواء ويكفهر الجو، ومع ذلك هو ثابت لا يتغير، دائم قائمة ثابتة أمامه هؤلاء أعدائي وهؤلاء أحبابي، كل من دخل في صف الله فهو معي، وإن كان في الأمس عدوي، وكل من كان مؤمنا فهو حبيبي وأنا أذل نفسي عنده، وكل من كان في صف أعداء الله فهو عدوي وهو تحت قدمي مهما كانت مكانته في الأرض.

الأستاذ سيد قطب -رحمه الله- حدثتني شقيقته قالت: يوم ٢٨ أغسطس يعني آب سنة (١٩٦٦) جاء القرار من رئيس الجمهورية عبدالناصر بتنفيذ حكم الإعدام في سيد قطب، هي كانت مسجونة معه عشر سنوات، قالت: ناداني مدير السجن الحربي قال لها: إقرأي القرار، قالت اهتززت من أعماقي، لأن سيداً كان يملأ عليّ حياتي ونفسي، وكنت أتعجب كيف يمكن أن أعيش بعده؟ قال: فقال لي: عندنا فرصه أخيرة لإنقاذ الأستاذ، لأن قتله خسارة ليس على العالم الاسلامي، بل على العالم أجمع، على أن يعتذرفنخفف عنه حكم الإعدام ويخرج بعد سته أشهر بعفو صحي، اذهبي إليه مسرعة، هذا يوم الأحد ٢٨ (آب)، ونفذ حكم الإعدام في الليلة التي بعدها، قالت: ذهبت إليه- هي تحدثني فماً لأذن- قلت له: هم يقولون إذا إعتذرت سيخفف عنك حكم الإعدام، فنظر إليّ مليا وقال: عن أي شيء أعتذر يا حميدة؟ -اسمها حميدة-، عن العمل مع رب العالمين؟ والله لو عملت مع جهة أخرى غير الله لاعتذرت، ولكني لن أعتذر عن العمل مع الله، فاطمئني، إن كان العمر قد انتهى سينفذ حكم الإعدام، وإن لم يكن العمر قد انتهى لن ينفذ حكم الإعدام ! ولن يغني الإعتذار شيئا في تقديم الأجل أو تأخيره؟!!

أي استقرار؟!!!

وأي راحة؟!!!

وأي طمأنينة؟!!!

وأي سعادة؟!!!

يفيضها هذا الإيمان على القلب البشري، حبل المشنقة يلوح بين ناظريه، اعتذاره بكلمة مقابل الحياة، ويستعلي على الحياة لماذا؟ لماذا أسترحم؟ -كما نقلوا عنه- هذا الكلام ليس عن أخته حقيقة، لكن الكلام الذي نقلته تقريبا بالكلمة تقريباً.

المعنى بالدقة، لماذا أسترحم؟! إن كنت محكوما بالحق فأنا أرتضي حكم الحق، وإن كنت محكوما بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل.

حدثني بعض من عرفه قالوا: في أثناء فترة سجنه عرضوا عليه عدة مناصب يقبلها ويخرج ومن السجن، منها وزارة المعارف، فكان يردد كلمة واحدة: «إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالوحدانية في الصلاة لترفض أن تكتب حرفاً واحداً تقر به حكم طاغية » هو كان يحمل عدة أمراض في جسده الناحل، وعاش معظم الفترة في مستشفى السجن، ويستعلي على الدنيا بأسرها، عبدالناصر أيام عنفوان سلطانه وهيله وهيلمانه وقوته والجند الذين من حوله، البلاد العربية كلها كانت ترتجف من مجرد إشارة من عبدالناصر، وأنتم تعرفون، والشعوب كانت تعبده وتسبح بحمده آناء الليل وأطراف النهار، تعرفون هذا قبل أن ضيعها قبل سنة (٦٧)، وبعض الضائعين ظلوا يعبدونه بعد سنة (٦٧)، مر عليه وهو في المستشفى جاء يزور السجون، والهالة التي تتصبب حول عبد الناصر، هو يعرف سيداً وكان مستشاره في بداية الثورة لمدة ستة أشهر- يأكل وينام ويشرب معه، فعندما مر عليه وكان متكئا -سيد- قال له: كيف حالك ياسيد؟ قال له: ليس لك من الأمر شيء، فابتلعها ومشى، ليست القضية سيد، الآن يا جماعة نماذج تقدم إلينا، الثاني عشر الثالث عشر الرابع عشر والخامس عشر الإنسان يستصغر نفسه ويحتقرها بجانب تضحياتهم وعزمهم، التلفزيون السوري نقل محاكمة لشاب عمره ١٦-٢٠ معه توجيهي على التلفيزيون يقول له الحاكم أو القاتل: أنتم ماذا تريدون؟ قال له: نريد أن نصفي حزب البعث، فقال له: من حزب البعث؟ قال من رئيس الجمهورية حتى أصغر واحد، فقال له: وهل تستطيعون ذلك؟ إن حزب البعث ثلثا الشعب، قال: لو كان ثلثا الشعب لصفيناه، سنصفيهم، قال له: ما هو تنظيمك المسلح انت؟ من هم الذين معك؟ قال له: هو تنظيم سري وليس خاناً حتى أسمي لك الأسماء، وحكم عليه بالأعدام ! المهم طلبوا مجموعة من الشباب كلهم أصغر منه تقريبا، ماذا تريدون؟ نريد شيئا واحدا أن نصلي ركعتين، جاءوا بهذا الشاب وقال بيتين من الشعر:

ولست أبالي حين أقتل مسلمــا	*على أي جنب كان في الله مصرعي*
فإن يكن فـــــي جنب الإله فـإنه	*يبــــارك على أوصال شلو ممزع*

تقدمت الشرطة بعدها ليسوقوهم إلى المشنقة، قالوا: لا حاجة لنا إلى الشرطة، ثم تسابقوا من يكون الأول ليضع في عنقه حبل المشنقة؟ أي نفوس هذه؟! أين تربت؟! أين عاشت؟! هذا القرآن يستطيع أن يخرج كل يوم نماذج يعز على البشرية الضائعة التائهة أن تراهم، لن يرى الإنسان نفسه ولن يذوق سعادته ولن يتذوق راحته إلا إذ عرف الله، وليت شعري وماذا وجد من فقد الله؟ إذا فقد الإنسان

الله فقد كل شيء (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) ولذلك كانوا يقولون لعبد الله بن المبارك: من الملوك؟ قال: هم الزهاد، قالوا له: من السفلة؟ قال: الذين يأكلون بدينهم، قالوا: من سفلة السفلة؟ قال: الذين يصلحون دنيا غيرهم ويفسدون دينهم.

الراحة النفسية، السعادة، الطمأنينة.. الاستقرار، لن يجدها الإنسان إلا في ظلال هذا الدين، حدثني كذلك أحدهم قال: الشيخ محيي الدين القليبي أحد العلماء المجاهدين من المغرب العربي كان في القاهرة مرة، وكان يمر على الملوك وينصحهم ويزجرهم، كان رجلا معروفا يعتز بالله، فمر على فاروق، وبينما كان عند فاروق ينصحه سمع الناس يتهامسون يتآمرون على حسن البنا لقتله، فهرع محيي الدين القليبي[1] من القصر إلى حسن البنا فقال:

(إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين) (القصص: ٢٠)

حسن البنا رد قال: أهذا أنت -إلى هذا الحد وصل بك الأمر- أهذا أنت؟

(إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) (الطلاق: ٣)

ثم سمعت بيتين قالهما استشهد بهما:

أي يومي من الموت أفـــر	يوم لا قـــدر أم يوم قـــدر
يوم لا قدر لا أرهبـــــه	ومن المقدور لا ينجو الحذر

يوم لا قدر لا أرهبه، اليوم غير المقدر لا أرهبه، ومن المقدور لا ينجو الحذر، يعيش المؤمن في الأرض وهو مطمئن إلى قضيتين: أن الرزق والأجل بيد رب العالمين.

الأسئلـــــــة

سؤال: إنَّه من دواعي سروري أن أطرح عليكم مشكلة كنت أعاني منها ولا أزال لغاية الآن، لقد كنت أصلي قبل قدومي إلى هذه البلد، ولكني أيضاً قبيل قدومي بقليل انقطعت عن الصلاة، ولكني حينما وصلت إلى هذه البلاد ورأيت الجو الإسلامي الذي فيها بدأت روح الإسلام تنبض في عروقي مرة أخرى، وفعلا عدت إلى الصلاة، وفي نيتي المحافظة عليها إلى الأبد، ولن يفرقني عنها سوى الموت، ولكن ومع ذلك لم تكتمل لي الحياة كما كنت أريدها ، فقد كنت أبحث عن شيء وهو الراحة النفسية، ولكن لغاية الآن لا أزال أشعر ببعض القلق النفسي، كنت أحسب ذلك راجعا إلى سماع الموسيقى فابتعدت عن الموسيقى لفترة، وخلال هذه الفترة لن أجد الراحة التي أبحث عنها، ورجعت إلى سماع الأغاني مرة أخرى ولا أزال لغاية الآن أرى التعقيد في حياتي فلا أرى طعماً لهذه الحياة .

سؤالي أولا: ولو تفضلت أين أجد راحتي النفسية ؟ والسؤال الثاني: ما رأيكم وما نصيحتكم لي في سماع الغناء رغم أنني حاولت مرة أخرى فلم أستطع، أرجو أن تقدم لي نصائحك في هذا الأمر .

الجواب: نصيحتي قدمتها في المحاضرة أن تحسن الصلة بالله عز وجل، وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر لجأ إلى الصلاة (واستعينوا بالصبر والصلاة) وأكثر من الدعاء، أكثر من الذكر، ولا مانع أن تحمل المسبحة وأنت ماش وأنت راكب في السيارة ، قل: استغفر الله إنه ليغام على قلبي فاستغفروا الله مائة مرة ، القلب لما يغم لا بد من الاستغفار ولا بد من الذكر مثلا، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك غرسة في الجنة ، كلما قلت يغرس لك غرسة في الجنة .

من هنا حتى تنزل باب الدار تغرس خمسين غرسة ، كم من الغرسات ضاع عليك في الجنة، ولذلك الذكر حياة القلوب، الذكر ماء القلوب، حياة القلب، وأحسن الذكر هو تلاوة القرآن، وكلما اشتد الأمر أكثر من قراءة القرآن، الدواء علاجه أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي ، وأما الموسيقى فإنها تزيد الأمر، وتزيد التعقيد، وكم من ماء مالح يقبل عليه الإنسان ليروى ظمأه فيزداد عطشا، ثم الصحبة الطيبة من النصائح التي نصحت الإخوة بها.

سؤال: الأخ عبدالله عزام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته !

أرجو منكم التفضل بتقديم النصائح لنا، نصائح بالنسبة لموضوع النظر إلى البنات، أننا والحمد لله نقوم بأداء الصلوات لأنها هي المشكلة التي بيننا وبين الصلوات وعبادة الله، وأيضاً العادة السرية التي يمارسها الشباب، وشكراً لك؟

الجواب: الحقيقة أن الرسول ﷺ قدم الدواء بالنسبة للبنات وهو الصوم، لأن الشهوات تنشأ من كثرة الأكل والشرب والنوم، كلما

---

[1] [illegible] الملك بنصحائه

ازداد أكل الإنسان ونومه كلما الشهوات برزت وازدادت، ومن هنا كانت القضية محلولة بالنسبة إلى السلف، كانوا يقومون الليل، يكثرو الذكر، يصومون في النهار، فالقضية محلولة في كسر الشهوة، النفس تنكسر، وأنت لا تستطيع أن تصل إلى ذلك المستوى بهذ السهولة، فما هو الحل؟ الحل:

أولاً: الصوم، تستطيع أن تصوم يوماً أو يومين في الأسبوع.

ثانياً: ملء الوقت، وقت الفراغ بالمطالعة، فإذا كانت نفسك لا تقبل على قراءة الدروس ولا قراءة الحديث اقرأ قصصاً إسلاميا قصص إسلامية، والقصص الإسلامية جيدة، وأحسن كتاب في هذا الموضوع هو حياة الصحابة، كتاب رائع جداً، كتب نجيب الكيلاني كتب ممتازة، قصص جميلة وجيدة مثل عذراء، جاكرته، نور الله، ليالي تركستان، عمالقة الشمال ممتازات جداً القصص هذه، قصص عبد الودود يوسف كذلك، قصة إسمها إصلاح لعزيزة الإبراشي فانت بقراءة القصص تملأ شيئاً من فراغك، وفيها ترويح لنفسك وتجدي لعزمك على القراءة في الهندسة أو في الطب وفي علومك التي تقرأ فيها، ثم عدم الخلوة، أكثر من جلوسك ومصاحبة الصالحين، السكر وحدك ستبدأ، الشيطان يدخل إليك فتفكر، تبتلى كما يقول الأخ بالعادة السرية، لكن جلوسك مع الناس سيمنع الشيطان من أن يخلو بك، وأوقات الملل والحزن تشكو لأخيك، أو تنفس عن نفسك، ولذلك السكن الصالح والصحبة الصالحة والصوم والذكر وعدم الإكثار من الطعام والشراب هذه وعدم الإكثار من النوم، الإكثار من الأكل يؤدي إلى الإكثار من النوم، هذا شيء طبيعي، من كثر طعامه كثر شرابه ومن كثر شرابه كثر نومه، ومن كثر نومه وهكذا يعني حجم الدم دائماً قوته وطاقته تزداد فيحتاج إلى نوم.

سؤال: ما حكم العادة السرية؟

الجواب: جمهور العلماء يحرمونها، وأباحها البعض القليل جداً عندما يخاف الإنسان على نفسه من الزنى، فإذا خشي على نفسه الزنى تباح له، لأنه اختيار أخف الشرين، إما الزنى أو العادة السرية، العادة السرية أخف الشرين.

سؤال: أنا إنسان الحمد لله أحافظ على الصلاة، والحمد لله أقوم بالواجب، ولكن أعاني الحب المتزايد، الحب الكثير لبعض الناس، وهذا الحب هو والحمد لله في الله، وحب للذكور وليس للاناث، ولكن هذا الحب يسبب لي أشياء كثيرة، منها عدم الراحة النفسية والقلق الدائم، ولا أعطي الحق لدراستي وللإسلام على ما يجب أن تكون علينا، وأقول لك أيها الأخ أني حاولت ترك هذ الأمر ولكن لم أقدر لم أعرف ماذا أعمل، وأرجو أن لا تبخلوا من تقديم النصائح.

الجواب: بالنسبة للحب يجب أن تبحث ما هو السبب في الحب؟

هل أحببته لأنه جميل، أو أحببته لأنه متدين، فإن أحببته لأنه جميل فيجب أن تصرف نفسك عن هذا تدريجياً، والحقيقة هذه القضية كانت مشكلة في العصور الإسلامية كلها، وكان أكثر ما يخاف على نفسه العلماء منها، ولذلك دخل رجل مع ابن له أمرد على أحمد بن حنبل، أمرد يعني عمره أربع عشرة سنة فقال: يا هذا إن أتيتنا مرة أخرى فلا تحضر هذا معك ، وكان محمد بن الحسن جميلاً، فكان أبو حنيفة إذا ألقى الدرس لثم وجهه، ولذلك إذا كان النظر إلى الأمرد حرام مثل النظر إلى البنت، هذا إذا كان النظر بشهوة، فهذه يجب أن تنتبه إليها، والقلب إذا تعلق هؤلاء كانوا يقولون سكران، كانت مشكلة كبيرة، وكثيراً ما يفرد لها الفقهاء باباً، واقرأ في الإحياء، واقرأ في كتب الفقه النظر إلى الأمرد..

سكران سكر هوى وسكر مدامة .. فمتى يفيق من به سكران

يقول ابن التيمية: هؤلاء مثل السكارى،والحب عجيب تأثيره في النفس، يعني النفس تمرض وتتعب لأنه يؤثر على القلب، لأن النظرات تترك أثراً في القلب لا يرتاح القلب إلا إذا نظر إلى محبوبته أو إلى محبوبه، هو قد يكون لا يفعل الفاحشة مع البنت التي يحبها، لكن يرتاح حينما ينظر إليها.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

عملا بأمر الخارج*

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً.

وصلتنا أخبار سارة وأخبار محزنة، أخبار سارة أن المجاهدين أسقطوا ثلاث طائرات ووصلوا إلى شريط المطار[1] الشيك واستولوا على مواقع جديدة إنضم إليهم طائرتا هليوكبتر. انضماماً وليس تدميراً. انضمت طائرتان وتدمرت طائرتان، وغير ذلك ودمروا دبابتين حول المطار، وصرح الشيخ سيّاف لوكالة الأنباء الفرنسيه إن الاتهامات التي توجهها أفغانستان لباكستان إنما لتبرر هزيمتها في المعركة، وقال إننا لسنا بحاجة لباكستان ولا غيرها،إننا أقوياء - والحمد لله - ومنتصرون.

فرنتسوف، سفير روسيا في كابل قال: لقد ثبت لدينا أنه يشترك باكستانيون، الجيش الباكستاني يشترك في المعركة، وهذا سيؤدي إلى معركة إقليمية، يعني: يؤدي إلى حرب بين باكستان وأفغانستان، طبعاً هذه تهديدات(مقالة خرافة يا أم عمرو)، أولاً: روسيا لا تستطيع أن تشترك في حرب ضد افغانستان ولا ضد باكستان، هم الآن يسحبون جنودهم، أمس بدأوا يسحبون جنودهم من منغوليا لأن الجهاد الأفغاني غيّر عقلية وتفكير غورباتشوف، فهو يريد أن يغيّر الإتحاد السوفياتي من جديد، يريد أن يعيد الدين النصراني إليه ليقف أمام الإسلام الذي يُخْشَى أن تكون الضربة الثانية منه، ولذلك هم الآن يوزعون الأناجيل على النصارى حتى تقف عقيدة أمام عقيدة، ووجدوا أن الشيوعية عبارة عن خرافات، ضحك فيها لينين وماركس على العمال حتى كانوا وقوداً لشهوات اليهود الذين نفّذوا الثورة،لأن اليهود هم الذين نفّذوا الثورة لينين تروتسكي يهود،هم الذين أقاموا الانقلاب، المكتب السياسي الأول الذي نفّذ الانقلاب سبعة؛ خمسة منهم يهود الأبوين، وواحد منهم ستالين زوجته يهودية، وواحد روسي ليس يهودياً، اليهود هم الذين رتبوا لانقلاب روسيا أول انقلاب شيوعي حتى ينتقموا من الشعب الروسي، لأنه سنة ١٨٨١م اغتيل الإمبراطور الاسكندر الثاني، واتهم اليهود باغتياله، فقام الشعب الرّوسي وعمل فيهم مقتلة عظيمة، فخطّطوا لذبح الشعب الروسي والانتقام منه.

وكان أخو لينين أحد الذين أعدموا بتهمة قتل قيصر الاسكندر الثاني، وذهب إلى ألمانيا، وهنا تعبوا كثيرا-، إنّ أيّ دولة لا تقوم بدون دماء وبدون أشلاء، -يقول لك المخابرات الأمريكية والمخابرات الروسية، هذا صحيح، الدعم الخارجي صحيح، لكن لولا هنالك وجود قوة في الداخل لا يمكن ينجح شيء، لا يمكنه، والأمريكان أصلاً لا يتعاملون إلا مع القوي، والرّوس وما إلى ذلك، يجدون قوة في الداخل، يقيمون اتصلات معهم ويقولون لهم تريدون أن تعملوا انقلاباً نحن نساعدكم، ولذلك هذا السبب كل الأحزاب في المنطقة تقريباً أقامت لها كيانات، الشيوعية والقومية والبعثية وما إلى ذلك إلا الإخوان المسلمين، أنتم تلاحظون..!! يعني من أقوى؟ الإخوان المسلمون أم الشوعيون في سوريا؟ أم الشيوعيون في العراق؟أم البعثيون في سوريا؟أم البعثيون بالعراق؟ أم رجالات الثورة في مصر؟ لكن الإخوان المسلمون هم العنصر الوحيد الذي رفض التعامل مع أمريكا ومع الغرب، ولذلك بحثوا عن أناس آخرين، قوى أخرى، أحزاب منظمة في الجيش خاصة، وعملوا لهم كيانات في المنطقة، ورفعوا فوق رأس كل واحد راية، وعملوا له منبراً وإمارة، أقول: إن حزب البعث نفسه تعب كثيراً، وحافظ الأسد وفلان هؤلاء تعبوا كثيراً،صحيح أن الدعم الخارجي هو الذي أوجدهم، طبعاً بقدر من الله عزوجل خلق كل شيء بقدر، لكنّ الدول الغربية أو الدّول الكبرى تأتي وتتعامل مع قوة موجودة، تنظيم قد يكون ضعيفاً نوعاً ما وتدعمه، وهو يقيم الإنقلاب، ثم يغير الاعتراف، ثم تدعمه بالمال، ثم توجّه الدول المحيطة به أن يعترف به وأن يغض الطرف عنه، وهكذا، ولذلك هم التقوا بالإخوان المسلمين، عجموا عودهم، عرضوهم ووضعوهم في الحامض الأمريكي، عنصر غير قابل للذوبان، فلذلك، لو أراد الإخوان أن يتعاهدوا مع الغرب، كان أول دولة قامت لهم، لكنّهم يعرفون،حتى مرة واحد من الأمريكان مباشرة قال قائد من قادة الاخوان، التقى بهم، هم جاءوا فقال له: إذا كان الإخوان المسلمون مستعدين أن يسكتوا عنا أو يتعاونوا معنا نعمل لهم انقلاباً مباشرة،هذا في سوريا قبل أن يأتي البعثيون وقبل....

فأنا أعرف هذا، ولذلك كل الضربات على الإخوان، لأنهم يرفضون التعامل مع الأمريكان، ويرفضون التعامل مع الغرب، وبعد ذلك يأتي شاب صغير قليل المعرفة يقول لك الإخوان عملاء لكذا أو كذا.

لا تحسب المجد تمراً :

ولينين تعب كثيرا، وطاف في أوروبا وفي ألمانيا وسويسرا، ويخرج جريدة هو وزوجته اسمها الشرارة - اسكا -. ولذلك الحزب

عملا بأمر الخارج*

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً.

وصلتنا أخبار سارة وأخبار محزنة، أخبار سارة أن المجاهدين أسقطوا ثلاث طائرات ووصلوا إلى شريط المطار[1] الشيك واستولوا على مواقع جديدة إنضم إليهم طائرتا هليوكبتر، انضماماً وليس تدميراً، انضمت طائرتان وتدمرت طائرتان، وغير ذلك ودمروا دبّابتين حول المطار، وصرح الشيخ سيّاف لوكالة الأنباء الفرنسيه إن الاتهامات التي توجهها أفغانستان لباكستان إنما لتبرر هزيمتها في المعركة، وقال إننا لسنا بحاجة لباكستان ولا غيرها ،إننا أقوياء - والحمد لله - ومنتصرون.

فرنتسوف، سفير روسيا في كابل قال: لقد ثبت لدينا أنه يشترك باكستانيون، الجيش الباكستاني يشترك في المعركة، وهذا سيؤدي إلى معركة إقليمية، يعني: يؤدي إلى حرب بين باكستان وأفغانستان، طبعاً هذه تهديدات(مقالة خرافة يا أم عمرو)، أولاً: روسيا لا تستطيع أن تشترك في حرب ضد افغانستان ولا ضد باكستان، هم الآن يسحبون جنودهم، أمس بدأوا يسحبون جنودهم من منغوليا لأن الجهاد الأفغاني غيّر عقلية وتفكير غورباتشوف، فهو يريد أن يغيّر الإتحاد السوفياتي من جديد، يريد أن يعيد الدين النصراني إليه ليقف أمام الاسلام الذي يُخْشَى أن تكون الضربة الثانية منه، ولذلك هم الآن يوزعون الأناجيل على النصارى حتى تقف عقيدة أمام عقيدة، ويجدوا أن الشيوعية عبارة عن خرافات، ضحك فيها لينين وماركس على العمال حتى كانوا وقوداً لشهوات اليهود الذين نفّذوا الثورة،لأن اليهود هم الذين نفّذوا الثورة لينين تروتسكي يهود،هم الذين أقاموا الانقلاب، المكتب السياسي الأول الذي نفّذ الانقلاب سبعة؛ خمسة منهم يهود الأبوين، وواحد منهم ستالين زوجته يهودية، وواحد روسي ليس يهودياً، اليهود هم الذين رتبوا لانقلاب روسيا أول انقلاب شيوعي حتى ينتقموا من الشعب الروسي، لأنه سنة ١٨٨١م اغتيل الإمبراطور الاسكندر الثاني، واتهم اليهود باغتياله، فقام الشعب الرّوسي وعمل فيهم مقتلة عظيمة، فخطّطوا لذبح الشعب الروسي والانتقام منه.

وكان أخو لينين أحد الذين أعدموا بتهمة قتل قيصر الاسكندر الثاني، وذهب إلى ألمانيا، وهنا تعبوا كثيرا،- إنّ أيّ دولة لا تقوم بدون دماء وبدون أشلاء، -يقول لك المخابرات الأمريكية والمخابرات الروسية، هذا صحيح، الدعم الخارجي صحيح، لكن لولا هنالك وجود قوة في الداخل لا يمكن ينجح شيء، لا يمكنه، والأمريكان أصلاً لا يتعاملون إلا مع القوي، والرّوس وما إلى ذلك، يجدون قوة في الداخل، يقيمون اتصالات معهم ويقولون لهم تريدون أن تعملوا انقلاباً نحن نساعدكم، ولذلك هذا السبب كل الأحزاب في المنطقة تقريباً أقامت لها كيانات، الشيوعية والقومية والبعثية وما إلى ذلك إلا الإخوان المسلمين، أنتم تلاحظون..!! يعني من أقوى؟ الإخوان المسلمون أم الشوعيون في سوريا؟ أم الشيوعيون في العراق؟أم البعثيون في سوريا؟أم البعثيون بالعراق؟ أم رجالات الثورة في مصر؟ لكن الإخوان المسلمون هم العنصر الوحيد الذي رفض التعامل مع أمريكا ومع الغرب، ولذلك بحثوا عن أناس آخرين، قوى أخرى، أحزاب منظمة في الجيش خاصة، وعملوا لهم كيانات في المنطقة، ورفعوا فوق رأس كل واحد راية، وعملوا له منبراً وإمارة، أقول: إن حزب البعث نفسه تعب كثيراً، وحافظ الأسد وفلان هؤلاء تعبوا كثيراً،صحيح أن الدعم الخارجي هو الذي أوجدهم، طبعاً بقدر من الله عزوجل خلق كل شيء بقدر، لكنّ الدول الغربية أو الدّول الكبرى تأتي وتتعامل مع قوة موجودة، تنظيم قد يكون ضعيفاً نوعاً ما وتدعمه، وهو يقيم الإنقلاب، ثم يغير الاعتراف، ثم تدعمه بالمال، ثم توجّه الدول المحيطة به أن يعترف به وأن يغض الطرف عنه، وهكذا، ولذلك هم التقوا بالإخوان المسلمين، عجموا عودهم، عرضوهم ووضعوهم في الحامض الأمريكي، عنصر غير قابل للذوبان، فلذلك، لو أراد الإخوان أن يتعاهدوا مع الغرب، كان أول دولة قامت لهم، لكنّهم يعرفون،حتى مرة واحد من الأمريكان مباشرة قال قائد من قادة الاخوان، التقى بهم، هم جاءوا فقال له: إذا كان الإخوان المسلمون مستعدين أن يسكتوا عنا أو يتعاونوا معنا نعمل لهم انقلاباً مباشرة،هذا في سوريا قبل أن يأتي البعثيون وقبل....

فانا أعرف هذا، ولذلك كل الضربات على الإخوان، لأنهم يرفضون التعامل مع الأمريكان، ويرفضون التعامل مع الغرب، وبعد ذلك يأتي شاب صغير قليل المعرفة يقول لك الإخوان عملاء لكذا أو كذا.

لا تحسب المجد تمراً :

ولينين تعب كثيرا، وطاف في أوروبا وفي ألمانيا وسويسرا، ويخرج جريدة هو وزوجته اسمها الشرارة – اسكا –، ولذلك الحزب

ازداد أكل الإنسان ونومه كلما الشهوات برزت وازدادت، ومن هنا كانت القضية محلولة بالنسبة إلى السلف، كانوا يقومون الليل، يكثرو الذكر، يصومون في النهار، فالقضية محلولة في كسر الشهوة، النفس تنكسر، وأنت لا تستطيع أن تصل إلى ذلك المستوى بهذ السهولة، فما هو الحل؟ الحل:

أولاً: الصوم، تستطيع أن تصوم يوماً أو يومين في الأسبوع.

ثانياً: ملء الوقت، وقت الفراغ بالمطالعة، فإذا كانت نفسك لا تقبل على قراءة الدروس ولا قراءة الحديث اقرأ قصصاً إسلاميا قصص إسلامية، والقصص الإسلامية جيدة، وأحسن كتاب في هذا الموضوع هو حياة الصحابة، كتاب رائع جداً، كتب نجيب الكيلاني كتب ممتازة، قصص جميلة وجيدة مثل عذراء، جاكرته، نور الله، ليالي تركستان، عمالقة الشمال ممتازات جداً القصص هذه، قصص عبد الودود يوسف كذلك، قصة إسمها إصلاح لعزيزة الإبراشي فأنت بقراءة القصص تملأ شيئا من فراغك، وفيها ترويح لنفسك وتجدي لعزمك على القراءة في الهندسة أو في الطب وفي علومك التي تقرأ فيها، ثم عدم الخلوة، أكثر من جلوسك ومصاحبة الصالحين، السكر وحدك ستبدأ، الشيطان يدخل إليك فتفكر، تبتلى كما يقول الأخ بالعادة السرية، لكن جلوسك مع الناس سيمنع الشيطان من أن يخل بك، وأوقات الملل والحزن تشكو لأخيك، أو تنفس عن نفسك، ولذلك السكن الصالح والصحبة الصالحة والصوم والذكر وعدم الإكثار مز الطعام والشراب هذه وعدم الإكثار من النوم، الإكثار من الأكل يؤدي إلى الإكثار من النوم، هذا شيء طبيعي، من كثر طعامه كثر شراب ومن كثر شرابه كثر نومه، ومن كثر نومه وهكذا يعني حجم الدم دائماً قوته وطاقته تزداد فيحتاج إلى نوم.

سؤال: ما حكم العادة السرية؟

الجواب: جمهور العلماء يحرمونها، وأباحها البعض القليل جداً عندما يخاف الإنسان على نفسه من الزنى، فإذا خشي علر نفسه الزنى تباح له، لأنه اختيار أخف الشرين، إما الزنى أو العادة السرية، العادة السرية أخف الشرين.

سؤال: أنا إنسان الحمد لله أحافظ على الصلاة، والحمد لله أقوم بالواجب، ولكن أعاني الحب المتزايد، الحب الكثير لبعض الناس، وهذا الحب هو والحمد لله في الله، وحب للذكور وليس للاناث، ولكن هذا الحب يسبب لي أشياء كثيرة، منها عدم الراحة النفسية والقلق الدائم، ولا أعطي الحق لدراستي وللإسلام على ما يجب أن تكون علينا، وأقول لك أيها الأخ أني حاولت ترك هذ الأمر ولكن لم أقدر لم أعرف ماذا أعمل، وأرجو أن لا تبخلوا من تقديم النصائح.

الجواب: بالنسبة للحب يجب أن تبحث ما هو السبب في الحب؟

هل أحببته لأنه جميل، أو أحببته لأنه متدين، فإن أحببته لأنه جميل فيجب أن تصرف نفسك عن هذا تدريجياً، والحقيقة هذه القضية كانت مشكلة في العصور الإسلامية كلها، وكان أكثر ما يخاف على نفسه العلماء منها، ولذلك دخل رجل مع ابن له أمرد على أحمد بن حنبل، أمرد يعني عمره أربع عشرة سنة فقال: يا هذا إن أتيتنا مرة أخرى فلا تحضر هذا معك ، وكان محمد بن الحسن جميلاً، فكان أبو حنيفة إذا ألقى الدرس لثم وجهه، ولذلك إذا كان النظر إلى الأمرد حرام مثل النظر إلى البنت، هذا إذا كان النظر بشهوة، فهذه يجب أن تنتبه إليها، والقلب إذا تعلق هؤلاء كانوا يقولون سُكران، كانت مشكلة كبيرة، وكثيراً ما يفرد لها الفقهاء باباً، واقرأ في الإحياء، واقرأ في كتب الفقه النظر إلى الأمرد..

سُكران سُكرُ هوى وسُكر مُدامة .. فمتى يفيق من به سكران

يقول ابن التيمية: هؤلاء مثل السكارى.والحب عجيب تأثيره في النفس، يعني النفس تمرض وتتعب لأنه يؤثر على القلب، لأن النظرات تترك أثراً في القلب لا يرتاح القلب إلا إذا نظر إلى محبوبته أو إلى محبوبه، هو قد يكون لا يفعل الفاحشة مع البنت التي يحبها، لكن يرتاح حينما ينظر إليها.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

يشتركون بتخطيط، وأما أن يتحمّسوا وينزل من بشاور، وتأخذ السلاح أو تأكلك الألغام أو تجمع في مكان الجواسيس- عيون الدولة - لاتجد أكثر منهم، تجد في كل جبهة عشرها على الأقل عملاء للدولة، أيّ جبهة تنجوا من المنافقين؟! وهؤلاء غرباء، وقد يُضحك عليهم، فإن كان بتخطيط على أساس إن صار هجوم من الأفغاني وهجموا خمسون أفغانياً يشترك معهم اثنان عرب ثلاثة، على الرأس والعين، يقوموا بعمليات هندسية يفتحوا الألغام على أساس أنهم مدرّبين، إذا كان كذلك أو الأفغان أنفسهم يشقون طريقاً في حقول الألغام لا بأس (أما والله اعطوني بندقية، وأين ذهب الرجال[1]، ويا خيل الله اركبي) ثم نلقي بانفسنا في داخل حقول الألغام، ونواجه الرشاشات من بعيد، أو المدفعية أو الطائرة، نتجمع مائة عربي في مكان واحد ثم تأتي الطائرة تضرب !!! العرب مثل الملح للطعام، قذيفة تقتل عشرة أو خمسة عشر بالنسبة للأفغان طحين كثير، والملح كمية قليلة من الملح حتى تعطيه طعماً ولذة، نحن لا نستطيع أن نكون وقود المعركة، نحن وظيفتنا رفع المعنويات، نعم نحن نحرص على الشهادة، وكل واحد منّا، يعني أنا أقول عن نفسي، أنا حريص على الشهادةوأحب أن أستشهد في أي وقت وما أقول كما يقول بعض الإخوة الفلسطينين نحن نريد أن نستشهد في بيت المقدس، لا، أنا أريد أن استشهد في أسرع فرصة، إذا أبقانا الله أحياء نرجو الله أن يفتح لنا ثغرة في بيت المقدس لمواصلة الجهاد، لكن بتخطيط وبعلم، لأن الله عزّ وجل يأمرنا و يحاسبنا على الأخذ بالأسباب، لا بد أن نتدرب، ولابد أن نتقن أساليب القتال وفنون القتال، بالإضافة إلى تعلّم العلم الشرعي، بالإضافة إلى النية الخالصة، لابد من إتقان الجهاد، وهذا السبب أن الأخ أبو الشهيد أصابته تلك الحاله النفسية لما وجد بعض الإخوه يضحكون وكتم في نفسه وكمد ثم انفجر باكياً وأصابته الحاله النفسية هذه الليله، حصلت معه بالامس، ولذلك اتصلوا بي من بيشاور وقالوا لابد أن تأتي، فأمس ما كان بالإمكان أن أذهب، فلعل الله أن أراه وأعلم ما هو الوضع نرتب الأمور ثم نرجع إليكم، لأني لا أحب الرجوع إلى بيشاور، ولا الجلوس فيها، ولو لا القضايا الملّحه التي تستدعي الوجود ما رجعت، وأستودع الله دينكم وامانتكم وخواتيم عملكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الشهيد أبو بدر الحربي

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:[2]

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، الذين استجابوا لله والرّسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم) (آل عمران: ١٦٩-١٧٤)

الصدق في الجهاد:

إنها آيات تعبر عن كثير من هؤلاء الإخوة الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله، ونرجو الله عز وجل أن يتقبلهم في الصالحين، استجابوا لله والرّسول من بعد ما أصابهم القرح، لقد كانت رحلة قاسية ومحنة شديدة أن ينسلخ المرء من أهله وإخوانه وزوجه وخلانه، ثم يأتي مهاجراً في سبيل الله لا يريد من هذه الدنيا شيئا، ولقد شهدت لهذا الأخ: لخالدالحربي وهو من أكبر القبائل في السعودية بل في الجزيرة العربية أنه كان موظفاً فترك وظيفته، وكان متزوجا فترك زوجته وأولاده، ولقد جمعني به ذات مرّة والده في مسجد من المساجد في جدة، آخذاً بيد ابنه يقول أيها الشيخ يجوز له أن يترك زوجته وأولاده ويخرج دون إذني؟ قلت نعم إن ترك لأهله نفقة فليس لك إذن عليه، لأن الولد يخرج دون إذن والديه، والمدين دون إذن دائنه، والعبد دون إذن سيّده، لأن الجهاد قد تعين، وقد وطئ الكفار أرض المسلمين، ويبقى الجهاد متعيناً ليس بتحرير أفغانستان ولا بتحرير فلسطين، بل يبقى الجهاد فرض عين في عنق كل مسلم في الأرض حتى تحرّر آخر بقعة إسلامية كانت في يوم من الأيام تحت ظلّ الإسلام وقد حكمها الكفار، فالجهاد بالنسبة لنا فريضة العمر وليست فريضة المكان، وليست محصورة بزمان، فإذا انتهى الجهاد في أفغانستان فبإذن الله سنبحث عن جبهة أخرى، وأرجو الله أن تكون الجبهة الأولى فلسطين وتحرير المسجد الأقصى.

الشيوعي المصري إسمه(إسكا) على إسم جريدة لينين، و كل الأحزاب الشيوعية في المنطقة على الإطلاق شكّلها اليهود، الحز الشيوعي الأردني، الحزب الشيوعي الفلسطيني، والحزب الشيوعي الفلسطيني هو أمّ الأحزاب الشيوعية العربية.

فجاء اليهود لفلسطين منذ وقت مبكر من العشرينات من (١٩٢٠) وبدأوا يشكلون نواة الحزب الشيوعي الفلسطيني يهود، ثم بدأ يدخلون فيه أناساً عرباً، فأدخلوا بعضهم: توفيق زياد، ومحمود درويش، وسميح القاسم، هؤلاء الذين أظهروهم فيما بعد وأدخلو مجلس الكنيست، وقالوا للثورة الفلسطينية تبنّوا هؤلاء، إنهم لسانكم، وإنهم مدافعون عنكم، فبدأوا يعملون لهم دعاية، وظهر محمو درويش، سميح القاسم وتوفيق زياد على أساس أنهم عبارة عن شعراء، ولا يعرفون الشعر ولا شيء.

تجد محمود درويش يقول شعراً منثوراً، ما هو الشعر المنثور؟ الذي لا يعرف الشعر فيلجأ إلى هذه الطريقة، العاجز كلمة فو كلمتين. [١]هذا إسمه بيت شعر، ما يدور بخاطره أمام البيت، والناس يمشون في الشارع، وقفت أمام البيت، هذا بيت شاعر؟ والناء يمشون في الشارع، بيت شعر ثاني، وفي ذهنها والذهن شدد والاحزان تعقر قلبها، هذا بيت رابع وهكذا يخرج على أساس أنه شه ويضحكون على الناس، ويأتي أناس يمجدون القصيدة ويقدّمونها القرّاء تخرج القصيدة أحسن من شعر امريء القيس وأحسن من شع المتنبي، وسكت الناس البلهاء، وبعد فترة قالوا لا، الشعر القديم المقفى الموزون هذا ليس شعراً، لأنه يقيد عاطفتك ويمنعك أن تعبّر ء المعاني التي في قلبك، حطّم القافية حتى تخرج المعاني، ولذلك فعلاً طلع محمود درويش أحسن من أحمد شوقي وسميح القاس وغيره!!!!

ونشروا الشيوعية من خلاله،هذا محمود درويش جاءوا به إلى المحكمة الاسرائيلية، طبعا هم يريدون أن يشهروهم على أساس أنهم أبطال فيحاكموهم أمام الشعب، هم داخلون في مجلس الكنيست، مجلس النواب الإسرائيلي، قال له من أين أنت؟

قال له سجل:

أنا من قرية عزلاء منسـية   *وكل رجالها يحبون الشيوعيـة*

تخرج على أساس أنها قصيده، ما شاء الله!! عملوا له دعاية حتى ينشروا له الترويج في المنطقة فأخرجوا محمود درويش ليكو عميدا من عُمداء الأدب العربي!!! رئيس نقابة الشعراء في العالم العربي!! من؟ محمود درويش!! وتجده إذا جاء لبلد مثل السعودية أ الإمارات يستقبل إستقبال صلاح الدين!!ولذلك نفس الثورة الفلسطينيه مؤنث ثور، اتخذت شعارها شيوعية،يومياً كانت:

أنا يا أخي آمنت بالشعب المضيع والمكبل   *وحملت رشاشي لتحمل بعدنا الأجيال منجل* [٢]

منجل وشاكوش، الرشاش وكل القتال حتى تأتي الأجيال بعدنا تحمل منجلاً وشاكوشاً، الذي هو شعار الشيوعيه، وكل الفلسطينيين يرددون هذا وغوغاء يتبعون كل ناعق لا يدرون ماذا يقولون، أغنية جميلة فعلاً:

أنا يا أخي آمنت بالشعب المضيع والمكبل   *وحملت رشاشي لتحمل بعدنا الأجيال منجل*

هكذا تفتتح الإذاعة شعارها، لكن كما قلت لكم لايوجد حزب يقوم، سواء دعمه الغرب أو لا.. إلا يكون أصله ونواته -أصحابه- يواجهون على الأقل العادات الوطنية والتقاليد والشعب الذي يُقاوم فكرتهم،لكنها تشق طريقها الايام عن طريق الإعلام.

واليهود طوقوا البشريه، لأن أي فكرة يريدونها ينشرونها في العالم، أنظر هذا كتاب سلمان رشدي حتى ينسوا الناس الأحداث الضخمة التي تحصل هنا، تحت أحد فقرات اجتماع وزراء الخارجية دراسة كتاب سلمان رشدي، قبل القضية الأفغانية، لم يلقوا كتاب يهاجم فيه القرآن منذ ثلاثين أو أربعين سنة،لا يمرّ أسبوع إلا و يخرج كتاب في الغرب يهاجم الإسلام، لماذا هذا الإهتمام في هذا الأسبوع بالكتاب هذا؟ لماذا؟ لأنهم عملوا له دعاية في الغرب، وقرر ستون في المائة من الشعب الفرنسي أن يقتني هذا الكتاب، وبعد ذلك يعملون ضجة حتى يشغلوا الناس عن القضية الكبرى قضية الإسلام، قضية الجهاد في أفغانستان، وأكبر انتصار في العصر الحديث، إنتصار الإسلام على أكبر قوة في العالم حتى يفطنوا، كتاب سلمان رشدي.

فالإعلام في الحقيقة يدفع الدنيا، فهذه إنتصارات المجاهدين في جلال آباد، والخبر الآخر الذي حز في نفوسنا استشهاد خمسة عشر أخاً عربياً في جلال آباد، وهذا يعني إن كان بترتيب وتنسيق خلاص هم ليسوا أفضل من الأفغاني[٣]، فالمعركة ليس فقط تحتاج خمسة عشر، تحتاج خمسة عشر ألفاً حتى تبقى مستمرة في أفغانستان وفي كل مكان، لكن إن لم يكن بتخطيط فهذا الذي يدمي القلب، ظُفر كل واحد منكم له قيمته عندنا، نحن لا نريد الإخوان العرب أن يكونوا في الصفوف الأولى يشتركون في المعارك، لكن

(١) يشرح الشيخ في هذه الكلمات ويبين تفاهة الشعر المنثور. (٢) شعار الشيوعية منجل وشاكوش.

(٣) كان الشيخ رحمه الله يعارض تجميع الاخوة بهذا الشكل لأن نظرية الشيخ في هذه المسألة أن العرب قلة فهم كالملح في الطعام لذا كان عمله منذ البداية توزيع الاخوة العرب على جميع جبهات أفغانستان وقد نجح الشيخ في هذا العمل إلا أن أناساً آخرين كانوا يحاولوا تغير هذا الاتجاه فحصل ما حصل من كثرة عدد الشهداء العرب.

فالجهاد فريضة لازمة في عنق كل مسلم، والجهاد هو القتال بالسلاح، ثم تمضي عدّة أيام وأرى أبابدر قد جاء، وكان أهل يعرفون أهلي، يحمل تبرّعات النساء للنساء، ويحمل تبرّعات الرجال للجهاد، وكان في هذه الفترة قد أحدث خللاً في بيته، واتصل أهل بنوجه بي وبأهلي عدة مرّات، وزوجه خرّيجة جامعة وموظفة هناك، وكان جوابه دائماً وهم يرجونه أن يرجع إليهم فيقول: إمّا فتح كابل وإما الشهادة كنت أجد وألمح الإصرار بين عينيه، والعزم يومض إيماضاً، ويكاد يقدح شررا من خلال هذه النفس المصرة على هذ الطريق الذي آمنت به لينقذ بلاد الإسلام من بين براثن الكافرين، لم يأت طمعاً في دنيا، ولم يهجر بلده من مطاردة حكم أو طاغوت، بل تركها والدنيا مقبلة عليه، وركلها والنعيم يتقلب فيه بين كنفيه، ويتربع فيه بين عطفيه، أقول: جاء هنا وقد جاء من قبل ومكث فترة في الصيف وهو وأهله، واستعذبت نفسه روح الجهاد، ثم مضى يرجع إلى أهله في المرّة الأولى، ولكن روحه في عذاب، وضميره لا يطيق فراقا لهذا المورد العذب الذي فتح الله به عليه، وحبّب الله قلبه للجهاد، وتوق نفسه للإستشهاد، ولا محالة من أن يربط هناك بدنيا أو بوظيفة، كان موظفاً في(بترومين) شركة بترول سعودية، ولكن الدنيا كلّها ضاقت في عينيه، وأقبل كما نراه على الله بكليته، أقبل على الجهاد، أقبل على الشهادة والله عزّ وجلّ عند حسن ظنّ عبده به.

وكما يقول الله عزّ وجلّ في الحديث القدسي **(أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منهم، ولئن تقرّب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً، ولئن أتاني ماشياً أتيته هرولة)** ويسمع بجلال آباد، وتطير روحه هناك، ولا يطيق لجسده أن يبقى بعيداً عن روحه، ولحق الجسد الروح، وكان بالأمس هجوم على مطار جلال آباد، وكان الاخ خالد أبو بدر الحربي.(خالد ابن مُعلاّ الأحمدي الحربي) وكان الأخ الآخر أبو الدرداء السعودي، وكان معهم أحد الإخوة الذين شاركوا معهم، وهو أبو عائشة اللبناني، ودخلوا المعركة، وكما حدثني أحد الحضور وكان بجانبه أبو فارس اليماني، حدّثني قال: لقد اقتربنا من المطار ودمرّنا ستّ دبابات ثم انسحبنا، وانهال وابل من الرصاص علينا كأنه المطر المتصبّب، وبينما كان الإخوان منسحبين من المعركة جاءت قذيفة هاون بينهما، ثم أفاضت روحهما إلى خالقها، أما أبو الدرداء السعودي فقد أفاضت روحه مباشرة، وأما (خالد ابن معلا بن أحمد الحربي) فقد أصابته عدة شظايا ولكنها قاتلة، وطلب الماء، قال أبو عائشة: وحملته، وعندما أفاضت روحه هبت ريح طيبة لم أشم مثلها أبدا، وذلك عنوان خروج الرّوح، لأنه في الأثر أنه إذا خرجت الرّوح يخرج معها رائحة طيبة **(أخرجي أيتها الروح الطيبة- كما يقول لها الملك- في الجسد الطيب كنت تعمرينه في الدنيا)** قال: ثم هبت ريح طيبة قد شرحت صدري مرة أخرى، كأنها ريح ولكن هذه الريح ريح عطر ومسك وليست ريح دنيا، وفي الساعة الحادية عشرة اتصل بي الأخ الحبيب قال لي أخونا المسؤول أخونا أبو إبراهيم العراقي فقال لي: لقد استشهدا اثنان من الإخوة العرب، قلت من هما؟ قال أبو بدر الحربي، فذرفت عيناي وكنت أعرفه وأعرف رجولته، وفي الصباح وبعد صلاة الفجر قلت لأهلي أنا ذاهب إلى بيت الضيافة لنكرم أخانا الشهيد، فقالت زوجتي ومن الشهيد؟ قلت لها أبو بدر الحربي، فارتجّت واهتزّت لأنها تعرف أهله وبينها وبينهم مودة وصلة، ولكن الأهل الذين أقبل عليهم إن شاء الله خير لهم من أهله، والدار التي أقبل عليها خير من داره إن شاء الله – كما نحسب ولانزكي على الله أحداً –

لا يقال فلان شهيد:

ونحن لا نجزم لأحد بالشهادة كما يقول البخاري(لا يُقال لفلان شهيد)، ولكن ابن حجر يقول على سبيل القطع فنحن لا نقطع [illegible] بالجنة، ولكننا نقول شهيد على أغلب الظنّ، وكما يقول ابن حجر لقد أجمع السلف تحت هذا الباب باب لا يُقال لفلان شهيد أي سبيل القطع، ثم يقول لقد أجمع السلف على أنّ أهل بدر وأهل أحد وغيرها من الغزوات يسمونهم شهداء بناء على غالب الظن، لاً بظاهر الأحكام، ولذا فقد رأينا في كتب الصحابة والرّجال يقال استشهد فلان، قتل يوم اليمامة شهيداً، شهداء اليرموك، شهداء سية، وارجعوا إن شئتم إلى الإصابة في حياة الصحابة لابن حجر العسقلاني، وكذلك ارجعوا إلى أسد الغابة في أسماء الصحابة لأثير، وهكذا دواليك.

ولقد اطلعت على أكثر من أثر حسن وصحيح يردّد فيه الصحابة فلان شهيد، ومنها حديث فضالة بن عبيد، كنا في غزوة من [illegible] مع فضالة ابن عبيد وضرب أحد المجاهدين برمية منجنيق، ومات الآخر وكنا في البحر، ثم دفنّا الاثنين عندما وصلنا إلى [illegible] فوقف فضالة بن عبيد فوق قبر الميت، فقالوا– قول الصحابة والتابعين –أتركت قبر الشهيد وجلست فوق قبر الميت، أنظروا [illegible]ـابة والتابعين، أتركت قبر الشهيد – سمّاه شهيدا والصحابة والتابعين في الغزوة – وتركت قبر الميت؟ قال والله ماأبالي من أي بُعثت أمن هذه أم من هذه، لأن الله عزّ وجل يقول:

بين حناياها مصنعاً للذخائر والأسلحة الثقيلة، والتي تسيطر على الطريق العام الوطني الواصل بين روسيا وكابل، بل أكثر من ذلك إنهم ينسحبون من واخان ذاك الإصبع الذي يجمع أفغانستان بالصين ويربطها به، وأراد الروس أن يقطعوا صلة أفغانستان بالصين فاشتروا هذا الإصبع من ببرك بمعاهدة دولية وزرعوها بالصواريخ الذرية العابرة للقارات .

(ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار) (الحشر: ٢)

وبعض الناس جدّ متخوفين، قلوبهم تنتفض وجلاً من مكر الروس التاريخي ومن خداعهم الذي تضمه صفحات تاريخهم، ويخشون أن يرجع الروس مرة أخرى بلعبة يحكمون بها قبضتهم الحديدية بعد أن يشغلوا المجاهدين بفتن داخلية أو بحرب أهلية، وأنا أطمئنكم لن يرجع الروس مرة أخرى إلى أفغانستان إلا إذا أحبوا أن يبادوا عن بكرة أبيهم، إن الروس منذ ثماني سنوات ونيف وهم يشعرون أنها غلطة تاريخية استدرجهم إليها الشيوعيون المحليون الأفغان، وبدأوا يؤدون ضرائبها عالية، وخسائرها فادحة بتحطيم أساطيلهم الجوية والبرية، ويدفن فلذات أكبادهم على حوض الهلمند وفي وادي بنجشير وفي ضفاف الهريرود، لا يمكن للروس أن يرجعوا، يمكنهم أن يشتغلوا من بعيد، ويمكنهم أن يحاولوا إثارة فتن، هذا لن يكف الروس عنه وسيحاولون كثيرا أن لا يُحكم الزمام وأن لا يقبض الزمام أناس من أهل الإسلام والإيمان،الذين يخشون أن يكون لوجودهم نبأ ولو بعد حين، هم منذ أربع سنوات وهم يحاولون مع أمريكا ومع الغرب أن ينتزعوا البساط من تحت الأرجل المجاهدة القوية، وأن يأخذوا اللجام ومحور القيادة من أولئك المتطرفين المتشددين الأصوليين، ولكنهم يريدون والله يفعل ما يريد، هو((فعال لما يريد)) وهو يريد أن ينصر دينه ويؤيد شرعه ويرفع رايته، لا أحد أغير من الله، ورب العزة هو يرى الأعراض تنتهك والدماء تسفك والمقدسات تداس لا بد أن ينصر دينه، ولكن يريد الفئة المؤمنة التي يسلمها الأمانة، لتكون أمينة على الأمانة حتى لا تضيع منها بعد أن يسلمها بين يديها ويضع تاج الملك على مفرقيها، يريد أن يمكن للمؤمنين في الأرض، ويمكن لدينه فيها، ويريد أن تتفيأ البشرية ظلال دينه، وتستريح من لفح الهاجرة، ومن صحراء التيه الذي طالما ضلّت فيه كثيراً، ودفعت ضرائب عالية من أعصابها ومن نفسها ومن قلبها، ومن أجسادها وقيمها وأعراضها(إنه بهم رؤف رحيم).

إكتفاء ذاتي:

والناس متخوفون كذلك أن أفغانستان ستتعرض لما تعرضت إليه السودان من حصار اقتصادي عالمي فيما لو أحكمت الفئة المؤمنة قبضتها على الحكم وبدأت تطبق دين الله كما أنزل، وأنا أطمئنهم بإذن الله أن أفغانستان لا يهما الحصار الاقتصادي، فقد عاشت طيلة حقباتها التاريخية معزولة عن العالم تستطيع أن تقوم بذاتها، وعندها قمحها وأرزها وسكرها تستطيع أن تنتجها من أرضها، ولا حاجة لها بعد ذلك في العالم كله، وإذا كانت أفغانستان استطاعت أن تعيش معزولة قائمة على ساقيها فيما مضى فهي في هذه الأيام أجدر وأحرى أن تقف تواجه العالم كله، خاصة إذا كانت الحرب اقتصادية فقط، إنها الآن تواجه العالم كله بخيله ورجله، بأساطيله البرية والجوية، وبحصاره السياسي والاقتصادي والعسكري، ومع ذلك ما وهنت وما لانت لها قناة، ما لانت لها عزيمة :

(فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) (آل عمران: ١٤٦-١٤٨)

إذا كانت أفغانستان قد استطاعت أن تعيش معزولة عن العالم بإسلام مختلط، بجاهلية وغير هذا، يحكمها ملوك يعيشون.. ببغوات يقلدون الغرب أو الشرق، أو يحاولون أن ينقلوا شعوبهم لتصبح مجروفة في سيل الحضارة الغربية، الطوفان المدمر الذي لا يبقي ولايذر من قيم ولا خلق ولا فضائل، كيف لا تستطيع أن تعيش أفغانستان بدينها وقيمها، بقياداتها التي عُرفت بطهارتها منذ نعومة أظفارها، كيف لا تستطيع أن تعيش أفغانستان بهذا الجند الذي رفع الله به رأس كل مسلم في الأرض كلها، وعز الله [عز وجل] بهم دينه، ورفع رايته وشريعته؟! ويعض الناس يظنون أن أفغانستان لا تستطيع أن تكتفي ذاتيا اقتصاديا، أفغانستان بلدة ليس لها بحار على جوانبها، فهي ليس من السهل أن تستسلم لقوى آتية من الخارج، ولا تستطيع قوة أن تخترقها سوى روسيا، وقد جنت ما جنت من حصاد الأليم شوكاً وضياعاً وحسرة وندامة، وأفغانستان حسب تقرير الأمم المتحدة الذي قدمه عبد المجيد زابلي – وزير التخطيط للملك

بترولها وغازها وذهبها على شواطيء نهر جيحون، والزمرد في بنجشير، واللاجورد في بدخشان، واليورانيوم في قندهار، والحديد في باميان، إنها تستطيع أن تعيش دولة من أغنى الدول فيما لو استغلت زراعتها وصناعتها، واستخرج مكنون ذخائرها من باطن أرضها

مستقبل آمن :

وبعض الناس يخافون على أفغانستان من الدول المحيطة بها، وأنا أطمئنهم، فهيبة أفغانستان ليست طارئة في قلو الدول المجاورة لها، إن رعب الأفغان في قلوب الدول المجاورة تاريخي، قد امتد بجذوره في أعماق قلوب المجاورين،وإذا كان أحمد شه بابا سنة (١٧٤٧) قد استطاع بقبائل قندهار التي جمعها بصيحة في ليل أو نهار أن يخترق بلوشستان ويصل بحر العرب ويجتا بيشاور والبنجاب ولاهور، ويصل إلى دلهي ويحطم الهندوس على أبواب دلهي وكانوا ثلاثمائة الف، وقتل منهم مقتلة عظيمة، واستولى عل دلهي، فكيف تستطيع الهند الآن أن تحتك بأفغانستان المجاهدة التي يقودها ليوث، كل واحد منهم :

أسد دم الأسد الهزبر خضابه — موت فريص الموت منه ترعـد

والهنود، وقد كانوا يريدون الهجوم على باكستان قبل الهجرة بقليل، وكانت انديرا غاندي تُطوّف بالمناطق حتى تؤلب النا للهجوم على لاهور واحتلال باكستان، والسبب الكبير الذي أوقفهم هو ثلاثة ملايين ونصف من المهاجرين الأفغان في أرض باكستان والذين خيولهم كما قال الشاعر:

خيولهم بأبواب قبابهم مربوطــة — وأشباحهم في قلب أعدائهم تعدو

والذي منعهم من الهجوم على باكستان في أيام ضياءالحق هو وجود الأفغان في داخل أرض باكستان، وهم علموا أن الأفغا لن يقفوا مكتوفي الأيدي أمام الهندوس إذا أرادوا أن يكتسحوا أرض المسلمين في باكستان، وإذا أردت أن يغمى على الهندي فلّوح ل من بعيد بعمامة أفغاني يغمى عليه قد يستفيق بعدها أو لا يستفيق.!!!

وأما إيران فلن تستطيع أبدا أن تحتك بأفغانستان لأنها تعلم من هي أفغانستان التي بقيت - ولردح كبير من الزمن- تحك المنطقة الشرقية من إيران، منطقة خراسان هذه مشهد وما حولها كانت تابعة ولفترة ليست قليلة تحكم من قبل أفغانستان.

تفاؤل واستبشار :

فالدول المحيطة لن تستطع أن تحتك بأفغانستان، روسيا لن ترجع إلى أفغانستان إلا إذا فقدوا عقولهم مرة أخرى، وأظن أن السيف الأفغاني قد أعاد الصواب إلى رؤوسهم،ولا يمكن أن يطير رشدهم في وقت قصير أو في برهة متقاربة، أنا أقول لكم الأمل بالله عظيم، مهما كان هذا الغبار الذي يعلو سماء أفغانستان،وإذا كان العجاج يغطي أرض أفغانستان فهذه طبيعة من طبائع المعركة ونتيجة من نتائجها، اختلافات بين الإخوة هذا شيء منطقي وطبيعي عبر التاريخ، بين الإخوة الذين يسيرون، خاصة على طريق القتال، لأن القتال ثقيل، وكثير من الناس تضعف نفوسهم، وتهون عزائمهم، وتشترى ضمائرهم إذا سقطوا على جوانب الطريق، وهؤلاء بني الجلدة وأبناء البشرة يكونون غصة في حلوق إخوانهم الذين يشاركونهم المسيرة وكانوا معهم قبل قليل ينادون بنداء واحد -ويهتفون بهتاف واحد، ويرفعون راية واحدة، أنا أقول لكم بإذن الله إن أفغانستان الآن تمثل إمارة حلب والرها أيام عماد الدين زنكي، ولقد جاء عماد الدين زنكي والأمة الإسلامية ممزقة، والأمراء :

وزعوا وتناثروا وتشتتوا قطعــــاً — فكل محلة فيها أميرالمؤمنين ومنبر

ممايزهدنــي فــي أرض اندلس — ألقاب معتمد فيــــها ومعتضــد

هذه الألقاب فوق كل بقعة أرض أقيم المنبر وفوقه أمير المؤمنين وحاكم، وحتى لو كانت الإمارة مدينة واحدة فهي دولة كذا، ولها وزيرها ولها وزاراتها ولها حاكمها ولها سياساتها الخارجية ولها وما إلى ذلك، تماماً جاء عماد الدين زنكي،وفكر في حال الأمة المسلمة، عماد الدين كان يحكم الموصل فقط، ثم بدأ يتوسع ويحكم المنطقة واحدة تلوى الأخرى، إما بالقوة أحياناً، وإما بأخلاقه أحيانا أخرى، وقوي واحتل حلب، وحاصر رها وخلصها -إمارة الرها- من أيدي الصليبيين، وبدأ يفكر بالزحف على دمشق، وعندما خشي أمير دمشق معين الدين أنر إتصل بحاكم القدس الصليبي وعقد معه حلفاً ضد عماد الدين زنكي الذي عاجلته المنية على يد خادم من خدمه، إما بإعطاء مبلغ من المال له فاستشهد وهو محاصر قلعة من القلاع سنة (٥٤١ هـ).

تحرير بيت المقدس :

كانت المنطقة كلها في مخاض، وكل القلوب تشتعل غيظا على حكامها، وحقدا على طواغيتها، إنها تريد أن تحطم القيود، وتحطم الأغلال، وتفك الحبال، وتذيب الأصفاد، ولكن فوق صدورها يجثم أناس في ثقلهم كالجبال، دخل الصليبيون بيت المقدس سنة (٤٩٤هـ) في أيام الخليفة العباسي الثامن والعشرين والناس لم يتحركوا، فلا الخلافة تحركت في بغداد، ولا الأمراء في بلاد الشام وكل بلد عليها أمير، والصليبيون يتقدمون نحو حلب، ذهب أناس من أشراف حلب إلى الخليفة يستنجدونه، ولكن :

لقد أسمعت لو ناديت حيـــا ... ولكن لاحياة لمن تنـــــادي

والمستجير بعمرو عند كربتــه ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

وسقطت القدس سنة (٤٩٤هـ) وذهب الأشراف، أشراف حلب في سنة (٤٩٤ هـ)، وزاد حزن الناس أن الأمبراطور البيزنطي- الملك البيزنطي- أرسل رسالة يحذر السلطان السلجوقي من الصليبيين، وكان بين الملك البيزنطي وبين الصليبيين عداوة ويخاف على ملكه منهم، فثار الناس وقاموا في بغداد ويوم الجمعة وعلى منبر الجمعة والخطيب يخطب، فانزلوا الخطيب وحطموا المنبر ونادوا بالجهاد، ولابد أن يخرج الناس لحماية الأعراض، فليتهم إذ لم يخرجوا حمية ظلنوا غيرة بالمحارم، ومن منبر دمشق أرسلت النساء، حلقن شعورهن وجدلنها وأرسلنها لابن الجوزي قبل خطبة الجمعة قلن لهم: إن لم يكن عندكم حبال لجما لخيولكم، فهذه شعورنا لجماً لخيولكم وإن أردتم أن تقعدوا في البيوت فنحن نخرج لقتال الصليبيين، وذهبوا وكتب شاعرهم:

أمور لـــو تأملـــهن طـــفل ... لطفّل في عوارضه المشيـــب

اتسبى المسلمات بكل ثـــغر ... وعيش المسلمـين إذا يطيـــب

أمـــا لله والاســــلام حـــق ... يدافــع عنه شبـــان وشيـب

فقل لذوي البصائر حيث كانوا ... أجيبوا الله ويحكم اجيبــــوا

والناس في غليان، ماذا عساهم يصنعون و بيت المقدس فيه الشالي من أبناء الصليبيين يعربدون ويسكرون، وبعض المتصوفة في بيت المقدس معتكفون في تلك الأثناء، كان لابد من حركة، وتحرك بعض الأمراء ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا، وساق الله عماد الدين، وعماد الدين تولى هذه المهمة التي تنشدها الأمة الإسلامية كلها كان يرى أن عيون المسلمين في كل مكان ترنو إليه، وقلوبهم تهفو نحوه، وأفئدتهم تتطلع إليه لعله يكون المنقذ بإذن ربه وبفضل خالقه، وكما قلت عندما علم أمير دمشق أن السلطان عماد الدين قد بدأ يتقوى وشوكته تنمو وجيشه يزداد عقد صفقة خائنة مع ملك القدس الصليبي معين الدين أنر، وعاجلت المنية عماد الدين، وخلف شبلين من أشباله نورالدين وسيف الدين، فأما نورالدين فقد أخذ إمارة الرها وحلب، وأما سيف الدين فقد أخذ إمارة الموصل، واقتنع سيف الدين بأن ينود عن إمارته ممن يتطلع إليها، وأما نورالدين وقد تربى تربية ربانية على يد والديه، وإنها لشنشنه تعرفها من أخزم، إنه ورث المجد كابرا عن كابر، تربية الخشوع والقنوت والصلة بالله مالك الملك والملكوت، كان متعبدا زاهداً خاشعا، وكان ينقل عن نورالدين والذي يحلو لكثير من المؤرخين المسلمين الصادقين أن يسموه سادس الخلفاء الراشدين، كان كثيرا ما ينظر إلى السماء أثناء المعركة ويرفع يدية ويستمطر رحمة ربه باكيا متضرعا، ثم يقول: يا رب من الحمار محمود -هو اسمه محمود- من الحمار محمود حتى يتنزل عليه نصرك، ومضى بأخلاقه، وأحبه الناس، وبدأت المناطق تلين له وتتعاون معه وتنسق وتدين وتتحد، وأحب أن يفتح دمشق بأخلاقه، ولا يريد أن يهجم عليها عسكريا، وانتظر نورالدين من إمارة دمشق أن تلين كما لانت الإمارات الأخرى، ولكن أنى للمتغطرسين أن يتنزلوا عن صلفهم وأهوائهم، وأنى لأصحاب الأهواء أن يمقتوا أنفسهم ويعودوا إلى صوابهم ورشادهم، وصبر، صبر ردحا من الزمن وبرهة، ووجد أن الحملات الصليبية قد بدأت تتجه نحو دمشق، فآثر هو أن يهجم على دمشق قبل أن يهجم الصليبيون ويستولوا عليها، ولكن دمشق قد فتحت له أبوابها، فقد كان أبناؤها قد أحبوه بقلوبهم، وفتحوا بوابة توما والجزء الشرقي من دمشق، وفتحها دون إراقة الدماء، ودون تساقط الأشلاء، وأصبح نور الدين يعد العدة للزحف إلى بيت المقدس، ولكن الله عزوجل أرسل إليه رسول الموت سنة (٥٦٩هـ)، ولكن بعد أن توطدت أركانه، واتسع سلطانه، وبات الصليبيون يحسبون له كل حساب، ويدركون أن موعد الحساب قد آن وهو يطرق الأبواب.

صلاح الدين رجل المرحلة:

كان صلاح الدين آنذاك في مصر واليا لنورالدين، وبعد موت نورالدين بدأت مملكته الوطيدة تتفكك عراها وتتمزق أشلاؤها، ونظر

صلاح الدين رسالة إلى الخليفة ورسالة إلى الأمراء، وقرر أن يعقد مؤتمراً إسلامياً للمنطقة كلها في دمشق، وزحف بخيله ورجله، ووصل دمشق، واستقبله الناس استقبالاً رائعاً، وفتحت دمشق له أبوابها، واستدعى الأمراء من كل مكان، وقال لهم : إن الخطب فادح، والرزايا فوادح، ولا يمكن الانتظار، الصليبيون إما أن يكونوا أو نكون نحن، إما أن يجتثوا شجرتنا من جذورها أو نستأصل شأفتهم من ... ، وجاء أتباع الأمراء وممثلوهم من كل مكان، ووافقوا ووقعوا على وثيقة مع صلاح الدين أن يساعدوه وأن يدينوا له في المعركة إلا عاملق الموصل فقد أبى، وكان قد أرسل نائبين له وأحدهما القاضي ابن شداد، فعندما رأى هيبة صلاح الدين وقارنها بذاك المسكين الذي يجثم على صدر المساكين في إمارة الموصل نزل عنده ولم يرجع إلى ابن مسعود، وبقي في دمشق، وكتب الكتاب الرائع عن صلاح الدين، وأرخ التاريخ الوثيق المتين عن حروبه وجهاده، وتقدم صلاح الدين بعد أن ضم منطقة الشرق الذي يسمونه أوسط..

سبب تسمية الشرق الأوسط والأدنى:

وهذه التسمية نحن نرفضها من أساسها لأنها تسمية غربية استعمارية، الإنجليز هم الذين اطلقوا على هذه المنطقة الشرق الأوسط والشرق والأدنى، لأن بريطانيا في نظرهم مركز المعمورة التي يجب على الأنام أن يطوفوا حولها، وأن يؤدوا لخزينتهم أموالهم وضرائبهم، هذا شرق أوسط بالنسبة لبريطانيا، وهذا شرق أدنى، والتوقيت إنما هو تابع لساعة كرينج في لندن، وخطوط الطول في الكرة الأرضية وخطوط العرض في الكرة الأرضية إنما بدايتها لندن، ولندن هي مركز الدنيا، هي الدنيا، وما خلقت الدنيا إلا لتؤدي من دمائها وأعراضها وقيمها وأخلاقها وأموالها ضرائب للشعب ذي الدم الأزرق النبيل!!!! الذي يقول عنه لورنس : إنني جد فخور أنني في المعارك الثلاثين التي خضتها- لورنس ملك الصحراء العربية الذي يحلو لهم أن يسموه ملك العرب غير المتوج ملك الصحراء العربية الذي وقف معه العرب مع هذا البريطاني الساقط ضد الدولة الإسلامية العثمانية المسلمة - هذا لورنس يقول في كتابه (أعمدة الحكم السبعة) إنني جد فخور أنني في المعارك الثلاثين التي خضتها لم يرق الدم الإنجليزي، لأن دم إنجليزي واحد عندي أحسن من كل الشعوب التي حكمناها!! نعم إنه دم أزرق نبيل، فلا بد للعبيد أن يدفعوا الضرائب، وأن يتحملوا كل المصاعب من أجل أن تحيا بريطانيا الأم الامبراطورية العظمى التي يحلو لبعض الناس في هذه البلد[1] وحتى الآن يزينون سياراتهم من الأمام أو من الخلف بشعار بريطانيا العظمى GB!! لا زلت تقرأها إما على الزجاج الخلفي للسيارة أو الزجاج الأمامي للسيارة(Great Britine) GB بريطانيا العظمى والتي أذلها الله على مرأى من العالمين، وسارت في انهيار واندثار، ولن تقوم لها قائمة إن شاء الله.

وتقدم صلاح الدين إلى حطين سنة (٥٨٣هـ) بعد أن وطد أركان دولته، وبعد أن ضم المنطقة كلها تحت جناحية، ولم يفلت منه مفلت، حتى أمير الموصل أخذ عليه عهداً أن يقف بجانبه إذا أحمر الحدق واشتد البأس وحمي الوطيس، وتحررت المنطقة كلها من الصليبيين بعد أن حكموا المنطقة قرنين من الزمان.

والصليبية الحديثة التي حكمت بلاد المسلمين حكمتها قرنين من الزمان، - بإذن الله- ابتدأت إمارة الموصل تتحرك إمارة عماد الدين، وسيتلوه نور الدين، وسيأتي بعده صلاح الدين، وستتحرر بلاد المسلمين، ولتعلمن نبأه بعد حين بإذن رب العالمين.[2]

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، لاإله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده و هزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، هو الواحد القهار((يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه إليه يرجع الأمر كله بيده ملكوت كل شيء لا إله إلا هو)) هزم روسيا، أذلها على يد إمارة الموصل على يد عماد الدين، على يد بقعة صغيرة إسلامية، ما كان أحد يعلم أين هي من الأرض، من منكم كان يسمع قبل الجهاد ببيشاور نفسها؟ لقد أصبحت مدينة بشاور عالمية بسبب الجهاد، من الذي كان يسمع بجاجي و(لوجر) و(بدخشان) و(بنجشير)؟ واد مهمل مغمور بين جبال لم تدخله الشوارع المعبدة حتى الآن، من الذي كان يسمع بهذا؟! ولكنه الجهاد أعز الله به أقواماً وأذل به آخرين.

سيف الإسلام الذي انتضل بيد المسلمين، والحسام الذي امتشق بيد الطاهرين، ومحال أن يكون لنا حال بدون هذا المجال، وبدون أرض القتال وميدان النزال، لا يمكن أن يخشانا عدو أو يرهبنا مرتهب إلا إذا حملنا السيف ورفعنا البيض وأعلينا الأسل، وعندها نخضد شوكة الكفار.

(١) المقصود بهذه البلد باكستان. (٢) يقصد الشيخ أن المرحلة التي تمر بها الآن هي مشابهه للمرحلة التي كانت على عهد ما قبل صلاح الدين الايوبي.

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (الأنفال:٣٩)

وبالجهاد أعز الله هؤلاء القوم، وأظن أن لهم دوراً كبيراً إن شاء الله في توحيد الأمة المسلمة مرة أخرى، ولهم دور ينتظرهم لا ينتهي عند حدود نهر جيحون، فالأرض كلها الآن بدأت تهتز وتتزلزل، وبدأت النفوس تتنفس الصعداء، وبدأت الدماء تتدفق في العروق التي جفت منذ زمن، وبدأت القلوب التي كانت تموت تنبض بالنجيع لتحيى مرة أخرى أعضاء هذا الجسد الإسلامي الذي طال مواته، وشلت أطرافه ولفترة كبيرة من الزمان.

هدية المولود:

دورنا أن نقف بجانبهم، وأن لا نخذلهم على أبواب كابل، والأشهر الثلاثة القادمة -والله أعلم - ستشهد أراضي أفغانستان معارك شرسة لا نظير لها أبدا، إنها معركة حياة أو موت، معركة وجود أو فناء بالنسبة للبقية الباقية من الشيوعيين المحليين الأفغان الذين يعلمون أن ملك الموت يحمل أوراقه على أبوابهم يقرعها صباح مساء، ولذلك هؤلاء إذا لم يستطيعوا الهرب من الآن فسيدافعون حتى آخر رمق، ولذا فعلى الأمة الإسلامية أن لا تخذلنا على أبواب كابل، أن لا تخذل المجاهدين على أبواب كابل، وإذا كان لكل عرس حفل ولكل عرس هدية، فلتكن هدية عرس النصر بعض دريهمات من جيوبك المنتفخة تقدمها لهؤلاء، حتى يتم نصرهم ويمكن لهم في الأرض – رب العالمين -، وإذا كان لكل مولود هدية فما هي هدية مولود ما عرفت البشرية مثله؟ ولد على رأس البيض والأسل، مولود دولة إسلامية انتظرته الأمة الإسلامية منذ قرنين من الزمان،فما هي هديتك أيها المسلم لهذا المولود الذي فرحت به ملائكة السماء قبل أن تحفه قلوب المؤمنين في الأرض، وقبل أن تحوم فوقه أرواحهم؟

نداء لأبناء أفغانستان:

يا أيها الإخوة: لا تتركوا المجاهدين وفي آخر المدى، هكذا جياعا عراة حفاة، لا بد أن نقدم هدية لهم، ولا بد أن نشارك نحن كذلك في بناء دولة أفغانستان سواء سياسيا أو اقتصاديا أو ثقافيا أو تربويا أو علميا أو غير ذلك، لابد للطاقات المسلمة أن تأتي حتى ترفع بعض التقصير الذي ألم بالكبير والصغير، حتى تعذر بعض العذر أمام رب العالمين، وقد قصرت في هذه الفترة الطويلة من الجهاد، لابد أن يصب المسلمون جهودهم لعلهم ينشئون دولة إسلامية فرح بها أهل الأرض والسماء :

أغلى الممالك ما يبنى على الأســل	*والطعن عند محبيهن كالعســــــل*
إذا كانت الدولات تسماً فإنـــــها	*لمن شهد الموت الـــزؤام تـــدول*
لمن هون الدنيا على النفس ساعة	*وللبيض في هام الكماة صليـــل*

يا أيها المسلمون في الأرض كلها، أنظروا فقد قرب القطاف، وحان الحصاد، ودنت الثمرة جنية دانية، فلا تتركوها حتى تضيع أو تسقط.

ياأيها الإخوة: ياأيها المصلون، ياأيها المسلمون في كل مكان،هذه أفغانستان تناشدكم نشيد الضرورة الملحة، وتستدعيكم استدعاء الفطرة التي تحتاج إلى تلبية، إنها بحاجة إلى طاقات المسلمين ومن كل مكان، ومن أموالهم، ومثقفيهم، وعلمائهم وأساتذتهم،ولا بد أن تُقدموا وأن تتقدموا لكي تبنوا دولة أفغانستان المسلمة التي طالما إنتظرها البشر منذ قرنين من الزمان.

يا أيها الإخوة : أكثروا من التهجد في هذه الأيام، وصوموا وأضرعوا إلى الملك العلام أن يؤلف بين قلوب إخواننا هؤلاء الذين تنتظرهم دولتهم التي قامت على بحور الدماء، وعلى تلال الأشلاء، وعلى جبال الجماجم والشهداء، صوموا إلى الله واضرعوا إليه واستغفروه في الأسحار، ولعل الله يؤلف بين قلوبهم ويدخلوا أفغانستان أعزة إن شاء الله،منتصرين كراما يراهم البشر ويحتذون على آثارهم ويقتدون بخطوهم.

الدعوة الإسلامية وبشائر الغد

[(١)] أيها الإخوة: جئتكم من أرض تعيشونها بقلوبكم، وتحيون معها بأرواحكم، ولقد تركت ورائي معركة شديدة تدور رحاها بـ خوست وجارديز وعلى طول سبعين كيلومتراً، لا تدع السماء شيئاً من حممها إلا صبته، ولا الأرض شيئاً من براكينها إلا فجرته، و كنت متوجهاً إليها فجئت وروحي بقيت هناك، واتصلت صباح اليوم فقالوا المعركة لازالت شديدة، وجنود الله عز وجل يقدمون الشهيد تـ الشهيد، الآن قدم إخوانكم العرب بجانب إخوانهم الأفغان الذين قدموا الكثير الكثير على هذا الطريق، قدموا ثلاثة شهداء، أحدهم مـ الجزيرة من السعودية، والآخر من اليمن، والثالث من سوريا، ورجائي منكم أن تدعوا وتضرعوا إلى الله عز وجل أن ينزل النصر عل جنده، وأن يثبت أحبابه في هذه المعركة التي تمثل جزءاً من الحرب العالمية الثالثة التي تدور رحاها فوق بقعة صغيرة من الأرض اسمه أفغانستان، وفوق رؤوس شعب واحد اسمه الشعب الأفغاني المسلم، فادعو الله لهم أن يثبتهم على هذا الطريق، فوالله لقد علمونا أن هذ الدين لايصنع إلا من خلال تلال الشهداء،ولا يُبنى ولن يشاد إلا على بحور الدماء، وفوقه سفينة السلام فيها القوم يرددون:

(ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبّت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) (آل عمران: ١٤٧)

وأمامهم تلك الكلمات النبوية الشريفة:

(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)

وعلى طول الطريق وهم يتجرّعون الغصص ويعانون مسيرة الآلام والمرارة، أمامهم العذاب العذب، والمرارة الحلوة، وهم يرددون قول رسول الله ﷺ:

(من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه).

يا أيها الإخوة: أبشروا، والدّعوة الإسلامية منتصرة لا محالة بإذن الله، قدر مقدور وغيب مطوي، ولكننا نجد ومضاته تزداد في الظهور يوماً بعد يوم:

(كتب الله لأغلبن أنا ورسلي، إن الله قويٌّ عزيز) (المجادلة: ٢١)

(الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور) (الحج: ٤١)

(إناالننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (الحج:٤١)

سبيل الله منتصر – بإذن الله – مهما طال الطريق، والأيّام توضّح هذه الحقيقة بعد العودة إلى الله، بعد تلك الغربة التي أخذت بخناق الأمة المسلمة زمنا طويلا، وحقبه متطاولة، أما الأمور التي تجعلني أؤكد أن بشائر الغد قادمة على الدّعوة الإسلامية، فهي مبّررات وأسباب كثيرة، وعلى رأس هذه المبّررات:

أولاً: أن هذا الدين دين الإنسان، دين الفطرة، والسبب الثاني: إفلاس الحضارات المادية في الأرض كّها.

والسبب الثالث، النصوص التي وردت في الكتاب والسنة، والسبب الرابع : الصحوة الإسلامية والمبشرات في واقع الحياة.

أما السبب الأول فهو أن هذا الدين دين الله عزّوجل، والفطرة لا يمكن أن ترتاح ولا أن تعيش بسكينه إلا من خلال هذا الدين، تسمعها من خلال القرآن الكريم والتنزيل الحكيم:

(فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (الروم:٣٠)

---

(١) قال الشيخ في مقدمه المحاضرة: جزى الله الذين حضروا وحضّروا لهذه المحاضره خير الجزاء لأنهم مكنوني من اللقاء بهذه الوجوه التي أرجو الله عزّ وجل أن يجعلها جنداً لنصرة دينه وإعلاء شريعته ورفع لواء أنه باعزاز مبادئه إنه سميع مجيب قريب.

من أراد أن يجزل في العطاء فليقل جزاك الله خيرا، لجزاكم الله عنا وعن المسلمين خيرالجزاء من حضر ومن حضر لهذه المحاضرة خيرا القيت في أمريكيا في ديسمبر ١٩٨٨م وهي مسجلة عن شريط فيديو. رقم الشريط ٣١٥.

الدين القيم هو الفطرة التي فطر الله الناس عليها (**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو يمجسانه أو ينصرانه**) وهذا الدين وقد أنزل من عند ربِّ العالمين الذي صنع بيديه هذا الإنسان، وعلم ما يوافقه، وعلم أن هذا الإنسان مركب يسير على سكة من حافتين، حافة الروح وحافة الجسد، فلا هو يعيش بالإنسان في عالم المثل بعيداً عن أرض الواقع، ولا يهبط به بهيمة في عالم الغرائز وفي مستنقع الجنس، يعلم سبحانه الذي خلق أن له غرائز وحاجات، لابد أن تشبع بطريق نظيف وسلوك طاهر، يعلم أن له روحاً لابد من إشباعها وعن طريق العبادات التي افترضها رب العزة والفلسفات كلها إما جنت بهذا الإنسان إلى هذه الحافه، أو هوت به إلى تلك الحافه، إما أنها حاولت أن تطير به بجنا ح واحد في عالم المثل مع إغماض النظر عن حاجاته وغرائزه، كما فعلت الكنيسه يوم أن أرادت أن تهرب من شهوات الدّولة الرومانيه، فابتدعتها رهبانيه (**ورهبانية ابتدعوها ماكتبناها عليهم**) ولم تستطع الفطرة طويلاً أن تصبر بعيداً عن حاجاتها وضروراتها، فتحولّت الكنائس والأديره وبعد حين من الزمن إلى أماكن للخطيئة، وبؤرات للرذيلة، وحاولت الحضارة المادية الحديثة في أثناء هروبها من الله خلال هروبها من الكنيسه أن تتناسى الله وتنكر كل ما وراء الغيب، ولا تؤمن إلا بما هو محسوس، وانطلقت به تشبع نهماته، وتروي غرائزه، وتشبع شهواته، فانقلب حيواناً، وحصدت الحضارة الحديثة ما حصدت، حصدت الشقاء والنكد،حصدت تعب الأعصاب والقلق،حصدت الأمراض النفسية والعقلية والعصبية والجنسية، حتى عاد الإنسان كأنه قميص بالٍ وطلل خالٍ، أشباح بلا أرواح وأجساد بلا أحلام، تحطمت الحضارة كلّها يوم أن أرادت أن تتنكب الطريق التي فطر الله الناس عليها :

(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) (البقرة: ١٣٨)

وهذان السببان: السبب الأول: أن هذا الدين دين الفطرة.

والسبب الثاني، المحاولات الدائمة عبر القرون الخاليه أن يعيش الإنسان بعيدا عن الله، فتحطمت كل هذه المناهج على صخرة الفطرة التي لا يمكن أن تهزم، وأمام مشيئة الله عز وجل التي فطر الله الناس عليها، التي لا ترد، ولا معقب له، ولذا فقد كان السلف يعبرون عن سعادتهم في ظلال هذا الدين يقولون: نحن في سعادة لو علمها الملوك وأبناء الملوك لجالدونا عليها بالسيوف، وما أجمل كلمات سيِّد رحمه الله وهو يفتتح الظلال يقول: (**الحياة في ظلال القرآن نعمة، نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها، نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه، ولقد خلصت من التجربة بالحياة في ظلال القرآن إلى يقين جازم وقاطع حاسم أن هذه البشرية لن تجد سعادتها ولا راحتها إلا إذا عادت إلى هذا الدين، وأدركت من خلال الحياة، في ظلال القرآن أن أكبر نكبة قصمت ظهر البشرية يوم أن نحي منهج الإسلام عن الحياة ويوم أن أقصيت شريعته عن حكم الله**).

وما أجمل كلمة سيّاف وهو يقول لأحد أبناء الحكام يقول له: والله إن مائة عرش مثل عرش أبيك لا أعدلها بلحظة واحدة من لحظات الجهاد.

والسبب الثالث، الذي يجعلني على يقين جازم أن هذا الدين قادم إلى هذا الإنسان ليأخذ بيده مرّة أخرى لينقذه إلى شاطئ الأمن والإيمان، وليأخذ مرة أخرى بيد الإنسانية المعذبة البئيسه الأسيفة يأخذها مرة أخرى إلى حياة السعادة والسكينة والإطمئنان والراحة.

السبب الرابع، هي المبشرات التي وردت في الكتاب والسنة، على رأسها قول الله عزّ وجل بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون) (التوبة: ٣٢-٣٣)

فهو دين الحق، وهو دين القتال، وهو نور من الله عزّ وجل وهو الروح،

(وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) (الشورى: ٥٢)

وهو الحياة:

(يا أيها الذين آمنوا استجيبو لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون) (الأنفال: ٢٤)

(أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمت ليس بخار منها كذلك زيّن للكافرين ما كانوا يعملون) (الأنعام: ١٢٢)

انظروا إلى قول الله عز وجل:

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم) (التوبة:٣٢)

كطفل صغير ينفخ على الشمس ليطفئها، وأنى له؟ هؤلاء الناس أولياء، والطاغوت وجند الشيطان لا يعلمون وهم ينازلون أوليا الله في الميدان أنهم لا يحاربون الإسلام، إنما يحاربون الواحد القهار الجبار، والله لا يهزم، ومشيئته لا ترد.

(من عادى لي ولياً لقد آذنته أو بارزته بالحرب) فكيف بمن يعلن العداء على أولياء الله جميعا؟! كيف بمن ينصب نفسه لعداء رب العالمين ولحملة شريعة سيد المرسلين؟! من هذا المخلوق الذرّة التائهة في الكون التي لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعا ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا؟! جبّار في الأرض، طاغوت في عالم الناس، ديكتاتور في واقع الحياة، ولكن لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض:

(قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) (سبأ:٢٢-٢٣)

(مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) (العنكبوت: ٤١)

يقول الشافعي رضي الله عنه عند هذه الآية:

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) (التوبة: ٣٢)

يقول: ليُظهرن الله دينه حتى لا يبقى في الأرض أديان غير دينه، تفسيرها الواقعي بعد الشافعي وفي زمانه، يعلم أن هذه الآية لم يأت تفسيرها، وسيأتي يوم كما قال الرسول ﷺ: (لا يبقى في الأرض بيت من مدر ولا وبر إلا ويدخله الله هذا الدين).

والآية تقول:

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق) (التوبة: ٣٢-٣٣)

فدينه الحق، والحق يستمد أصالته وقوته واستمراره من الحق الذي أنزله، والحق ثابت أصيل في الأرض، والباطل دخيل طارىء على هذه الأرض.

(ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرةٍ خبيثةٍ اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) (ابراهيم: ٢٤-٢٧)

والحق نافع ويستمر نفعه في هذه الحياة، والباطل زبد سرعان ما يزول..

(أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال) (الرعد: ١٧)

وإن كنتم في شك مما أقول فكثيراً ما أستشهد بمثلين بارزين، بالتعاليم التي قدمها شيخ الإسلام ابن تيمية للناس،وكذلك بالأفكار التي قدمها سيد قطب من خلال الكتب.

ابن تيمية وسيد قطب الاثنان قد ماتا في داخل السجن، أما ابن تيمية فقد مات في سجن القلعه عام ٧٢٨هـ، وكتب بعض رسائله على جدران السجن من الدخل، ومع ذلك كان يتحدى الدنيا بأسرها، يقول للحاكم الذي يناقشه، يقول له الحاكم: أنا أعلم أنك تطمع في ملكي، قال: (والله لا أشترى ملكك بفلس)، ثم قال ابن تيمية عندما وضعوه السجن،

(فضرب بينهم بسور له باب باطنهُ فيه الرحمةُ وظاهرهُ من قبله العذاب) (الحديد: ١٣)

وهو يتكلم بلسان داعية يتحدى الأرض كلها، وتهتز الجبال الرواسي ولا يهتز المسلم ولا يميد قدم (ماذا يصنع فيّ أعداء الله، إن سجني خلوة وإن نفيي سياحة وإن قتلي شهادة) وتمر القرون، وتحرق كتب ابن تيمية، ويطاف بتلميذه الأبر، الثمرة الناضجة ابن القيم في شوارع دمشق على جمل والأطفال وراءه يسخرون ويهزأون، وإذا بعناية الله عز وجل التي ترعى هذه البذرة الصالحة، رغم أن الرمال قد سفت عليها، ورغم أن الإنسان قد غاب عنها، رعاها حتى نضجت وقامت على سوقها، والآن لا يوجد مكتبة -كما أظن- مكتبة إسلامية في الأرض إلا وفيها كتب ابن تيمية، بل أكثر من ذلك ما من خلاف تقريباً تقول للمتخاصمين أو المتجادلين قال شيخ الإسلام ابن تيمية كذا إلا وينتهي النزاع وينتهي الخصام، أي عناية هذه؟! أي عناية للبذرة الطيبة؟ أي رحمة بالكلمة التي في أعماق الأرض تغيب تحت الأرض قروناً ثم تستوي على سوقها وتعطي للناس أكلها؟

(كُلَّ حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) (ابراهيم: ٢٥)

وسيد قطب – رحمه الله – وتحدثني أخته حميدة تقول في ٢٨ آب سنة ١٩٦٦ جاء القرار من رئاسة الجمهورية من عبد الناصر ينفذ حكم الإعدام بسيد قطب إبراهيم ومحمد ريوسف هواش وعبد الفتاح اسماعيل، فناداني حمزة البسيوني مدير السجن الحربي وأطلعني على القرار، فما كادت رجلاي تحتملني، تقول حميدة: ما كنت أظن أنني أستطيع العيش بعد سيد، لقد ملأ حبه عليّ كل.. وحناياي وجوارحي. قال لها: عندنا فرصة أخيرة لننقذ بها الأستاذ... وهي أن يعتذر على التلفاز، أو يقدم اعتذارا لرئيس الجمهورية ونخرجه، نخفف الحكم إلى السجن ونخرجه بعد ستة أشهر بعفو صحي، هيا، إن قتل سيد قطب هو خسارة للعالم الإسلامي أجمع! هذا كلام حمزة البيسوني، ولعله موحى إليه من رئيس الجمهورية . قالت: فذهبت إليه وقلت له: يقولون: إذا اعتذرت فسيخففون عنك حكم الإعدام، فنظر إليّ ملياً وقال: عن أيّ شيء أعتذر يا حميدة؟! عن العمل مع رب العالمين!! والله لو عملت مع جهة أخرى غير الله لاعتذرت، ولكني لن أعتذر عن العمل مع الله، واطمئني يا حميدة -المحكوم عليه بالإعدام الذي سينفذ فيه حكم الإعدام بعد ساعات يطمئن الأحياء- يقول لها: إطمئني يا حميدة؛ إن كان العمر قد انتهى فسينفذ حكم الإعدام، وإن لم يكن العمر قد انتهى لن ينفذ حكم الإعدام، ولن يفيد الإعتذار شيئاً في تقديم الأجل أو تأخيره.

أي سكينة!! أي طمأنينة!! أي راحة نفسية يلقيها رب العزة على القلب الوادع الآمن الهادىء الذي يرى حبل المشنقة يلوح أمام ناظريه وهو يتقدم بخطوات مطمئنة نحو خشبة الإعدام يقول لهم وقد تقدم إليه الذي حضر مراسم الإعدام من قبل الدولة قال له: قل أشهد أن لا إله إلا الله -من مراسم حكم الإعدام: أن يأتي شيخ من مشايخ الأزهر يلقن المحكوم الشهادة- قل أشهد أن لا إله إلا الله، فنظر إليه الأستاذ سيد قال: حتى أنت جئت تتم المسرحية، نحن يا أخي نعدم لأننا نقول لا إله إلا الله وأنتم تأكلون الخبز بـ لا إله إلا الله!!

ويحرق لسيد من الظلال في يوم واحد (٤٨) ألف مجلد في ساحات القاهرة العامة، أحرقت كل كتبه،كان أيّ كتاب يوجد من كتبه لدى الشباب المسلم يؤخذ عليه بالنواصي والاقدام، وقد يسوقه إلى خشبة الإعدام، وأقله عشر سنوات، وأين سيد قطب الآن؟ أفضى إلى ربه، سار إلى الله وادع النفس، هادىء القول، مطمئن السريرة، وترك سيد قطب للبشرية كنزاً، لا يوجد مجموعة من الشباب المسلم في الأرض رجعت إلى الله الآن إلا ولسيد قطب -رحمه الله- بإذن ربه منّة في عنقها برجعتها أو عودتها أو هدايتها من قريب أو بعيد، وبعد

عن سعد بن أبي وقاص عندما جاء رضي الله عنه إلى عمر وقد شكاه أهل الكوفة أنه لا يتقن الصلاة! قال: ما هذا يا أبا اسحاق؟ ق
(والله لقد كنت أول من رمى بسهم في سبيل الله، وكنت سابع سبعة في الإسلام، ولقد كنت مع رسول ا
ﷺ ليس لنا طعام إلا ورق الشجر حتى تقرحت أشداقنا، ولا تضع إلا كما تضع العنز أو الشاة، والآن
أسد تعيّرني على الإسلام، ثم قال: يا أمير المؤمنين، والله إني أصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ، ووصلها
-كما روى البخاري، وأصبح حديث سعد مرجعاً لكل الفقهاء في كل العصور البشرية-. كيف كانت صلاة رسول الله ﷺ ليس بعيداً
أن يتهم سعد في صلاته أن يتهم سيد في عقيدته، الذي قضى معظم حياته في توضيح كلمة لا إله إلا الله، والذي يقرأ الطبعة الثا
إلى العاشرة من الظلال إلى آخره لا يجد أي مقطع من سور القرآن إلا وهو يدور حول التوحيد، ثم يُتهم بعد ذلك بأنه يقول بوح
الوجود!! وهذه هي المصيبة والطامة، وليتهم رجعوا إلى الظلال في الطبعة الثانية طبعة دار الشروق المجلد الأول صفحة (١٠٦) و
يهاجم وحدة الوجود بالنص الظاهر الذي لا تأويل فيه ولا تبديل ولا تغيير.

المهم، في العام الذي استشهد فيه سيد قطب كان قد طبع طبعة واحدة، وفي نصف من الظلال، وفي العام الذي استشهد ف
طبع ثماني طبعات من الظلال، حتى كانت المطابع النصرانية في بيروت اذا أقبلت على الإفلاس تقول لبعضها: إطبع الظلال تنتو
أزمتك المالية.

(كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها)

وأما النصوص النبوية الكريمة التي تبشر بقدوم هذا الدين وبانتصار الدعوة الإسلامية فهي كثيرة، على رأسها حديث مسلم «إ
الله زوى لي الأرض شرقها وغربها وإن ملك أمتي سيصل منها» رواه مسلم عن ثوبان مرفوعاما روى لي.

والحديث الثاني الذي رواه عنه الطبراني وصححه الحاكم ووافقه الذهبي قال رسول الله ﷺ «ليبلغنّ هذا الأمر ما بل
الليل والنهار، ولا يترك الله بيتاً من مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عز
يعز الله دين الإسلام وذلاً يذل به الكفر» (والمدر هو البناء، والوبر هي الخيام).

والحديث الثالث: عن أبي قال: كنا عند عبد الله ابن عمرو ابن العاص وسئل أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟ فدع
عبد الله بصندوق له حلق قال فاخرج منه كتاباً. فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الل
ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً: أقسطنطينية أم رومية؟ فقال ﷺ: مدينة هرقل تفتح أولاً يعني:القسطنطينية. روا
أحمد والدارمي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وقد فتحت القسطنطينية عام ٨٥٧ هـ - بعد هذه البشارة بثمانية قرون ونصف، وستفتح روما بإذن الله ولعل بعض الجالسين
يصبح محافظاً لروما إن شاء الله، لا تستغربوا، والله أنا أراها قادمة بإذن الله. قادمة لا محالة، إن لم تروه أنتم في جيلكم سيرا
أبناؤكم إن شاء الله، فالدين منطلق، والكفر في وجل، والشرك في رعب من هذا الدين ومن إقباله ومن انطلاقه.

صدر كتاب في العام الماضي أو في هذا العام لرجل فرنسي يقول فيه إن ايطاليا وفرنسا ستصبح مسلمة عام ألفين ميلادية،
يعني بعد ثلاثة عشر عاماً، هكذا، ويتوقع هذا الكاتب الفرنسي وما إسلام جارودي وبوريس بوكاي وعالم البحار في العالم كذلك قوصو
إلا بعض المؤشرات بقدوم هذا الدين إن شاء الله.

والحديث الرابع: قال رسول الله ﷺ: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن
يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن
يرفعها ثم تكون ملكاً عضوضاً ستكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم
تكون ملكاً جبرياً ستكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة
على منهاج النبوة ثم سكت» ذكره حذيفة مرفوعاً، ورواه العراقي من طريق الإمام أحمد وقال هذا حديث صحيح.

وهنالك حديث خامس رواه البزار باسناد صحيح وهو قريب في لفظه إلى الحديث الرابع «إن أول دينكم نبوة ورحمة
تكون فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله، ثم يكون ملكاً عاضاً فيكون فيكم ما شاء
الله أن يكون، ثم يرفعها الله جل جلاله، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة تعمل فيها الناس بسنة النبي
ويلقي الإسلام بجرانه -الجران البعير- في الأرض يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض لاتدع السماء
من قطر إلا صبته مدراراً ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئاً إلا أخرجته».

هذه بعض الأحاديث التي تذكرنا بقدوم هذا الدين، ومن أراد أن يرجع إليها فليرجع إلى كتاب الشيخ الأستاذ ناصر الدين

الألباني -حفظه الله- الكتاب الطيب في سلسلة الأحاديث الصحيحة قد أورد هذه الأحاديث وأخرى غيرها في مقدمة المجلد الأول.

والمبرر الرابع الذي يجعلنا نجزم بإذن الله عز وجل ونؤمن أن الدعوة الإسلامية والدعوة الإسلامية نعني بها جميع التيارات الاسلاميه التي تصب في بوتقة هذا الدين مهما كان بينها من اختلافات، مهما اختلف مدارسها ومناهجها، مهما حدث بينها من خلافات حول منهج العمل إلا أني أرى إن شاء الله أن هذه كلها ظاهرة صحة وليست ظاهرة مرض، والكل يفيد، والكل يصب في البوتقة العظيمة بوتقة الإسلام، والكل ينتهي في نهر هذا الإسلام العظيم الذي يخاف الكفر من تياره أن يشتد ويبيد خضراءهم ويزيل وجودهم يخاف الكفر من الصحوة الإسلامية، فإننا نرى أن العقدين الأخيرين قد تميزا بصحوة إسلامية وأوبة راجعة مخبتة إلى الله عز وجل، نرى الجيل قد رجع إلى الله بعد تلك الغربة الموحشة التي ألقت بكلكلها على صدر الأمة المسلمة قرنين من الزمان أو يزيد، حيث ادلهم الظلام، واشتد الخطب، وأخذت الأزمات القاتلة بخناق الأمة المسلمة، حيث كنت تتلمس بصيصا من نور في أرجاء الأرض، فلا تكاد تبصره، وتبحث عن شعاع أمل في أصقاع الأرض فيعجزك وجوده، غربة شديدة عانى فيها دعاة الإسلام، ودفعوا فيها تضحيات باهظة كادت تسحق أعصابهم وأجسادهم، غربة تمرد فيها الشيطان يذرع الأرض شرقاً وغرباً، تمزقت فيها الأسرة، تمردت فيها المرأة على كل قيمة خلقية أو أعراف إجتماعية، شبت عن الطوق، خلعت برقع الحياء، انطلقت لا تلوي على شيء، تتبع كل ناعق، وتقلد كل ساقط، تسير وراء السراب، غربة تدمرت فيها المنارة الأخيرة التي تجمع المسلمون حولها، وهوى ذلك الصرح الشامخ الذي يلم شعث المسلمين ويجمع شتاتهم، وأصبح المسلمون كالغنم في الليلة الشاتية تتناوشها الذئاب وتنهشها الكلاب، غربة عشتها، كنت أعيشها في جامعة القاهرة في ١٩٧١، وفي جامعة القاهرة التي تعد نيفاً ومائة ألف طالب وفيها حوالي خمسين ألف طالبة لم يكن فيها إلا فتاة واحدة ترتدي اللباس الشرعي وهي مديحة بكر ابنة شقيقة الأستاذ سيد قطب -رحمه الله-.

(1) غربة.... كنت تتمنى أن تجد شاباً في فلسطين والأردن، والله ما كنت أعرف شاباً في الضفتين يطلق لحيته إلا أخ من الإخوة حفظه الله اسمه حمدي أبو حمدية.

غربة...!! كنت تفرح أن تجد فتاة متعلمة ترتدي المنديل الذي يغطي نصف شعرها، غربة يشق عليك أن تجد فيها أستاذاً جامعياً ملتزماً، أو طبيباً محافظاً، أو محامياً مصلياً، أو مهندساً صائماً، أو غنياً مزكياً.. والآن الرجعة الصادقة المخبتة الخاشعة إلى الله، منطلقة من أشد المناطق التي اشتد فيها الظلام، في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ رجعة إلى الله مذهلة حارت فيها عقول اليهود! أن تجد لها تفسيرا، بعد أن كنا في السبعينات نعد الذين يصلون من أبناء فلسطين على الأصابع، وهذه الانطلاقة المذهلة نحو الله ترتجف لها أوصال اليهود وترتعش فرائصهم، حاول اليهود أن يحولوا فلسطين إلى مستنقع جنسي آسن، وإذا بإرادة الله عز وجل ومن خلال هذا الوعد ومن حمأة الطين المنتن، تشب أبطال وتنتفض رجال، ويبرز أسود ضراغم كل واحد منهم:

أسد دم الأسد الهزبر خضابه — موت فريص الموت منه ترعد

حاولوا أن يقتلوا الرجولة وإذا بهم ينضجونها على نار المحنة، ويركزونها على حرارة المعاناة، وخلال أربعة عقود كانت يهود تظن أنها ستمسخ شخصية هذا الجيل وتمسخ معالمه، ولكن القدر ليس بأيديهم، إنه يجري بإرادة الله ومشيئته.

(ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) (آل عمران: ٥٤)

(فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) (النمل: ٥١-٥٣)

كنت سنة ١٩٧٥ لا أعرف إلا شاباً واحداً ملتزماً من فلسطين اسمه عبد الله نمر درويش في المثلث، والآن أدخل أم النور التي كانت تسمى أم الفحم والتي كانت بؤرة عفنة للشيوعية، أقول: أدخلها لترى العجب العجاب بإذن رب الأرباب الذي يأبى إلا أن يتم نوره..

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) (التوبة: ٣٢)

والآن يترامى إلى مسامعنا أخبار الإنتفاضة المباركة في الأرض المباركة التي تثبت أن هذا الشعب لن يموت، وكلكم عرفتم قصة الفتاة عطاف التي كانت تعد نفسها لقيادة سيارة تفجرها بنفسها في شوارع تل أبيب، وقد اكتشفها اليهود في اللحظات الأخيرة.

وفي مصر هذه الأرض التي تنبت الخير وتحفل بأزهار الجيل رغم كل المحاولات لسحق الحركة الإسلامية، ورغم الضربات الوحشية التي تعرضت لها طلائع البعث الإسلامي، إلا أن الأيام لا تزيدها إلا صلابة ونضجاً - الحركة الإسلامية الأم - رغم عمليات الإبادة التي لا تكف فإنها ولدت أبناء أشد مراساً وأصلب عوداً، وعلى كل الإتجاهات، ومن كل المدارس، فالأمر على خير، والإسلام مقبل والأمل بالله كبير.

إن هذه الحركات التي تختلف قليلاً أو كثيراً في مسيرتها عن أمها، إن هي إلا علامة صحة وليست علامة مرض، جيل القرآن والسنة، الإقبال على النصوص، تمحيص الأسانيد، العناية الفائقة بالعقيدة، الوقوف الصلب أمام جند الطاغوت، الإعتزاز بهذا الدين، الوفود والمواكب التي لا تتوقف ولا تني صباح مساء تفد إلى البيت الحرام، التفسير العميق الجاد للجهاد وامتشاق السلاح، التضحيات الرائعة التي تقدمها براعم الورود هذه تستدعي منا الشكر العميق لرب العالمين، والإبتهال إليه أن يحفظ هذه المسيرة المباركة حتى تؤتي أكلها ويتم نضجها.

وفي سوريا إن شئت أن تسأل طاغية سوريا ما الذي أرّق أجفانك وأقض مضاجعك؟ لا يأتيك الجواب إلا بالقول الغول الإسلامي والمارد الجبار الذي بدأ يتململ ويفتح شدقيه ليبتلعني، ورغم أن الجولة الأولى كانت في صالح الطاغوت إلا أن الحرب سجال، ويوم لك ويوم عليك..

(وتلك الأيام نداولها بين الناس) (آل عمران: ١٤٠)

بقية الدول وحيثما سرّحت النظر في أرجاء العالم الإسلامي، تجد عودة خاشعة عودة صادقة إلى الله تردد:

(ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد)

(آل عمران: ١٩٣-١٩٤)

وحسبك أن تعلم: أن في تركيا التي استمرت عمليات مسح الإسلام من الحياة واجتثاثه من الجذور أكثر من نصف قرن، تعلم أن في تركيا الآن بين نصف مليون إلى مليون من البراعم الناشئة دون الحنث تحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب.

هذا الشعب:

والآن مع البشرى الكبرى أفغانستان.

فدع عنك نهباً في حجـــرات   *وهات حديثاً ما حديث الرواحل*

الأرض التي حقق الله فيها من الوقائع ما هو أغرب من الخيال وأبعد من الأساطير، الأرض المسلمة التي أذل الله فيها الكفر وحطم الهالات الكبرى التي ترسم حول الدول الكبرى والتي مُرّغت فيها روسيا بالتراب، بتراب الهندوكوش وبوحل جيحون وبطين الهيلمند وعلى ضفاف الهريرود، الأرض المسلمة التي شهدت فوقها روسيا مصارع أبنائها من الجنود الحمر، وهي لا تملك لنفسها دفعا ولا ضرا ولا نفعاً، الأرض المسلمة التي استطاعت بإذن الله وعلى يد هذا الشعب الفقير الأعزل أن تقدم الإسلام إلى موائد الإجتماعات الدولية، والتي جعلت فرائص الكفر من أي جهة كان أن ترتعد، فالتقى العالم كله على محاوله إيقاف هذا التيار الذي يشتد، والذي يخشى جنود الشيطان أن يبيد خضراءهم ويزيل وجودهم مع الجهاد الإسلامي في أفغانستان، الذي أصبح مدرسة تربوية يتتلمذ عليها أبناء العالم الإسلامي أجمع، تنفخ في أعماقه الحرية، وتضخ في شرايينه التي كادت تجف الدماء، وتنفخ فيه الحياة بعد أن وقف على هاوية العدم، المدرسة الإسلامية التي أصبحت محط الأنظار ومحل الآمال بإذن الله، والقلوب كلها تدق بحبها، والنفوس تهفو إليها، والأكف تضرع بنصرها، الشعب المسلم الذي فرض على العالم كله المصطلحات الإسلامية (مجاهدين) ونحن نرفض كلمة (ثوار)، (مهاجرين) ونحن نرفض كلمة (لاجئين)، (منافقين) لعملاء الدولة، يسمون عملاء الدولة منافقين، ولا نسميهم عملاء، مصطلحات إسلامية فُرضت على الصحافة العالمية، وعادت للتعامل في قاموس الحياة اليومية، كلمات الإمارة والغنائم، الفيء، الهجرة، الجهاد.. كلها ترددها الصحافة العالمية، وكلها تعترف بها بعد أن فرضت عليها إلا بعض الصحف العربية - نرجو الله أن يغفر لهم ويتوب عليهم - بعض الصحف العربية لا زالت تسميهم (المتمردين)، وبعضهم لا زالت تسميهم (الثوار)، وبعضهم لا زالت تطلق الإشاعات عليهم، في جريدة من جرائد إحدى الدول البترولية يسأل سائل: أين نرسل المساعدات؟ فيجيبه المحرر الصحفي في مناسبة يقول له: نحن نطمئنك أن الثوار قد سلموا أسلحتهم

ولا حاجة لهم بالمساعدات!!

هؤلاء، البلد المسلم الذي قدم خمسة ملايين مهاجر فراراً بدينهم إلى الدول المجاورة، إلى باكستان وإلى إيران، يأكلون السغوب ويلتحفون السماء ويصارعون الموت من خلال العري والمرض والفقر، ويصارعون أكبر قوة في الأرض وأشرس قوة ضاربة فوق المعمورة بالقوى البرية. قدموا خمسة ملايين للدول المجاورة و سبعة ملايين في داخل أفغانستان فراراً بدينهم وعقيدتهم، ليس طلباً لمأوى وليس طمعاً في رغيف بل فراراً بالعقيدة، ومحافظة على هذا الدين، وسبعة ملايين في داخل أفغانستان، تركوا قراهم والمدن يعيشون الأدغال أو في الغابات في قمم الجبال، المجتمع النظيف المسلم الذي يقدم كل أربع دقائق شهيداً، ويقدم كل دقيقة مهاجراً، ويقدم كل اثنتي عشرة دقيقة أسيراً من :

(المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً) (النساء: ٩٨)

هؤلاء يقبض عليهم الطاغوت ينفس عن الأمة وعن هزائمه في ساح النزال وأرض الأبطال، البلد الإسلامي الذي أعاد الثقة بالله، وغرس عملياً عقيدة التوكل على الله، وودع عقدة الخوف على الرزق والأجل وداعاً لا لقاء بعده، البلد المجاهد الذي فرض على العالم احترامه؛ لأنه يقف أمام تضحياته بإجلال وتقدير واحترام، والذي دفع أمريكا أن ترسل برئيسين من رؤسائها وخلال مدة ثلاثة أشهر حتى يقفوا بأنفسهم على ضخامة المعركة وعلى زخم القتال.

يأتي (نكسون) بنفسه ويصل إلى بيشاور، ويقول: أريد أن أزور مخيمات المهاجرين، ويدخل مخيم ناصر باغ، ويمد يده لأحد الشيوخ الذين قد احدودبت ظهورهم ولحبت جنباهم، فيمد يده فيقبض ذلك الرجل يده، فيقول له الدبلوماسيون الباكستانيون: هذا رئيس الولايات المتحدة!! فيقول: أعلم! ولكنه كافر ولا أصافح كافراً!! ثم يتقدم إليه رجل آخر -رجل كبير في السن- يقول لنسكون: لماذا بعتم فلسطين لليهود وساعدتم اليهود فيها؟! وهنا أخذه الدوار، أن هذا الشعب الإسلامي أواصر أخوته تمتد إلى أعماق الأرض، لا تنسيه مصائبه وآلامه التي تذهل الإنسان عن اسمه، لا تنسيه! هذه مصيبة، شعب يعيش على بعد آلاف الأميال لا تربطه به سوى أخوة الإسلام التي لا يقدرها قدرها، ولكن هذا الشعب يعرفون قدرها، وطلب نكسون أن يصل إلى الحدود بنفسه، ووصل إلى الحدود، ووجد شعباً بكامله، الأرملة واليتيم، الكبير والصغير، أسراب نمل تسير إلى داخل أفغانستان، كلٌ يركب حماره أو حصانه يواجه به طائرات الـ (جت) ودبابات ، T55- (62-72) رجع إلى قومه منذراً- والرائد لا يكذب أهله-، وعقد مؤتمراً صحفياً تبثه أجهزة الإعلام هنا في أمريكا، يقول له الصحفيون: ماذا وجدت من خلال الرحلة الطويلة؟ وماذا أعددتم للمشكلة الفلانية؟ فيقول لهم: It is easy easy وأخيراً يسأله الصحفيون What is problem ما هي المشكلة ؟ فقال: The problem is Islam المشكلة هي الإسلام، لقد آن الأوان لأمريكا أن تتناسى خلافاتها مع روسيا حتى توقف الزحف الإسلامي، هذا من خلال أجهزة البث العالمية، وتنشره الصحف الباكستانية، وجاء (كارتر) بعده يرى أحقا ما يقول نكسون؟! ووصل بيشاور وقال: أريد أن أقف بقدمي على أرض أفغانستان، وأوصلته طائرة الهيليكوبتر إلى (لندي كوتل)، آخر مدينة باكستانية قرب الحدود، قال: أريد أن أصل إلى الحدود - حتى يقف على الحدود - ووقف بنفسه على ضخامة القضية وعلم زخم القتال وعلى أن القضية ليست لعباً إنما هي جد والقول فصل وليس بالهزل، وعاد ليحاول أن يوقفوا هذا لجهاد المبارك.

أقول: هذا الشعب الذي يدمر كل يوم طائرتين،- الأرقام ليست من عندي، الأرقام من خلال الأقمار الصناعية الأمريكية ومن خلال أجهزة التنصت الباكستانية والدول المجاورة، يسقط كل يوم طائرتين، ويدمر كل يوم خمسا إلى عشرا بين دبابة ومصفحة، ويقتل ويأسر ويستسلم له بين خمسة وعشرين إلى خمسين من جنود الكفر، هذا الشعب الذي دمّر واستُهلك لطائرات العدو، خلال مسيرة السنوات العشرة العجاف.أقول: أسقط للعدو واستهلك له من خلال الإستعمال (٢٥٠٠) طائرة، اسمعوا جيداً، الذين يفهمون ويريدون أن يناقشوا!!! ألفان وخمسمائة طائرة أسقط لروسيا، واستهلك لها ودمّر لها حوالي ثلاثة عشر ألف دبابة وآلية، وقتل من الجيش الأفغاني الشيوعي مائة ألف، وهرب منهم مائة ألف، وقتل من جنود الروس لا أقل من خمسين ألفاً.

ولذلك روسيا جادة في الخروج، ولكن تريد أن تطمئن على الوريث، تريد أن تطمئن على البديل، ومن هنا عندما جاء غورباتشوف طُلب منه أن يجلس مع باكستان محاولة لحل القضية، فأبى عليه كبرياؤه الجاهلي وأنفته وحميته أن ينزل إلى مستوى دولة من العالم الثالث فيحاول معها أن يحل مشكلته، ولكن ضربات المجاهدين قد أيقظته وأحنت رأسه، وأذلت عنقه، وأجبرته بعد سنة من قدومه أن يطلب الجلوس مع باكستان، والآن رضي أن يجلس مع المجاهدين، ترضى روسيا أن تجلس مع المجاهدين!! ويعقد مؤتمر القمة بين العملاقين الكبيرين -كما يحلو للناس أن يسموهم- أما العملاق الروسي فقد انتهت الهالة التي حوله وسقط، وعندما تقول روسيا العظمى

أقول: عقد مؤتمرات للقمة، كان آخرها مؤتمر القمة في ٦ ديسمبر هذا الحالي الذي نعيشه، وأخرج ريجان وغورباتشوف جميع الذين في الغرفة ولم يبق إلا المترجم الخاص الأمين مع كل واحد منهما، لخطورة القضية ولأنها تمثّل شبحاً رهيباً ، يقض مضاجع الغرب ومضاجع الشرق، والتقت نفوسهم واجتمعت على أن أفضل حل أن يرجعوا ذلك الرجل الذي غرس الشيوعية في أفغانستان، الذي نزل نصفه في داخل القبر، ولا زال بقية من دماء في نصفه العلوي المسمى بـ (محمد ظاهر شاه). إلتقوا عليه، وهل تعلمون من الذي قدم لهم المشروع؟ إن الذي قدم لهم المشروع رجل يهودي من تجار البترول والقمح العالمي الذي يتكفل بتزويد روسيا، هو رجل من رجالات (ستالين) يهودي اسمه (همر) تكفّل بتسليم معظم القمح الأمريكي عن طريقه، وهو مهاجر إلى أمريكا ومتجنس بالجنسية الأمريكية، الطرفان..!! ويرضى وكان له قصب السبق باكتشاف بعض حقول البترول في داخل ليبيا من خلال حقول أكسيدنتل.كان لـ شركه اسمها اكسيدنتل وعندما جاء القذافي أمم كل الشركات إلا شركة همر اليهودي، شركة أكسيدنتل.

فأقول الذي قدم المشروع هذا هواليهودي (همر) لهم – قدّم المشروع على أساس أن يرجع ظاهر شاه وأن يتم خروج روسيا خلال مراحل وأن تكون هنالك ضمانات دولية وغير ذلك، ولكن المجاهدين أصحاب القضية الحقيقية يقولون: نحن قمنا ليس ضد روسيا أولاً، نحن قمنا ضدّ الأفغان الشيوعيين الذين هم من أبناء جلدتنا، بشرتهم كبشرتنا، قمنا ضد الملك أولاً ثم واصلنا في أيام داوود، ثم واصلنا في أيام تراقي الأفغاني، وحفيظ الله أمين الأفغاني، وببرك كارمل الأفغاني، نحن ما قمنا لطرد روسيا، قمنا لإقامة دين الله في الأرض، قمنا لإشادة المجتمع المسلم، نهضنا وقدمنا هذه التضحيات نيفاً ومليونا ونصف المليون شهيد من أجل أن نرى راية لا إله إلا الله ترفرف فوق ذرى الهندوكوش.

أيها الإخوة: أبشروا فالإسلام قادم لا محالة بإذن الله، وإن شاء الله إن هذه الومضات وهذه الإرهاصات هي مقدمات لقدوم هذا الدين الذي يأخذ بيد الإنسان من جديد إلى شاطىء الأمن والإيمان، ليريحه بعد تلك المعاناة المريرة وبعد هذا الضنك المجهد على طول هذه الجادة المريرة والعذاب الأليم.

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (التوبة: ٣٢-٣٣)

(كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز) (المجادلة: ٢١)

(إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (غافر: ٥١)

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأسئلة والأجوبة:

س ١:- معظم الأسئلة تدور حول المساعدات الأمريكيه فيما يزعم للمجاهدين الأفغان، وأن حجم هذه المساعدات مائة مليون دولار، وعن صواريخ ستنجر، ومجيء أمير المجاهدين يونس خالص إلى أمريكا، واجتماعه بالرئيس ريجان، أرجو من الشيخ عبد الله أن يوضح هذا الموضوع؟

جـ:- لقد عزّ على أمريكا أن تجد عقيدة التوكل على الله قد بنيت مرة أخرى في قلوب الأمة، لقد رأت أمريكا ابتداءً أن هذا الجهاد في صالحها، وعادت تفرك يديها فرحة عندما رأت الدب الروسي تنزلق أقدامه فوق سفوح الهندوكوش، ولكن برز عامل جديد في القضية؛ وجدت أن الجهاد الأفغاني عاد يحيي الجهاد في نفوس الأمة جميعاً، وتحول إلى مدرسة تربوية، وأصبح اليهود يرتعشون عندما يسمعون كلمة أفغانستان.

الآن أيّ واحد من أبناء الضفة الغربية أو من أبناء فلسطين المحتلة يحمل جوازه تأشيرة باكستان يؤخذ للتحقيق!! اليهود الذين استطاعوا أن يؤثروا على العالم الغربي ويفرضوا على السفارات الباكستانية في كل العالم أن تشدد في إعطاء التأشيرة على الشباب المسلم، ولذلك أحياناً تدخل على القنصل فإذا رآك صاحب سوالف طويلة أو تلبس كابوي ضيقاً [1] يعطيك تأشيرة بلا تردد، فإذا رآك ملتحياً ويظن أنك تذهب إلى الجهاد لا يعطيك!! أصبح الدخول إلى باكستان أصعب من الدخول إلى الدول البترولية.. صعب الدخول إلى

---

(١) كناية عن مظهر غير الملتزم بالإسلام.

الدول البترولية، من منكم يستطيع الدخول إلا بشق الأنفس؟

أقول: الآن أمريكا أرادت أن تهزّ الثقة بالله عز وجل التي بناها هذا الجهاد عبر السنوات العشر. فبدأت تُظهر أن الجهاد الأفغاني ربيبة من ربائبها.

وأنا حتى الآن وعلى قدر إطلاعي وأظن أني من أعرف الناس بخفايا الجهاد لا أعلم أن أمريكا قد قدمت قطعة سلاح واحدة للمجاهدين الأفغان بلا ثمن، صواريخ استنجر تأخذ أمريكا ثمن كل صاروخ سبعين ألف دولار من أموال المسلمين، سبعين ألف دولار، وأنا متأكد ومتيقن من هذه القضية.

ولذلك جاء هنا حكمتيار وطلب منه -كما تعلمون- سفير إحدى الدول يقول له: ريجان ينتظرك الساعة الحادية عشره في مكتبه، قال: أنا لا أريد أن أقابل ريجان!! فظن الدبلوماسي أن حكمتيار مجنون، قال: أنت مجنون؟! ريجان على قائمته ستون ملكاً ورئيساً يرفض مقابلتهم أو يؤخرها ويطلب بنفسه مقابلتك وترفض؟! قال: نعم أرفض، وإن أصررتم سأغادر هذا البلد، وعقد مؤتمراً صحفياً، وسأله الصحفيون قالوا له: ماذا قدمت لكم أمريكا؟ قال: لم تقدم لنا شيئاً، ولم تقدم لنا درهماً واحداً.

بعدها جاء رباني وقابل ريجان، يسأله ريجان قال له: وصلكم السلاح الذي أرسلناه إليكم؟ ردّ عليه بإجابة لاذعة قال له: نحن ننقل السلاح على الحمير والبغال، وتستمر رحلة البغال والحمير شهراً ونصف الشهر حتى تصل من الحدود الجنوبية إلى الحدود الشمالية في أفغانستان.. فيبدو أن الحمير الأمريكية التي تحمل السلاح ما وصلتنا بعد!!

أمريكا قدمت مائة مليون، أرسلت بنتاً فرنسية طافت أرجاء أفغانستان وقامت بمسح صحي لداخل أفغانستان، بنت فرنسية عمرها ٣٦ سنة -(دكتور لورنس)- قدمت تقريراً دقيقاً لأمريكا، أمريكا بناءً على هذا التقرير أخرجت من خزينتها مائة مليون دولار من أجل الأعمال الصحية في داخل أفغانستان، وخصصت كذلك بعدها- بناء على تقارير لجنة التعليم- ستين مليون دولار،اللجنة الأمريكية التي تعمل في داخل المهاجرين الأفغان في بيشاور قدمت ستين مليون دولار للتعليم، جاءت هذه اللجان إلى الأمراء الأربعة البارزين: سياف، وحكمتيار، ورباني، وخالص. قالت لهم:نريد أن تسمحوا لنا أن ندخل في داخل أفغانستان حتى نقيم لكم مدارس لأبنائكم الذين لا يعرفون شيئاً عن الحياة، قالوا: لا يمكن. قالوا: نريد أن نقيم لكم مستشفيات لتضميد جراحكم، والحقيقة الحالة الصحية والتعليمية في داخل أفغانستان حالة بئيسة أسيفة جداً، و أحياناً ينشرون رجل الجريح التي تصاب بمنشار، بالمنشار العادي، وأحياناً يأتي الحلاق ويعمل العملية!! وأبناء الكفر من الغرب في ساحة أفغانستان منتشرون ويجدون من ضعاف النفوس ومن فقر ذات اليد ومن قلة الحيلة يجدون من يمكن أن يأخذ بأيديهم إلى بعض الأماكن في داخل أفغانستان.

أقول رفضوا هذه المساعدات، فحاولت عن طريق بعض السفارات في إسلام آباد لتعمل من خلال بعض المؤسسات الإسلامية في بشاور فرفضت، فجاءت لوزراء الخارجية قال لهم: أقنعوا مؤسساتكم هذه التي في بيشاور أن نعمل من خلالها،لأن الأفغان لا يقبلون مساعدتنا مباشرة، نحن نعمل بالتعاون معكم على تنفيذ برنامجنا ومن خلالها، فرفضوا، هذا رئيس اللجنة صاح أخيراً قال: من يعذرني مع هؤلاء المجانين -عن الأفغان- ستون مليوناً إنتزعناها من داخل الخزينة الأمريكية بشق الأنفس، مضى عليها عشرة أشهر، وبعد شهرين ستعود إلى الخزينة الأمريكية إن لم تستعمل!!

والذي أعلمه أن القادة الأربعة حتى الآن رافضون أن يسمحوا لهم أن يقيموا مراكز صحية أو مدارس في داخل أفغانستان.

السلاح -كما قلت لكم- أنا أتحدى واحداً يقول لي إن قطعة السلاح هذه تقدم من ميزانية الأمريكان أو من مالية الأمريكان.

يا أيها الإخوة: القضية الكبرى التي تريد أمريكا أن تشعر بها العالم الإسلامي: أن هذا الجهاد ليس جهاداً، إنما هو قتال قبائل نحن أمددناه ورعيناه حتى وقف على قدميه، تريد أن تثبت للناس أن هذه الجهاد ليس إسلامياً، ولعل بعضكم رأى الفلم الذي قدم على التلفاز الأمريكي، وهم يقدمون المجاهدين كأنهم مجموعة من قطاع الطرق يشربون الحشيش، ثم بعد ذلك يهجمون على مراكز الروس، هذا مقصود أصلاً، وخاصة من أجهزة الإعلام التي يسيطر عليها اليهود، التي تخشى أن تمتد هذه الروح إلى العالم الإسلامي وخاصة على أرض فلسطين، وهم يسمعون وأنا رأيت بعد اكتشاف قضية عفاف كتبت جريدة (يدعوت احرنوت) أن هؤلاء المجاهدين الذين رتبوا العملية قد تلقوا تدريبهم في داخل معسكرات المجاهدين الأفغان أو الثوار الأفغان، ثم رأيت بعدها في صحيفة إسرائيلية تهديداً من الموساد قالت: لن نسكت على بعض المؤسسات وسنضربها، فأقول: إنها شبكة واحدة، أخطبوط واحد يريد أن يميع عقيدة التوحيد التي بناها الجهاد الأفغاني في نفوس الأمة المسلمة.

س ـــ هل حقاً أن الأفغان الشيعة والأفغان السنة يتحاربان؟ وهل هناك علاقة بين مجاهدي أفغانستان ومدرسة قُم؟ وهل هناك

ليرى النور في الساعة الحادية عشرة إلا الربع ليلة الإثنين يصعد من قبريهما إلى السماء ثم يعود مرة أخرى إلى قبريهما.

أبو حفص الأردني، وزنه ٤٨ كيلو غرام، ، سنتان وهو في داخل أرض أفغانستان، ويسقط في معركة جاجي، هذه في شوال سنة ١٤٠٦ قبل بضعة أشهر، يقول لي شاكر الزنداني شقيق الشيخ عبد المجيد الزنداني – وتعلمون أن الميت بعد ساعات يتحول إلى قطع من الخشب الجامد – قالوا: والله وجدناه كأنه نائم تتثنى أطرافه كالنائم، ودفناه، ويشهد الأفغان على أن النور يخرج من المكان الذي سقط فيه شهيداً.

هشام ابن الدكتور عبد الوهاب الديلمي، وزكريا أبو هنود من فلسطين، سقطا شهيدين في المأسدة ــ التي سميناها مأسدة الأنصار مكان يتجمع فيه بعض الإخوة العرب يرابطون – وسميناه مأسدة ونحن نردد مع حسان –رضي الله عنه – بيتين من الشعر:

من سره ضرباً يمعمع بعضــه بعضاً كمعمعة الأباب المحـرق

فليأت مأسدة تسل سيوفهـــا بين المزاد وبين جذع الخنـدق

سميناها مأسدة الأنصار، المأسدة: مكان الأسود، ونحن أنصار لهذا الشعب الأبي المجاهد.

أقول: استشهدا قبل شهرين فقط، أولاً المسك يخرج من دمائهم، هذه رائحة المسك التي تخرج من الدماء لا تعد ولا تحصى، سواء من الشباب الأفغان أو من الشباب العرب، ولقد رأيناها واضحة من الشباب العرب، فاحت الريح تعبق في الأنوف كالمسك.

والأفغان يعرفون من المغمى عليه الجريح أنه استشهد من رائحة المسك، عندما تفوح رائحة المسك يدركون أن روحه قد صعدت إلى بارئها.

ثانياً: النور يخرج من قبورهم، هشام الديلمي وقبر زكريا أبو هنود وقد دفناهم فوق موقع المأسدة سميناه اليرموك.

عبدالله المصري استشهد معنا في واحد شوال، فقدنا جثته وظننا أن العدو قد أسره في المعركة أو أخذ جثته، ووجدنا جثته في اثنين ذي القعدة، وجدناه كما هو –كما قال جابر عن والده رضي الله عنه، ما رأيت فيه شيئاً إلا هنية في طرف أذنه – وما تغيّر فيه إلا هنية في طرف أنفه – طرف أنف عبد الله–.

وعبد الله وجدناه يتثنى كالنائم بعد شهر ويوم، ووجدنا دمه لا زال لزجاً.

والقضايا كثيرة، وهؤلاء الواحد منهم ترجمة حرفية لقول الرسول ﷺ **(من خير معاش الناس رجل آخذ بعنان فرسه يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فزعة طار إليها يبتغي الموت مظانه)** يبحثون عن الموت، ولا يبكون إلا إذا منعتهم من الإشتراك في المعركة، إذا منعتهم من الاشتراك في المعركة تجدهم ينتحبون، ويعلو نشيجهم كالأطفال الصغار، ومع ذلك حقق الله بهم الكثير الكثير.

ونرجو الله عز وجل أن تدرك أجهزة الأمن في البلاد العربيه أن هؤلاء حصنها الحصين وركنها الركين للدفاع عن البلاد الإسلامية، وهم أسودها ليوم كريهة وسداد ثغر، لا يتوجسون منهم خيفة بعد أن قطعوا آلاف الأميال من أجل الشهادة للدفاع عن أرض مسلمة لم يعرفوها من قبل، فهل يمكن لهؤلاء أن يضنوا بدمائهم أو يبخلوا بأرواحهم دفاعاً عن أرضهم أو دفاعا عن الحرمين – إن كانوا من الجزيرة –؟ أو دفاعاً عن بيت المقدس –إن كانوا من فلسطين–؟! إن العقل والمنطق والشرع وكل هذه تقول: إن هؤلاء هم المرشحون ليقودوا معركة إذا تهددت البلاد وأقبل الفساد.

ونريد من إخواننا الفلسطينيين أن يعودوا مرة أخرى إلى الله، ويثوبوا إلى رشدهم، ويدركوا أن هذه الساحة مفتوحة للإعداد، وأنها أفضل مكان لتربية جيل للجهاد، يجب أن يدركوا أن الذي يجلس من بعيد يتهم الناس لا أظنه يقاتل، وأنت يا أخي ماذا أعددت لفلسطين؟ هل ربيت جسدك؟ هل تدربت؟ هل انحلت عقدة المخابرات من داخل نفسك؟! يكفي حل عقدة المخابرات في نفوس الذي عايشوا هذه الفتره الضخمه، عندما تقولون لي فلان من المخابرات كأنهم يقولون لي أبو تمام يمدح الرشيد، انتهت عندناهذه القضيه، حلت عندنا عقدة المخابرات فحلت عندنا جميع العقد، عقدة المخابرات، التي أصبحت شبحاً رهيباً يطارد الدعاة في منامهم، ويقضّ عليهم مضاجعهم، ويؤرق أجفانهم، انتهت هذه العقدة، يا إخوه قلوبهم أرواحهم معلقة في فلسطين، معلقة بالإسلام قبل الأرض المباركة، ونحن إن كنا قد حالت دوننا الحدود وأغلقت..... فإننا عائدون بإذن الله إلى فلسطين. وعندها يدرك الذين يتهموننا اليوم اننا...[1] وتالله ما نسينا فلسطين، وبالله ما غابت عن أعيننا، والإستخبارات ردهم الله إلى دينه رداً جميلاً، ونرجو الله عز وجل أن يتوب عليهم، هم يحاربون الله ولن يستطيعوا، هم يقاتلون القهار الذي لا يعجزه شيء في السماء ولا في الأرض.

---

(١) هنا انقطاع في الشريط.

ج ـــ الشيعة في داخل أفغانستان حوالي سبعة في المائة، هؤلاء يتركزون في مركز أفغانستان، هؤلاء يسمون هزارة، معناها في الفارسي: ألف،لأنهم من بقايا جنود (جنكيز خان) كان (جنكيز خان)، من طبيعته أو من منهجه في القتال كل بلد ية يترك ألف رجل من رجاله، فهذه المناطق تسمى مناطق هزارة أو هزارة جات، فهؤلاء قسمان: قسم مع الدولة الشيوعية، وقسم سا يقاتل الشيوعيين، وقسم يقاتل الشيوعيين الذين مع الدولة خلاص ظاهرين مثل سيد كايان في باميان، هذا عقبة كبيرة في باميا، باميان تعتبر منفذاً مهماً للولايات الشمالية، وهذا لا يدع قافله تمر إلا ويأخذها أو يقاتلها وغير ذلك، وقراهم هي القرى الوحيدة ا تضرب بالطائرات والدبابات.

يعني حوالى ٢،٠٠٠ قريه حول هرات لا تجد فيها سقفاً واحداً قائما ٢٠.٠٠٠ بيت أبيدت نهائياً تماماً.

وقسم مع الخميني، وقسم ضد الخميني، وقسم وحده، حوالي ثلاثة عشر أو أربعة عشر فرقة وهم يقتتلون مع بعضهم، أ، الخميني أو أنصار قم يقتتلون مع الآخرين الذين لا يتبعون الخميني،، يتصلون مع الآخرين الذين لا يتبعون للخميني، هذا ؛ خلاصة موقف الشيعة في داخل أفغانستان.

س ـــ هل بالإمكان قيام حركة جهادية في داخل الأرض المحتلة مشابهة لحركة الجهاد الأفغاني؟

ج ـــ معظم النار من مستصغر الشرر، هذه روح الجهاد تسري في نفوس الأمة كما تسري النار في الهشيم، ولذلك هذا ، خوف اليهود من الجهاد الأفغاني، الآن اليهود خائفون جداً، لماذا؟ يا إخوة بعض الناس يلومونني، يقولون أنت نسيت فلسطين وتا، بأفغانستان؟ هم لا يعلمون أن أول ما يمر بخاطر الشاب العربي المسلم الذي يقف فوق جبال أفغانستان كيف يمكن أن أنقل الصورة إلى بيت المقدس، وأحرر المسجد الأقصى، هم لا يدركون أن الجهاد في أفغانستان قد حطَّم حاجز الخوف في نفوس « الشباب العرب، وأدركوا أنه لا كبير أمام قوة الله العظيم، لاعظيم ولا قوة تقف أمام أي شعب مسلم إذا أصرَّ على الحياة من ـ الجهاد، لا يدركون أن روح الجهاد لا يمكن أن تموت، وجذوته لا يمكن أن تنطفىء إذا اشتعلت في قلب امرئ مسلم، لا يعلمون أن الأة أنفسهم يدعون: اللهم حرِّر كابل على أيدينا ولا تمتنا إلا في بيت المقدس، لا يسمعون قادة الجهاد وهم يردِّدون إن فلسطين هي قض الإسلامية الأولى، ولكن شغلنا هذا الطوفان عن أن نشتغل بقضية فلسطين فترة من الزمان، لا يعلمون أنه عندما دخل اليهود ، ١٩٨٢م لبنان وكان آنذاك سياف رئيساً للإتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان نادى أحد رجالات المنظمة وقال له: أريد أن أرسل ك من المجاهدين الأفغان للدفاع عن المسلمين في لبنان، ولي شرط واحد: إما أن تفردوا لهم مكاناً ليقاتلوا فيه، أو ترفعوا فوق رؤوه ورؤوسهم راية لا إله إلا الله، قال: سأرد لك الجواب، ولا زال سياف ينتظر الجواب حتى الآن.

أقول: هؤلاء الشباب يا سلام!! يا إخوة: إن هؤلاء الشباب يذكروننا بالسلف الصالح، إخلاص تلك الصفوة التي كنا نسمع ع من التابعين وتابعي التابعين عادت من هؤلاء الشباب، ولقد رأينا على أيديهم العجب العجاب، يا إخوة: إن الشاب العربي في دا، أفغانستان ليعدل إن كان ناضجاً مربياً في حركة إسلامية، ليعدل كتيبة من الكتائب لرفع المعنويات وتوحيد الجبهات وتعليمهم، والمد على جراحاتهم، وفتح الطرق أمامهم، ليس شجاعةً وإنما دمٌ غريب جديد يدخل الجهاد فيحوله من قتال قوم إلى جهاد إسلامي عالمي.

نماذج في التضحية:

•[1] دمٌ غريب جديد يدخل الجهاد، فيحوله من قتال قوم إلى جهاد إسلامي عالمي، عقيدة إسلامية مقابل العقيدة الشيوع الملحدة.

ولقد أذهلني وأنا كنت أظن أن أبناء الجزيرة قد انتهوا بالترف الذي أغرقوا فيه؛ من خلال بحور المال، أذهلني أن أرى أ الجزيرة تقذف بأفضل فلذاتها، وأن أكثر الشباب الذين قدموا إلينا من أبناء الجزيرة، وحتى الآن تقدم نجد والحجاز ستة عشر شهيد كان آخرهم سقوطاً بالأمس.

هؤلاء الشباب، سعد الرشود من نجد، يحدثني القائد الأفغاني (عبد المتين) الذي استشهد معه سعد الرشود، قال: لقد جا العالم يقرأ القرآن فوق رأس (سعد الرشود) و (عبد الوهاب الغامدي)، وقد استشهدا في خندق واحد، فبدأ جسد سعد الرشود يرتجف عندما يسمع القرآن بعد ١٨ ساعة من استشهاده، والنور يخرج ليلة الإثنين والخميس من قبري سعد الرشود وعبد الوهاب لأنهما كا، يصومان الإثنين والخميس، ولم يصدق العرب هذه القضايا من أفواه الأفغان، وذهب أبو داوود من الإخوة العرب، وحرس بجانب قبريهم.

• الدعوة الإسلامية وبشائر النصر جزء٢، رقم الشريط ٣١٦ تاريخ إلقاء المحاضرة ديسمبر ١٩٨٨م. (١) بداية الدرس مقطوع من أصل الشريط.

س ـــ ما هي مواصفات الجماعة الإسلامية كما جاءت في القرآن والسنة وكما يحتمها الواقع والتي يجب على الشباب ينضوي تحت رايتها أو يعينها إلى جعل كلمة الله هي العليا؟ متى وضحت هذه المواصفات هل يجوز التراخي عن الإنضمام والمساعد

ج ـــ أولاً: نريد أن نؤكد ونركز على حقيقة: لا يوجد في الساحة جماعة إسلامية واحدة تستطيع أن تقول هذه الجماعة المس والخروج عليها يعتبر إثماً أوجرماً أو خلعاً لربقة الإسلام في العنق، كل الجماعات التي تعمل في الساحة جماعات إسلامية، مجم -إن شاء الله- يكوّن الجماعة المسلمة.

معالم للحركة الإسلامية:

الجماعة المسلمة، لابد أن يكون لها قيادة ومنهاج وجند، القيادة عندها علم بالشرع وعقيدة واضحة، توحيد الألوهية، تو الربوبية، توحيد الأسماء والصفات، هذه يجب أن تكون واضحة لدى قيادة الجماعه الإسلامية، يجب أن يكون في ذهن القيادة المس أبعاد المعركة العالمية عليها، وأن القضية ليست حرب على مجموعة معينة فقط، إنما هي حرب على الإسلام، يجب أن يدركوا أنهم عل أن يستغلوا كل ذرة خير في نفوس هذ الأمة المسلمة، يجب أن يدركوا أنهم يجب أن يستغلوا كل ذرة خير في نفوس هذه الامه المسا يجب أن يدركوا أن الحرب تشن على أية مجموعة مسلمة، والتي لاقتها الحركة الإسلامية الام سواءً في مصر أو سوريا أو تونس العراق أو ليبيا أو غيرها إنما هي حرب على الإسلام ذاته، وإنما هي رأس الحربة، وهي التي تلقته في أماكن أخرى، يجب أن تتج القيادة الإسلامية لأي مجموعة مسلمة تعمل في الميدان، تتجاوز حدود الأثرة الذاتية، وتستعلي على الهوى والشهوة، الهوى والشهوة ال يجعلها صابرة، ويكونوا على يقين ليكونوا أئمة في الدين، والصبر واليقين هما عماد الإمامة في الدين، كما يقول ابن القيم ثم يتلو الآ

(وجعلنا منهم أئمةً يهدون بأمرنا لمَّا صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون) (السجدة: ٢٤)

فالشهوة هي التي تجعل الإنسان لا يصبر، والشك والهوى هو الذي يجعل الإنسان لا يتيقن، ولذلك لابد من الصبر واليقين حـ تصبح القيادة إمامة في الدين، يجب أن تتجاوز الأثرة الذاتية وتتجاوز الحدود الجغرافية، لا يجوز أبداً أن تنظر قيادة أي مجمو مسلمة إلى عمل إسلامي أنه ينتهي بحدود جبل أو بنهاية واد، وتحصر اهتمامها في بقعة صغيرة لا تتجاوز عشرة آلاف أو عشرين أ كيلو متر مربع، إن هذا الدين دين الله عز وجل،

وحيثما ذكر اسم الله في بلـد	*عددت أرجاءه من لب أوطاني.*
الهنـد لنـا والصـين لنـــا	*والعـرب لنـا والكـل لنــــا*
أضحى الإسلام لنا دينـــاً	*وجميع الكون لنا وطنـــــــاً*
دستور الله لنـا ديـــناً	*أعددنا القلـب له سكنـــا*

يجب أن تتجاوز الحدود الجغرافية، وتتجاوز الأثرة الذاتية التي تمزق الجماعات وتشتتها وتجعلها نهباً لمطامعهم وأهوائهم، ويج أن تتجاوز كذلك الجماعة الحدود الحزبية التي تجعل الإنسان أسيراً بين مجموعة من الناس، لا يريد أن يقدم الخير للآخرين مهما علو ولا أن يعترف بالحق من أناس صادقين مهما كانوا مخلصين، فلو خرج الحق من أي فم لا يتقبلونه إلا من خلال دائرة الحزب.

يجب أن تدرك قيادة أي مجموعة مسلمة أنها ليست هي الوحيدة في الميدان، وأن هنالك مجموعات أخرى تعيش في الساحة، و هذه المجموعات كلها هي عبارة عن جداول تصب في نهر الإسلام العظيم، الذي نرجو أن يشتد ويأخذ الكفر من وجهه.

والذين لا يتجاوزون هذه القضايا الثلاث، القيادة الإسلامية لأي مجموعة لا تتجاوز الأثرة الذاتية، ولا الحدود الجغرافية، و الحدود الحزبية، ستبقى تدور في دائرة ضيقة دونها الأمل العظيم الذي يحقق لهذا الإسلام النصر، ولتعلم أية حركة إسلامية أنها تستطيع أن تحقق وحدها قيام دولة إسلامية أو بناء مجتمع مسلم في أي مكان.

إن حرب الدول والطواغيت والكيد العالمي لا يمكن لحركة إسلامية معدودة الأفراد، وإن كانت صفوة الأمة أن تواصل جهاداً طوي أمامها، الحركة الإسلامية صاعق يفجر طاقات الأمة، يفجر البر والخير فيها، الحركة الإسلامية عبارة عن روّاد وقواد يوجهون الأ ويأخذون مثالاً واقعياً مثل الجهاد الأفغاني، كانت الحركة الإسلامية فيه هي عبارة عن صاعق البادىء الذي أشعل طاقات الأمة وفج ينابيع الخير والبر في أعماق الشعب، واستمر الشعب يقدم التضحيات.

ـ أما أبناء الحركة الإسلامية فلقد سقط معظمهم على الطريق شهداء، وواصل الشعب جهاده، وبقي أبناء الحركة الإسلامية موجّه روّاداً وقوّاداً.

لتعلم كل مجموعة مسلمه، إذا حاربت أية مجموعة أخرى إنما تحارب الإسلام، وتعيق انتصاره، وتقف أمام تقدمه عقبة، كل الذين يعملون في الميدان الإسلامي كل واحد عنده شيء من الخير، وكل واحد عنده شيء من البر يقدمه لنصرة هذا الدين، وأنا أشبهه كبستان فيه ثمار مختلفة، هذا طعمه حلو، وهذا طعمه حامض، وهذا طعمه كذا... وكلٌ -إن شاء الله- يقدم شيئاً من الخير، فلا تجعل بعض التيارات الإسلامية نفسها خناجر تطعن به جنبات هذا الدين، وتغرس به في أعماق كبده وفي قلبه.

يا أيها الإخوة، والله إني أحزن كثيراً عندما أرى هذا يعيب على هذا، وهذا يتتبع عورات هذا، وهذا يشهر بهذا.. والكل يعمل في الميدان، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وهم كلهم مرصدون من أجهزة الرصد العالمية، ومراقبون من خلال جيوش الكفر، ومن خلال التنين الذي يفتح شدقيه ليبتلعهم أو يقتلوا جميعاً وبيد واحدة وبسلاح واحد.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اليهود بين أفغانستان وفلسطين

[1] البناء ضروري جداً والتربية ضرورية، والحركة ضرورية، والجماعة ضرورية، والذين يقولون أن الإسلام يقوم بدون جماعة إسلامية هؤلاء يريدون أن يبنوا دولة في الهواء وسقفاً بدون أعمدة.. لا يمكن.. لا يمكن.. لا بد من تربية.

قد يسأل سائل منكم أنا ما تربيت من قبل في دعوة إسلامية ووصلت إلى أرض الجهاد، فماذا أفعل؟

أنا أقول له اعتن بنفسك، وانظر إلى من تثق بدينه وعلمه ممن حولك، ليس فقط الدين، بدينه وعمله، واسأله عن أمورك، والتزم بما يأمرك به، وأطع ما يوجهك إليه، تبني نفسك تدريجياً من خلال القرآن، من خلال القيام، من خلال الصيام، من خلال الإخلاص، من خلال نية الجهاد، من خلال المطالعة، مطالعة الكتب التي يدلك عليها، ومن خلال المعارك التي تخوضها، رب العالمين يفتح عليك ويربيك وينضج نفسيتك ويصقل روحك،

(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (يوسف: ٢١)

الرعب اليهودي:

اليهود ألحوا كثيراً على إيقاف الحرب – الجهاد في أفغانستان–، لأنه بدأ يؤثر في العالم الإسلامي، كنت ألح وأفسر من خلال الضغوطات التي تقع علينا، أن اليهود يدركون أكثر من غيرهم أن الإنتفاضة قادمة، هم كانوا يحسون أن شيئاً ما سيحصل في فلسطين بسبب الجهاد الأفغاني، ولذلك الأجهزة الغربية والدول الغربية والأمريكية شددت كثيراً كثيراً على قضية تأشيرة باكستان.

قبل أن يبدأ هذا التجمع كان أي واحد يدخل إلى باكستان دون تأشيرة، التأشيرة من المطار،مهما كانت جنسيته أو دينه أو هويته، من المطار يُعطى شهر تأشيرة إسمها (Tourist Visa)، لأن الذي يأتي إلى باكستان، لماذا يأتي؟ لا يوجد فيها بترول ولا يوجد فيها وظائف، فعندما بدأ هذا التجمع منعت هذه، ووجدوا أن هذا هو الذي استطاعوا أن يحدّوا به من القادمين إلى باكستان، فعمموا على شركات الطيران العالمية وقالوا ممنوع أن تحملوا أي واحد قادم إلى باكستان، إلا بعد أن تتأكدوا من وجود الفيزا، مع أن هذا لا يشدد عليه إلا في الدول البترولية، قد يتأكدون أو لا يتأكدون، أما باكستان فيتأكدون كثيراً من وجود الفيزا على الجواز حتى يقللوا قدوم الشباب خاصة الشباب الفلسطيني، لأن الشباب الفلسطيني يرعبهم كثيراً أن يأتوا إلى باكستان، لا يوجد أي شاب فلسطيني دخل باكستان -كما أعلم – إلا وحققت معه المخابرات الإسرائيلية.

تقول لشركات الطيران ما لكم ولي؟ أنا معي تذكرة ذهاب وإياب، إن أرجعتني الحكومة الباكستانية أنتم تربحون، تجد البنت الألمانية في مطار ألمانيا، والبنت الأمريكية في مطار نيويورك تتفحص في صفحات الجواز تبحث عن الفيزا، بينما لا يفعلون هذا بالنسبة للذهاب إلى لندن، الذهاب إلى أية بقعة أخرى، ثم هم كانوا صرحوا على أننا نخشى أن يعود الإسلام.. الجهاد -الجهاد العربي- عنصر أساسي، وعند ذلك لا نستطيع أن نقاومه، فاستراتيجيتنا – هم اليهود يقولون في عدة صحف (يدعوت أحرنوت)– يقولون استراتيجيتنا أن يبقى الإسلام بعيداً عن معركتنا مع العرب، وإذا استطاع المتعصبون من أبناء الحركات الإسلامية أن يثيروا

مشاعر الناس، ولم نستطع أن نقنع أصدقاءنا من الأنظمة الصديقة أن تضربهم في الوقت المناسب،عندها سنواجه عدواً حقيقياً وهمياً. يقولون: ولقد تولت الأنظمة الصديقة عبر الثلاثين عاماً الماضية ضرب الحركات الإسلامية، لكن بإمكان الحركات الإسلامية أ تستثير مشاعر الناس وأن تستغل المناسبات، فإذا استغلت مناسبة ولم نستطع في الوقت المناسب أن نحرك الأنظمة الصديا لتضربهم،عندها سنعض أصابع الندم.

بعد ذلك اليهود أمسكوا واحداً من الذين تدربوا هنا يخطط لعملية، عملية نسف مكتب شامير نفسه، عملية البنت – عطاف – هذ التي خطط لها شاب تدرب هنا في صدى، سيارة متفجرات ركبّها بنتاً طيبة وتقتحم فيها مجمع الدوائر الذي فيه مكتب شامير واكتشفها اليهود في اللحظات الأخيرة، ووجدوا أن الشاب الذي خطط للعملية مهندس قد تلقى تدريبه هنا، فجُنّ جنونهم.

إذن القضية حقيقية وليست وهمية، فبدأ التشديد علينا، قدمت تقارير للدول العربية أن هؤلاء لا يريدون أن يقاتلوا في أفغانستان عبد الله عزام يجمعهم حتى يرجعوا إليكم ويعملوا مشاكل وتفجيرات في بلادكم، ففرِّقوا هذا الجمع بأي طريقة، تولت مجموعة م السفارات عملية الإشاعات ضدنا، وضغوط على الإستخبارات الباكستانية خاصة السفارة المصرية قامت بدور طيب! – مشكورة عن إبليس-.

رعب السفارات العالمية:

قلنا أنهم بدأوا يضغطون علينا ليفرقوا شملنا، وكلما استشهد شهيد كلما ثارت سفارته علينا، بدأوا يتصلون بالمطارات ليضيقو على الشباب الخارجين من هنا، وكنت ألمس هذا من خلال المضايقات التي يتعرّض لها إخواننا، والإخوة ليس معهم إقامة، ليس معه ورقة خروج، فكانوا يرجعون إلى موظفي السفارة يرضونهم بأي طريقة من أجل أن يحصلوا على ختم، بالإضافة إلى أننا ليس لنا لافتة رسمية نرفعها فوق هؤلاء الشباب. ثم إفرضوا أن عندنا لافتة رسمية، الهيئة أو المؤسسة الإغاثية التي تساعد المهاجرين كم واحداً توظف؟ واحد، إثنين، عشرة، عشرين،و بعد ذلك، لكن إلله عز وجل يسّر.. يسّر أن الإخوة الذين في الساحة كلهم تعاونوا معنا، السفارات بدأت تضغط على الإستخبارات الباكستانية حتى تطاردنا وتضيق علينا.. طبعاً لا يمكن أن يغلق البلد أمام الناس، أمام الزوار نهائياً..

في السفارات الباكستانية أعطيت تعليمات ممنوع إعطاء التأشيرة لأي واحد، خاصة أبناء الأردن وفلسطين والمناطق المحيطة بإسرائيل، يذهب الشاب إليهم، يرون لحيته لا يعطونه، يحلق لحيته و يرجع إليهم يعطونه تأشيرة، يسألونه لماذا تذهب؟ بعضهم يقول: أنا مع جماعة التبليغ، يقولون له: أحضر لنا ورقة من جماعة التبليغ. أصبحت كذلك جماعة التبليغ لا تعطي أوراقاً للشباب، يقولون له أخرج معنا وبعد الخروج نعطيك ورقة،الحقيقة ضيقوا ضيقاً كثيراً، لكن كلما ضيقوا كلما فتح الله علينا ويسّر، تدخلت سفارات، السفارات التي في إسلام آباد، قلّما نجت سفارة من الضغوط على الإستخبارات ومن مطاردتنا، مسلمها وكافرها وفاجرها وفاسقها، الكل اشترك في المعركة، ويقدر ما يأتي من بلد السفارة شباب، بقدر ما تزداد الضغوط، ثم فكروا كيف نتخلص من هؤلاء؟ الباكستانيون في الداخل عندهم نوع من الديمقراطية، والإتحاد فيدرالي –هي أربع دول متحدة في دولة باكستان! السند دولة، وبيشاور دولة، وكويتة دولة، والبنجاب دولة، البنجاب مركزها لاهور، وبلوشستان مركزها كويتة، وسرحد "منطقة الحدود" مركزها بيشاور والسند مركزها كراتشي– هي كل دولة لوحدها. كل دولة لها رئيس وزراء ولها وزراؤها، فالواحد إذا ضاقت عليه في مكانه ينتقل إلى مكان ثاني.

فكروا من الذي يجمع هؤلاء الشباب؟ يجمعهم واحد، إذا أخذناه وأبعدناه من البلد ممكن أن هذا الجمع ينفضّ.

فجرت طائرة البوينج في كراتشي، وأنا أظن من خلال النتائج أن اليهود فجروها من أجل أن يفرقوا شملنا، اليهود فجروها عمداً، وقتلوا عشرين باكستانياً.

وأخيراً ذهبوا إلى الشيخ عبد الله ناصيف –نرجو الله أن يبارك في عمره وحياته و هو الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي– فقالوا له: صاحبك عبد الله عزام فجر لنا طائرة البوينج، فقال لهم: إبحثوا عن تهمة أخرى لعبد الله عزام، الناس لا يصدقونكم بهذه التهمة، لأن هذا شُغل الشيوعيين واليساريين، أن يقتلوا المسلمين من أجل خبر إعلامي بسيط في جريدة، هل يضع عبد الله عزام عشرين واحداً في رقبته يوم القيامة من أجل خبر إعلامي بسيط في جريدة من الجرائد؟! فبهت الذين ظلموا أنفسهم، أخيراً ذهب سفير باكستان وقال للشيخ عبد الله ناصيف إسمع: أنت لك صاحب في باكستان، ونحن لا نريد أن نؤذيه إكراماً لك، إسحبه بأي طريقة، لا أحد راضٍ عن وجوده هناك، وعلينا ضغوط من كل الدول العربية ومن السفارات وما إلى ذلك، لا بد أن تضغط وتسحبه. فقال لهم: هو يشتغل بالتعليم. قالوا له: هو لا يشتغل بالتعليم، حامل سلاحه ويقول الجهاد فرض عين. قال: أنا سأكتب له رسالة أن يلتزم بالتعليم، قالوا: لا يطيعك، يعتبر الجهاد فرضاً.

أوطاننا الجنة، أوطاننا الأولى، فيا بائعاً هذا -بائع الجنة- ببخس معجّل -سبعة آلاف درهم، راتبه سبعة آلاف درهم. كيف يترك؟

فيا بائعاً هذا ببخس معـــجّل ٍ *كأنك لا تدري ولا أنت تعلـــــم*

إن كنت لا تدري فتلك مصيـــبة *وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم*

الجهاد منزله عظيمه:

الجهاد منزلته عظيمة، إن في الجنة مائة درجة، هل تعلم لِمَن أعدها الله؟ أعدها الله للمجاهدين في سبيله. المائة درجة هذه لا يلقاها إلا المجاهد في سبيل الله. تسأله ماذا يعمل هذا؟ ما تعرف؟ هذا في الدرجة الرابعة عشرة، أي درجة؟ الدرجة الرابعة عشرة، هذا في الدرجة الخامسة عشرة، مرتبته وكيل وزارة، يا مسكين ما هي مرتبة الوزارة هذه التي تتكلم عنها؟ يقول لك: يعني يترك عمله ويأتي إلى هنا، إلى أفغانستان؟ بين هؤلاء الذين لا يفهمون، هناك يفيد وعلى ثغرة كبيرة ويوظف الناس ويوصل الناس حقوقهم، الدرجة الخامسة عشرة يتركها ويأتي هنا في الجبال بين هؤلاء؟ بين هؤلاء الشباب الصغار، أعقلٌ هذا؟ هذا الإسلام يقوله؟!!

يا أخي: الإسلام نظام، الإسلام حكمة، الإسلام عقل، يجب أن تعرف أين تفيد الإسلام، أين تفيد الإسلام وهل أنت أفضل من أبي بكر وعمر؟ ومالك ووزارتك أحسن من أموال عبد الرحمن بن عوف وعثمان؟ ولماذا لم يقل الرسول ﷺ لعثمان إجلس هنا يا عثمان في المدينة؟! أنت تاجر كبير لأننا إن خسرناك مصيبة، أنت تدعم الجيش الإسلامي، إجلس في المدينة على تجارتك.. وأنت يا عبد الرحمن إجلسَ في المدينة مع تجارتك لأننا بحاجة إليك، أما الفقراء بلال وعمار وصهيب وعبد الله بن مسعود إن ماتوا وإن ما ماتوا لم يسأل عنهم أحد، لا يهم الموت يكون على الفقراء والفلوس للأغنياء حتى يدعموا الجهاد والجيش، نحن بحاجة إلى عبد الرحمن بن عوف !!

كان أكبر عار على أكبر تاجر أن يتخلف عن غزوة من غزوات الرسول ﷺ، ولذلك كانوا إذا أراد المنافقون أن يطعنوا بعثمان يقولون تخلف عن غزوة بدر، هذا عيب كبير، والآن إذا فتحت كتب الصحابة، الإصابة- أسد الغابة، أول منقبة من المناقب يكتب لك، شهد الغزوات كلها. لأن "كل" توكيد منصوب، شهد الغزوات كلها، إذا أردنا أن نكتب عن هؤلاء المسلمين، عن العلماء، عن المفكرين، عن الفقهاء، عن الصالحين، ماذا نكتب؟ اشتغل مديراً للتربية والتعليم عشر سنوات!؟ هذا أكثر شيء سنكتبه عنه! درس في أمريكا ونال شهادة السياسة والإقتصاد من جامعة هارفرد وأمضى شهادته كيسنجر!؟ هذا الذي يستحق؟! فهل نكتب شهد الغزوات كلها؟ لا. الآن... ماذا تكتب؟ يقول لك هذا قرأ فتاوى ابن تيمية، الله أكبر.. لم يقرأ المجلد الثامن والعشرين الذي يتكلم عن الجهاد؟ لم يقرأ (والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه)؟ يقول لك هذا فاهم تماماً الإسلام، المجموع، فتح الباري، الصحاح الستة، كلها حفظها وقرأها لكن كم يوم جاء إلى أفغانستان؟ كم طلقة أطلق في سبيل الله؟ كم ليلة رابط في سبيل الله؟ لا يوجد، فقط مسجل، حفظ صحيح مسلم وصحيح البخاري.

الرزق مكتوب:

كم غزوة شهد؟ المسلم نزل، تغيرت موازينه، تغيرت قيمه، يأتي واحد يطلب ابنته، يقول ما هي وظيفته؟ له بيت وله أرض؟ هذا لا يملك من الدنيا إلا أنه مجاهد في سبيل الله، فيقول ضيعت بنتي !! إبحث له عن واحدة مجاهدة،أما أعطيه ابنتي تذهب إلى بيشاور وترتمي هنا وهناك، من يضمن لي هذا؟! هذا لا يستطيع أن يعيّش نفسه، فكيف يُعيّش البنت؟ لا حول ولا قوة إلا بالله، إبنتك الكبيرة من تزوجها؟ تزوجها مدير بنك الرياض، أهلاً وسهلاً، مبارك عليك الربا... أنه يغذي ابنتك من الحرام، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به، مسرور الأخ أن نسيبه الكبير مدير البنك العربي في عمان، أو بنك الإمارات، يونيون بنك الذي أصبح إسمه (إمارات بنك) وغير ذلك، هذا يشتغل في شركة فلان، راتبه أربعة عشر ألف درهم في الشهر.

الله يذكرك بالخير يا شيخ تميم !

الشيخ تميم كان في السعودية يشتغل راتبه أربعة وعشرون ألف وخمسمائة ريال، راتبه واحد وعشرون ألف ريال، وكان يخطب الجمعة وغير ذلك فيحصل على ثلاثة آلاف وخمسمائة ريال، فالمجموع أربعة وعشرون ألفاً وخمسمائة ريال، ثم كتب الله له أن فُصل من الوظيفة وجاء اشتغل بالجهاد، قلت له: يا شيخ تميم لو الآن يرجعونك الوظيفة، وتدفع معظم راتبك للجهاد وتجمع للجهاد، قال: والله لو دفعوا لي مليون ريال في الشهر ما رجعت للوظيفة، قال: اليوم هنا خير من الدنيا وما عليها، كيف أبدّل اليوم هنا بخير من الدنيا وما عليها، أحسن من الدمام والخُبر والظهران، هو كان في الظهران، اليوم خير من هذه المناطق كلها وخير من أموالها، وهناك الثلاثين يوم

الدنيا كلها بين يديك ثم جئت فانت الرابح وتركت هذا كله... يا أخي: لماذا لا تاتي؟ يقول: الوظيفة كيف أتركها؟ الجامعة بقي علي فم أو فصلين، أضيعهن؟! لا... نريد أن ناخذ شهادة، أنت ضامن الفرصة؟ لا تدري متى تسنح لك؟ الله فتح لك هذه الفرصة، الجا، سترجع لها لا تخف، لا تضيع.لن تضيع الدنيا، (لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها)، ولكن الجنة قد تضيع عليك، لن تم نفس، إن الرزق ليطلب العبد أكثر من أجله، والرزق هو الذي يبحث عنك، يبحث عنك أينما تكون، فهل كل الرزق جمع في هذه الوظيفة ذهبت الوظيفة ذهب رزق ربنا؟!!

(هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون) (المنافقون: ٧)

ربنا هو الذي وظفك وأنت لا تجاهد، ألا يوظفك وأنت تجاهد؟! سبحانه وتعالى.

أنا كنت موظفاً -معلماً- في عمان في حرب فلسطين فاستقلت، قالوا: تستقيل؟! قلنا بسيطة كم يعطونا؟ فاستقلنا من مع فرجعت أستاذاً في الجامعة، وأخذت الماجستير وأنا في القواعد، ذهبت إلى مصر قدمت الماجستير من القاعدة ورجعت إلى القاعد درست وأنا في القاعدة ونحن مرابطون في فلسطين، درست وذهبت وقدمت الماجستير ورجعت، انظروا الناس المتفرغون هناك في مص للدراسة وما إلى ذلك، وأنا ذهبت هكذا الكتب ليست كاملة، لما ذهبت هناك سألت هذا وأخذنا من هذا وهذا، وبعد أن انتهت الإمتحانا كنت الأول على كل القسم في الماجستير، لم يأخذ أحدٌ جيد جداً إلا أنا.. ليس مني، منه سبحانه وتعالى... متفرغون له في المؤسس في مؤسسة الجهاد نشتغل، المؤسسة لربنا مائة بالمائة، ومتفرغون وبدون راتب، فهل يبخل علينا بقليل من العلامات، كريم سبحا وتعالى، ثم سجلوا لي الدكتوراه وأنا في القواعد كذلك، وبعد أن رجعت من القواعد الله عز وجل يسّر وذهبنا وأكملنا الدكتورا، ورجعنا أستاذاً في الجامعة بعد أن ذبحوا الفدائيين، ـــ الملك حسيـــن ـــ ما رأيت أحداً من إخواننا اشترك معنا ف الجهاد إلا وحسّن الله دنياه، إلا وزاد دخله، إلا دنياه تحسنت قبل الآخرة، (ولأجر الآخرة أكبر) أنا كنت معلماً في عمان فاستقلت وذهب وأسكنت زوجتي في غرفة من الغرف، يعني غرفة طينية كان عندي بنتان، بعض أقاربي قلّ احترامهم لزوجتي، لماذا؟ لأنني كنتُ أستا، في عمان وبعد ذلك أصبحت في الجبال بين الشباب، أبي أول مرة الاقيه بعد عودتي من التدريب من القواعد، تدربنا شهراً ونصا ورجعنا، هناك لازم تدخل دورة التدريب، ممنوع تخرج إلا بعد أن تنتهي دورة التدريب، ليس مثل هنا، الواحد يقول: أريد أن أتص بأمي وأبي، فيذهب إلى بيشاور، هناك لا يوجد، تدخل ولا تخرج إلا بعد أن تكون أنهيت، وكنا متزوجين، كنت متزوجاً يعطونني في الشم يومين، الأعزب يوم في الشهر فقط، الآن هنا يقول الواحد أريد أن أتصل بأمي، لماذا تتصل بأمك أو بابيك؟ أمس جئت....

قالت لي العائلة تغيرت معاملة بعض النساء الأقارب لي، فقلت لها: أنت ستكونين خيراً منهن في الدنيا وليس فقط في الآخر، لأن الله تكفل، كنت أستشهد بهذه الآية :

(والذين هاجروا في الله من بعد ماظُلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانو يعلمون) (النحل: ٤١)

زوجتي تقول لي:أصبحت أستاذاً في الجامعة، كان راتبنا ٢٥ ديناراً ونحن في الجهاد، طبعاً أعطيها للعائلة، لأننا نحن ناكل ونشرب وننام، ولا يوجد بسكوت ولا بزر ولا غيره، وأي واحد يدخل بسكوتاً يطردونه من المعسكر، لا يوجد، تظنون مثلكم -ما شاء الله الواحد منكم عنده دكان، ممنوع أبداً، كل المعسكر يجب أن يأكل كما يأكل أي واحد ويشرب كما يشرب.

القائد: قائدنا واحد مصري نرجو الله أن يذكره بالخير، أحياناً كان يضطر أن يذهب إلى عمان أو إلى غيرها، معه سائق مر إخواننا- هو كان مهندساً في الكويت وجاء، وتعرف الذين يعيشون في الكويت والسعودية حياتهم في الصيف على البيبسي كولا وعلى الميرندا، خاصة البيبسي، لا يعرف يأكل أو يشرب إلا بالبيبسي، ولذلك نقول لهم تعالوا: هم خائفون على البيبسي – ينزل هذا القائد والدنيا حر يطلب قنينتين بيبسي واحدة له وواحدة للسائق، السائق من إخواننا الذين ماسكين هكذا[1]، ظاهري بحت، يقول له: طيب إخواننا في المعسكر يشربون بيبسي؟ يرجع لا يشرب البيبسي؟ في عمان تاكل كما يأكل الذين في المعسكر، لكن كنا نشعر بالراحة والسكينة، ولذلك لماذا أنا قلت لكم أن الدعوة ضرورية، لأننا نحن أصلاً متربين في الدعوة، نفهم ما معنى الإمارة، ما معنى الطاعة، م معنى الإلتزام، المعسكر ماش هكذا، ولا تحدث أي مخالفة.

بداية الحركة الإسلامية الأفغانية *

أرض الواقع :

[1] العالم أو المؤلف وإن جاوز الذرى في بحوثه، إلا أنه إن وضع بجانب رباني أو حكمتيار أو سياف أو خالص يبقى صغيراً، صغيرا، لا نستطيع أن نقارن بين أي عالم في الأرض الآن وبين هؤلاء؛ لأنهم حوّلوا القرآن الكريم إلى واقع عملي، حولوا الآيات إلى سلوك وأخلاق ونظام حياة.

* كان الناس يحدثوننا عن الجهاد، و الخطباء يخطبون، وتتفاعل القلوب، وتثور الأشواق، وتهيج الأشجان، وينتهي كل شيء على باب المسجد !!!

أين مختبر الجهاد الذي نطبق فيه هذه الآيات؟ ولذا لم يكن أحد يستطيع أن يستطعم بآيات الجهاد، كنا نقرأ سورة الأنفال، وسورة التوبة ؛ ما وجدنا لها الطعم الذي وجدناه في أرض الجهاد. لأنك تقرأ :

(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) (التوبة: ٣٦)

(فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد) (التوبة: ٥)

أين مصداق هذا في العالم العربي، وأنت لاتستطيع أن تحمل رصاصة، ولامسدسا ولافوق ذلك، ولادون ذلك؟! إن السكين يكفي لأن تلقى في غياهب السجون إذا كان طويلا أكثر من ‹١٢› سم حددوه في قوانينهم الوضعية التي يحاربون فيها الجهاد و يحرمون فيها الجلاد، ما كنا نفهم معنى الجهاد، هؤلاء فتحوا لنا ساحة واسعة بفضل الله عز وجل، وقالوا لنا: تعالوا وأدوا عبادة الجهاد عندنا، فتحوا لنا بلادهم وصدورهم وقلوبهم، وسهلوا لنا كل عقبة كأداء، وذللوا لنا كل أكمة كأداء، من أجل أن نؤدي هذه العبادة.

بداية الحركة الإسلامية :

الأستاذ رباني ؛ هو خريج الأزهر الشريف، معه ماجستير من الأزهر، كان أستاذا في كلية الشريعة في كابل، وتربى على يديّ عميد كلية الشريعة في كابل (البروفيسور غلام محمد نيازي)، فمنذ نعومة أظفاره وهو في الدعوة الإسلامية وفي العمل الإسلامي والحركة الإسلامية، وشغف به الدكتور أو الأستاذ غلام محمد نيازي واهتم به، لأنه وجده عقلية نابهة، وبمجرد أن تخرج من الكلية وضعه معيداً في الكلية، ثم أرسله إلى الأزهر، لأنه يرصد في ذهنه دورا كبيرا له، وفعلا.. عندما عاد الأستاذ رباني من مصر دخل محاضرا في كلية الشريعة، ثم سلمه الأستاذ غلام محمد نيازي قيادة الحركة الإسلامية في داخل أفغانستان، وأصبح الأستاذ رباني هو قائد الدعوة الإسلامية في داخل أفغانستان، ودخلت الدعوة في صراع مرير مع الملك ظاهر شاه، ولمدة سنوات.. واستطاعوا أن يكتسبوا قلوب كثير من الشباب، واكتسحوا مقاعد الاتحاد الإسلامي لطلبة الجامعة، مع أن الملك ورئيس وزرائه وأجهزته كلها تمهد للشيوعية، الملك ظاهرشاه هذا الذي يريدون إرجاعه الآن إلى أفغانستان كان له في مجلس الشورى الملكي‹٣٦› من الحزب الشيوعي من بينهم هؤلاء ببرك كارمل وحيفظ الله أمين، هؤلاء الذين حكموا أفغانستان، هؤلاء كانوا في شورى الملك، والبنت هذه الضائعة أناهيتا راتب زاد وغيرها، فاستطاع التيار الإسلامي – رغم هذه المقاومة، ورغم الحصار الشديد الذي يضربه النظام الملكي على التيار الإسلامي، ورغم أن الملك جاد وأخذ بالثورة الثقافية التي زينتها له أمريكا، أن يقلب القيم في داخل أفغانستان، وأن يحرر المرأة من القيم الأخلاقية واللباس – رغم هذا كله فقد استطاع التيار الإسلامي بهذه الفئة القليلة في داخل جامعة كابل أن يثبت وجوده وأن يقف أمام التيار الشيوعي وفي سنة ‹١٩٧٣› وبينما كان الأستاذ رباني قائدا للدعوة الإسلامية أو للحركة الإسلامية، وخاض الشباب الانتخابات الجامعية، وأخذوا معظم المقاعد في داخل الجامعة، وأخذت النتائج إلى السفير الروسي فعلق بكلمة: إن مستقبل هذه البلاد بيد هؤلاء الشباب، وصمّم منذ تلك اللحظة أن يطيح بالملك وأن يأتي بنظام شورى شعبي ليجتث الحركة الإسلامية ويقمعها من الجذور، وفعلا خرج الملك بعد أربعة أشهر من هذه الإنتخابات إلى أوربا ليقضي إجازته الصيفية، فأطيح بالنظام على يد ابن عم الملك وزوج أخته (محمد

---

* رقم الشريط (٢٠١) كان اسم هذه المحاضرة (محاضرة عن الشيخ رباني) فاستبدلت بعنوان آخر أكثر ملائمة بعنوان (بداية الحركة الإسلامية الأفغانية).

داود)، والشيوعيون جاءوا بمحمد داود ليكون جسرا ومعبرا حتى يصلوا إلى الشيوعية التي يريدونها، وأخذ على محمد داود العهد بجتث الحركة الإسلامية بمجرد أن يصل إلى الحكم، وأقاموا انقلابا اشترك فيه الناس الطيبون الضائعون الجهلة بجانب الشيوع وجاءوا بهذا الرجل النفعي الذي يميل إلى روسيا، ويظن أن تحقيق مطامعه من خلال روسيا، جاء محمد دواد ليمسح التيار الإسلا وعندما وصل محمد داود إلى الحكم، كان أول قرار يتخذه هو: إقصاء غلام محمد نيازي عن عمادة كلية الشريعة، ثم بدأ يعد العدة أصحابه لمسح وجود الحركة الإسلامية في داخل أفغانستان، في ذلك الوقت كان رباني قائدا للحركة الإسلامية، مساعده الشيخ سيا وكان حكمتيار آنذاك في السجن، لأنه اتهم بقتل شيوعي في داخل الجامعة، قام بينهم جدل كلامي -لأن الأفغان المزح عندهم ضرب فظلوا يضربون بهذا الشيوعي حتى مات بين أيديهم، عندما مات حكم حكمتيار والدكتور محمد عمر، كل واحد سنة ونصف، و حكمتيار هو المسؤول العسكري في الحركة الإسلامية رغم أنه في السجن وكان عمره آنذاك (٢٢) عاما.

العمل المسلح:

جاء داود، بدأ يعد العدة للضرب، خرج حكمتيار كذلك بدأ هو يعد العُدة لضرب النظام، فبدأ يتصل بالضباط الطيّبين في دا الجيش، ورتب حكمتيار -كمسؤول عسكري في داخل الحركة الإسلامية- انقلابين، ولكن الدولة اكتشفت الانقلابين قبل التنفيذ، وعند قررت الدولة أن تعتقل هؤلاء القادة، فاعتقلت غلام محمد نيازي واعتقلت سياف واستطاع الشيخ رباني وحكمتيار أن يهاجرا في دا أفغانستان، ومن داخل أفغانستان وصلا إلى بيشاور، في بيشاور تجمع حوالي (٣٠) شابا من أبناء الحركة الإسلامية، الشيخ رباا كان مستأجرا غرفة هنا بستين روبية أو مائة روبية - ويحدثني الإخوة الذين كانوا معه في الغرفة، كان معه أحمد شاه مسعود، وكان م بعض الإخوة من أبناء الدعوة الإسلامية الذين هاجروا إلى بيشاور، قالوا: كنا مستأجرين غرفة، يقول لي الأخ الذي كان يعيش مع كثيرا ما كان يرجع إلينا بعد الظهر، يقول: أعندكم شيء نأكله؟ فلا نجد الخبز، قال: فنبقى طيلة يومنا طاوين جائعين إلى المسا وأخيرا قرروا أن يعملوا، ماذا يعملون؟ يعملون في الحسبة، حسبة الخضار، حلقة الخضرة، يشترون كل يوم مجموعة من حزم البرسيم أو الفجل، أو الخضار، يربحون كل يوم روبيتين أو يشتغل مع باكستاني، كان يعطيه الباكستاني كل يوم روبيتين، روبية يدفعها للجمعي وروبية ينفقها على نفسه، كان كل يوم يشتغل الواحد منهم بروبيتين، ثم قرروا أن ينازلوا نظام داود، قرروا أن ينازلوا نظام داو عسكريا، وكانت عملية شبه انتحار ! ثلاثون شابا يبدأوا معركة مسلحة ضد نظام داود، وداود معروف.... شخصية عسكرية طاغ جبارة، إذا كانت تذكر في داخل أفغانستان، تهتز لها الفرائص في كل الأرجاء.

إن قرارالدعوة الإسلامية أن تنازل داود عسكريا بهذه الأعداد القليلة - رغم أنهم ما كانوا يملكون شيئا من السلاح - هذا بحد ذاته يعتبر خارقة من خوارق العصر، ويدلك على العزم الصادق الذي لايعرف الكلل ولاالملل.

وإذا كانت النفـــوس كبـــــارا	تعبت فـــي مـرادها الأجســام
على قدر أهل العزم تأتي العزائــم	وتأتي على قــدر الكــرام المكارم
ويعظم في عين الصغير صغيرهـا	ويصغر في عين العظيم العظائــم
إذا غامرت في شـــرف مـــروم	فلا تقنع بمــا دون النجــــوم
فطعم الموت في أمــــــر حقير	كطعم المــوت في أمــــر عظيم
يرى الجبنــــاء أن الجبن عقـل	وتلك خديعة الطبــع اللئيـــم

نعم...الناس يرون أن أمثالكم متهورون، متسرعون، طائشون، وأما هم الذين لم يتحركوا خطوة ويرون المنكرات في كل مكان في الأرض، والأعراض تنتهك في كل الأرجاء فلا غيرٌ لديه ولا نكير، وهذا يعتبره حكمة وعقلا وتدبرا وبعد نظر وغير ذلك.

والحق أن الأستاذ حكمتيار كان متحمسا لهذا العمل إلى درجة كبيرة أو عظيمة جدا، وكان له يد طولى في دفع هؤلاء الشباب، وقسموهم إلى مجموعات، كل مجموعة منهم ذهبت تقتحم مركزا من مراكز داود.

دكتور محمد عمر هجم بقنبلتين اشتراهما من درا، وذهب إلى بدخشان (على حدود روسيا) مشى ثلاثين يوما بقنبلتين ومسدس وهجم على مركز ضخم لداود.

أحمد شاه مسعود كذلك هجم على بنجشير واحتل بنجشير بمجموعة صغيرة من الشباب، وبأسلحة لا تكاد تذكر، قنابل يدوية وبعض المسدسات، وبقي يسيطر على بنجشير ثلاثة أيام، ولكن الدولة كانت حاذقة جدا في إعلامها، وحركت عملاءها المسمّين بالعلماء زورا وبهتانا، هؤلاء الذين يشترون بعهد الله ثمنا قليلا

(إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأ كلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفى شقاق بعيد) (البقرة الآية: ١٧٤ - ١٧٦)

صورت هؤلاء الشباب أنهم خارجون على السلطان، وصوّرتهم أنهم متمردون وبغاة خارجون على حكم الإسلام، ويوضح هذا مثال بسيط : أن اثنين ممن دخلوا بنجشير مع أحمد شاه مسعود قد جرحا - أحدهما يعمل استاذاً في كلية الهندسة- وتحاملوا على أنفسهم وناءوا بها حتى وصلوا قرب نهر وجراحاتهم تنزو دما، فجاء إليهم أحد الرعاة، فطلبا منه أن يسقيهما الماء، قال: من أنتما؟ قالا: نحن من الذين دخلوا بنجشير ونجاهد ضد هؤلاء الظالمين والطغاة والطواغيت، قال: أنا آتيكم بماء الآن، وجاءهما بحجر ضخم فرضخ به رأسيهما وقتلهما، ثم ذهب مسروراً يخبر إمام المسجد أنه قتل اثنين من البغاة الخارجون على الإمام، فقال له الإمام: قتلت مؤمنين صادقين مجاهدين، فجنّ الراعي وهام على وجهه في الأرض.

وبقيّ هذا الجهاد مستمراً، وقبل أن يدخل الحكم الشيوعي وأن يأتي تراقي وحفيظ الله أمين وببرك كارمل، وقبل أن تدخل روسيا، كان الأستاذ رباني قد حذر العرب والمسلمين من هذه النتيجة، وذهب الأستاذ رباني إلى السعودية، وقابل الملك فيصل رحمه الله - وكان لازال حيا في ذلك الوقت - وقدم له تقريراً عن المخاطر التي تنتظر الجزيرة والخليج إزاء الحكم الذي حكم به داوود، وأن داوود يعتبر جسراً ستعبر عليه روسيا والشيوعية إلى بلادكم، فاهتم الملك بالتقرير وحوله إلى السفير في كابل فعلق عليه السفير بكلمة: إن داوود رجل وطني لايشك في إخلاصه، وما ورد في التقرير ليس صحيحا !!! فوضعه في النسيان وعلاه الغبار إلى الآن، وما عرف الناس النظرة التي كان ينظر بها الاستاذ رباني وأبناء الدعوة الإسلامية إلا بعد أن رأوا روسيا في داخل أفغانستان.

بعد فوات الأوان:

حكم داوود خمس سنوات من ‹١٩٧٣› إلى ‹١٩٧٨›، وعندما صفى أبناء الحركة الإسلامية تفرغ له الشيوعيون، ووجد أن الشيوعيين كانوا متربصين به ريثما يبتعد من وجههم ذاك السور المنيع من أبناء الحركة الإسلامية الذين يقفون لهم بالمرصاد، أما وقد ألقوا في غياهب السجون ووراء القضبان فالآن.

خلا لك الجو فبيضي وصفري ونقري ما شئت أن تنقري

ووجد داوود نفسه محاطاً بسور من الشيوعيين من حوله، من رجالات الجيش والوزراء ومدراء الدوائر وغيرهم، فحاول أن يخلص نفسه، ولكن بعد آن فات الأوان، ولات حين مندم، وطار داوود بحجة أنه يعتمر ويزور البيت الحرام، وعرض مشكلته على الملك خالد رحمه الله - وكان لازال حيا -، قال لهم: إن الشيوعية قادمة إليكم، وهم سيأكلونني ويصلون إليكم، فقالوا: إن طردت الشيوعيين وأوقفت المد الروسي والشيوعي في بلادك نحن نستطيع أن نضمن لك ميزانيتك، ونعطيك القروض التي تعطيك إياها روسيا.

وكان أحد أعضاء الوفد الذين اشتركوا في المحادثات كان وزيرا للتجارة رجلٌ شيوعيٌ اسمه جلالر، فقدم تقريرا لروسيا بما حصل من محادثات، وعندها قررت روسيا أن تطيح به، وانتظر الحزب الشيوعي القشة التي تقصم ظهر البعير، وكانت هي اغتيال (مير اكبر خيبر) فيلسوف الحزب الشيوعي في داخل كابل، اغتيل مير اكبر خيبر في ١٧ نيسان سنة ١٩٧٨، والذين اغتالوه شباب من أبناء الحزب الإسلامي من (أتباع حكمتيار)، وظن الشيوعيون وهم يخططون وألصقوها بداود، وقامت المظاهرات في داخل كابل، واستمرت المظاهرات حتى ٢٧ نيسان عشرة أيام متواصلة، وحركوا بعض المسلمين العاديين أمثال عبد القادر المسؤول عن الطيران ودك قصر داوود، ودخلوا على داوود، وقتلوه هو وأسرته جميعاً على سجاد القصر، وأبقوا جثثهم، وجاءوا بالشعب ليُرى نتيجة عدو الشعب ماذا أصابه.

حكم تراقي:

و أعلنت حكومة (نور محمد تراقي)، عندما أعلنت حكومة نور محمد تراقي، الناس تنبهوا، أعلنت في ٧ نيسان سنة ١٩٧٨م وجاء الحزب الشيوعي بنفسه إلى الحكم، عندما جاء بنفسه إلى الحكم وبدأت القرارات من الدولة متواصلة، تقليل حصص الثقافة

نور تراقي معروف عند الشعب الأفغاني أنه مؤسس حزب خلق الحزب الشيوعي. ثم بعد ذلك انفرد بجناح خلق، الحزب الديموقراطي الأفغاني الذي هو الحزب الشيوعي الأفغاني، عندما جاء تراقي ووصل إلى الحكم العلماء تنبهوا، وهو تراقي أصلا جاء ليُصفيّ كل المسلمين، ولم يدع لا سلفياً ولاصوفياً ولاحنفيا ولا أحداً، أي واحد عنده اتجاه اسمه إسلامي بدأ يذبحه بالمجازر العامة، وما كان عنده وقت أن يعلق المشانق، و ينصب الأعواد، كان يأتي بالمئات ويصفّهم، ثم يأتي البلدوزر ويدوس عليهم وهم أحياء، ثم تأتي الجرافة بعده وتدفن هؤلاء بعد أن تدوسهم الجرافات، بلدوزر يمشي عليهم أحياء !!! هكذا أو تأتي الجرافة وتشق خندقا أمامهم ثم الرشاشات تفتح عليهم من ظهورهم فينكبون على وجوههم في داخل الخندق، ثم تعود الجرافة مرة أخرى وتدفنهم بعد أن سقطوا جثثا مجندلين في داخل الخنادق.

تمحيص وابتلاء :[١]

والشيخ سياف كان يوجه إخوانه في السجن ويعطي المحاضرات، فكان معزولاً في سجن آخر، وعندما قرر تلك الليلة، جاءوا والأسماء معهم مائة وسبعة عشر، وكان أبناء الحركة في عنبرين، فجاءوا وأخرجوهم من العنبر الأول وبدأوا يوثقونهم، فشعروا أنهم يساقون إلى الإعدام، فهجم أحدهم على أحد الشرطة الواقفين وأخذ بندقيته وسحب أقسامها ليقتل الشرطة فلم يجد بها رصاصا.

ودارت معركة بالحجارة والعصي والخشب، بين الشباب المحكوم عليهم بالإعدام أبناء الحركة الإسلامية وبين الشرطة، وعندها أمر الشرطة أن يفتحوا رشاشاتهم على هؤلاء الشباب المُوثّقين، وقد دخل قسم منهم في داخل سيارات الجيب فرفضوا الأوامر، وعندها أمرتْ الدبابات التي فوق أبراج السجن أن تفتح رشاشاتها عليهم، وفتحت الرشاشات على السيارات، والتصقت لحومهم وعظامهم بعد أن طحنت وتطايرت – مع حديد السيارات.

وبقي العنبر الثاني، وجاءوا للعنبر الثاني ودفعوه، أدخلوا الرشاش فكسر الدعاة يد الشرطي وأخرجوا الرشاش وأغلقوا باب السجن، وباب السجن حديد لايخترقه الرصاص فبدأوا يطلقون القنابل من النوافذ – الشرفات الصغيرة التي تعلو العنبر– وبقيت القنابل تلقى عليهم حتى الساعة الرابعة صباحا حتى سقط آخر شهيد من المائةوخمسة عشر.

السيارتان اللتان تقلان الجثث التي تحولت إلى بولوبيف وضعتا بباب السجن، وبقي التكبير والتهليل يخرج منها، وصار الحرس يهربون منها، مما اضطرهم أن يأخذوها بعيدا ويدفنونها، وبقي من المائة وسبعة عشر إثنان أحياء ،وهما الأستاذ سياف ورجل آخر، جاء ناظر الداخلية في الصباح فوجد هذه المجزرة ووقع على الورقة: لقد نفذ حكم الإعدام بالجميع، وظنت وزارة الداخلية أن كل المائة وسبعة عشر قد نفذ بهم حكم الإعدام، والله عز وجل قد أبقى الأستاذ سياف حياً في عالم الواقع وهو معدوم في أوراق الحكومة بالنسبة للناس نظروا ويكفر الحكم وبوجوب الجهاد ضده، فصار العالم يخرج ويفتي فتخرج معه قريته ضد الحكومة مهابة وغيرة لله عز وجل، عملية لا نظن لها في التاريخ مثيلاً حماسة وغيرة واندفاعا، شعب بكامله يحمل العصي والحجارة ويقف أمام الدبابات ويهزمها، والناس عندما يقومون لا يجدون أمامهم إلا الجمعية الإسلامية التي يقودها الأستاذ رباني والحزب الإسلامي الذي يقوده المهندس حكمتيار، فصار الناس إما أن ينضموا وراء الجمعية وإما أن ينضموا مع الحزب الإسلامي، وأصبحت الحركتان الوحيدتان في داخل أفغانستان – حتى منتصف أيام تراقي – هي الجمعية الإسلامية والحزب الإسلامي.

ولكن حمزة لا بواكي له·

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرّض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا) (النساء:٨٣–٨٤)

---

١) هناك انقطاع في الشريط. · خطبة جمعة ألقيت في مسجد الشهيد سبع الليل سنة ١٩٨٩م.

ترديد الشائعات:

يرشدنا رب العزة سبحانه وتعالى من خلال هذه الآيات البينات: الآداب الإسلامية تجاه الشائعات في المعركة، أن هنالك أولي أمر يُرد إليهم الأمر، وقد تكون الشائعة بصدق وإخلاص، من ترديد كلام يسمعه الناس، ولكنها غالباً موجهة من أعداء الله عز وجل، فإبان المعركة وأثناء احتدامها هنالك جهة واحدة تُستقى منها المعلومات، وتُتلقى منها الأوامر هي أولو الأمر.

والناس في الساحات الجهادية قسمان: قسم عرف هذا الأدب فأخذ به، فلا يردد كل ما سمع، بل يمحصه تمحيصا، ويرجع به إلى أصحابه، وبعد ذلك إن سُئل أجاب، وإن لم يُسأل **(فرحم الله امرءا قال فغنم أو سكت فسلم)**، **(والصمت حكمة وقليل فاعله)**، **(ومن صمت نجا)** وأناس لم يتربوا هذه التربية الإسلامية، ولم يتلقوا ثقافة جهادية إيمانية، فتراهم كلما سمعوه فهو حق، يرددون:

جرّب البهتان فيــه	*وانطلى الزور عليــه*
يا لــــه من ببغــاء	*عقله في أذنيــــه*

وقد يكون الفريقان صادقين، ولكن بعضهم بصدقه يطعن الدين طعنة نجلاء، وبعضهم بصدقه ينفع المسلمين وينقذهم من البلاء.

من هم أولو الأمر؟ أولو الأمر كما يقول الحسن وقتادة وابن أبي ليلى: أهل العلم والفقه، وقال السدي: هم الأمراء والولاة، قال الجصاص: ولا بأس أن يكون الفريقان مقصودين، فأهل العلم من ولاة الأمر، والولاة والأمراء من ولاة الأمر، وكيف يكون العلماء والفقهاء أولو أمر مع أنهم ليس لهم دالّة على الناس، ولا هيلمان ولا سلطان يردعون به من يتفلت منهم ولا درة يخفقون بها من تطاول على الأمر.

قال الجصاص في أحكامه: وذلك لأن العلماء مأمورون أن يُبينوا الحلال والحرام، والناس مأمورون وجوبياً أن يتبعوهم فهم أولو الأمر حقاً، بل الأمراء والولاة هم تبع للعلماء كما يقول ابن القيم، لأن العلماء هم أمراء الأمراء وولاة الولاة، وطيلة التاريخ الاسلامي كلما رزق الناس بخليفة أو بوال صالح جمّع حوله مجموعة من العلماء والفقهاء، فلا يحل أمراً ولا يبرمه إلا بعد أن يستشيرهم، ولذلك سمي أهل الحل والإبرام، أهل الحل والعقد، فهم الذين يحلون الأمور، وهم الذين يُبرمونها ويعقدونها، وكلما كان هذان الصنفان اللذان أناط بهما الله صلاح الناس متقاربين كان الناس على خير وصلاح، وصار العدل في الرعية، واطمأن المرعيون، ونامت الشعوب ملء جفونها، حتى إذا افترق السلطان والقرآن، وتحول العلماء أو كثير منهم إلى فراش نار وذئاب طمع ضاع الدين، لأن الأمراء إنما يعطونهم من أجل أن يسكتوا على ظلمهم، ويُصوبوا باطلهم، ويحسّنوا سيئهم، ويخدّروا الجماهير بتلك اللقيمات التي اشتروا بها آيات الله عز وجل.

(اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون) (التوبة: ٩)

ففي حال المعركة بالذات أعصاب الناس ونفوسهم وقلوبهم كلها مشدودة لاستعمال القوة، وكلها مصوبة معلقة بالنصر الذي يطمعون، ومن أجله يهرقون ويدفعون دماءهم، والأعصاب كأعصاب بشرية وهي مشدودة لا تحتمل الضربات المتتالية، ولا الساخنة ولا الثقيلة، ومن هنا يحرص الأعداء إبان المعركة أن ينشروا أسوأ الأخبار بين الجيش حتى يتمزق الجيش ويتفرق، ويوم أحد، يوم أن صاح ابن قمئة: إني قتلت محمداً، قعد الصحابة عن القتال، وقالوا: ماذا نفعل بعد رسول الله ﷺ، حتى إذا مر بهم أحد الفقهاء الذين بصّر الله بصائرهم بعلمه ونوره، ما بالكم؟ قالوا قتل رسول الله ﷺ، فقال: قوموا فموتوا على ما مات عليه، فلا شأن لكم بالحياة بعده.

الأعصاب أثناء المعركة لا تحتمل الأخبار السيئة، ومن هنا فقد بقيت معظم أوروبا تغيب وتغط في دياجير الظلام يوم أن أشيع أن عبدالرحمن الغافقي في معركة بلاط الشهداء على نهر بواتيه قد قتل، فهزم المسلمون وهم على بعد مائة كيلومتر تقريباً من باريس أو حولها، تفرق الجيش، وهزم المسلمون، ولحقهم سيف (شارل مارتل)، ووقف الإسلام، ولم يتقدم بعدها نحو الشمال في أوروبا، أرجوفة واحدة أثناء المعركة قد حرمت العالم كله من دين الله الذي نزّله رب العالمين من أجل أن يكون رحمة للناس أجمعين!!!

ولذا ورب العزة وهو صانع هذه النفس البشرية ويعلم أنها يهمها القوة، وتحب في مواطن النزال الكثرة، يُكثّرهم رب العزة بالملائكة، بل يقلب رب العزة الحقائق في زمن رسول الله ﷺ، وفي زمن الصحابة، حتى لا تهتز مشاعرهم، وحتى لا ترتجف أوصالهم [إذ يريكهم الله في منامك قليلا] لماذا؟

(ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليم بذات الصدور وإذ يريكموهم

رب العزة غيّر الحقائق حتى في ذهن أشجع الناس، في بصره، في رؤياه، ورؤيا الأنبياء حقّ، ولكن المعركة تقتضي أن يقلل الجمع، أن يقلل الأعداد حتى ترتفع الهمم، وتُشحذ العزائم، وتنقض الضراغم، وتمضي وهي مطمئنة لقدر الله متوكلة عليه، ولكن الأسباب المادية لها أثرها في نفس المؤمن، وخاصة إبان المعركة وأثناء احتدامها.

بشروا ولاتنفروا:

قال لي بعض الإخوة: لماذا لا تنقل الصورة كما هي في داخل افغانستان؟ نحن نجعل الناس من خلال كتاباتنا وخطاباتنا وأشرطتنا المسموعة والمرئية يعيشون في جو رومانسي غربي، وعندما يصطدمون بالحقائق، أنت تتحمل النتيجة، وهذا في الدين لا يجوز!!

فقلت لهم: لنراجع دين الله كيف كانت تُنقل المعارك في كتاب الله ! وكيف كانت تنقل سير الأبطال والصحابة والتابعين في كتب المناقب والسير والمغازي وغير ذلك !

أولاً: رسول الله ﷺ يوم أن علم أن قريظة قد نقضت عهدها تعب فدعا غطفان وقال لهم: إن رأيتم أن ترجعوا ونعطيكم ثلث ثمار المدينة، فوافقوا، ثم دعا رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، وأمرهما أن يذهبا إلى بني قريظة، وكان بين الأوس **(قوم سعد بن معاذ)** وبين بني قريظة ولاء وحلف في الجاهلية وصداقات ومودات، فذهب إليهما السعدان، فوجدا أن القوم قد أصروا على النقض والنكث، أوصاهما رسول الله ﷺ، قال لهما إن نكثوا فلا تشيعوا ذلك بين المسلمين، وأشيروا، وإن لم ينكثوا فاشيعوا ذلك بين المسلمين، وعندما علم السعدان أن قريظة قد نكثت عهدها، رجعا إلى رسول الله ﷺ، وقالا « **عضل والقارة** »، فكبر رسول الله ﷺ، وعضل والقارة تشير إلى غدر قبيلتي عضل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ يوم أن قتلوهم جميعا، إذ جاءوا وتوددوا إلى رسول الله ﷺ ليرسل معهم قرّاء يعلمونهم كتاب الله، فعندما وصلوا إلى ماء الرجيع لهذيل قالوا: لا حاجة لنا بالقراءة ولا بالقرآن، جئنا بكم لنبيعكم إلى قريش، فدارت معركة، وقتل ثلاثة، وأسر ثلاثة، وكانوا ستة يوم الرجيع، فقالا عضل والقارة، فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر، فشعر الناس أن هنالك خبراً ساراً وبشرى مفرحة قد وصلت رسول الله ﷺ لأن الجو خانق، إدلهمّ الظلام، الكروب أخذت بخناق المسلمين..

(إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً) (الأحزاب: ١٠-١١)

وفي هذا الجو يجد المرجفون صيدهم الثمين، ووسيلتهم تسلل تثبيطهم لقلوب المؤمنين..

(وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا »، « وإذ قالت طائفة منهم ياأهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا) (الاحزاب: ١٢-١٣)

هذا الجو لا يحتمل أي خبر سيء، الأعصاب متوفزة، والنفوس متحفزة، والقلوب تكاد تطير شعاعاً من بين ضلوعها، ورسول الله ﷺ يقول لأصحابه: من ينظر لنا القوم ويرجع وله الجنة؟ يشترط له رسول الله ﷺ الرجوع والجنة، فلا يقوم أحد من الصحابة، و يقولها مرة أخرى، فلا يقوم أحد من الصحابة، ويقولها ثالثة، فلا يقف أحد من الصحابة، فاضطر رسول الله ﷺ أن يختار واحدا من بين الصحابة، فقال: قم ياحذيفة، قال: فكنت ألبس مرطاً لزوجتي لا يكاد يتجاوز ركبتيّ، وكنت أجمع نفسي لشدة البرد، هذا الجو الخانق الذي قال عنه ربّ العزة (زلزلوا زلزالاً شديداً) لا يحتملون أية كلمة إلا إذا كانت خيراً، وإلا إذا كانت بشرى سارة، فكيف إذا جاءت الطامة، وعلم المسلمون – الذين لا يكادون يغطون أطراف الخندق – علموا أن قريظة من الجهة الأخرى قد نكثت لتفتح الطريق إلى قريش وإلى الأعراب المنتشرين حول المدينة حتى يجتثوا شجرة الإسلام ويبيدوا خضراء المسلمين، لا، لا وألف لا، النفوس لا تحتمل كلمة سيئة، ولا يشاع في هذا الجو إلا كل خير، وإلا فالهزيمة للمسلمين.

— وقد نكون مخلصين، ولكننا نطوي الخنجر المسموم في أعماق هذا الدين ونحن لا نعلم، ونتصرف بإخلاص !!

يوم أن جاءت رسالة عمر رضي الله عنه في غير توقيتها يعزل خالداً وهو يستعد لمعركة اليرموك الفاصلة التي وقف بعدها هرقل

يلوح بيديه لسوريا قائلا: وداعاً لك يا سوريا وداعا لا لقاء بعده، تصل رسالة عمر رضي الله عنه تعزل خالداً وتولي أبا عبيده، فطواها خالد ووضعها في جيبه حتى لا يفت في عضد المسلمين، وبعد أن خاض المعركة بغير ولاية، خاضها وهو معزول حتى لا يطعن هذا الدين بأعماقه، عندما بعد أن نصر الله جنده وأعز دينه وهزم الكفر وولت جموع الروم هاربة تلقي بنفسها في نهر اليرموك، أخرج الرسالة من جيبه، وقرأها على جموع المسلمين، وولى أبا عبيدة إمارة المؤمنين، ماذا كان يحصل في التاريخ لو سلّم خالد رسالته لأبي عبيدة قبل اليرموك؟ والنفوس تعرف من هو خالد، الفارس الذي لم يهزم لا في جاهلية ولا في إسلام، ويوم أن طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لافتتاح بيت المقدس ولتسلم مفاتحها من « صفرونيوس »، ورأى أعمال خالد بن الوليد قال: رحم الله أبا بكر لقد كان أعلم مني بالرجال، رحم الله أبا بكر فقد كان أعلم مني بالرجال.

والذين يريدون من هذا الدين أن يخوض معركة ضد العالمين وضد أعدائه المتربصين يصوبون سهامهم من كل حدب وصوب، ويريد شعبا ذا صفات ملائكية..

(لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (التحريم:٦)

هذا فليبحث له عن شعب يعيش في السماء، أما الأرض فقد أبت ذلك..

(وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) (يوسف:١٠٣)

أبو بكر رضي الله عنه عند وفاة رسول الله ﷺ، والناس تشدهم القيادات القوية، فإذا جاءت قيادة ضعيفة انفلت الناس وتفرقوا وكل أخرج ما في خبيئته، وبان ما في قلبه على قسمات وجهه وفلتات لسانه، فعندما توفي رسول الله ﷺ ارتدت الجزيرة كلها، لم يبق في الأرض سوى المدينة ومكة والطائف والبحرين، وما سواها فقد انقسم الناس فيها قسمان ؛ قسم قد أعلن كفره الصريح وتتبع المرتدين،الأنبياء الكذابين: مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وطليحة الأسدي، وسجاح بنت الحارث، وأناس قالوا: نحن على هذا الدين، ولكن لنبعث بعوثنا ونرسل وفودنا إلى أبي بكر حتى يعفينا من الزكاة، وجاءت الوفود والمدينة تكاد تخلو من الرجال والفرسان، لأن أبا بكر قد أصرّ أن يبعث بعث أسامة، وعندما رجاه الصحابة أن يوقف بعث أسامة قال: **(والله لو دخلت الكلاب والأسود واختطفتني ما أوقفت أمراً لرسول الله ﷺ)**، وفي رواية **(لو دخلت الكلاب فأجترت أمهات المؤمنين بأرجلهن من حجراتهن ما أوقفت بعث أسامة).**

خرج بعث أسامة، والمدينة تكاد تكون خالية، وطمع الأعراب من الوفود التي جاءت وردها أبو بكر، عندما جاءت تعرض قال عمر: يا خليفة رسول الله، لو تألفت هؤلاء، فقبلت منهم، قال: يا عمر - وأخذ بتلابيبه - **رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك، أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام؟! لقد انقطع الوحي وتمّ الدين، أوينقص الدين وأنا حي؟! والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، ثم قال: والله لو خذلني الناس جميعا لقاتلتهم**، والله لوخذلني الناس جميعا لقاتلتهم وحدي، الوحشة، الخوف، الرعب، الناس يتربصون، والأعداء يكيدون، والأعراب يعدون لدخول المدينة، وإبادة المسلمين، وغنيمة ما وجدوا فيها من متاع، ووزّع أبو بكر كبار الصحابة على ثغور المدينة ومنافذها، فالزبير وعبدالرحمن وسعد وغيرهم، وضع كل واحد منهم على نقب من أنقاب المدينة، وجاءت جموع الأعراب اللاهثة وراء الدنيا لتقتحم المدينة، ورجع أسامة بعد أن زرع هيبة المسلمين في قلوب هؤلاء المتربصين، إذ أخذوا يقولون في سامرهم ويرددون في مجالسهم: لولا أن المسلمين على قوة ما بعث أبو بكر هذا البعث، فبدل أن تؤدي النتائج السلبية كما ظن عمر وكبار الصحابة أدت نتائج إيجابية، وخرج أبو بكر بنفسه يقود معركة ضد الأعراب الذين تجمعوا عند ذي الحثي قرب المدينة، فتقدم إليه علي وقال: **(يا خليفة رسول الله شم سيفك - أي لمّ سيفك - ومتعنا بنفسك، أردد لك ما قاله رسول الله ﷺ يوم أحد، قال والله لن أخذلكم ولن أترككم)** وبقي معهم، هؤلاء المرتدون في الجزيرة كلها سير لهم أبو بكر أحد عشر جيشا، جيش خالد وشرحبيل الى آخره، وكان على مقدمة خالد ضرار بن الأزور، ولقي مالك بن نويرة من بني تميم « زوج أم تميم بنت المنهال » وشك في إسلامه وقتله ضرار، وحصل أن تزوج خالد أم تميم زوجة مالك بعد قضاء عدتها، وأخذ المرجفون يعيدون ويبدئون لقد قتل خالد مالك بن نويرة من أجل زوجته الجميلة ونزا عليها قبل أن تنتهي عدتها،وعاد خالد، وأقبل عمر وقد سمع هذه الأراجيف على خالد، وأخذ يخلع عن خالد قلنسوته بعد أن نصر الله،بسيفه الإسلام، تقدم إليه وأمام الناس في المسجد يبكته ويقبحه ويؤنبه: قتلت مسلما ونزوت على امرأته في أثناء عدتها، وخالد صامت لا يحير ببنت شفه، ولا يرد على عمر، وقال لأبي بكر إعزل خالدا، قال أبو بكر كلمته: **والله لا أغمد سيفا سله الله على الكافرين.**

عصابات انطلقت من أجل النساء ومن أجل قطع الطريق، وأخذ أموال الآمنين، ماذا فعل أبو بكر بهذه القبائل المرتدة؟ ارتدت، اتبعت الأنبياء، الأنبياء الكذبة، هل قتلهم؟ هل سجنهم؟ رمى الفرس والروم بهم، سير المرتدين الذين كانوا قبل شهر ملحدين كافرين، سيرهم لقتال أعداء الله المجوس عبدة النار، وطليحة الأسدي الذي كان أحد الأنبياء الكذبة جاء وأعلن توبته، فقبل أبو بكر توبته، وكان له اليد المعلى وقصب السبق في فتح الفتوح، في القادسية يوم أن هزم الفرس أمام جند الله الصادقين.

الذين يبحثون عن شعب أفضل من شعب أفغانستان فلينتظروا قيام الساعة، لن يجدوا معركة في الأرض، وأنا أعرف ما تعرفون، وبسبب العمر والإطلاع قد أزيد على ما تعرفون، والتجارب علمتنا أن تجربة الشعوب تجربة فيها الغث والسمين، وفيها المنافق والمنتفع، وفيها الصادق والمرجف، ولكن التيار العام الممتد الذي ينصر به دينه يجب أن تكون رايته إسلامية، ويجب أن تكون كلمة الله هي العليا، أما في داخل هذا الخضم المتلاطم فستجد الأوساخ والغش والزبد والغثاء، ولذا فقد أفتى العلماء وعلى رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمية وهو يتعرض لهذه المسألة في مجلد الجهاد الجزء الثامن والعشرين الصفحة خمسمائة وست، يقول ابن تيمية: **ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل برٍّ وفاجر، فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، وبأقوام لا خلاق لهم، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو عسكر كثير الفجور فإنه لابد من أحد أمرين، إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضررا في الدين والدنيا، وإما الغزو مع الأمير الفاجر ليحصل بذلك دفع الأفجرين وإقامة أكثر شرائع الإسلام، وإن لم يمكن إقامة جميعها، فهذا هو الواجب في هذه الصورة وما أشبهها، بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه.**

وما هو الوجه؟ الغزو مع معسكر كثير الفجور أو معسكر أمراؤه فجرة.

يا أيها الإخوة فقلت لمن راجعني: تعال معي حتى أثبت لك أن أية معركة في الأرض لن تنتهي بأفضل ولا أحسن مما انتهت إليه هذه المعركة المشرفة في أعماق أفغانستان.

الجهاد بحاجة إلى الشعب:

قلت له لنفرض أن الحركة الاسلامية في الأردن أو في مصر بدأت الآن جهاداً ضد اليهود، هذه الحركة الاسلامية أعدادها محصورة:

تعيرني أنّا قليلٌ عددانا فقلت لها إن الكرام قليل

فأعدادهم محصورة بآلاف، والشعب بالملايين، هذه الآلاف ستتصدر للمعركة، وستشرع هاماتها للسهام والسيوف، والناس ينتظرون في بداية الأمر، سيسقط في السنة الأولى آلاف، وفي السنة الثانية كذلك، كيف يتنقل أبناء الدعوة عبر سيناء إلى فلسطين؟ ألا يحتاجون البدوي الذي يدلهم على الطريق؟ ألا يضطرون لكي يداروه مع أنه تارك للصلاة ليسمح لهم أن يختبئوا، إذا أقبلت عليهم جنود الطواغيت أو جنود اليهود، ألا يحتاجون إلى من يشتري لهم السلاح؟ وتجار السلاح قطاع طرق وسفاكو دماء،ألا يحتاجون للجزار؟ ألا يحتاجون للراعي؟ ألا يحتاجون للنجار؟ ألا يحتاجون لزعيم القبيلة؟ إذا قال زعيم القبيلة: أنا أريد قومي أن يشاركوا معكم هذا الفخر، أتستطيع الحركة الإسلامية أن تقول له: نحن لا نوافق؟ فهو يقطع عليها الطريق، ويسد ثغر الكافرين من ذلك المكان أو في تلك الثغرة، هم مضطرون أن يتعاونوا مع المصلي وتارك الصلاة، مع قاطع الطريق، مع دلال الطريق المتفرس بشعاب المنطقة، مع زعماء البدو الذين هم أشد كفراً ونفاقاً.

واقرأوا إن شنتم الجهاد في فلسطين، يوم أن كانت الحركة الإسلامية مضطرة ضرورة لا مناص منها أن تتعامل مع زعماء البدو، زعماء البدو هؤلاء هم الذين أخذوا السلاح للحركة الإسلامية ليوم كريهة وسداد وثغر.

لقد حدثني أحد الإخوة الذين واكبوا مسيرة القتال سنة ثمان وأربعين وتسع وأربعين أن كثيراً من المتطوعين من غير الإخوان تاركين للصلاة، حملوا سلاحهم، هل تستطيع أن تردهم؟ وإذا هجم اليهود الآن على بلد كالأردن و مصر، هل تستطيع أن تطرد من الصوفي والأشعري والمرجئة واللحام وقاطع الطريق؟سيشتركون – رضيت أو غضبت – معك في المعركة، لكن من الموجه لهذا؟ من الذي يقود الأمة؟ من الذي يسدد مسيرتها؟ أبناء الحركة الإسلامية، فالراية المرفوعة واضحة، والطريق واضحة، ولكن الغثاء داخل الجيش كثير، ثم قلت له:وإذا امتدت المعركة ضد الطواغيت سيفنى معظم أبناء الحركة الإسلامية، يقول لي حكمتيار قبل سنين: لقد أرسلت إلى الشمال سبعة وتسعين من أبناء الحركة الإسلامية لبداية المعارك في الشمال، لم يبق منهم جميعا إلا ثمانية،

وقتل تسعة وثمانون، ومن الذي سيستلم بعد القائد؟ سيأتي أخوه أو ابن عمه أو زعيم قبيلته، وأنت لا تستطيع أن تدفعه عن القيادة، لأن القبيلة بكليتها متعلق رأيها برأيه، فأنت مضطر أن تقبل هذا في ركابك، وأن تسكت على مسيرته على جادتك، وإلا ستتلفت حولك في يوم من الأيام فلن تجد حولك أحداً.

ماذا فعلتم؟ وماذا صنعوا؟

وماذا نقلنا؟ وماذا غيرنا عن صورة الجهاد الأفغاني؟ وكيف خدعنا المسلمين؟ألم يقفوا أمام أكبر عملاق في الأرض كما تقول الصحف العالمية؟ ألم يقصموا ظهر روسيا والإمبراطورية السوفياتية؟ ألم يصرح قائد الجيش الروسي في ترمذ إثر انسحابه قبل شهرين أو ثلاثة: هذا اليوم الذي كنا ننتظره منذ سنين؟! أروني بالله عليكم أي جيش في بلاد المسلمين قد حقق ما حققه شعب الأفغان، أروني شعبا قد أذاق المسلمين حلاوة الأمل، واستعذبت بسببه ورأت بوارق النصر، أروني شعبا من الشعوب(بالله عليكم) قد رفع رؤوس المسلمين في الأرض،ألم يقصم الجهاد الأفغاني الشيوعية في عمودها الفقري؟ألم يضرب الضربات المتتالية في رأس غورباتشوف حتى غير عقيدته تجاه المجتمع كله؟ ألم يعد غورباتشوف بنفسه يقلع الشيوعية من جذورها؟ غورباتشوف يعلن: إنني سأسحب مليوني جندي من أوربا الشرقية، فيقول وزراء دفاع الأطلسي «لكارلوتشي» وزير الدفاع الأمريكي: يبدو أن غورباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب؟ قال لا، لقد أجبره الأفغان أن يغير سياسته تجاه العالم أجمع.

نعم.. أنتم لا تدركون، لا تدركون الآثار البعيدة التي أوقعها الله في الأرض بسبب هذا الجهاد المبارك، أي إحياء للأمم بسبب الدماء التي تسيل فوق سفوح الهندوكوش؟ أي إرواء للأمل بسبب الجثث والأشلاء التي تتناثر على الطريق في هاريرود وفي سرخ رود؟ أي حياة أودعها الله في أعماق النفوس بسبب هؤلاء الأسود الذين أعادوا للإسلام صفحاته البيضاء الأولى التي غابت منذ قرون؟ أي دماء جرت في العروق بسبب هؤلاء الذين أعز الله بهم دينه ورفع رايته وأعز شريعته وأحيا أمة الإسلام؟ أنتم وأنتم في الميدان عليكم أن ترددوا ما ردد أبو بكر وإن لم ترددوا فأنا أردد: والله لو خذلني الناس جميعا لنصرت الأفغان وبقيت على هذا الطريق،والله لقد قلتها قبل سنوات وتقولها لله، عندما رأيت أن خطى الجهاد قد توقفت قليلا عن التقدم سنة أربع وثمانين وخمس وثمانين قلت: لن يسقط هذا الجهاد وأنا حي، ما دمت أستطيع أن أتنفس، سأثير الدنيا كلها، وسأستنفر العالم وسأستنجد بالعرب والعجم، وسأنشر ما أنشر حتى يقف الناس بجانب هذا الجهاد المبارك لمواصلة الطريق واستمرار المسيرة.

ما كنت أظن –والله– سنة أربع وثمانين وخمس وثمانين وأنا أردد هذا بين نفسي وبين الله أنه سينتهي هذا الجهاد بهذه النتيجة التي أصبحت تاجا توّج الله به هام الزمان، وشامة جعلها الله جمالا في جبين الدهر، ما كنت أظن والله في تلك الأيام أن الجهاد سينتهي إلى ما انتهى إلى هذا النصر المبين، وإلى هذه النتيجة المؤزرة التي أعز الله بها المسلمين.

أما وقد تكالب العالم كله مرة أخرى على الجهاد، وأصبحت السهام مصوبة من فوق كل قوس، وأوتارها مشرعة تنتظر الرمي على نحور المسلمين ولبابهم،حتى صحف الخليج، إذاعة الكويت تقول أول أمس: لقد وصلت قوات الحكومة أي وصل الشيوعيون إلى ثمرخيل، نعم إنهم يكرهون المسلمين، جريدة الخليج تكتب مقالا طويلا باسم منصور عبدالرحيم، أو كذا يقول:ما بالنا ندفع بأبناء الخليج حتى يقتلوا في حرب تديرها الـ « سي، آي، إي » وتدعمها، إن كل أبناء الإمارات لا يصلون إلى ربع مليون– هكذا يقول منصور– ونحن لماذا نقتل أبناءنا من أجل أفغانستان ومن أجل حرب أهلية دائرة بين سكانها، دعوا القضية لأفغانستان و « سي.آي.إي»، حتى تنتهي إلى وجه،أما نحن فنقتل خيرة كنوزنا وهم أبناؤنا، وعدادنا قليل، وأهم ما لدينا حياة المواطن، فكيف بفلان أو فلان يذهب إلى ما يسميه قتالا وتلحقه أمه، ويقطع رسالة الماجستير من أمريكا ويعود إلى أفغانستان باسم القتال وباسم الشهادة وباسم الجنة!!!

يكفينا جرائد الوطن وإذاعة الكويت التي لا تردد إلا ما يردده نجيب، وقد ولغ اليساريون في الكذب المبين، وفي الإفك الظاهر الذي لا يحتاج إلى روية، يقولون:إنه قد قتل في داخل جلال أباد ثمانية آلاف من المجاهدين،، من الثوار هكذا تقول الصحف الغربية وتردد الببغاوات في بلادي، الآن أحكم الخناق، ومسكت الأنشوطة لتشد على عنق الجهاد، الدول المجاورة الصديقة كفت أيديها وقللت عطاءها، ووضعت الأمم المتحدة على مناقبها وثغورها لتراقب الداخلين والخارجين، وتمنع دخول رغيف واحد من الخبز إلى داخل أفغانستان، والدول العالمية كذلك والصحف اليسارية كذلك والدنيا كلها قد تكالبت على هؤلاء الصادقين، وبعد ذلك حتى أنت يا بروتس؟!! كفى بسيوف أعداء قيصر أن تتناوشه وتنهل من دمائه وأنت يا بروتس؟!! انت الذي كنت قد أعددتك لمثل هذا اليوم، تقف معهم بسيفك ... بسيفك وحسامك حتى أنت يا بروتس؟!! ماذا تريدون أن نقول للناس عن الجهاد الافغاني؟

الشعوب يخلو من هذه العيوب؟! أجبني! أجبني باسم علام الغيوب ! أي شعب من الشعوب؟!، انظر إلى الشعب الذي جئت منه، ماذا تر حول بيتك؟ أليست الحانات متراكمة حول المسجد الذي تصلي فيه صباح مساء،أليست أجهزة الأمن قابعة في زواياه تراقب كل حرا فيه !! أليس خادمه واقف بعد الدقائق العشرة التي حددتها وزارة الأوقاف ليطردك خارج المسجد دون ذكرك وتبتلك واعتكافك؟! أليس في بلادك زنا ولواط وقطاع طرق وسراقون وغير ذلك؟ **(من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها)** كما قال عيسى ابن مريم للذي جاءوا بامرأة زانية قالوا: **أقم عليها الحد،** قال: من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها، من كان منكم شعبه أحسن من الشعب الأفغاني فليتكلم على الشعب الأفغاني، ومن فعل شعبه عشر معشار ما قدمه الشعب الأفغاني.

أقلّوا عليهم لا أبا لأبيـــــكم من اللوم أو سدّوا المكان الذي سدّوا

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

(1) الحمد لله، ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أنا أقولها من أعماق قلبي، لن تجدوا شعباً في الأرض أفضل من هذا الشعب في أصالته وصلابته وسلامة فطرته وغيرته وإبائه وشجاعته وحيائه وشممه، هذه صفات لايداني الشعب الأفغاني فيها شعب من الشعوب.

زار شكيب أرسلان صاحب كتاب حاضر العالم الإسلامي افغانستان (١٩١٩ - ١٩٢٠) فكتب كلمته التي أصبحت مثلاً سائراً وجدير بها أن تسطر في جبين الزمن بماء النور، قال: لعمري لو لم يبق في الإسلام عرق ينبض لرأيت عرقه بين سكان الهملايا والهندوكوش نابضاً وعزمه هناك وامضاً، لقد كان يرى شكيب أرسلان الأمة الإسلامية الميتة التي لا تجد فيها حراكاً في أي طرف من أطرافها، ووجد هذا الشعب، فقال هذه الكلمة والكلمة، بلفظها لا أحفظها هي أروع في بيانها، وأعلى في حبك عباراتها من العبارة التي رددتها.

أيها الإخوة:

لقد عشت في فلسطين، وقاتلت مع الشعب الأفغاني، ورأيت ما رأيت في أفغانستان،لكن شتان شتان بين ما رأيت في فلسطين وبين ما رأيت هنا، لقد كان أحياناً يصل عداد (٣٠٠) ثلاثمائة من أبناء فلسطين ممن يتبعون فتح، أذكرها ولا زلت ولن أنساها على مر الأيام ومر الدهور وما تعاقب الليل والنهار وأنا حي، ثلاثمائة جاءوا بهم على قاعدتنا، وكنت أميرها، وكنا أبناء الحركة الإسلامية في قواعد وحدنا، ولكنا كنا قلة، فجاؤوا بالثلاثمائة من الوحدة الشمالية التي تحاذينا، وأذن المؤذن، وتوضأ الناس، وأقيمت الصلاة، وتقدمت وصليت بأبناء قاعدتي، ووالله ماتقدم منهم أحد يصلي !!

ماذا تتوقعون من الشعب الذي يحمل السلاح بكامله الآن؟ نعم هناك تيار إسلامي في فلسطين، حماس، انظروا إلى الصور التي تعرض، ألا تجد فيه حاسرة الرأس، ألا تجد فيه المرأة عارية الساقين، تجد فيه النساء المحتشمات واللواتي يبارين ماء المزن في طهرهن، وتجد النساء الكاسيات العاريات، الكاشفات سيقانهن ولشعورهن، لو قاتلت في مصر، في سوريا، واشترك معك شعب ستجد لعجب العجاب الذي لم تره في أرض أفغانستان، أمّا ما يحصل بسبب حمل شعب كامل يحمل السلاح، ألا تجد فيه منتفعاً أو منافقاً؟! لا تجد فيه موتوراً يثأر لجده الذي مات قبل مائة سنة، لكي يحمل الأمر إمّا على الجمعية أو على الحزب أوعلى الإتحاد، هل تريد من وال الأرض وهي توضع كلها من أجل بث النزاع والشقاق في صفوف الصادقين المجاهدين.

رسول الله ﷺ ربى الصحابة على يديه، ألم يترب معاويه وعلي على يديه رضي الله عنهما؟، ألم تترب عائشة في حجره وفي بيته؟ تسل دماء؟ ألم يحمل سلاح؟! ولكن كل متأول، وكل كما قال الله عز وجل:

(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون) (البقرة: ١٤١)

ولذا فالمستشرقين يكبرون هذه البقعة الضيقة من التاريخ الإسلامي المشرق، لا يزرع المؤرخون في أذهان أبنائنا وفي أعماق لنا سوى القتال بين عائشة وعلي، ومعاوية وعلي، صهر رسول الله ﷺ، ولي رسول الله ﷺ، حبيبه أحب الناس إليه، علي حكم خمس ات كلها قضاها في إخماد الفتن التي قامت بين المسلمين من أبناء العروبة، هل نتهم علياً بالفشل؟ هل نتهم علياً بأنه يسفك دماء مين؟ أم نقول إنها الأصابع الخفية والتأويلات الخاضعة التي أوصلت المسلمين إلى ذلك؟

في المنجد أقرأ عن عائشة رضي الله عنها - الذي ألفه نصراني - يقول عند عائشة: زوج محمد النبي العربي، قاتلت علياً، لا ن من حياة عائشة إلا أنها قاتلت علياً، ولذا رأى أعداء الله عز وجل أن أكثر الناس الذين نقلوا حديث رسول الله ﷺ أبو هريرة

وعائشة، فحاولوا أن يحطموا هاتين الشخصيتين، ويمسخوا هذين العملاقين، ويوبخوا ويشوهوا صورتيهما في أذهان الجيل، ولقد نبتنا وما عرفنا صورة عثمان ولا علياً ولا معاوية إلا بعدما عرفنا الحركة الإسلامية، وعرّفنا ابن العربي في كتاب {العواصم من القواصم} موقف هؤلاء وهؤلاء، ولقد نبتنا وفي أذهاننا أن عثمان ذو النورين الذي بشره رسول الله ﷺ بالجنة أنه شخصية ضعيفة مهزوزة، أو أفلت أيدي أقاربه في بيت المال ينهبون ويسلبون أنّا يشاؤون. أهذه حقاً صورة التاريخ الإسلامي؟ أم تريدون أن ننقل الجهاد الأفغاني كما نقله هؤلاء المستشرقون؟

أكبر قضية مظلومة إعلامياً في الأرض هي قضية أفغانستان. وما رأيت في الأرض بقعة ولا جهاداً ولا معركة واقعها أكبر من إعلامها إلا الجهاد في أفغانستان، وإلا فكل القضايا الإسلامية إعلامها أضخم بكثير من واقعها، ماذا نقلنا عن الجهاد الأفغاني؟ ماذا كتبنا للناس؟ لو كان هناك أناس صادقون ومنتبهون ذوو أموال وثراء لخصصوا أكاديميات من أجل كتابة الجهاد الأفغاني تاريخاً تتربى عليه الأجيال على تعاقب الأزمان وعلى ثغر الثغور ومر العصور.

ماذا كتبنا عن الجهاد الأفغاني؟!!! كتيبات صغيرة كتبتها ! من كتب بالعربية عن الجهاد الأفغاني؟! أليس هذا ظلماً لهذا الجهاد العظيم؟

الوفاق الدولي الذي يتكلم عنه الآن في الصحف العالمية، مئتان وثلاثة وثلاثون مؤسسة أمريكية تعمل ليل نهار من أجل الوفاق الدولي، فكم من الأكاديميات خصصت لكتابة الجهاد الأفغاني؟ كم من العسكريين جاؤوا وسجلوا المعارك في داخل أفغانستان؟ كم من الأدباء والشعراء دخلوا فسطروا المآثر، وعاشوا المفاخر؟ كم من الصحفيين والإعلاميين والروائيين والمسرحيين كتبوا عن الجهاد الأفغاني؟! ولكن حمزة لابواكي له، فهو مظلوم...مظلوم مظلوم..... مهما كتبنا عنه ومهما سطرنا مع أننا نحاول الدقة في كل ما ننقل، حتى الكرامات أستحلف كل من حدثني الكرامة بالله أنّ هذه حصلت معه أو رآها بعينه، وما نقلت كرامة غالباً إلا بعد أن يقسم لي صاحبها يميناً أنه رآها أو حدثت معه بنفسه.

ولكن حمزة لا بواكي له، حتى بواكيه القرشيات قد جففن الدموع وندمن على العبرات التي سالت، أمّا أنا، فلن أفتأ ليل نهار أردد ما ردده الصديق، والله لو خذل الناس جميعاً الجهاد الأفغاني ما خذلته.

معجزة القرون الثلاثة *

يا أيها الإخوة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

ليس جديداً على مسامعكم وعلى مسامع الناس أجمعين في الأرض كلها أن الجهاد الأفغاني مفخرة الزمان في هذا القرن بل في القرون الثلاثة الأخيرة، وليس جديداً أن نقول: إن الجهاد الأفغاني منعطف كبير في التاريخ الاسلامي الحديث، ولم يحصل في القرن العشرين قضية أخطر ولا أهم ولا أعظم ولا أعز من قضية الجهاد الافغاني.

هزيمة الجيش الأحمر:

لم يكن يدور بخلد أحد من الناس أن الجهاد الافغاني سيتطور إلى هذا الحد، ولم يكن مسلم ولا كافر يتوقع النتيجة العظيمة المباركة التي آل إليها الجهاد وانتهى إلى هذه السدة العالية من المجد والعزة والسؤدد. ما كان أحد يصدق أبداً عام ١٩٧٩م عندما دخلت روسيا أن الشعب الأفغاني سيقف سنة أمام الروس، ولقد ذكرت قبل سنتين للشيخ عبد العزيز بن باز- بارك الله في عمره- فتكلمت له عن الجهاد الأفغاني فقال هذا الجهاد حقق ما لم يكن يدور بالخيال، ما كنا نظن أن أفغانستان ستقف سبعة أيام أمام الروس، وإذا بها تصمد سبع سنوات. والحمد لله. لقد صمدت تسع سنوات ونيف والحمد لله، لقد أذل الله على يديها الجيش الأحمر، إن فرنسا ما احتملت أمام ألمانيا أسبوعاً واحداً، ولكن ألمانيا التي هزمت أوروبا كلها هزمت على يد الجيش الأحمر في لينين جراد وغيرها، والجيش الأحمر الذي هزم ألمانيا التي احتلت فرنسا في أسبوع هزم أمام الأفغان، إذن الأفغان أكبر قوة في الأرض كلّها.

أول قضية أفلتت من يد الغرب:

الجهاد الأفغاني معجزة القرون الحديثة، وحقيقة رغم أن الغربيين قد فرحوا كثيراً بهذا الجهاد في البداية لأنه سيمرغ روسيا بالتراب، وسيغرقها بالأوحال، وسيستنزفها اقتصادياً وعسكرياً، وسيضعف مكانتها سياسياً إلا أنهم يعضون الآن أصابع الندم لأنهم لم يخنقوا الجهاد منذ البداية، الجهاد الأفغاني أول قضية أو أعظم قضية في العصر الحديث، وأول قضية في العصر الحديث أفلتت من يد الغرب والشرق وهي بيد المسلمين، لم يستطع الغرب رغم تودده للمجاهدين أن يحتووا القضية، ولم يستطع أن يذيب القادة الأفغان في الحوامض الغربيه الأمريكيه المركزة الساخنة، ومن هنا كان شغلهم الشاغل منذ أربع سنوات كيف يمكنهم أن يحتووا هذه القضية، كيف يمكن أن يخرجوا من هذه الورطة التي تهاونوا فيها منذ البداية.

من بدأ الجهاد؟

وبقدر من الله عز وجل وفضل منه ونعمة والحمد لله من قبل ومن بعد أن الجهاد قد بدأ على يد أبناء الحركة الإسلاميه، وعلى يد العلماء منذ اللحظة الأولى، وبقيت القيادة التي فجّرت طلقاتها الأولى في صدر الشيوعية بقيت موجهة ومسددة راشدة لهذا الجهاد على طول الطريق، ومن نعم الله عز وجل أنه حفظ حياة هؤلاء إلى هذا الوقت حتى يبقوا صخرة صلداء وعقبة كأداء أمام كل المحاولات الغربيه التي تسرق الثورات أو تسرق ثمار دماء المسلمين في النهايه، نعم، الحقيقه حكمتيار أول من أطلق طلقة على نظام كابل الذي بدأ في أيام داود، ونرجو الله أن يحفظه وأن يبارك فيه، وأظن أن معظم الجهاد الآن إن شاء الله يصب في صفحاته وفي ميزان حسناته، لأنه هو الذي بدأ أول طلقه، والشيخ رباني شارك كذلك منذ البدايه، لكن حكمتيار كشاب متحمس وغير ذلك يميل للقتل يميل إلى إطلاق النار، كذلك كانت الطلقه الأولى منه، رغم أنهم بدأوا المسيرة مع بعضهم، فهذان الشخصان اللذان بدءا الجهاد فعلاً، الله عز وجل حفظ حياتهما إلى هذا الوقت، فجاءت معجزة ثالثة وهى أن -الشيخ يونس وهو عالم ومن أبناء الحركة الإسلامية كذلك اشترك في هذا الجهاد- الله عز وجل نجى رابعهم وهو من أبناء الحركة الإسلاميه- بقدر منه و بمعجزات كثيره- رغم أنه صدر الإعدام بحقه عدة مرات، ونجا من حبل المشنقه عدة مرات، بقدر منه ولحكمة يريدها نجا سياف من الموت عدة مرات، ليبقى من المسددين ومن الموجهين لهذه المسيرة.

هؤلاء الأربعة الحقيقة الآن يشكلون عقبة كبيرة أمام الغرب، والغرب تعب كثيراً في المحاولات معهم، وأنا عندما درست قصة خروج سياف من السجن قلت لابد أن يكون لهذا الخروج نبأ ولو بعد حين، ولا بد أن تظهر الحكمة الإلهية من هذا الإنجاء العجيب عدة مرات، عدة مرات يعرض للموت، سينفذ حكم الإعدام هذه الليله، والله ينجيه بقدر منه سبحانه وتعالى، لم يكن ذلك عبثاً ولا مصادفة، إنما ذلك تقدير العزيز الحكيم، بالإضافة إلى أن القادة في داخل أفغانستان بدأت المسيرة على يد أبناء الحركة الإسلامية وعلى يد العلماء، وهذه ميزه تميز بها الجهاد الأفغاني عن كل الحركات الثورية القتاليه في الأرض كلها.

ثورة الجزائر والجهاد الأفغاني:

لو قارنا بين ثورة الجزائر وبين الجهاد في أفغانستان، هنالك فرق كبير، إن منظمة التحرير الجزائرية التي فاوضت فرنسا لم يَبْن بينها واحد يقول نريد أن نطبق الإسلام، كلهم يدعون إلى تطبيق شرع ولكن ليس شرع الإسلام، بخلاف القضية الأفغانيه فمتطرفوها - كما يسميهم الغرب - ومعتدلوها يجمعون على قضية أننا لا بد أن نطبق الإسلام، والغرب منذ أن عرف أن الجهاد بدأ يقترب من النصر بدأ يعجم عيدان هؤلاء القادة ويحاول الإتصال بهم، ويحاول قادة الغرب أن يلتقوا بهم ويسبروا أغوارهم ويتعرفوا على عقلياتهم، فخرجوا بأن هؤلاء الناس خطيرون إذا استلموا الحكم في كابل، ولن يقف أمرهم في داخل أفغانستان.

هلع اليهود من الجهاد الأفغاني:

والحقيقة أن الذي كان ينبه الغرب هم اليهود، واليهود خائفون جداً من هذا الجهاد، فمنذ ١٩٧٨-١٩٧٩م ينبه قادتهم مثل دايان ورتغ وغيرهم ينبهون على أن أفغانستان مهددة الآن بثورة إسلاميه مفاجئة سريعة ستجتاح المنطقة، فهم الذين نبهوا الغرب أن هنالك خطراً في هذه المنطقة، والغرب نصح روسيا أن استمرارك في داخل أفغانستان هو خطر على مصالحنا معاً، فلا بد أن نبحث عن حل [illegible]ية ولا بد من الإسراع في الخروج من داخل أفغانستان، حتى أنه قدم تقرير عسكري لمجلس الأمن القومي الأمريكي: إن استمرار [illegible]هاد في أفغانستان خطر على مصالح أمريكا في العالم، وأنا كنت أحس وأنا أعيش مع الجهاد الأفغاني أن اليهود يدركون أن

الفلسطينيين سيثورون عليهم قريباً بسبب إنعكاس الجهاد الأفغاني عليهم، كنت أحس بهذا منذ ثلاث سنوات، ولم تكن تشديدات اليهود على دخول الشباب المسلم لباكستان أمراً اعتباطياً أو ثورة أو طفرة، إنما كان بتقديرات يهوديه، يدركون أن هذا الجهاد وهذا الزلزال الذي بدأ في أرض أفغانستان سيصل إلى أنحاء العالم الإسلامي، ولذلك بدأت تحذر الغرب من نتائج هذا الجهاد.

الله عز وجل – سبحانه وتعالى– هو اللطيف الخبير، وهو العليم الحكيم، كان من الممكن أن تدخل روسيا منذ ١٩٧٣م، ولو دخلت منذ ١٩٧٣ يعني بدايه حكم داود بدل أن تسلم داود البلد كان بإمكانها أن تدخل في تلك الفترة، ولكن الله خذلها وأعماها، لماذا؟ أنا أرقب الآن نعمة الله وحكمته وفضله ومنته في هذا التأخير منذ ١٩٧٣م إلى ١٩٧٩م، لماذا؟ عام ١٩٧٣م لم يكن هنالك صحوة إسلامية في العالم الإسلامي، فلو دخلت روسيا سنة ١٩٧٣م لما استفاد العالم الإسلامي من الجهاد إستفادته بعد أن تقدمت الصحوة الإسلامية حتى وصلت١٩٧٩م.

١٩٧٣م لو جئنا إلى الأردن وسوريا ومصر لم يكن في مساجدها الشباب، ولم يكن اللباس الإسلامي قد انتشر بين النساء، كانت نساء الأردن ومصر وفلسطين يخرجن كاسيات عاريات،لم تكن الحركة الإسلامية قد التقطت أنفاسها، لقد كانت مصادرة في سجون السادات بعد عبد الناصر، لم يكن الإخوان المسلمون قد أعادوا التقاط أنفاسهم، لا زالوا مصادرين وراء القضبان، لم تكن هنالك حركات للجهاد في مصر، لم يكن التيار الإسلامي عارماً قوياً، فلو قام الجهاد في أفغانستان عام ١٩٧٣م ما استفاد منه العالم الإسلامي هذه الاستفادة التي استفادها منه بعد أن قام بتقدير العزيز العليم وكل شيء عنده بمقدار، ولكل أجل كتاب.

الله عز وجل اختار أفغانستان مكاناً مناسباً في زمن مناسب من أجل أن ينقذ الأمة الإسلامية من وهدة الموت ومن هوة العدم، العالم الإسلامي وصل إلى حالة الموت، حتى تجرأ أكبر حاكم فيه الذي يحكم أربعين مليوناً من البشر أن يذهب ويسجد على أعتاب الكنيست اليهودي يطلب منهم الصلح على أن يبيعهم فلسطين، حالة من الذل والضياع ما وصلها العالم الإسلامي في فترة وصوله إياها في ١٩٧٧م عندما بدأ السادات يمهد لبيع فلسطين لليهود، الله عز وجل جاء بهذا الجهاد على قدر، بدأ التيار الإسلامي ينمو في العالم الإسلامي، وبدأ خط الجهاد في أفغانستان ينمو، فهما خطان متوازيان بقدر من رب العالمين، جاء على قدر وبحكمة من العليم الخبير.

اليهود يعلمون أو يتوقعون أن هذا الجهاد سيكون له ما بعده، وسيكون له شأن ولو بعد حين، ولذلك تجدهم يشددون على كل شاب وصل إلى باكستان ويحققون معه حتى يطمئنوا أنه لم يصل الجهاد الأفغاني ولا أرض أفغانستان، ومن هنا الغربيون والأمريكان ضغطوا على هذا البلد حتى تشدد على دخول الشباب المسلم إلى أرضه، لأن أرضه منطلق إلى أرض العز والفخار، أرض شهادة الأبرار الذين يحيون الأمة وينتشلونها من الدمار والبوار.

كانت تعليمات – كما ذكرت أكثر من مرة – على سفارات هذا البلد– باكستان– أن تشدد في إعطاء التأشيره لأي قادم إليها، لماذا؟ ضغط العالم كله، السفارات في إسلام آباد بدأت ترتجف من وصول هذا الشباب.

هم يريدونه – هذا الجهاد – أن يبقى محصوراً بين جيحون وبين بكتيا لا يسمع به أحد من الناس، ولكن رب العالمين يجري قدره كما يشاء، ولا يخضع قدر الله عز وجل لا لليهود ولا للأمريكان، إليه مصير كل شيء، «إليه يرجع الأمر كله» «بيده ملكوت كل شيء»، «وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً» لا أبناء أفغانستان ولا أبناء العرب عرفوا.. حتى أبناء أفغانستان ما قدروا قيمة جهادهم وأثره على العالم كله، ما عرفوا ! وحتى الآن لا يعرفون ما هي قيمة الجهاد بالنسبة للعالم كله مسلمه وكافره! والكفار يدركون أخطار هذا الجهاد أكثر مما يدركه الشعب الأفغاني نفسه، ويخافون منه أكثر مما يأمل الشعب الأفغاني من نتائج هذا الجهاد الكريمة المباركة «الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم» يعرفون خطر هذا الدين، ويعرفون خطر التجمع، ويعرفون خطر التجمعات المسلحة، وأخطر شيء عليهم يرتعدون منه ارتعاد الأطفال من الغيلان والجن في الظلام هو الجهاد الإسلامي المسلح، الله رحيم بعباده.

الحق أن أهل أفغانستان ولا العرب ولا المسلمون بتقصيرهم وضعفهم يستحقون هذه النفحة التي من الله بها عليهم، لكن ربك رحيم بعباده، كريم ودود، قريب، يرى المسلمين المعذبين في الأرض، ويرى الأعراض التي تنتهك، والدماء التي تسفك، والضربات الوحشيا التي توجه إلى طلائع البعث الإسلامي في كل مكان، والتي يكيلها لهذه الطلائع حكامه من أبناء جلدته، وممن يحملون أسماء المسلمين وألقابهم وعناوينهم، يرى أن هؤلاء مسخرون بأيدي الغرب، وظيفتهم أن تقطع دابر أي تحرك إسلامي، وأن تجتث أية نبتة تنمو في المنطقه، موظفون لدى الأمريكان والغرب والروس، وظيفتهم مطاردة الإسلام في بلادهم، الله عز وجل يرى ذلك وهو رحيم بهؤلاء العباد

(ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون) (القصص: ٥-٦)

فالله عز وجل ساق الجهاد الأفغاني حتى يمن على المستضعفين في الأرض، حتى يمكن لهم في الأرض، حتى يتحطم الطاغوت فرعون وجنده، وفرعون وبريجنيف وغورباتشوف وتشيرنينكو وغير ذلك، فالله عز وجل اختار أحسن مكان وأحسن شعب وأفضل زمان لهذا الجهاد، لا يمكن لأي شعب من الشعوب أبداً في المنطقة الإسلاميه أن يحتمل ما احتمله الشعب الأفغاني، فالله عز وجل اختار الشعب الأفغاني لصلابة عنصره ولأصالته ولنقائه ولقربه من الفطره، إختاره أن يخوض المعركة ويقدم التضحيات ويدفع التكاليف من أجل أن ينقذ ليس أفغانستان، بل من أجل أن ينقذ الامة الإسلامية كلها، واختار أرض أفغانستان بتضاريسها الجبلية التي يأوي في قللها ويتحصن في قممها هؤلاء الصقور الذين ينقضون على أعداء الله ثم يعودون إلى هذه القمم تحميهم بإذن الله عز وجل، واختار الزمان أن العالم الإسلامي بدأت نفسيته تتقبل فكرة الجهاد، لأن الصحوة الإسلامية بدأت تسري فيه سريان النور في المجتمع الإسلامي، فخاضوا المعركة.

والحقيقة أنا أعيش بين الأفغان منذ سبع سنوات ونيف، ورغم ما رأيت من عيوب ومن هفوات وكبوات لأن الشعب الأفغاني ليسوا ملائكة نازلين من السماء، بل هم شعب من الشعوب فيه كل العيوب الموجودة في الشعوب، ففيهم الكاذب، وفيهم السارق، وفيهم الزاني، وفيهم الذي يشرب الدخان، وفيهم الذي يشرب الحشيش، وفيهم الذي يأخذ النسوار، وفيهم وفيهم كل العيوب الموجوده في الشعوب، أم لا؟

أنتم ملائكة أطهار لا تعصون الله ما أمركم وتفعلون ما تؤمرون؟! لا، نحن رأينا هذا، نحن رأينا كل العيوب في الشعب الأفغاني، وهذه العيوب موجودة في شعب الجزيرة العربية، في شعب الأردن، في مصر، وغير ذلك، لكن يبقى الشعب الأفغاني أقلها سوءً، ولكنني أزيد إعجاباً يوماً بعد يوم به، لماذا؟ لأن الفرق بينه وبين هذه الشعوب ليس لأنه لا يعصي أو لا يذنب أو لا يقع في الكبائر أو لا يتردى في هفوات وفي كبوات، وعرفنا عيوبهم كلها، وأنا أعرف عيوبكم أكثر منكم، نعم لأنني أعيش بينكم، لكنني أزيد إعجاباً يوماً بعد يوم لأنه شعب تفرد بالصبر، تفرد بأنه لم يعط الدنية في دينه، مشى على جراح، تحمل اللأواء والفقر والضناء والعناء، روى أرضه ببحور الدماء، تناثرت فوق جباله وقممه جماجم وأشلاء..

(فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (آل عمران: ١٤٦)

وكأني به يردد مع أبي الطيب:

تمرست بالآفات حتى تركتهـا تقول أمات الموت أو ذعر الذعر

ما من مصيبة إلا أصابته، حتى المصائب نفسها صارت تتساءل هل انتهى الموت من الدنيا حتى بقي هؤلاء أحياء.

صبر.. عزة.. إباء:

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبري، صبر عجيب، وهذا سبب إعجابي به، سبب إعجابي به أنه لاصق بالتراب لفقره-ذا متربة - ومع ذلك رأسه يناطح السحاب بعزته، لا يملك درهماً واحداً في جيبه ولا روبيه، مخيم استقبال وفيه معروف حالة الناس الذين يأتون في مخيم الإستقبال من الفقر والمسغبة والبرد، تدخل الخيمة تجد فيها عدة عائلات [1].

أقول في مخيم الاستقبال قال لي أحد المحسنين اشتريت طحيناً وخياماً وأناس في برد الشتاء وزمهريره القارس، والوحل يغمر المنطقه، قال بدأت أوزع، وجاءني رجل كبير في السن فأعطيته كيساً من الطحين وخيمة، وأخذني الوقت وكادت الشمس أن تغرب، فقمت بين الخيام وبين أكياس الطحين وصليت ركعتين - كان مسافراً-، بعد الصلاة وإذا برجل عجوز قد أعطيته كيساً من الطحين وخيمة أرجعها ورماها في وجهي وقال لا أريد مساعدتك لأنك لا تجل رب العالمين، فأنا تعجبت، قلت له لماذا؟ قال أنت تصلي بالحذاء، ولذلك لا أريد مساعدتك، قال فناديت أحد الإخوة وترجم له أن رسول الله ﷺ كان يصلي بالحذاء، قال: صحيح؟ عندما سمعها من أحد الإخوة الأفغان قال صحيح أن رسول الله ﷺ كان يصلي بالحذاء؟ قال نعم. قال إذن آخذها الآن. رجل ميت، يموت جوعاً وبرداً لا يريد أن يأخذ مساعدته لأنه صلى بالحذاء، أي غيرة هذه، وأي اعتزاز بدين الله وتوكل عليه؟!

---

١) جاءت ورقة للشيخ أثناء المحاضرة يطلب فيها أحد الإخوة أن يجلس على الكرسي حيث كان يحاضر بجوار الشارع العام وكانت المنطقة آنذاك مكشوفة فطلب منه الجلوس حفاظاً على حياته فقال الشيخ: طلب مني الإخوة الجلوس وأنا لا أستطيع أن أتكلم عن الجهاد وأنا جالس يعني، عيب كبير أن نتكلم عن الجهاد ونحن جالسون.

أحد الناس في ناصر باغ، رجل كبير في السن تقدم إليه نيكسون رئيس الولايات المتحده ليسلم عليه وقبض يده عليه، قرب عليه الباكستانيون قالوا له هذا رئيس الولايات المتحدة الأمريكيه السابق، هذا الرئيس نيكسون، قال أنا أعرف أنه رئيس الولايات المتحدة،لكنه كافر، وأنا لا أصافح كافراً، فالعزة هذه ليست موجوده في شعب كالشعب الأفغاني، وهذا سر استمراره، ومن هنا فقد اخطأ كثير من الناس ممن حاولوا أن يعاملوا الشعب الأفغاني من خلال الجيوب، يظنون أن الشعب الأفغاني يتعامل من خلال الفلوس التي في جيبه، تحمل حزمة برسيم فتدعوه فيقبل عليه كما تقبل القطعان الجائعة، ولكن الحق أن الشعب الأفغاني أثبت على أنه لا يعامل من خلال الجيوب، إنما يعامل من خلال وفاء المحبة المنطلقة من أعماق القلوب، وكم أحب أناساً فقراء من الشباب العرب عايشوه ولم يقدموا له شيئاً، ومع ذلك لم يرض عن أصحاب الجيوب ولا عن أصحاب الأموال.

أقول الشعب الأفغاني يوماً بعد يوم يحتل مكانة كبيرة في نفسي، لأني أرى الشعوب فأراه متفرداً بينها، ويحلو لي أن أنشد له بعض أبيات وكأني أخاطب بهذه الابيات الأمة الاسلامية وخاصة أفرادها الذين أعجبوا بهذا الشعب.

فلا تستنكرن له ابتساما — إذا فهق المكر دماً وضاقاً

يعنى لا تستنكروا أن تروا الشعب الأفغاني لا زال مبتسماً رغم أن الدماء تغرق ساحته

نقد ضمنت له المهج العوالـــي — وحمل همه الخيـــل العتاقـــاً

إذا نقع الصريخ إلـــى مكان — نصبن لــــه مؤللة دقــــاقا

فكان الطعن بينهما جــواباً — وكان اللـــبث بينهما فواقـــا

ملاقيـــة نواصيها المنايــــا — معلمـــة فوارسها العناقـــا

فلا حطت لك الهيجاء سراجاً — ولا ذاقت لك الدنيا فراقـــاً

جنرالات من غير تتويج:

الحقيقة هذا الشعب لو كان شعباً غربياً لوجدت كل غربي يرفع رأسه عندما يسمع كلمة أفغان، ولو كان قادته هؤلاء الذين يخوضون المعارك غربيين لنصبوا له تماثيل على مفرق كل شارع وعلى ناحية كل طريق، أنا لا أظن بل متأكد أن نابليون أو إيزنهاور أو تشرشل أو ديجول أو غيرهم من قادة الحرب العالميه الأولى والثانيه وغيرهم لم يخوضوا عشر المعارك التي خاضها جلال الدين حقاني وأحمدشاهمسعود وصفي الله أفضلي وذبيح الله وفلان وفلان في داخل أفغانستان، ما خاضوا هذه المعارك، وهؤلاء لو كانت هنالك رتب عسكرية لأخذوا جنرالات ومارشلات، لأن زخروف قائد للقوات السوفياتيه الذي هزم نابليون في معركه واترلو هزمت قواته في داخل بنشير، هزم في دخل أفغانستان، إذن هؤلاء هم الجنرالات وليس الجنرالات فقط المارشال إيزنهاور، وديجول، وغيرهم، وأولئك عرفت شعوبهم قيمتهم فنصبوهم عليهم رؤساء لدولهم- فتشرشل وديجول وإيزنهاور وكندي هؤلاء كانوا قادة في الحرب العالميه الثانيه، ومن هنا عندما دخل كندى الإنتخابات الامريكيه ماذا فعل؟ القارب الذي حارب فيه في اليابان كان لا زال موجوداً فصلحه، رممه وطاف فيه في أمريكا أنني أنا أتقدم للشعب الأمريكي بهذه المفخرة أنني حاربت ضد اليابان بهذا المركب الذي -الآن- أعرضه عليكم حتى آخذ أصواتكم، لأن هذا هو مناط الثقة وعلة تقدمي لأخذ أصواتكم في المجتمع الأمريكي.

حرباً عالمية:

والحق أن هؤلاء القادة لا يستحقون التقدير من الشعب الأفغاني فقط، بل لا بد من تقديرهم من العالم الإسلامي كله، لماذا؟ لأنهم صبروا ما لم يصبره أحد، الحرب العالميه الأولى كان مدتها أربع سنوات من ١٩١٤-١٩١٨، الحرب العالميه الثانيه كانت مدتها خمس سنوات من ١٩٣٩-١٩٤٥، الآن الجهاد الأفغاني استمر أحد عشر عاماً متواصلة، فهي أكثر من الحربين العالميتين الأولى والثانيه، والحرب العالميه الأولى والحرب العالميه الثانيه كان يخوضها العالم كله، العالم كله مقسوم إلى قسمين والمعركة قائمة بينهم، هنا الحرب العالمين الثالثه قامت في أرض أفغانستان، حلف وارسو في جهة مع الحكومة الأفغانيه، مقابلهم الشعب الأفغاني الأعزل الفقير الأمي الذي لا يملك شيئاً من التكنولوجيا ولا السلاح ولا المال، فالشعب الأفغاني خاض حرباً عالمية، والحرب العالمية استعملت فيها طائرات لم تستعمل فيها طائرة، ميغ ٢٧ ولا سيخوي ٢٥ ولا ٢٨ ولا ٢٢ TU ولا دبابات ٦٥، ٧٢، ٦٢ T كانت الدبابات والطائرات التي اشتركت في الحرب العالميه الأولى قديمة جداً بالنسبة لهذه الطائرات التي ترمي على بعد ٤٠ كم وسرعتها تسبق الصوت وعلى الليزر، تسدد

قوات حلف وارسو في داخل أفغانستان، وقد خرج جروموف أول أمس يجر ذيول الخزي والهزيمة، وعقد مؤتمره الصحفي في تر وقال انتهى خروج الروس من داخل أفغانستان، وأعلن هو -جروموف- على أننا فشلنا في دخولنا أفغانستان، دخلنا لنحقق السلم، نستطع أن نفعل شيئاً، وأما غورباتشوف قال: لقد اهتز الإقتصاد الروسي بسبب الجهاد الأفغاني.

انعكاسات الجهاد الأفغاني:

وليس هذا فحسب بل الجهاد الأفغاني أثر على طاجكستان، أول أمس كانت مظاهرات في طاجكستان في طشقند يطالبون بـ تعود الشعائر الإسلاميه والأذان والقرآن والصلاة وأن يسمح لهم بمزاولة شعائرهم الدينية، أين حدث هذا من سبعين عاماً؟ منذ أن قا الثورة الروسية الحمراء عام ١٩١٧م إلى يومنا هذا ما حصل مثل هذا لا في طاجكستان ولا في أذربيجان، وكل ذلك انعكاس وأصد للجهاد الافغاني المبارك، وسينتشر الجهاد في داخل طاجكستان وتركستان الغربيه قريباً بإذن الله عز وجل.

الجهاد الأفغاني غير النظرية الشيوعيه نفسها، تغيرت بسبب الجهاد الأفغاني، كانوا يقولون: إن الدين أفيون الشعوب، والد مخدر للشعوب، وإذا بالدين يحرك شعباً يهزم فيه الإتحاد السوفياتي بكامله، كانوا يقولون الدين علقة تمتص دماء الشعوب، و بالجهاد الأفغاني يهزم روسيا بنفسها، كانوا يقولون أن الثورة العمالية في تقدم والدين في تراجع، وإذا بالدين في تقدم والثو الشيوعية نفسها تتراجع.

كارلوتشي وزير الدفاع الأمريكي في اجتماع يقول له وزراء دفاع الناتو- حلف الأطلسي- يقولون له يبدو أن غورباتشوف غ سياسته تجاه الغرب وأمريكا، قال أتظنون هذا؟ إن الذي غير عقلية غورباتشوف هم المجاهدون الأفغان، الآن انسحبت روسيا، ا تنسحب روسيا، هزمت روسيا وأذلت ومرغت بالتراب، وقرر مجلس السوفيات الأعلى واللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي أننا لن نرسـ الجيش الأحمر إلى أي مكان في الأرض بعد أفغانستان، تابوا توبة نصوحاً، خلاص! إنتهى، غورباتشوف الآن يخرج أفلاماً عـ النساء اللواتي يندبن قتلاهن في أفغانستان في طشقند وتركستان وأزبكستان وطاجكستان حتى يقنع الشعب الروسي أن انسحابه كا ضرورة من الضرورات، الآن فلم وثائقي وصلنا، النساء على مقابر طاجكستان وأزبكستان يبكين على أبنائهن ويعرض هذا على التلفا الروسي حتى يقنع الشعب الروسي أنه لا بد من الانسحاب، الآن انسحب الروس، نجيب أمس هو والشيوعيون قاموا بمظاهرة في داخا كابل- مسيرة- أننا سندافع حتى آخر قطرة من الدم، وعندما ضربوا قبل أسبوع سالانج وجه على التلفزيون قال أنا ما ضربتكم إ بعد أن حاولت كل المحاولات، أرسلت الرسالة الأولى لأحمد شاه مسعود هذا نصها، والرساله الثانيه، والرساله الثالثة، أرسلنا له واسطا ما قبل شيئاً، فكان ضرب سالانج ضرورة من الضرورات بعد أن رفض كل شيء.

الآن الغربيون حائرون ماذا يفعلون، أمريكا حاولت كثيراً مع المجاهدين مع القادة، قالوا لهم إقبلوا هذا الرجل- نصف الميت- المسمى بظاهر شاه نصفه في القبر ونصفه فوق القبر على حافته، فردوا عليهم قالوا نحن نرحب بظاهر شاه لكن بشرط واحد أن نقتله في المطار، قالوا لهم طيب إعملوا حكومه إئتلافية، ما معنى حكومة إئتلافيه؟ ادخلوا فيها مجموعه من الشيوعيين، نصفها كفار ونصفها مسلمون، يعني يكون وزير التربيه أبولهب ووزير الصحة أبوبكر الصديق، طبخة وخلطة عجيبه، يريدون أن يضعوا عليها شيئاً مر وشيئاً حامضاً وشيئاً حلواً، سكر على رز على بطاطا، خلطة عجيبة، قالو هذا لا يمكن، كفر يدخل في داخل حكوماتنا لا يمكن، إن وجود اثنير أو ثلاثة في داخل الحكم الإسلامي يعني أنه اعتراف بالشيوعية، وهذا يعني أن هدف جهادنا لم يتحقق، وروسيا تريد أن يكون لها نافذة على حكومة المجاهدين، فليكن لها عيون كما كان لها عيون على داود على بابرك وعلى تراقي وعلى حفيظ اللعين، يريدون أن يكون لها عيون، قد يكون واحد مثل جلالر، جلالر كان وزير تجارة مع داود وهو الذي قدم تقريراً لروسيا أن داود يريد أن يتراجع عن خطتكم معه واتفق مع السعودية على أن يتراجع من الخط الشيوعي إلى وضعه العادي، فقامت روسيا بالإنقلاب عليه، بعدها بأسبوع أو أسبوعين هم يريدون أن يخرجوا بشيء، روسيا فشلت، حاولوا الإتصال بالقادة في الداخل، حاولوا الإتصال بالمجاهدين، جلسوا مع المجاهدين في الطائف، في إسلام آباد، أخيراً.. خرج هذا فرنتسوف غاضباً وقال سنخرج، لكن سنواصل دعمنا للحكومة الأفغانيه، وأعلن المجاهدون لن نلتقي مع روسيا أبداً في مفاوضات، الله أكبر، المجاهدون يأنفون أن يجلسوا مع روسيا، أي عزة وأي كرامة وأي رفعة هذه؟! المجاهدون الذين كانوا أشراراً بالأمس كانت روسيا تسميهم أشراراً وكانت تسميهم محطة كابل أشراراً الآن يجلسون معهم الند للند على أساس أنهم قوة معترف بها، الآن وقد فشلوا أن يصلوا بمفاوضات مع الدول الكبرى إلى شيء أن يثيروا لهم مشاكل من الداخل.

المشاكل التي تواجه الجهاد:

ما هي المشاكل التي يمكن أن يثيروها؟ رتبوا الأمر، أنهوا الحرب العراقية الإيرانية لعل إيران تتفرغ وتأخذ جزءاً من ثمار أفغانستان ومن حصاد دمائهم، الآن فجأة وإذا بثمانية أحزاب جهادية تظهر في إيران، عجيب!! أين كانت هذه الأحزاب في السنوات العشر الماضية؟ أين كانت؟ خرجت في مؤتمر في إيران بالليل، رتبوا هذه الأحزاب وبدأت الصحف الغربية والشرقية، الروسية والعربية وغير ذلك تردد الأحزاب الثمانية الإيرانية الشيعية، ثمانية أحزاب دفعة واحدة طلعت في ليلة واحدة، وبدأوا يساومون بورقة ضاغطة، أنتم سبعة أحزاب ستة هنا ثمانية أحزاب شيعة، نحن من نرضي؟ اعطوهم نسبة، هؤلاء أحزابهم أكثر منكم، أنتم سبعة.. هم ثمانية، فيهم بركة- ماشاء الله-!!

الغربيون قالوا نحن نريد وحدة أفغانستان، لا نريد أن تتمزق أفغانستان. إذاً ماذا تريدون؟ قالوا نريد أن تتفقوا أنتم والشيعة، من أين أخرجتم لنا قصة الشيعة هذه آخر الزمان، كم شهيداً قدموا هؤلاء الأحزاب الثمانية، كم جبهة لهم في داخل أفغانستان؟ طيب نذهب ترى ماذا يريدون.

قبل أسبوعين عقدوا مؤتمراً للجهاد الأفغاني في إيران، الله أكبر من متى هذا؟ عشر سنوات والجهاد مستمر ما حصل مؤتمر واحد للجهاد الأفغاني، الآن! الآن؟ الآن فطنتم لهذا الجهاد، ماذا قدمتم له؟ هل كنتم تفتحون حدودكم حتى يدخل المجاهدون باللباس، حتى يدخل المجاهدون بالسلاح، كان المجاهدون يقطعون شهراً كاملاً من قندهار، هلمند غور. حتى يصلوا هرات، فيتعرضون للإبادة بالطائرات، ما كنتم تسمحون لهم أن يدخلوا في يوم واحد يصلون إلى هرات. هل سمحتم لهم؟ هل كنتم تسمحون حتى للمنظمات الإسلاميه الإغاثيه أن تدخل أرضكم وتعطيهم حفنة من الطحين أو تعطيهم قطعة من الكساء؟! قالوا نحن ثلث أفغانستان، الثلث!! الشيعة الثلث؟ طيب إحصائية الأمم المتحده الكافرة التي تريد أن تنشئ المشاكل في داخل أفغانستان تقول الشيعة ٨٪ فزادوا ٢٥٪، إنقطع نسل أهل السنه وتكاثر هؤلاء في العشر سنوات هذه؟ طيب ولماذا شيعي وسني الآن؟ كنتم تقولون وحدة الأمة الإسلامية، نحن نريد أن نعطيهم وزراء في داخل أفغانستان بقدر وزراء السنة في داخل الحكومة الإيرانية، كم وزيراً لأهل السنة؟[1] كم وكيل وزارة؟ كم رئيس دائرة؟ لا يوجد سني واحد في هذه كله، فلماذا في أفغانستان؟ الكم كل حلوة ولهم كل مرة؟ أحمد مفتي زاده أين هو الآن؟ ما هي قيمة أهل السنة عندكم وهم يساوون ربع السكان ٨ مليون من ٤٠ مليون؟ ١/٥ السكان لا يستحقون وزيراً ولا وكيل وزارة ولا رئيس دائرة؟ إذن..

(ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) (المطففين: ١-٤)

ثم تريدون أن تثيروها شيعة وسنة، وغداً إذا جاءوا وصارت العرقية ستم ملي وأزبك وطاجك وبشتون وغير ذلك، لا يجوز أبداً أبداً أن يقبل واحد تحت هذه التسمية أنه شيعي وهذا سني، جهاد له أحزابه وله قادته، والذين لهم الثقل الجهادي هم الذين لهم الحق أن يشكلوا الدولة، والغرم بالغرم.

ومعروف في العالم كله أن الأكثرية الإنتخابية هي التي تشكل الوزارة، الآن في أمريكا، وكاكس وبوش الفرق بينهما ٨ أصوات كل الحكومة يشكلها حزب بوش، لا يدخل وزير واحد من الجهة الأخرى، لأنه معروف أن الذي ينجح في الانتخابات في أية دولة في العالم هو الذي يشكل الوزارة وكل الوزراء منه، فإذا كانت القضية الأغلبية فالاغلبية من أهل السنه، وهم الذين جاهدوا، وهم الذين يشكلون الوزارة كما يريدون، ولذلك قيل لهم بقدر ما أعطيتم أهل السنة نحن نعطي الشيعة، وإذا استعملتم هذا الميزان سنستعمله في داخل أفغانستان، أما أنتم تقولون نحن متحدون لا فرق بين سني وشيعي، في داخل أفغانستان هناك فرق بين السني والشيعي، وبالله عليكم أنا اسألكم ما دخل الأمريكان في هذه القضية؟ ولماذا يصر الأمريكان والغربيون على رفع نسبة الشيعة في الوزاره وفي مجلس الشورى؟ ما لكم؟ قضية داخلية خاصة بأفغانتسان لماذا تفعلون هكذا؟ نسبة ٨٪، إذا أردتم أن تأخذوا حقكم مع أن كثيراً من قرى الشيعة طيلة الجهاد الأفغاني ما دخلت الجهاد ولم تتعرض للقصف الذي تعرضت له قرى السنة، ولا زالوا يشكلون عقبة كبيرة أمام القوافل التي تدخل داخل أفغانستان طيلة السنوات العشر الماضية، وكل واحد يمر بقرية لا بد أن يدفع الضرائب والمكوس للقرية، لا بد أن ينزل من صناديق السلاح ومن السلاح ويعطيها، هذه تحسب كالذي شرّع هامته للنار وعنقه للذبح طيلة السنوات الماضية كلها؟ لو أعطي ابن آدم وادياً من ذهب لتمنىّ أن يكون له واديان، يطالبون أن يكون لهم النصف، ثم تنازلوا للثلث، ثم تنازلوا للربع وأقل من الربع، لا يمكن.

الأمريكان هل تدخلوا في الدولة التي أنشأتها فيتنام؟ فالروس والأمريكان لا دخل لهم، لا دخل لهم بحكومة قامت على رؤو الرماح والسيوف، قامت على بحور الدماء، قامت على تلال الأشلاء، هذه ما جاءت هكذا، سيثيرون مشاكل ضخمة لهذه الحكوم سيثيرون العرقية من جديد، وسيحركون ستمي ملي وطاجك، وأزبك وبشتون وغير ذلك، هذه النعرة الجاهلية التي خمدت فترة طويلة خلا أيام الجهاد سيعيدها أعداء الله عز وجل حتى يشكلوا مصاعب كثيرة أمام الحكومة الإسلامية القادمة، لكن الحمد لله الأحزاب الجهاد قضت على هذه النعرة، ما من حزب جهادي إلا وفيه من البشتون ومن الطاجك ومن الأزبك، حكمتيار من البشتون لكن له قوات ضخمة ف الشمال أو كبيرة من الطاجك ومن الأزبك، الأستاذ رباني من الشمال من الطاجك لكن له قوات كثيرة في كنر وبكتيا وقندهار وغير ذلا فالحمد لله رب العالمين الأحزاب الجهادية وخلال هذه السنوات العشر ذابت هذه النعرات واختفت لوثة الجنس التي يتقزز منها الإنسا لرائحتها المنتنه – (دعوها فانها منتنة) –، الآن كل الضغوط العالمية على هؤلاء القادة السبعة من أجل أن يأخذوا أي سهم من ثما الجهاد، ولكن والحمد لله رب العالمين كل واحد منهم يقول:

أنا صخرة الوادي وإن هي زوحمت — وإذا نطقت فإنني الجـــوزاء

واقفين أمام الدنيا كلها رغم الضغوط العالمية، وهنالك أقوال بعض المستضعفين الذين يقولون: إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تأتو فاحذروا..

(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياءَ بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإن منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيه يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقولون الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحو خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتدَّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) (المائدة: ٥١-٥٦)

الآن هنالك بعض الأصوات أصوات ضعيفة تنقنق هنا وهناك، يا جماعة قدموا المعتدلين وأبعدوا الأصوليين، لماذا؟ قال حتى تعترف بنا الدول العالمية، وحتى يتعاون معنا الغرب، وحتى تعترف بنا بناءً على ذلك الدول الإسلامية، لأن الدول الإسلامية لا تجرؤ أن تعترف إلا إذا اعترفت أمريكا بنا، وإذا وضعتم واحداً لحيته إلى منتصف صدره واحد فانتك (FANATIC)، اكستريمك (فند منتلست) أصولي متطرف هذا لا يقبله الغرب، نحن نريد واحداً معتدلاً ليناً يرضى عنه الشرق والغرب، فضعوا واحداً في المقدمة يكون مرضياً عنه، يكون مرضياً عنه من الشرق والغرب (الذين في قلوبهم مرض يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) يعني نخشى الأمريكان أن لا يعترفوا بدولتنا، ونخشى الغرب أن يحاربونا، ونخشى الشرق أن يعرقلوا مسيرتنا، ونخشى الهند أن تثور علينا، ونخشى إيران أن تشدد علينا ونخشى ونخشى ونخشى، نخشى أن تصيبنا دائرة (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمرٍ من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين).

ن زرع حصد:

إن الذي زرع هو الذي يحصد، والذي دفع الثمن هو الذي يقبض المشترى، أما أناس لم يبذلوا قطرة عرق ولا قطرة دم أخيراً يلمون عرشا أقيم على الأشلاء والدماء فهذا لعمر الحق ظلم عظيم، إن الذي لم يجاهد لا يستحق شيئاً من غنائم جهاد أفغانستان، ما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إنما الغنيمة لمن شهد الوقيعة، ودين الله لا يعطي أي إنسان من الغنائم إذا كان غائباً عن رحة، ولم يحصل أن رسول الله ﷺ أعطى أناساً غائبين عن المعركة إلا أناساً انتدبهم لمهمات في أثناء المعركة رغم أن قلوبهم معلقة بجهاد، كما أسهم لعثمان يوم بدر لأنه أخره ليطبب ابنة رسول الله ﷺ رقية، وقد توفيت أثناء معركة بدر. فكيف نوزع الغنائم على

الغائبين عن الوقيعة والذين شهدوها وأجسادهم لا تستطيع أن تدخل في أي مطار لأنها مليئة بالشظايا كلما دخل من المطار رنت أجراس المراقبة يظنونه يحمل مسدساً في جيبة ولا يعلمون أن في داخل جسده ما يكون مسدساً من المسدسات من الحديد؟! هؤلاء الذين دفعوا الثمن يحرمون والجالسون للكلام يتشدقون ويتفيهقون وباسم أن أمريكا أو الغرب لا يرض عن المتطرفين أو الأصوليين، ما معنى الأصوليين؟ الأصوليين الذين يتمسكون بالأصول، ما هي أصولنا؟ الكتاب والسنة، أصبح عيباً الكتاب والسنة، التمسك بالكتاب والسنة وبأقوال الفقهاء أصبح عيباً، أما الذي لا يتمسك بدين وليس له يقين ولا يعرف كتاباً ولا سنة هذا الذي يحكم الشعب الأفغاني المجاهد الذي دفع الغالي والرخيص والنفس والنفيس حتى وصل هذه الأيام.

خطر الدول المجاورة:

الهند إن شاء الله معروف أنها لن تستطيع أن ترفع بالأفغان عيناً، لأنهم يعرفون عمائم الأفغان، إذا نظروا إليها يرتجفون ويرتعدون هلعاً، ولذلك قال غاندي: إننا نرى أن قيام دوله أصولية في أفغانستان إنما هو خطر على المنطقة كلها، نعم خطر على الهندوس -

(قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) (آل عمران: ١١٩)

(قل موتوا بغيظكم) - قولوا لغاندي (قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور)، روسيا الحمدلله هزمت لن ترجع أبداً، لن ترجع، لن تغلط هذه الغلطة مرة أخرى، تعرف الشعب الأفغاني، عرفته على حقيقته، وعرفت أنه ليس مثل تشيكوسلوفاكيا، ٨ ساعات تحتلها، تسع سنوات ونيف ما استطاعت أن تتقدم شبراً واحداً، بل من هزيمة إلى هزيمة ومن خسارة إلى خسارة، لن ترجع مرة ثانية إلى داخل أفغانستان، ويهمها الولايات الإسلامية في داخل روسيا أن لا ينتقل الجهاد إليها، ولو استمر الجهاد الأفغاني طويلاً ستنتقل المعركة إلى داخل روسيا، الآن بدأوا يطالبون بمطالب إسلامية لأنهم وجدوا أن القرآن بدأ يدخل، بل روسيا عرفت أنها إذا استمرت المجاهدون سينقلون المعركة إلى داخل روسيا.

وسيحركون ستين مليوناً من إخوانهم المسلمين الذين يرزحون تحت الإستعمار السوفياتي منذ سبعة عقود أي سبعين سنه، ولذلك كل الدول المجاورة لن تستطيع أن تحرك ساكناً تجاه أفغانستان، وإذا كانت روسيا هزمت، هم سيعرفون أنهم سيهزمون، روسيا استطاعت أن تستمر تسع سنوات، هم لن يستمروا تسعة أشهر، بلادهم ستدخل إن شاء الله، لو فكرت الهند في دخول معركة مع أفغانستان دلهي ستسقط بيد المجاهدين إن شاء الله، فالدول المجاورة ستلزم الصمت وتعرف من هم الأفغان، تعرف أنهم كالنار والنور تحرق من أراد أن يلعب بها ويقترب منها.

وأما المشاكل الداخلية فنرجو الله عز وجل أن يعين الدولة القادمة للمجاهدين، ودولة المجاهدين قادمة، ونحن نطالب بدولة الأصوليين التي يخشاها الغرب ويرتعد لها الشرق، نريد إخافتهم لأن إخافتهم وإرعابهم فرض من الله عز وجل..

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) (الأنفال: ٦٠)

فإرهابهم فرض من الله عز وجل..

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (البقرة: ١٢٠)

فشل المقاطعة الإقتصادية المحتملة لأفغانستان:

إذا قاطعوها غداً اقتصادياً فاقتصاد أفغانستان يكفيها، تستطيع أن تكتفي بالرز والقمح والسكر، وليحاربها العالم كله، وتستطيع أن تعيش خمسة وسبعين مليوناً من البشر كما جاء في تقرير الامم المتحدة الذي قدمه عبد المجيد زابلي للملك ظاهر شاه، وعندها من المعادن الكثير، وعندها البترول، وستخرج البترول إن شاء الله، وستكتفي ذاتياً بالوقود، وستمد أنابيب الغاز، لأن الغاز ينطلق من أرضها إلى روسيا، هذا ستحرم منه روسيا، وسيدخل كل بيت من بيوت أفغانستان خاصة المدن إن شاء الله، ومعادنها اليورانيوم في قندهار، والذهب في نهر جيحون، والزمرد في بنجشير، واللازورد في بدخشان، والحديد في باميان، وهكذا أرض غنية بالمعادن يكفيها الكثير، فليحاربها العالم كله، وهي مستعدة أن تقف أمام الدنيا بأسرها، وهي ترتل:

(قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)

ونرجو الله عز وجل أن يقر أعيننا وأعين الجميع برؤية دولة الإسلام خالصة صادقة في داخل أفغانستان وقريباً إن شاء الله، ولعل عيد الفطر القادم[1] في كابل بإذن الله عز وجل، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة والله وبركاته.

المؤامرة العالمية على الجهاد *

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أيها الإخوة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

كنت أود أن تتأخر هذه المحاضرة يومين أو ثلاثة حتى ينجلي الموقف ويتضح الأمر وتقر قلوب المؤمنين في كل مكان، ولكن الشيخ تميم حفظه الله كان له محاضرة، فقيل لي لو جئت لتشارك الشيخ تميم في ندوة، فقلت لهم أنا مار مروراً على بيشاور، وسآتي لأستمع للشيخ تميم، ثم قضى الله عز وجل أن طرأ طارىء للشيخ تميم وسافر سفراً اضطراريا [2] واضطررت أن أتكلم بينكم.

الهلع العالمي من هذا الدين:

أيها الإخوة، كل واحد منكم يعلم الهلع العالمي من هذا الدين، ويدرك أن أوصال البشرية كلها ترتجف كلما سمعوا ذكر الدولة الإسلامية.

وهذه قواعد قرآنية وقوانين ربانية أودعها كتابه وتكلم بها نبيه ﷺ.، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (البقرة: ٢١٧)

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) (البقرة: ١٢٠)

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم)

(آل عمران: ١٠٠-١٠١)

(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين) (آل عمران: ١٤٩-١٥٠)

ضرورة عقيدة الولاء والبراء:

والآيات كثيرة في هذا الموضوع، والآيات التي تتكلم عن الولاء والبراء ومحبة المؤمنين ومعاداة الكافرين أكثر من الآيات التي تتكلم

---

(١) نلفت الانتباه إلى أن الشيخ تراجع عن تحديد المواعيد في عدة مواضع

* رقم شريط الفيديو ١٩.

ملاحظة:

هذه المحاضرة ألقيت في بيت المهاجرين والأنصار بتاريخ ٨٩/٢/٢ وقد سجلت على الكاسيت والفديو وقامت مجلة البلاغ الكويتية حينذاك بتفريغ المحاضرة ونشرتها على صفحاتها بعنوان المؤامرة الكبرى وقد نقلت هذه المحاضرة من مجلة البلاغ مباشرة وأضفناها إلى كتاب كلمات من خط النار الأول (جـ ١) دون تحقيق ولا تدقيق، عندما شرعنا بعمل المجلدات رأينا أن تنقل هذ المحاضرة من مكانها وتضاف إلى سلسلة التآمر العالمي ونظراً لعدم وجود ما يكفي لإكمال الجزء السادس من التآمر العالمي فقد رأينا اضافتها إلى مجلد التربية الخامس بعد أن تمنا بتحقيقها وتدقيقها عن الشريط واستيفاء بعض النقص الذي حذف من قبل الإخوة في مجلة البلاغ ونحن هنا مهمتنا أن نلتزم بنص كلمة الشيخ بحذافيرها وذلك حفاظاً على هذا التاريخ بهيئته ونترك المراحل الأخرى للإخوة الباحثين في العالم الإسلامي والله الموفق.

(٢) سفر الشيخ تميم كان إلى بنغلاديش حيث دعي من قبل الإخوة هناك لإلقاء محاضرات عن الجهاد الأفغاني وقد رحب به ترحيباً عجيباً ورغم وزن الشيخ تميم إلا أنهم حملوه على أكتافهم فرحاً به وكل واحد كان يحاول أن يشارك في حمله وذلك للبركة .. هكذا حدثني الشيخ تميم رحمه الله.

عن أركان الإسلام الخمسة، أكثر من آيات الصلاة والصيام والزكاة والحج، والحقيقة أنا تكلمت في خطب متوالية عن الولاء والبراء، وعن معركة أهل الكتاب على هذا الدين، والمعركة الصليبية الجديدة، خطب كثيرة ألقيتها في المسجد، لكن كل يوم يمر أدرك قضيتين: أدرك ضرورة عقيدة الولاء والبراء، وأدرك أن الأمم تباع بأشخاص، شخص واحد يمكن أن يبيع أمة بكاملها، ومن هنا اشترط العلماء أن يكون رئيس الدولة مجتهداً عالماً فقيهاً تقياً ورعاً يبايعه أربعون على الأقل من أهل الإجتهاد إن وجدوا، من أهل الإجتهاد والورع والتقوى، أهل الحل والعقد، يعني يكون رئيس الدوله خياراً من خيار من خيار، ويختاره الخيار، ويرشحه الخيار، فلم يجيزوا لأي واحد أن يتقدم ليقود الأمة بكاملها، لأن الرجل الذي يقود الأمة الإمام -يسمى إماماً- مطلوب منه أن يحمي أصول هذا الدين، ومطلوب منه أن يسير الجيوش، وأن يعلن الجهاد، وأن يحمي الحوزة، ويذب عن البيضة، ويقسم الغنائم، ويفرق الفيء، ويضرب الخراج، ويحدد الجزية، ويعقد معاهدات الذمة والسلم، ويعين الوزراء والولاة والقضاة، ويحدد موارد بيت المال ومصارفها.

فهو مسؤول عن الأمة بكاملها، عن الأمة، عن كل درهم فيها، لهذا ما لم يكن ورعاً تقياً قد يبيعها على طاولة قمار، على مائدة ميسر، قد يبيعها بفنجان قهوة يتناوله من يد غانية من الغانيات أو من أجل رقصة من الرقصات، ألم يبع رأس سيدنا يحيى برقصة من سالومة الراقصة؟ هورودتس(HORODOTOS) حاكم فلسطين اليهودي.. ورقصت سالومة ولعب الخمر بالرؤوس وذهبت الأرواح مع الراح، وقال لها تمني واطلبي، فقالت أريد شيئاً واحداً، أريد رأس يحيى المسجون عندك، فقال اقطعوا رأس يحيى وائتوا به، وقطع رأس النبي يحيي وجيء به على طبق لتقر عين الراقصة سالومة، بلادنا.. بلادنا بيعت والله برقصة من الرقصات وفنجان قهوة..

خيانة الدول العربية لفلسطين:

في معاهدة رودس (RODOS) كان يمثل الجانب الأردني سنة ١٩٤٩م أحمد صدقي الجندي، بعد المخازي والبلاوي التي ظهرت وانكشفت من الدول العربية كلها، الدول العربية كلها يقودها الملك عبدالله، وقائد الملك عبد الله كلوب باشا الإنجليزي، يعني قائد الجيوش السبعة في حرب فلسطين كلوب باشا الإنجليزي قائد الجيش الأردني، وبعد الضحايا وبعد المصائب وبعد أن سلمت اللد والرملة وذبح الناس وما إلى ذلك، اجتمعوا في معاهدة رودس في أوائل مارس ١٩٤٩م، البنات التي تقدم له فناجين القهوة جميلات يهوديات عيونهن زرقاء وأسنانهن فرق وما إلى ذلك، قالت له فقط نحن نريد أن نصحح الخارطة، يعني الخارطة خطها ليس صحيحاً، نصف سم على الخارطة حتى يصحح الخط، فنجان قهوة فقط، صححي الخط، وبتصحيح الخط هذا بنصف سم الذي ألحقوه على البيعة ذهب به أخصب مناطق فلسطين المثلث الأخضر، نحن قرية من قرى جنين[1]، ذهب لها ٢٨ كم٢ في نصف السم مربع من مرج ابن عامر، القمح فيه يضرب به المثل، سمراء الشام أنه يواري الخيال، يواري الرجل الذي يركب الفرس، والله والذي حدثني عن قطعة أرض من التي أعطيت في النصف سم هذا قال: زرعنا صاع ذرة فأنتج ألف صاع، الله عز وجل قال:

(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) (البقرة: ٢٦١)

يعني الحبة تنتج أكثر شيء سبعمائة ضعف، عندنا أنتجت ألف ضعف.

اختيار الحاكم أهم ركن:

فاختيار الحاكم واختيار القائد أهم ركن في الدولة كلها، فهو يلتقي على موائد الأمم المتحدة،يلتقي مع الصغار والكبار، يلتقي مع الفجار والكفار لضرورة كونه رئيساً للدولة، وكم من الأوطان بيعت بهذه الطريقة، جلسة واحدة يخوفونه.. أمريكيا، روسيا، بريطانيا نحن لا نستطيع أن نواجههم، ولذلك يقول لهم ماذا تريدون؟ يقولون نحن نريد قطاع غزة فقط والضفة الغربية، خذوا قطاع غزة والضفة الغربية، عبد الناصر من سنة ١٩٥٨م يقول لأكرم الحوراني نائبه في سوريا وكانت اسمها الجمهورية العربية المتحدة، يقول له: مطلوب منا أن نسلم قطاع غزة والضفة الغربية لليهود حتى نحفظ حدودنا، مطلوب طلب.

(١) قرية سيلة الحارثية.

معظم طواغيت العالم الإسلامي تخرجوا من المحافل الماسونية اليهودية:

والآن المحافل الماسونية التي دخل في مواخيرها معظم الطواغيت الذين يوجهون العالم الإسلامي، تلقى لهم الأوامر كل سنة مرة، مرتين فهم يذهبون إلى نيويورك أو جنيف حيث المحافل الماسونية، ومن وراء ستار يلقي حكماء صهيون الأوامر، نريد منك في هذا العام أن تضرب الحركة الإسلامية، أن تقتل فلاناً وفلاناً، المنطقة الفلانية أن تتركها، اليهود أن لا تمسهم، المفاعل النووي أن يدمر، هكذا مطلوب منه، هكذا يكلمونه من وراء ستار، لا يكلمونه مواجهة حتى لا تنكشف هيبة حكماء صهيون فيلقون الأوامر من وراء ستار، وطيلة السنة وظيفته تنفيذ ما سمعه من وراء ستار في بروكلن في نيويورك من المحفل الكوني الماسوني أو من محفل جنيف، لأن هناك محفلان كونيان ماسونيان، محفل في نيويورك والمحفل الثاني في جنيف، وأبشركم أن معظم وكلاء الوزراء والوزراء أكثر من ٩٠٪ منهم في العالم الإسلامي دخلوا هذه المحافل الماسونية، واخذت عليهم العهود في داخلها وأقسموا على التوراة والإنجيل، عندما يصلون إلى درجة ٣٢ يقسمون على التوراة والإنجيل أن يهدموا المسجد الأقصى ويبنوا الهيكل مكانه، ويطلب منهم في درجة ٣٣، لأن الماسونية ثلاث درجات، الماسونية الرمزية، والإبتدائية، والثانية الماسونية الملوكيه، والثالثة الماسونية الكونية، الماسونية الرمزية أو الإبتدائية هذه ٣٢ درجة، وكان اليهود لا يسمحون أن ينتقل من الماسونية الإبتدائية أو الرمزية أحد غير يهودي، لكن صاروا في العصر الحديث يسمحون لأصحاب المناصب العليا أن ينتقلون بعد الدرجة ٣٢ إلى الدرجة الملوكية، لكن لما يصل إلى درجة ٣٣ مطلوب منه أن يسب القرآن الكريم، وأن يسب رسول الله ﷺ محمداً، وأن يسجد على عمودين العمود الأول عليه تمثال -أعوذ بالله- يرمز لسيدنا موسى عليه الصلاة والسلام، والثاني لتمثال يرمز لسيدنا هارون عليه الصلاة والسلام، يسجدان على أقدامهما، ويؤتى به مغلق العينين، وفي غرفة سوداء والرماح مشرعة فوق رأسه ويقاد بحبل في داخل دهليز ضيق مظلم، وينادى وتحته الخشب الذي يمشي عليه وكان تحته آبار ثم يقال له من أنت؟ قال أنا سمعت أنكم تريدون بناء الهيكل – طبعاً الجواب يكون قد سمعه قبل أن يدخل، عُلمه– سمعت أنكم تريدون بناء الهيكل فجئت أساعدكم، والكلام عن الماسونية يطول.

أقول كثير كثير أكثر من ٩٠٪ من وكلاء الوزراء خاصة الذين درسوا في الغرب وفي أمريكا بالذات دخلوا الماسونيه، وغالباً غالباً وصلوا إلى هذه الدرجة وطلب منهم أن يسبوا رسول الله ﷺ والقرآن الكريم، والكلام طويل في هذا، ننتقل إلى القضية الأفغانية.

قادة الجهاد: طراز جديد في عالم السياسة:

العالم رأى طرازاً جديداً من الناس ما رآه في عالم السياسة أبداً، والأمريكان بالذات لا عهد لهم بهذا النوع من الرجال، ما شهدوا واحداً في العصر الحديث خاصة إذا كان ضعيفاً أن يقول لهم لا، طبعاً روسيا في الحلبة لكنها مشغولة بكفكفة دموعها ومواساة جراحاها التي أثخنتها حراب المجاهدين، ليس عندهم وقت للتكتيك، فتركوا التكتيك للغرب، منذ أربع سنوات عجموا عود هؤلاء فوجدوها صلبة المكسر ليست لينة المعصر، حاولوا، التقوا، حاولوا أن يلتقوا بهم أولاً فرفضوا، أرسلوا إليهم من يلتقي بهم والكلام يطول يطول في هذا ولا بد أن نخرج كتباً في هذه القضية للتاريخ حتى تتعلم الشعوب كيف تنتزع حقها من أفوا الأسود، وحتى يعلم الناس أن الحق لا يعطى إنما ينتزع انتزاعاً، وأن قيام دولة إسلامية يعتبر أكبر مشكلة في الأرض، لا يوجد صعوبة ولا مشقة ولا عقبة كأداء في الأرض أكبر من إقامة دولة إسلامية، لأن إقامة دولة إسلامية يعني إعلان الحرب على كل الكفار، والكفار يحكمون كل أرجاء الأرض يعني إعلان الحرب على كل الأرض.

هم يفهمون أكثر منا ويدركون، ولذلك لا يمر أسبوعاً على أمريكا إلا وتعقد ندوة علمية في أكبر جامعاتها تجتمع فيها كبار العقليات الساسية والإجتماعيه والفلاسفة والاداريون ليبحثوا قضية أفغانستان وما المخرج منها، فهم تعبوا كثيراً.

المكر فيس الإسلامي:

وجدوا أنهم مهزومون قطعاً في الميدان العسكري، فبدأوا – الروس – يتصلون بالمسلمين حتى يحلوا لهم المشكلة مع الأفغانيين، أرسلوا واحداً من الدعاة المعروفين – معروفين في الكتب، ليس معروفاً بين الجيل المسلم – جاء فرحاً جذلاً مسروراً أنه يحمل حلاً من روسيا قبل عام تقريباً، ماذا؟

قال أنا جئتكم بحل: روسيا رضيت أن تنسحب وأن تشتركوا في حكومة نجيب، فرحان أخونا في الله!! يريد من المجاهدين أن يوافقوا أن يكونوا وزراء وتبقى الحكومة الشيوعية كما هي، ويبقى الوزراء الشيوعيون ويدخل خمسة أو ستة وزراء من المجاهدين، فهذا

كما قال الكردفيس الإسلامي -كردفيس الذي هو مندوب الأمم المتحدة الذي كان ذاهباً آيباً إلى إسلام آباد- قالوا له هون عليك سيخرج الروس، قال كيف يخرج الروس يا إخوان؟ قالو سيخرج الروس، الروس مهزمون. ومن نعم الله عز وجل أن الأفغان لا يطيعون نصائح القاعدين من السياسيين المسلمين في العالم الإسلامي، هم ينصحونهم صادقين ويقيسون على حالتهم، حالة الضياع التي يتضورون فيها، وحالة التيه الذي يخطون فيه، ولذلك روسيا رضيت أن تنسحب وأن تشتركوا أنتم ونجيب في وزارة، فقط نجيب رئيس الدولة، قالوا هون عليك يا هذا ستنسحب روسيا.

الحل الوحيد أمام روسيا:

روسيا بعد الهزائم في داخل افغانستان وبعد أن تناوشت الأسنة عنقها وأكلت جسدها لا بد أن تنسحب، كان أمامها حل واحد أن تهجم الهند على باكستان فقط، وتشغل باكستان وتشغل المجاهدين في المنطقة، تجمع الهنود وتحركت الأساطيل البرية، واصطفت على الحدود الباكستانيه قرب لاهور، وبدأت أنديرا غاندي تذرع الأرض شرقاً وغرباً - الهند - تؤجج نار الحمية لتنقذ الأراضي الباكستانية من أيدي المسلمين، ستة أيام طافت على ست ولايات، اليوم السابع حارسها قتلها.

كانت كرامة من الله عز وجل، وبدل أن ينشغلوا مع الباكستان انشغلوا في حرب داخلية السيخ مع الهندوس، مرة أخرى روسيا حركت الهند واصطف الجيش الهندي مرة أخرى والدبابات والطائرات، يعني قدمت لها ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠ طائرة من الطائرات الحديثة، فإخواننا الأفغان أخرجوا بياناً قالوا إذا هجمت الهند على الباكستان لن نقف مكتوفي الأيدي، سنشترك في الحرب ضد الهنود وهم يعرفون، يرتجفون من الأفغان، ويعرفون من هم الأفغان، في أثناء الاحتشاد على الحدود ألهم الله صحفيين غربيين أن يقابلا المسؤول عن المفاعل النووي في باكستان، قالوا له ما أخبار المفاعل النووي والقنبلة الذرية؟ هل صنعتم القنبلة الذرية؟ قال صنعنا مئات القنابل الذرية، وإذا بالهند تعلن انسحاب جيشها والود والسلام والمودة والمحبة وحسن الجوار.

الخطوة الثانية:

انتقلت روسيا على إيران، قالوا تغلقون الحدود على المجاهدين، تضيقون عليهم مقابل أن نعطيكم بعض السلاح في حربكم مع العراق، ضيقوا عليهم، واتفقت ايران مع روسيا أن تضيق على المجاهدين مقابل صفقة سرية السلاح أو غير السلاح، في نفس الوقت الذي اتفقت فيه مع إيران باعت العراق صواريخ ثقيلة.

بدأوا بالتضييق على المجاهدين، وإذا بالصواريخ من العراق تضرب قم وتضرب طهران ومكتوب عليها (U.S.S.R) - الإتحاد السوفياتي- فايران أدركت أن الروس يخدعونهم ومجرمون وانفرجت الأزمة.

ورقة ظاهر شاه:

ظاهر شاه منذ أن وصل إلى إيطاليا -لأن الملوك المخلوعين يذهبون عادة إلى إيطاليا، لأن الخمرة هناك معتقة ومن أجل بركات الفاتيكان معهم!! الملك فاروق عندما خلع ذهب إلى إيطاليا ومات مخموراً في جزيرة من الجزر، وهذا الملك سيموت مخموراً -والله أعلم- مخموراً غير مأسوف عليه نصفه الآن في القبور ويبقى نصفه في عالم الأحياء- منذ أن خرج الملك ووزراؤه ووكلاؤه يعيشون في ألمانيا وإيطاليا يمنونهم -الغرب- يقولون لهم انتظروا سنعيدكم حكاماً إلى أفغانستان، وخاصة بعد أن خاض المجاهدون هذه المعركة الطويلة كان أمل ظاهر شاه يزداد يوماً بعد يوم حتى الأيام الأخيرة، كل فترة تشتد فيه قضية ظاهر شاه يخرج المجاهدون بياناً سنقتل ظاهر شاه إذا وصل أرض باكستان، وهذا المسكين!!

(ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) (البقرة: ٩٦)

يرتجف هلعاً، الأمم المتحدة تذهب تمنيه، أمريكا، الغرب كله، يقولون الشعب راضٍ بك، واحد من عملاء ظاهر شاه هنا أخرج تقريراً من الأفغانيين على أن ٩٠ ٪ من الشعب باستفتاء شعبي راضٍ عن رجوع ظاهر شاه، ووزع هذا البيان، بعد أن وزعه بأيام وإذا به يقتل في داخل داره، فظاهر شاه حتى قبل عدة أشهر اشتدت قضية ظاهر شاه فوزع المجاهدون بياناً إن رجع ظاهر شاه سنقتله قبل أن يدخل أفغانستان، خلاص يبقى يسكر ويشرب الخمر في إيطاليا أفضل له، لما اشتدت مرة أخرى قضية ظاهر شاه قال أنا لا

سفيراً في فرنسا وهو يحلم أن ترجعه -ليس فرنسا الآن- أمريكا، فرنسا وبريطانيا أرجعت والده، هو ترجعه أمريكا فلوسها أكثر وسلطتها أقوى، فقال أنا لا أرجع إلا بالطريق الذي رجعه أبي نادرشاه، نادر شاه والد ظاهر شاه، كان قبل نادرشاه رجل إسمه أمان الله، الملك أمان الله هذا أراد أن يحضِّر المرأة، ومعنى التحضير أن تخلع جلباب حيائها وتتسلخ من قيمها ومثلها، طاف في أوروبا وروسيا ومر على أتاتورك ورأى ماذا فعل أتاتورك في تركيا، فرجع هذا المسكين!! يطبق ما طبقه أتاتورك، وبدأ ينادي بهذا وبدأت زوجته سافرة في أوروبا، ونقلت الصحف صورتها سافرة، وقامت أربع سنوات القبائل هنا من بكتيا وجلال أباد وننجرهار وغيرها ضده، واستمرت ضده ثورة شعبية حتى سقط بعد أربع سنوات، لما سقط أمان الله كان هناك رجل صاحب فتوّة اسمه حبيب الله، وبعضهم يسميه بچه[1] سقا، إبن السقا، هذا من الرجال الأبطال، لكنه كان رجلاً بسيطاً، وكانت عنده مجموعة فتوّة واستلم البلد، وكان رجلاً مسلماً مصلياً صائماً، لكنه رجل بسيط جمع السفراء الأجانب وبدأ يتكلم لهم، وقال إن هذه الرؤوس أعرف ماذا أعمل فيها، بعد قليل ساقطعها كلها -للسفراء- طبعاً العالم كله خاف من هذا الرجل، فجاءوا بنادرشاه، هو قال للبلد قال لهم: إنتخبوا واحداً غيري، البلد ليس فيها رجال إلا نادر شاه الذي يسكن في فرنسا سفير أفغانستان في فرنسا، وجيء به، وعن طريق ترمنجل وعن طريق القبائل وأدخل إلى كابل.

بچه سقا – حبيب الله – خرج من كابل إلى شمالها، فأعطاه نادر شاه الأمان، والأمان عندهم -أكبر أمان عندهم- أن يوقّع على طرف المصحف ويرسله مع العلماء، فوقع على طرف المصحف وحمله العلماء وقالوا نادرشاه أعطاك الأمان، فرجع وقبل، فمسكه وألقاه في السجن، ثم عرف أنه سيقتله، قال له أنا هدفي في الحياة أن أغزو موسكو وأن أدمر بريطانيا، فاتركني وشأني، أنا أترك لك البلد، ولكنه قتله، فنادرشاه هذا اشترط أن يرجع عن طريق القبائل، وعن طريق ترمنجل، ويرجع محمولاً على أكتاف الرجال، وتهتف له الحناجر وتصفق له الأيادي، فظاهر شاه وجدوا أنه غير مقبول، ولازال بعض الناس الذين تدفعهم أمريكا والغربيون حتى الآن ينادون برجوع ظاهر شاه، قبل يومين ثلاثة في مجلس الشورى واحد من هؤلاء الذين يقتاتون من دماء الشهداء من وزراء ظاهر شاه القدماء...

فشل الدولة المختلطة:

وطبعاً العالم كله اشترط بعد أن فشلت قصة الدولة المختلطة -الدولة المختلطة هي الدولة التي يرأسها المجاهدون لكنها مختلطة من المجاهدين ومن الشيوعيين- فشلت الخطة، قالوا: إذن ننتقل إلى خطوة أقل، أولاً كانوا عرضوا على المجاهدين دولة رئيسها نجيب ويدخل المجاهدون وزراء فيها، الذي جاء بها هذا الداعية الكردنيس الإسلامي، رفضوها، قالوا طيب دولة إئتلافية رئيسها منكم وفيها وزراء شيوعيون ووزراء مسلمون، قالوا لا يمكن، قالوا طيب دولة حيادية هذه الخطوة الثالثة دولة حيادية يعني من هؤلاء الذين ربتهم أمريكا وأوروبا في مواخيرها ووراء كواليسها، الذين رضعوا من لبان الحضارة الغربية ومفاسدها ولكن اسمه جل الرحمن وخبيب جل وحسبنا الله، وهكذا يرجع وجهه وجه أفغاني لكنه عقليته عقلية أمريكي، قالوا لا، لا نعرف دولة حيادية. فرونتسوف انتقل درجة رابعة تنازل قال لهم: طيب ادخلوا ثلاث وزراء شيوعيين أو أربعة معكم حتى نخرج، وبعد أن نخرج اطردوهم- في مؤتمر الطائف وإسلام أباد-، قالوا لن يدخل شيوعي واحد في داخل هذه الحكومة.

شفرنادزه وزير الخارجيه ماذا طلب؟ طلب أن يدخل بعض الشيوعيين في مجلس الشورى الذي في إسلام أباد الآن، فرفضوا، لن يدخل واحد من الشيوعيين في مجلس الشورى ولا في مجلس الوزراء.

فشل كل المحاولات:

فشلت كل المحاولات، انظروا نزلوا درجة، درجة درجة، روسيا خرجت لا تملك أن تأخذ ذرة من ثمار هذا الجهاد، فقالوا: بقي الأمر عليكم يا أمريكا، أيتها الحية الرقطاء الملساء، فالآن كل العالم عاد دورته -دورة جنيف- مرة أخرى، كما التقى العالم يوم مؤتمر جنيف- كل العالم – ضد الجهاد الأفغاني لإيقافه الآن التقى كل العالم على الجهاد الأفغاني لتفريقه وتضييع ثماره، ضغوط هذا الوفاق الدولي، أتسمعون بالوفاق الدولي، الإنفراج الدولي، يقول غورباتشوف إن إتفاق جنيف لا يقل أهمية عن نزع السلاح النووي في العالم، لماذا؟

معنى اتفاق دولي، اتفاق دولي على الإسلام، ولذلك ربطوها وحبكوها في كل العالم، الآن وزير الخارجية شفرنادزه من سوريا إلى

---

[1] بچه: كلمة بالفارسية تعني إبن.

الأردن إلى مصر، وزير الخارجية الإسرائيلي يجتمع به -شفرنادزه- في القاهرة، لماذا؟ الاتفاق، شد الأنشوطة على عنق المسلمين الذين بدأوا يتنفسون، وبدأت الدماء تصل إلى أدمغتهم، وبدأت تستيقظ من شللها وغيابها، خنق الإسلام، خنق المسلمين، إنفراج دولي ووفاق دولي.

القاعدة العريضة:

الآن القضية مطروحة دولة (Broad Base) يعني ذات قاعدة عريضة، هذه آخر طراز، طيب ماذا تريدون بالدولة ذات القاعدة العريضة؟ ما هي الدولة ذات القاعدة العريضة؟ قالوا: ادخلوا فيها من المهاجرين، طيب أدخلنا، كلها من المهاجرين والمجاهدين، قالوا لا، أدخلوا فيها من المهاجرين في أوروبا وأمريكا هؤلاء لهم حق، أفغان، ومثقفون يعينونكم في الدولة، كلهم دكاترة في السياسية وفي الإدارة، ومعظمهم تتلمذ على يد كيسنجر وعلى يد صفروني، كلهم خريجو المحافل الماسونية الدولية وهارفرد في بوسطن وغيرها، قالوا: طيب ندخل، كم تريدون من الوزراء؟ قالوا: سبعة، ندخل سبعة من الوزراء، أدخلوا سبعة من الوزراء الذين تربوا في الغرب، لكن كل واحد اختار واحداً من ألطف الناس كل حزب قدم واحداً من الطف الناس من الممثلين له في أوروبا أو في أمريكا، قالوا أنتم أخذتم من المهاجرين في باكستان والمهاجرين في إيران لم تأخذوا منهم، قالوا كم تريدون أن نأخذ منهم؟ قالوا نرى إيران ماذا تريد؟ إيران تفرغت من حرب الخليج كلها في مؤتمر جنيف.......

صفقات جنيف لمنع إقامة دولة إسلامية في أفغانستان:

كل الصفقة عقدت في مؤتمر جنيف، أوقفوا حرب الخليج، أقيموا دولة فلسطينية، حلوا قضية السلام مع إسرائيل، اخنقوا الجهاد الأفغاني، إمنعوا قيام دولة إسلامية في أفغانستان، حركوا الشيعة في داخل أفغانستان، حركوا إيران لتضغط على أفغانستان، اذبحوا ضياء الحق، حركوا الصين، طيب ماذا تريدون؟ قالت إيران: أنتم سبعة أحزاب سنية وعندنا ثمانية، أحزاب شيعية هم أكثر منكم، ووزير الخارجيه يقول إن الشيعة بدأوا القتال قبل السنة، قبل الحزب الإسلامي وقبل الجمعية، طيب ماذا تريدون؟ قالوا: نحن ثلث أفغانستان، الشيعة ثلث أفغانستان، دعوهم وعملوا لهم احتفالاً، أول مرة إيران تعمل احتفالا للجهاد الأفغاني، احتفال عالمي للجهاد الأفغاني، اليوم استيقظوا من النوم و دعوا بعض الناس، ودعوا قادة الجهاد هنا وذهب بعضهم ثم طلبوا مفاوضات أو محادثات رسمية.

المجاهدون الأفغان قالوا: انتقوا لهم أشد الناس حتى يجلسوا ويتكلموا معهم بشدة، انتقوا لهم حكمتيار ومحمد ياسر، أشد اثنين في مجلس الشورى. ذهبوا إلى إيران ماذا تريدون؟ أولاً طلبوا النصف، قالوا: أنتم تقولون نحن الثلث.. من أين لكم هذا العدد؟ الثلث؟ الأمم المتحدة تقول إن نسبة الشيعة في أفغانستان ٨٪، فنعطيكم على قدر نسبتكم ونرفض أن نسميهم شيعة، لأننا نرفض شق الصف الأفغاني، نسميهم مهاجرين في إيران، ٨٪ مجلس الشورى خمسمائة لكم أربعون مقعد، نعطيكم ٤٠ مقعداً، قالوا: لا، قالوا لهم: إذن نعاملكم كما عاملكم ظاهرشاه، مجلس الشورى في زمن ظاهرشاه ٢٥٠ مقعداً فيه أربعة عشر شيعياً، نعطيكم حسب النسبة، نحن خمسمائة نعطيكم (٢٨)، نحن نريد أن نعاملكم بالحق، والآن ألا تطلبون العدل؟ قالوا: لا نحن عددنا الثلث، قالوا لهم: بأي حق تطلبون، نحن سنعاملكم معاملة المثل، بقدر وزراء اهل السنة عندكم نعطي وزارات لأهل الشيعة في وزاراتنا، وبقدر عدد أهل السنة في مجلس شوراكم نعطي عدد أهل الشيعة في مجلس شورانا، كم عدد أهل السنة؟ كم وزيراً؟ فبهت الذي فجر، ولا وزير طبعاً، ولا وكيل وزارة، ولا رئيس مؤسسة، ولا واحد في مجلس الشورى الآن من أهل السنة، رجع حكمتيار ومحمد ياسر إلى مجلس الشورى هنا وقالوا لهم: إيران رافضة متشددة، جاء سفيرهم في إسلام آباد واجتمع بالقادة، قال لهم: نحن لا نريد أن نفتح معركة معكم.

إن الشيعة يتفلتون للقيام بحرب ضدكم، ونحن نحجزهم ونمنع السلاح عنهم، فقال له أحدهم: أنت وسيط أم جئت تهدد؟! إن كنت وسيطاً فأنت لا تتقن الوساطة، لأن الوسيط مصلح وأنت تهدد، وأنت تعرف من نحن؟ نحن الأفغان، عشر سنوات الآن مع روسيا نحارب ونحن مستعدون أن نواصل عشر سنوات أخرى، نحن نخشى التهديد؟ أتظن أننا نخشى تهديداتكم؟ اعملوا ما شئتم، ثم بدأ يترقرق وأخيراً قال: أنا ما قصدت تهديدكم، ونحن إخوة، وحسن الجوار، وما إلى ذلك، وها هو نائب رئيس الجمهورية ونائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية الدنيا كلها كبار رجال ايران ينهالون على إسلام آباد.

مقعد وسبعة وزراء وستة من الشورى العالي الشورى العالى (٢١) ستة لكم وسبع وزراء يعنى الربع من ثمانية وعشرين، عندما رجع – مجددي – قالوا له: من الذي أذن لك أن تذهب؟ ولذلك بمجرد أن ذهب إلى هناك عقد حكمتيار مؤتمراً صحفياً قال فيه: أنه ذهب بمفرده ولم يرسله مجلس الشورى، ولذلك فهو لا يتكلم باسمنا –حتى يحبط أي كلمة يتفق معهم عليها–.

لكن المسكين أخذ على حين غفلة منهم\ أخذوه (لأنه رئيس الإتحاد) وبطائرة خاصة في الليل أخذوه، ولما رجع قالوا: لا نعترف بهذا، نحن أعطيناهم ستين مقعدا واعترفنا بهم كحزب وهم لايستحقونها، ونحن سنعطي الستين مقعداً هذه ليس للشيعة، نعطيها للسنة والشيعة للمهاجرين في إيران.

ضغوط الأمريكان تقول: يا جماعة لا تغضبوا ايران، لا تغضبوا الشيعة أنتم بحاجة لإيران، ارفعوا نسبتهم، مسألة بسيطة، قالوا لا يمكن.

الغربيين الدنيا كلها تضغط على المجاهدين، قالو لهم: لن يفرض أحد علينا قراراً لا يخرج من رؤوسنا، لا يمكن... أي أحد يفرض علينا دون إرادتنا سوف نقاتله كما قاتلنا روسيا.

وكلما قالوا لهم أمريكا تريد كذا.. الصين تريد هذا.. ايران، الهند ما إلى ذلك يقولون لهم: إن الحكومة التي تريدها أمريكا أو الأشخاص الذين تريدهم أمريكا سنقاتلهم كما قاتلنا روسيا.

ضرورة عقيدة الولاء والبراء:

وأنتم لا تتركون الضغوط العالمية، ومن هنا ضرورة عقيدة الولاء والبراء.. هذه العقيده.. وليست العقيدة فقط أن تعرف أن الله في السماء، وتعرف أن له يداً ليست كايدينا – سبحانه – وتقول (الإستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة)، هذه سهل أن نحفظها، في جلسة واحدة نحفظها، أحفظتموها أم لا؟ثلاثة أشياء الله مستو على عرشه بائن عن خلقه فوق السماء السابعة، هذه واحدة، ثانيا الله يد ليست كايدينا وعين ليست كاعيننا ثالثاً الإستواء: والإستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، هل هناك أسهل من هذا؟ ما في أسهل من هذا.

لكن عقيدة الولاء والبراء هي التي تكلف الإنسان حياته، فيها دفع الثمن، فيها دفع الدماء، فيها أن يقف الإنسان أمام الدنيا أسرها، وهو الذي جاءت من أجله الأنبياء، وهل الإيمان إلا الحب في الله والبغض في الله؟! من أحب في الله وأبغض في الله، وأعطى لله منع لله فبذلك تنال ولاية الله ولا تنال ولاية الله الا بذلك.

حملة مسعورة ضد الأصولية:

الآن حملة مسعورة شعواء في كل العالم في العالم الغربي والصحف الشرقية تنقل عنه بدأت الحرب الأهلية في داخل أفغانستان.

صحيفة أمركية صوّرت (رباني وحكمتيار) يسلمان على بعضهما البعض وتعلق (اليوم اصدقاء وغدا يبدأ القتال بينهم) (TODAY FRIENDS AND TOMMORROW ENEMIES) مقولة الحرب الأهلية الآن تتردد في الصحف العربية، م بلدة إسلامية كبيرة يقول: إننا غير مستعدين أن نقبل بالحرب الأهلية في داخل أفغانستان بعد أن انسحب الروس أصبحت الحرب الأفغانيين.

تحسب هذه الأجهزة أن القتال بين الشيوعيين في أفغانستان وبين المسلمين حرباً أهلية، وكلهم يراهنون، ولكن يراهنون على ماذا؟ أن القتال ينتظر المجاهدين وكلهم لايريدون أن يلتقي المجاهدون.

فالدول تمسك هذا وتترك ذاك، وتعزف على مقولة (الأصوليين)، الحملة على الأصوليين، الدول العالمية حكمتيار يومياً تقريباً ن الحملات عليه في أوروبا وأمريكا أنه أصولي وعنده حزب قوي للأصوليين.

والله عجبت من صحفي هنا يطارد سياف ويطارد حكمتيار من مكان الى مكان ويسأل هل أنتم من الحركة الإسلامية العالمية أو ن الحركة الإسلامية العالمية.

يريدون أن يعرفوا هل هؤلاء جزء فعلاً من حركة الإسلام العالمية فعلاً.

إذا كانوا من الحركة الاسلامية اذبحوهم، فحكمتيار في مؤتمر صحفي قال له:

(Do not Ask Please Dangerous Questions.) أوروبا، الأمريكان، العالم كله يريدون أن يعرفوا هل إسلام هؤلاء معتدل أم هو إسلام متطرف؟ إسلام أصولي (يعني اسلام قرآن وسنة) أم أنه إسلام أمريكي مرن يتكيف حسب أهواء السادة الأمريكان!!! هم يريدون إسلاماً مرناً يعني مثل المطاط، الامريكان يريدون إسلاماً معتدلاً.

ماهو الإسلام المعتدل عند الأمريكان؟ الإسلام المعتدل أن يصلي يوم الجمعة ويصلي العيد، ويصلي كما قال حافظ الأسد نصلي صلاة المولد النبوي، لأنه يحسب أن للمولد النبوي صلاة، قالها لوفد إسلامي قال لهم: أنا مسلم، أتظنون أنني غير مسلم؟! أصلي صلاة العيد... وصلاة الجمعة.. وأصلي صلاة عيد المولد النبوي!! يظن أن للمولد النبوى صلاة، مثل ما قال الشيخ تميم -كان شهرين في أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية- قال: واحد مات - نصيري - إسمه سعد كذا - قرد- قال بعد أن غسلوه هناك في أمريكا بعد أن يموت الميت يغسلونه ويلبسونه البدلة والكرافة ويبيضون وجهه ويضعون حمرة على شفتيه وما إلى ذلك، قال: جاءت زوجته، تلبس القصير فوق الركبة، ووضعت رجل على رجلا وهي تدخن وهي تنظر إليه.. هم يضعونه في تابوت زجاج وينظرون إليه وهو لابس الكرافة وما إلى ذلك، فكل لحظة تنظر إليه وهي تدخن وتنفخ، سعد أنت تركتنا لمن يا سعد؟ وتنفخ عليه الدخان، نعم وجاؤا به إلى المسجد حتى يصلي عليه الشيخ تميم، قال لهم: هذا نصيري لا أصلي عليه، هذا كافر، فجاء إمام المسجد قال له: لا تصلي عليه قال له: يذبحونني.. يقتلونني، فعلاً لو لم يصل يقتلونه، فصلى عليه نصيري غير نصيري خلاص، النصيري دخل الكعبة، حافظ الأسد دخل الكعبة، فالمهم يريدون الإسلام معتدل مرن مطاط.

فالحملة الآن على الأصوليين، وبدأوا يعمقون ماذا؟ يعمقون قضية الوهابيين، مساكين هؤلاء، حكمتيار وسياف ويونس خالص هؤلاء الثلاثة أولاً سياف وحكمتيار أصولي ووهابي، مصيبة يعني من كل ناحية، هناك نكته في قرية من القرى المتمدنة حديثاً أخرجوا قانوناً الذي يتخطى قانون السير يدفع ديناراً، والأقرع يدفع ديناراً، والذي اسمه عودة يدفع ديناراً، فواحد تخطى إشارة السير مسكه البوليس، قال له: ادفع ديناراً، قال له: لا يوجد معي أنا مسكين فقير، تدفع ما تدفع، ضربه البوليس، وهو يضرب به على رأسه طاقية نزلت، وإذا به أقرع، قال له: إذاً ديناران ليس دينار واحد، عندما قال له ديناران، قال: يا حسرتك يا عودة، قال له ايضاً اسمك عودة ثلاثة دنانير، وهؤلاء أصوليون، وهابيون، وحركيون، وهابيون وحركيون الحملة العالمية عليهم - يا حسرتك يا عودة- الثلاثة ثلاثة دنانير، الحمله العالميه عليهم، لا يطيقونهم أولاً أن حركة إسلامية هذا عيب، وهابيين، اصوليين، والآن قصة مولوي وغير مولوي، قالوا السبعة هؤلاء تسمان أربعة أصوليون لكن السهام قلّت على واحد من الأربعة، يعنى أصولي وحركي لكن يستسيغونه أحياناً، وثلاثة هؤلاء معتدلون الآخرون، فكر الأفغان، انظروا الآن كل قادة العالم يأتون إلى إسلام آباد، كل الدنيا الآن تلقي بثقلها على إسلام آباد، حتى هذا كنعان إيفرين الأتاتوركي جاء ليلقي بثقله في القضيه، فأحب أن يلتقي بالقادة السبعة، وكل واحد يطالب من ناحية، ناس يطالبون بالشيعة، وناس يطالبون بالأوزبك، هذا جاء يطالب بالأوزبك، اجتمع بالسبعة، قالوا: أحسن شئ للدفاع الهجوم، كيف حالكم؟ قالوا: الحمد الله نحن مسرورون والحمد لله، الشيخ يونس خالص قال له: الحمد لله نحن مرتاحون مطمئنون، الشيخ يونس خالص كلماته صواريخ أرض نرجو الله أن يقويه عجيب هذا الشيخ نرجو الله أن يحفظه، أي اجتماع فيه غربي أو أمريكي لا يحضره أبداً حتى يكرم وجهه أن لا يرى كافراً، فقال له نحن مطمئنين، نحن ما عندنا كتاب أخضر مثل القذافي هذه أول ضربة، نحن نمنع المرأة أن تتولى عندنا، هذه الضربة الثانية، الضربة الثالثة نحن لا نشترط نزع الخمار والحجاب للموظفة ولدخول الجامعات، لأن كنعان ايفرين يشترط البنت التى تدخل الجامعة أن تنزع حجابها، فذاك بدل أن يبدأ بالهجوم بدأ بالدفاع، قال هذه قضايا داخلية ولا نسمح لأحد أن يتدخل في أمورنا الداخلية وغير ذلك، ثم قام غير مأسوف عليه.

كيف نفوت المؤامرة:[1]

فكر الإخوة المجاهدون كيف نفوت المؤامرة العالمية، مؤامرة، كل الدنيا الآن إيران، تركيا.. روسيا.. أمريكا.. الغرب، ونحن نشتهى وزيراً من الدول الإسلامية يأتى ليقف بجانب هؤلاء المجاهدين، وزير واحد، سفير واحد يلتقي فيهم يشجعهم يقول لهم: نحن معكم، مارأوا أحداً، اتركوا المجاهدين يقرروا مصيرهم بأنفسهم، دولة واحدة في الأرض ما أعلنت من دول بلدان المسلمين هذا أبداً، كيف نفوت المؤامرة العالمية؟ قالوا أحسن شيء نأخذ من المعتدلين واحداً ومن الأصوليين واحد، الورقة التي التقينا عليها جميعاً هى ورقة حكومة أحمدشاه رئيساً للوزراء، ونأخذ محمد نبي رئيساً للدولة، جلسوا مع بعضهم والله عزوجل في ساعة من الساعات بعد ضغوط

---

(١) نشير هنا أن الشيخ رحمه الله كان يتابع الجلسات أولاً بأول في روالبندي الباكستانية بمدينة الحجاج ونذكر أن بعض الاذاعات ذكرت الشيخ بالاسم بسبب وجوده بجنب القادة هناك.

... لم يتفقوا نحن لن ننفض من هذا الإجتماع حتى نخرج بقرار للدولة، الله عز وجل جمعهم رغم الضغوط وما من واحد إلا وعليه ضغوط، إلتقوا قالوا رئيس الدولة محمد نبي ورئيس الوزراء أحمد شاه، بمجرد ما التقوا عقد سياف مؤتمراً صحفياً، الآن الناطق الرسمي لمجلس الشورى سياف، ممنوع واحد أن يتكلم إلا الشيخ سياف، وهذا الذي زاد غيظ الدول الغربية وجننها، لحيته إلى نصف صدره وهذا ناطق رسمي باسم الدولة، فقال: اتفقنا السبعة على أن يكون محمد نبي رئيساً للدولة وأحمد شاه رئيساً للوزراء، تكلم بهذا العصر أو بعد العصر كل الدنيا قامت، كيف التقوا؟ كل الدنيا، تصور! هبّ حريق في دار واشتعل الحريق، وبدأت سيارات الإسعاف تأتي من كل مكان، سيارات الإسعاف هنا سيارات زيادة الحريق، كل الدنيا، لماذا؟ لأنهم حلوا القضية بهذه، أسكتوا كلمة وهابي وغير وهابي، هذا محمد نبي غير وهابي التقى الوهابيون وغير الوهابيين حتى يسكتوا الشعب الأفغاني، والتقى الحركيون وغير الحركيين، والتقى الأصوليون والمعتدلون، إذن الدولة جامعة مانعة، وكان هذا أحسن حل وفقهم الله إليه، لكن نرجو الله أن يتمم بالخير، أثقال تنوء بحملها الجبال، صدقوا يا إخوان الذي يرقب المؤامرة والضغوط العالمية والدولية يدرك أهمية القيادة الصالحة، وأهمية الإيمان، وأهمية عقيدة الولاء والبراء، ومعنى الله أكبر ولا إله إلا الله.

الآن عادت الضغوط الدولية بمجرد ماسمعوا، كل دول الأرض تحركت، كيف التقى هؤلاء؟ كيف اجتمعوا؟ هم يريدون أن يفشل هذا الإجتماع وأن يخرجوا بلا نتيجة، وأن تتمزق كلمتهم، وأن تسيل الدماء بينهم، ونحن ليس لنا إلا الدعاء، أما النصير في الدنيا فقد قل، ليس موجوداً، المجاهدون يتلفتون حولهم ليجدوا سنداً واحداً من أهل الأرض فلا يجدون، كما قال المتنبي:

تمنيتها لما تمنيت أن تـســـــرى   صديقاً فأعيا أو عدواً مداجيـاً

يعني حتى العدو يتكلم معك كلمة لينة ولو كذباً الآن لا يجدون، الآن أزمة اختيار الوزراء، وكل واحد من القوى الدولية يشدّ وخاصة الذين جيء بهم من بقايا أكلة فتات ظاهر شاه، وهم موجودون بينهم، وأما الدوائر السياسية فقد أجمعت كلها على أننا لا نقبل هذا أبداً، لا نقبل أحمد شاه أبداً، حكومة أحمدشاه لا نقبلها، لماذا؟ لأسباب أربعة: ١ـ السبب الأول: أن أحمد شاه أصولي ٢ـ ومن أبناء الحركة الإسلامية ٣ ـ وهابي ٤ ـ وليس من عائلة كبيرة وزوجته أمريكية، هذه الأسباب التي يثيرها الذين لحومهم قد تربت من لعق موائد ظاهرشاه، فقلت لهم: أما زوجته أمريكية هي صحيح أمريكية لكن ليت العربيات في صلاحها وفي دينها، تظنون أن أحمدشاه تزوج هذه الأمريكية لجمالها ولزرقة عيونها؟ إمرأة سوداء هو أجمل منها بكثير، تزوجها لدينها وإخلاصها، جاء بها من أمريكا مباشرة وأسكنها في بابي، يعني تعيش في بيوت الطين، والصرصور من هنا طالع، والفأر من هنا طالع، كادت تجن، يعني لكثرة ما رأت أصابها مرض عصبي، أسكنها في بيت طين والناس طالعون نازلون عليه، وهي تطبخ وتنفخ وما إلى ذلك، وهذه أمريكية، فعلاً لشدة الضغط على أعصابها أصيبت بمرض عصبي، وقالوا ماذا؟ وهابي، هذا العيب كيف يمكن أن ينفيه، وأصولي يعني يرجع إلى الكتاب والسنة وهو من أبناء الحركة الإسلاميه، تاريخه معروف، الآن يا إخوان كل هؤلاء القادة وكل هؤلاء الذين حولهم كل واحد دوسيته أمام بوش وأمام تاتشر وأمام حكام فرنسا وأمام حكام الصين وأمام حكام باكستان وأمام الدنيا كلها من أين هذا؟ أين درس؟ كم ولد له؟ زوجته، وغير ذلك، من أبناء الحركة أو ليس من أبناء الحركة، متى كان في الجهاد، أين درّس، واضح تماماً، وإذا كان عنده ثلاث أو أربع اخطاء (ياحسرتك يا عوده)، كيف يمكن أن يرقع خرقه أو يجبر فتقه، لكن أمس واليوم الناس أيديهم على قلوبهم ونحن نعيش المؤامرة الدولية، تصوروا أن إذاعة ألمانيا الغربية، ألمانيا تقول: أن فلان وفلان وفلان وعبدالله عزام موجودون الآن في إسلام آباد للتأثير على الأصوليين، إذاعة ألمانيا الغربية! فهم غير نائمين، الآن فنادق إسلام أباد مليئة، ليس فيها أي مكان، الصحفيون من كل العالم الهيئات السياسية الطائرة اليوم التي قدمت فيها الصباح فيها اثنان أمريكان بيشاور، أنظر في وجوههم، المخابرات الأمريكية منتشرون في كل مكان في إسلام باد الآن، وربائبهم، المخابرات الأمريكة ليسوا ذوي الشعور الشقر وذوي الوجوه الحمر، المخابرات الأمريكية ذوو الوجوه السمر والشعور سمر، موجودون الآن في إسلام آباد.

أبو جهل و عبدالله بن ربيعة واقفان فوق رأس أبي طالب، الرسول ﷺ يقول له يا عم، كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل وهم يقولون –أبوجهل– أترغب عن ملة عبد المطلب؟ أبوجهل بقي واقفاً على راس أبي طالب حتى مات على الكفر– حتى يضمن موته على الكفر–، فلما مات هو على ملة عبد المطلب لأنه يخشى إن مات أبوطالب على الإسلام أن تصبأ كثير من فئات قريش وهم يخشون، الآن أبو جهل وعبدالله بن ربيعة جالسون حول مجلس الشورى ليضمنوا أن لا يقوم الإسلام من داخله، ولا تقوم الدولة الإسلامية، وأن لا يتولى ... أحد الأصوليين، لماذا؟ لأنها ستكون ظاهرة فريدة في الأرض، وعندما يفلت الزمام من أيديهم، وعندها سيعضون أصابع الندم ... لا ينفع الندم، فهم يريدون أن يضمنوا أن تقوم دولة ميتة أو يرأسها أناس لا يمثلون دين الله ولا يخشون من أصوليتهم، ولكن..

﴿ والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ (يوسف: ٢١)

ومن نعم الله عز وجل الضمان الأول هو بالأصوليين الموجودين في مجلس الشورى، هؤلاء الذين اتضحت في أذهانهم المعركة العالمية، والذين يرون أن ولاء أمريكا كفر كولاء روسيا، الضمان في الشباب المسلم الذي تربى على الإسلام الضمان بالله أولاً ثم بهؤلاء الشباب الذين لا يهادنون أبداً ولا يعطون الدنية في دينهم، الضمان في هؤلاء الوهابيين أو أبناء الحركة الإسلامية، هم يسمون أبناء الحركة الإسلامية وهابيين، الوهابيون هم بعد الله هم الضمان، الأمر فالت من أيديهم، لأن مجلس الشورى الآن معظمه من الأصوليين، لايمكن أن تنجح دولة لا يرضى عنها هؤلاء الأصوليين، ماذا يفعلون؟ إلا أن يبيدوهم إبادة، تصفية جسدية ممكن، أما غيرها لا يمكن أن تنجح دولة لايريدها الأصوليون، والذي يطير عقولهم كما قلت الثلاثة هؤلاء، يونس خالص عرفوا أن صد إريخه كلها صقر ٢٠ وصقر ٣٠، (٢٠) كم، و (٣٠) كم أرض أرض، أول مرة يسمع أرمكوست وكيل وزير الخارجية أول مرة يجتمعون به اجتمع مع الباكستانين وعرض عليهم الدولة الحيادية قال له: اسمع يا أرمكوست قال له: ماذا؟ هو عهده بمشايخ بلادنا أن ينحنوا ويتدللوا أمام الشقر والحمر، قال له: اسمع، قال: لعل هذا الرجل الكبير في السن أن يكون كلامه ليناً، هذا بعد صواريخ سياف وحكمتيار، قال له: اسمع والله لو التقت السماء على الأرض لن نقبل بدولة حيادية، قال له: أنت بأي دين وبأي قانون وبأي منطق تريد أن تفرض علينا دولة من عندكم؟ منطق عجيب غريب، نعم منطق ما رآه الأمريكان أبداً في الصالات السياسية ولا حول الموائد الخضراء، فالآن الله عز وجل أبقى حكمتيار حياً لهذه الأيام، هو الذي فجر هذا الجهاد أطلق أول طلقة والله عز وجل أبقاه حتى ربى الحزب الإسلامي ورعاه، والذي يطيّر لبّ الغرب أن يسمعوا بالحزب الإسلامي وبحكمتيار، لأنه حزب منظم ويقوده رجل أصولي حركي وهابي كل العيوب فيه!! والله عز وجل أخرج لهم سيافاً من السجن، أعدم عدة مرات و في نفس الليلة يؤجلوا التنفيذ، عدة مرات في السجن، ما أخرجه الله عز وجل إلا لحكمة رآها، وأعده وادخره لمثل هذه الأيام التي يريد الغرب أن يبيع فيها أفغانستان كما يبيعون الخضروات في الشارع، وإلا عدة مرات فعلاً، وسياف أمضي في وزارة الداخلية على أنه أعدم، قائمة فيها ١١٧ رجلاً يعدمون في ليلة، فجاءوا بهم بدأوا يجمعونهم ولم يكن سياف في نفس السجن، فقام الأفغان على السجن وقامت ثورة بين السجناء وبين ضباط السجن، وقتلوا بالرشاشات، وتناثرت أشلاؤهم والتصقت دماؤهم ولحومهم بالسيارات وبجدران السجن، فجاء مدقق وزارة الداخلية في الصباح وجد اللحوم المتناثرة والجماجم والأدمغة التي تناثرت على الأرض وغير ذلك فسجل نفذ حكم الإعدام في الجميع، فظن الشيوعيون أن سيافاً من بين هؤلاء القتلى، ولم يعلموا أنه حيّ وأنه في سجن آخر إلا في آخر أسبوع عاشه حفيظ الله أمين، حفيظ الله أمين آخر أسبوع في حياته عرف أن سيافاً حيّ، فأرسل لمدير الأمن العام –كان اسمه بيمان– قل لسياف: إما أن يهاجم المجاهدين وإما أن تاخذه إلى المقصلة، فجاء إليه قال له: معك يومان إما أن تقف على التلفزيون وتهاجم المجاهدين –كان المجاهدون حكمتيار ورباني والحزب الإسلامي والجمعية – كانوا على أبواب كابل، وإما أن تقتل، فأرسل إلى إخوانه في كابل يستشيرهم قال لهم: خيرني بين القتل وبين مهاجمتكم ولأمه، إخوانه قالوا له هاجمنا على التلفاز حتى تنجو بروحك، وأما أمه فقالت له لتقتل ولا تتكلم بكلمة ضد المجاهدين، فالله عز وجل نجاه وبقي حياً، قصة نجاته من السجن من أغرب كرامات الجهاد الأفغاني وتحتاج إلى محاضرة بكاملها.

فسياف له (٦٠) واحداً وحكمتيار له (٦٠) واحداً ويونس خالص له (٦٠) واحداً وحول رباني كذلك (٦٠) واحداً، وكذلك تجد حول الثلاثة الآخرين المعتدلين أناساً وهابيين وأصوليين وحركيين، فالشرق والغرب يكادون يجنون في هذه الأيام ولكن..

(ويمكرون ويمكرالله والله خير الماكرين) (الانفال: ٣٠)

(ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم اجمعين. فتلك بيوتهم خاويه بما ظلموا إنَّ في ذلك لآيةً لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون)
(سورة النمل ٥٠-٥٣)

ونحن نطلب منكم ومن المسلمين في كل مكان أن يقوموا الليل ويتهجدوا لعل الله أن ينجي إخواننا من هذه الفتن التي أقبلت كقطع الليل المظلم، وأن يري المسلمين دولة الإسلام قائمة في أفغانستان يتظللون بظلالها وتصبح قاعدة لانطلاق الجهاد إلى كل أنحاء الأرض ضد الكفار الذين يحتلون بلاد المسلمين، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ملاحظة أخيرة من الشيخ: الوهابية ليست مذهب فقهي ولا مذهب عقدي اسمه المذهب الوهابي، إنما هذا خنجر يطعن به الغرب وحدة الشعب الأفغاني المسلم ويريدون أن يمزقوه، فالمذاهب عندنا أربعة حنفي وشافعي وحنبلي ومالكي، ومحمد بن عبدالوهاب

محاضرة في ألمانيا *

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، نواصل محاضرتنا..

لو سأل سائل أين وصل الجهاد الآن في أفغانستان؟

الحقيقة من خلال الأرقام وليس من عندنا، ومن خلال الواقع، روسيا مهزومة، جورباتشوف عندما جاء كان لا يتنازل أن يجلس مع باكستان كدولة من العالم الثالث، كيف يجلس معها ويستعين بها لحل مشكلته في أفغانستان؟ وبعد سنة من مجيئه تحت وطأة ضربات المجاهدين القاصمة اضطر أن يطأطئ رأسه، واضطر أن يحني هامته، وأن يذل عنقه، فجلس مع باكستان، والآن هو أعلن أنه مستعد أن يجلس مع المجاهدين، وهذا تحت مطارق ضربات المجاهدين.

وصلت خسائر روسيا في داخل أفغانستان حتى الآن سقوط ألفي طائرة، ودمر لها (٥٠٠٠-٨٠٠٠) دبابة، وقتل لها خمسة وثلاثون ألف قتيل إلى خمسين ألف قتيل روسي من الجيش الروسي الأحمر، وأما الجيش الشيوعي قتل منه مائة ألف، وهرب وأسر مائة ألف، فلو عملنا مقارنة، كان عدد الجيش الأفغاني الشيوعي قبل أن تدخل روسيا ثمانين ألف جندي، الآن قُتل وأسر مائتان وخمسون ألف جندي، يعني ثلاثة أضعاف الجيش قد دمر من القوة البشرية، كان عدد الطائرات عند الجيش الشيوعي قبل دخول روسيا مائتي طائرة، الآن ألفي طائرة أسقطت، واستُهلك عشرة أضعاف القوة الجوية، كان عندهم ثمانمائة دبابة، الآن (٥٠٠٠-٨٠٠٠) دبابة دمرت وعُطلت واستهلكت يعني عشرة أضعاف القوة البرية.

ولذلك روسيا مضطرة لا محالة لأن تخرج، ولا بد لها أن تبحث عن مخرج، ولذلك هي متفقة مع أمريكا الآن أن تخرج، ولكن لها شرط واحد: أن لا يكون البديل إسلامياً، تقول لها نحن نقبل أي بديل، أي حاكم، لكن بشرط أن لا يكون من هؤلاء القادة المجاهدين حكمتيار، وسياف، ورباني وخالص، أن لا يكونوا هم القادة، أحضروا ظاهر شاه، أحضروا أي واحد، لكن أن لا يكون (فندمندلست)، شرط أن لا يكون (فندمندلست)، في الألماني ماذا يسمون؟ (فندي مندلست).

هذا موقف روسيا، الآن يسقط لها بمعدل طائرة إلى طائرتين في اليوم، ويدمر لها من (٥-١٠) دبابات، ويُقتل لها من (٢٠-٢٥) من الشيوعيين، ويؤسر ويهرب من الجيش مثل هذا العدد كل يوم، المعركة حامية جداً، حقيقة مع الصبر.. مع الصبر الطويل رب العالمين منّ عليهم.

كرامات وعجائب:

والكرامات التي تنزلت على الأفغانيين أثناء جهادهم أنا جمعت بعضها في كتيب سميته "آيات الرحمن في جهاد الأفغان"، هذا الكتاب "آيات الرحمن في جهاد الأفغان" وأنصحكم أن تقرأوه، قصص أغرب من الخيال، ولكنها ليست عجيبة من الله عز وجل، أنا استعرضت القصص والكرامات التي حصلت مع الصحابة ومع التابعين ومعجزات الرسول ﷺ ثم عرجتُ على كرامات الأفغان، وقلتُ إن الكرامات التي تنزلت على الشعب الأفغاني أكثر من الكرامات التي تنزلت على صحابة رسول الله ﷺ، وليس لأن الأفغان أفضل من الصحابة، فصحابي واحد أفضل من آلاف من الأفغان، لكن الكرامات تتنزل إذا ضعف الإيمان لحاجة في الدين أو حاجة من رزق أو نصر، هكذا يقرر علماء العقيدة، ولذلك عندما سئل الإمام أحمد: لماذا زادت الكرامات في التابعين أكثر من الصحابة؟ قال لأن الصحابة أكثر إيماناً أو أقوى إيماناً فلا يحتاجون الكرامات، لأن الكرامات لتثبيت الناس ولتقوية إيمانهم، قصص عجيبة! خاصة قصص الشهداء عجيبة جداً، عجيبة! هؤلاء الشهداء العرب الثلاثة عشر الذين سقطوا قبل شهرين، ستة منهم خرج من دمائهم رائحة كالمسك، عبد الله المصري فقدناه.. قُتل في الأول من شوال، وفقدنا جثته لأن الغابة واسعة، ووجدناه في الثاني من ذي القعدة كما هو لم يتغير، بينما الشيوعيون ينتفخون في اليوم الثاني، بل خلال ساعات، ويسودّون ويخرج الدود والقيح والصديد من أفواههم وعيونهم، وهذا شهر ويوم لم يتغير، ويتثنى كالنائم وجدناه كالنائم، ولا زال دمه لزجاً.

قصص الشهداء، الحقيقة عجيبة جداً، واحد اسمه د. بابرك من قادة المجاهدين، في ميدان وردك -استشهد في وردك- وجاءوا به إلى بيشاور، وانتظروا بجثته حتى يأتي أولاده من المدرسة، وعندما وصل أولاده ووقفوا عند رأسه بكى الشهيد ونزلت دموعه على وجهه. جل محمد أحد المجاهدين ضل الطريق في الليل، فدخل على نور فإذا بها قاعدة للروس، فأمسك به القائد الروسي والكلاشنكوف

---

* الشريط (١٠٩) أما الجزء الثاني من هذا الشريط لم نتمكن من تفريغه لعدم وضوح الصوت.

معه، وحزام الرصاص معه، قال: من أنت؟ قال: أنا مجاهد. قال: لماذا هذا الكلاشنكوف؟ قال: لأقاتلكم، قال: سنقتلك، قال: أقتلني، قال: أريد أن أسألك سؤالاً، كيف رصاصكم الصغير هذا يخترق دباباتنا؟! قال جل محمد أنا ميت ميت[1] سأموّته قبل أن أموت، قال له: ليس رصاصنا فقط بل لو ألقينا التراب على دباباتكم يخترقها، فهنا قال الضابط الروسي: قدّموا له دبابة حتى نرى كيف حجارتهم وترابهم يدمّر دباباتنا، وهنا جل محمد وقع في ورطة، فقال جل محمد: يا رب أنت تعلم أنه لا رصاصنا ولا ترابنا يؤثر في دباباتهم، لكن قلناها من أجل أن نلقي الرعب في قلوبهم، وطلب منهم أن يتوضأ، فتوضأ وصلّى ركعتين، وفي السجود دعا الله، اللهم لا تفضحني ولا تفضح المجاهدين، اللهم بيّض وجهي ووجه المجاهدين، وبعد أن أطال الدعاء، سلّم وحمل حفنة من الحصى والتراب وقال: بسم الله شاهت الوجوه (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم)، ثم رماها على الدبابة وإذا بها تشتعل ناراً، اشتعلت الدبابة ناراً، الضابط الروسي خاف على الدبابات الأخرى، قال: أبعدوا الدبابات الأخرى، ألقى له السلام، حتى لا يرمي عليه حفنة ثانية !!! وقال له: إذهب، وسلّمه سلاحه، وقال له: إذهب سالماً!!

(نصر الله) أحد المجاهدين وقع في بئر عمقه ثلاثون متراً في غزني، في البئر إن صاح لا يسمعه الذين فوقه، في غزني الآبار تتصل بعضها ببعض ثم يخرج الماء على سطح الأرض في آخر بئر، البئر الذي هو فيه عمقه ثلاثون متراً، فصار يُعكّر الماء حتى يخرج من بعيد معكّراً فيعرف الناس أن في أحد هذه الآبار بني آدم،حتى يأتون ويدلون إليه حبلاً ويخرجوه، وعندما بدأ الماء يخرج معكراً ظنّ الناس أن الأطفال إنما يلقون التراب والحجارة في البئر، فجاءوا وطيّنوا بابه وسدوه، فزادوا الطين بلّة، هنا يئس نصر الله من الأرض فصار يرى الشهداء الذين استشهدوا معه في الجبهة يأتون له بطعام في كل وقت، وكان أحد الأحياء يأتيه بالشاي، فقال: هؤلاء الشهداء يأتونني، هذا الحي كيف يأتيني؟! قال إذاً استشهد بعدي، وبعد أيام قال له إلى متى أبقى؟ –قال: لأحد الشهداء– إلى متى أبقى في هذا البئر؟ أخرجني. قال فجاءه بعود وبحجر وقال: إضرب. قال: ماذا يفيد هذا العود وهذا الحجر في هذا الصخر الأصم؟ قال: تعال أساعدك. ويضع العود ويضرب وإذا بالحجر الأصم –الصخر الأصم– كالكثيب المهيل، كالرمل، فيضع (نصر الله) عتبةً عتبة، ويخرج، كل يوم يعمل عتبتين ويرتفع على العتبة التي يعملها بهذه الخشبة وأخيراً صعد وعاد وهو يقاتل مع أهل غزني الآن حياً يرزق.

أحد الشباب أبو حفص الذي صورته على المجلة الأخيرة راجع من بلخ من مزار شريف على حدود روسيا، قلت يا أبا حفص: حدثنا بعض الكرامات التي رأيتها. قال يا شيخ عبد الله: أنت حدثت الناس عن الكرامات، لو حدثناك عن الكرامات التي رأيناها لا تصدق!! قلت: حدثنا، فقال: قذيفة (آر.بي.جي٧) صاروخ مُعدّ لحرق وتحطيم دبابة وزنها ستة وأربعون طناً، يخترق في الفولاذ (٢٥سم)، يدخل في الفولاذ (٢٥سم)، قال: الشيوعيون قذفوا قذيفة على أحد المجاهدين فاحترقت ثيابه وطارت، طار حزام الرصاص الذي على صدره، احترق المحل الذي دخل منه ال (آر.بي.جي) ولكنه لم يجرح جرحاً واحداً، قذيفة (آر.بي.جي) تخترق (٢٥سم) في الحديد لم تستطع أن تجرح جلده، كيف هذا؟!

(يار محمد) في قندهار، أغارت الطائرة فاستلقى على الأرض ووضع سلاحه تحت صدره حتى لا يلمع، فضربته الطائرة بصاروخ أصاب ظهره، صاروخ! كسر الكلاشنكوف تحت بطنه ولم يجرح ظهره!! يد الله ترعاهم، عناية الله تحميهم، صدقوا الله فصدقهم، كم من المرات تدور معارك على الروس دون أن يكون مع المجاهدين رصاصة واحدة!!

قومندان[1] عبد الله قال لي: خضنا معركة في كابل ضد الشيوعيين ثلاثة أيام فنفدت ذخيرتنا فانسحبنا، اليوم الرابع وإذا بالشيوعيين جاءوا مستسلمين لنا، فعجبنا لهذا، فأسرناهم وقيدناهم ووضعناهم، فقلت لهم: لماذا جئتم في اليوم الرابع واستسلمتم؟ لماذا لم تستسلموا في الأيام الثلاثة الأولى؟ قالوا: لقد كان علينا الضرب في اليوم الرابع أشد الأيام!! وأقسم عبد الله أننا لم نطلق عليهم طلقة واحدة، قالوا لهم: أين المجاهدون الذين يلبسون الثياب الخضر الذين كانوا معكم يملأون السهل؟! قالوا: ليس معنا مجاهدين يلبسون ثياباً خضراً! قالوا: لا... كانوا كثيرين جداً!. قال لهم المجاهدون صعدوا من حيث نزلوا.

عجائب! عجائب! مجاهدو بنجشير خاضوا معركة ضد روسيا فجرح اثنان منهم، ووادي بنجشير إذا فاض النهر يجر الدبابة، هؤلاء جرحى لا يستطيعون أن يخترقوا النهر ولا يبقوا مكانهم حتى يأسرهم الروس، أصيبوا في أرجلهم، فجاء الروس ووقفوا فوق رؤوسهم ولم يروهم، ما رأوهم، ثم يقول هذان الإثنان فقدنا أنفسنا وإذا بنا على الشاطئ الآخر من النهر! كيف انتقلنا؟! لا ندري، وبدأوا يزحفون على بطونهم، ووصلوا قاعدتهم بعد خمسة عشر يوماً، قال لهم المجاهدون: كيف وصلتم إلينا؟ قالوا: زحفاً على البطون! كيف إخترقتم النهر؟ قالوا: لا ندري، ما رأينا إلاّ ونحن منقولين على الشاطئ الآخر. قالوا ماذا كنتم تأكلون خلال الخمسة عشر يوماً هذه؟ قالوا: كنا نسهو ونفيق فنجد اللحوم والفواكه والطعام بين أسناننا.

---

(١) ... [illegible] ... كلام النتيجة. (١) كلمة أعجمية تعني قائد.

(كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنّى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) (آل عمران:٣٧)

حاجات ملحه:

ماذا يطلب الجهاد الأفغاني منا؟

أولاً: يطلب الجهاد الأفغاني منا ثمن الخبز، إكفل مجاهداً بخبزه، كل يوم يحتاج المجاهد ثلاثة أرغفة جافة، في الشهر يحتاج تسعين رغيفاً، تسعين رغيفاً ثمنها تسعون روبية، يعني عشر ماركات، إكفل مجاهداً في آخر الشهر بعشر ماركات، ولو جمعت أنت عشر ماركات دفعت من جيبك وجمعت من إخوانك الذين تعرفهم ومن الأتراك الذين تعرفهم في المنطقة، كل واحد عشر ماركات وأرسلتها للمجاهدين لقدمت الكثير الكثير لهم، في داخل أفغانستان نصف مليون مجاهد، عشر ماركات خبز في الشهر، يحتاجون خمسة ملايين مارك في الشهر، فهل تسدون خمسة ملايين مارك خبز؟ خمسة ملايين مارك على مليوني مسلم في ألمانيا، كل واحد ماركين ونصف في الشهر، فهل يقوم المسلمون في ألمانيا فقط بثمن الخبز؟! والخبز مشكلة كبيرة، كبيرة، أنا أعرف أن المجاهدين في هرات يمر عليهم أشهر أحياناً لا يأكلون إلا الحشيش حتى اخضّر لون بشرتهم، أصبح هذا اللون أخضر على لون الحشيش، أظافرهم خضراء، شفاههم كشفاه الغنم مسوّدة، يابسة لكثرة أكل الحشيش.

ثانياً: نريد الطبيب المسلم الذي ينذر سنة لله من حياته التي قضاها للدنيا، فإذا كانت البنت الفرنسية تقضي أربع سنوات في داخل أراضي أفغانستان على حدود روسيا تخدم المجاهدين من أجل قضية تنصيرية في نفسها أو استخبارات أو إفساد أو هواية أو تمرد على مجتمعها، أربع سنوات ولم ير المجاهدون من العرب إلا طبيباً واحداً عاش معهم سنتين ونصف!!! من أولى بالجنة؟ من أولى بالثواب؟ من أولى بالوقوف بجانب هؤلاء الأسود؟! هؤلاء البنات الفرنسيات أو الصحفي البلجيكي أو المصوّر الإنجليزي أو أبناء المسلمين؟!

نريد من الطبيب المختص أن ينذر سنة أونصف سنة لله عز وجل، يقف بجانب هؤلاء الذين رفع الله بهم رايته وأعز بهم دينه وأعلى كل مسلم هامته في الأرض بهم.

ثالثاً: نريد المعلم الداعية يعيش في الجبهة، ونحن نعطيه راتباً، نعطيه راتباً من أموال حلال وليس من الأموال هذه التي نجمعها للمجاهدين، من تجّار نذروا أموالهم ليخدموا بها هذا الجهاد، يقولون هذه الأموال لكل عربي يأتي نكفله بأسرته وتذكرته وحياته وبيته حتى يعود من الجهاد، يريد الجهاد -على الأقل- منكم أن تتابعوا أخباره، ونحن نصدر مجلة شهرية بالعربية اسمها مجلة الجهاد،[1] ومجلة أخرى اسمها البنيان المرصوص كل شهر، شهر ونصف، الجهاد تصدر شهرياً، نريد منك أن تعطي ساعتين للجهاد تقرأ أخبار الذين يكتبون تاريخ الإسلام بدمائهم، نحن نكتب هذه المجلة بالدم وأنت اقرأها وأنت جالس على الكرسي، ألا تعطيها ساعتين؟! هذه المجلة جهود آلاف من المجاهدين سقطوا في الميدان وخطوا تاريخ الإسلام بدمائهم، ونحن نأخذ مدادنا بنجيعهم ونكتب هذه المجلة فأعطوها ساعتين في الشهر، تابعوا أخبار إخوانكم المجاهدين.

رابعاً: نريد من الشباب العربي أن يأتونا ليتدربوا ونطلب منكم كذلك أن تأتونا أنتم، أن يأتينا الشباب العربي، لأننا يا إخوان معركتنا الأولى هي معركة فلسطين، معركتنا الأولى هي معركة الأقصى، وهذا الذي يصرّح به قادة المجاهدين، أنا سمعت سيافاً عدة مرات يقول: إن معركتنا الأولى هي معركة بيت المقدس، ولكن ماذا نصنع وقد دهمنا بهذا الإحتلال؟ وأنا سمعت كثيراً من المجاهدين يقولون: اللهم حرّر على أيدينا كابل ولا تُمتنا إلا في بيت المقدس. هكذا الأفغانيون يقولون.

جاء نيكسون، أرسلته أمريكا ليرى حجم الجهاد الأفغاني، فتقدم من شيخ ليسلم عليه في ناصر باغ قرب بيشاور، فقبض يده شيخ الكبير، قال له الباكستانيون: هذا رئيس أمريكا السابق! قال: أعلم ولكنه كافر وأنا لا أسلم على كافر، فقرّب إليه شيخ آخر، قال

---

[1] أحد الإخوة الحاضرين يسأل الشيخ عبدالله من المسؤول عن هذه المجلة؟ فيجيب الشيخ: أنا المسؤول عن هذه المجلة، أنا رئيس مجلس الإدارة، عنوانها مكتوب عليها:
(P.O.BOX802, Peshawar, Pakistan)
سلوا إليها على العنوان، اكتبوه بالإنجليزية وأعطيهم عنوانك في ألمانيا، أرسلوه إلى مجلة الجهاد واشتراكها في السنة (20$) يعني أربعين ماركاً في شيك، واكتب على الشيك Payees acc. on يعني يدفع لهذا الحساب فقط، لأن البريد قد يعرف الشيك ويأخذ قيمته، ثم تضعه في رسالة مسجلة وعلى عنوان المجلة، وأي رسالة تريد أن تستفسر عن المجلة، عن المجاهدين، رسالة تبرع، على هذا العنوان، وتصلني ونرد عليك إن شاء الله.

له: لماذا أنتم تساعدون اليهود ضد إخواننا في فلسطين؟؟ ذُهل نيكسون، وفكر حتى هؤلاء الأميون الذين لا يدرون الدنيا أين هي، قلوبهم وأرواحهم في بيت المقدس!!

نحن يا إخوة: يجب أن يكون معلوماً لديكم أن أجسادنا في أفغانستان وأرواحنا معلقة في بيت المقدس، أن أشباحنا في داخل أفغانستان وأرواحنا تحوم فوق المسجد الأقصى، لن ننسى أبداً وسنرجع إن شاء الله عندما يفتح الله علينا، عندما تسنح الفرصة يكون عندنا مجموعة من الشباب العرب قد تربوا على الجهاد وارتفعت هممهم وعقدت عزائمهم وعقدت نياتهم وعلت هممهم، عندها فبهؤلاء إن شاء الله نبدأ جهاداً إسلامياً مباركاً فوق أرض بيت المقدس، هكذا نطمع إن شاء الله، هكذا، وكل الشباب العربي عندما يقف فوق جبال الهندكوش في أرض أفغانستان أول ما يمر بذهنه كيف يطهر القدس ونابلس وحيفا ويافا من أرجاس أحط خلق الله في دنيانا، لا يمكن أن ينسى الإنسان أن الأرض المباركة في أيدي اليهود، وهذه المشاعر لا تنمو إلا في أفغانستان، فلذلك نحن نطلب من الشباب الفلسطيني خاصة ومن الأردن كذلك ومن العرب عامة، أن يأتوا ليأخذوا تجربة وليسقطوا فريضة الجهاد عن أنفسهم في أرض أفغانستان، ويعدوا أنفسهم لخوض المعركة الإسلامية فوق ذرى جبل الزيتون وفي العروب وفي الخليل وفي بيت حنينا وفي شعفاط وفي نابلس وفي جنين وفي حيفا ويافا والناصرة.

يا أيها الإخوة: الجهاد يدعونا، والله يأمرنا (إنفروا خفافاً وثقالاً)، واتفق العلماء في مثل هذه الحالة **إذا دخل العدو أرض المسلمين يصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم- ليس تطوعاً وليس فرض كفاية-**، وإنما فرض عين كالصلاة والصوم لا يسعهم تركه، تخرج المرأة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه، والولد دون إذن والده، والعبد دون إذن سيده حتى تطهر الأرض الإسلامية من أرجاس الكفار.

يا أيها الإخوة: لا بد أن ننتبه إلى دورنا والواجب الملقى على عاتقنا تجاه الجهاد الأفغاني وتجاه غيره من الأقطار الإسلامية.

الأسئلة والأجوبة:

س١: أخي في الله هل دخلت إحدى العمليات؟ وإذا كنت دخلت فهل حصلت معك شخصياً كرامات أو رأيتها عياناً مع مثال وبارك الله فيك؟

ج: كنا في معركة وليست عملية، معركة جيش، جيش قادم بثلاثة فرق وطائرات ودبابات، كنت في معركة جاجي العام الماضي، وروسيا بدأت تستعمل الطائرات المصفحة ضد الرصاص، وتستعمل طائرات سوخوي، وتستعمل طائرات (تي يو توبليف ٢٢)، هذه الزكوياك المضاد للطائرات يضرب بها كأنه إصبع يضرب في مخرز، كأنك تحاول بإصبعك أن تخترق حائطاً من الفولاذ، صدقوا يا إخوة كان يذهلنا عن قضاء حاجتنا، فعلاً لا يستطيع الإنسان أن يقضي حاجته، لأن أي واحد يخرج من خندقه خلاص لا يتوقع أن يرجع، يذهب للإستنجاء لا يتوقع إلا أن يموت، فالطائرات تقصف، فقلت للإخوة العرب -كنا نحن في معسكر الإخوة العرب بين إخواننا الأفغان لأننا لا نستطيع أن نجاهد وحدنا، لكن لأن الإنسان يأنس ببني جنسه فنكون عادةً في الجبهة مع بعضنا، لكن في وسط إخواننا الأفغان- قلت لهم: إبتعدوا ألقت الطائرة قذيفة، قالوا: لا هذه ليست قذيفة، هذا طير، والطيور هذه إذا رآها المجاهدون يستبشرون، يظنونها ملائكة تحميهم من القذائف، طير يسابق الطائرة، ألف كيلو متر في الساعة، أي طير هذا الذي يمشي ألف كيلومتر في الساعة؟! أسبق من الصوت، فهذه إما جنٌ مؤمن وإما ملائكة، وهذه أحد أسباب إسلام صحفي كاثوليكي.

أرسل الحزب الشيوعي صحفياً كاثوليكياً شيوعياً لينقل أخبار الجهاد في أفغانستان، فدخل في أفغانستان، فوجد أن البنادق تهزم الدبابات، يقول: مرة كنت في معركة فأغارت الطائرات، قصفت معسكر المجاهدين، قصفت، أحرقت الدنيا، قلت في نفسي، -هذا الصحفي الكاثوليكي الشيوعي، يعني جامع الفساد في كل ناحية- قال معنى ذلك لم يبق أحد، قتلوا جميعاً، لكن قال كنت أرى الطيور تحت الطائرات، بعد انتهاء المعركة ذهبت لم يُقتل مجاهد واحد، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، رجع، -هو أرسله الشيوعيون- على التلفزيون الإيطالي وأعلن إسلامه، قالوا له: لماذا أسلمت؟ قال: رأيت الطيور تدافع عن المجاهدين، فقال له المذيع في التلفزيون الإيطالي -يفهم-[1] أنت تُصدّق هذا؟! قال: لن أكذب عيني، أما أنتم فصدقوا أو كذبوا كما شئتم! وأسلم وينشر هذا في صحيفة (إس. برس) الإيطالية، وهو يصلي الجمعة مع إخواننا في اتحاد الطلبة المسلمين العرب في روما، هذا الصحفي الكاثوليكي

(١) الشيخ يهزأ من فهمه.

الشيوعي.

كرامة أخرى حصلت معي شخصياً بالدم، أحد القادة اسمه عبد الواحد من بغمان استشهد وفي جيبه رسالة، أخرجوا الرسالة جاء الدم على الرسالة، أرسلوها لي وبقيت شهرين في محفظتي والمسك يخرج منها، شهرين في داخل محفظة النقود في جيبي والمسك يخرج منها.

شاب من جدة، الحقيقة شباب الجزيرة يا سلام، الشباب السعودي الذي ظنناه أنه انتهى بالكبسات والبترول وما إلى ذلك، أكثر بلد قدم مجاهدين هي السعودية، وأكثر بلد استشهد منها في داخل أفغانستان من السعودية، سقط منها لغاية الآن إثنا عشر شهيداً، وهي أكثر بلد سقط منها، أرض مكة أرض المدينة، الأرض المباركة، أرض الحرمين، هذه لا تجف من الخير.

شاب من جامعة الملك عبد العزيز من جدة اسمه يحيى سنيور عمره عشرون سنة، استشهد، كان آية من آيات الله عز وجل، وضعناه في مستشفى بدر في بيشاور، عندما استشهد بقيت الغرفة التي سجي فيها تنضح مسكاً أكثر من أسبوع، كلما فتحت الغرفة فاح المسك في المستشفى، يحدثني صهري زوج ابنتي، مهندس يعمل معنا متفرغاً للجهاد، يقول: أنا راكب في سيارة وجثمان يحيى في سيارة على بعد (٥٠٠-١٠٠٠) متر والمسك يعبق في أنفي من جثته، ودُفن يحيى، ورجع محمد زوج ابنتي إلى البيت، وتحدثني ابنتي تكمل القصة تقول لي: عندما رجع خرجنا نزور عائلة مع جارتنا، فعندما ركبت جارتنا بجانبي فاح العطر في داخل سيارتنا، فعجبت من قلة حياء جارتنا، كيف تكسر على رأسها زجاجه عطر وتخرج، فعندما نزلت بكتتها وأنبتها ووبختها وقلت لها: ألا تستحين من الله؟! ألا تعرفين أنه يحرم عليك وضع العطر والخروج بهذا الشكل؟! (أيما امرأة تعطرت وخرجت ليجد الناس ريحها فهي زانية)! قالت: على مهلك، والله ما وضعت العطر ولا رأيته اليوم! قالت: إذاً ماذا يا محمد -عن زوجها- أي عطر هذا الذي في السيارة؟ قال: والله ما مسست العطر، قالت: وأنا أيضاً ما مسست العطر! إذاً من أين هذاالعطر؟! قال: لقد مسست جنازة يحيى!! بجارنا مهندس آخر كذلك رجع، فعندما دخل البيت قالت له زوجته من أين هذا العطر؟ هذا العطر ليس من عطرنا! قل لي من الذي وضع عليك هذا العطر؟ هي خائفة أن يكون متزوجاً واحدة ثانية!!![1] النساء دائماً خائفات من هذه الأمور، قال: والله ما عليَّ عطر ولا مسست عطراً هذا اليوم! قالت: لا... أنا لا أكذب أنفي أشم عطراً غريباً، قال: نعم هذا عطر يحيى، لقد مسست خشبات جنازته!

هذه أخبار الشهداء العرب.. سعد الرشود من الرياض، النور إلى الآن يخرج من قبره هو وعبد الوهاب الغامدي، عبد الوهاب الغامدي من منطقة الحجاز، الباحة والظفير جنوب الطائف لا زال النور يخرج من قبريهما ويصعد إلى السماء وينزل إلى الأرض.

عبد الله الغامدي لا زال التكبير يخرج من قبره بعد سنتين ونصف من دفنه، التكبير، الله أكبر يصيح كما يصيح على الكفار، لا زال يخرج من قبره، قصص أغرب من الخيال ولكنها حقائق، ومن الشباب.. هؤلاء الشباب الذين جاءونا من السعودية كثير منهم كان يُفحّط بالسيارات ويجري وراء البنات قبل سنتين أو سنة، وتاب ووجد أن أقرب طريق لقبول توبته وغسل حوبته هي أفغانستان، فأكرمه الله في الدنيا وفي الآخرة.

كتاب (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) اقرأوه فإنه يعيد الإيمان إلى النفوس من جديد.

السؤال الثاني: هي مجموعة أسئلة تتفق كلها في المضمون سوف أتلو منها ما تيسر:

سؤال: بسم الله الرحمن الرحيم، الأخ الدكتور الفاضل: ذكرتم أنه من الضروري على شباب فلسطين الذهاب إلى أفغانستان ولم تذكروا وجه الضرورة من هذا، أخي الكريم: إني أحبك في الله وأرجو أن توصل سلامنا وتحياتنا للمجاهدين.

سؤال: بسم الله الرحمن الرحيم سيدي الفاضل: أظن الأولى بنا شباب فلسطين إعلان الجهاد في وطننا السليب، فلماذا لم يعلن الجهاد حتى الآن؟ وأظن أن من الخطأ دعوتنا إلى أفغانستان وهناك في أفغانستان شبابها وأهلها فليعلن الجهاد في فلسطين.

سؤال: بسم الله الرحمن الرحيم، أخي العزيز: هل تؤيد الشباب أن يحاربوا مع منظمة التحرير الفلسطينية والموت فيها؟ وهل عندما يموت الشخص معها أي مع المنظمة يكون شهيداً أم لا يكون شهيداً؟

سؤال: بسم الله الرحمن الرحيم، أخي الكريم: إنني أحبك في الله، وأرجو منك أن تدعو لي بالشهادة، وأريد منك أن تفتيني بهذه المسألة، ما هو حكم الجهاد في أفغانستان بالنسبة لشباب فلسطين الموجودين في ألمانيا؟

هذه الأسئلة تكاد تكون متفقة في المضمون ونترك الإجابة لأخينا في الله الدكتور عبد الله عزام.

ج: يا أخي: *الجهاد ألا يحتاج إلى إعداد؟*- أبناء فلسطين الذين يريدون الجهاد- ألا تريد أن تدرب نفسك؟ هناك الآن في

---

[1] قالها مازحاً.

أفغانستان السلاح مثل الرز، هنالك أسواق يعني قلت للشباب أي عزة أعظم من هذه؟! نحن قاعدون في رأس جبل وعندنا مسجد أو سقيفة، في داخل المسجد نتدرب على الهاون، نتدرب على مضادات الطائرات، قلت لهم أي عزة أكبر من هذه؟ في داخل المسجد، الزكويات في داخل المسجد!! الصواريخ في داخل المسجد، الهاون في داخل المسجد، نتدرب على كل شيء، أية عزة وأي شرف وأية رفعة أكثر من هذه؟! أين تتدرب على هذا؟! في الأردن؟! من أجل أن يذبحوك، هل يسمح لك بحمل رصاصة في الأردن؟ أم في سوريا عند حافظ الأسد؟! أم عند حسني مبارك أو اللامبارك؟! رصاصة لو وجدوها معك تقدم للمحكمة العسكرية، الذين يريدون أن يقاتلوا في فلسطين أين هم؟ أنا أريد أن أفهم، هؤلاء الذين كتبوا هذه الأوراق أين هم؟ ألا تعيشون أنتم في أرض الواقع؟ هل يستطيع الطير أن يدخل من الضفة الشرقية إلى الضفة الغربية الآن؟ ألا يقتلك جنود الأردن قبل أن يقتلك اليهود، لو فكرت بقتل اليهود؟ لكن ربنا فتح لنا باباً في أفغانستان نتدرب فيه ونجاهد فيه، فإن استشهدنا فقد استشهدنا فوق أرض إسلامية، وإن بقينا أحياء الله عز وجل سيفتح لنا باباً للجهاد في فلسطين، كنا سنة (١٩٦٩-١٩٧٠م) في الأردن وكنا نقاتل وكنا ندخل فلسطين، ولكن الطيارات والدبابات مسحت الفدائيين مسحاً، مسحتهم مسحاً، من يستطع الآن في الأردن أن يقول أنا أفكر بالجهاد في فلسطين مجرد تفكير فقط؟ من؟ من يستطيع أن يحمل مسدساً؟ أنت ألا تريد أن تُعد نفسك؟! هل تريد أن تبقى في ألمانيا وتقول: أنا أريد أن أرجع فلسطين؟ أعدّ نفسك خُض معارك، درّب نفسك، وبعدها عندما تنضج شخصيتك وتكون قد أخذت التدريب على كل السلاح، وقويت همتك، عندها تفكر كيف ترجع إلى فلسطين.

أما الآن أنت قاعد في جامعتك في السعودية أو في الكويت كفلسطيني أو تدرس في ألمانيا أو تدرس في إيطاليا كيف ستُرجع فلسطين؟ فقط بالكلام، فقط بالحكي! (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة) لأن علامة الجهاد هو الإعداد، لو كنت فعلاً تفكر بالجهاد لجئت إلى أفغانستان، تدرب نفسك وتربيها على تحمل المشاق، وعلى تسلق الجبال، وعلى العيش على الخبز الجاف، أمانتني أريد أن أرجع فلسطين وأريد أن أعلنها من أرضي! إذهب وأعلنها من أرضك، لا تدخل من الجسر إلا عارياً، يعروك على الجسر إذا أردت أن تدخل من الضفة الشرقية إلى الضفة الغربية، يعروك اليهود تماماً من كل البستك.

السؤال الثالث: السؤال التالي هو رد على هذا الجواب، هو كيفية الدخول إلى أفغانستان، يقول السؤال:

كيف يمكن الوصول إلى أفغانستان للجهاد؟ وجزاكم الله خيراً، كيف يمكننا دخول أفغانستان، أنا شاب مسلم أدرس مواد التكنولوجيا، فهل بإمكاني الإلتحاق بالجبهة لتعليم وتدريس أبناء المجاهدين الأفغان وتفضلوا مشكورين؟

جواب: نعم، نحن نرحب بك، وإذا ما معك تذكرة فتذكرتك على حسابنا، أكلك، شربك، نومك، تدريبك، إطلاقك، إلى آخره من أن تخرج من ألمانيا إلى أن تتركنا بعد سنة أو سنتين إلى الله أو إلى بلادك، كله لا تتحمل منه درهماً واحداً، فإن استطاع المركز الإسلامي الذي جئت منه أن يتكفل تذكرتك ومصروفك فالحمد لله رب العالمين، وإلا فنحن نتكفل بكل شيء تريده، كيف تفعل؟ تذهب إلى السفارة الباكستانية وتطلب منهم تأشيرة وغالباً يعطونك إذا لم تكن من الشعوب المحيطة بإسرائيل، إذا كنت من الشعوب المحيطة بإسرائيل مثلاً أردني، فلسطيني، سوري، الله يُعوّض عليك، لكن تحاول مرة، مرتين، ثلاثة، ما استطعت، حاول أن تركب الطائرة بدون تأشيرة، فقط أخبرنا أنك قادم مع أي رحلة وفي أي يوم، هنالك لنا بعض الناس يمكن أن يستقبلوك في المطار ويحاولوا أن يدخلوك بطريقة أو بأخرى خلاص، تلفوناتنا في بيشاور، مفتاح الباكستان (٠٠٩٢) مفتاح بيشاور (٥٢١) وبعدها تتصل، نحن سنرسل لكم كتاب "*إلحق بالقافلة*" عليها أرقام تليفونات وكيف تصلنا، على كل حال عندما تصل بيشاور فقط إسأل أين العرب؟ فقط قبل أن تأتي أخبرنا بالتليفون أخبرنا بتليفون أو برسالة (تليفون بيشاور (٤٠٩٧٣) أو (٤٠٤٣٧) إتصل فينا ونحن نحاول إن شاء الله أن نخرجك.

ولكن حاول أن تأتي بتأشيرة ما استطعت، حاول السفر على أي شركة توصلك بلا تأشيرة، تصل إسلام أباد، لازم إسلام أباد- ليس كراتشي- لأنه عندنا بعض الناس قد يدخلوك إن شاء الله، فإن لم تستطع على الأقل آخر الشهر تبرع منك عشر ماركات، ومُرّ على عشرة أتراك أو عشرة طلاب، واجمع من كل واحد عشر ماركات مائة مارك تدفعها للمجاهدين[1].

---

(١) قال: عريف الحفل:

بسم الله الرحمن الرحيم، كنا نود الإستزادة من علم أستاذنا الفاضل الدكتور عبدالله عزام وكنا نود أيضاً أن تبقوا معنا فترة أطول ولكن الساعة الآن العاشرة والنصف ومعظم الإخوة عندهم عمل في الصباح، وبعضهم قد يسافر في هذا الوقت والصالة مؤجرة لفترة محدودة انتهت أو كادت أن تنتهي، لهذا نستسمح من أستاذنا الفاضل ونستسمح الأخوة الأعزاء أن نقف عند هذا الحد ونسأل الله تعالى أن يبارك في أستاذنا الفاضل ومربينا الجليل وأن يتقبل عمله هذا خالصاً لوجهه الكريم وأن يجزيه عنا خيرالجزاء، ونسأله أخيراً أن يدعو الله لنا بختام هذا اللقاء إلى اللقاء إن شاء الله

خط التحول التاريخي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فيا أيها الإخوة الأحبة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

نبدأ محاضرتنا هذه بالدعاء للهيئة التدريسية ولمدير المعهد[1] -جزاهم الله خيراً- الذين مكنوني من رؤية هذه الوجوه الطيبة، والذين رتبوا لهذا اللقاء، وكذلك ندعو الله عز وجل أن يبارك في هذا المعهد وفي أمثاله من المعاهد، وأن يعيننا على تخريج صفوة ترجع إلى داخل أفغانستان ولتستلم الرايه ممن سقطوا على درب هذا الجهاد المبارك شهداء بعد أن بلغوا بدمائهم وهزوا الأرض بجهادهم.

التاريخ هو حركة الرجال بهذا الدين:

أيها الإخوة: محاضرتنا لهذه الليلة (خط التحول التاريخي)، والتاريخ هو حركة الرجال بهذا الدين، فالخط التاريخي للإسلام حركة الرجال المسلمين على هذه الأرض بهذ الدين، فما دام هنالك حركة فالخط يسير والقلم يكتب، وإذا توقفت الحركة توقف يراع التاريخ عن البيان وأعجمه، ماذا يمكن أن يكتب إذا كان الرجال الذين يصنعون الأحداث بقدر من الله وبتوفيق من الله قد أخلدوا فالخط يتوقف والتاريخ ينتهي.

يقول الله عز وجل -**(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)**- هذه الآية دليل على ربانية هذا القرآن، دليل أن هذا الدين من عند الله، أي دين مر على هذه الأرض لم يتعرض لعشر معشار المؤمرات التي تعرض له هذا الدين، ومع ذلك لا زال يخط طريقه، لا زال الإسلام قائما يكافح، لا زال شبحه يقض مضاجع أوروبا وأمريكا وروسيا ويؤرق أجفانها، إن المعاول تعمل في هذا الدين منذ أن تنزل من عند رب العالمين، وخاصة بعد أن نبتت نبتته المباركة على سوقها في أرض طيبة مباركة، بدأت المؤامرات من هناك، وما فتئ يقابل المؤامرة تلو المؤامرة، ولكن قوة هذا الدين وحركته وحيويته كانت تتحطم على صخرتها كل المحاولات، وتفشل أمامها جميع المكائد والمؤامرات. هذا الدين قوي بذاته لأنه حق، ولأنه تنزل من الحق، ولأنه موافق للإنسان الذي خلق بالحق، وموافق لقوانين السموات والأرض التي خلقت بالحق، ويستمد قوته من الحق، ولذلك هو قوي، قوي لأنه يناسب هذه الفطرة، قوي لأنه يفجر طاقات الإنسان، قوي لأن معه عناية الرحمن، لا يمكن للبشرية ولا للإنسان ولا للأسرة أن تجد في يوم من الأيام راحتها وسعادتها ولا طمأنينتها ولا هناءها إلا إذا تفيأت في ظلال هذا الدين، ولذلك كل الذين يأتون إلى هذا الدين إنما هم هاربون من جحيم الجاهلية، هاربون من شقائها، هاربون من أنفسهم التي بين جوانبهم، هاربون من كل شيء، يبحثون عن الطمأنينة، عن الاستقرار، عن السعادة، فلا يجدونها إلا في هذه الدار التي تسمى دار الإسلام.

سر قوة هذا الدين:

المؤامرات، المكائد، الكذب، الكراهية، البغضاء بين الناس جميعاً إلا في بوتقة هذا الدين. **(المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه ولا يخذله)** الوفاء بالمواثيق، الحفاظ عل دماء الناس وأعراضهم وأموالهم، الصدق، الأمانة، الطهارة، الرفعة، علو الاهتمامات غير موجودة في هذه الأرض إلا في الصفوه التي تمثلت هذا الدين واقعاً حياً يدب على هذه الأرض، ولذلك هذا الدين قوي ولو كان يحمله إنسان واحد، ولذلك هذا الذي يخيف الغرب أن هذا الدين يزداد أتباعه يوماً بعد يوم، أحدهم يقول إن الذي يخيف الغرب من الإسلام أنه لم يتناقص عدد أتباعه في يوم ما، وأن الجهاد أحد أركانه، أوروبا جربت أن تدخل غمار حرب مع كثير من الأديان وانتصرت على كثير منها إلا الإسلام فقد تحطمت محاولاتها على صخرته.

هذا الدين قوي ولو كان يحمله واحد، لأن الجبال قد تتزلزل ولكن حامل الإسلام لا يتزلزل، والله عز وجل يقول: **(وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال)** مكرهم تزول منه الجبال، ولكنها ما أزالت رسول الله ﷺ

---

* ألقيت هذه المحاضرة في معهد الأنصار العالي في بيشاور الواقع في جلبهار في ٨/١٢/ عام ١٩٨٦م وهي مسجلة على شريط فيديو. (١) مدير المعهد ابو عباده الانصاري.

والفرنسية إلى بيروت واتخذتها مقراً لها، ثم أنشأوا الجامعة الأمريكية ١٨٦٦م لتبدأ من هناك القومية العربية في داخل الجامعة الأمريكية.

لقد كانت الدعوة إلى القومية العربية التي نبتت في داخل الجامعة الأمريكية إعلاناً غير صريح على أنه جاء الأوان لنبعد الإسلام عن المنطقة ثم يحل محلها تجمع جديد على مبدأ جديد هو العرق واللون والدم بدل الشريعة التي تنزلت من عند رب العالمين، وإحلال هذه القوانين مكانها.

المؤامرة كبيرة وعميقة وجذورها ضاربة، تصوروا أن القومية العربية بدأت دعوتها على يد خمسة من الشباب في بيروت كلهم من النصارى، وكان أستاذهم نصرانياً متأثراً بفلسفة (جيب) أو فليب، أستاذهم في الجامعة الامريكية هو الياس حبالين،وكان من هؤلاء التلاميذ إبراهيم اليازجي، كان من هؤلاء شاهين مكاريوس، كان أبو إبرهيم اليازجي، الشيخ-هم يسمونه الشيخ- أنا كنت أظن عندما كنا نقرأ في المدارس الشيخ إبراهيم اليازجي والشيخ نصيف اليازجي نظنهم شيوخ الإسلام وخريجي الأزهر، وإذا بهم نصارى، ولا زلت أحفظ حتى الآن شعراً لإبراهيم اليازجي كانوا يعطوننا إياه في المدارس ونحن صغار:

سائل العلياء عنا والزمانـــــا — *هل خفرنا ذمة مذ عرفانـــــا*
المـــروءات التـــي عاشت بنـــا — *لم تزل تجري سعيراً في دمانـــا*
قـــل لجنبـــول إذا لا قـــيتـــه — *سوف تدعونا ولكن لا ترانـــــا*

... إلى آخره هذه كانوا يعلموننا إياها في المدارس.إن مؤلفها الشيخ ابراهيم اليازجي، فهؤلاء الخمسة وكانوا تابعين المحفل الماسوني في بيروت هم نواة القومية العربيه التي أنتجت لنا بعد مائة سنة حزباً أذاق بلادنا ما أذاقها من التدمير الأخلاقي ومن الفجور ومن انتهاك الأخلاق ومن محاربة الحرمات ومن دوس الكرامات ومن وطء المقدسات، لا زلنا نذوق مغبة مرارته، وحزب البعث الذي يحكم قطرين بكاملهما من أرض إسلامية عربيه فتحها خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح، حزب البعث في سوريا وحزب البعث في العراق، وليس عندنا مجال أن نتتبع ماذا فعلا في هذين القطرين.

إن القومية العربية أثمرت هذا الحزب النكد، أخرجت ثماراً مرة على يد مشيل عفلق كما، يسمونه حتى الآن في العراق يسمونه الأستاذ المعلم الرائد، وحتى الآن زعماؤهم يقولون إننا نجلس بين يدي الأستاذ ساعة فنستلهم روحاً لأشهر كثيرة قادمة، حزب القوميين العرب جورج حبش وأستاذه قسطنطين زريق، ولقد رأينا من المصائب والخزايا والرزايا التي ساقتها لنا ضربات القوميين العرب في الدولة الفلسطينية ما رأينا، وعندما انتهت الثورة في الأردن ذهب ليواصل نضاله في اليمن الجنوبي هو ونايف حواتمه ليخرجوا لنا سالم ربيع وعبدالفتاح إسماعيل ليمسحوا الإسلام عن وجه حضرموت، عن وجه اليمن التي قال عنها الرسول ﷺ **(أتاكم أهل اليمن أرق أفئدة وألين قلوباً فالإيمان يمان والحكمة يمانية).**

أظهرت لنا القومية العربية رداً وصدى آخر هي القومية التركية التي صارت تنادي على يد حزب تركيا الفتاة والاتحاد والترقي نحن أتراك، ونحن فوق الناس أجمعين، ونحن يجب أن تخدمنا جميع الشعوب لأننا عرق متميز نبيل، وكانت المحافل الماسونية هي التي ترعى هذه الفكرة في تركيا، الفكرة التي تمثلت في حزب الإتحاد والترقي وحزب تركيا الفتاة وهما متقاربتان ربت مجموعة من الشباب الأتراك، من بين هؤلاء الذين ربتهم مصطفى كمال الذي سمي فيما بعد أتاتورك يعني أبو الأتراك، كان أمامهم في تركيا عقبة كبيرة هو السلطان عبد الحميد الذي أمد الله به في عمر الإسلام ثلاثة وثلاثين عاما، حكم ثلاثاً وثلاثين سنة فامتد عمر الإسلام ثلاثة وثلاثين عاماً، عبد الحميد استلم السلطة ١٨٧٦م إلى ١٩٠٩م، وعبد الحميد رجل نظن أنه ضحى بنفسه وعرشه لله ثم من أجل المحافظة على قدسية القدس.

المؤامرة بدأت تتصل بالسلطان عبدالحميد، أقطاب المؤامرة واليهود بمحافلهم الماسونية هم الذين يحركون هذا كله هناك من سلانيك، سلانيك مدينة تتبع تركيا، الآن يونانية طبعاً،هذه المدينة عدد سكانها ١٧٠ ألفا، مائة ألف من اليهود، ثمانون ألفاً من اليهود الإسبان وعشرون ألفاً من اليهود الايطاليين، وهؤلاء أقطاب المؤامرة، وبدأت المحافل الماسونية في سلانيك، واصطادت في مصائدها أنور باشا وجمال باشا وطلعت باشا ومدحت باشا وجواد باشا.... إلخ كلهم باشوات.

ومن بين الذين اصطادتهم مصطفى كمال، الذي لا ندري حتى الآن من هو جده ومن هي جدته، حتى الآن لا يعرف لهذا الرجل نسباً، لا يعرف إلا أن أمه اسمها زبيدة، امرأة جميلة كانت تعمل ساقية خمر في إحدى مواخير سلانيك، وكانت جميلة وأحبها والده وكان رجلاً كبيراً سكيراً، المسمى علي الرضا، وتزوجها زواجاً غير موفق، ثم جاءت بولد وبنت لا ندري منه أو من غيره، فالبنت اسمها مقبولة

وشطب أبوه علي الرضا وسمى نفسه مصطفى كمال، ولأن مصطفى كمال ليس له نسب عندما وصل إلى الحكم ألغى الأنساب. قال يجب أن لا يكتب في الوثائق إسم الأب أبداً ولا الجد ولا القبيلة ولا القوم حتى تضيع الأنساب كما ضاعت، ولذلك الرجل التركي إسمه محمد بن محمد بن علي عمر يقول له اختر أي اسم بعد محمد، علي وعمر وأحمد هذه أشطبها من قيودك أبداً، في الجامعة، في المدرسة في قيود النفوس في الشهاده اختر محمد شجر، محمد گل، محمد ناصر، المهم أن لا يكون اسم أبيك ولا اسم جدك في قيود النفوس، وهذه كرروها في كثير من الأقطار وفي باكستان كذلك حتى تضيع الأنساب وحتى يقذفوا على العروش بمن شاءوا ممن لا يعرف لهم نسب ولا يعرف لهم تاريخ، نعم أي واحد بعد إلغاء النسب يستطيعون أن يأتوا به ويضعوا على مركزه.... على أساس أنه خليفة المسلمين، من هذا؟ هذا فلان بن فلان بن فلان، وهو ليس فلاناً ولا من قبيلة فلان ولا ابن فلان، لأن القيود كلها ليس مثبتاً فيها أسماء الآباء والأجداد.

ولذلك تجد الباكستاني اسمه أربعة أو خمسة أسماء شاه باد شاه من هم هؤلاء؟ كله اسم واحد، أين أبوه؟ أين جده؟ لا يوجد، ولذلك جاءوا بكثير من الانقلابات العسكرية بأناس لا يعرف لهم نسب، وحاولوا كذلك أن يطبقوها في أفغانستان في باكستان في تركيا حتى تضيع الأنساب حتى لا يعود للإنسان انتساب وتاريخ معروف.

اليهود في سنة ١٨٩٧م اجتمعوا في مدينة بال، وكان هذا المؤتمر أول مؤتمر للمنظمات العالمية اليهودية، وقام وخطط هرتزل الذي نظم لهذا المؤتمر قيام دولة إسرائيل ثم أعلن وقال: أيها الرفاق لا تستغربوا إن قلت لكم أن دولة اسرائيل قد قامت، وأنا لا احدد لها مدى قد يستغرق عشرة أو عشرين سنة، ولكنها لن تزيد بالتأكيد عن خمسين سنة، وفعلاً ١٩٤٧م بعد خمسين سنه بالضبط قامت دولة اسرائيل. فجاءوا للسلطان عبد الحميد الرجل الذي كان اسمه يهز العالم،عرضوا عليه في ١٩٠١م أن يسمح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، ولكنه غضب ورفع صوته على الحاجب وقال له من قال لك أن تدخل هذا الخنزيرعندي؟ أخرج من عندي يا سافل، ونهر هرتزل، ولم ييأس ورجع إليه مرة أخرى سنة ١٩٠٢م.

المرة الأولى جاء معه موشي ليفي حاخام القسطنطينية، والمرة الثانية كان معه قرصو المحامي اليهودي الماسوني الذي يشرف على المحافل الماسونية في داخل سالونيك، وعرضوا عليه عروضاً قوية، مائة وخمسين مليون دينار ذهب لجيبه الخاص، بناء أسطول للدولة العثمانية، بناء جامعة للدولة العثمانية، الدفاع عن سياسة عبد الحميد في الغرب، أن تسد ديون الدولة العثمانية، مقابل شيء واحد: أن يسمح لهم بالهجرة إلى فلسطين، فقال لهم: إن إعمال المبضع في جسدي خير من أن تقتطع فلسطين من أرض المسلمين أو من أرض الدولة الإسلامية، إنني شرفني الله عز وجل بخدمة هذا الدين زهاء سنين طويلة تقدر بنصف قرن، ولن ألطخ تاريخ أجدادي وآبائي بهذا العار، إن أرض فلسطين قد أخذت بالدم ولن تؤخذ منهم مره ثانية إلا بالدم، ثم نظر أخيراً إلى هرتزل وقال: وفر نقودك يا هرتزل، إذا ذهب عبدالحميد ستأخذون فلسطين مجاناً.

القصة الكاملة لخيانة مصطفى كمال أتاتورك في إسقاط الخلافة:

ـ وفعلاً ذهب عبدالحميد، بعدما أخذوا فلسطين مجاناً، فعندما يئسوا منه ذهب قرصوه إلى القاهرة وأرسل له برقية (ستدفع ثمن هذه المقابله ومن عرشك ونفسك)، وبدأت المؤامرة،المحافل الماسونية،الاحزاب، وبدأوا يشترون رجال عبدالحميد الواحد تلو الآخر، اشتروا نور باشا وزير الحربية، وطلعت باشا وجاويد باشا.... الخ وممن اشتروا رجلٌ من العراق اسمه محمود شوكت، كان عبد الحميد يحب العرب ويثق بهم ويسلمهم قيادات، وكان قائد الجيش في سالونيك محمود شوكت، وكان من أركان جيشه مصطفى كمال أتاتورك، وفي سنة ١٩٠٩م تحرك الجيش بأوامر الماسونية من سالونيك وأحاط بإسلام بول، وحاول حرس السلطان عبد الحميد وكانوا على تدريب رائع فائق يشهد له العدو والصديق حاولوا أن يردوا الجيش عن القسطنطنية، فقال لن أريق دم مسلم بسببي، وكانت هذه غلطة عبد الحميد التاريخيه التي أودت بالإسلام والمسلمين، لم يسمح لهم أن يدافعوا عنه، فاجتمع مجلس النواب... وطرحوا هذا السؤال وخصه كثير منهم من رجال الماسون، طرحوا هذا السؤال على المفتي لانه لا يجوز أن ينزل خليفة أو يرفع خليفة إلا بأمر المفتي وبفتواه، أرسلوا إلى المفتي إذا كان وجود زيد يسبب إراقة الدماء وإشعال الفتن فهل يجوز التخلص من زيد والإتيان بعمر، وأرسلوها إلى المفتي، فكتب المفتي كلمة نعم.

ـ وأخذوا الوثيقة وذهبوا إلى السلطان عبد الحميد في ٢٧ نيسان (ابريل) ١٩٠٩م وسلموه وثيقة العزل عن العرش، وكان الذين سلموه عارف حكمت، وقرصوه المحامي اليهودي الذي أرسل له البرقية من إيطاليا قبل سبع سنوات ستدفع ثمن هذه المقابله من عرشك

ونفسك. أرستي باشا شاب رومي كان يستلم وزارة... وقرصوه المحامي اليهودي المسؤول عن المحافل الماسونيه وعارف حكمت وكان ابن خادمة في القصر فأخذه السلطان وأدخله البحرية، ولا زال يرقيه ويرفعه حتى أصبح أدمرالاً بحرياً -أي المسؤول عن البحرية- فقال له السلطان عبدالحميد حتى أنت ياعارف هذا جزاء إحساننا إليك؟ وضاق السلطان عبدالحميد وأخذوه بالليل من مدينة الإسلام إلى مدينة اليهود سالونيك وسلموه إلى شقيقة رمزي باشا-هو يهودي- حتى يذل خليفة المسلمين وينتقم منه لقاء إذلال الكفر واليهود مدة ثلث قرن، وفي هذه الليله ليلة أن نزل عبدالحميد عن الحكم زال الإسلام الفعلي من الوجود، وسقطت فلسطين بيد اليهود، وجاء بعده الاتحاديون، الاتحاد والترقي الماسون واستلموا تركيا، وبدأت تتمزق تركيا، وتتناثر أشلاؤها يوماً يوماً، ودخلت تركيا الحرب العالمية الأولى وهزمت هزيمتها النكراء، وتذكر أنور باشا سنة ١٩١٧م بعد الهزيمة أنهم أجرموا عندما أقصوا السلطان عبدالحميد عن الحكم.

يقول أنور باشا لجمال باشا- جمال باشا كان قائد الجيش الرابع- وكان حاكم بلاد الشام، وأنور باشا وزير الحربية، قال يا جمال أتدري ما هي خطيئتنا الكبرى؟ أننا لم نقدر السلطان عبد الحميد، ولكن ماذا؟ هزمت تركيا وهربت شلة الاتحاد والترقي كل إلى ناحية، ولا يدرى ما مصيرها الأسود، ما مصير كل واحد منهم كيف تخطفته يد المنون، والذي نعرفه عن أنور باشا أنه بقي عنده بقية من روح العسكرية فذهب إلى شعب القفقاسيا واشترك معهم في حروبهم ضد الروس، وبقي يقاتل معهم، وصنع لهم مصنعاً للأسلاحة الصغيره، وبقي معهم حتى قتل على ظهر جواده كما يقول.... مقبلاً غير مدبر في يوم عيد الأضحى سنة ١٩٢٤م.

أما البقية فقد كنستهم مكانس التاريخ إلى أماكن القمامة. (**فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين**) أثناء دخول تركيا الحرب كان المسؤول عن خط الأردن جمال باشا، كان جيشه في السلط، وكان المسؤول عن فلسطين مصطفى كمال باشا، حاول اللنبي القائد الانجليزي أن يدخل شرق الأردن فدحره جيش جمال باشا، يقول لورانس في مذكراته: كتب إليّ اللنبي في شهر مايو ١٩١٧ أن مصيرنا الآن على كف عفريت، وكل منا يجب أن يحاول أن يتشبث بالمكان الذي هو فيه، ثم اتصل اللنبي بمصطفى كمال قائد جبهة فلسطين وتمت الصفقة بين مصطفى كمال وبين اللنبي أنك إذا وقفت معنا أو ساعدتنا في ضرب تركيا سنسلمك تركيا فيما بعد، وفجاءةً وفي ١٨٩٧/٩/١٩م ينسحب مصطفى كمال عن فلسطين وتدخل خيالة اللنبي إلى مؤخرة الجيوش التركية الأربعة، وتضرب جوانبها وجوانحها، وتمت الكارثة وسقط مائة ألف أسير في يد الإنجليز، وما كانت الكارثة لتتم لولا أن مصطفى كمال فتح الطريق لأللنبي.

ودخل الجيش في تلك الليلة ووصل القدس، وعندما أعلن اللنبي عندما وصل القدس (الآن انتهت الحروب الصليبية)، مصطفى كمال.. فوجيء الناس أنه انسحب مباشرة من أرض فلسطين إلى شرق الأردن دون أوامر، دون أن يبلغ القيادة، حاول أن يوغر صدور قائدين من قاده الأتراك بأن يثوروا ضد الاتراك المسلمين، ولكنهم استغربوا من هذا العرض،وقالوا: أنت تعلم أن هذه هي الخيانة العظمى وما دمت لم تقدم بالفعل على هذا فإننا سنكتم عنك. انسحب إلى شرق الأردن، ثم إلى دمشق، ثم إلى حلب، ثم رجع إلى تركيا، وانتهت تركيا وهزمت هزيمتها النكراء.

ما كانت تركيا لتهزم بسرعه، ما كانت تركيا لتهزم هذه الهزيمة لولا مؤامرة مصطفى كمال مع اللنبي، ولولا كذلك وقوف فيصل بن الحسين مع اللنبي كذلك... فيصل اتصل به جمال باشا وقال له يجب عليكم ان تقفوا بجانبنا كمسلمين، قال نحن مستعدون أن نقف معكم بشرط ان تنسحب تركيا من عمان لتعلن حكومة عربية مستقلة، فوافق جمال باشا، ويعلم الانجليز بهذا الاتصال ويتصلون بمصطفى كمال ويرسل برقية إلى فيصل أن لا يتفق مع جمال باشا، وقال لفيصل ستأخذ ما تريد بعد النصر، كانت القضية واضحة أمام مصطفى كمال أنه لا بد أن تضرب تركيا وتهزم، وبعد أن يتم النصر للانجليز سيعطى فيصل ما يريد، وسيعطى مصطفى كمال ما يريد.

إنهزمت تركيا، رجع مصطفى كمال إلى تركيا، ومن موافقات الأقدار أن وحيد الدين خان ولي العهد كان عرف مصطفى كمال في ألمانيا حيث كان ملحقاً عسكرياً، وكان يتردد عليه ويظهر صلاحاً وهو من جماعة الاتحاد والترقي الذين عملوا ضده وفي أثناء الحرب مات السلطان محمد رشاد وجاء وحيد الدين خان خليفة وضرب مصطفى كمال، نادى مصطفى كمال إلى القصر ودخل معه دهاليز القصر، وفي غرفة سرية لا يحضر معهم أحد أخرج صرة من الذهب فقال له خذ أريدك أن تذهب إلى الأناضول حتى تقاتل الإنجليز وتخرج المستعمرين.

الانجليز بعد أن أنهوا ساحة الشرق انتقلوا إلى تركيا ومسكوا إستنبول، وأحلت جيوش الحلفاء هناك وربضت أساطيلهم في القرن الذهبي، وكان الحاكم الفعلي لإستنبول هو السفير الإنجليزي. هنا كذلك المسرحية الثانية، تمت الخطة الأولى في فلسطين، اللنبي [illegible] نريد أن يكون مصطفى كمال في الموصل حيث البترول وحيث مصالح الإنجليز، ثم بدأ كما قلنا

المسرحية الثانية والخطة الثانية، لا بد أن نظهر مصطفى كمال كبطل، فصارت معارك مصطنعة بين اليونان وبين تركيا وكان قائدها مصطفى كمال، معركه صقاريا، معركه أزمير، ومعركه... وكان مصطفى كمال عبارة عن حجر تحركه اليد الإنجليزيه ليبرز كبطل من أبطال التاريخ ومن صانعيه ومحركيه، ومعركة صقارية هذه الجيش اليوناني أمر أن يتقدم تقدم، يقول شيخ الاسلام مصطفى صبري، قال.. إن الجيش اليوناني متقدم وكل القوانين تعتبر نكثاً للمعاهدة بيننا وبينهم، وقوات الحلفاء منتظرة في إستنبول فلم ينبسوا ببنت شفة، ولم يحركوا ساكناً لا الخليفة ولا الجيش، وفي منتصف الطريق وبين الجبال يؤمر الجيش اليوناني أن يتوقف، ثم يؤمر مصطفى كمال أن يتقدم، وتقدم مصطفى كمال وهزم الجيش اليوناني في معركة صقاريا، وكانت أول معركة ينتصر فيها الأتراك المسلمون، وخرجت الجماهير في أنقرة كادت تطير من فرحها جنوناً، وبدأ الشعراء يرددون، وقال أحمد شوقي في القاهرة:

الله أكبر كم في الفتح من عجب   يا خالد الترك جدد خالد العرب

خالد الترك: هو مصطفى كمال

ثم حصلت معركة أزمير، ومعركه أزمير، قائد الجيش اليوناني ترك جيشه يتضورون جوعاً وبدأ يتسكع بين المقاهي يشرب الخمر وغير ذلك، وتقدم مصطفى كمال وضرب الجيش اليوناني والبوارج رابضة لم تطلق طلقة واحدة على جيش مصطفى كمال، ولو كان يشن معركة على حليفتها، لأن هنالك قضية أكبر موكلة بمصطفى كمال في المستقبل وهي هدم الخلافة وإنهاء الإسلام في تركيا، وبدأت البرقيات تأتيه بالتأييد من روسيا وفرنسا وغيرها تؤيده، وبدأ وزير الخارجية البريطاني يقول لا بد لنا، نحن مضطرون أن نجلس مع مصطفى كمال على مائدة التفاوض. في نفس الوقت كانت حبيبته اليهودية دائماً بجانبه، خالدة أديب امرأة يهودية جميلة، كان في معركه صقاريا يرسل لها برقيه يتشاءم لأنها ليست بجانبه، فيطلبها في وسط المعركة ثم... إذا لم تكن بجانبه يرسل لها برقية إن الذي يدير المعارك هو حبيبك.

بدأ مصطفى كمال يظهر مظاهر الفسق، وبدأ شيخ الاسلام يتكلم عليه، وكلما بدأ شيخ الاسلام أو الخليفة يتكلم عليه كلما ازداد غضب الجماهير للخليفة ولشيخ الاسلام، هذا الرجل الذي يحرر تركيا الذي هزم اليونان والذي أسكت أساطيل الحلفاء أنتم تهاجمونه أنتم القاعدون الرابضون، أنتم المسلمون ؟؟

في سنة ١٩٢٢ صارت المعاهدة التي رفع فيها مصطفى كمال واخفيت بنودها السرية معاهدة لوزان، مصطفى كمال أرسل نائبه ليفاوض وكانت الشروط كالتالي:

نسلمك تركيا بشروط: أن تهدم الخلافة، أن تحارب أي محاولة لإعادة الخلافة، أن تحارب الشعائر الإسلامية، أن تستبدل القانون الإسلامي بقانون غربي. هذه الشروط بقيت مبهمة..ثم أعلن بعض الشروط التي كان مصطفى كمال أتاتورك وأعلنت دول الحلفاء كلها أنها انسحبت بسبب ضغوط مصطفى كمال عليها، وخرجت الجيوش الإنجليزية آخر جيوش الحلفاء تجر ذيولها بين أرجلها. فأصبح مصطفى كمال الحاكم الأوحد لتركيا، في ٣ مارس ١٩٢٤ أسقط الخلافة، أعلن الجمهورية، سفّر الخليفه، سفّر السفراء كلهم، نقل العاصمة إلى أنقرة بدأ يطبق البنود التي اتفق عليها مع الإنجليز.

يقول مظهر مفيد- هذا كان كاتبه الرئيسي-: في ليلة من الليالي قال لي مصطفى كمال اكتب التاريخ يا مفيد، قال أكتب سنلغي الخلافة! قال فنظر إليّ نظرة... ستكون الجمهورية هي شكل الدولة المقبل. سنلغي الطربوش والكوفية ونلبس القبعة الأروبية المتمدنة، ونلغي الحجاب ونحاربه، قال: عندما سقط القلم من يدي وأنا لا أدري، قلت: يا باشا يبدو أن عندك خيالاً خصباً؟ قال: سيكون التاريخ شاهداً على ما أقول، سنبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية.

وبدأ مصطفى كمال يطبق بعد أن أسقط الخلافة، وبدأت الشرطة في الشوارع يتابعون النساء ويمزقون ثيابهن الطويلة، نزع الحجاب، النقاب، منعت أي امرأة تلبس منديلاً أن تدخل أي دائرة من دوائر الدولة، ولا أن تركب طائرة، ولا أن تدخل مطاراً، ولا أن تدخل أي مؤسسة رسمية، ترجم القرآن إلى اللغة التركية، ومنع القرآن باللغة العربية، وأم بعض الأئمة باللغة التركية في بعض المساجد، ومنع تعليم القرآن إلا في داخل الدار، منع الصلاة الجماعية، جاء إلى أحسن مسجدين مسجد -أيا صوفيا ومسجد الفاتح- وحولهما إلى متحفين وأنهى الصلاة فيهما، ومنع الحج، من ١٩٢٤-١٩٤٦م ما خرج حاج واحد من تركيا للحج، منع الأذان باللغة العربية، وبقي الناس ست وعشرين عاماً من ١٩٢٤ إلى بعد ١٩٥٠ لم يسمعوا كلمة الله أكبر من فوق مئذنة، واستمرت الحرب حتى مرض مصطفى كمال، وكان مصطفى كمال في آخر حياته كما يقال عنه يشير بقبضته إلى السماء مهدداً، يهدد رب العالمين بقبضته، فلم يفلت من قبضة رب العالمين، من بين يديه، كانت حياته الخاصة.. بالنساء والخمر، الخمر أصاب كبده.. والمرأة.. الزنا أصابه بالأمراض الجنسية، وصار لا يستطيع أن يقف ولا أن يقعد إلا وأن يحك بين رجليه باستمرار، في العرض العسكري، في الجلوس مع الدبلوماسيين، في مجلس

الوزراء لا يستطيع إلا أن يحك بين رجليه، وبدأ جسده الكبير الذي ينيف على المائة كغم يتفتت بين أصابع اليد الإلهية، وبدأ الكبد لا يستطيع أن يقوم بوظائفه، وصار الماء يتجمع في بطنه وفي رجليه ويسحبونه بالإبر، والماء يزداد، وجسده يوماً بعد يوم ينحل ويشحب، حتى أصبح... لم يعد الدم يجري في عروقه، احمر أنفه وأصبح وجهه كحبة البندورة (الطماطم)، الشرايين برزت من الخمر، أنفه يكاد أن يصل إلى أذنيه من التحول، وصار يصيح ويقفز على سريره، وقرر الأطباء وضعه في غرفة زجاجية حتى لا يسمعه المارة في الطرقات، يسمعون صياح مصطفى كمال أتاتورك، وعلى شاطيء البحر هناك في قصره كان يسمى الحديقة الجميلة إسمه في التركي كذا كان يحلم، أصيب بعرض لكثرة الحكة.

يقول هذه الغرفة مليئة بالحشرات الحمراء الصغيرة، فيأتون بالمبيدات: لا يوجد لا حشرات ولا غيرها، الحشرات في عقله وفي نفسه، وفي العاشر من اكتوبر سنة ١٩٣٨م وقبلها بأيام يتفطن ويرسل إلى السفير الإنجليزي مستر لورين، قال لورين: دخلت على الدكتاتور وهو بين بين، بعد ما دخلت مال عليّ بصعوبة وقال إني أخشى على هذه الإصلاحات التي عملتها في تركيا، لا بد من رجل قوي يستلمها من بعدي، ولم أجد رجلاً أقوى منك، والدستور يخولني بأن أسلمك رئاسة الجمهورية يا مستر لورين، فنظر إليه لورين ولم يعجبه هذا الغباء من هذا الدكتاتور، لأن أوربا حريصه أن تجد مثل هذا العملاق تلتف حول هذه الهالة المباركة التي تعبدها الجماهير ويعتبروا هذه الشخصية نموذجاً يحتذي بها العسكريون في الدول العربية، قال فاعتذرت إليه ثم خرجت، وسقط الدكتاتور في ١٠ اكتوبر ١٩٣٨، وذهب ملعوناً من الأرض والسماء، وكان قد أوصى أن لا يصلى عليه الجنازة، ولكن أخته مقبولة ألحت على مجلس الوزراء أن يصلوا عليه، وحار مجلس الوزراء كيف يقدمون على هذه الجريمة القانونية، لأن صلاة الجنازة عليه مخالفه للدستور، وتقدم أحدهم وبشجاعة فائقة وصلى عليه الجنازة إرضاء لعواطف اخته.

ويقول الاتراك أن كمال أتاتورك عندما دفن لفظته الأرض عدة مرات، ولذلك قبره في أنقرة فوق الأرض وليس تحت الأرض، لأن الأرض رفضت أن تقبله.. ومضى إلى ربه ليحملوا أوزارهم إلى يوم القيامة...

ما بعد مصطفى كمال اتاتورك:

وجاء بعض العصبة منهم، واستلم حزب مصطفى كمال الذي هو حزب الشعب، وفي عام ١٩٤٦م أرادت أمريكا أن ترى ماذا يفعل الشعب التركي بالتجربة الكمالية، فسمحت بإنشاء الأحزاب، فانشئ حزب العدالة وكان رئيسه أحد أقطاب مصطفى كمال أو أحد أركانه، كان أحد رجالات الحكم هو رئيسه، ولكن اللولب الحقيقي والمحرك الأساسي رجل اسمه عدنان مندليس.

قصة عدنان مندليس:

عدنان مندليس حصلت معه قصة رهيبة عجيبة بعد أن كان في الطائرة وتوقف محركها وأعلن قائد الطائرة نحن في حالة خطر.

رفعت قمصان النجاة، وبعد أن رفعت قمصان النجاة في هذه اللحظة العصيبة الحرجة ينذر بينه وبين ربه أنه إذا نجا سيعيد الإسلام مرة أخرى إلى تركيا، واحترقت الطائرة واحترق كل من فيها ونجى عدنان بنفسه فقط، ودخل عدنان مندليس الانتخابات في سنة ١٩٥٠م تقريباً، ووضع أمامة لوحة الإصلاحات: سيعيد الآذان باللغة العربية، سيعيد فتح المدارس الإسلامية في القريب، سيعيد أحرف اللغة العربية بدل الأحرف اللاتينية، سيعيد أيا صوفيا مرة ثانية مسجداً، وهكذا خمس نقاط لو نظر إليها أي واحد يجدها باردة أقل ما ينظر إليها!!

ودخل الانتخابات بهذا البرنامج، واكتسح الانتخابات، فينزوي حزب أتاتورك ويخسر، ويرتفع عدنان مندليس ويشكل الحكومة ويرأس الوزراء، وبدأ يفي للشعب التركي ما وعده به، وعاد الآذان بالعربية، وبعد ثلاثين عاماً متواصله يسمع الشعب التركي الله أكبر من فوق المنابر، ويخرجون يبكون في الطرقات فرحاً، وفتح بعض المدارس، وأقام معاهد لتأهيل القضاة والأئمة، وأعاد مسجد أيا صوفيا مسجداً، وبدأ فعلاً وبصدق يريد أن يعيد الإسلام مرة أخرى لتركيا، وخافت أمريكا وخاف الغرب على التجربة الكمالية التي أصبحت نموذجاً يحتذى، فضغطت على الضاغط في أمريكا من خلال أصابع الماسونية في الجيش التركي التي تمسك به الآن الماسونية من خناقه، وتحركه كما تشاء، وأقاموا انقلاباً على عدنان مندليس، وأعدم عدنان مندليس بتهمة الخيانة العظمى ومخالفة الدستور، ويأتي جمال بروتسكي.

ولكنه ماسوني، يدخل وبنفس البرنامج الذي دخله عدنان منداليس ويكتسح الانتخابات، ويحاول أن يفي ببعض الوعود، وضغط الضاغط ويتحرك الجيش ويزاح سليمان ديميريل، لكن الماسونية حفظته من الإعدام.

قصة نجم الدين أربكان:

بقدر من الله عز وجل في سنة ١٩٧٠م ظهر رجل مهندس أستاذ في كلية الهندسة في جامعة استنبول اسمه نجم الدين أربكان وشكل حزباً اسمه حزب النظام الوطني، والتف حوله مجموعة من الشباب، وصار التيار الإسلامي ينمو في داخل الجامعات وبين الشعب، وسرعان ما حوكم لأنه أخل بالدستور لأنه يصلي أمام الناس صلاة الجماعة، شكل نجم الدين أربكان حزباً جديداً عن طريق أحد أتباعه سماه حزب السلامة الوطني، وبدأ هذا الحزب يسري في داخل الشعب التركي، وبدأت جموع الشباب تأتي إليه، وصارت الانتخابات، وأخذ نجم الدين أربكان (٥٢) مقعداً في داخل البرلمان التركي، ولم يستطع لا أجاويد ولا سلمان دمريل أن يشكلوا الحكومة، لأنه لا بد من نوال مجلس الوزراء ثلثي الأصوات، فلم ينل أحدهما ثلثي الأصوات، فاضطروا للتعاون مع نجم الدين أربكان، فدخل حزب السلامة الإسلامي الحكم بشروط: أن يكون في وزارة الداخلية، ووزارة التعليم، ووزارة التصنيع، وأن يكون أربكان نائب رئيس الوزراء.

وفي هذه الفترة التي حكم فيها حزب السلامة مع أجاويد الذي هو رئيس حزب أتاتورك صار الاحتكاك بين اليونان والأتراك، وكان أجاويد في الغرب، وكان يستلم رئاسة الوزراء بالوكالة نجم الدين أربكان، وأمر الجيش التركي أن يتحرك إلى قبرص، ودخل الجيش التركي إلى قبرص، وفي نصف يوم احتل نصف قبرص، وضج الغرب، عادت تركيا لتبتلع العالم، وأبرق إلى أجاويد بأن يعود إلى تركيا ليستلم رئاسة الوزراء وليعيد الجيش التركي من قبرص، ولو استمر يوماً آخر لانتهى وجود اليونانيين النصارى من أرض قبرص، بدأ يبني كتاتيب لدراسة العربية، آلاف مؤلفة من دور القرآن، آلاف مؤلفة، تضخم الحزب كثيراً، وفي ١٩٨٠/٩/٧م وفي قونية قام الحزب مظاهرة سماها يوم القدس، أحرق العلم الإسرائيلي، نادى بعودة الإسلام لتركيا، تعرض بعضهم إلى مصطفى كمال أتاتورك، وهنا ضغطت الأصابع الأمريكية على الأزرار الماسونية ليتحرك الجيش، وجاؤوا بكنعان إفرين، إلا أن نجم الدين أربكان كان في ذلك الوقت قد سافر إلى أوروبا في ١٩٨٠/٩/٧م، فانتظر حتى عاد نجم الدين أربكان من أوروبا وقاموا بالانقلاب الذي استلم فيه البلاد في ١٩٨٠/٩/١٢م وإلى يومنا هذا، وأعلن أن عام ١٩٨٠م هو عام أتاتورك، وطبعاً تركيا يرثى لحالها اقتصادياً ومع ذلك بدأ صنع التماثيل والأصنام ويوزع على مفرق كل طريق وناصية وكل شارع، إلا أن الله عز وجل الذي نزل الذكر يحفظ هذا الدين رغم محاولة كنعان إفرين إحياء ذكر لعنه ولفظه التاريخ ذكر مصطفى كمال، إلا أن الشعب التركي راجع إلى الله.

إن أكثر من نصف مليون من الشباب التركي يحفظ القرآن... وحفظ لا نظير له، تقول له إبدأ صفحة (١٥٠) ما هي الكلمة الأولى تبارك الكلمة الأولى السطر الرابع الكلمة الأخيرة حفظ عجيب من شباب راجع إلى إلله، ونحن نعلم أن الله عز وجل الذي نزل هذا الذكر سيحفظه، والله عز وجل سيعيد هذا الدين مرة أخرى لكي يحكم هذه الأرض، وكما بشرنا رسول الله ﷺ قال: **(إن الله زوى لي الأرض شرقها وغربها وإن ملك أمتي سيصل إلى ما زوى لي منها)**، وحديث صحيح آخر (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر إلا ويدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز به دين الإسلام وذلاً يذل به الكفر)، كذلك رواه الإمام أحمد وغيره **(سئل الرسول الله ﷺ أي المدينتين تفتح أولاً أقسطنطينية أم رومية؟ قال مدينة هرقل -أي القسطنطينية- أولاً).**

وفتحت مدينة هرقل سنة ٨٥٧هـ بعد الحديث بثمانية قرون ونصف، وستفتح روما بإذن الله، ولا تستبعدوا أن يكون أحدكم محافظاً لها بعد أربعون سنة أو خمسون سنة، لا تستغربوا.

العالم كله ترتجف أوصاله من الصحوة الإسلامية:

أيها الإخوة: إن العالم الآن يرتجف من الصحوة الإسلامية، ويرتجف أكثر من الحركة الإسلامية، ويرتجف أكثر من الحركة الإسلامية المسلحة، ومن هنا الخوف العالمي من الجهاد الأفغاني، أنتم لا تدركون أخطار جهادكم على العالم الثالث، لكن نحن ندركه أكثر، من زمن هنا ما من قضية الآن تشغل العالم أكثر من القضية الأفغانية، ولا توجد قضية الآن تستحوذ على مشاعر الدنيا بكاملها وتلفت إليها الأبصار وتشد مشاعر الناس في كل مكان أكثر من القضية الأفغانية، ولذلك ليس عجيباً أن يأتي رئيسان لأمريكا يزوران مهما أفغانستان ويصلان إلى حدود أفغانستان.

نكسون أولاً عندما جاء وزار ناصر باغ وتقدم نكسون إلى رجل قد لحب الجنبان واحدودب الظهر ومد يده، فشد الشيخ يده، قالوا له هذا رئيس أمريكا! قال هذا نجس ولا أصافحه.. نجس!! وتقدم إليه عجوز آخر وقال له لماذا أعطيتم فلسطين لليهود؟ فذهل، ذهل!! نكسون وقف شعر رأسه، حتى هؤلاء الجهلة يعرفون صلتنا باليهود!! يشدهم مشاعر المسلمين إلى الأقصى وإلى فلسطين، وسار في الطريق ورأى شعباً بكامله بخيله ورجله وشيخه وطفله يردد الله أكبر والجهاد سبيلنا، ذهل وشخصت عيناه، ورجع إلى أمريكا لينذر قومه ويقول لهم اصطلحوا مع الروس قبل أن يصلكم الإسلام، إن الإسلام أخطر علينا من روسيا.

والثاني كارتر... وصل إلى بيشاور، قال أريد أن أصل قريباً من الحدود، أخذوه إلى لندكوتل[1]، قال أريد أن أطأ أرض أفغانستان، ركب في السيارة ودخل داخل حدود أفغانستان يا ليت المسلمين يفعلون كما يفعل هؤلاء، يا ليتهم يهتمون بقضاياهم المصيرية كما يهتم الكفار بقضاياهم المصيرية، يا ليت المشايخ عملوا أو يا ليت بعض الدعاة عملوا أو يا ليت المسلمين عملوا كما عمل هذا الرئيس الأمريكي! ولذلك القضية الأفغانية والجهاد الأفغاني الذي امتدت آفاقه في كل الأرض، الآن نحن هنا وقد تجد آلاف الأسر في السعودية في أمريكا على أخبار الجهاد، يعيشون على أخبار الجهاد لحظة لحظة، ينتظرون ما هي آخر أخبار الجهاد، يفتحون المذياع فإذا جاء بخبر عن أفغانستان أحبوا الإذاعة، وإذا لم يأت خبر عن أفغانستان كرهوا الإذاعة، أصبح مقياس حبهم أو مدحهم أو ذمهم لبعض الزعماء بمقدار ما يقدم للقضية الأفغانية، مقياسهم في المؤتمرات نجاحها وفشلها ما يقال عن قضية أفغانستان في هذا المؤتمر.

العالم كله الآن يرى أن يعود الصرح الذي هوى وتعود المنارة التي اشتغلوا عليها ثلاثة قرون متتالية حتى دمروها وحطموها، منارة الإسلام المتمثلة في الخلافة، والخلافة لا يمكن أن تقوم إلا من خلال الجهاد الطويل، ومن خلال جهاد شعب بكامله، أي تجمع إسلامي في الأرض، وأي حركة إسلامية في الدنيا مهما قوي تنظيمها ومهما قويت روابطها ومهما كان المستوى الذي كان عليه تربية أفرادها إن كانت تظن أنها تستطيع إقامة دولة إسلامية وحدها هؤلاء لا يقرأون التاريخ ولا يعرفون سنة الله في الحياة، لا يمكن لحركة إسلامية أن تقوم بانقلاب إسلامي في واقع الحياة إلا من خلال شعب، الحركة الإسلامية عبارة عن صاعق يفجر طاقات الأمة، يفجر ينابيع الخير فيها، نتقوم الأمة وعلى رأسها هذه الصفوة المتمثلة في الحركة الإسلامية وتعيد مجد الإسلام، أما الحركة الإسلامية بعددها القليل لا يمكن، يستحيل أن تواجه هذه المؤامرات العالمية من كل مكان، وهذه الحرب الشرسة التي لا تكل ولا تمل في أي آن أو أوان! يستحيل! لا يمكن لمجموعة أو حركة إسلامية أن تمسك حكماً وتثبته بدون شعب، فالشعب عبارة عن طاقة متفجرة، والحركة الإسلامية عبارة عن الصاعق الذي يفجر كما حصل في أفغانستان بالضبط، الحركة الإسلامية عبارة عن مجموعة من الشباب في جامعة كابل، المجموعة التي تبدأ بالجهاد في البداية قد لا تصل الخمسين فرداً في البداية، وهذا حال الحركة الإسلامية الذين بدأوا منذ أول يوم، ولكن الدماء المباركة والأرواح الطاهرة والقلوب الصادقة هي عبارة عن روح يسري في الأمة فيحركها ويحييها بالقرآن وبالإسلام، فالمهندس حبيب الرحمن ومولوي حبيب الرحمن وعبد القادر توانا ودكتور محمد عمر وخواجه محفوظ وبرفسور غلام محمد نيازي وغيرهم.. هذه الدماء المباركة قد أنبتت هذا الخير العميم وأثمرت هذا الجهاد الكريم.

يا أيها الإخوة: الإسلام قادم إن شاء الله، وهذا الجهاد بقدر الخير الذي فيه ستكون نتيجته، ونرجو الله عز وجل كما نظن أن الجهاد لا زال فيه خير كثير، ونرجو الله عز وجل أن يحفظ بقية القادة الذين لا زالوا على ذلك الخط أيام مظاهراتهم في جامعة كابل وأيام وقوفهم أمام ظاهرشاه، ومن هنا أقول هذا الجهاد ستكون نتيجته بقدر الخير الذي فيه.

... فنرجو الله عز وجل أن يحفظ هؤلاء القادة الذين لا زالوا ملتزمين بهذا الخط السائرين على الجهاد ، الثابتين على الجادة القويمة، أمثال الشيخ جلال الدين حقاني، وفريد وأحمد شاه، نرجو الله أن يحفظهم، وصفي الله أفضلي الكثيرون الذين لا زالوا بتلك الفطرة الأولى، وبتلك المسيرة المباركة التي بدأت منذ الأيام المباركة في جامعة كابل وما حولها، العالم كله الآن يخشى من نتيجة الجهاد، ولذلك يريدون أن يحلوا القضية قبل أن يصل هؤلاء القادة إلى الحكم بأي وسيلة، وعادوا يريدون أن يحيوا عظام الملك وهي رميم، الملك ظاهر نصفه السفلي في القبر ونصفه العلوي لازال على الأرض في عالم الاحياء، يريدون أن يعيدوه ملكاً على أفغانستان.

وظاهر شاه كافر باتفاق الأمة باتفاق العلماء، واتفق العلماء قديماً وحديثاً، كل من حمل هذا الدين من العلماء يقول من أحل الحرام فقد كفر، ومن حرم الحلال فقد كفر، يقول شيخ الإسلام من أحل النظرة فقد كفر بالإجماع، ومن حرم الخبز فقد كفر بالإجماع، وظاهرشاه الذي يحرم الحجاب ويحرم الجهاد ويبيح الاشتراكية والشيوعية ويربي بابرك كارمل وتراقي وحفيظ الله أمين، ويدعمهم ويخنق الحركة الإسلامية في داخل جامعة كابل، ويسمح لتراقي أن يخرج جريدة خلق، ولبابرك كارمل أن يخرج جريدة برجم، ويدخل

---

(١) منطقة حدودية مع أفغانستان.

حفيظ الله أمين وبابرك كارمل في مجلس النواب، وأناهيتا راتب زادة، أناهيتا راتب زادة حبيبة بابرك كارمل، وخالدة أديب حبيبة مصطفى كمال أتاتورك.

ـ أقول الذي أظهر هؤلاء ساعد الشيوعية بيده، حارب الإسلام، هذا لا يشك مسلم أنه كافر خارج من الملة منذ زمن.

والآن بعض الناس من الشعب الأفغاني يقولون أن ظاهرشاه مسلم، يظنونه مسلماً، وقد تجد العجب العجاب الذي لا ينقضي منه عجب أولي الألباب، لا فرق بين ظاهرشاه وبين تراقي وبين حفيظ الله أمين وبين بابرك كارمل وبين نجيب، لا فرق بينهم جميعاً، كلهم أحلوا الحرام، وحرموا الحلال، فهم خارجون من الملة، لذلك أقول إن الذي ترضى عنه أمريكا وروسيا يجب أن يتبع ملتهم « ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم»، لن ترض تأييد النفي (**لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم**)، ظاهر شاه ليس أفضل من حكام بلادنا، ولذلك لابد من استمرار المسيرة وهذه الدماء المباركة، وسيبارك الله فيها، وجماجم مليون شهيد، ودماء أهرقت، ثم تعيدون على بحر الدماء تضعون فوقها سفينة الامان لتقل ظاهرشاه يحكم كابل مرة أخرى؟! هذه جريمة لن يغفرها لكم التاريخ، ولا يغفرها لكم الله، ولا يغفرها لكم المسلمون.إن هذا الجهاد ثمرة دماء زكية تقول (والموت في سبيل الله اسمى أمانينا، الله غايتنا، والرسول قدوتنا)، هذا الشعار الذي رفعه الجهاد منذ أول يوم! (الله غايتنا والرسول قدوتنا)، يعني يريدون تطبيق كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وما لم يحكم الكتاب والسنة فلا فائدة من هذا الجهاد، اللهم إلا أن الذين مضوا إلى الله شهداء اخذوا أجرهم وسيرفعهم عنده ان شاء الله في عليين، وأما في الدنيا فالذين يعطون هذه الثمرة ناضجة جنية التي تمخضت عن دماء مليون ونصف شهيد يعطونها ثمرة جنية هنيئة لذيذة للملك ظاهرشاه وهو يحتسي كؤوس الخمرة في روما، هذه جريمة لا يقبلها المسلمون في الأرض أبداً.

الجهاد مستمر حتى تقوم الدولة الاسلامية، الدماء تبقى مستمرة حتى ترفع راية لا إله إلا الله فوق كابل، وقد تقوم الدولة الاسلامية إذا قدر الله لها أن تقوم في كابل بداية خط التاريخ نحو الصعود بعد... وقد يبدأ خط التحول التاريخي من كابل ولا تستغربوا، لا تستغربوا، فالله عز وجل بيده المقادير (**وإلى الله ترجع الأمور**) (**ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله**) (**فاعبده وتوكل عليه**) (**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور**).

ـ وأخيراً إني داع فأمنوا: اللهم مكن للمؤمنين في الأرض، اللهم إنا نسالك الفردوس الأعلى، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ، اللهم انصر الحق وأهله، واخذل الباطل وأهله، اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان وفي فلسطين وفي الفلبين وفي لبنان وفي كل مكان، اللهم ارفع راية الإسلام وحكم دولة القرآن واجعلنا من جنود القرآن، اللهم دبر لنا فإننا لا تحسن التدبير، والطف بنا بما جرت به المقادير، واغفر لنا فإنك على كل شيء قدير، وصلى اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .... [١]

الأسئلة

س: نرجو من فضيلتكم أن تشرح لنا مسألة الحل السياسي الأفغاني، هل هذا حقيقي أم خيالي؟

ـ ج: الحل يكون من فوهات البنادق، ومن قذائف المدافع، هذا هو الحل، أما السياسة فلا تحل شيئاً.

المقصود بالحلول السياسية الآن تضييع الوقت، نعم روسيا في الحقيقة متضايقة، دفعت ثمناً باهظاً داخل أفغانستان، الآن الضربات التي تحصل ضربات المصروع المجنون، تضرب على مخيمات المهاجرين، تضرب على المدارس، تضرب في داخل باكستان بعد أن فشلت في داخل أفغانستان، تضرب المخيمات، المدارس، الطلاب، روسيا تعبت كثيراً، بقاء الحدود مفتوحة بين أفغانستان الجمهوريات الاسلامية التي يحكمها الاتحاد السوفيتي بدأ يقلق الاتحاد السوفياتي، صار المصحف يصلهم، صار المجاهدون يرسلون عض الكتب الإسلامية إلى داخل روسيا، في الوقت الذي لم ير المسلم هذا في داخل الاتحاد السوفيتي في حياته، هذا يقلقهم ، قلقهم كذلك أن المصري الآن مشاعره مشدودة نحو كابل، والجزائري كذلك، والشاب التائه الضائع يتوب فلايجد باباً للتوبة أوسع من

] المقدم أبو عبادة الأنصاري:
ى الله شيخنا الفاضل على هذه الكلمات والنبضات الحية الخارجة من قلب حي، الداخلة إلى قلوب حية، نسأل الله عز وجل أن يكون الجميع قد استلهم من هذا الفكر، وهذه الكلمات ما يكفيه ، بهذا الطريق.

باب الجهاد، ولا يجد ماء يغسل الذنوب التي ارتكبها أحسن من دم الشهادة، ومن هنا بدأ الشباب يتوافدون على أفغانستان... السفارات الباكستانية لا تعطي فيزا، بدأوا يتشددون في التأشيرات.. باكستان كان أي واحد في العالم مهما كان دينه أو جنسيته إذا وصل الحدود الباكستانية يأخذ تأشيرة لمدة شهر من دخوله، لا يرجع، الآن التأشيرة أصعب من التأشيرة إلى بيت الله الحرام، أصعب من التأشيرة إلى الكويت لبلاد البترول.

ماذا يوجد في باكستان، لو أعطوني ترمنجل وصدا وبرچنار كلها بعشر روبيات لا أشتريها، ماذا أفعل بها، والآن كل واحد حديثه عن هذه البلاد.. هذه بيشاور تخرج منها ابن أخي، ما كنت أعرف بيشاور أين من الخارطة! فقط نعرف أنها في باكستان، بلدة باكستانية اسمها بيشاور، لكن الناس الآن حريصون أن يروا بيشاور لأنها قاعدة لقادة الجهاد، حريصون أن يروا الحدود التي شرفها الله بالمجاهدين، فأصبحوا يشددون، ومصائب قوم عند قوم فوائد، فصارت الطائرات لا تحمل أي إنسان إلى باكستان إلا اذا كان يحمل تأشيرة على جوازه، طيب معي تذكرة ذهاب وإياب، إذا رجعت فعلى حسابي، يقولون لا، لابد أن يكون معك تأشيرة دخول باكستان.[1]

الآن البوليس يبحث معك إقامة أو ليس معك اقامة، انتهت إقامتك أو كذا، من هذا، كان الواحد يجلس ثماني سنوات، الآن باكستان صارت تتدلل.. صاروا يطاردون الشباب العرب معك تأشيرة؟ معك إقامة معك؟... صاروا يرجعونهم من المطار، حتى لا يسمحون لك لمدة ٢٤ ساعة، هذا كله خوفاً من تجمع الشباب على الجهاد، هذا كله رعب عالمي، توصية عالمية (**أتواصوا به بل هم قوم طاغون**).

التشويه للجهاد في كل مكان حتى ينفروا قلوب الشباب من الجهاد، حتى يفصلوا بين هذه المشاعر المشدودة وبين هذه القلوب الملتهبة بحب الجهاد، يفصلوها عن هذا الجهاد المبارك.. خائفون! ويدخل للأسف بعض المسلمين وبعض الدعاة يثبطون الناس عن المجيء إلى أفغانستان، يقولون له: يا أخي وجودك هنا أفضل في هذه الثغرة في هذه البلاد تجلس تربي، سقطوا في المصيدة دون ان يعلموا، تيار عالمي يلف فيلف معه بعض المسلمين، سقطوا في مصائدهم، لكن أقول سواء انتصر الجهاد الأفغاني أو لم ينتصر لا سمح الله لا يخسر المسلمون، لقد حرك هذا الجهاد الأمة الاسلامية بكاملها، أيقظ أمة ران عليها النوم ثلاثة قرون، طال عليها الأمد، والله عندما كنا نقرأ عن الغنائم أستاذنا في الجامعة قدم رسالة دكتوراه عن آثار الحرب على الغنائم قلت مسكين هذا يتعب نفسه لماذا، ما هو أثر الحرب في الاسلام، ما هي الغنائم؟ أين الغنائم؟ فوجدنا أننا نواجه هذه المشكلة الآن في داخل أفغانستان، تأتينا أسئلة كيف نقسم السلاح؟ تأتينا أسئلة أنقتل هؤلاء؟! الطعام الذي نجده في الغنائم أنأكله؟ هل يعتبر من الغلول أو لا يعتبر؟ يوجد قائد اسمه سازنور سمعت أنه لا يأكل من الطعام حتى يقسمه.. فمسكته... لكنه هو عنده ورع، فمسكت الشيخ قلت له يا شيخ سيّاف اقنعه أن هذا جائز، تعال ياشيخ سازنور أفتح لك شرح الهداية ويجوز أكل العسل والزبيب والطعام وغير ذلك حتى صدقه، والله كنت أقرأ عن الجهاد ليس له طعم في بلادنا، الطاعة في مكه ليس لها طعم، ليس لها طعم! الآن أحس هذه المعاني، الآن أنت تطبق آيات منزلة من السماء على واقع في الأرض .

أحيت شباباً حشاشين يأخذون المخدرات، الخليجي يأتي من السعودية وفي الخليج وفي غيرها من البلدان.. الخليجي يأتي من المخدرات إلى أين؟ إلى خط العز والمجد، الكرامات، كنت أجده شهراً شهرين ثلاثة.. واحد منهم تغذى على البسكوت والزبدة والمربى، يأتي إلى أفغانستان ويعيش على الروغان الأفغاني (السمن)، فهذا الجهاد عظيم عظيم عظيم، قصص الجهاد الأفغاني مع أنه لم يكتب منها عشر معشار تكفي لتربية أجيال لقرون قادمة، يكفي أن هناك شعباً أعزل فقيراً وقف أمام أكبر قوة في العالم... فبإمكان أي شعب مهما بلغ ليس بين يديه شيء أن يقف أمام قوة في العالم، والله لما كنا نسمع روسيا ترتجف أوصالنا، الميغ ٢١ ميغ ٢٣ أصبحت هذه لا شيء، سقطت من أعيننا، اذهب إلى خوست أو بنجشير أو هرات لترى قيمة الروس وقيمة الطائرات وسقوط الجيش الأحمر كله تحت أرجل المجاهدين، ليس غريباً، لم تعد تخاف لا من روسيا ولا من أمريكا، هذا ليس قليلاً، نقلة كبيرة جداً جداً، ولا يمكن أن يحصل إلا بالجهاد، فروسيا تحب أن تحل، لكن بشرط أن لا يأتي المسلمون إلى الحكم، إذاً: ليس حل سلمي، الحل هو استمرار القتال، الحل هو استمرار الجهاد، الحل هو (آر، بي جي ٧)، وسلاح (٤١) وسلاح (٨٢) هذا هو الحل مادام هناك نار مادام هناك انتصار، الأقلام لا توصل إلى النصر وإلى نتيجة، لا توصل إلى نتيجة بدون جهاد، أمريكا تبحث عن حل بالطريقة التي تحفظ بها مصالحها، وروسيا تبحث عن حل بالطريقة التي تضمن وجود دولة شيوعية، لكن الذين بيدهم الحل هم المجاهدون الذين ضحوا والذين قاموا منذ أول يوم لإقامة دولة الإسلام في داخل أفغانستان.

---

(١) يقول الشهيد عبدالله عزام في هذا الموضع الذي وضع الحبل في عنق ذوالفقار على برتو -رئيس باكستان السابق- عند اعدامه أجرت سبعة روبيات.

س: كيف نستطيع أن نمنع الغرب من التدخل في جهادنا؟

ج: الحمد لله، حتى الآن الغرب ليس له تدخل في داخل أفغانستان، يعني الطحين الذي يأكله المهاجرون الأفغان في بيشاور هو عبارة عن ميتة، يجوز أكله (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه)، رجل جائع يجوز له أن يأكل لحم الخنزير، هل يجوز أكل لحم الخنزير حتى يحافظ على نفسه من الموت؟! يجب أكله، والذي يرفض أن يأكل لحم الخنزير والميتة عند الجوع ويموت، يموت آثماً. فالمهاجرون يأكلون القمح الأمريكي مثل أكل لحم الميتة ولحم الخنزير، مضطرون أن يأكلوا، ليس عندهم شيء، ليس عندهم أي شيء يأكلونه.

فالحمد لله الجهاد في الداخل الذي نعرفه أن الغرب ليس له تدخل، يحاول أن يتدخل في التعمير، يحاول أن يتدخل عن طريق الصحة، لكن هناك أحزاباً رافضة بتاتاً التعاون حتى أن تدخل الجريح الذي ينزف حتى يموت يرفض أن تدخله عند الطبيب النصراني أو الصليبي، أليس كذلك؟ هذا موجود، طبعاً مادام يوجد نفوس ضعيفة، ومادام يوجد أموال الأمريكان تجد نفوساً ضعيفة تشتري الضمائر بالمال، ولكن الحمد لله الأحزاب الكبرى التي يرأسها القادة يعرفون هدف الجهاد حتى التعليم والصحة. ولذلك لما سئل حكمتيار في أمريكا قالوا له: أنت كم أخذتم من أمريكا مساعدات؟ قال: نحن لم نأخذ شيئاً، الكونجرس قال للسي أي إي (C.I.A) المخابرات الأمريكية قال لهم: أنتم تقولون نحن نعطيهم... وهذا الناطق باسمهم يقول لم نستلم دولاراً واحداً من أمريكا... وفعلاً هذا صحيح... الأمريكان لا يدفعون، بخلاء، هم يحبون أن تتدمر روسيا في داخل أفغانستان، ويحبون أن يتدمر الشعب الأفغاني المسلم على يد روسيا، يعني يتحطم عدوان من أعداء أمريكا، لكن لا يدفعون.. هناك بعض المساعدات السرية التي تقدم للمجاهدين عن طريق باكستان، هذا كله من البلاد الإسلامية أو العربية أو الشعوب الإسلامية، لكن الأمريكان هم يقولون نحن نعطي، والأموال من هؤلاء المسلمين.

س: هل الجهاد بالمال يسقط الجهاد بالنفس؟

ج: لا يسقط ، كيف يسقط عنه؟ إلا عن ستة، الأعمى، والأعرج، والمريض، المريض الذي لا يستطيع أن يصل إلى الجبهة، هؤلاء الثلاثة والرجل الطاعن في السن والطفل الصغير والمرأة التي لاتعرف الطريق هؤلاء الستة أعذرهم الله عز وجل، غيرهم لا عذر لهم، قال: (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) حتى ما قال: ليس على الأعور حرج لأنه بامكانه أن يجاهد بعين واحدة، لأنه يرى بعين واحدة، والمريض.. بعض الفقهاء قالوا: المريض الذي يستطيع أن يصل إلى الجبهة يجب أن يصل إلى الجبهة ولو كان لا يستطيع حمل السلاح لأنه يكثر السواد، ويحفظ المتاع، الآن الجهاد باتفاق الأمة الإسلامية باتفاق الفقهاء والمفسرين المحدثين والأصوليين مثل حالة في أفغانستان،الحالة في فلسطين، الحالة في تشاد، الحالة في اريتريا، الحالة في الفلبين هذه الحالة فرض عين على كل مسلم ومسلمة بقدر طاقته، بالنفس والمال، حتى يخرج الولد دون إذن والده، والعبد دون إذن سيده، والمدين دون إذن دائنه، والزوجة دون إذن زوجها، هذه النصوص، لا يوجد عذر لأي مسلم أن لا يجاهد. لا عذر له أبداً، وكل انسان الآن يلقى الله -والله أعلم- وهو لا يعد للجهاد، والجهاد معناه القتال ليس باللسان، الجهاد هو القتال باتفاق الأئمة الأربعة، وكلمة في سبيل الله إذا أطلقت فهي تعني القتال في سبيل الله، فكلما سمعت هذا الذي قال عنه ابن رشد، يقول: إن كلمة الجهاد إذا أطلقت فإنها تعني القتال في سبيل الله... كل واحد الآن يلقى الله وهو لا يجاهد يعني لا يقاتل أو لا يعد للقتال فإنه يلقى الله آثماً، لأنه يلقى الله مضيعاً لفرض وهو فرض القتال، ولا فرق الآن بين القتال والصيام، ولا بين القتال والزكاة، ولا فرق الآن بين تارك الجهاد وبين الذي يفطر في رمضان، بل واحد، فالذي يفطر في رمضان معصيته الآن أقل من معصية تارك الجهاد، لماذا؟ لأن ترك الجهاد فيه ضرر أمة، أما الصيام فضرره بنفسه.

ولذلك سئل بن تيمية: قوم جياع ومجاهدون إذا أعطينا المال للمجاهدين مات الجياع، قال أعطوا المجاهدين وليمت الجياع، قال العلماء أباحوا قتل المسلم في حالة التترس، يعني إذا تترس الكفار بأسرى المسلمين يباح قتلهم، وعندما يموت الجياع يموتون بربهم، وعندما يموت المتترسون يموتون بفعلنا، والذي يموت بفعل الله أقل من الذي يموت بفعلنا، فكل واحد منكم بعد ان ينهي المعهد إذا بقي هنا فهو آثم عاص، أنتم تتعلمون لترجعوا إلى أفغانستان دعاة وأئمة وموجهين ومجاهدين... بيشاور ليست محلاً لكم، بيشاور وجودكم فيها طارىء، وجودكم الأصيل الذي يحبه الله عز وجل العظيم الجليل هو في داخل أفغانستان.

س: هل يجوز تبادل أسرى المسلمين بأسرى الكافرين؟

جواب: أباحه جميع العلماء ولا نعرف أحداً منعه إلا أبو حنيفة، أما الصاحبان أبو يوسف ومحمد فأجازوا تبادل الأسرى، والشافعي ومالك وأحمد بن حنبل أجازوا كذلك تبادل الأسرى، والفتوى كما ينص السير الكبير يرجع إلى الصاحبين، أما لا أدري الفتوى في المذهب على رأي ابو حنيفة أم على رأي الصاحبين.

أما الصاحبان الله أعلم الذي تطمئن إليه النفس رأيهما أرجح من رأي الإمام في هذه القضية.

تحقيق العبودية [1]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فيا أيها الإخوة!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

لو سألنا أنفسنا لماذا خُلقنا؟ الله عز وجل يجيب على هذا السؤال،

(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) (سورة الذاريات: ٥٦-٥٨)

إذاً مهمتنا في الحياة تحقيق العبودية لله عز وجل بتوحيده، توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، ثم أداء الشعائر من العبادات، وتطبيق ما أمر الله عز وجل به من المعاملات، إذا استطعنا أن نطبق دين الله عز وجل في أية بقعة فعلينا أن لا ننسى في أية لحظة أن المهمة الأولى لحياتنا هي عبادة الله عز وجل، فإذا ولدنا في بقعة من البقاع ثم تسلط عليها الأقزام والرويبضات ولن نستطيع أن نعبد الله كما أمر، فعلينا أن نبحث عن قطعة أخرى نعبد بها الله عز وجل كما أمر.

(يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون، كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون، والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) (العنكبوت: ٥٦-٥٩)

إذاً المهم.. تحقيق العبودية في الأرض، إذا لم نستطع في هذه الأرض، فأرض الله واسعة (**فإياي فاعبدون**)، وإذا كنتم تخافون على حياتكم وعلى أرزاقكم من ترك البلد التي ولدتم فيها وعشتم فيها

(وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم) (العنكبوت: ٦٠)

هذه الآية تابعة الآيات (**يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون**)، إذاً المهم أن نحقق عبودية الله، عبودية ما لله في الأرض، في أية بقعة من البقاع، فإذا تعذر علينا أن نقيم العبادات وأن نطبق ما أمر به رب الأرض والسماوات في هذه الأرض، فربنا سبحانه يفرض علينا أن ننتقل إلى بقعة أخرى، وإذا بقينا في هذه البقعة التي لا نستطيع فيها أن نقيم عبودية الله في أنفسنا وأن نزاول الشعائر كما أمرنا فإننا نموت مستضعفين، وقد تكون نهايتنا جهنم.

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم

---

(١) المقدم: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدنا محمد نبينا وقائدنا عليه أفضل الصلاة والتسليم.

يقول تعالى:(يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون).

ويقول عليه أفضل الصلاة والتسليم: (من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة)، أما بعد: انطلاقاً من حرص لاتحاد الوطني لطلبة الكويت على معايشة قضايا المسلمين وقضايا هذه الأمة كافة والاطلاع على حقيقة ما يجري في ساحات الجهاد في أفغانستان فقد رأينا استضافة الشيخ الداعي المجاهد الشيخ عبدالله عزام رمز النصرة العربية في الجهاد الأفغاني.

الشيخ عبدالله يوسف عزام وهو غني عن التعريف، شيخ له باع في الجهاد في سبيل الله، نرجو من الله سبحانه وتعالى أن يرزقه الشهادة، وأن يبارك له في طريقه وفي دعوته.

له من الأولاد خمسة أولاد وثلاث بنات، ولد في فلسطين في محافظة نابلس -مدينة جنين- سيلة الحارثية-، حصل على ليسانس الشريعة في ١٩٦٦م في دمشق، وحصل على الماجستير سنة ١٩٦٩م في القاهرة في جامعة الأزهر الشريف وكذلك حصل على الدكتوراه من نفس الجامعة ١٩٧٣م..

[illegible] من الله سبحانه وتعالى أن يعينه ويعاونه في نشر الدعوة ونشر ساحات الجهاد والقلوب التي تتدفع وتحب أن تشاهد وتسمع ما

ن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً، إلا المستضعفين من الرجال
ساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً
راً) (النساء: ٩٧-٩٩)

أورد البخاري أن هذه الآية نزلت في المؤمنين في مكة، الذين بقوا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر حياءً بجانب أبي جهل، فعندما
مضهم في بدر، قالو الصحابة رضوان الله عليهم: لقد قتلنا إخواننا المؤمنين الذين خرجوا خوفاً وحياء، فأنزل الله هذه الآية.

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم
أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال
ساء والولدان لا يستطيعون حيلة) (النساء: ٩٧-٩٨)

-أي لا يثبتون على الدابة ولا يستطيعون أن يركبوا في السيارة أو الطائرة- (ولا يهتدون سبيلاً) -أي لا يعرفون الطريق إلى
دين وأرض الهجرة- (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً).

وإن كنتم تخافون على أرزاقكم بالهجرة وترك أوطانكم فإن الله عز وجل تكفل لكم بالرزق في الهجرة.

بعدها بآية رأساً.

(ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى
سوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً) (النساء: ١٠٠)

بد الله عزام يقاتل في أفغانستان
اتل في فلسطين؟

هذه الآية كلها تجيب على السؤال الذي يقفز إلى أذهانكم ويتبادر إلى خاطر كل واحد منكم: لماذا عبدالله عزام يقاتل في
ان ولا يقاتل في فلسطين؟ أنا مسلم، أمرني ربي أن أقيم شعائره، وأمرني ربي أن أؤدي من الشعائر شعيرة الجهاد وعبادة
عبادة الجهاد الفرض السادس في الإسلام، بل إذا اعتدى الكفار على شبر من أراضي المسلمين يتقدم فرض القتال وتتأخر
لخمسة إلا الشهادتين فإنها تتقدم على عبادة الجهاد.

ول شيخ الاسلام ابن تيمية: والعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه، يعني أولاً (لا إله إلا
د رسول الله)، وبعد ذلك تأتي فريضة الجهاد، وفريضة الجهاد لم يتركها الفقهاء ولا رسول الله ﷺ إلى تأويل المتأولين أو
أراد أن يفسرها على هواه أو على حسب حالته ووظيفته.

، ابن رشد: وكلمة الجهاد إذا أطلقت إنما تعني (قتال الكفار بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد
رون). وهذا التعريف هو المصطلح الأصولي الشرعي لكلمة الجهاد إذا أطلقت، وكذلك كلمة في سبيل الله إذا أطلقت في
يقول ابن حجر في فتح الباري: وكلمة في سبيل الله إذا أطلقت فالمتبادر منها الجهاد، والجهاد هو القتال.

ا عرف الحنفية الجهاد والشافعية والمالكية والحنبلية أنه قتال الكفار بالسلاح، والذين يريدون أن يميعوا المصطلح الشرعي
، لكلمة الجهاد، فالفقهاء لا يقبلون هذا لأنه يخرج عن المصطلح الذي اتفق عليه الفقهاء، إذاً فريضة القتال واجبة على كل
ليع أن يحمل السلاح، والقضية لا يجوز أن تناقش من وجهة سياسية أو وجهة مجتمعات تعيش تحت الضغوط لبعد على
س ونبضات القلوب، لا، الإسلام له مصطلحاته الشرعية. فإذا لم نستطع أن نعبد الله في هذه الأرض فلنهجرها إلى أرض
طيع أن نعبد الله، وإلا فإننا نموت مستضعفين في الأرض وتقول لنا الملائكة: فيم كنتم؟ فنقول لها كنا مستضعفين في
و أن لا يكون الجواب،(فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا)

ان ننظر إلى القضية نظرة شرعية كمسلمين، لا أن ننظر لها من خلال تحليلات سياسية، ولا من خلال نظرات قومية ضيقة.
يقتي عبادة الله في الأرض، يجب أن أقيم دينه حيث استطعت، فكما أنني أبحث عن عمل في الكويت فإذا فقدته أبحث عن

في السعودية ثم أبحث عن عمل في الأردن، فإذا وجدت عملاً في أقصى الأرض أشتغل به، فوظيفتي كمسلم أن أقاتل في أرض
ن، في أرض فلسطين، فإذا فقدت وظيفتي يجب أن أبحث عن وظيفة أخرى في باكستان، في أفغانستان، في الفلبين، المهم أن
وظيفة أعمل بها عند رب العالمين، فأنا كنت موظفاً في مؤسسة ربانية في فلسطين في الجهاد، ثم سحق العمل الفدائي في الأردن،
ت الحدود، ووضعت في الأيدي القيود، وكتمت الأنفاس، ومنع التفكير الجهادي بين الناس، عندها فكرت، أين يوجد جهاد في
ض؟ فوجدت بقعة اسمها أفغانستان، فحاولت أن أصل إليها، -وأرجو الله أن أكون صادقاً- فيسر الله السبيل لي بالوصول إليها.

إذاً:

أنا ما خنت عهد الله لما خـــانت الـــدول *وقد قاتلت في ساحاتها إذ جل الورى خذلوا*

فعندما غل كف البذل، وانقطعت بنا الحيل، بحثت، بحثت في الأرض لعلي أستطيع أن أقيم هذه العبادة. فما وجدت بقعة
تطيع أن أقيم بها هذه العبادة إلا في أفغانستان، والله عز وجل منّ عليّ بتذوق حلاوة الجهاد في فلسطين سنة ٦٩ - ٧٠، ثم حيل
ا وبين الجهاد، وأصبحت الرصاصة جريمة يؤخذ بصاحبها بالنواصي والأعناق، عندها لا يجوز أن يبقى الإنسان مستضعفاً في
ض، فليبحث عن مكان يستطيع أن يحقق به عبوديته لربه ولو كان وحيداً

(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله
د بأساً وأشد تنكيلاً) (النساء: ٨٤)

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم وقبلهم رسول الله ﷺ هذه الآية على ظاهرها في الحديث الصحيح **(عجب ربنا لرجل
ذلت لفئته، فعلم ما عليه فرجع فقاتل حتى قتل)**، وعندما سئل أبو إسحاق البراء: الرجل يهجم على القوم وحده
ون تهلكة؟ قال: لا يا بني، إنما هذه في النفقة، **(ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)**، هذه في ترك النفقة في سبيل الله، فالتهلكة
ي ترك الجهاد في سبيل الله وترك النفقة في سبيل الله، لقد أنزل الله على نبيه ﷺ فقال: **(فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا
سك)**.

يسر الله لي السبيل، وأنا أشعر بالمنة الربانية العظمى والنعمة الإلهية الكبرى عليّ، إذ أوصلني إلى أرض الجهاد، وما أشعر
ة إلهية بعد التوحيد أكبر على قلبي من نعمة تيسير الجهاد الأفغاني لي، لأني وجدت نفسي، اكتشفت نفسي كمسلم، وأدركت أني
إنسان على الأرض، إذا حملت السلاح وسرت فوق البطاح، عندها:

هاتف والصعاب تحدق فيـــه *وهو في ساح الزمان وحيـــد*

مسلم يا صعاب لن تقهريني *صارمي قاطع وعزمي حديد*

لا يوجد أقوى من المسلم فوق الأرض جميعا، لا يوجد أعز من المسلم بشرط واحد: أن يجاهد، عندما تهون الحياة، وما أصغر
حياة، وفعلاً أدركنا قوله ﷺ **(رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها)**، ولذلك أعيش في أفغانستان فأشعر
ي سمكة دخلت ماءها، ونفس ضائقة وجدت روحها وريحانها، فإذا خرجت من أفغانستان لزيارة أهلي في بيشاور على الحدود
فغانية ضاقت نفسي، فإذا زادت الشقة زادت المشقة على نفسي، فإذا وصلت الحرم انكتمت أنفاسي، وأنا أطوف بالحرم أشعر
ضيق الشديد لأني بعيد عن أرض الجنة، أرض الجهاد والجلاد، رغم أني والله أطوف بالبيت العتيق لكني أعلم كما قال ﷺ **(لأن
ابط ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود)**، فرباط ليلة في ربيع الأول أو
عبان في أفغانستان خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود، أما المعارك فتلك منزلتها لا تدانى **(قيام ساعة في الصف
تال خير من قيام ستين سنة)** كلها أحاديث صحيحة، صححها الألباني في صحيح الجامع.

إذاً بعد ذلك ليلمني من يلمني، وليعتب من يعتب، وليرمني بعينه شزراً من أراد، وليحلل الناس كما يحلو لهم أن يحللوا، ليعتبروني
طئاً، متهوراً.. متحمساً، ما إلى ذلك، عاطفياً قولوا ما تشاؤون، أنا ربي قال لي:

(لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم
ضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين
[illegible] وكان الله غفوراً رحيماً) (النساء: ٩٥-٩٦)

ما هي الدرجات؟ فسرها حديث البخاري **(إن في الجنة لمائة درجة، فرق ما بين كل درجتين كما بين السماء الأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله).**

إذاً رتبوا في قوائمكم كما تشاؤون، وقولوا هذا فلسطيني عاق لقضيته، خارج من أرضه، وهو متيم في هوى النرباء، فقولوا ما تئتم، أما أنا فبالنسبة للجهاد أردد:

وقف الهــــــــوى بــــي حيث أنت	*فليس لي متأخر عنك ولا متــــــقدم*
أجـد الملامة فـي هواك لذيــــذة	*حــباً بذكــــرك فليلمــني اللــوم*

أنا متيم بحب الجهاد الأفغاني، لأني وجدت الإسلام حقاً هناك، لا أريد أن أكذب على نفسي، ولا أريد أن أربت على شهواتكم، دغدغكم، ولا أن أربت على أكتافكم، ولا أن أداري عواطفكم، دين الله لم يقم إلا بالجهاد، والجهاد هو القتال، لله قانون في نصرة ه، يبدأ بالمصلحين في الأرض، تتجمع حولهم فئة، تقوم معركة بينها وبين الجاهلية تبدأ بالكلام، ثم تتولى الحركة الإسلامية أو عة هذه أن تكون الصاعق الذي يقود المعركة، ويفجر طاقات الأمة، يلتف الشعب حولها، تسير مسيرتها، يسقط على الطريق من ، ويتراخى من يتراخى، ويتراجع من يتراجع، ويثبت من يثبت، والثابتون في نهاية الطريق يجعلهم الله ستاراً لقدره، ويمكن لهم في

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من

) (النور: ٥٥)

قولوا عن الجهاد ما تقولون، قولوا عن الجهاد الأفغاني ما تريدون، أما أنا فأدرك ما هو الجهاد الأفغاني، وما أثره في حياة سلمة شرق الأرض وغربها، أدرك أنه لم يهز الأمة الإسلامية من منامها، ولم يقلقلها من سباتها، بل هز المعمورة بأسرها، أن أعداءنا يدركون أبعاده وخطورته أكثر منا، يدركون ما هو الجهاد الأفغاني، أما الذين يريدون أن يأخذوا دينهم وعقائدهم من تشيين الحاقدين على ديننا، وعلى الجهاد، وعلى الجهاد الأفغاني بالذات، فليأخذوا عقائدهم من حيث شاؤوا، أما عقيدتنا خذها من كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ.

لروس في أفغانستان:

ى بقلولوف: إن خسائرنا في داغستان أمام الشيخ شامل قد أفقدتنا من المعدات والأرواح ما يكفينا لأخذ الأقطار ما بين ان، فإذا كانت خسائر الروس في داغستان تكفيهم لغزو منطقة ما بين اليابان ومصر، فليت شعري ماذا كلفتهم الخسائر في ! إن خسائرهم في أفغانستان تكفيهم لأن يقبضوا بيد حديدية كل الأقطار في العالم الإسلامي، لقد فقدت روسيا في داخل حسب إحصائية الأقمار الصناعية وأجهزة التنصت الباكستانية ثلاثة أضعاف ما يملكه حلف وارسو من الدبابات، سبعة ابة دمرت في أودية أفغانستان، واستهلك وسقط وخرب للروس في أفغانستان حتى بداية (١٩٨٨) ما يساوي أربعة آلاف طائرة (٤١٦٠) طائرة، وخرب لها ودمر واحد وعشرون ألف سيارة، وقتل لها باعترافهم خمسون ألفاً بين قتيل وجريح، زيادة ربعين مليونا من الدولارات كانت تدفعها كل طالع شمس في أفغانستان، أما الحزب الشيوعي والجيش الشيوعي في تل منهم مائة ألف وأسر مائة ألف، فهل أمام روسيا إلا الهزيمة النكراء التي ستحدث بعدها للأجيال أن النزال مع أهل ن مغبة لا تحمد عواقبها.

ا يموتون بالجلطة الأفغانية:

رباتشوف قال بنفسه: إن أفغانستان جرحنا النازف، وهو يعترف الآن هو ووزير خارجيته شفردنادزه أن الدخول إلى انتهاكاً للحرمات الإنسانية، الآن؟! بعد ماذا؟ بعد أن دوخت أفغانستان غورباتشوف، لقد مات ثلاثة من رؤساء الاتحاد بع سنوات وجاء الرابع، و كل واحد منهم يقول: سأنهي مهزلة أفغانستان، ويقتله الله عز وجل، ثم يمضي إلى ربه م وبئس المصير مصاباً بالجلطة الأفغانية، ثلاثة يموتون في أربع سنوات، أنتم فكروا.. ستالين حكم ثلاثين عاماً، سنوات، بريجينف خمسة عشر عاماً، بريجنيف، اندروبوف، شرننكو، في أربع سنوات يموتون، كيف يموتون؟ التقى

الليلة في البيت الأبيض، بيت أبيض!! ونهارك أبيض!! ورافض أن تدخل بيتاً أبيض، تدخل وتقابل الجنس الأبيض، قال: أنا متأسف لأن عندي موعداً في إنديانا مع المهاجرين الأفغان.

رأيت دعوة الكونغرس (لقد ضربتم المثل الحي للشعوب التي تريد أن تتحرر من العبودية، فيشرفنا أن ندعوكم لحفلة شاي مع رجالات الكونجرس، لتشرحوا قضيتكم لهم)، قال ريجان والكونجرس وجهان لعملة واحدة لن أجلس معه.

الشيخ رباني يقابل ريجان:

الشيخ رباني ذهب بعده إلى الأمم المتحدة، طلب ريجان مقابلته، قابل ريجان، بعد أن خرج من عند ريجان كتبت الصحف الامريكية (لأول مرة في تاريخ ريجان وفد يقول في وجهه لا)، قال له ريجان: أرسلنا لكم الأسلحة، وصلت؟ فأجاب، أجابه الأستاذ رباني إجابة ساخرة لاذعة، قال له نحن ننقل ذخائرنا وسلاحنا على الحمير والبغال، تبقى شهراً من جنوب أفغانستان حتى تصل إلى شمال أفغانستان، الحمير الأمريكية التي تحمل أسلحتكم لم تصل بعد!

يونس خالص قابل ريجان:

يونس خالص قابل ريجان، قال له الشباب: لماذا تقابل ريجان؟ قال: خشيت إن سألني ربي كيف تفلت فرصة تعرض بها الإسلام على رجل كافر، فلا أستطيع أن أجيبه! قال لهم اكتبوا لي بالإنجليزي لماذا يجب أن يعتنق الإسلام قبل أن أدخل، الشيخ يونس عمره فوق السبعين، لحيته محناة، فدخل على ريجان، قال له: أنا أنصحك أن تعتنق الإسلام، ريجان بدل ما كان في موقف الهجوم صار يدافع، قال أنا مثلك، أنا مؤمن بالله، صار يدافع عن نفسه. والله مبعوث الأمم المتحدة يجري وراء يونس خالص من مكان إلى مكان -كان رئيساً للاتحاد في ذلك الوقت- أريد أن أقابلك! قال: لا أريد أن أقابلك!

ذهب إلى ضياء الحق، قال له: هذا الشيخ يونس رافض أن يقابلنا، فاتصل ضياء الحق بالشيخ يونس في بيشاور، قال له: إن لم تأتني أتيتك أنا ومندوب الأمم المتحدة، قال سآتيه من أجلك، ذهب إلى مندوب الأمم المتحدة قال له أنا أتيت من أجل ضياء الحق - لأنهم يحبون ضياء الحق حباً شديداً لأنه وقف وقفة الرجال و الإباء فقويل من الأفغان بالحياء والوفاء-.

ولذلك عندما قتل ضياء الحق وكأنما ذبح أمام كل قائد وحيده في حجره، نعم، وأنا والله أحد الذين طعنوا بقتل ضياء، أحببت لو اختاروا أعز أبنائي وذبحوه أمامي وما سقطت طائرة ضياء الحق.

والناس هنا خاصة الذين يحللون ويفسرون ويفهم سياسة، الحمد لله أنا لا أفهم في السياسة.. الحمد لله! سياستهم هذه أنا لا أفهمها، هنا يقولون لك هذا عميل للسي آي إي (C.I.A) للمخابرات الأمريكية، للأمريكان وما إلى ذلك. هم يلقون ربهم كما يشاءون بالشهادة التي يريدون.

قال له: أنا جئت من أجل ضياء، لأقابلك، وأنا أنصحك أن تعتنق الاسلام.

الشيخ سياف يرفض مقابلة الأمريكان:

الشيخ سياف كان يرفض أن يقابلهم أبداً، أخيراً قالوا له تقابل وكيل الخارجية الأمريكية آرمكوست؟! قال: بشرط أن تترجموا ما أقوله له! قالوا نترجم. جلس الجنرال الباكستاني يترجم وجلس آرمكوست، أمامه حكمتيار، سياف، رباني وخالص، بدأ الشيخ سياف، قال له:-عندما رأى تكالب الأمريكان على سرقة دماء الأفغان وأنهم يصرون أن لا يقوم الإسلام وأن لا تقوم دولة الإسلام كانت هكذا نفوسهم تغلي عليهم- قال له: أنتم أخبث أمة في الأرض! هذا الجنرال الباكستاني اصفرّ وابيضّ واحمرّ، كيف يترجم أنتم أخبث أمة في الأرض؟! أنتم مصاصو دماء! أنتم قتلة! أنتم تكرهون الاسلام! هذا الجنرال صار يلف ويدور يلف ويدور يلف. قال: ألا تترجم؟ أنا سأتكلم معه بالانجليزي.

هذا آرمكوست ينظر إلى لحية الشيخ سياف إلى نصف صدره! بني آدم أم وحش هذا الذي أمامي؟!! نعم، صحيح لا يدري أني أدير الكرة الأرضية بأصبعي يقول لي هكذا؟! هذا تغير واحمر وجهه، قال له: إسمع أنا أحب الاسلام وأحب قيام دولة إسلامية، سك- -ياف، ثم بدأ حكمتيار صواريخ أرض أرض، ثم بعده الثالث صواريخ جو أرض وهكذا.

دور حرق القادة وتصفيتهم:

أدركوا أن الناس هؤلاء لا يمكن التعامل معهم أبداً، خلاص معنى ذلك مصالح أمريكا في الشرق كلها مهددة إن وصلوا إلى الحكم، إذاً لا بد أن نصفيهم جسدياً، قصة أن تغسل أدمغتهم لا تغسل، عناصر غير قابلة للذوبان، وضعناهم في كل الحوامض الأمريكية لم يذوبوا، لا يتفاعلون، سخنا حامض الكبريتيك، إذاً لا تغير هذه الرؤس، إذاً يجب إزالتها، الآن دور قتلهم جسدياً، تصفيتهم، المؤامرات يومياً، بعض المخلصين في البوليس الباكستاني يخبرونهم، هذا الأسبوع يوجد فرقة لاغتيالكم، انتبه، انتقل من بيتك، لا تركب سيارتك، ادخل في الداخل، اعمل كذا، غير عمامتك، غير لباسك، مؤامرات مستمرة، يجب أن تزال هذه العناصر الأصولية لأنها خطر علينا.

واشنطن بوست ونيويورك تايمز، يجب أن نحطم هؤلاء، إبحثوا عن كل السيئات في الأرض، ماذا نفعل به؟ شوهوا هؤلاء، أصبحوا رموزاً الآن، أبناء فلسطين يهزجون في الأعراس، أخي يا سياف الروس منك تخاف، أخي يا حكمتيار على العدا مثل النار، أخي يا فلان! أصبح يسير بذكرهم الركبان، أصبحوا سمر السامرين وفاكهة الناس الصادقين وأنس مجالس الصالحين، كيف نفعل؟ قولوا مختلفين، ركزوا على الاختلافات، ركزوا على الحرب الأهلية، لا يوجد قتال في أفغانستان، هنالك قتال بين المسلمين والمسلمين، بين الأفغان والأفغان، أنت يا كويتي لماذا تدفع أموالك للأفغان؟! هؤلاء يقتل بعضهم بعضا! أنت آثم إن دفعت لهم أموالك! لماذا؟ لأن حكمتيار يشترى بها سلاحاً يذبح بها جماعة رباني، ورباني يشترى بها سلاحاً يرسله لمسعود حتى يذبح جماعة حكمتيار، أنت لست مصدقا انظر ماذا فعل حكمتيار بجماعة رباني في تخار؟ انظر ماذا فعل مسعود بجماعة حكمتيار في تخار؟ قتل سيد جمال القائد حكمتيار ثمانية وثلاثين قائداً لرباني، أي جريمة هذه؟! وعندما انتقم مسعود لم يقتل ثمانية وثلاثين قتل ثلاثمائة من جماعة حكمتيار، حوصر سيد جمال الجاني، ومسكته الدولة الشيوعية وسلمته لمسعود لأنه عميل للدولة الشيوعية، اختاروا ثلاثة رموز من رموز الجهاد أحرقوهم في حادثة واحدة.

إذا أحرق حكمتيار ورباني ولهم ذلك الثقل الجهادي.. يكونون العمود الفقري للجهاد في أفغانستان، وهما اللذان بدأ بالجهاد، لهم خمس وخمسون في المائة أو زيادة من الجهاد الأفغاني، ومسعود أقوى قائد في داخل أفغانستان، الظاهرة الفريدة المتميزة المرتبة يحرقون كلهم بحادثة واحدة. ماذا بقي في الجهاد الأفغاني؟ ولم يقتل من قادة مسعود سوى خمسة، أنا حققت وكنت في داخل أفغانستان عندما حصلت الحادثة، كنت ماضياً مع حكمتيار على أبواب بنجشير، كنت في كلبهار في كوهستان، وعندما سمع النبأ والله إخوان رأيته غير الرجل الذي أعرفه، اسود وجهه، وانقبض صدره، وكتب استنكاراً مباشراً وأرسله باللاسلكي إلى مكتبه في بيشاور ليوزع على الصحفيين في العالم استنكاراً لحادثة قائده هذا.

ومسعود والله ما قتل ثلاثمائة ولا عشر ثلاثمائة ولا نصف العشر، لكن ثلاثة أشهر متواصلة والصحف الغربية والبي بي سي وصوت أمريكا وهم يعزفون على نغمة تخار وفرخار.

هذه الخلافات أما كانت في أيام الروس؟ لماذا لم يظهرها الأمريكان؟! الأمريكان كانوا يفركون أيديهم فرحاً بدخول الدب الروسي في بعرغ بأوحال الهلمند وكابل تحت أقدام المجاهدين، وحتى يثخن بالجراح، كان الأمريكان خائفين على آبار البترول، لأن الدب الروسي عطش للبترول بعد أن أصبح بتروله لا يكفي الاتحاد السوفياتي، وكان هذا مخططه أن يصل الخليج سنة ١٩٨١، يحمل مخططاً يقضي على الجهاد الأفغاني سنة ١٩٨٠، وأن يصل الخليج سنة ١٩٨١، لكن جماجم الشهداء وأجساد الأبرياء في أرض العزة والحديد والنار أقامت سداً أمام الطوفان الأحمر دون أن يغرق الخليج والبلاد العربية، فرد الله كيدهم في نحورهم، ومضت يعودون وهم يتجرعون مرارة الخيبة ويبلعون خذلان الهزيمة.

الناس كما يحلو لهم يقولون أن أمريكا هي التي تقاتل، أنا ما رأيت أمريكيا واحداً في داخل أفغانستان في الثماني سنوات ، قالوا الأسلحة الامريكية هي التي تقاتل، وما رأيت سلاحاً أمريكياً واحداً في أرض أفغانستان سوى ستنكر، وأمريكا كانت تأخذ بين ألف دولار ثمن كل صاروخ من السعودية.

ماذا قدم الأمريكان؟ الأمريكان يريدون أن يظهروا أمام الشعب الأمريكي وأمام الناس أن هذا الجهاد ملطخ بأموالنا اعدائنا، ونحن نقف وراءه، وهو في قبضتنا، ولذلك في نيويورك حكمتيار قالوا له في مؤتمر صحفي: كم أعطتكم أمريكا؟ قال لم دولاراً واحداً، ونحن نرفض أن نأخذ أي شيء من أمريكا.

أنا قائم وأعيش القضية، وجاءت أمريكا بمائة مليون دولار للصحة، وستين مليوناً للتعليم، وجاءوا وعرضوا على المجاهدين أن لكم مستشفيات ومدارس في داخل أفغانستان، ولو أخذها المجاهدون وعملوا مستشفيات، ولو سمحوا للأمريكان أن يقيموا

مستشفيات لأعذرهم رب الأرض والسموات، لأنه كان إخواننا في داخل أفغانستان ومن فارياب وغيرها يصورون الجريح الذي ضرب برجله يأتون بمنشار الخشب وينشرون رجله بدون بنج، لو سمحوا للأمريكان لكانوا معذورين، ولكنهم رفضوا، فذهبوا للهلال الأحمر السعودي، قالوا ننفذ مشروعاتنا من خلالكم، مدير الهلال السعودي شاب طيب قال لا يمكن أن أتعاون معكم، ذهبوا إلى السفارات العربية في إسلام أباد حتى يقنعوا القادة أن يقبلوا أن يعمل الأمريكان لهم مستشفيات رفضوا، بعد عشرة أشهر كان المسؤول الأمريكي يصيح: من يعذرني بهؤلاء المجانين الأفغان؟! مائة مليون دولار أخرجناها من فم الأسد من الخزينة الأمريكية بشق الأنفس وستون مليوناً للتعليم ستعود بعد شهرين للخزينة الأمريكية لأننا لم نستطع أن ننفقها. بعض الشباب المتحمسين.. الله عز وجل فاتح عليهم درسوا كتب العقيدة والحديث والتفسير جاؤوا إليّ قالوا هل يجوز لنا أن نقاتل مع هذه الدولة؟ دولة المجاهدين، قلت لهم لماذا؟ قالوا عقيدتهم غير واضحة، قلت لهم كيف عقيدتهم غير واضحة؟ قال عقيدة الولاء والبراء غير واضحة.

كنت مع حكمتيار.. كنا في ميدان قرب كابل، قلت يا حكمتيار تعال ورد عليهم عقيدتكم غير واضحة؟ لماذا عقيدته غير واضحة؟! قالوا: كيف يذهب ويطلب من الدول العربية -بعض الدول الثورية- أن يطلب الاعتراف بدولة المجاهدين؟! قلت: رد عليهم يا حكمتيار.

قال نحن ما هي مصيبتنا إلا أن عقيدة البراء والولاء واضحة عندنا، حرب الأمريكان والغرب علينا كلها بسبب أننا بريئون منهم، ولو قبلنا أن نلين لهم قليلاً لانتهت القضية.

إذا كانت الدولة الفلسطينية ليس لها شبر أرض تقيم عليها واعترفت بها مائة دولة، ونحن عندنا ستمائة ألف كيلو متر مربع محررة بأيدينا، فيها المحاكم الشرعية، وفيها الإفتاء، وفيها نصف مليون مجاهد مسلحين، ونحن منتصرون، ومن قمة النصر نتكلم، لا تعترف بنا إلا أربع دول بعد شق الأنفس، نحن ما مصيبتنا مع هؤلاء؟ مصيبتنا في نظر هؤلاء عقيدة البراء والولاء، أننا نرفض أن نلين لهم أو نستلين أو نستكين!

فهم الآن ما هو الدور المطلوب؟ تشويه الجهاد الأفغاني، حرق قادته، تحطيم.. تصفية البارزين فيه جسدياً إن استطاعوا، فرض حكومة محايدة، إيش محايدة؟ يعني دينها لين هين مقبول، مطاط، ويمط حسب الأهواء الأمريكية! مثل ما قالوا: يكون القائد الحاكم ليناً ليس منغلقاً متقوقعاً أصولياً جامداً، لازم أن يكون مرناً وعنده فتوى مشين، يعني آلة الفتوى، يضغط عليها تخرج فتوى عن تحديد النسل، وفتوى عن الربا، هكذا مثلما تضغط وتخرج بيبسي وميراندا وما إلى ذلك تخرج فتاوى مثل فتاوى عن الجهاد.

عزل القضية الأفغانية، إعادتها قضية قومية محلية، قطع الصله بين قلوب المسلمين وبين القضية، منع مساعدات المحسنين، إحكام الطوق حول أفغانستان، خنق الجهاد، منع الدول المحيطة أن تسمح لهم بنفس أو تساعدهم، الدول المحيطة بأفغانستان كلها تمشي في المخطط الغربي، حتى أتوهم بحاكم تركيا حتى يقنعهم يلينوا أو يستلينوا، فجلسوا معه، قال لهم كيف حالكم -هذا حاكم تركيا -؟ قال يونس خالص الحمد لله نحن بخير، نحن عندنا الكتاب والسنة وليس عندنا كتاب أخضر نحكم فيه، هذه واحدة، والمرأة لا يجوز لها أن تحكم عندنا هذه الثانية (ضربتين لدولتين)، الثالث نحن لا نحرم الفتيات أن يدخلن لابسات كما تفعل بعض الدول (وهو يعنيه)، هذا الرجل جاء ليهاجم صار يدافع عن نفسه، قال: نحن لا نسمح لأحد أن يتدخل بنا، قالوا صحيح ونحن لا نسمح لأحد أن يتدخل بنا.

فهم نموذج شديد في عالم السياسة، غرباء، تشويه! وأنا والله متعجب أن بعض الصحف في العالم العربي هكذا، (ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر)، لا ينقلون عن الجهاد إلا كل سيئة، مآثر الجهاد لا ينقلونها، خلافات، حرب أهليه، دماء، حكمتيار، سياف، رباني إلى آخره.

والله يا إخوان! لا أدري هؤلاء لماذا يكرهون الأفغان؟! أنا أعلم أنهم يكرهون الاسلام ولا يستطيعون أن يصرحوا بكراهيتهم للاسلام وبكراهيتهم لانتصار الإسلام، فيريدون أن يحاربوا الإسلام من خلال الرموز القوية البارزة، وكراهية انتصار الأفغان المجاهدين على الشيوعيين الأفغان كفر يخرج من الملة، الذي يحب أن ينتصر نجيب على المجاهدين ليس مسلماً أبدا، لأنه يكره أن ينتصر الإسلام، ويحب أن ينتصر الكفر، ويحب أن يسود الشرك، وهذا ليس مسلماً، وليس داخلاً فى دين الله، والناس الذين يكتبون عن سلبيات وسيئات الجهاد الأفغاني هؤلاء واحد من اثنين: إما أن يكونوا حاقدين وهم عالمون

(وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) (النمل: ١٤)

هؤلاء لينتظروا نقمة رب العالمين منهم بأنفسهم وأموالهم ونسائهم وأولادهم، لينتظروا.

يغـي وللبـغي سـهام تنتظـر | *أنته فـي أيدي المنايا والقـدر*
سهام أيدي القانتات في السـحر | *يرمين عن قوس لـها الليـل وتر*

ليتنظر هؤلاء دعوات الثكالى الأفغانيات اللواتي فقدن أولادهن في داخل المعركة، أكثر من ثلاثمائة ألف أرملة، خلف الجهاد أكثر من مليون ونصف المليون من الشهداء، أكثر من مليون يتيم، أكثر من مائتي ألف معوق ومشوه، ليكف هؤلاء الصحفيون الذين يتسلون بآنات الثكالى وآهات الأيامي وكلوم المكلومين، ليأتوا إلى بيشاور وليدخلوا الخيام ليروا أن كل خيمة هي عبارة عن ميتم ومأتم في وقت واحد، ادخلوا الخيام لتجد مجموعة من الأرامل واليتامى والمعوقين والمشوهين، الآن كل واحد من الأفغان يدخل بيته مدمراً، انتهى، هاجر، وضع أهله في خيمة، الخيمة هذه فيها عشرون طفلاً، هؤلاء أولاد أخي، وهؤلاء أولاده الصغار، وهؤلاء أولاد أخته، وهذه أخته التي طارت عينها، وهذه أمه المشلولة، وهذه بنته التي احترقت في النابالم، ومع ذلك اليساريون يتسلون بعذاب هؤلاء، ليتهم وقفوا كما كانوا واقفين مع فيتنام الشيوعية، كانت صحفنا يومياً تدافع عن فيتنام وتهاجم الأمريكان، هل الفيتناميون الشيوعيون أقرب إلى قلوبكم يا من تسمون بأسماء أحمد ومحمد وعمر وعثمان؟! الشيوعيون الفيتناميون أقرب إلى قلوبكم من عمر وبكر وعلي الذين من أفغانستان؟! أي دين أنتم الذي تتعبدون الله فيه؟ في أي دين أنتم؟ أفصحوا عن دينكم! هل أنتم في دين لينين أم في دين محمد بن عبدالله ﷺ؟!.

يتسلون، الأمريكان.. والخطة الأمريكية.. والسياسية الامريكية، وهكذا تريد (C.I.A) وما إلى ذلك، تعالوا وانظروا.

بعيني هاتين دخلت وادي بنجشير واد من الأودية بعد أن مشطه الروس مرتين، مشطه الروس مرتين من الآليات المدمرة والسيارات حطمة والمدرعات التي طارت أجزاؤها، لقد رأيت بعيني هاتين خمسمائة إلى ألف آلية مدمرة على جانبي الطريق بعد أن نظف الوادي تين، هي حرب عالمية، وشباب والله تستحي أن تنظر في وجوههم، رجولة وعزة وإباء، ولكن لسان كل واحد منهم يقول:

وحيـد من الخـلان فـي كل بلـدة | *إذا عظم المقصود قل المسـاعـد*
على قدر أهل العزم تأتي العزائـم | *وتأتي على قدر الكـرام مـكـارم*
ويعظم في عين الصغير صغيرهـا | *ويصغر في عين العظيم العظائـم*

شباب والله، والله مسعود هذا قالوا لي: ما رأيك في مسعود وفي حكمتيار؟ قلت لهم ماذا؟ قالوا حكمتيار سفاك دماء وما إلى ذلك، مرتبط بفرنسا وبالغرب وما إلى ذلك، قلت لهم: والله عبدالله عزام أقل من أن يحكم على حكمتيار ومسعود، أنتم تريدون ما أحسه أعماقي؟ أنا أشعر بالشرف العظيم عندما يسمح لي مسعود أو حكمتيار أن أجلس بجانبهم لأنهم صنعوا التاريخ، وأنا كتبت ما وه من التاريخ.

تعالوا انظروا ماذا فعلوا في داخل أفغانستان، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل ذووه.

عندما ترى المعاقل التي كانوا يعيشون بها في قمم الجبال تعجب، هل يستطيع بشر أن يعيش فيها ستة أشهر متتالية رات تخرج يومياً من ترمذ من الاتحاد السوفياتي من بجرام من خواجه رواش، من مطار كابل من بغلان (كيلكي) تقصف بنشير؟! كانت الطائرات تمر فوق بروان وكابيسا أهل بروان وكابيسا يبكون على أهل بنشير، ستة أشهر وهم لا يستطيعون أن يستقروا مكان، يحملون كيس اللوبيا ومعهم طنجرة -قدر- كل وقت لا يجدون إلا ما يسلقون به اللوبيا ويأكلونها مسلوقه فقط، وهم ماذا ؟ معارك الكوماندوز مستمرة، يخرجون فوق الجبل ينزل عليهم الكوماندوز، معركة، ينزلون أسفل الوادي تنزل عليهم فرق أخرى ماندوز، ثم يتحركون إلى الجبل الآخر، الكوماندوز يلاحقهم، وهكذا، في قمم الجبال الثلوج تكسو المنطقة، لا يجدون لا طير، لا لا حيوان إلا الكماندوز..

أأطرح المجد عن كتفي وأطلبـه | *وأترك الغيث في غمدي وأنتجـع*
والمشـرفية لا زالـت مشـرفـة | *دواء كل كـريم أو هـي الوجـع*

أيت أين يعيش هؤلاء.. سنتين، ثلاثاً بين الثلوج في غرف.. الإنس لا يأتيها، طبعاً الإنس لا يمكن أن يأتيها، الجن يمكن أن يمر لمنطقة، والله قطاع الطرق يخافون المناطق، هكذا قابعون، وروسيا تبحث عنهم، أين هم؟ وتحصل الإنزالات عليهم، ومرة مسعود غرفة تعجبت كيف هذا يعيش فيها سنتين، ليس معقولاً إنسان عادي يستطيع أن يعيش في هذا المكان سنتين، والروس أين ذهب مسعود، وحوله سريتان صغيرتان مكونتان من خمسة وأربعين شخصاً على بعد ثلاث كيلو مترات، وهو في غرفة في بل وتحته منحدر، وتحته نقب لا يسكنها ساكن، بحث الروس طويلاً طويلاً طويلاً وأخيراً حددوا مكانه، ستة عشر يوماً تضرب، قال للسريتين لا تضربوا طلقة واحدة، بعد ستة عشر يوماً أيقنوا أن المنطقة ما فيها مقاومة جوية، اليوم السادس سابع عشر، جاءت طائرتا هلكبتر في الصباح خمس أو عشر دقائق، قال مسعود لشاب بجانبه - شاب جزائري يلازمه

ه عبدالله أنس – قال له: اليوم الهجوم ونزول الكوماندوز، والهجوم سيكون بعد نصف ساعة إلى ساعة.

بعد أربعين دقيقة، جاءت خمس وأربعون طائرة، هم خمسة وأربعون شخصاً، كل طائرة مقابلها إنسان، اتصل به من قمة الجبل، ت الطائرات ترمي؟ قال لا، نزلت الطائرات ترمي؟ لا، فتحت الطائرات أبوابها بدأ الجنود ينزلون ترمي؟ قال بسم الله إرم، بسم الله ، اكبر، وبالآربي جي، يفاجأون، أول دقيقتين نزلت طائرتان، اتصل به شاب من المجاهدين، لكن مجاهدين يشرحون الصدر، يقولون تربية لا تتم هناك، إنما تتم من خلال قراءة الكتب ومن خلال ومن خلال.. هناك التربية، هناك تعرى الفطرة إلى الله عز وجل، أقرب ما ون العبد هناك إلى ربه، والدنيا كلها تهون عليك، اتصل به شاب قال: أمامي واحد مقطوع الرجل منهم بجانبه حقيبة قال: ازحف إليه خذ الحقيبة، فتح الحقيبة وإذا به قائد المعركة، وإذا في الحقيبة خطة المعركة، فخسروا نصف المعركة لأن الخطة كشفت وقائدها قتل. ادت الطائرات، قالوا ماذا نصنع؟ قال: إلزموا أماكنكم لم تنته المعركة بعد –هو شاب ما شاء الله، نرجو الله أن يحفظه ذخراً أفغانستان وللأمة الإسلامية.. نرجو الله– الزموا أماكنكم سيرجعون، رجعت ستون طائرة، حامت حامت ثم ذهبت ما ضربت، ماذا نفعل؟ لزموا أماكنكم لم تنته المعركة.

ورجعت خمس وأربعون طائرة، وبدأت المعركة مواجهة.. الطائرة مقابلها الشاب، هو حامل الرشاش وهي رشاشاتها ومدافعها وقاذفاتها، استمرت المعركة، أسقطوا ثماني طائرات، قتلوا مائة وستين إلى مائتي روسي، كلهم روس ما فيهم أفغان، وأسقطوا ثلاث طائرات جت، يعني إحدى عشرة طائرة، ما سقطت شعرة من وجه مجاهد.

أي كرامة هذه؟ أي معجزة؟ والمعجزة الكبرى هي انتصار الأفغان على الروس، أكبر معجزة في القرون الثلاثة رغم أنوف الحاقدين هي قضية أفغانستان، وأكثر ما يحزنني أن هذه البطولات لن تجد أقلاماً صادقة تسطرها، ولن تجد أفواهاً صادقة تنقلها، حتى تكون غذاء للأجيال عبر قرون قادمة تربى عليها.

لماذا نصر فقط أن نضرب أمثلة البطولة من ساداتنا الصحابة رضوان الله عليهم؟! هل عقمت الأمة الإسلامية أن تبرز نماذج جديدة تسير على أثر أولئك السادة؟! هل أجدبت الأرض الإسلامية أن تخرج أفذاذاً يصبحون نماذج على الطريق؟! والنماذج كلما كانت حية كلما كان تأثيرها في النفوس أعمق، ودفعها للأجيال أشد وأقوى.

الآن ما هو وضع أفغانستان؟ الصحافة العربية التي تنقل عن الصحافة الغربية– طبعاً ليست الصحافة كلها إلا من رحم الله وقليل ما هم– تريد أن تركز أن المجاهدين أضعف من حكومة نجيب، والدليل على ذلك وهم يسلطون الأضواء على أبواب جلال أباد، انظروا لقد تجمد المجاهدون على أبواب جلال أباد، وهذا دليل على ضعفهم، وأنهم لم يستطيعوا أن يفتحوا مدينة واحدة، تعال معي يا أخي حتى أركبك في سيارة في الصباح من بيشاور لأنزل معك بعد المغرب على أبواب كابل في خورد كابل، تفضل تعال شم الهواء سياحة (سياحة أمتي الجهاد) والتذكرة على حسابك أنا لا أستطيع، تفضل، زوروا، تعالوا معي لتنظروا هذا نجيب الذي تريدون أن تثبتوا أنه حي، أنه لا زال قوياً، الرجل المريض الذي يعيش فوق سرير، ولكن الأضواء مسلطة على المجاهدين، لا تسلط على الرجل الذي يعيش بالحقن ريثما يجدون البديل له، بالله عليكم كيف يمكن لحكومة أن تعيش بلا طرق جوية ولا برية؟! كيف يمكن لعاصمة تعيش تحت رحمة النيران صباح مساء؟ المجاهدون يحيطون بكل المدن على الإطلاق في داخل أفغانستان إحاطة السوار بالمعصم، كابل طريقها وشريان حياتها الذي يربطها بروسيا مغلق، منذ أواسط أغسطس حتى الآن وهم يحاولون أن يوصلوا سيارات غذاء من خلال طريق سالنج البرية، يعني من خلال طريق حيرتان سالنج كابل، حيرتان على حدود روسيا، يريدون أن يوصلوا الغذاء وهم يفشلون، الآن معارك على أشدها، تحاول ألف ناقلة أن تمشي في الطريق لا تستطيع، وأنتم لا تستطيعون أن تستوعبوا وتدركوا ما أدركه من المتاعب والمشقة التي يتحملها المجاهدون في إغلاق الطريق، هل تعلم ما معنى إغلاق الطريق؟ إغلاق الطريق أن يقف المجاهدون على جانبي الطريق يحمل كل واحد منهم مدفع الآر بي جي ينتظر الدبابة حتى تقترب منه على بعد مائة متر ويحطمها، ماذا سبق هذه الدبابة؟ الطائرات تمشط الأرض صباح مساء، ليل نهار، تحرق الأخضر واليابس.

كابل تقذف من داخلها صواريخ سكود، الصاروخ وزنه خمسة أطنان ونصف يحرق ويدمر دائرة قطرها كيلومتراً، طوله أحدعشر متراً، الصواريخ تنزل عليهم، الطائرات ترمي، مدفعية الميدان ترمي، وبعد أن يدركوا أنه لم يبق في المنطقة إنس ولا جان، الجن يهربون، سكن الجن لا يهربون الله أعلم، أما الإنس، الشجر، الحيوانات، والله يا إخوان الخيل، الخيل تجدها محتمية بجذع شجرة تبكي من المعركة، الكلاب تبكي، في هذا الجو كله يقف المجاهدون وينتظرون الدبابات وهي ماشية ترش من كل الجهات، ومع ذلك يقطعون

جن هؤلاء؟! وفعلاً الروس وصل بهم الحد أن يعتقدوا أن هؤلاء ليسوا بشراً، أحياناً يقصفون المنطقة يدمرونها، تدمرها
ات، تقول الدبابات تقدمي، تقدمي واحتلي،ترد: الأفغان لا يموتون، الأفغان شياطين يخرجون من تحت الأرض، وفعلاً عندما تتقدم
ا-يخرج هؤلاء من خنادقهم ويحطمون الدبابات، تتعود للطائرات تقول ألم نقل لكم أن الأفغان لا يموتون؟!
ناس طلبوا الموت فوهبت لهم الحياة، ويظن بعض الناس أن نصرة الاسلام وأن إقامة دين الله في الأرض أمر هكذا بالدراسة
لابة وبغير ذلك.

(أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا
يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب) (البقرة: ٢١٤)

ولا يبني الممالك كالضحايا ... ولا يدني الحقوق ولا يحق
وللحرية الحمراء باب ... بكل يد مضرجة يدق
ففي القتلى لأجيال حياة ... وفي الأسرى فدى لهم وعتق

: يمكن أن ينتصر الاسلام بدون جهاد طويل، بدون أجساد وطحن عظام ولحوم، طحنوا، الأفغان طحنوا طحناً، طحنوا طحناً
إخوان، يعجب الإنسان كيف صبروا على هذا الحال! ومع ذلك الآن على أبواب كابل والثلوج تتنزل عليهم وليس عندهم أكياس
، عندهم طحين، والله إن نجيب يرسل الرسالة تلو الرسالة لقائد بدوي أمي -شبه أمي- اسمه شير علم في بغمان، الرسالة تلو
صدقوا يا إخوان قبل فترة رأيته في بيشاور، يا شير علم كيف تركت جبهة بغمان؟ ألم تعلم أن الدولة تعد العدة لاقتحامها؟ قال
بدالله! مات الطحين وأنا أجلس هناك، فقط أمن لنا الطحين، خبز، نعم ليس عندهم خبزاً ومع ذلك، مع كل هذه التضحيات..

فتلك ربوعهم بالدافق المور تغتسل ... وتلك جماجم الأطفال تسحق وهي تبتهل
وأعراض النساء بها يعيث الملحد الثمل ... فما ذل الإباء بهم وما احتفى بهم فشل

شمرون، مستمرون، لن نقف، لن نلقي السلاح وإن تكالبت الدنيا علينا حتى ينتصر هذا الجهاد وتقوم دولة الإسلام، هكذا

ماذا يريدون؟ فهم يريدون كل شيء، عار على أمة مسلمة أن لا تزود من صنع تاريخها بالطعام، كل الأمة المسلمة الآن آثمة
ة المجاهدين، فرض على الأمة المسلمة أن تسد حاجة المجاهدين، خاصة في الأماكن التي يستطيعون إيصال المساعدات لهم،
، في أفغانستان.
، ابن تيمية: قوم جياع إن أطعموا تضرر الجهاد، وإن أعطي الجهاد مات الجياع؟ قال أعطوا الجهاد وليمت الجياع، فعلى
نتركهم لأنها حرب أهلية؟ لأن سيد جمال قتل خمسة من جماعة مسعود؟ أنت تريد من شعب يحمل مليون منه السلاح أن لا
م خلافات؟ فيهم المتنفع، وفيهم المرتشي، وفيهم السارق، وفيهم قاطع الطريق، وفيهم وفيهم: تريد أن لا يحصل مشاكل؟! إذا
؟ فابحث عن هذا المجتمع في السماء وليس في الأرض، سيحصل مشاكل، وستبقى المشاكل مستمرة، ليست هنالك حكومة
ك البلد بقبضتها، ليس هنالك سلطة الآن تضم هذه الولايات كلها بيدها. ستحصل مشاكل، ستحصل خلافات، لكن الراية
ا-ستمر، وكل واحد منهم، يقول:
د إلا الإسلام، نريد أن نقيم دين الله في الأرض، رايتنا لا إله إلا الله، نعتبر الغرب كالشرق، لا نريد أن تخرج روسيا وتبقى

كله واضح في أذهانهم، بعد ذلك خلافات بسيطة، في داخل العائلة بين أبنائها تحصل خلافات، لا بد أن نزودهم بالطعام،
ذاء، بالغذاء، وهذا سهل، كل واحد منكم يحسب أن أحد المجاهدين زاره في بيته في الأسبوع مرة، فعمل له غداء، فبدل
لجهاد، يحسب أن زوجته ولدت ولداً أو عنده بنت صغيرة، بقدر ما تنفق على ابنتك التي في الصف الأول الابتدائي، بقدر
ميد لابنتك أرسل ثمنه طعاماً لمن صنعوا التاريخ في الأرض، صنعوا تاريخ الاسلام من جديد.
ل فلسطين فليطمئنوا، أفغانستان ليست ضرة لفلسطين، أفغانستان وأهلها يدعون في خنادقهم، الشاب العربي في
لشاب في الخندق قرب كابل الأخ أبا عبدالله قال اللهم ارزقنا الشهادة -القصف مستمر- وإذا بالأفغاني يلكزه بجانبه،
نا فينا وارزقنا الشهادة في بيت المقدس، الأفغاني يذكره، هو عربي، كثير منهم يقولون اللهم حرر على أيدينا كابل، ولا
بت المقدس، يقولون قضيتنا الأولى هي قضية فلسطين، لكن دهتنا الدواهي ونزلت فينا الرزايا والبلايا فأشغلتنا عن

قضيتنا الأولى.

عندما حصل الاعتداء على لبنان سياف كان في العمرة سنة ٨٢، أرسل إلى مندوب المنظمة، قال له: يا أخي أنا أريد أن أرسل كتيبة أفغانية لتدافع عن المسلمين الفلسطينيين في لبنان، لكن لي شرط واحد، إما أن ترفعوا راية لا إله إلا الله فوق رؤس الأفغان فقط، أو تفردوا قطعة أرض صغيرة في أرض لبنان يقاتلوا منها، قال خفت إذا قعدوا بجنب بعض العلمانيين واليساريين وما إلى ذلك وسمعوا سب الدين يقتلونهم قبل اليهود! نعم! الأفغان إذا سمعوا سب الدين ما عنده مزاح، فقال له: أنا إن شاء الله استشير القيادة وأرد لك الجواب، لا زال سياف حتى الآن ينتظر رد الجواب.

كم وقفوا ضد القضية الأفغانية في كل المحافل الدولية، ما وقف إخواننا الفلسطينيون مرة واحدة طيلة أحد عشر عاماً بجانب القضية الأفغانية، وما خذل الأفغان قضية فلسطين مرة واحدة، يوم مؤتمر الطائف الإسلامي، عندما قرر الجميع أن يلقي سياف كلمة أفغانستان المعترض الوحيد هو مندوب المنظمة، قال كلمة أفغانستان يلقيها رجل من الدولة الأفغانية، وأرجو أن لا نتسرع في إغضاب الاتحاد السوفياتي الشقيق، فسياف ألقى كلمته، وعندما تكلم عن قضية أفغانستان قرع على الطاولة، قال لهم اشهدوا جميعاً أننا إن شاء الله بعد تحرير كابل سنتجه إلى بيت المقدس، ولا يهمنا بعض المواقف المتخاذلة لإخواننا الفلسطينيين.

بعد المؤتمر أرسل إليه نريد أن نراك، قال سياف: لا أريد أن أراه، قال نريد أن نراك حتى نزيل سوء التفاهم، قال لا أريد أن أراكم، ليس بيننا سوء تفاهم، عندكم سوء فهم، صححوا فهمكم نلتقي في الطريق، ولذلك في آخر الزمان بعد أن هزمت روسيا وبعد أن وقف نجيب الآن يرجو الدنيا كلها أن تتوسطوا لتنقذه، جاءوا يتوسطون بين المجاهدين الأفغان وبين نجيب، قال المجاهدون الأفغان للأسف أنتم لا تصلحون للوساطة لأنكم طرف، منذ البداية واقفون مع الشيوعيين.

والدي عمره تسعون عاماً، هو معي هناك آخذه إلى معسكرات التدريب إلى الحدود، تتدرب على الكلاشينكوف وعلى البيكا وعلى الديكتريوف؟ قال لا، بندقية انكليزية التي حاربت بها في الحرب العالمية الأولى مع تركيا، وحاربت بها سنة ١٩٣٦م، بندقية إنكليزية، قال له سياف: هذه على حسابي، قال أبي لسياف مد يدك يا سياف بايع عاهد، قال أعاهد على أي شيء؟ قال أن تنتقل إلى بيت المقدس، قال أعاهدك أن أنتقل إلى بيت المقدس.

ذهب إلى حكمتيار، عاهد يا حكمتيار! على أي شيء؟ قال له: أن تنتقل إلى فلسطين، قال: أعاهدك أن ننتقل إلى فلسطين.

لرباني، ليونس خالص، لجلال الدين حقاني، كل ما وجد واحداً من هؤلاء القادة يأخذ عليه العهد أن ينتقل إلى بيت المقدس.

والله مرة كنا في معسكر التدريب وصارت معركة في داخل أفغانستان، قلت: يا أبي أنا أريد أن أذهب إلى المعركة، فبكى، ما الفائدة؟ جئت بي هنا بعد أن خارت القوى ووهن العزم، من أين نرزق الشهادة؟! فأبناء فلسطين هنا عمره تسعون سنة عقله في فلسطين، الآن هو في فلسطين، ذهب يزور إخواني واخواتي، الشباب كيف ينسون فلسطين؟ أبناء فلسطين الذين جاءوا هنا كيف ينسون فلسطين؟ لا ذكرنا الله إن لم نذكر فلسطين، وهل الثكلى كالمستأجرة؟ والناس يعيبون علينا لماذا تأخذ الشباب إلى أفغانستان؟ ولا أدري ماذا فعل الناس الجالسون هنا أو هناك لفلسطين! يكفي أننا أخذنا الشباب الفلسطيني ربيناه وصقلنا روحه، وأشرقت نفسه، وتدربوا ودخلوا معارك، وكسر حاجز الخوف، وبنيت عقيدة التوكل، وتحرروا من الخوف على الحياة، يكفي أننا أوصلناهم إلى هذه المرحلة، هؤلاء عملة صعبة وكنز مدخر لفلسطين، هؤلاء نواة إرجاع فلسطين إن شاء رب العالمين.

أما الذين يلوموننا لأننا ذهبنا هناك فليتهم يقولون لي ماذا يفعلون لفلسطين؟ وماذا قدموا لفلسطين؟! وأنا قادم قال لي أحد الشباب: قلت لوالدي أريد أن أذهب إلى أفغانستان، قال: يا بني أنت فلسطيني ما الذي يرسلك إلى أفغانستان؟! إذهب إلى فلسطين! أبوه قال له اذهب إلى فلسطين، قال بعد فترة جئت لوالدي قلت قررت أن أذهب إلى فلسطين، قال يا بني اقعد، هو لا يريد أن يذهب إلى فلسطين، ولا يريد أن يذهب إلى أفغانستان، لكن إذا أراد أن يذهب إلى أفغانستان يضرب لكم مثلاً بفلسطين، هذه فلسطين أقرب، وهو يعلم أن ابنه لا يستطيع أن يدخل الأردن فضلاً عن أن يدخل فلسطين، فقط واعده للاعتراض.

وهؤلاء الشباب في أفغانستان كم من الشباب تنير قبورهم في الليل ممن استشهدوا في أفغانستان؟ كم من الشباب دماؤهم أزكى من رائحة المسك؟ أكثر من نصف الشباب الذين نقلناهم من العزب إلى بيشاور رائحة دماؤهم كالمسك، والله يا إخوان! شاب اسمه سعد الرشود من منطقة الرياض والقصيم ما رأيت.. يعني شاب صغير، وكان في الجيش السعودي، وجاء بعد أن أخذ إجازة ودخل أفغانستان، كنت عندما أجلس معه رغم أنه صغير أستصغر نفسي أمام همته وأمام عزته، متزوج..

قلت له نرسل مبلغاً لأهلك؟! قال: عندهم ما يكفيهم ولا نريد أن نتوسع في الدنيا، نرسل لأهلك ليأتوا؟ قال: دعهم يجاهدوا بالصبر على فراقنا، يدخلون معركة في ننجرهار، عبدالوهاب بن صالح الردة الغامدي، وسعد الرشود وآخر اسمه عبدالصمد الجزائري،

ير من الشهداء كانوا يرون أنفسهم مع الحور العين قبل أن يستشهدوا بليلة، أو يراهم غيرهم معهم، ولذلك بعضهم يغتسل ويلبس حسن ثيابه استقبالاً للموت. حصلت المعركة، نزلت قذيفة هاون على عبدالوهاب وعلى سعد الرشود، استشهدا، بعد (١٨) ساعة تطاع الأفغان أن يدخلوا إلى الخندق الذي هم فيه، -لأنهم قريبون جداً من العدو-، ويحملونهم.

قال لي عبدالمتين القائد الأفغاني، قال: والله عندما حملنا سعد الرشود اهتزت الأرض تحت أقدامنا، وجئنا به ووضعناه، وجاء خ أفغاني يقرأ القرآن فوق رؤسنا، وإذا بسعد الرشود يرتجف من خشية القرآن كأنما هو حي ينتفض خوفاً من الله عز وجل، ودفن ر وعبدالوهاب بجانب بعضهما البعض، وبدأ النور يخرج من قبريهما ليلة الاثنين وليلة الخميس، أيام الصيام التي ترتفع فيها مال إلى الله، وبدأ الأفغان يحدثون، ولم يصدق العرب حتى ذهبوا ورأوا بأنفسهم النور الذي يصعد إلى السماء من قبريهما.

كم من الشجاعة؟ هشام الديلمي اليمني عمره ثمانية عشر عاماً -ابن الدكتور عبدالوهاب الديلمي- يستشهد، دمه كالمسك، سهد وأبو زكريا الفلسطيني مع بعضهما بقذيفة واحدة في مأسدة الانصار، ويدفنان مكانهما، والنور يصعد من مكانهما إلى السماء ريهما، وأكثر ما يلاحظ أن النور يخرج أيام الإثنين والخميس.

عبدالله الغامدي التكبير بقي سنة ونصف يخرج من قبره، عمره ثمانية عشر عاماً.

... الكردي قطعت رجله، انبعج بطنه، اندلقت أمعاؤه، جاء الدكتور صالح الليبي يلف أمعاءه ويدخلها إلى بطنه، يلفها ببطانية، عيناه، قال ما بالك يا دكتور صالح، إصابة بسيطة، هي جروح بسيطة في ظهر يدي، لقي الله ولم يدر أن رجله طارت، وأن بطنه وأن أمعاءه مندلقة، لا يحس بالألم إلا بالجروح البسيطة في ظهر يده.

وهكذا، هكذا دواليك، هكذا يحيى سنيور يستشهد، نأتي به إلى بيشاور، يشهد جنازته مصور من فنزويلا، بعثة إعلامية من وزارة فنزويلا نصرانياً، يرجع إلى فنزويلا يقول: لقد شممت رائحة المسك من دم شهيد من الشهداء، بقيت الغرفة التي سجي فيها ل المستشفى، مر أسبوع كامل يفوح المسك في كل المستشفى كلما فتحت الغرفة.

حدثني زوج ابنتي قال: كانت سيارة الإسعاف تحمل جثة يحيى على بعد نصف كيلو إلى كيلومتر وأنا في سيارتي ورائحة بق في أنفي.

محمد ياسر مساعد سياف إلى القبر ليضعه ووجهه إلى القبلة، ولشدة رائحة العطر وتأثيره على دماغه كاد يدوخ ويسقط.

كمل ابنتي القصة قالت: رجع محمد، فقلت له نريد أن نزور عائلة من العائلات العربية في بيشاور، وخرجت أنا وجارتي، فرأيت لأ جو السيارة، فقلت في نفسي هذه الجارة لا تستحيي من الله، وكتمت غيظي حتى نزلنا، ثم انطلقت في وجهها مبكتة مؤنبة تعلمين أنه: **(أيما امرأة تعطرت وخرجت فهي زانية)**، قالت رويدك، والله ما مسست عطراً هذا اليوم، قالت وأنا ما طر، يا محمد من أين هذا العطر الذي يملأ جو السيارة، قال والله ما مسست العطر ولكني شيعت جنازة يحيى.

الهلال الاحمر السعودي وائل جليدان، كتاب نثر شيء من دم يحيى عليه، بعد أسبوعين زار جدة ليشم أهله رائحة دم ابنهم طمئنوا إلى الشهادة، بعد ثلاثة اسابيع من استشهاد فوزي الجزائري في شكردرة بأتوني بقطعة قماش قد أصابتها بعض ، واخذتها للعائلة لتشمها، ثم أخذت إلى الجزائر لأهله ليشموا رائحة دم ابنهم.

ر الحربي من السعودية جئنا به من جلال أباد وضعناه في غرفة في بيت الضيافة مغلقة، نافذة من نوافذها مفتوحة، نزل والشباب يقفون على الشباك حتى يشموا رائحة العطر، شباب والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ظل أرجلهم، أنضاء عبادة وأطلاح سهر، وقد نظر الله إليهم في جوف الليل، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مر الجنة بكى شوقاً إليها، وكلما مر أحدهم بذكر النار زفر زفرة كأنما جحيم جهنم بين أذنيه، موصول كلالهم بكلالهم، كلال نهار، وكم من عين في منقار طير طالما بكى صاحبها في جوف الليل من خشية الله.

بدالله المصري، فقدناه يوم عيد الفطر سنة ١٤٠٧هـ في أول شوال، ظننا أنه أسر، وجدنا جثته في الثاني من ذي القعدة ة للهواء والشمس ولم تتغير.

لا تسأل عن الكرامات التي حصلت معهم، وأنا أحدثكم كرامة واحدة من الكرامات التي حصلت مع الدكتور مياجل، كان من أبناء الحركة الأوائل، طبيب... ولشدة غيظ الشيوعيين عليه جاء زعيم الشيوعيين مع المليشيا مع كتائبه لينتقم منه وهو ميت، فجاء ليركله بقدمه، عندما رفع قدمه ليركله شلت قدمه، جاء الشيوعيون - وهو عديل محمد ياسر مساعد ثني بهذا سائق محمد ياسر وكان أحد جنود الدكتور مياجل-، قال جاء الشيوعيون ليربطوه بالسيارة وليطوفوا على

ولاية بغلان ليثبتوا لهم أنه مات مياجل وأنه قتل. عندما جاؤوا ليأخذوه ليربطوه بالسيارة كلما اقتربوا منه صاح بهم، هو ميت استشهد، هو ليس ميتاً، (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أمواتاً بل أحياء ولكن لا تشعرون)، هو استشهد، كلما اقترب منه الشيوعيون صاح بهم، اعطوني سلاحي، يفر الشيوعيون منه، مرة مرتين ثلاثاً، عندما الشيوعيون وقفوا مبهورين، وذهبوا واشتروا كفناً ثميناً جميلاً وقالوا للكبار من القوم خذوا هذا وكفنوا مياجل، لن تغلبوا ما دام فيكم أمثال هؤلاء، ودفن مياجل.

وبدأ التكبير يخرج من قبره، وبكته نساء القبيلة، وماذا على نساء القبيلة أن يسفحن دموعهن على أمثال مياجل، زعيم قومه، قائد ولايته، قائد محافظة وولاية بكاملها، من أبناء الحركة الاسلامية الأوائل، أطهر من ماء المزن النازل من السماء، وهكذا غاب فجأة عن أنظارنا، قام أخوه من الليل يدعو الله عز وجل، اللهم إن كان أخي شهيداً فأرني له آية! الدنيا ليل، وإذا بشيء يسقط، ويضيء مصباحاً وإذا بها باقة ورد لا نظير لها في الأرض، ذات رائحة عبقة، قالوا أيقظوا محمد ياسر حتى يشم الرائحة، وأيقظ إخوانه وأخواته وقال انظروا، هذه كرامة ودليل أن أخانا شهيد.

قالو الساعة الثانية ليلاً ضعوها في القرآن إلى الصباح حتى يستيقظ محمد ياسر ويشمها، وفي الصباح فتحوا المصحف فلم يجدوا الباقة، في نفس اليوم زرته، منطقة ليس فيها عرق عشب فضلاً على أن يكون فيها أزهار، دخلت، قال محمد ياسر تعال أحدثك ما جرى من الكرامات في الليلة الماضية.

يا أيها الإخوة: لا تغضبوا من الشباب الذين يذهبون إلى أفغانستان، إنما أفغانستان مصانع للرجال، يذهبون بأحلام الأطفال ويعودون إليكم بعقول الرجال، ناضجة نفوسهم، كبيرة آمالهم، قوية عزائمهم، صافية أرواحهم، مشرقة نفوسهم، وأرجو الله أن يتقبل منا أجمعين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.(١)

الأسئلة

السؤال الأول: هل بدأ المجاهدون بإعداد جيش يقاوم الشيوعيين ويكون على مستوى المرحلة الحالية من فتح المدن وإدارة البلاد؟

الشيخ: مسعود بدأ يعد جيشاً منذ سنة ونصف، نرجو الله أن يبارك فيه، وهو يريد أن يعد جيشاً من اثني عشر ألفاً، ولن تغلب اثنا عشر ألفاً من قلة، إلى الآن أعد حوالي عشر كتائب، لكن هو في طور البناء، يعني كتائب بداية، نرجو الله أن يعينه، في الحقيقة هذا الشاب تفرد في داخل أفغانستان، يعني مسعود يعتبر أول مدرسة إسلامية لحرب العصابات في التاريخ الإسلامي، ليس لنا في التاريخ الإسلامي كله مدرسة متكاملة لحرب العصابات سوى هذا الشاب ومن حوله، شاب كان يدرس الهندسة، منظم، عقله منظم، درس التجارب البشرية، فيتنام، كاسترو، جيفارا، ماو، هوشي منه، كيف عملوا حرب التحرير، وكان يطبق، يطبق ونجح، الله عز وجل وفقه توفيقاً لا نظير له.

طبقه على الوادي الذي هو فيه -وادي بنجشير- نجح، انتقل إلى الشمال صار يطبق شيئاً فشيئاً الحمد لله الآن بيده عشر ولايات في الشمال، عنده أكثر من مائتي قائد يتبعون له، وهم جميعاً تابعون له الآن.

حكمتيار كذلك بدأ يكون كتائب، جيش، أرجو الله عز وجل كذلك له التوفيق، وهي بداية، أرجو الله عز وجل لهم التوفيق إن شاء الله.

سؤال: ما آخر تطورات مذبحة تخار بما أنكم أحد أعضاء المحكمة التي عينتها الحكومة، حكومة المجاهدين وماذا صدر بخصوص سيد جمال؟

جواب: سيد جمال هو من السادة، قرشي، هو قرشي، والعرب في داخل أفغانستان أو القرشيون أو السادة كثيرون، هناك قبائل عربية الآن في شمال أفغانستان تتكلم اللغة العربية، لأن العرب استقروا هناك في بلخ، في فارياب فبقوا هناك.

---

(١) مقدم المحاضرة : نشكر الشيخ عبدالله عزام وجزاه الله خيراً عنا خير الجزاء، بحقيقة بعدما سمعنا من قوله وكلامه الجميل نعجز عن الكلام، واللسان يتوقف عند هذا الحد، وينفطر القلب شوقاً إلى ما هناك من جهاد.
باسم الاتحاد الوطني لدولة الكويت فرع جامعة الكويت تدعو أصحاب الأقلام التي لا تكتب لله عز وجل ولم تكتب نصرة لدين الله، تدعوهم أن يذهبوا هناك ويروا بأم أعينهم، إن كلامهم هذا إنما هو شهادة العين يوم القيامة، وإن الله سبحانه وتعالى عليم بما يقولون وبما يكتبون. أما بعد: إخواني أستسمح منكم عذراً لما جاءني منكم الكثير من الأسئلة، وأتوقع أننا لو استمرينا في هذه الاسئلة والأجوبة عليها سوف يؤذن الفجر ولن ننتهي، كثير من الأسئلة متكررة، وكثير منها ذكره الدكتور جزاه الله خيراً في محاضرته، فنرجو لا تغضبوا إذا لم نذكر بعض ما قدم لنا من

فلما قلت: مسعود حاصر المنطقة، أرسل لقادة سيد جمال أنا لا أريد أن أقاتلكم، أنا أريد أن أمسك سيد جمال، تفرق الناس من حوله، أمسك سيد جمال، وصلت المحكمة، قدم سيد جمال وخمسة من القادة للمحكمة، فقال بعض أعضاء المحكمة: نحن جئنا للإصلاح ؛ جئنا للقضاء، فهو الآن يقدمه لمحكمة له، كل منطقة فيها محكمة شرعية، الآن يتحاكمون بمحكمة شرعية أصلاً في المنطقة، كانت حكم منذ سنوات بالأحكام الشرعية، لم يقتل لا ثلاثمائة ولا ثلاثين ولا خمس عشر، طبعاً أنا كنت مع حكمتيار وذهبت إلى مسعود بعد حادثة مباشرة، وجلست مع مسعود يومين، وحققت في القضية، صار تهويل إعلامي كبير، وحتى البيانات التي خرجت من لجان أحزاب وللأسف هولوا القضية ويسبون ويتكلمون على بعضهم، وهم والله ليسوا صادقين في بياناتهم، لا هولاء ولا هؤلاء، وحكمتيار رباني ومسعود براء كما أظن من هذه القضية، بل يعتصرون ألماً، إنما هي خلاف بين قائد وقائد، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

سؤال: ما تقول في أن حكمتيار يريد الزعامة؟ ولماذا خرج من الحكومة؟ وماذا بين الشيخ رباني والمهندس حكمتيار من خلاف سبب المذبحة الأخيرة؟

جواب: هم يصرون أنها مذبحة، هم خمسة الذين قتلوا، لا بد إلا وأن تسموها مذبحة، عندكم حكومات قائمة وتقتل قاطع طريق، هؤلاء كما قلت لكم أنتم تريدون من شعب بكامله يحمل السلاح، أنتم شعوبكم لا تحمل السلاح وكل يوم البدو يقتلون واحداً أو اثنين أو ثلاثة من أولاد عمومته الذين حول الرياض الذي حول الكويت هؤلاء يأتون على الطريق العام، الطريق العام يوصل بين الرياض ، والرياض والمدينة ويقطعون الطريق ويسبون الناس ويقتلونهم رغم أنهم يدركون أن جزاءهم القتل.

قبل عدة أيام نفذوا حكم القتل في سبعة من قطاع الطريق في الرياض، فإذا كانت حكومات قائمة وفيها سجون وفيها سيوف، سلطة مركزية قوية، تقتل قاطع الطريق ويحصل هذا، تريدون من شعب بكامله يحمل السلاح ليس هناك سلطة مركزية، أن لا يحصل شيء؟ هم شعب ملائكة؟

أما رباني وحكمتيار ما دخلهم، مساكين والله، كل شيء يمسح بحكمتيار ورباني، يكون واحد تابعاً للحزب، وآخر تابعاً للجمعية، في الجمعية قتل أبا الذي في الحزب قبل ثلاثين سنة، يلقاه بالطريق فيقتله ثأراً لأبيه، فتلصق بحكمتيار ورباني، الحزب هجم على الجمعية وقتل منهم واحداً، والجمعية قتلت منهم اثنين، وهكذا، وهم منها براء براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

سؤال: ماذا عن الوفد الذي قابل ديكولار قبل فترة؟ حدثنا عن سبب هذا اللقاء، وهل الصحيح أن تطالبوا بدخول هيئة الأمم ؟ ولماذا؟

جواب: الأفغان يطالبون دخول هيئة الأمم المتحدة؟ قالوا إذا دخلت هيئة الأمم المتحدة داخل أفغانستان سنذبحهم، هكذا قالوا ، لا يخضعون لأحد أبداً، واحد مدير الهلال أظن، قال إني سألت المسؤول عن إغاثة المهاجرين، هذا مسؤول الأمم المتحدة الذي لهم الطحين، طبعاً المهاجرين تقدم لهم الأمم المتحدة عن طريق أمريكا واليابان وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الخبز والطحين، لأن يحتاجون كل يوم نصف مليون دولار ثمن خبز ثلاثة ملايين ونصف المليون لكل واحد ثلاثة أرغفة جافة ثمنها نصف مليون دولار، كيف معاملتكم مع الأفغان؟ قال كل الشعوب استطعنا أن نتعامل معها إلا الأفغان، عجزونا، الأمة التي تعطي أو الناس الذين يفرضون عليهم تعاليمهم إلا الأفغان، فهم يفرضون تعاليمهم على الذين يساعدونهم، العرب يدخلون لمساعدتهم هم يفرضون نصلي على المذهب الحنفي، وإذا لم نصل على المذهب الحنفي لا يقبلون مساعدتنا، خلاص معنى ذلك جاءوا لهدم المذهب، يرفع يديه، الذي يضع يديه على الصدر، الذي يحرك إصبعه هكذا، البي بي سي تقول لهم انتبهوا.. العرب جاءوا ليهدموا ينشروا مذهبهم ومذهبهم خارج عن المذاهب الأربعة، اسمه المذهب الوهابي! هذا علامته حركة الإصبع هكذا، ووضع اليدين در، فتح الرجلين عند الصلاة، والجهر بآمين، جلسة الاستراحة، انتبهوا!

هم يراقبون العربي شهراً كاملاً حتى تثبت براءته تماماً من هذه الوهابية والمذهب الجديد، فإذا نجح أحبوه، إذا أحبوه يحبون مائة ولا يجرح العربي، فقط يطمئنون أنه ما جاء لهدم مذهبهم، أعز شيء عند الأفغان شيئين: العرض والمذهب، وتمسكهم الحنفي هو الذي منع المد الشيعي أن يدخل أفغانستان، ما استطاع الشيعة أبداً أن يدخلوا في داخل أفغانستان، حنفي في! ولذلك نفس الشباب العرب، يا إخوان ابن تيمية، مالك، أحمد رحمهم الله، صفحة كذا رقم كذا، الجزء الثامن والعشرين صفحة (٣٦٧) الجزء الرابع والعشرين راجع صفحة (٤٩٥) حافظون الأرقام والأجزاء راجعوا الفتاوى يقولون هيئات الصلاة تترك الاختلاف بين القلوب، والإمام عليه أن يترك هيئات الصلاة التي تسبب نفور المأمومين، هكذا نصوص في الفتاوى، شيخ ، تيمية يقول هذا، بعضهم يصر: يا شيخ عبدالله! أنت تريد ان نترك السنة؟ نحن جئنا لحماية السنة! وهل أنا جئت أحارب ناء الحلال؟! نحن نوصيكم، تريدون أن تؤدوا فرض الجهاد بجانب هذا الشعب، هذا الشعب أمي لا يعرف الصلاة والدين إلا

من خلال إمام المسجد، إمام المسجد أربعين سنة ما رآه يرفع يديه، معظمهم الحمد لله بطيع، بعضهم يصر أن يطبق السنة مهما حصل.

في خوشكنبد على حدود قندهار على ضواحي قندهار دخلوا يصلون في غرفة، والقذائف والدنيا كلها، المنطقة كلها ملتهبة، دخلوا يصلون، تقدم إمام منهم قال ولا الضالين، بعض العرب قالوا آمين، الأفغان تلفتوا حولهم وجدوا باب المسجد مغلقاً بالصفوف، حملوا أحذيتهم وخرجوا من الشباك، فأقول: يعني إذا الأفغان أدركوا أنك لا تريد أن تمس لا أعراضهم ولا مذهبهم خلاص، يضعونك في قلوبهم، وهم يقولون نحن نعتبر حب العرب جزءاً من ديننا، إن حب العرب جزء من ديننا، لكن بشرطين، ولذلك الآن منذ ستة أشهر والبي بي سي والصحف الغربية تعزف على هذين الأمرين، انتبهوا من العرب جاءوا يهدمون المذهب وينشرون الوهابية، هم لا يعرفون ما هي الوهابية، يظنون أن الوهابية فرقة ضالة مثل الدروز والنصارى والنصيرية، نعم هكذا، وحتى الآن كتب في باكستان توزع وفي داخل أفغانستان من بعض المخربين والشيعة توزع أن الوهابي يبيح نكاح الأم والأخت.

سؤال: كان من المتوقع أن تهزم الحكومة الشيوعية في أفغانستان بعد انسحاب الروس بأشهر قليلة، ما هو السبب في تأخير هذا النصر؟

جواب: هناك أسباب كثيرة، منها الصحف الغربية، يعني الصحف الغربية الآن كما قلت يريدون أن يشوهوا العرب، حتى يحجموا القضية ويجعلوها قضية أفغانية محلية، حتى تبتلع بصمت في المحافل الدولية، ولذلك منذ ستة أشهر البي بي سي، صوت أمريكا، الصحف الغربية تعلق علينا، جاءوا لينشروا الوهابية، وجاءوا يتزوجون بناتكم وأراملكم، انتبهوا: قرأت في الصندي تايمز اللندنية في الرابع والعشرين من سبتمبر الماضي إن ثمانية عشر ألفاً في مخيم ناصر باغ أصبحن محطاً للطالبين من العرب أصحاب الشهوات ليرووا شهواتهم.

قلت: هل العرب جاءوا يروون شهواتهم؟؟ قال يتزوجونهن أيام ثم يطلقونهن، وأحضروا امرأة أفغانية الله أعلم أهو صدق أم كذب يمكن رأوها في لندن يمكن رأوها في مكان آخر، وقالوا صرحت فلانة أن خمسة من العرب عملوا كذا وكذا! وعلى حد علمي ما تزوج واحد من ناصر باغ وطلق، الصحف الإنكليزية تكتب أن العرب يعتقدون جواز أخذ نساء الشيوعيين والمليشيا سبايا ويدخلون بهن دون عقد نكاح... هو صحيح مليشيا، صحيح عميل للدولة، لكن من القبيلة الفلانية، والقبيلة الفلانية ثلاثة أرباعها مجاهدون وربعها من الشيوعيين والمليشيا، وكل واحد يخاف على عرضه، باسم القبيلة يريدون أن يثيروا الأفغان علينا.

رأينا أن نطوف على القادة ونأخذ فتاوى من القادة ومصورة و مسجلة أن العرب جاءوا إخواننا أنصارنا، هؤلاء من الأنصار، هؤلاء حبهم جزء من ديننا، وأرسلناها إلى داخل أفغانستان حتى يسكتوا عنا الأميين الذين يسمعون البي بي سي، والبي بي سي تذيع يومياً تسع ساعات للشعب الأفغاني، على الفطور ثلاث ساعات، على الغداء ثلاث ساعات على العشاء ثلاث ساعات، ساعة ونصف بالفارسي وساعة ونصف بالبشتو، على الفطور، على الغداء، على العشاء، ولذلك معظم ثقافتهم من البي بي سي، الذين يعرفوننا يعرفون هذه، ويقولون هؤلاء كاذبون. ويعلقون على بعض الأسماء البارزة بين العرب فلان وفلان انتبهوا منهم، بي بي سي ليليتين متتاليتين عبدالله عزام من المتطرفين، دكتور فلسطيني جاء يدرب الشباب المتطرف من العالم العربي ويريد أن ينشر الوهابية من خلال سياف ورباني وحكمتيار، هؤلاء الثلاثة تركز على الثلاثة أو أربعة قادة، لأن الشعب الأفغاني كذلك لا يخضع للقادة المتهمين بالوهابية.

واحد من المخرفين في الداخل عنده مجموعة، قال لجماعته: اسمعوا! أي عربي يمر من هذه المنطقة اقتلوه، لا تحضروه عندي، والذي يأتي بالعربي أسجنه، اثنان من إخواننا كانا مارين، واحد مهندس من حفظة كتاب الله، وآخر أيضاً من أمريكا كان يدرس، أمسكوهم، عرب؟ عرب! أحضروهم للقائد، أنتم عرب؟ نعم عرب؟ كيف وصلتم أحياء، أنا أوصيت أن يقتلوكم لا أن يأتوا بكم. قالوا وصلنا لك، قال أنت من أين؟ قال أنا من العراق، أنت من أين؟ قال: من سوريا، قال الذي ينشر الوهابية فلسطيني، اثنان يحملان سلاحهما من الخلف يريدان أن يعرفا كيف يصلون؟ هل فعلاً يحركون أصابعهم ويضعون أيديهم على صدورهم ويفتحون أرجلهم كثيراً، نظروا إليهم واحد من إخواننا أصبح يرتجف! يريدون أن يعرفوا، المسافة بين الرجلين ٢٠ سم، ٣٠ سم حتى لا يقتلوهم من ورائهم، هم يضعون أيديهم تحت، لا يرفعون أيديهم، لا يقولون آمين، نظروا إليهم في الصلاة كلها نجحوا، نجت حياتهم.

(B.B.C) (مجرمون) صوت أمريكا، الصحف تكتب ضدنا، فقبل عشرة أيام دخلوا إلى المسجد الذي أخطب به في بيشاور وضعوا لي لغم دبابات ركبوه تحت درجات المنبر، ولم يكتفوا بلغم الدبابات الذي يطير دبابة وزنها (1.2-46) لا، أضافوا إليه ٢ كيلو TNT وشركوه على أساس أن يفجروه من بعد بالريموت كنترول وقبل الخطبة بنصف ساعة، الله عز وجل سبحانه أبقانا أحياء حتى

العامل وهو يكنس وينظف المنبر -ثلاث خشبات مركبة على بعضها البعض- حرك المنبر ثقيل قلب المنبر وإذا باللغم مركب تحته اتصلوا بالبوليس الباكستاني فككه، اللغم يكفي لتدمير المسجد، لأن هذا المسجد يصلي فيه العرب وأنا أخطب به، قالوا: حتى نتخلص من العرب، لا يمكن أن ننتهي من العرب، أثرنا عليهم الشعب الأفغاني ما نفع ذلك، قلنا وهابية ما نفع، قلنا أعراضكم ما نفع، ما من طريقة إلا أن نبيدهم.

سؤال: ما هو سبب إعادة انتخاب مجددي رئيساً للدولة الأفغانية وهو الذي يقبل برجوع ظاهر شاه؟ وما موقف حكمتيار من عطاء وزارات للشيعة؟

جواب: الشيعة ٨٪ من أهل أفغانستان، يعني مليون ونصف تقريباً، لهم دول تفرغت من أجل التدخل بأفغانستان، هم أوقفوا رب الخليج من أجل أعينكم؟ من أجل أن يتفرغوا لأفغانستان قبل أن يصل المجاهدون إلى الحكم حتى يعكروا مزاجهم، فبدأوا يتدخلون بأفغانستان من الداخل من الخارج، وباكستان تتعاطف معها -مع إيران-، وحتى الآن الحمد لله لم يدخلوا شيعياً واحداً لا في الوزارة ولا في مجلس الشورى، الخلاف ليس في دخولهم أو عدمه، الكل موافق على دخول الشيعة في مجلس الوزراء وفي مجلس النواب، والخلاف على العدد، هم يطالبون بمائة من خمسمائة، بمائة مقعد من خمسمائة مقعد، فلما صارت المفاوضات اختاروا أصلب اثنين من مجلس الشورى من القيادة وأرسلوهم إلى إيران للتفاوض، حكمتيار رأسه -معروف بشتوني- ومحمد ياسر، ذهبوا للتفاوض، قالوا: نحن نريد مائة مقعد في مجلس الشورى، قالوا لماذا؟ قالوا لنا ثلث مجلس الشورى، نحن ثلث السكان، قالوا: من أين؟ إحصائية الأمم المتحدة في أيام داود كان لكم ٨٪ نعطيكم حسب نسبتكم أربعون مقعداً (٨×٥=٤٠) قالوا: لا، نحن ثلث السكان، قالوا: نعاملكم حسب تواجدكم في أيام ظاهر شاه، ظاهر شاه كان عنده في مجلس الشورى مائتان فكان به أربعة عشر مقعداً منكم، فنحن خمسمائة، ثمانية وعشرون، قالوا لا، قالوا: إذاً نعاملكم كما تعاملون أهل السنة عندكم، بقدر الوزارات عندكم لأهل السنة تدخل لكم وزراء لأهل الشيعة عندنا، وبقدر وجود أهل السنة عندكم في مجلس الشورى ندخل لكم من أهل الشيعة في مجلس شورانا، فاختلفوا، وحتى الآن مختلفين ولم يدخلوا ولا واحداً.

سؤال: ما هو تأثير قدوم بناظير بهتو كرئيسة وزراء على الجهاد الأفغاني؟

جواب: أنا قلت لكم مقتل ضياء الحق كان طعنة في صميم الجهاد الأفغاني، ورحم الله ضياء الحق، ونرجو الله أن يتقبله، وإن كان هناك دعاية من بعض الناس أن ضياء الحق كان مسؤولاً عن إبادة الشعب الفلسطيني في مذبحة أيلول، ولا أدري من أين جاؤوا من أين جاءوا أن ضياء الحق هو مسؤول عن المذبحة، مذبحة أيلول أعدت في القاهرة، ثم نفذت في عمان، الحاكم العسكري، رئيس الوزراء، ضياء الحق ماذا؟ كان أحد أعضاء البعثة العسكرية في الأردن، جاء بعد سنة (٦٧) من أجل تدريب الجيش الأردني حتى يقف أمام اليهود، ضياء الحق مات مظلوماً، لم يعرف الناس من هو ضياء الحق، لكن ربه يعلم... طبعاً منذ ما جاءت هذه الحكومة ما أعطت قادة الجهاد شيئاً.

كان ضياء الحق واقفاً وقفة ليست سياسية، كان واقفاً وقفة إسلامية، يمليها عليه دينه وعقيدته، وقتل من أجل أفغانستان، قتل من أجل أفغانستان، عندما أدرك الأمريكان أنه لا يمكن لضياء أن يتزعزع موقفه، لا بد من تصفيته جسدياً، هنا جاءت الحكومة لا تساعد المجاهدين إلا قليلاً، ليس عن طريق الأمراء، صاروا يدخلون إلى بعض القادة في الداخل يعطونهم، ولكن قطرة من بحر، أنا لا أنكر أن الأمريكان يضغطون الآن على باكستان كثيراً ويلعبون بهم، هذا صحيح، لكن ضياء كانوا يضغطون عليه، ولكن هو لا يخضع.

سؤال: هل يمكن أن تعطينا نبذة صغيرة عن كتابك الأخير "حماس والجذور التاريخية"؟

جواب: ملخصه، تتبعت حركة الجهاد في فلسطين، وأثبت أن حركة الجهاد في فلسطين حركة إسلامية من أساسها، ابتداءً من ١٩٠ عبدالحميد، ثم بعد ذلك ثورة ١٩١٨ -١٩٢٨ و ٣٦، ثم موقف الإخوان حسن البنا سنة ٤٨-٤٩، ثم موقف الحركة الاسلامية -٧٠، يعني أن جذورها إسلامية، وأن الحركة الاسلامية أدت دوراً كبيراً، ثم جاءت بعد ٦٥ بعد ٦٧ العلمانية دخلت مع الأحزاب أنها تريد أن تنقذ فلسطين، وقد سرقت أبناء فلسطين هنا، وهم سبقونا في هذا الميدان، لكن الآن حماس بدأت الحمد لله ساحة الفلسطينية شيئاً فشيئاً، ونرجو الله أن يقويهم ويحفظهم ويبارك فيهم.

سؤال: أنا والد عبدالرحيم رشيد أبو عرجه الذي جاهد مع المجاهدين عام ١٩٨٥م وإلى حد الآن لم نعلم عنه شيئاً، مرة سمعنا مرة سمعنا أنه أسير، وهل هذا صحيح أم لا؟ أرجو إفادتي بذلك.

ج: والله أنا عاتب على والد عبدالرحيم أبو عرجه، بعد خمس سنوات يأتون ويضحكون عليك -الصحفيون- ويقولون لك:

عبدالله عزام أخذ إبنك وباعه وهو من تجار الموت، كم واحداً عندك يا والد عبدالرحيم، عندك ستة أولاد، إفرض أنك قدمت واحداً لله عز وجل، ارتفعت عائلتكم باسمه، من الذي يعرفكم بدون هذا الولد الشاب الصغير، لك أبناء مهندسون من كبار الموظفين، من الذي يعرفهم ويعرفك، يكفيك فخراً أن ابنك وقف أمام المحكمة الشيوعية في كابل، قالوا له لماذا جئت؟ -أمام الروس والشيوعيين-، قال لأن ربي أمرني، قالوا له كيف دخلت؟ قال لهم: بل أنتم لماذا دخلتم؟ أنا دخلت لأني مسلم أقاتل، وانتم دخلتم لماذا أيها الروس؟ قالوا لو أفلتناك ماذا تصنع؟ قال سأحمل بندقيتي وأقاتلكم مرة أخرى، يكفي هذا شرف لكم، بعد خمس سنوات جرجروك على الصحف حتى يشنعوا علينا وعلى الجهاد الأفغاني، الذين كانوا مع ابنه واحد منهم قال لي: والله أحببت أن افتديه بنفسي في داخل الزنزانة، كان الذين في داخل السجن يأتون في الليل ليترنموا بسماع صوت القران من ابنه، لو بقي في الكويت هنا ماذا سيفعل لك، ما هي قيمة وجودك في الكويت؟ ماذا كان يفعل في الكويت، رجل صنع التاريخ، أخذناه ولداً صنعنا منه رجلا، ثم هو رجل بالغ عاقل، أنا جئت أخرجته من بيتك؟ له عقل يفكر فيه، هو جاءني إلى بيشاور، أنا ما ذهبت إليه، قال لي أريد أن أجاهد، تفضل، الجهاد مفتوح، كل الذي عملته أنني سهلت له أن يؤدي فريضة الجهاد، ثم بعد ذلك الصحف هنا تتسلى بعد أربع سنين من مجيئه سنة (٨٥)، الآن فكرتم بعد أربع سنوات تأتون وتكتبون أن عبدالله عزام من تجار الموت يسرق أبناءكم أيها الفلسطينيون ويرسلهم إلى الموت، نعم أنا من تجار الموت، أنا أطلب الموت لأصنع الحياة لأمتي، أنا أطلب الموت حتى توهب لي الحياة، لتحيا بدمائنا المبادئ، نعم أنا تاجر موت، جئتكم بقوم يحبون الموت على الحياة، وأنا أقول:

لئن عمرت[1] جعلت الحرب والدة … والسمهري[2] أخاً والمشرفي أبا

بكل أشعث يلقى الموت مبتسماً … حتى كأن له في قتله إربا

قح[3] يكاد صهيل الموت يقذفه … عن سرجه فرحاً بالغزو أو طربا

إن المنية لو لاقتهمو جفلت … رعناء تتهم الإقدام والهربا

أنا من تجار الموت، امنعوا أبناءكم أن يأتوا إليّ إذا استطعتم، ربهم سيخرجهم لأنهم يعلمون أني أناديهم إلى الحق، أناديهم إلى مصانع الرجال، إلى مصانع العزة، إلى مصانع التاريخ، وإذا استطعتم خللوا أبناءكم مثل الخيار والباذنجان.

سؤال: الدكتور المجاهد عبدالله عزام، أعزه الله بالاسلام وشرفه بالجهاد وأكرمه بالشهادة، والله إنني لأشتاق وأشعر بالفخر والزهو لأنني أسمع صوت إنسان جاهد في سبيل الله، نحن فتيات تكاد قلوبنا تطير من بين أضلعنا حباً في الجهاد وشوقاً إلى الشهادة في سبيل الله، مهورنا الجهاد، وجهادنا السفر إلى أرض الجهاد، هل يجوز لنا السفر إلى أراضي الجهاد بدون محارم، فمحارمنا أشباه رجال ولا رجال، وليس لنا أزواج يأخذوننا إلى هناك، إذا كان الجهاد في أفغانستان فرض عين هل التصدق للمجاهدين أمر واجب، وهل وجوب الصدقة للمجاهدين أولى من بر الوالدين، حتى أن والدي قد منعني من التصدق بجميع مالي في سبيل الله، أناشدك أن تسأل الله لنا بإخلاص عند التحام الصفوف أن لا يحرمنا لذة الجهاد في سبيل الله والشهادة على أرض الجهاد، حفظكم الله وثبت أقدامكم وربط على قلوبكم ونصركم على أعدائكم.

جواب: لا يجوز للمرأة أن تخرج دون محرم، لا بد أن تخرج بمحرم، بأخ بأب، بزوج، المهم أن يكون معها محرم.

أما الصدقة بمالها فيجوز لها أن تتصدق دون إذن أحد، وفرض على المرأة ان تجاهد بمالها، وفرض أن يجاهد بمال الطفل الذي دن الحنث، فرض، وفرض على الأمة المسلمة أن تسد حاجة المجاهدين من طعام ولباس وغذاء وغير ذلك، المالكية يشددون كثيراً في قضية، المالكية يقولون إذا مررت على حائط يكاد يهوي ولم تعدله أو لم تصلح حجارته ومر بعدك رجل أو طفل أو امرأة وانهار عليها ذا الحائط فإنك تدفع ديتها. المالكية يقولون: إذا مررت على حيوان شاة واحدة وتستطيع ذبحها وأنت تراها تكاد تموت وتركت ذبحها نك تضمن قيمتها لصاحبها لأنك اتلفت مالاً يمكن أن ينقذ بسببك.

فالآن حسب رأي المالكية كل واحد تقطع رجله بالثلج في أفغانستان لأنه ليس له حذاء، الامة الإسلامية يجب أن تدفع ديتها، لأنها بيت في قطع رجله وهي تستطيع أن تشتري حذاءً له.

كل واحد يموت من البرد بسبب عدم وجود (Sleepping Bag) -يعني كيس النوم- بسبب ..عدم الطعام بسبب إلى آخره، اس مسؤولون عن ديته.

الأطباء الذين لا يجدون عملا في بعض البلدان، سمعت أن في الأردن ستة آلاف طبيب لا يجدون عملاً، ثمانية آلاف مهندس لا

الشيخ نفسه وكانت بين ثنايا أبيات الشعر فرأينا أن توضع في الهامش وذلك أجمل للنص. (١) إذا ربنا طول عمري (٢) السمهري الرمح. (٣) يعني أصيل.

يجدون عملاً، لا أدري ماذا يصنعون؟ والناس تنشر أقدامهم بمنشار، منشار الخشب، فهؤلاء يدفعون دية كل جريح يمكن أن ينقذ، وإذا غابوا يموت يدفعون ديته، الأطباء الذين يعلمون ويستطيعون أن يصلوا إلى أفغانستان، المهم فرض على الأمة أن تسد حاجات المجاهدين جميعاً.

سؤال: شيخنا الفاضل: ما حقيقة الوساطة الفلسطينية في القضية الأفغانية؟

جواب: هم جاؤوا يتوسطون، فقالوا لهم أنتم لا تصلحون للوساطة، أنتم طرف مع الروس طيلة السنوات، أين كنتم في السنوات الماضية؟ بل قال سياف كلمة ثقيلة، قيل لسياف لماذا لم تقبل مقابلتهم؟ قال والله نحن في دور تحرير بقية أرضنا، وبعضهم متخصص ببيع الأراضي، فلا يصلح أن نقابلهم.

سؤال: ما دور لجنة الدعوة الإسلامية في ساحة الجهاد الأفغاني؟ يرجى إعطاءنا صورة مفصلة؟

جواب: مفصلة! على الرأس والعينين، لجنة الدعوة قامت بجهود مشكورة في الميدان الطبي، ووقفت أمام الزحف الصليبي، ووضعت على الحدود نقاطاً طبية، صارت تلتقط الجرحى بعد أن كان الصليب الأحمر الدولي هو الذي يلتقطهم، صارت لجنة الدعوة هي التي تزاحمهم تلتقطهم تنقلهم إلى المستشفيات المركزية، يعني قامت بدور مشكور، وعليها شباب ما شاء الله، ربنا يحفظهم ويبارك فيهم إن شاء الله، دورهم طيب إن شاء الله مبارك.

سؤال: ما دور الانتفاضة الفلسطينية وثورة أبطال الحجارة، وهل جاء دورك الآن للجهاد والتوجيه حيث أن الجهاد الفلسطيني بحاجة المخلصين والموجهين المجاهدين بأنفسهم وأموالهم وفقههم والكلمة الحرة من أمثالك؟

جواب: نحن إن شاء الله قلوبنا في المسجد الأقصى، أنتم تظنون أنكم تفكرون في فلسطين أكثر منا؟ فقط انتظروا علينا قليلاً حتى نتخلص من الطبخة التي بين أيدينا إن شاء الله، حتى ينصر الله عز وجل الإسلام هناك في أفغانستان، ونصر الاسلام في أفغانستان حل لكثير من قضايا المسلمين في الأرض، هم لا يعلمون -الفلسطينيون- أن انتصار المجاهدين في أفغانستان فيه جزء من حل قضيتنا، لا يدركون هذا! فقط يريدون أن نصيح عاشت فلسطين حرة إسلامية، نحن نقول عاشت فلسطين حرة إسلامية، الكلام لا يرجع فلسطين، تحتاجون إعداداً، تحتاجون تدريباً، تحتاجون تربية، تريدون ناساً يتعلمون على السلاح، ناساً يعرفون كيف يعملون في الألغام، كيف يضعون الألغام لليهود، كيف يقاتلون، كيف يزحفون، كيف ينسحبون؟ أما بالكلام، الكلام لا يرجع فلسطين، منذ أربعين سنة نتكلم، ماذا صنعنا لفلسطين؟! الأطفال حملوا الحجارة، لكن نحن إن شاء الله رب العالمين يفتح لنا ثغرة بعد أن نحرر أفغانستان إن شاء الله.

قال لي حكمتيار: ماذا تفكر أن تعمل؟ قلت له أنا أوصلكم إلى كابل وأرجع إن شاء الله إلى فلسطين، قال لا، تبقى معنا سنة أو سنتين حتى نقيم أركان الدولة ثم نذهب وإياك إلى فلسطين، أنت الآن عامل مكتب خدمات للجهاد الأفغاني، أنا أعمل لك مكتب خدمات للجهاد الفلسطيني، أنا الآن أمير وأنت عامل لنا مكتب خدمات، لما تروح هناك أنت أمير وأنا أعمل لك مكتب خدمات للجهاد الفلسطيني إن شاء الله.

والقادة كلهم يفكرون في فلسطين، هم رغم هذا التكالب العالمي اليهود هكذا يرتجفون منهم هلعاً وخوفاً، نصوا في الدستور، دستور الحكومة على أن هذه الدولة جهادية، وأول مخططاتها إعادة المسجد الاقصى.

سؤال: ما مصلحة المملكة العربية السعودية من تبني قضية المجاهدين الأفغان سياسياً وشراء أسلحة ستنكر للمجاهدين؟

جواب: لأنهم مسلمون، إذا الحكومات الأخرى مقصرة، نحن نلوم الحكومة التي تدفع ونتهم نيتها، جزاهم الله خيراً، ليس ستنكر فقط، أنا أقول لكم السعودية تدفع كل سنة ثلاثمائة مليون دولار للجهاد الأفغاني من ميزانية الحكومة، هذا عدا عن الشعب، أكثر شعب قدم من الأموال هو الشعب السعودي، وأكثر بلد جاء منه شباب من الجزيرة، بلاد الحرمين، أكثر من أربعة آلاف شاب سعودي وصل إلى الجهاد، أكثر من نصف العرب باستمرار من السعودية، أكثر من نصف الشهداء باستمرار من السعودية، أكثر من نصف التجار الذين يصلون إلى أفغانستان من السعودية، البلد الوحيد، الحكومة الوحيدة التي تدعم الجهاد هي السعودية بعد ذلك فسر مثلما تفسر، تتهمها تقول عميلة لأمريكا، عميلة للشيطان، بنية مخلصة، نية فاسدة، هذا أنت تلقاها أمام ربك، أما أنا أقول لك، الظاهر لنا أنها وقفت، أما النيات يعلم بها رب الأرض والسموات، يوجد ناس يدفعون للمجاهدين وأناس آخرون يدفعون لروسيا، يكفيها الحكومة الوحيدة أول حكومة اعترفت بالمجاهدين، وهذا كان له وقع عظيم، الآن الأفغان يكنون المحبة للمملكة العربية السعودية من أعماقهم.

أما تقول لي: ضياء الحق بأمر الأمريكان ساعدهم، والسعودية بأمر الأمريكان، أنا والله لا أدري بأمر الأمريكان أو بأمر الشيطان، أنا الذي أعرفه أنا ميت من الجوع، أشرف على الموت، جاء واحد قدم لي صحن طعام، قال لي: أنقذ حياتك، أقول له أنت سكران أو أنت فاسد أو أنت زاني أنا لا أقبل منك؟

من كابل إلى القدس*

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) (آل عمران: ١٠٢)

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً، يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) (الأحزاب: ٧٠-٧١)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا) (النساء: ١)

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد: فيا من رضيتم بالله ربا، وبالاسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا، إعلموا أن الله قد أنزل في محكم التنزيل: بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض) (البقرة: ٢٥١)

ويقول عز من قائل:

(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) (الحج: ٤٠)

فقد أقام رب العزة سبحانه صلاح هذه الأرض وعمارها واستمرارها على الجهاد، ولولا الجهاد لفسدت الأرض وهدمت المساجد وانتهت الأذكار، واختفت الأشعار والمنائر وغير ذلك.

ولذا ربط رسول الله ﷺ بين عزة هذه الأمة وبين هذه الشعيرة التي جعلها قمة سنام هذا الدين، فقال ﷺ: **(إذا ضن الناس بالدرهم والدينار وتبايعوا بالعينة، -شبه الربا- وأمسكوا بأذناب البقر، ورضوا بالزرع، وتركوا الجهاد، سلط الله عليهم ذلا لا يرفعه حتى يراجعوا دينهم).**

وكأن ترك الجهاد ترك لهذا الدين، وكأن العودة إلى هذا الجهاد هي عودة إلى هذا الدين.

أيها الإخوة: إن سمتي يشعركم أنني أفغاني ألبس الثياب الأفغانية التي أعتز بها، فأنا فلسطيني قادم من جبال الهندوكش، وقد شرفني الله عز وجل بخدمة هذا الجهاد ثماني حجج ونيف، ووالله إني لأشعر بنعمة الله عز وجل ومنته، ما أشعر بنعمة منّ الله بها عليّ بعد لا إله إلا الله محمد رسول الله من أن منّ عليّ أن أكون خادماً لهذا الجهاد المبارك، ولعلكم تستغربون أن هذا الشعار وهذا السمت وهذه الأسمال إنما هي تتكلم من فوق منبر الدفاع عن المسجد الأقصى، فنحن من أبناء الأقصى، وأفغانستان هي صوت من أصوات الأقصى، لأن المسلمين كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضا.

(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) (الصف: ٤)

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

وأنا كفلسطيني وأطوف فوق جبال الهندوكش وأعيش على ضفاف الهلمند وكابل وغيرها، إنما أشعر بالحب العميق الذي يداعب

---

* آخر خطبة ألقيت من فوق منبر الدفاع عن المسجد الأقصى في آخر زيارة له للكويت قبل استشهاده بعشرين يوماً تقريباً عام ١٩٨٩م.

شغاف قلوب هذا الشعب تجاه القضية الإسلامية الأولى، تجاه قضية فلسطين، تجدونهم -تجدون الأفغان- في أعماق خنادق القتال وفي شدة الحرب والنزال، يقول أحد العرب بجانبهم: اللهم خذني إليك شهيدا: فيرد عليه الأفغاني: أتحب أن تموت شهيداً هنا، قال نعم: قال أما أنا فلا أحب أن استشهد هنا، اللهم لا تأخذني شهيداً إلا في ساحة المسجد الأقصى.

وكم يردد الأفغان يقولون هذا: اللهم حرر على أيدينا كابل ولا تمتنا شهداء إلا في ساحة الأرض المباركة، وكثير من القصص التي تدل على أن الأفغان ينظرون إلى قضية فلسطين ليس كقضية عرقية أو قومية أو غير ذلك، إنما يعتبرون حب فلسطين جزءاً من دينهم، وأن المسجد الأقصى أولى القبلتين هي أولى قضاياهم، وأنهم يجب أن يحرروه قبل كابل، لولا أن دهتهم الدواهي ودهمتهم هذه البلواء،وهذه الدهماء.

كم كرر سياف وحكمتيار ورباني -وهم رموز الجهاد وقادته- أنهم يعتبرون قضية فلسطين قضيتهم الأولى، وأن دستور الدولة الذي خطوه بأيديهم (إن دولة أفغانستان دولة جهاد وأول مخططاتها تحرير فلسطين الأرض المباركة من أيدي اليهود).

وأنتم تدركون ما يواجهونه من سهام من كل جانب بسبب هذا الموقف الصلب، بجانب هذه القضية الإسلامية الأولى، قضية فلسطين، وإن أنس من الأشياء لا أنسى قصة حدثنيها الأستاذ رباني قال:كنت في جلسة وإذا بابني يناديني إلى الداخل يقول امرأة تريدك للضرورة القصوى، فقال له عندي اجتماع، فهلا ألقيت في أذني ما تريده هذه المرأة، قال هي تريدك وتصر على هذا، قال رباني قطعت الاجتماع ودخلت إلى المرأة، وإذا بها تفتح صندوقاً قد جمعت به كل حليها وتقول له، خذ هذا -كل حليي- وجهز بها غازياً إلى المسجد الأقصى.

قضية أفغانستان هي قضية إسلامية، وجراح المسلمين واحدة: حيثما كانت، وكم قال لي الناس أنت فلسطيني تقاتل فوق أرض أفغانستان وتنسى بلدك، فكنت أردد لهم أبيات متمم بن نويرة وهو يبكي أخاه مالكا قال:

لقد لامني بين القبور على البـــكا	*صديقي لتذراف الدموع السوافك*
فقال: أتبكـي كـل قبـر رأيتـــه	*لقبر ثوى بين اللـوى فالـدكادك*
فقلت له إن الشجا يبـعث الشـجا	*فدعني فهذا كلـه قبر مالـــك*

فهذه القضايا قضية أفغانستان هي قضية فلسطين، وقضية الفلبيين هي قضية فلسطين، وجراحات المسلمين التي تنزو فوق جبال الهندوكش وسليمان، إنما هي جراحات بيت المقدس وغزة ونابلس والخليل وغيرها، وإن الأصوات التي تردد فوق جبل المكبر في القدس بالله أكبر تتردد صداها هناك فوق ذرى الهندوكش وعلى ضفاف أنهار كنر وكابل و هلمند.

فيا أيها الإخوة: يا أبناء فلسطين بالذات، لا تغضبوا من وجود قضية إسلامية أخرى بجانب قضيتكم، فهناك قضيتكم وهذه قضيتكم، والناس هناك إنما يعدون من أجل أن يواجهوا ذلك الدب الأحمر، الذي ولى مثخنا بجراحه مهزوماً لأول مرة أمام شعب مسلم فقير أعزل، أولئك إنما أجسادهم هناك ويخوضون أشرس المعارك وأضراها في تلك المناطق وقلوبهم معلقة في بيت المقدس وبفلسطين.

لا تغضبوا، لا تغضبوا من وجود قضية أفغانستان، رب العزة سبحانه وقد رأى الأمة الاسلامية في أصقاع الأرض جميعاً وأرجائها تراجع من مجال إلى مجال، وتفقد موقعاً بعد موقع، وتنهار في جبهة إثر جبهة، يريد أن يضرب مثلاً حياً، ينقذ هذه الأمة من وهدة ضياع ومن مستنقع اليأس إلى قمة الأمل وإلى ذروة العزة، فاختار سبحانه أشرس وحش في الأرض وأقوى قوى الأرض جميعاً حت في معركة مع شعب أمي متأخر صناعياً وتكنيكياً، وفقير لا يملك من الدنيا شيئاً، وخاض معركة واضحة استمرت بضعة عشر ماً، وخرج الدب الروسي مثخناً بالجراح، وهزم الجيش الأحمر لأول مرة في حياته أمام شعب مسلم فقير.

أقرأ في مجلة القانون العام الصادرة من معهد القانون الدولي العام تقريراً لحلف الأطلسي سنة ١٩٨١م يقولون إن المقاومة نغانية لن تستمر أكثر من ثلاثة أشهر إلى ستة أشهر أمام روسيا، ولقد كان الغرب يرتعد هلعاً أن تسقط هذه المقاومة وأن ينهار هذا سد، فينساب الطوفان الأحمر حتى يغرق الخليج بوبائه وتجثم الدبابات، دبابات (T.55)(..62)، خمس وخمسين واثنين وستين واثنين بعين تجثم فوق أرض الخليج، وهذا الذي كان يدور بخلد سادة الكريملن، بذهن بريجنيف عندما قرر أن يدخل أفغانستان، كانوا قد ـعوا في مخططهم أن تسقط أفغانستان سنة ١٩٨٠م، وأن تجثم الدبابات فوق الخليج وتحوط آبار البترول بقوتها وأساطيلها البرية وية سنة ١٩٨١م، ولكن:

(ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لايشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم عين، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون، وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون)

(النمل: ٥٠-٥٣)

ما كان أحد في البشر يظن أن هذا الشعب الفقير سيهزم حلف وارسو الذي يدعم الاتحاد السوفياتي، وبعض الناس يحلو لهم أن يحللوا القضية أنها صراع بين النجوم وحرب الكواكب وبين السي آي إي (C.I.A) وبين الكي جي بي (K.G.B) ، أنا لا ألوم هؤلاء لأنهم يعيشون في مستنقع اليأس، لأنهم غارقون في وهدة الضياع، وأما أنا فاُدرك كيف هزم الروس، لقد هزم الروس، وهزم من ورائه الاتحاد السوفياتي، وحلف وارسو، والدول الشيوعية في الأرض، بل لقد انتهت الشيوعية نهائياً يوم أن سقط الدب الروسي مخضباً بجراحه تحت أقدام المسلمين في أفغانستان، أنا أدرك كيف انهزموا، إني أعلم أنهم هزموا بالله أكبر، أعلم أنهم انهزموا بـ

(إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (محمد:٧)

لقد غابت من أذهان المسلمين طويلاً عقيدة التوكل على الله، فأبى الله إلا أن يضرب مثالاً حياً عملياً واقعياً أن هذه معركة أمام أنظاركم تدور رحاها بين شعب فقير أعزل أمي وبين دولة التكنيك والتكتيك، صاحبة النفاثات وعابرة القارات، ثم ماذا تكون النتيجة؟

الذين يقولون: إن روسيا خرجت أو انسحبت بمعاهدة هؤلاء واهمون، وهؤلاء إن كانوا جهلة نعلمهم، وإن كانوا يعلمون فهم يكرهون أن ينتصر الإسلام على الكفر، وكراهية انتصار الاسلام على الكفر كفر يخرج من الملة، كفر ينقل عن هذا الدين. فليعلم كل امرئ لنفسه إن كان قلبه مع الأفغان أو مع الروس، فإن كان قلبه مع الروس فليعد النظر مرة أخرى في موقعه من هذا الدين، أهو خارجه؟ وهو غالباً ما يكون خارج هذا الدين، أو داخله وهذا يكون ناتجاً من الجهل الذي يعذر الله به، أما العالمون فلا عذر لهم عند رب العالمين، أن يحبوا انتصار الكفر على المسلمين.

أيها الإخوة: لم يكن أمام الروس بد من الهزيمة، لقد أحصت الأقمار الصناعية وأجهزة التنصت الباكستانية عدد الخسائر التي تكبدتها روسيا في ميدان القتال، لقد سقط لروسيا حتى بداية عام ١٩٨٨م ألفان و ثمانون طائرة، واستهلك بسبب الاستعمال مثل هذا العدد، أي أنها خسرت حوالي أربعة آلاف ومائة وستين طائرة، وهو يساوي مجموع الطائرات في المنطقة العربية تقريباً، وخسرت من الدبابات والمدرعات بالإحصائيات والأرقام والصور سبعة عشر ألف دبابة ومدرعة، وتحطم لها فوق أرض أفغانستان واحد وعشرون ألف آلية، وفقدت هي من أبناء الروس باعترافها أنها فقدت خمسين ألفاً ما بين قتيل وجريح، أما الجيش الشيوعي الأفغاني فقد قتل منه مائة ألف وأسر منه مائة ألف، وكانت تدفع روسيا يومياً فوق أرض أفغانستان كل طالع شمس خمسة وأربعين مليونا، فهل تستطيع روسيا بعد هذه الخسائر المدمرة أن تستمر في المعركة إلا إذا فقدت صوابها؟! لقد أدرك غورباتشوف أنه لا يمكنهم الاستمرار أبداً، ولذلك أعلن والحقائق تضغط عليه والأرقام تقهره أن يتكلم أمام المحافل الدولية (إن أفغانستان جرحنا النازف)، جرحنا الدامي، وكما قال ميتران عن قضية أفغانستان (إنها سرطان يأكل جسد الاتحاد السوفياتي يوماً يوماً).

وقال شاليزي صانع الأفلام عن جهاد أفغانستان يقول: (ستكون أفغانستان المسمار الأول في نعش الاتحاد السوفياتي).

عندما وجد الغرب أن روسيا والدب الروسي والاتحاد السوفياتي بعظمته سيسقط تحت أقدام شعب مسلم بسيط أعزل، حاول الغرب بكل قوته أن ينقذ الاتحاد السوفياتي بمؤامرة جنيف، ولكن:

(إنهم يكيدون كيدا، وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا) (الطارق: ١٥-١٧).

لم يستطيعوا أن ينقذوا الدب الروسي، ولقد وقف أحد الجنود السوفيات المنسحبين من كابل وعلى شاشة التلفاز في موسكو وهم يسألونه عن معركة أفغانستان فيقول: عندما تسمع صيحة الله أكبر نبول على ثيابنا، لقد بلغ بهم الخوف والارتعاد من هذا الشعب المسلم أن يصل بعضهم إلى حد الهلوسة ومرض الأعصاب، كانوا يظنون أن صيحة الله أكبر نوع من القذائف يبحثون عن مضادات لها.

هزمت روسيا، وخرجت ذليلة مهينة حقيرة، تجر أذيال الخزي، ولن تنتهي القضية عند نهر جيحون، لقد هز الجهاد الإسلامي في أفغانستان الكرة الأرضية بكاملها.

يقول وزراء دفاع الناتو حلف الأطلسي لكارلوتشي وزير دفاع ريجان السابق قبل سنة في اجتماع لهم: يبدو أن غورباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب بأن أمر بسحب مليوني جندي من أوروبا الشرقية، قال لهم كارلوتشي وزير الدفاع الامريكي: لقد أجبر الجهاد الأفغاني غورباتشوف أن يغير سياسته تجاه العالم كله، لقد انتهت الشيوعية، ولقد عاد سادة الكريملن يراجعون الأوراق القديمة التي كان يصرح بها لينين وماركس وستالين يقولون: إن الدين أفيون الشعوب، والدين علقة تمتص دماء الشعوب، والدين مخدر، وإذا بوعية هي المخدر، ووجدوا أن الدين يحرك الشعوب حتى تدفع أغلى ما تملك، فيبذل شعب صغير يدافع عن دينه وعن عقيدته وهو ام حكومته ويقف أمام الاتحاد السوفياتي وأمام حلف وارسو يدفع مليونا ونصف المليون من جماجم الشهداء، ويروي بنجيع

شجرة هذا الدين لتحيا في عالم الأحياء.

ولذا بهت الغرب بهذه الهزيمة، قال أحد الأمريكيين (لقد فوجئنا بهزيمة الروس)، لم يكونوا يظنون أن النتائج ستصل إلى هذا وقارنوا الآن بين معركة من عملاء الشيوعيين الذين تركتهم روسيا في داخل أفغانستان وبين المجاهدين الذين يريدون أن يطبقوا دين الله في الأرض، فوجدوا أن الشيوعية أقرب إليهم من المسلمين، ولذا ومنذ أن خرج الروس والإعلام الغربي يأخذ على عاتقه تشويه هذا الجهاد وتلطيخ سمعته وحرق قادته وتشويه أفذاذه، لأسباب ثلاثة:

السبب الأول: حتى يمحو آثار هذا الجهاد في أعماق الأمة المسلمة، حتى لا يعود هذا الجهاد نموذجاً رفيعا وتجربة فريدة تحتذى من قبل الشعوب الأخرى.

وقد كتبت صحيفة شيكاغو تايمز تقول: لا تفاهم مع المسلمين إلا بالحديد والنار، أما الشيوعية فإنها فكرة غربية يمكننا أن نتفاهم معها، أما المسلمون فلا تفاهم معهم إلا بالحديد والنار، فهم يريدون أن يجتثوا عقيدة التوكل على الله التي زرعها هذا الجهاد المبارك عبر السنين الطويلة من خلال التضحيات الهائلة ومن خلال الجماجم والأشلاء والأرواح والشهداء، حتى لا يعود هؤلاء الناس حديث السامر ولا شذا ولا حداء الركبان على الطريق، ورغم التضحيات ورغم أن هذا الشعب قد بذل الغالي والرخيص والنفس والنفيس إلا أنه مصمم على استمرار المسيرة وكأن لسان حاله يقول:

سأبقى في جبين الصبر	*وشماً ليس ينفصـــــل*
أشـرع هامتي للنـــــار	*لـلأشـــواك أنتـــعل*
وأرقــب هـبة الإيمـــان	*يحدوها الشذى الخضل*
وكــل قـذيـفة يـحـدو	*علـــى أنغامها الأمـــل*

إنهم مصممون، مصممون أن تستمر المسيرة حتى يقام دين الله في الأرض، ويكون للمسلمين دار إسلام يأوي إليها المستضعفون تنطق باسمهم وتمثل قاعدة صلبة تئوي شريدهم وتتبنى مصالحهم، وتتكلم باسمهم، وهذا الذي يقض مضاجع الغرب ويؤرق أجفانه، هم يريدون أن يجتثوا من قلوب المسلمين عقيدة التوحيد عقيدة التوكل على الله، خاصة بالموت والحياة، التي زرعها هذا الجهاد في النفوس.

وثانياً: يريدون أن يعيدوا تحجيم القضية الأفغانية إلى قضية قومية محلية تبتلع من خلال المؤتمرات الدولية، والمعاهدات العالمية.

وثالثاً: يريدون أن يقطعوا الصلة بين قلوب المسلمين وبين هذا الجهاد المبارك الذي شرف الله به هامة كل مسلم على الأرض، هم يركزون على قضية بسيطة، قد قمت بالتحقيق بنفسي بها، قضية تخار، يقولون: قتل ثمانية وثلاثون قائداً لرباني على يد قائد من قادة مسعود، وقائد رباني مسعود يقوم بقتل ثلاثمائة مقابل ذلك و تأسر الدولة سيد جمال الذي قام بهذه المقتلة، ثم تسلمه لمسعود، لأنه تابع للدولة.

(والله يشهد إنهم لكاذبون) (المنافقون: ١)

خمسة من القادة قتلوا، على يد رجل قليل العقل، ثم حوصر هذا الرجل وأمسك به، ولم يقتل والله ثلاثمائة ولا عشر هذا العدد، ولا نصف العشر، وبعد أن أمسك به وأمسك بقادته قدموا إلى المحكمة الشرعية التي شكلت من قبل دولة المجاهدين، فهم يريدون أن يركزوا على الحرب الأهلية، وعلى أن المجاهدين راجعون أمام جلال أباد ضعفاء، وأن دولة نجيب أقوى منهم، وهم يخفون حقائق تطير بها أقمارهم وتنقلها أجهزتهم بالنسبة لجلال أباد، هذه التي ركز عليها الإعلام الغربي حتى يثبتوا عجز المجاهدين، لقد فتح المجاهدون في شهرين هذا العام ما يزيد على ثلث مساحة فلسطين، كابل محاصرة من المجاهدين هكذا، كسر حزامها الأمني الأول والحزام الثاني، ليس بين المجاهدين وبين كابل في بعض المناطق سوى كيلو واحد ونصف الكيلو، وكل كابل تحت رحمة قذائف المجاهدين، وكابل تعيش عزلة عجيبة، ونقصاً في المواد الغذائية التي لا تنقذها بها إلا الطائرات التي تغامر بالنزول في مطار كابل، مع أن طرقها البرية وشريانها الوحيد التي يربطها بالأم روسيا قد قطعت، وأغلق المجاهدون ممر سالانج، كابل مقطوعة عن كل المدن، أكثر من ٨٠٪ من الأراضي بيد المجاهدين يقيمون بها محاكمهم الشرعية ولجانهم القضائية، يتحركون كما يشاؤون، ومن كان منكم في شك فليأتي إليّ لأركبه في السيارة صباحاً في بيشاور ويكون عند غروب الشمس على أبواب كابل، في الصباح نغادر بيشاور ونقف على أبواب كابل.

لقد شهدتم الرسائل المتوالية من نجيب هذا التي تفخر به الصحف اليسارية في العالم العربي -والله- إنه من ذلة وحقارة

واستجداء واستلطاف واستعطاف لصغار القادة ما يندى له الجبين، ولكن صحف اليسار وأهل الشمال في العالم العربي تريد أن تكون نجيبية أكثر من نجيب، ويسارية أكثر من نجيب، وشيوعية أكثر من كابل، والله يا إخوة أسمعه باذني هذه، ونتلقى رسائله، ثلاث رسائل متوالية تاتي لقائد بسيط من قادة كابل اسمه الحاج شير علم، ثلاث رسائل موالية يرجوه ويلتمس إليه أن يوقف عنه الضربات.

جاء شفرنادزه وزير الخارجية ونزل في الأنتركونتيننتل، وأكرمه المجاهدون بقصف على الأنتركونتيننتل، وأصيب هذ الوفد، وزارة الدفاع.. القصر الجمهوري، السفارة الروسية.. المطار.. مطارخواجه رواش -مطار كابل- كل يوم تحت قذائف المجاهدين، وماذا يرد عليه هذا القائد البسيط يقول له:

(قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين، وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير، وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) (الأنفال: ٣٨-٤٠)

إن الصحف الغربية وأجهزة إعلامه وعدساته مسلطة كل أضوائها على الخلافات الداخلية، على المشاكل، ثلاثة أشهر متتالية وهم يعزفون على نغمة مذبحة تخار كما يسمونها، وقد كذبوا، والتاريخ سيسجل -إن شاء الله- هزيمة هذا الدب، ولن ينتهي الأمر عند نهر جيحون، سيسقط الاتحاد السوفياتي بإذن الله على يد جند الإسلام، وهذا الذي تتخوف منه أجهزة المراقبة الغربية جمعيها، بسبب سبعين مليوناً من المسلمين يعيشون تحت نير الاستعمار السوفياتي منذ سبعين عاماً، لقد بدأت الحياة تدب فيه من جديد، وبدأت الدماء تضخ في عروقه التي جفت ، ومن هنا اضطر زعماء الكرملين أن يسمحوا للقرآن الكريم أن يبث من إذاعة طاجكستان، وللأذان باللغة العربية، وسمحوا لنسائهم أن يترددن على الكنائس، لأن الشيوعية هي أفيون الشعوب، هي علقة تمتص دماء الشعوب، ومخدر ولا يمكن لفلسفة إنسانية أن تقف أمام دين يتغلغل في أعماق القلوب، ويتسرب في مشارب النفوس.

يا أيها الإخوة: الإسلام على خير، والجهاد على خير، ونسي هؤلاء الغربيون أن المجاهدين بعد خروج الروس خلال ستة شهر ونصف من ١٥ فبراير إلى ١ سبتمبر أسقطوا مئتين وخمس عشرة طائرة، ودمروا مئتين وستين دبابة، وحطموا ألفين ومائة وتسعاً وخمسين سيارة، وألفاً وأربعمائة وخمسة وثمانين مدفعاً، وقتلوا خمسة وعشرين ألفاً من الجيش الشيوعي وهم يضيق عليهم ويخنقون من الدول الصديقة والعدوة، من المجاورة والبعيدة، والإعلام يريد أن يقول للتاجر الكويتي والتاجر السعودي: ما بالك تساهم في شلالات الدماء التي تجري فوق أرض أفغانستان، وفر نقودك حتى لا تشترك بالإثم، لأن القضية صراع على الأهواء، ونزاع على المصالح، وأطماع حول الكراسي، والله يشهد إنهم لكاذبون (**والله متم نوره ولو كره الكافرون**)

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) (التوبة: ٣٢-٣٣)

يا أيها الإخوة: المسيرة ماضية، والشعب المسلم الأفغاني مصمم على الموت أو يقيم دين الله في الأرض، وإذا تخلى الناس جميعاً عنه فلن يتخلى رب العزة عنه، لأنهم أرادوا أن يبنوا صرح هذا الدين بجماجمهم، وأن يشيدوا مجده وقلاعه بأجسادهم، وأن يحيوه بدمائهم، فإن تخليتم أو تخلى الناس جميعاً فالذي حفظ المسيرة بضعة عشر عاماً يحفظها عاماً آخر أو عامين آخرين، وإني أقول لكم ستعلمون قريباً أو بعيداً أن قضية أفغانستان الإسلامية ليست طرداً للاتحاد السوفياتي، وليست إنهاء للشيوعية فقط، إنما هي بإذن الله بداية تحول التاريخ للعالم أجمع.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

[1] الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

يا أيها الإخوة:

إن قوانين الله لا تتخلف، ونواميسه في الحياة لا ترد، وقد أودعها كتابه وسنة نبيه ﷺ فهو يقول عن الكفار

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (البقرة: ٢١٧)

ويقول كذلك

(ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق) (البقرة: ١٠٩)

إنهم يرتعدون هلعاً من اسم الإسلام ودولة الإسلام، ولئن كنتم قد قرأتم هذا في الكتاب العزيز فإننا رأيناها حوادث يومية بأشخاصها التي تتحرك فوق الساحة وهم يريدون أن يخنقوا هذه البادرة الطيبة وهذه التجربة الرائدة في الأرض جميعاً، يغفل كثير من المسلمين أن قضية أفغانستان قضية إسلامية تحارب لأنها إسلامية فقط، وأن قضية فلسطين قضية إسلامية تحارب لأنها قضية إسلامية فقط، ويجهل كثير من المسلمين أن نصر المسلمين في أفغانستان هو بداية نصر لهم في بيت المقدس، ولا يعلمون أن هزيمتهم فوق ذرى الهندكوش إنما هي هزيمة لهم في بقاع أخرى من البقاع الإسلامية الممتدة في سائر الأرجاء.

يا أيها الإخوة: يقول رسول الله ﷺ : **(من خذل مسلماً في موطن تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب أن ينصر فيه، ومن نصر مسلماً في موطن ينتهك فيه من حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا نصره الله في موطن يحب أن ينصر فيه)** فنصرة المسلم في أي مكان فرض على المسلمين، واعلموا أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد سئل سؤالاً: قوم جياع إذا أطعموا تضرر الجهاد، وإذا أعطي الجهاد مات الجياع؟ قال: أعطوا الجهاد وليمت الجياع، ولذلك يا أيها الإخوة: لا تظنوا وأنتم تبذلون شيئاً من مالكم إنما تتفضلون وتتمنون به على هذه القضية أو تلك، إنما هو فرض لازم في أعناقكم من فوق السبع الطباق، والجهاد بالمال فرض عين، والجهاد بالنفس فرض عين في أي مكان تستطيع أن تجاهد فيه بنفسك ومالك.

فيا أيها الإخوة: انتبهوا! والسؤال عند الله عظيم، ويسألكم يوم القيامة ماذا صنعتم لفلسطين؟ وماذا صنعتم لأفغانستان؟ أعدوا لربكم جواباً، والله إن بعض المناطق لا يجدون الخبز، وإني أعرف بعض المناطق ثلاثة أشهر تعيش على العشب الأخضر، حتى الشفاه تصلبت واسودت وأصبحت مثل شفاه الغنم، واخضرت عروق وجوههم لكثرة أكل العشب، وهم لا يستطيعون أن يدبروا رغيف خبز، أما الرز -أكل الرز- فإننا نأتي بأفغان إلى دور الأيتام يبقى بعضهم أربعين يوماً حتى يتعلم أكل الرز لأنه لم يذق الرز في حياته، ولذلك يا أيها الإخوة: هذه قضية إسلامية الله سائلكم عنها، لتسألن عن أموالكم ولتسألن عن أنفسكم **(ولا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به)** انتبهوا.. فالأمر خطير، والعالم كله إنما يريد فقط أن يجهز على الإسلام الذي بدأ يتحرك من فوق ذرى تلك الجبال.

يا أيها الإخوة: هنالك مؤسسات كثيرة تعمل في ساحة بيشاور كلها إسلامية لا أريد أن أعدها، ومنها لجنة الدعوة، وهي تقوم بدور طيب في ميدان الصحة، فقد وقفت أمام الزحف الصليبي في أفغانستان، وأثبتت وجودها والحمد لله، وطردت الصليبيين عن الحدود والمناطق الحدودية لأنها قامت بأعمال جليلة في أعمال الصحة، وقال لي شباب جماعة لجنة الدعوة هنا: إنه يوجد عندهم هذه الخطة التي يقتطعونها من راتب كل مسلم في نهاية كل شهر، فلو استطعت تقديم دينار: خمسة دنانير في آخر الشهر لهذا الجهاد المسلم، والدرهم بسبعمائة **(وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)**، وهناك مؤسسات أخرى كمكتب خدمات المجاهدين الذي تكفل بنقل الأطعمة إلى الجبهات الساخنة حول كابل وجلال آباد وقندهار، وبشراء الألبسة والأطعمة وحفارات الخنادق، وتكفل بإيصالها إلى المجاهدين حول المدن، الآن وفي هذه الظروف الساخنة وهم يستقبلون الشتاء والثلج والبرد والجليد، فلو تقدمتم فهو فرض عليكم من ربكم

(إنفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)

(التوبة: ٤١)

فالبذل إنما يحمي الله به أسرتك وأولادك، فقد يحمي به ولداً من أولادك به تدفع آلاف الدنانير، ولو دفعت بضعة دنانير حماك الله بها.

واعلموا أن الله صلى وسلم على نبيه قديما، فقال تعالى ولم يزل قائلاً عليما وآمراً حكيما، تنبيها لكم وتعليما، وتشريفاً لقدر نبيه (إن الله وملائكته يصلون عي النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)، لبيك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وارض اللهم عن الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم مكن للمؤمنين في الأرض، اللهم مكن للمؤمنين في الأرض، اللهم مكن للمؤمنين في الأرض، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ، اللهم انصر الحق وأهله، واخذل الباطل وأهله، اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان وفي فلسطين وفي الفلبين وفي لبنان وفي أريتريا وفي السودان وفي كل مكان، اللهم ارفع راية الإسلام وحكم دولة القرآن واجعلنا من جنود القرآن، عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، اذكروا الله يذكركم، واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.

انهيار الحضارة الغربية*

(١)...... ويتآمرون على حسن البنا لقتله، فهرع محيي الدين القليبي من القصر إلى حسن البنا قال له: إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين.

حسن البنا رد عليه قال: أهذا أنت؟ يعني إلى هذا الحد وصل بك الأمر، أهذا أنت؟ (إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) ثم سمعت بيتين قالهما استشهد بهما:

أي يومي من الموت أفر	*يوم لا قدر أم يوم قدر*
يوم لا قدر لا أرهبه	*ومن المقدور لا ينجو الحذر*

يوم لا قدر لا أرهبه، أي اليوم غير المقدر لا أرهبه، ومن المقدور لا ينجو الحذر، يعيش المؤمن في الأرض وهو مطمئن لقضيتين: أن الرزق والأجل بيد رب العالمين

(وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا) (آل عمران: ١٢٥)

(وفي السماء رزقكم وما توعدون) (الذاريات: ٢٢)

(وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) (هود: ٦)

فهو عندما يطمئن إلى هاتين القضيتين يكون الذي فوق التراب تراب، وما الذي يحني الجباه ويذل الهامات ويطأطيء الأعناق إلا قطعة الخبز والكساء والخوف على الحياة والعيش.. هذا المبرر الأول، والكلام عليه يطول، ولكن لضيق الوقت نختصر وننتقل إلى المبرر الثاني.

المبر الثاني الذي يقول لنا إن الإسلام قادم هو انهيار الحضارة الغربية، الحضارة الغربية منهارة، ذات المخترعات والدبابات والصواريخ والطائرات التي قربت الأزمان والمسافات، عصر الذرة والصاروخ والطائرات النفاثات والمراكب الفضائية والأقمار الصناعية.

أنا أقول ليس من عندي إنما أقول نقلاً عن كتاب أبناء هذه الحضارة الغربية، إن الحضارة الغربية منهارة، هذا الكلام لست أنا الذي أقوله إنما أردد كلامهم، كلام من؟ كلام ألكسوس كارليل صاحب جائزة نوبل، كلام كولن ولسن الإنجليزي، الناقد الإنجليزي اشبنجلر، بيردسون، جاوارجو، توفلر، برنارد شو، توينبي، المؤرخون، الكتاب الغربيون مجمعون الآن على هذه القضية أنه انتهت حضارة الرجل الأبيض، هذه الكلمة التي قالها برتراند راسل وقال ألكسوس كارليل: إن الآلام والشقاء الذي تعانيه إنما هو بسبب أنظمتنا التي وضعناها الاقتصادية والاجتماعية.

سارتر فيلسوف الوجود الذي مات العام الماضي يقول: إن الدوامة تأكل لحومنا وتطحن عظامنا، ومن الذي لا يشعر بهذه الصدمة؟ إن الانتحار أبسط تعبير أن الحياة لا تستحق أن تعاش، كاميه فيلسوف الوجود الآخر الفرنسي: التحطيم إنجيلي، الخمر والتحطيم: تحطيم كل شيء، إنجيلي.

---

* كان اسم هذا الشريط (محاضرة القيت في سكن الطلبة في بيشاور) فغير إلى العنوان المذكور أعلاه وذلك أنسب للموضوع حيث حصلنا على هذا الشريط عند اتحاد الطلبة المسلمين فرع بيشاور.

نتشه الفيلسوف الكبير الألماني: إن القلق واليأس هما شعار العظمة الإنسانية، برنارد شو يقول: لقد كنت أعلم حقاً أن الحضارة ستنهار لأنها عاشت بلا دين، وذهاب الدين عن العلم فناء للاثنين معاً.

توينبي المؤرخ الإنجليزي يقول: لقد انهارت الحضارة الغربية بسبب الفراغ الكبير الذي رافقها، ولن تجد ما يملأها، لكنني لا أعلم ما البديل لهذه الحضارة الغربية، لكن أنا أعلم البديل أكثر، - توينبي أعلم أن البديل هو الإسلام -.

لماذا انهارت الحضارة الغربية؟ انهارت الحضارة الغربية كما يعللون هم لأنها عاشت بلا دين، والإنسان لا يستطيع أن يعيش بلا دين، باختصار راجع تاريخ البشرية، أي مجموعة مهما كانت ضاربة بالقدم ستجد لها معبوداً سواء كان متمثلاً في شجرة أو نجمة أو امرأة أو إله أو غير ذلك، الشيوعية أو الحضارة الأوربية الحديثة حاولت أن تنتزع فكرة الله من قلوب الناس، كما قال هذا اليهودي.. الحقيقة اليهود وراء هذا في البروتوكول الرابع قالوا: سننتزع فكرة الله من أذهان المسيحيين ونضع بدلها أرقاماً حسابية وعمليات مادية، فعندما انتزعوا فكرة الله من قلبه ضاع الإنسان الغربي.

لماذا حارب الإنسان الغربي الله والدين؟ هذه قصة طويلة، وأنا اختصرها لكم لأقرب لكم المسافة، تعرفون أن النصرانية عبرت ... إلى أوربا، والنصرانية التي دخلت أوربا ليس الدين الذي نزل على عيسى عليه الصلاة والسلام، إنما هي الديانة المحرفة التي وضعها يهودي تنصر اسمه شاؤل أو بولص، وهو الذي أدخل التثليث في الديانة النصرانية، الأب والإبن والروح القدس، كانت تعاليم بولص التي انتصرت على تعاليم التوحيد هي أول مسمار في نعش النصرانية نفسها.

المسمار الثاني في نعش النصرانية دخول الإمبراطور قسطنطين في النصرانية، هذا الإمبراطور كان فاسقاً زانياً، قضى حياته في الفجور والزنا، وما تاب إلا في نهاية حياته سنة ١٣٣٧م، رأى قسطنطين أن الإمبراطورية كادت أن تتفسخ -الإمبراطورية الرومانية- فأراد أن يجمع الناس على عقيدة، فانتقى النصرانية، فتبع قسطنطين الديدان الطفيلية التي حوله دائماً، لحقت الحاشية الملوك والأعيان والمجالس والأبالس وغير ذلك، لماذا؟ حتى يلحقوا عظمة من العظمات التي حول أقدام الطاغوت، يخرج له عظمة كبيرة وزير، أو عظمة صغيرة مدير دائرة، أو عظمة أصغر ولو استاذ في مدرسة.. المهم أن لا يفوته عظمة من العظمات، لما ذهب قسطنطين كان هناك حزبان متنافسان: النصراني والوثني، جمعهم مع بعض، أخذ من هذا تعاليم ومن هذا تعاليم وأخرج ديناً جديداً سماه الدين العام أو الكاثولكية، كاثوليك معناها العام، هذا المسمار الثاني.

المسمار الثالث في نعش النصرانية وقوفها في وجه العلم، من خلال اتصال الغرب بالمسلمين عن طريق الحروب الصليبية وعن طريق الأندلس بدأت العقلية الغربية تتفتح، وبدأت بعض العقليات تبتكر نظريات علمية، ومنها القول بكروية الأرض ودوران الأرض، أول من قال بهذا (كوبر نيكس) كوبر نيكس أخذ ووضع في السجن وعذب، ثم تبعه جاليلو الذي اخترع التلسكوب، ثم عذب ووضع في السجن، ثم تبعه برونو ١٦٠٠م، برونو قال: إن الأرض كروية، عقدوا محاكم عرفية في الشوارع اسمها المجامع الكنسية، المجالس الكنسية أو المجامع الكنسية عقدوها في الشوارع، أي عالم يأتون به ويحاكمونه، وغالباً جزاؤه الإعدام، هل تقول إن الأرض كروية؟ نعم، هذا كفر بمبادىء الكنيسة قال: (IT IS ROUND) حكم عليه المجلس بالإعدام بشرط أن لا تراق قطرة دم، أي بأن يحرق حياً، وبعد صدر الحكم قال: (ALSO IT IS ROUND)، ومع ذلك فهي كروية، محاكم التفتيش التي سموها سواء عن العلماء في أوربا الغربية أو عن المسلمين في أوربا الجنوبية إسبانيا والبرتغال، هذه كانت من أكبر وصمات العار في تاريخ أوربا، قتلوا ثلاثمائة ألف إنسان، ومنهم اثنان وثلاثون ألفاً حرقوا أحياء.

القضية الرابعة في نعش النصرانية: الترف الذي كان يحياه رجال الدين، فالناس يعيشون في شظف وفي فقر وما إلى ذلك، وهم يعيشون حياة البذخ والترف التي تزري بحياة الأمراء وبحياة الأثرياء، وكانوا يفرضون على الناس ضرائب عالية، ضريبة لهم وضريبة للملك، ويخدرون الناس بأن طاعة الأمراء والملوك واجبة، حتى أن أحد البابوات اسمه إنسنت الثاني لم تكفه ميزانية فرنسا لأن فرنسا الكاثوليكية ..[1] العاشر تاجر البابوية للديون التي عليه، لا تستغربوا، لا زال البابوات الآن يعيشون ببذخ عجيب، لأن أغنى بلد في العالم ومملكة في العالم هي مملكة الفاتيكان التي تعد ألفي نسمة، بينما أموالها أكثر من ألفي مليار، يعني لو وزعوها على أعدادهم لخرج لكل واحد ألف مليون، وعندما قتل البابا يوحنا بولص الأول الذي مكث ثلاثة وثلاثين يوماً ثم قالوا: مات، وهو قتل قتلاً كلفت عملية قتله ثلاثين مليون دولار، هذه كلها جعلت العقل الغربي يفكر: ما هي أقصر طريق للخلاص من الكنيسة؟ إن الكنيسة تستطيل علينا وتحكمنا باسم الله، الأساطير التي تسيطر بها على عقول الغربي، والخرافات التي أصبحت تقرف من سماعها النفس، يعني العشاء الرباني وصكوك الغفران، كان البابا يصدر قرارات غفران ويبيع أرض الجنة بالدونمات، يعني دونم في بيشاور تشتري فيه عشرين دونم

---

[1] كلام ناقص.

في الجنة، ويباع على شكل طوابع البريد في الشوارع العامة!! من أراد نصدره على قدر المال الذي معه نصف دونم تدفع قيمته تأخذ صك بنصف دونم قصر قصرين إلى آخره.

ولذلك يوجد واحد حشاش ذهب إلى البابا قال له: يا أبونا -يا أبوهم يعني- أنا أريد النار! قال له: لماذا يا بني؟ قال له: أنا أريد أن أشتريها منك، كم تريد؟ أنا سأدفع ثمنها فقال له: إدفع، فدفع له مبلغاً وكتب له صكا أن النار له، فحمل الصك وسار في الشوارع قال: أيها الناس لا تشتروا الجنة، فكلكم ستذهبون إلى الجنة لأن النار ملكي، ولن أدخل أحداً فيها -طبعاً-!!

بالإضافة الجهل الكبير الذي كانوا فيه، كنت تمشي أيام أن كانت شوارع غرناطة وقرطبة منارة كنت تغوص في الوحل إلى ركبتك في باريس، أيام ما كان في مكتبة الحكم الثاني ثمانمائة ألف مجلد في غرناطة أو قرطبة كنت تمشي من مدينة إلى مدينة حتى يقرأ مكتوبك!! فالجهل كان مطبقاً، وتصوروا الجهل عندما يحكم، ونحن ما هي مصيبتنا؟ يكون عتالا في الشارع لا تراه إلا ويصبح فخامة الرئيس، هذه المصيبة سيدخل كل الأمة من خلال سم الخياط الذي هو عقله، خرم الإبرة العلماء والفقهاء والمفكرون والمخترعون وما إلى ذلك، كلهم سيدخلون من خلال عقليته، ولذلك مصيبتنا بهم مصيبة، يأتي كبير المهندسين إليه بمشروع توسيع ميناء، فيشرح للرئيس الكبير العظيم عن المشروع عن أبعاده وكم سيخدم الأمة وكم وكم.... الخ، طبعاً الرئيس لا يعرف الشرق من الغرب على الخارطة، فيذهب ويقدم اقتراحاته الأخ! يقول له لماذا ما وضعت من هنا باباً؟ فيقول له: تريد باباً من هنا؟ يقول له نعم، فيخسر البلد مائة مليون ويخرب التصميم الهندسي حتى يعطي اقتراحه على كبير المهندسين!!

نعم، هذا يحصل! وأكبر مثال على ذلك السد العالي الذي تعاني منه مصر ما تعاني، والآن مصر تفكر كيف تتخلص من السد العالي بعد أن ظهرت آثاره السلبية الكبيرة في حياة الاقتصاد المصري، وفي الزراعة المصرية، وفي العلمي، وفي حركة السير، وفي الخطر الذي يتهدد مصر فيما لو فاض السد لأنه سيغرق ألف ميل من أسوان ليغرق الطابق الثالث في القاهرة، كل مصر ستغرق منه بمجرد قنابل متوسطة الثقل تضرب السد، المصائب كثيرة، ومآسينا كثيرة جداً جداً، وليس من يعلم كمن لا يعلم! **(ولو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا)** على المآسي التي نعيشها والابتلاءات التي ابتلينا بها من قبل الطواغيت، وغالباً الطواغيت معظمهم ساقط في المدرسة، فيتحول إلى الكلية العسكرية، ومن الكلية العسكرية وإذا به رئيس جمهورية، وبعد ذلك يصبح القائد الملهم والزعيم المعظم الذي لا يخطىء، يتكلم ربع ساعة لا يعرف أول ما تكلم به من آخره، تمكث الجرائد أسبوعاً كاملا وهي تحلل الخطاب التاريخي الذي يرسم دستوراً للأمة لمدة سنوات، وقد عنى بهذه الجملة كذا، وبهذه الكلمة كذا، والله لا يدري ماذا يقول هو، غالبهم لا يعلمون ماذا يقول، لكن المصائب القطعان البشرية التي تردد كالببغاوات.. (يا له من ببغاء عقله في أذنيه) عقله بأذنه، الذي يسمعه هو الصحيح..

إيه يا قطعان لا تســـــــألـني	كل من في شرقنا يدري عيوبـــه
ادرفيها لا تلومــــــي أحـــــداً	أخـطأ الراعـي فقدست ذنـــوبه

وعندما يأتي واحد يبصرهم بحقيقتهم وبمصيبتهم وما إلى ذلك يذهب يقول: هذا يتكلم عليك...

أنا أنظر إلى الشعوب -وإن كنا قد خرجنا قليلاً عن انهيار الحضارة الغربية- الشعوب مثل العصافير والصياد، تعرفون العصافير والصياد؟ صياد خرج في يوم بارد والثلج يتساقط يصطاد، فرمى طلقته أسقط مجموعة من العصافير سقطت جرحى فأخذ يجهز عليها، ولشدة البرد نزلت دموعه، فقال أحد العصافير الجرحى للآخر: انظر إلى الصياد إنه يبكي علينا، ولذلك لا يموت إلا ويقولوا هذا شهيد الثورة، وهذا شهيد المملكة، وهذا شهيد البلد، وهو مات وهو يذبح في البلد، أو في الثورة، أو في غيرها، ألم يسموا عبد الناصر شهيد الثورة الفلسطينية؟ بلى سموه شهيد الثورة الفلسطينية! وصدقوا يا أيها الإخوة كما أعتقد بيني وبين الله أن ابن جوريون ما خدم اسرائيل أكثر من عبد الناصر،كما أظن بيني وبين الله ويحاسبني عليها إن كنت قلت ما لا أعتقد، ومات شهيد الثورة الفلسطينية!! والفلسطينيون، والذي أنا منهم طبعاً.. الضفة الغربية ساقطة والقنابل التي تنزل فوق الأقصى ولا أحد بكى ولا أحد شكى، عندما استقال عبد الناصر والله رأيتهم يبكون، ضياع.. ضياع.. وأفئدتهم هواء.

الأوروبي فكر: ما هي أقصر طريق للخلاص من نير الكنيسة؟ أقصر طريق للخلاص من نير الكنيسة هو إنكار إلهها الذي تدعو إليه، فإذا أنكرنا الله سقطت الكنيسة طبيعياً وتحرر الإنسان الغربي، وبالفعل هرب الإنسان الغربي من الله ليخلص من الكنيسة، وابتدأت بكلام لوثر وكلفن وبقي مواصلا ڤولتير وروسو ويدروا وغيرهم حتى حطم الغربي الكنيسة الكاثوليكية بأكبر ضربة وهي الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، وإن كان اليهود قد استغلوا الظروف التي عاشت فيها فرنسا وخططوا لها في المحفل الماسوني في باريس، وخاصة بين ١٧٨ - ١٧٨٩ وإن كان اليهود استغلوا الظروف إلا أن الظروف كانت مهيأة لقيام الإنسان بالثورة ضد الدين، وخرجت الثورة

الفرنسية، وكان شعارها (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس) كلمة ميرابو فيلسوف الثورة وخطيبها، يعني أنهوا الملكيات والأديان في أوربا.

وقامت الثورة البلشفية وإن كانت كذلك قد أتاحت ظرفاً قوية مناسبة من فقر الناس واستعباد القياصرة للناس وغير ذلك، والهزائم والخسائر التي خسرها الجيش الروسي في الحرب العالمية، وإن كانت الظروف مهيأة إلا أن اليهود قد خططوا لها واستغلوها ونفذوها، يعني المكتب التنفيذي الأول للثورة الشيوعية أو البلشفية سنة ١٩١٧ خمسة من سبعة يهود الأبوين، على رأسهم لينين حاييم غولدمن، الذي سمي نفسه بالأخير... كان اسمه عندما ولد اسم يهودي حاييم غولدمن، ثم تغير فيما بعد، وكان الروسي الوحيد الذي ليس يهودياً هو بلبوف، خمسة من سبعة، وكان السادس ستالين زوجته يهودية، وهي روزا كجوبلتش، وكان مجلس الوزراء الأول للثورة الشيوعية (١٧) يهودياً من (٢٢) وزيراً، وكان كبار الحكام في الدولة الوزراء والمجالس وغيرها مجموعهم (٥٣٢) فيهم (٤٢٦) يهودياً، يعني بنسبة ٨٠٪ ولا زالت اليهودية تتحكم في روسيا كما تتحكم في أمريكا.

في عام ١٩٦٥م كتبت الكفيدا إحدى الصحفيات الروسيات في مجلة برافدا تقول: إن اليهود يأخذون حقهم في الاتحاد السوفياتي بل زيادة عن حقهم، تقول إن ٨٠٪ من الموجهين العقائديين في الحزب يهود، والقناصل ورجال السلك الخارجي (والدبلوماسي الخارجي)، و (٦٠٪) من أساتذة الجامعات والمعاهد العليا من اليهود، أقول: اليهود استغلوا الظروف فحطموا القيصرية وأقاموا الثورة البلشفية، وكان شعارها كذلك معادياً للدين، الدين أفيون الشعوب، الدين علقة تمتص دماء الشعوب، الدين مخدر، لا إله والحياة مادة.

والحقيقة أن الشعارات التي أطلقها الشيوعيون أو البلاشفة والشعارات التي أطلقها الفرنسيون في ثورتهم هي تعبر بعض الشيء عن ضمير الأوروبي تجاه الدين الذي رآه، فعلا الدين الذي رآه الأوروبي مخدر، وأفيون الشعوب، وعلقة تمتص دماء الشعوب، وظنوا أن الأديان كلها مثل الدين الغربي، هرب الإنسان من الله، عندما هرب من الله نتج الفراغ، كان الأوروبي قلقاً، عندما يقع في مأزق أو في أزمة يدعوا ويقول: يا..... إلى آخره فتخفف الآلام، الآنْ العقل الأوربي ماذا يقول: يا مختبر خلصني من آلامي، يا أيتها المدرسة العقلية المثالية (مدرسة هيجل) خلصيني، يا أيتها المدرسة الحسية الوضعية مدرسة أوجست كنت اشفيني، يا اقتصاد ماركس خلصني، خلاص انتهى.. لن يعود هناك شيء يثق به ويتمسك به، هم حاولوا أن يملأوا الفراغ، حاولوا عن طريق المدرسة العقلية المثالية، وعن طريق المدرسة الحسية الوضعية، وعن طريق الفلسفات، فلسفة داروين، البيولوجيا، وفلسفة ليفي برن في الأخلاق وفلسفة.. شعر الإنسان الغربي أنه بات يعيش في فراغ، وصارت المشاكل تزداد عليه يوماً بعد يوم.

أنت تقع في مشكلة تدعو الله عز وجل، تخفف آلامك، تبكي بين يدي الله، تمسح الحزن، اللهم أنا عبدك بن عبدك بن أمتك... (ما أصاب عبداً هم أو غم فقال: اللهم أنا عبدك بن عبدك بن أمتك ناصيتي بيديك ماض فيَّ حكمك عدل فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي وغمي إلا أذهب عنه همه وغمه وأبدله فرحاً أو سرورا).

أقول: كان الغربي يدعو الله، فترك الله يدعو المسيح، فترك المسيح يدعو مريم، فترك مريم فصارت المشاكل تزداد يوماً بعد يوم، حتى تكونت العقد النفسية، وحتى انعكس القلق أمراضاً نفسية وعقلية وعصبية، والآن العالم الغربي أكثر ما يعاني من قضيتين أو ثلاث قضايا: الأمراض النفسية والعقلية والعصبية، يعني الجنون.

ثانياً: الأمراض الجنسية.

ثالثاً: الانتحار.

لماذا الأمراض النفسية؟ من القلق، القلق صار ينعكس ظواهر اجتماعية، كيف ينعكس ظواهر اجتماعية؟ صار القلق، يلبس بنطلوناً ضيقاً كيف يلبسه لا تدري، بعد شهر يلبس بنطلوناً عرضه ٢٥سم، أول يوم يربي شعره مثل الشجرة أو النتشه أو غيرها بهذا الشكل، بعد شهر تجده حلق على الصفر، والببغاوات الشرقية تنظر إليه (تقلده)، حلق على الصفر تحلق على الصفر، طول سالفه يطولون سوالفهم، ربى شعره يربون شعورهم، ضيق بنطلونه يضيقون بنطالهم، قلق ينعكس على تصرفات الغربيين فينعكس على الببغاوات والقرود التي تتقن المحاكاة والجمود، الهيبز والبيتلز هذه كلها ظواهر اجتماعية نتيجة القلق.

في أمستردام عقد مؤتمر للهيبين أو البيتلز كان يحضره مائة ألف من أرقى الطبقات، فيهم الوزير والمهندس والطبيب وغير ذلك، مكثوا أسبوعاً في أمستردام يأكلون، يشربون، يتناكحون، يتبرزون في مكانهم، ارتفع طبقات الذباب والبعوض، حاول البوليس أن يسد الشوارع، حاول البوليس أن يفرقهم ما استطاع، ضياع ينعكس في تصرفاتهم، يأتي الإنسان الغربي مجموعة من الهيبز أو البيتلز

الضائعين التائهين.. هؤلاء بالفعل تنظر إليهم في شوارع إيطاليا، أمريكا، تجد علامات الضياع في الوجوه كلها، يأتي على بالهم تكسير زجاج شارع من الشوارع يبدأ يحطم ويكسر، يهجم البوليس، قنابل الغاز المسيلة للدموع، ولكن بدون فائدة، يسلط عليهم خراطيم المياه، يمسكون، أنتم حطمتم هذا؟ يقولون نعم، لماذا؟ هكذا مزاج، القتل الذي أصبح موضة في شوارع كبرى في مدن العالم الحر، أمريكا، هم يسمونه عالم حر، في بعض شوارع نيويورك لا تستطيع أن تمشي فيها بعد المغرب وحدك.

حدثني أحد الشباب الأردنيين في نيويورك وقد زرته في بيته في نيويورك قال لي: ذات مرة ضعت عن بيتي فمكثت طيلة الليل أبحث عن بيتي ما تجرأت أن أسأل واحداً حتى البوليس، لأني خشيت أن يعرف أني غريب فيقتلني ويفتش في جيوبي لعله يجد عشرة دولارات أو عشرين دولاراً، سرقة السيارات كل خمس دقائق في لندن يوجد سرقة سيارة، الجرائم في أمريكا إحصائيات ١٩٧٥م (١١١,٤) مليون جريمة، يعني يمكنك أن تقول أن الأسر الأمريكية (٧٠) مليون أسرة سدس الأسر الأمريكية في سنة واحدة أصابها الجرائم، يعني في ست سنوات لازم كل الأسر يصيبها الجرائم.

ليلة من الليالي انقطع التيار الكهربائي في نيويورك حدثت العجائب، السرقات، الجرائم، النهب في المحلات الكبرى، قال: فوجدت أحد كبار رجال المجتمع ممن يسرقون، فقلت له: حتى أنت؟! حتى أنت؟! قال: فرصة ما أحببت أن تفوتني، الأمراض النفسية الإحصائيات في داخل نيويورك (٨٢٠) ألفاً تقريباً من المجانين المصابين بالأمراض النفسية والعصبية، في المستشفيات (٨٢٠) ألفاً.

أرقى بلد في العالم تقريباً من ناحية التأمينات الاجتماعية وغيرها السويد، وأكثر بلد في العالم فيها أمراض نفسية وعقلية وعصبية السويد، ٢٥٪ ربع السكان مصابون بهذه الأمراض، الآن ٣٠٪ من ميزانية السويد مخصصة للأمراض النفسية والعقلية.

كم عربياً أنتم في هذا البلد؟ مائتان وخمسون كم مجنونا فيكم؟ أظن ولا مجنوناً، يعني النسبة صفر في المائة، في قريتك التي تعد ألفاً كم مجنوناً فيها؟ يمكن أن يكون واحداً، معروف في البلد أن فلاناً منذ عشرين سنة وهو مجنون، فالنسبة واحد في الألف، أو تكون أقل من واحد في الألف، لماذا في بلادنا هكذا؟ لأن القشور الباقية التي نتمسك بها والعقائد التي ورثناها عن آبائنا بدأنا نتمرد عليها لازالت راسخة في أذهاننا: أن الله عز وجل موجود ويرزقنا وينجحنا، وهو الذي يمرضنا ويشفينا، هذه العقيدة هي التي تخفف من آلام المصائب في الحياة، الأمراض النفسية والعقلية احتاج الإنسان فيها إلى أن يهرب من الحياة، كيف يهرب من الحياة؟ بالكحول والمخدرات!

٤٩٪ من الشعب الأمريكي مدمن على المخدرات، تمشي في الشوارع تجد الذين دون البلوغ في الثانية عشرة يكشفون عن سواعدهم وآخر يحقنه بإبر المخدر، (LLSD)، تدخين المرجوانا، الحشيش بين الأطفال، عملوا إحصائية لطلاب المرحلة الإعدادية كم الذين يتعاطون المخدرات، ٢٨٪ من أبناء المرحلة الإعدادية الذين هم دون الثالثة عشرة تقريباً يتعاطون المخدرات، لماذا؟ الضياع، الفراغ، القلق، الآن عندما تغضب تخرج سيجارتك وتعج عليها، لماذا التدخين؟ من القلق، فإذا ازداد القلق لابد من مخدر، فإذا ازداد لابد من كحول، كيلو غرام الكوكائين يباع بـ (٦٠٠,٠٠٠) دولار، أي غرام الواحد بـ (٦٠٠) دولار، الكيلو بستمائة ألف دولار، ومع ذلك يومياً من الكوكائين والهروين يباع بالمليارات في الأسواق الغربية، أمريكا لن تستطيع أن تمنع تهريب الحشيش، شوارع فلوريدا طيلة النهار والليل الدوريات تتحرك ومع ذلك تهريب صفقات الحشيش لا يتوقف، إنسان بحاجة، قلق.

حدثني واحد في مستشفى الجامعة الأردنية يأخذ مخدراً، فدخل إلى صيدلية المستشفى، قال له: أنا أريد المخدر الفلاني (إبر، من الإبر التي تقتل الأعصاب)، قال له: أنا لا أستطيع إلا بوصفة طبيب، ذهب إلى الطبيب، قال له: لا أعطيك إياه، أعصاب متوترة، قنينة موضوعة على الطاولة كسرها ومسكها وهجم على الطبيب والصيدلي، قال: والله إن لم تعطني لأقتلنك، هكذا، ضياع، قلق، لابد أن تسكت الأعصاب بالمخدر ثم بالانتحار، الذي هو عندما يصل القلق إلى هنا لا يستطيع الإنسان أن يتحمل، فيعلن عن نهاية احتماله بالانتحار، تجد المليونير، الوزير الفلاني، المخترع الفلاني، الكاتب الفلاني يقف فوق ناطحة السحاب ويلقي بنفسه في الشارع العام يتمزق إربا إربا.

بنت أمريكية عمرها أربع وعشرون سنة مليونيرة أعلنت أنها ستنتحر، لماذا؟ جاء الأطباء وعلماء النفس[1] والإنجماع وغيره، قالوا لها أنت لماذا ستنتحرين؟ قالت: أنا أحس بشقاء ولا طعم لحياتي، مليونيرة تجد عندها رصيداً مئات الملايين، حاولوا أن يقنعوها، قالت: أنا لا أقتنع، في اليوم المحدد انتحرت.

مليونيرة كذلك إنجليزية من فوق جسر في إيطاليا ارتفاعه مائة متر ألقت بنفسها على الصخور فتحطمت.

جاءب مرنوا فيلسوف غربي رأى قضية الانتحار، فذهب وأتعب نفسه سنوات وهو يؤلف عن الانتحار وموانع الانتحار، و تتوقى المجتمعات عملية الانتحار وكيف...... وبالتالي انتحر.

أرنست همنجواي صاحب جائزة نوبل (الشيخ والبحر)!! أرنست همنجواي، الكاتب الأمريكي المعروف أخذ جائزة نوبل وأنت عندما قسموا ميزانيته وخرج لحفيدته بالتبني مائة مليون دولار، والضياع الذي يعاني منه الغربي أنشأ هذه الأمراض.

الأمراض الجنسية لا تسأل عنها، إحصائية مع دائرة المعلومات البريطانية الانسكلوبيديا في الخمسينات تقريباً أو الأربعينا ٩٠٪ من الشعب الأمريكي مصاب بالزهري، و ٦٠٪ مصاب بالسيلان، و ٤٠٪ مصابون بالبرود الجنسي، حتى أن كندي وجه خط للشعب الأمريكي قال: إن أمريكا في خطر الاندثار، إن ٦,٧ من الشعب الأمريكي من الشباب الأمريكي لا يصلح للجندية لأنه منت نفسياً وجسدياً بسبب الأمراض الجنسية.

خرتشوف نفس الشيء وجه خطاباً مثل هذا..... العالم الشيوعي لا تسأل عنه، يعني في العالم الغربي يوجد نفَس وقليل ، الحرية، الإنسان الغربي يتحرك، أما العالم الشيوعي كما قال المثل العامي عندنا (قلة وذلة وكحل أسود) العالم الشيوعي بالفعل. يعذ ضياع

من كل ناحية، ومن هنا جاءنا الخطر، الفودكا توزع شبه مجاني (الفودكا شراب مسكر روسي).

قرأت نقلاً عن التايمز اللندنية إحصائية عن بعض العمال الروس كم يشربون في اليوم من الكحول؟ في ١٩٧٧/٧/١م تقرير نشرتها، يشرب العامل ١٣ لتر فدكا، ويصنع في داخل البيت ١٠,٥ لتر كحول يشربها في اليوم، كم يشرب في اليوم؟ ٢٣,٥ لتر، تنك كاز وزيادة عنها، تنكة مثل هذه، أي بغل يستطيع أن يشربها؟! لماذا هذا؟ الضياع.

أما الفقر فلا تسألوا عنه، جاءت الاشتراكية لتأخذ العامل إلى فردوسه المفقود، وكان ماركس يمني العامل أنك ستصبح مثلك مثل رئيس الدولة تماماً، وهجم العمال على كلام (يا عمال العالم اتحدوا).

الآن أطرح سؤالاً: مَن مِن الشيوعيين يستطيع أن يقول إن العامل الغربي أقل حالاً من العامل في العالم الشرقي؟ بل أفضل حالاً من المهندس والطبيب وغير ذلك في داخل الدول الشيوعية، كل عامل في ألمانيا في فرنسا في إيطاليا تجد عنده سيارته، تجد عنده حياة الكفاية، لكن تجده يلبس قميصاً جميلاً، بنطلوناً مكوياً، تجد أنه يأكل، أين يجد هذا في العالم الشرقي؟ مائة وعشرون روبلا راتب المهندس، اثنا عشر ديناراً أردنياً، ماذا يأكل ويشرب ويعيش أولاده منها؟ ولذلك يستحيل تقريباً أن تجد في العالم الشيوعي تقريباً أي معاملة تمشي إلا بالرشوة والسرقات.

حدثني طالب من الزرقاء -هو يدرس في رومانيا- قال: جاءت البرفسورة التي تدرسهم لها بنت، قالت له: هات لي بنطلونين جينز -الشادر الأزرق هذا- هات لي بنطلونين جينز وأنا أعطيك ابنتي، أستاذ برفسور يأتي إلى طالب آخر أيضاً -يحدثني إياه طالب أردني- قال لي: جاء الأستاذ في آخر السنة ينحني أمامي أرجوك أرجوك! أرجوك ماذا يا أستاذ؟ قال: أرجوك أن تعطيني البوت الذي في رجلك، بوت الرياضة الذي سعره في عمان أيام الغلا مائة وخمسة وسبعون قرشاً، بعد أن لبسه سنة يرجوه البرفسور أن يعطيه إياه!! الطالب عمل نفسه أستاذاً على الأستاذ، قال له: أفكر.

ولا أريد أن استطرد في القضايا، لكن يكفي أن تعلم أن روسيا نفسها التي كانت تشبع أوروبا قمحاً الآن تستورد من أمريكا كل سنة خمسة عشر مليوناً وثمانمائة ألف كيلو غرام قمح، وأما بعض المدن الروسية لا ترى الخبز طيلة العام ولا ترى اللحم، وإذا سألت أين اللحم لا يدري الناس أين لحمك.

يكفي أن تعلم أن الخسارة في الميزانية في رومانيا في الميزان التجاري -العجز فقط في الميزان التجاري- سنة ١٩٧٥م أو ١٩٦٨م نسيت السنة (٢٤٥) مليون جنيه، العجز فقط، ومع ذلك كل الناس عرقهم ودمهم أين ينصب؟ في جيب حفنة من الكذابين اسمهم اللجان المركزية للحزب الشيوعي (احرث وادرس لبطرس)[1]. ولذلك برجنيف زعيم العالم الشيوعي هوايته تبديل السيارات ودع الناس تأكلون الهواء، والقصص كثيرة ولا أريد أن استطرد في هذا.

فالعالم الشيوعي أذل وأقل وأكثر ضياعاً، العامل ضائع فيه ضياعاً عجيباً، يا جماعة: أهناك بلد في العالم لا يوجد معها جوازات سفر إلا الدول الشيوعية وأهل غزة؟ هل يوجد أحد؟ أهل غزة العالم العربي حرمهم من جوازات السفر، ومن أيضاً؟ العالم الشيوعي، أهل غزة حتى يتاجروا على ظهورهم. أما العالم الشيوعي أي إنسان يستطيع أن يخرج من العالم الشيوعي؟! حدثني

---

(١) عامي يقال لكل شخص يعمل لغيره دون أن يستفيد من هذا العمل.

مهندس خريج الاتحاد السوفياتي قال لي: والله لو أعطوا الناس جوازات سفر وسمحوا لهم بالسفر في خلال أسبوع يخرج مائتان وأربعون مليوناً ويبقى ستة ملايين شيوعي فقط.

يا أخي: الرياضيين مكرمون كثيراً في روسيا حتى يملأوا الفراغ عند الناس، المباريات الرياضية والمتاحف والتصوير والفن والرقص حتى يملأوا فراغ الإنسان هناك، فالرياضي والرقاصون لهم قيمتهم الكبرى في روسيا، فريق بكامله خرج إلى دولة غربية عندما رأى الكباب والتفاح والبرتقال قالوا : نحن لا نريد أن نرجع، كلنا لاجئون سياسيون عند هذا البلد.

(اندري جيب) الكاتب الذي كان مبهوراً بالشيوعية فقط عندما زارها أسبوعاً رجع وكفر بكل روسيا، بكل الشيوعية.

يا جماعة الخير: العالم الغربي الآن في ضياع، الآن الإنسان منهار، فاقد سعادته، يعيش على المخدرات، الحضارة الغربية انهارت، من الذي يحل محلها؟ بعض الكتاب الغربيين مثل شبنجلر كتب كتاب انهيار الحضارة قال: إن البديل هو الإسلام.

وقال: إن للحضارات دورات فلكية كدورات الفلك، ما إن تغيب حضارة حتى تظهر حضارة أخرى، ومع أفول الحضارة الغربية هناك حضارة مشرقة من بعيد هي الحضارة الإسلامية تملك أقوى قوة ناصعة روحية في العالم، هذ الثاني.

المبشر الثالث: النصوص من الكتاب والسنة، ربنا أخبرنا أن هذا الدين سيملك الأرض جميعاً، والرسول ﷺ كذلك، الله عز وجل قال في أكثر من موضع في الكتاب

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) (التوبة: ٣٣)

يقول الشافعي عند هذه الآية: – وهو كان يعيش في دولة إسلامية – هذا سيكون إن شاء الله متى شاء، وفي مقبل الأيام- يعني جملة قريبة من هذا المعنى-، وأما النصوص النبوية فهي تبشر -وهي كلها صحيحة التي أنقلها لكم- في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وهو صحيح والحاكم وصححه والدارمي وابن منده وعبد الغني المقدسي وغيرهم قال ﷺ: **(ليبلغن هذ الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يبقى بيت من مدر ولا وبر** -يعني من طين وحجر أو من شعر- **إلا ويدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز به دين الله وذلاً يذل به الكفر).**

والحديث الصحيح الآخر في مسلم **(إن الله زوى لي الأرض** -جمع لي الأرض- **شرقها وغربها، وإن ملك أمتي سيصل إلى ما زوى لي منها)**، وحديث ثالث صحيح (سئل رسول الله ﷺ **أي المدينتين تفتح أولاً أقسطنطينية أم رومية؟ قال: بل مدينة هرقل أولاً** -يعني القسطنطينية -) وقد فتحت القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ بعد الحديث بثمانية قرون ونصف، وستفتح روما بإذن الله، وقد ترون هذا، إن لم تروه أنتم سيراه أبناؤكم إن شاء الله، ولا أظنه بعيداً، ولا تستغرب أن تكون أنت في الستينات مهندس في بلدية لندن الإسلامية، لا تستغرب، والله يمكن أن يكون ابنك محافظ لندن إن شاء الله، ليس هذا ببعيد، لا تيئسوا، الأمر قريب قريب إن شاء الله، اطمئنوا دين الله قادم.

والحديث الرابع الصحيح الذي صححه العراقي رواه أحمد وصححه العراقي.... [1]

الجهاد الأفغاني [2]

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد: فيا من أكرمكم الله بالإسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

منذ أن رأى الغرب أن دين الله عز وجل يتقدم، ورايته مرتفعة، وجنده منتشرين في أرجاء أوروبا، وعماله يجوبونها شرقاً وغرباً يجمعون الجزية من ليننغراد حتى فينا والصرب والمجر، واليونان وإيطاليا وصقلية إلا وثارت في أنفسهم أحقاد على جملة هذا الدين، وأجلبوا خيلهم ورجلهم أن يشتتوا جمعه، ويفرقوا شمله، ويبيدوا أهل هذا الدين حيث ما وجدوهم، فكان لا بد من الإطاحة بالمنارة التي تجمع المسلمين، وبالحصن الحصين الذي يؤوي جموعهم وهي الخلافة الراشدة، أو الخلافة الاسلامية التي يقيم حكامها في إسلام بول، ولذلك تكالب العالم كله على إسقاط هذا الصرح الشامخ، وتداعت المعاول من كل مكان حتى يثلوا هذا الحصن المجيد.

---

(١) هنا يوجد انقطاع في الشريط. (٢) القيت هذه المحاضرة في آخر زيارة للشيخ للكويت وقبل استشهاده بأقل من شهر عام ١٩٨٩م.

ثلاثة قرون متتالية والعمل في أوروبا متواصل لإسقاط هذه القلعة الصامدة في وجه الكنيسة الغربية والشرقية، حتى نجحوا (١٩٢٤) في إسقاط الخلافة الإسلامية، وتفرق المسلمون أيدي سبأ، شذر مذر لا يلوون على شيء، ولا يجمعهم جامع في الأرض ك وأشغل أعداء الله عز وجل المسلمين بأنفسهم، ومزقوا الأراضي، كل قطعة من الأرض سموها اسماً جديداً، وربطوا الناس ب الأرض، وأنسوهم رباطهم بخالق السموات والأرض، فأصبحت أنظار الناس لا تتعدى رأس جبل ولا نهاية واد، يحصرون أنفسهم شعبين في قطعة صغيرة تسمى كذا وكذا وكذا وكذا باسم البلدان التي سمتها لنا بريطانيا وفرنسا حسب معاهدة سايكس بيكو.

كانت منطقة بلاد الشام كلها ولاية واحدة اسمها ولاية بيروت يحكمها وال واحد من قبل الخليفة الذي يقيم في القسطنطينية، و يعرف الناس أن اسم سوريا كان يطلق على هذه البقعة الآن التي تحصر ما بين لبنان وفلسطين، إنما كانت سوريا عندما تطلق إ تعني كل بلاد الشام من سوريا والأردن وفلسطين و لبنان وغير ذلك، ويوماً بعد يوم ارتبط الناس بأحجار وبتراب ونسوا أنهم موجود في هذه الأرض لعبادة رب السموات والأرض، وأنهم منوط بهم الخلافة. **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون، ما أريد منه من رزق وما أريد أن يطعمون).**

فأنا كعبد مطلوب مني أن أعبد الله، وأن أؤدي شعائره، وأن ألبي نداءه، وأن أطبق فرائضه حيثما كنت. فإذا لم أستطع أن أع الله في هذه الأرض أتركها إلى بقعة أخرى حتى يتسنى لي من القوة التي تمكنني من تخليص هذه الأرض مما ران عليها من أثقال، ؛ أعبد الله وأجعل الناس الذين يسكنون هذه البقعة التي تركتها يعبدون الله كما أمر.

(يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون، كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين، الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) (العنكبوت: ٥٦-٥٩)

ولا يشك شاك ولا يرتاب أحد ولا يجادلك إنسان أن أفضل بقعة في الكرة الأرضية هي البقعة التي تحوي الكعبة المشرفة والبيت الحرام، حتى إذا ضاقت هذه البقعة بالدعوة الإسلامية وأجدبت من أن تنبت نباتات جديدة وأن تخرج زهرات تعبق بشذاها أرجاء مكة إذاً ليترك البيت الحرام وليترك مكة، ومن هو التارك؟ رسول الله ﷺ سيد البشرية، وهو يعبر عن آلامه إذ يودع مكة يقول: **(والله إنك لأحب أرض الله إلى الله وأحب أرض الله إليّ، ولولا أن أهلك أخرجوني ما خرجت)** وهي مكة.

لماذا يؤمر رسول الله ﷺ بالهجرة؟ لأنه لم يستطع أن يعبد الله كما أمر، لماذا يؤمر الصحابة أن يتركوا مكة ويهاجروا إلى الحبشة، ويبقوا في الحبشة عند ملك نصراني بعيداً عن أرض الله الحرام، عن بيت الله العتيق، بعيداً عن الأرض التي ما كانوا يطيقون فراقها حتى في الحج؟ في الحج ما كان أهل مكة يخرجون من أرض الحرم إلى عرفة لأن عرفة في الحل، ومزدلفة آخر المزدلفة في الحرم، فما كانوا يتعدون حدود مزدلفة، لأنهم كانوا يتحرجون أن يتركوا أرض الحرم إلى أرض الحل، ولو كان ذلك للوقوف بعرفة، ثم بعد ذلك تجمع المهاجرون من الحبشة ومن المدينة المنورة، ثم كونوا جيشاً واحداً ودخلوا مكة، وأخذ رسول الله ﷺ يحطم بيديه الشريفتين الأصنام وهو يردد **(قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً).**

والناس إذ يستمعون إلينا كل واحد منهم يعاني في أعماقه مشاكل بسبب الأرض التي نبت بها، أو القرية التي كانت مسقط رأسه، فهذه جراحات لبنان، وتلك آلام فلسطين، وهذا ابن الفلبين، وذاك ابن بنغلادش، وهذا ابن مصر، وذاك ابن ليبيا، وما إلى ذلك، كل واحد منهم إنما ينزو في أعماقه جرح عميق، ويحب أن يتكلم الخطيب عن جرحه حتى يدهده آلامه ويواسي أحزانه، وكل ذلك بسبب أن أعداء الله عز وجل خدروا الجسم الاسلامي، وأخذوا يقطعون جسم الأمة المسلمة، وأخذوا يقطعونه قطعة قطعة ولا يحس أحد بما يجري لبتر الجزء الآخر.

وما الفرق عند الله عز وجل بين مصر ولبنان وفلسطين وأفغانستان والفلبين؟! الأرض أرض الله، والعباد عباد الله، ويجب أن تخلص الأرض لعبادة الله، فإذا لم أستطع أن أعبد الله في هذه الأرض أنتقل إلى هذه الأرض أعبده، حتى اذا استطعت أن أعبده في القطعة التي ولدت فيها رجعت إليها، لأن هنالك حنيناً خاصاً يعزف على أوتار قلبي، إذ أسكن فيها وأوي إليها، والناس يريدون منا أن نتكلم عن فلسطين، ويعيبون علينا لأنا أبناء فلسطين، فكيف أنت تعيش في أفغانستان وتجاهد في أفغانستان وأرض أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين أرض الإسراء والمعراج رهن القيود، أسيرة بيد أذل خلق الله في دنيانا؟

ليست الثكلى كالمستأجرة، فأنا ابن فلسطين، والجراح التي في أعماق أبناء فلسطين في الكويت هي في أعماقي، ولكن الفرق

الذي بيني وبينهم أني جاهدت في فلسطين، حتى إذا سحق العمل الجهادي في أرض الأردن سنة (١٩٧٠) وأغلقت الحدود ووضعت في الأيادي القيود ما تبلت أن أجلس في أرض، لأن القلب استعذب الحياة في الجهاد، ولا يطيق قلب قد تذوق حلاوة الجهاد أن يعيش بلا جلاد وبلا استشهاد، فبحثت في الأرض عن قطعة أخرى أواصل فيها هذه العبادة حتى تبقى جذوة الجهاد مشتعلة في أعماقي، وأعد نفسي وتبقى روحي متعلقة بهذه الفريضة الربانية، فإذا فتح الله عليّ وفتح لنا ثغر رجعنا إلى فلسطين وكنا قد أعددنا أنفسنا قبل الذين ينوحون على فلسطين من بعيد ولا يقدمون لها شيئاً سوى الكلام الذي لا يختلف عن كلام الإذاعات العربية والصحف المحلية.

ماذا يقدم الذين يشتاقون لفلسطين ويحنون لها ويعيبون علينا أن نتكلم عن أفغانستان أكثر منا؟ إذا كان اليهود وقد أرادوا أن يحتلوا فلسطين ويكونوا لهم دولة قد مكث بعضهم خمسين عاماً وهو يدرب نفسه على السلاح و تكوين العصابات؟ هؤلاء بن غوريون، بيغن، دايان، شامير، هؤلاء كلهم قد نشؤوا في عصابات مسلحة وهم أبناء العشرين، وذهبوا وطوفوا في الأرض واشتركوا في الحرب العالمية الثانية، شكلوا فيلقاً، اشتركوا بجانب الحلفاء ضد ألمانيا حتى يأخذ الدربة والحنكة، ثم عادوا واستعملوا هذه الأساليب في فلسطين، وطردوا أهلها وغرسوا أقدامهم فيها.

نحن في أعماقنا جرح فلسطين، والشجي يبعث الشجي، لكن إن كان البعض ينظر إلى فلسطين نظرة برتقال يافا وزيتون نابلس، نحن ننظر أن الجهاد في فلسطين جزء من ديننا، جزء من عبادتنا لربنا، طريق إلى الجنة، القضية في نظرنا ليست قضية سياسية، ليست قضية إقليم، فحبة برتقال يافا آكلها وأنا في الكويت، وزيتون نابلس آكله وأنا في السعودية، لكن أداء العبادة، عبادة الجهاد وفريضة القتال هذه لا يمكن أن تؤدى إلا فوق أرض بيت المقدس.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله متى الساعة؟ (قال ويحك ماذا أعددت لها؟) فالذين يقولون فلسطين، ماذا أعدوا لفلسطين؟ أيام تمر علينا، ويرين على قلوبنا الركام، ونتزوج ويزداد الأولاد، ويزداد تعلقنا بالأرض، ويثقل الحمل، ثم يوماً بعد يوم نجد أنفسنا مقعدين لا نستطيع حراكاً ولا نقدم لأنفسنا ولا لديننا ولا لربنا شيئاً.

والذين ينظرون أن قضية أفغانستان ضرة لفلسطين هؤلاء واهمون، هؤلاء لا يدركون كيف تنجح الدعوات وكيف تنتصر الأمم، إذا أجدبت مكة فلتنتقل إلى المدينة، ولنعد أنفسنا في المدينة، ولنجاهد يوماً بعد يوم من بدر إلى أحد، إلى الخندق، إلى خيبر، ماذا لرسول الله ﷺ؟ يذهب إلى خيبر ويترك مكة ، يذهب إلى الشمال ويترك الجنوب مسقط رأسه البيت الحرام، الأرض التي الركعة فيها بمائة ألف، يطوف في الأرض هنا وهنا من غزوة إلى غزوة، ومن سرية إلى سرية وهو يدع البيت العتيق، إنما هو إعداد، والله عز وجل لا يكلف نفساً إلا وسعها، ونحن مطلوب منا فرائض لا أن نعيش في أحلام، ولا أن نحلق في أوهام، ولا أن نطير مع رؤوس مجنحة في الفضاء، يجب أن نسير على الأرض بخطانا البشرية، بواقعنا البشري من إعداد إلى هجرة إلى رباط إلى جهاد، ثم بعد ذلك إذا علم الله منا صدقاً جاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً، لا يمكن أن ترجع فلسطين بالكلام، ولو راجعنا ما كتبته الصحف العربية وما قالته الإذاعات العربية من ١٩٤٨م إلى الآن لضاقت الأسفار الضخمة بما ناحوا به على فلسطين، وبما رثوا به أهل فلسطين، لكن هل استطاعوا أن يرجعوا شبر أرض؟!

ولا يبني الممالك كالضحايا	*ولا يدني الحقوق ولا يحق*
ففي القتلى لأجيال حياة	*وفي الأسرى فدىً لهم وعتق*
وللحرية الحمراء باب	بكل يد مضرجة يدق

إن دين الله لا يمكن أن ينصر بالكلام، وإن الأراضي الإسلامية لا تحمى كذلك بالرثاء وبالندب وبالشعر وبغير ذلك، لا بد من فرائض، فرائض نطبقها على أنفسنا، فريضة الإعداد **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل)، (ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي)**، فإذا سألك ربك يوم القيامة ماذا أعددت لفلسطين من القوة يا ابن فلسطين؟

أين الهجرة في سبيل الله؟ أين الرباط؟ ورباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، (ولأن أرابط أو أحرس ليلة في سبيل الله أحب إليّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود)، أين القتال؟ كم معركة شهدت في حياتك؟ كانوا إذا كتبوا عن الصحابة أو التابعين أو غيرهم ماذا يكتبون؟ شهد الغزوات كلها، أول ما يكتب، كانوا يعيبون على الإنسان أنه يغيب عن غزوة، وعندما يكتب عن خيارنا الآن ماذا يكتب؟ عن علمائنا عن دعاتنا عن مصلحينا عن خيارنا عندما يموت، قضى حياته بالبر والإحسان وأقام المسجد الفلاني، فعندما تخلو صفحة الانسان من فريضة من الفرائض، فريضة القتال التى افترضها رب العزة من فوق سبع سماوات، كما قال بشير ابن الخصاصية: يا رسول الله! أنا أبايعك على كل شيء من الصلاة والشهادة الحج ...

أستطيعهما، فقبض يده رسول الله ﷺ وقال (يا بشير! لا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة! يا بشير! لا جهاد صدقة فبم تدخل الجنة؟ يا بشير! لا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة؟).

هؤلاء الناس الذين يقاتلون في أفغانستان كيف وصلوا إلى هذا؟ تركوا بلادهم، هاجروا، أعدوا، تدربوا في داخل باكستان، دخلوا وبدأوا بأعداد قليلة، ثم فتح الله عليهم، وزادت الانتصارات حتى وصل بهم الأمر أن يمرغوا كرامة الدب الأحمر تحت أقدام معجزة القرون الثلاثة، من ذا الذي يمكنه أن يناقشني أن أكبر معجزة في القرون الثلاثة انتصار الشعب الأفغاني على الاتحاد السوفياتي، أي نصر للأمة الإسلامية حصل أعظم من هذا النصر؟ أليس نصر أفغانستان نصراً لي كمسلم؟ ألست من هذا الجسد أليس قلبي يحس بالمحبة للمسلمين حيثما كانوا، ويحزن لآلامهم حيثما أقاموا؟ إن كنت لا أحس بالمحبة للمسلمين في أفغانستان فلأتهم إيماني لعله قد ترك قلبي (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

مقارنة مقنعة:

والآن دعونا ننظر نأخذ مائة وخمسين شاباً فلسطينياً من الكويت ومائة وخمسين شاباً فلسطينياً وصلوا أفغانستان، أيهم أحب لفلسطين، ذاك أم هذا؟ من الذي يعتبر الآن ذخراً لفلسطين وكنزاً لها؟ إن أول ما يمر بخواطر الشاب الفلسطيني وهو يتسلق جبال الهندوكش ويرى هزيمة الجيش الأحمر أمام جند الله، أول ما يمر في ذهنه من خواطر وما يدور بخلده من آمال كيف أنقل هذه الصور المشرقة المشرفة إلى أرض فلسطين فوق جبل المكبر وفوق أرض الخليل وفي أرض بيت المقدس.

نحن لا نريد أن نفخر، لكن الشباب الذين حولي من أبناء فلسطين كلهم يواجهونني متى يمكننا أن نصل أرض بيت المقدس ونشعل هذه المعركة كما أشعلناها هنا في هذه الأرض؟ أيهم يستطيع أن يواجه اليهود أكثر؟ الشباب الذين عاشوا هنا وهم يحبون فلسطين ولا يتكلمون إلا باسمها، أم أولئك الصامتون الذين لا يتكلمون كلمة ولكنهم يحيون ليلهم قياماً ونهارهم أسوداً بل أشجع من الأسود؟ كم من الشباب عادوا إلى الأردن ممن تدربوا هناك، ثم أمسكت بهم دوائر الأمن، ومنعتهم من العودة؟ ولكن الجهاد يحرك قلوبهم ويؤرق أجفانهم ويقض عليهم منامهم وقد تذوقوا حلاوته، فلم يجد أحدهم بداً ولو أن يقاتل وحده، فيخترق الحدود، ويقوم بعملية فريدة.

أسد دم الأسد الهزبر خضابه   *ليث فريص الموت منه ترعـــد*

ومن طلب العلا من غير جـــد   *أضاع العمر في طلب المحال*

نواميس، قوانين، أنت تريد أن تكون أستاذاً في الجامعة دون أن تمر في المرحلة الابتدائية والإعدادية والثانوية وتدخل الجامعة، وبدون أن تأخذ شهادة؟! أعد يا أخي، أد الفرائض التي عليك، الجهاد، القتال، الجهاد نعني به باتفاق الأمة هو القتال بالسلاح، قال ابن رشد: وإذا أطلقت كلمة الجهاد فإنما تعني قتال الكفار بالسيف، يعني بالسلاح حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

هذا نجيب الله مدير الاستخبارات الشيوعية في حكومة تراقي وببرك وحفيظ الله أمين، هذا كان يقول: لا تقولوا لي نجيب الله، أنا نجيب، في أيام تراقي وحفيظ الله أمين ما كان أحد يستطيع أن يصوم في دائرته من أهل كابل، ما كان أحد يصلي إلا سراً.

الآن وتحت مطارق ضربات المجاهدين ماذا حصل؟ الآن نجيب، الأمين العام للحزب الشيوعي، رئيس اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي، مدير الاستخبارات الشيوعي يقول: أنا لست نجيب! لا تقولوا لي نجيب، أنا نجيب الله! يخرج قراراً -رئيس الحزب الشيوعي- من تخلف عن الصلاة ثلاثة أيام يفصل من وظيفته، لماذا؟ ضربات المجاهدين على رأسه ، الآن هنالك مطوعون من الشيوعيين إذا أذن المؤذن يسوقون الناس بالعصا إلى المسجد.

ما الذي أذل هذا الرجل؟ يرسل رسائل للقادة الصغار، لبعض القادة الصغار والكبار، للشيخ جلال الدين يا شيخ جلال! والله أنا لست شيوعياً، أنا مسلم لكن لا استطيع أن أعمل مع اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي شيئاً، خففوا قتالكم علينا، أنا وواحد آخر في اللجنة التنفيذية لسنا شيوعيين، نحن مسلمون مثلكم، فرد عليه جلال الدين حقاني (لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون).

نصر أفغانستان نصر لقضايا المسلمين في الأرض:

يا أيها الإخوة: إن انتصار الجهاد في أفغانستان هو نصر لقضية المسلمين في كل مكان، كل مكان، وكل إنسان عاش في أفغانستان لا يمكن أن يطيق المنام فوق الفراش دون جهاد وبدون قتال.

وندربهم في معسكرات التدريب، ثم بعد ذلك نوزعهم مع قوافل الجهاد ندخلهم في داخل أفغانستان، فعندما يدخلون داخل أفغانستان، يدخلون المعارك، الأفغان أولاً ترتفع معنوياتهم بهؤلاء الشباب، بعض الأفغان يمشون أياماً فوق الثلوج على الثلج، عمره ثمانون عاماً يتكئ على العصا يمسك بيده الأخرى ابنه الصغير، أربعة أيام على الثلج حتى يرى العربي الذي يقرأ عنه في التاريخ، حتى يضع العربي يده على رأس ابنه من أجل البركة والخير.

يحتضنون هؤلاء العرب، يبكون، أهلاً بأحفاد رسول الله ﷺ، وعندما يرونهم يتسابقون على الموت أمامهم يكبرون في أعينهم.

شاب فلسطيني اسمه هشام بن هاني منصور، قرر الروس اقتحام البقعة التي فيها العرب، ثلاث فرق، جاءوا بفرقة كرديز وفرقة غزني وفرقة كابل، خمس كتائب روسية خاصة اثنتين من الصاعقة سبك ناز، هذه للاقتحام السريع، من أجل أن يزيلوا هؤلاء العرب من الوجود يمسحوهم مسحاً، كان في هذه البقعة قطعة الأرض التي سميناها مأسدة الأنصار ثلاثون شاباً عربياً، وكان في المنطقة ألف أخ من المجاهدين الأفغان، فبدأوا في قاعدة العرب مأسدة الأنصار، حدث الاقتحام الأول متى؟ الطائرات تضرب، معهم ست وعشرون راجمة صواريخ، بعض الراجمات ترمي واحداً وأربعين صاروخاً دفعة واحدة، على الزر يضغط يسمونها بي ام فورتي ون(٤١)، ترمي واحداً وأربعين صاروخاً دفعة واحدة، بعضها ترمي واحدا وستين صاروخاً مرة واحدة، سكستي ون (٦١)، دبابات، طائرات، القذيفة تنزل، والله رأيت الماء خارج من الأرض إثر قذيفة من القذائف! مدفعية الميدان، والله يا إخوان الأرض تتزلزل تحت أقدامنا، تتزلزل! الطائرات تقصف، مدفعية الميدان تضرب، راجمات الصواريخ تضرب، الهاون، ثم بعد ذلك تتقدم فرقة الكوماندوز، في هذا الجو المدلهم ثلاثون شاباً عربياً.

الشيخ تميم العدناني رحمه الله يجلس تحت الشجرة وهو وزنه ثقيل حوالي (١٤٠-١٥٠) كيلوغراماً، طلب من الأخ أسامة بن لادن أن يتقدم في الصف الأول، قال لا، أنت ثقيل تبقى في غرفة اللاسلكي، السماء تمطر حمماً، والأرض تتفجر براكين، جلس الشيخ تميم تحت شجرة من أشجار كزورينة في هذا الجو المدلهم وفتح القرآن ويبدأ يقرأ، ثلاثين رمضان سنة (١٤٠٧)، ختم الجزء الأول والرصاص كوابل من المطر، الشجرة تتحطم بأغصانها فوق رأسه، أوراق الشجر تتناثر، لحاؤها يتناثر، وهو جالس على سرير خشبي تحت شجرة وهو يدعو اللهم شهادة في آخر يوم في رمضان، فختم الجزء الأول والجزء الثاني والجزء الثالث والجزء الرابع والجزء الخامس، ولا يستطيع أحد أن يكمل جملة تامة مع أخية، إذا قال له يا أخي! أين قذائف الهاون، يا أخي تنزل عليهم القذيفة تقطع الجملة التامة، وبعد انتهاء القذيفة يقول له: أين.. القذيفة تقطع كلامه، قذائف الهاون، وهكذا، بعد أن انتهت الخمسة أجزاء كلما مر بآية من ذكر الجنة أعادها مرة اثنتين ثلاثاً حتى تأتي الرصاصة مع ذكر الجنة، فإذا مر بآية من ذكر النار أسرع حتى لا تصيبه المنية في وقت ذكر النار، وبعد خمسة أجزاء وجد أنه لا يوجد شهادة، رفع يديه يارب لا يوجد شهادة!! جرح على الأقل في سبيلك! وانتهى الجزء السادس وانتهى الجزء السابع، أربع ساعات وهو بين فكي الموت.

وقفت وما في الموت شك لواقف	*كأنك في جفن الردى وهو نائم*
تمر بك الأبطال جرحى كليمـــة	*ووجهك وضّاح وثغرك باســـم*

وأغارت الطائرات بعد الجزء السابع وألقت قذائف، وادلهم الجو، وطار الغبار، واختلط الدخان، خرج المسؤول عن اللاسلكي شاب سوري اسمه أبو محمود يا شيخ تميم يا شيخ تميم: من أجل الله أن تدخل غرفة اللاسلكي -غرفة اللاسلكي تحت الأرض-، ثم يأتي الأخ أسامة بن لادن الذي ترك العطاء، عطاء توسيع الحرم المدني ثمانية آلاف مليون ريال سعودي تركه ويعيش في خط النار الأول، قال يا شيخ تميم ننسحب إلى الخط الخلفي، وبدأ الشيخ تميم يشد لحيته ويبكي ويصيح -قال لي أسامة: ظننت أنه أصابه مس من الجن، يبكي! الشيخ تميم عمره في السادسة والأربعين- يشد لحيته يقلع لحية وجهه كيف ننسحب ونترك مواقعنا نرجع إلى الخطوط الخلفية؟!

الشيخ تميم ابن القدس، كيف لنفس تبحث عن الشهادة أن تنسى القدس وتنسى الشهادة في بيت المقدس؟! هذا الذي يربيه الجهاد الأفغاني في نفوسهم، شاب كما قلت فلسطيني في نفس المعركة ويسقط، يقول لي أبو معاذ اليمني عندما جرح هجمنا عليه فوجدت وجهه مغبراً بالتراب الأبيض، ثم دققت النظر وإذا بوجهه استدار كالبدر ليس عليه غبار!! هو أسمر الشاب، قال: حملناه بالقطيفة الأفغانية، ثم انهالت علينا قذائف الموت -قذائف الهاون- فألقيناه، فجاء على هيئة السجود، ثم تركناه، في اليوم الثاني رجعنا إليه لنأخذه وندفنه، وتعرفون أن الميت يتجمد ويتصلب يصبح كالعصا، وكأنه نائم، وجدوه على هيئة السجود، مدوا يديه ورجليه وحملوه ولا زال دمه ينزف، وأما دمه الذي روى التراب هذا التراب الطاهر قد أصبح منبعاً يخرج نوراً في الليل، الناس يرون النور من المكان الذي استشهد فيه.

شباب من المدينة المنورة، من جدة، وأنتم تعرفون الترف ماذا فعل بالأمة، شاب اسمه خالد الكردي ينفجر به لغم يطير قدمه،

تنفتح بطنه، تندلق أمعاؤه، ويجرح جروحاً بسيطة في ظهر يده، ويأتي الدكتور صالح الليبي يلف أمعاءه ويلف بطنه في البطانية، فمن هذه الحالة الخطيرة فتذرف عيناه، يقول خالد الكردي ابن المدينة: يا دكتور صالح لماذا تبكي؟ هي جروح بسيطة في ظهر يدي، لا يعلم أن قدمه طارت، لا يعلم أن بطنه مفتوح، لا يعلم أن أمعاءه قد اندلقت، لا يشعر بألم، فقط يحس بألم بسبب بعض الجروح في ظهر يده، ثم يبدأ يخطب بإخوانه يثبتهم بهذا الجهاد ونرجو الله عز وجل أن يختم لنا بالشهادة، ولقي الله ولم يعلم أن رجله قد طارت وأن بطنه قد فتح، وعندما توفي وخرجت روحه فاحت الرائحة الطيبة والمسك، وهذا شهدناه من كثير من الشباب العرب الذين استشهدوا في أفغانستان.

هذا الجهاد لو حدثتكم عن آثاره في الحياة، عن آثاره في نفوس الشباب الذين اشتركوا فيه، عن آثاره في الشعب الذي شرف الله بهم البشرية، عن آثاره في شعوب الأمة الإسلامية، وللأسف أن أعداء الله يدركون خطر هذا الجهاد عليهم بسبب إيقاظ الأمة الإسلامية وإنقاذها من وهدة العدم أكثر بكثير منا.

سان ديفول مذيع ومصور التلفاز البريطاني يقول: لا ينام ثلث الشعب الإنجليزي حتى يعلم شيئاً جديداً عن قضية أفغانستان، لماذا؟ الخطر! الخطر من الإسلام الذي يحمل السلاح، الخطر من الإسلام القوي، ومن هنا عندما أدرك الغرب أن هذا الجهاد منتصر لا محالة حاول أن ينقذ الدب الروسي من أن يسقط تحت أقدام المجاهدين بمعاهدة جنيف، وحاولوا مع ضياء الحق أن ينفذ معاهدة جنيف، وعندما رأوا أن ضياء الحق يرفض أن ينفذ حرفاً واحداً من هذه المعاهدة سلطوا عليه رئيس وزرائه جونيجو، ووجد أن ضياء الحق يرفض تنفيذ هذه المعاهدة، قال له: سأتقدم بك تقريراً للأمم المتحدة -رئيس الوزراء لضياء الحق- ولأمريكا ولروسيا أنك لا تريد تنفيذ بنود المعاهدة الدولية، فكر طويلاً، كان جونيجو قد وعد بميدالية السلام جائزة نوبل للسلام إذا نفذ المعاهدة، ولكن ضياء الحق كان يقف موقف المسلم بجانب هذه الجهاد، طيلة السنوات الطويلة التي امتد معها عمره وواكب هذه القضية.

فكر ضياء الحق: رئيس وزرائه بدأت الصحف الغربية والباكستانية تلمعه أكثر منه، جاد في تنفيذ المعاهدة، يهدده أنه سيقدم به تقريراً إلى الأمم المتحدة ولروسيا، لم يجد بداً من الإطاحة بالحكومة، جمع مجلس الوزراء، مجلس الشورى، قال: لقد قررت أن أحل الحكومة وأحل مجلس الشورى، ثم أعلن في تلك الجلسة سأطبق الشريعة وإن كلفني ذلك عرشي ونفسي.

ثانياً: سأقف بجانب الجهاد الأفغاني حتى أودع آخر مجاهد فيهم معززاً مكرماً راجعاً إلى بلاده.

قال له وزير داخليته أسلم ختك: يا ضياء سيقتلك الأمريكان، فقال له ضياء الحق: يا ختك إن الذي يتخذ قرار الموت والحياة في السماء وليس في الأرض، والرصاصة المكتوب عليها أنها ستقتل ضياء الحق لن تخطئه أبداً، ولذا قال لي مستشار لضياء، قال الرئيس ضياء قبل أن يقتل بأشهر، لقد وقع الأمريكان أوراق قتلي وإنما هي زمن.

جمع ضياء قادة المجاهدين قال لهم: إن الدور الآن دور التصفية الجسدية لي ولكم، ولا أدري من السابق إلى الله، ولذلك كان في نهاية حياته -رحمه الله- حريصاً أن يصطحب السفير الأمريكي حيثما حل وأينما قام، لأنه يدرك بيقين أن الأمريكان سيقتلونه حتى يقتل السفير الأمريكي معه.

آخر لحظات من حياته في مطار بهاولبور يعتذر إليه السفير الأمريكي ويستأذنه أن يرجع قبل أن يستشهد ببضع عشرة دقيقة، قال لا، تصعد معنا إلى الطائرة، وبعد عشر دقائق سقطت الطائرة، وجاءت لجنة أمريكة في نفس اليوم لتبحث في القضية، ولفت الملفات وطويت القضية، وأعلن الأمريكان أن السبب ليس عطلاً متعمداً في الداخل إنما هو سبب خارجي، بينما لجنة التحقيق الباكستانية أثبتت أن سبب سقوط الطائرة عطل متعمد في جهاز الطائرة، وقد قال بعضهم إنها مادة كيماوية لا تصنع إلا في الدول الكبرى.

كان الغرب يخشى أن يبقى ضياء الحق حياً حتى تحسم المعركة عسكرية، وعندما تقوم دولة إسلامية في داخل أفغانستان وتحفظ هذا الود والجميل فتقيم لضياء اتحاداً فدرالياً أو كونفدرالياً مع باكستان، وهم يعلمون أن في باكستان القنبلة الذرية، وهناك القنبلة الذرية البشرية الأفغانية، وعندها تصبح قوة في الأرض لا تقاوم أبداً.

لقد كانت أسباب قتل ضياء ثلاثة أو أربعة:

أولها: أنه وقف وقفة إسلامية مشرفة بجانب هذا الجهاد، كان ضياء يتعامل مع قضية أفغانستان كمسلم وليس كسياسي، وعندما كنت أجلس إليه في بعض الندوات أو الجلسات الخاصة كنت أدرك أن الرجل يتكلم من أعماقه كمسلم وليس كرجل سياسي، وأغلق المفاعل النووي دون أن يدخله الغربيون أبداً، استماتت الأمريكان أن يصلوا إليه أو يعرفوا أين هو ولكنه حال بينه وبينهم.

والثالث: كانوا يريدون أن يسحبوا الهند إلى جانب المعسكر الغربي، ولكن الهند كانت تشترط أن تكون شرطي المنطقة في أواسط آسيا، ولكن ضياء رفض أن يطأطئ هامته أو يذل عنقه أمام الهنود، ومضى ضياء مظلوماً من أهل الأرض، ولكن الله عز وجل لا ينساه

في قبره ولا يوم يلقاه، وجيء بأناس ليلعبوا أدواراً جديدة في خنق هذا الجهاد.

إن الذي يخشاه أعداء الله في الأرض الآن أن تحسم المعركة عسكرياً، والمجاهدون الآن يحيطون بالمدن إحاطة السوار بالمعصم، كابل محاصرة هكذا، ضرب المجاهدون الحزام الأمني الأول والحزام الأمني الثاني، قطعوا طريق روسيا كابل، كابل مقطوعة عن غزني، عن قندهار، عن المدن الأخرى، لا تستطيع روسيا أن ترسل كيساً من القمح إلا بواسطة الطائرات، والمطار يضرب، القصر الجمهوري يضرب يومياً، وزارة الدفاع دار الأمان المراكز الحساسة تضرب في كابل يومياً، وذاك رئيس الجمهورية يستجدي الناس الذين حول كابل والقادة في كل مكان، والصورة عن المجاهدين أنهم يقتتلون فيما بينم وأنها حرب أهلية، وأن الجهاد قد انتهى من أجل ثلاثة أشياء:

الشيء الأول: أن يحجموا قضية أفغانستان الإسلامية ويعيدوها داخل حدود أفغانستان قضية قومية بعد أن أصبحت قضية إسلامية عالمية.

والشيء الثاني: مسح آثار الجهاد من أعماق الأمة المسلمة حتى لا تصبح هذه تجربة فريدة تحتذى وأسوة يترسم خطاها، لابد من حرق هذه النماذج التي ظهرت: سياف، حكمتيار، رباني، مسعود إلى آخره.. هؤلاء يجب أن تحرق صورتهم وأن تشوه ويبين الجهاد على أساس أنه تنازع أهواء، أنه نزاع على كرسي، على أطماع محلية وانتهى الجهاد.

والشيء الثالث: حتى تقطع المساعدات التي تساعد هذا الجهاد ويخنق هذ الجهاد من قبل الدول المحيطة، تمنع عنه المساعدات من العالم الإسلامي، يخنق من قبل الدول المحيطة، ويبتلع من قبل مؤامرات دولية ومؤتمرات عالمية، ولكن الذي رعى هذا الجهاد هذه السنوات الطويلة يرعاه إن شاء الله بقية الطريق

(هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون) (المنافقون: ٧)

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ونقوم إلى صلاتنا، وإن كان هنالك أسئلة بعد الصلاة فتفضلوا مشكورين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأسئلة

فضيلة الشيخ: كيف السبيل للوصول إلى أفغانستان للانضمام إلى المجاهدين؟

جواب: الطريق إلى أفغانستان الصعوبة أن تحصل على الفيزا، فإذا حصلت على الفيزا تحجز إلى كراتشي، ومن كراتشي إلى بيشاور، وعندما تصل بيشاور تسأل عني عن مكتب الخدمات، وعندما تصل إليّ خلاص إن شاء الله لا نفلتك إلا في الجنة.

سؤال: فضيلة الشيخ: نرجو أن تبين الدور الإيراني ودعمه للجهاد الأفغاني؟

جواب: لو قارنا موقف باكستان مع إيران، باكستان في السماء وإيران في الأرض، لم تسمح إيران لأية مؤسسة إسلامية أو غربية أو صليبية أن تقدم حبة طحين لمليون ونصف المليون مهاجر في إيران من المهاجرين الأفغان، لقد حاولنا أن نوصل المساعدات إلى المهاجرين في إيران فسجن الذين حملوا المساعدات أربعة أشهر ونصف في سجونهم، بالإضافة إلى المعاناة الكبيرة التي يعانيها المهاجرون في داخل إيران، يعني أنا اسمي أحمد هجمت الدبابات على قريتي هنا على الحدود الغربية لأفغانستان المحاذية لإيران، أولادي زوجتي سيهربون، أين يهربون؟ يهربون إلى الحدود، الحدود المحاذية لهم إيران، يدخلون إيران يأخذونهم يفتشونهم، يفصلون الزوج عن زوجته، مدة أسبوع لا يدري أين زوجته، زوجته لا تدري أين زوجها، بعد ذلك يضعونهم في مخيم، مخيم اسمه مثلاً حمزة، بعدها بأسبوع تهجم الدبابات على بلدة أختي، تهاجر أختي وأولادها إلى إيران، يضعونها في مخيم علي، المسافة بين مخيم حمزة ومخيم علي عشر كيلو مترات، عشرين كيلو متراً، ممنوع أن أرى أختي إلا من العيد إلى العيد، إلا برخصة بتصريح من الدولة، قد يستمر ذلك بضعة أشهر حتى يخرج، بالإضافة إلى أنه لا يسمح لها كامرأة أفغانية أو ولد أفغاني أن يشتري الخبز من الأفران العادية، خلاص، يوجد فرنان في المدينة هذه مخصصة للأفغان، فتصلي المرأة الأفغانية الفجر ثم تنزل تصطف بالصف حتى يأتيها الدور بعد ثلاث ساعات لتشتري رغيفين لأولادها وتعود، لا يسمح لي كأفغاني أن أعمل، هنالك أعمال مخصصة لي، الإسفلت الباطون الحقول إلى آخره، ما عدا ذلك الفنادق المطاعم المتاجر إلى آخره أي إيراني يوجد عنده أفغاني يشتغل يدفع الإيراني غرامة للدولة أربعين ألف

والحقيقة في النفس الكثير، وكنا والله حتى وصلت باكستان كنت أحسن الظن بالثورة الإيرانية، ولكن أدركت أن القضية قضية عقيد واستراتيجية وليست تكتيكا ومرحلية، لا يوجد قياس، موقف ضياء الحق الذي يتهمونه أنه عميل لأمريكا وعميل للأمبريالية وظلام الباطل هو بينهم، لم يقدموا قطعة سلاح واحدة للصادقين، الحدود مغلقة إلا بشق الأنفس حتى تدخل المساعدات إلى المجاهدين، في يوم واحد هاجرت ثمانية آلاف أسرة من المهاجرين من إيران إلى باكستان، رغم أن هجرتهم من إيران إلى باكستان قد يموتون على الطريق، لأنهم قد يمشون شهراً كاملاً في الصحاري حتى يصلوا إلى باكستان، لا، لا نأمل منهم خيراً، والله بعد أن رأيت ما رأيت في أفغانستان سقطت إيران من عيني، والله، وعرفت أن القضية ليست قضية ثورة إسلامية ولا إنقاذ المستضعفين في الأرض، وأي مستضعف في الأرض أكثر من شعب يسحق سحقاً تحت عجلات الدبابات في داخل أفغانستان؟ مليون ونصف مليون شهيد، وبعد ذلك كله يتعاهدون مع روسيا من أجل التضييق عليهم، ولا نريد أن نحدثكم عما يجري في داخل أفغانستان على يد هؤلاء الناس، الآن في داخل كابل لواء خاص للدفاع عن كابل وعن نجيب اسمه لواء الهزارة يعني لواء الشيعة، الطرق مقطوعة في كثير من المناطق منهم، أربعة أطباء محجوزون لنا عرب دخلوا يداوونهم، محجوزون تحت الأرض، منذ سنة كاملة مسجونون، وما خفي أعظم، وبعض القضايا أستحيي أن أذكرها، والله بعض الممارسات مع المهاجرين والمهاجرات.. كثير، الكثير، في النفس آلام، وفي النفس حاجات وفيك فصاحة.. لا نأمل أن يقدموا شيئاً لهم أبداً، للجهاد الأفغاني لم يقدموا من قبل شيئاً اللهم إلا لبني ملتهم هذا صحيح.

سؤال: فضيلة الشيخ: ما هي طبيعة الحكم في باكستان؟ وما هو موقف الشعب الباكستاني من الثورة الإسلامية في أفغانستان؟ ولماذا لم يعبأ الشعب الباكستاني بمناصرة إخوانهم المجاهدين في عهد ضياء الحق؟

جواب: ضياء الحق رحمه الله مكث عشر سنوات وهو يخوض معركة وحده، الدنيا كلها تحاربه، الداخل يحاربه، الأحزاب السياسية الباكستانية خمسة عشر حزباً، ثلاثة عشر حزباً ضد ضياء الحق وضد موقفه بالنسبة للجهاد الأفغاني، ثلاثة عشر حزباً، ما وقف معه المسلمون، الجيش وجد معظمه يسكر لا يصلون، الجنرالات كانوا يهزؤون بضياء الحق عندما كان يقول تطبيق شريعة إسلامية، يقولون مجنون، وضياء كما حدثني القريبون عنه يحسن الظن بربه، والله شهد لي احسان إلهي ظهير وكان مستشاراً دينياً له، قال: إني أشهد أن الرجل يقوم الليل، مستشاراً دينياً له وكانت الدنيا كلها تتزلزل حوله وتراه متوكلاً على ربه، يقف على شاشة التلفاز يتكلم لا تصدق أن هذا رئيس جمهورية كأنه خطيب جمعة من الدعاة الكبار، ينسى أنه رجل سياسة يقود بلداً، الدنيا كلها ترقب كلماته.

ذات مرة في مؤتمر في كراتشي اسمه مؤتمر السلام العالمي في الإسلام أو كذا، ووقف بعض الدعاة أو المنتسبين لبعض الدعوات يمدحون غربتشوف لأنه يريد أن ينسحب من داخل أفغانستان، فوقف ضياء وقال: لا أدري والله على أي شيء نشكر غربتشوف وروسيا، لص دخل بيتاً أحرق متاعه وقتل أهله هل يستحق شكراً أو ثناءً أم يستحق ذماً؟ نحن أمة أعزها الله بالإسلام، أنزل إلينا خير دين وأكرمنا بخير نبي، جاهدنا فقدنا البشرية، تركنا الجهاد رجعنا في ذيل قافلة البشرية، الله عز وجل أراد أن يضرب لنا مثلاً حياً –هذا كلام ضياء الحق– فجاء لنا بروسيا تقاتل أفقر الشعوب الإسلامية، ونصر الله الشعب الفقير الأمي على هذه الدولة العظمى حتى يعيد إلينا الثقة به أنكم إذا جاهدتم مهما كان ضعفكم مهما كانت أميتكم مهما كان تأخركم التكنيكي ستنتصرون، فقط تمسكوا بدينكم وجاهدوا من أجله.

لماذا لم يعبأ الشعب الباكستاني؟ غيَّر في الجيش، في الاقتصاد، كبار المناصب كان يستلمها الشيعة، القاديانيون، الإسماعيليون، اقتصاد البلد، الطيران، المخابرات، كبراء الجيش، كلها بيد هذه الطوائف الثلاث، غيّر غيّر غيّر، هذا الذي استطاع أن يغيّره، فجاء ببعض الطيبين منهم هذا قائد الجيش الموجود ميرزا أسلم بيك، وجاء بحميد جل مديراً للاستخبارات، وجاء ببعض القادة رفعهم، كنّس كنّس، نظّف نظّف نظّف، هذا الذي استطاع أن ينظفه، ولم يجد أحداً أن يساعده، ومضى إلى ربه ولا نزكي على الله أحداً، نحن نظن أنه شهيد بإذن الله، لا نزكي على الله أحداً.

طبعاً إخواننا الفلسطينيون وأنا منهم: أنا منهم ولكن نغم بسمعهم شريد، يتهمون ضياء الحق أنه هو الذي أدار مذبحة أيلول وهو الذي ذبح الشعب الفلسطيني، مسكين ضياء الحق لا أدري من أين هذه التهمة، مؤامرة حيكت في القاهرة ونفذها حاكم عسكري ورئيس مجلس وزراء ودولة عسكرية في عمان، ما هي علاقة ضياء الحق بهذه القضية؟

هذه دعايات العلمانيين الفلسطينيين أصدقاء بوتو بعد أن أعدم بوتو، نعم، حتى يكرّهوا المسلمين بهذا الرجل **(قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)**، هكذا يطالبنا القرآن، الطيران أين بعثه؟ هل كان في عمان طيران أو في إربد أو غيرها؟ هل الصواريخ التي كانت تضرب بعمان أم الطيران؟ مذبحة أيلول، مجزرة أيلول هل اشتركت طائرة واحد فيها؟ حسبنا الله ونعم الوكيل.

فحاول ضياء ما استطاع، الذي استطاعه، لماذا لم يتعبأ الشعب الباكستاني؟ الشعب الباكستاني كبقية الشعوب، نائمون،

غارقون في ملذاتهم وشهواتهم، ما تحرك، كما هو الحال في بقية الشعوب، لا تتحرك وهي تذبح نفسها، فكيف إذا ذبح شعب بجانبها؟
بعض الباكستانيين اشتركوا في الجهاد، لكن مشاركتهم قليلة، شاركوا ألف أقل أكثر إلى آخره، أما الآن ضيق كثيراً بعد ضياء الحق
على الجهاد، لأن ضياء وقف أمام الأمريكان في الفترة الأخيرة وقفة صلبة، ووجدوا أن لا مناص من الإطاحة به وذبحه، لا مفر، ولكنهم
وجدوا أنهم تأخروا في قتل ضياء الحق، لأنهم من سنة ١٩٨٦م كانوا قد قرروا قتله، وجاؤوا بهذه البنت وهي تحدث في مقابلة صحفية
قالت: لما عدت من المنفى سنة ١٩٨٦م دعاني السفير الأمريكي رافيل وقال لي: إن ضياء الحق قد تقدم به الزمن والسن وهو تارك الحكم
ولا بديل له إلا أنت، فأوصيك بكلمة واحدة، بالصبر فقط، ولذلك في اليوم الذي قتل فيه ضياء الحق عقدت مؤتمراً صحفياً وقالت: الآن
فتح الطريق إلى القصر الجمهوري أمامي.

سؤال: هل يوجد اكتفاء عندكم من المجاهدين أم أنتم بحاجة إلى مجاهدين كما نسمع؟ هذا السؤال الأول، السؤال الثاني: أبي
يعارض خروجي إلى أفغانستان، هل يجوز لي أن أخرج بدون إذنه؟

جواب: نحن بحاجة إلى شباب دعاة يفهون لماذا جاؤوا إلى أفغانستان، يدركون طبيعة الشعب الأفغاني وكيف يعملون معه،
دعاة، مهندسين كهربائيين، صحفيين، إعلاميين، مخرجين للصحف أو المجلات، أطباء مختصين، الجهاد الأفغاني والله بحاجة إلى كل
طاقة، نحتاج إلى طابعين، لكن نحن لا نستطيع أن نستوعب، لأن أي شاب يتعبنا كثيراً حتى نجهزه للمعركة، نستقبله في بيت الضيافة،
إلى معسكر التدريب، ثم نوجهه عن طبيعة الشعب الأفغاني، عن عاداته، كيف يعمل، ونوصيه أن بعض هيئات الصلاة التي تتبعها في
بلدك هذه تثير حفيظة الشعب الأفغاني علينا، مثل وضع اليدين على الصدر، تحريك الإصبع، رفع اليدين عند الركوع أو الرفع منه، هذه
تخالف المذهب الحنفي، الشعب الأفغاني شعب أمي يعرف الإسلام من خلال ما رآه من إمام مسجده، ما رأى إمام مسجده أو المولوي
-يعني العالم عندهم- في حياته ما رفع يديه ولا حرك إصبعه هكذا، وإذاعة (B.B.C) منذ سنوات وهي تحرك الشعب الأفغاني وتثيره
علينا أن العرب جاؤوا يهدمون المذهب الحنفي وينشرون مذهباً جديداً اسمه الوهابية، خارج عن المذاهب الأربعة، انتبهوا له، فعندما
يرونك تحرك إصبعك هكذا يدركون فعلاً ما تقول لهم إذاعة (B.B.C) أن هؤلاء جاؤوا بدين جديد، تقول له النص، الدليل، لا يفهم دليلاً،
هو يفهم الإسلام.. طريقة الصلاة التي علمه إياها إمام مسجده منذ أربعين سنة حتى الآن، ما رآه يرفع يديه ولا يحرك إصبعه، أوصينا
الشباب وقلنا لهم: هذه الهيئات عندنا فتاوى لابن تيمية في كثير من الأماكن، وحتى من كثرة ما احتجت إليها كتبتها في مذكرتي
الصغيرة، في مذكرتي الأكبر حتى نقرأها عليهم في أي وقت، لأن الشاب يقول لك أنا جئت أدافع عن السنة أم أترك السنة؟ قلت له:
نحن جئنا بك حتى تحارب السنة؟! وهل أنا جئت أحارب السنة في هذه البلاد؟!

ولذلك أنا سجلت عندي أرقام وصفحات من الفتاوي حتى لا يجادلني، يقول ابن تيمية في المجلد الرابع والعشرين صفحة (١٩٥)
(فالعمل الواحد يكون فعله مستحباً تارة، وتارة تركه مستحباً باعتبار ما يترجح من مصلحة فعله وتركه بحسب الأدلة الشرعية، والمسلم
قد يترك المستحب إذا كان في فعله فساد راجح على مصلحته، كما ترك النبي ﷺ بناء البيت على أسس إبراهيم وقال لعائشة: «لولا أن
قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة ولألصقتها بالأرض ولجعلت لها بابين باباً يدخل الناس منه وباباً يخرج الناس منه»، ولذا
استحب الأئمة أحمد وغيره أن يدع الإمام ما هو عنده أفضل إذا كان فيه تأليف المأمومين، وكذلك لو كان ممن يرى المخافتة بالبسملة
أفضل أو الجهر، أو كان المأمومون على خلاف رأيه ففعل المفضول عنده وليس الفاضل لمصلحة الموافقة والتأليف التي هي راجحة على
مصلحة تلك الفضيلة، كان جائزاً حسناً)، وكذلك أماكن كثيرة والوقت لا يتسع.

كنت في جلال آباد في خوشكنبد على حدود جلال آباد، وكان مجموعة من الشباب العرب الحمد لله في خط النار الأول، شباب
يشرحون الصدر، كلهم الحمد لله لكن بعضهم لا ينتصح بسرعة، قلنا لهم: اتركوا هذه الهيئات وهذه الفتاوى عن أحمد وعن مالك وعن ابن
تيمية وعن غيرهم، يقول بعض الشباب: كيف أترك السنة؟! هذه سنة! فجاؤوا وصلوا مع الأفغان وهم على خط النار -خوشكنبد-،
الأفغان لا يجهرون بآمين لأن الحنفية يسرون بآمين، لا تسمع كلمة آمين من المأمومين، فقرأ الإمام وصلى العرب مع الأفغان، ونحن
وصيناهم كثيراً إياك وكلمة آمين، فعندما قال ولا الضالين قالوا: آمين -بصوت مرتفع-، الأفغان كل واحد حمل حذاءه وترك الصلاة
وخرج إلى الخارج، قالوا: فعلاً العرب جاؤوا بدين جديد، ولا يوجد طريق من الباب خرجوا من الشباك لأن الباب مغلق بسبب صفوف
المصلين، فالشباك في الأمام خرجوا من الشباك!!

أنا صليت بهم ذات مرة الفجر يوم الجمعة فقرأت السجدة، ثلاثمائة مجاهد -كتيبة- تصلي ورائي من الأفغان، لما وصلت السجدة
سجدت، خمسة وسبعون مجاهداً انسحبوا من الصلاة ووقفوا على جنب، أول مرة يرون واحداً يسجد في داخل الصلاة .. وثم قمنا
لركعة وأكملنا، فهم يضحكون

بنا هكذا، لا يأتي، لأن الذي بنيناه في ثلاث سنوات يهدمه بثلاثة أيام، وهم لا يعرفون فلاناً وفلاناً، يعرفون أن العرب فعلوا هكذا، العـ فعلوا كذا.

إذا كان رجلا داعية ناضجاً يعرف الدور الذي ينتظره والله هم بحاجة إلينا كحاجة الأرض العطشى للمياه، وهم يقولون العر أحب إلينا من مليون دولار، لأن العرب يحركون الجبهات، يعلمونهم، وإذا أحبوا العربي... هم يراقبونه فترة كيف يصلي كيف يتوة كيف... إذا وجدوه فعلاً ما جاء يهدم مذهبهم يحبونه، فإذا أحبوه يحبون أن يموت مائة ولا يجرح العربي، صدقوا، صدقوا حتى المليش الأفغان الذين مع الدولة الشيوعية يحترمون العرب، وأكثر من مرة، ثلاثة من العرب منهم الدكتور محمد عمر العراقي مسكوه في تخ هذا كان يجاهد في تخار -هو دكتور في المستشفى ويجري عمليات جراحية- كان في المعركة، أصابت القائد عباس قذيفة اندلق أمعاؤه، فتحت بطنه، جاؤوا وقالوا له: القائد أصيب ونزلت أمعاؤه على الأرض وأصابت الشظايا بعض أمعائه، جاء والدنيا ليل، ما يفعل؟ قال: أشعلوا لي سراجاً، أشعلوا السراج، أعطوني إبرة وخيطاً -خيط عادي-، صار يطهر الإبرة على السراج ويخيط، وخي أمعاءه، وبعد شهر عاد عباس يقود المعارك.

الحقيقية كرامات كثيرة حصلت على أيدي الأطباء العرب، قالوا لنا -الأطباء العرب- قوانين الطب كلها تكسرت أمام كرامات الأفغان، قالوا: صرنا نكذب القواعد العلمية والطبية التي درسناها لأنه يوجد ناس علاجهم بمعجزة.

أصيب شاب في بلخ -مزار شريف- جاؤوا به إلى الفرنسيين، كان طاقماً من تسعة فرنسيين عندهم مستشفى، أصيب بشظي في النخاع الشوكي، شل، وخلاص لا علاج له، عرضوه على الفرنسيين، الفرنسيون قالوا: -أستغفر الله **(كبرت كلمة تخرج مـ أفواههم)**- هذا ربنا لا يستطيع أن يشفيه، الدكتور صالح الليبي جاء، قالوا له: تعال وانظر إلى هذا الشاب، قال: وجدت معنويات محطمة، جسمه مشلول، يبول على نفسه، لا يجد من يخدمه، شاب كان يزلزل الأرض من تحت أقدام روسيا، وفجأة لا يستطيع أن يقضي حاجته، إذا أراد أن يبول لابد من واحد.. يذوب خجلاً عندما يقوم الناس بتنظيفه وغير ذلك، الدكتور صالح قال: لما رأيته أردت أن أرفع من معنوياته، قلت له: بسيطة -هو هكذا يقول- بسيطة، بسيطة إن شاء الله تطيب، هو عنده -الدكتور صالح - الدعاء والغذاء والدواء، الدعاء ثم الغذاء ثم الدواء، بدأ يدعو له، وببعض الحبوب، لا يستطيع أن يعمل له عملية جراحية، الفرنسيين طردوهم -عندما وصل الدكتور صالح- وأخذوا مستشفاهم معهم، ما عنده شيء إلا بعض الحبوب التي يشتريها من السوق من راتبه الخاص، وبعد شهر وإذا بالشاب يرجع يجاهد في الجبهة، فانتشر في كل بلخ القول: وصل ولي صالح إلى مزار شريف -بلخ- اسمه الدكتور صالح.

نحن بحاجة لكن بشرط واحد أن يدرك الشاب لماذا جاء، ومع من يتعامل، وما هو الدور الذي يجب أن يؤديه.

الجزء الثاني من السؤال: إذا خرج بغير إذن والديه، لا إذن لوالديه، لا استئذان في فروض الأعيان، الجهاد فرض عين، والقاعدة الشرعية لا استئذان في فروض الأعيان، أنت تريد أن تصلي الفجر أبوك يسهر حتى الساعة الثانية ليلاً يلعب الورق والبلوت، يقول لك: يا بني لا تقم في الصباح تزعق بالأبواب وتتوضأ على القبقاب -الذي يخرج صوتاً مزعجاً- أنت تزعجني لا تصل، هل يجوز لك أن تطيعه؟ كذلك الفرض، الجهاد، لا يجوز لك أن تطيعه فيه إذا كان فرض عين وهو فرض عين.

سؤال: ما هي الصعوبات التي حالت دون قيام دولة إسلامية في أفغانستان؟

جواب: من قال لك هذا؟ نحن سائرون، ماذا نفعل هناك، نحن سائرون، وإن شاء رب العالمين سيسقط حكم كابل بإذن الله، أملنا بالله عظيم، وإذا وصل هؤلاء المجاهدون إلى الحكم.. مصيبتهم أنهم يريدون أن يطبقوا الإسلام والأمريكان خائفون أن يطبق الإسلام، وإلا من سنة يقول الأمريكان لهم: نبعد لكم نجيب؟ الروس نبعد لكم نجيب؟ فقط إقبلوا قليلاً، إعملوا مرونة قليلاً، تحبون أن نسلمكم الحكم؟ نبعد لكم نجيب؟ نبعد الشيوعيين؟ روسيا قالت لهم: اقبلوا ثلاث وزراء شيوعيين، وبعد أن نخرج اطردوهم! هذا كان في الطائف، استماتت روسيا الحصول على ورقة من المجاهدين على أن تحفظ ماء وجهها أنها خرجت بمعاهدة مع المجاهدين، ما استطاعوا أن يحصلوا على ورقة واحدة يوقع عليها المجاهدون، فهم الآن يقولون لهم: شكلوا الدولة فقط ضعوا بعض وزراء نجيب مسلمين يصلون ويصومون! نجيب أبعدوه! الشيوعيين أبعدوهم، المعروفون بشيوعيتهم أبعدوهم، فقط بعض المعتدلين يعني مرنين منفتحين مربين على أيدينا في واشنطن في باريس في بريطانيا، دينهم مثل المطاط يمط حسب الأهواء الأمريكية، وكل واحدة عنده طنجرة فتاوى جاهزة، أو فتوى مشين! تعرفون فتوى مشين؟! مثل مشين البيبسي والميرندا، تضغط عليها تخرج بيبسي، وهذا عنده فتوى مشين، إضغط عليها تخرج فتوى، دين مرن، يعني الأمريكان تعبوا مع هؤلاء.

ريجان يطلب بنفسه مقابلة حكمتيار، استدرجوا حكمتيار، قالوا له: تعال اعرض قضيتكم في الأمم المتحدة، لما وصل وإذا بهم -استدرجوه ليقابل ريجان، السفير الباكستاني إحدى عشرة ساعة في نيويورك يحاول أن يقنع حكمتيار ليقابل ريجان، قال: لن أقابل

ريجان، قال له: أنت مجنون! مجنون! ستون ملكاً ورئيساً على قائمة ريجان ويرفض مقابلتهم -كان اجتماع الأمم المتحدة الملوك والرؤساء دورة عام ١٩٨٥م- وأنت ترفض؟! هو يطلبك وأنت ترفض؟! قال: نعم، وإذا أصررتم سأغادر أمريكا الآن.

ريجان ما يئس، كتب رسالة وأرسلها مع ابنته مورين ريجان، أرسلها إلى حكمتيار قال لعله يرق لهذه البنت، فذهبت وقالت له: والدي ينتظرك في البيت الأبيض هذه الليلة، قال: لكن أنا متأسف عندي موعد مع المهاجرين الأفغان في إنديانا سابق عليه ولا أستطيع.

الكونغرس دعاه، أنا رأيت دعوة الكونغرس (إنكم ضربتم المثل الحي للشعوب التي تريد أن تتحرر من العبودية، ومن أجل هذا نتشرف بدعوتكم على حفلة شاي لمجلس الكونغرس الأمريكي تشرحون قضيتكم)، قال: الكونغرس وريجان وجهان لعملة واحدة، لا أذهب، عقد مؤتمراً صحفياً، سأله الصحفيون كم قدم الأمريكان لكم؟ قال: نرفض أن نستلم دولاراً واحداً من أمريكا.

وهنا في العالم الإسلامي والعربي يقولون لك هذه حرب النجوم، حرب الكواكب (C.I.A) والـ (K.J.B) يفهم الأخ الحمد لله!! يفهم اسم الله عليه، يعرف يحلل، حسبنا الله ونعم الوكيل!.

وجدوا في أوروبا أن الذين يعملون في الداخل وفي تنظيف المجاري -أجلكم الله- إذا ذهبوا إلى حدائق الزهور يرشحون ويصيبهم الزكام، فالناس من كثرة العبودية والذل صاروا لا يصدقون العز، لا يصدقون أن هناك أعزة فوق الأرض، صاروا لا يصدقون أن الله أقوى من أمريكا وروسيا، يقول لك: هذا كيف يريد أن يتمرد على أمريكا؟! كيف يتمرد؟

قالوا لسياف: كيف انتصرتم على الروس؟ قال: لأنهم يقولون نحن القوة العظمى، ونحن نقول: إن ربنا صاحب القوة العظمى، فقوة ربنا هزمت قوتهم العظمى، هذه غابت عن المسلمين، تريد أن تحدثه في قضية (C.I.A) والـ (K.J.B) والماسونية والصهيونية العالمية والروتري وما إلى ذلك، كأن هذه أصبحت آلهة تدير الأرض، أي واحد يريد أن يتوكل على ربه لا يصدقه الناس أبداً.

سؤال: متى وكيف استشهد الشيخ تميم العدناني رحمه الله؟

جواب: توفي -رحمه الله- في الأسبوع الماضي في سكتة قلبية في أمريكا، ذهب لإلقاء محاضرات عن الجهاد، هو ذهب.. الغاية الأساسية يريد أن يخفف وزنه، قال لي: يا شيخ عبد الله: أنا ثقل وزني ولا أستطيع أن أخوض المعارك، وأنا أريد أن أخفف وزني، لن أرجع إليكم إلا تسعين كيلوغراماً حتى أخوض بعض المعارك لعل الله يرزقني الشهادة في المعركة، فذهب وأصبح يتصل بي يا شيخ عبدالله أبشر نقصت خمس عشرة كيلو، يا شيخ عبدالله أبشر نقصت عشرين كيلو، يا شيخ عبدالله.

الشباب علموا أن الشيخ تميم في أمريكا والمراكز الاسلامية انهالت عليه، احجز محاضرة محاضرة محاضرة، محاضرات في مفكرته إلى (١٥) نوفمبر القادم، (١٥) الشهر القادم، فكان ذاهباً لمحاضرة في أورلندو، في فلوريدا، وكانت أهله معه- زوجته معه- تعب في الطريق، قالت اجلس هنا، فوقع، نقل إلى المستشفى، فارق الحياة بعد أربع دقائق، بعد أربع وعشرين ساعة..[1] وبلغت الأمة، سلام عليك، سلام عليك يا أبا ياسر، لقاؤنا إن شاء الله في الجنة، بدأت تتكلم، فبدأت عينه اليمنى تفيض بالدمع، نزل الدمع و صارت تجفف الدمع، قال لي الأخ أبو طارق توفيق الصعد كنت واقفاً بجانبها وهي تجفف، ثم تقدمت وجففت بقيت الدموع، بعد أربع وعشرين ساعة من وفاته، قال وضعناه من أجل الغسل والتكفين على الطريقة الإسلامية فدخل صاحب المحل قال يبدو أنكم استعملتم عطراً ممتازاً، قالوا كيف؟ قال رائحة المحل كلها عطر، قالوا لم نستعمل العطر أبداً.

أرادوا وضعه في التابوت وكان رحمه الله سميناً، فالتابوت يده هكذا، فما أغلق التابوت عليه، والميت يتصلب عادة، فهم ثنوا يده كأنه نائم وأبعدوها على الجانب وسكر التابوت، كأنه نائم.

اتصل أحد إخواننا بالشيخ ابن باز والشيخ عبدالرزاق عفيفي، يا شيخ، الشيخ تميم سنأتي به من أمريكا، الرحلة تستغرق حوالي اثنتين وأربعين ساعة بالطائرة، أورلندو، نيويورك، إسلام آباد، بيشاور، حوالي اثنتين وأربعين ساعة، فهل يجوز لنا أن ندفنه في القبر في التابوت، فقال الشيخ ابن باز إذا كان يخشى أن رائحته تخرج أو جسمه يتغير ادفنوه بالتابوت أفضل، الشيخ عبدالرزاق عفيفي قال: طبعاً سيتغير، ورائحته تخرج، فالأفضل ستراً للميت أن لا يفتح عليه فادفنوه في التابوت.

وصل الشيخ تميم، طبعاً هناك الذين ينقلونه يفتحون بطنه ويخرجون أمعاءه وما إلى ذلك، رفض إخواننا أن يسمحوا لهم أن يفعلوا شيئاً به، قالوا لن نسمح لكم، لا تخرجوا أمعاءه، لا تفتحوا بطنه، سننقله كما هو، لما وصل فتحت عليه كما هو، أولاً صلى عليه الشيخ سياف، الشيخ يونس خالص، كان المجاهدون العرب والأفغان حاضرين أعداداً ضخمة، ثم أخرجناه من التابوت ودفناه، وألقى الشيخ سياف كلمة، وألقيت كلمة، وألقى ابنه كلمة، وصورها الإخوة، صور الإخوة جنازة الشيخ تميم طيلة الطريق، وإن شاء الله ترسل

---

(١) هنا يوجد نقص في الشريط.

ـــ سم ـ ميديو عن جنازته إن شاء الله.

سؤال: ما حقيقة الأخبار عن القتال بين المجاهدين وهل تقوم حكومة المجاهدين بمهامها داخل أفغانستان؟

جواب: القتال بين المجاهدين هذه نغمة يريد أن يركز عليها الإعلام الغربي حتى يقول للتاجر الكويتي أنت لماذا تدفع للأفغان؟ أرسلها للفقراء في مكان آخر في أفريقيا بدل أن تساعد في سفك دماء المسلمين، لأن الفلوس الذي تذهب إلى أفغان هذه سيشترى بها ذخيرة يشتريها حكمتيار يذبح جماعة رباني، أو رباني يذبح جماعة حكمتيار، الحرب الأهلية، هذه الخلافات برز خروج الروس، أو أن هذه الخلافات كانت موجودة قديمة، لماذا سكت الأمريكان والغربيون عنها هذه السنوات الطويلة وما برزت إ هذه الأيام؟ اتخذوا من حادثة تخار مادة دسمة لأقلامهم.

أحد الرجال شبه أحمق تابع لحكمتيار، نعم، مسك خمسة من قادة مسعود التابع لرباني وقتلهم، قالوا قتل ثمانية وثلاثين لمسعود، ثم مسعود انتقم لقادته وقتل ثلاثمائة من جماعة حكمتيار، وهرب سيد جمال ومسكته الدولة الشيوعية وسلمته لمسعود مسعود عميل للدولة الشيوعية، والله يشهد إنهم لكاذبون، كله كذب، وأنا حققت في القضية، ما قتل لا ثلاثمائة ولا عشر الثلاثمائة نصف العشر، لكن الإعلام الغربي يريد أن يضع في ذهن المسلمين في الأرض أن هذا الجهاد ليس رمزاً كما تظنون، هذا مج قطاع طرق، عصابات يقتلون بعضهم بعضا، الآن حكمتيار ورباني، وسياف ومسعود يتصارعون على الكراسي، ويتنازعون المصالح، فاتركوهم بحالهم حتى لا تصبح قوة وظاهرة، ظاهرة الجهاد الأفغاني، مع أن الأرض كلها، الغربيون والشرقيون ك يعترفون قبل أشهر قليلة بالأفغان الذين دحروا الروس، أول مرة في تاريخ الجيش الأحمر يهزم! أمام من؟ أمام شعب مسلم قليل، د المعركة بسلاح الحرب العالمية الأولى، بالبندقية الإنكليزية هذه، كيف هذا؟

أنا قابلت صحفياً فرنسياً قبل سنوات في أفغانستان، كان راجعاً من أفغانستان على الحدود، فقلت له أنت ايش رايك المعركة؟ قال: سينتصر الأفغان، قلت لماذا؟ قال: لأنهم يدافعون عن دين وعن مبادىء، الروس كيف ينتصرون؟ قلت له أنت تؤمن با قال: كنت بالاشارة أعرف أن هنالك إله، أما الأفغان فقد أجبروني على الإيمان بالله، قلت له كيف؟ قال: عندما أرى بنادق بسيطة ته الدبابات، معنى ذلك أن هنالك قوة أخرى غير مرئية في المعركة هي التي تسبب هزيمة هؤلاء وهي قوة الله التي تقولون عنها.

فالآن الأمريكان، الغرب يريدون أن يشوهوا، يشوهوا هذا الجهاد، كيف؟ فهم يصورونهم أنهم قطاع طرق، وأنها خلافا داخلية، وأنه حرب بين المسلمين، وأنها حرب مصالح وأهواء، فوفروا على أنفسكم أموالكم، ووفروا على أنفسكم مشاعركم تجاه هـ الجهاد، أنتم اشتغلوا بقضاياكم المحلية أفضل لكم من هذا القوم الضائع.

سؤال: ورد في حديثكم أن المجاهدين – نصرهم الله – يحاصرون مدينة كابل منذ فترة، فلماذا لم تفتح كابل حتى الآن؟

جواب: أسباب كثيرة، أسباب كثيرة خارجية وداخلية، من الأسباب الداخلية أنهم لا يريدون أن يركزوا القصف كثيراً إلا عل المراكز الحكومية العسكرية حتى لا يقتل السكان، السكان في داخل المدن يقولون للمجاهدين نحن مستعدون أن نخرج، فقط نريد منك أن توفروا لكل عائلة خيمة وطحيناً فقط، لكن كيف يمكنهم أن يوفروا الطعام للمليونين وثمانمائة ألف الذين يسكنون في كابل وهم ا يستطيعون أن يوفروا الطعام للمجاهدين الذين يحاصرون كابل، بينكم أخ كان في كابل قبل فترة بسيطة، قال والله هذا القائد الذي أرسل له نجيب ثلاث رسائل، يرجوه أن يوقف القتال، أرسل لنا هل عندكم طحين؟ أعطنا كيسي طحين، فأعطيناه كيسين كان متبقيين عندنا.

فالحقيقة أولاً عوامل داخلية كثيرة، عوامل خارجية أن باكستان أمسكت يدها، لا تساعد المجاهدين الآن، المجاورون لهم يضيقون عليهم، الإعلام شوههم، المساعدات قلت من الشعوب الإسلامية، الإعلام والله كان بعض الصحف العربية بينهم وبين المجاهدين الأفغان عداء أكثر، عداؤهم للمجاهدين أكثر من عداء نجيب، والله لما تسمع نجيب وهو يتكلم عن المجاهدين الأفغان، هؤلاء الإخوة المهندس المحترم حكمتيار، البروفيسور المحترم سياف، الاستاذ المحترم رباني، ويرسل لهم رسائل استعطاف، وهنا يتكلمون من رؤوس أنوفهم عن المجاهدين، والله يعادون المجاهدين أكثر من نجيب، كأنهم نجيبيون أكثر من نجيب، شيوعيون أكثر من الشيوعيين الذين في كابل، ولذلك كل واحد يتكلم على المجاهدين، إما أن يكون جاهلاً أو حاقداً، إن كان جاهلاً فهو معذور عند الله، وإن كان حاقداً فهو ليس مسلماً، لأن الذي يكره الإسلام، يكره نصرة المسلمين على الكافرين والشيوعيين هذا ليس مسلماً.

سؤال: سبب عدم فتح جلال آباد؟

جواب: جلال آباد، نحن وصلنا إلى ضواحي جلال آباد، الفرقة التي تحمي جلال آباد كانت قذائف الهاون تصيبها، إخواننا قريبون جداً، المجاهدون فتحوا من منطقة جلال آباد مساحة أكثر من ثلث مساحة فلسطين في مدة شهرين، هذا أغفله الإعلام العالمي،

أغفل الإعلام العالمي أن جلال أباد أقرب مدينة لكابل، وكانت كابل إذا أرادت أن ترسل كمية من المواد الغذائية والذخيرة ترسل مئات الآليات حتى تستطيع أن ترسل الطعام لهم، جلال آباد مركز الشيوعيين، نجيب من منطقة قريبة من جلال آباد (سيدكرم) بين كرديز وبين جلال آباد، جلال آباد فيها الشيوعيون العقائديون، وجلال آباد مدينة، والصحابة وقفوا أمام المدن الأفغانية هذه أو القريبة من الأفغان سنوات، تقرأون في فقه السنة، يقول الحسن البصري: أقمت مع عبدالرحمن ابن سمرة سنتين في كابل نقصر الصلاة، يظن بعض الناس أنهم كانوا قاعدين في كابل، معارك مستمرة، حرب طاحنة بين الصحابة وبين الأفغان، الأفغان كلما وجدوا غفلة من الصحابة يقومون على الصحابة، ينقضون عليهم يقتلونهم ويهرب الباقي ويمسكون البلد، ثم يعود الصحابة وينقضون عليهم ويستلمون كابل، افتتحت كابل سنة اثنتين وعشرين للهجرة في زمن عمر، بقيت المعارك والمنطقة غير مستقرة ستين سنة، حتى سنة إحدى وثمانين للهجرة حتى افتتحت نهائياً واستقرت على يد عبدالرحمن بن محمد في أيام عبدالملك ابن مروان.

فالأفغان عرق صلب، شرس، الشيوعي يقاوم ويدرك أنه إذا مسك سيذبح، لأن الشيوعيين إذا مسكوا سيقتلون لا فائدة، إما أن يسلم وإما أن يقتل، المرتد ليس له حكم إلا الموت، فقولوا للشيوعيين في بلادكم إن شاء الله سيأتيهم الدور، إن شاء الله، إن شاء الله سنذبحهم ذبحاً شرعياً، بسم الله، الله أكبر، ليس كاللحم البلغاري، إذبح! شرعي إن شاء الله! مرتدون يستحقون الموت، والدور قادم لهم، والله سيصيبهم مثل الشيوعيين في داخل أفغانستان.

الشيوعي أرخص من رأس الغنم:

السادة الروس عندما قرروا الانسحاب صاروا يبيعون الشيوعيين الأفغان بيعاً، والله! قادة كابل حدثوني أنا اشتريت شيوعيين بكذا، كان آخر سعر للشيوعيين، آخر تسعيره للشيوعيين القادة الكبار الذين في الخاد المخابرات خمسة عشر دولاراً للواحد، أرخص من رأس الغنم، الضابط الذي ليس بارزاً كثيراً عشرة دولارات، الجندي الشيوعي دولارين ونصف، فأنا حسبتها، البغل بمائة شيوعي، والله كانوا يبيعون بيعاً للمجاهدين، يأتون للمجاهدين -الروس- يقولون لهم أي شيوعي في المنطقة تريدون أن نبيعكم إياه.. نبيعكم إياه؟! وصدقوا باعوا عشرات الشيوعيين بصندوق عنب، بعضهم بفرخة، وهذا الذي سيصيب الشيوعيين في بلادنا، هؤلاء الآن الذين ينقنقون ويزعقون من خلال بعض الصحف، الدور قادم إليهم إن شاء الله، إن شاء الله **(وبشر الذين كفروا بعذاب أليم)**.

سؤال: سمعنا عن استشهاد الدكتور صالح الليبي، ما صحة هذا الخبر؟ وأين كان استشهاده؟

جواب: رحمه الله استشهد في جلال آباد قبل شهر بقذيفة هاون هو وأحمد المبارك.

سؤال: ما رأيك في القلائد التي يؤمن بها بعض المجاهدين ويضعونها حول أعناقهم وأيديهم؟

جواب: ما القلائد هذه؟ التعاويذ يعني التمائم؟ تعرفون القضية إذا كانت بالكتاب والسنة، التعويذة هذه قضية مختلف فيها، بعض الصحابة أجازها وبعض الصحابة كرهها.

عبدالله بن عمرو بن العاص أجازها، وعبدالله ابن مسعود كرهها، وكذلك من بعدهم التابعون وتابعو التابعين، إذا رأيتم أن تحققوا في الأمر فاقرأوا كتاب فتح المجيد، الذي هو أشد كتاب في القضية، يقول لك بعض الصحابة أجازها وبعض الصحابة منعها إذا كانت بالكتاب والسنة، أما إقرأ شرح مسلم، وشرح النووي على مسلم، تجد أن معظم الفقهاء أجازوا هذه التعويذات إذا كانت بالكتاب والسنة، أما اذا كانت بغير الكتاب والسنة - أنا أكرهها جميعاً سواء كان بالكتاب والسنة أو بغير الكتاب والسنة-، أما القضية قضية خلافية، فلماذا نشدد في هذه القضية؟ وهو لا يأتي لحشاش في الشارع يقول أعطني تعويذة، يأتي لشيخ إمام المسجد يقول له: اكتب لي تعويذة، هو يظن أنه يكتب له كتابة من الكتاب والسنة، وبعض الناس يتاجرون بها، هذه التعويذة ثمنها أربعة آلاف أو خمسة آلاف أفغاني، يمكث كعامل سنة كاملة حتى يوفر ثمنها، فيأخذها منه شيخ المسجد في يوم واحد كل توفير السنة بكتابة التعويذة، فيأتي الشاب العربي متحمساً للعقيدة الصحيحة فيأتي يريد أن يقطعها، أنت تريد أن تقطع روحه هذا عرق سنة! تعال له بالحسنى، مئات التعاويذ أخذناها وقلنا لهم: نحن ندفع لكم ثمنها التي دفعتموها وبعد ذلك نفتحها، بعضها نجد فيه أرقاماً، وبعضها نجد فيه قرآناً، فإذا وجدنا فيها أرقاماً والحسن والحسين والأئمة الإثنا عشرية -لأن الشيعة يعملون كثيراً من هذه- فنقول له: *أنظر ما هذا؟* فيضحك على نفسه ويصبح يقول والله لا أصلي خلف هذا الذي باعني إياها، فبالحسنى إن شاء الله تزال إن شاء الله.

سؤال: الثورة الإيرانية كانت بارقة أمل للمسلمين وحصل العكس، فهل سيحصل هذا في أفغانستان؟

جواب: أفغانستان أهل سنة وجماعة، حسبنا الله ونعم الوكيل، كيف يحصل هكذا بالنسبة إلى أفغانستان، أفغانستان من أهل السنة والجماعة، والقادة الذين يقودون الجهاد أناس معتزون بربهم، شباب عرب قالوا هؤلاء لا يجوز مساعدتهم! لماذا؟ قال عقيدة البراء

ـــ سم بعيدين عن جبارته إن شاء الله.

سؤال: ما حقيقة الأخبار عن القتال بين المجاهدين وهل تقوم حكومة المجاهدين بمهامها داخل أفغانستان؟

جواب: القتال بين المجاهدين هذه نغمة يريد أن يركز عليها الإعلام الغربي حتى يقول للتاجر الكويتي أنت لماذا تدفع للأفغان؟ أرسلها للفقراء في مكان آخر في أفريقيا بدل أن تساعد في سفك دماء المسلمين، لأن الفلوس الذي تذهب إلى أفغان هذه سيشترى بها ذخيرة يشتريها حكمتيار يذبح جماعة رباني، أو رباني يذبح جماعة حكمتيار، الحرب الأهلية، هذه الخلافات برز خروج الروس، أو أن هذه الخلافات كانت موجودة قديمة، لماذا سكت الأمريكان والغربيون عنها هذه السنوات الطويلة وما برزت إ هذه الأيام؟ اتخذوا من حادثة تخار مادة دسمة لأقلامهم.

أحد الرجال شبه أحمق تابع لحكمتيار، نعم، مسك خمسة من قادة مسعود التابع لرباني وقتلهم، قالوا قتل ثمانية وثلاثين لمسعود، ثم مسعود انتقم لقادته وقتل ثلاثمائة من جماعة حكمتيار، وهرب سيد جمال ومسكته الدولة الشيوعية وسلمته لمسعود مسعود عميل للدولة الشيوعية، والله يشهد إنهم لكاذبون، كله كذب، وأنا حققت في القضية، ما قتل لا ثلاثمائة ولا عشر الثلاثمائة نصف العشر، لكن الإعلام الغربي يريد أن يضع في ذهن المسلمين في الأرض أن هذا الجهاد ليس رمزاً كما تظنون، هذا مجد قطاع طرق، عصابات يقتلون بعضهم بعضا، الآن حكمتيار ورباني، وسياف ومسعود يتصارعون على الكراسي، ويتنازعون المصالح، فاتركوهم بحالهم حتى لا تصبح قدوة وظاهرة، ظاهرة الجهاد الأفغاني، مع أن الأرض كلها، الغربيون والشرقيون ك يعتزون قبل أشهر قليلة بالأفغان الذين دحروا الروس، أول مرة في تاريخ الجيش الأحمر يهزم! أمام من؟ أمام شعب مسلم قليل، د المعركة بسلاح الحرب العالمية الأولى، بالبندقية الإنكليزية هذه، كيف هذا؟

أنا قابلت صحفياً فرنسياً قبل سنوات في أفغانستان، كان راجعاً من أفغانستان على الحدود، فقلت له أنت ايش رايك المعركة؟ قال: سينتصر الأفغان، قلت لماذا؟ قال: لأنهم يدافعون عن دين وعن مبادىء، الروس كيف ينتصرون؟ قلت له أنت تؤمن بال قال: كنت بالاشارة أعرف أن هنالك إله، أما الأفغان فقد أجبروني على الإيمان بالله، قلت له كيف؟ قال: عندما أرى بنادق بسيطة تم الدبابات، معنى ذلك أن هنالك قوة أخرى غير مرئية في المعركة هي التي تسبب هزيمة هؤلاء وهي قوة الله التي تقولون عنها.

فالآن الأمريكان، الغرب يريدون أن يشوهوا، يشوهوا هذا الجهاد، كيف؟ فهم يصورونهم أنهم قطاع طرق، وأنها خلافا داخلية، وأنه حرب بين المسلمين، وأنها حرب مصالح وأهواء، فوفروا على أنفسكم أموالكم، ووفروا على أنفسكم مشاعركم تجاه هـ الجهاد، أنتم اشتغلوا بقضاياكم المحلية أفضل لكم من هذا القوم الضائع.

سؤال: ورد في حديثكم أن المجاهدين – نصرهم الله – يحاصرون مدينة كابل منذ فترة، فلماذا لم تفتح كابل حتى الآن؟

جواب: أسباب كثيرة، أسباب كثيرة خارجية وداخلية، من الأسباب الداخلية أنهم لا يريدون أن يركزوا القصف كثيراً إلا علم المراكز الحكومية العسكرية حتى لا يقتل السكان، السكان في داخل المدن يقولون للمجاهدين نحن مستعدون أن نخرج، فقط نريد منك أن توفروا لكل عائلة خيمة وطحيناً فقط، لكن كيف يمكنهم أن يوفروا الطعام للمليونين وثمانمائة ألف الذين يسكنون في كابل وهم ا يستطيعون أن يوفروا الطعام للمجاهدين الذين يحاصرون كابل، بينكم أخ كان في كابل قبل فترة بسيطة، قال والله هذا القائد الذي أرسل له نجيب ثلاث رسائل، يرجوه أن يوقف القتال، أرسل لنا هل عندكم طحين؟ أعطنا كيسي طحين، فأعطيناه كيسين كان متبقيين عندنا.

فالحقيقة أولاً عوامل داخلية كثيرة، عوامل خارجية أن باكستان أمسكت يدها، لا تساعد المجاهدين الآن، المجاورون لهم يضيقون عليهم، الإعلام شوههم، المساعدات قلت من الشعوب الإسلامية، الإعلام والله كان بعض الصحف العربية بينهم وبين المجاهدين الأفغان عداء أكثر، عداؤهم للمجاهدين أكثر من عداء نجيب، والله لما تسمع نجيب وهو يتكلم عن المجاهدين الأفغان، هؤلاء الإخوة المهندس المحترم حكمتيار، البروفيسور المحترم سياف، الاستاذ المحترم رباني، ويرسل لهم رسائل استعطاف، وهنا يتكلمون من رؤوس أنوفهم عن المجاهدين، والله يعادون المجاهدين أكثر من نجيب، كأنهم نجيبيون أكثر من نجيب، شيوعيون أكثر من الشيوعيين الذين في كابل، ولذلك كل واحد يتكلم على المجاهدين، إما أن يكون جاهلاً أو حاقداً، إن كان جاهلاً فهو معذور عند الله، وإن كان حاقداً فهو ليس مسلماً، لأن الذي يكره الإسلام، يكره نصرة المسلمين على الكافرين والشيوعيين هذا ليس مسلماً.

سؤال: سبب عدم فتح جلال آباد؟

جواب: جلال آباد، نحن وصلنا إلى ضواحي جلال آباد، الفرقة التي تحمي جلال آباد كانت قذائف الهاون تصيبها، إخواننا قريبون جداً، المجاهدون فتحوا من منطقة جلال آباد مساحة أكثر من ثلث مساحة فلسطين في مدة شهرين، هذا أغفله الإعلام العالمي،

أغفل الإعلام العالمي أن جلال آباد أقرب مدينة لكابل، وكانت كابل إذا أرادت أن ترسل كمية من المواد الغذائية والذخيرة ترسل مئات الآليات حتى تستطيع أن ترسل الطعام لهم، جلال آباد مركز الشيوعيين، نجيب من منطقة قريبة من جلال آباد (سيدكرم) بين كرديز وبين جلال آباد، جلال آباد فيها الشيوعيون العقائديون، وجلال آباد مدينة، والصحابة وقفوا أمام المدن الأفغانية هذه أو القريبة من الأفغان سنوات، تقرأون في فقه السنة، يقول الحسن البصري: أقمت مع عبدالرحمن ابن سمرة سنتين في كابل نقصر الصلاة، يظن بعض الناس أنهم كانوا قاعدين في كابل، معارك مستمرة، حرب طاحنة بين الصحابة وبين الأفغان، الأفغان كلما وجدوا غفلة من الصحابة يقومون على الصحابة، ينقضون عليهم يقتلونهم ويهرب الباقي ويمسكون البلد، ثم يعود الصحابة وينقضون عليهم ويستلمون كابل. افتتحت كابل سنة اثنتين وعشرين للهجرة في زمن عمر، بقيت المعارك والمنطقة غير مستقرة ستين سنة، حتى سنة إحدى وثمانين للهجرة حتى افتتحت نهائياً واستقرت على يد عبدالرحمن بن محمد في أيام عبدالملك ابن مروان.

فالأفغان عرق صلب، شرس، الشيوعي يقاوم ويدرك أنه إذا مسك سيذبح، لأن الشيوعيين إذا مسكوا سيقتلون لا فائدة، إما أن يسلم وإما أن يقتل، المرتد ليس له حكم إلا الموت، فقولوا للشيوعيين في بلادكم إن شاء الله سيأتيهم الدور، إن شاء الله، إن شاء الله سنذبحهم ذبحاً شرعياً، بسم الله، الله أكبر، ليس كاللحم البلغاري، إذبح! شرعي إن شاء الله! مرتدون يستحقون الموت، والدور قادم لهم، ووالله سيصيبهم مثل الشيوعيين في داخل أفغانستان.

الشيوعي أرخص من رأس الغنم:

السادة الروس عندما قرروا الانسحاب صاروا يبيعون الشيوعيين الأفغان بيعاً، والله! قادة كابل حدثوني أنا اشتريت شيوعيين بكذا، كان آخر سعر للشيوعيين، آخر تسعيره للشيوعيين القادة الكبار الذين في الخاد المخابرات خمسة عشر دولاراً للواحد، أرخص من رأس الغنم، الضابط الذي ليس بارزاً كثيراً عشرة دولارات، الجندي الشيوعي دولارين ونصف، فأنا حسبتها، البغل بمائة شيوعي، والله كانوا يبيعون بيعاً للمجاهدين، يأتون للمجاهدين -الروس- يقولون لهم أي شيوعي في المنطقة تريدون أن نبيعكم إياه.. نبيعكم إياه؟! وصدقوا باعوا عشرات الشيوعيين بصندوق عنب، بعضهم بفرخة، وهذا الذي سيصيب الشيوعيين في بلادنا، هؤلاء الآن الذين ينتقنون ويزعقون من خلال بعض الصحف، الدور قادم إليهم إن شاء الله، إن شاء الله (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم).

سؤال: سمعنا عن استشهاد الدكتور صالح الليبي، ما صحة هذا الخبر؟ وأين كان استشهاده؟

جواب: رحمه الله استشهد في جلال آباد قبل شهر بقذيفة هاون هو وأحمد المبارك.

سؤال: ما رأيك في القلائد التي يؤمن بها بعض المجاهدين ويضعونها حول أعناقهم وأيديهم؟

جواب: ما القلائد هذه؟ التعاويذ يعني التمائم؟ تعرفون القضية إذا كانت بالكتاب والسنة، التعويذة هذه قضية مختلف فيها، بعض الصحابة أجازها وبعض الصحابة كرهها.

عبدالله بن عمرو بن العاص أجازها، وعبدالله ابن مسعود كرهها، وكذلك من بعدهم التابعون وتابعو التابعين، إذا رأيتم أن تحققوا في الأمر فاقرأوا كتاب فتح المجيد، الذي هو أشد كتاب في القضية، يقول لك بعض الصحابة أجازها وبعض الصحابة منعها إذا كانت بالكتاب والسنة، أما إقرأ شرح مسلم، وشرح النووي على مسلم، تجد أن معظم الفقهاء أجازوا هذه التعويذات إذا كانت بالكتاب والسنة، أما اذا كانت بغير الكتاب والسنة - أنا أكرهها جميعاً سواء كان بالكتاب والسنة أو بغير الكتاب والسنة-، أما القضية قضية خلافية، فلماذا نشدد في هذه القضية؟ وهو لا يأتي لحشاش في الشارع يقول أعطني تعويذة، يأتي لشيخ إمام المسجد يقول له: اكتب لي تعويذة، هو يظن أنه يكتب له كتابة من الكتاب والسنة، وبعض الناس يتاجرون بها، هذه التعويذة ثمنها أربعة آلاف أو خمسة آلاف أفغاني، يمكث كعامل سنة كاملة حتى يوفر ثمنها، فيأخذها منه شيخ المسجد في يوم واحد كل توفير السنة بكتابة التعويذة، فيأتي الشاب العربي متحمساً للعقيدة الصحيحة فيأتي يريد أن يقطعها، أنت تريد أن تقطع روحه هذا عرق سنة! تعال له بالحسنى، مئات التعاويذ أخذناها وقلنا لهم: نحن ندفع لكم ثمنها التي دفعتموها وبعد ذلك نفتحها، بعضها نجد فيه أرقاماً، وبعضها نجد فيه قرآناً، فإذا وجدنا فيها أرقاماً والحسن والحسين والأئمة الإثنا عشرية -لأن الشيعة يعملون كثيراً من هذه- فنقول له: أنظر ما هذا؟ فيضحك على نفسه ويصبح يقول والله لا أصلي خلف هذا الذي باعني إياها، فبالحسنى إن شاء الله تزال إن شاء الله.

سؤال: الثورة الإيرانية كانت بارقة أمل للمسلمين وحصل العكس، فهل سيحصل هذا في أفغانستان؟

جواب: أفغانستان أهل سنة وجماعة، حسبنا الله ونعم الوكيل، كيف يحصل هكذا بالنسبة إلى أفغانستان، أفغانستان من أهل السنة والجماعة، والقادة الذين يقودون الجهاد أناس معتزون بربهم، شباب عرب قالوا هؤلاء لا يجوز مساعدتهم! لماذا؟ قال عقيدة البراء

والولاء ليست واضحة في أذهانهم، قلنا له كيف؟ قال: كيف حكمتيار وزير الخارجية يذهب إلى العراق وإلى ليبيا وغيرها ويطلب من الاعتراف بدولة؟ قلت يا حكمتيار تعال وأجبهم، -كان حكمتيار في الداخل- ، قلت له تعال أجبهم، قلنا لهم أعيدوا السؤال، قلت عقيدة البراء والولاء غير واضحة في أذهانكم ولا تطبقونها! قال لهم: كل المصائب التي صبت علينا ما صبت إلا بسبب عقيدة البر والولاء، وإلا لو رضينا قليلاً عن الأمريكان كنا استرحنا منذ زمن.

سؤال: ما هو موقف الجهاد الأفغاني بعد مقتل ضياء الحق، خاصة من ناحية الإمدادات؟

جواب: قلنا: قلّت كثيراً كثيراً كثيراً كثيراً.

سؤال: سمعنا عن مدينة خوست أن المجاهدين قد اقتربوا من فتحها، هل لك أن تقول من الناحية العسكرية والاستراتيجية؟

جواب: إن شاء الله، الحمد الله هم قريبون من المطار يضربونه، الآن لا ينزل فيه طائرات، ولا تستطيع أن تصلها أي موا غذائية، أرجو الله عز وجل أن يعجل بالفتح.. إن شاء الله.

سؤال: نريد نبذة عن الشهيد عابد الشيخ؟

جواب: كتبنا عنه في مجلة الجهاد، كان أمة وحده، كان نموذجاً ما شاء الله رحمه الله، نعم اقرأوا عنه.

سؤال: هل تعتقد أن الإصلاحات السياسية في أوربا الشرقية وآلام روسيا هي حصيلة ما خرج به الروس من حرب أفغانستان بعد أن فشل شعارهم (أن الدين أفيون الشعوب)؟

جواب: والله هذا أحد الأسباب، أحد الأسباب الكبرى، الحقيقة رأس غورباتشوف خرج وهو يلف من أفغانستان، وأدرك أن الدين لا يمكن أن يقهر، ولذلك أنا قلت: كارلوجي في اجتماع مع وزراء دفاع الناتو يقول له وزراء دفاع الناتو: يبدو أن غورباتشوف قد غير سياسته تجاه الغرب، فرد كارلوجي وزير الدفاع الأمريكي: لقد أجبر الجهاد الأفغاني غورباتشوف أن يغير سياسته تجاه العالم كله، الآن خلاص خرج كافراً بالشيوعية، وفعلاً الشيوعية هي أفيون الأمم، هي المخدر ليس الدين، وجد أن الدين يحرك شعوباً بكاملها لتموت من أجل مبادئها، ووجد الجندي الروسي يتمنى أن يتخلص من العسكرية بأية وسيلة.

سؤال: هناك بعض الصحف تدعي أن في أفغانستان حرباً أهلية، فما رأيكم بهذا الادعاء؟

جواب: وقد كذبوا، (**يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**).

سؤال: من الممول لحركة الجهاد الاسلامي في أفغانستان؟

جواب: الله، الله، الله، نحن لا نعرف -الحقيقة يعني إحقاقاً للحق طبعاً الجواب لا يعجب الكثير-، لا نعرف دولة عربية أو إسلامية وقفت بجانب الجهاد وساعدت إلا دولتين، السعودية حكومة والباكستان حكومة، والسعودية تدفع كل سنة ثلاثمائة مليون دولار مساعدات لباكستان من أجل الجهاد الأفغاني، ولو يزعلون الناس الذين لا يحبون السعودية، طبعاً نحن لسنا عبيداً لأحد الحمد لله.. لكن نحن نؤرخ القضية، وأنتم سألتم فنحن نقول هذا إحقاقاً للحق، لا يجوز كتمان الحق، وإن كان يغضب الناس، السعودية حكومة وقفت موقفاً مشرفاً نرجو الله أن يغفر لهم أخطاءهم الكثيرة وسيئاتهم الكثيرة بسبب موقفهم بجانب أفغانستان.

سؤال: اذكر لنا مدى حب الأفغان للمجاهدين العرب عندهم؟

جواب: مرة كان أحد إخواننا العرب في جبهة وصارت معركة بينهم وبين الشيوعيين الأفغان من مليشيا الأفغان، فالمجاهدون معهم أصحابهم قالوا لهم: عندنا واحد عربي وإذا قتل هذا عار علينا وعليكم، هذا ضيف! فقالوا: لا، نوقف المعركة حتى تنقلوا الضيف، وأوقفوا المعركة حتى أبعدوا العربي ورجعوا إلى المعركة مرة ثانية، الروس قالوا لهم: هاتوا لنا هذا عبدالله طاهر العربي -من العراق- وندفع لكم الملايين، هاتوا رأسه بأي ثمن، فزعيم المليشيا في منطقة هرات طلب أن يقابله، فطلب من صفي الله أفضلي رحمه الله قبل أن يستشهد -وهذا أيضاً من مساويء إيران قتل صفي الله أفضلي، أفضل قائد في منطقة الغرب في داخل إيران- قالهم، قال له أريد أن اقابل زعيم المليشيا، زعيم المليشيا عنده خمسة آلاف مسلح وطلبه إلى مقره، زعيم المليشيا طلب العربي، قالوا له لا تذهب، سيسلمك للروس، قال أريد أن أذهب، قالوا له اكتب لنا ورقة إلى الشيخ عبدالله عزام أني ذهبت رغم إرادة صفي الله أفضلي وإخوانه المجاهدين حتى نريها الشيخ عبدالله حتى نكون في حل إذا مسكت وسلمت، كتب لهم هذا، أرسل له زعيم المليشيا ماتورين، لبس نظارات غطى وجهه وذهب ودخل عليه في مقره، وبدأ يتكلم معه الأخ العربي.

(**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**)، شاب معه توجيهي، عبدالله طاهر قال له أنت ألست أفغانياً؟ قال بلى، قال أين رجولتك؟ أين غيرتك؟ نحن عرب جئنا ندافع عن أعراضكم وأنتم تسلمون أعراضكم للروس، كيف يحصل منكم هذا؟ وأنت ما تعرف أنك

غداً ستموت وأنك ستحاسب وأنك ستعذب؟ ماذا؟ ماذا سينفعك الروس لا في الدنيا ولا في الآخرة؟ كلام، كلام كلام من القلب يتكلم وهو لا يعرف يركب جملتين على بعض، فبدأ زعيم الميليشيا يبكي، يبكي، قال له الآن مرني أن أفعل وسأطبق ما تريد، تحب أن أنضم مع خمسة آلاف للمجاهدين، أعلن انضمامي إلى المجاهدين، قال له لا، ابق كما أنت لكن نبقى على صلة بك، قال أي شيء يريدون المجاهدون أنا أقدم لهم، بعد أن أنهى المقابلة قال له لا أملك شيئاً أقدمه لك هدية -هذا زعيم الميليشيا- إلا هذه الساعة بيده ساعة رادو، فقدمها هدية للشاب العربي، رجع الشاب العربي، بعد يومين احتاج المجاهدون قذائف هاون، أرسل إليه، أرسل لنا ثلاثمائة قذيفة هاون، أرسل له ثلاثمائة قذيفه هاون، زعيم الميليشيا، وبقي يخدم المجاهدين، فهم يحبون العرب كثيراً، كثيراً كثيراً.

ومرة الأخ هذا عبدالرحيم بن رشيد العرجا الذي كتبت فيه عنا في جرائدكم، هذا أسر في معركة من المعارك في الشمال كان في مزار شريف، علم القائد في المنطقة أن الشاب العربي قد أسر، قال أين رجولتنا وأين حياؤنا؟ كيف نواجه الناس؟ ضيفنا يؤسر ونحن أحياء؟! ذهب إلى القرى المجاورة يجمعهم ويستنفرهم، شاب عربي أسر ونظنه في القلعة، وجمع من القرى مجاهدين كثيرين وأناساً من القرى مسلحين، وخرجوا وهجموا على القلعة، واحتلوا القلعة، لكن للأسف ما وجدوا الشاب هذا، ثم نقلوا عبدالرحيم إلى كابل ووقف موقفاً مشرفاً أمام المحكمة، قالوا له ما الذي جاء بك؟ قال لهم ديني، لماذا جئت؟ قال لأقاتلكم لأن الله فرض عليّ أن أقاتلكم، قالوا له لو أفلتناك؟ قال سأحمل البندقية وأعود لقتالكم.

والله حدثني شباب الأفغان الذي كان معه في الزنزانة شاب أفغاني، قال: كان الأفغان يأتون يقفون على باب الزنزانه لينظروا إلى صلاته وقيامه، طبعاً الشاب هذا يقول: يعني أنا وددت لو أفتديه بنفسي، لكن العرب عندهم طعم ثمين، لأنهم يعرضونهم على التلفزيون، انظروا يا ناس العرب يأتون يقاتلوننا، انظروا هذا فلسطيني جاء يقاتلنا، هذا سعودي جاء يقاتلنا، عندهم مجموعة من الإخوة العرب أسرى، واحد أردني، واحد فلسطيني، اثنان سعوديان اثنان عراقيان، يعني عندهم حوالي تسعة أسرى من العرب.

والأفغان يريدون أن يبادلوهم بأسرى الروس، والأسير الروسي عزيز مثل العملة الصعبة، يرفضون أن يبادلوهم بالعرب، قال لهم: خذوا هذا القائد -كان عند القائد أسير من الشيوعيين كبير- خذوه وأعطوني هذا الشاب العربي -عبد الرحيم أبو عرجه-، قالوا: لا، نعطيك تسعة قادة من الأفغان مقابله من المجاهدين، أما العربي فلا نعطيك إياه، وصحف بلادنا تتسلى علينا وتقول الشيخ عبدالله عزام تاجر الموت ويأخذهم إلى أفغانستان بدل أن يقاتل في فلسطين ومن هذا الكلام اسمع.

سؤال: هل يوجد من بين قادة المجاهدين شيعة ؟

جواب: لا، القادة السبعة لا، لكن هناك تجمع آخر عملوا في إيران ثمانية قادة شيعة.

سؤال: هل تصلكم الأموال التي تجمع في الكويت؟

جواب: نعم تصلنا التي تدفع لبيت تمويل الكويتي يأتي بها عبد الله المطوع والحجي والبديع والفليج يأتون بها وبأيديهم يسلمونها للمجاهدين، وكذلك الأموال التي تدفعونها للجنة الدعوة الحمد لله نحن نعرف القائمين عليها، هناك شباب موثوقون في دينهم أدوا دوراً كبيراً الحمد لله، خاصة في الميدان الصحي وقفوا أمام المؤسسات الصليبية التي تصل إلى سبعين مؤسسة، فالحمد لله الأموال التي تصل إلى بيت التمويل أو إلى لجنة الدعوة أو غيرها، فاطمئنوا أنها تصل يداً بيد إن شاء الله، نحن نشهد لهم، إن شاء الله.

سؤال: هل صحيح ما تقوله الصحف هنا في الكويت أن المجاهدين الأفغان يتلقون مساعدات عسكرية من الولايات المتحدة؟ نرجو منكم توضيحاً لهذه القضية.

جواب: هم رفضوا، رفضوا، أما أمريكا تساعد باكستان، تساعد باكستان، أنا أظن قطعاً أنها تساعد باكستان، لكن ما استعمل المجاهدون سلاحاً أمريكياً إلا صاروخ استنكر، وصاروخ استنكر أنا أعرف أن السعودية تدفع ثمن كل صاروخ سبعين ألف دولار، حتى الأمريكان ما دفعوا في ثمنه، أنا هذا مطلع عليه، أما أنها تساعد باكستان هي تساعد باكستان بأربعة بلايين واثنين في العشرة بليون، هي تساعد الباكستان مساعدات ليس من أجل الجهاد، قبل الجهاد كانت تقدم مساعدات أمريكية لباكستان، لكن الأمريكان الذي تدفعه السعودية والذي يدفعه الناس كلهم، تقول أنا أساعد المجاهدين بكذا وكذا وتحسب الذي يقدم من السعودية وغيرها كله من الأمريكان، ولذلك مرة الأمريكان أرادوا أن يتدخلوا، فجاؤوا ومعهم مائة مليون دولار للصحة، وستين مليونا دولار للتعليم، عرضوا على القادة الأربعة، سياف وحكمتيار وربانى وخالص، قالوا لهم نريد أن ننشئ لكم مستشفيات في داخل أفغانستان لمداواة جرحاكم، ولو سمحوا لهم ليس عليهم إثم أمام الله عز وجل، لأن المجاهدين المصابين تنشر أرجلهم بمنشار الخشب والله، والله عندنا فلم جاء به الإخوة من فارياب تنشر أرجل المجاهدين بمنشار الخشب، وبعضهم ترقى قليلاً يأتي الحلاق ليقطع رجل المجاهد، طبعاً لا

بحدير، لهذا فهم لو سمحوا للأمريكان معذورون عند الله، لأن المسلمين لم ينظروا إليهم، الأطباء المختصون، ما جاءنا، الآن في دا
أفغانستان لا يوجد، مجموعة قليلة من الاطباء العرب، يعني قبل سنتين ما كان إلا أربعة من الأطباء العرب، الآن لجنة الدعوة جا
بمجموعة من الاطباء أدخلتهم في داخل أفغانستان، ولجنة البر إلى آخره، بعض اللجان أدخلوا أطباء مختصين، لكن معظمهم ع
الحدود، فلو استعانوا بالأمريكان معذورون عند الله، استعانوا بالفرنسيين في هذه الأمور معذورون، لكنهم رفضوا، راحوا -الأمريكان
إلى مدير الهلال السعودي، مدير الهلال السعودي شاب طيب من الشباب الذين يحبهم قلبك، قالوا ننفذ مشاريعنا من طريقكم، خذ
الفلوس ونفذوها، قالوا لا، لا نأخذ درهماً واحداً، حاولوا عن طريق بعض السفارات العربية أن يضغطوا على الأفغان حتى يسمحوا لم
أن يعملوا من خلال بعض المؤسسات رفضوا، أخيراً هذا المسؤول عن الأموال صاح قال: من يعذرني في هؤلاء الجهلة الأفغان، ما
مليون دولار انتزعناها من الخزينة الأمريكية انتزاعاً بقي شهران يجب أن ترجع للخزينة الأمريكية أو ننفقها في داخل أفغانستان، و
ادري أخيراً أين ذهبت، أما المهم كان قد بقي شهران حتى ترجع إلى أمريكا لأن الأفغان رفضوا أن يسمحوا للأمريكان أن يعملوا بها.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل، جهاد يتعرض للشائعات من كل مكان، وإذا كانوا مع الله فالله معهم، **(إن الله يدافع عن الذين آمنوا)**.

سؤال: سمعنا أن هناك هيئة في أفغانستان سلمت أسماء المجاهدين العرب إلى سفارات بلادهم فما مدى صحة هذا؟

جواب: يعني هذا الشاب الصغير يظهر عليه أنه لا يعرف طرق المخابرات وكيف تشتغل.. المخابرات تنتظر الهيئة حتى تقدم أسماء العرب، الهيئة كل عربي يأتي يعمل إقامة عند الباكستانيين، المسؤولون عن الاقامات أليسوا كلهم مخابرات، لو أرادت أي سفارة من السفارات تريد أسماء أبناء بلادها، فقط تقول لدائرة الاقامات أرسلوا لي أسماء الأردنيين، الفلسطينين السعوديين الذين عندكم، فقط يخرج الدوسية ويقول لهم فلان وفلان وفلان، هم ينتظرون الهيئة حتى تقدم لهم الأسماء الى السفارة، حسبنا الله ونعم الوكيل.

سؤال: لماذا رفض الشيخ سياف مقابلة الأخ ياسر عرفات؟

جواب: الشيخ سياف قال ياسر عرفات لا يصلح للوساطة لأنه طرف وهو معروف، فكيف يتوسط بيننا وبين روسيا؟ لأنه طيلة العشر سنوات ما رأيناهم وقفوا موقفاً واحداً بجانبنا في المحافل الدولية، دائماً يقفون ضدنا، فكيف آخر الزمان جاء يتوسط بيننا وبين روسيا؟! وقال كلمة أكبر لكن ليست للصحف، فقال كلمة أكبر، خليها.. خليها ماشية.

سؤال: إننا خريجان حديثان من كلية الهندسة ونريد أن نلتحق بالمجاهدين ونخدم الجهاد الأفغاني في تخصصنا ولكن ينقصنا التدريب العملي، لذلك نود التوجيه في المجالات المناسبة، فماذا تنصحنا أن نعمل؟

جواب: المتزوج نحن لا نستطيع أن نتكفل أهله، يعني أي متزوج يريد أن يأتي لا بد أن يكفله المسجد القريب منه، تاجر من التجار، مركز إسلامي، هيئة إسلامية، أما أن يأتينا لنكفل أهله نحن لا نستطيع، إذا كان أعزباً على الرأس والعينين، على رؤوسنا منذ أن يصل المطار حتى يرجع إلى بلاده مرة أخرى، أكله شربه، تدريبه، إرساله للجبهة كله على حسابنا، أما أن نقوم بكفالة عائلات لا نستطيع، فأي مهندس، أي طبيب، أي شاب يريد أن يأتي للجهاد أهلاً وسهلاً بشرط واحد أن لا يطالبنا بكفالة أهله.

سؤال: حاول كثيرون إثارة أن الصراع الدائر في أفغانستان بين الاتحاد السوفياتي وأمريكا؟

جواب: (ذرهم في خوضهم يلعبون).

سؤال: ما أسباب النزاع الحالي بين المجاهدين الأفغان؟

جواب: يا حبيبي إيش النزاع، مساكين لا حول ولا قوة إلا بالله، الآن كثير من الجبهات موحدة، على الأقل، بينها تنسيق، يقومون بمعركة متحدين مع بعضهم، حتى الجبهات مختلطة مع بعضها من الأحزاب، خلافات!! أنت تريد من شعب بكامله فيه شيوعي، وفيه مليشيا، وفيه طلقاء الفتح، وفيه منتفع وفيه وفيه.. هذا، لا تريد أن يحدث مشاكل، مليون واحد يحمل السلاح في داخل أفغانستان، مليوناً، الآن هنا، هنا في البلاد هذه في السعودية حول الرياض قبل أيام طبقوا الحكم في سبعة قطاع طرق، على الطريق العام يقفون بين الرياض ومكة بين الرياض والمدينة، يختطفوا الفتيات ويقشطون الناس وهم أين؟ بجانب دولة وتذبح قاطع الطريق، أتريد من شعب بكامله يحمل مليون قطعة سلاح ولا يوجد قوة مركزية منظمة، لا تريد أن يحدث مشاكل؟ سيحدث مشاكل، وسيحدث خلافات، وسيحدث اغتيالات، هذا ليس معقولاً أن لا يحدث.

سؤال: ما حقيقة المساعدات الامريكية للمجاهدين مثل صواريخ ستنكر؟

جواب: خلاص هذا أجبنا عنه.

سؤال: لقد تدم نجيب اقتراحاً بأن تقوم انتخابات عامة ويستلم الحكم من يفوز بالانتخابات، هل يقبل المجاهدون بهذا الاقتراح؟

جواب: نجيب سيقتل إن شاء الله قريباً، إن شاء الله سيقتل في الانتخابات القريبة.

سؤال: ما هي حقيقة الدور الأمريكي في أفغانستان؟

جواب: وهي مكررة، وجزاكم الله عنا خيراً وبارك الله فيكم ولا تنسوا إخوانكم في فلسطين الذين نعتز بهم كذلك، وكذلك لا تنسوا إخوانكم المجاهدين في أفغانستان الذين هم على أبواب كابل وهم جياع وقد أقبل الشتاء وليس عندهم أكياس نوم ولا بطانيات ولا أحذية ولا.. لا يملكون من الدنيا شيئاً، وكما قلت بالأمس صدقوا إن بعض المناطق يأكلون العشب أياماً وأحياناً أشهراً، نعم! حتى تصلبت شفاههم هذه واسودت، وحتى هذه عروق وجوههم تحولت إلى اللون الأخضر، لا يوجد أرز، لا يوجد طحين، والله دخلوا على الناس ليلة عيد الفطر بصدقة الفطر بعض الناس هنا في الجزيرة جزاهم الله خيراً طبعاً جميع الشعوب اشتركت جزاهم الله خيراً، يعني الشعب الكويتي قدم الحمد لله مبلغاً طيباً، وكذلك الشعب اليمني والشعب السعودي، يعني أكثر شعب قدم هو شعب الجزيرة العربية، أو أكثر شعب قدم هو شعب الجزيرة من ناحية الرجال، ثم الشعب الكويتي من ناحية المال وليس من ناحية الرجال، هنا قدموا مالاً طيباً الحمد لله. وقدمت بقية الشعوب بعضهم رجال وبعضهم مال، لكن هذه الشعوب الثلاثة هي التي قدمت، وطبعاً جماعة الإمارات قدموا شيئاً.

وكثيرون من المسلمين يقولون طالما أن العدو الروسي قد اندحر وانهزم وخرج من أفغانستان، وأن حكام أفغانستان يظن أنهم مسلمون، فلماذا لا تتم المصالحة الوطنية بين الثوار والحكومة بدل اقتتال المسلمين بعضهم ببعض؟

أولاً حكام كابل شيوعيون كفار، ونجيب هو زعيم الحزب الشيوعي، إلا إذا كان الشيوعيون مسلمين، هذا شيء آخر. الشيوعيون كفار باتفاق الأمة، ما أفتى عالم من العلماء في الأرض أن الشيوعي مسلم، فالشيوعيون كفار، فالحزب الحاكم كافر، فالقتال بين مجاهدين أفغان مسلمين وبين كفار أفغان شيوعيين، وهؤلاء الشيوعيون الأفغان هم الذين أدخلوا روسيا، وروسيا أخيراً هزمت وتركتهم، وقامت المعركة أولاً بين هؤلاء الشيوعيين الكفار، تراقي و نجيب وحفيظ الله وببرك وبين المجاهدين، الروس ما دخلوا أولاً، واستمرت المعركة سنة ونصف دون أن يدخل الروس، وقتل من الشعب الأفغاني مائة ألف على يد هؤلاء الشيوعيين قبل أن يدخل روسي واحد داخل أفغانستان، فإذا كان القتال بين المجاهدين المسلمين الأفغان وبين الشيوعيين الكفار الأفغان حرباً أهلية، إذاً القتال بين الرسول ﷺ وبين أبي جهل في بدر هو حرب أهلية، القتال يوم بدر بين قريش وقريش بين مكة والمدينة اذاً حرب أهلية، ويوم أحد كذلك بين قريش وبين قريش والأنصار بين مكة والمدينة، إذاً حرب أهلية، والخندق وهكذا دواليك، إذا كانت حرب الرسول ﷺ حراماً وحرباً أهلية فالقتال في أفغانستان حرام وحرب أهلية، لكن هذا فرض علينا إذا كان الشيوعيون يحكموننا أن نتخلص منهم وأن نذبحهم وأن نزيلهم باتفاق العلماء. فالقتال في أفغانستان فرض على الأفغان وفرض على غير الأفغان ليزيلوا الطائفة الكافرة التي صالت على الحكم واستولت عليه.

سؤال: شيخنا: الشعب الموجود في كابول ألا يوجد مسلمون يتضررون؟

جواب: موجودون، لكن حكومة كافرة تتترس بهؤلاء، تتترس يعني تختبئ بهؤلاء، واتفق العلماء بالإجماع على أن الكفار إذا كان عندهم أسرى مسلمون ووضعوهم أمام الصف وتقدموا نحو الأمة المسلمة يجب مقاتلة الكفار ولو قتلنا كل المسلمين الذين أمامهم، لأن الأمة الإسلامية بكاملها أولى من قتل بعض الأشخاص وهؤلاء حسابهم على الله عز وجل، حياكم الله وأخيراً ندعو إن شاء الله......

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كلمة تأبينية

على روح الأخ الشهيد عابد الشيخ ألقيت على قبره في مقبرة الشهداء في بابي

بسم الله الرحمن الرحيم:

(ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضل ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين

أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيم
وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) (آل عمران: ١٦٩-١٧٣)

شهداء: على أن هذا الدين أكبر من الحياة، وأن القيم أعظم من الدماء، وأن المبادئ أغلى من الأرواح.

شهداء: تشهد الملائكة خروج روحهم وهي تقول لها: اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب، كنت تعمرينه في الد
أخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان.

شهداء: يشهد لهم الناس والملائكة أنهم أدوا دورهم ومضوا إلى ربهم مرتفعي الهامة ومشمخري الأنوف بعد أن أدوا شهاد
في الحياة.

شهداء: التاريخ يشهد أنهم قد حركوه بجماجمهم، وأنهم رووا شجرته بدمائهم.

شهداء: يشهدون مواقعهم من الجنة قبل أن تخرج أرواحهم.

فيا عابد: يا عابد ابن الشيخ أنت فارقت الدنيا ولم تمت لأن الله عز وجل قال لنا:

(ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون).

يا أبا صهيب: سيقول:

يقول صهيب لما رأى طول فرقتي فراقك هذا تاركي لا أبا ليـــــا

يا أبا صهيب: سنشهد لك بين يدي رب العالمين، أننا ما رأينا عليك إلا خيراً، وما وجدنا منك إلا براً.

يا عابد: لا أدري.. كل الجنسيات تتشرف بأن تنتسب إليها، أأنت بلوشي؟ فالبلوش يتشرفون بأن تكون منهم، أم كويتي؟ فالكويتيون يفخرون أنك تربيت بينهم، أم قطري؟ وقطر تفخر وتتشرف أنها خرجتك من كلية شريعتها. كثير من الناس في قطر وفي الأسبوع الماضي يواجهونني: قال عابد الشيخ، وجاء عابد الشيخ، وكتب عابد الشيخ، وفي الإمارات كذلك، فأنت إن شاء الله حي في ذكراك، حي بأثرك الذي تركته بين الناس، وحي إن شاء الله كما نظن وهو أكرم الأكرمين أن يتقبلك ويجعل روحك في حاصلة طير تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل تحت العرش.

يا عابد! أنت وإخوانك الآن إنما تثبتون للدنيا بأسرها أن هذا الجهاد ليس قتال قوم اسمهم الأفغان ضد قوم اسمهم الروس، إنما هو جهاد إسلامي عالمي، اشتركت فيه جميع الدماء، واختلطت فيه جميع الأشلاء من كل الأجناس ومن كل الجنسيات ومن كل ألوان الجوازات، هذه المقبرة تضم الكثيرين من جنسيات مختلفة، ممن جاءوا يؤدون فريضة الجهاد وعبادة القتال فوق أرض أفغانستان فوق أرض العزة والصمود، يا عابد؟ بلغ سلامنا بجوارك، هنا الاجداث من حولك: جدث أبي عبدالحق الجزائري، وجدث يحيى سنيور السعودي، وجدث أبي حذيفة ياسين الحمايدة الأردني، وجدث كذلك أبي جندل الأردني.

أجداث كثيرة كلها.. وسبع الليل اليمني كلها شاهدة أن هذا الجهاد لله عز وجل، وأنه اشترك به أبناء الاسلام من كل مكان، وأنت وأمثالك ممن كانوا ولا يزالون شوكة في حلوق أعداء الله، الذين يريدون أن يفصلوا بين هذا الجهاد وبين الأمة الاسلامية، أنتم كنتم وأمثالكم ولا زلتم عظمة ناشبة في حلوق أولئك الغربيين، الذين يريدون أن يحجموا الجهاد مرة أخرى، ويعيدوه قتالاً قومياً، يحاولون أن يثيروا الفتنة بين عربي وبين أفغاني بحجة كذا وكذا من الفتن التي تلفقها بي بي سي ألد أعداء هذه الأمة الاسلامية منذ نصف قرن، إن بريطانيا التي أدت دورها الأكبر في تدمير بلاد الإسلام، والتي مزقت أفغانستان عبر قرن من الزمان قد مضى قد عادت الآن تطلق إشاعاتها وتروج شائعاتها بين أبناء الأفغان ممن يستمعون إليها صباح مساء، وأنا أكاد أجزم بتحريم الاستماع إلى بي بي سي خاصة بالنسبة لأولئك الأميين الذين لا يعرفون كيف تسير الأحداث، وكيف تدبر المؤامرة ضد هذا الدين.

يا أبناء أفغانستان: على فطوركم تستمعون بي بي سي، وعلى غدائكم تستمعون (B.B.C)، وعلى عشائكم تستمعون (B.B.C)، اللقمة في أفواهكم والاذنين في آذانكم وهي تبث في أعماقكم سمومها المعادية لهذا الدين، كأولئك الجن، الجن الكافر الذي يسترق السمع، الشيطان ثم يقر في أذن وليه الكلمة الصادقة الواحدة ويخلطها بمائة كذبة، والقرآن يقول لنا:

(وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) (النساء: ٨٣)

يا أيها الإخوة: لا تستمعوا لإذاعات أعدائكم، (ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون).

يا أبناء أفغانستان، لا تستمعوا البي بي سي، هؤلاء أعداء هذا الدين، أعداء الإسلام، أعداء القيم، يريدون أن يفرقوا بينكم وبين إخوانكم الذين أتوا إليكم من العالم الإسلامي ليتشرفوا بخدمتكم، لأنكم مجاهدون، رفعتم راية لا إله إلا الله وأعلنتموها صرخة مدوية في أرض الله أن القتال لله، وأنه لرفع كلمة الله، وأننا قاتلنا لتكون كلمة الله هي العليا.

يا أيها الإخوة: أعداؤكم يريدون أن يحجموا جهادكم مرة أخرى ويعيدوه قتالاً قومياً بعد أن هز الجهاد الأفغاني الإسلامي الأرض كلها، وحرك المسلمين في كل مكان، وعادت كل نفس مسلمة في الأرض كلها تفتخر بالعمامة الإسلامية الأفغانية، يريدون أن يقطعوا الأواصر بينكم وبين إخوانكم المسلمين في كل مكان، فينشرون بينكم الشائعات والفتن وغير ذلك مما يروج على البسطاء، (وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين).

(ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين، لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون)

(التوبة:٤٦-٤٨)

يا أيها الإخوة: يا إخواننا الأفغان ممن نتشرف بخدمتهم لأنهم مجاهدون: نحذركم من صنفين من الناس:

نحذركم من إذاعة أعدائكم وأعداء هذا الدين وأعداء القيم والمبادئ وأعداء الإسلام، نحذركم من البي بي سي وأجهزة الإعلام الأمريكية وغيرها.

ونحذركم من طلقاء الفتح، الذين كانوا شيوعيين بالأمس ثم أطلقوا لحاهم وحملوا مسابحهم وانبثوا بين صفوفكم يفرقونكم ويمزقونكم ويقطعون الأواصر بينكم وبين إخوانكم في العالم الاسلامي.

ويا عابد رحمك الله، ورحم الله إخوانك، ونحن على الطريق، لن يثنينا شيء ولم يلو عزيمتنا أمر، ماضون على الطريق في أفغانستان وإلى فلسطين إن شاء الله، وإلى بخارى وإلى طشقند وإلى سيبيريا وإلى الأندلس وإلى أذربيجان، ماضون على الطريق، أمة إسلامية واحدة، أنبياؤها من آدم عليه والسلام إلى محمد ﷺ، هؤلاء أنبياؤنا، وهؤلاء قادتنا، وهؤلاء سادتنا، وهؤلاء أدلة الطريق أمامنا إلى الله، على طريقهم سائرون، وعلى هديهم مقتفون، وعلى أثرهم ماضون.

(وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

(وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) .

فرحمك الله، وتقبل منك أعمالك وأدخلك الفردوس الأعلى.

اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وكبيرنا وصغيرنا وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان.

اللهم اغفر لنا وله، وعافنا واعف عنه، وأكرم نزله، واغسله بالماء والثلج والبرد، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، أحله الفردوس الأعلى، وألحقنا به في الفردوس الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

والحمد لله رب العالمين.

أيها الإخوة:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: .

أولاً: جزى الله الإخوة القائمين على هذا المؤتمر وعلى هذا المخيم خير الجزاء، ومن أراد أن يجزل في العطاء فليقل جزاك ا خيراً.

وجزى الله الإخوة من أبناء إسنا ورابطة الشباب المسلم العربي والشباب الآخرين الذين رتبوا هذا المؤتمر، وأخص بالذكر الا أحمد شريف ....[1] في مخيمات الربيع هذه ورابطة الشباب المسلم العربي وذلك لانشغالنا وللواجبات المتراكمة على كواهلنا، وما كنـ أستطيع أن أحضر هذا المؤتمر لولا أن تليفونات الأخ أحمد شريف تتابعني منذ ثلاثة أشهر، نحن سنعد هذا المخيم وسيأتي إلا مجموعة كبيرة من الإخوة هم وعائلاتهم، ولا بد أن تمر عليهم وهم قادمون للسماع عن الجهاد لتحيى نفوسهم بذكر الأحياء، وحتى أمس الأول وأنا متردد في المجيء، حتى جاءني هاتف من الأخ أحمد شريف مرة أخيرة وقال: الناس ينتظرون، فجئت، ومستجدات الساحـ في أفغانستان وعلى الساحة السياسية بالذات كثيرة ومتجددة وتقتضي أن لا نغيب من بين الإخوة كثيراً، والله يعلم أننا آثرناكم على قضايا ملحة تستدعي وجودنا بين إخواننا، فنرجو الله عز وجل أن ينفع بهذه الزيارة، ينفعنا وينفعكم أجرا وذكرا وذخرا في الدنيا والآخرة.

يا أيها الإخوة: ما يدور الآن في أفغانستان وفي فلسطين والموقف العالمي تجاه الجهاد ليس جديداً علينا، القضية قضية هذا الدين الذي مافتئ أعداؤه منذ أن وقفت المدينة المنورة وقام على ساقه قويا وهم يخططون ليل نهار لاجتثاثه من الأرض، القضية: قضية الإسلام والسياسة العالمية منذ بضعة عشر قرناً، كما جاء في النص المحكم.

(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (فصلت: ٤٢)

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) (البقرة: ٢١٧)

هذه هي السياسة الدولية، السياسة العالمية التي رسمها الذكر الحكيم

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير) (البقرة: ١٢٠)

السياسة العالمية تجاه هذا الدين إنما نأخذها من القرآن الكريم، لا نأخذها من تصريحات التايم ولا النيوز ويك، فكل ما يتردد إنما هو تقرير لحقيقة قررها رب العزة من فوق سبع سموات، المعركة قائمة بيننا وبين النصارى، بيننا وبين اليهود، بيننا وبين المشركين، بيننا وبين الملحدين، لن تتوقف أبدا، لن تتوقف لحظة

(قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون) (المائدة: ٥٩)

مبررات المعركة موجودة في كل زمان ومكان، مبررات المعركة علينا: أننا نؤمن بالله وبالكتب التي أنزلت كلها وأن أعداءنا فاسقون، فما دام الإيمان موجوداً، وما دام الفسق موجوداً، فلن تكف المعركة لحظة أبدا، قد يبدو لبعض السطحيين أن المعركة توقفت في فترة من الفترات، المعركة لا تكف ولا تتوقف، ولكن أساليب المعركة يمكن أن تتنوع وتكثر.

فالذي يجري في أفغانستان الآن هو عبارة عن التقرير الجديد لهذه القاعدة الربانية التي نزلت من لدن حكيم عليم.

والذي يجري في فلسطين كذلك، قضية دين يتفاعل مع النفوس، فإذا تفاعل مع النفوس انتفضت حية، ووقفت لا يقف أمامها أية قوة في الأرض.

مسلم يا صعاب لن تقهريني	صارمي قاطع وعزمي حديد
ولديني أحيا وأبذل روحـــي	ولصباحه دمائـــي وقـــود

[1] انقطاع في الشريط.

والله عز وجل دلنا على أن الطريق لحياتنا والوقوف في وجه أعدائنا هو الجهاد، ولا يقف هذا الدين ولا أهله أمام المؤامرات العالمية إلا بالقتال، ولذلك وهو سبحانه يقرر هذه السياسة العالمية.

(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (البقرة: ٢١٧)

بعدها مباشرة

(إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم)

(البقرة:٢١٨)

الوقوف أمام المؤامرة العالمية بالإيمان والهجرة والجهاد **(تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قالوا أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال لا، إنكم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء -زبد- كغثاء السيل، وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن، ولينزعن من قلوب أعدائكم المهابة منكم، قالوا وما الوهن يا رسول الله؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت).**

فحب الدنيا وكراهية الموت هو سبب الهزيمة، حب الدنيا وكراهية الموت، وفى رواية أحمد **(حب الدنيا وكراهية القتال)** لا حياة بدون سيوف، لا حياة بدون سلاح، لا حياة لدين، ولا نشأة لعقيدة، ولا بقاء لمبدأ إلا إذا كان الصارم يحميه، إلا إذا كان السلاح هو الحصن الحصين الذي يأوي إليه هذا الدين، ومهما فكرنا أن نبحث عن طريق نوقف العداء تجاهنا بغير القتال، نحن نريد أن نغير سنة الله في الحياة.

(فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا)

(النساء:٨٤)

فرضان: قاتل ولو كنت وحيداً، **(فقاتل فى سبيل الله لا تكلف إلا نفسك)**، والفرض الثاني تحريض المؤمنين، **(وحرض المؤمنين عسى)** وعسى للتحقيق، أي سيكف الله بأس الذين كفروا بهذين الطريقين، ونحن سنبقى ندعو إلى الجهاد وسنبقى.. نرجو الله عز وجل أن يثبتنا على أرض الجهاد حتى نلقاه شهداء إن شاء الله، وبدون هذا سنبقى نعيش في المتاهة... سنبقى نعيش في الدوامة وندور حول أنفسنا ونظن أننا قد وصلنا إلى شيء ولن نصل إلى شيء.

أكرمنا الله عز وجل سنة ١٩٦٩ بالجهاد في فلسطين، الحركة الإسلامية فى فلسطين خاضت سنة ١٩٤٨ المعركة فيها، الفئة الشعبية تقريباً الوحيدة التي دخلت ساحة فلسطين.

أرسل البنا أربعة كتائب إلى فلسطين، أرسل برقية سنة ١٩٤٨م إلى مؤتمر القمة المنعقد في عاليه في نوفمبر، وصلت البرقية نصها سطر واحد (إن أردتم إنقاذ فلسطين فاسمحوا لي أن أدخل فلسطين بعشرة آلاف مسلح وأطهرها من اليهود)، سطر واحد! قامت قيامة الدنيا وما قعدت، اجتمع السفير الأمريكي والسفير البريطاني والفرنسي في فايد في مصر، قرروا حل الجماعة -جماعة الإخوان- وإبقاء حسن البنا خارج السجن حتى يقتل خارج السجن، القرار لم يصدر من الملك فاروق، أصدره السفراء الثلاثة وأعطوه إلى النقراشي رئس وزرائه حتى ينفذه، شمعت دور الإخوان بالشمع الأحمر، طورد الشباب، وضعوا فى غياهب السجن، بقي البنا خارج السجن، ولكن كتائبه السبعة فى فلسطين،أربع من مصر خرجت، وكان مندوبه فى فلسطين الشيخ محمد فرغلي -رحمه الله- عضو مكتب الإرشاد مسؤول هذه الكتائب التي في فلسطين، ومن سوريا كانت كتيبة الشيخ السباعي رحمه الله، ومن العراق كتيبة يقودها الشيخ محمد محمود الصواف، ومن الأردن كتيبة يقودها عبداللطيف أبو قورة ودخل فعلاً فلسطين، خشي البنا عندما ضربت الجماعة فى مصر أن يتوقف عمل الشباب في فلسطين. أرسل رسالة كذلك من سطر واحد إلى فلسطين (أيها الاخوان: إن مهمتكم فى فلسطين لا تنتهي ما دام فى فلسطين يهودي واحد، ولا تهمنكم أو تشغلنكم الأحداث التي تجري فوق أرض مصر) انتهى الكلام، مهمتكم إخراج اليهود، ماذا حصل؟ الدول العربية دخلت يوم ١٥ أيار سنة ١٩٤٨م لتسلم فلسطين.

اليهود تضايقوا بسبب الحرب الشعبية، قالوا للدول العربية لا نريد (أمريكا) بأن تضغط على الدول العربية حتى يعطوا اليهود هدنة، أعطوا اليهود هدنة، جاءوا بعصابات جديدة وبتلال الأسلحة، ثم عادت المعركة من جديد، قبول الهدنة هذه كان تسليماً لفلسطين.

ونحن لا بد من عقد معاهدة تعترف بدولة لليهود في فلسطين.

أمامنا قضيتان: الشباب المسلم في أرض فلسطين، والقادة الاسلاميون الذين في خارج فلسطين، ليس هنالك قيادة إسلام بارزة في ذلك الوقت إلا البنا، فليقتل البنا، وقتل البنا، ضرب في أكبر شوارع القاهرة، في شارع الملكة نازلي في ١٢ فبراير ٩٤٩ على يد محمود عبد المجيد مدير مخابرات القصر الملكي، وفي يوم عيد فاروق نقل البنا إلى القصر العيني مستشفى القصر العيني كان جرحه خفيفا، اتصل الملك -هذا كله ظهر في أثناء المحاكمة على لسان زوجة رئيس ديوان القصر الملكي يوسف رشاد، لأنه أعيد محاكمة قتلة البنا بعد الثورة، وكان هذا حقائق على لسان زوجة يوسف رشاد-، اتصل فينا الملك مساء ١١ فبراير عام ٤٩ قال: علمتم قلنا إيه؟ قال حسن انضرب ولسا ما متش، اتصل بالمستشفى: ماذا عن جراح البنا؟ قال جراحه خفيفة، الطبيب قال: جراحه خفيفة أرسل الملك محمد وصفي أحد ضباط القصر ليجهز على البنا في داخل غرفة العمليات، ودخل على غرفة العمليات هذا الضابط وأخرج الناس من الغرفة، وأغلقت الغرفة ولم يبق فيها سوى البنا الجريح والطبيب المغلوب على أمره، ومبعوث القصر الملكي محمد وصفي، ثم أعلن بعد قليل وفاة البنا، وبعد قتل البنا بيومين وقّعت مصر معاهدة رودس مع إسرائيل، في ١٤ فبراير ١٩٤٩م وقعت مصر المعاهدة مع إسرائيل وتعترف فيها بقيام دولة إسرائيل.

بقي الشباب الذين في أرض المعركة، ماذا يصنعون بهم؟ هنا جاءت الأوامر الملكية من فاروق أن يدخلوا في معركة مع هؤلاء الشباب، وذات يوم استيقظ الشباب في معسكرهم وإذا بالدبابات المصرية تحيطهم، إما أن تستسلموا وإما أن ندخل معكم في معركة! فآثروا الاستسلام، ونقلوا إلى أرض مصر إلى أعماق السجون، من أرض البطولة والفخار إلى السجون والمعتقلات.

من عادة الأمم أن تكرم أبطالها بنياشين وأوسمة، تطلق أسماءهم على الشوارع العامة، تحتفل احتفالات بهؤلاء الذين رفعوا اسم الأمة، دائماً نحن في الدول العربية عقوبة الذي يجاهد أو يفكر في الجهاد السجن أو الإعدام، ولن تنتهي القصة بعد، جيء بالانقلاب العسكري الناصري، ثم أعطيت الأوامر أن هنالك اناساً خاضوا معارك في فلسطين، وهنالك أناس خاضوا معارك في قناة السويس، لن يقر لك القرار ولن يكون لك استقرار ما لم تنههم.

كان هنالك سؤالٌ واحد يلقى في محكمة الثورة التي يرأسها جمال سالم بعضوية حسين الشافعي وأنور السادات: هل حضرت القتال في فلسطين؟ فإن كان الجواب نعم، الحكم جاهز، الإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة.

ولذلك مندوب مكتب الإرشاد والمسؤول عن الكتائب الجهادية في أرض فلسطين كان محمد فرغلي أول من علق على الأعواد، يوسف طلعت الذي كان يسمى جزار الإنكليز، محمد فرغلي كان إذا دخل الإسماعيلية من سنة واحد وخمسين إلى سنة أربع وخمسين تعلن كتائب الجيش الإنكليز في الإسماعيلية الطوارىء، يقولون دخلت عمّة الشيخ فرغلي، الليلة يصيبنا، على ذلك يعلنون الطوارىء.

علقوا هؤلاء: عبدالقادر عودة، ومحمد فرغلي ويوسف طلعت وهنداوي دوير وإبراهيم الطيب ومحمود عبداللطيف، علقوهم على الأعواد في نفس اليوم الذي أطلقوا فيه الباخرة الإسرائيلية التي كانت محجوزة في قناة السويس، سنة ٦٧ سنة الهزيمة، كانت هنالك فئة تقاتل في فلسطين، وللأسف أنها لم تكن من الحركة الإسلامية، انتفضت انتفاضة وطنية تعبر عن نفسها، مجموعة من الشباب في الخليج في الكويت، ملوا سئموا حياة الذل والعبودية، اتفقوا أن يعملوا شيئاً لفلسطين، ياسر عرفات وغيرهم أبو علي إياد استقالوا من مناصبهم وذهبوا وتدربوا في الشام وصار الواحد منهم يحمل اللغم تحت ثيابه، ويمشي في الليل طيلة الليل وينام طيلة النهار، المخابرات تتابعهم، يمشون من دمشق إلى الضفة الشرقية، والضفة الشرقية يقطعونها إلى الضفة الغربية، يقطعون الضفة الغربية ثم يصلون إلى يافا أو تل أبيب أو حيفا ويضعون هذا اللغم أمام سيارة لعله يتفجر بها، كانت تضحيات رائعة جداً ونحن نعترف بها، ونحن نقف أمام هؤلاء بإكبار واحترام، حقيقة الفئة الأولى من فتح بذلت بذل الرجال وسبقت الإسلاميين في تلك الحقبة، هذا نقوله للتاريخ ونعترف (**ولا يجرمنكم شنآن قوم**) أنا أختلف مع فتح أصلا وفرعا، لكن هم سبقونا في القضية، وهم بذلوا، ولكنها حفنة قليلة من الرجال لم تكن مجتمعة على فكرة الإسلام وإقامة دولة وخلافة وغير ذلك، إنما هي فئة وطنية.

حصلت هزيمة سنة ٦٧، عندما حصلت الهزيمة وجدت فرق... طبعاً الدول العربية كلها استسلمت خلال ثلاث ساعات، وجدت نفسها هي الوحيدة في الساحة، ففتحت قواعدها للناس ونادت بأهل المنطقة بالمسلمين وبغير المسلمين هذه فلسطين تناديكم، وللأسف تأخر المسلمون في هذه المرة، سنة ٤٨ المسلمون تقدموا، لم يكن في الساحة غيرهم، تقدمت، لم يتقدم المفكرون، لم يتقدم المعلمون ولا المهندسون ولا الأطباء، تقدم إليها من لا يجد في الساحة عملاً وهي مضطرة أن توسع كوادرها، وبنت كوادرها على عواتق هؤلاء، وهؤلاء لا يستطيعون أن يحملوا حملاً ثقيلاً جهادياً.

جاء شباب هاربون من المدارس، جاء الناس الذين لا يجدون عملاً، لم يتقدم إليها شباب قد تربوا على الإسلام، كان الإسلام

غائباً تماماً عن الساحة، نعم الحركة الإسلامية عندها بعض العذر أنها مصادره تماماً في المنطقة، في مصر في سنة سبع وستين كان في داخل السجون أكثر من خمسة عشر ألفاً، طبعاً هؤلاء الذين يشتغلون بالجهاد، في سوريا الإسلام يذبح سنة ٦٧، وتجرأت إذاعة دمشق أن تقول:

آمنت بالبعث رباً لا شريك له   *وبالعروبة ديناً ما له ثاني*

ودخلت حماة سنة ٦٤ جنود النصيرية لحافظ الأسد وهم يرددون:

هات سلاح وخذ سلاح   *دين محمد ولّى وراح*

في الأردن أبناء الأردن معظمهم الكثير منهم من الفلسطينيين... الفلسطينيون يعبدون عبدالناصر أكثر من ربهم، نعم في عام ١٩٦٧م كذلك، يعبدون عبدالناصر أكثر من الله، ويطيعونه أكثر من الله، وإذا سب الله أمام الكثير منهم لا شيء، وإذا سب عبدالناصر تقوم الدنيا ولا تقعد وقد تقتل.

في العراق الإسلام مصادر، في أي مكان الأنفاس مكتومة في كل مكان، ليس في الساحة مجموعة مجاهدة سوى فتح، أقول عند الحركة الإسلامية بعض العذر، حاولت الحركة الإسلامية أن تتدارك الموقف وتنشئ لها كتائب، ولكن سبقها الوطنيون والعلمانيون وغيرهم والمتاجرون بقضية فلسطين، وتدخلت الدول وأنشأت كل دولة لها عصابة ووضعت أميراً للمؤمنين ومنبراً.

فأنشأت سوريا الصاعقة السورية، وأنشأت العراق الجبهة العربية، وكانت فتح، ثم خرج لنا نصرانيان من الأردن واحد اسمه نايف حواتمة وأنشأ جبهة ديموقراطية، وواحد اسمه جورج، جورج اسمه ليس عربياً وأنشأ الجبهة الشعبية، في الجبهة الديمقراطية كان نايف حواتمة وجورج حبش جبهة واحدة اسمها الجبهة الشعبية، ثم انفصل وصارت الجبهة الشعبية لجورج حبش، وصارت الجبهة الديمقراطية لنايف حواتمة والاثنان يلتقيان على محاربة الإسلام ورفع راية الاشتراكية والعلمانية والشيوعية واللادينية إلى آخره.

وعبدالناصر وراءهم، بدأت الحركة الإسلامية بداية ضعيفة سنة ٦٨، طافوا بالمسلمين يذكرونهم، المسلمون نائمون، نائمون، ذهبوا إلى السعودية إلى الخليج إلى آخره، على الأقل يذكرون الفلسطينيين أبناء القضية، ولكنهم غارقون كبقية المسلمين، وفي نومهم سادرون ويغطون، المسلمون منهم استيقظوا يا مسلمين! قالوا كيف نقاتل؟ نقاتل تحت راية علمانية، تحت راية جاهلية، نقاتل على عصبية، نريد أن نبني القاعدة الصلبة إلى آخره، طيب ناموا حتى تبنوا القاعدة الصلبة في الكويت إن شاء الله وبالريموت كنترول ترجعون فلسطين إن شاء الله!! تعرفون الريموت كنترول؟ التفجير من بعيد يعني يضعون لغماً وعلى بعد أربعة كيلو أو خمسة كيلو أو عشرة كيلو يجلس الذي يريد أن يفجر اللغم معه آلة صغيرة توجه الآلة الكترونية عليها أرقام يضع الأرقام إذا تضع هذه الأرقام يتفجر من بعيد، فإن شاء الله هم بالريموت كنترول سيفجرون فلسطين وسيرجعون فلسطين إن شاء الله!!

الحركة الإسلامية حاولت، عملت بعض القواعد، ما استطاعت أن ترفع لها شعاراً، لأن عبدالناصر وأجهزة الإعلام العربي تتابع كالكلاب المسعورة أخبار هذه الفئة، ست برقيات جاءت من عبدالناصر لياسر عرفات سمعنا أن الإخوان المسلمين عندك يتدربون؟

المعسكر الذي كنا نتدرب فيه حرثته الطائرات الإسرائيلية حراثة، يعني ما ضرب معسكر، هي ضربت معسكرات للفدائيين في الضفة الشرقية، لكن معسكرنا ما أظن معسكر ضرب كما ضرب.

والحمد لله كان التدريب عالياً، كان الإخوة بمجرد أن يسمعوا كلمة اجمع يجمعون.

مرت الطائرات التي تريد ضرب المخيم، نادى قائد المخيم اجمع اجتمعوا في أقل من دقيقة، تفرق تفرقوا كذلك في أقل من دقيقة، بعد التفرق بـ ٥٩ ثانية أقل من دقيقة كانت الطائرات تضرب في داخل المخيم، والحمد لله لم يصب أحد، بعد الضرب جاءت قيادة فتح ترى ضرب المعسكر الذي كنا فيه، سألوا كم قتل؟ قلنا لم يقتل منا واحد، قالوا لا يمكن، هذا تدريب ما رأيناه أبداً في حياتنا، نعم شباب يصلون الفجر، لا نوم بعد الفجر، يعرفون في منتصف الليل في أي وقت اجمع، من تأخر دقيقة لا وضعك الله مكانه في العقوبة، فحاولت الحركة الإسلامية عملت بعض القواعد، كانت هذه القواعد الحقيقة محل احترام من الجميع، أهل الضفة الشرقية احتضنوها، أحبوها، الجيش الأردني تعاون معنا لأنه يعلم أن هؤلاء الشباب صادقون وجاءوا للموت، وأنهم من طراز فريد، تربوا تربية إسلامية خاصة، صدقوا أيها الإخوة كنا ننزل عمليات الأغوار للرصد إما دورية استكشاف أو دورية مقاتلة نبقى يومين أو ثلاثة تحت البرتقال، الضفة الشرقية في الأغوار مليئة ببيارات البرتقال، البرتقال ثماره دانية، لا يمكن شاب من إخواننا أن يمد يده إلى حبة برتقال، رغم أن أهلها قد غادروا المنطقة، يأتون كل شهر أو شهرين إما يبيعونها أو يضمنونها أو غير ذلك، بل يأتونني يسألون عن الثمار الساقطة تحت الشجرة، هل يجوز لنا أن نأكل هذه الثمار؟ فالحقيقة الناس رأوا نماذج أخرى، هذا كان موقف أبناء أو شباب الحركة، وفي المقابل قد يأتي واحد من الجبهة الديمقراطية أو غيرها أو قومية يأتي لصاحب البيارة يقول له: تعطيني عشرين ديناراً

.رتيب أو اطلق رصاصات من بيارتك على اليهود، معناه أطلق رصاصات من بيارتك على اليهود أن تخرج الطائرات الإسرائيلية تقصف البيارة حتى تكسرها عن نهايتها، فيقول له خذ ثلاثين ديناراً ولا تطلق من بيارتي.

كان الناس يفرقون بين النموذجين، قائد اللواء خلف رافع لواء الجيش الأردني مسئول الكتائب الثلاثة المسئول عن الأغوار كان إذا رأى شاباً من إخواننا صغيراً عمره عشرين سنة أو أقل أو أكثر يقف بسيارته ويقول: هل من خدمة يا شيوخ؟ بينما تصرفات الآخرين كانت تغيظ الجميع، ولذلك عندما التقى الضباط بعد أن كثرت الاحتكاكات بين الفدائيين وبين الجيش الأردني وصار الفدائيون يقفون أمام الضباط ويأخذونهم إلى المغاور يحققون معهم، ثم يقطعون أذن الواحد أو أنفه ثم يعيدونه إلى زوجته هكذا، وكان الجيش يرصد هذا، و يوزع على الجيش الأردني كل هذه التقارير، اختطف الضابط الفلاني رقم كذا من الكتيبة كذا، اعتدي عليه قطعت أذنه وجدع أنفه إلى آخره حتى يربى الجيش على الحقد على الفدائيين، فالفدائيون يعطونهم مبررات يوماً بعد يوم، كانوا في عمان هذا نايف حواتمة وجورج حبش يذهبون إلى بيروت يعملون مقابلة صحفية: كيف سترجعون فلسطين؟ لا سبيل لإرجاع فلسطين إلا بإسقاط الحكم الرجعي في عمان! عمان هانوي العرب! مقابل القصور الملكية بالدهان الأحمر الكبير (كل السلطة للمقاومة) (طريقنا إلى فلسطين إسقاط الحكم الرجعي في عمان)، يعطونهم مبررات، قلوب الملك والحكام يعني الحاشية والجيش الأردني تغلي، الشعب في الضفة الشرقية اصطدموا بالفدائيين في الأول، ثم بدأوا يكرهونهم شيئاً فشيئاً بما رأوا من تصرفاتهم، بقيت فئة إخواننا تحظى باحترام الجميع، تحظى باحترام الجيش الأردني، أبناء الضفة الشرقية، أبناء فلسطين يقدرونهم، يحترمونهم، ولذلك عندما بلغ السيل الزبى وقرروا ضرب المقاومة الفلسطينية في شرق الأردن، الضباط حملوا نجمهم ووضعوها أمام الملك حسين، قالوا إما أن تسمح لنا أن ندافع عن شرفنا العسكري أو نعود إلى قبائلنا تحمي شرفنا، هم يرون أن الغيظ قد وصل إلى هنا، ولكن هنالك تخطيط أن يصل فوق الحناجر الغيظ، فيقول لهم: اصبروا إلى آخره، عندما رأوا أن القضية جادة وقف خلف رافع قال: يا جلالة الملك تريدون أن تضربوا الفدائيين لا تضربوا الإخوان المسلمين الشيوخ، في هذا الجو المحموم يقف هذا الرجل البدوي الأعرابي لأن رجولته ونخوته أبت عليه أن يضرب هؤلاء الشباب المسلمين بين هذا الخليط، وفعلاً عندما دخلت الدبابات الأردنية وأحرقت الأخضر واليابس، وانطلقت الصواريخ والمدفعية على كل بيت في إربد في عمان وما إلى ذلك ولم تبق القذيفة داراً، وقد تمزقت الأشلاء، ودخلت الدبابات القواعد خرج أهل القرية التي كنا فيها ووقفوا أمام الدبابات، قالوا هؤلاء إخواننا، أساتذتنا حفظوا أعراضنا وأراضينا وبساتيننا، فلا سبيل لكم عليهم، وسحقت المقاومة في الأردن، وانتقلوا إلى سوريا، وسحقوها في سوريا ودخل هؤلاء إلى لبنان.

حقيقة نحن رفضنا أن نقاوم الجيش الأردني، قالوا هؤلاء المعتدون الجيش الأردني يعني الفدائيون الذين كنا نحن معهم كنا نعمل تحت لافتة فتح، قالوا هؤلاء معتدون ويريدون قتلنا فيجب أن ندافع عن أنفسنا، قلنا (**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**)، نحن جئنا لمقاتلة اليهود ولم نأت لمقاتلة هؤلاء، كنا في أثناء سحق المقاومة بين نيران كثيرة، فتح غاضبة علينا، الجيش الأردني لا يعرف أن يميزنا، قد نذبح في إسرائيل، الجبهات الديمقراطية والقومية حتى عندما رفضنا مقاتلة الجيش الأردني اختطفوا اثنين من إخواننا من القواعد وأخذوهما للإعدام في دمشق باسم الخيانة العظمى، والله عز وجل نجاهم، ضغط بعض الناس على أبي عمار قالوا: هؤلاء نعرف أن دماءهم في رقبتك، وأرسل أبو عمار وأخرجهم من بين براثن الموت في سجن دمشق وأعادهم، انتهت القضية، في لبنان قالوا -الموارنة- أنتم دخلاء وليس لكم مكان في هذه البلد فاخرجوا، قالوا نحن أبناؤها ونحن مسلمون، أيها الفلسطينيون أنتم غرباء، قالوا نحن أبناء هذه البلد، قامت المعركة بين الصليبيين وبين الفلسطينيين، وانتصر الفلسطينيون وهم يحملون اسم الإسلام على الموارنة وعلى الصليبيين وكادوا يتهون لبنان كلها ويمسكونها بأيديهم.

- وهنا ارتجف العالم كله، ذهب أحد الحكام إلى كارتر قال ذهبت الصليبية في داخل لبنان، ذهب النصارى، أنت حامي حمى النصرانية، قال ماذا نفعل؟ قال اأمُر حافظ الأسد أن يتقدم ويضرب الفلسطينيين في داخل لبنان، من البيت الأبيض اتصل بالتليفون بحافظ الأسد، أدخل لبنان واضرب الفلسطينيين، وسحق الفلسطينيون في تل الزعتر وغيرها على يد حافظ الأسد، وأعاد الكفة الراجحة إلى الموارنة، لكن بقي العمل الفدائي ينطلق من داخل لبنان، اليهود قالوا يا أيها العرب كفوا هؤلاء عنا، قالوا نحن لم يبق لنا في القوس منزع، استنفذنا كل سهامنا التي في كنانتنا فهل عندكم شيء تفضلوا أنتم وادخلوا لبنان، ولن يعترضكم معترض، وبعد أن تحيطوا لبنان كالسوار في المعصم نحن نتدخل، ودخل اليهود وأحاطوا بيروت، وبدأت الصحف العربية تكتب: مات الفلسطينيون، الأطفال يموتون عطشاً، الشيوخ يموتون جوعاً، بدأ النحيب والبكاء على فلسطين الحبيبة. يا أيها اليهود كفوا أيديكم، ارفعوا أيديكم لا تقتلوهم، ماذا تريدون أيها العرب؟ نريد أن نحمي هؤلاء الفلسطينيين من القتال، تفضلوا، نحن نعقد معكم معاهدة، هم يخرجوا بسلام أمان لكن بشرط أن لا يحملوا معهم السلاح، تدخل العرب، أخرجوا الفلسطينيين بلا سلاح، تركوا المخيمات، ثم انهال الصليبيون بعد

أن خرج الفلسطينيون وترك الأطفال والنساء فى داخل المخيمات انهالوا عليهم يذبحون وينفثون عن أحقاد بضعة عشر قرناً فى مذابح صبرا وشتيلا، بقرت بطون الحوامل واستمر الذبح والقتل.

الفلسطينيون صحيح فيهم علمانيون، فيهم شيوعيون، فيهم قوميون، وفيهم مسلمون، لكن هنالك ظروف ساقتهم إلى هذه النهاية، يئسوا من كل شيء، تمردوا على كل شيء، فقدوا الثقة بكل إنسان، كما قال أبو الطيب المتنبي:

فصرت أشك فيمن أصطفيه   *لعلمي أنه بعض الأنامــــــي*

ما دام إنسان يشكون فيه ... [١]

انتصار الحق*

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

فيا أيها الإخوة الأحبة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

جزى الله الأخ الحبيب عبدالصبور[٢]، والأخ عبدالصبور نعرفه منذ سنوات طويلة، وقد كان مضيفنا في المدينة المنورة عندما نحج أو نعتمر، وكان أخاً حبيباً وصديقاً عزيزاً، وبقيت محبتنا له وعلاقتنا به إلى هذا الوقت.

ماذا نريد؟

يا أيها الإخوة: ماذا ينقص المسلمين اليوم؟ سؤال: ما الذى يحتاجه المسلمون؟ طاقات فكرية موجودة وكثيرة فى العالم الإسلامي، أموال، ثروات ضخمة مكدسة في البنوك، وقد فجر الله كنوز الأرض للعرب من خلال البترول، المساجد كثيرة ومنتشرة، أعمال الخير مبثوثة فى العالم الإسلامي، لكن الشيء الواحد الذى ينقص العالم الإسلامي، أو ينقص كل مسلم في الأرض، بقعة أرض يرى فيها الإسلام قائماً شاهداً، يطبق فيها دين الله عز وجل.

فالآن كل ما يبحث عنه -كل مسلم صادق- قطعة أرض يزاول فيها الإسلام كما يريد رب العالمين، دون أن يجد رقابه ولا إحصاء أنفاس، ولا أغلالاً ولا قيوداً ولا سجوناً ولا مشانق، الآن لا يوجد قطعة أرض يمكن أن يعيش فيها المسلم إسلامه كما أراد الله عز وجل، يستطيع أن يعيش فيها المسلم آمناً على دينه وعلى عرضه وعلى ماله، هذه غير موجودة. الحركات الإسلامية التي قامت، كل حركة إسلامية لم تقم أو لم تجعل فى صلب منهجها ومخططها هذا الأمر فهي ليست دعوة إسلامية، ليست حركة إسلامية، إنما هي جمعية خيرية، قد تقوم بعض الجمعيات لمحاربة الخمر، لمحاربة التدخين، لنشر الفضيلة، جمعية لبناء المساجد، جمعية كفالة الأيتام، جمعية البر بأبناء الشهداء، جمعية القرآن الكريم وفتح مدارس القرآن الكريم، كل هذه لا نستطيع أن نسميها حركات اسلامية، لأن عنصر الحياة فيها الرئيسي قد فقد وهو إنشاء دولة إسلامية يعيش فيها المسلمون كما أراد رب العالمين.

والغرب يدرك أن هذه هي حل مشاكل المسلمين، وهي عزتهم، ومعين حضارتهم، وسر قوتهم، ومحور وحدتهم.

---

(١) بكل أسف انقطع الشريط وهو منقول من شريط فيديو، ألقيت هذه المحاضرة في الولايات المتحدة الامريكية في عام ١٩٨٨م.

* ألقيت هذه المحاضرة في معهد أبي حنيفة في بوره - بيشاور بتاريخ ١٩٨٨/١١/٦م.

المقدم:

أيها الإخوة الكرام: أحييكم بتحية الإسلام الخالد تحية طيبة مباركة من عندالله وبعد:

باسمكم جميعاً نرحب بشيخنا الفاضل الدكتور عبدالله عزام، وشيخنا كما تعرفون من قادة الحركة الإسلامية في الأردن وفلسطين، ومن قادة الجهاد في فلسطين، عمل بعض الفترات أستاذاً في الجامعة الأردنية وجامعة الملك عبدالعزيز والجامعة الإسلامية في اسلام آباد، ثم حضر عالماً مجاهداً لمساعدة المجاهدين في أفغانستان.

فكان له كل عمل خير يد بيضاء ولبنة ومشورة، وهو المدير العام لمؤسسة العون الإسلامي، التي تخدم الجهاد الأفغاني من خلال مؤسساتها، مكتب الخدمات والذي يشرف على مخيمات التربية وإعداد المجاهدين الدعاة ومعسكرات التدريب للإخوة المسلمين القادمين إلى ساحات الجهاد، ولجنة العلماء من علماء باكستان وأفغانستان التي تساهم ببث روح *الجهاد في الشعوب المسلمة*.

ولهذه المؤسسة مشروعات عدة كذلك مشروع طباعة وترجمة الكتب الفكرية والتربوية للحركة الإسلامية، ومشروع كفالة المجاهدين والعلماء في داخل أفغانستان، ومشروع كفالة الدعاة في داخل أفغانستان وباكستان، وفي مجال التربية والتعليم أشرفت العون الإسلامي وأنشأت بعض المعاهد والمدارس، وفي مجال الإغاثة كفالة الأيتام والأرامل في باكستان وأفغانستان وفي مجال الصحة أنشأت بعض العيادات والمختبرات، ومستشفى العلاج الطبيعي، وفي مجال التجهيز والدعم للمجاهدين القيام بتجهيز وترحيل قوافل المجاهدين المحملة بالسلاح والعتاد ومواد الإغاثة.

وشيخنا كما تعرفون منذ أن بدأ الجهاد وهو يصول ويجول في ساحات الجهاد مع قادة المجاهدين مساعداً ومشيراً ومجاهداً، وأترك المجال له لكي يحدثكم إن شاء الله بما ينفعنا وينفعكم، ونسأل الله عز وجل أن يجعلنا جميعاً ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ونترك المجال لفضيلته، فليتفضل مشكوراً.

(٢) مدير معهد أبي حنيفة.

ولذلك منذ أن اسقطت الخلافة فى سنة (١٩٢٤) تقاسموا بالشيطان وبالطاغوت وما إلى ذلك أن لا يقوم للإسلام قائمة بعد ا!
قالوا سنسمح بالمساجد لتبنى لا بأس، وسنسمح بكتاتيب القرآن ومراكز التحفيظ أن تزداد لا بأس، وسنسمح إلى حد بالكتب الاسلا
أن تنتشر لابأس، وسنطبع من المصاحف ملايين ولا بأس، لكن أن تقوم حركة إسلامية تدعو لقيام دولة إسلامية لتحكيم كتاب الله وه
نبيه ﷺ، فهذه لا نسمح بها أبداً، لا باس أن يأتي رئيس الدولة ويقص الشريط ويفتتح المساجد، ولا بأس أن يتبرع لإنشاء مؤسس
خيرية من أموال الدولة، ولإيواء العجزة والأرامل والأيتام لا بأس. أما أن يقف حاكم فى الأرض يقول: أنا أتبنى الحركة الإسلامية،
أنا أحمل أفكارها وأؤيد ما تدعو إليه، فهذا لا يستطيعه أحد فى الدنيا ولا تقبلها الدنيا كلها.

ولذلك انظروا مثلاً مئات العلماء، آلاف العلماء الذين خرجهم الأزهر، نعم، آلاف من شيوخ الطرق الصوفية ينتشرون فى مصر
شيخ مشايخ الطرق الصوفية يأخذ راتباً كوزير من الدولة، في نفس الوقت الشباب الصغار الذين يدعون لحكم الإسلام ولقيام دو
إسلامية يعلقون على المشانق والأعواد.

لماذا يترك عشرات الآلاف من العلماء ويعدم هذا الشاب؟ سيد قطب ليس خريجاً من الأزهر، وليس معه شهادة الدكتوراه فى
الشريعة الإسلامية، معه ماجستير في الأدب العربي، لماذا يعدم سيد قطب ويترك كبار المشايخ الذين يعطون الدكتوراه فى الفقه وأصو
الفقه وتفسير القرآن وفي الحديث النبوي الشريف وفي العقيدة الإسلامية؟ لأن سيد قطب يدعو لتحكيم كتاب الله، وبدأ ينظم الناس على
هذا الفكر، ويمكن أن ينجح فى إقامة حكم إسلامي فوق بقعة من الأرض، وهذا الذي لا تطيقه الدنيا، فلا بد من إعدامه، أما بقية العلماء
فلا بأس هم يدرسون، يحفظون الشروح والمتون، وهم قد طبق علمهم الآفاق وانتشر ذكرهم بين الناس وسارت بفتاواهم الركبان.

فلا بأس هؤلاء لا يؤثرون، لا يصل تأثيرهم إلى حد أن يزلزل الطواغيت فى الأرض.

أول حركة إسلامية بعد إسقاط الخلافة:

إذاً ما هي مشكلتنا؟ نريد بقعة أرض يقوم عليها دين الله عز وجل، وأول حركة إسلامية قامت بعد سقوط الخلافة سنة ١٩٢٤م،
سقطت الخلافة،فقام حسن البنا سنة ١٩٢٨ وشكل حركة إسلامية تدعو لإعادة الخلافة من جديد، وما دام يدعو لإعادة الخلافة، هم
أوصلوه أولاً حتى تضخمت دعوته، وعندما أحسوا بخطره قتلوه في داخل المستشفى وفي داخل غرفة العمليات، نعم! وعندما وجدوا أن
واحداً مثل سيد قطب أو حسن الهضيبي أو غيره يريد أن يواصل هذا الطريق قتل أو سجن سجناً مؤبداً.

وعندما وجدوا شباباً صغاراً بعد أن ألقي الإخوان كلهم في السجون، وجدوا شباباً صغاراً مثل كارم الأناضولي وكذلك صالح
سرية، صالح سرية فى الأربعين من عمره وفي أواخر الثلاثينات، كان شاباً صغيراً، شكري مصطفى ابن أخته هذا الذى أعدم معه كان
عمره حوالي عشرين عاماً، وأعدم واحد معه عمره ١٧ عاماً. لماذا؟ نعم نحن قد لا نوافقهم أو لا نوافقهم فى بعض الآراء وفى بعض
التصرفات، لكن الخطر أن هؤلاء ينادون بقيام حكم الله في الأرض مرة أخرى، هذا هو الخطر، وهذا الذى لا نطيق سماعه، هكذا يقول
الغرب صباح مساء، نحن لن نسمح أبداً، لن تسمح أبداً بقيام حكم إسلامي يحكم أوربا والغرب كله مرة أخرى.. لا نسمح، وهم يعرفون
قوة الإسلام.

روسيا أو قبل روسيا وصل الأمر أن العالم الإسلامي أطبق عليه الظلام حتى تجرأ رجل، زعيم أكبر دولة عربية، في بلده العاصمة
العلمية للعالم الإسلامي كله، فيه الأزهر القلعة العلمية المعروفة، أقدم جامعة إسلامية في التاريخ، تجرأ زعيم هذا البلد المسلم وذهب وركع
على أبواب الكنيست الإسرائيلي يستجدي السلام، ويتسول.

قيام الثورة الإيرانية:

فالله عز وجل بعد هذا بعام أو عامين، بعد هذا بعام تقريباً قامت الثورة الإيرانية، والثورة الإيرانية قامت باسم الإسلام، وظن
الناس فعلاً أن الشيعة سيتجاوزون العقدة التاريخية، عقدة الأحقاد التى عمرها بضعة عشر قرناً ضد أهل السنة، فصرحوا وطبلوا
وزمروا وأقاموا المهرجانات ووزعوا المنشورات فرحاً بقدوم الخميني الذي جاء باسم الإسلام، والذى أعلن أنه سيطبق قانوناً من الكتاب
والسنة ومن منهاج الخلفاء الراشدين الأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، هكذا أعلن، عندما جاء فرح خاصة الناس الذين يعيشون حول
إسرائيل، والذين يعيشون هزائم متواصلة، وكثير من الشباب الضائع تأثر بهذا الحدث ورجع إلى الإسلام وخاصة فى داخل المنطقة
المحتلة، يعني التي يحكمها اليهود، رجع كثير من الشباب إلى الله عز وجل، لكن..

ومهما تكن عند امريء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

بعد قليل وقفت إيران بجانب حافظ الأسد في سوريا، بعد هذا بقليل قامت مجموعة من شباب الإخوان في سوريا بحركة مسلحة ضد حافظ الأسد النصيري، عندما قامت هذه الحركة المسلحة خافت الدنيا كلها. وهم مجموعة صغيرة من الشباب لم تصل إلى ألف شاب، ولكنهم هزوا الطاغية، وبدأ يترنح ليسقط، واستطاعوا أن يدخلوا عليه في داخل قصره ويحاولوا قتله، لولا أن حارسه ألقى بنفسه عليه فقتل الحارس ونجا الطاغوت.

إسرائيل كانت خائفة جداً من أن يسقط حافظ الأسد وينجح الإخوان في الوصول إلى الحكم.

في أثناء الأحداث عندما بدأ عرش حافظ الأسد النصيري الكافر يهتز وكاد يهوي، اليهود عملوا له تمثيلية، تمثيلية جاء بيغن من المستشفى على عربة إلى الجولان، ليكرس احتلال الجولان، ما معنى تكريس احتلال الجولان؟ فقط تمثيلية ليثبتوا أنهم ضد حافظ الأسد، اليهود ضد حافظ الاسد، فالذي يعادي حافظ الأسد إنما هو يوالي اليهود، والذين يقاتلون حافظ الأسد في داخل سوريا إنما هم أنصار اليهود بطريقة غير مباشرة، ليبينوا أن الإخوان المسلمين في داخل سوريا عملاء لليهود ولو كانوا لا يعلمون..

اليهود ضد حافظ الأسد، إذاً الإخوان ضد حافظ الأسد، الإخوان ضد حافظ الأسد، وحافظ الأسد هو الأسد الذي يقف في وجه اليهود، إذاً الإخوان يحاربون عدو اليهود، فهم أصدقاء اليهود، ومرة أخرى اشتدت عليه الضربات، وإذا بهم يخترعون قصة الصواريخ ونزع الصواريخ، وقامت ضجة إعلامية عالمية، ووقف حافظ الأسد ورفض أن تنزع الصواريخ من داخل لبنان، فبان أنه رجل المرحلة وأنه أسد شجاع ومقدام مغوار، والذين يقاتلونه إنما يطعنون العروبة في قلبها وفي ظهرها، وما زالوا يتغامزون طبعاً الغرب والشرق على هؤلاء الشباب حتى كانت مذبحة حماة وانتهت حركة هؤلاء الشباب في داخل سوريا ونرجو الله عز وجل أن تعود.

انقلاب تراقي:

في هذه الفترة كذلك قام في عالم آخر قام انقلاب تراقي، وبدأ العلماء وبدأ أبناء الدعوة الإسلامية كانوا قبلها أبناء الحركة الاسلامية قد قاموا ضد داود، ودخلوا في معارك ضده، لأن حكمتيار ورباني هناك في الداخل قد حاولوا أن يعملوا شيئاً وأفشلت مخططاتهم بالانقلاب ضد داود، وهاجروا هنا إلى بيشاور، وأرسلوا مجموعات الى داخل افغانستان وكلها فشلت، وألقي القبض على أبناء الحركة الإسلامية ووضعوا في السجون، وأعدم حبيب الرحمن رحمه الله والبقية حكم عليهم بأحكام مختلفة، سوى أربعة فقد نفذ فيهم حكم الإعدام (دكتور محمد عمر، وخوجه محفوظ، ومولوي حبيب الرحمن، وكان طبعاً انجنير حبيب الرحمن قبلهم أجمعين قد سبقهم إلى الله عز وجل).

لما قام الانقلاب الشيوعي في داخل أفغانستان كان لا زال حكمتيار ورباني يقومان ببعض الأعمال العسكرية.. بالاغتيالات.

ويقول حكمتيار: نحن الذين إغتلنا مير أكبر خيبر فيلسوف الحزب الشيوعي في داخل كابل في ١٧ ابريل سنة.... وأما حاشيته فالقيت في السجون. سجن پل چرخي وهو أكبر سجن في داخل كابل، هذا بناه داود، وأول أناس دخلوا السجن حاشية داود سبحان الله !.

(ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله) (فاطر: ٤٣)

نعم أول من دخل السجن حاشية داود، وأسرته الذين بقوا أحياء.

فعندما جاء تراقي يعرفون أن هذا هو مؤسس الحزب الشيوعي خلق، فأفتى العلماء أن هذا كافر ويجب قتاله، فصار عالم هذه القرية يقوم ضد تراقي، وعندما يقوم ضدها ينظر في الساحة، من في الساحة؟ لا يوجد إلا حكمتيار ورباني، فإما أن ينضم لحكمتيار وإما أن ينضم إلى رباني، فعندما قام انقلاب تراقي سنة ١٩٧٨م لم يكن في الساحة إلا الحزب والجمعية. الحزب الذي يرأسه حكمتيار، والجمعية التي يرأسها الأستاذ رباني.

ولذلك بدأ الناس يتجمعون إما وراء رباني وإما وراء حكمتيار، فصار الحزب والجمعية أكبر حركتين جهاديتين في داخل افغانستان، بل لم يكن هنالك في داخل أفغانستان سوى هاتين الحركتين، ولذلك يعتبر الحزب والجمعية هما العمود الفقري للجهاد الأفغاني حتى الآن، ثم بعدها جاء ت الأحزاب الأخرى.

تطور القدرة القتالية عند الأفغان:

بقدر من الله وبفضله ومنته أن الأفغان قاموا يقابلون الدبابات بالحجارة والعصي، واستمرت فتحول الحجر الذي في يد الأفغا إلى (R.B.G.7)، وبقدر من الله الـ آر. بي. جي الذي في يده تطور فأصبح صاروخ ستنكر، وهذه نعمة من الله وفضله، فضل عظيم يبدأ بالحجر وينتهي باستنكر، كنا في بنجشير قبل شهر كنت أركب أنا وأحمد شاه مسعود والشيخ رباني في سيارة ومعنا أربع وأمامنا الدبابات وناقلات الجنود والمجاهدون والرايات وآلاف تحيي وترفع اللافتات والشعب كله على جانبي الطريق وعشرات الألوف المجاهدين يلبسون البزة العسكرية، فأحمد شاه ونحن نركب في السيارة قال له: يا أستاذ رباني الحمد لله رب العالمين، أرسلت لـ بندقية واحدة، بندقية شولدن، والله عز وجل أعطانا دبابات، الآن عندنا دبابات وناقلات جنود ومجاهدون، ومعظم المجاهدين بأيدي أسلحة روسية كلها غنائم، ولذلك هناك مجاهدون إذا رأوا سلاحاً صينياً بيد واحد يعيبون عليه يقولون له أنت لست رجلاً، حتى الآن لي في يدك كلاشينكوف أو كلكوف روسي، أليس عيباً عليك؟ نعم يستحي الذي يحمل حتى الآن كلاشينكوف صيني، لأن الكلاشنيكو الصيني معنى ذلك أنه ليس غنيمة.

جهود تفوق جهود البشر:

والحقيقة المجاهدون قدموا جهوداً تفوق جهود البشر، وكأن الله عز وجل أعد الشعب الأفغاني لطبيعته وتحمله للشدة والقسو وهو شعب جبلي الواحد منهم يصعد الجبل وينزله ويسبقك بعدة ساعات وهو أكبر منك بعشرين عاماً، وكأنهم جن، نعم، كأنهم نوع من الجن، تراه يتسلق في الجبال ويحمل فوقه أمتعة سبحان الذي خلق هذه الطاقات. طاقات عجيبة، نحن نلهث في صعودنا الجبل ولا يستطيع أحدنا أن يحمل الجاكيت، الجبل أربعة آلاف متر فوق سطح البحر وواقف هكذا شاهق والسحاب دونه، وهذا يفعل كأنه يمشي في ساحات معهد أبي حنيفة، نعم! وكنت مستأجراً حصاناً وطبعاً لا أستطيع أن أركبه ونحن صاعدون أو نحن نازلون، فكان بجانبي صاحب الحصان يجر حصانه.. فأنا أعطيته الجكيت الذي لا أستطيع أن أحمله، فكان يضعه على الحصان أحياناً ويحمله أحياناً، وفي نصف الجبل مات الحصان، فأنزل الأمتعة التي على الحصان وحملها بنفسه ثم مضى ومن بينها جكيتي -أو الجكيت كان على حصان آخر-، حمل الأمتعة ومضى في سبيله، صاحب الحصان جاء قال لي شيخ ! قلت: نعم، قال: هكذا على لغة الأفغان، حصان مرد، أسپ مرد، أسپ مرد، خلاص (الحصان مات).

في الحقيقة جهود لا يستطيع البشر أن يقدموها، لم تكن جهوداً عادية، وأنت تصور معي جبهة مثل جبهة بنجشير مرّ عليها بعض أيام تغير عليها ستمائة غارة، كل غارة قد تصل ثلاثين طائرة، معنى ذلك لو كانت كل غارة ثلاثين طائرة يعني ثمانية عشر ألف طائرة تضرب في اليوم بنجشير، افرض أنها ليست ثلاثين، عشرين، عشرة، عشر طائرات كل غارة، ستة آلاف طائرة تغير على بنجشير يومياً، كل طائرة تحمل ثمانية قذائف، كل قذيفة وزنها نصف طن، معنى ذلك أنه كان يلقى في بعض الأيام على بنجشير أربعة وعشرون ألف طن من المتفجرات، وصبروا، لكن بعد أن دفعوا الثمن، لكن الثمن غال.

(إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) (يوسف: ٩٠)

كانت السيارة التي نركب فيها لقائد اسمه ملا وبود، كل قادة الشمال، كل واحد منهم معه سيارة أو سيارتين، وكانت السيارة التي نركبها لقائد أو مساعد قائد الخاد -الخاد مخابرات الأفغان-، ثمانون سيارة غنموا من طالقان للدولة ويستعملونها، دبابات، مدرعات، ناقلات جنود، ذخائر، الآن يقولون أن روسيا أدخلت إلى أفغانستان ثلاثين طائرة ميغ فاير بومبارد حتى يخوفوا الناس، ميغ ٢٧ (بيست وهفت)، استنكر لا يصلها ولا يؤثر فيها، أدخل الروس ذخائر تكفي الحكومة الأفغانية خمس سنوات.

هم أدخلوا للمجاهدين ولحكومة المجاهدين ذخائر تكفيهم خمس سنوات نعم، ولذلك أنا أحب أن يكثروا من الأسلحة لأن كلها غنائم للمجاهدين إن شاء الله.

أما نجيب، نجيب معقول أن يبقى؟ زوجته قبل أيام أرادت أن تهرب إلى الهند، عرفتها المخابرات في داخل الطائرة أنزلوها من الطائرة.. زوجة نجيب !!

البغل بهائمة شيوعي:

قادة الحزب الشيوعي الآن يحاولون أن يهربوا إلى أي بلد قبل أن يبيعهم الروس، والروس يبيعون الشيوعين الآن والخاد الذي

رأسه كبير هذا -جهاز الخاد- الفرد، (يك نفر) من الخاد ثمنه ثلاثة آلاف- (سه هزار أفغاني)، ثلاثة آلاف أفغاني (سه هزار) يعني (شصت ريال)، هذا ثمن رجل من جهاز المخابرات قيمته ثلاثة آلاف افغاني، ستون ريالا، بستين ريالا يباع، ولذلك نريد أن ننزل في مجلة الجهاد إعلان كم ضابط مخابرات تريد أن نقتل، ادفع ستين ريالا مقابل ضابط المخابرات، أربعين ريالاً مقابل الضابط العادي، عشرة ريالات مقابل الجندي الشيوعي، عشرة ريالات، عشرة ريالات يعني خمسون روبية باكستانية، خمسون روبية باكستانية فقط، البطيخة أغلى منه، نعم صدقوا البطيخة في السعودية أغلى من الضابط، ثمن البطيخة أربعة جنود شيوعيين نعم حسبت البغل، البغل ثمنه بمائة شيوعي، (يك أسپ يكصد كمونست)، فهذه نعمة من الله وفضل.

فتح المدن يحتاج إلى تأمين ثلاث قضايا:

الآن أنا قلت للقادة في الشمال لماذا لا تفتحون المدن؟ قالوا نحن نستطيع أن نفتح المدن، لكن نحن نريد أن نؤمن ثلاثة قضايا.

القضية الأولى: الأمن في المدن عند دخولها، حتى لا يستغل بعض الناس المنتفعين منهم واللصوص الفرصة، فرصة دخول المجاهدين المدينة فيسرقوا أموال الناس، أولاً نريد أن نؤمن الأمن و استمرار الإدارة التي تضبط الأمور.

ثانياً: نريد أن نؤمن المواد الغذائية، لأن الآن مداخل كابل كلها بأيدي المجاهدين، طريق باكستان كابل بأيدي المجاهدين، طريق سالنگ كابل بأيدي المجاهدين، والقمح يأتي من أين؟ إما من هنا أو من هناك، إما من روسيا أو من باكستان، ولذلك ارتفع الآن ثمن كيلوغرام القمح إلى عشرين روبية باكستانية في داخل كابل إلى مائتي روبية أفغانية - (يك سير يك هزار چار صد أفغاني)، مفهوم؟ فكيلو القمح الواحد وصل الآن إلى عشرين روبية باكستانية، عشرين (بيست كلدار).. فهم يريدون أن يؤمنوا كذلك الطعام والمواد الغذائية، ثم يريدون أن يؤمنوا البترول، لأن روسيا تدخل البترول إلى داخل أفغانستان، الآن البترول بدأ يقل ثم سيقطع، فلا بد أن يؤمنوا البترول لأفغانستان عندما يستلموا الأمور، فقالوا: نحن أول قضية تهمنا المدن، عارف خان أحد قادة كندز، الذين دخلوا كندز، قال نحن دخلنا المدينة، وعندما دخلنا المدينة صارت بعض عمليات السرقة في داخل المدينة، فالشعب حزن وعاتبنا، قالوا أنتم دخلتم علينا وأخذتم أموالنا، والشيوعيون كانوا يحافظون على أموالنا، فهذه مشكلة أن اللصوص يستغلون الفرصة ويدخلون وينهبون ويسرقون، فلا بد أن يكون الجيش الذي يدخل المدينة، جيش المجاهدين قوي بحيث يهابه الناس، يهابه اللصوص، يهابه المنتفعون حتى لا يستطيعوا أن يخلوا بأمن البلد اثناء الفتح، وقال عارف خان كذلك أمر نجيب الطائرات أن تضرب كندز، والطيارون يكرهون نجيباً ويكرهون الدولة الشيوعية، فخرجوا بالطائرات واخترقوا حدود الاتحاد السوفياتي وضربوا الاتحاد السوفياتي نفسه، فجن جنون روسيا، وصلت فيهم الجرأة أن يستعملوا طائراتنا ولضرب مدننا، فقامت حملات ضخمة من الطائرات ودمروا كندز أو ضربوا كندز ضربات شديدة.

فاقول المدن الآن متهاوية، الشيوعيون الجنرالات الآن في داخل الجيش في كابل يرسلون إلى القادة: نحن معكم تريدون أن نأتي إليكم؟ نأتي إليكم؟ الطيارون يقولون للمجاهدين: نحن معكم تريدون أن نأتي اليكم؟ نأتي إليكم ؟! ولكن المجاهدين يقولون لا، ابقوا في أماكنكم حتى يأتي اليوم المحدد حتى نطيح بكابل إن شاء الله.

الآن هذه مشاكل داخلية، وهذه مشاكل الآن تتعب نفوس القادة، أن هنالك قسماً من الجيش معنا، وعندما نضرب كابل لا ندري، لا نستطيع أن نفرق بين الموالي والمعادي، المجاهدون يريدون أن يبقوا المؤسسات كما هي، لا يريدون أن يدمروها، يعني أحمد شاه قال: الآن مصنع النسيج بأيدينا، نحن نغلق الطريق المؤدي إلى گلبهار الذي فيه مصنع النسيج، مصنع النسيج فيه سبعة آلاف عامل، يومياً يخرجون من كابل يمرون على المجاهدين، والمجاهدون يدخلونهم إلى المصنع، ثم يسمحون لهم بالرجوع، بإمكان المجاهدين أن يشنوا عليه حملة ويحتلوه، قالوا لكن نحن لا نريد أن نشن عليه حملة فتتلف بعض الآلات وتحرق النسيج ويتعطل المعمل، نحن نريد أن يستمر، وهذا بعد شهر أو شهرين سيسقط بأيدينا بإذن الله دون أي تلف أو فساد للمصنع، كذلك هنالك كثير من المؤسسات في داخل كابل المجاهدون لا يريدون أن تضرب، هنالك البنوك بإمكانهم أن يضربوا بالصواريخ كابل، لكن هم يخافون على البنوك، يخافون على السفارات، يخافون على أتباعهم، يخافون على السكان أن يقتلوا، لأن في كابل الآن حوالي مليونين وثمانمائة ألف من السكان، يعني عدد سكان كابل تقريباً يساوي المهاجرين في أفغانستان، فحيثما نزل صواريخ في كابل قد يقتل عدداً كبيراً من السكان، أما المدن فبالإمكان الاستيلاء عليها، ولذلك هم يرتبون أمورهم لأجل هذا.

الروس أدخلوا دبابات أو أدخلوا طائرات أو أدخلوا قنبلة ذرية أو ما إلى ذلك كل هذا لايهم بإذن الله عز وجل، لأنها ستكون وسترجع بإذن الله إلى أيدي المجاهدين، يعني القنبلة الذرية صحيح خطيرة، أما بقية الأسلحة بإذن الله الطائرات، الدبابات وما إلى ذلك

[illegible]

الغرب يحاول سرقة ثمار الجهاد:

الآن الغرب جن جنونهم، كيف وصل المجاهدون إلى هذا الحد؟ ولن نسمح لهم أن يقيموا دولة إسلامية، منذ ثلاث سنوات وهم في حركة مستمرة بين إسلام آباد، كابل، موسكو، واشنطن يريدون أن يسرقوا الجهاد، يسرقوا ثمراته، أن يحولوا بين المجاهدين وبين إقامة حكم الله على بقعة الأرض.

الآن بقعة الأرض موجودة، والمجاهدون موجودون، والسلاح بأيديهم، يقولون يرجع ظاهر شاه، ظاهر شاه كيف يحكم أفغانستان؟ قالوا لا نستطيع أن نرجع ظاهر شاه، إلا أن نقتل ضياء الحق.

من قتل ضياء الحق؟

قتلوا ضياء الحق، الأمريكان قتلوا ضياء الحق رحمه الله، والحقيقة ضياء الحق نرجو الله أن يتقبله شهيداً، وما فقدت الأمة الإسلامية حاكماً في هذا القرن أعز ولا أشجع من ضياء الحق، نعم، ما عرفنا في هذا القرن رجلاً في شجاعة وعزة وإسلام ضياء الحق، وقد كان موقفه مشرفاً بجانب الجهاد الأفغاني، وقتلوه من أجل الجهاد الأفغاني، ولذلك الأفغان أوفياء ذوو رجولة وإباء ووفاء وحياء، فكنت أرى صور ضياء الحق في داخل أفغانستان في الدكاكين ترفع هكذا، عند استقبالنا يرفعون صورة ضياء الحق وتحتها شهيد الجهاد الأفغاني، في الفنادق التي على الطريق صورة ضياء الحق.

والحق أن الشعب الأفغاني يجب أن يبقى يدعو لهذا الرجل ولأجيال كثيرة قادمة. لأنه كان صاحب باع طويل وسهم وافر في الجهاد الأفغاني، طبعاً كلكم تحبون ضياء الحق، أم لا؟

محاولات لقتل قادة الجهاد:

نعم يحاولون أن يقتلوا القادة هنا في بيشاور، خاصة القادة الذين يعارضون رجوع ظاهر شاه بكل ما أوتوا من قوة خالص، رباني، سياف، حكمتيار، هؤلاء الأربعة يعارضون، لكن لاحظت أن المؤامرة على قتل حكمتيار شديدة، ومحاولات لاغتياله شديدة، وذلك أن الغرب يرى أن حكمتيار عنده كثير من أبناء الحركة الإسلامية، وأن حزبه على الأقل في الباكستان منظم جداً، ولذلك يحاولون قتله، يحاولون قتل هؤلاء الأربعة، ولذلك هو يتنقل من بيت إلى بيت، كل يوم يكتشف مؤامرة لقتله فيترك البيت وينتقل إلى حيات آباد ثم يترك بيشاور، ثم يدخل إلى الداخل، وكل ذلك للمؤامرات على حكمتيار.

الأستاذ رباني حفروا جيرانه حفروا الحيطان وأرادوا قتله في داخل البيت، فالبوليس الباكستاني هو الذي اكتشف المؤامرة وأخبره وسجن أولئك.

الأستاذ سياف وضعه أكثر أمناً لأنه في داخل القرية، وكل القرية من المجاهدين والمهاجرين الأفغان، فوضعها أكثر أمناً من حكمتيار ورباني لأنهما يعيشان في بيشاور، بجانبه هنا باكستاني، وبجانبه أفغاني لا تدري شيوعي يساري، پرچم، خلق، مجرم إلى آخره عميل لا تعلم..... هناك في القرية وضع أكثر أمناً وأقل خطراً.

(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) (الأنعام: ٨٢)

لكن لنفرض لا قدر الله أنهم قتلوا كل هؤلاء القادة في بيشاور، كيف يقتلون جلال الدين حقاني؟ وكيف يقتلون أحمد شاه مسعود؟ وكيف يقتلون انجنير بشير؟ وكيف يقتلون فريد؟ وكيف يقتلون عبد الحق؟ وكيف يقتلون محمد إسماعيل؟ وكيف يقتلون انجنير ضياء؟ وكيف يقتلون محمد نسيم في فارياب؟ وكيف يقتلون مولوي يوسف في فارياب؟ ومحمد علم في مزار شريف؟ كيف يقتلون هؤلاء جميعاً، وظاهر شاه كيف يحكم في داخل أفغانستان؟ هؤلاء القادة قد انتزعوا قيادتهم وفرضوا احترامهم على كل الأفغان من خلال شجاعتهم ومعاركهم، عشر سنوات وهم في داخل المعركة، وكل واحد منهم يحكم منطقته، عنده المحكمة الشرعية، مجلس قضاء، عنده جلس العلماء، عنده مجلس شورى للمجاهدين، عنده مجلس لحل مشاكل الأيتام والأرامل وغير ذلك، وهو حاكم منطقته منذ عشر سنوات، ويحبونه أكثر من أنفسهم وأبنائهم وأمهاتهم، سيأتي ظاهر شاه ينزله الأمريكان في داخل مظلة في نواحي كابل ثم يبدأ بوزع بيانات والأوامر، بنجشير معزول أحمد شاه مسعود والذي يتولى شاه ولي!! مزار شريف معزول محمد علم والذي يتولى بلقيس!!

كيف يمكن للشعب الأفغاني في داخل أفغانستان أن يقبل حكام ظاهر شاه؟ يستحيل، وكوردفيس ذاهب آيب مسكين!! مجنون، لا يدري ماذا يفعلون، يرثى لحالهم.

والأمريكان يخططون، والروس يخططون، انسحبنا، أوقفنا الإنسحاب، كل ذلك مناورات، الروس لا يستطيعون أبداً أن يوقفوا الانسحاب، لا يستطيعون أبداً، لا يمكن أبداً أن يواصلوا وجودهم في داخل أفغانستان، خلاص انهار، انهارت معنوياته، لا يستطيعون، سقطت أرجلهم، لا يستطيعون أن يقفوا إلا إذا وضعوا لكل واحد منهم رجلين من الخشب وأسد في داخل قلبه.

فنحن نطلب من الله عز وجل ونأمل ونرجو أن يتمم هذه الانتصارات على خير إن شاء الله، وأن يدخل المجاهدون كابل قريباً إن شاء الله، وأن يتم إقامة الدولة الإسلامية في داخل كابل، أو إذا أمسك المجاهدون كابل فعندئذ لا تستطيع أي دولة أن تحتك بها، إيران لا يستطيعون الاحتكاك بالأفغان، يرهبون الأفغان كثيراً معروف. والأفغان يعتبرون المنطقة الشرقية من إيران هذه تابعة لأفغانستان، لأنهم يحكمونها لفترة طويلة، أحمد شاه بابا مشهد ونيسابور وهذه كلها كان قد ضمها إلى أفغانستان.

باكستان، بيشاور نسأل الله أن يبقي الحكم سائراً هكذا حتى يحفظ المجاهدون الود الجميل للفئة العسكرية التي وقفت في أيام الضيق والشدة بجانب الجهاد الأفغاني.

أما الهنود فإنهم لا يمكن أن يتصوروا أن يقف مائة منهم أمام أفغاني واحد، الهنود كلما رأوا عمامة الأفغاني يصيبه الدوار، وجع! إذا رأى عمامة الأفغاني هكذا.. يغمى عليه كالذي يغشى عليه من الموت.

والهنود قبل هجرة الأفغان هنا، قبل هجرة الأفغان إلى باكستان كانوا يريدون الهجوم على باكستان، لكن عندما دخل الأفغان باكستان خلاص كفوا، قال الأفغان: لا تستطيع الهند أن تهجم على باكستان، نعم! كان لوجود الأفغان في باكستان حماية لهم من الهند، والحمد لله رب العالمين.

روسيا هزمت، فمن ذا الذي بعد ذلك يستطيع أن يقترب من أفغانستان؟ بعد أن هزمت روسيا بعد قتال استمر عشر سنوات متواصلة وخسرت فيها من الخسائر ما لا يعلمه إلا رب العالمين بالأرواح، الخسائر حتى بداية ١٩٨٨م -يعني هذا العام ليس داخلاً في الخسائر، والخسائر من احصائيات الأمريكان، والباكستانيين- سقط لروسيا حوالي ألفين وثمانين طائرة، معنى ذلك استهلك مثلها حوالي أربعة آلاف ومائة وخمسين طائرة فقدت روسيا في داخل أفغانستان خلال السنوات العشر، والأقمار الصناعية صورت سبعة عشر ألف دبابة وواحداً وعشرين ألف سيارة، وخمسين ألفاً اعترفت بهم روسيا بين قتيل وجريح، معنى ذلك لا يستطيعون أن يستمروا في أفغانستان، ستقوم فيها حكومة فريدة في الأرض بإذن الله عز وجل، على الأقل أن قراراتهم من عقولهم وقلوبهم وعلى هدي ربهم وعلى قول الكتاب والسنة، وهذه الدولة ستواجه في أول سنة -تقريباً- أو سنتين قلة أو شحة في الطعام وفي البترول، لكن الله عز وجل سيعوضها إن شاء الله.

وهذه الدولة بعد سنتين ستكتفي من ناحية القمح والسكر والأرز، خلاص إذاً القمح والسكر والرز موجود والشاي موجود، الأفغاني يمد رجليه خلاص كل الدنيا تحاربه أو تسالمه، كل واحد عنده شاي موجود، أرز موجود وروغان موجود خلاص، ولذلك الحصار الاقتصادي لا يؤثر على أفغانستان إن شاء الله، وإن شاء الله أفغانستان سيكون في حل مشكلتها حلاً إن شاء الله أو بعض الحل لمشكلة فلسطين وحلاً لكثير من مشاكل المسلمين في العالم.

ونرجو الله عز وجل أن تكون قاعدة لانطلاق الجهاد في العالم الإسلامي وفي العالم كله، ونرجو الله عز وجل أن تكون من أفغانستان كذلك انتفاضة وتحرراً وانطلاقاً في داخل الاتحاد السوفياتي، ونرجو الله عز وجل أن يأتي بالنصر لأفغانستان ولكل بلاد المسلمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

اللهم مكن للمؤمنين في الأرض، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ، اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان وفي فلسطين وفي الفلبين وفي لبنان وفي كل مكان، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وجزى الله مدير المعهد الأخ عبدالصبور والإخوة المعلمين في المعهد وجزاهم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

العمل والإخلاص*

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أولاً غفر الله لأخينا أبي يوسف، ووددت والله لو اكمل الشيخ لنسعد بما يقول، ونعوذ بالله عز وجل من الرياء، وأسأل الله عز وجل لنا ولكم الإخلاص والاستقامة إنه سميع قريب مجيب.

خطر الرياء:

أخشى ما يخشاه الإنسان على عمله هو الرياء، لأن ما تعمله قليل بحق رب العالمين، لكنه حسب الأحاديث كثير وعظيم في ميزان الله عز وجل، فإذا لم يرزق العمل الإخلاص فإنه يكون يوم القيامة هباءً منثوراً، في الحديث الصحيح **(يأتي يوم القيامة أناس من أمتي بأمثال جبال تهامه حسنات،** -جبال تهامة هذه التي تحاذي البحر الأحمر تنصل الحجاز عن البحر- **فيجعلها الله هباءً منثوراً، قالوا يا رسول الله صفهم لنا، قال إنهم من جلدتنا، وكانوا يأتون من الليل مثلما تأتون، -يعني كانوا يقومون الليل- ولكنهم كانوا إذا خلو بمحارم الله انتهكوها)** نعوذ بالله عز وجل من الرياء، ونرجو الله عز وجل أن يرزقنا الإخلاص.

وأخطر ما يهدد أعمالنا هو الرياء، والإخلاص عزيز صعب، لأنه هو الشيء الذي ليس للنفس فيه شيء، فكثيراً ما أخاف على نفسي من هذه.

أنتم الأفغان في العصر الحديث ما قدم شعب من الشعوب مثلكم، والحق.. هذه هي السنة الثامنة التي أعيشها بينكم وهو شرف عظيم لي، لكن ما من يوم يمر عليّ إلا وأزداد إعجاباً بهذا الشعب الكريم، لأني أعرف طاقات الشعوب خاصة طاقات الشعوب الإسلامية، وأقارن فلا أجد شعباً يستطيع أن يقدم ما قدمتم، لا يستطيع، لم يتعرض في العصر الحديث أي شعب للإبادة كما تعرض شعبكم، ولم تتعرض أية بقعة أرض في المعمورة لما تعرضت له أرض أفغانستان، ولم يسقط فوق بقعة من الأرض أبداً من القذائف عبر التاريخ كما أظن ما سقط على هذا البلد الكريم، أبداً، حرب عالمية ثالثة يخوضها شعب واحد مقابل حلف وارسو، الآن لو حصلت حرب عالمية ثالثة ستقوم بين حلف وارسو من جهة وبين حلف الأطلسي من جهة أخرى، الآن حلف وارسو كله يقوم بالحرب فوق رأس شعب حكومته ضده، روسيا ضده، حلف وارسو ضده، الدول التي تدور في فلك المعسكر الشرقي ضده، ومع هذه كله حقق الانتصار العظيم، فهذه أكبر كرامة حصلت في هذا القرن، أكبر كرامة، أكبر معجزة حصلت في العصر الحديث أو في القرون الثلاثة الأخيرة أن ينتصر الشعب الأفغاني على حلف وارسو.

أنتم عشتم المعارك ورأيتم الطائرات والأساطيل الجوية والأساطيل البرية وأنواع القذائف التي تلقى وتمطرها السماء مطراً والأرض التي تتفجر براكين، كنت وأنا أحضر المعارك أتذكر يوم القيامه، يعني فعلاً ما فهمت معنى آية:

(ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) (الأنبياء: ٣٩)

بعدها يقول في سورة سبأ:

(قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعةً ولا تستقدمون) (سبأ: ٣٠)

الآية التي بعدها:

(لو يعلم الذين كفروا حين لا يَكُفُّون عن وجُوُهِهِم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتةً فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) (الأنبياء: ٣٩-٤٠).

أصبحت أفهم هذا المعنى عندما نتعرض للرشاشات ليس أمامنا حجر وليس أمامنا خندق نحتمي به والرشاشات مفتوحة علينا، ﴿ حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها

* - هذه المحاضرة ألقيت في الأكاديمية الإسلامية بحياة آباد في بيشاور أمام الطلاب الأفغان.

ولا هم ينظرون) أهوال تذكرك بيوم الحشر، هذا شيء عظيم في ميزان الله عز وجل لا يعدله أي عمل أبداً بشرط الإخلاص، إذا لم يكن فيه إخلاص فإنه يوم القيامة يكون هباءً منثوراً، اليوم بألف يوم.

(رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل).

(رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه).

(من مات مرابطاً لم يختم على عمله).

(من وضع رجله في الركاب فاصلاً، فوقصته دابته فمات، أو لدغته هامة فمات، أو مات بأي حتف مات فهو شهيد وأن له الجنة).

أحاديث صحيحة كلها.

لكن كل هذا لا قيمة له إذا خالطه الرياء، ونعوذ بالله من الرياء، ولذلك الرسول ﷺ قال: **(إن أخوف ما أخاف عليكم هو الشرك الأصغر، قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال الرياء)**، ولذلك يستحب للمؤمن دائما أن يدعو **(اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه)**، لأن الرياء أخفى من دبيب النمل، والإخلاص صعب على النفوس لأنه ليس لها حظ فيه، الإخلاص أن تعمل العمل دون أن تحب أن يذكر اسمك، وهذا صعب على النفوس، صعب جداً، فالإنسان يحب أن يتصور ويظهر اسمه في الجريدة، وتنشر صوره في المجلات، ويظهر أمام الكمرات، فإذا عمل عملاً ضخماً ولم تظهره الكمرة، ولم تتضح الصورة، ولم يخرج المسجل، ولم توزع الأشرطة، هذا ليس للنفس فيه شيء، ولذلك النفس لا تحب الإخلاص، النفس تحب الظهور، والإخلاص أن يستوي عندك مدح الناس وذمهم.

من الذي يستوي عنده مدح الناس وذمهم؟ إذا تحدث المتحدث أنا فعلت كذا، وأنا انتصرت في يوم كذا، وأنا قتلت من الروس عدد كذا، ومن الشيوعيين عدد كذا، وقد يبهرها ويضع عليها الملح والفلفل وغير ذلك..

(لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) (آل عمران: ١٨٨)

فأنا أكثر شيء أخاف على نفسي منه الرياء، ونعوذ بالله من الرياء.

كنا قبل أن نأتي إلى أفغانستان نكره التصوير، ولا نحب أن نتصور، فصرنا نتصور في الجبهات من أجل مصلحة الجهاد، هكذا تقول لي النفس تصور من أجل مصلحة الجهاد، ونكتب المقالات من أجل مصلحة الجهاد، وننشر مجلة الجهاد من أجل مصلحة الجهاد، ولهيب المعركة من أجل مصلحة الجهاد، ونحضر المؤتمرات ونخطب فيها من أجل مصلحة الجهاد.

لكن النفس لها سهم في هذا، فنعوذ بالله من الرياء، عملكم عظيم لا يعدله أي عمل، لا يوجد في الأرض عمل أبداً يوازي في الإسلام قمة سنامه الجهاد، بشرط واحد أن يكون فيه روح، وروح أي عمل هو الإخلاص، النية الخالصة.

ثانياً: هذه الأكاديمية مولود جديد نرجو الله أن يبارك فيه، أنشيء هذا لهدف كبير، الذين أنشؤوه جزاهم اللهم خيراً، وقد أطلعونا عليه منذ البداية أننا نريد أن ننشيء طاقماً ليدخل أفغانستان يحكم بلاده بقلب نير وعقل متفتح، نحن دخلنا أفغانستان، وجدت أن أكبر مشكلة تواجه الجهاد وتهدده وتحاول أن تجتاله عن الطريق وتنحيه عن مسيرته هو الجهل، ما من خلاف في الداخل إلا وراءه الجهل، ما من خصومة إلا ودافعها الجهل، وقلما تجد منطقة فيها عالم صادق ثم يحدث فيها خلاف أو خصومة، وأنتم تعلمون أن أفغانستان في الحقيقة يتيمة، الآن يتيمة من علمائها، هاجر العلماء وسكنوا في بيشاور، يتيمة من دعاتها، معظم العلماء أو الدعاة إما استشهدوا أو استقروا في بيشاور، قد يكون لهم مبرر أن يجلسوا في بيشاور ليؤمنوا وصول التموين والسلاح وغير ذلك إلى الجبهات، وليقفوا أمام المؤامرات السياسية، لكن عالماً واحداً في داخل الجبهه يعدل المئات خارج الجبهة، وداعية واحد في أرض القتال والنزال يعدل المئات الذين هاجروا وتركوا أرض الشرف والفخار، ولذلك عندما وجدت ذلك طفت في العالم الإسلامي أستنفره، حاولت أولاً أن أقنع الذين يعلمون من أهل أفغانستان أن يدخلوا إلى أرض الجبهات، والجهاد كان في فترة من الفترات مهدداً بالسقوط، كنت أخشى سنه ١٩٨٤-١٩٨٥م قبل ثلاث سنوات، بدأ الناس الناضجون يتركون جبهاتهم ويهاجرون بعائلاتهم، الروس بدأوا ينتهكون الأعراض، الجوع عض الناس بنابه، العالم الإسلامي أغمض عينيه عن قضية أفغانستان، فبدأ الناس هرباً بأعراضهم وفراراً من الفقر والقحط أصبحوا يأتون، فقلنا ادخلوا في داخل أفغانستان نحن نكفلكم بأموال المسلمين، وتعيشون كما يعيش الناس، لكن بيشاور تعلم الإنسان الترهل،

عقوبة من الله عز وجل لأولئك الذين تركوا الجبهات، إن حب القتال والجهاد والاستشهاد نعمة إلهية يمن بها على القلوب المخلصة والنفوس الصادقة..

(واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليك الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون) (الحجرات: ٧)

فالله الذي يحبب الإيمان وخصاله للقلوب، فمن نعم الله عز وجل أن يمن على القلب بحب الجهاد وهو كره للنفس البشرية.

والذين ظلوا في مواقعهم هم الذين فرضوا على العالم احترامهم، والذين لم يهاجروا وقفوا بشموخ هكذا أمام العالم كله ينظر إليهم بإكبار وإجلال واحترام، أنا كثيراً ما أحب أن أنشد لأولئك الذين صمدوا في أرض المعركة أبيات أبي الطيب يعني المتنبي:

قعد الناس كلهم عن مساعيـك *وقامت بها القنـا والنصـول*
ليس من عنده تدار المنايـا *كالذي عنده تدق الطبـول*

وأنا أقول للشعب الأفغاني:

أنت طول عهدك للروس غاز *فمتى يا ترى يكون القفول*

قعد الناس كلهم عن مساعيك، الناس لا يستطيعون أن يفعلوا كما فعل هؤلاء، نعم هنالك تشويشات وللأسف من الأفغان على بعضهم، وما ذلك إلا حسداً من عند أنفسهم، أما نحن كعرب فنحن شهود معجزة القرون، نحن نشهد، وليس عندنا فرق بين جمعية أو حزب وإتحاد وغير ذلك، وكما قال ابن الأرملة عندنا في المثال من تزوج أمي فهو عمي، حكم أفغانستان حكمتيار، رباني، سياف، خالص، على الرأس والعينين، ليس عندنا أي فرق بين أي واحد من هؤلاء ما دمنا نحسن الظن فيهم، نحن نريد الجهاد أن ينتصر، انتصر على يد هذا أو على يد هذا أو باتحادهم فهذه بغية الأمل وأنشودة الأحلام، فإذا لم ينتصر الجهاد إلا على يد واحد حيَّ هلا، نحن جند لمن ينتصر ولمن يحكم أفغانستان، فليس عندنا فرق بين أي قائد في أفغانستان إذا كنا نلمس فيه الإخلاص والصدق، فإذا فتح كابل أحمد شاه مسعود نحن جند له وعلى الرأس والعينين، وإذا فتح كابل فريد فأهلاً وسهلاً فهو حبيب إلى قلوبنا، وابن الدعوة الإسلامية، وإذا فتحها أنور.. دكتور عبد الله كلهم والله حبيب إلى قلوبنا.

أنا أقول لكم: إن بعض القادة في داخل أفغانستان عملوا ما لم يعمله نابليون ولا ديغول ولا تشرشل ولا أيزنهاور وكندي ممن حضروا وقادوا الحرب العالمية الأولى والثانية، يعني لو وضعنا نابليون -اسمعوا مني جيداً- لو وضعنا نابليون أمام أحمد شاه مسعود يكون نابليون قزماً أمامه، قزم، نعم، لم يدخل نابليون معارك كما دخل احمد شاه مسعود، إن الذي قاتل نابليون في معركة واترلوا الروس انهزموا أمام أحمد شاه مسعود، راض غضبان مني أنا عربي أنا شاهد القضية، لست من الحزب الإسلامي ولست من الجمعية الربانية الإسلامية، شباب صغار، ذبيح الله، صفي الله، انجنير بشير، فريد، عبدالواحد، وغير ذلك الشيخ جلال الدين حقاني، أكبرهم سناً الشيخ جلال الدين حقاني، نحن وضعنا أمامنا من هو عدونا. لماذا نحن فوق أرض أفغانستان؟

عدونا الشيوعية سواء في كابل أو الروس، نحن نريد أن نسقط هذا الصنم، أي واحد يريد أن يقترب منه فنحن بجانبه، وهذه أمنية كل مسلم، وهذه يجب أن تكون أمنية أي أفغاني أن يسقط الحكم الشيوعي في كابل ليستلم الحكم رجل مسلم من أفغانستان، والذي لا يحب أن يسقط الحكم الشيوعي إلا عن طريق جماعته هذا لا يحب الإسلام ولا يحب الخير، كان الرسول ﷺ يقول عن العصبية القبليه القبلية (دعوها فإنها منتنة)، فإذا كانت الآن تبدلت القبيلة باسم الحزب وصارت العصبية الحزبية دعوها فإنها منتنة، يجب أن تحب أن يسقط الحكم الشيوعي وألا يضيع الإسلام، أنا ما استطعت أن أسقطه يتقدم غيري ويسقطه وأنا معه.

نحن نريد أن ينتصر الحق سواء ممن نحسد أو ممن نغضب، ممن نحب أو ممن نكره، كلهم مسلمون، كلهم يريدون الخير، كلهم يريد أن يطبق الإسلام، هل تسمعون واحداً من القادة البارزين في داخل أفغانستان يقول نحن نريد الشيوعية أن تحكم؟ لا. نريد العلمانيه؟ لا. القومية؟ لا، كلهم يقولون نريد الإسلام، فحيَّ هلا إذا أي واحد يريد الإسلام فأنا معه، وأنا جندي له، وأنا أسير في ركابه.

فنحن استنصرنا أهل أفغانستان، فنزل القليل من الدعاة الذين يمكن أن يقوموا بدور عظيم بين بني قومهم داخل أفغانستان، فاستنفرنا العرب لعلهم يقومون بدورهم، ولكن كذلك جاءنا دعاة قليلون، والذين جاءوا معظمهم شباب في حداثة عمرهم، وقلة تجربتهم، وعدم معرفتهم بطبيعة تغير المجتمعات، لكن والحمد الله أدوا دوراً كبيراً، وإن كنا نسمع بين الحين والآخر آخرها فتوى من عالم في وردك لا يجوز إرسال الأولاد يتعلمون في مدارس العرب، أرسلوهم إلى السويديين أفضل من أن ترسلوهم إلى العرب، لأن هنالك خطر على عقيدة أبنائكم من الوهابية، نعم، السويديون أقل خطراً، الصليب على ظهره أقل خطراً، هذا الذي بلغنا من عالم قالوا أنه كبير -غفر

الله لنا وله – وفي ودك ويسمى كرامة الله، لا أدري من هو كرامة الله، لا أدري هو كرامة من الله عز وجل أو غير ذلك، قال أرسلوا أبناءكم إلى السويديين ولا ترسلوهم إلى العرب، لماذا؟ قرآن العرب غير قرآنكم؟ سنة نبيهم غير سنة نبيكم؟ نبيكم واحد، حديثكم واحد، والبخاري واحد، البخاري من عندكم، ومسلم واحد، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة كلهم أفغان، ونحن تابعون لهم، ونقول رواه أبو داود رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

مع ذلك وجدنا غالبية الشعب الأفغاني على فطرته الطيبة يحب العرب ويحتضنهم، ويضعهم في شغاف قلوبهم، هنا أنتم وظيفتكم أن تدخلوا إلى أفغانستان وتقودوا هذا الشعب الكريم الأصيل، ولكنه بحاجة إلى ثقافة، فأنتم تتعلمون سنة سنتين، وهذه كانت الفكرة من المعاهد التي أنشأناها أن نأتي بالمجاهدين من داخل الجبهه مثل معهد الأنصار ونعلمهم سنة اللغة العربية أحكام القرآن الكريم والتجويد، أحكام فقه العبادات وفقه الجهاد ثم نعيدهم إلى المعركة مرة أخرى، هذه الأكاديمية فكرتها كذلك تربيكم سنة سنتين ثم تدخلوا إلى أفغانستان، بيشاور ليست أرضاً خصبة للعلوم الإسلامية، الأرض الخصبة لهذا الدين هي القلوب الصادقة، والصدق مقترن بالجهاد.

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) (التوبة: ١١٩)

والذي لا يجاهد لا يتعلم..

(فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين) (التوبة: ١٢٢)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الفرقة النافرة هي التي تتفقه.

ففكرة هذه الأكاديمية إعطاؤكم قسطاً من العلوم الإسلامية وإدخالكم إلى داخل بلادكم حتى نخلي المكان لأمثالكم حتى تقودوا الشعب، والشعب يحب الذين بشرتهم مثل بشرته، ولغتهم مثل لغته، وطبيعتهم مثل طبيعته، هذه الطبيعة، هذه الأكاديمية أنشئت بأموال الجهاد الأفغاني، أموال الجهاد الأفغاني هي التي تنفق عليها، يعني الأموال التي افتتحت بها هذه الأكاديمية إنما جمعت للجهاد، فرأى الناس الذين جمعوا هذه الأموال أن من أحسن الأمور التي تخدم هذا الجهاد هي تربية مجموعات من الدعاة وإدخالهم الى أفغانستان، فأنتم تاكلون أموال الجهاد، فاذا لم تكونوا تقصدون أن تدخلوا إلى أفغانستان فأنتم تاكلون حراماً وتتعلمون حراماً. فلا بد أن تضع في ذهنك أنني أتعلم هنا من أجل أن أخدم الجهاد في داخل أفغانستان، ونرجو الله عز وجل أن ينصر الجهاد إن شاء الله قبل أن تنهوا هذا العام، إن شاء الله، قبل أن تأخذ البكالوريوس والماجستير أرجو الله عز وجل أن ينصر الجهاد، وعندها تنتقل الأكاديميه إلى أكاديمية الأنصار في كابل إن شاء الله، ونحن نتوقع هذا إن شاء الله، نتوقعه أن ينصر الله عز وجل الجهاد قريبا إذا استمر خروج الروس، والروس لن يستطيعوا أن يبقوا في أفغانستان إلا إذا وضعنا في داخل قلب كل روسي أسداً، وركبنا لكل جندي روسي أرجلاً من حديد، ووضعنا عليها نفسه، بدون هذا لا يمكنه.

يعني حتى هذا ريجان الكافر قالوا له: هل يمكن للروس أن يستمروا في أفغانستان؟ قال: نعم، بشرط واحد، أن يدخل الروس مائة روسي لكل مجاهد أفغاني، مائة روسي مقابل مجاهد أفغاني يمكنهم أن يستمروا في أفغانستان، أقل من هذا لا يمكن أن يستمروا في أفغانستان، فضع في ذهنك أن أرضي هناك، وعملي هناك، ومهمتي هناك في شكردره في بغمان في رستاق في دورواز في فيض أباد في ميمنة، هناك مكاني، أما هذا... الجلوس في بيشاور حكمه حكم الميتة، حكمه حكم أكل الميتة، لا يحل إلا عند الضرورة، حكم الجلوس في بيشاور حكم أكل الميتة، وأكل الميتة لا يحل إلا عند الضرورة، وبعض الناس عندما خرجوا من داخل أفغانستان خوف الفتنة.

الشيخ يونس خالص كنا بالأمس معه، قال قرأت لإمام الحرمين الجويني فتوى من ترك الجهاد مخافة الفتنة فقد ارتكب أكبر الكبائر، أكبر الكبائر أن نترك أفغانستان -أرض الجهاد – خوف الفتنة، ليس كبيرة: من أكبر الكبائر، لا يوجد أعظم من فريضة الجهاد، ولا يحمي دين الله إلا الجهاد، ولا يمكن أن يقوم لدين الله آية قائمة إلا بالدماء وبالأشلاء وبالقتل والقتال، بدون هذا لا يمكن أن ينتصر حق، قارنوا الآن بين موقف أفغانستان في الأمم المتحدة وموقف الفلسطينيين في الأمم المتحدة، موقف منظمة التحرير وموقف الاتحاد الإسلامي لمجاهدي أفغانستان، رباني ذهب يمثل الاتحاد الإسلامي في الأمم المتحده رافع الرأس، لماذا؟ لأن وراءه مئات الألوف يحملون السلاح ويذلون الدنيا تحت ظلال سيوفهم.

قال له الصحفيون: الروس أعلنوا أنهم لا يريدون الانسحاب أو يؤخرون الإنسحاب، قال وأنا أعلن من أمريكا أننا نغلق ممر سالانج، أحمد شاه مسعود أغلق ممر سالانج رأساً، الكلام في الأمم المتحده، كلمة في أمريكا راساً التطبيق في داخل أفغانستان أغلق

ممر سالانج، وبدأت كابل تئن، صار القمح لا يصلها، والبترول لا يصلها، واختفت المواد الغذائيه، لماذا؟ كلمة وراءها سلاح سنان يحمي الحق ويرفع هامة الإنسان، ولذلك الدنيا كلها تقول للأفغان ماذا تريدون؟ ريجان طلب مقابلة حكمتيار، قال أنا لا أريد مقابلتك، الشخص الوحيد في البشر الذي رفض أن يقابل بريجان هو ممثل الجهاد الأفغاني حكمتيار، حكمتيار لا يستطيع أن يقف هذا الموقف لولا أن وراءه الجهاد الأفغاني.

كردفيس ممثل الأمم المتحدة يأتي هنا، يونس خالص قال أنا لا أقابلك، ممثل الأمم المتحده !! قال أنا لا أقابله، ذهب كردفيس إلى ضياء الحق – رحمه الله – قال له هذا رفض – كان رئيساً للاتحاد أنذاك– رفض أن يقابلني، ضياء الحق اتصل بالشيخ يونس خالص قال له أنت رفضت أن تقابل كردفيس؟ قال نعم، قال له قابله من أجلي، فرد عليه، من أجلك أنا أقابله، وقابل كردفيس، وقال له أنا لم أقابلك من أجل أنك مندوب الأمم المتحدة، أنا قابلتك إرضاءً لضياء الحق الذي نحبه، وأنا أنصحك أن تعلن الإسلام، من أين هذا؟! يونس خالص كان إمام مسجد هنا في -باره- بخمسمائة روبية، حكمتيار سنه ثانية كلية الهندسة، ليس معه بكالوريوس هندسة، رباني ماجستير عقيدة وفلسفة من الأزهر الشريف، كم من أساتذة رباني الذين أعطوه الشهاده مغمورون في التاريخ لا يعرفهم أحد، لكن الجهاد، الجهاد.

حتى رجعت وأقلامي قوائل لـــي	*المجد للسيف ليس المجد للقلـــم*
إذا كانت الدولات قسماً فإنهـــا	*لـــن ورد الموت الزؤام تـــــدول*
لمن هون الدنيا على النفس ساعة	*وللبيض في هام الكماة صليــــل*

الذي جعلنا نأتي إليكم صليل السلاح الذي نسمع أصداءه من خلال الأقمار الصناعيه في كل العالم، الآن تدخل في داخل أفغانستان ننكرهار فتح طورخوم، ضرب قندهار، الأقمار الصناعية تنقل وترسل إلى التلفاز في كل مكان، فالعالم كله ينظر إلى المعارك هذه التي تدور فوق أرضكم، فصورتكم مشرقة في كل العالم، ليس بسبب وجودكم في بيشاور، بسبب وجود صليل البيض والعوالي في داخل أفغانستان، مقامكم ومكانكم أين؟ في داخل أفغانستان، انظروا: قالوا لكم اعملوا دولة ائتلافية، ضعوا فيها بعض الشيوعيين واستلموا الدولة، فرفضتم أن تدخلوا وزيراً واحداً في داخل الدولة، قالوا دولة حيادية يعني من الأفغان الأمريكان، إسلامهم على الطريقه الأمريكية، فرفضتم، ماذا تريدون؟ نحن الذين نريد أن نحكم أفغانستان، نحن المجاهدون الذين بذلنا، نحن الذين نقطف الثمار، وكل العالم، أرمكوست وكيل وزارة الخارجية الأمريكية يأتي هنا، سياف يقول له أنتم أخبث أمة في الأرض – للأمريكان –، أنتم تكرهوننا وتكرهون الإسلام، أنتم مصاصو دماء ، من الذي يستطيع أن يقابل أرمكوست بهذه المقابلة؟! لكن العزة مرتبطة بمقبض السيف.

والعز في صهوات الخيل مركبه	*والمجد ينتجه الإسراء والسهر*

فحياتكم الطبيعية والصحيحة هي في داخل أفغانستان، هذه فترة اضطرارية تأخذون فيها العلم ثم تدخلون إلى داخل أفغانستان، لتقودوا شعبكم بالعلم، وهو يحترم العلماء، نحن نظن -إن شاء الله- أن الجهاد سينتصر، وسينتصر بإذن الله قريباً، ولن يحكم أفغانستان إلا المجاهدون، لا يستطيع أحد أن يحكم أفغانستان، ظاهر شاه؟ كيف يحكم أفغانستان ظاهر شاه؟ كم سنة؟ متى يعمل جيشاً؟ دولة ليس لها جيش جمعتهم هكذا من الشوارع، الجيش الأفغاني كله قتل، مائة ألف، قتل مائة ألف من الميليشيا الأفغانيه ومن الجيش الأفغاني، فكلهم مجموعون هكذا بالقوة من مزارشريف ومن فارياب ومن تخار ومن وردك ومن غيرها، فلا يستطيع ظاهر بخمسين ألفاً جمعهم تجميعاً أن يحكم شعباً معه مليون قطعة سلاح، لا يستطيع أبداً، لا يمكنه، ثم كيف يحكم أفغانستان ظاهر شاه؟ منطقة بكتيا، جور، خوست وغير ذلك منذ عشر سنوات يحكمها الشيخ جلال الدين، منطقة كابيسا، يحكمها منذ عشر سنوات ريد، منطقة بنجشير يحكمها منذ عشر سنوات أحمد شاه مسعود، رستاق يحكمها منذ عشر سنوات انجنير بشير، كشم يحكمها منذ شر سنوات ارينبور، ظاهر شاه يأتي ويعزل هؤلاء، هل يمكن للشعب أن يقبل؟ يستحيل، فكيف يمكن لظاهر شاه أن ينفذ أوامره في نجشير، يستحيل.

ولذلك أي واحد في داخل أفغانستان يحكم لا بد أن يكون من المجاهدين، يقولون لكم ليس عندكم كفاءات، ما هي الكفاءات؟ ليس ندكم عقول اقتصاديه ولا إعلامية ولا تخطيطية، إن كانت العقول التي تريدونها عقولا لونها لون أفغاني واسمها جل الرحمن أو شاه كبر أو أحمد شاه فهذا موجود كثير في أمريكا وفي أوروبا، الآن يحملون الماجستير والدكتوراه ممن خذلوا أرض أفغانستان وعاشوا ي أمريكا، أفغان ويعيشون في الجامعات، حتى يوجد أفغانيات يدرسن في الجامعات في أمريكا، إذاً موجود إذا كانت الناحية قومية، ا أردنا عقولاً إسلامية فالعقول الإسلامية موجودة كثيرة في العالم، الدعوات الإسلامية في العالم، العلماء في العالم الإسلامي ثيرون، فبالإمكان أن تطلبوا هؤلاء يبنون لكم الدولة سنتين، ثلاثاً ثم يرجعوا إلى بلادهم، السعوديه بالبترول جمعت كل العقليات في

العالم الإسلامي، كل العلماء، كل القراء، كل المفكرين ووضعتهم في السعوديه، ربوا لها الجيل من خلال الجامعات، عشر سنوات عشرين سنه، ثم قالت لأبناء السعوديه استلموا البلد وأنتم جزاكم الله خيراً وكل عام وأنتم بخير.

أفغانستان غير قابلة للحصار:

فلا يوجد عقبة، يقولون لكم الحصار الاقتصادي، ماذا يريد الأفغاني؟ شاياً موجود وشاي طلخ، سكر غير موجود ماذا يريد؟ قمحاً، بيضا، أرزا كله موجود في داخل أفغانستان، قمح موجود، سكرا موجود، أرزا موجود وعلى الدنيا السلام، وأفغانستان تستطيع أن تنتج من القمح والرز ما يكفي خمسة وسبعين مليون إنسان، ليس لعشرين مليوناً، يعني تكفي لأربعة أضعاف السكان، لا يوجد خطر أبداً، لا يوجد خطر على أفغانستان.

من الذي يستطيع بعد أن ينتصر الجهاد أن يحتك بأفغانستان؟ لا يستطيع أحد، باكستان إن شاء الله يبقى الحكم بيد الطيبين، وإذا جاء الشيوعيون إلى باكستان لا يستطيعون أن يحتكوا بأفغانستان، الهند معروفة، الهندي إذا رأى عمامة الأفغاني يصيبه الدوار والصداع، لازم يضع أسبرو ومهدئات الرأس إذا رأى أفغانياً، الروس هزموا، إيران تعرف، لا تستطيع أن تحتك بأفغانستان لأنها تعرف أن الجزء الشرقي منها كان قطعة من أفغانستان ويحكمه أبناء أفغانستان فترة طويلة، أحمد شاه بابا كانت المنطقة الشرقية من إيران مشهد ونيسابور وغير ذلك كانت تابعة لأفغانستان، هذه المنطقة بيشاور لاهور دلهي كانت تابعة لأحمد شاه بابا، ولذلك إذا قامت دولة المجاهدين بإذن الله عز وجل ستكون بإذن الله قوة غير قابله للحصار، غير قابلة للذوبان، غير قابلة بإذن الله عز وجل للاندثار والله أعلم.

القضية قضية الإسلام:

أنتم عليكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم ﷺ، وعليكم بأن تعرفوا أن القضية قضية الإسلام نفسه، قضية الإسلام الذي إما أن يجتث من أفغانستان من جذوره أو يثبته الله عز وجل، ليست قضية مجموعة صغيرة ولا حزب صغير.

هذا عقل صغير ضيق الذي ينظر من خلال هذا المنظار، قضية إسلام أو لا إسلام، إيمان أو كفر، إلحاد أو إحسان، وحزبك أو جماعتك لا تستطيع أن تحمي أفغانستان، الذي حمى أفغانستان الحزب والجمعية والاتحاد ويونس خالص......الخ وكل واحد له دور، فلا تظلموا الناس أشياءهم، ولا تهضموا حقوق الناس، وكلهم بذلوا الدماء في صنع هذا النصر العظيم، على الأقل انظروا إليها من نظرة الأفغان، إنها أفغانستان، وعلى أنه يجب أن يحكمها أفغاني، إذا كنا مسلمين يجب أن ننظر بالمنظور الإسلامي، إن كل واحد في داخل أفغانستان ما دام يجاهد الروس فهو على الرأس والعينين، ونحن ندعو له بالنصر.

المسلمون الذين يدعون لكم في الحرمين في القيام، في الوتر في رمضان هؤلاء يقولون اللهم انصر الحزب أو الجمعية؟ لا يعرفون أن هنالك حزباً ولا جمعية، السديسي أو ابن السبيل عندما يدعو يقول: اللهم انصر الجهاد الأفغاني، قد لا يعرف لا رباني ولا حكمتيار، قد لا يعرفهم، لأن الجهاد أكبر من هذه الأشخاص، وهؤلاء يقتلون، اليوم يقتل أو غداً يستشهد ويبقى الجهاد، وتبقى أرض الإسلام، أرض أفغانستان، أرض الشهداء، أرض الأبرار، أرض المعجزة الكبرى في هذا القرن، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الأسئلة

سؤال ١: كما قلت يا شيخ فضيلة الجهاد بأكمله، فلماذا تركت الجهاد في فلسطين أو كما يقول - حب الوطن من الإيمان -؟ أي كما يقال أليس هنالك جهاد؟ لو كان جهاداً فلماذا تركت؟ وأي شيء أجبرك بمجيئك هنا يعني في أرض أفغانستان المسلمة؟ معذرة اشرح هذا السؤال علمياً ولا تغضب لهذا السؤال الشديد.

الجواب: هو يقول لماذا تركت الجهاد إن كان هنالك الجهاد، فليس هنالك جهاد، فجئنا نبحث عن الجهاد، نحن قاتلنا في فلسطين، وبقينا نقاتل حتى قامت الحكومة الأردنية وضربت العمل الفدائي على أرضها، وأغلقت الحدود، الحكومة الأردنية مستعده أن تقتل أي واحد يجتاز الحدود، يعني نحن لا نخاف من اليهود كما نخاف من العرب، أنا ابتعدت عن الأردن كم؟ آلاف الأميال، ومع ذلك لا أستطيع أن أدخل الأردن، ثم يبحثون عني ماذا أفعل في هذه البلاد؟ ويسألون الذين يأتون ويذهبون عني، المشكله هي في الحدود

المغلقة أمامنا، فنحن قاتلنا في فلسطين حتى غل كف اليد وانقطعت بنا السبل وجئنا إلى أفغانستان، طبعاً ليس الأردن وحدها، مس مصر أي واحد يخترق الحدود يقتلونه، الحكم عليه بالموت.

الآن هم متحيرون ماذا يفعلون بالانتفاضة الجهادية في داخل فلسطين، ماذا يفعلون؟ يريدون خنقها، مؤتمرات من أجل ، الانتفاضه، الملك حسين قال نحن أردنيون، فلسطين للفلسطينين لا دخل لنا في فلسطين ولا دخل للفلسطينين بنا.

ياسر عرفات الذي كان يمثل قتال الشعب الفلسطيني طيلة هذه الفترة يقول نريد دولة علمانية، دولة علمانية: أي لا دين ؛ يتساوى فيها اليهودي، والنصراني، والمسلم، هل تحكم بالإسلام، قال لا أستطيع أن أحكم بالإسلام، لأن فيها نصارى، ولذلك هو مس أن يتعاون مع اليهود حزب العمل ضد يهود الليكود، ومستعد أن يتعاون مع الحزب الإشتراكي اليوناني، لماذا؟ من أجل أن يك الضمير العالمي، ولذلك قتال المنظمة ليس قتالاً إسلامياً، هو قتال جاهلي، لا يقاتلون من أجل الإسلام، إنما يقاتلون من أجل جزء الأرض، لا يريدون أن يحكم الإسلام، الآن فلسطين تحكم من قبل اليهود، إذا استلمها أبو عمار – ياسر عرفات – ستحكم بحكم ، اليهود، القانون هو القانون، ولكنه أجرأ على ذبح الشعب باسم النضال وباسم الشعب، فإذا جاء أبو عمار وعلق العلماء كما ء عبدالناصر سيد قطب وعبد القادر عودة، الناس يصفقون له، لكنه الآن لو طفل في الشارع يقوم الناس ضدهم يقوم الناس ضد اليه يثيرون الاشمئزاز والتقزز في قلوب الناس، أما غداً عندما يحكمنا مناضل ثوري سيفعل بنا ما فعل حافظ الأسد في سوريا، والقذا في ليبيا، وعبدالناصر في مصر، وصدام في العراق، وقس عليه. إن هؤلاء حكم الواحد منهم عشر سنوات، لقد أفسدوا في بلاد، ودمروا في الإسلام أكثر من جحافل الصليبيين وأعداء الدين مدة عشرة قرون، ما كان الإنجليز يعلقون العلماء، كانوا أعقل من هؤلاء، كانوا يحكمون فلسطين ما كانوا يجرؤون أن يعلقوا عالماً أبداً، لأن هذا سيثير الناس ضدهم، أما غداً إذا حكم واحد مثل أبي عم ياسر عرفات سيبدأ أولاً بتصفية الحركة الإسلامية في داخل فلسطين، وهذا من أجله أنشئت الدولة الفلسطينية الحديثة، هذا الجة الذي سقط ميتاً على غير أرضه واعترفت به أمريكا، عجيب !! أمريكا تعترف فيه؟! روسيا تعترف به؟! كل دول الدنيا، لماذا؟ لأن الدو هذه معدة لضرب الجهاد الإسلامي في داخل فلسطين، نعم الآن عمل المجاهدون دولة يرأسها المهندس أحمد شاه، هل يمكن أن يظ واحد أن هذه الدولة تدخل لتذبح قادة الجهاد وتحارب الجهاد، لا، أما هذه الدولة التي أنشئت –الدولة الفلسطينية– معدة لضرب الجه الإسلامي الذي بدأ يظهر في فلسطين، ثم أرض أفغانستان أرض إسلامية، وفلسطين أرض إسلامية، ونحن قضيتنا قضية غياب الح الإسلامي، ونحن نظن أن الحكم الإسلامي إقامته في أفغانستان أقرب من فلسطين، ولذلك جئنا لنقاتل في أفغانستان لعلنا نرى الدو الإسلامية قائمة فوق أرض أفغانستان، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

س ٢ – فضيلة الشيخ المجاهد حفظه الله، السلام عليكم ورحمه الله وبركاته:

ياسر عرفات لماذا اتصل ببنزير بوتو؟ وما رأيكم بحكومة ياسر عرفات الخبيث التي أعلنها جديداً؟ وهل تلك الحكومة الجديد تضر الحركة الإسلامية من أمثالكم في فلسطين؟

الجواب: أجبنا عليه قبل قليل، أما لماذا اتصل ببنزير لأن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وإن الطيور على اشكالها تقع، فهو من شكل بنزير فاتصل بها وهنأها.

س ٣ – حقيقة هناك سؤال قصير غير مفهوم تماماً، ما رأيك بشورى نظار برئاسة أحمد شاه مسعود؟ هل هذه الشورى لكا التنظيمات الجهادية أم خاصة بالجمعية الإسلامية؟

جواب: شوري نظار، الحقيقة نظم عسكري طبقه أحمد شاه مسعود في بنجشير وحاول أن ينقله إلى الشمال في المناطق الجبلية، أحمد شاه كان يخطط لو استمر الجهاد إلى قرن يستطيع الشعب الأفغاني أن يواصل جهاده، وكان يرى أن الغزاة الذين دخلوا أفغانستان قد هزموا من قبل جبال الهندوكوش، فلا بد من تحصين جبال الهندوكوش، فهذه الفكرة استولت عليه، فوضع ١٩٧٩ م - يعني سنة ١٣٥٨ هجري شمسي أيام حفيظ الله أمين – وضع خطة عسكرية وقسمها إلى أربع مراحل.

المرحلة الأولى: مرحلة التأسيس.

المرحلة الثانية: الدفاع الاستراتيجي.

المرحلة الثالثة: الهجوم الاستراتيجي.

المرحلة الرابعة: الاستنفار العام وإسقاط الدولة، قال نطبقها أولاً في بنجشير، فطبقها في بنجشير في منطقة جبلية فنجحت، وانتصر على الروس في داخل بنجشير، قال نحاول أن ننقلها إلى الشمال فعرضها على قادة الجمعية فجمعهم قبل خمس سنوات في اشكمش اريتبور، إكرام الدين، إسلام الدين، سر معلم طارق إلى آخره يعني مجموعة كبيرة من قادة الجمعية وعرض عليهم

فكرته، فبدأ كل واحد يقول كلامه ويخطب ويأتي بالآيات، أرينبور حسم القضية قال أنا أعلمكم بالكتاب والسنة ما سمعت كلاماً مثل هذا الكلام، والله يجب علينا أن نلتزم هذه الخطة، وأنا عندي قطعة أرض محررة مع سبعمائة مسلح أضعها تحت تصرفه، بقية القادة تبعوه، بعض القادة رفضوا لأنهم كانوا أقوياء، الله عز وجل أعان، ويوم بعد يوماً ويوم بعد يوماً والآن قادة الجمعية من كابل إلى نهر جيحون كلهم تحت قيادته، وهذا يسر القلب، الآن يحاول أن يطرح هذا الطرح على بقية قادة أفغانستان في الشمال خاصة، نرجو الله أن يوحد القلوب وأن يوحد النفوس إنه سميع مجيب، وكما قلت لكم نحن نريد الإسلام، نريد أن يحكم الإسلام، ونحن كابن الأرملة الذي يقول من تزوج أمي فهو عمي، من فتح كابل فنحن جنوده وحياه الله، أحمد شاه مسعود فريد الشيخ سياف ما إلى ذلك على الرأس والعينين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أثر النماذج الحية على النفس البشرية*

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

بناء الأمم من خلال التربية:

بناء الأمم يأتي من خلال التربية، وأحسن وسيلة للتربية هي النماذج العملية التي تربي بعملها أكثر من قولها، ومن هنا أكد العلماء كثيراً على التربية، ولا يعتبرون الإنسان الذي يقرأ الكتب لا يعتبرون علمه علماً، لانه لابد أن يتلقى التربية من خلال العلم، والتربية إنما تكون من خلال الرجال، كما قال ابن المبارك -رحمه الله-، عبدالله بن المبارك العالم المجاهد المحدث: مكثنا عشرين سنة نطلب العلم، وثلاثين سنة نطلب الأدب.

ومن هنا ضرورة وجود النماذج في حياة الأمم، ومن هنا تحرص الأمم على العناية بتاريخ أبطالها وتدريسه لأبنائها وأجيالها حتى تبنى على قيم معينة. فالذي يتلقى العلم على يد العلماء يأخذ من خلال كلامهم، حركاتهم، سكناتهم، طعامهم، صيامهم، قيامهم، أدبهم، فتجد الطالب نسخة وصورة لشيخه، رأيتهم في فترة من الفترات يحبون أن يقلدوا شيوخهم بحركاتهم، بنبرة صوتهم، بطريقة تلاوتهم، بلباسه، لأن الإنسان إذا أحب إنساناً يحب أن يقلده في كل شيء، والذين يقولون لك إن اللباس لا يدل على المخبر هؤلاء لا يعرفون طبيعة النفس البشرية، ومن هنا نهى الرسول ﷺ عن التشبه بالكفار، لأن التشبه إنما يدل على المحبة الباطنية.

لماذا لا أكون مثل مصعب بن عمير؟

ومن هنا نحن ندرس حياة الصحابة رضوان الله عليهم، فكنت أنا في الإعدادي أو في الثانوي معجباً بشخصية مصعب بن عمير -رحمه الله-، فكنت أقول في نفسي: لماذا لا أكون مثل مصعب بن عمير؟ أنا إنسان وهو إنسان، لماذا لا أعتني بنفسي حتى أصبح مثل هذا الرجل، السبب قرأت قصة شهداء الإسلام في عصر النبوة للدكتور سامي النشار، كانوا يربونا عليها في الحركة الإسلامية منها هذا الكتاب، وأعجبت بشخصية مصعب بن عمير وبصبره وبتحمله، ابن نعمة، الحمد لله نحن حياتنا كانت محصورة طيلة الوقت.... ورأيت أنه خرج من أسرة مترفة منعمة، ثم خلع ذلك كله وداس عليه، وعاد من الحبشة وأمه تسهر الليل معه، ويمر من أمام الصحابة بأسمال بالية خلقة، فيطرق الصحابة حياءً عندما يتذكرون ما حال مصعب، وأرسله الرسول ﷺ سفيراً له في المدينة، وببركة صدقه وإخلاصه لا يبقى بيت في المدينة إلا ويدخله الإسلام، تطور كبير منذ وصول مصعب إلى المدينة إلى هجرة الرسول ﷺ، في خلال سنتين كل المدينة ثلاثة وسبعين واحداً جاء بهم في السنة الثانية يبايعون الرسول ﷺ على الموت، ثم كانت الهجرة بعد هذا، فكان مصعب فاتح الدولة الإسلامية.

وحتى مصعب أثر في حياة الرسول ﷺ، في نفسية الرسول ﷺ، وقف على رأسه عند ما رآه في أحد ما تمالك الرسول ﷺ نفسه، قال لقد رأيتك في مكة وما في مكة أحسن خدمة ولا أرق حلة منك، وها أنت الآن أشعث... بعد أن دار الشريط الثاني، يعني الرسول ﷺ نفسيته اهتزت حزناً على مصعب.

---

* اختير هذا الاسم بدلاً من العنوان السابق (الشهيد سيد قطب) [illegible]

لماذا لا أكون مثل سيد قطب؟

عندما انتهيت من الثانوية ودرست في الجامعة المهم كنت أستاذاً في المدرسة، بدأت أحداث عام ١٩٦٥م أحداث سيد قط بدأت أقرأ لسيد قطب، وأعجبت بسيد، فصرت أقول في نفسي أنا لماذا لا أكون مثل سيد قطب، يعني هذا الرجل واقف أمام الطواغ وظلمهم، وفعلاً لما حكم عليه بالإعدام وددت لو أني افتديته بنفسي وأهلي، وأرسلت برقية لعبدالناصر في ذلك الوقت لازلت أحفظ كلما: (الدعوة لن تموت، والشهداء خالدون، والتاريخ لا يرحم) لكن كتبت غير اسمي، برقية لرئيس دولة لا بد أن تمر على المخابرات، فمرت ع المخابرات أرسلوا إلى مدير البريد، مديرالبريد صاحبي، قالوا له من هذا، قال لهم هذا شخص أرسلها، قالوا نحن رجعنا إلى سجلا القرية لا يوجد اسمه في السيلة التي أنا منها، لا يوجد هذا الاسم فيها، لابد أن أذكر الاسم محمد سالم عدنان، مرت البرقية وذهب أنظروا البرقية وصلت، وما وضع اسمي في المطار حتى يفتح الله الطريق ونكمل الماجستير والدكتوراه في أيام عبدالناصر، ونرج أساتذة في الجامعة، ونحارب عبدالناصر من خلال الشهادة التي أخذناها من بلده.

الأعداء يركزون على النماذج:

كلما ازدادت النماذج على الطريق كلما أحيت الأجيال، ونحن بحاجة إلى أن تتجدد هذه النماذج على الطريق حتى لا تموت الأم وقلنا لكم إن أعداء الاسلام يركزون على النماذج حتى يحطموها، وأعداء الاسلام قد يكونون الأمريكان والانجليز والروس، وقد يكونو من أبناء جلدتنا، فهم يدرسون شخصية الانسان دراسة كاملة، كيف يمكن أن نحرق هذا الانسان؟ بأي طريقة وكيف؟ وظيفة، إغرا. ماذا سنفعل معه؟ فإن هم فشلوا في هذا كله، إن فشلوا في اجتثاثه بالإغراء تبدأ السهام تتوالى عليه من كل مكان حتى تحطمه، لك رب العالمين تكفل(**فأما الزبد فيذهب جفاءاً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**)

النماذج كلما كانت قريبه كلما كان تأثيرها أوقع:

وهذه النماذج قد تكون قديمة، وقد تكون تحيا معنا، وكلما كانت النماذج حية وقريبة كلما كان تأثيرها أوقع، لأن الانسان يقول هذا يعيش في عصرنا، ويمر في بيئة نفس البيئة التي عشناها، فلماذا لا نقلده ونعمل كما عمل؟! ولذلك كلما كانت الأمثلة في التربيا معاصرة كلما كان وقعها أعظم على النفس، وأنا والله يحز في نفسي أن تمر فترة طويلة من التاريخ.. الإنسان لا يستطيع أن لا يقرن النماذج إلا بالصحابة رضوان الله عليهم، طيب ألا هل من جديد؟ ألا يوجد أناس مشوا على هذا الطريق؟ لماذا لا نجدد تلك النماذج مرة أخرى، والأمر والله بسيط ويسير على من يسره الله عليه، لمن أخلص وصدق وعلم... فاذا وجد الشاب الصادق من يوجهه هذا يعتبر بالنسبة للطواغيت قنبلة أشد من الاربي جي (R. P. J)، يتعبون كثيراً وهم يفكرون كيف نبعد الشباب عن الموجهين، نعم! لأن هذا الدين إذا تفاعل مع النفس البشرية ينقلها نقلة هائلة جداً، يقلبه إنساناً آخر.

حكمت المحكمة عام ١٩٦٥م على سيد وزينب الغزالي بالموت!! مائتان وأربعة وثمانون شاباً معظمهم جامعيون ماتوا تحت التعذيب، ودفنوا تحت رمال السجن الحربي، ومطلوب منهم أن يميتوا أكبر مجموعة تحت التعذب، ويكتب أمام الذي يموت تحت التعذيب هارب، ويذهبون إلى أهله يطالبونهم به، فإما أن يدفعوا الغرامة أو يحضروه، هم دفنوه، فزينب الغزالي في المحكمة قال لها المدعي العام أو القاضي، القاضي كان اسمه الدجوي، هذا يحدث عنه سنة ١٩٤٨م حتى يسلم الأراضي – الموكل بتسليمها لليهود–، يحدث عنه صاحب كتاب جماعة افتدت أمة قال: جاء قائد مسؤول كبير لابساً شورطاً (سروال قصير) وأراد أن يبول -أجلكم الله- أصبح يبول وهو واقف، قلت للذي بجانبي: أنظر للقائد العام، هذا تولى عملية محاكمة الحركة سنة ١٩٦٥م، فيقول لزينب الغزالي يقول لها سيد قطب كذب عليك، قالت حاشا لله أن يكذب سيد -في المحكمة- حاشا لله أن يكذب سيد، قالوا لها الهضيبي يقول أنك سرقت أموال زوجك، وأعطيتها للاخوان حتى يشتروا سلاحاً وغيره، قالت إن الأستاذ الوالد لا يمكن أن يقول هذا الكلام، ومدح سيد ومدح الهضيبي في داخل المحكمة يعتبر عملية فدائية جريئة، ولذلك الصحافة المصرية بهرت، كتبت عن سيد إنهم يلتفون حوله كأنه نبي، فعلاً، طبعاً هم يعرفون أن النبوة ختمت، لكن حبهم له كان عجيباً، إذا وقف في المحكمة... طبعاً كان رافع الرأس عالي الهمة، فأراد رئيس المحكمة أن ينكت عليه، فصاح فيه سيد: هل تعرف من تحاكم؟ أنت تحاكم عزة الإسلام المتمثلة في سيد قطب، فشاب من الشباب جاء، سألوه اتصلت بسيد؟ قال لا، ما اتصلت، عذبوه، ما اتصلت، الاتصال بسيد عشر سنوات على الأقل، فذهبوا لسيد وكانوا قد أحضروا له باعترافات من آخرين أن فلاناً اتصل بك، فقالوا له فلان اتصل بك؟ قال نعم اتصل فيَّ، رجعوا إلى الشاب، قالوا له اتصلت بسيد؟ قال لا، ما اتصلت. قالوا لكن سيد قال أنك اتصلت به، قال إن قالها فقد صدق، كلمة أبي بكر في الرسول ﷺ.

نحن أم أنتم..؟ من الذي اتصل بالسفير الأمريكي؟ ويبدأ يقول لهم أن الثورة نفسها.. أنتم الضباط كلكم صنائع أمريكا، طبعاً عنده وثائق، وعندما قامت الثورة جاءوا بسيد، ما كانوا يظنونه في الدعوة وأبقوه مستشاراً -داخل الداخل- لمصر ستة أشهر، مكث ستة أشهر ينام مع عبدالناصر ليل نهار، بالتالي قالوا هذا لا خير فيه، ففي المحكمة عذب كثيراً، أصابه نزيف رئوي، فنقل إلى المستشفى، وصدر الحكم بإعدام سبعة من بينهم سيد، ولكن سيداً كان في المستشفى فأخر تنفيذ الحكم، ثم صدر من عبدالناصر وعد بعد أن قامت المظاهرات في باكستان في كراتشي أحرقوا السفارة المصرية قامت المظاهرات، والناس كان فيهم خير كثير، اليوم الله يتوب عليهم! اللهم أحيهم يا رب العالمين، اللهم أيقظهم من مراتهم، صارت هزة في العالم، وكان الحكام فيهم خير، تحرك (الملك) فيصل حتى يتشفع بالإخوان في هذه الفترة، - كان في ذلك الوقت أميراً أو وزير خارجية، - ففي نفس الليلة التي تحرك فيها حتى يلتقي معه عرف أنه غداً سيأتي نفذ الإعدام بسيد قطب في نفس الليلة، كان الناس حتى الحكام لا يجرؤون أن يخالفوا إرادة الشعوب، لا يستطيعون، هل يستطيع أحد أن يقول أريد أن أتصل بإسرائيل؟ يقتل، بورقيبة مجنون، أول حاكم عربي تجرأ أن يقول لازم تصطلحوا مع إسرائيل فقامت في وجهه، جاء وزار مخيمات المهاجرين في سنة ١٩٦٥م، وقامت في وجهه مظاهرات ضده وما إلى ذلك، سنة ١٩٥٤م الدول العربية أرسلته ليجس نبض الفلسطينيين، فعندما قامت المظاهرات ضده بدأت إذاعات الدول العربية تهاجم بو رقيبة، ما كان أحد يجرؤ، عبدالناصر كان يملأ الدنيا ضجيجاً، كان عندما يخطب جمال عبدالناصر يقولون الليلة ينزل جبريل!! ومع ذلك عندما أعلن سنة ١٩٧٠م - أنظروا ربنا أخزاه قبل أن يموت بشهر في أغسطس سنة ١٩٧٠م - أعلن قبوله لمبادرة روجرز الأمريكية، فعندما أعلن قبوله لمبادرة روجرز الأمريكية الفلسطينيون الذين يعبدونه خرجوا بمظاهرات ضده في عمان، وأخذوا حماراً- أجلكم الله- ووضعوا عليه صورة عبدالناصر وتركوه في شوارع عمان، ما كان أحد يجرؤ، الآن كل الناس يقولون نريد أن نصلح مع إسرائيل، الجرأة هذه كيف وصلوها؟ بموت الشعوب، وإلا الشعوب الحية لايجرؤون، أن يقفوا أمامها.

أنظروا الآن السعودية اعترفت بحكومة أفغانستان لماذا؟ لأن شعبها حي، شعبها متجاوب مع القضية الأفغانية، لا تستطيع أن تخالف النبض الحي في شعب الجزيرة، فتجاوبت مع شعبها، فاعترفت أول دولة، ووقفت طيلة الفترة مع الجهاد الأفغاني، لماذا؟ هذا شعب حي.

فلسفة الذل :

لو كانت الشعوب حية لكان الأمر غير هذا، لكن كل واحد في العالم العربي تعلم فلسفة الذل، وهكذا نتعلم ونتربى على فلسفة الذل (ضع رأسك بين الرؤوس وقل يا قطاع الروس)، (أنت تريد أن تقيم الدين في مالطة؟) هكذا الأمثلة، أمثلة فلسفة الذل نتربى عليها (أنت ماسك السلم بالعرض) (بوس الكلب من خشمه حتى تأخذ حاجتك منه) هكذا، هكذا يربى الجيل على الموت، على الذل.

صدقوا كان لنا جار كان فاسقاً يشرب الخمر، لما صارت فتنة أيلول سنة ١٩٧٠م وبدأت الصواريخ تضرب بالناس أنا كنت في مدينة إربد، جئنا ووضعنا النساء في الملجأ، هذا الرجل من شدة خوفه رمى بنفسه بين النساء، هذه المرأة تبصق في وجهه، وهذه تسبه، وهذه تلعنه، وهو لاصق، زوجتي أم محمد خرجت من الملجأ وجاءت وقعدت فوق، قلت لها ماذا؟ قالت هذا الرجل لاصق قاعد بيننا، وهل تصدقون أنه مات من الخوف؟ مات وصليت عليه أثناء القصف، وصل الخوف به أن يتقطع نياط قلبه، مات وهو ينظر إلى حاله، ولذلك كما قال المتنبي:

يقتـــل العاجـــز الجبـــــان ، *وقد يعجز عن قطع بخنق المولود*.

تعرفون ما معنى بخنق المولود: طاقية المولود لها خيط قد يعجز عن قطع الخيط ويموت....

ويوقــــد المـــــش *ويوقد خوض في لبة الصنديد*.

البطل يدخل ويخوض أين؟ ليس في بخنق المولود.. في لبته، يخرج دماءه وأحشاءه ومع ذلك ينجو من المعركة، من الموت.

تأليف الظلال :

سيد رحمه الله كان قد بدأ يؤلف الظلال، وكانت شركة عيسى الحلبي تعاقدت معه على أن يفسر لها القرآن الكريم كله، أنهى عشرة أجزاء من الظلال، فعندما دخل في السجن منعه رجال الثورة - ثورة بمعنى مؤنث ثور!! -فرجال الثورة منعوه أن يكتب، فعيسى الحلبي قال لرجال الثورة أنا ارتبطت بدور النشر، إما أن تدفعوا خسارتي عشرين ألف جنيه أو تسمحوا لسيد أن يكتب، قالوا عشرين ألف جنيه لا ندفع، قال إذاً اسمحوا له أن يكتب، فالله عز وجل ساق له هذه الفرصة حتى يواصل كتابته.

عندما رأى تراجُع بعض الدعاة عن الخط وسقوطهم بدأ يفكر، ما سر هذا التهافت؟ ما سر هذا السقوط؟ وبعد تفكير طويل ة وجدتها: إن الناس لم يفهموا لا إله إلا الله، فلا بد أن نعيد تفسير لا إله إلا الله لهم، وصار في كل كتاباته يشرح لا إله إلا الله، والا يقرأ تفسيره في الطبعة الثانية يشعر أن كل التفسير يدور حول شرح لا إله إلا الله، تعميق العقيدة، لكن ليس من الناحية النظرية أن بدأ ليست كأيدينا، هذه جزء من العقيدة، وهذه عقيدتنا، ولكن تعميق التوكل على الله والارتباط به سبحانه وتعالى.

سنة ١٩٥٨م بدأ يغير في خط كتاباته، وكان من عادته عندما يكتب أن يكتب عدة آيات على ورقة، ثم ينظر فيها طيلة النهار، وا الليل يبدأ بالكتابة، فهم نقلوا عنه أنه كان لا ينام في الليل إلا قليلاً، فيستيقظ ويبدأ يكتب، وهو نحيل مريض لا يتحمل، أنحلت السنو عوده، وتكالبت عليه نوائب الدهر، وكما يقول أبو الطيب:

أبنت الـدهر عنـدي كل بنت	فكيف وصلت أنت من الـزحام
جرحت مجـرحاً لـم يبق فيـه	مـكان للسيـوف أو السـهام

فكانت عدة أمراض أصابت جسده، فكان يقوم الليل، فيقولون له جسدك لا يحتمل قيام الليل، فكان يقول لهم إن أخوف ، أخاف على نفسي هي نفسي التي بين جنبي.

كان يقرأ الآيات في الليل ما فتح الله به عليه يكتب، ولذلك هو ما اعتمد على تفاسير كثيرة، كان تفسير ابن كثير عنده في السج أحضرته له اخته من البيت، هذا أكثر تفسير اعتمد عليه، وأحياناً القرطبي، لكن هو يكتب وحبل المشنقة أمام ناظرية ارتفع عن الدني يودع الدنيا، فكتب بتجرد، لا يخشى شيئاً ولا يطمع في شئ إلا برضا الرحمن، فوصل إلى مقدمة سورة الرعد، كتب الآيات، فرأى ا كتب التفسير، فوجد أن التفسير تشويه للقرآن، وجد أن أثر القرآن في نفسه فرق هائل بينه وبين الكتابة التي يكتبها، فمزق الذي كت ثم أعاد ما كتب، قرأ القرآن، القرآن يسري في نفسه، فوجد أنه ليس له تأثير، فمزق الذي كتبه وقرر أن لا يكتب في التفسير، وقال نح بتفسيرنا نصد الناس عن القرآن وتمنعهم عن التلقي المباشر والشرب من رأس النبع، وعرض الفكرة على الشباب الذين حوله، فهبوا ب وقالوا له: أنت تفهم القرآن فنحتاج إلى شرح طويل حتى نفهم القرآن نفسه، حتى يؤثر فينا وفي قلوبنا، فكتب مقدمة سورة الرعد وكتب: كثيراً ما أقف موقف المتحرج من أن أشوب هذا القرآن بأسلوب بشري قاصر، المتخوف من أن أمسه بأسلوب البشر الفاني ولكن ماذا أصنع وأنا أعيش في جيل قد بعد عن القرآن وذبلت في نفسه معانيه ومدلولاته؟ لابد أن يقدم له بكثير من الشرح، ولكن ممّا أن أستطيع أن أنقل إيقاع هذا القرآن في قلبي من خلال هذا الظلال للناس، ثم قال أخيراً: وإني أهيب بقراء الظلال أن لا يكون هذ الظلال مهمتهم، فمهمة الظلال إيصالهم للقرآن، فإذا وصلوا القرآن فليطرحوا الظلال جانباً وليواجهوا القرآن كما أنزل.

تحس أن الرجل كان يكتب بروحه وبقلبه، تحس بالإخلاص من خلال كلماته ومن حرارة الجمل. في الطبعة الأولى عند قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) قال أشهد أني وقفت أمام هذه الآية ستة أشهر لا أنتقل إلى ما بعدها، كيف جاءت آي الصلاة بين آيات الطلاق، قال لقد قرأت كثيراً من التفاسير ولكن نفسي وصبري لم يشتد، فإن فتح الله على أحد من القراء فليتفضل إليّ مشكوراً.

مضى الأستاذ سيد في تفسيره، وكانت الضربة شديدة للدعوة، واختفى صوت الاسلام من مصر، وبدأ الشيطان الرجيم يذرعها شرقاً وغرباً، وبدأ نمو الحزب الشيوعي في مصر، لأنه خلاص ضربت الحركة الاسلامية، فأصبح فراغ، فلا بد أن يملأ، فملىء بالحزب الشيوعي، لا يوجد، أي مجتمع فيه فراغ لا بد أن يملأ بأفكار، إن لم تكن الأفكار الإسلامية، فالبديل هي الأفكار العلمانية أو المعاديا لهذا الدين، بدأت الصحف الغربية تكتب أن الدعوة الاسلامية في مصر انتهت، فالله عز وجل قدر سنة ١٩٥٨م الحاجة زينب الغزالي ذهبت إلى الحج مع أخيها – زينب الغزالي الجبيلي ليست شقيقة الغزالي الكاتب–، ففي داخل الباخرة استأذن رجل من أخيها أن يجلس ويتكلم معها، من الرجل؟ عبدالفتاح إسماعيل، فقال لها أنت لعلك اطلعت على ما تكتب الصحف الغربية أن الدعوة قد انتهت في مصر، فلا بد من تجديد الدعوة ونأخذ على عاتقنا أن نجدد العمل مهما كانت الظروف، فقالت له نلتقي في فناء الكعبة في مكة، وفي صحن الكعبة يتكلم مرة أخرى عبدالفتاح اسماعيل مع زينب الغزالي، وتعاهدا معاً أن يبدءا باعادة الدعوة في مصر مهما غلت التكاليف، ومهما بلغت من أثمان، وبعد عودتها والجو في مصر جو مدلهم، أطبق الظلام، دولة مخابرات، تبحث عن المسلمين في كل نواحي الأرض تختطفهم من أوروبا....[1]

---

(١) إنقطع الشريط.

فضل الجهاد الأفغاني في إحياء الأمة*

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم.

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم، وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) (التوبة: ٧١-٧٢).

جسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

دعوة واحدة، إن كان رائدها الاخلاص ومنطلقها الصدق وهدفها الذي ترمي إليه إقامة دين الله في الأرض، كل ذرة خير يفعلها مسلم في أنحاء الأرض إنما تصب في هذا الطريق، وتنضم إلى هذه البوتقة، بوتقة نصرة الاسلام بعد أن غاب طويلاً عن الشهود والوجود، فكل عمل إسلامي يبتغي إعادة هذا الدين إلى الحياة، ويريد أن يضخ الدم مرة أخرى في عروق قد جفت منذ زمن، كل عمل إنما هو جدول صغير يصب في هذا النهر العظيم الذي يؤدي إلى نصرة شريعة النبي الكريم ﷺ، وهذا الدين والدعوة الاسلامية إليه بستان يضم أشجاراً متعددة، هذه حلو مذاقها، وتلك نوع فيها من الحموضة، وثالث يعطي للنفس شهية وطعماً. والذي يظن أن شيئاً واحداً من الشجر أفضل من تنوع هذه الاشجار هؤلاء لا يعرفون أن طبيعة الخلق وأن فطرة الله عز وجل أن تختلف العقول في مدارك التأويل، وفي مستحوجات التنزيل، وفي فهم النصوص، فقد تختلف الأفكار، ولكن إذا كانت النية خالصة والطوية صادقة فإنها كلها خير لهذا الدين العظيم، وتصب في نهره الشاسع الذي تكفل الله بحفظه إلى يوم الدين.

ونحن وقد تقطعنا أجزاءاً، وفرق الاستعمار بلادنا بخطوط وهمية، ففصل بين الناس برأس جبل أو بمنتهى واد، نحن نشعر أننا جزء من الأمة الاسلامية العظيمة.

وحيثما ذكر اسم الله في بلـد   *عددت أرجاءه من لب أوطاني*

ونحن نعيش على نور الطريق الذي أنارته الأعصاب التي حرقت، والشموع التي ذوت، قدمت نفسها لتنير الحوالك أمام أجيال هذه الأمة لتؤكد أنه لكل واحد منهم في قلبنا احترام، وفي أعماقنا تبجيل ما داموا قد قدموا لأجل هذا الدين ومن أجل نصرة شريعته القويمة، نحن الآن نحتذي أثر السلف الصالح الذين كانوا أمامنا، والذين قدموا أنفسهم من أجل أن تحيا المبادئ وتعيش النسك، نعيش مع مصعب وحمزة، ومع أحمد والعز بن عبدالسلام، ومع ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب، ومع حسن البنا وسيد قطب، ومع كارم الأنضولي وخالد الاسلامبولي، الذي شعر كل إنسان مسلم صادق في الأرض أنه بضربته قد رفع هامة المسلمين في كل مكان، فالمدارك تختلف، والمربون قد يختلفون، ولكن الهدف واحد، والطريق إن شاء الله واحد، واختلاف الآراء لا يفسد القلوب، ولا يفسد للود قضية، نحن وقد عشنا الخمسينات والستينات وكانت أكبادنا تذوب حزناً على أولئك الفتية الذين كانوا يموتون تحت سياط التعذيب، ويعلقون على المشانق، ويود أحدنا لو افتدى عبدالقادر عودة ومحمد فرغلي ويوسف طلعت بأمه وأبيه ونفسه وذويه، وكنت والله وحكم الاعدام لم يوقع بعد من عبدالناصر أود لو أفتدي سيد قطب بنفسي وبأهلي، والآن نحن نعيش هذه الآلام بأولئك الشباب الذين يواصلون المسيرة بأعصابهم وأنفسهم وعرقهم ودمائهم، ونرجو الله عز وجل أن يكون معهم أولئك الذين يرددون مع أبي الطيب :

من اقتضى بسوى الهندي حاجته   *أجاب كل سـؤال عن هل بلم.*

هؤلاء أمنوا أن الأمة قد ماتت يوم أن تركت حسامها، ويوم أن فقدت سنانها، ويوم أن رضيت الذل.

وليس من مات فاستراح بميت   *إنما الميت ميت الأحيـاء*

فانتضوا سهامهم، وشرعوا بالعوالي، وامتشقوا حسامهم، ووجهوا حربتهم نحو أعداء الله عز وجل الذين يوصلون مكر النهار

---

* هذه الكلمة ألقاها الشيخ عبدالله عزام في سن الأنصار ... [illegible]

وكل كتاب من كتب المالكية نص على هذا، ومقدار ما اطلعت عليه في كتب الفقه لم أجد كتاباً واحداً أغفل هذه النقطة، فهي محل إجماع بين السلف والخلف، محل اجماع بين المفسرين والمحدثين والفقهاء والعلماء على أن الجهاد في مثل حالة أفغانستان وفي مثل حالة فلسطين والفلبين ولبنان وغير ذلك وسوريا واليمن أن الجهاد في مثل هذه الحالة فرض عين على كل مسلم ومسلمة في المنطقة، وعندما ينص العلماء على أن الولد يخرج دون إذن والده إنما يعنون الولد الذي لم يبلغ الحنث، أما الذي بلغ الحنث فقد بلغ مقام الرجولة وهذا لا يحتاج إلى إذن، إذ فروض الأعيان لا تحتاج إلى إذن .

من الذي يقول إن فريضة الصبح تحتاج إلى إذن من الوالدين؟

من الذي يقول إن صيام رمضان يحتاج إلى إذن الوالدين؟

من الذي يقول إن حج الفريضة يحتاج إلى إذن من الوالدين؟

فالجهاد إذا تعين إذا أصبح فرض عين لا يختلف عن الصلاة ولاعن الصيام ولا عن الزكاة، بل الجهاد أهم من الصلاة والصيام والزكاة إذا اعتُدي- هكذا نص العلماء- إذا اعتُدي على أرض الإسلام، فأول فرض بعد الإيمان هو دفع الصائل، هو دفع هذا العدو الذي صال على أموال المسلمين ودمائهم وأعراضهم، فهو مقدم بنصوص العلماء على الصلاة والصيام والزكاة والحج، والذين يريدون أن يجادلوا في هذه القضية الآن الذين يريدون أن يناقشوا فيها لا حجة لهم ولا دليل، والله إنهم يتمحلون في النصوص ويريدون أن يلووا أعناقها، يريدون أن يلووا أعناق النصوص! [1]

ولذا أقول: الجهاد فرض عين، ولا فرق اليوم بين الذي يترك الجهاد وبين الذي يترك الصيام، إن عيب الذي يترك الصيام في نهار رمضان في الشارع أقل، إن عيب تارك الصلاة الآن وإثمه أقل من إثم تارك الجهاد، إذ لا يعدل الآن ترك الجهاد إثم من الآثام، إذ هي كبرى الموبقات، ترك الجهاد الآن أعظم الموبقات الشرعية، إنها أعظم من الزنا، وأعظم من أكل الربا، وأعظم من أكل مال اليتيم، لأن هذه كلها لا تصان ولا تحمى إلا بالجهاد .

.. يجب على الناس أن لا تفوتهم الفرصة، فرصة الجهاد، هذه الفريضة التي غابت عن واقع المسلمين وأحياها الله عز وجل بإذنه وإرادته على أيديكم على أيدي الأفغانيين، ولأمر ما أراد الله عز وجل أن يكون دخول الروس في بلادكم حتى تعلموا المسلمين في أرجاء الأرض أن الاسلام لا زال قائماً، وأن الجهاد لا زال موجوداً، وأن تحدي الدول الكبرى يمكن أن يكون بأضعف الشعوب في الأرض، ومن أفقرها، ومن أقلها ذات اليد، ومن أقلها مالاً، لقد دخلتم الجهاد بأيد عزلاء وبصدور مكشوفة لا تملكون شيئاً، زاد يومكم لا تملكونه، والله نصركم وثبتكم وقواكم (**وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم**) (**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**) أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

الحمد لله ثم الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،

إن جهاد أفغانستان أفضل من عمراتكم وحجكم، ولا ترجو أحداً، فبقاؤكم في أرض الجهاد إذا أردتم الثواب أضعاف أضعاف عمراتكم، وجهادكم فرض، والعمرة سنة، فكيف تتركون الفروض وتذهبون إلى السنن؟

يا أيها الإخوة: اثبتوا على ما أنتم عليه، ثبتكم الله وقواكم وأخذ بأيديكم وشد أزركم وأقام على أيديكم دينه ورفع رايته ونصر شريعته.

يا أيها الإخوة: لا نعلم جهاداً في الأرض اليوم مرفوعاً أوضح ولا أنجح ولا أهم من الجهاد الأفغاني، والمسلمون في الأرض كلها ينظرون إلى جهادكم فلا تخيبوا آمالهم، ولا تكسروا قلوبهم، وكلهم قلوبهم معكم، عيونهم تدمع عليكم، وعواطفهم معكم ، وشعورهم معكم، وإن كانت هممهم قد خفت إلا أن العالم كله كل العالم أي مسلم في الأرض لا يستهوي سماعه الجهاد الأفغاني؟ أي أذن في الأرض لا يلذ لها أن تسمع أخباركم؟ إن أخباركم هي ألذ ما يمكن أن ينزل على القلوب، وأحسن ما يفرح به الأفئدة، فرحكم الله بالنصر المبين، وأزركم الله ونصر على أيديكم دينه، وأيد بجهادكم شريعته إنه سميع قريب مجيب.[2]

أفغانستان اليوم [3]

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

إنها قصة حزينة، ومرثاة أسيفة أليمة، تروي مسيرة شعب، عمرها أحد عشر عاماً، مدادها الدم، شواهدها الجماجم، سداها

---

[1] يبدو أن الشيخ رأى بعض الناس يتكلمون أثناء الخطبة فقال: اذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت.

(٢) انتهت خطبة الجمعة.

معنا، وإن كنت لا جيئة تحركك كوامن القومية والنفسية والإقليمية فاذهب إلى بلادك وجرب كما جرب الأفغان، وستنتهون وستعودون، حيث بدأ الأفغان.* نعم لا بأس من نصرة هذا الدين وإقامته في أفغانستان، ثم بعد ذلك ندخل إلى فلسطين لنصرة هذا الدين وإقا شريعة الله وتطهير الأرض من اليهود، هذا أمر واجب شرعاً على كل مسلم، أما أن نترك هؤلاء ولم يبق على النصر والنصر قاب قوس أو أدنى نتركهم ثم نبحث من جديد عن أرض جديدة .... ونريد أن نوفر أسواقاً للسلاح وأراضي للتدريب .... هذا إنما لا يدرك طبيـ هذا الدين ولا سنة المرسلين في نصرة شريعة رب العالمين، نحن جئنا لنصرة هذا الدين سواء في أفغانستان أو في الجزائر أو فلسطين، أي بقعة مهيأة، نحن قضيتنا نصرة دين الله عز وجل في أية بقعة في الأرض، نحن أيتام على مأدبة اللئام في الأرض، نر أن يكون لنا مأوى يؤوينا ويقرنا ويحمينا والأرض، موجودة والفرصة متاحة، والقيادة أمينة فسيروا معها لعلكم تنصرون.

الجهاد فرض عين*

(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين، الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون، يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم، خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم) (التوبة: ١٩-٢٢)

بنص القرآن الكريم وفي محكم التنزيل يقول رب العزة............(١)

وقال أحدهم: لا أبالي بعد الإسلام إلا أن أعتمر أو أحج، وقال بعضهم: بل أنفق في سبيل الله، وقال الثالث: بل أجاهد في سبيل الله، واختلفوا أي الثلاثة أفضل، جوار المسجد الحرام في العمرة والحج، أم النفقة، أم الجهاد؟ فأنزل الله عز وجل **(أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستووون عند الله)**، بل انعقد الإجماع كما نقل بعض العلماء على أن الجهاد (أفضل من جوار الكعبة، وعلى أنه لا يعدل أجر الجهاد شيء أبداً)، وفي الصحيح **(ذروة سنام الإسلام الجهاد)** قمته الشامخة التي لا يعلو إليها إلا القمم والأفذاذ من الرجال، ولا يستقر عليها ولا يثبت إلا الأبطال من المسلمين، وفي الحديث الحسن أن رسول الله ﷺ أرسل عبد الله بن رواحة في سرية وكان اليوم يوم جمعة، فتأخر عبد الله بن رواحة ليشهد الصلاة مع رسول الله ﷺ وبعث السرية، وبعد الصلاة رآه ﷺ وسأله عن سر تأخره فقال: أحببت أن أشهد الصلاة معك ثم ألحق بالسرية، فقال ﷺ: **(لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما بلغت مقدار غدوتهم)**، الساعة أو الساعتين هاتين تفوق نفقة أحد ذهباً.

عقبة ترك الجهاد:

.. ويحمي الدماء ويحمي الأعراض، وإذا ذهب الجهاد ذهب المال والأعراض والدماء، وأصبح حمى المسلمين حمى مستباحاً لكل كافر أراد أن يدخل أو يستبيح، وما حمى الإسلام إلا تضحيات ثلاثة عشر قرناً ماضياً أو أربعة عشر قرناً ماضياً سوى السيوف سوى القوة **(بعثت بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقي تحت ظل رمحي)**، والجهاد مصدر الرزق، ومصدر العزة ومصدر القوة، ومصدر الطاقة، وهو مفتاح لكل خير، وتركه مفتاح لكل شر.

الجهاد فرض عين:

وفي مثل حالة أفغانستان اتفق العلماء جميعاً سلفاً وخلفاً أن الجهاد فرض عين، فتجد في كتب الحنفية والشافعية والمالكيا والحنبلية نصوصاً تبلغ درجة التواتر على أنه إذا وطيء شبر من أراضي المسلمين أصبح الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة في البلدة، تخرج المرأة دون إذن زوجها، والعبد دون إذن سيده، والمدين دون إذن دائنه، والولد دون إذن والده، هكذا نص ابن عابدين في حاشيته، والكاساني في بدائعه، وكذلك في البحر الرائق لابن نجيم، وفي الهداية للمرغناني، وفي فتح القدير لابن الهمام، كل هذه الكتب بل كل كتاب من كتب الحنفية نص على هذا، وكل كتاب من كتب الشافعية نص على هذا، وكل كتاب من كتب الحنبلية نص على هذا،

* مقتطفات من خطبة ألقاها الشيخ في مخيمات التربية التي كان يعقدها للصف الثاني لقادة الجهاد الأفغاني في قرية بابي عام ١٩٨٤- ١٩٨٥م.
(١) انقطع الشريط.

الشيوعية، ثورة أكتوبر ثورة لينين، وبذكرى قيام تراقي في ٢٧ نيسان سنة ١٩٧٨، وبذكرى دخول روسيا في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٩، ماذا بقي ، بقيت لاهور والبنجاب، البنجاب قسم يقف مع ضياءالحق بحكم الصلة العرقية والجنسية، والقسم الآخر ينادي بفتح الطريق أمام روسيا، -وأنا قرأت مجلاتهم- بفتح الطريق أمام روسيا لتصل إلى الخليج، هذا البلد الذي كان يحكمه ضياءالحق في أحرج أوقات حياته، من الذين حكموا باكستان ؟قامت باكستان ودفع ضحايا لقيامها خمسة ملايين شهيد، ومن الذي استلمها؟ محمد علي جناح!! إسماعلي الأبوين، ملأ مقاعد الدولة بالقاديانيين والبهائيين والشيعة والإسماعلية، ولازال حبيب بانك وغيره ..[١]

من شر خلق الله وحكم خمس سنوات، من الذي جاء بعده؟ غلام محمد!! من أخبث الناس وقد رفض الباكستانيون أن يدفنوا جثته في مقابر المسلمين، دفن في مقابر النصارى، اسكندر ميرزا شيعي ، استلم بعد غلام محمد وأيوب خان حاكم عسكري حكم عشر سنوات متواصلة كحكم عبدالناصر لمصر، بعد أيوب خان يحيى خان شيعي، بعد يحيى خان ذوالفقار علي بوتو شيعي اشتراكي شيوعي، هذا الكم والركام الثقيل الذي جاء ووقف فوقه ضياءالحق.

عندما جاء ضياءالحق وأعلن أنه يريد الحكم بالاسلام قالوا إن هذا رجل مجنون، كانوا يرددون إنه رجل مجنون، القاديانية، كبار قادة الجيش إما اسماعلي أو شيعي أو قادياني أولاديني أوعلماني، ادخل إلى بيوتهم، وأنا رأيت بيوتهم، بيت إنجليزي، الطباخ رجل، والبستاني رجل، والكنّاس رجل، والسائق رجل، وصاحب البيت في لندن، هذا الوضع وهذا البلد هو الذي جاء عليه ضياءالحق، ومع ذلك كان نسبة الذين يسكرون بشهادة لواء من الألويه ٨٠٪ من الجيش، والآن أصبح السكر عاراً وعيباً في داخل الجيش الباكستاني، الآن ٨٥٪ من الجيش الباكستاني يصلون، ضياءالحق معروف، حدثني عنه إحسان إلهي ظهير -رحمه الله- ، إحسان إلهي كان مستشاراً لضياءالحق، وحدثت جفوة بينه وبينه، ووقف إحسان مع المعارضة رحمه الله، ويوم أن كانت الجفوة على أشدها بينه وبين ضياءالحق عتبت على إحسان، فقال لي أشهد أن الرجل يقوم الليل، وقد اتصلت به ذات مرة من لندن الساعة الثانية ليلاً غافلاً فرق التوقيت كانت الساعة التاسعة في لندن، فرد عليَّ سنترال الرئيس ، الرئيس في الصلاة، فإذا ختم الصلاة أجابك على التلفون .

ضياءالحق معروف منذ نعومة أظفاره بتدينة وبعبادته، لكثرة ما كان الإبريق يلازمه للوضوء كان الجنرالات يسخرون ويسمونه جنرل إبريق، متى رأت باكستان رجلاً نصف أو ربع نظافة ضياءالحق؟

كان سياف وغير سياف يجلسون معه ويقولون له يا ضياءالحق: أنت تمضي معنا كرجل مسلم عبر هذه السنوات الطويلة، فإن كانت عليك ضغوط دولية فمن الرجولة أن تصارحنا ونحن نعذرك، فيقول الإسلام يوجب عليَّ أن أواصل الطريق معكم، سبعة عشر حزباً للمعارضة في داخل باكستان، أربعة عشر منها تطالب منذ ثماني سنوات بإخراج المهاجرين الأفغان من باكستان، وضياءالحق يقف، وفي أشد اللحظات حراجة ويقول للناس لن أترك مكاني ولن أدعكم تلعبون بالهجرة والجهاد، فأنا رجل مهاجر مجاهد، وقد سرت على قدمي مائة ميل مع أمي من الهند إلى باكستان، ولن أترك هذا المكان ما استطعت حتى أودع آخر مهاجر ومجاهد أفغاني على باب تورخم وعلى ممر خيبر معززاً مكرماً منتصراً.

ضياءالحق أنا أعلم الكثير من أسراره، وما رأيته ذات مرة وسمعت له إلا وخرجت بانطباع أن هذا الرجل من المسلمين الصادقين، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدا .

أما الذين يتكلمون من بعيد ومن البروج العاجية والقضية منتهية عندهم عميل للمخابرات الأمريكية و C.I.A تسيره وانتهت القضية وهم يلقون الله عز وجل بهذه الشهادة بين يديه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وفي النفس حاجات وفيك فطانة، ووالله لقد نكب الجهاد بقتل ضياءالحق نكبة لا يعوضها إلا رب العالمين، ولقد رأيت موقفاً ما وقفه قادة الافغان أنفسهم، ولذلك كان حزن الكثير منهم حزن من ذبح وحيدها في حجرها، وأقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .[٢]

نريد أن يكون لنا مأوى في الأرض*

... الطبخة جاهزة، والطعام قد دنا، لم يبق إلا دقائق حتى نأكل هذه الطبخة الشهية، فهل تصبر معنا حتى نأكلها معاً؟

ويكرمنا الله ويشرفنا بأننا كنا خدماً لهذ الدين ولنصرته حتى نصر الله دينه، وأعز جنده، وأعلى شريعته، إن بقي لك عزم فسر

---

(١) الشريط مقطوع.

(٢) ملاحظة: موضوع الجهاد لا يسقط عن المسلم إلا بالموت مكرر في المجلد الأول ص ٩٤ بعنوان حاجتنا إلى الجهاد تحرصاً على عدم التكرار حذفناه من المجلد السادس ص ٢٢٨ عند ما شرعنا بعمل الموسوعة.

* هذا المقتطف من خطبة جمعة بعنوان أضواء على التربية والبناء في الجزء السادس (الأجزاء الصغيرة) من كتاب في التربية الجهادية والبناء ص ١٨٩.

بمكر الليل، لا يكلون لحظة ولا يملون ثانية.

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) (التوبة: ٣٢)

ونحن هنا وفي ذرى الهندكوش وعلى أحواض الهلمند طريقنا كذلك، وهي تسير هذه المسيرة، مسيرة العرق والدم، كذلك أشوا تلهف، وأحشاؤها تتلوى لما يصيب راشد الغنوشي وإخوانه، ولما يصيب أحمد مفتي زاده وإخوانه ولما يصيب الإخوة في أعم السجون في مصر، نعيش معهم ونتمنى إن شاء الله يوماً من الأيام أن نقف بجانبهم بعد أن تحطم الأغلال وتحطم القيود على ر فلسطين، أو في أي مكان نواجه فيه الطواغيت الذين يعبدون البشر لأنفسهم من دون الله.

لا أريد أن أطيل عليكم، ولكن لابد من الجهاد، ولابد من أن يقدم الدم والعرق، ولابد أن نتجرع الغصص والمرارة قبل أن نصل إ رفع راية لا إله إلا الله وإقامة حكم الله في الأرض، ونحن الآن بإذن الله على أبواب دولة إسلامية قامت على الأسل هنا في أفغانستا وكان لنا شرف المسيرة معها والمشاركة في خدمتها :

أغلى الممالك ما يبنى على الأســـل	*والطعن عنـــد محبيهن كالعســـل*
أيمـــلك الـــلك والأسياف ظـــامئة	*والطير جائعة لحـم علـــى وضــم*
إذا كانت الـــدولات قســـماً فإنها	*لمـن ورد المـــوت الزؤام تـــدول*
لمن هون الدنيا على النفس ســاعة	*والبيض في هام الكماة صليـــــل*

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير) (الأنفال: ٣٩)

لا أريد أن أطيل عليكم، فمعكم أخ كريم وشيخ عزيز، قد وقف وقفة الرجال يوم أن تلفت الناس حولهم فما وجدوا إلا أمثال هؤلا الرجال

إني لأفتح عيني حين أفتحها	*على كثير ولكن لا أرى أحدا*

«تجدون الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة»*

ضيا الحق الرجل المظلوم (١)

الآن أهم قضية إسلامية في الأرض هي قضية أفغانستان، ولو استلم أي مسلم عرش باكستان وحكمها لا يمكن أن يقف خيراً من الموقف الذي وقفه ضيا الحق، وأنا والله شهدت له مواقف وحضرت له جلسات كان عندما يتكلم ينسى أنه رئيس جمهورية، يتكلم وكأنه أحد الدعاة الذين ينطلقون بقلوبهم وبدمائهم، وقف عندما الدنيا كلها ترهب روسيا، يقول إن روسيا كاللص الذي دخل أفغانستان وأحرق بيوته وقتل أهله، فكيف يمكن لنا أن نشكر هذا اللص إذا خرج من أفغانستان.

يا إخوان: الذي لا يعلم طبيعة باكستان وتركيبها لا يمكن أن يعرف من هو ضيا الحق، استلم ضياء الحق سنة ١٩٧٧م الحكم و٨٠٪ من الجيش يسكرون، وقلما تجد جنرالا واحداً يصلي، وأربعة جنرالات من القاديانية، والطيران كله يستلمه الشيعة من أوله إلى آخره، والاستخبارات كذلك يتحكم بها القاديانية والشيعة، وما هي باكستان؟!

باكستان أربع ولايات: السند تقول نحن لسنا تابعين لباكستان، نحن يجب أن ننضم إلى الهند.

سرحد وبيشاور هنا يأنفون أن ينتسبوا لباكستان، يقولون نحن جزء من أفغانستان، وكل يوم تكتب الجرائد تريد أن نهدم الجسر بيننا وبين إسلام آباد جسر خنك هذا القائم فوق نهر السند.

هنا عبدالغفار خان الزعيم البشتوني الذي يعتبر من مؤسسي الحزب الشيوعي في باكستان، وهو وابنه زعيم ناشنل بارتي على فراش الموت يوصي بوصيتين: أن يكفن بالثوب الأحمر، وأن يدفن في أرض الأحرار عند الشيوعين في جلال أباد ولا يدفن في أرض الأنذال في أرض باكستان، ويموت عبدالغفار وتمشي آلاف السيارات على الطريق من بيشاور إلى جلال أباد، وعشرات الألوف من المصلين هنا الذين لا يدركون هذا الدين يلبسون القبعات الحمراء ويكون على طول الطريق بين بيشاور وجلال أباد.

بلوشستان حدث عنها ولا حرج، جامعتها ترفع اللواء الأحمر، أكثر من ٩٥٪ من منطقة بلوشستان وهي أوسع المناطق الأربعة الفاصلة بين أفغانستان والخليج ٩٥٪ وأقولها وأنا متأكد طلاب شيوعيون من طلاب المدارس الحكومية، وجامعتها لا تحتفل إلا بالثورة

---

* الشيخ يقول: ادعكم مع الشيخ عمر عبدالرحمن فليتفضل مشكوراً وهو يحدثنا عن أثر الجهاد الأفغاني في إحياء الأمة الإسلامية.

(١) هذا التوضيح كان بوجود الشيخ عمر عبدالرحمن بعد أن سأل أحد الحاضرين عن ضياء الحق.

فضل الجهاد الأفغاني في إحياء الأمة*

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم، وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) (التوبة: ٧١-٧٢)

جسد واحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

دعوة واحدة، إن كان رائدها الاخلاص ومنطلقها الصدق وهدفها الذي ترمي إليه إقامة دين الله في الأرض، كل ذرة خير يفعلها مسلم في أنحاء الارض إنما تصب في هذا الطريق، وتنضم إلى هذه البوتقة، بوتقة نصرة الاسلام بعد أن غاب طويلاً عن الشهود والوجود، فكل عمل إسلامي يبتغي إعادة هذا الدين إلى الحياة، ويريد أن يضخ الدم مرة أخرى في عروق قد جفت منذ زمن، كل عمل إنما هو جدول صغير يصب في هذا النهر العظيم الذي يؤدي إلى نصرة شريعة النبي الكريم ﷺ، وهذا الدين والدعوة الاسلامية إليه بستان يضم أشجاراً متعددة، هذه حلو مذاقها، وتلك نوع فيها من الحموضة، وثالث يعطي للنفس شهية وطعماً، والذي يظن أن شيئاً واحداً من الشجر أفضل من تنوع هذه الاشجار هؤلاء لا يعرفون أن طبيعة الخلق وأن فطرة الله عز وجل أن تختلف العقول في مدارك التأويل، وفي مستحوجات التنزيل، وفي فهم النصوص، فقد تختلف الأفكار، ولكن إذا كانت النية خالصة والطوية صادقة فإنها كلها خير لهذا الدين العظيم، وتصب في نهره الشاسع الذي تكفل الله بحفظه إلى يوم الدين.

ونحن وقد تقطعنا أجزاءً، وفرق الاستعمار بلادنا بخطوط وهمية، ففصل بين الناس برأس جبل أو بمنتهى واد، نحن نشعر أننا جزء من الأمة الاسلامية العظيمة.

وحيثما ذكر اسم الله في بلـد ... عددت أرجاءه من لب أوطاني

ونحن نعيش على نور الطريق الذي أنارته الأعصاب التي حرقت، والشموع التي ذوت، قدمت نفسها لتنير الحوالك أمام أجيال هذه الأمة لتؤكد أنه لكل واحد منهم في قلبنا احترام، وفي أعماقنا تبجيل ما داموا قد قدموا لأجل هذا الدين ومن أجل نصرة شريعته القويمة، نحن الآن نحتذي أثر السلف الصالح الذين كانوا أمامنا، والذين قدموا أنفسهم من أجل أن تحيا المبادئ وتعيش النسك، نعيش مع مصعب وحمزة، ومع أحمد والعز بن عبدالسلام، ومع ابن تيمية ومحمد بن عبدالوهاب، ومع حسن البنا وسيد قطب، ومع كارم الأنضولي وخالد الاسلامبولي، الذي شعر كل إنسان مسلم صادق في الأرض أنه بضربته قد رفع هامة المسلمين في كل مكان، فالمدارك تختلف، والمربون قد يختلفون، ولكن الهدف واحد، والطريق إن شاء الله واحد، واختلاف الآراء لا يفسد القلوب، ولا يفسد للود قضية، نحن وقد عشنا الخمسينات والستينات وكانت أكبادنا تذوب حزناً على أولئك الفتية الذين كانوا يموتون تحت سياط التعذيب، ويعلقون على المشانق، ويود أحدنا لو افتدى عبدالقادر عودة ومحمد فرغلي ويوسف طلعت بأمه وأبيه ونفسه وذويه، وكنت والله وحكم الاعدام لم يوقع بعد من عبدالناصر أود لو أفتدي سيد قطب بنفسي وبأهلي، والآن نحن نعيش هذه الآلام بأولئك الشباب الذين يواصلون المسيرة بأعصابهم وأنفسهم وعرقهم ودمائهم، ونرجو الله عز وجل أن يكون معهم أولئك الذين يرددون مع أبي الطيب:

من اقتضى بسوى الهندي حاجته ... أجاب كل سـؤال عن هل بلم.

هؤلاء آمنوا أن الأمة قد ماتت يوم أن تركت حسامها، ويوم أن فقدت سنانها، ويوم أن رضيت الذل.

وليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحيـاء

فانتضوا سهامهم، وشرعوا بالعوالي، وامتشقوا حسامهم، ووجهوا حربتهم نحو أعداء الله عز وجل الذين يوصلون مكر النهار

---

* هذه الكلمة ألقاها الشيخ عبدالله عزام في بيت الأنصار وهو يقدم الشيخ عمر عبدالرحمن بعد استشهاد [illegible] رحمه الله

عندما رأى تراجُع بعض الدعاة عن الخط وسقوطهم بدأ يفكر، ما سر هذا التهافت؟ ما سر هذا السقوط؟ وبعد تفكير طويل ة وجدتها: إن الناس لم يفهموا لا إله إلا الله، فلا بد أن تعيد تفسير لا إله إلا الله لهم، وصار في كل كتاباته يشرح لا إله إلا الله، والذ يقرأ تفسيره في الطبعة الثانية يشعر أن كل التفسير يدور حول شرح لا إله إلا الله، تعميق العقيدة، لكن ليس من الناحية النظرية أن يدأ ليست كأيدينا، هذه جزء من العقيدة، وهذه عقيدتنا، ولكن تعميق التوكل على الله والارتباط به سبحانه وتعالى.

سنة ١٩٥٨م بدأ يغير في خط كتاباته، وكان من عادته عندما يكتب أن يكتب عدة آيات على ورقة، ثم ينظر فيها طيلة النهار، وا الليل يبدأ بالكتابة، فهم نقلوا عنه أنه كان لا ينام في الليل إلا قليلاً، فيستيقظ ويبدأ يكتب، وهو نحيل مريض لا يتحمل. أنحلت السنو عوده، وتكالبت عليه نوائب الدهر، وكما يقول أبو الطيب:

أبنت الـــدهر عنـــدي كل بنت	*فكيف وصلت أنت من الـــزحام*
جرحت مجـــرحاً لـــم يبق فيه	*مـــكان للسيـــوف أو الســـهام*

فكانت عدة أمراض أصابت جسده، فكان يقوم الليل، فيقولون له جسدك لا يحتمل قيام الليل، فكان يقول لهم إن أخوف ، أخاف على نفسي هي نفسي التي بين جنبيُ.

كان يقرأ الآيات في الليل ما فتح الله به عليه يكتب، ولذلك هو ما اعتمد على تفاسير كثيرة، كان تفسير ابن كثير عنده في السج أحضرته له اخته من البيت، هذا أكثر تفسير اعتمد عليه، وأحياناً القرطبي، لكن هو يكتب وحبل المشنقة أمام ناظرية ارتفع عن الدني يودع الدنيا، فكتب بتجرد، لا يخشى شيئاً ولا يطمع في شئ إلا برضا الرحمن، فوصل إلى مقدمة سورة الرعد، كتب الآيات، فرأى، ة كتب التفسير، فوجد أن التفسير تشويه للقرآن، وجد أن أثر القرآن في نفسه فرق هائل بينه وبين الكتابة التي يكتبها، فمزق الذي كتب ثم أعاد ما كتب، قرأ القران، القرآن يسري في نفسه، فوجد أنه ليس له تأثير، فمزق الذي كتبه وقرر أن لا يكتب في التفسير، وقال نحن بتفسيرنا نصد الناس عن القرآن ونمنعهم عن التلقي المباشر والشرب من رأس النبع، وعرض الفكرة على الشباب الذين حوله، فهبوا ب وقالوا له: أنت تفهم القرآن فنحتاج إلى شرح طويل حتى نفهم القرآن نفسه، حتى يؤثر فينا وفي قلوبنا، فكتب مقدمة سورة الرعد وكتب: كثيراً ما أقف موقف المتحرج من أن أشوب هذا القرآن بأسلوب بشري قاصر، المتخوف من أن أمسه بأسلوب البشر الفاني ولكن ماذا أصنع وأنا أعيش في جيل قد بعد عن القرآن وذبلت في نفسه معانيه ومدلولاته؟ لابد أن يقدم له بكثير من الشرح، ولكن محا أن أستطيع أن أنقل إيقاع هذا القرآن في قلبي من خلال هذا الظلال للناس، ثم قال أخيراً: وإني أهيب بقراء الظلال أن لا يكون هذ الظلال مهمتهم، فمهمة الظلال إيصالهم القرآن، فإذا وصلوا القرآن فليطرحوا الظلال جانباً وليواجهوا القرآن كما أنزل.

تحس أن الرجل كان يكتب بروحه وبقلبه، تحس بالإخلاص من خلال كلماته ومن حرارة الجمل، في الطبعة الأولى عند قوله تعالى (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) قال أشهد أني وقفت أمام هذه الآية ستة أشهر لا أنتقل إلى ما بعدها، كيف جاءت آي الصلاة بين آيات الطلاق، قال لقد قرأت كثيراً من التفاسير ولكن نفسي وصبري لم يشتد، فإن فتح الله على أحد من القراء فليتفضل إليّ مشكوراً.

مضى الأستاذ سيد في تفسيره، وكانت الضربة شديدة للدعوة، واختفى صوت الاسلام من مصر، وبدأ الشيطان الرجيم يذرعها شرقاً وغرباً، وبدأ نمو الحزب الشيوعي في مصر، لأنه خلاص ضربت الحركة الاسلامية، فأصبح فراغ، فلا بد أن يملأ، فمليء بالحزب الشيوعي، لا يوجد، أي مجتمع فيه فراغ لا بد أن يملأ بأفكار، إن لم تكن الأفكار الإسلامية، فالبديل هي الأفكار العلمانية أو المعاديا لهذا الدين، بدأت الصحف الغربية تكتب أن الدعوة الاسلامية في مصر انتهت، فالله عز وجل قدر سنة ١٩٥٨م الحاجة زينب الغزالي ذهبت إلى الحج مع أخيها – زينب الغزالي الجبيلي ليست شقيقة الغزالي الكاتب-، ففي داخل الباخرة استأذن رجل من أخيها أن يجلس ويتكلم معها، من الرجل؟ عبدالفتاح إسماعيل، فقال لها أنت لعلك اطلعت على ما تكتب الصحف الغربية أن الدعوة قد انتهت في مصر، فلا بد من تجديد الدعوة ونأخذ على عاتقنا أن نجدد العمل مهما كانت الظروف، فقالت له نلتقي في فناء الكعبة في مكة، وفي صحن الكعبة يتكلم مرة أخرى عبدالفتاح اسماعيل مع زينب الغزالي، وتعاهدا معاً أن يبدءا باعادة الدعوة في مصر مهما غلت التكاليف، ومهما بلغت من أثمان، وبعد عودتها والجو في مصر جو مدلهم، أطبق الظلام، دولة مخابرات، تبحث عن المسلمين في كل نواحي الأرض تختطفهم من أوروبا....[1]

- (١) إنقطع الشريط.

الحرم البشرية، لحمتها العظام الإنسانية، قصة التاريخ المسطر بالنجيع الدامي، قصة ذوات العقيدة التي بنيت بعصب الإنسان، حتى الطريق التي ملؤها الدموع والدماء.

يا أخي الحبيب: أما سمعت إلى النداء العلوي الجميل؟

(انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)

(التوبة: ٤١)

يا أخي الحبيب: ألم تتشوق إلى منازل الشهداء؟ وتستمع إلى الحديث الذي يرويه مقدام بن معد يكرب عن حبيبه ﷺ رواية حسنة **(إن للشهيد عند ربه ست خصال: يغفر له مع أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويلبس تاج الوقار الياقوته منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج باثنتين وسبعين من الحور العين، ويشفع بسبعين من أهل بيته).**

أخي الحبيب: قد آن لك الآن أن تجمع بين الصوت والصورة في فلم (أفغانستان اليوم)، فحيا هلا إن كنت ذا همة قد حدا بك الشوق فادخل المراحلا، أقبل وانظر حقائق ولن تنسى، لن تنسى حلاوته، ولن تنسى مذاقه، وستبقى روعته تؤجج في صدرك نار تدفعك إلى أفغانستان اليوم، فإلى أفغانستان اليوم أقبل برجليك، وإلى أفغانستان اليوم أقبل بعينيك، واصغ بأذنيك، وذق حلاوة الجهاد ولو من خلال الصور والصوت.

يا قادة الجهاد اتحدوا*

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وبعد:

(وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (الأنبياء: ٩٢)

(وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون) (المؤمنون: ٥٢)

يا أيها المجاهدون، لستم وحدكم في الميدان، فجميع المسلمين وراءكم إن شاء الله يمدون بما استطاعوا، ويشاركون حسب إمكانياتهم.

هؤلاء الإخوة الذين يعيشون في هذا المخيم إخوة متحابين، أسرة متكاتفين، تلاميذ متعلمين، وقادة مجاهدين، هم يتعلمون الكلمات ولكنهم يرسمون خط التاريخ بالدماء والحياة...

معركة الإسلام:

إن هذه المعركة معركة الإسلام وليست معركة الأفغان، وإن هذه الأرض أرض الإيمان وليست قوماً بأعينهم، فالكل بإذن الله بشعوره وعواطفه بماله وعرقه ودمه كل يساهم بقدر قل أو كثر من أجل رفع راية هذا الدين فوق هضبة بامير وفوق جبال هندكوش وفي سفوح جبال سليمان.

إن قضية الجهاد في أفغانستان هي قضية المعركة بين الكفر والإيمان، هي قضية المعركة بين الاسلام والطاغوت، هي قضية المعركة بين العدل وبين الظلم، قضية انتفاض الشعوب المستضعفة بإيمانها، انتفضت بإيمانها ولو أمام القوى الكبرى، والعيون كلها ترنو، والقلوب كلها تهفو، والنفوس كلها تتأمل ، إن القلوب تتنقل مع المجاهدين بخطواتهم وحركاتهم، بنومهم وثباتهم، وبيقظتهم وبانبعاثهم، النفوس معهم وإن لم تستطع الوصول، والعواطف تشارك وإن لم تستطع الدخول، هذه الأمة هي أمة الاسلام **(وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون)، (وأن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون).**

فيا أيها المجاهدون لستم وحدكم في الميدان، فجميع المسلمين وراءكم إن شاء الله يودون بما استطاعوا، ويشاركون ولو بالنزر

---

* مقتطفات من محاضرة ألقاها الشيخ عبدالله عزام في الحفل الختامي لمخيمات التربية التي كان يعقدها لقادة المجاهدين الأفغان وخاصة الصف الثاني في عام ١٩٨٤- ١٩٨٥م في قرية بابي القريبة من بيشاور وذلك بحضور الشيخ سياف والشيخ رباني والمهندس حكمتيار.

يا زعماء أفغانستان اتحدوا:

هل لكم يا زعماء أفغانستان أن تقولوا كلمة المعتمد بن عبّاد؟ أنتم على مفرق طريق، إما أن تتحولوا خدماً لأناهيتا راتب زاد ولشفيعي وبارقي ولكارمل وتضيعون تحت أقدامهم أو تتحدوا على كلمة رجل واحد، تمرون في أحسم نقطة من حياتكم، تقفون على مفرق طريق، والأمر جلل، لا يحتمل التأخير، إما أن تكونوا أعزة وجنوداً لأحد قادتكم المسلمين، وإما أن تتحولوا رعايا إلى الأبد للشيوعيين، يدخل الشيوعي على بيتك، ينتهك عرضك، ويحرق مصحفك، ويرمي قرآنك في القاذورات، أو تقفوا حول رجل واحد.

هل تقبلون أن تقفوا بعزة حول أحد قادتكم «إنه لقول فصل وما هو بالهزل»، والأمر جد خطير، والتاريخ لا ينتظر، والعجلة دائرة، فإما أن تثوبوا إلى رشدكم وتنتخبوا واحداً من بينكم تبايعونه بيعة على الموت وتستيقظ بقية الضمائر التي تشفق على أنات الثكالى، تشفق على صرخات الأرامل، تشفق على بكاء اليتامى، تشفق على الأعراض التي تنتهك جهاراً نهاراً، تشفق على عزة المرأة الأفغانية التي تتكفف الناس من أجل لقمة عيشها وتتعرض للفتنة لتحافظ على حياتها، تستيقظ الضمائر فيمشي الناموس الإلهي عليكم بالنصر، أو تبقون متفرقين وستطويكم عجلة التاريخ وتقفون أمام الناس في الدنيا خزايا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون.

إن التاريخ لا يرحم، وإن الأقلام ستسجل، يا قادة الأفغان: يا جنود الأفغان، يا جنود الإسلام: إن كل العيون في الأرض إليكم ترنو، وكل القلوب نحوكم تهفو، وكل النفوس إلى بارئها ترجو أن يوحد كلمتكم وأن يرأب صدعكم وأن يلم شعثكم، وقد بلّغت.. إما أن ينتهي هذا الشعب إلى الأبد فيلحق ببخارى وبسمرقند وبقفقاسيا وقزقستان وأزبكستان، وإما أن تتحدوا، إنكم دون أصابع اليد الواحدة، هل تتنازلون؟ هل تتنازلون سنة واحدة عن القيادة فترفعوا شريعة لا إله إلا الله فوق أفغانستان وتدحروا الشيوعية في أرضكم، ويأفل نجم الشيوعية الدولية في الأرض، ويبدأ خط الرسم البياني للإسلام في الارتفاع، أو يتحول هذا الشعب كله إلى خدم للشعوب، ولن تقبل الشعوب أن يخدمها الأفغان، لأن الأفغان أعزة ولا يصلحون للخدمة والعبودية.

يا أيها الإخوة: أنا فلسطيني، وقد هاجمتنا فئة قليلة من اليهود أذل خلق الله في دنيانا، ولكن العرب والفلسطينيين تفرقوا عن حقهم فتمزقنا شُتاتاً في كل بقعة فئة منا، وسيصيبكم ما أصابنا أيها الأفغان، سيصيبكم ما أصاب الفلسطينيين، إنها والله نصيحة مخلص قد عانى من مرارة الضياع والشتات، والله أيها الإخوة إني لأنظر إليها إن لم تتحدوا ستضيعون كما ضعنا، ولكن الفرق بين الفلسطينيين والأفغان أن الفلسطينيين شعب متعلم فأخذوا أماكنهم في السعودية والكويت وقطر، هذا مدير شركة وهذا أستاذ جامعة وهذا مدير مكتب وهذا رئيس مقاولات وهذا متعهد وهذا تاجر، وأما الشعب الأفغاني فهو أميّ ولن يجد له قدماً بين أي شعب من الشعوب، وسيضيع في الدنيا والآخرة، هل ترعوون؟! هل تعودون؟! هل تتحدون؟!

اللهم فاشهد فإني قد بلغت. [١]

نصائح إلى الشباب المسلم

...كذلك قيادة لا يرضاها فدفع الثمن غاليا، لقد ذاق غوربتشوف مرارة الهزيمة، وتكبد غصص التقهقر حتى عاد يدمر الشيوعية بيديه.

إذن لن يبقى أمام الغرب سوى أن يرضى بالأمر الواقع، أن يرضى بهذه القيادات التي يشوه صورتها و يحرق شخصيتها ويسميها بالتعصب و التقوقع والعنف و غير ذلك وبالتزمت و الانغلاق، هذه القيادات التي يسميها بالقيادات الأصوليه، و يسمي القادة الأربعة، حكمتيار، وسياف، و رباني، و خالص، و يسميهم (بالفندمندلست)، وأحياناً يصفهم بالتطرف بالفنتكس و غير ذلك، و لكن ليس أمامهم إلا أن يرضوا بالواقع، لأن القدر ليس بأيديهم إنما هو بيد رب البشر.

الخطة الغربية الآن:

(١) كان هنا موضوع بعنوان (الأسئلة) تابعة لموضوع في السيرة عبرة في كتاب في السيرة عبرة فأخذناه وأضفناه لذلك الكتاب في ذلك الموضع.

- تشويه الجهاد الأفغاني.

- حرق شخصياته.

- عزله عن العالم.

- محاولة ابتلاعه بصمت من خلال المؤتمرات الدولية.

- كف أيدي المؤمنين عن البذل للجهاد.

- تحطيم آثاره في نفوس الجيل حتى لا يبقى رمزاً يحتذى و مثلاً يقتدى.

- اجتثاث عقيدة التوكل على الله التي بناها هذا الجهاد عبر السنين الطويلة من خلال الدماء و الأشلاء و الجماجم و الشهداء

أقول: يا أيها الجيل المسلم، يا أبناء الصحوة الإسلامية، يا أبناء المراكز الإسلامية في الغرب و الشرق، يا أبناء الدعوات، يا ترعرعتم في أحضان الحركات الإسلامية استبشروا وقفوا وانهضوا، فلقد آن الأوان أن تحطموا القيود و تثوروا كالأسود، و تعيدو بناء الجدود، آن الأوان بعد هذا الهوان.

طال المنام علـــى الهوان *فأين زمجـــرة الأســـود*

أقول لكم: إن هذه الفترة في حياة الجهاد حاسمة، لم يبق إلا القليل لتقفوا بجانب هذا الجهاد، يا شباب الإسلام في أمر وبريطانيا و الغرب، يا من تُحضّرون للدراسات العليا لتنالوا أعلى الشهادات، هنا يعطي رب العزة أرفع الأوسمة وأعلى الشهادات.

يا أبنا الإسلام في الأردن و مصر و السعودية وسوريا وفي كل مكان، هذا هو الجهاد الأفغاني أصبح رمزا فقفوا بجا وهؤلاء المجاهدون قد أضحوا مثلا فإياكم أن يفوتكم القطار، هؤلاء قد أقبلوا على الله عز وجل وركلوا الحياة بأقدامهم فكتبت ء أقدامهم تقبلها، قوموا: وليقل كل واحد منكم.

سأطلب حقي بالقنا و مشايـــخ *كأنهموا من طول ما التثموا مردُ*

ثقال إذا لاقوا خفاف إذا دعوا *قليل إذا عـــدوا كثير إذا شدوا*

يا شباب الاسلام، هذا هو الجهاد، فيه حياتكم و فيه رفعتكم و فيه عزتكم، فاقبلوا عليه وقفوا بجانبه و كونوا له ردءا وعضد إنه بحاجة إلى الأطباء المختصين، لأنه و الله وجدنا المجاهدين ينشرون رجل المجاهد الجريح بمنشار الخشب أو بموس الحلاق، إ بحاجه إلى الدعاة الناضجين الذين يعرفون التعامل مع الشعوب، ويعملون محتسبين، إنهم بحاجه إلى الأساتذه الذين يعلمونهم دين ا ولغة القرآن، إنهم بحاجه إلى الصحفي المسلم و المصور المسلم، بحاجه إلى الإعلامي المسلم و الاقتصادي المسلم والإداري المس والعالم المسلم، إنهم بحاجه إلى مال المسلمين، إنهم يلتحفون السماء بلا غطاء، و يفترشون الأرض بلا فراش.

يا أيها الإخوة:

هذه نصيحتي لكم سواء كنتم في الشرق أو في الغرب، في الجامعة أو في الثانوية، آباء و أبناء، جنوداً أو موظفين، كباراً صغاراً، أمراء أو فقراء، هذه نصيحتي لكم، و كما قال محمد أسد: إن العرب يعبثون بأقدس قضية في الأرض قضية الجهاد الافغان

يقول محمد أسد: لقد طوفت أفغانستان قرية قرية و مدينة مدينة على رجلي، و إن العرب لو اهتموا بهذا الشعب لفتحوا به العا و مما يعتصر القلب ألماً أن الكفار يدركون أثر هذا الجهاد أكثر من المسلمين، و يخافون من نتائجه، و يرهبون أبعاده، إنهم يخافون ينطلق هذا العرق مرة أخرى ليحكم أوربا و يعيد البشرية إلى ظلال هذا الدين، و يعود الشرق و الغرب يدفع الجزية للمسلمين كما ب قرون يدفعونها لآل عثمان من الخلفاء الصالحين والمسلمين.

فيا أيها الإخوة:

قفوا بجانب هذا الجهاد، و إياكم و حملات التشويه، و انتبهوا لما يراد بهذا الجهاد، إياكم أن تقعوا في دوامة الاعلام و ا حوامة هذا التضليل الاعلامي العالمي الذي تمسك به يد يهود.

(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و يأبى الله إلا أن يتم نوره و لو كره الكافرون، هو الذي أرس

دورنا في الجهاد الأفغاني*

[1] إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد: أيها الإخوة ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

كل جبال الجماجم صُنِعَ مجد هذا الدين أول مرة، وبها في كل مرة يُصنع، وعلى تلال الأشلاء شيد عزُّ بنيانه وأركان دولته وفي كل مرة يشاد. وعلى بحور الدماء سارت سفينتهُ وفيها القوم يرددون: رغم آهات الثكالى وأنات اليتامى، وصرخات الأيامى وآهات المكلومين يسمعون هذا ومع ذلك فهم يرددون

(وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين) (آل عمران: ١٤٦)

فعلى طول الطريق المرير يتجرعون الغصص، ويكابدون الأهوال، على طول درب العرق والدم حداؤهم الجميل ونشيدهم الحبيب.

(وماكان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا و ثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) (آل عمران: ١٤٧-١٤٨)

يتخلى الناس عنهم جميعاً ، ولكن أقدامهم لا تكل عن المسير. وأنفسهم عازمة على استمرار هذه المسيرة، لأنهم يعلمون كما أخبرهم ربهم (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار) وعلى طول هذه الجادة المبتلة بالدماء، المفروشة بالأشلاء، لا يغيب عن أذهانهم

(فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) (التوبة: ١٢٩)

كيف وفي أعقاب هذا المسير جنات النعيم، وحور عين، وجنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، الذين فازوا برضوان من الله ونعيم مقيم.

أمامهم كلما تعبوا من الضرائب الفادحة ومن الأثمان الباهظة تلك الوصايا النبوية « رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ».

«رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه».

ومن مات مرابطاً لا يختم على عمله، يبقى ديوان العمل مفتوحاً الى يوم القيامة. وغذي برزقه، وأمن من الفتان، يطمعون أن يلاقوا أعداءهم طمعاً في الثواب وحباً في الشهادة..

وفي الصحيح:(قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين سنة).

كيف يتعبون وكيف يكلون؟ هم بشر، لحومهم لحوم الأناسي، أعصابهم أعصاب البشر، تتعب ! ولكن يخفف من العناء قول قائد الغر الميامين وسيد المجاهدين ﷺ كما ورد عنه في الحديث الصحيح: «لأن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إلى من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود».

نعم يا أيها الإخوة. بهذه المشاعر نحن نعيش. وفي هذه الآفاق نحن نحيي. ارتقينا الذرى بعد أن من الله علينا ببلوغها، فننظر إلى البشرية من علو. ننظر ونحن نستروح أريج الآفاق العليا. ننظر إلى الناس الهابطين في دنياهم ، المقيدين بشهواتهم، العابثين

---

* مقدم الحفل: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين: أيها الإخوة، المحاضرة كما علمتم آثر المجاهدين الأفغان ودورهم في إعلاء كلمة الحق، أما محاضرنا فهو فضيلة الدكتور عبدالله عزام، ولعله من المناسب أن أذكر نبذة في السيرة عن الشيخ حفظه الله فهو من مواليد فلسطين، نال شهادة الدكتوراه من الأزهر في أصول الفقه عام ١٩٧٣م وعمل في الجامعة الأردنية سبع سنوات، ثم في جامعة الملك عبدالعزيز، ثم في الجامعة الاسلامية العالمية في اسلام أباد، ثم التحق بالجهاد الآن ، ويعمل متفرغاً بين المجاهدين الأفغان وله كتب كثيرة منها: السرطان الأحمر، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، آيات الرحمن في جهاد الأفغان، عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر، الحق بالقافلة ، وهو معار لدى رابطة العالم الاسلامي ومسؤول عن التعليم، اشترك في حرب فلسطين عام ١٩٦٩م حفظه الله وأدامه ذخراً للاسلام وأهله وجزاه الله عنا أحسن الجزاء. والسلام عليكم ورحمة الله.

ملاحظة: كل ما مضى من مواضيع التربية الجهادية بلغت ٢٦ جزءاً من الكتب الصغيرة وبعدها جمعنا جميع هذه الأجزاء في ست مجلدات وبعد اصدار هذه المجلدات الست استطعنا أن نحصل على بعض أشرطة الشيخ والحقنا ها في نهاية هذه الموسوعة ويعتبر هذا جزء (٢٧).

بأموالهم. ننظر إليهم، ونقول: نرجو الله أن يشرح صدورهم كما شرح صدورنا. وأن ييسر لهم كما يسر لنا، وأن يبلغهم كما بلغنا. ونرجو الله أن يتقبل منا وأن يرزقنا الإخلاص والاستقامة إنه سميع قريب مجيب.

أيها الإخوة: لن يقوم دين الله إلا بالقوة. ولن يكون للبشرية صلاح إلا بالجهاد. وبدون الجهاد: الذل والضياع والفساد. «**ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض**». لولا الجهاد تفسد الحياة « ولكن الله ذو فضل على العالمين». أي تفضل من عليائه سبحانه ففرض الجهاد لتصلح الأرض. ولولا الجهاد لفسدت الحياة.

(والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) (الانفال:٧٣)

والجهاد شُرع يوم أن شُرع وفي كل زمان استمر شرعه لأنه محكم. شرع

(حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله)

(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) (الانفال:٣٩)

حتى لا يعم الشرك الفتنة:

هيبتنا؛ مقامنا في قيادة الأمم وريادة الإنسانية. وأستاذية الأنام نحن قد أخذناها من خلال الجهاد. والضعيف ليس له مكان تحت الشمس. لن يعيش الضعيف. لا في قانون الله عز وجل، ولا في قانون الغاب الذي يطبق في كل مكان وصوب. أما الضعيف والمستضعف في قانون الله وشرعه فجزاؤه جهنم

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم؟) (النساء:٩٧)

إيش كنتم تعملون في الدنيا؟

(قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً) (النساء:٩٧)

ولم أكد أطيق وأنا أطالع تفسير هذه الآية في البخاري وقعها على النفس وأنا أتذكر المسلمين في كل مكان: أن هذه الآية نزلت في المؤمنين في مكة: الذين خرجوا مستكرهين مع أبي جهل يوم بدر وقتل بعضهم، فحزن الصحابة رضوان الله عليهم وقالوا قتلنا إخواننا المستضعفين في مكة، وحزنوا كثيراً، فأنزل الله هذه الآية تطميناً للمؤمنين «أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً. إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً».

دين الله عز وجل: سياجه السلاح، شرع الله عز وجل حصنه السيف. الرزق: سقفه الرمح، التوحيد: حماه السيف.

«**بعثت بين يدي الساعة بالسيف**» لماذا؟ «**حتى يعبد الله**»، «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد *الله* وحده لا شريك له**»، بدون سيف لا يوجد توحيد. «وجعل رزقي تحت ظل رمحي»، وعزة هذه الأمة ومهابتها يوم أن كان الجيش ينصر على بُعد شهر: على مسيرة شهر: « نُصرت بالرعب مسيرة شهر» «بالرعب»، أين الرعب الآن من المسلمين؟ أين المسلمون على خارطة البشرية؟ أين موقع المسلمين على مائدة الإنسانية؟ من الذي يهابها؟ من الذي يزن لهم بميزان؟ من الذي يسجل لهم في الديوان؟ لا وجود لهم. ضياع، أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام. لماذا؟

السيف. سقط السيف فضاعت الأمة. وضاعت المهابة. «تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، قالوا أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال لا. إنكم كثير، ولكنكم غثاء (زبد) كغثاء السيل. ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، قالوا وما الوهن يا رسول الله؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت». ورواية الإمام أحمد: « حب الدنيا وكراهية القتال».

غثاء. الغثائية التي تحياها الأمة: مسخ الشخصية وتقزيمها يوم أن تركت النفير: **(إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم)** تستبدل الأجيال. ليس شرط استبدالها حسيا. استبدالاً معنويا. تمسخ شخصيتها. تفقد هويتها. تصبح كالقرود تحاكي أعداءها في كل ما يفعلون (حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه)، الشخصية التي يحميها الجهاد. والهوية التي يصنعها الجلاد. هذه كلها تفقد وتضيع الأمة. تضيع! وتتبع السبل فتفرق بهم عن سبيله.

قبل ست سنوات وقفت على ربى أفغانستان فشعرت لأول مرة أني أعزّ إنسان في الأرض. أعزّ إنسان لأني أحمل هوية هذا

يده، فقبض هذا الرجل الكبير يده، قالوا هذا رئيس الولايات المتحدة الأمريكية سلم عليه. قال أنا أعرف ولكن لا أصافح كافراً. من أن

الشعب المسلم. وشعرت بمعنى « وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»، «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين»، شعرت بالعزة التي علمني إياها أولئك القوم شبه أميين او أميون، حفاة أقدامهم، خاوية بطونهم، خالية جيوبهم ،عُراة أجسامهم كما قال ﷺ يوم بدر وقد نظر إلى أصحابه: (اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأطعمهم)، جياع عراة حفاة، ولكن الأرض كلها والدنيا بأسرها أكبت على أقدامهم تقبلها يوم أن داسوا على الدنيا. ما طاطئوا هامة إلا لخالقهم، ولا أذلوا عنقا إلا لبارئهم. وما انحنت ظهورهم إلا لفاطرهم. أذلة بين يدي الرحمن، وأذلة على عباد الرحمن « **أذلة على المؤمنين**»، «**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم**» ما لهم؟ «**يحبهم ويحبونه**»، ما صفاتهم؟ « **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم**» وهذا ليس منك «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون**) (المائدة:٥٤)

تسالهم وانت تعيش بينهم. ليس عندهم إلا تلك القطع الجافة من الخبز. والشاي الذي ليس فيه السكر لأنه ليس عندهم سكر، وأحسنهم حالاً في الجبهات من يكون عنده حبة ملبس أو حلوى يضعها في فمه ثم يشرب عليها الشاي المر. تسالهم: أنتم تقاتلون روسيا. هل تظنون أنكم تغلبونها؟ أم تقدمون هذه الضحايا هكذا؟ يقولون نحن سنغلبهم بإذن الله. كيف؟ يقولون بمعادلة بسيطة: نحن نسالك أيهم أقوى: الله أو روسيا؟ فاقول لهم أو يقال لهم: الله أقوى. قالوا: ونحن مع الله ونحن سنغلب. معادلة بسيطة يعني أبسط القواعد هذه غابت عن الناس. أبسط القواعد الإيمانية أنه «**وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً**». نعم. الجهاد قام على العرق والدم، قام على أعصاب تحترق، قام على أشلاء تتناثر، قام على دماء، ولكن الله عز

صورة عن الجرحى: في يوم واحد جاء مستشفى علي أباد في كابل مائة وسبعون جريحا.

(ردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً)

نأتي إلى قندهار: أغارت الطائرات على قندهار: قندهار: القتال فيها أصعب: لأنها صحراء، صحراء، مساكين المجاهدين: لا معهم دبابات ولا معهم طائرات. واجب عليهم أن يقفوا في الساحة المكشوفة تحت الطائرات وأمام الدبابات. ألقت الطائرات قنابل الغاز السامة على قواعد المجاهدين. ثم تقدم الجنود الشيوعيون يظنون أن المجاهدين قد ماتوا أو خدروا. لكن الله عز وجل، وفي تلك الصحراء وفي الصيف من ٢٦ رمضان الى ٢٦ شوال نزال المطر رأساً فغسل آثار الغاز السام، تقدم الشيوعيون فانقض عليهم جند الله، أسر واستسلم ألفان وستمائة في لحظة واحدة، رأساً المجاهدين نزعوا لباس الكفار: الجيش الأفغاني الشيوعي، و لبسوه، حلقوا لحاهم، ولبسوا قلنسواتهم، ثم تقدموا نحو الكتائب الروسية المتأخرة، لأنه عادة الكتائب الروسية لا تتقدم إلا بعد أن يسفك الدم الذليل: دم الشيوعيين الافغان، لأن قطرة دم واحدة من روسي أعز من الجيش الأفغاني بكامله، ولو كان شيوعياً ، تقدموا للروس، الروس يظنون أن جندهم قد أنهوا المجاهدين وعادوا فاتحين غانمين. دخل المجاهدون في وسطهم، ونزلوا رشاً وقتلاً، هرب الروس بعد أن خلفوا حوالي مئتين إلى ثلاثمائة قتيل. يحدثون للأجيال أن جند الإيمان لا يواجهون في ميدان نزال. استمرت المعركة خمسين يوماً في قندهار، كانت النتائج سقوط اثنتين وعشرين طائرة، أما أرقام الدبابات والقتلى ليس عندي في هذه اللحظة حصرها.

في ننكرهار تقدم الروس واستطاعوا أن يدخلوا قواعد المجاهدين، وأقاموا ثماني قواعد جديدة، فأعاد المجاهدون الكرة عليهم وأخذوا قواعدهم القديمة وقواعد الروس الحديثة، وغنموا ما فيها، وهرب الروس. كسرت شوكة الروس.

قد يسأل سائل: يعني معقول هذه الأرقام؟ نعم معقول. أنا أقول لكم هذه الأرقام ليس منا فعلاً. هذه أرقام أناس مراقبين، ليسوا من المجاهدين وليسوا من الروس. والروس لا يملكون إزاء ها إنكاراً ولا حيالها جحوداً . لأنها بالحقائق والأرقام والصور، وأجهزة التنصت والأقمار الصناعية التي تصور.

المعركة حتى الآن لحساب المجاهدين، وأنا أضرب لكم: يعني أبين لكم بالأرقام كيف أن روسيا متضايقة فعلاً ، متضايقة وتبحث عن مخرج. لكنها تخشى أن تتورط، أن تقوم الدولة الاسلامية مقامها فيقض مضاجعها ويؤرق أجفانها. كانت قوة الحزب الشيوعي، قوة الدولة الشيوعية عند دخول روسيا ألفي دبابة من الدبابات القديمة . دمر لروسيا خلال الثماني سنوات ثلاثة عشر ألف دبابة وآلية. يعني

رآها بعد أن يقسم لي على أنه رآها بعينه أو حصلت معه، كتبت كتاب (آيات الرحمن في جهاد الأفغا) وكتبت كتاباً آخر سم
وبصائر للجهاد في العصر الحاضر). لكن أنا أحدثكم عما حصل للعرب، أما الأفغان كثير كثير كثير، يعني السنة هذه رج
الإخوة العرب من بلخ: ابو حفص الأردني الذي استشهد في هذه المعركة، قلت له يا أبا حفص حدثني عن الكرامات التي ر
قال يا شيخ عبدالله أنت لا تصدق الكرامات التي نحدثك إياها، وأنت راوي الكرامات لا تصدقها، لأنه شيء لا يمكن أن يقبله
خيال، قلت حدّث. قال كنا في معركة ضرب أحد المجاهدين بقذيفة آر بي جي، قذيفة آل آر بي جي بتحرق دبابة وزنها ستة
طنا، ضرب بقذيفة آر بي جي، احترقت ثيابه، طارت صدريته، طار حزام الرّصاص، لم يجرح ولم يؤذ.

قائد في قندهار بزورني، قلت له أمام الشباب العرب: حدثنا عما رأيت من الكرامات. قال كثير. قلت له بعضها. واستحلة
قال لي واحد أظن اسمه يارمحمد. الطائرات مرت، فهو انبطح على الأرض وخبأ سلاحه حتى لا يلمع مع الشمس فتراه الطائرة.
الطائرة بصاروخ. الصاروخ جاء في ظهره، انكسر الكلاشنكوف تحت بطنه ولم يؤذ ظهره. القصص كثيرة. لكن القصص التي حـ
العرب في هذه المعركة من شوّال إلى اليوم أما قبل شوّال الكثير. أول من استشهد من الإخوة العرب معنا واحد من جدة اسمه
سنيور، يحيى سنيور كان في السنة الأولى في جامعة الملك عبدالعزيز، وقضى الله أن يقتل على حدود أفغانستان، ونقلنا جـ
بيشاور، وضع في المستشفى، لم يبق أحد من العرب ولا من الأفغان إلا وشم رائحة المسك من دمه، ما تجلط دمه، بقي دمه ينزف
ما توقف، نقل يحيى ودفن، يحدثني صهري زوج ابنتي قال لي: والله أنا كنت في سيارة، وسيارة يحيى على بعد نصف كيلو إ
متر ورائحة المسك في أنفي. تكمل ابنتي القصة، قالت: رجع زوجي محمد وخرجنا نزور إحدى الأسر في بيشاور، فركبت معنا .
وإذا برائحة العطر تملأ داخل السيارة، وعطر غريب فبدأ قلبي يغلي على جارتنا هذه التي لا ترعوي ولا تنزجر فأمسكت نفسـ
نزلنا، قلت لها: ألا تستحين من الله، ألا تعرفين حكم التي تضع العطر على نفسها وتخرج؟ « أيما امرأة تعطرت وخرجت ليشم
ريحها فهي زانية» ألا تتقين الله؟ ونزلت بها، قالت رويدك رويدك على رسلك، والله ما مسست العطر في هذا اليوم، وأنا ما ـ
العطر، وأنت يا محمد؟ قال والله ما مسست العطر. اذاً ما هذا العطر الذي يملأ السيارة؟ قال شيعنا جنازة يحيى، لم تنته القصـ
كان هنالك كتاب معه رشم شيء من دمه على الكتاب، مدير الهلال السعودي في بيشاور اسمه وائل جليدان، حمل الكتاب بعد أربـ
يوماً إلى أهله في جدة ليشموا رائحة المسك من دم ابنهم حتى يطمئنهم على شهادته، في هذه المحفظة. هذه نفس المحفظة بقيت
من عبد الواحد البغماني شهرين. استشهد عبدالواحد فوجدنا رسالة في جيبه، عليها بعض نقاط من دمه شهران كاملان والعطر
مسكاً يعبق في الأنوف، الآن في داخل البقعة هذه التي هاجمنا فيها الروس حوالي اثني عشر قبراً. قبر هشام ابن ا
عبدالوهاب الديلمي، وقبر زكريا أبو هنّود الفسطيني بجانب بعضهما، استشهدا قبل شهر، قبل أربعة عشر يوماً أربعة من الإخو
النور يخرج من قبورهم إلى السماء ثم يرجع إلى قبورهم ، قبر عبدالوهاب الغامدي وقبر سعد الرشود. سعد الرشود مـ
وعبدالوهاب الغامدي من غامد، لا زال النور يخرج من قبورهم ليلة الإثنين وليلة الخميس، قبر بشير المصري، قبر أبو
الفلسطيني، مكان ما سقط، النور ينبعث من مكان دمه، سقط عبدالله المصري شهيداً في واحد شوّال سنة ١٤٠٧ هـ وجدنا جثته
/من ذي القعدة ١٤٠٧هـ بعد شهر ويوم كما هو، وجسده يتثنى كالنائم ودمه لا زال لزجاً ، إلا أن هنالك بعض التغير في أنفه وقـ
قال جابر (فوجدته كيوم دفنته إلا هنية في طرف أذنه)، لكن اعلموا أن الجهاد ليس قائماً على هذا ، قائم على العرق والدم ، ا
كلها مفروشة بالأشلاء والدماء، كل بيت تدخله في أفغانستان أو في مخيمات بيشاور تجده مأتماً وميتماً ، تجد عدة عائلات فـ
واحد، لم يبق – في العائلات – في المنطقة إلا رجل واحد يقوم بهم على التراب، يموت في المخيم في اليوم الواحد مائة طفل
شدة الحر، في وقت الغداء أو العشاء تجد مئات الأطفال يهرعون على محال القمامة ينتظرون بعض الناس حتى يسكبوا بقية ا
ويسرعون إليه يرجونه أن يسكب بقية الطعام في صحونهم ليرجعوا بها إلى عائلاتهم التي تنتظر الطعام ، في تشكري خرد كابل،
كابل) ينتصر المجاهدون على الروس، والروس من عادتهم إذا هزموا في المعركة في الميدان ينتقمون من الأطفال والنساء، ا
والأطفال والشيوخ في المسجد، أغارت ثلاث طائرات، كان فيه خمسة وسبعون امرأة وطفلاً، هي قرية صغيرة، كل نساء القر
أطفالها في المسجد. حرثت المسجد حراثة، جاء تمندان الذي هو القائد، وكان معهم شاب عربي اسمه عادل. فقال تمندان: قال
عادل ما لك تبكي؟ -زوجة هذا وأمه بينهم- قال مالك تبكي؟ قال ألا ترى على أي شيء أبكي؟ لم تبق قطعة مع قطعة، بدأوا يجـ
جمجمة المرأة مع رجل الرجل مع أمعاء الطفل يجمعونها، لا يدرون هذه لهذه ويضعونها في ... منظر يبكي الصخر لو كان يبكي
الطريق طويلة وهذه تضحياتها وهذه ضرائبها. هنالك شيء أشد علينا من هذا. هذا نحتمله، أن بعض إخواننا في البلاد العربية لا
يقولون إن هذا الجهاد ليس إسلامياً، قالوا هذا أشد على نفوسنا من رؤية هذه المناظر، لا زالوا يشككون بمسيرتنا ويشككون
بعقيدتنا، ويشوهون ذلك) قال هذا نحتمله أما ذاك.

بذكره الركبان، أنتم الآن أوضاعكم كأوضاع أفغانستان قبل مجيء محمد داوود، وعندما قام هذا الجهاد بحفنة قليلة من الشباب، بدأت بجلسة لا تتعدى أربعة عشر شاباً يقول سياف اجتمعنا بعد مجيء داوود أربعة عشر شخصاً من يوجهون دفة الحركة الإسلامية، تباحثنا فيما بيننا، كيف يمكننا أو ماذا يمكننا أن نفعل تجاه حكم داوود. وبعد المباحثة والمداولة قررنا المعركة بشرط واحد أن نجد مسدساً واحداً، لم يكن عندهم مسدس واحد عندما قرروا الحل العسكري. عندما قرروا أن يبدأوا المعركة ضد نظام داوود الذي تخوف النساء به أطفالها، والذي كان ملء سمع أفغانستان وبصرها، والذي كان ذكره ترتعد له الأطراف، وترتجف له الأوصال قرر شباب من أبناء الحركة الاسلامية، حفنة، عددهم أربعة عشر نفراً، قرروا أن يخوضوا المعركة ولم يكن عندهم مسدس واحد، وبدأ الناس الذين استطاعوا أن يصلوا إلى بيشاور يحذرون العالم الاسلامي من مغبة هذا النظام الذي له ما بعده، يبصرون العالم الاسلامي بطوفان الشيوعية المقبل الذي يراه كل متعقل وكل متبصر، وقد قضى الله عز وجل في ذلك الوقت أن يأتي الشيخ برهان الدين رباني هنا ويقدم تقريراً للملك فيصل -رحمه الله- وكان حياً ويقول له إن أرض بلوشستان مفتوحة أمام الروس، ولم يبق على دخولهم أفغانستان إلا عشية أو ضحاها، وأنتم مهددون بهذا الطوفان فانتبهوا، والحركة الاسلامية الآن في أفغانستان تريد أن تواجه، فهل لكم أن تمدوها ببعض دراهم يشترون بها قطعة سلاح أو قنبلة يدوية؟ ويسأل الملك سفير المملكة في أفغانستان، ويرسل إليه أن داوود ليس رجلا شيوعياً، إنما هو رجل وطني يريد أن يخدم وطنه، وهؤلاء الشباب الذين يقاومون حكم داوود متسرعون متهورون قد يؤذون بلادهم، ووضع التقرير الذي قدمه برهان الدين رباني في طي النسيان، وحفظت الملفات، ولم ينتبه إليه هؤلاء القوم إلا والجنود الشيوعيون الروس الحمر يملأون السهل والجبل في أرجاء أفغانستان، عندها أدركوا أن هذا الرجل كان عاقلا بعيد النظر، وأن سفيرهم كان قصير النظر وأنه قد فوت عليهم فرصة كبيرة يمكن أن تحول أو تقلل أو تؤخر من دخول هؤلاء، أنتم الآن في مثل هذه الظروف، فهل لكم أن تعتبروا بما اكتوى به غيركم؟ هل لكم أن تتعظوا بما كابده من سبقكم؟ والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه. دفع هؤلاء التكاليف وأنتم تنظرون، وهي مدرسة عظيمة، لكم أن تعتبروا بها وتتعظوا. إن الجهاد الأفغاني الآن تجربة حية، ونموذج رفيع لكل من أراد أن يتزحزح من تحت كابوس، أو يزيح عن كواهله نير المستعبدين الذي طالما استسلمت له الشعوب، واستمرأت طعمه، وطال نومها تحته.

يا أهل اليمن، نحن نقف محذرين لكم، نقف لنقدم لكم تجربة حية ماثلة أمامكم، أنه لا يقف أمام الشعب المسلم شيء مهما كانت القوة التي تواجه ولو كانت قوة روسيا، لا ترتعد فرائصكم ولا تنتفض أوصالكم إذا سمعتم محذراً منذراً عُريانا يصيح بكم أوقفوا سد الشيوعية وأزيلوها، فوالله ما أسهل إزالتها، سهل عليكم اليوم أن تمسحوا الشيوعية من اليمن ولا يغرنكم قول الضعفاء أو المرجفين أو المخذلين، الشيوعية ومن وراءها، روسيا لا تقف أمام إرادة شعب مسلم يعاهد ربه على الموت، والشعوب التي تريد الموت توهب لها الحياة، والشعوب التي تريد أن تضحي بنفسها هي التي تنال، وتنال اللذة الجسور.

يا أيها الإخوة: يقول شيخنا الفاضل وأستاذنا الكريم (١)

إننا بدأنا نكلم الناس وكان هذا الشيخ من أوائل الذين كلمته، عندما عرضت عليه الفتوى أن الجهاد فرض عين نظر إليّ نظرة المشدوه، يظنني في العالم الآخر، ولا يظن أني أعيش فوق الأرض وما كلت وما مللت، كتبت الفتوى، عرضتها أول ما عرضتها على الشيخ، قرأتها عليه فلم يقتنع بكلامي، عرضتها على الشيخ عبدالعزيز بن باز فسكت راضياً، ولكنه كان يقدم رجلا ويؤخر رجلاً، عرضتها على الشيخ محمد نجيب المطيعي، على إبن عثيمين: محمد صالح بن عثيمين عرضتها، لا أترك شيخاً إلا أحاول أن أقرأها عليه، لأن الناس في ذلك الوقت ما كانوا يمكن أن يصدقوا أن الجهاد فرض عين، ما كانوا يصدقون، وفعلاً الشيخ عبدالعزيز طرقت هذه الفتوى شغاف قلبه، قال لمدير مكتبه بدأ الشيخ يقول لي هات لي المغني، هات لي، هات لي، فوجد أن كل الكتب تنص على هذا الكلام الذي تلناه له، ما كان أحد، وأنا كذلك كنت أقدم رجلاً وأؤخر رجلاً، ماذا يمكن أن يقول الناس، العلماء، الدعاة، عندما نقول لهم أن الجهاد فرض عين، وأن المرأة تخرج دون إذن زوجها، لكن بمحرم، وأن العبد دون إذن سيده يخرج، وأن الولد دون إذن والده، ماذا سيقولون، والحمدلله ما كلت وما مللت، طرقت باب هذا، وترددت على أعتاب هذا، وراجعت هذا، ولم يكن في الساحة غيري هنا من أبناء العرب، والحمدلله الآن لا يستطيع أي عالم في الأرض أن يقول لك أن الجهاد ليس فرض عين. لا يستطيع أي عالم عنده أثارة من علم أو بقية من لب أن يقول لك أن الجهاد الآن ليس فرض عين، ليس فرض عين. الآن، يكادون يجمعون أن الجهاد فرض عين، وأنه إذا تعين الجهاد لا إذن للوالد على ولده. وبدأنا نطرق كذلك أبواب المسلمين، أبواب الدعوات، أبواب الجمعيات، أبواب المراكز الإسلامية، يا مسلمون هنالك قضية حية، استيقظوا أفيقوا، استفيدوا، وبدأوا ينظرون إلينا شزراً يكادون يزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر، دون تشبيه، مع فارق التشبيه، أولئك الكفار، لكن فعلاً كانوا يكادون يبتلعونني غضباً وحنقاً، طرقنا أبوابهم، قالوا لن نترك بلادنا؟ قلت

---

(١) الشيخ عبدالمجيد الزنداني

اتركوها لمن تتركوها، ستعودون إليها فاتحين، ركزوا جهودكم على بقعة، أنتم ماذا تريدون؟ تريدون إقامة دولة إسلامية؟ الشعب موج الأرض موجودة، القيادة موجودة، السلاح موجود، أي ظروف أحسن من هذه الظروف؟ أين يمكن أن تجدوا أرضاً مفتوحة الأطر طول حدودها ثلاثة آلاف كيلو متر لمن أراد ان يجاهد أو أراد أن يعتذر إلى الله عز وجل ببعض الرباط وببعض القتال؟ أين يمكن تجدوا شعباً مثل الشعب الأفغاني طعامه الصبر وحياته القتال؟ وكأن لسان كل واحد منهم يردد

سأطلب حقي بالقنا[1] ومشايـــخ كأنهم من طول ما التثمـوا مـــردُ

ثقال اذا لاقوا[2] خفاف إذا دعـــوا كثير إذا شدوا قليـــل إذا عـــدوا

لا يستطيعون أن يبيتوا دون أن يكون السلاح بجانبهم، البندقية معشوقته التي لا يستطيع فراقها، الحرب والدته، القتال طعا الحركة غذاؤه.

لئن عمرت جعلت الحرب والــــدة والسمهري[3] أخا والمشرفي[4] أبا

وفعلاً، كانوا ينظرون إليّ عجباً، ولكني ما مللت والحمدلله ولا كلت، أذهب إلى المؤتمرات السنوية العالمية، في أمريكا، بريطانيا، في السعودية، في الأردن في أي مكان أسمع فيه تجمعا للشباب أذهب إليهم، يا إخوة أفغانستان كلها قطعة نار مضطرمة.

أفغانستان براكين متفجرة، أفغانستان فيها حركة إسلامية وراءها شعب بكامله. وراءها علماؤها، علماء أفغانستان، شيوخ شبابها، شبانها، انتبهوا واستيقظوا، وأحياناً يكون الرد شديداً، فأحياناً بعضهم يلا طفني ويداريني وهو يرثي لحالي في أعما ويشفق عليّ من داخل حناياه. يقول في نفسه: هذا مسكين، عاطفي، متهور، متعجل، فإذا تأثر بعض الشباب أصحاب الحيوية، ذو الفطرة الخام بكلامي وأرادوا أن يلحقوا بنا يمسكهم العقلاء!! ويقولون لهم اجلسوا . هذا عبدالله عزام معروف عاطفي، متحمس، متهـ وما إلى ذلك، فدعكم.

قالوا لهم فرض عين، قالوا من قال غير الشيخ عبدالله عزام هذا؟ من قال هذا؟ فرض عين؟ يعني يريد من الأمة الاسلامية كل أن تذهب إلى أفغانستان، يريد من ألف مليون أن يذهبوا إلى أفغانستان. هي لا تسع، ويضحكون على عقل هذا الشاب الصغير ذ الحماس، ويسكبون على رأسه سطلا من الماء البارد، ومن المهدئات، فتهدأ أعصابه، وتستقر أو صاله. ويستطيعون أن يمسحوا أثـ المحاضرة التي سمعها منا . كل سنة يسمع منا محاضرة، وكل يوم يعطونه محاضرة غسيل دماغ ومسح مخ حتى لا يتأثر بهذه المصيـ التي وصل داؤها من المشرق.

الحمدلله ما يئسنا، ما يئسنا ولا كللنا ولا مللنا، كان من بين الذين يساعدون الجهاد الأفغاني مالياً هذا الشاب المبارك الذي تتفتح عيناي في الأرض على مثله أبداً، ونرجو الله أن يحفظه وأن يبارك في حياته وفي روحه ونفسه وماله إن شاء الله، وهو أسامة بـ لادن. هذا أسامة كان يأتي ويحذره العقلاء: لا يجوز لك أن تقطع له. معك مليون دولار أعطها لطفيل محمد أمير الجماعة الاسلامية فـ باكستان وهو يوصلها إلى الأفغانيين أو إلى كراتشي. أعطها لرئيس اتحاد الطلبة المسلمين وارجع. إذا قطعت كراتشي فالويل ثم الويـ لك من ما ينتظرك من المستقبل ، إنهم ينظرون في الجوازات، إنهم يراقبون الحركات، إنهم.. إنهم ، وأنت رجل عزيز عندنا، ورجـ معروف في قومك، ورجل فتح الله عليك من الدين والدنيا. فأنت غال عندنا فلا تتخطى، وهنالك آلاف يستطيعون أن يقوما بمثل ما تقو به من إطلاق طلقة، جاءني إلى اسلام أباد، قال القوم يقولون لي لا تتعذب، أعط مالك للمسلمين المؤتمنين وهم يوصلونه إلى المجاهديـ الأفغانيين. قلت له لا ترد على أحد، الشيخ سياف موجود في جاجي من الصبح اذهب إليه. اذهب إليه من الصبح. جاجي هذه في داخـ أفغانستان.

حمل المبلغ الذي يحمله في حقيبته وذهب إلى الشيخ سياف، فوجد أن الجبال تميد تحت ضربات الطائرات. وجد أن الأرض قطعة من النار، ووجد أناساً ليسوا كالبشر ولكنهم في ثياب أناسي، أسمالهم بالية، بطونهم خالية، جيوبهم خاوية، وفي داخل هذ النيران يقفون أمام الأساطيل البرية والجوية، يومان فقط وانقلبت حياته رأساً على عقب، وبدأ يحس بتقصيره القديم، بل يكاد يشعـ بالجريمة أنه تأخر إلى هذا الأوان. رجع منذراً ومبشراً. مبشراً أخواته وإخوانه الذين حوله، ناقلا الصورة التي رآها وتفاعلت لها كـ خلية من خلايا جسده، واعتلجت لها المشاعر، وتحركت له الوجدان، وما تجد لو شققت على صدره إلا ناراً تضطرم على حال أولئك الذيـ تركتهم الأمة الإسلامية يخوضون وحدهم معركتهم بصدور عزلاء، جاء إلى شقيقته وأخذ لها فتوى ابن تيمية في الجهاد في المال والفتوى: يسأل ابن تيمية عن قوم جياع لو تركوا لماتوا، وعن قوم مجاهدين أيهما نمد، إن أعطينا المجاهدين سلاحاً بالمال الذي معـ

---

(١) بالرمح، تفسير هذه الكلمات للشيخ عبدالله نفسه. (٢) لا يتزحزحون في المعركة. (٣) يعني الرمح. (٤) يعني السيف.

مات الجياع. قال ابن تيمية: أمدوا الجهاد وليمت الجياع، لأن الله عز وجل قد أباح لنا أن نقتل بعض المسلمين من أجل حياة بقية المسلمين، وقد اتفق الفقهاء جميعاً كما يقول ابن تيمية على مسألة التترس على أنه لو أسر الكفار مجموعة من المسلمين ووضعوهم أمامهم وتحرك الجيش الكافر نحو المسلمين متخذين هؤلاء الأسرى المسلمين ترساً أمامهم حتى لا يضربهم المسلمون يجوز للمسلمين إذا لم يستطيعوا قتال الكفار إلا بقتل هؤلاء الأسرى، يجب قتل هؤلاء الأسرى المسلمين من أجل الوصول للكافرين. يقول ابن تيمية ففي حالة التترس نحن نقتلهم بأيدينا، وفي حالة الموت من الجوع يقتلهم الله، وحالة التترس أشد وأصعب، وقد أباحها الفقهاء جميعاً، فليمت الجياع وأمدوا الجهاد.

حمل هذه الفتوى لأخته، إحدى شقيقاته. ما كان يترك واحدة ولا واحداً من إخوانه إلا ويحدثه بما يضطرم في صدره من مشاعر، وما يلتهب في داخل حناياه من نار. فعندما قرأ عليها الفتوى ونقل لها الصورة في أفغانستان أخرجت شيكا وكتبت ثمانية ملايين ريال. وأخذ هذا المبلغ، وعندما بلغ المسلمات والمسلمين حولها أنها كتبت ثمانية ملايين ريال أقض مضجعهم، وأرقت أجفانهم، وقاموا وما هدأوا . كيف أنت تدفعين ثمانية ملايين ريال؟ أنت ليس لك بيت، لو أبقيت مليوناً فقط حتى تبنين به بيتاً. أنت تعيشين في شقة بالأجرة في مكة ألم يكن لك عقل يفكر أن تبقي مليوناً من أجل أن تشتري قطعة أرض وتبني به بيتاً تؤوين به رأسك وتظللين به جسدك؟ وما زالوا يفتلون لها بين الحبل والغارب حتى أقنعوها أن تأخذ مليوناً، وذهبت إلى أخيها، قالت: يا أخي فقط أعطني مليون ريال لأشتري أو لأبني به بيتاً. قال والله لا تأخذين ريالاً واحداً لأنك تملكين أجرة الشقة التي تدفعينها، وأولئك لا يجدون خيمة تظل رؤوسهم، وتفاعلت نفس هذا الشاب، وكان يأتي بالملايين يدفعها يداً بيد، وآلى على نفسه ألا يعطي مشروعاً من المشروعات الخيرية في العالم الإسلامي لا مسجداً ولا روضة ولا مركزاً إسلاميا، كل ما يستطيع أن يجمعه أن يدفعه يجب أن يكون يداً بيد للمجاهدين الأفغان. وكان الذين يجمعون الأموال لمثل هذه المؤسسات الخيرية يطرقون بابه كثيراً، ويؤملون عطاياه، ويفرحون بالعطاء السخي الذي تجود به يداه، وبعدها صار يقول لمن يجمع لمثل هذه المؤسسات: تعال معي إلى أفغانستان وأنا أعطيك أضعاف أضعاف هذا لتنشيء مؤسسة الجهاد الإسلامية. يكفي بناء البيوت، يكفي بناء المراكز، نريد أن نصنع للمسلمين مركزاً يكون قاعدة تؤوي المسلمين في الأرض. وكذلك لم ترض نفسه بالإعلام بالملايين التي يجمعها، بالمشاعر التي يحركها، وأخيراً قرر أن يأتي بنفسه ويعيش في داخل أفغانستان، وترك المشاريع كان مع إخوانه أخذوا مشروعاً، مشروع توسعة الحرم المدني ثمانية آلاف مليون ريال، فتركه وجاء إلى أفغانستان. قال له أشقاؤه: رويدك، أنت هنا تفيد المجاهدين أكثر، قال كفانا بركة وجودكم، وأنذروا لله واحداً من بين أربعة وخمسين من ذكر وأنثى أولاد محمد بن لادن. أنذروا واحداً للجهاد واشتغلوا البقية في دنياكم وأخراكم وأنذروا واحداً للآخرة فقط. وجاء وعاش في هذا العام خمسة شهور متوالية بين الثلوج، وكنت طيلة هذه الفترة يدي على صدري أن تحط طائرة تلتقطه حيا من المكان الذي يبعد عن قواعد الروس ثلاث كيلو مترات ونصف، ويبعد عن أقرب نقطة للمجاهدين اثنتاي عشرة كيلو متراً. يبعد عن المجاهدين اثنتي عشرة كيلو متراً وعلى مقربة من قواعد الشيوعيين بثلاث كيلو مترات، كان حوله اثنان فقط، شابان: عمر كل واحد منهما لا يتجاوز اثنتين وعشرين سنة أو ثلاث وعشرين سنة، وقلت له أن يتراجع، قال لا بل هنا. فوق هؤلاء الشيوعيين. قد يحاصرونك، قد يلتقطونك حياً الثلوج لا تستطيع أن تتحرك بها، خمسة أشهر الثلوج تغطي المنطقة، ودرجة الحرارة ليلاً أو نهاراً دون الصفر المئوي تقريباً، في رابعة النهار والشمس طالعة لا تستطيع أن تواجه الشمس لشدة البرد. ذهبت لأرى مكانه، وبقيت السماء تنزل علينا الثلج ثلاث ساعات ونحن ماشين، وعلى الطريق وإذا برجل يمتطي قيادة تراكتر من هذه التركتورات الكبيرة، وقد وقف التركتر بسبب تجمد الماء في داخله، والأرض موحلة لا يستطيع أن يتقدم ولا يستطيع أن يتأخر وفوقه رجل البياض يغطيه من أخمص قدمه إلى قمة رأسه، ويحاول أن يشغله وحيداً، نظرت إليه. ما جاء في ذهني في ذلك الوقت إلا أنني أعيش فلما بوليسيا، وأني لست فوق الأرض، حقيقة لا يكاد يتصور الإنسان في ذلك الوقت أن هذا المنظر منظر بشر، الأرض مغطاة بالثلوج، السماء لا تكف عن نتف الثلوج، الأرض موحلة، هذا التراكتر العظيم الذي يهد الجبال واقف! وحوله رجل، والطريق ضيقة يريد أن يتقدم به أو يتأخر، وتأملت به وإذا به أسامة بن لادن، فقلت هذا الشاب ليس من أبناء هذه الدنيا. انتهى وتجرد وألقى للدنيا كل عوائقها، وتخلص من كل قيادتها، وحطم كل أصفادها وقيودها، وانطلقت روحه هناك مرفرفة مع الملأ الأعلى، مع حمزة ومصعب، يعيش بين الناس بجسمه النحيل، هو عنده انخفاض في الضغط ولذلك تجد هذا الجيب دائماً مليئاً بالملح ودائماً يطلب الماء. يلهم الملح ويشرب الماء يحاول أن يرفع ضغطه بكثرة الملح حتى يستطيع مواصلة المسيرة التي ناء بحملها أولوا العصبة من القوة. اثنان فقط معه، ووسطنا هذا الشيخ الجليل. قلت له يا شيخ عبدالمجيد إن فعل أسامة ليس فعل إنسان عاقل. وليس عملاً عسكرياً، وأنا قلبي عليه والله. أخاف فعلاً أن تلتقطه طائرة وتأخذه إلى كابل وتعرضه على التلفزيون: أنظروا العرب والموالين العرب يأتون بأنفسهم ويقاتلون ضدنا في داخل أفغانستان، وهذا العربي من السعودية، وثم يلحقها التعليقات الأخرى. من أين الأموال من الناس يفهمها طبعاً سيكون الجواب عند الشيوعيين: المخابرات الأمريكية ... جاء الشيخ والحمد لله ...

الشيخ ويقف عند كلمته، وجلسنا، وتكلم مع الشيخ، وأغلظ عليه الشيخ، مزبداً ومرعداً، ومهدداً وموعداً، يجب أن تنسحب، اذ
عبدالله وانظر إذا قررت أن ينسحب، يجب أن ينسحب وما زال بحياء مع الرجولة. حياء، يا سلام! والرجولة والحياء مقترنان
الرجولة من الإيمان، والحياء من الإيمان، مقترنان. يدخل بيتي فتظنه خادماً من الخدم، إذا رن التلفون لا يسمح لي أن أقوم،
نفسه أو يحضر التلفون حتى لا أقوم بنفسي وأرد عليه يقدم الصحون ويجلس قريباً. له يد تعمل وفم لا يتكلم، قال اذهب يا
عبدالله (الشيخ عبدالمجيد) وانظر، وقرر، هل ينسحب أو لا ينسحب فما زال يتلطف بالشيخ و يشرح له الأمر، ويشرح له المستقبل
يفكر به وأن هذا المكان حصين، وأنه كالعقاب يطل على قواعد الشيوعيين، ونحن نأمل بإذن الله أن نحرر المنطقة من قواعد الشيو
من هذا المكان حتى لان الشيخ فأصبح الزبد كلاما ليناً، وأصبح التهديد والوعيد سهلا مستساغاً جارياً وذهب، وفعلاً، ذهب، و
وحيداً مع فئة قليلة حوله، فأبت عليّ نفسي والله أن أتركه هكذا، واستحييت، أن مثل هذا الشاب يلتقط حيا ونحن على قرب منه
لإخوننا لننتقل جميعاً مع أني غير معتقد وغير مقتنع بما يفعلون قلت لهم ننتقل جميعاً إلى هذا المكان. نعيش معه في داخل
الثلوج، ونتحمل ما يمكن أن يواجهه في المستقبل ولعلنا نستطيع الدفاع عن هذا المكان أو نستطيع سحب إخواننا بسلام إذا ما وو
بهجوم مفاجيء أو إنزال سريع. وسمع الشباب من العالم الإسلامي وخاصة من هذه البلد أن أسامة بن لادن في داخل أفغانستان
ترك المشاريع، ترك التجارة، واشتغل بالتجارة الرابحة التي تنجيه من العذاب الأليم فبدؤوا يتوافدون واحداً، والشباب الذين
وللأسف أقولها من الشباب الذين كانوا يفحطون في السيارات في الشوارع، أو بعضهم يتعاطى المخدرات والهروين وغير ذلك، و
قبل ستة أشهر، وفكروا طويلا أي طريق لقبول توبتي وغسل حوبتي؟ فلم يجدوا مكاناً أفضل من أفغانستان فاقبلوا إلينا. ثق
الإسلامية بسيطة، توبتهم قريبة، ولكنهم متعطشون للشهادة، يشتغلون ليل نهار، والله كنا نصلي معهم الفجر، والماء غير موجود، ولا
واحد يجنب ويستطيع أن يغتسل لأنه يموت يصاب بنزلة صدرية، إذا أراد أن يسخن الماء. وكيف الماء أين الماء. تضع الماء في
الابريق يتجمد بعد ربع ساعة، يتحول إلى جليد، كنت أتوضأ بالماء الساخن، فيتحول الماء على وجهي مباشرة إلى جليد. كل شعر
لحيتي مسها الماء تتحول إلى قضيب جليد كأنك وضعت ماءاً قبل يومين في فريزر ثلاجة ثم تحولت إلى قضبان هكذا. منطقة، الحق
يصبر عليها إلا الصابرون، ولا يحتملها إلا الذين اختارهم الله عز وجل لحمل رسالته وتبليغ دعوته بعد أن نامت الأمة الإسلامية
قرون.

هؤلاء الشباب، -كما قلت لكم-، ثقافتهم الإسلامية قليلة، لا يفيدوننا إلا في القتال، أما الدعوة بين المجاهدين، أما الوصو
قلوبهم، أما طريقة التعامل مع الشعب الأفغاني فهم لم يتربوا لا في دعوة إسلامية ولا حركة، ولم ينبتوا في داخل مؤسسة إسلام
داخل حركة إيمانية، لا يعرفون، خلاص، رفع اليدين، رفع اليدين، حاول ما تحاول ألا يرفع يديه في الصلاة حتى يصل إلى
الأفغاني لا يمكن أن يترك، كيف أترك سنة؟ هو راجع إلى الله قريباً، ولكل فعل رد فعل مساو له في المقدار ومضاد له بالاتجاه، ت
ألا يحرك إصبعه هكذا لا يمكن، سنة، كيف يترك السنة؟ هو جاء يموت في سبيل الله، في سبيل أن ينتصر الكتاب والسنة، أنت تريد
الآن أن أترك السنة؟! أما الذين تربوا وللأسف ما جاؤوا. كانوا يجدون من العقلاء حولهم من يهدئهم؛ من يقول لهم هذا تسرع،
تهور، لمن نترك بلادنا؟ لمن نترك الثغور لمن لمن؟ لمن؟ والله والذين تربوا في الدعوات الإسلامية الواحد منهم أعدله بخمسين من ه
لأن الواحد منهم لو استطاع أن يخرج من القمقم ويكسر القيد وينطلق إلى هنا ويعيش في داخل جبهة، أنا أعدله بالجبهة كلها،
ليس شجاعة فهم شجعان. وليس رجولة فهم رجال، ولكن ابن الدعوة يستطيع أن يعمل العمل الذي هو حديث الساعة وهو تربية الأ
الآن الذين تربوا تحت ظل القنابل وتحت هدير الطائرات وأزيز المدافع ودوي القنابل هؤلاء ما عرفوا شيئاً عن الإسلام، لو جاء ا
وعاش في داخل جبهة من الجبهات يصبح بعد عدة أشهر بعد أن يثق به الأفغان أنه ما جاء ليهدم مذهبهم وأنه ليس وهابيا يري
ينشر الوهابية، ينظرون إليه ثلاثة أشهر يراقبون إصبعه هل يتحرك، إن تحرك هذا وهابي، لا تأخذوا منه ولا تعطوه، لا نريده ولا
جهاده، إن وضع يده هكذا، خلاص شطبوا عليه، إن وقف هكذا، إن فتح رجليه كثيراً يقولون هذا يريد أن يصارع، نحن نص
الروس، لا نريد ان نصارع في الصلاة. إن رأوه كذلك يجهر بآمين يقولون خلاص لا نريد جهاد هؤلاء. هؤلاء جاؤوا يهدمون مذ
وهم لا يعرفون الاسلام إلا المذهب الحنفي، ما رأوا في حياتهم صلاة إلا صلاة المذهب الحنفي، ما عايش في أفغانستان مذهباً آخ
المذهب الحنفي، فهم يظنون أن هذا هو الإسلام، هذه هي الصورة التي رباهم عليها علماؤهم ومشايخهم وقادتهم. هذه هي ه
الإسلام فأي شيء يخالف الإسلام خلاص، هذا لا نريده، أي شيء يخالف المذهب الحنفي لا نريده، لأنه يخالف الإسلام في نظرهم
تأتي تتكلم لهم الدليل وعن أنس وعن أبي هريرة هذا لا يفهمونه، يفهمون الإسلام هو القالب الذي أعطي لهم من خلال المذهب الح
ومن خلال علمائهم، هذا العالم الكبير، وهذا المفتي العظيم، وهذا المولوي الجليل كلهم يصلون هكذا، نحن ما رأينا واحداً يحرك اه
هكذا، نحن لا نحرك إصبعنا هكذا، إلا على الرشاش. لا نحركه في داخل الصلاة، ولذلك إذا استطاع الداعية أن يفهم كيف يصل

قلوبهم ويقنعهم بعمله أنه ما جاء يهدم مذهبهم. هم يقولون نحن قمنا ودفعنا كل هذه التضحيات مليون شهيد وزيادة من أجل حماية ديننا، وديننا هذا. هذا دين جديد!!

أنا أذكر لكم مثالاً. أنا كنت متحمساً في البداية لرفع اليدين ومثل هذه الأمور هيئات الصلاة. ولتطبيق السنن، فمره قدموني للصلاة فصليت في فجر الجمعة بثلاث مائة من المجاهدين، مجاهدون يعجبونك ما شاء الله، بشر تنشق أسمائهم عن أسود عرين وليوث غاب، صليت بهم، قرأت في الركعة الأولى السجدة فسجدت، عندما سجدت قالوا صحيح هؤلاء وهابيون جاؤوا بدين جديد، من أين هذا؟ إيش هذا السجود؟ خمسة وسبعون انسحبوا من الصلاة وأحاطوا بنا إحاطة السوار بالمعصم، وبدأوا يضحكون، نماز فجر، سه ركعة ؟! صلاة الفجر ثلاث ركعات. هذه أول مرة نسمع بها. نعم. وصاروا يضحكون علينا. ويضحكون على قومهم الذين واصلوا صلاتهم معنا. لم يروا في حياتهم إماماً من أئمتهم يقرأ سورة السجدة، لأنهم لا يحفظون السجدة. جاؤوا إلى أبي بكر قالوا –رضي الله عنه – أو لعمر، قالوا إن خالداً لا يقرأ فينا الا من قصار السور. كله (**قل هو الله أحد**) (**قل أعوذ برب الفلق**). (**والضحى والليل إذا سجى**) (**وألم نشرح**)، ما قرأ بنا سورة من الطوال أبداً. وما سمعناه يقرأ من طوال المفصل، ولا من المئين ولا من المثاني. كانوا يشتكون من قصر الصلاة، قال ما هذا يا أبا سليمان؟ قال شغلتنا الحروب يا أمير المؤمنين عن حفظ القرآن، أنا لا أحفظ إلا هذه. والقائد هو الذي يؤم، وهؤلاء عجم، ليسوا عرباً، لا يحفظون القرآن شغلتهم الحروب عن الحفظ إلا قليلاً. فهم لا يقرؤون السجدة، ولم يروا ولم يسمعوا في حياتهم أن شيخاً من مشايخهم أو عالماً من علمائهم يقرأ السجدة ويسجد. فبعد الصلاة. وقفنا وفهمناهم؟ وإذا وثق بك الأفغان دفعوا لك مهج قلوبهم وحشاشة أرواحهم ولأن يموت مائة منهم خير من أن تسقط شعرة من شعراتك، نعم! هذا القوم عجيب، عجيب في حبه للضيف، وإكرامه للعرب. إكرامه للعرب حتى كما قلت بالأمس الشيوعيون منهم، الشيوعي الأفغاني يحترم العربي، روسيا تدفع لمن يسلم عربيا أو مجاهداً من غير الأفغان مئات الألوف من الروبيات. وهذه ثروة الأبد، يحدثني أحد الإخوة: قال كنا في معركة، وكان معنا شاب، رجل من الصومال اسمه أحمد المبارك. والمعركة بعيدة عن قاعدتنا حوالي مشي يوم. وبعد المعركة افترقنا عن بعضنا. وضل أحمد المبارك. وبقي يوماً أو يومين يبحث عن قاعدته، لم يجدها، ولم يجد نفسه إلا في داخل بستان من البساتين في داخل قرية، جاء صاحب البستان، فوجد رجلاً أسود، يحمل الكلاشنكوف متمنطقاً بحزام الرصاص.

.... أنت ماذا تريد؟ قال أنا أبحث عن قاعدتي، قال إكراماً لك سأوصلك إلى قاعدتك. ووضعه في سيارته ومرت سيارته بين قواعد الشيوعيين والروس، وبقي يجري به حتى أو صله قريباً من قاعدته، وأنزله ثم عاد أدراجه إلى بستانه. هذا شيوعي لا يؤمن بآخرة! ولا يعترف بدين، ولكن عنده فطرة مغروسة هي الرجولة والمحافظة على الضيف. روي عن محمود الغزنوي الملك الصالح الذي دخل الهند سبع مرات وحطم صنم سمونانا الهندي، كان يصطاد ذات يوم فجرح غزالاً، فهرب الغزال، بدأ يجري، ودخل خيمة بدوي من البداة الأفغان، فلحقه الملك، وعندما دخل الغزال خيمة ذلك البدوي دخل وراءه قال له البدوي ماذا تريد؟ قال: أريد الغزال. قال لن تأخذه لأنه أوى إلى بيتي. هو أستجار بي فلن تأخذه . قال ولكنني أنا جرحته قال وإن كنت جرحته فقد أوى إليّ، قال ولكنني الملك محمود الغزنوي، قال أعلم أنك الملك محمود الغزنوي، وإن كنت الملك، لن تأخذ هذا الغزال، ولن تؤذي ضيفي مادام في خيمتي. ورجع الملك محمود الغزنوي، احتراماً لهذا البدوي ولشهامته المغروسة في أعماقه.

أقول لكم هم يحبون العرب لكن العرب، الذين يريدون هدم مذهبهم لا يريدونهم، يحترمون العربي، وكما قال الواحد منهم تجده في التسعين يمسك طفله بيد وباليد الأخرى عكازة يمشي عدة أيام على الثلوج لأنه يسمع أن في المنطقة جاء عربي ليمسح العربي على شعر ابنه فيبارك: يريد أن يدعو العربي لابنه حتى تناله بركة دعاء أبناء رسول الله ﷺ ، قلت لشاب عربي: أي قصة أثرت فيك كثيراً؟ قال كنت على حدود روسيا فرأيت شيخاً كبيراً عمره في التسعين، فقالوا له هذا عربي جاء يجاهد في أفغانستان، قال وإذا بالشيخ الذي بلغ من العمر عتياً ينتفض كالأسد ويحتضنني والدموع تغمر عينيه وتبلل لحيته، ويقول لي: يا حفيد رسول الله ﷺ جئت تدافع عن بلادي! هذه نظرتهم للعرب. والعرب إذا لم يحركوا أصابعهم إلا على الرشاش، وإذا لم يضعوا أيديهم على الصدر، وإذا لم يجهروا بآمين ويجلسوا جلسة الاستراحة فقد فازوا بتوجيه جهاد مبارك نرجو الله عز وجل أن تكون نتيجته قيام مجتمع إسلامي وتحكيم كتاب الله في الأرض.

هؤلاء الشباب، قلنا الذين تجمعوا كانوا من أصحاب التفحيط في السيارات في مكة وفي المدينة، لا يستطيعون العيش، لا يستطيعون الأكل بدون ببسي، كل لقمة يجب أن تنزله جرعة الببسي، لأنه لا يستطيع أن يبتلع اللقمة بدون جرعة الببسي بدون الميرندا، مرفهون مدللون، منعمون، أصحاب ثراء، أبناء غنى، لم يعتادوا هذه الحياة الشاقة، ولم يتعودوا أن يرتفعوا إلى ذرى الجبال، ولكنهم صبروا، ولكنهم ثبتوا، الضيف العاقل الكبير المتعلم المتربي عندما يأتي ويعيش معهم، يعيرونه، من هؤلاء الشباب؟ شباب صغار أنتم

تريدون أن تقابلوا روسيا بهم، وجاء يوم الأول من شوال من هذا العام، وصدّق الله ظن ذلك الشاب المبارك أسامة، وبدأت الطائرات :
في يوم العيد هذا، عيد رمضان هذا قبل شهرين، خطة الروس عادة أن تبدأ الطائرات تقصف حتى تحرق الأخضر واليابس، و
تقصف الطائرات أياماً، تبدأ راجمات الصواريخ والقذائف من الأنواع المختلفة تحرق الأرض، راجمة الصواريخ هذه، عندهم را
الصواريخ يسمونها چلويك: واحد واربعين. واحداً وأربعين يعني ترمي واحداً وأربعين صاروخاً دفعة واحدة، بضغطة واحدة على الك
صدقوا أيها الإخوة أن الصواريخ عندما كانت تنزل كانت الجبال تميد. الجبال العظيمة الشاهقة جبال سليمان كانت تهتز تحت ال
هدير الجبال، وهي تردد صوت صدى القذائف لا يخف ولا يتوقف ليلاً أو نهاراً، تظن أنك تعيش تحت أسراب طائرات وليس في ا
طائرة واحدة، إنما هو هدير الجبال وصداه. ضربت الطائرات، قصفت القذائف، انطلقت الصواريخ على المكان الذي يريدون أن ي
له، وعندهم خارطة يريدون أن يحتلوا هذا: مكان العرب. لم يكن من العرب إلا أربعة وعشرون أو خمسة وعشرون في داخل هذا ا
هم عهدهم أنهم يتقدمون لا يجدون أحداً، لأن الأفغان عندما تبدأ الطائرات تقصف وتبدأ القذائف تمشط والصواريخ تتفجر ينس
من المكان، لأنهم ليسوا حريصين على الاحتفاظ بالأماكن، إذا جاءت القوة ينسحبون إلى مكان آخر، ثم يحطمون بعض الدبابات
تنحسب القوة ويعودون إلى أماكنهم. لكن العرب هؤلاء متعطشون للشهادة؛ يريدون الموت، ما جاؤوا إلا من أجل هذا، وما جاؤوا لا ا
ولا للتعليم ولا لشيء.

العلم: شبعوا منه من علمائهم في المساجد، التربية: (شبعوا؟) سمعوا بالمربين كثيراً؟ الشيء المتعطشين له هذا: تحريك
بالإصبع، أن يطلقوا، أن يواجهوا، أن يدخلوا غمار الموت، ولم ينسحب واحد منهم، بل عندما اشتدت القذائف في يوم الثلاث
رمضان وزادت الحرائق في المكان، ولم يبق مكان إلا ويكاد يدفن بالقذائف، قرر الأخ أسامة أن يتراجع قليلاً مع الإخوة خوفاً
فبدأ الشيخ تميم العدناني يشد بلحيته ويصيح، الشيخ تميم العدناني هذا وزنه مائة وعشرين كيلو غراماً. مائة وعشرين، وعمره
وأربعون عاماً. نعم يصيح، يقول أسامة: خفت أن يكون قد أصابه مس من الجن، قال لا أنسحب، قال أنت أسألك أمام الله عز وج
أرواح هؤلاء، فعندما ذكره بالله وخوفه معصية الأمير وافق أن ينسحب قليلاً. وفي الليل رأيته. ما من أحد إلا قارع سن نادم أو
إليه يقول كيف ننسحب من المأسدة؟ المكان هذا مكان العرب. لقد بنيناه بدم قلوبنا سبعة أشهر مرت ونحن نعيش ليل نهار، ونتحرا
نهار حتى حافظنا على هذا المكان، ثم نتركه بسهولة؟ وقبل أن يطلع الفجر تحركوا مرة ثانية عليه، ما أطاقوا أن يكونوا بعيدين
عنه، تحركوا إليه، وجاء يوم عيد الفطر هذا قبل شهرين، وبدأت الطائرات تقصف، والمدافع تضرب، وبعدها تقدم الكوماندوز،
الكوماندوز يسمونهم سبت ناز: سبت ناز هؤلاء تربيهم روسيا لقطاء من الشوارع، لا يعرفون إنسانية ولا أهلاً ولا أماً ولا أباً، لا يع
شيئاً، همهم سفك الدماء والذبح، يربونهم هكذا على الشدة وعلى الذبح منذ الصغر، السكين بجانبه يعلمونه كيف يطعن، كيف
وهكذا يلقونهم في الصحارى أياماً طويلة يعيشون على حيوانات الصحراء على الجرذين، على الأفاعي على أي شيء، يأكلونه، ع
أنهم يتقدمون ولا يجدون أحداً في داخل المكان، فعندما وصلوا قرب المكان وصاروا على بعد ثلاثين متراً من هؤلاء الشباب ا
أحسوا أن في المكان أناساً، فتراجعوا قليلاً وأمروا مدفعيتهم الهاون أن تقصف المكان الذي فيه العرب، وبدأ الهاون يحرق الأرض
ولا يستطيع أحد أن يكمل جملته إذا تكلم مع جاره ولا جاره أن يرد عليه، لأن القذائف تحول دون الاجابة المباشرة نعم وفي هذا لد
الموت يفكر شباب بماذا؟ أن يعملوا صاعقة على الصاعقة، وكوماندوز على الكوماندوز الروسي. هذا الروسي، -أجلكم الله كالبغل- ي
حقيبة فوق كتفه وزنها ستين كيلو غراماً اسمها: حقيبة الإقامة، لأن كل معدات متطلبات الحياة موجودة في هذه الحقيبة، فيها ذ
وفيها ذخيرته، وفيها طعامه، وفيها لباسه فيها كل شيء حقيبة الإقامة، ويحملها كما أحمل كاس الشاي الذي يأتيني الآن من الإ
شاء الله بل أخف، فيمشي، مشوا هكذا لكأن في المكان كما قلت ليس أحد، ليس هنالك أحد في المكان فخرج تسعة من الشباب ا
والتقوا على هؤلاء الروس، وكم أوزانهم؟ كم أوزانهم؟ إن جبال أفغانستان أبت أن تبقى ذرة شحم تحت جلودهم، إن الخبز الجاف
الشاي الذي ليس فيه سكر تأبى على السمين أن يبقى من لحمه أو شحمه شيء، ومن كان يأخذ رجيماً -ونعوذ بالله من الشي
الرجيم- من كان منكم يريد أن يخفف وزنه مما كان ليأتني شهرين. إذا ما نزل وزنه من المائة إلى الستين يراجعني خلال شهرين
شاء الله لا نبقي عليهم ذرة شحم، شباب صغار، صغار في مقتبل العمر، الواحد منهم فما هما إلا الجلد والعظم. والله كنت أ
بعضهم أقول له لنحافته أذكره ببيت المتنبي:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل ... لو لا مخاطبتي إياك لم ترني

لولاني أتكلم معك لا تراني، خمس وأربعون كيلو غراماً، ثماني وأربعون كيلو غراماً. أنحف واحد منكم أسمن منهم.[١]

---

(١) الشيخ شرب وهو واقف تعلق على هذا الموضوع بقوله: أظن يجوز الشرب قائماً كما فعل سيدنا علي رضي الله عنه في باب الكوفة. شرب بباب الرحبة في الكوفة قائماً ورفع الكاس إن أناساً يتحرجون من الشرب قائماً وقد رأيت رسول الله ﷺ شرب قائماً فأحب أن أستن بسنته يعني أعظمها حالاً الكراهة التنزيهية.

أقول هؤلاء الشباب أرادوا أن يأسروا الروس، وأمرهم القائد هذا قائد المجموعة شاب مصري أبو عبيدة اسمه نرجو الله أن يبارك فيه ويحفظه، قال لهم هكذا يعني إأسروهم أسراً، لا تطلقوا عليهم النار، من يأسرهم الواحد منهم بقدر ثلاثة، كان من بين هؤلاء التسعة شاب في الحادية والعشرين من عمره من هنا من المنطقة الشرقية، ذهل عندما رأى ستة من الروس عمالقة أمامه واقفين، فنسي أمر الأمير ولم يستطع أصلاً أن يتحكم بإصبعه وإذا بإصبعه، يتحرك هكذا دون وعي، وقتل الستة دفعة واحدة، لأن هؤلاء لا يمكن أن يؤسروا، إما الموت وإما النصر، ستة، وأنا عجبت كيف قتل الستة، بيده رشاش ضغط عليه خرجت ستة وتسعون طلقة هو فيه مائة طلقة الرشاش، ست وتسعون طلقة الحمد لله قتلت الستة، عجبت كيف قتلهم دفعة واحدة، وهكذا بدون وعي طبعا الشاب ذهل عندما رآهم وهذه كرامة من كرامات هذا الشاب، لأن كل روسي يحمل درعاً على صدره يقيه من الرصاص، نعم، معنى ذلك أنه أصاب رؤوسهم جميعاً، وسقط الستة، وبدأت المعركة بين الكوماندوز الروس وبين هؤلاء الشباب العرب واستشهد أربعة ، أربعة من الشباب من التسعة، وكانت المعركة على بعد ثلاثة أمتار فقط، هذا وراء شجرة، وهذا وراء شجرة، وبينهما ثلاثة أمتار والرصاصة للبادي، وهرب الروس يجرون ثياب الخزي والخذلان، وعلموا أنهم يواجهون نوعاً جديداً من البشر لم يعهدوه في أفغانستان، أناس لا يقابلونهم من داخل خنادقهم. الشاب العربي بيده قنبلة الروسي أمامه. يرمي القنبلة فيخفض الروسي رأسه، فيعلوه العربي من فوق ظهره يطلق عليه النار ويقتله من الخلف، رجعوا وجمعوا قواتهم الكوماندوز الروسي ثم تقدموا مرة أخرى. وقابلهم الشباب، وهزموهم بإذن ربهم، ومرة ثالثة، ومرة رابعة، وكان آخر مرة. أول كان الروس يتقدمون لأول مرة: الروس يتقدمون لأنهم يريدون احتلال المركز بسرعة، كانوا طبيعتهم أن يقدموا الأفغان الشيوعيين حتى يقتل الشيوعيون ثم وارءهم الروس في هذه المرة: الروس من قبل لكن عندما هزموا أربع مرات، المرة الخامسة قدموا الشيوعيين الأفغان، والمرة الخامسة كان زعيم من زعماء المليشيا متقدماً، ومن عادة الروسي أن يسقوا جنودهم الخمر، ويسقونهم الحشيش حتى تغيب عقولهم ولا يفكروا بالموت، فتقدموا وتصدى لهم شاب من شباب اليمن اسمه أبو محمد أو أبوسالم، شاب صغير نحيف ولا أدري إن كان موجوداً هنا أم لا فصوب على صدره وأطلق عليه طلقة القتل، فسقط الشيوعي الضخم هذا، ثم سقط ثلاثة من الشيوعين وهرب الروس وهرب الشيوعيين، ظن بعض الإخوة أن بعض الإخوة جرح، شاب صغير وزنه خمس وأربعون كيلو غراماً أبو حفص من فلسطين هجم لينقذ بعض إخوانه، ظن بعض إخوانه جرح حتى يسعفه، فرأى ثلاثة من الروس مترددين إلى جهنم وبئس المصير فانبطح بينهم. كان أحد الشيوعيين لا زال به بقية دماء وروح، فصوب رشاشه نحو أبي حفص الفلسطيني و أطلق عليه النار، فأصاب الأبهر. وبدأ الدم يثعب، كان الشيخ شاكر الزنداني أخو الشيخ عبدالمجيد بجانب هذا أبي حفص، قال هجمت أنا و أبومعاذ كذلك يماني هجمنا لننقذ أخانا لنسعفه: أبا حفص، ففاضت روحه بين أيدينا، أبو حفص أسمر، قال فرأينا بودرة بيضاء على وجهه، تراب أبيض، ظننا أن وجهه قد تعفر بالتراب الأبيض، تبصرنا وتفحصنا، وإذا بها هالة من النور قد كست وجهه بعد الشهادة، لا يوجد تراب أبداً، يقول شاكر والله استنار وجهه كالبدر، هو أسمر، قال فحملناه في داخل بتو (البتو: الشادر الأفغاني الذي يضعونه على كتفهم)، حملناه بين أيدينا، في البتو. فانهمرت علينا القذائف من كل مكان، ألقيناه وهربنا. ابتعدنا عن القذائف. فجاء ساجداً هذا الشاب الذي استشهد جاء هكذا على هيئة السجود، ولم تمهلهم القذائف أن يرجعوا إليه، ونحن قلنا لهم كل من استشهد فاتركوه، لا تحملوه، ادفنوا القتلى في مصارعهم كما فعل رسول الله ﷺ في قتلى أحد، في اليوم التالي رجعوا إليه، والميت معروف أنه يتصلب كالخشب، وإذا به يتثنى، فمددوا يديه ورجليه وجسده كأنه نائم. وبقيت يده هكذا. ويقسم الأفغان بعد شهر ونصف أننا نرى النور يخرج من المكان الذي رشف فيه دمه على الأرض، النور كان من بين هؤلاء الشباب: شاب يماني كنا نسميه سبع الليل لشجاعته. سبع الليل هذا اسمه أحمد محمد الأحمدي: كان لا يقبل إلا أن يأتي إلى جدار القلعة التي فيها الشيوعيون، ومعهم أبواق وينادون على الشيوعيين: يا كلاب يا خنازير يا جبناء أطلوا رؤوسكم ها نحن على سور قلعتكم. فلا يستطيع أحد من الشيوعيين أن يرفع رأسه، فيطلقون عليهم القذائف ويرجعون. هذا الشاب عجيب، كان جوابه حاضراً على رأس لسانه، نكتته حاضرة، ويجيب كل واحد بما يستحق، إن كان سؤاله هازلاً فالجواب لاذعاً، يقول لأحد الشباب يا أخي الجهاد فرض عين، يناقش شاباً من الشباب الفاهمين، يقول له أحمد هذا الجهاد فرض عين، قال له من قال إن الجهاد فرض عين؟ سبع الليل: الجهاد ليس فرض عين، قال له أفتى بهذا الشيخ عبدالله عزام وهو عايش مع الافغان، قال له أنا لا آخذ بفتوى الشيخ عبدالله عزام.، قال إذاً نسأل لك أحمد عدوية المغني المصري، نسأل لك أحمد عدوية المغني المصري عن هذا ماذا يفتي، ما شاءالله. ماشاء الله يتفجر حماساً. جاء في وسط المعركة ورفض إلا ان يكون على راجمة الصواريخ التي مع المجاهدين، وكان يحمل الصاورخ ويضعه في داخل هذه القاذفة ويطلق في وسط المعركة، احتجنا أن نرسل رسائل إلى الشيخ رباني وحكمت يار وكانوا في بيشاور، لكن سيافاً كان في المعركة، كتبت رسالتين وبحثت عن شاب نشيط لم أجد مثل سبع الليل، قلت له احمل على بيشاور ولا تحضر حتى تحضر الجواب، ذهب إلى حكمتيار ورباني، قال لهم هذه الرسائل من الشيخ عبدالله أمضيتها أنا وأسامة بن لادن طلبنا من حكمتيار أن يأتينا إلى المعركة وطلبنا من رباني راجمة صواريخ لأن الراجمة الت[illegible]

يقذف عليها أحد الشباب العرب يسمونها (بي أم دوازده) فيها اثنتا عشرة ماسورة، تفجرت كل المواسير بسده بحر، معيرق ،مو، غير الشيخ سياف اثنتا عشرة ماسورة انبوبة هذه فتفجرت جميعها جاءنا الشيخ سياف براجمة بي أم يك (يسموها) يعني فيها ماء واحدة، تفجرت، فأرسلناه إلى رباني حتى يعطينا راجمة صواريخ كانت عنده راجمة صواريخ وألف صاروخ، كتب رباني ال المخازن للشباب العرب وأعطوهم ما يريدون وأعطوهم راجمة الصواريخ بشحمتها وألف قذيفة، وأما حكمتيار فقد تحرك مباشرة، به وصول الرسالة إليه تحرك إلى أرض المعركة ، رجع سبع الليل مسروراً يحمل الجواب من رباني وحكمت يار ويحث عني، أنا كنت الشيخ سياف ووصل متأخراً ومن الصباح هنالك دورية استكشاف قريبة من الروس، قال لا بد أن أكون فيها، قال له أسامة: نحن نر من أجل عملية اقتحام قال متى عملية الاقتحام؟ قال له بعد الظهر، قال قبل الظهر في الاستكشاف، بعد الظهر في الهجوم، الصباح فاتته دورية الاستكشاف فحزن كثيراً، فذهب مع راجمة الصواريخ ، راجمة الصواريخ هذه تخرج دخاناً كثيراً وغباراً ك ويراها العدو من بعيد فيضربون على مكان الدخان والغبار، وسلطوا صواريخهم على هذا المكان الذي فيه سبع الليل وراجمة الصوا وما هي إلا ساعة حتى أصابت سبع الليل شظية من الشظايا في دماغه.

... على الحدود في براجنار لكن روحه ترجو الله أن يكون ربنا قد تقبلها وأدخلها فسيح جناته، فاضت قبل أن يصل المستش وأمر الشيخ سياف أن يرسل إلى بيشاور ليدفن بين الشهداء العرب في بابي قرب بيت سياف، استشهد من الضحى، ودفن في ا التالي. والحر شديد، درجة الحرارة في بيشاور أكثر من درجة الحرارة هنا، والشيوعيون بعد ساعتين ينتفخون ويسودو- أعوذ با وتندلع ألسنتهم، وفي اليوم التالي يبدأ القيح والصديد، ويخرج الدود من عينه ، سبع الليل كان المفروض أن يتغير بهذا الحر. المفروض أن يخرج لدمه رائحة زنخة، ولكن شهد لي أربعة من العرب أن رائحة دمه تعبق كالمسك، تعبق كالمسك، دمه يتقطر لزج يجف، وهذه الكرامة كثيراً ما نجدها عند الشهداء وخاصة الشهداء العرب، أكثر من نصف الشهداء العرب خرجت لهم كرامات الشهادة، إما النور يخرج من قبورهم، صدقوا أيها الإخوة أن الأفغان حدثوني أن سعود البحري (سعد الرشود) شاب من هنا الجزيرة من منطقة الرياض أنه بعد استشهاده بثماني عشرة ساعة جاء عالم من علماء الأفغان يقرأ القرآن فوق رأسه، فعند ما ، سعد الرشود القرآن بعد استشهاده بثماني عشرة ساعة بدأ يرتجف هكذا كالغصن الذي هبت عليه الريح لخشية القرآن، شهيد ترة أوصاله عندما يسمع القرآن، هؤلاء الشهداء الذين سقطوا في هذه المعركة ثلاثة عشر منهم سبعة أو ثمانية رأينا لهم كرامات، ومعظ خرجت لدمائهم رائحة زكية.

وهذا الدكتور عبدالرحمن السوداني المسئول عن الوكالة الاسلامية هو بنفسه وهو دكتور يعني يفهم، فشم بنفسه رائح الشهداء. أليس كذلك يا دكتور عبدالرحمن نعم.[1]

يا أيها الإخوة: إن للعرب دوراً كبيراً ينتظرهم، ونحن نطرق أبواب اليمن كثيراً لأن هنالك صفات كثيرة مشتركة بين الش الأفغاني واليماني. الرجولة والحياء، والالتفاف حول العلماء، والكرم والإباء، والشجاعة الفطرية، والفطرة الخام، وصعود الجبال، وال على مشاق الطريق ولأوائها، هذه صفات مشتركة بين الشعبين الكريمين. نحن نهيب بالشعب اليمني أن يأتينا، ونهيب بالدعاة أن يا إلينا، ونرجو من الدعاة أن لا يخذلونا ولا يخيبوا أملنا، وصدقوا إن الواحد منهم يحيي جبهة بكاملها، يا أيها الإخوة: حتى الآن ما بعض الناس يقولون أن الجهاد الأفغاني ليس بحاجة إلى رجال، وأنا أقول وأنا أعيش السنة السادسة مع الجهاد الأفغاني، ولا عربياً في الأرض يعرف كما أعرف وغاص في خبايا هذا الجهاد وخفاياه، ويعرف أسراره وغوامضه ويعرف جنوده وقادته أكثر ، لا، لا يوجد عربي يعرف هذا. نعم أنا أدعي هذا لأني أعرف العرب الذين جاؤوا. أقول لكم بل أكثر من ذلك، أنا أعرف عن أ. الجهاد الأفغاني وليس ذلك إدعاءاً، ونحن لا نحب كلمة أنا. أعرف عن الجهاد الأفغاني أكثر من كثير من القادة، لأن القادة يتص بقادتهم وبزعماء أحزابهم فقط، أما نحن فنتصل بجميع الجبهات، ودخلنا جميع مواطن القتال، وعندنا رسائل من معظم القادة إ يكن منهم جميعاً، من معظم القادة الذين في داخل أرض النزال، وبيننا وبينهم مراسلات، وقد مسحنا الساحة الأفغانية كلها، ون صورة واضحة تماماً عن الجهاد الأفغاني. لا يتعللن أحد بعد اليوم فيقول سمعنا القائد الفلاني يقول: ليسوا بحاجة إلى رجال بحاجة إلى مال. لا، أقول لك. الجهاد الافغاني بحاجة إلى مال، بحاجة شديدة، ولكن حاجته إلى الرجال أشد من حاجته إلى المال، و وأنا أقسم في الشهر الحرام في البلد الحرام إن حاجتهم اليوم إلى الرجال العقلاء الدعاة أشد من حاجتهم إلى الطعام والم والدواء. لأننا رأينا آثار العرب في أفغانستان، الشاب العربي في مقتبل عمره، ولكن يكون عاقلاً متزناً ليس متسرعاً يصبح مستد لقائد الجبهة، ويصبح محط أنظارها، هو الإمام، والمرشد، والموجه، والقائد، وكل شيء في الجبهة يصبح هذا العربي، واحد يحيي ،

---

(١) الشيخ الزنداني يقول في هذا الموضع: سنسمع منه فيضيف الشيخ عبدالله سنسمع منه إن شاء الله.

بكاملها، ونحن نطلب العرب لأسباب كثيرة. نطلب العرب ليقوموا بدور التعليم، فالذين بدأوا بهذا الجهاد المبارك أبناء الحركة الاسلامية تسعون أو خمسة وتسعون في المائة سقطوا شهداء على الطريق. والآن قد تجد جبهة من الجبهات تنقل ميتها عشر كيلو مترات لانه ليس في الجبهة واحد يتقن صلاة الجنازة. أقول لكم: دور العربي الآن جاء، وهو رجل الساعة في الموقف حتى يعلم هؤلاء الأفغان، لأن الجيل الذي يخوض المعركة هذا نشأ في جو وجد أفغانستان بركة من الدماء، نظر إلى المسجد فرآه مهدوماً. توجه إلى المدرسة فرآها مدمرة، نظر إلى والد يربيه فوجده قد أواه التراب شهيداً. تلفت إلى أمه فوجدها قد ماتت تحت الركام، حوله لا يوجد أحداً. لا مسجداً، لا مدرسة، لا عالماً، لامربياً، لا يعرف عن الاسلام إلا حب الجهاد وإلا الصلاة والصيام وأركان الإسلام الخمسة. هؤلاء بحاجة إلى تربية، بحاجة إلى تعميق معنى الجهاد في أعماقهم، بحاجة إلى توضيح معنى الشهادة في أذهانهم وقلوبهم، بحاجة إلى من يعيش بجانبهم فيعلمهم أولاً ويرفع معنوياتهم ثانياً. لأن الأفغان: ثماني سنوات منذ دخول الروس وهم تحت القذائف، يتلفت الأفغاني الآن حوله لا يجد أحداً.

لا يجد أحداً من أقاربه، قبل شهرين استشهد قائد من القادة اسمه عبدالودود من أبناء الحركة الاسلامية، ومن القادة اللامعين في داخل أفغانستان، يقول لي الأفغان: هذا عبدالودود هو الرقم الستون من الشهداء من عشيرته: يعني سبقه من عشيرته تسعة وخمسون شهيداً وأصبح الموت والحياة عندهم سيان، نعم. سيان، صدقوا يا إخوة أرسلت أهلي (زوجتي) لتخطب بنتاً أفغانية لشاب عربي. فقالت لها أختها الكبيرة وهي تفهم العربية ومن الأخوات المسلمات من تنظيم الحزب الاسلامي- قالت لها عقول قبيلتنا بعد لا تستوعب أن تزوج غير أبناء القبيلة. ثم عقبت: قالت لها هل تظنين انه بقي للجنس طعم في نفوسنا؟ قالت: أنا متزوجة، والله شهران كاملان بعد الزواج ما قربني ولا قربته، وما تزوجته إلا من أجل أن يكون معي محرم في الذهاب والإياب والحركة، لم يعد لدينا أي طعم أبداً .أبداً. مصائب لو صبت على الجبال لذابت من أساسها. لم يعودوا يتذوقون شيئاً. لا طعاماً. لا جنساً، خلاص تجردوا. وأنا أعجب كيف صبر هؤلاء ثماني سنوات في هذه الشدة، ولكن الله هو الذي صبرهم، وإن الله ينزل المعونة على قدر المؤونة، وينزل الصبر على قدر البلاء كما جاء في الحديث الصحيح.

أقول: هؤلاء الأفغان نعم لا يهابون الموت، لكن أعصابهم لو كانت حديداً لذابت، وهم أناس من لحم ودم ، والمصائب أحالت نواصي الولدان شيباً. أعصابهم احترقت. لو كشفت عن قلب الأفغاني وعصرته لا ينزل دماً. لا ينزل إلا ألماً وحزناً. نفوسهم ينبوع من المآسي. وكل واحد تستطيع أن تكتب عنه ملحمة من الملاحم. قصص والله لو وجدت من يؤرخ لكتبنا عن الجهاد الأفغاني أسفاراً ضخمة ومجلدات كبيرة تتربى عليها الأجيال عشرات القرون. لكن لم تجد هذه البطولات ولا هذه القمم أياد صادقة تسطر مآثرها ولا نفوساً متفرغة تكتب تاريخها. كلها غابت تحت رمال أفغانستان. ونحن كتبنا بعض القصص البسيطة التي لا زال بعض الناس يجادلون فيها. يجادلون في الكرامات التي كتبناها في (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) وفي الكتاب الثاني (عبر وبصائر للجهاد في العصر الحاضر)، لا زالوا يجادلون. أما الآن لو كلمت الشاب العربي عن هذه القضايا يبتسم: إنه يراها يومياً. يراها يومياً بنفسه، القذيفة تنزل عليه وهو يستنجي تمهله القذيفة حتى يكمل الاستنجاء ويعود ثم تنفجر. عجيب هذا. القذيفة: معروف عندما تصطدم بالأرض تنفجر. نعم تنزل قذيفة بجانبه وهو يستنجي، فالله عز وجل يكرمه ألا يقتل أثناء الاستنجاء، وبعد أن يتحرك قليلاً تنفجر القذيفة...أمر من رب العالمين. لا تنفجر إلا بعد أن يغادر هذا الشاب.

شاب آخر عربي: وهو يستنجي أنزلت عليه الطائرة قذيفتين، كل قذيفة ألف كيلو غرام (طن) أبو عبيدة هو نفسه قائد الالتفاف هذا. قال يا رب (في قلبه) لا تمتني على هذا الحال وأنا أستنجي. يعني لو خارج الاستنجاء... بسيطه، أما أن أستشهد وعورتي مكشوفة؛ ما زالت القذيفتين بجانبه كل واحدة طن. وأنا رأيت النبع خارجاً من آثار بعض هذه القذائف. قذيفتان بجانبه لم تنفجر واحدة منهما، ولو انفجرت لتمزق في الهواء من هوائها. التفريغ الذي يحصل من تفجيرها يستطيع أن يمزق عشرة رجال.

قلت لشاب عربي قادم من مزار شريف (بلخ) قلت له حدثني عن الكرامات. قال ماذا أحدثك يا شيخ عبدالله؟ لو حدثتك عن الكرامات التي رأيناها لا تصدقها أنت. أنت لا تصدق يا شيخ عبدالله الكرامات التي رأيناها. قلت له سأصدق إن شاء الله. قال أنت كتبت عن الكرامات. لكن الكرامات التي رأيناها أنت لا تصدقها. قلت حدث: هما اثنان مع بعض، منهما أبو حفص الفلسطيني الذي استنار وجهه كالبدر. قال والله مجاهد أصابته قذيفة آر بي جي.. آر بي جي صاروخ معد لحرق الدبابة التي وزنها ستة وأربعون طناً، يحرق دبابة الفولاذ التي وزنها ستة وأربعين طناً، أصابته قذيفة آر بي جي. على صدره حزام من الرّصاص تطاير. صدريته التي يلبسها هذه الأفغانية لا يدري أين هي. والله ما جرح. قذيفة آر بي جي: تصيبه هكذا تفتح فتحة في ثيابه: في المفروض أن تخترق الدبابة الفولاذ ...

كرامات في الجهاد الأفغاني، موجود كرامات، طيب الحمد لله.

يا أيها الإخوة: نحن يا أبناء الدعوة في اليمن أولاً ندق أبوابكم ونطلب منكم ثلاثين شاباً فقط من أبناء الدعوة، ما نحن ناس نقنع بالقليل، كثرنا عليكم؟ ثلاثون ولاية: نزرع في كل ولاية واحداً من الدعاة يحييها، ويقود جبهاتها، ويؤلف بين الج المختلفة، ولا يقدر على التوحيد والتأليف إلا العربي، بإذن الله، نريد من العربي هذا ان يكون إماماً، أن يكون معلماً، أن يرفع المعن أن يوحد بين الجبهات، أن يزيد المعارك، لأنه يأتي متعطشاً للقتال، أن يوصل المساعدات بيده في داخل الجبهة، أن يصب خبرات في داخل الجبهة، أن يوقف سيل الهجرة المتدفق من داخل افغانستان.

يا إخوة كل دقيقة يهاجر واحد من أفغانستان، كل تسعة وخمسين ثانية يهاجر واحد من أفغانستان، إما من أفغانستان أفغانستان، أو من أفغانستان إلى إيران وباكستان، نريد أن نوقف هذا السيل الذي يهدد الجهاد الأفغاني، ولا يوقفه إلا دخول ع جديد عربي يماني يعيش بينهم، فيستحي واحد منهم أن يغادر الجبهة ويترك العربي يحمي بلاده، نعم، ولذلك هؤلاء الأفغان ا استشهد معهم سبع الليل هذا اليماني، قائد كبير لواء أو عقيد الذي استشهد معه كان على راجمة الصواريخ كان يهز رأسه أم يماني، يماني، بسيار ديلاور بسيار بهلواني، يماني بطل كبير، شجاع عظيم، لواء: من قادة أركان الجمعية، لواء في الجيش الأ كان سلم نفسه للمجاهدين وصار يجاهد معهم، معجب ببطولة سبع الليل، وهكذا معظم الشباب العرب، كل واحد منهم يعتبر نموذجاً الأفغان، نريد ثلاثين فقط من أبناء الدعوة وأن تتكفلهم بنفسها، فإن لم تستطع: نصف تكاليفهم، متزوج أو غير متزوج أهلاً وسهلاً نتكفل بالنصف الآخر، فإن كانت لا تستطيع أن تتكفل بالمرة، نحن نتكفل بالجميع إن شاء الله من الدريهمات القليلة: ليس التي نج منكم الحمد لله، لا ندفع لعربي درهماً واحداً من فلوسكم التي نجمعها، ولا درهماً من التبرعات أبداً، إنما هنالك بعض التجار منهم الرجل المبارك أسامة: يتكفل بمعظم تكاليف العرب وأسرهم وأبنيتهم وتنقلاتهم وتذاكرهم، ثلاثون واحداً، ثم نطرق باب الم الإسلامية ونقول: أرسلوا شبابكم في الصيف إلينا، لا نريد أن نغلق المعاهد! لا.. أبقوها مفتوحة، أرسلوا الشباب ليجددوا حيا ليرفعوا رؤوسهم، ليقووا أملهم، ليعيشوا حياة الأبطال التي ينقلونها إن شاء الله ويخلصون اليمن من الشيوعية أبداً، ثم كذلك المد والطلاب، المدارس كذلك، المدرسون المسلمون عطلتهم ثلاثة أشهر أو أربعة ؟ عشرة أشهر لك ولأولادك، تسعة أشهر المدرسة وشهر ذ تذهب تشم الهواء في أي مكان تريده، وشهران لأفغانستان، نحن زهاد لا نطمع كثيراً (لأنه لا يضر الدين إلا الطمع)، ولكن هذا ال إن شاء الله فيه خير كثير، وندق باب الشعب اليمني نريد ثلاث مائة منه، ثلاثين من أبناء الدعوة وثلاثمائة من أبناء الشعب اليم ونريد الشباب أن يأتونا في الصيف والمعلمين والموظفين يقضون إجازاتهم في سياحة أمة رسول الله ﷺ في الجهاد. هؤلاء الثلا أن تتكفلهم مساجدهم، فكل حي يرسل واحداً من الشباب المتحمسين ويتكفله، إن كان متزوجاً: يكفله هو وأسرته، وأجرة البيوت الحقيقة إرتفعت كثيراً في بيشاور بسبب وجود الأمريكان والسويديين وغير ذلك صاروا يستأجرون البيوت بإيجارات مرتفعة، يتكفل بد لهم من خمسمائة دولار في الشهر له ولبيته ولأسرته وما إلى ذلك، خمسمائة دولار، فالمتزوج يكفله المسجد بستة آلاف دولار سنوي تقولوا هذا المبلغ كبير، وهذا المبلغ يكفل عشرات الأيتام، وجود العربي إن شاء الله عظيم وثقيل في ميزان الرحمن ثم في مي الإنسان، وله أثر أعمق بكثير من هذا المبلغ القليل، ثلاثمائة مسجد تتبنى ثلاثمائة شاب من اليمن، أو التجار كل تاجر يتبنى غازياً الغزاة يكفله ويدفع له راتبه السنوي، ونريد منكم كذلك في آخر كل شهر عندما تستلم راتبك أن تخصص خمسة في المئة للجهاد، خ ي المئة، تأخذ ألف ريال: خمسين ريالاً منها، تأخذ عشرة آلاف ريال خمسمائة ريال، وليس كثيراً عليك أن تخصم من ألف ر خمسين ريالا ليس كثير، أبداً، هي مصروف يوم ثمن كيلو لحم.

بكم كيلو اللحم؟ ستين ريالا، إدفع ثمن كيلو لحم في الشهر للأفغان، يا أيها الإخوة نحن بحاجة إلى الدعاة بحاجة، جاهدين، بحاجة إلى الرجال، بحاجة إلى المال، فلا تغفلوا عنها فيغفل الله عنكم في وقت تحبون أن تنصروا فيه إن غفلتم نوانكم **(ما من امريء يخذل أخاه في موطن ينتقص فيه من عرضه وتنتهك فيه حرمته إلا خذله الله** **رطن يحب أن ينصر فيه.)** واحدة بواحدة ، والأفغان الآن كما قال سياف: نحن ندفع ضرائب تقصير آبائنا، آباؤنا قصروا سرة إخوانهم في بخارى فسلط الله عليهم الروس، ونحن الآن تخاذلنا عن إخواننا في أفغانستان فيسلط علينا عدونا ولا نجد سرنا، وكما قال ابراهيم بيك المجاهد البخاري الذي كان يجاهد ينطلق من أرض أفغانستان إلى داخل بخارى، ويقاتل ويرجع، وه الين، وضغط على نادر شاه ملك أفغانستان وأراد نادرشاه أن يمسكه، يمسك هذا المجاهد مع كوكبته ويسلمها، فدخل إبراهيم داخل روسيا وبقي يقاتل حتى استشهد، ولكنه قال ورجلاه تغادران قندز وتخار قال لهم: اليوم بخارى وغداً أفغانستان، اا ى وغداً أفغانستان، وأنا أقول لكم: اليوم أفغانستان وغداً عربستان، فإذا لم تنصروهم لا ينصركم الله، وإذا خذلتموهم يخذ

الله، وواحدة بواحدة، والمسلم أخو المسلم، لا يسلمه ولا يظلمه ولا يخذله والجهاد الآن فرض عين أفتى به العلماء في كثير من أرجاء الأرض، فليس لكم عذر بالقعود ، لا بد من الحركة بهذا الدين، ولا بد من التحرك للجهاد العظيم.

يا أيها الإخوة: دوركم المنتظر كبير، وبإمكانكم أن تحفظوا مسيرة هذا الجهاد المبارك، بإمكانكم بإذن الله أن تؤدوا مهمات كثيرة بأعداد قليلة، بشباب .

بكل أشعث يلقــى المــوت مبتسمـــاً	*حتــى كــأن له في مــوته إربـــاً*
فج (أي أصيل) يكاد صهيل الخيل يقذفه	عن سرجه فــرحاً بــالغــزو أو طربـــاً

يا أيها الإخوة: هذه المعركة التي خاضها إخوانكم العرب وصدوا خمس مرات الهجوم الروسي بجانب إخوانهم الأفغان كانت النتيجة .

لقاء مع أبناء اليمن .

..... أما الآن استشهد هؤلاء وبقي عامة الشعب، عامة الشعب عاديون، الشيء الثاني لولا صبر هؤلاء ما وصل العرب هناك، والعرب لا يستطيعون أن يجاهدوا بدون الأفغان، هم هؤلاء الأربعة والعشرين لم يردوا الروس وحدهم، كان حولهم ألف وخمسمائة من الأفغان، لكن كان لثباتهم أثر في المعركة، الشيء الثالث كما قلت ثماني سنوات طحنت أعصاب الأفغان، طحنتها طحناً، وكما يقول الشيخ سياف نحن والعرب بالنسبة لهذا الجهاد كالمكي والآفاقي، بالنسبة الكعبة يأتي الآفاقي ويكشف عن صدره ويلصقه بالملتزم ويبكي ودموعه تجري وهو يجأر إلى الله عز وجل أن يجيب دعوته، وابن مكة يمر من جانب الكعبة لا تثير فيه حسا، ولا تؤثر فيه إحساساً، فيعني الأفغان شبعوا شهادة، شبعوا من هذا الجهاد، لكن بقي المتعطشون للجهاد والشهادة، وهم هؤلاء الذين أقبلوا منذ أشهر أو منذ سنة إلى هذا الجهاد، ولا يستطيعون أن يعملوا إلا من خلالهم، مئتا عربي بين مئتي ألف أفغاني: يعني كل ألف مقابلهم واحد، إيش قيمتهم؟ لكن هم مثل الملح، الملح ما قيمته بدون الطعام؟ فالطعام هو الكثير، ولكن الملح يحسن النكهة ويلذ الطعام به.

هناك بعض أسئلة متشابهة، عندي ثلاثة أسئلة متشابهة: سؤال يسأل عن الدولة المؤقته لأفغانستان، وسؤال أيضاً حوله محادثة جنيف حول القضية الأفغانية، وسؤال أن ملك كابل الذي اسمه ظاهر شاه سوف يعود إلى البلاد، يعني برضا روسيا والدول الغربية، يظهر والله أعلم نحن نقدمها كلها لأنها حول موضوع واحد.

أما ظاهر شاه فهو مرفوض أبداً من الجهاد الأفغاني، وقضية ظاهرشاه ليست جديدة، هي منذ أن دخل الروس وحل ظاهرشاه مطروح، وكان تصريح سياف دائماً نحن نرحب بالملك ظاهرشاه لنقتله في المطار، فالملك ظاهرشاه انتهى، نصفه في القبر ونصفه على حافته، انتهى دوره، لكن روسيا وأمريكا تطرح هذا الحل، هي تعلم أن المجاهدين لا يقبلونه، والآن ثلاثة من القادة يقبلون بعودة ظاهر شاه، وهؤلاء ليس لهم وزن في داخل أفغانستان وهم مجددي والجيلاني ومحمد نبي، هؤلاء لهم حوالي عشرة إلى خمسة عشر في المئة من الجهاد عشرة في المئة ويعني ليس لهم وزن حتى في داخل قلوب المجاهدين الذين يجاهدون معهم، بقي سياف وحكمتيار ورباني وخالص هؤلاء أربعة الذين لهم خمس وثمانين في المئة من الجهاد تقريباً إلى تسعين، هؤلاء يرفضون البته طرح اسم ظاهرشاه في المحافل الدولية، هذه واحدة، جنيف ما جنيف؟ الحل بيد المجاهدين لأنهم يملكون زمام المبادرة، ولا زالوا يملكون المفتاح بأيديهم لأنهم منتصرون في أرض المعركة، إذا هزم المجاهدون لا حاجة لا لمفاوضات ولا لشيء، نرجو الله أن ينصرهم، ما داموا منتصرين حتى الآن فالأمريكان والروس يرجونهم أن يقبلوا الشروط، يعني في (١٥) يناير هذا العام قبل سبعة أشهر أعلن نجيب رئيس الدولة الشيوعية الأفغانية قال سنوقف يوم (١٥) يناير القتال مع المجاهدين حقناً للدماء وحماية للأبرياء، وأوقف في يوم (١٥) يناير القتال أمر جميع ثكنات الجيش ان توقف إطلاق النار وفي نفس اليوم وفي نفس الليلة تقريباً ما بقيت قاعدة من قواعد الشيوعيين إلا وهجم عليها المجاهدون الأفغان، وأشعلوا أفغانستان في تلك الليلة التي وقف فيها إطلاق النار من الدولة ناراً إعلاناً أننا لن نقبل بوقف إطلاق النار أبداً، ولذلك هم يتمنون أن يوقف إطلاق النار، يتمنون أن يقبل المجاهدون ببعض شروطهم، ولكن المجاهدين مصرون على أن الجهاد مستمر حتى تنسحب روسيا وتقوم دولة الإسلام في أفغانستان إن شاء الله...

س: جزى الله الشيخ خيراً، وقد كثرت عليه الاسئلة، لكن هنا سؤال مهم جداً وهو: يسأل أحد الحاضرين أنه كان في صفوف الجبهة الشيوعية في اليمن، وبعد أن هزمت في يناير في اليمن الجنوبية قال إن قادته أمروه بالتظاهر بالإسلام والعمل بالشيوعية سراً، والآن يريد استعداده أن يجاهد في بلده ليمحو عار الشيوعية وما ارتكبته في بلده اليمن الجنوبية، هذا مطلبه .

ج: طيب ممتاز، جمع حولك مجموعة وابدؤوا ابالقتال لعل الله يأتي إليكم بالمسلمين.

س: سؤال يقول: هل صحيح أن أمريكا تساعد المجاهد بصواريخ ستنجر؟

ج: نعم تساعد المجاهدين بصواريخ ستنجر ولكنها تأخذ ثمن كل صاروخ سبعين ألف دولار، سبعين الف دولار، طوله مة الصاروخ طوله متر ثمنه سبعين ألف دولار تأخذه، الحقيقة هناك بعض الجهات الإسلامية تساعد باكستان سراً من أجل الجه الأفغاني، من هذه الجهة تدفع هذه الأموال.

س: هنا سؤالان يكادان أن يكونا متفقين: سائل يسأل يقول هل يجب على كل مجاهد أن يتعلم اللغة الأفغانية، والثاني يسـ هل يكفيني لي أن أتعلم يعني عادة الأفغان وديانة الأفغان، يعني يقول أن يتعلم المذهب الحنفي أو المذهب الذي يدين به الأفغان، وه تكاد تكون سؤالات، وسائل هل أتعلم الدعوة إلى الله أولاً ثم أذهب إلى الأفغان فيظهر الجواب واحد.

ج: – أنت تعال عندنا، تعال عندنا والبقية يحل ان شاء الله. نحن نعلمك ماذا يختلف المذهب الحنفي عن المذهب الشافعي الذ تصلون عليه. المذهب الشافعي في اليمن أو عن المذاهب الأخرى، هي بعض الخلافات البسيطة نعلمهم إياها، ونعلمك عادات الأفغا ونعلمك مذهب الأفغان ليس دين الأفغان لأن الافغان دينهم الإسلام ونحن ديننا الاسلام لكن قد نختلف عنهم في المذهب الفقهي، أ العقيدة والأصول نحن ملتقون عليها وهي خلافات في بعض الفرعيات. التي يظنها بعض الجهلة أنها أشياء عظيمة وأصولاً كبير فعندما تأتي فقط، نحن نريدك أن تأتينا حافي القدمين، كاشف الرأس!! وتلبسك حذاء، ونضع على رأسك طاقية، ونلبسك لباد أفغانيا، ونعلمك عادات الأفغان، نعلمك المذهب الحنفي، وتدخل معهم شهراً شهرين تتقن اللغة الفارسية وتصبح مثلهم تماماً إن شاء الله

س: هناك أسئلة كثيرة: يسأل واحد أن له أولاداً كثيرين، ولا يملك من المال إلا قليلاً، فهل يتمكن بأن يذهب هو وأولاده ثم يذه إلى الجهاد في سبيل الله؟

ج: نعم يستطيع المتزوج، ونحن نريد المتزوجين، لأن المتزوج يكون ثقيلاً مستقراً، الأعزب يبقى يفكر في الزواج، ويبقى يح الانتقال، اما المتزوج خلاص يستقر قراره فيكون صاحب تجربة وصاحب حكمة ونضج، نضج فكري، وعنده ثقافة إسلامية وحصيا علمية وعادة، خاصة أبناء الدعوات. فنقول: تعال: أنت وزوجاتك الأربع وأولادك العشرة نسكنك تأكل وتشرب وتنام وتعبدالله عز وج عبادة الجهاد كله مجاناً إن شاء الله. وعندنا في بيشاور أكثر من مائة وخمسين أسرة عربية، وعندنا مدرسة عربية إعدادية كاملة معترة بمنهاجها في الدول العربية، فلا تخف لا على مدرسة الأولاد ولا على زوجتك، فقط خف على الجنة ان تفوتك أن تمسك بك.

س: جزى الله الشيخ خيراً. هناك سائلان يسألان. وكلهما والحمدلله هذه أسئلة من اليمن الجنوبية، والحمدلله هذا يبشر بخير وأحببت أن أقدمها لكم لأن هذا عدد إن شاء الله نتمنى أن يكون عدداً صحيحاً لتحرير هذه الأرض التي أنا أعتبرها أنها بذمة كل أب الجزيرة العربية أولاً: أن يقتطع يعني ما يساوي عشر الجزيرة العربية تحت حكم شيوعي عالمي رسمي: (لا إله والحياة مادة) هذا نص دستورهم (لا إله والحياة مادة). بعض الدول تستحي وتقول دين الدولة الرسمي الاسلام ؟ ما لم تستح بل قالت (لا إله والحياة مادة).

ج: – أعوذ بالله

س: – نعم هذا النص الأول من دستورها.

ج: –النص الأول؟

س: –نعم النص الاول من دستورها

ج: –من دستور اليمن؟

– نعم هذا النص الأول، ولهذا أنا أعتبرها كافرة كفراً بواحاً، النص الأول. وهذا يعني حقيقة خطير، يعني خطير أن نسكت ولهذا هذا سائل يسأل يقول: إن النظام الشيوعي في اليمن الجنوبية يساعد الشيوعيين في أفغانستان بالإعلام، فهل يساعده عسكري بالرجال وغير ذلك؟ وسائل يسأل وهو سؤال أيضاً مقارب لهذا السؤال: لماذا لا نقاتل أو لا نشغل الشيوعيين عندنا في جبهة في اليمز الجنوبية؟ لكنه يستأذن يقول يعني كأنه يحب بلاده يقول أحسن مما نذهب إلى أفغانستان، وأنا مع الشيخ في السؤال الأول أولاً أنه قد فتح الله لنا جبهة في أفغانستان ويمكن الشيخ يجيب على سؤاله.

ج: – إسمع أقول لك: أولاً أبناء اليمن الجنوبي أول شيء يجب أن تخلص الراية، إياكم أن تقاتلوا إلا تحت راية (لا إله إلا الله)، لا تقولوا الآن نقاتل مع فلان أو فلان وهذا ألطف من الشيوعيين الحمر، فعندما نمسك إن شاء الله نرجعه ونرجع.. لا، إرفع راية (لا إله إلا الله) حتى يتجمع حولك أبناء (لا إله إلا الله)، يجب أن تكون الراية واضحة: إسلامية. والجهاد إسلامي، حتى يأتي إليك شباب الإسلام.

جاءت حملتهم و وضعتهم على الضفة الأخرى للنهر! نعم والمجاهدون قالوا خلاص مسك هؤلاء، وكانوا يزحفون زحفاً يمشي الواحد منهم في الساعة أمتارا يزحف على بطنه، رجله تنزف دماً، عظامه مكسرة محطمة من القذائف، يزحف على بطنه، وبعد خمسة عشر يوماً وصلوا المجاهدين، لا يوجد أكل، كان الواحد منهم عندما يتعب ينام فيقوم يجد بقايا الطعام بين أسنانه بقايا الطعام بين أسنانه، خمسة عشر يوماً ما أكلوا ولا شربوا، لكنه من عندالله يرزق من يشاء بغير حساب.

(يامريم أنى لك هذا؟ قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) ووصلوا بعد خمسة عشر يوماً، والمجاهدون قالوا خلص أسروا، لأنه لا يمكن ان يقطعوا النهر، ولا يستطيعون الهرب، وعجبوا، كيف قطعتم النهر؟ وكيف وصلتم؟ قالوا ما رأينا إلا ونحن هكذا، من فوق النهر نأتي إلى الضفة الأخرى. فجئناكم زحفاً على بطوننا، فهل أنتم مصدقون ؟ إذا ما صدق أهل اليمن هذه مصيبة.

ج:- سائل يسأل يضيف يقول: لماذا لا تعيدوا طبعة الكتاب المنتشر وتنشر تفاصيل أدق يعني أكثر من هذا أوضح.

س:- نحن نشرنا كتاباً ثانياً سميناه (عبر وبصائر) هنالك أناس يقولون لي ما هذا الكتاب؟ هذه الكرامات ما رأينا مثلها في الصحابة هذه أكثر من الكرامات التي تنزلت على الصحابة، ونحن نقول واسمعوا يا أهل اليمن، إن الكرامات التي تنزلت على الأفغان أكثر من الكرامات التي تنزلت على أصحاب رسول الله ﷺ، اسمعوا مرة أخرى: إن الكرامات التي تنزلت على الأفغان أكثر من الكرامات التي تنزلت على الصحابة، لا لأن الأفغان أفضل من الصحابة، فالصحابة الواحد منهم يعدل شعباً، لكن الكرامة تنزل عندما يضعف إيمان الناس لحجة أو حاجة، لحجة في الدين أو لحاجة من النصر والرزق وهذا الأمر قرره الإمام أحمد وابن تيمية وغيرهم، سئل الإمام أحمد لماذا كثرت الكرامات على التابعين أكثر من الصحابة؟ قال لأن الصحابة أرسخ إيماناً، فكلما ضعف الإيمان ازدادت الكرامات، والكرامة للاستئناس: حتى يأنس هذا ضعيف الإيمان أن خطه صحيح، وأن مجراه لا زال يرضي الله ورسوله ﷺ.

س :- بقي أظن سؤالين أو ثلاثة في معنى واحد [1]

سؤال حول المقارنة بين الجهاد في أفغانستان وبين الجهاد في فلسطين، والجهاد في أفغانستان ولله الحمد يقول السائل أنه قد أثمر، والجهاد في فلسطين لا يزال مكملاً مثل الشهادة الإكمالية، فما رأي الشيخ جزاه الله خيراً.

ج: -اسمعوا، أنا قلت لكم اليهود خائفون جداً من مجيء الشباب العرب إلى أفغانستان. وهم متيقظون، وإن كنا نظن أنهم نائمون، يخافون كثيراً من تجمع الشباب العرب في داخل أفغانستان، وخاصة الشباب الفلسطيني والسوري المحيطون بمنطقة فلسطين خاصة، ولذلك بدأوا ينبهون الباكستان والأمريكان وغيرهم أن يشددوا عليهم، لكن كلما أغلقوا باباً يفتح ربنا مائة باب، وكلما زادت الشدة في الأرض كلما جاءنا عدد أكثر، نحن كنا نقاتل في فلسطين سنة تسع وستين وسبعين، فذقنا حلاوة الجهاد، وهذا السبب أني ذهبت إلى أفغانستان لأني تذوقت حلاوة الجهاد في فلسطين، نحن قاتلنا في فلسطين، حتى ذبحونا وفرضوا الحدود -العرب نفسهم-، وصفدونا وقيدونا ومنعونا الحركة، وصار الذي يطلق طلقة على إسرائيل يطلق العرب على ظهره عشر رصاصات، نعم، وأصبح اقتناء مسدس أو رصاصة جريمة تعقد لها محكمة عسكرية، فذبحوهم في الأردن ذهبوا إلى سوريا فذبحوهم في سوريا، ذهبوا إلى لبنان ذبحوهم في لبنان، العرب الذين ذبحوهم، وعندما لم يستطع العرب ذبحهم في لبنان قالوا لليهود ادخلوا واذبحوهم وأكملوا عليهم ونحن ننظر إليكم وبعد أن تتموا الذبح نتوسط حتى يخرّجوا دون سلاح الفلسطينيون فيتركوا لكم الأولاد والنساء تذبحوهم كالشياه، لكن نحن لواستطعنا أن نقاتل في فلسطين لا نذهب إلى أفغانستان، حب المسجد الأقصى يجري في عروقنا فأنا فلسطيني والأرض المباركة تخليصها جزء من عقيدتنا، ونحن نطمئن اليهود وغيرهم أننا لن ننسى فلسطين، تابعتمونا أو لم تتابعونا، نحن لن ننسى فلسطين، ونحن راجعون إن شاء الله بإذن الله مادام في النفس؛ في الجسد عرق ينبض، ومادام في الروح دماء، وما دام هذا الأنف يشم الهواء، ولا تغتروا بهذا الشيء، الحمد لله روحنا شابة.

عمـــــري بروحي لا بعدي سنين	*فلأسخرن غـــداً من التسعيـــن*
عمري إلى الخمسين يجري مسرعاً	*والــــروح ثابتة علـــى العشـــرين*

- إن شاء الله تزداد روحنا والله يوماً بعد يوماً شباباً وقوة وحماساً، ونحن نجد شبابنا معكم الذين تأتون إلى الجهاد، نجدد حياتنا معكم، الآن نحن نعيش مع أبناء التاسعة عشرة والعشرين، فأنا عمري معهم عشرين سنة، فأنا كل يوم والحمدلله أركض الصباح معهم خمسة كيلو متر فلا تقولوا اجلس، الحمدلله، والشباب يقصرون، الحمدلله أنا لا أقصر في الطابور، نعم نحن قادمون بإذن الله

ونحن نعلم أن الجهاد فريضة العمر ليست النهاية في أفغانستان إن شاء الله نحرر كابل ونرجع إلى بيت المقدس نحررها إن شاء الله ونذهب إلى اليمن ونحرره وإلى بخارى وإلى الأندلس لأنها فريضة العمر كالصلاة لا تسقط إلا عندما يموت الإنسان، ليست مفروضة في أفغانستان وليست مفروضة في فلسطين فقط هي فريضة الحياة كالصلاة والصوم لا تسقط إلا عند الموت وليست مرهونة بزمان، و مرتبطة بمكان هي فريضة الحياة فإن شاء الله ربنا يعين ونحن الآن نقول كذلك نرجو الله أن يثبتنا أن يثبت قلوبنا وأبداننا، ونرجو الله أن لا يفتننا، ونعوذ بالله من مضلات الفتن، ومن ضعف الإرادة، ومن الأهواء، ومن الذل الذي يقوده الشيطان، نرجو الله عز وجل، نحن نقول الآن هكذا ونرجوالله ألا يقدر الشيطان علينا فيخرجنا عن الطريق عن طريق الجهاد، نحن مستمرون وراجعون إلى فلسطين بإذن الله إن شاء الله رب العالمين.

س:- جزاك الله خيراً بقي هذا السؤال الأخير من اليمن الجنوبية وهو يسأل يقول: هل يتفضل فضيلة الشيخ بنصحنا أن نعد أنفسنا إعداداً كاملاً ثم نجاهد في اليمن الجنوبية أم نذهب إلى أفغانستان لنتعلم الجهاد.

ج:- أنا أنصح بإذن الله الآن أن ترسلوا مجموعات إلى أفغانستان من شبابكم يعيشون الجهاد حياً، فعندما يقوى أملهم بالله كثيراً عندما تنتصر إرادتهم على أهوائهم، وتتحرر أرواحهم من أوهاق الدنيا ومن قيود الشهوات ومن أكبال النزغات أنصحكم أ... وكما قلت لكم كل مسجد يكفل واحداً، كل تاجر من بافلان ويا فلان ويا فلان يا خشب ويا عشن ويا كذا هؤلاء كلكم من اليمن قولوا هؤلاء، إكفلوا هؤلاء وأرسلوهم إلينا، ونحن نربيهم إن شاء الله ونعلمهم، وترتفع أرواحهم، وتبنى أجسادهم ويشتد مراسهم ...جعون بإذن الله، هؤلاء اليمنيون الجنوبيين الشيوعيون لا يحتملون، ضربة واحدة إسلامية خالصة، لا يحتملون لا يحتملون إن شاء الله ...ماً أمامكم، أمام قوة الإيمان وضربات تؤيد من الرحمن، كيف يحتمل هؤلاء أتباع الشيطان « الذين آمنوا يقاتلون في سبيل ... والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً»

أقول قولي هذا وأستغفرالله لي ولكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

- والله أكبر الله أكبر الله أكبر .

الشيخ يخاطب الجمهور: اهتف الله أكبر .

الجمهور: الله أكبر .

الشيخ: الله اكبر .

الجمهور: الله أكبر .

الشيخ: الله أكبر .

الجمهور: الله أكبر.

الشيخ: الله أكبر ولا عزة إلا بالإسلام.

الجمهور: الله أكبر ولا عزة إلا بالإسلام.

لشيخ: الله أكبر ولا حكم إلا للقرآن.

جمهور: الله أكبر ولا حكم إلا للقرآن .

شيخ: الله أكبر والجهاد سبيلنا .

جمهور: الله أكبر والجهاد سبيلنا .

سيخ: الله أكبر والقرآن دستورنا .

مهور: الله أكبر والقرآن دستورنا .

يخ: الله أكبر والرسول غايتنا .

هور: الله أكبر والرسول غايتنا.

يخ: الله أكبر الله أكبر ولله الحمد .

ور: الله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

لسلام عليكم ورحمة الله .

كذلك الجهاد بحاجة إلى مال فهم فقراء وما رأيت... أنا ما كنت أظن أن لون الطعام يظهر على الوجه إلا في أفغانستان، أناس يعيشون قرب هرات بين هرات وإيران على الحشيش، ظهر لون الحشيش على وجوههم، لون العشب أخضر، شفاههم تحولت كشفاه الغنم، زارهم سيد نورالله عماد وهو ابن هرات ومن المجاهدين قادة المجاهدين فقال لهم لماذا تسكنون بعيداً عن الماء انتقلوا بجانب عين الماء، قالوا له صحيح لكن لا يوجد حشيش طيب مثل هذا الحشيش الذي نأكله هناك، فهم بحاجة إلى مال. أيتامهم بحاجة إلى كفالة أراملهم بحاجة إلى كفالة بحاجة إلى ثمن الخيمة، المجاهد بحاجة إلى ثمن الحذاء بحاجة إلى ثمن الكساء بحاجة إلى ثمن الرغيف، أنا

صرح به قادة الجهاد، حكمتيار كان في أمريكا وعقد مؤتمراً صحفياً، سألوه ماذا استلمتم من أمريكا من مساعدات أو سلاح؟ قال لم نستلم شيئاً أبداً وطلب ريجان مقابلة حكمتيار فرفض حكمتيار. فهذا السفير الواسطة بينهما ما صدق أن واحداً يرفض مقابلة ريجان، قال له أنت مجنون؟ واحد حاف فقير. ريجان سيد الأرض يطلب مقابلتك. أنت مجنون؟! قال له لست مجنون لا أريد مقابلته قال له ستون رئيساً على قائمة ريجان يرفض مقابلتهم وبطلب مقابلتك، قال لا أقابله، إذا أصررتم أنا أغادر أمريكا الآن الأستاذ رباني ذهب إلى أمريكا وقابل ريجان ريجان يسأله هل وصلتكم الأسلحة الأمريكية؟ فالأستاذ رباني أجابه إجابة لاذعة، قال له نحن ننقل الأسلحة على الحمير والبغال، في داخل أفغانستان تمكث القافلة شهر وشهر ونصف في داخل أفغانستان حتى تصل إلى الشمال، يبدو الحمير الأمريكية التي عليها السلاح بعد ما وصلت، فما قدمت شيئاً أبداً، نعم قدمت للمهاجرين طحيناً هذا صحيح، لأنه ناس يعني يأكلون كل شهر خمسين مليون دولاراً طحيناً، خبز هؤلاء لو لا الله ثم القمح الذي يأتي عن طريق الأمم المتحدة الأمريكان والانجليز والألمان واليابانيين وغيرهم يموتون جوعاً، نعم يقدمون للمهاجرين، لكن المجاهدين رافضون أن يتعاملوا مع أمريكا.

بنت فرنسية اسمها مسزلورنس دخلت أفغانستان، وطافتها ومسحتها صحياً، وقدمت للأمريكان تقريراً على أن هذا يحتاج مائة مليون دولار حتى تنفذ مشروعاً صحياً، مستعدون أن تقدموا؟ قالوا مستعدين. ثم تقرير آخر: طلبوا ستين مليون دولار للتعليم في داخل أفغانستان، حملتها اللجنة وجاءت إلى بيشاور، قالوا لقادة الجهاد اسمحوا لنا أن نعلم أبناءكم الضائعين في داخل أفغانستان. قالوا لا، ننشيء لكم مستشفيات؟ عيادة؟ لا، لجأوا إلى هنا، إلى هنا، قالوا لبعض الهيئات الإسلامية قالوا اقنعوا هؤلاء الذين عقولهم ناشفة أن ندخل إلى داخل أفغانستان نعمل لهم مستشفيات ومدارس، قالوا لا دخل لنا، جاؤوا للهلال الأحمر السعودي، قالوا لهم أنتم مقبولون لدى الأفغان، دعونا ننفذ معكم المشروع ونحن ندفع الأموال. قالوا لا، اللجنة التعليمية كذلك ... هذا رئيس اللجنة التعليمية حمل الستين مليون دولار وانتظر عشرة أشهر، وكاد يجن، قال لهم يا جماعة هؤلاء مجانين الأفغان، بعد شهرين سترجع إلى الحكومة الأمريكية إلى الخزينة الأمريكية الستين مليون دولار، اقنعوهم يقبلوا، فرفضوا أن يقبلوها، طبعاً الأمريكان والغربيون بإمكانهم أن يدخلوا في الداخل عن طريق ضعاف النفوس، عن طريق الفقر وعن طريق هذا.. لكن عن طريق زعماء الأحزاب الجهادية ما استطاعوا.

س- فضيلة الشيخ يقول: إن بعض الناس يتحدث أن المجاهدين الأفغان مختلفين فيما بينهم، فهل لهذا الادعاء من صحة؟ كما أننا نسمع أن بين صفوف المجاهدين أصحاب فرق وملل بعيدة عن الاسلام كالشيعة والمتصوفي فهل لهذا الإدعاء من صحة؟

ج- أولاً الشيعة ليس لهم وجود في الجهاد الأفغاني، قادة الجهاد السبعة البارزين كلهم من أهل السنة والجماعة القادة الأربعة الذين لهم ثقل في داخل أفغانستان وهم رباني وحكمتيار وسياف ويونس خالص الحمدلله لهم ثقل و معروفون بعقائدهم الواضحة النيرة. الشيعة ليس لهم وجود في داخل الجهاد الأفغاني كبير، لهم بعض الفرق تقاتل في داخل أفغانستان، وقسم منهم لا يقاتل في داخل أفغانستان.

فالشيعة، إتماماً لما نحن فيه، هم ثقلهم في المعركة قليل، قسم من قراهم لم تدخل المعركة، ولذلك لم تتعرض للتصف حتى الآن، وممزقون، رغم قلتهم في المعركة، هم حوالي أربعة عشر حزباً ، ليس لهم وجود ولا ثقل نعم.

س- الصوفية ياشيخ.

ج- الصوفية: الصوفية والقطنية. الصوفية في داخل افغانستان، يعني بالنسبة لباكستان كانت اقل منها لكنها كانت منتشرة، وكانت منتشرة الطريقة النقشبندية والطريقة القادرية، الطريقة النقشبندية يتزعمها آل المجددي، والطريقة القادرية يتزعمها الجيلاني،

أفغانياً يستغيث بصاحب قبر، بالنسبة للحروز أنت تعرف أن بعض الناس يتاجرون بهذه القضية، والأفغاني عند ما يأتي يطلب ال
وتعرف أن القضية خلافية إذا كان مكتوباً بالكتاب والسنة، فعندما يأتي يأخذ حرزاً يأخذه من واحد اسمه شيخ، لا يعرف أن هذا الش
هو تاجر بهذه القضية، والأفغاني يدفع ثمن هذا الحرز ألفي أفغاني، ثلاثة آلاف أفغاني ثمانية آلاف أفغاني، وهذه تكلفه شغل سن
متواصلات، نعم، ولذلك يأتي الشاب العربي متحمساً يجد حرزاً على كتفه يريد أن يقطعه أنت تريد تقطع قلبه؛ سنتين وهو يش
حتى حصل على هذا الحرز تقدم شاب عربي إلى واحد أفغاني يريد أن يقطع الحرز قال له ماذا تريد؟ قال له هذا شرك أريد
أقطعه قال له أنت مشرك، قال له هذا قرآن، (الذي يريد أن يزيل القرآن عني هو المشرك ام الذي يحمل القرآن المشرك؟ هكذا يفه
أن هذا قرآناً، ولذلك مرات كنا نعمل لهم دورات تربوية، مخيمات تربوية مدة أسبوعين، ونأتيهم عن طريق المذهب الحنفي، أسألهم ما ر
المذهب الحنفي في بناء القبور؟ طبعاً مكروه، ما رأي المذهب الحنفي في التوسل بجاه النبي ﷺ؟ مكروه ، طيب أنتم حنفيون أم
فإذا جئتهم عن طريق المذهب الحنفي يقبلون، يحبون كل شيء يأتي عن طريق الحنفية، ولذلك واحد من العلماء سأل طبيباً من إخو
كان يعمل معه، قال له أنت مذهبك؟ قال له أنا أبي شافعي ولكن أمي حنفية، قال له إذا ذهبت إلى بلادك سلم على أمك ، يحبون المذ
الحنفي كثيراً، ويفرحون إذا استشهدت لهم كما تفرحون إذا استشهدنا لكم بأقوال ابن تيمية، هم يفرحون إذا استشهدنا لهم بأق
أبي حنيفة وأبي يوسف نفس الشيء، نفس الشيء الآن أنتم لا تقبلون إلا إذا قلنا لكم قال شيخ الإسلام ابن تيمية نحسم الخلاف،
مثلكم ناس تربوا على هذا المذهب، لا يعرفون مذهباً آخر، لا يعرفون، فإذا جئتهم عن طريق هذا المذهب كثير من المشاكل ت
والحمدلله وجود الإخوة العرب حل كثيراً من المشاكل، يعني الآن تدخل جبهات ليس فيها حرز واحد، ليس فيها دخان، ليس فيها ش
بينما كانت هذه منتشرة قبل الجهاد، فاستمرار الجهاد الحمدلله أزال كثيراً من مظاهر البدع .

جاء أحد إخواننا العرب لأحمدشاه مسعود، قال له يا أحمدشاه، قال له نعم، قال له نريد أن ننادي نعلن التوحيد، قال له ك
نعلن التوحيد؟ قال له نبدأ نهدم بالقبور، قال له تصبر عليّ، قال قل للشيخ عبدالله يرسل لي بعض الدعاة يربوا كل الذين عندي،
طريق التربية سنغير هذا الجيل، أما الآن لو بدأنا بهدم القبور يشيعون عنا أننا وهابيون، وأننا نريد أن نهدم المذهب الحنفي، وأننا ذ
الرسول ﷺ ونكره الأولياء، وتنضم القرى إلى الروس؛ فنكون بدل أن نأتي بهم إلى الاسلام ينضمون للكفار، قال انتظر، انتظر عا
بإذن الله يا عبدالله أنس -هو يقول له عبدالله أنس ملازمه- لما ننتصر هذه القبور لن أهدمها بالفؤوس إلا براجمات الصواريخ،
شاء الله الأمور تتحسن كثيراً كثيراً ويوماً بعد يوم.

وبعدين يا أخي، أي شعب من الشعوب خال من هذه الصوفية؟ في مكة عندكم معششة ومفرخة أم لا؟ في المدينة المنورة
استطعتم أن تقضوا عليها في بلد التوحيد؟ الذي أصبح له ثلاثمائة سنة يعارض من أجل إقرار التوحيد، فعندنا في الشام، عندنا
الأردن ، في مصر، على باب الأزهر سيدنا الحسين لما تدخل يقول لك اسع طف حول القبر، عقائد الأفغان أسلم من عقائد المصري
لكن هؤلاء لأنهم فقراء متسلطين عليهم مثل: ذات مرة قلت لبعض المشايخ ما لكم أنتم متسلطون على السيد البدوي؟ مسكين ال
البدوي، لوكان عنده شرطة أو جيش هل تستطيعون أن تتكلموا عليه مثل الطواغيت هؤلاء الذين يعبدون الناس لأنفسهم من دون ا
لوكان عنده شرطة وجيش مثل فلان وفلان هل تستطيعون على السيد البدوي؟ لكن لأنه ميت وليس عنده جيش ولا شرطة تتكلمون ع
تكلموا على الشرك الحي كما تتكلمون على الشرك الميت، الشرك منتشر في كل مكان، ونحن مثلنا مثل الأفغان في الأردن، في سو
في مصر مثلنا مثل الأفغان، الأضرحة موجودة ، في أحسن أحياء دمشق موجود محيي الدين بن عربي، حي الشيخ محيي الدين،
السفارات، أرقى الأحياء، حي الشيخ محيي الدين، المرأة التي تريد أن تحمل تذهب إلى الشيخ محيي الدين، التي يمرض ابنها ت
للشيخ محيي الدين، التي يغضب منها زوجها تذهب للشيخ محيي الدين ، الفرق بيننا وبين الأفغان أن الأفغان عندهم مثل ما عن
لكنهم شعب رفضوا أن يعطوا الدنية في دينهم، ونحن خضعنا للكفار، ومع الأيام إن شاء الله هذا الجهاد يطهر البلاد كلها من
البدع إن شاء الله، وبعد ذلك لا نعمل مثل القاعد في الكيس وأطل رأسه من الكيس وقال له احمل معها ما أقل خيرك تفضلوا، تفض
والله الساحة مفتوحة، يقولون لكم تعالوا وأصلحوا، نحن نسلمكم جيشاً مقاتلاً مستعداً أن يأخذ منكم ما تشاؤون وجهوه كما تريد
فعلى من تقوم الحجة عليكم أو عليهم؟ عليكم أنتم .

س: فضيلة الشيخ سمعنا وشاهدنا مقابلة الرئيس الأمريكي لوفد من المجاهدين الأفغان، نرجو التعليق والإيضاح.

ج- يونس خالص الآن الناطق الرسمي باسم المجاهدين الأفغان، نبشركم اتحدوا وانتخبوا الشيخ يونس خالص لمدة سنة ونـ
ناطقاً رسمياً باسم الجهاد الأفغاني، ولمدة سنة ونصف إن شاء الله تمهيداً لتكوين حكومة في المنفى، إن شاء الله ربنا يعين،
أحوالهم تتحسن، عندما أرادوا أن يذهبوا إلى أمريكا اجتمعوا القادة السبعة، قال لهم نحن ذاهبون لإلقاء كلمة في الأمم المت

الوفد أرسل للأمم المتحدة، لم يرسل إلى ريجان. طيب ريجان يطلب مقابلتنا، فهل مسموح لنا؟ قالوا له أنتم ترون الجواب، لكم الخياران تختاروا، هذا رئيس دولة الآن، رئيس دولة له أن يقابل أي رئيس دولة في الأرض، لكن ماذا دار في داخل الاجتماع؟ هذا هو المهم رئيس دولة! يعني الرسول ﷺ كان يقابل رسل كسرى وقيصر وغيرهم، ويقابل الوفود الكافرة والمسلمة وغيرها، فهذا رئيس دولة وله مقابلات مع كل الدنيا، أما ماذا دار في الاجتماع فهذا لم نعلم به، فلا بأس من أن يقابله بشرط أن لا يعطي الدنية في دينه.

س- فضيلة الشيخ هل صحيح ما قيل من حدوث بعض الصلح بين الأفغان بعد ذلك، وعلى ماذا اشترطوا؟....؟!؟

ج- هم يشترطون شرطاً واحداً، هم من زمان لا يقولون نقبل طرفاً ثالثاً. طرف ثالث يشرف على خروجهم، الأمريكان دائماً حاملين قميص الأفغان ويلوحون في الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمحافل الدولة: الروس يعملون كذا في داخل أفغانستان، الروس الروس.. طيب وتصوت الدول ضدهم. الروس مع مضايقتهم في داخل أفغانستان وهزائمهم قالوا للأمريكان نحن مستعدون أن ننسحب، لكن لا نريد أن يكون البديل إسلامياً، لا لمصلحتنا ولا لمصلحتكم ، قالوا نحن متفقون على هذا: لن نقبل أن تقوم دولة إسلامية في داخل أفغانستان، قالوا لهم ابحثوا لنا عن واحد إسلامه على الطريقة الأمريكية، فهم منذ عدة سنوات يبحثون عن إسلام أمريكاني. واحد دينه مطاط، مرن، منفتح، منفتح كل أبوابه للشياطين. فعرضوا اسم الملك ظاهر شاه رفضوا، عرضوا بعض الأفغان الذين يسكنون في أمريكا، في أوروبا، في الدول العربية رفضوا، قالوا لهم لن نقبل أن يشرف على الإنسحاب إلا المجاهدون الأفغان، فهنالك اختلاف على الجدول الزمني. روسيا كانت تقول اسمحوا لنا في ثمانية عشر شهراً أن ننسحب. قالوا لا. قالوا اثنا عشر شهراً. قالوا تسعة أشهر، قالوا لا، سبع أشهر الآن متنازلين لسبعة أشهر، قالوا لهم بعض الاتجاه العام للقيادة الأفغانية: قالوا لهم أنتم دخلتم في أربع وعشرين ساعة، نسمح لكم أن تخرجوا في ثمان وأربعين ساعة نتصدق عليكم بأربع وعشرين ساعة زيادة، فالغربيون يقولون للافغان لا يمكن أن تتم خروج دولة كبرى بدون مفاوضات، كيف هذا؟ قالوا لهم والله سهل روسيا كل يوم تحصل بيننا وبينهم معركة وينسحبون بدون مفاوضات، فلينسحبوا من أفغانستان بدون مفاوضات، هذا رأي المجاهدين، والروس يعني يطمعون إذا كانوا جادين في الخروج يطمعون يوماً بعد يوم أن تقل عزائم المجاهدين، أن يسقطوا، أن تهوي هممهم، لكن كل يوم الحمد لله يتحسن الجهاد يوماً بعد يوم. ألسنة -أبشركم- هذا أحمد شاه مسعود، أحد القادة الذين فتح الله عليهم هنالك قاعدة كبرى اسمها بشغور في بنشير، افتتحها بمائة مجاهد، أسر أربعمائة كافر، منهم سبعة وثمانين ضابطاً من ضباط الشيوعيين، ومنهم جنرال! انتحر الجنرال خرجت مظاهرة في كابل للنساء الضباط. ضد حكومة كابل، أنتم جالسون على الكراسي وأزواجنا أسرى في يد أحمد شاه، أرسلت الحكومة يا أحمدشاه: نبادل الأسرى، نعطيك ماشئت من الأسرى الذين عندنا مقابل أن تفلت لنا الضباط، حدد اليوم والزمن والشروط، حدد لهم، قال لهم لقاؤنا في وادي ميكوني مكان الضباط في يوم كذا، روسيا رأت كبيرة على نفسها أن تخضع لأحمدشاه مسعود. أعدت قوة تدخل سريع من الصاعقة، وفي الوقت المحدد نزلت الطائرات وبدأت تطلق النيران على أحمدشاه مسعود ومن معه، شابان عربيان كانا مسؤولين عن حراسة هؤلاء الضباط، قال لي أحدهم كان أول أمر أمره أحمدشاه: أقتل الضباط، قتلنا السبعة وثمانين ضابط، هذا أول واحد، دارت المعركة بين الروس في رؤوس الجبال وبين المجاهدين الأفغان الذين أخذوا على حين غرة وانتهت المعركة بهزيمة الروس، الحمدلله لم يقتل من المجاهدين واحد أبداً، وبقي وادي ميكوني كما قال لي رباني الذي هو أمير الجمعية الاسلامية التي يتبع لها مسعود: لقد بقي الوادي عدة أسابيع منتناً من رائحة جثث الروس، السنة هذه، الحمد لله رب العالمين على عيد الفطر ١٤٠٦هـ افتتح فرخار، فرخار مقاطعة كبيرة، وغنم غنائم كثيرة، وهذه على الطريق العام، قاعدة ضخمة للروس للشيوعيين، على عيد الأضحى قدم للمسلمين هدية فرقة بكاملها فرقة نهرين افتتحها في ثلاثة أيام، قبل شهرين افتتح كلفغان. كلفغان خطط لها حوالي شهرين، ثلاثة، وافتتحها بخمس وأربعين دقيقة. قاعدة كبرى الروس عجبوا كيف أحمدشاه مسعود في خمس وأربعين دقيقة يفتتح كلفغان؟ تسعة مراكز تحيط بقلعة ضخمة، جاء الروس يرون، قال لهم أحمدشاه أتركوهم يبكون على الأطلال، اتركوهم يمروا. جاؤوا وبكوا على الأطلال ورأوا آثار التدمير، رجعت الدبابات، قال لهم نحن لا نريد أن نضرب الدبابات التي تحمل الشيوعيين الأفغان إلا التي تحمل الروس ، مرت الدبابات الأولى ما ضربوها، لما مرت الدبابات الروسية أطلقوا عليها قذائف آل آر بي جي أحرقت حوالي ١٤ دبابة وهرب الروس، لما وصل الروس بعد ما تدمرت دباباتهم جاؤوا بالضباط الأفغان، قالوا أنتم عملاء لأحمدشاه مسعود، لماذا قتلنا ولم يقتلكم؟ أرسلوهم إلى كابل للمحاكمة، قبل اثنين وعشرين يوم فتح أكبر قاعدة من أكبر القواعد في الشمال في بدخشان اسمها كران ومنجان هذه فتحها بمائة دقيقة. يعني والله يا إخوان أنتم لا تتصورون، لا تتصورون يعني غرابة الموقف، كيف يفتح قاعدة بجانبها مطار، وبكم؟ وغالباً الأسرى أكثر من عدد المجاهدين الأسرى الذين يأسرهم هذه فتوح من الله، غنم فيه كلام ناقص (عدد الكلاشنكوف) كلاشنكوف وستة هاون وثلاثة مدافع دوشكا مضاد للطائرات، ولاسلكي ، ثلاثة، وأطنان من المواد الغذائية، ومليون طلقة للأسلحة الخفيفة، وثلاثة آلاف قذيفة ثقيلة منها

صواريخ أرض أرض، وواصل وافتتح منغولي؛ أسر مائتين وسته وستين من كران ومنجان، هذه كران ومنجان على الطريق العام المجاهدون الآن يقطعون إلى بدخشان الطريق في مدة أسبوعين، على رؤوس الجبال المليئة بالثلوج مدة أسبوعين. الآن اختصر الطريق إلى ستة أيام يدخلها المجاهدون ولا يعترضهم إلا جبل واحد، وإن شاء الله رب العالمين يسعدنا ويفرح قلوبنا بفتح أفغانستان وبتحرير بيت المقدس إنه سميع قريب مجيب، وأبشركم المجاهدين الأفغان والمجاهدين العرب كذلك ومع أن عددهم قليل جداً، جاءنا من المسلمين من الألف مليون ثلاثمائة شاب، كل ثلاثة ملايين أرسلوا لنا واحداً، نعم أقول، كل واحد عندما يدخل في داخل أفغانستان أول ما يمر في ذهنه كيف يمكن أن ينقل هذه التجربة الى الأرض المباركة، إلى فلسطين، إلى بيت المقدس، هذا الذي يمر في ذهنه ويحلم فيه، ولذلك اليهود خائفون جداً جداً جداً من تجمع الشباب العربي خاصة الفلسطيني والأردني والسوري الذين حول اليهود من ذهابهم إلى أفغانستان عملية خطيرة، هذا (آيات الرحمن في جهاد الأفغان)، الكتيب الصغير الذي كتبته أخذه واحد من الشباب من الضفة الغربية وصوره ونشره في الأسواق، اليهود تتبعوه في المكتبات وجمعوه من المكتبات، الآن أي واحد ختم أفغانستان[1] على جوازه يضعونه في السجن للتحقيق -اليهود-، بمجرد رؤية تأشيرة باكستان على جوازه، يخافون كثيراً كثيراً من انتقال الروح الجهادية التي أعزالله بها دينه في أفغانستان إلى بيت المقدس، وإن شاء الله الفلسطينيون لا يزعلون، ترى الفلسطينيين زعلانين عليّ لأني فلسطيني أقاتل في أفغانستان، فأنا أقول لهم يا إخوان، أفغانستان والله تذكرني ببيت المقدس، وأنا أعد لبيت المقدس هناك؟ أن تعمل هنا، قاعد تأكل أرز ولحما، أنا هناك أعد نفسي للرجوع لبيت المقدس، من الذي يعد لفلسطين؟ أنا أريد أن أعمّي عن فلسطين؟ هم يقولون الأفغان: يقولون اللهم حرر أفغانستان على أيدينا، ولا تمتنا إلا في بيت المقدس ، نعم، وسياف عدة مرات يصرح قال نحن نعتبر قضيتنا الأولى هي قضية فلسطين، ولذلك مرة زعيم من زعماء الثورة في مؤتمر الطائف عندما قبلت الدول الاسلامية أن يتكلم سياف اعترض هذا زعيم الثورة أو زعيم من زعماء الثورة، قال أرى أن لا تتسرع في إغضاب الاتحاد السوفييتي الشقيق ! لازم كلمة أفغانستان تلقيها الحكومة وليس واحد من هؤلاء، إلا أن سياف تكلم وقال بعد أن تكلم عن القضية الأفغانية والجهاد الأفغاني .. عندما وصل قضية فلسطين دق لهم على الطاولة حتى ينبههم، فتحوا عيونهم الرؤساء، قال لهم اسمعوا: نحن بإذن الله بيت المقدس في قلوبنا، ولا نستريح حتى نرجعه ولا يهمنا بعض المواقف المتخاذلة لإخواننا الفلسطينيين، بعد المؤتمر أرسل له هذا الزعيم أريد أن أقابلك -لسياف-، قال له سياف: أريد أن أقابلك، أرسل له مرة أخرى: أريد أن أراك ولو خمس دقائق لإزالة سوء التفاهم، قال له سياف: لا أريد مقابلتك دقيقة واحدة ليس بيننا سوء تفاهم، إنما هو سوء فهم، صححوا فهمكم نلتقي على الطريق.

والله في مؤتمر الكويت، في مؤتمر الكويت كانت كلمة للشيخ سياف، وكان في ذلك الوقت أمير الكويت غائب، نائبه الزعيم الفلسطيني، فكيف سيقدم سياف يتكلم، كان يرأس الجلسة الزعيم الفلسطيني، تلعثم ،ارتبك، لابد أن يقدم، أمامه، الآن مكتوب كلمة البرفسور عبد رب الرسول سياف أمير الاتحاد الاسلامي أفغانستان، ماذا قال؟ والآن كلمة عبد رب أفغان، فلسطين في قلوبنا وفي عروقنا، اليهود يتابعوننا ويلاحقوننا، نعم، وأنا قرأت جريدة: الموساد لن تسكت. ستضرب بعض المواقع العربية في بيشاور، قرأت صحيفة ، اليهود و غير اليهود لن يثنوننا عن مواصلة الطريق، ولن ينسونا بيت المقدس نعم نحن فوق جبال الهندكوش، لكن قلوبنا معلقة في المسجد الأقصى، أرواحنا تحوم فوق فلسطين، سنعود إليها مهما طال الزمن، وإن شاء الله يكون الحساب بيننا وبين اليهود هناك فليطمئن الفلسطينيون أننا لا نعتم على القضية الفلسطينية عندما نعمل في أفغانستان، كل عربي يدخل أفغانستان إنما ينقل الروح الجهادية الأفغانية إلى فلسطين، فإحياء أفغانستان هو إحياء للقضية والفلسطينية، وانتصار الإسلام في أفغانستان هو بوابة الانتصار إن شاء الله للإسلام في فلسطين، ولتعلمن نبأه بعد حين بإذن الله.

س- فضيلة الشيخ ما هو وجه تفريق المجاهدين الأفغان بين الشيوعيين الروس وبين الشيوعيين الأفغان، علماً أن الكفر ملة واحدة.

ج- إي نعم. هم الشيوعيون الروس عمله صعبة عند المجاهدين الأفغان، ولذلك حريصون أن يقتلوا أكبر عدد منهم، أو يأسروا أكبر عدد منهم وإذا أخذوا أسرى روس، روسيا مستعدة أن تدفع لهم ما يشاؤون مقابل إطلاقهم. أما الشيوعيين الأفغان كلاب، جاء وزير التربية والتعليم لأحمدشاه مسعود قال له الدولة تطلب منك هدنة مدة ستة أشهر، -الوزير الشيوعي- قال له أنتم كلاب، أرسلوا سادتكم أرسلوا الجنرالات الروس، جاء الجنرالات الروس قعدوا مع أحمدشاه مسعود، وعقد معهم هدنة قبل ثلاث سنوات لمدة ستة أشهر، حتى يستعيد قوته ويمكن نفسه، الآن الدولة، رئيس الجمهورية، تجد قائداً صغيراً يطلعك على رسالة من رئاسة الجمهورية: نرجو أن تخففوا الضربات عنا ونحن نعطيك ما شئت، نرجو أن تلتقي أو... والله في رسالة قرأتها من رئاسة الجمهورية: « بسم الله الرحمن الرحيم» أو

---

[1]) المقصود هنا ختم باكستان .

بدأوا «بسم الله الرحمن الرحيم» الشيوعيون إلى إخواننا المجاهدين الحج محمد عمر وإخوانه، نتمنى لكم الصحة والعافية، حقناً للدماء، وإرضاء لله، نرجو أن نلتقي، فهذا من قادة سياف والله سياف قال لنا لا لقاء ولا نقاش قبل قيام الدولة الإسلامية، بعد قيام الدولة الإسلامية نقعد نحن وإياكم إن شاء الله ولذلك الآن هم يعني الحمدلله، الحمدلله، حالهم طيب، والله عزيزون، عزيزون، أحياناً تفكر أنهم مجانين، مجانين الأفغان، في واحد اسمه أحمد بانا، هذا من قادة أحمدشاه الذين رباهم أبوعاصم، أحمدشاه يسميه مجنون: ديوانا، ديوانا معناه مجنون لشدة شجاعته، لكثرة شجاعته، هذا يركب في السيارات العامة على الطريق العام التي عليها نقاط روسية والروس وزعوا صورته على كل الجنود هذا جنرال باناً من يأتي به حياً أو ميتاً له كذا، راكب مرة في سيارة عامة، وهذا بانا، سبحان الله عقيدتهم عجيبة، يعتقد أنه إذا قرأ حديث (**بسم الله الذي لا يضر مع إسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**) من قالها ثلاث مرات حين يصبح لا يضره شيء حتى يمسي من قالها حين يمسي لا يضره شيء حتى يصبح قال خلاص مادمت قرأتها لا يضرني شيء حتى أمسي، وإذا قرأتها في المساء لا يضرني شيء: رصاص قنابل لا يضرني شيء. راكب في السيارة العامة، هذه هي العقيدة يا أخي. هذا توحيد الألوهية. نعم قضية التوكل على الله وحده، هذه مواقف في الحياة، ولا رأيت أطيب من توكلهم ولا من عقيدتهم في قضية التوكل على الله في الرزق والأجل وهذه عقدة العقد في حياة الناس إذا تحرروا من الخوف على الرزق والأجل، واعتمدوا على الله خلاص، انطلقوا، أما بقية الأمور: إن تقول له:الله مستو على عرشه بائن عن خلقه هذه في جلسة واحدة تفهمه إياها وتنتهي القصة، أما تحويل توحيد الربوبية إلى توحيد ألوهية عمل في واقع الحياة هذا دونه مسافات شاسعة في واقع الأرض، الأفغان حولوا توحيد الربوبية إلى توحيد ألوهية. فراكب في السيارة، أطل جندي روسي: في داخل الأوتوبيس داخل السيارة رأى بانا بانا، ورجع إلى الخلف، هم يخافون من الاسم. قال لي العربي، والله سقطت الأسلحة من يد الروس عندما سمعوا اسم بانا. دفعه بيده -بانا- وقفز من السيارة، فتحت عليه عدة رشاشات من الروس، أحرقت ثيابه ولم يجرح جرحاً واحداً، نعم الدولة أتعبها.

قبل تسعة أشهر أرسل له نجيب رئيس الجمهورية، قال يا بانا أنت تعلم أخاك عندنا نستطيع أن نقتله، نحن نريد أن تخفف عنا الضربات في ممر سالانك- لأنه دمر لهم حتى الآن أكثر من خمسمائة دبابة هو وفئته، حوالي ثلاثين واحداً -خفف الضربات على القوافل المارة في ممر سالانك- ونعطيك ما شئت، فتعبت معه الدولة، وهذا لما تبدأ المعركة يحدثني الإخوة العرب، لما تبدأ المعركة يصبح يرقص، يقفز فوق نازل، لما تبدأ القذائف يبدأ الطرب عنده.

فج يكاد صهيل الخيل يقـــذفه   عن سرجه فرحاً بالغزو أو طرباً

فعلاً يصبح يقفز فوق ونازل، فبحثوا عن ساحر قالوا له اسحر لنا بانا، ذهب الساحر متظاهراً بالجهاد ودخل بين المجاهدين وجلس يوماً من الأيام عند بانا وهو نائم وبدأ ينفث بالسحر، بانا رأى هاتفاً في المنام يقول له بجانبك ساحر يريد أن يسحرك، لا يحفظ نصف الحديث، كان يحفظ نصف الحديث: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء فقط آخره، « **في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**» لا يحفظه، فقال له الهاتف قم يا بانا وقل « **بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم**» حفظه من الهاتف، قام من النوم هب: **بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم** «ثلاث مرات» فجن الساحر.

حقيقة قصصهم عجيبة غريبة، لكن كما قلت لكم ليس الجهاد قام على الكرامات، قد تحدث قصة قصتين ثلاثاً في هذه الـ[illegible] الطويلة، إثنان من المجاهدين، أصيبوا بأرجلهم، انكسرت أرجلهم، سقطوا في أرض المعركة، انتهت المعركة، انسحب المجاهدون الدبابات، تقدم الروس وقفوا فوق رؤوس المجاهدين. عجيب ما أخذوهم ، المهم الآن كيف يذهبون إلى قاعدتهم، قاعدتهم عـ[illegible] الأخرى من النهر، والنهر لا يستطيع لا الأصحاء ولا المكسورون أن يقطعوه، ناموا وجدوا أنفسهم في الصباح في الضفة ا[illegible] النهر، كيف انتقلوا؟ لا يدرون، القاعدة بعيدة، بدأوا يزحفون على بطونهم مكثوا خمسة عشر يوماً يزحفون على بطونهم [illegible] القاعدة، إخوانهم ما صدقوا أنهم أحياء، فرحوا فرحاً شديداً، كيف وصلتم؟ أولاً كيف انتقلتم من الضفة الأخرى من النـ[illegible] ندري حتى الآن، نمنا وجدنا أنفسنا في الصباح في الضفة الثانية من النهر، كيف وصلتم هنا زحفاً على البطون؟ ماذا وتشربون؟ قالوا كنا ننام فنقوم نرى آثار الطعام بين أسناننا.

قصص عجيبة جداً، عجيبة جداً، والأعجب منه إذا أنتم ما صدقتم هذه القصص هذه مصيبة، مصيبة أكثر، واحـ[illegible] يا شيخ عبدالله هذه القصص التي تحدثها ما حدثت مع الصحابة، قلت له نعم ما حدثت مع الصحابة، وأنا أقول لك إن الأفغان أكثر من الكرامات التي تنزلت على أصحاب رسول الله ﷺ، لأن عقيدة أهل السنة والجماعة [illegible] [illegible] ضعف إيمان الناس، فتنزل الكرامة لحجة او لحاجة، لحجة في الدين حتى تثبته

لحاجة من استنزال نصر أو رزق، ولذلك يعقب ابن تيمية بعد هذا الكلام الطويل: قال ولذا رأينا أن الكرامات قد زادت في أيام التابع عنها في أيام الصحابة، وتزداد في أيام الفترات (أي بُعد الناس عن دينهم) أكثر من أيام النبوة وحال الدعوة، ثم يقول أحمد بن حنبل عندما سئل رحمه الله، قالوا له ما بال الصحابة لم يُر عليهم من الكرامات ما رُئي على غيرهم؟ قال لأنهم أقوى إيماناً، فعقيدة أهـ السنة والجماعة أن الكرامات تزداد كلما ضعف إيمان الناس، يعني قد يكون الرجل صالحاً صادقاً تقياً ورعاً عالماً لا يرى في المنا الرسول ﷺ ، لكن غيره قد يرى وهو ضعيف الإيمان حتى يؤنسه ويقويه على الطريق، قد تحدث كرامات على يد واحد ضعيف الإيما أكثر من رجل صالح صادق عالم عارف يعرف طريقه، فالكرامات أكثر من الكرامات التي تنزلت على الصحابة رضوان الله عليهم أمد سالوني هذا السؤال، قلت لهم أنا أقول لكم و على مسمع شيخنا محمد بن صالح بن عثيمين: أقول لكم اسمعوا وليسمع شيخنا، إ الكرامات التي تنزلت على الأفغان أكثر من الكرامات التي تنزلت على أصحاب رسول الله ﷺ وهذا رأي أحمد بن حنبل و رأي ابن تيم ورأي جمهور العلماء من أهل السنة والجماعة. إن شاء الله.(١)

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم مكن للمؤمنين في الأرض، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى، اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ، اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان وفي فلسطين وفي الفلبين وفي لبنان وفي كل مكان، وصلّى اللهم على سيدنا محمد وعلى آ وصحبه وسلم.(٢)

حفل مؤسسة المدينة المنورة للأيتام

في بيشاور ١٩/١/١٩٨٧م

إن الحمد الله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، وم يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الامانة، ونصح الأ فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أنتم أيتام فيجب أن تفتخروا لعدة نواحي لأنكم أيتام :

أولاً: أن سيد البشرية يتيم .. لأن رسول الله ﷺ يتيم (ألم يجدك يتيماً فآوى) .

ثانياً: لأنكم قد دفعتم الضرائب، والضرائب غالية، وهذه الضريبة التي تدفعونها تسجل في تاريخ القلوب، تسجل عند ر العالمين، وتسجل في تاريخ العالمين .

ثالثاً: أنتم إن شاء الله من أهل الجنة، لأن آباءكم سيشفعون لكم، والشهيد سيشفع بسبعين من أهل بيته، فأول من يشفع الشهيد أبناءه وزوجته .

رابعاً: أنتم ستشبون وتكبرون تعتمدون على أنفسكم، لن تجدوا الرعاية الكافية من أب حان حنون، فالله عز وجل يتوا رعايتكم.

فأنا أريد أن أوصيكم بوصايا:

الوصية الأولى : أن تطيعوا أمهاتكم ومعلميكم .

ثانياً : أن تحافظوا على القرآن، تحفظوه بسرعه كبيرة.

ثالثاً : لا تتأخروا عن صلاة الجماعة.

رابعاً : لا تكثروا من الكلام.

خامساً : أن تختاروا الطيبين من أصحابكم وتصاحبوهم وتتعلموا منهم أخلاقهم .

سادساً : أن تحفظوا دروسكم ولا تهملوا في دراستكم، وأخيراً نحن ندعو.

الحمدالله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . اللهم بارك فيمن بـ وأنفق على هذه الدار، اللهم بارك لنا وله ولهم في دينهم ومالهم وأهلهم في الدنيا والآخرى يا رب العالمين، اللهم أنبت هؤلاء الصغار نبـ

---

(١) هناك سؤال حول الحسابات وأرقامها وماشابه ذلك فلا داعي لذكرها . لعدم الاستفادة.

(٢)هناك كلام كثير وطويل حول أرقام الحسابات وكيفية إرسال التبرعات لم نر في ذكرها أية فائدة، على كل حال فإننا نحيل أي باحث يهتم في مثل هذه الأمور إلى الشريط نفسه.

لحاجة من استنزال نصر أو رزق، ولذلك يعقب ابن تيمية بعد هذا الكلام الطويل: قال ولذا رأينا أن الكرامات قد زادت في أيام التابع عنها في أيام الصحابة، وتزداد في أيام الفترات (أي بُعد الناس عن دينهم) أكثر من أيام النبوة وحال الدعوة، ثم يقول أحمد بن حنب عندما سئل رحمه الله، قالوا له ما بال الصحابة لم يُر عليهم من الكرامات ما رُئي على غيرهم؟ قال لأنهم أقوى إيماناً. فعقيدة أه السنة والجماعة أن الكرامات تزداد كلما ضعف إيمان الناس، يعني قد يكون الرجل صالحاً صادقاً تقياً ورعاً عالماً لا يرى في المنا الرسول ﷺ ، لكن غيره قد يرى وهو ضعيف الإيمان حتى يؤنسه ويقويه على الطريق، قد تحدث كرامات على يد واحد ضعيف الإيما أكثر من رجل صالح صادق عالم عارف يعرف طريقه، فالكرامات أكثر من الكرامات التي تنزلت على الصحابة رضوان الله عليهم أمد سألوني هذا السؤال، قلت لهم أنا أقول لكم و على مسمع شيخنا محمد بن صالح بن عثيمين: أقول لكم اسمعوا وليسمع شيخنا، إ الكرامات التي تنزلت على الأفغان أكثر من الكرامات التي تنزلت على أصحاب رسول الله ﷺ وهذا رأي أحمد بن حنبل و رأي ابن تيم ورأي جمهور العلماء من أهل السنة والجماعة. إن شاء الله.[1]

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم مكن للمؤمنين في الأرض، اللهم إنا نسألك الفردوس الأعلى، اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطف ﷺ، اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان وفي فلسطين وفي الفلبين وفي لبنان وفي كل مكان، وصلّى اللهم على سيدنا محمد وعلى آ وصحبه وسلم.[2]

حفل مؤسسة المدينة المنورة للأيتام

في بيشاور ١٩/١/١٩٨٧م

إن الحمد الله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، وم يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الامانة، ونصح الأ، فصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أنتم أيتام فيجب أن تفتخروا لعدة نواحي لأنكم أيتام :

أولاً: أن سيد البشرية يتيم .. لأن رسول الله ﷺ يتيم (ألم يجدك يتيماً فآوى) .

ثانياً: لأنكم قد دفعتم الضرائب، والضرائب غالية، وهذه الضريبة التي تدفعونها تسجل في تاريخ القلوب، تسجل عند ر العالمين، وتسجل في تاريخ العالمين .

ثالثاً: أنتم إن شاء الله من أهل الجنة، لأن آباءكم سيشفعون لكم، والشهيد سيشفع بسبعين من أهل بيته، فأول من يشفع الشهيد أبناءه وزوجته .

رابعاً: أنتم ستشبون وتكبرون تعتمدون على أنفسكم، لن تجدوا الرعاية الكافية من أب حان حنون، فالله عز وجل يتوا رعايتكم.

فأنا أريد أن أوصيكم بوصايا:

الوصية الأولى : أن تطيعوا أمهاتكم ومعلميكم .

ثانياً : أن تحافظوا على القرآن، تحفظوه بسرعه كبيرة.

ثالثاً : لا تتأخروا عن صلاة الجماعة.

رابعاً : لا تكثروا من الكلام.

خامساً : أن تختاروا الطيبين من أصحابكم وتصاحبوهم وتتعلموا منهم أخلاقهم .

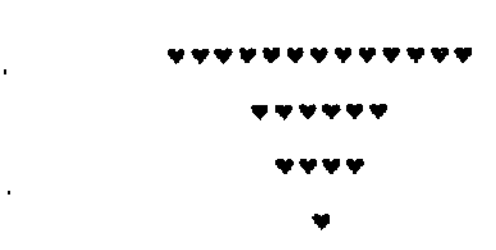
سادساً : أن تحفظوا دروسكم ولا تهملوا في دراستكم، وأخيراً نحن ندعو.

الحمدالله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . اللهم بارك فيمن ب وأنفق على هذه الدار، اللهم بارك لنا وله ولهم في دينهم ومالهم وأهلهم في الدنيا والآخرى يا رب العالمين، اللهم أنبت هؤلاء الصغار نب

١) هناك سؤال حول الحسابات وأرقامها وما شابه ذلك فلا داعي لذكرها، لعدم الاستفادة.

٢)هناك كلام كثير وطويل حول أرقام الحسابات وكيفية إرسال التبرعات لم نر في ذكرها أية فائدة، على كل حال فإننا نحيل أي باحث يهتم في مثل هذه الأمور إلى الشريط نفسه.

حسناً واجعلهم قرة عين لأهليهم يا رب العالمين، الله اجعلهم من عبادك الصالحين، ومن عبادك المجاهدين المخلصين، اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان، اللهم احينا سعداء وأمتنا شهداء واحشرنا في زمرة المصطفى ﷺ اللهم انصر المجاهدين في أفغانستان وفي فلسطين وفي الفلبين وفي لبنان وفي كل مكان، اللهم ارفع راية الإسلام، وحكم دولة القرآن، واجعلنا من جنود القرآن، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



للقسم السابق وأطلقنا عليه (مركز الشهيد عزام الإعلامي) وبعد فتح كابل وقع الخلاف بين الأخوة المجاهدين كما هو معلوم ورأينا أنه من الحكمة أن لا تُنشر أخبار هذا ولا ذاك، لأن الأخبار صارت تأتي مليئة بالتناقضات وقرر الأخوة في المركز إيقاف جميع النشرات والبيانات ريثما يهدأ الوضع وتستقر الأمور في أفغانستان لنقوم بنقله -بإذن الله- إلى كابل.

وهناك محاولات جادة لإعادة هذا القسم إلى حَيِّز الوجود، وسيتناول الأخبار العالمية الإسلامية.

الجهة المُموِّلة:

اعتمد مركز الشهيد عزام الإعلامي من الناحية المالية على تبرعات المحسنين وأصحاب الخير ومندوبيه في الخارج وأكثر من دعم هذا المركز الأخوة الطيبين في أوروبا -جزاهم الله خيراً- وقامت بعض الجهات بالمشاركة في طبع بعض الكتب، كاللجنة النسائية مثلاً وبعض المحسنين في الخليج، ونحن نهيب بالأخوة أحباب الشهيد عبد الله عزام أن لا يَدَعوا هذا الصرح حتى يحقق رسالته المنشودة، بل نطالب الأخوة بإقامة أكاديمية خاصة لهذا التراث كما طالب بهذا مؤتمر لجنة العلماء الباكستاني الذي أقيم في إسلام أباد بعد استشهاد الشيخ في نهاية سنة (١٩٩٠م).

فروع المركز:

اتخذ المركز باكستان كمقر رئيسي له، وفُتحت له فروع أخرى في خمس ولايات داخل أفغانستان لتوزيع كتب الشيخ المترجمة بالفارسية ومن المقرر أن يفتح فرعين آخرين وذلك لتوزيع الكتب المترجمة هناك.

ومركز الشهيد عزام الإعلامي مركز ذات شخصية مستقلة، لا يتبع لدولة ولا ينطوي تحت الآخرين إنما هو مؤسسة ذات كيان مستقل له أهدافه المستقلة وآماله المنشودة التي يسعى لتحقيقها.

مسؤول المركز:

انتخب الأخ أبو عادل عزام مديراً عاماً لجميع الفروع، والأخ أبو عادل ممن كان له الدور البارز في حياة الشيخ عبد الله عزام وتأسيس مكتبه، وكان يوكله الشيخ بجميع أعماله الإدارية في حالة سفره أو سفر الشيخ تميم رحمهم الله.

عنوان المراسلات:

ص.ب (١٣٩٥)

بيشاور-باكستان

مركز الشهيد عزام الإعلامي

والله الموفـــــــــق

المالية التي سنتعرض لها، ولكن الله عزوجل عودنا والحمد لله على كرمه.

وسيتم في هذه المرحلة -بإذن الله- فرز المعارف والعلوم الموزعة في هذه الكتب الكثيرة، وكل نوع من هذه العلوم التربوية والشرعية وغيرها سيفرد في كتاب مستقل بعد التقاطه من أعماق هذه المجلدات، فيسهل بعد ذلك دراسة هذه العلوم المنتثرة داخل هذه الكتب بعد تنسيقها وتبويبها وتصنيفها واختصارها.

أهداف قسم التراث:

قام المركز بالإهتمام الكبير بهذا القسم، وجعله محور عمله وأساس أهدافه، وذلك لأنه انطلق من أهداف نجملها فيما يلي:

١. مرّ المسلمون بتجارب جهادية كثيرة، وللأسف الشديد فإن هذه التجارب مرت دون أن يدونها أحد بصورتها الحقيقية حتى تفيد الأجيال من بعدهم.

وكان من دوافع الإخوة لهذا القسم كلمة قالها الأستاذ رباني في إحدى جلساته {إننا عندما بدأنا جهادنا في أفغانستان بحثنا عن تجربة جهادية إسلامية فلم نجد، فلجأنا إلى كتب الكفار وتجاربهم لنستفيد منهم!!}.

٢. كل عالم أو فقيه أو مجدد لم يجد تلاميذ يدونون علمه يضيع دون أن تستفيد منه الأجيال المسلمة، وهناك أمثلة كثيرة من الفقهاء والعلماء السابقين لم يجدوا أحداً يدوّن علمهم فضاع وخسرته الأجيال.

والشهيد عبد الله عزام من جملة العلماء الذي أثْرَوا المكتبات الصوتية بعلمه وفكره، وكذلك المجلات والجرائد كانت مصدر إشعاع لقلمه السيّال العذب، فكان حرّياً أن نحافظ على هذا التراث لعل الأجيال تنتفع به.

٣. المسلمون في عدة مواطن يتعرضون للغزو والإبادة، كما حصل في البوسنة والهرسك وما يتعرض له المسلمون في فلسطين والشيشان وغيرها، والسبب في ذلك هو ضعف روح المقاومة والجهاد ضد المعتدين وأعداء هذا الدين، فكانت محاضرات الشيخ عبد الله عزام عبارة عن روح يسري في جسد الشباب، تحافظ بل تزيد من شعلة الجهاد في قلوب الجيل، فكان لا بد من نشرها في كتب ثم طبعها وتوزيعها خاصة في المناطق التي تتعرض للغزو والإبادة.

٤. من المعلوم بداهة أن الكتاب المطبوع أدْوَم وأوضح وأثبت وأسهل للبحث من الشريط المسموع الذي يتعرض للتلف ويصعب الرجوع إليه بتلك السهولة أثناء البحث، ولأجل ذلك أحببنا أن نقدم هذا التراث بطريقة ميسرة قدر المستطاع.

ب- قسم مرئيات الجهاد:

قام هذا القسم بإعداد عدد من أفلام الجهاد ونشرها وتوزيعها، وكان آخر فلم أخرجه (فتح الفتوح) وقد وجد شعبية كبيرة في أوساط الناس ووزع منه أعداد كبيرة في مختلف البلاد في العالم.

ومن أهم الأعمال التي قام بها هذا القسم، الأشرطة المرئية التي حفظت عدداً لا بأس به من محاضرات ودروس وخطب الشهيد عبد الله عزام، وقام بإعدادها وطبعها ونشرها على معظم بلاد العالم. وكان لهذه الأشرطة أثر في نفوس الشباب، لأنها مصورة تصويراً حياً، فكانت أكثر تأثيراً من الأشرطة المسموعة.

ولا زال هذا القسم يقوم بدوره حتى الآن -والحمد لله- والأخوة في مختلف البلاد يتصلون بنا ونقوم بتزويدهم من هذه الأشرطة بما يحتاجون.

ج- قسم الإعلام العام:

وقد نشط هذا القسم كثيراً قبل فتح كابل، وذلك عن طريق نشرة لهيب المعركة والبيانات التي كان يوزعها على العالم المراكز الإسلامية في مناطق مختلفة من العالم، خاصة أوروبا واستراليا والجزيرة العربية والأردن وغيرها، وقد ضمّ هذا القسم

مركز الشهيد عزام الإعلامي

أ- قسم التراث:

فكرته:

بدأت أصل هذه الفكرة في أواخر حياة الشهيد عبد الله عزام، وصاحب هذه الفكرة هو الأخ أبو عادل عزام -جزاه الله خيراً- فقد عرض على الشيخ قبل استشهاده فكرة تفريغ أشرطته وطباعتها في كتب ونشرها وتوزيعها على مناطق مختلفة في العالم، وذلك خوفاً على هذه التجربة الرائدة التي مر بها الشيخ في أفغانستان من الضياع، وحفاظاً على هذا التراث الضخم الذي خلفه، رحّب الشيخ بهذه الفكرة وقال له (على بركة الله) فبدأ بتفريغ هذه الأشرطة، ثم تفاجأنا باستشهاد شيخنا -عليه رحمة الله- وكانت هذه المرحلة مرحلة فكرة أخذت حيّز التنفيذ.

وبعد استشهاد الشيخ بشهر جلسنا مع الأخوة وقررنا أن يستمر هذا المشروع ويوسع ويُبلور وتُوضع له مراحل يسير عليها.

مراحله:

ووضع الأخوة في قسم التراث مراحل وأولويات يسير عليها العمل لما في ذلك من تنظيم وإبداع وتطوير للمشروع، وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الجمع والتثبيت.

ويتم في هذه المرحلة جمع كل ما كتبه الشهيد من بطون المجلات والجرائد وما خطه بيده، وتفريغ ما قاله من محاضرات أو خطب أو ندوات أو دروس، وكل ذلك يُجمع في سلاسل تحت عناوين رئيسية وفي كتب صغيرة متوسطة الحجم، لا يزيد كل كتاب على مائتي صفحة تقريباً.

وهذه المرحلة قد أوشكنا الإنتهاء منها والحمد لله.

المرحلة الثانية: مرحلة تجميع هذه الأجزاء في مجلدات لسهولة تناولها.

وقد بدأنا بها منذ فترة، وصدر منها سلسلة التربية في ست مجلدات ومجلد (في خضم المعركة) و مجلد (في الهجرة والإعداد)، ومجلد (في الجهاد فقه واجتهاد)، ومجلد (في التآمر العالمي)، ومجلد (خمس رسائل في الجهاد)، ومجلد كلمات من خط النار الأول) ولا زلنا في طور هذه المرحلة ولم تنتهي بعد.

المرحلة الثالثة: مرحلة الموسوعة:

وهي مرحلة مكملة للمرحلة السابقة بجمع فيها كل شتات كتب الشيخ رحمه الله في موسوعة على شكل مجلدات متسلسلة تمهيداً للمرحلة المقبلة، وذلك تسهيلاً على الباحثين في تناول الموضوعات وستجمع هذه المرحلة جميع ما قاله وخطه الشيخ في اربع مجلدات وسنختمها بمجلد فهرسة بجميع المجلدات الاربعة إن شاء الله.

المرحلة الرابعة: مرحلة الإختصار والتصنيف.

وهذه المرحلة قادمة قريباً بإذن الله، وهي من أشق المراحل التي ستواجهنا لضرورة توفر الكوادر العلمية الكافية والتكاليف

فهرسة المجلد الثالث من الموسوعة

وهو عبارة عن ملخص الأفكار المهمة في كل صفحة من صفحات الموسوعة

الموضوع ... الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الص

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصف

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
معنى ختم القرآن في اليوم مرة أو أكثر	٣٤١
ما هي مسؤليتنا كمسلمين؟.. معنى لا اله إلا الله.. شرح مفصل توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية	٣٤٢
حكم تقديم الطعام لأي انسان في نهار رمضان	٣٤٣
توحيد الألوهية	٣٤٤
توحيد الأسماء والصفات.. قصص عن الصحابة تبين أن الصحابة كانوا ينخلعون من أموالهم	٣٤٥
يجب أن يكون المسلم مصحفاً يتحرك وواقعاً مطبقاً على الأرض.. توجيهات مهمة للدعاة	٣٤٦
شيطان المؤمن ضعيف هزيل وشيطان الكافر سمين كبير.. كل ما مضى من الموضوع أن الإسلام عقيدة وشريعة وعبادة	٣٤٧
مسؤلية الداعية أمام الله في جعل الشجاعة والكرم صفتان تحيا بهما الأمم والبخل والجبن تباد بهما الأمم	٣٤٨
الإسلام نظام حياة	٣٤٩
قلوب المنافقين	٣٥٠
تمعر وجه المؤمن غضباً لله تعالى	٣٥١
المنافقون وأفغانستان.. أصبح الجبن حزماً والقعود حكمة	٣٥٢
أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم	٣٥٣
وصف الذي يأتي إلى الجهاد بالتهور وغيرها من الألفاظ التي لا تليق بمسلم.. وصية شهيد.. الذين يحملون المبادىء قليلون	٣٥٤
هذه التضحيات إنما هي غذاء للأجيال القادمة.. والذين يبنون الأمم قليلون والأمة أحياناً تكون بواحد يقف موقفاً ينقذ به الأمة.. القرار الجهادي الأول في أفغانستان.. دور العرب في الجهاد	٣٥٥
الشهيد عبدالوهاب.. وصاياه	٣٥٦
أثر المجاهد العربي في الجهاد الأفغاني.. معنى الفتنة.. الحق لابد له من قوة تحميه	٣٥٨
قيمة الرجال في الجهاد.. أسباب دعوتنا للجهاد	٣٥٩
حياة الاستضعاف	٣٦٠
معنى الخفاف والثقال في الخروج للجهاد	٣٦١
نماذج من سلفنا الصالح	٣٦٢
روايات عن الشهداء العرب.. لا تستطيع أية حركة اسلامية أن تقيم دولة الاسلام وحدها	٣٦٣
خدمة دين الله يكون عن طريق الجهاد.. الشهيد أبو حامد مروان –ذبيح الله–	٣٦٤
علامات الساعة الكبرى والصغرى.. الاخطار لا تغير الأقدار والحذر لا يغني من القدر.. الآباء والأمهات يلاحقون أبناءهم إلى أرض الجهاد لارجاعهم	٣٦٥
حكم الاعدام على مروان حديد	٣٦٦
الشهيد ذبيح الله يسقط طائرة على الأقل.. لو كنا مثل هؤلاء لاصطفانا ولكننا لسنا أهلاً للاصطفاء... سمات الشهداء	٣٦٧
فريضة العمر.. التجارة الرابحة	٣٦٨
أتون الابتلاء	٣٦٩
الجهاد فرض كفريضة الصلاة تبدأ منذ أن يبلغ الانسان رشده حتى تخرج الروح إلى بارئها.. فريضة لا تتقيد بزمان.. المفطر في رمضان إثمه أقل من تارك الجهاد.. يجب أن نسقط من حسابنا أولئك الذين يتركون الجهاد دون عذر.. كلمة الجهاد إذا أطلقت تعني القتال بالسلاح	٣٧٠
الجهاد يعني القتال بمصطلح الشارع أفضل العبادات باتفاق العلماء.. الجهاد أفضل من عمارة المسجد الحرام وأفضل من بنائه و أفضل من مجاورته.. قيام الليل وأنت تتلذذ بمناجاة ربك وأن يهطل الدمع من شاقيهما سيلاً يعتبر لعباً إذا كانت الحدود تنتهك وإذا كانت المقدسات تداس وإذا كانت الحرمات توطأ بالأقدام	٣٧١
الرباط ثقيل على النفوس.. مراحل طريق الجهاد، هجرة ثم اعداد ثم رباط ثم قتال على الترتيب.. حكم الدخول إلى الجبهات دون اعداد	٣٧٢
مقارنة بين جيل اليوم والأجيال الماضية.. ضرورة الاعداد	٣٧٣
أجر الرباط والهجرة.. الشهيد عبدالرحيم ابوعرجه	٣٧٤
القاعدة الصلبة.. منهج الدعوة إلى الله في انشاء المجتمعات.. النبوة والاصطفاء	٣٧٥
تكاليف الطريق	٣٧٦
الطريق إلى القلوب.. الحكمة من منع القتال في مكة.. نماذج من التربية الطويلة.. من دلائل النبوة	٣٧٧
الحكمة من طول التربية.. مواقف أبي بكر يوم الردة ومواقف بعض الصحابة الكرام يدلل على أهمية القاعدة الصلبة	٣٧٨
كرامات عبر التاريخ.. مراحل الجهاد	٣٧٩
تجربة فريدة خاضتها الحركة الإسلامية في أفغانستان.. كيف يمكن أن يكون حال الجهاد لو أقبل الذين يرددون في	

الموضوع — الصفحة

الموضوع — الص

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

فهرس الموضوعات

م	إسم الموضوع (الشريط)	نوعه	تاريخـه	رقمه	الص
١٠٩	اتقوا الله حق تقاته	خطبة		٣٢٩	·
١١٠	إنجنير بشير	كلمة		١٣١	٨
١١١	صورة مشرقة للجهاد (١)	محاضرة		٣١١	·
١١٢	صورة مشرقة للجهاد (٢)			٢١٣	·
١١٣	مقومات الوحدة الإسلامية (أ)			٣٢٦	١٤
١١٤	مقومات الوحدة الإسلامية (ب)			٣٢٦	٢٧
١١٥	نظرات في التربية الحركية			٢٣٦	١٤
١١٦	الجماعات الإسلامية ووجهة الصراع (أ)			٢٤٢	١٠
١١٧	الجماعات الإسلامية ووجهة الصراع (ب)			٢٤٣	١٦
١١٨	الحركة المظلومة			٢٣٨	٠٣
١١٩	حفل افتتاح المركز الإسلامي	كلمة		٤٢	٠٩
١٢٠	دعم الجهاد الأفغاني إنقاذ للبشرية			٢٦٥	١٠
١٢١	في مسجد أبي بكر (أ)			٢٥٣	١٧
١٢٢	في مسجد أبي بكر (ب)			٢٥٤	٢٦
١٢٣	صمام الأمان	خطبة		٢٢٤	٣٤
١٢٤	التربية والجهاد		١٩٨٤/١٢/١٤		٣٨
١٢٥	صلة العبد بربه			٣٢١	٤٥
١٢٦	الضجة الإعلامية			١٧٧	٥٢
١٢٧	بعد الزيارة الأولى لبنجشير			٢٠٥	٥٧
١٢٨	غرباء في عالم السياسة			٢٧٦	٦٤
١٢٩	الجهاد المظلوم إعلامياً			٢٧٧	٦٩
١٣٠	كرامات المجاهدين		٨٧/٤/١٩	٤٥	٧٢
١٣١	مؤتمر الطلبة في بريطانيا		شريط فيديو	٢٤٩	٧٩
١٣٢	كلمة الشيخ عبدالله عزام في لاهور	محاضرة			١٨٧
١٣٣	كلمة للعلماء	كلمة	٨٦/١٠/١٨	٤٠	١٨٩
١٣٤	رحلة الشمال	كلمة			١٩١
١٣٥	مسيرة الدماء	محاضرة			١٩٤
١٣٦	ميزان الله وميزان الناس	خطبة	١٩٨٥/٩/١٣م		١٩٩
١٣٧	أمسية فلسطين	محاضرة			١٠٦
١٣٨	خطر القومية على الجهاد الأفغاني		٨٩/١١/٢١م	٣١٠	١١٠
١٣٩	ملامح تلوح في الأفق				١٢٢
١٤٠	عملاً بأمر الخارج	محاضرة		٢٤٨	١٣٠
١٤١	التجربة التاريخية الرائدة	خطبة		٢١٩	١٣٥
١٤٢	الدعوة الإسلامية وبشائر الغد (١)	محاضرة		٣١٥	٩٤١
١٤٣	الدعوة الإسلامية وبشائر الغد (٢)	محاضرة		٣١٦	=
١٤٤	اليهود بين أفغانستان وفلسطين			٢٤٥	٩٥٤
١٤٥	بداية الحركة الإسلامية الافغانية			٢٠١	٩٦٠

م	إسم الموضوع (الشريط)	نوعه	تاريخه	رقمه	الصفحة
١٤٦	ولكن حمزة لا بواكي له	خطبة		٣١٤	٩٦٣
١٤٧	معجزة القرون الثلاثة	محاضرة	١٩٨٩/٢/٧م		٩٧٠
١٤٨	المؤامرة العالمية على الجهاد	محاضرة	٨٩/٢/٢		٩٧٩
١٤٩	محاضرة في ألمانيا (١)	محاضرة		١٠٩	٩٨٩
١٥٠	خط التحول التاريخي	محاضرة	١٩٨٩/١٢/١٦		٩٩٥
١٥١	تحقيق العبودية	محاضرة	شريط فيديو الكويت		١٠٠٨
١٥٢	من كابل إلى القدس	محاضرة	شريط فيديو الكويت		
١٥٣	إنهيار الحضارة الغربية	محاضرة			
١٥٤	الجهاد الأفغاني	محاضرة			١٠٤٠
١٥٥	كلمة تأبينيه على روح الشهيد عابد الشيخ	كلمة			١٠٥٨
١٥٦	تاريخ الحركة الإسلامية	محاضرة			١٠٦١
١٥٧	انتصار الحق	محاضرة	شريط فيديو		١٠٦٦
١٥٨	العمل والإخلاص	محاضرة			١٠٧٣
١٥٩	أثر النماذج الحية على النفس البشرية				١٠٨٠
١٦٠	فضل الجهاد الأفغاني في إحياء الأمه				١٠٨٦
١٦١	الجهاد فرض عين		شريط فيديو		١٠٨٩
١٦٢	أفغانستان اليوم		١٩٨٤		١٠٩٠
١٦٣	يا قادة الجهاد اتحدوا		١٩٨٤		١٠٩١
١٦٤	صرخة من القلب		١٩٨٤		١٠٩٤
١٦٥	نصائح إلى الشباب المسلم		١٩٨٩/١٠/١١م		١٠٩٤
١٦٦	دورنا في الجهاد الافغاني				١٠٩٨
١٦٧	لقاء مع ابناء اليمن (١)				١١٠٧
١٦٨	لقاء مع ابناء اليمن (٢)				١١١٨
١٦٩	حفل مؤسسة المدينة المنورة للأيتام				١١٢٣

ملاحظة:

١- كل العناوين الجانبية وضعت عن طريق المركز ولذا لزم التنبيه.

٢- كل خطب الجمعة والمحاضرات كانت إرتجالية.